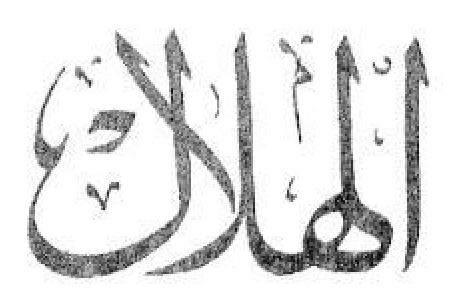
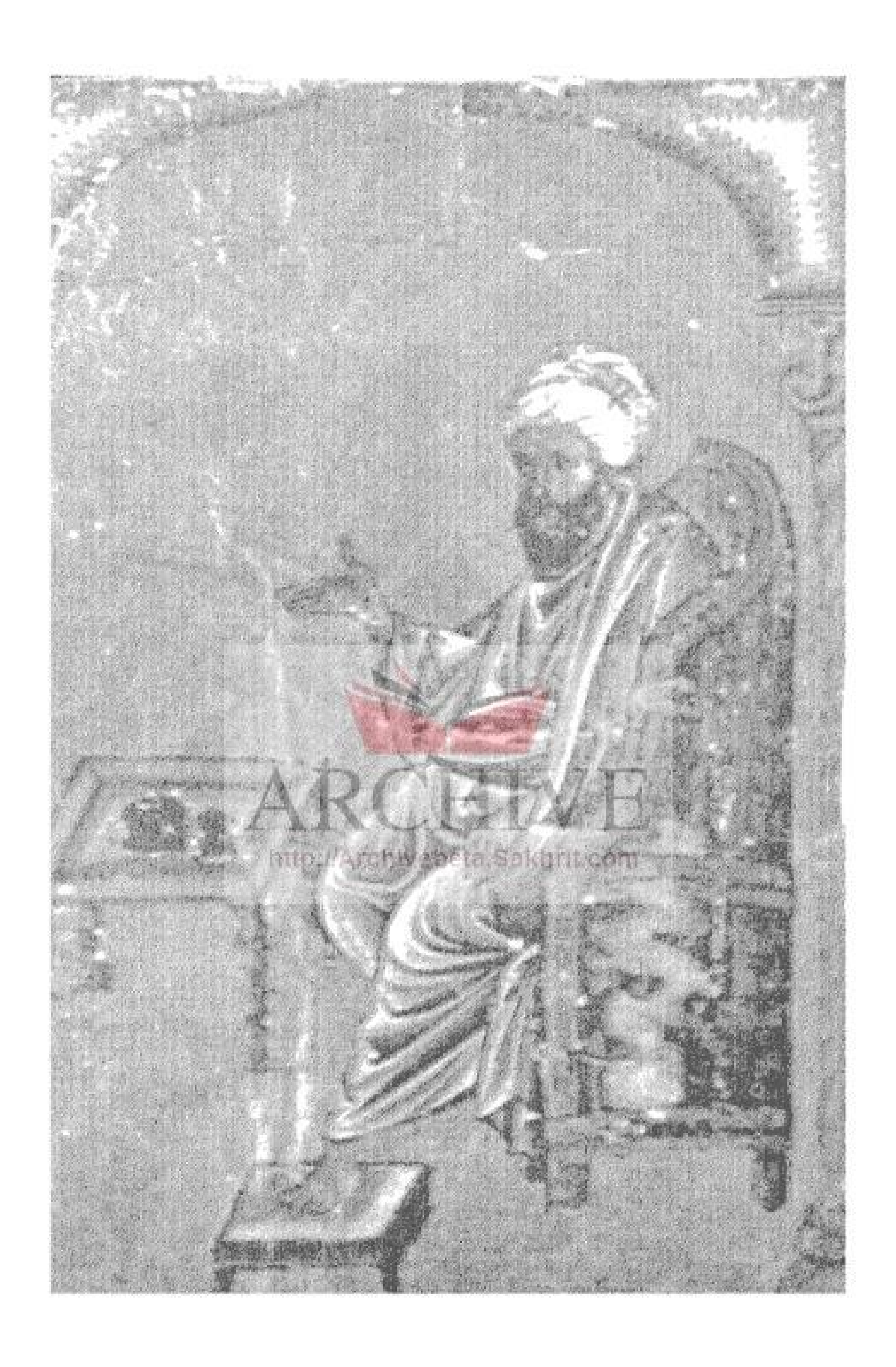


يناير
سنة ١٩٨٥

الثمن
٢٥ قرشا

أفق جديد في عالم

المستقبل
جزء خاص


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من روائع الفن الإسلامي

لوحة للمعلم وهو يلقى الدرس حول العلاج بالاعشاب ، رسمت في شمال العراق عام ٦٢٦ هـ - ١٢٢٩ م .
مساحة اللوحة ٩٢ × ١٤٠ سم موجودة فى اسطنبول فى متحف سراى طوب كابى .



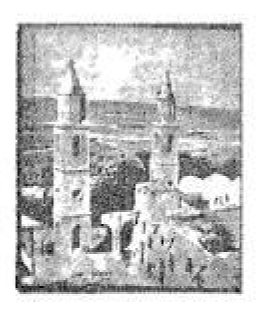
الهلال

السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال ... اسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ ...
اول يناير سنة ١٩٨٥ - ٩ ربيع الآخر ١٤٠٥



صــوفى عـبداللــه
وهموم المرأة العربية



اقدم دير فى العالم
تحقيــق ملون

فى هذا العـدد





اعلام معاصرون
محمد عبدالله عنان



نجيب محفوظ و ٧٣
عاما فى محراب الفن



نادية الجندى
والكيف فى السينما

● المستقبل ●

● الأبواب الثابتة ●



.. يصلك هذا العدد من اليوم الأول من الشهر الأول من العام الخامس والثمانين من هذا القرن العشرين .

يقضى معك العدد شهرا ، له دلالة معينة وخلاله تحدث مناسبة هامة . وقد حاول الهلال أن يلتقى معك فى منتصف الطريق حول هذه الدلالة . وأن يقيم على صفحاته احتفالا بالحدث والمناسبة .

اما الدلالة فهى أنه مع بدء عام ١٩٨٥ . يكون الباقى من الزمن خمسة عشر عاما فقط ونجد انفسنا فى مواجهة سنة ٢٠٠٠ حيث نخرج جميعا من القرن العشرين لكى ندخل القرن الحادى والعشرين . وهذا يتطلب أن يكون رهاننا الأساسى هو المستقبل .

ونحن لن نغرق فى لحظات الحاضر ولن ننظر الى الماضى على انه الزمان الجميل . ولكننا قررنا اقتحام المستقبل ومحاولة رسمه من الآن . على صفحات العدد جزء خاص عن المستقبل . فى هذا الجزء يكتب الدكتور رشدى سعيد أكبر جيولوجى مصرى والموجود حاليا فى أمريكا عن مستقبل الجيولوجيا والتعدين فى مصر . ويكتب الدكتور جلال أمين عن الأثرياء والفقراء فى فم الغرباء . ويتناول الدكتور عبد العظيم أنيس علوم المستقبل . ويقتحم الدكتور سعيد اسماعيل على محنة التعليم فى مصر ويقدم الحلول لها . وثمة دراسة عن رواية المستقبل . السفر نحو المستقبل لن يقتصر على صفحات هذا العدد . ولكن هناك بابا جديدا ينضم الى صفحات الهلال هو : « العالم غدا » يجعل الحلم بالغد مشروعا شهريا ثابتا . ومن الأبواب الجديدة أيضا : « أقوال معاصرة » . الذى نطمح أن يقدم بصورة مركزة ماقيل خلال شهر من عمر عالم اليوم .

اما المناسبة ـ الحدث فهى بلوغ يحيى حقى سن الثمانين ـ أطال الله فى عمره ـ ولأن الرجل واحد من القمم العالية التى تسكن عند قمة الابداع القصصى والروائى العربى . فقد رأينا ان نقدم جزءاً خاصا فى العدد المقبل عن يحيى حقى وأعماله . وقد أجلنا هذا الجزء شهرا واحدا فقط من أجل ان يأتى فى مستوى عطاء الكاتب الكبير ودوره . وأن يليق بما قدمه للمكتبة العربية من أعمال ابداعية عظيمة .

من الصعب الحديث عن مادة العدد الاخرى . فالهلال يخطو الى الامام بصورة بطيئة ولكنها اكيدة . ويحاول التغيير ولكن من خلال الاستمرار . فى العدد موضوع عن اقدم دير فى العالم . ومصر ـ تاريخيا ـ هى التى عرفت البشرية الأديرة .

فى العدد قصص وقصائد شعرية . تأتى فى سياق مفهوم للثقافة بشموليتها . تبدأ من اشكال الابداع الأدبى وتصل الى كل مكونات الثقافة العامة . ولذلك نجد فى العدد دراسة جيدة للدكتور على الراعى عن مسرحية مصرية جديدة هى « الكلاب وصلت المطار » ودراسة للناقد السينمائى مصطفى درويش عن واحدة من ظواهر السينما المصرية .

ان الهلال تسعى نحو هدف بعيد وطموح ، وهو أن يكون كل عدد منها جزءا من كل كبير هو : « كل ذاكرة العالم » . هذه الذاكرة التى تعيش لحظة حاضرة تستند الى ماض حى ومتوهج وتومىء وتنظر الى المستقبل القريب والمستقبل البعيد .

المحـرر

الكلاب وصلت المطار

بقلم الدكتور علي الراعي

● في كتاب صغير صدر قبل وفاته في عام ١٩٤٦ اسمه : « هيابنا جميعاً تركب الفلك إلى لُرارلط » ، أعلن الكاتب الانجليزي هـ . ج . ويلز يأسه من الانسان . عبر عن حزنه الدفين لأن كل الآمال التي تعلقت على هذا الحيوان العاقل قد خابت . لقد دمر الانسان ملخلق الله ، وما صنع البشر من جمال وجلال في هذا العالم . واثبت بهذا ان عقله الذي يزهو به انما هو اكذوبة ، وان المستقبل الذي طالما تطلع إليه فلاسفته وثواره وحكماؤه ليس له وجود .

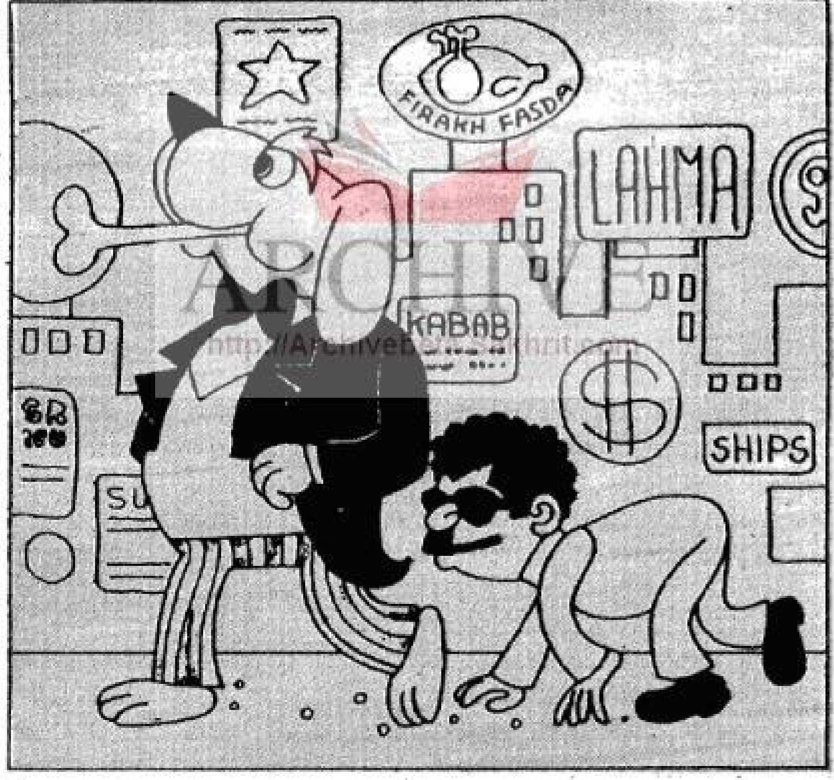
آن الأوان لأن يختفي الجنس البشري من هذا الكوكب ، وأن يحل محله حيوان آخر ، الجرذان مثلا . لم لا ؟

كان هذا في أعقاب المجزرة البشرية الكبرى التي انتهت قبل وفاة ويلز بعام واحد ، والتي نخفي جميعاً جرائمها تحت عنوان : « الحرب العالمية الثانية » . ومن قبل ويلز ، وفي اعقابْ جريمة عالمية أخرى نسميها : « الحرب العالميـة الأولى » ، لاتقل بشاعة عن لاحقتها الا في النطاق الذي ذهبت إليه وفي طريقة ومدى التدمير . ارتعد جورج برنارد شو من الرأس إلى القدم وهو يرى آماله في عظمة الانسان وسمو عقله ، وواسع حكمته ، وكثرة منجزاته . وقدرته على التصرف الموضوعي العاقل . تنهار جميعاً مع إنهيار المباني والمؤسسات والمبادىء التي صنعت عالم ما قبل الحرب العالمية الأولى . وكان أهم هذه المبادىء نظر شو أن الانسان حيوان عاقل ، ان يكن الآن ناقص القدرات ، فهو بسبيله لأن يستكمل قدراته ، ومن ثم جعل شو يحلم بانقاذ الانسان من حالة التوقف التي كان يعانيها اذذاك ، عن طريق انتاج مـاسماه : « السوبر مان » نتاج بشرى متميز ، يخرج من صلب رجل عبقري وامرأة فائضة الحيوية . فاذا تم انتاج عدد كاف من هذا البشرى الفذ امكن للنفر الممتاز الذين يكونون صفوفه ان يحكموا العالم ويوجهوه الوجهة التي ترضي الناس جميعاً : « عدلاً ، وخيرا وثراء وجمالاً وفناً ، للناس كلهم »



ثم هب اعصار الحرب على حلم برنارد شو ، فإذا بالانسان ليس ذلك العاقل المتطلع إلى مزيد من العقل ، بل هو الوحش الذى تقطر يداه ومخالبه وأنيابه بالدم . دم البشر يلغ فيه البشر ويخوضون بحاره ليصل الدم إلى ركبهم واكتافهم وادمغتهم ، ويغرقهم فى طوفان احمر قان صنعته الجريمة النكراء : جريمة ابادة البشر .

لم يعد ممكنا ان نلبى دعوة ويلز ونركب فلك نوح ليهبط بنا على قمة جبل اراراط ، نجاة من طوفان الدم . اصبح مستحيلا ان ندعو مع القابيين ـ الذين نشط برنارد شو للعمل معهم فترة من الزمن ـ إلى الاشتراكية بالحسنى وبمخاطبة العقل ، وبالتوجه إلى النوازع الخيرة فى الانسان . قد صلب العقل على صليب الشر واحترق الخير ، وتباعد حلم



الكلاب وصلت المطار

الاشتراكية ، وخفقت اضواؤه ، وترك برنارد شو واحيدا ، يصرخ ، عاجزا ، باكياً ، ضارباً الأرض بقدميه فى غير جدوى فى مسرحية وراء مسرحية : « القديسة جون » ، « بيت القلوب الكسيرة » ، « والحقيقة المرة » ، وغيرها .

كتب على سالم مسرحيته الجديدة هذه : « الكلاب وصلت المطار » فى مناخ فكرى مقارب لما تقدم وصفه . كتبها تحت وطأة احباط كبير خلفه احتراق الحلم العربى فى سيناء والجولان عام ١٩٦٧ . يوم ضربت الطائرات وهى جاثمة بيد العدو ويد الغدر ، وانهار الصرح الذى بنته السواعد الفتية المتطلعة ، وقام بيننا من يعوى : كفانا اشتراكية ، كفانا عدلا . كفانا تدليلا للانسان . ولنعد إلى حيث كنا قبل ان نجرؤ على الحلم . لنعد ذئابا فى الغاب تفترس الحملان وتلعق افواهها بعد الشبع وتقول : هى سنة الحياة . ان يوجد فقراء واغنياء . اقوياء وضعفاء . فلم التنكر لطبع الاشياء ؟

بعد المجزرة العالمية الاولى قال اعداء الديموقراطية : هذه هى ديموقراطيتكم وتلك انجازاتها . ركام محترق واجساد متفحمة ، وأخرى ابتلعها المحيط . فلنؤمن بالقوة ، بالعنصرية ، بسيادة الجنس الارقى . ومن ثم اندفع الذئاب فى كل مكان : فى امريكا وأوروبا وآسيا يروجون للفاشية ويدعمون مجانينها ويغمضون الطرف عن جرائم ابادة الناس بالجملة واغتصاب الاوطان بلا حجة ، بل بلا انذار ، حتى دفعوا العالم كله إلى طوفان الدم الذى سال خلال المجزرة العالمية الثانية .

وبعد أن سكتت المدافع ، لم يقل احد هذه المرة : تسقط الديموقراطية . يسقط الانسان . وإنما القت الولايات المتحدة الامريكية قنبلتيها الذريتين على هيروشيما ونجازاكى باسم الديموقراطية ، حفاظا على الانسان . وكان الهدف الخفى بالطبع هو اعلان انه منذ تلك اللحظة فى عام ١٩٤٥ ـ سوف يصبح العالم كله عالما امريكيا واحدا . يشمله سلام أمريكى واحد ، يبسط ظله على الأرض جميعاً .

وقامت إسرائيل فى وطننا العربى لتكون المحرقة الكبرى التى يدفع اليها عقب كل حرب بالحلم العربى . يحترق الحلم ، ويعاقب من جرؤ عليه ، ويقال للشعوب التى ساندته : لم يكن حلما ، وإنما كان اضغاث احلام . كان كابوسا احمدوا الله ان نجاكم منه .

هذا ما قيل لنا غداة ٦٧ . وهذا ما اكدوه لنا بعد سبتمبر ٧٠ . سنوات طويلة من الظلام بدأت فى ٢٣ يوليو ٥٢ وها هى ذى اضواء خافتة تلوح فى الافق بعد سبتمبر ٧٠ . ستنضو مصر عنها رداء الاشتراكية المتهرىء ، وتروح تتلفع بثوب جديد أسمه الانفتاح . سننفتح فى موقع وراء موقع ، حتى لايبقى بيننا مكان لم ينفتح . ولعن الله من ينغلق من بعد ! ومن ثم اركبونا فلك الانفتاح ، ومضت بنا هذه فى بحر متلاطم . أكلنا على ظهرها الدجاج النتن والجبن الفاسد ، ورفعت امامنا شعارات : نصادق من يعادينا

وتعادى من يصادقنا . ورأينا بأعيننا أبنية الانفتاح تنهار فوق رءوس المنفتحين بالأكراه ، وينجو منها مهندسو الانفتاح أنفسهم . وطارت أموالنا بلا اجنحة ، طارت من المصارف القاهرية لتحط فى المصارف « الأفرانكية » وغلا كل شىء الا الانسان . فقد نافس فى تدنى السعر عملتنا غير الصعبة . ومع رخص الانسان ، وامتلاء الغاب بالذئاب ، قرر البعض ان يصبحوا كلابا ، لأن عيشة الكلاب اصبحت أرقى من عيشة الانسان .

وكان أن وصلت الكلاب ليس إلى المطار وحده ، كما فى مسرحية على سالم ، وإنما إلى سائر مواقع مصر ، القاصى منها والدانى .

ان كلاب المطار فى المسرحية هى كلاب حقيقية ، وجدت أن الانسان قد أصبح لا يساوى ثمن الحبر الذى يكتب به اسمه ، فقررت ان تدعو إلى مجتمع الكلاب : حيوانات وفية ، ذكية ، لا تصادق من يعاديها ، ولا تتنكر لتاريخها وهويتها ولا تتبع الذين هم اراذل الخلق ، ومن ثم اعلنت الكلاب انتهاء عصر الانسان ، وهتفت ان الأرض من بعد يرثها الكلاب .

هذه قضية منطقية ، توازى فى وجاهتها قضية ويلز ، الذى اعطى الارض للجرذان بعد أن فشل الانشان . غير أن المسرحية ما أن تطرح القضية حتى تنفصل منها ، أو تنعطف عنهاقى القليل يرى على سالم إنه مهما كانت فضائل الكلاب ، وايا كانت مساوىء الانسان ، فلا زال ذلك الحيوان - بالامكان - أقوى ، وأرقى واذكى خلق الله جميعاً . ورسالته على الأرض ان يظل كذلك . الآن وإلى الأبد . ومن ثم يقوم بين الناس المنفتحين بطل غير انفتاحى يأخذ على عاتقه الحمل الثقيل : ان ينقذ الانسان من الفناء ، أن يمنع الكلاب أن تصبح الجنس الأرقى فى الأرض .

وعلى الفور تتجمع كل القوى ضده · الكلاب المناضلون فى سبيل اسقاط الانسان . انصار الانفتاح ممن لا يرون حولهم الا كل ما هو مضىء ، وواعد ، وجالب للثراء . الساكتون عن القول لأن الصمت أدعى للعافية . الذين يفيدون من تحويل الناس إلى كلاب فيستخدمون مواهبهم الكلابية لجمع الثروات . المتشككون فى دعوى البطل ان هناك مؤامرة لكلبنة الناس ...الخ .

ويتناول على سالم موضوعه الطريف هذا من خلال قصة انسانية عذبة وشاعرية وواقعية فى آن . طبيب الحجر الصحى بمطار القاهرة الدولى ابراهيم شاب مثالى ، يرى عملة رسالة وليس مهنة ، متزوج من مضيفة الطيران ندا ، التى تحبه وتود لو استطاعت أن تبقى إلى جواره بدلا من ان تقطع فضاء الأرض كله متنقلة من عاصمة إلى عاصمة ، عاجزة عن الهبوط ، إلى عش الزوجية لأن ايراد الزوج لايفى بالحاجات العامة لمعيشة اليوم . والزوج الشاب صلب فى مثاليته يرفض عرضا من خال الزوجة أن يكون طبيبا فى مستشفاه السياحى لقاء خمسة آلاف جنيه ، لأنه يشجب من المبدأ فكرة الطب الاستغلالى ، ويكتفى بايراده الذى يجمعه بالكد والعرق - ستمائة جنيه ، لا تفى مع ذلك بحاجة بيت جديد فى ظل مجتمع الانتاج الاستهلاكى .



الكلاب وصلت المطار

ومن هذا الموقف الواقعى ، يغزل على سالم خيوط مسرحيته ، التى لا تلبث - مثل مسرحيات أخرى للكاتب - أن تغادر أرض الواقع إلى عالم الفانتازيا ، فيصور لنا هذا الذى يحدث من الكلاب ، مستغلا حادثا واقعيا اليما وقع فى مطار القاهرة من سنوات مطورا اياه إلى فانتازيا الكلاب التى تريد أن تحرر الأرض من الانسان . وتنتهى المسرحية بعد هرب متكرر للبطل إبراهيم من مطارديه الكثيرين الذين يسعون إلى إلصاق تهمة الجنون به تنتهى فى المستشفى السياحى . وقد عقد صاحبه اتفاقا مع جموع الكلاب على تسليم المتهم إليهم - ذلك أن إبراهيم كان يسعى إلى انتاج مصل مضاد لظاهرة « الكلبنة » يزيد به أن يهزم مشروع الكلاب . فألقى القبض عليه واقتيد إلى المستشفى السياحى .

وينزل ستار الختام بطيئا على الموقف التالى . إبراهيم نجح أخيرا فى انتاج المصل المضاد . تحيط به زوجته ندا التى امنت بعد طول إنكار بأن ماراه من « كلبنة » ليس وهما ولا هو هلوسة انسان منهك ، عنيد ، متعصب لرأيه ، بل شر واقع بالفعل .

وبينما تحيط الكلاب بالمستشفى وتخلع سوره وتأكل الشجر والورد والحشيش الأخضر ، يتصل إبراهيم بزملاء دفعته واحدا وراء الآخر ويبلغهم بمفردات تركيبة المصل المضاد . ويأخذ نباح الكلاب يقترب وتخفت الاضاءة تدريجا

يستخدم على سالم كل اسلحته لخدمة هذا الموضوع الجاد فى اساسه . يستهل المسرحية بواحد من ابرع مشاهد الكوميديا فى المسرح العربى ، ان لم يكن إبراعها على الاطلاق . مشهد غلق جميع اجهزة المطار - بناء على تعليمات رسمية - للسيد المواطن المسافر ثم البطش به بطشاً وحشياً بلا فترة انتقال .

ويصور فى رقة غراما عذبا بين زوجين تفرق بينهما وجهات النظر ومطارات العالم ، وجشع الخال الاستغلالى الانفتاحى . ويحول موضوعه الواقعى الاساسى إلى فنتازيا تقترب احيانا من حدود الكابوس - الكلاب تقود سيارات التاكسى وتستقلها ، وتوفد مندوبا عنها ...الخ .

ثم يصب الكاتب احداث فصليه الثانى والثالث فى قالب الطراد البوليسى ، مما ألفه مشاهدو التليفزيون فى مسلسلات مثل : « الهارب » . وهذا كله يزيد من كم التشويق فى مسرحيته . ويسهل على المتفرج تقبل رسالة المسرحية ، ويجعله يطرب لتيار النقد اللاذع المتصل الذى تحويه .

فى : « الكلاب وصلت المطار » يقترب على سالم كثيرا من حل المعادلة الصعبة التى تواجه الفن الجاد دائما : كيف تكون جادا وانت تضحك ؟ كيف تلذع دون أن تُنَفِّر ؟ كيف تهجو دون أن تتوحش ؟

والجواب : تفعل هذا بعد أن تدرس سر الصنعة المسرحية وتتقن تلك الصنعة ثم تنطلق إلى الناس ومجتمع الناس توزع الابتسامة والضحكة واللذعة والدغدغة و- فوق كل هذا - الحب - بين الناس ●.

أقوال معاصرة

● « إذا كنا لا نجتمع فى مرحلة خلاف فكيف يمكن أن نصل إلى الوفاق .. ؟ »

الرئيس حسنى مبارك

● « العلاقة الأردنية الفلسطينية تعتبر ربطا لكل العرب بمصير القضية الفلسطينية فى نسق واحد .. »

الملك حسين .

● « على مصر أن تختار بين علاقاتها بمنظمة التحرير واتفاقية السلام .. »

إسحق شامير .

● « قيادة العرب مثل الفرس الجامح ، يأبى الانصياع لأحد فى إنتظار فارسه الطبيعى مصر .. »

ياسر عرفات .

● « ان التحدى القائم أمام إسرائيل الآن هو السلام .. »

أحمد توفيق خليل
سفير مصر فى الأمم المتحدة .

● « لايهم اذا كانت القطة بيضاء أم سوداء ، ولكن المهم ان تقضى على الفئران .. »

دنج هسياوبنج

● « النجومية » بدعة وتنتهى ، أما الفنان فهو الأبقى .. »

سميحه أيوب .

● « عندما أكتب لا أعبأ بشىء »

نجيب محفوظ .

الـوجــه
الآخــر

نظرات إلى نفس إنسان العالم الثالث

بقلم : فتحي رضوان

● فى هلال شهر ديسمبر مقالان خطيران لكاتبين كبيرين ، أول المقالين بقلم الأستاذ أحمد بهاء الدين ، وثانيهما بقلم الدكتور فؤاد زكريا . والأول يتحدث عن ثورة المعلومات والعالم الثالث ، والثانى يقرر أن قانون التقدم يقضى بأن هذا التقدم يبدأ بالعودة الى الذات .

وقد رأيتنى أختلف مع الأستاذين الكبيرين فى جوهر ما ذهبا إليه ، وإن كنت قد استمتعت حقا ، بالمنهج الذى اتبعاه ، والأسلوب الذى ساقا به المقدمات ، وخلصا منها الى النتائج ، فالمقالان فى الجملة ، دعوة مثيرة الى التفكير فى امورنا ، ومحاولة تحليل أسباب مشكلاتنا ، والى تبين هذه المشكلات ، من حيث الجذور . وقد لخص الأستاذ الدكتور فؤاد زكريا المعنى الذى يهدف الى تقريره وشرحه ، فى السطور الأولى من مقاله اذ قال :

« التقدم مسار واحد ، يبدأ من الخارج ولكنه لايكتمل الا حين ينتقل الى الداخل ، فنقطة البدء فى كل الأحوال مؤثرات خارجية تفرض نفسها على الفرد والمجتمع . ولكن التقدم الحقيقى الأمين تلغم هذه المؤثرات الخارجية وتتحول الى جزء من كياننا ، وحينما نستطيع أن نستخلص عوامل نهوضنا من داخلنا ولا نعود فى حاجة الى أن نستمدها من مصدر غريب عنا . ان قانون التقدم هو فى كلمة واحدة . العودة الى الذات »

وما قرره الدكتور فؤاد زكريا ، فى هذه الصياغة الجميلة الجذابة ، لا أحسب أن هناك ما نختلف معه فيه ، فقيمة الانسان وأثره ، هو طاقات نفسه ، وقدراته على إبرازها فى ابداع مادى وروحى ، وردود فعله لما يقع عليه ، من ضغوط طبيعية وبشرية ، وأحسب أننا منذ كنا صبيانا ألفنا أن نسمع من الآباء والمدرسين ووعاظ المساجد ، وخطباء التجمعات ، أن علينا أن نعتمد على انفسنا ، فأنفسنا وحدها هى التى تأخذ بيدنا حينما تتأزم الأمور ، وتحتشد فى طريقنا الصعاب ، وما أكثر الذى سمعناه وقرأناه عن الاشادة بهذه النفس التى بين جنبينا لأنها منحدرة من نفوس ، صنعت الحضارة ، وآمنت بالدين ، وأقرت العقيدة ، ووجهت فى وجه صنوف وضروب من العدوان على عقائدنا وموروثاتنا وعلى أرضنا وأعظم ما نحرص عليه ، ونعتز به .

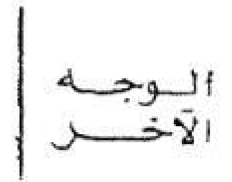




احمد بهاء الدين

د . فؤاد زكريا

فتصور أننا لم نكن نؤمن ـ كشعب بنفسنا أو بذاتنا ، وأننا كنا نعيش عالة على سوانا ، لا نستمد من هذه النفس قوة أو زادا ، ونؤمن بخلوها وفراغها ، وأن كل ما يحركنا أو يلهمنا ، هو مؤثر خارجي ، نتأثر به في الظاهر ، ولا ندعه يصل إلى الأعماق ليهضم ، ويستحيل جزءاً منا . تصور ذلك ، أحسب أنه يخالف الواقع ، ويناقض ما فعلناه في الماضي القريب ، وما نفعله فى الحاضر القائم . حتى فى اشد الأزمات حلوكة ، وأسوأ الفترات قتاماً ، واذا كان أباؤنا أو أجدادنا ، اتخذوا من (الشيطان) رمزاً للمؤثر الخارجي ، يختفون وراءه ، فان المصرى أو المسلم أو العربى ، لايؤمن قط ، بأنه لاحول له ولا قوة أمام الشيطان ، وأن الشيطان يؤزهم أزاً ، فينقادون له كأنهم خشب مسندة . فمجتمعنا يعتقد أن (النفس أمارة بالسوء) ، وأن ثواب الانسان فى مجاهدته لهذه النفس وهى مجاهدة ممكنة ، وتتداول السنة الناس فى هذا المجتمع أحاديث الرسول ، وشعر الشعراء ، وأقوال الكتاب الذين ، يدفعونهم ، للوقوف أمام وسوسة الشيطان والتغلب عليه ، وهم مدعوون لهذا الوقوف بفعل ايمانهم ، والتعوذ بالله ، والرجاء فى الظفر بحسن الخاتمة ، وبدخول الجنة . ونرى آثار هذه النظرة السليمة والصحيحة فى مسلك الطبقات الفقيرة من أهلينا والقليلى الحظ من الثقافة ، كما نجدها فى الطبقات الأكثر ثراء ، والأوفر نصيبا من المعرفة ، وموقفنا من القانون كموقفنا من الشيطان . لانتواصى بمخالفته ولا يدعو بعضنا بعضا للخروج عليه من باب الكفر به ، والهزء بأحكامه ، الا بأقل ما تفعل الشعوب الكبرى من محاولة الخروج على القانون جهراً وفى شكل عصابات مسلحة ، تؤيدها هيئات درست القانون وتخصصت فيه ومنهم علماء نفس ورجال طب وأساتذة مال واقتصاد ومصورون وفنيون من كل طراز . ومحاولة الافلات من الضرائب فى الولايات المتحدة ، وضبط الكبار وأصحاب النفوذ متلبسين بجرائم هذا الافلات ، أمر شائع ومعلوم ، والذائع الذى لا ينكره أحد إن نسبة الجرائم فى الولايات المتحدة وإسرائيل هى أعلى نسبة فى العالم إذ لا تنقضى دقيقة واحدة من غير أن ترتكب خلالها جرائم سطو وهتك عرض وشروع فى القتل .



وأحسب ان هذا كله يظهر تدنى مركز القانون فى حياة هذه الأمم التى حققت قدراً عظيما إلى أقصى الغاية فى العلم والثقافة وتذوق الفنون بضروبها العديدة وممارستها . ومع ذلك لا نستطيع أن نقول عنها أن القانون كان مؤثرا خارجيا فى حياتها لا يصل الى أعماق نفسها ، ولا يصبح جزءاً من كيانها .

واذا كان الناس فى مجتمعنا لا ينفذون القانون الا حينما يكون هناك شرطى يراقبهم ويمسك بخناقهم ، فليس مرد ذلك لأن قيم القانون لا تدخل الى قلوبهم ، ويصبح جزءاً من كيانهم ، وليس كفراً بالقانون جملة واحدة ، وانما لأنهم كأكثر البشر يضيقون بالقانون وبكل قيد ولو كان دينيا أو أخلاقيا موروثا . الا أن للقانون فى حياة المصريين وكثيرين من العرب ، دوراً معكوساً . فالقانون فى الحقب الأخيرة لم يكن قط من صنع المصريين أو صنع فقهائهم محل ثقتهم ، أو حكامهم الذى ينتسب إليهم ، ويعرفون مصلحتهم ، وانما كان القانون صادراً من الأجنبى مسلما كان أو مسيحيا ، وكان الثابت أن هذا الحاكم جيلا بعد جيل وحقبة بعد حقبة ، يتخذ من القانون سبيلا لقهر المحكومين والتضييق عليهم ، وسلب ثمرة عملهم ، ومنعهم من ممارسة الحريات المتفق على أنها حق منحه الله للبشر فى كل زمان ومكان ، فيحرمون من ابداء الرأى ، ومراجعة الحاكم ، والتشاور مع اخوانهم وزملائهم فى الوطن ، واقصاء علمائهم ، ومطاردة زعمائهم ، فالقانون كان شيئا كريها . لأنه كان بالفعل جديراً بالكراهية والازدراء خليقا بالتمرد عليه وعصيانه .

وكانت تجربة الشعب مع القانون فوق عسفه بهذا الشعب ، وتجاهله مصالحه ونزعاته ، واحتياجاته ، فهو قانون لا يستقر ، فما أكثر ما يغير الحاكم فى القانون ويبدله حسب أهوائه ، ثم هذا القانون حينما يوضع فى يد رجال الادارة والأمن ، يتحول الى أكثر من قانون . فالقانون عاجز أمام الأغنياء ، معدوم أمام ذوى السلطة واقربائهم واعوانهم ، يشتد حينا ويلين حينا ، أمام أوساط الناس بحسب بعدهم وقربهم من الأقوياء فى المجتمع . والقانون آخر الأمر غامض لا يفهمه أكثر الناس ، ويجدون له تأويلات لا حصر لها له .

واذا كان الدكتور فؤاد زكريا قد ضرب لنا بقانون المرور مثلا ، فهذا القانون مثل نموذجى فالعربات التى تحمل أرقاما صغيرة يعرف انها ملك اقوام ذوى مقام تتغمض العين عنهم ، وهناك تقاليد تقضى بأن بعض الطوائف تحرر ضد عرباتها المحاضر ، ثم ترسل هذه المحاضر لأصحاب تلك العربات .

أما ما ذكره الدكتور فؤاد زكريا من أن المصريين لا يزالون يتمسحون فى مستر (دنلوب) مستشار وزارة المعارف من عهد كرومر فينسبون كل عجز وقصور وتخلف وسوء ادارة فى مجال التعليم لأثر دنلوب مع أن دنلوب ترك مصر وغادر الدنيا مع كرومر منذ نحو خمسين عاماً ، فما اظن أن هناك الآن رجل تعليم واحدا ، يعتذر عن تخبط ادارته ، لأثر دنلوب ، وان

كنا لبثنا زمنا بعد ثورة سنة ١٩١٩ نذكر (دنلوب) وأثره السيىء فى قصور أساليب التعليم مع أن دنلوب لم يعد فى مصر ، وكنا محقين فى ذلك تماما فاننا لم نستطع أن ننفض عن أنفسنا أثر الاحتلال فى جوانب حياتنا ، فاذا كنا قد تحررنا من دنلوب الذى ترك مصر فى نحو سنة ١٩٠٦ فقد حل محله أكثر من (دنلوب) جديد تعلموا على يديه ، ونهجوا نهجه ، وطبقوا طريقته فقد حل محله سميث وفرنس وتشايمان الذين توزعوا على المدارس الثانوية وادارات معينة بذاتها فى وزارة التعليم ، وقد طبعوا بطابعهم عدداً من كبار رجال التعليم المصريين ليشبهوا هؤلاء الانجليز ويتزيون بزيهم ، ويظهرون بمظهرهم ، وبقيت تقاليدهم بعدهم ، فلسنا بدعا بين الأمم اذا كنا بقينا مقيدين من رجال الاستعمار الذين جاءوا ليضعونا فى قوالبهم .

أما ما حدث لنا سنة ١٩٦٧ ، وما حاول بعضنا أن يلقى بتبعته على تآمر الاستعمار ضدنا وتحالفه مع إسرائيل لينزل بنا هزيمة هذه السنة الكئيبة القاتمة . فهى محاولة مشروعة فعلاً ، وتعبير عن الواقع بلا تزيد ولا مبالغة ، ولكننى أشهد بأن اكثر الذين كانوا يقررون اننا ضحية الاستعمار عدو الشعوب ، والطامع فى الهيمنة العالمية وفى السطو على المناطق الغنية بثروات الطبيعة ، كانوا يستترون فى لوم حكومتهم ، وفى التقصير الرهيب الذى بدا فى مواجهة المعركة ، وانعدام التدريب والتخطيط وضعف القيادة ، على أن الثابت فى هذه المحن أن صواب الشعوب يطيش ، ويقولون فى تبرير النكبة ، بالمعقول وغير المعقول ، ويتراوحون بين التشديد على النفس ، ومحاولة تبرئتها والاعتراف بالخطأ ، والفرار من تبعته ، وما حدث فى مصر ، لا يقاس بما حدث فى فرنسا بعد هزيمة سنة ١٩٤١ ، وما دفع الولايات المتحدة ، بعد كارثة فيتنام ، ولكن كان مسلك المصريين فى جملته سليما ، فقد ادركوا انه كان هناك نقص وخلل ضخم فى الحكم الذى قاد الى الهزيمة وتسبب فيها .

أما ظاهرة الاقتراض ، وتصاعد حجم القرض المصرى ، فلا أحسب انها ظاهرة تدل على نقص الثقة بالذات أو التعلق بالاجنبى والتشبث بذيله ، فالقروض الضخمة التى تجاوزت مئات المليارات ظاهرة عالمية ، ومن ثم لا يصح التحدث عن وقوعها فى مصر ، كأنها نتيجة خلل نفسى أصاب الشعب المصرى .

ومع ذلك فاننا مدينون بالشكر للاستاذ الدكتور فؤاد زكريا اذ وجه الينا هذه الدعوة التى لا غنى عنها . الدعوة الى العودة الى الذات .

أما الأستاذ أحمد بهاء الدين فاتى أستأذنه فى أن أختلف معه فى الفقرة الأولى من مقاله التى قال فيها :

عندما كنا نلاحظ الفلاحين والعمال البسطاء من المصريين ، عند عودتهم الى قراهم . كنا نجد أن كل واحد لا يمكن أن يعود الا وهو يحمل راديو ترانزستور كبيرا مهما كان فقره ، أو قل متاعه . وكنا نظن أن هذا مزاجا خاصاً بالمصريين ، ولكن عندما اضطرت ظروف هبوط أسعار البترول أكثر من مليون افريقى معدم الى الخروج من نيجيريا ، ونشرت الصحف

الوجه الآخر

العالمية صورهم لفت نظرى تكرار نفس الظاهرة . كل واحد منهم بلا استثناء ، يحمل راديو ترانزستور كبير الحجم ، هو آخر ما يتمسك بالعودة به الى بلاده . ان هذا الجهاز يمثل بالنسبة له اكثر من مجرد وسيلة لنقل المعلومات . فهو خيط وحيد يربطه بالحياة الخصبة الواسعة التى سمع عنها . والتى يطمع أن ينال ولو أصغر نصيب منها .

• الأستاذ أحمد بهاء الدين يقرر بأن الفلاح نيجيرى او مصرى سيتشبث بهذا الجهاز السحرى العجيب ، لأنه أداة معلومات . ولأنه يربطه بالعالم الذى يتمنى ان يتصل به ، ويخشى ان يفلت من يده ، ويقع من جديد في قاع بئر التخلف ، اذ الواقع يخالف ما تصوره الكاتب الكبير ، فجهاز الراديو الذى يحتضنه الفلاح أو العامل الفقير العائد الى بلده ، ليست أداة معلومات ، ولا مواصلة بينه وبين العالم ، ولا هو الخيط الذى يقيه السقوط في بئر التخلف .

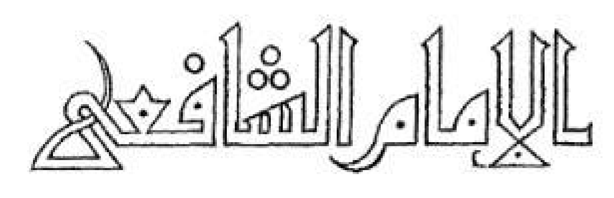
فهذا الفلاح أولا عائد الى وطنه بنفس درجة التخلف ، فلا هو تعلم شيئا ، ولا هو حصل على ثروة تقيه تماما العوز ، ولا هو رأى فى العالم شيئا لم يره ، انما هو يلتصق بهذا الصندوق الصغير ، أو الكبير ، لأنه وسيلته الى الترفيه والاستمتاع فى الاغلب الأعم بصوت جميل يسمعه قرآنا ، أو اغنية ، أو قصة ، أو تمثيلية . اما الاخبار والتعليق عليها ، والمحاضرات والبحوث . فلا تستوقفه ، ولا تظفر بشيء من اهتمامه وعنايته . فلا يحسن ان نخدع أنفسنا ، فندخل الفلاح والعامل فى دائرة المنتفعين بالمعلومات .

واذا كان الأستاذ الكبير بهاء الدين يشكو من اننا لم ننتفع بهذا الجهاز ذى التأثير الساحق والماحق الذى يصل الى كل قرية ونجع ، والذى يقدم من الفنون والعلوم كل جميل وشهى ، فمرد ذلك الى أن حكومات العالم الثالث ، لا تكلف نفسها أى جهد فى تحويل هذا الجهاز من أداة ترفيه وتسلية الى وسيلة تجمع بين الحسنيين الترفيه والتثقيف ، فالقصة والمسرحية والأغنية لا تتحول الى (برشامة) جيدة يودع فيها قليل من العلم بحيث لايرفضها السامع الذى حرمه الله من بركات الثقافة . وكل حديث عن (ثورة المعلومات) واتصال العالم الثالث بها تبدأ عند هذه النقطة وتنتهى عندها ، فحكومات العالم الثالث تؤمن بحكمة أن الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها ، فجموع الفلاحين والعمال ، اذا استيقظوا بجرعات متواضعة من الثقافة والمعرفة ، فانهم سيتحولون الى خطر لا يمكن مواجهته ، فكل ما يوجه الى هذه الجموع ، يجب أن يبقى سطحيا تافها خاليا من المعنى ، يدغدغ العقل البسيط الساذج .

وهذا نفسه سبب تأصل الأمية واستحالة زحزحتها من مكانها مع كثرة ما يقال ، وما ينفق في سبيل ما يسمى بمحو الأمية ، والأمية تنظر الى هذه المحاولات الهزيلة الفاشلة ، وهى تسخر .

هذا هو التعليق الشامل فى رأيى على المقال البديع الرائع الذى كتبه الأستاذ الكبير أحمد بهاء الدين .

وأرجو أن اكون مخطئا .



وتواضع العلماء

بقلم الدكتوره : نعمات أحمد فؤاد

● كنت أتحدث عن الامام الشافعي وكم يطيب في مناقب الامام . ـ الحديث .

في أدب العالم وتقاليد العلماء زار الشافعي قبل الرحيل قبر الامام ابى حنيفة وصلى ركعتين على طريقة ابى حنيفة لاطريقته هو فلما سألوه في هذا قال :

(ادبا مع الامام ابى حنيفة ان اخالفه في حضرته) .

وودعه الامام احمد بن حنبل وبكى في وداعه وبكى معه خلق ـ كثير .

وفي ادب العالم وتقاليد العلماء ، قصد الشافعي عقب دخوله مصر قبر الامام الليث وصلى ركعتين داعيا له ، متمثلا تاريخا مشرق الصفحات .

فما أن فرغ من الصلاة حتى سأل عن دار السيدة نفيسة حفيدة الحسن بن على وزوج اسحق المؤتمن بن الامام الصادق جعفر بن محمد حفيد الحسين .

وفي حلقة السيدة نفيسة سمع مالم يكن قد سمع بعد الطواف وطوال المطاف .

هذه صفحة أو لمحة من قصة الامام من ائمة الاسلام العظام في طلب العلم ليست الأولى وليست الأخيرة ، قصة لم أقصد بها الحكاية أو تزجية فراغ فنحن المسلمين اليوم ليس عندنا فراغ نزجيه اذا كنا جادين وسط مايحيط بنا وبالاسلام من مكائد وخطوب .

انها صفحة كفاح تحتاجه اليوم طلاب علم ، وطلاب حقيقه ، وطلاب حقوق طال غيابها .

هذا عن الشافعي
أما الامام الليث بن سعد فكان اذا سمع عن فقيه في أي صقع من بلاد المسلمين ، شد الرحال اليه حتى عندما تقدمت به السن وحتى لوكان ـ الفقيه المرتجى أصغر منه سنا ! !

وكان الليث واسع الثراء فليس العلم عنده وسيلة الى الرفعة ولكنه كان يطلب العلم لذاته رفيعا متحضرا .

ومن طرائف الليث ، في هذا الباب ، انه لقى الفقيه (نافعا) مولى عبد الله بن عمر ، في الحجاز في دكان علاف وكان في " نافع " حدة ، ـ ولكنه استراح الى



الليث والليث بدوره ، لزمه مدة اقامته بالحجاز ـ يحفظ عنه الأحاديث وفتوى الصحابة .

وحدث ان مر بالدكان ابن لهيعة وهو مصرى من اصحاب الليث ،صار فيما بعد قاضيا لمصر فسأل الليث عن محدثه نافع فهمس الليث مصريا : (هو مولى لنا) .

حتى اذا عاد الى مصر أخذ الليث يحدث عن نافع ... فعجب من امره ابن لهيعة ولم يتمالك ان سأله متعجبا : وأين لقيته ؟

فضحك الليث وقال : اما رأيت العبد الذى كان فى دكان العلاف ؟ هو ذاك فغضب منه لهيعة ولكن الليث صالحه ونقل اليه ماحفظه عن نافع ومادار بينهما ... وعندما احترقت دار ابن لهيعه الذى كان راتبه أى القاضى ، ثلاثين دينارا ، عوضه الليث بألف دينار .

ويحضرنى هنا ، أيضا ، الامام ابن حزم وله قصة وقصته من أحد فقهاء عصره الذى أراد ان يجد له عيبا الى حد ابدال الحسنة ، سيئه فقال الفقيه للامام ابن حزم :

ـ (انا اعظم منك همة فى العلم ، لأنك انما طلبته وانت معان عليه فتسهر بمشكاة الذهب ، وطلبته وأنا اسهر بقنديل السوق) فرد ابن حزم :

ـ هذا الكلام عليك ، لا لك لأنك انما طلبت العلم وأنت فى هذه الحال رجاء تبديلها بمثل حالى ، وأنا طلبته فى حال ماتعلمه وما ذكرته انت وتصفها بما وصفت به فلم أرج الا علو القدر فى الدنيا والآخرة ، اما الامام مالك الذى عممته أمه ، طفلا فى العاشرة من عمره وألبسته أحسن ثياب وطيبته ودفعت به الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حلقة ربيعة فلم يلبث ابن العاشرة أن شرب من أقوال ربيعة علا بعد نهل مايعيى حفظة الرجال فقد كانت فتاوى ربيعة تعتمد على الرأى والاستنباط مما يتطلب عقلا ناضجا .

ومع هذا لم يكتف الفتى ، بحلقة ربيعة بل تنقل بين الحلقات يعب منها عبا ..كان يطيل الجلوس فى المسجد فى الشتاء طلبا للعلم ، وكان ينتظر الشيوخ فى وقدة القيظ على قارعة الطريق حتى اذا عاد أحدهم الى داره انتظر حتى يستريح ثم طرق الباب ليستزيد .

كان وهو صبى يحمل معه خيطا فيعقد مع كل حديث ، عقدة .. حتى اذا كان آخر النهار ، أعاد على نفسه الأحاديث وعد العقد ، فان وجد نفسه قد نسى شيئا لاذ بشيخه يستعيده ماغاب عنه .

وعندما توفى أبوه وكسدت تجارته التى ورثها عنه لانشغاله بالعلم ، اضطر أن يبيع خشب سقف بيته ليعيش هو وأسرته أى زوجته وطفلته التى كانت تبكى من الجوع فيدير مالك الرحى حتى لايسمع جيرانه صراخها .

ومع هذا كابد حتى لاينقطع عن طلب العلم .

وقيض الله له امام مصر الليث بن سعد

الذى التقى به فى المدينة وكان يزورها بعد الحج فألقى الله فى قلبيهما المحبة والمودة . ولاحظ الليث على الرغم من تجمل مالك ونظافة ثيابه وطيب رائحتها ، انه يخفى فقرا يجاهده من التعفف فوضع الليث بين يديه من المال ، كثيرا وفيرا وظل الليث ينفحه بالهدايا مختلفا ألوانها حتى حين اختلفا فى الرأى لم يفسد الخلاف فى الرأى لهما مودة ، ولم يشب صفاء يربط علماء اجلاء .

امام آخر شرف بالعلم وشرف العلم به .

اما الامام احمد بن حنبل فقد ولد فى حجر الفقر وشب معه حتى لجأ الى الاقتراض والى أن يلم بالمزارع والبساتين ليلتقط ماتزل على الأرض خارجها من الثمرات ومن هنا ، تحت وطأة التجربة أباح الثمرة لمن يحتاج اليها على الا يدخل ذو الحاجة ملك الغير ليأكل إلا باذن المالك .

عرف الرحلة فى طلب العلم مشيا على قدميه وكم لاقى اثناءها من اهوال .

لم يكن يملك أجر دابه ... ولم يكن يملك طعام يومه فعمل حمالا ليعول نفسه وعمل نساخا وكم عرض عليه من عطاء ولكنه ابى ان يطلب العلم الا من عمل يده ..

عرض عليه الامام الشافعى بايحاء من المأمون أن يعمل قاضيا فى اليمن فأبى ... كان يعرف الحاكم ...

فلما الح عليه الشافعى قال له أحمد :

ـ إن عدت الى هذا لاترانى أبدا .

سافر الى اليمن جاهدا وسافر الى البصرة والى بغداد ورحل الى ـ الحجاز وسافر الى خراسان وفارس وطرسوس والى كل مكان يسمع أن فيه رواية للحديث .

وفى طرسوس رابط استعدادا للجهاد ثم عاد الى بغداد . كان يحمل فوق ظهره كتبه ومتاعه ، ويؤجر نفسه للعمل ان نفد زاده . ونحل جسمه فقال له صديق فى أسى : الى متى تجوب الآفاق ؟ فقال : مع المحبرة الى المقبرة .

وكأنه يستمع الى قول رسول الله عليه السلام . : اطلبوا العلم من المهد الى اللحد .

ان العالم يابنى اكرم من المجاهد وأشرف من الملوك . سافر الامام عبد الله ابن المبارك فاذا بالناس قد التفوا حوله وتزاحموا عليه حبا وكرامة ... احتفاء واحتفالا حتى ارتفع الغبار من الزحام .

وتطل زبيدة زوج هارون الرشيد من قصرها فترى زحاما لم تره قط فسألت من هذا ومن يكون ؟

قالوا : الفقيه العالم عبد الله بن المبارك قالت : والله هذا هو الملك لاملك هارون الرشيد الذى يجمع الناس اليه بالسوط والعصا والشرطة والأعوان والمال .ان العلم يابنى ، صنوا السيادة فى زمن ساغ فيه الرق . روى ابن قتيبة أن اياسا القاضى ، أجاز شهادة عبد العزيز بن صهيب وحده ! وعبد العزيز محدث وثقة أحمد بن حنبل ، وكان عبدا مملوكا وأبواه مملوكين ... ومع هذا تجاوز القاضى اياس عن رقه ، لعلمه ... مع أنه لاشهادة لرقيق ، وقبلها منه وحده ، والشهادة لاثنين ....

لقد رأى القاضى أن فضل العلم وصدق العالم يغنى عن العدد والحرية .

نهضة الأدب الأوربى وجذورها العربيّة



بقلم : محمد مفيد الشوباشى

كان الأستاذ الكبير « محمد مفيد الشوباشى » قد أرسل إلى « الهلال » بهذا المقال قبيل وفاته فى السابع عشر من نوفمبر الماضى .. فهو آخر ماخطه قلمه الرفيع .. ونحن ننشره هنا تحية للراحل الكريم ، ذاكرين له جهوده فى سبيل الكلمة الحرة والرأى الناضج والبحث النزيه

● إذا كانت نهضة انجلترا فى عصر « تشوسر » مدينة بازدهارها - إلى حد كبير - للثقافة الفرنسية النورماندية ، فمن الطبيعى أن تكون عنق هذا الشاعر الانجليزى مطوقة هى الأخرى بذلك الدَّيْن الخطير الأثر .

وقبل محاولة النظر فى هذا الدين وفى عمق أثره ، يحسن أن نبدأ بكلمة عن فضل الأدب العربى على نهضة الأدب الفرنسى فى العصر الوسيط ، بل ونهضة الأدب الايطالى وقتذاك ايضا ، وإذا ثبت هذا الفضل ، وثبت كذلك أن « تشوسر » مدين بنبوغه لهاتين النهضتين ، أصبح لامناص من التسليم بأن شاعر انجلترا الكبير (ابو الأدب الانجليزى) مدين بالتالى للأدب المذكور ..

أقر بفضل العرب على الأدب الفرنسى كثيرون من المؤرخين الأدباء ، ويكفينا أن نثبت هنا شهادة شاهد من أهله هو المستشرق الفرنسى "روبير بريفو" .. قال ردا على منكرى هذا الفضل : .. ولكن الأمر لم يعد كما كان بالأمس . فبما أنه لم يقم أى دليل يثبت التكهنات والافتراضات التى روّجها المروّجون عن وجود نشاط أدبى فى أوروبا المسيحية قبل القرن الثانى عشر ، له صلة بفن الشعراء « التروبادور » ، ففى وسعنا نحن أن نعرض على القارىء تفاصيل وفيرة عن ازدهار الشعر العاطفى الغنائى فى أسبانيا العربية منذ القرن العاشر الميلادى - أى قبل ازدهار الشعر العاطفى الفرنسى بقرنين من الزمان - وقد استطعنا ، فى هذه الأيام الأخيرة على الأخص ، أن نتوسع فى الالمام بمدى تأثير الأدب العربى الأندلسى فى البلاد المجاورة للأندلس ، إلى حد أنه لم

يعد مسموحا لنا بالتزام الصمت فى هذا الصدد إلا فى حالة الاقرار بغفلتنا . ثم اليس اتخاذ موقف اقرب إلى الفهم المستنير أولى بأن يحل محل التشبث بآراء ظلت منتشرة مدة طويلة بين الاكاديميين .. آراء تمثل حالة من حالات الانحراف القديم المتولد على الاغلب من تصور تاريخى بعيد عن معرفة أى شىء عن حقيقة الاسلام ، مستنكف أن يعترف بأن المسيحية مدينة بأى فضل لحضارة غير مؤمنة » وهناك عدد غير قليل من المثقفين الفرنسيين يرغبون فى الاقتناع بأن أغانى الشعراء التروبادور نشأت أول ما نشأت فى تخوم باريس ، وأن البحث عن جذورها فى الأندلس العربية مضيعة للوقت . وقد ساعدت على هذا الاقتناع آراء متفقة مع المشاعر الوطنية رددها بعض مؤرخى القرون الوسطى ..

التروبادور والشعر الأندلسى

بيد أن الشعراء الفرنسيين الذين كانوا يتغنون بالشعر العاطفى لم يترددوا فى التوجه إلى الأندلس بحثا عن آلات العزف العربية التى تصاحب إنشاد الشعر . كذلك لم يتوان حماة أولئك الشعراء عن زيارة الأندلس بحثا عن مبتدعات جديدة من الأناقة والأبهة اللتين ابتعثتا فيهم الذوق المهذب

كانت أوروبا فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر تلجأ إلى العرب لتتعلم منهم ، وتنقل عنهم أسرار العلوم ، ومستحدثات الصناعة ، وفنون الملاحة .. كانت تقصد العرب لتتلقى علوم الرياضة والفلك والطب والكيمياء ، ولتنقل مؤلفات أرسطو وابن سينا وابن رشد .. وذهب كل من "دانييل دى مورلى" و "ميشيل سكوتوس" و "جيراردى جريمون" وغيرهم إلى بلاد العرب بحثا عن بذور عالم جديد من عوالم الفكر والعلم . وذهب إليهم "مونتانوس" بحثا عن التقويم الذى مكن "هنرى الملاح" و "فاسكودى جاما" و "كولومبوس" من التوسع الكبير فى جوب آفاق الكون المترامية . وذهب "ادلهارد" إلى قرطبة بحثا عن النسخة الخطية لكتاب "إقليدس" الذى ظلت جميع مدارس أوروبا تدرسه حتى عام ١٥٢٣ . وذهب "أفلاطون بيزا" إلى اسبانيا العربية للوقوف على علوم الجبر والحساب . بل لقد راحت الكنيسة نفسها تنشد عند العرب شرح الفكر اللاهوتى . والتمس "توماس الاكوينى" شرح فلسفة العقيدة الكاثوليكية عند "الفارابى" و "ابن رشد" . وبينما كان الشعراء التروبادور يرددون أشعارهم على مشارف الأندلس العربية ، جاهر "روجر بيكون" فى أكسفورد بأنه لولا الالمام بكتب العرب لما تيسر وجود أى علم وأية مذاهب فكرية ..

وقال ذلك الكاتب أيضا . "بينما أخذت قصص الفروسية المثيرة للمشاعر تلوح فى مطلع القرون الوسطى ، وبدأت أساطير السلتيين الوثنية الملهبة للخيال تستنشق أولى أنفاسها ، ازدهر فى ولايات الجنوب الفرنسى شكل أدبى غريب عن أوروبا وقتذاك ، وهبت فى كل مكان نفحات إلهام جديد نقلت تلك الاغانى الخصبة إلى لغات الشعوب الأوروبية المختلفة . وكانت تلك النفحات الشعرية التى ذاعت ، من بادىء الأمر فى تلك الولايات ، ذات معان منتقاة ، وصياغة مدروسة ، فتجاوبت مع الحالة الفكرية لمجتمع

اقطاعي بدأ ينشد متعة حياة البطالة ، الحافلة بأسباب البهجة ، عندما استشف أبهة الشرق ، واستشعر سمو عواطفه ، واستنكف أن يظل على خشونته البربرية . وأمدت هذه الأغاني رواد الشعراء التروبادور في ولاية "بروفانس" الجنوبية بنماذج أدبية احتذوها . وهي التي ابتعثت لألاء الشعر الايطالي الذي هز دوّية أوربا بأسرها وبعث حتى في المانيا وانجلترا بشائر تقليد أدبي جديد" ..

وأبى الكاتب المذكور الا أن يؤكد مصدر ذلك الالهام الأدبي فقال : " .. ونهضة القرن الثاني عشر الفريدة في نوعها ، المتمخضة عن نوع جديد من الشعر العاطفي ، وعن أساليب تكنيكية مستحدثة في الآداب الأوربية ، وهي ظاهرة تهيأت لها ظروف محلية ملائمة ، ولكنها تتصل على الأخص ، بما أحدثت الحضارة العربية الأندلسية من أثر في جنوب فرنسا . وهي حضارة ازدهر بين ظهرانيها ، منذ القرن العاشر أدب عاطفي فياض بالمشاعر ، متجمل بالذوق الرومانسي ، ومتميز بنفس التكنيك الذي تميزت به منظومات الشعراء التروبادور .. واذا رأى "شيلودكو" أن منظومات أولئك الشعراء ليست إلا شكلاً من الاشكال التي ظهر فيها روح العصر الوسيط فإن هذه الصيغة التي ضمنها رأيه تلائم أذواق ذوي الهوى ، وليس روح ذلك العصر في واقع الأمر ، إلا ظاهرة متولدة بجميع سماتها وعناصرها من اتصال أوربا ، في ذلك الأوان ، بالحضارة العربية .. إن الشعر العربي يمجد الحب بحسبانه مصدراً لأسمى ألوان السعادة ، ولأشرف أنواع الالهام .. ويتغنى بمفاتن الحبيبة ذات الدلال ، ويصور أحزان العاشق التعس ، ويعكس جمال الربيع وروعة الفجر .. ولم يكن في أوربا شعر شعبي أو غير شعبي ، فرنسي أو غير فرنسي ، يشبه ذلك الشعر من قريب أو من بعيد ، إلا منظومات الشعراء التروبادور التي كانت تماثله تماماً ، والتي لم تظهر بشائرها إلا بعد انقضاء قرنين من الزمان على انتشاره ، على يد العرب ، في ولايات الجنوب الفرنسي .. هذه حقيقة تقفز إلى الأعين لأول وهلة .. وينبغي لنا ، مع ذلك ، أن نسلم بأن تلك المنظومات لم ترتفع قط إلى مستوى الالهام الطاهر الذي انتعش في الشعر العربي . واذا كان أولئك الشعراء قد استعاروا اصطلاحات كثيرة من ذلك الشعر ، فإن المرء لايستطيع أن يزعم أن منظوماتهم اتسمت بمثل سلاسته ، وحليت بمثل معانيه الغزلية المشبعة بروح الفروسية ..."

ولابأس من أن نضيف الى ماتقدم رأي "نيكلسون" في هذا الصدد قال : "ليست المشاعر الرومانسية التي اختلجت في الشعر العاطفي الأوربي ، وحلت محل حماسة الروح البطولي .. وليست أحاسيس التأثر بجمال الطبيعة .. إلا انعكاسا لملامح الشعر العربي الأندلسي الذي هو أقدر على مخاطبة الذوق الأوربي من الشعر العربي الشرقي القديم .. »

ونضيف أيضا " قول جيرولد " " في كتابه" الموسيقى في القرون الوسطى " :

"كثيرا ماأشار النقاد إلى افتقار شعراء الشمال الفرنسي إلى الأصالة ؛ لاسيما في نظمهم لشعر الغزل . فالعواطف التي عبروا عنها ، وطريقتهم في عرضها ، وأساليبهم البيانية .. كل ذلك حاكوا فيه الشعراء التروبادور ."

ونضيف كذلك قول " بيديه " في كتابه شرح تاريخ الأدب الفرنسي " أشعار وسط فرنسا سابقة على أغاني الشمال ، أما الأصل الذي أوحي بتلك المنظومات فموطنه إقليم "بروفانس" في الجنوب الفرنسي .."

وقال "جاستون باري" في كتابه تاريخ شارلمان السياسي . "الشعراء التروبادور هم الذين ابتدعوا الأسلوب العربي الحديث"

نخلص مما تقدم إلى حقيقتين أولهما أن بشائر فجر النهضة الأوربية التي سبقت عصر إحياء العلوم ، ومهّدت له السبيل ، بزغت في أفق إقليم "بروفانس" الواقع وراء جبال البرانس وامتدت منه إلى سائر الأصقاع . وثانيتهما أن شعراء ذلك الاقليم ، وهم المعروفون باسم شعراء التروبادور ، والمشهود لهم بأنهم الرّوّاد الاوائل لتلك النهضة ، تتلمذوا على جيرانهم من شعراء الأندلس العربية ، واقتفوا أثرهم ، واقتبسوا منهم موضوعات قصائدهم وأساليبها ومعانيها .. ومن ثم تكون نهضة الأدب الاوربي النابعة من "بروفانس" مستمدة من موارد الشعر الاندلسي .

التأثر بالمضمون والشكل

هذا ومن المعروف أن أنواع الأدب الأوربي ، السابقة على تألق الشعر « البروفانسي » ، لم تخرج عن قصص أسكندينافية خرافية ، وحكايات دينية عن معجزات القديسين والقديسات ، وملاحم تقليدية تصف مغامرات بطولية غير طبيعية ، وقصص لاتينية تصور فجائع غير إنسانية ... أما مفهوم الحب في تلك القصص فلم يخرج عن اشتهاء الذكر للأنثى ، وأما علاقات تلك الحب فكانت ، بلا استثناء ، بين زوجة خائنة وعشيق كان صديقا للزوج فخان عهد الصداقة . وأما أحداث ذلك الحب فلم تتعد المكائد ، والخيانات الزوجية والغيرة المجنونة ، والانتقام الرهيب .

بينما كان محصول الأدب الأوربي لا يتعدى ماذكرنا طلع الشعراء التروبادور على أوربا بلون من الشعر لاعهد لها بمثله ... لون من الشعر يتميز ، لأول مرة في تاريخ الأدب الأوربي ، بالتعبير المهذب عن مشاعر انسانية سامية .. لم يعد الحب عند أولئك الشعراء علاقة فاسقة ، ولكن عاطفة نبيلة طاهرة ـ لا ينقض قولنا هذا أن بعض الشعراء التروبادور شذوا أحيانا فعبروا عن حنينهم إلى الوصال الجسدي ـ ولم تعد المرأة عندهم أداة للهو والمتعة ، ولكنها ارتفعت في شعرهم إلى مرتبة التقديس . فهي مصدر إلهامهم ، وهي منبع أشرف أحاسيسهم . وهي تملك إسعادهم بنظرة ، وإشقاءهم بأخرى . وهي إذا ابتسمت ابتسمت لهم الدنيا . وإذا قطبت أظلمت في عيونهم الدنيا .. وفي سبيلها يستعذبون العذاب ، ويبذلون النفس والنفيس .

ومن أهم المميزات التي انفرد بها شعرهم دون الشعر الأوربي السابق عليه، انصرافه عن عالم الوهم الى الواقع، وعن الموضوعات المفتعلة، والأساليب المصطنعة، إلى الموضوعات الواقعية، والأساليب الطبيعية، وعن شرح الميول الوحشية والمعتقدات الوثنية، إلى شرح العواطف البشرية، والخواطر الانسانية. فالشاعر يصف كل ما يتأثر به من ظواهر الطبيعة، ويصور مفاتنها تصويرا يعكس الحقيقة الواقعية دون الشطحات الوهمية، فيزيد صلة القارىء بالحياة توثقا، وفهمه لها اتساعا، وتقديره لمواطن جمالها عمقا .. لقد تجلت في ذلك الشعر بساتين زاهية الألوان تعبق منها نفحات الورود والرياحين، وامتدت وديان مخضرة تنتعش تحت وابل الأمطار، وتدفقت جداول صافية ذات خرير مطرب، وتلألأت نجوم يتخلل بصيصها ظلمة الليل الساكن الساحر، وغردت الطيور تحيي طلوع الفجر، وبزغت مطالع الحسن في كل مكان .. ولم يغفل الشاعر « البروفانسي » عن الربط بين شعوره حيال الطبيعة الساحرة، وشعوره حيال الحبيبة النافرة . فهو إذا ارتاد بستانا حاليا بالنور ود لو كانت حبيبته معه . وهو إذا استنشق النسيم العليل حن حنينه إليها، وهو حين يرعى النجوم يحلم بها، وهو مخلص لها ما بقى فيه عرق ينبض بحب الجمال .

ولعل القارىء استبان مما تقدم توثق الصلة بين الشعر البروفانسي المذكور والشعر العربي والملم بهذا الشعر الأخير يعرف انه أول عمل أدبي في التاريخ انصرف عن تصوير الأوهام والجرى وراء شطحاتها، إلى تصوير الحقائق الواقعية، ملتزما في ذلك الدقة والأمانة، وانه ابتدع النوع المعروف باسم شعر الغزل، وعبر قبل غيره عن الحب الطاهر، ووحدانية الحبيبة، والبقاء على عهدها مدى الحياة، بل وما بعد الحياة .. فإذا اكتسب الشعر البروفانسي خصائص ذلك الشعر العربي، وإذا طرق نفس موضوعاته، وردد معانيه بعد اتصال ناظميه بالشعراء الاندلسيين، فهل يتطرق بعد ذلك أدنى شك في أنه تلقى الوحي من الاندلس، وأنه بعث النهضة الأدبية في أوربا بعد أن نشر بين ربوعها نهجه الجديد الذي لم تكن تعرفه قبل ذلك .

هذا من ناحية المضمون أما من ناحية الشكل، فقد أشرنا إلى اعتراف النقاد الغربيين المنصفين بأن شعراء أوربا - ومن بينهم تشوسر - استمدوا انقى الصيغ البيانية في ذلك العصر من منظومات الشعراء التروبادور، وأن هؤلاء اقتبسوا صيغهم بدورهم من الشعر الأندلسي .. ولكن الظاهرة الأشد دلالة هي أن قصائد الشعر البروفانسي تطابق الموشحات الأندلسية وأزجالها من حيث تنسيق الأبيات وترتيب القوافي .

ولايضاح ذلك نذكر على سبيل المثال مقطوعة من زجل « ابن قزمان » الأندلسي تجرى على النحو التالي :

هجــرني حبيبي هجــر
ولیس لي بعد صبر
هجرني وزاد بالصدود
وانقم عليّ الحســود
فايامي من هجر سود
كمثل سواد الشعر
انا من هجر في عذاب
اذا مرّ وعد العتاب
ترد جفوني سحاب
وترسل دموعي مطر

هذا النمط من الأزجال والموشحات يسمى المربّع ، ويتميز بأن مقطعه الأول يبتدىء ببيت صدره وعجزه من قافية واحدة ويسمى المركز ، ويتلوه بيت مكون من ثلاثة أشطار قوافيها واحدة ولكنها تختلف عن بيت المركز . ثم يأتي البيت الأخير من المقطع وهو مكّون من شطر واحد وقافيته هي نفس قافية المركز .

وقد اعترف "جنروا" بأن قصائد "جيوم دي بواتييه" ، تحتذي ذلك الزجل . وقال «بريفو» في هذا الصدد : "ولعل الامر الابلغ دلالة هو أن أشعار الكونت المذكور التي نظمها بعد اتصاله بالأندلس تطابق ذلك الزجل كل المطابقة . أما منظومات باقي شعراء التروبادور فهي تطابق الزجل كذلك من حيث الشكل .

واذا كان "تشوسر" قد توسع في اقتراض انقى الصيغ البيانية من الشعر البروفانسي ، كما قال "درايدن" فهل اقتصر على ذلك ، أو أنه اقترض أيضا من الشعراء التروبادور قوالب شعرهم؟

قال الكاتب الانجليزي "بولارد" : "أشعار تشوسر تتفق ونماذج الشعر الفرنسي الشائع في عصره . "

ومن المعروف أن "تشوسر" أعجب في مطلع حياته الأدبية بمنظومة فرنسية عنوانها "قصة وردة" وترجمها إلى اللغة الانجليزية شعرا .. وترجم ايضا القصة الفرنسية "حج الحياة البشرية" ، واتبع في ذلك أسلوب الزجل الأندلسي..

وعلى ضوء ماتقدم يتأكد قولنا السابق ، وهو أنه ما دام "تشوسر" مدينا بأياته الادبية للشعر الفرنسي ، فمن تحصيل الحاصل أن يكون مدينا به أولا للشعر العربي الذي اقتبس منه الشعراء الفرنسيين قوالب منظوماتهم ومعانيها .

تنويعات على لحن طرابلسي

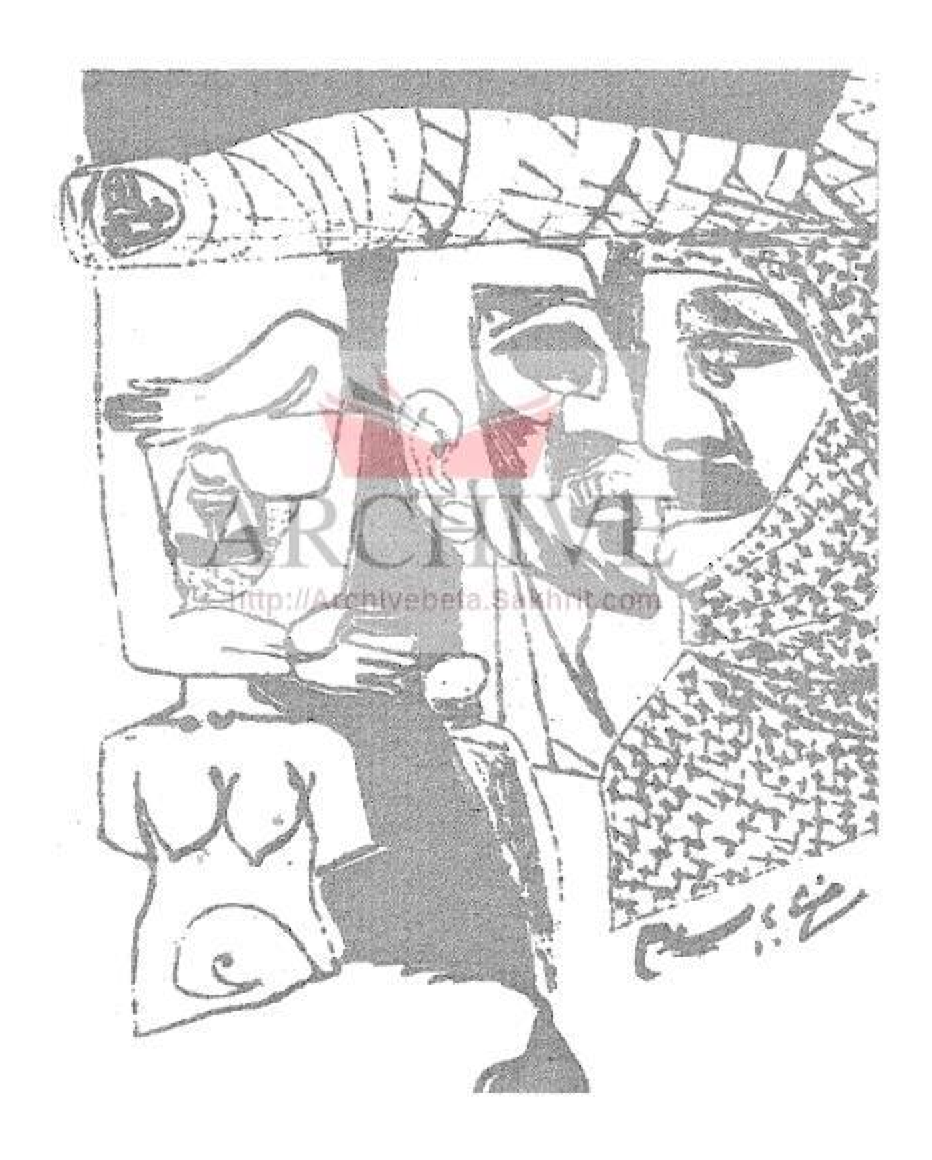
شعــر .
مهدى بندق

هللويا
فأنا منجل فى رءوس أصيحابيا
يا لها أرؤس أينعت للقطاف
هللويا !
فأنا خنجر فى بطون الصبايا
غائص قبل يوم الزفاف
هللويا
فأنا مذ رسمت جنينا ،
تعلمت ذبح أخى فى ظلام الرحم
قبل عام الفصال قطعت أنا ثدى أمى الجميلة ٠٠
ما بين ظفر وفم
اى جرح أنا فى جبين القبيلة لا يلتئم
أيها الغد انى أحذر منى بيا
فى دمى تستعد جيوش المماويث والدينصورات ،
والاسد ، والضبع العاوية
أيها الغد فلتقذف الآن بى
قبل أن أخدع الشمس ، آتيك
أحمل هذا الخرابا
أيها الغد انى سحقت الورود وانى
محوت الكتابا
فلتقذف الآن بى
دون تابوت ٠٠ شلوا فشلوا
فى كل يم

***

بينى وبينك يا « هند » بحر العماء
ورمل الصمم
بينى وبين خيامك قطع يدى المستبيحة دم الاحياء
وقبل اجتلاء محياك أعرف أن سيكون العدم
فهل سوف يفزع منى الجلوس أمام المسلسل ،
والفيلم ، والرقصة العارية

هل يفزعون اذا علموا ،
باغتيال « المحيط » ، « الصحاح » « لسان العرب »
و « نهج البلاغة » ، شعر الحماسة ، هجو
الاخاشيد ، عشق العيون التي طرفها حور
وهل يغلقون الصحيفة اذ يقرءون انتحار « خليل » (١)
وهل ينهضون اذا عرفوا أنهم



تنويعات
على لحن
•طرابلسي

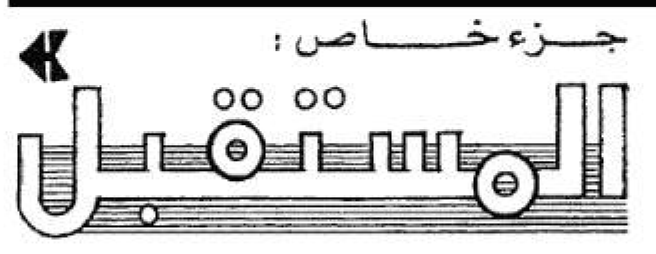
يجلسون على حجر عصر الرحيل ؟!
تزاور عن كهفهم هذه الشمس ،
عند ركوع الضحى وسجود الغسق
وهم نائمون وهم نائمون
تقلبهم لليمين ، تقلبهم لليسار، فلا يشعرون
(وأنا •• باسط بالوصيد ذراعى)
أنبح شعرا جريحا
وخارجنا تكبر الهولة الشامتة
ونجمتها فى سماء الخرائط ،
تلمع فوق الدم المحترق
تلمع فى الخيل والليل والبيد ،
والصحف الباهتة

***

عندما ينطق الحجر الصلد هل تعدين
أن تخرجي جثتى من تراب المذلة
أن تنفذى من بروج السماوات ،
أن تركبى طبقا عن طبق
كي تجلبى كل ماء المجرات ،
كي تغسلى جثتى من تراب المذلة
من سواد العلق
من سواد البيارق والدمن الصامتة
أنت يا هذه الصاخة (٢)العربية ،
فى الساحة الميتة ؟!
هوامش :

١ ـ الشاعر العربى اللبنانى خليل حاوى
٢ ـ اسم من أسماء يوم القيامة

جــــزء خــــــاص :





ونحن في مطلع عام جديد ، نقول انه إذا كانت السنوات لاتفصل تسلسل الحياة ، إلا أن أول العام فرصة يراجع المرء فيها سنة مضت وسنة اقبلت ، ومن حقه ان يتمنى ويتوقع ..

ولن يتمكن أحد من السير الى الامام ، والانتقال من عصر إلى عصر ، إذا إكتفى بالنظر إلى الخلف ، ولم يتطلع إلى المستقبل بهدف اقتحامه ..

وعلوم المستقبل هى صيحة العصر ، أصبحت دراساتها هى الاكثر رواجاً ، فى ظل تهديد كاسح بالتدمير النووى وتزايد السكان والتلوث وانقسام العالم إلى فقراء وأغنياء ، فأى مستقبل ينتظرنا وبخفية الزمن لنا ، وهل ينجح الانسان فى تخطى التحديات الجديدة ..؟!

ونحن في عصر لم يعد الذين يتحدثون عن المستقبل هم المنجمون وقراء الطالع وضاربو الودع ، وإنما أصبح علماً له قواعد وأصول وأدوات بحث وتحليل مركبه

ولم تعد علوم المستقبل تقتصر على الخيال العلمى بل يقوم على برامج وبدائل تدخل الحاسبات الالكترونية ، وتقدم نتائج محددة ..

وعندما بدأنا التخطيط لهذا الجزء الخاص ، كنا ندرك انه يحتاج إلى أكثر مما يتيحه الجزء الخاص ، ولكن مالايدرك كله ، لايترك كله ، وعزمنا على أن يكون استشراف المستقبل ركناً هاماً فى كل أعدادنا المقبلة ..

ولن تجد فى هذا العدد نبوءة واحده ، وإنما ستجد إعمالاً للفكر واستخداماً للعقل والقلب ، نتعرض فيهُ إلى جوانب هامة من حياتنا ..

هذا مانقدمه لك ، ونشركك فى الاهتمام به .



مستقبل البشرية والنماذج العالمية

هل يتجه العالم نحو كارثة أم مجتمع جديد ؟!

بقلم الدكتور : عبد العظيم أنيس

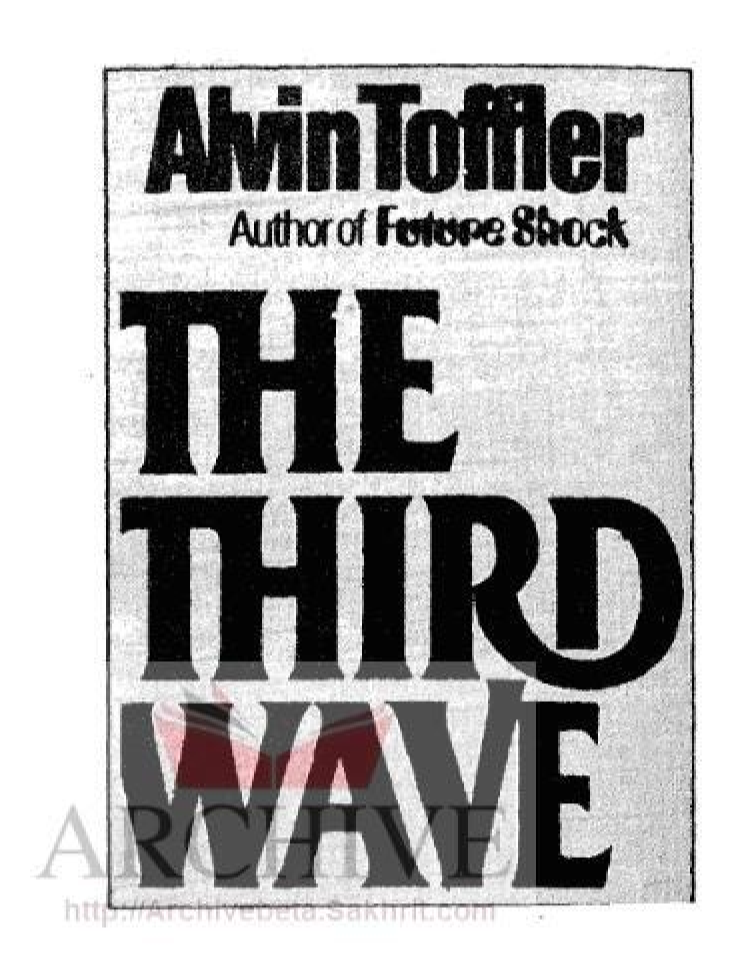
● مانعنيه بالدراسات المستقبلية فى هذا المقال هو الدراسات التى جرت فى العقد الأخير على نطاق دولى لمحاولة استشراف صورة العالم الذى نعيش فيه بعد خمسين او مائة عام من اليوم ، ومايجب صنعه منذ الآن لتلافى الأخطاء والسلبيات المحتمل وقوعها إذا مضت الأمور فى المستقبل

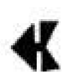
على ماهى عليه اليوم . وقد ارتبطت هذه البحوث والدراسات فى الأصل بما عرف باسم « نادى روما » وهو تجمع غير حكومى لعدد من الشخصيات الدولية المرموقة والرأسماليين والعلماء فى الغرب ، يجمعهم القلق على مستقبل عالمنا من ناحية التلوث وتفاقم مشكلة الجوع ونقص الغذاء ، وقضية الحرب العالمية النووية المحتملة ، وتزايد أعداد السكان

بما قد تعجز موارد الأرض عن مواجهته ... إلى أخر المشاكل المعروفة والمطروحة فى الأدبيات .

والحقيقة أن الاهتمام بالتفكير فى مثل هذه المشاكل ، التى تؤذن باحتمال انهيار الحضارة الغربية ، ليس جديدا ولامقصورا على العقد الأخير (١٩٧٠ ـ ١٩٨٠) ، فكم ظهرت كتب فى الغرب تحاول أن ترسم صورة المستقبل بعضها لمؤلفين علماء من المشتغلين بالعلوم الطبيعية ، وبعضها الآخر لعلماء اجتماع أو اقتصاد . وقد تراوحت تصورات هذه الكتب عن المستقبل بين رسم صورة شديدة التفاؤل لمستقبل البشرية ، مثل كتاب الامريكى (ألفن توفلر) والمعروف باسم (الموجة الثالثة) ، والبعض الآخر شديد التشاؤم إلى حد رسم صورة عدمية عن مستقبل الأرض !

لكن الجديد الذى فتح الباب لامكانية وضع دراسة أكثر علمية عن مستقبل العالم هو أمران : أولهما الدور المتزايد الذى يلعبه الكمبيوتر اليوم فى البحوث والادارة وفى مجالات أخرى عديدة ، مما لم يكن متوفرا من قبل . وهو يتميز ، ليس بأنه قادر على إنجاز عمليات حسابية معقدة يعجز الانسان عنها فحسب ، وإنما





يتميز فوق ذلك بقدرته على تخزين هذه المعلومات واستعادتها فى وقت صغير واستخلاص النتائج المنطقية المعقدة لتفاعلات العوامل المختلفة من اجتماعية او اقتصادية او بيئية او تكنولوجية ... الخ ، مما يعجز العقل البشرى عن حصرها وتسجيلها . ومع أن الانسان هو صانع الكمبيوتر وسيظل هو الموجه له دائما ، إلا أن هذا لايتناقض مع قدرة الكمبيوتر على إنجاز عمليات معقدة سريعة بما لاطاقة للانسان على أدائها

أما الأمر الثانى ـ والذى فتح جديداً فى هذا المجال ـ تقدم علم رياضى جديد يدعى علم « تحليل الأنظمة » ، وهو فرع من فروع الرياضيات نشأت بذرته خلال



مستقبل البشرية والنماذج العالمية

المستقبل

الحرب العالمية الثانية وإن كان قد تطور اليوم إلى حد كبير، وساعد وجود الكمبيوتر على تطوره .

وهذا العلم يعنى بالصياغة الرياضية للظواهر الناتجة عن تفاعل أطراف عديدة معقدة وبالبحث عن حلول عددية لهذه الظواهر .

وهذان الامران ـ الدور الذى يلعبه الكمبيوتر والتطور الكبير فى علم تحليل الأنظمة ـ قد سمحا لأول مرة أن يفكر العلماء بتشجيع من نادى روما ـ فى بناء نموذج عالمى على الكمبيوتر يستطلعون من خلاله مستقبل العالم خلال المائة سنة القادمة فى عدد محدد من القضايا مثل مشكلة الانتاج الصناعى والغذاء وتلوث البيئة ونضب الموارد وتزايد السكان ... الخ . وقد تولى العالمان الامريكيان فورستر وميدوز مهمة بناء اول نموذج عالمى فى هذا الصدد ثم نشرا تقريرهما النهائى عام ١٩٧٢ تحت عنوان (حدود النمو) . وهذا التقرير ينتهى إلى رسم صورة قاتمة للمستقبل بما فى ذلك توقع انهيار النظام العالمى فى منتصف القرن الحادى والعشرين إذا استمرت الأوضاع الحالية . ووفقا لهذا التقرير فإن مصادر الأرض غير المتجددة سوف تنتهى وسوف يؤدى هذا إلى تدهور اقتصادى حاد وتلوث للبيئة خارج عن سيطرة الانسان وبالتالى ينتهى التقرير بأن علينا إذا أردنا تجنب هذا المصير أن نتحكم منذ الآن فى نمو السكان وأن نسعى إلى تخفيض النمو فى الانتاج الصناعى العالمى .

وبمجرد أن نشر هذا التقرير وعقدت الندوات لمناقشته اتضح قيام ثورة عارمة ضد التقرير وضد منهجيته ، وقاد هذه الثورة علماء كبار فى أمريكا اللاتينية وفى الدول الغربية المتقدمة بالاضافة إلى علماء الدول الاشتراكية . والحقيقة أن نشأة النموذج العالمى الثانى ـ والذى عرف باسم (نموذج أمريكا اللاتينية) أو (نموذج باريلوتشى) إشارة إلى مؤسسة باريـلوتشى التى مولته ـ قد حدثت من خلال النقاش الذى دار فى ندوة عقدها (نادى روما) فى البرازيل لبحث تقرير (حدود النمو) الذى وضعه فورستر وميدوز . إذ كان رد فعل علماء أمريكا اللاتينية إزاء هذا التقرير سلبيا ومليئا بالانتقادات . وقد تركزت الانتقادات الحادة على المحاور الآتية :

أولا : أن تنبؤات تؤسس على مد التوجهات والنزاعات الحالية فى النظام العالمى ليست بذات أهمية أو قيمة . ومايجب أن يبحث هو إمكانات إحداث تغيرات أساسية فى القيم والمؤسسات الدولية الحالية وعلاقة هذه التغيرات بالموارد البشرية .

ثانيا : أن وجهة النظر التى تبشر بأزمات عالمية فى المستقبل إنما تعكس نظرة الأوصياء من الدول الراسمالية المتقدمة . والواقع أنه فيما يتعلق بتلوث

البشرية (سكان العالم الثالث) فإن أزمات الموارد النادرة والاسكان غير الملائم والأحوال الصحية السيئة والجوع هي أمر واقع بالفعل حاليا ، ولسنا في حاجة إلى نموذج كمبيوتر للتنبؤ به !

ثالثا : أن دعوة تقرير (حدود النمو) إلى تحقيق مايسمى بحالة توازن عالمي في المستقبل القريب إنما تعني في حقيقة الأمر بقاء الفوارق الاجتماعية الحالية وتفاقمها في داخل كل دولة ، وبين الدول الغنية والدول الفقيرة .

على أساس هذه الانتقادات نشأت مجموعة علماء أمريكا اللاتينية التي عرفت باسم « مجموعة باريلوتشي » والتي الزمت نفسها بوضع نموذج عالمي معياري يهتم لا بالتنبؤ بما سوف يحدث إذا استمرت النزعات والتوجهات الحالية في النظام العالمي ، وإنما برسم طريق يحقق الوصول إلى الأهداف النهائية لعالم متحرر من التخلف والبؤس . ولقد امكن لعلماء أمريكا اللاتينية بناء نموذج باريلوتشي ، مستخدمين فروضا جديدة ومنهجية جديدة ، أن يثبتوا من خلال هذا النموذج ان في وسع البشرية أن تحقق لكل ابنائها الضرورات الأساسية التي تكفل لهم حياة كريمة إذا تعدلت العلاقات بين الدول الغنية والدول الفقيرة في الاتجاه العادل . وتم نشر تقرير هذا النموذج عام ١٩٧٦ تحت عنوان (كارثة أم مجتمع جديد ؟)

والحقيقة انه مع الانتقادات الراديكالية التي وجهت إلى تقرير (حدود النمو) من جانب علماء أمريكا اللاتينية وعلماء المعسكر الاشتراكي ، كانت هناك انتقادات أقل راديكالية (وإن كانت هامة) موجهة من علماء في الدول الغربية إلى هذا النموذج . ومنها أنه قد اهتم فقط بعدد محدود من المتغيرات مثل تعداد السكان والانتاج الصناعي ، ولم يعن بتكوين صورة واضحة عن مستقبل المناطق الجغرافية المختلفة في العالم ومن هذه الانتقادات أن البيانات والمعلومات التي غذى بها الكمبيوتر ليست دقيقة وبعضها محل شك ، وأن تقرير (حدود النمو) اكتفى برسم صورة قاتمة للعالم ولم يركز على الخروج بتوصيات مباشرة تكون ذات دلالة سياسية اليوم .

ولمواجهة هذه الانتقادات شجع (نادى روما) عالمان أحدهما أمريكي (ميزاروفتش) وثانيهما الماني غربي (بستل) على بناء نموذج عالمي ثالث عرف باسم (نموذج ميزاروفتش - بستل) ونشرت نتائجه في تقرير عام ١٩٧٤ باسم (البشرية عند نقطة تحول) . وهذا التقرير يرسم صورة أقل قتامة لمستقبل البشرية في القرن الواحد والعشرين ويخرج بعدد من التوصيات فيما يتعلق بالطاقة والسكان ومكافحة التلوث ... الخ في حدود العلاقات الراسمالية الدولية القائمة مع بعض التعديلات .

هذه هي إذن النماذج الثلاثة الرئيسية التي بحثت قضية مستقبل البشرية ، بتقاريرها الثلاثة : (حدود النمو) ،





مستقبل البشرية والنماذج العالمية

المستقبل

(كارثة أم مجتمع جديد) ، (البشرية عند نقطة تحول) . والحقيقة أن هذه ليست كل النماذج التى قامت لمناقشة هذه المشكلة العالمية . فهناك أربعة نماذج أخرى أقل أهمية ، من بينها نموذج الأمم المتحدة المعروف باسم (نموذج ليونتيف) والذى نشرت نتائجه عام ١٩٧٧ تحت عنوان (مستقبل الاقتصاد العالمى) وجميعها نماذج كمبيوتر ، بمعنى أنها نماذج رياضية مكتوبة بلغة الكمبيوتر ومن خلالها يمكن للكمبيوتر أن يتتبع حسابيا النتائج المنطقية المترتبة على هذه التصورات والفروض المكتوبة على هيئة معادلات رياضية وباستخدام منهجى خاص .

كيف يفكر العلماء بالدول الاشتراكية فى موضوع النماذج العالمية ؟ إن لدينا عديدا من الكتابات حول هذا الموضوع ، وأبرزهم العالم السوفييتى جوفشيانى ـ وهو بالمناسبة رئيس المعهد الدولى لتحليل الأنظمة التطبيقى فى فيينا ـ ثم العالم الرياضى الكبير جلوفانى ، ثم مجموعة من العلماء فى الدول الاشتراكية الأخرى وفى مقدمتهم ـ فى حدود علمنا ـ العالمان الرومانيان بوتيز وسيلاك . ويمكن تلخيص وجهة نظرهم على النحو التالى : أن هناك شوطا طويلا لابد من اجتيازه حتى يمكن لهذه النماذج العالمية أن تكون محل ثقة من الناحية العلمية . فهناك أولا مشكلة الموقف الفلسفى والمفاهيم الايديولوجية لصانع النموذج . وهذه المفاهيم تحدد الفروض الصريحة والضمنية التى يبدأ منها النموذج والتى تصاغ على هيئة معادلات رياضية . فبعض صانعى النماذج يقعون ضحية الاعتقاد الضمنى بأن العالم هو مجرد « امتداد » لدائرة معلوماتهم المباشرة . وهكذا فإن ماهو موجود فى « الخارج » لابد أن يكون شبيها لماهو موجود فى « الداخل » فمثلا كثير من تكنقراط العالم الراسمالى يعبرون عن قناعة حاسمة بأن كل سكان الأرض تحركهم نفس الأمال التى يحسونها وأن عملية التنمية فى الأقطار الأخرى اليوم سوف تؤدى إلى نفس النتائج التى حدثت فى الدول الرأسمالية المتقدمة . ومن هذا القبيل أيضا أن هؤلاء العلماء يتجاهلون أن هناك نظامين اقتصاديين (النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى) يعملان بأليتين مختلفتين ، وكل نموذج يتجاهل هذه الحقيقة لابد أن يؤدى إلى نتائج غير واقعية .

أيضا يعترض علماء الدول الاشتراكية على المنهجية التى استخدمها علماء أمريكا فى النموذج الأول (حدود النمو) والمعروفة باسم « ديناميكيات الأنظمة » وهوأسلوب قد يكون مناسبا لبحث مشكلة اقتصادية أو اجتماعية فى داخل قطر واحد ، لكنه بالقطع ليس ملائما لبحث مشكلة عالمية فريدة لها هذا الحجم . ودليل ذلك أن هذه المنهجية تعتمد على تحقق مايسمى بالتوازن الذاتى للنظام ، وقد يكون هذا ملائما لعمل اقتصاديات غير مخططة . لكنه ليس صالحا لاقتصاد

مخطط كما هو الحال فى العالم الاشتراكى وقد قام فريق سوفييتى بقيادة جلوفانى بإعادة حسابات نموذج فورستر وميدوز على أساس آلية التخطيط فى الاستثمار الرأسمالى فكانت النتيجة أن « الفاجعة العالمية » المتنبىء بها فى نموذج (حدود النمو) قد أمكن تجنبها تماما . لكن آلية التخطيط ليست متسعة مع الاقتصاد الرأسمالى ، ولهذا تجاهلها صانعو النموذج .

من كل هذا العرض يتضح أن النماذج العالمية ـ كأسلوب لبحث ودراسة المستقبل ـ سوف تحتاج إلى زمن طويل وجهود اكاديمية خلاقة لمواجهة الاعتراضات والانتقادات الجدية التى اثيرت ـ ضدها سواء من ناحية الفروض او المنهجية أو قاعدة البيانات المطلوبة . لكن من الملحوظ أيضا أن موجة الحماس التى ظهرت من خلال السبعينات لهذه النماذج فى الغرب قد فترت اليوم . ويشكو بستل فى محاضرة ألقاها مؤخرا من هذا الفتور فى أوساط السياسيين الغربيين ويحاول أن يبحث عن أسباب هذه الظاهرة . لكنه فيما يبدو ينسى أن العالم الرأسمالى يواجه أزمات ومشاكل آتية ـ واقربها مشكلتى الكساد العالمى والبطالة ـ دون قدرة على توفير حل لهما . فكيف له أن يفكر فيما هو أبعد من ذلك ؟



مجلة اوربيو الايطالية تتنبأ بمستقبل البشرية حتى عام ٢٠٠٠

١٩٨٥ : استعمال الحبوب فى معالجة العقم عند الرجال .

١٩٨٧ : يتم تداول الجينات الوراثية فى الصيدليات .

١٩٩٠ : شاشة التليفزيون المجسدة .

١٩٩١ : وضع عقل اليكترونى مكان المخ البشرى .

١٩٩٤ : انشاء اول قاعدة أمريكية فضائية دائمة .

١٩٩٥ : ظهور أول عقل اليكترونى يعمل ذاتيا دون تحكم من الانسان .

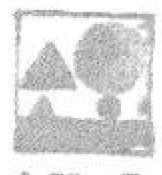
١٩٩٦ : اكتشاف العلاج النهائى لكل حالات العقم عند النساء .

١٩٩٨ : انشاء أول مركز شمسى لتوليد الكهرباء .

١٩٩٩ : محاولة العلماء زراعة الفضاء .

٢٠٠٠ : عودة العلماء الى الأرض لمحاولة اعادة الخضرة اليها .

مستقبل الثروة المعدنية
في مصر



انقذوا ثروتنا المعدنية من مكاتب الخبرة الأجنبية

بقلم الدكتور : رشدى سعيد

● الثروة المعدنية ثروة غير متجددة ـ ما يستخرج منها اليوم يخرج من ثروة البلاد القومية ، ويستحيل استرداده .. ومن هنا كانت الحاجة الملحة لايجاد سياسة رشيدة لاستغلال هذه الثروة أكفأ استغلال ، ولتحويلها إلى شكل آخر من الثروات .. يمكن أن تستفيد منه الأجيال المقبلة .. فليس من العدل أن يبدد جيل واحد أو جيلان هذه الثروة غير المتجددة .

وهناك الكثير من بلاد العالم الثالث التى بليت بالاستعمار قديمه وحديثه تعيش على بيع ثروتها المعدنية لبلاد العالم الصناعى ، وهذه هى البلاد التى يلاحظ أنها أكثر البلاد انحطاطا فى شكل حكومتها وفساد إدارتها واقتصادها وتحقيرها للانسان وحقوقه الأساسية ، ولعل أعظم إنجازات الحركة الوطنية المصرية ، هى تفهمها لهذه الحقيقة ـ ففى الفترة التى سبقت نهضة مصر القومية عام ١٩١٩ ، كان كل جهد الباحثين عن المعادن فى مصر موجها إلى إيجاد تلك المواد التى يمكن تصديرها لكى تخدم اقتصاد العالم الصناعى ...

أما فى الفترة التى تلت نهضة مصر ، وعلى الأخص بعد عام ١٩٥٢ ، فقد توجهت جهود الباحثين عن المعادن فى مصر نحو إيجاد تلك المواد التى يمكن استخدامها محليا فى بناء الصناعة التى ظلت حكومات مصر الوطنية تأمل فى بنائها وتعتبرها .

احد الأركان الأساسية لنقل مصر إلى العالم الحديث ورفع مستوى معيشة ابنائها ـ بل لعلى اذهب إلى فترة أسبق من ذلك فى الزمان ، فأقول ان مثل هذه الملاحظة يمكن أن تنطبق على جهود البحث عن المعادن فى مصر خلال القرن التاسع عشر . فعندما كانت مصر تبنى الدولة الحديثة وتؤسس جيشها ، كان " محمد على " يرسل البعثات ويكلف الباحثين بالتنقيب عن مصادر الثروة التى

★ د. رشدى سعيد الجيولوجي الاستشارى ورئيس شركة «انترجيوسيرسن» المحدودة بالولايات المتحدة الامريكية - كان استاذا بجامعة القاهرة ثم رئيسا للمؤسسة المصرية العامة للتعدين وهيئة المساحة الجيولوجية المصرية. وهو مؤلف كتابى " جيولوجية مصر " " وتطور نهر النيل " والعديد من المؤلفات العلمية الخاصة بالتعدين والبترول.

يمكن أن يستفيد منها فى الصناعة المحلية التى كان يبنيها.. فعمليات البحث عن الفحم والرصاص والكبريت والحديد بدأت كلها فى عهده وانطفأت جميعا بعد معاهدة لندن فى سنة ١٨٤٠.

وبطبيعة الحال فان القيام بعملية البحث عن المعادن كان يحتاج إلى ايجاد جهاز مختص.. وقد تم انشاء هذا الجهاز فى مصر عام ١٨٩٦... ويعكس التاريخ الطويل لهذا الجهاز صورة الحركة الوطنية وتطورها فى مصر على نحو دقيق، فقد كان هذا الجهاز فى أوجه عندما كانت الحركة الوطنية فى مجد، وكان فى حضيضه عندما كانت الحركة الوطنية فى جزر...

تاريخ حافل

ففى الفترة بين ١٨٩٦، ١٩١٩ كان الجهاز أجنبيا أو كاد وقد انحصرت أعماله فى مسح أرض مصر لمعرفة إمكانياتها التعدينية التى بدت كبيرة فى ضوء ماكان قد تم الكشف عنه من حضارة مصر القديمة وكنوزها المصنوعة من الذهب والأحجار الكريمة والبرونز - وقد استفادت مصر من هذه الفترة التى انتهت بنشر أول خريطة جيولوجية لمصر وأول موسوعة علمية عن صحاريها - على أن أرض مصر لم تحقق الآمال الكبار التى وضعها المستعمرون فى ثروتها المعدنية، إذ انحصرت نتائج هذه المرحلة فى اكتشاف خامى المنجنيز على الساحل الشرقى من خليج السويس، والفوسفات على ساحل البحر الاحمر بين بلدة " سفاجه " " والقصير " واللذين كانا من نصيب شركتين إنجليزيتين صغيرتين لاستغلال خاماتهما وتصديرهما إلى الخارج - وقد فشلت جهود شركات التنقيب عن الذهب لايجاد خامات تستحق الاستخراج الاقتصادى..

وفى أعقاب الحركة الوطنية المصرية عام ١٩١٩، وفى ضوء نتائج المرحلة السابقة انسحب الأجانب من جهاز المساحة الجيولوجية وتركوه فى حالة سيئة، إذ لم يكن هناك من المصريين إلا أقل القليل ممن كانوا قد تدربوا على أعمال البحث عن المعادن فى مصر، وهى ثغرة لم تسد إلا بعد انشاء الجامعة المصرية وتخريج رعيلها الأول وتدريبه، كما كانت الحكومة الوطنية فى دفاع مستمر عن النفس فلم تستعد المساحة الجيولوجية انفاسها إلا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية بمشروع صغير للبحث عن المعادن فى منطقة صغيرة بمنتصف الصحراء الشرقية.. على أن التوسع





مستقبل الثروة المعدنية في مصر

المستقبل

الاكبر تم بعد ثورة ١٩٥٢ ، وتاميم شركات التعدين الأجنبية ، والبدء في العديد من مشروعات البحث عن المعادن التي دعيت للمساهمة فيها أولا شركات أجنبية غربية ثم هيئات سوفييتية في إطار التعاون المصري السوفييتي الذي كان قد بدأ في عام ١٩٥٨ .. وقد ظل هذا التعاون مع الهيئات السوفييتية قائما منذ ذلك التاريخ وحتى عام ١٩٧٨ ، بموجب عقود يتم فيها إرسال الخبراء والمعدات اللازمة لتنفيذ برامج البحوث التي يتفق عليها بين الطرفين في إطار القرض السوفييتي للتصنيع ذي الفوائد المنخفضة ـ على أن أهم ماكان يميز هذا التعاون هو أن البرنامج كان يوضع لخدمة الاقتصاد المصري ، وتركزت من أجل ذلك الأبحاث لا من أجل إيجاد معادن قابلة للتصدير كما كان يحدث في حالة العقود مع الشركات المختلفة ، بل أصبحت البحوث تجري للوصول إلى مصادر الخامات التي يمكن استغلالها في إنشاء الصناعة المصرية والتي كانت الآمال قد عقدت عليها على أساس فائض الطاقة الذي كان إنشاء السد العالي سيقدمه ـ وانحصرت الجهود لذلك في دراسة بعض الخامات لمعرفة خواصها وكمياتها وأفضل طرق استخلاصها وذلك للاستفادة منها في بناء الصناعات التي كان يخطط لاقامتها .

وقد ادى ذلك إلى تدريب عدد كبير من المشتغلين بصناعة البحث عن المعادن في مصر والتي أصبح لديها بعد هذه التجربة الرائدة جهاز يستطيع أن يخطط للبحث والكشف وتقييم الخامات ودراسة خواصها وطرق استخلاصها .. وقد استتبعت هذه العمليات إنشاء المعامل المجهزة ، والتي غطت جميع فروع العلم ، وكذلك أقسام لانشاء المناجم وحفر الآبار وورش كاملة لصيانة وإصلاح أساطيل السيارات ومختلف المعدات .

وفي أعقاب عدوان ١٩٦٧ انكمشت خطط التصنيع ، وتركز العمل للاعداد للمعركة ، الا أن الجهاز ظل يخدم الاقتصاد القومي مساهما أكبر المساهمة في تدعيم الصناعة والحفاظ عليها واعداد الدراسات لمختلف الخامات التي تم الكشف عنها في هذه الفترة ـ وكان من ابرز النجاحات إيجاد بدائل للخامات التي فقدت في سيناء والتي كادت المصانع التي كانت تعتمد عليها أن تتوقف مثل مصانع الطوب الحراري والصيني والزجاج ... التي كانت تعتمد على خامتي الكاولين والرمال البيضاء بسيناء ـ وقد كان أكتشاف حقل الكاولين الجديد بالنوبة وتخريطه وتقدير كمية خاماته ودراسة خواصه وأفضل طرق تنجيمه ومعالجته وجدواه الاقتصادية ، واحدا من أهم الانجازات ، ودليلا جديدا على قدرة هذا الجهاز الوطني للقيام بهذه الأعمال المتكاملة .

وعندما اشتعلت حرب الاستنزاف اضطرت شركات التعدين إلى هجرة مواقع العمل على شاطيء خليج السويس الغربي

هجرة مؤقتة ، فكانت هيئة المساحة الجيولوجية سباقة لايجاد مواقع جديدة للعمل ، بل واستطاعت فى كفاءة كبيرة استيعاب آلاف العمال الذين كانوا يعملون بمناجم سيناء ، ثم عبروا قناة السويس بعد حرب ١٩٦٧ ..

وفى هذه الفترة تم حصر وتقييم الخامات اللازمة لصناعة الأسمنت بأسيوط ، وتوسعات أسمنت حلوان ، وخامات الحجر الجيرى بغرب الأسكندرية لصناعة الصودا ، وخامات الحديد لتوسعات صناعة الحديد والصلب المنتظرة .. كما تمت عمليات استكشاف تفصيلية وشاملة وواسعة النطاق لتقييم الامكانيات التعدينية لجزء كبير من صحراء مصر الشرقية ، فتمت عمليات تخريط ومسح وتحليل معدنى وكيميائى وحفائر وآبار على مقاييس لم يسبق لها مثيل ، تم الكشف فى إثرها على خامات المعادن النادرة كالنيوبيوم والتانتالوم .. كما تم الكشف فى هذه الفترة عن خام فوسفات أبو طرطور الذى يقع فى الهضبة بين واحتى الخارجة والداخلة بالصحراء الغربية ، والذى اعتبره واحدا من أعظم الاكتشافات التعدينية فى مصر ، لا لقيام المصريين باكتشافه والتخطيط لتنميته فحسب ، بل ولأن الاحتياطى المثبت والذى تم حصره يمثل جزءا من احتياطى هذا الخام فى العالم .

وفى هذه الفترة تفتحت أجهزة المساحة الجيولوجية على مختلف خبرات العالم ، فدعت الهيئات المعنية فى بولندا والولايات المتحدة وبريطانيا للمساهمة فى عمليات حددتها هذه الأجهزة بنفسها .. فقامت بولندا ، بما لها من خبرة طويلة فى علم المناجم بالمساهمة فى إنشاء مكتب لتصميمات المناجم ، وقامت الولايات المتحدة بالمساهمة فى إنشاء مكتب لاعداد الخرائط وطباعتها ، كما قامت إحدى بعثاتها العلمية بتزويد الهيئة بمعدات الرصد الزلزالى الحديثة ، كما ساهمت بريطانيا فى دراسة بعض مايوجد من الخامات المعدنية بجنوب الصحراء الغربية ..

خديعة الخبرة الأجنبية

وقد أصيبت هذه السياسة الوطنية لبناء الصناعة المصرية بنكسة كبيرة فى منتصف السبعينات عندما قررت الحكومة المصرية أن تترك لرءوس الأموال الأجنبية ميدان التنمية ، فقامت بتبنى عدد من القرارات والقوانين لتشجيع جذب هذه الاموال إلى مصر ، وأهملت برامج الصناعة وأجهزة البحث الوطنية ، ورحبت بكل أجنبى بغض النظر عن خلفيته أو خبرته ، فرأينا بعض هؤلاء ينشئون بداخل الحكومة المصرية مكتبا مستقلا لأعمال الخبرة لمنافسة جهاز البحث الوطنى ، بل ورأينا أجهزة الحكومة ذاتها بما فيها جهاز الصناعة تحيل دراساتها إلى هذا المكتب العديم الخبرة والتقاليد لكى يتسلم منه فى آخر الأمر تقارير عديمة الفائدة - وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد أحال مجمع الحديد والصلب موضوع دراسة مصادر جديدة لخامات الحديد لتخطيط توسيع مصانعه إلى هذا المكتب ، فاذ بالخامات الجديدة التى قيل إنها اكتشفت وتم الاعلان عنها على صفحات الجرائد لا تزيد عن كونها صخورا من البازلت .. ثم



مستقبل الثروة المعدنية في مصر

تدفقت البعثات الأجنبية التي جاءت تحت ستار العلم لكي تحيل جهاز البحث الوطني إلى جهاز لانجاز أعمال هذه البعثات الخاصة التي خططت أهدافها بعيدا عن مصر والتي مولت بأموال غير مصرية. ومن الغريب أن هدف معظم هذه البعثات كان بعيدا عن موضوع الثروة المعدنية، فسمعنا عن البعثات التي جاءت تبحث عن كنوز " قمبيز " التي تركها وراءه بعد أن ضل طريقه في الصحراء (!) وتلك التي جاءت تدرس الأنهار المدفونة بالصحراء وخرافيش هضاب الصحراء وأصل القرد والانسان وغير ذلك، ثم انتهى الأمر بهذا الجهاز الوطني ذي الماضي المجيد إلى تسليم المعلومات التي جمعها على طول تاريخه عن معادن مصر إلى شركة أجنبية لكي ترتبها وتحررها وتضعها في كومبيوتر حتى تصبح متاحة لشركات التعدين العالمية علها تهرع إلى مصر لاستغلال أموالها في تنمية معادن مصر! فأي مصير ذلك الذي وصل إليه هذا الجهاز؟

والآن ماذا عن المستقبل؟ ظني أن أول شيء علينا أن نعيه الآن هو أن نفيق من تصور أن الأجانب سينمون ثروتنا المعدنية أو سيهتمون بها - أقول ذلك لعدة أسباب:

(أولها أن الجهود الكبيرة والممتدة لدراسة إمكانيات مصر التعدينية قد أثبتت بما لايدع مجالا للشك أن أرض مصر خالية من رواسب المعادن الفلزية الكبيرة القابلة للتصدير، وهذه هي التي يمكن أن تجذب رءوس الأموال الأجنبية - وإذا كان هناك احتمال لوجود مثل هذه الرواسب فانها ستكون عمياء.. أي مدفونة تحت الأرض وسيحتاج التنقيب عنها فضلا عن استخراجها إلى رءوس أموال ضخمة جدا هي بالقطع غير متاحة في الوقت الحاضر..

وثانيها أن تنمية الرواسب المعدنية هي عملية تحتاج إلى استثمار كبير في البنية الأساسية للبلاد، كمد خطوط السكك الحديدية أو توسيع الموانىء أو بناء المساكن أو مد خطوط الكهرباء أو توفير المياه مما يضيف أعباء كبيرة على رأس المال اللازم لتنمية الراسب المعدني، وهنا يجعل المدة اللازمة لاسترداد رأس المال المستثمر طويلة - هذا بالاضافة إلى أن بناء المناجم يحتاج إلى مدة طويلة، كما أن تشغيلها يحتاج إلى كفاءة إدارية ممتازة وإلى انفاق باهظ - وفي كل هذا يختلف الاستثمار في البترول عنه في التعدين، إذ لا يحتاج الأمر بعد الكشف عن الخام إلى استثمار كبير ومدة طويلة لتنمية حقل البترول، أو إلى انفاق كبير مستمر - هذا بالاضافة إلى ارتفاع سعر البترول بالنسبة إلى ما ينفق للكشف عنه.

وثالثها أن السوق العالمية متخمة في الوقت الحاضر ولمدة طويلة قادمة بالمواد الأولية، والكثير من البلاد الصناعية الغربية قد ضمنت لمصانعها خاماتها عن طريق الاستثمار في الشركات المتعددة الجنسية التي تستغل الكثير من مناجم العالم الثالث - وليس من المعقول لذلك أن نتصور أن تقوم هذه الشركات بنفسها بتبوير بضاعتها عن طريق تنمية رواسب

معدنية جديدة دون أن يكون هناك سبب معقول لذلك ـ وقد ثبت للحكومة المصرية ذاتها أن تسويق فائض الفوسفات المصرى فى السوق الغربية عندما يصل إلى أحجام كبيرة هو أمر يكاد يكون مستحيلا ، وذلك لارتباط معظم بلاد السوق الغربية بشركات فوسفات شمال افريقيا والمغرب المتعددة الجنسيات وذات المصالح المشتركة ..

حقيقة ثروتنا المعدنيـة

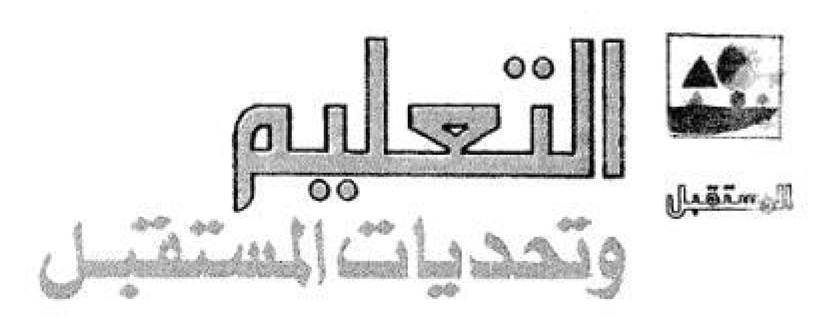
فإذا افقنا من هذا الوهم وعرفنا أن مصادر ثروتنا المعدنية هى فى المواد الترابية والمنتشرة فى طول البلاد وعرضها مثل الرمال والزلط والطفل والأحجار الجيرية والجبس والأملاح ، بالاضافة إلى الفوسفات والقليل من الحديد والمنجنيز وبعض المواد الأخرى القليلة الحجم والمبعثرة فى أماكن عدة ، فاننا سنعرف أن قيمة هذه المصادر هى فى تصنيعها .. فالكثير منها يمثل عصب صناعات كيماوية وحرارية كثيرة . كما يمثل عصب صناعة مواد البناء والحديد والصلب وكل هذه مصادر هائلة للثروة .. إن أحسن استغلالها .

ولكن حسن الاستغلال هذا يحتاج إلى جهاز كفء هو جهاز المساحة الجيولوجية والتعدين الذى يجب أن نسعى إلى اعادته إلى سابق عهده : جهازا وطنيا غرضه هو العمل العلمى التطبيقى لترشيد استخدام ثروات مصر المعدنية والكشف عنها وتقييمها ووضع خطط استغلالها وتصميم منشآتها ودراسة جدواها الاقتصادية وقد كدنا أن يكون لدينا مثل هذا الجهاز فليس من العقل أن تبدد أمة نامية مثل مصر تراثها وتفرط فى ابنائها المدربين على أعمال البحث عن المعادن .. والذين اثبتوا حتى وقت قريب قدرتهم الفائقة على القيام بمهام كبيرة فى هذا الميدان ، وأن تحيلهم إلى هذا المركز الثانوى الذى يقومون به الآن فى خدمة بعثات أجنبية تدفقت على مصر ولأغراض لا علاقة لها البتة بموضوع البحث عن المعادن أو تنميتها .

ماذا ياترى كان يمكن أن يحدث لبلادنا لو أن ملايين الجنيهات الاسترلينية التى انفقت هباء لاحدى الشركات الاجنبية لمراجعة دراسة جدوى مشروع فوسفات أبو طرطور الذى اكتشفه ودرسه المصريون أنفسهم قد أدرجت فى ميزانية هيئة المساحة الجيولوجية المصرية لتدريب ابنائها وإعداد معاملها وتزويدهابالخبرات التى تحتاج اليها ؟

ماذا ياترى كان يمكن أن يحدث لو أن القطاع العام قد تم تطويره ، وأدير بكفاءة لاستغلال امكانياتنا .. ليس فقط فى تنمية ثرواتنا المعدنية ، بل وفى تزويد مناجمنا بمعظم معداتها التى يمكن لمصر أن تنتجها ، فأغلب هذه المعدات بسيطة الصنع ، سهلة التركيب ؟!

واخيرا فإنى اترك القارىء أن يتصور ماذا كان يمكن أن يحدث ـ ولكن قبل أن يتم أى شىء من ذلك علينا أن نعيد الثقة إلى أنفسنا ، وأن نملك إرادتنا ونؤكد استقلالنا ، ونوجه اقتصادنا وثروتنا الطبيعية لخدمة بلادنا ونتبنى خطة للتصنيع ، وحينئذ فقط نستطيع أن نستقبل الأجنبى فى إطار خططنا ... مرحبين به كخبير فى خدمة اقتصادنا نحن .



بقلم الدكتور : سعيد اسماعيل على

● كان اشد ما يحرص عليه المجتمع فى العصور القديمة هو أن يحافظ على وجوده واستمراره على نفس الأنماط والأشكال التى ألفها عن آبائه وأجداده . وكانت الوسيلة الأساسية لذلك هى (التربية) . ومن ثم فقد كانت مهمة التربية هى تدريب القادة على معرفة جميع التعاليم القديمة الخاصة بنظام المجتمع والعلاقات المناسبة فى الحياة ، وتدريب جميع افراد الشعب على أساليب السلوك الصحيحة من حيث النشاط ومواضع الاهتمام فى نواحى الحياة المختلفة .

ولو أخذنا مثالا لذلك دولة كبرى من دول العالم القديم ، فلن نجد أنسب من (الصين) . إذ لم يشاهد أى عصر من العصور ، أو أى مكان من

الأمكنة - سواء فى الماضى أو فى الحاضر - شعبا مثل الشعب الصينى يخضع خضوعا تاما لدقائق التقاليد ويعنى بتقديسها تقديسا تاما ، ويثابر على الخضوع للماضى . فالمثل العليا التربوية لهذا الشعب التى أصبحت جزءا من نسيج حياته ، تفسر لنا سر هذا الاستمرار الطويل لبنائه الاجتماعى الذى لا يتغير ولنزعته الشديدة إلى المحافظة ولميزاته الأخلاقية البارزة ، ولمظاهر قوته وضعفه سواء كأفراد أو كأمة . ولهذا السبب ، ليس هناك اى نظام تربوى آخر يمكن ان نتخذه مثلا واضحا للعلاقة التامة بين التربية وبين الكيان الاجتماعى ، وبين التربية والحياة بوجه عام . وليس هناك مكان آخر زاد فيه نفوذ التربية وعظم نجاحها فى الوصول إلى اهدافها كما هو الحال هناك .

وظل هذا هو الحال عندما كانت التربية عملية « تنشئة » أجتماعية ، تتم فى سياق الخبرة والحياة فى مواقع العمل والنشاط ، وبالتالى عن طريق الأسرة والمعابد وغيرهما ، يمارسها الكبار دون تخصص أو احتراف .

وعندما دار الزمن دورته ، وصرنا إلى عصر اقتصرت فيه العملية التربوية على (تعليم) منظم وفق قواعد خاصة وفى معاهد معينة ، وعلى أيدى محترفين

لمهمة التعليم ، بدأت الطبيعة المحافظة للتربية تشهد تحولا جذريا وخاصة فى العصر الحالى . ولم تعد مهمتها تقف عند حد المحافظة على الموروث من التقاليد والنظم والعادات والأفكار ، بل امتدت آفاق المستقبل مستشرفة اتجاهاته وآماله ، بل إن هذا التطلع إلى المستقبل اقتضى منها أن تمد يدها إلى القديم الموروث نفسه كى تنقده وتحلله بحثا عما يصلح للاستمرار وما لا يصلح ، وبحثا عما يحتاج إلى تعديل أو تطوير ، حتى يتم الوصول بين القديم والجديد ، فتتحقق بذلك الاستمرارية للمجتمع .

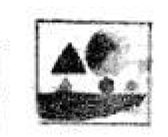
ويجد المتأمل فى العملية التربوية المعاصرة أنها أصبحت بحكم (طبيعتها) عملية مستقبلية ، ومن ثم فليست المسألة بالنسبة إليها مسألة (مجاراة) لاتجاهات عصر ، ولا (مسايرة) لمطالب مفروضة ، وإنما هى « حتمية » كيان و (ضرورة) وجود . فالطلاب إذ يلتحقون بأول مراحل التعليم وهم فى مقتبل العمر ، يجد المربون أن هؤلاء سيخرجون إلى مجالات العمل المختلفة بعد عدد من السنوات أقلها ستة عشر عاما (٦ ابتدائى + ٣ اعدادى + ٣ ثانوى + ٤ جامعة) . ومن ثم فلابد أن يتصل تعليمهم القائم لا على أساس ما عليه العلم الآن وحسب ، ولا بما تتجه إليه الثقافة فى الوقت الحاضر فقط ، وإنما بما ينبغى أن يكون عليه فى المستقبل ، ومن هنا تأتى الحكمة الاسلامية فى التنبيه الى أن أبناءنا عندما نربيهم لابد وأن نضع فى الاعتبار أنهم مخلوقون لزمان غير زماننا .

والتعليم إذ يتجه هذا التوجه المستقبلى ، لايجد الطريق أمامه مفروشا بالورود والرياحين ، وإنما هناك العقبات والصعاب والطموحات التى تفرض على العملية التربوية أن تكون عملية (نضال) و (كفاح) ، لا مجرد عملية (توصيل) .. توصيل معلومات وقيم واتجاهات من الأجيال السابقة الى الأجيال اللاحقة .

كذلك فإن التعليم يجد نفسه أمام عدد من التحديات ، أو بمعنى أصح (المطالب) التى تعكس نبض العصر وتطلعات المستقبل ، إذا لم يضعها فى الاعتبار فشل فشلا ذريعا فى مهمته والأمر الخطير هنا أن الفشل إنما يتبدى فى البناء الاجتماعى نفسه ، وفى شخصيات المواطنين . ويهمنا هنا أن نقف أمام بعض هذه التحديات .

الجماهيرية

فلقد كان التعليم مقصورا على فئة قليلة فى المجتمع ، وكانت القاعدة أن تكون هذه الفئة القليلة من أبناء الأثرياء مما جعل التعليم (أرستقراطيا) لا بالنسبة للمتعلمين فحسب ، بل - كنتيجة لذلك - بالنسبة لأهدافه وتنظيماته ومحتواه .. فالطبقات الثرية كانت تريد أن تعد أبناءها كى ترثها فى مواقعها الحاكمة . ولم تكن هذه المواقع تحتاج إلى هؤلاء كعاملين منتجين ، حيث أوكلت عمليات الانتاج والخدمات إلى أبناء البروليتاريا والطبقة المتوسطة . ومن هنا كنا نجد الطابع (النظرى) البحت هو الغالب على مواد التعليم ، وكذلك على الجوانب التعليمية فى معظمها .



التعليم وتحديات المستقبل

المستقبل

لكن التغير الحادث فى العصر كله ، ومصر بالتالى ، يفتح بابا تلو الآخر نحو « ديمقراطية » تجعل القيادة والتوجيه فى يد جماهير الناس ، وتبطل أن تكون حكرا لفئة دون غيرها . وهذا من شأنه أن يجعل التعليم (جماهيريا) يفتح أبوابه من خلال معاهده لكل المواطنين الراغبين فيه ، بغض النظر عن الفروق الناشئة عن الجنس او اللون او النوع أو الثروة أو العقيدة . ولقد بدأت مصر تشهد عصر (جماهيرية التعليم) منذ أن ازال « طه حسين » عام ١٩٥٠ حاجز المصروفات من التعليم الثانوى بعد سبع سنوات على وجه التقريب من ازالته فى التعليم الابتدائى ، حيث قررت المجانية عام ٤٣ / ١٩٤٤ ، ثم اكتملت الدائرة عندما قررت ثورة يوليو مجانية التعليم العالى والجامعى عام ١٩٦١ .

وكان من الضرورى هنا أيضا أن تتغير فلسفة التعليم ومحتواه وتنظيماته حتى تناسب (القاصدين الجدد) أبناء الفلاحين والعمال وصغار الموظفين جنبا إلى جنب مع أبناء القادة والملاك وكبار التجار ، فبدأ الطابع (العملى) يغلب على التعليم . وبعد أن كانت كليات الآداب والحقوق مثلا هى مطمح كل طالب ، حلت محلها كليات الطب والهندسة والاقتصاد والصيدلة . وبعد أن كان التعليم الفنى يعانى (ازورارا) عنه ، اصبح يستأثر الآن بأكثر من نصف عدد الطلاب المتخرجين فى المدرسة الاعدادية .

لكن لكل تطور مشكلاته ، ولكل تغير سلبياته . وتتلخص معظم مشكلات هذا الزحف الجماهيرى فى جانب محدد ، وهو اننا مازلنا نعلم (الكثرة) بنفس الوسائل والأدوات والتجهيزات التى كنا نعلم بها (القلة).

ونحن نقصد من القلة والكثرة هنا جانبها العددى الكمى دون الجانب النوعى . فالفصل الذى يتسع لثلاثين هو هو الذى اصبح يمتلىء الآن بستين وسبعين ، والمعلم الذى كان يعلم مائة طالب بالجامعة ، هو نفسه المعلم الذى أصبح يعلم آلافا منهم ، فكان من الطبيعى أن تسوء نتائج عملية التعليم ، ويتدهور كيفه ، ويتاح الفرصة لأعداء التقدم أن يصرخوا بأن (فساد) التعليم المصرى الحالى إنما مرجعه إلى زحف الجماهير ، فارتفعت الأصوات تطالب بالحد منه ، وأن تعود (المصروفات) مرة أخرى حتى تحتجز أعدادا من طالبى العلم فلا ينالوه ، وإن نالوا منه قدرا فينبغى ألا يزيد عن مرحلته الأولى .

إن المطلوب الآن هو أن يستعان بالمستحدثات فى تكنولوجيا التعليم وطرق التدريس بحيث تعوض الفارق الكمى وتحافظ على النوعية المطلوبة . وهناك العديد من الوسائل فى هذين المجالين مما لا محل لمناقشته هنا وهو كفيل بمواجهة تعليم الكثرة مع المحافظة على جودة التعليم .

الصراع الايديولوچي

وقد ادى التقدم المذهل فى أساليب الاتصال إلى تسهيل عملية انتقال الأفكار والمذاهب والآراء من مكان إلى مكان، مهما تباعدت المسافات. ولم تعد وسائل المصادرة والرقابة بكافية لمنع ذلك، إذ لو انها نجحت بالنسبة الى المطبوع، فإنها لا تستطيع أن تفعل شيئا بالنسبة إلى المسموع، فضلا عن أن حركة السفر بجماعات كبيرة عبر مختلف الدول تتيح الفرصة للتعرف على مالم يسمح بدخوله البلاد.

ومن هنا شهدت الساحة العالمية سباقا رهيبا فى نشر الأفكار والمذاهب الايديولوجية خاصة بين القوى العظمى التى أيقنت أن سبيل الغزو العسكرى والاحتلال لم يعد أمرا مقبولا الآن. وقد ادى هذا إلى أن يشهد التعليم سواء بالنسبة للمعلمين او الطلاب كمًا غير قليل من الفلسفات والمذاهب المتباينة، كل منها يفرض نفسه عليه بغية الاستئثار به والاستحواذ عليه. فماذا يفعل هؤلاء واولئك تجاه هذا؟

لقد كان التعليم يقوم اساسا على عمليات التلقين من جانب المعلم والحفظ والاستظهار من جانب الطلاب. المعلم هو مصدر المعرفة ومعه الكتب المقررة، يحاضر ويتحدث ويلقى المعلومات، وعلى الطلاب أن يتلقوها كما هى ويحفظوها، حتى إذا حان وقت الامتحان كان تقدير الطالب حسب استظهاره لما تلقاه من المعلم بغير تحوير ولا تغيير.

إن تعليما هذه حاله، من شأنه أن يلغى عقول الطلاب، ويشل حركة تفكيرهم، ويحولهم إلى مجرد أجهزة استقبال. وهل لجهاز الاستقبال رأى يمكن ان يتخذه إزاء ما يجىء اليه من آراء؟ كلا.

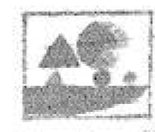
من أجل هذا كانت اهمية تغيير طرق التعليم تغييرا جذريا كى تقوم على الحوار والنقاش، فيدرب الطلاب والمعلمون على ممارسة النقد والتحليل والربط والاستنتاج. فهذا وحده هو السبيل إلى أن يقفوا أمام ما يتلقونه من مصادر البث الايديولوجى موقفا ناقدا، بحيث لا يتقبلون أى شىء على ما هو عليه، وإنما لابد من المقارنة، ولابد من الموازنة وتقليب القضية المعروضة على كافة وجوهها.

ولابد من إشراك الطلاب فى الحصول بأنفسهم على المعلومات بتوجيه أساتذتهم وإشرافهم حتى لا يستقر فى ذهن الطلاب ان المعرفة مصدرها واحد. ذلك أن الاعتقاد بواحدية المصدر تضفى عليه هالة من التقديس بحيث يصدق كل ما يصدر عنه. إن التعود على تعدد المصادر، يوحى للتلميذ بألا يسارع فى التصديق لأن هناك مصادر أخرى قد تكون أصدق وأكمل.

التكنولوجيا

لقد كثرت الأقوال التى تؤكد أننا نعيش عصر الثورة التكنولوجية كما تتمثل فى بعض الدول المتقدمة، وأنها توشك أن تلد حضارة جديدة تختلف عن الحضارة القائمة. ويطلقون على هذه الحضارة المرتقبة بأنها حضارة (مابعد






الصناعة) . وإذا حاولنا أن نرصد عددا من الملامح التى تميز هذه الثورة التكنولوجية ، فسوف نجد أنها تتمثل فى تلك البنية الجديدة للقوى المنتجة من خلال :

- وسائل العمل والانتاج ، تلك الوسائل التى تتجاوز حدود الآلات الميكانيكية لتأخذ شكل الاوتوماتية والتحرك الذاتى والسيبرناتيكية ، ولتصبح بالتالى قادرة على الاضطلاع بوظائف مستقلة تجعل منها مركبات مستقلة للانتاج .

- موضوعات العمل والانتاج التى تطورت أيضا وتعددت ، فلم تعد مقصورة على المواد التى تقدمها لنا الطبيعة بل تجاوزتها فولدت مواد جديدة متعددة ، وابتكرت مواد صناعية لا حصر لها .

- أخذت جميع وظائف الانتاج المباشر التى كانت تقوم بها اليد العاملة البسيطة غير المؤهلة تضمحل تدريجيا ، وبدأ الانسان يعهد بوظائفها إلى الآلة ليتولى هو وظائف جديدة اسمى والصق بطبيعة الانسان .

- فى القوى الانتاجية الجديدة التى أخذت تدخل عملية الانتاج وتحتل فيها مكانة أساسية ، وعلى رأسها قوى العلم وتطبيقاته الفنية .

إن مثل هذه الملامح - وهناك غيرها بطبيعة الحال - تفرض على التعليم المصرى أن يتخلى عن العديد من الأساليب التقليدية فى (إدارة) العمل التربوى ، ويفتح الأبواب لاستخدام التقنيات الجديدة والمناهج الحديثة حيث أصبحت هناك حاجة إلى دخول مرحلة جديدة من مراحل الادارة والتنظيم ، هى المرحلة التى عرفت باسم مرحلة (التحليل الاجرائى)او (الهندسة الاجرائية) ، وقوام هذه المرحلة ، اعتماد الادارة التى تستهدف الوصول إلى اقصى نتاج ممكن عن طريق تحليل العملية الادارية الى مقوماتها وعناصرها ، عن طريق تنسيق تلك العناصر أو العمليات المختلفة فى الزمان والمكان تنسيقا رياضيا كاملا .

ولقد عرف هذا الاتجاه طريقه الى بعض البحوث والدراسات على مستوى الماجستير والدكتوراه ، لكن من المهم كذلك أن يعرف طريقه إلى الواقع التعليمى الفعلى حتى يمكن أن يؤدى الى التغيير المطلوب .

الأنسنة :

ولاشك ان هذا الزحف التكنولوجى المتنامى المتسارع بدرجة تفوق أحيانا خيالنا ، إذا كانت له ميزاته التى لا حصر لها فى (جعل) حياة الانسان اكثر نعمة ، إلا أنه يشكل خطرا كبيرا . اذا لم تتم السيطرة عليه وحسن توجيهه . ويتمثل ذلك الخطر فى « اغتراب » الانسان وتحوله إلى صورة أخرى من صور الآلية ، ومايقال الآن من غلبة (المادية) - بالمعنى الأخلاقى - على العلاقات الانسانية .

ومن هنا أصبحت الحاجة ماسة إلى (أنسنة) هذه الثورة التكنولوجية .

وجعل الانسان يحتل مكانه المفروض ، سواء في الغايات أو الوسائل . والحق أن هذه المهمة لا توجد وسيلة أقدر على تحقيقها من التعليم . فالتعامل الدائم مع الطالب على أنه (قيمة إنسانية) في حد ذاته ، من شأنه أن يبذر بذور الاتجاه الانساني لدى المواطنين فينشأ المواطن على أن هذا الاتجاه مقوم اساسى من مقومات شخصيته ، ويتأكد في كل ما يعمل ويسلك . أن العصر الحالي ، وذلك المقبل ايضا ، إذا كانا يبرزان دائما التحرك الكتلى والجماهيرى ، ويبرزان الشركات العملاقة والمشروعات الضخمة والوحدات السياسية الكبرى ، فلابد من الحرص في الآن نفسه على « القيمة الانسانية » للانسان .

وبعضهم يتصور أن (انسنة) التعليم امر له مجاله الواضح فيما يسمى بالعلوم الانسانية . وإذا كان هذا صحيحا إلى اقصى حد ، الا ان الاتجاه الانسانى لابد أن يكون مجاله أيضا في العلوم الطبيعية .

كذلك فإن (الانسنة) لاتقف عند حد (المقررات)و (المناهج) ، وإنما هى كذلك أمر حتمى في التنظيمات المختلفة للعمل التعليمي . ولا نقصد هنا بالتنظيمات . النظام الادارى وحده ، وإنما نقصد كذلك أسس تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع المدرسى من طلاب ومعلمين وآباء وامهات ، وأيضا ما يسمى بالنشاط اللامنهجي ، اى تلك الأنشطة المدرسية التى تتم خارج الحصص والمقررات من خلال الجمعيات المتعددة التى يكونها المعلمون والطلاب .

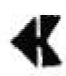
العمل العربى

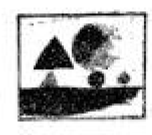
لقد اثبتت الاعوام الأخيرة اننا قد دفعنا غاليا ثمن تمزقنا العربى . وإذا كان العرب ـ بدون مصر ـ لا يستطيعون ان يشكلوا قوة يعتد بها فان مصر أيضا لاتستطيع ذلك بدون العرب .

وهنا أيضا نجد أن المجال فسيح أمام التعليم ليفعل الكثير مما فشلت فيه السياسة ، وذلك من خلال توحيد المناهج التعليمية ، وتبادل الخبرات العلمية ، وعقد المؤتمرات الثقافيةوالتربوية ، وكذلك إبراز المهمات الاجتماعية والقومية للتربية ، وتيسير نهوضها بوظائفها لتكوين المواطن العربى الملتزم كعضو نافع في مجتمعه وممثل لخير خصائص أمته ، وساع أبدا في وحدتها وخيرها وتقدمها .

ان المهمات القومية للتعليم المصرى ، أو غيره من نظم التعليم في البلاد العربية ، من الضخامة والأهمية بحيث يتعذر تحقيقها بصورة مجزأة وعلى النطاق القطرى ، فهى تستدعى العمل العربى الموحد .

ويزيد من إلحاح الحاجة إلى ذلك ، تباين المستويات في أنظمة التعليم العربى ، وتباين الامكانات المتوافرة سواء من حيث الكفايات أو من حيث الموارد المالية . فإن كان توفير التعليم الاساسى هدفا قوميا كما يجب أن يكون ، فلابد أن يكون مهمة قومية في تصورها وتنفيذها . ويصدق ذلك على التعليم العالى ، كما يصدق على مراكز البحوث وعلى التعريب






المستقبل

بمعناه الشامل ، وعلى الفكر التربوى المتميز ، وعلى العلم والتقنية جميعها .

التنمية :

ومن الواضح للجميع أن الهوة تزداد اتساعا يوما بعد يوم بين عالم الفقراء وعالم الاغنياء .. بين الدول المتخلفة وبين الدول المتقدمة . وإن الطريق الوحيد لتضييق هذه الهوة ، لا يمكن ان يعتمد على ما تتلقاه الدول الفقيرة من الدول الغنية من معونات ومساعدات ، وانما على « القدرة الذاتية » وسبيلها دائما هو التنمية .

ولا أحد يجادل في صحة النظرية القائلة بأن التعليم يسهم بصورة مباشرة او غير مباشرة في التنمية الاقتصادية ، وفي تحسين نوعية الحياة في الامد القصير كما في الامد الطويل . على أن تباين الآراء يتناول الطريقة التى يمكن أن تنظم بها بعض الجوانب المحددة من مناهج التعليم ، وبخاصة مضامينه وطرائقه ، وفرص الاقبال عليه ، وتخصيص الموارد له من أجل ان يصل بالمنافع المرجوة منه إلى أعلى حد مستطاع ، وأن نضمن فى الوقت نفسه عدالة توزيع هذه المنافع .

وفي المناطق الأشد فقرا في مجتمعنا ، نجد أن التعليم الابتدائى هو الخدمة العامة النادرة ، لا بل الوحيدة أحيانا التى تكون متاحة للسكان . كما أن هذا التعليم يستنفد نسبة عالية من إجمالى النفقات العامة المخصصة للطبقات الشعبية . كذلك فإننا غالبا ما نجد فى المدارس الابتدائية ، وفى المدارس الثانوية ـ فى حال وجودها ـ المجموعات الصغيرة الوحيدة من الأشخاص المتعلمين فى الأرياف وفى المناطق النائية . هنالك إذن أسباب قوية تدعونا إلى التفكير فى الطريقة التى نستطيع بها تحويل هذه المدارس إلى أداة تغيير وتنمية للمجتمعات والبيئات التى تقع فيها .

فعندما تحرم جماعات غير محظوظة من الحد الأدنى من الخدمات الاجتماعية الأساسية ، وعندما تكون عاجزة عن أن تضمن لنفسها الحد الأدنى من الحاجات الضرورية لبقائها ولصون كرامتها ككائنات بشرية ، فإن كل خدمة عامة لا تستجيب لمقتضيات البقاء والكرامة تلك ، تكون فى نظر هذه الجماعات عديمة الفائدة . وفى حالات الفاقة والعوز القصوى ، يتعين على المؤسسة التعليمية أن تعنى بالصحة والمأوى والانتاج الغذائى والتغذية وبناء الطرق وصيانة البيئة فى المجتمع الذى تقع فيه .

وليس بوسع المدرسة بالطبع أن تجد حلا لجميع هذه المشكلات ، ولكنها لا تستطيع كذلك أن تهمل هذه المشاغل الحيوية فى الوقت الذى تدعى فيه لعب دور مهم فى حياة السكان الذين يفترض انها تخدمهم . ورب قائل إنه يكفى

المدرسة ما تضطلع به من وظائف تربوية تثقل كاهلها ، وإنه لا ينبغى أن نفرض عليها وعلى العاملين فيها مهام إضافية . ومن البديهى أن المدرسة يجب الا تتخلى عن أن تكون مكانا للتعليم والتعلم بحجة اهتمامها بمشكلات المجتمع الصحية أو الغذائية . على أن التجربة قد دلت على أنها تصيب نجاحا اكبر فى مهماتها التعليمية بالمعنى الضيق للكلمة ، عندما يولى المجتمع المدرسى - ونعنى التلاميذ والمعلمين والآباء مجتمعين - المشكلات الحرجة للمجتمع قدرا اكبر من اهتمامه .

إن تحويل المدرسة التقليدية إلى مركز تعلم للمجتمع إنما يدلل على الجهود التى تبذل من أجل ربط التربية بالاهتمامات المجتمعية ربطا مباشرا فالمركز يمثل البنية الاساسية للوفاء بمختلف احتياجات المجتمع التعليمية ، اضافة الى توفير تعليم نظامى للاطفال ثم أن فى وسعه أن يقوم بنشاطات فى مجالات تعليم الكبار والتربية الصحية والغذائية والارشاد الزراعى والتدريب على بعض المهارات الفنية المفيدة وتنظيم مناقشات حول موضوعات سياسية ومدنية .

تكافؤ الفرص

وفى نظامنا التربوى نجد أن التعليم النظامى يدعى إتاحة الفرص المتكافئة امام جميع المواطنين للتنافس من أجل الوصول إلى الثروة والمكانة الاجتماعية اللتين بامكان النجاح المدرسى اوالجامعى توفيرهما ومن المفترض أن يكون بوسع أى مواطن بلوغ ذلك ،لأن الاكثر كدا واقتدارا واستحقاقا هم الذين ينبغى أن يجنوا ثمار النجاح ، فهذه هى الرسالة .

ويزعم النظام انه منصف لانه مفتوح للجميع فى شروط تنافسية متكافئة منذ المدرسة الابتدائية ، لكن هل الشروط متساوية حقا ؟ لا يصح الكلام عن تكافؤ الفرص إلا إذا انطلق الجميع من نفس الأوضاع المواتية أو المعوقة . لكن التغير الحادث المتسارع يؤدى فى كثير من الأحوال إلى التفاوت الكبير بين الناس فى مختلف الظروف المعيشية . ومن هنا نشهد ظروفا تعيق تحقيق تكافؤ الفرص بمعناه الحقيقى ، ذلك التكافؤ الذى لا يقف به عند حد فتح ابواب القبول امام الجميع بالتساوى ، فليس لأولاد الفقراء نفس الفرص للاستعانة بالدروس الخصوصية التى تهيىء لهم [illegible] متكافئة مع أندادهم من الاغنياء . [illegible] أبناء المدن الذين يعيشون فى منازل مكتظة بالسكان لا يملكون ، من اجل الدرس والتفكير ، نفس المدى ولا نفس الهدوء المتوافرين للأولاد الساكنين فى المنازل الرحبة فى المناطق الارستقراطية .

وبعد ..
فمازالت هناك متغيرات وتحديات أخرى كثيرة امام التعليم لابد من مواجهتها ، نأمل أن تتاح الفرصة لمواصلة الكتابة عنها ..



القنبلة التي ستدمر نيويورك قبل الانتخابات

المستقبل

أدب المستقبل بين الخيال والاستقراء العلمي

بقلم : محمود قاسم

اعتبرت الأوساط العالمية ان عام ١٩٨٤ هو عام الكاتب البريطاني جورج اورويل . وقد احتفت به هذه الأوساط في جميع المجالات ليست الأدبية وحدها . بل السياسية والاجتماعية والعلمية ورغم ان اورويل ليس الوحيد وليس الاول الذى تصور مايمكن ان يحدث في هذا العام منذ سنوات بعيدة وما يمكن أن يحدث فيه من سيادة الشمولية والديكتاتورية في حياتنا اليومية . الا انه كان أسعدهم جميعا فلقى كل هذا الاحتفاء . وتنتمى رواية اورويل الى نوع من الأدب يسمي بالخيال السياسي هو أقل معرفة في عالمنا العربي . ومن هذا النوع من الادب أيضا وحول عامنا الجديد الذى يشرق علينا اليوم - ١٩٨٥ - كتب الروائي الانجليزى المعروف انتونى بيرجيس رواية تحمل نفس الاسم . ولأن المسألة تتعلق بالحظ . فان احدا لم ينتبه الى رواية بيرجيس التى نشرها منذ ثماني سنوات . ولم يكتب أحد عنها كلون من ادب التحذير لما يمكن ان يحدث في المستقبل سواء القريب او البعيد . واذا كانت رواية اورويل قد صورت الشكل السياسي للعالم كله في ابريل من عام ١٩٨٤ . فان رواية بيرجيس تصور الصراعات السياسية والاجتماعية التى يمكن ان تحدث في بلاده مع مطلع عام ١٩٨٥ .

وبيرجيس الذى تنبأ بسيادة العنف في المستقبل من خلال رواياته مثل « البرتقالة الالية » و « قوى الظلام » و « ١٩٨٥ » فإنه في هذه الرواية يصور العام الجديد وقد سادت فيه نفس الديكتاتورية التى رأيناها في رواية اورويل . ولعل الكاتب قد شهد في الأشهر الأخيرة ثمرة لتخيله من خلال ما حدث في فندق أقيمت به رئيسة وزراء بريطانيا . فنحن أمام ديكتاتور عصرى يدعى بيف . لعله صورة جديدة من زعيم العمال السابق بيفان . انه يعيش في عصر ملك يدعى شارل الثالث . هذا البيف يسعى الى السيطرة على الحكم كى يسن لنفسه كل القوانين التى تسود المملكة الفوضى والاغتصابات في شوارعها . ويفقد بيف امرأته بعد أن أصيبت في حريق في احدى المستشفيات . كان عمال المطافىء في أجازة حين احترقت زوجته . وهذه التجربة تدفع الشاب أن ينضم الى مجموعة من الشباب المتشردين الذين يعيشون على هامش المجتمع العبثى ويمارسون الاغتصابات والقتل ويسيلون الدماء . ويقضون أوقات فراغهم في تعليم اللغة اليونانية . ويتزعم بيف هذه العصابة .

هذا هو ما صوره بيرجيس لصورة من عالمنا الجديد . ورغم أنه من الواضح ان هذا



يمكن ان يتحقق فى المستقبل القريب وخاصة فى دولة مثل انجلترا رغم أنه لم تتحقق رؤية اورويل حول عام ١٩٨٤ . الا ان الكاتب يظل دائما هو ضمير العالم ومنذرا للعلماء الذين يصــوغــون المستقبــل فى معــامــلاتهم ومختبراتهم .. يصور لهم ما يمكن ان يكون عليه هذا المستقبل من صور خراب اذا انتجت هذه المعامل ما يمكن ان يدمر الانسان والبشرية . والتنبوء بالمستقبل . وبما ان اكثر هذه الموضوعات التى تشغل هم الكاتب فى ما يمكن ان يؤدى اليه تفجير احدى القنابل النووية فوق مدينة كبرى مثل نيويورك او موسكو . بعض الادباء يسمون هذا التفجير بيوم القيامة . والبعض الآخر يسمونه بنهاية العالم . وكل منهم ينظر الى هذا اليوم وما يليه بمنظور عشيرته . فالكاتب الامريكى اليهودى برنارد مالامود يتصور من خلال روايته « فضل الله » . انه بعد نهاية العالم سوف يبقى رجل يهودى واحد كى يعلم مجموعة من القردة الطيبين التعاليم اليهودية التى تحل مكان البشر ، والكاتب الفرنسى بيير بول قد تخيل ـ قبله ـ ان باريس سوف تصبح بعد هذا اليوم كوكبا للقردة . أما الكاتبان الامريكيان و . ستريرج وج . كوننكافقد طافا بشوارع مدينتهما نيويورك يتخيلان ما يمكن أن يحدث للمدينة حين تنفجر فوقها احدى القنابل النووية الروسية .

إذا كتب عالم تصوره لهذا اليوم فسوف يجىء تقريره جامدا جافا . لكن الكاتب دائما يكسب تصوره وخياله السمات الانسانية الكبرى . ومن هنا جاءت اهمية الرواية التى تحقق الآن اكبر المبيعات فى الولايات المتحدة وفرنسا بعد ترجمتها الى اللغة الفرنسية التى نقدمها اليوم .

الرواية اسمها « يوم الحرب » . أو كما جاء فى ترجمتها الفرنسية « يوم القنبلة » . ويختار الكاتبان يوما حساسا للغاية لهذا اليوم . انه بالضبط ظهيرة يوم الثامن والعشرين من اكتوبر عام ١٩٨٨ . وفى هذا اليوم تكون الولايات المتحدة تنتظر انتخاب رئيسها الجديد الغير معروف الآن . بعد أن تنتهى تماما ولاية الرئيس الحالى رونالد ريجان . فمن المعروف ان انتخاب الرئيس الجديد سوف يتم فى الاسبوع الاول من نوفمبر هذا العام فى هذا اليوم ـ ومن خلال الراوى ـ تدمر احدى القنابل الجزء الغالب من مدينة نيويورك . بناطحات سحبها وشوارعها الضخمة . وأبنيتها العالية . الراوى هنا رجل تجاوز الأربعين من عمره مثل بطل رواية « كوكب القردة » . لبول . ليس عالما فى الفضاء . وليس بطلا امريكيا مثلا يصور لنا هذا النوع من الروايات . انه رجل نيويوركى عادى بسيط . رب أسرة له زوجة وأبناء .

يبدأ حكايته بعد هذا الحادث بعام ونصف تقريبا . فى عام ١٩٩٠ . يتذكر يوم القنبلة .





ادب المستقبل

المستقبل

يتحدث عن حياته . وتدور الفصول الأولى من الرواية فى هذا اليوم . يصف بكل دقة ماذا حدث فيه . المدينة . والناس . « كنت اعيش فى نيويورك . اعيش فى كل انحائها واقضى اسبابى . لكننى رأيتهم يموتون هناك . ربما جعلنى ما حدث اشعر أننى مدان . ربما لأننى احبها اكثر من مدينتى التى نزحت منها . سان انطونيو . لقد ازيلت المدينة من فوق الوجود . واختفت معالمها عن الانظار . كيف اختفت المدينة التى نشأت فيها ؟ » .

«كان يستقل اوتوبيسا . يرقب المدينة وبناءها . ومن ورائه كان يسير اوتوبيس أخر أصفر اللون . من طراز جنرال موتورز عليه زجاج مصبوغ . وفجأة اصطبغ بألوان غريبة . وأن الظلام فجأة قد علا سماء المدينة . اختفت الرياح . وحل محلها ارتطام الزجاج فى كل مكان . تتكسر من الناطحات وتتساقط أمامه . يرتفع الانين فى الشوارع . تسود الجثث . يهرول من السيارة .. يرى السحب الســوداء كثيفـة . ثقيلة . الجو كله أسود . « تصورت أن هناك هجوما ارهابيا أو انفجارا كهربيا . وليست قنبلة نووية قد انفجرت » .

نحن اذن امام رواية تمتزج بين عدة انواع شهدتها الرواية فى السنوات الأخيرة . فهى تجمع بين الخيال السياسى تارة ورواية الكوارث التى انتشرت فى السبعينات من ناحية اخرى . وقبل أن نستطرد فى الحديث عما أصاب نيويورك فان رواية الكوارث تصف لنا بدقة المكان الذى تحدث فيه الكارثة . ويتعاطف القارىء معه ومع الاشخاص الذين يعيشون فيه . ثم تحدث الكارثة . وبعدها يعانى الباقون على قيد الحياة منها . ويعيشون على اطلالها . الكارثة هنا هى انفجار قنبلة . والسبب سياسى بلا شك . فقد استطاع الاتحاد السوفييتى ـ كما تصور الكاتب أن ينتهز فرصة انشغال البلاد بانتخاب الرئيس الجديد واختراع قنبلة لا يمكن لأجهزة الدفاع الجوى الامريكى أن تكتشفها .

والراوى يحب المدينة كثيرا . أنها تنتمى اليه . فالى احدى مدارسها يذهب ابنه ليتعلم . وهناك فى الطابق الثامن والعشرين من احدى ناطحات السحاب يفتح أخوه مكتبا للمحاماة . لقد تهدمت الناطحة . وسقط أخوه ميتا . يتخيله يتحدث فى الهاتف ثم فجأة تحدث الكارثة . يختفى مثلما اختفى الكثيرون . ويتساءل : ترى هل مات محترقا ؟ . هل مات فى المصعد ؟. أم مختنقا فى جراج أسفل العمارة ؟.

« كانت أمى تفكر فى حياة سهلة لنا . بدت لى انها لايمكن أن تتخيل ان يموت أولادها فى حادث كهذا » . ويقول : « فى يوم القنبلة حاولت أن اخابر أختى فى مدينة هيوستون . كى اهنئها ببلوغها سن الأربعين . لكن الهاتف لم يرد » .

يسرع الرجل بعد الحادث الى المدرسة كى يفاجأ أن الكثير من التلاميذ قد ماتوا . لقد قتلت القنبلة ثلاثة ملايين شخص . انها كارثة أبشع من نجازاكى وهيروشيما التى ارتكبها الامريكيون أنفسهم . الشىء الوحيد الباقى على حال طيب هو جزيرة مانهاتن التى ينتقل اليها البطل ويروى ما حدث بعد عام ونصف من الكارثة .

فى عام ١٩٩٠ . وفى سيارة كاميون كبيرة ينتقل الراوى الى نيويورك من مدينة مانهاتن . ويفكر أن البيروقراطية فى اتخاذ القرار الامريكى هى التى منعت من التصدى

للكارثة . فالمدينة يملؤها الجنود وهناك فرق الاصلاح التى تحاول اعادة وجه الحياة الى المدينة مرة أخرى كى يقوم بتسجيل ما حاق بها فى كتاب ينوى كتابته . لكنه يواجه بغباء من الجنود الذين يتعسفون وهم يطلبون منه بطاقة الهوية .. وكان هذا ليس سوى الهم الاكبر لمثل هذه الوظيفة ؛ ويدفع به الجنود الى امرأة حسناء تعمل مرشدة تقوم بارشاده الى المدينة التى أصبحت هيكلا غريبا عليه لقد أصبحت خرابا تتجول الفئران فى الطرقات . وتملأ الكلاب نوادى الديسكو . يقول أن الأمريكيين لو تنبهوا الى ما كان يقدمه الأدباء والفنانون لمثل هذا اليوم ما كانت الكارثة قد وقعت . وان الممثل بول نيومان قد قدم فيلما بعنوان « محاكمة الانسان » عام ١٩٨٦ يحذر من كارثة مماثلة وأن افيشات الفيلم لاتزال موجودة فى شوارع نيويورك .

والمرشدة جينى بل هى أحدى المسئولات عن اعادة التعمير لأحد قطاعات المدينة . هى امرأة جادة عرفت الحزن والألم بعد سنوات السعادة والمرح . لذا اختفت الابتسامة من فوق شفتيها . وفى الفصول الأخيرة من الرواية .. وفى رحلة سياحية مضادة فى المدينة المحترقة تروى له حكايتها من خلال المدينة وشوارعها تقول له انها تحاول منذ عام ١٩٨٩ اعادة بناء مدينة نيويورك . ثم تقسيم المدينة الى عدة اقسام وتولى فريق اعادة وجه الحياة الى هذا القسم . لقد اختفت الاشعة المميتة .. وهاهم يبدءون . ففى خلال الجزء الاخير من عام ١٩٨٨ والجزء الاول من عام ١٩٨٩ وبعد الكارثة سادت البلاد مجاعة شديدة . ولم تعد الاموال الطائلة المتكدسة فى البنوك الباقية مغلقة تفيد فى سد بطون الباقيين على قيد الحياة والذين مات اكثرهم . وتقول جينى بل أنها قد اضطرت أن تبيع أختها مقابل قطعة من الخبز .

ورغم تحمس النقاد والقراء لهذه الرواية . الا اننى أرى أن رواية « رجل الأمجا » التى قدمها ريتشارد ماتيسون منذ أكثر من خمسة عشر عاما حول الخراب الذى حل بنفس المدينة بعد انفجار نووى أيضا . هذه الرواية أكثر عمقا .. فالخراب الذى حل بمدينة نيويورك فى الرواية التى قدمناها اليوم هو مجرد رقم عن ثلاثة ملايين قتيل فى الكارثة . وأطلال مهدمة مثلما هدمت الولايات المتحدة الكثير من المدن بسياستها . الا ان رواية ماتيسون تصور نيويورك وقد أصبحت مدينة أشباح أشبه بخفافيش الليل .

الا أن ما اعجبنى فى الرواية فعلا هو ذلك التحذير الذى قام به بول نيومان فى فيلمه الذى يخرجه ويقوم ببطولته عام ١٩٨٦ . فالكاتب يحذر أنه قد أنذر من هذا اليوم وأن الندم لن ينفع فى ذلك اليوم . وربما أن سطرا واحدا من الرواية اكثر بلاغة من الرواية كلها .

الغريب ان الممثل بول نيومان قد أعلن فى الفترة الأخيرة أنه سيكون مرشح الرئاسة القوى فى السنوات القادمة ممثلا عن الحزب الديمقراطى ... !!!

جورج أورويل



المستقبل

عام ١٩٥٨ ومستقبل المقاهى والكرة والثرثرة

بقلم : حافظ محمود

احب ان اقول لأصدقائى القراء اننى منذ اول يناير سنة ١٩٨٠ وأنا أسائل نفسى : ماذا سيقول عنا نقاد . مابعد القرن العشرين .. وانا اسائل نفسى هذا السؤال كلما حلّت بنا بداية عام جديد ومنذ بداية سنة ١٩٨٠ الى ماتحن فيه الآن من بدايات سنة ١٩٨٥ لاأكاد اجد فارقاً كبيراً فى احوالنا وارجو ان يكون واضحاً اننى لااتكلم هنا فى السياسة انما انا أتكلم فى حياتنا اليومية العادية التى لاسياسة فيها على الأطلاق . وهذا مايجعلنى كلّما حلت بنا بداية عام جديد ارفع اكف الضراعة الى الله تعالى ان يجعله عاماً سعيداً لك ولى وللمواطنين ، وللناس جميعاً ، وان كان هذا يبدو شيئاً غير يسير الاّ انه على الله غير عسير.

ثم ماذا

ثم تتجه خواطرى الى مابعد سنة ٢٠٠٠ . فاذا بى أجد فى هذه الخواطر اشفاقاً علينا ممن سيأتون من بعدنا ، وأنا استخدم كلمة « اشفاق » من باب الذوق واللياقة بدلاً من ان اقول انهم سوف يسخرون من بعض اهتماماتنا .. وفى مقدمة هذه الاهتمامات ثلاثة أشياء يبدو الاهتمام الزائد بها شيئا عجيبا حقا ... وهذه الأشياء الثلاثة هى : المقاهى والكرة والأشعار التى لاتنتمى الى اصالة الشعر الحقيقى بأية صلة !

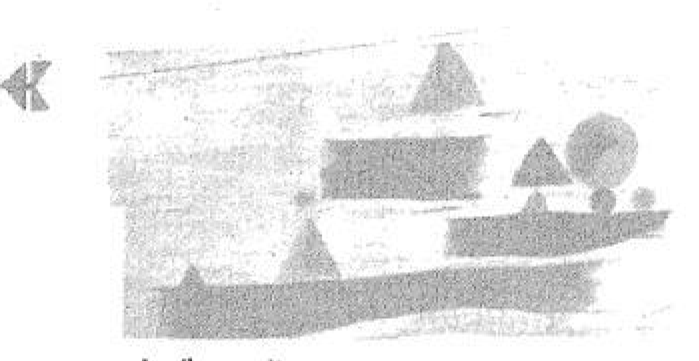
متحف للمقاهى

اننى اتخيل أن أبناء القرون المقبلة بدءاً بالقرن الواحد والعشرين سيفكرون فى انشاء متحف للمقاهى يحتفظون فيه ببعض أدوات التدخين والعاب النرد . ثم يضعون الى جانب هذه الادوات كراسة يسجلون فيها كيف أن بضعة ملايين من البشر قد اضاعوا نصف أعمارهم فى هذه المقاهى . . ثم يتساءلون : ألم تكن للوقت عند هؤلاء أية قيمة ؟ .. ألم تكن لرواد المقاهى بيوت يأوون فيها الى زوجاتهم وبنيهم ليرعوا شئونهم و.. ألم تكن لديهم انشطة أخرى من أى نوع كانت كالعبادة أو الالعاب الرياضية أو مصاحبة الكتب وقراءتها ؟ !

ماذا أخذ انسان المقاهى وماذا أعطى ؟ لاشيء .... !

شعر وثرثرة !

ولعل من طرائف متحف المقاهى الذى سيقيمه اولادنا أو أحفادنا انهم سيجدون فيه بعض أواصر الصلات بالشعر والشعراء والمتشاعرين سيجدون أن بعض المتسكعين من أدعياء الشعر كانوا يسعون الى المقاهى ليخالطوا بعض الشعراء الحقيقيين ، بل



لوحات المستقبل بريشة الفنان مصطفى عبد المعطى

سيجدون فى بعض ادعياء الشعر من كان المقهى هو منزله الوحيد !

ولعلهم سيرون عنا أننا عاصرنا ناساً يرص بعضهم الكلمات رصاً ثم يقول انه الشعر وما هو بشعر الا اذا امكن أن يكون الهواء شعراً .... واقسى من ذلك انهم سيقولون عنا اننا لم نستطع أن ندخل على مضمون الشعر واغراضه شيئاً جديداً منذ عهد امرىء القيس الى نهاية القرن العشرين الا هروب البعض من الوزن والقافية، وتسمية بعض المنثورات اشعاراً ! !

سيقولون عن الثلث الأخير من القرن العشرين انه العصر الذى كثر فيه المتشاعرون فلم يعودوا آحاداً ولا عشرات بل صاروا مئات لا يستمع اليهم احد ولا يقرؤهم أحد فكانوا هم ناظمى الشعر وقرائه ليس غير !

ثم يقولون عن جيلنا انه الجيل الذى لم يكن فيه للمتشاعرين حديث الا حديث العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة يسمونها « الحب » وما هى من الحب فى شىء الا من الناحية الفريزية وحدها ....سيقولون ان هذه المرحلة كانت المرحلة التى يستطيع فيها أى طالب ثانوية او اعدادية ان يكون كلاماً يسميه شعراً وأن يجد صحفاً تنشره له او اذاعة تذيعه على الناس، والناس لايقرءون ولايسمعون هذه المراهقات .. لكن المسئولين عن النشر والاذاعة اذا امتنعوا عن نشر أو اذاعة هذه المراهقات قامت ضجة ليس كمثلها ضجة، بحجة ان كبار الصحفيين والأدباء لايشجعون « البراعم » . بل وقد ذهب بعضهم الى الادعاء بان الكبار يغارون منهم فيسدوا الطريق امامهم !

هل سمعت بهراء مثل هذا الهراء من قبل ؟ !

ولعل ماهو اشد سخرية أن هذا الهراء الذى أضر ويضر نشره واذاعته بالشعراء الحقيقيين ان هذا النشر يكلف الصحف ورقاً وحبراً ونفقات طباعة أو اذاعة لأشياء لاتفيد الناس لافكراً ولاجمالاً ولا عملاً

فهل هذا معقول ؟ !

انهم فى القرون المقبلة بدءاً بالقرن الحادى والعشرين سيتساءلون : لماذا قبلنا على انتشار هذه الثرثرة كلها ؟ . بل ولماذا كنا نضيع الوقت فى هذه الثرثرة . بل ولماذا كنا نشجع أصحاب هذه الثرثرة ؟ !

انه سؤال سيقول فيه نقاد المستقبل ان جوابه سيفسر لماذا كان الكثير من جهودنا تصاحبه خيبة الأمل .



عام ١٩٥٨

المستقبل

جنون الكرة

ثم ينتقل الذين سيحلّلون مراحل الماضى ـ باعتبار ماسيكون فى المستقبل ـ فيجدون الى جانب الذين اضاعوا حياتهم هباء فى المقاهى والذين غرروا بانفسهم باسم الشعر الزائف ـ سيجدون الى جانب هؤلاء وهؤلاء ملايين الناس الذين استعبدوا انفسهم لكرة القدم !

وربما كانت لعبة الكرة ذات تاريخ قديم عظيم كالشعر، لكن الكلام عنا سيدور فى القرون المقبلة عن بعض مهازل هذه اللعبة .. سيقولون عنا ساخرين اننا كنا نترك اعمالنا احياناً وصلواتنا احياناً لكى نتابع مباراة فى الكرة . وأن اى تجمع فى عصرنا مهما بلغت قيمته لايمكن ان يقاس بنصف اى تجمع لمشاهدة الكرة ... !

سيقولون اننا كنا نهمل فى العمل والدراسة لكى نرى مباريات هذه اللعبة ، واننا لم نكن نكتفى بمشاهدتها على الشاشة الصغيرة ، بل كنا نفضل الذهاب الى الملعب لنكون اقرب ماتكون من اللاعبين بحجة اننا نشجعهم . مع ان تحركات النظارة فى مقاعد النظارة بالملاعب تدل على انهم لم يكونوا يذهبون الى هناك لتشجيع أحد . بل ليفرزوا ما فى انفسهم من رواسب الخروج على الهدوء والسكينة والذوق العام وسيضربون الامثال بالشيخ المسن الذي يقف فوق مقعده راقصاً لأن الفريق الذى يحبه قد أصاب هدفاً وبالجزار الذى ينبح خروفاً ويوزعه على الناس بالمجان اذا فاز فريقه فى المباراة مع انه هو هو الذى يبيع للناس قطعة اللحم بثلاثة امثال ثمنها ! !

وسيضحكون مناوهم يصفون كيف كانت تخلو دور الاعمال من المسئولين فيها بمجرد بداية المباريات . وكيف كان الناس يتشاجرون بعضهم مع بعض عندما يجرى بينهم حوار حول انديتهم المفضلة أو حول نجوم اللعبة المفضلين عند هذا أوذاك ! !

انهم سيقدمون للتاريخ احصاء بملايين الجنيهات التى تنفق على الكرة وملاعبها ولاعبيها فى عصر كنا فيه نبحث فى حسابات ديوننا عما يخفف هذه الديون ! !

ثم يتساءلون : لماذا هذا كله ؟ !

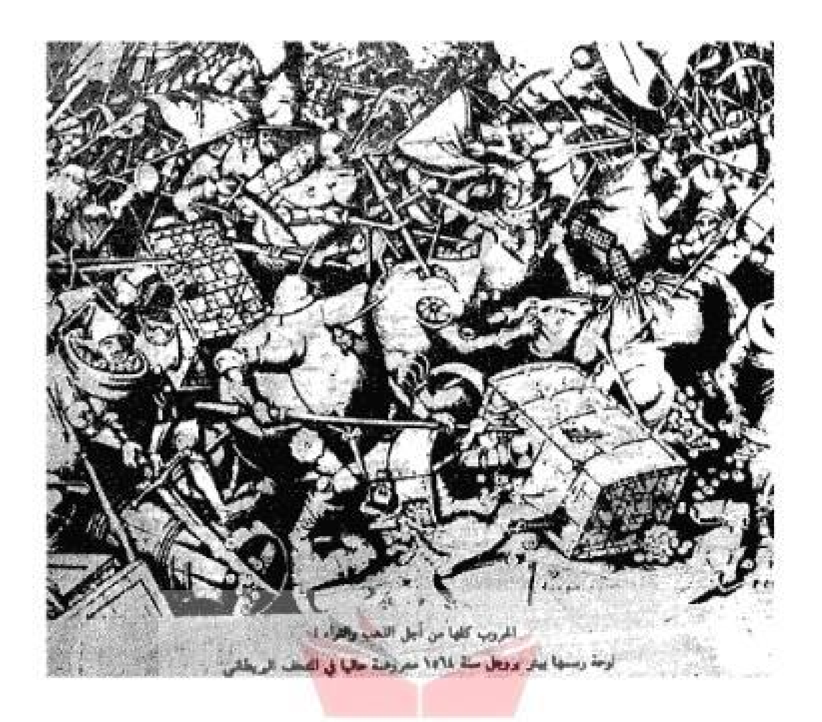
مرض الغيبوبة الاجتماعية

انهم سيجيبون عن هذا السؤال بأن الأجيال السابقة ـ باعتبار ماسيكون ـ قد تعرضت لامراض نفسية جماعية جعلت بعض الناس يجدون فى الهزل ويهزلون فى الجد ومن هذه الأمراض مرض الرغبة فى الغيبوبة عن الواقع . فأولئك الذين يضيعون اوقاتهم فى المقاهى وأولئك الذين يضيعون عمرهم فى التشاعر بما ليس شعراً حقيقياً ، وأولئك الذين ينفقون ما عندهم من وقت ومال على مشاهدات كرة القدم ـ أولئك جميعاً قوم يضمرون العيش اكبر وقت ممكن بعيداً عن الحقيقة فالرجل فى المقهى وهو يسامر صاحبه أو يداعبه من خلال لعبة النرد ودخان النرجيلة ، إنه هارب من الواقع ، بل هارب من نفسه ، ومثل ذلك الذى يتحمس للعبة لاهو لاعبها وليس ولده من ابطالها ولاهو يفهم فيها شيئا اكثر من ضجة مجنونة بكلمة « جون » ! !

انهم سيقولون عن جيلنا انه كان جيلاً لايخلو بعضه من جنون نوعى اسمه جنون الكرة .... وكما ان صاحب اية عاهة يألف عاهته ويخاف الحرمان فجأة منها رغم انها عاهة ـ كذلك كان الناس فى الثلث الاخير من القرن العشرين مجانين كرة وهم لايشعرون !

●●●

ان بعض علماء النفس يقولون ان الانسان



الحروب كلها من أجل الذهب والثراء !
لوحة رسمها بيتر بروجل سنة ١٥٦٤ موجودة حاليا في المتحف البريطاني

السوى بحاجة الى جرعة خفيفة من الجنون لكى يعيش مع الناس كما يعيش الناس . لكن حينما تصل هذه الجرعة الى درجة تغليب هذه الأشياء الثلاثة على غيرها من المعقولات فان جرعة الجنون هنا تشبه بعض جرعات السفه

ان وجود مقاهى على صورة أندية لقضاء ساعة من الزمن مع الصحاب شيء لابأس به ، ووجود لعبة تشد انتباه الجماهير وتنشط وجداناتهم شيء لابأس به ، وان وجود متشاعرين يحاولون ان يكونوا شعراء شيء لابأس به ... لكن الذى فيه كل البأس واليأس هو أن تحول المقاهى الى منازل ، وان تتحول لعبة الكرة الى قضية قومية وان يتحول سقط المتاع من الأشعار الى مزاعم نهضة ـ فتلك مصيبة كبرى نرجو ان نعالجها قبل ان تصدر الأجيال المقبلة أقسى الأحكام علينا نتيجة لمهازل هذه القضية ...

● ● ●

اننى أرجو ـ وأنا أهنئكم بالعام الجديد ، عام ١٩٨٥ ـ ان تفكروا معى كيف تعالج هذه الأدواء فى عامنا الجديد .

انه ليس كثيراً ان نجعل من عام ١٩٨٥ عام الانقلاب على هذه العاهات الاجتماعية لرد ما فى نفوسنا ومجتمعنا من ألعناصر الطيبة الى اصولهاالجذرية حتى نحسن فينا أراء الذين يأتون بعدنا ، بل حتى نحسن نحن مساراتنا العامة منذ الآن على طريق المستقبل الأفضل .

مستقبل الصناعة الوطنية :

الأثرياء والفقراء في فم الغرباء ..!



بقلم الدكتور : جلال أمين

منذ ان شاع الاخذ بسياسة الانفتاح الاقتصادى مع بداية السبعينات ، وتبنتها دولة بعد اخرى من دول العالم الثالث ، شاع من جديد الحديث عن مزايا حرية الاستيراد وفتح ابواب المنافسة بين الصناعة الوطنية والصناعات المتقدمة

● فهذه المنافسة ، فى رأى الداعين إلى إطلاق حرية الاستيراد ، تخلق الحافز إلى تخفيض نفقات الانتاج والارتفاع بمستوى الجودة ، وتحقق مصلحة المستهلك إذ توفر له السلعة الافضل بسعر أقل ، وتدفع الدولة الى التخصيص فيما هى بطبيعتها مؤهلة له . فحتى لو ادت حرية الاستيراد إلى اغلاق بعض الصناعات الوطنية ، فليس هذا الا دليلا ، فى رأيهم ، على انها صناعات غير صالحة للبقاء ، وسوف يؤدى إغلاقها إلى أن تتجه الموارد إلى تلك الفروع التى تتمتع فيها الدولة بمزايا نسبية حقيقية .

هذه الحجج الثلاث التى تقدم عادة للدفاع عن حرية الاستيراد ، حجج قديمة جدا يعود أصلها إلى ما يزيد على مائتى عام ، فمنذ أن قال بها آدم سميث فى كتابه الشهير . والردود التى وجهت إليها هى أيضا ردود قديمة للغاية ، تقترن عادة باسم الاقتصادى الالمانى « ليست » الذى رفع شعار الحماية منذ نحو ١٥٠ عاما .

هذه الردود هى بدورها معروفة ومشهورة ، فكلنا يعرف مثلا أن المنافسة تكون ظالمة إذا كانت بين صناعة مكتملة النمو وصناعة ناشئة ، وأن الصناعة الناشئة كالطفل يجب حمايتها حتى تقف على قدميها ، وان كل الدول الصناعية لم تنم صناعتها فى البداية الا فى ظل الحماية ، ومازالت تستخدمها حتى الان كلما هددت المنافسة مصالح اقتصادية أو

اجتماعية ذات صوت مسموع ، وانه لاضرر من أن يضحى المستهلك لفترة ما فى سبيل أن يجنى ثمار نمو صناعته الوطنية فى النهاية .. الخ .

الدفاع عن حرية الاستيراد وعن الحماية هو إذن كلام قديم ومألوف ولن أعود إلى ترديده . وإنما الذى اريد أن الفت إليه النظر فى هذا المقال أن قضيتى المنافسة والحماية تثيران قضايا جديدة فى عالمنا المعاصر لم يكن دعاة الحرية او المنافسة الاوائل فى ظروف تسمح لهم بالاهتمام بها .

إزدواجية الاقتصاد ..

والذى أعنيه على الأخص ان القضية الآن لم تعد هى مجرد أن صناعة متقدمة تغزو صناعة وليدة او ناشئة ، فالخطر لم يعد كما كان أيام « ليست » ، يتمثل فى ان المنسوجات البريطانية المتقدمة تعطل نمو صناعة المنسوجات الألمانية ، بل أصبحت التعبئة فى الأساس هى أن منتجات دول ذات اقتصاد متجانس وموحد تغزو اقتصادا منقسما على نفسه أو اقتصادا مزدوجا ، وهى قضية ماكانت لتدور بخلد آدم سميث ولا بخلد ليست عندما كان الأول يدافع عن حرية المنافسة والاخر يدافع عن الحماية .

المشكلة الاساسية الآن ، هى أن اقتصادا كالاقتصاد المصرى ، بل واقتصاد كل دولة تقريبا من دول العالم الثالث ، هو اقتصاد مزدوج بكل معانى الكلمة . والسوق المصرية ليست سوقا واحدة متجانسة ، بل هى سوق منقسمة على نفسها بسبب الفجوة الهائلة التى تفصل بين مستويات الدخول وانماط الاستهلاك .

نحن الان بصدد دولة يحصل فيها نحو ٢٠ ٪ من السكان على ٤٠ ٪ أو ٥٠ ٪ من إجمالي الدخل بينما تحصل ال ٨٠ ٪ الباقية من السكان على ٦٠ ٪ أو ٥٠ ٪ من الدخل . إنى لا أعلق أهمية خاصة على دقة هذه الارقام وإنما على واقع الانقسام والازدواجية ، ليس على الحجم الدقيق للفجوة وإنما فقط على ضخامتها بالمقارنة الصناعية المتقدمة . حينما تبدأ دولة كهذه فى التصنيع فإن العقبة الأساسية التي تواجهها هى أن نسبة ال ٨٠ ٪ من السكان ذات قوة شرائية ضعيفة لدرجة تجعلها عاجزة عن تزويد الصناعة الجديدة بالسوق اللازمة لتصريف منتجاتها ، بينما نجد أن نسبة ال ٢٠ ٪ من السكان الواقعة فى أعلى السلم ، لاتقوم هى أيضا بتزويد الصناعة الجديدة بالسوق المطلوبة لقلة عدد أفرادها من ناحية (رغم ارتفاع دخولها) ولانها تنفق نسبة عالية من دخولها على المنتجات المستوردة .

حينما تأخذ دولة كهذه بنظام الحماية ، كما فعلت مصر فى الستينات فإنها تستهدف بذلك فى الأساس ضم القوة الشرائية لفئات الدخول العليا إلى القوة الشرائية التى تمثلها ال ٨٠ ٪ الدنيا من السكان بحيث تتكون سوق كافية لاستيعاب منتجات الصناعة الجديدة .

هذه الحماية لاتؤدى إلى تدهور نوع المنتجات أو تخفيض مستوى الجودة بل فى الواقع ترفعها . فهى تسمح للصناعات الجديدة بتطبيق أساليب «متقدمة» فى الانتاج تتفق مع ازدياد سعة السوق ، كما تسمح لها بالافادة من الاستجابة ، ولو بدرجة محدودة ،لأذواق الفئة عالية الدخل التى انضمت الى جمهور المستهلكين







لايستطيع احد ان ينكر مثلا أن الصناعة المصرية فى الستينات ، إذا قورنت بالاربعينات ومطلع الخمسينات قد ارتفعت نوعية الانتاج فى الأقمشة اوالثلاجات أو الأثاث أو الأدوات المنزلية .. الخ

ما وحدته الحماية تفرقه المنافسة

الذى يحدث عندما تتخلى مثل هذه الدولة عن الحماية ، كما حدث لمصر مثلا فى السبعينات ، وتفتح الابواب للاستيراد والاستثمار الأجنبى ؟ الذى يقال عادة هو ان المنتجات الاجنبية ، سواء كانت مستوردة او تنتجها شركات اجنبية فى الداخل ، تغزو سوق هذه الدولة . على ان هذا لايعبر بدقة عما يحدث . فالذى يحدث هو أن هذه المنتجات الأجنبية تغزو فقط ذلك الجزء من السوق الذى تمثله العشرين او الثلاثين فى المائة العليا من السكان سبب ذلك هو أن هذه الشركات الأجنبية ، المصدرة للسلع أو المنتجة لها داخل حدودنا ، قد بلغت مرحلة من النمو فى بلادها ، من حيث اساليب الانتاج ، ونوع السلع المنتجة ونوع العمل المستخدم ومستوى التنظيم والادارة ، يجعلها غير مؤهلة للاستجابة لحاجات فقراء الناس . إنما تنتج هذه الشركات لتلك الشريحة العليا من السكان الذى يسمح لها مستوى دخلها وأذواقها باستهلاك تلك السلع (أو الاصناف) التى تتمتع فيها هذه الشركات بالتفوق الحقيقى .

على ان هذه الشركات من ناحية أخرى ، لاتنتج لنا وحدنا ، فسوقنا لا يشكل فى الواقع الاجزاء صغيرا للغاية من إجمالى السوق الدولية التى تنتج لها . هذه الشركات . إذن تنتج لنحو ٢٠ ٪ من سكان مصر و ٢٠ ٪ من سكان الهند و ٢٠ ٪ من سكان البرازيل .. الخ بالاضافة إلى غالبية سكان الدول الصناعية نفسها . وهذه السوق البالغة الاتساع تسمح لها بتحقيق كافة المزايا المقترنة بالحجم الكبير . فى نفس الوقت تبقى الغالبية العظمى من سكان العالم الثالث خارج نطاق السوق الذى تنتج هذه الشركات الأجنبية من اجله .هذه الغالبية العظمى من السكان تتمتع فى الواقع .. بحماية طبيعية ، مصدرها انخفاض دخلها ، سواء فرضنا رسوما جمركية او لم نفرض ، منعنا الاستيراد او اجزناه .

ما الذى يمكن أن نتوقعه للصناعة الوطنية إذا فتحنا باب الاستيراد والاستثمار الأجنبى فى مثل هذه الظروف ؟ سوف يعود الانقسام من جديد ، وإذا بالسوق التى وحدتها الحماية تعود إلى الأنقسام بسبب المنافسة .

هناك قسم من الصناعة الوطنية سوف يحاول أن ينافس المنتجات الأجنبية على نفس شرائح الدخل العليا ، فيتحول إلى إنتاج سلع

تستجيب لمستويات دخولها وأذواقها ، ويستعير نفس التكنولوجيا المتقدمة وربما نفس اساليب الادارة الحديثة ، ولكنه يظل مواجها بعقبة اساسية ، وهى انه ينتج لسوق ، مهما كان ثراء المستهلكين فيها ، فإنها محدودة النطاق للغاية بالمقارنة بالسوق الدولية التى ينتج لها الأجنبى . وقدرته على تحمل الخسارة لفترة ما ، مهما طالت ، ستظل اقل من قدرة الأجنبى على تحملها بسبب ضخامة راسماله وقدرته على توزيع الخسارة على حجم لامتناه من الانتاج وعلى تعويض الخسارة فى سوق وبالربح فى سوق اخرى . ينتهى الأمر عادة بهذا الجزء من الصناعة إلى الاقتصار على مايتركه له الأجنبى من فروع الانتاج الأقل ربحية ، أو الأكثر اتصالا بالذوق الوطنى ، او الذى تمثل نفقات النقل فيه جزءا كبيرا من اجمالى النفقة ، أو الذى لايتحمل النقل لمسافات بعيدة لسرعة تلفه الخ وهو بهذا يتمتع ايضا بنوع من الحماية الطبيعية ، أو بما يشبه المركز الاحتكارى ، وهو يعوض ارتفاع نفقة انتاجه بسبب ضيق السوق برفع الاسعار . ولكن قد ينتهى الأمر ايضا بان ينضم هذا القسم من الصناعة الوطنية إلى تكوين مشروعات مشتركة مع الأجنبى ، فيفقد بذلك جزءا من طابعه الوطنى ولايجوز الكلام بعد ذلك بشانه عن " صناعة وطنية " .

القسم الآخر من الصناعة الوطنية الذى لايؤهله راس ماله ولامستوى المعرفة الفنية او الادارة المتوفرة له للانتاج لشرائح الدخل العليا ، ينتهى به الحال إلى احد موقفين : إما الانسحاب تماما من الانتاج وإغلاق ابوابه بسبب فقدانه لشريحة المستهلكين الأعلى دخلا ، او الانتاج لشرائح الدخل المنخفض وحدها ، التى تشكل اغلبية السكان حقا ولكنها تستطيع ان تستهلك إلا ابسط المنتجات واسوئها نوعا .

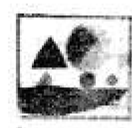
اين مصلحة المستهلك ؟

ماهو الضوء الذى يلقيه هذا التحليل على المزاعم التقليدية للداعين إلى فتح ابواب المنافسة ؟

يقولون ان المناسبة تخلق حافزا لتخفيض نفقات الانتاج والارتفاع بمستوى الجودة . وانا اقول ان العكس بالضبط هو الأقرب إلى الصحة .

فذلك الجزء من الصناعة الوطنية الذى حرم من الطلب الذى تاتى به شرائح الدخل العليا إذا لم يغلق ابوابه أصلا ، يتجه إلى انتاج اصناف اقل جودة ونفقات اعلى تترتب على تضييق سوقه ، كما تترتب على قيام الشركات الاجنبية فى الداخل بمنافسته على عناصر الانتاج من ارض وعمل وراس مال .

وذلك الجزء الذى استطاع البقاء واستمر فى الانتاج لذوى الدخل المرتفع ولم يتنازل عن استقلاله للادارة الاجنبية لن يطرق فى العادة الاتلك المجالات التى لاينافسه فيه الاجنبى . فاذا به يتمتع بحرية واسعة فى فرض مايراه من أسعار ، ويحفيه مايتمتع به من مركز شبه احتكارى من اى ضغط يدفعه الى رفع الانتاجية وتخفيض النفقات .



الأثرياء والفقراء في فم الفرباء..!

المستقبل

قد يقال ردا على ذلك : ماهو السر إذن فيما نلاحظه من تحسن حقيقي طرأ على بعض المنتجات المصرية خلال الخمس أو العشر سنوات الاخيرة ؟ اليس هو الانفتاح ؟

ألم تجد الصناعة المصرية نفسها مضطرة إلى الارتفاع بمستوى منتجاتها تحت ضغط المنافسة التي يتعرض لها من الواردات والمستثمر الاجنبي ؟

وردي على ذلك يتخلص في ثلاثة أمور :

الأول :أن كثيراً مما يسمى بالتحسن في المنتجات المصرية ليس في حقيقته الا استبدال سلعة بأخرى . اننا لسنا بصدد نفس السلعة تنتج لنفس المستهلك وعلى أعلى درجة من الجودة ، بل بصدد سلعة جديدة تماما تنتج لمستهلك من طبقة مختلفة تماما . ان مربة « فيتراك » مثلا ليست مجرد مربى على مستوى اعلى في مستوى مربى قها أو أدفينا ، بل هي سلعة جديدة تماما توجه إلى مستهلك مختلف تماما ذلك أن الاقتصادي عندما يتكلم عن زيادة الرفاهية بسبب تحسن نوع السلعة إنما يقصد بالطبع حصول نفس المستهلك على سلعة اكثر جودة ولا يمكن أن يقصد استبدال صنف تستهلكه شريحة اجتماعية مختلفة، ولم تكن قادرة على استهلاك الصنف الجديد .

والأمر الثاني : أن التحسن المزعوم في كثير من السلع لايزيد في كثير من الاحوال عن أن يكون تحسنا ظاهريا يخفي تدهورا في الصفات الاساسية للسلعة إننا مثلا نستبدل بعصير إدفينا الذي لم نشرب شيئا في مثل جودته ، ماء ملونا يباع لنا بأضعاف السعر ولكنه معبأ في أوراق أو علب ملونة بدورها ، نلقيها بعد لحظة في سلة المهملات . أو نستبدل بمطعم كان يبيع لنا غذاء حقيقيا مطاعم أو مقاهي تبيع لنا بأسعار خيالية أشياء تشبه الطعام وليست في الحقيقة كذلك وان كان يقدمه لنا شباب جامعيون يرتدون طراطير حمراء أو صفراء فوق رءوسهم .

بل ان كثيرا مما يسمى باقتباس فنون الانتاج أو اساليب الادارة الحديثة لايزيد في الحقيقة عن أن يكون إقتباسا لفنون و أساليب لخداع المستهلك هذه الاساليب تتراوح بين خداعه بطريقة التغليف أو التعليب ، مع تردي الطبيعة الحقيقية للسلعة في الداخل وتضليله عن حقيقة السلعة التي يشتريها ، وبين بيع خدمات وهمية لاوجود لها ، وإلا فليخبرني أحد عن التقدم الحقيقي الذي حدث في مستوى السجائر المصرية بعد فتح باب الاستيراد ، وعما تعلمته علبة الكليوباترا اللوكس أو السوبر ولم تكن تعرفه علبة البلمونت منذ عشرين عاما ، وعما تقدمه زجاجة " السفن أب " مما لم تكن تقدمه زجاجة " الاسباتس " منذ أربعين عاما ، وعما يقدمه القطار الجديد ذي الادارة الأجنبية من خدمات حقيقية لم تكن تقدمه إدارة السكك الحديدية المصرية منذ خمسين عاما ؟

والامر الثالث : التحسن الحقيقى الذى حدث فى بعض السلع كالمنسوجات أو الملابس الجاهزة مثلا ، لم يحدث بسبب المنافسة بل على الرغم منها ، بل وحدث لسبب لاعلاقة له بفتح ابواب الاستيراد امام السلع المنافسة . هذا السبب هو زيادة القوة الشرائية لشرائح واسعة من الشعب المصرى خلال السنوات العشر الماضية لاسباب مختلفة اهمها الهجرة إلى دول النفط . ويمكننى أن أزعم بكل ثقة بانه لو كانت نفس الزيادة فى الدخول قد اقترنت فى نفس الوقت بحماية حقيقية للصناعة لكانت الصناعة المصرية قد شهدت تقدما وازدهارا لم يسبق له مثيل ، إزدهارا يجلب للأذهان ، وان كان يفوق بكثير ، ماحدث للصناعة المصرية من ازدهار خلال سنوات الحرب العالمية الثانية حينما تمتعت الصناعة بحماية اجبارية بسبب الحرب ، وزادت فى نفس الوقت القوة الشرائية لشرائح واسعة من المصريين بسبب الانفاق الحربى نفسه .

الصناعات الفاشلة !

مما تقدم نتبين ايضا خطأ القول بأنه لاضرر من إغلاق بعض الصناعات الفاشلة إذا تطلبت المنافسة ذلك . هناك بالطبع صناعات فاشلة لم يكن هناك ادنى حاجة إلى قيامها اصلا . ولكن الصناعات التى تغلق الان أو تخفض من انتاجها بشدة ، ليست هى بالضبط الصناعات المنخفضة الانتاجية أو السيئة الادارة ، بل هى الصناعات التى حرمت من السوق الواسعة نسبيا التى تخلقها الحماية . ومن الظلم الفادح مقارنة ربحية صناعة تنتج لخمسة أو عشرة ملايين بصناعة تنتج للعالم بأسره ، أو الحكم على الأولى بأنها مجرد صناعة منخفضة الانتاجية سيئة الادارة . إن أعلى الصناعات انتاجية واكفأها إدارة لايمكن أن تنتج لسوق يزداد ضيقا يوما بعد يوم بسبب المنافسة ، كما ان أعلى الصناعات المصرية كفاءة لايمكنها الاستمرار إذا انحصرت سوقها فى اقل شرائح السكان دخلا اللهم الا إذا استمرت فى انتاج أسوأ المنتجات واقلها جودة .

هل تمتعت صناعاتنا بحماية كافية ؟

اخيرا قد يقال : ألا يكفى الصناعة المصرية ماتمتعت به من حماية ؟ أو لم يحن الوقت لان تثبت قدرتها على الصمود امام المنافسة ؟

وهنا احب ان اتساءل : ماهو العمر الحقيقى للحماية التى تمتعت به الصناعة المصرية ؟ إنى اقدر العمر الحقيقى بما لا يزيد على عشر سنوات : هى الفترة مابين ١٩٥٧/٦٠ وهزيمة ١٩٦٧ . فمنذ ١٩٦٧ بدأت اعمدة الحماية تتفكك وتنهار ، إذ بدأ منذ ذلك الوقت التهاون مع مهربى السلع وتجارة الاستيراد تحت وطأة الازمة السياسية التى ولدتها الهزيمة ، وأهم من ذلك أن الدعم الممنوح لصناعات القطاع العام بدأت اهميته النسبية فى قيمة السلعة تنهار تحت وطأة الأعباء المالية التى فرضتها أيضا أعباء الهزيمة العسكرية واعادة التسليح ثم انهارت قدرة القطاع العام على التجديد والصيانة





الأثرياء والفقراء في فم الغرباء..!

المستقبل

والاحلال بنضوب موارد الدولة من العملات الاجنبية .

كان القطاع العام مدعما دعما صوريا ولكنه كان يعانى من أعباء العمالة الزائدة المفروضة جبراً لحماية المستهلك اقتصاديا وحماية الحكومة سياسيا وبالرغم من كل ذلك فإنه يكاد أن يكون كل مالدنيا من صناعة اليوم هو من تراث تلك السنوات العشر .

فماذا صنعت عشر سنوات من حرية الاستيراد للصناعة الوطنية وقد كاد عمر حرية الاستيراد يفوق عمر الحماية ؟

خلاصة القول أن كل مانسمعه من حديث عن فوائد المنافسة وحرية الاستيراد قد يناسب حقا دولة صناعية متقدمة كالولايات المتحدة أو دول غرب أوربا إذ تفتح أبوابها للمنتجات اليابانية مثلا ، إذ يحفز ذلك كلا منهما على مزيد من تخفيض النفقات وتحسين نوع السلع المنتجة ، ويكون فى كل ذلك نفع المستهلك .

واذا ادت المنافسة إلى إغلاق بعض الصناعات قامت غيرها بدلا منها . أما فى اقتصاديات منقسمة على نفسها كاقتصادنا ، فإن فتح باب الاستيراد لا يؤدى إلا إلى تدهور مستوى السلع الموجهة لاستهلاك الفقراء وإحلال الاحتكار الدولى محل احتكار الصناعة الوطنية ، وتحويل المستهلك الأعلى دخلاً إلى لقمة سائغة فى فم المنتج الاجنبى .

علة كل الناس

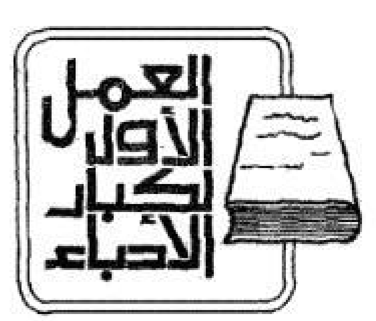
● كان لنكولن سائرا ومعه ولداه الصغيران وهما يبكيان بشدة ، فقال له أحد المارة : ما علة بكاء الطفلين ؟ .. « هى علة كل الناس معى ثلاث قطع من الحلوى وكل منهما يريد اثنتين منها ! » .

استثمار الخسارة

● اهم ما فى الحياة ليس مجرد استثمار أرباحك ، فأى أحمق قادر على ذلك ، المهم هو استثمار الخسائر والاستفادة منها ، وهذا يتطلب ذكاء ، وهو طريق التمييز بين العاقل والاحمق .

ديل كارنيجى


كتاب الهلال
يقدم :
حكايات الأقدمين
بقلم الدكتور شكرى محمد عياد
يصدر
فى ٥ يناير
١٩٨٥
روايات الهلال
تبدأ العام
الجديد
بأجمل ما فى المسرح المصرى
الكلاب وصلت المطار
مسرحية على سالم الجديدة
تصدر فى
١٥ يناير ١٩٨٥



الفريد فرج وقصة المجرم




الفريد فرج

نبيل فرج

« العمل الأول » هو المحاولة الأولى للفنان ، من أجل اختراق الحاجز بين مايريد ومايستطيع ، والذى يتوقف عنده الكثيرون .

ويبقى « العمل الأول » علامة مميزة على الطريق ، فهو دقات قلب الكاتب الأولى ، التى قد تكون متميزة ..

بدأ الفريد فرج حياته الأدبية بكتابة القصة القصيرة ، والمسرحية ، والشعر . كما مارس ، فى نفس الوقت ، النقد الأدبى والفنى ، والترجمة .

وإذا كان قد انصرف تماما عن الشعر ، ولم ينشر منه غير قصيدة واحدة حرة فى مجلة « الأديب » البيروتية ، عنوانها « تروبادور » ، فقد ظل الشعر روحا سارية فى انتلجه ، تسربل قصصه ومسرحياته بغلالة من الجمال الأخاذ .

أول قصة نشرها كانت « المجرم » فى العدد الأول من مجلة « الغد » مايو ١٩٥٣ ، فى الإصدار الأول للمجلة ، الذى حمل شعار « الفن فى سبيل



الحياة ..

ومع أن لالفريد فرج « مجموعة قصص قصيرة » طبعتها دار الكاتب العربي سنة ١٩٦٨ ، وتضمنت بعض القصص التي ترجع الى هذا التاريخ ، مثل قصة « وقع في عالمنا » ، التي كتبها سنة ١٩٥٤ ، إلا أن المجموعة خلت من هذه القصة ، بما يعني أن الكاتب اسقطها من حسابه .

ذلك أن من يقرؤها يلاحظ ، في شكلها ومضمونها ، عيوب المدرسة الواقعية ، التي تخلص منها الابداع الواقعي في تجاربه التالية .

ويمكن اجمال هذه العيوب الفنية في المغالاة في تصوير البؤس والفقر ، في البيئة الشعبية ، وتحميل القصة من الشعارات فوق طاقتها ، بالاضافة الى التعبير التقريري المباشر ، الخطابي احيانا ، والهدف السافر الذي يتحول فيه العمل الفني إلى منبر عقائدي .

في هذه القصة نجد الواقعية التسجيلية ، لا الواقعية الفنية ، وتظهر ثقافة الكاتب السياسية والاقتصادية مقحمة على الأحداث ، وليست جزءا من العلاقة العضوية مع سائر العناصر .

كما نجد التصوير الفوتغرافي للأماكن ، والحوار المقتبس من احاديث الناس ، كما هو ، والالتزام الحرفي بالغلبة الاجتماعية التي تدعو ، دعوة جهيرة ، الى التغيير ، والثورة على الظلم والمهانة ، وتحقيق العدل .



ولأن ادب الواقعية ـ الذى تنتمى اليه هذه القصة ـ اتخذ هذه الصيغة ، أطلق عليه النقاد بقصد التهكم « الأدب الهاتف » بدلا من « الأدب الهادف » ، ووصف أصحابه بأنهم كتاب « الأدب الأسود » .

ومن ناحية اخرى أخذ على نقاد هذا الاتجاه ، فى تناولهم للأعمال الادبية ، تمسكهم بالمذهبية الضيقة ، فى اطار ايمانهم بانتصار الحياة .

وحمل راية الهجوم على كتاب ونقاد هذه المدرسة الجديدة ، فى مرحلتها المبكرة ، طه حسين ، وعباس محمود العقاد . وبجانبهم وقف يوسف السباعى ، محمد عبد الحليم عبد الله ، كمال يوسف ، وغيرهم .

إلا أن هذه الأعمال الواقعية تظل تمثل ـ رغم سطحيتها وركاكتها ـ علامة هامة ، فى تاريخنا الثقافى الحديث للتحولات الأدبية والفنية المناهضة للأدب التقليدى ، وللتيارات الشكلية لدعاة الفن للفن ، وكل مايخالف طبيعة الأشياء أو يتناقض مع التقدم الانسانى .

وقد بلغت هذه المدرسة الجديدة قمة عطائها وتنوعها وغناها ، فى التجليات الادبية المختلفة ، فى الستينات ، ومطلع السبعينات .

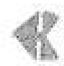
ولو تصفحنا هذا العدد من مجلة « الغد » ، الذى نشرت فيه قصة « المجرم » ، نجد ان دعوة التجديد فى مقاييسها النظرية البحتة ـ على خلاف ماقيل فى الهجوم على هذا الاتجاه ـ لاغبار عليها ، وانها كانت على مستوى من النضج والوعى ، لاترقى اليه التطبيقات الفنية

المجرم

الداخل الى دكان الأسطى ابراهيم الكنترجى لايستطيع أن يحدد له شكلا هندسيا . فاذا كان الحائط الأيمن عموديا على الباب فالحائط المواجه يميل الى الداخل ميلا مزعجا مقبضا بزاوية حادة ويكون زاوية منفرجة مع الحائط اليسارى الذى لايزيد طوله عن عرض اكتاف المعلم ابراهيم الذى يجلس على مقعده الواطىء مستندا اليه .

وفى مثل هذا القبو الضيق تظلم الدنيا اذا نفثت دخان سيجارة

وعلى جانبى الباب تقوم فترينة من



الزجاج الرخيص يبدو بأعلاها آثار اصلاح لاريب أن الأسطى ابراهيم تكبد فى معاشه الأهوال كى يتمه

والاسطى ابراهيم قابع منذ ثمانى سنوات فى ركنه على الكرسى الخشبى الواطىء رافعا ركبتيه ضاما قدميه وظهره كالهلال .. غالبا ماتراه ممسكا بقادوم يطرق به المسامير طرقات رتيبة تزهق الروح

وابراهيم رجل صالح يصوم ويصلى الجمعة ويؤمن أيمان صغار التجار بأن الارزاق بيد الله . ولكن فى قلبه خوفا مشعوذا من القوى السحرية التى يراها تعمر الكون . وهو لذلك يعلق قوت يومه على ورقة بالية مكتوب عليها بالخط الكوفى « أنا فتحنا لك فتحا مبينا » وهى ملتصقة على الحائط منذ فتح الله عليه بالاستقلال عن معلمه القديم ويتدلى منها خيط أصفر فى آخره كف دقيقة زرقاء تبطل حسد الحاسدين

وفى الفترينة حذاء رخيص لامع يشغل بعض المتسكعين قبل الغروب بالوقوف لحظة لفحص « تكنيك » ابراهيم والتعليق عليه بآراء غير المختصين

وأمام الاسطى ابراهيم غير القضيب الحديدى المعقوف ذى القاعدة الخشبية منضدة صغيرة مقسم سطحها الى مثلثات ومربعات بها أكوام من المسامير الصغيرة مختلفة الاحجام

وفى الدكان عن يمين الداخل كرسيان أحدهما من القش والآخر من الخيزران يئنان تحت ثقل الزبائن ضحايا المواعيد الفضفاضة التى اعتاد الأسطى أن يقسم على الوفاء بها بالطلاق !

وقد لايلتفت أكثر المارين بهذه البقعة القريبة المجهولة من العالم الى أن فى هذا المتر المربع تتركز كل المشاكل البشرية مجتمعة . والأسطى ابراهيم نفسه لايستطيع أن يفهم بذهنه الساذج أنه ضحية ومحور أزمات الانتاج والقطن والتصدير والقوت والاعصاب . أو أن يفهم أنه من أجل أزماته تسقط حكومات وتشعل حروب وتعقد أحلاف فما أعظم الأسطى ابراهيم على عرشه الخشبى الواطىء وهو مستند الى الجدار الضيق يمسح عرقه ولكن .. لعل أعجب مافى محل الأسطى غير أزماته العصبية هذا الطفل الخالد الذعر « محروس » . فبرغم أن ابراهيم يؤكد أنه قد تجاوز العاشرة وأنه فقط « عجوز فى روحه » فانك تستطيع أن تقسم مستريح الضمير أنه لم يتجاوز الرابعة من عمره بعد والأسطى رجل قلق دائم التململ قليل الشكوى أصابه الله بضيق مزمن وهو من فرط بلاهته يظن قرصة الجوع مغصا فيصرخ فى الطفل خالد الذعر وهو قابع بين الكرسى القش



والحائط ساكن كالكلب

ـ ولـه فيقفز محروس قفزتين دقيقتين فيكون فى الباب ويصرخ الأسطى ثانية ـ شاى . فيهرع الطفل الى المقهى المقابل يلح على عماله أن يعطوه الشاى وهم فى شغل عنه يمهلونه استصغارا فلاذا عاد صرخ ابراهيم فى وجهه ولوح له بيمناه وهو ممسك بطنه بيسراه وفى ظنه أن الألم قد زاد ـ غبت باحمار . فيعول محروس ذعرا حتى ليقبض صدور الجالسين على المقهى

ـ والنبى يامعلمى هم اللى غيبونى ايصح هذا ياعالم ! ايصح أن يرد محروس القول على الأسطى ؟ (صحيح أن ابراهيم لم يكلف خاطره فى يوم من الايام أن يتحقق واقعة التأخير بنفسه و المقهى على بعد قفزتين من دكانه ـ ولكن محروسا شقى ومستهتر وتحس) وابراهيم فى هذه الحالة يتذكر دائما واجبه كرجل . فأبو محروس أودع الطفل بين يديه كى يربيه ويعلمه صنعة ويأخذه بالشدة حتى يشب رجلا . وهاهو ذا محروس ـ ويله ـ يرد القول على معلمه ويتطاول عليه ويعصى . فاقفز ياابراهيم من ركنك الذى رافق سنواتك الثمانية الأخيرة فى سكون وانقض على الشقى واوسعه ضربا وركلا وشتما . لينقلب الشاى ولتنكسر الفترينة ولتتقوض الدنيا الى ركام .. ماذا يهم وبين يديك نفس أنت تسويها وتهذبها وتردها الى طريق الله المستقيم . فأصرخ واضرب وحطم واجعله يوما أسودا على الأشقياء والعصاة والمرتدين . وليهنأ أبو محروس بابنه وليفرح بمعلم ابنه الرجل

وأنت يامحروس ـ لاحرسك الله ـ أيها الكذاب لقد كنت تعول كالمذبوح قبل أن يضع الأسطى يده عليك . ماهذا الصوت المنكر الذى تقذفه حنجرتك كأنها مسكونة بالشياطين . أليس يربيك ؟ الا يضربك أبوك مثله ؟ ألا تذكر يوم قبض عليك رجال البوليس الأربعة وقد حسبوك متشردا ؟ ففيم اذن عويل الشياطين هذا ؟ وفيم انفلاتك من الدكان رافعا ذراعيك وتهرع كالمخبول هنا وهناك تتعلق بأرجل المارة وتزعق باسم ـ سيدنا الحسين ؟ انك لتستحق التمزيق

وقد رغب أبو محروس مرة ان يعاين عملية التأديب والاصلاح التى يقوم بها الأسطى ابراهيم لكى يطمئن قلبه ، وهو دائم الشكوى من شقاوة العيال ، فحين بلغ عويل محروس عنان السماء وصار يستنجد بالنبى والحسين ويختلط بأرجل المارة حائرا تائها مذعورا صار أبوه يصفق بيديه طربا وهو يقول :

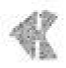
ـ ماشاء الله ماشاء الله

وعلى فمه ابتسامة ...

ومحروس لايتعلم شيئا ذا بال .

وهو لايتقاضى أجرا مطلقا ـ انه وديعة ـ وحين يذهب الأسطى ظهرا للصلاة أو للغداء يقف محروس بباب الدكان يستمهل الزبائن ويراقب الأولاد وهم يلعبون . ولكنه لايجوع ابدا فى مثل هذا الوقت من النهار

وبرغم كوارث ابراهيم وفواجعه فان غيره يحسدونه على ماهو فيه من نعمة



وهو يفزع أشد الفزع من هذا الحسد . فمرة قال له صديقه سعد الله
ـ أحمد ربنا ياابراهيم . دا انت مالك على روحك . ده محدش له عندك حاجة .. دانت ملك روحك

فجزع وزار سيدنا الحسين ذلك الاسبوع . هذا برغم أنه يشعر في قرارة نفسه أنه ضاق بمملكته وضاقت به . ومع ذلك فحيث أن كل يوم تعزل ملوك وتشرد فقد انتظر ابراهيم بحدس مفجوع وظل فارغ أن تدور عليه الدورة حتى جاء يوم بدأه ابراهيم بخصام مع زوجته وأنهاه في الحبس

فزوجة ابراهيم تظن أنه كان في الامكان ابدع مما كان . وهي تقص على صديقاتها محاولات الموظف الكبير وضابط البوليس للزواج بها ومحاولات طالب الطب ـ الذي أصبح طبيبا مشهورا ـ للايقاع بها .. تلك المحاولات التي أحبطتها كلها لأجل خاطر عيون المنحوس ابراهيم الذي كان دائما يقول :
ـ المحل الصغير . بكره يكبر
فعاشت في كنفه تنتظر الفرج وترى الجارات يذهبن الى السينما ويلبسن الاحذية اللامعة وأولاد المعلم عبده الجزار يتجمعون حول ابيهم كل ظهر وهو يحمل بطيخة كالكرة الارضية ويصرخ في عبط وهو يصعدالسلم كأنه يرقص
ـ حمار وحلاوة ياولد .. حمار وحلاوة يابنت
والاطفال يهللون حوله
والفرج الذي تنتظره الزوجة الحزينة ترتب له في ذهنها المشهيات قد تاه في تلافيف الزمن أو كأنه غرق في أعماق البحار السبعة
ولقد أدركها اليأس وأتلفها الحرمان فراقبت في جزع مهووس أعراض الشيخوخة المبكرة تطفر على وجهها وأصبح صدرها أخصب أرض لبذور الخصام .
ففي هذا الصباح استيقظت كعادتها مع الفجر ونهضت من سريرها الدافيء تقاوم البرد الشديد بالنفخ وتدليك كفيها التالفتين . وقدمت لابراهيم الشاي فطورا . فبعد أن ألقى الماء على وجهه وجففه جعل يرشف الشاي شاردا فقالت زوجته
ـ حتى مفيش صباح الزفت ؟
ـ يافتاح ياعليم
ونهض يحاول الخروج فصاحت زوجته مغيظة :
ـ انت مش عايز تسمم والا ايه ؟ ماتسيب فلوس
فالتفت اليها وفي عينيه احمرار منذر والقى بورقة نقدية على الارض فقالت هازئة
ـ عشرة صاغ ؟ أديها تكفي شوية برسيم
وما قد بدا للأسطى ابراهيم أن زوجته تتعمد اثارته فتحفز لها ثم كظم غيظه وتوجه للباب فرن صوتها من خلف ظهره :
روح .. روح .. ربنا يفتح عليك
فالتفت الأسطى وهو يغلي بالغضب :
ـ ياوليه اصطبحي
فقالت على الفور
ـ اصطبح ؟ ؟ » وهزت خصرها استهزاء « شلها ياسي اصطبح ...



هل رأى أحدكم بركانا ؟ أنك اذا تأملت الدمدمة المكتومة والدخان المنتظم الهادىء متصاعدا من فوهته ليذهلك القصف الفاجع والخراب اذا انبثق فجأة وبلا مقدمات

فبدون أية كلمة اخرى انقض الاسطى ابراهيم على زوجته وقبض على شعرها في التو وانامها على الارض وركلها في جنبها فصرخت وعضته في رجله فتأوه وتخلخلت قبضته الحديدية فانتهزت النمرة الفرصة وانتزعت شعرها من يده وقذفته بكوب الشاى الفارغ فانكسر على رأس ابراهيم ولم يخدشها . وتلقف الأسطى الابريق الطائر وضغطه بين راحتيه فحطمه ـ ماأقوى ساعديه ـ ثم انحنى على الكرسى كى يختطف ذراعها ليكسره فكسر رجل الكرسي ...

واستيقظ الاطفال مذعورين

أطفال ؟ ! لم أكن أتصور أن هذا البيت يضم اطفالا . فلا الزوجة ذكرتهم فى حكاية نحسها ولا الرجل يذكرهم فى كفاحه المستميت مع الرزق ومع زوجته

ونهض الولدان والبنت على السرير المرتفع ولم ينبسوا بكلمة ولكن ارتجفت وجوههم برعب يفطر القلوب .

وارتفع طرق على الباب . هاهم الجيران يظهرون العطف ويضمرون الفضول والسرور . ففتحه أبراهيم بقوة وانفلت خارجا كالبطل المتوج بالنصر متحديا نظرات الاستفهام التى قبعت عطشى على وجوه الناس .

ودخلت النسوة على زوجة ابراهيم يواسينها ويطلبن التفاصيل . وهى تخور كالثور المتعطش للدماء وترتعش وتصرخ ناعية بختها وناعية خيبتها .. ثم هدأت فجأة لكى تتقوس كالجنين دافنة راسها فى حجرها تبكى بكاء مرا

وحين وصل الاسطى دكانه وجد « محروس » يقف عارى القدمين فى بركة من ماء المطر على الباب ينتظر ويتفقف من البرد

وحين جلس الأسطى على عرشه الخشبى الواطىء واسند ظهره الى الحائط وتفكر فى مواعيد الزبائن وذكر اسم الله عضه الجوع فصرخ :

ـ وله

فقفز محروس فصار فى الباب .

ورأى فى عينى معلمه شررا يتطاير

ـ شاى

وأحضر محروس الشاى بعد جهاد مع القهوجية وجاء يتسلم المعلوم من الضرب المبرح وخرج الى الشارع يستجير بالنبى والاولياء ويتعثر ويتداخل فى أرجل السابلة معولا صارخا . فارتفع صوت من الشارع :

ـ ياراجل حرام عليك

لاحول ولاقوة الا بالله . ومادخلك أنت ايها الفضولى الحقير .. دعنا ننظر اليك . لابد أنك متسكع متشرد حتى تتدخل فيما لايعنيك

أنه يلبس بدلة فقيرة نظيفة وقميصا ممزقا الياقة مضمومة حول عنقه ولبس بها كرافتة ويضع على كتفه معطفا من التيل الأبيض لايكون الا لحلاق أو لسائق سيارة

خاصة
أنت تقول انك سائق محمود باشا
.. ومادخلنا نحن فيما تصنعه ؟ .
امض أذن لحال سبيلك ولاتزد
ـ امشى ازاى يارجاله ؟ هو العهد بقى بتاع كده ؟ ! ده بقى فيه عدل .
دا مبقاش فيه ظلم ولاقطع عيش ولا شتم ولاكبر .. خلاص يارجالـه .. خلاص يارجاله .. مقدش باشا ده احنا بنى آدم مش عجول .. ده احنا بنى آدم .. معدش باشا ..
ـ وانت حد كلمك ياجدع أنت ؟ !
وانطلق الأسطى يصرخ ويلوح بذراعيه ويتفنن فى قذف الشتائم البليغة
ـ أنت محصلتش عجل ياخدام البشوات
لماذا بربكم ثار السائق كل هذه الثورة لدى انحراف الجدل الى المساس بشخصه ، ومع ذلك أليس هو المسئول عن هذا الانحراف ؟ انك لتنظر فيخيل اليك أن قوة عارمة استيقظت فجاة بين اضلاعه فانبثقت بالدم فى عينيه فهاج هياجا لايتصوره عقل ودفع ابراهيم على الفترينة فانكسر زجاجها ـ ويله !
نظر الأسطى نظرة واحدة الى خسائره فقفز قفزة صار بها فى الدكان فصرخ محروس كالحيوان المتعذب ..
(محروس . لقد نسيك العالم فى المطحنة . يامسكين)
وحين التقط الأسطى موسى الجلدة الحادة هرول الطفل الى الشارع وأطلق ساقيه للريح . والأسطى الذى لم ينتبه لوجوده اندفع مزاحما الكتلة البشرية يريد أن يسكن الموسى قلب السائق .
ولكن السائق بقوة خارقة وغضب متفجر انفلت من الحشد ودار دورة سريعة اوصلته الى ظهر ابراهيم فجذبه من قفاه .
وتصايح الخلق ..
ـ وحد الله ياجدع أنت وهو ..
ـ ارجع ..
ـ ياأسطى ابراهيم ..
ـ جتيل يارجاله
ـ ياشويش ..
ـ النظام .. يارجاله .. النظام ..
وتداخلت الصيحات وعلا صراخ نسوة كن بالشارع وفتحت الشبابيك واكتظت الشرفات . وتضخمت العقدة البشرية وكل رجل يصيح مادا ذراعيه مزاحما بهما يريد أن يوقف الكارثة بيديه ـ والسائق ممسك بقفا الأسطى يجرجره على الارض وفى ذهنه مأساة يجيب بها على مأساة ابراهيم اجابة عنيفة .. والموسى ضاع فى الزحام .
وسرعان ماقفز ابراهيم على قدميه فبان تحته الموسى وعلت أصوات مبهمة ترتج بها الكتلة البشرية فى الشارع .
وانقض الخصمان على الموسى فأدركه ابراهيم أولا فدفعه فى بطن السائق .
وتحولت معركة التفريق الى معركة للقبض على المجرم ـ أيهما ؟ ـ وأوسعه الناس ضربا وركلا وقذفا بالنعال
ووقف يدفع عنه الأذى قوم غلب عليهم الانفعـال فاختلط منطقهم واحتبست المعانى فى كلمات مبهمة ... واقبل العسكرى يمثل القانون فى هدوئه وحياده فأسلموه ابراهيم وهو يعول تائه العقل :
ـ يامسلمين .. الظلم ليه يامسلمين .. الظلم ليه يامسلمين ؟



بقلم: أحمد محمد عطية

● القصة القصيرة فن أدبي حساس، سريع الاستجابة لنبض العصر وتطوراته المتلاحقة وهموم الانسان ومشاعره اليومية والآنية، لانها فن اللحظة الهامة في حياة الانسان، كما وصفها نقادها. فهي تنتقى من حياة الانسان الطويلة لحظة هامة قصيرة، تتبلور فيها قضاياه وهمومه. ومن هنا جاءت حساسيتها في التعبير عن هموم الانسان والعصر.

كما نتجت حيويتها من قالبها المتميز بالقصر. والذى يسر ابداعها ونشرها وقراءتها وانتشارها عبر أجهزة الاعلام الجماهيرية، كالصحافة والاذاعة والتليفزيون، الذي يكفل لها قصرها سرعة التلقي واتساع دائرة المتلقين. ان هذه العلاقة الفريدة بين فن القصة القصيرة وجمهورها هي التي تجعل هذا الفن من أكثر الفنون الادبية حساسية واستجابة لآلام الناس وآمالهم، كما تجعله من أشدها اقترابا من صور الحياة الاجتماعية المعاشة.

وقد أبدعت المرأة العربية فنا قصصيا متميزا بالحساسية في التعبير عن همومها ومشاعرها وتطلعاتها وأشواقها. كما انعكست صور الحياة الاجتماعية الجديدة للمرأة العربية على صفحات الابداع القصصي النسائي. وفي هذه الدراسة ننتقى بعض النماذج من فن القصة القصيرة في أدب المرأة العربية لنتابع هموم المرأة العربية الاجتماعية والحضارية، وانعكاساتها القصصية وفقا لنوعياتها الفنية التى تراوحت بين الواقعية والتعبيرية والرمزية. ونتناول في هذا المقال، بالنقد والتحليل، القصص الواقعية.

صوفى عبد الله

تتخذ قصص «صوفى عبد الله» الواقعية التقليدية، شكل الحكاية واللوحة القصصية. وتتغلب هذه السمات على قصص مجموعتها «القفص الاحمر» التى تحتشد قصصها بأحداث وشخصيات متعددة وزمن طويل، تتجاوز قالب القصة القصيرة المحدود زمنيا وموضوعيا. وتتراوح موضوعات القصص بين تصوير هموم المرأة العربية والفتاة العربية ومشكلاتهما الناجمة عن التطورات الحضارية المستجدة في حياتهما، من حكايات العوانس، وقصص التضحية بالحب والزواج في سبيل اعالة الاسرة، الى قصص الخيانة الزوجية، مرورا بقضية المساواة بين الرجل والمرأة، وانتهاء بأثر الحضارة والعمل في حياة المرأة العربية والفتاة العربية.

نجد هذا في أكثر من قصة، مثل قصة «ونسيت كل شيء» وبطلتها الطبيبة العانس التى رفضت الزواج بحبيبها لتربي أخواتها بعد موت الاب، وقصة «هي والشمس» وبطلتها الفاتنة والعانس أيضا، التى ضحت بجمالها وسعادتها وحبها ورفضت الزواج في سبيل رعاية أخوتها، فتلقت منهم أسوا



صوفى عبد الله

حكايات العوانس والخيانة الزوجية



جزاء ، اذ انهمك كل منهم فى حياته الخاصة ، بينما ظلت هى فى وحدتها وفقرها ، وما أكثر العوانس فى قصص « صوفى عبد الله » !

تتداعى أحداث قصة «القفص الاحمر» من لحظة وحدة رهيبة تعانيها بطلتها العانس عندما تستعين بالحبوب المنومة للتغلب على الارق الموحش . وتصور القصة مشكلة حضارية واجتماعية لبطلتها العانس التى جمعت بين الثقافة والجمال والوظيفة المحترمة ، وخرجت من اسر البيت الى العالم الخارجى باوسع معانيه حيث تلقت تعليمها باوروبا ، وتقلدت مهام وظيفة مرموقة لدى عودتها الى الوطن . وتزاحم عليها الرجال يطلبون يدها للزواج ، غير أن التعليم والوظيفة حالا بينها وبين الاستجابة لطلبات الزواج ، لان طموحها جرها الى التعالى على الرجال ، وزادت ترقياتها من تضخيم ذاتها .

هكذا جنت الثقافة والوظيفة والخبرة الحضارية على سعادتها كامرأة وأنثى ! حتى تجاوزت سن الزواج وبلغت خريف العمر ، واذا بها تتعلق بحب شاب صغير ، هو ابن لصديقتها ، عمره فى نصف عمرها ، كلفتها أمه برعايته حتى يتخرج طبيبا . وعندما يمتلك الشاب زمام أمره ، ويصبح طبيبا ورجلا مكتملا يطلب منها التخلى عن وظيفتها الكبيرة واللحاق به كزوجة لطبيب فى اقصى الريف وكأم لاطفاله . غير انها ترفض التخلى عن وظيفتها التى ضحت من أجلها بحياة المرأة الطبيعية فى الزواج والحياة الاسرية . وتقضى البطلة العانس حياتها وحيدة ، كاتمة سرها الاليم فى بلوغها سن اليأس وعدم الانجاب ، وتستعين على وحدتها بشراء قفص احمر « فيه طائر صغير أصفر اللون ، لايعرف الفرق بين النور الطبيعى وضوء الكهرباء .. ويرفع لكل بارقة عقيرته بالغناء . » (ص ١٦) لم تخفت وحدتها ومرارة حياتها ووحشتها فى وقارها وتعاليها ووظيفتها الكبيرة .

لكأن « صوفى عبد الله » ترى ان الحضارة والثقافة والوظيفة لم تجلب للمرأة سوى هموم الوحدة والتعالى على الرجال !!

غير ان بنية القصة اتسعت لكثير من الاحداث التى استغرقت زمنا طويلا ، وحشيت بكثير من الشخصيات الثانوية ، فافتقدت أسس التركيز المميزة لفن القصة القصيرة ، فيما يتطلبه من شخصيات محدودة وزمن محدود أيضا .

ويتكرر موضوع الخيانة الزوجية فى قصص « صوفى عبد الله » ، مثل قصتها « لحظة صحو » ، المبنية على المفارقة والمفاجأة التى تذكرنا بقصص « جى دى موباسان » ونهج القصة القصيرة التقليدى . فالزوجان غارقان فى حب مستديم رغم أعوام الزواج الطويلة ، ولكن الزوجة تكتشف فى آخر القصة خيانة زوجها مع اقرب صديقاتها ، عندما تعثر الزوجة على مفتاح درج مكتبه ،

همـوم المـرأة العـربيه في القصـة القصـيرة

وتلتحم لتفاجأ بوثائق الخيانة الزوجية .. خطابات غرامية ، وصور مثيرة تدين زوجها وصديقتها . وهكذا نرى في زوجها مجرد ممثل لـ هؤلاء هي هموم المرأة في قصص الاديبة المصرية « صوفي عبد الله » وهي هموم ناشئة من التطورات الحضارية المستجدة في حياة المرأة العربية الحديثة.

اما نجيبة العسال وهدى جاد واحسان كمال ، فأصوات جديدة في القصة النسائية المصرية ، يشكلن طليعة جيل خصب من الاديبات المصريات . متنوع الإبداع ، حريص على التجديد والاصالة المتميزة ومواكبة حياة المرأة العربية المعاصرة ، والتعبير عن همومها ومشكلاتها الاجتماعية والانثوية والحضارية واستشراف مستقبل افضل لها . وقد اشتركت القصاصات الثلاث في اصدار مجموعة قصصية بعنوان « سطر مقلوط » ، بعد ان انفردت كل واحدة منهن بمؤلفاتها الخاصة في القصة والرواية .

نجيبة العسال

تصور قصص « نجيبة العسال » الاولى التي شاركت بها زميلتيها « احسان كمال » و « هدى جاد » في مجموعة « سطر مقلوط » مشكلات الفتاة المصرية المثقفة وهمومها وطموحاتها نحو تحقيق مستقبل افضل للمرأة المصرية تتجاوز به مشكلات الاجيال النسائية السابقة . وبتفردتها وصدقها في التعبير من مشكلات الفتاة المصرية الحديثة ، فانهما تقول رأيهما باكثر الكلمات مباشرة وتقريرية ، وتنهج نهج الواقعية التقليدية ، كما فعلت من قبلها « صوفي عبد الله » .

غير أن « نجيبة العسال » تتقدم في احدث قصصها « كل هذا لانها حواء » فنيا وموضوعيا ، فتتسع دائرة الرؤية لتشمل وضع المرأة في الطبيعة والكون والمجتمع ، وتصور العالم الداخلي لحواء ، وانعكاسات التغيرات الانثوية على نفسيتها ومشاعرها . كما تتطور لغتها لتصبح اكثر شاعرية وجمالا . وتتنوع زوايا الرؤية ، وتتنقل بين الازمنة والامكنة والشخصيات والطبيعة من الداخل والخارج ، وتدور الاحداث على مستوى الواقع والخيال . اما الشخصية النسائية فقد تغيرت أيضا . من الفتاة الصغيرة في قصصها الاولى الى المرأة الكبيرة الناضجة بعد أن فارقت ربيع العمر .

وتعبر « نجيبة العسال » بجرأة ، وربما لاول مرة في الادب العربي النسائي ، عن مشاعر المرأة الانثوية في سن اليأس وما يصحبها من تغيرات نفسية وبيولوجية .. فهي في احدى قصصها تنقل الينا مايدور في اعماق « السيدة حورية » بطلة القصة من احساسات ومشاعر نحو خادمتها الشابة « سعدية » في لحظة هامة من حياتها ، هي لحظة آلام الدورة الشهرية الانثى . ففي هذه اللحظة تتبلور فنية القصة ، وتتكشف مغزاها الانساني العميق ، كما تصفها كاتبتها « نجيبة العسال » . ويمتزج الحاضر بالماضي عندما يثير شباب « حورية » بطلة القصة لتتذكر افراح اكتشافها ملامح انوثتها الاولى في الزمن الماضي ، وتمزجها بتصوير ملامح حزنها في الزمن الحاضر عند بلوغها سن اليأس وضياع معالم انوثتها . غير انها تجد في عروس ابنها وفي خادمتها الشابة استمرار الحياة ، رغم قسوة التحولات في جسد المرأة « لانها حواء » ، المبتلاة بالمعاناة من ربيع العمر الى خريفه .

احسان كمال

« جيلنا جيل التضحية » .. بهذه العبارة تلخص « احسان كمال » ازمة بطلة قصتها « سطر مقلوط » وازمة الفتاة العربية الحديثة الخارجة من تقاليد المجتمع القديم ومفاهيمه ، الى مجتمع جديد تعتمد فيه على شخصيتها وقابلياتها ، وتشق لنفسها فيه طريقا

جديدا ، وتصوغ قيما وتقاليد جديدة بوضع الفتاة والمرأة في المجتمع الحديث، بعد أن اكملت دراستها وزاملت الرجل في دور العلم والعمل ، وصار لها حقوق الاختيار والرأى والمشاركة في الحياة . وتعبر «احسان كمال» عن ازمة بطلتها التي تعكس ازمة جيلها ، والتي تتمثل في تردد البطلة بين تقاليد قديمة تريد أن تتجاوزها ومستقبل جديد ترنو اليه ×

وتمزج «احسان كمال» الحدث الواقعي بالرمز الشفاف ، عندما تنفذ نصيحة أختها بحياكة « بلوفر » من صوف التريكو ، حتى تزداد اقترابا من خاطبها زوج المستقبل ، وتظل على ارتباط فكرى به مع تكامل نسيج التريكو . ويتوازى نسيج خيوط « التريكو » ويتشابك مع توثق علاقتها بخاطبها وتعقدها . وتتضافر العلاقتان ، « التريكو » والخطبة ، وتتوازان في تصاعد درامى ذكى مشحون وشديد الإيحاء ، عندما تكتشف البطلة في البلوفر سطرا مغلوطا لايمكن علاجه الا بحل الخيوط كلها ، في الوقت الذى تتكامل فيه عيوب خاطبها ، وتتكشف شخصيته المادية الاستغلالية كبخيل يطمع في استغلال مرتبها ، وبالرغم من اكتشافها للخطأ المزدوج في السطر المغلوط والخاطب السيىء الطباع ، فانها تظل مترددة في اتخاذ قرار حاسم بشأنه ، حتى تنبهها أختها الى ضرورة الحسم وعدم الاستمرار في بناء مؤسس على خطأ .

بهذه الخاتمة الموحية تبرهن « احسان كمال » على رهافة فنهـا القصصى وحساسيته ، وذلك من خلال التعبير عن ازمة الفتاة العربية في مرحلة الانتقال من تقاليد مجتمع قديم الى تأسيس تقاليد ومفاهيم جديدة في المجتمع العـربى الحديث ×

هدى جاد

تنفرد قصص « هدى جاد » وتتميز من قصص زميلتيها « نجيبة العسال » و « احسان كمال » المجموعة في كتاب « سطر مغلوط » ، بتصويرها لشخصيات شاذة ، من الرجال والنساء على السواء. فقصتها « صقيع الاقران » تصور اقدام رجل بسيط « مريض » على قتل امرأة ثرية طمعا في مجوهراتها ، لكى يتمكن من الزواج بحبيبته الشابة الجميلة «لوزة» ، فينتهى به الامر الى السجن . وتتناول قصتها « غزالة هانم » شخصية امرأة ثرية شاذة تحمل نفس عنوان القصة ، تتسلل الى حياة أسرة مكونة من اب وابنته المدرسة « أحلام » . وتحاول « غزالة هانم » الاستحواذ على المدرسة الشابة واغراءها بالمال والترف ، مشترطة عليها عدم الزواج أو الاتصال بالرجال.

وتقدم « هدى جاد » أحداث قصصها



همـوم المـرأة العربية في القصـة القصـيرة

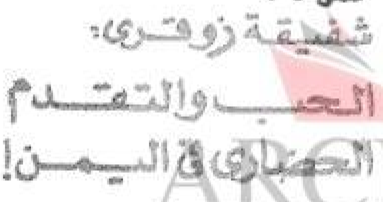
بأسلوب السرد التقليدى ، مع أنهـا تحاول أحيانا تطوير السرد وتطعيمه بتداخل الازمنة والفلاش باك والمونولوج الداخلي ، كما تصوغ « هدى جاد » قصصها في قالب الحكاية او « الحدوتة » التقليدية أيضا .

وتكتمـل تصعي الخيـانة والشذوذ والجريمة عند « هدى جاد » بقصتها « الحاجة مبروكة » ، تلك المرأة العجوز التى قابلت عطف مخدومتهـا بسرقتها . ومع أن « هدى جاد » تقدم في قصصها بعض النماذج النسائية الشاذة المنتقاة من الواقع ، الا انها باستبعادها للشخصيات النسائية العادية والسوية ابتعدت بدورها من قضايا المرأة الحيوية والمحورية ، وارتضت فنها القصصي في الاطار التقليدى القديم الذى قدم به القصاص الفرنسي « جي دى موباسان » قصصه التقليدية المبنية على المفارقات والشواذ من الشخصيات . وهو شكل تجاوزه الفن القصصي منذ زمن طويل ، ليعبر عن الانسان العادى الصغير ، ويكتشف همومه ومشكلاته في لحظات زمنية ، ويبلورها في بؤر قصصية مركزة ، دون تقريرية أو مباشرة . وهذا هو ماحققته كل من « نجيبة العسـال » و « احسان كمال » في قصصهما القصيرة الجميلة الموحية .

شفيقة زوقرى

« شفيقة احمد زوقرى » أديبـة يمنية معاصرة ، تكتب القصة لتعبر من خلالها عن رؤى المرأة اليمنية الحديثة وتجاربها ومشاعرها وطموحاتها . وتصور قصتها القصيرة الطويلة « نبضات قلب » هموم الفتاة اليمنية الحديثة وطموحاتها . وهى قصة تقع في مائة صفحة من القطع الصغير تصور فيها القصاصة ملامح التطور الحضارى في المجتمع اليمنى المعاصر واثره في حياة الفتاة اليمنية الحديثة ، وتوعيه من خلالها الى مخاطر الاستسلام لمظاهر الحياة العصرية . و « شفيقة » تكتب القصـة الواقعية بشكلها الحديث مستخدمة التعبير بالصور ، الى الفلاش باك ، والمزج بين الازمنة والامكنـة ، والمونولوج الداخلى ، وتيار الوعى .

فنادية الشامى بطلة قصة « نبضـات قلب » فتاة يمنية مصرية تمثـل المرأة اليمنية الحديثة : نراها في مطلع القصة تجمع ادوات الرسم ، وتنزل بهـا الى حديقة منزلها ، حيث تختار شجرة عالية ظليلة لتفكر وترسم من وحى الطبيعة . ثم يقودها تيار الوعى لتستعيد وقائع حياتها الماضية ، وتلقى الاضـواء على مكوناتها . وتتابع أحداث القصة مع تنقل البطلة بين مصر واليمن ، لتصور أحداث قصة حب مأساوية مثيرة تربطها بشاب يمنى من معارف الاسرة يدعى « احمـد فتحى » .









ويبدأ قصة الحب في القاهرة ، وتنمو في متنزهاتها التي تبرع الكاتبة في وصفها. وتنتقل احداث قصة الحب الى اليمن مع رحيل بطلها من القاهرة . وفي اليمن تصور الكاتبة ازمة البطلة ومأساتها الجديدة بعد موت امها ، وغربتها ووحدتها في بيت الاسرة الذي تربعت عليه زوجة الاب ، وسيطرت على سكانه بصرامة آمرة .

وتعكس القصة رؤية البطلة للمظاهر الحياة اليمنية الجديدة وأثرها في تقلب مشاعرها . فانها تبادر بالاتصال بحبيبها في مكتبه بواسطة الهاتف ، تلك الآلة الحضارية الجديدة التي دخلت البيت اليمني الحديث ، فاحدثت فيه أثرا اجتماعيا هائلا يتمثل في تأثيره على تنمية قصة الحب . فعبر الهاتف تعاود قصة الحب اشتعالها بالمكالمات والقبلات الهوائية ، والتي تجد فيها « نادية » تعويضا عن وحدتها في بيت أبيها ، خاصة بعد ان خضع لرغبات زوجته ، ورفض الموافقة على سفر البطلة لاتمام دراستها بالخارج ، فاضطرت للعمل باحدى الوظائف الحكومية ، ونجحت في العمل بين الرجال متخطية احزانها ، متحدية تعاستها .

هكذا تصور القصاصة اليمنية «شفيقة احمد زوقري» رؤيتها للتطور الحضاري الذي لحق باليمن الجديد ، وبالفتاة اليمنية الجديدة ، ولكنها تومىء من خلال تصويرها الذكي الى خطورة هذا التطور وتلك المظاهر الحضارية في التأثير على الفتاة والاسرة اليمنيتين ، وتأتي ايماءاتها عبر اداء فني غير مباشر ، وتتخلق خلال الاحداث التالية من قصتها الموحية، وذلك عندما توقع بطلتها في عدة مآزق ومآس كانت نتيجة لوحدتها وغربتها في بيت أبيها الواقع تحت سيطرة زوجة الاب ، ثم اضطرارها لاستغلال الهاتف والنادي وحريتها في الخروج للعمل والرحلة مع الزميلات والزملاء ، مما مكنها من مواصلة لقاءاتها بحبيبها ، وما لبثت ان وقعت في المحظور اثناء احد لقاءاتهما المنفردة بدار خالية يملكها احد اصدقائه

وتنقل القاصة مشاعر الفتاة اليمنية وترددها في دخول الدار ، ثم انزلاقها اليها ووقوعهما في المحظور ، عبر صور نفسية تستبطن مشاعرها ، وتصور نهايتها الاليمة تصويرا صادقا موحيا . وتكتمل المأساة باصابة البطلة في حادث صدام مروع لسيارتها ، يفقدها بصرها وثقتها بالرجال وبالبشر جميعا . وتومىء الكاتبة باشارة ذكية الى توقف الزمن بتوقف الساعة التي اهداها اياها حبيبها « احمد » في القاهرة ، ورفضها لهذه الاداة المصرية .

هكذا تومىء القاصة اليمنية محذرة من مخاطر الاستسلام لمظاهر الحضارة المصرية التي غزت المجتمع اليمني الحديث من خلال المصير المأساوي الاليم الذي ادرك بطلة قصتها « نادية » من جراء انجرافها وراء المظاهر المصرية واستسلامها لعواطفها ومشاعرها .

ولكن الكاتبة لا تدعنا للاحزان ، اذ سرعان ما تعالج جراحات بطلتها ، وتشفي آلامها الجسدية والنفسية ، بعد ان تضاعفت وحدتها بوفاة والدها . وتقدم القصة آخر مفاجآتها عندما يكشف البطل « احمد » عن عدم ارتباطه بزوجة أو اطفال ؟ وبذلك يختتم الزواج السعيد قصة الحب اليمنية ، التي قدمت صورة جديدة للفتاة اليمنية الحديثة ، وجاست خلال مشاعرها ، وصورت حياتها بما فيها من رؤى وهموم .



هل يصنع التاريخ الصفوة .. ؟ أم يصنعه التفاعل الطبيعى للقوى الاجتماعية المختلفة .. ؟

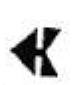
ترى المدرسة الأمريكية أن التاريخ يصنعه الصفوة ، لذلك اهتمت بالدارسات التى تتناول دور الصفوة ، على اعتبارها المؤثر الحى على ما يحمله المستقبل ، وقام المعهد الأمريكى للأبحاث السياسية باعداد كتاب هام ساهم فيه عدد من أساتذة العلوم السياسية ، يتناول دور النخبة السياسية فى بعض بلدان « الشرق الأوسط » ، نستعرض ماجاء فيه عن كل من مصر والعراق وسوريا ..

ويبدأ الكتاب بتحديد النخبة وحصرها فى القيادات السياسية والتنفيذية ، ويبحث مكوناتها والمؤثرات التى تحدد قيمها واتجاهاتها دورها فى الفترة الزمنية التى تبدأ من الخمسينات وتنتهى بمنتصف السبعينات ، وتمتد آثارها حتى اليوم .

إنها دراسة ربما لاترضينا ، ولكنها تتحدانا وتحفزنا من أجل بناء نظمنا السياسية



لقطة لبعض أعضاء مجلـــس قيادة الثورة سنه ١٩٥٣

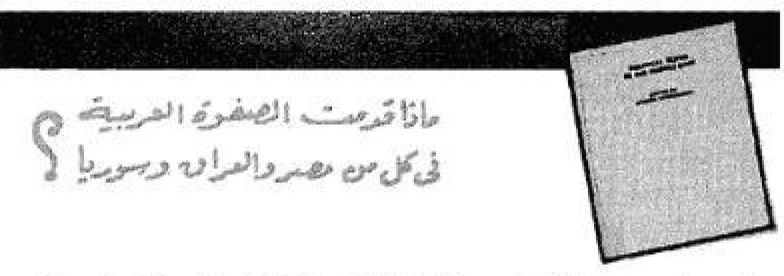


على اساس المؤسسات والأفكار وليس على أساس الأشخاص والشلل ، وتكتشف أهمية الطريق الديمقراطى الذى نسلكه وما يمكن أن ينتج عند غياب الديمقراطية ، وهى أحد نماذج التحليل ينبغي أن نعرفه وأن نناقشه ، ويكفى أنه يقودنا إلى ضرورة قيام خلايا حية فى المجتمع ، تملك آليتها وقدرتها الخاصة على الحركة ..

ويقوم منهج دراسة النخبة على أن النخبة أقلية نشطة تتمتع بالموهبة والثروة معاً ، ويتركز عندها إبداع المجتمع وقدرته على المبادرة . فالمجتمع يضم فريقين ، فريق حاكم قليل العدد وفريق محكوم كثير العدد ، يتولى الفريق الأول مقاليد القوة فى المجتمع ، ويدافع هذا المنهج على أن النخبة تكتسب شرعيتها من أنها النتاج الطبيعى لهذا المجتمع .

ونصل إلى ماجاء فى الكتاب عن دور النخبة فى مصر ..

إهتم الكتاب اهتماماً خاصاً بدراسة دور النخبة فى مصر ، وكتب هذا الجزء الأستاذ



روبرت سبر نجبورج ، مؤكدا ان مصر كانت دائما فى مقدمة الدول العربية ، وضعها فى المقدمة الانسجام بين سكانها ، وعدم معرفتها لأى انقسامات عرقية أو عشائرية ، كما اهلها لذلك حجم سكانها ومواردها الاقتصادية ودور المثقفين فى حياتها السياسية ، فقد تلقى المثقفون منذ عهد بعيد تعليماً منظماً .

واحدثت ثورة ٢٣ يوليو تحولات اساسية على مسرحها السياسى ، فقد قامت الثورة من لجل تأكيد الاستقلال الوطنى وتحقيق العدالة الاجتماعية .

ولكن اتسمت مرحلة الثورة بظاهرتين :

● أن تحقيق الأهداف الوطنية جاء على حساب الوسائل والاجراءات الموصلة إلى هذه الأهداف ، مما ساهم فى ضعف البناء التنظيمى وغياب المؤسسات التى ترتفع على الأشخاص .

● ادت الحاجة إلى قيام سلطة مركزية قوية وقادرة على تحقيق هذه الأهداف ، إلى إهمال إشتراك الشعب فى اتخاذ القرارات ، خاصة انه صاحب نجاح الثورة والقضاء على الهياكل القديمة .

ويلاحظ الكاتب عندما يحلل النخبة السياسية الجديدة ، أن الثورة لم تكن راديكالية بالقدر الذى يمكنها من تجاوز التقاليد والقيم القديمة الراسخة ، كما عجزت عن التحرك السياسى فى إطار مجموعات منظمة ، وبالتالى غابت العلاقات والروابط المتماسكة لمؤسساتها افقيا ورأسيا ، مما جعل قيام تنظيمات شعبية قوية صعبا سواء تلك التى تقوم على التضامن المهنى أو الطبقى أو الدينى ، وتم اختيار النخبة من خلال تشكيلات غير رسمية ، لا تستند كما فى السابق إلى ملكية الأراضى الزراعية ، بل اقتصرت على اناس قادرين على أن يرفعوا من قدر المتصلين بهم . !

لذلك ظهرت النخبة السياسية كبيرة الحجم ، ضعيفة التماسك ، ترتبط « بالشلل » والمجموعات المتغيرة على الدوام .

ويصل الكاتب إلى أن غياب المؤسسات والتشكيلات المنظمة ذات القواعد الراسخة ، ليس أمراً جديداً ، فقبل الثورة لم يؤد النظام الاقتصادى القائم إلى بنيان طبقى مستقر ، واستمرت الطبقة الوسطى تعانى من الضعف منذ قيامها فى أواخر القرن التاسع عشر ، عندما تحول الحرفيون إلى أجراء ، وعندما لم يسمح حجم التصنيع بقيام طبقة عاملة قوية

ولايتجاهل الكاتب ـ مثل غيره من الكتاب الغربيين ـ ما شهرته مصر قبل الفترة الاستعمارية ، وإن كان لا يحسن تقييمها ، فهو يسلم بوجود تنظيمات قديمة ، تتمثل فى العلماء وطوائف الحرف والتجار والطرق الصوفية ، ويزعم أن دور هذه التنظيمات قد اقتصر على اختيار الرؤساء الذين يكتفون بدور الوسطاء بين أتباعهم وبين الحكام .

اما تلك المؤسسات الحديثة التى ادخلها الفرنسيون . ايام الحملة الفرنسية ، او تلك التى ادخلها البريطانيون مع إحتلالهم ، فيشبهها بالسلع المستوردة غير المنتجة محليا ، تتنافر مع مظاهر الثقافة المحلية والقيم السائدة . ! وبدلاً من أن تؤدى إلى تقوية النخبة ادت إلى إضعافها ..

واستمر ذوو النفوذ فى مصر محاصرين فى المدينة بين السلطة السياسية من جانب ، وبين ذوى النفوذ من ملاك الأرض فى الريف من جانب آخر ، واستمر طويلاً النظام السياسى لا يسمح للقادة فى الريف بالاشتراك فى النخبة التى تتخذ القرارات نتيجة لما عرفته مصر من مركزية السلطة ، مما جعل هذه السلطة تواجه المعارضة على الدوام سواء العلنية او المكتومة من ذوى النفوذ فى الريف واتباعهم . ،

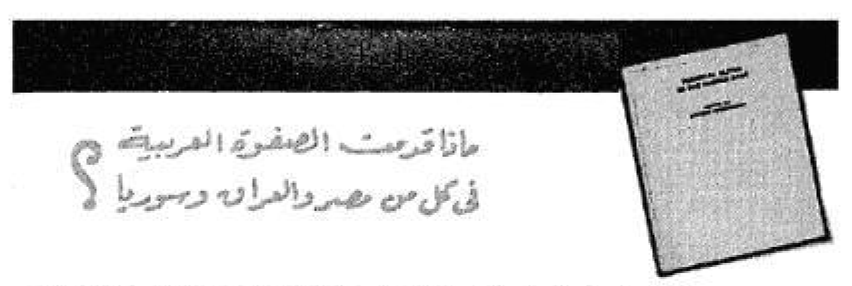
ولم تعرف مصر اية مدارس خاصة للنخبة تقوم باختيار وابراز اولئك المؤهلين لاتخاذ القرارات الكبرى ، وهو هنا يتجاهل الازهر الشريف الذى أخرج العلماء الذين يتصدون للحاكم الجائر ويدافعون عن حقوق الأهالى ومصالحهم . ! ، ثم يعود من الابحار فى التاريخ ويقول

وهكذا تميزت النخبة فى مصر بالتماثل ، فهى لا تنقسم على أساس اية فروق عرقية او دينية او لغوية ، لكنها تميزت بعدم الانسجام لافتقادها إلى ايديولوجية سياسية مترابطة او مثل أعلى مشترك ..

النسق السائد ..

ويلاحظ الكاتب غلبة ثلاثة انساق فى الحياة السياسية المصرية ، تؤدى إلى ظهور النخبة ، وهذه الانساق هى العائلة والدفعة الدراسية والشلة ، وهى أنساق تقوم على الأشخاص وليست على المبادىء ، مما عرقل تحقيق الكثير من اهداف الثورة .

ويبدا بالعائلة التى يعتبرها ابرز تنظيم سياسى غير رسمى ، وإن لم تعد لها ذات الأهمية التى كانت لها قبل عام ١٩٥٢ ، عندما كان الانضمام إلى النخبة يقوم على علاقات القرابة والمصاهرة ، وحينما كان ملاك الأرض يحتكرون شبكة واسعة تقوم على ما فى حوزتهم من ثروة ، وعندما كانت حتى الشلل والاحزاب السياسية اداة لتحقيق المصالح العائلية ، وبقيت بعد ثورة يوليو ساحة لدور العائلة باعتبارها وحدة التنظيم السياسى غير المعلنة ، فتنظيمات إبرازالنخبة الجديدة لم توفر بديلاً للعلاقات العائلية ، مع ضعف التنظيمات الشعبية والسياسية .



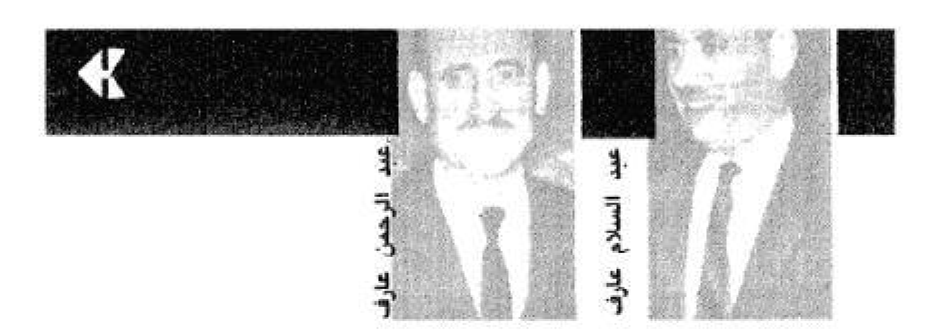
وصحيح أنها لم تعد تستند إلى الثروة المادية وحدها كما كان فى الماضى عندما كان الانضمام إلى النخبة مضموناً بالنسبة إلى أبناء كبار ملاك الأرض ، ولكن بقيت العائلة حلقة اتصال بين شبكات شخصية متعددة قادرة على إفساح الفرص أمام أبنائها ..

الشلة :رابطة الصداقة التى تضم مجموعة ، سواء أعضاء دفعة دراسية واحدة ، أو علاقات الأقرباء أو الناتجة عن نشاط داخل تجمعات فى نطاق المؤسسات والمنظمات الرسمية ، وقد ساهم فى تقوية ، الشللية ، ضعف أثر العائلة واتساع الصفوة ، فالشلة لا تستند إلى إى لقاء فكرى ، ويحركها الطموح والمكاسب المادية ، وهى التنظيم المتاح لمن يشغلون مراكز متساوية أو متقاربة ، ولكنها من الصغر والضعف بحيث لا تشكل مصدراً للتماسك القوى فى نطاق النخبة .

دفعة التخرج : تزداد أهمية الدفعة عند غياب حزب سياسي فعال ، وزاد من أهمية التضامن بين الدفعة الدراسية الواحدة ، عدم وجود نظم محكمة تضمن المستقبل الوظيفي ، وعند غياب العائلة ذات النفوذ وعدم وجود المساندة من الذين في المناصب العليا ، ولم يبق سوى الانتماء إلى الدفعة لتبادل المساعدة . على أن الدفعة لا توفر لأعضائها علاقات شخصية متينة . فهى لا تمثل وحدة متماسكة ، ولا يتوقع الكثير من التضحيات من جانب أعضائها ، ويبقى الدور السياسي الذى تقوم به ، وهو توفير إطار لقيام علاقات شخصية أوثق ، ومنذ عام ١٩٥٢ ظهرت أهمية الدفعة في أعلى مواقع النخبة ، فالضباط الذين قضوا على الحكم الملكي كانوا خريجي الدفعات الأولى التى سمح لها بدخول الكلية الحربية بعد عام ١٩٣٦ . واستمرت صداقات وعداوات دفعات الثلاثينات بعد إتساع نطاق النخبة حين ضمت إليها المدنيين .

ويبقى بعد ذلك التشكيلات الرسمية التي تشبه طوائف الحرف في العصور الوسطى ، وهي التى تسعى لكي يكون قادتها قريبين من مراكز السلطة ، وعندئذ تغلب العلاقات الشخصية على الولاءات التنظيمية ، ويجد الداخل فى إطار هذه التشكيلات مجالا للتقدم والترقى .

كما أن النقابات المهنية والطرق الصوفية والأندية الرياضية ، توفر أرضاً محايدة تمكن أفرادها من مد علاقاتهم خارج نطاق مجالاتهم إلى أفاق أوسع ، والغريب أنه يضع النقابات المهنية وهى الهياكل التنظيمية الهامة على مستوى الأندية الرياضية . ! فالفروق بينها واضحة سواء فى ظهور النخبة السياسية ، أو



الدور السياسى الذى تلعبه النقابات .

ويخلص الكاتب إلى ان التبعية لذوى النفوذ تساهم فى الاستقرار السياسى . إلا انها لا توفر قاعدة تنظيمية تمكن النخبة من فرض وحدة الهدف وتحقيق مثلها الأعلى . فالشخص الواحد يستحيل ان يقيم علاقات شخصية وثيقة مع ما يزيد عن ثلاثين فرداً من اتباعه ، وتؤدى زيادة هذا العدد إلى ظهور « الوسطاء » فى الحياة السياسية .

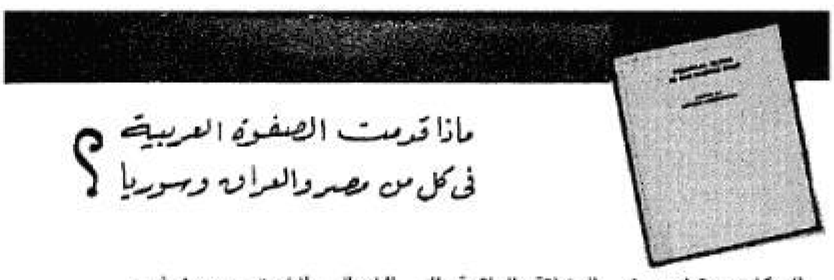
الصفوة فى العراق

يقدم دراسة دور الصفوة فى العراق الأستاذ فيب مار الأستاذ المشارك بقسم التاريخ فى جامعة تنيسى ، ويرى أن مفتاح التقدم فى العراق مرهون بقيام إدارة سياسية تتميز بالكفاءة ، وخلق جماعة سياسية تضم كل اقسام الشعب العراقى فى إطارها ، فالتحدى الذى يواجه العراق يتمثل فى أنه يضم العديد من المجموعات العرقية والدينية ، مما يجعل مهمة الحكم شديدة الصعوبة وبالغة الدقة .

ومن يتابع دراسة فيب مار ودراسة سبرنجبورج ، يلاحظ المدخل المختلف لكل من الدراستين ، ورغم ذلك يلمح أوجه الشبه فى الكثير من المجالات بين التجربة السياسية فى كل من مصر والعراق ، تشابه يتعلق بالقيم السائدة ودور المؤسسات القديمة ، وقيام النظام السياسى القديم على ملاكى الأراضى الزراعية ، وقيام الثورة فى كل منهما ، وإن كانت الثورة فى العراق قد تأخرت ستة أعوام عنها فى مصر ، وتأتى الفروق من التركيب السكانى والموقع الجغرافى (العراق بلد تخوم عربية) لكل منهما .

وقد شملت العينات التى إعتمد عليها البحث فى العراق على القادة الذين إحتلوا مناصبهم منذ عام ١٩٥٨ ، رؤساء الجمهورية وأعضاء مجلس قيادة الثورة والوزراء حتى منتصف السبعينات ، ويلاحظ أن التغييرات السياسية التى أعقبت ثورة عام ١٩٥٨ كان يتبعها تغييرات تكاد تكون شاملة فى جهاز الدولة وكبار المسئولين فى الدولة ..

ويرى الكاتب ان الانقسام العرقى والدينى لعب دوراً رئيسيا فى تشكيل النخبة يفوق تأثيره الخلفية الاجتماعية والاقتصادية لافراد النخبة ، فيتوزع السكان على النحو التالى : العرب السنة يشكلون حوالى ٢٥ ٪ من السكان ، ويقطنون المنطقة الشمالية الغربية من العراق ، والعرب الشيعة يزيدون قليلاً عن نصف السكان ويقطنون فى المنطقة الممتدة من بغداد إلى اقصى الجنوب ، اما الأكراد السنة فيشكلون خمس



السكان ويقطنون في المنطقة الواقعة إلى الشمال والشرق من بغداد .

ويتعرض للتطور التاريخي للصفوة قائلا : كان أبرز الساسة قبل عام ١٩٥٨ من القوميين العرب الذين إشتركوا في الثورة العربية ضد الحكم العثمانى ، وعقب الثورة ظهر جيل جديد ليس لديه ذكريات هذه المرحلة ، فلم يمارسوا نشاطهم السياسى أو يكتسبوا خبرتهم فى ظلها ، وإذا كان العهد القديم يستمد الدعم من الملكية والمصالح الزراعية الواسعة . فقد إستند العهد الجديد على الجيش والفئات المتعلمة التى يمثلها

معدل التغيير فى الوزارات العراقية

الفترة التاريخية	عدد الوزارات	المعدل المئوى
● عهد عبد الكريم قاسم		
ما قبل ١٩٥٨	٣	٩ ٪
التعيينات الجديدة	٣١	٩١ ٪
● عهد البعث عام ١٩٦٣		
استمرار	٤	١٤ ٪
التعيينات الجديدة	٢٤	٨٦ ٪
● عهد عارف		
استمرار	١٤	١٧ ٪
التعيينات الجديدة	٧٣	٨٣ ٪
● عهد البعث ١٩٦٨		
استمرار	١٣	٢٢ ٪
التعيينات الجديدة	٦٤	٧٨ ٪

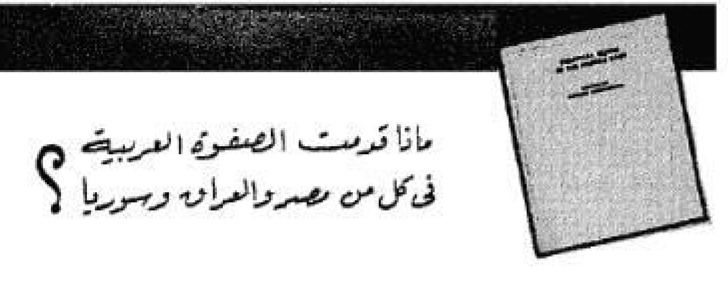
القادة الجدد ، وهذه القوى الجديدة لا تتصف بالانسجام لا فى مصالحها الاقتصادية ولا فى أهدافها العامة .

فما هو نوع ثقافة القادة الجدد ؟ وما هى القيم السائدة بينهم ؟ وماهى مهاراتهم ومؤهلاتهم .. ؟ وماهى اهدافهم وانجازاتهم .. ؟

يلاحظ ان هؤلاء القادة لديهم مستوى جيد من التعليم عند مقارنتهم ببقية السكان ، فالتعليم كان محدوداً فى العهد الملكى ، ولم يتسع نطاقه سوى بعد عام ١٩٥٨ ، كما يلاحظ أنه فى العهد الملكى تصدر العمل السياسى القانونيون وبعدهم برز العسكريون .. فكما هو منتظر صعد خريجو الكليات العلمية فى السلم السياسى ، وإن كان صعودهم أبطأ من نموهم فى المجتمع الكبير ، كما أن أفضل هؤلاء الخريجين تعليماً لم يصلوا إلى قمة السلطة ، ولم يتحقق التوازن التعليمى بين النخبة السياسية الحاكمة والنخبة المتعلمة بوجه عام ، ومما له مغزاه ان خريجى البعثات التى ارسلتها حكومات الثورة إلى الدول الاشتراكية لم يشغلوا اى منصب وزارى أو أى منصب مرموق ، كما أن اثر خريجى الجامعات الغربية أخذ يضعف منذ عهد عبد الكريم قاسم ، ولاشك أن التغييرات التى وقعت بالقوة وليس بالتطور السياسى كانت لها أثارها السلبية على الاستقرار السياسى وعلى بروز النخبة ، وتزايد عدد النخبة من العسكريين وترك بعضهم الجيش وتفرغوا للعمل السياسى ، وجاء حزب « البعث » ليكون إستثناء عن هذه القاعدة ، فانقص عدد العسكريين فى مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء ، وفرض سيطرة المدنيين على السلطة ، كما زاد دور التكنوقراط مع إزدياد التطور الاقتصادى فى البلاد ، وظهر نوع من الساسة ملتزمون ثوريون اكتسبوا خبرتهم السياسية من عملهم فى النشاط السرى ، وأدى إستمرارهم فى السلطة إلى تقليم اظافر المعارضة والوصول إلى الاستقرار النسبى .

الجذور ..

وتعود أصول معظم القادة الذين إنضموا إلى مجلس قيادة الثورة ـ منذ قيامه ـ إلى الطبقة الوسطى ، فاباؤهم من متوسطى الحال من ملاك الأراضى ومن التجار والزعماء الدينيين والمهنيين ورجال الادارة ، وجاء حكم البعث فاقتربت النخبة أكثر من فئات الشعب العادى ، بعد أن أدى انتشار التعليم وتزايد الهجرة إلى المدينة إلى الحراك الاجتماعى . ولكن العديد من الاصلاحات جاءت على أيدى أبناء الطبقات الموسرة ، وإن كانت الحركة الاجتماعية لا تقاس فى العراق بالأصل الاجتماعى بل بالبيئة الجغرافية



الأصلية التى ترعرع فيها أولئك القادة . فالمؤثرات العشائرية هى التى شكلت إتجاهات الكثير من القادة .

وتصل الدراسة التى تنتهى قبل عام ١٩٧٥ ، إلى أنه لم تصل نظم الحكم إلى إقامة مؤسسات سياسية مستقرة بعد القضاء على المؤسسات السابقة على عام ١٩٥٨ ، صحيح أنه بذلت جهود لملء الفراغ ، وقامت إتحادات ونقابات ، إلا أنها تمثل جماعات لها مصالح محدودة ولا توفر قنوات كافية للرأى العام .

النخبة فى سوريا

فى هذا الفصل الذى كتبه جور دون ثورى :الأستاذ بجامعة جونز هوبكنز فى واشنطن ، تواجه مرة أخرى مدخلا مختلفا عن المدخلين السابقين ، يميل إلى التحليل ويتعامل مع الأفكار أكثر من الوقائع ، وأهم ما جاء فيه أنه منذ عام ١٩٦٣ تولت الحكم فى سوريا أجنحة بعثية مختلفة ، وأمسك ضباط الجيش بمقاليد السلطة ، وفى فبراير عام ١٩٦٦ قام المتطرفون من المدنيين والعسكريين بانقلاب أدى الى طرد « عفلق » و « البيطار » ، ومنذ ذلك الوقت فقد المثقفون تأثيرهم فى الشئون الاجتماعية والسياسية ، باستثناء البعض الذى نشأ فى حزب البعث ، مما أدى إلى ضعف الأداة الحكومية فالموظفون لا يبدون أية رغبة فى القيام بأى مسئولية

وبرزت النخبة العسكرية بعد أن حل محل الجيل القديم من الضباط جيل جديد له إنتماءات فكرية عربية ، ولكنه لا يتقن أية لغة أجنبية ! ، ويعوزه الاحتكاك بالغرب ، وينتمى أغلب أفراده إلى أصول ريفية ، ويؤمن العديد من الضباط بأن العسكرية هى أداة التغيير الاجتماعى ومواجهة اسرائيل ، ومما لاشك فيه أن المستوى التعليمى للنخبة العسكرية أقل بوجه عام منه لدى النخبة المدنية السابقة ، رغم أن المثقفين والتكنوقراط الذين تلقوا دراساتهم فى الداخل والخارج لهم وزنهم فيما يتعلق باتخاذ القرارات الرئيسية ، والرابطة الأساسية بين النخبة العسكرية هى الأصل الأقليمى المشترك ، وقد ظهرت هذه الولاءات الاقليمية واضحة عندما ساند أفراد ينتمون إليها مشروعات بعينها مثل إنشاء المدارس وتطوير ميناء اللاذقية .

ويشير الكاتب إلى أن سوريا بها إختلافات دينية وعرقية وعشائرية ، فهناك العديد من

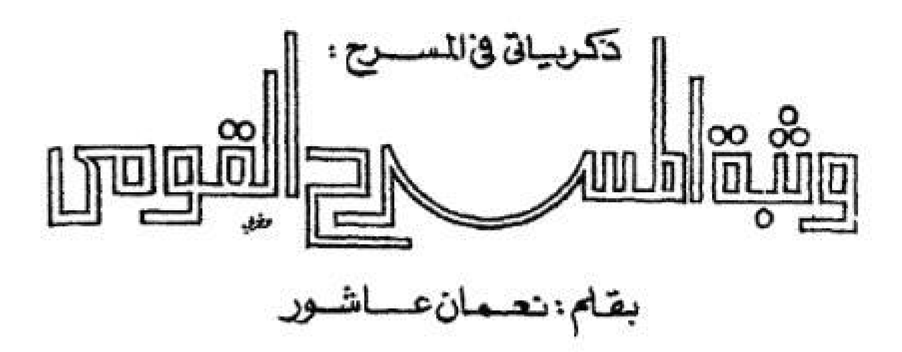


حافظ الأسد

الطوائف ، وهناك أقليات عدة مثل العلويين الذين يسكنون منطقة اللاذقية ، والدروز الذين يسكنون المناطق الجنوبية الغربية من البلاد ، والأكراد والأرمن ، وهى مجتمع مازال يلعب فيه الدين دوراً هاما تثير هذه الانقسامات كثيراً من المنازعات ، تختلط فيها الانقسامات الاجتماعية والطبقية بالتجمعات الأسرية والعشائرية بالأفكار المتطاحنة .
هذا رغم ان المجتمع آخذ فى التغير ، مما ادى إلى ضعف الحواجز وزوال الأحياء السكنية الخاصة بالطوائف الدينية ، وحتى اواسط الستينات كانت تسيطر على مقدرات البلاد السياسية والاقتصادية نخبة صغيرة معظمها من السنة الحلبيين والدمشقيين .
وحاول نظام الرئيس حافظ الاسد أن يقضى على الشلل الاقتصادى بتشجيع عودة السوريين المهاجرين ذوى المهارات الخاصة أو راس المال الخاص ، كما حاول ان يجعل نظامه اكثر استجابة لرغبات الشعب ، وان يشجع هيئات اكثر تمثيلا للشعب ، فقام باعادة تنظيم الحزب ، واقام جبهة وطنية ، وانشا مجلساً للشعب يضم القوى السياسية وممثلين عن نقابات العمال والتنظيمات المهنية ، إلا أن البعثيين شغلوا معظم مقاعده ، واتجه إتجاهاً عمليا ، ولكن المشكوك فيه ان يباشر مثقفو سوريا دورهم فى غياب صحافة أكثر حرية ومسئولية ، خاصة وأن الجيش يقف باستمرار موقف المتربص . !

وفى بلد مثل سوريا يصعب وجود الاجماع ، ومن ثم فعدم الاستقرار هو القانون ، الأمر الذى جاء لمصلحة الجيش فى نهاية المطاف ، خاصة وانه اكثر تماسكا من كل القوى السياسية ، ولم يستطع حزب البعث أن يكسب مساندة شعبية واسعة ، أو أن يفرض فكره على الجيش بشكل يجعل الضباط يضعون طموحاتهم الخاصة فى المحل الثانى ، مما جعل قادة الحزب المدنيين يتنازلون عن دورهم القيادى ، خاصة وأنهم عانوا طويلاً من الصراعات العنيفة !

وأخيرا .. مهما كانت وجهة النظر فى مدخل ومنهج هذه الدراسة ، وسواء أكان التاريخ يصنع الصفوة ، ام ناتج التفاعل الاجتماعى ، إلا أن هذا النوع من الدراسات يخضع كمية كبيرة من المعلومات والملاحظات إلى البحث الدقيق والتحليل المتأنى ، يلتقطها جميعاً ويضمها فى خيط واحد ، وتبين هذه الدراسات التقدم الذى أحرزته العلوم الاجتماعية والسياسية ، التى لم تعد مجرد تأملات وتقديرات بل عينات وأرقام تدخل الحاسب الآلى .



بعد مغامرة عبور بحيرة المنزلة والوصول الى منطقة الجبانة على شاطىء بورسعيد . اضطررنا ، الى العودة للقاهرة فرحلونا فى حراسة الجنود المتطوعين سيما بعد ان بدا الغزو ونزلت جنود الامبراطوريتين العاجزتين انجلترا وفرنسا ومعهم فلول الغزو الاسرائيلى الى شاطىء المدينة . كان العدوان الثلاثى قد بدأ بالفعل وكنت حتى هذه اللحظة من عام ١٩٥٦ مرتبطا بالكتابة للاذاعة .. وكما حدثتكم من قبل ساهمت بكتابة تمثيلية طويلة مداها اكثر من ساعتين واذيعت عدة مرات ابان المعركة .. ايامها كان احمد حمروش قد تولى ادارة المسرح القومى وحشد كل اعضائه للمساهمة فى مقاومة العدوان بتقديم عروض مسرحية مجانية للجمهور وطبيعى أن ابادر بالكتابة للمسرح من جديد بعد نجاح مسرحيتى المغماطيس والناس اللى تحت وكان مما شجعنى على ذلك ان تجربة الثمان والاربعين ساعة فى جبانات بورسعيد قد أوحت الى ومن واقع معايشتى للأهالى القابعين فيها بفكرة درامية لامعة .. وهكذا ما أن اتصل بى الصديق احمد حمروش من المسرح القومى لأشارك فى دعم المسرح للمعركة حتى شرعت فى كتابة " عفاريت الجبانة " كنت فى عنفوان حماسى وتوقد موهبتى . فانتهيت من كتابتها بعد اسبوع امضيت منه ثلاث ليال لم يغمض لى فيهم جفن . وكانت ذات فصلين مع أن المطلوب كان كتابة مسرحية من فصل واحد.

موجبات الكتابة بالنسبة للكاتب

وهنا لابد من اثبات اكثر من حقيقة فى تحديد بعض موجبات الكتابة . فليس يلزم كما يقال ان يعيش الكاتب طويلا فى موقع المكان أو واقع الأحداث التى يكتب عنها .. وانما يكفيه يوما أو بعض يوم لكى يخرج بتصور قد لايدركه الشخص العادى أو يعيه أو يكون قادرا على التعبير عنه ولو عاش فى نفس المكان العمر كله ولو شارك فى الأحداث من بدايتها الى نهايتها .. وتلك هى اللماحية التى تميز الفنان الخالق الذى وهب دقة الاحساس وطلاقة الخيال وموهبة التعبير ...

حقيقة أخرى هى ان الكاتب مالم يكن يحس بموضوعه احساسا طاغيا مستمدا من تراكمات مشاعره الدائمة به .. فإن فى هذه الحالة

لايكتب فنا تميزه الجدة والاصالة والصدق . وانما يكون كمن يقوم بنسخ صور كربونية مكررة فن أعماله الأصلية .. وقد كان هذا العدوان الثلاثي يمثل في حقيقته ويركز بوقوعه

في داخلية نفسي ومشاعري الوطنية المتلاحقة منذ الطفولة . اضف الى ذلك مايمكن ان اسميه بالنسبة للكاتب أو أي فنان خالق .. اختفاء قيود الزمن الذي قد تستغرقه عملية

الكتابة أو الخلق خصوصا في مثل هذه المناسبات الكبرى .. ولذلك فليس غريبا أن يبدع تولستوى ملحمته عن الحرب والسلام عن غزو نابليون لبلاده واحراق عاصمتها في مدة اقل مما استغرقته كتابة أي رواية أخرى . وكذلك كان الشأن فيما بعثه هذا العدوان في نفوس كتاب الأغاني الوطنية وملحنيها وما ابدعوه بعدها في حرب ١٩٧٣ ابان المعركة القصيرة من روائع الألحان والوطنيات الغنائية التي لاتزال حتى اليوم تحمل اقوى شحنات احساسيسنا الوطنية .

القواعد والتقاليد المسرحية

واسرعت وفي يدى " عفاريت الجبانة "



وثبة المسرح القومي

وأنا اطير به فرحا من على الارض وتحمس له الصديق المخرج المبدع نبيل الالفى وصمم على ان يقوم باخراجه رغم أنه نص يغلب عليه طابع الكوميديا ونبيل لايميل كثيرا الى هذا اللون .. لكنه كما قال ايامها .. يكفينى مافيه من صدق وشاعرية ودفء فى الاحساس .. ولم نختلف فى شيء وقمنا بتطويع النص لمقتضيات العرض بادماج الفصلين فى فصل واحد بدون المساس بأى حرف من الحوار .. وبدأنا البروفات فى دار الاوبرا .. بينما كانت بروفات مسرحية الصديق الفريد فرج تجرى فى مسرح الازبكية .. وهنا تظهر الادارة المتسقة الحازمة لأحمد حمروش .. فقد لخضع كل الامكانيات التى تحت يديه لخدمة مطالب المخرجين واحتياجات العروض فى حزم وصرامة مزينة بابتسامته العذبة .. والحق انها كانت المرة الاولى التى اتعرف فيها بالآخرين الكبيرين حسين رياض وفؤاد شفيق .. فقد اختارهما نبيل لبطولة المسرحية التى كان بين أبطالها الاخرين عبد المنعم ابراهيم وسعيد أبو بكر ورفيقه الشال ونور الدمرداش وفردوس حسن وغيرهم ..

وكانت هذه هى مرحلة وضع القواعد والأسس التى سار عليها المسرح القومى بعد ذلك لعدة سنوات .. وهى كلها تقوم على تقاليد حتمية فى تنظيم العمل داخل البيت المسرحى ولخدمة العرض المقدم وجمهوره .. وكان من بين هذه التقاليد التزام الممثل لابدوره فقط وانما بحضور البروفات فى مواعيدها واعطاء المخرج الحق فى اختيار ابطال المسرحية التى يخرجها وفرض الجزاءات على كل من يتخلف أو يمتنع عن الاستجابة لاختيار المخرج والالتزام بالدور الموزع عليه مهما كان

كبيرا والدور الذى سيمثله صغيرا . ووضع لائحة شاملة جديدة للمسرح القومى . وطبيعة العلاقات بين العاملين فيه بعضهم بعضا . والاستعانة بالنقاد الكبار فى لجنة قراءة ثابتة ورفع الستار فى الموعد المحدد بالدقيقة

وعدم السماح للمتفرج بمشاهدة العرض بعد بدء التمثيل وتحريم بيع اى شيء للمتفرجين اثناء العرض بل وفى الاستراحة .. وتخصيص بوفيه خارج الصالة .. وغرف انتظار وربط الممثلين بمسرحهم عن طريق الرحلات الترفيهية المنتظمة والحفلات التى تقام داخل المسرح بمناسبة الاحتفال بكل عرض واقتراحاتهم بالنسبة للأخطاء التى تقع من كافة المسئولين .. وتحديد مسرحيات كل موسم والاتفاق عليها مع مؤلفيها ومخرجيها والقائمين بتمثيلها قبل بدء الموسم بشهور

وتخصيص مجال واسع لاعادة عرض المسرحيات التى سبق عرضها وبنسبة محدودة . ريبورتوار لأربع مسرحيات قديمة يعاد عرضها .. وثلاث مسرحيات مترجمة من المسرح العالمى وكل ما يقدمه الكتاب القادرون من مسرحيات مؤلفة .. وهكذا تحول المسرح القومى الى خلية نحل وكان صوت حمروش يطن فى جميع الاذان مع انه لم يكن له سابقة خبرة أو تجربة فى هذا المجال وانما يدفعه حب دفين غامر لهذا الفن وأصحابه مما جعل نظرته موضوعية وتوجيهات خالية من اى نزوات استئثار او طموح شخصى .. وهذا فى الحق ما يجعلنى حتى

الآن وكلما سئلت عن احتياجات المسرح أصر على مبدأ أن يتولى ادارته أشخاص أكفاء من خارجه . فليس يلزم أبدا أن يعهد بادارة المسارح للمخرجين والممثلين وقد أثبتت تجارب الربع قرن المنصرم صحة ذلك لأن أى فنان بطبعه أنانى وله نظرته الخاصة والتى لايمكن أن يتخلى عنها وطموحه الذاتى الذى لابد وأن يقهره ليحفظ بموضوعيته خاصة بالنسبة لمنافسيه من زملائه الفنانين الذين يشرف على نشاطهم مخرجون كانوا أم ممثلين ويكفى هنا أن أشير الى أن المسرح القومى فى سنوات ١٩٥٦ ثم بعدها فى موسم عام ١٩٥٧ قدم من ٢٠ الى ٢٢ مسرحية . ولم تكن عروضه تنقطع طوال أشهر الصيف .. بينما اليوم ومن سنوات عشر حتى الآن لايقدم المسرح القومى غير مسرحية او اثنين أو ثلاثة مسرحيات على الاكثر من اخراج او بطولة مديريه ! ! !

الجيل العتيق

نعود الى " عفاريت الجبانة " كنا نجرى البروفات فى دار الاوبرا وكانت تتسم بالجدية التى عرف بها نبيل الالفى . واهم مالفت نظرى من البروفة الأولى حضور الممثلين الكبيرين العتيقين حسين رياض وفؤاد شفيق قبل موعدهما بنصف ساعة .. ثم جلوسهما أمام " ترابيزة القراءة " وفى يد كل منهما نوتة نقل فيها حوار دوره من النص . وبعد أن حييتهما وجلست .. سألنى المرحوم حسين رياض " ياابنى أنت عامل لنا كوميديا فى مسرحية وطنية " فأجبته بأن هذا هو أسلوبى فى الكتابة .. ولم يوافقه شقيقه المرحوم فؤاد شفيق " أنت علشان بتمثل تراجيديا عاوز كل حاجة تتفصل على مقاسك ؟ ! .. "

وجاء نبيل الالفى ليقطع حبل المناقشة ساخطا على تأخير الانتهاء من الديكور .. ثم تبعه سعيد أبو بكر ومعه رفيقه الشال رحمهما الله .. وكان نبيل لايزال غاضبا فى عصبية من أجل الديكور فناداه سعيد أبو بكر من طرف المائدة .. " خليك معانا ياأستاذ نبيل احنا الممثلين أهم من الديكور .. والمسرحية مسرحية شخصيات مرسومة وزى العسل " وحل موعد بروفة القراءة .. وحضر الجميع ماعدا نور الدمرداش .. وجلسنا ننتظره لمدة خمس دقائق .. لكن نبيل لم يطق الانتظار فسجل له جزاء تخلف وبدأنا قراءة النص .. وطالت غيبة نور الدمرداش فأخبرنا المرحوم فؤاد شفيق أنه جالس يلعب الطاولة فى قهوة متاتيا .. وارسلنا فى طلبه فجاء على مضض معتذرا بأنه لم يكن يعرف موعد البروفة . ولكن الحقيقة كانت غير ذلك تماما لأنه كان من قبل ذلك قد أخرج عدة مسرحيات وبدأ يتخلى عن التمثيل ولكنه أمام حزم اللائحة الموضوعة اضطر لقبول الدور على مضض .. وربما لأنه لم يعهد اليه باخراج احدى المسرحيات .. اكتب مفصلا فى هذا الموضوع لأنه يثير بدوره قضية أو مشكلة تتجدد دواما فى المسرح وهى حتمية التزام الفنان بما يقبل القيام به .. لأن نور كان قد قرأ النص ولم يجبره أحد على قبول الدور .. وكان فى استطاعته أن يعتذر مع أن الدور لم يكن أقل من دور عبد المنعم ابراهيم ولأنه تخلف بعدها عن حضور أكثر من بروفة .. وتكرر ذلك منه فى مسرحيتى التالية " الناس اللى فوق " فقد تخلى عن دوره فيها بعد شهر واحد من عرضها .. ولهذا ترك التمثيل وتفرغ للاخراج



وثبة المسرح القومى

ثم هاجر المسرح نهائيا الى التليفزيون .. والمهم أخرجت المسرحية وعرضت فى سهرة مع مسرحيتى الفريد فرج ومحمد عبد الرحمن .. المؤلف الثالث الذى تذكرت اسمه توا وانا اكتب .. وفتح المسرح ابوابه مجانا للجمهور فكانت الصالة تمتلىء ليليا .. واثار العرض حماسا وطنيا قلقا يتناسب مع وقوع العدوان وغدره ..

مواجهة طه حسين

حصلت مسرحيتى على الجائزة الاولى وهى عبارة عن ميدالية تسلمتها من المشرف على المجلس الأعلى ايام ذاك .. وكان الدكتور طه حسين حاضرا حفل توزيع الجوائز وقال المرحوم يوسف السباعى وهو يقدمنى .. " بتاع الناس اللى تحت " فضحك الجميع وابتسم طه حسين وهو يهز رأسه استحسانا ثم ارسل الى سكرتيره لكي ألاقيه بعد الحفل . وجرى ذلك فى حديقة المجلس الاعلى للفنون .. فلما قابلته قال .. انا سمعتها فى الراديو وليس لى اعتراض عليها بل اعجبتنى معالجتك الكوميديا رغم جدية الموضوع .. لكن هل ستستمر فى الكتابة باللغة العامية ؟ ! وترددت قليلا بل تلعثمت وأنا أحاول الرد .. فأردف .. " بالنسبة للمسرحية دى معلش .. لكن مسرحية زى " الناس اللى تحت " انا غاضب عليك من يوم أن سمعتها .. يا ابنى انت تكتب جيدا بالفصحى .. فلماذا تبدد موهبتك وتكتب العامية ؟ !

انصحك العدول عن ذلك اذا كنت حقا تريد ان تكون اديبا له مكانته .. وظل هذا التحذير يرن فى أذنى لعدة سنوات حتى عدت الى لقاء طه حسين فى بيته بعدها بزمن طويل وكان يهز رأسه أسفا .. " انا غير راض عنك .. لماذا لم تأخذ بما حذرتك منه .. " وناقشته طويلا فى حتمية كتابة الكوميديا الاجتماعية باللغة العامية .. واطلقت عليها ما أسميها به .. وهى انها لغة درامية تفرضها طبيعة الموضوع المعالج .. وليست عامية ابدا .. فسخر منى وقال " الكاتب لايقنن نفسه وانما يجب ان يركن الى مايسنه النقاد " وهذا رأى أخالفه فيه .. فالناقد يستنبط مقاييسه من واقع العمل الفنى ذاته لأن العمل الفنى له مقاييسه الذاتية ..

شخصية البطل

الشيء الذى اذكره ولاانساه .. ان بطل " عفاريت الجبانة " كان هو المرحوم عباس ابراهيم .. زوج اخت زوجتى (عديلى) الذى كان قائما على حراسة مطار الجميل ولم نجده حين وصلنا الجبانات اذ انضم الى المعركة داخل المدينة .. لكنى لم ادرك هذه الحقيقة الا بعد حضوره ومشاهدته للمسرحية حين أخبرونى انه تعرف على نفسه بين الأبطال وذلك من بعض فقرات الحوار لأن كلا منا بالفعل له عبارات أو لوازم يرددها فى معظم كلامه .. ثم أن الأحاسيس التى كان يحملها عبد المنعم ابراهيم وهو يمثل الدور كانت نفس الأحاسيس والافكار التى راودته أثناء القتال .. واستغرب كيف استطعت أن انقلها واصورها بهذا الشكل فى المسرحية . والحق أن هذه سمة الكتابة الواقعية .. فأنت اذا صدقت

الواقع الذى تستمد منه موضوعك المتصور أو المتخيل فلابد أن يصدقك الواقع ايضا .. والغريب أن المرحوم عباس ابراهيم اصيب بعدها بارتجاج حاد فى المخ واستمر يعانى منه سنوات .. وكل ذلك من أثر المعركة .. فكأنه توفى شهيدا .. وحصل زميله الذى ترك المعركة من بدايتها ورفض أن يصحبه الى داخل بورسعيد حصل على وسام البطولة الذى كان يستحقه هو نفسه ولكنه كان رجلا مؤمنا وكلما ذكر امامه الموضوع كان يردد " غفر الله لهم .. يكفينى رضا الله "

وعدت لأتابع الكتابة

تبقى بعد هذا حقيقة مؤسفة . فلكم حاولت الحصول على نص هذه المسرحية لطبعه فلم أجده .. لافى المسرح القومى ولاحتى فى الرقابة لأنه لم يعرض على الرقابة .. وضاع منى فلم احتفظ به فى غمرة الحماس للمساهمة فى المعركة لاننى سلمته كمسوده للمسرح مباشرة .. ولم اقم بالاحتفاظ بصورة منه . وأملى أن أجده فى يوم من الأيام لأنه نص عزيز على قلبى بالفعل ..

وانتهى العدوان الثلاثى واقلعت عن الكتابة فى أى شىء وتفرغت لكتابة مسرحية جديدة كانت هى " الناس اللى فوق " واعتبرها هى الأخرى من اعز كتاباتى واقربها الى قلبى بالنسبة للظروف التى كتبتها فيها .. وهى ظروف لم تكن مشجعة فحسب بعد النجاح الذى احرزته .. ولكنها ظروف املاها على ما داخلنى من احساس بمسئولية كبرى هى مسئولية الجندى الذى يرفع الراية امام الفيلق المقاتل ولايجب أن تسقط منه حتى ولو سقط هو ميتا على الارض .. ولذلك ما أن اتصل بى الصديق الكبير احمد حمروش ليسالنى عن خطوتى التالية .. حتى أسرعت اليه " بالناس اللى فوق " جاهزة كاملة مطبوعة على الالة الكاتبة وفى يدى أكثر من صورة منها حتى لايضيع نصها .. وكان ذلك بعد ثلاثة شهور فقط . لتصبح هى مسرحية الافتتاح لموسم المسرح القومى عام ١٩٥٧ وهو ما ساحدثكم عنه بعد ذلك

مغنيتــان

● كانت لرجل ظريف مغنيتان ، إحداهما حاذقة حسنة الغناء والأخرى متخلفة لايحب أن يسمع لها صوتا ، وكان إذا غنت الأولى طرب واشتد به الطرب ، حتى انه ليشق قميصه ويمزقه فاذا اخذت الأخرى تغنى ، قعد يخيط قميصه ويرتق ما تمزق تمزق منه من فرط التأثر والاهتياج .



بقلم : توفيق حنـــا

عدسة : سعيد عبد الحميد

• اهدى هذه الكلمة الى نيافة الانبا ميخائيل - مطران اسيوط - بمناسبة بداية القرن الثامن عشر للشهداء . •

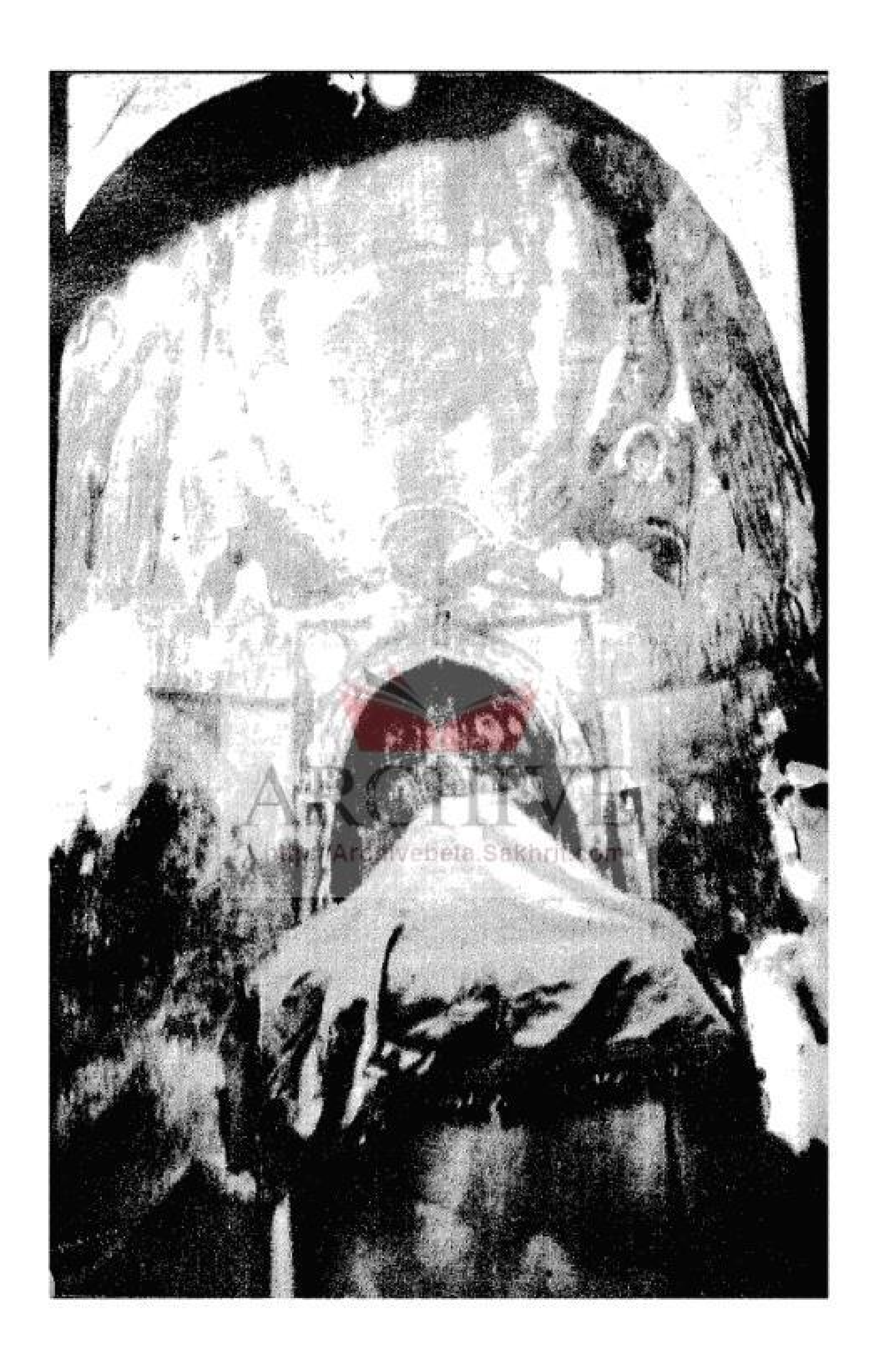
• اعلموا يا أولادى ان كل الوصايا ليست ثقيلة ولا متعبة بل نور حقيقى وسرور أبدى لكل من أكمل طاعتها ، رسالة ١٤ للقديس انطونى

يقول الأب متى المسكين - المؤرخ القبطى المعاصر - « القديس انطونيوس (انطونى باللغة القبطية)(١) ولد سنة ٢٥١ م . باع ممتلكاته وانطلق الى البرية سنة ٢٦٩ م . واعتكف فى توحد كامل سنة ٢٨٥ م . خرج من اعتكافه سنة ٣٠٥ م . عاد الى إعتكافه سنة ٣١٠ م بعد أن أسس أديرة الفيوم وبسبير . نزل الى الاسكندرية أيام الاضطهاد سنة ٣١١ م . تنيح سنة ٣٥٦ م . ويقول المؤرخ سيزار كنتى ان القديس انطونيوس ساس فى حياته مائة الف راهب » .

فى حديث قديم - يعود الى اكثر من ربع قرن - مع الصديق الجليل الانبا ميخائيل - مطران اسيوط - قلت ان الراهب انسان يتعامل سلبيا مع الحياة والمجتمع والواقع وفى سلوكه شىء من الهرب والنكوص وعدم القدرة على مواجهة واقعه بكل ما فيه من مشاكل والام وأوجاع وأحزان ومسئوليات .

وكان رد الصديق الجليل فى صوته الهادىء العميق الرصين دفاعاً حارا ومجيدا وموضوعيا عن حياة الراهب وعن موقفه الشجاع البناء من الواقع والمجتمع ومن العصر كله واذكر انى اقتنعت يومها بدفاع الأب الصديق .

أولى الكنائس القبطية ، وأقدم الأديرة التى عرفها التاريخ ، بعد ان قدمت مصر للعالم نظام الأديرة والرهبنة ، والتى كانت ملتقى القديس انطونيوس وتلاميذه من الرهبان .



أقدم ميري في العالم

التاريخ المصرى منذ عصور ما قبل الأسرات حتى الآن ملحمة مجيدة رائعة لم يقدر لها أن تسجل تسجيلا شاملا أمينا ودقيقا باستثناء محاولتين - المحاولة الاولى « وصف مصر » قامت بها البعثة العلمية الفرنسية التى جاءت مع نابليون فى بداية القرن التاسع عشر . والمحاولة الثانية قام بها فرد واحد عملاق وهو العالم المصرى جمال حمدان - هذا الراهب العصرى - الذى انقطع عن العالم فى ديره الخاص لكتابة «شخصية مصر» - فى أربعة مجلدات تقع فى اكثر من أربعة الاف صفحة . وبجانب هاتين المحاولتين المجيدتين لابد ان نذكر هذه القصيدة التاريخية التى سجلها حسين فوزى فى كتابه « سندباد مصرى » . وانا اقصد هنا الأعمال التى تحاول تقديم صورة شاملة لتاريخ مصر كله ، ونحن لاننكر تلك الأعمال التاريخية الدقيقة والمخلصة التى تحدثت عن تاريخ مصر القديمة وتاريخ مصر فى العصور الوسطى وتاريخ مصر الحديثة التى كتبها المؤرخون المصريون سليم حسن وأحمد فخرى وبامور لبيب ولبيب حبشى ومحمد مصطفى زياده وعزيز سوريال وشفيق غربال وابراهيم نصحى وغيرهم ولكنى أسجل هنا أنه لم يتوفر أحد من المؤرخين المصريين من مؤرخى العصور الوسطى على كتابة تاريخ فترتين من أمجد وأعظم فترات التاريخ المصرى .. عصر الاستشهاد وعصر الرهبنة ولو انى سمعت أن المؤرخ المصرى عزيز سوريال عاكف الان على كتابة تاريخ مصر القبطية بما يحويه من استشهاد ورهبنة ومن كل الظواهر الحضارية والاجتماعية والفنية والانسانية فى هذا الجزء من التاريخ المصرى المنتزع من الذاكرة المصرية .

احدى شوامخ الفن القبطى .. كنيسة الأنبا مرقس الانطونى .. ترتفع من فوقها القباب الاثنتا عشرة .





الاستشهاد والرهبنة لونان من الوان المقاومة المصرية وموقفان من مواقف الصراع ضد كل أشكال الارهاب والقهر والظلم وتعبيران ايجابيان لقدرة الانسان الفرد ان يقول « لا » للطاغية بكل ما يملكه من جبروت وسلطان وأسلحة وادوات تعذيب وبطش وصورتان لدور الفرد في تشكيل التاريخ واعادة صياغة الواقع والمجتمع .

والثائر والراهب يسعيان ويعملان ويجاهدان لتغيير الواقع .. الثائر عن طريق المواجهة التى تلتحم التحاما حيا بهذا الواقع حتى درجة الاستشهاد فى احيان كثيرة . والراهب عن طريق الابتعاد عن هذا الواقع والخروج الى الصحراء ليقرر بحياته وسلوكه وصلاته وصومه وتوحده رفضه لهذا الواقع ومحاولته لبناء عالم من القيم وواقعا جديدا تتحقق فيه المحبة والسلام والعدل

والرهبنة مثل التصوف تعبير عن لحظة حضارية يشعر فيها الانسان الفرد بان القيم التي عاش من اجلها تتهاوى وتتساقط وتنهار فى واقعه فيقرر الابتعاد واعتزال هذا الواقع الى حيث يجسد بحياته وتقشفه وزهده تلك القيم ليقول لابناء عصره ان فى حياتهم وفى واقعهم خللا يجب اصلاحه .. الا يكون التصوف والرهبنة بمعنى من المعانى درجتين من درجات الالتزام وتحمل مسئولية العصر الذى قامت فيه الرهبنة ونشأ التصوف

***

كان عام ٣٠٥ م هو تاريخ اول مؤسسة رهبانية فى مصر ، وهو تاريخ أول دير قبطى ايضا وبدأت الصحراء تستقبل أفواج الطالبين ملكوت الله بواسطة الطريق الضيق ، وملأ الرهبان الصحراء ، وكان على القديس انطونيوس ـ مؤسس هذا الدير ـ أن يتنقل بين أبنائه الرهبان المنتشرين فى اماكن كثيرة . هكذا نشأ نظام الرهبنة الأنطونية . كان القديس بولا اول المتوحدين وكان القديس انطونيوس أول اب لاول كينوسون (٢)(حياة مشتركة) عندما خرج من عزلته وتوحده الكامل عام ٣٠٥ م ليقود اول جماعة من اولاده اجتمعت حوله فى فلالى (صوامع) منفردة وكان ذلك ايذانا ببدء عصر الأديرة فى مصر وفى العالم كله .

كانت رهبنة القديس انطونيوس مصرية فى منهجها ، ولذلك ظلت حية حتى اليوم تأخذ من البيئة المصرية وتعطيها ، وتاريخ الرهبنة جزء هام لا ينفصل عن تاريخ المسيحية فى العالم كله ، وهو بالنسبة للكنيسة المصرية يعتبر الخلفية الحية المحركة لكل أحداث الكنيسة وامتدادها وتطورها منذ القرن الرابع حتى الآن . ومما يؤكد اتصال واستمرار التاريخ المصرى والتقاليد المصرية أن القديس أنطونيوس وضع للرهبان زيا خاصا ، آخذه عن كهنة الفراعنة اذ كان يلبس هو ورهبانه ثوبا من الكتان الابيض ، ولم يلبث هذا الزى الفرعونى ان انتشر بين جميع رهبان العالم مع شىء من التعديل البسيط . ولم يأخذ القديس المصرى الزى فقط بل اخذ لغتهم الفرعونية أيضا ، لأنه على النقيض من معظم أباء الكنيسة المصرية كان يجهل كل لغة غير لغته القبطية .

أقدم دير في العالم

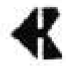
القديس انطونيوس .

ولد القديس انطونيوس عام ٢٥١ م فى بلدة قمن العروس(٢)ونشأ فى أسرة قبطية طيبة تمتلك ثروة كبيرة تقدر باكثر من ثلثمائة (٣٠٠) فدان وكانت تواظب على الذهاب الى الكنيسة . مات والداه وتركاه وحيدا مع اخت صغيرة وكان عمره عشرين عاما عندما تحمل هذه المسئولية . ذات يوم من أيام الاحاد وهو فى طريقه الى الكنيسة اخذ يتذكر كيف أن الرسل تركوا كل شيء وتبعوا المسيح . وكيف انهم باعوا كل ما يمتلكون ووضعوها عند تلاميذ المسيح لتوزيعها على المحتاجين وعندما دخل الكنيسة أثناء قراءة الانجيل سمع قول المسيح للشاب الغني " ان اردت ان تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك واعط للفقراء وتعال اتبعني فيكون لك كنز فى السماء » (متى ١٩ : ٢١) .. فخرج من الكنيسة وباع كل ممتلكاته واعطى ثمنها للفقراء محتفظا بالقليل لاخته ، وفى يوم احد أخر سمع قول المسيح « لاتهتم للغد » فخرج وأودع اخته بيتا للعذارى وتفرغ هو للعبادة وتنفيذ وصية المسيح .

انطلق انطونيوس وسكن فى مكان على شاطيء النيل حيث وجد هناك شجرة جميز كبيرة (وهو المكان الذى يوجد فيه الان دير الميمون والمعروف بدير الجميزه) . وفى هذا المكان عاش عشرين عاما ، وعندما وجد الناس يترددون عليه فكر فى الرحيل إلى طيبة

فى هذا الدير يرقد جثمان الانبا يوساب اسقف جرجا .
وهو مازال محفوظا حتى الان فى صندوق زجاجي





ولكنه سمع صوتا يدعوه الى الارتحال الى الصحراء ، ووجد بعض البدو الرحل فطلب منهم أن يرحل معهم ، فسافر فى الصحراء الشرقية مسيرة ثلاثة أيام وثلاث ليال حتى وصل الى وادي عربة بالقرب من جبل عال تنبع من سفحه عين ماء صافية عذبة يظللها بضع نخلات . سكن هناك فى مغارة يقتات من تمر النخلات ويشرب من الغدير . وعاش فى هذا المكان عدة سنوات قضاها فى الصلاة والصوم وفى دراسة علوم اللاهوت وتفاسير الكتب المقدسة وأصبح قادرا على شفاء أمراض الروح والجسد

وعندما وجد حوله عددا كبيرا من التلاميذ بنى لهم مكانا للعبادة والسكن ووضع لهم قوانين ونواميس ليسيروا بموجبها فى هذا الدير .

وذات يوم كان أنطونيوس جالسا فى قلايته ـ كما تذكر ايريس حبيب المصرى ـ شعر بشيء من الملل والحيرة فخاطب الرب قائلا :

يارب انى أحب أن أخلص لكن الافكار لاتتركنى ..

فماذا أصنع ؟

واذا برجل جالس امامه عليه ثوب طويل متوشحا بما يشبه الاسكيم(٤)وعلى رأسه قلنسوة وكان جالسا يضفر الخوص ، ثم يتوقف عن عمله ويقف للصلاة ، ثم يجلس ويعاود العمل .. وقال هذا الرجل (الملاك) للقديس : اعمل هكذا وانت تستريح . ومن ذلك الوقت اتخذ أنطونيوس هذا الأسلوب الذى يميز حياة الراهب .

ولقد تتلمذ القديس أثناسيوس وهو شماس على يدى القديس انطونيوس ، وكان لهذه التلمذة الأثر العميق فى حياة أثناسيوس بابا(٥)الاسكندرية ال ٢٠ صاحب المؤلف العظيم عن حياة القديس انطونيوس الذى كان السبب المباشر لتحول القديس آغسطين من حياة البذخ الى حياة التقشف والزهد والتصوف وكان أثناسيوس يحب أنطونيوس ويقدر زهده وتقواه وكثيرا ما كان يزوره فى الصحراء ليطلب منه النصح والتوجيه والارشاد ، وكان يترجم له المكاتبات اليونانية الى اللغة القبطية ليرد عليها .

وعندما علم أنطونيوس بقرب نهايته زار الرهبان وقال لهم :

« هذه آخر زيارة اقوم بها لكم ولن يرى بعضنا بعضا مرة أخرى فى هذه الحياة . فهانذا قد أشرفت على المائة وخمسة أعوام وقد اقترب وقت ارتحالى » وبعد أن اسلم الروح قام التلميذان مكاريوس واماساس بدفن جسده تحت الارض ـ كما اوصاهما ـ فى مغارته أمام باب الهيكل القبلى فى الكنيسة التى تحمل اسمه بديره العامر وكان ذلك عام ٣٥٦ م

ومضت ثلاثون سنة على وفاة القديس أنطونيوس عندما عثر على نسخة من كتاب البابا أثناسيوس عن سيرة القديس انطونيوس فى تريف (على الحدود البلجيكية الفرنسية) . وفى هذا البيت الصغير حيث وجدت النسخة تجمع بعض النساك الذين اتخذوا من حياة القديس نموذجا لحياتهم وكانت هذه بداية الرهبنة فى البلاد الاوروبية .

دير القديس انطونيوس

يقع هذا الدير(٦) في سفح جبل القلزم مقابل بني سويف في أسفل رابية عالية ، وقد سميت سلاسل جبال البحر الاحمر بجبال القلالة نسبة الى القلالى (الصوامع) التى كانت تزدحم بها : ومقابل هذه السلاسل توجد سلاسل جبال القلاية البحرية وينحصر بينهما وادي عربة حيث توجد مغارة القديس انطونيوس . وعندما كثر عدد الرهبان بنى لهم كنيسة يجتمع فيها مع تلاميذه . وبعد وفاته بنى الرهبان مخزنا للطعام ومطبخا وقلالى (جمع قلاية) وذلك فى مساحة لا تزيد على ثلاثة افدنة يضمها سور من الحجر . وفى أيام حكم الامبراطور جستنيان ضاعف مساحته عام ٥٣٧ واقام سورا للدير استمر حتى أيام البابا كيرلس الرابع كما بنى حصنا لحماية الدير من الاعتداءات الخارجية . وقد تعرض الدير لاعتداء الفرس عليه سنة ٦١٠ م . وفى عهد البابا كيرلس الرابع بلغت مساحة الدير عشرين (٢٠) فدانا واستمرت اصلاحاته عامين (١٨٥٦ ـ ١٨٥٨) .

وفى أيام البابا شنودة الثالث (البطريرك الحالى وهو البابا ال ١١٧) نمت بالدير نهضة عمرانية ورهبانية كبيرة وهو البابا الثاني من دير السريان اما البابا الاولى فهو البابا غبريال السابع (البابا ٩٥ الذى رسم بطريركا فى عام ١٥٢٥ م) .

الساقية :

كان الدخول الى الدير بواسطة آلة تدعى الساقية يرفع بواسطتها الزائر إلى أعلى الاسوار . وتم إنشاؤها عام ١٨٥٩ فى عهد البابا كيرلس الرابع المعروف بأبى الاصلاح . وهى عبارة عن اسطوانة خشبية تدور حول محور رأسى بواسطة أربعة أذرع . وقد ثبت فيها حبل سميك يمر على بكرة يتدلى من طرفه المنتهى بخطاف يمر بتجويف إلى خارج السور .

قلالى الرهبان :

القلاية كلمة يونانية انتقلت الى اللغة العربية وأصلها kailon (بالانجليزية cell وبالفرنسية cellule) وتعنى منزل الراهب . وقد تكون القلاية منحوتة فى الصخر بعوامل طبيعية كمغارة القديس انطونيوس بالجبل . وفى هذا الدير مجموعة من القلالى بعضها قديم والبعض الآخر حديث تم بناؤه في عهد البطريرك الحالى الأنبا شنودة الثالث .

الحصن :

الحصن هو بناء مكون من ثلاثة طوابق ويبلغ ارتفاعه نحو خمسة عشر مترا ويمكن الوصول اليه عن طريق قنطرة خشبية تتحرك بواسطة سلسلة حديدية تدور حول بكرة مثبتة فى الطابق الثالث لتفصل الحصن عن مبنى الربيتية . ويضم هذا الحصن كنيسة صغيرة

باسم الملاك ميخائيل وبعض قلالى ومخازن ومن أسفله يوجد طريق تحت سطح الارض يوصل الى عين الماء والربيتية بناء ضخم مكون من ثلاثة طوابق . فى الطابق الاول المائدة الاثرية وهى عبارة عن حجرة مستطيلة طولها خمسة عشر مترا وعرضها.اربعة أمتار يعلوها سقف مقبب وفى وسطها مائدة من الحجر وعلى جانبيها مقعدان بطول المائدة من الحجر أيضا . وفى طرف المائدة الداخلى منبر صغير من الحجر لوضع الكتاب الذى كان الرهبان يقرءون فيه اثناء تناول الطعام . وفى الطابق الثانى كنيسة باسم السيدة العذراء .

والربيتية من الكلمة السريانية Rabita بمعنى وكيل وتطلق على امين الدير . وعن طريق هذا المبنى يمكن الوصول الى الحصن عن طريق القنطرة الخشبية .

قصر الضيافة

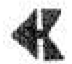
بناه البابا كيرلس الرابع سنة ١٨٥٩ وهو مكون من عدة حجرات وهو مشيد فوق مبنى الديكسار (المخازن) بجوار باب الدير .

وفى عام ١٩٨١ فى عهد البابا الحالى الانبا شنودة الثالث بنيت المضايف لاستقبال زوار الدير

فى عزلتهم كان الرهبان يعتمدون على انفسهم فى كل شىء والصورة لمعصرة زيتون اثرية من القرن السادس عشر ، ظل الرهبان يستخدمونها لاستخراج الزيت حتى عام ١٩٧٨







الطافوس

الطافوس كلمة يونانية تعنى مقبرة . وفى الدير طافوسان أحدهما يقع وسط الحديقة فى الجزء الشرقى من الدير والآخر فى الجهة القبلية .

كذلك يوجد فى الدير معصرة للزيتون لاستخراج الزيت من الزيتون المطحون وطاحونة اثرية عليها تقويم لعام ٢٨٧ وكتابة باللغة العربية « رب يسر ولا تعسر » ظلت تستخدم لطحن الغلال حتى منتصف القرن العشرين .

الحديقة

تضم أسوار الدير حديقة كبيرة تقدر مساحتها بحوالى ثمانية أفدنة تحتوى على مختلف انواع الفاكهة كالبرتقال والكمثرى والليمون والزيتون والجوافة وكروم العنب والتين واشجار الخروب والنخيل كذلك يوجد عدد قليل من أشجار المشمش والنبق والتوت والجميز .

ويوجد فى الدير عين ماء تنبع من تجويف داخل الصخر طوله نحو ثمانية أمتار .. ومياه هذه العين نقية جدا وهى تشبه المياه المعدنية . ويستخدمها الرهبان فى الشرب والغسيل والزراعة ، ولولا هذه العين لما أمكن القديس انطونيوس أن يسكن فى تلك البقعة ولا استطاع الرهبان أن يقيموا فى ذلك المكان ويقيموا هذا الدير .

المكتبة

تحتوى مكتبة الدير على اكثر من ثلاثة آلاف كتاب بين مخطوط ومطبوع فى مختلف العلوم والفنون وهناك مخطوطات من القرن العاشر الميلادى ومن القرنين الثالث عشر والرابع عشر .

المتحف

يوجد هذا المتحف داخل كنيسة القديس أنطونيوس التى بناها البابا كيرلس الرابع ، نجد فيه بعض الاوانى والكئوس المعدنية والبللورية وبعض صلبان اليد وعددا من الشمعدانات المعدنية وختامات القربان وبعض الصور والأيقونات الأثرية كما توجد خريطة أثرية باللغة الفرنسية مبين عليها عدد من الأديرة المصرية فى العصور الأولى للرهبنة . وتنتمى الصور والأيقونات إلى ثلاثة مدارس فنية هى القبطية والبيزنطية والاثيوبية ومن بينها أيقونات يرجع تاريخها الى القرنين الرابع والخامس .

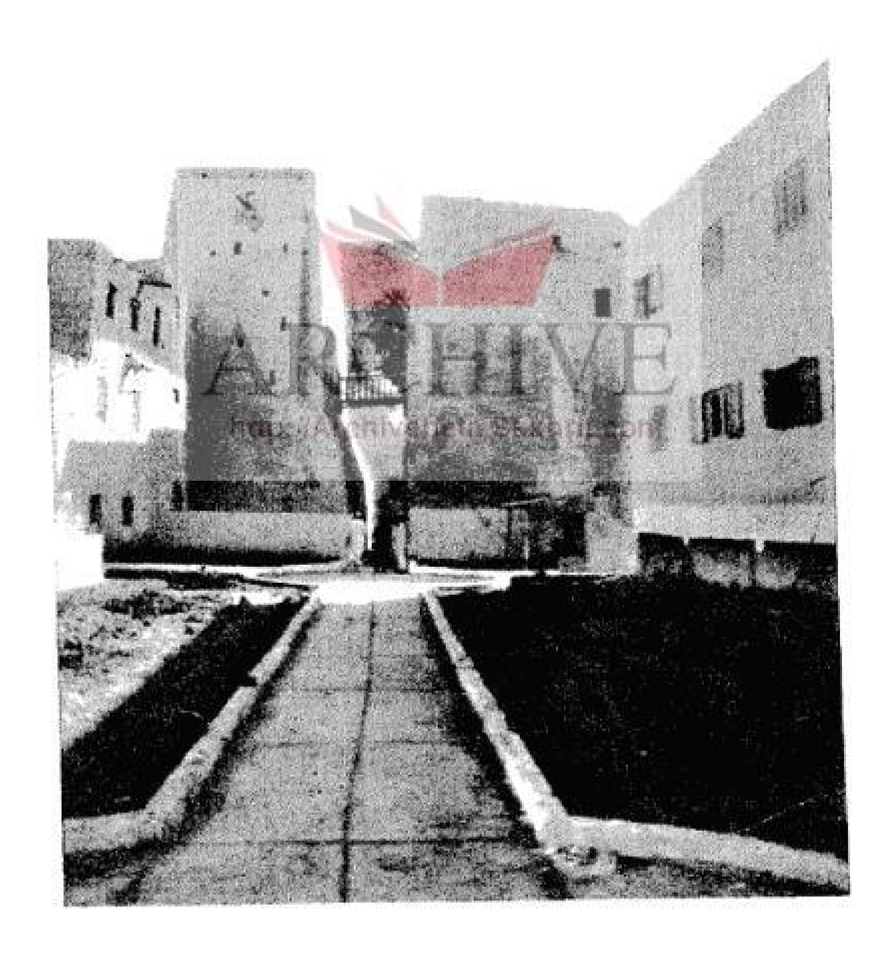
وفى داخل الدير توجد سبع كنائس اقدمها كنيسة القديس انطونيوس التى بنيت فى القرن الرابع .

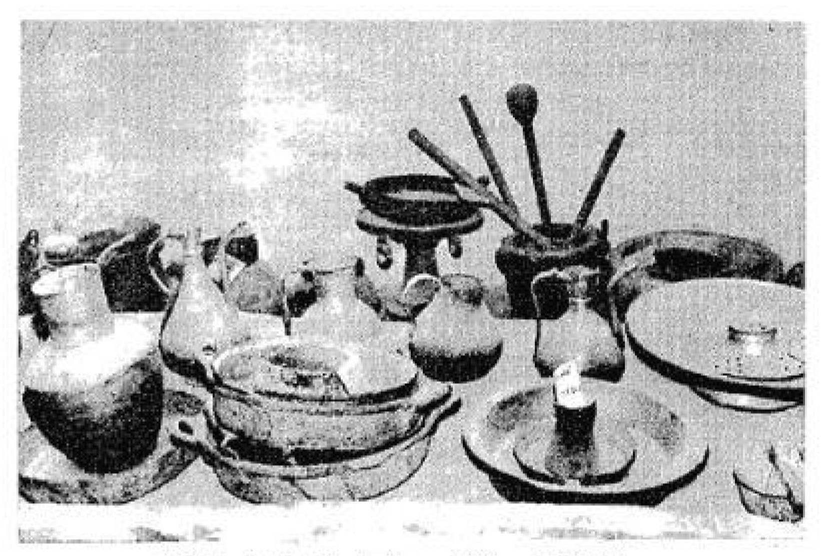


الماء اهم شىء فى الصحراء الجرداء .. وعين الماء هذه تفجرت بالمياه النقية ، فكانت هدية السماء للرهبان فشربوا واغتسلوا وزرعوا

والمغارة التي عاش فيها هذا القديس في وحدة كاملة توجد خارج الدير في أعلى الجبل الذي يسمى جبل العربة أو جبل القلزم أو جبل القلالة أو جبل أنبا أنطونيوس ، عاش فيها أغلب سني حياته إلى أن كانت بداية الدير بالتجمع الرهباني فصارت حياته مقسمة بين الوحدة والشركة .. بين المغارة والدير . والمغارة تبعد عن الدير حوالي كيلو متر واحد ، ويمكن الوصول اليها عن طريق مدق وسط الصخور يستغرق حوالي خمسا وأربعين دقيقة مشيا على الاقدام

إنه واحد من أبراج الدير القديمة ، مازال يطل في وقار على الصحراء





من الاخشاب والنحاس صنعت هذه الاوانى الاثرية التى كان يستخدمها الرهبان على موائدهم .

صارت حياة انطونيوس (انطونى بالقبطية) بما امتلأت به من صوم وصلاة بلا انقطاع وسهر على الدوام وحفظ طهارة الجسد والقلب والعقل ومن صحبة ووداعة وخدمة .. صارت هذه الحياة نموذجا حيا للسيرة الرهبانية فى كل انحاء العالم.

واذا كان الاستشهاد تعبيرا قويا عن قوة الروح فى قلوب المؤمنين فان الرهبنة امتداد حى للاستشهاد ولكن كممارسة يومية وعلى مدى الحياة.

يموت الشهيد ليحيا بموته الآخرون ويتجدد فى قلوبهم الايمان بالقيم التى ضحى لأجلها الشهيد بحياته .

والرهبنة حياة شهادة لايمان حار .. وهى نموذج للحياة المسيحية حسب الوصية ، ليست نموذجا اعلى وانما نموذجا صادقا .. كما يقرر الأب متى المسكين .

***

كلمة اخيرة .

تلقب الكنيسة القبطية الأنبا بطرس بخاتم الشهداء لانه كان آخر دم يسفك فى عهد الامبراطور دقلديانوس الذى بلغ عدد الشهداء مدة حكمه ...ر..٨ شهيد .
ولما كان هذا الاضطهاد افظع وأطول اضطهاد اذ إنه دام عشر سنين متوالية فقد جعله القبط مبدأ لتقويمهم متخذين سنة ٢٨٤ م التى اعتلى فيها دقلديانوس العرش هى السنة الاولى للشهداء .. فتكون سنة ١٩٨٤ موافقة لسنة ١٧٠١ ش « للشهداء » وتقول ايريس حبيب المصرى أن هذا التقويم هو الذكرى الوحيدة التى احتفظ بها القبط وفاء لشهدائهم .

يقدمها : عادل ثابت



● منذ فجر الحضارة الفرعونية التى تمتد عبر سبعة آلاف سنة مضت ، والرسوم الجدارية لفنانى قدماء المصريين تتميز بإدخال حروف اللغة ضمن تكوين الموضوعات التى تعبر عن الحدث الاجتماعى أو الدينى المتصل بالحكم والحاكم .. إن لم تكن هذه الحروف القديمة على الاطلاق ، فى صدارة الرسوم الحائطية بشكل هندسى منتظم ، بعضها فى خطوط افقية .. والأخرى رأسية يفصل بينها فواصل طولية .

وعندما تطورت اللغة ـ الوسيلة الوحيدة للتفاهم بين أفراد الشعب ـ اتضحت معالم الحروف وتلخصت إلى أن وصلت لشكلها الحالى .. وفى البلاد العربية وفى مقدمتها مصر ، جاهد كثير من الفنانين التشكيليين فى البحث وراء حروف لغة (الضاد) فى محاولة لاعادة صياغتها وتركيبها فى تكوينات مستمدة ومستوحاة من الخطوط العربية .. فالبعض حاول تطويع حرف واحد لتشكيلات منتظمة متكررة محدثاً من خلالها تنغيمات تثرى عين المشاهد ، مثلما قام به الفنان كمال السراج عندما تناول حرف (السين) فى تجربة ناجحة . ومن قبله كانت تجارب الفنانين د . خميس شحاته ويوسف سيده .. فى تشكيلات من الخط العربى .

وكانت أحرف اللغة العربية مثار اهتمام وبحث فى الآونة الأخيرة من جانب الفنانين التشكيليين ، آملين فى الوصول الى صيغة ملائمة . كل منهم يبغى معايشة حقيقية تحدث التوازن بين البحث والتشكيل من ناحية ، وبين المعاصرة والأصالة من ناحية أخرى .

● للفنان حسنين ●





● للفنان سعد زغلول ●

ولكل فنان طريقته فى اعادة ترتيب وتكوين تلك الحروف السحرية ، وفق تصوره ومعالجته ، والخامة المستخدمة ، فعندما نتعرض لتجربة الخط العربى عند الفنان التشكيلى فى مصر ، لابد وان نركز على معرضين هامين عرضا هذا الشهر ، أحدهما للفنان محمد حسنين على بقاعة أخناتون « ١ » بالزمالك والثانى للفنان الشاب سعد زغلول الذى استمر اثنى عشر يوماً بأتيليه القاهرة .

تميز معرض الفنان « حسنين » هذا العام بالدخول فى عالم القراءة الدينية التى اوحت اليه بعالم لانهائى من اسماء الصحابة وأولياء الله وما قدموه للانسانية ، مما أتاح له عمق الشفافية الروحية ، وانعكست هذه القراءات على أعماله الفنية الأخيرة ، والتى اسعدنى الحظ بمشاهدة مولدها منذ فترة طويلة ، والتى يبدو أنها تقترب من عملية النضوج فى معرضه الأخير . قدم لوحاته التى تصل الى حوالى ٤٥ لوحة ، نصفها بالابيض والأسود والنصف الآخر بالأحبار الملونة ، صياغة أسماء أولياء الله ، يغوص بالزخرفة ووحداتها كأنه أمام محراب قدسى .

اختار الفنان « حسنين » المساحات المربعة البيضاء فى التعبير عن موضوعاته فى الخط العربى .

وفى قاعة اتيليه القاهرة ، عرض الفنان الشاب سعد زغلول المقيم بأسيوط أعماله الأخيرة وتجاربه فى الخط العربى ، والمنفذة بألوان الشمع على ورق رمادى ، ويعتبر هذا المعرض هو الثانى فى القاهرة ، حيث أن الأول كان فى فندق المريديان منذ ثلاث سنوات .. أراد أن يستفيد من وجهات النظر للنقاد والفنانين القاهريين ، بعد أن أعلن ان تجربته فى الخط العربى هى من خلال تلقائية الفنان الواعى الذى يملك عناصر لوحته ، دون التأثر بأى من الفنانين الذين خاضوا هذه التجربة من قبل . والمشاهد لأعماله ، يشعر بأنه أعطى الحرف العربى كياناً انسانياً ، أضفى عليه الحياة ، كللّه بالظل والنور ، كمن يخلق من هذه الحروف عناصر لاغنى عنها للوحة كمثل الطبيعة الصامتة التى تعج بنبض الحياة ..



عاشق الأندلس



بقلم الدكتور : الطاهر احمد مكى

منذ ربع قرن تقريبا رأيته للمرة الأولى فى الأندلس نفسها ، فى مدريد العاصمة ، فى مكتبة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية : اسمر نحيفا ، متوسط القامة ، لا بالطويل ولا بالقصير ، يحوم حول الستين من عمره ، يجلس منفردا فى طرف من الطاولة التى تتوسطها ، مع بعض المراجع ، منهمكا فى عمله ، عزوفا عن الكلام والثرثرة ، مقبلا على التقييد والقراءة لا يكاد يرفع رأسه عن الكتاب الذى بين يديه .

وحين تردد اسمه بين رواد المكتبة ، وكانوا خليطا من شتى اقطار العروبة ، وقلة من الأجانب ، تقدمت اليه مرحبا ، وقدمت له نفسى معرفا ، فلم يزد على ردّ التحية ، واتبعها بجملة « شد حيلك » ، ثم انصرف إلى كتبه وأوراقه وتقييداته .

كانت الصورة التى كونتها له من خلال قراءتى لمؤلفاته الكثيرة ، والمتنوعة ، وعلى امتداد حياتى طالبا ، فمبعوثا إلى الأندلس سوف يتخصص فى تاريخها وأدبها ، تجعله قريبا إلى نفسى ، ومتلهفا إلى معرفته ، ومد أسباب الود بينى وبينه ، ووجدتها فرصة . ولكنه ردّ الباب بعنف وأدار لى ظهره فيما يشبه أن يكون جفوة ، أو هكذا تخيلت لأيام بعد هذا اللقاء ، ثم عدت إلى نفسى أحاورها ، وإلى مشاعرى اهدهدها . ومع تأمل الحياة الأوربية حولى ، وهى المدرسة الأولى التى نتعلم فيها طلابا مبعوثين ، واسترجاعى لقائمة مؤلفاته العديدة ، ولمئات المقالات التى كتبها ، أدركت واعيا أن الرجل يعرف قيمة الوقت ، وأنه فى سباق مع الزمن ليكمل رسالة وينجز خطة ، فتجافى بقلمه وعقله وحياته عن كل ماهو فضول وعابر ومجاملة ، وحرم نفسه متعة الراحة ولحظات السمر ، والقليل من اللغو الذى يعين على مواصلة السير ،



والذى عبر عنه ابن حزم فى جملته الشهيرة : « أجموا النفوس بشىء من الباطل فإنه أعون لها على الحق » .

اختار الاستاذ عنان طريق الجهاد بالقلم كاتبا ومؤلفا ، يحمل على كتفه رسالة شاقة ، تنوء بها عزائم الرجال ، وأن يضطلع بأمانة عرضها الخالق على السموات والأرض والجبال فابين أن يحملنها وحملها الانسان ، وحرص على أن ينهض بها فى إيمان وعزم وحرص ، واثر لها عزلة صوفية تنأى به عن المعوقات والملهيات ، وتتيح له أن يستغل كل لحظة من عمره فيما وهب نفسه لانجازه ، فألف كتبا ولم يكوّن طلابا ، وأفاد علماً ولم يصنع مريدين ، وهو منهج فيه كل الخير لغيره ، ولكنه حرمه من التلاميذ والاتباع ، يلهجون بخيره ، ويشيدون بذكره ، ويدفعون بسيرته بين الناس ، وينحازون إليه ساعة الحوار والخلاف .

جاء محمد عبد الله عنان إلى الحياة مع آخر القرن الماضى ، فى قرية مصرية مغمورة تدعى بشلا ، من مركز ميت غمر فى محافظة الدقهلية ، لأسرة مصرية تنتمى فى عائلة الهلالية ، عام ١٨٩٦ ، وهى مرحلة فاصلة فى التاريخ المصرى ، فقبله بخمسة عشر عاما اشتعلت الثورة العرابية ، واحتل الانجليز مصر ، ومع استعمارهم توقف سير النهضة فى مختلف جوانبها ، سياسية واقتصادية وثقافية ، وكل شىء قبلها كان يؤذن بأن مصر وضعت قدمها على بداية الطريق الصحيح ، ولكن المستعمر اغتال فى قسوة متناهية الأمل الزاهر فى القلوب .

ولكن مصر سرعان ما التقطت أنفاسها ، وتهيأت لمرحلة جديدة ، تدفع فيها اليأس عن النفوس القانطة ، وترمم المنشآت الخربة ، وتجمع المواطنين حول غاية واحدة : لا يأس ولا تشاؤم ولكن كفاح وعمل ، فجاء مولد مؤرخنا ومحمد عبده مفتى الديار المصرية وأستاذ فى دار العلوم ، ومحمد رشيد رضا يصدر مجلة المنار ، ومصطفى كامل يفتتح مدرسة وطنية لا تتبع الحكومة ، ويرأس تحرير صحيفة اللواء ، وتلهب مأساة دنشواى (١٢ يونيه ١٩٠٦) مشاعر الشعب المصرى وتحرك كل صخر جامد

أين كان الصبى محمد يومها

كان تلميذا فى مدرسه العقادين الابتدائية فى القاهرة ، ولا أخال الحادث الا مسه على نحو ما ، ذلك أن قضية من القضايا لم تهز أعماق المصريين بعنف شديد مثل القسوة التى ارتكبها الانجليز



ضد مجموعة من بسطاء الفلاحين فى قرية دنشواى ، حين شنقوا أربعة ، وحكموا بالاشغال الشاقة المؤبدة على تسعة ، وبجلد آخرين على قواعد المشانق ، لأنهم ردّوا ضابطا بريطانيا مع رفاقه عن صيد حمامهم ، واصطدم الفريقان ، ومات الضابط بضربة الشمس . ولقد تظافرت البلاد كلها .

وشهد ايضا ، أو سمع على الأقل ، تلميذا في المدرسة نفسها جنازة مصطفى كامل ، عام ١٩٠٨ ، ولم تتكرر ثانية إلابعد ذلك بأكثر من ستين عاما فى جنازة جمال عبد الناصر ، وقال عنها قاسم امين : رأيت قلب مصر يخفق مرتين ، يوم مأساة دنشواى ، ويوم تشييع مصطفى كامل إلى مثواه الأخير .

ومن مدرسة العقادين الابتدائية إلى الخديوية الثانوية ، وكانت أقدم المدارس الثانوية وأشهرها ، وحفلت أيام دراسته فيها بالأحداث الجسام ، فقد شن الاستعمار هجوما شديدا على الوطنيين ونكل بهم ، وأصدر القوانين الاستثنائية التى تحرم على الصحف نقد السلطات المحتلة ، وتخول السلطات نفى من تشتبه فيهم دون تحقيق أو محاكمة .

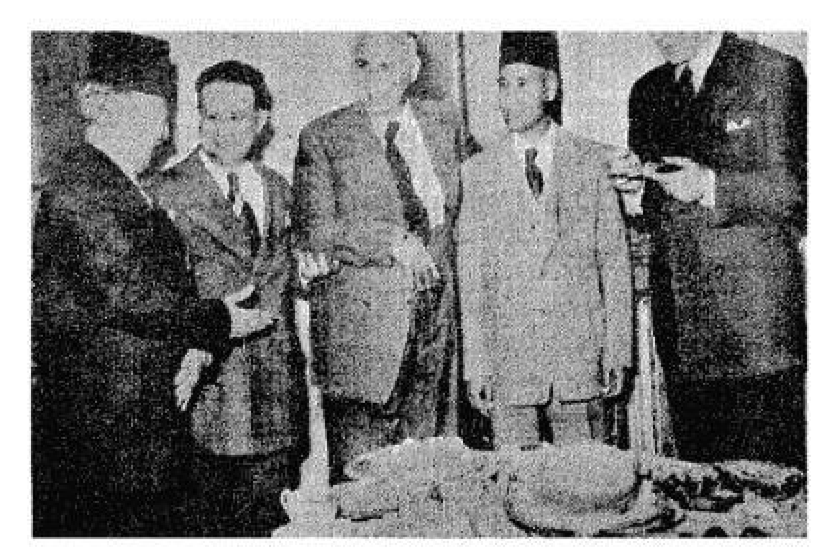
وإزاء هذا الكبت لم يبق أمام المصريين غير ممارسة العمل السرى .

وفى ٥ اغسطس ١٩١٤ ، مع قيام الحرب العالمية الأولى فرضت الحماية البريطانية على مصر ، وأخذ المعتمد البريطانى يحكمها مباشرة ، وسيقت البلاد إلى حرب لا تعنيها ، ولا تعرف لها سببا أو هدفا ، وأعلنت الأحكام العرفية . وأغلقت الصحف الوطنية ،ووضع باقيها تحت الرقابة الصارمة ، واستولت السلطات العسكرية على محاصيل الفلاحين ومواشيهم بأسعار بخسة وقسرا .

بانتهاء الحرب العالمية عام ١٩١٨ كان محمد عبد الله عنان قد أكمل دراسته فى مدرسة الحقوق السلطانية ، وحصل منها على الليسانس ، وتشرب فيها على التأكيد قدرا كافيا من كراهية الاستعمار والاستعداد للعمل ضده ، فقد كان « كل معهد وكلية مركزا لدعاية عنيفة ضد بريطانيا » حسب تعبير المؤرخ الانجليزى يانج .

واثر تخرجه في الحقوق عمل ـ كما هو متوقع ـ فى المحاماه ، وهي مهنة لاتتفق مع مزاجه ، فسرعان ما هجرها إلى أخرى تتفق مع ميوله ، ويحقق فيها ذاته ، فاختار الصحافة والأدب ، وهجر المحاماة إلى الأدب ، ولم يحرص حتى على مجرد وصف نفسه بها ، كما يفعل الأدباء المتخرجون فى الحقوق على أيامه ، فاشترك فى تحرير السياسة ، والمدارس ، والجماعات ، وأسهم كاتبا فى مجلات أخرى كانت تصدر على أيامه كمجلة الهلال ، ورشحه نشاطه الأدبى لأن يلتحق بادارة المطبوعات ، وكانت تتبع وزارة الداخلية فى تلك الأيام ، وظل بها إلى إن بلغ درجة وكيل الادارة ، ثم أحيل منها إلى المعاش عام ١٩٥٥ .

لم يحدثنا محمد عبد الله عنان عن دوره



صورة تذكارية تجمع بين الدكتور عبد الرحمن الرافعي ، عادل الغضبان ، الدكتور احمد زكي ، الدكتور محمد عبدالله عنان وعزيز اباظة .

في مجال العمل الوطني سرا وعلانية في تلك الأيام ، ترفعا على التأكيد عما أسهم فيه أو شارك ، وبخاصة في مجال العمل السري ، ويومىء نشاطه الأدبي في تلك الفترة إلى أنه كان يتحرك على محورين يؤديان إلى غرض واحد :

أولهما التشجيع الخفي على الحركات السرية ، بالتأليف عن تاريخها ، ونظمها ، وطرق تكوينها ، ودورها في العالم ، ويتجلى ذلك واضحا في كتابه « تاريخ الجمعيات السرية » ، وفي تصوير المعاناة ، وروح المقاومة ، عند نفر من رجال الفكر والأدب والسياسة ، وما لاقوا من أهوال في سبيل الدعوة لما يؤمنون ، وذلك في دراسته عن محاكم التفتيش ، وما اتسمت به من قسوة وعنف ، والتي أعطاها عنوانا « ديوان التحقيق » ، لأنه كان يرى أن هذا الاسم أقرب إلى الدقة في التعبير عن واقعها ، وفي ترجمة الاسم الذي يطلق عليها في اللغات الأوروبية

وثانيهما إيقاظ الاحساس بعظمة مصر ودورها وتاريخها وأمجادها ، ممثلة في كتابيه « مصر الاسلامية » و « تاريخ الأزهر » ، وكيف كان مهبط العلماء على امتداد حياتهما ، يفدون إليهما من شتى أقطار العروبة والاسلام ، فيجدون في رحابهما الأمن والرعاية المادية وحرية الفكر والتعبير ، واتخذ لهم نموذجا واضحا وقويا في شخص العالم الاجتماعي والمؤرخ العظيم عبد الرحمن بن خلدون ، فكان كتابه عن « حياته وتراثه » .

ولا نكاد نتجاوز العقد الثاني من هذا القرن حتى تجد أنفسنا إزاء عالم نضج فكرا ، وتطور ثقافة ، واتسع معرفة ، وأضاف الى تجاربه المحلية أفقا عالميا ، جاء وليد رحلات لا تتوقف إلى مختلف البلاد الأوروبية ، وقراءات متنوعة في





السياسة والأدب والتاريخ فقد كان يجيد صاحبنا من اللغات ثلاثا من أهمها الانجليزية والفرنسية والألمانية وهكذ سوف نقرأ له « كازانوفا جواب مجتمع ومغامر مرح » ، وعن « البارون فون اوفنباخ داعية ومغامر مشعوذ » .

وفى كتابته عن الشخصيات التاريخية لايقف عند الجوانب المسلية من حياتهم ، وإنما يلقى من خلالها بما يريد أن يريد . وحين كان الكثيرون على ايامه غافلين عن التخطيط الصهيونى وأخطاره على العقائد فى العالم أجمع ، كتب محذرا فى ١٦ مارس ١٩٣٦ فى مجلة الرسالة : يلاحظ ان معظم المغامرين والدعاة السريين الذين ظهروا فى هذه الفترة (القرن الثامن عشر) هم يهود ينتمون إلى أصل يهودى ، وأن معظم الحركات السرية التى ازدهرت فيه ترجع أيضا إلى أصل يهودى ، أو تلمس فيها على الأقل وحى الدعاية اليهودية . وهذه الملاحظة ترجع فى الواقع إلى ظاهرة تاريخية أعم ، وهى أن اليهودية كانت منذ العصور الوسطى مستقى أو مبعثا لكثير من الحركات والجمعيات السرية التى قامت فى أوربا ، ومعظمها يرمى إلى غايات هدم دينية أو اجتماعية ، تقصد بها النصرانية ومبادئها وعقائدها قبل كل شىء .



د عنان مع ابنه محمود عام ١٩٣١

ولكن محمد عنان الرحالة والكاتب ، والمعجب بتقدم أوربا لم ينبهر به إلى الحد الذى تذوب فيه شخصيته القومية فتضطرب الموازين فى يده ، وإنما يعرف دور أمته ، ويعى تاريخها ، ويدرك إمكاناتها ، ويدعو إلى أن تتجاوز كتابة تاريخ الحضارة الاسلامية تسجيل جوانبها الى معالجة « آثارها فى تكوين مختلف المدنيات والحركات العقلية الأخرى ، ولقد كان الاحياء الأوربى حركة عقلية عظيمة ، ومطلع حضارة جديدة ورائعة ، وكان لحضارة الغرب الاسلامى أثرها فى بعث هذه الحركة ، فمن واجبنا أن نستقصى هذا الأثر ، وأن نعرضه إلى جانب ما يعرض لنا من تطور حركة الاحياء » .

وعلى امتداد العقد الثالث من هذا القرن لا نكاد نعثر للاستاذ عنان على


صـورة للدكتور عنان عـام ١٩٥٠

إسهام أدبى مباشر فى السياسة ، عدا الاشارات الموحية والملهمة من بعيد ، ربما لأن الوظيفة الحكومية فى ظل الاستعمار ، وحكومات تلك الأيام ، كانت تحول بين الموظف والعمل السياسى ، وربما أيضا ـ وهوما أرجحه ـ ضاق ذرعا بـالصـراع الحـزبى العنيف ، وغير النظيف ، فأمسك بنفسه وقلمه عنه ، واختار مجالات التاريخ والأدب ميدانا .

• • •

ونلمح فى مطلع العقد نفسه أنه بدأ على مهل ، وفى أناة ، يتجاوز التاريخ لمصر وماضيها وما يتصل بها ، إلى الأندلس ، تاريخـه وأمجاده ، وشتى جوانب الحضارة الأندلسية فيه .

ما الذى شد مؤرخنا إلى الأندلس ؟ .

أشياء كثيرة ، فى مقدمتها اعتناؤه بتاريخ مصر نفسها ، فقد ظلت الصلات قوية بين مصر والأندلس على امتداد تاريخه دولة اسلامية ، وكانت الاسكندرية والقاهرة محط الحجاج الأندلسيين فى طريقهم إلى الحج ومهبط الطلاب الراغبين فى العلم ، والعلماء الباحثين عن الشهرة ، وملاذ اللاجئين بعد أن ضيق الأعداء الخناق على أهله ، وبعد أن سقطت دولة الاسلام فيه .

ويضاف تعاطفا شديدا نما فى أعماق الأستاذ عنان مع مسلمى الأندلس ، وهو يحرر كتابه « ديوان التحقيق » ، فقد كانت الأهوال التى تعرضوا لها تذيب القلوب القاسية ، وتدمع العيون المتحجرة ، ولابد أنه قرأ فى اللغات الأجنبية لدوزى بخاصة ، ولعدد من الباحثين الألمان ، ما كتبوه عن الحضارة الاسـلامية فى أسبانيا ، فقد تناولها باعتدال ، ودون تعصب ، وبروح رومانسى دائما .

على أية حال لا نكاد نتجاوز العقد الثانى من هذا القرن حتى نجده يمس الموضوعات الاندلسية بين حين وآخر ، ينشرها فى مجلة الرسالة أو الهلال أو غيرهما ، فيدعو إلى إنقاذ الآثار الاسلامية والمخطوطات العربية من خطر الحرب الاهلية التى توشك أن تندلع فيها ، ويتابع تطور الفكر الاسبانى فى موقفه من الفترة الاسلامية فى الاندلس ، وتعكس مقالاته إذ ذاك إلماما واسعا بكل مصادر تاريخ الاندلس فى العربية ، ومراجعه فى اللغات الأجنبية المختلفة ، حتى إذا اختمرت



الفكرة ، وتجاوزت حدود الأمل ، ذهب إلى أسبانيا صيف عام ١٩٣٦ ، ليدرس المراجع والمخطوطات العربية فى مكتبات الاسكوريال .

ومدريد وغرناطة ، ويتجول فى القواعد التى كانت مسرح الأحداث فى طليطلة وقرطبة وإشبيلية وغرناطة ومالقة وبلنسية وغيرها ، ويدرس على الطبيعة معالم الوقائع والأحداث التاريخية الشهيرة ، وما تخلف فى حياة الناس وأزيائهم ، وعاداتهم وتقاليدهم .

ولم تكن هذه الزيارة هى الأخيرة أو الوحيدة ، كانت بداية زيارات لم تتوقف ، يجول فيها القرى والجبال والسهول ، ليدرك كل شيء عن كثب ، ومن ثم يستطيع أن يقيم الحروب والوقائع والانتصارات والهزائم ، بين مسلمى الأندلس وجيرانهم المسيحيين ، وبين أولئك وهؤلاء وبعضهم البعض . وهو أثناء ذلك يتردد على دور المحفوظات ، ويحقق الأسماء ، ويعين مواقع القرى التى اندثرت ، أو أخذت أسماء أخرى ، ويقف على المصورات الجغرافية والعمرانية القديمة ، ليتأكد من كلمة ، أو ليرسم حدود موقع ، وهى أمور لم تكن سهلة ولا متاحة على الدوام ، وفى هذه الفترة بدأ يتعلم الاسبانية ، ليتفاهم مع محدثيه من الاسبان دون مترجم ، وليستخدم الوثائق والمصادر الاسبانية مباشرة دون وسيط .

بعد سبع سنوات من رحلته الأولى ، أو على التحديد فى عام ١٩٤٣ ، والحرب العالمية الثانية فى قمة أوارها ، صدر الكتاب الأول من موسوعته « دولة الاسلام فى الاندلس » ، وانتهى عام ١٩٦٥ من آخر مجلداتها السبع ، وتضم أربعة آلاف صفحة ، درس فيها الفتح الاسلامى ، خطواته ، والعوامل التى مهدت له والتى أسهمت فى نجاحه ، وعصر الولاة ، والدولة الأموية ، أمارة وخلافة ، وعصر الطوائف ، والمرابطين ، والموحدين ، ثم مملكة غرناطة وأيام المسلمين الأخيرة فى الأندلس .

تعد مؤلفات محمد عبد الله عنان عن الاندلس الوحيدة التى تعرض لتاريخ الأندلس وحدة متكاملة ، واتسمت دراسته له بالعلمية والموضوعية والمنهجية ، ورغم أنه يصدر فى كل دراساته عن منظور إسلامى للحوادث ، لكن ذلك لا يدفع به إلى الدفاع عن خطايا المسلمين وأخطائهم فى الأندلس ، ولا ينكر فضائل العدو أو يقلل من دوره وشأنه ، والعكس صحيح أيضا .

وهو يتبع طرائق التأليف الحديثة ، فيضمن أى جزء من كتابه فهارس وافية للأعلام ، والمدن ، والأشعار ، ويوثق مادته بالاحالة على المصادر التى اعتمد عليها ، ولم يقف بجهده عند التأليف وحده ، وإنما حقق جانبا من المصادر المخطوطة الهامة التى افاد منها ، ونشرها ليفيد منها كافة الباحثين ، فنشر كتاب « الاحاطة فى أخبار غرناطة » للسان الدين بن الخطيب كاملا فى اربعة

مجلدات ، للمرة الأولى ، بعد أن كان ما نشر منه لا يتجاوز فصلة من المجلد الأول ، وكذلك « ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب » في مجلدين وهو لابن الخطيب أيضا . وما لبث أن أعجب بهذا العلامة الأندلسي ، فدرس حياته وألف عنه كتابه « لسان الدين بن الخطيب وتراثه » .

ورأى الناس ، والمؤلفين ، والمترجمين بخاصة ، يخطئون في كتابة الأعلام الجغرافية والتاريخية ، فألف فيها معجما صغيرا باللغتين العربية والاسبانية ، وهو جد مفيد ، وكنت أتمنى ألا تخلو منه مكتبة مترجم ، أو صحيفة ، فقد بدأ أمر الأسماء الاسبانية العربية ، حين تأتينا في نصوص أجنبية نترجمها إلى لغتنا يضطرب اضطرابا شديدا .

اضطلع الأستاذ عنان بمهمته في إخلاص تقى ، وصوفية خاشعة ، ولم يعبأ بالصعاب التي واجهته ، وهي عديدة ومتنوعة ، وانفق على أبحاثه من ذات يده ، راحلاً ومصورا وناسخا ، وتلقى بعض ما يستحق من التقدير ، في شكل محاضرات دعته إليها جامعات أجنبية يلقيها عن الأندلس ، من بينها جامعات لندن وكمبردج ، وهمبورج ، ومدريد ومن الجامعات العربية الرباط وتونس ، وعهد إليه الحسن الثاني ملك المغرب أخيرا بالاشراف على تنظيم مكتبة القصر الملكي ، وهي غنية بالمخطوطات النادرة ، ورحب بذلك ليفيد منها علميا قبل أى شيء آخر ، رغم تقدم السن ، والغربة ، وإيذاء الحساد العاجزين .

وكان نصيبه من التقدير المصري متواضعا ، لا يساوي ما بذل من جهد ، ويتمثل في نيله جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية ، سعت إليه بلا طلب منه ولا رغبة فيها .

● ● ●

لقد عبّد هذا العالم العظيم الطريق لمئات من الطلاب جاءوا بعده ، على امتداد العالم الاسلامي كله ، في حقل الدراسات الاندلسية ، وقدم لهم عن دولة إسلامية كتبا ألفها مسلم ، بروح إسلامي ، وجلابها حضارة كانت معرفتنا بها يعلوها الغبار ، ولا تتجاوز الحديث الرومانسي . والكثرة الغالبة من هؤلاء الطلاب ، تعرف له فضله ، وتجل فيه عمله ، والقلة ، وهم رجال كل عصر ، وضيوف كل مائدة ، والمتاجرون بأدبهم ، ومن لا أخلاق عندهم ، يسرقون كتبه ، ويتسولون على علمه ، ويتجاهلونه خوفا ، حتى لا ينكشف أمرهم ، وتعرف حقيقتهم ، ويتناسون كل هذا الجهد العملاق ليتسقطوا خطأ مطبعيا هنا ، وسبق قلم هناك ـ أو يقفوا عند خطأ عابر وجائز لا تأباه طبائع الأشياء .

● ● ●

باسم كل الطيبين والشرفاء وعشاق المعرفة نتوجه إليه شاكرين ومقدرين ، وهو على أبواب عامه التسعين ، نحمل له إجلالا لم يسع إليه ، وعرفانا لم يطلبه ، وتقديرا لم يبحث عنه ، شاهد صدق على أن العمل الطيب باق ، ولا يذهب العرف بين الله والناس ، وعلى أنه سيظل أحد المعالم الهادية في رحلة هذه الأمة إلى مستقبل أفضل ، وغد أعظم إشراقا .

فتح الملفات : و ٧٣ عاماً فى محراب الفن.

السّياسة والأدب والمـرأة عنـد
نجيب محفوظ

حديث اجرته : نادية كيلانى

السياسة والأدب والمرأة عند نجيب محفوظ

ماأكثر ألوان الحوار التى تمت مع عملاق الرواية العربية .. عشرات .. بل مئات .. ولكن الحوار الذى أجريته معه هذه المرة يأخذ اتجاها آخر .. إنه يعتمد أولا وقبل كل شىء على أقوال له سبق أن جاءت فى سياق هذا الحوار أو ذاك مما سبق نشره فى الصحف والمجلات .. وهى أقوال قد تحتاج إلى تفسير أو تعديل أو تبرير .. وهى فى مجموعها كشف حساب .. حاولت باسم القراء أن أضعه أمام نجيب محفوظ الذى حاول أن « يصفيه » .. فى عيد ميلاده الثالث والسبعين بكل صراحة ، وبكل الرغبة فى البعد عن لباقته « الدبلوماسية » المعروفة .

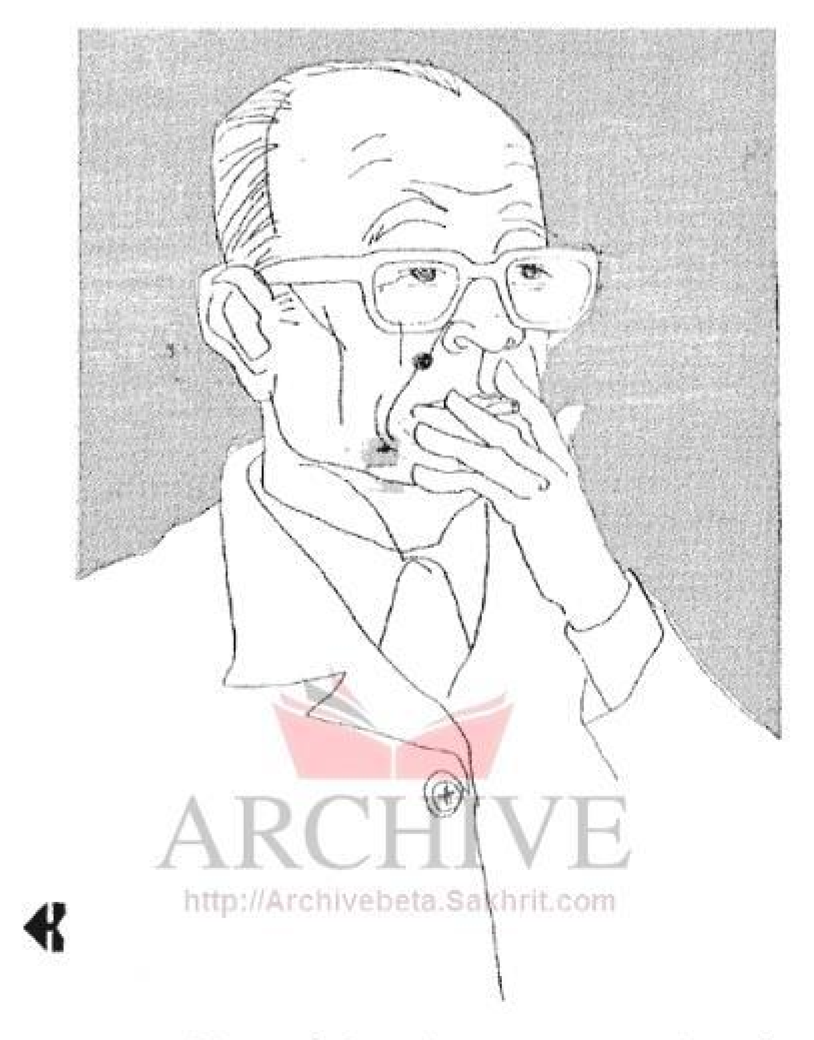
بدات حديثى معه قائلة . انت منهم بالدبلوماسية فى الاجابة عن الأسئلة التى توجه إليك .. فهل هذا هروب من اجابة قد تؤخذ عليك ؟

* فاجاب على الفور : والله لو كنت من النوع الذى يهرب من الاجابات المحرجة لما أعلنت آراء أعتقد انها احدثت بى ضررا كبيرا على المستوى العربى كما تعلمين . فإعلان آرائى السياسية مثلا انتهى بتقرير مقاطعتى فى جميع البلاد العربية .. فأين الدبلوماسية هنا ؟

ـ على كل حال فأنا أطمع فى إجابات خالية من الدبلوماسية ؟

* ابتسم وقال : لك هـذا .. ستكون إجاباتى خالية من الدبلوماسية .

ـ كان من أمنياتك بعد سن الستين أن تكتب ثلاثية عن ثورة يوليو لأن الثورة كما قلت ستكون قد مضى عليها سنوات عديدة ،



وأستطيع أن اكتب عنها روايه طويلة .. أين هذه الثلاثية وأنت فى السبعين .. ؟

* هناك أمران إذن .. الكتابة عن فترة الثورة ، وان تكون الكتابة فى شكل ثلاثية اما الكتابة عن فترة الثورة فقد تمت بالفعل فى روايات عديدة مثل « ميرامار » « وثرثرة فوق النيل » « والطريق » « واللص والكلاب » « والكرنك » « والباقى من الزمن ساعة » فكل هذه الروايات تأريخ موجز لكل ثورة يوليو وهى قد أغنت عن الثلاثية لانى عالجت فيها الموضوعات التى كان من الممكن أن تدخل فى الثلاثية ثم إن الزمن وايقاعه اصبحا لا يحتملان ثلاثية ..

ـ قلت فى السبعينات « ان الحركة الابداعية بالفعل اكثر تقدما وغنى من الحركة النقدية المصاحبة لها » فماذا كانت النتيجة ، وكيف نستطيع توزيع المسئوليات ؟

نجيب محفوظ

● فكر بعمق وأجاب : « الحقيقة أن الأدب ومع طول الفترة التي عاصرته فيها ـ لم توجد فيه أزمة من ناحية الانتاج . فكل جيل يعطي عطاءه ، سواء من جيل الرواد وهم أساتذتنا ثم جيلنا ، والجيل الثالث والرابع وحتى السبعينات والثمانينات كان التأليف مستمرا ، والنشر يتم بهذه الطريقة أو تلك .. المهم أنه لم توجد أزمة في الانتاج ربما وجدت أزمة في النشر ، أو أزمة في الجمهور أو أزمة في النقد ولكن الانتاج لم يتوقف أو يقل أو يصبح هزيلا .

النقد يحتاج لأشياء كثيرة .. يحتاج لمكان ينشر فيه .. فالناقد لايمر على المقاهي ليقول رأيه ، إنما يريد مجلة أوصفحات أدبية تتسع لكلامه . وأزمة النقد أساسا أنه لايوجد له مكان ، ولايوجد له حسن جزاء . وعندما يتوافر المكان وحسن الجزاء يوجد النقد ، بدليل أن صفحة الأخبار الأدبية أوجدت حركة نقدية للشبان في وقت من الأوقات ، ومجلة المصور أحدثت حركة نقدية بفضل الدكتور « علي الراعي » .

ـ قلت ذات يوم : في حدود تجربتي اقتنعت بأن تدخل المؤلف في عمله ـ عندما يتحول إلى أداة تعبيرية أخرى يهدده .. لماذا غيرت رأيك الآن وقررت أخيرا كتابة السيناريو ؟

● « أنا لم أفعل هذا إطلاقا ، والخبر الذي نشر بهذا الشأن ليس له أساس من الصحة . »

ـ اذن نطلب منك تفسيرا لعدم كتابة سيناريو لأعمالك الروائية بالرغم من أنك كتبت السيناريو لأعمال أخرى ؟

* أيام كنت أكتب السيناريو لم أقترب من أعمالي لأنني أعتقد أن صاحب العمل الأدبي لايحسن كتابة السيناريو لعمله ، مثل الطبيب فإنه لايستطيع أن يجري عملية جراحية لابنته .

وكانت النتيجة أن الثلاثية تحولت في السينما إلى رقصات وخمر وعري كما تحولت « الطريق » الى مطاردة ، « واميرة حبي انا » إلى جنس ورقص ، « والكرنك » إلى تجارة .. ألا تعتبر نفسك مذنبا في حق الشعب الذي فسد ذوقه وأصبح « عاوز كده » وفي حق التاريخ الذي احتفظنا له بواقع ملموس ومسطح . ؟

● « طبيعي أن الروايات عندما تنتقل إلى السينما أو التليفزيون تتغير ، لأن فنا جديدا يتناولها ، ومن حقه أن يعطي رؤيته . لابد أن يحدث .. فالسينما ليست ترجمة ولا التليفزيون كذلك . وما ينبغي لهما أن يكونا هكذا .. إنها مسألة إعادة خلق . »

ـ ولكن السينما العالمية استطاعت أن تجسد الروايات وتخلق منها قمما فنية تقترب من القمة الأدبية ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، نذكر منها رواية « زوربا » ومسرحية « هاملت » و « الحرب والسلام » و « د . زيفاجو » .. الخ . »

● أجاب : السينما العالمية أيضا غيرت في الروايات . ولكن المسألة في نوع التغيير ، وهي مسئولية الفنان السينمائي من ناحية ، والناقد من ناحية أخرى . وإعادة الخلق هذه يصح أن تكون في مستوى الرواية أو أفضل منها أو أقل ، حسب الطاقة الفنية للقائمين بالعمل .

ـ في سنة ٦٩ وعندما طلب منك أن تقدم نصيحة للشباب قلت : « أحسن نصيحة أقدمها للجيل الجديد هو ألا يستمع لنصيحة أحد من الجيل السابق .. لماذا ؟
ألأن نصائحهم مضللة ... ؟

● لا .. أبدا .. لأنها تعكس قيم جيل قديم ، والشباب جيل ونحن جيل ، فأنا أنصحه بقيم ربما لم يعد يؤمن بها ، فما فائدة النصيحة ؟

● « استطيع أن أقول لهم ماذا فعلت ،

ماذا اعتقدت ، ولكن لاأستطيع أن أقول لهم اتبعوه لأن زمنه فات »

ـ ربما لانك تعتقد أن الشباب أو الجيل الجديد بالذات لايقبل النصيحة ؟

● ليس بهذا فقط .. وإنما لأن له قيما أخرى ..

ـ فريق يرى أن أدب نجيب محفوظ عقبة فى تطور وتقدم الرواية العربية لأن سرعة العصر قد تجاوزته ، وفى ردك على هذا القول قلت : من الطبيعى جدا أن تتغير الأذواق والأساليب والرؤى . فهل ترى أنك لا تجارى العصر . ؟

● انا اعتقد ان لكل جيل رؤيته ولابد ان يأتى زمن تصبح فيه رؤيتنا قديمة !

ـ ولكن المفروض فى الأديب الذى يقرأ كثيرا ويطلع على كل جديد أن يتطور مع العصر ؟

● مهما تطور ، فلا بد أن تظل فيه رواسب تشده لقيمه .

ـ قلت : إن ديمقراطية التعليم وانتشاره قد خلقت لنا الأدباء بالمئات ـ بل بالألوف ـ هل معنى ذلك أن التعليم قد اظهر الأدباء او أنه قد اظهر ادعياء الأدب ؟

● لا بل أظهر الأدباء أما عن ظهور ادعياء أدب فهذا أمر لا صلة بينه وبين ديموقراطية التعليم .. أدعياء الأدب موجودون فى كل زمان ومكان قبل ديموقراطية التعليم وبعدها .. ألا يوجد أدعياء فى الطب ، يفتحون عيادات ثم يكتشف أمرهم ؟ كيف اذن لا يوجد أدعياء بين الشعراء او الكتاب ؟

ـ فى سنة ٧٤ قلت : إن التنمية الاقتصادية ليست مطلوبة لذاتها ، بل هدفها أن يجد الانسان غذاءه ومسكنه وملبسه وتعليمه وثقافته ، وان لم يتحقق هذا فلا فائدة من أى تطور فى هذا المجال وتصورت سيادتك أن الحل فى الاشتراكية ، ودعوت أيضا الى الانفتاح .. ماذا تقول اليوم وقد حدث الانفتاح وانقلب الميزان .. ؟

● فى الواقع أن الانفتاح الذى حدث ليس هو الانفتاح الذى فى أذهاننا على الاطلاق . كنا نفهم أن الانفتاح هو الذى تطور به إنتاجنا الصناعى والزراعى ، مثل الانفتاح الحاصل فى الاتحاد السوفييتى مثلا ، عندما يأخذ تكنولوجيا من الغرب وهكذا ، وليس الانفتاح اننا نأتى بالكماليات ، او نستورد فواكه . وما الى ذلك . وبالتالى ما حدث جاء على غير ما كنا نتصور او نتوقع ، وكانت نتيجته سيئة جدا ..

ـ وهل من أمل فى اعادة ترشيد الانفتاح ؟

● انهم يفعلون هذا الآن لقد أصبح الانفتاح الآن من اجل الانتاج كمبدأ . ربما لم يسيروا فيه مائة فى المائة ، انما هذا هو الاتجاه .

ـ اذن انت متفائل بالمستقبل ؟

● أعتقد هذا .

ـ اردت تقسيم الصحافة للمحافظة على تحالف قوى الشعب ، بحيث تمثل واحدة من الصحف الخط الرئيسى لثورة يوليو ، وأن تمثل الصحيفة الثانية التيار الليبرالى ، وتقتصر الثالثة على تمثيل الاتجاهات اليسارية ، مارأيك فى هذه الفكرة الآن ، خاصة ونحن فى زمن الأحزاب وكل حزب له صحيفته ..؟

● رأيى أننا لم نستكمل الديمقراطية بعد ، وأن قوانين الأحزاب يجب أن تلغى ونطلق حرية تكوين أحزاب بلا قيد أو شرط فهذا حق أساسى من حقوق الانسان وإذا حدث هذا فسوف توجد الأحزاب التى تمثل التيارات الأساسية الموجودة الآن ، والتى نستطيع أن نسميها بالتيار الديمقراطى الاشتراكى ـ أو ثورة يوليو ـ والتيار الليبرالى والتيار الشيوعى ، والتيار الدينى ، هذه هى الاحزاب التى لها قواعد فى الشارع والتى يجب أن تتكون بحرية ، ولكن القانون يمنع تكوينها ..

ـ قلت إنك بعد الثورة توقفت لفترة عن الكتابة . فما هى صفات الفترة السياسية التى تدعو الأديب إلى التريث والتأمل وترك القلم الى حين ؟

* عندما يحدث تطور سريع ، وتغيم الرؤية ولاتصبح واضحة .. حينئذ يحتاج الأديب الى تأمل ماحوله وفهم معناه . وهذا ماحدث بعد ثورة يوليو .

ـ سبق ان قلت . ان « كمال عبد الجواد » فى الثلاثية يمثل فترة من فترات « نجيب محفوظ » فهل لو وصل كمال عبد الجواد الى سن السبعين ستكون شخصيته هى شخصية نجيب محفوظ الآن ؟

* لا أعرف .. فقد قلت إن « كمال عبد الجواد » يمثل عقلية جيلنا والحقيقة أننى لم اطرح هذا السؤال ، ولم اتتبع حياة كمال عبد الجواد بالدقة الروائية حتى ابلغ به سن السبعين ..

ـ قلت أن المستقبل يحمل مفاجأة غير سارة لرجالنا فمتاعب الرجل ستكون متاعب خسارة ، ومتاعب المرأة ستكون متاعب كسب سيكون على الرجل أن يدرب نفسه على التنازل عن الجزء المريح فى حياته ، الجزء الذى كان يمارس فيه سلطات استبداده لماذا لم يحدث هذا وحدثت الردة ؟

* أنا أتكلم عن التطور الطبيعى .. والتطور الطبيعى أدى إلى هذا الذى تنبأت به .. والردة تتمثل الآن فى شكل مطالب .. مجرد مطالب ولكن الواقع غير المطالب . فالمرأة الآن تمارس التعليم وحق العمل والاستقلال الخ اما أن توجد تيارات تطالب بالعودة وتذهب إلى أن ما حدث كان خطأ .. الخ فهذه مطالب . لكن التطور ماض فى طريقه والرجل الان غير الرجل فى الماضى والمرأة الآن تختلف عن المرأة أيام زمان .

ـ قلت « لااريد لابنتى أن تكون تحت رحمة رجل » .. فهل يعنى هذا أنك مع قانون الأحوال الشخصية الجديد ؟

* أعنى أن يكون لها عملها واستقلالها الاقتصادى وأعنى أن تكون شريكة رجل وليست تحت رحمته وهى الآن عاملة . وبالنسبة لقانون الأحوال الشخصية فالحقيقة أننى لم ادرسه تماما .. .

ـ ولكنك وبكل تأكيد تعرف النقاط التى يدور حولها الخلاف ؟

ذكرينى بها .

ـ مشكلة الشقة فهى للزوجة طوال فترة الحضانة .

هذا عدل . فالمفروض مراعاة الجانب الأضعف وهم الأولاد .. أم ترى ، يرميها فى الشارع هى وأولادها ؟ !

ـ والمشكلة الثانية هى إخبار الزوجة الأولى فى حالة زواجه بالاخرى .

« وهذا عدل ايضا .. لابد أن يخبرها .. لماذا الاعتراض اذن ؟ »

ـ فى سنة ٥٩ كانت أمنيتك أن تتزوج بنت مسكينة ومقطوعة من شجرة وتريد أن تعيش ولا تعرف الكوافير أو الاوبرج ولا النادى ولا بيت الخياطة .. فهل تحققت أمنيتك ؟

* ضحك وقال : قولى خمسين فى المائة منها

ـ لوأنك الآن شاب فى ١٩٨٤ وتريد أن تتزوج ماهى مواصفات الزوجة ؟

* أن تكون متعلمة وعاملة لتساعدنى فى المعيشة وياحبذا لو كان عندها شقة .

ـ قلت : حتى إذا حدث خلاف لاتحزن على الشقة . وضحكنا ..

ـ إذا أراد « نجيب محفوظ » الكاتب أن يحاكم نجيب محفوظ الانسان .. فماذا يقول ؟

* احاسبه مر الحساب على عدم رغبته فى السفر ، وأنه ضيع على نفسه فرصة كان يستطيع من خلالها أن يرى العالم كله فى الشرق والغرب .. من الاتحاد السوفيتى الى الولايات المتحدة .. فمن كل هذه الأماكن جاءتنى لها دعوات وضاعت .

- ربما كان عدم السفر هذا الذى منحك الاستقرار وفرصة كتابة هذا العدد الهائل من الروايات ؟

* أبدا .. كنت كتبتها أيضا ، ووسعت الرقعة التى اعبر عنها .

- والعكس لو أراد الانسان فى نجيب محفوظ ان يحاكم الأديب ؟

* فكر طويلا طويلا وقال · الحقيقة لا اجد شيئا احاسبه عليه .

من اقوالك : العمل الفنى كالأمومة ، يجب أن ينمو فى داخل الأديب حتى ينضج والا كان إجهاضا ..

ومن اقولك أيضا : الفن شجرة كبيرة نامية ، وكلنا نأخذ من هذه الشجرة .

ومن أقوال المفكر « هبرت ماركيوز » . الفن فى أعمق مستوياته احتجاج على ما هو كائن ، ومن هنا بالذات يصبح الفن قضية سياسية .

فأى الأقوال الثلاثة فى رأيك اقوى وأصدق فى الدلالة على الفن ؟

* « هذا اتركه لك »

- ماهى أهم القضايا التى تشغل بال أديبنا الكبير الآن ؟

* قضايا البلد لاتترك للانسان فرصة التفكير فى أى شىء آخر - عجز الموازنة - الهياكل المخربة - سلبيات السد العالى - الكثافة السكانية - مستقبل البلد - كل هذه الأشياء تشغل تفكيرنا جميعا .

- هل تقترح حلولا لهذه الأزمات . ؟

* « ها نحن نكلم أنفسنا ليل نهار فيها

- ونتيجة الكلام ليل نهار ؟

* إننا نتابع أخبار التنمية وعندما تأتى فرصة لنعبر عن وجهة نظرنا نكتبها فى اى مكان

- بالنسبة لسلبيات السد العالى هل ترى أن نعالجها ام نهدم السد ؟

* بالتأكيد نعالج السلبيات فعندما نعالج هذه السلبيات يصبح السد العالى اعظم مشروع اقيم فى مصر .. فقضايا الداخل طغت على الانسان لدرجة انه أصبح لايهتم بالقضايا العالمية الأكثر منها خطورة مثل الحرب النووية والتلوث كيف أعطى لنفسى شرعية التفكير فى حرب نووية وانا اشمر ملابسى وانا اعبر المجارى ، او أخشى أن اقع فى حفرة ؟

- هل قرأت رواية مرتين .. وأحدثت فيك نفس الأثر ؟ وما هى هذه الرواية ؟ وإذا كنت لم تقرأ رواية مرتين فما هى الرواية التى تحب أن تقرأها الآن ؟

* « لا اذكر أننى قرأت رواية مرتين فلكثرة القراءات التى يجب أن أقرأها افضل أن اقرأ شيئا جديدا على ان اقرأ الشىء نفسه مرتين ، ولكن توجد روايات كثيرة اتمنى ان اقرأها مرة أخرى مثل الحرب والسلام - البحث عن الزمن المفقود - وأتمنى أن اقرأ أشياء كثيرة أخرى مرة ثانية ولكن لانى اقرأ كثيرا وأشياء متنوعة جدا ، من العلم الى الفلسفة ومن الحضارة إلى الأدب والفن فانى « استخسر » أن اقرأ الرواية مرتين رغم شوقى إليها انما الشىء الذى اقرؤه واكرر قراءته كثيرا هو الشعر ، لانه سهل موجز والشعر الفارسى بالذات وبعض الشعر الهندى محبب لى جدا ، فكل يوم أستصبح به فالرواية ليست سهلة ، وقد تحتاج إلى شهر أو أسبوعين بينما الشعر أستطيع أن اقرأه أثناء شربى القهوة فى الصباح وقبل خروجى من البيت· أستطيع أن اقرأ قصيدة .. » .

- وآخر ما تكتب الآن ؟

* « عندى بعض الأفكار البسيطة لقصص قصيرة أكتبها »

- لأن العصر لا يحتمل رواية طويلة ؟

* « والله لو جاءت طويلة أكتبها »

وانتهى كشف حسابى مع الأديب الواقعى الشديد الارتباط بالواقع المصرى والذى يشعر بالانقباض كلما فكر فى شراء تذكرة سفر ! تلقى دعوة لمغادرة الأراضى المصرية



شعر
عزت
الطيرى

(١)

حطبٌ .. حطبْ
زغبٌ .. زغبْ
غضبٌ .. غضبْ
ذهبٌ .. ذهبْ

(٢)

حطبٌ ..حطبْ
الشمس احرقت الوريقات الجميلةَ
في تكاعيب العنبْ
زغبٌ .. زغبْ
الريح تنتزعُ الجناح
فما تبقّى في الجناحِ سوى الزغب
غضبٌ .. غضبْ
تبتْ يداهُ ابو لهبْ
قد اقفل الأبواب والشبّاك
ارخى كلُّ أستار الغضبْ
من اين يأتى الشعر إن لم تخرجى
وتعرّجى
للشارع المزدانِ بالألوانِ
والضوء النيونيِّ الجميلِ
امام تجار الذهبْ
ذهبٌ .. ذهبْ
من اين آتى بالذهب
والنار تلتهم الحطبْ
والريح تنتزع الزغبْ
وابوكِ يا ويلى
ابوكِ ابولهب


شهادات استثمار
البنك الأهلي المصري
تصدر في ثلاث مجموعات
تناسب جميع الرغبات
المجموعة
أ
ذات القيمة المتزايدة
تزيد أموالك بواقع
٣٦٥٪ صافي
بعد عشر سنوات
المجموعة
ب
ذات العائد الجاري
تعطيك عائداً صافياً
قدره ١٣¼٪ سنويا
يصرف العائد كل ستة شهور
المجموعة
ج
ذات الجوائز
سحب دوري ٦ مرات شهريا
جائزته الأولى ٢٠٠٠٠ جنيه صافي
سحب مميز كل شهرين
جائزته الأولى ٣٠٠٠٠ جنيه صافي
سحب ١٥ مايو السنوي
جائزته الأولى ٥٠٠٠٠ جنيه صافي

قراءة فى كتاب :



محمد رسول الحرية

للأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى

بقلم : فاروق خورشيد

ليست هذه سيرة من السير الكثيرة التى امتلأت بها عصور الحياة الاسلامية حول شخصية محمد الرسول ، أو محمد البطل - كما صورتها اشعار الشعراء أو العطاءات النثرية لأصحاب الكلمات المنثورة عبر التاريخ - بل هذه محاولة صريحة فى ميدان القصة - هكذا قال الكاتب وهكذا قال الكتاب - والكاتب هو الروائى القصاص الشاعر عبدالرحمن الشرقاوى والكتاب هو محمد رسول الحرية .

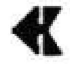
ولكن الامر صعب ، فالقصة أيا كان طموحها لا يمكن أن تغادر اطار السيرة ، فهى تتحدث عن بطل السلام ونبى الأمة ، ورمز وجودها ، ومعنى طموحها ، محمد بن عبدالله .. ومهما اتجهت أو تحررت أو حاولت نهج القصة المعاصرة ، فهى أسيرة قداسة النبوة ومعنى بطولة النبوة .. حتى وهى ترفع شعارها الصارخ على غلاف طبيعتها (انما أنا بشر مثلكم) .. فالنبى بشر حقا ولكنه ليس ككل البشر ، فهو نبى ، وصاحب رسالة ، وصاحب عقد موصول بالسماء ، وليس لبشر هذه المكانة ، لا طموحا ، ولا القاء ، ولا أملا .. (انما أنا بشر مثلكم) ، ولكن بشر مميز ، لأنه رسول الى البشر يحمل رسالة السماء .. وما كل بشر يحمل رسالة السماء الى باقى البشر . وما كل بطل لقصة يعيش تحت كل هذا التكريم من القداسة والسمو والرفعة ترفعه فوق العاديين من أبناء البشر شاء المؤلف أم لم يشأ .. ومن هنا استوى أمر القصة فجاوزت حدود السيرة وسايرتها ، وان حاولت أن تظل على وفاق معها ، فلا تجاوزها الى مزيد من القداسات والغيبيات وشعارات الحب .. المبهرة بنور محمد .. وما لهذا النور من اشعاع عريق فى ضمير الشعب الاسلامى على مر الزمن ..

ومن هنا كان استهلال الكتاب تسليم بقصة تقديم عبد الله الى الذبح قربانا لهبل ووفاء لعهد قديم قطعه عبدالمطلب

على نفسه ، فهذه القصة لازمة لبناء السيرة حيث يحيط مولد البطل هذا المشهد الفاجع الذى يستنقذه من يد القوى التى تريد أن تمنع وجوده حتى لو كانت هذه القوى هى قوى الآلهة • ومولد اسماعيل وموسى وعيسى كلها تشى بوجود هذا الموقف الحاد فى مولد البطل ، ومن هنا ربطت قصة السيرة النبوية بين انقاذ عبد الله والنور الذى بدا لوجهه فتعرضت له واحدة من شريفات قريش ، ثم زواجه من آمنة فى نفس اليوم وذهاب النور من وجهه ، اذ تحول النور الى هذا الجنين الذى تخلق لحظة انقاذ عبد الله من الذبح •• ووقوف الشرقاوى عند هذا النص يستهل به كتابه •• يكشف دقة الحس الروائى عنده ، وان كان يكشف فى نفس الوقت عمق الايمان الذى جعله يستسلم لمروياتها دون تحقيق علمى •• وبنفس القدر يربط بين ولادة محمد وعام الفيل ، وفيه تستنقذ ارض العرب من زحف أبرهة ، كما استنقذ عبد الله من كهنة هبل •• وهذا الربط يؤكد قدرة الاختيار الفنية العالية لدى القصاص• الا أن الشرقاوى مع هدية الروحى فى اختيار السيرة وحكاياتها الرامزة لا يغادر أرض الواقع فى تحليله للاحداث ووقوفه عند مسبباتها المنطقية فيقف وقفة طويلة عند مجتمع مكة يبرز انهياره وفساده وتهاويه •• فنحن وجدانيا فى توقع « المخلص ونحن واقعيا فى انتظاره •• وتكتمل صورة البطل الروائى عندما يولد الطفل يتيما فيكفله جده وترضعه حليمة غريبا عن مكة فى ديار بنى سعد يرعى الغنم مع اخيه فى الرضاعة ثم تموت امه وجده فيكتمل يتمه ، ويخرج الى الحياة يتأملها فى خوف الواثق من غدرها ، وفى رؤية الناقد لامورها



عبد الرحمن الشرقاوى



فنشأ وينشأ معه حسه المرهف المدرك لما تعيشه مكة حوله من متناقضات وما تحفل به من زيف (وما دام الرجل يستطيع أن يطوف بالكعبة ويمسح الركن ، ويقدم القرابين لهبل ، فكل شىء مباح له) •• كما ينشأ معه سمعه المرهف لهذه الدعوات المخلصة التى تحذر وتنذر وتريد لمكة أن تعود الى دين ابراهيم ، ويسمع من حوله أصوات ورقة بن نوفل وعبد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو•• (كلهم معنى بالبحث عن الحقيقة وسط زحام الخديعة والاكاذيب) وكلامهم يحدث صداه فى النفوس الواعية وان كان يجد الصد ممن استهواهم الغنى والجاه والنفوذ •



من الرعى الى التجارة

يرعى الغنم حينا ثم يخرج الى رحلات مكة التجارية ، وفى واحدة منها يخرج فى مال خديجة بنت خويلد ويصادف الصدق الصدق فيتزوجها .. ويجد عندها حنان الأمومة وحب الزوجة وأمانة الصديقة وأمن البيت الهادىء السعيد . (ان الامن ليعمر البيت . هذا حق . ولكن الحياة من خارج بابه ، تضطرم بما يمزق القلب المطمئن) .. وكان هذا الاطمئنان قد اتاح له الفرصة ليتأمل فى العالم المضطرب حوله ، ويتأمل ويتأمل ويتمر الاعوام ورؤيته للمظالم تتسع وتعمق فهى ليست فى مكة وحدها ، وليست فى بلاد العرب كلها ، وانما هى فى العالم بأسره فالظلم حل بالعالم ولاخلاص الا برؤية جديدة وثورة جديدة .. وفى رمضان من كل عام يعتزل الحياة والناس ليتأمل ويفكر ويحلم وهو فى غير هذا الشهر يسعى بين الناس يتاجر فى مال خديجة ، ويثير اعجاب الناس به وحبهم له حتى أسموه الامين . وفى ذات ليلة من رمضان يأتيه الوحى آمرا له بأن يخرج الى الناس ليكون الرسول المنذر برسالة السماء ... (وهكذا انطلق ، وقد ادرك دوره حقا لاول مرة ، منذ تلك الليلة فى رمضان) ..

النبي والانسان

الشرقاوى هنا يزاوج بين عنصرين هامين الاول هو عمق القداسة التى احاطت برسالة محمد ، والثانى هو الاعداد الالهى لمحمد الانسان ليتولى هذه الرسالة، والنسيج القصصى يغوص الى ارض الواقع ليجعل من رسالة محمد متطلبا انسانيا هاما ، كما يغوص الى اعماق الوجدان ليجعل من رسالة محمد متطلبا روحيا هاما ، فالرسالة ليست علاجا لروح الانسان وحدها، واعانتها من الشرك الى الهدى ، وانما هى علاج انسانى لادواء الانسان الذى انحرف فهى رسالة السماء الى الحياة روحا ومادة معا (اعدت الحياة له مكانا .. وانتظرته .. هيأت الظروف الاجتماعية محله، فكان من الضرورى أن يقبل ليملأ مكانه المرتقب ، مسلحا بفهم كامل بطبيعة دوره ، وبنظرية كاملة عن الحياة والموت ، وبادراك كامل لحاجات البشر .. حاجتهم الى اسلوب فى العلاقات اكثر عدلا وانسانية، وحاجة وجدانهم الى قيم روحية جديدة) .. وبدأت الدعوة واهتزت مكة التى يطالبها بأن تغير دينها ، وتغير أسلوب حياتها معا . وكانت المقاومة العارمة من الاغنياء والمترفين وكانت الاستجابة الحافلة من الضعفاء والمستضعفين .. وتشبت المعركة الضارية بين الجانبين وجاء زمان الاضطهاد (جاء الزمن الذى يوثق الانسان فيه ، ويلقى به الى الجوع والحقد والالم والنسيان .. مرة اخرى يقبل عهد الشهداء والمستبسلين، فاذا الذين يحملون فى رءوسهم الافكار ، ويحملون الاخاء والعدالة والمستقبل ، ويثرون وجدانهم بالثقة فى انتصار الخير .. اذا بهؤلاء الذين يمنحهم الايمان كل قوتهم ، يطالبون بأن يواجهوا الغيظ والمهانة والتشفى ، والضرب حتى الموت ، وكل ما هو متوحش ومفترس وقمىء) .

ومن هذه الزاوية من التعبير عن

معارك التبشير الاولى للاسلام ببرز خطان رئيسيان : الاول هو ان تكون معركة محمد ومن معه هي معركة كل المنتصرين للخير والحرية والمتحملين لوحشية الشر وعسفه بكل معاني الخير والحرية ، في كل زمان ومكان .. فمعركة محمد تكرار لمعارك الانسان الذي يرفض الذل والمهانة وأن تحتقر انسانيته ، وهي في نفس الوقت انطلاق جديد لمعارك الانسان الشادي الى تحقيق وجوده الكريم على الارض ..

والثاني هو هذه الاسقاطات المعاصرة التي تربط هذا الحدث التاريخي بأحداث نعيشها في عصرنا، وبمعاناة الانسان الحر في هذا العصر .. وبهذا تلعب القصة التاريخية دورها الرئيسي في الحديث عن الحاضر وهي تستقطع صورا من الماضي ، وفي رسم معاناة انسان العصر وهي تتحدث عن انسان عاش في عمق التاريخ .. وفي استشراف الامل من قصة كفاح نبيلة . وفي رسم معنى الاصرار في وجدان انسان العصر بالقاء الضوء على قيم في حياة أبطال الامس ..

ولكن في الخطين معا لا ننسى أبدا أننا نتحدث عن نبي العرب وعن رسالة الاسلام ، ولا ننسى أن نربط بين النبي والوحي ، ولا بين الاسلام والله ..

الاسلام والحرية

ومع الاضطهاد والعسف كان هناك الحصار والهجر ، وكانت هناك العروض والمساومات . وتتضح خلال هذه المعارك معالم الدعوة الجديدة : التوحيد بالله ، والوفاء بالوعد ، والامانة في البيع والشراء ، ومكانة للمرأة ، وعطف بالعبيد ، ومال معلوم للسائل والمحروم ، والعدل الكامل بين الناس ، ورفع الظلم عن كل مظلوم .. ومن زوار مكة انطلقت الهمسات في كل الجزيرة بما يحمله محمد الى الناس وبما تعنيه رسالة محمد الى كل الناس . وفي يثرب تجمعت عصبة من رجال الخير ينتظرون محمدا واشارة محمد ، وأدركت مكة أن محمدا لابد أن يقتل قبل أن يخرج الى غيرهم برسالته ، وتتآمر قريش وتمكر ، والله خير الماكرين . وينجح محمدا واشارة محمد، وأدركت ملكة دار الهجرة والى الانصار الذين آخا بينهم وبين من هاجروا معه ممن آمنوا برسالته ، وأدرك محمد أن أسلحة اليهود تقوم على المال والمعرفة فاتجه الى اتباعه من جديد يعدهم لمقاومة اليهود وتآمرهم (انه ليطالبهم بالعبادات التي جاء بها .. ولكنه يطالبهم أن يثقفوا عقولهم ويغذوها ، أن يتعلموا الكتاب والحكمة أن يطلبوا العلم ولو في بلاد بعيدة لا تؤمن بما يؤمنون به .. ولو في الصين فالعلم وحده هو الذي يشعر الانسان بما له من خطر .. هو الذي يؤكد له أن لا فضل لاحد على الاخر الا بالمعرفة التي يزخر بها القلب .. هو الذي يحطم السلف الزائف ، ليدعم في الانسان الشعور بالكبرياء الصادق .. هو الذي يجعل الانسان مهيبا أمام كل القوى الغاشمة تغلقه حصينة الاسوار) .

يحاول عبد الرحمن الشرقاوي أن يلائم بين التعاليم واحتياجات الحياة، فالدعوة الدينية وليدة الحاجة اليها حين اقتحمت روح الانسان ، وحين امتهنت الشرور حياته وأمنه .. والدعوة الى العبادات سياج يحمي الانسان من العودة الى ظلمات الكفر . والدعوة الى التساند قوة أمام عسف





مكة بالمستضعفين من المؤمنين .. والدعوة الى التصالح والمحبة ضرورة في مجتمع جديد يجاور فيه المهاجرون الانصار، ويجاورون جميعا فيه جيرانا اقوياء من اليهود .. والدعوة الى العلم تأتي حين يصبح سلاح عدوك الرئيسي هو المعرفة والعلم ، وحين يسخر هذه المعرفة للكيد بك والنيل منك . ثم تأتي دعوة الحرب ضرورة حتمية لتآمر أعدائه من مكة عليه ، وتحالف اليهود جيران من المدينة معهم ، وبدأت المعارك وصهرت بنارها معادن الرجال، كما تظهر المعادن قيمة الاخلاق ومعنى الفروسية ، وتختم المعارك الامر بين محمد وقومه فاذا هو المنتصر واذا كلمة الحق هي العليا .. واذا هو يدخل مكة منتصرا محطما للاصنام ، ومطهرا مجتمع مكة مما كان يخزيه وخرجت السرايا من مكة تخضع القبائل للدين الجديد وخاضت القبائل حربها ضده بكل ما عندها من سلاح . وبكل خبث من يريدون لمحمد الهزيمة ولدينه الانكسار ممن انضموا الى صفوفه راغمين بعد أن هزمهم السيف. فطمعوا في أن يقلزوا الى الصفوف الاولى باسلامهم ، وفي محن المعارك ظهرت نياتهم وبدت خباياهم ، ولكن النصر كان حليف محمد لا بالسيف وحده ولكن بحكمه السياسي ، وخبرة العارف ، ووحي السماء .. وتتوحد القبائل ، وتتجاوز الدعوة مكة الى الجزيرة بكل قبائلها، ويخيف هذا هرقل الروم وكسرى الفرس .. وقبل محمد وصحبه التحدى

ويأمر محمد جيوشه أن تزحف الى القوم الظالمين ويبدأ تحرك النور ..

شعر الشرقاوى

يسلسل أسلوب الشرقاوى ويرق حتى ليقرب كثيرا من الشعر ، وحتى ليتخلص تماما من كل مزالق اللغة ، وهو يختار مرة أسلوب السرد ، ومرة أسلوب الحوار .. وهو مرة يحكى عن بطله ، وهو مرة يحكى بلسان بطله ، وهو مرة يخاطب بطله ويتعاطف معه. محاولا في كل هذا أن يقدم لنا قصة كما وعد في المقدمة .. ولكن ما قدم سيرة حياة ، والقصة تفي بجزء من حياة ، لا بحياة كاملة ، ولكنه التزام بما روته كتب الاخبار مما ورد في كل محاولات الكتابة عن محمد قبله، وبهذا أطلت رائحة السيرة النبوية بما الفه الناس من أخبارها لتعيد القصة الى حظيرة السيرة . ولكنه مرتبط بمعنى البطولة ذات القدسية لا يستطيع منها فرارا ، وهو محب لا يجد مندوحة عن تبرير كل مظان الخطأ فيندفع بكل حماس الحب يبرر كل سلوك ، ويحب السبب لكل موقف ويحمى حبيبه من مظان الشبهة في الخطأ أو الفرصة أو الاندفاع ، فمعنى التقديس في نفسه لشخصية محمد يطغى تماما على قدرات الروائي المحايد، أو القصاص الذى يقدم أمانة الفن على أمانة الحب .. أنها شخصية محمد بن عبد الله الاسرة حولت الكاتبين حولها الى مداحين شاءوا أم ابوا من حسان ابن ثابت وكعب بن زهير والكميت والسيد الحميرى ودعبل الخزاعى والشريف الرضى ومهيار الديلمى الى الامام البوصيرى الى شوقى والبارودى وأحمد محرم وعلى الجارم وعلى طه ومحمود حسن اسماعيل ومئات ومئات غيرهم

من شعراء العرب والمسلمين فى كل مكان وزمان .. حتى غدا الحديث عن محمد لا يعنى الا نسقا تقليدا شعريا هو النسق الذى اسماه النقاد بالمديح النبوى .. والفت حوله الكتب وظهرت الدراسات الادبية المتعددة اشترك فيها من المعاصرين الدكتور محمد كامل حسين والدكتور زكى مبارك والدكتور شوقى حبيب ، والدكتور احمد كمال زكى والدكتور على الصافى النجفى والدكتور فتحى عثمان والاستاذ سيد كيلانى والاستاذ عبد العليم القبانى ..وغيرهم كثيرون اعطوا هذه المدائح كل جهدهم فى الدرس والتحليل ..اما فى ميدان النثر فقد طغت صيغة السيرة، كما طغت فى الشعر صيغة المدائح

ولم يستطع احد ان يتخلص من أسار السيرة حتى الذين حاولوا ادخال الصيغ الفنية الجديدة كمحاولة توفيق الحكيم فى مسرحية عن (محمد) التى خلت من معنى الصراع او المشكلة المسرحية التى تعطى للمسرحية وجودها الدرامى فقدت تبعا حواريا لسيرة الرسول ، وهو متبع أفقد الى وجهة النظر الخاصة ووقع تحت تأثير ابن السيرة .. كما وقع تحت تأثير السيرة النبوية لابن اسحق من صياغة ابن هشام ، والتى كانت الام والمرجع لكل محاولات الكتابة عن الرسول حتى يومنا هذا .. وحاول العقاد ان يقدم ترجمة من جهة تبرز معنى العبقرية فى محمد .. فجمع بين منهج السيرة ومنهج المدائح ، وكان فيها ناثرا يتبع أخبار السيرة وشاعرا يقدم لنا هذه الاخبار وسط فيض من حب واكبار وانبهار واندفاع متحمس للرد على المستشرقين وما حاولوا ان يقدموه من مقالب فى شخصية محمد الرسول والانسان معا .. اما طه حسين فرغم انه كان يكتب قصة قصيرة بكل مواصفات القصة القصيرة وفنيتها فى كتابه على هامش السيرة ، الا انه كان أصرح الجميع عندما أعلن صراحة وفى عنوان الكتاب انه تأسى السيرة ، وأن عمله الذى يقدم أنما هو عمل على هامش السيرة النبوية .. ويأتى عمل عبد الرحمن الشرقاوى فى الرواية او القصة الطويلة مكملا لمجهودات الادباء العرب المعاصرين الذين حاولوا استغلال اشكال التعبير الفنى المعاصر من ترجمة وقصة ورواية ومسرحية فى استلهام شخصية محمد بكل ابعادها الانسانية، وبكل بطولاتها الموحية .. اما الشكل فهو هذه الفئات الجديدة للكلمة المعاصرة التى سببها تطور دور الكلمة وأهدافها وتطور وظيفة الادب ورسالته فى عصرنا الحديث ، فتحدث عملية التوحد او التقمص بين المتلقى والبطل، وتكون هذه الاعمال بهذا اقرب فى احياء المعانى التى تمثلت فى بطولات هذا البطلْ من كل خطب المتحمسين ، وتكرار ما حفظوه من قيم قديمة للبطل لا تفعل فعلها فى نفس انسان اليوم .. وتدفع به الى الوراء ، بدلا من أن ترسخ فيه النظرة الى المستقبل من منطلق تطابق المثل من واقع اليوم ، والاستشراف به الى رؤية الغد .

وعلى هذا فلم يسلم جانب منهم من اقلام لم تعن نفسها بالفهم والرؤية الواضحة كما لم تعد نفسها بالدرس وتحصيل العلم المعاصر .. وقد حظى الشرقاوى باكبر قدر من سهام هذه الاقلام ربما لانه كان اكثرهم تغليبا لعناصر الصراع داخل المجتمع ، واكثرهم اهتماما بالصراع داخل الانسان .. وربما لانه بهذا كله كان اكثرهم معاصرة فى التناول والفهم معا ..

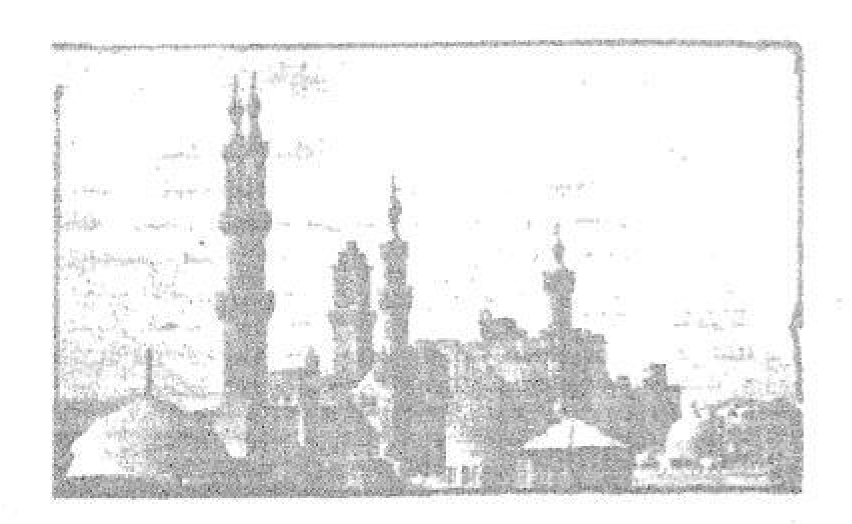


بقلم : الدكتور محمد الدسوقى

لأن المؤمن مراة اخيه ، ولأن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، ولأن الساكت عن الحق شيطان أخرس . اكتب هذه الكلمة عن أعرق جامعة اسلامية . كانت منذ مئات السنين منارة للفكر والجهاد ، ومثابة للعلم وطلابه من شتى الاقطار ، وقلعة حصينة انحسرت أمام أبوابها كل موجات الشعوبية والزندقة والبغى والعدوان .

هذه الجامعة التى ادت رسالتها العلمية والنضالية عبر تاريخها الطويل على أحسن وجه ، وكان ذكر اسمها فى اى مكان يوحى . بمعانى الكرامة العقلية والرهبنة العلمية والرباط المقدس . تعرضت كما تعرضت أخوات لها فى مشرق العالم الاسلامى ومغربه لسياسة مخططة ، تقتضى بعد حين من الدهر طال أوقصر ، القضاء على رسالة هذه الجامعات ، والحيلولة بينها وبين أن تظل قوة موجهة مؤثرة فى حياة المجتمع الاسلامى فيلفظها بعد ذلك ، أوتقضى عليها الأيام بالدثور والفناء .

ويرجع تاريخ تلك السياسة المبرمجة الى القرن الماضى ، بل ربما الى اقدم منه ، بيد انها اخذت طريقها الى التطبيق العلمى فى ذلك القرن ! فقد حدث فيه ظاهرة التعليم المدنى المنفصل عن التعليم الأزهرى . فالتعليم كله على تباين مجالاته كان يتأثر بالفكر الدينى الذى يمثله الأزهر . فلما نشأ التعليم المدنى ، وأخذ يزاحم الجامعة العتيقة ، ويحظى برعاية الاحتلال وبعض الطبقات الاجتماعية فى مصر ، أدرك بعض الشيوخ وعلى رأسهم الأمام " محمد عبده " الخطر الذى يهدد الأزهر ومستقبله . ان الزمن يتغير ، والحياة تتطور وكل من يقف ضد تيار التجديد ومواءمة العصر أومواكبته ، فإنه لامحالة هالك . ومن ثم دعا هذا الامام الى توحيد التعليم واصلاح الأزهر ، ليظل قادرا على القيام برسالته ، وفق متطلبات الحياة الفكرية والاجتماعية ، وليؤكد بهذا صلاحية الاسلام الدائمة للتطبيق ، وان هذا الدين يحارب التخلف ويحض على التقدم ، ولكن التيار الذى عارض الاصلاح وآثر الابقاء على الأزهر كما هو دون تغيير أو تطوير كانت له



الغلبة فلبث الأزهر فى حياته العلمية يتشبث بأسلوبه الموروث ، وهو يجنح الى الاهتمام بالجزئيات أكثر من الكليات ، والاجترار والتقليد أكثر من الابتكار والاجتهاد ، ومعايشة الماضى أكثر من مواجهة الحاضر ومشكلاته العديدة

ويقتضى الانصاف الاشارة الى أن الأزهر على الرغم من جموده وركوده حمى مصر فى سنوات الاحتلال ، وبخاصة السنوات الأولى من الذوبان الفكرى فى ثقافة المحتل ، وأوجد لونا من التوازن بين هذه الثقافة والثقافة الاسلامية ، وان لم تكن هذه صورة مشرقة لأصالة الفكر الاسلامى ، بيد أنها على أية حال كانت كالصخرة التى تكسرت عليها بعض أهداف سياسة " دنلوب " الاستعمارية .

ولكن هذا الدور الذى قام به الأزهر عن قصد أوغير قصد لايعفيه من التقصير فى القيام بالأمانة كاملة ، وكان لاعراضه عن التجديد عواقب وخيمة يجنى بعض ثمارها اليوم .

ان الأزهر فى النصف الأول من القرن الحالى وجد آلاف الطلاب ينفرون اليه . وكانت الكتاتيب المنتشرة فى كل القرى والمدن تخرج حفاظ القرآن الذين يرون فى الأزهر أملهم وأمل آبائهم فى طلب العلم . وما كان هؤلاء يفكرون كثيرا فى مستقبلهم الوظيفى بقدر ماكانوا يحرصون على التفقه فى الدين ، ومن ثم كان بعضهم بعد أن يطلب العلم فى الأزهر لبضع سنين يرجع الى قريته يعيش بين أهلها ويمدهم بما تزود به من الفقه .

وتقلصت الكتاتيب شيئا فشيئا وضعف الوازع الدينى الذى كان يحمل الآباء على أن ينذروا أبناءهم للمجاورة فى الأزهر ، واتسع نطاق التعليم المدنى ، وأصبح بدون مصروفات ، فقل الاقبال على الأزهر أولم يجد طلابا يلتحقون به كما كان من قبل . ولم يواجه شيوخ الأزهر المشكلة بدراسة علمية موضوعية تتوخى وضع سياسة جديدة





للأزهر ، تحفظ عليه أصالته وعراقته والقيام برسالته ، وفى الوقت نفسه تربطه بعصره ، وتجعله يحيا فى حاضره ويسهم فى علاج قضاياه المختلفة . لم يفعل الشيوخ ذلك ، وشغلتهم أمور ما كان لهم أن يشغلوا بها ، كالصراع الحزبى والاقليمى والمعهدى . فمازلت اتذكر من ايام الطلب فى المعهد الأحمدى قبيل ثورة ٢٣ يوليو انقسام الأزهريين الى وفديين وسعديين ، أو الى صعايدة ، وبحاروة ، أوانهم أكفأ من خريجى الجامعة ودار العلوم . وكانت بعض الصحف فى ذلك الزمن تؤجج نار الخلاف وتوقظ الفتن النائمة ، ولكن المؤسف أن الشيوخ أوكثيرا منهم كانوا فى غفلة عن هذا كله ، بل كان منهم من شارك فى الخوض فى تلك الفتن مما أدى الى ازورار الناس عن التعليم الأزهرى ، حتى أن رجال الأزهر أنفسهم وجهوا أبناءهم

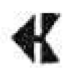
الى التعليم المدنى ، وكأنهم بهذا السلوك يقدمون البرهان العملى على أن الأزهر قد انتهى دوره ، وكاد يلفظ انفاسه الأخيرة ، وان طلب العلم فيه لايفيد علما ولايحقق لصاحبه فى الحياة مستقبلا ماديا او اجتماعيا .

وظهرت بعض الأصوات من داخل الأزهر تنادى بالاصلاح ، وتحذر من مغبة تجاهل المشكلة الأزهرية . بيد أن هذه الأصوات لم يسمعها أو يؤبه بها ، وحورب الذين نقدوا الواقع الأزهرى ، وآثر بعضهم العمل فى الجامعة على البقاء فى المعهد الذى تخرج فيه مادام قد عجز عن علاج أمراضه ، أوحيل بينه وبين النهوض به .

وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو تضاعف الحديث عن اصلاح الأزهر وفى نفس الوقت تضاعف التشبث بالحرص على الابقاء على الجامعة العتيقة دون تجديد أو تطوير ، وليس ادل على ذلك مماكتبه المرحوم الدكتور " طه حسين " فى صحيفة الجمهورية تحت عنوان " الخطوة الثانية " وكان يقصد بهذه الخطوة أن تتخذ الثورة بعد أن وحدت القضاء قرارا بتوحيد التعليم . فقد خصصت مجلة الأزهر اكثر من عدد للرد على هذه المقالة ، وتجاوز النقاش حدود الجدل بالتى هى احسن ، وأثبت الذين كتبوا فى هذا الموضوع أنهم يحسنون القاء الكلام على عواهنه أكثر مما يحسنون تحليل الأفكار وتركيبها ، واستخلاص النتائج من مقدمات منطقية لايرفضها الا مكابر أوجاهل .

وحاول الأزهر فى تلك المرحلة من تاريخه المعاصر أن يقوم بحركة إصلاحية فى محاولة منه لاسكات الاصوات التى تنادى بالتجديد ، غير ان هذه الحركة لم تكن اصلاحا جوهريا ، وإنما كانت عملا شكليا تمثل فى حذف أجزاء من المنهج وتغيير بعض المؤلفات المقررة ، وجاءت الكتب الجديدة أدنى مستوى من الكتب القديمة ، وبخاصة فى مجال دراسة الأدب .

وأخذ الاقبال على الأزهر يقل . وكان لابد أن تلغى بعض الشروط التى ينبغى أن تتوافر فيمن يتقدم اليه كحفظ القرآن كله . ثم جاء قانون التطوير الذى وضع الأزهر فى



بداية النهاية لمكانته كجامعة متخصصة في العلوم الاسلامية ، لأن هذا القانون اضفى على الازهر مظهر الجامعة العصرية من حيث الالقاب العلمية والدرجات المالية ، ولكنه نحاه عن ريادته فى مجال الدراسات الفقهية واللغوية لأنه فرض على طلاب الأزهر فى المرحلة الاعدادية والثانوية أن يدرسوا منهجين فى وقت واحد ، فلم يستطيعوا أن يتقنوا واحدا منهما . وضاعف من هبوط المستوى العلمى لدى طلاب هذه المرحلة أن كثيرا منهم كانوا من الذين رفضت المدارس الثانوية العامة ان تقبلهم لحصولهم على أدنى درجات النجاح فى الشهادة الابتدائية والاعدادية ، وقد اضطر الأزهر الى أن يفتح أبوابه لهؤلاء الطلاب ، خوفا من أن يغلق هذه الابواب ، فلم تعد الكتاتيب التى توارت تغذى الأزهر . كما أن المدارس الابتدائية الأزهرية لازدواجية مناهجها لم تصمد أمام تيار التعليم العام ، فتقلص شأنها ، ولم تعد هى الأخرى موردا يمد الأزهر بطاقات قادرة على استيعاب العلوم الدينية والعلوم العصرية .

ولكى يغرى العاملون فى الأزهر هؤلاء الطلاب الضعاف على استمرار طلب العلم فيه ، على الرغم من فرض منهجين عليهم ، وهم أعجز من ان يلموا بواحد منهما ـ يسروا عليهم المقررات فهى أوراق معدودات ، وسهلوا لهم الامتحانات ، بل أصبح انتقالهم من فرقة الى أخرى أشبه مايكون بالنقل الآلى ، ويمنعنى الخجل من أن أذكر طرفا مما سمعته من بعض هؤلاء الطلاب ، وكذلك بعض الأساتذة ، فهو يسىء الى الأزهر أفدح إساءة ، ويفقد الثقة بمؤهلاته العلمية جميعها .

وقد تبين أخيرا للأزهر أن سياسة قبول أولئك الطلاب ستزيد من تشويه سمعته ، وتسارع الى تدمير مكانته ، فألغى هذه السياسة وقصر قبول الطلاب فيه على الذين درسوا فى المعاهد الابتدائية الأزهرية وأثر ان يغلق المعاهد التى لاتجد من يسعى اليها على أن يفتحها لطلاب الاعدادية العامة ونحوها ، ولكن هذا القرار ليس علاجا حاسما ، لان المعاهد الابتدائية الأزهرية لن تستطيع مغالبة المدارس الابتدائية العامة التى لاتخلو قرية منها الآن ، وسيأتى يوم لاأظنه بعيدا تغلق فيه المعاهد الابتدائية الأزهرية أبوابها مالم تحدث معجزة تحول دون ذلك ، ولسنا فى عصر المعجزات الخارقة . وانما فى عصر التخطيط العلمى المدروس الذى يدرس المشكلات ويعالجها وفق أسلوب منطقى سليم . ومادام الأزهر فى سياسته التعليمية لايعرف التخطيط العلمى فإن هذا يعنى أن مراحل التعليم الأزهرية ستتوارى شيئا فشيئا ، فالزرع لاينمو ولايثمر الا بالماء ، فإذا امتنع القطر أوغاض المنبع ، فإن الزرع يموت ولايثمر شيئا .

إن الأزهر فى حاضره يضم آلاف الطلاب ، ويشهد توسعا فى انشاء المعاهد والكليات ، ولكن هذا الجيش الأزهرى العرمرم يعوزه التدريب والسلاح ، فهو كغثاء السيل لايقوى على حماية حق او وصف باطل ، وأعداء الاسلام فى كل مكان يتبلحون

بأحدث المبادىء والأفكار والوسائل لمناهضته ومنع انتشاره . ومالم نكن مسلحين مثلهم فإننا نخسر المعركة بلا مراء . وفى هذا هزيمة معنوية لاتقوم لنا بعدها قائمة .

إن حاضر الأزهر لايبشر بمستقبل يليق بتاريخه وعطائه ، والآمال المعلقة عليه ، ولامناص من عمل علمى مبرمج يغير هذا الحاضر ، ويجعل منه ارهاصا بمستقبل طيب ينهض فيه الأزهر بواجبه ، انه واجب الذود عن العقيدة والتبشير بها ، وحماية المجتمع من اسباب الفساد على تباين صوره ، والعمل الجاد الذى لايتأثر بالأهواء السياسية وغيرهاً من أجل وحدة الأمة ، والا يكون بأسها بينها شديدا ، حتى تدرأ عن نفسها كل عوامل التدمير المادى والمعنوى ، وتظل عزيزة قوية فى عصر لايقيم لغير الأقوياء وزنا أو مكانة .

ولعل فى النقاط التالية مايساعد على تحرير الأزهر مما يعانى منه ، وأطمع أن يدلى كل قادر على التوجيه والنصح بمالديه ليتحقق التعاون على البر الذى أمرنا الله به ، فنصل بسفينة الأزهر الى شاطىء الأمان بدلا من أن ندعها وسط الأعاصير المهلكة ، والتى سترمى بها الى قرار سحيق لاقدر الله .

أولا : من الخطأ أن ينظر الى مشكلة السياسة التعليمية فى الأزهر منفصلة عن النظام التربوى فى مصر ، أى أن علاج المشكلة الأزهرية علاجا سليما مرتبط بعلاج المشكلة التربوية برمتها ، وكل من يحاول أن يفصل هذه عن تلك ، فهو كمن يحاول تسكين الداء لابلوغ الشفاء ، أو القضاء على جرثومة المرض نهائيا .

إن النظام التربوى المدنى يعانى من كثير مما يعانى منه الأزهر ، والشكوى من ضعف مستوى التعليم فى ذلك النظام ، وتحكم امبراطورية التعليم الأجنبى والخاص تتكرر كل يوم ، ومن ثم وجب أن يعاد النظر فى السياسة التربوية فى مصر وان ظلت على ماهى عليه الآن فإن المستقبل التربوى والثقافى سيكون مظلما ، ولذا كان لابد من الربط بين التعليم الأزهرى وغيره فى العلاج ، فهما كجناحى طائر ، وضعف احدهما أوقوته يؤثر على الآخر بلا مراء .

ثانيا : وتفريعا على النقطة الأولى لابد من الغاء الازدواجية التربوية ووضع تصور جديد للتعليم لايجافى الدين أويزدرى تعاليمه وأحكامه أو يعتبر دروسه هامشية أوثانوية فيهملها المدرس والتلميذ والمدرسة .

أن التعليم ينبغى فى المراحل التى تسبق المرحلة الجامعية ان يكون واحدا . حماية

لوحدة الأمة الفكرية من التصدع والتفرق ، ثم تكون المرحلة الجامعية للتخصص العلمى الدقيق . وبذلك يصبح بين الخريجين فى مختلف الكليات قاسم مشترك فى التصور العام لمفاهيم دينهم وتاريخ أمتهم . فالواقع الثقافى للخريجين فى الجامعات يعكس جهلا فاضحا بأبسط المفاهيم الصحيحة للدين ، وبأشهر الأحداث التاريخية ومدى أخذ العبرة منها . ومرد هذا الى النظام التربوى الذى جعل التعليم نوعين فضلا عن الدور الخطير الذى يقوم به التعليم الأجنبى والخاص فى غربة أطفال الأمة وشبابها .

ثالثا : أرى أن يظل الأزهر جامعة متخصصة فى الدراسات التى تخدم الكتاب والسنة بصورة مباشرة ، فلامسوغ لأن يكون مسئولا عن كليات عملية كالطب والهندسة . وليس صحيحا أن المتخرجين فى هذه الكليات يمتازون عن أقرانهم فى الكليات الأخرى بالثقافة الاسلامية التى درست لهم ، فهذه الثقافة لاتدرس لهؤلاء الخريجين الا على النحو الذى تدرس به التربية الدينية فى المدارس ، فالطلاب يرونها عبئا عليهم ، والأساتذة لايأخذون هؤلاء الطلاب بالجد الحازم أو المحاسبة الدقيقة ، وبهذا تتحكم الشكلية فى تدريس تلك الثقافة ، ويمسى تدريبها كحلية لاتسر الناظرين .

إن الأزهر ينبغى أن يكرس جهده وطاقاته لمهمته المقدسة ، مهمة الدعوة الاسلامية بأسلوب العصر شكلا ومضمونا ، ولايضيره أبدا الا تكون فيه كليات عملية . فليس هذا من رسالته بالدرجة الأولى .

رابعا : ان التراث الفكرى لعلمائنا الأقدمين ثروة علمية نعتز بها كل الاعتزاز . ولكن لايجوز أن نجتره أو نعيش عالة عليه ، وإنما ينبغى أن نستهديه وننتفع به فى بناء العقلية العلمية التى تعيش واقعها بكل تياراته ومشكلاته . ويلاحظ ان الازهر مازال يجتر الماضى دون أن ينتفع به على الوجه الذى ينمى الفكر ويضيف الى تراثنا الجديد المفيد من الأبحاث والدراسات ، ومن ثم كان على الأزهر لكى يحمى كيانه ومستقبله ، ولكى يؤدى دوره الفاعل أن يتجاوز مرحلة التكرار والاجترار . وهذا أمر ليس يسيرا ولايمكن الوصول اليه دون مرحلة زمنية معقولة ، ومنهج علمى متكامل ، وطاقات فكرية مخلصة . بيد أن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة ، ومن سار على الدرب وصل كما يقولون .

وبعد فهذا بعض ماعن لى حول الأزهر حاضرا ومستقبلا ، أملاه على واجب النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .



قراءة فى ثقافة ١٩٨٥

ماذا يعنى عام ١٩٨٥ بالنسبة للثقافة المصرية ؟! سؤال يقترب من دائرة الحلم ومن ارض الأمنيات . ولكن لابد من طرحه . ولابد من محاولة الاجابة عليه فعندما يفقد الانسان القدرة على الحلم يكون قد سلم نفسه لحالة من الجحيم الذى لايطاق . اقترب من مفردات الحلم واقول اننى أتمنى . واتوقع أن يشهد هذا العام اعادة تشكيل المجلس الاعلى للثقافة الحالى . وهذا المجلس انتهت مدته القانونية منذ فترة ستكمل العام تقريبا . والموقف الصحيح يتمثل فى أحد أمرين : اما أن يصدر قرار بمد فترة العمل فى المجلس الحالى لفترة أخرى محددة او غير محددة . أو أن يعاد تشكيل هذا المجلس من جديد . والحل الثانى هو المطلوب لأن المجلس الأعلى قد تشكل فى مرحلة زمنية اختلت فيها الأمور . ويجب الآن اعادة النظر فى الأمر كله ، من خلال إعادة تشكيل لجان هذا المجلس من جديد لاأعرف حتى الآن ماهى القوة التى تحول دون القيام بهذا الدور؟ ولا من الذين يرفضون إعادة التشكيل ومن الذين يساندون هذا الاتجاه؟ ثم ان اعادة التشكيل عملية فى حد ذاتها تقترب كثيرا من الحلم المصرى المشروع فى التغيير . لااقول التغيير الشامل ولكن التغيير الذى يحدث هزة مفاجئة وطارئة فى بنية الواقع الراهن .

ان الدور الذى يلعبه المجلس الأعلى للثقافة باهت ومحدود . وتأثيره فى الواقع الثقافى من الصعب أن تراه العين المجردة . وربما كانت عملية اعادة التشكيل خطوة إلى الامام . من أجل أن يكون لهذا المجلس دوره فى الواقع الثقافى . طبعا يكون من الأفضل لو أن هذه العملية لاعادة التشكيل من جديد سبقتها محاولة لاعادة التقييم على شكل مؤتمر للمثقفين المصريين او من خلال أى شكل من الأشكال حتى تكون اعادة التشكيل خطوة إلى الأمام .

وفى مارس القادم يكون قد مر عام كامل على طلب الرئيس حسنى مبارك دراسةقضية الكتاب المصرى . ومشاكله مع محاولة العثور على الحلول من أجل أن يعود الكتاب هاما ومؤثرا مصريا وعربيا وعالميا . وعندما جاء طلب الرئيس فى خطابه ضمن احتفال تكريم الحاصلين على جوائز الدولة تصورت أن الموضوع سيحتل الاهتمام الأول والاهتمام الأخير فى ساحة الثقافة المصرية . خاصة وان الرئيس مبارك حدد ثلاثة شهور لكى تصل اليه هذه الدراسات . وهذه الشهور كانت تنتهى يوم ٢٧ مايو الماضى .ولأن هذا اليوم صادف الانتخابات العامة فى مصر . قلت ربما كان ضجيج المعركة السياسية هو السبب وراء تأجيل تقديم الدراسات المطلوبة . ولكن الأيام تحولت الى أسابيع والأسابيع أكملت شهورا . والشهور توشك أن تصبح عاما كاملا دون أن تنتهى هذه الدراسة .

وربما يقول قائل : وهل تنتهى الدراسات مهما كانت مشاكل الكتاب المصرى .؟ وهل يكفى ان تشير دراسة ما الى الحل فيحدث هذا الحل فى أرض الواقع ؟! وربما كان وراء هذه التساؤلات قدر من المنطق .لكن الانتهاء من الدراسات ووجود تصور واضح للخروج من الأزمة الراهنة بعض العزاء وبعض الأمل .

ولكن يبدو أن الدراسات المطلوبة أمامها وقت طويل حتى تنتهى .

●●●

وفى العام ١٩٨٥ سيثور سؤال :هل يقام المهرجان الثانى للابداع العربى فى القاهرة أم لا ؟ المهرجان الأول اقيم فى ا يام الماضى . وكانت هناك الكثير من الملاحظات ولكن يبقى أهم من كل الملاحظات أن حضور هذا العدد الكبير من المفكرين والكتاب والمبدعين العرب الى القاهرة : هو اكبر الايجابيات مهما كانت الملاحظات الجانبية هنا وهناك . ومن المعروف فى كل بلاد العالم ، أن أى مهرجان بعد انتهاء أيامه يتم تقييم ماجرى فيه ، وتلافى السلبيات والتأكيد على الايجابيات . وهذا بالطبع لم يجر عندنا . بل ان قضية اقامة المهرجان الثانى يبدو انها غير مطروحة حتى الآن . وذلك يعكس قضية القضايا عندنا : وهى تلك القدرة على أن نبدأ الكثير من المشروعات وأن ننتهى فعلا من الخطوة الأولى فيها . ولكن بعد هذه الخطوة الأولى لاتعرف أى شىء عن الخطوة الثانية . مع أن هذه الخطوة الثانية والخطوات التى تليها تعكس القدرة الفريدة على الاستمرار . وفى تصورى أن تحديد الموقف من استمرارالمهرجان أو من عدم استمراره أفضل ألف مرة من ترك الأمور هكذا .

وعام ١٩٨٥ سيطرح على مجلات الماستر نفس السؤال القديم : الايوجد أى أمل فى توحيد الجهود على شكل عدد محدود من المجلات القوية بدلا من هذا العدد الكبير من المجلات .؟ كانت هناك من قبل محاولات ولكنها لم تصل الى نتيجة معينة ، وعدم الوصول الى نتيجة لايجب أن يغلق الباب نهائيا أمام المحاولة . خاصة وأن كل شهر يخرج الى الوجود عدد جديد من المجلات . فى العام الماضى صدرت نشرة الطلوع . وهى نشرة جديدة وجيدة وفى طنطا صدرت " الرافعى " وفى كل من كفر الشيخ

والسويس مجلات جديدة وهذا التنوع جيد ومطلوب . ولكنه يطرح فى نفس الوقت السؤال القديم نفسه . ألايوجد أى امل فى توحيد الجهد فى مثل هذه المطبوعات الفقيرة التى تشكل احتجاجا عالى الصوت على الواقع الثقافى الراهن فى مصر ! ان القضية تتحدد اكثر عندما نقول : ان الاحتجاج يصل . وصوته عال . ولكننا الآن فى مواجهة إحتياج شديد لمرحلة جديدة فى عمر هذه المطبوعات ولابد من مواجهة شجاعة لها .

●●●

من الصعب أن يكون هناك أى توقع بالنسبة لجوائز الدولة التشجيعية والتقديرية فى الآداب فالاولى لابد وأن يتقدم لها الانسان والثانية لها جهات معينة ترشح لها .. ومن المتوقع أن تجرى الأمور على نفس النسق الذى تجرى عليه كل عام . منذ أن تسللت الى واقعنا الثقافى حالة من سيادة الجودة المتوسطة . خاصة وأن هناك الكثيرين من أفضل المبدعين المصريين الذين قد يرفضون فكرة التقدم بطلب جائزة ما . مهما كانت هذه الجائزة وخصوصا ان الجهات التى ترشح لجائزة الدولة التقديرية لم تفكر حتى الآن فى ترشيح كاتب عظيم مثل الدكتور جمال حمدان لها عن كتابه العظيم " شخصية مصر ض" .

أصل الآن الى بند الأمنيات ... أتمنى أن يحمل هذا العام الجديد من المجلات الثقافية الجديدة . وأن يحمل العام الجديد مزيدا من الدعم ومن القوة للمجلات الراهنة الموجودة الآن فى مصر . أتمنى ان تستمر « فصول فى مسيرتها ، وان تستمر « ابداع » فى تأكيد نفسها بنفس الايقاع الذى بدأت به . وأن تجد " القاهرة " المجلة الجديدة مكانا لها وأن تحضر لنفسها خطا خاص بها . وأتمنى لمجلة « أدب ونقد » وهى المجلة الوحيدة التى تصدر عن حزب سياسى أن تواصل سيرها . وأتمنى أن تحذوا باقى الاحزاب فى نفس المنحى وأن نفكر فى اصدار مطبوعات ثقافية بصورة أو بأخرى خاصة وأن كل الاحزاب السياسية لها اهتمام خاص بالمطبوعات السياسية .. وان كانت لاتقدم نفس الاهتمام لأى مطبوعة ثقافية . ويجب تلافى هذا النقص .

أتمنى لدور النشر المصرية أن تتقدم الى آفاق جديدة فى عملية النشر وأن تقدم لنا الجديد فى المكتبة العربية الذى تستطيع أن نباهى به دور النشر الأخرى فى الوطن العربى وفى العالم كله .

أتمنى أن تعاود الاهتمام بالندوات الادبية بأن يلتقى الناس وبأن يسعى الفرد الى الاخرين . بأن يحاول كل منا الخروج من قلعة ذاته وأن يسعى نحو الاخرين .

ان لقاء الادباء فى منتصف الطريق يعنى الخطوة الأولى للخروج من الأزمة وان كان اللقاء صعبا . فإن محاولة اللقاء نفسها ليست مستحيلة . ان السنوات التى مضت جعلت البعض يدرك أن الخلاص الفردى هو الممكن الوحيد . مع أن هذا

خطأ على طول الخط . ودفء التواجد حتى فى أعماق الأزمة . أفضل ألف مرة من برودة وصقيع الخلاص الفردى .

أحلم بيوم تذهب فيه الى ندوات أدبية تعلو فيها حرارة النقاش . ويزداد صخب الأخذ والعطاء ، وتحتك العقول بالعقول وتتولد تلك الشرارة الفريدة التى تتحول - مع الوقت - الى دفء ابداعى كبير .

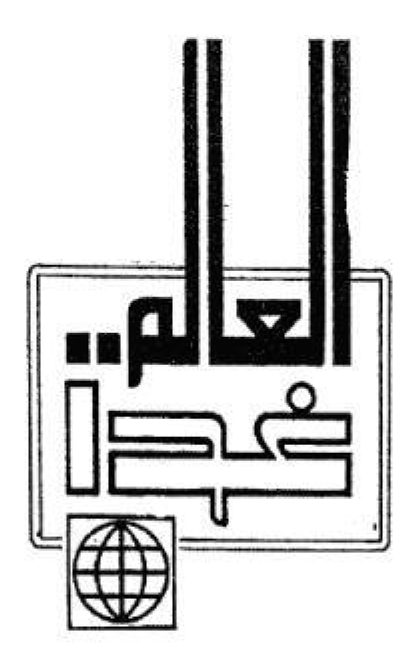
وأحلم - خلال هذا العام - بأن تتسع مساحات الثقافة والأدب فى صحفنا ومجلاتنا العامة . وأن تمتد نفس المساحة فى الاذاعة وفى التليفزيون فالاهتمام بالأدب والفكر انما يعكس درجة تقدم الوطن والمواطنين . ودرجة احترامهم للعقل البشرى وكذلك نتاجه .

تبقى كلمات عن شكل الادب فى العالم فى العام الذى يبدأ اليوم . أتوقع أن تذهب نوبل الى منشق شرقى آخر . أو الى كاتب اوربى نعرفه للمرة الاولى بعد حصوله على الجائزة . لكن أهم مافى هذا العام هو قضية تراجع الكلمة المكتوبة من العالم .. انها محاصرة بزمن الاعلام الجديد الذى بدأ يحاصر الانسان فى كل مكان .. لدرجة أن قراءة نص أدبى تعد مجازفة . تعد نوعا من الاختيار الصعب الذى لايقدم عليه الكثيرون .. وفى ظل هذه الحالة من التراجع الغريب للكلمة المكتوبة أيضا تتراجع الأسماء الكبيرة .. أتوقع أن تعيش دور النشر الكبرى على إعادة طبع أعمال أدبية للأدباء الكبار ... وكذلك نشر مذكراتهم ومذكرات أبنائهم وزوجاتهم ..

فى الصحافة الثقافية من المتوقع أن تثار نفس القضايا ذاتها ... اتوقع أن يتم تحويل الانظار عن القضايا الأساسية وذلك نخلق قضايا أخرى فرعية .. وأن يكون البدء بقضية غياب الوجه الثقافى لمصر .. والغريب أن الذين يثيرون هذه القضية هم الذين تسببوا فيما يصل إليه حال الثقافة المصرية .. والحال وضعه لايحتاج الى كلمات .. على المستوى الرسمى هناك غياب ثقافى مؤكد ... وعلى المستوى الشعبى والجماهيرى هناك قدر هائل من الابداع الحقيقى .

ان الذى يحدث هو أن الابداع الفعلى انما يتم بعيدا عن أجهزة الدولة الرسمية ... يتواجد بكيانه فى كل مكان بعيدا عن الجهات .. ومن أجل قلب الأوضاع وخلط الأوراق ستنقضى أيام من هذا العام وهم يتساءلون عن السبب فى الغياب الثقافى المصرى .. لن يقول واحد منهم أن السبب فى هذا الغياب هو التعقيم الذى يتم حـول المبدعين الحقيقيين فى الثقافة المصرية الآن .

الخطر فى مثل هذه المعارك ، أن فهمها يكون سهلا بالنسبة للقارىء المتخصص ولكنه يكون صعبا بالنسبة للقارىء العادى انها تقوم بعملية لسلب وعى هذا القارىء وتسلمه لحالة من الوعى المسلوب ..



القرن القادم ستجعل من المشاهد مخرجاً تليفزيونياً فيمكنه تثبيت الصورة عند لقطة معينة مثلما يحدث فى جهاز الفيديو بل ان التكنولوجيا الرقمية ستساعده فى تقريب الصورة أو إبعادها أو تقريب جزء معين منها فالشاشة ستقسم إلى مجموعة من المقاطع بحيث يمكن للمشاهد تجميد جزء فقط وتكبيره بمساحة الشاشة كلها . ايضاً من التطورات التى ستدخل على تليفزيون القرن القادم امكانية استحضار اكثر من قناة على الشاشة نفسها فى وقت واحد .

تليفزيون القرن الحادى والعشرين

مع نهاية هذا القرن وبداية القرن الحادى والعشرين ستحدث ثورة فى عالم التليفزيون فسوف يتغير مفهوم جهاز التليفزيون شكلا ومضموناً ليخرج من قالبه الصندوقى التقليدى إلى جهاز تتحكم فيه التكنولوجيا الرقمية والارسال الذى سيبث بالأقمار الصناعية بدلاً من المحطات الأرضية . شاشة التليفزيون نفسها ستطل من الجدار كأنها جزء منه ، سمكها لن يتجاوز الأربع بوصات اما عرضها فسوف يزيد عن المتر . كذلك الكترونيات الجهاز نفسه لن تزيد عن مجرد عدد من القطع الدقيقة المعدودة مقارنة بآلاف القطع الحالية . ومن المتوقع أن تكون صورة التليفزيون براقة ، واضحة المعالم كما سيصبح الصوت نقياً فى جودة صوت جهاز الاستريو . تليفزيونات

آفاق علمية جديدة بعد اكتشاف استخراج الأكسجين من مياه البحر

منذ عدة سنوات والعلماء يحلمون بتطوير محرك احتراق داخلى يعمل تحت سطح البحر أملا فى اكتشاف عالم الأعماق المثير . كانت المشكلة الرئيسية التى تواجههم هى عدم توفر مصدر كاف للاكسجين خاصة وأن محركات الاحتراق الداخلى تستهلك كمية أكسجين بمقدار ثمانية أضعاف استهلاكها للوقود . هذا الحلم كاد يقترب من أرض الواقع بعد أن توصل عالمان امريكان إلى وسيلة جديدة لاستخلاص الاكسجين من مياه البحر . قام العالمان بمزج كمية من الدم بمادة



بلاستيكية سائلة فأنتجت مادة اسفنجية بنية اللون لها ميزة فريدة وهى استخراج الأكسجين من مياه البحر ومع تطوير هذه المادة يمكن أن تتحول إلى خياشيم صناعية تساعد الغواصين على التنفس تحت الماء بدون جهاز أكسجين ذو كمية محدودة . لكن جهود العلماء تهدف إلى ما هو أبعد من ذلك أى استخدام تكنولوجيا استخلاص الأكسجين فى انتاج محركات احتراق داخلى للغواصات . الجدير بالذكر أن كل لتر من مياه البحر يحتوى على ٥ر٣ إلى ٥سم مكعب من الأكسجين ولعمل محرك ذو قوة حصان واحد تحتاج العملية إلى ١٢٠٠ لتر من الأكسجين المستخلص من ٦٠ ألف لتر من المياه . مثل هذا المحرك يعطى قوة مضاعفة بين ٣٠ و ٣٠٠ مرة عن قوة البطاريات المستخدمة حاليا فى تسيير الغواصات وتشحن بين وقت وآخر .

كهرباء المستقبل من الليزر

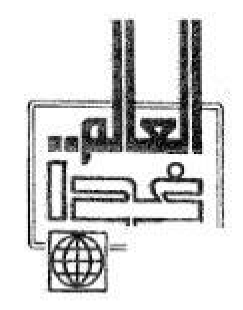
مع نهاية القرن الحالى ستتجه الولايات المتحدة الأمريكية إلى استخدام أشعة الليزر فى توليد الكهرباء وذلك بعد استكمال بنائها لأكبر مفاعل لليزر فى العالم هناك . وسيقوم المفاعل بإنتاج كهرباء تكفى لمدينة يصل عدد سكانها إلى نصف مليون مواطن .



بطاقة شخصية جديدة فى المستقبل



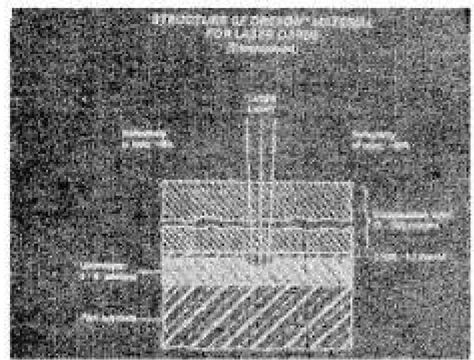
ستحدث فى المستقبل القريب ثورة فى عالم الكومبيوتر . فسوف يستغنى الانسان





الأمريكى عن البطاقة الشخصية التقليدية لكى تحل محلها بطاقة إلكترونية صغيرة عبارة عن شريحة من شرائح الكومبيوتر يمكن للانسان أن يسجل عليها كل المعلومات الخاصة به بدءا من المعلومات عن شخصيته والتقارير الطبية له حتى صور أشعة إكس ورخصة السيارة . وخلال العامين القادمين سيتمكن الانسان من تخزين معلومات يصل حجمها إلى ٧ ميجابايت لكل وجه وسوف تصل إلى ما يقرب من ٢٥ ميجابايت بعد عشر سنوات .

الجهاز الذى يتعامل مع البطاقة الشخصية فى المستقبل .



وظائف جديدة للروبو



مع عام ٢٠٠٠ سيشهد عالم الالكترونيات تقدما مذهلا يظهر معه جيل جديد للروبو يغزو مجالات الحياة المختلفة التى تحتاج إلى مهارات وقدرات يفتقر إليها الانسان الآلى الحالى . فسوف يشترك روبو المستقبل فى عمليات التعدين والتنقيب عن المعادن الثمينة إلى جانب اقتحامه لعالم البحار وعمله تحت سطح المحيطات . كما سيقوم برعاية المحصولات وقطعان الماشية .

طائرات المستقبل تتغلب على الرادار

يوشك العلماء فى مجال التسليح الجوى على تحويل الحلم الذى كان

يراودهم منذ الحرب العالمية الثانية إلى حقيقة . ويقترب العلماء من الانتهاء من صناعة مقاتلات وقاذفات قنابل وصواريخ نووية بالاضافة إلى الأقمار الصناعية يمكنها الاختفاء من أجهزة الرادار . ويمكن أن تتم هذه العملية إما باستخدام مواد خاصة لاستيعاب موجات الرادار ، أو باستخدام مواد خاصة غير عاكسة للضوء أو باستخدام مواد إلكترونية معقدة لتعطيل أو خداع أجهزة الرصد للأعداء .





التبغ السام غذاء المستقبل

فى محاولة لمواجهة أزمة الغذاء التي يمكن أن تهدد العالم بين يوم وآخر وبحثاً وراء الغريب والجديد ، بدأ مجموعة من العلماء الامريكيين فى إجراء عدة تجارب لاكتشاف أنواع جديدة من الأطعمة . ولعل من اكثر هذه التجارب غرابة تلك التى يسعى فيها العلماء لتحويل التبغ الى واحد من أكثر الأطعمة الغنية بالقيمة الغذائية . ولتحويل التبغ إلى طعام مستساغ لابد من التخلص من المواد السامة لذلك فان هؤلاء العلماء يستخدمون براعم التبغ لانخفاض نسبة السموم بها ويقومون بطحن أوراقها لاستخراج عصير التبغ الذى يغلى بعد ذلك لاستخلاص وبلورة المادة البروتينية به والتى يمكن أن يضاف اليها السكر وبعض المكونات الأخرى لتتحول إلى فطائر وتتميز فطائر التبغ بأنها لا تحتوى على دهون أو كربوهيدرات أو املاح وكلها مواد لا تتوافر فى المادة البروتينية بالتبغ ولذلك يتوقع لها العلماء أن تفيد مرضى الكلى أو المرضى الذين يحتاجون إلى نسب عالية من البروتينات قبل إجراء الجراحات .

وإذا كان أطباء اليوم يحذرون المرضى من عواقب التدخين ، فهل تصلح هذه التجارب فى تحويل التبغ السام إلى طعام يقبله الانسان !

حياة الاسرة.. مشاركة

تُبس اكثر الوسائل فعالية وأمانًا

من اجل أسرة سعيدة ... ينعم افرادها بالرفاهية .. ويتمتعون بالرعاية الطبية .. ومن اجل ان تتوفر لهم وسائل التعليم والثقافة والترفيه .. ومن اجل غد اكثر اشراقا يتوفر للمرء فيه العمل الشريف المناسب .. كان علينا ان نضع الخطط للمستقبل .

والدول التى تهتم برفاهية الانسان ورخائه ، هى الدول التى تضع الخطط من اجل تحقيق الرخاء لابنائها .. ولما كانت الزيادة الرهيبة للسكان تبتلع كل نتائج الخطط وتهدد المستقبل ، فقد آلت الدول على نفسها ان تنظم النسل بما يتناسب مع صنع هذا الرخاء .

ومصر هى احدى الدول التى تأخذ بالاسلوب العلمى والتخطيط طريقا لصنع الرخاء والتقدم ، ومن هنا كانت الدعوة الى تنظيم الأسرة .. وشاركت الجمعيات الاهلية بجهد مشكور وتحملت جانبا كبيرا من اجل الدعوة الى تنظيم الأسرة ورعايتها ، « أسرة المستقبل » وعلى راسها السيدة الفاضلة عزيزة حسين فوفرت الرعاية الطبية للأسرة ووسائل منع الانجاب

وطوال السنوات الماضية ، تحملت المراة وحدها ، وأسهمت الى حد كبير فى وقف الانفجار السكانى .. ولكن وحتى تنجح هذه الحملة وتؤتى ثمارها ، كان لابد وان يشارك الرجل بجهده فى تنظيم النسل ومنع الانجاب .. ولكن البحث عن وسيلة مأمونة مضمونة النتيجة بدون حدوث اعراض جانبية وقليلة التكاليف احتاج الى الكثير من الابحاث التى توفرت عليها مراكز البحوث فى شتى دول العالم حتى تم التوصل الى العازل الطبى « تبس » .

● تبس .. العازل الطبى

ولكن ماهو العازل الطبى ؟ ومن اى مادة يصنع ؟ وهل هو وسيلة مأمونة ؟ وهل للعازل الطبى اعراض جانبية يخشى معه على سلامة المراة والرجل معا ؟ وهل يتسبب عنه برود جنسى عند استعماله ؟

كل هذه الاسئلة وغيرها تعرضت لها -

جوانب البحوث العديدة التى اجريت على العازل الطبى ووجدت اجابات وحلول لها .. ولكن يبقى ان تعرف عن العازل الطبى الكثير حتى نقدم على استعماله ونحن اكثر ثقة فيه واطمئنانا اليه .

● خلفية تاريخية

استعمل العازل الطبى منذ عدة قرون كوسيلة لمنع الحمل وللوقاية من الامراض السرية والتناسلية ولكن ظل انتاجه على نطاق ضيق الى ان تحقق له الانتشار منذ خمسين عاما فقط ، ولم يأت هذا الانتشار الا بعد استعمال المطاط فى صناعته .

ولقد شهدت الثلاثين سنة الاخيرة انطلاقة كبيرة فى صناعته ، فاصبح يصنع على مستوى عال من الجودة ويتميز بكفاءته العالية .. كما انتج بكميات كبيرة

● مصر .. كانت البداية

لقد استخدم العازل كوسيلة للوقاية من الامراض التناسلية منذ اكثر من ٤٥٠ عاما .. كما استخدم كوسيلة لمنع الحمل منذ اكثر من ٢٥٠ سنة .. والعازل الطبى بدايته غير معروفة ، وان كان يعتقد ان قدماء المصريين هم اول من استخدم العازل الطبى ، حيث أوضحت الدراسات انهم كانوا يستخدمون اغطية يمكن ان تفسر بانها أول عازل طبى فى العالم .

وأول من قام بوصف العازل الطبى هو عالم التشريح « فالوبيو » عام ١٥٦٤ واستعمل فى صناعته نسيج الكتان .

وظهرت أول دراسة تقول باستعمال العازل الطبى كوسيلة لمنع الحمل فى انجلترا فى الربع الاول من القرن الثامن عشر

● عازل .. من الامعاء

وفى بداية تصنيع العازل الطبى استخدمت امعاء الحيوانات فى تصنيعه ولكن تكلفة تصنيعه كانت كبيرة وكان ذلك فى القرن الثامن عشر .. ولهذا كان انتاجه قليلا .. وكانت تجرى التجارب عليه بملئه بالماء .. وظل كذلك حتى استخدم المطاط فى صناعته .. واجريت الكثير من التجارب وحدث الكثير من التطور حتى توصلت الابحاث الى العازل المستخدم حاليا .. وهو غشاء مطاطى رفيع ناعم الملمس يخضع للكثير من الاختبارات .. مثل ملىء العازل بالماء .. والهواء حتى تتأكد سلامته .. كما عمدت بعض الدول الى ملئه بالهواء حتى ينفجر والأخرى قامت بجذبه حتى يتمزق وذلك لقياس درجة قوته وقد اشرفت على هذه الابحاث اثنتا عشرة دولة من الدول المتقدمة ، وتم اختباره فى اكثر من ١٥٠ دولة وتتم صناعته فى ست دول هى اليابان والولايات المتحدة الامريكية والصين والمملكة المتحدة والهند وكوريا الجنوبية .

وقد تم التوسع فى صناعته فى العشرين سنة الاخيرة حتى يفى بمتطلبات الأسواق العالمية فاصبحت الدول المنتجة للعازل الطبى عشرين دولة وانتاجها على درجة عالية من الكفاءة وتنتج مصانعها خمسة بلايين عازل طبى سنويا وهذا الرقم يكفى الاحتياجات العالمية منه

وتقول الاحصائيات أن حوالى ٤٠ مليونا يستعملونه وان ٢٥ ٪ من هذا الرقم من اليابانيين و٢٠ ٪ منهم من الصينيين

واذا كنا ندعوك الى استعمال العازل الطبى فإنما ذلك لثقتنا فى فعاليته .. وفى اشياء آخرى كثيرة سنتحدث عنها فى العدد التالى .. فإلى لقاء مع إسرة المستقبل .

ثرثرة حول أفلام محورها :
دنيا الكأس والكركرة

بقلم مصطفى درويش

● كانوا ثلاثة وكنت رابعهم .. ماعدا الكلب .. عزيزة-أمير تلمع فى حلىّ من أحجار كريمة غالية ، والى جانبها زوجها ، شاب كريم من أسرة كريمة فى هيئته سمات الحب حينما يصبح مرضا عضالا لا يشفيه القرب أو البعد ... وامامهما رجل ضخم الجسم ، واضح الغنى يرضع (الويسكى) ثم يتلمظ ويتحلب ريقه ، وكأنه لم يشرب ، وهو أحد الباشوات الذين اشتهروا بعطفهم على الفن والفنانين ...

هذه السطور قد يظن القارىء اللبيب أن صاحبها انما يصف بها مشهدا من فيلم مثلته عزيزة أمير ... ولكن المشهد ليس من الخيال فى شىء ... انه الواقع بلحمه ودمه ، كما رآه زكى طليمات رأى العين فى أول زيارة له لقصر رائدة السينما المصرية ، بل قل العربية ، وكما وصفه بعد أربعين سنة فى كتابه الشيق " ذكريات ووجوه "..

كأس الالهام

ومع ذلك ، فمنذ البداية ، والسينما فى مصر غالبا ما تستعين بمشهد كهذا ، تلعب فيه الخمر دورا رئيسيا ، أو على الأقل تشكل خلفية لما يجرى فى الفيلم من وقائع أكثرها تافه .

ولم يكن هذا بالأمر الغريب فى أزمنة كان يتغنى فيها بأن الدنيا سيجارة وكأس ، وكان الفكر السائد فى عالم الأطياف والأوهام أن الخمر مصدر مزعوم من مصادر الالهام ..

طبعا .. هذا لا يعنى أن تعاطى الخمر فى الأفلام أمر دخيل على السينما ، أو بتعبير آخر أمر مكروه .. كل مايؤخذ على مشاهد الخمر والسكر فى الأفلام المصرية هو مجيئها بغتة دون ارتباط بسياق الأحداث ، واتصافها بالاعادة والتكرار ...

المكان المناسب

ومن هنا انقطاع الخيط بين مشاهد الكئوس وبين الجمهور المتلقى .. فكى

تؤثر هذه المشاهد ، لابد أن تكون جزءا من بنية الفيلم ، موظفة لخدمة الموضوع ... وليست كائنات زخرفية .. وهذا أمر لم يحدث الا نادرا ... فى أفلام تعدّ على اصابع اليد الواحدة مثل " صراع الابطال " (١٩٦٢) رائعة " توفيق صالح "...

فمن حسنات مشهد الخمر فيه أنه فى مكانه المناسب .. فى حفل زفاف سيد القصر " صلاح نظمى " ابن الأكابر : فالمدعوون من علية القوم ، وضيف شرف الفرح قائد معسكر الجيش البريطانى ..

واذن فلا غرابة اذا كان المشروب السائد هو الويسكى الاسكوتلندى .. ولا غرابة اذا ما أمسكت " جيهان هانم " أم العريس بالكأس ترفعه مع الضابط البريطانى لتشرب نخب صفقة شراء فضلات جيش الاحتلال ، تلك الصفقة التى ستكون سببا فى ظهور وباء الكوليرا يحصد الأرواح بالالاف ..

الجوزة المستحية

واستعراض تاريخ الخمر والسكر فى السينما المصرية يستلزم وقفة قصيرة عند فيلم آخر لنفس المخرج " زقاق السيد البلطى "(١٩٧٠)... ففى هذا الفيلم الذى كان ختاما لعقد السبعينات ، حاول " توفيق صالح " أن يدخل عالم صيادى السمك دخولا كاملا شاملا .. فوجد نفسه مضطرا الى أن يذهب أحيانا بأبطاله الى الخمّارة أو بمعنى أدق " البوظة "..

وفى مشاهد " البوظة " هذه ظهرت الجوزة باستحياء شديد ، مرّت على الشاشة مرور الكرام .. لم تحاول أن تكيّف أحدا هذا المرور العابر كان ارهاصة لما هو قادم ، لتبنّى شعار الدنيا جوزة وكأس .. تمهيدا لغزو الشاشة بالجوزة ولوازمها ...

● لقطة من فيلم الباطنية ، ويظهر فيها محمود يس ونادية الجندى فى « الغرزة



دنيا الكأس والكركرة

انهيار الجدار

والواقع أن المناخ كان مناسبا .. فالمخدرات كانت قد اتسعت قاعدتها بانتشار الغرز ، وبامتداد تعاطيها الى أوساط المثقفين ..وللمرة الأولى فى تاريخ الأدب العربى المعاصر غامر كاتب كبير بكسر جدار الخوف .. فسجّل فى قصة طويلة سهرات شلّة أنس مع الجوزة داخل عوّامة أو غرزة يوما فيوما " ثرثرة فوق النيـل "(١٩٦٦).. وبلغة المنتجين والموزعين ، الجمهور كان " عاوز كده " أى كان يريد أن يرى الانحلال على الشاشة صنوفا والوانا ، والدليل " ابى فوق الشجرة " (١٩٦٩).. وذلك الاقبال منقطع النظير على مشاهدته لا لشىء سوى أن راقصة البحر ، وكل البحار ، " نادية لطفى ".. قد ازدحمت الشاشة بجسدها عاريا نهبا لقبلات لو وزعت على افلام الموسم وكل موسم لنفدت ,الأفلام قبل ان تنفد قبلات الجسد العارى ..

السد الواطى

عائق وحيد كان يقف سدًا مانعا تسلل الجوزة ومساطيلها ... الرقابة العامة بتعليماتها العتيقة التى ترجع الى العهد البائد ، والتى لم تكن تسمح لأحد بأن يرفع الكلفة ويظهر المناظر الخاصة بتعاطى الكيف .. وكان لابدّ من فعل شىء .. لابد من هدم سور الرقابة من وضع حدّ لحالة اللاشرعية التى كانت منها الجوزة تعانى .. وكان الحلّ هو " ثرثرة فوق النيل "، ان تبدأ الغرزة بها ، كـيف ؟

قصة " نجيب محفوظ " بطلها " انيس زكى " (عماد حمدى) ولىّ أمر العوامة الغرزة أو حسب كلمات شلّة الأنس " وزير شئون الكيف ".. وشخصيات الشلّة من الرجال جميعا وبلا استثناء عدمية منحلة .

" أحمد نصر "" موظف " شىء لا يقدم ولا يؤخر فى الحياة ".


● عماد حمدي .. والكيف وثرثرة فوق النيل.



مصطفى راشد " محام يجد ملاذه فى التأمل المسطول .

" على السيد " ناقد خنزير ووغد كبير .

" خالد عزوز " كاتب وجد مهربه فى الجوزة والجنس والفن الهلامى .

" رجب القاضى " يمتهن الجنس بلا عقيدة ولا مبادىء ... أما نساء الشلة فاكثر انحطاطا .

" سنية كامل "(نعمت مختار) زوجة فاجرة تمارس تعدد الأزواج .

" ليلى زيدان "(سهير رمزى) مترجمة شقراء رائدة جنس متهافتة مدمنة .

" سناء "(ميرفت امين) جامعية عبثية لا تنتمى لشىء .

الشخصية الجدّية الوحيدة وسط دخان الجوزة وكركرتها كانت الصحفية " سمارة بهجت " (ماجدة الخطيب) .. ومع ذلك فبعد لحظة الحقيقة ، بعد أن شاركت فى حادث قتل فلاح بسيارة " رجب " (أحمد رمزى) التى كانت تستقلها ليلا مع شلّة العوامة .. وبعد أن ضعفت ، فلم تبلغ عن الجريمة متواطئة فى مؤامرة الصمت ... وبعد ذلك كله أصبحت هى الأخرى لا تصلح لشىء ... أصبحت كسواق الجوزة ، ولىّ النعم نصف ميتة .. نصف مجنونة .....

أهلا بالمعارك

الاكيد اذن ان قصة بشخصيات كهذه كلها مسطولة هاربة فى الادمان والاوهام الكاذبة ، لا يجرؤ رقيب على الترخيص لها بتدنيس حرمة الشاشة البيضاء ...

والأكيد .. الاكيد .. انها لو بقيت فى السيناريو المعدّ عنها بالنهاية التى ارتاها " نجيب محفوظ " .. أى انحدار الجدّية أمام فقدان المعنى ، وانهيار الايجابية أمام صور الانحلال والسلبية لما كتب لفيلم " ثرثرة فوق النيل " أن يرى النور ..

اذن .. كان لابدّ من البحث عن مخرج .. أين ؟

القصةُ كتبت سنة ١٩٦٦ أى قبيل زلزال هزيمة الخامس من يونية (حزيران) ... وقائعها عبارة عن رحيل مضجر داخل جلسات محورها الجوزة بطقوسها ، بأحجارها .. كيف تكرّس ، ترص ، تبكر ... وعلى الأوغاد والمنحلين والمدمنين ... كيف تدور .. من يقرؤها بامعان يستشف أن أفراد المجتمع - والقصة عبارة عن نقل فوتوغرافى لواقعة - جميعا ضائعون ، بلا أمل منهزمون .. وأن ثمة كارثة قادمة ليس لأحد منها نجاة .

وطبعا ، وبحكم أن القصة سابقة على الزلزال ، فهى لم تعرض له ، ولا لما أعقبه من حروب استنزاف وعبور وما بعد عبور وأخطر ما فعله سيناريو " الثرثرة... " بالقصة هو انه خرج بوقائعها من زمن ما قبل الخامس من يونية الى زمن تال له .. زمن حرب الاستنزاف .

وغيرّ المخطط العام لها تغييرا جذريا بأن أحدث انفصالا بين سواق الجوزة " عماد حمدى " والصحفية الجادة " ماجدة الخطيب " من ناحية ، وبين باقى أفراد الشلّة المنحلة من ناحية أخرى .. وهذا الانفصال بدأ قريبا من نهاية الفيلم ، باستصحاب الصحفية سواق الجوزة الى جبهة القتال بالقنال .. حيث تحول السواق بسحر أرض المعارك والأبطال الى مناضل تنتهى به الزيارة ومعها الفيلم صائحا مرددا : - " الفلاحة ماتت ... ولازم نسلّم نفسنا "

وهكذا وحدّ صاحب السيناريو بين

دنيا الكأس والكركرة

ممارسات الجوزة ودوراتها على المساطيل وبين الدعوة الى مقاومة العبث بالعودة الى الايمان رغم الادمان ، عن طريق الالتحام مع المحاربين البواسل على ضفاف القناة !!

وبذلك ضرب عصفورين بحجر واحد ، ضمن للفيلم أن يدور حول جوزة تدور دون أن تثور الرقابة .

وضمن له الحماية لأن أى منتقد سيتّهم بإثم خيانة اولادنا في الجبهة !!... والأخطر أن اخراج الفيلم سُلّمت مقاليده الى " حسين كمال " صاحب " أبى فوق الشجرة " فكان أن استبدل الجوزة بالجسد العارى ... وكان أن ملأ الشاشة بها وبدخاناتها بدءا من لقطات العناوين .

وكان أن فتح الباب على الواسع لسينما من لوازمها الجوزة والمساطيل .

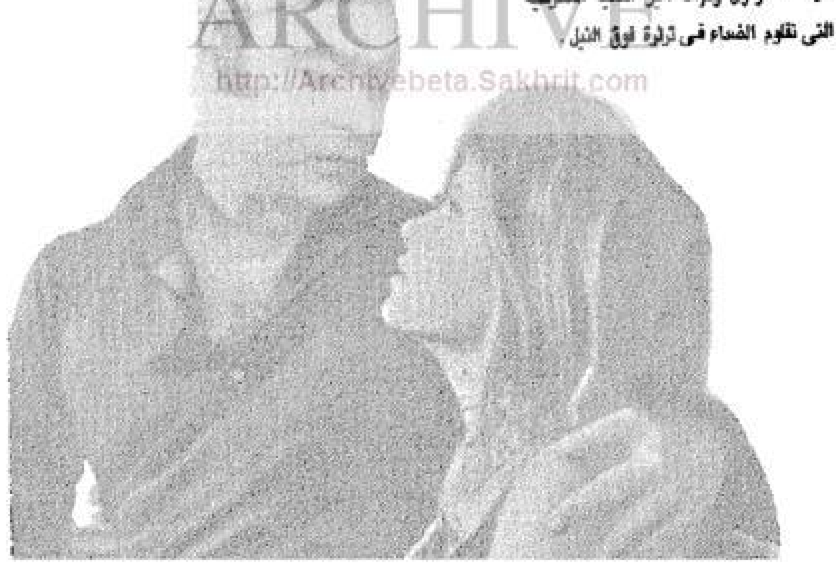
مشاهدها سحر القص العذاب ومساء الجمال .

الممنوع مشروع

والى هنا كان المتوقع أن تنتهز الجوزة فرصة انفتاح الباب بالثرثرة (١٩٧١) وتدخل عالم السينما بلا حساب .. ولكن الشيء الأكيد أنه ، ورغم هذا الانفتاح ، ورغم نجاح ثرثرة " حسين كمال "... ظل أنصار الجوزة في السينما مترددين ، متخوّفين لا يعرفون الى أين ستجرهم الجوزة ولا حجم المفاجآت التى تنتظرهم مع سيف الرقابة ؟

وهنا ، وبسبب لا أعرفه وقع غير

● أحمد رمزى وميرفت أمين الكآبة المسرحية التى تقاوم الضياع فى ثرثرة فوق النيل .



المتوقع .. أصدر وزير الاعلام والثقافة فى ٢٨ من ابريل قراره الرقيم ٢٢٠ لسنة ١٩٧٦ .

قبله كان اظهار المناظر الخاصة بتعاطى المخدرات أمرا ممنوعا ! أما بعده فقد أصبح الممنوع مشروعا لاقيد عليه ولاشرط سوى شرط يتيم .. الايوحى ظهور تلك المناظر على الشاشة بأن التعاطى شىء مألوف .

وهكذا اصبح لقعدات الحشيش بكل لوازمها من جوزة وخلافه حق الظهور .. وكل مخرج وشطارته .

وكان " حسام الدين مصطفى " أشطر المخرجين ، فبه بدأت الموجة الجديدة المستفيدة مما أباحه القرار التاريخى .

وأول فيلم له بعد القرار " حكمتك يارب " يبدأ بمقدمة تشير الى وقائع الفيلم اللاحقة .

فأمامنا قطيع من الجمال يساق عبر أهم شوارع القاهرة وميادينها حيث تعيش نعيمة " سهير المرشدى " بنت السلخانة التى تخرجت فى كلية الحقوق وكرست علمها وثقافتها لخدمة اولاد البلد ، أهل حيها ومصدر عزها .

وأم نعيمة " سناء جميل " المعلمة مهربة المخدرات صاحبة القلب الكبير التى تحيا وتموت من أجل وحيدتها العزيزة الغالية .

" وزكى قدره " (عادل ادهم) الفتوة الذى يحشو بالمخدرات بطون الجمال ، ولايهوى سوى الجنس والمال .

وفى مواجهة المذبح بفتواته وفتياته ، بمعلميه ومعلماته ، يقف رجل المباحث " حسين " (حسين فهمى) ابن الباشا وحيدا منتصرا للحق والفضيلة ، للمساواة والحب .

ومن خلال هذه الانماط المستهلكة ، تتصاعد أحداث كلها افتعال مثل اصابة " أم نعيمة " بالخرس عقب ضبطها متلبسة والقاء القبض عليها .

ومثل صعود روحها الى بارئها ، وهى جالسة فى قفص الاتهام وراء القضبان باسمة كما القديسات .

وأهم مايلاحظ على هذا الهراء المحطم القلب ليس الجوزة والتغزل فيها عن طريق قعدات المعلم " قدره " .وقفشاته التى يهتز لها الجمهور طربا .

لا .. انه شىء أخطر من ذلك بكثير .. نجده متكررا لازما فيما هو آت من افلام .

أنه ذلك التعاطف مع المعلمة تاجرة المخدرات بمحاولة رسم شخصيتها وكأنها من النساء الصالحات .

" فشقاوة " (صفية العمرى) فى أسوار المدابغ (١٩٨٤) معلمة تدير غرزة ، تجىء لزبانها بالكيف يتحول بهم الى مساطيل يهيمون فى الملكوت .

ومع ذلك فهى ، ومن دون كل نساء الفيلم الوحيدة الشهمة صاحبة القلب الكبير .

اما كيف حدث هذا التخليط ؟ ولماذا ؟ فعلم ذلك عند صانعى الفيلم وحدهم دون أحد سواهم .



محمد رضا وعادل ادهم وصراع المعلمين فى « السلخانة »

دنيا الكأس والكركرة

الأمن والأمان

وفى مطلع الثمانينات ، استمر الفيلم ـ الجوزة متمددا على السينما المصرية ، لا يجرؤ أحد على المساس به .

انتقلت الكاميرا الى "الباطنية" حيث تجار السموم .

وللمرة الاولى زينت شوارع مدن مصر الملصقات تطل منها "نادية الجندى" فى فيلم " لحسام الدين " على المارة محتضنة جوزة ، تدخنها فى أمن وأمان .

ويدأ تقليد جديد أن يتغزل الفيلم فى سوّاق الجوزة "حميدو" (سيد زيان) الشاب الناعم الذى يقوم على خدمة القعدة ، وأن يتغزل "حميدو" بدوره فى الجوزة .. يدلعها متغنيا بفضائلها "السلخانة" (١٩٨١) بطولة "سمير صبرى"*.

ولأن بقاء الحال من المحال .. فقد بدأ الجمهور يمل ... بدأ اقباله يقل على افلام جوهرها الغرزة والجوزة .. كيف تدور آية ذلك فشل " الراقصة والطبال " رغم أن " عادل ادهم " و " نبيلة السيد " لا يظهران فى اية لقطة الا والجوزة معهما يداعبانها فى حنان ... وفشل " أسوار المدابغ " رغم انه يبدأ بالجوزة ... وبعد رحلة طويلة معها ومع الكأس ينتهى بالشقى " حسين فهمى " مقتولا أمام غرزة شقاوة المرأة الطيبة الشجاعة .

حقا لا تزال هناك أفلام من هذا النوع الفاسد المفسد فى الطريق الى دور العرض وأجهزة الفيديو ... وقد يكتب لبعضها النجاح كفيلم " حتى لا يطير الدخان " لا لسبب*... سوى قيام " عادل امام " والجوزة معه بأداء الدور الأول فيه .

وعلى كل فالقدر المتيقن أن موجة انفتاح السينما على المخدرات فى انحسار ... وأن هذه السينما فى سبيلها الى الاندثار .. الى أن تكون ماضيا أقرب إلى العار ...

قصة قصيرة من سوريا :

أحباء لا يرون الشمس

بقلم : نادر السباعي

كان يخيط فم الكيس ، يلف ويدور حوله . أنامله تداعب المسلة بمهارة فائقة . يغرزها في القنب ويعرجها دافعاً مؤخرتها بأصابع تبلد جلدها حتى كاد يفقد الاحساس .

يطلق عليه اهل السوق لقب « أبو عنب » تراه ثرثارا ، مرحا ، محبا للدعابة والمزاح ، عركت قامته القصيرة الصلبة بالعرق . كان يعود الى البيت عقب مغيب كل شمس ، بجسد واه ونفس قنوعة .

انتهى ابو عنب . لملم خيوط القنب ودسها في سرواله . حاول رفع الكيس ليضعه فوق ظهر حمارته فناه بحمله . كان الحاج عبد الرازق يراقبه من صدر دكانه العميق ، ثم صاح به مداعبا :

« كفاك ، كفاك . لقد شخت يا « أبو عنب » مثل حمارتك ! »

واخذ يقهقه . ثم اجاب ابو عنب بوجه جهم :

« اخس ، أنا ابو عنب ! »

لمعت في ذاكرته تلك اللحظة ، الق الايام الخصبة ، يوم أن كان في ذروة فتوته . وناوشه وميض مسكر .

انقطع الشريط السريع . في اللحظة الحرجة ، جدد العزم وحمل الكيس بسرعة قبل ان يفتضح امره . ولكن الحاج عبد الرازق قال :

« كفاك ! ابو محمود أقوى منك »

لقد استعاد ثقته وقال متهكما :

« قوى كالبغل ؟ ! »

أجاب الحاج عبد الرازق بابتسامة خبيثة :

« لكنه اكتسب ثقة أهل السوق مع أولاده . »

وأرسل زفرة حرى من قلب ملغوم . ثم عقب بأسى :

« تنسون بسهولة ! » ثم اتبع قائلا « ما العمل اذا كان الله وهبه نعمة العيال ، وبقيت انا بدون خلف ؟ ! »

وعاد الحاج عبد الرازق يقول :

« لقد سمعت بأن ابنه (حمدو) قد أنهى الخدمة العسكرية ، وأنه ينوي شراء موتور حمولة (سوزوكي) .

انتفض أبو عنب . امتعض وجهه المقدود الذي لايعرف الكدر . وقال بعد أن امتطى

حمارته « عجايب » ونهزها في بطنها الضامر . وارخى لها اللجام .
واتجه نحو الخان .
خلال الأيام الأخيرة ، بات يتهدده شبح مخيف . هاهو يمضى بين المتعبين المكدودين الذين يبتلعون همومهم اولا بأول . تتنازعه هواجس . تلمحه فى السوق المزدحمة ، يسابق الربح من أجل لقمة العيش . يمضى يومه فى القبو الموغل فى القدم . بعيداً عن شمس النهار يتنفس من الكوى الصغيرة المطلة من سقف السوق .

وينهر حمارته المتباطئة بجهير صوته : « ولك دى . »
فى تلك اللحظة ، تذكر غزالة ! ! انبثق اسى عميق من ماضيه . تذكر يوم عاد مكدوداً الى البيت ولم يجد أثراً لزوجته . ومن يومها أشيع كيف أثرت الهرب مع (دنو) أجير اللحام .

كان يشق طريقه وصورة غزالة تترى فى ذهنه المتقد . تداخلت تلك الطيوف المقرفة ، التى جعلته يبدو نزقاً ، ومتوتراً . خسارة ! ! خسارة كبرى لاتعوض فى فقدان تلك الزوجة الصبية .
وأخذ يسوط رقبة الحمارة بمؤخرة اللجام ، وهو يصيح :
« اوعا ياخيو . »
بات يمقت الزحام ، وزوار السوق . ثمة غرباء يتدفقون فى شرايين السوق ، يتأففون تارة ، وينبهرون تارة اخرى . أصبح يمقت كل شيء فى الأيام الأخيرة .
توقفت الحمارة فجأة وصاح فيها أبو عنب بغضب :
« اخس ، الآن تفعلينها ؟ . »
لم تكترث . باعدت بين ساقيها الخلفيتين ، وأخذت تبول . ازداد غضب ابى عنب عندما سمع تعليقات أهل السوق .
وتابع المضى نحو الخان .
لقد أشيع بأن أهل السوق لايرون الشمس . يهرعون مبكرين الى اعمالهم قبل شروق الشمس ، وكأنهم فى عناد مع أرزاقهم . يتعاطون البيع والشراء ولاينصرفون قبل مغيب الشمس . وصوت المؤذن هو ميقاتهم . يتحتعون أحيانا بوجوه مصفرة ، وهم عائدون الى بيوتهم بسبب أغفاء ألم فى حركة السوق .



لايزال يفكر . بات محزونا على حمارته . خطواتها بطيئة . لم تعد تحتمل . ويخاف الا يظل الفارس الذى يمتطى الخيول المنطلقة كالبرق فى الأقبية الرطبة . حمارته طعنت فى السن . ويسمع اصداء حوافرها وهى تنطفىء .

وأخذ يزعق بحمارته : « ولك دى »

ترتجف . قوائمها غير قادرة على الاحتمال . تحاصره لحظات موجعة ، وهو لايدرى كيف يتخلص منها ؟

وخزته أفكاره كآلة حادة : ماذا يفعل تجاه حمارة طاعنة ، وخصم عنيد ينازعه الرزق فى السوق ؟

وكذلك لم تغب عن باله كلمات أبى محمود التى بات يسمعها بين الحين والآخر ، وخاصة بعد عراكه معه فى المرة الاخيرة .

عبارات دميمة لم تغرب عن فكره المثقل بالهموم .

وبينما هو ساهم النظر ، اقتحمه الصوت كتيار كهربائى قد خلف فيه رجفة صاعقة ، حينما ترامى لعينيه الحارتين فجأة ! ! هاهو أمامه بجسد حالك السواد . كتلة لحمية منفوخة مستوية على دابة قوية .

ألقى عليه نظرة خاطفة .

« عيب عالرجال »

مواجهة عابرة خلفت هذه الكلمات . سمعها عندما أطلقها أبو محمود فى وجهه .

والتقط صدى الضحكة المجلجلة التى هزت « أبا عنبٍ » . ودّ لو يهجم عليه ويخيط فمه بمسلته الحادة . أطلق صوته المبحوح وسط الزحام :

« ولك دى ـ ولك دى ـ و »

يتباطأ وقع خطاها . يضربها بقسوة .

« ولك دى ... تفو عليك ... »

أجفلت . حوافرها المتعبة لم تعد ترسم الايقاع خلفها . الحمارة تئن . تتألم . تغمض عينيها لحظة . تزفر من منخريها تعب السنين .

« ولك دى بنت الحرام و »

الناس تراه على غير عادته فى وجه جهم . يصيح بأعلى صوته . يضرب ، ويشتم ، ويلعن وتفاقم غضبه عندما انزلقت قائمتاها ، فوجد نفسه مرميا على الأرض .

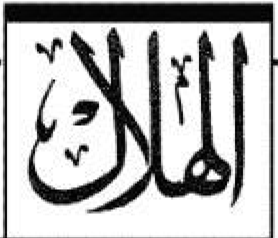
نهض أبو عنب . وسارع الى ضرب الحماره الممددة على الأرض . وأخذ ينط مهتاجاً والسباب يفور من فمه . وفجأة أحاط به استغراب هادىء ! عندما وجد الحمارة مسبلة العينين ، هامدة بلا حراك ...

فى تلك اللحظة سمع ضجيجاً غريباً . التفت أبو عنب فوجد (حمدو) يقود الموتور الجديد المحمل بالبضائع . تمتم فى سره : أهذا هو الموتور الملعون اذن ؟

اختفى أبو عنب من السوق .

وبعد أيام شوهد وهو يتجه نحو سوق الهال ، ليعمل هناك فى تفريغ الشاحنات وعانقت وجهه المعروق شمس ساطعة دافئة .

* * *



● نظـرة إلى الحيـاة●

● أنا شاب فى الخامسة والعشرين من عمرى ، بصق الدهر فى وجهى ، وألقى علىّ كلاكله ففاضت مدامعى بهذه القطرات فى روابى الشعر . وأنا أدعو إلى الرذائل فى قصيدتى ، ولكنى فى الحقيقة انهى عنها بهذا الأسلوب الاستنكارى ، وفى الشعر العربى نماذج تحث على الخير بأسلوب النهى عنه ، كقول معروف الرصافى :

ياقـــوم لا تتكلموا
إن الكلام محـــرمُ
نامــوا ولا تستيقظوا
ما فاز إلا النُّوَّمُ
وتأخـــروا عن كل ما
يقضى بأن تتقـــدموا

وإليك قصيدتى فى هذا الاتجاه :

١ - بكت الرســوم تجاوبا لبكائى
فتوالت الزفـــرات من أحشـــائى
٢ - فوقفت أسـالها لعل جوابها
يوهى جـدار الحـزن فـى أنحـائى
٣ - هـل تذكـرين " ليـال " كنت أمضيها
هـى فى الـزمان تقارب وتنـــائى
٤ - ونضـــارة الأيـام تبقى صـافية
حتى تلـــوث صفــوها الأقـــذاء
٥ - فأجـابت الأطـلال قـولا طالما
نطقت بـه الأنـــواء والنكبـاء
٦ - لاتأمن الخلق وارتع فى مثالبهم
إن الصـراحـة والنفـاق ســـواء

٧ ـ لا تعف يوما إذا ما كنت مقتدرا
فالعفو عند العاجزين رياء
٨ ـ وذاك لأن ما شخصت أحجار
لا تنطق وليست تستمع لندائي

عبد الحميد على أحمد
الوقف ـ السنابسة ـ قنا

ـ نظرتكم إلى الحياة متشائمة ، وليس بالاغراق فى التشاؤم دون العمل يمكن إصلاح حال هذه الدنيا التى لا تعجبك ... اما قصيدتكم فقد اجتزانا منها ما يدل على سائرها .. وهى فى البيتين الأول والثانى من بحر الكامل ، صحيحة الوزن ، بغض النظر عن مستوى النظم .. وفى البيت الثالث تقول " ليال " وصحتها " لياليا "... والشطر الاول من هذا البيت من بحر البسيط .. والثانى من بحر الكامل ، وهذا ـ كما تعلم ـ لا يصح فى الشعر .. والبيت الرابع مكسور الشطر الأول ، وقافيته مضمومة الهمزة فى الشطر الثانى رغم صحة وزنه ، وكان يجب أن تجيء بهمزة مكسورة لا مضمومة كما جئت فى الأبيات الأولى .. وهذا ينطبق على الأبيات ٥ و ٦ و ٧ فهى مضمومة الهمزة ، فضلا عن أن الشطر الأول من البيت السادس ، وهو من بحر البسيط " والشطر الثانى من « الكامل » .. كذلك البيت السابع ... اما البيت الثامن فشطره الأول مكسور ، وكذلك شطره الثانى .. ومع ذلك نرى أن لديك استعدادا لقول الشعر ، وستبلغ النضج فى الأوزان إذا ثابرت .. وحاول أن تنظر إلى الدنيا بمنظار واقعى ، لا هو أسود حالك ، ولا أبيض ناصع !..

● افتراق ●

ياشعاع النور فى تيه الضباب
اين ايات الهوى فى مقلتيك
قد قضيت العمر ايات شباب
مرحا والقلب مابين يديك
انت ياقدس خيالاتى التى
شدتها فوق جسور المستحيل
من جحيمى انت ام من جنتى
بين كفيك شروق وافول
انت يانور الماقى خاطرى
انت لى فى عالم القيد انطلاق
انت فى ذاتى نفس الشاعر
تملا النفس انبثاقات ائتلاق

رضا ابراهيم عبد المعطى
ميت الحلوج ـ دكرنس



● أزمة الثقافة ●

● اتابع " الهلال " وانا سعيد بالمستوى الرفيع الذى وصلت إليه فى جو أصبح منذ مدة بعيدة ، خانقاً يندر ان تجد فيه شمعة مضيئة لأن الأفواه التى تطفئها كثيرة .. وقد قرات فى عدد مجلتكم الصادرة فى اكتوبر ١٩٨٤ ماكتب عن ازمة الثقافة واستمتعت بما كتبه الدكتور يوسف عز الدين ، واختلفت مع ماكتبه الاستاذ حافظ محمود ، فهو ينفى وجود ازمة الثقافة الا فى رءوس بعض المثقفين فقط ولانهم ليسوا على القمم ، فهم يقولون ان هناك ازمة ثقافة وانا اقول معذرة للاستاذ حافظ محمود فهناك ازمة ثقافة رغما عنا

فبينما الاستاذ حافظ محمود لا يقصر الثقافة على الكتاب وحده .. ويضيف الاذاعة والتليفزيون والسينما ... إلى مصادر الثقافة وانا اتفق معه فى هذا الراى .. ولكن معذرة سيدى .. ماذا تقدم هذه الوسائل من ثقافة سوى برامج تافهة لا تخرج فيها الاسئلة عن نطاق الزواج والحب والمولد ... بينما يجلس مقدمو البرامج فى انتظار الضيف حين ينتهى من اجابته لتقديم السؤال التالى .. دونى ادنى اهتمام بمناقشة ما قاله هذا إذا كان قد قال شيئا اساساً ... ثم ماذا .. مجموعة من الافلام الهابطة والمكررة والتى لا تخرج إلا نادراً ـ عن نطاق علاقة عاطفية تقابلها المصاعب التى تنتهى مع نهاية الفيلم بخطبة عصماء تكاد تكون هى نفس الخطبة فى كل فيلم وكثير من البرامج والمواد التافهة تعمر بها مصادر " الثقافة " تلك وتجعلها تصبح عديمة القيمة وبهذا يصبح الأمل فى الكتاب والذى بسببه يركز المثقفون على اهميته حيث يصبح من الضرورى الارتقاء بمستواه وضرورة توفيره ودعمه والاهتمام به كرغيف الخبز ... ومن هنا يصبح للحديث عن ضرورة توافر المكتبات اهمية كبرى وليس كما يقول سيادته بانه يمكن اللجوء إلى مصادر الثقافة الأخرى .. ومع ما يحدث للكتاب من مهانة واهمال فإن هناك بالتأكيد ازمة ثقافية ... ولأكد على وجود الازمة ايضا إذا ما نظرنا إلى صحفنا التى تكاد تخلو من الثقافة التى لا اقصد بها مجرد القصص والشعر وإنما الارتقاء بمعارف الانسان المختلفة حتى ما يسمى بالصفحات الثقافية فى الصحف اصبحت تحت رحمة ابعد الناس عن الثقافة .. ويكفى ان نرى الصفحة الثقافية تحت ادارة كاتب لايهتم الا بتوزيع الشتائم على كل من يختلف معه فى الراى ولا يتورع عن نشر اقزع الشتائم على صفحات الجريدة .. وبينما لا يستطيع اى مفكر او مثقف ان يعبر عن رايه بسهولة فان اى نادى كروى يستطيع ان يصدر صحيفة هابطة ينشر فيها ما هو بعيد عن الرياضة والأخلاق والصحافة وبعد ذلك نقول انه لا توجد ازمة ثقافية ...

وعندما تخلوا معظم مدارسنا من مجرد ركن توضع به بعض الكتب ، ويجهل مدرسونا معنى الثقافة ... فهل لاتوجد ازمة ثقافية ؟!

بكل المقاييس هناك ازمة ثقافية ومع احترامى لرايك إلا انكم لم تستطيعوا ان تبدوه بطريقة منطقية .. فكل ما استطعتم فعله انكم نفيتم وجود الأزمة الثقافية وأرجعتموها إلى المثقفين الذين لم يصلوا إلى المناصب العليا او القمم الثقافية ..

سلامة عبد العزيز محلاوى
ش العراقية ـ ادكو ـ محيرة

● منية القلب ●



● ابعث إليكم بقصيدتي هذه

١ ـ يامنية القلب هذا القلب لباك
لعارمته بلحظ منك عينـاك
٢ ـ لم يعرف الحب إلاحين ادركه
لما التقينا بـوادى النيل مرعاك
٣ ـ فانا بحبك قد أصبحت منطلقا
رغم القيود إلى ما فـوق إدراكى
٤ ـ فغمرت قلبى بالأنوار ساطعة
وكفكفت دمعـى فـى رفق بيمنـاك
٥ ـ فغدوت انشد أشعارى وانشدها
من وحى حبك فى قلبى وإيحـاك

محمد ابراهيم المجريسي
ابو تيج ...

ـ هذه الأبيات الخمسة من قصيدتك يستقيم وزنها فى الأول والثانى .. أما فى الثالث فلابد من حذف الفاء فى كلمة " فأنا " ليستقيم الوزن ، ثم تمد الألف بعد ذلك فى قولك " أنا "... ولابد من حذف الفاء فى كلمة " فغمرت ".. والبيت الخامس فى قولك " فغدوت " ليستقيم الوزن على مقتضى بحر البسيط الذى اخترتموه لقصيدتكم .. نقول هذا عن مجرد الوزن ، أما المعنى فشىء آخر ..

● نحن الهلال وقرائه ●

● كل ما يهمنا هذه الأيام ، هو أن نجد من يكتب مما يشغل الناس عندما يختلفون فكريا وحسيا فلا تصبح المواضيع أكاديمية خالصة ، ونحن فى أيامنا هذه نختلف أكثر مما نتفق ، خاصة عندما يكون الخلاف بين المثقفين والمسئولين عن الثقافة . ومجلة الهلال ـ فعلا ـ منارة ثقافية ، لذلك عليها أن تكون رقيبا على من يتولى أمور الثقافة فى مصر ، إذ ليسوا جميعا من المثقفين وليس كل ما يفعلون صوابا .. ولن تتطور الثقافة إلا بالثورة الفكرية التى أرجو لها الاستمرار .

وأنا أهتم بما يكتبه الزميل مختار العطار لأنه من القلائل الذين شدوا إنتباه الفنانين وجعلهم يتبادلون الحوار والنقاش حول مواضيع الفن التشكيلى التى لم تكن من قبل موضع اهتمام أحد .

أدعو الله لكم بالتوفيق وللهلال بالتقدم والانتشار .

د . سعد المنصورى
١٥ ش ضريح سعد بالقاهرة



" رحلة خطرة "

ياساريا فى دروب الشك معذرة
الى متى ذلك الترحال ياقمرُ
مسافر مثل قلبى لا يقر له
يوما قرار ولا ينتابك الضجرُ
الشمس فى عرشها طوع لحاضره
والريح فى عنقها من ركضه اثرُ
والذكريات على درب يمر به
بعض من الامس فوق الدرب يحتضرُ
والامنيات بباب خاب طالبها
الامس ضاع وكاد اليوم ينتحر
رحماك ياقلبى القاس تعذبنى
ارهقتنى سفرا فى حله سفر
انهكتنى فى دروب رحت تسلكها
لم ادرِ هل رحتها ام انها القدرُ
كانها النار جئناها بمعصية
لا الصخرُ من حرها يؤى ولا الشجرُ
ان تطلب السرَّ تفنى العمر مسالة
فرحلة الشك لا تبقى ولا تذرُ
لا تسال الكون ان الكون حيرة
لغزُ الوجود فهل بالصمت نعتبرُ
فارحل بربك دعنى ايها القمر
غاب الاحبةُ لا صوتٌ ولا اثرُ
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعل
اللهُ باق وكل بعده غيرُ

* * * * * *

درويش الاسيوطى
اسيوط ـ الحمراء

● الهلال والحكيم ●

● تحية شيخ الادباء توفيق الحكيم وتقديره للهلال فى عهده الجديد تحريرا وطباعة واخراجا فنيا فى ثوبه الجديد ، تستحق وقفة تامل واجلال ، فقد ظفر الهلال بهذه التحية وهذا التقدير عن جدارة من شيخ الادباء .. فتلاقت رسالة الحكيم مع رسالة الهلال والتى تمثلت فى خدمة الثقافة والفكر العربى ، وخدمة قرائه ورفع مستواهم الثقافى والحضارى منذ ان بزغ فى سنة ١٨٩٢ .. واصدق ما يقال أن الحكيم برسالته إلى الهلال

يرسى تقليدا أدبيا كريما فى صحافتنا الادبية حيث يوجد الصلة بين الكاتب والفنان والأديب من ناحية ـ والجريدة أو المجلة التى يحرص على تقدمها قيواليها بمتابعته المستمرة .. ثم أن الصلة الوثيقة بين الحكيم والهلال كما تدلنا عليها رسالته وهى الثانية تشير إلى العلاقة القائمة بينهما على الحب والوفاء والاخلاص المتبادل بين كاتبنا الكبير ومجلتنا التالدة .. ولا شك ان كلمات الحكيم الى الهلال تضاعف من مسئوليتها .. وما يتمناه قارىء الهلال فى عهده الجديد أن يكون منبرا حرا للافكار الشابة وللانتاج الفنى والأدبى ، بعد أن احس البعض وظن خطا ان ثمة تغييرا سوف يطرا على سياسة المجلة بما يجعلها تضيق عن الاستجابة للاقلام الشابة والجديدة ... ويا حبذا لو ان الهلال تمكن وهو على مشارف عيده المئوى من ان يضيف الى رصيده انجازا جديدا يتمثل فى اصدار كتاب شهرى جديد الى جانب سلاسله الحالية تحت اسم " المختار من الهلال " يستمد مادته من المقالات والفصول التى نشرت فى مجلة وكتاب الهلال باقلام الكتاب والمفكرين خلال المائة عام الاخيرة ، وبذلك يؤدى الهلال خدمة مزدوجة للقارىء العربى .. فهو ينشر تراثه العريق من ناحية ويرصد عوامل التطور والتقدم من ناحية اخرى ..

* * * * * *

عمرو عبد المنعم حمودة
باحث شـئون العاملين
برمـــا ـ غربيـــة

● إلى اصدقائنا ●

● درويش الاسيوطى ـ اسيوط :

ـ نشرنا لك فى هذه الصفحات قصيدة عنوانها « رحلة خطرة » وهى موزونة وظريفة .. اما الكلمات التى ارسلتها الينا بعنوان " سامحينى " فلابد انك تعلم انها نثر لا شعر ، فليس بها اى وزن ، فهل تكتب الشعر المنثور إلى جانب الشعر الموزون ؟!...

● الرفاعى عبد الحافظ عبده ـ طنيخ ـ طلخا .

ـ قصيدتكم بعنوان « بستان امى » .. جيدة الوزن ، ونرى أن موهبتكم الشعرية غير خافية فنهنئكم ..

● حسنى ضيف الله ـ تونس :

ـ قصيدتكم " الا ترحمين ؟" .. مليئة بالدموع واستعطاف الحبيبة التى تقول لها : « وأنت تنامين نوما عميقا ... وقلبك خال ولا تشعرين !... وما دامت حبيبتك تنام خالية البال فلماذا تسهر أنت ؟!... كن ياصديقى مثل أبى الطيب المتنبى وقل لها : « وصلينا نصلك فى هذه الدنيا .. فإن المقام فيها قليل » !.

● خالد شعبان مقبل ـ بلقاس ـ دقهلية :

ـ قصيدتكم « انتحار » .. وأولها : « ينتحر الليل .. ينسكب دجاه » تدل على موهبتكم ... لا تنقطع عن تقوية أداتك الشعرية ..

● طلعت خيرى قليعى ـ نجع حمادى :

ـ قصتك القصيرة جداً « اللقاء الأخير » تنتظر ما بعدها من محاولات ، وكل آت قريب إن شاء الله



رسائلنا الجامعية إلى أين ؟!

بقلم الدكتور : سيد حامد النساج

●● مشاكل الرسائل الجامعية فى مصر كثيرة ، تبدأ من بعدها عن هموم الواقع المصرى . وتصل الى عدم استفادة الجهات المعنية بها .

لكن ما يطرحه الهلال أمر آخر . ثمة رسالة دكتوراه منقولة عن الآخرين . انها حالة خاصة ولكن واحدة من زوايا « هم » عام .

وهذة الحالة تصلح مدخلا لحوار نرجو أن يستمر من كافة الأطراف حول الموضوع نفسه : أزمة الرسائل الجامعية فى مصر الآن .

ما الذى جرى لجامعاتنا المصرية ؟ وما هذا الذى يحدث فيها ، ولها ؟

وكيف يمكن لنا أن نقبل هذا الذى نسمع به ، وعنه ، بين الحين والآخر ؟

فهذا عميد لاحدى الكليات يتهم بنقل كتاب أمريكى . وذاك عميد يشاع أنه نقل مرجعاً اجنبياً كاملاً دون اى تعديل فيه . وهذا أستاذ مساعد ينقل عن زميل له وأستاذ شهير من داخل قسمه ، وكليته ، وجامعته ، وأمام طلابها . وذاك مدرس يطبع فصولاً من كتاب أستاذه فى شكل مذكرة ، وينسبها إلى نفسه ليبيعها للطلاب بأسعار مرتفعة .

هذا وذاك مما كانت جامعاتنا بعيدة أبداً عنه ؛ لم يتسلل إلى أسوارها العلمية الحصينة طوال تاريخها الممتد .

كانت الجامعة المصرية هى الحصن الحصين للعلم والعلماء ، والباحثين ،

والدارسين . وهى أيضاً التى تمد يد العون السليمة والصحية لكل صاحب فكر صحيح يرجو له تقنينا ، وأمناً وحماية ، واستمراراً .

كيف وصلت الجامعة إلى هذا المستوى الذى أتاح الفرصة لكل ما نسمع به ، ونقرأ عنه ؟ ! كيف .. يجرؤ المنتمون إليها علمياً - قبل غير العاملين بها - على انتهاك سمعتها الدولية ، وكرامتها العلمية ، وتاريخها الطويل ؟ !

واجب الجامعيين

إنها ظاهرة جد خطيرة ينبغى أن يتصدى لها الجامعيون أنفسهم . فهم الذين يعرفون الأصول العلمية ، والتقاليد الجامعية ، وقيم البحث الأكاديمى ، وحقوق الفكر والابداع .

كما أن الحرص على أن تظل « الصورة » التقليدية القديمة للجامعة تهمهم هم فى المرتبة الأولى . وإذا ما انصلح حال البحث العلمى فيها ، فإننا سوف نضمن صلاحاً واستقامة للدراسات والبحوث خارجها . وإذا كانت الظاهرة غريبة وشاذة ونابعة من الجامعيين ؛ فلماذا لا تلقى مسئولية تغييرها عليهم . لابد من الثورة والرفض والتمرد على كل هذه الأشكال اللا علمية ، واللا أخلاقية .

ولتكن البداية بالكشف عن الآحاد الذين أشاعوا الظاهرة أو الذين تسببوا فيها . وتتبع بحوثهم . وإظهار ما بها من سرقة أو نقل متعمد . ولماذا لا يأخذ المنقول عنهم زمام المبادأة ، بالاعلان عما سرق منهم . والدعوة إلى مناقشة ما يقولون . أو إن شئت قلت ؛ فليكن هناك المدعى . وليأخذ المدعى عليه فى الرد . وليحتكم - بعد - إلى هيئة علمية عليا قبل اللجوء إلى الهيئات القضائية : دفاعا عن العلم ، والحق ، والأمانة ، والعدل ، ووجه الجامعة الحضارى .

قديماً كان يقال ، فليكتب آخر عن مثل هذه الظاهرة إن وجدت ، بدلاً من صاحب الكتاب أو البحث المنقول عنه . ولا أرى فى ذلك إلاّ تعلات الجبان . فمن أدرى بالبحث غير صاحبه . ومن اعلم بالجهد غير الذى اجتهد . ومن أدرى بالمعلومة الصحيحة غير الذى جمعهاوشقى من أجل الحصول عليها ؟.

اقول هذا بمناسبة صدور كتاب بعنوان (الاتجاهات الواقعية فى القصة المصرية القصيرة حتى عام ١٩٨٠ - دراسة فى المضمون والبناء الفنى) للدكتور محمود الحسينى المرسى المدرس بكلية التربية جامعة طنطا . طبعت هذا الكتاب ونشرته دار المعارف ١٩٨٤ . وهو يقع فى ٥٦٣ صفحة من القطع الكبير .

والأصل فى هذا الكتاب أنه نص الرسالة الجامعية التى تقدم بها صاحبها محمود الحسينى المرسى للحصول على الدكتوراه فى الآداب من جامعة الاسكندرية ؛ كما يصرح صاحب الكتاب .

أين الجديد ؟

نستطيع أن نعتبر هذا الكتاب - وقد خرج إلى القارىء العام وأصبح متداولاً - نموذجا للدراسات والرسائل الجامعية الحديثة . فهو رسالة للدكتوراه نوقشت



حديثا جداً . ثم من حيث هو كتاب مطبوع الآن صادر فى ابريل ١٩٨٤ . ومعنى صدورها ونشرها أن صاحبها راض تماماً عن شكلها الذى خرجت به للناس . وأنه انتهى فيها إلى كل ما اقتنع به . ويحب القراء أن يعرفوه عن طريقه .

ونحن سوف نتناوله من هذه الزاوية . فهو رسالة للدكتوراه أولاً . ثم هو كتاب بين أيدى القراء أخيراً . فى البداية ، ينبغى على طالب الدكتوراه أن يبحث فى المكتبة الجامعية عن الرسائل والبحوث التى سبق لها أن إختارت نفس الموضوع محوراً لها ، فى كليات الآداب بالجامعات المصرية ، وفى أقسام اللغة العربية وآدابها على نحو خاص . وهذه بديهية يوجهه نحوها الاستاذ المشرف إذ تشترط اللوائح الجامعية أن يكون موضوع البحث ـ الذى يتقدم به صاحبه لنيل درجة الدكتوراه أو الماجستير ـ جديداً مبتكراً لم يسبق اليه . وفيه إضافة إلى العلم ، وإلى البحث الأكاديمى . حتى لا يحدث ثمة تكرار .

وهنا ـ بطبيعة الحال ـ لا يقبل هذا التمويه الشكلى ، والخداع الظاهرى ، باختلاق أو ابتكار بعض العناوين الجذابة التسويقية ، التى قد توحى بأن موضوع الرسالة جديد . وإذا بالقارىء المتأمل المدقق يكتشف منذ الكلمات الأولى فى المقدمة انه وقع صيدا فى شباك اصطنعها عنوان زائف لكتاب خادع .

وعنوان هذه الرسالة ـ الكتاب ، يوحى بأن صاحبها سوف يدرس الاتجاهات الواقعية فى القصة المصرية القصيرة فى فترة زمنية تمتد حتى ١٩٨٠ دون إشارة إلى سنة البداية أو المنطلق الزمنى .

وفى مثل هذا الفن ـ فن القصة القصيرة ـ وحول هذا الاتجاه (الواقعى) أعدت ونوقشت وصدرت رسائل جامعية متنوعة . بدءاً من عام ١٩٦١ حتى الآن . لو أن صاحب هذه الرسالة جهد قليلاً لأدرك أن عددها كثير كثير . فى كلية الآداب جامعة القاهرة . وفى كلية الآداب جامعة عين شمس . وفى كلية دار العلوم . وفى كلية البنات . وفى كلية الآداب جامعة الاسكندرية التى سجل فيها موضوعه . هناك رسالة الدكتور السعيد الورقى (اتجاهات القصة القصيرة فى الأدب العربى المعاصر) .

ولكاتب هذه السطور إسهام متواضع فى هذا المجال . يتمثل فى أول رسالة للماجستير قدمت إلى جامعة القاهرة ١٩٦٤ بعنوان (تطور فن القصة القصيرة فى مصر ١٩١٠ ـ ١٩٣٣) . ورسالة دكتوراه بعنوان (اتجاهات القصة المصرية القصيرة ١٩٣٣ ـ ١٩٦١) قدمت إلى نفس الجامعة ١٩٧٠ ، وكتاب صغير بعنوان (القصة القصيرة) أصدرته دار المعارف ١٩٧٨ . وكتاب يعد أول احصاء بيليوجرافى للقصة القصيرة فى الفترة بين ١٩١٠ ـ ١٩٦١ يحصى كل ما نشر من قصص قصار فى الصحف والمجلات والمجموعات القصصية ، بعنوان (دليل القصة المصرية القصيرة) ١٩٧٢ . فضلاً عن كتاب آخر

بعنوان (بحوث ودراسات أدبية) . تناول أحمد خيرى سعيد وحسين فوزى ومحمد تيمور ومحمود تيمور : أبرز اعلام القصة القصيرة فى فترة البواكير والارهاصات . ازاء هذه الكثرة من الرسائل والبحوث والمؤلفات حول القصة القصيرة ، وحول الاتجاه الواقعى : يصبح لزاماً على طالب الدراسات العليا أن يأتى بجديد - إذا كانت الضرورةتستلزم - بالفعل لا بالقوة - تناول نفس الفن ونفس الاتجاه . أو أن يبحث عن مرحلة لم تدرس . أو اتجاه لم يبحث . أو قضية لم تناقش . أو شخصية لم يلتفت إليها . أو ظاهرة جديدة . أو عقد مقارنة بين كاتبين .

لكن : أن نسجل رسالة للدكتوراه وامامنا عشرات المؤلفات والرسائل والبحوث الأكاديمية المعتمدة والمنشورة ، وهناك بالفعل مراحل فنية وتاريخية لم يتناولها أحد ؛ واتجاهات حديثة لم تتوفر عليها دراسة ؛ فإنه أمر يثير الدهشة والعجب .

واقع الأمر أنه خدعنا عندما حدد فى عنوان رسالته عام ١٩٨٠ لتقف عندها دراسته . ذلك أنه توقف - بالفعل - عند ١٩٦١ . دون أن يذكر ذلك صراحة . لسبب بسيط هو أنه اعتمد اعتماداً مباشراً على كتاب (اتجاهات القصة المصرية القصيرة) الذى توقف عند ١٩٦١ . لكن كتاب الاتجاهات يذكر الدوافع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفكرية التى حتمت الوقوف بالبحث عند ١٩٦١ . لأن اتجاه الكتاب اختلف . ولأن جيلاً جديداً بدأ يظهر . ولأن مؤثرات جديدة أخذت تفعل فعلها فى البناء والشكل ولغة القصة وموضوعات الكتاب . وتجد أن صاحب الرسالة - الكتاب : حصر نفسه فى دائرة كتاب (اتجاهات القصة المصرية القصيرة) طويلاً ؛ مما سوف نفصله فيما بعد .

دكتوراه منقولة

ولاثبات هذا الادعاء ، تعالوا بنا معاً ننظر فى تفاصيل هذه الرسالة - الكتاب .

منذ صفحة ٢٠ يتناول تكرار الحديث عن الرواية والقصة والقصة القصيرة والأقصوصة بنفس الطريقة المدرسية . ويشير الى مراجع أصبحت متخلفة جداً . ولم يفد من الدراسات النقدية الحديثة . واعتمد على مؤلفات صدرت ١٩٥٥ .

مازال الساتر والغطاء موجودين . خذ مثلاً الباب الأول ، الفصل الأول ، وعنوانه (الواقعية بين المذاهب الفلسفية والأدبية) من صفحة ٢٣ إلى صفحة ١٠٢ . سبعون صفحة لاداعى لها ، ولاضرورة منهجية أو علمية أو موضوعية ، تستلزمها .

بدون مراجع

تبحث عن تصوره العلمى للاتجاه الواقعى فلا تجد . أو عن تمثله الفنى للاتجاه المقابل فلا تظفر بشىء ذى خطر . وأقواله العامة مثيرة للضحك (انظر صفحات ٦٩ ، ٧٧ ، ٣٧ ، ٥٩) فالواقعية تلتقى بالرومانسية فى بعض الوجوه (ما هى ؟ لايعرفنا) وليس ثمة واقعية



خالصة ، والرومانسية احتوت الكثير من المبادىء التى أثرت فيما تلاها من المذاهب ، ومهدت لجميع المذاهب الأدبية الحديثة التى تلتها ، وهى من حيث المنهج تطبيق حى لتفاعل المذاهب تأثيراً وتأثراً (ياسلام !) والواقعية لاتعترف بالحدود المكانية والزمانية ، ووجدت فى كل مكان وفى كل أمة . مادامت كل جولاته سريعة ، وكل اشاراته خاطفة ، وكل نظراته خاطفة ، وجل فقره منقولة ؛ فان لنا أن نتوقع مثل هذه الأقوال المنثورة غير المسئولة علمياً وفكرياً . وكان من اللازم الاستغناء عن هذا الذى وقع فيه صاحب الرسالة ـ الكتاب ، لو أنه قصد إلى موضوعه قصداً .

واللافت للنظر أنه يشير إلى فلسفات ومذاهب أدبية وكتاب فرنسيين ونقاد أوربيين ، دون الاشارة (الخاطفة السريعة ! ! !) إلى مرجع أجنبى واحد . وكلها على غرار كتاب الدكتور أنور لوقا عن (بلزاك) الصادر عن سلسلة المكتبة الثقافية . ثم يتبعه بالنقل المباشر عن ترجمة أمير اسكندر لجورج لوكاتش فى (دراسات فى الواقعية الأوربية) حين يتحدث عن بلزاك ، وزولا ، وغيرهما . وفى ٩١ يعود للحديث عن الماركسية ليكرر ما سبق أن فصله تفصيلاً صفحة ٤٢ ، ثم يعود صفحة ٩٥ لينقل عن الدكتور غنيمى هلال كلاماً عن الماركسية والفكر الماركسى والالتزام ، ومعنى الموقف .

على هذا النحو يأتى الفصل الثانى المعنون (القصة القصيرة من النشأة إلى ظهور الواقعية) .

هنا ينبغى لنا أن نسأله : ألست أنت الذى ادعيت بأنك سوف تبتعد عن اتساع رقعة الزمان والمكان ؟ لقد أخذت ـ ذراً للرماد فى العيون ، وحتى لايقال عنك إنك نقلت ـ على كتاب (تطور فن القصة القصيرة فى مصر) أن الفترة التى يدرسها ممتدة وطويلة . فى حين أنها تبدأ بسنة ١٩١٠ وتنتهى عند سنة ١٩٣٣ . ثلاثة وعشرون عاماً . فى محاولة للبحث عن الشخصية المصرية فى القصة القصيرة ، وعن التأصيل للفن ، ثم أخذت على (اتجاهات القصة المصرية القصيرة) نفس المأخذ ـ من وجهة نظرك ـ وهو الذى أفدت منه ، ونقلت عنه ، وأبحت لنفسك ملكية أجزاء كبيرة ـ كما سيتضح ـ فى حين أنه يستمر فى تناول اتجاهات هذا الفن فى مصر ، من ١٩٣٣ حتى ١٩٦١ . ثمانية وعشرون عاما .

وها نحن نجدك فى هذا الفصل تبدأ ـ كما تقول صفحة ١٠٦ ـ (منذ بداية التاريخ البشرى ومنذ أخذ الانسان يروى للآخرين ما يحدث له ، وما يلاقيه من متاعب طوال يومه الملىء بالعمل المضنى الشاق) . هل هذه موضوعية ؟ وهل هذا هو الصدق العلمى ؟ أم تراه ادعاء وافتراء على الحقيقة ، ومحاولة دفع اتهام لم يكن موجهاً إليك ؟ وأين الأستاذ المشرف والأساتذة الكبار الذين تفضلوا بالمناقشة ؟ بل أين الجامعة ؟ !

بعدئذ يعرض صاحب الرسالة لمرحلة التوحش ، ومرحلة البربرية ، ومرحلة

الحضارة ، والتفكير الخيالي المتطرف الساذج (!!! . تصوروا ؟ !) ومرحلة الخيال الطفولي ، والخيال الفطري الساذج ، والخيال المتعقل ، والاسطورة منذ بداية التاريخ المصرى أى حوالى عام ٣٠٠٠ ق . م ، والخرافة أو الحكاية على لسان الحيوان ، ثم لافونتين ، والملاحم ، والالياذة التى كتبها هوميروس حوالى سنة ٩٠٠ ق . م - (أنا أنقل هنا بنفس ترتيب موضوعات الرسالة) وبوكاشيو ، ليقول فى صفحة ١١٩ (وظلت القصة القصيرة على هذه الشاكلة ، مجرد ارهاصات ومحاولات مبكرة إلى أن كان القرن التاسع عشر ، فتحدد لها شكلها الفنى بالمفهوم الحديث) .

الدكتور ينسى

ويأتى قسم آخر من هذا الفصل الثانى من الباب الأول تحت عنوان (نشأة القصة القصيرة فى مصر وتطورها نحو الواقعية) فينقل ما سبق لغيره من الباحثين أن تناوله بالتحليل والنقد والدراسة . ونسى أنه ملتزم بدراسة اتجاه بعينه ، فى فترة زمنية محدودة . فإذا به يتحدث عن البذور فى التراث العربى والارهاصات فى الأدب المصرى الحديث ، والبواكير . واذا بك أيها القارىء أمام صفحات سبق لك أن اطلعت عليها فى كتاب عباس خضر (القصة القصيرة منذ نشأتها حتى ١٩٣٠) أو كتاب الدكتور محمود حامد شوكت (الفن القصصى والمسرحى فى مصر) أو كتاب (تطور فن القصة القصيرة فى مصر) أو كتاب الأستاذ محمود تيمور (دراسات فى القصة والمسرح : فن القصص) . لاتخرج الصفحات من ١٢٥ وحتى ١٤٠ عن هذه الكتب الأربعة .

أما عن الارهاصات فحدث ولاحرج (من ١٤١ إلى ١٥٢) عن الحملة الفرنسية ، والافغانى ، ومحمد عبده ، والاحتلال البريطانى ، وعرابى ، وسعد زغلول . وينقل عن (تطور فن القصة القصيرة) دون أن يشير إلى الفقر والصفحات ، ثم ينتقل إلى استلهام التراث العربى فى القصة ، فينقل عن الدكتور محمود حامد شوكت . ويعود - مرة ثانية - للمقامة ، ولحديث عيسى بن هشام . بعدها يشير إلى ما يسمى تمثل الشكل الغربى ؛ فلا يجيد عن كتاب (تطور فن القصة القصيرة فى مصر) . وللحق فإنه يذكر أنه نقل عن صفحة ٢٣ ؛ لكنه يهمل باقى الصفحات المنقولة . وحديثه عن المنفلوطى كله منقول بالحرف من (تطور فن القصة القصيرة فى مصر) . حتى إن القصص التى استشهد بها هى نفسها القصص التى نقلها صاحب الرسالة - الكتاب . وكذا حديثه عن ارهاصات القصة القصيرة الموضوعة ، منقول كله عن (تطور فن القصة القصيرة فى مصر) وعن (القصة القصيرة فى مصر منذ نشأتها حتى ١٩٣٠) .

تكرار الكلام

أما فى الجزء الخاص بالحديث عن (بواكير القصة المصرية القصيرة)(ص ١٨٩) فإنا تواجه بتكرار الكلام عن حديث عيسى بن هشام ، واستلهام التراث ، وثورة ١٩١٩ . [وهى منقولة عن كتاب تطور فن القصة القصيرة فى مصر - فى



معرض الحديث عن ثورة ١٩١٩ وأثرها فى الحياة الثقافية والفكرية وانعكاس ذلك فى القصة القصيرة . وقد نقل صاحب الرسالة ذلك ، ولم يتورع عن أن ينقل مراجع التطور فى هوامشه أيضاً . وكرر نفس النتائج ، والمعلومات

واستمرأ حكاية النقل عن (تطور فن القصة القصيرة) فراح ينقل كل ما جاء به عن عيسى عبيد ، وشحاته عبيد ، ومحمد تيمور ، ومحمود تيمور ، ومحمود طاهر لاشين . معنى هذا أن الصفحات من ٢١٢ إلى ٢٥٤ منقولة . ولم يكن ثمة ما يلجئه إلى هذا العمل التعسفى الجائر ، لو أنه لم يوقع نفسه فى حفرة الكسل والخمود . تلك التى هيأت عملية السطو . وهو فى غنى عنها ، إذا ما درس موضوعاً لم يطرق من قبل . وحتى من خلال هذا الموضوع ، ما الذى يدعوه الى التاريخ ، واعادة الحديث عن نفس الشخصيات ، ونفس القصص ، ونفس النتائج والأحكام ، بحذافيرها كما وردت عند غيره منذ ١٩٦٤

المثير للدهشة أن ما أقدم عليه شيء سافر واضح وفاضح ولا يخفى على أحد . لدرجة أن طلاب السنة الاعدادية فى احدى الكليات الجامعية نبهونى إلى ذلك وأدركوا هذا العبث وتلك اللامبالاة . وكانوا يتساءلون : إذا كان صاحب الرسالة قد نقل عن غيره حتى الآن ٢٥٤ صفحة في موضوع مسبوق عشرات المرات ، فلماذا أجازت الجامعة الرسالة ؟ ولماذا منحت صاحبها درجة الدكتوراه ؟ وكيف يسوغ لنفسه ـ بعدها ـ أن ينشرها ويطبعها ويبيعها بسبعة جنيهات ؟ لماذا لم يفكر ـ ولو مرة واحدة ـ فى أن يجعل الطابق مستوراً ؟ ! هل ظن أن القراء فى غفلة من أمرهم ؟ أليست لديه ثقة فيهم ؟ أم ان ذاكرتهم لاتعى ولا تحفظ ؟ !

موقف الجامعة

هل الجامعة جادة فى وضع حد لمثل هذا العبث ؟ ! الجامعة التى حصل منها سيادته على درجة الدكتوراه ـ جامعة الاسكندرية ـ والجامعة التى يعمل بها الآن ـ جامعة طنطا . وحتى لاأثقل عليهما أولاً ، وعلى القارىء ثانيا : أرجو ان يقارنوا صفحة ٢١٧ ، ٢٢٩ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ : بتلك الصفحات الخاصة بمحمد تيمور وعيسى عبيد وشحاته عبيد فى كتاب (تطور فن القصة القصيرة فى مصر) . وليتحدثوا عن محمود تيمور دون حرج . فقد درسه الكتاب المشار إليه فى فصل كامل . يقع في سبعين صفحة . جاء صاحب هذه الرسالة ـ الكتاب ، ولم يكلف نفسه أى عناء يذكر ؛ وأخذ ينقل القصص ، والافكار ، والرؤية ، وبعض العبارات . ولم يفكر فى الاشارة إلى المرجع السابق ذكره إلا فى مسألة هامشية جداً خاصة بالقطع الشعرية التى كتبها محمود تيمور فى بداية حياته الأدبية .. تصوروا ! ! ! وقل مثل هذا فيما يتصل بحديثه عن محمود طاهر لاشين .

هل معنى هذا أنه لا جديد يذكر فى ٢٥٤ صفحة من القطع الكبير ؟ وأنه لا جهد ؟ وأن نصف صفحات الرسالة ـ الكتاب منقول منقول منقول ؟ ! وأنه تناول موضوعا قديماً ، وشخصيات درست من قبل ؟ وقصصاً سبق للآخرين أن حللوها

ونقدوها وقالوا رأيهم فيها ، وأنه لم يضف حرفاً ، ولا فكرة ، ولا منهجا ولا شخصية ، ولا قصة ، ولا مرحلة ؟ ! إننا - بالفعل - حتى الآن ؛ نكون قد انتهينا من قراءة النصف الأول من الرسالة ، دون أن نظفر بجديد يذكر . ألم يستوقف هذا نظر الأستاذ المشرف ، وكذلك الأساتذة المناقشين ؟ !

ثم يجيء دور الباب الثاني (الاتجاهات الواقعية في القصة المصرية القصيرة) فتجده ينتقل إلى مكان آخر للنيل منه ، والسطو عليه ، وانتهاكه . ذلك هو كتاب (اتجاهات القصة المصرية القصيرة) . حديثه عن العوامل التي ساعدت على ظهور الواقعية كاتجاه فني وأدبي تجده في رسالة (اتجاهات القصة المصرية القصيرة) الفصل الثاني الخاص بالواقعية وحركة المجتمع المصري . وتصنيفه للواقعية ، وتحديده مساراتها ، في صفحة ٢٦٦ منقول عن الكتاب المذكور في صفحة ٢٠٧ وما بعدها .

ولك أيها القارىء أن تتأمل قوله صـ ٢٦٤ : (ونخلص من كل هذا [ما هو كل هذا ؟ لا نعرف] إلى أن واقعيتنا العربية [انظر المصطلح] تختلف عن الواقعية المذهبية الأوربية [أي أوربية ؟ وفي أي بلد ؟ وأية مذهبية ؟] . فواقعيتنا العربية جاءت نتيجة مقتضيات العوامل البيئية ، وطبيعة التراث ، وطبيعة التطلع إلى مجتمع أفضل ولذلك عاشت متمازجة مع الاتجاهات الأخرى) ثم لك أن تتأمل قوله ص - ٢٢٦ : (إن القصة الواقعية لا تخلو من السبحات الرومانسية ، بل وإن القصة التجريبية ضرب من الواقعية ، مع اختلاف في طريقة المعالجة ، التي تقوم على تماوج الخطوط واختيار أشكال غير مألوفة) هكذا دون دليل واحد . وبلا استشهاد . يختلط الحابل بالنابل . وتنفتح السوق للجميع . ولتحدث المضاربة .

وإذا ما انتقلت معي أيها القارىء إلى (الواقعية التحليلية) صفحة ٣١٠ ؛ فإني استأذنك في أن تعود إلى رسالة (اتجاهات القصة المصرية القصيرة) المطبوعة في كتاب أصدرته دار المعارف ١٩٧٨ . وكنا قد اتفقنا على أن القسم الخاص بمحمود تيمور في الباب الأول منقول عن كتاب (تطور فن القصة القصيرة في مصر) . وها هو ذا يتناوله ككاتب تحليلي . مستفيدًا ومستغلًا ما أورده من قبل ذلك الكتاب تحت عنوان (تطور نحو الواقعية التحليلية) وهو يختم حديثه عن محمود تيمور . في جزء كبير كامل .

فيما يرتبط بموقف صاحب الرسالة - الكتاب ، من محمود البدوي ؛ فإني أرجو القارىء الجاد أن يعود الى كتاب (اتجاهات القصة المصرية القصيرة) من صفحة ٢١٧ إلى ٢٢٣ . ليجده قد استند إلى ما نشره هذا الكاتب في الصحف والمجلات . وهو اكثر من مائتي قصة قصيرة . وكان هذا الكتاب سباقاً إلى دراسة هذه الشخصية في رسالة جامعية .

نقل القصص

يجيء صاحب الرسالة - الكتاب ، التي بين أيدينا لينقل القصص ، والتحليل ، وطريقة التناول ، والأفكار ؛ مفتعلاً ومختلقاً عنواناً هو « الواقعية التحليلية » حتى يبعد عن نفسه مظنة السرقة . لأن كتاب (اتجاهات القصة المصرية



القصيرة) قد أطلق على قصص محمود البدوى مصطلح « الواقعية التعبيرية » أو الانطباعية . وشتان بين المصطلحين لكنها محاولة غير ذكية للافلات . إذ إنه فى كل حرف خطه عن محمود البدوى كان بتوجيه مباشر واع من كتاب (اتجاهات القصة المصرية القصيرة) .

الاكثر من هذا ، أن سعد حامد لم يتناول إلاّ فى كتاب (اتجاهات القصة المصرية القصيرة) باعتباره متأثراً بمحمود البدوى . فلا يعبأ صاحب الرسالة ـ الكتاب ؛ ولا يتورع عن الاشارةاليه بنفس الترتيب ، والفكرة ، ومعظم الكلمات والجمل ، بل إن الصفحة الأولى فى حديثه عن سعد حامد وهى صفحة ٣٣٩ منقولة عن (اتجاهات القصة المصرية القصيرة) صفحة ٢٢٣ .

تعال بعد إلى « الواقعية الاشتراكية » . وهذا الجزء ـ فى الحقيقة ـ تأكيد علنى لاخفاء فيه ، على أن صاحب هذه الرسالة ـ الكتاب ، لم يكلف نفسه عناء التفكير ، والبحث واعادة الصياغة . إنه اقتنص مادته جميعا ـ من كتاب (اتجاهات القصة المصرية القصيرة) . وكل الذى شغله وركز فيه جهده ، وحصر فيه كل اهتمامه ، أنه غير فى المصطلح كلمة واحدة . ظن أنها تبيح له الاستئثار بالفصل كله .

ففى كتاب (اتجاهات القصة المصرية القصيرة) فصل بعنوان (الواقعية الانحيازية) ـ وهو يعنى حقاً الواقعية الاشتراكية ـ لدواعى موضوعية وفكرية ، طرحها الكتاب استناداً إلى تفصيله لمثل هذه التفريعات داخل إطار الاتجاه الواقعى ككل . كل الذى فعله السيد الدكتور محمود الحسينى أنه كتب كلمة « اشتراكية » بدلا من « انحيازية » . انظر صفحتى ٢٥٠ ، ٢٥١ ، تجدهما وقد نقلتا عن كتاب (اتجاهات القصة المصرية القصيرة) دون تحريف أو تغيير علمى .

أما المثير للدهشة حقاً ، ما أورده فى صفحتى ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، حيث يقول : (فإننا نلاحظ فى كتابات الكثيرين **قبل عام ١٩٦١**ذلك الخط التقدمى الذى يتناول الطبقات الكادحة بكل فئاتها ، والتى تمثل العدد الاكبر من المجتمع المصرى والأشد معاناة وحرماناً) .

لماذا ١٩٦١ بالذات ؟ لسبب بسيط جداً ، هو أن كتاب (اتجاهات القصة المصرية القصيرة) جعل هذا العام نقطة يقف عندها . إذ وجد الدوافع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية التى دفعت المجتمع إلى التحول والانتقال . فوقف الكتاب عن القصص التى سبقت هذا العام ـ ذلك أنه ينطلق من رؤية اجتماعية واقتصادية واضحة تفسر الفكر والفن والادب فى ضوئها . وكانت القصة القصيرة هى الشكل الفنى القابل للتطبيق أما أن يأتى صاحب هذه الرسالة ـ (الاتجاهات الواقعية) ويقف عند ١٩٦١ دون مبررات يذكرها ، فى حين أنه أعلن فى عنوانه وعلى غلاف الكتاب الخارجى ، أنه سوف يدرس هذه الاتجاهات حتى سنة ١٩٨٠ ؛ فإنه أمر مثير للدهشة حقاً . لماذا ١٩٦١ عندك وأنت أعلنت أنك ستقف عند ١٩٨٠ ؟ !

فى صفحة ٢٥٢ يقول : (ويبرز من بين هذه الأسماء : سعد مكاوى فى مجموعاته السبع التى نشرها قبل ١٩٦١ ، خاصة فى مجموعته « الماء العكر » التى ظهرت الطبعة الأولى منها عام ١٩٥٦ . وعلى الدالى فى القصص التى نشرها فى الفترة من ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥ . واحمد عباس صالح فى الفترة ١٩٥٠ الى ١٩٥٩ ومحمد يسرى احمد فى قصصه التى نشرها فى الفترة ١٩٤٨ ـ ١٩٦٠ . واحمد رشدى صالح فى مجموعته (الزوجة الثانية) ١٩٥٥ ومحمد صدقى فى مجموعتيه (الانفار) ١٩٥٦ و(الايدى الخشنة) ١٩٥٨ . ونعمان عاشور فى مجموعة (حواديت عم فرج) ١٩٥٦ . وزكريا الحجاوى فى مجموعته (نهر البنفسج) ١٩٥٦ . ولطفى الخولى فى مجموعته (رجال وحديد) ١٩٥٥ . وابراهيم عبد الحميد ـ الصحيح عبد الحليم ـ فى مجموعته (ازمة كاتب) ١٩٥٦ ومحمود السعدنى فى مجموعته (جنة رضوان) ١٩٥٦ و(بنت مدارس) ١٩٥٦ .

هذه الأسماء ، وتلك المجموعات ، والتواريخ : مثبتة بنفس الترتيب فى كتاب (اتجاهات القصة المصرية القصيرة) . لأنه الدراسة النقدية الوحيدة التى حللت قصص هؤلاء . وأشارت اليهم ، ونبهت الى خطورة تيارهم واتجاههم الفنى وذلك فى صفحة ٢٥٧ . وثمة كتاب آخر هو (دليل القصة المصرية القصيرة) ، نقل عنه القصص المنشورة فى الصحف والمجلات ، مرتبة ترتيباً تاريخياً : وكذا المجموعات القصصية ، وتواريخ نشرها . ولم يذكر هذا الكتاب على الاطلاق . لا فى الهوامش ، ولا فى قائمة المراجع . وان كان قد نقل عنه بشكل سافر وفاضح لاخفاء فيه !

وجدير بالذكر انه لم يكن ليعرف ـ مجرد معرفة ـ هذه الأسماء لو أنه لم يرجع الى هذا الدليل .

سرقة بالجملة

وكل الذى ارجوه من القارىء الكريم ـ اى قارىء ـ أن يطلع على ما كتبه السيد الدكتور عن سعد مكاوى بدءاً من صفحة ٣٥٦ حتى صفحة ٣٦٢ وبالذات حول مجموعة (الماء العكر) . وما جاء فى كتاب (اتجاهات القصة المصرية القصيرة) عن سعد مكاوى صفحات ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

وما كتبه عن عبد الرحمن الشرقاوى حول مجموعته (أحلام صغيرة) وما جاء فى (اتجاهات القصة المصرية القصيرة) صفحات ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ .

ولينظر القارىء ـ اى قارىء ـ فيما كتبه عن عبد الرحمن الخميسى صفحات ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ وما جاء فى كتاب (اتجاهات القصة) قبل ذلك بأكثر من عشر سنوات وهى الرسالة التى أفردت ـ لأول مرة فى مصر ـ فصلاً خاصاً لدراسة عبد الرحمن الخميسى فى صفحات ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ ١٢٨ ـ ١٢٩ ـ ١٣٠ ـ ١٣١ ـ ١٣٢ ـ ١٣٣ ـ ١٣٤ ـ ١٢٥ ـ ١٣٦ ـ ١٣٧ ـ ١٣٨ ـ ١٣٩ ـ ماذا اقول ؟ هل اقول كما يقال فى المثل الشعبى (إلى اخشوا ماتوا !!!) .



نقرأ ما كتبه عن يوسف ادريس وكتاب (اتجاهات القصة المصرية) درس يوسف ادريس من خلال قصصه القصيرة التى أصدرها ونشرها قبل ١٩٦١ . ووصف واقعية يوسف ادريس بأنها **واقعية شمولية** .وهذا المصطلح اصطنعه الكتاب ، للتفريق بين منهجه واسلوبه ومعالجته ورؤيته : وبين أقرانه ومن سبقوه . يقول صاحب الرسالة التى بين أيدينا ص ـ ٣٥٢ : (ثم ما لبث هذا الاتجاه أن تحددت سماته وأخذ **الطابع الشمولي** معبراً عن القطاع العريض من الشعب عند يوسف ادريس وغيره) . ويقول مرة ثانية فى صفحة رقم ٣٥٥ (ثم تمثل لهذا الاتجاه بعد أن اكتمل وتبلور **وأخذ طابعه** الشمولي العريض عند يوسف ادريس) . ويقول ٣٥٣ مرة ثانية (وهذه القصص **التى سبقت ١٩٦١** والتى سبقت كتابات يوسف ادريس ، والقصص التى كتبها الكتاب بأنفسهم ، ممن استمروا فى الكتابة **بعد** عام **١٩٦١** وكذلك يوسف ادريس ، تشترك جميعاً فى خط واضح ، هو **الخط الاشتراكي التقدمي** ، وان كان عند يوسف ادريس **أكثر وضوحاً واتساعاً وشمولاً**) .

مازال مصرا على ١٩٦١ ، فيشير إلى ما قبلها دائماً . لأنه لا يريد أن يحيد عن كتاب (اتجاهات القصة المصرية) ولك أيها القارىء أن تقارن بين ما كتبه عن يوسف ادريس وما جاء فى (اتجاهات القصة) الذى نوقش كرسالة جامعية ١٩٧٠ ، ثم صدر فى كتاب ١٩٧٨ . وبالذات الصفحات من ٢٨٣ إلى ٣٠٥ . حتى المرجع الذى ورد فى صفحة ٢٨٦ . للدكتور شكرى عياد وهو كتاب (تجارب فى الأدب والنقد) تجده قد ورد عند صاحبنا فى صفحة ٢٨٣ . ما هذا ياسادة ياكرام ؟ !

اما ما أسماه **بالواقعية الفكرية** فانه هو نفسه الفصل الخاص بـ **(الاتجـاه الفكرى)** فى كتـاب (اتجاهات القصة المصرية القصيرة) . الذى تحدث عن محمد أبو المعاطى ابو النجا . وأيضاً ، كانت هذه هى المرة الأولى التى تتعرض فيها دراسة جامعية لهذا الكاتب الذى كان يعتبر من الشباب . ومصطفى محمود . وكانت **ايضاً** المرة الأولى التى يتناول فيها ككاتب قصة قصيرة . ثم توفيق الحكيم . ويوسف الشارونى . وادوار الخراط .

ماذا بعدئذ ؟ : من ١٨٩ : ٢٠١ منقول عن (تطور فن القصة) . ومن ٢٠١ : ٢٧٦ منقول عنه ، وعن آخرين غيره . ومن ٣١٠ : ٣٤٧ عن (تطور فن القصة) و (اتجاهات القصة المصرية القصيرة) . ومن ٣٤٨ : ٤٢١ عن (اتجاهات القصة) مباشرة . ومن ٤٢٩ : ٤٦٦ عنه أيضاً . بمعنى أن الباب الأول مأخوذ من (تطور فن القصة القصيرة فى مصر) ، وأن الباب الثانى مأخوذ عن (اتجاهات القصة المصرية القصيرة) وأن المؤشر الاصلى الذى حدد القصص ، وأماكن نشرها ، وتـواريخ النشـر ، واسماء الكتاب . كان كتاب (دليل القصة

المصرية القصيرة) الذى أغفل تماما .

أين جيل ما بعد ١٩٦١ ؟ أين ٥ يونيو ١٩٦٧ وتأثيرها في عدد من الكتاب الذين أصبحوا ذوى اتجاهات جديدة ؟ ثم اين انعكاس الحدث الكبير في ٦ اكتوبر ١٩٧٣ على القصة القصيرة ؟ وما بعد ١٩٧٣ حتى ١٩٨٠ ؟ لم تدرس الفترة من ١٩٦١ وحتى ١٩٨٠ . عشرون عاماً غيرت كثيراً ، وولدت اكثر . وعملت على التطوير والتجديد والابتكار . وشكلت فكرا وأراء وقيماً أخلاقية وفنية جديدة . كان من الممكن أن تقتصر دراسته على هذه الفترة القصيرة المشحونة . ويستطيع الباحث الجاد المسئول أن يقول الكثير من خلالها . لكن ! أن يقف عند ١٩٦١ ، وعند كتاب تناولتهم - بالتحديد - دراستان سابقتان ويتناول نفس الكتاب ، وذات القصص ، ويقول نفس الاحكام ، ويكرر الملاحظات بعينها ، وينقل المصطلحات بذاتها . فإن هذا هو الأمر الغريب . والا فما سر انه وقف محلك سر عند ١٩٦١ دون داع وبلا مبرر فني ؟

لقد وجد امامه رسالتين او كتابين يسرا له النقل والتقليد والمحاكاة .

الاتهام باق

وأغلب الظن أن صاحب هذه الرسالة - الكتاب ، ووجه بنقد متزايد من هنا أو من هناك أو من هنالك . بأنه لم يزد عن كونه لخص رسالتين لباحث سبقه . فكانت إجابته القاء باللوم على الأستاذ الذى أشرف علي رسالته . ادعى عليه بأنه حذف فصلاً كاملاً عن التيارات الحديثة في كتابة القصة . وقد اكد هذا الزعم من خلال حلقة من حلقات برنامج (مع النقاد) اذاعه البرنامج الثانى

ولا أظن أن الأستاذ المشرف كان من الغفلة ومن عدم الوعي . حتى يطلب إلى صاحب هذه الرسالة أن يحذف فصلاً يعرف جيداً أنه هو الفصل الوحيد الجديد . إذ تخلو صفحات الرسالة (٥٦٣) من كلمة جديدة . أو رأى جديد . أو موقف نقدى لم يسبق ! وإذا كان الأستاذ المشرف قد حذف هذا الفصل أثناء اعداد الرسالة : فلماذا لم يثبته ولم يطبعه صاحبها وقد أصبح بعيداً عن توجيه المشرف ؟ وبخاصة أن هناك من الفصول ما يتحتم حذفه ، واضافة هذا الفصل المزعوم . إنه افتراء مردود ؛ بل إني أحسب أنه لا أساس له . أمامه ٥٦٢ صفحة ، ثلاثة أرباعهالا جديد فيها ، ومنقولة : ولا داعي لها من الناحية العلمية والنقدية . ما الذى يضيره لو أنه استبدل فصولها المكررة بفصول تقدم أجيال ما بعد ١٩٦١ ؟ !

فلماذا هذا الاتهام إذن ؟ ولماذا إلقاء اللوم على الآخرين ؟

لكنهم جميعاً - في نظرى - مسئولون مسئولية مباشرة . إذ سمحوا لموضوع كهذا أن تعد فيه رسالة دكتوراه ، وهم أدرى الناس بما كتب فيه ، وبمن كتب عنه . فإن كانوا يعلمون - ومع ذلك سمحوا - فهى مصيبة . وإن لم يكونوا يعلمون - بحركة البحوث والدراسات والمؤلفات - فالمصيبة أعظم . وإن لم يكونوا قد قرءوا هذا وذاك : فقل على الجامعة السلام .

لماذا كل هذا ايتها الجامعة ؟. ولماذا كل هذا أيها الجامعيون ؟ وأين أنتم أيها الزملاء الأساتذة الأكرمون ؟ ! إن التاريخ لا ينسى . وذاكرة المجتمع لا تمحى والعقل العام صاح ويقظ وحى وموجود

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ، ١٢ عددا ، فى جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة تليفون ٢٠٦١٠ عشرة خطوط .



الأسعار

سوريا	٣٥٠	ق . س	غزة والضفة	٣٠	سنتا	اثينا	٨٠	دراخما
لبنان	٤٠٠	ق . ل	الصومال	٥٠	بنى	فيينا	٣٥	شلنا
الاردن	٤٠٠	فلس	داكار	٤٠٠	فرنك	فرانكفورت	٣,٥	مارك
الكويت	٤٥٠	فلسا	لاجوس	٦٠	بنى	كوبنهاجن	١٠	كرونات
العراق	١١٠٠	فلس	اسمرة	٤٥٠	سنتا	استوكهولم	١٤	كرونة
السعودية	٥	ريالات	اليمن الشمالية	٥	ريالات	كندا	٢٥٠	سنتا
السودان	٧٥٠	مليما	اديس ابابا	٤٥٠	سنتا	البرازيل	٣٥٠	سنتا
تونس	٦٥٠	مليما	باريس	١٠	فرنكات	نيويورك	٣٠٠	سنت
المغرب	٨٠٠	فرنك	لندن	١٠٠	بنس	لوس انجلوس	٣٠٠	سنت
الجزائر	٦٥٠	سنتا	ايطاليا	١٤٠٠	ليرة	استراليا	٤٠٠	سنت
الخليج	٤٥٠	فلسا	سويسرا	٣,٥	فرنكات	هولندا	٤	فلورين
						عدن	٢٥٠	فلسا


مصر للطيران
علم مصر في كل مكان
أكثر من
٥٠
سنة خبرة
مصر للطيران
في خدمتكم
أوربا - أفريقيا - آسيا
(البوينج ٧٦٧ - البوينج ٧٣٧ - البوينج ٧٠٧
الايرباص - الجامبو ٧٤٧)

شركة صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات

يسعدها أن تقدم لأول مرة
من حفلات الموسيقار الكبير فريد الأطرش ببيروت

أول لمسة

ارحمني وطمني / قالت لي بكره

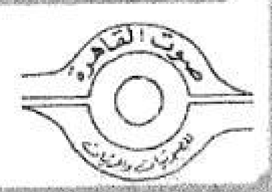
تلحين وغناء الموسيقار : فريد الاطرش
تأليف الأستاذ : حسين السيد

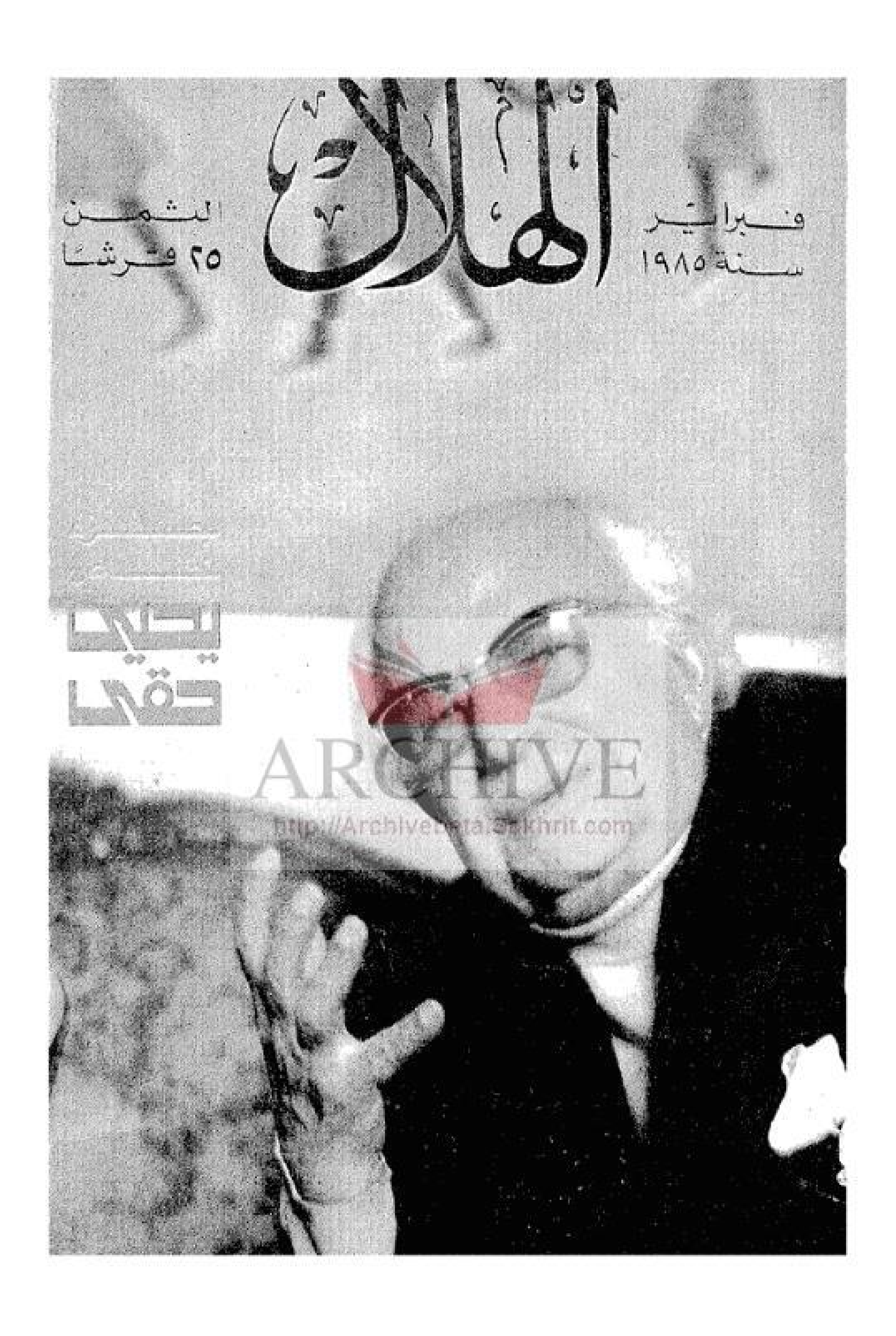
وتقدم طبعات جديدة من روائعه الخالدة

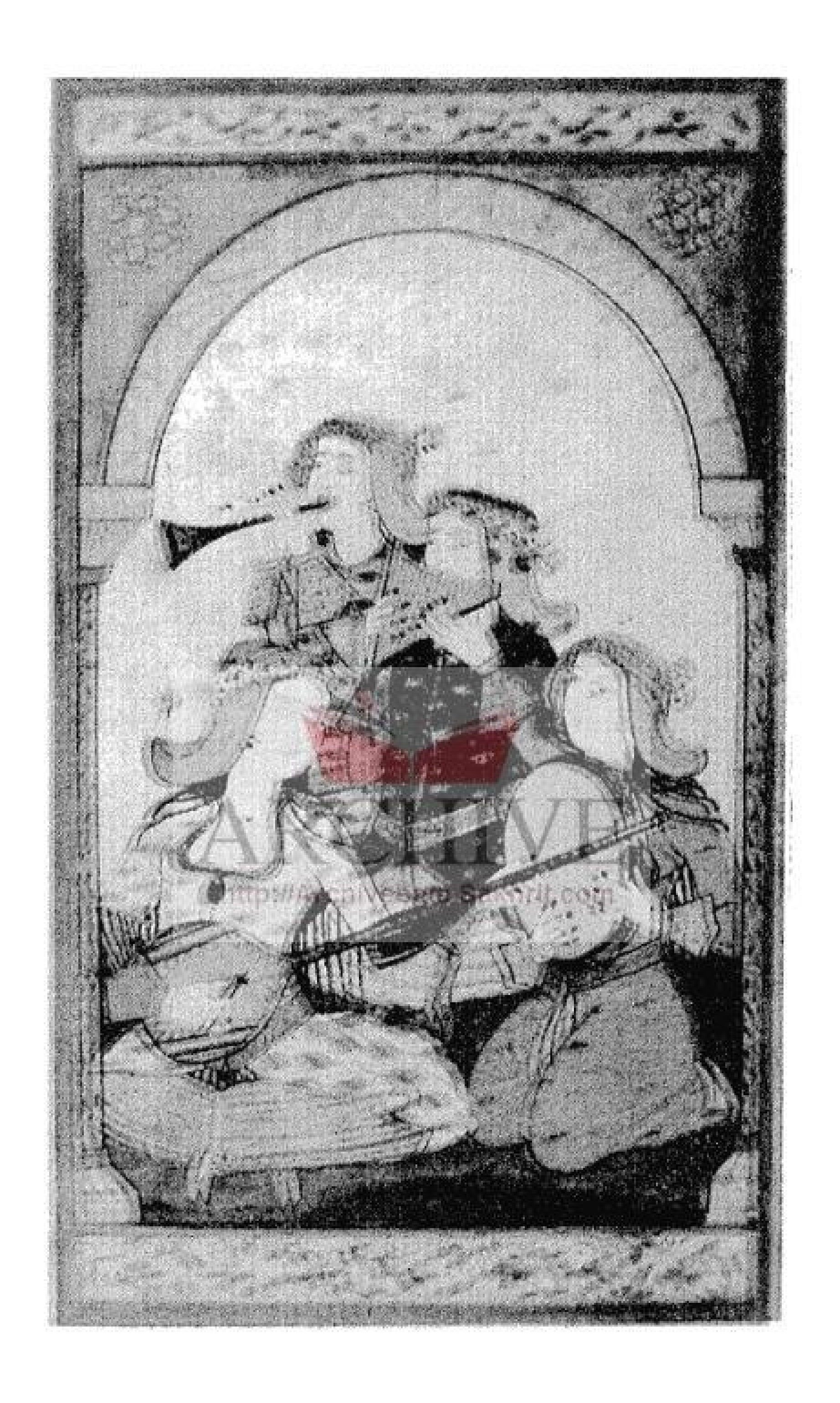
حفلة الربيع * يا قلبي يا مجروح
اتقل .. اتقل * سنة وسنتين * ياحبيبي طال غيابك
سألني الليل * لقا الأحبة * هلت ليالي
بقى عايز تنساني

تباع بفروع الشركة وجميع محلات بيع الكاسيت

من محلات شركة صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات
اتحاد الإذاعة والتليفزيون



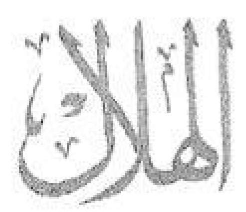

الهلال
فبراير
سنة ١٩٨٥
الثمن
٢٥ قرشا
يحيى
حقي
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



من روائع الفن الإسلامي

لوحة لعازفات الموسيقى من القرن الثامن عشر.
موجودة في اسطنبول بمتحف سراى طوب كابي





السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال .. أسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢
أول فبراير سنة ١٩٨٥ ـ ١١ جمادى الأولى ١٤٠٥

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المدير الفني
عادل ثابت

سكرتير التحرير
موسى عبيد



عن الفن والألوان
وبودلير: صفحة ١١٥



جزء خاص عن الكاتب
يحيى حقي من صفحة ٥١

فى هذا العدد

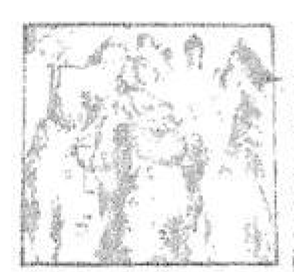
● فكــر وثقافــة ●

صفحـة

● جزء خاص عن الكاتب الكبير يحيى حقى ●



كليوباترا بين التاريخ والفن صفحة ٤٤



الهند: وخلافة راجيف وميلاد جديد صفحة ١٦٤



ام كلثوم في ذكراها العاشرة صفحة ٣٥

● الابواب الثابتة ●



«الهلال» بالنسبة للمجلات الثقافية فى العالم العربى الآن، يشبه الجد الأكبر، فهو أصل الأسرة الكبيرة، والكل أحفاده .. لكنه يزداد شبابا كلما ازداد المجتمعون حوله من الأولاد والأحفاد .. لايهرم ولا تتراكم عليه الأيام، بل يتقدمها بشبابه المتجدد فى كل آن .. ويظل طالعا كهلال السماء على الجيل بعد الجيل .. تتوالى الأجيال وهو جديد الضوء فى عيون كل جيل !.

لقد صدر «الهلال» منذ ثلاثة وتسعين عاما، وما فى المجلات العربية يومئذ مايشبهه أو يزاحمه فى مكانه، وبقى كذلك طوال عمره المديد، فصارت مجلداته الثلاثة والتسعون كأنها ثلاثة وتسعون مصباحا مضيئا فى الطريق الطويل للثقافة العربية والعالمية، وستزداد مصابيحه فى كل عام مصباحا جديدا إن شاء الله ..

نقول ذلك ولافخر ولامباهاة، فليست هذه سبيلنا، ولكن سبيلنا تقرير الحقيقة، وتعزيز المنهج، وتجديد الهدف، وتدعيم الأداة ..

ومنذ ثلاثين عاما أو أقل، كانت القاهرة ـ كما يعلم الجميع ـ مركز الاشعاع الثقافى فى عالمنا العربى، يتضوأ وحيدا منفردا كأنه منار فى البحر .. ثم تطور عالمنا العربى فتعددت مراكز إشعاعه الثقافى، وصدرت عنها صحف ومجلات متداولة من مشرقه إلى مغربه، فتواصلت بذلك الثقافة العربية المعاصرة، وشد بعضها بعضا، واستبحرت رسالة المثقفين العرب، واتسع طموحهم، وتضاعفت مسئولية «الهلال» بوصفه رائد المجلات الثقافية العربية، وصاحب التجربة الكبرى فى هذا المضمار ..

وفى المرحلة الراهنة يتضاعف اهتمام «الهلال» بإبراز وجه الثقافة المصرية والعربية، متمثلا فيما ينشره من إنتاج جيل

الأساتذة وجيل الشباب وجيل الناشئين كذلك ! .. وهي مهمة تقتضيه فتح الأبواب أمام اقلام كثيرة، ذات مستوى رفيع ناضج .. وقد كان " الهلال " دائما حريصا على هذا " التقليد " فلم يتخل عنه قط ، وإنه ليحاول في المرحلة الجديدة تعزيزه وتدعيمه ، أساساً لخدمة صحفية ثقافية متطورة متجددة ، تفصح رسائل قرائنا إلينا عن شدة رغبتهم فيها ..

غير أن ذلك كله إنما يتم ويكمل إذا احتوى كل عدد من « الهلال » على أكبر عدد من الأعمال والابداعات المتنوعة ، وهو مالايتيسر لنا إلا بأن يكون « الايجاز » وليس « الاطناب » هو أسلوب ماننشره .. فإنه لتصلنا احيانا مقالة او قصة أو قصيدة جيدة ، فلا نقوى على نشرها لانها تستغرق بضع عشرة صفحة من « الهلال » .. فنؤجل نشرها آسفين ، لأن الاستفتاءات التى أجريناها بين أجيال وفئات مختلفة من قرائنا ، أثبتت أن قارئنا يفضل المقالة التي لا تزيد عل ست صفحات ، والقصيدة التى لا تزيد على صفحة واحدة ، والقصة التى تقتصر على أربع صفحات أوخمس ، ولانستثنى من هذه القاعدة إلا المواد ذات الطابع الخاص ..

فليت أصدقاءنا الأدباء والشعراء والقاصين يذكرون ذلك وهم يتفضلون بالكتابة إلينا .

وقديما قيل : الايجاز نصف البلاغة ! .. ونحن نقول إن « الايجاز » يساعدنا على « الاسهاب » فى تقديم مادة غزيرة ذات الوان تلبى مطلب كل قارىء ، وتفسح المجال لأكبر عدد من الأقلام .. ولا نشك فى أن كلمتنا هذه ستكون رسالة محبة إلى أعزائنا الكتاب والشعراء ، تتجاوب لديهم بأطيب الأصداء.. فإنها منا نحن العاملين فى « الهلال » .. وهي قبل ذلك من أعزائنا القراء .. وإنما نحن والقراء والكتاب فى « الهلال » أسرة واحدة ! ..

المحرر



كيف وقعت المواجهة بين:
عمر مكرم ومحمد علي؟

بقلم الدكتور محمد عمارة

إختار عمر مكرم الزعيم الشعبي محمد على واليا على مصر . وما لبث محمد على ان شعر بخطر قيادة عمر مكرم على سلطته . وبدا رحلة إزاحته من طريقه . بعد ان رفض ان يلتقي بمحمد على في القلعة . فكيف تمكن محمد على من هزيمة تلك الزعامة الشعبية الشامخة .. انه مأزق القيادة الشعبية الذي يعالجه الدكتور عمارة ..

كان محمد على باشا [١١٨٤ ـ ١٢٦٥ هـ ـ ١٧٦٩ ـ ١٨٤٨ م] حاكما طموحا ..

وفي السنوات الأولى من ولايته على مصر كان ضيقه يتزايد من السلطة والسلطان اللذين يتمتع بهما الزعيم الشعبي السيد عمر مكرم [١١٦٨ ـ ١٢٣٧ هـ ـ ١٧٥٥ ـ ١٨٢٢ م] وكان يزيد من مخاوفه أن رسوخ زعامة عمر مكرم الشعبية قد جعلته « ركنا من أركان الدولة » فهو أكثر من زعيم شعبي .. إنه شريك في « السلطة » بإرادة الشعب ، وبتسليم من السلطان ! ثم إن عمر مكرم هو الذي تزعم سعى العلماء والأعيان لتولية محمد على على مصر ، ومن يملك سلطة « المنح » يملك سلطان « المنع » .

ولقد قرر محمد على باشا أن يزيح عمر مكرم من الطريق . واستقر تخطيطه على أن يكون ذلك « بواسطة » عدد من « العلماء » الذين كانوا زاهدين في السياسة ، أو حاسدين لعمر مكرم ، أو طامعين في إغراء محمد على ..



الزعيم الشعبي عمر مكرم



محمد على

ولقد أتاح تطور الأحداث ، في مصر ، لمحمد على أن يحقق ما أراد ! .. فالقيادة الشعبية ، التى ضمت كبار العلماء وشيوخ الأزهر مع السيد عمر مكرم ، قد أصاب جدار وحدتها شرخ كبير بعد يومين اثنين من ورود المرسوم السلطانى بتولية محمد على حكم مصر .. ذلك أن أغلب « المتعممين » ـ وفق تعبير الجبرتي قد اعتبروا أن مهمة هذه القيادة قد انتهت ! وأن على الشعب أن يلقى سلاحه ، تاركا الأمر كله لمحمد على وحده .. رأت الأغلبية من كبار الشيوخ ذلك ، وسعوا فى سبيله ، متصرفين الى مصالحهم الخاصة ، بل وطالبين من الوالى الجديد ثمن هذا الموقف الذى رفضه عمر مكرم .

انحاز معظم كبار الشيوخ الى محمد على ـ وكثير منهم كانوا قد تعاونوا من قبل ـ ضعفا وتجنبا « للفتنة » ـ مع « الحاكم » حتى عندما كان هذا « الحاكم » هو « بونابرت » [١٧٦٩ ـ ١٨٢١ م] أثناء احتلاله لمصر ؟ ! .. على حين وقف السيد عمر مكرم يومها مع جماهير الشعب ، فاتسق بذلك مع تاريخه . يحكى الجبرتى أحداث هذا الانشقاق الذى نفذ من ثغرته محمد على باشا فيقول : اجتمع الشيخ الشرقاوى ، والشيخ الأمير ، وغالب المتعممين ، وقالوا : إيش هذا الحال ؟ ! وما تداخلنا فى هذا الأمر والفتن ؟ ! ... واتفقوا أنهم يتباعدون عن الفتنة ـ [الثورة] ـ وينادون بالأمان ، وأن الناس يفتحون حوانيتهم ويجلسون بها ، وكذلك يفتحون أبواب الجامع الأزهر ويتقيدون بقراءة الدروس وحضور الطلبة . وركبوا الى محمد على ، وقالوا له : أنت صرت حاكم البلدة ، والرعية ليس لهم مقارشة ـ [مداخلة] ـ فى عزل الباشا ونزوله من القلعة ، وقد أتاك الأمر فنفذه كيف شئت . وأخبروه



برأيهم ، فأجابهم الى ذلك . وركب الأغا – [مندوبا عن محمد على] – وصُحْبته بعض المتعممين ، ونادوا فى المدينة بالأمن والأمان والبيع والشراء ، وأن الناس يتركون حمل الأسلحة بالنهار ، واذا وقع من بعض العسكر « قباحة » رفعوا امره الى محمد على ، وإن كان من الرعية رفعوه الى بيت السيد عمر النقيب ! ، واذا دخل الليل حملوا الاسلحة وسهروا فى اخطاطهم – [أحيائهم] – على العادة ، وتحفظوا على أماكنهم !

لقد نادوا بذلك فى الناس فى وقت كان الوالى المعزول خورشيد باشا لازال عاصيا متحصنا بالقلعة ، والجند يسعون فى البلاد فسادا .. لكن الناس لم يستجيبوا لهذا النداء .. وكما يقول الجبرتى : « ... ولما سمع الناس ذلك انكروه ، وقالوا : إيش هذا الكلام ؟ ! حينئذ تصير طعمة للعسكر بالنهار وغفراء بالليل ! .. والله لانترك حمل أسلحتنا ولانمتثل لهذا الكلام ولاهذه المناداة ! » ..

ولما أراد محمد على وضع هذا الكلام وهذا الأمر فى التطبيق ، وهم بنزع سلاح العامة نهارا حتى لايمتازوا به عن وضع الخفراء ! .. ونزل « الأغا » فألقى القبض على « بعض العامة المتسلحين وأخذ سلاحهم » ضج الناس بالشكوى ، وزحفت جموعهم الى دار السيد عمر مكرم ، فأخبرهم « بأن هذا الأمر على خلاف مراده ! » .

وأمام معارضة الشعب وقائده عمر مكرم لصيغة « الأمان » هذه ، تلك التى تقضى بنزع سلاح الشعب ، تعدلت الصيغة ، بحيث يبقى السلاح مع الناس نهارا وليلا ، وإن منعوا من الاستعراض به أثناء النهار .. ونادى المنادى بصيغة « الأمان » الجديدة والمعدلة فى اليوم التالى : الجمعة ٢٤ ربيع الأول سنة ١٢٢٠ هـ نادى « بالامان ، وفتح الحوانيت والبيع والشراء ، ولايرفعون معهم السلاح ، بل يجعلونه معهم فى حوانيتهم تحذرا من غدر العسكر » .. وفتحوا أبواب الجامع الأزهر ..

لكن سلوك كبار شيوخ الأزهر قد أحدث استرخاء أضر بالتعبئة الشعبية للجماهير .. فهم قد انصرفوا الى إلقاء دروسهم بالأزهر ، وألحوا على الناس كى يرموا أسلحتهم ، ففترت الهمم ، ورمى الكثيرون أسلحتهم ، فشمخ عليهم العسكر ، وشرعوا فى أذيتهم ، وتعرضوا لقتلهم وإضرارهم ! » . الأمر الذى جعل الناس – كما يقول الجبرتى – : « يسبون المشايخ ويشتمونهم لتخذيلهم إياهم ! » .. فلما تفاقمت تعديات الجند على الشعب ذهب الناس شاكين إلى السيد عمر مكرم ، فقال لهم : « اذهبوا إلى الشيخ الشرقاوى والشيخ الأمير ، فهما اللذان أمرا الناس برمى السلاح ! فلما زادت الشكوى نادوا فى الناس بالعودة الى حمل السلاح ! »

هكذا بدأ الشرخ الذى أصاب جدار القيادة الشعبية .. فالشيوخ الكبار قد رأوا أن الثورة قد انتهت مهامها بموافقة السلطان على تغيير الوالى ، ومن ثم فلا

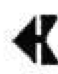
مكان لهم فى عالم السياسة ، ولاحظ لأن يحمل الناس السلاح .. والسلطة ، كل السلطة ، يجب أن تتركز فى يد الوالي .. أما عمر مكرم وأنصاره فقد كانوا يرون أن مهام الثورة لم تنته بعد ، فهى قد قامت ، لتجعل من الشعب ركنا من أركان السلطة والدولة ، وتلك مهمة مستمرة ، بل إنها لم تتبلور بعد ولم يستقر لها حال .. وهى قد نجحت فى أن تجعل ولاية الوالى غير مطلقة ، بل مقيدة ومشروطة ، فلقد كانت توليتهم لمحمد علي مشروطة « بسيره بالعدل ، وألا يفعل أمرا إلا بمشورته - أي مشورة السيد عمر مكرم - ومشورة العلماء ، وأنه متى خالف الشروط عزلوه ؟ ! » .. وتلك مهمة شاقة ، ودائمة ، تتطلب استمرار رقابة القوى الشعبية وقياداتها على الوالى وجهازه الجديد ..

كما أن فوضى الجند وتعدياتهم ، واستمرار عصيان الوالى التركى المعزول ، وتربص أمراء المماليك بالعاصمة وبالوالى الجديد .. جميعها مهام تجعل من تصفية الثورة ونزع سلاح الجماهير غباء يصل الى حد الانتحار ؟ !

★ ★ ★

لكن ... قضى الأمر ، وانشق جدار القيادة الشعبية ، لينفذ من ثغرته محمد على باشا ، الذى كان لايخفى نفوره من رغبة عمر مكرم جعل الشعب ركنا من اركان « السلطة والدولة » لأن عينه كانت على الهدف الذى قرر السعى لتحقيقه ، وهو : الانفراد بالسلطة ، وتصفية ثالوثها القديم .. فهو يريد جهاز دولة يأتمر بأمره وحده ، وعلى الجميع أن يطيعوا ، وأن يتحلوا « بالولاء » دون الطموح لمكانة « الشركاء » ! .. ذلك أنه كان يرى فى جهاز دولة من هذا القبيل السبيل الوحيد لبناء مجتمع مصرى عصرى ! .. ومن هنا بدأت الصراعات ، ومظاهر الشد والجذب بين محمد على وبين عمر مكرم .. بدأت حذرة ، وبالتدريج .. لكن الانشقاق الذى اصاب صفوف العلماء قد اتاح الفرصة الذهبية لمحمد على كى يضرب زعامة عمر مكرم بقفاز هؤلاء الشيوخ والعلماء ! ..

لقد سعى محمد على الى تنفيذ النهضة الاصلاحية التى كان يحلم بها كى تحول مصر الى امبراطورية ترث الدولة العثمانية . وكانت التشريعات والتنظيمات المالية والاقتصادية فى مقدمة أسباب الاحتكاك بينه وبين قيادة عمر مكرم .. فهو يفرض الضرائب كى يدفع رواتب الجند ويؤلف قلوبهم ويضمن انقيادهم .. والذين تفرض عليهم هذه الضرائب هم من الطوائف التى منحت ولاءها لقيادة عمر مكرم ، يذهبون اليه شاكين ، فيتدخل لرفعها أو تخفيفها ! .. وعندما اصطدمت الاصلاحات الاقتصادية ، بالملتزمين ، ونظام « الالتزام » ! - وهو الشكل الذى كان سائدا فى استغلال الأرض الزراعية - وقف عمر مكرم مع « الملتزمين » .. لأن « العائلات » كانت قوة من القوى التى تستند اليها زعامته .. فمحمد على يستند الى « الجند » والى « جهاز الدولة » على حين تستند زعامة عمر مكرم الى الطوائف وأهل الحرف والتجار والعائلات والعصبيات ! .. وهكذا حدثت المفارقة الغريبة والعجيبة .. فالثورة ، عندما افتقرت الى القوة المنظمة والمسلحة ، استعانت فى صراعها مع الوالى وجنده وجهاز دولته ، بكل من تناقضت مصالحهم





مع إنجازات النظام الجديد ، حتى ولو كانوا من أركان العهد القديم ! ولقد زاد من حدة هذه المفارقة أن الفكرة الاسلامية والرابطة الاسلامية عند السيد عمر مكرم قد جعلته ، وإن تناقض مع النمط العثمانى وعارضه ، إلا أن هذا التناقض وتلك المعارضة لم تصل الى درجة العداء ، على حين كان محمد على طامحا الى بناء نموذج جديد لمجتمع عصرى وحديث .. فوجدنا زعامة عمر مكرم لاتقف عند حدود الدفاع عن التجار وأصحاب الحرف ، بل وتدافع عن « الملتـزمين » .. وايضا « تغازل » أمراء المماليك ! لقد أرادت للشعب أن يكون ركنا وشريكا فى « السلطة والدولة » فجعلت همها الأول الحيلولة دون انفراد محمد على « بالسلطة والدولة » ومن ثم دافعت عن « الشركاء » .. ذلك هو المأزق الذى وقعت فيه هذه القيادة .. وتلك كانت مأساتها ؟! .. قوة ثورية ، تضطر حفاظا على وجودها ، الى موالاة أعدائها الحقيقيين ، على حين هى تعادى الذين يطمحـون الى تحقيق الاصلاحات الثورية ، بأسلوب علوى ، وبأدوات لاتقيم وزنا للشعب وقـواه الثائرة ! ! ..

وفى إطار هذا المأزق ، سار الصراع ، حذرا وتدريجيا ، بين محمد على وبين السيد عمر مكرم .. تلجأ إليه الطوائف ليخفف عنها قسوة ضـرائب النظام الجديد .. وتفزع اليه الجماهير كى يعبىء المقاومة المسلحة للغزو الانجليزى لميناء « رشيد » فيأمر الناس بحمل السلاح ، ويوقف دروس العلم بالأزهر ليشترك الطـلاب والشيـوخ « بـالجهـاد فى الانكليز » ..

وعندما تصاعدت معارضة السيد عمر مكرم لما فرضه محمد على من ضرائب ولما أحدثه فى الاقتصاد الزراعى من تغييرات ، جمع عمر مكرم المشايخ « وكتبوا عرضحالا الى الباشا يذكرون فيه المحدثات من المظالم والبدع وختـم الامتعـة ـ [تسجيلها نظير « دمغة »] وطلب مال الأوسية والرزق ، والمقاسمة فى مال الفائظ ـ [الذى كان الملتزمون يستصفونه لأنفسهم] ... وذلك بعد أن جلسوا مجلسا خاصا ، وتعاهدوا وتعاقدوا على الاتحاد وترك المنافرة ؟ ! » كما يقول الجبرتى .. وكثير من هؤلاء الشيوخ كانوا « ملتزمين » يتضررون من هذه الاجراءات التى أحدثها محمد على باشا ؟ ! ..

لكن عين محمد على كانت على الثغرة التى بدأت وبدت فى جدار القيادة الشعبية منذ أربع سنوات .. وكان النفاذ منها هو قراره لضرب القيادة الشعبية لعمر مكرم ، وتصفيتها حتى قبل تصفيته قوة المماليك ! .. لقد امتلك محمد على جندا منظما ، أو شبه منظم ، فتخلص من أحد الأخطار على سلطته المركزية المنفردة ، حان الوقت كى يتخلص من قيادة عمر مكرم ، عن طـريق كبـار الشيـوخ وبـواسطتهم .. وبعبـارة الجبـرتى : « ...فلقد أخذ الباشا يدبر فى تفريق جمعهم ، وخذلان السيد عمر مكرم ، لما فى نفسه منه من عدم إنفاذ أغراضه ، ومعارضته فى غالب الأمور ، ويخشى صولته ، ويعلم أن الرعية والعامة تحت

امره . إن شاء جمعهم وإن شاء فرقهم ، وهو الذى قام بنصره وساعده واعانه وجمع له الخاصة والعامة حتى ملّكه الاقليم ، ويرى انه إن شاء فعل بنقيض ذلك ؟ ! »

وطلب محمد على لقاء السيد عمر مكرم ، فرفض مقابلته والصعود إليه فى القلعة .. فلما ألح فى طلبه وافق على ان يلقاه شريطة أن يتم اللقاء فى بيت الشيخ السادات ، فازداد غضب محمد على ..

ولقد كان المأمول أن يحذو الشيوخ حذو السيد عمر مكرم ، فذلك هو تعاهدهم وتعاقدهم معه ، لكنهم أسرعوا فلبوا الدعوة التى وجهت اليهم للقاء محمد على بمنزل إبنه ابراهيم .. حضر القاضى والمشايخ .. وأحضروا شيخ السادات الوفائية ، والشيخ الشرقاوى .. وارسلوا للسيد عمر مكرم كى يحضر « للتحقيق » فيما بينه وبين محمد على ، فاعتذر عن عدم الحضور بتناوله دواء يمنعه من ذلك : فمضى محمد على فيما خططه ، واعلن خلع عمر مكرم من نقابة الأشراف ، وتولية الشيخ السادات مكانه ، وامر بنفيه من القاهرة فى ذات اليوم .. وتطوع من الشيوخ من تطوع لتهوين شأن السيد عمر مكرم ، والخوض فى حقه بل وكتبوا « محضرا » افتروا عليه فيه ، وطلب بعضهم إمهاله ثلاثة أيام ليصفى شئونه بالقاهرة ! ..

أما الرجل ، الذى فرض عليه النفى من قبل مرتين ، فإنه لم يجزع ، بل قال : الآن قد استرحت من هذا العبء ـ ولعله قد سعد للتخلص من المأزق الذى وقعت قيادته فيه ! لكنه طلب أن يكون نفيه إلى ارض لاسلطان عليها لمحمد على : بعد أن رفض محمد على ان تكون بلدته « اسيوط » هى منفاه ـ لكن محمد على رفض ان يجيب رغبته ، وخيره بين الاسكندرية وبين دمياط ، فاختار دمياط ..

وفى دمياط أمضى الرجل من سنة ١٨٠٩ م حتى ١٨١٢ م .. ثم انتقل الى مدينة طنطا فاقام بها حتى سنة ١٨١٨ م ، عندما تاقت نفسه أن يحج الى بيت الله الحرام . فاذن له محمد على ، وشفع اذنه بالثناء عليه ، والحديث عنه كوالد له ، وأمر بأن تكون عودته من الحجاز الى منزله بالقاهرة ، إيذانا بانتهاء نفيه ، حيث لم تعد اسبابه قائمة بعد استقرار السلطة والسلطان جميعها بيد محمد على .. فلما عاد السيد عمر مكرم الى منزله بالقاهرة ، احتفل به الناس اياما ، مدحه فيها الشعراء والأدباء ، ثم اعتكف فى داره عن لقاء الجمهور ! ..

فلما كانت فتنة من الفتن التى تعرض لها نظام محمد على باشا ، خشى أن يكون لعمر مكرم ضلع فيها ، فطلب اليه العودة الى منفاه فى طنطا سنة ١٨٢٢ م ، فلم يلبث بعد عودته اليها أن انتقل الى جوار ربه فيها ..

مات موتة الأسد الذى تحولت أخطاؤه هو وجرائم الآخرين نحوه الى أعواد قفص حبست فيه قوته حتى أصابها الذبول ؟ !

لكن .. هيهات أن يطوى الموت صفحة كهذه ، زاخرة بالأحلام النبيلة ، مليئة بالمساعى الحميدة ، تفيض ، أبدا ، على الذين يفقهون التاريخ ويبصرون مابه من عبر وعظات !

عندما يموت نصف سكان قارتنا.. جوعًا

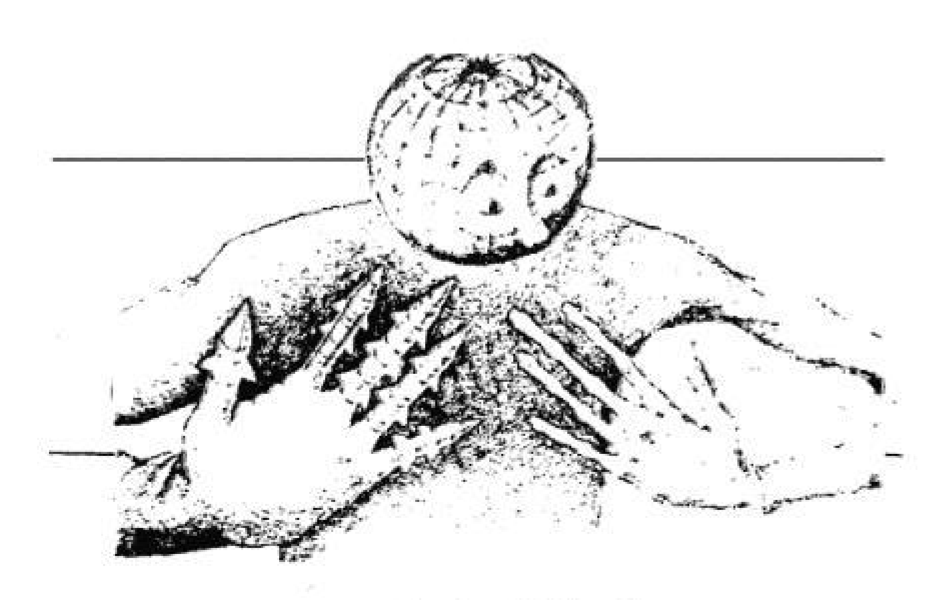
بقلم : عبد الرحمن شاكر

لاأعتقد أن جيلنا قد شهد ، أو قدر له أن يشهد موقفا أشد بشاعة ، وأدعى للحسرة والقنوط من الاحتمال الرهيب بأن يموت نصف القارة الأفريقية جوعا بسبب الجفاف ونقص الامطار هذا العام . مائة وخمسون مليونا من البشر يلفهم هذا الخطر الداهم ، وقد بدءوا فى . التساقط فعلا وازدادت معدلات الوفيات بينهم ، ناهيك عما يحيط بهم من عالم الاحياء فى تلك القارة البكر من نبات أو حيوان . انها اكبر كارثة إنسانية بكل المقاييس . ويكفى أن عدد المرشحين للموت جوعا فى تلك الكارثة يفوق عدد ضحايا الحرب العالمية الثانية !

وربما قيل إن هذه الكارثة لها أسباب طبيعية لايد لبنى الانسان فيها ، وربما قيل إنها كانت عرضة لأن تقع فى أى زمان ، وربما وقعت مثيلاتها فى العصور الماضية ولكن ذاكرتنا لاتعيها ، وأن سوء حظ جيلنا فحسب ، هو الذى جعلنا نشهدها . ومن بين عناصر سوء الحظ هذا أن أجهزة الاعلام المتطورة قد أصبحت تنقل كل شئ

ليس الأخبار والارقام وحدها مما تقوم بحصره أيضا أجهزة متطورة بدورها فى الاحصاء ، بل الصورة أيضا : الساكنة والمتحركة ، الصورة « الحية » لجهاز التليفزيون ، وإن كان ما تنقله هو أبشع مناظر الموت وهو يصيب بالجملة أشد المخلوقات براءة فى هذه الحياة : الألوف من الأطفال الأفارقة !

أجهزة الاعلام هذه هى التى تجعل الكارثة إنسانية من جميع الوجوه : الضحايا والمسئولية جميعا ، فهى تنقل هذه المعلومات والصور إلى إنسانية لديها على وجه اليقين ، القدرة على مواجهة تلك الكارثة ، ولكنها لاتتحرك ، أى على الاصح لاتتحرك بالقدر الكافى والذى يتفق مع طاقتها من جانب ، ومع حجم المأساة من جانب آخر . فقد قيل على سبيل المثال بالنسبة لأثيوبيا ، وهى من أبرز الدول التى أصابتها المجاعة : إن الجسر الجوى الذى أنشأته الدول المتقدمة لنقل الحبوب إليها قادر على أن يوصل اليها ما

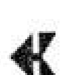


العالم - يد تكتظ بالسلاح - ويد تموت من الفقر

للرسام الفرنسي « بيم »

يحتاجه سكانها الجياع . ولكن المشكلة تكمن فى عدم كفاية وسائل النقل الداخلى من طرق وسيارات لايصال النجدة إلى هؤلاء السكان الجياع فى مناطق تركزهم . وأعتقد أن الدول المتقدمة تستطيع أن تتم « جميلها » لو أرادت ، بأن ترفق بالجسر الجوى أساطيل من طائرات الهليوكبتر تتولى تكملة النقص فى وسائل النقل البرية . وأعتقد أيضا أن لديها خبراء فى التموين من الجو على النحو الذى يتم به تموين الجيوش المحاربة والمحاصرة فى بعض الأحيان .

وليس ساسة الدول المصابة أو المهددة بالجوع بمنجاة من اللوم . إن عدد تلك الدول - على سبيل الحصر أيضا - هو واحد وعشرون دولة افريقية . وربما كان هذا العدد - فى حد ذاته - واحدا من أسباب الكارثة - فى « التحليل الأخير » . كما يقول بعض المناطقة ! فهذا التقسيم إلى « دول » أو أشباه دول فى الواقع . هو واحد من آثار العهد الاستعمارى الذى ضرب بجرانه قديما على القارة ، وتفنن قبل رحيله الظاهرى عنها ، أو رحيل جيوشه فحسب (بعض الدول الافريقية تعيد استدعاء تلك الجيوش حاليا للعودة للحفاظ على استقرارها) . أقول أن هذا التقسيم الذى تحرى فيه الاستعمار قبل رحيله . كل اختلاف يمكن أن يكون بين



عندما يموت
نصف سكان قارتنا .. جوعًا

سكان القارة . سواء من حيث القبيلة او اللهجة او الديانة ـ قديمة كانت او حديثة بفعل عمليات التبشير وما أشبه ـ لكى يصنع سببا تصبح به إفريقيا ـ جنوب الصحراء ـ نوعا من الفسيفاء الدولية العجيبة ، تصبح وهى اقل قارات العالم القديم من حيث عدد السكان ، أكثرها من حيث عدد الدول لم يكسب الأفارقة من ذلك إلا أصواتا تكاد تكون بلا فاعلية فى الأمم المتحدة ، فالعبرة فى تلك الهيئة . كما هو فى أى أمر من أمور السياسة ـ هى بقوة تلك الدول وليس بعددها . ولكى ترتب على كثرة عدد تلك « الدول » الافريقية أن أصبح من الضرورى أن يكون لكل منها « جيش » استكمالا للوجاهة الوطنية على الأقل ـ فضلا عن الحاجة إليه ـ أو مجرد الشعور بتلك الحاجة إزاء المنازعات التى تنشب بين الجيش والآخر ، بين هذه الدولة أو تلك وبين جارة لها ، الأمر الذى ترتب عليه ـ طبقا لمعلومات وإحصاءات أذيعت بمناسبة تلك المجاعة تقول له إن تلك الدول الافريقية (التى يماثل عددها الدول العربية السيئة الحظ بدورها من وجهة نظر أخرى ليس هذا مجالها) .. تقول تلك الاحصاءات إن ما انفقته تلك الدول المضروبة بالمجاعة على تسليح « جيوشها » يوازى اربعة أضعاف ما انفقته على خطط التنمية فيها ، بما فى ذلك التوسع فى الرقعة المنزرعة لكى توازى الزيـادة فى عدد السكـان ، واستخدام الموارد التى لم تستخدم بعد ، وبعضها كان من الممكن ان يكون احتياطيا لحالة نقص الأمطار وحدوث الجفاف ، مثل المياه الجوفية ، المترسبة فى أعماق تربة تلك الدول والتى تعتبر هى مخزونها الطبيعى من المياه ، المتراكم من فائض السنوات « السعيدة » التى يهبط فيها المطر مدراراً !

ذكرنا فحسب ، ما ينفق على تسليح الجيوش ونسبته إلى خطط التنمية التى تكاد تكون معدومة ، ولم نذكر حالات السفه ، التى تكاد تكون ظاهرة غالبة على بلدان العالم الثالث ، ومحدثى النعمة من حكامها ، فلم نذكر المستلزمات الأخرى « للـوجاهـة الوطنيـة » ، بـل البـذخ الشخصى ، الذى وصل إلى درجة الفضيحة فى بعض الحالات ، حينما كان أحد حكام افريقيا ، بل أحد « أبطالها » الوطنيين المشهورين ، يذهب إلى إحدى الدول الاوربية طالباً منها قرضا من أجل التنمية الاقتصادية فى بلاده ، فلا يفوته أن يتعاقد على شراء سيارة خاصة من طراز فاخر لايستعمله حكام تلك الدولة الأوربية ذاتها ، بل اكثر من ذلك يتعاقد على شراء سرير من الذهب الخالص ، ليستقبل عليه عروسه ذات البشـرة البيضاء ! ولكن الأمر اختلف الآن ، او استفحل ، فلم يعد مسألة مزيد فى التدهور الاقتصادى بهذه الدولة الافريقية أو تلك ، أو زيادة فى مديونيتها للدولة الأجنبية ، بل وصل الى حد تدهور أساس الحياة فيها ، إلى حد الموت جوعا بالنسبة للملايين من سكانها !

على أن لوم حكام الدول الافريقية المهددة بالمجاعة لايعنى إعفاء الدول المتقدمة وصانعى سياستها من مسئوليتهم التاريخية إزاء تلك الاوضاع ـ فتلك الدول باستعمارها القديم هى التى شكلت تقريبا تلك المجتمعات البائسة فى افريقيا ـ كما انها هى التى ادخلتها فى دائرة « الحضارة » كما يقال ، وعلمتها أن تستعمل منتجات تلك الحضارة من كل نوع بما فى ذلك السلاح المتطور ، وأحيانا تثير المنازعات بينها ، على سبيل ترويج هذا السلاح كسلعة تعود بالربح على منتجيه ، ممن تجاوزوه إلى أصناف أكثر تطورا ومن صالحهم الشخصى من مخزونه القديم بأى ثمن ! وكما ادخلتها فى دائرة سلاحها أو خلفها فى سلسلة مبادلتها التجارية من كل نوع ـ على نحو يجعل اقتصادها أشد تبعية مما كان عليه فى عهد الاستعمار الصريح ، إلى عهد ما يسمى بالاستعمار الجديد ، الذى يجرى فى ظله الانخفاض المستمر فى أسعار المواد الخام ـ كلها تقريبا فيما عدا البترول (الذى يجرى التآمر على أسعاره هو الآخر حاليا !) ـ مما تنتجه بلدان العالم الثالث ، إزاء الارتفاع المستمر فى أسعار السلع الصناعية التى تنتجها البلدان المتقدمة !

جانب آخر من مسئولية الدول المتقدمة .. « والعظميان » منها على وجه أخص ، الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى ، فى تنافسهما الذى لاينقطع على اجتذاب دول العالم الثالث ، إلى دائرة نفوذ إحداهما ، وسعى كل منهما إلى تصفية اتجاه عدم الانحياز الذى كان هو السياسة السائدة فى معظم البلدان ربما فيها الدول الافريقية الناشئة ـ من اجل إدخال هذه الدولة او تلك فى الخطط الاستراتيجية ، أو « الجيوبوليتيكية » لها . وبعض الدول الافريقية المصابة بالمجاعة الحالية ، قد ظفرت فى بعض الظروف « بالحظوة » السياسية لدى كلتى الدولتين العظميين مثل اثيوبيا أيضا ، التى أشرنا اليها فيما تقدم ـ فقد اتبع حكامها المعاصرون منذ سنوات المذهب الماركسى اللينينى وتلقوا العون الكبير من الاتحاد السوفييتى فى النواحى السياسية والعسكرية بما فى ذلك قمعهم للثورة الاريترية واحتفاظهم بجزء من أراضى الصومال ، وتهديد وحدة جارتهم السودان ، ولقيت تلك السياسة ارتياحا مماثلا فى الولايات المتحدة الامريكية ، لأنها أى اثيوبيا ـ كانت تساهم فى إحباط السياسة العربية فى إفريقيا وعلى البحر الأحمر تلك السياسة التى كانت تستهدف تحرير أراضى اريتريا والصومال وحماية البحر الأحمر باعتباره بحيرة عربية ، مما خلق نوعا من التحالف غير المعلن بين اثيوبيا والدولة الصهيونية ، الحليف الاستراتيجى للولايات المتحدة الأمريكية والتى سبقت اثيوبيا فى التمتع بوضع « الفتى المدلل » للدولتين العظميين ـ حينما ولدت عام ١٩٤٨ على أيديهما وبقرار منهما فى الأمم المتحدة !

ولاأدرى هل تتذكر المفاوضون من رجال الدولتين العظميين ، تلك « الفتى الافريقى المدلل » اثيوبيا فى خلال مفاوضاتهم الحالية حول السلاح النووى : هل يخفضونه أم يستزيدون منه بنقل التسابق فيه إلى أجواز الفضاء ! ! هل

عندما يموت نصف سكان قارتنا .. جوعًا

تذكروا ان جزءا يسيرا من التكنولوجيا الهائلة التى تملكها الدولتان تكفى لاستخراج كل المياه الجوفية من باطن الارض الافريقية لانقاذ أهلها من الجفاف ، فضلا عن نقل الأطعمة إلى هؤلاء الجياع فى افريقيا ولو بالصواريخ الموجهة !! (للعلم : الصواريخ فى حد ذاتها ليست إلا أدوات للنقل ، وإنما تصبح أسلحة حينما تحمل متفجرات نووية أو غير نووية !!)

أم تحسب الدول الكبرى أن أمر هؤلاء الجياع وما قد يصيبهم لايعنيها ، وأنا لاأتكلم هنا عن وطأة الكارثة لو تمت ، وهلك الملايين جوعا ، على الضمير الانسانى فى كل مكان حقا إن مثل تلك الكارثة كفيلة بأن تجعل عصرنا هذا أقبح العصور ، ولكننى أقصد المعنى الذى قصده برناردشو حينما كتب يقول : « إن الفقر هوة تحت أقدام المجتمع ، وليس من الضرورى أن يسقط فيها الفقير وحده »

كان يتكلم هنا عن مجتمع بمفرده كالمجتمع الانجليزى مثلا ، وكان قصده أن الفقر يولد الكثير من الأوبئة الاجتماعية ، بما فيها الجريمة ، التى قد يكون من ضحاياه ، وبالتالى من ضحايا أبيها الفقر ، أناس لم يكونوا فقراء ولكنهم تركوا الهوة تتسع وتتعمق تحت أقدام مجتمعهم دون أن يلقوا إليها بالا !

كذلك الحال فى المجتمع الانسانى الذى اصبح - شئنا أم ابينا - وحدة واحدة بحكم وسائل الاتصال وتطورها ، بنقل الافراد أو المعلومات . ومن طبيعة الأمور أن الجوع الافريقى لن تقتصر أثاره على البلدان التى أصابها فحسب ، فقد بدأ الجياع بالفعل يزحفون على الدول المجاورة لهم ، وأولها السودان ، الذى يعانى من الضائقة الاقتصادية ما يعانى ، بما يترتب على ذلك من آثار سياسية لاحدود لزعمائها .

على أنه لو هلك الملايين من أبناء القارة الافريقية جوعا - وليس من الضرورى أن يهلك الجميع - سواء (المائة والخمسون مليونا) كما تشير التقديرات المتشائمة أو (خمسة وثلاثون مليونا فقط) كما يتوقع المتفائلون (!) ، أقول لو هلكت بضعة ملايين فحسب ، ولم يحرك العالم ساكنا لانقاذهم ، فلا احد يدرى مقدار الحقد الذى يتولد فى نفوس إخوانهم فمن رآوهم يهلكون على هذا النحو أمام أعينهم ، على شيء يسمى بنى الانسان أو الحضارة الانسانية ، حيث يصبح الانتقام ، بنقل الكوارث على صورة أو أخرى إلى المجتمعات الهانئة وأبنائها شقاء للصدور المحنقة . وما حوادث الارهاب التى تفجرها بين الحين والآخر مشاعر من هذا النوع بسبب الشعور بالغبن السياسى وحده ببعيدة عن الأذهان ، وما أحسب موت الأهل جوعا اقل من ذلك شأنا فى تحريك الاحقاد ودواعى الانتقام !

أقوال معاصرة

● « إنى قلق جدا من انتشار التعصب والاهمال فى اسرائيل »

حاييم هرتزوج

الرئيس الاسرائيلى

● « لقد إختطفوا زوجى واثنين من ابنائى ، ومازلت أحرق يداى وأشارك فى حرق إطارات السيارات . يجب أن اعرف الحقيقة ، عندئذ أستطيع زرف دموعى ..»

إحدى أهالى المختطفين فى لبنان

● " ليس فى إمكان الطلبة معرفة مجتمعهم دون دراسة تراثه الثقافى "

ويليم بينيت

من رجال التعليم الأمريكى

● " الحديث عن تكلفة كل شىء لاينتهى ، أما الحديث عن قيمة اى شىء فما يكاد يبدأ حتى ينتهى .."

جيمس رستون

●" أيه محاولة للقضاء على الديمقراطية بالارهاب مالها الفشل "

مارجريت تاتشر

● " تعرف من منهم سيعيش ومن سيموت لدى النظر فى عيونهم فالمحتضرون إختفى من عيونهم النور .."

ممرضة فى أثيوبيا حيث المجاعة

تحصد الآف الأطفال

● " عظمنا من شأن اندروبوف ، والخطر الآن أن نقلل من شأن شيرنينكو .. "

ديمترى سايمز

الخبير الأمريكى فى الشئون السوفييتية

فرانز فانون
والثورة الجزائرية

بقلم : الدكتور محمود مرتضى

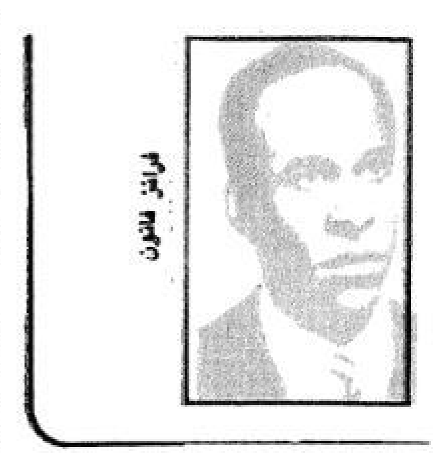
غدا فرانز فانون في أواخر حياته القصيرة يعبر عن مشاعر ملايين الناس ، فكان ينطق باسم المواطنين السود في جزر « الأنتيل » وباسم المناضلين الجزائريين وباسم جماهير القارة الأفريقية . فما أولانا اليوم نحن أبناء العالم الثالث ، وأبناء أفريقيا على وجه الخصوص من أن نستلهم أفكار هذا الثائر الملون ، ونتعرف عليها ونستثمر مضمونها ومعانيها ، من أجل إنجاح مسيرة شعوبنا صوب التحرر من كل ألوان السيطرة والتبعية ، ومن كل أشكال الفقر والاستغلال والظلم التي مازالت تنطوي عليها العلاقات الاجتماعية في بلداننا .

وربما كان حلول الذكرى الثلاثين لانطلاق كفاح الشعب الجزائري من أجل التحرر من السيطرة الاستعمارية ، يأتي كمناسبة طيبة نتعرف من خلالها على شخصية هذا المناضل الذي نذر حياته للدفاع عن أنبل القيم الانسانية في الحرية والكرامة والتقدم الاجتماعي .

بشرة سوداء واقنعة بيضاء

يظل دائما من الممكن تحديد الفئة أو الطبقة التي ينتسب اليها « فانون » من خلال ظروفه ومحيطه ، ولكن هذا التحديد لايمكن أن ينسحب على أفكاره وحياته والانسان الذي حوّل نفسه إليه ، لأن ثمة دائما مجالا للاختيار . ولقد كان الباب مفتوحا أمام « فانون » على مصراعيه ليلتحق بصفوف النخبة السوداء المنتسبة اجتماعيا الى الطبقة الوسطى ، وهوالاتجاه الذي كان نظام الاستعمار الفرنسي يتبناه ويغذيه على نحو مدروس ، ولكن بعض السجايا والقوة الشخصية المميزة للرجل ، دفعت به بعيدا عن الافادة من مهاراته ومنجزاته الشخصية الخاصة ، ذلك أنه غدا متمردا ثم ثوريا .

وإذا كان « فانون » قد جمع في حياته بين شخصية المناضل وشخصية العقائدي النظري ، إلا أننا يمكننا القول إن « فانون » بالرغم من أنه أصبح رجلا



مناضلا فى اثناء ثورة التحرير الجزائرية ، ومدافعا عن قضية تحرير افريقيا ، إلا ان ماانجزه فى مضمار النضال الميدانى لم يكن عملا بارزا ، ولكنه استند فى شهرته المتصاعدة الى كتاباته التى لم يقدر لها سعة الانتشار إلا بعد وفاته عام ١٩٦١ .

بيد أننا نستطيع التأكيد على انه أصبح فى أواخر حياته القصيرة ثوريا متصلبا .

لقد كانت تتملك « فانون » طيلة حياته مرارة التمييز العنصرى . وكان فى مطلع شبابه قد توهم أن فى وسعه أن يتغلب على حاجز اللون مستندا إلى ثقافته وطاقاته الشخصية . وهكذا تطوع فى اثناء الحرب العالمية الثانية للخدمة فى الجيش الفرنسى ، وأصبح يعيش فى اوربا منذ عام ١٩٤٤ . ودرس بعد ذلك الطب وعلم النفس فى جامعة « ليون » وبدأ يدرك ويحس ان الزنجى بصرف النظر عن مستواه العلمى والثقافى ، هو فى نظر الفرنسى زنجى قبل أى شىء آخر ، له مرتبة متدنية . وكتب « فانون فى كتابه « بشرة سوداء واقنعة بيضاء » يصف فى عبارة فذة ذلك الشعور فيقول « عندما اتحدث إلى من يحبوننى يقولون إنهم يحبوننى على الرغم من لونى ، وحينما اتحدث الى من يكرهوننى يعتذرون بأنهم لايكرهوننى بسبب لونى ، وفى كلتا الحالتين أجدنى حبيس الحلقة اللعينة ذاتها » .

ومن المعروف أن وجود الرجل الابيض فى مستعمرة يحكمها البيض ، إنما يقترن على الدوام بالسلطة والمكانة والثروة والتفوق ، ولايكون هذا الاقتران رمزيا ، بل هو يضرب بجذور عميقة داخل البنية الاجتماعية . وتلك كانت هى الحالة بالضبط فى « جزر المارتينيك » مسقط رأس « فانون » . وهكذا أصبحت ذروة طموح المواطن الأصلى هى أن يكتسب اكبر قدر من الفرنسة ، سواء كان ذلك من حيث اللغة أو التعليم او الثقافة أو حتى الدين . ومعروف أن مواطنى هذه الجزر يتحدرون من صلب العبيد السود الذين نقلوا من افريقيا للعمل فى مزارع السكر والبن ، وهو ماكان هؤلاء المواطنون يتمنون أن ينسوه ، وأن يعتقدوا أن سياسة فرنسا الرسمية مبنية على امتصاصهم دون الالتفات إلى لون بشرتهم .

ففى مدينة (فور دى فرانس) عاصمة « المارتينيك » ، كان مولد « فرانس فانون » إنه حفيد أولئك الرقيق الذين حملوا منذ قرون إلى جزر « الأنتيل » من افريقيا . وكانت « المارتينيك » تشكل مع « جزر الأنتيل الصغرى » منطقة شملتها



فرانز فانون والثورة الجزائرية

السيطرة الفرنسية منذ القرن السابع عشر (عام ١٦٢٥) ونظرا الى أن السكان الأصليين لهذه الجزر قد أبيدوا ، لأن الأوربيين كانوا يترفعون عن العمل فى مزارع قصب السكر ، فقد ازدهرت تجارة الرقيق لتزويد المستعمرين البيض بما يحتاجونه من أيد عاملة .

ظل ابناء الأفارقة الذين استقروا بالجزيرة يعانون من الاضطهاد ، ويقومون من حين لآخر بثورات تقمع بشدة ومع قيام الجمهورية الفرنسية الثالثة ، وظهور النظريات الاندماجية ، توقف ذلك التطور.

وخلال هذه الحقبة من حياة الجزيرة ، ولد « فانون » وكان ابوه موظفا بالجمارك ، وكان منصب الموظف فى بلد كالمارتينيك يعتبر وضعا أكثر امتيازا من العمل الزراعي ، ومع تردد « فانون » على المدرسة الفرنسية تحرر نفوره من اللهجة المحلية ، وانفتحت عيناه على القيم البيضاء ممثلة فى ابطال من أمثال « شارلمان » و « جان دارك » و « لامارتين » وهى نفس الشخصيات التى كانت دروس التاريخ الفرنسى فى جميع انحاء المستعمرات تفرض معرفتها على السكان الوطنيين .

وفى خارج المدرسة كان البيض ، وهم بضعة الاف من بين مائتى الف ، يفرضون سيطرتهم على الجزيرة ، فيمتلكون مزارعها ، ويتزوجون فيما بينهم ويتبادلون العون ، ويحتكرون أرباح صناعة السكر ، ويسيطرون على البنوك ومعظم التجارة ، لكن على الرغم من وجود ألوان متعددة من التمييز العنصرى فى جزر « الأنتيل » التابعة للاستعمار الفرنسى ، فقد نشأ ما يمكن ان يسمى (بورجوازية زنجية) وكانت هذه تبحث على الاندماج والذوبان فى الاطار الفرنسى اكثر مما تفكر فى الاستقلال الوطنى .

وإلى هذه الفئة كانت تنتمى اسرة « فانون » فقد تمكن خمسة من بين ثمانية أولاد – من ضمنهم فرانز – متابعة دراساتهم العليا فى الجامعات الفرنسية ، وهو امر له دلالته فى الكشف عن الوضع الاجتماعى لأسرة « فانون » .

مرحلة جديدة

ذلك هو الوضع الذى كان فانون يواصل خلاله دراسته الابتدائية ، وجزءا من دراسته الثانوية . ولكن هذا الوضع دخل عليه تغيير مع قيام الحرب العالمية الثانية ، بفعل وجود عدة عوامل وصفها فانون بشىء من التفصيل والاسهاب فى مقال نشر له بمجلة (الفكر) الفرنسية عام ١٩٥٥ ، وانتهى « فانون » فى مقاله الى التأكيد على أن « الأنتيلى » بعد عام ١٩٤٥ قد غيّر القيم التى كان يتمسك بها فبينما كانت نظراته قبل عام ١٩٣٩ تتركز على أوربا البيضاء ، وبينما كان التميز فى نظره هو الهروب خارج لونه ، اكتشف فى عام ١٩٤٥ أنه أسود ، بل واصبح يتطلع نحو أفريقيا البعيدة .

ولا شك أن « فانون » لم يكن وحده الذى أحس بهذا التغيير ، ولهذا سمح لنفسه بتعميم تجربته الذاتية على

« جزيرة المارتينيك » و « جزر الأنتيل » ويقول « الاستاذ محمد الميلى » فى كتابه القيم بعنوان « فرانز فانون والثورة الجزائرية » إن كل من يعرف فانون جيدا يكون قد لاحظ من غير شك حساسيته المرهفة ويضيف « الاستاذ الميلى » أنه لاشك فى أن تلك الحساسية البالغة هى التى دفعته الى أن يؤكد زنوجته فى وجه التمييز العنصرى الصارخ الذى ظهر بالمارتينيك مع سقوط « باريس » ويصرخ بتلك الزنوجة فى وجه البيض الذين توهم ، ذات يوم ، أنه مثلهم تماما .

وكما يحدث عادة عندما تتهدم المفاهيم والنظريات التى اعتادها الانسان ، راح « فانون » يتطلع إلى افريقيا ، وقد وضع فيها كل آماله . وقد عزز ذلك التطلع المشحون بعظيم الآمال ، تلك المغامرة التى اقدم عليها ، حيث كان يتابع دروسا عسكرية فى بجاية (الجزائرية) تؤهله ليكون ضابطا .

وباشر « فانون » مهمته الجديدة فى صفوف الجيش الفرنسى إلى أن أصيب بجراح فى معارك قرب الحدود السويسرية ، وعند نهاية الحرب العالمية الثانية كان « فانون » موجودا فى المانيا ، ثم غادرها عائدا إلى « المارتينيك » ليسهم فى حملة انتخابية تهدف الى انجاح « ايمى سيزير » ضمن قائمة المرشحين لأول مجلس وطنى للجمهورية الفرنسية الرابعة .

لكن « فانون » الذى حصل ـ بعد البكالوريا ـ على منحة دراسته العليا فى فرنسا نظرا للخدمات التى قدمها فى الحرب ، أصبح محتكا أكثر من أى وقت مضى بالثقافة الفرنسية . فلقد انخرط فى كلية الطب بمدينة « ليون » فى نفس الوقت الذى كان يتابع فيه دراسته الفلسفية وفى نفس الوقت الذى كان يتابع فيه هذه الدراسة الأخيرة ، كان العالم من حول « فانون » يواجه تغيرات هامة ففى محيطة المباشر ـ فرنسا ـ كانت القوى التقدمية تمر بفترة تقلص وتعرية فى الآن نفسه فبعد مجازر « سطيف » و « قالما » و « خراطة » بالجزائر ، والتى تتحمل مسئوليتها حكومة كان اليسار ممثلا فيها ، هاهى ذى عمليات القمع تنصب على العمال الفرنسيين انفسهم . وفى المحيط الاوروبى ، هاهى ذى الرجعية تسترجع مكانتها فى المانيا الغربية ، وهاهى ذى الحرب الباردة تأتى فى الوقت المناسب لتزييف المعركة بين قوى التقدم وقوى الاحتكارات وتجعلها تنغلق فى تصنيفات لاتفيد منها الجماهير .

أمام هذه التقلبات ، كان « فانون » ممزقا بين إيمانه بالمثل الانسانية المجردة ، وبين وضعه كفرنسى زنجى فراح يبحث واعتقد انه وجد مطلبه بالقرب من جماعات المثقفين فى دوائر اليسار التى كانت تجتمع حول (العصور الحديثة) لسارتر ، أو مجلة الفكر التى يشرف عليها « مونيى » أو مجلة (الحضور الأفريقى) التى انشأها « الان ديوب » ونتيجة لتأثير تلك التيارات الفلسفية والسياسية المختلفة فى فكره الغض ، تخلى فانون عن (السراب الأسود)وراح يبحث عن حل لمشكلته ، مشكلة الزنوج فى الاطار الفرنسى ، وبخوض الكفاح إلى جانب البروليتاريا الفرنسية ، على صعيد اليسار الفرنسى

فرانز فانون والثورة الجزائرية

الجنون والاستعمار الاجتماعي

لكن ذلك لم يصرفه تماما عن التوجه نحو افريقيا . فقد أنهى دراسته الطبية فى نهاية عام ١٩٥١ وبعد زيارة الى « المارتينيك » عاد إلى فرنسا حيث اشتغل فى مصحة مع الأسبانى « الدكتور توسكفيل » الذى أفاده فى ميدان العلاج الاجتماعى. واثر زواجه من فرنسية طلب من « سنجور » منصبا فى مستشفى إفريقى ، ولكن « سنجور » لم يجبه الى ذلك ، فقبل آنذاك بعرض من الولاية العامة للجزائر ، والتحق بمستشفى الامراض العقلية فى « البليدة » عام ١٩٥٣ ، الذى يعتبر اهم مستشفى من نوعه فى افريقيا .

هناك حاول أن يطبق طريقة « توسكفيل » فى العلاج الاجتماعى ولكنه اصطدم بصعوبات جمة ، لان الأساليب التى جربت مع الأوربيين لا يمكن أن تنجح هى نفسها مع مرضى جزائريين تختلف بيئتهم الاجتماعية عن البيئة الأوربية . وشيئا فشيئا اكتشف « فانون » أن هذا الاختلاف يرجع إلى عوامل وأوضاع سياسية . كما اكتشف عوامل الجنون التى ترجع إلى الوضع السياسى للسكان المحليين . اى اصناف المرض العقلى التى كان الاستعمار سببها .

وليس من المستبعد ـ كما يقول بحق « الاستاذ محمد الميلى » ان تكون تجربة « فانون » كطبيب نفسى فى الجزائر ، وخاصة بعد دراسته لحالات المرضى بعد قيام الثورة المسلحة ، قد كشفت له عن انسداد الطريق الفرنسى بالنسبة لحل المشاكل المتولدة عن الاستعمار وقد استخلص النتيجة من ذلك ، فكان انضمامه للثورة الجزائرية .

بعد انضمام « فانون » للثورة الجزائرية ، قدم استقالته عام ١٩٥٧ من رئاسة مستشفى الأمراض العقلية بالبليدة ، فى رسالة رائعة تبين وجهة نظره فى جريمة الاستعمار ضد الانسانية ، وظل يتابع نضاله الفكرى ، على صعيدين مختلفين ، فكان يواصل فى نطاق اختصاصه دراسته للحالات العامة ، كما كان بوصفه سياسيا ومناضلا ملتزما ، يعمل على توسيع ثقافته السياسية وتعميقها .

ويقول « الأستاذ الميلى » الذى لازمه فى تلك الفترة ، أنه عندما تفرغ « فانون » تفرغا كليا للعمل فى صحافة الثورة ـ وهى الأشهر التى قضاها فى « تطوان » ـ ضمن هيئة تحرير « المجاهد » بعيدا عن كل اتصال مع الخارج أو مع المهنة ، وبعيدا عن اسرته التى بقيت بتونس ، كانت معظم أوقات « فانون » موزعة بين القراءة والكتابة . ومع عودة « المجاهد » إلى تونس (أكتوبر ١٩٥٧) عاد « فانون » الى التوزع بين عمله فى صحافة الثورة وبين مهنته فى مستشفيات « تونس » وقد أمدته مهنته بملاحظات مهمة استخلصها من تتبعه لحالات المجاهدين الجزائريين الذين كانوا يحالون بعد إصابتهم على المستشفيات التونسية . وقد كانت حصيلة هذه الفترة هى كتاب « الثورة الجزائرية فى عامها الخامس »

وكانت الثورة الجزائرية عندما انضم ليها « فانون » قد تجاوزت النطاق لمحلى ، وأصبحت موضوع التعليقات لسياسية والدبلوماسية فى أنحاء العالم ، بخاصة فى البلدان الأفريقية .

وقد لمس « فانون » خلال اشتغاله بالمجاهد هذا الجانب فى الثورة الجزائرية ، وهو انفتاحها على أفريقيا ولاشك أن ذلك قد أعاد إلى ذهنه من جديد تلك المشكلة التى كانت قد واجهته فى خضم الحرب العالمية الثانية ، عندما عرف حقيقة (الخطأ الأبيض) وراح يبحث عن حل بديل فى الأصول الأفريقية البعيدة . ومع تطور الكفاح المسلح فى الجزائر وتطور رد الفعل الاستعمارى ضده ، تأكدت حقيقتان : التضامن الفعلى بين ألوان الاستعمار ومراكزه ، وضرورة التضامن بين الشعوب المضطهدة .

وفى الوقت الذى بدأت فيه بعض البلاد الافريقية تفكر فى استلهام التجربة الجزائرية لخوض غمار معركة مسلحة ، كانت الأجهزة الاستعمارية الفرنسية تعمل ليل نهار لفصم التضامن الطبيعى لأفريقيا السوداء مع الجزائر .

وفى غمرة هذا الصراع بدأت تتحدد معالم الطريق الافريقية للتحرر والوحدة .

ووجد « فانون » أن ما كان يبدو له بالأمس خيالا أو حلما دخل فى حيز الامكان ، وقد تأكد من ذلك عندما عهدت إليه الثورة الجزائرية بمهام معينة فى اقطار مختلفة من أفريقيا السوداء .

نهضة أفريقيا والعالم الثالث

وشيئا فشيئا بدأ يتضح تصور « فانون » لنهضة أفريقيا وانبعاثها ، وراح يستلهم ما عرفه من حاضر الثورة الجزائرية وما سمعه أو قرأه عن ماضى الحركة الوطنية فى الجزائر ، ليفهم على ضوئه التناقضات التى كانت تهز الاقطار الأفريقية .

وكان « فانون » فى ذلك الوقت قد عكف على العمل دون كلل أو ملل فى سبيل وحدة الوسيلة والهدف ، لاداخل افريقيا السوداء فحسب ، بل كذلك بين الدول الأفريقية الواقعة جنوبى الصحراء وبين الجزائر ، بل انه كان يدعو إلى ماهو أبعد من وحدة القارة السوداء ، إذ كان ينادى بوحدة العالم الثالث كله .

وقد تم أول اتصال لفانون بأفريقيا السوداء ، فى نطاق الثورة الجزائرية فى نهاية عام ١٩٥٨ عندما عين عضوا ضمن الوفد الجزائرى إلى المؤتمر الأفريقى المنعقد فى عاصمة « غانا » وهناك تعرف على « نكروما » وعلى « لومومبا » الذى كان يمثل الحركة الوطنية الكونجولية ، كما تعرف على « فيليكس مومبيى » رئيس اتحاد سكان « الكاميرون » كما اتصل بممثلى حركة استقلال « كينيا » وغيرهم من قادة النضال الأفريقى أنئذ . وفى عام ١٩٥٩ اتيح له الاتصال من جديد بممثلى الحركات الافريقية ضمن مؤتمر الشعوب الأفريقية المستقلة .

وفى خضم هذه المهام تبين « فانون » الميدان الواسع للمعركة ولمس تداخلاتها ، وتأكد أنه يشمل مجموع العالم الثالث ، حيث يعيش المسحوقون فى هذه الأرض مواجهين كل القوى

فرانز فانون والثورة الجزائرية

الاستعمارية والامبريالية فى العالم .

وراح « فانون » يتحدث فى مختلف مؤتمرات افريقيا وأنديتها بوصفه يعبر عن وجهة نظر الدبلوماسية الجزائرية . ولم يكن خلال ذلك يتوقف عن تدوين ملاحظاته ، على أمل أن تكون مادة لعمل فكرى أكثر منهجية . لكن المرض لم يمكنه من اتمام عمله كما كان يريد ، ومن التأكد من صحة كل ماسجله . لقد بدأ سباقه مع الموت ... لابد أن يقذف بأفكاره على الورق بسرعة قبل أن يلفظ نفسه الأخير ... إنه مالتفك يشعر بأن حياته يجب أن تكون وقفا على خدمة قضية ، فليكن آخر مايكتبه موجها إلى العالم الثالث ، حتى يفيد منه (معذبو الأرض) وكان ذلك بالفعل هو عنوان كتابه الأخير .

وكان « جنرال شال » الفرنسى ، يبث الألغام على حدود الجزائر مع كل من تونس والمغرب ، وذلك بغية منع تدفق الأمدادات على جيش التحرير الجزائرى داخل الولايات وفى عام ١٩٥٩ اصطدمت سيارة جيب كان يستقلها « فانون » بلغم على الحدود المغربية الجزائرية ، فأصيب « فانون » باثنى عشر كسرا فى سلسلته الفقرية ، صاحبها مضاعفات خطيرة ، فذهب إلى « روما » للعلاج الطبى . وينقل عن لسان صديقه الدكتور « برفيل جومنير » أن السيارة التى كانت تنقله من مطار « روما » إلى المدينة قد تعرضت لعمل تخريبى على يد أرهابيين استهدفوا قتله ، ولكن السيارة انفجرت قبل الموعد المحدد فقتلت طفلين كانا يلعبان فى الشارع . وبينما كان « فانون » فى مستشفى « روما » لاحظ أن إحدى الصحف أشارت إلى وجوده فى المستشفى فانتقل إلى غرفة أخرى . وفى تلك الليلة بالذات ، اندفع نحو الحجرة التى أخلاها عدد من المجرمين وأطلقوا النار على السرير الخالى .

ولكن بعد أن غدا الداء حادا ، انتكس « فانون » بعد تحسن ، فاضطر إلى السفر من الاتحاد السوفييتى وسويسرا ، حيث كان يعالج ، إلى « واشنطن » وهناك ترك وحيدا فى حجرته بأحد الفنادق طيلة عشرة أيام ، وانضمت إليه فيما بعد زوجته ونجله الذى كان يبلغ من العمر ستة أعوام فقط ، ولقد غير أطباء المستشفى دمه كله وصدر كتابه (معذبو الأرض) فى « باريس » وقرأته زوجته بنفسها عليه لدى صدوره . وعندما أصيب « فانون » بعد ذلك بإصابة حادة بذات الرئة ، لفظ أنفاسه الأخيرة فى شهر ديسمبر من عام ١٩٦١ وقام المجاهدون الجزائريون بنقل جسمانه بالطائرة إلى « تونس » ومن هناك اجتاز به المجاهدون الحدود إلى أرض الجزائر مكفنا بالعلم الجزائرى حيث ووري فى مقبرة تضم رفات شهداء جيش التحرير الجزائرى . وكان عمره آنذاك ستة وثلاثين عاما

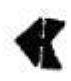


شعر : سليم الرافعي

أطلّي علينا يابنة الطهر صبْوةً
نعُدْ فلكاً في العبقرية ساعيا
ألستِ سماً في الشمس يستنهضُ الضُحا ؟
ويَسْقي رياحين الرُبا والأقاحيا
ألستِ شعار الوَرْد أبيضَ ناصعاً ؟
ألستِ مِزاجَ الورد أحمر قانيا ؟

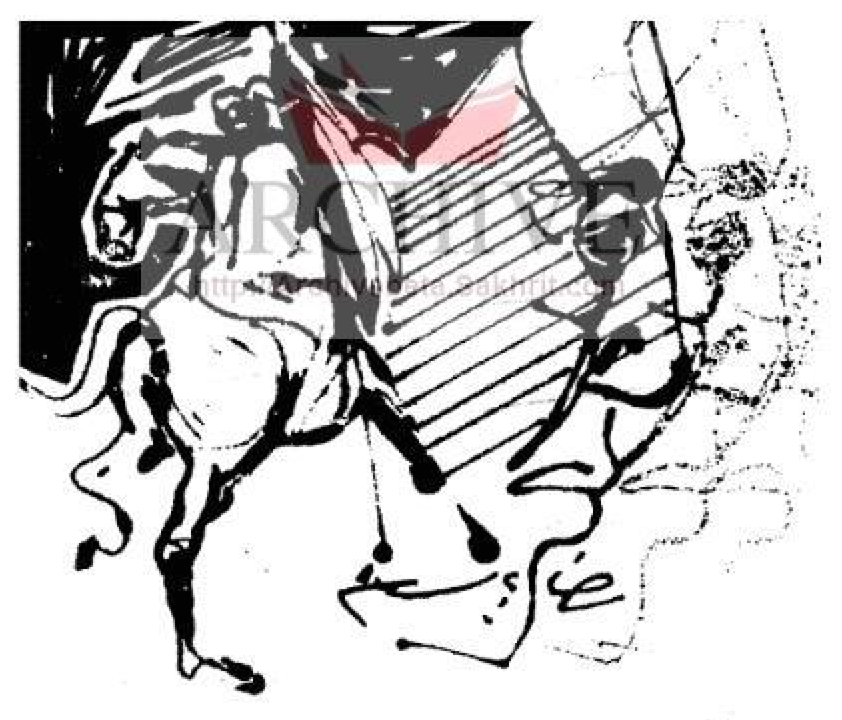
رأينا لك العرشين : عرشاً على الندى
وعرشاً أظلَّ المرهفاتِ المواضيا
ممالكُ خلف الغيب لاحت أشعةً
من القمم الشمّاءِ تكسو البواديا
مآذن تعلو في الوجود مُشيرةً
إلى المَثَل الأعلى تجلّي الرواسيا

صليلُ سيوف في الملاحم بشرت
بأنّ الهُدى والنصر فيك تآخيا
بأُغنيةٍ قدسية فوق واحة
تغنّى ربيع من شفاهكِ شاديا
عشيقة دهر لايملُّ تطلعاً
إلى قَدَر العُشّاق يرعى اللياليا
عشيقة أطيار الخلود تغرَّدت
لموعدك الأشهى تصوغ القوافيا



العروبة

تحرك هذا الكون منك مُعبِّراً
عن الشوق مَهْدِيّاً أو الشوق هاديا
ونادتْ شعوبُ الأرض: ياأمّ ترتجى
بحضنك من دِفْء الأمومة حانيا
مَعَدٌّ بن عدنانٍ ويعربُ فى العُلا
أقاما بمصْرٍ والحجازَ نواديا
وفى المغرب الأقصى تمُتّ إليهما
فوارسُ تقتادُ العتاق المذاكيا
حضارةُ بغداد تناجى حضارة
بأندلس من بُلْبلَين تناغِيا
لك الأرض يا أمّ البطولة مُهِّدت
لك الوعدُ يبنى الصالحات البواقيا



تكابدُ من ليلٍ وما في خيالنا
سوى الوحدة الكبرى تشقُّ الدياجيا
إذا قطراتُ الماء يوما تذكرتْ
غمائمها .. صارت سيولاً جواريا
وَمَنْ يُطفيء الذكرى إذا ما تجسَّدتْ
رأى الشعبُ فيها ماضِيَ الدهر آتيا
حذار من الذكرى .. أليست حقيقة ؟
أليستْ دُخانا يُضمِرُ الجمر ثاويا ؟
تُردِّدُ أمواجُ (المحيط) صهيلها
وتسمع (أوروبا) الأذان المتاليا
ويجرى صلاح الدين في خطراتها
وفي (عين جالوتٍ) تفيضُ أغانيا
تَمثّلت الذكرى (أميةَ) مالكا
ومُلكَ بني العباس قد عاد ثانيا
مغاويرَ حربٍ أو أفانينَ نهضة
يزيدُ بها الكونُ الجميلُ معانيا
وما وحّد الرأىَ الشعوبَ خطابةً
ولكنه السيفُ المجرَّدُ داميا
ولا أقدم الأبطالُ في حومة الوغى
إذا لم يُقبِسْ من تقدَّم فاديا
إليك تطلعنا بأمجاد ما مضى
نؤمّلُ أنْ نلقى من الغد ماضيا
فما افترستنا غابة من أسودها

ولكننا بالجَهْل صِرْنا أعاديا
قواريرُ من ضعفٍ تكسَّر بعضها
على بعضها .. والحقدُ يبدى المساويا
نوتْ روضةٌ يوما .. فقل خُطامُها
لقد مزَّقتْنا العاصفاتُ توازيا
فينسى حُطامُ الروض أنَّ جذوره
إذا رسختْ في الأرض عادتْ رَواسيا ؟

الـتـفـز عــــلى



كيف نموّل حربَ الفضاء؟

بقلم : دكتور شكرى محمد عياد

نحن شعب فقير يحاول بشق النفس أن يعيد بناء اقتصاده المتداعى .

ونحن شعب مسالم فرضت عليه الحرب أربع مرات فهو يسعى بكل سبيل علّه يصل إلى تحقيق سلام شريف عادل .

فأى مجنون يمكنه أن يفكر فى تمويل حرب فضائية ، إلا إذا كانت المسلسلات « العلمية » قد أفسدت مخه نهائياً ، اللهم إن هذا شىء لم يفكر فيه حتى الذين أبـرزوا « القـاهـر والظـافـر » فى الاستعـراضات العسكرية ، وسـربوا المعلومات عن قمر صناعى مصرى ، يشق طريقه قريبا ليسبح فى أجواز الفضاء ، ويغمز بعينيه لزملائه الروس والأمريكان .

فهل تصدقنى إذا قلت لك إن الحكاية ـ هذه المرة ـ ليست إشاعة ، ولامشروعاً ، ولاحلما ، وإنما هى حقيقة واقعة ؟

حقيقة واقعة ، ولو أنها غير معلنة . إنما يمكن الوصول إليها بضم عدد من الحقائق المعروفة بعضها إلى بعض . والمسألة لاتحتاج إلى ذكاء كبير ، وإليك البيان :

كل من يسير فى شوارع القاهرة هذه الأيام ، وكل من يهوى قراءة الاعلانات المعلقة على أعمدة النور ، وكل من يتسلى بمشاهدة الفترة الاعلانية فى التليفزيون (بعضهم يفضلها على البرامج العادية) ـ كل هؤلاء يعرفون أن فى البلد اليوم عدداً هائلاً من المصارف « المشتركة » وعدداً آخر لابأس به من المصارف الوطنية . وجميعها تفتح حسابات وتقبل ودائع بالعملات الحرة إلى جانب تعاملها بالجنيه المصرى . وإذا اتفق أن زرت واحدا من هذه المصارف

فسوف تدهش ولاشك لازدحامها بالمتعاملين ، وسوف تلاحظ أن معظم أصحاب الحسابات والودائع بالعملات الحرة هم من المصريين العاملين فى الخارج ، وهؤلاء يفضلون دائما أن يحتفظوا بودائعهم بالدولار ، فالدولار هو « غول » العملات ، أرباحه عاليه وسعره فى زيادة مستمرة .

ومعروف أيضاً - حتى للجهال أمثالى - أن أى مبلغ من العملات الحرة يثبت رسميا أنه أدخل إلى البلاد من الخارج ، فليس هناك مايمنع من إعادة إخراجه . وبناء على ذلك تستطيع هذه المصارف أن تعيد تصدير ودائع هؤلاء المصريين من الدولارات ، فتودعها - بدورها - فى مصارف عالمية ، وتجنى لنفسها أرباحاً ضخمة تكفى للمحافظة على أبهة مظهرها وأبهة موظفيها ، إلى جانب تعويض بعض الخسائر التى تتورط فيها ، وذلك من الفرق البسيط بين سعر الفائدة التى تدفعها إلى عميلها المصرى ، والسعر الذى تحصل عليه من المصرف العالمى .

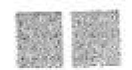
لم تكن الاغلبية الجاهلة - وأنا واحد

منها ـ تدرى شيئاً عن ذلك إلى ان قرأت عن نزاع أو شبه نزاع . او تظلم أو شبه تظلم . رفعته هذه المصارف ضد المصرف المركزى . الذى فاجأها بقانون يلزمها الا تقوم بهذه الايداعات إلا عن طريقه . ومع أن فهمنا بطىء فى المعاملات المالية ـ كثير من اجدادنا وقعوا فى مصيدة المرابى الأجنبى الذى استولى على ارضهم بكل لطف ـ فقد فهمنا على الأقل أن نظام « الترانزيت » للعملة الأجنبية سيخضع لبعض الضوابط . ثم كانت الفضيحة المالية المعروفة . فقرأنا بكل عناية قرار الاتهام الذى أعلنه المدعى الاشتراكى . وفهمنا أن من بين التهم : تصدير دولارات غير معروفة المصدر . واستنتجنا من ذلك أن الدولارات المعروفة المصدر . أى التى وردت من الخارج . لايزال من الممكن أن تصدر الى الخارج مرة أخرى على ايدى هذه المصارف نفسها . بعد استيفاء إجراءات معينة ـ يمكن أن تكون روتينية ـ لدى المصرف المركزى .

وهكذا استنتجنا أن قسماً ، غير معروف بالضبط ، من الدولارات التى يحولها المغتربون المصريون إلى مصارف قائمة فى مصر . تنتهى فى آخر المطاف إلى الاندماج فى سبيكة هائلة يسمونها سندات على الحكومة الاتحادية الأمريكية لدى بنك مورجان أو تشيس مانهاتن او .. او ... وهكذا يصبح الكادح المغترب المصرى دائناً للحكومة الأمريكية . والحكومة الأمريكية . لأنها دولة غنية تحكم بلاداً غنية . تدفع لهذا الكادح أرباحاً مجزية جداً عن رأسماله بينما يتحول رأسماله هذا ـ ربما ـ إلى مسمار ، بل قل إلى « فيوز » فى « كومبيوتر » هائل يجرى الحسابات الضرورية للحرب الفضائية .

هذه هى النتيجة التى تقوم كالعفريت فى وجه أى فرد منا نحن الأغلبية الجاهلة ـ حين يلتقط المعلومات المتناثرة عن المصارف والمال ويضم بعضها إلى بعض . ولكننا لانريد ان نقبلها كحقيقة . لأنها تبدو لنا أشبه بتخريفات كتاب « اللامعقول » . فأى عاقل يصدق أننا ـ كأفراد ـ دائنون لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية . فى حين أننا ـ كبلد ـ مدينون لكل حكومة او مصرف دولى أوغير دولى يرضى أن يقرضنا ؟ وأى عاقل يصدق أن أموالنا تساهم فى تجهيزات الحرب الفضائية فى حين أن بلادنا لاتزال تجاهد لانشاء صناعة حربية قوية على المستوى التقليدى ؟ وأى عاقل يصدق أن دولاراتنا تساعد فى رخاء امريكا . وحولنا الخراب يطل علينا بوجهه البشع من كل ناحية ؟

معذرة ياخبراء المال



والاقتصاد ـ وأعني المصريين لا الأجانب . لقد قلت في مفتتح هذا الحديث إني أتكلم عن حقيقة واقعة . ولكنني أول من يكذب هذه « الحقيقة » ، معتذراً عن سذاجتي وجهلي ، إذا تفضل أحدكم عليّ ببيان يصحح لي هذه المعلومات ، التي هي كل ما استطعت الوصول إليه .

ثم ـ لمزيد من السذاجة والجهل ـ اسمحوا لي أن أسألكم : هل تقتصر وظيفة هذه المصارف على أن تكون وسيطاً في المعاملات التجارية ، وممولا لمستوردي السلع الاستهلاكية ، أم أن لها وظيفة أهم من هاتين ، وهي أن توجه رأس المال الوطني الذي يتجمع لديها من مدخرات المصريين إلى توسيع قاعدة الزراعة والصناعة ، بقدر مايسمح به الأمان المصرفي المعروف ؟

وهل وجدت لتدعم القطاع الخاص ، ووجد القطاع الخاص ليدعم خطط التنمية ، أم وجدا معاً ليشيعا الفوضى في اقتصاد البلاد ، وليضيفا إلى بلادة القطاع العام وجموده وسوء إدارته ، انتهازية القطاع الخاص وجشعه وقصر نفسه ؟

وهل صحيح أن القطاع الخاص ومصارفه يعيشان ويزدهران على دفعات منتظمة من « نقل الدم » تتمثل في تحويلات المصريين العاملين في الخارج ، وماذا سيحدث لها عندما ينقطع هذا الوارد ، وهو بسبيله إلى الانقطاع التدريجي ؟

كم من هذه المصارف سيبقى هنا ، وكم منها سيعود إلى وطنه ؟ وكم من هؤلاء المليونيرات الجدد سيواصل العمل في مناخ اقتصادي مختلف ، وكم منهم سيفلس أو يعتزل ؟

اعذرونا في هذه الأسئلة البلهاء ، فنحن مصريون قلقون على مستقبل أولادنا ، وما نعلمه عن أمور المال والاقتصاد جد قليل ، وليتنا كنا أكثر علماً لنعرف كيف تحدثكم ، وليتكم كنتم أكثر تواضعاً لتحدثونا .

ولسنا نحن ـ معاذ الله ! ـ بالذين يجرءون على تشخيص أمراضنا الاقتصادية واقتراح الطرق لعلاجها ، فهذا فنكم وأنتم أربابه ولكننا ـ ونحن مرضى ـ نرى من واجبنا وحقنا أن نصف لكم أوجاعنا ، منتظرين من حكمتكم أن تعرفوا مكمن الداء وسر الدواء إننا نستصرخ ضميركم المهني فأجيبونا ، دون أن تهربوا إلى اللغة التكنوقراطية ، أو تختبئوا خلف « القرارات السياسية » .



بين الأنسب والأقوى

يقدمه :
د . السيد الجميلي

● على قلب رجل واحد ، تتوارد خواطر الناس وتتفق على سؤال واحد تقريبا على مختلف أحوالهم وأمراضهم لاسيما الحالات المعقدة المصحوبة بحالات نفسية كمضاعفات ، كالاكتئاب النفسي Psychic Depression وهذا السؤال المشهور :

● اكتب لي أقوى علاج يادكتور من فضلك ، فإذاما أعطيته عقاراً ما فيقول لطبيبه المعالج : هل هناك علاج أقوى من هذا ؟ ؟

ويغلب على الطبيب الحلم والرزانة والوقار فيوحي إلى مريضه بأن هذا هو العلاج الأقوى ، مع اقتناعه بعكس ذلك .

والفارق كبير جداً بين العلاج القوى والعلاج الأنسب ، ولكن ذلك لا يتم إلا بعد فحص وتمحيص وتقدير لعمر المريض وحالته ودرجة تطورها ومدى تأثر الأجهزة الأخرى ، وحالة الكبد والكلى والقلب من كفاءة أو قصور .

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً فإن أغلب حالات العدوى بالبلهارسيا SchistoSoma Mansoni التي بلغت مرحلة متقدمة Advamced Cases ودخل المريض في مضاعفات متطورة مثل تليف الكبد Bilhavzia , Cirrhosis أو الاستسقاء Ascitis عندما نقدم على علاج هذا الطفيل الخطير لا نجرؤ على استعمال الأدوية القوية الفتاكة مع الاستسقاء أو تليف الكبد وتلف خلاياه لأننا بذلك نضع المريض في مأزق ضيق ومجال حرج قد يعجل بأجله وفي العادة نعطيه نصف الجرعة العادية من مضادات البلهارسيا في ضعف الفترة الزمنية أو أكثر منها قليلاً مع دقة المباشرة الطبية Strict medici / Supervision من فحص القلب والكبد والكلى وضغط الدم والنبض .

وليس ثمة أعظم ولا أجل من ترك الاختيار الى الطبيب المعالج نفسه وعدم الالحاح عليه فإنه حريص على ما ينفع مريضه وهذا ما نرجوه وندأب عليه ،ونجد في طلبه .



بقلم : كمال النجمى



للمطرب والملحن الكبير محمد عبد الوهاب كلمات ثاقبة عن الأصوات الغنائية الجميلة ، تدل على تعمقه فى معرفتها وتذوقها وحبها .. فمن ذلك قوله عن ام كلثوم : إن صوتها ينحدر من سلالة أصوات ملكية عريقة توارثت جمال النبرات ! ..

والآن ، بعد انقضاء عشر سنوات على رحيل أم كلثوم ، نتامل ماغنت لنا خلال ستين عاما ، فيخيل إلينا أنه كان فى سالف الزمان سلالة نادرة من الأصوات الراقية ، خصت بالجمال والكمال منذ القدم ، وتوارثتهما صوتا عن صوت ، حتى اجتمع واكتمل الجمال كله فى صوت واحد ، هو أرقاها واقواها ، وابهرها معدنا ، واكملها أوتاراً ، وانفذها إلى قلوب الناس أجمعين ، فكان صوت أم كلثوم ! ..



كأنه ـ فى نظرنا ـ من غير المعقول أن يكون هذا الصوت العبقرى العجيب قد نشأ عصاميا بدون تمهيد طويل من أسلافه استغرق أجيالا ، سبقته خلالها أسرة من الأصوات الملوكية توارثت حناجرها الروعة والجمال والرقة والعذوبة والجزالة والفخامة والجاذبية ، وكل صفة باهرة منتقاه على امتداد التاريخ ! ..

ويحار السامع فى صوت أم كلثوم ! ..

كيف تنطلق منه هذه الروعة كلها ، بهذه السهولة المعجزة ، فى كل لحن يؤديه ، على اختلاف الألحان ؟ ! ..

والحق أن الروعة والجمال والسحر فى صوتها ، فوق التعريف والتحديد .. وليس التحليل العلمى بقادر فى هذا المجال إلا على شرح ظواهر الصوت فحسب ، أما الوجد الذى يأخذ بالقلوب من أثر الصوت ، فذلك مالا سبيل إلى شرحه علميا أو فنيا ، على تعدد الأجهزة الحديثة ، والقدرة الخارقة التى يبديها الكمبيوتر فى النفاذ إلى الأسرار .. كأنما كان الشاعر الكبير ابن الرومى يصف أم كلثوم حين قال :

يسهل القول إنها أحسن الأشياء

طرا ، ويصعب التحديد

فمن السهل ـ فنيا وعلميا ـ أن نصف صوتها ، ونعرف القسم الذى ينتمى إليه من أقسام الأصوات النسائية الثلاثة كما حددها الأوربيون : السوبرانو ، والميتسوسوبرانو ، والالتو ..

ومن الممكن أن نقيس أبعاده الممتدة على قسمين من هذه الأقسام ، أو على ثلاثتها جميعا .. ونعرف كم مقاما تمتد على هذا القسم ، وكم مقاما تمتد على القسم الآخر ..

ولكن سر الجمال والروعة والجاذبية فى هذا الصوت يبقى بعد ذلك فوق كل تحليل وتفسير ، فإن جماله وروعته وجاذبيته لاتنبع من ضخامته أو اتساع مساحته أو نفاسة معدنه فقط ، بل من روح خاصة تكمن فى أوتاره ، تحار فيها الأفهام ، ولكنها شفاء وغذاء للقلوب والأرواح والنفوس والأذواق !..

ولاجدال فى أن التدريب قد صقل هذه الروح الساحرة ، كما يصقل التدريب روح الصوفى العابد الزاهد ..

ولاشك فى أن التدريب والصقل يقدمانها إلى القلوب والاسماع في انقى صورة ، ولكن سرها يبقى خافيا على كل تحليل وتعليل ، وإن تسرب خلال القلوب كأنه فلذة منها ، أو دم يجرى فيها ..

فماذا يستطيع العلم والفن أن يقولا فى صوت أم كلثوم ؟ !..

إن صوتها فى نشأته الأولى ـ كما نسمعه فى الاسطوانات التى سجلت فى العشرينيات ـ كان يمتد على القسمين الأول والثانى من أقسام الأصوات النسائية الثلاثة ، وهما السوبرانو والميتسو سوبرانو ، ويسمى مجمع اللغة العربية هذين القسمين فى مصطلحات العربية : « الرنان » و« الندى الأول » ..

ويرى المتابعون لتطور صوت أم كلثوم انه كان يبلغ فى أعلى جوابه القسم الأول ،المسمى " الرنان " أو السوبرانو .

ولكن ذلك كان فى العشرينيات وأم كلثوم يومئذ فى مرحلة الدربة والتكوين فكأنما كان بلوغ صوتها هذا القسم العالى الرنين ، لونا من التدريبات الصوتية .. فلما اكتملت تدريبا وتكوينا أخذ صوتها يستقر تدريجيا على القسمين الثانى والثالث ،وهما أغلظ نبرات من القسم الأول ..

والتقسيمات الصوتية النسائية الثلاثة ، تقابلها تقسيمات ثلاثة للأصوات الرجالية هى : التينور والباريتون والباص ..

وهذه التقسيمات كلها تقوم على الفروق بين الأصوات فى حدة النبرات أو غلظها ، وفى سرعة الذبذبات أو بطئها ، أو توسطها بين الحدة والغلظ ..

ولكنها تقسيمات عامة فضفاضة تحتاج دائما إلى تخصيص فى كل صوت على حدة ، فليست كل الأصوات التى تنتمى إلى قسم معين ، تكون على درجة واحدة من القوة أو الرنين أو الجمال أو الصفات الفنية الأخرى التي تتنوع إلى حد لايمكن حصره فى هذه الدنيا التى يسكنها ألوف الملايين من الناس ..

وكل صوت يمتد على مساحة خاصة فى القسم الذى يشغله ، وقلما نجد صوتا يمتد على ثلاثة أقسام وتكون مقاماته متناسقة متناسبة ..

وإن لنا تحفظات لامحيد عنها بصدد قياس الأصوات العربية الطبيعية « غير المستعارة » .. بهذا المقياس الأوربى الذى ينطبق أتوماتيكيا على الأصوات الأوبرالية مثلا ، وكلها أصوات مستعارة خلقها تدريب «عسكرى» خاص يختلف اختلافا جوهريا عن تدريب الأصوات فى الغناء العربى .. ولاتصلح للغناء العربى جملة وتفصيلا

ولكنا نرى فى الوقت نفسه أن ذلك لايعنى أنه لا لقاء بين الغناء الأوربى والغناء العربى . فإن اللقاء ممكن بشروطه الصحيحة . حتى إن تدريب مطربى الأوبرا ومطرباتها على الغناء العربى وبالألحان ذات الأرباع الصوتية ليس مستحيلا .. لكن المشكلة أن القائمين على شئون الغناء والموسيقى فى بلادنا – أعنى بعض الرسميين منهم – لايتفهمون الغناء العربى ولايحترمونه ، وينظرون إليه متعالين مزدرين غير معترفين به ! ..

ومن الممكن الوقوف على أرض مشتركة ، أو على قطعة مشتركة من الأرض ، بين الغناء العربى بأصوله الكلاسيكية ، والغناء الأوربى الكلاسيكى – فضلا عن الغناء الحديث – بلا خوف من تشويه الأصوات العربية تشويها يؤذى أسماع العرب وأسماع الأوربيين أيضا ! ..

والصوت الأمثل فى رأينا هو الصوت الذى يتم تدريبه طويلا على أصول الغناء العربى فإذا أجادها ووعاها وتعشقها وتعلق بها ، أصاب من التدريب على أصول الغناء الأوربى ماشاء ، دون أن يتحيف صوته العربى ..

ويمكن أن يقال إن أم كلثوم تلقت جانبا من التدريب على بعض الطرائق الأوربية فى الغناء ، ولكن التقريب بين الأصول فى الغناء العربى والغناء الأوربى ، يشبه فى صعوبته التقريب بين المذاهب الدينية ، ومع ذلك لاينقطع أصحاب هذه المذاهب عن التحاور والتزاور .

وقد اتفق الموسيقيون منذ سمعوا أم كلثوم على أن صوتها يمتد على مساحة ديوانين ثم يمس بداية الديوان الثالث .والديوان هو مجموع درجات موسيقية فى الصوت أو الآلة الموسيقية على اختلاف الأصوات والآلات . وقد غنت أم كلثوم على هذه المساحة الشاسعة ألحانا كثيرة لمحمد القصبجى وزكريا أحمد ورياض السنباطى ..

إلا أن هذه أيضا طريقة أوربية فى القياس . والأصح فى رأينا قياس الصوت العربى بالمقامات التى ينهض بها قرارا وجوابا ، ومابينهما ، على مقتضى أصول الغناء العربى .

هذه الطريقة تتيح لنا أن نقول إن صوت أم كلثوم كان يمتد سبعة عشر مقاما ، ثم

اخذ يميل إلى «التركز» فى نبراته ودرجاته حتى استقر فى الأربعينيات على ستة عشر أو خمسة عشر مقاما ، ثم ازداد تركيزا فى الستينيات عندما ساعدها«الميكروفون» فكانت ربما غنت على مساحة ديوان واحد فى كثير من الاغانى ، أى مالايزيد على ثمانية مقامات ، ولكن هذه المساحة الصغيرة ـ نسبيا ـ كانت غنية بألوان من الجمال الصوتى تبعث الطرب والدهشة والفرح !..

ولاننكر ان الميكروفون قد لعب دورا جوهريا فى الغناء الحديث فلولاه لكان لزاما على أم كلثوم ان تغنى بملء صوتها فى حضور جمهور يعد بالألوف ، كما سمعناها ورأيناها فى الثلاثينيات والأربعينيات .. ولم يكن هذا مستطاعا فى السنوات الأخيرة من حياتها ، وقد غنت فى هذه السنوات طائفة من أبدع اغانيها ..

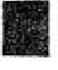
على ان صوت أم كلثوم لم يكن يزيده الميكروفون جمالا مصطنعا أو زائفا ، بل كان يقربه إلى اذان المستمعين لاأكثر .. وقد جمع الميكروفون حول أم كلثوم أسماع العرب من المحيط إلى الخليج ، ثم لفت إليها أسماع العالم كله ..

واكد لى بعض مخضرمى الموسيقيين انه سمع أم كلثوم فى العشرينيات تؤدى جواب الجواب فى نغمة«السيكاه» وقد كان اداء جواب الجواب فى هذه النغمة ، مثار مباريات بين ذوى الأصوات الرنانة من المطربين والمطربات .. لأن معنى الوصول إلى هذه النقطة العالية من تلك النغمة ، أن الصوت الذى بلغها يرتفع سبعة عشر مقاما متدرجا إلى ذلك الجواب الأعلى .. وكان ذلك شأن صوت أم كلثوم فى بداية ظهورها على مسارح القاهرة ..

بقى ان نتجاوز اقسام هذا الصوت العظيم ومقاماته وجواباته .. إلى ذبذباته والنسبة بين نبراته ومقاماته .. وبخامة معدنه وصلصلته ونعومته وجهارته وخفوته وظهوره .. فهنا نرى إعجازا فذا ، كأنه صوت موسوم بطريقة هندسية خارقة تبهر من يراها ويسمعها فى وقت معا ..

ثم إن كل كلام عن صوت أم كلثوم لايفى بحقه من الاعجاب والتمجيد وماهو خليق به من الخلود على الزمان ..

إن صوت أم كلثوم هو الشمس التى لايملك المرء أن يصفها إلا بأنها الشمس !.. كأنما كان شاعرنا أحمد شوقى يتحدث عن صوت أم كلثوم حين قال :



ماكلام الأنام فى الشمس إلا
أنها الشمس ليس فيها كلام



محمد الكاشف

.. أمسكت يدها . سرنا طويلا . نتهامس . نتحدث فى أى شىء . وكل شىء . تلتصق يدانا بقوة كلما مرقت احدى السيارات التى تم طلاء زجاج كشافاتها باللون الأزرق .. لكنها رغم ذلك تكشف الشوارع التى تنعكس عليها أشعة القمر الذى لم يكتمل تمامه ..

تهب نسمات الخريف فى هذا الوقت من السنة فتحمل للنفس احساسا غامرا بالحب والشوق بحنين دائم يرى فى الانثى ، الوطن ، ويرى الوطن كلا يضمنا جميعا فى النهاية .. رجالا ونساء .. فيمتزج الكل فى واحد .. تصير حبيبتى وطنا .. يصير الوطن حبيبا ..... .وهى كلما ترنو الى بعيد .. ناحية الشرق تهمس لى :

ـ مش قادرة أشوف فيك وطنى والوطن مجروح ..

كنت أحس بالطعنة تنغرس فى قلبى كسكين يمزقه مائة مرة ... ففى هذا المكان عاشت سامية وعشت . شوارع مدينتنا المهجورة شهدت أيام الصبا الحلوة وعشنا فى طرقاتها قصة هوانا ... حين أنهيت دراستى قالت لى ذات مرة منذ أعوام

ـ ما رأيك لو رحلنا الى مكان بعيد هنا الحياة دائمة الخطر .. ان نهاجر الى الخارج أو نبحث عن فرصة عمل فى العاصمة .

قلت لها : عندما مات أبى منذ سنوات حين كان يطفىء حريقا شب فى أحد معامل البترول بالشركة التى يعمل بها قال لى وهو يلفظ أنفاسه : «يابنى خليك مكانى» قالها ونظر الىّ نظرة أفهمها منذ طفولتى ولم يستطع أن يكمل ما يريد .. لكنى فهمت ما يعنيه ...

بعدها بسنوات تخرجت فى الجامعة صرت مهندسا فى نفس الشركة التى كان يعمل بها أبى .. وبقيت .

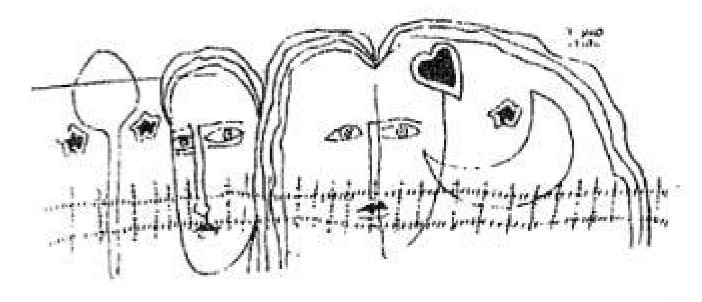
ـ لكن العمل متوقف الآن فى انتاج البترول بعد أن دمروه ..

ـ سوف أعمل مع قوات الدفاع الشعبى .. حتى يرحلوا .. وبعدها سأواصل دورى ...

ـ أنت تعاند .. فالحرب مستمرة منذ سنوات بلا حل ...

ـ من قال ذلك أتحسبين انهم سيحتلون أرضنا الى الأبد ؟ .

ـ أخاف عليك . لايعود من الحرب الرجال سوى محمولين على الأكتاف ملفوفين فى الاعلام الى مقابرهم أو جرحى فاقدى



اعضائهم ..

ـ لابد أن حسك المرهف وقلبك المحب يصوران لك ذلك .. أما ترين آلاف الرجال يقاتلون ثم يعودون . الحياة والموت قدر .

ـ لكنى أخاف عليك .

ـ الخوف يركب الانسان فيملأ الهم نفسه .

. . . . . .

لم تكن هى تعرف ان هذه ليلتنا الأخيرة معا .. بعدها فى الصباح الباكر اسلم نفسى لقيادة موقع متقدم على خط المواجهة ... لكنها قالت بحدس خفى .

ـ يتحدثون عن الحرب هذه الأيام .. هل سيهجمون مثل كل مرة ؟

ـ من يدرى ... هذه شائعات ..

ـ تقول عيناك مالا يتحدث به لسانك .. وهذه الحشود فى كل مكان ..

ـ منذ سنوات يحدث ذلك ولم تنشب الحرب .

ـ أخاف عليك من الموت ..

ـ حتى لو ظلت مدينتنا تحت الحصار ...

. . . .

تسكت حبيبتى .. يلفنا صمت طويل .. طويل لكنها كانتى تكابد الشوق . تعانى قسوة انتظار اللحظة التى يضمنا سويا بيت وننجب اطفالاً . وتخشى على من الموت تتوزع أحاسيسها وتصبح نهبا لمشاعر شتى .. تارة معى خوفا على .. وتارة تضيق بأوضاعنا فى مدينتنا المحاصرة ...

طالما هتفت بى من قبل :

ـ قلت لك نهاجر .. لكنك دائما عنيد ..

ثم سرعان ما تثوب الى رشدها . تدرك أن حبنا لايعيش تحت حصار الجرح والموت والأحزان فى كل بيت فتهتف مختنقة بعبراتها :

ـ متى تراهم يرحلون ؟

. . . .

تسرع خطواتنا فى قلب الليل الساكن . يختفى القمر خلف غمامة داكنة دفعت بها الرياح القادمة من الشرق ... تهجع المدينة فى الظلام . لكن ثمة شعاع ضوء رفيع خافت يظهر من خلف فتحة باب أحد الغرز التى يسهر بها العمال يشربون الشاى حتى وقت متأخر من الليل .. وصوت الراديو يتردد فى سكون الليل « اسد يتقدم فى الصباح » كان هذا هو النداء الرمزى للوحدة التى تطوعت بها فى المقاومة الشعبية .. ازدادت ايدينا التصاقا .. سرى الدفء فى كيانى . بهدوء مسحت دمعة سقطت من عينيها .. وكان قلبى .. رغم أى شىء يرتجف



يقدم أحدث الخدمات المصرفية

• كارت مصر - البنك الشخصى

• آفاق جديدة فى عالم متطور

تعد سمة السرعة فى الأداء ، هى السمة التى يتمتع بها التعامل مع بنك مصر ـ فقد اصبح البنك يعتمد فى تعامله على احدث نظم التكنولوجيا بما يوفر الضمان والسرعة فى آن واحد وذلك لصالح المتعاملين معه .. ولعل نظام .. كارت مصر «البنك الشخصى هو احدث هذه النظم .

وهذا النظام يتيح لعملاء الحسابات الجارية ببنك مصر التمتع بالخدمات المصرفية المتطورة ، داخل نظام مصرفى لا مركزى روعى فيه تقديم هذه الخدمات اليهم فى مكان قريب من محل الاقامة او مقر العمل او داخل الاسواق التجارية بوسط المدينة حيث يتسنى لهم تدبير احتياجاتهم النقدية اللازمة لعملية الشراء او الخدمات ، وذلك بتوفير الات الصرف الذاتى فى عدد من فروع بنك مصر وبعض الاماكن العامة بالقاهرة والاسكندرية .

وتؤدى هذه الخدمات لمدة ثمانى عشرة ساعة فى اليوم وتبدأ الخدمة بها من السادسة صباحا وحتى الثانية عشرة مساء بما فى ذلك ايام العطلات الاسبوعية والرسمية .

ويوفر «كارت مصر» خدمة مصرفية سريعة كالسحب والايداع النقدى وكذلك طلب كشف الحساب ودفتر الشيكات للعملاء فى سرعة واتقان مما حدا بعشرة الاف من العملاء الى استعمال «كارت مصر» لتسهيل خدماتهم.

ويعتمد نظام البنك الشخصى على اصدار بطاقة من البلاستيك «كارت مصر» وذلك للعملاء الذين يحتفظون بحسابات جارية فى احد فروع بنك مصر ، ولكل كارت رقم سرى خاص به لا يعرفه غير العميل ، وهذا الرقم يمثل فى قيمته نموذج توقيع العميل . لذلك فاذا لم يكن هذا الرقم صحيحا ، فان الة الصرف الذاتى تطلب من العميل تصحيح الرقم حتى يتسنى لها تقديم الخدمات المصرفية .

كيفية استخدام الآلة .

تفتح الة الصرف الذاتى باب الخدمة للعميل بعد أن يدخل الكارت الخاص به فى فتحة مخصصه لذلك ، ثم تطلب منه ان يدخل رقمه السرى الخاص به بواسطة مصفوفة رقمية ، وعندئذ تقوم البرامج المخزنة بالتأكد من صحة الرقم السرى فاذا كان صحيحا فان الالة تصبح جاهزة لتقديم

ايه خدمة مصرفية يرغبها العميل

وتظهر للعميل على شاشة الة الصرف الذاتي مجموعة الخدمات المتاحة وهي : سحب نقدي ـ ايداع نقدي ـ ايداع شيكات ـ طلب كشف حساب ـ طلب دفتر شيكات .

وفي جولة سريعة نستطيع ان نقوم معا ببعض المعاملات مع الة الصرف الذاتي لنعرف معا اسلوب التعامل معها .

سحب نقدي :

اذا كنت ترغب في صرف مبلغ نقدي فعليك ان تضغط على المفتاح المقابل لخدمة السحب النقدي هذا المفتاح يعمل باللمس . عندئذ يظهر لك على شاشة آلة الصرف الذاتي بيان بالمبالغ التي يمكن صرفها عن طريق الآلة ٥٠ ، ٢٥ ، ٤٥ ، ٦٥ ، ٧٥ ، مبالغ اخرى ، فاذا كنت ترغب في سحب اى مبلغ من المبالغ السابقة ، فاضغط على المفتاح المقابل للمبلغ المطلوب صرفه وفي اقل من نصف دقيقة تقدم لك الالة النقود المطلوبة . ثم تقدم لك اشعارا بخصم المبلغ وهذا الاشعار مبين عليه الوقت الذي تمت فيه العملية والتاريخ ورقم الكارت ورقم الحساب الجاري والمبلغ المنصرف . اما اذا كنت ترغب في صرف مبلغ يختلف عن المبالغ النمطية التي تظهر على الشاشة فعليك بضغط المفتاح المقابل لعبارة مبالغ اخرى وفور ذلك تظهر لك على شاشة الآلة رسالة تطلب منك ادخال المبلغ المطلوب صرفه بواسطة المصفوفة الرقمية الموجودة على يسار الشاشة فتقدم لك الآلة المبلغ المطلوب واشعار الخصم .

ايداع نقدي :

وبعد ان انتهينا من عملية السحب النقدي .. تعال بنا ننتقل الى عملية الايداع النقدي عن طريق الة الصرف الذاتي اضغط على الزر المقابل لعبارة الايداع النقدي ، وبعد ذلك اسحب مظروفا من الالة وقم بوضع النقود المطلوب ايداعها داخل المظروف . وفور الانتهاء من ذلك قم بادخال المظروف بالآلة ، وسوف تقدم لك آلالة ايصالا مؤقتا بالقيمة المودعة . وعملية ايداع الشيكات هي الاخرى لا تختلف كثيرا عن عملية الايداع النقدي فكل ما هو مطلوب ان تضع الشيك المطلوب تحصيله داخل المظروف ثم تدخل المظروف في الآلة .

طلب كشف حساب ودفتر شيكات :

اما اذا كنت تطلب كشف حساب او دفتر شيكات فما عليك الا ان تضغط على الزر المقابل لاحدى الخدمتين وستقوم الالة نيابة عنك بتقديم الطلب وسوف تتولى عملية اصدار كشف الحساب او اصدار دفتر الشيكات وارساله على عنوانك المحفوظ لدى البنك وسيصلك خلال ثلاثة ايام

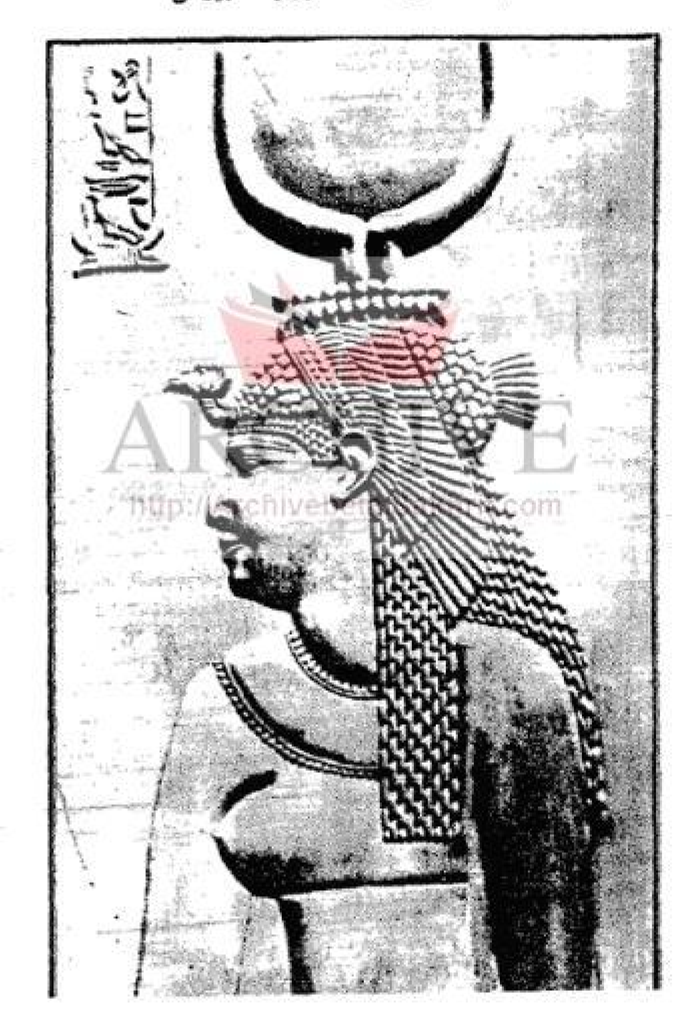
بقي سؤال سيتبادر الى ذهنك فور معرفتك هذه الخدمة وهو .. ما هي القيمة التي يصرح بصرفها من الالة .. وفي اى مدة ؟

ان كارت مصر ـ البنك الشخصي له حد صرف مصرح به وهو مبلغ خمسمائة جنية مصري في الدورة الواحدة .. وهذه الدورة اما اسبوعيه او نصف شهرية او شهرية وهذا يعني انك ان طلبت ان تكون الدورة اسبوعية فمعنى ذلك إنك ستصرف كل اسبوع خمسمائة جنيه اما ان كانت الدورة شهرية فمعناه انك تستطيع صرف هذا المبلغ خلال شهر وهذه الدورة تتجدد تلقائيا كما وانك تستطيع الصرف في القاهرة او في الاسكندرية فالة الصرف الذاتي هي بنك شخصي لك يقدم لك خدماته حسب رغبتك وفي الوقت الذى تريد وفي المكان الذى ترغب فيه .

وهذا دليل واضح على ان بنك مصر لايالو جهدا في توفير احدث الخدمات المصرفيه التي تستخدم التكنولوجيا المتطورة وذلك لتوفير وقت وجهد عملائه

كليوباترا
بين التاريخ والفن

بقلم : الدكتور محمد رجب البيومى



كان من حظ كليوباترا أن يكتب أعداؤها تاريخها ، وأن يكونوا المصدر الأول لكل مايقال عنها ، لذلك ظهرت فى مرآة التاريخ على غير وجهها الصحيح ، فقد إعتبر الرومان هذه الملكة المصرية الفاتنة سر نكبة يوليوس قيصر ، وانطونيوس ، وأولهما بطل جبار ذو وقائع مشتهرة ، وثانيهما صاحب مجد ماكاديأتلق ويزدهر حتى كسفته شمس كليوباترا !! وكان ليوليوس قيصر أعداء حاولوا النيل منه فى حياته فجعلوا كليوباترا هدفا لسهامهم المسمومة ، وفى هؤلاء خطباء جبارون صعدوا منصات الخطابة لا ليصموا (قيصر) بأخطائه بل ليحلوا كل خطأ وقع فيه الى تحريض كليوباترا ، ومنهم الخطيب الروماني الأشهر ، شيشرون ، وقد لقى سوء مصيره حين انتقم منه ، انطونيوس ، فقتله مع مئات ممن ثاروا عليه ! وإذا كان شيشرون قد ترك أقواله لتحفر فى صخور التاريخ فإن المؤرخ الذائع ، بلوتارك ، قد أربى عليه بما سجل من سيئات لاذعة وصمت هذه الملكة العظيمة بالفسق والفجور بغيا دون حق ، والظاهرة العجيبة فى تاريخ كليوباترا أن الحقيقة به قد امتزجت بالأسطورة بحيث أصبحت الأساطير تسجل فى كتب المؤرخين وكأنها واقع أكيد وكتاب التاريخ فى كل زمان ومكان يفرقون بين الواقع والأسطورة فيدونون التاريخ بعيداً عن الأساطير ، فهارون الرشيد مثلا له تاريخ واقعى سجله المؤرخون الأثبات من أمثال الطبرى والمسعودى وابن الأثير وله تاريخ أسطورى سجلته صحائف ألف ليلة وليلة . وكاتب التاريخ يلتفت الى صحائف ألف ليلة وليلة حين يكتب تاريخ الخليفة الكبير ، وكان الظن بمؤرخى كليوباترا أن ينهجوا هذا النهج ، ولكن ولوعهم بالحط من سيرة هذه الملكة الذكية الشرقية قد دفعتهم الى أصطياد الأراجيف المختلقة وكأنها حق صريح .

ولعل مما ساعد على أختلاط الأسطورة بالحقيقة فى سيرة كليوباترا أن الذين يضعون التاريخ فى أسلوب روائى قد استعانوا بالخيال فى ملء الفجوات وترتيب الفصول ، وكأنهم أدركوا أن الواقع التاريخى لايلذ القارىء المتعطش الى الحوادث المثيرة ، والمواقف النادرة ، فأمدتهم الأسطورة بما يريدون ! وكانت هذه القصص الروائية إحدى المصادر من بعد وكأن كل سطورها حق لا لبس فيه وهكذا توالت السيئات على تاريخ هذه الملكة المضطهدة لالشىء إلا لأنها شاءت أن تكون مليكة لروما حين اقترنت بقيصر ، وطموح فذ كهذا الطموح كان من الواجب أن ينال تقديره من المنصفين .

(طهارة كليوباترا)

وأشنع مايقال ظلما عن هذه الملكة الخطيرة أنها أسفت فى علاقتها بالرومان والتاريخ الواقعى ينطق بغير ذلك ، فهى لم تقبل يوليوس قيصر إلا زوجا يقترن بها على رءوس الأشهاد قرينة ذات حرمة وتبجيل ، كذلك قد اقترن بها انطونيوس من بعد قيصر زوجة طاهرة الذيل ، ولم تعرف لها صلة مابغير هذين القائدين ! فأين يكون الفجور مع الزوج ! وكيف تكون الخلاعة فى مهد الحلة الإله ! لقد كان الملكة خصوم فى الإسكندرية قبل أن تعرف قيصر روما وقد وصفوها بالكيد والطموح وانتهاز الفرصة ولم يجرؤ أحد أن يقول إنها كانت غير طاهرة ! والذين وصموها بالكبائر من رجال روما رأوا أنها قد أذلت قيصر وانطونيوس ، ودنست مكانتهما !! وليت شعرى كيف كان هذا الدنس ! ألأنهم يرون أن قيصر روما أرفع شأنا من أن يقترن بملكة مصر ! وأنه لولا سحر كليوباترا الخالب لما انزلق إلى هذا المنحدر وقد نسوا أن الملكة الطامحة وريثة عرش النيل



كليوباترا

وابنة ملوك كبار ورثوا الملك سيداً عن سيد ! وقيصر عصامى لا عظامى ، فإذا جذبته ملكة طامحة إلى الاقتران بها ، فركع خاضعا لمواهبها الحسية والمعنوية لتكون قد دنست كرامة روما وخفضت من شأن قيصر ! ولعل منصفا محايدا يقارن بين زوجة قيصر التى تركها الى كليوباترا ، وبين هذه الملكة الأصيلة الذكية الباهرة ليرى أن الزوجة الأولى بالقياس إلى الثانية لاشىء إلا أن تكون ميزتها الوحيدة أنها رومانية فقط !! ولعل هذا المنصف المحايد يقارن مرة ثانية بين زوجة انطونيوس الاولى وهى أخت اكتوفيوس وبين الملكة المصرية العظيمة ليخرج بالنتيجة نفسها !! فكيف تسد أمامنا أبواب المآخذ الحقيقية سدا ، فنذهب إلى الاختلاق الكاذب وليت شعرى أكان قيصر فى جبروته ممن يقبل الاقتران بغير من يثق فى شرفها ، أم كان انطونيوس وضيع الخلق حتى يرتضى بمن تنصرف عنه إلى سواه . إن الملكة العظيمة قد طمعت فى عرش روما وسعت إلى ذلك سعيا جعله قريب المنال ، وعلى متناول اليد ، فأوغرت الصدور بمسعاها الطامح ، ولو تأخر مصرع يوليوس قيصر أسبوعا واحدا لأصبحت الملكة المصرية امبراطورة الشرق والغرب معا ، ولكن هكذا شاءت الاقدار .

ذات الغدر والعقوق

ويأتى بعد الاتهام بالفجور والتهتك اتهامها بالغدر والعقوق ، فهى فى رأى « بلوتارك » ومن تبعه من سيل المؤرخين الذين يهمهم أن يثبتوا مقدرتهم الفائقة على تشريح النوازع الخفية لكليوباترا غادرة عاقة ، غدرت بأخيها الصغير واستأثرت دونه بالسلطة بتحيز من قيصر ، ثم نسيت عهدها مع قيصر ، وفرت إلى مصر ، واستعدت للترحيب بانطونيوس ، وقضت معه أحلى أوقات مسرتها ، ثم غدرت به وتركته يواجه اكتافيوس وسحبت أسطولها وجيوشها دون أن تقف معه فى مأزقه الشديدة ، واستعدت ثالثة للقاء اكتافيوس ولكنه ترفع عنها ! تلك خلاصة الاتهامات التى تسمها بالعقوق الغادر ، والذى يقف موقف الحكم المحايد فى هذه الادعاءات ، يراها ذات مبالغة وإغراق ، فقد ورثت كليوباترة العرش مع أخيها عملا بوصية والدها ، وكانت أكبر منه بخمسة أعوام إذ كان فى الثانية عشرة من عمره وأدرك من حوله من رجال الجيش والوزارة أن الملكة المتطلعة تحاول أن تكون صاحبة الرأى ، وأنها ليست من السهولة بحيث تصبح دمية فى أيديهم ، فأخذوا يذيعون عنها مايسمها بالتهور والاندفاع ، ويحبذون أن يستقل أخوها الصغير بالحكم ليكون أداة طائعة فى أيديهم ، وماأسرع ماتألبت الجموع على فتاة شابه لاتجد الناصر المعين فانسحبت مع نفر قليل من انصارها إلى شواطىء البحر الاحمر لترقب الاحداث من بعد ! لم تنسحب إلى روما لتطلب عون الغريب على بطانة الأخ العزيز ، وذلك مما يحسب لها ، وكانت الحرب دائرة فى روما بين قيصر ، وبمبى ، وأتى الأخير إلى الاسكندرية فانتهزت بطانة الملك الصغير فرصة سانحة لتتربص به فتقدم رأسه هدية إلى قيصر ! ودوت البشرى فى روما فهزت عن عطف قيصر إذ خلا له الجو بعد مصرع منافسه العنيد ، وعجل بالحضور الى الاسكندرية ليرى معالم الاحتفاء وليبارك الملك الصغير مثنيا على شيعته التى صنعت له أكبر مايرجو من مأمل ! وهنا أحسست كليوباترا أن الأمر قد ضاع من يده ! فقيصر شاكر محبذ وأشياع أخيها قد وجدوا المناخ الملائم للاستقرار بعد تأييد قيصر ، وقد أحاطوا به ليحدثوه عن تاريخ البلاد ، وماكانت تعتزمه الملكة الهاربة من شطط وجموح وقد أدركت الملكة الطريدة أن لا

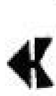


اليزابيث تايلور

سبيل الى العرش دون أن تعمل على لقاء قيصر ! وكيف يتسنى لها ذلك ، وجيوش أخيها تسد عليها الطريق ولوجازفت بالعودة لتدحرج راسها على كتفها دون أن ياخذ بثارها أحد ، ففكرت فى حيلة جبارة ذات مجازفة خارقة إذ اتفقت مع بعض انصارها أن يتصل بقدم القصر ليهيىء السبيل كى تصل الى قيصر العظيم هدية متواضعة من نفائس الشرق ! كانت الهدية بساطا حريريا أجاد الفن ترصيعه بأغلى النفائس ، وقد حمل للضيف الكبير دون أن يثير أدنى شك ، وحين طرح على الأرض ، وانبسط مداه ظهرت منه كليوباترا ودهش القيصر الكبير حين فوجىء بذات حسن قاهر تنتصب امامه فى هدوء وأدب ، لتقول إنها لم تجد السبيل اليه دون أن تسلك هذه المجازفة وكانت الشابة تجيد الحديث باللغة اللاتينية فى نبرات اغريقية أضافت إلى وسامتها الساحرة فتنة إلى فتنة ، وطبيعى انه أصغى إليها مبهورا مأخوذا وانها استطاعت أن تملك زمام نفسه فانتصر لها وأمر أن تكون مَلكة البلادفليت شعرى أى غدر الحقته باخيها حين طردها جنوده أسوأ طرد فعملت على أن تسترد حقها المسلوب ! من الغادر إذن أهو الذى بدأ بالكيد ؟ أم التى ارادت أن ترجع الحق الى نصابه فانتصرت بعد احتيال !

كانت كليوباترا طامحة تحلم بعرش ممتد فسيح وقد تدله بها قيصر ، وطمعت فى مجد السلطان فارتضته زوجا ، وسارت معه الى روما ، والذين يرمون التبعة عليها يقولون إنها التى دفعته إلى المطالبة بالعرش الرومانى فأصر على أن يكون دكتاتورا ، ثم أمر أن يبنى له هيكل ترسم فيه صورته وصورة كليوباترا فى المحراب لتكون الصورتان موضع العبادة والتقديس وبدل أن يخطب شيشرون فينتقد قيصر على تجبره المزعج صب جام غضبه على الغريبة المصرية الشرقية التى فتنت سيد البلاد ومضى يصب اللعنات عليها وحدها ! وكان القيصر الجبار كان طفلا فى يدها تسيره انى تشاء ثم دبر « بروتس » المؤامرة فقتل قيصر ، وفرت كليوباترا مع ولدها الصغير إلى الاسكندرية اذ أفل نجمها فى روما على غير انتظار ، وكانت جريئة حين استطاعت الفرار قبل أن تقع فى ايدى الناقمين ، وذكاؤها فى هذا الفرار الناجح مما يجب أن يحسب لها إذ لو كانت امرأة ضعيفة الحيلة الحقت بصاحبها فى غمرة الطوفان !

وأنا لنتساءل بعد ذلك هل غدرت كليوباترا الشابة بزوجها الشيخ ، وكيف وعلى اى وجه كان هذا الغدر ؟ أكان من الحتم أن تسلم نفسها للثائرين فتسيل دماؤها فى موطىء الاقدام لتصبح ـ حينئذ فقط رمز الأخلاص والوفاء ؟





مع انطونيوس

كان تاريخ كليوباترا من انطونيوس موضع التزيد الصارخ ، والاتهام الجارح ، ولكن من يترك الاساطير التي موهها الخيال ، ويضع نفسه موضع المليكة يجد ان كل ماتسب اليها من الحقائق كان دليلا على رجاحة عقل وحسن تدبير فقد فقدت كليوباترا نصيرها القوى حين صرع زوجها -قيصر ، وقامت الحروب بين اوليائه واعدائه فلم تجد من الحكمة ان تزج بالجيش المصرى فى معركة لاتعرف لها انتهاء متوقعا ، فمن الجائز أن ينحدر من تنضم اليه فتجلب الكارثة على نفسها وعلى وطنها المترقب وحين تم الأمر بانتصار أولياء قيصر وقسمت الامبراطورية بين المنتصرين كان الشرق من نصيب انطونيوس وكان كل همه ان يسيطر على هذه المملكة التى جثا قيصر تحت اقدامها فتهض باستدعائها إليه ، وكأنها رأت ان تأخرها سيدفع به إلى احتلال الوطن مع مايجمع من قوة كاسحة لا قبل لمصر بها فذهبت اليه فى طرسوس ، واشترطت ان يسرع إلى زيارتها فى سفينتها الملكية دون ان تترك شاطىء البحر ، وهرع انطونيوس إلى لقائها فشاهد من مظاهر الأبهة والترف والبذخ ما لاعهد له به وسمع من حديثها الملكى المتأنق ماخلب لبه ، ورأى من جمالها الساحر ماطامن من تغطرسه واستطاعت الملكة ان تقود زمامه لامر فى نفسها ، لانها رأت روما تعتد مصر مزرعة غلال لها ، وان خيراتها جلها

رتشارد بيرتون واليزابيث تايلور

بدو لامة واميلة روق فى مشهد من كليوباترا

يجب أن تسير اليها من الشرق فاذا استطاعت أن تقود زمام انطونيوس فسيبقى فى مصر وسيعمل على تأليف امبراطورية معها ، إذ تزوجته زواجاً شرعيا لا لبس فيه ، وربما عمل على تقوية عدته لينازل روما ، وليجمع ملك الشرق والغرب ، هكذا ارادت كليوباترا أن تكون سيدة العالم فتجدد حلمها مع قيصر مرة ثانية ولكن انطونيوس لم يأت ليكون رجل العالم ، فيعمل على تقوية نفوذه الحربى بل ليستريح فى ظلال عيش راغد ناعم وكان من المقرر فى خطته أن يسافر لغزو فارس فترك كل اتفاق وعكف على اللهو والشراب ، ولن تستطيع الملكة الطامحة أن تبعث همة خامدة وقد شاءت الا تناصبه الشقاق ، كيلا يتفق مع روما ضد مصر فتعود مزرعة غلال كما كانت وحين طال الأمد به فى الشرق مدى وأعلن زواجه من الملكة واجابه المتوالى على خمس سنوات اغتاظ اكتافيوس لان أخته هى الزوجة الشرعية لانطونيوس ، وكان حاكم روما ذا مطمع شخصى فى اندحار انطونيوس ليخلص له ملك الشرق والغرب معا ، على حين كان انطونيوس يظن به الضعف ويراه أهون من أن يقف معه فى معركة حاسمة وسارت الأمور فى وجهتها المتوقعة فالتقى الجيشان وذهبت جيوش مصر حليفة لانطونيوس ولكن ملكة مصر أخذت ترقب سير المعركة فى حذر فحين رأت القائد يكثر من الشراب فى ساعة الحزم ورأت ضباطه من الرومان يتوانون فى نصرته ويستعدون للحاق بغريمه لم تشأ أن تزج بالجيش المصرى فى معركة خاسرة وفضلت أن تنجو به منسحبة الى الاسكندرية كيلا يقف وحده أمام جيوش اكتافيوس فتدور الدائرة عليه ! والذين يلومون كليوباترا فى هذا الانسحاب رومان يصدرون عن الشماتة والاستخفاف ، ولكن المؤرخ المحايد يرى أن هذا الانسحاب المفاجىء عنوان حزم وصلابة اذ لو كانت الملكة امرأة مستهترة كما يتوهم أعداؤها لآثرت أن ترتبط بانطونيوس حتى تدور الدائرة على قوتها جميعها ! ولكنها تعلم أن ملكة مصر يجب أن تستقل بالارادة ، وأن تحافظ على قوتها ما استطاعت ! وهكذا رجع اسطولها الحربى إلى مصر ليظل اسطول مصر وحدها دون شريك ولكل معركة أسبابها ونتائجها والذين يرقبون الاحداث فى حياد ، يعرفون أن الانسحاب كان خطة ناجحة فى حينه وليس كل انسحاب هزيمة إذا دفع كارثة غير مأمونة بل هو حزم واستبصار .

وكيف كانت خاتمة انطونيوس فان الملكة غير مسئولة عن خموله ، وقد استطاعت أن تنقذ مصر أولا من جبروته ثم استطاعت أن تحمى جيشها من سوء المصير .

وقد جاء اكتافيوس ليطلب منها أن تسير معه روما لتحاكم وقد وعدها بالعفو ، ولكنها أبت أن تذهب أسيرة الى مكان كانت فيه سيدته المطاعة فآثرت الانتحار ، كيلا تتعرض لموقف يضائل من كبريائها ، وقد فوجىء اكتافيوس بانتحارها فأدركه الندم وأصر على تشييع جنازتها بأدق المراسيم الامبراطورية فذهبت إلى مثواها الأخير فى أبهة وجلال .

فى سبحات الخيال

وضعت عشرات الروايات عن كليوباترا وقد حرص كتاب أوربا على أن تكون الملكة خليعة ساحرة ماجنة متهالكة غادرة فهى رقطاء النيل التى عصفت بحياة احبابها ، وجعلت مخدعها وكرا للفحش والدسائس والعهر وشاء لهم الوهم أن يحيلوا الأساطير حقائق ، فالملكة تسكر مع انطونيوس وترتدى ثياب الشحاذين معه ليطرقا الحانات متنكرين ، فيقابلا بالصفع



كليوباترا

والسب والازدراء ، والملكة تبذر أسوأ التبذير حتى لتقدم كأسا الى انطونيوس تذيب فيه لؤلؤة قيمتها مايبلغ مائة ألف من الجنيهات لتريه مقدار ثرائها الكبير ، وكأن القائد لم يشهد مزارع مصر وجناتها ومصانعها ليعرف أن الملكة ذات ثراء ! والملكة تضع السمك المشوى فى البحر ليصطاده انطونيوس فيعلم أن نهر النيل ليس كنهر روما وكل هذه الترهات لاتصدر عن غير مجنونة حمقاء ، فكيف جاز للروائيين وبعض من كتبوا التاريخ أن يجعلوها حقائق واقعية لاشىء إلا لتكون كليوباترا حمقاء بلهاء رعناء ! تلك التى حكمت قيصر العظيم وقادت انطونيوس واستعصت على أوكتافيوس !

ولقد شاء أحمد شوقى أن يدحض هذه الأراجيف فكتب روايته الرائعة مصرع كليوباترا لينقذها من إفك أفاك حاق بها دون إنصاف ، وقد جاء فى الخاتمة التحليلية الخاصة بمصرع كليوباترا مايوضح رأى أمير الشعراء حيث قال كاتب الخاتمة .

• ظهرت حية النيل كما نعتوها – فى صحف الرومان وأشياعهم – فى مظهر امرأة خطالة متهمة فى عفتها ، من حيث هى امرأة ، وفى جلالها وإخلاصها لبلادها من حيث هى ملكة .

مجرد أنثى أفنت العمر بالهوى
بهيمية اللذات والشهوات .

خاضعة فى كل أدوار حياتها السياسية

لشهوة متذبذبة تدفع بها رخيصة الى كل صاحب مجد أو جاه متصلة – ما اتصلت فى هواها – بيطل ، منفصلة – ما انفصلت – عن حطام مبعثر مستباح ، دائبة البحث عن فريسة جديدة تستذل آمالها ، وتسلبها جلالها ، وعجيب أن تقفر حياة لهذة الحياة الحافلة بالمآسى إلا من هذا الركن الدنس .

وقد كتب شوقى مسرحيته لينقذ الملكة مما أحاط بها من الأراجيف ، وكان ماكتبه صورة وطنية ذات صدق وإبداع ولسنا فى مجال التحليل النقدى لمسرحية شوقى ، ولكننا نسجل له يقظته الحريصة على رصد الحقائق ، والتفسير المحايد للأحداث ، وأقول المحايد لأن بعض من نقدوا شوقيا عدوه محاميا لا قاضيا ، وأن يضير شوقيا أن يكون محاميا لمظلوم يسعى لتبرئته وقد اجتمعت له الشواهد والبراهين ، وننقل عنه ماكتبه على لسان كليوباترا مبررة انسحابها فى معركة اكتيوم .

أيها السادة اسمعوا خبر الحرب
وأمر القتال فيها وأمرى
واقتحامى العباب والبحر يطغى
والجوارى به على الدم تجرى
كنت فى مركبى وبين جنودى
أزن الحرب والأمور بفكرى
قلت روما تصدعت فترى شطرا
من القوم فى عداوة شطر
فتأملت حالتىّ مليا
وتدبرت أمر صحوى وسكرى
وتبينت أن روما إذا زالت
عن البحر لم يعد فيه غيرى
فنسيت الهوى ونصرة انطونيوس
حتى غدرته شرّ غدر
موقف يعجب العلا كنت فيه
بنت مصر وكنت ملكة مصر

هكذا تعمق الشاعر دخائل الأحداث وأولى بالمؤرخ أن يكون أكثر تعمقا ! أما إذا أصبح من هواة الأساطير ، وأما إذا تلقف أقوال الخصوم وحدهم ، وأما إذا تابع السابقين دون محاولة نقدية لتصور الوقائع ، وتنقية الأقوال فذلك كله مايبعده عن نهج التاريخ الصحيح .



« من باب العشم » الكتاب الجديد ليحيى حقى ، ونحن من « باب العشم » نقيم على صفحات الهلال احتفالاً يليق بالرجل الذى اكمل الثمانين من عمره فى السابع من يناير الماضى ـ أطال الله عمره وعطاءه .

ونرجو بهذا الجزء ان نقدم للكاتب الكبير بعض دينه على الثقافة العربية ، وان نكون اوفياء لروح « الهلال » الذى اصدر من قبل اعداداً خاصة عن عمالقة الأدب العربى الحديث ..

وعلى صفحات هذا الجزء الخاص يكتب يحيى حقى دفاعاً حاراً عن اللغة العربية ، فبعد التجربة الطويلة والمعاناة فى اختيار الكلمة المناسبة والتى عودنا ان يختارها بعناية وحدب بالغين ، يضع حقى امام القارىء وكل المهتمين بمستقبل العقل العربى خبرته .

ويكتب فتحى رضوان عن يحيى حقى ، كاحد الأعلام المعاصرين ، فعندما كان فتحى رضوان وزيراً للثقافة كلف يحيى حقى بمسئولية مصلحة الفنون ، وكانت من ابرز الفترات التى انتعشت فيها الثقافة والفنون ، ويكتب الدكتور ناجى نجيب عن يحيى حقى ناقداً ، ويكتب الناقد السينمائى مصطفى درويش عن « البوسطجى » والفرق بين العمل الفنى والسينمائى ، ويكتب الدكتور نعيم عطية عن نساء يحيى حقى ، وتنشر الهلال القصة الأولى ليحيى حقى ، ويقدم الدكتور حامد النساج بطاقة تعريف بيحيى حقى لكى تساعد الجيل الجديد على التعرف على الشوامخ فى حياتنا الثقافية ، واخيرا يكتب يوسف القعيد فى المتابعات الأدبية مايتوقعه المثقفون ليحيى حقى بعد ان تلقى منه فن القصة أجيال متتابعة .

ونقول اخيراً ـ من باب العشم ـ نقدم هذا كله عن يحيى حقى ، لعل وعسى ..



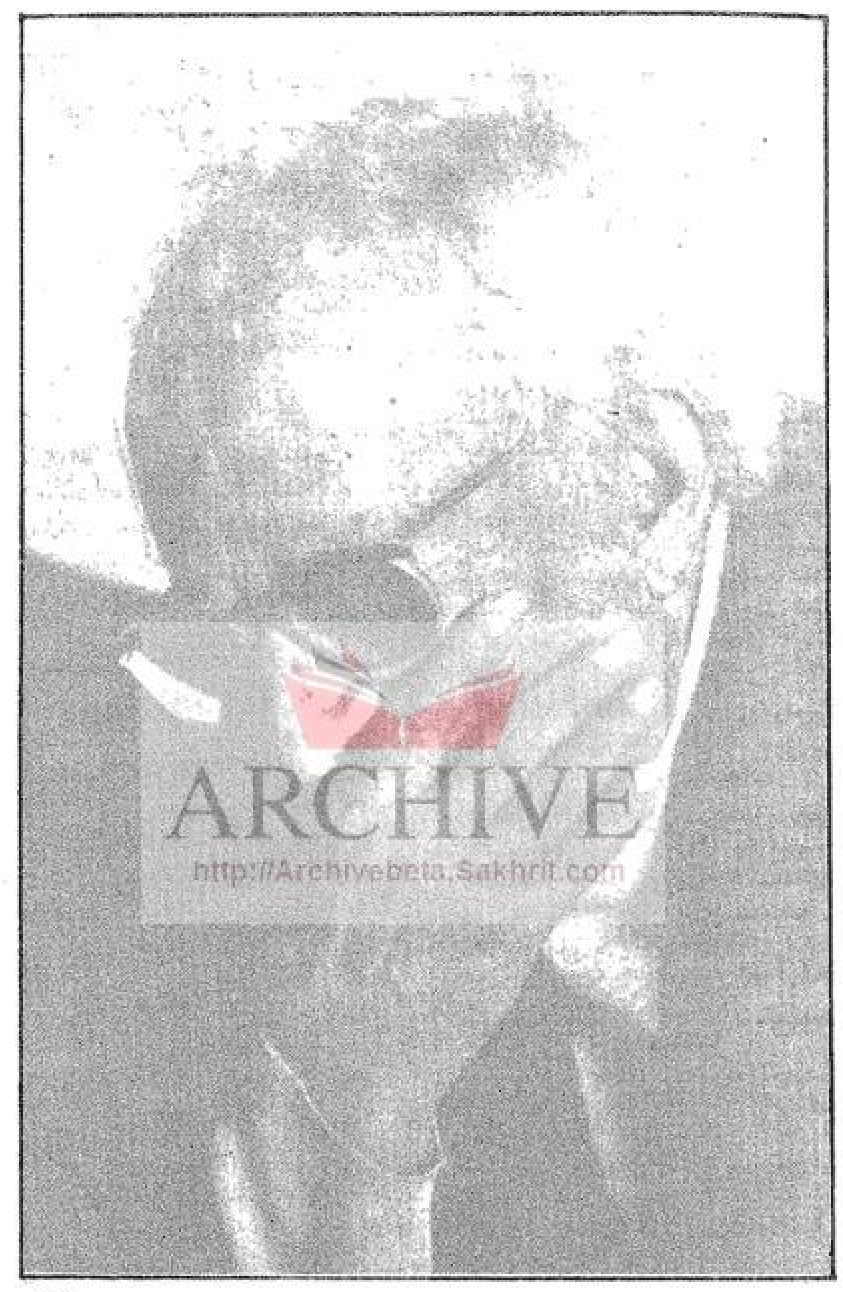
يحيى حقى

ودفاع عن اللغة العربية

- اللُّغَةُ هِىَ قَالَبُ الأَفْكَارِ. فإذَا أُصِيبَ القَالَبُ أُصِيبَتْ الأَفْكَار...
- يَجِبُ تَشْكِيلُ الأَحْرُفِ الَّتِى يَصْعُبُ نُطْقُهَا

هذا مقال قدمه الأستاذ الكبير يحيى حقى إلى الهلال، رغبة منه فى إلقاء مزيد من الضوء على مشاغله واهتماماته فأحد إهتماماته بالاضافة إلى كتابة القصة أنه أحد العاملين فى محراب اللغة العربية، يسعى إلى توصيلها سهلة جميلة إلى قارئها. ويقدم عددا هاما من المقترحات العملية

من قبيل الدعابة اقول إنهم ضحكوا علينا فى المدرسة الابتدائية، وقبل ذلك فى الكتاب «بتشديد التاء وفتحها». وهذه ملاحظة ستتبين أهميتها فيما بعد. فقد قالوا لنا ان الحروف الابجدية (الف ـ باء ـ تاء إلى آخره). وهذا ترتيب لا أعرف تاريخه، وليس لدى مراجع اكتشف منها هذا التاريخ، ولكننا حفظناها هكذا. وقالوا إن أول حرف هو الالف، ولتسهيل حفظنا له قالوا إنه يشبه المئذنة فقلنا (با ـ تا ـ ثا وهكذا). وفهمنا أن حرف الألف هذا هو حرف مد يلحق ببعض الألفاظ، فبدلا من أن تكون الفتحة قصيرة إذا بها تمتد الى عنان السماء. وفجأة، وقبل النهاية، ظهر حرف غريب جدا اسمه لام الف، فلماذا (لام ألف)، وليس (ميم ألف) ولا (سين الف). ؟ ـ على كل حال أحببنا هذا الحرف حبا شديدا، لانه أولا شاذ ومفاجىء، وثانيا لاننا سمعنا تشبيها للرجل الذى يمشى فيتعثر فيقال إنه يمشى كالام الف. وفجأة ودون سابق إنذار، ظهر لنا حرف غريب جدا وفى غاية





الأهمية ، وهو حرف الهمزة ـ وهذا الحرف لم يرد في الألف باء مع أنه هو حرف الألف ، ولكن لم ينبهنا أحد إلى أن الالف الأولى هذه ماهي إلا الهمزة المكتوبة على الألف ، وأن الألف في المد هي التي في اللام ألف .

ذهلنا ، ولم نعرف كيف نعامل هذا الحرف خصوصا انه غريب الشكل جداً .
وقبل أن اشبهه اقول : ونحن أطفال كنا نلعب بقطعة من الخشب صغيرة ، منبعجة البطن ، مرتفعة الطرفين ، نضعها ثم نضربها على أحد طرفيها بقطعة من الخشب فإذا بها تقفز ، ونضربها بقطعة من الخشب الأخرى فكأنما كنا نلعب « التنس » . وانا اشبه الهمزة بهذه العصفورة لانها تستطيع ان تقفز فتعتلى رأس الالف فتكون كأنها هلال ، او تكون كهذا القارب الذى يفرض ان يكون ممتلئا بالحب على قبة الامام الشافعى : وفى بعض الأحيان تكتب على سطر منفرد ، وفى أحيان أخرى يقال إنها على نبرة كما فى كلمة « بئر » ثم تقع المشكلة الكبيرة حين نصل الى كلمة شيء ، فلا ندرى والله هل نكتبها على طرف حرف الياء ، كمن يضع وردة فى حنك قلة ، أو نكتبها على سطر بعدها .

وهكذا نرى كم هى مشكلة أحرف الأبجدية فى اللغة العربية . وأقول استطرادا . لقد لعبت الهمزة هذه دورا كبيرا فى حفظ اللغة العربية الفصحى ، لان اللغة العامية جرت على قلب القاف الى همزة ، فأصبحت بعض الكلمات من العسير جدا كتابتها بالاحرف المطبوعة مثل كلمة « بيأرأ » بمعنى « يهزأ منه او ينكت » .

أبجدية فى بيوتنا

وقد حفظنا بعد ذلك حين كبرنا ، لا فى المدرسة ولكن فى بيوتنا أبجدية اخرى هى « أبجد هوز حطى كلمن » .
وهذه الأبجدية تعنى أن الألف رقم واحد والباء رقم اثنين والجيم رقم ثلاثة ، وهكذا . أى لكل حرف رقم بهذا الترتيب . وكانت بعض الخطابات ترسل فى بريد القاهرة ويكتب على الظرف « بدوح » ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٨ ، والظاهر ان هذا كان له اشارة شفرية فى ذلك الوقت لضمان وصول الخطاب إلى صاحبه ، ثم استغلها الشعراء فى العصور المتأخرة ، فحاولوا أن يستظرفوا فيكون مجموع أرقام الشطر الأول من البيت الاخير يمثل العام الهجرى ، والشطر الثانى يمثل العام الميلادى .

هذه هى المشكلة الاولى التى يواجهها التلميذ حين يتعلم اللغة العربية ، فيجد أن هذه الهمزة قد وقفت له بالمرصاد .

وتأتى المشكلة الاكثر اهمية ، وهى التشكيل والتنقيط ، فحروفنا العربية مشهورة بأنها كثيرة التنقيط ، بعضها نقطة أو نقطتان أو ثلاث فوق الحرف ، وبعضها تحت الحرف . ولا أعرف من وضع نظام تنقيط الحروف يقال : انها قديمة جدا ، وإنه فى عهد الصحابة لم يكن المصحف الشريف منقوطا .

اللغة فى الأصل منطوقة

نترك الآن مشكلة التنقيط فالمشكلة الكبرى هى كيف تنطق الكلمة المكتوبة بجميع اللغات بلا شك تشترك فى صفة واحدة ، وهى أنها فى الأصل منطوقة ثم أصبحت مكتوبة فاللغات عامة ليست محتاجة الى تشكيل ، وكذلك كان

الأصل فى اللغة العربية تسمعها من قائلها لتفهمها . ولكن حينما تحولت اللغة العربية من لغة منطوقة إلى لغة مكتوبة ظهرت فجاة شدة الحاجة إلى تبين كيف تخرج الحروف فى الكلمة .. هل هى مضمومة ؟ هل هى مفتوحة ؟ هل هى مكسورة ؟ لأنه إذا كتبنا الحرف مستقلا بنفسه لا نستطيع أن نعرف كيف ينطق . فالخدمة الكبيرة التى قدمها الخليل بن أحمد انه اخترع لنا حركات التشكيل بأن جعل شرطة صغيرة فوق الحرف وسماهافتحة ، وواوا صغيرة فوق الحرف وسماها ضمة ، وهكذا كتب هذه العلامات ليستطيع قارىء اللغة العربية أن يقراها صحيحة . فنطق اللغة العربية صحيحة يقتضى التشكيل ، وحينما يزول التشكيل يتعرض لأكبر الأخطار وهكذا تصبح اللغة معضلة من المعضلات ، لايمكن قراءتها إلا بواسطة التشكيل .

* * *

يقال فى اللغات الأجنبية أنت تقرأ لتفهم ، أما فى اللغة العربية فلابد أن تفهم اولا لتقرأ ، خصوصا حينما يبدأ الكلام بفعل مبنى للمجهول « بنى اليوم مسجد » لذلك فأحيانا كثيرة اقول للكتاب الذين لم تشكل كلماتهم فى المطبعة إذا أردتم كتابة فعل مبنى للمجهول فاكتبوا « تم اليوم تشييد مسجد » ومن هذا يتبين اصرارى على تشكيل كلمة كتاب الواردة فى أول هذا الكلام لانك تستطيع ان تنطقها بكسر الكاف وهو معنى آخر .
وانا أريد بهذا الكلام أن انتهى إلى اقتراحين يشغلاننى أشد الانشغال وهما :

دعوة إلى جميع المسئولين عن الطباعة فى مصر أن يحرصوا على اللغة العربية ودور نشرهم ذات ثراء فلا يضيرهم أن يعينوا شخصا متخصصا ، ولا أطالب بتشكيل كل حرف إنما بتشكيل بعض الحروف التى يصعب نطقها كالفعل المبنى للمجهول . أو مضارع الثلاثى الذى يقال فيه ستة أوجه لضبط عين مضارعه ، وهو سماعى ، فلا نستطيع ان نضع قاعدة معينة نتبعها .. نعم كما قلت لا أطالب بتشكيل كل حرف فى الكلمة وإنما أطالب بتشكيل الاحرف الصعبة .

وهنا يظهر سؤال . وماقيمة هذا ؟ اقول لحسن الحظ جاءنا من شمال افريقيا منذ سنوات عالم يلطم خديه ويقول : كيف يمكن أن نتبادل أفكارنا ، وان نتعاون على الفهم ، وأن يكون بيننا اتصال ثقافى إذا كانت اللغة التى ننطقها خطأ فى خطأ .

ليست اللغة زخرفة او شيئا يرسم على الورق ، اللغة هى قالب الفكر ، فاذا كان هذا القالب مكسورا فالفكر يكون مكسورا فانت لاتستطيع ان تفكر تفكيرا صحيحا الا بلغة صحيحة . هذا ما أومن به أشد الايمان . ولعل سبب تأخر بعض الأمم يرجع الى أن لغتها ليست بالدقة التى تعين الفكر على ان يكون دقيقا . وانا أرجع كل مظاهر التأخر فى الثقافة فى مصر الى أن وسيلة الاتصال ووسيلة التثقيف وهى اللغة غير منضبطة ، وأضيف الى ذلك ماشابها من المترادفات وكثرة الكلام الذى لافائدة منه ، مثل ثوب فضفاض تنقصة الدقة .

الطباعة بأحرف منفصلة

ولعلك الآن تسأل : مادمت تصر على تشكيل بعض الحروف المطبوعة ، فهل هناك عيب فى الطباعة الحديثة يرجع اليه السبب فى تعذر وضع الشكل على الحروف ؟

والجواب هو انى لا أدرى من الوجهة الفنية ، ولكن يقفز الى ذهنى الآن مطلب أنادى به ، وهو طبع اللغة العربية بأحرف منفصلة ـ يجب أن تحدث فى حياتنا الثقافية ثورة بتبنى



دفاع عن اللغة العربية

هذا النداء ، لأنه سيعين على تسهيل تشكيل بعض الحروف فى المطبعة ، وهذا سيسهل أيضا صندوق الحروف فى المطبعة فبدلا من أن تكون مائة وعشرين حرفا تصبح ثمانية وعشرين أو تسعة وعشرين حرفاً ، وأنا اعلم أن فى مجمع اللغة العربية مشروعا أعد لتقليل أحرف الطباعة فى اللغة العربية ، وقد عرضه علينا "الاستاذ شوقى امين" وأرجو أن يسأل عنه ، ولاأدرى ماذا تم بشأنه .

ومن ذكرياتى أنه وفد علينا من أمريكا الجنوبية شاب لبنانى اسمه " حطار " وهو يحمل مشقا " نموذجا " لأحرف عربية تطبع منفصلة والأعجب من ذلك أن هذه الدعوة التى ننادى بها الآن وجدت اذنا صاغية فى الثلاثينات أو الاربعينات وبدأت بعض الصحف على سبيل التجربة تطبع سطرا أو سطرين فى الصفحة كلها بأحرف منفصلة ، ولكن سرعان ما انمحت هذه الفكرة .

فأنا اطالب الآن والح فى الطلب بأن يعاد بحث هذا الموضوع ، بشرط أن تتعهد أيضا جميع مؤسساتنا التى لها علاقة بالثقافة الا يخرج من تحت يدها نص عربى دون أن يضبط بالشكل الحروف التى يصعب على القارىء العادى قراءتها وهذا لاينفى استخدام الحروف المتصلة فى الكتابة اليدوية لأن لها جمالا تعتز به فنوننا الجميلة .

- وهنا نتوقف قليلا لنستفسر عن عدم استمرار الصحف فى تنفيذ الفكرة وطبع مقالاتها بأحرف منفصلة ؟

وهذه الفكرة التى جاءنا بها شاب لبنانى من امريكا تدل على انه كان هناك فى ذلك الوقت اهتمام باللغة العربية . وليس أدل على ذلك من مشروع عبد العزيز فهمى أيضا بكتابة الأحرف العربية بحروف لاتينية ، وهى دعوة والحمد لله سقطت بسرعة ، لأن الحرف والكتابة باللغة العربية هو جزء لايتجزأ من اللغة ذاتها . وقد ذكرت أن بعض الصحف نفذت هذا على سبيل « التجربة » ولكن التجربة لم تنجح ، ربما لأن الصحف خشيت أن يثار فى وجهها الاتهام أو لأن نظام الطباعة الحديثة قد لايساعدها فهذا يحتاج الى تغيير نظام الطباعة ، وبالتالى يحتاج الى تكلفة ..

يحيى حقى معلما فى فصل

ويستطرد أديبنا الكبير قائلا : كل هذا الكلام أيضا يسوقنى إلى بعض أحلامى قبل أن انام ، وأقسم لكم أنها على الوسادة تراودنى . كيف نعلم الأبجدية للطفل ؟ نحن نعلمه على الورق بالكتابة ، مع أن اللغة - كما قلت منطوقة غير مكتوبة ، فمن السخف أن نعلم طفل السادسة من العمر كيف يكتب بقلم أو بطباشير حرفا إنما يجب أن يرسخ فى ذهنه كيف ينطق هذا الحرف . فاللغة العربية كبقية اللغات لغة منطوقة فى الأصل ، ولكننا نحن وقعنا فى مشكلة التشكيل ... لقد تصورت نفسى أعلم فصلا من التلاميذ الابجدية . وأنا فى هذه الحالة لن أبدأ بالالف وإنما سأبدأ بالاحرف التى نص عليها قاموس العين ، وهى تتبع نطق الحروف ابتداء من الشفه وانتهاء بالحلق . فأول حرف هو الميم والباء ، وآخر حرف يخرج من آخر الحلق وهو العين ، وأبدأ تعليم الطفل ماهو حرف الميم ، فأقول له أنظر لك فم ولك لسان وأسنان وسقف حلق وحلق - إلخ

يحيى حقي مع رفيقة عمره



وسأنطق أمامك ميما - ما - م - وانطق ورائى ، واظل الح عليه حتى يثبت فى أذنه ثم يصل الى مخه أن هناك نطقا مخصصا معلوما اسمه (ميم) وهو يتشكل بضم الشفتين إحداهما الى الأخرى . فإذا استقر فى ذهنه هذا ، أقول له أنتى بكلمة فيها « ميم » ، واحاول أن أطلب إليه أن يستمع إلى انلس يتكلمون ، وأن يعد لى كم مرة ورد حرف الميم . بعد ذلك أقول له الميم التى تسمعها ترسمها هكذا ، ولكن تسمعها أولا وترسمها ثانيا . ثم ننتقل الى الباء .. الخ

انا خادم اللغة العربية

تصورت نفسى واقفا امام فصل مرارا وتكرارا . وكان من شهواتى أو نزواتى أو غرورى أن أقوم بهذه التجربة وأرصد نتائجها ، ولكن الاقدار لم تتح لى هذه الفرصة . ولايزال ألمها يحز فى نفسى .

إن اهتمامى ليس بالقصة ، إنما اهتمامى باللغة .. اللغة التى تروى القصة . ماقيمة القصة إذا رويت بلغة ركيكة أو سقيمة ، وإذا لخصت تاريخ حياتى أستطيع أن أشهد - كما يقولون خادم الحرمين الشريفين - فأنا خادم اللغتين العظيمتين الجميلتين الفصحى والعامية فى مصر .

لماذا ؟ لأننى منذ بدأت اكتب دعوت وبالتطبيق إلى ضرورة الالتزام بمنتهى الدقة فى اختيار الكلمات بحيث لايزيد النص كلمة واحدة لاطائل تحتها ، والححت على ذلك إلحاحا شديدا حتى شعرت أننى وصلت إلى درجة المبالغة فى كتابى صح النوم ، ولكن للأسف الشديد فإن أحدا من النقاد لم يلتفت الى هذه الدعوة مع انى أعتبرها من أهم ما وهبت نفسى له فأنا أريد ان أذكر فى المستقبل لاككاتب قصة بل كخادم للغة العربية ...

إعداد : نادية كيلانى .



أعلام معاصرون

يحيى حقى :



أمير المقالة القصصية

بقلم : فتحى رضوان

أريد اليوم أن أرسم صورة قلميه ليحيى حقى . لقد كتبت عنه قبل اليوم مقالاً فى مجلة الثقافة ، ضمها كتاب أسمه (أفكار الكبار) ولكن اليوم أريد أن أتحدث عن يحيى حقى الأديب ، عن شخصه ، عن سماته ، عن خصائص نفسه ، لأنى لا أظن أن أحدا يكتب عن هذه الجوانب التى لو وصفت بحذق ، وصورت بدقة ، لظفر القارىء العربى ، بشىء ممتع . والحق أن الشخص الذى يمكن أن يقوم بهذا ، ببراعة ولطف وخفاء ودعابة وسخرية هو يحيى حقى نفسه ، ولقد صور نفسه فى آلاف من السطور التى كتبها والتى كونت كتبا ستخلد كما يمكن أن تخلد الكتب قرنا أو قروناً ، ثم تبقى بعد ذلك أثرا ، يحتاج الى مكتشف ، ووشم فى ظهر يد الزمان ، لايقرؤه الا شخص منقطع لقراءة هذه الآثار الباقية :

يحيى حقى ، كل شىء يدل على أنه ، ماكر ، واسع الحيلة ، عميق الغور ، لاتعرف ماذا يبطن ، فهو أولا قصير ، وآباؤنا وأجدادنا علمونا أن القصير ماكر ، وأن الطويل أبله ، ولكل قاعدة استثناء واحد على الاقل . ولكن يحيى حقى الى جانب قصره ، له ابتسامة لاتفارق شفتيه لاندرى أهى مشروع نسى صاحبه أن يتمه فى مدة تجاوزت الثمانين ، فأنى أزعم نه حينما ولد ، كانت هذه الابتسامة على شفتى الطفل الذى يصرخ صرخة الحياة التقليدية التى لاتبدأ الحياة إلا بها .

وبعد هذه الابتسامة التى تبحث عنها فى تقاطيع وجه يحيى فلا تدرى اذا كانت موجودة ، أم أنها إيحاء لايثبت للتحقيق والتثبيت . والى جانب القصر والابتسامة الغريبة المحيرة يحيى حقى يتكلم همساً لم أسمعه يصيح قط . ولو وهو ينادى على بائع جرائد ، وهو لايكتفى بأن يكف نفسه عن الصياح بأنه يعتبر الصياح جريمة من أخطر مانسى المشرع النص عليها فى قانون العقوبات . وأحسب انه لو ولى يحيى حقى وزارة العدل ،







لأصدر تشريعا يحرم الضجيج الصادر عن اصوات الآدميين وأذكر أنه شكا لى أن أحد وكلاء الوزارة لايعرف كيف يتكلم الا وكأنه يؤذن فى جماعة من الصم .

فاذا أضفت الى كل هذه الصفات والخصائص أن يحيى حقى أشتغل مثلا بالسلك السياسى ووصل الى وظيفة السفير ، وقد أخذ السلم من أدنى درجاته (أمين محفوظات) الى أعلاه ، وجاءت الثورة فلم ينح عن السلك السياسى هذا السلك الحساس جداً . ولكنى اؤكد انه إذا كان يحيى حقى ماكرا ، فمكره خير كله . فلا هو آذى أحداً ، ولاهو فكر فى أن يؤذى أحداً ، بل لعله عاش ينتظر الأذى من الآخرين ، حتى كاد يصبح هذا التوقع وسواساً .

ولقد عرفت يحيى حقى قبل أن اسمع بأسمه اديبا . ولم التق به ، وأراه رأى العين ، وقد لابست هذه المعرفة الأولى ، ظروف كانت جديرة بأن تفسد صلتى به . وتدعونى الى النأى عنه ، ولكنها لم تترك هذا الأثر ، فقد وقعت هذه الظروف ، وهو فى القنصلية المصرية بتركيا ، وأنا محام لعائلة تركية مصرية ، كان عميدها رمزى طاهر باشا كبيراً لياوران الخديو عباس حلمى وغضب عليه الانجليز لميوله العدائية ضدهم ، فاقصوه من مكانه الى جوار الخديو ، وعينوه وكيلا لوزارة الحربية المصرية ، فلما بلغ المعاش ، عاد الى مسقط رأس أجداده فى تركيا واقام هناك ثم قامت بين بعض أولاده والحكومة المصرية نزاع قضائى وكلونى فيه ووفقت الى كسبه ، وإن لم أجن منه مليماً واحداً مع أنى سلخت السنوات أترافع ضد أكبر محامى فى الحكومة فى درجات التقاضى كلها ، وكان آخرهم المرحوم عبد الرحيم غنيم الذى وصل الى منصب النائب العام وهو الذى حقق فى قضية حريق القاهرة .

وطال الزمن الذى كان على أن أتعرف بعده على أديبنا الكبير ، واقتصرت فرص لقائى به ، على جلسات قصيرة سريعة . بمنزل العالم الكبير باللغة العربية وأدبها وحضارتها ومحقق آثارها الاستاذ محمود شاكر الذى جمع أخيراً بين الحسنيين جائزة مصر التقديرية وجائزة السعودية الكبرى . وأن يكون يحيى حقى صديقا لمحمود شاكر ، امراً من غرائب حياة الأدباء والمفكرين ، فمحمود شاكر شديد الغضب عنيف اذا كتب أو إذا خطب ، العيوب التى يراها فيما يقوله الناس أو مايفعلونه ، لايلقى منه الا الحمم التى تفجر بها بركان سخطه .

ويحيى حقى لايغضب الابينه وبين نفسه ، وماأسرع أن تتحول غضبته الى سخرية بالناس ، وبالدنيا ، وبالكبار وبالصغار ، فشعاره (خليها على الله) ليس كلاماً يقال ،

ولاعنوانا لأحد كتبه ، يرمز الى أسلوب نظراته الى دنياه ، بل هو خلاصة فلسفته ، فقد مضت حياة يحيى حقى دون أن يدفع الناس ، أو يزيحهم عن طريقه ، ولاأظن أنه قال لأحد عبارة (من فضلك) ليفسح له طريقا ، أو يترك له مقعدا ، فكل ماهو آت قريب ، والطريق المزدحم سينفرج ، والناس الذين يتلكئون ، يذهب كل منهم الى حال سبيله . حسبك أنه رفض أن يكتب فى جريدة رائجة ، وأبى الا أن يتخذ له ركنا فى جريدة المساء حينما قل جمهورها ، وفتر زيوعها . وفى هذا الركن كتب أجمل ماكان ينشر فى جرائد اللغة العربية . فما يكتبه يحيى حقى ، هو فى واقع الامر ضرب من الأدب ، لاأعتقد أن الجاحظ سمع به أو عرف شيئا قريبا منه . وقد مضت قرون اللغة العربية تؤلف خلالها الكتب ، وينبغ الشعراء ، ويسطع نجم الادباء ، وليس فى كل هؤلاء واحد يستطيع أن يلعب بالألفاظ ، ويصنع منها العجائب والغرائب ، ويخلق لاخوانه فى هذه اللغة فى القديم والحديث ، كنوزاً من الطرائف التى لايعرف الناس بعد ان يقرؤها أهى شيء يقرأ فحسب ، أم هى سخرية يداعب عقولهم ويدغدغ شعورهم ، ويحملهم على أن ينظروا الى الدنيا نظرة جديدة . لأنه لايدع ظاهرة من ظواهر حياتنا ، ولاسيما مابدا منها لنا ، تافها قليل الشأن حتى يقلبه ظهراً لبطن ، ثم يستخرج منه حقائق ومتناقضات وصوراوافكاراً ، لاتدرى كيف اهتدى إليها ، وكيف عرفها ولو كان لى من الشأن ماكان لحافظ ابراهيم شاعر النيل فى الثلاثينات لوقفت على مسرح الاوبرا ، قبل أن يحرق طبعا ، وهتفت فى أذن الوطن العربى قاطبة ماهتف به حافظ وهو يكرم شوقى أمير الشعراء .

أمير القوافى لقد أتيت مبايعا
وهذى وفود الشرق قد بايعت معى .

فأنى أبايع يحيى حقى بأنه أمير المقالة القصصية ، وهى شيء غير المقالة ، وغير القصة ، ولكنها مزيج من الفنين ، يضفى أحدهما الى الآخر ، دون التزام قواعد القصة ، وشروط المقالة ، ليسكر قراء العربية ، بهذا الاكتشاف الفريد .

ولد يحيى حقى فى ٧ من يناير سنة ١٩٠٥ ، ففى يناير ١٩٨٥ ، يكمل العقد الثامن من حياته المباركة المثمرة . وسيترك لقراء أدبه ولمحبى الأدب على طول الانسانية وعرضها ، نحو ٢٨ كتابا أولها (قنديل أم هاشم) ، وآخرها (كناسة الدكان) . وسيعرف الناس ، عندما يهبط الغبار بعد عمر طويل الذى يثور حول كل كاتب فى حياته حتى ولوكان غبار الشهرة وذيوع الأسم . فيبدو على حقيقته . وعندما يعرفون الصنيع الجميل الذى صنعه هذا العاشق المتيم باللفظ الجميل فى اللغة العربية ، وهذا المصرى القح الذى لايعدل بروائع الحياة البلدية فى أحياء القاهرة العتيقة ، أكبر أحياء باريس وأجملها ، ولقد عبر بأسلوبه النفاذ والأخاذ عما يقال له من أولاد البلد الذين تخدعهم لون بشرته البيضاء والمشربة بالحمرة ، والبيريه يضعه على رأسه ، وتقاطيع دقيقة ، لاتشبه تقاطيع أغلبية الشعب المصرى فيقولون له : حاسب ياخواجه ! فيقول : آه لو تعلمون .

آه لو تعلمون كم يخفى هذا المظهر الأجنبى ، من تعلقه الشديد بمصر ، والاسلام ، وأولاد البلد ، وكم يحبهم ، وينظر بعطف وود الى أسلوب حياتهم وجهادهم الشريف من

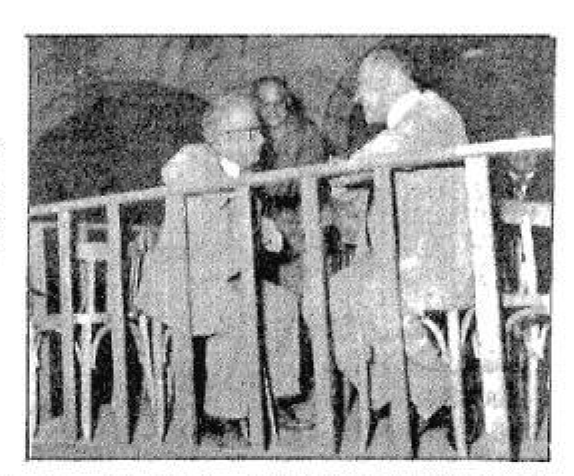




أجل لقمة العيش .

وإذا جاء دور الاستشهاد ببعض ماكتب يحيى حقى ، تأكيداً لما قلته هنا ، وماقلته فى مواضيع سابقة عن خاصية (يحيى) الكبرى ، وهو لعبة الحاوى بالألفاظ . قلت من قبل : أن سر قوة يحيى حقى ألفاظه وحين أقول ألفاظ يحيى حقى لاتظن أننى أعنى أنه يستعمل ألفاظا جديدة ينحتها أويزاوج بينها أو أعنى الألفاظ ذات الرنين ولا ذات الموسيقى الداخلية أو الخارجية ، إنما أعنى الألفاظ البليغة حقا ، الفصيحة صدقا اى التى تقول لك فى موضعها من الجملة ، وفى مكانها من البيان مالاتستطيع أن تقوله كلمات اخرى ، مهما كانت جميلة الجرس ، ولطيفة الموقع ونادرة الاستعمال مع خلوها من كل مايشوب الألفاظ من عيوب كالغلظة او الثقل على السمع أو اللسان ، او غموض المعنى فضلا عن انها تقول مايريده الكاتب بالضبط أو مايقوله وفوقه (علاوة) وقد قلت بعد ذلك « الكتاب ينقسمون الى ثلاث طوائف ، طائفة اللفظ وطائفة الاسلوب ، وطائفة الفكرة ، وأعلى الجميع كعبا هم المنتمون للطائفة الاولى ، وان بدا أن كاتب اللفظ ، هو أدنى الجميع مرتبه وقد قلت أن ما أعنيه بكاتب اللفظ ، هو الكاتب الذى يستطيع أن يوهم القارىء ، ويلهمه ، ويبعثه على الضحك ، ويحمل على الأسى ، ويشرح له الصعب ويقرب له البعيد ويدعوه الى الحركة ، ويحرضه على السخط . بألفاظه هذه الاداة الصغيرة التى كنا نصفها فى أحاجينا باللغة العامية ، « وقد السمسمة ، وتجيب الخيل ملجمة » تماماً ككاتب اللفظ هو الذى يعرف كيف يخرج من الفاظ يضعها جنبا الى جنب فى نسق معين ، تختفى من خلالها شياطين الانس والجن ، وملائكة السموات وملائكة الرحمن . فى حين أن كاتب الفكرة قد ينفرك منه لأن فكرته وأن كانت جميلة اصلا وتصاغ فى قالب من فخار أو طين ، فتنفر منها وقد وضعت أصابعك فى أذنك ، وكاتب الاسلوب كالمرأة التى تتقن فن الرشاقة المصنوعة ، تلبس ثوبا جميلا ، ولكن على جسم قبيح ، فيستر الثوب بعض عيوبها ، ولكنه لايحيلها الى جميلة .

وقد وجدت فى بعض ماكتبه يحيى حقى عن البيت الذى نشأ فيه فقال « فالجو الغالب فى هذا البيت كان أولا شيء من الاعجاب برشاقة اللفظ والابتهاج بالتوفيق فى العثور عليه » وقد كان من أجمل النماذج المؤيدة لهذا المنهج فقد قدم . فى جملة واحدة ـ لكتابه دمعة فابتسامة فقال : (دلق الزنبيل) . اصدق وصف لهذا الكتاب ، فهو



فتحى رضوان مع يحيى حقى عندما كان حقى مديراً لمصلحة الفنون لقطة عمرها ٢٨ سنة

خواطر متناثرة فى موضوعات شتى ، لارابط بينها ـ ومن ورائها جميعا دافع واحد اعتاق الكلمة . ثم تحدث عن كتابه (صح النوم) فقال : « ليس فى هذا الكتاب لفظ واحد لم يكن موضع حس وذوق ، وفيه صفحات كاملة لايتكرر فيها لفظ واحد ، والمسألة ليست مع ذلك مسألة صدفة ، بل مسألة ثراء فى المعانى والأحاسيس التى تتطلب ألفاظا لاتتكرر .

وهذا بالضبط ماعرضته من قبل ، فالأدب اختيار للألفاظ تلاقى المعانى ، وتلتصق بها ، ولاتكون أبدا كالثوب المتهدل الذى ترى فيه زوائد وفضولا ، ولا الثوب (المحزق) الذى يبرز بسببه أجزاء من الجسم ، تشينه وتعوق حركة صاحبه .

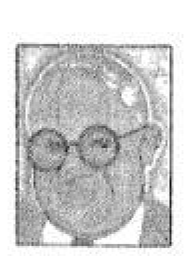
وقد قال يحيى حقى فى محاضرة ألقاها فى جامعة دمشق فقال : آن الأوان لأن يكون فى الأدب أسلوب أسميه الأسلوب العلمى ، يعتمد على تجديد المعانى وبالتالى اختيار الألفاظ بحيث لايكون صالحا الا لفظ واحد فيتعذر أن يستبدل به لفظ آخر .

أريد أن أختار لك نموذجين او ثلاثة مما كتب يحيى حقى ، فلا أحد أجمل ، ولاأصلح لهذه المهمة ـ مهمة النموذج من وصف يحيى حقى لجنازة مصطفى كامل فى ١١ من فبراير سنة ١٩٠٨ قال :

لايشفع لى فى العودة من جديد الى الرمز الذى اتخذته للعهد السابق (وهو شخص مصطفى كامل) أيمانا معى بأن من انغرزت رجله فى هذا الشرك لاتنفلت منه بسهولة « بقايا طلقاء السجون من أشلاء دنشواى يحملون نعشا وتارة علم البلاد ، خفيفا كالنسيم ، يضم روحا لاجسدا ، لفتى كان جهاده هو الذى فك عنهم الاغلال يخوضون به بحراً لجياً من اهل الريف والقاهرة »

دعك من هذا النموذج الحزين الذى يحدثنا فيه يحيى حقى عن جنازة مصطفى كامل واشلاء ضحايا دنشواى ، فقال أقتل البيك ، وصف المقهى التى اتخذها رواد القصة الجديدة فى العقد الثانى من القرن العشرين ، هؤلاء الرواد الذين يتقدمهم محمود طاهر لاشين والذين كونوا فيما بينهم مدرسة جعلوا احمد خيرى سعيد ناظراً لها . قال يحيى حقى فى بعض الليالى يهرعون ـ كالجياع الى وليمة ـ الى مسرح الكورسال ليحضروا حفلات الفرق الاوربية من مسرحية موسيقية ويصفقون أكثر من تصفيق الخواجات ، كان مكان أغلبهم فى أعلى التياترو ، واذا غلى فى بطونهم الأدب الروسى سألوا اين بتاع





(الفودكا) فليس الا على أبخرتها يتاح لهم أن يتذوقوا هذا الأدب ، ويعيشوا فى جوه وقد غلب الطابع الشعبى على هذه الندوة ، ضمنا المسرح والنكتة والدعابة بانضمام شخصيتين غريبتين اليها ـ أولهما الاستاذ احمد خيرى سعيد الذى هجر دراسة الطب بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من الشهادة . الى الصحافة ، فقد كان بسبب هدوء نفسه وسماحة صدره ، وصبره على الحيل ، وقدرته على عقد الصلة وفك عقدها ، وأن كان اقل أعضائها انتاجاً ، والثانى هو الاستاذ محمود طاهر لاشين الذى يجوب الشوارع ويدخل الدور ، ويقهقه ملء فمه .. ثم اتسعت الحلقة واصبح يخاطبها من الداخل ، اوعلى الهامش ادباء مثل ابراهيم المصرى وحسن محمود والمرحوم محمود عزمى ، وحبيب زحلاوى ، تنطلق من على موائدهم كالرصاص اسماء هوجو ودستوفسكى وموباسان وتشيكوف وبلزاك العظيم .

كادت تنشب ذات مساء معركة لأن احد الجلساء بتأثير الثورة فضل كاتبا شعبيا مثل جوركى على كاتب ليست له رسالة شعبية مثل بلزاك ، ولكن المعركة انفضت وقد بقى على رخام المائدة فتات سمسم سميط وتبين أن ماسح الأحذية قد انتهز هذه الفرصة ، ومسح للجميع احذيتهم .

والآن أنقل لك صورة قلمية لشخص عزيز على (يحيى حقى) هو السفير محمد توحيد السلحدار ، السفير الذى نشأ فى أحضان مصطفى كامل ، وبقى عاشقا لمبدئه وأسلوبه الوطنى قال يحيى : سعيد من يرسم هذه الصورة القلمية بخطوط سريعة من العلم كأبرع وأسرع وأخف ماتكون ريشة الرسام .

« تعال انظر » وهو جالس الى قدح من الشاى مسترخيا فى مقعد وثير لبس فى أصبعه خاتم يتيم ، وكان له فى كل يوم مختلف خاتم ، ابتسم له حظه فرتب له من يسمع منه ، واحداً أو اثنين لااكثر ، فما فوق الاثنين فى حكمه .

زحام يخلخل الجو ، وكان الزحام أشد شىء يكربه ، تختلط فيه الناس ، مقاصد واقدار ، ويسوى بين الباحثين عن زادهم والمتطفلين وعبيد قهوة الشيوخ ، ولايشترط فى المستوى ، أن يكون صديقا له يتوقع حضوره عن موعد أوعادة بل الاجب اليه ان يكون المستمع منه غريبا جمعته به الصدفة فيحس أنه يتجدد معه ، وأن كل كلام له بداية لاتكرار ، حينئذ كانت الساعة والمزاج تنفرد أشرعته ، كانما من تلقائها لاستقبال نزهة مجال لها ، فلايستاثر بها تيار واحد بعقد زواج ، بل تغازل الرياح فى كل صوب ، وتصطاد هذا بعد ذلك برشاقة العاشق البوهيمى ، مابين شرقية وغربية ، وشماله وجنوبه ، هذا هو يحيى حقى .





بقلم الدكتور: **ناجي نجيب**

لانجد مقالا ما ليحيى حقي نقد فيه كاتبا أو كتابا من أجل العامية ، وإن حذر أحيانا من مخاطر العامية ، ولكننا لانعرف ناقدا أو أديبا آخر قد هجا أدباء الفصحى التقليدية (مثل محمد سعيد العريان ، عزيز أباظه ...) وأدباء المراهقة اللفظية مثل (إحسان عبد القدوس) كما فعل يحيى حقي . ولا نكاد نعثر على مقال نقدى كتبه إلا وقد تعرض فيه لقضية الأسلوب واللغة .

ويصف محمد مندور يحيى حقى بأنه العربى الوحيد الذي قصر نقده عامدا متعمدا على علم الأسلوب الجمالى في اللغة ، ويصفه بأنه ناقد "ذواقة" "يحرص على التوقف عند الجزئيات بدلا من الاحاطة بالكليات "

وقد وضع بمحاولاته النقدية « الأسس العامة لعلم الأسلوب فى العربية على أساس من حساسية جمالية ولغوية بالغة الرهافة »

وأيا كان الأمر فالنقد عند يحيى حقي جماليات ومسالك بعينها . فمهما أشتد فى نقده ، فهو حريص أن يعرفك أنه يتحدث عن « صديق » عزيز أو « مؤلف » نبيل أو « أستاذ » كبير ، بل قد يقول لك إن حديثه « لو علمت مدح وليس بقدح » وأحيانا ما يخلط المدح بالقدح حتى يكاد أن يخلط الأمر ، على الأقل على السطح .

وقد يعتذر لك بادىء ذى بدء بأن ما يبديه من رأي ينقصه البرهان ويصدر عن الشعور وحده ولا عليك إن رفضته .

الأناقة بلا خير ولا شر

الحديث عن عزيز أباظة ومسرحياته « شهريار » (١٩٥٥) ، ويبدأ يحيى حقي مقاله بتقريظ عظيم للشعر والشعراء ، لاتكاد تتبين منه أولا إن كان من باب المديح أم من باب التنكيت والتبكيت ، وقد ترجح أنه بين بين ، ولكنك لاتلبس أن تدرك مضمون هذا النقد يقول حقي :

" وخليق بالأمة اليوم ، إذا كمل لأحد أبنائها معدن الشعر وسماته ، ورأته يخلص لفنه ولاءه ، ويستمد منه وحده فرحه وكبرياءه أن تعض عليه بالنواجز وترمقه بعين الأم الرءوم ، وتحتفي به ، وتجدد معه من المواثيق ما كان بين القبيلة



يحيى حقي ناقداً

وشاعرها .. لأنه وحده هو الذى يدلها على نفسها وجذورها وأزهارها ، فالشعر ينبعث من صميم كيان الأمة ، لأنه لغة رمزية ... مصادر السخرية فى هذه الفقرة عديدة :

● فالناقد يفترض اننا مازلنا فى مجتمع القبيلة وشاعر القبيلة ،

● ويستعير صورا لفظية حسية من مجالات غريبة على السياق تقلب المقصود الى نقيضه مثل : " العض بالنواجذ ، والام الرءوم التي ترمق طفلها " ..

● ويحرف صيغ التعبير المألوفة عن طريق التوكيد والازدواج مما يكسبها بعدا كاريكاتوريا ساخرا مثل : " يخلص لفنه ولاءه ، ويستمد منه وحده فرحه وكبرياءه " .

عزيز أباظة كما يحدثنا يحيى حقي - شاعر مسرحي مجرب سمته " الأناقة الروحية " فهو شاعر " قد عرك الدهر وذاق حلوه ومره ، وتساوى فهمه في الخير والشر ، وانحدرت هذه العناصر كلها الى نفس هادئة ... ، وتبلورت في فلسفة مضمونها الصبر والتسامح والغفران والوثوق في رحمة الله .. " ومن ثم لن تجد عنده " وخز الابر أو سخرية لذاعة أو ثورة جامحة أو غضبا يفقده الرشد والحلم " .

وهكذا تتكشف « الأناقة الروحية » بأنها أناقة بلا حياة ولا انفعال ولا معنى .. أناقة ليست من هذه الدنيا ، وإنما اناقة عليا تسوى بين الخير والشر . وإذا تذكرنا أن حياة المسرح هي الصراع والحدث الدرامى فأى مصيبة أن نمدح كاتبا او شاعرا مسرحيا بهذه المواهب .

يمضى يحيى حقي على هذاالنحو لايحيد ، وكأنه يقف في وجل ورهبة في محراب هذا « الشاعر الكبير » . فبعد الأناقة الروحية « يصف عزيز أباظة » بالأناقة اللفظية » فهو مؤلف قد تعمد إقصاء الألفاظ المألوفة كلما وجد بديلا عنها الفاظا لاتزال كاللآلئ مكنونة فى أصدافها . فأصبح فى أيدينا قاموس عزيز أباظة ومن فعل فعله لايسعده شيء أكثر من أن تشيع بين الناس ألفاظه الجديدة ، وأرشح فى مقدمتها (همسات) بدلا من (شائعات) .. ولكن الأسلوب كائن حي كما يستدرك يحيى حقي في أسى ، أهم مقوماته دفؤه وجريان الدم فيه والأناقة لاتنبعث من قلب ملتهب بل من دماغ بارد . ولن تجد أصحاء يتأنقون فى كل مأكلهم . لاشك أن تعبير « دماغ بارد » تعبير صاعق ولكن الناقد لايلصقه بالشاعر الكبير وإنما بالأناقة على أن الجملة الأخيرة من الفقرة السابقة هى بيت القصيد :

« ولن تجد أصحاء يتأنقون فى كل مأكلهم» فماذا يقصد بهذه المقولة ؟ إنه يترك لك مهمة التفكير والتخيل ، وحين تفكر ستعي الى أى مدى قد ذهب حقي في تعميق مغزى هذه الأناقة التى هي براء من الخير والشر . إنها إذن شيء مرضى أو غير سوى بشكل او آخر . وحين نقرأ بعضا من كتابات عزيز أباظة فى الشعر والمسرح الشعرى ودعوته الى الجهاد

الأكبر ضد الشعر والشعراء الجدد فى الخمسينات هؤلاء « المرضى الخبثاء » الذين يأتمرون « بلغة كتاب الله » كما يقول فمن الصعب أن نصف هذه الأناقة أو العصبية الأباظية بأنها مسألة عقيدية فحسب .

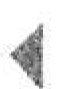
وأخيرا : ماهى قضية « شهريار » فى مسرحية عزيز أباظة ؟ لايتطرق يحيى حقي الى ذلك بكلمة خير أو شر . فقد قال مافيه الكفاية . وهو مايدركه قارىء المسرحية سريعا سيجد أن « شهريار » أباظة ضحية الوهم وسوء الظن ، لم تخنه امرأته الأولى ولم تغدر به ، كما تقص علينا « ألف ليلة وليلة » .. فقد كان العبد الذى ضبط معها خصيا كما تقول الآن المسرحية .. عقدة شهريار التى تدفعه أن يتزوج كل ليلة عذراء ويسلمها فى الصباح للجلاد مصدرها الوسواس الخناس وكبرياء الرجل المجروح وتجبر الملك الذى لايعرف الشورى (هكذا !).

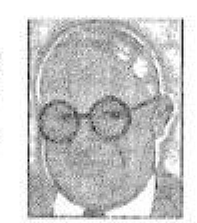
أما « شهريار » أباظة فهى مثال المرأة كما يتصورها المواطن العربى بخياله ولا يتصورها فى عالم الأحياء (الغريب أن عزيز أباظة يعبر عن ذلك التناقض عن غير قصد فى مسرحية « العباسة » (١٩٤٤) حيث يقول : «إن النساء وإن نبغن فإنما هن النساء » وبهذه المقولة العامية الشائعة يبرر أباظة انقلاب بطلته العباسة أخت الرشيد من امرأة أبيه شامخة راجحة العقل فى الفصل الأول الى امرأة ضعيفة بلا رشد أو عقل فى الفصل الثانى) أيا كان الأمر فشهر زاد أباظة هي الجمال والعقل والاعتداد بالنفس والتصميم والعزم والفداء والحب والعطف وتجنب المعاصى والمحارم . وهى تأبى أن تشفي شهريار من مرضة وما أصاب نفسه مهما كلفها ذلك . وبالفعل تقوده الى التوبة وبر التقوى والصلاح ، ونراه قبل أن يسدل الستار يعتزم الحج الى بيت الله . وفوق ذلك فالمسرحية مليئة بالأدعية والابتهالات . فسبحان منقذ شهريار الملك من الضلال

يقول أحد الدارسين لمسرحيات عزيز أباظة فى نهاية عرضه المفصل « لشهريار » : المادة هي المادة القديمة ، والأدوات والشخوص أوجدتها عهود سابقة، وإن شاعرنا مازال يعيش في مادة غيره (عبد المحسن عاطف سلام ، « عن مسرحيات عزيز أباظة، الاسكندرية ١٩٦١ ») وهو ماينتهى اليه يحيى حقى بلغته ووسائله الخاصة .

---

(١) يرى عزيز اباظة في محاضرة بعنوان ، المسرح الشعرى ألقاها فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورة سنة ١٩٦٠/١٩٦١ أن الخروج على قواعد الشعر المتوارثة أدما منبعه « الحقد والعجز » ويعم حركة الشعر الجديدة فى الخمسينات بأنها « دعوة أثيمة خبيثة تكمن وراءها مساندات . تظاهرات نفوس سقيمة . عطاش لهدم كل ما هو مأثور من تراث العصور وكل قيم من ذخائر الحضارات التى جذبها الزمن وأغلاها العتق . ومن ثم يدعو أعضاء المجلس الى مقاومة هذه الظواهر المريبة « التقدمية أو الشعوبية » ويقول : « من الحق عليكم أيها الخالدون أن تنفروا لدفع هذه الغاشية التى داهمتنا بأخرة لهذه الغاشية التى تأتمر بلغة كتاب الله ... »





يحيى حقي ناقداً

وليحيى حقي مقال آخر نشره عام ١٩٤٤ في « الثقافة » وعرض فيه لمسرحية عزيز أباظة « العباسة » التى نال بها صاحبها لقب الباشوية ، لانتصاره فيها لهارون الرشيد ضد البرامكة ، كما يتقول البعض .

يوضح هذا المقال النقدي الساخر المسافة التى ظلت تفصل يحيى حقى عن مفاهيم النخبة ومشاعر التعالى التي كانت تسيطر على كبار الكتاب وعمداء البيان في تلك الحقبة . أليست تلك القذائف الساخرة فى وجه مقاييس ذلك العصر وأناقته الشكلية من أروع علامات اليقظة والاستقلالية : وقد يفسر لنا هذا بعض الشيء لماذا ظل يحيى حقي طويلا مغمورا بعيدا عن الأضواء .

المرمر فى ذل الأسر

سعيد العريان (١٩٠٥ ـ ١٩٦٤) من عشاق البيان وشرف الديباجة ، تخرج فى دار العلوم عام ١٩٣٠ ، وعمل بالتدريس ، ولازم فترة طويلة مصطفى صادق الرافعي كمعجب ومريد ، وترجم له ووضع مجموعة من القصص التاريخية أشهرها « على باب زويلة » « ١٩٤٧ » .

يعلق يحيى حقي فى إحدى مقالاته على قصة العريان « بنت قسطنطين » (١٩٤٨) وأخوات لها ، ويعتذر في البداية لأنه سيقول رأيه فى قصة صديق غير طامح أن يقنع القارىء بما يرى ، ثم يشيد بمآثر الكاتب ، فيمدحه بأنه « نعم المدافع عن تراثنا وأمجادنا » ، وقصصه جديرة أن تهذب نفوس التلاميذ وتقوم ألسنتهم .

وأخيرا وليس آخرا يتطرق الى أسلوب العريان ، وهذا هو بيت القصيد ، فيراه مفخرة لماض ، ولكنه شيء ذليل مستعار أن تلبسه ، فهو يتحدث ويفكر بلغة غيره .

ويقول حقى ما يقول عن العريان من خلال التشبيه والتصوير الحسى :

« فللعريان أسلوب كالمرمر ناصع ثقيل مصقول تنزلق عليه ألفاظ بعضها فرادى ، وبعضها جملة فى خيط واحد ، وكلها رغم حشمتها وأدبها وكمالها مضاعة فى ذل الأسر والسخرة .

ولا أدري لماذا تذكرنى ألفاظ العريان بصفى يتيمات الملاجىء أمام جنائز غير المسلمين مؤتزرات بغلالات بيض مضى على آخر غسل لها زمن غير قليل . »

فهل رأيت نقدا لاذعا أروع من هذا لأساليب اللغة المتقادمة ، وكأنها كائنات قد استذلت وضربت عليها المسكنة ، وأصبحت من مهامها أن تزين الجنائز !

وآفة هذه الأساليب المجيدة المتقادمة ـ كما يقول حقى ـ أنها تسير على نسق واحد أو تيرة واحدة لاتميز بين حال وحال ، ومن جديد يتحدث حقي من خلال التشبيه :

« أما أسلوب العريان فمن عجينة



سعيد العريان



إحسان عبد القدوس

عزيز اباظة

واحدة فى الحزن والفرح ، في الوصف والحوار ، فى الغزل والحرب ، أسلوب بليغ جزل ولكنه كالماء الصافي لا لون له »

يشخص يحيى حقى بهذه الصور داء اللغة المتقادمة ، فهى لاتسمى لنا مدركات ولاتجسم مرئيات . هى لغة فصيحة ولكنها ليست بليغة ، لغة بلا أبعاد ، أشبه بكائن قد فقد ظله أو تضاءلت حواسه وقدراته الادراكية . وتستمد هذه اللغة تأثيرها من التراكم والتتابع اللفظى ، ومن الاحتفال بالماضى ، فهى بهذا المعنى فى فراغ أو هى - بتعبير حقى - فى « ظل الاسر » .

أسلوب العريان فى قصصه التاريخية هو نتاج ثقافة لغوية فحسب ، أما المضمون فهو بسيط ومتداول ، بل ونستطيع أن نصفه بأنه عامي ، وغايته أن يطري المشاعر والمعانى التى ترتبط بالتاريخ الاسلامى . وأخيرا : كيف يستطيع النشء فى هذا العصر أن يتذوق هذه اللغة ؟ كيف يستطيع الاحساس بوجوده وكيف يستطيع أن يكون ذاتيته من خلال هذه اللغة ؟

بالونات المراقص الملونة

كتب إحسان عبد القدوس وأغلفته وعناوينه أشبه بعلامة شهرة أو ماركة جودة : « صانع الحب » ، « أنا حرة » « فى بيتنا رجل » ، « لا انام » ، « لا ... ليس جسدى » ، « بئر الحرمان » ، « الوسادة الخالية » ، « زوجات ضائعات » ......

وقراء إحسان على الأغلب من الفتيان والفتيات في سن التفتح العاطفى من أبناء الأسرة المتوسطة الموسرة والراقية ، على أن المراهقة العاطفية تحت ظروف المجتمع العربى قد تصاحب المرء إلى آخر العمر ...

واحسان فى جميع اعماله التى ينتجها بانتظام هو فى الحقيقة قصة واحدة من همهمات الحب والجنس والحياة « المودرن » في اطار من مفاهيم الأسر الراقية .

ولكن ما حيلته وقراؤه يدمنون عادة هذه المشاعر والقيم الجديدة والتعبيرات اللزجة المألوفة في « أفلام ميلودراما



يحيى حقي ناقداً

الأسر العصرية » على الطريقة المصرية التي أصبحت الآن من مؤسسات الوجدان العربي . وقراؤه يقرءون من أجل الاستعادة والطرب ومشاعر الخدر كما يفعل نجوم الطرب واحسان عبد القدوس كاتب محترف ومضمون قد ملك ناصية الصنعة وموهبة توليف القصص على نهج لايحيد ، بحيث تحس انه لايبذل من جهد فى وضع رواياته اكثر من الجهد الذى يبذله القارىء في استيعابها ، وهو كجميع زملائه من كتاب « الادب الشائع » لايعول على مقولات النقاد وكفاه تأييد القراء .

فماذا يقول يحيى حقى عن عبد القدوس و « وسادته الخالية » ؟ بادىء ذى بدء ينصبه حقى كاهنا اكبر للحب :« لو أقيم عندنا معبد للحب لكان الاستاذ إحسان عبد القدوس - رغم شبابه - خليقا بأن يكون كاهنه الاكبر ، اليه يصعد بريد القلوب ، فيلقى عليه نظرة فهم وأشفاق ...»

ويكفيه أنه صادق ومجرب فيما يبدى من نصح وقول ، ولا على الخبير من حرج : « كاهن المعبد يعانى من جراء بريده وتجاربه هما ثقيلا ، اياك أن تحسبه سعيدا ، فالسعادة طير مفزع بطبعه » الا يصرح لنا ساخرا انه « يعتقد فى نفسه انه مبعوث العناية الالهية لاسعاد البشر لإصلاح حالهم»

ويدعم يحيى حقى رأيه هذا - وهل أنت بحاجة الآن لأن تعرف رأيه - مبينا ما لاحسان من مآثر وفضائل لاينكرها عليه الا الأعداء :

الا يقصده شباب الجيل افواجا للتعبد فى معبده ؟
الم يبين الاستقصاء الشعبي الذى قامت به الجامعة الامريكية عام ١٩٥٢ انه احب الكتاب الى الجمهور ؟

بعد ذلك الاحتفال العظيم بالكاتب الكبير يتطرق حقي الى لغة إحسان والفاظه وهنا ينتقل من الود القاتل الى الحديث المباشر : نعم إن شرط الصدق أن توضح الالفاظ عن وعي وتأمل فى موضعها وأن تؤدى معانيها ، ولكن ما لاحسان وذلك ، فاهتمامه « هو خلق الجو الذى يريده » و « الفاظه تجول وتتصادم في فوضى لاضابط لها ، وتساق الى امكنة ليست لها ، وعذره أن لها رنينا ونغمة » .

ويمضى الناقد في تأمل هذه الباقات من التنهدات من قمة الرأس الى أخمص القدم والهمهمات التي يعقدها إحسان لصفحات طويلة على الورق ، وكالمألوف يختار لها تشبيها يناسب المقام .

« ألم يشعر القارىء بأن هذه القصص يكتبها أيضا مؤلفون في بلاد بره .... ؟

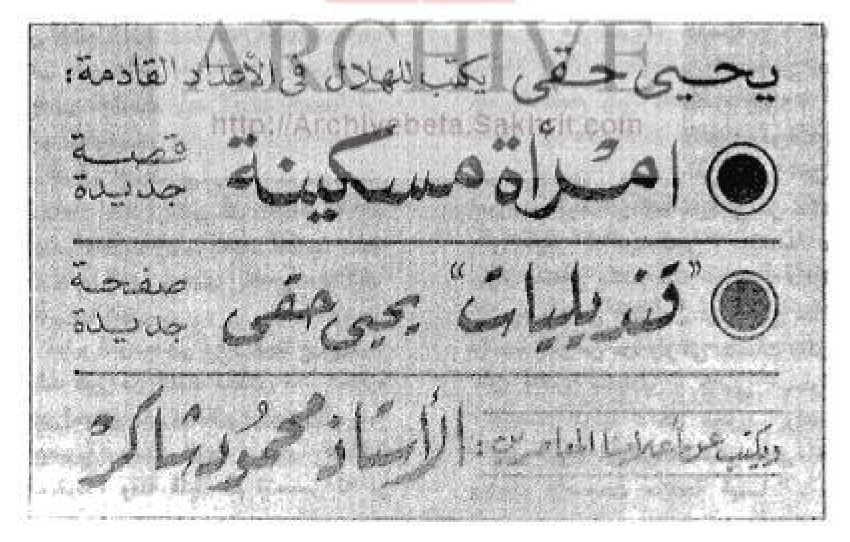
هذا هو الغرض والمطلوب لاأكثر ولا أقل ،لاعجب إذا كانت الفاظه كبالونات المراقص الملونة تتواثب أمام عينيك ، فكيف تريد منها أن تستقر على الورق ؟ لذلك اذا تأملت من يقرأ ، قصص الأستاذ إحسان ... وجدت عينيه تلتهم السطور والصفحات ، وهي تقفز فوق الألفاظ ، لاتقف عندها ، ولا تتبينها ، لأن القارىء

مسحور بالجو كله ، والويل له اذا كان فتى يافعا أو فتاة في مقتبل الصبا . لان السحر يصبح نوعا من التخدير تضيع فيه الموعظة او العبرة التي ساق المؤلف قصته من اجلها ، وهذا التخدير كبقية المكيفات ..

والأستاذ إحسان يقص علينا ـ كما يذهب حقي ـ بعضا من تجاربه فى أوربا ، وقد اعتدنا ذلك منذ غزوات شاعر « الجندول » على محمود طه ، وهذا التحول فى ميدان الغرام أيضا من الشرق الى الغرب من علامات الزمن (وسبحان مغير الأحوال) ... وفي النهاية يعود حقي الى حديث الود والتقدير فيقول للقارىء أن ما يأخذه على إحسان إنما هي بعض « التفصيلات الثانوية » فالاستاذ إحسان يهفو الى الخير والفضيلة ويحمل على البغاء والخطيئة . الا تسمعه يقول عن بعض الشبان « إنهم يحاولون ان يكونوا رجالا على حساب امرأة مسكينة تطعمهم بجسدها المتعب ويظلمونها بأجسادهم الفتية . ؟»

وكأن حقي يريد أن يقول لك أيضا :إنه يبيعك الفتنة والاغراء والخطيئة في ثوب الفضيلة .أو مغلفة فى ثيابها ،أو قل إنه يمتعك بالفتنة دون عواقب ،وهذا هو سر الشيوع وذيوع الصيت ولكن هذا موضوع آخر يخرجنا عن إطار الحديث .

إحسان ـ ولا ينكر ذلك الا مكابر ـ من أساتذة فن القصة فى مصر ، كمايقول الناقد ، وهو كاتب ناجح لايعنيه التحديد والدقة فى التعبير ، ولا أظنه يطمع في أن تعد قصصه من الأعمال الادبية التى يكتب لها البقاء ونقف في نهاية هذا التنكيت والتبكيت حائرين : أنصدق أن إحسانا يشارك الناقد هذا الرأى ؟ الأرجح أن الأستاذ القصاص وقد أصاب كل هذا الشيوع والنجاح يعتبر نفسه اليوم من الخالديـــن .





البوسطجى

صراع الخاتمة

بين قصة يحيى حقى وفيلم حسين كمال

بقلم : مصطفى درويش

يحيى حقى مهضوم الحق فى السينما ، فى حين أن أية قصة كبرت ام صغرت ، لنجيب محفوظ ، او ، احسان عبد القدوس ، او ، اسماعيل ولى الدين ، ما ان يكتب لها ان تنشر ، الا ويكون تجار السينما متربصين لها بالشراء والتحويل الى أفلام ، فان الحال مع قصص يحيى حقى على عكس ذلك تماما ، فعلى مدى اربعين عاما ، او يزيد لايزيد نصيبها فى عالم الأطياف عن فيلمين " البوسطجى " و "قنديل ام هاشم " .

وثمة اجماع على أن الفيلم الأخير منبت الصلة بقنديل الأديب الكبير .. فيه من عدم الفهم لمغزى القصة ودلالاتها الشيء الكثير .

اما ، البوسطجى ، فلا اجماع حوله .. حشد كبير من النقاد تحمس له . اختاره احد احسن عشرة افلام انتجتها السينما المصرية منذ انتهاء عهد الملكية بالسقوط ، وفئة قليلة لم تتحمس له او حماسها له كان من النوع الفاتر المشوب بكثير من الشك .

وكان صاحب القصة المستوحى منها الفيلم من المتشككين .. كان ، يحيى حقى ، من الفئة القليلة .. كيف ؟

فى مقاله الاسبوعى " مع الناس " المنشور فى جريدة المساء (٦ مايو ١٩٦٨) برر الحديث عن الفيلم فى أدب جم وتواضع يليق بالحكماء بقوله :

" كتبت هذا المقال لأقطعه وهو منشور فى " المساء " وأضعه فى جيبى أخرجه لمن سيستجد من السائلين لى عن حكمى على فيلم " البوسطجى " ليغنينا عن جرى لسانى بكلام قلته من قبل مرارا ، لاشيء يتعبنى اكثر من أن أحكى حكاية واحدة اكثر من مرة ولو فى جلسات متفرقة على أناس مختلفين ، كأننى اسطوانة انحبست ابرتها داخل تجويف واحد ، فأحس حينئذ أن هذه الاسطوانة قد باظت وباخت وأصبحت مزعجة ايضا " .



خليل وجميلة فى لحظات الحب التى سبقت المأساة

الغضب .. لماذا ؟

وقريبا من نهاية الحديث .. وبعد أن أفصح عن شدة الفرح والاعجاب بالمخرج "حسين كمال " ـ انتهز الفرصة فتوجه اليه بثلاث نصائح اسماها كلمات لعل اهمها أن يغير خاتمة الفيلم ان استطاع الى ذلك سبيلا .

فما هى هذه الخاتمة التى اغضبت الاديب الحليم فأخرجته عن طوره الى حد التدخل فى عمل فنى مستقل عن القصة والنصح بأدخال تعديل عليه يغير من نهايته ... ماوجه العيب فيها .

وهل هى مغضوب عليها لذاتها أم لارتباطها بعيوب أخرى شابت الفيلم فابتعدت عن روح القصة ؟

القنطرة الصماء

فى حديثه المشار اليه يقول " حقى " بحق عن درّته " البوسطجى " التى كتبها باسطنبول سنة ١٩٢٣ انه قد انعقد فيها خطان أراد القدر أن يتشابكا ، الخط الأول منقول بصدق نقلا فوتوغرافيا عن الواقع ، وهو مصرع "جميلة " على يد أبيها ، تلك الخاطئة التى كان قد حضر من قبل تشريح جثتها وقرأ بعينيه الخطابات الواردة لها من صاحبها الغائب عنها رغم محنتها

والخط الثانى من محض الخيال ، مأساة البوسطجى ـ هذا الشاب القاهرى الذى يفترسه الملل فى الصعيد فيقدم على فتح الخطابات التي تمر تحت يده ليجد قدمه قد علقت بشوك من حيث لايحتسب مارا به على غير ارادة منه ، يدفع بأناس لاعلاقة له بهم بل هم مجهولون عنده الى مصيرهم المأساوى .

ويمضى صاحب القصة الدرّة معترفا أنه كان بالنسبة لخط مأساة البوسطجى



البوسطجي صراع الخاتمة

" متأثرا بقصة الأبلة " لدستويفسكى ، هذا المحايد الذى لاعليه ولا له يقلب حياة كل مجتمع يخالطه ، ينبش مجرد ظهوره بين أفراد المجتمع كل مايخفونه من نوازع وعواطف فيكون هو القنطرة الصماء التى يعبرون عليها الى مصيرهم .

خماسية البوسطجي

وعلى كل فمما يلاحظ على القصة أن وقائعها قد اختزلت على وجه أضفى عليها ميزة التركيز الشديد ، وأن ايقاعها بفضل اقتصاد فى الألفاظ مذهل له جرس موسيقى .

ومن هنا اختيار شكل التكوين لها فى خمس أقاصيص أو بمعنى أصح حركات تحت عناوين (١) بلاغ ورا بلاغ (٢) عباس أصله وفصله (٣) جميلة وبنت ناس (٤)فرحة ماتمت (٥) سقطة البوسطجى .

وأهم مافى القصة انما يدور فى أرواح الشخصيات وبالذات جميلة " الخاطئة " وخليل " الحبيب " وعباس " البوسطجى " .

وعلى هذا وكما يقول الدكتور " على الراعى " فى كتابه " دراسات فى الرواية المصرية " لايجد صاحب القصة أن ثمة الزاما عليه برسم شخصياته من الخارج ، ومن ثم يقصر اهتمامه على محاولة التعمق فى أرواحها وعقولها (ص ١٨٤)

وليس من شك أن الدين من جوانب الحياة الروحية لهذه الشخصيات بل لعله أهمها .

اختلاف الملة

ومن هنا ابراز أن " جميلة " أرثوذكسية يزهو ابوها بزيارات القسيس له ، ويأخذ أسرته كلها للكنيسة حيث يجلس هو تحت ، وتجلس امرأته وبنته الصغيرة " جميلة " فى الشرفة محجبة بالشيش .

وأن "خليل " بروتستنتى فى مدارس الأمريكان من تلك الأقلية القليلة التى توصل بفضلها المبشر البروتستانتى الغريب الى الاختلاط ببقية الأقباط ، وفى يده أمنية يلوّح بها ويغرى " في أسيوط مدرسة للعيالّ وللبنات مجانية "

وأن " عباس " مسلم من أسرة أفرا ها موظفون صغار ، كلهم يؤكدون أنهم من سلالة عربية ، وبعضهم يضيف أنهم من السادات ، رغم ان سلسلة النسب الشريف التى يحفظونها تنتهى عند جدهم الثالث .

وهذا الجانب الهام من الحياة الروحية للأبطال الثلاثة لم تجر الاشارة اليه فى نسيج القصة عبثا .

فبسبب المبشر البروتستانتى ومدرسته بفكرها المستورد التقت "جميلة " بأول شاب تراه عن قرب "خليل " الذى تعمد الانفراد بها ، أمسك يدها ثم لمس ثديها وقبلها ، ونسيا نفسيهما فى احدى هذه

الفورات واجتبى منهما الشباب جزيته .

وبسبب اختلاف ملّة الحبيبين كان القسيس بمثابة ماء بارد يصب بلا رحمة على نار عجلة العروسين فقد وضع لزواجهما شروطا شكلية تستلزم وقتا مما ادى الى تأجيل بل قل التعطيل نهائيا لعقد القران .

الاحتضار الطويل

وهكذا ونتيجة حيلة شكلية غير متوقعة وجدت "جميلة" نفسها أمام مشكلة ليست فى الحياة مثلها .. هى عقدة كلها اصطدام ونزاع وخيوطها من ديانة وتقاليد ووهم ..

وأخذ الجنين فى بطنها ينمو يوما بعد يوم كعقرب الساعة لاترى العين حركته .

ومع نموه بدأ الاحتضار الطويل ، أنات تسمع فى رسائل الاستنجاد الى الحبيب ، تتقطع وتتباعد أخرها أنة من كلمتين " خليل .. الحقنى "

من بعدها نسمع الموت لانراه فى صوت جرس الكنيسة الصغيرة يدق اشعارا به .. يكاد ينطق "فقد يعبّر النحاس فى بعض الأحيان عن منتهى حزن الانسان " .

الشفافية والسوقية

بهذه الكلمات الاسرة المشحونة بالألم والمشاركة اختتمت القصة .. بفضلها نعرف أن شمس حياة "جميلة " قد غابت فى وهدة الموت الى الأبد .

اذن القصة قد عرضت لاختفاء "جميلة " بلغة الرمز والاشارة .. بلغة صاحبها التى تتسم بالسمو والتحليق ..

والمؤلم أن الفيلم لم يحترم غلالة الشفافية هذه التى أحاطت بالخاتمة ، واصطنع خاتمة أخرى مباشرة غليظة لاأجد مناصا من وصفها بالسوقية .

فجميلة فى الفيلم كما يصنعها السيناريو المنشور تهبط هاربة من نافذة غرفتها المطلة على الحديقة الخلفية ، أبوها ينتبه الى صوت ارتطام جسمها بالأرض ، كالمجنونة تجرى فى شوارع قرية كوم النحل وهى تنادى " خليل .. الحقنى " .

وفجأة يظهر المعلم ، يستوقف ابنته هاجما عليها ، تصرخ صرخة مروعة بينما يغمد سكينة فى قلبها .

يحيط الفلاحون الذين أتوا مهرولين من بعيد على الصرخة بالمعلم وابنته القتيلة على صدره .

المعلم يحمل جميلة والفلاحون من حوله متجمهرين فى صمت وكأنهم يشكلون جنازة .

لقطة للقتيلة مع صوت الأم الصارخ فى لوعة " جميلة .. ضناى " ثم تتقدم الأم مندفعة مشعثة وهى تصرخ مولولة وتهيل التراب على رأسها « جميلة ... بنتى ضناىَ » .

الاختلاف والحيرة

هذا البون الشاسع بين الخاتمتين ماسببه ؟



البوسطجى صـــراع الخاتمـــة

قد لاأكون بعيدا عن الصواب اذا ماأرجعت هذا المسخ غير المستحب لخاتمة " جميلة " أو " البوسطجى " الاسم المختار لمأساتها .. أرجعته الى تجريد الشخصيات من أحد جوانبها الروحية الهامة جدا .. الدين .

فالمشاهد لايعرف أن " جميلة " اورثوذكسية ، وأن خليل من القلة القليلة البروتستانتية .

وكذلك الحال بالنسبة للشخصيات التى على صلة قرابة بهما فهى جميعا وبلا استثناء مجهولة الدين بلا أسماء .

ومن ثم فان اختتام الفيلم كما القصة بصوت جرس ال[illegible] صغيرة يدق اشعارا بالموت أصبح - والحالة هذه - من قبيل المحال الذى لامحل له .

بل انه حتى بفرض أن المستحيل قد تحقق فحلّت خاتمة القصة محل خاتمة الفيلم استجابة لرغبة مبدع البوسطجى لما تلقى المشاهد المتعجب من دقات الجرس الرسالة .. ان جميلة ماتت مقتولة ، وبظلّ فى حيرة مابعدها حيرة لايجد معها لتلك الدقات تفسيرا .

مسوخ أم ضحايا ؟!

واذا كان الحال كذلك فهل كان غائبا عن صاحب القصة ان تغيير الخاتمة من قبيل المستحيل ؟

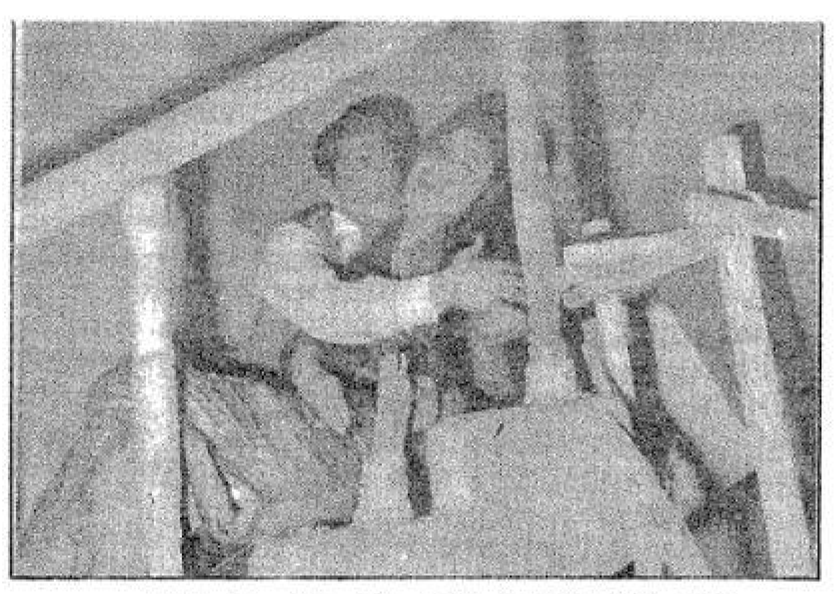
بالطبع لا .. وأغلب الظن أنه بطلبه اعداد خاتمة أخرى للفيلم انما أراد أن يعبر عن ضيقه بما أدخل على شخصيات القصة من تغييرات تحوّلت بها الى مسوخ كاريكاتورية .

فمن المعروف عنه أنه .. وكما وصفه دكتور نعيم عطية فى مؤلفه " يحيى حقى وعالمه القصصى " ذو عقلية تتأنى فى بناء الشخصيات وصقل الحوار وانتقاء التفاصيل ، وانه ولئن كان فى أدبه مهموما بالحياة الكريهة المرعبة فى الريف وبخاصة فى الصعيد الجوانى . الا أنه عطوف على الشخصيات الريفية التى يرسمها بريشته الساحرة ، يكتب عنها بمودة لأنها عنده ضحية بيئة يتشوه فيها الانسان ، يموت على مهل عفنا .

وهو لايشذ عن هذه القاعدة الانسانية فى وصفه لأبى " جميلة " وأمها ، فهما ليسا أشلاء ميتة ، ليسا فى حالة خمول روحى .

فالأب المعلم سلامة لايكاد يفترق فى مظهره ، فى اخلاقه وعاداته عن المسلمين ، اللبس واحد ، والعمامة فوق رأسه عليها المقدار ذاته من التراب ، يحفظ كل الصلوات نغما وكلاما عن ظهر قلب .. الحب الأبوى وحده هو الذى زحزحه عن تعصبه ، جعله يسلم جميلة الى المدرسة البروتستانتية ولم تبلغ العاشرة ، وقلبه يفيض بالأمل انها فى يوم ما تكون معلمة .

وعندما أتمت جميلة السنة النهائية



عباس الشاب القادم من القاهرة والذى يتسلى بفتح الخطابات

ودعى لحفلة توزيع الشهادات ، جاء الى المدرسة فى أحسن ثيابه ..

بل وعندما جاءه خليل طالبا يد "جميلة" قبل بالحاج زوجته أن يعقد الاكليل حتى قبل دفع المهر .

اذن وحسب هذا الوصف هو ليس بالوحش الكاسر الجامد .

التشويه .. كيف ؟

اما الفيلم فقد ذهب فى رسم شخصيته مذهبا آخر ، جعل منه رجلا شاذا كريها ، يطارد مريم الخادمة داخل برج الحمام ، يحتضنها ، يعريها ، يسلبها اعز ماتملك .

رجل أحمق عنيد يرفض زواج ابنته من خليل لالسبب سوى ان جميلة زارت أخته فى النخيلة .

وجعل من زوجته ـ وهى فى القصة سيدة عاقلة فاضلة ـ جعل منها امرأة غيورا ، يحركها الغيظ والغضب والرغبة فى الانتقام من الخادمة ، يدفعها الى التخلص منها بالوشاية بها الى خالها واخيها اللذين يصطحبانها الى اجلها المحتوم .

واغلب الظن أن هذا التشويه لشخصيات البوسطجى هو الذى حدا "بيحيى حقى" فى حديثه المشار اليه الى توجيه النصح الى حسين كمال بأن لايبالغ فى تصديق اعجاب بعض الأجانب المقيمين عندنا بفيلمه " فانهم مأخوذون أول الامر بالجانب الفولكلورى ، فاذا مانفذوا منه الى ماتحته كان لهم رأى آخر "

وكم كان أديبنا الكبير بعيد النظر كم كان حكمه على الفيلم صائبا ، فالآن لا أحد من النقاد الأجانب يبدى اعجابا بفيلم شوه " البوسطجى " .



نساء يحيى حقى

الصعيدية .. الجراوية .. والغجرية

بقلم : الدكتور نعيم عطية

فى هذا المقال يقدم الدكتور نعيم عطية المرأة فى أعمال يحيى حقى ، ويستعرض مخلوقات يحيى حقى الجميلة ، ويلج الى عالمه النسائى ، ويدرسه من الداخل

فى السابع من شهر يناير فى كل عام يحتفل أصدقاء الأديب الكبير يحيى حقى وم بعيد ميلاده .

وقد تميز يحيى حقى المولود عام ١٩٠٥ بعطائه القصصى .. وتلعب النساء فى قصصه أدوارا ايجابية كثيرة ، بل أن أغلب النساء اللاتى يذكرهن أصلب عودا وأشد بأسا من الرجال . ومارى فى قصته الطويلة « قنديل أم هاشم » امرأة من هذا الصنف . فقد كان تأثيرها على شخصية الدكتور اسماعيل حاسما . واذا كان قد تركها خلفه وعاد الى مصر فقد ظلت كامنة وراء الكثير من أفعاله زمنا طويلا .

فى قصة « الديك الرومى » (عنتر وجولييت ص ٧٢ وما بعدها) نجد ارادة الزوج خاضعة لسيطرة زوجته . هى الآمرة الناهية . مصروف البيت فى يدها ، وليس له الا ان ينفذ طلباتها ، دون اعتداد بنفاد الجهد والمال لايتسنى للزوج ان يشم نفسه أبدا ، هو على الدوام « كالمكروش تطارده يد قاسية بكرباج جلابى عمال على بطال » زوجة جاهلة غبية تكهرب ارادة زوج يتأرجح بين الطيبة وبين حب بيته .

بعد السهر والكتب والدروس الخصوصية نجح ابنه عادل ، وكان نجاحه بمقبول ليس الا . ولكن ذلك لم يمنع الأم من ان تتذكر النذر الذى نذرته ليلة نصف شعبان ديك رومى لم يذق منه الفقراء شيئا . ظلت الزوجة على المنضدة تعزم على أخيها وتحلف على اختها وتزغط ابنها .



نساء يحيى حقي اصلب عوداً من الرجال

وعلى الاكل وامام الضيوف تضع الزوج المتخاذل امام الامر الواقع . حتى تزويج عادل لادخل لأحد فيه سواها . قالت وهى تضحك : « فرحة عادل ماتمش الا اذا شفنا له واحدة بنت حلال نشبكها له من دلوقت عيال ربنا ميسهله ويتوظف ، ومش ح نروح بعيد ، سنية بنت ابلة عزيزة لسه بعته لى صورتها من الاسكندرية ، حلوة وأمورة .. »

لم يجد الولد عملا بعد والأم قررت ان تشبك له . والأب لاحول له ولاقوة مثل الديك الرومى « نتفوا ريشه ، ونسلوا لحمه ، وقضقضوا عظامه » .

ويروع يحيى حقى تسلط النساء .. وفى لوحات أربعة جمعها تحت عنوان « سيداتى انساتى » بكتابة « فكرة فابتسامة » (١٩٦١) يرسم لنا شخصيات نسائية اصيب بداء التسلط . وهى لاتمارسه على الازواج فحسب ، بل على كل مستضعف فى الارض كسير . وبدلا من أن يلقى هؤلاء من المراة رحمة وعطفا وحنانا يجبر الخاطر ويطيب الجراح ، يصيبهم منها الاهانة . وسوء المعاملة . وتمنى الخادم الصغير فى لوحة « لدغ أقسى من الصفع » أن تصفعه مخدومته بكفها ولاتذله وتهدم كرامته بكلام أقسى من لدغ العقرب . ويصف يحيى حقى أحدى النساء فى لوحاته بأنها « مدفعية ثقيلة » ويطفح كيله مرة أخرى فيقول « حلال فيه الاعدام » . ويخلص من رسم بطلاته هذه الى الاعتراف بأن تقززه



نســـاء
يحـــيى
حـــقى

مما رآه من حال المرأة جعل معبد الشعر مغلقا فى وجهه بالضبة والمفتاح . وهذا - على حد قوله - سبب بلواه .

الصعيدية ، الغجرية البحـــراويـــة

وتسنح الفرصة عند الوصول إلى مشهد اللقاء الجسدى فى كل من « الفراش الشاغر » و « أبو فـودة » و « قصة فى النماذج » هى « الصعيدية » فى القصة الأولى ، « والبحراوية » فى القصة الثانية ، و « الغجرية » فى القصة الثالثة .

كانت « الصعيدية » بالنسبة للفتى ابن الأكابر تحديا ، بينما كانت « البحراوية » بالنسبة لجاسر حاجة فسيولوجية ، وكانت « الغجرية » بالنسبة لعليوى مصادفة قدرية ومعرفة طلبة وميلاد شخصية جديدة هى شخصية الغجرى التى حلت محل شخصية القروى .

وهكذا نلتقى فى قصص يحيى حقى بالجنس كتحد . والجنس كحاجة والجنس كمعرفة . ولكن الذى يجمع بين النسوة الثلاثة ان كلا منهن أوردت الرجل الذى التقت به مورد التهلكة ، بشكل أو بأخر .

وليس للمرأة فى كل من هذه النماذج الثلاثة أى مسحة من تلك التى تغنى بها شاعر مثل اندريه بريتون الذى اعتبر ان المرأة بالنسبة للرجل الشيء الوحيد الغالى والمقدس الذى جلبه معه من الفردوس البعيد حين طرد منه ، وان ما اضاعته « حواء » تعيده بنت من بناتها ايزيس لأوزيريس ، بياتريس لدانتى ، واوريليا لجيراردى نرفال . وقد تتساءل عن السبب فى هذا الفارق ، فنجد ان بريتون يعتبر ان الجنس ليس كل شيء فى الحب ، وأن جسد المرأة ليس غاية نهائية ، بينما ان كلا من الرجال الثلاثة فى قصص يحيى حقى قد انبهر بالجسد ، ففى « قصة فى سجن » نجد أن انجذاب عليوى للغجرية كان بسبب ما فاح له منها ، رائحة غريبة عن أنفه . خليط من عرق وقذارة ، وعطر فيه قرنفل وشند ، وكانت نرجس البحراوية » فى « أبو فوده » « نتايه » ، اكثر فهما لطرق الاغواء لرجل من فتيات البلد ، اما « الصعيدية » فى « الفراش الشاغر » فلئن كانت تلبس الملس ولاتكشف عن وجهها الا بمقدار ، فقد تعلق فؤاد الفتى « بكعبها الوردى » و « شعرها الملبد » الذى رأى مقدما مقدار سحره اذا غسلته وتهدلت ضفائر مبتله على جبينها وخديها » وقد عبرت القصة عن منتهى الحسية المتوهجة فى كيان الفتى ، عندما أعلنت عن توقه الى أن يعتصر ضفائر تلك المرأة بأصابعه وشفتيه ويجد لسانه فى طعم ورائحة الصابون الزفر . ولعل هذا الوحش الشبقى المسيطر على العلاقة بين الرجل والمرأة فى قصص يحيى حقى هو سر التعاسة المخيمة على مصائر الرجال ،

فليس ثمة نسمة صفاء تهب في سماواتهم .

زوجة صاحب الحان والعرجاء :

ان سامي في « ازازة ريحة » يكاد يؤمن بأن « كل مغامرات المرأة غريزة ، وليست نتيجة تفكير وتدبر » (أم العواجز - ص ١٥٤) ولكن قد يتساءل القارىء عما اذا كانت صورة الحب في قصص يحيى حقي على الدوام بهذه الخشونة والقتامة ، بهذه الضراوة التدميرية التي بدت بها في « الفراش الشاغر » و « أبو فودة » و « قصة في سجن » ؟ واذا كان هذا هو التيار الغالب على تصور يحيى حقي للحب لكن القارىء يمكنه ان يلتقي ايضا بصور مختلفة عن ذلك ، وبالأخص عندما يجرى الحب في المدينة . فالحب في قصة « كنا ثلاثة أيتام » جعل عيني الفتى تتفتحان على جمال فيما يحيط به لم ينتبه اليه من قبل ، واضاء قلبه ففهم من الشعر ما كان يتلوه تلاوة جوفاء وغاص الى ماوراء الكلمات والظواهر من معان ، وعقد بينه وبين الوجود أواصر من المودة والأخوة . ومفاد ذلك أن الحب يمكن ان يثرى الوجدان ، ويرقق المشاعر ، ويرفع من مستوى الانسان . وفرق شديد بين هذه النبرة وبين النبرة التي كتبت بها صور الحب المدمر .

ومن اجمل نساء يحيى حقي زوجة صاحب الحان في « صح النوم » فهي مثال طيب للزوجة الودود فبعد أن ينصرف الرواد يقفل صاحب الحان أبوابه .. ويطفىء الأنوار وهو يفتح بابا صغيرا ، من ورائه سلم يؤدى الى مسكنه في الطابق الاعلى ، فيجد السلم مضاء ، فيصعده على مهل ، متعمدا ان تحدث اقدامه ضجة خفيفة لينبه زوجته انه قادم . وماهي بحاجة الى هذا التنبيه فسيجدها كما وجدها كل ليلة في الردهة تنتظره ، قد أعدت له الطشت والابريق وملابس نوم نظيفة . ومع ذلك يجد صاحبنا لذة كبيرة في أن تحدث أقدامه هذه الضجة ، لأنه يراها مبدأ حديث الليل بينهما . وترضى نفسه اذا شعرت انه هو الذى طلبها



يحيى حقي في الأحياء الشعبية التي عبر عنها .





فجاءت له ، كما تنادي قطتك الأليفة . ولكن أى حديث ؟ انها امرأة نحيفة بقدر ماهو بدين . لاتتكلم كثيرا ، وقد لاترد على الجملة او الجملتين الا بكلمة أو كلمتين ، ولكن نغمة كلامها القليل تنزل على قلبه بردا وسلاما ، ففيها تدليل وزجر ، وحث على الجد وترحيب مستتر بالهزل ، ورضى بالواقع ، وأمل فى قادم افضل وغفران لماض ، فيها الأمر والطاعة ، والاغراء والصد ، والطهر والنزوة معا . تظهر له التجلد على مشاق الحياة ، حتى اذا احست ان اعزازه لها قد يصبح اعجابا خالصا او اعترافا بالجميل ، ابدت له من الضعف والتعب شيئا قليلا لاينوء بحمله ، فاذا رآه يحنو عليها انكرت من جديد ضعفها وتعبها . كل هذا متضمن فى نغمة كلامها القليل المتقطع ، من يقول ان الكلام منبعث من أوتار الحنجرة كاذب وان كان له سند من العلم . ان هذه الأوتار موطنها القلب ذاته . هى إمرأة فاتنة لاتترك فرضها . تكره التعرى حتى لزوجها ، فان لها حياء الناقة الأنوف ، فاذا بهذا الرجل البدين يقف بين يديها موقف الطفل الصغير . ولاتزال به حتى تدفعه الى الفراش وتتضاءل بين ذراعيه وهي التى تضمه الأم لابنها . لم يرزقهما الله بولد . فلا عجب ان كان نداؤه لها : يا اماه طلع النهار هبطت الى الحان فكنسته ومسحته ورتبت من جديد موائده ، وأعدت نتف الطعام الذى سيجده رواد الحان شهيا لذيذا . ثم اذا سمعت وقع اقدام زوجها حين يستيقظ من نومه مع الضهر ، صعدت اليه وغابت فى محرابها ، (صح النوم ـ ص ١٦ ومابعدها .

لم يتحدث يحيى حقى عن السعادة الزوجية فى قصصه مثلما تحدث فى هذه الفقرة . وانك لتشعر فى عباراته هذه مبلغ تقديره للمرأة التى تضىء بتواضعها وتفانيها وحياة زوجها . وشتان بين زوجة صاحب الحان ونساء مثل نرجس فى « ابو فودة » أو الغجرية فى « قصة فى سجن » أو حتى الصعيدية فى « الفراش الشاغر »

ويرسم لنا يحيى حقى صورة رقيقة لامرأة أخرى « هى من بنات العاصمة ، نشأت فى أسرة معيلة رقيقة الحال ، وعاشت فى كنف قريب لها غنى تبناها تخفيفا من فاقة اسرتها وأملا فى أن يجد فى قربها وحنانها ماينسيه ألم الحرمان من أحد زينتى الحياة ، زينة البنين . اختارها من بين أخوتها من أجل عاهتها التى اصيبت بها فى طفولتها ، فرق لها قلبه وعطف عليها . وأدخلها المدارس الراقية .. ومرنت على شغل الابرة والحياكة وترتيب اثاث البيت بذوق جميل ، فهى الآن على فقرها انظف نساء القرية مسكنا وملبسا . ثيابها الرخيصة تنسجم عليها وتستريح لها العين .. وكان المتوقع أن يوصى لها قريبها الغنى بوصية أو يوقف عليها جل ماله . ولكن .. كان الموت أسرع منه فقضى نحبه على حين غره ، وطردها اقرباؤه الأبعدون ، فخرجت صفر اليدين وعادت الى اهلها وقد أصبحوا اكثر عيالا وأشد فاقة » .

كان يسكن بجوار اهل الفتاة شاب يطلب العلم فى مدرسة الفنون والصنايع .

وتم اللقاء الأول بينهما بعد أيام قليلة من ارتدادها الى دار أسرتها . ثم لم يمض اسبوع حتى عقد عليها وأرجأ زفافها اليه حتى ينال شهادته ويتوظف . وقال البعض انها تزوجته لأنها كانت فى تلك الفترة من حياتها وبعد الضربة القاصمة التى أصابتها يائسة ، مبلبلة الذهن ، لاتأمل أن يرضى بعاهتها ، بعد فقرها شاب من الوسط الذى طردت منه ، ولأنها كانت وهى المثقفة المدللة تضيق ذرعا باكتظاظ منزل اسرتها القذر بالعيال تغوط وتبول وتبكى وتصرخ طول الليل والنهار ، فطلبت النجاة على أية صورة ، واستجابت لأول طلب ، ولو بدأت من أسفل السلم مع زوج فى منصب صغير اذا كان ينتظر لبسه الرقى فى مستقبل الايام فكان زواجها نوعا من المخاطرة ان لم يكن من الانتحار .

وقيل عن الشاب انه لم يكن يطمع فى ان يجد له زوجة مثلها ، متعلمة مهذبة ، وان الفقيرة بعد غنى هى نعم العروس اذا حسنت اخلاقها . وانه حين رآها تفوقه علما وثقافة وفهما ظن انه فاز بصيد ثمين .

وقال بعض نساء القرية ان الفتى سحرها وزين لها مستقبله وخلب لبها بوعود كثيرة لم تلبث الا أن تبددت هباء ، والنساء من ضحايا الرجال أبد الدهر ، وقالت شانئاتها : ثم ماذا ؟ عرجاء تزوجت من عاطل ، قد وقع النعل على الحافر .

ويقول يحيى حقى على لسان راوى « صح النوم » : معاذ الله ، هما نعم الزوجين المتحابين ، ليست السعادة فى المال أو الجاه ، بل فى توافق روحين ، واستطيع أن أشهد ان زواجهما ـ من قبل عشرين سنة ـ لم يكن انتحارا أو قائما على الكذب أو الخداع والا لمادام الى اليوم ، وانما هوالحب ـ وماذا أفعل اذا كانت القلوب قد فقدت اليوم ايمانها بالحب وبهائه والحياة مع ذلك لاتخلو منه » .

يؤمن يحيى حقى اذن بالحب ، وبأنه رباط يمكن أن يجمع بين انسانين . كما يؤكد ان السعادة ليست فى المال أو الجاه بل فى توافق روحين . ان عاهات اليد ـ مهما أوغلت ـ هفوات أحداث عابثة ، لاتخدش الروح ، وعلى الرغم من أن العرجاء بموت ولى نعمتها دون ان يترك لها من ثروته شيئا . سقطت فجأة ودون ذنب جنته من شاهق . فتحولت من الاعزاز بين السعداء الى الضياع وسط المهزومين إلا أنها لم تتحطم بل كانت كالعطر المبذول يصفى على النار فيستخلص جوهره الكريم . وقفت الفتاة على ساقها العرجاء وسارت فى حياتها بخطى راسخة . وقعت نظرتها على جارها الشاب فشعرت بروحه الصافية وجسمه الجميل . ووقعت نظرته على جارته فاحس معدنها المصقول ، وانها ان شاءها فهى عصا خيزرانة تنثنى ، شاءها فهى عكاز من حديد . وآمن الاثنان انهما اذا تقاسما الحياة كملت لهما . تعلم انه ريفى فقير ، ويدرك هو أن قسمتها فى الحياة عرجاء . ورضيا بالحياة كما هى . (صح النوم ـ ص ٤٦ وما بعدها) .

النحاس وحزن الانسان

كما ان حديث يحيى حقى عن « جميلة » فى « البوسطجى » من الحالات التى يعالج فيها نموذجه النسائى بمودة وعطف . وهو يضع موضع الاعتبار المحنة التى اختارها لها القدر من وسط آلاف الفتيات ، فيحدث عنها حديث اشفاق



نساء يحيى حقي

ورثاء . انها تدفع حياتها ثمنا ليضع لحظات ساذجة من السعادة قضتها فى « النخيلة » مع الشاب خليل شقيق صديقتها فى المدرسة الداخلية بأسيوط « مريم » (أختها وحبيبها طول العمر) سافر هو بعد ذلك بوقت قصير ليعمل مدرسا بالقاهرة ثم الاسكندرية وقد تواعدا الزواج . ورجعت هى الى بيت ابيها فى « كوم النحل » تنتظر عودة فارسها .

يتابعها المؤلف وهى تستغيث فتلقى صرخاتها آذانا صماء بينما الموت يزحف اليها ، فالجنين فى بطنها يكبر . وخليل لايعرف عنه شيئا أول الأمر ، ثم عندما يعرف يقابل الأمر باستخفاف شديد وتلهيه مشاغله وانصرافه الى اهتمامه بنفسه ومستقبله . وسوف يكشف أبوها أمر الجنين غير الشرعى الذى يتحرك فى بطنها ، وعندئذ سيغسل بدمها عاره .

« مسكينة .. تقول له لماذا لم يأت ؟ هل نسى ما أخبرته به .. أم لم يفهم ؟ لعله فى فسحة يضحك ويتسلى بين أصدقائه . يطارحهم النكات . فهل فكر فيها ؟ جاوزت شهرها السادس ، وأصبح منظرها مفضوحا . منذ أيام وهى تدعى المرض حتى لايراها أبوها . جاء القسيس وبارك وصلى .. وجه أمها مسود كسيف ، لعله هو الذى ينم عليها . لايزال فى الأمر مخرج . لو جاء .. وعقد عليها واخذها معه . بعيدا بعيدا عن هذا الأب وهذا المنزل . لتعش طول العمر خادمة تمسح حذاءه ، ليضربها كل يوم ، ليعطها عيشا حافا كالكلاب » وتتلقى جميله خطاب خليل » يقول : ولكن لاتخافى المسألة ملحوقة . استفهمت من ناس قالوا على أدوية كثيرة ووصفات . أخبرينى ابعت لك بدوا ينفعك . وهذا فقط حتى تأتى أجازة الصيف وأحضر لك . ويأتى تعليق البوسطجى على خطاب خليل « شفتش بواخه اكثر من كده ؟ » .

انها تستغيث . تصرخ من قاع بئر سحيق . لاأحد بقادر أن يطولها أو يدلى حبلا للنجاة . من أبيها الصارم ترتعد . « لو يجى خليل ولو يوم واحد ، كل شىء ينتهى . فين هو ؟ تبوس رجليه . يعمل فيها معروف » . واثقة فيه .. لايفارقها اعتقادها ان كربها الى فرج . فماذا جنت هى فى حياتها ؟ لاتذكر أنها صلت بقلب بارد ، أو اذنبت فى حق الشاب . يارب .. لماذا يختارها القدر ليذيقها المر ؟

عرف الأب بالأمر . مضت ليال لم يغمض فيها جفن ، تنصت لوقع الأقدام ، وتظن الظنون ، على أى شكل ستلقى حتفها ؟ أيختار حبلا أم سكينا ، مخدة مبللة أم سما نقيعا ؟ ونسيت جميلة خليلا وصمته وكذبه وخيانته ، واقتصر اهتمامها على حياتها . لو تستطيع أن تهرب من الدار لنجت . ولكن أين السبيل وهى محبوسة ؟ آخر خطاباتها كلمتان فحسب « خليل ، الحقنى » .

ويفرغ يحيى حقى كل شجنه فى العبارة الختامية للقصة « ... صوت جرس الكنيسة الصغيرة يدق اشعارا بموت . يكاد ينطق ، فقد يعبر النحاس فى بعض الأحيان عن منتهى حزن الانسان وألمه (ص ٨٢) .





محمد الشاذلى

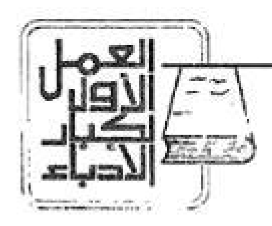
« العمل الأول » هو المحاولة الأولى للفنان من أجل اختراق الحاجز بين مايريد ومايستطيع والذى يتوقف عنده الكثيرون .

ويبقى « العمل الأول » علامة مميزة على الطريق فهو دقات قلب الكاتب الأولى التى قد تكون متميزة .



يبدو أن كاتبنا الكبير يحيى حقى ـ ٨٠ سنة ـ قد سقطت من ذاكرته أول قصة قصيرة منشورة له ... فقد سألته عن قصته الأولى التى نشرتها له الصحف ، فأكد لى أنها « قهوة ديمترى » المنشورة فى جريدة السياسة اليومية فى عددها الصادر فى ٢٢/١٢/١٩٢٦ ... ووجدنا أن هناك خمس قصص قصيرة نشرها كاتبنا الكبير قبل « قهوة ديمترى » وهى « فله ـ مشمش ـ لولو » و « الموت والتكفير » و « السخرية أو الزجل ذو الوجه الأسود » و « محمد بك يزور عزبته » و « حياة لص » ثم « قهوة ديمترى » ..

وعلى هذا تكون قصة « فله ـ مشمش ـ لولو » هى أول قصة قصيرة منشورة للكاتب الكبير يحيى حقى فى صحيفة الفجر القاهرية الصادرة فى ١٥ / ٧ / ١٩٢٦ ـ العدد ٧٥ ـ تحت عنوان قصص مصرية .



تبدأ القصة بمقدمة طويلة نسبياً يصور فيها يحيى حقى الشخصية الرئيسية فى القصة « سرنديل هانم » بدقة متناهية وبشكل مبالغ فيه . ولكنها توضح نزوعه المبكر نحو « التصوير » فيحيى حقى يكتب المشهد كما يراه ويجعلنا نلمسه كما لمسه فى لغة فنية منتقاة بعناية بالغة .

وفى القصص التى تلت « فله . مشمش . لولو » تزداد البراعة التصويرية عند حقى ، فهو يكتب صورة للواقع داخل إطار مطرز من النقد والتهكم والفكاهة والسخرية مع استخدام اقصى امكانيات اللغة فى التصوير أو فى الرسم بالكلمات . وهكذا كانت بدايات القصة القصيرة فى مصر والتى ليحيى حقى دور بارز فيها كرائد وفنان .

والحادثة فى قصة « فله . مشمش . لولو » بسيطة وفكاهية ، ولكن دلالاتها أعمق بكثير . فيحيى حقى لم يكتب هذه القصة ليسلى الناس أو يروح عنهم . ولكن من خلال القطة « فله » وصاحبتها التركية ، والقط « مشمش » وصاحبه المصرى ابن البلد ، والكلب « لولو » لصاحبه الرومى ، نطل على زاوية هامة فى حياة مصر فى مطلع هذا القرن . وصحيح أن أدب يحيى حقى خال من أية « أيديولوجية . سياسية » ، ولكن وصفه لهذه الحيوانات الأليفة ولأصحابها لايخلو من هاجس إجتماعى ، فهو يصف ويحلل عادات إجتماعية ويتناولها بأسلوبه الساخر بغية تغيرها أو تعديلها .

يقول يحيى حقى : على كل حال تستطيع أن تصف أغلب إنتاجى بأنه تأملى وصفى تحليلى ، ولذلك فعنصر الخيال فيه ضعيف والحادثة كذلك ليست بذات أهمية ...

والصورة القصصية التى يكتبها حقى هى نتاج إمتزاج المقال الأدبى مع القصة القصيرة الفنية . وهو الشكل الفنى السائد فى كتابات حقى (الجمع بين القصة والمقال) حتى أنه أطلق على الكثير من أعماله اسم « لوحة » وقال عنها انها شىء متردد بين الانتساب من قريب إلى المقال والانتساب من بعيد إلى القصة القصيرة وفيها وصف للحياة وطبائع البشر .

فيحيى حقى كان أقدر من استشعر المشهد المصرى واقتنصه بمهارة ودقة فى العديد من أعماله التالية .

وولادة حقى فى حى شعبى « السيدة زينب » أثرت فى اختياراته فكانت الأحياء الشعبية مسرحاً للكثير من قصصه وأثرت أيضاً فى لغته حيث يبرز حرصه الشديد

على الاستعانة بلغة « اهل البلد » وأمثالهم المتداولة والنكتة الجارية على السنتهم .

ثم تأتي النقطة الهامة فى حياته ، وهى عمله بعد تخرجه من كلية الحقوق معاونا للادارة ولمدة سنتين فى مدينة منفلوط بمحافظة أسيوط فعرف الريف المصرى « الصعيد » عن كتب وصور حياة الموظفين فيه بصدق مذهل ونظرة ثاقبة وتفهم عميق وتعاطف .

ولايفلت قارىء يحيى حقى من التعاطف مع ابطاله الذين ينتقيهم من الظل ويرسيهم كموضوع حقيقى . أبطاله هم « ناس الظل » الذين تراجعوا عن الاضواء سواء اكان هذا التراجع بإرادة المقادير او بتصميم ذاتى منهم . وهم الكومبارس الذين لايكتمل المشهد بدونهم . هؤلاء هم شغل حقى الشاغل لأنهم الصناع الحقيقيون للحياة فى حركتها الهادرة . وينشغل حقى فى تصوير حنين ابطاله أو أناس الظل الى الاندغام فى الكتلة البشرية الكبيرة . فالواحد منهم مثل النحلة تموت اذا انفردت حتى وسط النعيم . وبرغم هذا الحنين العارم نجد أن لكل منهم شخصيته المتميزة وملامحه المنفردة ومن هنا نجد أن اعمال يحيى حقى فى الحقيقة معرض انماط بشرية لاينفد . جياش الحركة والتنوع . مليء بالاصوات المتميزة والطبائع المتنوعة .

وحقى كاتب قصة يتمتع برؤية فنية خاصة . وينبغى قراءته لمعرفة اسباب تفرده الدائم ..

فُلّة .. مشمش .. لولو

- ١ -

المنزل نمرة (٩) فى شارع ... مكون من ثلاثة ادوار تقيم فى الدور الأول (الست سرنديل هانم) وهى امرأة تركية عجوز ، قصيرة القامة ، قوية الصوت ، تحصل على رزقها من مرتب بسيط تستولى عليه اول كل شهر من وزارة الأوقاف . ويوم اول الشهر هو اليوم الوحيد الذى تخرج سرنديل هانم بصفة رسمية فهى تستعد له منذ الصباح فتجهز مظلتها ونظارتها وتنظف حذاءها ثم تنتظر حتى تدق التاسعة ساعتها الصغيرة الموضوعة فى غرفة الاستقبال وعندها بالضبط تخرج من دارها وتسير على مهل حتى وزارة الاوقاف . فاذا عادت مرت على البقال وبائع اللحم والخضر فتعطى كلا منهم

فله .. مشمش .. لولو

استجرارها طول الشهر ثم ترجع لمنزلها تنتظر بائع الخبز - وهو لا يأتى الا فى صباح اليوم التالى - والدلالة اما هذه فلا تتأخر عن ظهر يوم أول الشهر دقيقة حتى تقبض دينها وتملأ بطنها من خوان الست سرنديل هانم !

فاذا سددت سرنديل هانم جميع ماعليها من الديون تنهدت تنهيدة طويلة كأنها تزيح عن صدرها حملا ثقيلا . ثم تقبل يدها ظهراً لبطن وتقول فى لهجة تركية : (الحمد لله الحمد لله)

***

وسرنديل هانم مشهورة عند معارفها من مستحقى الوقف وبين جيرانها بشغفها بالنظافة فى ملبسها ومسكنها ومأكلها شغفا زائداً . وقد بلغ تطرفها فى ذلك انها غسلت اللحم بالصابون قبل طبخه فانتشر هذا الخبر حتى اصبح لايأتى ذكر سرنديل هانم فى حديث ما دون أن تردف صاحبته برواية هذه المعجزة .

ولم لم تكون سرنديل هانم نظيفة فى كل شىء . وهى تعيش منفردة وحيدة لاأطفال لها يحتاجون للخدمة والتربية ولا عائلة كبيرة تضايقها . ثم هى تحمل فوق ذلك فكرة سيئة عن الخدم . وتعتقد انها اذا رضيت واستأجرت خادمة (فلاحة) فانها ستحمل معها من صنوف القذارة ماتضيق به سرنديل هانم ذرعا وينقلب الحال

وتصبح هى التى تسعى وراء خادمتها تنظف ماتتركه وراءها لا أن الخادمة هى التى تسعى وراءها !

ثم هى لا يزورها احد الا بين حين وآخر فتنبه عليهم ان ينظفوا احذيتهم بالباب جيدا قبل الدخول فهى - كما تقول عن نفسها - مقطوعة من شجرة اذ ليس لها اقارب مطلقا لانها جارية بيضاء فمن يعلم اين عائلتها . اين ابوها وأمها الآن .

لذلك فهى تجد من وقتها متسعاً للقيام بجميع خدمات المنزل بعناية كبيرة وتحرص على نظافته كأنها تعتبر النظافة أمرا مقدسا أو شرطا اساسيا للحياة .

أولم تكن سرنديل هانم رغم طيبتها محبوبة من جيرانها لان خلقها التركى الحاد جعلها تصطدم مع جيرانها لأوهى الأسباب فهى لاتستطيع أن تكتم تأففها اذا زارت احدى جاراتها ورأت الاثاث مبعثرا متسخا قذرا . أو شاهدت ولدا يتناول القلة ويشرب دون أن يستعين بالكوبة .

ولاتحاذر عند ذلك أن تشيح بوجهها وتتمتم بصوت مسموع : (فلاحين ، بيس مونده (أى قذرين)

وهل يقبل الاعور ان تقول له ياأعور .

لايقبل ذلك ولو انه يعلم انك ـ وجميع الناس ـ ترى عينه المقفلة لذلك كره سرنديل هانم جيرانها لانها تعالت عليهم . وجعلت من نفسها جنسا أرقى من جنسهم واخذت تعتبر نفسها انها دليل ناطق حى لعدم صلاحية المصريين للحياة والمصريون ـ عفا الله عنهم ـ لايحبون من احد أن يذكرهم بخطئهم لذلك انقطعت الصلة بينها وبين جيرانها فاصبحت لايزورها أحد ولا تزور هى بدورها احدا وبرهنت بذلك على ان التركية والمصرية لاتاتلفان .

***

اذا أتى الليل تعشت سرنديل هانم بطعام خفيف كالجبنة الرومى او الحلاوة الطحينية ثم تتلهى بعمل صغير حتى تأوى الى فراشها وتبتدىء فى قراءة سور القرآن بصوت خافت غير مسموع تنتهى من الآية بضعف وذل وانكسار لتعاود قراءة أول الآية الثانية بقوة ونشاط ثم تنتهى بقراءة آية الكرسى وسورة الاخلاص ثلاث مرات وهى تقرأ القرآن ليبعث لها نوما هادئا خاليا من الاحلام المزعجة ، فهى أمرأة عجوز تعيش منفردة وتحس انها انفصلت عن العالم كله وأنه يناصبها العداء لاتجول فى صدرها عاطفة واحدة من العواطف التى يحس بها بقية الناس . ليس لها زوج تحبه ولا ولد ولا أهل . ولا تنتظر اذا مرضت ان يسأل عنها أحد ، أو يعودها مشفق لامصلحة له فكم تمرض سرنديل هانم وتشفى دون ان يعلم بذلك احد اما بقية الناس فلا يمرض حتى يجد من يخدمه . ومن يعطيه الدواء . ومن يسأل عنه ثم اذا شفى أخذ يقص على من ينصت له قصة مرضه فيتوجع له ويتمنى له الصحة حتى هذا التوجع لا تعرفه سرنديل هانم وكم كانت تشتاق لشخص تبثه شكواها لا لشىء سوى ليتوجع لها .

هذا الشعور بالوحدة والانفراد يبعث فى سرنديل هانم الخوف ولاتزيل هذا الخوف سور القرآن بل هى تستيقظ بالليل وتبدو لها أشباح مزعجة فتعاود قراءة القرآن وتستعيذ بالله من الشيطان .

وقد رأينا انها لا تحب الخدم ولم توفق فى العثور على فتاة صغيرة تتبناها ولكنها أخيراً اعتزمت على حل وهو انها حصلت على قطة اليفة سمتها (فله) فشاركتها فى محبسها فلاتفارق الدار وتنام معها فى غرفة واحدة فاذا انصتت سرنديل هانم لموائها أو لنفسها وهو يتردد ونظرت بطنها يعلو ويهبط اطمأنت لان (نفسا) آخر يتردد معها فى المنزل ولانها احست انها تعيش بجانب مخلوق حى ـ أن معها غيرها ـ أنها لاتعيش منفردة وحيدة .

وفله هذه بيضاء اللون من الصنف الرومى ذات ذيل قصير وشعر طويل ورأس



صغيرة مستديرة وعينين مستديرتين لونهما أزرق كلون السماء الصافية ترى فى عينيها كل الهدوء الذى لايعكره أى تفكير انما هى نظرة فاحصة غير فاهمة شيئاً .

تتوسد فله المقاعد وتنام معظم النهار وتسهر بالليل . واصبحت عند سرنديل هانم (كاولاد الذوات) من حيث التنعم والنظافة وظهور نتائج التربية الصحيحة فهى لاتعرف باب البيت ولا تتخطاه مطلقا ، لانها ليست كقطط الحوارى الذى لامأوى لهم ولامسكن . وقلما تدخل فى عراك مع قطة أخرى .

لذلك فهى قطة هادئة أليفة لاتعرف من العالم سوى سيدتها .

فتراها - اذا جلست سرنديل هانم - تأتى اليها وتضع رجليها الأماميتين على ركبتها وتمد بفمها الى فم سرنديل هانم ثم تمسح راسها على ذقنها مرة وأخرى ، هل تبحث عن قبلة ! وهل تعرف القطط القبل أيضا فتمر سرنديل هانم بيدها على ظهرها مرة وأخرى وتكلمها برفق فتموء القطة وتعتمد على ركبتها وتظل تلعب بذيلها جذله فرحة .

فهمتها وفهمتها فلاتسكن احدهما الا الى الاخرى ولاتطيق سرنديل هانم رؤية قطة أخرى . ولايفلح زائر من زائرى سرنديل هانم ان يجعل فله تجلس على ركبتيه اذ تفر منه هاربة فى حياء واضطراب وهكذا تنتج التربية التركية مظهرا واحدا سواء فى الانسان أو فى القطط .

لم أر في حياتي منظر حياة الانفراد والوحدة والانقطاع تتمثل فى أتم مظاهره الا عندما زرت - سرنديل هانم فى ليلة من ليالى الشتاء حيث ضمنى جو هادىء تشعر فيه بالركود والانحباس اذ وجدتها تتلهى بحياكة ثوب لها وقد وضعت نظارتها على طرف أنفها وبجانبها مصباح ضئيل وعلى قرب منها استقرت فله وهى مغمضة العينين وتهز ذيلها فتلعب أولادها حواليها وتموء فى هدوء هذا المواء الذى لاتفهم معناه وان ادركنا انه مظهر للطمأنينة : ولو أن سرنديل هانم تعتقد انها تقرأ القرآن وتسبح الله .

تستيقظ سرنديل هانم مبكرة فى الصباح فتملأ للقطط الجرة بالماء وتدخل مطبخها فترمى بالتراب القديم المكدس فوق (صينية) صغيرة الى صندوق الزبالة وتضع ترابا نظيفا بدله كل هذا و (فله) تتبعها بمواء فيه حنان وفيه استعطاف واستجداء وتتمسح بارجلها ثم تتبعها فى مشيتها وترفع بنظرها الى وجهها فتكلمها سرنديل هانم كأنها تكلم

امرأة عاقلة تماما وتشعر انها تفهمها وانها

بدورها تفهم ماذا تعنى فتقول بلهجة تركية (انتظرى على صبرك اصبرى اصبرى . مالك كده حاضر . يافله يافلتى . تعال يافله) وتنتقل من غرفة الى غرفة الى ان تضع امامها قليلا من الفول المدمس وقد عجنت فيه شيئا من الخبز .

- ٢ -

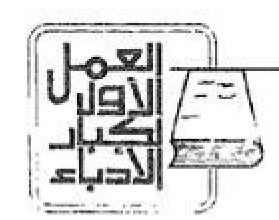
يقيم فى الدور الثانى ابو السعود افندى مع عائلته المكونة من زوجة وبنتين وولد صغير ، وابو السعود افندى موظف بمحافظة القاهرة . لذلك تسمع سرنديل هانم صوت اقدامه البطيئة على السلم كل يوم حوالى الساعة السابعة ونصف فتنظر الى ساعتها وتقول سرا (ابو السعود افندى ذاهب للديوان)

يترك ابو السعود أفندى عائلته بعد أن يعطى أبنه عزيز قرش تعريفة مصروف يده ويعطى لزوجته مصروف اليوم فتقوم بينهما مناقشة غير صغيرة فى ذلك الموضوع الأبدى الذى لاتنتهى المناقشة فيه . وهو : ماذا نطبخ اليوم ؟ أو تتردد فيه كلمات الملوخية والقرع والبصارة وأخيراً يثور أبو السعود أفندى لان الصنف الذى لايطيقه (وهو الكرات أبو شوشة) دائما تنصح به زوجته فاذا أشار بطبخ الملوخية

اشمأزت هى بدورها بينما يطالب الابن بالكفتة ، فيرمى لهم بالنقـود قائـلا (اطبخوا اللى تطبخوه) ويسير متجها الى ديوانه وهو يجاهد لينسى كل هذه المضايقات فلا يفلح الا اذا ناوله الساعى فنجان قهوة الصباح .

ولايهمنا نحن مباشرة من أمر هذه العائلة سوى الابن الصغير عزيز فهو ولد مثال فساد التربية من كل وجوهها من حيث النظافة والصحة والتأدب . وهو مدلل من الجميع لانه الولد الوحيد بين بنتين لذلك لايستطيع أحد أن يزجره اذا عاد من الحارة متسخ الثياب مبللها وهل يستطيع أبوه أن يرفض اعطاءه مصروف يده ؟! مادام انه يلاقى عند امه من (الدلع) الشىء الكثير فهو يجلس على ركبتيها فتحركه وقد مال برأسه الى كتفها وتقول له (ياجماله .! ياجماله .! عقبال ماشوفك عريس ياقادر !)

اما عزيز هذا فكان آخر شخص تسمح له سرنديل هانم بالدخول الى طابقها ذلك انه دخل عندها مرة فحاول أن يرى كل شىء - وتشبث فى الأوانى الصدفية التى تضعها سرنديل هانم فوق (البوريه) وجرى وراء القطط ومسكهن من بطنهن حتى خرجت سرنديل هانم مستغيثة بأمه وقفلت وراءه الباب بشدة ورفعت عينيها الى السماء ويديها الى حذاء كتفها تهزهما فى هزة عصبية !



فله .. مشمش .. لولو

ولعزيز قط اسمه (مشمش) وهو قط مدلل لايستطيع أحد ايذاءه اذا خطف قطعة لحم من المطبخ أو تسلل خفية الى قفص البيض فكسر عددا منه اذ يقف بجانبه عزيز يحميه فاذا تجاسر أحد على ضربه تعالى صريخا واجتمع أفراد عائلته حوله يسألونه :(ما الذى اصابك) فاذا اجابهم (مشمش . مشمش) فهموا اغراضه واجتهدوا فى مراضاته بان يوهموه أنهم يضربون المعتدى ويمسحون على ظهر القط ويقولون له فى النهاية (معلهش) .

ولكن بقدر ماكانت (فله) نظيفة مدلله فان مشمش يمثل متشردى القطط فهو قط بلدى طويل الجسم والذيل ذو عينين باهتتين تضربان الى اللون الأصفر مملوءتين خبثاً ومكراً لم تجعل العواطف والفهم وقفا على الانسان وكيف تميز بين قط ربى فى الشوارع وقاسى انواع الايذاء والظلم وقطة اليفة عاشت طول عمرها بين جدران اربع . الاول يفهم كيف يتغلب على الثانية ويمثل الاول الخبيث الماكر والثانية السيدة الطيبة القلب الوديعة .

تراه ضامر البطن يمشى متمهلا كانه شاعر بسلطانه وقوته فاذا دخل غرفة وقف على بابها وتلفت يمنة ويسرة متأملا ثم يعاود سيره .

هو قط قذر على خلاف عادة القطط . نتبين ذلك من اسوداد البقع البيضاء فيه وسط الشعر الاصفر (ومن هنا جاءت تسميته)

فلا يصبح الصبح حتى يخرج الى الشارع ويمر على دكاكين القصابين ويدخل بيوت الجيران واحدا واحداً ثم يخرج الى الشارع وكأنه انسان يتربص حتى اذا اقبل ميعاد الظهر اتجه الى داره ووقف على بابها ثم يموء بصوت فيه لهجة الامر والوثوق من الدخول فتكون (الست) فى هذه الاثناء فى المطبخ . فتسمع صوت القط فتصرخ (يابهية يابهية افتحى الباب للقط مشمش) فتجيب أبنتها الصغرى (ياسلام ياننينا مابقاش إلا القط نقوم له ونفتح له الباب)

- ٣ -

جشع صاحب الدار وحده هو الذى اوجد الدور الثالث من السطوح فهو غرفة صغيرة بداخلها غرفة أصغر منها . ولم يبق من السطوح بعد ذلك الا مسافة قليلة يتناوب عليها الجيران فى نشر غسيلهم .

تقيم فى هاتين الغرفتين امراة رومية مع زوجها الذى يغادر منزله فى الصباح مبكرا ولايعود الا حوالى منتصف الليل ولعله جرسون فى قهوة ما .

ولصاحبنا هذا كلب صغير ـ لولو ـ وهو كلب صغير الحجم من صنف خليط بين البلدى والرومى له ذيل مقطوع وشعر غير طويل قد علقت صاحبته فى رقبته جرسا صغيرا يرن كلما جرى او مشى وتسمع نباحه الضئيل كما اقبل طارق على باب الشقة .

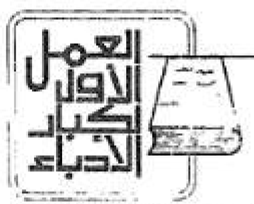
للقط اللعين مشمش ولع شديد فى التربص للقطة الهادئة المسكينة (فله) فهو يحتاجها لنفسه فى فصل من الفصول ، وعند ذلك لايفكر احدهما فى الكره العميق الذى يحمله للآخر ولان الحاجة اقوى من اية عاطفة ! وفى الاوقات الاخرى يظهر عليها سلطته ويشفى من نفسه روح القتال الخامدة التى لاتظهر الا كل حين وآخر عندما يصادف فى الطريق قطا ضعيفا وهل يجد اضعف من فله .

لذلك تراه يجثم بجانب الباب حتى اذا فتحته سرنديل هانم فى بعض الشئون انسل فى خفية اللص الى داخل المسكن فتثور ثائرة سرنديل هانم وتجرى مهرولة الى المطبخ باحثة عن يد مكنسة طويلة قديمة . ذلك انها تعلم أن مشمش لا يدخل مسكنها حتى يختفى تحت احدى الكنبات الثلاث فى غرفة الضيوف اذ يشعر انه ضيف غير مقبول ثم ترمى بنفسها على الارض وتمد الخشبة وتصرخ (بس . بس . اطلع ياابن الكلب . ملعون) فترى عينى مشمش وهو رابض بجوار الجدار تلمعان فى الظلام كانهما شرارة من اللهب وهو يراقبها ويراقب الخشبة . فيصيبها شىء من الرجفة وتستعيذ بالله من الشيطان الا يتحدث الجميع ان الشيطان قد يلبس جسد القط .

ولكنها إذا افلحت بعد مجهود كبير فى إخراجه من تحت الكنبة الأولى سارع إلى الكنبة الثانية وهكذا تحاوره ويحاورها حتى يتصبب العرق من جبينها وتعاود مجهودها وتضربه ضربة موجعة فيجرى هارباً لايلوى على شىء .

ولقد علمتها سطوات مشمش المتكررة ان اول عمل يحسن بها ان تقوم به هو ان تحبس فله واولادها فى غرفة النوم وتقفل عليهم حتى تكون وجهاً لوجه امام مشمش ولاتخشى على شىء . وحتى لايطعنها فى ظهرها او يقطع عليها خط الرجعة اثناء قتالهما .

ولكن شيئا جديدا كان قد وقع فى مسكن سرنديل هانم رأت معه وجوب اتخاذ احتياطات شديدة . ذلك ان فله ولدت ثلاث قطط صغار فى (سبت) هيأته لها سيدتها باصناف الخرق المختلفة ثم خبأته تحت فراشها .



وكان مشمش احس ان هناك غنيمة لذيذة تنتظره فتربص بجانب الباب لايتحرك حتى افلح اخيرا فى الدخول وهجم على (السبت) توا واختطف واحدا من القطط الصغار (!! اما اسمه فلم يكن قد انتهت سرنديل هانم من اختياره بعد !) وجرى به الى السلم صاعدا .

ولكن ان سكتت فله كل مرة على هجمات مشمش وانزوت خائفة منه فانها لن تسكت هذه المرة وهى ترى ابنها يؤكل امامها . ترى مشمش وقد جذ على بطنه باسنانه . لاكما تحمله هى برفق من رقبته وتحاذر الا تضغط اسنانها عليه . انقلب ضعفها قوة وجرت وراءه وقد تضخم ذيلها ووقف شعرها وبرقت عيناها وتبعتها سرنديل هانم وفى يدها المكنسة المشهورة واخذت تصعد السلم مسرعة وهى تتعثر فى كل خطوة واخرى لأنها كانت تلبس القبقاب . ولاتفتا تصرخ إلحق إلحق امسك سيب يابن الكلب القطط مسكين اه اه ياوردم ياوردم) (كلمة دلع بالتركية)

واهاج هذا المنظر لولو وانتهز فرصة ان الباب مفتوح وقذف بنفسه الى محل الموقعة . واخذ يقفز قفزات صغيرة ذات اليمين واليسار ولايجرؤ ان يقفز الى الامام ولو مرة واحدة .

وتبعته صاحبته وتعالى صوت الجرس ونباحه وخرجت عائلة ابو السعود افندى كلها ايضا على السلم واختلفت الاصوات وتعالت من كل جانب من صريخ الرومية لكلبها باللغة اليونانية فكانه لايفهم الا الرومى ومن بكاء عزيز وتلهف سرنديل هانم بالتركية

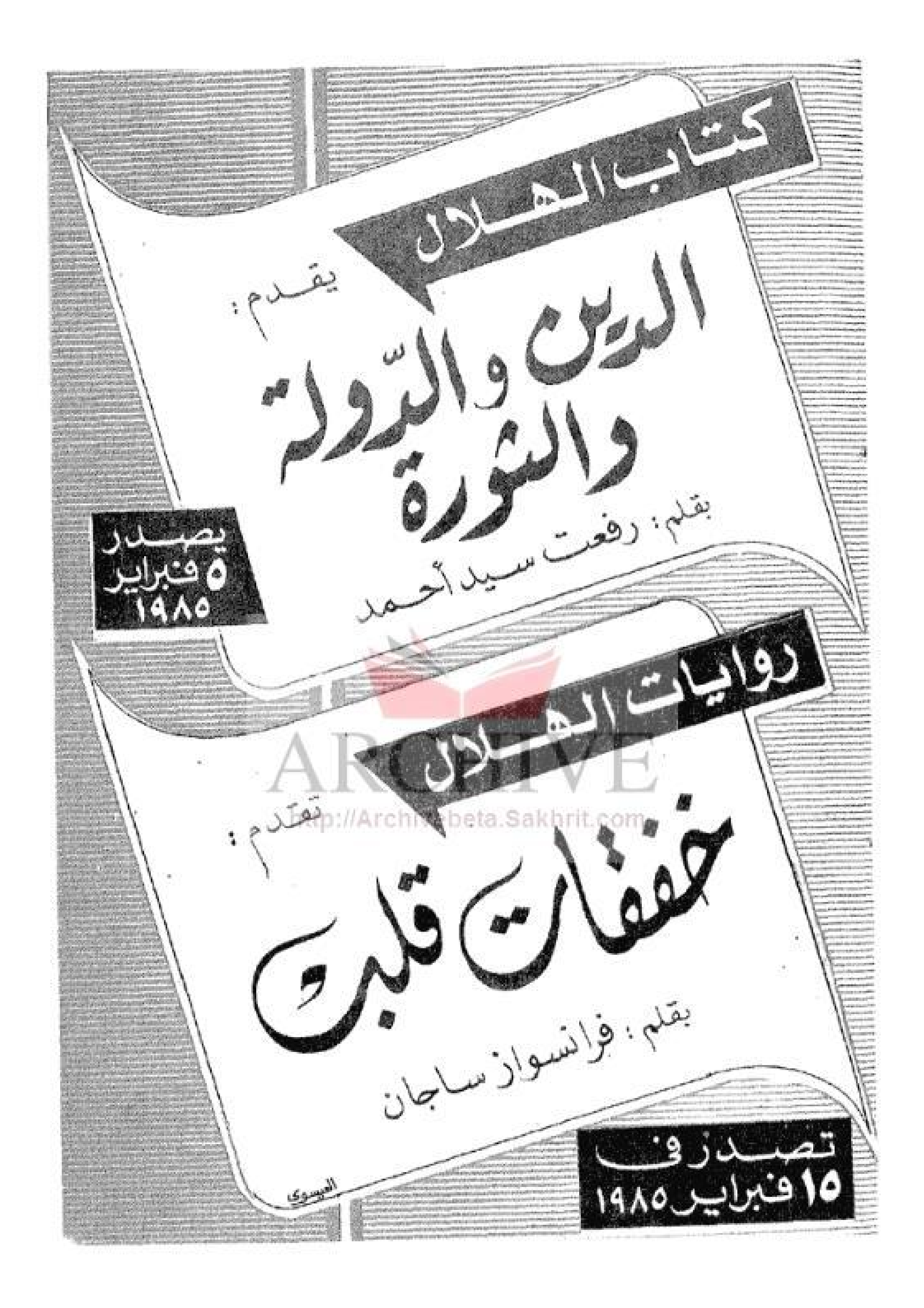
- لولو - لولو - تعالى هنا .
- مشمش سيب يابن الكلب
- ياوردم ياوردم ياوردم الله الله !

وانجلت المعركة عن قتيل صغير وفر القاتل الى الشارع ورجعت الام الحزينة وقد احتضنتها سيدتها اما الكلب لولو فلم يكن له فى هذه المعركة سوى النباح والقفز فانكفا راجعا بعد نهايتها وهو فخور رافع ذيله .

ونزلت سرنديل هانم السلم وقد اطلقت لسانها من قيد واخذت تتكلم وتشتم بالتركية تارة وبالعربية اخرى الى ان اطلت عليها زوجة ابى السعود افندى وقد اعتمدت على الدرابزين وقالت (ياسرنديل هانم حقه مالكيش حق . طب حنعمل ايه للقطط كمان)

فاجابتها سرنديل هانم بسرعة وقد شعرت بحنق شديد :

- انت ياهانم ماتعرفيش تربى قطة (انتهت)


كتاب الهلال
يقدم :
الدين والدولة والثورة
بقلم : رفعت سيد أحمد
يصدر
٥ فبراير
١٩٨٥
روايات الهلال
تقدم :
خفقات قلب
بقلم : فرانسواز ساجان
تصدر في
١٥ فبراير ١٩٨٥





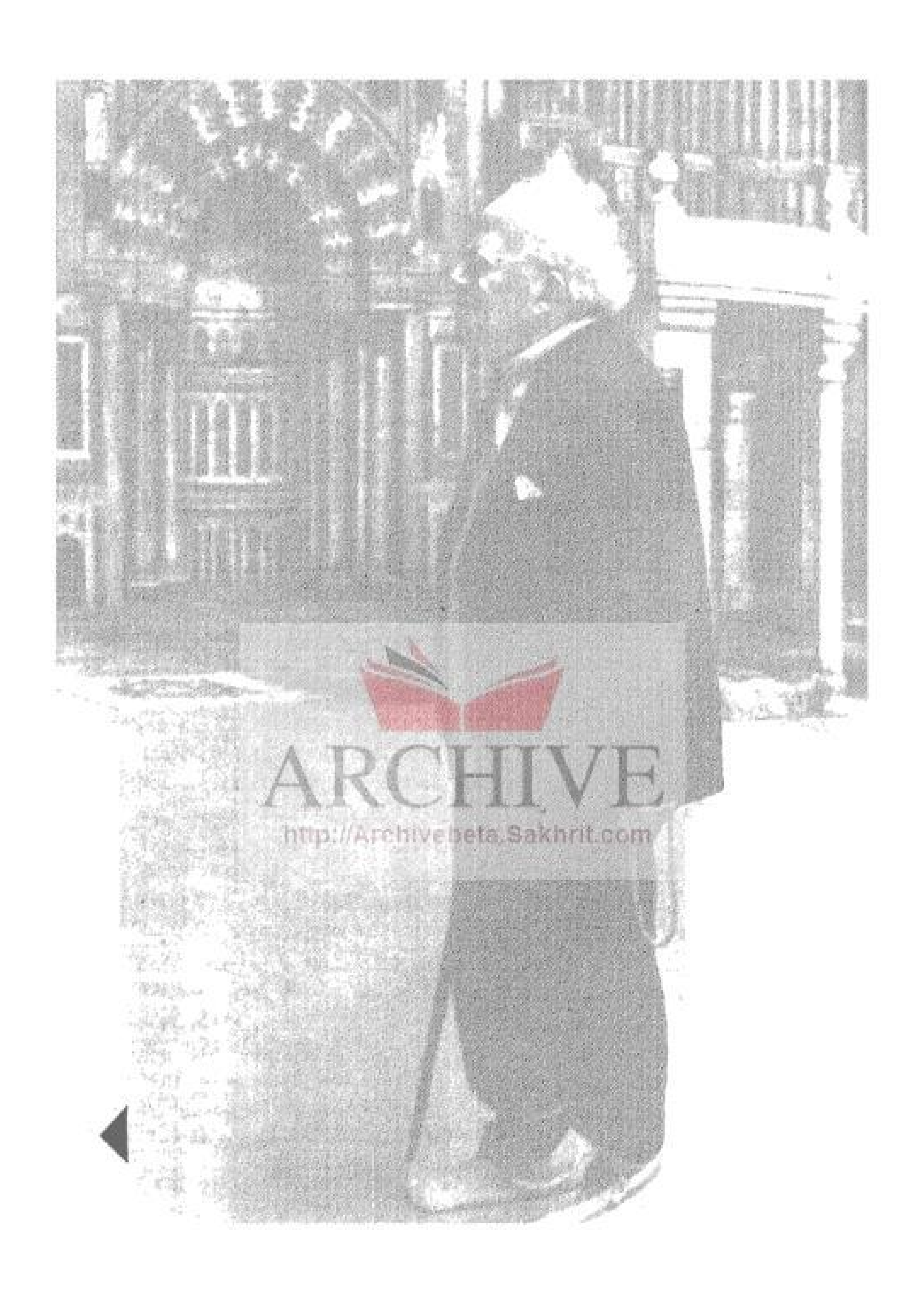
بقلم الدكتور: سيد حامد النساج

ليس هدف هذه البطاقة أكاديمياً جامعياً ، لأنها ليست دراسة علمية .. وهى أيضاً ليست بحثا نقدياً فى أدب يحيى حقى .. ولكنها لن تخرج عن كونها « بطاقة تعريف » بسيطة ، تسعى إلى التعريف بهذا الكاتب الكبير ، فى مناسبة الاحتفال بعيد ميلاده الثمانين .

كما أنها تضع فى اعتبارها قارىء اليوم الذى لايعرف يحيى حقى أي شيء .. وبخاصة إذا كان من القراء الشباب .. إذ ينحصر كل مايعرفه الشباب عن يحيى حقى فى فيلمين أعدا عن قصتين له هما : « قنديل أم هاشم » و « البوسطجى » وقصة قصيرة له قدمت ضمن حلقات برنامج « قصة قصيرة » الذى تقدمه القناة الاولى بالتليفزيون العربى فى مصر .. وأن له قصة أخرى بعنوان « صح النوم » سوف تقدمها السينما المصرية .. ومع ذلك فإن هذه البطاقة سوف تستعين بما كتبه يحيى حقى من ناحية ، وبما كتب عنه من مقالات ودراسات ومؤلفات من ناحية أخرى ، وبالأعمال البيليوجرافية التى حصرت نتاجه ، وتتبعت خطواته ، وضبطت مراحله ، من ناحية ثالثة .. وذلك فى محاولة لتوضيح بعض جوانب دوره فى حياتنا الفكرية والأدبية والثقافية .. وهو دور تباينت وسائله ، وتنوعت أدواته ، وتعددت جوانبه .. وتعتمد بصفة أساسية على المراجع الآتية : ـ

أولاً : الكتاب الذى صدر بمناسبة بلوغ يحيى حقى السبعين من عمره ، بعنوان (سبعون شمعة فى حياة يحيى حقى) اعداد وتقديم يوسف الشارونى .

ثانياً: رسالة الماجستير التى أعدها لباحث عز الدين المخزومى حول (يحيى حقى ناقداً) .. وكان قد تقدم بها إلى كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٨٢





بطاقة تعريف
يحيى حقى

ثالثاً : دليل القصة المصرية القصيرة ١٩١٠ - ١٩٦١ .. وهو الكتاب الذى اجتهد فى أن يتتبع مانشره يحيى حقى من قصص قصار حتى ١٩٦١ .
رابعاً : ماكتب عن يحيى حقى من مقالات هنا أو هناك

ويحيى حقى واحد من مواليد حارة المبيضة بالسيدة زينب ، فى ٧ من يناير ١٩٠٥ .. تعلم بمدرسة أم عباس الابتدائية ، التى ظل بها خمس سنوات .. وهو فى الحادية عشرة من عمره نال الشهادة الابتدائية ١٩١٦ .. ثم التحق بالمدرسة الالهامية الثانوية .. وحصل على الكفاءة فى عام ١٩١٨ .. بعدئذ درس الحقوق وتخرج فيها ١٩٢٥ ، ليعمل بالنيابة العمومية فى قلب الصعيد (منفلوط) .. ومالبث أن انتقل إلى السلك الدبلوماسى ، وعمل فى قنصليتنا بجدة ، وتركيا ، وروما .. ثم مديراً لمكتب وزير الخارجية .. وعمل بالسفارة المصرية فى باريس ١٩٤٩ ، وأنقرة ١٩٥٢ .. بعدها رأس البعثة الدبلوماسية فى ليبيا .. وفى ١٩٥٥ عندما أنشئت مصلحة الفنون ، كان أول مدير لها .. وبعد ما ألغيت تولى رئاسة تحرير مجلة (المجلة) زمناً ليس بالقصير .. وفى ١٩٦٩ منحته الدولة جائزة تقديرية لما بذله من دور ثقافى عام منذ بدأ يكتب .. إذاً إن يحيى حقى أخذ يكتب فى الصحف والمجلات وهو فى العشرين من عمره .. حتى بلغت حصيلة نتاجه عدداً لابأس به ، من القصص القصار ، والروايات الطويلة ، والمقالات النقدية ، والترجمات عن الفرنسية والانجليزية .. ذلك أن يحيى حقى واحد ممن أسهموا اسهاماً واضحاً فى حركة الفكر والأدب والثقافة فى مصر ، بدءاً من الربع الأول من القرن العشرين ، وحتى الآن .. وقد تحدد هذا منذ البداية حين انضم إلى أعضاء المدرسة الحديثة .. تلك المدرسة التى أرست دعائم الأدب المصرى المستقل ، ذى الشخصية المتبلورة الخاصة .

انعكاساً لما أثارته ثورة مصر القومية فى مصر ١٩١٩ ، من حتمية الاستقلال السياسى والاقتصادى .. فكانوا يطالبون بالاستقلال الفكرى ، دون التأثر بالشرق أو بالغرب .. بالقديم العربى أو بالجديد الأوربى .. لكنهم - مع ذلك - استندوا إلى ثقافة عربية قديمة وإلى ثقافة أوربية حديثة .

وعلى مستوى الأدب وفنونه ، رأوا أن الأدب العربى خلو من فنى القصة القصيرة والرواية الطويلة .. فأخذوا يدعون إلى الكتابة فى هذين اللونين من الأدب القصصى .. فى محاولة لتصوير واقع الشخصية المصرية المستقلة بمشكلاتها المعاصرة ، وقد أصدروا صحيفة تعبر عن أفكارهم ، ومطالبهم ، وأطلقوا عليها اسم « الفجر » صحيفة الهدم والبناء .. أتاحوا على صفحاتها

الفرصة للقصة المؤلفة ، وللقصة المترجمة ، وللرواية الطويلة المسلسلة ، وللنقد القصصى ، وللشعر الحديث .. ونشروا فيها مقالات عن الموسيقى ، والنحت ، والتصوير ، والعمارة الحديثة ، وما إلى ذلك .. ولم يكن يحيى حقى إلاّ واحداً من كتاب هذه الصحيفة ، كما كان واحداً من أعلام المدرسة الحديثة .. يقف جنباً إلى جنب وأحمد خيرى سعيد ، ومحمود طاهر لاشين ، وحسين فوزى ، ومحمود تيمور ، وأحمد رامى ، وابراهيم ناجى ، وسيد درويش ، وزكى طليمات ، وأحمد علام ، ومحمود عزمى ، وابراهيم المصرى ، وزكريا مهران ، وغيرهم .

ومايلبث يحيى حقى أن يؤكد دوره النظرى ، ودعوته إلى المصرية واستقلال الفكر والفن والأدب فى مصر ، بكتابات موضوعية واقعية استقاها من البيئة ، ومن الواقع الاجتماعى .. تشهد بذلك قصصه الأولى التى نشرها فى صحف الفجر ، والسياسة ، وفى المجلة الجديدة .

ولعل انتقاله إلى الصعيد وغيره من القرى المصرية ، جعله يتصل بالناس ، والطبيعة ، والحيوان ، والفلاح المصرى ، اتصالاً ايجابياً ، ساعد على ان تنطبع فى ذهنه صور المرئيات على طبيعتها وفى حقيقتها من غير رتوش ، أو الوان زاهية براقة .. فنقل على الورق هذه الصور فى شكل قصة قصيرة .. وحرص على أن يكون اميناً فى نقله عن الواقع .. وكثيراً ماكان يقول عن قصصه تلك إنها صور موجودة .. كما أكد ذلك فى تقديمه لقصة (قهوة ديمترى) .. التى يقول عنها إنها قهوة حقيقية موجودة فى مدينة المحمودية .

واذا كان يحيى حقى قد بدأ حياته الأدبية بكتابة قصص قصيرة تغلب عليها الموضوعية ، وتجعل هدفها تصوير أحياء وشخوص من الواقع المادى تصويراً حرفياً الياً لاأثر لمشاعر الفنان الخاصة وانطباعاته الذاتية ، فإنه فى مرحلة تالية تخلص كثيراً من موضوعيته الجامدة تلك ، وبدأ ينظر إلى الواقع نظرة انطباعية تأثرية .. يظهر ذلك فى اختياره للشخصيات التى يصورها فى قصصه ، وبعض الأحداث الذاتية التى وقعت له ، أو لأحد معارفه ، ويرويها هو من وجهة نظره الذاتية ورؤيته الخاصة . ولعل تقديمه لشخصية « ابراهيم أبى خليل » فى قصة (أم العواجز) تقديماً انطباعياً من خلال ذاته هو ، يوحى بأنه على معرفة ودراية بما يتصل بهذه الشخصية .

يضاف إلى هذا شغفه بوصف الشخصيات الشعبية التى تروق له ، أو تعجبه ، أو تؤثر فيه ، لغرابتهاأو لشذوذها أو لبلاهتها .. ويدفعه هذا إلى ابراز عاداتها وأخلاقها والبيئة التى تعيش فيها ، والشخصيات التى تحيط بها .. أنظر فى ذلك قصصه : احتجاج - تنوعت الأسباب - فى العيادة - سوسو - فى السينما - وراء الستار - مولد بلا حمص - افلاس خاطبة - عقرب أفندى - كنا ثلاثة أيتام .. ويحيى حقى مولع بالشخصيات التى لم يكن يلتفت إليها من قبل .. مولع بالمنسيين من التصنيف الطبقى .. أبطال قصصه ليسوا عمالاً ولا فلاحين ولا من الارستقراطية الزراعية أو الراسمالية .. إنهم المتسكعون فى الشارع المصرى .. ناس على باب الله كما يقول .. مجهولون .. ليسوا فى بؤرة الضوء .. حاول يحيى حقى



بطاقة تعريف
يحيى حقى

أن يلقى عليهم الأضواء الباهرة .. ناس فى الظل : انسانيا واجتماعياً وفكرياً واقتصادياً .. وقد حاول تجسيد نوعية جديدة من المشكلات الاجتماعية والنفسية ، من خلال تصويره هذه الشخصيات .. وكانت زاوية النظر التى نظر بها إلى هذه العينات جديدة .

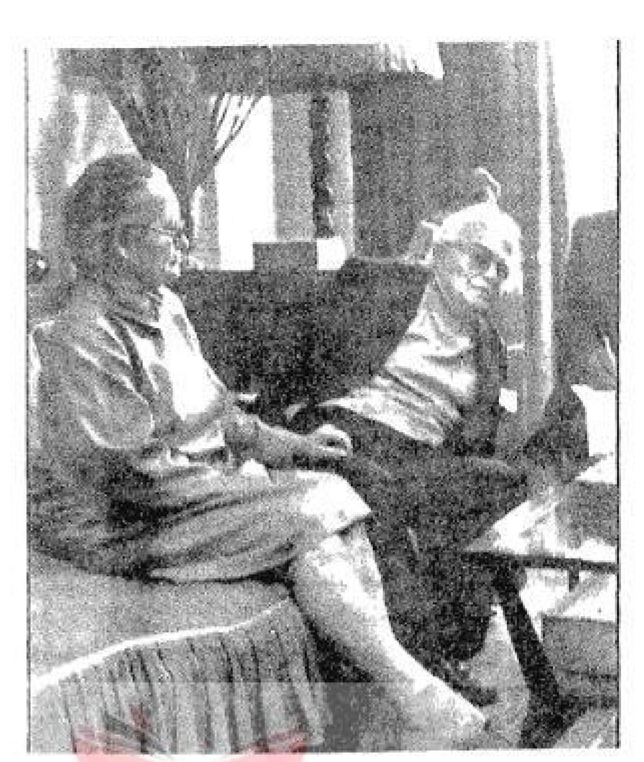
ونتيجة قراءاته فى الأدب الروسى .. وفى التصوف .. ونتيجة معايشته هذه النماذج البشرية فى احياء السيدة زينب وسيدنا الحسين ، وجدناه حريصاً على على أن يغلف قصصه بمسحة من الروحية القريبة إلى الرؤية التصوفية ، إن صح التعبير .

ومنذ بداية عهده بالكتابة ويحيى حقى حريص على أن يحدث تغييراً فى أسلوب السرد القصصى ، وفى اللغة القصصية .

يقول فى مقدمة مجموعته (عنتر وجولييت) : (ظللت طول عمرى أضيق أشد الضيق عند كتابة القصة القصيرةبما أسميه عنصر السرد اى خضوع الفكرة لسيطرة مطالب تأليف الجمل وترتيبها وربط بعضها ببعض .. فالفكرة عندى ينبغى لها أن لاتمشى كالأعمى ويده على حواجز بين الجانبين تحدد سيره وتهديه إلى الطريق .. بل ينبغي لها أن تنطلق بلاقيود ، أن تقفز أحيانا بدل أن تمشى طول الوقت ، أضيق أشد الضيق بروابط الجمل وبحروف السببية ، وكل كلمة من أمثال : ولذلك .. ومن هنا .. ومعنى هذا .. والسبب فى ذلك .. إنها تزج نفسها لشرح موقف ينبغى الا يحتاج إلى شرح ، إن هذه الالفاظ كرنين الخبط على أوتار العود فى يد العازف غير المتمرن ، أما العازف البصير فإنه يسمعك ألحانه بريئة من ضجة هذا الخبط) .

ولقد بدأ يحيى حقى - فعلاً - يضع لنفسه الضوابط والقيود التى رأى ضرورة استخدامها فى السرد والوصف مما يوحى بأن قضية « اللغة » قد حظيت بمزيد اهتمامه ، حتى أصبحت هى الأخرى إحدى شواغله الأساسية .. ومن ثم فإنه أعطى اللغة كبير عنايته واهتمامه ، لدرجة فاقت اهتمامه بأصول الفن القصصى . يقول : (إننى لم أعلق أهمية كبيرة على الموضوع او على الشكل أو على القصة كقصة عموماً ، إنما كان همى الأول ونصيبى الوحيد وقلقى الدائم هو « التعبير » بأسلوب حتمى محدد ، الذى أسميه بالأسلوب العلمى فى الأدب ، أعتقد أنه الأسلوب الواجب الآن ومستقبلاً) . ويقول : (أعتقد اننا لن ننفذ بأدبنا إلى الأدب العالمى إلاّ إذا اصطلحنا على الأسلوب الذى أنادى به : أسلوب يرتكز على التحديد والحتمية والعمق . هذا الأسلوب هو الذى يمكن ترجمته اما ماعداه فزخارف ستضيع هباء إذا فرضنا وأمكن ترجمتها وهذا عسير) .

وحاول يحيى حقى الالتزام بالتحديد ، والحتمية ، والايجاز ، والموضوعية ، فى



يحيى حقي مع زوجته الفرنسية في بيته بمصر الجديدة

اسلوبه ، وفى لغته .. وذلك على الرغم مما فى قلبه من عنف صوفى وغموض لايمكن إمساكه كما يقول الدكتور شكرى عياد .. وهذه الصفات هى الأدوات العلمية التى لابد منها ليمسك الكاتب الفنان بالفكرة القلقة .. هى وسيلته إلى نقل تجربته الوجدانية وثقته فى لغته ، ثم دقته فى اختيار اللفظ الدال ، والكلمة المقصودة اللازمة ، كل ذلك يجعله قادراً على بث كلمات عامية فى الحوار والسرد والوصف .. كما يدس بعض الأمثال الشعبية العامية دساً فى لغة السرد .. وأصبح مولعاً بالعثور على لفظ عامى ، وابتكار تشبيه شعبى ، والحصول على أكبر قدر ممكن من الكلمات المتداولة فى البيئات الشعبية ، فى القلعة ، وباب الشعرية ، والسيدة زينب ، وسيدنا الحسين . وهو لايفعل ذلك فى قصصه فحسب ، بل وفى مقالاته أيضا .. وكتابه (ناس فى الظل) حافل بالشواهد على ذلك : (صنفصقوا على تسعة عشر)، (كانوا جميعاً بربطة المعلم)، (كثر ضجيجهم على فاشوش)، (ساه تحته دواه . دحلاب)، (لحست كلامها المعسول)، (سنقيم لك حفلة ولو قرديحى)، (آخر المتمة اللامعقول والتجريد)، (ولاتطلع الكلمة من فم صاحبها إلا بالتيلة)، (أما الفضيحة أم جلاجل ..)ولايغيب عن أذهاننا أن كل قصة كتبها ، وكل صورة رسمها ، وكل مقال خطه ، كان يحمل فكرة معينة ،أو كان يثير قضية بذاتها .. لكنه كان يغلف ذلك



بطاقة تعريف
يحيى حقي

بغلاف شفاف ، وفي لغة جادة وليست حادة ، موضوعية وليست إنشائية ، واقعية وليست رومانسية ، محددة وليست فضفاضة .. تنقد وتنفذ .

وجدير بالذكر أن يحيى حقي واحد ممن لفتوا أنظار المفكرين والكتاب والفنانين والأدباء ، إلى ضرورة دراسة العلاقة بين حضارة الشرق وحضارة الغرب .. إنسان الشرق العربي وانسان الغرب الأوربي .. وما قد ينتج عن هذه العلاقة من انعكاسات على نفسية الفرد ، ووضعه الاجتماعي ، وتكوينه الفكري ، وبنائه الثقافي ، ووضعيته الاقتصادية ، والعقدية ، وعلاقاته بالآخرين .. حقيقة إنه لم ينفرد باثارة هذه القضية ..كما انه لم يكن وحده المعبر عنها .. ولكنه أسهم مع غيره ممن سبقوه مثل رفاعة رافع الطهطاوى وعلى مبارك .. أو ممن عاصروه مثل محمد حسين هيكل وطه حسين وتوفيق الحكيم .. ولكنه صاغ رؤيته صياغة فنية جيدة .. مكثفة .. مدببة .. واضحة .. هامسة ، وذلك فى روايته القصيرة (قنديل أم هاشم).. تلك الرواية القصيرة التى اثرت بما تحمل من رؤية ، وحركة ، ودراما ، وصراع ، فيمن جاء بعد من الشباب الذين حاولوا الكتابة فى هذه القضية .. مع أن يحيى حقى فيها ليس فيلسوفاً ،ولا داعية ، ولامنظراً ، ولكنه كان فناناً شديد الحساسية لوضعية المثقف المصرى ابن البيئة الشعبية .. يضاف إلى ماسبق أن يحيى حقى كان أول من لفت الانظار إلى رواد القصة المصرية ، من خلال كتابه صغير الحجم عظيم القيمة (فجر القصة المصرية .. سنة ١٩٦٠).. قاد خطانا جميعاً إلى معرفة عيسى عبيد وشحاتة عبيد وحسن محمود ومحمود طاهر لاشين ومحمد تيمور ومحمد حسين هيكل وغيرهم .. وبمثل ماأثارت روايته (قنديل أم هاشم) جدلاً وحواراً بالغين ، إذ اختلف حولها النقاد والدارسون ، فقد أثار كتابه (فجر القصة المصرية) عدداً من القضايا النقدية ، والتاريخية ، للأدب المصرى الحديث . ذلك أن يحيى حقى ناقد ـ وهذا جانب آخر من جوانب تأثيره ـ له طريقته الفنية فى النقد ، وله ذوقه الخاص فى التلقى ، وله انطباعاته الذاتية ، التى يحرص على أن يضفى عليها بعداً اجتماعياً ..

يقول عن منهجه فى النقد فى مقدمة كتابه (خطوات فى النقد) : (لاأنكر اننى لم أخرج عن دائرة النقد التأثرى ، فليس فى كلامى ذكر للمذاهب ، ولعل السبب اننى لم التحق بكلية آداب فى احدى الجامعات .. لاأدرس لأدرس النقد دراسة منهجية تاريخية ، ولايسعدنى شيء مثل أن يفسح مثل هذا الكتاب مجال القول فى قيمة هذا النوع من النقد الذى أتقدم به للقراء ، وهل نجح ، أو أخفق فى الاقتراب ولو من بعيد إلى انشاء مذهب فى النقد وإذا كان قد اخفق فما هى الأسباب ؟!).

ولقد مرت كتاباته النقدية بمراحل متنوعة بلورها جميعاً فى كتابه (خطوات

فى النقد) الذى صدر ١٩٦١ متضمناً مقالاته التى كان قد كتبها خلال مدة زمنية تتجاوز ثلاثاً وثلاثين سنة اي بين ١٩٢٧ ـ ١٩٦١ .. ولفت ظهور هذه المقالات ـ فى حينها ـ اهتمام النقاد والدارسين .. ثم مالبث ان أصدر (عطر الأحباب) ١٩٧١ ، و (انشودة البساطة). ١٩٧٢ ... وإن من يرغب فى تكوين فكرة موضوعية عن رؤية يحيى حقي النقدية ، يلتمسها فى مؤلفاته هو أولاً ، ثم فى مقدماته التى كتبها هو نفسه لكتبه ، او لمجموعاته القصصية ، مثل (دماء وطين) و (عنتر وجولييت).. وكذلك المقدمات التى قدم بها مجموعات الأدباء الشبان من أمثال : أستاذ فى الحارة لمحمد سالم ، وأعماق بيضاء لحمدى أبو الشيخ ، وتعلمت الحب لنوال السعداوى ، وثلوج تحت الشمس لليلى اليافى ، والجورب المقطوع لملك عبد العزيز ، والخبز والصمت لمحمد علوان ، والصبر طيب لأحمد لطفى ، وعيش وملح لكل من سيد خميس ومحمد جاد وحافظ رجب والدسوقى فهمى وعباس محمد عباس وعز الدين نجيب ، ومجموعة المثلث الفيروزى لعز الدين نجيب ، ومعنى الابتسام لعبد المنعم شلبى .. يضاف إلى ذلك مقالاته النقدية المنشورة .. وكذا مقدماته لأعمال قام بترجمتها مثل : لاعب الشطرنج ستيفان زفايج .. والبلطة ميخائيل سادوفيانو .. فضلاً عن أن الأحاديث الصحفية والاذاعية التى أجريت معه تساعد على جلاء فكره النقدى .. إنه واحد من أصحاب الهمس فى الأسلوب .. وممن دعوا بالنفور من القيود التى تفرضها الاتجاهات النقدية على العمل الفنى ، والبعد عن الألغاز والمصطلحات .. وضرورة أن يهتم الكاتب بالجانب الانسانى ، بمعنى أن الفن .. يخلص الانسان من بهيميته ، وسلبياته ، حتى تتطهر روحه .. وله رأى خاص بالفكر فى الفن .. إذ إنه يرى أن للفكر دوراً فى الفن لايقل عن دور الشعور .. مع ضرورة الابتعاد عن الغموض والتعقيد والصراخ والتهويل والخطابية .. ومع ذلك فإنا نعتبره من هواة النقد وليس من محترفيه .

وأخيراً فإن أحداً لايستطيع أن ينكر دوره بالنسبة للشباب : نقاداً وكتاب قصة .. ماأكثر ماقدم من الكتاب ، وماأكثر ماساعد من شباب النقاد ، وقد تبدى هذا من خلال رئاسته تحرير مجلة (المجلة).. منهم من استمر فى السير ومنهم من توقف عند خطوة الابتداء .. لكنه أدى دوره ، وقام بالواجب الذى حتمته طبيعته ، وموقفه .. وهل ننسى انه واحد من أعلام المدرسة الحديثة .. أولئك الذين مدوا يد العون لكل من أثر فى حياتنا الفكرية والثقافية منذ الربع الأول من هذا القرن ، حتى الآن ؟!

ويبقى أن تستكمل بطاقة التعريف أبعادها ، فنشير إلى مؤلفاته أولاً ، وإلى ماكتب عنه ثانياً ..

أولاً : مؤلفات يحيى حقى

١ ـ مجموعات قصص قصيرة : ـ

١ ـ قنديل أم هاشم ط ١ سلسلة " اقرأ " ـ عدد ١٨ ـ دار المعارف ١٩٤٥ .

٢ ـ دماء وطين ط ١ سلسلة " اقرأ " ـ عدد ١٥٣ ـ دار المعارف ١٩٥٥ .



بطاقة تعريف
يحيى حقي

٣ ـ أم العواجز ط ١ سلسلة الكتاب الذهبي ـ ١٩٥٥ .

٤ ـ عنتر وجولييت دار العروبة ـ القاهرة ـ ١٩٦١ .

ب ـ روايات قصيرة : ـ

١ ـ البوسطجي .... نشرتها المجلة الجديدة الشهرية منفصلة في كتيب من ٥٦ صفحة في نوفمبر ١٩٣٤ .

٢ ـ صح النوم .... ط ١ ـ المطبعة النموذجية ـ القاهرة ١٩٥٩ .

ج لوحات قلمية : ـ

١ ـ فكرة فابتسامة .... دار العروبة ـ القاهرة ١٩٦١ .

٢ ـ دمعة فابتسامة .... سلسلة الكتاب الذهبي ـ القاهرة ١٩٦٥ .

د ـ يوميات : ـ

١ ـ خليها على الله .. .. .. سلسلة كتب للجميع عدد ١٤٥ ـ دار التحرير للطباعة والنشر ١٩٥٩ .

و ـ دراسات في النقد الأدبي : ـ

١ ـ خطوات في النقد .. .. مكتبة العروبة ـ د . ت .

٢ ـ فجر القصة المصرية .. .. ط ١ دار القلم ـ القاهرة ١٩٦٠ .

٣ ـ عطر الأحباب .. .. ط ١ نشر دار الكتاب الجديد ١٩٧١ ـ مطابع الاهرام التجارية .

٤ ـ أنشودة البساطة .. .. ..ط ١ دار الكتاب الجديد ـ بيروت ـ د . ت .

ز ـ في الفن والفكر : ـ

١ ـ ناس في الظل .. .. .. ط ١ سلسلة كتاب الجمهورية عدد ٢٨ ـ القاهرة ١٩٧١ .

٢ ـ تعالى معي إلى الكونسير .. .. ط ١ سلسلة المكتبة الثقافية عدد ٢٢١ ـ ١٩٦٩ .

٣ ـ ياليل ياعين .. .. .. مطابع الاهرام التجارية ـ القاهرة ١٩٧٢ .

ح ـ قصصه القصيرة المنشورة في الصحف والمجلات :

١ ـ قله .. مشمش .. لولو ـ ص الفجر ـ ١٩٢٦/٧/١٥

٢ ـ الموت والتفكير ـ ص الفجر ـ ١٩٢٦/٨/١٩

٣ ـ منيرة ـ ١٩٢٦/٨/١٩

٤ ـ منيرة ـ ١٩٢٦/٩/١٩

٥ ـ السخرية أو الرجل ذو الوجه ـ ص الفجر ١٩٢٦/٩/١٦

٦ ـ محمد بك يزور عزبته ـ ص الفجر ١٩٢٦/١٠/٢٨ .

٧ ـ الدكتور شاكر افندي ـ ص الفجر ١٩٢٦/١٢/٢ .

٨ ـ حياة لص ـ السياسة ـ ١٩٢٦/١٢/١٠ .

٩ ـ قهوة ديمتري ـ السياسة ١٩٢٦/١٢/١٢ .

١٠ ـ الدكتور شاكر افندى ـ الفجر ـ ١٩٢٦/١٢/٣٠ .
١١ ـ الدكتور شاكر افندى ـ الفجر ـ ١٩٢٧/١/٦ .
١٢ ـ من المجنون ـ السياسة ـ ١٩٢٧/١/١٤ .
١٣ ـ عبد التواب افندى السجان ـ السياسة ـ ١٩٢٧/٢/١٨ .
١٤ ـ صورة من الحياة ـ السياسة ـ ١٩٢٧/٤/٢٦ .
١٥ ـ الوسائط يا افندم ـ السياسة ١٩٢٧/٩/٩ .
١٦ ـ نهاية الشيخ مصطفى ـ السياسة ٢٦ / ١٠ / ١٩٢٧ .
١٧ ـ عضة ـ السياسة ١٩٢٨/١٠/٣٠ .
١٨ ـ قصة فى سجن ـ مجلة المجلة الجديدة ـ ١ / ٥ / ١٩٣١ .
١٩ ـ إزازة ريحة ـ مجلة المجلة الجديدة ـ ١ / ٨ / ١٩٣١ .
٢٠ ـ أبو فودة ـ السياسة الاسبوعية ـ ٣/ ٢ / ١٩٣٣ .
٢١ ـ احتجاج ـ مجلة المجلة الجديدة ـ ١ / ٥ / ١٩٣٤ .
٢٢ ـ العسكرى ـ مجلة المجلة الجديدة ـ ٢٦ / ٥ / ١٩٣٤ .
٢٣ ـ الخزنة عليها حارس ـ السياسة ـ ١٦ ٦ / ١٩٣٤ .
٢٤ ـ قصة فى سجن ـ مجلة المجلة الجديدة ـ ٨ / ٩ / ١٩٣٥ .
٢٥ ـ السلحفاه تطير ـ السياسة ـ ١٦ / ١٢ / ١٩٣٩ .
٢٦ ـ القديس لا يحار ـ مجلة الرسالة ـ ١٦ / ٩ / ١٩٤٠ .
٢٧ ـ كنا ثلاثة أيتام ـ مجلة الثقافة ـ ١ / ٩ / ١٩٤٢ .
٢٨ ـ عقرب افندى ـ ـ أخبار اليوم ـ ٢١ / ٧ / ١٩٤٥ .
٢٩ ـ صورة ـ مجلة الكاتب ١٩٤٦/١/١ .
٣٠ ـ افلاس خاطبة ـ مجلة الراديو ـ ٧ / ٩ / ١٩٤٦ .
٣١ ـ وراء الستار ـ مجلة الكاتب ـ ١/٧/ ١٩٤٧ .
٣٢ ـ مراة بغير زجاج ـ مجلة الكتاب ـ ١/ ٧ / ١٩٥٠ .
٣٣ ـ عنتر وجولييت ـ مجلة الاذاعة ـ ١٠/ ٩ / ١٩٥٥ .
٣٤ ـ ألم اقل لك ـ مجلة الاذاعة ـ ١٧ / ١٢ / ١٩٥٥ .
٣٥ ـ سوسو ـ صحيفة الجمهورية ـ ٢٧/ ١٢ / ١٩٥٨ .
٣٦ ـ مولد بلا حمص ـ صحيفة الجمهورية ـ ٣٠ / ١ / ١٩٥٩ .
٣٧ ـ السلم اللولبى ـ صحيفة الجمهورية ـ ١٩ / ٣ / ١٩٥٩ .
٣٨ ـ النسيان ـ صحيفة الأهرام ـ ٣/٢/ ١٩٦١ .
٣٩ ـ امرأة مسكينة ـ صحيفة الاهرام ـ ٣١ / ٣ / ١٩٦١ .
٤٠ ـ الفراش الشاغر ـ مجلة الكاتب ـ ١/ ٤ / ١٩٦١ .
٤١ ـ ثمرة حب خائن ـ مجلة بناء الوطن ـ ١ / ٢ / ١٩٦٢ .

ط : مقدماته لمجلة المجلة :

● كتب سبعة وخمسين مقالا قدم بها لاعداد مجلة (المجلة) اعتباراً من عدد مايو ١٩٦٢ ، وحتى عدد اكتوبر ١٩٧٠ .



بطاقة تعريف
يحيى حقي

ي : مقالات متنوعة منشورة فى دوريات مختلفة :

● نشر يحيى حقى اكثر من سبعمائة مقال فى الفترة بين ٢١/١١/١٩٢٥ بصحيفة (السياسة) وعدد نوفمبر من مجلة (الهلال) ١٩٧٧ . وذلك فى صحف ومجلات : البلاغ ـ كوكب الشرق ـ السياسة ـ الحديث ـ الاهرام ـ المجلة الجديدة ـ الثقافة ـ الكاتب العربى ـ المصرى ـ الكاتب ـ الاديب ـ الرسالة الجديدة ـ روز اليوسف ـ الأخبار ـ الجمهورية ـ الكواكب ـ المساء ـ الشهر ـ المصور ـ بناء الوطن ـ المجلة ـ التعاون .

ل : أعمال ترجمها :

١ ـ مسرحية (دكتور كنوك) لجول رومان ـ ط ١ سلسلة روائع المسرح العالمى ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ القاهرة ١٩٦١ .

٢ ـ مسرحية الطائر الأزرق ـ لموريس مترلنك ـ ط ١ سلسلة روائع المسرح العالمى ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ .

٣ ـ رواية (الأب الضليل) لاديث سوندرز ـ ط ١ سلسلة روايات الهلال ـ عدد ٢٥٨ ـ يونية ١٩٧٠ .

٤ ـ رواية (البلطة) لميخائيل سادوفيانو ـ ط ١ دار الكتاب الجديدرقم ٣١ ـ القاهرة ١٩٧٢ .

٥ ـ رواية (لاعب الشطرنج) لستيفان زفايج ـ ط ١ دار الكتاب الجديد رقم ٣٢ ـ القاهرة ١٩٧٣ .

٦ ـ رواية (طونيو كروجر) لتوماس مان ـ ط ١ دار الكتاب الجديد رقم ٣٢ ـ القاهرة ١٩٧٣ .

م : مؤلفات عن يحيى حقى :

1—samir wahbi : A critcal evaluayion of the writing of yehia haqqi thesis presented in partial fufilment of the requirement for the degse of m.a.center for orabic studies 1965 . 146 p .

٢ ـ يحيى حقى مبدعا وناقدا ... مصطفى ابراهيم حسين ١٩٧٠ .

٣ ـ يحيى حقى وعالم القصص ... د . نعيم عطية ١٩٧٨ .

٤ ـ يحيى حقى ناقداً ... رسالة ماجستير لم تطبع بعد ١٩٨٢ لعز الدين المخزومى .

هذه هى أبعاد بطاقة التعريف بكاتبنا الكبير يحيى حقى . أرجو أن تساعد على التعرف إلى عالمه ، واقتحام دنياه ، والدخول إلى أعماقه ، ودراسة كل ماكتب .

مواقف ضاحكة

الملاك الطائر

● بينما كانت الأم تتناول الطعام مع ولدها ، سألها «هل تطير الملائكة ؟ » فأجابت : «نعم » وعندئذ قال لها : «لقد سمعت أبى يقول للمربية أمس إنها ملاك .. فمتى ستطير ؟ » فأجابت « حالا ياعزيزى .. حالما تفرغ من الطعام » !

« أعز أمنية »

● سألت أحدى الصحفيات جراحا كبيرا عن أعز أمنية يرجو أن يحققها القدر ، ولم يكن هذا الجراح موفقا فى حياته الزوجية فأجاب قائلا : ـ كنت أتمنى أن يموت آدم وضلوعه جميعا فى جسده !

« عمولة الحب »

● كان الأديب الأمريكى «ك . رينولدز » يضيق بالعمولة التى يتقاضاها الناشرون على توزيع كتبه ورواياته . وقد أرسل له أحد الناشرين مرة طالبا موافاته بصورة له موقع عليها بخط يده لكى يعلقها فى مكتبته ، فأرسل له صورة بعد أن كتب تحتها : «مع خالص حبى ، مخصوما منه ١٠٪ » وقد علق الناشرالصورة فى مكان ظاهر من مكتبته !

« تفاهم »

● دخل ضابط فرنسى لا يعرف الالمانية مطعما بالقطاع الفرنسى بألمانيا ليتناول طعام الغداء ، واحضرت له الخادمة الالمانية التى لم تكن تعرف الفرنسية النصف الخلفى لدجاجة. ولكنه أراد أن يستبدل به النصف الامامى . فأشار لها بأن تبعده ثم وضع كلتا يديه على صدره ، فأبتسمت الفتاة ، وبعد لحظات عادت ومعها كوبان من اللبن !

« حوادث السيارات »

● نشرت الصحف أن شابا فى ايطاليا صدم بسيارته فتاة كانت تعبر الطريق . فلما شفيت من اصابتها خيرته بين محاكمته وبين الزواج منها .. فأثر الفتى الحل الاخير وتزوجها . فلما قرأ « برناردشو » هذا النبأ ، قال معقبا عليه :

ـ لو أننا عممنا هذه القاعدة .. لقل طيش أصحاب السيارات من الشبان والعزاب ، فتقل حوادث السيارات !





من حرب إلى أخرى

- لماذا بكى ياسر عرفات؟!
- هل يمكن إنشاء دولة فلسطينية علمانية؟!

عرض وتقديم : محمود قاسم

عند الاطلاع على قوائم الكتب التى تصدرها دور النشر المعروفة فى العالم سوف يلاحظ المرء أن الكثير من انتاج هذه الدور يقدمها اليهود . وأن هذه الكتب تناصر الجانب الاسرائيلى ويتميز أغلبها بانحيازه التام للجانب الآخر . وكثيرا ما يصاب المرء بقشعريرة وهو يرى هذه الكتب ويقرأ أرقام توزيعها . وقد علمت أن دور النشر تقوم بتوزيع هذه الكتب كهدايا على المفكرين ورجال القلم فى العالم وترسلها اليهم فى مكاتبهم ومنازلهم .

الكتاب الذى بين ايدينا أشبه بشمعة ديوجين وسط نهار مليء بالأكاذيب والحقائق التى فى حاجة الى ردود قاطعة وهو مكتوب باللغة الفرنسية التى كتب المؤلفون بها آلاف الكتب التى تناصر اليهود وتقف ضد القضية الفلسطينية . ومؤلف هذا الكتاب هو اريك رولو الذى يعمل صحفيا فى جريدة لوموند أحدى كبريات الصحف الفرنسية وهو يهودى



مصرى يعيش فى باريس وقد سبق أن نشرت أغلب فصول هذا الكتاب ثم تولت طباعته وتوزيعه . الكتاب بعنوان « الفلسطينيون من حرب إلى حرب »

وضع المؤلف قلمه فى منظور حيادى . وأراد أن يضع كل الحقائق المتعلقة بالفلسطينيين فى القرن العشرين . وضعهم الاجتماعى والسكانى وصراعهم السياسى والعسكرى مع العرب والاسرائيلين وهو كتاب تقريرى شامل اقرب الى الريبورتاج الصحفى عن الشعب الفلسطينى فى الخمسة عشر عاما الماضية . فهو يتابع الشعب الفلسطينى منذ انشاء منظمة التحرير الفلسطينية حتى الخروج الكبير من لبنان . علاقاتهم العربية والعالمية . وأهم المنظمات الفلسطينية . ودور القيادة السياسية المتمثلة فى ياسر عرفات . والصفات العامة للشعب الفلسطينى بصورة أقرب الى كتاب « الايطاليين » الذى قدمه



الفلسطينيون

جيمس كلافيل .

يقول اريك رولو إنه تعرف لأول مرة على ياسر عرفات فى عام ١٩٦٨ عندما قدمه له السفير الجزائرى الأخضر الابراهيمى فى القاهرة كان عرفات فى تلك الآونة المتحدث الرسمى لمنظمة فتح قبل ان يتم انتخابه رئيسا للجنة المركزية فى فبراير ١٩٦٩ . كانت للرجل أفكار واضحة مثل : « الفلسطينيون غير مدانين بأخطاء الماضى . ولن يكونوا أبدا أدوات النظم العربية التى تستخدمهم لأهدافها الخاصة . وأن الثورة الفلسطينية ستكون بعثا للوحدة العربية وليس العكس »

ويقول الكاتب ان الثورة الفلسطينية عندما بدأت وجدت وراءها مجموعة من الأنظمة الثورية التى يمكن السير على نهج ثورة كينياتا ، لومومبا وهوشى منه وكاسترو وبن [illegible] كان عليهم من الوهلة الأولى أن يضعوا فى حساباتهم ملامح الصراع العربى الاسرائيلى . فالاستعمار الاسرائيلى يختلف فى طبيعته عن كل أنواع الاستعمار الأخرى . لذا وضع الفدائيون فى ميثاقهم « أن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد الذى يؤدى الى تحرير فلسطين » .

ولم يكن أمام الحركة الفلسطينية منذ بداية القرن العشرين وحتى عام ١٩٦٨ سوى تحرير الأرض « وانشاء دولة عربية مستقلة » وأعد المسئولون فى منظمة فتح مشروعا سياسيا فى أكتوبر ١٩٦٨ كما يقول ياسر عرفات « اعادة فلسطين ديموقراطيا . يعيش فيها كل المواطنين : يهود ، مسيحيون ، مسلمون ... وقد وجدت هذه الفكرة صداها لدى كل الأطراف . فالفلسطينيون يحترمونه . ويراه اليهود لونا من الدعاية لجذب تعاطف الرأى العالمى . يسعى لهدم دولتهم .

وقد تضاعفت المشكلة فى الستينات والسبعينات ، فالاسرائيليون يرفضون الاعتراف بحق الشعب الفلسطينى فى وطن قومى . لكن هذا الأمر بدأ يتغير ففى عام ١٩٧٣ بدأ حزب العمل الاسرائيلى بمنادة الفلسطينيين باسمهم لكنه يرفض أن يسبق هذا النداء بكلمة « شعب » وأطلق عليهم تسمية « عرب أرض اسرائيل » ولذا فمنذ أن تولى حزب العمل الحكم قام بمنع سكان الضفة الغربية وقطاع غزة من ممارسة أى انشطة سياسية !

يتساءل رولو : هل يمكن أن تبقى المشكلة بلاحل ؟ ». ونحن نحلل تعقيدها النادر . حاولنا أن نرد بالايجاب لكن الصحفى الذى لديه الخبرة بمعرفة الشعبين وهويتهما . عليه أن يؤمن بالقدر . يجب أن ينزل الى الأحياء الشعبية فى كل من تل أبيب والقدس . يتكلم مع السكان الفقراء الذين يعسكرون فى الضفة الغربية ولبنان . ويختلط بأثرياء الفلسطينيين الذين يعيشون فى الولايات المتحدة والكويت كى يدرس نفسية الشعبين وأنه يجب أن يجلس الطرفان للتفاوض » .

فى الفصل الأول وتحت عنوان « جيتو



ايريك رولو مؤلف الكتاب

المنتصرين » يقول ان حرب الأيام الستة قد قلبت معطيات الصراع العربى الاسرائيلى . فقد استطاعت قوات الجنرال ديان أن تحتل القدس الشرقية والضفة الغربية وغزة وسيناء والجولان . وأصبح نصف الشعب الفلسطينى تحت الحكم الاسرائيلى . هرب اكثر من ٣٠٠ الف عربى الى غرب الأرض المحتلة وشرقها . وبعد أقل من ثلاثة أشهر فقط بدأت اسرائيل فى انشاء أولى مستعمراتها فى الضفة الغربية .

ويرى العرب أن فلسطين هى . وطن مغتصب .. أما الاسرائيليون فيرونها أرض الأجداد الموعودة ومن هنا يختلف المنظور ..

ويتحدث الكاتب فى هذا الفصل عن الظروف التى لاحقت حرب يونية : فليفى أشكول كان يعرف أن عبد الناصر لم يكن ينوى الهجوم على اسرائيل ولكنه يناور . اما ديان فيرى أن هذه حرب دفاعية للدفاع عن بلاده ومنازلها وأرضها . وفى تصريحات السياسيين آنذاك حول عبد الناصر بروته/يكتاتورا من طراز هتلر . وأن عليهم اسقاطه بأى شكل . وبعد أن اثبت اليهود تفوقهم العسكرى فى المنطقة كان يهمهم التفوق أيضا فى مجالات اخرى . فاسرائيل تسعى لعرض أفلامها فى مهرجان كان السينمائى . وتصريحات المسئولين بالبقاء الدائم فى الأراضى المحتلة بعد أن أطلقوا عليها أسماء يهودية حتى لو عرفوا أن عبد الناصر يعد لجولة رابعة . وحسبما تقول احدى النساء اللائى عشن فى فلسطين « سوف ننتصر لأن هذه أرضنا ».

ويقول الكاتب ان عرب الأراضى المحتلة قد عانوا كثيرا من تعسف قوات الاحتلال . والحكايات كثيرة . والأدلة عديدة . وقد استقى رولو الكثير من بياناته من أفواه العديد من أطراف الصراع ـ المسئولين وغير المسئولين ـ يقول شاب اسرائيلى : « لو كنت عربيا لانضممت إلى منظمة فتح لكن لو قابلت أحدهم فسوف اقتله » اما جولدا مائير فتقول فى أبريل ١٩٦٩ : « لا أريد شعبا يهوديا رقيقا . متحررا ضد الاستعمار . وضد التسلح . فهذا يعنى شعبا ميتا » .

وبالرجوع الى الاحصائيات المنشورة يقول ان عدد القتلى والجرحى الاسرائيليين بين عامى ١٩٦٧ و ١٩٦٩ الناتج عن المقاومة الفلسطينية المسلحة بلغ ثلاثة أضعافه من القتلى والجرحى فى حرب يونية .



ويقول فى حديثه عن المقاومة الفلسطينية انه بدءا من أغسطس ١٩٦٧ بدأت المقاومة تأخذ أشكالا عسكرية عديدة . وأن الفدائيين استقروا على الساحل الشرقي للأرض يطلقون قذائفهم فى (اتجاه) القوات الاسرائيلية . أو كما يرى « القرى اليهودية » وقد برزت مكانة هذه المقاومة فى معركة الكرامة فى مارس ١٩٦٨ .

وقد خصص الكاتب فصلا طويلا للصراع الأردنى الفلسطيني . تحدث فيه عن ملابسات هذه المواجهة الدامية فى سبتمبر ١٩٧٠ والتى انتهت بمؤتمر القمة فى اكتوبر ١٩٧٠ وبمصرع رئيس الوزراء الأردنى وصفى التل فى القاهرة وانشاء منظمة أيلول الأسود .

كما تحدث الكاتب أيضا عن ملامح النضال الفلسطيني والعمليات العسكرية الكبرى التى قامت بها القوات الفلسطينية ضد اليهود والشهداء الذين تساقطوا من الاغتيالات والتصفيات ضد المقاومة . مثل مقتل الكاتب غسان كنفانى وعصام سرطاوى . والعمليات العسكرية الاسرائيلية المضادة ضد الفدائيين فى كل مكان . خاصة بعد عملية ميونخ . كما تحدث اريك رولو عن العديد من الشخصيات الفلسطينية التى عرفها مثل كمال ناصر والشيخ محمد على الجعبرى ونايف حواتمه . وجورج حبش . وعن دور كل منهم فى النضال الفلسطيني .

ثم يتحدث المؤلف عن الظروف السياسية والعسكرية لحرب اكتوبر ١٩٧٣ وهو لا يخرج كثيرا عن الاهتمام بالدائرة التى يقدمها . فكتابه عن الفلسطينيين . يتكلم عن دور المقاومة فى هذه الحرب وما بعدها . ويقول ان اليهود كانوا يعرفون أن حربا سوف تقوم . وقد حذر من ذلك أحد الكتاب الاسرائيليين . لكن ...

وجدير بالذكر أن نشير الى أن رولو لم يسع أن يكون كتابه منحازا للعرب حتى لا يفقد موضوعيته . وكما اشرنا فكتابه تقريرى يحمل وجهات النظر المتعارضة . وقد يبدو الكتاب فى بعض الأحيان أشبه بيوميات صحفية . أو تقارير رسمية . ومع ذلك فهو يتكلم بمنظور الصديق . فيرى أن العمليات الفلسطينية العسكرية فى الأرض المحتلة فدائية . وأن السلام المصرى الاسرائيلى هو صلح من طرف واحد . وأن ياسر عرفات زعيم قومى .

من هم الفلسطينيون ؟

لكن . من هم الفلسطينيون الذين يخصص الكاتب الربع الأخير من كتابه للحديث عنهم تحت عنوان « شعب فى القمة » هناك اكثر من ٤٫٥ مليون فلسطينى يعيشون مشتتين فى بلدان عديدة منها الأرض المحتلة والأردن وقطاع غزة ودول الخليج العربى . هؤلاء الفلسطينيون هم « شعب القمة » . ربما بنفس المقياس الذى يصنف اليهود أنفسهم أنهم شعب الله المختار . هذا

الشعب البسيط الطيب الذى تم طرده فى عام ١٩٤٨ وسال الكثير من دماء ابنائه فى ديرياسين .

يقول الكاتب . « كنا نعتقد ان الفلسطينيين الذين انغمسوا فى ثراء دول بترول الخليج لا يساهمون فى معاناة اقرانهم الذين يعيشون فى الأرض المحتلة . أو فى البلاد العربية الأخرى . لكن هذه النظرة تغيرت بعد صيف ١٩٨٢ حيث بدا الترابط بين الشعب الفلسطينى فى كل مكان . فالفلسطينى خارج بلاده « فلسطينى تائه » مثلما يقول احد اللاجئين عن حرب لبنان .

وقد بدأت الهجرة الفلسطينية خارج البلاد منذ عام ١٩٤٨ ووصلت الى ذروتها فى عام ١٩٦٧ . ثم بعد الحرب الأهلية اللبنانية والغزو الاسرائيلى للبنان . رحل الكثير منهم الى الكويت (٣٠٠ الف نسمة) والى سوريا ربع مليون نسمة . وفى بلاد الخليج ٦٠ الف نسمة . يقول احدهم « لقد اصبحنا مشتتين فى كل مكان مثل اليهود » .

« يشعر الفلسطينيون انهم يعيشون فى مخبأ »

ويقول أحد اللاجئين الى الخليج : فى كل مكان نشعر اننا غرباء .

« لانريد أن نختفى . لاننا سنبقى فلسطينيين . ولا يمكن أن نطلب جنسيتين »

ويعيش الفلسطينيون الآن فى البلاد التى يعيشون فيها داخل « جيتو » . فهم تجمعات تغيرت أساليب حياتهم . يرتدى الشباب الزى الأوربى . وخلعت النساء الخمار . ويتكلمون بلكنة جديدة . الشباب الذين ولدوا فى المنفى لا يختلفون ابدا عن الكبار. فجيل المهاجرين لديه احساس قوى بالوطنية . يتكلمون دائما عن أرض الاجداد كانهم تركوها بالأمس . ودائما يعلقون فى اعناقهم حليات ذهبية او فضية عليها اسم بلادهم « الوطن المحتل » يقيمون المنتديات الفلسطينية ويبحثون عن كل أخ « له نفس الروح » . ولا يميلون الى الزواج من غير جنسيتهم .

وتلعب الحياة الاجتماعية دورا جذابا للاسرة الفلسطينية . فالطلاق يكاد يكون منعدما و « العودة » دائما على شفاههم وفى قلوبهم . لذا فانهم يحيون بعضهم البعض بهذا النداء« العام القادم فى القدس » .

وتكلم رولو عن الأزمة السياسية الداخلية التى تعانى منها منظمة التحرير الفلسطينية فى العامين الماضيين . وابعاد المشكلة بين ياسر عرفات وبين الزعامة السورية وحركات الانشقاق داخل المنظمة والخروج الكبير من لبنان مرتين . ثم زيارة عرفات للقاهرة فى ديسمبر ١٩٨٣ وكما صرح عرفات ان الرئيس حسنى مبارك لا يقارن بسلفه فهو لم يتفاوض فى كامب دافيد . ويرفض دائما ـ قبل وبعد أنور السادات ـ أن يقوم بزيارة رسمية لاسرائيل . وسحب سفيره من تل ابيب عقب الغزو الاسرائيلى للبنان وأوقف المباحثات حول الحكم الذاتى للأرض المحتلة .



ياسر عرفات

لكن من هو ياسر عرفات ؟ . يفرد الكاتب فصلا كاملا عنه . ويقول فى بداية حديثه الجملة التى رددها الزعيم له يوما : « انظر الىّ . هل أبدو متوحشا ؟ » . يحاول أن يقدم للناس وجهه الناصع الذى يحاول الاعداء تلطيخه . ويقول المؤلف ان ياسر عرفات يمثل نموذجا . ومن النادر أن يمسك مسدسا يشهره فى وجه الآخرين . قد يظهر فى الصور معلقا مسدسه فى ملابسه . لكنه ابدا لم يستعمله ويتميز بابتسامته الدائمة البسيطة . ولحيته الأشبه بالملح ـ الفلفل . تحس انه رب أسرة . غير عدوانى . وكأنه أحد أبناء الطبقة المتوسطة التى تعيش فى مدينة القاهرة .

يقول الخبثاء إن عرفات لم يولد فى القدس . ولكنه ولد فى غزة . أو القاهرة . وانه ليس من عائلة الحسينى التى ترجع الى سلالة الرسول عليه الصلاة والسلام . والحقيقة أن اسمه عبد الرحمن عبد الرءوف عرفات القدوة .. ولد فى مدينة القدس عام ١٩٢٩ من ام تنتمى الى عائلة الحسينى . اما أبوه فهو رجل أعمال عاش فى غزة التى تقع فى دائرة القوات المصرية . هو الابن الخامس من سبعة أبناء . أنهى دراسته الثانوية فى مدرسة الزيتون بغزة . ثم أقام فى القاهرة يدرس ثم تخرج فى كلية الهندسة . ثم التحق بالجيش المصرى . واشترك فى المقاومة ضد قوات العدوان الثلاثى فى السويس . وكان قبل ذلك بأربعة أعوام يناضل الى جوار اقرانه الفلسطينيين يقال انه كان قريبا من الاخوان المسلمين . وكى يهرب من عبد الناصر سافر الى الكويت . ثم عمل مهندسا فى الامارات . وفى عام ١٩٦٧ حاول أن يجمع كل مؤسسى منظمة فتح . ارتبط اسمه بالحرب الجزائرية . فى عام ١٩٦٨ تم تعيينه المتحدث الرسمى لمنظمة فتح تحت اسم ياسر عرفات (ابوعمار) . وذلك تيمنا بدور عمار بن ياسر الصحابى المعروف . وقد وضعت مجلة تايم صورة ياسر عرفات على غلافها عام ١٩٦٩ .

ويقول الكاتب أن ياسر عرفات مثل كل الزعماء له صفات تتفق مع لحظة التاريخ ودوافعه . وانه يود اقامه علاقات طيبة مع كل الحكومات العربية وأن يتم التعاون مع منظمات المقاومة الأخرى . ويمثل عرفات الانعكاس الحقيقى لمشاعر الشعب الفلسطينى . من المرات القليلة التى بكى فيها عندما شاهد فيلما عن مذبحة صابرا وشاتيلا . وعندما قدم له أحد الاسرائيليين قصيدة شعر عن القدس .

ويقول رولو ان ياسر عرفات ليست له حياة خاصة . وهو يعمل طيلة ساعات النهار والليل من أجل خدمة بلاده فهو لا ينام الا قليلا . كثيرا ما يغير مكانه . يسافر فى طائرة خاصة ولا أحد يعرف شيئا عن موعد سفره أو وصوله . وهو زعيم ناجح يكسب ثقة الجميع . لعب دورا فى تهدئة الصراع بين العراق وايران . يحترمه الجميع . الأعداء والاصدقاء .

● فــن الحـــلم ●

عن الفن .. والألوان .. وبودلير

بقلم : عدلى رزق الله

الفن رسالة . فإذا لم يوجد من تبلغه هذه الرسالة . انتفت صفتها ، وفقد الفن وظيفته .. حينذاك يموت المرسل كمداً . رحم الله كمال خليفة . قطر دمه رسالة لنا ، لكن اعيننا لم تبصر . فطفل الأيام الأولى له عينان لا تريان - وما كان لفنان أن يموت . ففى حياته حياة لنا .

وفى معارضنا قلما نلتقى بجمهور عريض يريح قلب الفنان ، رغم ان المؤمنين بالرسالة كُثر . فمنذ « راغب عياد ومختار » أصحاب الرسالة الأولى فى حياتنا المعاصرة ، ولدينا مؤمنون يبشرون برسالة الفن . الجزار صاحب رسالة ، وكمال خليفة أيضاً ، كذلك كان رمسيس يونان . أخشى أن يكون موتهم المبكر - رحمة لهم - هرباً من عذاب يفوق طاقة البشر على التحمل .. وهم بشر . أحمد الله أن الجزار قد مات قبل أن يرى أعماله تباع بنقود ورقية وترحل بعيدا عنا .

سمعت أحدهم يقول : بيعت لوحة بالف ! ! كان المقتني اجنبيا ، ورحلت قطعة من القلب بملاليم إيا كان عددها . وبدلا من أن نقيم جناحاً خاصاً لأعمال « الجزار » ، و« كمال خليفة » ، وكذلك « رمسيس يونان » نبيع أعمالهم بورق مطبوع . دمعت عيناى مرتين ، مرة لرحيل لوحة « الجزار » ، ومرة لصرخة الزميل .

لست بفاقد للأمل ، ولا ادق طبول يأس - لكني أخاف على الموهوبين أن يموتوا كمداً فى مناخ يعتبر فيه انتصار فريق الكرة نصراً قوميا ، وهزيمته جريمة شنعاء يستحق عليها اللاعبون الجزاء . فقد خذلوا الشعب حين لم يهزوا شباك « العدو » . فحتى لا نموت كمداً دعونا نفتح النوافذ ، لكى يدخل هواء نقى ، تتنفسه لوحاتنا من نبض المتفرج . حينئذ يحيا الفنان ، ويكون للفن دور فى حياتنا .

وما دامت الحياة مستمرة ، فسيوجد من يدافع عنها . والفن أحد أسلحة الدفاع الشرسة . لماذا لا نستعمل سلاحه دفاعاً بدلا من أن نقف عزلا مكتوفى الأيدى نستجدى حلـولا لمشاكلنا ، ونحن كسالى .

وفى مصرنا أيام أن كان هناك لقاء بين من يهتمون بشئون الفكر والثقافة ساهم « طه حسين » كتابة عن الأعمال الفنية - هكذا سمعت أستاذنا بيكار يقول - وقد كان للدكتور « زكى نجيب محمود » والدكتور « يوسف مراد » فضل كبير علينا فى الجلسات التى كان



عن الفن .. والألوان .. وبودلير

ينظمها .. صلاح طاهر .. بمتحف الفن الحديث . يوم أن كان لنا متحف .. هدموه أيام الفندقة ! ! هل تذكرون ؟ ! . وحديث كان للشاعر « أحمد عبد المعطى حجازى » اسهام بقصيدته « أيات من سورة اللون » . لكن ، الا ترون أن البحث عن أمثلة للقاء قليلة ونادرة . تعالوا إذن أيها الأدباء إلى معارضنا واكتبوا ما شاء لكم . فى البداية سنختلف كثيرا ، لأنكم سترون بعيون الأدباء وسنتجادل كثيرا . وسنستفيد جميعا ، لكن الفائدة الأكبر ستعود على الجمهور .

لست بفاقد للأمل ، ولا أدق طبول يأس . لنحلم معا ، ففى الحلم حياتنا . لنحلم معا أن يتحول معرض الكتاب ـ ذلك العمل الناجح بكل المقاييس وعلى كل المستويات ـ إلى مهرجان شامل للفنون جميعا . ويخصنا هنا أن نحلم بمعرض يقصد الجمهور أولا وأخيراً . لا تزدان بطاقات الدعوة له بمن يتكرم ومن يتشرف . يقول بعضهم حين أدعو لفكرتي هذه إنك بهذا تعترض طريق الجمهور . وأنا أقول ولم لا ؟ إنه اعتراض لمتعة ، وليس اعتراضا لمفسدة . فليلتق الكاتب بالفنان ، وليلتق القارىء بمشاهد اللوحة . ففى هذا اللقاء ثراء لنا جميعاً .

وتحب صديقتي الحالمة «بودلير» فى أحد معارضي أنشدت قصيدة دعوة إلى الترحال L,invitation au voyage ومضت . ويوما آخر قرأت لي ما كتبه « بودلير » عن اللون . أغمضت عيني ورأيت لوحتي « حياة فى الهواء » . هكذا أيضا يلتقى الأدب والفن في كل مكان تحمسنا لأن ننقل لك ما قاله شاعر فرنسى عن اللون .. قيمة من أهم قيم الفن التشكيلي . عل به بعض الفائدة . وعل أن يستثير هذا العمل بعض كتابنا ـ وهم قادرون ـ على الكتابة عن الفن التشكيلي .

عن اللون
شارل بودلير

إعداد ناهد ابو النجا

فلنفترض حيزا لا بأس به فى الطبيعة ، حيث كل يخضر ، يحمر ، يتعفر أو يتلألأ فى حرية تامة . حيث كل الأشياء المتنوعة التلوين تبعاً لتكوينها الجزئى ، المتغيرة من لحظة الى أخرى بفعل تحرك الظلال والضوء ، والمضطربة بالحركة الداخلية لنظرية الحرارة ، توجد فى ذبذبة دائبة تهتز بفعل الخطوط ، وتكمل قانون الحركة الأبدية والكونية.

مساحة شاسعة الأبعاد ،ممتدة إلى أقاصى السماء أحياناًزرقاء ،وغالباًماتكون خضراء ، إنه البحر .

الأشجار خضراء ، الحشائش خضراء ، الطحالب خضراء ، الأخضر يتلوى كحية بين الجذوع ،السيقان غير الناضجة هى الأخرى خضراء .

الأخضر هو جوهر الطبيعة ،لأن

الأخضر يتزاوج بسهولة مع كل التونات الأخرى .

باستثناء موآديه : الأصفر والأزرق ، ومع ذلك فأنا لا أتكلم هنا إلا عن التونات النقية غير الممزوجة . لأن هذه القاعدة لا تنطبق على الملونين النوابغ الذين يتقنون علم الكونتربوان .

ومما يسترعى الانتباه ، انه اينما وجد الأحمر ، سواء فى الزهور الحمراء بين الحشائش ، فى زهرة الخشخاش ، فى الببغاء ، أو فى أى شىء آخر ، تجده يتغنى بمجد الأخضر . والأسود ، إذا ما وجد ، فهو كصفر تائه يلتمس عون الأزرق أو الأحمر .

أما الأزرق ، أى السماء ، فتقطعه كريات هشة بيضاء أوكتل رمادية اللون ، تذيب لحسن الحظ من كآبته الفجة .

وكضباب الموسم ، صيفا أم شتاء الذى يغمر الحدود ويلينها أو حتى يبتلعها ، تبدو الطبيعة شبيهة بنحلة الأطفال وهى مدفوعة بسرعتها المتزايدة ، تتراءى لنا رمادية مع أنها تحتوى على كل الألوان .

الرحيق يتصاعد ، ولاختلاط العناصر الأولية ، تجده يزدهر فى درجات ممتزجة الأشجار والصخور والكتل الجرانيتية تتلألأ على صفحة الماء ، تاركة فيها انعكاساتها . كل الأشياء الشفافة تترك أثناء مرورها أضواء وألوانا متجاورة ومتباعدة .

وكلما تحركت الشمس ، غيرت « التونات » فى نسب ظلالها وأضوائها ، ولكنها دائما مع احترامها لأهوائها الطبيعية سواء إقبالا أو نفورا ، مستمرة فى التعايش فيما بينها بفضل تجاوزات من كل الأطراف

شارل بودلير : (١٧٥٩ ـ ١٩٦٧) شاعر فرنسى ، صاحب ديوان .. زهور الشر ـ وقصائد صغيرة نثرية ، وترجمات لادجار الان بو . ودراسات نقدية فنية لصالون سنة (١٩٤٥ ـ ١٩٤٦) ومعرض عام ١٨٥٥ ـ ١٩٨٩ كما له دراسة وافية عن الفنان الفرنسى ديلاكورا . فيرونيز : رسام ايطالى يتبع مدرسة فينيسيا (١٥٢٨ ـ ١٥٨٨) من أشهر أعماله « اختطاف أوروبا » . « وعرس كانا » . وانتصار فينيسيا » .

الظلال تتحرك ببطء ، تطارد « التونات » التى تفر من أمامها ، أو تطفئها كلما حاول الضوء وهو أيضا متحرك أن يعيد إليها رنينها .

هذه « التونات » تتراسل بانعكاساتها ، معدلة فى خواصها الطبيعية عن طريق صقلها بأخرى صافية ومستعارة ، مما يساعد على تكاثر زيجاتها المتناغمة وتيسير حدوثها .

عندما تنزل الشمس الى المياه ، تنطلق الحمراوات الصاخبة من كل الجهات ، فيشع فى الأفق انسجام دام ، ويتشرب الأخضر الحمرة بثراء .

ولكن سرعان ما تظهر رقعة واسعة من الظلال الزرقاء تطارد فى إيقاع ، جمهرة « التونات » البرتقالية والوردية الفاتحة التى تبدو كصدى للضوء بعيد واهن .

سيمفونية اليوم هذه الرائعة ، والتى هى التنويع الأبدى لسيمفونية الأمس ، تعاقب الأنغام هذا حيث التنوع يشتق دائما من اللانهائى ، تلك الترتيلة المعقدة ، تسمى باللون .

ففي اللون تجد الانسجام والنغم والكونتربوان .

لو أردنا فحص أدق التفاصيل لشيء ضئيل الحجم ولتكن مثلا يد امرأة معروفة نحيلة وذات بشرة رقيقة للغاية ، فسنرى انسجاما تاما بين الأخضر الموجود فى الأوردة القوية التى تمر فى تلك اليد وبين « التونات » المشربة بحمرة الدماء والتى تبين المفاصل :

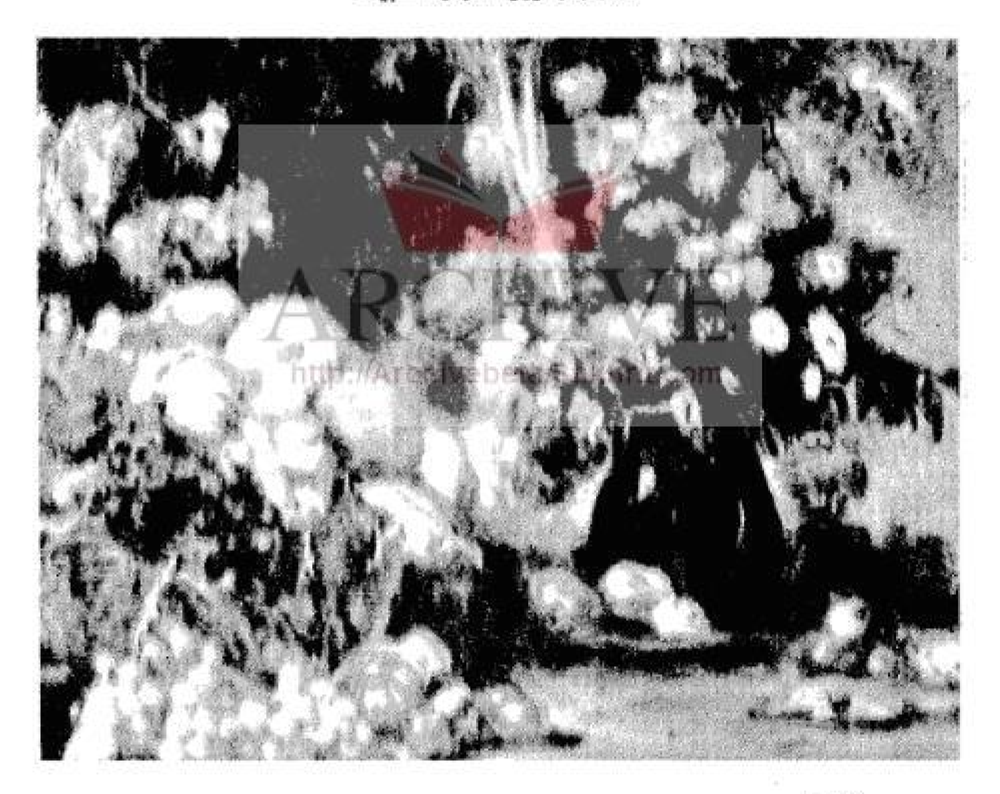
والأظافر الوردية تقطع الفقرة الأولى ذات « التونات » الرمادية والسمراء .

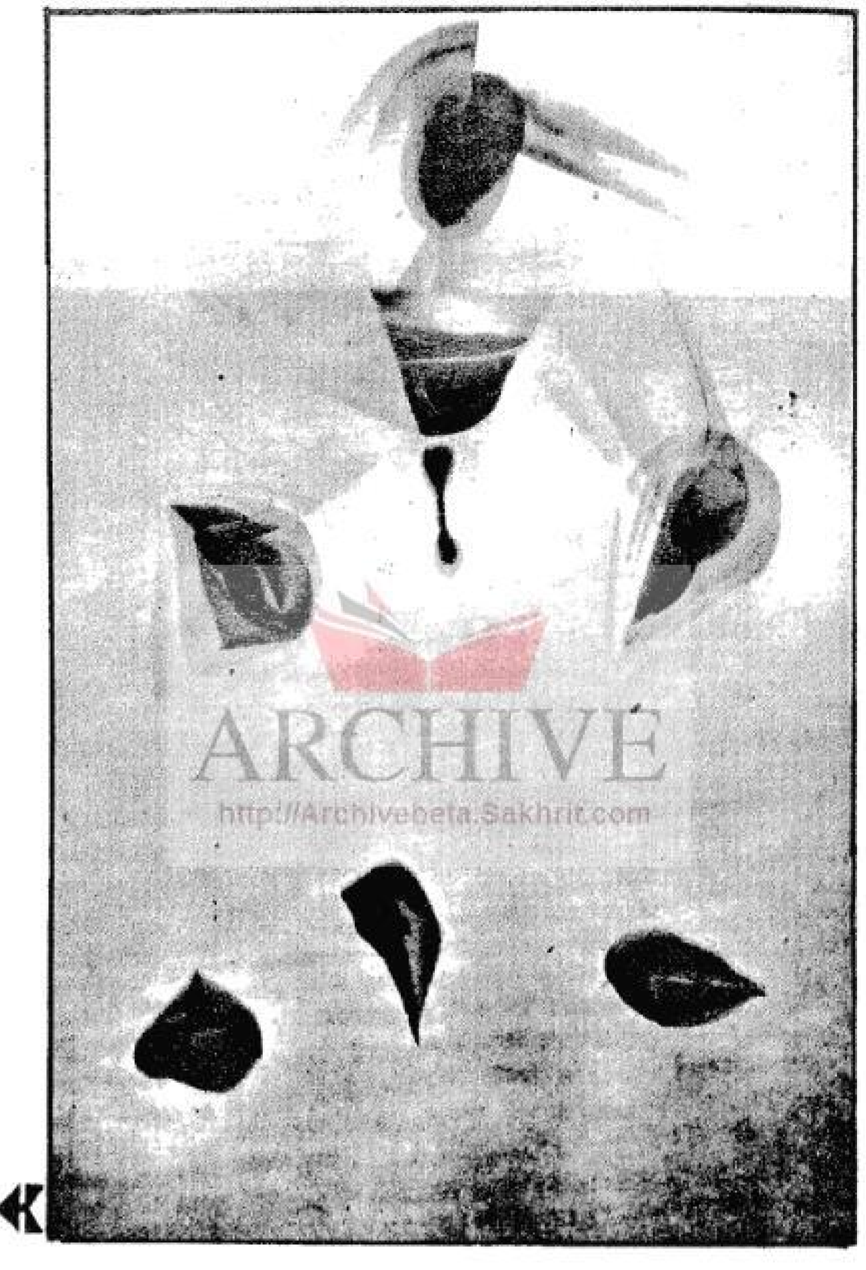
أما بالنسبة لراحة اليد ، فإن مجموعة الأوردة الخضـراء أو الزرقـاء التى تخترقها ، تفصل مابين خطوط الحياة الأكثر توردا وخمرية .

إن دراسة الشيء ذاته تحت المجهر ، فى أية رقعة منه مهما صغرت سيرينا انسجـاماً كـاملاً بين مجمـوعة من « التونات » رمادية ، زرقاء ، سمراء ، عفراء برتقالية وبيضاء يدفئها قليل من الأصفر .

هذا الانسجام ، إذا ما اندمج بالظلال ،

روبنز وحيوية الوان الطبيعة





عن الفن .. والألوان .. وبودلير

ولد النموذج المجسم الذى يستعين به الملونون والمختلف اساساً عن ذلك الذى يستخدمه الرسامون ، والذى قد لايزيد فى صعوبته عن مجرد نقل الجص

اللون إذن هو الوفاق بين« تونين » « التون » الدافىء و « والتون » البارد اللذين فى تعارضهما تكمن كل النظرية واللذين لايمكن تعرفيهما بطريقة مطلقة إذ لاوجود لهما الانسبيا .

المجهر هنا هو عين الملون . ولا اود أن استخلص من ذلك أن على الملون أن يتبع أسلوب الدراسة المتناهية الدقة للتونات المتداخلة فى رقعة محدودة للغاية . لأن قبولنا لنظرية تميز كل جزئية بتون خاص ، يتحتم معه قابلية انقسام المادة فى اللانهائى وزد على ذلك ، أن الفن ، لكونه تجريداً وتضحية بالجزء لصالح الكل يصبح من المهم الاهتمام او التركيز على الكتل .

ولكنى كنت أود أن اثبت ، إذا كان ذلك فى الإمكان ، أنه مهما تعددت « التونات » مع تجاورها المنطقى ، فلسوف تذوب وتتداخل طبيعيا بفضل القانون الذى يحكمها .

إن الانجذابات الكيميائية هى السبب الذى يحول دون إرتكاب الطبيعة لأخطاء فى ترتيب هذه « التونات » .

فبالنسبة لها يكون الشكل واللون شيئاً واحداً لا يتجزأ .

ومثل الطبيعة الملون الحق ، فهو لا يرتكب مثل هذه الأخطاء ، وكل مسموح له به ، لأنه يعرف بالسليقة سلم الألوان ودرجاتها ، قوة « التون » نتائج الخلطات . وكل علم الكونتربوان وعلى ذلك ففى استطاعته ان يخلق انسجاما بين عشرين فئة فى الاحمر المختلف .

وهذا صحيح لدرجة أنه ، اذا ما تراءى لمالك ارض من المناهضين للتلوين أن يعيد طلاء حقوله على نحو مناف للعقل ، مستخدما من ذلك مجموعة من الالوان النشاز ، فإن بريق الجو الشفاف الغليظ وعين « فيرونيز Veronese » المدركة لكفيلان فى مجموعها بإصلاح الأمر ، بل وبإنتاج لوحة تكون فى مجموعها مرضية ، تقليدية دون شك ولكن منطقية .

وذلك يفسر كيف يمكن لملون أن يكون متناقضا فى طريقة تعبيره عن اللون ، وكيف أن دراسة الطبيعة غالبا ما تقودنا الى نتيجة مخالفة تماما للطبيعة .

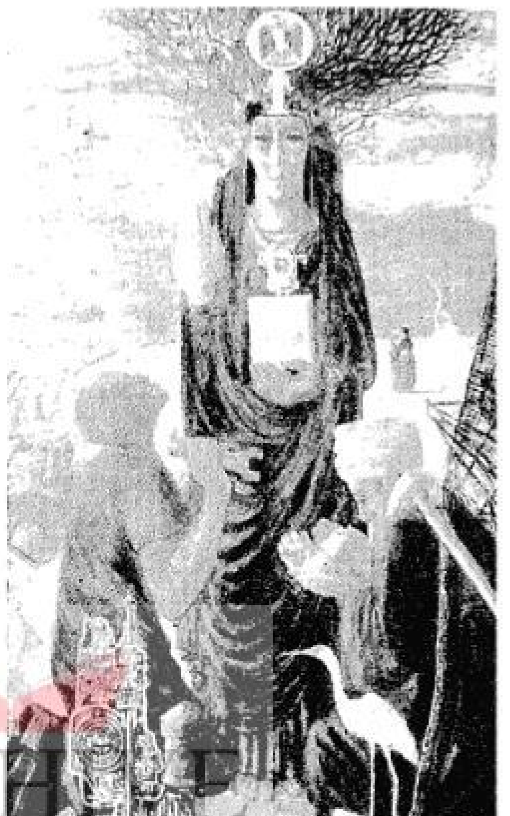
فالهواء يلعب دورا كبيرا فى نظرية اللون لدرجة أنه إذا ما رسم أحد مصورى المناظر الطبيعية اوراق الاشجار كما يراها فانه سوف يحصل على « تون » خاطىء لان مساحة الهواء الموجودة بين المشاهد واللوحة أقل من تلك التى تفصله عن الطبيعة .

الانسجام هو قاعدة نظرية اللون . والنغم هو الوحدة فى اللون او اللون عامة .

خلاصة القول ان النغم **هو مجموعة تتنافس فيها كل التاثيرات للوصول الى تاثير عام . وهكذا يترك النغم فى النفس ذكرى عميقة الأثر .**

إن أغلب ملونيناالشبان يفتقرون إلى النغم .

والطريقة المثلى لمعرفة ما إذا كانت اللوحة منغمة ، هى أن تنظر اليها من بعد بحيث لاتستطيع تمييز الموضوع او الخطوط . فإذا كانت منغمة ، فانها تكون ذات قيمة حتى قبل التطرق لموضوعها بل



من اعمال الفنان عبد الهادى الجزار
بيعت اعماله ورحلت بعيداً عنا

وتكون قد اكتسبت مكانتها فى قائمة الجدير بالتذكر .

إن الأسلوب والاحساس فى اللون ينبعان من الاختيار . والاختيار يفرضه المزاج (الطبع) .

فهناك « تونات » مرحة طائشة ، وأخرى طائشة حزينة او ثرية مرحة أو ثرية ، حزينة وهناك الشائعة أو المتفردة . وهكذا نجد اللون هادئا ومرحا عند « فيرونيز » فى حين يتسم غالبا بالنواح (الشكوى) عند « ديلاكروا » .

كثيرا ما نظرت إلى ملهى يقع امام نافذتى . وكان احمره واخضره الفجان اللذان يتألف منهما طلاؤه يسببان لعينى ألما لذيذا .

إنى أجهل ما إذا كان احد علماء المقارنة (قياس الشبه) ، قد وضع جادا قائمة لدرجات الالوان والأحاسيس . ولكنى اتذكر فقرة لهوفمان ، يعبر فيها بالضبط عن فكرتى هذه والتى ترضى كل محبى الطبيعة :

« ليس فقط فى الحلم ولا اثناء الهذيان الخفيف الذى يسبق النوم ولكن أيضا وأنا مستيقظ ، استمع الى الموسيقى ، فإننى أجد أوجها للمقارنة والتقاء حميما بين الالوان والاصوات والروائح ، اذ يبدو لى ان كل هذه الاشياء ، قد ولدها نفس شعاع الضوء ، وانها يجب ان تجتمع فى حفل موسيقى رائع .

إن رائحة الهموم البنية والحمراء ، لذات تأثير سحرى على شخصى . فهى تسلمنى لحالة من الاستغراق فى الخيالات ، تتبادر فيها إلى سمعى - كصدى بعيد - أصوات الأوبوا الخفيضة العميقة » .

وكثيراً ما يتساءل الناس عن إمكانية إجادة الشخص نفسه لكل من التصوير والتلوين بنفس الدرجة .

والاجابة عن هذا السؤال تكون بالايجاب والنفى معاً . إذ أن هناك أنواعا مختلفة من الرسم .

إن الصفة التى يتمتع بها الرسام الخالص تكمن - خاصة - فى رهافة الحس . وهذا الحس يتنافى واللمسة مع



ديلاكروا .. صخب الأحمر والأزرق

العلم أن هناك لمسات صائبة (سعيدة ؟) والملون المكلف بالتعبير عن الطبيعة باللون غالبا ما يفقد فى حذف اللمسات السعيدة أكثر مما يفقد فى البحث عن صرامة (قتامة) أكبر للرسم .

إن اللون لايتنافى بالتأكيد والرسم الجيد مثل رسم (فيرونيز) الذى يسلك نهج المجاميع ، والكتل ، ولكنه يتنافى ورسم التفصيلة ، كالتفافة قطعة صغيرة حيث اللمسة تطغى دائما على الخط وتبتلعه .

ان إيثار الهواء الطلق واختيار مواضيع تتسم بالحركة ليتطلب استخدام خطوط طافية ومغمورة .

اذن فمن الممكن للمرء ان يكون ملونا ومصورا فى آن واحد ، ولكن ذلك بمعنى خاص . فكما يمكن للمصور أن يكون ملونا عن طريق إستخدام الكتل الكبيرة يمكن للملون أن يكون مصورا باتباعه منطقا متكاملا لمجموع الخطوط ، ولكننا سوف نجد أنه غالبا ما تطغى إحدى هذه الصفات على تفاصيل الأخرى .

إن الملونين يرسمون كالطبيعة ، وأشكالهم لا يحدها طبيعيا الصراع المتآلف الدائر بين الكتل الملونة . ان المصورين الحقيقيين لفلاسفة ومجددون اثيريون أما الملونين ، فهم شعراء ملحميون .



بقلم : د. نهاد صليحة

كثيرا ما تعرض الروائيون الغربيون فى الماضى لمشكلة الأمومة خارج رباط الزواج ، وكان قدر التعاطف أو الادانة فى معالجة هذه المأساة يخضع إلى حد كبير لمزاج الكاتب النفسى ، ومدى التزامه واقتناعه بالتقاليد التى تحكم علاقات الرجل والمرأة والأسرة فى مجتمعه وعصره .

فعندما تعرضت الروائية الانجليزية « جورج إليوت » لهذه المشكلة فى أوائل القرن التاسع فى رواياتها الشهيرة « آدم بيد » مثلا تناولتها بشكل يدين المرأة بقسوة شديدة . وعندما عالجها الروائى « توماس هاردى » فى رواية « تس » فى آخر القرن نفسه أبدى قدرا كبيرا من التعاطف مع بطلته التى تحمل اسم الراوية .

ولكن معالجة تلك المشكلة كانت دائما ـ ومعها تباينت الأمزجة ـ تخضع لاطار أخلاقى ثابت يملى ردود الفعل الاجتماعية ويدين الأم غير المتزوجة مهما كانت الظروف .

كان ذلك فى القرن التاسع عشر . اما فى القرن العشرين فقد تعرض المجتمع الغربى لهزات عنيفة إثر حربين عالميتين زلزلتا الكثير من الأوضاع والقيم الأخلاقية المتوارثة مما ادى الى تخبط كثير من المفاهيم والعلاقات .

وظهرت فى أوربا ـ وخاصة انجلترا ـ حركة تحرير نسائية جديدة عرفت باسم « ويمنزليب » اتخذت لنفسها شعارا غريبا هو حرق مشدات الصدر ، وتزعمتها الصحفية الكاتبة « جرمين جرير » وتحمست لها شخصيات نسائية مشهورة مثل الممثلة المعروفة « فانيسا ردجريف » .

وكان لهذه الحركة النسائية الجديدة أوجه إيجابية مثل المطالبة بالمساواة بين الرجل والمرأة فى المسئولية الوظيفية والأجر .

ولكن كان لها أيضا سمات مازالت تثير الكثير من الجدل فى المجتمع الغربى وكان أهم هذه المطالب هو المناداة بحق المرأة فى الانجاب دون تقيد بالزواج

وربما كان هذا المطلب مجرد اعتراف بأمر واقع نتج عن الانحلال الأخلاقي الذى ساد أوربا وتمثل فى الحرية الجنسية اللامحدودة وتفتت الروابط الأسرية وكثرة الأطفال غير الشرعيين .

وعكست الرواية باعتبارها أكثر الفنون الأدبية التصاقا بالمجتمع هذا التخبط الأخلاقى والحيرة الفكرية .

واهتمت الأديبات الجادات بتصوير هذا التخبط من خلال المرأة باعتبارها البوتقة التى تتبلور فيها ومن خلال معاناتها وحيرتها كل التغيرات الاجتماعية .

ونتيجة لهذا ظهرت روايات كثيرة بأقلام أديبات غربيات اتخذن موضوعهن الأساسى أولا علاقة المرأة بالرجل فى ضوء مفاهيم المساواة الجديدة . ثم تبع ذلك ظهور روايات أخرى . تجاوزت هذه العلاقة لتعالج وتحلل فى ضوء جديد العلاقة القديمة بين الأم غير المتزوجة والمجتمع من ناحية ، وبين الأم غير المتزوجة وطفلها من ناحية أخرى .

والأم غير المتزوجة فى رواية السبعينات فى الأدب الغربى تختلف اختلافا جوهريا عن الأم غير المتزوجة فى أدب القرن التاسع عشر .

ففى أدب السبعينات لم تعد الضحية الريفية الساذجة المعدمة التى يغرر بها ، بل أصبحت امرأة واعية على درجة كبيرة من الثقافة والاستقلال الاقتصادى .

وعلى هذا فقد أصبحت مسئولة عما يحدث لها وتأتى أفعالها نتيجة قرارات تتخذها عن وعى .

فالبطلة فى رواية « الحجرة اللامية الشكل » على سبيل المثال ـ وهى الرواية الأولى فى ثلاثية بقلم الكاتبة « لين ريد بانكس » ـ فتاة على قدر كبير من الوعى ، تجد نفسها فى مأزق الأم غير المتزوجة نتيجة لتيار التحرر الجنسى فى مجتمعها ، فتقرر أن تحتفظ بالطفل رغم سهولة التخلص منه عن طريق الاجهاض ، ورغم وعيها بإدانة المجتمع لها متمثلا فى أبيها إن هى أحجمت عن ذلك .

وتتحمل البطلة غضب أسرتها ورؤسائها فى العمل والسكن فى حجرة صغيرة وضيق مواردها المالية لتحتفظ بالطفل . فهى تعى انها ارتكبت خطأ اخلاقيا واجتماعيا ، ولكنها تصر على تحمل نتيجة خطئها ، وترفض أن تخرج من هذا المازق اجتماعيا عن طريق الاجهاض الذى تدرك انه جرم أخلاقى فادح ، من خلال مقابلة لها مع طبيب كون ثروة كبيرة عن طريق ممارسة هذه التجارة الرابحة .

وفى رواية أخرى بعنوان « حجر الطاحونة » تناقش الكاتبة الانجليزية المبدعة « مارجريت درابل » ـ الحائزة على جائزة الأكاديمية الأمريكية للفنون والآداب عام ١٩٧٣ ـ تناقش نفس المأزق الاخلاقى الذى يواجه الأم غير المتزوجة فى مجتمع يناقض نفسه أخلاقيا فيبيح حق الجنس خارج رباط الزوجية ، ويبيح جريمة الاجهاض بينما يحرم الأمومة .

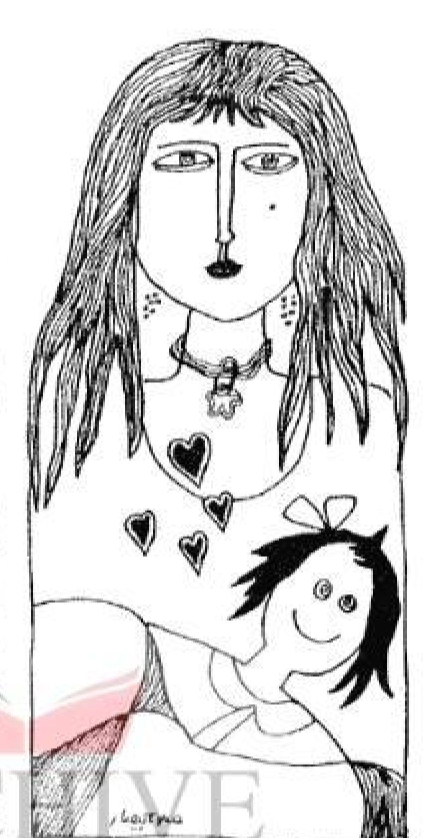
وبطلة الرواية هنا أستاذة فى الجامعة من أسرة ميسورة مثقفة ـ وهى تقدم على ممارسة الجنس قبل الزواج نتيجة ضغوط اجتماعية فى مجتمع يعتبرها شاذة إن لم تفعل ذلك . وعندما تدرك أنها تتوقع طفلا

الاجتماعي والمادي المتميز ، وتصل الى نوع من المصالحة مع المجتمع .

وتختتم « مارجريت درابل » روايتها بتعليق لاذع عن المجتمع الغربي يفضح تناقضاته الاخلاقية فتقول على لسان بطلتها « روزا موند » :

« في مجتمعنا هذا الذى لايحترم سوى الطبقات والأموال كان اكثر شيء ساعدنى هو عنوان المنزل في الحى الأرستقراطى ، ومركزى في الجامعة ، واسم والدى الشهير لقد عاملنى الجميع في مستشفى الولادة بحنان بالغ وكأننى طفلة أخطأت ، ولكن لاينبغى أن نقسو عليها في العقاب ـ لم يكن عندى أدنى شك في نوع المعاملة التى كان يمكن أن اتلقاها لوكنت أنتمى إلى طبقة أخرى او اسكن في حى فقير لقد احتفظت بالطفل لاننى أستاذة وغنية ومن عائلة ... اما الفتاة الفقيرة فعليها أن تقتل طفلها لتحتفظ باحترام المجتمع » .

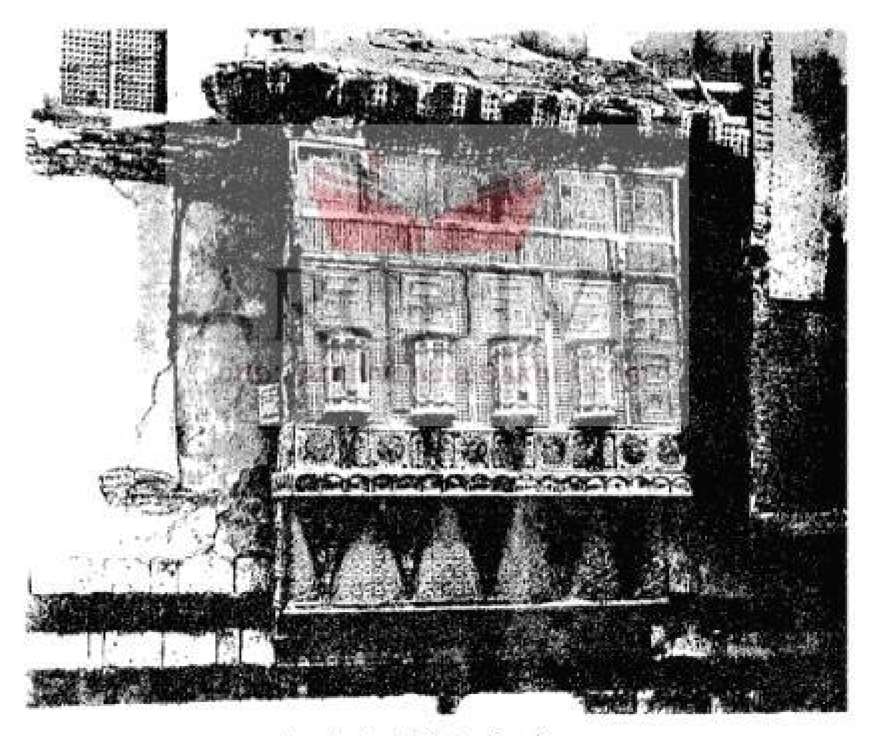
وربما كان لمثل هذه الأعمال الأدبية بعض التأثير في الحد من تيار الانحلال في أوربا . وفي انجلترا بالذات ، عن طريق طرح قضية الأمومة ومسئولياتها ، والتعرض لجريمة الاجهاض في علاقتهما بهذا التيار بل إننا نلمح بعض البشائر في هذا الصدد إذ نجد الكاتبة الصحفية « جرين جرير » نفسها ترتد في بداية الثمانينات عن دعوة الحرية الجنسية التى تبنتها في الستينات وتصدر كتابا كاملا يدعو إلى مبدأ الالتزام بالاخلاص والوفاء في العلاقات بين الرجل والمرأة مبينة الآثار النفسية والأخلاقية المدمرة التى نتجت عن ثورة التحرر الجنسى التى كانت هى نفسها من أشد الدعاة إليها .



تبدأ معاناتها النفسية والأخلاقية . فهي من ناحية لاتريد ان تلزم الأب بالزواج منها ، لأنها تعتبر ذلك نوعا من الضغط والابتزاز غير المشروع حيث أنها اقدمت على هذه العلاقة بارادتها دون أى وعد من جانبه بالزواج ، وهى من ناحية أخرى ترفض ان يدفع الجنين البرىء ثمن خطئها ـ فهى المسئولة الوحيد أولا وأخيرا . وتكون النتيجة أن تحتفظ بالطفلة « أوكتافيا » رغم كل المعاناة ، ويساعدها فى ذلك تفهم والديها لمشكلتها ومركزها

مصر فى الربع الأول من القرن السابع عشر كما وصفها.. أبو سالم العياشى

بقلم الدكتور : يونان لبيب رزق



مشربية من القرن السابع عشر

تفسح ذخائر الكتب العربية في هذا العدد للدكتور يونان لبيب رزق .. يستكمل ويوضح مانشره الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في عدد ديسمبر من الهلال حول « رحلة العياشي »

● أما التوضيح فيعلق بجانبين ، اولهما ان اعادة نشر الرحلة العياشية أو ماء الموائد عام ١٩٧٧ .. قد تمت في الرباط ، وان من قام بنشره واعداد فهارسه هو الأستاذ « محمد حجى » أستاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب بالرباط ..والذى يذكر له أنه قام بجهد ملحوظ في نشر وتحقيق عديد من المؤلفات المغربية القديمة ، وثانيهما : أن الاسم الأول للعياشي هو « أبو سالم » وهو ما لم يشر اليه الدكتور خفاجي مع أن المؤرخين المغاربة يستخدمونه كثيرا في اشاراتهم للرحلة العياشية .

وأما الاستزادة فهى ناتجة عن أن الدكتور عبد المنعم خفاجي مع ما قدمه من فائدة للقارىء العربى ، خاصة في المشرق من تعريفه بهذا المؤلف النفيس ، فانه قد اقتصر على ما اقتطفه حمد الجاسر منه متصلا بمشاهدات ومعايشات « العياشي » في الأراضي المقدسة .. صحيح ان رحلة أبو سالم تندرج تحت ماسمى في الكتابات المغربية « بالرحلات الحجازية » غير أنه ينبغى التنبيه الى أن الحجاج المغاربة أو غيرهم كانوا ينشغلون فترة وجودهم في الحجاز بأداء فريضة الحج أكثر من معايشة المجتمع الحجازى ، وهم في هذا كانوا لا يكادون يستقرون في مكان الا وينتقلون الى مكان اخر .. بالمقابل فقد كان هؤلاء الحجاج بعد وصولهم الى مصر قادمين من بلادهم يمكثون فيها لأكثر من شهر يرتاحون من وعثاء الطريق الطويل ويتأهبون لاستكمال رحلتهم الى الحجاز فى ركب الحج المصرى ، كما أنهم فى عودتهم كانوا يبقون لايام قد تمتد لشهور أو حتى لسنوات !

وكان الرحالة المغاربة في هذا البقاء يعايشون ويشاهدون ويسجلون ، وهو ما فعله « أبو سالم » والحقيقة أن ما سجله العياشي عن مصر فى الربع الأول من القرن السابع عشر يضيف كثيرا الى معلوماتنا عن تلك الحقبة التاريخية الغامضة ، خاصة اذا ماكانت هذه الاضافة مقدمة من عالم ورحالة مثل العياشي ، وهو مايدعونا الى تقديمها .

اهتم أبو سالم أساسا بالمناطق التى زارها ، وقد استعرض على وجه الخصوص المدن الأربع الرئيسية التى مر بها ، وهى الاسكندرية والقاهرة والسويس ودمياط .

بدأ وصفه للاسكندرية بمقدمة تاريخية انتقل منها الى الحديث عن عجائب المدن مثل المنارة المشهورة « الا أنها الآن دائرة لم يبق منها شيء » كذا عمود السوارى الذى قال عنه « ما رأينا أعجب

من طول العمود وفخامته ... فهو من مباني الدنيا الغريبة ومن مآذن هذه المدن العجيبة ». ويعزو « العياشي » أسباب عمران المدينة لموقعها « بين الأسباب البرية والبحرية والأجناس البدوية والحضرية فبابها الشرقي متصل بأريا فمصر التي هي مزرعة الدنيا التي لانظير لها وبابها الغربي متصل ببادية برقة .. وبابها البحري مقابل لأرض الروم التي منها تجلب البضائع النفيسة ».

ولم ينس العياشي الاشارة الى مزارات المدينة الدينية مثل مشهد سيدي على البدوي ، وقبر الخزرجي ، ومشهد الشيخ أبو العباس المرسي ، وزاوية أبي محمد صالح التي ينزلها المغاربة « ولهم فيها أوقاف ».

ومن الاسكندرية الى القاهرة ومنها الى السويس التي انطلق منها الى الأراضي الحجازية ويصفها قبل مغادرته اياها فيقول انها « مدينة صغيرة ذات أسواق ومساجد ووكالات مستطيلة على شاطئ البحر المالح الذي يأتي من الهند وهناك يقف بين جبال شامخة وبينه وبين البحر الرومي نحوا من مرحلتين » ويشير العياشي الى أن ميناء السويس كان يستقبل « السفن التي تأتي من جدة ومكة واليمن فيها السلع التي لا تحصى والبضائع التي تستقصي ومن هناك تحمل الى مصر في البر ».

ولما كان « أبو سالم » قد عاد من الحجاز عن طريق الشام فهو قد وصل الى غزة ومنها الى دمياط ، وكانت المدينة المصرية الرابعة التي حظيت بنصيب من اهتمامه ، ووصفها فقال « هي مدينة كبيرة ممتدة على ساحل النيل ذات مساجد كبيرة وأسواق حافلة وخانات عامرة ومرسى عجيبة غصت بها السفن الكبار والقوارب الصغار فيها من أنواع الفواكه والثمار وصنوف الأطعمة ما لا يكاد يوجد في غيرها ».

واذا كنا استبقينا القاهرة لآخر المناطق التي تناولها الرحالة المغربي بالرصد فقد فعلنا ذلك نتيجة لما أفرده للعاصمة المصرية من مساحة غير صغيرة ، سواء بحكم مكانتها أو بحكم انه قضى فيها الفترة الأكبر من رحلته في مصر .

كان أول ما استلفت نظر الرجل في القاهرة تلك الكثافة البشرية التي تمتعت بها العاصمة المصرية وتعدد أنشطة القاطنين بها واختلاف أجناسهم ، فهو يقول « وبالجملة فمصر أم البلاد شرقا وغربا .. لكثرة اجناس الناس فيها فمن طلب جنسا وجد منه فوق مايظن فيظن أن اغلب أهل البلاد كذلك ».. ويسوق قولة ابن خلدون « ومصر بخلاف ذلك كلما تخيلت فيها فاذا دخلتها وجدتها أكثر من ذلك ».

ويسجل طبيعة الحياة المدنية لسكان القاهرة مما لم يعهده في غيرها فيقول « كان الناس فيها قد حشروا الى المحشر لاترى أحدا يسأل عن أحد كل واحد ساع فيما يرى فيه خلاص نفسه »، ثم يستطرد مؤكدا على هذه الطبيعة مشيرا الى انه « لو توانى الانسان في مشيه لفاته غرض مع كثرة الاغراض وتزاحم الأشغال ».

وتعددت مواقع حديث العياشي عن الأسواق القاهرية ، والواضح انه كان معتبرا مما يجري فيها « فكل سوق دخلته

نقول هذا اكثرها زحاما فاذا خرجت منه لآخر وجدته مثله أو اشد وقد شاهدنا الناس فى بعض الأسواق تارة يقفون هنيهة لايقدر احد على أن يتحرك يمينا ولا شمالا من غير ان يكون هناك حاصر لهم من امام الا الزحام وربما رفع بعضهم صوته بالتكبير حتى يظهر لهم بعض تحرك فيندفعون مثل السيل اذا اجتمع فى مكان ضيق »!

صنف فى أولى ملاحظاته عن الحياة الاجتماعية فى أحياء القاهرة الى تلك التى يقطنها الفقراء مثل « حارة المجاورين » القريبة من الجامع الأزهر « لايسكنها فى الغالب الا العلماء والغرباء والفقراء وقل أن تجد بازائه دار متجر أو احد أرباب الدولة لضيق المحل »، ثم الأخرى التى يقطنها الميسورون الذين يريدون « السعة بالقرب من القلعة التى هى محل الباشا واكابر دولته ».

وسجل فى الملاحظة الثانية بعض عادات المصريين الاجتماعية .

ومن هذه العادات ما اتصل بأمور لم يألفها المغاربة مثل شرب القهوة ، ويفرد أبو سالم لهذه العادة حيزا غير صغير ، فيتحدث عن تاريخ دخول القهوة الى مصر واستخدامها للضيافة ، ويخلص الى أحكام الشريعة فى هذه العادة .

منها أيضا عادة شرب الدخان وموقف رجال السلطة من اباحة التدخين أو منعه .

غير أن أهم ما لفت نظر الرحالة المغربى كان ماتصل بأمور الدين من احتفالات وعادات ..

من الاحتفالات الدينية سجل الجو الاجتماعى الذى يرافق رؤية هلال رمضان ، ويدلف من ذلك الى وصف بعض العادات الاجتماعية التى درج الناس على اتباعها يوم العيد ، فتحدث عن « عادة النساء فى مصر أن يخرجن ليلة العيد ويومه الى المقابر ويبقين هناك برهة من الزمن » ثم يضيف « ولما فرغ الناس من الصلاة جعلوا يتزاورون ووقف المشايخ لزيارة الناس » .

ورصد ايضا ظاهرة كثرة المشايخ والاولياء فى هذا العصر فى سائر القرى والمدن ومدى ما تمتعوا به من مكانة فى نفوس الناس ، كما رصد أيضا عددا من طوائف المجاذيب (الدراويش).

اشار العياشى الى بعض الأسر التى تمتعت بمكانة دينية خاصة مثل أسرة ابن عنان « ولهم ولاية جامع القسم وبه مجتمع اتباعهم للذكر وقراءة وظائفهم وهم من الطوائف المشهورة فى مصر ».

وكان من اهم ما عنى به العياشى متابعته للجو العلمى الذى كان ينتعش انتعاشا ظاهرا فى القاهرة ، بل وفى مصر كلها ابان تلك الفترة المتزامنة مع الاستعداد لخروج موكب الحج ، فهو لم ينقطع خلال فترة تواجده فى العاصمة المصرية عن حضور دروس علماء الأزهر والمعاهد الأخرى وذلك منذ اليوم الأول من دخوله المدينة فهو يقول فى موضع من رحلته : « ثم فى الغد من يوم دخولنا حضرت بعد صلاة الصبح مجلس الشيخ المحقق العلامة المدقق عبد السلام ابن شيخ الاسلام ابى الامداد ابراهيم اللقانى يقرىء شرح النقاية لجلال السيوطى ».

ويقول فى موضع آخر « ولم أزل أتردد

مدة اقامتى بالقاهرة بمعاهدها الباهرة الى شيخنا ابراهيم الميمونى وحضرت يوما قراءته مع بعض طلبة الأتراك فى تفسير البيضاوى وقرأ قراءة حسنة ».

ولم ينقطع العياشى عن الاتصال بعلماء مصر وفقهائها فى طريق العودة ، فعند وصوله الى دمياط دخل مسجدها ، وفيه طائفة من طلبة يقرءون ويدرسون على هيئة مافى الأزهر ولقيت بهذا المسجد الشيخ المدرس العالم العامل المحدث الراوية الشيخ عبدالله بن محمد الديرى وحضرت تدريسه بعد العصر فى سيرة شيخه امام المحدثين الشيخ على الحلبى وقرأت عليه أوائل البخارى ومسلم وقرأت الفاتحة وأجازنى ».

ويؤكد « أبو سالم العياشى » على ان القاهرة كانت تتحول فى هذه المناسبة الى سوق كبير للكتاب الاسلامى فيقول « كنت طول نهارى ذاهبا وجائيا فى تقضية الأوطار وتهيئة أسباب الأسفار بشراء كتب وقد يسر الله منها جملة اشتريتها نحو الخمسين من جملتها نسخة من الكشاف ».

ويبدو أن حركة نقل الكتب من مصر الى المغرب كانت تتم على نطاق واسع حتى ان بعض العلماء المغاربة قد تمكنوا من اقتناء مكتبات كبيرة من خلال هذه الحركة ، وهو ما أشار اليه العياشى بقوله « كنت رأيت قبل هذا بأرض المغرب عند أخينا الفقيه النبيه سيدى أبى عبد الله محمد المنقوشى ... مجموعا بخط مشرقى كان فى الأصل ملكا للشيخ ياسين الحمصى مشتملا على اسئلة وأجوبة فى فنون شتى ».

وقد انفرد العياشى ، بنقد مرير لنظام الحكم العثمانى لمصر .. مما يستحق وقفة أخيرة معه .. فهو قد تحدث عن استبداد الحكام العثمانيين الذين « لا يرحمون ضعيفا ولا يوقرون كبيرا أينما تبدو لهم صبابة من الدنيا وثبوا عليها ان كان صاحبها حيا تسببوا له بأدنى سبب حتى يأخذوا ماله اما مع رقبته أو بدونها ان كان فى العمر فسحة وان كان ميتا ورثوه دون بنيه وبناته ».

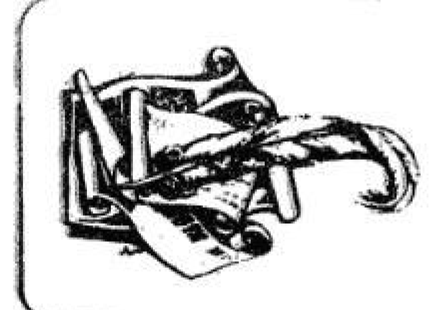
كما تناول ما أسماه بظلم العساكر فى مصر فقال « أما رعيتها وفلاحتها فلا تسأل عما يلاقون من الجند من الظلم وما هم فيه من الاهانة والاحتقار تضرب ظهورهم وتأخذ أموالهم ولا مشتكى الا الله ومن تجاسر منهم واشتكى ضوعف عليه العذاب الأليم »!

ولعل ما رصده العياشى فى هذا الشأن يفسر ما سجله المؤرخون من ظاهرة هجرة الفلاحين من قراهم ، وهو ما لاحظه الرحالة المغربى نفسه حين تحدث عن متابعة رجال السلطة فى مصر للفلاحين الذين يفرون من أراضيهم « فلا هم ينصفونهم ويخففون عنهم من المظالم ولا هم يتركونهم يذهبون حيث شاءوا يسبحون فى الأرض يرزقون كما ترزق الطير ».

والعياشى بكل ماقدمه انما يبدد بعض أسباب الظلام التى أحاطت بظروف مصر خلال القرن الذى زارها فيه .. القرن السابع عشر !

متابعات أدبية

يقدمها : يوسف القعيد



مظاليم

●● لم يكن يحيى حقى اول المظاليم فى أدبنا .. ومن المؤكد انه لن يكون آخر المظاليم .. ومن الصعب تحديد من ظلمه ولا لصالح من ظلمه .

ولكن الحقيقة البسيطة تقول : ان هذا الرجل من مظاليم زماننا المعكر . ظلمه النقد الأدبى وظروف الحياة وايقاع مايمكن أن يسمى بالواقع الثقافى العربى وفى مقدمته واقعنا الثقافى المصرى بالطبع .

وفى السابع من يناير الماضى أكمل ثمانين عاماً من عمره . وبهذه المناسبة ذهب إليه فى أحد مقاهى مصر الجديدة عدد من الكتاب : محمد روميش ، رجاء طاهر ، عبد الله خيرت ، يوسف أبو رية ، وجاء يحيى حقى وزوجته ورفيقة عمره : السيدة جان . وكان الحفل بسيطا فقيراً فيه قدر كبير من ذلك الحب النادر العظيم

ولكنه ايضا يشير إلى واحد من أزمات واقعنا الثقافى المصرى والعربى . فما اكثر من يكتبون فى مصرنا ووطننا العربى . وما اقل من ذهبوا . وما اكثر مساحات الاهتمام عندنا بمثل هذه المناسبات وما اندر ماقلناه عن الرجل فى هذه المناسبة . والمجلات الثقافية فى مصر وفى الوطن العربى اكثر من جبال الهموم على القلب . ومع ـ هذا لا أعرف ـ حتى الآن أن هناك مجلة أخرى غير الهلال . فكرت فى اصدار جزء خاص أو ملف عن يحيى حقى . مع أن الرجل يستحق أكثر من هذا بكثير .

اكتب هذا واقوله وأنا لست من المقربين منه . ولم يكتب لى مقدمة عمل ادبى مع أنه كتب حوالى عشرين مقدمة ولم يهدنى احد أعماله . ولم ينشر لى قصة فى مجلة المجلة عندما كان رئيسا لتحريرها بل رفض أن ينشر لى قصة فيها . وأعادها . اكتب هذا . لأن الظلم هو

الحالة النفسية الوحيدة التي نتوارثها جميعا .

ماأقل الذين ينصفهم زمانهم ويتربعون على العروش وما أندر من يتذوقون الظلم تحت الأضراس كأنه طعام كل يوم في زماننا الذي عزت فيه الاقوات .

وموقف النقد الأدبي من يحيى حقي هو أول أشكال الظلم هذه . يقولون لك أن الرجل مقل في كتاباته شحيح في قصصه . مع أن له ستة عشر كتابا قديما منشورة من قبل مابين القصة القصيرة والرواية القصيرة والمقال الأدبي والصورة الأدبية والتاريخ الأدبي . وله الآن اثنا عشر كتابا جديدا عبارة عن مقالاته المبعثرة من صحف وجرائد زماننا . جميعا له تطوعا فؤاد دوارة .

ومع هذا . وعلى الرغم من وجود ثمانية وعشرين كتابا للرجل . ستة عشر كتابا جديدا مازالوا يقولون : الرجل مقل في انتاجه الأدبي .

يحيى حقي صامت منذ سنوات تصل إلى العشر . لم يكتب فيها حرفا واحدا على الرغم من الالحاح الشديد عليه . من جهات كثيرة لكي يمسك بالقلم ويكتب وفي تصوري أن صمت الفنان والمبدع في بعض الحالات تكون له دلالات هامة جداً . بل ربما كانت أكثر اهمية من الكتابة نفسها . كنت أتمنى أن اقرأ لواحد من النقاد . عن دلالات صمت هذا الفنان الكبير . وطبعا لم يفكر أحد في أن يفعل هذا ولن يفكر .

عندما حاول التعريف ببعض المجهولين . جاء من يقول لقد : عرف بفلان ولكنه نسي الآخرين . والمنطق بسيط في هذه الحالة . ان كان الرجل قد بدأ فلم لايكون هنا من يكمل . أن كان قد خطا الخطوة الأولى . فالمطلوب من الآخرين بسيط وهو الاستمرار في الخطوات التي تأتي بعد ذلك .

يكفي أنني كلما سألت يحيى حقي عن أفضل ما كتب عنه يرد على الفور . يقول مقالان فقط . وعندما أحاول معرفة اي مقالات أخرى يقول لي :

– صدقني هي مقالان فقط .

لن أتحدث عن ريادته في الكثير من النواحي ولن أرد على الموقف العام منه سواء الموقف بالسلب الذي يتمثل في التجاهل والصمت واللامبالاة . أو الموقف بالايجاب الذي يتمثل في الهجوم عليه في بعض الأحيان . فالرجل ليس متهما . ولايحتاج إلى من يدافع عنه . كما أنني لن اقدم قراءة لأدبه . ففي القسم الخاص من الهلال الكثير عن يحيى حقي .

ولكنني فقط اكمل رسم هذه اللوحة القلمية والتي عنوانها المظاليم .

سألت يحيى حقي عن المعاش الذي يتقاضاه الآن قال الرجل أنه أحيل إلى المعاش سنة ١٩٦٥ وحصل على معاش هذه الفترة .

– ولكن الدولة كانت كريمة معي . مصر دائما كريمة مع أبنائها . فقد رفعت لي المعاش بعد ذلك .

ولأن الرجل يرفض تماما ذكر الرقم الذى يحصل عليه . وإن كان يقول لى فى مناسبة أخرى . وبصورة عارضة . معاشه أقل من الحد الأقصى ويكتشف إنه قال مالايجب قوله فيتوقف ولايقول أقل بأى قدر ..

أعرف إنه قد يغضب عند قراءة هذه الكلمات . ولاأعرف لمن أوجه هذه الكلمات .

أقول : أن أقل مايمكن أن تقدمه مصر لهذا الفنان يحصل على الحد الأقصى للمعاش . ماأكثر مطالب الانسان فى سن الشيخوخة . هذا السن القاسى الذى لايرحم ابداً . وأنا متأكد من أن الرجل لايملك شيئا آخر . متأكد من ذلك . سوى الشقة التى يعيش فيها فى مصر الجديدة . أن رفع معاشه إلى الحد الأقصى للمعاش فى مصر ليس مشكلة ابدا . فضلا عن انه أقل تكريم للرجل . الذى أحب مصر لحد العشق .

يبقى عائد كتبه . يقول لى ، فى الستينات عرضت عليه الجامعة الأمريكية فى القاهرة طبع أعماله الأدبية الكاملة مقابل ألفى جنيه مكافأة شاملة . وقد اعتذر عن قبول هذا العرض لأن العلاقات المصرية الأمريكية لم تسمح له بذلك

بعد ذلك زاره الدكتور محمود الشنيطى رئيس هيئة الكتاب فى ذلك الوقت . وعرض عليه أن تصدر هيئة الكتاب أعماله الأدبية الكاملة من الهيئة مقابل ألف وستمائة جنيه مكافأة مقطوعة له . جرى هذا فى الستينات . والكتب التى جرى التعاقد عليها ستة عشر كتابا من أفضل الابداعية العربية فى قرننا العشرين .

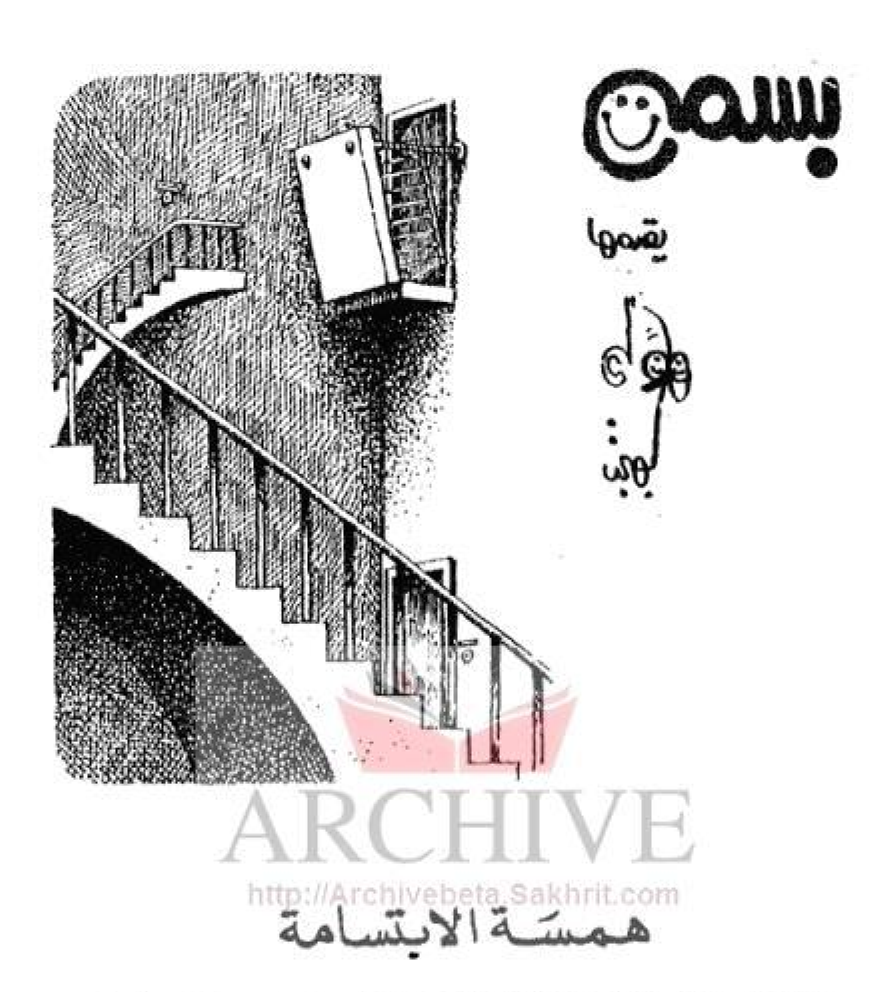
يقول يحيى حقى :

– كل كتاب بمائة جنيه مصرى .

هذا العقد جرى فى الستينات وهيئة الكتاب تنفذه من يومها حتى الآن . هذا الشهر صدر الكتاب التاسع من ستة عشر كتابا . ويحيى حقى ملتزم تماما بالعقد . ولكن العقود ليست نصوصا جامدة ولا كلمات ميتة . اننا نحن البشر الذين نكتب العقود ونحن الذين نضع شروطها ولايجب أن نظل أسرى لها بعد ذلك . أطالب هيئة الكتاب فى إعادة النظر الآن فى شروط هذا العقد الذى أبرم فى ظل ظروف لم تعد قائمة فى مصر الآن . كذلك فإن هناك ستة عشر كتابا جديدة هى مقالات عمره التى جمعها له فؤاد دوارة . وهذه الكتب الاثنا عشر الجديدة تتطلب اتفاقا جديدا . صحيح أن العقد القديم ينص على عبارة : الأعمال الكاملة . ولكن ظهور أعمال جديدة ليحيى حقى . أخيراً يتطلب اعادة النظر فى الموضوع كله . من عناوين هذه الكتب الجديدة . من فيض الكريم ، هموم ثقافية ، تراب الميرى . عشق الكلمة ، من باب العشم ، كناسة .

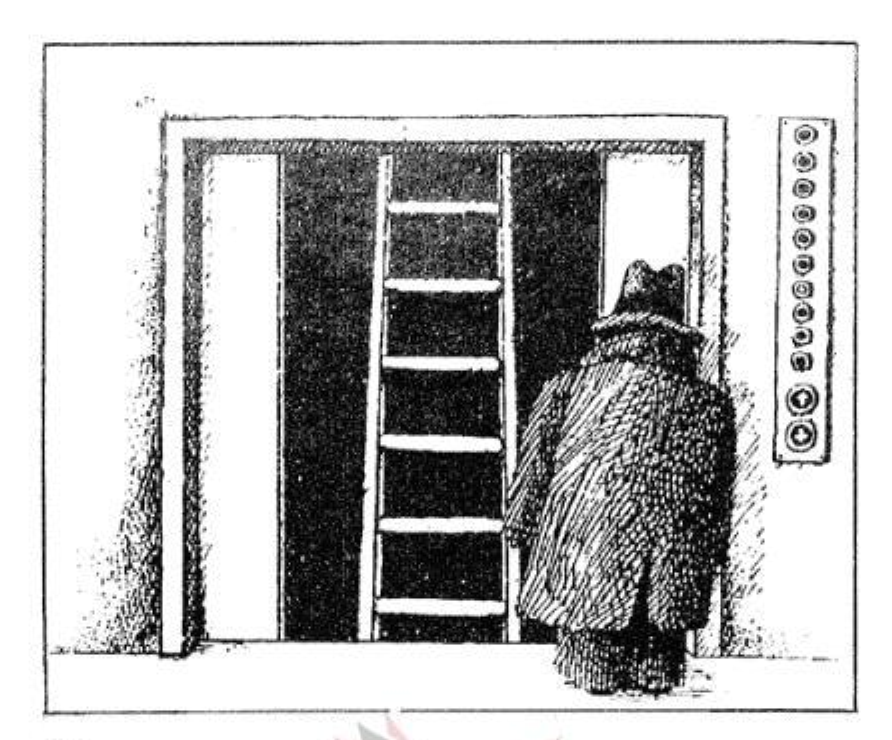
اكتب هذه الكلمات وفى ذهنى يدور تساؤل : أليس مأساويا أن اكتب هذه الكلمات عن أديب مصرى أكمل ثمانين عاما من عمره ؟ ولكن الاجابة على التساؤل تكمن فى الكلمة الأولى .

– المظاليم .



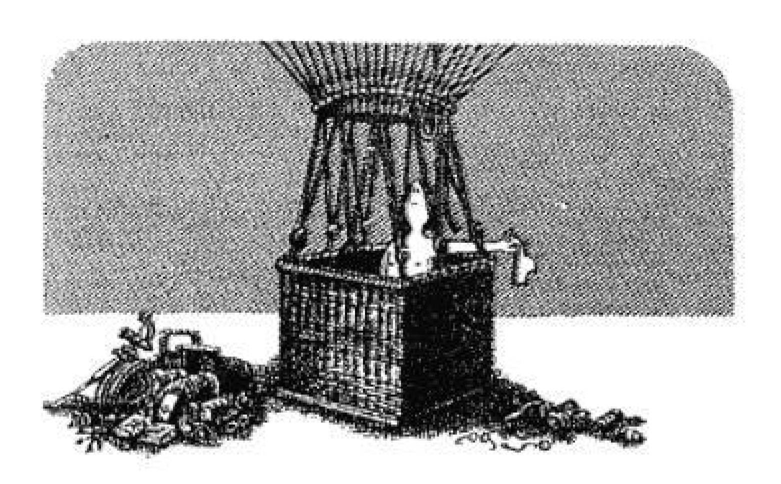
همسة الابتسامة

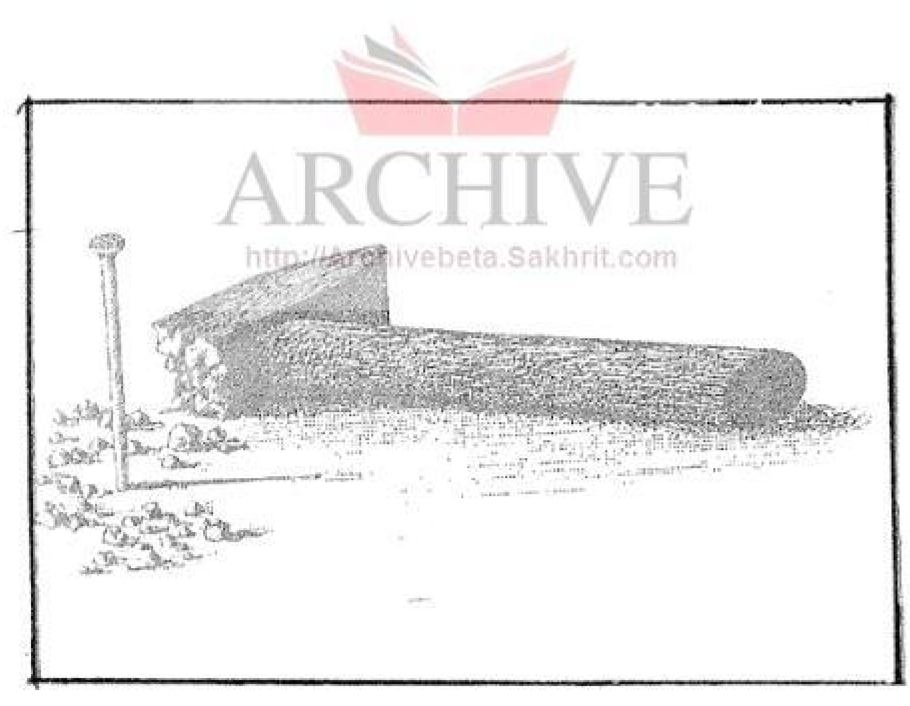
كلما شاهدت لفنان الكاريكاتير الالمانى الشرقى كلاوس فونتروورث ، تذكرت على الفور ابتسامة الموناليزا فى لوحة مايكل انجلو الخالدة ... تلك البسمة الهادئة المستمرة .. وتصورت أن سر بسمتها هو مشاهدتها لرسوم كلاوس . لأن سخرية رسوم كلاوس تثير فى نفسك نفس هذا الشعور، وكلاوس الآن له حضور دائم فى صالونات ومعارض الكاريكاتير فى أوروبا الغربية والشرقية .. عارضا أو فائزا بجوائزها .. واحيانا محكما أيضا ، وهو لايعمل فى جريدة أو مجلة معينة ومع ذلك فهو مشهور عن طريق المعارض التى يقيمها أويساهم فيها مع آخرين .. وهواة هذا الفن يتسابقون على شراء اعماله التى يطبع من كل رسم منها بضع عشرات ممضاه بخطه .. كلاوس الآن يقترب من سن الخمسين ، ويعيش فى برلين . ورسومه كلها بدون تعليق .

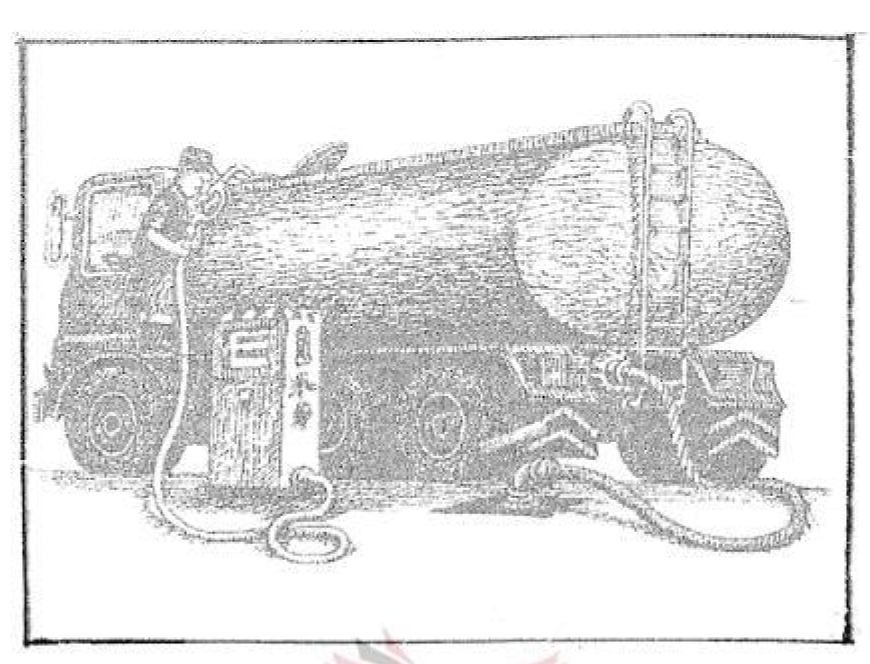


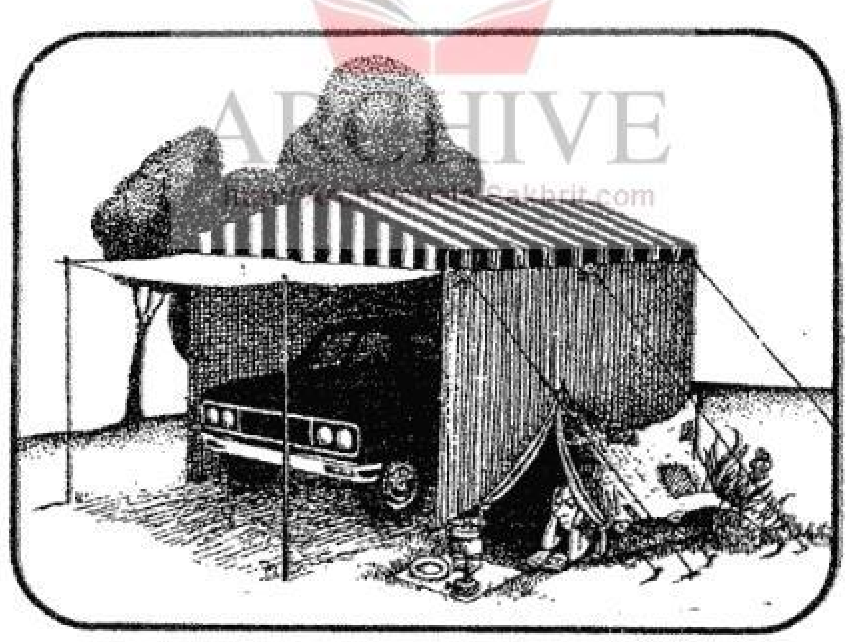


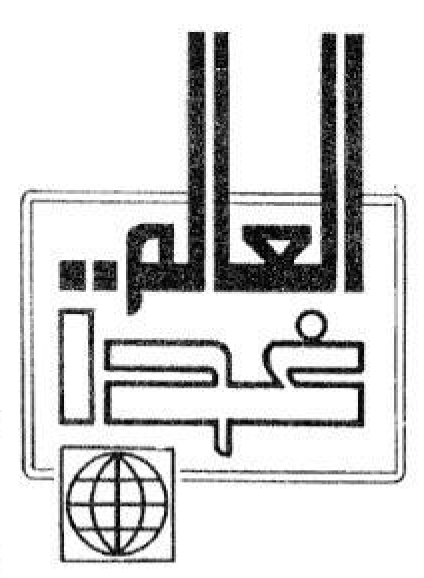












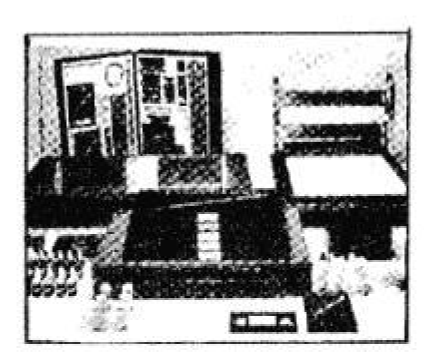
كاميرا للفيديو داخل اطار نظارة

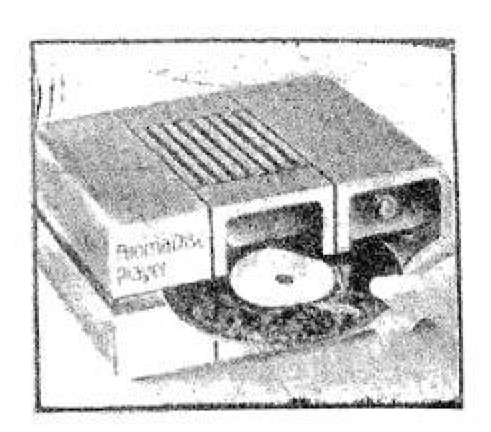
لن تكون بعيدا عن عيون الكاميرا مهما ذهبت ، وسيمكن تصويرك بدون علمك ..

تمكن أحد علماء نيوزيلنده من اختراع أصغر كاميرا لجهاز الفيديو كاسيت بحيث يمكن تركيبها داخل اطار نظارة الشمس والكاميرا عبارة عن عدسة دقيقة توضع فوق حاجز الأنف وبها جهاز صغير يحول الصور المرئية الى اشارات الكترونية ويرسلها الى مسجل للصورة يلتف حول الوسط . الجديد فى هذه الكاميرا أيضا أن كل أزرار التشغيل أو الأسلاك المتصلة بها مخبأة بحرص شديد كما أن العدسة مندمجة ضمن الاطار ببراعة بحيث لايمكن أن يدرك وجودها أى انسان حتى الشخص الذى يراد تصويره ومن المتوقع أن تكون لهذه الكاميرا الصغيرة شأن كبير فى المستقبل فيمكن أن يستخدمها رجال الأمن فى أعمالهم أو يقوم جنود المشاة بتسجيل عمليات الاستطلاع بسهولة .

ألوان .. ألوان .. ألوان

اذا كنت فنانا تشكيليا فهذا الخبر سوف يسعدك . فقد توصل العلماء الى ابتكار علبة ألوان.يمكنك بها اختبار مزيج الألوان بدقة وسرعة متناهية فعلبة الكرومات المتعددة الألوان سوف تساعدك على تحضير ٢٢ لونا أساسيا يمكن مزجها فيما بينها واستحضار ٤٨٨ لونا جديدا .. دون أن يلجأ الفنان الى الاستعانة بأية مواد كيماوية أو أكاسيد مساعدة قد تساعد هذا الفنان التشكيلى فى انتاجه لكنه حتما سيصبغ كل حياتنا بألوان عديدة متنافرة اذا أساء الفنان استخدامها .. مريحة للعين اذا أحسن استخدامها .. ويصبح الفن التشكيلى أنذاك أكثر التصاقا بحياتنا اليومية .





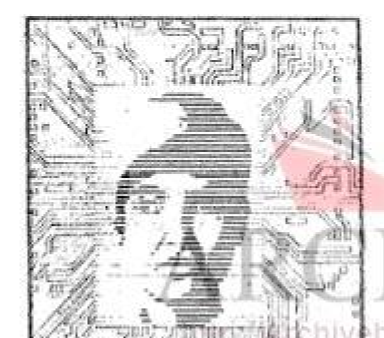
جهاز الاسطوانات المعطرة

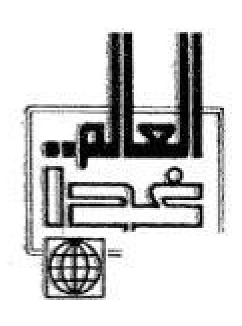
اذا كنت ترغب فى أن تتنفس رائحة البحر فى أشد أيام الشتاء او تشم عبير زهرة فى اى وقت من السنة فان تقنيات اليوم تمكنك من ذلك وانت فى منزلك بفضل جهاز الاسطوانات ذات الروائح المعطرة ، وهو جهاز الكترونى يصل حجمه الى حجم كتاب متوسط وتركب بداخله اسطوانات يصل قطرها الى ثلاث بوصات وهى مصنوعة من نسيج خاص مشبع بروائح مختلفة حسب نوع الاسطوانة وبمجرد أن تدفع الاسطوانة داخل الجهاز فتصلك فى خلال دقيقتين على الاكثر رائحة البحر الندية أو رائحة اشجار الغابات الكثيفة أو احتراق الشموع ..

الطريف أن الشركة المنتجة للجهاز ، انتجت أيضا اربعين اسطوانة معطرة من بينها اسطوانة خاصة برائحة أعياد الميلاد يباع الجهاز بعشرين دولارا والأسطوانة الواحدة بثلاثة دولارات .

مفكرة .. وصورة مجسمة

مفكرة الغد التى ستحملها فى جيبك لن يكون بها أرقام هاتف أو عناوين أصدقاء فقط ولكنها ستضم مؤشرا يمكنك من خلاله الاحتفاظ بصور الاصدقاء المذكورة .. عناوينهم واسمائهم ستظهر الصورة غير ملونة فى البداية وتظهر على شاشة على غلاف المفكرة . اذا قمت بالضغط على زر أمام رسم الشخص المدون أمامه يمكنك الاحتفاظ بالصورة مجسمة لمدة ثمانى دقائق .





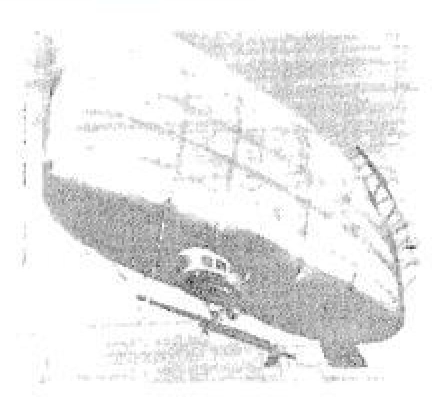
من المعروف أن المنطاد يستهلك ثلث الوقود الذى تستهلكه الطائرة العادية و ٢٦/١ من وقود الطائرة المروحية . ومن المعروف أن بعض الدول قد استخدمت أنواعاً متطورة من المناطيد فى رياضة السباق فى السنوات الأخيرة .

المناطيد تعود .. ثانية

المناطيد التى فشلت تجربتهافى نقل الركاب فى الثلاثينات خاصة بعد انفجار المنطاد الألمانى هندنبرج . يفكر العلماء فى استعادة أمجادها مع تغيير فى مجالات استخدامها فلن تنقل الركاب هذه المرة . ولكنها ستقوم بنقل المعدات الصناعية والبترول والغاز كما تساهم فى حماية الغابات من الحرائق والقيام بحملات استطلاع للمناطق المجمدة .

سيارة المستقبل تعمل بالقمر الصناعى





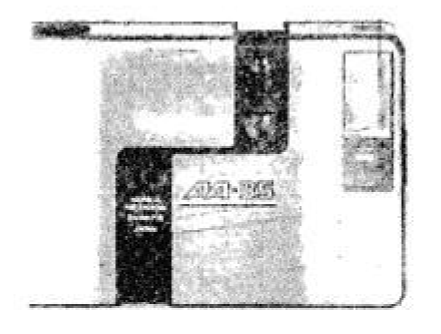


مع نهاية العقد الحالى سيتمكن الانسان من قيادة سيارة لها القدرة على تحديد الأماكن . تعتمد السيارة الجديدة فى تشغيلها على اقمار صناعية للاتصال واسطوانات فيديو تعمل بأشعة الليزر وشاشات لمس وكومبيوتر . فعندما ترسل الأقمار الصناعية اشارات بتحديد مكان السيارة والوقت يستقبلها الكومبيوتر ، وبمجرد معرفته للموقع تظهر نقاط مضيئة على شاشة الفيديو التى يبلغ حجمها تسع بوصات والتى تكشف عن خريطة ملونة لأنحاء الدولة . ويمكنك الكومبيوتر من متابعة أجزاء السيارة الجديدة ، فعمله لايقتصر على تحديد المكان فقط بل يسيطر على اسطوانات الفيديو والليزر الذى يقرؤها . كذلك يحرك النقاط المضيئة على الشاشة

العقل الالكترونى يتكلم ويفهم

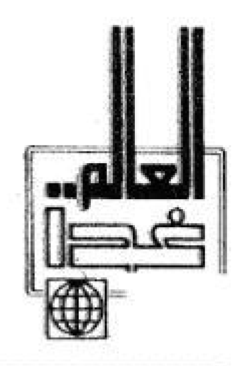
سيتحقق كل ماتخيله ارثر كلارك فى رواية ٢٠٠١ اوديسا الفضاء . فمع بداية التسعينات سيشهد العالم وجود العقل الالكترونى الذى يعطيك البيانات ليس بالأرقام ولا بالشفرات المتعارف عليها الآن . بل سينطق باللغة التى تغذيه بها . سيقدم لك المعلومات بصوته الاقرب الى أصوات الادميين .. بمجرد أن يسمعك سيرد عليك بعد تفكير وترو . من المعروف أن العلماء يعيبون على العقل الالكترونى الحديث انه لايقدم ردودا سوى مايمده بها الباحث الذى يعمل عليه . اذن ليس ببعيد ان يغنى بصوت أدمي . وليس ببعيد ان يتمرد على الانسان ويقوده مثلما تخيل كلارك وهو العالم والمفكر والاديب .

تجارب انتاج هذا العقل حققت نجاحا فى كل من الاتحاد السوفييتى واليابان والولايات المتحدة .



الصامت أبدا .. سيختفى من بيتك ..

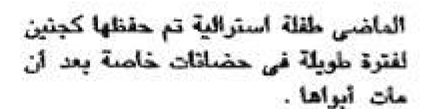
منذ عامين عرف العالم مايسمي بهاتف الجيب الذى يمكن حمله فى مكان صغير بالجيب واستعماله عند اللزوم . وقد ظهر هذا الهاتف لأول مرة فى الولايات المتحدة . ومع الغد يمكنك ان تمتلك هاتفا آخر تعلقه فى معصمك أو تصنعه السيدة فى عنقها كالأيقونه . وامكانيات عمل هذا الهاتف متعددة فهو لايحتوى على أرقام للنداء . ولكن به ازرارا يمكنها أن تسجل المكالمات التى قد تجيئك فى الطريق العام وقد يمكنه حل مشكلة التليفونات فى المدن الكبرى مثل القاهرة . وآنذاك لن يكون لأحد القدرة على استخراج باطن الشوارع . لكن ترى كم سيكون ثمن هذا الهاتف ؟



لاتخف .. ابنك ليس فى خطر



المخرج المصرى كمال الشيخ سيبدأ خلال هذا الشهر فى اخراج فيلمه « سكان العالم الآخر » حول عالم مصرى يتمكن من اختراع جهاز لتجميد الجسد الآدمى اسنوات طويلة واعادته الى الحياة مرة أخرى . سيندهش كمال الشيخ وهو يقرأ فى هلال هذا العدد معنا أن تجميد الجسد البشرى قد أصبح حقيقة علمية وأنه قد تم بالفعل تجميد الطفلة زيو فى حضانات خاصة أشبه بما تنبأ به الكاتب المصرى نهاد شريف ففى استراليا ولدت فى فبراير


الماضى طفلة استرالية تم حفظها كجنين لفترة طويلة فى حضانات خاصة بعد أن مات أبواها .

بعد نجاح هذه التجربة سوف يشهد العالم غدا الحضانات الآدمية التى يمكن ان يحفظ فيها الجسد الآدمى لسنوات طويلة . المشكلة المطروحة الآن هو من سيتولى تربية هذه الأجنة بعد خروجها من هذه الحضانات الباردة ؟

جهاز تسجيل رقمى

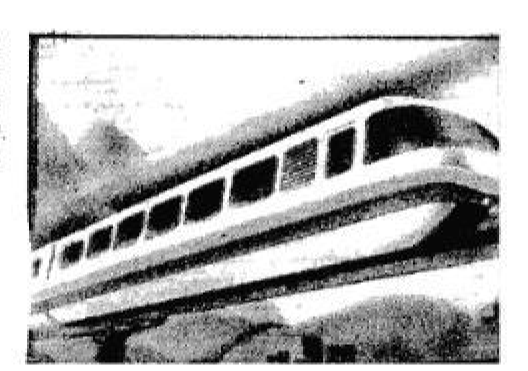
التقنيات الرقمية هى افضل الطرق للتسجيل لذلك ستنتج أحدى الشركات الامريكية أول جهاز للتسجيلات الرقمية ستكون له القدرة على التسجيل من الشرائط أو الراديو . ويتميز الجهاز الجديد بنقاء الصوت كما أن العنصر البشرى لايتدخل فى عملية استرجاع المادة المسجلة ، والتى تخزن فيه على هيئة شفرة رقمية تتحول عند استعادتها الى اصوات .



اضاءة الانابيب بدلا من المصابيح الكهربية

لأول مرة منذ اختراع المصباح الكهربائى منذ قرن من الزمان يتجه العلماء الى الاستغناء عنه واتباع تقنيات جديدة فى الاضاءة فلم تعد المصابيح الكهربائية العادية تصلح لمواجهة الحاجات اليومية وتوفيرا للجهد اتجه العلماء الى استخدام انابيب الاضاءة التى يغطى احد جوانبها الداخلية بالمرايا اما ال[illegible] فيصنع من مادة تسمح بمرور الضوء وانتشاره ويتناسب طول الانبوب [illegible] سمكها . فالأنبوبة التى يبلغ قطرها مترا يصل طولها نحو ٣٠ مترا .

ويصلح الاسلوب الجديد فى الاضاءة للمتاجر الكبرى ومحطات السكك الحديدية والمطارات . ومن المحتمل الايقتصر على الاضاءة فقط فيمكن استخدامه فى عمليات التكييف ، كما يمكن استغلاله فى توجيه اشعة الشمس التى تقوم بتجميعها الات خاصة ، الى المنشآت الموجودة تحت سطح الارض . كما يمكن استخدامها فى اضاءة المبانى الضخمة التى تحتاج فى اضاءتها الى الالاف من المصابيح الكهربائية .

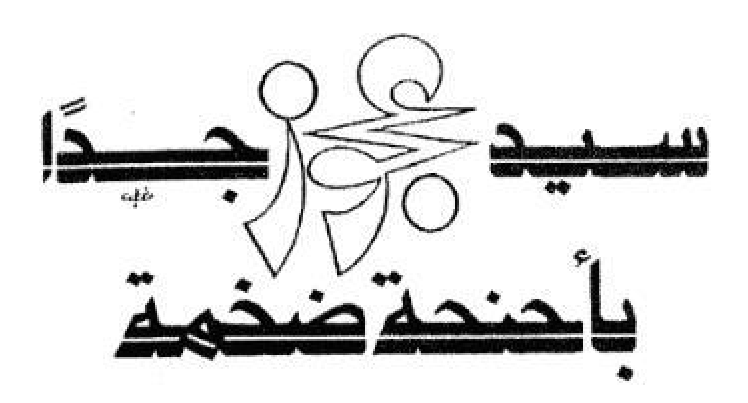


هايلى . هل يحل اللغز الأبدى ؟

الف وخمسمائة عالم ينتظرون قدومه فى اكتوبر من العام القادم بعد غياب ٧٦ عاما إنه المذنب هايلى القادم من أعمق أغوار الكون . تنبع أهمية هذا اللقاء مع هايلى لن العلماء يسعون من خلاله الى معرفة العديد من اسرار نشأة المجموعة الشمسية التى تضطرب حولها نظريات العلماء لوحظ هايلى اول مرة عام ١٧٥٩ ومنذ ذلك الحين والعلماء ينتظرون حضوره كل ربع قرن تقريبا .. الفرصة المهيأة هذه المرة أفضل من المرات السابقة .. فهناك أجهزة رصد خاصة صنعت لتسجيل كل مايمكن رصده والوصول الى النظريات الحقيقية حول نشأة المجموعة الشمسية .

هايلى هو أحد ابرز المذنبات التى عرفها علماء الفلك . وقد فقد فاعليته منذ ملايين السنين . وقد شوهد لآخر مرة على مسافة ٨٨ مليون كيلو متر من الشمس وتبلغ سرعته ١٨ كيلو مترا فى الثانية . ومن المنتظر ان يقترب من خط دوران الكرة الأرضية فى الثالث عشر من مارس ١٩٨٦ فى الساعة السادسة والنصف بتوقيت جرينتش .





قصة جبريل جارثيا ماركيز
ترجمها عن الاسبانية
طلعت شاهين

● بعد ثلاثة أيام من المطر المتواصل، كانوا قد قتلوا الكثير من الكابوريا داخـــل البيت ، وكان على السيد بيلايو أن يعبر الفناء المغمور بالماء ليلقيها في البحر ، أما طفله حديث الولادة فقد قضى الليلة محموما بسبب الوباء ، كانت الدنيا تبدو حزينة مثل يوم الثلاثاء ، حيث كانت السماء تتعانق مع البحر تحت اللون الرمادي ، وكانت رمال الشاطىء تلمع تحت شمس مارس كتراب مشتعل ، وتبدو كحساء من الوحل والمحار المتعفن ، كان الضوء في منتصف النهار أليفا ، وبعد جهد كبير بذله بيلايو لالقاء الكابوريا في البحر ، عاد يتأوه من شدة التعب ، وفي الفناء الأقرب من الحائط جدا فاكتشف وجود رجل عجوز ، غارق في الوحل ، ولا يستطيع النهوض رغم محـــاولاته لان أجنحته الضخمة كانت تعوقه .

فزع بيلايو من هذا الكابوس فركض باحثا عن زوجته اليسندا ، التي كانت تمسح الكمادات على جبهة الطفل المريض، اتجه وزوجته الى نهاية الممر ، وشاهد كلاهما الجسد الملقى في ذهول وصمت، كان العجوز متشحا بخرق بالية ، بدت كأسمال كالحة اللون وله رأس أجرد، وقليل من الاسنان في الفم ، وحالته الكئيبة كانت تبدو كعجوز فقد وقاره، أما أجنحته الدجاجية الكبيرة فقد كانت قذرة ونصفها خال من الريش ، كانت غارقة في الوحل ، نظــرا اليه طويلا وباهتمام ، بيلايو واليسندا انهيــا الغشاء مبكرا وحاولا الحديث مع العجوز، الذى أجابهما بصوت بحار طيب وبلغة غير معروفة لهما ، بدا كما لو كان قد سقط في هذا المكان لان الارتفاع لم يكن مناسبا لأجنحته ، ولكنهما استنتجــا بسذاجة انه غريق عزلته الامواج عن احدى السفن الاجنبية التي حطمتها العاصفة، ومع ذلك طلبــوا من جارة لهمــا أن تفحصه ، وكانت الجارة عرافة لهمــا خبرة بشئون الموت والحياة ، وبنظــرة واحدة أبلغتهما العرافة النبأ الصحيح .



سيد عجوز جدًا بأجنحة ضخمة

قالت ليما :

ـ انه ملاك .. لقد جاء من اجل الطفل المريض .. ولكن المسكين كان عجوزا جدا فصرعته الامطار .

في اليوم التالي شاع خبر الملاك الاسير الذي يوجد في بيت بيلايو ، قيل انه ملاك من لحم ودم ، على خلاف رأي العرافة التي قالت بان ملائكة هذا الزمان تحاول الهرب من مؤامرة سماوية، لم يجد بيلايو الشجاعة لقتله بالعصا، ولكنه ظل يراقبه طوال المساء في المطبخ، وهو ممسك بهراوته ، وقبل أن ينام ارغمه على الخروج من الوحل ، وحبسه في الحظيرة مع الدجاج ، وكانت الحظيرة محاطة بأسلاك شائكة ، وبعد منتصف الليل ، توقف المطر ، فواصل بيلايو واليسندا قتل الكابوريا ، واستيقظ الطفل معافا ولديه رغبة في تناول الطعام ، عندئذ شعرا بالشهامة وقررا ان يضعا للمجول ماء حلوا وزادا لثلاثة ايام ، تبدأ لحسن حظ الملاك انه ترك أعالي البحار وجاء الى هذا المكان ، ومع الاضواء الاولى للنهار هبطا الى الفناء فوجدا كل الجيران امام حظيرة الدجاج ، يداعبون الملاك ببلادة ويلقون اليه بالطعام من خلال الفتحات التي تتخلل السلك ، كما لو كان مخلوقا غير طبيعي أو حيوان سيرك .

جاء الاب جونثاجو قبل الساعة السابعة صباحا وقد افزعه الخبر المزعج، وجاء وراءه بعض الفضوليين الذين كانوا اقل تفاهة من الذين وصلوا مبكرا ، وانتشرت التكهنات عن هوية هذا الأسير، قال البسطاء انه كان رئيسا للعالم ، وبعضهم تفوه بأقوال اكثر غرابة ، لقد اعتقدوا انه كان برتبة جنرال بخمس نجوم وكسب كل الحروب التي شارك فيها ، بعض الدجالين قالوا انه فحل قوي جاء ليحافظ على الارض ويأتي اليها بسلالة جديدة من الرجال المجنحين الحكماء الذين يحملون شحنة كونية ، ولان الاب جونثاجو كان قاطعا ممتازا قبل ان يصبح راهبا ، فقد اطل على الاسلاك الشائكة وبعد لحظة من التفكير طلب ان يفتحوا له الباب ليتفحص هذا الرجل الذي سقط من السماء ، كان الرجل يشبه دجاجة ضخمة عاجزة ترقد بين الدجاج الغافل ، كان منزويا في احد الاركان ، يجفف اجنحته المبسوطة تحت الشمس ، وقد غطته قشور الفاكهة ومخلفات الافطار التي القاها عليه بعض المتفرجين ، وعندما دخل الاب جونثاجو الى حظيرة الدجاج ، القى عليه بتحية الصباح باللغة اللاتينية ، فنطق الرجل بعض الكلمات بلغته ، وكان يبدو متحضرا لا علاقة له بروتاحات هذا العالم ، ثم رفع عينيه التي بدت كعيون عالم آخر. تأكد الراهب من بعض شكوكه ، وبرهن على ان هذا الرجل لا يفهم لغة الله ولا يعرف تحية اعوانه ، ثم لاحظ بالنظرة القريبة الفاحصة بأنه انساني جدا : كانت له رائحة لا تطاق ، وقد نمت الطحالب والطفيليات على ظهور اجنحته بسبب الرياح ، ولا يوجد اي شيء يتميز به عن طبيعته ، فالجميع يعرف عظمة ولطافة الملائكة ، غادر الاب جونثاجو الحظيرة والقى في المتفرجين كلمة ، حذر فيها الفضوليين من اخطار السذاجة، وذكرهم بان للشيطان عادات وحيلا خبيثة يلجأ اليها لتضليل الطيبين ، وبرهن لهم على ان الاجنحة ليست عنصرا جوهريا للتفرقة بين النسر والطائرة ، وبالنسبة للملائكة فالاجنحة ليست عنصرا جوهريا للتعرف عليهم ، ومع ذلك ، وعد بكتابة

رسالة الاسقف ☒ ليكتب هذا الاخير بدوره الى رئيس الاساقفة ، الذى سينقل الخبر بخطاب آخر يرسله الى القس البابوى الاعظم ، وعلى اى حال سيأتى الرد من الحكماء الاعلى شأنا .

لكن حكمة الاب جونثاجو سقطت فى قلوب عقيمة ، فقد شاع خبر الملاك الاسير بسرعة ، وبعد ساعات قليلة كان الفناء مليئا بالضوضاء والمهرجانات ، حتى كاد البيت ينهار ، واليسندا بصودها الفقرى الذى تعب من كنس الزبالة فى الاسواق ، كانت لديها فكرة جيدة ، فقررت اغلاق الفناء وتحصيل خمسة سنتاتو مقابل الدخول ورؤية الملاك .

جاء الفضوليون من اقصى الدنيا ، ثم جاءت فرقة اعياد متجولة ومعها البهلوان الطائر ، الذى طار على رؤوس الناس مرات عديدة لكن احداً لم يعره انتباها ، لأن اجنحته لم تكن اجنحة ملاك ولا خفاش كونى ، وجاء المرضى من جميع انحاء الكاريبى ، بحثا عن الشفاء : امرأة بائسة تشكو من خفقان فى القلب منذ طفولتها ، احد الجامايكيين لا يستطيع النوم لأن اصوات النجوم تؤرقه ، وآخر يسير اثناء النوم ويستيقظ فى الليل مؤرقا بالاعمال التى يقوم بها فى النهار ، وكثير بأمراض اقل خطورة ، كان بيلايو واليسندا سعداء بهذا التعب وهذه الحالة الفوضوية التى تملك الارض ، ولكنهما كانا قد أثرا حجراتهما بالفضة فى اقل من اسبوع ، وحتى هذه اللحظة كان طابور الزوار الغرباء الذين ينتظرون دورهم للدخول قد وصل الى الجانب الاخر من الافق .

الملاك هو الوحيد الذى لم يشارك فى تلك الاحداث ، كان يقضى وقته بحثا عن ركن هادىء ، بعيداً عن جحيم حرارة لمبات الزيت والشموع التى تقدم له كقرابين ، ليضعوها بالقرب من الاسلاك الشائكة ، واعتقدوا فى البداية انه يأكل زجاجات الكافور مثلما اخبرتهم العرافة ، لأن طعام الملائكة الكافور ، لكن الملاك كان يحتقرهم ويحتقر طعامهم والهدايا الملفوفة فى الورق التى كانوا يلقون بها اليه ، دون أن يعرفوا؟ ان كان هذا طعام ملاك أم عجوز ، لكنه كان يأكل اوراق الباذنجان ، وكانت فضيلته الوحيدة هى الصبر على هذه المضايقات ، ففى الايام الاولى كان الدجاج ينقر اجنحته بحثا عن الطفيليات العالقة بها ، والعجزة كانوا ينزعون ريشة ليمسحوا به اماكن اصاباتهم ، وحتى المؤمنين منهم كانوا يقذفونه بالحجارة معتقدين بأنه سينهض من مكانه ليروا جسده الداخلى ، المرة الوحيدة التى اعتقدوا انهم فازوا فيها عندما احرقوا صدره بحديد ساخن ، لقد ظل ساكنا لعدة ساعات فاعتقدوا انه مات ، لكنه استيقظ فزعا ، ويهذى بلغة مكتومة وعيونه مليئة بالدموع ، وضرب الارض بجناحيه فأثار زوبعة من الغبار وروث الحظيرة ، واثار ريحا شديدة من الرعب لا يشبهها شىء فى هذا العالم . ومع ذلك اعتقد بعضهم بأن رد فعله لم يكن من الغيظ بل من الألم ، ومنذ تلك اللحظة احتاطوا الا يؤذوه ، لأنهم فهموا بأن صمته يأتى من العزلة الطيبة وهدوءه طوفان ساكن ☒

وأجه الاب جونثاجو طيش هذا التجمع بحل ملهم اليف ، الى حين وصول قضاء نهائى حول طبيعة الاسير ، فقال لو انه يتحدث بلهجة فيها شىء من الارامية لماذا لا يكون نرويجيا مجنحا أ . ولكن بريد روما ضيع الوقت وضاع فى



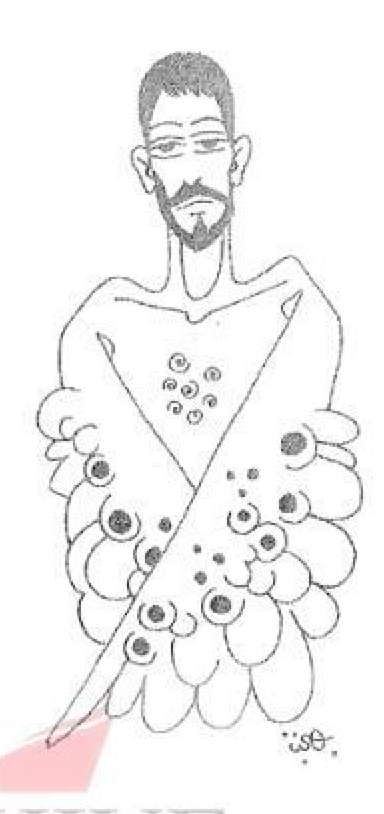
سيد عجوز جداً بأجنحة ضخمة

الزمن ، تلك الخطابات الـرسمية ؟ ذهبت وعادت وظلت تدور دورتها الى نهاية القرن ، لكن هذا الحادث لو كان قد وقع لرئيس القائمة ما كانوا قد تركوا القس فى محنته هذه »

وفى هذه الاثناء ، دخلت الى مهرجان الكاريبى ألعاب جديدة ، فقد جاءوا الى القرية بالمشهد الحزين للمرأة التى عصت والديها لتحولت الى عنكبوت ، وتذكرة الدخول لمشاهدتها لم تكن تكلف اكثر من تذكرة الدخول لمشاهدة الملاك . وكانوا يسمحون بسؤالها شتى الاسئلة عن سلوكها الاحمق ، ويسمحون بلمسها واختبارها من كل الجوانب ، حتى يتعرفوا على الحقيقة ، كانت المرأة عبارة عن شبح مرعب بحجم كبش ورأس فتاة حزينة ، ولكن الوقاحة لم تكن فى صورتها البدائية بل حزنها الكئيب عندما تقص تفاصيل محنتها : كانت تقريبا طفلة عندما هربت من منزل أبويها لتذهب الى حفلة راقصة ، وعندما عادت بطريق الغابة بعد ان رقصت طوال الليل بدون اذن ، هبط برق من الكبريت بعد أن انشقت السماء الى نصفين لتحولت الفتاة الى عنكبوت ، طعامها الوحيد كرات من اللحم الشكل الذى تلقيها اياه الارواح المحسنة .

وكان هناك مشهد آخر مشابه ومعبر عن حقيقة انسانية مخيفة ، وهو عن احد الملائكة المغضوب عليها ، فقد نظر الى الجماجم الميتة ، وايضا هناك المعجزات التى قيلت حول الملاك الذى اوحى بحقيقة نوشوية ، والاعمى الذى لم يحجب نظره فنبتت له ثلاث اسنان جديدة ، والمشلول الذى لا يستطيع السير ولكنه كان على وشك الفوز بجائزة اليانصيب ، والارض الذى نبتت زهرات عباد الشمس فى جروحه !! كل تلك المعجزات الساخرة والسلبية قضت على شهرة الملاك وهكذا اصيب الاب جونزاجا بالارق الدائم ، وعاد فناء بيت بيلايو الى الانزواء ، مثلما كان من قبل وكانت الكابوريا تزحف فى الحجرات .

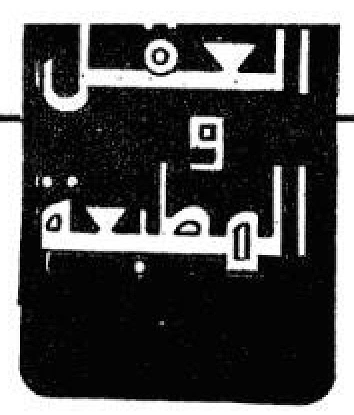
لم يندم اصحاب البيت ، فبالنقود المحصلة بنوا دارا جديدة من طابقين ولها حديقة وشرفات ، وعلى نوافذها شباك حديدية عالية جداً حتى لا تدخل الكابوريا فى الشتاء ، وعارضات حديدية قوية تمنع دخول الملائكة وانشأ بيلايو حظيرة لتربية الارانب بالقرب من القرية وتخلى عن مهنة الحاجب للابد ، واشترت اليسندا بعض الاحذية اللامعة ذات الكعوب العالية وفساتين كثيرة من الحرير البراق ، مثل تلك الفساتين التى ترتديها النساء المحتشمات ايام الاحد !! والشىء الوحيد الذى لم يهتم به احد كانت الحظيرة ، فقد غسلوها مرة بالكريولينا ، واحرقوا فيها دموع الصبار ، ولم يكن هذا العمل على شرف الملاك بل لتفادى القمامة التى كانت تسير كشبح مخيف فى كل انحاء ، وعندما تعلم الطفل السير ، فى البداية زرعوا فى ذهنه فكرة مخيفة عن الملاك ووجوده عليها ، وكانوا يحترسون الا يقترب من الحظيرة وعندما تشيخت اسنان الصغير كان يلعب فى الحظيرة فالاسلاك تمزقت ، والملاك كان مهملا ، لكنه كان يتحمل الاهانة بذكاء ووداعة كلب متواضع ، والطبيب الذى كان يعالج الطفل فحص الملاك تحت المرآة الترابية ، فوجد له بقلب طبيعى ، ولكن الذى ادهشه هو وجود تلك الاجنحة التى نشأت بشكل طبيعى جدا ولها علاقة بالتركيب العضوى لهذا الجسد الانسانى ، ولم يفهم الطبيب



فلماذا لا تنبت هذه الأجنحة للرجال الآخرين .

منذ زمن بعيد انهدمت الحظيرة تحت وطأة الشمس والمطر ، تزحف الملاك من هنا وهناك كمحتضر لا أهل له ، وفي احدى المرات اخرجوه من حجرة النوم وبعد ذلك بدقيقة وجدوه في المطبخ ، فاعتقدوا انه يتواجد في عدة اماكن في نفس الوقت ، واستنتجوا ان الملاك القدرة على الظهور في اماكن مختلفة ، وانه يكرر نفسه في كل البيت ، وكان قد غاظ اليسندا كثيرا فلم تعد تطيق الحياة في ذلك الجحيم المليء بالملائكة ، فالملاك الاجرد من الريش لم يكن يهدأ ، كانت له عيون تشبه عيون تاجر آثار ، كان كدرا ويتعثر في كل الأركان ، وضعه بيلايو على بطانية في الكوخ وتركه نائما هناك ، لكنهم تنبهوا الى انه كان يعاني من الحمى ، وانه امضى الليل محموما يهذي بلغة صعبة كعجوز نرويجي ، وكانت هذه المرة قد ازعجهم مرضه ، لانهم اعتقدوا انه سيموت ، وما كان يمكنهم أن يعرفوا مايجب أن يفعلوه مع الملاك الميت لان الجارة العرافة لم تكن تعرف شيئا من ذلك الامر .

ومع ذلك قضى الشتاء السيء ، ولم يتحسن مع شمس الخريف ، بقي ساكنا في الركن البعيد من الفناء لمدة أيام ، حيث لايراه احد ، وفي بداية شهر ديسمبر بدأ الريش ينبت في اجنحته ، كان ريشا قويا وكبيرا ، مثل طائر عجوز ، وكانت محنته ظاهرة ، لكنه كان يعرف سبب تلك التغيرات التي طرأت عليه ، لقد احترس الا يراه أحد ، والا يسمع أحد اغاني البحارة التي كان يتمتم بها احيانا تحت اضواء النجوم ، وفي صباح يوم ما ، هبت في المطبخ ريح شديدة ، تشبه رياح اعالي البحار ، اطلت اليسندا من الشباك ، وفوجئت بالملاك وهو في محاولته الاولى للطيران . كان متثاقلا ، حتى ان اظافره شقت في الارض خطا بين الخضروات مثل خط المحراث ، وكان على وشك أن يكسر الحظيرة بتلك الخفقات القوية التي انزلقت في الضوء ولم تجد فرصة في الهواء ، لكنه كان قد حقق بعض الارتفاع ، عندئذ زفرت اليسندا زفرة ارتياح من اجله ومن اجلها هي ايضا ، وتابعته وهو يمر على اسطح البيوت وهو يضرب الهواء ضربات نسر عجوز ، وظلت تتابعه وهي تقطع البصل في المطبخ ، الى ان غاب عن رؤيتها ، وعندما لم تكن هناك اية نقطة خيالية في افق البحر ، شعرت بانها تخلصت من حمل كبير .

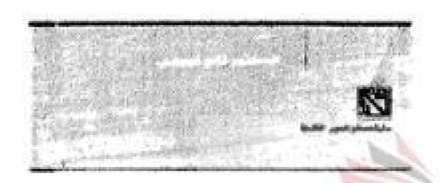




مركز دراسات الوحدة العربية

هدر الإمكانية

بحث في مدى تقدم الشعب العربي نحو غاياته



١ ٪ فقط هو الذى تزال أميته !

• ..اما بالنسبة للأمية فلم تتمكن بلدان الوطن العربى من إنقاصها إلا من ٨٢٪ إلى ٦٤٪ فقط في الفترة (١٩٦٠ ـ ١٩٧٥) ، اى أن حوالى ثلثى العرب البالغين كانوا لايزالون يجهلون مبادىء القراءة والكتابة والحساب فى منتصف السبعينات ، وارتفعت هذه النسبة الى ثلاثة الارباع فى الدول العربية النفطية القليلة السكان ، وإن كانت هذه الدول قد حققت إنجازا أعلى كثيرا من المتوسط العربى فى مكافحة الأمية فى ربع القرن السابق ، ولم يكن مستوى الاميين فى الدولتين النفطيتين الكبيرتين العراق والجزائر أقل من الدول العربية غير النفطية ، وان كان إنجازها عبر الفترة (١٩٦٠ ـ ١٩٧٥) أعلى من انجاز الاخيرة .

ولاشك أن مستوى الأمية فى البلدان العربية فى منتصف السبعينات هو سمة تخلف حضارى دامغة ، بالمقارنة باندثار هذه الظاهرة فى المجتمعات المتقدمة . وفى الواقع أن نسبة الأمية فى البلدان العربية أعلى بكثير حتى عن المتوسط العالمى الذى لم يتعد ثلث السكان البالغين فى سنة ١٩٧٥ . وقد ادت هذه الاتجاهات التاريخية فى ظاهرة الأمية الى زيادة أعداد الأميين بين الكبار فى بلدان الوطن العربى بحوالى ٤٠ مليونا فى ١٩٦٠ الى اكثر من ٥٠ مليونا فى ١٩٨٥ ـ والواقع أن هذه الارقام ليست إلا حدودا دنيا لعدد الأميين فى الوطن العربى نظرا لأن نسبة غير قليلة من الصغار (الأقل من خمسة عشر عاما ، وهم نسبة كبيرة لايستوعبون فى المرحلة الأولى من التعليم ، أو تسربون منها قبل إتمامها .

وإذا قبلنا أن إتمام المرحلة الأولى فى بعض النظم التعليمية العربية لايشكل محوا حقيقيا للأمية لزاد حجم المشكلة كثيرا .

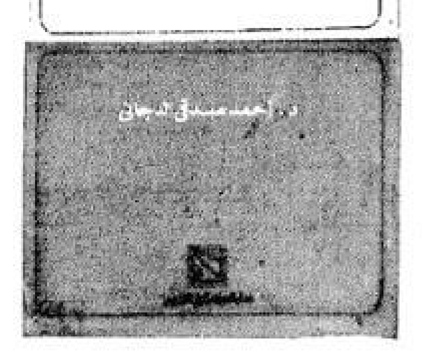
وإذا أضفنا الى ماسبق ، الاتفاق الحالى فى الدوائر التنموية على ان التعليم كحاجة اساسية يجب إشباعها كاولوية أولى فى

البلدان النامية لايعنى مجرد القدرة على القراءة والكتابة واوليات الحساب ، وإنما يجب ان يمتد الى التعليم الوظيفى والحضارى الذى يمكن الانسان من المشاركة بفاعلية فى الانتاج والنشاط العام فى مجتمعه ، لتبين لنا خطورة ظاهرة الأمية وضعف الجهود المبذلة لمكافحتها . ويقدر خبيران عربيان أن « النشاط الحالى لمكافحة الامية يشمل نسبة تقل عن ٢٪ من مجموع الأميين ، تنتشل من بينهم نسبة تقل عن النصف من براثن الأمية » ، ولكن حتى هذا الجهد الهزيل يتوقف عند حد القضاء على الأمية الأبجدية ، أما الأمية الوظيفية والحضارية فمداها أبعد بكثير مما تكشف عنه الاحصاءات الرسمية . والتخوف فى هذا الجانب أكبر بالنسبة للمستقبل ، اذ أن بعض برامج مكافحة الأمية فى الوطن العربى ليست من الجدية والفاعلية بحيث يتحقق مستوى مقبول من القدرة على القراءة والكتابة والحساب ، وتضمن عدم نكوص خريجها الى الأمية بعد فترة »

الدكتور نادر الفرجانى من كتاب هدر الامكانية ..

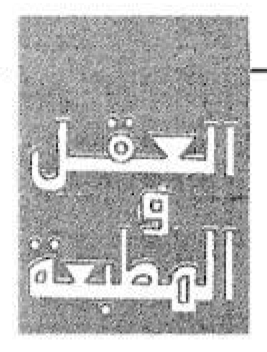
مسيرة الشعب الفلسطينى فى الثمانينات

« ستبقى مسيرة الشعب الفلسطينى فى الثمانينات متأثرة بالبعد العربى فى الصراع الى حد كبير وتبرز فى الصورة نقاط كثيرة لابد من الاحاطة بها ، ويضيق المجال هنا عن الحديث عنها .



ومن هنا نكتفى بإشارة سريعة الى أن الثمانينات ستشهد وطنا عربيا متغيرا يشتد فيه الجيشان على الصعيد الوطنى بفعل تحولات اجتماعية تغير التركيب الاجتماعى فيه ، ويثور فيه الصراع بين عرب وعرب بفعل عوامل مختلفة على الصعيد القومى ، وتنشب فيه خلافات مع الدول المجاورة له التى تمثل عمقه . وستبرز فى الوطن العربى قضايا متعددة تستقطب اهتمام جماهيره . وستبقى قضية تحرير الأرض المحتلة من أهم هذه القضايا ، كما ستتعاظم قضية النضال من أجل احترام الانسان العربى فى مجتمعه وقضية النضال من أجل سيادة الشورى والديمقرطية على صعيد الحكم المحلى فى الوطن العربى وبالنضال من أجل تلك القضايا .

على ضوء ذلك ستكون الحاجة ملحة لايجاد الموقف العربى الواحد من خلال العمل العربى



الموحد وللسعي من اجل اخضاع الصراع بين عرب وعرب الى متطلبات الصراع العربي - الاسرائيلي . وسيكون على منظمة التحرير ان تتقن التحرك وسط العمل العربي الموحد وعلى الصعيد الثنائي للمساهمة في صنع الموقف العربي الواحد . ولن تكون المهمة سهلة في غياب الزعامة العربية الموحدة .

ان نجاح الثورة الفلسطينية في بلوغ هدف التحرير سيرتبط بمدى نجاح المنظمة في تنظيم العلاقة الفلسطينية اللبنانية وتقنينها ، وفي ايجاد صيغة عملية تحكم العلاقة الفلسطينية الأردنية . وفي رسم خريطة العلاقات في سورية الكبرى . وفي حشد طاقات العراق ودول الجزيرة العربية . وفي تغلب مصر على اخطار اتفاقيات كامب ديفيد وعودتها للقيام بدورها ضمن المجموعة العربية .

الدكتور أحمد صدقي الدجاني من كتاب « رؤى مستقبلية عربية للثمانينات »

عروبة مصر حسمت منذ الفتح العربي

« انتماء مصر للعروبة قضية حسمت منذ الفتح العربي والاسلامي لمصر ، بل الكاد اقول إن انتماء مصر للمنطقة العربية سبق الفتح الاسلامي بعشرات المئات من السنين . عندما

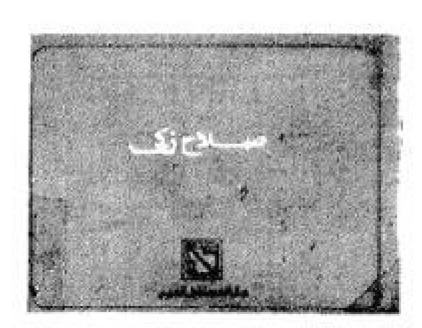
تواصل الدور الاستراتيجي لمصر ، واتسع وامتد ليشمل أرجاء عديدة في المنطقة حتى جاء الفتح العربي والاسلامي فأكد بالتراث واللغة والثقافة ماأكدت عليه الوحدة الاستراتيجية للمنطقة .

ولكن مانود أن نؤكد عليه أن الادعاء السياسي الراهن الذي يقول بأن مصر ليست عربية استنادا على خصوصية مصر هو ادعاء يقصد تعميق عزلة مصر وارجاعها الى حيز اقليمي ضيق هزيل .

ان اصحاب هذه الدعوة يستندون على مايسمى « مسالة الانقطاع » في تاريخ مصر الذي يقدمه أصحاب هذه الدعوة على أنها عصور سياسية متناقضة منسوبة الى السلالات والأسر الحاكمة ، فهو تاريخ يفتقر الى الوحدة ، وخصوصا بين شطرية الرئيسيين : الفرعوني والعربي .

ان السر في هذا الفصل بين مراحل التاريخ المصري يكمن في خطأ منهجي هو النظر الى اسلام المصريين وتعريبهم على انه نتيجة فعل خارجي كان المصريون مجرد موضوع له ، في حين أننا لو نظرنا اليه على انه النتيجة المنطقية لتطور التاريخ المصري القديم من ناحية ، وتفاعله مع تاريخ المنطقة واحداثها من ناحية أخرى ، لأدركنا ان مصر العربية الاسلامية ليست إلا ولادة جديدة متطورة لمصر الفرعونية التي كانت قد اضمحلت قبل ظهور الاسلام بأكثر من ألف عام . والواجب علينا في هذه الحالة أن نبحث في كل من الحضارة الفرعونية والحضارة العربية الاسلامية عن العناصر المشتركة بالاصل أو بالتفاعل لنصل الى التفسير

مصـــر والمسألة القومية
(بحث في عروبة مصر)



الحقيقى لسرعة اسلام المصريين وتعربهم ، وبالتالى لتطور التاريخ المصرى على النحو الذى تطور اليه.

صلاح زكى – من كتاب « مصر والمسالة القومية » بحث فى عروبة مصر

هل يعود العرب الى خططهم النووية ؟

« ...وبالنسبة لاسرائيل فإنها تتعلل بإنتاج الاسلحة النووية لردع التهديد العربى حيث انها لاتتمتع بميزات أمام الدولة العربية التى تتفوق عليها فى عدد السكان وفى الاسلحة التقليدية . وكان البرنامج النووى لايران (والذى توقف حاليا) قد بدأ جزئيا كرد فعل للعداء مع العراق ، ولكن خشية الخطر الاسرائيلى تعتبر الان احد الحوافز لتنشيط هذا البرنامج من جديد . وتدخل باكستان ضمن مجموعة دول الشرق الاوسط ذات التنافس النووى بسبب العلاقات الوثيقة التى قامت بتوطيدها فى الفترة الأخيرة مع الدول العربية والشائعات التى ثارت إثر ذلك بشأن التعاون النووى ، على الرغم من أن الدافع الرئيسى وراء تبنى باكستان لبرنامج نووى كان احتمال حصول الهند على أسلحة نووية ، فإن الخوف من خطر اسرائيل يمثل دافعا اخر حيث ترى باكستان نفسها هدفا ثانيا لاسرائيل بعد ضرب المفاعل العراقى .

وليس هناك شك فى أن الغارة الاسرائيلية على المفاعل النووى العراقى تشير الى مرحلة فى هذا السباق ، فهى توضح أولا أن اسرائيل تعانى من خوف حقيقى من أن العراق كان على وشك تحقيق قوة عسكرية نووية ، وأنه قد يصبح قادرا بشكل مستقل على متابعة برنامجه النووى .. وبالنسبة الى الدول العربية فقد بدأ وكأن الغارة تعيد الحياة الى الخطط القديمة بشأن التحول الى الطاقة النووية ، حيث أن عددا من الدول العربية قرر اتباع هذا الاسلوب الذى ماكان بغير ذلك ، كما أنها أدت الى تقوية عزم العراق على المضى فى هذا الطريق بدلا من أن تردعها عنه . ومن ناحية اخرى فقد اعطت دفعة للجانب العسكرى فى السباق النووى ، كما انها قد تكون حافزا وراء احتمالات شراء أسلحة نووية فى اطراف اخرى .

جوديث بيرايـر – من كتاب « السباق النووى »

يوميات قاهرى

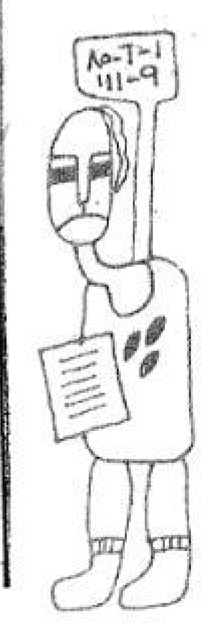
شعر : جليلة رضا

وَهَمَّ ليعبر الشارعْ ..
وأفواجٌ من العرباتِ تُدنيه وتُقصيهِ
والافٌ من الأقدام تنشرهُ وتطويهِ
ولم يقرب من الافريز رغم طريقه المفزعْ
وأين لهُ ؟ ولم يُصْنَعِ سوى لمهمة انفعْ
ففوق وساده تمتدُّ كل قمامة الدنيا
وأهرامات أحجار كأهراماتنا العليا
وأطنانٌ من الأوحال تقبع فى مهاويه
ويَهْمى الرملُ من فيه ..

وسار .. يَشُدُّ خطوته وتثنيه المطبَّاتُ
يضمُّ مشاكلَ الدنيا وتغمره الخلافاتُ
وعند (محطة الركّاب) راح يصارع الزحمه
وقرصُ الشمس - كالأحياء - جانَبَ قلبَهُ .. الرحمه !

عَبَّر عن كرامته وفى أعماقه ليلُ
« أقاهرةَ المُعزِّ أرى .. ؟ وقد أودى بها الذُّلُّ ؟ »

وحين ثوى بمنزله تذكَّر كلَّ ماعانَى
وصاح وقلبه يغلى : وكيف ؟ ألست إنسانا ؟ !
وأسرع يخلعُ الجوربَ ، ويمسح نعلَهُ الأجربْ
ويغسل وجههُ الأغبر
وينَفُضُ عنه أتربةَ الشوارعِ والميادينِ
وسائل نفسَه الحيرى :
« أتلك مدينةُ الأقزام أم وكْرُ الشياطين ؟ ! »





وصاح : اللهُ يخسفها .. وصاح : الله يخفيها ..
وقال .. وقال أشياءً .. اذا قيلت فلا تُكتبْ
ونام وجسمهُ مُتعَبٌ ، ونام وقلبهُ مُتْعَبٌ ، ونام وفكره مُتْعَبْ

وعند الصبح لم يشعر سوى بدمائه الحيَّه
وأسرع يرتدى زيَّهْ
وعبْر السلم استَهدى ، تذكر ماسيلقاهُ
وما بالأمس عاناهُ
وبيومياتِهِ الأخرى
وبزَّ جبينُهُ عَرَقاً ولكنْ .. هز كتفيهِ
وقال : « ألفتُ ما ألقَى .. »

وعند الباب قبَّلها ..
أحسَّ بحبه المُفعَمِ .. وبالأحضانِ عانقها
وبالعينين ناجاها
ومن أعماقه تمتمْ :
وقال : الله يحفظها (١)

وقال : الله يحميها
وقال : الله يرعاها

وهمَّ .. ليعبر الشارع ...

(١) أى القاهرة .. وعسى أن يعيد الانضباط لها بهجتها ورونقها .



● الاصلاح فى الازهر ●

حول قضية الازهر ـ الحاضر والمستقبل ـ كتب الاستاذ الدكتور محمد الدسوقى متناولا هذه القضية فى عدد يناير الماضى . عارضا للسلبيات التى عاقت وتعوق ـ الجامعة العريقة عن أداء رسالتها فى خدمة الدراسات الاسلامية والعربية والمحافظة على التراث العربى وقد شخص الداء لكنه لم يصف الدواء للمشكلة التى ازمنت فى تاريخنا من جراء القصور عن مسايرة التطور

إننا نسلم مع الاستاذ الفاضل بأن محاولات الاصلاح والتطوير فى الازهر مع اختلاف القائمين عليها لم تؤت ثمارها المرجوة ، فمنذ صدور قرار تنظيم الازهر الاول فى عهد الخديو اسماعيل عام ١٢٨٨ هـ (١٨٧٢ م) والذى نظم طريقة الحصول على العالمية ، الى صدور قانون يناير سنة ١٨٩٥ بتشكيل مجلس ادارة الازهر واصدار قانون المرتبات ، والتدريس والتعليم والامتحانات الى قانون سنة ١٩١١ لتنظيم الازهر بعد انشاء مدرسة القضاء الشرعى ، ومع كل هذه المحاولات التى بذلت لانهاض الازهر والتعديلات التى ادخلت على قانونه والاقسام التى انشئت فيه فقد بقى معزولا عن وظائف الدولة فى مدارسها ومحاكمها ومختلف الوظائف فيها حتى تولى الشيخ المراغى مشيخة الازهر سنة ١٩٢٨ ونشر مذكرة فى جريدة الاهرام متضمنة تصوره لخطوات الاصلاح فى الازهر ونحن اليوم احوج ما نكون الى العودة الى الاطار العام الذى رسمته هذه المذكرة لنستفيد منها فيما نحن مقدمون عليه من تطوير الازهر ..

واستجابة لما طرحه الاستاذ من افكار نعرض مايلى :

أولا : يتحقق للأزهر الجامع والجامعة استقلاليته الكاملة والشاملة فى ميزانيته وادارته وشئونه القلمية والثقافية من خلال الامام الأكبر الذى ينتخب من خلال هيئة كبار العلماء التى يجب أن تعود لمباشرة مهامها الى جانب شيوخ الازهر وان تضم الأوقاف الاسلامية الى الأزهر لينفق من ريعها على شئون الدعوة والتعليم الاسلامى .

ثانيا : يتوافر الازهر الشريف فى عهده الجديد على حركة واسعة تشمل القرى المصرية لانشاء الكتاتيب لتحفيظ القران الكريم تجويدا واحكاما ومبادىء السنة النبوية . وهذه الكتاتيب هى التى تغذى الازهر بمراحله التعليمية الثانوية والجامعية

ثالثا : لابد من دفعة قوية من داخل الازهر اولا ومن خارجه ثانيا التلافى اثار قانون التطوير سنة ١٩٦١ السلبية ، ودعم ايجابياته . ويعنى ذلك فى رأينا انه لاينبغى ان يقتصر التعليم الجامعى الازهرى على كليات اللغة والأصول والشريعة بل يمتد الى الكليات التى انشئت فى ظل قانون سنة ١٩٦١ بما يخرج الداعية الطبيب او المهندس واكثر من ذلك يجدر بالقائمين على شئون الازهر ان يرسلوا خريجيه الى بعثات خارجية كالتى ارسلت فى عهد الامام محمد مصطفى المراغى الى انجلترا وفرنسا والمانيا للتخصص فى علوم الدين والدنيا .. وعلى الله قصد السبيل

عمرو عبد المنعم حمودة
برما ـ مركز طنطا

(الى مالك الحزين ..)

مازالت غريبا تتسكع فى طرقات الوحشة
تقتل ايامك باستذكار
فجيعتك المجهولة
مازلت حزينا مبتلا بالأوجاع
تحدق فى الاشياء الفارغة المرذولة
تتحسس كعجوز أعمى
وجه الاشياء
وتجفل من بسمتها
تنأى ـ حين تشاغبك مباهجها ـ
عن بهجتها
ماذا تستهجن يامالك ؟
ولماذا تقطر من عينيك
مرارة حلم مشنوق
هل وحدك أبصرت حقيقة هذا العالم
ورأيت الحق المشقوق



فاعلنت على الكون الحزن
وامعنت النظر الى مرآة الماء
لعلك تبصر فيها غيرك
يحمل بعض خصالك
آه .. لو تعرف يامالك
ماعدت حزيناً وحدك !

مصطفى غنيم
شبراخيت

شرخ في جدار الحب

١ - ياحب دعني لقد مزقت اوتاري
وعدت أبكي على دني ومزماري
٢ - ياحب دعني واحزاني ولاتعدي
يكفيك لهوا وتشتيتا بازهاري
٣ - ياحب دعني فلن أصغ لاغنية
ولن أغني فقد حطمت قيثاري
٤ - لم أدر ماتبتغي الاقدار من جسد
اضناه سقم ولم يهفو لاظهار
٥ - يكتم جراحا ويبني الحزن والالما
يزجي المودة في سر وإجهار
٦ - والآن حين أراد الحب فرحته
تأتي لتنهشه كالضيغم الضاري
٧ - اليس لي مقة تهفو لماربها
مادام من عمري وقت ومقدار

بهاء لطفي قابيل
العزيزية - شرقية

- قصيدتكم طويلة جدا اجتزأنا منها هذه الأبيات التي تدل على سائرها . فهي خليط من الابيات الموزونة والمكسورة والكلمات الصحيحة نحوا وصرفا

والأخرى التى لاتصيب لها من الصحة نحوا وصرفا . مثلا .. البيت رقم « ١ » صحيح الوزن .. البيت رقم « ٢ » فيه خطأ فى وزن الشطر الأول ، وهو قولك : « ولاتعدى » ويوجب عليك علم العروض أن تقول : « ولاتعد » فى هذا الشطر ، فإذا فعلت ذلك انكسر الوزن ، ويبدو أن الامر اختلط عليك ، فانك تستطيع أن تقول « ولاتعد » لو كانت قصيدتك دالية ، ووضعت هذه الكلمة فى قافية شطرها الثانى .. ولا يصح ان تضيف ياء إلى « لاتعد » . وانما تكتفى بوضع كسرة تحت الدال ثم تنطقها كأنك تنطق دالا بعدها « ياء » .. ولا يكون هذا فى الشطر الاول : .. وفى البيت الثالث قلت : « فلن اصغ » .. فما الذى جزم كلمة « أصغى » .. انك لو تركت الياء فى مكانها لاستقام لك الوزن والنحو .. ولاضرورة لوضع علامة الفتح عندئذ على ياء « اصغى » .. والبيت الرابع شطره الأول غير موزون عند قولك « ماتبتغى » .. وخطأ فى النحو عند قولك فى الشطر الثانى « لم يهفو » .. والشطر الاول فى البيت الخامس غير موزون ، ولا يصـــح أن تقول « الالما » فهذا لايجيزه العروض .. والبيت السادس صحيح الوزن تماما .. والسابع صحيح الوزن فى الشطر الاول .. وصحيح الوزن فى الشطر الثانى ، لكن هذا الشطر فيه خطأ نحوى مضاف إلى خطأ نحوى آخر فى قولك : « وقت ومقدار » بكسر التاء والراء ، والصواب الضم .. بقى أن نقول إن لك فى الشعر موهبة لايغض من شأنها أنك مازلت تعثر فى بعض الأوزان ، لأنك بالمران والمثابرة وكثرة القراءة للشعر الجيد تستطيع أن تستوعب الأوزان .

الدماء فى عرس

ـ كان الحلم يراودنى ... أن أصبح ارهابيا ..
ضد الارهابية فى عينيك
كان بودى ... ألا أصبح رومانسيا
أتوقف بين كنوزك وشبابى محروما .
كان الحلم أبايعك مليكة قلبى
آه ليتك قيد أقرب .
كى اشعر بدمائى .
آه ليتك بحر أبعد .
كى أرتعش من الصحراء .
ليت الشىء بعكس الشىء لنتحاور فى الاشياء .
ليس وضوحك ذنبا ... اقتلك عليه ، وليس غموضك
حقا مفهوما .. للطلقاء أو السجناء .





الجدول يمتد من الصدر عموديا ..تتحدر سمائى
احتفلى بى ... سكن الشهداء ضلوعى .
من ضلع القبر نهضت ملأت الكأس عبيرا .

فليخرج قلبك من كهفك ... كى يفهم زمنى .
لحظة ميلادى تسكننا ... يتجدد فينا الوطن ويتمجد
الليله تحت القرن الأرضى أقيم العرس بهيا ...
ذلك حقل النار الدعوة رسمية .
ألقى نفسى داخلها حتى تهلكنى ...
حتى إن شاب الطفل بنا ...
ستكون بدايتنا ...
فرحى انى احيا زمنا ... يلد الأزمنة الأحلى .
وأسافر أصطاد اليأس المثمر ... بالفرح وبالبركان .
وأبيعك جسدى والنار المسروقة ... من أبراج سماء (اليونان)
أزرع نارى ... فى طوفانك .
أسكب أمطارى فى الحانك .
نتحكم فى الأرض المجنونة .
نوقفها ... تتوقف ... وندور تدور .

جمال محمد فرغلى
اسيوط

● إلى أصدقائنا ●

● محمد العائش القوتى ـ المتلوى ـ توزر ـ تونس :
ـ نشكركم على كلمتكم عن الشاعر أبى القاسم الشابى ، ولعلك تعلم أن أبا القاسم الشابى معروف جيدا فى مصر ، فلا جديد فيما ذكرتم . وأما قصيدتكم فى تحية ذكراه ـ وهى ثمانية أبيات ـ فمنها خمسة ابيات صحيحة الوزن ، وقد سرنا دفاعك فيها عن أبى القاسم ضد من رموه بالكفر قبل خمسين عاما .. وقد تكفل الزمن بكنس دعواهم هذه ومحوها ..

● قاسم كمال ـ غزة :

ـ قصيدتك تفهم على وجهين ، فهل تدافع فيها عن الانسان العربى المقهور فى فلسطين ، ام تدعو إلى شيء آخر ؟ ! ..

● عمر غراب ـ أوسيم ـ جيزه :

ـ قصيدتك التى عنوانها : « قصيدة تائهة » .. ليست فى مستوى قصائدك الماضية التى نشرنا أجزاء منها او أشرنا إليها فى هذا الركن .. ألست تريد الصراحة ؟ !

● محمد حلمى حامد :

ـ قصيدتكم « الغزالة » محاولة شديدة التأثر بتعبيرات من هنا وهناك لبعض شعراء التفعيلة .. فأنت تتحدث عن « زمن النخاسة » و « الرعاع » و « العسس » و « الألم المسافر » .. وفى القصيدة تعبيرات عشوائية وأخرى تتصنع الحدة او الرمز .. وليس الشعر كذلك .. مع لزوم التنويه بأوزان تفعيلاتك ، فهى صحيحة ..

● هدى شبانه ـ الزعفران ـ الحامول :

ـ قصتك « عندما يخرج الجبل من البوتقة » .. ينقصها معرفة اللغة العربية معرفة جيدة ، فلابد لمن يكتب بهذه اللغة ان يعرفها ، كما يعرف الكاتب الانجليزى لغته ، والكاتب الفرنسى لغته الخ .. اما فنك القصصى فالموهبة فيه لاينقصها إلا التمرن والتمرس وعدم استعجال النشر .

● عادل السيد احمد ـ كلية الطب البيطرى بأسيوط :

ـ قصيدتكم « الأمل » حافلة بالاغلاط اللغوية والنحوية .. ولكن أوزانك فاكثرها صحيح .. حاول ان تعرف اللغة التى تنظم بها الشعر فمعرفتها ضرورة لابد منها..

● صبرى محمد على ـ كلية التربية بجامعة حلوان :

قصيدتكم « آه .. لبنان » اكثرها صحيح الوزن ، نرجو الاستمرار والاستزادة من القراءة فى الشعر الجيد

● محمد عبد الرحمن قطب ـ المطرية ـ القاهرة :

ـ قصيدتك التى أولها : « حدقت عينى فى كل الوجود » .. نسيتم أن تجعلوا لها عنوانا .. أما أوزانها فغير صحيحة ـ مع الاسف ـ إلا فى بعض أبياتها .. ولانتحدث عما وراء ذلك من أغلاط إملائية ونحوية ولغوية . فهذا كله يمكن تلافيه بالدأب على طلب المعرفة بفن الشعر واللغة .



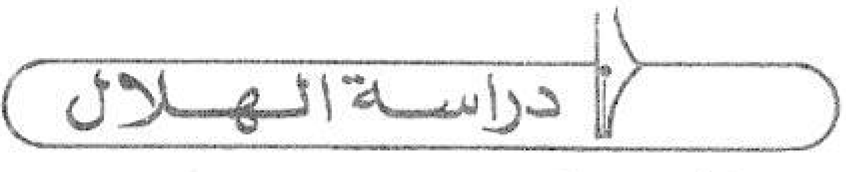
لكى لاتموت الزهور

شعر : د . محمد أحمد الغرباوى

تَكَوَّمْتُ فى رُكْنِكِ المظْلُم
وأحْرَقتُ نفسى بخُورا
لكى لاتَمُوت الزهور
لكى يسمعَ الطفلُ فى قلبكِ الأغنيات
ويسمعَ يوماً نشيداً طَهُوراً
... تكوّمْتُ فى رُكْنك القاتم وألقيتُ عينى عَلى رُكْبَتَيْكِ
وطرْتُ التيَاعاً وحزنا إليْكِ
بَكَيْتُ كثيرا وعلَّقْتُ دمعى على وَجْنَتَيْكِ
فكان المذاقُ مَريرا
ومدَّلِيَ العنكبوت خيوطاً طويلةْ
وقالَ لِيَ العَنْكبُوت : وَقَعْتَ
وصرْتَ بعُشّى أسيرا
تلَعْثَمْتُ ... ذبتُ
وُذرتُ فَدَارَتْ خيوط كثيرة .. على ساعِدَىَّ



تَمَنَّيْتُ لو كان سَيْفِى لَدَىَّ
تمنيتُ لو كانَ دمعى غزيراً لأغرق فيه هُمُوماً لَدَىَّ
تَمنيتُ لوْ أحْرَقتْ زفراتى زَمَانَ العَطَنْ
لأصْنَعَ منه اشتياقَ الزَمَنْ
فَصَاحَ بىَ العَنْكَبُوت :
تَجَلَّدْ .. تَجَلَّدْ ... لِماذَا الوَهَنْ ؟
مَدَدْتُ ضُمُوَر الذرَاعِ
وأعْلَنْتُ مَوْت الضَيَاعِ
وشوقى إليكَ



الهند..
خلافة راجيف... وميلاد جديد

بقلم: محمد عودة



● لم يكن أحد فى الهند ليصدق خلال حياة نهرو أن ابنته أنديرا سوف تكون يوما ما خليفته وأنها سوف تصل الى ذروة أعلى وتحقق مالم يستطع أن يتمه.

ولم يكن هناك أحد فى الهند ليصدق بعد تولى أنديرا للسلطة أن ابنها الاكبر راجيف سوف يكون خليفتها وأنه سوف يحصل على ثقة الشعب وتفويضه باكثر مما حصل عليه جده أو حصلت عليه خلال حياتها ..

وكان هناك ما يشبه الاجماع على أن راجيف هو الابن البار الذى لاتعنيه سوى الأسرة ولن يعمل قط بالسياسة.

ويكاد يكون ماحدث للأم والابن من حواديت الهند وأساطيرها وأنها لم تنته بعد تماما مثل فواجعها.

وحينما مات نهرو لم يفكر أحد قط فى انديرا ، وأختير للخلافة « لال بهادور شاهسترى » ومجاملة لأنديرا منحها وزارة ثانوية هى وزارة الاستعلامات .

ومات شاسترى فجأة بعد عام من توليه السلطة ، ونشب اثر موته صراع عنيف ضار بين اقطاب حزب المؤتمر التقليديين ولم يجد الجميع مخرجا من الأزمة والمأزق الحادين سوى انتخاب عضو بلا مطامع أو طموح ولايخشى اى خطر منه ، ويكون بمثابة « مانع صواعق » ويكون فى نفس الوقت مجرد رمز للاستمرار ...

ولم يكن لدى معظم الاقطاب شك فى أن الاختيار مؤقت ومرحلة انتقالية وذلك حتى يعيد كل منهم تنظيم انصاره واتباعه ويسترد « الوراثة » وكانت انديرا غاندى سيدة منطوية نحيلة صغيرة عاشت دائما فى كنف أبيها وتحت ظله وعملت سكرتيرته ومضيفته وضحت فى سبيل ذلك بكل شيء بما فى ذلك شخصيتها كما ظن معظم الناس .

وقد أراد أبوها فى خلال حياته أن يدفعها للعمل السياسى ، وانتخبت بتأييده وتشجيعه رئيسة لحزب المؤتمر وانجزت بعض المهام والمسئوليات الكبيرة ولكن لم تستمر ولم تبد ما يؤهلها للقيادة ..

ووصلت أنديرا الى السلطة بتأييد « النهرويين » فى الحزب ولكن العامل الحاسم كان اطمئنان الأقطاب الى عدم فاعليتها والى قدرتهم على توجيهها وربما تسخيرها .

وحينما تم اختيارها هزأ بها أحد زعماء المعارضة الاشتراكيين وسماها فى البرلمان « الدمية الصماء » وتصرف زعماء الحزب الذى ترأسه واقطابه كل على هواه ، تماما كما لو لم تكن موجودة ..

كان الحزب قد انتهى الى قبضة خمسة من الاقطاب كانوا يسيطرون على كل شيء فى الحزب والحكم ، ولايرون فيها اكثر من مجرد واجهة .

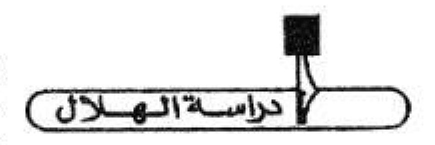
وجاءت الصدمة مبكرة وكشفت انديرا عن « نمرة » كانت كامنة ، وأطاحت بهم جميعا لتستكمل مابدأه أبوها وتحقق حلمه الكبير .

واكتشفت الهند انها لم تكن السيدة الخجول المنزوية محدودة المواهب ولكنها كانت طوال الوقت تدرس وتستوعب كل شيء وتحيط بالدقائق والتفاصيل وتنفذ الى عمق الاشياء والأشخاص ..

كانت تعبد اباها ، وقد مات معذبا يفيض بخيبة الأمل والأحلام المبددة ، وصممت لهذا على أن تنتقم له ، بأن تحقق الهند التى ارسى دعائمها ، وقررت ايضا أن تصفى حساباتها مع كل الذين اساءوا اليه والذين استغلوا ثقته ونبله .. وبدأت الزحف الذى وصل بها الى أعلى مكانة وصلها زعيم أو وصلت اليها « امراة » فى تاريخ الهند ووضعت فى مصاف أبطال الملاحم والأساطير .

وخلال فترة حكم أنديرا غاندى الأولى . من ١٩٦٦ ـ ١٩٧٥ قررت أن تدفع بابنها الأصغر سانجاى الى المعترك السياسى والى الصفوف الأولى .

كان هدف أنديرا من تسييس سانجاى ابعد وانقى مما صوره الاعداء كانت تريد ان تعيد بناء الحزب لكى تستطيع ان تكمل



بناء الهند ، وكان ذلك يعتمد على قدرة الحزب على مهمة فاصلة هى ضم الجيل الجديد واستقطابه فى صفوف الحزب .

وكان الجيل الجديد يصب سخطه ورفضه على الحزب الحاكم والذى تولى السلطة منذ الاستقلال ويراه بحق مسئولا عن سرعة السلحفاة التى تحل بها الهند مشاكلها وتتفض بها ميراث الأستعمار والاستغلال العتيد .

وكان الشباب ـ لهذا ـ يفقد الثقة والأمل أو يتوزع بين الأحزاب الشيوعية وتنظيمات اليسار الجديد المتطرف أو « الطفولى » وبين الأحزاب اليمينية الدينية « المتعصبة » سواء الهندوكية فى حزب « سجان سانج » أو الاسلامية فى الجماعات الاسلامية التى تصاعد نفوذها بين الشباب المسلم فى الهند .

كانت أنديرا غاندى تعول فى تدعيم حزب المؤتمر وتجديد حيويته على رد ثقة هذا الجيل واجتذابه إلى حزب المؤتمر ، وذلك ليدفع التغير وليعمق الاستمرار أيضا ولاينفصل عن تراث وتقاليد الوطنية الهندية العريقة :

وكان « سانجاى » عند حسن ظن أمه وفى مستوى المهمة وتدفق دم جديد حار الى صفوف الحزب والى مقاعد البرلمان . وإلى مناصب الحكم وأثاروا القلق فى الحزب ، كما أثاروا استفزاز المعارضة وقد ادركت مغزى انضمامهم وخطورته .

واصبح « سانجاى » الساعد الأيمن لأمه وسندها الروحى أيضا ، وتقاسم معها الحب حتى العبادة الذى كانت تفجره والحقد حتى الموت الذى كانت تثيره بنفس القدر بين خصومها ..

وربما استأثر سانجاى بنصيب اكبر ، وذلك لطبيعته الحادة الصارمة ولأسلوب المواجهة والتحدى الذى كان يتبعه ويفضله هو وأنصاره ازاء المشاكل والأشخاص . ولم يكن هناك مناص ان تقع تجاوزات واخطاء .. ضخمتها المعارضة المتربصة واستغلتها أبرع استغلال . ونزلت « المحنة » بأنديرا غاندى سنة ١٩٧٥ ، وخسرت الانتخابات التى دعت اليها وهزم الحزب هزيمة منكرة ، وخسرت أنديرا فى دائرتها الانتخابية ودائرة الأسرة التقليدية وأعلنت المعارضة التى انتقلت كل فرقها فى حزب واحد « الجاناتا » نهاية حزب المؤتمر وعصر « آل نهرو » وسقوط « الأسرة المالكة » والقبت المسئولية فى سقوط الحزب على « سانجاى » وعصاباته وتصرفاتهم واساليبهم « الهوجاء الرعناء » .

وبدأت حملة ثأر وتنكيل لم تتورع عن شيء ، ووطئت كل قيم وتقاليد الحياة السياسية بل والاجتماعية فى الهند وانتهت باعتقال أنديرا غاندى وسجنها ..

وامتدت الحملة الى « الأب » نهرو .. وشنت الصحافة الهندية التى مجدته طوال حياته حملة التنديد بسياساته ومبادئه وتولت دور النشر . اصدار سلاسل من الكتب والدراسات والمذكرات عن اسرار وخفايا وفضائح العصر والزعيم ولتلويث



صورة تجمع بين تمثال نهرو وصورة انديرا وصورة راجيف فى المعركة الانتخابية التى اكتسحها خليفة انديرا .

حياة نهرو العامة والخاصة وتلطيخ سمعة « العائلة » بكل التهم واحطها ...

وصمدت انديرا وكشفت عن صلابة وشجاعة خارقة اثارت عطف واعجاب الرأى العام وحولته الى صفها ، وارتدت الحملة بحماقتها وفرط حقدها الى صدور القائمين بها ، واثارت موجة غضب واشمئزاز عارمة .

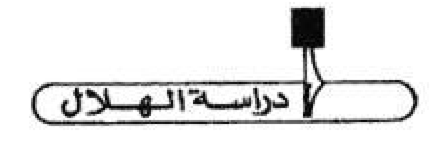
وفى نفس الوقت تخبطت الحكومة الجديدة وتعثرت ، ونشب الخلاف والصراع الدامى فى صفوفها وبين أقطابها ، وتعددت الفضائح والمساخر ، ووصلت الهند الى حد الانهيار .

وحينما خلت إحدى الدوائر البعيدة النائية فى إحدى ولايات الجنوب خاضت أنديرا غاندى المعركة وعادت الى البرلمان . ولتقود المعارضة ولترغم الحكومة فى النهاية على الاحتكام الى الشعب وإجراء الانتخابات .

وكانت النتيجة فوزا ساحقا وعودة مظفرة ، لأنديرا غاندى ، بدت كأنما تكفير من شعب الهند عن غلطته ، أزاءها .

وكان رفيق كفاح أنديرا غاندى ومستشارها الأول . وأحد كبار مهندسى عودتها هو ابنها الأصغر « سانجاى » وتميز البرلمان الجديد بأغلبية من رجاله وأنصاره .

ولم يقدر لسانجاى أن يتم مهمته وأن ينعم طويلا بالانتصار .. وبعد اشهر قليلة قتل فى حادث طائرة شراعية كان يتدرب



فيها وكانت أكبر فاجعة فى حياتها .. خاصة وأن الحادث بدا غامضا تحيط به كل الشبهات ، كانت الصدمة فوق طاقتها ولكنها تحملتها بجلد وإيمان تلميذة « المهاتما » وابنته الروحية كما كان يصفها غاندى .

وطلبت أنديرا غاندى الى أبنها الأكبر راجيف أن يترك عمله وأن يحل محل أخيه ويقف الى جانبها .. لن تستطيع أن تقف وحدها . وكان « راجيف » العضو « اللاسياسى » فى الأسرة ، كان يعمل طيارا مدنيا فى الخطوط الجوية الهندية الداخلية وعرف دائما باسم « الكابتن راجيف » الدمث الأخلاق والذى يرفض استعمال لقب الأسرة او أن تحمله سيارة خاصة الى المطار او أن يعامل افضل من أى فرد فى الطاقم . وكان رب عائلة نموذجى يعيش سعيدا مع زوجته الايطالية وولديه منها ، ويمارس هواياته فى متابعة الاختراعات الحديثة ، وملاحقة التطور فى عالمه .. اى الطيران .

واعتذر راجيف لأمه وأن السياسة عالم معقد لايقدر عليه ، وظل يقاوم ستة أشهر طويلة وأخيرا رضخ .. وأعلن « يبدو انه لامناص من مساعدة والدتى »

وكان راجيف يمثل الوجه الأخر للجيل الهندى والذى يختلف تماما عن أخيه الأصغر وهو وديع متواضع مهذب كفء تتمثل فيه كل فضائل الهند التقليدية ولايستثير أو يستفز أحدا ..

وحينما اعترض عليه البعض داخل الحزب وخارجه كان الرد أن ليس هناك احد من « آل نهرو » خاصة اذا تربى فى بيت « جواهر لال » يمكن أن يكون لاسياسيا .. وهذا تراث ويسرى فى الدم ، وقال البعض أيضا ، أن مهمته أن يمثل الجيل الجديد ، وأن الوقت طويل أمامه لكى يتعلم .. ومازالت أنديرا فى قمة مجدها وأتم صحتها .

ولكن كانت أمه تدفعه وتحرص على أن تشركه فى كل شىء وأن يلم بكل القضايا والمشاكل وفى أسرع مدى ..

وكانت أنديرا غاندى تبدو دائما وكأنها تحس احساسا خفيا بمصيرها وقدرها ..

وحينما أعلنت حالة الطوارىء سنة ١٩٧٥ قالت لن يحدث لى ما حدث فى شيلى . ولن القى مصير الليندى .. وحينما عادت الى السلطة قالت انها لن تسمح بأن يكون مصيرها مثل مجيب الرحمن فى بنجلاديش أو على بوتو فى باكستان أو باندرنايكا فى سيلان .

وحينما وقفت تشرح أحداث البنجاب فى البرلمان الهندى ، قالت « اننى مستهدفة من القوى الكبرى وهم يريدون دمى .. ليس فقط لشخصى ولكن ضد الهند » ولن يغير ذلك قط من مواقفنا .

وقبل اسابيع من موتها قالت لاحدى زعيمات الحركة الوطنية القدامى ـ أرونا أصف على ـ « اننى أعرف أنهم لن يتركونى وانهم يتربصون بى ويريدون رأسى » . وقبل أن تموت بيومين فقط القت خطابها الشهير فى ولاية « أوريسا » ، حتى لو قتلت فإن كل قطرة من دمى سوف تخضب أرض الهند وتدعم قوتها .

وحينما سقطت تحت وابل الرصاص الذى انهمر عليها قالت : «آ ـ ه .. لقد قتلونى ».

وقد كان رد الهند حاسما وصارما على الفاجعة .. عبأ حزب المؤتمر كل قواه .. وهى تبلغ ذروتها عادة فى الساعات الحرجة والعصيبة ويبدو الحزب وكأنه بعث وولد من جديد .. وتم نقل السلطة الى راجيف غاندى فى نفس الليلة .. واثبت راجيف خلال الأيام التى تلت وكانت اقسى مامر بالهند منذ الاستقلال انه سليل « آل نهرو » بحق وامين على التراث .. وتبنته كل الهند بدلا من أمه .

واتخذ راجيف أول قراراته التاريخية .. وهو أن تصب الهند حزنها وتفضله فى تأكيد مبادئها وقيمها العريقة وتقرر أن تستغرق الجماهير كلها وتشترك فى الرد على الفاجعة .. وذلك باجراء الانتخابات .

وكان مقررا وفقا للدستور أن تجرى الانتخابات فى بداية العام ولكن تقرر تقديمها لتجرى فى نهاية العام حتى تسوى كل حساباته .. إيجابيا .. وصدق الشعب على خلافة راجيف وقيادته ، وباكبر اغلبية حصل عليها حزب المؤتمر فى تاريخه اكبر مما حصل عليه جده جواهر لال أو أمه انديرا ..

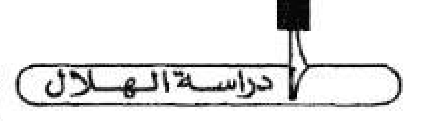
وبدأت هند جديدة أقوى مما كانت عليه فى أى وقت سابق سوف تكون أول مهامه واشدها الحاحا هى بلا شك مشكلة البنجاب ، وطائفة السيخ ، وقد تطورت هذه المسألة وتعقدت وتجاوزت اطار المشكلة الطائفية او الاقليمية وطرحت مشكلة المشاكل فى الهند واشدها حرجا وحساسية وهى مشكلة الوحدة الوطنية عامة .

وبعد مطالبة السيخ بدولة مستقلة فى البنجاب باسم « خالستان » اصبح على الهند ان تواجه اكبر تحد لوحدتها واخطره بعد تقسيم الهند قبيل الاستقلال وانفصال باكستان .

وتجمع الهند بلا استثناء وفيما ذلك كثير من السيخ على رفض هذا المطلب رفضا باتا وعلى مواجهة التحدى مهما يكن الثمن ، والايقتطع شىء من كيان الهند بعد الاستقلال . ولايقدم احد داخل الهند أو خارجها تفسيرا مقنعا أو تبريرا مقبولا لاحداث البنجاب وكيف تصاعدت وتفاقمت الى حد المأساة وعلى الجانبين ومازال الحوار دائرا وحادا ولكن لايكشف كل الحقائق او كل الاطراف ، وتبقى الحيرة وكثير من الذهول قائما ..

والسيخ طائفة قليلة العدد بالنسبة لسكان الهند وهم يتراوحون بين اثنى عشر وخمسة عشر مليونا من سكان الهند الذين يبلغون الآن سبعمائة وخمسين مليونا ، أى انهم يكونون ٢ ٪ تقريبا من السكان ، ولكنهم يحتلون اهمية كبرى لاتتناسب مع عددهم ، وينتشرون فى كل ارجاء الهند بل وتقيم جاليات كبيرة ذات ثروة ونفوذ فى الخارج وفى الولايات المتحدة وبريطانيا خاصة .

ويعد السيخ اكثر طوائف الهند ثروة ورخاء وهم يمتلكون ويزرعون أخصب اراضيها فى البنجاب ، وكانوا اكثر من افاد من الثورة الخضراء « الهندية » والتى حققت نجاحا نموذجيا هناك . ولايقل نشاطهم او تراثهم من الصناعة والتجارة والمال عنه فى الزراعة .. واشتهروا بأنهم الطائفة الوحيدة فى الهند التى ليس فيها معدم أو شحاذ .



على أن أهم ما يتميز به السيخ هو احتلالهم لنسبة عالية لاتتفق مع عددهم من المراكز الكبيرة والحساسة فى الجيش والبوليس والادارة ، وهم يكونون ٢٠ ٪ من ضباط الجيش وقادته وخاصة فى الاسلحة الحديثة والمتطورة مثل الطيران والاتصالات وتضم القوات المسلحة مائة وخمسين ألف جندى من أقوى فرقها ويتشابه الحال فى البوليس ويتوزع السيخ بين كل المناصب بلا تمييز فى الوزارة والحكومة والدبلوماسية ويتولى رئاسة الجمهورية وهى أرفع المناصب أحدهم وهو « زيال سنج » وكان لطائفة السيخ حزبهم السياسى الاقليمى فى البنجاب وهو حزب « الأكالى دال » وهو قديم عريق ومن روافد الحركة الوطنية الهندية وشارك فى المقاومة ضد البريطانيين وكانت مقاومة مريرة اذ كان البريطانيون يعتقدون أن السيخ طائفة موالية ويجب أن تظل على ذلك الولاء .

وانقلب الحزب فى خلال السبعينات على أنديرا وانضم الى ائتلاف اليمين الذى حكم الهند ثلاث سنوات من ١٩٧٥ وتولى السلطة كاملة فى البنجاب ، ولكنه لم يقدم أى حل للمشكلة ، وفى الانتخابات الأخيرة لأنديرا غاندى سنة ١٩٨٠ ، هزم الحزب هزيمة كبرى ونجح حزب المؤتمر ورأس الحكومة الاقليمية قطب وطنى من السيخ « دربارا سنج » .. وبدأت المشاكل !

وقد اقتصرت مطالب السيخ فى البداية على عدد من المطالب الاقليمية والثقافية والروحية ، توسيع نطاق السلطة المحلية ، والاعتراف باللغة البنجابية واستقلال الديانة السنجية ، واذاعة الشعائر الدينية من المعبد الكبير فى امر تيسار .. ولكن مالبثت هذه المطالب أن تطورت فى سرعة متلاحقة حتى بلغت ذروتها فى المطالبة بدولة مستقلة فى البنجاب باسم « خالستان » اثارت ذهول الأغلبية الهندوكية وكل الاقليات .

وتولى قيادة « المعركة » متعصب دينى من السيخ « بندر والاسنج » واعتصم بالمعبد الكبير فى امر تيسار وهو قدس الأقداس لدى الطائفة ، وحوله الى قلعة حشد فيها أنصاره ، وزودهم بكل الأسلحة الحديثة والمتطورة والتى لاتملكها القوات المسلحة الهندية ، ورفض كل عروض الحكومة الهندية لالقاء السلاح والجلوس إلى مائدة مفاوضات .

وظلت أنديرا غاندى عامين طويلين تعالج مشكلة البنجاب وتفاوض كل الأطراف من ممثلى السيخ ، واشتركت معها كل قادة المعارضة ، ولكن حينما اتسع نطاق الاغتيال والارهاب وامتد لاعلان الحرب الأهلية ، لم يبق لها خيار فى سحق التمرد واقتحام المعبد .

واشترك جنرالات وضباط من السيخ على رأس قواتهم فى العملية ، ولم يحدث بينهم أى تمرد أو هروب ، ولم يعترض أحد فى الهند ، أو ينازع فى أن ذلك كان واجبا وطنيا مهما كان ثقيلا .

وتم جلاء القوات المسلحة عن المعبد بعد اقتحامه وتسلمه رجال الدين وتولت الحكومة اصلاح ما تهدم منه ، ولكن بقى

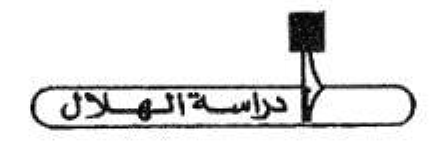
الجيش يحتل ولاية البنجاب حتى يتم التوصل الى حل سياسى للمشكلة .. وكان ذلك مدرجا على رأس « الأولويات » فى أجندة أنديرا ، والتى كانت تعمل جاهدة لتضميد الجروح .

وحدثت « الفاجعة » واغتيلت أنديرا غاندى بسيل من الطلقات من جنديين من حراسها من السيخ ، وكانت قد رفضت نقلهما من حراستها بنصيحة من أجهزة الأمن ، لأن فى ذلك تنكرا لمبادئها « الوطنية العلمانية » ودفعت حياتها ثمنا لوحدة الهند .

ويكاد يكون هناك اجماع فى الهند على أن الاغتيال لم يكن رد فعل فردى أو انتقامى من فردين أو جماعة من السيخ ، ولكنه كان تدبيرا محكما متقنا سبق أحداث البنجاب ، وتولته قوى خارجية وداخلية اتخذت أحداث البنجاب ذريعة ، وقررت أنه لامناص من الخلاص من أنديرا غاندى وأن السبيل الوحيد هو الاغتيال .. دفعت أنديرا ثمن سياساتها الداخلية والخارجية .. انها عادت بأغلبية ساحقة وأنها أصرت على مواقفها ، لم تندد « بالاحتلال » السوفييتى لأفغانستان لم تنقض معاهدتها مع الاتحاد السوفييتى ، ولم تستجب لنصائح صندوق النقد الدولى والبنك الدولى وتصفى القطاع العام .. وأنها عقدت مؤتمر عدم الانحياز وجعلت جوهره المطالبة بنظام اقتصادى دولى جديد .. وفى النهاية هزمت خطة « الخلخلة والبلقنة » التى أشهرت عليها ، وبلغت ذروة مجدها وقوتها فى سحق العصيان والتمرد فى البنجاب .

كانت فجيعة نساء الهند عظيمة بعد اغتيال انديرا وعبروا عن فجيعتهم بتاييد خليفها راجيف .





ويكاد لايشك أحد من الوطنيين فى الهند أن كل الشغب والقلاقل التى تتابعت فى الهند منذ عادت انديرا غاندى الى السلطة فى فترتها الاخيرة لم تكن صدفة او عارضة ولكن وفقا لخطة كبرى محكمة فى الخلخلة وزعزعة الاستقرار الذى يسبق الانفجار والانهيار وهو أسلوب عصرى جديد أخترع خصيصا للعالم الثالث وقد بدأ التطبيق فى رأيهم مبكرا .. وربما بمقتل « سلنجاى » الذراع الأيمن لامه أنديرا ، ولم يكن حادث الطائرة قضاء وقدرا ولكن مدبرا وأن يكون صدمة « تزلزل » كيان انديرا شخصيا وسياسيا ... وتتابعت بعده الاحداث الجسيمة ، من أضطرابات واغتيالات ومذابح دامية بدأت فى ولاية اسام فى اقصى الشمال الشرقى ، ثم تتابعت بأشكال مختلفة فى ولاية الجنوب فى أندرا براديش وكارانتاكا .. ثم فى الشمال فى جامو وكشمير .. ثم انتهت الى الحدث الكبير فى البنجاب ..

ولهذا سوف يكون على « راجيف غاندى » والحكومة الجديدة أن تواجه مشكلة البنجاب وأن تجد حلا لها ، وأن تواجه أيضا مشكلة شاملة هى سد الثغرات وتدارك الخلل فى كيان الهند الوطنى .. واستقصاء واقتلاع كل اسباب « وبؤر » « البلقنه » balkanization والخلخلة destal- reozation (E

ووحدة الهند قضية شبه مقدسة فى الهند وكانت الوجه الآخر لاستقلالها . وليس هناك هندى وطنى واحد يفرط او يتسامح فيها .

وخلال ثلاثة قرون من الاستعمار البريطانى رفض البريطانيون أن يعترفوا بوحدة الهند أو انها امة واحدة واصروا على انها مجرد حقيقة جغرافية وخليط متنافر من البشر .

وقبل جلاء البريطانيين حققوا المطمع الأخير لهم ، وذلك بتقسيم الهند الى دولتين وفى « عملية جراحية ، رهيبة وبحر من الدم لن تندمل جراحه ابدا » ولكى تقوم دولتان متعاديتان عداء لايبرد فى شبه القارة وتبقى بريطانيا حكما بينهما ! !

وكان اول أهداف الحركة الوطنية بعد الاستقلال تضميد جرح التقسيم وتصفية كلا الهندين البريطانية وهند الأمراء .. وليتسنى اعادة رسم خريطة الهند وإقامة كيانها على اسس وطنية حضارية .

وقامت انديرا غاندى بعد ذلك بالضربة الحاسمة التى اسقطت التقسيم « الاستعمارى » لشبه القارة . بقيام « بنجلاديش » وما تبعه من تحرر باكستان من حكم الجنرالات والتصالح بين ثلاث حكومات وطنية تقدمية فى شبه القارة الهندية !

وقد اعتمدت الهند فى تدعيم وحدة الهند وتعميقها على الاطار الديموقراطى الذى اقامته والذى يوفر الساحة المرنة والايجابية لطرح كل الصراعات والخلافات والمتناقضات والى حلها عن طريق البحث والحوار ، واعتمدت أيضا على دفع التنمية وتحقيق التغير الاجتماعى المتصل نحو

العدالة والوفرة وازالة الفروق الشاسعة بين الطبقات ثم على العلمانية اى كفالة حرية العقيدة والعبادة لكل العقائد والديانات ..

وكانت هذه هى الضمانات الثلاثة للوحدة وقد نجحت الى ابعد مدى فى إقامة « وحدة فى ظل التنوع » اثرت الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية للهند الحديثة .

ولم تسلم المصالح الكبرى داخل الهند وخارجها بتلك السياسات التى تسد الطريق أمام مشاريعها وامام ما كانت تريده للهند ، ولم تجد افضل من « التراث البريطانى » لاستغراق الهند فى صراعات طائفية بدلا من مطالب اجتماعية ولعرقلة مسيرة الهند نحو المكانة التى تستحق أن تحتلها على المسرح الدولى .

ويملك « راجيف غاندى » تفويضا لم يملكه جده ولا والدته .. لكى يمضى فى هذا الطريق الى ابعد مدى . ولديه ايضا من السماحة والموضوعية والاستنارة ما يجعله قادرا على ادراك حقيقة مشاعر ومطالب الاقليات وتنسيق التعايش والتفاعل بين كل الأطراف .

وينمو لدى « السيخ » ادراك بأن « خالستان » طريق مسدود ، وبأن نشأتها ليست خالصة أو مبرأة ، وأنه من العقم تحدى كل الهند ، خاصة بعد « طوفان » راجيف .

وقد كان النجاح الذى حققه حزب المؤتمر فى الانتخابات أكبر هزيمة ساحقة لقيتها احزاب الطائفية والتعصب الدينى والاقليمى عامة فى الهند ، وقد تندثر معظم هذه الاحزاب وقياداتها ، تماما بعد هذا السقوط وأكدت الاقليات انها مع الاغلبية فى التأكيد على الوحدة الوطنية .

وقد حرصت حكومة راجيف غاندى منذ اليوم الأول .. على صد تيار « الانتقام » والقضاء عليه ، وكان ذلك مهمة شديدة الوطأة خاصة فى الايام الأولى ..

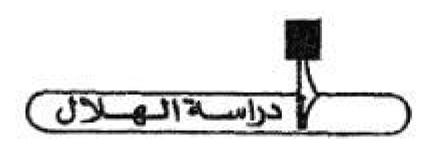
وحرصت أيضا على الا يقع أى تحيز رسمى أو تمييز ضد السيخ فى المعاملة أو المناصب ، وخلال الحملة الانتخابية عين جنرال من السيخ قائدا لسلاح الاشارة فى القوات المسلحة وعين جنرال اخر نائبا لقائد سلاح الطيران .. وكان شهر الانتخابات هو ايضا موسم الزواج فى الهند ، وكانت افراح السيخ فى الفنادق الكبرى أو البيوت ومواكبها فى الشوارع تنافس افراح الهندوس أو أى الطوائف الأخرى .

وقد تكون قضية « السيخ » والوحدة الوطنية هى القضية العاجلة ولكن تظل القضية الحاسمة والتى يعتمد عليها حل كل المشاكل هى قضية الهند الدائمة وهى المشكلة الاجتماعية .

وتمتد جذور كل المشاكل الأخرى لتصل اليها ولعل كل الشرور تبدأ من الفقر والبطالة والفروق الاجتماعية الصارخة ، وهى التى توفر التربة الملائمة لكل مثيرى الشغب والمتآمرين فى الداخل أو من الخارج .

وقد حققت الهند انجازات عظمى فى التنمية منذ الاستقلال ، واتمت ست خطط خمسية كبرى وبدات الخطة السابعة واستطاعت الهند عن طريقها تصفية الكثير من قوائم وتراث الاقتصاد





والمجتمع الاستعمارى ، وكان نموذجا للاستغلال والاستنزاف المكثف على مدى ثلاثة قرون . وترك الهند فى أدنى مراحل الفقر والتخلف .

وقد كان من اهم انجازات نهرو أن غرس الوعى بالقضية الاجتماعية مبكرا فى مجرى الحركة الوطنية الهندية ، واتفقت انسانية غاندى واشتراكية نهرو العلمية على تعميق هذا الوعى .

وبعد الاستقلال أكد نهرو ان الهند المستقلة لابد ان تقوم لحساب الأغلبية اى الفقراء .. وتضافرت عوامل كثيرة على تعقيد خطى التنمية ، هى التركيب الاجتماعى والاقتصادى المعقد والذى يكاد يختلف ويتباين بين ولاية وأخرى ثم التشوه الاقتصادى والاجتماعى العميق الذى خلفه التقسيم والفصل بين المناطق الزراعية فى باكستان والصناعية فى الهند مثلا ، ثم نفقات الدفاع والتسليح الهائلة التى فرضتها الحرب الباردة بين الدولتين منذ قيامها وجعلت كل هذه العوامل من التنمية ومن التغير والتحول الاجتماعى مهمة صعبة دقيقة الموازين والخطى ، ولكن استطاعت الهند رغم ذلك أن تحقق سلسلة من المعجزات وان تعتمد فى معظمها على نفسها أولا ، وهى لم تتلق المعونات التى تلقتها اليابان من أمريكا أو التى تلقتها الصين من الاتحاد السوفييتى ولتحقيق الدفعة نحو الانطلاق ..

استطاعت الهند أن تحقق الاكتفاء الذاتى من الغذاء بل وان توفر فائضا للتصدير . وتداركت الهند لعنة المجتمع الهندى التقليدية فى المجاعة أو الحاجة الى المعونات .

واستطاعت الهند ان تخلق قاعدة صناعية واسعة ومتكاملة من الصناعات الثقيلة والاستهلاكية .. ومن الصناعات الدقيقة والمتقدمة ، واصبحت الدولة العاشرة فى ترتيب الدول الصناعية ولحقت الهند بالثورة التكنولوجية المعاصرة واستطاعت تفجير الذرة ودخول عصر الفضاء وصنع الأقمار الصناعية .. والمساهمة فى كشف الموارد والمناطق القطبية وهى احدث ابحاث العصر .

وكونت الهند اكبر صفوة تكنولوجية وفنية وادارية لتكون عصب التنمية والمشاريع الكبرى عندها وهى تحتل المرتبة الثالثة بعد الدولتين الاعظم فى هذا الصدد ..

واقامت الهند قطاعا عاما قويا يملك المواقع الرئيسية والصناعات الكبرى والاساسية وأهم الصناعات الاستهلاكية وتبلغ ٩٠ ٪ من مجموع الصناعات . وتركت للقطاع الخاص النصف الآخر ولكن حددت التنمية فى إطار الخطة وولاية القطاع العام .

وفى إطار الخطة قام اقتصاد مختلط متكامل ويتنافس فيه القطاعان وتقبلت الهند معونات الدول الرأسمالية لتوجه للقطاع الخاص ، ومعونات الدول الاشتراكية لتوجه للقطاع العام ..

وأرسى نهرو دعائم اقتصاد اجتماعى يجمع بين مزايا النظامين ويتشرب دروس المعسكرين .

ولكن كل ما حققته الهند وأنجزته ظل قاصرا الى حد بعيد عن حل المشكلة الاجتماعية العميقة الغور والجذور ومازال نصف الشعب الهندى أى أكثر من ثلثمائة مليون يعيشون تحت خط الفقر ..

واستطاعت الاستثمارات الأجنبية والشركات المتعددة الجنسية فى ظل المجتمع الهندى المفتوح ان تتعاون مع بيوت الاحتكار الهندية الكبيرة وأن تحد من مسيرة التنمية وان تحتوى الكثير من الخطط وأن تعرقل أداء القطاع العام ..

وقد كانت هذه هى أول الحقائق التى أدركتها أنديرا غاندى فى بداية توليها السلطة .. وكان شعار حزب المؤتمر فى أول انتخابات جرت بعد استتبابها فى السلطة هى « أنها تريد القضاء على الفقر وهم يريدون القضاء على أنديرا .

وقام البرنامج الانتخابى الأخير لحزب المؤتمر أساسا على مواجهة هذة المشكلة ، وأن الحزب وحده هو القادر على حلها ..

ويجتهد « اللبراليون » والراسماليون الوطنيون فى داخل حزب المؤتمر وخارجه أن يكون الاصلاح فى حدود « الوضع الراهن » وأن يعتمد على ترشيد الادارة واقتباس ما يصلح من الثورة التكنولوجية وأن الهند تحتاج الى « هضم » التغيرات التى تمت ولاتحتاج الى تغيرات جديدة . ويراهن كثير منهم أن « راجيف » « تكنوقراطى » أساسا ، وذلك بماضيه كطيار .. وانه أقرب الى التقدم التكنولوجى منه الى الثورة أو التغير الاجتماعى وهو أميل الى الغرب منه الى الشرق ! !

ولكن الراديكاليون والاشتراكيون فى حزب المؤتمر وخارجه يدعمهم محيط الجماهير الذين انتخبوا راجيف ويتقدمهم شباب جيل كامل كان العامل الحاسم فى الانتصار الجارف ، لايقبلون ذلك . وهم يصرون على تحولات وتغيرات جذرية وجوهرية ، تحسم الانفصام بين المبادىء والتطبيق ، وتسير بالهند فى أسرع خطى ممكنة نحو الوفرة والعدالة ، وهم يرون أن « الكمبيوتر » وحده لايمكن أن يحل مشاكل الهند العتيدة وأن التكنولوجيا لاتعنى شيئا بلا تغيرات اساسية فى الكيان ، وأنها سوف تكون حينئذ فى صالح الطبقات المستغلة وتزيدها ثراء ويبقى الفقراء على فقرهم .

لابد من تصحيح الاصلاح الزراعى وتعميقه ولابد من ترشيد القطاع العام وتوسيع نطاقه ، ولابد من توجيه القطاع الخاص بحيث يعمل فى اطار الخطة لتحقيق الاستقلال الاقتصادى والتوازن الاجتماعى .

★ ★ ★ ★

وهكذا سوف تكون اختبارات راجيف غاندى صعبة ، ربما أثقل بكثير مما واجه جده جواهر لال أو والدته أنديرا ، ولكنه يملك السلطة والقدرة أكثر مما كانوا يملكون .

وما حدث فى الهند لم يكن انتخابات برلمانية ولكن كان انتفاضة ديمقراطية ، وربما ثورة جديدة على الطريقة الهندية .. وبعد هند غاندى وهند نهرو وهند أنديرا ربما يقوم هند راجيف لتحقق ما بقى من أحلام السلف العظيم !

حياة الأسرة .. مشاركة

"تُبس"

يقي عند استعماله من الأمراض التناسلية

اذا كنا في الحلقة السابقة قد عرضنا للدوافع التي حدت بالدول الى البحث عن وسيلة لتنظيم الأسرة ومنع الانجاب .. وخلصنا في النهاية الى ان المشكلة السكانية تهدد رخاء العالم ومن هنا كان اسهام جمعية « أسرة المستقبل » ضرورة تحتمها ظروف تاريخية .. واوضحنا كذلك ان المرأة المصرية وحدها هي التي تحملت الجانب الأكبر في عملية تنظيم الأسرة .. وبينا لك عزيزي القارىء مدى اهمية الدور الذي سيلعبه الرجل من اجل نجاح هذه التجربة الضرورية من اجل مستقبل افضل للاجيال القادمة وقدمنا لك ملخصا تاريخيا عن العازل الطبي واختبارات القدرة التي تجرى عليه وقلنا لك اننا في الأعداد التالية سنقدم لك المزيد عنه حتى تشارك في صنع مستقبل أسرتك ووطنك عن اقتناع بفاعلية العازل الطبي والأمان الذي يقدم لك .. هذا علاوة عن العديد من المزايا التي ستجعلك - باذن الله - تفضل العازل الطبي على غيره من الوسائل .

● فعالية العازل الطبي

يعتبر العازل الطبي للرجال « تُبس » وسيلة آمنة وفعالة . كما يمكن الاعتماد عليه في منع الحمل . وبالاضافة الى ذلك فان له فائدة عظيمة في منع الامراض التناسلية . وجدير بالذكر ان العازل الطبي ليست له اثار جانبية بعد الاستعمال .. كما يمكن استعماله بدون استشارة الطبيب ودون الحاجة الى اي اشراف طبي .

وتقول الاحصائيات التي اجريت مؤخرا ان الذين يستعملون العازل الطبي ٤٠ مليونا من الازواج .. ويعتمدون عليه

كوسيلة لمنع الحمل فى مختلف انحاء العالم مع العلم بان استعماله يتركز وينتشر فى مناطق معينة من العالم . وعلى اى حال فان نسبة من يستعملونه فى ازدياد وخصوصا فى الدول النامية .

وتاتى اليابان فى المرتبة الاولى فى استعمال العازل الطبى حيث تصل نسبة الذين يستعملونه فى اليابان وحدها ٢٥٪ من اجمالى المستخدمين له على مستوى العالم . وتاتى الصين فى المرتبة الثانية ونسبة الذين يستعملونه ٢٠٪ وتقل النسبة فى امريكا اللاتينية ودول البحر الكاريبى وافريقيا والشرق الاوسط والآن أصبحت الأوساط الطبية العالمية تعطى اهتماما خاصا للعازل الطبى ويهتم بامره القائمون على برامج تنظيم الاسرة نظرا للاسباب التالية :

● برامج تنظيم الاسرة تهتم بالدرجة الاولى بتنظيم الاسرة بالوسائل البسيطة والفعالة ، والتى لاتحدث اضرارا للأم او للجنين ، ويحقق العازل الطبى ذلك ، حيث انه لايؤثر اطلاقا على صحة الام وطفلها ، وبالاضافة الى عدم تاثيره على صحة الزوج .

● يتميز العازل الطبى بانه يقى من الآثار الجانبية للوسائل الأخرى

● يعتبر العازل الطبى من الوسائل ذات الكفاءة العالية ويحقق نسبة بيع مرتفعة نظرا لسهولة بيعه وتسويقه بما يساعد على سرعة انتشاره .. ويمكن بيعه وتداوله فى المحلات التجارية والصيدليات ، كما انه لايحتاج الى استشارة الطبيب عند الاستعمال .

ويتميز العازل الطبى بفعاليته فى حالة استعماله بانتظام . ويستطيع العازل الطبى ان يحقق نسبة عالية فى منع الحمل تصل الى ٩٨٪ عند الازواج المتمرسين على استعماله ، وبالنسبة للازواج حديثى العهد به فان النسبة تصل الى ٩٠٪ ، الا ان معظم الازواج حديثى الزواج يستعملونه لفترة محدودة ثم بعد ذلك يلجاون الى وسائل اخرى طويلة المدى .

● العازل الطبى يقى من الأمراض

كما ان العازل الطبى عند استعماله يوفر الحماية من الكثير من الأمراض التناسلية المعدية .. ولايقى العازل الطبى من الأمراض التناسلية الشائعة مثل الزهرى والسيلان فحسب ، بل انه يمتد ليقى من جميع الأمراض المعدية التى تتعلق بالاعضاء التناسلية كالامراض الفيروسية والبكتيرية .

ولكننا يجب ان نستعمل العازل الطبى بحذر ، اذ يجب ان يستعمل بعناية تامة وبدقة متناهية وبانتظام حتى تتم الاستفادة منه ، وهذا مالا يفعله الكثير من الرجال ، وحتى فى الاوقات او الحالات التى يخشى من انتشار الامراض المعدية فيها ، او عند عدم الرغبة فى حدوث الحمل .

ويعتقد بعض الرجال ان العازل الطبى يقلل او يمنع الشعور باللذة الحسية اثناء الجماع مع أن العوازل الطبية التى تصنع الآن يتم تصنيفها بدقة وحساسية متناهية ، بحيث لايؤثر استعماله فى هذا الشعور .

وهذه ياعزيزى القارىء بعض مميزات استعمال العازل الطبى ، وهى كثير من قليل اثرنا ان نتحدث عنه فى العدد القادم .. فالى لقاء اخر . باذن الله مع اسرة المستقبل

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي ، ١٢ عددا ، في جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادي وفي بلاد اتحادي البريد العربي والافريقي والباكستان عشرة دولارات .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفي الخارج بشيك مصرفي لأمر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة أعلاه عند الطلب

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة تليفون ٢٠٦١٠ عشرة خطوط .



الأسعار

سوريا	٣٥٠	ق . س	غزة والضفة	٣٠	سنتا	اثينا	٨٠ دراخما
لبنان	٤٠٠	ق . ل	الصومال	٥٠	بني	فيينا	٣٥ شلنا
الاردن	٤٠٠	فلس	داكار	٤٠٠	فرنك	فرانكفورت	٣,٥ مارك
الكويت	٤٥٠	فلسا	لاجوس	٦٠	بني	كوبنهاجن	١٠ كرونات
العراق	١١٠٠	فلس	اسمرة	٤٥٠	سنتا	استوكهولم	١٤ كرونة
السعودية	٥	ريالات	اليمن الشمالية	٥	ريالات	كندا	٢٥٠ سنتا
السودان	٧٥٠	مليما	اديس ابابا	٤٥٠	سنتا	البرازيل	٣٥٠ سنتا
تونس	٦٥٠	مليما	باريس	١٠	فرنكات	نيويورك	٣٠٠ سنت
المغرب	٨٠٠	فرنك	لندن	١٠٠	بنس	لوس انجلوس	٣٠٠ سنت
الجزائر	٦٥٠	سنتا	ايطاليا	١٤٠٠	ليرة	استراليا	٤٠٠ سنت
الخليج	٤٥٠	فلسا	سويسرا	٣,٥	فرنكات	هولندا	٤ فلورين
						عدن	٢٥٠ فلسا


مصر للطيران
علم مصر فى كل مكان
أكثر من
٥٠
سنة خبرة
مصر للطيران
فى خدمتكم
أوربا - أفريقيا - آسيا
(البوينج ٧٦٧ - البوينج ٧٣٧ - البوينج ٧٠٧
الايرباص - الجامبو ٧٤٧)



كارت مصر.. يوفر لك أى مبلغ فى أى وقت من أى آلة من آلات البنك الشخصى المتواجدة خارج فروع

- مصطفى كامل
- هليوبوليس
- الجيزة
- النزهة
- رمسيس
- الزمالك
- طلعت حرب (القاهرة)
- نادى الجزيرة الرياضى
- نادى المعادى الرياضى واليخت (بالمعادى)
- بنك مصر فرع العطارين (الإسكندرية)

البنك الشخصى.. يعمل حتى عند ما يتوقف الآخرون



جزء خاص

أين الحقيقة في أزمة المسرح؟

الإسلام وبرنارد شو

اعترافات لورانس أوليفيه



من روائع الفن الإسلامي

لوحه تركية من القرن السادس عشر، وتنقل إستعداد الفرسان على أحد ضفتى البوسفور لملاقاة الأميرخان ..

وجلس القائد فى خيمته ويبدو واضحاً نغم النقوش والألوان ..

يحتفظ بهذه اللوحة متحف طوب كابى فى اسطنبول .

الهلال

السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال .. أسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢ .. أول مارس سنة ١٩٨٥ ـ ٩ من جمادى الثانى ١٤٠٥

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المدير الفنى
عادل ثابت

سكرتير التحرير
موسى عبيد



اعلام معاصرون
محمود شاكر ص ٨



ميكل انجلو
بالالوان ص ١١٢

فى هذا العدد

● فكر وثقافة ●



الاسلام وبرنارد شو
ص ٤٢



تورز (تحقيق ملون)
ص ١٢٠



لورانس اوليفييه
(كتاب جديد) ص ٨٦

● جزء خاص عن المسرح ●

صفحة

● الأبواب الثابتة ●

صفحة



الكاتب الصحفى الأستاذ مصطفى أمين ، كاتب دقيق العبارة ، وبلاغته من النوع السهل الممتنع ، وله تعبيرات بارعة فصيحة تدخل فى باب التعبير الأدبى لا الصحفى فقط ، وهو ينتزع البلاغة انتزاعا بقوة روحه فى الكتابة لا بقوة تمرسه بالأدب والبيان ، ولكنه حين يملى كلماته على أحد ، قد يسهو فى التعبير ، وربما تواردت المعانى والتواريخ على ذهنه مجتمعة يزاحم بعضها بعضا ، بلا قصد منه ، فيقع فيها من الزلل ما لا يقصده بطبيعة الحال .

ومن ذلك كلمة له نشرت مؤخرا ، يتحدث فيها عن رأيه فى المجلات الأدبية والثقافية التى عرفتها مصر خلال مائة سنة تقريبا .

ولا علينا من كلماته السريعة حول تجارب النجاح وسوء الحظ فى تلك المجلات ، ولكن الذى يدعو الى التأمل هو ترتيبه « الخاص » لتاريخ المجلات الأدبية والثقافية فى مصر ... فأولها - فى رأيه - الملحق الأدبى لجريدة « السياسة » التى كان يصدرها حزب الأحرار الدستوريين فى العشرينيات ولبث يصدرها «سرا» بعد ذلك زمنا طويلا .. واسم هذا الملحق «السياسة الأسبوعية» .. وقد كان اسما شهيرا بين الأدباء ..

والتجربة الثانية مجلة «الرسالة» لأحمد حسن الزيات ، والثالثة مجلة «الثقافة» لأحمد أمين ، والرابعة مجلة «الجديد» لسلامة موسى ..ثم مجلة الهلال ومجلة المقتطف !..

وفى رأيه أن الرسالة والثقافة والسياسة الأسبوعية كانت أعظم أثرا فى الناحية الفكرية من كل المجلات ..

هذه الكلمات تستدعى تعقيبا موجزا ..

فإن الرسالة عاشت أقل من عشرين عاما بين أوائل الثلاثينيات وأوائل الخمسينيات ، ولم تكن ذات أثر حقيقى إلا خلال ست سنوات من عمرها ، قبل نشوب الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ ثم انكمشت وانزوى أثرها ..

وعاشت مجلة «الثقافة» اقل من نصف عمر الرسالة ، وكان هدفها من الصدور محاربة مجلة الرسالة ، اما «السياسة الأسبوعية» فلم تزدهر إلا خمس سنوات على الأكثر خلال العشرينيات ، ثم تحولت الى مجلة يكتب فيها الناشئون وطلبة المدارس !.. فكيف يصح فى الاذهان ان يتفوق اثر هذه المجلات على تاثير المجلات التى عاشت عشرات السنين كالمقتطف شيخة المجلات الادبية ، والهلال التى صدرت بلا انقطاع على امتداد ثلاثة وتسعين عاما حتى الآن ، ولم يعش فى مصر ولا فى البلاد العربية كاتب او شاعر او قارىء لم يعرفها ؟!..

لقد سبقت «الهلال» فى ظهورها جميع المجلات التى ذكرها الاستاذ مصطفى امين باربعين عاما او خمسين !.. وتاريخ الصحافة الادبية والثقافية يعرف قبل السياسة الأسبوعية والرسالة والثقافة عشرات المجلات ذات المستوى الرفيع ، واولها .. « الوقائع المصرية » ، التى كانت فى الواقع صحيفة ادبية ، وكان من محرريها «الرسميين» سعد زغلول والشيخ محمد عبده وطائفة من اكبر الادباء .. ثم مجلات روضة المدارس وعكاظ والضياء والثريا والجامعة والبيان وسركيس والزهور والعصور والزهراء وابوللو والملاحق الأدبية للصحف اليومية .. إلى غيرها مما لاتتسع له هذه اللمحة الخاطفة !..

وقد ذهب الزمن ـ مع الأسف ـ بكل هذا الحشد العظيم من مجلات الأدب ، وعلى رأسها المقتطف ، وبقى «الهلال» طالعا على الأجيال المصرية والعربية التى تعاقبت منذ سنة ١٨٩٢ حتى الآن ..

هذا هو تاريخ الصحافة الادبية فى مصر ، باختصار شديد ، نذكره معتزين بكل صحيفة خدمت الأدب او حاولت ان تخدمه ، عارفين بقدر كل مجلة ادبية تركت اثرا كبيرا او متواضعا فى عقل القارىء او فى وجدانه !..

المحرر



محمود شاكر

أديب العربيّة ومحققها

بقلم : يحيى حقى

الأستاذ الكبير محمود محمد شاكر هو أديب العربية الكبير وعالمها ومحققها فى أيامنا هذه باجماع العلماء والعارفين ، وهو على إيثاره العزلة والتفرغ لعلمه وبحثه وانتاجه ، والبعد التام عن الأضواء ، ذائع الفضل فى كل مكان من أرض العرب والمسلمين مشرقا ومغربا . وقد تعلم وافاد منه نخبة من أنبه الأدباء والعلماء والباحثين فى اللغة العربية والأدب العربى والفقه والتاريخ ومجالات أخرى عديدة ..

وهو الآن يقف كالمنارة السامقة أمام عيون المسلمين والعرب ، ترسل ضوءها فتعشو إليه عيون ، وتغضى عنه عيون أخرى ، ولكن من حق العرب والمسلمين على أنفسهم أن يعرفوا الرجل ويلتقطوا كل قولة له ، ولانرى له أن يؤثر العزلة مادام هدفه خدمة العروبة .

ويقدم « الهلال » هذه المقالة للكاتب الكبير الأستاذ يحيى حقى ، تحية للرجل الذى يشرف على عصرنا كأنه علم على رأسه نار ، كما يقول القدماء ، ولكن النار على رأس هذا الجيل العظيم ضوء يهدى السارين فى الظلمات ، وكرم ونجدة وحسن وفادة لقاصديه .. وفى الوقت الذى يكتب فيه الجميع عن يحيى حقى ، يكتب يحيى حقى عن الاستاذ محمود شاكر .



الاستاذ محمود شاكر مع الاستاذ يحيى حقى فى مكتبة محمود شاكر [تصوير ابراهيم بشير]

● جبرييل هانوتو » اسم عالق فى ذهنى لانه اسم مؤرخ فرنسى عهد إليه الملك فؤاد قبل خمسين عاما أن يكتب تاريخ مصر ، وقد رأيت هذا الكتاب وقرأت بعض صفحاته ، وكان مطبوعا طبعة جميلة جدا ، ويجب ان نقف هنا قليلا ونسأل كيف لم يكن للملك فؤاد ثقة بأحد المؤرخين المصريين فيعهد اليهم بكتابه تاريخ وطننا ويضمن بذلك الا يكون هذا التاريخ مشوبا بشبهة التحيز ؟! .. ولكن هذا هو الواقع ، فالأسرة المالكة السابقة كانت تثق بالأجانب أكثر مما تثق بالمصريين ، وكان افرادها يتعالون على المصريين ، حتى على الوزراء ، وقد قرأت مرة فى احد تقارير المندوب السامى البريطانى الى حكومته فى لندن أن الملك فؤاد قال له : « وزراء مصريون .. أين هم ؟ .. انني لا أؤمن بواحد منهم » ! .. هكذا كان الملك فؤاد يشكو ويهين وزراءه أمام المندوب السامى البريطانى الذى تحتل جيوش حكومته أرض مصر ! ..

لماذا علق ذلك المؤرخ الفرنسى فى ذهنى إذن ؟ ! ..

أولا : لأنه مؤرخ .. وثانيا : لأنه كان فى الوقت ذاته رئيس قسم « الأرشيف » بوزارة الخارجية المصرية ، وقد كان هذا القسم ومازال من اهم إدارات هذه الوزارة ، فهو يضم جميع ملفاتها ، وجميع صور المعاهدات ، وهو مرجع وكنز كأنه المكتبة العامة وإن كانت لاتفتح للجمهور ، لأنها تتضمن كل اسرار السياسة وكل شىء يتعلق بها ، فحينما عدت من روما إلى ديوان الوزارة بعد أن أعلنت إيطاليا الحرب على الحلفاء ، أغلقنا القنصلية .. وربما كانت الباخرة التى ركبتها آخر باخرة تمر بسلام فى البحر الأبيض المتوسط ، ووجدتنى معينا بالادارة التجارية ، ولكن سمعت عن أرشيف الوزارة الذى يتضمن المكتبة فقلت : أذهب لزيارته .





وعندنا فى مصر كلمة « أرشيف » كلمة محتقرة جدا ، والموظف الذى يعين فى الأرشيف يعتبر بائساً ، واذا طلبت ملفا ربما لايعثرون عليه ، فليس هناك نظام ولا ترتيب وبخاصة فى ذلك الوقت ، فلم يكن بعد قد اكتشف « الميكرو فيلم » أو وضع كروت للبحث عن الملفات ..

وجدت الارشيف هذا فى قبو الوزارة .. الادارات العليا فوق ، اما الأرشيف لأنه محتقر فتحت السلم ، وبالأرشيف وجدت نمطين من أنماط الموظفين : موظف « دقة قديمة » يريد أن يوهمك أنه مهم وأن شغل الأرشيف هذا لغز من الألغاز لايعرفه إلا هو .

حقيقة ان بعض الموظفين كانوا يضمنون مستقبلهم بايهام زملائهم بأن العمل يتوقف لو غابوا يوما ، فهم « يكوشون » على الشغل ويعرفون أسراره ثم يتكتمون ذلك ، ووجدت على الناحية الأخرى شاباً ظريفا جدا وسيما ـ رقيقا يبتسم لى ، وتوثقت صلة بينى وبين هذا الشاب واسمه « عثمان على عسل » ولاحظت أن الموظف القديم أصابه شىء من الغيرة ، كان يود أن اجلس إليه أنا واستكين له وأسترشد بآرائه الصائبة ..

قال لى الأستاذ عثمان عسل : « رأيتك تحب الكتب يأستاذ يحيى ، وانا لى صديق قديم اسمه محمود محمد شاكر يسكن مصر الجديدة أريد ان اعرفك به

هذا كان فى اوائل ١٩٤٠ ، وكان هذا « الرجل محمود محمد شاكر » يسكن فى شارع كان يسمى فى ذلك الوقت « السبق » وهو أمام نادى سباق الخيل ، ويسكن آخر بيت فى الشارع ويسكن فى آخر دور فى البيت ، وكان على مقربة من هذا البيت مسجد كان رمزا لهذا الرجل الذى جاء وسكن هنا ، وكانت محطة المترو تنتهى عند « روكسى » فأضطر ان أسير على قدمى حتى أبلغ البيت ، واتجنب أن اركب التاكسى حتى لا أدفع ستة قروش وقتها ..

فى بيت محمود شاكر

دخلت بيت محمود شاكر فوجدت بيتا « يشف ويرف » الى درجة فائقة من النظافة ووجدت مكتبة فخمة جدا مملؤة بالكتب « مدروزة » ووجدت شابا يتحفز بالنشاط والتألق والاهتمام والكلام ، فأحسست حقيقة اننى عثرت على صديق مهم جدا .

وبدأت أتأمل هذا الرجل باعجاب شديد وعرفت شيئا من سيرته ..

أبوه الشيخ « محمد شاكر » جاء من الصعيد ، ودخل الأزهر ، وظل يترقى حتى وصل الى مرتبة وكيل الازهر ولم يعين شيخا للازهر ، ربما لأنه كان يشتغل بالسياسة ويكتب فى الصحف ، وكان مشتغلا بالحركة الوطنية مناوئا للانجليز ...

وكان عضوا في الجمعية التشريعية ، فلما حلت الجمعية لزم بيته ، ثم أصيب بمرض أقعده عن العمل .

بدأت أتأمل ماذا يفعل محمود شاكر ، وماهى آراؤه ، وبعد خبرة وجدته يؤمن

ايمانا شديدا باللغة العربية .. يؤمن ايمانا شديدا بالوحدة الاسلامية ، كأنه يريد ان ينبرى للدفاع عن شيئين مهمين جدا ، هما اللغة والاسلام ، أو القومية العربية الاسلامية ، فتتلمذت عليه ، وكنت أسأل نفسى : متى قرأ محمود شاكر كل هذه الكتب ؟ لأنه حينما نجتمع به كان يفرغ لى . واذا قلت له مثلا :

« ولقد سئمت من الحياة وطولها .. »

هذا البيت لمن يامحمود ؟ فإذا به يقوم ويمد يده الى كتاب ويفتح على صفحة فاذا بى أجد البيت فى هذه الصفحة ! ..

فهذا الالمام الشديد ، ليس فقط باللغة وانمابمكتبته ، لأن اناسا كثيرين عندهم كتب ولكنهم لايقرءونها أو لايهتدون الى مرجع منها .

لم يكن لمحمود محمد شاكر وظيفة ليخرج إليها بل هو ملازم بيته ، ولاحظت انه معروف عند الأدباء والشعراء ، وكم من مرة وانامعه يدق التليفون فإذا بشاعر

محمود محمد شاكر

- ولد فى الاسكندرية فى العاشر من محرم ١٣٢٧ هـ ، أول فبراير ١٩٠٩ م
- انتقل الى القاهرة فى نفس العام بتعيين والده الشيخ محمد شاكر وكيلا للازهر
- تلقى اول تعليم فى مدرسة الوالدة أم عباس سنة ١٩١٦ ثم انتقل الى مدرسة الغربية
- دخل المدرسة الخديوية الثانوية عام ١٩٢١ وحصل على شهادة البكالوريا (قسم علمى) سنة ١٩٢٥ .
- من عام ١٩٢٢ بدأ فى التردد على دروس الشيخ سيد المرصفى فى الأدب العربى بجامع برقوق وظل على حبكته به حتى وفاة الشيخ عام ١٩٣١ .
- التحق بكلية الاداب بالجامعة المصرية عام ١٩٢٦ وتركها بعد السنة الثانية بسبب خلافه مع أستاذه الدكتور طه حسين حول منهج دراسة الشعر الجاهلى .
- فى عام ١٩٢٨ هاجر الى الحجاز وانشأ بها مدرسة جدة الابتدائية وعمل مديرا لها . ومالبث ان عاد الى القاهرة فى عام ١٩٢٩ .
- انصرف بعد ذلك الى الادب والكتابة فاشترك فى تحرير مجلات الفتح والزهراء والمقتطف والرسالة والبلاغ والدستور وعمل فترة قصيرة مدير لتحرير المختار من ريدرزدايجست .
- بعد إغلاق الرسالة القديمة عام ١٩٥٢ تفرغ لتحقيق أمهات كتب التراث أهمها تفسير الطبرى ، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام ، وجمهرة نسب قريش للزبير بن بكار ، وتهذيب الآثار للطبرى ، ودلائل الاعجاز لعبدالقاهر الجرجانى .
- فاز بجائزة الدولة التقديرية فى الأدب عن عام ١٩٨١ .
- أختير عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة فى عام ١٩٨٣ .
- فاز بجائزة الملك فيصل الداعية فى الادب عن عام ١٩٨٣م ـ ١٤٠٤ هـ ، عن كتابه « المتنبى » .
- أهم مؤلفاته كتاب المتنبى ، وأباطيل واسمار ، والقدس العذراء (ملحمة شعرية) . وبرنامج طبقات فحول الشعراء .



كبير معروف يقول له : يامحمود .. يامحمود اسمع هذا البيت ، فإذا به بكل سماحة وتواضع يسعفه ويبصره كيف ينتهى هذا البيت ..

المريدون والتلاميذ

كما دخل عنده على مرأى بصرى عدد كبير من طلبة يعدون الماجستير أو الدكتوراه فيبذل لهم مكتبته وفوق ذلك نصيحته .. هذا شعور انسانى غريب يجب ان نتأمله فالاجيال تتعاقب ، والجيل السابق يكاد يشعر أن عليه هجوما من الجيل اللاحق ، فربما وقع لهذا السبب نوع من الشح أو البخل فى نفوس بعض الكبار ظنامنهم ان الصغار أو الجدد إنما يعملون لطردهم والحلول فى مكانهم ..

هذا شعور طبيعى ولكنى لم أجد هذا عند محمود شاكر ، لم أشعر انه يريد أن يتكتم علمه ضنا به على من لا يستحقه .

وجدت العقاد يزوره ، ووجدت الشاعر محمود حسن اسماعيل يكاد يلزم بيته يأكل ويشرب وينام فيه ، وأنا ايضا حينما ذهبت الى الخارج بعد ذلك ، بعد أن قضيت فى القاهرة عشر سنوات كنت دائم التردد على محمود شاكر فيها ، فكنت حينما أعود من الاجازة أعود الى بيت محمود واقيم فيه بدلا من أن اقيم فى بيوت أسرتى .

تمتعنا اذن بصحبة نستمع الى شعر محمود حسن اسماعيل يقرؤه بنفسه ، ولا انسى له قصيدة جميلة جدا يقول فيها :

يارياح المغيب ** ياأغانى الزمن
أى سر رهيب ** فى حشاك استكن

وأشهد أن العقاد رغم مايحكى عنه من تجهم وقسوة كان يضحك فى بيت محمود محمد شاكر ضحك الأطفال ونقهقه معا .. وعلى سبيل الضحك ، هناك جانب قد لايعلمه أحد ، وهو أن بعض الناس يظنون أنهم قادرون على الكتابة والتأليف فيكتبون كلاما يخيل إليهم أنه كلام جميل ومفهوم ، فإذا هو فى الحقيقة نوع من الهزل .. فكان لدينا فى بيت محمود شاكر أيضا مجموعة من هذه الكتب السخيفة نقرؤها ونضحك ..

شىء غريب

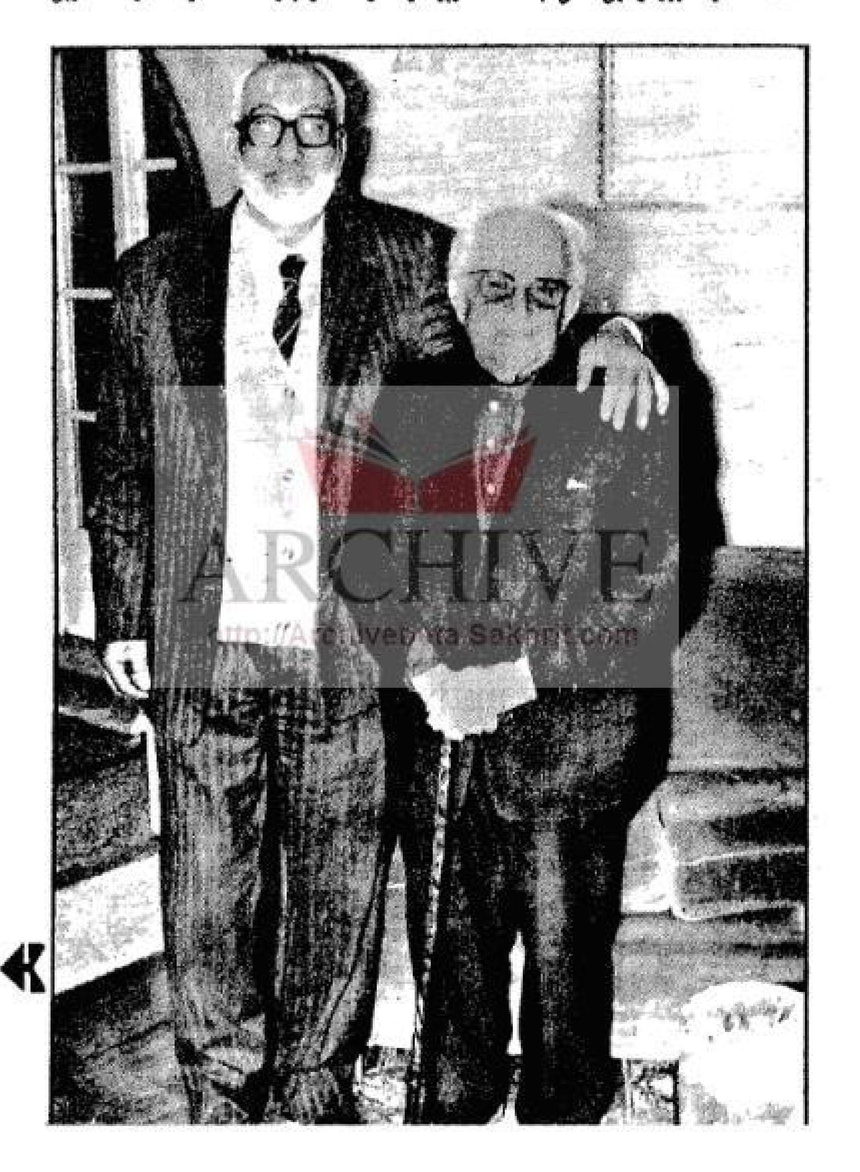
شىء غريب ايضا اننى بدأت الحظ أن أبناء البلاد العربية من المغرب ، تونس ، الجزائر ، السعودية الخ .. إذا قدموا الى القاهرة لابد أن يزوروا محمود محمد شاكر .. تعرفت فى بيته بكثير من زعماء الحركات الوطنية الاستقلالية كما تعرفت إلى « علال الفاسى » و « الطريسى » - وهما مغربيان - وتعرفت ببعض أدباء العرب الذين كانوا يأتون لزيارته خصوصا الشعراء مثل عاتكة الخزرجى « العراقية » ، وكذلك كثير من الأدباء وكان من اكبر سعادتى أن تعرفت بفضل محمود شاكر على بعض من الأدباء العرب ..

ثلاثة من الفلسطينيين هاجروا الى مصر .. أحدهم الأستاذ يوسف نجم ، الأستاذ بالجامعة الامريكية ببيروت صاحب المؤلفات العديدة فى تاريخ المسرح المصرى وفى احياء التراث ، وهذا الرجل لم ار مثل نهمه للكتب حتى

اصبح صاحب اكبر مكتبة فردية فى بيروت ، نهم لايتصوره العقل ، ولابد أن اروى هذه القصة :

لى صديق اسمه محمد طاهر العمُرى ، رجل من أسرة عريقه فى تركيا ، ورث عن أجداده عددا كبيرا من الكتب النادرة وكان صديقا حميما لى ويحبنى .. وفى يوم قال لى : انا عندى كتب كثيرة لا اقرؤها ، وأنت تحب القراءة ، فادخل فى هذه الحجرة واختر لك ثلاثة كتب أو اربعة فطلبت منه

علاقة حميمة بين يحيى حقى بثقافته الغربية ومحمود شاكر بدراسته العميقة للتراث العربى





كيسا ، ولما دخلت الحجرة اخترت ثلاثة ، ثم إذا بى اختار أربعة فخمسة إلى عشرين ، فهناك نوع من الطمع والشره غريب جدا هو الشره للكتب حتى لو لم نقرأها ، فحملت الكيس كأننى لص ، وخرجت من البيت ، ووضعت هذه الكتب فى مكتبتى ، وجاء يوسف نجم يزورنى ، وأدى لى خدمة كبيرة فقلت له : أمامك صف من الكتب ، اخترلك كتابا واحدا فإذا به يأخذ خمسة عشر كتابا .. ولم أغفر ليوسف حتى الآن .. وان اعتقدت ان الله بلقننى درسا فى أن الطمع يذهب بما جمع .

الشخص الآخر هو إحسان عباس قابلته فى جامعة « برنستون » يدرس تاريخ الأدب العربى ، وهو أديب وبحاث موقر من الأجانب توقيرا شديدا وله مؤلفات كثيرة .

الشخص الثالث « ناصر الدين الأسد » الذى كان أخيرا رئيس الجامعة الأردنية وصاحب كتاب مصادر الشعر الجاهلى .. وقد حضرت مناقشة هذه الدكتوراه فى الجامعة ، ورأيت الأساتذة يحنون اليه رءوسهم من كثرة ماوضع فى هذا الكتاب من علم وخبرة ودراسة . وقد أثبت فى هذا الكتاب ان نظرية « طه حسين » بأن الشعر الجاهلى منحول ان لم يكن كله فأكثره لا دليل عليها وأن العرب حتى فى الجاهلية كان لديهم من يكتب وكانت هناك مستندات مكتوبة ، وأنهم كتبوا الشعر ، فالقول بأنه تعرض للتحريف عن طريق الرواية ليس صحيحا وأتى لنا بمستندات

مامعنى البحث فى لغتنا وفى تاريخنا معناه أن نستعرض تقريبا كل التراث ابتداء من لسان العرب .. القاموس الذى لانتصور انه يمدنا بمعلومات تاريخية او شىء من هذا القبيل ولا نندهش إذا رأينا أن هذا الكتاب تضمن ذكر القبائل وتاريخها وفيه أشعار كثيرة ربما لانجدها فى كتاب الشاعر نفسه . فلابد لكل واحد من هؤلاء الثلاثة أن يقرأ لسان العرب كله وجميع الكتب الصادرة فى هذا الوقت ، ويستخلص من هذه الثروة المكتبية مايهمه فى البحث الذى يكتبه ثم يرتبه .. الخ وليس الأمر هينا .

شيخ الاسلام التركى

ومن الشخصيات المهمة .. أيضا التى تعرفت بهم عند " محمود شاكر " فى تركيا الشيخ مصطفى صبرى المفتى الأخير للاسلام فى تركيا قبل الانقلاب الكمالى وابنه ابراهيم صبرى ، وكان منصب شيخ الاسلام فى تركيا قبل الحركة الكمالية - أيام الخلافة - يلى رئيس الوزراء .. إلى هذا القدر كان له مقام فى تركيا ، فلما جاء مصطفى كمال طرد شيخ الاسلام ، فلجأ لفترة قليلة الى اليونان ثم جاء الى مصر واستقبل بمظاهرات تهتف ضده لأن مصر كانت مفتونة فى ذلك الوقت بشخصية مصطفى كمال الذى حرر تركيا من الاحتلال فقد طرد اليونان والانجليز والفرنسيين ، وأقام دولة مستقلة .. وقد مدحه شوقى بقصيدة ، ثم لما الغى الخلافة وطرد المفتى كتب شوقى قصيدة أخرى ينعى عليه هذا ، وكنت أحفظ هاتين القصيدتين ..

فقد وضعت يدى حينما قابلت الشيخ مصطفى صبرى على جزء حى ليس فقط من تاريخ تركيا بل من تاريخ هذا الصراع فى العالم الاسلامى ، وهل الاسلام يصلح لأن يكون نظام حكم ام لا .. ، هل يمكن ان نقيم فى دولة اسلامية نظاما علمانيا ، فإذا بمصطفى كمال يجرب هذه التجربة ، فألغى الشريعة الاسلامية وطبق القانون السويسرى فهذه التجربة الحية ، ماذا يكون موقف هؤلاء الناس منها ؟!... وجدت الشيخ مصطفى صبرى يعيش فى تقشف ، موارده المالية محدودة .. صالونه كراسى من القش ومع ذلك كان يخرج إلينا مصطفى صبرى وهو رجل كبير فى السن ذى لحية طويلة فكنت كلما رأيته أتصور انه خارج لتوه من الحمام ومن " المكوجى " ، وكان يكتب العربية ، وكتب كتبا فى تاريخ الاسلام ، وتعرض لبعض المصريين الذين اشتم من كتاباتهم انهم غير متعصبين للاسلام ، وسبهم بألفاظ قطيعة ، وطبعا تألمت من هذا الموقف ..

وانتقل الآن الى ابنه ابراهيم صبرى ، وهو شاب تعلم فى الجامعة التركية ، وجاء الى مصر ، وحاول ان يشتغل ، فسعيت والحمد لله حتى وفقت أن أدخله مكتبة الجامعة حينما كان يديرها الاستاذ حسن محمود ، وأصبح خبيرا فى الكتب الفارسية والتركية وبعد ذلك أصبح استاذا فى الجامعة ، ومن حسن حظنا انه أقام

أسرة محمود شاكر ويحيى حقى مع زوجته الفرنسية .





فى مصر فقد ترجم بعض الأعمال التركية مثل مسرحية طارق بن زياد وموسى بن نصير ، واشهد اننى لم اقرأ فى اى أدب مكتوب مدحا فى العروبة والاسلام كما وجدت فى هاتين المسرحيتين ، وهما من طبع مشروع " الألف كتاب " .

ماذا أفدت أنا من هذه الصحبة مع محمود محمد شاكر ؟

أفدت أننى قرأت شعر الجاهلية كله تقريبا على يديه ، وهنا نفرق بين شيئين ، معرفة اللغة ، معرفة ألفاظها ، ومعرفة سليقة اللغة . فاللغة ليست ألفاظا متراصة .. وحتى نقول اننا نفهم اللغة ونعرفها يجب ان تتسرب فى دمنا و على لساننا مع طول المران ، وطول المراس ، وطول المتابعه .. هذه الزحمة ، وهذه الطيبة وهذا العبق للغة لها قوانينها وخواصها وذاتيتها كأنها مخلوق حى له أريج ، فلابد لمن يريد ان يتعلم اللغة الا يكتفى بأن يعرف الألفاظ بل أن يدخل فى أسرارها ، واللغة العربية من اغرب اللغات فى العالم ، فهل يتصور أن هناك لغة قادرة على أن تعيش اربعة عشر قرنا محتفظة بكل الفاظها فكأن الفاظ القرآن مكتوبة اليوم .. هذا لا يحدث لأى لغة فى العالم .. وهذا دليل على ثراء اللغة العربية ثراءً كبيرا ..

إن القرآن الكريم نزل على النبى الكريم فى مجتمع صحراوى يعيش فى جاهلية ، وقد تضمن القرآن كلاما بسيطا يحمل هذه الرسالة الهائلة التى دعت الى التوحيد والمبادىء الاسلامية .. هذه الرسالة التى ذهل لها العرب ، نجد أن كلماتها سهلة جدا ، تستعملها صحفنا ومجلاتنا الآن ، فهذه ظاهرة نقف أمامها مذهولين ..

ففى بعض الأحيان أقول : لقد مارست الكتابة قبل أن أقابل محمود شاكر ، ومارستها بعد أن قابلته ، وأحيانا يروق لى أن أقول ما الفرق بين الأثنتين .. هل انتقلت من الأسود الى الأبيض ؟!

محمود شاكر والمتنبى

صحيح كنت أقرأ عليه بعض ما أكتبه ، وكان يرشدنى الى بعض ألفاظ أحسن من الفاظ ، وعند المقارنة أجد اننى قد اكتسبت ما أسميه سليقة اللغة .. ولكن ان كنت اكتسبت شيئا فقد اكتسبت عناء شديدا لأننى دخلت بعد ذلك فى صراع شديد مع النص الأدبى الذى أكتبه ، وأحاول فيه أن أبلغ ما أستطيع من جهد لأن كل كلمة أكتبها عليها بصمات كتاب وشعراء قبلى وأنا عليم بهذه البصمة .

من أصدقاء " محمود شاكر " فؤاد صروف رئيس تحرير مجلة المقتطف ، وكان قد طلب من محمود شاكر مقالة عن المتنبى .. فإذا بمحمود شاكر قد حبس نفسه فى بيته ـ أمامى ـ ثلاثة اسابيع فإذا المقالة تشمل صفحات المقتطف من أوله إلى آخره ، فصدر المقتطف وليس فيه الا مقالة واحدة بقلم محمود شاكر .. وانا اعتبره قد أتى فى مقالته عن المتنبى بفتوحات لم يسبقه أحد اليها لأن فى حياة

المتنبى ألغاز عديدة استطاع محمود شاكر أن يحل رموزها ويعتبر هذا الكتاب من درر محمود شاكر . وقد أعاد طبعه ، وخصوصا انه هاجم فى هذا الكتاب كل من كتب عن المتنبى متأثرا بالمستشرقين مثل طه حسين ، وهذه الصفة أيضا من الصفات التي يظلم الناس فيها محمود شاكر لأنه يتبين من كتاباته أنه شديد القسوة شديد الهجوم ، يلاحق من يخالفه بالرأى ملاحقة شديدة بلا رحمة بلا هوادة ولكن فى مثل هذه المعارك الادبية يجب أن نغتفر له ، بل هذا توفيق من الله .

المترجم العظيم

واختم الحديث بتوفيق أعجب وأعجب فإن مجلة " ريدرز دايجست " ومعناها " الأكل المهضوم للقارىء " مجلة امريكية شهرية تقدم للقارىء نخبة من جميع ما ينشر فى المجلات .. وحينما تريد المجلة أن تكتب فى موضوع معين تدفع أجرا لصحيفة أخرى لتنشر هذه المقالة ثم تنقلها منها ، لأنها ملتزمة الا تنشر مقالة مؤلفة لها .

هذه المجلة مكتوبة باللغة " الأمريكية " وهى ليست اللغة الانجليزية بل هى نوع من التطور الحديث فى اللغة الانجليزية ، ولذلك جىء بمصطلحات امريكية مائة بالمائة خاصة بالامريكان مائة بالمائة .

ثم قررت هذه المجلة أن تنشر نسخة عربية لها فأسندت رياسة تحرير هذه النسخة للاستاذ " فؤاد صروف " واسميناها [المختار] ، وعين محمود شاكر مستشارا لها ، والتزمت هذه المجلة الا تنشر اسم المترجم على المقالات ، فكان محمود شاكر يتسلم مقالات مترجمة من كبار الأدباء وعلماء اللغة ، وخبراء فى اللغة الانجليزية الأمريكية فيصححها ، ويكاد يكتبها من جديد .. وهكذا تعتبر مجلة المختار التى بين أيدينا والتى صدرت فى هذه الفترة مرجعا لغويا لا يقدر بثمن ، لأننا قدمنا للناس مثلا على أن اللغة العربية قادرة على أن تترجم اللغة الأمريكية الحديثة ، وكان الشرط الذى يلزم جميع المترجمين أن يلتزموا بالنص أو يتركوه .. ولا ينطبق عليهم القول المعروف " كان إذا ألف ترجم وإذا ترجم ألف " وأنا أطالب مجمع اللغة العربية بمراجعة هذا العمل واستخراج الكلمات والألفاظ التى استطاع محمود شاكر أن يثبت بها أن هذه الكلمات المستحدثة موجودة فى اللغة العربية ، وهذا هو العمل الكبير جدا الذى قام به محمود شاكر .

وقد أصدر حتى الآن عدة كتب من التراث بتحقيقه ، وفى هذه الكتب تشعر كأنك تقرأ تاريخ هذه الأمة من أوله الى آخره ، تاريخ رجالاتها .. تاريخ لغتها .. تاريخ شعرائها .. وأهم عمل قدمه أخيرا هو " طبقات فحول الشعراء " .

وليس هذا كله إلا قليلا من كثير حاولت أن أتحدث به عن محمود محمد شاكر ، ولكن القول فيه لو أطعنا أنفسنا يمتد بلا انتهاء ، فنجتزىء منه هذه الصفحات القلائل تحية لهذا العلم الشامخ من أعلام عصرنا ..

يوم وقعت

وثيقة الوحدة المصرية السورية

بقلم : فتحى رضوان

ينقل الكاتب الكبير الأستاذ فتحى رضوان ، جانبا من اهم أحداث تاريخنا المعاصر ، وهو قيام الوحدة المصرية السورية فى ٢٢ فبراير عام ١٩٥٨ ، وكيف تم هذا القرار الخطير ، والجو النفسى الذى عاشه الزعيم الراحل جمال عبدالناصر .

وفتحى رضوان كتب بيان الوحدة ، وكان أحد الموقعين على وثيقتها .

فى هذا الشهر منذ أكثر من ربع قرن (٢٢ من فبراير سنة ١٩٥٨) تم حدث من اكبر احداث منطقتنا العربية منذ وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها ، وهو حدث توقيع اتفاقية بين قطرين من اقطار العرب ، اندمج بمقتضاه احد الأقليمين فى الاخر ، وذاب وجود هذين القطرين واختفى اسمهما من خريطة الدول ، وطوى علمهما ، وحل محل الاسم القديم (مصر وسوريا) اسم جديد غاية الجدة هو (الجمهورية العربية المتحدة) وكان لهذه الوحدة دوى فى المشارق والمغارب ، كما كان لها منذ اللحظة الاولى أعداء الداء ، بذلوا اقصى غاية الجهد لحل عراها ، ذلك لأن الوحدة العربية فى ذاتها ، تطور اقلق بال الطامعين فى منطقة الشرق العربى ، والعارفين لقدره ، والمتوجسين من قيام دولة عربية تطل على شواطىء البحرين الابيض والاحمر ، وتقع فى أعز مكان من اقدم وأخطر طريق بحرى وبرى ، يربط بين الشرق والغرب ، ويصل أسيا وأفريقيا بأوربا ، وتجرى فيه قناة السويس التى رويت بالدم ، ثم اصبحت الشريان الذى يتدفق فيه البترول من الشرق الى الغرب ، كل يوم ، فى بواخر عملاقة حقاً ، تنقل ملايين الاطنان من هذا السائل السحرى ، الذى أصبح قوام الصناعة والزراعة ،


شكرى القوتلى



جمال عبد الناصر

وسر حياة السياسة والسياحة ، ومحرك آلة الحرب ، وخالق القوة فى أدوات الطباعة التى تخرج الكتاب والصحيفة ، وبالتالى تنشر نور العلم والثقافة .

وقد بقيت السياسة تعرف قرنا بعد قرن الرشوة يدفعها الملوك للملوك ، ويدفعها عملاء الحكومات للوزراء ، وموجهى السياسة ، وأصحاب التأثير الأدبى والرسمى على الجماهير ، ولكن لم نسمع من قبل حتى أوشكت وثيقة الوحدة السورية المصرية تحرر وتبرم ، أن رشوة مقدارها مليون جنيه ، دفعت لرجل ، لكى يضع حدا لهذه الوحدة المخوفة ، بضربة واحدة ولكن القدر أبى أن تقع هذه الضربة لأنه قدر للوحدة ان تولد ، وأن تولد معها تيارات ضخمة من الفكر السياسى ، والنشاط الدولى ، والآثار الجانبية فى كل اتجاه : تأييدا للوحدة ، وسخطا عليها ، وترويجا لفكرتها ، وتنديداً بفلسفتها ، وفى الوقت الذى كان القدر ينسج خيوطه ليستقبل مولد الوحدة المصرية السورية فى شهر شباط أو فبراير منذ سنة ١٩٥٨ ، كان فى ضاحية من ضواحى القاهرة وفى قصر فى هذه الضاحية ، عدد من ساسة ووزراء البلدين مصر وسوريا ، يسيرون الهوينا فى حديقة ذلك القصر الجميلة ، وشمس يوم صفت فيه السماء ، واستمتعت القاهرة بدفء لطيف ، يدفع عنها البرد ، وينشر عليها الشعور بالرضا والسكينة . كان هؤلاء الوزراء يخفون مافى نفوسهم ، ويقنعون بمظهر الوقار والتحفظ .وكان هؤلاء الوزراء فريقين ، فريق السوريين ، وفريق المصريين ، وكان فريق السوريين خليطاً من نماذج بشرية غير متجانسة ، فيهم الشيوخ الذين شهدوا العهد العثمانى ، قبل أن يلفظ أنفاسه ، وأرهاب جمال باشا القائد التركى الذى عرف فى التاريخ باسم (جمال السفاح) ، كما عرفوا حرب سنة ١٩١٤ ، وخاضوا غمار الثورة العربية التى قامت سنة ١٩١٥ بزعامة أمير مكة الشريف الحسين بن على جد الملك حسين بن طلال ملك الاردن ، ووالد فيصل الذى قاد جيش الثورة من المدينة عاصمة

يوم وقعت

وثيقة الوحدة المصرية السورية



الرسول الى دمشق والى جواره اشهر جواسيس بريطانيا الذى عرف فى التاريخ العربى باسم (لورنس العرب) ثم عرفوا بعد ذلك فشل تلك الثورة العربية ، وبدء الحكم الاستعمارى الغربى باسم جديد هو الانتداب الفرنسى فى سوريا ولبنان ، والانتداب البريطانى فى العراق وفلسطين ، وفى تلك الفترة عرفوا الاحزاب السورية ، وعلى رأسها حزب الكتلة الوطنية ، يتزعمه شكرى القوتلى الذى كان آخر رئيس لجمهورية سوريا ، وكان على جانبه الايمن والأيسر خليط من رجال السياسة من الشبان الذين أوشكوا أن يتموا مرحلة الرجولة ، والشيوخ الذين شابت رءوسهم . وكان هؤلاء جميعا ، قد حاربوا بعضهم بعضا ، واتهموا بعضهم بعضا ، واعتقل بعضهم فريقا من اخوانهم وزملائهم ضيوف القاهرة بمناسبة ميلاد الوحدة ، وكان أبرزهم رجلين اولهما مدنى هو صلاح البيطار ، وثانيهما عسكرى هو عفيف بزرى . وكان خلف هذه الواجهة آخرون لم يحضروا ، وان كان لهم دور خطير ، أولهما ميشيل عفلق فيلسوف البعث وثانيهما الشيوعى العربى خالد بكداش .

اما الفريق المصرى ، فمتجانس تماماً ، فهم جميعا من الشباب الذين لايزالون دون الاربعين سواء كانوا من العسكريين أو المدنيين ، ولم يقم بينهم صراع منذ اشتغلوا بالسياسة بعد حرب فلسطين التى اندلعت عام ١٩٤٨ وكانوا جميعا من



عبد الحكيم عامر

العسكريين باستثناء كاتب هذه السطور . وكنت تحس اذا كنت ممن يستشفون حقائق الأحداث من وراء واجهاتها ومظاهرها ، ان المعسكر المصرى واجم متوجس ، متوتر ، قلق ، يقدم على هذه الخطوة الكبيرة ، خطوة الوحدة ، وهو يتمتم بينه وبين نفسه (ياساتر) .

جاء جمال عبدالناصر الى قصر القبة مع صديقه وزميل العمر : المشير عبدالحكيم عامر فى سيارة واحدة ، ودخل أولهما يتبعه الثانى ، لايبدو على وجهه علامة واحدة ، يضطرم فى نفسه ، ويثور لأجلها ، وعلى شفتى الثانى ابتسامة لن تعرف لها معنى مهما وثقت فيها ، ولكنك تستطيع ان تدرك الفرق بين حقيقة مشاعر الصديقين الزميلين اللذين تعلقت بهما الأنظار . فالأول (جمال) قلق أشد القلق ، ولكنه نجح فى ضبط قلقه وإخفاء مشاعره ، والثانى شاعر بأن العبء كله ملقى على عاتق الزعيم ، لذلك فهو لايحمل نفسه شيئًا من احساسات الموقف .



اكرم الحورانى

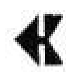

خالد بكداش


صلاح البيطار

واختلط الفريقان بعد حين ، ووقفت اتحدث مع زعيمين سوريين كبيرين استمرا يلعبان ادوارا فى السياسة العربية بعامة والسياسة السورية بخاصة أولهما اكرم حورانى وهو لايزال يعيش فيما اعلم فى العراق ، وثانيهما صلاح البيطار الذى سبقت اليه الاشارة ، والذى شاء القدر ان يكون واحدا ممن نقضوا ثمرة هذه الوحدة ، وتزعم الثورة ضدها ، واعلان الكفر بها ، ثم ثار على الثوار ، وندم على هذا الكفر ، وترك سوريا ، ولجأ الى لبنان ، وترك لبنان ولجأ الى باريس ، حيث تعقبه عملاء الموت فأردوه قتيلا فى مقر جريدة انشأها فى الغربة ليهاجم خصومه السياسيين فى العمل وفى الفكر ايضاً .

وانتهز جمال عبدالناصر فرصة ، كنت فيها على مقربة منه فى مكتبه بقصر القبة ، فنادانى بصوت خافت وانا انظر اليه ، واشفق عليه فى آن واحد مما اعرف انه يعانيه وقال : ايه رأيك فى هذه « الحكاية » وبلل شفته العليا ، بطرف لسانه ، وهى حركة اعرف انها احدى علامات اضطرابه الداخلى ، ثم أضاف : « السوريون حطونا فى كرنر . وقالوا ان لم تأت مصر الى سوريا ، فستسقط حتما فى يد الشيوعيين ، واذا وقعت فى يد الشيوعيين ، فسلام على العرب والعروبة » ، فقلت له ، وانا اريد ان اعطى لنفسى فرصة اتأمل فى السؤال الذى قضيت اياما اتأمل فيه ولااصل الى جواب : هل تعلم انك ثانى رجل فى العالم يعرض عليه عرش دولة لم يطأ أرضها ، ولايعرف احدا من اهلها .. « الأول كان برنادوت ملك السويد ، وقائد من قواد نابليون بونابرت » .

ولم يعلق على هذه الحقيقة التاريخية ، وانما رأيته يسرح بخياله ، دون أن يجد فى هذا الكلام تعزية : صحيح .. انا لم ازر سوريا من قبل .. دى مش حاجة غريبة .. لكن انت لم ترد على سؤالى ، فقلت له بعد أن غصصت بريقى : واضح



يوم وقعت

وثيقة الوحدة المصرية السورية

تماماً أن كل الذي يجرى هو قدر لابد لنا فيه ، ولاسبيل الى دفعه ، فلنقبله برضا ، اذ لاسبيل امامنا غير ذلك .. وهم بالتعليق فاكملت كلامي:

الوحدة العربية ليست اكتشافا جديداً ولسنا خائفين - وهو في نهاية الامر أمل العرب .. فاتكل على الله .. فقال وقد لانت اساريره وخف قلقه ، « كلامك فى محله .. ربنا عايز كده ، انا خايف ان اللي ممكن يحصل فى سوريا ، ياخد اللي عملناه فى مصر » ...وبعد قليل قلت له : من يدرى فقد يكون هذا المزج بداية عهد جديد . المصريون فلاحون ، والسوريون تجار ، وقد تنشأ من المزج بينهما ، توليفة توازن من الخصائص المتباينة ، وان كان قدوم السوريين سيقلق تجار مصر . « فقال جمال وهو يتركنا ، ياريتها تقف عند هذا الحد » .

وجلسنا حول طاولة كبيرة فى قاعة الاجتماعات ، ورأسها جمال عبدالناصر وعلى يمينه الرئيس شكرى القوتلى . وكان اجتماعاً خالياً من البهجة ، ومن الحركة ، ومن التلقائية . الجميع صامتون .. وكل من الحاضرين ينظر أمامه ، ولايكلم جاره ، وبدأ اخيرا جمال فقال كلاماً ، من الصنف الذى تسمعه ، ولاتعيه جيداً ، او الذى لايعلق بذاكرته ، لأنه مجرد تمتمة بصوت مرتفع . والعجيب أن (جمال) كرر ماقلته له من أن التجار السوريين سيكون لقدومهم صدمة للمصريين ، فلم يغضب شكرى القوتلى زعيم الجانب السورى ، واكبرهم سنا ، واقدمهم عهدا بالسياسة ، وقال ضاحكا : « كنتم تشكون من الجريجى والأرمنى ، وجاء الدور على السورى » .

ودار كلام انتهى الى تشكيل لجنة مصرية سورية ، لوضع البيان الذى سيذاع على الجماهير : « وكان ممثلا سوريا صلاح البيطار وعفيف بزرى . فى حين كان ممثلا مصر على صبرى وكاتب هذه السطور » واتفقنا على أن تعقد اللجنة فى مساء اليوم نفسه ، واجتمعت اللجنة فى المساء المبكر ، ولكن بقينا حتى منتصف الليل نكتب ونحذف ونضيف ، ثم نوافق على فقرة ، ولانلبث حتى نحذفها ، ثم نكتب غيرها ، ثم نعود اليها ، وهكذا دواليك ، حتى بدت على اعضاء اللجنة بوادر النعاس ، من تثاؤب ، وعجز عن التركيز ، والتردد الكثير على دورة المياه ، وطلب القهوة والشاى ، فلما أوشكت الساعة تدق الواحدة ، قام السيد على صبرى ، وهمس فى أذنى البركة فيك ، « تقرأ البيان غداً صباحاً » .

وبعد قليل أعلن الجانب السورى انه يرى أن أقوم بوضع مشروع للبيان ، نقرؤه غداً صباحاً ، قبل انعقاد اللجنة القادمة .

وفى الصباح الباكر استيقظت بعد ساعتين أو ثلاثة من النوم المتقطع لاكتب البيان مراعياً كل الاعتراضات والتحفظات والتوجيهات التى أبداها الجانب السورى ، وخرج البيان خاليا من الروح والتماسك و الاتساق ، لظروف انشائه ، ولكنه كان اصدق تعبير عن الحالة التى ولدت فيها هذه الوحدة ، التى كانت اغرب واخطر وحدة عرفها التاريخ الحديث .

أقوال معاصرة

● « يتميز ريجان بالقدرة على الانتقال بمستمعيه من عالم غير سار الى دنيا كلها ابطال وتضحيات نبيلة .. »

بروس يودير
الصحفى الأمريكى .

● «سننسحب من لبنان ، لأن وجودنا يمنع القتال بين العناصر المتصارعة

إسحق رابين
وزير الدفاع الاسرائيلى

● « إن موقف سوريا فيما يتعلق بالحرب ضد العراق يماثل موقف إيران ، ولايعقل أن يكون حافظ الأسد وسيطا .. »

هاشمى رافسنجانى
رئيس برلمان إيران .

● «ما تجنيه هو العيش ، أما ما تعطيه فهو الحياة ..»

الممثلة الأمريكية ليليان جيس

● «على المرء أن يكون قاسيا مع نفسه ، فلا يتصور ابدا انه عبقرى .. »

بوريس سباسكى
بطل الشطرنج .

● « التمثيل عندى مثل الدم ، دائما احتاج إليه .. »

ديريك جاكوبى
الممثل بفرقة شكسبير الملكية



بقلم : الدكتور محمد عمارة

● في الحضارة الغربية ، ورث ابناؤها عن أسلافهم اليونان ، تراثا واضحا وغنيا في « الديمقراطية » .. ولقد أغنوا هذا التراث وطوروه ، وأضافوا اليه الجديد ، وخاصة في ميدان « النظم » التي تقترب « بفلسفة » الديمقراطية و « غاياتها » من « الممارسة والتطبيق » ..

ولقد غدا الخروج على فلسفة الديمقراطية وتطبيقاتها موضع الادانة والانكار والاستنكار في تلك الحضارة سواء أكان هذا الخروج في ميدان الفكر أو مجال الممارسة والتطبيق . الأمر الذي جعل « الديمقراطية » قسمة من قسمات الحضارة الغربية . على اختلاف تياراتها .. فلليبراليين مفهومهم وتطبيقهم للديمقراطية الليبرالية .. وللاشتراكيين مفهومهم وتطبيقهم للاشتراكية الديمقراطية .. وللشيوعيين مفهومهم وتطبيقهم لديمقراطية الحزب الواحد والطبقة القائدة : البروليتاريا فالخلافات والتنويعات يحكمها إطار !.. وهذا الاطار هو مصدر « المشروعية » للفكر والتطبيق ؟!

هذا عن الحضارة الغربية .. فماذا عن حضارتنا العربية الاسلامية ؟! ..

لقد كاد الاجماع ان ينعقد على ان « الشورى » هي الفلسفة الاسلامية للحكم في الدولة الاسلامية .. وللمجتمع الاسلامي .. وللأسرة المسلمة .. أي « للسلطة الاسلامية » أيا كان ميدان هذه « السلطة » دولة ، أو مجتمعا ، أو اسرة ..

لكن الاجماع يكاد أن ينعقد ، أيضا على انه بمقدار الحظ الوافر والغنى لمنابعنا الفكرية ولاصول مواريثنا الحضارية في هذه « الشورى » ، كان الفقر والجدب الذي أصاب « تاريخنا » و « تطبيقاتنا » في هذا الميدان !...

ففي المنابع الفكرية ـ كما سنرى ـ نجد « الشورى » هي الفلسفة المقدسة للحكم والسلوك اجتماعيا كان أو أسريا ، بل وفرديا .. وفي التاريخ نجد

الفردية والاستبداد يحرمان الواقع التاريخى ، والانسان الذى عاشه ، من ثمرات هذه الفلسفة المقدسة .. بل ويصيبان الفكر الذى عبر عن هذا « الواقع التاريخى » بالفقر الشديد إذا ماكان البحث فى فلسفة الحكم وضوابط السلطة والسلطان !..

صحيح أن " الفردية والاستبداد " قد عرفهما تاريخ الانسانية كلها ، وعلى اختلاف المواطن والقوميات والحضارات ، لعلة اكتوت بنارها كل الشعوب ... لكنهما ، فى ظروف أمتنا العربية الاسلامية تبرز عوراتهما أكثر ، ويغدو شذوذهما اقبح ، لأن الشورى فى تراث هذه الأمة فلسفة دينية مقدسة ، وليست مجرد ميراث فكرى - كما هو حال الغرب - عن « جاهلية اليونان » الوثنيين !؟

ولهذه القضية اهميتها ..لا فى نقد الممارسات التاريخية وحسب ، بل وفى التفكير للحاضر والمستقبل ، فإذا كان هذا هو مقام « الشورى » وطبيعتها ، فى منابعنا الفكرية ، فان هذا المقام يجب أن يعلو أكثر فأكثر فى فكرنا المعاصر ، الذى يجب أن يوضع فى الممارسة والتطبيق .. وهنا يكون التطبيق الخلاق للمنهج العلمى فى استلهام التراث والافادة منه فى مواجهة التحديات ، منهج : العودة للمنابع النقية نستلهم خير مافيها .. وتطوير هذا الخير وتحديثه كى يلائم مستحدثات الأمور والجديد الذى طرحته وتطرحه الحياة ، والتجاوز - بعد الاستيعاب والنقد - لانحرافات التاريخ عن هذا النهج الذى استقر " كثوابت " فى منابع الأسلاف العظام !..

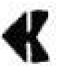
إننا فيما يتعلق بالشورى ، أمام أكثر من « موروث » :

● فلدينا ذلك الميراث الغنى - الذى سنعرض لطرف منه - والذى جعل الشورى : « الفلسفة المقدسة » للحكم والحياة والسلوك ... وهو ميراث قد عرف طريقه الى التطبيق فى الفترات الزاهرة من تاريخنا ..

● ولدينا ذلك « الميراث التاريخى » الذى استبدل الفردية والاستبداد بالشورى .. فسادت فيه مقولات « الشرعية لمن غلب » !.. « والامامة - فى السياسة والصلاة - لمن تغلب »!.. و" ماعلى الرعية إلا ان تشكر الحاكم إذا عدل ، وتصبر عليه إن هو جار وظلم " !..

لدينا المنابع الفكرية الغنية بالحديث عن الشورى ، كمنهج للسلوك وفلسفة فى الحكم .. ولدينا الفكر التاريخى الشديد الفقر فى الاهتمام بأمر هذه الشورى . حتى لقد وجدنا « ابن منظور » [٦٣٠ - ٧١١ هـ ١٢٣٢ - ١٣١١م] صاحب موسوعة [لسان العرب] يعكس مناخ عصره ، عصر المماليك ، فيفرد لمادة الشورى - « شور » - فى موسوعته هذه مائتى سطر واثنين وثلاثين سطرا ، لاتظفر منهم الشورى - كمنهج للسلوك - ولانقول الحكم - بأكثر من أسطر ثلاثة ؟!..

فإذا كنا جادين حقا فى البحث عن « هوية » الأمة وذاتيتها الحضارية



الشــورى
ديمقراطيـة الإســلام

المتميزة .. وإذا كنا جادين حقا فى تحرير إنساننا المعاصر من القيود التى تشل فعالياته وتحجزه عن مواجهة التحديات الفتاكة المفروضة على حاضره ومستقبله .. فعلينا أن نتجاوز « بؤس التاريخ » ـ بعد استيعابه ونقده ـ لنستلهم المنابع النقية والغنية ، فنطورها ونجددها ، ونجعل منها الاطار الذى نبدع فيه ، والفلسفة التى تهتدى بها مؤسساتنا المعاصرة ، والمقاصد والمثل والغايات التى نناضل من اجل وضعها فى الممارسة والتطبيق ...

وبهذا المنهج ، ولهذه الغاية ... نبحث عن « الشورى » فى موروثنا الاسلامى ..

فى القرآن الكريم :

لم يقف الاسلام من « الشورى » عند حد اعتبارها « حقا » من حقوق الانسان .. وانما ذهب فيها ـ كما هى عادته مع ما اعتبر فى الحضارات الأخرى مجرد « حقوق » ـ ذهب فيها الى الحد الذى جعلها « فريضة شرعية واجبة » على كافة الأمة ، حكاما ومحكومين فى الدولة ، وفى المجتمع ، وفى الأسرة ، وفى كل مناحى السلوك الانسانى ..

● فهو يتحدث عنها كفريضة واجبة على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فى شئون الحكم والسياسة والعمران الدنيوى ، لأنه فى هذا الميدان كان مجتهدا غير معصوم ـ فما بالنا بالحاكم اذا لم يكن نبيا ولا رسولا ، يستدركه الوحى بالترشيد إذا هو اجتهد فلم يصب مواطن الحق والصواب ؟!

يتحدث القرآن الكريم عن الشورى كفريضة شرعية واجبة ، حتى على الرسول ، فيقول الله ، سبحانه ، مخاطبا رسوله : [فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين]

وهذا الحسم والوضوح ، اللذين تألقت بهما الشورى ـ كفريضة شرعية واجبة ـ فى قرآننا الكريم ، ووحى الله لرسوله ، وفى كتاب العرب الأول .. قد وعاه جيدا اسلافنا العظام ، الذين كتبوا فى تفسير هذه الآية يقولون :« إن الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام . ومن لايستشر اهل العلم والدين فعزله واجب . وهذا مما لاخلاف فيه .. » ؟!

لكن مظالم التفرد والفردية والاستبداد ، التى جنحت بعيدا عن هذه الفلسفة للحكم ، قد اثمرت عصورها المظلمة وتطبيقاتها الظالمة فكرا هزيلا ، حاول أصحابه تزوير نسبه الى الاسلام ، ليضفوا عليه شرعية الدين ومشروعيته .. فزعموا أن الشورى غير ملزمة للحاكم .. فعليه أن يستشير ثم بعد ذلك يمضى ماراه ، حتى لو خالف الأمة جمعاء !..

ولقد تجاهل هذا النفر من فقهاء الملوك والأمراء والسلاطين ماعناه ويعنيه قول الرسول ، صلى الله عليه وسلم : « إن امتى لاتجتمع على ضلالة » .. مايعنيه

هذا الحديث من « عصمة الأمة » التى يتجسد اجتهادها ويتمثل فى الصفوة الجامعة لقدرات المشورة وإمكانات الاجتهاد .. فرأيناهم يرجحون كفة « الفرد الحاكم » على كفة « المشيرين » .

ولقد حاول هذا النفر من فقهاء السلاطين تزوير نسب هذا الفكر الشائه الى الاسلام .. فقالوا إن هذا هو مايعنيه قول الله سبحانه فى هذه الآية : [فاذا عزمت فتوكل على الله] .. فاذا استشار الحاكم كان قد أدى ماعليه .. وله بعد ذلك أن يعزم أى يقرر مايشاء ... ونسوا أن هذا « العزم » ـ القرار ـ هو ـ فى سياق الآية ـ ثمرة الشورى .. فالشورى إذا جردت من ثمرتها ، وهو القرار ـ العزم ـ كانت عقيما .. بل كانت " مسرحية عبثية " يجب أن يتنزه عنها الفكر الذى يعرض لآيات الله ، سبحانه بالنظر والتفسير ..

ونحن نقرأ فى [صحيح البخارى] هذا التفسير الدقيق لهذه الآية .. نقرأ فيه أن المراد هو تحديد « أن المشاورة قبل العزم والتبين » .. أى أنها هى المقدمات التى تفضى الى القرار ، وتحدد طبيعة هذا " العزم والتبين " .. والمثل الذى ضربه البخارى لهذه القضية ـ وهو « سبب النزول » فى هذه الآية ـ أى ملابسات الوحى ومذكرة تفسيره ـ هو أن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، قد استشار أصحابه فى مكان لقاء المشركين " يوم أحد " .. وكان رأى الرسول ـ مع قلة من الصحابة ـ البقاء فى المدينة والاستفادة بموقعها وتحصيناتها فى قتال المشركين الغزاة .. لكن الأغلبية رأت الخروج لملاقاة الأعداء عند " أحد "

فنزل الرسول على رأى الأغلبية ، وألهمته رحمه الله أن يلين لهذه الأغلبية ، كى لايكون فظا غليظا ، ينفرد برأيه ويستبد به ، فيفضى ذلك الى انفضاضهم من حوله .. **فاتخذ قرار الخروج ، كثمرة لمشورة الأغلبية** ، ودخل منزله فلبس « لامته » ـ عدة الحرب والقتال ـ وخرج مع أصحابه وقد استعدوا وتفرقوا جميعا للخروج .. لكن نفرا من الذين أشاروا على الرسول بالخروج ، ظنوا أن مشورتهم بخلاف ماكان يرى الرسول ربما تكون قد ساءته ، فعرضوا عليه التراجع والبقاء بالمدينة .. فرفض صلى الله عليه وسلم التراجع فى القرار ، الذى جاء ثمرة للمشورة ، والذى كان قد وضع فى التطبيق بالاستعداد للقتال والتحرك بالخروج للقاء المشركين ... ذلك هو سياق الآية .. وهذا هو معنى العزم ، الذى يقول فيه البخارى : « لقد شاور النبى أصحابه يوم أحد فى المقام والخروج ، فلما لبس لامته وعزم .. بعد المشاورة التى سبقت العزم والتبين .. قالوا له : اقم ، فلم يمل إليهم بعد العزم ، وقال : لاينبغى لنبى لبس لامته فيضعها حتى يحكم الله » !..

لكن نفرا من علماء السوء ـ غفر الله لهم ـ قد ذهبوا يلوون عنق الحقيقة القرآنية ، فجعلوا من الشورى « مسرحية عبثية » ، يقيمها الحاكم الفرد استكمالا « لشكل اسلامى » يخضع به قلوب العامة ويستأنس به قواهم ، ثم يمضى فيما قرر لنفسه دون اعتبار لثمرة الشورى والمشيرين ! .. **وذلك هو الفارق الجوهرى والكيفى بين « منابع تراثنا » وبين « صورته التاريخية الشوهاء »؟!..**

ثم ... إن هذه الشورى ، التى جعلها

الشـــورى
ديمقراطية الإســـلام

القرآن « فريضة واجبة » ، كفلسفة للحكم وسياسة الرعية وتنظيم علاقات الحاكم بالمحكوم ... نراه قد جعلها فلسفة سياسة ذلك المجتمع المصغر ، الذى يمثل اللبنة الأولى فى بناء الأمة والرعية .. مجتمع " الأسرة " .. فالشورى هى سبيل سياسة الأسرة فى شريعة الاسلام .. فالتراضى فى الأسرة والوفاق لابد وأن يكون مؤسسا على التشاور ، كما أن رضى الرعية ، فى الدولة ، لابد أن يكون رضاء واعيا ، اى مؤسسا على التشاور ، وليس على الاستسلام والاذعان ؟! .. يقول الله سبحانه ، فى معرض التشريع لمشكلات الأسرة ، والسبيل الى التراضى بين الأطراف حولها : [والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لاتكلف نفس إلا وسعها ، لاتضار والدة بولدها ولامولود له بولده ، وعلى الوارث مثل ذلك ، فإن أراد فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ماآتيتم بالمعروف ، واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير].

وإذا كان القرآن الكريم قد جعل للشورى هذا العموم فى المجتمع المؤمن .. فهى فلسفة سياسة الأسرة الصغيرة .. وفلسفة سياسة الرعية والدولة .. فلا غرابة أن رأيناه قد جعل منها واحدة من الصفات التى يتميز بها المؤمنون !.. [فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش وإذا ماغضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون] .. فهذه الآيات وهى تعدد صفات المؤمنين ، تجعل من بين هذه الصفات أن يكون [أمرهم شورى بينهم] وليس حكرا لفرد أو فئة تستبد به وتتفرد من دون الناس !

★ ★ ★ ★

وإذا كان هذا هو صريح المعنى القرآنى فى المواطن التى ورد فيها مصطلح « الشورى » بلفظه ، فى آيات الذكر الحكيم .. فإن هناك معنى جليلا ، ذا دلالة ، نلتقى به فى كتاب الله ، يزكى هذا المعنى الذى ينحو اليه القرآن الكريم .. معنى : وجوب أن تكون سياسة الأمة الاسلامية شورى ، وحكمها شورى ، وكل أمرها شورى !.

فالقرآن الكريم قد تحدث عن [أولى الأمر] فى موطنين اثنين فى سورة النساء ... طلب فى أحدهما من الرعية طاعتهم ، بعد طاعة الله ، وطاعة الرسول ... وشرع فى الثانى لضرورة الرجوع اليهم ، كجهة اختصاص ، فى حسم الأمور ، وتقرير أيها هو مصدر الأمن ؟ وأيها هو مصدر الخوف ؟؟.. فقال فى الآية الأولى ، مخاطبا الرعية [أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم] ... وقال فى الثانيه ، ناعيا على

البعض سلوكهم غير الرشيد ، عندما يسارعون فى اللغط وتناول الأمور دون علم ، بدلا من ردها إلى أهل الذكر من [أولى الأمر] : [وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا]

والملحظان اللذان تلفت اليهما الفكر والنظر فى هاتين الآيتين الكريمتين ، هما :

الأول : أن القرآن الكريم لم يتحدث عن « ولي الأمر » بصيغة المفرد ، وإنما تحدث عن [أولى الأمر] ، بصيغة الجمع .. وفى ذلك تزكية للجماعية وللقيادة الشورية ، وعدول عن سبيل التفرد والانفراد بامر المسلمين :

والثانى : أن القرآن قد اشترط لطاعة [أولى الأمر] ، ولاختصاصهم بما اختصهم به ، أن يكونوا من الأمة .. بمعنى أن يكونوا موضع اختيارها ومصدرا لثقتها ، وأهلا لقيادة حياتها .. وفى هذه الدلالات القرآنية تأكيد على وجوب : اشتراك الرعية بالشورى ، فى اختيار [أولى الأمر] .. وإلا لما جاز وصفهم بأنهم من هذه الرعية .. فليس منا من هو مفروض علينا بالغلبة والقهر .. والاستبداد .. وتأكيد على وجوب أن تكون سياسة الرعية من قبل حكامها ، بالشورى ، لأن وجود مقاليد الأمور بيد الجماعة لايستقيم بغير اعتماد الشورى سبيلا لانضاج راى هذه الجماعة - [أولى الأمر] - ووصولها الى مرحلة القرار الصالح للتنفيذ ! .

ذلك هو مكان « الشورى » الاسلامية فى القرآن الكريم : فريضة شرعية واجبة ، شرعها الله سبحانه لتكون فلسفة السياسة الاسلامية ، سواء أكان الأمر فى نطاق الأسرة أو المجتمع ، أو الدولة التى تسوس الرعية بشريعة الاسلام .. فريضة شرعية واجبة ، وليست مجرد « حق » من حقوق الانسان !.



بل لقد ذهب القرآن الكريم ، فى سبيل التزكية لهذا السبيل فى الفكر والسياسة - سبيل الشورى - إلى أن ضرب لنا الأمثال على أن هذا السبيل قديم قد اهتدت اليه - إن بالفطرة السليمة أو باستلهام رسالات سماوية سابقة - أمم وشعوب ، فبلغت به الارتقاء فى أساليب التفكير وصنع القرار ...

ففى مصر القديمة سلك [الملأ من قوم فرعون] سبيل التشاور والائتمار وهم يبحثون الموقف من موسى ، عليه السلام ، ومن المعجزة التى ادهشهم بها .. [قال الملأ من قوم فرعون : إن هذا لساحر عليم . يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ؟. قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين ، يأتوك بكل ساحر عليم] ... ولقد واعدوا موسى على اللقاء فى يوم عيدهم - يوم الزينة - ليتم التحدى على مشهد من الناس .. [فجمع السحرة لميقات يوم معلوم . وقيل للناس هل أنتم مجتمعون . لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين]

كذلك كان هذا هو نهج الحكم والسياسة ، والسبيل الى صنع القرار فى



الشـورى
ديمقراطية الإسـلام

مملكة سبأ ، كما حكى القرآن الكريم ، على عهد ملكتها بلقيس .. [قالت يأيها الملا إنى ألقى الى كتاب كريم . إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم . [ألا تعلو على وأتونى مسلمين . قالت يايها الملأ افتونى فى أمرى ماكنت قاطعة امرا حتى تشهدون .]

هكذا تحدث القرآن الكريم عن « الشورى » .. فهى فريضة شرعية واجبة ، لسياسة المجتمع والدولة .. ولابد لها من الجماعة والجماعية ، دون الفردية والاستبداد بصنع القرار .. وهى اسلامية بمقدار هذا المقام الجديد الذى وضعها فيه الاسلام ، مقام الفريضة الواجبة ، الذى فاق ويفوق مقام « الحق » الذى يجوز لصاحبه التنازل عنه .. وإلا فإنها ميراث إنسانى وتراث للانسانية الراشدة منذ ان عرفت الانسانية سبيل الرشاد فى السياسة والسلوك وصنع القرار ..

متى دمعت عيني حافظ ابراهيم

عندما بدأ أحمد رامي محاولاته الشعرية الأولى ، كان يلجأ إلى شاعر مصر الكبير حافظ إبراهيم ويعرض عليه ما نظم ، ومضى وقت طويل قبل أن يرى حافظ إبراهيم فيما يكتبه رامي شعرا حقيقيا ، وكثيراً ما سمع رامي التعليق الساخر : "ما هذا الذي تكتبه يارامي ..؟ إنه مثل عبارة "سلام عليكم !" يستطيع أى إنسان أن يقولها ، وكان رامي كل مرة ينصرف حزينا كاسف البال ..

إلى أن جاء يوم وأطلعه على ما جادت به قريحته ، وإذا بشاعر النيل الكبير ينفعل بما يسمع ، واغرورقت عيناه بالدموع ، وإذا هو يقول لرامي هذه المرة : "هذا هو الشعر يارامي .. لقد أصبحت شاعراً يابني .."!



بقلم : حسين أمين

● صدرت منذ اسابيع قليلة عن جامعة كاليفورنيا بلوس انجلوس ، دراسة اعدّتها العالمة النفسية كاي جاميسون عن الصلة بين الأمراض العصبية والمشكلات النفسية وبين العبقرية الخلاّقة وقد استندت العالمة فى دراستها إلى تحقيق اجرته خلال عام ١٩٨٢ فى كل من اوكسفورد ولندن حيث درست حالات سبعة وأربعين من الأدباء والفنانين البريطانيين كلهم إما من الفائزين بجوائز كبرى او الأعضاء فى اكاديمية الفنون الملكية البريطانية ، فاتّضح لها أن ثمانية عشر شخصا منهم ادخلوا فى وقت من الأوقات مصحات نفسية للعلاج من أمراض عصبية إما بالصدمات الكهربائية أو بكربونات الليثيوم وإذ كانت نسبة المرضى بين هؤلاء الفنانين ، وهى ٣٨ ٪ ، تزيد على ستة أضعاف نسبة المرضى بين مجموع الأفراد العاديين ، فقد انتهت الباحثة إلى نتيجة خالتها قاطعة : وهى أن ثمة صلة وثيقة بين المرض النفسى وبين الموهبة الفنية والقدرة على الخلق ، وأن هذا المرض قد لايكون « خللا فى الموتور » كما وصفه الشاعر روبرت لويل ، بل قد يكون هو الموتور ذاته !

الفنان لدى العامة

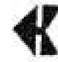
مثل هذه النتيجة « العلمية » لن تضيف جديدا إلى المفهوم الشائع لدى العامة عن الفنان وإن اضافت « سندا » و « إثباتا » . فعند الناس اعتقاد بأن الفنان إنسان غير طبيعى ، وأن اختلاله النفسى ، أو مرضه ، شرط لقدرته على النفاذ إلى حقيقة الأمور والتعبير عن هذه الحقيقة تعبيرا فنيا . وكثيرا ماتراهم يلتمسون العذر ويغتفرون للفنان شذوذه ، وغرابة عاداته وملبسه ، واضطراب نمط معيشته وحياته العائلية ، وشرود ذهنه ومسلكه غير المألوف ، واستخفافه بما تعارف عليه الناس من قيم ، وبالقوانين الأخلاقية ، ويردّدون فيما بينهم كلما صدمهم مسلك له أو استفظعوا منه مقولة : « معلهش ، أصله فنان ! »

ولاشك انه مما ساعد على تكوين هذه الصورة للفنان حقائق ثابتة وشائعة ،


فان جوخ


سيد درويش


بايرون



معروفة لدى الكافة ، عن مشاهير من الموسيقيين والمصورين والأدباء والممثلين وغيرهم ، بل ومايلاحظ من مسلك المجاهيل العاملين فى الوسط الفنى ، كأفراد الكورس وموسيقى التخت ، وماتنشره الصحف والمجلات يوميا عن فضائح المغنيات والراقصات والممثلين . ومَن منا لم يحط علما بقصة قطع فان جوخ لأذنه وارساله إياها فى علبة إلى حبيبته ، أو بقصة سيد درويش مع الكوكايين ، أو بالعلاقة الشاذة بين الشاعرين فيرلين ورامبو ، وبين لورد بايرون وأخته ، أو بنبأ الأيام الأخيرة فى حياة هيمنجواى وانتحاره ، أو بما كان ينتاب دوستويفسكى من نوبات الصرع .. إلى آخره ؟ أو كيف يمكن للعامة أن تتجنب هذا الاعتقاد فى الفنانين وهم يرون أحدهم وقد دأب على السير فى شوارع باريس يجر وراءه فأرا قد ربطه بخيط ، ويسمعون شاعرا يفخر بأنه نظم أجمل قصائده وهو تحت تأثير مايتعاطاه من مخدرات ويقرءون فى الصحف عن راقصة تصفع شرطيا إذ يعترض على تركها لسيارتها فى غير موقف السيارات ؟

فكرة الأسلاف عن الفنان

هذه الفكرة عن الصلة بين الفن والآفات العقلية ليست بالفكرة القديمة ، ولا هى بالتى كانت شائعة قبل القرن التاسع عشر . صحيح أن العرب الجاهليين نسبوا الشعر إلى الهواتف وإلى الجن القاطنة فى وادى عبقر ، وأن القرآن الكريم وصف الشعراء بأنهم إنما يتبعهم الغاوون ، وبأنهم فى كل واد يهيمون ، غير أننا جميعا نعلم المكانة الرفيعة التى كانت للشاعر الجاهلى فى

الفنان بين العبقرية والجنون

قبيلته . وللشاعر الاسلامي عند الملوك والأمراء . ولامثال ابن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت عند الرسول عليه الصلاة والسلام .

اما في الغرب ، فإن كانت العامة في العصرين القديم والوسيط كثيرا مانعتت الشعراء وغيرهم من الفنانين بأنهم مجانين ، فإنما كانت تقصد بذلك في واقع الأمر أن عقل الشاعر أو الفنان يعمل بأسلوب مخالف للأسلوب الذي يعمل به عقل الرجل العادي أو حتى عقل المفكر الفيلسوف . وهناك وفرة من الدلائل التاريخية التي تشير إلى أن أهل العصر الوسيط كانوا يرون في نظم الشعر والموسيقى وحمل السلاح أرقى أوجه النشاط البشري مما يحقّ للمشتغلين بها أن يَتِيهُوا بها على الناس . ولاحاجة بنا إلى التدليل على مدى الحظوة لدى الأمراء ، أو التوقير لدى العامة ، مما كان يتمتع به الفنانون من أمثال ليوناردو ومايكل أنجلو ورافائيل في عصر النهضة .

فإن كان أهل القرن الثامن عشر يزدرون الشاعر المحترف ، فالواقع أنهم كانوا يزدرون الاحتراف في حد ذاته ، ومحترفي اية مهنة من المهن لاالشعر فحسب . بل إن ازدراءهم لاحتراف الشعر بالذات كان من قبيل التوقير العميق للشعر الذي رأوا احترافه واتخاذه تجارة للتكسب امتهانا لقدسيته .

الفنان والمجتمع الصناعى

ثم طرأ على صورة الفنان تغير جوهري في القرن التاسع عشر ، وأضيفت إليها من الملامح مالايزال قائما في أذهان العامة إلى اليوم . والسبب الرئيسي في تغيّر الصورة في اعتقادي مرتبط بغلبة النظام الراسمالي ، وازدهار الصناعة ، ونموّ الطبقة البرجوازية ، واتساع نطاق نفوذها ، وتفشي أخلاقياتها وقيمها . فقد ارتأت هذه الطبقة أنه في حين كان من واجب الفنان التجاوب والتعاطف مع هذه التطورات الجسيمة ، والاشادة بالعصر الصناعي ، والثناء على القيم الجديدة ، اتخذت غالبية الفنانين موقفا معاديا من هذه التطورات والقيم والأخلاقيات ، وكان الازدراء بها ، والتندر عليها ، والتحذير من أخطارها ، من الموضوعات الأثيرة لديهم .

أضف إلى ذلك ان المجتمع الصناعي هو في حاجة إلى غرس عادات ومفاهيم وأسلوب عيش معين لدى أفراده من أجل ضمان حسن سير العمل فيه . وقد كان هذا المجتمع على استعداد لاحتمال لفيف هامشي من الفنانين ، والتغاضي عن غرابة مسلكهم ، وتحررهم من القيود الأخلاقية ، وضعف احترامهم للمواعيد وتقيدهم بالوقت ، وعدم التأكد مما سيكون عليه تصرفهم وردّ فعلهم ، لولا اقتناع البورجوازية بأنه من الخطر كل الخطر على كل مقوّمات المجتمع الجديد أن يعمّ تأثير هؤلاء الفنانين ، وأن تنتشر العدوى ، فيضيع الاحترام للرؤساء ، ويشيع الاستخفاف بقيود الوظيفة ، ويتزعزع الالتزام بالمواعيد المحددة ، وتضعف شهوة استهلاك السلع الجديدة ،

ويصعب صبّ الانسان فى القالب الواحد اللازم لازدهار ذلك المجتمع .

لذلك رأت تلك الطبقة الجديدة من الرأسماليين والبرجوازيين لزاما عليها أن تتصدّى لهذا التأثير بالمقاومة عن طريق إثارة الشك فيما إذا كان الفنان إنسانا طبيعيا سليم العقل ، وغرس الاعتقاد بأنه فى جوهره شخص منحل منحرف مريض ، إن كان لابدّ من أن تحتمل الجماهير وجوده بين ظهرانيها من أجل المتعة التى توفّرها أعماله ، فلا ينبغى أن يؤخذ فحوى تلك الأعمال على محمل الجدّ ، وإن كان لامفرّ من الاقرار له ببعض الامتيازات وحرية التصرف ، فهى امتيازات أشبه بتلك التى تعطى لعبيط القرية ، أو مضحك الملوك .

قد أشهر الفنان إذن حربا على قيم المجتمع الجديد ، فأشهر أرباب هذا المجتمع حربا عليه من أجل الحدّ من فاعلية تأثيره ، وذلك عن طريق تشويه معالم صورته . ولم يكن غريبا أن تتقبل العامة بالتصديق هذه الصورة ، ولا أن يرضى عنها العاجزون عن استساغة الفنون وفهمها ، إذ وجدوا فى هذه الصورة الجديدة للفنان مايبرر عزوفهم عن الفن كله ، ويردّ إليهم احترامهم لأنفسهم . مانجده غريبا هو أن ينبرى عدد من الفنانين أنفسهم ، أمثال برناردشو وأرثر كوسلر وتوماس مان للاقرار بصلة الفن بانحلال الفرد والمجتمع والحضارة ، حتى كان هذا الموضوع محور عدد كبير من قصص توماس مان ورواياته . وقد أراد الروائى إميل زولا ، وهو الحريص دائما على أن يكون فى خدمة التقدم العلمى ، أن يتحقق من صحة هذا الاتهام للفنانين ، فعرض نفسه على خمسة عشر طبيبا نفسيا ، انتهوا إلى أن عبقريته تنبثق بصفة أساسية عن عناصر مرضية فى جهازه العصبى ومزاجه ، فصدّقهم زولا ، وأقرّ الاتهام . ثم تبعه إدموند ويلسون فشبه الفنان بفيلوكتيتس فى الأسطورة التى تتحدث عن محارب إغريقى اضطر إلى أن يعزل نفسه عن سائر الناس بسبب الرائحة الخبيثة المنبعثة عن جرح أصابه أثناء الحرب ، غير أن الناس ظلوا يقصدونه مع ذلك دوما لحاجتهم إلى الاستعانة بقوسه السحرىّ الذى كان لايخطىء هدفا . وهى أسطورة لم تذكر أن خبث رائحة الجرح كان ثمنا للقوس الذى يمتلكه فيلوكتيتس ، واعتقد ويلسون مع ذلك أن عظمة القوس تتوقف على بشاعة الجرح ورائحته .

أسباب أخرى

وثمة أسباب أخرى لشيوع هذه الصورة الجديدة للفنان غير السبب المتصل بحضارة المجتمع الصناعى البورجوازى .

فهناك اعتقاد قديم ، خاصة فى الفكر المسيحى والفكر الصوفى الاسلامى ، بأن العذاب والآلام طريق إلى المزيد من القوة ، أو على تعبير إسخيلوس : إن الآلام هى سبيل الانسان إلى معرفة الآلهة . ثم نجم عن هذا قول بأن القوى الكامنة فى الفرد يتم تصريفها عن طريق أعضاء جسمه أو ملكاته ، وأنه إن تعطل عمل أحد هذه الأعضاء أو الملكات ، تم التصريف فى عضو آخر أو ملكة أخرى فتزداد بذلك قوة هذا العضو أو الملكة .

الفنان
بين العبقرية والجنون

وبعبارة أخرى . أن ثمة آلية فى إعادة توزيع القوى ، بحيث تنمو رهافة السمع واللمس مثلا عند الأعمى ، وبحيث يضحى كل ذى عاهة جبارا . وقد كانوا فى الماضى يخْصُون الكهنة حتى تنصرف الطاقة الجنسية المعطلة لديهم إلى القدرة على كشف حجاب الغيب والتنبؤ بما سيجىء . وإذ أن الفنان يُضحِّى بالضرورة بأشياء ثمينة وملذات كبيرة الشأن ، فلابد أن تزدهر لديه فى مقابل ذلك قدرات خارقة أخرى ، وأن يستمتع بملذات وأشياء مغايرة لايعرفها غيره . كذلك يمكن القول بأن أى تركيز على وجه واحد من أوجه النشاط ، حتى عند الناس العاديين ، لابد من التضحية معه بأمور كثيرة ، كتضحية الطبيب المشغول بعمله بعلاقاته الأسرية والاجتماعية . فلا غرابة فى أن يؤدى استغراق الفنان فى فنه إلى اختلال توازنه الروحى ومايسمى بالصحة النفسية .

والفنان عادة يرى فى التصرفات « العاقلة » للأفراد العاديين حوله جنونا ، ويرى « صحتهم النفسية » مرضا ، فى حين يرى فى اختلال جهازه العصبى صحة روحية وأخلاقية ، ويشير إلى انه قد كان بوسع كاساندرا المجنونة فى الأسطورة الاغريقية أن تدرك من الأمور الهامة وأسرار الغيب ماعجز غيرها عن إدراكه بفضل رفاهة حسها الناجمة عن توتر اعصابها وآفتها العقلية . وقد أبى الكثيرون منهم ، ومن بينهم هيمنجواى ، الانصياع لرغبة ذويهم وأصدقائهم وقبول العلاج ، خشية أن يؤدى زوال مرضهم إلى زوال موهبتهم معه .

كذلك رأى بعض الفنانين ، شأن بعض الصوفية ، أنه من الحماقة محاربة شهوات النفس ، وأن الانغماس فى هذه الشهوات قد يكون خير سبيل لادراك كذب الشهوة واقتلاعها ، وأن ارتكاب الذنوب والموبقات هو فى بعض الأحايين واجب إذ من شأنه إذلال النفس وسحق الكبرياء وإثبات القدرة على الاستهانة بالرأى العام وحكم البشر . ولاشك فى أن البعض ، مثل لورد بايرون ، استغلّ فكرة العامة عن الفنانين والنظر إليهم على أنهم ليسوا كغيرهم ، وبالتالى فإنه لاينبغى أن تطبق عليهم نفس المعايير الخلقية المطبقة على الأفراد العاديين ، فأقدم على الاتيان فى حياته الخاصة بتصرفات لايجرؤ غيره على الاقدام عليها . كما أنه لاشك فى أن شيوع هذا النمط من السلوك فى الأوساط الفنية ظل إلى يومنا هذا مسئولا عن كراهة العائلات « المحترمة » فى مجتمعنا الشرقى لاشتغال أبنائها وبناتها ببعض الفنون ، واعتباره كارثة وعارا ، إذ يرون من شبه المؤكد أن يؤدى ذلك إلى الانخراط فى جو من الفساد والشذوذ .

الدفاع

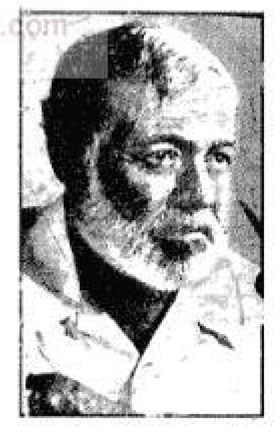
لقد وصف فرويد الفنان بأنه إنسان مريض يسعى إلى الهرب من الحقيقة والواقع بإيجاده بديلا من الوهم يُشبع رغباته عن طريقه . غير أنه عاد فذكر فى

موضع آخر أنه مدين للأدباء والشعراء ، خاصة دوستويفسكى ، بفضل اكتشافه لعالم اللاشعور . فكيف يمكن إذن أن ينجم عن المرض والانحلال أنقى الحقائق ، أو أن تؤتى التربة العفنة أجمل الثمار ؟

فى اعتقادى أن القول بأن الفنان هو بالضرورة إنسان مريض ، وأن اختلاله النفسى شرط لموهبته ، قول غير سليم . فما من أحد قط أشار إلى اضطراب نفسى لدى ليوناردو دافينشى مثلا أو شكسبير وجوته وتولستوى وتشيخوف وموليير ، ومئات غيرهم ، ولا لأعمالهم بالتى تفصح عن مثل هذا الاضطراب. فإن قال قائل إن صَرَعَ دوستويفسكى واختلال جهازه العصبى هما مصدر روعة إنتاجه وثقب نظراته النفسية ، كان من حقنا أن نسأله : وما أدراك أن هذا الصرع وهذا الاختلال لم يُضعفا من قدراتٍ كان يمكن أن تكون أكبر وأروع ، أو أنهما لم يكونا مسئولين عن عيوب معينة فى أدب دوستويفسكى ، مثل عجزه عن تصوير غير الشخصيات المريضة من الناس ، أو عن أن يفهم من الحب غير الرغبة الجنسية العارمة ، أو الخضوع الماسوكى ، أو الحب الناجم عن الشفقة ؟


ديستوفسكى


ميكل انجلو


هيمنجواى

قد نجد لدى المصابين بفصام الشخصية من الأفراد العاديين قدرة على التعبير عن أنفسهم تأخذ أحيانا مظهرا خلاقا . غير أن هذا التعبير ليس فنا . فإن كان فان جوخ مصابا هو الآخر بفصام الشخصية ، فقد كان فنانا بالإضافة إلى مرضه ، ولم يكن فنانا بسبب مرضه ، والخلل العقلى قد يؤدى إلى الفشل ، أو إلى الافتقار إلى النبوغ ، فإن صحبه



نبوغ أو عبقرية فإن من الخطل القول بأنه مصدر هذا النبوغ أو هذه العبقرية .

إن الضعف لاينفى القوة ولا القوة تنفى الضعف . وجميع الناس هم بمعنى أو آخر وبدرجات شتى ، مرضى يعانون من خلل عصبى ما . والفنان إنسان مريض بهذا المفهوم وحده ، ومثل غيره . غير أن الجانب السليم من روحه هو المسئول عن كفاءة مخيلته ، وقدرته على التصور والتخطيط لعمله الفنى وعن إنجازه إياه .

فإن كان سيد درويش فنانا يتعاطى الكوكايين ، فهو فنان غير أنه يتعاطى الكوكايين ، لا فنان لأنه يتعاطى الكوكايين

وشذوذ فيرلين ورامبو وبايرون ، أو فظاعة تصرف الراقصة مع الشرطى ، مواكبٌ لفنهم لامصدر له . قد تساعدنا معرفتنا لطبيعة الخلل عند الفنان على فهمنا لطبيعة المادة التى ينتقيها ويختارها موضوعا لفنه ، بل وقد تساعدنا على فهم بواعثه على الاشتغال بالفن ، غير أنها لن تعرّفنا سرّ نبوغه ومصدر قوته .

كل ماهناك هو أن النشوة التى يخبرها الرجل العادى حين يقرأ شعرا أو يستمع إلى سيمفونية أو يشاهد لوحة فنية أو رقصا ، نادرا ما يخبر مثلها فى حياته اليومية إلا فى حالة الأحلام ، أو الحمىّ ، أو تحت تأثير أحد المخدرات . وهو بالتالى يميل إلى أن ينسب نشوة الفنان نفسه إلى حالة مرضية أو شاذة كحالة الأحلام أو الحمى أو تأثير المخدرات .

كذلك فإنه لاينبغى أن ننسى أن الفنانين أناس قد سُلّطت عليهم الأضواء ، وأن مايُكتب عن حياتهم الخاصة ومسلكهم وتصرفاتهم يفوق بكثير ما يُكتب عن غيرهم . كما أن الأدباء هم أكثر الناس إقبالا على الحديث الصريح عن أنفسهم ، وبدقة عن لاشعورهم وعما يجول فى خاطرهم ، سواء فى خطاباتهم الخاصة أو يومياتهم أو سيرهم الذاتية . والمعروف أن السير الذاتية للأدباء هى أفضل السير ، كما أنهم أكثر الناس اعتناء بقول الصدق ، وأقلّهم اكتراثا بصدم مشاعر الغير . فلو أن غيرهم من المشتغلين بالمهن الأخرى ، كالعلماء والأطباء ورجال البنوك والأعمال ، أوتوا من القدرة على التعبير عن ذواتهم ودفين مشاعرهم ماأوتى الأدباء ، وتركوا لنا سيرا ذاتية فى مثل صراحة السير الأولى ، فلربما وضح لنا أنهم ليسوا أقلّ عرضة من الفنانين للأصابة بالخلل النفسى والاضطراب العصبى .

لقد أورد تولستوى فى روايته « الحرب والسلام » ملاحظة شائقة ، هى أن المرأة فائقة الجمال إن شاب حسنَها عيب ضئيل الشأن ، خُيّل إلى الناظرين أن هذا العيب بالذات هو مصدر جمالها كله !

وهو حكم يسرى على الفنان سريانه على المرأة الحسناء .

○ قصة قصيرة ○

حذاء أبي

بقلم : نجيبة العسال

● امتدت نظراته عبر الشارع العريض ووقف لحظات يتأمل حركة المرور السريعة في الشارع ، ان السيارات تجرى مذعورة وكأن وراءها مردة من الجان .. والاتوبيسات تبدو كالبيوت الصغيرة التي ستنقض على سكانها من شدة اهتزازها ، ونظر في ساعة يده ، ان الساعة تقترب من الخامسة بعد الظهر ولابد أن يحدث كل هذا لحركة المرور . فالكل يبغى الوصول إلى بيته حتى يصلى العصر ويرتاح قليلا قبل موعد الافطار ، ان حركة المرور هكذا دائما في شهر رمضان .. ونظر إلى ساعته مرة أخرى .. انها أثمن شيء يمتلكه ولذا فهو يحرص دائما على النظر فيها مرة ومرات ، وخاصة عندما يكون امامه قدمان ينظف حذاءيهما وتذكر الاحذية .. أنه لم يرزق في يومه حذاء واحدا يقوم بتلميعه ولا يدرى الآن ماذا يفعل . هل يخطو إلى الطوار المقابل . ويمر على المحال التجارية ؛ ان أصحابها أحيانا يطلبون منه أن ينظف أحذيتهم ولكن ، ونظر إلى ساعته مرة أخرى ، انها تقترب من الخامسة وهل في هذا الموعد مازال أحد يود تنظيف حذائه وشعر بدوار قليل ينتابه فجأة وتذكر ان هذا الدوار قد عاوده للمرة الثالثة تقريبا في هذا اليوم .. ترى ماسبب هذا هل لأنه يشعر طوال اليوم على غير عادته بعطش شديد أم أنه أرهق من طول اللف والدوران دون أن يجلس قليلا أمام قدمين ينظف حذاءيهما وهز رأسه وأغمض عينيه قليلا حتى يستعيد توازنه وظل واقفا في مكانه لحظات ليست بالقليلة إلى أن أحس أنه قد تمالك نفسه ثم واصل سيره على نفس الطوار لقد تذكر محل بقالة الحاج ابراهيم الذي يوجد في نهاية الشارع على نفس الطوار وهو رجل كثيرا ما اعطاه أكثر بكثير من ثمن تنظيف الحذاء خاصة في هذا الشهر الكريم . وبدا محسن الفتى الذي لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره ، بدا ينقل قدميه في سرعة عجيبة لم يكن يتصور أنه قادر عليها منذ دقيقة واحدة فقط ..

ولكن احساسه بأنه ربما يجد الحاج قد عاد إلى بيته ويفقد الحذاء الأخير في يومه ربما هذا ماحفز قدميه هكذا على الاسراع بخطواته . ولكن وقبل أن يصل إلى محل البقالة أبصر الحاج ابراهيم من بعيد يركب عربته وينطلق بها سريعا ووقف

حائرا بصندوق تلميع الاحذية فى يد واليد الاخرى اصبعها فى فمه لايدرى ماذا يفعل .. انه قطعا لاينبغى هم طعام افطاره فأبوه لايدخر وسعا أبدا فى تحضير طعام الافطار له ولاخيه الذى يصغره بعامين والاكبر الذى يكبره بعامين انهم ثلاثة أخوة ... يعملون فى نفس المهنة .. مسح الأحذية وابوهم ايضاً ماسح احذية لم يدخل اى مدرسة ولكنه حرص على الحاقهم بالمدرسة وبعد الظهر من كل يوم ينطلقون بصناديقهم حتى يكسبوا عيش يومهم وفى الاجازة الصيفية للمدارس يقضون كل يومهم وهم يحملون صناديقهم ويمرون على أماكن رزقهم وقد خصص والدهم لكل منهم اماكن معينة يتردد عليها حتى يكون له من الزبائن من ينتظرون مروره عليهم وهو ايضاً الاب كان له بعض الأماكن الخاصة به وراح محسن ينقل قدميه فى تخاذل وتردد كيف يذهب إلى والده واخويه اليوم وهو خالى الوفاض حقا أنه لايساهم فى ثمن الطعام ولكنه لايذهب ابدا خالى اليد من اى شىء يحمله نصف كيلو كنافة أو قطايف ، نصف كيلو بلح ابريمى بعض الخضراوات للسلاطة لكن هكذا يديه خاويتان لاتحملان إلا صندوق الأحذية فهذا لا يتحمله اطلاقا ولم يتعود عليه . وأهل على المكان الذى يجتمعون فيه يوميا طوال شهر رمضان انه ميدان فسيح فى ركن منه حديقة بسيطة صغيرة لكنها تكفى الأب وأولاده الثلاثة حتى يصلوا العصر ويتمتعون بالجلوس على النجيل والغروب من حولهم بهدوئه وروعة سكونه فى لحظات الخشوع التى تسبق مدفع الافطار وأذان المغرب .. ثم يفطرون ويصلون المغرب جماعة يؤمهم والدهم وبعدها يحمل كل من الأخوة صندوق الأحذية وينطلقون إلى رواد المقاهى بعد الافطار ويتركون والدهم ليصلى العشاء ثم يجمع على مهل حاجيات الافطار ليذهب بها إلى البيت . واقترب من المكان المعهود وكان والده يصلى العصر واخواه لم يعودا بعد .. جلس فى صمت ووضع صندوقه بجانبه . ونظر حوله أن والده قد احضر من البيت كعادته كل شىء نظيفا منظما هاهو وابور الغاز الصغير يلمع فى ضوء العصر وعليه أشعة الشمس المائلة للاصفرار الداكن وبجانبه براد الشاى نظيفا لامعا ان والده قد حرص منذ وفاة والدتهم أن يسير على مسارها فالبيت فى منتهى النظافة . الفراش كأن يد ربة بيت محنكة هى التى تقوم بترتيبه وأقسم الا يتزوج مرة أخرى ثلاث سنوات كاملة وهو يقوم على خدمتهم وحده دون ان يلجأ إلى مساعدة من أحد ولا منهم ايضاً .. كانت حبه الوحيد وكانت تحبه بكل جوارحها . هكذا يقول والده عنها دائما وهو يتذكر أمه تماما طويلة رشيقة بيضاء شديدة النظافة فى ملبسها وهيئتها منظمة فى بيتها وطعام أولادها وزوجها وكانت حريصة جدا على أن تتفرغ لهم طوال شهر رمضان فرغم انها كانت تعمل شغالة فى البيوت بنظام اليوم الواحد فى الأسبوع إلا أنها كانت تتفرغ لخدمتهم واطعامهم طوال شهر رمضان بمنتهى

الوفاء والاخلاص ومنذ وفاتها وزوجها يحرص على أن يتفرغ لهم أيضاً فى هذا الشهر المبارك ... يعمل طول العام بجد واجتهاد ويدخر كل مايستطيع ادخاره حتى لايعمل طوال الشهر لكنه فقط يقوم بتحضير كل مايلزمهم لطعام الافطار ثم يجمع كل حاجيات الافطار ويذهب بها قبل صلاة العصر إلى الحديقة الصغيرة ويظل يحضر وينظم حتى يعود أولاده فيتوضئون من خرطوم الحديقة ويصلون العصر فرادا ولكنهم دائما يصلون المغرب جماعة يؤمهم وهو سعيد بايمانهم وطاعتهم لله وله . إن والده لايتأخر عن مطالبهم ولاخدمتهم ولايألوا جهدا فى سبيل اسعادهم ابدا . ونظر إلى والده طويلا وهو يقدم بأداء صلاة العصر ثم اشاح بوجهه قليلا ولفت نظره حذاء والده فى جانب من الحديقة . ياه انه قذر للغاية أن والده لم يتعود أن يترك حذاءه هكذا غير لامع ولانظيف .. لابد أنه لم يتمكن اليوم من تنظيفه قبل الحضور إلى الحديقة ونظر طويلا إلى الحذاء ترى هل تمتع أبى يوما بمن ينظف له حذاءه وهو جالس أمامه .. هل نعم أبى بهذه النعمة نعمة أن يمد قدميه امامه ويسرح فى الكون ثم يفيق على من يدق الصندوق بطرف الفرشاة ايذانا بانتهائه من تنظيف الحذاء وتلميعه ، أغلب الظن أن أباه مثله ومثل أخويه لم ينعموا بهذا ولن ينعموا به طوال حياتهم .. آه الا ليته الآن يجد مقعدا ليجلس عليه والده ويلبسه حذاءه هذا المتسخ ثم يجلس أمام قدميه ولا يتكلم معه حتى يدق على الصندوق بطرف الفرشاة ، ايذانا بنظافة الحذاء ولكن من اين له بالمقعد ، إذن فليكن أقرب الحلول حالا وليبدأ فى تنظيف حذاء والده قبل أن ينتهى من الصلاة حتى يكون هو اول من نظف لوالده حذاءه فى عمره لابد انها المرة الأولى ولن تكون الأخيرة فمنذ اليوم لن يترك حذاء والده دون تنظيف وليلمعه له هو بيده دائما دون أخويه وامتدت يده إلى الحذاء وشرع فى عمله بكل همة ونشاط حتى انه كان كالذاهل عن كل ما حوله وعندما فرغ من تنظيف حذاء والده ورفع نظره حوله كان والده ينظر إليه فى حب شديد وامتنان اشد وكان أخواه يبتسمان فى صمت وملأ نفسه احساس كبير بالراحة . اخيرا لم يعد إلى الحديقة ويده خاوية من كد يومه .



● الذين كتبوا عن الاسلام ورسوله الكريم فى الغرب فئتان : فئة المستشرقين ممن تخصصوا فى الدراسات الاسلامية ، وفئة الأدباء والفلاسفة والمفكرين من غير المتخصصين .

وكان برنارد شو من هذه الفئة الاخيرة .

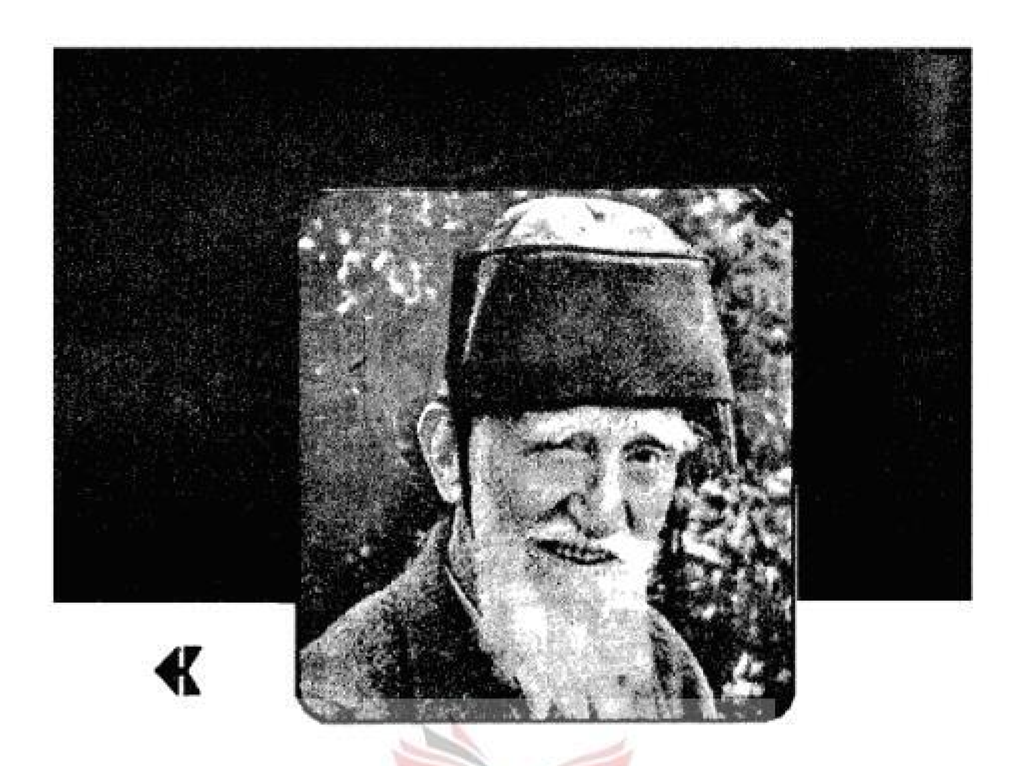
وقد تباينت درجة اهتمام الكتاب من غير المستشرقين بمحمد (ص) فأفرد له بعضهم فصلا أو كتابا بينما لم يتعرض له البعض الآخر الا بصورة عابرة .

كذلك اختلفت آراء هؤلاء الكتاب فى نبينا عليه السلام وفى دينه فمدحهما البعض وذمهما البعض الآخر وجمع آخرون بين المدح والذم فى حقهما . وكان عدد من ذمهما أكبر من عدد من مدحهما . وكان هذا طبيعيا لأسباب عدة منها العداء التقليدى للاسلام فى نفوس الناس فى الغرب ، وهو عداء يرجع الى أيام الحروب الصليبية بل إلى ما قبل هذه الحروب ، ومنها حقيقة أن الغرب قد غزا فى العصور الحديثة معظم البلاد الاسلامية وبلادا كالهند فيها عشرات الملايين من المسلمين ، والمنتصر عادة يكره المهزوم ويحتقره ويتعالى عليه . من هذه الاسباب أخيرا ما وصل اليه العالم الاسلامى - أو الجانب الأكبر منه - فى القرون الأخيرة من تخلف وضعف وانحطاط .

هم اذن يحكمون على الاسلام من منطلقين : منطلق عقائدهم ، سواء كانوا نصارى أو يهودا أو ممن لايؤمنون بديانة سماوية ، وهؤلاء فى الغرب كثيرون ، ومن منطلق واقع المسلمين وأحوالهم .

وقد أضيف إلى هذين المنطلقين فى الفترة الأخيرة منطلق ثالث هو ما يسمى " بالخطر الاسلامى " ولكن ذلك موضع آخر لا يدخل فى نطاق حديثنا عن برنارد شو لأنه لاحق لزمنه .

وبرنارد شو : هل كان من المادحين أم من القادحين ؟



الجواب ، باختصار ، انه كان ممن اهتموا كثيرا بالاسلام وبشخصية النبى صلوات الله عليه ، بصفة خاصة . وكان ممن فهموه وفهموا أبعاد رسالته ، وممن أعجبوا به واحبوه وأجلوه ، وانه بلغ من ذلك مبلغا يجعل القارىء الذى سبر أغواره ولم تنطل عليه حيلة فى اخفاء مقاصده يتساءل أحيانا . أمن المعقول أن يكون كاتب هذا الكلام غير مسلم ؟

ولكن هذا هو الواقع : برنارد شو ، رغم إجلاله لمحمد (ص) ومحبته له ، لم يقل انه مسلم .

كذلك فانه رغم اجلاله للسيد المسيح ومحبته له لم يقل انه مسيحى .

وهو فى الوقت ذاته لم يكن ملحدا بمعنى الالحاد المعروف . لقد كتب كتابات كثيرة عن عقيدته واختلف الباحثون فى تأويل هذه الكتابات . ولكن الحاصل أن عقيدته فى عمومياتها واسسها اقرب إلى الايمان منها الى الكفر وان يكن ايمانه إيمانا من نوع خاص وبمفهوم خاص وبمسميات خاصة . مفهوم يتفق مع مفاهيمنا ـ مسلمين ومسيحيين ـ عن الدين أحيانا ، ويختلف عنها أحيانا أخرى .

وهو بالاضافة إلى ذلك يرى أن القدرة الخالقة لم تكتف بارسال الأنبياء إلى الناس بل أرسلت إليهم مصلحين آخرين يقومون بدور كدور الأنبياء ويتممون هذا الدور . مصلحين وظيفتهم اصلاح مفاهيم العوام للديانة . فالعوام فى رأيه ـ أيا كانت ديانتهم ـ لايفهمون الدين فهمه الصحيح ، وهم ينحون به على مر العصور منحى يخالف طبيعته الأصلية وينحرفون

الإسلام وبرنارد شو

بمبادئه واحكامه عن وجهتها الصحيحة إلى وجهة قد تتناقض مع الوجهة الصحيحة على خط مستقيم .

ولم يكتب برنارد شو عن الاسلام أو عن محمد (ص) كتابا او فصولا أو مقالات أو حتى فصلا أو مقالا واحدا متصلا . وانما هى شذرات متفرقة فى عديد من مسرحياته وفى مقدمات بعض المسرحيات . سطر هنا وكلمة هناك عبارة ترد على لسان شخصية من الشخصيات او ذكر لاسم الرسول (ص) ضمن اسماء شخصيات أخرى : اشارات عابرة فى مجموع اعماله لو جمّعت لما تجاوزت صفحات قليلة .

ومع ذلك فإن محمدا (ص) موجود فى كل مكان فى عالم برنارد شو . موجود فى الظاهر او فى الخلفية . وموجود بالرمز فى عدد من الشخصيات التى يبث حولها بعض مسرحياته .

لقد ذكر برنارد شو مرة انه فكر فى كتابة مسرحية عن محمد ولكنه عدل عن تنفيذ هذه الفكرة حين قيل له ان ذلك قد يغضب تركيا (التى كانت حليفة لانجلترا فى ذلك الوقت) ، وأن الرقيب سيمنع عرض المسرحية أن هو كتبها .

عدل " شو " اذن عن تاليف مسرحية عن محمد .ولكنه لم يعدل عن ابداء اعجابه به طولا وعرضا فى اعماله . فعل ذلك بوسائل مختلفة بعضها صريح ومباشر وبعضها خفى يحتاج ادراكه إلى بحث طويل .

وقد اهتدينا من طول القراءة والتامل فى كتابات " شو " إلى حل بعض الالغاز التى تعمد ـ لسبب ما ـ ان يغلّف فيها وصفه لمحمد او آراءه فيه ، واعيانا حل بعضها الاخر . ولكن ما حللناه منها اقنعنا بان برنارد شو كان فى بداية حياته مفتونا بشخصية محمد وأنه ظل مفتونا بها إلى آخر عمره الطويل ، وأن كل قراءاته الموسوعية وكل تجارب حياته واطلاعه على مختلف فروع العلم ومتابعته لأحوال العالم وانفعاله بها لم تغير من شعوره نحو شخص الرسول بل زادته اجلالا له واعجابا به .

وسنحاول فى هذا البحث أن نجمع شتات ما تفرق من اشارات « شو » الصريحة عن محمد (ص) وأن نحلل هذه الاشارات ونضعها فى مواضعها . وستكون هذه هى القاعدة التى ننطلق منها الى المرحلة الثانية اى مرحلة الاستكشاف . والمسالة هنا محتاجة الى توضيح :

إن لبعض مسرحيات برنارد شو معنيان : معنى ظاهر واضح ومعنى باطن خفى . ولعل اقرب وصف لهذه المسرحيات انها اشبه بجبل الجليد العائم : الوجه الظاهر فيها هو قمة الجبل التى تطفو على السطح أما الوجه الباطن فهو قاعدته التى لايراها الناس .

وهذه حقيقة لم يتبينها معظم قراء « شو » وجمهور مسرحياته ، كما لم يتبينها معظم نقاده . بل أن الجميع تقريبا يقفون عند الاحداث الظاهرة لمسرحياته المذكورة لا يرون منها إلا وجهها الضاحك الساخر المسلى . أما وجهها الآخر فإن احدا لم يقف عنده او وقف عنده بعض النقاد ولكن دون أن ينفذوا إلى اعماقه .

هذا رغم أن برنارد شو كان يعطى فى هذه المسرحيات جملة من الاشارات تسمح ، ولو بصورة تقريبية ، بفهم ما يرمى إليه .

هذا الوجه الباطن الخفى هو الذى سنحاول اكتشافه ليكتمل عرضنا لنظرة برنارد شو إلى شخصية الرسول صلوات الله عليه وإلى الاسلام .

وسيتناول بحثنا كذلك عرضا لعدد من آراء « شو » الخاصة فى بعض المسائل الاجتماعية والاقتصادية والانسانية الهامة . وسنقارن هذه الآراء بنظيرها فى الاسلام وسيرى القارىء أن هناك شبها ملفتا للنظر فى شأنها بين آراء هذا الكاتب ومبادىء الاسلام الحنيف .

ونستطيع أن نقول بصفة مبدئية إن الأمور التى جعلت برنارد شو يعجب بشخصية النبى العربى هى كره الرسول (ص) لأشياء يكرهها هو واتفاق مذهبه فى الاصلاح مع مذهبه .

هو مثلا كان يكره أخلاق المجتمع الغربى وما فيها من نفاق وأنانية وقسوة ومادية ، وكان يجد صدى لذلك فى رسالة محمد .

وكان يكره الطريقة التى يفهم بها الغرب المسيحى رسالة المسيح عليه السلام ويستخدم بها الديانة المسيحية لخدمة اغراض لا تمت إلى المسيحية بسبب ، وكان يشارك فهم محمد للمسيح باعتباره نبيا لا الها .

وكان يكره استعباد المال للناس ويحب الاشتراكية ـ واشتراكية السيد المسيح بوجه خاص ـ وكان يرى فى دين محمد عليه السلام تأييدا لمذهبه فى ذلك .

كان برنارد شو فى كلمة ، يرى أن نهجه فى الاصلاح قريب الشبه بنهج محمد الذى هو استمرار لنهج المسيح ، لذلك كان يدافع عنه ويبطل حجة من يقولون بوجود عداء عضوى بين الاسلام والمسيحية ويرد على من يحاولون الطعن فى محمد بانتقاد تعدد زوجاته وكونه قد حارب بالسيف ولم يكتف ـ كالمسيح ـ بالدعوة باللسان .

هل معنى هذا أن « شو » كان راضيا عن فهم المسلمين لدينهم وعن طريقة تطبيقهم لأحكامه ؟

الذى يتضح من بعض كتاباته انه لم يكن راضيا عنها وأنه لو تعرض للاسلام الشعبى لنقده نقدا شبيها لنقده لما كان يسميه بالمسيحية الشعبية . ولكنه لم يفعل ذلك ولم يبد رأيه فى أحوال المسلمين إلا فى مواضع قليلة وبصورة سريعة .

لماذا ؟

من الجائز أن يكون برنارد شو قد أحجم عن نقد المسلمين لنفس السبب الذى منعه من كتابة مسرحية عن محمد أى لكى لايثير حفيظة تركيا ولأن هذا النقد قد يغضب المسلمين الذين يعيشون فى الهند وفى المستعمرات البريطانية المترامية الأطراف . ولكننا نستبعد هذا الاحتمال فإن شو اذا أراد أن يقول شيئا يرى من واجبه كرجل فكر أن يقوله لم يكن فى مقدور قوة فى الأرض أن تمنعه من قوله . وهو لم يكن يتورع عن نقد الحكومة البريطانية ذاتها والشعب البريطانى والكنيسة البريطانية ، بل وعن نقد الرقيب نفسه فى مواطن ومناسبات مشهودة ، ولم تكن شجاعته الأدبية تخونه حتى فى أحلك الأوقات وحتى اذا اضطره الأمر إلى الوقوف فى وجه افكار تعتبر من المقدسات التى لا تُمس أو فى وجه شعور وطنى أو شعبى عارم . وكانت حياته الأدبية كلها

الاسلام وبرنارد شو

سلسلة متصلة من الحملات يشنها على الاسس والتقاليد التى كان يقوم عليها المجتمع البريطانى والمجتمع الغربى عامة . وكان من المفكرين القلائل الذين عارضوا دخول بريطانيا الحرب ضد المانيا واصابه من ذلك اذى كبير ، فطرد من النوادى التى كان عضوا فيها واتهم بالخيانة وتخلى عنه الأصدقاء وقاطعه الناشرون والقراء .

وقد رأينا ، وسنرى بالتفصيل ، انه استطاع ان يتحايل على الحظر المتعلق بكتابة مسرحية عن محمد وأنه قال كل ما أراد أن يقوله بشأنه مع ذكر اسمه صلوات الله عليه أحيانا ومع اغفال هذا الاسم الكريم أحيانا أخرى ، وكان باستطاعته أن ينحو نفس هذا النحو فيما يتعلق بالمسلمين فى القرن الذى يعيش فيه أو فى العصور السابقة ، ولكنه لم يفعل .

والاحتمال الثانى الذى جعل برنارد شو يمسك عن نقد المسلمين فى حاضرهم وماضيهم هو عطفه على المظلوم . لقد كان هذا الكاتب يعطف على المسلمين كما كان يعطف على غيرهم من الشعوب المقهورة المستعمرة ، وكان يرى أنهم - مهما كانت سيئاتهم - مجنى عليهم لا جناة ، وأن الجانى الحقيقى هو الغرب وبريطانيا بوجه خاص ، وانه ، اذا كان هناك من يجب نقده وتجريحه فهو الجانى لا المجنى عليه .

ولعله رأى كذلك ان أعداء الاسلام - بالحق وبالباطل - فى أوروبا وانجلترا كثيرون وأنهم ليسوا بحاجة إلى عدو جديد له ، وخشى أن يؤدى نقده إلى زيادة طغيان الطغاة أو جعلهم يلتمسون لانفسهم الأعذار .

ومن الجائز أيضا أن يكون فهمه لمهمته هو الذى منعه من نقد المسلمين . لقد كان يرى ان مهمة الكاتب والمفكر هى الاصلاح أولا وأخرا . ولم يكن من المؤمنين بمذهب « الفن للفن » بل كان يهاجم هذا المذهب ويسخر من أتباعه . وكان يرى نفسه قبل كل شىء داعية لا مؤرخا ولا عالما اجتماعيا . وكانت وسيلته إلى الاصلاح هى نقد الاوضاع والأفكار والمعتقدات والتقاليد التى يرى أنها تسبب الضرر والشر للناس . وكان - كأى مصلح - يكتب لجمهوره المباشر أى ، فى المقام الاول ، لقومه وبنى جلدته .وهو حين كان يهاجم المسيحية الشعبية مثلا انما كان يفعل ذلك استنادا إلى ما كان يشاهده ويقرؤه ويعرفه وما كان يشاهده ويقرؤه ويعرفه من يكتب لهم . اما المسلمون فلم يكونوا جمهوره المباشر ولذلك لم يطل الحديث عنهم . ولم يكن هذا شأنه بالنسبة للمسلمين وحدهم ، فهو لم يكتب مثلا إلا فى اشارات عاجلة عن الاوضاع فى امريكا أو فى فرنسا او فى المانيا أو فى غيرها من دول الغرب العظمى كما لم يكتب عن اكثر دول العالم الأخرى ، بل ركز على عالم القريب وعلى العصر الذى كان يعيش فيه .

ويلاحظ هنا أن « شو » كان على كل حال يفضل أن يذكر محاسن المسلمين على أن يذكر سيئاتهم . وكان يفضل الدفاع عنهم على الهجوم عليهم . وكان له مثلا موقف مشهور فى قضية دنشواى المصرية ، وقال فى وصف ظلم المحتل

البريطانى المتمثل فى هذه القضية كل ما قاله المصريون بل وأكثر مما قالوه فقد كانت ظروف الاحتلال تمنع الاقلام المصرية من التعبير الحرّ وتحد حتى من حرية المحامين الذين ترافعوا عمن قدموا من أهل دنشواى للمحاكمة فى هذه القضية التاريخية .

واغلب الظن ان برنارد شو رأى أن اسلام عصره من شأن المسلمين وأنه اذا كان ثمة أوجه نقد تتعلق بحاضرهم فكتابهم وفلاسفتهم وأولى الرأى فيهم هم الذين تقع على عاتقهم مهمة الوقوف عندها وتقصى طرق الاصلاح الكفيلة بمعالجتها ، واعادة اكتشاف ، مثلهم الأعلى كوسيلة لهذا الاصلاح . والحاصل ان الفترة التى بدأ « شو » يكتب فيها عن الرسول كانت تعاصر الفترة التى قطعت فيها حركة الاصلاح الدينى فى مصر على يد جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده شوطا غير قصير .

لقد كان فضل برنارد شو فى ادراك عظمة الاسلام وعظمة نبيه الكريم كبيرا . فقد اهتدى إلى نواحى العظمة فيهما وتصدى للدفاع عنهما فى وقت كان الجانب الاكبر من العالم العربى والاسلامى فيه مستعمرا أو محتلا قد تسلطت عليه بالقهر والاستغلال دولة من الدول الغربية . ولم تحجب هزيمة المسلمين وظاهر ضعفهم أمام الغرب حقيقة الاسلام عنه كما حجبتها عن غالبية كتاب الغرب ومستشرقيه ، بل كان ، شأنه فى ذلك شأن جوته والشاعر شيلى وكارليل وغيرهم وإلى مدى أبعد ، ممن اكتشفوا امكانيات هذا الدين باعتباره رسالة عظمى تهدف إلى اصلاح حال الانسانية كلها وإلى علاج أدوائها الرئيسية .



الحب عند العرب

● قال العلماء « الهوى أنواع ، أوله العلاقة ، وهو الشىء يحدثه النظر والسمع فيخطر بالبال ثم ينمو فيقوى فيصير محبة . والحب اسم مشترك يجمع ضروبا من ميل النفس كحب الولد والمال . ثم الهوى . ثم المودة . ثم الصبابة . ثم العشق . ثم الوله . والهيام والتتيم . وهو أرفع درجات الحب لأنه التعبد »

● سئلت أعرابية عن الهوى فقالت لامتع الهوى بملكه . وقبض الله يده وأوهن عضده . فانه جائرٌ لاينصف فى حكم ، أعمى لاينطق بعدل ، ولا يقصر فى ظلم ، ولايرعوى للذم ، ولاينقاد لحق ، ولايبقى على عقل وفهم ، لو ملك الهوى وأطيع لردّ الأمور على أدبارها ، والدنيا على أعقابها .

أسفار داخل إيقاع الموج !

شعر : محمد بنعمارة «المغرب»

تحت الظلال سنلتقى
وطن وأنثى ورجل
حزن ثلاثى بدأناه قديما
حين أوغل فى مداد البحر سيف
يحرس الاشباح والسفن المهاجرة التى
قد هربت من جلد هذا البر آلام العذارى
ـ أنت زهر شائك الاشكال يتبعنى
فابحث عن رفيق
يمتطى وجه الفضاء
ويرتمى فى حضن عاشقة المسافة
ـ ربما كان الزمان خرافيا
والحرب فيه سحابة
والصخر ينبت فى السواحل
والصهيل البحرى الممتد يناجى
ألوان وجه الماء

وحكمة أحزان الفجر توزعنا فى العربات
فنرحل فى كل جهات الارض
ونتبع سربا من أمم النورس
يشرب ايقاع الموج
ويتوغل فى أسفار الماء المالح
ـ نحن الريش المبتل
غريق يسقط فى المطلق
والمطلق أيام تتراءى فى مرآة الغائب
هذا ومض أشرق فى خارطة الفحم
ـ بلادى نارية الساحات :



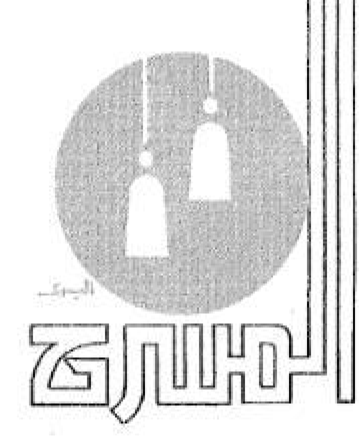
أسفار داخل إيقاع الموج !

رماد البحر يعانق رمل الشطآن
ونحن تلاقينا فى اللون القانى

***

ان النجوى بعض من هذا الوقت
وأجراس الوقت تنادى :
يا من كان هنا
كل غرائز عشب الماء تبايع رونق حرقك
ـ فيه محطات ضوئية تنشر روعتها
وتودع أحباب قراك النائمة مع النهر
ـ سأسأل عنك صدى الاعماق
فأنت كليم الاشجار
اذا احتل خريف الايام فواكهها
وارتعشت أوراق ذابلة
ثم تلاشت فى صمت الموت
ـ أمامك اربعة : لا يعرف فيها رعد
فتأمل هذا المشى التائه فى كل الاشياء الليلية
أمامك : أعداء النخل
وخلفك : كل قصائد عشقك
فيها وطن من غابات الخيل
يقاتل أشباح العادة وتماثيل الحرب
ـ ولونك من دم كل رفاقى
نرجسة تنبت فى مملكة الروح
معنا وطني : حين تفك الريح قيود الموج الراكد فى جسدى





أين الحقيقة فى أزمة المسرح؟

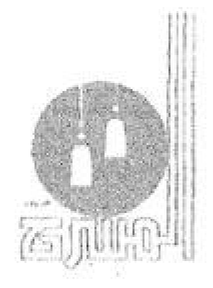
نحتفل فى السابع والعشرين من هذا الشهر بيوم المسرح العالمى، وتحتفل معنا المراكز والهيئات المسرحية فى العالم، وفى هذا اليوم تفتح المسارح لمشاهدة العروض المسرحية مجانا، بناء على قرار منظمة اليونسكو.

ويأتى هذا الاحتفال بعد أن مرت مصر بأزمة خانقة فى المسرح، وبعد أن ظهرت تباشير نهضة مسرحية شابة.

وعاد البندول واخذ المتفرجون يعزفون عن الأعمال الساقطة، ويطالبون بالأعمال الفنية الجادة

وليس غريبا ذلك الاصرار داخل الحقل المسرحى على استرجاع مافات، وإعادة الحيوية للمسرح، فالمتفرج يتطلع إلى كل ماهو مشرق وجميل، ليمتع الروح والعقل والبصر، ويستبدل العمار بالدمار والجمال بالقبح ..

من اجل ذلك نشارك فى الاحتفال فى هذا الجزء الخاص فى طرح قضايا المسرح، ويساهم فيه عدد من كبار الكتاب والمشتغلين بالمسرح، يرصدون بشائر النهضة المسرحية، وابعاد التحديات التى تواجهها ..



مسرحنا.. أين؟

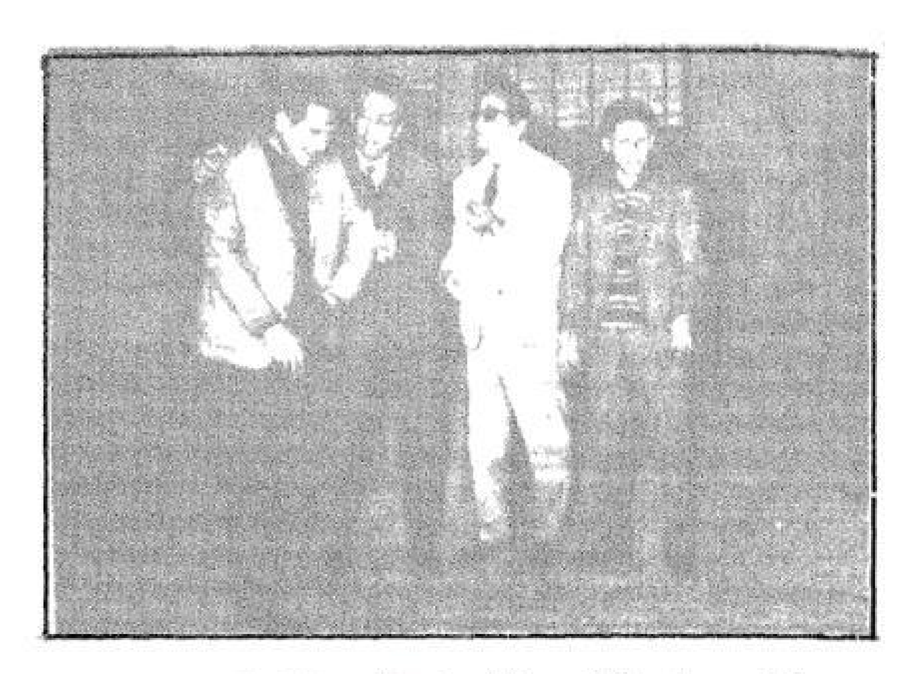
دراسة تحليلية بقلم :

سعد أردش

منذ بدايات الثمانينات يتردد هذا السؤال على كل المستويات مسرحنا ، أين ؟! .. ماذا أصابه ؟! .. لقد كان بالأمس القريب حيا ، نابضا ، مزدهرا ، تؤمه الجماهير بقروش قليلة ، لتشارك الفنانين في حوار حي أشبه مايكون بالبرلمان الشعبي المتحرر من كل القيود البرلمانية الرسمية .

كانت مسارح الدولة ، يتقدمها « المسرح القومي » تتنافس في تقديم عشرات المسرحيات كل عام ، من روائع الأدب المسرحي المصري والعربي والعالمي ، وكانت هذه العروض تضم كل الألوان والنوعيات المسرحية ، من « الدراما » البحتة : هزليات ومآسي ، إلى الغنائيات والاستعراضات والفنون الشعبية وفنون السيرك ، وكان يشارك مسارح الدولة عدد محدود من المسارح الخاصة ، في تنافس نظيف حول منهجين فكريين : أحدهما يربط الفن بالمجتمع وقضاياه ، والثاني يكتفي بالفن للفن والمتعة والضحك ، دون تطلع إلى مضمون أو هدف إنساني ، استنادا إلى نظرية مفادها أن الانسان الاجتماعي غارق طيلة نهاره في التناقضات الاجتماعية وفي معركته الذاتية مع مجتمعه من أجل الحياة ، فمن حقه أن يرتاد المسرح في ليله ليلهو ويمرح ويضحك ، ليمسح عن جبينه وعن نفسه متاعب النهار .

كان هذا في أواخر الخمسينات وطيلة الستينات ، في ظل مناخ من الاستقرار السياسي ، والوضوح الفكري القائم على المبادىء الستة لثورة يوليو ١٩٥٢ ، ومن بين هذه المبادىء بالدرجة الأولى مبدأ



يوسف ادريس صاحب الفرافير مع المخرج كرم مطاوع وتوفيق الدقن وعبد السلام محمد ، وهم اهم مسرحيات عام ١٩٦٤

تحقيق العدالة الاجتماعية ، وحل التناقضات الطبقية من خلال معايير الاشتراكية .

ولم يكن المسرح العامل أو المحترف يتحرك وحده بمعزل عن غيره من المؤسسات بل كانت تؤازره فى حركته المتنامية الصاعدة كل المؤسسات الثقافية والتعليمية ، وأجهزة الاعلام ، وإدارات الحكم المحلى ، فى نسيج اجتماعى مترامى الأطراف ، تشارك فيه المسارح المدرسية والجامعية ، والفرق الاقليمية ـ وكانت لكل محافظة فرقها الدرامية والغنائية والموسيقية والشعبية ـ وكانت تشارك فيه الصحافة القومية بأقلام رواد النقد الكبار ، والصحافة المتخصصة ، من خلال مجلة متخصصة للمسرح ، تعتبر أعدادها الأن مرجعا أكاديميا من أهم المراجع ، وسلاسل متعددة من المنشورات المسرحية أدبا ودراسات ونقدا ، مترجمة أو مؤلفة ، بأسعار زهيدة فى متناول أدنى الأمكانيات الاقتصادية . مناخ صحى متكامل على مستوى الانسان والزمان والمكان ، وعلى مستوى السياسة والاقتصاد والتعليم العام والتعليم التخصصى فى معاهد أكاديمية الفنون .



وكانت السبعينات بمثابة بيات شتوى متجمد للثقافة عامة وللمسرح بوجه خاص ، ولقد كان لى شرف الاطلاع على مخطط تجميد المسرح - أو تعديل مساره من مسرح « سياسى » إلى مسرح « اجتماعى » ، على حد تعبير المسئول الكبير الذى كان يحاورنى ، ولكنه لم يكن يعنى بكلمة « اجتماعى » مايمكن أن يتبادر إلى ذهن المثقف ، بل كان يعنى المسرح الاستهلاكى ، ولست أريد أن أشغل القارىء بتفاصيل هذا الانكسار المسرحى الآن ، ولكنى أحيله إلى كتاب الأستاذ الصديق فاروق عبدالقادر « ازدهار وسقوط المسرح المصرى » فقد طرح صورة لمسرح سنوات الازدهار ، أتبعها بدراسة دقيقة للظروف التى مهدت للسقوط ، يقول :

« وفى سنوات السبعينات ، ونتيجة امتداد عوامل السلب فى الواقع المصرى ، كان طبيعيا أن يزداد المسرح التجارى رواجا وازدهارا ، وأن يزداد مسرح الدولة - فى المقابل - عزلة وبوارا ، وقد تصور بعض القائمين على هذا المسرح (يعنى مسرح الدولة) فى وقت من الأوقات ، أن السبيل الوحيد نحو إعادة الرواج هو منافسة المسرح التجارى بوسائله وأساليبه ..ومع التغيير الدائم فى المسئولين (من مديرى المسارح إلى وزراء الثقافة) ، وفى الهيكل الادارى والتنظيمى لمؤسسة المسرح ، وسيادة الروح البيروقراطية ، وعدم وجود تصور واضح لما يجب أن يقدم المسرح ، ازداد المسرح الجاد تخبطا وانهيارا ، وصعدت على خشباته أعمال لقيطة ... لقد فقد المسرح المصرى دوره الريادى فى الواقع ، لم يعد قادرا على الوقوف إلى جانب الجديد ، والدعوة إليه ، والتبشير به ، والحث على التعجيل بقدومه ، ثم العمل على تجاوزه ، لكنه أصبح - مثل وجوه الثقافة المصرية الأخرى - ذيلا للأحداث ، تاليا عليها »

إنه تقويض وهدم كاملان لبنية مسرح الدولة ، يبدأ بإفراغه من الفكر ومن الجدية ومن الشعر والشاعرية ، ثم يثنى بالهدم الادارى والتنظيمى والاقتصادى ، ثم يكمل الدائرة بدعم المسارح التجارية ، حتى ولو كان هذا الدعم معنويا فى صورة تسهيلات ومساندات . وكانت المتغيرات الاقتصادية التى أعقبت حرب ١٩٧٣ حجر الزاوية فى القضاء على البقية الباقية من مسرح الدولة ، فقد تعاون فى تحقيق هذا الهدف الانفتاح الاقتصادى الاستهلاكى - بما ترتب عليه من تفجيرات فى بنية الهرم الاجتماعى المصرى ومن تأثر الاقتصاد المصرى - على ضعفه - بالعجلة الجهنمية للاقتصاد الراسمالى ، بحيث ارتفع مستوى الأسعار عشر مرات على الأقل ، مع بقاء الدخول على حالها بالنسبة للطبقة المتوسطة ، ومن بينها الفنانون العاملون بمسرح الدولة ، تعاون كل هذا مع صعود مملكة البترول بالخليج العربى ، واقتحام رءوس

الأمـوال البتـروليـة عـالم الانتـاج التليفـزيـوني ، بعـاسمي بعـد ذلـك بالبترودراما ، بأسعار استغلال للأدب والأداء الفنى والخبـرة التكنولـوجية المتوفرة في مصر ، بلغت من الارتفاع قدرا يرغم الفنانين والفنيين المصريين على القبول ، تحقيقا لقاعدة العرض والطلب ، وبحثا عن التوازن الاقتصادى بين الدخل وتكاليف الحياة .

الجمهورية الثالثة

فى هذا المناخ تبدأ الجمهورية الثالثة ، وقد ورثت مسرحا خربا ، غرقت سفينته ، وتشتت ربابنتها وبحارتها من كتاب ومخرجين وممثلين وفنيين ، وورثت بجانب ذلك مسرحا تجاريا منتعشا ، ارتفعت أسعار التذاكر فيه إلى خمسة عشر جنيها فى السوق البيضاء ، وإلى ثلاثين جنيها فى السوق السوداء كما ارتفعت نسبيا أثمان تذاكر الدخول فى مسرح الدولة ، وعرفت للمرة الأولى رقم الجنيهات الخمسة للكرسى الواحد . وزاد الطين بلة أن إجراء إداريا تنظيميا قد ألغى الهيئة العامة للمسرح و بدلا من أن يحقق الحلم الكبير الذى كافحنا من أجله طيلة الستينـات ، حلم إنشـاء « البيـوت المسرحية » المستقلة إداريا وفنيا وماليا ، أجهض هذا الحلم ، فانشىء مايسمى « بالبيوت الفنية » وهى فى حقيقة بنيتها ثلاث إدارات ، تسيطر على ثلاث نوعيات من المسرح : الدراما ، والموسيقى ، والفنون الشعبية ، فأصبح الهرم الادارى البيروقراطى ثلاثة أهرامات ، وتضخمت الأعباء الوظيفية فأصبح على رأس كل نوعية من النوعيات الثلاثة وكيل للوزارة وجيش من مديرى العموم ، يأتى تحتهم جيش مترامى الأطراف من الموظفين فى درجاتهم المختلفة ، إلى درجة التندر بأن كل فنان يقابله عشرون موظفا ، بينما المسرح التجارى يديره موظف واحد ، وبصرف النظر عن ضآلة المبالغ التى ترصد فى ميزانية المسرح للانتاج المسرحى ، بالنسبة إلى الأرقام المهولة التى تغطى مرتبات الموظفين ، ثم منسوبة إلى تكاليف الانتاج حسب الأسعار الجديدة ، فإن قضية القضـايا هى المعوقات الادارية والمالية ، إنى أتحدث هنا من واقع تجربتى القصيرة التى استغرقت عشرة أشهر فى إدارة البيت الفنى للمسرح ، وكيلا للوزارة ، وكان منطق الادارة فى الانتاج يقضى أن تكون له سلطات مطلقة فى حدود القانون ، لايحدها إلا سلطات الوزير السياسية والادارية والمالية . وأحب أن أصارحك ياعزيزى القارىء ، أن سلطتى كوكيل للوزارة على رأس مسرح الدولة ، كان يحدها ، ومازال ، موظف إدارى مالى بالدرجة الأولى أو الثانية ، اسمه مراقب الحسابات ، وهو تابع فنيا لوزير المالية ، بمعزل عن أى منطق للانتاج فى عالم الفن ، وكانت معظم قراراتى تقف عند هذا الموظف ، فيحيلها إلى مـراقب عام الحسابات بالوزارة ، الذى يحيلها بدوره إلى وكيل أول الوزارة ، وفى معظم الأحيان كانت ترفع إلى وزارة المالية لأبداء الرأى ...؟! ولقد يقال إن هذه إجراءات ضرورية للحد من الانحراف ومن سوء التصرف فى أموال الشعب ، ولقد يكون هذا صحيحا وحقا للبيروقراطية ، مع توفر



شرطين أساسيين : الأول أن تغلق كل مسارب الانحراف ، والثانى ألا تكون هذه الاجراءات معوقة لعجلة الانتاج .

وأصارحك القول ياقارئى العزيز أن واحدا من الشرطين لم يتوفر ـ ولن يتوفر فى ظل هذا التنظيم : فالانحراف قائم . والانتاج المسرحى كان معوّقا ، ويظل معوّقا ، بفعل أصغر كاتب فى هرم البيروقراطية الذى يئن تحته الفن والفنان المبدع ....!!

الصحوة .

على أن هذه الصورة السوداء يقابلها ، ويتوازن معها ، مناخ معنوى يدعو للتفاؤل ، وقد هيأ هذا المناخ الصحى لبشائر صحوة نسبية فى مسرح الدولة ، يقابلها فى الآونة الأخيرة انكماش فى انتعاش المسرح التجارى الاستهلاكى . ولقد يقتضى هذا الاستقراء شيئا من التفصيل . بدأت الجمهورية الثالثة بشعارين كبيرين وهامين فى ميدان الفكر السياسى : الديمقراطية الحقيقية متمثلة فى تعدد الأحزاب ، وحرية التعبير بالقدر الذى لايتعارض مع المصالح العليا للوطن

ولقد تحولت الشعارات بالفعل إلى حقائق ، فأصبح لنا برلمان يضم الاغلبية العظمى للاتجاهات الفكرية المتعارضة التى تنتظم المجتمع المصرى ، وتحرر التعبير الفنى بدرجة معقولة من كثير من القيود التى كانت تكبله فى السبعينات ، بدرجة أدت بالفعل إلى انطلاق الكلمة المسرحية فى نقد الواقع والتنبؤ بالمستقبل ، ليس فقط فى مسرح العاصمة ، بل فى مسارح الأقاليم التابعة للثقافة الجماهيرية أيضا . وعاد إلى المسرح الجاد جانب عريض من جمهوره الذى ظل يترقبه طويلا ، ونعتز فى هذه الجماهير الجديدة بطلائع الشباب من الأجيال الصاعدة التى استهوتها الكلمة المسرحية الجديدة بصدقها وحرارتها وجرأتها ، وبالحوار بين هذه الطلائع الجديدة من الشباب ، وطلائع الشباب من فنانى المسرح ، كتابا ومخرجين ومؤدين .

والحق أن أبرز مظاهر الصحوة المسرحية تتحقق على أيدى الأجيال الصاعدة من الشباب : فنانين وجمهورا . فاذا كانت بوادر الصحوة والانفراج قد أغرت جيل الستينات بالعودة إلى المسرح مرة أخرى ، عن ثقة بديمقراطية النظام فى الجمهورية الثالثة ، وبصدقه وجديته ، وبكثير من التفاؤل بالنسبة للمستقبل ، فان الساحة المسرحية قد حفلت بالكثيرين من المبدعين الشباب تأليفا ، وإخراجا وتمثيلا ، ولاشك أن الكثيرين من هؤلاء المبدعين قد استحدثوا بدايات مسرح جديد يعبر عن رؤية أكثر حداثة وأوضح فكرا بالنسبة للمستقبل ، ولاشك أيضا فى أنهم تجاوزوا كل تناقضات الستينات والسبعينات ، وكل تحزباتها ، وأخذوا يبدعون رؤى تبحث عن مسار المستقبل ، على ضوء الدروس المستفادة من تجارب

نيف وثلاثين عاما هى عمر الثورة من خلال اطر تعبيرية تؤكد تمكنهم من مفردات جديدة فى التقنية المسرحيـة ـ أدبا وعرضا ـ تعتبر من وجهة نظرهم معادلا تعبيريا مناسبا لموقفهم الفكرى من قضية مصر الحاضر والمستقبل .

حركة الشباب

وتتكامل مع حركة الشباب من المبدعين المسرحيين ، حركة الشباب من جمهور المسرح الجديد . والحق أن موجات جديدة من الشباب قد بدأت تبحث عن المسرح الجاد وتمنحه سخونة الطقس المسرحى الحى النابض : أدركت ذلك بالتجربة الحية فى عروض مسرحية كثيرة فى مسرح العاصمة وفى مسرح الأقاليم : فوت علينا بكره ، الكلمة والموت ، منين أجيب ناس ، اليهودى التائه ، جحا باع حماره ، عروض اليوبيل الفضى لأكاديمية الفنون ، أجنبية ومصرية ، وبوجه خاص عروض التراث الغنائى المصرى ، الوزير العـاشق ، ومعظم عروض « مسـرح الغرفة » فى القاهرة والاسكنـدرية ، والاسماعيلية ، وكلها عروض تقوم على أكتاف الشباب الصاعد فنانين وجمهورا ، بالرغم من أن غالبية النصوص معدة عن الفريد فرج ونجيب سرور ومحمود دياب ، وأن القلة القليلة منها لكتاب جدد . ولكن الذى استوقفنى حقا هو إقبال الشباب من الجماهير على عرض « أوبرا عايدة » ، بالرغم من أن العمل إيطالى الجنسية نصا وموسيقى ، وإن كان الموضوع مصريا . لقد حاورت جانبا من هؤلاء الشباب ، فكانت إجاباتهم تدور حول العناصر الآتية

● نحن نسعى إلى المسرح الجاد ، أيًّا ماكانت نوعيته .

● سعينا إلى « عايدة » من أنحاء الجمهورية ، ثقة منا بالقدرات الفنية للأسماء التى يحملها الاعلان ، ابتداء من « فردى » ولأنها تدور حول « مصر » فى صراعها مع الزمان والمكان .

● إن ثقتنا المسبقة بانضباط القيم الفنية التى يقوم عليها العرض كانت أحد الحوافز الهامة فى تجشمنا المشاق لحضور العرض .

● إن حضورنا عرض « عايدة » يعطينا إمكانية الدراسة المقارنة بين الصياغتين الاجنبية والمصرية للمسرح .

● إننا نطمح إلى تحقيق هذه الصورة المتكاملة للعرض المسرحى فى عروض المسرح المصرى .

ولست أخفى عليك أيها القارىء العزيز ما انتابنى من احساس بالتفاؤل اثر هذا الحوار الجاد ، الحاد الدقيق فى علميته حتى من الناحية التخصصية البحتة فى علوم المسرح .. لقد خيل إلىّ وأنا أحاورهم أننى فى حلقة للدراسات العليا فى علوم المسرح ، وكنت أنا المتلقى لا المحاضر .

هذه هى جماهير الصحوة الثقافية والمسرحية ، وهذه هى جماهير مسرح المستقبل الذى أخذ يتشكل الآن فى ظل مناخ يوحى بعصر للتنوير والاصلاح هذا عن مسرح الدولة ..

المسرح التجارى

أما المسرح التجارى ـ كوجه آخر للعملة ـ فهو يجتاز الآن أزمته الكبرى ،



ذلك أن الطبقة الطفيلية التى منحته منذ أواسط السبعينات مقومات صعوده، أصبحت اليوم باحثة عن مشهيات أفضل واسهل، وأكثر تحقيقا للمتعة الحسية والتخديرية، ولقد اصبح بوسعها أن ترتاد الملاهى الليلية الكبرى - ليس فقط بالقاهرة، بل بعواصم العالم - وقد اكتشفت فى نفسها القدرة، بعد أن تخطت مرحلة المليونيرات ودخلت فى زمرة المليارديرات، على ابداع ملاه خاصة بها، تستمتع بها وحدها، بمعزل عن الطبقات « الحاقدة الحاسدة » فى منتدياتها الخاصة، فى مصر أو فى أسبانيا أو فى اليونان أو فى غيرها من بلاد العالم، وفى مساكنها الشرعية وغير الشرعية. ولهذا اهتزت الموازنات العالية للمسارح التجارية، ولم يعد امامها إلا أن تعيد دراسة بنيتها من جديد، أو أن تجد وسيلة لاستثمار أموالها غير المسرح.

على أنى أعترف أن هذا التصور - الذى يستند إلى معطيات تطبيقية فى الواقع المسرحى المصرى - قد يكون شديد التفاؤل، إذا رصدنا الصعوبات والعقبات التى يطرحها الواقع بالنسبة لمسرح الدولة.

ولعل النظرة التحليلية لتاريخ مسرح الدولة فى مصر، تلقى ضوءا على هذا التناقض: لقد نشطت الدولة إلى إنشاء « المسرح القومى » - أو الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى كما كانت تسمى - فى ١٩٣٥، أى منذ خمسين عاما بالتمام والكمال، والمتتبع لفكرة « مسرح الدولة » منذ ذلك الحين سيدرك فورا أن البنية الاساسية لهذا المسرح قد تطورت صعودا بالنسبة لكل عناصر المشروع الاساسية: الانسان، والزمان، والمكان، والدعم المالى. فبعد أن كان قوامه فكرة واحدة، فى دار مسرحية واحدة هى مسرح الازبكية، اصبح مسرح الدولة اليوم ينتظم حوالى خمس عشرة فرقة مسرحية فى تخصصات الدراما والموسيقى والفنون الشعبية، بالاضافة إلى ثلاث فرق عاملة فى أكاديمية الفنون، ومشروع تحت التنفيذ لفرقة طليعية بالمعهد العالى للفنون المسرحية، وعديد من الفرق القومية، وفرق قصور الثقافة، وفرق بيوت الثقافة، على اتساع أرض الوطن تتخذ لها مسكنا أو مكانا للعرض فى العشرات من دور المسرح فى القاهرة والاسكندرية وعواصم الاقاليم. وبدلا من بضع عشرات من فنانى المسرح وفنييه وموظفيه اصبح الجيش المسرحى ينتظم الآلاف، ومن ورائه اكاديمية علمية تشكل العقل العلمى والتربوى لهذا البناء الثقافى الكبير، وتمده كل عام بعشرات الخريجين فى كل التخصصات المسرحية والموسيقية، وفى تخصصات الأدب والنقد المسرحيين.

والحق أن الخبرة المسرحية فى مصر قد تنامت خلال الخمسين عاما - وبوجه خاص خلال ثلاثين عاما من عمر الثورة - بشكل منحها القدرة على أن تصبح بيت الخبرة المسرحية للعالم

العربى كله ، وعلى أن تحمل مسئولية التأسيس فى البنية المسرحية العربية ، بالمشاركة فى اقامة المعاهد والأكاديميات المتخصصة ، وفى إرساء قواعد حركة مسرحية متنامية فى كل الأقطار العربية مشرقا ومغربا . وبعد أن كان الدعم المالى للمسرح وروافده بضع عشرات ألوف الجنيهات سنويا ، أصبحت ميزانية المؤسسات المنتجة للمسرح : علما وعملا ، تتجاوز عشرة ملايين من الجنيهات سنويا ، مخصصة **لأكاديمية الفنون ، والبيوت الفنية الثلاثة ، والمؤسسة المسرحية داخل نسيج الثقافة الجماهيرية .**

ولكن « مسرح الدولة » ـ رغم كل هذا التطور الصاعد رقميا يجتاز ـ « أزمة » خانقة فى عرف المتشائمين ، وتعترضه « صعوبات » فى عرف الميالين بطبيعتهم إلى التفاؤل ، غير أن هؤلاء وأولئك يجمعون على أن الواقع يؤكد تدهور مسرح الدولة ، وإختناقه ، وحاجته إلى غرفة إنعاش وتطوير وتجديد وإصلاح . هذا رأى أجمعت عليه كل لجان التطوير والأصلاح التى شكلتها وزارة الثقافة .

مؤشرات التطور

وكل لجان الثقافة والأعلام المتعاقبة فى مجلس الشعب ، ولقد اهتدت كل هذه اللجان إلى مؤشرات للحركة الاصلاحية يمكن تلخيصها فيما يلى :

● انقاذ « مسرح الدولة » من استبداد الهرم البيروقراطى الرابض فوق رأسه ، وذلك باعطاء مسئولية الادارة تخطيطا وتنفيذا للمسرحيين انفسهم ، فى

لقطة من أوبرا عايدة





إطار فكرة « البيوت المسرحية المستقلة اداريا وفنيا وماليا » والتى تم تحويرها والعبث بها لصالح البيروقراطية غداة إنشاء المجلس الأعلى للثقافة فى ١٩٨٠ .

● تحرير الادارة التعبيرية لرجال المسرح ، باعادة النظر فى قانون الرقابة على المصنفات الفنية تشريعا وتنفيذا .

● إعادة النظر فى واقع العمارة المسرحية (دور المسرح) على أساس أنها قاصرة عن تحقيق الكفاية للحركة المسرحية المتنامية عرضا وجمهورا والواقع أن هناك قصُورا ملموسا فى خططنا التنموية من هذه الناحية ، نابعا من القصور الاساسى فى خطط التعمير والتأسيس والتطوير فى العمارة وتخطيط المدن .

● إعادة النظر فى كل قواعد توظيف وتشغيل الفنانين والعاملين بمسرح الدولة ، بعد أن أصبحت مرتباتهم المجمدة منذ ما قبل الانفتاح الاقتصادى وعجلته الجهنمية ، غير صالحة لتحقيق التزام العامل بمصالح مؤسسته .

● الاتفاق على فلسفة للمؤسسة الثقافية بوجه عام ، والمؤسسة المسرحية بوجه خاص ، فلسفة تلعب دورا إيجابيا وتنمويا فى حياة المجتمع المصرى ، من خلال خطط قصيرة المدى ، وأخرى طويلة المدى ، تكون مرتبطة بالخطة العامة للدولة تشريعيا وتنفيذيا ، ومحددة بأهداف معنوية يلتزم المثقفون بأنجازها فى إطار الخطط الزمنية ، وتلتزم بها الدولة فى إطار الخطط الانشائية والمالية .

إن الصحوة التى صاحبت بدايات الثمانينات ، أوشكت أن تتنامى وتتحول إلى نهضة تعيد إلى المسرح المصرى ، وإلى الثقافة المصرية ، قدرتها وحيويتها وفاعليتها كنقطة انطلاق حضارى فى الشرق الأوسط ، وفى العالم الثالث ، لن تتكامل إلا بتغيير جذرى كامل يهيىء مناخا ثقافيا صحيا ، متحررا من كل العوائق المعنوية والمادية ، ومن العسير ـ بل من المستحيل ـ أن يحدث هذا التغيير إلا من خلال فلسفة محددة ، تبادر كافة الأجهزة الرسمية والشعبية ، والنقابات المهنية بوجه خاص ، فى الالتزام بها ومؤازرتها ، كل فى حدود قدراته . إن عوائق المسرح ليست قضية تخص جهازا واحدا كوزارة الثقافة ، ولكنها قضية تخص كل أجهزة الدولة بسلطاتها التشريعية والتنفيذية بما فى ذلك وزارات وأجهزة الأعلام ، والاسكان ، والتخطيط ، والتعليم ، والمالية ، وأجهزة كثيرة أخرى كالجهاز المركزى للتنظيم والادارة .

والفيصل فى التزام الدولة أو عدم التزامها بالمسرح كمؤسسة ثقافية ، هو عقيدتها بالنسبة لوظيفة المسرح : هل هى اللهو والتجارة ، فتتركه لتجار الملاهى ، أو هى التنمية الحضارية التى يجب أن تواكب التنمية العمرانية والاقتصادية ، فتتبناه بشكل كامل وتزيل من طريقه كل المعوقات .



مسرح العالم الكبير..!

بقلم : **الدكتور على الراعى**

في مسرحية : «كما تحبونها» ، يجعل وليم شكسبير احد شخوص المسرحية ، واسمه «جاكويز» يتأمل حال الانسان فيقول : «الدنيا كلها مسرح كبير ، والناس كلهم ، ما بين رجال ونساء ، مجرد ممثلين على خشبته» .

هذا الذى كان خيالا فى القرن السادس عشر ، أصبح الآن - والقرن العشرون يسرع الى انتهاء - حقيقة واقعة . الم يعلن العلماء السوفييت منذ أسابيع ، انهم قد توصلوا الى طريقة جديدة تتيح البث التليفزيونى أن يتم عبر العالم كله ، دون حاجة الى اقمار صناعية ؟ ثورة هذه فى مجال التواصل العالمى . ثورة لا شك فيها ، معناها ، فى التحليل النهائى ، انه لن تمر سنوات كثيرة قبل ان يصبح نقل المعلومات والثقافات وألوان الفنون المختلفة الى أرجاء الأرض جميعا ، اما مسجلة ، أو عن طريق البث المباشر ، امرا مؤكدا وفاعلا .

وفى مجال الفنون بالذات ، سوف يصبح لهذا الكشف الواعد آثار بالغة الخطورة . لنتخيل معاً يوما يأتى نوجه فيه أجهزة الاستقبال التليفزيونى نحو عواصم العالم الفنية ، لتستقبل حفل باليه من موسكو ، أو عرضا شكسبيريا هاما من لندن ، أو اوبرا عظيمة القيمة من فيينا أو تجربة مسرحية من باريس او نيويورك ، أو حفلا موسيقيا كلاسيا او شبابيا من براغ او دبلن ، أو عروضا فولكلورية من افريقيا وأخرى طقوسية من آسيا أو رقصات جماعية شوارعية من امريكا اللاتينية . أى ثراء سوف يعنيه هذا لمتفرج التليفزيون الحالى ، الذى يقتله الملل من كثرة ما يقدم له من مواد متشابهة ، فيدفعه الخواء الى ازدرادها كرها ، او يأخذه الغضب فيغلق الجهاز !

ان ثورة هامة ، وان كانت أقل شأنا ، قد سبقت اعلان النبأ السوفييتى . وأعنى بها قيام التليفزيون بنقل المسرحيات ، والمواد الممثلة عموما ، الى بيوت المشاهدين . ثم ظهور تسجيلات الفيديو التى تحمل المسرحيات ، والتمثيليات ، وتنتقل بها فى سهولة عبر العالم كله ،





بعض الأقمار الصناعية يشاهد متفرج التليفزيون على المسرح العالمـــى

وتعرف سكان أجزاء معينة من الأرض ، على رأسها بلاد بعينها فى وطننا العربى ، بفن المسرح ، فكرة وممارسة معا . وبعض هذه البلاد لم تعرف المسرح حتى الآن ، وبعضها الآخر لا يريد أن يقوم فى ارجائه مسرح على الاطلاق لاعتبارات مختلفة .

وما فعله التليفزيون والفيديو حتى الآن ، هو أنه انشأ لفن المسرح جمهورا ثانيا ، موازيا للجمهور الذى يشاهد المسرح الحى . وقد قيل كلام مثير فى ضرر البث التليفزيونى وتسجيل الفيديو ، والاثر السلبى الذى يتركانه فى المسرح الحى ، تضييقا لنطاقه ، واستقطابا لجماهيره . وهذا الأثر السلبى موجود ولا سبيل الى انكاره . ولكنه قائم لاننا نريد له ان يقوم . بمعنى اننا نكتفى بلعنه ، ولا نفعل شيئا كثيرا او قليلا للتخفيف من حدته أولا ، ثم لالغائه من بعد - على المدى - ثم ايجاد سياسة رشيدة يتم بمقتضاها تعاون خلاق بين المسرح الحى ، والادوات الكبرى التى خلقتها التكنولوجيا المعاصرة ، وجعلت من الممكن عن طريقها نقل الفنون والثقافات على نطاق واسع بين البشر أجمعين .

أن هذا الترشيد لاستخدام أجهزة نقل الثقافات بحيث تخدم القيم الفنية الواعدة والخلاقة كفيل على المدى ، بأن يحدث تلاقيا بين جماهير المسرح الحى والمسرح المنقول ، بحيث يصب كل من التيارين فى الآخر فينتهى التوازى بينهما ، ويبدأ التفاعل . وهو ما يتم الآن فى الواقع ، وان كان التلاقى هنا يترك للصدفة ، ولا يقصد لذاته الافيما ندر . ان بعض عروض المسرح الحى الجيدة تعرف

طريقها الى الشاشة الصغيرة ، والى شريط الفيديو . واحيانا يستحدث هذا النقل والتسجيل لمواد المسرح الحي ، رغبة لدى جمهور التليفزيون وعروض الفيديو في مشاهدة المسرحية الحية . فهذا الذي يتم احيانا ، وعرضا ، ينبغي ان ينظم وتوضع له خطة ثابتة ، بحيث تخدم العروض المسرحية الحية برامج التليفزيون وتسجيلات الفيديو ، وتحفز هذه المواد المتعاملين معها على حب فن المسرح والرغبة في مشاهدته في اللحم والدم ، بدلا من الاكتفاء بالفن المعلب الذي يصل اليهم بالوساطة ، ان الوصول إلى هذا التعاون الوثيق بين المسرح الحي والمسرح المنقول والمسجل ينبغي أن يكون خير ختام للفترة الحالية التي يقتصر فيها انتقال نشاط المسرح الحي على العواصم ، وبعض مدن وقرى الاقاليم ، ويقبع البث التليفزيوني في حدود القطر الواحد ، ولا يصل الى كل الحدود مع ذلك ، بينما يخضع انتشار تسجيل الفيديو لاعتبارات مالية وتجارية ورقابية تحد من الانتشار الواجب له .

فاذا وافتنا المرحلة التي ظللت سنوات طويلة احلم بها - ظاهرة التليفزيون العالمي ، فان بابا واسعا سوف يفتح للمسرح عامة ما بين حي ومنقول ومسجل . وسوف تكون فائدة المسرح الحي من المرحلة الجديدة أوضح وأعمق من فائدة المسرح المنقول والمعلب ولنأخذ امثلة مما يمكن أن يحدث .

في الموسم المسرحي الماضي ، ١٩٨٤ ، كانت تجربتان مسرحيتان عربيتان هامتان تقدمان في عاصمتين مختلفتين من عواصم العالم . ففي باريس ، كان الطيب الصديقي ، رجل المسرح المغربي المرموق ، يقدم مسرحية جديدة عن ابى حيان التوحيدي ، استخدم فيها الحوار الثنائي اللغة (العربية والفرنسية) في محاولة للوصول بالمسرح العربي إلى افهام المتفرج الغربي ، بدلا من الاقتصار على عينيه .

وفي بغداد ، كان رجل المسرح العراقي الكثير التجارب ، العاشق للبحث المسرحي المجسد ، يقدم مسرحية جديدة استخدم فيها حركات التعبد وسيلة اداء جديدة ، وحروف العربية جزءا من الديكور ، هل من الشطط أن نقول أنه لو كان التليفزيون عالميا في تلك السنة ، لأمكن لهاتين المسرحيتين أن تحدثا اثرا واضحا في عقول ووجدانات المتفرج ، وتدفع بالتجارب المسرحية الواعية خطوات لابأس بها في طريق الانجاز ؟

لنقارن بين هذا النقل المباشر لمسرحيات المسرح الحي ، الذي سوف يتم في المستقبل القريب ، وبين ما يقف الآن من عقبات امام انتشار التجارب الواعدة في المسرح العربي . قد حجبت عن اجزاء كثيرة في الوطن العربي مسرحية « ابو حيان التوحيدي » ، بينما لم يشاهد مسرحية قاسم محمد الا جمهور العاصمة العراقية . وحين نجحت في القاهرة احدى المسرحيات الشعرية مسرحية « الوزير العاشق » واقتضى الأمر أن تنتقل الى الجزائر العاصمة لتكون احدى وقائع مهرجان مسرحي كان يقام في هذا البلد الشقيق ، لم يستطع القائمون على أمر المسرحية عرضها لأكثر من ليلة واحدة ، واقتصر جمهورها على سعة المسرح الذي قدمت فيه .



ولوكان التليفزيون العالمى موجودا ومتاحا ، ما احتاجت المسرحية الى هذا الانتقال السريع المبتسر ولكان شاهدها ـ إلى جوار أهل الجزائر ، المائة مليون عربى أو نحوهم الذين يسكنون وطننا العربى الكبير . ولو كان البث التليفزيونى المباشر موجودا فى هذه الايام ، لأمكن نقل التجربة الفريدة التى قادها المخرج الشاب مراد منير ، الذى أحسن الاستماع الى نبض نجيب سرور فى مسرحيته الاخاذه : « منين اجيب ناس » وحول هذا النبض الى عاطفة جياشة ، واداء مرهف ، وتشكيل بشرى ومادى جعل الديكور يشترك فى الاداء واتاح للبشر ان ينفثوا الحياة فى الأشياء ويستنطقوها ما كان يجب ان تنطق به ، مستعينا بأداء محسنة توفيق وغناء على الحجار ، وجهود فريق مخلص ، دافق الحماس من شباب الممثلين والممثلات . ولو كان هذا العرض قد نقل على مستوى الوطن العربى ، أى ثراء كان يتحقق لذلك المسرح ، وأى دفعة كانت تتخلص اليه !

واضح مما تقدم اننى متفائل الى الحد المأمون بمستقبل للمسرح تزداد فيه أهمية هذا الفن الجميل ، ليس برغم أجهزة الاتصال العالمية ، وانما بفضل التعاون معها . كل ما هنالك ان هذا التعاون لن يقوم اذا اقتصر على ميدان الامانى الطيبة ، أو ظل فى حدود الصدفة ، أو كان مجرد نتاج فرعى لنشاط التليفزيون والفيديو . ان هذا التعاون لن يقوم الا اذا التحق بالنضال الاكبر الذى ينبغى أن نبذله جميعا لاعادة الحياة وبث روح الشباب فى الثقافة العربية عامة ، وبينها فنون الأداء ، بحيث تصبح هذه قوة ضاربة تفرض نفسها فرضا على المخططين وصناع القرار ، كما تفرض أمور الاقتصاد والدفاع والتعليم والزراعة نفسها على هؤلاء .

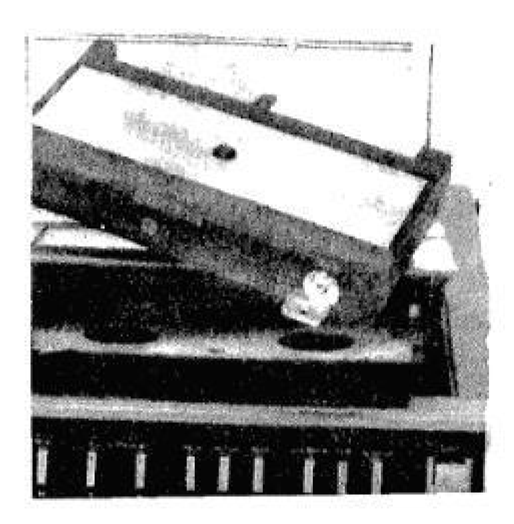
أن المسرح الحى ، من دون الفنون الأخرى ، يملك مفتاحا سحريا يستطيع أن يفتح أشد القلوب صلابة وعتواً . انه الفن الوحيد الذى يرى فيه الانسان نفسه فى الدم واللحم ، ويخالط المؤدين فيه مخالطة حميمة . وهو الى هذا الفن الوحيد الذى يمنح متفرجيه القدرة على المشاركة الخلاقة فى الأحداث . ذلك أن المسرح الحى يرتفع ويهبط ، تحسسا لنبض الجماهير الحية التى تقبل عليه ، وفى عروضه الناجحة ، تقوم بين المؤدين وبين متفرجى القاعة شرارة سحرية تأخذ شكل الدائرة ، تبث وتستقبل الحماس أو الفتور . وفى مقدور الجمهور الواعى أن يرتفع بالعرض المسرحى الجيد درجات فوق الدرجة التى بدأ بها . وفى مقدوره أيضا أن يهبط به درجات تحت الدرجة التى استهل بها العرض ، اذا تصادف وكانت هذه الدرجة متدنية بالفعل .

وهذه الميزة الثمينة تزداد أهمية فى وقت تتفاقم فيه ميكنة كل شىء ، وتكاد الحياة ذاتها أن تتم بالوساطة ، تتحدث مع اصدقائك بالتليفون ـ اينما وجدوا ، فى بلدك أو فى اقصى بلاد العالم ، بدلا من

أن تزورهم . تشاهد احداث العالم وفنونه وانت قابع فى كرسيك الوثير غير مضطر للحركة . فى البداية قد ترتاح لهذا « النعيم » وتفرح به ، ولكنك لا تلبث ان تكتشف أنه انما يكرس غربة الفرد ، داخل بيته ، ومدينته ووطنه ، وداخل نفسه أيضاً .

اذ ذاك تأتى الفنون الجماهيرية المباشرة لنجدة الفرد الوحيد . مباريات كرة القدم . مصارعة الثيران . المباريات الاوليمبية . بل لقد مضى الانسان المعاصر في تأكيد رغبته في التواصل حتى وصل إلى جعل لعبة الشطرنج ـ التى تتعامل مع فردين فقط ـ لعبة جماعية تنقل نتائجها على الشاشة ، ويتتبعها الكثيرون .

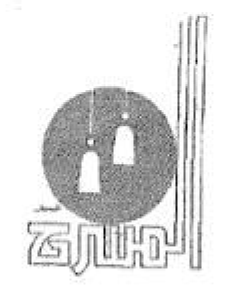
وهناك ما هو أهم من هذا بكثير ، مما يشكل ضمانا لفن المسرح الحى . انه الفن الوحيد الذى يشبه الاجتماعات السياسية المسرحية المعروضة هى الموضوع السياسى ، والممثلون هم خطباء الاجتماع والمتفرجون هم الشهود والقضاة . إنهم يتحدثون بين الحين والحين عن المسرح السياسى : تسمية لا ضرورة لها . فقد ولد المسرح سياسيا وظل كذلك حتى الآن . المسرح الفرعونى يناقش احوال الناس فى الدنيا والاخرة . المسرح اليونانى مشغول بنضال الفرد ضد قدر الآلهة الظالم . مسرح العصور الوسطى حفى بانقاذ روح الانسان من براثن الشر . مسرح عصر النهضة يصور كفاح الانسان للتحرر من سلطة الكهنوت والحكم الاوتوقراطى الغاشم . مسرح العصر الحديث يناضل لتحرير الانسان من تحيز الطبقة والعنصر والاخلاقيات


فيديو سريع لنقل المسرح الى العالم

الجاهزة واستبداد الانظمة بالفرد والجماعات .

واليوم تزداد اهمية المسرح كوسيلة للتفتيش فى روح الانسان وحمايته من المزالق الخطيرة التى تواجهه . وفى عصر التهديد بالابادة النووية الشاملة ، لا بديل لفن حى يرى فيه الانسان نفسه ويجسد مشاكله ، ويجتمع ومواطنيه فى قاعة واحدة لفحص هذه المشاكل ومحاولة اكتشاف الطرق والوسائل لنجاة الانسان .

أن البث التليفزيونى العالمى جدير بأن يجسد خيال وليم شكسبير ويجعله حقيقة واقعة . انه قادر على أن يجعل العالم كله مسرحا كبيرا بالفعل ، الكل فيه ممثل وفاعل ومؤثر ، عن طريق المسرح وباقى فنون الأداء الى جانب الانشطة الانسانية الأخرى ،



المسرح العربي يبحث عن هوية

بقلم الدكتور : أمين العيوطي

الرأى السائد فى الدراسات المسرحية الأوروبية وعند كثير من الدارسين العرب أن الدراما ليست من الفنون العربية الأصيلة ، بل هى فن توصل اليه العرب بعد أن تأثروا بالدراما الأوروبية فى القرن التاسع عشر أما أشكال التسلية الشعبية مثل الحكواتية والمقلدين والمداحين والاراجوز وخيال الظل والمقامات والتمثيل الهزلى فلم تكن تحمل الا بعض المقومات الدرامية التى مهدت الأرض فقط لتقبل هذا الفن الوافد . بل يذهب بعض الدارسين العرب الى ان هذه الاشكال لا تدخل فى عداد الفن الدرامى، بل هى مجرد مظاهر موروثة تتداولها الجماعات فى أعيادها واحتفالاتها، ولاتنم عن فهم عميق لفن المسرح.

هذا الرأى يرى طبعا أن الشكل المسرحى الوحيد هو الشكل الغربى ، وأنه شكل متفوق فكريا وتقنيا وفنيا ، فى حين أن الاشكال الشعبية أشكال فجة ، متدنية ، بل وبذيئة . وعلى الرغم من اعتراف هذا الرأى بوجود بعض المقومات الدرامية فى هذه الاشكال الا أنه يغفل أسباب عدم تطويرها على أيدى الكتاب المسرحيين العرب . كما أنه لايلتفت إلى المحاولات المبكرة عند مارون النقاش للاستفادة من التراث الشعبى القصصى ، او عند يعقوب صنوع للاستفادة من شخصيات ومواقف فنون الاراجوز وخيال الظل ، او الى المحاولات الجادة التى قام بها رجال المسرح العرب فى العقود الثلاثة الاخيرة لتحديد هوية للمسرح العربى من خلال استلهام الفنون الشعبية واشكالها .

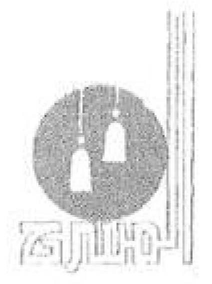
كان تأصيل المسرح العربى يعنى عند توفيق الحكيم فى أواخر الأربعينات ان

نأخذ عن الاغريق وأن نطعم شكل مسرحهم بقيمنا الروحية الشرقية . غير أن مثل هذه الدعوة إلى التأصيل كانت تقوم على المضمون دون الشكل . أما الدعوة التى بدأها يوسف ادريس فى ١٩٦٣ فقد جاءت تؤكد على ضرورة تحقيق هوية عربية للمسرح فى الشكل والمضمون معاً وقد صاحب هذه الدعوة وما تلاها من محاولات نظرة جديدة الى المسرح وفنونه . وهى نظرة عبر عنها ادريس بقوله إن المسرح لايعنى بالضرورة البناء المعمارى المسرحى كما نعرفه بمنصته وممثليه ومسرحياته ، فللمسرح اشكال اخرى متعددة ليس هذا النوع إلا واحدا منها . وقد انضم الى صوت ادريس صوت عز الدين المدنى من تونس يدعو الى الاشكال المسرحية التى عرفها الشرق القديم . ومن الجزائر انضم صوت قدور النعيمى مؤكدا أن المسرح ليس الصيغة الغربية الوحيدة ، وأن للعرب شكلا روحيا خاصا بهم ومن المغرب تكلم عبد الكريم برشيد داعيا إلى البحث عن مسرح عربى . كانت كلها اصوات تعبر بصوت واحد عن ان العرب كان لديهم أشكال وتقنيات لم يعنوا بتطويرها . وخلف هذه الدعوة كان هناك اصرار على خلق مسرح يحمل بصمة هوية عربية متميزة .

ولتحقيق هذا المسرح اتجه يوسف ادريس إلى ظواهر مسرحية بدائية فى حياتنا تتسم بشكلها الجماعى مثل السامر والاراجوز وخيال الظل والطقوس ، ودعا إلى مسرح يشترك فيه المسرح والجمهور فى التأليف والتمثيل . وقد وجد هذا ممكنا فقط فى مسرح الحلقة أو مسرح السامر الذى يقدم « الفصولات » المضحكة ، ويضم شخصية واحدة هى الفرفور الذى تحيط به شخصيات لا تمثل ادوارا بقدر ما تهيىء الفرصة لسخرية الفرفور وقفشاته وهو يقوم بدور الحكواتى الشعبى والمهرج والأراجوز وأداء هذا الفرفور لا يقوم على اندماج حقيقى فى دوره بقدر ما يعتمد على تلقائية الممثل وانفعاله الفورى


توفيق الحكيم


يوسف ادريس



بشعور الجماعة بعبارة أخرى يعود يوسف ادريس إلى مسرح السامر الشعبى ليطوره بدرجة تتناسب مع الدرجة التى بلغها الوعى العربى المعاصر .

وفى سوريا يوسع سعد الله ونوس رقعة خشبة المسرح بحيث تشمل الممثلين والجمهور معا فى حفلة سمر ليسهم الطرفان فى خلق شكل مسرحى جديد يتحول فيه المسرح الى قاعة اجتماعات ، ويأخذ شكل مسرح الحلقة الذى يعتمد صيغة الحكواتى اساسا للبناء الدرامى . وبهذا يزيح ونوس شكل المسرح الرسمى التقليدى ليقيم مكانه مسرحا شعبيا اكثر تلقائية ووعيا .

فى نفس هذا الاطار رفض المسرح الاحتفالى المغربى شكل المسرح الغربى ، ليعود إلى مسرح الساحات العامة والاسواق بما يتفق مع طبيعة الفرجة الشعبية العربية . فى هذا المسرح يندمج الممثل مع الجمهور لامع الدور ، وتتداخل فواصل التمثيل مع فواصل من اللا تمثيل تقوم على تصحيح الممثل لخطأ فى حركة او حوار ، أو اعادة مشهد ، والرد على تعليقات الجمهور بذكاء وخفة ظل . وهو نوع من الاندماج يميز الفنان الشعبى وعلى هذا الاساس يعتمد الطيب الصديقى طريقة فى التمثيل تقوم على تقنيات مستوحاة من فن الحلقة والبساط والمداحين والرواة .

فى هذا التيار الجديد أدلى توفيق الحكيم بدلوه فى قالبنا المسرحى (١٩٦٤) ، حيث دعا إلى العودة إلى استخدام الحكواتى والمقلد والمداح ، والاعتماد على تراثنا الشعبى فى مثل هذا العرض يقوم الحكواتى بدور مدير العرض الذى يراقبه ويوجهه علنا ويدور المخرج الذى يساعد المقلد على تفهم الشخصية وملامحها وطريقة أدائها ، كما يقوم بتفسير المعانى والافكار خاصة فى البيئات الشعبية . والمداح يقوم بدور المنشد ويؤدى دورا أمام المقلد الذى لايتقمص الشخصية ، بل يتحرك بسرعة داخل الشخصية وخارجها ، ويتقلب بين شخصية واخرى .

غير أن الحكيم لايبدو مقتنعا بهذا الشكل الذى يقوم على فكرة التقليد لافكرة التمثيل ، خاصة وأنه شكل بلا ديكور او اضاءة أو تنكر أو ازياء أو اى سند من فنون أخرى سوى الموهبة العارية . وهو لا يبدو حريصا على هذا الشكل بصفته شكلا متميزا بقدر حرصه على ان ينقل هذا الشكل التراث المسرحى العالمى إلى المتفرج العربى . ولهذا فإنه حين يطرح نماذج لهذا المسرح فانه لا يلجأ إلى السامر الشعبى الذى استغله فى الزمار (١٩٣٠)أو إلى الفنون الشعبية من رقص وتحطيب وغناء فى اطار مسرحية تدور فى العراء أو فى جرن كما فى الصفقة (١٩٥٦) ، أو إلى ربط الملامح الشعبية مع أحدث أشكال المسرح المعاصرة فى ياطالع الشجرة . إنه يختار مواقف من أجاممنون اسخيلوس ، وهاملت



لقطة من ياسين وبهية بطولة عبد الله غيث وسميحة ايوب

شكسبير ، وبستان تشيكوف ، ودون جوان موليير ، وشخصيات بيرانديللو ، وبابل دورنيمات ليعرضها بأسلوب الحكواتي والمقلد والمداح . وفى هذا لا ينطلق الحكيم من منظور شعبى كهذا الذى رأيناه فى محاولات كل المسارح العربية فى هذا السبيل ولهذا ظلت محاولته محاولة تجريبية .

ويبدو أن العودة إلى المسرح الارتجالى الشعبى ومسرح الحلقة قد وجدت صدى طيبا على امتداد الوطن العربى كله لدى رجال المسرح ، كما لاحظ د . على الراعى فى كتابه المسرح فى الوطن العربى . ففى الكويت اقام محمد النشمى المسرح فى الخمسينات على التأليف الارتجالى حول فكرة منتزعة من الواقع تدرسها الفرقة وتضع الشكل الدرامى المناسب لها ، ويحفظ كل ممثل بضع سطور وتترك له فرصة ممارسة قدرته على الابداع الفورى . وفى الخمسينات أيضا شهد المسرح الجزائرى نفس الظاهرة حيث كان فنانو ورشة المسرح يتناولون فكرة بالبحث ويجدون لها الحدث الدرامى الملائم ويقسمونه إلى مشاهد وعن طريق الارتجال يصلون إلى صياغة نص مسرحى كامل . الى هذه المحاولات انضمت فى السبعينات تجارب فرقة مسرح الحكواتى اللبنانية التى تعتمد فى اختيار العمل على النقاش والتعاون فى صياغة المواقف المسرحية ، وعلى الارتجال فى الأداء الدرامى . وسط هذه



المحاولات تميز المسرح الجزائرى بالعودة إلى مسرح الحلقة الذى تعرفه الساحات الشعبية . وربما أخذ هذا الأسلوب شكلا آخر مثلما فعل نجيب سرور فى اخراج وابور الطحين حين أحاط الممثلين بمجموعة من النكرات فى أعلى خشبة المسرح ، وكان سرور نفسه واحدا من هذه النكرات ! لم يكن كل هذا لتذويب المسافة بين خشبة المسرح والجمهور ، أو لمنح المتفرج زوايا مختلفة يشاهد منها العرض المسرحى ، بقدر ما كان تحقيقا لشكل شعبى يعتبر أحد المنابع العربية المسرحية .

وفى المسرح التونسى لم يكتف عز الدين المدنى بالتأليف المشترك بين المؤلف والمخرج ، أو باستخدام المداح ، أو مسرح الحلقة ، أو التركيب الدرامى على نمط المقامات بحيث يجمع العرض بين فن التمثيل وفن الرواية معا ، بل استغل أيضا تقاليد المسرح الاخرى من فنون الأراجوز والمهرج والبهلوان والفواصل التمثيلية الشعبية .

فى كل هذه المحاولات نجد العودة إلى الشخصيات والمواقف التى تميز الفنون الشعبية فى عروض البهلوانات والمهرجين والمقلدين والحكواتية ، كما نجد العودة إلى منابع التراث فى القصص الشعبى والمقامات وألف ليلة وليلة ، وإلى شكل السامر الشعبى الذى يتحقق إما فى مسرح حلقة مفتوح فى ساحة شعبية ، أو حتى داخل المسرح التقليدى . مثل هذا الشكل الأخير يحققه محمود دياب ، مثلا ، فى **ليالى الحصاد** حيث يقسم خشبة المسرح إلى ثلاثة مستويات : المستوى الأول نصف حلقة دائرية تحتلها حلقة المتسامرين ، دونه المستوى الثانى الذى يخصصه للتشخيص والتقليد ، ثم المستوى الأيمن الذى تجرى عليه أحداث من واقع القرية ، ويقوم الراوى بالربط بين هذه الحلقات وبين جمهور الصالة الذى يشكل تركيبا مسرحيا مستمدا من حلقة السمر ومن الأشكال الشعبية الدرامية البسيطة التى تجمع بين التقليد الساخر والراوية الشعبى والجوقة والأداء الدرامى والغناء الريفى واللوحات الاستعراضية . وقد استطاع دياب أن يحقق من خلال الشكل البسيط بناء مركبا يبين كيف يمكن أن يرتفع الفنان بالأبنية الفنية الشعبية درجات فوق درجات .

هذا الاتجاه نحو التراث والأغنية الشعبية والمقامات يتأكد أيضا فى المسرح العراقى عند **يوسف العانى وقاسم محمد** ، كما تتأكد أيضا ملامح المسرح الشعبى فى الجمع بين الرواية والتمثيل ، واستغلال شخصيات السوق الشعبى وملاعبيه ورواته الشعبيين فى بغداد الأزل . وليست العودة هنا إلى القديم من أجل قدمه ، بل من أجل تجديده وتأصيل المسرح العربى فى تربة أصيلة .

فى مثل هذا المسرح نلمس بوضوح محاولة لتطوير فن القصاص الشعبى الذى لم يكن راوية فقط، بل كان إنشادة يتداخل مع التمثيل، وحكايته تصاحبها ايماءات وحركات ونكات تمتزج بلقطات مسلية من تقليد شخصيات، إضافة إلى فقرات من التمثيل الصامت. كان القصاص يجمع بين فن الراوية والمداح والمقلد والممثل، بل انه لم يغفل حتى التنكر فى شكل أغطية الرأس التى تمثل الحرف والأعمار والجنسيات المختلفة، وهراوة تصاحب دقاتها النمر التى يقدمها، وهى دقات تذكرنا بدقات المسرح التقليدية.

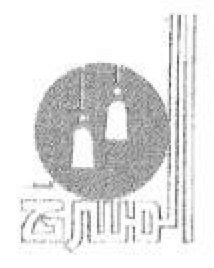
كان ذلك هو الشكل الذى استلهمه نجيب سرور **ياسين وبهية**. وهو الشكل الذى تلقفه كرم مطاوع بحساسية وفهم فوزع دور الراوى بين الراوى نفسه وبين مجموعتين من الجوقة وعدد من الممثلين، وأضاف إليه قدرته الفائقة على التشكيلات واستخدام المؤثرات المختلفة ليخلق عرضا متميزا حقق فيه تكاملا رائعا بين عناصر العرض حتى أن شيخ النقاد محمد مندور رأى فى صورة العرض الجادة التى أسماها بالفن الدرامى الشعبى، والتى رآها صورة غير مسبوقة فى بلادنا أو غيرها من بلاد العالم.

إلى هذه الأشكال البدائية وجه فنانو المسرح العربى اهتمامهم، وتعهدوها بالصقل بكل ما لديهم من ثقافة واعية وحس فنى.

ولعلنا من خلال هذا العرض نتبين أن المسرح العربى قد مر خلال تاريخه بمراحل ثلاث: مرحلة عرف فيها العرب أشكالا تمثيلية، أو مسرحية شعبية تمثلت فى حواريات وتمثيليات هزلية تقوم على النكتة، أو فى حلقات السمر، ورواية السير الشعبية، وفى أشكال خيال الظل والارجواز والمقامات، ومرحلة دخول المسرح الأوروبى وتأثيره من خلال الترجمات والاقتباس والتعريب والتأليف، وأخيرا مرحلة دفع دم جديد فى المسرح العربى بالعودة إلى الأشكال التراثية لخلق مسرح عربى الهوية، وهى مرحلة يتمثل فيها صراع بين جيلين من المسرحيين العرب، أو بين المسرح الرسمى والمسرح الشعبى على وجه التحديد.

وقد توصلت هذه الحركة الى أن الشكل المسرحى الغربى ليس هو الشكل الوحيد، وأن فنوننا الشعبية تصلح اساسا لاقامة شكل مسرحى عربى متميز يتبنى شكل مسرح الحلقة، ويجمع بين الرواية والتمثيل، ويعتمد فنون الأراجوز وخيال الظل والطقوس الشعبية، ويكسر الحاجز بين الممثلين والجمهور، ويشمل التجديد فيه حتى اساليب الاخراج والتمثيل، كما يشمل هندسة المسرح والعمارة، مع تبسيط الديكور والازياء والمهمات المسرحية.

هذا الاتجاه لا يعنى بالضرورة نعرة قومية ضيقة. فلا بأس من أن نتعايش الأشكال المسرحية المختلفة. لكنه فى أساسه يمثل اتجاها صحيا نحو تأسيس مسرح يحمل هوية عربية متميزة.



تجربة مسارح التليفزيون

بقلم : عبد الفتاح البارودى

● فعلا تجربة مسارح التليفزيون جديرة بالدراسة ... لماذا ؟ لاسباب كثيرة ، ومنها - وربما أهمها فى رأيى - أنها حققت أضخم نجاح جماهيرى فى تاريخنا المسرحى ... ويكفى أن أذكر أنها عندما أنشئت فى أوائل الستينات ازدهر النشاط المسرحى بصورة لم يسبق لها مثيل ، وعندما أغلقت فجأة أغلاقا تعسفيا فى أواخر سنة ٦٦ تدهور النشاط المسرحى ، ومازال متدهورا الآن !؟

ولكى نستفيد الآن من هذه التجربة أسأل : اذا كانت قد حققت هذا النجاح الفريد فى نوعه فى حياتنا الفنية كلها ، فهل يمكن اعادتها مرة أخرى لكى يعاود المسرح نجاحه ؟ ! أم أن (الظروف تغيرت) كما يقول (بعضهم) ؟ !

عموما لكى ندرس هذه التجربة فإننى أرى أن ندرس :

● لماذا أنشئت ؟
● كيف أنشئت ؟
● ماذا قدمت ؟
● ماهو مدى نجاحها ؟
● ماهى آثارها فى حياتنا الفنية عموما ؟

وأنا أرجو أن يتعاون كل أصحاب الأقلام النقدية فى هذه الدراسات بشكل أكاديمى ، أنا الآن أكتب هذه الكلمة من ذاكرتى ، باعتبار أنى عاصرت - وشاركت - فى المرحلة التى نشأت فيها مسارح التليفزيون ، أى مرحلة النهضة أو اليقظة الفنية التى أحدثها إنشاء التليفزيون نفسه

وقبل كل شىء أذكر أنه لا أحد ينكر أن مسارحنا قبل فترة مسارح التليفزيون قدمت أعمالا ممتازة ، وأن رجال المسرح بذلوا جهودا ضخمة ، وحملوا دعائم المسرح على أكتافهم ، وحققوا أحيانا تطورات جرهرية لم يكن من المتصور أن يحققوها ... ويكفى أن أذكر أن جورج أبيض قدم لجمهورنا سنة ١٩١٢ مسرحية إغريقية من تأليف سوفوكليس ، وهى مسرحية (أوديب) .. وبديهى أن عرض مثل هذه المسرحية فى سنة ١٩١٢ يؤكد


جورج ابيض


زكى طليمات


تيمور

ان جورج ابيض حقق قفزة فى حياتنا الفنية .

ايضا لا احد ينكر فضل رواد المسرح جميعا ... وأنا أخشى ان اذكر بعض الأسماء حتى لا أغفل أسماء أخرى ...

كذلك أذكر أنه اذا كان من مزايا مسارح التليفزيون أنها اقيمت على أسس علمية ، فإن استاذنا زكى طليمات اقام فى سنة ١٩٥٠ مسرحا جديدا على أسس علمية عندما أنشأ فرقة (المسرح الحديث) ، ويكفى ان اذكر انه اقامها على ضوء منهج علمى اقتضى ان ينشىء اولا (المعهد العالى لفن التمثيل العربى) ثم ينشىء من خريجيه فرقة جديدة كتطبيق عملى لهذا المعهد بحيث يتوافر الاساس العلمى فى تكوينها وفى منهجها وفى مواسمها وفى كل تصرفاتها ... وحدث ذلك ـ فعلا ـ وأنشأها من أسرة المعهد ، ووضع برامجها من المسرحيات العالمية ، باستثناء الرواية الأولى فقد اختارها من المؤلفات المحلية ولكنها كانت ذات وزن فنى ، وهى مسرحية (ابن جلا) تأليف محمود تيمور .. المهم أن الفرقة استمرت فى تنفيذ ذلك المنهج أى تقديم مسرحيات عالمية ومؤلفات محلية ذات مستوى .

كذلك لا احد ينكر فضل فرق كثيرة سبقت مسارح التليفزيون مثل (فرقة المسرح الحر) التى تكونت أيضا من أسرة معهد التمثيل ، ولا الفرق الكوميدية (مثل فرقة الريحانى) التى قدمت كوميديات ناجحة فنيا وجماهيريا ، وفرقة (أنصار التمثيل) .. الخ

وطبعا وبالتأكيد لا أحد ينكر فضل (المسرح القومى) الذى انشأته الدولة فى ١٥ سبتمبر ١٩٣٥ على أساس علمى أيضا ، ولذلك اسندت ادارتها للشاعر الكبير خليل مطران وكونت لها لجانا من أساتذة كبار أيضا ، ومنها لجنة عليا للاشراف عليها وكان بين أعضائها الدكاترة طه حسين ومحمد العشماوى ومحمد حسين هيكل وأحمد ماهر ، وأيضا



كونت لها لجنة (للقراءة ومراجعة النصوص) وكان بين اعضائها د. طه حسين وخليل مطران ومحمد عبد الرازق وخليل ثابت.

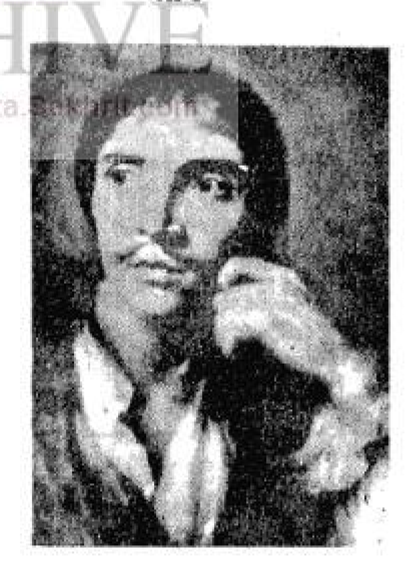
نتيجة لهذا المنهج قدم المسرح القومي - قبل ظهور مسارح التليفزيون - أعمالا ذات مستوى، ومعظمها مترجمات ومؤلفات جيدة، مثل (غروب الأندلس - تأليف عزيز أباظة واخراج فتوح نشاطي - وأم رتيبة تأليف يوسف السباعي واخراج فتوح نشاطي - وأيام زمان، تأليف واخراج يوسف وهبي - وسر شهرزاد تأليف علي احمد باكثير واخراج فتوح نشاطي - وحورية من المريخ تأليف رشاد حجازي واخراج زكي طليمات - والشيخ متلوف تأليف موليير وتمصير عثمان جلال واخراج زكي طليمات - وشروع في جواز اقتباس سليمان نجيب واخراج عبد الرحيم الزرقاني - والاشباح تأليف إبسن - ترجمة عبد الحميد سرايا واخراج عبد الرحيم الزرقاني - ومقالب سكابان - تأليف موليير ترجمة ادوار ميخائيل واخراج حمدي غيث - وحياة الخيانة تأليف نعمان عاشور واخراج نبيل الألفي - وصوت مصر تأليف الفريد فرج اخراج حمدي غيث - وقاتل الزوجة تأليف فردريك فوج ترجمة ايهاب الأزهري واخراج سعيد أبو بكر - وتحت الرماد تأليف جون شتاينبك وترجمة د. حسين مؤنس واخراج حمدي غيث - وجمهورية فرحات - وملك القطن - تأليف د. يوسف ادريس اخراج فتوح نشاطي ونبيل الألفي - ودنشواي تأليف خليل الرحيمي واخراج حمدي غيث - وزواج الحلاق تأليف بومارشيه ترجمة أنور فتح الله واخراج فتوح نشاطي، الذي اشترك في الترجمة أيضا - ودموع ابليس تأليف فتحي رضوان واخراج نبيل الألفي - والصفقة تأليف توفيق الحكيم واخراج فتوح نشاطي - والناس اللي فوق تأليف نعمان عاشور واخراج سعيد ابو بكر - وجمعية قتل الزوجات تأليف يوسف السباعي واخراج نور الدمرداش، والوارثة تأليف هنري جيمس وترجمة د. عبد القادر القط واخراج عبد الرحيم الزرقاني - وسلطان الظلام تأليف تولستوي وترجمة احمد حسين واخراج فتوح نشاطي، ورجل الأقدار تأليف برنارد شو والمومس الفاضلة تأليف سارتر وهما من ترجمة د. هدى حبيشة واخراج نور الدمرداش وحمدي غيث، وقهوة الملوك تأليف لطفي الخولي واخراج نبيل الألفي - وبيت من زجاج تأليف كوكتو - اقتباس واخراج فتوح نشاطي - والأيدي القذرة تأليف سارتر وترجمة د. محمد القصاص واخراج نور الدمرداش والعشرة الطيبة - اوبريت من تلحين سيد درويش تأليف واقتباس محمد تيمور وبيرم التونسي واخراج زكي طليمات، وبداية ونهاية تأليف نجيب محفوظ واعداد أنور فتح الله واخراج عبد الرحيم الزرقاني ومجنون ليلى تأليف أمير الشعراء شوقي واخراج أحمد

علام ـ وأهل الكهف تأليف توفيق الحكيم واخراج نبيل الألفى ـ ومعروف طبعا ان هذه الرواية سبق أن أخرجها زكى طليمات فى افتتاح المسرح القومى ، والمحروسة تأليف سعد الدين وهبة اخراج كمال ياسين ـ ومأساة جميلة تأليف عبد الرحمن الشرقاوى واخراج حمدى غيث ، وست البنات تأليف أمين يوسف غراب واخراج عبد الرحيم الزرقانى ـ وفى بيتنا رجل تأليف احسان عبد القدوس ـ اعداد أنور فتح الله ، واخراج عبد الرحيم الزرقانى .

هذه نماذج أو عينات من مختلف النوعيات التى قدمها المسرح القومى قبل ظهور وازدهار مسارح التليفزيون ..

ايضا كان المناخ قد تهيأ لظهور نوعيات جديدة من العروض المسرحية ، ونوعيات جديدة أو وجوه جديدة من المؤلفين والمخرجين والنجوم والفنيين .. الخ

موليير



كذلك كان المناخ قد تهيأ لظهور مسارح جديدة منتشرة فى كل مكان وفى القاهرة والاسكندرية والأقاليم

كذلك كان ظهور التليفزيون دافعا إلى سرعة ظهور هذه المسارح الجديدة لأن السهرات التليفزيونية نفسها استوجبت وجود مادة تملأ هذه السهرات

ولأن التليفزيون نفسه اقامه الدكتور عبد القادر حاتم على اسس مدروسة ، فإنه ـ وبنفس المنهج المدروس ـ اعد خطة لانشاء مسارح جديدة تقدم مسرحيات جديدة تعطي للجمهور المتعة الفنية وتسجلها الكاميرات لتعطى للناس فى بيوتها هذه المتعة الفنية ايضا .. ومن هنا بدأ تكليف معاونيه ومستشاريه دراسة وسائل تنفيذ خطته على أسس مدروسة ايضا

وفوجىء مستشاروه عندما قال لهم انه يريد إنشاء عشر فرق مسرحية تليفزيونية دفعة واحدة بشرط أن يكون ما تقدمه هذه الفرق فى مستوى فنى جيد ، وفى نفس الوقت يجتذب جمهور المسرح وجمهور الشاشة الصغيرة معا .

وكيف تم تنفيذ ذلك ؟ !

رؤى توفير عدد من النجوم والفنيين والفنانين تشترط فيهم الكفاءة الفنية والمؤهلات الفنية (اما بالدراسة أو بالممارسة) ، ويشترط أيضا عدم المساس بالكفاءات الفنية فى المسارح الأخرى وبالذات فى المسرح القومى حتى لا يكون تعمير مسارح التليفزيون على حساب تخريب أى فرقة أخرى .

أيضا رؤى تكوين فرق للمسرح الغنائى تعمل على مسرح البالون ، ثم من المهم أنه رؤى تصنيف كل هذه الفرق بحيث



تكون لكل فرقة (طبيعة) معينة و (وظيفة معينة)

وتنفيذا لذلك رؤى تشكيل لجنة للقراءة لكل فرقة ويتم اختيار اعضاء هذه اللجان من المتخصصين .. وتسهيلا لأعمالها رؤى تشكيل لجنة عامة لاستبعاد الأعمال الهابطة المستوى قبل عرضها على لجان القراءة توفيرا لوقتها .

ولكى تضمن مسارح التليفزيون اختيار أفضل العناصر الممكنة عقدت لجنة من السيد بدير - المسئول عن تنفيذ مشروع مسارح التليفزيون - ومعاونيه لاختيار الممثلين الذين تقدموا للالتحاق بهذه المسارح وتم اختيار أفضل العناصر من خريجى المعهد للفنون المسرحية وأيضا خريجى الجامعات وعدد من المتفوقين بالممارسة ، واستكمالا لهذه العناصر وضع نظام للاستعانة (بالنجوم) اذا اقتضى الأمر ذلك ، مقابل مكافآت عن كل رواية يعملون فيها .

وبدأ تنفيذ التجربة فى ١٢ فبراير سنة ١٩٦٢ .. ولأن الخطة مدروسة فقد بدأ تنفيذها بثلاث فرق فقط ، سميت (النهضة) و (الحرية) و (السلام) ، وهذه الفرق قدمت أربع مسرحيات فى موسمها الشتوى الأول ثم ست مسرحيات فى موسمها الصيفى الأول ، ثم تدرجت فقدمت ١٨ مسرحية فى موسمها الشتوى الثانى ، ثم ١٦ مسرحية فى موسمها الصيفى الثانى .

بعد ذلك مباشرة وضع تنظيم جديد ، فأصبحت فرق المسرح التليفزيونى أربع شعب تضم عشر فرق .

استمرت مواسم المسارح التليفزيونية على أساس أن لكل فرقة وظيفة - فنية - تؤديها فالمسرح الحديث يقدم روايات تظهر الفارق بين المجتمع الماضى وبين المجتمع الجديد ، والمسرح الكوميدى يقدم الكوميديات ، ومسرح الحكيم يقدم (التجارب) المسرحية العالمية او المحلية ، والمسرح العالمى يقدم مسرحيات عالمية .

ولأن مسارح التليفزيون أنشئت على أسس مدروسة فقد نجحت نجاحا أدهش الوسط الفنى ... فمثلا أول رواية قدمتها كانت مسرحية (شىء فى صدرى) تأليف احسان عبد القدوس وإعداد أنور فتح الله واخراج نور الدمرداش ... هذه الرواية قدمت على مسرح الهوسابير ، وهو مسرح لم يكن معروفا للجمهور وقتئذ ، ومع ذلك حدثت المفاجأة ، وكتبت على شباك الحجز عبارة (كامل العدد) ، وبلغ عدد المتفرجين - (٤٣٠١ متفرجا) ، ثم بعد ذلك تزايد عددهم إلى (٤٥٤٣ متفرجا) فى المسرحية التالية ، وهى (الأرض) تأليف عبد الرحمن الشرقاوى واعداد أمينة الصاوى واخراج سعد أردش ، ثم تزايد عددهم الى (٥٣٨٤ متفرجا) فى الرواية التالية وهى (أرض النفاق) تأليف يوسف السباعى واعداد أمينة الصاوى واخراج حمدى غيث ، ثم تزايد عددهم الى (٧٥١٧ متفرجا) فى الرواية التالية وهى (العش الهادىء)

تاليف توفيق الحكيم واخـراج كمال ياسين ؛ ذلك كله فى الموسم الذى بدأ فى فبراير ١٩٦٢ وانتهى فى يونية ١٩٦٢ .

وهذه الأرقام كلها موجودة بالحرف الواحد فى دفاتر هيئة المسرح .

طبعا بعد ذلك تزايد نشاط مسارح التليفزيون وتزايد عدد المتفرجين ، وأيضا تزايد نشاطها الثقافى .

فمثلا لأول مرة فى حياتنا المسرحية تحولت كل فرقة إلى (مدرسة مسرحية) تنتج المسرحيات وتناقشها أيضا فى نـدوات يشتـرك فيـهـا المثقفـون والمتخصصـون ويحضرهـا الجمهـور كذلك .

وبهذه المناسبة أذكر أن (مسرح الحكيم) الذى كان يشرف الدكتور رشاد رشدى على نشاطه تكونت فيه أجهزة أخرى غير الفرق المسرحية ، وهى (نادى المسرح) و (مركز التدريب المسرحى) و (مجلة المسرح) ... واشرفت على هذه الأجهزة لجنة مكونة من الأسـاتذة د . رشاد رشدى رئيسا ولطفى الخولى ود . لويس مرقص وحسين جمعة .

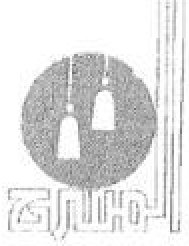
ولست فى حاجة إلى تأكيد أن هذه الأجهزة نجحت نجاحا ملحوظا وأن مجلة المسرح التى كان يرأسها د . رشاد رشدى هى أنجح مجلة مسرحية ظهرت فى تاريخنا الفنى

كذلك من الانجازات البارزة لمسرح الحكيم أنه خصص (مواسم كاملة) للنقد المسـرحى والنـدوات والمحـاضـرات المسرحية ، وكان يشرف على هذه الانجازات د . لويس مرقص وهو أستاذ جامعى ومتخصص

ومن المسرحيات الجيدة التى قدمها هذا المسرح مسرحية (بجماليون) تأليف توفيق الحكيم و (البر الغربى) تأليف د . محمد عنانى واخراج عبد القادر التلمسانى ، و (سهرة مع تشيكوف) تأليف تشيكوف وترجمة د . رشاد رشدى ود . سمير سرحان واخراج على الغندور ، و (الخرتيت) تأليف يوجين يونسكو وترجمة د . سميرسرحـان ود . محمد عنانى واخراج حسين جمعة ، و (شلة الأنس) تأليف مصطفى محمود واخراج على الغندور ، و (خيال الظل) تأليف د . رشاد رشدى واخراج كمال ياسين ، و (الحصار) تأليف ميخـائيل رومـان واخراج جلال الشرقاوى ، و (وابور الطحين) تأليف نعمان عاشور واخراج نجيب سرور ، و (سهرة مع تيمور) تأليف محمود تيمور واخراج على الغندور والهامى حسن ، و (الشبعانين) تأليف أحمد سعيد واخراج على الغندور ، و (النصابين) تأليف محمود السعدنى واخراج سعد أردش ، و (وقنديل أم هاشم) قصة يحيى حقى واعداد أمينة الصاوى وعثمان أباظة واخراج محمود السباع .

كل فرق مسارح التليفزيون بذلت مجهودات متواصلة ، وهذه المسرحيات هى مجرد نماذج من أعمال فرقة واحدة منها ، وإذا كانت النتائج مهمة فإن من المهم أن أذكر أن هذه المسارح كلها نجحت ، وحققت ـ فى مجموعها ـ أعظم نهضة فنية فى تاريخنا المسرحى

والسؤال بعد ذلك هو : كيف ألغينا كل هذه المسارح ، وكل هذا النجاح المنقطع النظير ؟ !



المسرح والرقابة

بقلم : د . أحمد العشرى

من المعروف أن فن العرض المسرحي يعد من أخطر الوسائل للتأثير فى المشاهد ، اكثر من السينما والاذاعة ، وعلى اساس هذه العلاقة المباشرة بين العرض المسرحي ومشاهديه ، يكون خوف السلطات الحاكمة شديدا من تأثير المسرح فى الجمهور ، ومن ثم تلجأ إلى التضييق على تيار المسرح الهادف ، فيتحايل الكتاب وفنانو المسرح إلى الاسقاط ، أو الأبعاد الزمانى أو المكانى أو قالب الفانتازيا ، حتى يتسنى لهم طرح إبداعهم الفنى . والرقابة فى العالم بأسره بعيدة كل البعد عن أن تكون ذات صبغة واحدة أو دائمة بل إنها تختلف من بلد لآخر ، ومن نظام سياسى لأخر متأثرة بالأحوال الاجتماعية والسياسية المختلفة .

ويرى الكاتب المسرحي إلمر رايس أن الرقابة موجودة دوما فى البلدان التى تخلوا من نظام ديمقراطى حقيقى ، حيث يقول : « أينما وجد ديكتاتور ، وجدت الرقابة ، والرقابة هى اللازمة الحتمية لكل حكم ديكتاتورى ، لأن الحكم الديكتاتورى لايكتب له البقاء الا بقمع كل أنواع المعارضة بطرق لا تعرف الرحمة ، ويتضمن هذا بلا شك التعبير عن الاراء التى تعتبر معادية او تختلف اختلافا جوهريا مع المفاهيم السائدة .

والرقابة ، إجراء وقائى تتولى تنفيذه جهة حكومية ، تمنع عرض مسرحية قبل عرضها على الجمهور . وقد تمتد سلطة الرقابة وتشمل وقف عرض مسرحية بقوة القانون بعد إنتاجها ، وعلى الرغم من أنه يصعب فى بعض الأحيان تصنيف العوامل وأنواع الضغط المختلفة غير الرسمية .

ودول العالم الثالث . تلجأ فى العادة إلى أسباب غير مباشرة لمنع العرض المسرحى على الجمهور ، ومن هنا إما أن يكف الكتاب عن كتاباتهم الهادفة ، وإما أن يتحولوا إلى أبواق للسلطة أو أن يلجئوا إلى الأبعاد الزمانى أو المكانى أو قالب الفانتازيا ، بقصد الأفلات من قبضة الرقابة رغبة فى التعبير عن أرائهم بصراحة .



سارتر



سعد وهبة

محمود دياب

ويعتبر ماركس بوركس كاتو، من اشهر الرقباء فى العصر الرومانى، وتقول الروايات إنه كان وغدا لا يمكن احتماله، كما كان لا يغتفر للناس صغيرة او كبيرة، وكانت له كافة السلطات.

ويدلنا إلمر رايس على مثلين من المانيا الهتلرية وروسيا، وضحت فيهما الرقابة بشكل حاد، فيقول: تعطينا المانيا الحديثة مثلا حيا. كان المسرح فى العشرينيات خلاقا ونشطا، وبقدوم هتلر فرضت الرقابة، ونفى كل من لا ينحدر من الجنس الآرى، ومعارض للنازية، فأصبح المسرح تافها وسخيفا، ومكانا لعرض إنتاج ضعيف للمسرحيات الكلاسيكية، إلى جانب الدعاية الفجة.

وبسقوط حكم هتلر، خفت وطأة الرقابة وعاد بعض المنفيين ودبت الحياة فى المسرح مرة أخرى.

ويمكن القول إن فن الدراما فى الاتحاد السوفييتى إنحدر إلى مستوى سحيق ولا يمكن إلا أن يكون كذلك، لانه خاضع خضوعا تاما للرقابة.

ونعتقد قياسا على ماسبق أنه لامكان للرقابة فى ظل الحكم الديمقراطى، الذى يضمن دستوره حرية التعبير، أو وجود المسرح كمؤسسة ثقافية وتعليمية هامة، ولان ذوق الجماهير افضل منظم للمسرح وان القوانين الأخلاقية، تحدد مايجوز، وما لايجوز سماعه او مشاهدته.

ويعمل المسرح فى حالة عدم وجود قيود رقابية، فى نطاق المستوى الخلقى الذى يرضاه الجمهور والذى غالبا ما يختلف عن المستوى الفردى، والذى يتغير بتغير الزمان والمكان، والأحوال.

ومن خلال دراستنا لتاريخ المسرح الحديث فى العالم، نرى أن حالة المجتمع ومناخه الحضارى يحددان شكل المسرح ووظيفته، ويعدان إنعكاسا لتطور الديمقراطية، فهما فى حالة تفاعل مستمر تأثرا وتأثيرا، لأن حرية الفكر تشمل ضرورة ولزوما حريات: التعبير والدعاية والصحافة والاجتماع وتطبيق العقائد ولا تمنع إحدى هذه الحريات إلا إذا وجد فى تطرفها خطر على حياة الجماعة والدولة، لأن البعض يظن أن الحرية تعنى أن



يتصرف الانسان وفق هواه ، فالحرية هنا حرية مقننة وليست حرية موضوعية فلابد للانسان ، أن يقيم توازنا بين الفعل والحرية ، هذا الحلم الذى مازال أجمل احلام الانسان .

ولما كان الكاتب المسرحى يقوم بمهمة تأكيد الحرية فى عالم الحرية فيه مهددة باستمرار ، فمن لايستطيع أن يكتب بحرية ويوجه حديثه إلى أناس أحرار ، فإنه لايستطيع أن يكتب على الاطلاق .

ونظن أن مسرحيات سارتر التى كرسها من أجل الحرية ، وهى على سبيل المثال مسرحية **جلسة** سرية ، **وموتى** بلا **قبور** ، **المومس** الفاضلة ، **وسجناء الطونا** ، ليست سوى تعبير صارخ عن أزمة الحرية فى هذا العصر .

وترى هذا الرأى هونورا روندل حيث تقول : إن الفن يستطيع أن يثير أكثر المشاعر تنوعا من أعلى مراحل النشوة الروحية إلى التسلية الخفيفة فى أبسط صورها ، يثير الغضب لدواعى خلقية أو الضحك الذى لا يوقر شيئا ، يمكن أن يصبح الفن مهدئا أو مهيجا رقيقا ، أو قاسيا مأساويا ، أو مرحا ، شعبيا أو غامضا ، بسيطا أو مثقفا ، إن أى محاولة للحد من تأثيره تصبح كارثة .

ولذلك فالكاتب المسرحى يحتج مطالبا بالحرية ورفع الظلم مستخدما وسائله الخاصة ، ولا يحتاج موافقة أو تأييداً من طبقة أو حزب ، لكنه منطلق من قناعة ذاتية ، بدوره الريادى ورسالته الانسانية ، لأنه دوما يكون الاختيار الواعى ، أفضل من الالتزام غير الواعى .

وليس اضر بالمسرح من خضوعه لسيطرة فئة صغيرة محتكرة ، مهما كانت كفايتها أو ارتفاع مستوى أفرادها ، وكما هو معروف لايمكن إقامة مسرح فى هذه الظروف إلا اذا لجأ إلى الاسقاط ، فى تقنياته وبنائه وعرضه .

والقوى المسيطرة فى المجتمع ليست فى كل الأحوال ضد الكتاب ، خصوصا إذا كان الكاتب فاشلا ، أو دعيا يحمل قدرا كبيرا من الدعاية ، وقدرا أقل من الفن ، من هذه الناحية قد ترحب به ، لأن الكاتب من هذا النوع يخدمها أكثر مما يؤذيها ، فهو يمتص نقمة الناس ، ويعطى عنها صورة جيدة حين تفتح المجال أمام حرية التعبير الساذج ، ولكنها فى الحقيقة تستفيد من هذه الاتجاهات فى الدفاع عن وجودها ، اكثر مما تشكل تلك الاتجاهات خطرا عليها .

وهنا تكمن خطورة هذا النوع من المسرح ، فكثير من منظرى السياسة يفشلون حينما يحاولون التعبير فنيا عن موقفهم ، والأمثلة على ذلك كثيرة فى عالمنا العربى ، أيضا والعالم الغربى ، فالأسراف فى التفسير المادى للأدب خليق بأن يحل فى قاموس النقد الأدبى والفنى والفكرى ، أسطورة مادية جديدة تقوم مقام الأسطورة المثالية ، وتحاول تفسير كل آثار الانسان وكل أعماله تفسيرا ميكانيكيا ساذجا .

. ويبدأ الخداع في هذا القصور عندما نوازى بين الفن المسرحي والمجتمع ونربطهما بطريقة تعسفية ومباشرة ، ونعتبر أن مسرح مرحلة ما ، إنما هو رد فعل كامل ومباشر ودقيق على هذه المرحلة ، وعلى الرغم من ذلك فإذا عزلنا العمل الأدبى عن المقومات الاجتماعية والتاريخية ، يتساوى في ضرره مع نظرنا إليه في ضوء هذه المقومات وحدها .

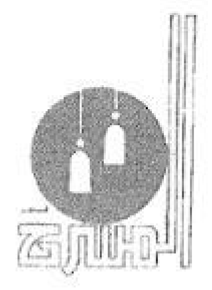
كذلك الكاتب المسرحى مهما كان جادا وملتزما لن يستطيع أن يكتب في الحال مسرحية لتثير في مشاهديه ردود أفعال مباشرة ، بل عليه أن يكون أكثر تأنيا وأعمق فكرا ، فيزرع في نفس مشاهديه أسس الرفض وبذور الثورة ، بطريقة درامية ناضجة ، وبشكل غير مباشر ، تعزف عن الاثارة ، وتحرك بطريقة فنية جميع القوى الفعالة وتشحذها بكثير من التبصر والأناة لتمضى هى بنفسها في الطريق الثورى الطويل - كما يرى الفونسو ساسترى - طارحا مايريد أن يقوله ، عن طريق الموقف الدرامى ، الحوار الهادىء الذكى ، فيصل المغزى السياسى إلى متلقيه ؛ لأن وضع الأحداث في إطار فنى ، أو العمل على اثارتها بشكل غير مباشر ، لابد أن يتم بعيدا عن اللهجة التعليمية والوعظ المباشر ، وإلا زال عدد كبير من المسرحيات السياسية ، بزوال مؤلفيها ، أو الأحداث التى تشير إليها .

وطالما أن المسرح لا يعكس فقط صورة المجتمع ، ولكن يمكن أن يكون له تأثير ثورى وقوى على هذا المجتمع ، ويعمل أحيانا من منطلق الرغبة في التغيير ، كان هناك دائما ثواب للفنانين المسايرين للوضع القائم ، وعقاب لمن يعترضون عليه . وهذا ماحدث في معظم بلدان الوطن العربى ، اذ إنه لعدم الحرية الكاملة للتعبير ، نظرا لوجود الرقابة الصارمة ، فقد منعت أيضا الرقابة في سوريا مسرحية المهرج والتى كتبها الشاعر محمد الماغوط ، **وحفلة سمر من اجل حزيران** ، **ومغامرة راس المملوك جابر** ، لسعدالله ونوس ، لمدة عام كامل ، ومنعت الرقابة تماما مسرحية **رسول من قرية تميرة** ، بعد حرب اكتوبر لمحمود دياب ، والجميع يعلم ماحدث لمسرحية **باب الفتوح** ، - مسرحية **الأستاذ** لسعد الدين وهبة ، إذ بدأت المصادرة والمنع ، ومنعت أسماء معينة من الكتابة للمسرح ، وقد أثر كل هذا في مسرح السبعينيات .

إن الرقابة قد تشكل حائلا كبيرا دون تطور المسرح ، في الأقطار العربية ، خاصة وأن المقاييس الاعلامية المحددة التى تقيس بها الموضوعات الصحفية ، أو نشرات الأخبار ، لا يجوز تطبيقها على النص المسرحى ، ولجنة الرقابة يجب أن تكون من المهتمين بالمسرح .

ولأن الرقابة لا تشتد في بلد ما إلا حينما يشعر الوضع القائم بأنه في وضع مهتز ، فإن الرغبة المكبوتة للتعبير في المسرح تنفجر إذا حدثت الرقابة .

في النهاية .. لايسعنا إلا أن نتذكر عبارة الشاعر محمد الماغوط التى تقول .. « فبقدر ماتكون الكلمة في الحلم طريقا للحرية ، قد تكون الكلمة في الواقع طريقا إلى السجن » .



"منين أجيب ناس"

رؤية ملحمية للصراع بين الحرية والقهر

محمد زهدى

تشهد مسارح القاهرة لأول مرة بعد افتقاد محسوس للمسرح الفكرى الجاد والملتزم بقضايا الانسان العربى لوناً من ألوان الازدهار المفاجىء المرتبط بمغزى المواجهة المستمرة بين حرية هذا الانسان ومحاولات الطامعين والغزاة لقهره .

ولقد ارتبط مسرح نجيب سرور بوجدان الجماهير العريضة البسيط المنطوى على كل معانى المقاومة المتصلة لتلك المحاولات رغم التصعيد التعبيرى الناتج عن نسيجها الشعرى واطارها الجمالى بحيث لم يعد هناك انفصال بين القضية وشكل التعبير عنها أو المحتوى الايديولوجى ومعادله الفنى .

الطبيعة الملحمية فى مسرح نجيب سرور نتجت عن صدوره من القاعدة واتجاهه إليها وقناعته بدور الجماهير فى التحولات التاريخية وفى الصمود إزاء محاولات القهر والاستغلال .

والطبيعة الجمالية نتجت عن وجدان شاعرى مفعم بأحاسيس المعاناة الفنية الخصبة فى السعى الى الكمال .

وبقدر ما تتدفق الدلالات مع تتابع المواقف والاحداث فى مسرح الشاعر والكاتب والمخرج المسرحى الراحل نجيب سرور بقدر ما تتبلور الأشكال التعبيرية الخاصة بها .فى وحدة مصدرها فكر الشاعر المتحد بقضايا أمته والتحديات التى تواجهها .

وفى الخلفية فإن مأساة الصدام غير

المتكافىء بين النبل الأخلاقى المتضمن فى النضال المشروع من أجل الحرية وبين البطش اللا إنسانى المتضمن فى الاستعلاء العنصرى للاستعمار والصهيونية والعناصر المتحالفة معها ضد قضايا الشعوب . إن مأساة هذا الصدام هى محور التراجيديا المسرحية عند نجيب سرور .

يتخلى نجيب سرور ببساطة عن الشكل الكلاسيكى المستمد من المسرح الاغريقي والشكل الرومانسى المستمد من مسرح شكسبير لكنه يظل مرتبطاً بقيمة الوعى الفردى المستنير الذى يستبطن امال وآلام الأمة التى ينتمى إليها .

وعندما ينتهى نجيب سرور الى الانتماء الى الشكل الملحمى اختياراً فنياً باطنياً وواعياً فى نفس الوقت ، فإنه يختاره دون ان يخضع لمقومات التغريب التى يتضمنها المسرح الملحمى فى اطاره العالمى كما انحدر من بريشت .

يبدو نجيب سرور متحداً تمام الاتحاد بالطبيعة الخاصة لهموم شعبه فتكتشف انتماءه الريفى بكل أبعاده ومعانيه وتظل



على الحجار ومحسنة توفيق وتعبير ساخن





تجربة مجتمع القرية هى مصدر وحيه وإلهامه .

وفى مسرحية « منين أجيب ناس » ؟ كان نجيب سرور معنياً ومشغولا بالعلاقة بين الاستبداد فى الداخل والتبعية للاستعمار فى الخارج ، معنياً ومشغولاً بالعلاقة بين سعى القوى الاستعمارية لهدم العناصر الحضارية والثقافية لوجدان الأمة العربية وبين الغزوة العسكرية السافرة التى شنتها الصهيونية ١٩٦٧ على الأمة العربية كلها .

ويبدو نجيب سرور شاعراً طحنته التجربة التى أفضت الى الهزيمة المروعة وما نجم عنها من مضاعفات تاريخية خطيرة . وهنا فإن حسه التاريخى يرتبط بوعيه الاجتماعى من خلال البناء الفنى لمسرحيته (منين أجيب ناس) فى المستوى الفكرى كما أن حسه الجمالى يرتبط بمفهومه للوظيفة الاجتماعية للفن فى المستوى الحسى والوجدانى .

ولعل أهم ما يميز العرض المسرحى الحالى هو نفاذ المخرج الشاب مراد منير لنقطة الالتقاء تلك بكثير من الحساسية .

نحن نتابع رحلة نعيمة فى الأسطورة الشهيرة (حسن ونعيمة) بحثاً عن راس حسن الحبيب والشهيد الذى اغتالته يد البطش العميلة للقوى الاستعمارية فإذا بها رحلة تاريخية يرتبط فيها الماضى بالحاضر بالمستقبل فى رؤية شاملة متكاملة لاستمرارية الصراع وتطوراته وأبعاده الكاملة .

وبينما تنعى نعيمة فقيدها النبيل الشجاع الذى يرمز للمقاومة والبطولة بينما تجسد هى روح الامة المهدرة كرامتها فإن اللوحات ، المتعاقبة تكشف عن مغزى رعب تلك القوى من استمرار الوعى النضالى وحرصها المخطط الحثيث على استبقاء الامة مكبلة بأغلالها مثخنة بجراحها .

وتتبدى السخرية من هذا المخطط والواعية بكشف الاعيب الصهيونية لاحتواء الرفض العربى .

ويعبر مراد منير عن ذلك بلوحة تشكيلية رائعة يظهر فيها أساطين الدولة الصهيونية فى شكل شياطين يهاجمون نعيمة مصممين على خلع الشجاعة من وجدانها وبث اليأس فى هذا الوجدان .

ويتميز الأسلوب العام لاخراج المسرحية عند مراد منير بالوحدة رغم تعدد عناصره ومقوماته فى العرض المسرحى بحيث تبدو تلك العناصر ذات تأثير مكثف له غايته الفكرية الواضحة .

ويشد الانتباه هذا المزيج المبتكر من رهافة التناول الشاعرى لمفردات المأساة كتكوين وتشكيل وانسياب فى تتابع المشاهد والحيوية المتفجرة للمحتوى الفكرى لتلك المفردات .

إن احساس مراد منير ، بإيقاع اللوحات المسرحية التى يقدمها ، احساس دقيق للغاية ينسجم مع مغزاها الفكرى ودلالتها الفنية .

يبدو غناء على الحجار نشيداً متصلاً من الآهات وتبدو نعيمة (محسنة توفيق) فى هذيانها المعبر عن أبعاد المأساة

شخصية تراجيدية ذات مذاق جديد رقيق ومثير رغم نفاذه الى وعى الجماهير بدلالات القهر فتتألق بعمق الأداء وخصوصيته وتنوعه وتلونه فى إطار التناغم بين الرمز وتعبيره المادى على خشبة المسرح .

وينسجم التواجد الفنى للبطلين فى الاطار التشكيلى العام للوحات من خلال الحركة المسرحية المدروسة المتصاعدة المنسابة لحد يوحى بالتلقائية المطلقة .

والطريف أن تلك الحركة تتحد مع المشاهد التمثيلية التى يظهر فيها أفراد من الشعب يحللون بالفكاهة اللماحة حقائق الموقف السياسى وارتباطه بمراحل الصراع حيث تبدو الادانة واضحة لعمليات التغييب والتعتيم والعزل عن المشاركة فى تقرير مصير الوطن .

والمخرج يجسد رؤية نجيب سرور فى إظهار خطورة عزل الجماهير عن المشاركة الديمقراطية بمشاهد حوارية تبدو فيها تلك الجماهير خاضعة لخطر الضياع والتشتت الذهنى والاستسلام للكوارث .

ويتبلور المغزى النهائى للمسرحية فى لوحة رائعة من الوجهتين التشكيلية والتعبيرية تطالب فيها الجماهير قواتها المسلحة باليقظة والتأهب ورفض الخديعة .

وبعد فإن تجسيد مسرحية نجيب سرور فى تلك الفترة التاريخية يعكس حالة من اليقظة القومية والاصرار الرسمى والشعبى على استرداد الحقوق القومية .

لقد رحل نجيب سرور فى ظروف معيشية وإنسانية مؤلمة بعد أن طحنته المعاناة لكن رسالته الهادرة بمنطق الفن الملتزم بقيت لتعاود الدور الحقيقى للفكر والفن فى المنعطفات التاريخية الحرجة .



الوعى الفردى داخل الاطار الملحمى تجربة جريئة وجديدة

كتاب الشهر

اعترافات مُمثل في مجلس السوردات

بقلم : مصطفى درويش

قدّم لسيرته الذاتية « اعترافات ممثل » بتمهيد مشوق كل التشويق

التمس فيه من قارىء الاعترافات المباركة .. لماذا؟ « لأنى أخطأت .. منذ اعترافى الأخير قبل اكثر من خمسين عاما قد ارتكبت الخطايا الآتية » .

وبهذا التمهيد أفلح صاحب الاعترافات فى أن يتحقق له مايريد .. فى أن يثير فى مشترى السيرة حب الاستطلاع ، أن يسحبه الى قراءة نهمة لكتاب ضخم (٣٤٨ صفحة من القطع الكبير) بحثا عن الخطايا فى حياة نجم فنان جمع بين التمثيل والاخراج على مدى خمسين عاما أو يزيد .

والحق يقال ان الاعترافات فيها من توابل الخطايا الممتعة الشىء الكثير . يحكيها صاحبها ـ وهو واحد من أساطين فن المسرح والسينما ـ بأسلوب آسر أخاذ يليق بشيخ مجرب لايزال يعيش بقلب شاب يفيض حماسا .

ولو راعينا فى عرض السيرة ترتيب وقائعها كما جاءت فى الاعترافات لوجدنا صاحبها يستهلها بفصل أول تحت عنوان « كيف بدأت .. »

علل البخيل

وهو فى هذا الفصل لايكتب عن رحلة المجىء الى العالم كيف ولد .. وكيف عاش فى المهد صبيا .

لا .. انه يكتب عن انسان آخر .. عن أبيه القسيس .. كيف كان بخيلا مقتّرا فى



كل شيء بما في ذلك الماء .. أى ماء ساخنا كان أم باردا .

« كنت أقسم دائما انه يستطيع ان يقسّم الدجاجة بحيث تشبع حاجة ستة ثم يبقى منها مايكفى وجبة الغذاء البارد فى الغد ، ودبابيس وجبة افطار صباح اليوم التالى » .

فاذا ما انتهى الفصل ـ وهو يدور وجوداً وعدما حول بخل الأب أصنافا

كتاب الشهر

والوانا ـ انتقل صاحب السيرة باعترافاته مسافرا داخل نفسه .

وكعادته معنا وقبل أن يبدأ الرحلة نراه يستهل الفصل الثانى « من المهد الى فتى جوقة غناء » بكلام عن مشهد ليس ثمة صلة فى الظاهر بينه وبين المهد .. مشهد من « ذهب مع الريح » ذلك الفيلم الذى لعبت لعنته دورا فى تدمير حبه الذى ذهب فيه معشوقته « فيفيان لى » الى آخر الشوط .. تحولت بجمراته الى رماد تذروه الريح .

الدقات والصرخات

ماهو هذا المشهد .. وحول أى موضوع يدور ؟

انه لجنود الشمال الامريكى المنتصرين فى الحرب الأهلية يقتحمون منزلا فى الجنوب حيث لايوجد سوى سيدات مرفّهات ومربية سوداء اشتعل رأسها شيبا .

يفتشون عن وثائق سرّية أو أسلاب يخرجون بها فائزين .

فى هذا الجوّ المرعب تحاول السيدات الصمود للخطر فى برود .. الظهور بمظهر وكأن شيئا أمامهن لايحدث .

إحداهن وهى أكثرهن شجاعة « ميلانى » (اوليفيادى هافيلند) تتناول اقرب كتاب لها . تفتحه . تقرأ منه كلمات بصوت جميل عال لايرتعش .

انها تقرأ فقرة الافتتاح الشهيرة من « دافيد كوبر فيلد »

سواء أصبحت بطل حياتى أو سواء احتل هذه المنزلة اى شخص آخر .. هذا مالابدّ وان تكشف عنه هذه الصفحات .

حتى ابدأ حياتى ببداية حياتى أسجل انى ولدت (كما قيل لى وأصدق) يوم الجمعة الساعة الثانية عشرة مساء .

وقد لوحظ أن الساعة بدأت تدق وأنا بدأت أصرخ كلانا فى وقت واحد .

وهنا يؤكد صاحب الاعترافات أن هذا الوصف لبداية حياة بطل قصة « شارلز ديكنز » انما ينطبق حرفيا على مولده فى الثانى والعشرين من مايو سنة ١٩٠٧ ، وذلك فيما عدا تفصيلة واحدة صغيرة هى ان دقات الساعة وصرخات الحياة لم يسمعا معا فى منتصف الليل ، وانما فى الخامسة صباحا مع الشروق !!

فجر أكبر اهمية

وبكتلة اللحم والدم التى انحدرت من أم صاحب الاعترافات توجه الدكتور

رولنجز الى باب المطبخ حيث كان الأب يقلى بعضا من السجق له وللدكتور . فترك الكتلة الصغيرة المتمتعة بالصحة والعافية بين ذراعيه ، وبدا على وجهه شيء من التقزز .

« هذا التقزز اليسير الذى احس به عند اول مرة التقت عيناه بى بدا لى ولأمى امرا قائما مستمرا طيلة أيام صباى الى أن حدث لجنّتى ، املى ، دنياى المعبودة امى أن توفيت وانا فى سن الثانية عشرة » .

وعن واقعة اختفاء الأم هذه ومادار حولها من أسرار قالت له أخته الوحيدة « سيبيل » انها كانت بجوار أمه لحظة اقترابها من النهاية وسمعتها توصى زوجها بطفلها خيرا .

كما سمعت اباها يعدها انه سيعمل كل ما فى وسعه من اجل اطاعة رغبتها الأخيرة .

وعلى مرّ الأيام اخذ الفتى الصغير يتلقى اشارات تدلّ على مايبذله الأب من مجهود فى سبيل البرّ بوعده الى الامّ وهى على فراش الموت .

ولكن هيهات فجميع المحاولات باءت بالفشل . وظل طوفان الكراهية بين الأب وابنه أبدا لاينحسر .

فيوم أن استسلم الأول لمشيئة الموت قريبا من بداية سنة ١٩٣٩ كان صاحب الاعترافات يمثل مسرحية « لاوقت للهزل » فى انديانا بوليس بالولايات المتحدة حيث تلقى مكالمة تليفونية من وراء المحيط .

انها زوجة ابيه تخطره بأكبر خبر مفجع فى حياتها . تطمئنه انها قد اعدّت لكل شيء عدّته ، وأنها فى غنى عن خدماته .

وبالنظر الى انه كان يحمل لها كل الحب والتقدير فقد استطاع أن يصدقها ولم يحاول العودة الى انجلترا لحضور الجنازة او لتلقى العزاء .

عتاب النفس

ومع ذلك فخبر الوفاة مرّه مرّا . أحدث فى نفسه فزعا .

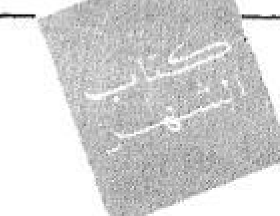
فباختفاء الأب سقط جدار الوهم الذى كان يشعر معه بالحماية .

فجأة وجد نفسه أمام الموت وجها لوجه .

وفى وجود شبح الموت بدأ شريط الذكريات . تساءل صاحب الاعترافات متعجبا لماذا لم يواجه ، ولو مرة واحدة ، الفقيد ؟ لماذا ضعف فلم يستطع ان يقول له ؟!

« ان تصرفاته كانت غبية ، طفلية ، خاطئة وأحيانا أقرب بتحاملها وجهلها الى الشرّ .

أتذكره ذات مرة وهو يعلن واثقا من منطلق الايمان الأعمى ان برنارد شو تقمصه الشيطان (كنت وقت اعلانه هذا



قد مثلت مسرحيتين لشو وتظاهرت بأنى لم اسمع) .

« وانصرف فكرى باعجاب مشوب بالغيرة الى شقيقتى كيف تحررت من الخوف ، كيف كانت تقف له بالمرصاد معارضة وعيونها الذكية تحملق فيه ، تكاد تطق شررا . واى من شقيقيها أضعف منها لايساندها »

هكذا كانت ذكريات الابن الأولى حول الأب لحظة سماع خبر انتهاء رحلة عمر .

الدهشة .. لماذا ؟

وعلى كل فلو كان للأخير أن يبصر الصلة التى بين كتلة اللحم والدم التى اثارت تقززه وبين اللورد « أوليڤييه » المعروف فى عالم المسرح تحت اسم « لورنس أوليڤييه » الواقف فى العشرين من يولية سنة ١٩٧١ أمام مجلس اللوردات يلقى خطابه الأول ـ لتحوّل تقزّزه الى بهجة .

ولو كان له أن يرى ابنه الكذوب الفاشل المتعلق بالمسرح ومسوخه التى هى من صنع الشيطان ، يعظ لوردات المملكة مبينا أهمية المسرح ودوره الحضارى ، والحضور يصفقون له استحسانا ـ لكذّب عينيه وأذنيه ولظلّ فى حيرة لايعى من أمر نجاح ابنه شيئا .

ومهما يكن من أمر فما هو سرّ تحول لورنس اوليڤييه الى نجم مسرح وسينما يدوم ساطعا اكثر من أربعين عاما .

ماسر حصوله على لقب فارس « سير » ثم لورد وهو المطلق مرتين ، المتزوج من نجمة أعظم كانت هى الأخرى مطلقة ؟

باختصار ماسر نجاحه كل هذا النجاح ؟

منطقيا كان يجب أن يسقط .

فأبوه قس قاس متقزز منه ومن اعماله . من هوايته ورغبته فى أن يكون ممثلا . وأمه الحبيبة تركت الأقدار تفعل بها ماتشاء . انقطعت انجابها وهو لايزال صغيرا .

وزوجته الأولى ـ وقبل عقد القران بأسابيع قليلة ـ تعترف له بأنها كانت تحب اخر ولاتستطيع أن تبادله الحب كما يهوى .

ورحلته الى هوليوود قريبا من بداية الثلاثينات تخيب ، فجريتا جاربو ترفضه ، تحرمه شرف الوقوف أمام « الملكة كريستينا » عاشقا .

ولكنه رغم هذه المحن ، ومحن أخرى تكون أشدّ هولا لم يسقط .. لماذا؟

خادم القوم

لأسباب ثلاثة : الموهبة . الحظ . العمل

وعند السبب الأخير أقف قليلا لالسبب سوى أن « لورنس أوليفييه » هو الآخر وقف عنده طويلا .

فمن يقرأ الاعترافات بامعان لابدّ وأن يلاحظ ان « أوليفييه » ليس هاربا من عصره وان مكانه الطبيعي خشبة المسرح

وأن الحب بينه وبين الجمهور صار اقوى من اى حب آخر .

وأن العمل وحده المخلّص ، بدونه تصبح الحياة ولامعنى لها .

وفيما قاله « أوليفييه » فى اعترافاته يقول : « كثيرا ما يسألنى الناس ماهي هواياتى ، ماالذى افعله من أجل المتعة ؟ لم افكر ابدا فى شىء من هذا القبيل .

اشعر شعورا قويا بالذنب عندما أحصل على اجازة . أحس بعدم الراحة فيما لو قمت بأى شيء خلاف العمل .

العمل بالنسبة لى هو الحياة . انه القصد الوحيد من الحياة ، ومصاحبا له ايمان يكاد يكون دينيا بأن الخدمة هى كل شىء .

احيانا اجدنى مع اناس حزانى يسألوننى ماهو الشيء الذى من اجله أعيش ، ماهو القصد من حياتي ؟

والاجابة بأنى اعيش من أجل العمل ليست دائما بالاجابة المناسبة .

بدلا منها أجيب على الفور وباختصار مفيد « الخدمة » « فلو كنت تستطيع أن تنشد بها مثلا أعلى وتدركه ، ولو استطاع ذلك الجميع ، اذن فلا احد ابتداء من الملكة وحتى اضعف السيدات واكثرهن تواضعا ، لاأحد يستطيع أن يقطع الطريق وهو يعانى الاحساس بأنه يعيش لا لشىء يعيش عبثا .

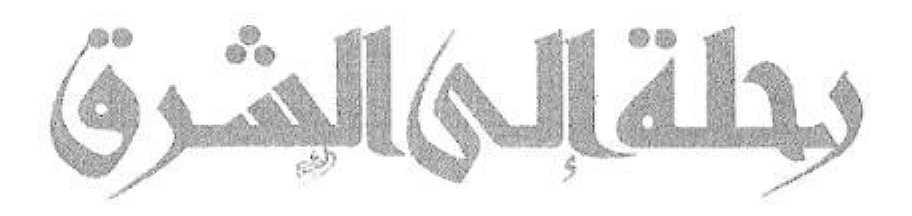
كلمات فى السينما ..!

● قال الملك لزوجته وهما يقبلان على الانتحار.
« لم تعد الأشياء كما كانت ، بعد أن دخل اسد خيمتى واخذ يتشمم الأشياء كالكلاب .. »

فيلم ساتيركون فيلليني

● لايثير إهتمامى أصحاب المهن الثابتة كالأطباء والمحامين الذين يحتكرون البطولة فى الأفلام ، ولكنى أهتم بهؤلاء المنطلقين مع الحياة ، الهامشيين أو أصحاب المهن الحرة .. »

محمد خان



فى مصر القرن الثامن عشر:
ديمقراطية وصناعة ومؤسسات ودراما

بقلم: مصطفى نبيل

● تسود الحياة الثقافية بعض المسلمات، تتردد على السنة واقلام الكتاب، وتصل أحيانا إلى مصاف البديهيات، يشغلك الموضوع، يستنفرك، تتامله وتجمع اطرافه..

ويقع بين يديك كتاب، يطرح القضية التى تشغلك، يقدم الدليل الذى تبحث عنه، ويأتى صوته من الماضى كشاهد عيان من القرن الثامن عشر.

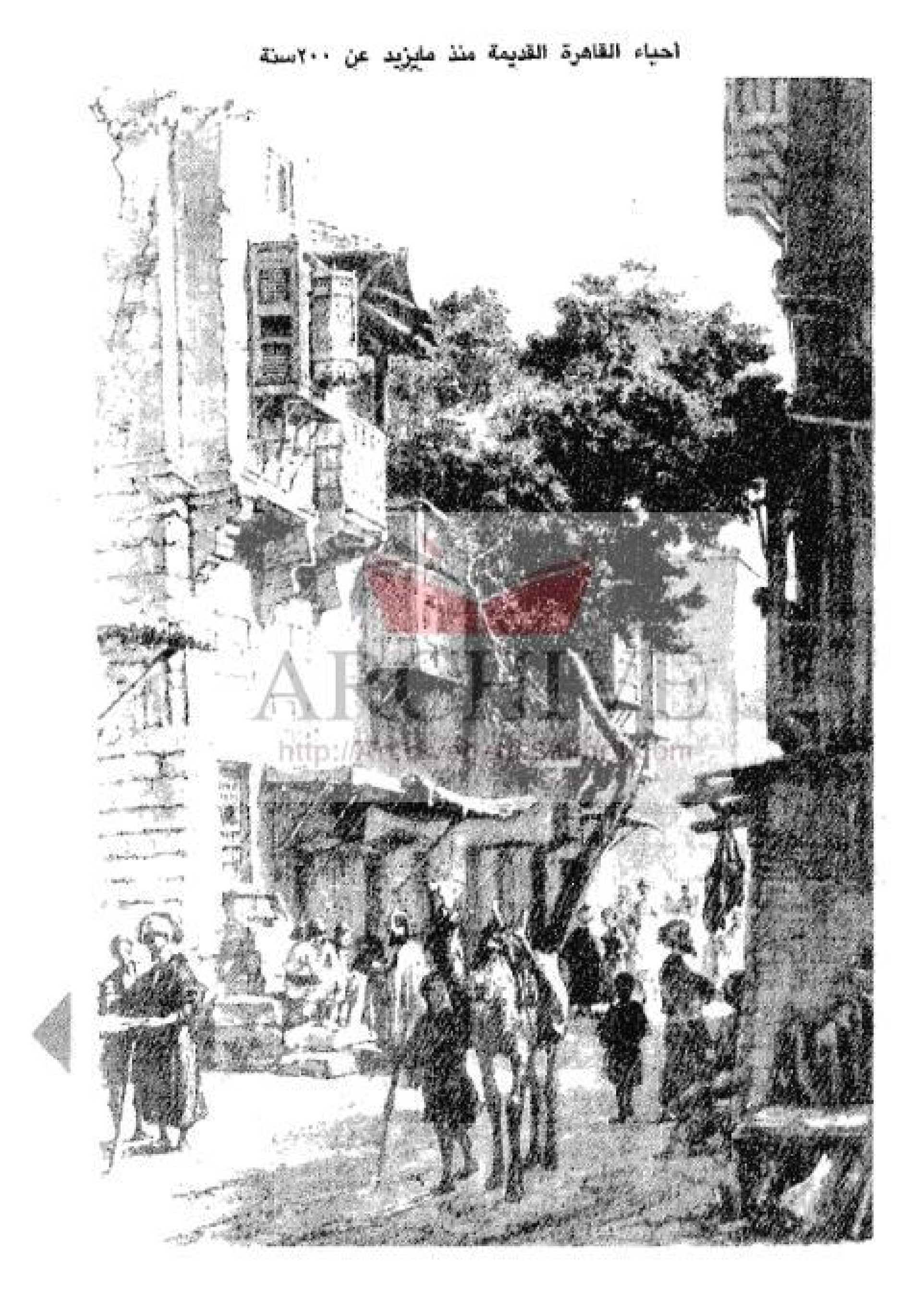
وهو ماحدث عندما قرأت كتاب «رحلة إلى الشرق» الذى كتبه الرحالة الألمانى كريستان نيبور، ووصف خلاله كل مظاهر الحياة فى الشرق، قيمه وأفكاره، إنجازاته وعاداته، نظامه السياسى وأوضاعه الاقتصادية..

تصحب الرحالة فى جولاته فتتأكد أن افكارا مثل الحرية وحقوق الانسان والتصنيع وبناء المؤسسات وحتى الكثير من الفنون مثل المسرح، ليست ـ كما يدعون ـ وافدا غربيا، وانما كانت مزدهرة وسابقة على دخول جحافل الغزاة الاوربيين!.

●

ولا يمكن أن يتهم دليلنا بالتحيز، فى تلك المرحلة التى يندر أن يوجد فيها رحالة أوربى ينصف الشرق، عندما اختلط الرحالة بالجواسيس، وأخذت تتفاعل داخل الغرب مشاعر متضاربة تتنقل بين الرومانسية والدوافع الاستعمارية،

أحياء القاهرة القديمة منذ مايزيد عن ٢٠٠سنة



رحلة إلى الشرق

البعض يجذبه الشرق مهبط الأديان ومسرح رواية الف ليلة وليلة ، ويلهب خيال البعض الآخر ذكريات الحروب الصليبية والتحدى التاريخى الذى يمثله الشرق ! .

وكان نيبور لمحة ضوء ، ولحظة صدق نادرة ، وكان عشقه للشرق أداة معرفته ، وكانت رحلته قبل الثورة الفرنسية وقبل الحملة الفرنسية على مصر التى يحلو للبعض اعتبارها نقطة البداية لمصر الحديثة ! .

وعندما كان الغرب فى حالة نهوض يخرج مثل العنقاء من العصور الوسطى ويعيش عصر النهضة ، أما الشرق الذى يعيش حضارة مغايرة ، فقد تجمد فيه التطور تمزقه المنازعات ويمر بأزمة سياسية حادة ، وتعيش بلدانه ولايات تابعة للدولة العثمانية .

وها هو نيبور يقدم شهادته ذات القيمة التاريخية .

أبحرت الباخرة الدنمركية جرينلاند من أحد موانىء الدنمرك فى يوم قارس البرد ، فى الرابع من ديسمبر عام ١٧٦١ ، وعلى متنها خمسة من العلماء تضمهم ثلاثة جنسيات بينهم متخصصون فى اللغات والجغرافيا والعلوم الطبيعية والطب ، وصحبت البعثة على عادة تلك الأيام رساماً بدلا من المصور ، وقام بتنظيمها والانفاق عليها الملك الدنمركى فريدريك ، وكانت البعثة محل اهتمام وزير الخارجية لما تحمله من أهداف سياسية ..

ولم يكمل الرحلة ويظل حيا من أعضائها سوى نيبور الذى أكملها وسجلها فى ثلاثة مجلدات ، وأصبح الشاهد الوحيد على رحلة الموت الطويلة .

وقفت البعثة فى اسطنبول لشراء مستلزماتها وأهمها الملابس العربية ، ومر على البعثة ١٨ شهرا قبل وصولها إلى الاسكندرية فى ٢٦ سبتمبر عام ١٧٦١ عصفت بأعضائها الرياح والمنازعات وأمضت حوالى سنة فى مصر تدرس وتنقب ، ومنها سافرت إلى جده فى الحجاز ، وسجل خلالها نيبور كل ما يقابله من جبال ووديان وصخور ، وأخذت بقية البعثة تجمع العينات ، ومن جده انتقل إلى المخا فى اليمن ، ويحكى نيبور كيف فزع موظفو الجمارك من العينات داخل الزجاجات التى تحتوى على الحشرات والثعابين ، وتعرضت البعثة للمتاعب فهى تهدف إلى دس السم للعرب وكانت العينات مهددة بالقائها فى البحر لولا تدخل بعض التجار البريطانيين لدى الوالى .

وزارت البعثة صنعاء وقابلت إمام اليمن الذى أخذ يستمع بدهشة إلى تفاصيل مهمتهم وأخذ يتساءل عن الملك الدنمركى وأحواله . وفتنت مدينة صنعاء نيبور

بأسواقها ومبانيها القائمة فوق الجبال ، ومن اليمن قصدت البعثة الهند ، وخلال الرحلة تساقط أعضاء البعثة صرعى واحداً بعد الآخر ..

ومر نيبور فى طريق العودة بمسقط فى عمان ثم فارس وزار بندر عباس وشيراز وبوشهر وجزيرة خرج ، ثم وصل إلى البصرة ، بعد أن رسم خريطة وافية للخليج العربى ، وزار فى العراق الموصل وديار بكر وبغداد ، وكان أول أوربى يدخل مدينة النجف ، ثم اتجه مع احد القوافل إلى حلب وزار دمشق ، وفى فلسطين زار يافا والقدس وبيت لحم وعكا ورسم بيت المقدس ..

وأخيرا عاد فى ٢٠ نوفمبر عام ١٧٦٧ إلى كوبنهاجن وحيداً بعد ستة اعوام ، ومعه خرائط وعينات ومذكرات ، وكلفت الرحلة الحكومة الدنمركية ٢١ الف جدالر أى حوالى ٥٠ الف جنيه استرلينى ..

وجمع عددا كبيرا من المخطوطات النادرة ، وبدا يكتب تفاصيل أسفاره بذاكرة لاتكل .

وحدة الشرق

تعاملت البعثة مع العرب والترك والفرس ومسلمى الهند باعتبار الجميع وحدة واحدة ، ذات قيم مشتركة وسمات واحدة وطعم خاص ، ويبدو نيبور عندما يسجل كل مايراه أقرب إلى العالم منه إلى الفنان وكتابه أقرب إلى العمل التسجيلى ، وتظهر روحه العلمية عندما يشاهد فى مصر مالم تتوصل إليه أوربا ، ولايملك سوى الدهشة ويتمنى أن تتعلم بلاده من الشرق مالم تتوصل إليه ..

وقد عشق نيبور مصر بشكل خاص ، ويكتب : « نعرف مصر فى أقدم ما يصل إلينا من شواهد التاريخ بلداً كثير السكان عظيم الشهرة ، ونعرف أن تاريخ الشرق ظل يذكر مصر ويكثر من ذكرها .. »

ويلاحظ قارىء رحلة نيبور أنه ابن الحضارة الغربية الذى ينظر إلى كل ماهو خارج حضارته ، نظرة تتسم بالدهشة ، ويظهر دهشة فائقة إذا شاهد صناعة متقدمة أو عملاً فنيا راقيا ، ويعود ويظهر دهشته عندما يفاجأ فى مصر بوجود صناعة تفريخ البيض التى لم تعرفها أوربا - فى هذا الحين - واسعة الانتشار ، وكذلك صناعة النشادر ، وهى نظرة الغرب إلى الشرق التى مازالت قائمة ..

وتتسم ملاحظات الرحالة بالدقة العلمية ، ونجده عندما يتكلم عن الاسكندرية يقول : « تقع مدينة الاسكندرية أو سكندرية ، كما ينطقها الأهالى . » وعندما يصل إلى القاهرة يلاحظ أن اسم القاهرة لا وجود له سوى فى الكتب فالأهالى يقولون عنها مصر ، ويرسم خريطة للعاصمة بدقة نادرة ، ويقيس بعض شوارعها بالخطوات ، وكانت

رحلة إلى الشرق

عملية بالغة الصعوبة . « رسمت خريطة لكل من القاهرة ، والمدن القريبة وهى بولاق ومصر العتيقة والجيزة ، وكانت مهمة شاقة بل وخطيرة لتعنت أهل القاهرة مع الأوربيين ، وهذه المهمة لم يقدم عليها أوربى . ولكنى تجاسرت وقمت بقياس أطوال كل الشوارع بالخطوات وبخاصة المفتوحة ، وقمت بتحديد إتجاهاتها مستعينا ببوصلة صغيرة ..

وبين الشوارع الرئيسية أحياء يقيم فيها أصحاب الحرف وغيرهم من فقراء الأهالى الذين لا يعملون كما هو مألوف فى الغرب فى بيوتهم ، بل يعملون ، فى دكاكين صغيرة بالسوق ، ينتحشون وينتظمون داخلها ..

ولهذا كان غريبا ظهور أحد الغرباء خلال النهار ، فليس مألوفا ذهاب أحد لزيارة صديق فى بيته ، ومن يقابل الغريب يتصور أنه ضل الطريق ، ويلفت نظره إلى أن الشارع مسدود ، لذلك تعذر زيارة كل الأحياء .. »

ورغم كل هذا الجهد العلمى إلا أنه يشوب بعض ملاحظاته اعتماده فيما يسوقه على خادمه اليونانى وطباخه اليهودى ..

حياة مصر السياسية

كانت مصر عندما زارها نيبور ولاية عثمانية ، ونجح المماليك فى الحصول على أحد صور الاستقلال الذاتى ، وكان يدور فى أرضها صراع رهيب بين قطبى المماليك محمد أبو الدهب ومحمد على الكبير ، ورغم هذه الظروف شهدت البلاد أحد صور الديمقراطية ، ويعرض نيبور لنظام الحكم بقوله : « إن نظام الديوان فيه سمات الديمقراطية النيابية ، فكان الديوان يعزل الوالى إذا غضب عليه ،

وعندما يرسل مبعوثا إلى الوالى يطلق عليه « أبو طاقية » والذى يقوم بفرش البساط الأحمر تحت قدميه إشارة إلى رغبة الديوان فى تخليه عن الولاية . »

ويصف : « نظام الديوان بأنه يخضع للأفكار « الجمهورية » فهو يتكون من البكوات ورؤساء القوات المصرية والعديد من وجهاء القاهرة من شيوخ الأزهر الشريف ورؤساء الحرف ، وكثيرا ما يعزل المصريون الوالى المعين من قبل السلطان ، وقد شهدت خلال وجودى فى مصر طرد الوالى ، والباشا « أى الوالى هو الذى يعين فى المناصب العليا ، ولكن الديوان هو الذى يرشح الموظفين ..


الغازية كما رسمها لين .

وكانت القاهرة تعج بصغار المستبدين الذين يتخذ كل منهم حرساً خاصا ، وتمتلىء بالأحزاب السرية والعلنية ، ويسعى كل منهم لاسقاط غرمائه وان يكون الحكم فى يده ..ويضيف : « قد يظن البعض أن الأمن حظه ضئيل بين الجموع الغفيرة التى تسير فى الشوارع الضيقة ، والحقيقة أننا لم نسمع عن حوادث سرقة وقتل تزيد عن تلك التى تحدث فى أى مدينة أوربية كبيرة .. »

ويتحدث عما نصطلح عليه اليوم بالمؤسسات الديمقراطية ويقول : « لكل حرفة شيخها الذى يعرف كل أهل الحرفة ، وحتى العاهرات واللصوص ، فإذا تعرض أحد للسرقة يتوجه إلى شيخ اللصوص ، فيعيد إليه ما سرق منه ، لقاء مكافأة سخية فى أغلب الأحيان » ويتحدث عن الرقابة على الحرف والأسواق فيقول : « يذهب المحتسب ليلا ونهارا ومعه حاشية كبيرة إلى الأحياء ، ويتأكدون من صحة ومقاييس وأوزان البضائع المعروضة فى السوق وأسعارها ، ويظل الخوف الدائم من المباغته يلزم أصحاب الأفكار الشريرة حدودهم .. »

وتسهم الأبواب العديدة على مداخل الأحياء المنفصلة ، وعلى الطرق الرئيسية فى ضمان امن الأهالى ، وعندما ينشب صراع بين الكبار فى القاهرة ، سرعان ما تغلق الأبواب ويحال بين عامة الشعب وبين القوى المتصارعة .

ويتعجب نيبور عندما لا يجد لدى المصريين صحفاً تصدر تعبر عن الرأى العام فى البلاد !!

الشرق والغرب

وأهم ما نقله نيبور ضمن مشاهداته وملاحظاته ، ما يعيشه الشرق من استشعار للخطر القادم من الغرب فى هذه

رحلة إلى الشرق

المرحلة المبكرة ، ويسجل فى هذه المرحلة تلك اللحظة النادرة للقاء بين الشرق والغرب ، وكأنه لقاء فى وسط منحدر ، الشرق يهبط من القمة والغرب فى حالة صعود إليها ، أبناء الشرق يجمعون قواهم لوقف التدهور والاستجابة للتحدى الذى يمثله الغرب وتقعدهم المنازعات الداخلية والفرقة ، والأوضاع السياسية التى تحافظ عليها الدولة العثمانية . والانعكاسات القائمة فى ميزان القوى الدولى .

هذه هى اللحظة التى تلمحها متفرقة فى رحلة نيبور إلى الشرق ، فما أيسر أن تعثر لدى المؤرخين على قصة صعود وانتصار حضارة ، وما أصعب أن تعثر على الطرق التى تؤدى للتردى ، والتى تلقى الضوء على دروب الاضمحلال ..

إن اهمية ملاحظاته أنها جاءت فى المرحلة السابقة على الغزو الأوربى ، يقول فى مقدمة كتابه ؟! « فرحت عندما وجدت العرب بشرا كالأمم المتحضرة ! »

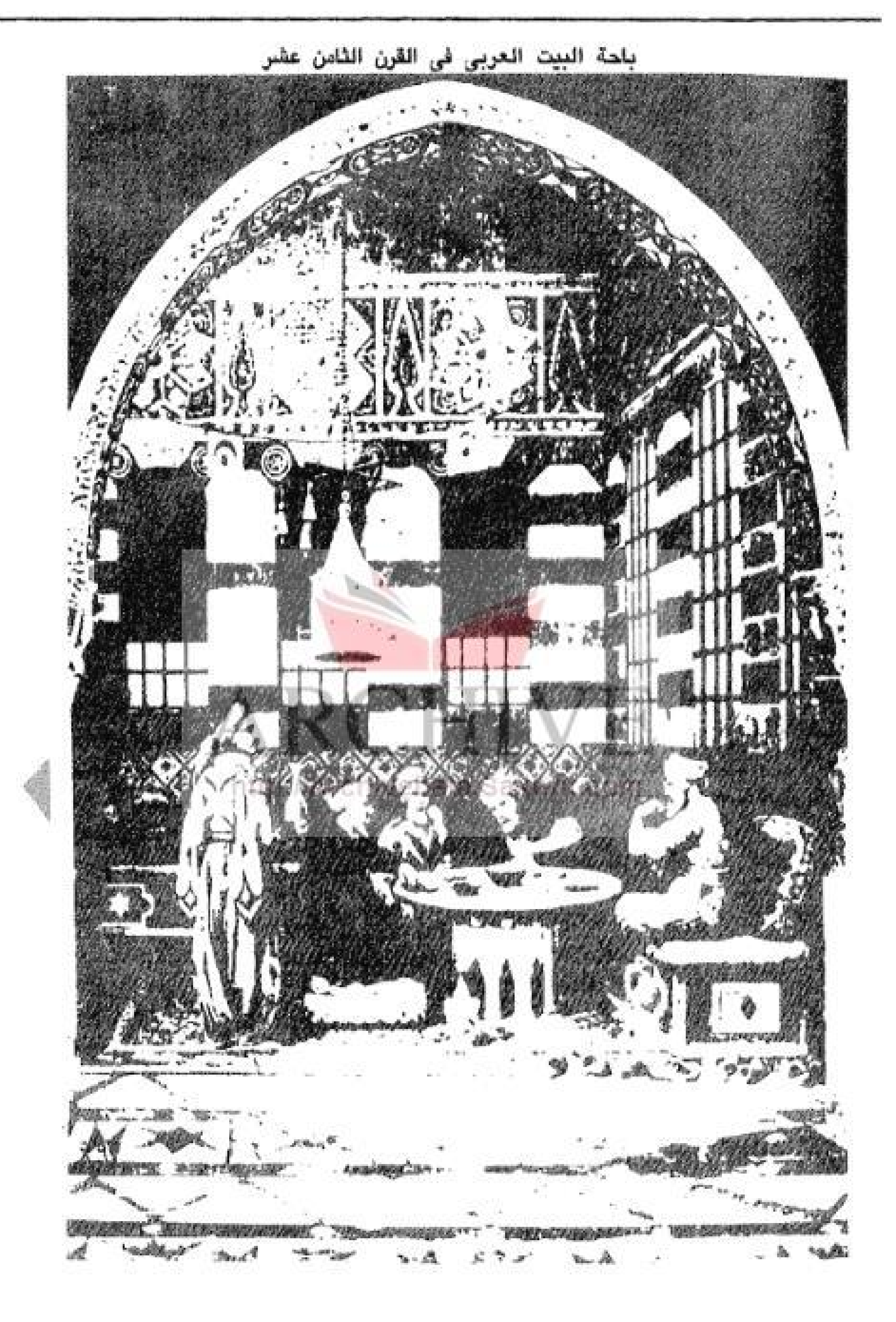
ويصف حالة التوجس والعداء للأوربيين فى مجموعة مشاهد يقول · « لايسمح للأوربيين بركوب الحمير فى القاهرة ، وعليهم إذا ركبوها أن ينزلوا منها إذا أقبل عليهم أحد البكوات من وجهاء القاهرة ، فما أن يظهر أحدهم على صهوة جواده ، يتقدمه أحد أتباعه ممسكا هراوته ويتصدى لأى اجنبى يظل راكبا حماره ، فيأمره بالنزول ، فإذا لم يفعل صب عليه جام غضبه وقد تحول تاجر فرنسى إلى قعيد أمام موقف مشابه ، وكنت فى البداية أركب حمارى يتقدمنى انكشارى وخلفى خادمى ، وكانا يظلان على حماريهما جالسين بينما يطلب منى النزول ، ولهذا آثرت أن أسير على قدمى تجنبا لهذه المهانة . »

وحتى القناصل لا يركبون الجياد إلا عند ذهابهم للباشا ، و إذا ساروا فى الطريق سمعوا ألفاظ السب واللعن يوجهها إليهم العامة .. »

وإذا صحبناه خلال رحلة بالمركب من رشيد إلى القاهرة نجد « أن البحارة لم يرضوا ذكر أسماء القرى التى نمر عليها ، كما جرت العادة أن تضىء المركب التى تحمل أوربيين مصباحا أثناء الليل لتنبه الجميع إلى وجود الغرباء .. »

ويذكر أيضا « أن دمياط ليس بها تاجر أوربى واحد فقد كان للفرنسيين فيما مضى قنصل وعدد من التجار ، وأشاع الأهالى أنهم لاحظوا أن الاوربيين مالوا إلى نساء دمياط ميلا مفرطا ، فقتلوهم جميعا ، فلم يعد يسمح لأحد من الفرنسيين أن ينزل المدينة حتى البحارة أنفسهم ، ومن له أعمال فى دمياط أصبح ينجزها عن طريق وكيل » ويضيف « إن أهل دمياط مازالت تحمل ذاكرتهم الحروب

باحة البيت العربي في القرن الثامن عشر



رحلة الى الشرق

الصليبية ، فيعادون الأوربيين جميعا عداوة كبيرة وقد ارتدينا الملابس التركية لتجنب غضب الأهالى وحنقهم .. »

نهب الآثار

ومنذ رحلة نيبور وعمليات نهب الآثار وجمع المخطوطات مستمرة ، ويلقى الضوء على فصل من هذه العمليات عندما يكشف دور اليهود فى تلك العمليات ، يقول « إن إرسال الموميات من الاسكندرية إلى أوربا أمر شاق جدا ، بعد أن منع الأتراك خروجها ، ويعتبرون أن حرص الاوربيين على نقل الجثث نوع من العبث بالموتى ، ولكن بعد أن أصبح عمال الجمارك فى الاسكندرية من اليهود لم يعد إخراج جثث الموتى وارسالها على سفن إيطالية أمرا صعبا ، ولقد تمكنا من الوصول فى أمان ببضعة صناديق بها موميات الى سطح السفينة » .

ويلاحظ أنه أطلق على نفسه اسم الشيخ عبد الله فى كل من الحجاز والبصرة لكى يتمكن من القيام بمهمته .

عمار القاهرة

بعد أن استعرض نيبور تنظيمات الديوان والحرف والتنظيمات الاجتماعية المختلفة وصف عمار القاهرة وتحضر اهلها ، فحكام مصر وأغنياؤها لا يقلون فى اهتمامهم بالاوقاف الدينية عن سلاطين القسطنطينية ، ويفوقونهم كرما وعطاء ، حتى أن شيخا فقيرا استطاع أن يتنقل عاما كاملا من مسجد الى أخر وينال الطعام والشراب والمرقد ، ويدهشه العناية بالمارستان- مستشفى الأمراض العصبية-و الذى تخصص له أموال كثيرة لرعايته ، والذى يستخدم الموسيقى لعلاج مرضاه ، كما يقدم وصفا شيقا للخانات والوكالات ، وعدد الحمامات العمومية ويصفها بأنها إذا لم تكن جميلة من الخارج فهى جميلة وفسيحة ونظيفة من الداخل ، أرضيتها مكسوة بالرخام الثمين ، ويتوقف طويلا أمام السبيل بروعة تصميمه ودوره فى تقديم الماء للعطشى العابرين ، ويصف البرك التى تقوم حولها الحدائق والمروج ، ويسكن حولها وخاصة بركة الفيل الكثير من الوجهاء والأعيان ..

ويننتقل الى أمسيات القاهرة وفنون وتسلية أهلها ، من الموالد التى يلهو خلالها الناس فى ساحة بجوار المسجد

يعد أن يسير الموكب ليلا والأهالي يحملون القناديل حول الألعاب المختلفة .

المسرح

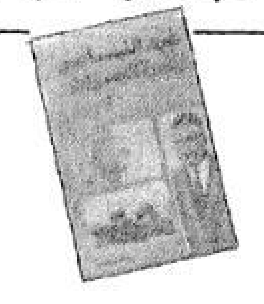
وعلى دارسي تاريخ المسرح العربي أن يرجعوا الى رحلة نيبور بوصفه شاهد عيان يأتي صوته من النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، والذي روى ما شاهده من أعمال مسرحية متكاملة ، وفرق تجوب القرى وتقدم أعمالها ، وخاصة أن الرأي السائد في الدراسات المسرحية الاوربية وعند الكثيرين من الدارسين العرب ، أن الدراما ليست من الفنون العربية ، فيقول الدكتور احمد الحوفي : « لم يكن في الأدب العربي منذ نشأته وحتى نهاية القرن الثامن عشر أدب مسرحي ..»

ويجيب الدكتور طه حسين على سؤال لماذا لم يعرف الأدب العربي المسرح ؟ بقوله : « أن السبب يعود الى اختفاء الادب المسرحي اليوناني حين كان العرب يترجمون الثقافة اليونانية ، ونجد إبن سينا يسمى التراجيديا المرح ويسمى الكوميديا الهجاء ..»

أما نيبور فيقول : "لا يتوقع الأوروبي أن يشاهد في مصر مسرحيات ، ولكن في مصر فرق تمثيلية كبيرة ، بدل منظرهم على أنهم لا يربحون سوى القليل ، ويأتون الى بيت كل من يستطيع دفع أجورهم ، ويتخذون من الفناء الواسع - في البيت الشرقي - مسرحاً ، يضعون في ركن منه ساتراً يغيرون وراءه ملابسهم ، ولكن بعض الأوربيين الذين قضوا في مصر سنوات لم يروا قط تمثيلية عربية ، فاتفقنا في أحد الامسيات مع هؤلاء الممثلين على أن يأتوا إلى بيت إيطالي متزوج ويشاهدوا عرض الفرقة ، ولكن لم تكن الموسيقى ولا الممثلون على ذوقنا ، ولم اكن أفهم ما يكفي من اللغة العربية ، وكان الدور الرئيسي فيها لاعرابية ، قام بدورها رجل في ثياب النساء ، وبذل جهداً فاشلا في تغطية لحيته الكثة ، وكانت الأعرابية تحتال على المارة من الاوربيين حتى يدخلوا خيمتها ، ثم تجرد الاجنبي من ثروته ، وتطرده شر طرده ، وذهبت بهذه الصورة العديد ، وبدا عليها أنها تتأهب لنهب طائفة اخرى ، فإذا بأحد التجار الفرنسيين يضيق بالمسرحية ، ويعبر عن استهجانه وعدم رغبته في مشاهدتها ، فأمروا الممثلين بالتوقف قبل أن تصل المسرحية الى منتصفها .."

إنتهت شهادة نيبور ، وبقى غياب النصوص المسرحية في هذه الفترة والتي أن وجدت لأثرت تاريخ المسرح العربي .

إن القارىء سيجد في هذا الكتاب المتعة والمنفعة معا ، تلك المتعة التي لا يجدها سوى في الاعمال الجادة ، ولقد ترجم الدكتور مصطفى ماهر الجانب الخاص بمصر وبقية كامل رحلته صعبة المنال للقارىء العربي .

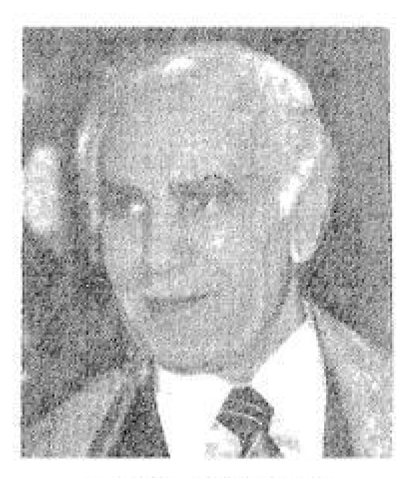


عود على بدء..

بقلم الدكتور : عبدالعظيم أنيس

● حفلت مرحلة الثورة الناصرية بأحداث جسام ذات أهمية تاريخية على المستوى المحلى وعلى المستوى العربى . وهذه الأحداث فى حاجة إلى تسجيل خصوصا من الذين عاصروها وشاركوا فى توجيهها أو إدارتها أو التأثير عليها بشكل من الأشكال . ومن بين هذه الأحداث التاريخية الكبيرة ثورة الجزائر ، والوحدة المصرية السورية ، وثورة اليمن والحرب الأهلية التى أعقبتها ، وثورة اليمن الجنوبى على الاستعمار البريطانى .. الخ . ولقد لعب عبدالناصر ـ قائد الثورة العربية ـ ومساعدوه دورا بالغ الأهمية فى كل هذه الوقائع التاريخية . ولذلك كان من الضرورى قبل أن يفوت الأوان أن يعمد هؤلاء المساعدون ـ أطال الله عمرهم ـ إلى تدوين ونشر روايتهم لهذه الأحداث كما شاهدوها وعاصروها وأن يكشفوا كثيرا من الأسرار المتعلقة بهذه الأحداث والتى لن يجدها مؤرخ فى الصحف السيارة الخاصة بتلك الفترات .

ولست أعنى من هذا أن كلمة هؤلاء المساعدين لعبدالناصر هى الكلمة النهائية والحاسمة فى فهم هذه الأحداث كما ينبغى أن يفهمها المؤرخون . فمثل هذا الاستنتاج ليس بالضرورة صحيحا خصوصا إذا كان كتاب المذكرات هم من الذين ساهموا فى هذه الأحداث ممايفتح الباب لتسرب العنصر الذاتى فى روايتهم . ولكنى أعنى أولا أهمية تسجيل الوقائع كما



الرئيس الشاذلى بن جديد
ورحلة الثورة الشاقة

حدثت بالفعل لا كما نشرتها الصحف ووكالات الأنباء . أما تحليل هذه الوقائع وتقييمها فتلك مسألة أخرى قد تختلف فيها وجهات النظر .

ولهذا كان طبيعيا أن يحتفل المهتمون بتاريخ هذه الحقبة بصدور هذا الكتاب الضخم « عبدالناصر وثورة الجزائر » للاستاذ فتحى الديب عن دار المستقبل العربى فى نحو ٧٥٠ صفحة متضمنا العديد من الوثائق الخاصة بتلك الثورة والتى تنشر لأول مرة .

وأهمية الكتاب تأتى من اهمية المؤلف الذى كان المشرف المباشر على سياسة عبدالناصر فى دعم الثورة الجزائرية عسكريا وسياسيا ، وظل فى هذا الوضع الفريد حتى تحقيق الاستقلال عن فرنسا ، بل وظل ملاحقا لأحداث الجزائر محاولا التأثير فيها حتى قيام بومدين بانقلابه على بن بيلا فى ٢٠ يونيو ١٩٦٥ .

ولعل هذا العمل الذى قام به الاستاذ فتحى الديب عن ثورة الجزائر يكون باعثا لآخرين على التفرغ لكتابة أحداث الوحدة المصرية السورية وثورة اليمن الشمالى والحرب الأهلية فيه ، وثورة عدن كما شاهدوها ولعبوا دورا فيها بشرط أن تكون على نفس مستوى التفصيل والتوثيق الذى نشاهده فى هذا الكتاب الهام .

● ● ●

فى ٥ إبريل ١٩٥٤ دخل الشاب الجزائرى مزيانى مسعود (الاسم الحركى لأحمد بن بيلا) إلى مكتب ضابط المخابرات المصرية فتحى الديب وقال له إنه مفوض من مجموعة التنظيم العسكرى السرى لحزب الشعب (المنشق على قيادة مصالى الحاج والمنشق أيضا على جماعة اللجنة المركزية المنشقة على قيادة مصالى الحاج) لطلب المساعدة العسكرية من مصر الثورة حتى يمكن تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسى بقوة السلاح . وقال الشاب الجزائرى إنهم فعلوا هذا بعد أن وصلوا إلى قناعة حاسمة بأنه لايمكن تحرير الجزائر إلا عن هذا الطريق ، وأن عددهم لايزيد عن الف

ثورة الجزائر :

عود على بدء ..

مقاتل موزعين على كل ولايات الجزائر ، ونصفهم قد أتم إعداده العسكرى وتدريبه على حرب العصابات بواسطة عناصر منهم حاربت فى الهند الصينية وفى الحرب العالمية الثانية ضمن وحدات الجيش الفرنسى ، إلا انهم لايملكون من السلاح غير بضعة بنادق صيد إيطالية !

وفى الساعة الواحدة من صباح ٢٠ يونيو ١٩٦٥ دخل ثلاثة من كبار ضباط الجيش الجزائرى ـ هم قائد الأركان طاهر الزبيرى والكولونيل عباس والقومندان سعيد عبيد ـ غرفة نوم رئيس جمهورية الجزائر أحمد بن بيللا فى فيلا جولى ، والقوا القبض عليه وأعلنوه أنه قد تم تشكيل مجلس ثورى جديد بقيادة بومدين وأنه قد تم عزله .

وبين هذين التاريخين (٥ إبريل ١٩٥٤ ، ٢٠ يونيو ١٩٦٥) انقضى أحد عشر عاما وشهران ونصف .. مليئة بالدراما التاريخية والأحداث الجسام ابتداء من قصة تهريب الأسلحة المصرية بحريا إلى منطقة زوارة على الحدود الليبية التونسية أو إلى منطقة الناضور التى تسيطر عليها السلطة الاسبانية ، ومن هناك بقوافل الجمال أو السيارات إلى تونس أو إلى مراكش ... وانتهاء بعملية « اختطاف » مجموعة بن بيللا بعد أن أفرج عنها الفرنسيون من الرباط إلى القاهرة عبر سويسرا بتدبير محكم من المخابرات المصرية وبمعونة المخابرات السويسرية ، تلك العملية التى أشرف عبدالناصر شخصيا على وضعها ومتابعتها .

وبين هذا وذاك تبدو أمامنا دراما الصراع بين عناصر قيادة الثورة الجزائرية من أجل السيطرة على توجيه الثورة وتحديد مسارها ، ومن أجل تشكيل قيادة لجبهة التحرير وتشكيل حكومة فى المنفى . ثم حادث اختطاف الفرنسيين فى اكتوبر ١٩٥٦ لبن بيللا وزملائه وهم فى طريقهم من مراكش إلى تونس لمقابلة بورقيبة ، ودور الأمير الحسن وحاشيته فى هذه العملية ، والمفاوضات الفرنسية الجزائرية التى انقطعت وعادت عدة مرات ، ثم الاغتيالات والاغتيالات المضادة فى صفوف قيادات الثورة والتى عاشت الصراع بين قيادات الداخل وقيادات الخارج أحيانا وبين قيادات الخارج بعضها البعض أحيانا أخرى . ثم قصة الصراع بين المخابرات المصرية والمخابرات الفرنسية حول شحنات الأسلحة المصرية المهربة إلى الجزائر ، ووقوع الباخرة أتوس المليئةبالأسلحة فى يد المخابرات المصرية ، ومصادرة السلطات الاسبانية لشحنة الأسلحة



عبد الناصر وبن بلا وعلاقة حميمة من اجل حرية العرب



عبان رمضان وفتحى الديب وعباس فرحات ويوسف بن خده ودراما الصراع

ثورة الجزائر :

عـود علـى بـدء..

التشيكية ودور المغرب فى فضح هذه الشحنة وتسليمها للأسبان ، وخلف هذا كله تبدو قصة الصراع بين قيادة عبدالناصر من ناحية وبين حكام تونس ومراكش من ناحية أخرى لتوجيه ثورة الجزائر ، وهو فى الحقيقة بين الثورة العربية بقيادة عبدالناصر وبين اليمين الحاكم فى المغرب العربى . والحقيقة أن كثيرا من أحداث المغرب العربى اليوم لايمكن فهمها إلا على ضوء هذا البعد التاريخى الوارد فى كتاب « عبدالناصر وثورة الجزائر » وأقرب مثال على هذا التوتر القائم حاليا بين الجزائر والمغرب حـول قضيـة الصحـراء وحـركـة البوليساريو ، وهو أمر يعود بجذوره إلى المفاوضات الفرنسية الجزائرية فى أوائل الستينيات وإلى ضغوط بورقيبة على القيادة الجزائرية للتخلى عن الصحراء (الغنية بالمعادن النادرة) لفرنسا أولا ثم لمراكش بعد ذلك .

ويحتوى الكتاب أيضا على وقائع تبدو الآن بعد انقضائها شديدة الطرافة ، وإن كانت تمثل فى وقتها مغامرات قد تصل إلى حد النزق . ومن ذلك قصة ذهاب فتحى الديب مع الجراح الجزائرى د . إدريس



بومدين ترك الأزهر وكـان من أوائـل المـنـضمين للـثـورة

لمفـاوضة تـاجرى السـلاح الألمانى والدانماركى فراى وإريكسون على صفقة سلاح بمليون جنية ونوادر الخمر والنساء الجميلات الشقراوات التى حاول تاجرا السلاح استخدامها مع المفـاوضين الغربيين ، واتساع نطاق المغامرات حتى شملت ألمانيا والنمسا والسويد ثم انتهت



فى شوارع الجزائر بعد الاستقلال

فى آخر الأمر فى براغ ، ومن هذه الوقائع أيضا قصة اختطاف المخابرات المصرية لمندوبى مصالى الحاج فى مطار القاهرة بعد تحرك طائراتهم للاقلاع (أحمد ميرغنه ، الشاذلى المكى) وإيداعهم فى السجن الحربى فى مصر ، مع إرسال المخابرات برقية من ليبيا إلى معاونى ميرغنه والشاذلى فى القاهـرة تفيد وصولهما سالمين إلى ليبيا !

● ● ●

ويبقى أن أقول فى هذا الاستعراض الموجز لذلك الكتاب الهام أن القارىء لاشك يواجه عددا من الأسئلة الحائرة عندما ينتهى من القراءة . وهى أسئلة إما

الثورة الجزائرية:

عود على بدء..

ان الاستاذ فتحي الديب يعرف إجاباتها واختار الا يتعرض لها ، او انه لايعرف إجابة لها ولذلك آثر الا يخوض فى تفاصيلها .

ويحضرنى هنا مثالان يتعلقان بقضية الصراعات العنيفة التى جرت بين قادة الثورة الجزائرية ، والتى وصلت إلى حدود الاغتيالات والاغتيالات المضادة ، والتى عكست الصراع بين القيادة فى الداخل وبين القيادة فى الخارج أو الصراع بين عناصر القيادة فى الخارج ذاتها . ومثال ذلك الواضح مقتل عبان رمضان .

إن من الواضح أن عبان رمضان كان شخصية هامة فى الثورة الجزائرية فى الداخل ، فقد كان قائد مجموعة مناضلى العاصمة ، ومن الواضح أن الخلاف بين بن بيللا وبين عبان رمضان كان بداية الخلاف بين مجموعة الداخل ومجموعة الخارج .

وقد نجح عبان رمضان فى عقد مؤتمر وادى الصمام فى أغسطس ١٩٥٦ ، وفى السيطرة على توجيه المؤتمر واستصدار قرارات بلوم بن بيللا فى إدارة عمليات الخارج ، وفى تشكيل «لجنة التنسيق والتنفيذ» منه ومن كريم بلقاسم ويوسف بن خده كقيادة يومية للثورة ، وفى اختيار د . محمد الأمين دباغين لتمثيل الثورة بالقاهرة وللتحقيق مع بن بيللا على أساس تهمة التقصير فى توريد السلاح للثورة .

ولقد وصل عبان رمضان الى القاهرة فى سبتمبر سنة ١٩٥٧ لحضور المؤتمر السنوى لقيادة الثورة وقابل فتحى الديب وعبد الناصر ، وحاول اكتساب ثقة القاهرة مع لومها لاندفاعها فى إبراز زعامة بن بيللا للثورة الجزائرية . وفجأة يعلن الكتاب أنه بعد أيام قليلة من انتهاء المؤتمر وصل خبر مقتل عبان رمضان وهو فى طريقه الى تونس !

أين بالضبط قتل عبان رمضان ؟ هل فى ليبيا أم داخل الحدود المصرية ؟ وماهى ظروف مصرعه ؟ لايجيب الكتاب على هذا اللغز الغامض . ثم من قتل عبان رمضان ؟ يقول الأستاذ الديب فى كتابه إن معلوماته أن كريم بلقاسم كان وراء اغتيال عبان رمضان باعتباره حاول تقوية نفوذ السياسيين على حساب العسكريين . والحقيقة أنه سبب غير مقنع متى لاحظنا أن كريم بلقاسم هو عضو اللجنة الثلاثية التى كانت تقود العمل اليومى للثورة ، وأن مصلحته فى اغتيال عبان رمضان غير واضحة خصوصا على ضوء الصراع الذى بدأ تباشيره بين كريم بلقاسم وبن بيللا . وأيا كانت توجهات عبان رمضان الحقيقية فإن لغز اغتياله يظل قائما دون جواب بعد قراءة الكتاب .



اعضاء مؤتمر وادى الصمام داخل الجزائر

أما المثال الثانى على الاسئلة الحائرة بعد قراءة الكتاب فهو يتعلق بالطبيعة الاجتماعية السياسية للخلافات بين قادة الثورة الجزائرية . إن كافة الصراعات بين القيادات الجزائرية التى يعرضها الكتاب تبدو وكأنها صراعات شخصية حول السلطة . ومع أننا لانستطيع أن نغفل هذا البعد الشخصى للصراعات بين القادة السياسيين إلا أن البعد الاجتماعى له أهمية خاصة فى تفهم أبعاد هذه الصراعات ولاينفعنا فى شىء أن نستخدم ـ كما فعل المؤلف ـ مقولة أن الثورة تأكل بنيها .

ولقد وضع بن بيلا وزملاؤه إبّان اعتقالهم فى فرنسا (فى وثيقة هامة نشرها الكتاب) الخطوط العريضة لسياسة السلطة الجزائرية داخليا وخارجيا . ففى السياسة الداخلية اكدت

ثورة الجزائر :

عود على بدء ..

الوثيقة على إقامة نظام ديمقراطى ووضع ميثاق اجتماعى ، ثم الاصلاح الزراعى والتصنيع ، ثم سياسة تأميم مصادر الانتاج الرئيسية والبنوك وشركات التأمين ووسائل النقل المشترك . وفى السياسة الخارجية أكدت الوثيقة على عدم الالتجاء الى الغرب ومقاومة الاستعمار فى إفريقيا والتحالف مع الجمهورية العربية المتحدة بالاضافة الى السعى لوحدة الدول العربية الافريقية . فهل ياترى حدث خلاف بعد ذلك بين القادة حول هذا البرنامج ؟ وماذا كان موقف الفرق المختلفة ؟ إن الكتاب لايعطينا أضواء كافية للاجابة على مثل هذه الاسئلة . صحيح أن محمد خيضر قد شكا لفتحى الديب إبان زيارة عبد الناصر للجزائر فى مايو سنة ١٩٦٣ من سياسة بن بيللا الداخلية ومن تركيزه على الاصلاح الزراعى وتجاهله للقطاع الصناعى رغم تزايد البطالة ومن اندفاعه فى التأميم رغم عدم وجود جهاز صالح لادارة المؤسسات المؤممة ، لكن القضية الرئيسية التى فاقمت خلافات خيضر وبن بيللا كانت حول الأموال المودعة فى بنوك سويسرا باسم خيضر لصالح جبهة التحرير ، وليس موضوع السياسة الداخلية .

حتى الصراع بين بومدين وبن بيللا والذى انتهى بالقبض على الأخير فى يونيو سنة ١٩٦٥ ، والذى كان من الواضح أن عناصر من المكتب السياسى واللجنة المركزية قد انحازت فيه الى جانب بومدين ، لم يوضح الكتاب إن كانت له أبعاد اجتماعية سياسية أم انه مجرد صراع على السلطة بين زعامتين .

وأيا كان الأمر فإن الكتاب ـ مع تعاطفه الشديد مع بن بيللا ـ لايترك مجالا للشك فى الأخطاء الجسيمة التى ارتكبها بن بيللا فى حساباته السياسية كقائد مسئول خصوصا فى المرحلة الأخيرة من الأحداث ، تحت تأثير نزعاته الشخصية العاجزة عن التقدير الموضوعى للأمور ، الأمر الذى يلزمنا بإعادة النظر فى الانتقادات القديمة له من زملائه .

لقد كان مشروع الانقلاب على بن بيللا معروفا للقاهرة قبل حدوثه بشهور ، وخيضر نفسه ألمح إلى هذا فى حديثه مع فتحى الديب مما أفهم الأخير أن هناك تدبيرا من بوضياف وخيضر وحسين آيات ورابح بيطاط بالاتفاق مع بومدين للانقلاب على بن بيللا ، وحذر القاهرة من التدخل إذا حدث هذا .

وعندما ذهب فتحى الديب بعد ذلك للوساطة بين بومدين وبن بيللا فى مايو سنة ١٩٦٥ ، وحذر الأخير من انقلاب

عسكرى ضده قال له بن بيللا « ماتخافش بومدين فى جيبى » !

وكان من مفارقات الموقف أن يتم الانقلاب العسكرى ضد بن بيللا بعد شهر من هذا الحديث بقيادة « هذا الذى فى جيبه » وأن يتولى القبض على بن بيللا فى غرفة نومه طاهر الزبيرى قائد الأركان الذى عينه بن بيللا من وراء ظهر بومدين ،

وكان تعيينه سببا من أسباب التوتر بين الزعيمين وليس بعد كل هذا دليل على غفلة بن بيللا السياسية وعزلته عن الواقع .

ويقول فتحى الديب فى ختام الكتاب : إن القاهرة لم تفاجأ بخبر الانقلاب . وبعد ذلك صفى النظام الجديد حساباته مع المعارضة فقد تم اغتيال كريم بلقاسم فى المانيا ومحمد خيضر فى أسبانيا . أما الضباط الثلاثة التى نفذوا القبض على بن بيللا فقد أعلن عن وفاة أحدهم منتحرا (سعيد عبيد) ولاقى الكولونيل عباس حتفه فى حادث سيارة ، وحكم على طاهر زبيرى غيابيا بالاعدام وعاش منفيا خارج الجزائر .

لكن تلك قصة أخرى ....

كلمات عاشت

- « لئن تصحب من يخوفك حتى تبلغ الأمن ، خير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى تبلغ الخوف » ـ أحد العلماء ينصح خليفة عباس .
- « إن الصمود ضد القدر وملاقاة الشدائد بابتسام شىء يعلو على معنى الصبر . إنه رد للعدوان ونصر إيجابى » .. توماس مان
- « فى فنائى حياتى ، وفى أفولى طلوعى » .. ت . س . إليوت .
- « إن المأساة تطهر عاطفتى الخوف والشفقة فينا » ..
أرسطو طاليس
- « إن الصمت أصبح متواطئاً مع أسوأ الظروف »
ميتران
- « إن الابداع الرائع لاينتج إلا من المعاناة والمكابدة »
فريدريكو فلليني
- « أفضل الصيغ الأدبية هو الحقيقة »
جارسيا ماركيز

ميكل أنجلو بوناروتى
عبقرى كل زمان ومكان

بقلم : مختـــار العطـــار

عدسة : فاروق عبد الحميد

ليس من العدل أن نتحدث عن عملاق النحت عبر القرون : ميكل انجلو بوناروتى دون أن نستعرض ملابسات عصر النهضـة الأوربى الذى أعقب العصـور الوسطى . والمعروف أن « الرينيسانس » لم يستهدف بعث حضارة العصر الاغريقى الرومانى أو إصدار نسخة أخرى من الانتصارات العلمية والفنية لذلك العصر الكلاسيكى ، بل حرص على تحقيق اكتشافات ووضع بحوث ومؤلفات جديدة ، وإبداع فن يقف ندا لذلك التاريخ العظيم ، بل ويتفوق عليه بعد حقبة الالف عام المظلمة التى استغرقتها العصور الوسطى حتى عام ١٣٣٠ م .

ويختلف التاريخ الزمنى قليلا بالنسبة لفن الرسم والتلوين ، فقد بدأت نهضته فى لوحات « أمبورجيودى بوندونى جيوتو » (١٢٦٦ / ١٣٣٧) إلا أن الذروة الفنية لعصر النهضة كانت فى الخمس الأول من القرن السادس عشر .. فقد هيأت الظروف التاريخية مدينة « روما » لتكون المركز الهام للابداع الفنى فى ذلك الزمان فقد تولى « يوليوس الثانى » عرش البابوية سنة ١٥٠٣ بينما ساد فلورنسا القلق والضعف ، وطرد « آل مديتشى » رعاة الفنون ، فنزح كبار الفنانين إلى روما وفى مقدمتهم « ميكل انجلو » و« رافاييللو » . وقد جاء فى أعقاب « يوليوس الثانى » بابوات من عائلة مديتشى وكان من بينهم « ليو العاشر » (١٥١٣ / ١٥٢١) « وكليمنت الثامن » (١٥٢٢ / ١٥٣٤) وخلال عصر البابوات الثلاثة استطاع « ميكل انجلو » ومعاصروه من الفنانين تغيير وجه الفن فى أوروبا . وتسمى هذه الفترة الوجيزة التى تمتد بين عامى ١٥٠٣ و ١٥٢٠ « ذروة النهضة » وهى تتسم بطابعين متميزين فى فن الرسم والتلوين : أحدهما يحدده إبداع « ميكل انجلو » الذى سنستعرض سيرته وبعض أعماله فى الرسم بخاصة . والآخر توضحه أعمال « رافاييللو » الذى قد نتناوله فى حديث قادم .

ويرجع التقدير العالى الذى ظفر به « ميكل انجلو » إلى أنه يمثل الجانب الرفيع النقى .. السامى .. فى الفن . فإحساسه بالجمال بعيد عن القواعد والنسب التقليدية ، وإبداعه يتضمن صفات تعبيرية غامضة ، وهو يثير المشاهد بالتطرف والصراع الشرس والاحجام الهائلة لموضوعاته .

وقد عاش « ميكل انجلو » حياة طويلة امتدت إلى تسعة وثمانين عاما ، تمتع خلالها بشهرة واسعة تعدت حدود ايطاليا . وقد تأثر بوجهة نظره الفن الفينيسى كله والذى يمثله الملون العظيم « تيتشيانو » . كما أنه واضع اللبنات الاولى للاتجاه الانتقائى ـ المانيريزم .

وبظهوره حسمت قضية أن الفنان شخص مثقف ، وارتفع قدر الرسام والنحات إلى مصاف الأديب والشاعر والعالم بعد ان كان فى مقام العامى والحرفى طوال القرنين الرابع والخامس عشر . فقد اقتنع الناس أن الابداع الفنى ليس عملية ميكانيكية ، وأن الفنان على علاقة طيبة بالمثقفين ، ينضم إلى مجالسهم فى بلاط البابا . لقد رفض أن يكون مجرد منفذ للتكليفات ، فصمم لوحاته وفق أفكاره . وهذا هو الذى فعله فى ضريح « يوليوس الثانى » وسقف كنيسة سستين ومن المعروف أنه لم يسبق لفنان قبله أن نافس شعراء عصره فى قرض الشعر وكل هذا رفع من مكانته الاجتماعية مما سمح له أن يصادق السيدة « فيتوريا كولونا » مركيزة بسكارا .

وقد جرت العادة فى عصره أن يلتحق الصبى الموهوب باستوديو أحد الفنانين المشهورين لينضج رويدا رويدا من خلال تعاليم الأستاذ . وهذا ما حدث مع كل من « دافنشى » و « رافاييللو » لكن الطريق اختلف بالنسبة لفناننا الملهم .

ولد ميكل انجلو سنة ١٤٧٥ ، والتحق فى سن الثالثة عشرة باستوديو « جيرلانداير » الذى كان يقتبس أفكار "ماساشيو" فى المشاهد المقدسة بعد أن يلبسها ثيابا

من قصص الانجيل ... الوان فريسك على سقف كنيسة سستين



ميكل أنجلو بوناروتي

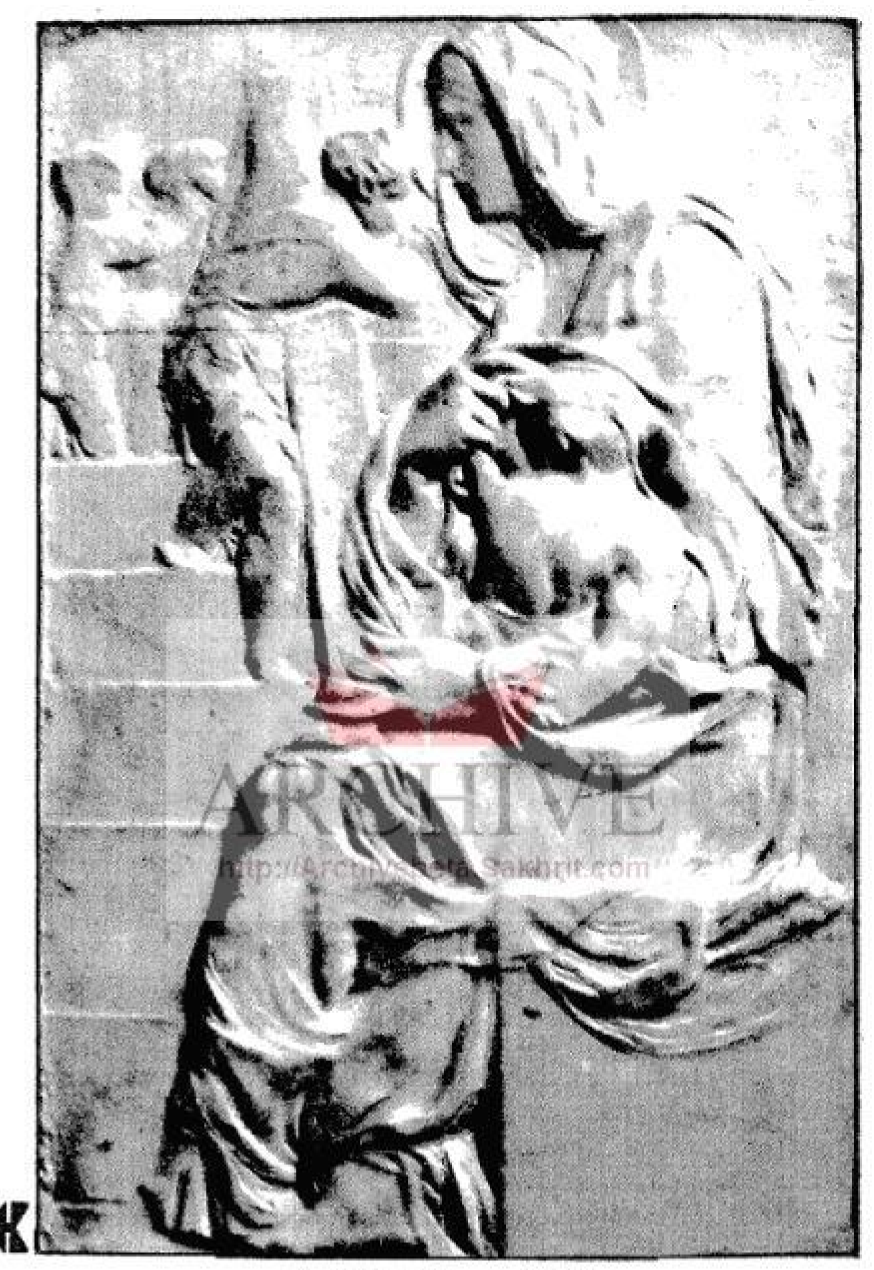
عصرية . وانتهج انجلو طريق أستاذه فاستلهم لوحات "جيوتو" كما يتضح في بعض رسومه الباكرة . وتفهم دروس التقاليد الفلورنسية ، ثم وضع بصمته وشخصيته في النهاية وقد اتخذ هذا الموقف الفلسفي نتيجة لاتصاله بكبار المفكرين الذين رافقهم في قصر "الميدتشي" في الفترة من ١٤٨٩ حتى ١٤٩٢ . فنحن نلاحظ في لوحة "خلق حواء في سقف كنيسة سستين" استلهامه لأسلوب "ماساشيو" النقي الخالي من الزخرف . وقد استوحى ايضـا "فيليبـولبـي" . "جنتيلـي" . "دافبريانو" . "جيبرتي" . و"فرانشسكو بيزيللينو" . الذي استلهمه في لوحة "العذراء والطفل" .

فرض الطابع البطولي للفن في القرن الخامس عشر تأثيره على جميع الفنانين ـ كما اتسمت الانسانية الرقيقة التي نضحت بها أعمال " ماساشيو ".و" دونا تللو " بالزخرفة والصنعة والجهد ، لتحقيق أحجام كبيرة جليلة . وقد وصل أنجلو بهذا الاتجاه الى منتهاه حينما أدرك تلك المفاهيم بوعي كامل فوضع نسب الأشخاص ذات المقاييس الشامخة فأصبحت التقليد المتبع فيما بعد .

وقد نزح ميكل انجلو الى فينسيا وبولونيا بعد وفاة " لورنزو العظيم " فعايش وتذوق أعمال كبار الفنانين ، ثم انتقل الى روما ليمكث خمس سنوات (١٤٩٦/١٥٠١) . لم يكن الجسد العاري مطروقا في المشاهد التاريخية خلال القرن الخامس عشر فاقتصر على رسم الأطفال والشخصيات الأسطورية والتماثيل البرونزية الصغيرة لتزيين الموائد ورفوف الكتب إلا أن « ميكل انجلو » بدأ مبكرا منافسة التماثيل الكلاسيكية الاغريقية والرومانية . كان حريصا على التشخيص العاري الذي تعلمه من أستاذه " برتولدو " ويعتبر تمثال " باكوس " الذي نحته في روما بين عامي ١٤٩٦/١٤٩٧ من أقوى أعماله تمثيلا للنحت الكلاسيكي كما يعد أول تمثال عار في القرن السادس عشر . كان " العاري " في عيني " أنجلو " يتضمن سر الروائع العتيقة ، فكان يعتقد أن الماضي يحيا فيما خلفه من تلك التماثيل التي أصبحت رمزا للنمط الانساني الرفيع القدر تماثيل تحيا خارج نطاق الزمان ، قوية جميلة على الدوام ، متحررة من القوانين والضوابط .

إن شخصيات " أنجلو " العارية ليست واقعية ، إنما هي ما أراد لها أن تكون جميلة .. جليلة .. مزودة بالعضلات القوية .. رشيقة .. ذكية .. خفيفة الحركة . جسد يحق " الفلسفة الانسانية " التي أسفر عنها عصر النهضة : فلسفة أن الانسان محرك التاريخ والحياة . وقد ظل أسلوبه يفرض نفسه على فن الرسم التصويري قرنا من الزمان . كان الشكل العاري قبله حافلا بالتوتر والزوايا ، فأضفى عليه حركة حرة شملته من رأسه حتى قدميه وقد عبر به عن إعجابه وتقديره وتذوقه للطريقة التي فطر عليها جسد الانسان ..سعة الصدر .. كتلة الظهر .. امتلاء الأطراف . وطلاقة الحركة المفصلية .

إن الفكرة الجمالية عن حرية الحركة وانسيابها ابتدعها " ليوناردو دافنشي " في لوحته الناقصة " عبادة المجوس " . إن عناصرها مضمومة في ضفيرة واحدة كأنها دوامة . جمعها ببساطة مفرطة في تكوين موحد متكامل . وقد عاد " أنجلو " الى فلورنسا في ذلك الحين فتبنى نفس الفكرة الجمالية التكوين الموحد وطلاقة الحركة . وهكذا اقتربت لوحاته من طابع النحت من حيث الوحدة والترابط . كان راسخا في اعتقاده أن الرسم ينبغي أن يشبه النحت البارز . والواقع أن لوحاته كانت ـ شأن تماثيله ـ على درجة عالية من الأداء المتكامل المنتهي . وقد وضع درجات لونية متعددة ناصعة واضحة ذات



عذراء الدرج - نحت بارز في المرمر

ميكل أنجلو بوناروتى

صفات قزحية كأنها تنعكس من صفائح معدنية ، فاختلف بها عن " دافنشى " الذى تنبثق الوانه فى خفة واستحياء من بين الظلال والدخان . إن نظم " انجلو " اللونية ناصعة حادة تخرج عن الطابع الكلاسيكى الاسيان ، لكنها تبعث القلق فى نفس المتلقى . ولكى يحقق التأثيرات الحلزونية لشخصياته ، لوى اجسادها فى حركات صعبة معقدة ، تتطلب قدرا كبيرا من اللياقة البدنية ، وتعكس نوعية خاصة من التوتر . إنها ذات نكهة غامضة غير طبيعية أو متزنة . نفس الطابع الذى تميزت به " المدرسة الانتقائية " ـ الماناريزم ـ فيما بعد .

وقد رسم الملائكة كأنهم رجال صغار عراة بلا أجنحة . ومن العينات الممثلة لهذا المدخل الابداعى لوحتا " المحاكمة الأخيرة " و " القديس بول فى الطريق الى دمشق " . لم يكن من الطراز الذى يتبع " المسلمات " أو " التقليد الشائع " . إنه صاحب أسلوب خاص . حتى القديس " يوحنا " تحول من الشكل المعهود النحيف الزاهد الى النمط الملىء المكتنز . رسم " العائلة المقدسة " كأنه غير مكترث بالموضوع الذى صورت من اجله ، فاتجه بابداعه الى القالب (الفورم) مباشرة وهكذا خاطب بفنه الصفوة من المثقفين الواسعى الافق . كان لايبدع فنه على أنه مهمة كلفه بها صاحب العمل لينفذها بإخلاص . وليس معنى هذا انه لم يكترث بالمحتوى الدينى بل يعنى ان له اسلوبه الخاص فى التعبير

فى عام ١٥٠٤ .. أعد تخطيطات لوحة حائطية بعنوان " معركة كاسكينا " وهى لا تعكس جوا حربيا على الاطلاق . وقد وصف ناقد كبير من معاصريه تلك التخطيطات بأنها " مدرسة لكل العالم " ولهذا لم يكن غريبا أن يتسابق شباب الفنانين لمشاهدتها ونقلها . ثم تمزقت وضاعت ولم يبق من آثارها سوى نسخة منقولة عن الأصل . ومع ذلك أدرك النقاد المعاصرون روعتها .. فما بالنا بالأصل ؟

إلا أن معركة " كاسكينا " هذه مجرد اختراع لا أثر لها فى الواقع التاريخى . وهى تحكى أن العدو فاجأ الجنود الفلورنسيين ذات يوم قائظ الحرارة ، وهم يستحمون عرايا كما ولدتهم امهاتهم .. مجرد فرصة ليصور الأجساد العارية التى لم تكن منتشرة فى القرن السادس عشر . وحين كلفه البابا بتنفيذ تصميم معين فى سقف كنيسة " سستين " أقنعه بضعف التصميم المعد واستبدل به تصميما آخر من عنده بأفكار مغايرة تماما . كانت المرة الأولى التى رضى فيها البابا بأفكار غير أفكاره الشخصية . لقد كان دائما ينفر من الاحتراف . شاركه " دافنشى " فى هذا ، وربما كان الاعتزاز بفنهما هو السبب فى تركهما الكثير من أعمالهما بدون اكمال . هذا وقد انجز (انجلو) لوحاته دون مساعدة وذلك على الرغم من عدم درايته الكاملة باستخدام خامات " الفريسكو " . إنه لم يستعن كغيره بفريق من المعاونين الاكفاء فقد كانت رغبته فى إخراج عمل فريد تفرض عليه العمل منفردا مع شكواه المستمرة من الصعوبات التى يواجهها . وقد ترك لنا قصيدة شعرية أسماها " حول رسوم سقف كنيسة سستين " وصف فيها معاناته وبغضه للمكان برمته ويأسه من نفسه .

إننا نقدر مشاعر هذا العبقرى ونحن نتأمل السقف العظيم الممتد ، المكسو بأجساد بشرية متزاحمة معذبة . عالم من العرايا ، كل منهم تميزه شخصيته ، عظيم فى ذاته ، لا علاقة له بالحياة اليومية التى نحياها ، ولا يوجد هناك مشهد طبيعى دنيوى واحد ، كأنها مشاهد كونية ، واستعراض للأجساد البشرية ، وتكوينات معمارية أما " القالب " فإنسانى فى وظائفه المتغايرة . والتشكيلات فى مجموعها غير كاملة الاتزان ، لكن اصالتها وقوة تأثيرها فرضتا بصمتها على القرن كله

فقد حذا حذوه كبار الرسامين فى معظم لوحاتهم الحائطية فى الكنائس . إن إعجاز التصميم يتبدى فى ترابطه بحنكة ودراية وأداء رائع . فكل مجموعة مبرزة بكورنيش وكأنها نحت بارز . ثم إنه لايمكن النظر إلى واحدة منها منفصلة عن الأخريات . الجزء متكامل مع الكل ، إلا أن نسب الأشخاص المرسومين متباينة . إنهم كبار فى لوحة " خلق أدم " وصغار فى صورة " الطوفان ." وأحجام الأنبياء وأنصاف الآلهة هائلة . أما الحكايات المصورة فى الأركان الأربعة فمختلفة النسب .

لقد خالف " انجلو " كل نظريات " علم المنظور " وضرب عرض الحائط بالنسب التى قدسها القرن الذى سبقه .. ولكنه حقق الانسجام والجلال بين العناصر وأمن بأن العين هى التى تقيس وليس اليد . كذلك فقد رفض الحسابات الرياضية الدقيقة المنظور كما كان يفعل معاصروه . ومع ذلك فقد أجمع النقاد على أن تلك النظرة الانسانية تتضمن قيما جمالية أخرى . فمع كل تناقضات النسب والواقع الطبيعى ، اندمجت المجموعات المرسومة على السقف فى وحدة كاملة وترابط حميم . إن "انجلو" لم يكترث بالحقائق التاريخية للوحات الاثنتى عشرة التى وضع البابا تصميمها فى البداية ، ووصفها بأنها " شىء تافه " وقد فضل عليها تصميما إنسانيا مشتقا من الحياة اليومية ، كالذى نلتقى به فى لوحة " سفر التكوين " فى العهد القديم .

فعندما أراد أن يصور الأبطال والأحداث التى صنعت مصير البشرية ، ربطها بالنبوءات العتيقة . أما كل التفسيرات التى قيلت عن سقف كنيسة " سستين " فمجرد تخمينات ، تميل الى تأكيد انها رسوم " توضيحية " وليست " رمزية " لكننا لا نشك فى أن " انجلو " ترك عليها بصمته ومفهومه الجمالى وإحساسه إن صور هذا السقف تلخص قصة العالم قبل المسيحية . فقد بدأ ميكل انجلو ملحمته بخمس لوحات عن الخلق ، أما الأربعة الباقية فتصور الخطيئة الأولى : العقاب الذى قضى بطرد أدم وحواء من الجنة ثم الطوفان . وقد رسم كرانيش فى جزء من السقف بمثابة خلفية لسبعة شخوص هائلة ترمز للأنبياء ، مع خمس عرافات كاهنات ، وكأنهم فى انتظار إقبال المسيح . انه عمل متكامل متتابع المشاهد وفق قصص الانجيل لقد عمد الى تصعيد الأنغام اللونية والتكوينات والحركة كلما اقترب من قصة " الخلق " فكل شىء ساكن هادىء فى البداية ، متناظر متماثل ، يواجهنا فى النهاية بقمة التغاير والحركة ، حتى يخيل للمتلقى أن انجلو لايستطيع أن يتخيل شكلا بلا حركة . لقد أودع فيها علمه بسلوكيات حركة الجسم البشرى ولم يركن الى بساطة " القالب " التقليدى المتبع فى القرن الخامس عشر .

وما كاد العمل ينتهى فى سقف كنيسة " سستين " حتى عرف العالم الفنى آنذاك انه على درجة قصوى من الأهمية . لقد كشف عن جزء منه فقط سنة ١٥١٠ ، ثم أظهره للجميع فى خريف ١٥١٢ . كان قفزة للأمام خارج التقاليد الفنية للقرن الخامس عشر ، وإشارة لبداية عصر جديد فى عالم الرسم التصويرى ، وارتقاء بأسلوبه لمستويات أرفع . كان صدمه للأساليب القديمة .

لقد كان " رافاييللو " كما أسلفنا ـ يمثل الطرف الآخر فى الحركة الفنية ، لكنه أول من تأثر بهذا العمل العجيب . وقد اتضح ذلك فى رائعته المسماة " مدرسة أثينا " . إن أكثر ما يحير النقاد والمتابعين فى تصاوير سقف كنيسة " سستين " هو المهارة والقدرة اللتان استطاع بهما ميكل انجلو أن يخلع على أسلوبه هذا الجلال وتلك العظمة . لقد سيطر على عمله طوال فترة الابداع حتى انه لم يقع فى خطأ واحد . كان على قدر عال من الثقة بالنفس فى مواجهة عمل يفزع منه أعتى

ميكل أنجلو بوناروتي

الفنانين . إن متأمل هذه الأعمال سرعان ما يشعر المتلقي بأن الحياة تدب في الشخوص المرسومة ، آلهة وأنبياء ، وأنصاف آلهة وكاهنات وعرافات .. الخ .

إن لوحات هذا السقف تلخص مرحلة جديدة في عالم الفن التشكيلي ، رفض فيها " انجلو " القواعد التقليدية المتبعة في الرسوم الدينية ، وفضل القيم الحية الحميمة المستقاة من الحياة اليومية آنذاك . من هنا كان ممثلا نموذجيا لفلسفة عصر النهضة .

العرافة أو الكاهنة ـ الوان جدارية (فرسكو)



فنحن نجد في رسومه الاثارة المتحذلقة ، من جمال الامتلاء والاكتناز مع الروح والحركة ، الى الاستخفاف الكامل بالنسب . وكل هذه الصفات تحدد الجذور التي انبثقت منها " الماناريزم " التي خلفت " الاكاديمية " ، كما أعطت الاشارات الاولى للمدرسة " الرومانسية " التي أتت بعد ذلك . وهذا يتضح في بعض الرسوم ؟ التي ظهرت في المتحف البريطاني ، حيث تتحرك الأجسام العارية وكأنها ترقص في رشاقة . جو جديد كان له ابعد الاثر في ظهور الرومانسية الانجليزية المبكرة على يد : " فوزيلي " و" بليك " .

لقد فقد أو اختفى الكثير من روائع رسوم ولوحات ميكل انجلو لكننا نعرف عنها الكثير أيضا من النسخ المنقولة في عصره قبل ضياعها . كذلك من تعليقات وأوصاف " فاساري " المؤرخ والناقد المعاصر "فنان .

كانت روائع " سستين " تضيع الى الابد حين تولى " هادريان " عرش البابوية سنة ١٥٢٢ . فقد كان متزمتا متعصبا أراد أن يهدم الكنيسة على ما فيها من صور عارية . لكن الموت كان أسرع إليه ليستبقي للتاريخ تلك الروائع التي لا تعوض .

لقد عاد انجلو بعد ثلاثين عاما الى كنيسة " سستين " . استدعاه البابا ؟ بول الثالث " ليستكمل روائعه لوحة أخرى لموضوع " المحاكمة الأخيرة " على حائط خلف المذبح . لكن البابا مات بعد يومين ، ولم يقصر البابا الجديد في استكمال المشروع . فقد عين فناننا العبقري رساما ونحاتا ومهندسا لقصر الفاتيكان ، وأعفاه من كل ارتباطات أخرى حتى ينجز رائعته الجديدة . كان ذلك في علم ١٥٣٥ .

وفي سبيل الإعداد للوحته ، أزال اثنتين من الفجوات الهلالية المرسومة في السقف ، وأغلق بالبناء نافذتين في الجدار خلف

المذبح ، وضحى بثلاث لوحات حائطية للرسام " بيروجينو " . وبدأ العمل في صيف ١٥٣٦ . خمس سنوات استغرقتها " المحاكمة الاخيرة " . مساعد واحد فقط هو الذي عاونه في خلط الألوان وه التشهيلات ، المختلفة أما اللوحة الهائلة فتضم أربعمائة شخصية وتنقسم الى قسمين . العلوى منها هو الاكبر ويصور المسيح فى المحاكمة وبجواره السيدة العذراء تحف بهما الشخصيات المقدسة والشهداء والعذارى . أما القسم السفلى فتظهر به الى اليسار جموع الخارجين من الجحيم بعد قضاء عقوبتهم ، ثم التعساء الذاهبون الى اللعنة الأبدية . وفي الركن الأيمن يستيقظ الموتى ينتظرهم قارب ليبحر بالمذنبين منهم ، كما تبدو ملائكة حول باب جهنم يقرعون الطبول ويوقظون الموتى .

استلهم انجلو صورة العذراء من ملامح حبيبته الراحلة " فيتوريا كولونا " . أما حادى الارواح الى الجحيم فرسمه على هيئة رئيس التشريفات البابوية الرجعى المتزمت من قادة الثورة المضادة للنهضة ، وهو الذى كان يروج لفكرة عدم لياقة الرسوم العارية فى الكنيسة . والواقع أن هذه الدعوى قد نجحت اخيرا فى عهد البابا " بيوس الرابع " آخر بابوات " آل مديتشى " واكثرهم غباء . فى نفس العام الذى توفى فيه ميكل انجلو (١٥٦٤) فقد اتخذ هذا البابا قرارا بتغطية عورات الأجسام العارية فى لوحة " المحاكمة .الاخيرة " ونفذ المهمة الرسام " دانييل دافولتيرا " فأطلق عليه الايطاليون لقب " براجيتونى " بمعنى هدام .

كان " ميكل انجلو " نحاتا ورساما ومهندسا وشاعرا ، ناضل طوال حياته ليكون نحاتا فقط . كانت سعادته تتركز فى كتلة المرمر والمطرقة والازميل . وقد استبد به المرض والالم فى أواخر اعوامه . فهذا الجسد الهرقلى أصبح أضعف من أن يمارس عمله الشاق . وقد عبر فى رسائله واشعاره عن جزعه من الموت وأسفه على ما صادفه فى حياته من فشل بالرغم من الروائع التى ابدعها فى كل من ميادين الرسم والنحت والعمارة .

كان طموحه أكبر ، وكانت أحلامه أعظم وأرحب . لقد آلمه أن الفرص لم تواتيه ليجسد خيالاته الهائلة .

وعلى الرغم من مرضه فقد انتهز فرصة استرداده لبعض قوته وصحته ليهرع الى اقسى أنواع الرخام ينحته . لم يترك العمل إلا حين دُاهمه المرض الاخير ، فتوفى فى الخامسة الا ربعا بعد ظهر يوم ١٨ فبراير سنة ١٥٦٤ . وقد اقيمت له جنازة رومانية ، ودفن فى كنيسة " سانتى أبوستولى " فى روما الا أن الارشيدوق " كوزيمو " وشعب فلورنسا رأوا أن بلده أحق بأن تكون مثواه الأخير . ولهذا تسلل ابن خالته الى المقبرة فى روما ذات ليلة وسرق الجثمان ورحل به سرا الى فلورنسا .

اخفاه فى جوال وفر هاربا من المدينة المقدسة تحت جنح الظلام وقد وصل الى فلورنسا فى ١١ مارس حيث استقبله حشد غفير من شعبها تعبيرا عن الاحترام والتقدير للعبقرى الراحل . وقد لبست " بازيليكا سان لورنزو " زينتها للجنازة الثانية ، وتولى الناقد والمؤرخ الكبير "بنيديتوفاركى" إلقاء خطاب تأبين كانت كلماته مفعمة بالحيوية والبلاغة والقداسة . وقد دفن ميكل انجلو مؤقتا فى " كنيسة سانتا كروش " حتى شيد له ابن خالته مقبرة خاصة وضع " فازارى " تصميمها . أما الرخام فقد جلبه "الارشيدوق كوزيمو" شخصيا واشترك عدد من النحاتين فى تشييد الضريح . أما التمثال النصفى لعبقرى كل العصور فقد نحته المثال " باتيستا لورينزى " .

.. ذهب "ميكل انجلو بونارتى" منذ مئات السنين لكنه باق في روائعه غير المسبوقة . عمارة الأضرحة التى صممها . الرسوم الجدارية الملونة في " كابيلا سستينا " . التماثيل المرمرية التى نافس بها الروائع الرومانية فتفوق عليها . أنه بحق .. أحد قادة " الرينسانس " طبق عمليا " الفلسفة الانسانية " ـ فلسفة عصر النهضة ـ فى ميدان الفنون الجميلة ...



درة الجنوب التونسى ومسقط رأس الشابى

رسالة تونس من : محمد الشاذلى

● مدينة توزر كبرى بلاد الجريد بالجنوب التونسى ، وهى مسقط رأس الشابى ، وتوزر لايملك المرء فيها إلا ان يكون شاعراً وسط طبيعة زاخرة بأشجار النخيل وعيون الماء العذب .. وإلى الجنوب الغربى من توزر تمتد الصحراء ذات الرمال الذهبية الحمراء ، ومن الجنوب الشرقى يتراءى للناظر شط الجريد بمائه الفضى كبحيرة حالمة بآمال وأحداث السنين .

توزر مدينة ال ٥٥٩٢ كيلو متراً واحة خضراء وسط صحراء الجنوب التونسى القاسية . ولأن الرمال حول المدينة متحفزة وعوايتها أكل المدن الخضراء وجعلها أثراً بعد عين ، فإن عزيمة الرجال والماء هما صانعى الحياة .

● « أصل المعجزة : الماء وكد المجال »... يميل المسافر إلى تكثيف اللغة وأستعمال القدر الكافى منها ، ليترك للعين والقلب معظم مساحات المتعة ...

وصلت توزر ليلاً بعد ست ساعات أربقت على الطريق الطويل المعبد فى بعض أجزائه ، والذى شقته الطبيعة وكثرة الترحال فى الأجزاء الأخرى منه .. واليوم الثلاثاء ولااطيق انتظاراً فسافرت بالطريق البرى الذى يبلغ طوله ٤٧٠ كيلو مما أعطى للرحلة طعماً آخر ...

عطلت الأمطار شبكة الكهرباء فى المدينة وعندما مرقت السيارة فى الشارع المفضى إلى النزل ، كانت السيارة الوحيدة تقريباً التى تجاسرت على الحركة وسط الأمطار والبرق والرعد والأعاصير .

رأيت توزر خلال الظلام والمطر ، مدينة صغيرة هامدة ، نائمة عارية ، تقبع فى غياهب الظلمات بلا هوية ، وتعانق الصحراء . مدينة حدود عادية ، نسخة بالكربون من مئات مدن الحدود التى تنبت شيطانياً .

جفف دفء الاستقبال البلل الذى أخترق الملابس الثقيلة وتسلل إلى القلب ، وعندما عادت الكهرباء تم تدبير غرفة نظيفة ذات اضاءة جيدة .

وفى الصباح استقبلتنا « توزر » بنهار مشرق وسماء صافية الأديم وشمس

وضاءة تضفى نوراً وحرارة ولأيام أربعة متوالية .

« توزر » .. فى الشعر والتاريخ

لايعرف أحد على وجه الدقة اسم الشاعر التونسى الذى برع فىُ وصف توزر وقال عنها :

زر توزر إن رمت زورة جنة
تجرى بها من تحتها الأنهار ..

تقع توزر فى الجنوب الغربى من تونس وكانت تسمى فى القديم توزوروس . تحدها شرقاً وشمالاً جبال قفصة وغرباً وشمالاً الجزائر وجنوباً شط الجريد . كما أنها تلتقى مع المدينة المنورة فى خط العرض ٣٤ ..

قال العلامة المؤرخ ابن الكرديوس التوزرى فى كتابه « الاكتفاء فى اختيار الخلفاء » أن مدينة توزر قديمة لايكاد يوقف لبانيها على وقت بنائها وعلى تحقيق . ويقول البعض أن بانى قسطيلية (بفتح القاف وكسره) قسطال بن نوح عليه السلام . وتوزر هى أم قسطيلية .

ويعتبر سكان « توزر » الأقدمون من البربر الذين دخلوها فى قديم الزمان .

أما دخول بلاد الجريد الاسلام فكان افتتاحها صلحا فى أول الاسلام على يد حسان بن النعمان سنة ٧٩ هـ بعد عودته من برقة بالمدد الذى أمده به عبد الملك ابن مروان . وهناك من يقول إن افتتاحها على يد عقبة بن نافع القرشى سنة ٤٦ هـ.

ومن فوق مئذنة سيدى المولدى يكتشف المرء كامل المدينة ببيوتها الغريبة المبنية بالآجر غير المحمى والمتراصة فى أشكال هندسية طريفة وبممراتها المسقوفة حيث يطيب اللجوء - كما قيل لى - ابان اشتداد الحر صيفا - ولاتخطىء العين العابرة ثراء التقاليد وغنى الواحة الباسقة والتجول هنا لا ابعاد له ..

« الهلال » تراسل الشابى ..

فى روضة الشابى حيث متحفه وضريحه عثرت على رسالة هامة بعثت بها مجلة « الهلال » إلى أبى القاسم الشابى تطلب منه فيها أن يرسل لها بقصيدة لم تنشر من قبل لنشرها فى الهلال . هذا قبل أن يصل صوت الشابى إلى أماكن كثيرة فى وطنه تونس . الرسالة مؤرخة فى ٨ يناير ١٩٣٤ ، ولانعرف إن كان الشابى قد تمكن من الرد عليها أم لا ؟ ولكن المرجح أن مرضه الشديد وملازمته الفراش منذ أواخر العام ١٩٣٣ حتى وفاته فى ٩ أكتوبر ١٩٣٤ منعه من الرد .

وفى الروضة التقيت بابنى الشابى محمد الصادق عقيد بالجيش التونسى . وجلال مهندس معادن .

وخلال جولتنا معاً فى متحف الشابى دار بيننا حوار طويل . مات الشابى وابنه الاكبر - محمد الصادق - عمره لايتجاوز الخامسة وابنه الأصغر - جلال - لايتجاوز العام . لايتذكران شيئا من ملامح والدهما غير ماحملته الصور الفوتغرافية القليلة . يقول جلال : نتصفح ديوان الشابى بين الحين والآخر كأننا نتجاذب أطراف الحديث مع الوالد . ويحدثنى محمد الصادق بمرارة عن الناشرين الذين سرقوا حقوق المؤلف : بعض مانشر للشابى فى تونس تم باتفاق بيننا وبين الناشر ولكن فى كل مرة لاتتجاوز الطبعة الفاً من النسخ ، وهو عدد لاقيمة له . لايغنى ولايسمن من جوع



ولكن حقوق طبع شعر الشابي في الشرق العربي «مصر - لبنان - سوريا» لم نحصل عليها بعد .

في الشارع التوزري

على جانبي الطريق المؤدي إلى سوق توزر تنتشر مغازي «محلات» بيع الصناعات التقليدية المزدهرة والمتنوعة من إنتاج الأغطية الصوفية إلى البرانس إلى المصنوعات الطريفة من سعف النخيل وأليافها . والفن في توزر مغموس في كل مظاهر الحياة والعيش ، يقوم به الرجل في دكانه أو المرأة في منزلها في نوع من التوازن والتوحد . وأنت تنتقل من رصيف إلى رصيف تشم روائح العطور الذكية وتشهد ثراء الصناعات التقليدية المعروضة على الواجهات وتستهوى الإنسان ثراء الحجارة المنقوشة وجمال الأبواب والنوافذ . ووراء كل دكان ينتج ويبيع الصناعات التقليدية قصة يتمدد فيها الطموح الأنساني بطوله وعرضه . دخلت إحداها لاقترب أكثر وبعد الترحيب الدافيء لأنني مصري - وهنا يعشقون كل ما يمت لمصر بصلة - قال : اسمي محمد السعيد بن مصطفى . شجعتني زوجتي في طرز المشغولات . وجدنا صعوبات

في الجنوب وسط الصحراء تنتعش الفنون ، كأصدق تعبير عن البيئة المحلية . وكان من الطبيعي أن يخرج من الشابي .





يعتبر الزواج أهم المناسبات فى توزر، وله هنا طقوس خاصة قديمة .

بعض هواة صيد الأرانب والغزال فى مواسم الصيد المسموح بها خاصة الربيع



"توزر"

مادية فى بادىء الأمر ، كذلك لم تكن لدينا خبرة كافية . فسافرنا إلى تونس العاصمة لشراء ماكينة طرز المانية .

ويتأمل مشغولاته ويقول أنا شخصياً عقلى ومهجتى الطرز ».

سألته : والماكينة الآن فى المنزل ؟ ضحك بحياء وأجاب : ليست ماكينةواحدة ، بل عدة ماكينات .

أستوقفتنى سجادة جميلة وسألته عنها فقال : هذه اسمها « مرقوم » .

وفيها طابع البلد « الآجر » لأن توزر تزدهر به . وهذه تعلق على الحائط وأحياناً تستخدم فى الصلاة وهى من الصوف

● من أين يأتى الخام ؟

ـ من القيروان .

● ومن ينقش لك هذا الرسم البديع ؟

ـ أنا الذى أنقش وأختار الألوان المتناسقة .

● وزوجتك تساعدك ؟

ـ هناك سيدات أخريات يحتكرن « المرقوم » وأنت لاتراهن لأننا لسنا كتونس أو صفاقس ، هنا احتشام . فالسيدة تعمل فى بيتها ولاتخرج ونحن نشجعهن ونوصل لهن الألوان والصوف وشكل النقش، نتفق على موعد محدد لاستلام . .ـلات ودفع الأجر .

هذه الصناعات منتشرة فى كل تونس ولكن لكل مدينة طابع خاص بها . وطابع توزر نقش اليد ، السعف ، النخلة ، ومن سعف النخلة تصنع القفف ، والخشب اسقف البيوت . توزر تصنع أشياءها بيدها

« الزواج » فى توزر ..

توزر مجتمع محافظ ، مازالت أطول التقاليد عمراً تمارس فيها ودون ضجر ، ومازال فى توزر يشاهد الوالدان عروس لابنهما سواء فى دارها أو فى الحمام ثم يعرضان على ابنهما اسمها واسم أسرتها . ودون أن يراها عليه أن يرد بالموافقة . تسللت إلى توزر مع التعليم ووسائل الإعلام طرق الزواج السائدة اليوم إلا أنها جد محدودة .

وللزفاف طقوس خاصة .. يعقد القران بعد صلاة العصر من يوم الجمعة ثم يقام حفل صغير عبارة عن دورة صغيرة فى الحى مصحوبة بالطبل والرقص ، يتصدرها العريس أما العروس فهى تقيم فى بيتها حفلاً تدعو فيه صديقاتها ويرقصن ويغنين ولكن لايخرجن إلى الشارع .

يحضر المأذون إلى بيت العريس ويأخذ كلامه ثم يذهب بنفسه إلى الفتاة ليسألها فى حضرة أبيها . فى توزر لاتدفع مهراً فالرجل يؤسس بيت الزوجية حسب مقدرته ، سواء بيتاً مستقلاً أو يقيم مع أسرته .

يعود العريس مساء الجمعة إلى منزله وهناك يعملون له الحنة .

بعد ظهر السبت يتجمع الأقارب والجيران والمدعوون وتحمل النساء كسوة العروس فوق ظهورهن (فى حقائب) أو فوق الجمل بعد إلباسه جحفة أو مرقوم ويسرن الهوينا .

وفى مساء السبت يعمل العريس نجمة أى أنه يستدعى فرقة فلكلورية لعمل سهرية للرجال .

فجر الأحد يتوجه العريس إلى



الرئيس بورقيبة فى توزر قبل الاستقلال

الحمام مع أصدقائه للنظافة والأستحمام ولكنه لايحلق شعره أو لحيته ، وكذلك يستحم أصدقاؤه على نفقته . يعود العريس إلى البيت للتفكير فى الفطور - وجبة الغذاء - الذى يقام فى منتصف النهار .

بعد الوليمة يتجه العريس إلى الدار التى يتزوج فيها ويرتدى الكسوة العربى . ويذهب إليه هناك خبير فى أمور الزواج وهو بالضرورة رجل كبير مخضرم ليكحل العريس ويسوكه بالسواك ويلبسه . ثم يخرج محاطاً باصدقائه إلى بيت منعزل وخال يؤجره العريس أو يستعيره ليقضى فيه شهر العسل .

بعد ذلك يبدأ فى التفكير فى العربات ، وكل من يملك سيارة ياتى بها ، ويذهب العريس فى احدى السيارات ليعود بعروسه . وقبل ان تعرف توزر السيارات كان والد العروس او شقيقها يحملها فوق كتفيه حتى بيت العريس ويسلمها له . ومازالت هذه العادة متبعة فى بعض المناطق .

قليل من المدعويين يرحل والباقى ينتظر خارج الدار لتلقى خبر بكارة العروس ... وفى الداخل يجد الزوجان امراة عجوزا تنتظرهما على الفراش للمساعدة ولحمل الخبر للمتشوقين خارج الدار !!

عـــراف تـــوزر يقرأ السياسة ..

الحاج الطالب عمار اشهر عراف تونسى يعيش فى توزر ويزوره الناس من جميع البلاد . يهوى العرافة والصناعات التقليدية والشعر . وفى رأس السنة





فتاة في حلى فرح

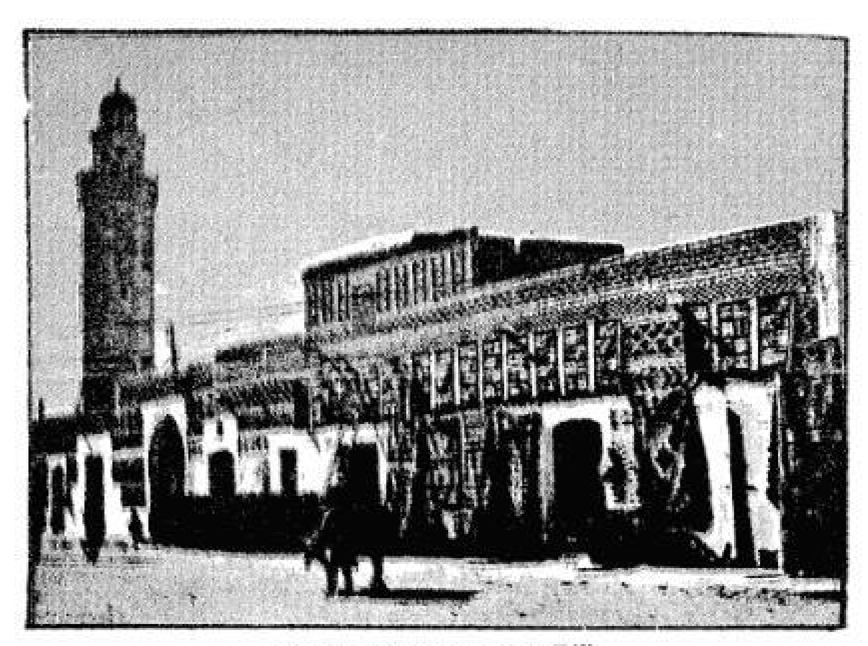


يجتمع حوله المهتمون لسماع تنبؤاته للسنة القادمة وأغلبها لرجال السياسة . يحب الرجل مصر ويتنبأ لها بأيام قادمة رائعة . قلت له هل تتنبأ بالأحداث القادمة ؟ أجاب : « ومايعلم الغيب إلا الله ، وإنما هي فراسة تعتمد على بعض العلوم ، ناهيك وأن ٩٠ ٪ من تنبؤاتى تتحقق .. سألته : ماهى أشهر تنبؤاتك ؟ ... كتم الرجال السمر المتطلعون إلينا ضحكاتهم فاستحالت إلى ابتسامات عريضة . أجاب :

ـ تنبأت للرئيس الأمريكى رونالد ريجان

البدو الرحل ، وهى حياة بدات تختفى واصبحت تظهر فى المهرجانات كفلكلور .





مئذنة مسجد سيد المولدى الشريف

قبل أن يضرب بالرصاص بخمسة عشر يوماً . وقلت ـ وهذا منشور فى الصحف التونسية ـ أن ريجان سيصل إلى الموت وينجو .

نظرت للرجال حولى فهزوا الرءوس تأكيداً ـ فى إيقاع منتظم . أضاف الطالب عمار :

ـ تنبأت للسيدة سيمون فيل رئيسة البرلمان الأوربى قبل أن تنتخب . وتنبأت لاجارد فور رئيس وزراء فرنسا الأسبق بأنه سيرأس مجلس النواب وهو يزورنى بانتظام مرة كل عام . وتنبأت باغتيال الرئيس السادات قبلها بشهرين وكتبتها الصحف التونسية . وتنبأت لجاك شيراك بأنه سيكون رئيس فرنسا فى المستقبل ! .

● هل تتأثر بغضب البعض من تنبؤاتك ؟

ـ لأن الغضب ربما يجلب أشياء غير محمودة العواقب .

● هل تعرضت لمضايقات من أحد ؟

ـ أتجنب التنبؤ لبعض الملوك والرؤساء .

● هل تنبأت لنفسك بالرحيل ؟

ـ وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير . وحسب ظنى أن أبقى طويلاً .

● بماذا تتنبأ لمصر ؟

ـ وادخلوا مصر إن شاء الله آمنين . مصر أم العرب ولولا مصر لم يكن شىء . أتنبأ لمصر بأنها ستكون فى رفاهية كبيرة ويأتيها شىء طبيعى تتبسط به بسطاً كبيراً . سيكون لمصر بسط عريض . وسوف تمد دولاً كثيرة يدها لمصر طالبة المعونة .

عادة فرعون ..

نفوذ فرعون مصر امتد إلى توزر والدليل هو الاحتفال الكبير فى ١٥ مايو .

"توزر"

راح أولئك الذين يمكن أن يقولوا لنا كيف انتقلت إليهم هذه العادة . ولماذا يوم ١٥ مايو من كل عام ؟ حيث تخرج الفتيات قبل شروق الشمس ويحلوا شعورهن ويسرن للأودية والغابات ويغنين بصوت طفولي :

إش قال الطير
قال حا حوحا
إيش قال النوقة
قال ماليا فى شنقة
إيش قال ...

وتعود الفتيات إلى الديار ويركبن درجيجة « أرجوحة » ويهتزون بها ويغنون :

فرعون ... فرعون ... فرعون ...
طول شعرى .. كبر قعرى .. قد نخلة
فـــرعـــــوون .. وهكذا يظلون .

ثم يذهبون لشراء اللحم ويجمعن أربعين نوعاً من الخضرة (كرمب ـ فلفل ـ طماطم ـ ..) ومع اللحم والطيب والكسكسي ، ويحملون الطعام ويمدون به من لايملك طعاماً ويبدأ العيد .

يقول البعض انه مع بنى هلال وصلت عادات الوجه القبلى فى مصر إلى جنوب تونس وهذا ماتؤكده سيرة بنى هلال ، ولكن عادة فرعون هذه من الضرورى أنها سبقت الهلالية بأزمنة طويلة إلى توزر .

لقاء مع والى توزر ...

منذ خمسة أعوام فقط وبالضبط فى شهر إبريل ١٩٨٠ تأسست ولاية توزر والولاية تضم خمسة معتمديات ويسكنها ٦٥ الف نسمة ..

قال الوالى الطاهر بنحجل فى بداية لقائنا :

مصر دولة شقيقة وشعب عريق لنا معه روابط تاريخية عظيمة ونحن شعب واحد ، ولقد تأثرنا بالثقافة العربية المصرية والفن المصرى .

● كيف ترى توزر ؟

ـ توزر عاصمة الجنوب وعاصمة ولاية الجريد ، والجريد له ماض وتاريخ وثقافة وأدب وشعر . وقد احتفلنا مؤخراً بمرور ٥٠ عاماً على وفاة أبى القاسم الشابى . والناس فى توزر كثيرو الشاعرية والحساسية وحسنوا المعاشرة ويتصفون بصفات العروبة والإسلام . وقد تطور الناس فى توزر بحكم تعليم الأبناء وظهر جيل جديد له تأثيره على تطور العادات والتقاليد . وتوزر تستضيف الرئيس بورقيبة مرة كل عام حيث يفد إلينا ليقيم معنا شهراً .

● يقولون ان توزر مجتمع هادىء لايشهد جرائم من النوع الذى يرتكب فى العديد من المدن التونسية الأخرى .

ـ فعلاً ، الجرائم فى توزر لاتقلق أحداً . ولايوجد إلا بعض مخالفات طفيفة وبعض الخصومات والمشاجرات . مدينة هادئة ليس بها محكمة ابتدائية ولا يقام فوق أرضها سجن . فسكان توزر عائلة واحدة فإذا حدث سوء تفاهم يجرى تسويته بالتراضى . والجرائم الأخلاقية المنتشرة خارج توزر لاتعرف سبيلاً إلينا والحمد لله .

فى ذاكرة توزر ..

● تعتز توزر بأبناء لها جذبوا انتباه الناس إليها :

● أبوالقاسم الشابى ١٩٠٩ ـ ١٩٣٤ .



دار الهلال

تأسست سنة ١٨٩٢

الهلال . المصور . كل شيء والدنيا

الفكاهة . الكواكب والأبطال

Images. Ciné-Images

عنوان المكاتبات : بوستة قصر الدوبارة – مصر

العنوان التلغرافي : المصور – مصر

دار الهلال : بشارع الأمير قدادار رقم ٨ (قرب ميدان ... إسماعيل)

تليفون : ١٦٠٦٢

القاهرة في ٨ يناير ١٩٣٤

حضرة الأديب الفاضل الأستاذ أبو القاسم الشابي المحترم

تحية واحتراما . وبعد ـ فقد قرأنا لكم بحضرة ... في بعض الصحف

ويسرني أن ترسلوا إلينا قصيدة من قصائدكم التي لم تنشر من قبل لنشرها في ال...

واقبلوا فائق احترامي ...

رئيس تحرير الهلال

● محمد الخضر حسين شيخ الأزهر وهو مدفون بمقابر آل تيمور بالقاهرة .

● ابن شباط العالم المهندس الذي اختص بتوزيع المياه ولد في ٦١٨ هـ ومات في ٦٨١ هـ وله ضريح في توزر .

● أبو علي النفطي : عاش حتى ١١٧ عاماً وهو عالم جليل (٤٩٣ هـ – ٦١٠ هـ) .

● أبوبكر التقيوسي الدقاشي من رجال القضاء (توفي ٦٠٠ هـ) .

● ابن الفضل النحوي أحد رجال الشريعة ومؤلف قصيدة « المنفرجة » .

● ابن الكرديوس شيخ المؤرخين بالجريد وصاحب « الاكتفاء من أخبار الخلفاء » توفي سنة ٥٠٠ هـ .

● الشقراطي شاعر وعالم وهو صاحب قصيدة « العصماء » في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام . مات في ٤٦٦ هـ .

● الرئيس ابن يملول حاكم قطر الجريد ويرجع نسبه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وتوفي ٥٠٠ هـ .

والبشر في توزر يرحبون بالغرباء ، ويقولون جملة شهيرة « نحن ضيوف وأنتم أهل الدار » وإذا عرف أحد بأنني مصري فإن القاموس اللغوي وحده لايكفي للتعبير عن مشاعرهم وحبهم العميق . توجه الدعوات وتقام الولائم . وإذا كنت متعجلاً فإنهم يطلبون فقط سماع اللهجة المصرية .

زجاج السيارة الخلفي ونحن في الطريق إلى المطار يسمح بأن يعانق البصر أبنية توزر التي سرعان ما اتحدت مع خط الأفق وغابت وراء أشجار النخيل .

أيهما يتبرأ من صاحبه: ماركس .. أم قادة الصين؟

بقلم : عبد الرحمن شاكر

لو كان كارل ماركس حيا ، وشهد ما أعلنه قادة الصين مؤخرا ، من أن أفكاره ـ هو ولينين قد تقادمت ، ولم تعد تصلح لحل مشاكل الصين المعاصرة ، ولا لتحقيق التقدم الاقتصادى المنشود فيها .. لافتر ثغره ـ أى كارل ماركس ـ عن ابتسامة عريضة ساخرة ، ولقال : ألم أقل لكم ؟ !

ألم أقل لكم ـ والكلام لماركس أيضا ـ إنه ليس هناك فكر فى العالم ـ ولافكرى أنا ـ صالح لكل زمان ومكان ؟

ألم أقل لكم أيضا هذا الذى ترددونه الآن : أن حقائق الاقتصاد أقوى من أية عوامل ، أيديولوجية ، وأنه ـ أى الاقتصاد ـ هو المحرك الرئيسى للتطور ؟ !

إذن ماهى الحكاية منذ البداية ؟ وهذى الضجة الكبرى علام ؟ .. على حد تعبير شاعرنا العبقرى أحمد شوقى !

الحكاية أن كارل ماركس كان تلميذا مجتهدا فى مدارس ثلاث :الفلسفة الألمانية فى بلاده ، والاقتصاد الانجليزى فى بريطانيا التى حققت الانقلاب الصناعى ، والاشتراكية الفرنسية فى ذلك البلد الأوربى الذى شهد سلسلة متعاقبة من الثورات السياسية والاجتماعية بدءا من ثورتها الكبرى عام ١٧٨٩ .

من المدرسة الاولى استلهم فكرته عن الديالكتيك ، وهو أن التطور لا يأخذ شكلا تدريجيا ، ولكنه يتم خلال عملية مركبة من صراع الأضداد ، ومن الثانية أدرك دور



كارل ماركس



تنج ـ هيسلو ـ بنج

الاوضـاع الاقتصـاديـة فى تشكيـل المجتمعات البشرية ما يلحقها من تغيرات ، ومن الثالثة تعلم أن الجماهير تصبو بعد تحقيق الديمقراطية السياسية والمساواة أمام القانون ، إلى لون من الديمقراطية الاقتصادية والمساواة فى فرص الحياة . ومن ذلـك كله صـاغ نظريتـه فى « الاشتراكية العلمية » ، ومؤداها أن الـرأسمالية فى العصر الصنـاعى المعـاصر ، تخلق الشـروط المادية الضرورية لتحقيق الاشتراكية والعدل الاجتماعى ، وذلك للتقدم الهائل الذى حققته ولاتزال تحققه فى مجال الانتاج مستخدمة أحدث الأساليب العلمية ـ المتواصلة فى تطورها ـ فى زيادة حجم الانتاج والكفاءة الانتاجية على حد سواء . وانها فى خلال هذه العملية تخلق نقيضها ، وهو الطبقة العاملة الصناعية ، الهائلة العدد ، المركزة فى تجمعات كبيرة فى المدن الصناعية . هذه الطبقة اى « البروليتاريا الصناعية » هى المرشحة تاريخيا ، لتحقيق الثورة الاشتراكية ، بعد أن يبلـغ التقدم الصنـاعى والتطور الراسمالى مداه ، وتستفحل عيوبه فى الازمات الدورية وانتشار البطالة .. الخ وتصبح علاقات الانتاج الرأسمالية قيدا على تقدم قوى الانتاج ، عندها تتقدم هذه الطبقة الوليدة المنظمة ، بحلها للتناقض بين تقدم قوى الانتاج وتخلف علاقاته ، وذلك بالاستيلاء على السلطة السياسية ، وتأميم المؤسسات الصناعية الكبرى ، وتحويلها إلى ملكية مشتركة ، بعد أن أصبحت عمليات الانتاج الرئيسية فى حد ذاتها عمليات مشتركة .

تقدم كارل ماركس بنظريته تلك هو وفريدريك انجلز إلى الدولية الاشتراكية الأولى ، فى مواجهة الافكار الاشتراكية الطوباوية كما سماها ، من صنع انجلترا وفرنسا مثل افكار روبرت أوين وسان سيمون وفورييه ، وبرودون الألمانى ، وغيرهم ، ممن تصوروا إمكانية تحقيق الاشتراكية قبل أن يبلغ التطور الصناعى



أيهما يتبرأ من صاحبه: ماركس .. أم قادة الصين؟

الراسمالى مداه ، سواء عن طريق إقامة اتحـادات للمنتجيـن الفـرديين ، أو « كوميونات » على نحو ما فعل أوين فى امريكا ، أو مجرد تدمير المؤسسات القائمة واشاعة الفوضى ، كما كان يدعو برودون أو العودة إلى المجتمع الزراعى الأمن من « شرور » الراسمالية كما كان ينادى الاشتراكيون المسيحيون .

وكان من رأى كارل ماركس أن البلاد المرشحة قبل غيرهـا لقيام الثـورة الاشتراكية فيها هى ، تلك البلدان الاكثر تطورا من الناحية الصناعية فى غرب أوربا ، وحينما زعم اشتراكى روسى اسمه تكاتشوف أنه من الممكن قيام ثورة اشتراكية فى المدى القريب فى روسيا القيصرية ، رد عليه صديق ماركس ورفيق عمله فردريك انجلز بالرد التالى ، وذلك فى عام ١٨٧٤ :

« إن الثورة التى تسعى الاشتراكية الحديثة لتحقيقها ، هى باختصار انتصار البروليتاريا على البرجوازية ، وإقامة نظام جديد للمجتمع عن طريق هدم كافة المميزات الطبقية ، وهذا لايحتاج إلى بروليتاريا تحمل عبء الثورة فحسب ، بل إلى برجوازية تتطور على يدها قوى الانتاج الى الحد الذى يسمح بالقضاء على كافة المميزات الطبقية .. ولن يصبح فى الامكان زيادة الانتاج إلى الحد الذى يجعل ازالة الفوارق الطبقية تقدما حقيقيا إلا بعد الوصول إلى مستوى معين من تطور قوى الانتاج ، بل إلى مستوى رفيع جدا بالقياس إلى الظروف الحالية ! !

الحجر الذى تركه البناءون :

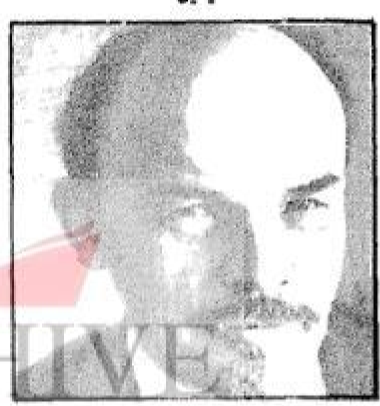
لم يكن كارل ماركس ، وفردريك انجلز ، ليصـدقا إذن احتمـال قيـام ثـورة « اشتراكية » فى روسيا المتخلفة عن سائر أوربا فضلا عن الصين ، قبل قيام تلك الثورة فى كل من انجلترا وفرنسا والمانيا المتقدمة صناعيا ، فضلا عن الولايات المتحدة الامريكية .

ولكن الحجر الذى تركه البناءون ـ على حد ماهو منسوب إلى السيد المسيح ـ أصبح هو حجر الزاوية ، ولم تقم الثورة الاشتراكية إلا فى سلسلة من البلدان « المتخلفـة » وفى مقدمتهـا روسيـا والصين ، باستثناء تشيكوسلوفاكيا ، تلك الدولة الصغيرة التى كان تحريرها من قبضة النازى على يد الجيش الاحمر هو العـامل الـرئيسى فى تحـولهـا إلى الاشتراكية .

كان هذا الانقلاب فى شكل ومسرح قيام الثورة الاشتراكية فى العالم ، على عكس توقعات ماركس وانجلز على طول الخط ، هو ما فسره لينين جزئيا فى دراسته ، عن عصر الامبريالية ، الذى تطورت إليه الراسمالية العالمية ، فيما بعد زمان ماركس وانجلز حيث اقتحمت الراسمالية المجتمعات الزراعية المتخلفة ليس لتصدير منتجاتها فحسب ، بل لتصدير رأس المال ايضا إليها بحيث نقلت اليها جانبا من التطور الصناعى من ناحية ، وصدرت إليها مشكلاتها من ناحية أخرى ، بينما اتيح لها أن تحل جزءا كبيرا من التناقض الداخلى فيها ـ أى بين الراسمالية فى البلاد المتقدمة صناعيا ، وطبقاتها العاملة ـ عن طريق رفع مستواها

الاقتصادى ، على حساب الشعوب المنهوبة من المستعمرات وأشباه المستعمرات ، وأصبح الاستيلاء على هذه الاخيرة هو الشغل الشاغل للدول الراسمالية المتقدمة بما فى ذلك اثارة الحروب لاقتسام العالم فيما بينها ، كاسواق لرءوس أموالها ومنتجاتها على حد سواء وكانت الحرب العالمية الاولى هى ثمرة هذا التنازع الامبريالى على اقتسام العالم ، بما فى ذلك خطط مدهشة لتقسيم الصين بين الدول الامبريالية !

لينين

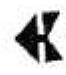


خروشوف



أما روسيا التى قاد فيها لينين الثورة الاشتراكية الاولى فى العالم ، فكانت إبان تلك الحرب دولة استعمارية من جانب ، حيث تستبعد شعوبا كثيرة فى آسيا بل واوربا ، شبه مستعمرة من جانب آخر لرءوس الأموال الالمانية والفرنسية ، التى شكلت هى وبقايا الاقطاع فى روسيا مزيجا من الارستقراطية الطبيقة اشد ما يكون وطأة على الشعوب الخاضعة لها سواء فى ممتلكات الامبراطورية الروسية أو رعاياها من فلاحى روسيا والطبقة العاملة الصناعية الوليدة فيها بحكم هذا التطور .

رفض لينين فى أول تصديه للعمل السياسى فى بلاده ، دعوة « الاقتصاديين » الذين خدرتهم مقولة كارل ماركس عن الاقتصاد كمحرك للتطور ، فطالبوا بالصبر على الرأسمالية حتى تفرغ من تطوير الصناعة الروسية ثم يفكرون فى الثورة . وانتقى من ترسانة الماركسية ايضا سلاحين قديمين :الاول منهما أن النظرية تصبح قوة مادية حينما تنتشر فى الكتل الشعبية ، ومؤدى ذلك عنده أن تسليح الطبقة العاملة الروسية المحدودة العدد نسبيا بالوعى السياسى وقيادتها عبر تنظيم حديدى كفيل باعدادها لقيادة الثورة فى بلادها ، والثانى أن تحالفا عريضا بينها وبين الفلاحين من جانب وبين الشعوب المقهورة داخل الامبراطورية الروسية من جانب آخر كفيل بإمدادها بالقوة السياسية الكافية لاقامة حكمها أى « ديكتاتورية البرولتياريا » وعلى هذا كان جوهر اللينينية هو نظرية ديكتاتورية البروليتاريا بقيادة حزبها الشيوعى ، ومستندة إلى تحالف العمال والفلاحين ، وتأييد الشعوب المقهورة



أيهما يتبرأ من صاحبه: ماركس .. أم قادة الصين؟

استعماريا داخل روسيا وخارجها .

وعلى هذا الأساس تم الاستيلاء على السلطة للبلاشفة ـ حزب لينين ـ فى عام ١٩١٧ ، واعلنوا تأسيس اول دولة اشتراكية فى العالم ، وكانت المهمة الاقتصادية الرئيسية أمامهم ، ليس تحقيق الاشتراكية فى بلاد تم فيها التطور الصناعى على ايدى الراسمالية طبقا لتصور الماركسية التقليدى ، بل قيام الدولة الاشتراكية ذاتها باقامة الأسس الصناعية والاقتصادية الكفيلة بالوصول إلى الحلم الاشتراكى ، وذلك هو ماأطلق عليه لينين اسم مرحلة « بناء الاشتراكية » . وحينما كان يعز على الدولة الاشتراكية الوصول إلى بعض ماتصبو إليه من أهداف اقتصادية ، كانت تسمح للراسمالية بأن تنشط فى حدود مرسومة لها ، على نحو مافعل لينين ، فى ظل ما اطلق عليه أيضا اسم « السياسة الاقتصادية الجديدة » بعد أن هدأت حروب التدخل ضد الدولة السوفييتية الوليدة .

وما تفعلة الصين الآن بقيادة « دنج سياوبنج » من « الانفتاح الاقتصادى » ، او تناول جرعة غير ضارة من الراسمالية على حد تعبيره أمر شبيه تماما بالسياسة الاقتصادية التى طبقها لينين فترة فى الاتحاد السوفييتى ، ووجد أيضا من يتهمه من أعضاء حزبه بالتراجع عن الاشتراكية !

غير أن تفاصيل التطور الصينى والثورة الصينية ، كان من طبيعة الأمور أن تختلف عنها فى روسيا .

تخطى الاشتراكية أيضا

كانت الصين الاقطاعية مرشحة للتقسيم كما ذكرت قبيل الحرب العالمية الاولى ما بين الدول الأوروبية الاستعمارية ولكن الثورة الجمهورية فيها وجدت حليفا


سن يات سن


شيانج كاى تشيك


ماوتسى تونج

هائلا فى الثورة الروسية حيث أمدتها بالسلاح والعتاد والتدريب فى مواجهة اعدائها من امراء الاقطاع وحلفائهم من الدول الاستعمارية ، وقوى التيار الماركسى داخل هذه الثورة وتحالفها الممثل فى الكومنتانج بزعامة سان يات سن ، الذى كان يعتبر الصداقة مع الاتحاد السوفييتى مبدأ رئيسيا لثورته . وبعد وفاته تطلع هذا التيار إلى اتباع طريق الثورة الروسية بتحويل الثورة الديموقراطية إلى ثورة اشتراكية . ولما كانت البروليتاريا الصينية شديدة الضآلة عددا وقوة فلم يستطع الماركسيون الصينيون أن يعتبروها هى قوة الثورة الرئيسية . وهنا تقدم ماوتسى تونج بنظريته الجديدة التى وصفت الثورة الصينية بأنها « يقوم بها الشعب ـ واغلبيته من الفلاحين ، وتقودها البروليتاريا ، الممثلة اساسا فى المثقفين الصينيين من أصول برجوازية ، الذين اعتنقوا الماركسية اللينينية ، التى تعكس القوة السياسية للبروليتاريا العالمية ! » .

كان ذلك تخطيا حتى لافكار لينين عن ديكتاتورية البروليتاريا ، وابتعاد اكثر عن الماركسية التقليدية ، ولكن ستالين أيد ماوفى نظريته وساعده على الاستمرار فى تطبيقها بعد انشقاق الكومنتانج فى فترة الحرب العالمية الثانية ، وظهور الحزب الشيوعى الصينى بمظهر البطل الوطنى فى مقاومة الغزو اليابانى ، مما اتاح له بمساعدة السوفييت التخلص من حكم شيان كاى شيك وطرده الى فرموزا ، وتحول الديمقراطية الجديدة فى الصين الى دولة اشتراكية .

ولكن بعد إدانة ستالين فى المؤتمر العشرين للحزب البلشفى ، بدأ النزاع التاريخى مابين ماوتسى تونج وخرشوف ، وبعد أن كان الاتحاد السوفييتى يمد الصين بكل ما تحتاجه لبناء الاشتراكية فيها ، من آلات وخبراء .. الخ ، غضبت الصين لتلويث سمعة ستالين على هذا النحو بعد كل الخدمات التى قدمها لثورتها ، وعملت مطالبها المتطرفة فى الحصول على القنبلة الذرية ، وجزء من اراضى سيبيريا .. الخ على زيادة هوة الشقاق مع السوفييت ، فقرر خروشوف وقف مساعداته للصين وسحب الخبراء منها ، ووصلت الأمور بين الدولتين الاشتراكيتين الى حد النزاع المسلح على الحدود .

عند ذلك أطلق ماو ماأسماه " الثورة الثقافية " التى تستهدف أقتلاع النفوذ السوفييتى من الصين ! واذا كانت الثورة الروسية قد " حرقت " محطة الراسمالية أو جزءا منها وصولا الى الاشتراكية ، فقد قرر ماو حرق المحطة الاشتراكية ذاتها والوصول فورا الى الشيوعية ! وذلك عن طريق إقامة " الكوميونات " وفرض المساواة شبه التامة بين جميع الصينين ، بلا تفرقة حتى بين العمل العقلى والعمل اليدوى فى الأجور والامتيازات ، اعتمادا على جهد الحزب الشيوعى فى تثقيف الشعب طبقا للأيديولوجية الشيوعية !

ولكن من قال إن كارل ماركس أراد للشيوعية أن تكون مساواة فى الفقر كما فعل ماوتسى تونج ؟ لقد كانت الشيوعية بالنسبة له حلما بعيد المنال بعد أن يتم تحقيق الاشتراكية فى الدول الصناعية المتقدمة ، بحيث تسمح الوفرة الهائلة فى المنتجات بتطبيق شعار " من كل حسب عمله ولكل حسب حاجته " . هذا هو

أيهما يتبرأ من صاحبه: ماركس .. أم قادة الصين؟

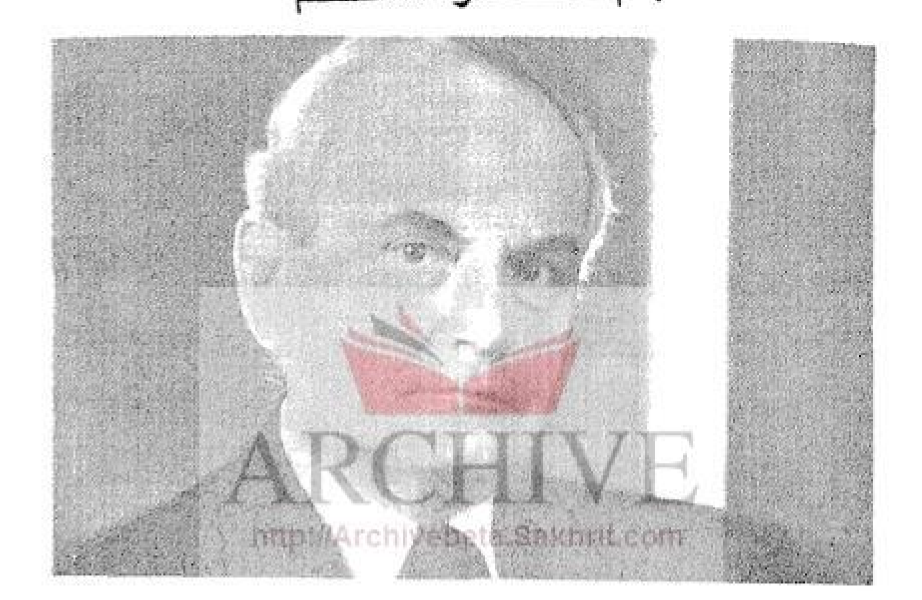
المجتمع الذى يمكن أن يختفى فيه اقتصاد السلع ، والحاجة الى النقود ، ويصبح " الانتاج الطبيعى " هو السائد فيه ، بمعنى الانتاج لسد الحاجات المباشرة للمنتجين على لصعيد الاجتماعى برمته . أين هذا مما طبقه ماوتسى تونج أو حاول تطبيقه فى الصين التى لم تكد تتجاوز حد الكفاف بالنسبة لطاقتها الانتاجية ؟ إن مافعله ماو فى بناء الكوميونات لم يعد أن يكون شبيها بمستعمرات اوين الشيوعية فى أمريكا ، والتى كان مصيرها الفشل ، أى أنه ينتمى " ايديولوجيا " الى الاشتراكية الطوباوية وليست العلمية .

فاذا كانت الصين تعود الآن فى ظل قادتها الجدد وعلى راسهم ونج سياوبنج الى استخدام بعض أساليب الراسمالية من أجل تطوير اقتصادها ، فليس ذلك عدولا عن الماركسية بقدر ماهو عدول عن " الأوينية " إن صح التعبير . ومفهوم تماما دوافع الصين فى ذلك ، فالتقدم التكنولوجى فى العالم لاتزال تقوده المجتمعات الراسمالية مثل الولايات المتحدة الامريكية واليابان وغرب أوربا ، والصين بحاجة الى ما لدى هؤلاء من خبرات ، وربما من رءوس أموال طائلة ، وقد وقعت أخيرا اتفاقا مع بريطانيا يقضى بأن يبقى الاقتصاد الراسمالى فى هونج كونج على حاله بعد أن تعود الى سيادة الصين قرب نهاية هذا القرن ، ويطمع ساستها فى الوصول الى اتفاق مماثل مع تايوان ، وربما يكونون يحلمون بتدفق رءوس اموال الجالية الصينية النشطة الكبيرة العدد فى الولايات المتحدة الأمريكية على " الوطن الأم " مساهمة فى تنميته الاقتصادية ، أو الوصول مع اليابان ، وسائر « العمالقة الصغار » فى جنوب شرق آسيا مثل كوريا الجنوبية وتايوان وهونج كونج ، الى خطة مشتركة لبعث الحضارة الصفراء ، فى مواجهة الحضارة البيضاء ، تكون قوتها الضاربة هى الصين بحكم عدم خضوعها لقيود انتاج السلاح كما هو الحال بالنسبة لليابان ، كل هذه دوافع قومية مفهومة قد يكون بعضها أو كلها متوفرا لدى الصين ، ويقتضيها إدخال ذلك التعديل الهائل فى سياستها وأيديولوجيتها ، بل أيضا الاعلان المتعمد عن تلك التعديلات « النظرية » استجلابا لمودة « الرفاق الراسماليين » ! ولكن ماركس هذه المرة كان مظلوما معهم ، فهو لم يدعهم إلى استخدام البريق السياسى لنظريته فى تخطى جوهرها الاقتصادى كما فعلوا من قبل وهم صامتون ، فما بالهم اليوم يعودون إلى ذلك الجوهر الاقتصادى فى تلك النظرية وينكرون أنهم يفعلون ، أما لينين فلم يكن ماركس مسئولا عن التطورات التى ادخلها على « النظرية » لكى توائم الاوضاع الروسية ، كما لم يكن مسئولا عما فعله ماوتسى تونج فى الصين باسم الماركسية اللينينية .

يبقى بعد ذلك أن حلم « الشيوعية الفورية » قد تباعد تماما ، واوضاع العالم الاقتصادية على ماهى عليه والمعسكر الاشتراكى على اختلاف صفوفه لايزال بحاجة إلى هذه الجرعة أو تلك من الرأسمالية ولا تغنيه عن ذلك ترديد مقولات « الخواجات » لينين وكارل ماركس ، او « الرفيق » « ماوتسى تونج »

العالم الذى يرتدى
قناع السعادة
وسط عالم ملىء بالعنف

بقلم : محمود قاسم



هل لدينا اكاديمية مصرية للاداب والفنون تقوم بنفس الدور الذى تقوم به الاكاديميات المعروفة فى دول العالم المتقدم ؟ . وهل التنظيمات الادبية المعروفة تقوم بنفس الدور الذى تقوم به الاكاديميات الأدبية فى العالم : تبادر هذا السؤال الى الذهن بمناسبة احتفال مجمع اللغة العربية بعيد ميلاده الخمسين هذا العام . والذى من الواضح انه لا يلعب ابدا دور الاكاديمية رغم انه أرقى الجهات التي يمكن ان تقوم بما تقوم به الاكاديميات

العالم الذى يرتدى قناع السعادة



مرجريت بورستار



لا نريد ان نقدم مقارنة او تحليلا لهذه التنظيمات ٠ ولكن احب أن نسوق الى ما تمثله الاكاديمية الفرنسية للاداب والتي تعتبر من ينضم اليهـا من الخالدين ٠ ووجود الاكاديمية الفرنسية لم يلغ ابدا وجود اكاديميات اخرى وجمعيات ادبية تحظى باهتمام الجميع مثل اكاديميات جونكور ورينودو فيمينا وانتراليه التى تضم النساء والشباب او الاقل خلودا ، ولا ينضم أحد الى الاكاديمية الفرنسية الا اذا كان له باع طويل وجهاد فى الابداع الادبى يمكنه من دخول مبنى الكوبول او مجمع الخالدين الفرنسى وفى العام الماضى انضم الى الاكاديمية مجموعة من الادباء من ابرزهم فرانسوا نورسيه وجان دوتو ومرجريت يورسنار وميشيل ديون واكثرهم تخطى الستين ٠ وكان ارتداء كل منهم رداء رأس الاكاديمية بمثابة اكبر تكريم له ويعادل هذا الامر ـ مع فارق المقارنة ـ حصول أحد كتابنا على جائزة الدولة التقديرية ٠

تثير مثل هذه النقاط بمناسبة حديثنا عن الكاتب الفرنسى ميشيل ديون عضو الاكاديمية الفرنسية وأحد ابرز الادباء المعروفين فى فرنسا وايرلندا واليونان ٠٠ وقد بدأت شهرته تزحف ببطء خارج هذه البلاد بفضل تحويل بعض رواياته الى افلام سينمائية ٠



ولد ميشيل فى باريس فى الرابع من اغسطس عام ١٩١٩ ٠ درس الحقوق فى جامعة السوربون ٠ التحق بالجيش عام ١٩٣٩ ٠ اشترك فى معركة تحرير باريس ٠ واشتهر برحلاته خارج فرنسا حيث يقيم اغلب شهور السنة فى كل من ايرلندا واليونان ٠ جاهد بمؤلفاته فى أول حياته ضد ما يسمى بالادب الملتزم ٠ دافع عن القضية العربية ووقف الى جانب الثورة الجزائرية فى قصصه ومقالاته ٠ وكان هذا الموقف سببا فى تحديد نشاطه الادبى فى سنوات الخمسينات ٠ وميشيل ديون هو أحد الاوفياء لفن الرواية وهو لم يقدم اى لون اخر من فنون الابداع سوى الرواية ٠ كما ابدع فى مجالات محدودة مثل المقال وأدب الرحلات ٠ ومن اشهر رواياته : « ابدا لن أنساه » ١٩٥٠ و « الامال الخادعة » ١٩٥٦ « كل حب العالم » ١٩٥٨ ، « الجزرة والعصا » ١٩٦٠ ، « شرفة سباتس »



هنرى ترويا فى الاكاديمية

١٩٦١ ، « المهور البرية » (جائزة الترالليه) ١٩٧٠ ، « الشاب الاخضر » ١٩٧١ ثم « عشرين عاما من حياة الشاب الاخضر » ١٩٧٢ التى حصلت على جائزة الرواية عن الاكاديمية الفرنسية التى تعتبر ابرز وسام على صدر كاتب فرنسى · ثم صدرت له عدة روايات فى السنوات الاخيرة من ابرزها « سفينة نوح » ١٩٧٩ · و « تاكسى رمادى » ١٩٧٧ و « غداء فى الشمس » ١٩٨٠ · وفى شهر فبراير الماضى قدمت المطابع احدث رواياته « اكتب لك باللغة الايطالية » التى تصدرت مبيعات الروايات الفرنسية ثلاثة اشهر على التوالى ·· وقد شهد ادب الكاتب كأى ادب اخر ـ عدة مراحل · لكن هذه الروايات التى كتبها طيلة حياته تعتبر كتبا وردية ·· فهى تتناول الحياة بمنظورها المتفائل البالغ الامل فى الحاضر والمستقبل ·· ورواياته الاولى اشبه برد فعل لعصر أسود خرج من الحرب



مليئا باكتئاب الحياة ·· لكن الكاتب يرى أنه لو خرجت اوروبا كلها منتصرة أو مهزومة تحمل الكآبة وحدها لما استطاعت ان تبنى نفسها فى هذه الفترة القياسية لذا فهو يمثل الشباب الفرنسى فى تلك السنوات وامتلات رواياته بتعبيرات عن لطف الحياة وطرافتها دون التحقق من انها تحمل غضبة مهاجر كان يحاول ان يبعد عنه غضبات أحزانه وزوال فتنته· وعليه ان يبحث عن السعادة التى لا يزال مسموحا بها ·

أما المرحلة الثانية التى بدأت مع رواية « الجزرة والعصا » فقد شهدت تحول الكاتب الى العمل فى طابور الادباء الملتزمين · وكما أشرنا فان موقفه مع الثورة الجزائرية يعتبر اوضح مثال لالتزام الكاتب ولذا فان الناقد اندريه نيريف يقول عنه : « ليست هناك صفحة من ميشيل نيون لا تشير الى كاتب سهل ومتقن معا · ان التعبير الدقيق عنده والانفعال الشديد وينسجمان دائما بشكل طبيعى »

وفى هذا المقال سوف نقدم نماذج لاخر ابداعات الكاتب فى السنوات الاخيرة · وهى مرحلة جديدة شهد فيها الكاتب مرحلة من تدفق الذكريات البعيدة الى رأسه · وكتب روايات اقرب الى السيرة الذاتية ففى رواية « غداء فى الشمس » يتناول حياة كاتب روائى يلهم حياته فى رواياته وشخصياته · انه ستانسلاس بيرن الذى تعتبر حياته وحدها رواية · يكرسها من اجل عمله · ولكن فى

العالم الذى يرتدى قناع السعادة

بعض الاحيان يصبح الكاتب قديسا · او جوادا يسعى لكسب الرهان · حياته فى الواقع لا تنفصل عنها فى الكتب · وبيرن رجل غامض · مجهول الهوية والاصل · الشىء الوحيد الذى يدل على ان له رابطة اسرية هو ذلك العجوز الذى يدخن الترجيلة فى حانوت مظلم · اما اسرته فهم زملاء الفصل ·

تبدأ احداث الرواية فى عام ١٩٢٥· والشاب فى السابعة عشرة من عمره · انه غريب قادم الى باريس كى يتعلم الفرنسية · يتعرف على صديقه الذى يقوم بسرد احداث الرواية يصبح هذا الشاب كاتبا معروفا فى فرنسا انه ينتقل من كتاب لاخر · وكل كتاب يقدمه يمثل امراة يعرفها ·· هكذا فعل شاعر المانيا جوته قبل ذلك بسنوات طويلة ·· ومثلما فعل جوته يفعل بيرن فينتقل من امراة لاخرى حتى ينتهى به الامر الى مقابر سان ميشول ·

ويقول بيرن ان الادباء يقومون بتقديم ثلاثة انواع من الروايات : احدها موجه للقراء · والاخر موجه لكتاب اخرين · اما الثالث فموجة الى الكتاب نفسه · وهكذا يكتب بيرن عن شخص يعرفه جيدا ·· هو نفسه · انه يقرأ مشاعره وافكاره ولا يلجأ الى التخيل لان الحياة التى يعيشها الفنان امتع من شطحات خياله · ولذا فقد كتب رواية تختصر حياته وتتحدث عن تجارب الحب التى عاشها · ارتبط بفلاسير واخته ناتليه· اميران يعيشان ببهجة الحياة ويموتان فى حادث على الكورنيش · هناك الممثلة الشابة ميمى بور التى تمثل افلاما سينمائية وتعيش قصة حب من أجل ستانسيلاس · ولكنها تموت فى حادث طائرة فى اليوم الذى تقرر فيه التخلص منه ·

وهناك ايضا امراة اخرى تدعى اوبرى احبته منذ ان بلغت الثامنة من عمرها ·· وشيلالامور التى تود ان يتبناها · وهناك حب اخر هو حبه لمدن فينيسيا وباريس ولندن « ويقول فرانسوانورسييه فى مجلة الفيجارو فى ٣٠ يونيه ١٩٨١ ان نيون قد كتب هذه الرواية كى يأوى الى نفسه · لا · انه لم يكتبها · بل طبعها من داخل رأسه ·

وفى حديث مع نيون حول الاسلوب الذى عاش به الكاتب حياته ·· وهل الفنان المعاصر يعيش نفس الحياة يرد ان الكاتب محاط بنفس النساء والنماذج البشرية « الا يجرى البشر وراء سعادتهم ؟ سعادة أو سعادة الاخرين · انا اكره البؤس الذى يكشف عن تعاسات الاخرين فى الادب · وهذا لا يثرى احدا قدر اثراء الفنان · فعلا فان البحث عن السعادة هو منبع الالام والحنين والمعاناة · ولكن فى خريف الحياة كل ما يهم المرء ان يعيش لحظات سعيدة وسط عالم محطم · ستانسيلاس بيرن يبحث عن السعادة بين النساء والادب· الاخرون يفضلون مباريات الكرة او البلياردو · انه حقهم · وانا مثل ستانسلاس مدين بالكثير للنساء وللمشاعر المتباينة التى تلهمنها لى · انا احد الذين لا يكتبون العديد من الكتب الا اذا تم الهامهم وارباكهم من النساء · ولهذا فانا غريب للغاية من ستانسيلاس بيرن » ·

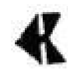


جان دوتور عضو جديد فى الاكاديمية .

واذا كان ديون قد كتب هذه الرواية عن فرنسا من خلال كاتب وجيل من النساء · فانه ينقل اجواء روايته « تاكسى رمادى » الى ايرلندا · وفيها يتناول موضوعا محببا لدى كتاب الغرب فى السنوات الاخيرة · انه المنفى ومن الغريب ان الكاتب يعتبر ان اقامته عدة اشهر فى السنة بايرلندا واليونان بمثابة منفى · حتى لو كان اختياريا · وان اى انسان ـ خاصة الكاتب ـ اذا عاش بعيدا عن بلاده فيعتبر منفيا · ويتضح هذا الامر حين ينفرد ديون بنفسه كى يكتب: « الحياة فى الخارج مع عزلتها · وسكرة الصحراء تجعل الانسان فى حالة اكتشاف دائم لنفسه · وتجعله فى حالة حنين مستمر للوجود فى بلاده · دون ان يتكلم عن قيمة الاشياء وعن الوميض الذى ينبع من اقل كلمة من لغة بلاده » ·

والراوى فى هذه الرواية ايضا أديب يتذكر تجربته فى ايرلندا « كلبى اسمه تينا » انه نفس اسم القرية التى تركناها · انها مكان يستحق ان نتوقف عنده وأن تحفظه العيون زرقاء وذهبية · الرداء مارون جلاسيه نحن نتنزه كثيرا فى انحائه ـ نغرق وسط العشب والغابة والمراعى · هناك الارانب والماعز ، الطبيعة ساحرة عندما يغدو الانسان شديد الكسل كى يداعبها · هنا · تعلمت أن احب الطيور · وان قتلها امر بالغ الحزن · ولكن اكلها شىء ممتع · علينا الا نخدع بمشاعر زائفة · فايرلندا لا تزال تحتفظ ببرية العصور القديمة· لقد احببت الجزر دوما · السفن التى لا ترسو فى البحار · البحر المتوسط لا توجد حضارة مضادة · هناك حضارة معطاءة · بعد أن تجرعت من اشعة الشمس لم اعد احتمل سوى ان اسكب نفسى فى مياه البحر المتوسط بدات احب المطر · الرياح الغربية والنسيم الذى يلهمنى كى اكتب ·

لقد جاء الكاتب الى ايرلندا يهرب من ماضيه · وهناك عليه أن يبحث عن الحقيقة فى داخله كى يكون صادقا فعلا · وهذا التحول يفيده · فالاخرون ليسوا سوى سجناء لنزواتهم وأعمالهم التى يمارسونها واهتماماتهم « ليس عليك سوى ان تسأل : انا لست سوى آلة تعمل » · هناك الفتاة شارق التى تخفى ماضيها الحزين خلف الالعاب الرياضية التى تمارسها منذ زمن طويل · وفى رحلتها الى ايرلندا تبحث عن السعادة والتخلص من الماضى مثلما يفعل الراوى · انه هو الذى يدفعها الى ان تنبذ ماضيها· وهذا الامر ليس سهلا كما يتصور البعض فكما تقول ان الوصول الى الحقيقة أمر صعب · وهو لا يحدث



العالم الذي يرتدي قناع السعادة

كثيرا في حياة المرء .

ومشكلة اشخاص هذه الرواية أنهم يبحثون عن السعادة مهما كانت الصعوبات التى تقابلهم فى سبيل الوصول اليها . لقد جاء الى هذه القرية الطبيب العجوز القادم من الولايات الامريكية . وموظف انجليزي كره المدينة .. وشخصيات اخرى مجروحة قد لا يكون لها وجود ملموس في حياتنا اليومية .

وحول هذه الرواية يقول ميشيل دى بزليفار فى كتابه « اعلام الادب الفرنسى المعاصر » : « ان ما يجب فهمه جيدا هو اننا امام تجربة مطلوبة . كتاب من ٢٢٩ صفحة ليست به عبارة واحدة مبتذلة أو اية جملة تافهة . ودون اى منية من ذلك السأم الكالح الذى يرشح فى أغلب الاحيان من بدايات سطور مغامرة . يعتقد المرء انه يحلم ويقول لنفسه : ليس هذا ممكنا . انه لن يدوم . لن يدوم » .

وهذه الرواية قد قدمتها السينما فى فيلم بنفس العنوان من اخراج ايف بواسيه وبطولة فيليب نوراية وشارلوت رامبلنج وفريد استيروبيتر اوستينوف .

اما آخر رواية قدمتها المطابع لميشيل ديون فهى « اكتب لك بالايطالية» وهى أولى رواياته التى يكتبها وهو عضو فى الاكاديمية الفرنسية . عن نوع آخر من المنفى الذى يفهمه الكاتب بمفهومه الخاص . ان جاك سوفاج رجل عاشق لايطاليا .. وهو ينفى نفسه اختياريا داخل احدى القرى الايطالية . هذه القرية هى مملكة خاصة لشاب تعرف عليه وحطمته الحرب . انه ضابط المانى سابق اختبأ فى القرية بعد ان انتهت الحرب ليس ضابطا متعجرفا قاسيا مثلما صورت لنا كتب اليهود عن النازيين . انه رجل يرفض الحرب . ارسلته بلاده فى مهمة عسكرية فآثر الا يسفك الدماء - حدث ذلك عام ٤٤ - ولكنه يعلن عن قيام مملكته الخاصة فى القرية . ينصب من نفسه ملكا مثلما فعل جندى آخر فى رواية «قلب الظلمات» لجوزيف كونراد، مثلما فعل العلماء الذين اخترعوا القنبلة الذرية فى رواية «مهد القط» لكيرت فونجوت .

والضابط كليرى يقابل جاك سوفاج اثناء فترة حكمه القصيرة ويروى له كل امجاده «سمنى حاكما من فضلك» .. يتخيل أن هناك كونتيسة سليلة لاسياد قرية فاريللا . انها «احدى النسوة النادرات والجديرات أن تحبهن» . فى عام ١٩٤٩ وتحت ضغط كتابة تاريخ القرية وامرائها . يكون كليرى قد غدا حاكما سابقا . يقيم فى بيت الكونتيسة . وشيئا فشيئا تصل اخبار القرية الى كل المسامع ويتحدث سوفاج عن الكثير من الاشخاص الذين عاشوا بها .. الاحياء والموتى .

واذا بدأنا بتاريخ الاميرة بياتريس فهى احدى اللاتى حكم عليهن بمتعة معرفة قيمة اللذة . وهذا حكم بالغ القسوة . لان من اعتاد على معرفة اللذة وحدها لا يمكنه ان ينساها او يحرم منها . لقد تعرفت الاميرة على كل الحياة الخاصة لنبلاء القرية!! الشاعر جيانى والرسام بليونى .. اللذان ينظران الى سكان القرية بخيلاء .

ولا يقتصر ديون فى تقديم حكايات عن هذه الشخصيات وحدها ٠٠ فهو معجب للغاية بالكاتب المعروف ستاندال وخاصة فى كتابه « حكايات ايطاليه » ٠ ولذا فهو يصرح انه يحاول تقديم حكايات تتعلق بفترة عاشها هو فى مجتمع تتمثل كل مشاكله فى السعادة ٠

لكن ٠٠ هل نحن سعداء فعلا تلك السعادة التى يتحدث عنها ميشيل ديون فى روايته ٠٠ هل ما يدور فى الشرق الاوسط ٠ ومجاعات افريقيا والصراع الدائم فى امريكا اللاتينية وسباق الاسلحة النووية وحروب الكواكب هى اشياء موجودة فى كوكب آخر غير كوكب الارض ٠ أم انه يلزم

وجود مثل هذا النموذج من الادباء الذين ينادون قراءهم بالمثالية والبحث عن السعادة وسط عالم مليء بأنين العنف والارواح الشريرة ٠ والسدماء والهرطقات العلمية والارهاصات السياسية ٠

هذا نموذج ادبى موجود ٠ وهو كما قال النقاد احد ابرز عشرة ادباء فرنسيين معاصرين ٠ ونترك للقارىء من ناحية وللتاريخ الادبى من ناحية اخرى الحكم على هذه النوعية من

الادباء ٠٠ وان نسعى الى تقديم نوعيات اخرى لكل منها خطها الخاص بها ٠ فى اكثر التناقضات فى العصر الذى نعيشه ٠

●●

من أمثال الشعوب

● أمثال انجليزية

- البطون الجائعة ليست لها اذان .
- كل باب يغلق إلا باب الموت .

● أمثال ايرلندية

- حمار يحملك ، خير من حصان يلقيك على الارض .
- الكلاب تتبع من عنده عظم .

● أمثال اسكتلندية

- انك لن تخدع إلا من يثق بك .
- اشتر فى السوق ، وبع فى البيت .
- الاحسان يبدا بالمنزل ، لكنه لاينتهى فيه .
- النباح طبيعة الكلاب .

● أمثال من ويلز (بريطانيا)

- صديق الطريق لايوثق به .
- ماتدخره ، تجده عند الحاجة .
- مرآة كل انسان جاره .

● أمثال بلغارية

- من كانت له لحية ، اشترى مشطا .
- إذا بدأت ، ففكر فى الخاتمة .
- الطيور التى تؤكل ، لاتعيش طويلا .
- ان الانسان ليمل حتى من الزبد والعسل .



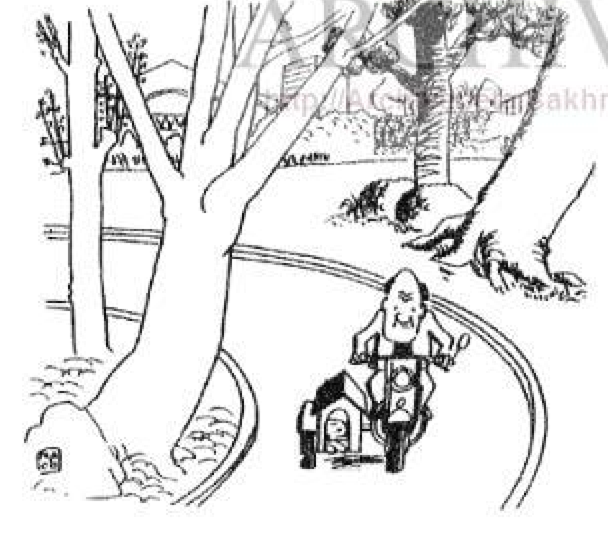
يقدمها



اليابانيون قادمون

كايدا ماسانالو

اليابانيون قادمون صيحة يطلقها رسامو الكاريكاتير ... لأن اليابان بعد اكتساحها للعالم فى أغلب المجالات التكنولوجية ... وبعد أن رأيت تفوقها فى مجال كتب الأطفال فى معرض بولونيا والذى يقام سنويا .. بدأت تتحسس أقدامها فى سكة الكاريكاتير حيث فازت فى العام الماضى بالجائزة الأولى فى معرض بلچيكا الدولى للكاريكاتير .



ايوزاو امكوتو



كورى يوجى

توكورو يكيوشو



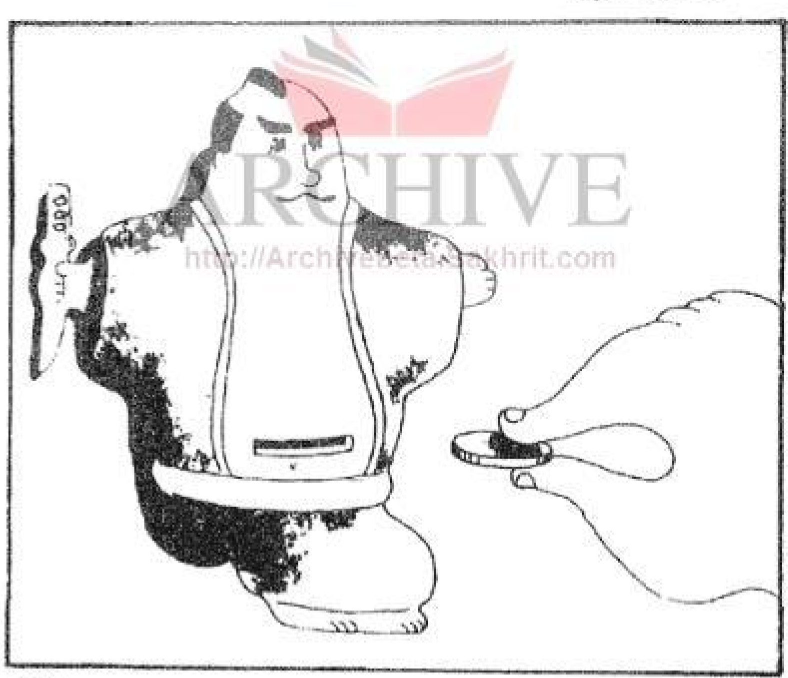
ميزونو ريوتارو

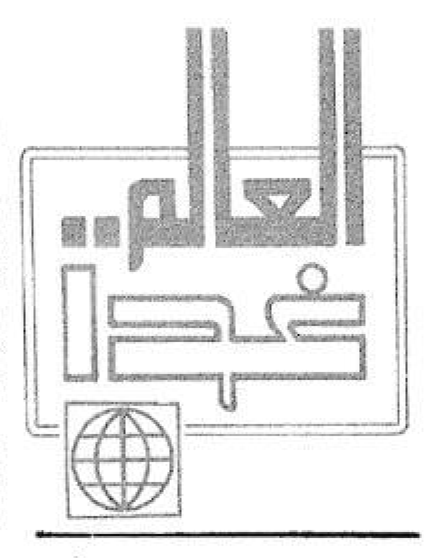
مورو موتو





ساكاي سيجو





الخطر قادم من الغرب

اذا ركبت قطارا او سيارة من مدينة الاسكندرية الى القاهرة او الى اى مكان فى الدلتا سيراعيك ان الريف بدأ يختفى . مبانى وشركات استثمارية تدك الطوب الابيض فوق الطين الزراعى لترتفع المبانى وتختفى الخضرة شيئا فشيئا ..

واذا ركبت سيارة من الاسكندرية الى القاهرة فى الطريق الصحراوى سيراعيك هذا اللون الاصفر الباهت الرملى المنتشر فى كل مكان . وكأن ليس بمصر قطعة واحدة خضراء .. هذا المشهد يمكنك ان تراه فى طريقك الى البحر الأحمر أو الى السلوم .

الخطر متضاعف اذن .. الانسان يقتل الخضرة .. والطبيعة لاترحم ... فهى تغزو الأرض الزراعية فيما يسمى « بغزو الصحراء » أو « التصحر » .

والصحراء محيط واسع ليس له حدود . قاس لايعرف الرحمة .. وان كان فى بعض الاحيان أرحم من البشر .. الأمواج العاتية هى الكثبان .. والرذاذ أصفر ثقيل يغرق فى داخله كنوزا وأسرارا الشريط الأخضر ضيق ضعيف .. ليس فى مصر وحدها .. بل فى المنطقة العربية جمعاء .. من المغرب الى الكويت .





اللـــون الاصفـــر يزحـــف علـــى اللـــون الاخضـــر

وهذا الخطر القادم من الغرب الاصفر لم ينتبه اليه الكثيرون . أو لعل من انتبه اليه قد قلل من مخاطره لكن الصورة تكشف بشاعة هذا الغزو .. وهذه الصور التى التقطتها عدسة المصور والتى توضح مساحة الخطر فقد حذرت منظمة اليونسكو من مخاطر التصحر واطلقت اكثر من تحذير أن مستقبل المنطقة فى خطر وعلى الجميع الانتباه لهذا العملاق المخيف .

لقد صدرت قرارات وزارية اخيرا بمنع التجريف أو البناء فوق الأرض الطينية .. لكن لم نر محاولات جادة لحماية الارض من الصحراء الا فى حدود قليلة .. ولعل محاولات الدولة لبناء بعض المدن خارج الدلتا مثل مدينة السادات و ٦ اكتوبر وغيرهما لمحاولات جادة بغزو الصحراء بدلا من ان تغزونا .. ونرى ان هناك عدة وسائل للوقوف ضد هذا الخطر منها زراعة مصدات الرياح فى المناطق الزراعية القريبة من الصحراء بكثافة اكثر من المتواجدة حاليا .. والتركيز اكثر على هذه المدن الجديدة وتشجيع الهجرة اليها واقامة المشاريع الصناعية .. واخصاب الرقعة الخضراء من الرقع الباقية ومحاولة حمايتها بكل ثمن ضد اخطار التصحر .

ايها السادة انظروا .. فالخطر قادم من الغرب .

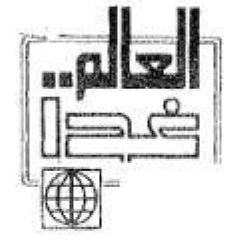
حديثك مطبوع

أحدث آلة كاتبة غريبة الشكل .. فهى تختلف عن كل صور الالات الكاتبة المتعارف عليها . ليس عليك سوى تسجيل كلامك أمام شاشة خاصة فى الجهاز وتقوم الالة بطبع كلامك على شاشة اولية تتأكد منها من صحة عباراتك ثم تخرج على ورق خاص مصححة دون اية اخطاء املائية أو مطبعية .. الاله الجديدة تعمل بنظام الحاسب الآلى ايضا . ويمكنك الكتابة ـ حتى الآن ـ باللغة الانجليزية وحدها وربما عما قريب ستظهر الات تكتب بلغات اخرى .

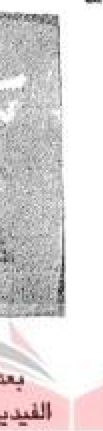
وستؤدى الالة الكاتبة الجديدة الى الغاء اقسام تفريغ الأشرطة فى دور الصحف واقسام استماع الاذاعات الاجنبية ..

انتهى عصر التلكس بفضـــل سيـــدار

لايكف العلماء عن تدليل العقل الاليكترونى لأنه سيد المستقبل .. اخر اشكال التليفونات هو ماتراه فى هاتين



المصورتين . الاول تليفون للاطفال .. أو ربما للمراهقين فى البيوت التى بها أكثر من هاتف .. قد لانحتاج اليه كثيرا .. اما



الثانى فهو تليفون عملى يقوم بتسجيل الارقام المطلوبة ونداءها وتسجيل المكالمات التى ترد من الخارج على شرائط خاصة فى غياب أصحابها . وهو يحمل العديد من الأرقام . وهو لايصلح للمنازل بالطبع لكنه يفيد فى المصالح الحكومية والشركات . ويمكنه ان يقضى على التلكس بصفة نهائية .. واطلق عليه اسم سيدار .

ماذا بعد الفيديو

فى عام ١٩٨٣ ظهر فى سوق الافلام فيلم بعنوان « ترون » الشق الثانى من كلمة اليكترون - من انتاج شركة والت ديزنى عرف انه اول فيلم يتم اخراجه بواسطة العقول الاليكترونية .

بعد نجاح هذه التجربة أمكن صناعة الفيديو الاليكترونى . الذى يمكنك بواسطة الضغط على مجموعة ازراره ان ترسم رسوما متحركة مثل التى تراها على شاشة السينما . قد يمكنك اعادة رسم صورتك من خلال ارقام كودية خاصة .. وقد يمكنك رسم صورة شخص عزيز عليك .. هذا الجهاز قدمته فعلا احدى الشركات الفرنسية لهؤلاء الذين اصابهم الملل من الفيديو العادى والذين يتساءلون دائما وماذا بعد الفيديو .. ؟

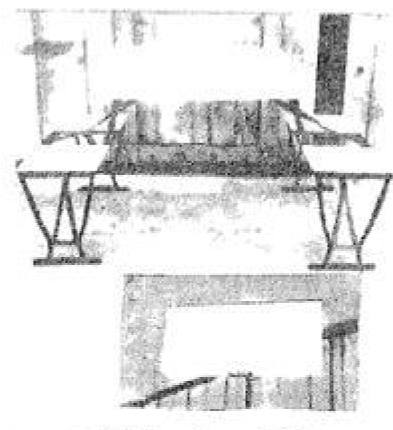
اضاءة دائمة ..فى بيتك

ليس العلم منفصلا عن معاناتنا اليومية والمشاكل الحياتية التى تتعرض لها مدننا

الكبرى يحاول العلماء ايجاد حلول لها الواحدة وراء الاخرى . أحدث هذه الأجهزة جهاز شحن كهربى صغير يمنع انقطاع التيار الكهربى فى منزلك بصفة مستمرة .. وهو يمكن أن يعمل بالبطارية العادية او بالشحن الكهربى العادى .. فاذا انقطع التيار الكهربى فى شقتك وكان الجهاز مشحونا بالكهرباء من قبل من خلال كهربة المنزل نفسها . فانه يمكن اضاءة الشقة بكهرباء حسب كمية الطاقة المشحون بها هذا الجهاز .

مائدتك .داخل حقيبة

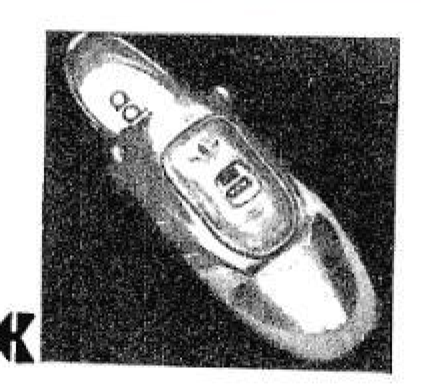
الغد يخبىء لك الاسهل دائما . هذا مايحاول العلم ان يقدمه ، حتى فى مجال الاثاث وفى رحلاتك . أو فى منزلك الضيق . فقد ظهرت حقيبة معدنية تعرف باسم : شنطة المائدة تبلغ ابعادها ٣٧ × ٨٣ سم . تزن ١٤ كجم ، من السهل نقلها من مكان لآخر . والاحتفاظ بها فى مكان ما بدولابك . أو فى مؤخرة السيارة . عند فتحها تصبح مائدة تسع لاربعة أشخاص (اسرة صغيرة) من



جميع الأعمار . هذه المائدة تعبر عن البساطة التى سيتسم بها عالم الغد

الاليكترونيات فى قدميك

هل تذكر حذاء جيمس بوند فى فيلم « الأصبع الذهبى » الذى ادهشنا كثيرا . هذا الحذاء سوف يطرح مع اول مارس الحالى فى الأسواق من خلال شركة





أديداس المعروفة تحت أسم « الحذاء الكهربى » يمكنك من خلال مؤشره تحديد سرعتك ومعدل الاستهلاك الحرارى للمجهود الذى تبذله فى عملك أو اذا كنت تقوم بعمل ريجيم من خلال شاشة صغيرة فى الحذاء ولكل وزن آدمى حذاء خاص به . حتى اذا زاد وزنك أضيئت إشارة حمراء للنداء بالتخفيف من الوزن على مدى أيام ..

الأقمار الصناعية تساعد على حماية الانسان

مع عام ١٩٨٧ سيتمكن المواطن الأمريكي من السير بمفرده ليلا دون أن يبالي بخطر تعرضه لأى حادث . فالعلماء الامريكيون يخططون لاطلاق قمر صناعى أطلقوا عليه اسم « جيوستار » يمكن للانسان الاتصال به عن طريق جهاز خاص للارسال والاستقبال فى حجم الالة الحاسبة . فعند التعرض للخطر يرسل الشخص شفرة لرسالة مكونة من ٣٢ حرفا على الاقل . يستطيع « جيوستار » من خلالها تحديد موقع الانسان ثم يقوم بدوره بإرسال المعلومات إلى أقرب نقطة شرطة لانقاذه . كذلك يمكن أن يستخدم « جيوستار » فى الابلاغ عن الحرائق وحوادث السيارات .



تحليل الدموع وسيلة المستقبل لكشف الأمراض

اكتشف العلماء أن دموع الانسان تحتوى على كم كبير من المعلومات عن كيمياء الجسم حتى انهم يتوقعون أن يشيع استخدام تحليلات الدموع بدلا من تحليلات البول والدم لكشف أسرار الأمراض فى المستقبل القريب . والمشكلة التى يتصدى لها العلماء حاليا هى كيفية انتقاء عينة من الدموع مع وجود نوعين من الدموع يختلفان عن بعضهما البعض من ناحية المكونات الكيمائية . فهناك الدموع الطبيعية الموجودة فى العين طوال الوقت لغسلها وتنظيفها وهناك

النظارات الجديدة تسمع

غزت التكنولوجيا الحديثة المجال الطبي وسوف يتمكن الصم من معرفة كل ما يدور أمامهم من أحاديث دون اللجوء إلى استخدام السماعة التقليدية . فالعلماء الأمريكيون يقومون بإجراء بعض التجارب لاستخدام نظارة خاصة يمكن بواسطتها رؤية الكلمات . وذلك باستخدام ميكروفون وكومبيوتر دقيق الحجم لتحويل الكلمات إلى رموز إلكترونية تظهر على شاشة موجودة في عدسات النظارة . وخلال ٥/٨ ثانية فقط من نهاية الحديث يتمكن الانسان من قراءة كل ماقيل .



الدموع التى تتساقط من عين الانسان عند تعرضه لتيار هواء مثلا أو عند البكاء ويطلق عليها دموع رد الفعل . وهى ذات طبيعة كيمائية مختلفة عن الدموع الطبيعية التى يمكن الوثوق فى نتائج تحليلها . وفريق العلماء الذى يشرف على أبحاث الدموع على ثقة أنهم خلال عام واحد على الأكثر سيثبتون أن الدموع مصدر اساسى لاكتشاف المرض وخاصة أمراض العين وهم يقومون حاليا . بمتابعة عملية شفاء مرضى جراحات المياه البيضاء أو زرع القرنية من خلال تحليلات عينات الدموع . ومع تطور استخدام الدموع كمصدر للتحليل سيمكن الكشف عن نسبة الكحوليات فى دم المدمنين أو مقدار تعرض الانسان للمواد الملوثة السامة وبالتالى اكتشاف الأمراض .

الروبو يغزو عالم الشرطة

امتد استخدام « الروبو » إلى عالم الشرطة . فقد لجأ رجال البوليس إلى استخدام إنسان آلى له يد آلية تعمل بقوة هيدرولوكية وفى رأسه كاميرا للفيديو . ويقوم الروبو بإجراء الحوار مع المجرمين الخطرين الذين يرفضون تسليم أنفسهم للشرطة كما يقوم بتصويب المياه على حاويات القنابل لتفريغ شحنتها المتفجرة . كما يمكن أن يستخدم الروبو فى عمليات النظافة بعد الحوادث الكيماوية والنووية .

فالس الدانوب الأزرق في روشتة الطبيب

بقلم الدكتورة : نبيلة ميخائيل



ليست الموسيقى ترفا ، بل هى الحياة ذاتها .. فالموسيقى موجودة منذ بدء الخليقة . والكون بأسرة يسير حسب ايقاع منسق بديع والانسان بكل اعضائه يعيش بايقاع منتظم .. . فالنبض وضربات القلب وغيرهما كلها ايقاع باختلاله يختل الجسم كله وبتوقفه تتوقف الحياة فيه . وقد يظن بعض الناس ان العلاقة بين الموسيقى والعلاج شىء مستحدث فى زمننا الحاضر . إلا ان الموسيقى فى الواقع تعتبر من اقدم الوسائل العلاجية ، حقا . انها استخدمت منذ أقدم العصور بطريقة بدائية عشوائية دون اسس علمية ولكنها تطورت بشكل واضح فى السنوات القليلة الماضية بعد أن استندت الى اصول علمية وتجارب تقبل المزيد من التطور .. وقد اهتمت دول العالم كثيرا بالعلاج النفسى الموسيقى حتى وصلت الى مراحل متقدمة . ثم ظهرت الابحاث المصرية بناء على دراسات وتجارب فى العلاج العضوى الموسيقى .

تاريخ طويل

لقد كان الغناء والرقص عند الانسان البدائى جزءا من طقوسه السحرية يستخدمها لطرد الأرواح الشريرة ، العفاريت ، باعتبارها تسبب الامراض حسب معتقداته القديمة .

ويقال ان كهنة ، معبد أبيدوس ، وهو اكبر مراكز الطب عند قدماء المصريين . كانوا يعالجون الامراض بالترتيل المنغم ، باعتبار الموسيقى

تقرب المرضى من الآلهة ، وتحقق رضاءهم ، وبالتالي تشفى امراضهم .

وفى التوراة ذكر ان « داود » النبى كان يخفف الام « شاول » وغضبه بالعزف على القيثارة .

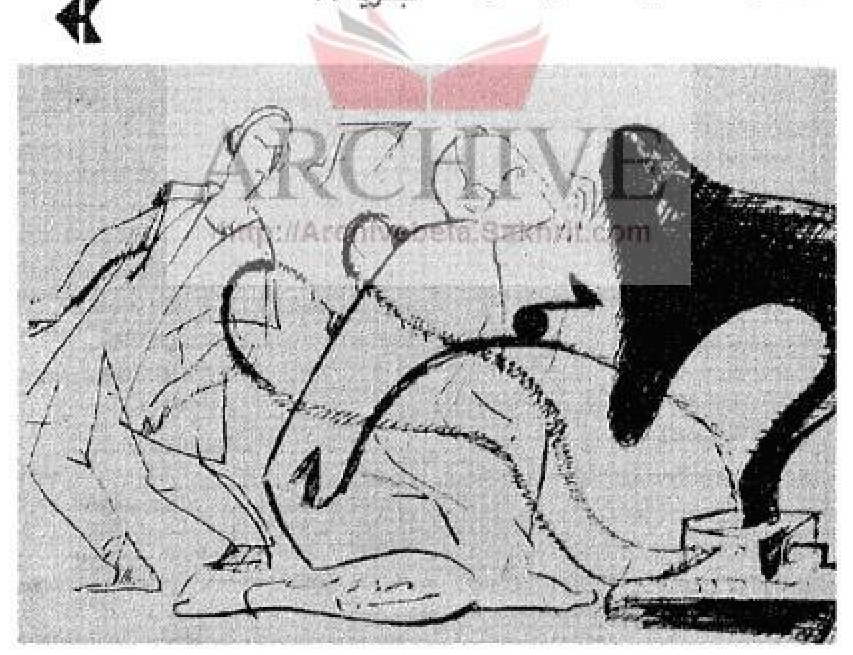
والواقع ان العلاج بالموسيقى لم يقتصر على قدماء المصريين وانما امتد الى الحضارات الشرقية الاخرى ، وبخاصة الصينية والهندية .

فكان « كونفوشيوس » ـ الفيلسوف الصينى الكبير ـ لايعشق الموسيقى فحسب بل كان ينسب اليها افضالا اجتماعية ويعلن أن الموسيقى هى اداة فعالة هامة لتحقيق الانسجام فى الحياة .. كما ان اهل الهند يسمونها ـ « ماتراسينتا » ـ اى « سحر الاغنية » .

وينبغى أن نشير هنا الى ظاهرة الزار المشهورة باعتبارها من اقدم الأساليب التى استخدمت الموسيقى فى العلاج . وذلك فى ظل الاعتقاد بان دقات الزار تطرد الأرواح الشريرة وتعالج الكثير من الأمراض وهى ظاهرة مازالت موجودة فى مصر والسودان وبعض الدول الافريقية حتى الآن .

ومن هذه الظاهرة نشات مؤخرا موسيقى الجاز التى تستغل غالبا فى اخراج الطاقة الزائدة من الجسم .

وفى الأساطير اليونانية حكى انه امكن وقف نزيف « اوديبوس » المجروح بواسطة الغناء ، لاحتواء الموسيقى على قدرات سحرية تستطيع شفاء أخطر الأمراض كما قال « افلاطون » إن « الموسيقى وسيلة نموذجية لشفاء كل الأمراض ، خاصة إذا حاكت الأصوات البشرية » .



فالس
الدانوب الأزرق

واعلن « فيثاغورس » أن الموسيقى يمكن أن تداوى الجنون ، وانها تساهم مساهمة كبيرة فى الصحة إذا ما استخدمت بطريقة مناسبة .

واشار « أرسطو » الى القيمة العلاجية للموسيقى .

وكان « امبيدوكليس » يهدىء المصابين بالصرع بواسطة العزف على إحدى الالات الموسيقية .

ثم ياتى « جالينوس » فيصف الموسيقى كترياق ضد سموم الأفعى والعقرب .

واما « ابوقراط » الذى يدعى ابو الطب ، فيذهب الى أن كل مريض يحتاج الى نوع معين من الموسيقى حسب حالته وذلك حتى لاتكون آثارها عكسية .

وقد امتد أثر هذه الافكار الى عصر متاخر فى تلك الحضارة القديمة ، حتى رأينا « اثيناوس النحوى » الذى عاش فى القرن الثانى قبل الميلاد . يؤكد أن من الممكن التخلص من مرض « عرق النساء » عن طريق عزف ألحان المزامير فوق الأجزاء المصابة .

من الرومان حتى الآن

وفى العصر الرومانى استغلوا المقامات اليونانية بعد تعديل طفيف ، فى التأثير على النفس بعد معرفتهم بأنها تثير الانفعالات المختلفة لدى الانسان .

وفى أشهر المتاحف والمكتبات العالمية كالمتحف البريطانى ومكتبة « جون ريلاندز » والفاتيكان ومتاحف برلين بالمانيا ومتاحف « متشجان » بالولايات المتحدة الامريكية ، توجد أوراق بردى كثيرة كتب عليها باللغة القبطية منذ القرن الثالث إرشادات كثيرة فى النواحى الطبية شبيهة بما كان فى العصر الفرعونى ، وبعض هذه الارشادات تنصح بترتيل المزامير من اجل شفاء المرضى .

وفى هذا العصر كان رجال الدين يقومون بدور الأطباء فى علاج الأمراض النفسية والعضوية إلا مرض العيون الذى كان يقوم به رجل دين أكثر تخصصا .

وعلى ورق البردى حُكى عن القديس « ابو طربو » أنه كان يعالج المرضى - خصوصا المصابين بالصرع - بواسطة صلاة عرفت باسم صلاة « أبو طربو » ، وذلك عن طريق ترتيل المزامير بجانب قراءات من الكتاب المقدس .

وينتقل العلم من حضارة الى حضارة حتى يأتى عباقرة الطب العربى فى العصر الذهبى للحضارة العربية الاسلامية فيضيفوا الكثير فى هذا الميدان .. فالعالم الكبير « ابن سينا » من كبار عباقرة الطب فى القرن الحادى عشر درس أثر الموسيقى على الانسان واستخدمها فى علاج المرضى ، ومن اهم الوسائل التى كان يلجأ إليها فى

العلاج استخدام الذكر لتهدئة الحالات النفسية .

وفى بداية عصر النهضة اوصى « بيكون » باستعمال الموسيقى لتنشيط الروح ، واقترح فى احد كتبه استخدام الموسيقى لعلاج الاضطرابات التكوينية .

وفى القرن السابع عشر كتب « هنرى بيتشمان » ان الموسيقى تطيل العمر

والزنوج الامريكيون يطلبون من المريض الغناء عدة ساعات يوميا لشفائه .

وحتى القرن الثامن عشر كان ضحايا الأمراض العقلية يعتبرون مخلوقات خطرة ، فكان الهائجون يربطون بالسلاسل او يجلدون ، الى ان جاء الطبيب الفرنسى « فيليب بينل » سنة ١٧٩٣ لتبدأ على يديه صفحة جديدة فى علاج هذا النوع من المرض .. فقد نزع الأغلال عن المرضى ، واستخدم اسلوب تنشيط الجسم والعقل كبديل إنسانى للأسلوب القديم .. واطلق على ذلك أسم العلاج المهنى .. ومن بين وسائل هذا العلاج استخدام الايقاع الحركى لعلاج النفس والروح .

وفى سنة ١٨٩١ كان الاطباء يستغلون العزف الهادىء على الكمان للتخفيف من حدة آلام الجرحى والمرضى « بعرق النسا » .

وخلال القرن التاسع عشر اهتم الأطباء النفسانيون بالعلاج الموسيقى وفى مقدمتهم « مورودى تور » ومنذ ذلك الحين بدأت الدراسات العلمية على مدى تاثير الموسيقى على الانسان .

واثناء الحرب العالمية الثانية كانت الرغبة فى الترويح عن المحاربين من نزلاء المستشفيات هى الدافع لتعيين بعض الموسيقيين بالمستشفيات .

ولكن سرعان ما لجا اليها الاطباء كوسيلة من وسائل أشباع الحاجات النفسية وإعادة الهدوء إلى المرضى مما ساعد على سرعة شفائهم حتى من امراضهم العضوية .

وبمجرد انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأ استخدام الموسيقى بطريقة اكثر تخصصا ، ورأينا « هانز هوف » بالتعاون مع بعض الأطباء والموسقيين وعلماء النفس والمدرسين ينشىء برنامجا دراسيا لتدريب المشتغلين بالعلاج الموسيقى .

اما الفنان والعالم الموسيقى « اميل جاك دا لكروز » مبتكر علم الايقاع الحركى والارتجال ، فقد انشا معهدا لعلاج النفس والجسم ولبقاء التوازن المنشود بينهما عن طريق الموسيقى .

وفى سنة ١٩٤٤ انشأت جامعة ولاية « متشجان » أول منهج لتدريب المعالجين بالموسيقى .

وفى سنة ١٩٤٦ بدأت أول دراسة اكاديمية تعليمية ومعملية انتظمت فى جامعة « كانساس » .

وفى سنة ١٩٥٠ تاسس الاتحاد الوطنى الامريكى للعلاج بالموسيقى .

وفى أوربا انشئت أول مدرسة للعلاج بالموسيقى سنة ١٩٥٩ تخرج معالجين بواسطة الموسيقى .

وفى سنة ١٩٦٧ ظهر أول تنظيم علمى للعلاج بالموسيقى فى اليابان كما ظهرت فى هذا الوقت المطبوعات

فـالـــس الدانوب الأزرق

المختلفة المتخصصة فى ميدان العلاج بالموسيقى .

وانتشر هذا النوع من العلاج حتى اصبح الآن فى الولايات المتحدة الامريكية ٤٠٠ معهد تخرج المعالجين الموسيقيين واصبح فى امريكا ١٦ جامعة للعلاج بالموسيقى على اساس عملى ونظرى ، كما اصبح هناك ٦٠٠ مستشفى تستخدم هذا النوع من العلاج .

تجارب وتقدم

إن استخدام الموسيقى لم يقتصر على النواحى الترفيهية والجمالية الخاصة بالانسان وانما امتد ليبلغ تأثيره جميع الكائنات الحية من حيوان ونبات ، بل وغير الكائنات الحية والشواهد على ذلك كثيرة .. ولامجال هنا الا لمقتطفات منها .

فقد استخدمت الذبذبات الصوتية لتفتيت الأشياء الصلبة التى لاتجدى معها المفرقعات العادية .

والنباتات التى تبدو امامنا صامتة تطوى بداخلها أغرب الأسرار .. فقد ثبت أن الموسيقى يمكن أن تزيد من انتاج القمح إذا أنتشرت أنغامها فى حقوله .

وقضية تاثير الموسيقى على الحيوان قضية اثارت الانتباه مما دفع العلماء الى اجراء كثير من التجارب واعداد كثير من البحوث فى هذا الاتجاه . فباستعمال الموسيقى زاد انتاج الأرانب ، واصبحت انثى الأرانب تضع مابين ١٢ الى ١٤ أرنبا فى كل ولادة .

وفى بريطانيا نصحت وزارة الزراعة البريطانية مربى الماشية بتدليل الابقار الى حد عزف الموسيقى والغناء لها للحصول على كميات أكبر من اللبن .. ومن الطريف انها حذرت من أزعاج الأبقار بالموسيقى الصاخبة لأنها تؤدى الى تقليل كمية ادرار الألبان .

وفى هولاندا استطاعوا الحصول على اكبر كمية من الدجاج بفضل انسياب نغمات الموسيقى اثناء وضع البيض .

أما الأسماك فى اعماق البحار فتستجيب للموسيقى بشكل غريب يدعو الى الدهشة .. وتلك حقيقة كشف عنها البروفسور ، هانز هوف وزوجته ، فقد القيا بجهاز راديو فى البحر .. وكان ينبعث من الجهاز لحن الدانوب الأزرق وعندما استخرجا الفيلم الذى كان يسجل حركة الأسماك اثناء سماعها للحن وجدا انها كانت تقوم بحركات دائرية متوافقة حول الراديو وكل سمكتين تدوران معا .

واذا كانت الموسيقى تستطيع ان تتخلل وتتغلغل داخل النبات والحيوان .. بل وفى غير الكائنات الحية فتؤثر فيها . فمن الطبيعى والمنطقى أن يكون تاثير الانسان بها أعمق وأشمل .. ولهذا لم يكن غريبا أن نجد قائدا كبيرا كنابليون يعزو هزيمته

فى روسيا إلى قوة الموسيقى الروسية التى كانت تملأ نفوس الجنود الروس قوة وعزيمة .. كما نجد فيلسوفا كفولتير يدرك اثر الموسيقى فى العمليات الفسيولوجية داخل جسم الانسان مما يساعد على الهضم .. فقد كان يقول أن من بعض الأسباب التى تدفعه إلى التردد على دار الأوبرا هو تحسين هضمه . وكان الشاعر الانجليزى « بايرون » يستمع إلى الموسيقى اثناء تناول الطعام ليزداد اقباله عليه .

لكن استخدام الموسيقى فى علاج الأمراض العضوية مازال يثير الدهشة لدى البعض ، بل ويقابل احيانا بالمعارضة ، فالوحدة الكاملة بين النفس والجسم ، واثر كل منهما فى الآخر ، يجعل من الصعب التميز والفصل بين الاثر النفسى والاثر العضوى للموسيقى .

ومن جهة اخرى ، فان المرض يعتبر اضطرابا فى إيقاع الحركة المنتظمة للجسم الحى وإعاقة له عن الانسياب الطبيعى . فمثلا اضطراب النبضات فى الجسم يفقده الايقاع ، فى حين تعمل ضربات الموسيقى المنتظمة على استعادة الانتظام داخل الجسم وانسياب مكوناته بلا توتر أو اضطراب وفى سنة ١٩٤٣ كان ٩٠ ٪ من الصناعات البريطانية يستخدم الموسيقى فى المصانع مما ساعد على زيادة الانتاج بنسبة ٢٥ ٪ من انتاج العامل .

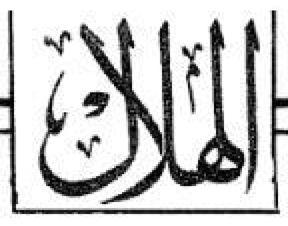
وباستخدام الموسيقى ايضا زال الأرق بنسبة ٧٥ ٪ الى ٨٠ ٪ من عدد المصابين به غير ان هناك فى نفس الوقت موسيقى اخرى تساعد على اليقظة والتركيز .

وتستخدم حاليا الموجات فوق الصوتية لتشخيص بعض الامراض . وقد اثبتت ابحاثى التى قمت بها فى هذا المجال ان الجرعة الموسيقية الواحدة والتى تبلغ مدتها ساعة ونصف ساعة متواصلة ، تؤدى الى انخفاض ضغط الدم الشريانى الانقباضى والانبساطى بنسبة تعادل انخفاض الضغط نتيجة تعاطى الأدوية والعقاقير الخاصة بهذه الحالة لمدة ستة ايام فى حين تعمل الموسيقى الصاخبة الى زيادة ضغط الدم الشريانى كذلك تعمل الموسيقى ايضا على تقليل او زيادة كل من نسبة الكرتيزون فى الدم وسرعة النبض حسب نوع الموسيقى .

واخيرا فرغم ان هذا المجال قد لقى الوانا من المعارضة والتحدى من بعض الجهات العلمية فانه قد ضاعف من سعيه ، وزاد من بحوثه ، توطيدا لدعائمه ، وتاكيدا لفرضياته التى تقوم على اهمية الموسيقى فى العلاج .

ان للعلاج بالموسيقى تاريخا طويلا مثل اى علم من العلوم بدا بالخرافة ثم انتقل فى مراحل الملاحظة والتجربة والبحث حتى اصبح علما معترفا به .

وانى لأحلم أن تكون الموسيقى فى المستقبل القريب متجاورة مع الدواء فى روشته الطبيب ، بل يحدونى الامل فى ان تكون الموسيقى هى العلاج الأساسى فى تلك الروشتة فيبتعد الانسان عن العقاقير والسموم الصناعية سعيا وراء خيره وسلامته .



● السينما والثقافة ●

● أول ما لفت نظرنا في عدد نوفمبر ٨٤ كان غلاف « الهلال » ولن نخفي على سيادتكم صراحة انه كانت دهشتنا كبيرة لأن تتصدر أخبار السينما الغلاف بهذا الشكل ، وهذا ليس إقلالا لدور السينما فهي لوصحت فن رفيع ولكن ليس ذلك هو دور المجلة الاول ونظن أن عراقة الهلال لابدان تتجلى في كل شيء شكلا وموضوعا .

وفي عدد ديسمبر سررنا لتفضلكم بنشر رأى القاص/سيد سالم الذي ضمنه تخوفاته من ان تغلق الهلال نوافذها المفتوحة للادباء الشبان وكان ردكم الذي بعث على الارتياح في نفوس الجميع وذلك لايمان الهلال بدورها الثقافي الفعال الذي جعل منها مدرسة تخرج منها اساتذة ورواد يملأون الساحة الادبية والفكرية ابداعا وتالقا .

وجاء عدد يناير بجودته الفكرية الموضوعية إلا أنه أثر أن يتربص بنا أستاذنا الدكتور النساج ليبكينا بكاء حارقا حارقا على ما يحدث في حرم الأدب الاكاديمي وهذا الذي عرضه إنما يعد وصمة عار في تاريخ جامعة الاسكندرية انتقل وباؤها الى جامعة طنطا ونامل في الجامعتين ان توضحا موقفهما من ذلك .

صبرى عبد الله قنديل

— السينما كالمسرح من صميم الثقافة ، وكذلك الموسيقى والتصوير الخ .. والهلال يهتم بكل فروع الثقافة ، ثم ان معنى الثقافة يتسع بمرور الزمن وتطور المجتمع ..

● العشق والنهر ●

ولانى أول ما سطرت سطور الحب ..
كتبت اليك ..
ولانى أول ما أحببت .. أول ما ناجيت .. أول ما غنيت .. أول ما قدمت قرابيني
واشتقت كان الشوق اليك ..
ولانى أعشق في عينيك المرفأ .. والموج العاتي .. قرص الشمس .. وشراع

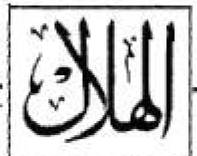
المركب .. ومحار البحر .. ورمال الشاطيء ..
والصدف الملقى تحت الاقدام .. وحكايات الايام ..
ولاني أعشق فيك البيت الموقد .. كوب الماء .. الضحك الصاخب والخافت
زقزقة الطير على شرفات الليل ..
الاعشاش الرطبة والاعشاب ..
ولانى اعشق فيك الانسان .. فى قاع الطمى .. فى قلب النار .. فى طاحون العيش الدوار ..
فى ليل الصيف المقمر .. وشتاء الليل الممطر .. ودروب العوده ..
فى ساعات القيلوله ..
ووريقات الورد المشتولة فى أُصص الزهر .. ظل الاطفال على العشب .. نقش الطير على اكوام الحَبّ .. ناطور الحقل .. اسراب النمل على الجدران ..
اشعار الحب واشعار الحرب واشعار الاحزان ..
الانسان .. الانسان .. الانسان ..
عمر اخضر .. سنبلة عطاء .. كف للخبز .. وكف للماء ..
ولانى أعشق فيك الاشياء المعروفة والمجهولة .. والزمن القادم فى تاريخك ..
منقوش فى جدران القلب .. منقوش فى الاضلع .. فى الافكار .. فى جريان الانهار ..
اسمك ..
منقوش فى كل الانهار ..
كل الانهار .

محمد هاشم زقالى

● الشباب و آباؤهم ●

● عام سعيد وكل سنة وأنت طيب ـ رسالتى هذه عتاب وهذا من العشم ـ يقول الكاتب الكبير نجيب محفوظ فى حديثه القيم الممتع : السياسة والأدب والمرأة عند نجيب محفوظ : ـ لا .. أبدا .. لأنها تعكس قيم جيل قديم والشباب جيل ونحن جيل فأنا أنصحه بقيم ربما ، لم يعد يؤمن بها فما ، فائدة النصحية ؟ هل لى أن اقول رأيي ـ ولكن هذا يأس من تقبل الشباب للنصحية فلو حببهم فيها ، لاختلف الأمر لانه لاغنى عن نصحية الكبار الذين عندهم الكفاح ، والتجربة ولو علم الأبناء ما عاناه الآباء لما ترددوا فى الأخذ بالنصيحة ولما ضرب ابن نوح بنصيحة والده عرض الحائط بقوله : " سآوى إلى جبل يعصمنى ".وكانت النتيجة أن غرق نعم " لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم " صدق الله العظيم .

عاصم فريد البرقوقى



● خطاب الى رئيس التحرير ●

● حضرت الى دار الهلال فى الشهر التالى لتوليكم مسئولية التحرير مباشرة ، وكان استقبالكم لشخصنا البسيط طيبا للغاية وتحادثنا حول أهمية استمرار المجلة فى نشر القصة القصيرة ، وأن تفرد لها مساحة اكبر من المساحة التى افردتموها لها . وخرجت سعيدا للغاية بعد ان تركت قصتين قصيرتين . لنشرهما على صفحات امنا الرءوم ـ الهلال وفى زيارة تالية قدمت لسيادتكم قصة ثالثة . بعنوان « الزيارة » وفى زيارة رابعة وقد اصبت باحباط شديد قدمت قصة قصيرة بعنوان « فنان » وفى الشهور التى تلتها كنت انتظر على مضض ، دون جدوى .

محمد جابر غريب

ـ نرحب بك وبكل الاقلام الناضجة من شباب مصر والبلاد العربية ، ولاتصدق ماتسمعه من الكلمات الطائرة فى الهواء ،فان عكس ماتسمعه هو الصحيح .. والمسألة لاتتجاوز طاقة المجلة على النشر . كرم

● يوم الوداع ●

● أرسل اليكم هذه القصيدة راجيا ابداء رايكم فيها :

عدت ولم أعد بخاطرى
فبين أوتار الحزن تاهت مخاطرى
سال الدمع يروى ظمأى
فارتعدت له مشاعرى
ايا نجم ليلى
تركتنى وحدى
يؤلمنى بالذكرى يوم
الوداع جرحى
وينبض فى الخيال ذكراك
فيهون من بعدك عمرى

ضياء محمود أسماعيل

ـ لابد أن تكتب على وجه واحد من الورقة ، وقد اكتفينا بهذه الابيات من « قصيدتك » التى تشغل وجهى الورقة ، لان الابيات الباقية من نفس المستوى ، ولابد لك يابنى قبل ان تكتب شعرا من معرفة الاوزان ، فهذه

كلمات غير موزونة ولايربطها رابط . ويبدو انك مازلت في البداية الاولى للطريق ، وهذامايجعلنا نهتم بإسداء النصح اليك ان كنت حقا تريد نظم الشعر ..

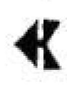
● الحنين إلى هناك ●

● لماذا أكون لقمة للبحر .. ذبيحا بخيولى ؟ !

اهو الحنين إليها . ام هو الحنين إلى المجهول ؟ . أهو الحنين إلى السر . أم هو الحنين إلى الموت ؟ . أهو الحنين إلى البرعم قبل أن يغتصبه اللون . أم هو الحنين إلى الأزل ؟ . أهو الحنين إلى صرخة لم تاتِ . أم هو الحنين إلى النبع البعيد ؟ . أهو الحنين إلى طيور لا تهاجر . أم هو الحنين إلى مواقيت تتلون وتضيء ؟ أهو الحنين إلى قطار يهدر بى ليلاً نهاراً ولا يتوقف أبداً . أم هو الحنين إلى أرض لا تاكلها قمائن الطوب ؟ أهو الحنين إلى حقول تحتضن زهرة النيل المنطوية على نفسها وترتوى حزن البنفسج . أم هو الحنين إلى فضاء بلا « هوائيات » ؟ . أهو الحنين إلى سويداء قلب « سُلتُ فسلت ثم سلّ سليلها فاتى سليل سليلها مسلولاً » يقبلنى ويربت على روحى . أم هو الحنين إلى سيف السراب يمزقنى ؟ أهو الحنين إلى بلادى . أم هو الحنين إلى جدى الجميل ؟ ..

لماذا أكون لقمةً للبحر .. ذبيحاً بخيولى ؟!

أهو الحنين إلى عرس الحلم والسنبلات الخضر . أم هو الحنين إلى صديقى اليونانى « مانويل » يقول لى « سأسميك مصرى » ؟ . أهو الحنين إلى جسارة عصفور الشوك إذ يعطى جسمه لشجرة الليل لتخترق شوكتها المسنّنة صدره الرهيف . أم هو الحنين الى أبى ليردد بعد صلاة الفجر وكانه ينوح : « قليل هجوع العين إلا تعلّة ... » ؟ . أهو الحنين إلى وطن جامح يركض بى فى سهول الأفق والغيم . أم هو الحنين إلى زهرة النار تكون لحدى الآتى من الغيب ! أهو الحنين الى تلك الأيام . أم هو الحنين إلى الانسان وشجن السواقى ؟ . أهو الحنين إلى ناقة الشمس تنادينى من قمتها لما ترى خطاى « ما هكذا تورد الأبل ياسعد » وافرح حين يردد رجع الصدى اسمى فاحب أسلافى . أم هو الحنين إلى روح كوننا الرحب تدثرنى بعباءة البرزخ ؟ .





اهو الحنين إلي بلادى . ام هو الحنين إلى جدى الجميل .. لماذا اكون لقمة للبحر .. ذبيحاً بخيولى ؟ !
اهو الحنين إلى صدر لم ابك عليه ؟ أهو الحنين إلى يمامة لا تموت ؟ . اهو الحنين إلى لغة لم ينطقها فمى ؟ . أهو الحنين إلى فرح فى فرح ؟ . اهو الحنين إلى حزن على حزن على حزن ؟ . أهو الحنين الى غناء يقتل غناء يقتلنى ؟ . أهو الحنين إلى يوم واحد رجل وليلة واحدة عذراء ؟ . أهو الحنين إلى شمس زيتونة وقمر سيسبان ؟ . اهو الحنين إلى بشر يدهس زُبالة البشر لافرح بخلق جديد ؟ . اهو الحنين إلى مدينة خجولة على خدها شامة سمراء من طين وماء ؟ . اهو الحنين إلى شعب من العشب لا يقول ـ ما انا بقارىء ـ ويهرول هرولة تجاه نهر المعرفة ؟ . اهو الحنين إلى بلادى ؟ . أهو الحنين إلى جدى الجميل ؟ . اهو الحنين إلى ... ؟ . إلى ... ؟ . إلى .. أم هو الحنين إلى هناك ؟؟ !

سعد الدين حسن

الــى اصــدقائنا

● مؤيد إبراهيم إيرانى ـ حيفا :
ـ قصيدتكم « معتزل » لاباس بها ، وانت شاعر قديم ولهذا استطعت ان تحتفظ بقدرتك على نظم الشعر بالعربية بالرغم من أنك منغمس بطبيعة الحال في التكلم باللغة العبرية .. ونحن نتوجس من بعض الرسائل التى ترد إلينا من الأرض العربية المحتلة ، لأن بعضها مدسوس لأغراض دعائية أو غيرها ، ونعتذر إليكم عن عدم نشر القصيدة لاننا لم نفهم بالضبط مقاصدها ، ولأنها طويلة جدا .

● الحسين انور محمد شهاب الدين ـ جزيرة شندويل :
ـ تألمنا لوفاة استاذكم ، ونعتذر عن نشر رثائكم لهذا الأستاذ الفاضل ، ويسرنا نشاطكم الأدبى الذى حدثتمونا عنه فى رسالتكم .. وتحياتنا إلى صديقك محمد خضر عرابى .

● ونشكر اصدقاءنا واعزاءنا الأدباء : عاصم فريد البرقوقى .. أميرة محمد عوض .. صفوت عبد العزيز بخيت .. محمد حسين إبراهيم عاشور .. مجدى عبد الوهاب محمد .. خالد محمد غازى .. هدى شبانة .. خالد الأصمعى .. محمد سعيد رشاد .. ايهاب النجدى .. محمد إبراهيم على .. البيومى السمنودى عواض محمد السيد .. عبد النبى يوسف كراوية .. محمود عُبد العال محمود .. خالد شعبان مقبل .. عماد خليفة ..

● وداع انديرا ●

شعر : عامر محمد بحيرى

دموع الشعب فى الهند … جرت نهراً على الخدّ ..
لتعلن موت « انديرا » … وتبكيها .. بلا خدّ !
فتاة الصدق من نهرو … وبنت الحق من غندى
تولاها جواهر لآلـ … إنشاء من المهدِ
بنور العلم والحكمـ … ة والأخلاق ، والرشد
وفاقت تربها فى الدر … س بالاخلاص والجدّ
وقد بذلت للاستقلا … ل ما أعيى من الجهد
وحازت قصب السبق … لتحكم دولة الهند !

● ●

فتاة العصر .. انديرا … غدت انشودة المجد
وقادت للعلا شعباً … بلا حصر ، ولا عدّ
تقلب فى الغنى والفقـ … ر بين الأخذ ، والردّ
فمن لؤلؤ مهراجا … إلى ادمع مُستَجَدْ ..
تزاول مهنة الحكم … كما تخطب فى الحشد
وتستعرض فى السارى … قطاعات من الجند
تحييهم بكفيها … وتهدى خالص الودّ ..
وتحكمُ شعبها بالحز … م توجيهاً إلى القصد
تخلصه من الشكوى … وترفعه عن الوهد
إلى أعلى السموات … ليبلغ كوكب السعدِ !

● ●

فماذا حمل السيخ … من الأضغانِ ، والحقد ..
.. على أن يقتلوا الأم … وبئس الحنثُ بالعهد ؟ !
أكان المعبد الذهبىّ … يحوى بؤرة الكيدْ ؟ !
أيردى الأم حارسها … ويقتلُها الذى يفدى ؟ !

● ●

على قمة هيمالا … ىَ .. بين البرق والرَعدْ
رمادٌ .. راح يذروه … فتى منفطر الكبدْ
فقد احرق راجيف … حنان الأمُ .. فى الوقد
يسجّى الجسد المحبو … بَ .. فى الريحان ، والورد
ويضرم شعلة النيرا … ن فى الصندل والندّ
وتمضى رحلة الدنيا … من المهد .. الى اللحد
ولا يبقى على الأكوا … ن ، غير الجوهر الفرد !

مواقف ضاحكة

(بقشيش)

● غادر أحد الأشخاص مطعماً وهو فى حالة سيئة للغاية حتى انه نسى أن يعطى الجرسون الموجود على الباب الخارجى البقشيش المعتاد . ومع ذلك قام الجرسون بمساعدته على ركوب سيارة أجرة ثم قال له « بالمناسبة ، فى حالة ضياع حافظة نقودك وأنت فى طريقك الى المنزل تذكر ياسيدى انك لم تفتحها هنا » .

(خمسة من الحمقى)

● فى احد الايام استدعى مدير إحدى الشركات أحد مرءوسيه ليستوضح منه عن سبب وجود غلطة فى تقريره . ولما قابله قال له المرءوس : « أن عليك ان تفهم بان هناك اربعة من الموظفين الحمقى يعملون معى » فنظر المدير اليه مندهشا وقال له : «انك محظوظ ، فانا لدى خمسة من الحمقى » !

(عادة)

● يعترف احد الأشخاص باحتفاظه بعادة شاذة ولكنها مفيدة . فهو يشترى يوميا صحيفة ولكنه دائما يأخذها الى منزله ويضعها فى درج المكتب بدون ان يقرأها . وبعد أسبوع او أسبوعين يتناول الصحيفة ويقرؤها ثم يقول لنفسه « حسنا ، الحمد لله أن ذلك لم يحدث اليوم » .

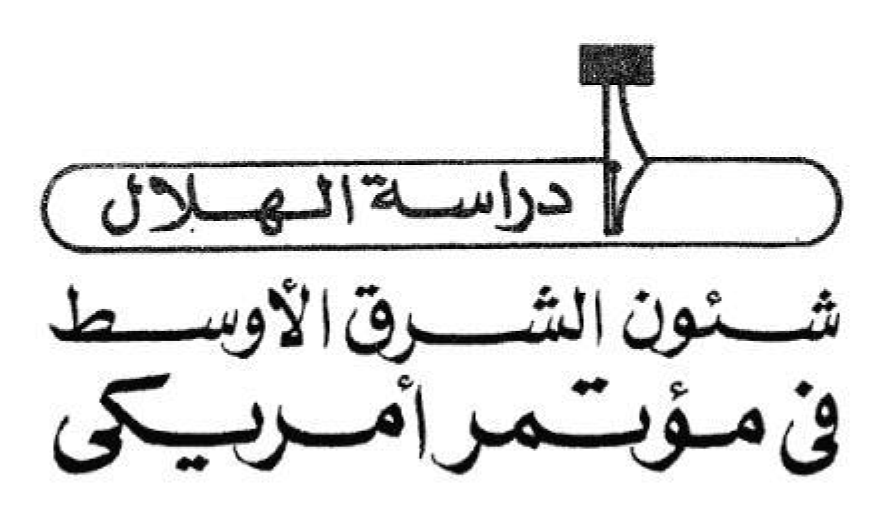
(لن يعود!)

● دخل امريكى مطعما وعلق معطفه ووضع عليه ورقة كتب فيها « هذا المعطف خاص ببطل الملاكمة . وسيعود بعد عشر دقائق » . ولما رجع لم يجد المعطف ورأى مكانه ورقة مكتوب فيها « أخذ المعطف بطل الجرى » !!

(هذه المرأة أحترمها !)

● قال جورج واشنطن محرر أمريكا من الاستعمار الانجليزى : « أننى اكن كل احترام لتلك المرأة التى خرجت من بيتها لتخوض غمار الحرب ، وهى تحمل قضيبا من حديد يستخدم فى اذكاء نار المدفأة .. فقد سمعت أن العدو قادم ، فأسرعت لملاقاته ومقاومته .

وسألوها « ماذا عساك صانعة بهذا القضيب الحديدى ؟ » فأجابت فى حماس شديد « على الأقل سوف يعرفون مع اى جانب أقف ! »



رسالة سان فرانسسكو

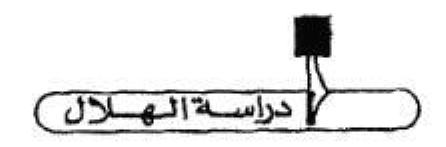
بقلم الدكتور : سعيد اسماعيل على

الاهتمام الغربى بصفة عامة والأمريكي بصفة خاصة بشئون الشرق الأوسط واضح للعيان منذ سنوات عديدة ، لكنه زاد بصورة ملحوظة منذ اندلاع الثورة الخومينية فى ايران عام ١٩٧٩ ، فهناك مراكز الأبحاث والمعاهد والجمعيات والروابط والمجلات والدراسات والمؤتمرات والندوات وغير ذلك من قنوات لدراسة كل مايتصل بدول المنطقة من كل الجوانب .

ويمكن إرجاع بداية ذلك الاهتمام الى حركة الاستشراق التى بدأت منذ عقود طويلة انطلقت كلها من رغبة فى تكوين صورة دقيقة وشاملة للدول الاسلامية والعربية تمكن قوى الاستعمار الغربى من التعامل معها بهدف السيطرة والاستغلال والتوجيه ايمانا من هذه القوى بأن الاستعمار ليس حتما أن يكون فى صورة احتلال عسكرى سافر لكنه يمكن أن يكون فى أى صورة من الصور : غزو فكرى ، سيطرة اقتصادية ، تخلخل اجتماعى .. وهكذا .

اما الغرض المعلن فهو « العلم » و « البحث العلمى » و « التعاون لخير الانسانية » وغير ذلك من شعارات قد يصدقها السذج ، لكنها لاتعدو أن تكون ستارًا شريفا يخفى ما هو عكس ذلك .

ومن الجمعيات التى تكونت خاصة بالشئون الشرق أوسطية « جمعية دراسات الشرق الاوسط بشمال أمريكا » MESA وهى اختصار للاسم الأصلى وهو : the middle East Studies Association oF Norh America وكان بدء ظهورها عام ١٩٦٦ على يد عدد من الباحثين من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا .



وتتسع الدائرة الزمنية لاهتمامات الجمعية لتشمل الشرق الأوسط منذ ظهور الاسلام حتى الآن وخاصة من خلال « الانسانيات » و « العلوم الاجتماعية » .

وعضوية الجمعية مفتوحة لكل من يرغب الانضمام اليها نظير رسم زهيد سنوى والمقر الرئيسى لها هو جامعة أريزونا ، قسم الدراسات الشرقية .

وتعقد الجمعية مؤتمرا عاما كل عام فى احدى الولايات لايرتبط بموضوع بعينه وانما تترك المجال مفتوحا على مصراعيه ، فلكل باحث أن يكتب فى الموضوع الذى يرغب الكتابة فيه بحيث تجىء الحصيلة متنوعة اشد مايكون التنوع ، شاملة أدق ما يكون الشمول من الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والتاريخية والدينية ..

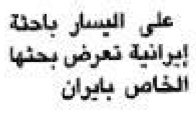
والمؤتمر الذى عقد مؤخرا هو المؤتمر (الثامن عشر) وكان مكانه فى المدينة الأمريكية الساحرة (سان فرانسسكو) فى فندق (شيراتون بالاس) .

ولكى نتصور مدى ضخامة المؤتمر ، فلابد أن نعلم أن عدد البحوث التى قدمت قد زادت على الأربعمائة (٤٠٠) تم عرضها كلها بلا استثناء . وقد يعجب القارىء بطبيعة الحال ، كيف يعرض هذا العدد الضخم فى مدة لاتزيد عن ثلاثة ايام ؟ والاجابة هى أن الجمعية تنظم ماقد يصل الى (٤٥) حلقة بحث فى اليوم الواحد ، فى كل حلقة تعرض بحوث اربعة فى الغالب ، وتدور كل حلقة حول محور معين .

وهكذا يجد المدعو أمامه فى كل ساعة قائمة طويلة بالبحوث المعروضة له أن يختار أيا منها وفقا لاهتماماته الخاصة .

وكنموذج للمحاور التى دارت حولها بعض الحلقات ، نجد :

- افغانستان ، العام الخامس لحركة التحرير .
- أثر التغريب على المدن العثمانية فى القرن التاسع عشر .
- المشكلة اللبنانية .
- الأدب العربى المعاصر .
- النظريات الدينية والسياسية فى الشرق الأوسط .
- الانتخابات الأخيرة فى مصر وتركيا واسرائيل .
- التطور السياسى والاقتصادى والصراعات فى جمهورية ايران الاسلامية .
- الفكر الاقتصادى والسياسى الاسلامى الحديث .


على اليسار باحثة إيرانية تعرض بحثها الخاص بايران



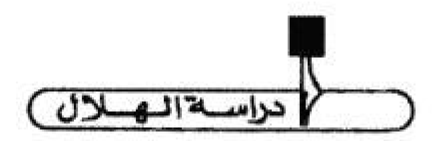
- حدود السياسة الامريكية فى الشرق الأوسط .
- دراسات مقارنة حول الايديولوجيا والتعليم .
- نحو فهم لطبيعة الشريعة الاسلامية .
- الصهيونية .
- النساء والحركات السياسية فى الشرق الأوسط .
- الاكراد .
- اسرائيل ، المجتمع والسياسة .
- السياسة فى مصر المعاصرة .
- دراسات أنثروبولوجية جغرافية عن الشرق الأوسط .
- النمو الحضرى فى العالم العربى .
- ليبيا المعاصرة .
- الثروة النفطية وتكوين الطبقة العاملة .
- موضوعات فى الفكر الشيعى الكلاسيكى .

... وهكذا

وقد دعى كاتب هذه السطور لحضور المؤتمر حيث قدمنا بحثا عن (نشأة المدرسة فى الاسلام)

ذلك أن المستقرىء لتاريخ التربية الاسلامية يلاحظ ان (المدرسة) كمؤسسة تعليمية لم تظهر الا فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، وذلك لوجود مؤسستين أخريين وهما (المسجد والكُتاب) والسبب الرئيسى فى ذلك هو أن الثقافة الاسلامية ظلت فى عهدها الأول تدور حول القرآن الكريم والسنة النبوية مما كان داعيا لظهور عدد غير قليل من العلوم والدراسات الدينية كعلوم التفسير والحديث والقراءات والفقه وأصوله وأسباب





النزول .. وما الى ذلك . وكان هذا أمرا طبيعيا ، فالدين الجديد كان بحاجة الى تفسير نصوصه واستخراج الأحكام منها ، وكان بحاجة الى وضع المعايير التى تضبط البحث فيه . وكانت جماهير الناس بحاجة الى العلم به وفهمه ، وكان هو بحاجة الى التسلح بعدد من الأدلة والبراهين المنطقية والعقلية التى يجابه بها المنكرين له .

ولاشك أن مثل هذه الدراسات كان يناسبها جيدا أن تتم داخل المسجد فضلا عن الكتاب لتعليم القراءة والكتابة أولا وحفظ القرآن وبعض المعلومات الأساسية بحيث لم يقتصر المسجد ـ كما هو معروف ـ على أن يكون مكانا لأداء شعائر الدين الاسلامى فحسب ، بل امتدت وظيفته لتشمل كذلك الوظيفة التربوية والمهام التعليمية وخاصة المساجد الكبرى مثل الأزهر والزيتونة والقيروان وقرطبة والمسجد الحرام والمسجد النبوى ، حتى لقد مثلت هذه المساجد دور الجامعات تمثيلا جيدا .

فلما اتسعت رقعة الدولة الاسلامية واحتك المسلمون بغيرهم من الشعوب الأخرى وخاصة أصحاب الحضارات القديمة مثل اليونانيين والرومان والمصريين والفرس والهنود ، ونظرا للتقدم والتطور الحادثين فى شئون الحياة والثقافة لدى العرب ، كان لابد أن تظهر علوم أخرى ودراسات متعددة خارج نطاق الدائرة الدينية ، مثل الطب والكيمياء والفيزياء والفلسفة والجغرافيا والرياضيات وغير ذلك من العلوم التى يسميها المؤرخون ب (العلوم الدنيوية) . وعلوم مثل هذه ليس مكان تعليمها وتعلمها هو المسجد أو الكتاب ، نظرا لطبيعتها التى تدعو الى استخدام الات وأجهزة وتجارب أو مناقشات عنيفة ، ومن هنا كان لابد من ظهور مؤسسة تربوية أخرى ، فكانت تلك المؤسسة هى (المدرسة) .

وكانت هناك عوامل أخرى ساعدت على ظهور المدرسة فى العالم الاسلامى نذكر منها على سبيل المثال :

ـ الصراعات المذهبية بين الشيعة والسنة ، فمن المعروف أن الدولة البويهية التى كانت بالعراق ، كانت دولة شيعية ، فأرادت أن تمكن للمذهب الشيعى فى نفوس الناس ، وتحقيق مثل هذا الهدف لايتم بقوة السلاح ولا بالقانون وفرضه ، وانما بالفهم والاقناع والدعوة والحوار والنقاش ، ولما كان المسجد « بيتا لله » يؤمه المسلمون بمختلف طوائفهم ، كان من الصعب أن تتحقق الدعوة للمذهب فيه وخاصة أن هذه الدعوة تقتضى نقدا لآراء أهل السنة وهم الجمهرة الكبرى من المسلمين ، فكان البويهيون من أوائل من أسسوا المدرسة لتساعدهم فى تحقيق هذا الغرض .

فلما قامت الدولة السلجوقية على أنقاض الدولة البويهية ، كان لابد من التسلح بنفس

السلاح لاقتلاع جذور المذهب الشيعي حيث أن الدولة الجديدة كانت دولة سنية ، وتم ذلك على يد وزير هذه الدولة المشهور (نظام الملك) الذى أنشأ أشهر مدرسة فى تاريخ التربية الاسلامية وهى (نظامية بغداد) حتى أن البعض ليرجع بتاريخ المدرسة الاسلامية اليها وحدها .

وكذلك عندما قامت دولة الأيوبيين السنية فى مصر على انقاض دولة الفاطميين الشيعية ، حرص صلاح الدين - ولأول مرة فى تاريخ مصر الاسلامية - على انشاء المدارس للتقليل من نفوذ الأزهر باعتباره - فى نشأته الأولى - مؤسسة الشيعة الأولى وصرف انتباه طلاب العلم الى غيره ، وقد تابعه فى ذلك من جاء بعده من الحكام .

- واذا كنا نلمس اشتداد المد المدرسى فى عصر سلاطين المماليك بالذات فإن ذلك يمكن تفسيره بأن هؤلاء السلاطين كانوا يشعرون فى قرارة أنفسهم بقدر من (الدونية) إزاء العرب حيث انهم « عبيد » اشتراهم أصحابهم من مختلف أنحاء العالم الاسلامى ، والعرب - على الرغم من حرص الاسلام على نفى هذا الاتجاه - ظل الميل والتفاخر بالانساب والأعراق اتجاها قويا لديهم ومن ثم فإن نشر المدارس والانفاق عليها بسخاء يثبت للمماليك فضلا دينيا هاما فقد كانوا بذلك ينشرون العلوم والدراسات الدينية ، وطلب العلم والسعى اليه بنص كلمات الرسول صلى الله عليه وسلم « فريضة على كل مسلم » .

وبالاضافة الى دراسة العوامل والظروف التى أدت الى ظهور المدرسة فى العالم الاسلامى ، فقد ناقشنا فى هذا البحث مختلف الروايات التى حاولت أن تثبت تاريخا معينا لهذه النشأة وأظهرنا بطلان تلك « الاشاعات التاريخية » التى راجت بين كتب تاريخ التربية فى ارجاع ظهور المدرسة الى جهود الوزير السلجوقى (نظام الملك) بانشائه (المدرسة النظامية) ببغداد مما يضيق المقام بذكر تفاصيله حاليا .

• • •

وفى رأيى أن من أهم البحوث التى قدمت ذلك البحث الذى قدمه (الباحث المصرى الألمعى) « بهجت قرنى » الذى يعمل بجامعة (مونتريال) بكندا عن اتفاقيات كامب ديفيد باعتبارها محصلة لمسيرة السياسة المصرية فى فترة السبعينيات نحو التنمية غير المعتمدة على الذات .

وقد بدأ الباحث بحثه بالاشارة الى ماحدث فى السادس والعشرين من فبراير ١٩٨٠ عندما استيقظ سكان الدقى على صرخات عدد من الطالبات العرب عندما شهدن - ولأول مرة فى تاريخ المنطقة العربية - علم اسرائيل يرتفع على السفارة الاسرائيلية بالقاهرة إيذانا بالوضع الجديد .

ثم سار البحث وفقا لاقسام ثلاثة :

القسم الأول ، حلل فيه الباحث بعض الأحداث والوقائع التى تمت خلال الثلاثة عشر يوما التى استغرقتها مباحثات كامب دايفيد بين الرؤساء الثلاثة كارتر وبيجين والسادات على الرغم من أن تقدير كارتر لهذه المباحثات أن تستغرق ثلاثة أيام ، مع الاستعداد للاستمرار لمدة أسبوع اذا كان هناك أمل فى اتمام الاتفاق . وكان حماس كارتر شديدا والحاحه واضحا ، ذلك أن موعد الدورة الثانية لانتخابات الرئاسة الامريكية كان قد اقترب ولابد من احراز « خبطة » دبلوماسية تخطف الأبصار وتعلى من شأنه فى السباق الانتخابى . وتم لكارتر ماأراد فى مارس ١٩٧٩ ، وان لم يمكنه الخمينى . بالاضافة الى ظروف أخرى ـ من الفوز بالرئاسة للمرة الثانية ! !

القسم الثانى . تحليل احصائى للاتفاقيات التى تمت بين كل من مصر والكتلتين الرئيسيتين (الكتلة الشرقية والكتلة الغربية) ، حيث أشارت الاحصاءات الى تزايد الاتفاقيات مع الكتلة الغربية وعلى العكس من ذلك انخفاضها الملحوظ مع الكتلة الشرقية فى الفترة من ١٩٧١ ـ ١٩٨١ ، وذلك كما يتضح لنا من الجدول التالى من خلال أربع فئات من الاتفاقيات :

نوع الاتفاقية / المنطقة	دبلوماسية	عسكرية	ثقافية	اقتصادية	الجملة
الولايات المتحدة وجمهرة البلدان الغربية	٤	٢٣	٢	٤٠	٦٩
الاتحاد السوفيتى وجمهرة البلدان الاشتراكية	-	٣	-	٧	١٠
الجملة بالنسبة لكل نوع	٤	٢٦	٢	٤٧	٧٩

وبالنسبة للزيارات المتبادلة نجد انه بينما تمت بين مصر ودول الكتلة الشرقية (١٠) زيارات ، وصلت الى (٤٣) بالنسبة للغرب اما الزيارات التى جاءت الى مصر ، فقد بلغت من الشرق (١١) زيارة ، اما من الغرب فقد بلغت (٣٦) .
وبالنسبة للواردات فى الفترة من ١٩٧٨/٧٤ ، فقد سارت على النحو الذى يبينه الجدول التالى (بالمليون من الدولارات الامريكية):

السنة	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨
الدولة					
الاتحاد السوفيتى	٢٠٩	٢٣٢	١٩١٫٣	٢٧٠٫٨	٢٧٩٫٩
الولايات المتحدة	٢٨٩	٥٨١	٦٢٤٫٢	٦٨٨٫١	١٫٢٤٧٫٦

اما القسم الثالث ، فقد حاول الباحث من خلاله أن يجيب على تساؤل رئيسى : وهو لماذا اتجهت السياسة الخارجية المصرية هذا الاتجاه ؟ وهو من أجل هذا كان لابد أن يغوص فى حركة دول العالم الثالث وسط النظام العالمى الذى تسيطر عليه وتحكمه قوى لا حيلة لهذه الدول ازاءها وذلك بحكم المناخ العام الذى يسود كل دولة منها بكل ما فيه من متغيرات تميل فى الأغلب الى اعتقاله فى سجن التبعية .

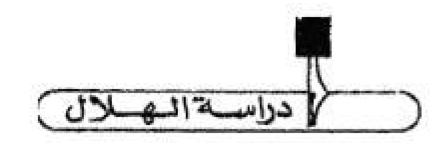
هذا فضلا عما هو ملاحظ دائما فى مثل هذه الدول من حصر سلطة اتخاذ القرار فى يد (فرد) بعينه مع ما يتيحه هذا من فرص للبعض للاحاطة به وحجب الحقائق الهامة عنه ودفع الى اتخاذ ما يأملونه هم من قرارات تكون غالبا مضادة للمصالح الشعبية العامة . وتعقد قوى الاستعمار جسور اتصال دائم مع هذه المتغيرات بحيث لاتوجه السياسة الخارجية الا لما يخدم مصالحها هى !!

••••

ومن البحوث الأخرى التى قدمت بحث يتعلق بموقف الجامعة المصرية من حركات التجديد التى كان يدعو اليها بعض اساتذتها وحاول الباحث أن يدلل على أن الجامعة فى الوقت الذى يجب فيه أن تمثل قناة اتصال لبث الأفكار الجديدة والنظريات المستحدثة وهو ما كان يتم فعلاً فى بعض المجالات ، الا أنها ـ فى مجالات أخرى ـ وقفت ضد عدد من ابنائها ومثل الباحث لذلك بموقف الجامعة من طه حسين فى كتابه الشعر الجاهلى ١٩٢٦ . والحق أن الباحث قد جانبه الصواب فى ذلك (المثال) فالحرب التى لقيها طه حسين كانت من خارج الجامعة ، بينما آزر الطلاب أستاذهم ، وقدم مدير الجامعة أحمد لطفى السيد استقالته عندما نقل طه حسين الى وزارة المعارف فى حكومة اسماعيل صدقى .

وكذلك أشار الى موقف الجامعة من منصور فهمى وما حدث أيضا بالنسبة لرسالة الدكتور محمد خلف الله عن الفن القصصى فى القرآن وما أثارته من زوبعة شغلت الرأى العام الجامعى فترة من الوقت .

وتناول موقف رجال ثورة يوليو منها وكيف بذلوا جهداً كبيرا فى "تسييسها" حتى تلين قناتها من حيث المواقف النقدية وذلك بالترغيب والترهيب . .



والترغيب بتعيين بعض الاساتذة كوزراء وتولي مناصب أخرى كبيرة ، والترهيب بفصل المناوئين والمعارضين باسم التطهير .

●●●●

كذلك تناول باحث آخر الجهود البحثية في منطقة الشرق الأوسط وكان التركيز - كالعادة - على مصر ، وهذا شيء لفت نظرى كثيرا ، فالبحث قد يكون موضوعه هو الشرق الأوسط عموما ، ومع ذلك فقضايا مصر وهمومها واتجاهاتها هى التى تستأثر بالاهتمام . وقد نوه هذا الباحث بالكثرة الملحوظة لمؤسسات البحث العلمي وايضا بهذا الكم الكبير من الطلب على الكليات العلمية حتى أضحى عدد الافراد العلميين كبيرا بالنسبة الى السكان .

لكن النقد الأساسى الذى وجهه هو أن النشاط العلمي لم يلتحم بحياة الناس وافكارهم وقيمهم ، فالكثيرون هم مجرد حملة "شهادات" فى الكيمياء والصيدلة والهندسة والزراعة وما الى ذلك ، لكن افكارهم واتجاهاتهم تتوجه بقيم لا تفترق كثيرا عن هؤلاء الذين لم يتخصصوا فى مثل هذه التخصصات العلمية العملية ، فكان العلميين يحصرون عمليات التفكير العلمي داخل المؤسسات التعليمية او تلك التى يعملون بها ، فإذا ما خرجوا الى المجتمع لممارسة حياتهم فلا بأس من استخدام أساليب التفكير الخرافى والاعتقاد فى بعض الخزعبلات بل واللجوء الى قارىء الكف وكاتب الاحجبة والاعتماد على "البخت" وأن "قيراط من الحظ خير من فدان من الشطارة"!!

واستاثرت الحركات الاسلامية باهتمام كبير من عدد من الباحثين الذين لاحظوا مدا اسلاميا واضحا لافى البلاد الاسلامية وحدها ، بل داخل البلدان الغربية نفسها سواء فى أوربا أو الولايات المتحدة وتسجيل أن هناك سمات أساسية تميز معظم هذه الحركات ، أولها الحاحها على « الحل الاسلامى » الذى يتمثل فى ضرورة العودة الى (الأصول) ، والأصول يعنى بها هنا التمسك بكتاب الله وسنة رسوله والسلف الصالح . وعلى الرغم من الاتفاق على هذا ، الا أنه يبقى بعد ذلك مالايقل أهمية ، وهو « تفسير النصوص القرآنية ، والنبوية ، ومن هم الذين يمثلون السلف الصالح ؟ » .

السمة الثانية فى هذه الحركات هى توسلها بالعنف أحيانا وبالسرية أحيانا أخرى وأن ذلك مرجعه الى أن هذه الحركات تضرب دائما سواء من داخل بلادها أو من خارجها ، بل ان ما تتلقاه من ضربات من داخل بلادها اكثر وأشد ضراوة مما تلاقيه من القوى الخارجية .

السمة الثالثة هى العداء الشديد للقوتين الأعظم سواء الولايات المتحدة الأمريكية أم الاتحاد السوفييتى .

● ● ●

كذلك حظيت الانتخابات المصرية بدراسات غير قليلة رغم قصر الفترة التى تفصل بين هذه الانتخابات وبين انعقاد المؤتمر ، تراوحت هذه الدراسات بين المقارنة بينها وبين سابقتها عام ٧٦ ، ٧٩ وما قبل ذلك أو بين المقارنة بينها وبين الانتخابات فى بعض بلدان الشرق الأوسط الأخرى وخاصة اسرائيل وتركيا .

وقد أشار البعض الى أن تلك الانتخابات ـ مقارنة بما سبق ـ هى أكثر حيدة ، وان أشار بعض آخر الى أساليب التأثير الواضحة التى لجأت اليها بعض الأجهزة الاعلامية كتكثيف عرض الأفلام التى تتعرض لفترة ما قبل الثورة ، هذا فضلا عن عدم تعود رجال الادارة المحلية فى الاقاليم على الحياد الحقيقى حتى ولو لم تطلب منهم الدولة التدخل . كذلك سجل البعض خلو البرلمان من (قوى اليسار) ، وأن ظلت قنواتها عبر الصحف والمجلات الخاصة بها .

وقد لفت آخر الانظار الى « التركيب الاجتماعى » لكل حزب من الأحزاب المصرية القائمة مسجلا أن اغلبيتها لاتظلل القوى العاملة من الفلاحين والعمال ، حتى بالنسبة لحزب التجمع ، فقد أشير الى أنه « تجمع مثقفين » أكثر منه تجمع « بروليتاريا » حقيقية كما توحى بذلك برامجه وفلسفته .

كذلك أشار باحث الى أنه إذا كان حزب الوفد قديما قد ضم قوى الراسمالية الزراعية والتجارية ، وطعم صفوفه بعدد غير قليل من الكتاب اليساريين ، الا أنه فى وضعه الجديد قد افتقد ذلك بحيث يكاد المعيار الأساسى للالتفاف حوله هو مقدار الضرر الذى أصيب به العضو من ثورة يوليه أو مايحمله نحوها من كراهية .

لقد كان حقا (مجمع) مؤتمرات لامؤتمرا واحدا ، ومع الأسف الشديد لاتعنى الجمعية المنظمة له بطبع البحوث المقدمة فى كتاب وانما فقط للقارىء أن يرسل فى طلب بحث معين يهمه أو أكثر نظير رسم تحدده ، فترسله اليه .

وكم كنت أود أن يتسع المقام للاشارة الى موضوعات أخرى عديدة حفلت بها حلقات المناقشة ، ولكن ذلك صعب عسير ، فهى كما قلت تربو على الاربعمائة بحث ، وبحكم الفترة القصيرة التى تخللها المؤتمر لم تتح لى فرصة حضور بحوث أخرى الا مايزيد على أصابع اليدين قليلا .

حياة الأسرة .. مشاركة

تُبْس

العازل الطبي .. نسبة ضمانه فعالة ١٠٠٪

قضية تنظيم الأسرة أصبحت تحتل مساحة كبيرة من تفكير الأمم والشعوب نظراً لما تمثله في التخطيط من أهمية ...وهي لاتشغل تفكير الدول النامية وحدها ، وانما تمثل جانبا هاما من تفكيز الدول الكبرى والمتقدمة ، وقد يكون ذلك بشكل آخر ، ولكنها هي الاخرى تهتم بالزيادة السكانية .

ونحن في مصر ، عندما وجهنا اهتمامنا الى تنظيم الأسرة ، كانت تؤرقنا مشكلة الزيادة السكانية الرهيبة التي تبتلع كل عوائد التنمية ، بل وتهدد المستقبل بشكل خطير ، وكان البحث عن الوسيلة المناسبة ، والتي تتفق مع قيمة وتقاليد المجتمع ولاتمنع الحمل نهائيا يحتل جانبا كبيرا من تفكيرنا .. ثم كان البحث عن وسيلة مناسبة للرجل .. ومن هنا كان الواقي الذكري هو الوسيلة المأمونة العواقب والتي تصلح لهذا الغرض ، علاوة على مانوفره من وقاية من الامراض .

وفي موضوعاتنا السابقة .. عرضنا للظروف الاقتصادية التي تستدعى تنظيم الاسرة والسيطرة على زيادة السكان بقصد تحقيق الرخاء .. وهناك ظروف اخرى اجتماعية تستدعى هي الاخرى بما لايرهق الأم والأب معا .. منها مشكلة الاسكان وحاجة الطفل الى التعليم والرعاية الطبية ..

واذا كنا قد قلنا ان الحاجة الى صنع الرخاء تستدعى منع الحمل وتنظيم الأسرة .. فان ذلك يجرنا بالضرورة الى اهمية مشاركة الرجل في تنظيم الأسرة ، لأنها مشاركة ايجابية وذلك باستعمال موانع الحمل .. وكان البحث عن الوسيلة الفعالة وسهولة الحصول

عليها هو المدخل الى تلك المشاركة .

والشيء الذى لاشك فيه أن العازل الطبى « تبس » بعد أن تطورت صناعته بشكل كبير وضمنت له المرونة والمتانة ونعومة الملمس وانخفاض درجة كثافة سمكه الى أقصى حد ممكن ، اصبح يحقق الأمان ايضا لتصل نسبته الى ١٠٠٪ تقريبا ، اذا ما استخدم بطريقة صحيحة وبصفة منتظمة .

وقد اثبتت الدراسات أن المداومة على استعمال العازل الطبى « تبس » تحقق نسبة اعلى من الضمان اذا ماعقدت مقارنة بين الذين يستخدمونه بصفة منتظمة وبين الذين لا يداومون على استخدامه

كما اثبتت البحوث الطبية والاكاديمية التى قامت بها المراكز الدولية ، فى هذا المجال تفوق العازل الطبى .. ففى البحث القومى للنمو السكانى الذى اجرى فى الولايات المتحدة ان مستخدمى العازل الطبى « تبس » بانتظام وبالطريقة السليمة يكادون لا يتعرضون لحالات حمل غير مرغوب فيها .

كما اثبت هذا البحث ايضا ان هناك العديد من العوامل والمتغيرات التى تساعد على تاكيد فعالية استخدام العازل الطبى .. ولعل اهم تلك العوامل هى الرغبة فى استخدام العازل ، فاذا كان الهدف من وراء الاستخدام هو منع الحمل وكان الاستخدام صحيحا فأن نسبة النجاح فى تلك الحالة تكون مرتفعة ومؤكدة .

أما اذا كان الهدف هو تاجيل الحمل فقط ، فالوضع فى هذه الحالة يختلف ، حيث تزيد نسبة احتمال الحمل العرضى قليلا .. وكلما تقدم سن الزوجين وطالت فترة الزوراج زادت نسبة الضمان عند استعمال العازل الطبى .

وقد اكدت البحوث التى قامت بها جامعة اكسفورد عن طريق اتحاد الأسرة التابع للجامعة ان السيدات اللاتى يزيد عمرهن على ٣٥ عاما واللاتى يواظبن ازواجهن على استعمال العازل الطبى بصفة منتظمة لاكثر من اربع سنوات لاتزيد بينهن نسبة الحمل العرضى او غير المرغوب فيه على ٧ر٪ أى اقل من ١٪ . وقد قامت الجامعة بمقارنة هذه النتائج مع نتائج مجموعة أخرى تتراوح اعمارهن بين ٢٥ ، ٣٤ سنة ويستعمل ازواجهن العازل الطبى كوسيلة لمنع الحمل لمدة اربع سنوات متصلة فكانت نسبة حدوث الحمل لديهن ٦ر٣٪ ويعنى ذلك نجاح العازل الطبى « تبس » فى تحقيق الهدف بنسبة عالية ومؤكدة تصل الى حوالى ١٠٠٪ ومن أجل هذا وحتى لاتتحمل المرأة وحدها عبء تنظيم الأسرة فاننا ندعوك للمشاركة فى حملة تنظيم الأسرة وقد وفرت لك جمعية أسرة المستقبل هذه الجمعية التى شاركت الدولة جهودها البناءه فى هذا مجال ، وفرت لك العازل الطبى فى الصيدليات ومراكز تنظيم النسل المنتشرة ودعمته حتى لا يشكل عبئا على ميزانية الأسرة وذلك من اجل الاسهام فى صنع الغد المشرق لك ولأسرتك وللدولة التى هى جماع مواطنيها .

إلى لقاء آخر مع اسرة المستقبل

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ، ١٢ عددا ، فى جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة أعلاه عند الطلب .

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة تليفون ٢٠٦١٠ عشرة خطوط .

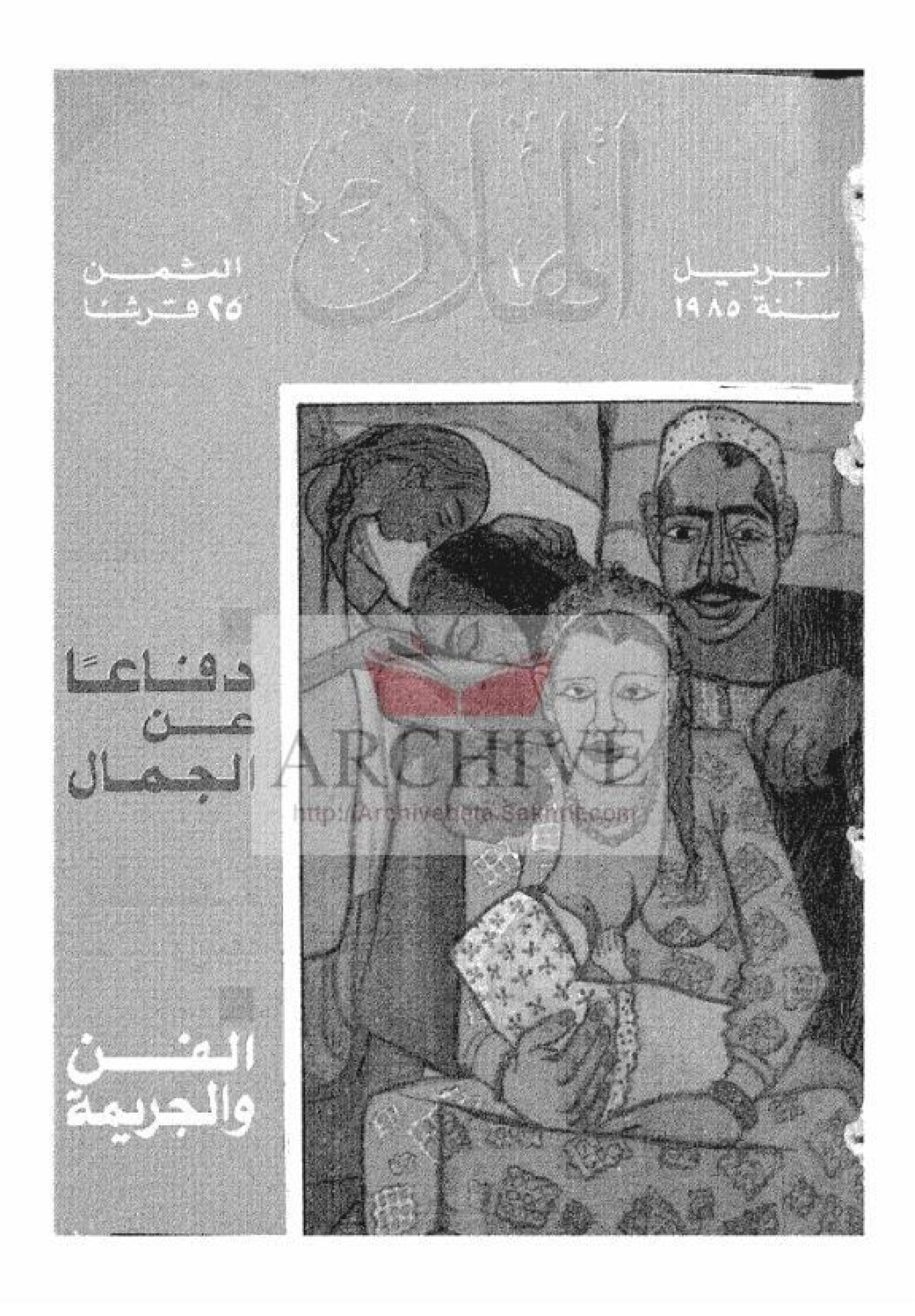


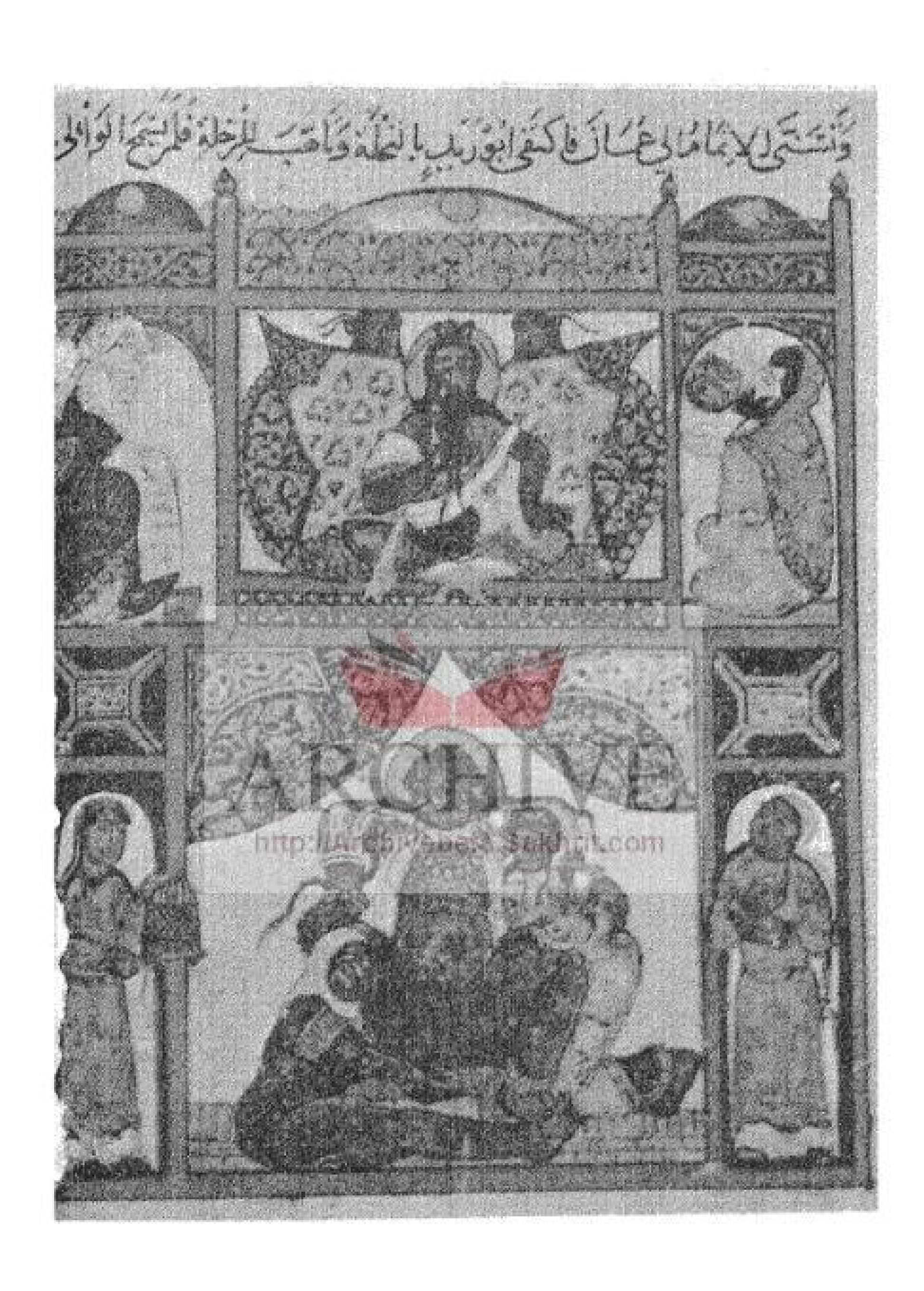
الأسعار

سوريا	٣٥٠	ق . س	غزة والضفة	٣٠	سنتا
لبنان	٤٠٠	ق . ل	الصومال	٥٠	بنى
الاردن	٤٠٠	فلس	داكار	٤٠٠	فرنك
الكويت	٤٥٠	فلسا	لاجوس	٦٠	بنى
العراق	١١٠٠	فلس	اسمرة	٤٥٠	سنتا
السعودية	٥	ريالات	اليمن الشمالية	٥	ريالات
السودان	٧٥٠	مليما	اديس ابابا	٤٥٠	سنتا
تونس	٦٥٠	مليما	باريس	١٠	فرنكات
المغرب	٨٠٠	فرنك	لندن	١٠٠	بنس
الجزائر	٦٥٠	سنتا	ايطاليا	١٤٠٠	ليرة
الخليج	٤٥٠	فلسا	سويسرا	٣,٥	فرنكات

اثينا	٨٠	دراخما
فيينا	٣٥	شلنا
فرانكفورت	٣,٥	مارك
كوبنهاجن	١٠	كرونات
استوكهولم	١٤	كرونة
كندا	٢٥٠	سنتا
البرازيل	٣٥٠	سنتا
نيويورك	٣٠٠	سنت
لوس انجلوس	٣٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت
هولندا	٤	فلورين
عدن	٢٥٠	فلسا


مصر للطيران
علم مصر فى كل مكان
أكثر من
٥٠
سنة خبرة
مصر للطيران
فى خدمتكم
أوربا - أفريقيا - آسيا
(البوينج ٧٦٧ - البوينج ٧٣٧ - البوينج ٧٠٧
الايرباص - الجامبو ٧٤٧)

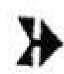

الهلال
أبريل
سنة ١٩٨٥
الثمن
٢٥ قرشًا
دفاعًا
عن
الجمال
الفن
والجريمة


وانثنيت لإتمام مالي عمان فاكتفى ابو زيد بالنحلة وتأهب للرحلة فلم يسمح الوالي

من روائع الفن الإسلامى

هكذا كان العرب يزينون كتبهم .

صفحة من المقامة التاسعة والثلاثين رسمها الواسطى فى مخطوط مقامات الحريرى ، التى كتبها الحريرى على غرار بديع الزمان ، وصور فيها شخصيتين رئيسيتين هما الحارث بن همام (الراوية) وابو زيد السروجى (المحتال بجمال منطقه) توجد نسخة من المقامات فى المكتبة الوطنية بباريس والتى كتبت فى بغداد عام ٦٣٤ هـ ١٢٣٧ م .





السنة الثالثة والتسعون

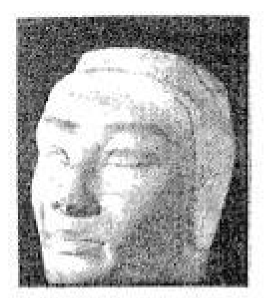
مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال .. اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢
اول ابريل سنة ١٩٨٥ ـ ١١ رجب ١٤٠٥

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

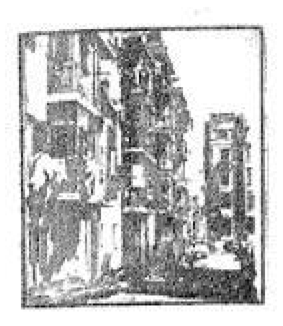
رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المدير الفنى
عادل ثابت

سكرتير التحرير
موسى عبيد



الفن الفرعونى والقيمة التشكيلية صفحة « ٨٨ »



الجمال والقبح فى الشارع المصرى صفحة « ٦٩ »

فى هذا العدد

● فكر وثقافة ●

● جزء خاص عن الفن التشكيلى ●



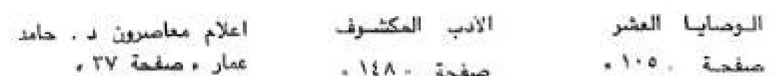
الوصايا العشر صفحة ١٠٥.



الادب المكشوف صفحة ١٤٨.



اعلام معاصرون د. حامد عمار، صفحة ٣٧،



● الابواب الثابتة ●



مرت الذكرى الحادية والعشرون لرحيل الكاتب والشاعر والمفكر الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد ـ رحمه الله ـ هادئة .. شبه صامتة ، إلا من همسات ولفتات هنا وهناك فى الصحافة .وأجهزة الاعلام وأندية الأدب ، وإلا من بعض الأزهار على مثواه فوق تلك الربوة من « أسوان » .. مدينته التى يرقد فى ثراها منذ رحيله فى شتاء سنة ١٩٦٤ .

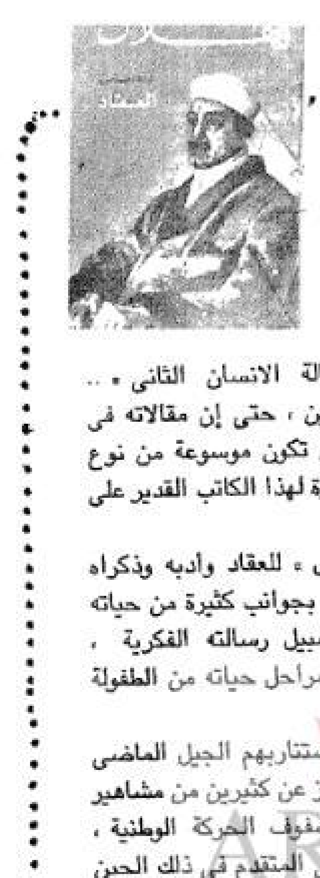
عاش العقاد قرابة خمسة وسبعين عاما بين مولده فى ٢٨ يونيو ١٨٨٩ ووفاته فى ١٢ مارس سنة ١٩٦٤ ، فملأ الدنيا وشغل الناس ـ كما قيل عن المتنبى فى سالف الزمان ـ وتواصلت كتابته أكثر من ستين عاما فى الأدب والسياسة والتاريخ والدين والفلسفة والقصة والفن والشعر ، وفى كل معقول ومنقول من المعارف الانسانية ..

ولبث طوال حياته رمزا للمثقف والمفكر العربى العالمى الثقافة والتفكير ، الموسوعى العلم ، والمطلع أولاً فأولاً على كل جديد يضاف إلى الثقافة العالمية ، فضلا عن الثقافة العربية التى كان على رأس العاملين فى سبيل تجديدها وإثرائها ونفض الغبار عن تراثها وربط الأصالة فيها بالمعاصرة ، والدفاع عنها ضد خصومها ، وبيان الحقائق الخافية حولها ..

ويذكر « الهلال » فى هذه المناسبة أن صلته بالعقاد بدأت منذ ثمانين عاما عندما التقى العقاد فى صباه الباكر ، بجورجى زيدان منشىء الهلال فى داره الأولى الصغيرة بشارع الفجالة فى القاهرة .

منذ ذلك العهد البعيد توثقت الصلة بين العقاد والهلال ، مع أنه لم يبدأ حياته الأدبية فى الهلال ، بل فى جريدة الدستور التى كان يصدرها المرحوم محمد فريد وجدى ، كما هو معروف فى تاريخ العقاد ..

وقد طبع العقاد أول ما طبع من كتبه سنة ١٩١٢ فى مطبعة الهلال



وهو كتاب « خلاصة اليومية » ثم « رسالة الانسان الثانى » .. واستمرت صلة العقاد بالهلال منذ ذلك الحين ، حتى إن مقالاته فى « الهلال » وفى مجلات دار الهلال تشبه أن تكون موسوعة من نوع خاص ، تتمثل فيها اتجاهات واهتمامات متميزة لهذا الكاتب القدير على الكتابة فى جميع المجالات ..

وفى إبريل سنة ١٩٦٧ خصص « الهلال » للعقاد وأدبه وذكراه عددا خاصا حافلا ، أحاط فيه الأدباء والنقاد بجوانب كثيرة من حياته وأدبه وفكره ونضاله المجيد الشاق فى سبيل رسالته الفكرية ، وتضمن العدد مجموعة نادرة من صوره فى مراحل حياته من الطفولة إلى الكهولة ..

لقد كان العقاد فى طليعة الكتاب الذين استثاربهم الجيل الماضى من القراء فى مصر والبلاد العربية ، وهو يمتاز عن كثيرين من مشاهير الكتاب فى عصره بأنه ناضل طويلا فى صفوف الحركة الوطنية ، وحاول أن يصل بين القراء وبين الفكر الأوربى المتقدم فى ذلك الحين بقدر ما اتسع له ذراعه ، فخدم بذلك جمهورا واسعا من طلاب المعرفة أكثر مما خدمتهم الكتب الدراسية الرسمية ، وكانت تتمثل فيه « القوة التى هى اكبر من قيود البحث ومراسم الدراسة » .. على حد تعبيره فى مقالة له عن جورجى زيدان منشىء الهلال ..

وفى العقدين الأخيرين من حياته وقف العقاد جهوده على التأليف فى تاريخ العروبة والاسلام ، والدفاع عن اللغة العربية وعلومها وآدابها ، فوجدت كتاباته فى هذا المجال أصداء واسعة فى العالمين العربى والاسلامى ..

تحية للعقاد فى ذكراه المتجددة فى كل عام ، يؤديها إليه العارفون بفضله الذى يكثر العارفون به من عام إلى عام ..

المحرر



بقلم : عبد الرشيد الصادق

● ولكن ما هذا الأدب الذى ندور حوله منذ بدأنا القول دون أن نحاول التعمق فيه "

طه حسين فى الأدب الجاهلى ●



● كأن يطيب لطه حسين أن يتحدث عن الادب . فإذا تناوله بالحديث شعر القارىء على الفور أن الموضوع يمس أوتار عميقة فى نفس المتحدث ولكى نتبين قيمة الأدب فى فكره لابد من أن نشير الى موقعه من المحيط العلمى الذى نشأ فيه ، والى مساره التعليمى ، ذلك أن « طه حسين » لا يعرض نظريته فى الادب (تعريفه لما هو الادب وتحديده للمنهج الذى ينبغى أن يتبع فى دراسته) إلا بأن يروى كيف تعلم الادب . يصدق هذا على « الايام » وهو سيرة ذاتية ، كما يصدق على كتابين لعلهما أقرب ماكتب « طه حسين » الى الطابع الاكاديمى وهما رسالته التى حصل بها على الدكتوراة فى الجامعة المصرية عن " أبى العلاء " والتى نشرت بعنوان " تجديد ذكرى أبى العلاء " وكتاب " فى الأدب الجاهلى " الذى هو فى الاصل

مجموعة من المحاضرات التى القاها " طه حسين " على طلابه فى الجامعة .

مرحلتان ومنهجان

ومن هذه الكتب الثلاثة يتبين ان هناك مرحلتين اساسيتين فى الشوط الذى قطعه " طه " فى تعليم الأدب . كانت المرحلة الأولى هى اكتشافه درس الأدب حدث ذلك بعد اربع سنوات قضاها فى الأزهر ، وانتهت به إلى الضيق بالأزهر وبالأزهريين والعلوم الأزهرية ، إلى ان بدا يتردد على دروس الأدب التى كان يلقيها الشيخ " سيد بن على المرصفى " فعندئذ فتحت له ابواب الأمل . وكان درس الأدب حينذاك من بين دروس العلوم الحديثة التى ادخلها الشيخ " محمد عبده " إبان إمامته للأزهر كمواد إضافية . لكن الدرس الاضافى سرعان ما استحوذ على اهتمام " الفتى " وصرفه عن العلوم الأساسية واصبح فيما بعد محور حياته باسرها .

وكانت المرحلة الثانية عندما التحق " طه " بالجامعة المصرية فى بداية عهدها وانتسب الى قسم الأدب فيها ، واخذ يستمع إلى دروس الاساتذة المستشرقين الذين دعتهم الجامعة ، وبدا يدرك أن دراسة الأدب لا تكتمل إلا بالالمام بطائفة من العلوم ـ غير علوم اللغة ـ كالفلسفة والدين والجغرافيا وعلم النفس والاجتماع .

مرحلتان اساسيتان شكلتا تفكير طه حسين فى مجال الأدب تشكيلا يكاد يكون نهائيا . وان كانتا مبكرتين نسبيا . فقد مر بهما قبل ان يسافر إلى فرنسا . واستخلص نتائجهما وتمثلها فى رسالته عن ابى العلاء . وكان تمثل نتائج هاتين المرحلتين يعنى عمليا الجمع فى دراسة الأدب بين منهج " المرصفى " او المنهج اللغوى ، والمنهج الذى تعلمه " طه حسين " فى الجامعة عندما درس تاريخ الآداب . ولنسمه باختصار المنهج التاريخى . ولقد ظل " طه حسين " طيلة حياته يعتقد ان دراسة الأدب دراسة وافية لابد ان تقوم على هذين المنهجين .

فإذا اردنا أن نعرف ما هى اهمية الأدب بالنسبة لطه حسين . كان لابد ان نحدد دور كل من المنهجين فى المرحلة التعليمية التى درس فيها . وفى تكوين مذهب " طه حسين " النهائى فى دراسة الأدب . فقد فهمهما " طه حسين " والف بينهما كخطوتين لازمتين فى برنامج متكامل لتحقيق الحرية . حرية العقل وحرية الأدب ، او لتحقيق الثورة الفكرية ، والاصلاح التعليمى والحرية بهذا المعنى هى إحدى القيم التى تفسر أهمية الأدب .

المنهج اللغوى

كان " الشيخ المرصفى " يشرح لطلابه ديوان " الحماسة " لأبى تمام ، ويتناول شرح " الخطيب التبريزى " عليه . فماذا يمكن لنص ادبى أن يفعله فى حياة إنسان ؟ أو لنقل مادمنا قد قررنا أن ننصرف عن الجانب الشخصى من الموضوع : ما هى القوى الفكرية الكامنة فى نص كديوان الحماسة ؟ والجواب على

الأدب والحرية

ذلك (من وجهة نظر طه حسين) هو أن دراسة النصوص الأدبية كما كان يجريها " المرصفى " تقترن بالحرية أو تنطوى على تحرير العقل . فلننظر إذن فى أمر هذه الحرية .

كان " الشيخ المرصفى " فى رأى " طه حسين " رجلا حرا ، لأنه كان أديبا . ... لم يكن الشيخ أستاذا فحسب ، ولكنه كان أديبا أيضا . ومعنى ذلك أنه كان يصطنع وقار العلماء إذا لقى الناس أو جلس للتعليم فى الأزهر ، فإذا خلا إلى أصدقائه وخاصتهم عاش معهم عيشة الأديب ، فتحدث فى حرية مطلقة عن كل إنسان وعن كل موضوع ، وروى لخاصته من شعر القدماء ونثرهم وسيرتهم ما يثبت أنهم كانوا أحرارا مثله ، يقولون فى كل شىء وفى كل إنسان لا متنطعين ولا متحفظين كما كان يقول . فمن علامات الأديب إذن أنه يتحدث بحرية عن كل إنسان وعن كل موضوع . هكذا كان " القدماء " فى رأى " المرصفى " ورأى " طه حسين " ولاشك أن هذا الأخير كان يعتقد أن " الجاحظ " مثل واضح على تلك الحرية بين القدماء . وإنا لنجد نفس البعد عن الوقار ونفس البوهيمية الفكرية فى شخصية الأديب كما رسمها طه حسين فى " أديب " . فهل الحرية المعنية مرادفة للجرأة والشجاعة فى الحق ؟ لابد أن " طه حسين " كان يعنى شيئا من ذلك ، فهو يصف حديث الأدب نقلا عن شيخه بأنه كلام يقال فى غير تحفظ ولا تنطع . لكن هذا الجانب الاخلاقى لا يمس من الموضوع إلا سطحه ، وينبغى أن تركز بدلا من ذلك على اتساع نطاق الموضوعات التى يتناولها حديث الأدب . فهو حديث يتناول كل شىء وكل إنسان . ولابد للأديب كما قال طه حسين أن يكون صاحب " ثقافة عامة متينة " أو أن " يأخذ من كل شىء بطرف " كما رأى بالاستناد إلى المبرد فى " الكامل " .

قد يبدو إذن لأول وهلة أن حرية الاديب التى اتصف بها " الشيخ المرصفى " كانت لا تتجلى إلا وقد تخلص من أعباء التدريس وما يقترن به من وقار العلماء وخلا إلى أصدقائه ، لكن الحقيقة هى أن الشيخ لم يكن يمارس حريته بالمعنى الدقيق - بالمعنى المناسب لدراسة الأدب كما يتصورها طه حسين - إلا فى مجال التعليم المنظم . ففى هذا الاطار كان درس الأدب يحقق غاياته القصوى ، وتتجلى رحابة آفاقه باعتباره ثورة على قيود التعليم الأزهرى .

فقد كانت النصوص التعليمية فى الأزهر قد ألفت فى عصور انطفأت فيها جذوة الابداع وكانت تستهدف جمع المعلومات الموروثة فى صورة مركزة منظومة حتى يسهل حفظها عن ظهر قلب . وكان التعليق على هذه النصوص - على الأقل كما صوره " طه حسين " - يغرق فى التفاصيل والتكرار والحذلقة والوقوف عند القشور . فإذا نظرنا إلى " الشيخ المرصفى " وهو يقدم درسه ويمارس حريته فى هذا السياق ، بدا لنا أن هذه الحرية بما تنطوى عليه من اتساع نطاق الحديث يشمل كل موضوع وكل إنسان تعنى عملها تجاوز حدود التعليم الأزهرى

والعودة إلى النصوص القديمة بالفعل - النصوص الأصلية التى نُسيت أو أهملت أو حُرّمت رغم أنها تنطوى على مصادر الابداع الحقيقى والمعرفة الحقة - ورياضة العقل على مواجهة هذه النصوص بالذوق والنقد، وعلى اتخاذها أساسا ومعيارا لنقد ما جاء بعدها .

فى الجزء الثانى من " الأيام " فقرة من النثر البديع يصف فيها " طه حسين " منهج شيخه " المرصفى " فى تدريس الأدب، وما يترتب على هذا المنهج من حرية :

" ... ما أعرف شيئا يدفع النفوس، ولا سيما النفوس الناشئة، إلى الحرية والاسراف فيها احيانا كالأدب وكالأدب الذى يدرس على نحو ما كان الشيخ المرصفى يدرسه لتلاميذه حين كان يفسر لهم الحماسة، أو يفسر لهم الكامل بعد ذلك . نقد حر للشعر اولا، وللراوى ثانيا، وللشـرح بعد ذلـك، وللغويين على اختلافهم بعد أولئك وهؤلاء . ثم امتحان للذوق ورياضة له على تعرف باطن الجمال فى الشعر أو النثر، فى المعنى جملة وتفصيلا، وفى الوزن والقافية، وفى مكان الكلمة بين أخواتها، ثم اختيار للذوق الحديث فى هذه البيئة التى كان يلقى فيها الدرس .

ويضيف " طه حسين " فى تجديد ذكرى أبى العلاء أن الشيخ كان يتجه فى مجال اللغة والنقد وجهة تؤثر البدوى الجزل على الحضرى السهل، وتفضل الشعراء المطبوعين على أصحاب الصنعة والتكلف والمولعين بالبديع . وكان يمقت إذن شعراء مثل " مسلم بن الوليد " و أبى العلاء المعرى " فهم " قوم تكلفو البديع، وأخضعوا المعنى للفظ، وتعمقو فى درس مذاهب الفلاسفة، ولم يخل كلامهم من يونانية تباعد بينهم وبين مذاهب العرب الباديين .

كان الشيخ إذن محافظا فى ذوقه وفى تصوره للجمال الأدبى . لكن لنحسن فهم هذه النزعة المحافظة، إذ " ليس كل محافظة على القدم تقليدا، ولا كل إضافة إلى القديم تجديدا " كما يقول " طه حسين " كان رجوع الشيخ إلى القديم أقرب فى الواقع إلى الكلاسيكية منه إلى السلفية، كان رجوعا إلى مصادر الحيوية والابداع، وحربا باسم الحيوية والابداع على مظاهر الانحراف والجمود والتقليد . ومن ثم كان برنامجه النقدى ينتهى إلى نقد الذوق الازهرى والثورة عليه . ولئن كان هذا النهج فى الدراسة يدفع النفوس - لا سيما النفوس الناشئة - إلى الحرية، فإن ذلك راجع أساسا الى أنه كان يوقظ الطالب إلى مصادر الابداع فى العصر الذهبى، ويدفعه إلى نقدها وتذوقها واتخذها سلاحا ومعيارا لنقد ما جاء بعدها حتى عصره الذى يعيش فيه .

المنهج التاريخى

لقد تمثل « طـه حسين » درس استاذه، واتخذ من مذهبه فى النقد اللغوى ركنا أساسيا فى دراسة الأدب . وظل إلى هذا الحد وفيا له طيلة حياته . ومن أوضح مظاهر هذا الوفاء ان « طه » حرص دائما على أن يواجه النص موضوع الدراسة مواجهة « حرة » لايحتكم فيها إلا الى الذوق المباشر، وانه عنى دائما بدراسه الخصائص الأسلوبية للنص إلا انه

الأدب والحرية

خرج على مذهب أستاذه وتجاوز نطاق اهتماماته - بسرعة وعلى نحو سافر. فقد اختار «أبو العلاء» موضوعا لرسالته التي حصل بها على الدكتوراه من الجامعة المصرية. ولم يكن كأستاذه قادرا على التمسك بمذهب واحد في الأسلوب أو بتعريف واحد للجمال الفني. بل كان قادرا على أن يجمع في نطاق اهتمامه وذوقه بين ماهو بدوي وماهو حضري، بين ماهو مطبوع وماهو مصنوع، بين الجاهلي والمعاصر (ومابينهما): بين الشرقي والغربي.

ولايكفي لتفسير هذه الظاهرة أن يقال إن «طه حسين» كان متمردا بطبعه، لايوضع في قالب إلا كسره، أو أن يقال إنه كان توفيقي النزعة. فكل ذلك من قبيل تحصيل الحاصل، وفي حاجة إلى فهم وتفسير. وإنما ينبغي أن يقال إن «الشيخ المرصفي» قد فتح له باب التمرد وتعدد الاهتمامات عندما علمه أن على الأديب أن يأخذ من كل شيء بطرف. وعندما نبهه - وهذا هو الأهم - إلى تاريخ الأدب. أجل، فقد كانت فكرة التاريخ كامنة في ممارسة الشيخ للنقد: في تخليه عن النصوص الأزهرية والعلوم الأزهرية التي تستهدف الحفظ، وتوهم طالبها بأن المعارف الثابتة لا تتغير، في رجوعه إلى النصوص القديمة حقا واتخاذها موضوعا للنقد والذوق ومعيارا للحكم على ما جاء بعدها: في ثورته على القيم المعاصرة باسم القيم العريقة. كل ذلك أتاح لطلابه، ولطه خاصة، فرص الحركة الفكرية في الآفاق التاريخية الرحبة للأدب العربي. ثم انفتح الباب على مصراعيه عندما التحق «طه» بالجامعة، واستمع إلى دروس المستشرقين في تاريخ الأدب، ورأى كيف تدرس النصوص الأدبية على ضوء مايجرى في المكان والزمان من أحداث. وفي هذه المرحلة اكتشف أن مذهب أستاذه «المرصفي» في النقد اللغوى المحض لايكفى لدراسة الآثار الأدبية دراسة وافية، وبدأ يدرك أن مثل هذه الدراسة ينبغي أن تقوم على ركن آخر، هو بحث النصوص الأدبية من حيث علاقاتها - تأثرا وتأثيرا - بالمحيط أو العصر الذى انتجت فيه، بدخول هذا الاتجاه التاريخي بما يستتبعه من عناية بفهم النصوص وتذوقها على ضوء علاقاتها السببية بالواقع، استوت جميع النصوص بمعنى من المعاني، وأصبحت جميعها ظواهر تاريخية جديرة بالدراسة.

ولا يمكننا في هذا المجال أن نتناول بالتفصيل كيف تطورت آراء «طه حسين» فيما يتعلق بتاريخ الأدب. والمهم هنا هو أن نركز على العناصر التي ظلت ثابتة، ومن بينها فكرة الشمول، أو اندراج كل شيء في التاريخ وخضوعه للقانون. فتاريخ الأدب إطار عام يشمل كل الآثار الأدبية من كل المناطق وكل العصور. ويضاف إلى ذلك أن دراسة أى من هذه الآثار دراسة تاريخية ينبغي في رأى «طه

حسين ، أن تنفتح من حيث المبدأ على كل العلوم والمعارف وعلى كل الأقاليم والفترات .

فكان الأثر الأدبي نواة تنطوي على صورة مصغرة للعالم الأكبر . وهذا ما قرره « طه حسين » بالفعل في « تجديد ذكرى أبي العلاء » حيث أراد أن يقيم تاريخ الأدب على أساس تصور شامل للكون باعتباره شبكة من العلل والمعلومات تسودها الجبرية المطلقة ، وتدخل في تكوين كل الأجزاء والأفراد بما في ذلك الآثار الأدبية . وصحيح أن « طه حسين » قد تخلى فيما بعد عن هذا المنظور الكوني ، وعن ايمانه بالجبر ، لكنه لم يتخل قط عن تصوره لتاريخ الأدب باعتباره دراسة ضرورية ، لأنها تنصب على الآثار الأدبية من حيث علاقاتها بالواقع ، وتستعين من حيث المبدأ بجميع التخصصات العلمية ، وتنفتح من حيث المبدأ على كل البيئات وكل العصور وكل ما في الواقع من عوامل ومؤثرات . ومن ثم كان رفضه لأي نظرية ترتكز بالنقد الأدبي على أساس واقعي واحد سواء أكان سيكولوجيا أو سياسيا أو اقتصاديا .

وهنا كانت الحرية

لكن أين الحرية من كل ذلك ؟ حديث الحرية لابد أن يأتي فقد ألمح اليه « طه » عندما قال إن المنهج الجديد (أي دراسة تاريخ الأدب) قد أزال من نفسه الكره لأبي العلاء وغيره من الشعراء المحدثين ، ومكّنه من أن يقف من الشعراء كافة ، موقف الرجل الحر ، ومن عادة « طه حسين » أن يبشر بما سيأتي . لكن الأمر أدق من ذلك ففي حالة « طه حسين » ثمة طرق خفية كأنها الخيط الرفيع تؤدي من العلم إلى الثورة . كان الشيخ "المرصفي" ثائرا على القيود الأزهرية والذوق الأزهري ، ولكنه ما كان يخطر له على بال ما سيفعل نقده اللغوي بنفس تلميذه ، ولا ما سيفعل تلميذه بنقده اللغوي . وإدراك الثورة الكامنة في هذا النوع من النقد لابد أن يمر بخبرة "طه" وبطريقته في رؤية الأمور ، وببرنامجه النهائي للتفكير والاصلاح . والأمر نفسه يصدق في حالة تاريخ الأدب . فتاريخ الأدب كما وجد في المصادر التي تعلم فيها "طه" ، علم محايد لا علاقة له بالثورة ولا بالحرية . وهو لا يرتبط بالثورة وبالحرية إلا بعد أن يوظفه "طه" على هذا النحو . فإذا قرأنا الكتاب الأول من كتاب "في الأدب الجاهلي" ـ وهو الكتاب الذي يحدد طبيعة دراسة الأدب وشروطها ، وطرق إصلاحها في مصر ، ويبين ضرورة تاريخ الآداب ـ سرنا مع المؤلف سيرا هادئا ، إلا ما كان من نقده لطريقة تدريس الأدب في دار العلوم والمدارس الحكومية ، بحيث يبدو الحديث لفترة طويلة أكاديميا إلى حد ما ، وإصلاحيا بقدر معتدل . ولقد نعجب حينئذ لأن هذا الكتاب الأول يعد تمهيدا لدراسة الشعر الجاهلي والشك في صحته . ولما انطوت عليه هذه القضية من طاقات متفجرة إلى أن نأتي الى



الأدب والحرية

الفصل التاسع والأخير من ذلك الكتاب . وعنوانه "الحرية والأدب" فندرك - إذا كنا يقظين - اننا قد اجتزنا الطريق من العلم إلى الثورة ، وان "طه" ازال عن المادة المحايدة حيادها . واقول "إذا كنا يقظين" لأن المؤلف ماكر لا يفتأ يدور حول الموضوع وإن كان يواجهه . فهو يطالب للأدب بالحرية . والحرية التى يعنيها ليست هى الحرية كما يتحدث عنها رجال القانون والسياسة والصحافة : وانما هى الحرية التى ينشدها كل عالم ناشىء يريد ان يستقل وان يدرس لذاته او كغاية فى حد ذاته . والأدب احوج ما يكون إلى هذه الحرية : فقد استقلت العلوم الطبيعية واعترف لها بالاستقلال . اما الأدب فإنه مازال "عندنا وسيلة إلى الآن ، او قل إن الأدب عند الذين يعلمونه ويحتكرونه وسيلة منذ عصر الجمود العقلى والسياسى ، بل قل إن اللغة كلها وما يتصل بها من علوم وآداب وفنون لا تزال عندنا وسيلة لا تدرس لنفسها ، وإنما تدرس من حيث هى سبيل إلى تحقيق غرض آخر . وهى من هذه الناحية مقدسة ، وهى من هذه الناحية مبتذلة ... مقدسة لأنها لغة القرآن والدين ، وهى تدرس فى رأى أصحاب الأدب القديم من حيث هى وسيلة إلى فهم القرآن والدين . ومبتذلة لأنها لا تدرس لنفسها ، ولأن درسها إضافى . ولأن الاستغناء عنها قد يكون ميسورا لو امكن ان يفهم القرآن والحديث بدونها ولأن الفقه خير منها واشرف : ولأن التوحيد خير منها واشرف : ولأن هذه العلوم الدينية تدرس لنفسها ...

فإذا قرانا هذه الفقرة بعناية ، تبينا كيف يعود "طه" إلى نقطة البداية المطلقة . يوم كان طالبا بالأزهر . ويوم كان درس الأدب درسا إضافيا وفى وضع التبعية . إنه يحاول إذن ان ينصر هذا الدرس التابع ، فيطالب له بالاستقلال . وهو يتحدث وكان الحرية التى يريدها للأدب مازالت رهن المستقبل . فهو ينتظر "يوم تتحلل اللغة والأدب من التقديس ويباح لنا ان نخضعهما للبحث كما تخضع المادة لتجارب العلماء" . وهو يتحدث وكانه لا يريد للأدب سوى ان يسوى بسائر العلوم التى استقلت بما فى ذلك العلوم الطبيعية . وهو يقول إن حرية الأدب لا تنال بالتمنى ، وإنها لا تعطى وإنما ينبغى ان تؤخذ ، فيوهم القارىء ان الحرية لم تؤخذ بعد . فى حين انها قد اخذت وانتهى الأمر . ذلك ان حرية الأدب بالمعنى الذى يريده "طه حسين" لا تتحقق الا اذا توافرت الشروط النظرية والمنهجية لاستقلال الأدب كمبحث يدرس لذاته . لكن هذه الشروط قد توافرت عندما راى "طه حسين" فى النقد اللغوى كما يمارسه "المرصفى" وسيلة لمواجهة النصوص الأدبية بالعقل والذوق ، وسلاحا لمهاجمة الجمود والكلال والعقم ، ثم عندما ادرج هذه النصوص فى إطار التاريخ ، وحولها إلى آثار او ظواهر

تاريخية تخضع للقوانين لانها ثمرة ومراة للمحيط الذى نشات فيه . فبذلك زال عن الأدب طابع القداسة وطابع الابتذال ، واصبح موضوعا يمكن ويجدر ان يعرف . لقد تحققت الحرية اذن قبل ان يطالب "طه حسين" بها فى نهاية الكتاب الأول من كتابه "فى الأدب الجاهلى" بل إن من الممكن أن يقال إنه قد أرسى أسس الثورة فى "تجديد ذكرى أبى العلاء" ففى هذا الكتاب جمع بين النقد اللغوى والنقد التاريخى كجزء من برنامج واحد لدراسة الأدب دراسة مستقلة .

وبذلك يمكننا ان نفهم باى معنى كان الكتاب الأول من كتابه "فى الأدب الجاهلى" تمهيدا لما يليه من شك هدام فى صحة الشعر الجاهلى . فالشك فى النصوص الأدبية لا يصبح ممكنا الا اذا زالت عنها صبغة القداسة . وقد أزال "طه حسين" هذه الصبغة فى الكتاب المذكور ... وبعد صفحات قلائل من هذا ، يبدأ الشك فى الشعر الجاهلى .

يبدأ فى الواقع بوصفه أول "تجربة" يجريها « طه حسين » فى مجال بحث النصوص الأدبية ونقدها وتحليلها بعد أن أصبحت موضوعات قادرة على ان تخضع للدراسة العلمية .

إن الحرية التى اخذها « طه حسين » لـلأدب تفوق بمعنى من المعانى حرية سائر العلوم . كان العقل فى البداية ـ عندما كان الأدب درسا تابعا ـ مستعبداً للنصوص مستغرقا فيها يحفظها ويحللها (نحوا وصرفا ووزنا) ، فاصبح بفضل الحرية التى اخذت للأدب يقف منها موقف الناقد وينظر اليها من خارج باعتبارها اجزاء من العالم وموضوعات للحكم . أصبح العقل فى هذا الموقف الجديد قادرا على دراسة النصوص من حيث مبناها ومعناها وعلاقاتها بسائر الأشياء ، مستعينا فى ذلك بجميع العلوم : فكان الأثر الأدبى قد اصبح نافذة يطل منها العقل على العالم الرحب وعلى تاريخ الانسانية كله .

لاينبغى ان ندهش اذن لأن حديث الأدب يمس أوتارا عميقة فى نفس « طه حسين » . إنه يقترن فى فكره بمعان وقيم كانت جديدة فى عصره ، ومازالت اليوم غير مألوفة . كانت النصوص الأدبية تنطوى بالنسبة له على قوى كامنة فكلما هم بدراستها تكشفت عن تلك الآفاق الرحبة . وكان يود أن يشاركه بنو قومه فى الاشراف على ذلك المشهد ، فيقف كل منهم من النصوص والأشياء موقف الرجل الحر .

الوهم !

● « سيصبح كل شىء على مايرام ذات يوم .. هذا هو أملنا اما أن نقول أن كل شىء على مايرام .. فهذا هو الوهم » .

فولتير

السلف الصالح
يجب الالتفات إليه والاحتفال به

بقلم فتحي رضوان

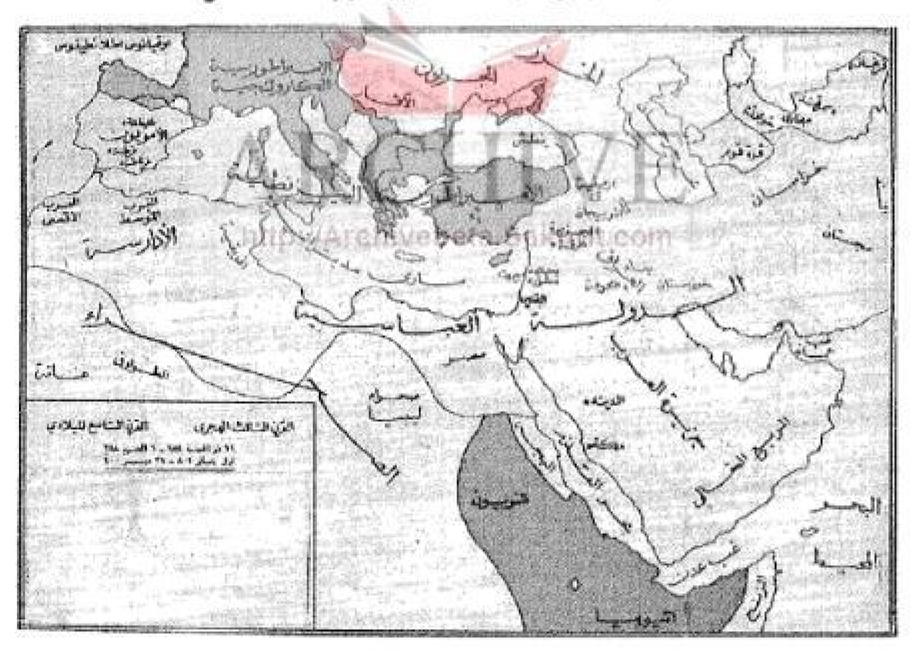
أهدى الىّ الكاتب الثائر والمثير الاستاذ حسين امين كتابه الفذ ، المعنون : « تطبيق الشريعة الاسلامية » فقلبت صفحاته على عجلة ، وكلما وقع نظرى على عنوان فصل ، وددت لو قرأته من فورى .

ولكنني غالبت نفسى حتى وصلت الى الفصل المعنون «تأملات فى حقيقة امر السلف الصالح» فوقفت عنده ، وطالعته فى الحال ، وسر ذلك انى رأيت هذا الفصل ذاته فى مجلة «المصور» فى الفترة التى كان الاستاذ حسين امين يكتب خلالها مقالاته التى أفزعت قوما ، وأسعدت قوما ، وأهمت آخرين لم يسعدهم ما قاله الاستاذ حسين ، ولم يفزعهم . وانما أثار خواطرهم ، وحملهم على التساؤل ، وربما دفعهم الى مناقشة ما قرءوا مع أنفسهم حينا ، ومع اخوانهم وأصدقائهم حينا آخر . ولعل الحوار استمر ، والوصول الى رأى يطمئنون اليه ، يبدو أبعد من أن تناله الأيدى . قرأت عنوان هذا الفصل ، بنفس النص ، أو بنص سواه ، فأقبلت عليه ، وبعد أن قطعت فى القراءة شوطا ، جاءنى ماصرفنى عن اتمامه ، وبقيت مشوقا ان أعود اليه ، ولكن الحوائل استمرت تمنعنى عن تحقيق هذه الرغبة حتى جاءنى الكتاب حاويا لسبعة عشر موضوعا ، الى جانب المقدمة ، فبعثرت الفصول الستة الأول ، بنظرة عجلى ، ثم وقفت عند الفصل السابع ، فقرأته فى نهم وشوق - فسرنى من هذا المبحث ، الأسلوب الذى كتب به ، والمادة الغزيرة التى فاض بها ، ثقة الكاتب بنفسه وبرأيه وهو يضرب بمعول كبير ، يحمله ساعد شديد فى موروثات عزيزة على المسلمين والعرب . وهو مؤمن بأن ما يهدمه لابد ان يزول غير ملو بالا لما يبعثه من الم وحسرة هذا العمل الجرىء ، فى نفوس الأغلبية الكبرى من بنى قومه فى مصر ، وفى غيرها من اقطار الناطقين بالضاد ، والمؤمنين بأن سلفهم الصالح هو خير الناس أجمعين ، نقاء سريرة ،

وخلوص نية ، وغزارة علم ، وايثار على النفس ، وبذل للروح ، وحرص على خير الأمة وسلامتها ، واستماتة لاتهدأ لتوفير أمن هذه الأمة ، وتأكيد عزتها ، وأن هذا السلف قدوة ومثل للناس فى المشارق والمغارب وفى القريب من الأيام والبعيد ، ولمن أمن بمحمد ورسالته ، ولمن أمن بعيسى ودعوته ، ولمن أمن بموسى وعقيدته ، ذلك لأنهم كانوا قبل كل شىء أناسا صالحين عالمين ، مجاهدين ، لايقبلون الخطأ ، ولايقاربون الزلل ولو صغر . وهم مع ذلك أناس من الناس ، يأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق ويتزوجون النساء ، ويشتهون كما الآدميون فليسوا هم معصومين ، لأن العصمة لله وحده ، ولاهم ملائكة ، فالانسان عند الله خير من الملائكة لأن الانسان هو الذى اصطفاه الله ليكون خليفته .

وسر اشفاق الكاتب المجدد الشجاع ، من المبالغة فى توقير السلف الصالح ، ونسبة كل فضيلة له ، ونفى كل نقيصة عنه ، أن المسلمين بسبب هذا الموقف الذى تكاد تكون أمة المسلمين قد انفردت به دون سائر الأمم ، ان المسلمين كادوا يسيرون بأقدامهم فى الحياة الى الأمام ، وأعناقهم ملوية الى الخلف ، لأنهم اعتبروا ان السلف الصالح فعل لهم ومن أجلهم ، وأجل أمتهم ودينهم ، ما سيعجز عنه كل جيل قادم ، مما يحتم علينا وعلى الذين سيأتون من بعدنا ، الا يرفعوا أعينهم عن رجال هذا السلف وأئمته وعظمائه

عالم الاسلام فى القرن الثالث الهجرى أيام السلف الصالح .



السلف الصالح

يستوحونهم في الملمة ، ويحاولون محاكاتهم عندما تتفرق السبل ، أو تقع الحيرة ، ويأنسون بمثلهم وقدوتهم عند الرخاء والفرج .

وقد لخص الكاتب أن ما دأب عليه الخطباء والوعاظ في المساجد ،، والكتاب ومؤلفى الأشعار وما تنشره المطابع ، وما يردده ويكرره الأساتذة والمربون في المدارس كاد يثبت في وهم عامة المسلمين والصحاب أجمعين أمورا ثلاثة :

الاول : انه من قبيل الحماقة أن يطمع احد منا في أن يكون مثل هذا السلف الصالح .

الثاني : ان الأجيال التالية للسلف الصالح مجبولة على النقص والفساد تالف حالها .

الثالث ـ أن تطبيق الشريعة كان أمرا ميسورا وقت أن كان ذلك السلف الصالح على قيد الحياة ، وهو الآن متعذر لفساد الناس بعدهم ، وسيظل متعذرا الى ما شاء الله (ص ١٠٢) .

واحسب انه من السهل المتاح أن نصل الى القضية التى عرضها الأستاذ حسن أحمد أمين على محكمة الرأى العام العربي الاسلامي ، وربما الأنساني كله ، وهى قضية (السلف الصالح) في كل زمان ومكان ، وعند كل أمة ودين .

ويتعين على كل من ينهض بالرد والتعليق على مقال المؤلف كتاب تطبيق الشريعة أن يلفت النظر الى أن الكلام يدور حول (السلف الصالح) يعنى أن المناقشة لاتجرى حول السلف على اطلاق .

فالسلف الذى تحبه جماعة المسلمين وتقدره ، وترفع مقامه ، وتعلى من شانه ، وتبذل كل طاقاتها البلاغية ، وقدراتها البيانية في الاشادة به ، والدعوة اليه . هو (السلف الصالح) أى السلف الذى سبق غيره الى عمل خلد به أسمه ، ونبه له ذكره ، وكان سيد هذا السلف وأمامه ، وقمة امجاده هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلما قرب الرجل من رسول الله ، وأخذ عنه بعض مناقبه وفضائله جاز ان يضم الى قائمة السلف الصالح . ولم تدخل التقاليد الاسلامية الدينية أو الفقهية او العلمية ، رجلا من المسلمين أو العرب الى هذه القائمة النقية الشيقة ، المجاهدة المؤمنة ، العالمة والمعلمة ، بسبب قرابتها لرسول الله . بل ان في ذوى قربى رسول الله ، وحتى الذين لم يخرجوا عليه ، من ينتقص التاريخ الاسلامي من قدرهم ، او على الأقل يحفل بهم ، ومن احترمهم التاريخ الاسلامي من أعمام رسول الله او ابيه عمومته ، أو اخواله ، من ذكروا با[illegible]لة . لهذه القرابة دون أن ينسب أ[illegible] لهم سبقا في الدين ، أوقدم في [illegible] او اثرا في العلم . فهم اقرباء رسول وحسب .

فلتنظر بتجرد ودون تحيز الى مافعله السلف الصالح الاسلامي من أجل الاسلام ، ومن أجل خير الانسانية ، في مجالات العلم ، والفقه والأدب والفن ، والسياسة والحروب ، وسن السنن الرفيعة للخلق الانساني ، والتقاليد السامية ، لنرى هل يستحق هؤلاء التكريم الذى نالوه ، والمكانة التى احتلوها ، أم انهم




لوحة للعالم ابن سينا


الخوارزمي والارقام

ابوبكر الرازي

فعلا نماذج عظيمة للانسان في كل مكان وزمان ، وان التأمل في تاريخهم والتاسي بهم ، ومحاولة محاكاتهم والنسج على منوالهم : واجب ديني وواجب تربوي ، وواجب لبناء إنسان اعظم ، واشرف منوالا .

لقد صنع السلف الصالح في اولى طبقاته ، شيئا لم يصنع مثله على مدى التاريخ الانساني . فلا الفراعنة ، ولا اليونان ولا الرومان ، ولا أهل الصين ، أو الهند ، استطاعوا في اقل من عشرين عاما ، ان يقيموا دعائم دين يتضمن في قواعده ، نظرة شاملة الى الكون ، ودعوة عامة للانسانية ، مع ارساء قواعد ثابته لأصول الحكم وادارة الدولة ، خلاصتها العدل والمساواة ، وتحرير بني ادم وتكريمهم ، ودعوتهم الى العلم والتعليم ، والاخاء والترابط ، والتسامح مع المخالفين في الرأي ، وتحريم الظلم والتنفير من الجهل ومن الغلظة ومن السوقية . ثم اقاموا دولة على صحراء قاحلة جدباء اتسعت اقطارها وترامت أملاكها واستطاع صغار من شبابها ان ينازلوا امبراطوريتي العالم في اولى سني حياتها فهزموهما ، وأجلوهما عن أرض شاسعة كانوا يملكونها ، ثم أنشئوا حضارة ليس حتى اليوم ارفع منها منارا ثم وضعوا اسس العلم الحديث في كل درب ومجال . فباي منطق علمي او علماني ، أو مقياس قومي أو انساني ، تحكم على هذا السلف بالحمد والثناء والاشادة ، والتمجيد .

ثم اروني كتابا واحدا ، أو مؤرخا أو عالما أو فقيها أو مشرعا قال في شيء مما أثر عنه أو حفظ له . أن احدا من السلف الصالح تجاوز الطبيعة الانسانية ، واصبح الها يعبد ، أو عبقريا ، لايخطيء ولايزل ولايملك احد أن يناقشه او يحاجه . أو يثبت عليه السهو أو الخطأ أما مايخافه ابننا العزيز الأستاذ حسين أحمد أمين ، فيما يخافه من أمور ثلاثة وهو أن يستتر في عقول عدد من المسلمين أو جماعة منهم أنه من قبيل الحماقة أن يطمع أحد منا في أن يكون مثل هذا السلف الصالح . واني اناشد كل من يعرف القراءة والكتابة ان يقرر ما اذا كان لم يسمع منذ حبا على الارض ، حتى بلغ أرذله اذا تبقى له ذلك ان كاتبا أو خطيبا أو داعيا كف للحظة عن

السلف الصالح

دعوة أمة المسلمين والعرب الى التشبه بالسلف الصالح ومحاكاته بأن « ان لنا فى رسول الله أسوة حسنة » . أما الأئمه فقد درجوا أن يقفوا . اذا كانوا من السلف الصالح ، امام الامراء على المنابر وفى المساجد والأسواق يتذكرونهم بما كان من الرسول والخلفاء الراشدين من اقامة العدل وتحريم الظلم ، وكراهية الدنيا ، وحب الآخرة .

ولقد ادخلوا فى قائمة الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز - الذى لايعجب الأستاذ حسين امين وقد تأخر به زمانه عن هؤلاء الخلفاء قرنا أو يزيد من الزمان ، لأنهم رأوا منهجه قريبا من منهج الخلفاء الراشدين وكان مسلكه هذا قاطع الدلالة فى أن جماعة المسلمين لم يروا فى سمو السلف الصالح ، مجرد صورة تعلق على صدر التاريخ الاسلامى ، ينظر إليها ، ويعجب بها ولا يفكر احد فى الأخذ بها ، والنسج على منوالها . بل ان كتابنا وشعراءنا درجوا على القول بأن قوادنا الذين حاربوا من أجل الاسلام فى القرون الحديثة ، كانوا بمثابة احفاد للرسول . ولعمر ، ولخالد بن الوليد ، ولطارق بن زياد بل ان شوقى منذ أقل من خمسين عاما حيا مصطفى كمال قائد تركيا حينما وقف يحرر بلاده من غزو الانجليز والفرنسيين ، قال :

ياخالد الترك .. جدد خالد العرب

وقد دخلت وانا صبى صغير الى منزل احد الزعماء فوجدت لوحة مهداة الى قرينته يقول كاتبها لهذه السيدة .

«عائشة ام المؤمنين ، وانت ام المصريين . ولم تكن لهذه السيدة نصيب فى الجهاد للاسلام او على علم بشىء من أحكامه ، انما هو الاهابة بنا أن نرفع أعيننا الى السلف الصالح . ونحاكيه ونتأسى به ، ونتعقب خطاه أما الشر الذى يخشاه الأستاذ حسين هو أن نعتقد ان الأجيال التى جاءت بعد السلف الصالح مجبولة على النقص والفساد . فان تاريخنا الحديث ، وربما الحديث جدا ، يتضمن الدليل على أن حتى صغار شبابنا يحسبون انهم قادرون على ان يعيشوا كما عاش أوائل السلف الصالح فى الملبس والمأكل والزى والمشية والخطوة ، والكلمة والاشارة . لعل مبالغتهم فى هذا . وحرصهم على احياء الماضى والعيش فى اجوائه ، هو الجدير بتنبيه من الأستاذ حسين أن القديم الموغل فى القدم ، لاخير فى تبعته ، انما الخير فى بعث مبادئه ، وفضائله . فهذه لاتبلى وهى مطلوبة فى كل عهد ، اما مظاهر هذا القديم وأشكال حياته ، فهى أمور . تتطور وتتغير وتزول .

والتاريخ الاسلامى ملىء بوقائع دول اسلامية ، واتسع ملكها وتألقت حضارتها ونشأ فى ظلها القادة ومنشئوا الدول ، واهل الفكر ، كما حدث فى غرب أوربا ، عندما قامت الدولة الاموية فى هذا الطرف الأقصى من أوربا ، فكانت عواصمها مثابة للعلماء الذين أخذوا عن المسلمين أصول العلم الحديث فى الطب والهندسة والفلك والعمارة والفلسفة والرياضة . ثم قامت دول أصغر شأنا ، كالأدارسة فى المغرب والفاطميين فى مصر والشام ودول المماليك الذين شادوا علما رفيعا وحكما سامقا .

اما القول بأن الشريعة كان تطبيقها ممكنا في عهد المسلمين الأوائل حينما كانت النفوس صافية ، والأخلاق سامية ، فهذه حجة قلة من المسلمين ، يدفعهم الى هذا القول كراهيتهم للاسلام في ذاته ، وخوفهم على مالهم وسلطانهم في ظل حكم الشريعة .

وقد ساق الأستاذ حسين أحمد أمين مثلا ، لمنهج أقوام في تقدير رجال السلف الصالح ، فيخطئون في المعيار الذى يقودون به الرجال ، فهم مثلا يقولون عن عمر بن عبد العزيز انه من أعظم خلفاء الاسلام لمجرد ورعه وتقواه في حين لم تجلب السياسة المالية والادارية لهذا الخليفة غير خراب الدولة ولنسلم جدلا في أن فضل عمر بن عبد العزيز يقتصر على الورع والتقوى ، وأنه حاكم تنقصه القدرة الادارية ، والكفاءة المالية ، فهل اذا صح حكم الأستاذ المؤلف على (عمر ابن عبد العزيز) سقط كل السلف الصالح ، وهل السلف الصالح ، أهل ورع وتقوى ومع ذلك يقبلون النهوض بأعباء الحكم . الا يذكر المسلمون أن أبا ذر الغفارى طلب من الرسول أن يسند اليه ولاية من ولايات المسلمين ، فرده الرسول بقوله : انك امرؤ بك ضعف ، يعنى انه رجل تغلبه الرحمة ، فلا يأخذ الخارجين على القانون بالشدة التى تروعهم . وهو مثل شائع على ألسنة المسلمين ، مما ينفى عن المسلمين انهم لايعرفون لما يلزم الحاكم من حزم وعزم ، وشدة عند الاقتضاء ولين عند الحاجة .

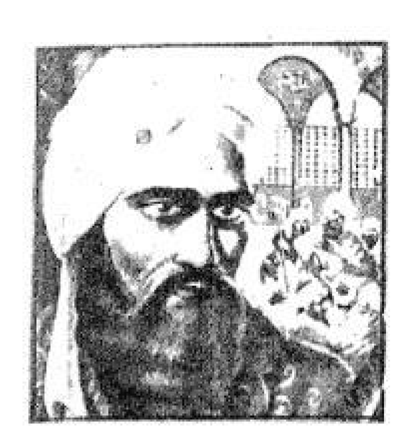
واذا كانت الدولة الأموية قد خربت ـ بعد عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ، فلأن الخلفاء الذين سبقوه لم يكن لهم تقوى عمر بن عبد العزيز ولاورعه ، ولأنهم احالوا الخلافة الى ملك عضوض ، ولانهم استعملوا رجالا غلاظ الأكباد ، مثل الحجاج بن يوسف الثقفى الذى استعمل اقواما فى مثل بطشه كزياد بن أبيه فأشاع فى الدولة الفزع ، وبات الناس على كره للحاكم ، ونقمة عليه ، فلما فشت الدعوة للعباسيين التى تزيت بزى الدعوة العلوية ، اقبلوا عليها ، واعانوها على النصر لان الخلفاء ظنوا انهم فى غنى عن خوف الله وتقواه . ولا أحسب أن عمر بن عبد العزيز قد أخطأ حينما قال لعامله على مدينة حمص ، حينما تهدم حصنها ، نطلب من الخليفة مالا ليعيد بناء الحصن فقال له «حصنها بالعدل» فهذه قولة حق ، وتوجيه حاكم عادل وحصيف ، فان حصن حمص لم يتهدم لأن المسلمين لايصلون بل لان حاكم حمص رجل ليس به ورع ولاتقوى فهو يبدد المال على ملذاته وشهواته ، وذوى قرباه حتى لايجد فى خزانته مايبنى به الحصن أو يرممه قبل ان يتهدم .

والغريب من الأمر ان الأستاذ المحقق ، يريد ان يصرفنا عن الانشغال بالسلف ، لنرى امور دنيانا كما تقع اليوم ، ولكنه يضرب لنا الأمثال برجال هم من السلف ، ولكن جمهور المسلمين كرههم لأمور يكره أمثالهم لأمثالها ، فهو يبدى اعجابه بيزيد بن معاوية الذى لم يل أمر الخلافة بمبايعة صحيحة من المسلمين بل لأن أباه أخذ هذه البيعة له ، وهو لايزال على أريكة الملك ، وقد جعل وراء كل





الامام أبو حنيفة



الامام الشافعي

صحابى فى المسجد ، جلادا يحمل سيفا ، ليبايع الجميع لابنه لاحبا فيه ، ولا اعجابا به ، ولا اطمئنانا اليه ، بل لأنه ابن معاوية فاذا كنا نضن .. على عمر بن عبد العزيز الأموى بالثناء عليه لزهده وورعه وكرهه للظلم ، ووقوفه فى وجه التعذيب والمطاردة للعلويين لأنهم خصوم الحاكم ، فما احرانا الا نضرب الأمثال للمسلمين بيزيد بن معاوية والحجاج بن يوسف الثقفى ، مادمنا لانريد ان نشغل بالتنكف بعامة .

واذا كان لابد أن نعدل بالمعيار الاسلامى التقليدى الذى يحكم على الحكام بالورع والتقوى ، دون الكفاءة والمقدرة السياسية والادارية ، فأحرى بنا أن تكون الكفاءة الادارية والسياسية وحدها هى المعيار الذى نقيمه لنحكم على اباتنا واجدادنا ، فقد ثبت ان اشد الحكام كفاءة ، حينما لايتحلى بالعدل والأناة والبعد عن اصطناع أساليب القهر ومطاردة خصوم الدولة فان مصيره البوار .

وفى المقال أشياء أخرى تستحق المناقشة ، ولكن قد يطول القول فلنبق ذلك الى مقال آخر باذن الله ، وحسبنا أن نشكر الأستاذ حسين احمد أمين ، الذى يشق لقراء العربية طريقا شاقا وعرا يكلفه الكثير من الجهد عند الاعداد والتفكير والعرض ، بعد البحث والتأمل والتنقيب ، ويكلفه أكثر من ذلك تحمل العداوات والام الخصوم بالحق وبالباطل ، حفظه الله من كيد الكائدين ووفقه الى خدمة وطنه ودينه بفضل علمه واجتهاده وايمانه .

● « البعض لايحترمون القانون ، لكن اللبنانيين لايحترمون حتى قانون الغابة ! ! .

وليد جنبلاط

● « إيران سوف تستمر فى حرب الخليج ، لأنها تعتقد أنها سوف تنتصر فى النهاية ! ! » .

معمر القذافى

● « حتى عندما نريد القيام بشيء بعيدا عن الأمريكيين ، فإنهم يلعبون دوراً ما فى شئوننا .. » .

شاهال الوزير الأسرائيلى بعد أن فقد حقيبته فى القاهرة وعثر عليها فى نيويورك

● « جوهر ماتعلمناه خلال القرن هو أننا لم نحصل من العلم إلا قليلا »

لويس توماس عميد مدرسة الطب بجامعة نيويورك سابقا

● « انها حياتى ، انا لاأصنع افلاما ، انا أعيشها ».

ورنر هرتزوج المخرج الألمانى

● « لاتوجد مشكلة تستحق حربا نووية »

« جورج كينان » ..سفير أمريكى سابق فى حديث له مع مجلة اسكوير

● « فساد الشرطة هو الذى سمح للوردات المخدرات بالانتعاش »

« نيوزويك - عدد الكوكايين.

● في ذكرى ثورة ١٩١٩ ●

الشعب يقود الزعيم

بقلم: حافظ محمود

● الغلطة الكبرى التي يقع [illegible] المؤرخين انهم ينسبون التاريخ بكل احداثه ووقائعه الى الملوك والقواد والحكام والزعماء دون اى حساب يذكر للشعوب إلا فى بعض المناسبات... وقد يكون هذا مفهوما الى حد ما اذا كان القائد قد اندمج اندماجا كليا فى الشعب. اما اذا كانت غاية جهده ان يضع الشعب فى جيبه فينبغى ان يضمه المؤرخون الى الملوك والزعماء والحكام الذين تعتبرهم مجرد علامات على الطريق ليس غيره. ولكنى اضع امامك مثلا على ذلك... ليكن هذا المثل هو عصر اسماعيل. فانت ملتق فى هذا العصر بمن يرفعون اسماعيل الى القمة باعتباره كل شىء فى عصره، ثم انت ملتق بمن لايذكرون اسماعيل الا على انه علامة عصر دون ان يكون كل شىء فيه، والخطأ واضح فى كلتا الحالتين.

ويبدو أن سعد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩ قد نبه الى هذا الخطأ فى فلسفة التاريخ فأراد أن يصححه. او اراد له القدر ان يصححه، فنجده دائم التكرار لقوله «ان الزعيم هو الشعب» وقوله «إننى أسير وراء الشعب» بل الأكثر من هذا انه نفى إمام الجماهير انه «مفجر ثورة سنة ١٩١٩» كما يقول او يقال عن غيره من الزعماء، بل أنه كان عجيب الحرص على الا ترد كلمة «ثورة» على لسانه، وكان دائما مايسميها «النهضة الوطنية» وكان فى هذه التسمية ذا ذكاء قانونى ظاهر، فكل «نهضة» يمكن ان تنطبق على كل حركة بما فيها الحركة الثورية....

وربما كان سعد زغلول هو الزعيم الذى اشار على زعماء عصره بانه كان ينسب لمن سبقه من الزعماء فضلهم. فقد ذكر فى تاريخ «النهضة الوطنية» احمد عرابى ومصطفى كامل ومحمد فريد وغيرهم...

اما انه كان ذكاء قانونيا فهذا واضح من تصميمه على ان تحصل هيئة الوفد التى ستتكلم باسم الشعب ـ على توكيل من الشعب موقع عليه من المواطنين. وكان هذا التوكيل فى البداية لسبعة اقطاب من اعضاء الجمعية التشريعية ومن اليهم. وهم: سعد زغلول، عبد العزيز فهمى، لطفى السيد، محمد محمود، محمد على علوبة، حمد الباسل، عبد اللطيف المكباتى.

وقد زاد من حرص سعد زغلول على هذا التوكيل انه حين قابل مع صاحبيه عبد العزيز فهمى وعلى


سعد زغلول


مصطفى كامل

شعراوى ـ المعتمد البريطاني » وتجت ، يوم ١٣نوفمبر سنة ١٩١٨ لعرض مطالبهم الوطنية سأل « ونجت » سعدا باسم من يتكلم ، فكان جوابه، ارجو الاتنسى أننى الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية » .

تصحيح بداية الثورة

ولقد اتخذ الجيل الاسبق من يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ عيدا للثورة لانه كان أول يوم يواجه فيه وكلاء الشعب مندوب بريطانيا بطلب الجلاء والاستقلال ، وليس صحيحا انهم لم يطلبوا شيئا غير الاذن لهم بالسفر . ويمكن الرجوع الى هذه الحقيقة فى المحضر الرسمى لتلك المقابلة التاريخية الذى سجله المؤرخ العظيم عبد الرحمن الرافعى فى كتابه« ثورة سنة ١٩١٩ » .

وليس شك ان اختيار يوم ١٣ نوفمبر عيداً وطنيا كان يتفق تماما مع اعتبار تلك الحركة « نهضة » وطنية كما كان يسميها سعد زغلول .. اما الثورة بمعنى « الثورة » فقد قام بها الشعب وليس الساسة ، فى التاسع من مارس سنة ١٩١٩ على النحو الذى بينته فيما كتبته بمناسبة مرور خمسين عاما على قيام تلك الثورة ، وأخذ برايى كل ماتناولوا تاريخ تلك الثورة منذ ذلك التاريخ ، واصبح من المسلمات التاريخية ان شرارة الثورة قد انطلقت يوم ٩مارس .

كيف كانت البداية

كانت الشرارة الاولى لثورة الشعب سنة ١٩١٩ هى ساعة القبض على الزعماء الاربعة:سعد زغلول ، محمد محمود ، اسماعيل صدقي ، حمد الباسل ونفيهم يوم الثامن من مارس سنة ١٩١٩ فتهيأت نفوس المصريين جميعا للغليان ، ثم كانت الشرارة الثانية التى انبعثت من الشرارة الاولى صبيحة اليوم التالى ـ يوم ٩مارس ـ بدار مدرسة الطب .

ذلك أن طلبة المدارس العليا جميعا ـ ولم تكن هناك كليات جامعية ـ قد تعاهدوا مساء على ان يخرجوا صباحا بكل زملائهم

الشعب يقود الزعيم

من مدارسهم فى مسيرة وطنية تتلاقى فيها المظاهرات من كل مكان .. وكان على رأس مدرسة الطب اذ ذاك مدير انجليزى متعجرف أمر باغلاق ابواب المدرسة بالسلاسل الحديدية.. ووقف على رأس السلم مطلا على جموع الطلبة الذين كانوا محتشدين فى فناء المدرسة ملقيا اليهم الاوامر ، التى كان قد اعتاد على انها مطاعة ، فاذا بالطلبة لأول مرة ، يعلنون عدم الطاعة لاوامره الاستعمارية .. واراد المدير الانجليزى ان يستخدم الحيلة فطلب أن يصعد اليه طالب واحد بالنيابة عنهم ، وما ان وصل هذا الطالب وقف المدير الانجليزى عند رأس السلم حتى بدأ المدير يلوح له بقبضته فاذا بالطالب المشحون النفس ضيقا بالظلم الاستعمارى ـ اذا به يدافع عن نفسه بركلة ركلها للمدير الانجليزى زلت معها قدم المدير ، وأخذ يتدحرج بجسمه الضخم على السلم من أعلى الى أسفل بين تهليل الطلبة وغيرهم . فقد كان هذا الرجل الاستعمارى قد فقد هيبته . بل وفقد نفوذه على عمال المدرسة ، فاذا بهم يفتحون الابواب ليخرج منها طلبة الطب متظاهرين .

وذهبت مظاهرة طلبة الطب الى مدرسة الحقوق ، لتلتقى المظاهرتان فى مسيرة واحدة انضم اليها كل طلبة التعليم العالى فى مسيرتهم الى « عنابر » حى السبتية وفيها كل عمال السكك الحديدية فانضم العمال الى الطلبة.. وأخذت المظاهرة الكبرى ، التى واكبتها الجماهير طريقها الى الازهر.. وفى الجامع الأزهر انعقد أول مؤتمر من مؤتمرات الشباب ، بل والشيوخ ، فى ثورة ١٩١٩ وكان من بين قرارتهم ان يجددوا بعد الظهر مسيرتهم من الجامع الأزهر الى بيت سعد زغلول .. وكانت هذه اللحظات هى بداية الثورة الشعبية المصرية التى تحدث عنها التاريخ

حكاية ام المصريين

كانت عقائل الساسة الوطنيين قد ذهبن منذ الصباح الباكر الى بيت سعد ليقفن الى جوار قرينته ، صفية زغلول ، فى هذه الظروف كانت جلسة السيدات قد طالت الى المساء ، إذ كن هن الآخريات يدرسن تأسيس لجنة منهن.. وفى هذه الاثناء ظهرت المظاهرة الكبرى فى شارع سعد زغلول ، وكان الهتاف لمصر ولسعد وللاستقلال يشق عنان الفضاء ، وبحس وطنى من صفية زغلول أمرت بفتح باب


احمد عرابي

البيت الكبير . فامتلأ فناء الدار بطلائع المتظاهرين الذين سدت حشودهم طول الشارع وعرضه من أوله الى اخره .

ووقف خطباء الشباب وخطباء الازهر يقولون انهم لن يلقوا سلاح الكفاح الا بعودة سعد ورفاقه وعودة الاستقلال للوطن وليس شك ان هذا الموقف قد اجج حماسة السيدات المجتمعات بالطابق العلوى وهن محجبات ، فاذا بهن يقفن وراء صفية زغلول وهى تفتح النافذة لتحيى الجماهير ، ولم تستطع السيدة المختلفة الاشجان فى هذا الموقف ان تقول شيئا - فإذا بالسيدة هدى شعراوى تقف الى جوارها وتهتف بالجماهير قائلة: ان قرينة سعد ستظل تؤدى ماكان يؤديه قرينها ، وانها تحييكم باعتباركم ابنائها المخلصين للوطن وقضيته.. وهنا ضجت الجماهير بالهتاف « تحيا أم المصريين » .

ومنذ تلك اللحظة اتخذت القيادات الشابة من الطابق السفلى فى بيت سعد مركزا لقيادة حركتهم بعد موافقة سيدة الدار على ذلك

العمل الوحدوى العظيم

ولعلك قد لاحظت ان يوم التاسع من مارس سنة ١٩١٩ لم يكن البداية التاريخية للثورة الشعبية فحسب . بل كان بداية تطور اجتماعى جديد بخروج المرأة المصرية الى ميدان العمل الوطنى .

فى تلك الاثناء كانت الاتصالات تجرى بين الأحرار لتنظيم الحركة الوطنية الثورية..فيومئذ ظهرت لجنة الوفد المركزية بالقاهرة.. اتعلم من كان رئيس هذه اللجنة و .. لقد كان محمود سليمان باشا رئيس حزب الامة سابقا واحد اثنين عرض عليهما الانجليز عرش مصر بعد نفى الخديو عباس سنة ١٩١٤ لكنهما اعتذرا عن قبول عرش تقدمه يد المحتل .

ولم تكن هذه هى البادرة الوحيدة فى تشكيل قيادة العمل الوطنى على اساس الوحدة فمن قبل ضم الوفد الى صفوفه كبير القبط مرقس حنا باشا واخرين .. ومن قبل ابرق الزعيم الوطنى محمد فريد من منفاه برقية تأييد لحركة سعد زغلول ، وليس هذا فقط ، بل ان الحزب الوطنى - حزب مصطفى كامل - ندب اثنين من اعضائه للانضمام الى الوفد ، وهذان الاثنان هما : مصطفى النحاس ، بك » الذى كان قاضيا ، والدكتور حافظ عفيفى « بك » الذى كان كبير اطباء الأطفال ولقد كان سعد زغلول حريصا على أن يظل « الوفد » بعيدا عن ان يكون حزبا .. كان يرى فيه تجسيدا لارادة الامة مجتمعة ومن اجل هذا دعا اليه بعد عودته من الخارج صفوة الشباب المثقفين الذين فكروا فى تأسيس حزب ديمقراطى وحزب اشتراكى ، وقال لهم : ليس هذا وقت الأحزاب وطلب اليهم أن يعملوا مع مجموعة الأمة الى ان تحين ساعة انشاء الأحزاب ، فوافقوا ، وهم الدكتور هيكل والدكتور محمود عزمى والدكتور منصور فهمى ، والشيخ مصطفى عبد الرازق ،

الشعب يقود الزعيم

والأستاذ عزيز ميرهم المحامى والأستاذ سلامة موسى الصحفى .

الاحرار ونهاية سعد

هكذا سارت الامور فى ثورة ١٩١٩ على نمط « التجمع » لا « التحزب » الى ان شكل الأحرار الدستوريون حزبهم فى الثلاثين من اكتوبر سنة ١٩٥٢ .. وعند هذه النقطة يحسب بعض المؤرخين أن ثورة ١٩١٩ قد انتهت وهو رأى سطحى فى نظرى ذلك ان الذين اسسوا حزب الاحرار الدستوريين كانوا خمسة من السبعة الذين حظوا بتوكيل الامة لهم فى فجر الثورة وهؤلاء الخمسة هم : عبد العزيز فهمى . لطفى السيد ، محمد محمود ، محمد على علوبة ، عبد اللطيف المكباتى ، ولم يبق مع سعد من اصحاب التوكيل الا حمد الباسل .. لكن سعدا كان قد بلغ اذ ذاك قمة الزعامة فلم يكن بحاجة الى غيره .

واهم من هذا، ان حزب الاحرار الدستوريين فى برنامجه توافق تام مع برنامج الوفد فى السياسة الخارجية . وكان الخلاف يدور فقط حول السياسة الداخلية التى كان سعد يقدم عليها السياسة الخارجية . طالما كان هناك استعمار ، بينما كان الاحرار يرون أن السياسة الداخلية يمكن تصفية هذا الاستعمار عن طريقها ، وهذا واضح فى برنامج حزبهم وما فيه من العناية بالجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والاهتمام بالمجالس النيابية المحلية ..

وكان الذى عمق هذا الخلاف ان البلاد كانت مقبلة على انتخابات برلمانية ولم يكن سعد زغلول يرى اى مانع من ان يكون البرلمان . له ولرجاله فقط على اعتبار ان ذلك يعزز الموقف السياسى الوطنى الذى كان يتخذه إزاء الانجليز .. وبعد الازمات التى تعرض لها اقتنع بأن الأفضل أن تكون كل القوى ظاهرة فى البرلمان وهذا ما ظهر فعلا فى برلمان الائتلاف سنة ١٩٢٦ الذى اختتم به سعد زغلول حياته اكرم خاتمة .

إمتداد ملامح ١٩١٩

اذن فاذا كانت ثورة ١٩١٩ قد انتهت كحركة بقيام البرلمان فى يناير سنة ١٩٢٤ إلا انها لم تنته كفكر الى نهاية العهد الماضى ... ذلك أن زعماء الطلبة سنة ١٩١٩ صاروا من زعماء العمل السياسى فيما بعد وكانوا يمارسون هذا العمل بعقلية ١٩١٩ ـ اذكر منهم : ابراهيم عبد الهادى والدكتور محمد صلاح الدين وسليمان غنام وأمثالهم ممن تحدوا المناصب الوزارية ، وعلى ذلك دليل من واقعتين :

● الواقعة الأولى : يوم ثار طلبة سنة ١٩٣٥ على تصريحات الساسة الانجليز قال لهم ابراهيم عبد الهادى : « اعملوا ياولاد زى ماكنا بنعمل سنة ١٩١٩ » .

● الواقعة الثانية : يوم ذهب رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى شاكيا الى مجلس الأمن من بريطانيا سنة ١٩٤٧.


لطفى السيد

فاذا به يقول للسير كادوجان مندوب بريطانيا فى المجلس : « أيها القراصنة أخرجوا من بلادنا » ولعل روح ثورة ١٩١٩ كان لها دخل كبير فى قيام بنك مصر وشركاته ، ولو اننا راجعنا اسماء قادة هذا العمل الاقتصادى الوطنى الكبير فسوف نلاحظ أنهم جميعا كانوا من شباب الحركة الوطنية ، وهذا ماينفى نفيا باتا أن ثورة ١٩١٩ لم يكن لها منظور اقتصادى .

اما بعد فأننى أزعم ان التقييم التاريخى السليم لثورة ١٩١٩ لم يتم بعد على الوجه الاكمل ، ويرجع السبب فى ذلك الى أننا نخلط كثيرا بين الثورة وبين بعض الأفراد من جمهورنا فاذا بكل خطأ وقعوا فيه محسوب عليها ، وهذا خطأ أكبر من أخطائهم .

ان الأجيال المتتالية ينبغى أن تعلم مايأتى:

● مصر كانت قبل ثورة ١٩١٩ « محمية بريطانيا » أى أقل شأنا فى عالم السياسة من المستعمرات ، وبعد ثورة ١٩١٩ اعترفت بريطانيا فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ بأن « مصر دولة مستقلة ذات سيادة ».

● تصريح ٢٨ فبراير كانت فيه تحفظات لصالح الانجليز الذين اصدروه ولم توقع عليها مصر لكن ماذا بقى من هذه التحفظات فيما بعد ؟!.

● الضباط ، المستشارون الانجليز خرجوا واحداً بعد الاخر بعد ان كانت قيادة الجيش المصرى وقوات الأمن المصرى فى أيديهم وبعد ان كان الحاكم الحقيقى فى كل وزارة هو المستشار البريطانى .

● الامتيازات الأجنبية التى كانت تحرم على السلطات المصرية محاكمة اى أجنبى او القبض عليه مهما كان مجرما ، هذه الامتيازات الغيت .

● كانت الدبلوماسية المصرية تابعة للسفارات الانجليزية فى الخارج ، فتغير الوضع واصبحت لنا سفارات وقنصليات .

● كان محرما علينا ان نوفد بعثات تعليمية الى غير بريطانيا ـ الاستثناء ـ فاحل لنا ماكان محرما .

● لم تكن الحكومة تستطيع ان تنشىء جامعة لأن الانجليز لايوافقون ـ وفى اعقاب ثورة ١٩١٩ أنشئت جامعات القاهرة واسكندرية وعين شمس وأسيوط .

● وكيف ننسى أن من معقبات ثورة ١٩١٩ وضع دستور وإقامة برلمان؟!...

الشعب يقود الزعيم

ان أي نقد للدستور والبرلمان لاينفى انهما صارا حقيقة وحقا من حقوق الشعب .

● كان من غير الممكن قبل ١٩١٩ انشاء شركات مصرية الاستثناء بأمر الانجليز ، وبعد ١٩١٩ انشأنا بنك مصر وشركاته .

● وشغلت المرأة المناصب وحصلت على اعلى التعليم بعد أن كان التعليم الوحيد للفتاة هو التعليم الابتدائى.

● والتعليم بصفة عامة - كان من خصائص الخاصة قبل سنة ١٩١٩ ، اما بعدها فقد انشأت الحكومات الوطنية نظام« التعليم الاولى » وهو تعليم مشابه تماما للتعليم الابتدائى فيما عدا اللغات ، وكان تعليما مجانياً لايدفع فيه التلميذ الا رسوما قدرها عشرة قروش شهرياً وقد تفرعت من هذا التعليم كثرة من المدارس الصناعية ومدارس زراعية أولية كانت تسمى« مدارس الحقول » لتخريج فلاحين مثقفين .

● كانت رياسات المحاكم العليا للانجليز فصارت للقضاة المصريين .

● كانت النقابات للعمال الاجانب ثم صارت مباحة للعمال المصريين .

● لم تكن مصر تعرف قبل ١٩١٩ المجالس المحلية والقروية فعرفتها بعد ذلك

● واخيرا كان الالتحاق بالمدرسة الحربية مقصورا على راسبى الثانوية من أبناء السراة أو المرضى عنهم من القصر أو السفارة البريطانية ثم تغير هذا الوضع من أساسه بقانون سنة ١٩٣٦ الذى أتاح للاحرار من أبناء الشعب الالتحاق بالكلية الحربية ، فكان منهم الطلائع الذين حققوا ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ لتنفذ مالم تستطع ثورة ١٩١٩ أن تنفذه .

انه امتداد للنبض الوطنى بين الأمس واليوم والى الغد .

من كلمات العقاد

- « لايكفى أن تكون فى النور لترى ، بل ينبغى أن يكون فى النور ماتراه .. »
- « نابليون مهرج إلى جانب العالم باستور ، والاسكندر بهلوان إلى جانب أرشميدس »
- «لاتوجد نسخة مكررة من أديب يستحق أن يقرأ ، فالأديب المكرر يستغنى عنه بالنسخة الأصيلة ..»
- «لن تضام أمة عرف نساؤها الحرية »
- إن الأمة على استعداد لسحق أكبر رأس فى البلد يخون الأمة ، ويعتدى على الدستور ..»





يحيى حقى

مـــربط الفـــــرس

●● ان الذين ينزلقون على سطح الافكار كرياضة التزحلق على الثلج . هؤلاء قد ينطبق عليهم وصف الامية الثقافية .

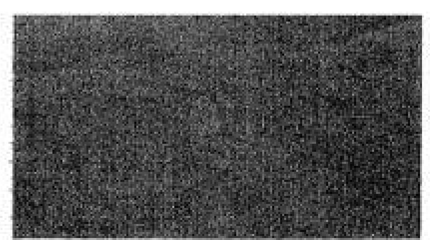
وهناك افكار اسمها مربط الفرس وبعضها مخادع توهمك أنها مثل غيرها من الافكار السهلة مع أنها لاتفهم سوى بالتريث عندها وتأملها تأملا شديداً .

وقد شاء لى القدر أن أقف طويلا عند هذه الفكرة وأتاملها مراراً . وهذه الفكرة واضحة ومحددة فى سورة الانفال . من الآية التى تقول : " إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا "

لقد حدد المولى النسبة للمسلمين ولكنه لم يورد العقاب الذى يفرض على المسلمين ان لم يقوموا بهذا الواجب ، ذلك أنه لايتصور أحد أن يكون الكفاح مسألة صعبة على المسلم .

تدل هذه الآية على أن الكفار منهزمون لانهم يفتقدون الى أمر أساسى يقوى موقف المسلم وهو الفقه ، اى العلم اى وضوح الرؤيا ووضوح الرؤيا يرتبط فى الذهن بالنور ولا اجد شيئا يرتبط فى ذهنى بالاسلام أكثر من كلمة النور . الله نور السماوات والأرض . الرسول يخرج الناس من الظلمات الى النور فالاسلام هو وضوح الرؤيا قبل أى شىء آخر . فالمسلم يرى أن هذا الكون لم يخلق صدفة وان وراءه خالق وان هذا الخالق واحد لاشريك له ، وأن الانسان لم يخلق عبثا ، وانه مسئول عن كل أعماله وسيحاسب عليها وانه متكامل مع بنى جنسه مسئول عن تقصيره فى هذا الواجب الاجتماعى .

وضوح الرؤيا ينسحب على القانون الذى يحكم ميدان المعركة . ان الآية تصور ان المسلمين لديهم عدة وسلاح أكثر من الكفار . ولكنها ركزت على المعرفة ووضوح الرؤيا كسلاح أساسى فى المعركة . ضد الكفار .



والهدف

نظرية الوجود العربي

بقلم : عبد الرحمن شاكر



تعلم الصهيونية العالمية ، ودولتها المفروضة على أرض فلسطين ، أن حصمها الرئيسى هو الوحدة العربية ، والوعي بضرورة هذه الوحدة لدى مكونات الامة العربية ، من أقطار اقليمية ومن كيانات طائفية تحتويها هذه الاقطار ، وتصبغها جميعا بالصبغة العربية ، التى تتمثل أساسا فى وحدة اللسان العربى ، وتراثه المشترك الضخم العريض . « والنظرية » المضادة التي تقدمها الصهيونية وتحاول إثباتها وتثبيت صورتها بكل سبيل ، إنه لاشيء هناك اسمه المنطقة العربية ، وانما هو « الشرق الأوسط » فحسب ، التى تعيش فيه طوائف متنازعة متناحرة فيما بينها ، ومن بينها « الشعب اليهودى الذى عاد إلى ارضه » حسب زعمها !

ويحضرنى هذا الحديث القديم ، بمناسبة ما تشهده المنطقة حاليا من صراع مسلح ملتهب ، فى ساحتين منها ، إحداهما هى الجنوب اللبنانى ، والثانية هى منطقة الخليج .

فعلى الساحة الأولى : الجنوب اللبنانى ، سجلت « المقاومة الوطنية اللبنانية » ـ وهذه هى التسمية التى يعرفها بها العرب أعمالا هى الغاية فى البطولة فى مقاومة الاحتلال الصهيونى لهذا الجزء من أرض العرب ، وقد رد الصهاينة بأعمال مقابلة هى الغاية فى الدناءة من جانب هذا الاحتلال الغادر ، مثل اقتحام القرى واطلاق الرصاص على سكانها دون تمييز ، ومن وضع المتفجرات ، على أسطح المساجد أو « الحسينيات » لتفتك بالمئات من المصلين والسكان من حولها ، وفى أماكن احتشاد السكان فى غرب بيروت



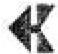
امين الجميل



نبيه برى

وجنوبها ، على نحو ينزل بالدولة الصهيونية التى تدعى وتطالب بشرعية الوجود السياسى ، الى مستوى العصابات الارهابية وهى التهمة التى تلصقها بخصوم اغتصابها بلاد الآخرين ، بل أنها فى الواقع تكشف عن طبيعتها التى لم تتغير منذ وجودها ، انها كانت ولا تزال دولة للعصابات الاهاربية فحسب !

كان من طبيعة المقاومة الشعبية الباسلة فى الجنوب اللبنانى ، أن تشد إليها أنظار وقلوب كل العرب على اختلاف أقطارهم وطوائفهم ، وخاصة فى لبنان ذاتها حيث تقوم تشكيلة طائفية كبيرة متعددة المذاهب والالوان ، وأن تلقى التأييد من كل عربى داخل لبنان أو خارجها ، حاكما كان أو محكوما ، باعتبارها نضالا وطنيا تحرريا ضد العدو الرئيسى للأمة العربية ومغتصب ديارها فى فلسطين وما جاورها . ولكن الدولة الصهيونية حرصت على إعطاء هذه المقاومة الوطنية فى الجنوب اللبنانى صورة أخرى ، حيث راح ساستها ومعلقوها يتحدثون عن الشبح « الشيعى » الرهيب ، الذى يهدد قواتهم فى جنوب لبنان ! وهى تعلم تمام العلم ، انه وإن كان الشيعة هم اغلبية سكان هذا الجنوب فإن المقاومة اللبنانية فيه تفخر بأنها وطنية ينحاز إليها كل عربى صادق العروبة فى هذا القطر العربى ، وحتى حينما أبدى رئيس الجمهورية اللبنانى إعجابه بنضال مواطنيه فى الجنوب راح بعض المسئولين فى الدولة الصهيونية يقرعونه ويذكرونه بأنهم لم يدخلوا لبنان إلا بناء على طلب من والده ! ويقصدون بذلك بيير الجميل الرئيس الراحل لحزب الكتاب اللبنانى ، وهو الحزب الذى رحب بالاجتياح الاسرائيلى للبنان فى واحدة من خطايا التاريخ ، وما اكثرها فى تاريخ العرب المعاصرين ، والصهاينة بالطبع كذابون فى ادعائهم أن اجتياح لبنان كان بناء على طلب من أحد فيه ، وإلا فلماذا سموا عمليتهم عملية « سلامة الجليل » ، وأنهم لم يقدموا عليها إلا لحماية هذا الجزء من « دولتهم » من غارات الفدائيين الفلسطينيين ؟ ولماذا كان حصارهم الذى امتد اكثر من ثلاثة اشهر ببيروت الغربية وانتهت بخروج المقاتلين الفلسطينيين منها إلى « المنافى » فى مختلف الأقطار العربية ؟ الآن لم يعد هناك تقريبا فلسطينيون يقاتلونهم فى لبنان وإنما هناك



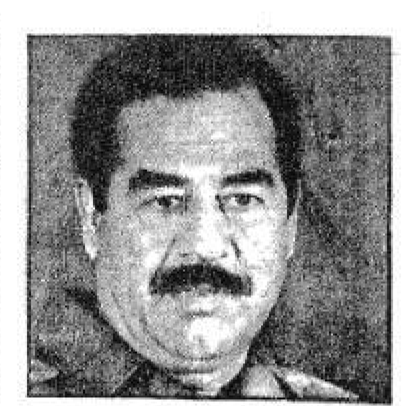


الشعب اللبنانى ، الذى بدأ يفيق على ضرورة اتحاده فى مواجهة الاحتلال الصهيونى لبلاده ، ولكن الصهاينة لا يريدون لهذه الافاقة أن تستمر ، كما يفزعهم أن تتحول إلى إفاقة عربية شاملة ، لذلك يحاولون الكيد لها ، بتصويرها بأنها مجرد عملية شيعية يسيطر عليها شبح الخومينى ، كيما ينفضوا عنها قلوبا غير شيعية تلتف او توشك أن تلتف حولها .

ويأتى هذا التصوير الصهيونى للمقاومة الوطنية فى الجنوب اللبنانى ، فى الوقت الذى تتصاعد فيه الحرب المتطاولة بين العراق وإيران ، ولا أدرى حينما تصل هذه السطور إلى قارىء الهلال إلى أى مدى تكون تلك الحرب قد اتسع نطاقها فى تدمير الدولتين وإزهاق أرواح سكانهما وتبديد مواردهما المالية ، ومن ورائها تهديد كل الكيانات البشرية فى الخليج ، وثروتها النفطية ، التى ابتلعت الحرب بالفعل جانبا ضخما من عائداتها المالية ؟ !

لقد قيل الكثير عن التحالف المستتر . ما بين الحكام الايرانيين والدولة الصهيونية وأن هذه الأخيرة تمدهم بما يلزمهم من سلاح أمريكى ، أو قطع غيار لهذا السلاح تعرض الولايات المتحدة الأمريكية عن تقدمه إليهم بذاتها ، بحكم الخصومة الظاهرة ما بين الفريقين ! ومن يتأمل الصورة فى مجموعها ، يكتشف أن تصعيد الحرب العراقية الايرانية على هذا النحو الفاجع ، له علاقة وثيقة بالحرص الصهيونى على تصوير المقاومة الوطنية فى لبنان ، بأنها مجرد حركة شيعية ! إنها تعلم أن تلك الحرب تتخذ للأسف الشديد ، ولمصيبة العالم العربى والاسلامى فى مجموعه طابع الصراع ما بين السنة والشيعة فى منطقة الخليج الحساسة ذات الأهمية العالمية . والصهيونية لا تريد لتلك الحرب أن تضع أوزارها ، أو أن يتوقف النزيف الذى تحدثه فى الجسد العربى والاسلامى عموما سواء بتأثيرها على التمسك القومى لبلدان تلك المنطقة ، أو إنهاكها لمواردها البشرية والاقتصادية ، بينما كان من حق الأمور أن تتجه تلك الموارد جميعا ضد العدو الغاصب لبلاد العرب والمسلمين من الصهاينة المعتدين .

تعلم الدولة الصهيونية أن تصاعد الحرب العراقية الايرانية واتساع نطاقها ، مع الصورة التى تعطيها للمقاومة فى الجنوب اللبنانى ، من شأنها أن تد اسفيناما ، قد يحول دون وصول التعزيز العربى الكامل الى المقاومة فى الجنوب اللبنانى ، يحلم السادة الصهاينة بأن يؤدى هذا الوضع إلى عزلة تلك المقاومة بحيث يسهل التخلص منا ، أو أن يؤدى انسحاب جيش الاحتلال الصهيونى من تلك المنطقة إلى قيام دويلة شيعية فيها متمردة على « الدولة الوطنية » فى سائر لبنان ، تكون فى المستقبل إحدى أوراق اللعبة التى تمارسها الصهيونية ، فى



صدام حسين



الخومينى

تمزيق المنطقة العربية بأسرها على أساس طائفى ، تكون لدولتها فى فلسطين المحتلة ، دور الصدارة فيها .

★ ★ ★

فإذا ما التفتنا إلى الجانب الآخر من الصورة نجد ؟

نجد عجز الأجهزة الرسمية جميعا فى العالم العربى . وفى مقدمتها جامعة الدول العربية أو بقايا تلك الجامعة فى الواقع ، فى أن تفعل سواء لدعم المقاومة الباسلة في الجنوب اللبنانى وتأكيد صيغتها الوطنية الصحيحة ، أو فى وقف الحرب المدمرة ما بين العراق وإيران ، بل امتد العجز إلى حد الارجاء المستمر لدعوة انعقاد مؤتمر القمة العربية للنظر فى الموقف العربى الراهن وما يقتضيه من سياسات .

ماذا ينتظر العرب وصيغة الوجود العربى مهددة على هذا النحو من كل جانب ؟

لقد أصبح كل فريق فى العرب ، سواء كان هذا « الفريق » دولة عربية أو مجموعة محدودة من الدول أو حتى تيارا فكريا واحداً ، اسير موقف لايريد أن يتزحزح عنه أو يتجاوزه او يعيد النظر فيه ، وكل موقف من تلك المواقف يبدو فى نظر صاحبه أو أصحابه حصناً حصينا لو خرج منه لانتهى وجوده ، والواقع أن الأمة العربية كلها فى العراء لاحصن لديها يحوطها طرفا فى أطرافها ، وإنما الحصن الوحيد هو ما تبنيه بأيدى أبنائها جميعا ، وما دون ذلك هو الخراب بعينه .

أن الموقف العربى الراهن بجميع عناصره ، لايحتمل ، أو لم يعد يحتمل أن ينحى كل طرف عربى على الآخر باللائمة فيما صارت إليه امور العرب ، وما ينتظر بلادهم سواء من جانب أعداء الأمة العربية ، أوحتى الكوارث الطبيعية التى تهدد بعض بلاد العرب مثل الجفاف فى أفريقيا .

إن انتظار تحرك الأجهزة الرسمية فى العالم العربى قد يطول بغير نتيجة بل أن التطور فى سلوك الاجهزة وأعمالها يتوقف بالدرجة الاولى ، على مدى نمو الوعى العربى فى مختلف الاقطار العربية واتساع افقه واستيعابه لحقائق الموقف العربى ، سياسيا وعسكريا واقتصاديا وحضاريا وعلى قدر وضوح الرؤية ، فى



نظرية الوجود العربي من حيث هي ومن حيث هدف أعدائها في تدميرها واثبات بطلانها بالكلية .

هذه النظرية ينبغي أن يحملها ويدافع عنها أبناء العروبة في كل مكان أن المشروع القومي للامة العربية لم يعد ترفا يمكن الاستغناء عنه اكتفاء بالذات أو الذوات المتعددة ، كما لم يعد برنامجا طموحا لهذه الدولة العربية أو تلك ، بل هو قضية مصير بالنسبة للامة في مجموعها ، وان لم تقدر ضرورته أصبح الوجود برمته في مهب الرياح .



وواضح ان المسئولية في ذلك جميعا ، قد انتقلت إلى الشعوب ، بكامل أفرادها وأجهـزتهـا الشعبيـة ، على مختلف المستويات الفكرية والسياسية والدعوة إلى جبهة للشعوب العربية تدوى في مختلف أرجاء الوطن العربي من مشرقه إلى مغربه ، وعلى كل تجمع سواء كان حزبا سياسيا أو اتحادا ثقافيا أو نقابيا أن يضع تلك الدعوة في المقام الأول من اعتباره ، وان يتدارسها بما تستحقه من عناية ، ويتدارس معها مقدار ما يستطيع أن يقدمه من عون لانجاحها .

إن تلك الدعوة إلى جبهة للشعوب العربية إنما تستهدف أن يكون هناك الجهاز العربي الشعبي ، الذي يستطيع أن يرسم استراتيجية متكاملة للدفاع عن الكيان العربي ، والتقدم به نحو مستقبل أقل إظلاما مما تعيش فيه أمتنا الآن ، وتوشك في بعض أجزائها على الاقل أو تفقد حتى مقومات العيش !

ولن يكـون الوصـول الى تلـك الاستراتيجية أمرا ميسوراً ، إذا لم تعمل على صياغتها كل العقول العربية الصادقة الواعية بحجم مسئوليتها ،ولن يتاح لتلك العقول أن تصل إلى شيء ذي بال إلا بالتواصل المستمر والحوار فيما بينها على نحو جدي ، كما أن هذا الحوار لا يرجو له الازدهار والوصول إلى نتائج إيجابية الا في ظل مناخ موائم من حرية التعبير على جميع الشعوب العربية أن تناضل من أجل توفيره باعتباره خطوة أولى ضرورية .

لقد قال شاعرنا المتنبي قديما :

ولم أر في عيوب الناس عيبا
كنقص القادرين على التمام

والتمام الذي ينقصنا الآن هو تمام وجودنا ، كامة واحدة !



نصف قرن فى محراب اسمه :
بناء الإنسان المصرى

بقلم : يوسف القعيد

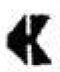
●● لابد وأن يكون ضمن اهتماماتى فى السنوات الباقية من عمرى أن أدرس ذلك الشيء العبقرى الذى اسمه : الصدفة .

بالصدفة وحدها قابلت الدكتور حامد عمار منذ أيام فى القاهرة . وفى اللحظة التى كنت أمد يدى لكى أصافحه ، كنا نعيش قاع لحظة من لحظات زمن عربى ردىء .

وبالصدفة وحدها ـ ومنذ ثمانية عشر عاما بالتمام والكمال ـ قابلته للمرة الأولى ـ عبر كتابه الهام : فى بناء البشر ـ وعندما حملت هذا الكتاب كنت أدرك أننى عثرت على مايمكننى من أن أصلب طولى وأن أشد حيلى . وأن أرفع رأسى وأن أعثر على مساحة من الأرض المصرية والعربية لكى أقف عليها . والغريب أننى قابلت هذا الرجل عبر كتابه فى مساء من أماسىّ ذلك الزمان العربى الردىء . كنت فى شتاء السابع والستين من هذا القرن . وهذا السابع والستون لايزال مستمراً حتى الآن .

وعلى مدى الثمانية عشر عاما ، منذ شتاء السابع والستين وحتى الشتاء الخامس بعد الثمانين ، وكتب هذا الرجل القليلة ، وكلماته النادرة زاد وزواد ، دليل ومرشد ، سفينة وربان . قادتنى فى رحلتين معا . رحلة عامة بحثا عن المصريين بعد هذا الذى جرى فى الصيف السابع والستين . ورحلة خاصة من أجل أن أضع يدى على تضاريس وملامح وجه القرية المصرية التى أصبحت غابة من التجاعيد بسبب فعل الزمن . وحتى احتوى ذلك الكائن الفريد الذى اسمه : الفلاح المصرى .

لاأحاول الآن سوى رد الجميل ، أقف ، أقلب هذه السنوات مرة أخرى . وأقلب فى نفس الوقت أوراق أيام هذا الرجل . الذى قضى سنوات عمره فى مهمة سهلة وصعبة لحد الاستحالة . والمهمة اسمها : بناء المصريين . وما أصعب مهمة الذين يبنون البشر . خاصة الذين يحاولون البناء . فى نهايات المراحل . وتحن للأسف شئنا أم أبينا ـ جئنا فى ذيل





مرحلة وفى آخر حضارة . ويبدو أن المطلوب منا جميعا أن نكتب كلمة النهاية ونقط الختام . ويبدو أن أشرف ماقد يقوم به جيلى هو : إسدال الستار .

أوراق الرجل تقول : الميلاد كان فى الخامس والعشرين من فبراير سنة ١٩٢١ فى قرية سلوى بحرى . لكن يكون النطق سليما لابد من كسر السين ولابد من كلمة بحرى فهناك أيضا سلوى قبلى . والقرية على حدود ومشارف مدينة أسوان . عندما ولد حامد عمار كانت سلوى مركز ادفو مديرية أسوان . وهى الآن مركز كوم أمبو محافظة أسوان . الوالد : الشيخ مصطفى عمار . فلاح مصرى من الصعيد . وإن كان هو يفضل كلمة واحدة : صعيدى .

الأخوة : الشيخ أحمد : موجه فى التربية والتعليم . محمد يعمل فى الهيئة المصرية العامة للكتاب . وهو معار حاليا للعمل فى المملكة العربية السعودية . أمين مكتبة فى جامعة المدينة المنورة . واختان هما الآن ربات بيوت وأخت كبرى متوفاة .

الأبناء : مصطفى دكتوراه فى اتصالات الكمبيوتر وسلوى . سلوى كان اسم قريته وسلوى أيضا اسم ابنته . أن الرجل يحمل سلوى معه . سلوى القرية وسلوى الابنة أينما سافر وأينما حل . دكتوراه فى الادارة الهندسية من أمريكا .

نوال . علم اجتماع كان موضوع الماجستير : اتجاهات التحضر فى مصر الآن تحضر لرسالة الدكتوراه وموضوعها التحولات الاجتماعية فى قرية سلوى بعد ٣٥ سنة من دراسة والدها عنها .

والمفروض أن تجرى الجانب العملى فى الواقع فى مثل هذه الأيام من العام القادم .

حامد عمار : العمل الحالى ، مستشار لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية لغربى آسيا · الاكوا ، ومقره فى بغداد . وجوهر عمل اللجنة : تنمية الموارد البشرية وعمله بالتحديد ، تقديم المشورة الفنية للدول العربية فى منطقة غربى آسيا .

حامد عمار : مراحل التعليم تبدو هكذا : كتاب الشيخ أحمد ، مدرسة سلوى الأولية ، المدرسة الابتدائية فى ادفو ، مدرسة أسوان الابتدائية ، مدرسة سوهاج الثانوية . بكالوريا سنة ١٩٣٧ . كلية الآداب قسم تاريخ . لأنه لم يكن فى مصر قسم لعلم الاجتماع فى ذلك الزمان البعيد . ثم المعهد العالى للتربية . وهو كلية التربية الآن .

والترتيب فى التخرج كان الثانى . وكان الأول هو الدكتور شكرى عياد الناقد الأدبى والكاتب المعروف .

حامد عمار : الوظائف مدرس فى مدرسة قنا الابتدائية ، مدرس فى مدرسة



د. حامد عمار

النقراشي في حدائق القبة . مدرس في كلية التربية في المنيرة .

حامد عمار : الدراسات والشهادات : موضوع الماجستير كان : العوامل الاجتماعية في عدم تكافؤ الفرص الاجتماعية للتعليم في مصر . دراسة بالانجليزية . حزين وأنا اكتب انها حتى الآن بالانجليزية ولم تترجم ولم تنشر بالعربية رغم انها قدمت في انجلترا بعد الحرب العالمية الثانية .

رسالة الدكتوراه : كان موضوعها : التنشئة الاجتماعية في قرية سلوى نشرت بالانجليزية وصدرت منها ثلاث طبعات حتى الآن . حزين مرة أخرى وأنا أكتب هنا : أن الرسالة لم تترجم الى العربية ولم تنشر بالعربية حتى لحظة كتابة هذه السطور .

حامد عمار : جيل الاساتذة بالنسبة له اسماعيل القباني . رجل التربية والتعليم . زملاؤه في البعثة . إلى إنجلترا الدكتور محمد عوض محمد كان يمثل الجانب الثقافي . الدكتور ابراهيم حلمي عبد الرحمن كان يمثل الجانب الاقتصادي والدكتور حامد عمار كان يمثل الجانب الاجتماعي وعلوم التربية من ابناء جيله : عبد المنعم الصاوي . شكري عياد ، محمود الشنيطي . عبد العزيز الشوربجي . راوية عطية . حامد عمار يعتبر نفسه امتداداً فكريا لهارولد لاسكي . وقد تعلم على يديه في لندن . وكارل مانهايم أحد أساتذة علم الاجتماع الذين ينادون بانه من الممكن أن يتم تطور النظم الرأسمالية الى الاشتراكية ثم الى الديمقراطية بعد ذلك . من الذين تعلم عليهم : الدكتور عباس عمار والدكتور شفيق غربال وعبد الحميد العبادي أستاذ التاريخ الإسلامي . وتلاميذ حامد عمار نوعان . تلميذ تعلم على يديه في الفصل . وتلميذ يحاول اكمال مسيرته . من النوع الأول : حسين أحمد امين وجلال أحمد أمين . وعبد الحميد حشيش . كانوا تلاميذه في مرحلة الثانوية . وهناك الكثيرون الذين يمشون في نفس الاتجاه . يحاولون اكمال مسيرته .

حامد عمار : المؤلفات . المنشورة بالانجليزية أولا . أو لنقل . المؤلفات التي تعيش في منفى اللغة أولا : التنشئة الاجتماعية في قرية سلوى . ثم المنشورة بالعربية : بناء البشر ، اقتصاديات التعليم ، العمل الميداني في الريف ، بعض مفاهيم علم الاجتماع ، الدراسة

الميدانية للمجتمع . مجالات التدريب في تنمية المجتمع . من الكتب الجاهزة التي تنتظر النشر : الجزء الثاني من مؤلفه الخطير : في بناء البشر .

دعونا من كل هذه الارقام والمعلومات والأماكن والتواريخ ، لنوقف الحديث عن الرجل حسب قواعد الجغرافيا وعلامات التاريخ . لنتكلم الآن عن الرجل الدور . والرجل المهمة لن أتحدث طويلا عن تذوقي لكتابه في بناء البشر . ولن أتوقف أمام الفصل الذي كتبه عن شخصية الفهلاو .. المصرى . والتي كانت قراءة تفاصيلها في الشتاء السابع والستين بمثابة عملية إعادة الروح المصري الى الجسد المصري في ذلك الوقت الهام .

اعتقد أن الدور الهام الذي لعبه الدكتور / حامد عمار انما يدور حول هذه القضية وهي ان نظام التربية والتعليم ليس نظاما مستقلا عن بقية النظم الموجودة في المجتمع . ان مفهوم التعليم ليس مفهوما مثاليا . ولكن نظام التعليم له وظيفة اجتماعية يؤثر في بقية النظم ويتأثر بها . ان المدرسة ليست منفصلة عن باقي مؤسسات المجتمع ابتداء من لحظة الميلاد . من الخروج من الرحم . وحتى لحظة الموت . الدخول الى القبر . الذي هو رحم جديد بصورة أو بأخرى . وخلال هذه الرحلة نجد أن المؤسسات هي : البيت المدرسة ، الكلية ، المسجد ، الكنيسة ، النادي ، المسرح ، دار السينما . الحزب ، العمل . كل هذه المؤسسات مرتبطة ببعضها البعض . والتعليم لايتم في المدرسة والكلية فقط ولكنه عملية مستمرة تتم عبر هذه المؤسسات جميعها . حياة هذا الرجل تبدو عقدة مجتمعة من الأسئلة التي مازالت تبحث عن إجابة حتى الآن :

ـ التعليم ؟ تعليم ماذا ؟ ومن ؟ وكيف ؟

يقف حامد عمار في هذه النقطة الحرجة التي يلتقي عندها علم الاجتماع مع علوم التربية . إنها تلك المنطقة الغربية التي لانعرف أين ينتهي علم الاجتماع فيها ولا أين تبدأ التربية . لذلك فهو ينظر الى التربية والتعليم باعتبارهما من الأنشطة الاجتماعية التي لها عائد محدد ..

ثمانية عشر عاما وأنا أرقب رحلة هذا الرجل ؟ ربما لأنه يسير في رحلة موازية لي . اكتب عن القرية برؤية الفنان . ولكنه هو يقف منها موقفا آخر . يمسك مبضع الجراح ، ونظارة العالم ومنظار المعمل . ويدرس ويحلل ،كنت بالفعل محتاجا لهذه العين الأخرى . التي تحاول أن تقوم

القرية وناسها وأهلها وشخوصها من زاوية العالم والباحث المدقق . ولابد من الاعتراف أن محاولات حامد عمار العلمية كانت بالنسبة لي طوال السنوات التي نصت بمثابة برج مراقبة . وجهاز رادار . من خلاله تمكنت من الرؤية الدقيقة لكل مايحدث في الريف .

ودائما كنت أقول : في عنقي دين لهذا الرجل . لابد وان امسك القلم ذات يوم لكي اكتب عنه . وتحولت الرغبة الى رف الأمنيات المؤجلة . الى أن جاء اللقاء بالصدفة . وقررت أن أكتب عن الرجل الذي يتعبد منذ نصف قرن من الزمان في معبد مكتوب عليه من الخارج : بناء المصريين .

أكتب هذه الكلمات وفكرة واحدة تعذب قلمي : ترى هل أفلح في نقل احساسي بهذا الرجل الى أجيال جديدة في مصر ؟ أجيال خرجت لاتريد الاهتمام سوى بذواتها ؟ هل يشعر من يقرأ هذه الكلمات بدوار لحظة الاكتشاف . والتحديد المفاجيء في نور قوي . لو حدث هذا سأكون سعيدا . وان لم يحدث فالفشل فشلي . فحامد عملا علامة مصرية من علامات النصف الثاني من قرننا العشرين وهو علامة من اهم الميادين كلها . ميدان بناء النفوس والبشر . ولأادري حتى الآن ماذا يوجد في هذا الكون كله أهم من الانسان ؟! لأادري حتى الآن .

كلمـــات عاشـت

● الناس لاتقدم لك خدماتها إلا من أجل أكياسك المليئة بالنقود .

الأديب الفرنسي فرانسوا مورياك

● أنا لا انتقم من أعدائي . فأنا لاأستطيع أن أجري طيلة عمري وراء كلب لأعضه كما عضني ...

المهاتما غاندي

● إن عقل المرأة إذا ذبل ومات ، فقد ذبل عقل الأمة كلها ومات

توفيق الحكيم

● هناك مبادىء طيبة تخلق النظام ، والنور ، والانسان وهناك مبادىء سيئة تخلق الفوضى ، والظلمات والنساء

فيثاغورث

● خلق الله للانسان اذنين وفم واحد كي يسمع ،اكثر مما يتكلم

كونفوشيوس -

● المناقشات بين الزوجين كالمشرط في يد الجراح ، لابد لكل طرف أن يستعين بكل مالديه من دقة وعناية وهو ينهمك في المناقشة ، وكم من مرضى لاقوا حتفهم بسبب الاهمال !

أندريه موروا

حَسَد X حَسَد

للشاعر : فريـــد قرنى



أحسدُ الأرض التى تمشى عليها
أحسد العين التى ترنوُ إليها
أحسد المنديل إذْ تنشره
ثم تطْويه بكُلتَا راحتيها
أحسد العُقد ترامَى وانتشَى
وامتطىَ فى خُيَلاء .. ناهديها
أحسد القرطَ تدلىّ هائماً
كاد أن يأكل شوقاً أذنيها

أحسد الكوبَ الذى تشربه
وهى تُدنيه بطرفىْ إصبيعها

أحسد الكرسىَّ إذْ يحْملها
وهى ترخى فوقه من ساعديها

أحسد اللقَمة إذ تهفو لها
وتودّ الموتَ فى حضن يديها



أحسد المشطَ إذا أسنانه
هاجمتْ ليل الدّجَى فى مفرقيها
أحسد المرآة إذْ تكسبها
حُمرة الاعجاب تسقِى وجنتيها
أحسد العطر إذا ماسّها
إنّ برْءَ المشتكى من لمستيها
أحسد الدمعة إذْ تذرفها
أوَ لم تسْعدْ بسكنىَ مقلتيها
أحسد الهاتف إذ تفضى له
وهو يُلقى فمه فى مسمعيها
أحسد الزهرة إذ تصبو إلى
بوْحها الفّراح من غمازتيها
أحسد النسمة تهتزّ علَى
ربْوة الصدر .. وتعلُو منكبيها
كلّها أحسدها أحســدها
حسَد المُشفق منْها وعليها



محمود البدوى بين "الأعمى" و"السكاكين"

بقلم د: سيد حامد النساج

يقدم الدكتور النساج العمل الاول للكاتب الكبير محمود البدوى والذى صدر علم ١٩٣٥ ، ويتابع تطور أعماله خلال نصف قرن ، ويصل الى أخر أعماله والذى صدر أخيرا .



محمود البدوى

صدرت مجموعة قصصية جديدة للكاتب الكبير محمود البدوى بعنوان (السكاكين) . وفى ١٩٣٥ ، كانت قد صدرت اول مجموعة قصصية له تحمل عنوان (الأعمى) عن كتاب الجيب . وذلك قبل أن تعرف قصصه القصيرة طريقها الى الصحافة اليومية والأسبوعية والشهرية . على غير المألوف ، إذ عادة مايبدا الكاتب في نشر قصصه القصيرة فى الصحف والمجلات اولا ، ثم يجمعها ليصدرها فى كتاب أخيرا .

لكن محمود البدوى قدم هذه المجموعة مطبوعة للمرحوم أحمد حسن الزيات ، الذى كان ينشر له فى مجلته (الرسالة)مايقوم البدوى بترجمته لتشيخوف وموباسان وجوركى ، فابدى اعجابا ملحوظا بقصة « الأعمى » على وجه التحديد ، ثم مالبث ان نشرها له فى مجلة « الرسالة » ، فى عددين : فكان لهذه القصة بذلك حظ الذيوع والانتشار .

وقد يعنى هذا من بعض الوجوه ، أن

محمود البدوى يكتب القصة القصيرة منذ نصف قرن . كما أن إصداره مجموعته الاخيرة (السكاكين) يدل دلالة على أنه لم يتوقف عن كتابة القصة القصيرة لحظة واحدة . وأنه تفرغ للابداع فيها وحدها دون غيرها من فنون الأدب المختلفة . لذا فإن نتاجه فى هذا اللون الأدبى غزير . فما أكثر ماكتب من قصص قصار !

لم تصدر فى مصر صحيفة أو مجلة ، دون أن يكون له اسهام واضح ، بما ينشره فيها من قصص .

لن عدد مانشره فى الصحف والمجلات يربو على الثلثمائة قصة قصيرة . كما أنه كان حريصا على أن يصدر بين الفينة والفينة مجموعة قصصية ، تضم بعضا مما نشرته له الصحف والمجلات .

وهى مجموعات تعتبر معالم مشرقة ومضيئة فى تاريخ هذا الفن . ومن ثم كانت مكانته الأدبية الثابتة ، واستقرت له ريادة حقيقية غير زائفة .

اول قصة قصيرة نشرت له (الاعمى) فى مجلة (الرسالة) كشفت عن تفرده واستقلال شخصيته الفنية . وحددت سماته ومعالمه ، وأجواءه التى يحرص على أن يصطحب قارئه اليها . كما اشارت الى الأشخاص الذين الفهم هو ، ثم عرفنا بهم . فالفناهم معه . واصبحوا جزءاً منا . لأننا جزء منهم . ولأنه ـ ككاتب ـ لاينفصل عنا ـ كقراء ـ وعنهم كأناس واقعين يعيشون بين ظهرانينا .

منذ ذلك الحين وقصصه القصيرة تشير اليه ـ فنيا ـ لأنه تميز بين عدد من الكتاب ، كانوا يشاركونه الكتابة آنذاك . بل ان منهم من كانوا قد سبقوه الى الكتابة فى الفن . ومع ذلك فانه لم يحظ بعد بأن يكون موضوعا لدراسة جامعية تتوفر على دراسة تطوره الفنى ، ومراحل حياته الأدبية ، وعالمه القصصى ، واسلوبه . ولغته ، وحواره ، وفكره ، والقيم التى حرص على ان يبثها فى ثنايا قصصه القصيرة ، والتى لايمكن الا ان تكون مع التقدم ، والتغيير ، والبناء الاجتماعى والانسانى ، والثقافى للمجتمع . بل انه ـ حتى هذه اللحظة ـ لم ينل تقدير الدولة ، بمنحه جائزة الدولة التقديرية فى الآداب .

ان كل همه ان يتفرغ لممارسة الابداع فى القصة القصيرة . مسلحا بعدد وافر من الخبرات ، والمواهب ، والقدرات ، والمواضب ، والحيوات التى عاشها ، والثقافات التى تثقف نفسه بها . لم يلهث وراء الاذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح . لم يجر وراء الصحافة كى تنشر صوره واخباره . لم ينتم الى حزب بعينه . لم ينضم الى شلة من ذوى المصالح لم يسع من اجل منصب هنا أو هناك . لم يحفل بان يكون له مريدون . يثيرون حوله الجدل والحوار . ويتحدثون عنه فى الاماكن العامة والخاصة ويزجون باسمه بمناسبة ومن غير مناسبة . يحتفلون بعيد ميلاده . أو بمرور ربع قرن أو نصفه على بدايته الكتابة' هو فقط حريص على ان يكتب القصة القصيرة . جاد فى التفرغ لها . مسئول عندما يكتبها لأنه لايكتب للتسلية والترفية ، وانما يعرف دور الكلمة ، ومهمة الاديب ، ومسئولية الكاتب . ويعرف ـ ايضا ـ كيف يؤدى هذا الدور من خلال شكل فنى جيد ، وفى ثنايا بناء قصصى محكم . وقد بدا هذا واضحا فى معظم قصصه القصيرة التى كتبها منذ (الاعمى) ١٩٣٥ ، حتى (السكاكين) ١٩٨٥ .

وسوف نحاول الاطلال على عالمه .

فى (الاعمى) يقدم لنا الكاتب المكان ، والزمان ، والشخصية ، والحدث . وهى محاور اساسية فى كل قصة من قصصه . « سيد » مؤذن مسجد احدى قرى الصعيد . فى الثلاثين من عمره . فارع . مفتول العضل



لكنه فاقد البصر عاجز . انسان بلا ماض ولاحاضر ولامستقبل . يقيم فى منزل ... ليس ملكا له ، ولايدفع إيجارا . تشاركه ارملة فى الخمسين دمثة الطبع ناحلة الجسم ، واهية البناء فقيرة لم تجمع بينهما صلة قرابة او عمل أو حب اللهم الا هذا المسكن الذى يملكه رجل ملاح يعمل فى النيل ويقضى فيه العام كله . كان « سيد » يحرس بئر المسجد وينهر النساء كلما حاولن الاقتراب منه ليملأن جرارهن ومن هنا نشأت العداوة بينه وبينهن كذلك كان الاطفال يرهبونه ، ويخافون منه ، ويسبونه ، ويرمونه . بالحجارة والحصى

ويحاول الكاتب تفسير الدوافع والاسباب التى دفعت بالاطفال الى اتخاذ هذا الموقف من « سيد » « الاعمى » اولا ثم موقفه هو من النساء ثانيا فيذهب الى أن مبعثه نفسى بحت فلم يكن لهذه العداوة سبب ظاهر فى الحقيقة ، اللهم الا الطبع الشرير ـ كما يقول ـ الذى ينزع بالأطفال الى السوء .

أما بالنسبة لموقفه من النساء ، فانه لم يكن يزجرهن عن البئر ، لأنه يخاف على الماء (بل لأن شيئا خفيا فى أعماق نفسه ، كان يدفعه الى النفور منهن وابعادهم عن جوه، دافع باطنى عجيب كان يخرجه عن هدوئه وسكونه . عندما يسمعهن يتحدثن على الماء أعذب حديث وأرقه ، كان يرجف له ويضطرب وهو الرجل وهن النساء ، شعور باطنى غريب كان يحمله على فعل ذلك ولم يستطع تحليله ولا تعليله ، وهو الجاهل الذى لم يذهب إلى المدرسة ولم يدرس علم النفس ، لقد قضى الرجل حياته بعيدا عن جو المرأة فاخرجها من دائرة تفكيره ، بعد أن خرجت من دائرة وجوده ، ولم يعد يفكر فيها مطلقا . ولا يحن إلى لقياها ولا يستريح لرفقتها . وكان يتضايق حتى من وجود أم سيد معه فى منزل واحد وان كان ينام بعيدا عنها ، ولا يلاقيها إلا نادرا

هكذا يسعى الكاتب فى محاولة للاقتراب من العالم النفسى الداخلى ، ومن العوامل التى تصطرع فى أعماق الشخصية المحورية . شخصية الاعمى . علاقته بالمرأة . قوته الجسدية . عجزه . تمثله لما قد يحدث فى عالم النساء . تصوره لأشياء يقف امامها قاصرا . المرأة التى تشاركه مسكنه لاتمتلك ما يمكن ان تمنحه إياه ليحدث التوازن والتعادل . فهى فقيرة . عجوز . ضعيفة . وهو قوى . فتى . لكنه عاجز ، غير قادر على المواجهة ، والنظر الحقيقى ، والتفاعل الواقعى . رغم وجود مؤثرات خارجية قوية ، تقتحم عالمه ، وتنفذ الى داخله ، وتسرى فى دمائه وتنخاعه الشوكى . الضحكات تتسلل اليه . الصوت ذو النغم الحلو يتسرب إلى كيانه . المداعبات تأتيه من بعيد ، لتنهش مسامعه

كل هذه المؤثرات تشكل ـ مجتمعه ـ السر الخفى الكامن وراء العداوة الظاهرة التى يبديها الاعمى للنساء . كان الكاتب حريصا على اكتشافها ، باحثا عن تلك الدوافع غير المرئية ، المستترة ، التى دفعت بالشخصية الى حيث هذا الموقف المحورى الرئيسى . ومن هنا جاء اقترابه الشديد من « الداخل » لا من « الخارج » لكى يكشف لنا ذلك اللامرئى فى حياة الأعمى .يحاول تبريره الظاهر « المرئى » بالبحث عنه « اللامرئى » . فى الداخل حتى يكون سلوك الشخصية مبررا .

مقنعا ، معقولا . وحتى تكون القصة صادقة واقعية ، قابلة للتصديق .

يبدو هذا أكثر وضوحا ، فى تصوير الكاتب بداية التحول التدريجى فى موقف الأعمى يهيىء له المناخ يوفر له الأسباب وهو تحول بطيء ليس مع كل النساء اللاتى يملأن جرارهن ولكن مع واحدة فقط هى ، جميلة ، فتاه فى رونق صباها رائعة الحسن غضة العود يخشى زوجها عليها ولايحب لها ملاقاة شبان القرية الذين يقفون على راس الطريق فى ساعات النهار ويسمح لها بأن تتردد على البئر عند مطلع الفجر ، أو بعد آذان العشاء . هى ـ اذن ـ مدفوعة دفعا ، وفقا لظروفها الموضوعية والخاصة الى أن تتردد على البئر ليلا . والأعمى مدفوع هو الاخر ، ومن بواعث داخلية ، منذ زمان الى أن يحرس البئر ، ويتابع المتلصصين ، والمتسللات ليلا بكل مايحمل من ضغوط خارجية ، ومن بواعث داخلية ومن عجز ظاهر ، تقابله قوه باطنة ولنتتبع مع الكاتب ضبطه لخطوات التحول : تأخر الأعمى مرة فى المسجد حتى زحف الليل وتكاثف الظلام واشتد ، فسمع وهو راقد فى ركن من أركان المسجد صوت الدلو فى البئر ، فاستوى على قدميه ، ومشى على اطراف أصابعه كاتما انفاسه وصدره يضطرب وجسمه كله يهتز حتى جاز صحن المسجد وتياسر الى البئر ، وقلبه واجف ، وكان قد خفت صوت الدلو ، ووضح صوت « الجبيذ » البكرة ـ فقال لنفسه ، لابد ان امرأة تجذب الدلو الآن وهى مشتغلة به فلا تسمع خطوات قادم ووقف برهة ثم صاح بصوت خشن:

ـ مين :

فاستدارت المرأة وحملقت فى الظلام . أواد . انه سيد الأعمى على مدى ذراعين منها ، ورمت الدلو ، واذهلها الموقف المرعب عن ابداء حركة ما ، فوقفت فاغرة فاها . ثم اسعفتها غريزة الهرب بعد ثوان ، فولت هاربة ، فسمع وقع اقدامها ، فجرى وراءها ، وسمعه الى خطاها ، وجرت حتى جاوزت المسجد ، وبودها لو تصيح بأعلى صوتها ، ولكن من اين لها القوة على ذلك ؟ وكيف يطاوعها الصوت ؟ وعثرت قدمها بحجر فى الطريق ، فكبت على وجهها مذعورة . وانت عند ذلك انة قوية ، فجرى على الصوت واهوى بيده العمياء ولمس كتفها . وكان قد بلغ منه الجهد فوقف يلهث ويده ممسكة بكتفها ، ثم أنزل يده حتى قبض بعنف على رسغها ، وقامت المرأة متراجعة ، تود ان تفلت منه بكل ما تستطيع من قوة ، ولكنه ضغط على يدها بشدة ، وتحسس بيده الأخرى وجهها وقال فى صوت متزن : ـ جميلة . ووقفت المراة صامتة تهتز وترتجف ـ لم لم تناديني لأملأ لك الجرة . وقد رق صوته جدا ، فدهشت من تطور حاله وصمتت ـ لماذا ؟ فشجعها صوته اللين واجابت :

ـ انك لا تسمح لأحد بالدنو من البئر . فكيف اناديك ؟

ـ ليس لواحدة أو اثنتين . وانما عندما تجئن بالعشرات فتقطعن الحبل ، وتمزقن الدلو ، وتهششن الجبيذ . فى البلد اكثر من اربع ابار قريبة ، فلماذا تجئن الى هنا دائما ؟

ـ لأن هذه أعذبها ماء

ـ هذا الماء العذب كثيرا ما ينزح !

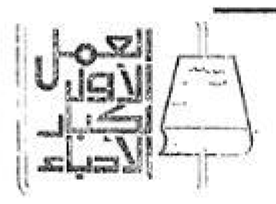
ـ النيل فى فيضانه والماء كثير

ـ اجل .. ا .. أ... ولكن ... املأت الجرة ؟ !

ـ نصفها .

ـ ساكملها لك

وانقلب الى البئر ، فمشت وراءه مطمئنة ، وادلى الدلو وهو يحس بعض الاضطراب ، وقال وهو يفرغ الدلو بصوت خافت لين المخارج . ـ اذا جئت مرة أخرى . ناديني



لأملاها لك .

كثر خيرك .

وساعدها على حمل الجرة ، وانطلقت بها الى بيتها . ووقف ينصت الى هزيز الريح القوية فى الحقل البعيد .

بعدئذ . اخذ الأعمى يستريح على مرور الأيام لمحضرها حتى اصبح يشعر فى الأيام التى تتخلف فيها بالانقباض والوحشة . كان يحس أن شيئا ينقصه . لأنه أصبح يستريح معه وينشرح صدره له وتنتشى حواسه وتهدأ ثائرة أعصابه . كما ان جميلة كانت تدفعها غريزتها اول الأمر الى الخوف منه واتقاء شره كرجل ، بصرف النظر عن كونه أعمى ، ولكنها مالبثت أن استراحت واطمأنت ووثقت من عفته وخلقه ، بعد مرة ومرة ومرات . كان هذا الموقف بداية موفقة لها جميعا . تصوير حى لبداية مشحونة بالخوف . والتوتر والاضطراب ، والصراع . مشهد طبيعى اجاد الكاتب نقله الى القارىء بشكل واقعى لاافتعال فيه . حركة خارجية . تصحبها حركة نفسية داخلية . تلمس دقيق لكل همسة ونأمة . انتقال محسوب من خطوة الى خطوة . ذلك ليقنعنا الكاتب بامكانية ومعقولية تردد جميلة - بعدئذ - على البئر دون خوف .

بقى الأعمى فى المسجد بعد أن فرغ المصلون من صلاة العشاء بساعة ، ثم مشى الى جانب المنبر فتناول عصاه وام الباب ، لما بلغ عتبته سمع صوت الدلو فى البئر ، فنصب قامته وأرهف سمعه . لقد جاءت جميلة على عادتها ، ولكنها متأخرة قليلة هذه الليلة . واستمر واقفا وسمعه الى الماء المتقاطر من الدلو كدفعات المطر غب سحاب ورعد ، ثم انقطع صوت الماء . فادرك أنها ملأت الجرة ، فدفع الباب وخرج ، ومضى تحت جدار المسجد خطوات . ثم توقف عن سيره واخذ يفكر . ثم ارتد الى حيث كان ، حاثا الخطى كانما يسوقه سائق .

وكانت الجرة على راسها ، وقد تهيأت للسير ، فاستدارت ووقفت . ومد عنقه وقال : - سأروح معك من غرب البلد . لأن كلاب الشيخ عبد الكريم عادت من العزبة . وهى تقطع على الطريق . - هيا . ومشيا صامتين ، والليل ساكن والقرية نائمة . والظلام مخيم ، حتى أحس بأنفاسه خلصت . فادرك أنهما خرجا الى الخلاء . وبعد خطوات سمع حفيف الريح فى عيدان الذرة فايقن انهما قربا من الحقول ، وسأل وقلبه يرجف - اوصلنا بستان الشيخ حسين ؟ - قربنا .

ولم يكن الف هذه الطريق ، وأن كان يعرف أن هناك قناة صغيرة تمتد بين البستان وحقل الذرة وعليهما أن يعبراها لينحدرا منها الى جنوب القرية ، ثم الى حيهما . وكان منذ ان غادر البئر واقعا تحت تأثير خواطر عاصفة . واشتعل لها راسه ، وجاش صدره . فكان يتخلف عنها قليلا ويجعلها تتقدمه خطوات ، فهذه المرة الأولى التى ينفرد فيها مع امرأة فى ظلام الليل وسكونه . على أن تخلفه عنها لم يخفف من حاله ، بل على العكس من ذلك ، كان يفسح المجال لوضوح رغباته وتركزها واخذها السبيل عليه . فمضى وراءها والاضطراب يعصف بقلبه وصدره وكيانه ، حتى وصلا القناة فدفع لها عصاه . ونزل وراءها فى الماء وغاصت اقدامها فى الوحل ، وخرج ينفض رجليه فى العشب الممتد على حافة الحقل . وانزلت هى جرتها وانحنت على الماء تغسل رجليها ، ثم انتصبت تصلح

ثوبها ، وهو واقف خلفها يفتح رئتيه وصدره لهواء المساء العليل ، يحاول أن ينحى عن راسه الخواطر العاصفة التى الهبت الباقه وهيمنت على كيانه . وواجهته وقالت بصوت ناعم _ ناولنى . فمد يده الى الجرة . فلمست يدها ، فكانما لامسه لهب كاو ، فوقف ويده تلاصق يدها . ثم امسك بيدها ورفعها عن الجرة ، حتى استطاع ان يقبض عليها بقوة ، فمدت وجهها مشدوهة وقالت وصوتها يرتعش . _ ناولنى .

فرفع يده الى ذراعها وضغط ، وقد أحس بـالـيـاف لحمـه تلتهب : _ ن .. نـا .. ولنى ! فابقى يده ضاغطة على ذراعها ، وهو واقف بتردد . _ مالذى تريده منى ؟ فلم يقل شيئا . ثم مال عليها وضمها الى صدره وضغط على جسمها فتراخى . وحملها على ذراعيه بسرعة ودخل بها حقل الذرة .

عذرا للقارىء العزيز ، اذا ننقل نصوصا مطولة . ذلك أن القصة _ فى حد ذاتها _ تحتل حيزا طيبا كما قلنا . كما انا نود أن تكون ملامح هذه القصة الاولى ماثلة امام القارىء . بدلا من أن ننقل حرفيا باعتبارها العمل الاول للكاتب . وحتى لا تكون احكامنا فى واد . والأصل فى واد آخر .

ايا ما كان الامر ، فان هذا المشهد _ وحده _ من بدايته حتى نهايته ، يشكل قصة قصيرة ناضجة . مكتملة العناصر . تتوفر فيها معظم خصائص هذا الفن الوحدة . التركيز . الفعل المتطور النامى . الصراع النفسى الداخلى . انعكاسات الحركة الخارجية على الحركة النفسية الداخلية . الحيوية .

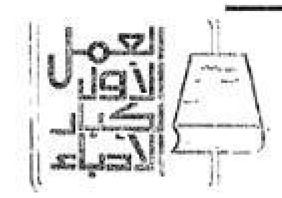
انها لحظة مشحونة مضغوطة . من حياة انسان عادى جدا . وهكذا الكاتب دائما . يلتقط شخصيات قصصه من الواقع بيتعد عن مشكلاتهم التقليدية المعروفة . ينتقى زاوية للنظر لم يلتفت اليها الكتاب قبل .

وفى هذه القصة حوار فنى صيغ بلغة سهلة . كان الكاتب فيه شديد الحرص على الاقتصاد فى كلماته . بالغ الدقة فى اختيارها . موجز . واضح . دال . حاد .

الفعل هنا يتطور تطورا طبيعيا محسوبا . سواء كانت حركته داخلية على مستوى نفسية الاعمى او جميلة . او خارجية على مستوى الفعل الظاهر للعيان . ثمة اصوات متنوعة تلتحم داخل نسيج القصة . صوت يعبر عن داخل الشخصية وصوت يجسد ضمير المجتمع . وصوت الكاتب المحلل ، الذى يصور ، ويتعمق ، ويتتبع حركة الشخصيات ثم الواقع المادى ، الطبيعة ، المكان ، المسجد الترعة . الحقل . وكلها تتداخل وتتلازم بمهارة ودقه ، بحيث لا يطغى صوت منها على الآخر .

واذا كانت كل المواقف طبيعية ، مقنعة ، مقبولة ، فانها لابد وان تؤدى الى نهاية واقعية فنيا . فالشيخ سيد الأعمى بعد أن فعل فعلته لم يستطع أداء الصلاة ، فنام فى الخلاء حتى القيلولة . وما أن رآه الاولاد حتى جروا وراءه كعادتهم . رموه بالحجارة . وانهالوا عليه بعد ذلك حتى امطروه وابلا من الحصى والحجارة . فاستدار لهم وقد تميز غيظا . ولوح بعصاه يتهدد ويتوعد فتفرقوا عنه . واستانف سيره بعد برهة . واستانفوا هم بدورهم حصاهم وحجارتهم . فاصابه حجر فى الجانب الأيسر من صدغه فشجه وسال الدم . والمه الجرح جدا حتى خرج به عن رشده ، فدار على عقبيه وجرى وراء الصبية يضرب بعصاه يمينا وشمالا ، وهو مخبول تماما . حتى اصابت ضربة قوية صبيا فى راسه فجرحته جرحا بليغا . وكان الكلب رابضا على الجسر ، فقام ينفض جسمه ، ثم دار دورات سريعة يقذف فى خلالها الهواء بغبار رجليه . ثم انتقض على الرجل فمزق الجزء الامامى من ثوبه . وطار به ، والصبية تهصر هد

محمود البدوى



ولاتصدق . وشجعهم الكلب على معاودة الكره فانهالوا على الرجل يرجمونه بالحصى والحجارة حتى انطلق يسابق الريح . ومازالوا يتبعونه حتى اجلوه عن القرية ، وانطلق هو يجرى كالمخبول لايلوى على شىء .. ثم وجدوه مقتولا على قارعة الطريق .

حدد الكاتب للاعمى مصيرا يرتبط عنده دائما بالجنس ، وهو الموت . فاذا كان « الجنس » و « المرأة » هما عنصر البقاء والتجدد والحياة . فان الموت هو النقيض لهذا كله . وكما ان الجنس والحياة والمرأة حتمى تواجدها . فان الموت هو الآخر حتمى وجوده ، وهو قدرنا . الجنس قدر جميلة . والموت قدر الأعمى . لذا فان الكاتب لم يلق على جميلة اى لوم ، لابد لها من الاستجابة لدعوة « الجنس » مادام هذا هو قدرها (ستذكر جميلة دائما ان قوة خفية ساقتها بمحض ارادتها الى الوحل ، قوة أعلى منها لاتستطيع فهمها) .

ولما كانت هذه القصة هى أول قصة قصيرة ينشرها الكاتب ، فان لنا ان نعجب من هذه البداية الموفقة جدا . تلك التى قادته الى خطوات اكثر امتيازا وتفوقا . بل انا نزعم أن كثيرا من الخصائص الفنية التى اتسمت بها هذه القصة ، ظلت ملازمة قصص الكاتب فى مراحله جميعا حتى صدور (السكاكين) ١٩٨٥ .

ولأول مرة - ايضا - فى تاريخ القصة المصرية القصيرة ، يتصدى كاتب لتصوير الشذاذ واللصوص الذين التزموا فى ثورتهم على تناقضات المجتمع وسيلة العنف .. فقد كتب محمود البدوى عن ريف الصعيد اكثر ما كتب ، لانه عاش فى الحقول ، وزرع الارض ، وحصدها . ثم مالبث ان انتقل الى المدينة ، فكتب عن المعذبين المطحونين فيها . وقد نعجب اذا نعرف انه كثيرا ما يختار شخصياته من ذوى العاهات فى المجتمع . الاعمى - الاعرج - المشلول - قبيح الوجه - الدميمة . ممن يشعرون بانهم غير طبيعيين ، وممن يحسون بانهم يعيشون فى وحده وأن اشياء معينة تنقصهم . وكانه يريد حينما .. يجعل محيط تفكيرهم « الجنس » ان يعوضهم عن شىء افتقدوه . احساسهم العارم بالنقص ورغبتهم الكامنة فى محاولة تعويضه .

وينفرد البدوى من بين كتاب القصة القصيرة فى كونه يكاد يكون الكاتب الوحيد الذى صور جانبا من الحياة فى « اللوكاندات » و « البنسيونات » . وهو لون من الحياة لم يشاهده المصريون ولم يقرءوا عنه كثيرا . واستطاع البدوى عن هذا الطريق تصوير حياة الاقليات التى كانت تعيش فى مصر اثناء الحرب العالمية .

ولايغيب عن بالنا نزوع الكاتب نحو النقد الاجتماعى . وتعرية العيوب البادية فى الواقع . كما انه يتوقف عن متابعة وحركة المجتمع فى تطورها الصاعد . فهو يصور انسان هذا المجتمع فى مختلف المراحل والظروف التى يمر بها مجتمعه . ليوكد انعكاس العالم المادى المحيط على سلوكياته وقيمه واخلاقه .

ومحمود البدوى يؤمن بان حادثا بسيطا يقع فى حياة الانسانية قد يغير وجه التاريخ ، كذلك الانسان قد يعرض له حادث تافة فيغير

محرى حياته . يغير نظرته للأمور ويبدله تبديلا . ويخلق منه رجلا آخر . لذا فانا نراه يلتقط مواقف بسيطة يعبر فيها ببساطة عن انسانية الانسان . وان معظم قصصه تدور حول احداث عابرة ، او مواقف خاطفة ، لاخطورة فيها ولاجلال ، لكنه - بفن - يحولها الى عمل مؤثر وعظيم

نكما تلازم المكان والزمان فى قصته (الاعمى) نجدهما يتلازمان فى قصص هذه المجموعة . تبدأ قصة (السكاكين) على هذا النحو (ذات ليله من ليالى الصيف التقيت بشاب وانا اهبط من سلم عمارة كبيرة تقع فى شارع جانبى بحى عبد العزيز فهمى بمصر الجديدة) وقصة (الفقير) تبدأ هكذا (هبطت الطائرة فى مطار « كاى تاك » بمدينة هونج كونج والصبح يتنفس) .

كما ان المرأة موجودة بثقلها وكيانها وتأثيرها ، حتى وان لم تظهر بشكل سافر فهى فى قصة (السكاكين) ذات هيمنة روحية ، واشعاعات قوية . كما انها هى المصابة بشلل خفيف فى القدم اليسرى . فى حين لها الغلبه فى قصة (الساعاتى) وقصة (الفقير) والمرأة عنده فى الخامسة والاربعين او اكثر قليلا . وهذا هو النموذج الذى يتوفر فى قصص محمود البدوى . ناضجة ، عاقلة ، مكتملة الانوثة ، رمز الحياة والامومة . والخصب والزوجية .

وحينما تكون المرأة ، ويكون الرجل ، تشتعل الشرارة ، ويزداد اللهب ، لكن سرعان ما يصب الماء البارد ، مجسدا للقيم ، للمجتمع ، للجدار . هكذا هى فى (صورة فى الجدار) وفى (الساعاتى) (وتقل وقع الامر على نفسينا فخلال ثلاثة اشهر متصلة كانت هناك شرارة تعمل بين رجل وامرأة ولكن مغطاة بالعازل الذى يمنع اندلاع الشرارة فلما تهيأ الوقت لاندلاعها وتوهج اللهب اخمدناه بقسوة بدلو من الماء البارد)

وفى لحظة « الموت » كانت « المرأة » وكان « الجنس » فى (زهـور ذابلـة) وفى (الاعمى) وفى (الساعاتى)

واستطاع الكاتب فى قصته (عضة الكلب) ان يحرك الجماعة فى القرية تحريكا جيدا . وقد وفق فى ربط الشخصيات بالواقع ، وبحركته المتصلة . والتى تتسم بسمات خاصة داخل الريف المصرى . ولم يغرق فى الرمز والتعقيد . وانما الفناه - كعادته - بسيطا سهلا متدفقا موقفه واضح من السلبية التى طغت على حياة الناس . وتأييده - بشكل فنى لافت - للايجابية والتحدي والانتصار على الخوف . كما ان استخدامه للرمز مجسدا فى صورة الندبة التى احدثتها عضة الكلب ، والتى طبعت فى كل وجه قروى جبان متقوقع اخرس عن الحق ، كان استخداما موفقا . ان هى الا وصمة عار طبعها الكاتب على جبينهم وفى خدودهم معلنا رفضه لهم جميعا ، معريا سوءاتهم وما هم فيه .

دعك من الحديث عن الحوار ، واللغة ، والصراع النفسى ، والبناء الفنى المحكم ، والتطور الداخلى للحدث ، او للشخصية . والايحاء والبساطة . وما شابه ذلك من خصائص عرفت بها قصص محمود البدوى ، وظلت ملازمة لها منذ « الاعمى » ١٩٢٥ حتى « السكاكين » ١٩٨٥ .

الرغيف المتهم

لصديقنا العلامة الاجتماعي الكبير، المستعرب علما ومحبة، الاستاذ جاك بيرك، رأى في الثقافة العربية والعقلية العربية، خلاصته أن الرموز تحتل فيهما مكان الصدارة قبل الأشياء، ومن ثم يمكن أن تقوم «فكرة الشيء» بالدور المؤثر في السلوك، عوضا عن «واقع الشيء». ومن شواهده الطريفة على ذلك - وقد استمده من ملاحظته المباشرة - أن رجلا لبنانيا من عامة الشعب كثرت أمواله فبنى عمارة، ولما كملت جعل نزهته أن يجلس عند بابها وكلما جاءه طالب سكنى قال له انه لايرغب في اسكان أحد في الوقت الحاضر. وتفسير ذلك عند الاستاذ بيرك - وهو التفسير الصحيح بدون شك - أن صاحب العمارة لم يبنها أساسا لتكون له عمارة ويجنى منها أرباحا، بل ليقال عنه إنه صاحب عمارة، فهي أولا وقبل كل شيء «رمز» يشير الى أنه غنى.

كثيرا ما جادلت في هذه الفكرة، اعتمادا على ان المجتمعات البشرية كلها - لا العربية فحسب - تقوم على استخدام الرموز، وان كان من المؤكد أن تضحية الواقع في سبيل الرمز لايعبر عن سلوك انساني سوى أو مجتمع سوى. فالسلوك السوى يجعل الرمز سبيلا الى فهم الواقع وتغييره، أما إن اغتصب الرمز مكان الواقع، وطرحه في زاوية النسيان، فمعنى ذلك أن هناك انحرافا في السلوك يجب البحث عن اسبابه ثم العمل على علاجه. وطبيعي انى لم اكن مستعدا للتسليم مع صديقي الكبير بأن هذا الذى أعده انحرافا هو سمة أصيلة للثقافة العربية والعقلية العربية، او خاصية مميزة لهما.

ولاشك أن الاستاذ بيرك - الذى لايفوته شيء مهم من واقع الحياة الاجتماعية في العالم العربي - يتابع الآن احداث «الرغيف المصرى» التى برزت بتكرارها والحاحها أطول المسلسلات التليفزيونية. ولاشك أيضا أنه يستطيع ان يشير اليها وهو يبتسم ابتسامته الخفيفة الواثقة على انها دليل قوى يثبت صحة نظريته، دليل اقوى بكثير من حكاية صاحب العمارة اللبنانى. اما انا فلا أملك الا أن اضع يدى على قلبى، وأدعو الله بكل ما أملك من حرارة الايمان، أن تثبت الأيام القريبة صحة قولى فنميز بين «الرغيف الرمز» و «الرغيف المأكول». ذلك ان الرغيف الرمز لايؤكل، بل يدل به الناس على

بقلم :د . شكرى محمد عياد

معنى عميق جدا وعظيم جدا ، يكاد يساوى معنى الحياة نفسها ، ولذلك يقدسه بعضهم ، ويضعه بعضهم على عينيه ويقسم به ،

ويستحضره آخرون الى قاعات المجالس النيابية ولعل الرغيف الرمز انما يستمد عظمته وسلطانه من كون الرغيف المأكول هو ارخص المأكولات ثمنا واقربها منالا ، ومن ثم لحق بالعناصر الأربعة ـ الماء والهواء والنار والتراب ـ فى قوته الايحائية منذ القدم ، فهو مثلها عنصر اساسى للحياة ، وان اختص بالحياة الانسانية بالذات ، لصلح للتعبير عن هذه الحياة المتقلبة بين قوة وضعف ، وسمو وانحطاط وأحسب ان المفسرين الذين قالوا ان الشجرة التى اكل منها ادم وحواء هى شجرة الحنطة قد ارادوا شيئا قريبا من هذا المعنى ، والى نحو منه ذهب العقاد فى قوله

عجبا للحياة اعظم ماتحويه
وقف على الحقير الطفيف،
كل ما فى السماء والارض طرا
والمعانى من تالد وطريف
والوجوه التى تشوقك حسنا
تنطوى ان فقدت نصف رغيف '

اما الرغيف المأكول فقد لايخفى عليك أن اكله لم يعد مقصورا على الانسان دون الحيوان . فان كنت لاتعرف ذلك فاسأل مربى العجول يخبروك انهم يستخدمونه بدلا من العلف . فان سألتهم كيف يحصلون عليه بهذه الوفرة والحال ان الادميين ربما وقفوا صفوفا لينالوا نصيبهم منه . فلعل احدهم يصرح لك بان مديرى المخابز يبيعونهم الرغيف الكبير ، والملبك ، والملتوى بسعر الرغيف الجيد ، ويظل علف الخبز بعد ذلك ارخص من العلف العادى ، اما مديرو المخابز وعمالها فسعداء لانهم يؤدون عملهم دون ان يطالبوا بمزيد من الجهد لاتقانه ، فقد تساووا اذن مع الاغلبية العظمى من موظفى الدولة (هناك اقلية لاتؤدى عملا على الاطلاق ، ونسبة لاتذكر من البلهاء الذين يتحدثون عن كلمات مثل الضمير والذمة والوطنية الخ .)

وانت خبير ولا شك باننا حين نسمى هذا الرغيف الميرى بالرغيف المأكول فانما نعبر بطريقة المجاز . فان هذا الرغيف لايؤكل كله ابدا ، بل يؤكل نصفه او ثلثه او ثلثاه على أحسن تقدير ، وبما اننا لانربى عجولا فى بيوتنا (لاأقصد المعنى المجازى هنا) فنحن مضطرون أن نرمى الباقى فى الزبالة ولذلك ننتهز الفرص ان كنا نحتكم على سيارة ، ومررنا بشبرا او السيدة أو بولاق ، فنحمل الى البيت ما نستطيع حمله من الأرغفة النظيفة الناضجة ولو دفعنا فيها ثلاثة أضعاف الثمن .

ومن المتناقضات التى لايفهمها الأجانب (وبعض اليساريين) أن الرغيف البلدى يباع فى الاحياء الشعبية بثلاثة قروش بينما يباع فى الدقى أو الزمالك بقرش واحد . فالأجانب

الرغيف الأخضر

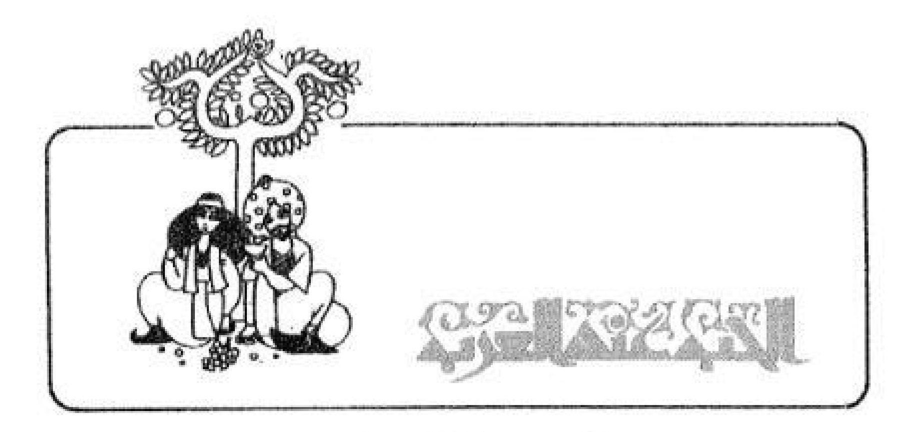
وبعض اليساريين لايعرفون هذه الحقائق الا على السماع ، ولم يروا هذا الرغيف او ذاك الرغيف حتى يعرفوا الفرق بينهما ، لأنهم لاياكلون الا الرغيف « الكايزر » السياحى ، اوما يشبهه من أصناف الخبز التى الفوها ، ولذلك يرون أن القاهرة وان اختلفت عن غيرها من المدن الكبرى من جهات كثيرة ، فانها لاتختلف عنها من ناحية المواد الغذائية ، الا بان أسعارها مرتفعة قليلا بالقياس الى لندن وباريس ونيويورك (بشهادة الأمم المتحدة) .

ونحن الذين لاتسمح لنا الظروف بالمقارنة بين الاسعار فى مختلف انحاء عواصم العالم (كما اننا لانحب أن نسمع اى كلام عن مستويات الدخل فى هذه العواصم) ، نعرف جيدا الأسباب التى جعلت الرغيف البلدى يباع فى الأحياء الشعبية بثلاثة أضعاف الثمن الذى يباع به فى الاحياء المتوسطة والراقية ، فاول هذه الأسباب واهمها هو ان هذا الرغيف غير ذاك الرغيف والسبب الثانى هو ان سكان الاحياء الشعبية ـ ومعظمهم من الحرفيين ـ لاتتاثر ميزانيتهم كثيرا اذا دفعوا ثلاثة قروش فى الرغيف بدلا من قرش واحد والسبب الثالث والأخير هو أن الرغيف الرخيص الذى يباع فى الزمالك أو المهندسين ـ مثلا ـ اساسا للطبقة المطحونة التى تعيش « حول » الزمالك أو المهندسين فى الأحياء المـزدحمة التى تضخمت فجأة واصبح اقصى آمال الموظف الشاب ان يجد مسكنا فى حارة من حواريها . لااحد يجهل أن ثمن الرغيف ليس هو المشكلة ، إنما المشكلة هى انخفاض الأجور الى درجة غير معقولة ، وكل مدير مصلحة يعالج هذه المشكلة ـ حسب شطارته ـ باضافة بدلات ، وحوافز ، ومكافات انتاج ومص ، ولابد ان تبقى الأجور منخفضة لأن الموارد محدودة ، وحق العمل مكفول للجميع ، و « الجميع » يعتقدون انهم مظلومون ـ ولذلك يصبحون عاملين غير منتجين ، وحاضرين كالغائبين . والحكومة تعلن انه لايمكن رفع الأجور الا اذا زاد الانتاج ـ وتحاول اجتذاب رءوس الامـوال الاجنبيـة ، وتشجيع المستثمرين المصريين ، ويتبخر القسم الاكبر من مدخرات بضعة ملايين من المصريين يعملون فى الخارج ، يتبخر فى اجهزة فيديو وتليفزيونات ملونة وسخافات أخرى .

من يتصدى لهذه المشكلات كلها ؟ لا احد بالطبع لديه الاستعداد لذلك . فالحلـول موجودة ، ولكنها كريهة كالدواء المر ولذلك نفضل ان نغطى عليها بصراع « رمزى » حول الرغيف . تقول لنا الحكومة : انا ادفع لكم ستمائة مليون جنيه فى السنة ليبقى الرغيف بثمنه الحالى والميزانية مرهقة ويجب التفكير فى امكان خفض هذا المبلغ .

ولكننا نرفض هذا المعنى ، لاننا نعتقد ان الحكومة تستطيع تدبير اضعاف هذا المبلغ من جهات أخرى ، ولهذا نفهمه على المستوى الرمزى : انا اوفر لكم عنصر الحياة ، انتم مدينون لى بحياتكم . وهنا نغضب لكرامتنا ، ونعبر عن غضبنا بمختلف الطرق ، فنحن الشعب مصدر هذه الأموال ، لاالحكومة ، والحكومة التى تريد المساس بعنصر الحياة للشعب ، هى بالضرورة حكومة معادية .

وهكذا يدور النقاش حول الـرغيف ، والـرغيف غير مسئـول .. فمتى نواجـه المسئولية ؟ !



● قيل لأعرابي : مابلغ من حبك لفلانة ؟!.. قال . إني لاذكرها وبيني وبينها مائة فرسخ ، فأجد من ذكرها عبير المسك !..

● شاهد شبيب ـ وهو أخو بثينة ـ شاعرها جميل بن معمريجلس عندها ، فوثب عليه وضربه وطرده ، فعاد جميل إلى « مكة » وانتظر موسم الحج ، فجاء شبيب حاجا ، فقال أصحاب جميل :

ـ ياجميل .. هذا غريمك فخذ بثارك منه ..
فقال جميل :
وقالوا ياجميل اتى أخوها
فقلت : اتى الحبيب أخو الحبيب

● وكان أحد الأدباء يهوى جارته فزارته يوما ، فظل يحدثها وتحدثه حتى حان وقت الظهر ، فناداه بعض أصحابه : الصلاة .. الصلاة .. فرد عليه قائلا : رويدك حتى تزول الشمس !..

وقوله « حتى تزول الشمس ».. معناه : « حتى تقوم الجارية وتنصرف ».. فالجارية عنده كالشمس فى جمالها وإشراقها !..

● قالت ليلى العامرية تصف قيس بن الملوح الذى تدلّه بحبها حتى لقبوه « مجنون ليلى » :

لم يكن المجنونُ فى حالةٍ
إلا وقد كنتُ كما كانا
لكنه باح بسرِّ الهوى
وإننى قد ذبتُ كتمانا

قصــة قصـــيرة

أغنية نوبية للهجرة الأخيرة

بقلم : ابراهيم فهمى

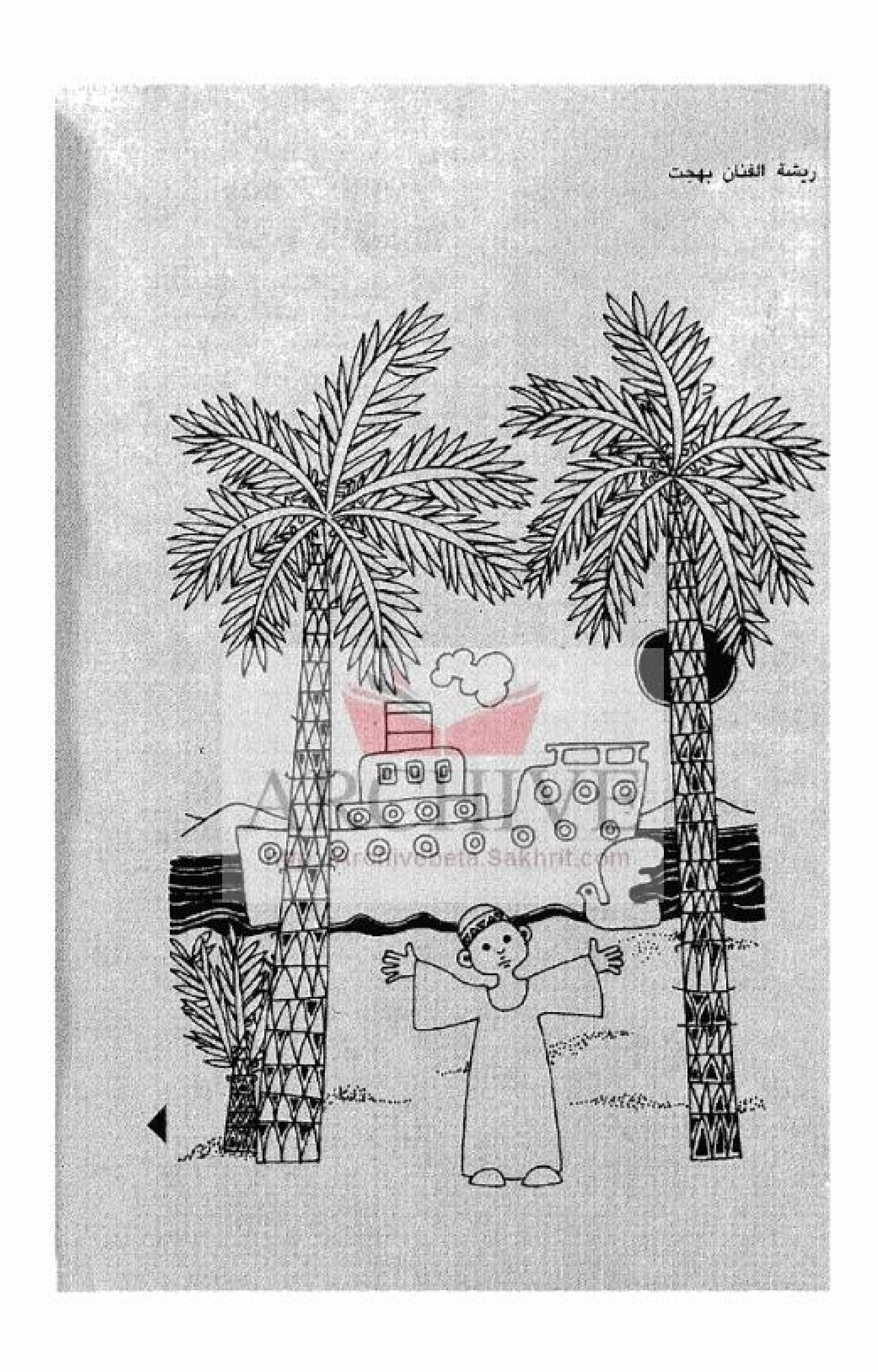
● يطيـر الحمام يميـنـا ، فيكون (جواب) وتكون نقوداً ، تاتى على يد الباخرة التى نسميها (البوستة) ، يطير الحمام شمالا فيكون رجلا قد مات فى مصر المدينة ، حينئذ تأخذ النساء الحزن من التصاوير المرسومة على المعابد وخوص النخل الذكر الذى تراه مضفورا على الخصور ، من ابتداع ، نساء بلدنا " كتستمنة " والتى نقولها على سبيل الاختصار (كوش) ذلك على اسم النوبة الجنوبية القديمة .

يطير الحمام ، صوب النهر " بحر النيل " فتشق أمى " هانم حسين " الثوب ـ الشيت نصفين وتدلق مقدار كوب من الماء والصندل على جسدها العريان ، تلبس الذهب على اختلافه ، " الساقا " (١)فى الرقبة والـزمام فى الأنف والشبارة تلفها حول الثوب الحرير بمهارة بنت " كنزية " (٢) صغيرة ثم تجرى بقدمين حافيتين على رمل الشواطىء تأخذ فى قدميها الناس والرمل تغنى وترقص مع بنات الكنوز من نجع "الكرور" ولا تطاوع نفسها فتغوص كما العذارى بثيابها فى ضحالة ماء النهر واللاتى يفعلن كى تلمس الخصوبة أجسـادهن ، وينجبن أشد الفتيان ، متى يكون النصيب ، الله ... الله .. على امى "هانم حسين" بنت "الكنوز" ، الله .. الله .. عليكن يا بنات "الكنوز" يطير الحمام يمينا ، فيكون (جواب) من المصاروة الذين لا يصدقهم أحد بالمرة ، أختى بحرية كما اسمى « بحر » تتبع أثر عثمان فقير حينما يفرق الجوابات يقرؤها بفم ، ويقبض بيد . قالت لأمى وهى راقدة مع الدجاج تحت تراب الزير المبتل ، "المصاروة الذين لا يصدقهم احد بالمرة ، يقولون ، إن هناك عند الشلال حيث يختنق النهر يقام "باهوى" ، (٣) سدا من حجر الصوان القاسى يتحكم فى مياه النهر بمقدار يحتجز خلفه كل مياه النهر ، فتستدير حينئذ بحيرة لاترى العين حدودها ثم يعلو النهر ، يعلو يفتح فمه للحى والميت ، ويغرق فى جوفه الناس ، والنخل والبيوت والدجاج والمعابد .

قالت ، أمى الحاجة ، "هانم حسين" ، الكلام المنقوش على وجه المعبد ، يقول : ان الذى يأتى من الشمال ، ليس له عهد ،

---

(١) قلادة من الذهب تلبس فى العنق .
(٢) كنزية : نسبة للكنوز الجنس الأول من النوبيين .
(٣) باهوى : يانلس


ريشة الفنان بهجت



وكقول : أبوك " امبنا " (٤) الحاج أن من يذهب الى الشمال تفسده البنادر ، لكن الذى حدث اليوم ، كذَّب الاسطورة وامبنا الحاج - ابى وصدق المصاروة ، حينما رست على الشاطيء ، سفناً تماما ، كالباخرة السودانية "البوستة" التى تغنى لها ، لانها تجلب لنا الأحباب من مصر المدينة .

الليله ياسمراء ، ياسمارة الليلة ياسمراء
البوستة قالت توت الليلة ياسمراء

قال الكنوز الكبار البواخر ، غريبة ، ولا يجوز الغناء لها ولايبشر بها الحمام أبى الحاج ولد الكنوز أكل من وجهى بيده الوحشية ، حيث التقطت قطع الحلوى التى يرميها لنا البحارة ثم أطلوا علينا من النوافذ المفتوحة نصف عراة فانزوت النساء رغم المسافة البعيدة فى خمرهن ، قلن : "ياعيب الشوم" ، افخاذ عارية وصدور عارية ، كذلك الوجوه حمراء كقشرة التمرة "السكوتية" (٥) العيون خضراء ، زرقاء لكنها ليست وادعة طيبة كعيوننا .

اختى من امى وابى اسمها بحرية ، كما اسمى بحر ، أختى كما البنات بالنجع تحمل القش الثقيل ، والماء من النهر ، وتصبر بالغناء على الأولاد المصاروة الغائبين قالت لى : سراً ووتود (٦) قلت : "إيه"(٧) قالت المصاروة الذين ليسوا كذابين يتحدثون عن الوطن الجديد فى الجوابات ، لكن بينه وبين مصر المدينة ليلة واحدة بالقطار ولو يقتلنى الشوق للولد المصرواى " التنجل " (٨) أخذ أول قطار قبل أن يقول الفجر ، الله اكبر .

صفرت البواخر فوق أسطح البيوت والمعابد ، رقصت بحرية فى الخفاء ، وضع أبى اليدين متشابكتين خلف الظهر ، تمتم بأيات يحفظها وقت الشدة ، تطلع إلى خالق السماء والارض ، اكتسى الوجه بألوان اعرفها ، أبيضت العينان ، والوجه كظليم طار الحمام صوب المعابد واستقر فى قدس الأقداس قال أبى : يحاور الكهنة وسيكون فيضانا عاتيا .

نادتنى أختى بحرية " ووتود " (٩)روغالى فركضت نحوها أعطتنى التمر والفول السودانى قالت يقول المصاروة فى البلد الجديد بيوتاً لها مصابيح كمصابيح الباخرة البوستة . ولو نشاء نرسمها كبيوتنا والأطباق والمصالى "والطواقى" التى تراها وعشق الولد المصراوى أخذهم جميعا معى وأزين حجرة العرس .

قلت لو يسمعك إمبنا الحاج لرماك فى جوف النهر "بحر النيل" طعاما لسمك "القرموط" (١٠)الذى اكل جد الكنوز لو تسمعك أمك الحاجة هانم لا تبارك الزواج الذى لا يبدأ بالخوض فى النهر والذى لا

---

(٤) إمبنا : ابى
(٥) السكوتية نوع من تمر الجنوب .
(٦) ووتود : ياوله .
(٧) إيه نعم .
(٨) التنجل : الحسن .
(٩) ووتود : ياوله .
(١٠) اسطورة تتحدث عن سمك القرموط الذى . اكل جد الكنوز النوبيين

يفرس فيه الولد المصراوى سيف العرس برمل الشاطىء .

تبعت امى خلف الكانون دارت حول الرأس وحواف الوجه القمرى بمدورة سوداء تماما مثلما تذهب الى عزاء فى أطراف النجع ، ثم غنت اغنية حزينة اختلط الغناء بأنين الهشيم فى قلب النار ، تراكمت الوحشة فى العينين الكاحلتين فانطفأ السحر ، سرقت عيناى كرتين لامعتين من الدمع ، رغم الوجه المندس فى لفافة الخمار ، كانت تقول دائما حينما تأخذه منا لحظة غضوب ، "يا إلهى" هذه المرة شاركته صمته المثقل ، دورت الخصر بحزام من سعف النخيل ، امى كانت تحزن ، فتقتسم معه الحزن ، نصفين متساويين ، ثم تعود كمرح طيور الشواطىء هذه المرة شيئا اكبر من كلمة الحزن ، اطفأ وهج العينين الكاحلتين طرد البسمة من الوجه الضحوك . جعلها لا فرق بينها وبين قوائم الجدران .

قلت لأمى هانم "ووانديزيو" (١١) جذبتها من طرف الشبارة وسألت عن البواخر ، دفعت امى البوص فى جوف الكانون زادت من إشعال النار ، واعدت السؤال مرة أخرى فعاد صوتى وحده يرتطم بالجدران كورت يدى ببعض الحصى شهرت اليد المكورة فى وجهها ، ة عت ثم استدارت تولول تجاهه ـ ولدك " ياهوى" هاجت فى عروقه دماء القبيلة وقبل أن يرمينى بعينيه الناريتين لقمنى ببعض التمر "الابريمى" دفعنى بالذراع القوى الحانى إلى فوق اشار إلى نخلة قريبة فمثّل نفسه بها ومثلنى ومثل امى ـ هانم حسين ، ومثل بحرية ولم يمثل " المصاروة " ثم دعانى ان اتبول على جذعها كى يشتد الساعد فى النماء ففهمت وقلت : " يا هوى " ابى لن يهاجر الله .. الله على ابى ولد " الكنوز " .

قالت اختى بحرية " ووتود " وتنجل " وكانت على خلاف الناس تلبس الذهب والشبارة المعطرة بالصندلية والمهلبية (١٢) وتغنى اغنية قد تكون من فعل المصاروة عن الوطن الجديد قالت " المصاروة " يقولون ان النهر حين يعلو هذه المرة لا يكون كما الفيضان ، خصوبة وأعشابا ـ من الينابيع لكنه أمواج عاتية وغضب وفتنة يبتلع كل البيوت الفارغة من الاهل ، ثم أتجهت بوجهها الفرح صوب البحارة الذين يكتبون علامات على البيوت يحصوننا مع البيوت والدجاج والماشية للبيوت ثمن وللارض ثمن للنخلة ثمن ، والبلح الصبيص ثمن آخر.

•

قال نقودكم لا تساوى قطرة من النهر ولا حجرا من سقف دار ولم يجدوا حمامة واحدة يكتبونها فى الدفاتر قال . تجدونه مع الكهنة والصلوات فى قدس الاقداس

كان "إمينا" الحاج أبى وأب الكنوز جميعا فى هذه الساعة من النهار يرسل فى طلب الحمار فأتأكد من الحزام الدائر على منتصف البطن ، وأتأكد أن القدمين ليس بهما اية بقايا روث ، ثم اذكر اسم الله واسم المصطفى وأقتاده ليقفنى على صهوته فأكاد أسقط فيزعق فى وجهى اثبت يابن المدارس ثم يغنى اغنية للنخل والمحبين يريد أن يقول ، النخل العالى يحمل البلح الطرى وانا اعطيتك السلام

(١١) ووإنديوبو يا امى .
(١٢) المهلبية نوع من العطر .

أغنية نوبية للهجرة الأخيرة

فلم تردى على به ، أنا أعطيتك السلام واقسمت بالنخل ، فيقول :

"ووبتى إتعور اقل .. ووجودى إنه قورا (١٢) قل"

" أيكى سلام فى ترنقه .. وإرما سلام فى رديمة"

"ووجوى .... ووبتى .... وودسى"

فتضحك أمى ، وتغنى ، عن طيب خاطر تقول : "كان أبوك يغنيها لى ويملأ بها الدنيا من حلفا "ياهوى" حتى الشلال .. ولم يمتنع إلا حينما تزوجنى ، ثم نعبر الدروب تقول أمى خلقنا الله فى قلب النخلات ، وفى عمق النهر ينصرك على من يعاديك .

قالت بحرية : ووتود ، تلنو (١٤) .. فنظرت للبحارة الذين يثبتون رأس رمسيس المبتسم فى مواجهتها على سطح باخرة قادمة للتو من أبى سمبل ، قالت : يرحل رمسيس مع الناس ،" ووتود ، الولد المصراوى الغالى له من هذا الوجه ، دحرج البحارة أحجار البوابة المزينة بشعار الشمش " أتون " الآله وكان رأس امرأة من الأسرة الحديثة يتهيأ لدخول السفينة قال أبى لو يدخلوا قدس الاقداس ، يخرج طائر بحجم خفاش متوحش له مخالب تلتقط الناس كالحجارة ساعتها لا تكون هناك هجرة "ياهوى" .

كان أبى فى مثل هذه الساعة من النهار ، يقول فى صوت ساخن من جوفه : يا كنوز يا " باد الله " (١٥) من سكر مثلى من مياه النهر من قلبه مثل طهر الصحارى ، وقبل أن تجف الكلمة يتلاحق حوله رجال ، وينفض رجال هم المصاروة الذين استهوتهم المدن ثم تتوهج عيون الرجال كوقدة الظهيرة يأخذ الغناء من أقرب رجل جواره يغنى باسم الله واسم الكنوز ترتعش السواعد ، برعشة الأراقيد (١٦) والرقص حتى الصباح دون قيد .

قالت بحرية ، يأخذ البحارة الجعارين وحلقات الذهب ، وعناقيده التى تبارك المكان كى تكون لنا السعادة فى الوطن الجديد ولسوف تربى أمى هانم حسين الحمائم التى تدخل "قدس الأقداس" وتأتى لنا بالفأل الحسن ياهوى ، ولا تأتى بسر الفيضان الذى لا يكون .

عاد صراخ البواخر فأقفلت أمى أذنيها قال أبى فى صوت واهن "تانو" (١٧) فتبعناه لم يبق بالدار سوى (برش) فى نصف ضفائره أصبحت الدار خلفنا نقطة ضوء خابية من زورق صيد بعيد دارنا بناها أبى حجرا حجرا مزج طين النهر بهشيم القمح ، اقتطع الأحجار من رءوس الجبال ثم مسح على وجه الدار بصلصال أبيض ، دارنا كانت رحبة كقلوب الخلق ، وبابنا منفتحا كالنهر للأحباب .

هذى الطريق مشيناها سويا أجدى خلفه ، علّنى ألحق بمؤخرة الحمار فتنزلق يدى على ملاسة الذيل فأقبع أطفح بكاء فيعود نحوى راجلا يقول لا تبك يا ولد فى عمرك ، ثانية ليس فى الكنوز رجل يبكى ثم يركن بحمارنا حيث المراكب الشراعية فى بطون الخلجان الدافئة يشترى لى مراكب

---

(١٣) أغنية نوبية شائعة .
(١٤) تلنو انظر .
(١٥) ياباد الله . يا عباد الله .
(١٦) الأراقيد : رقصة شعبية نوبية .
(١٧) تانو تعالى .

ورقية . أعومها على سطح النهر . هذا هو جامع القبيلة . بدا مهجورا إلا من الطيور فى داخله كثيرا ماكنت احاول أن اطاول هامته المديدة كساق نخلة فافشل أقول : متى اكبر مثلك يا أبى . فيضحك ضحكته الرقراقة كماء النهر . كان الوجه فرحاً ولم يتبدل من الحزن

هذه المدرسة جدران ونوافذ مظلمة باردة اللوحات الورقية بمكانها لوحتى عليها أخر وجه باسم من قريتى قطعا سوف تغرق لوحتى فى فم النهر المفتوح .

دحرج البحارة قدس الأقداس تجاه البواخر . فقال أبى " إنفيادر " (١٨) وودع البيوت .

لبس ابى عمامته البيضاء . وجلبابه الأبيض ونعله السودانى جعل العمامة محكمة على الراس . بإتقان ولها ذيل نازل على ظهره كما فى الحزن . كان يسير مرة ويقف مرة وأنا جواره أعد بيدى على البيوت الخالية هذا بيت "فاطمة نقودى" هذا بيت "دهب جراد" هذا بيت "عثمان الأعرج" هذا بيت أبى سيد الكنوز أجمعين .

نظرت لراس أبى مرة . ومرة للبيوت . فكانت تعلو فوق رءوسنا . قلت : أبى ليس اطول من النخل . أبى ليس أطول من البيوت . أبى الذى يقول . لبنات الكنوز الحزن ليس لنا . لم يقدر ان يمنع أى من رقصة الحزن الكبيرة فطوحت يديها وقامتها ودقت الارض على التوالي وصرخت هيوهيه (١٩) ثم سقطت ولمت التراب كانت وحدها وكان أبى وحده وكنت وحدى أختى "بحرية" الفرحة بالوطن الجديد من وراء الكنوز مسّ عيونها نور الشمس الغاربة . فتعفرت بأخر تراب النجع وكان ظهرها للبواخر التى تصفر من الخلف

ركضت نحو البيوت الخالية دقت على كل باب ونادت البيوت باسماء اصحابها قالت "ووزينب تنجل" هوى "ووعثمان بحر" هوى "ووجليلة فقير هوى ـ هووى فيعود صوتها صدى وكان الكنوز عند النهر وكنا أخر المغادرين .

نظر ابى الى واجهة بيتنا ونظر الى خط يدى المكتوب قال : " الله . مهمد " (٢٠) على " النبى صلينا " واشار مرة أخرى للجملة الاولى قلت : " مرحبا بالزائرين " ثم أشار الى الجملة الثانية . قلت " إمبنا حسن بشير " تجاهل صفافير البواخر المنتظرة ونداء البحارة عند الشاطىء مسح على التراب رسم مواضع البلاد على شاطىء النهر ووضع يده على الجنوب . قلت . حلفا وبعدها قلت : الفادجا (٢١) وبعدها قلت "قودته" (٢٢)، وبعدها قلت : " الدكة " (٢٣)، وبعدها قلت " كوش . كشتمنة " (٢٤)، بلدنا احسن بلد فى الدنيا فقبلنى وملا عينيه منى قبض على بعض التراب والقش وملا يده قالت امى . أبوك عاد لقلبه وجع الليالى الشتوية . حين بكت بشرته عرقا . ثم سمعت وحدى طقطقة عنيفة لساق نخلة عجوز .

---

(١٨) إنفيادر . وداعا

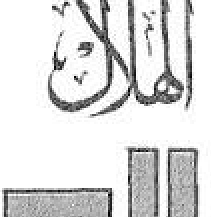
(١٩) هيوهيه رقصة وقت الموت

(٢٠) الله مهمد الله محمد

(٢١) الفادجا الجنس الأول من النوبيين

(٢٢) قودته . (٢٣) الدكة . (٢٤) كوش . كشتمنة . بلاد من النوبة الكنوز . النوبة


كتاب الهلال
يقدم :
شخصية المحتال
فى المقامة والحكاية والرواية والمسرحية
بقلم : الدكتور على الراعى
يصدر
٥ ابريل
١٩٨٥
روايات الهلال
تقدم :
العاشق الفارس
تأليف : اسكندر توماس الكبير
ترجمة : صوفى عبد الله
تصدر فى
١٥ ابريل ١٩٨٥



الحياة والفن التشكيلى

جزء خاص

● دفاعا عن الجمال ●

تقدم الهلال هذا الجزء الخاص دفاعاً عن الجمال فى حياتنا . وهو صيحة ضد كل مظاهر القبح من حولنا . فالاحساس بالجمال يهذب النفس ويرتقى بالانسان ، بعد ان ازدادت اهمية الفنون فى عصر الصناعة والعلم .. عصر المدن المكتظة ، حينما يتعطش الانسان إلى الفن والجمال تعطشه إلى الحياة ذاتها

ولم يعد الفن يقتصر على اللوحة والتمثال ، بل امتد إلى كل جوانب الحياة . إن مظاهر الجمال تظهر فى تخطيط المدن وفى العمارة والديكور والازياء وترتيب الزهور ، ووصل فى عصر الصناعة إلى المسمار فى الآلة والنقش على النسيج .

وستستمر قضية الفن والجمال احد شواغلنا الأساسية ، فالفن هو صنو الحياة . وصدق عباس العقاد حين قال .. الأمة بغير علم ، أمة جاهلة ولكنها قد تكون على جهلها وافية الخلق والشعور . والامة بغير صناعة تعوزها أداة العمل ، ولكنها قد تكون صحيحة الحس صحيحة التفكير ، والأمة بغير تعبير امة مهزولة ، او مشرفة على الموت . وكذلك تكون الأمم التى خلت من الفنون لأن الفنون تعبير الامم عن الحياة . »

ويساهم فى هذا الجزء كوكبة من الكتاب ، على رأسهم الأستاذ الكبير كامل زهيرى الذى استطاعت مجلة الهلال ان تسترده كاتبا على صفحاتها ، بعد ان أضاف اليها الكثير خلال رئاسته لتحريرها فى الستينيات ، ووعد بأن يستكمل « مصر فى عيون نسائية » . باستكمال المثلث الذهبى وتقديم كل من إنجى افلاطون وتحية حليم بعد ان قدم جاذبية سرى .

دفاعاً عن الجمال

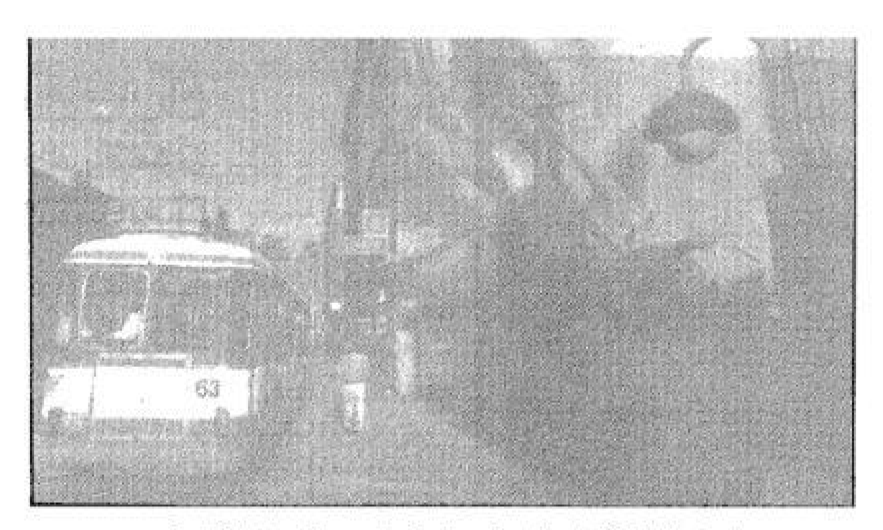
الجمال والقبح فى حياتنا

بقلم الدكتور : نعيم عطية

لم يكن مصادفة أو اعتباطا أن كرسُ الفنان زكريا الزينى لوحات معرضيه الأخيرين لصناديق القمامة ، صورها بمختلف الالوان ، وفى شتى الأوضاع ، وأغلبها ألوان حلوة ، وأوضاع تذكرنا براقصات الباليه عند المصور الفرنسى التأثيرى ادجار ديجاه . ولماذا الكذب على النفس ودفن الرأس فى الرمال كالنعامة ؟ لقد كان صدقا وواقعية ما أقدم عليه الفنان القدير زكريا الزينى . قديما كان الفنان ينفعل لزهرة جميلة فى إناء ، كانت الحياة آنذاك سهلة ، واليوم أضحى الفنان ينفعل بصفائح القمامة . صارت الحياة زحمة وأصبح البحث عن مخرج للانسان من مأزق المدينة التى تطمره تحت ركام نفاياتها مطلبا ملحا . واذا كانت الحقيقة الاجتماعية هى ماينذر عنها الفن الجاد الاصيل ، فقد كان من الضرورى ان تبعث لوحات زكريا الزينى تلك الى الشفاه ابتسامة مبهمة تحمل فى طياتها إشفاقا على ما انحدر إليه حال الانسان فى المدن الكبيرة .

واسأل الفنان عما حمله على الانشغال بهذا الموضوع ، وكأنه يجيبنى باخلاص وجدية ، أنه ما عاد يرى اذا ما فتح شباك غرفته او خرج من باب بيته ، سوى صفائح القمامة ، وفى هدوء الليل يسمع القطط تدحرجها على سلم الخدم ، وما ان يطلع النهار حتى يسمع الجيران يلقون بها فى المناور . أننا اليوم نعيش « حصار القمامة » فكان لزاما على أن اقص من لوحاتى كل ما هو مهذب ورقيق وأنيق واضع محله صفائح القمامة . وقد اكتشفت على اى حال انسجاما واتساقا وتناغما وانسانية فى صفائح القمامة . وعلينا أن نواجه الحقائق . فشر البلية ما يضحك أليس كذلك ؟ !

شر البلية ما يضحك حقاً ، ولندخل بيوتنا . سوف نجدنا مهرجى سيرك ، لطخنا أوجهنا بشتى الأصباغ والمساحيق ، وارتضينا الهلاهيل المزركشة زياً لنا . ذوق من غرب وشرق مستورد انعدمت هويته ، فأضحى مسخا

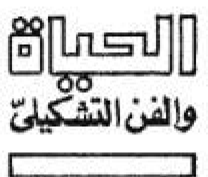


لوحة تشكيلية على ظهر أحد المبانى فى مدينة رون الفرنسية

هلاميا يفسد خلوتنا ، ينبعج وينتفخ ويتمدد مثل جثة نتنة .

شر البلية ما يضحك حقاً ، بيئتنا مليئة - أو كانت مليئة - بالخامات المحلية والصناع المهرة .

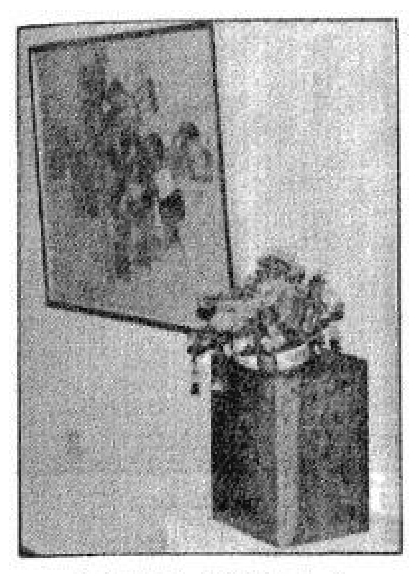
ماذا حدث لكل ذلك ؟ لماذا نتعرض لذلك السيل الجارف من المستورد ؟ فإذا ما انبرت للانتاج خبرات مصرية - أو ماتسمى نفسها بذلك - ووجهنا إما بانتاج بالغ الدمامة ، أو اغلى ثمنا من المنافس الخطير المستورد ، فنضطر مرغمين - ولكأن الأمر خطة مدبرة - الى ارتضاء المستورد . أوليست عندنا فنون تطبيقية ؟ ما الذى أنجزته حقا من أجل تلبية احتياجات المواطن المصرى من لزوميات الحياة مشربة بجمال ذوق ورخص ثمن ؟ عجز مخيف ، واستسلام تام أمام جحافل « المغول المحدثين » - على حد تعبير أستاذنا توفيق الحكيم فى كتابه « زهرة العمر » - وهؤلاء يحتلون الآن كل ركن من اركان بيوتنا ويجدر أن نعرف جيداً أن استقلال الأوطان ، ليس استقلالاً سياسيا فحسب ، بل هو استقلال الشخصية ولئن كنا اليوم (ولنتأمل على أى حال فى الغد) فى مرحلة لاتسمح لنا باستقلال اقتصادي ، فلا اقل من أن نصون تراثنا الفنى وان نقيم على دعائمه الوطيدة استقلالا ثقافيا . ويجب أن نعرف جيدا أن الفن الجيد لايقلد ، ولايستورد ، فهو ، اما أن يكون أو لايكون ، والذوق فى عمائرنا غير كائن ، لاننا نتعمد أن نخرب بانفسنا استقلالنا الحضارى . ويؤلمنى أن نكون فى الثمانينات الآن ولا نفعل حتى ما فعله جيل العشرينات من البحث عن مقومات الشخصية المصرية فى الفن ، وأركز على قول « المصرية » ، ونكون بأقل اكتراثا بقوميتنا الفنية من جيل المثال محمود مختار والأديب الدكتور محمد حسين هيكل . رحمهما الله . ولنجر الآن مقارنة صغيرة بين ما حدث فى العقد الأول من هذا القرن عندما جاء مستثمر أجنبى هو البارون امبان البلجيكى الى مصر ، وبنى



دفاعاً عن الجمال

ضاحية مصر الجديدة . فلو نقبنا قليلا عن الأفكار التي جاء بها ، لوجدناه قد جاء ومعه نفر من المعماريين والمخططين المبدعين ، ومعهم نمط مطور للعمارة الاسلامية ، وعمدوا الى تطبيقه وهم يبنون مدينتهم الجديدة . اننا لانقول للأجنبي لاتستثمر ، بل نحن في عصر أضحى الانفتاح خطوة لا رجعة فيها ، وانما نهيب بأنفسنا أن نحترم قوميتنا ، وأن نحمل المستثمر على ان يعمل وزنا لشخصيتنا القومية . ولا يكون ذلك جبرا عنه ، فهذا غير وارد مع رأس المال الذي يفتح اليوم جناحيه ويطير سريعا وبعيدا لأوهى طلقة من فوهة مسدس ، ولو كان مسدسا كاتما للصوت . بل يكون ذلك بالاقناع والقدوة ، فاذا كنا نحن لا نحترم قيمنا الجمالية . وبذلك في أغلب الأحيان لأننا لانعرفها حق المعرفة ، فكيف نتوقع من غيرنا أن يأتي الينا محترما اياها »

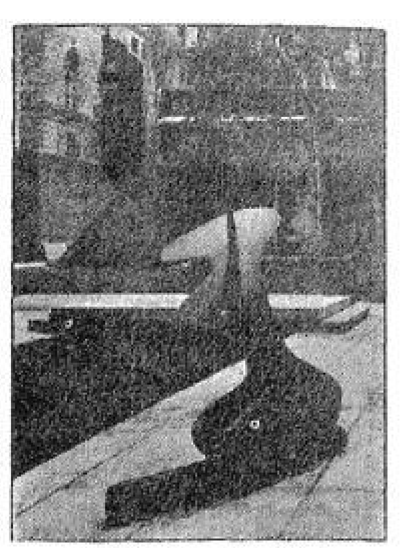
ولنستمع الى البارون امبان يحادث المهندس البلجيكي مارسيل جاسبر ويقول له أريد أن أبني هنا مدينة . سوف اسميها مدينة الشمس ، هليوبوليس . قبل كل شيء اريد أن أبني قصراً ، واريده أن يكون رائعا اود عمارة متفقة مع تقاليد



● لوحة للفنان زكريا الزيني

هذا البلد . انني بحاجة الى خبير بالفن العربي ، ولا اجد (كان هذا الكلام عام ١٩٠٦) أنت معماري وتحب المساجد ، فلماذا لاتقدم لي مشروعا مبدئيا »

ومهما كان القول في مدى اتباع اصول العمارة العربية او البعد عنها في تشييد الضاحية الجديدة ، الا أن الذي قصدناه بهذه الاشارة هو مجرد التدليل على وجوب الاعتزاز بالقيم الجمالية القومية ، والاعتزاز بها عن وعي بها وادراك للمتغيرات أيضا ، في مواجهة تحديات العصر . ولا نعني بذلك أن تتخذ القيم القومية التقليدية اداة لتعويق إيفاء متطلبات الجماهير ، بل اننا نعني أن يكون كل تطوير على هدى ولو بعيدا من القيم الجمالية العريقة ، والا تحدث الحوارات الوجوبية بين المحلي والمستجلب بمنأى تام عن تلك القيم .



● النحت لمخاطبة الجماهير

لقد وصل الحال بمدننا الى مستويات من الفوضى الضاربة أطنابها فى كل الأرجاء . والمتغلغل تأثيرها الى اعمق اعماق النفوس . لدرجة أننى لا أتردد فى ان اقول ان العمارة التى تمارس لدينا سبب جوهرى وراء ظاهرة ارتفاع نسبة الجرائم . انها باختصار عمارة تورث الجنون ، عمارة تسبب القلق والتوتر والاحباط والرعب . ولنذكر فى هذا المقام تلك القصة القصيرة البديعة للكاتب اليونانى المعاصر اندونى سماراكى بعنوان « الحائط » وفيها يعاين أبناء أحد الأحياء الفقيرة ذات يوم حائطا يبنى بالقرب منهم . ويمضى ذلك الحائط يعلو ويعلو ، ولا يعرف أحد ما الذى يبنى ذلك الحائط من اجله وتتعدد التكهنات ، ويبدو ذلك الحائط الذى صار لفرط ارتفاعه حوازيا رابضا على الانفاس - يبدو فى الليل شبحا عدوانيا يتربص للناس ويتحفز ، ويترجسون منه خيفة ، وتنتهى القصة بأن تفلت أعصاب أحد سكان ذلك الحى الفقير فيهرع بالليل ، وينتزع مسدسه من درج مكتبه ، ويجرى يفرغ رصاصاته عشوائيا فى ذلك الحائط الأصم . ان العمارة في مدننا تبعث الى الذهن ذكرى « الطاغوط » وحش الفوضى الأسطورى الذى حدثنا عنه الفيلسوف الانجليزى توماس هوبز .

والأدهى من ذلك والأمر ان ريفنا بدلا من أن ينمو ويتطور محتفظا بقيمه الخضراء بكل ما يرمز اليه اللون الأخضر ، راح - وهذا عار لتجربة الحكم المحلى عندنا ولا شك - يتجه الى تقليد العاصمة ، فصارت الأقاليم صوراً مشوهة للقاهرة ، وتمضى القاهرة فى التدهور لتضحى لا مركز اشعاع حضارى بل مدينة قروية ضخمة .

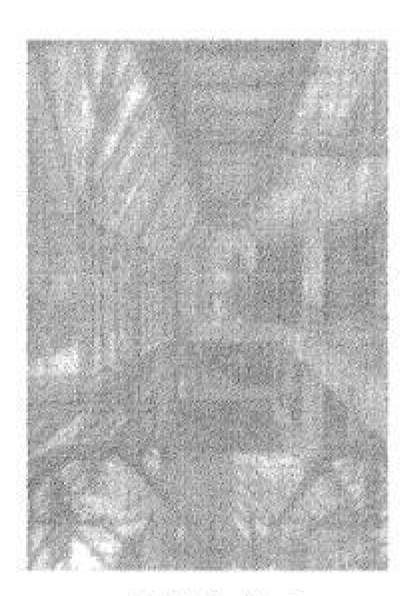
نقرأ أحيانا أن فن النحت فن مخاطبة الجماهير ، ونتأمل بكل اعجاب واعزاز تماثيل فناننا الكبير مختار ، ونسمع البعض ينادى بأن تخرج التماثيل الى الميادين والحدائق ، ولكننا سرعان ما نتنهد بحسرة ونقول أين هى هذه الميادين والحدائق العامة والخلوات التى يمكن أن تفتح ذراعيها للتماثيل ؟ وفى بعض الأحيان نلتقى بتجارب لتماثيل الميدان عندنا فنصاب بالاحباط وخيبة الأمل للدمامة الشديدة التى اتصفت بها تلك التجارب القليلة ونعود فنقنع ببعض التماثيل الصغيرة ، تماثيل الحجرة - ان جاز أن نقول - لفنان الاسكندرية محمود موسى وفنان القاهرة المنسى عبد البديع عبد الحي .

وانى لأتساءل كثيرا لماذا تتعمد



دفاعاً عن الجمال

الاجهزة المشيدة للعمائر الضخمة ، والمنشآت الهندسية التى تخترق المدينة مثل الكبارى ، تتعمد ان تترك جسم المبنى أو الكبرى بلا كساء خارجى . لقد خلق الله الجسد وكساه بالجلد والبشرة . فلماذا تضن تلك الأجهزة على عمائرها ومنشآتها بكساء من اللون أو الفسيفساء أو ماشابه ذلك ، حتى تكتسب تلك المنشآت الهامة مسحتها الجمالية ، ولا تضحى قذى للعيون ، وضررا على الأحاسيس العامة ؟ ولا أعتقد أن دهان الأعمدة الخرسانية او أجسام الكبارى فى القاهرة بطبقة من اللون المناسب سيكلف الكثير . وعندنا متخصصون اليوم فى تلوين الواجهات المعمارية ، وفى مقدمتهم عضو كلية الفنون التطبيقية الشوربجى متولى الذى تقدم برسالته لنيل الدكتوراه فى موضوع قريب من ذلك . وأذكر حكاية رواها لى الفنان عمر النجدى لقد ألف هذا الفنان المعتز بقوميته جماعة من تلامذته سموا أنفسهم « جماعة الفسيفساء » كانوا يذهبون الى جبل المقطم ويقطعون حجارته الى وحدات صغيرة متناسقة ويرصونها بعضها الى جوار بعض فى أعمال تشكيلية جميلة . عرض الدكتور عمر



عمارة من الداخل

النجدى على الأجهزة المعنية بمحافظة القاهرة منذ مايقرب من سبع سنوات أن يتولى هو وتلامذته كساء جسم أعمدة كوبرى المشاه بميدان التحرير بطبقة من الفسيفساء المناسبة . ولنا أن نتصور الجمال الذى كان سيطالع عيون المارة فى ذلك الميدان الكبير من قطع الفسيفساء المتناسقة المتلألئة بدلا من لون الخرسانة الرمادية الكابية . ولكن الأجهزة رفضت عرض عمر النجدى وتلامذته المجانى ، دون أن نعرف لماذا ؟ واننا نعود فنهيب بالأجهزة المعنية ان تهتم ببشرة هذه المنشآت الخرسانية وطلائها أو كسوتها باللون المناسب ، الذى يشع بهجة ، وتفاؤلاً وأملا بدلاً من تلك الكيانات الدكناء التى تطالع الجماهير بدمامة مورثة للهم ، مثبطة للهمم .



الجمال والقبح في الشارع المصري

بقلم : الدكتور مصطفى الرزاز

تصوير : شوقي مصطفى

قبيل الغروب وعند الغسق في صعود القرص الأرجواني وعند مغيبه ، اينما كنت في مصربين الحقول ، عند سفح المقطم ، في فيافي الواحات ، عند الأهرام في سقارة ، في رأس محمد ، عند قلعة قايتباي او قلعة الجبل ، عند قبة الجامعة ، تمر بلحظات جمال اخاذ نادر يملؤك املاً في مصر العظيمة ، مصر الجميلة ، معشوقتنا وحلمنا الدائم وما إن يسجى الليل خشوعه على مدينة القاهرة وتتلالأ انعكاسات الضوء مرتعشة مسالمة ملونة حالمة علي صفحة النيل الخالد وتسكن المركبات المنهكة أوكارها حتى يغمر ساكن المدينة شعور بالراحة والمتعة وخيلاء . وتتسابق الرياح . تشاغب سكون الماء الجاري فتتجعد صفحته وتسرى في إيقاع خلاب في مسيرة مقدسة تحمل الخير وتحمل الأمل المتجدد ودوما في رخاء الأمة وفي استمرار عطائها للحضارة الانسانية .

إن رحلة قصيرة في احياء القاهرة الإسلامية تعبىء النفس بتأملات صوفية لآيات الجمال التي تكتنزها تلك الأحياء العريقة الاصيلة .

وما إن يدب الضوء الغامر في ارجاء الشارع المصري ويموج بأخلاط الناس وانماط المركبات ويتعالى الضجيج ويهاجم الدخان الكثيف الأنفاس ، فتغبش الوجوه وتتثاقل الحركات وتصاب بحالة من الأسى المستسلم والتقبل اليائس لأحوال الشارع المعوجة .

ولعل التصدي لهذا الموضوع من الأمور الصعبة فهو يتناول ظواهر أصبح تقبلها قهرياً ـ وبصورة استسلامية من قبيل الغالبية العظمى من المواطنين على اختلاف انماطهم ، وفي الوقت ذاته أصبح الموضوع مشتركاً في اى نقاش وطني





كما يقف كحجر عثرة امام اى مباداة رسمية أو أهلية للانضباط والالتزام والنظام . فيكفي ان يشير المواطن إلى درجات الرصيف المبعثرة متهكماً ؟ على الشعارات المرفوعة !

ومع صعوبة تناول الموضوع وتشعب عناصره ، إلا انه موضوع حان طرحه واثارة الحوار حوله ، وكشف جوانبه السلبية وهى كثيرة وملموسة فى الحياة اليومية لكل فرد ، وتلمس بوارق الامل على ندرتها كقدوة تحتذى وأمل قابل للتحقيق

والرصيف هو اهم مكان فى الشارع للمشاة .. لكن فى الشارع تقابلك ايضا المطبات والحفر واكوام الردم والقمامة المتناثرة والمتكدسة والمجارى الطافحة والبالوعات التى لا غطاء لها إلى آخر الاشياء التى تطالع العين من قبل خروجك من المنزل إلى ما بعد العودة إليه .

والردود حول الجماليات فى الشارع المصرى متناثرة . ويتطلب الامر التناول من وجهة نظر معينة . وعلاماتها كالاتى :

أولا : الجمال هو النظافة والذوق . والانصراف عن الاهتمام بأمور الجمال والنظافة والذوق والالتزام يمكن ان يكثف اعباء البشر ومن الخطأ الاستسلام للمقولة الخاطئة أن الجمال من كماليات الحياة . فإحساس المرء بالجمال فيما يحيطه من مظاهر الحياة كفيل أن يبعث الراحة فى وجدانه مما يزيد من إنتاجيته .

والجمال لا يتركز بالضرورة فى الأحياء الراقية أو المركزية . فكم من سكان المدينة قد اعتادوا السفر إلى الريف والشواطىء بحثا عن الجمال . لان الجمال لا يرتبط بطبقة اجتماعية معينة

ثانيا : يقاس التقدم البشرى بالمقارنة بين جمال الطبيعة وجمال المنتج الانسانى ومدى توافقة مع جمال الطبيعة . فإن توافقا كان التحضر . وإن اختلفا صار التحضر مهزوزا . وفى شوارعنا تزدحم المركبات وحشود الجماهير المتحركة فترتفع مسئوليات القائمين على النظافة والنظام والصيانة . ولان الجمال والنظافة رمز تحضر الأمم . فإن مشاركة المواطنين ومؤسسات التربية والاعلام الرسمية والاهلية امر ضرورى وبالغ الحيوية .

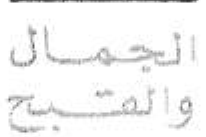
لكن الاجهزة المسئولة تهتم باحياء دون أخرى . وقبول الأمر الواقع مع عدم التوفيق بين الإمكانات والمشاريع والخطط . مما يترتب عليه أن تتسم المشاريع بعدم الواقعية . مثل إنشاء حدائق فى اماكن لا يتوفر فيها الماء . وإقامة سواتر طويلة من الاعلانات والشعارات القومية تحجب علامات الاهمال والفقر . فيتحول الشعار إلى سخرية وتتنافر الالوان والعبارات الرنانة

● عندما تتمثل مظاهر القبح من حولنا فوق الجدران وسفلها وعاليها









مع الواقع الأليم مع عدم وجود صيانة دورية لما تم تعديله أو إصلاحه .

كما يؤخذ على هذه الأجهزة اتباع أسلوب الطوارىء فى توجيه جهودها تجنبا للحرج الرسمى . كطلاء ونظافة بعض المؤسسات قبل زيارة رسمية كما أنها تنتهج مبدأ الحلول المؤقتة مثل إنشاء مبانى مؤقتة للتعامل مع الجماهير مثل أكشاك الأمن الغذائى على الأرصفة خاصة خلف سور حديقة الحيوان التى حجبت الألوان الخضراء ومظهر الحديقة التى بدت مغلقة ومسرح مختار الذى شوه الحديقة وتكلف الكثير .

وكما ترك العنان لجنود الشرطة لبناء أكشاك قبيحة المنظر فى مناطق رئيسية كما تراكمت الأنقاض والنفايات فوق المبانى العامة وشرفاتها وحجراتها وأركان المكاتب التى تستقبل الجماهير والمبانى الطفيلية المؤقتة .

وإذا كان المواطنون ينسبون إلى الاجهزة الرسمية فى إفساد الذوق الجمالى للشارع المصرى ، فإن هناك أسبابا تنسب إلى هؤلاء المواطنين أنفسهم : مثل :

● الموقف السلبى من إمكان التضامن الجماعى لصالح الشارع المصرى .

● إحساس الجمهور أنه يقابل بأسلوب قهرى من خلال الأسوار الحديدية والمغالاة فى غرامات المرور . فيحل الترهيب محل الترغيب والتوعية .

● تفشى شعارات غريبة المنطوق « مشى حالك » « اللى له دية ....

● نزوح العمالة الحرفية للعمل فى الأقطار المجاورة مما ادى إلى تدهور المرافق .

● إحساس الجمهور أن الأهم هو نظافة البيوت من الداخل فقط فتتراكم المخلفات خارج الشرفات والنوافذ ومعظمها عديم الفائدة .

أما أجهزة الإعلام والمؤسسات التربوية : فإنها تهتم بالعبارات الرنانة التى تتسم بالطابع الموعظى الذى يلقى الكثير على كاهل المواطن ويتجاشى طرح الحلول . وهذه المحاولات الإعلامية تتخذ طابعا لايتلاءم والطبيعة الادراكية للجماهير العريضة .

وتؤكد الآراء التربوية أن الجمال كسلوك اجتماعى ينمو ويتدهور بالإثارة والتدريب والتطبع ، . وكما قال أحد المواطنين أن نفس المواطن الذى يستقل قطارا من محطة سراى القبة البالغة النظافة يستقل أيضا نفس القطار من محطات اخرى لاتولى للنظافة اى اهتمام .

ومما هو جدير بالذكر أن للجمال والقبح مستويات تربوية فى درجات التقبل . والتعود . فما يراه مواطن مستنفرا لا يحس به آخر . فهناك تشويه مقصود مثل الاضافات المعمارية القبيحة والتوسعات الشاذة التى تشكل المبانى والشرفات بألوان القبح والتضارب .

وتمثل الاعلانات والملصقات نموذجا صارخا للتشويه المقصود حيث تعتمد

على التلفيق . والاهمال وعدم الاهتمام

اما الأفعال الغير مقصودة ، فنجدها فى العديد من الأمثلة مثل وضع مصابيح فلورسنت فى مساجد أثرية لاتتلاءم مع التصميم المعمارى ورسالته المقدسة . مما يشوش جمالها ويعوق تسجيلها فوتوغرافيا .إلى جانب الاعلانات والملصقات التى تضفى نوعا من الفوضى على جمال المبانى الرائعة .

ان ما نعنيه هو مشاريع طموحة عملاقة تتضافر فيها كل الجهود الرسمية فيها والغير رسمية . المواطن العادى والمواطن المسئول .. وكما قيل إن الجمال إحساس حضارى فعلينا أن ننمى هذا الاحساس والغريزة داخل كل منا .

وهذه الكلمة ليست صرخة احتجاج بل دعوة الى تكاتف المواطنين ، وتضامن كافة الهيئات فى مواجهة الاهمال والقبح واليأس ، فإذا كان على أجهزة الاعلام ان تتبنى هذه القضية ، فإن مؤسسات التربية والتعليم والمنزل والمدرسة والجامعة والمسجد والكنيسة قادرة إذا نأت عن الأسلوب الوعظى ، على ان تساهم فى عودة الجمال إلى الشارع المصرى .

● الجمال احساس حضارى نفتقده فيما حولنا





الفن والجريمة

بقلم : د . زينب عبدالعزيز

يعد كتاب « الفن والجريمة » من أشهر الكتب التى ظهرت فى الستينات ومن أكثر الكتب التى أحدثت دويا شديدا فى الاوساط الفنيه والثقافية آنذاك . فلأول مرة يقدم أحد الفنانين على تناول قضية الفن الحديث من الناحية القانونية . والمؤلف هو الفنان التشكيلى جورج جازافا ، الذى يعتبر فى نفس الوقت من أشهر رجال القانون فى فرنسا . ولعل خبرته الواسعة فى المجالين هى التى مكنته من تناول هذه الزاوية الجديدة ليثبت كيف تقع هذه المحاولات التجريدية ، التى أطلق عليها اسم « التخريبية » تحت وطأة القانون . وغنى عن القول أنه حاول ان يشق طريقه كفنان ينتمى الى المذهب الواقعى الانسانى فتعرض الى شتى الضغوط التى يمارسها تجار الفن الحديث . أى أن ما يطرحه ناجم عن معاناة تجربة ذاتية حقيقية .

ويتكون الكتاب من خمسة فصول ، يتعرض فيها المؤلف للفن الحديث وما يتضمنه من قبح مهين . ثم يتعرض للجانب القانونى لكل عمليات الغش والتحايل التى تعتمد عليها الاتجاهات الحديثة ، والاضرار التى تقع على من يقتنى هذه الاعمال ، والاضرار التى تقع على الفنانين أو التى تمس الجمهور . ثم يتناول الجانب الفلسفى للفن ، ومنه ينتقل الى ما أطلق عليه « الفن والدعارة » ويختتم بحثه بجزء عن الفن والالهام . وفى هذه الفصول الخمس لايكف عن عمل المقارنات وإظهار الفارق بين الاتجاهين : الفن الحقيقى والفن الحديث ، أو ما كان وما أصبح عليه المجال الابداعى .

وأول ما يبدأ به جورج جازافا حواره مع القارىء هو أسفه الشديد لكل ما يعانيه عشاق الفن والجمال . عشاق تلك القيم الانسانية المقدسة عبر القرون .. والمعاناة هنا ناجمة عن مستوى تلك الأعمال العشوائية الرخيصة الهدف

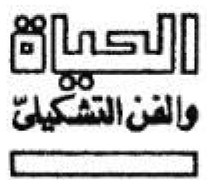
والقيمة ، وعن تضافر شتى الجهود لفرضها على الجمهور . وتتعدد وسائل الفرض هذه بدءا من القاعات التجارية البحتة . الى المعارض العامة والخاصة ، الدولية والمحلية ، ومتاحف الفن الحديث ، وكل ما لدى وسائل الاعلام من امكانات .

ويرى جورج جازاقا فى تضافر جهود امناء المتاحف والتجار ورجال الاعلام لفرض تلك الاعمال التجريدية التهريجية من أكبر علامات الوقاحة الحضارية . فهم يتذرعون بأنها تعبير عن « انطلاقة القوى الذاتية الدفينة للفنان » ، فى حين انها ليست الا تشويها ومسخا للواقع ، وتبديدا للتراث ، ومحوا للأصالة والانتماء ، واستبعادا للمصاعب الحقيقية التى تصاحب عملية الابداع الفنى ومعاناتها . فلا يمكن للسهولة الارتجالية لمختلف هذه المحاولات الزخرفية المبتذلة أن تحل محل ذلك العطاء المتطور والمتواصل فى استمراريته عبر العصور . لذلك يرى أن



موجه فى عيون فنان معاصر





الجمال والقبح

هذه المحاولات الحديثة التى يطلق عليها اسم « الخزعبلات » ، لاتصلح ـ جدلا ـ الا كمشاريع لتبليط ارضيات من اللينوليوم أو المشمع ! أما فرضها وعرضها كأعمال فنية ابداعية فذلك تخريب للرأى العام لاريب فيه .

ويخرج جورج جازافا من هذه النقطة بالتساؤل عما اذا لم تكن هناك جماعة او عصابة من المخربين وراء هذه المحاولات ، بغية الوصول الى أغراض أبعد من مجرد اهانة الفن الاصيل والفنانين الصادقين ؟ . وتأتى بقية الكتاب كدليل على حقيقة وجود هذا الافتراض .

ويتتبع المؤلف لعبة تجار الفن ومحتكرى سوقه منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، واستغلالهم للقيم الفنية وتحويلها الى قيم استثمارية فى البورصة ومضارباتها . مما أدى الى تكوين جماعة من عصابات المافيا ، تسيطر على المجال الفنى الأبداعى ، تمكنت من فرض طبقة من الحرفيين الزخرفيين ، ليغرقوا السوق بلوحاتهم العشوائية ، خاضعين لعبودية محتكريهم ولسيطرتهم المالية .

وأهم ما يوضحه جورج جازافا فى هذا المضمار هو تضافر جهود تجار الفن ومستثمريه ، وما يشكلونه من كيان شديد السيطرة ، تفلت ابعاده من المحاسبات القانونية القضائية رغم أنها تقع تحت وطأة القانون . ومن جهة أخرى ، يؤكد ان منذ قرن من الزمان تقريبا ، أصبح تعبير « الفنون الجميلة » مجرد قناع من الزيف يخفى وراءه تجارة أجرامية قائمة على الفن والمخالفات القانونية على النطاق المحلى والدولى .

فرض الزيف

وفى الفصل الثانى الذى يتعلق بالمخالفات القانونية ، يوضح جورج جازافا كيف تستعين هذه العصابات المسيطرة على المجال الفنى بشتى الوسائل لفرضها على الجماهير والحصول على تأييدها لما تطرحه من زيف وتزوير . وذلك بفضل الدعاية الدائبة فى الصحف والاذاعة والتليفزيون والمطبوعات الفاخرة وأعمال التزوير فى المزادات وقاعات العرض ، وماتتضمنه من رفع جنونى مفتعل للأسعار ، الى جانب المعارض المحلية والدولية والمسابقات والمتاحف الى آخره من التحايلات التى يصعب أن يصمد حيالها الشخص العادى أو غير المتمرس فى مجال الأصالة الفنية .

كما تعتمد عمليات التزييف هذه على اقناع الجمهور بأن اسم الفنان وحده ومجرد توقيعه على اللوحة يعد ـ فى حد ذاته ـ ضمانا لقيمتها الفنية ، أيا كان محتواها او بصرف النظر عما تحمله من تهريج . فقد وصلت الدعاية الدائبة الى قلب الأوضاع ، وأصبح انعدام القيمة



هل الفن الحديث جريمة !!

الفنية وكل ما تحمله هذه الأعمال الحديثة من قبح وابتزال هو القيمة الحقيقية الرائجة .

وذلك إلى جانب مدح الأعمال الهابطة وإلزام الفنانين الصادقين بتغيير موقفهم ، مثلما حدث مع بيكاسو . فمن المعروف تاريخيا انه كان موهوبا ، وأعماله الأولى تشهد على ذلك . فمجدوه ، ثم أجبروه على إنتاج الأعمال الارتجالية المفتعلة ، ثم تذرعوا به قائلين : « بما أن بيكاسو يعد من جهابزة الفن المعترف بهم ، فإن أعمال « التلطيخ العشوائية » هى أيضا من نتاج العباقرة » ثم يضيف المؤلف : « وهكذا أخضعت العصابة المتحكمة فى الفن الحديث هذا الفنان لتدعم كيان الأعمال التجارية المنفرة ، باستعباد أسماء مشاهير الفنانين وإنتاجهم »

ويشبّه جازافا هذه الأعمال بالعملة



الجمال والقبح

الزائفة التى يحرص المزيفون على طرحها واستمرار تداولها . وقد قام هؤلاء المتحكمون فى الفن بفرض المفاهيم الجديدة التى يجب أن تحتوى عليها الأعمال الفنية الحديثة ، وهى : أن يخلو العمل الفنى من أية نزعة انسانية ، وان يتفادى الأشكال الحية ، وأن يعتمد على لعبة التحايل التقنى . أى أن يبدأ من لاشىء ، وينتهى الى لاشىء .. لاشىء سوى اللوحة فى حد ذاتها » .

ويخرج المؤلف من هذا العرض لمختلف وسائل التلاعب بجمعها تحت اسم واحد هو : « انها تدابير خداعة للنصب والاحتيال » . ثم لا يتورع من اطلاق اسم عصابة « آل كابونى » على عصابة المتحكمين فى الفن الحديث وفرضه على الصعيد الدولى . معتمدين على هدم الرأى العام السليم لضمان سيولة ما يطرحونه من « قاذورات غارقة فى الوحل » . وليست هذه العبارة الجارحة فى حد ذاتها ، من باب التحامل الشخصى من جانب المؤلف ، وانما هى نتيجة لما استباحه لأنفسهم أولئك الفنانون من ابتذال مهين : فقد عرض أحد « كبار » الفنانين « مبولة » كقطعة فنية ، وعرض آخر نفايات آدمية جافة كقطعة نحت حديث ! والمؤسف او المحزن حقا أن تحصل هذه الاهانات على جوائز فنية فى أحد المعارض العامة الدولية ! !

ثم يستطرد المؤلف موضحا كيف تلجأ هذه العصابات الى الحصول على حماية بعض كبار الشخصيات والسفراء او الهيئات الهامة والمؤسسات الثقافية الدولية مثل منظمة اليونسكو ، وذلك لكى تضفى على تجارتها مزيدا من الهيبة وجلال المراكز العليا .. مما يؤدى الى انجذاب الفنانين الى التيارات الحديثة بأمل الحصول على نصيب من تلك المكاسب الاسطورية التى يلوحون بها . وفى نفس الوقت قام المتحكمون فى المجال الفنى بمنع عرض الأعمال الفنية الحقيقية الصادقة التى تنتمى الى التراث الفنى العريق ، وذلك لكى لا تتم أية مقارنات ولكى تألف عين المتفرج ما يفرضونه عليها دون سواه .

ويوجز جورج جازافا اساس اللعبة فى عبارة واحدة قائلا : « لكى ندرك مدى ليونة كلمة « الفن » حاليا ، لكى ندرك هذه « التقيؤات » التى تبهر الرأى العام وتشين الانسانية ، لابد من ادراك الحقيقة المؤسفة المحزنة ، وهى أن السارق يستعبد الشرطى بفرض قوى المال التى ليست فى الواقع إلا نتاج احتيالاته الصارخة . فمن مصلحة التاجر المتحكم فى تزييف المجال الفنى أن يدفع الجمهور الى الشك فى امكانية حكمه السليم ، ليلجأ الى احتكامه هو . وعادة ما يقدم كذريعة لصواب خدعة تلك الاكذوبة التاريخية قائلا : « مثلما عانت جماعة التأثيريين من عدم التقدير فى زمنها ، فاننا غير قادرين على فهم المستوى

الابداعى للفن الحديث ! ! وبذلك يطالب المتفرج بالتنازل عن رأيه وقبول رأى التاجر

الا أن المؤلف لا يلبث أن يرد على هذه الواقعة التاريخية المزيفة قائلا : « كان يمكن للجمهور أن يتقبل أعمال التأثيريين ، فى زمنهم ، لو لم يقم تجار الفن المتحكمون فى السوق آنذاك بمنع أعمالهم من العرض » !

القيمة التجارية و القيمة الفنية

ويعتمد الفن الحديث ـ من الناحية الاقتصادية ـ على الفصل بين القيمة التجارية والقيمة الفنية ، أى أنه يعرض للبيع أعمالا شديدة الارتفاع فى سعرها ، شديدة الانحطاط فى قيمتها الفنية . فى حين ان القيمتين مترابطتان ولا يمكن الفصل بينهما سواء فى الواقع أو فى العرف القانونى . فالعمل الفنى ـ على حد قول المؤلف ، كالاحجار الكريمة ، تكمن قيمتها فى نوعيتها مباشرة ، وتقييمها مرتبط بمدى درجة كمالها الابداعى .

ثم يسهب المؤلف فى شرح كل المحاولات التى تعتمد عليها جماعة محتكرى الفن الحديث كالغش ، والنصب والخديعة ، واختلاس الخدمات العامة ، وافتعال رفع الأسعار ، وتضافر جهود المخربين ، والسيطرة على مجالات الاعلام وفرض الشعارات الكاذبة المضللة ، والنيل من حرية الفنانين ، والمساس بالعقائد العامة . ثم يوضح بندا بندا بالاثبات كيف ان كل عملية من هذه العمليات تخضع لوطأة القانون الفرنسى الذى يفرض عقوبات صريحة لمخالفات بنوده . ويتساءل جورج جازافا كيف لم يطبق بعد القانون الذى يحكم بإعدام كل من يساهم فى عملية من شأنها احباط أو انحطاط الرأى العام بأعمال متعمدة مقصودة قائمة على الغش والتزوير وتمجيد أعمال القبح باسم الحرية ؟ ! ذلك لأن الفن فى رأيه ـ مرتبط بضرورات الحياة والتضامن الانسانى والقوى الحيوية المبدعة وليس كما يزعمون مرتبط بالاهمال والتباعد عن الجذور وتمويه الحقائق واطالة اللحى وعدم الاغتسال !

ثم يضيف موضحا أن ما سمح باستمرار عمليات التخريب هذه هو « أن

وجه آخر من الفن الالمانى الحديث





الجمال والقبح

المشرعين القانونيين لم يعتبروا حتى الآن [فى الستينات] العمل الفنى كسلعة اساسية وحيوية فى المجتمع ، وانما اعتبروها كنوع من البذخ ، أو كأى هواية من الهوايات كالطوابع وغيرها » .

واذا ما طالب المؤلف بوقفة حاسمة لاعادة تقييم الأمور ، فذلك لانه يرى أن الفن هو « انعكاس للمستوى الفكرى لبلد ما ، واهدار قيمة يعنى اهدار القيم الروحية والمعنوية لهذا البلد » .

سيادة الكذب

وفى النهاية يقول جورج جازافا ان الغرض من كتابة هذا ليس حماية الفنانين الصادقين ضحايا الغش والتحايل التجارى فحسب ، وانما هدفه ايضا أن ينبه الى الاخطار الناجمة عن الاستغلال السيء المهين بشتى الامكانات الثقافية والاعلامية والابداعية ، بغية فرض اعمال هى فى الواقع مجرد أسلحة فساد وقلب مفاهيم ، تؤدى الى سيادة الكذب والغش والقهر وفرض وجهة نظر البائع المحتكر بدلا من أن تسود مفاهيم الحقيقة والعدل والحرية والقيم الانسانية الصادقة . لذلك راح يؤكد أن الفن الحديث ليس سوى اداة تدمير تؤدى الى موت الفكر والمنطق والمعرفة الحقيقية والانتماء ، أى الى قتل كل ما حبانا به الله من نعم انسانية .

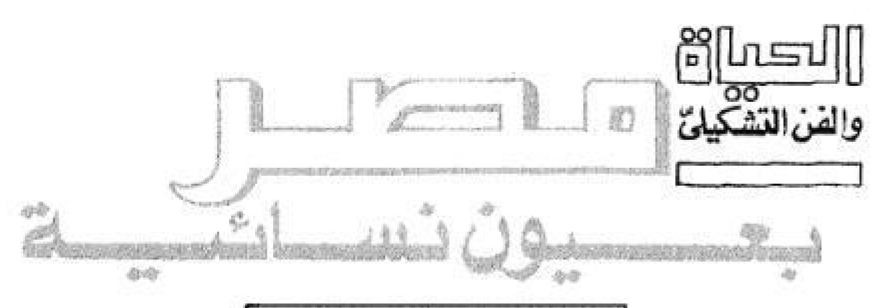
ويختتم جازافا كتابه قائلا « ارجو أن اكون ساهمت فى تحديد الفرق بين ما هو الفن وما هى الجريمة ، موضحا بالدليل أن الفن الذى يهذى ويرمى الى تخريب المصير الانسانى ويغرق فى القبح والتشويه غير المفهوم ، لا ينتمى الى المجال الفنى وانما هو مرتبط بأحط انواع الاختلاسات الدولية » .

ولم تتوقف جهود جورج جازافا لفضح خبايا مجال الفن الحديث ومحتكريه عند هذا الحد ، لكنه كان أول من أقام دعوى قضائية ضد وزير الثقافة آنذاك لسماحة باستمرار وتفشى هذا التخريب المتعمد للتراث القومى وللكيان الانسانى . لكن تلك حكاية أخرى ..

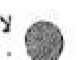
شــوقى ..وضرب بيروت

تعرضت بيروت للكثير من المحن ومازالت تتعرض . وفى عام ١٩٢١ ضرب الأسطول الايطالى بيروت . تصور شوقى محنة بيروت : قال

بيروت مات الاسد حتف أنوفهم   لم يشهدوا سيفا ولم يحموك
سالت دماء فيك حول مساجد   وكنائس ومدارس وبنوك



بقلم : كامل زهيرى


لاأظن أن هناك أدبا نسائيا . ولافنا نسائياً !

إنما هناك أدب إنسانى يكتبه الأدباء والأديبات ، وفن إنسانى يصوره الرسامون والرسامات . وإن كان الأدب عندما تكتبه المرأة يصبح له مذاق خاص . والتصوير الفنى عندما ترسمه المرأة يصبح له نكهة خاصة .

والمرأة فى الرسم إما ملهمة أو مشجعة أو موديل . فليس فى تاريخ الرسم ـ فى العالم ـ رسامة وصلت إلى العالمية ، وارتقت إلى مصاف دافيد ورامبرانت وميكائيل أنجلو وفلاسكيز أو رينوار وبيكاسو وتولوز لوتريك . فالرسامون بالمئات . ولكن عدد النابغات فى الرسم يعد على أصابع اليد . وقد تكون سوزان فالادون من أشهرهن . وهى رسامة فرنسية (١٨٦٧ ـ ١٩٣٨) . كانت فى الأصل لاعبة سيرك ، وراقصة على السلك ، ثم وقعت فى حادث . ولحسن الحظ انها لم تقع على يدها . فأصبحت موديلاً للرسامين . ورسمها رينوار ودى شاخان وتولوز لوتريك . ثم هوت الرسم . وتنبه ديجا أن رسومها تجمع باتزان بين الخشونة والنعومة . فأعجب بها . وعاشت سوزان تنتقل بين مراسم الفنانين واحضان الأزواج . ولم تخلص إلا للرسم ولابنها الوحيد موريس او تريللو الذى ورث فنها وتعلم منها واصبح رساماً عالمياً .

وقد رسمت سوزان فالادون عالم المرأة ، وتميزت بألوانها الملتهبة ، وحزنها البهيج ، وصورت وحيدها ، وأمها ، وعالم البيت وأثاثه وزهوره وستائره وأسرته . وفى متحف البيتى باليه بباريس بعض لوحاتها الشهيرة كلوحة الابن والجدة والكلب ، ولوحة المرأة بالقرب من السرير ، ولوحة البيت وسط الحديقة !

وفى رسوم سوزان فالادون عالم فيه الترقب والانتظار والحنان والاحساس بترابط الأجيال وتقلب العمر ، فى ألوان دافئة أو صاخبة ومتبهرجة ، تتأرجح بين الحشمة والخلاعة . وليس كالمرأة من يستطيع ان يصور هذا العالم من تعاقب الأجيال ، وشم الزمن على وجوه البشر .

ولعل مايثير انتباه متذوقى الفنون المتجولين فى المعارض أن فى مصر رسامات بلغن كثيراً من الشأن والشهرة ومنهن مارجريت نخلة وخديجة رياض وجاذبية سرى وتحية حليم وانجى افلاطون ... وغيرهن كثيرات . لكن مايثير الملاحظة حقاً أن بينهن ثلاثياً او مثلثاً



ذهبيا من جيل واحد ، ظهر بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، ومنذ الخمسينات وبلغن الان مكانة داخل مصر ، وأثار دوياً خارجها ، فاصبحت أسماء هذا الثلاثي . تحية حليم وجاذبية سرى وانجى أفلاطون ، تزداد ليس فقط فى اوربا وأمريكا بل وفى روسيا والهند والصين .

وليس مبالغة ان نقول ان الشعر المصرى الحديث فى أوجه كان له مثلث ذهبى ، أضلاعه هى حافظ ، وشوقى ، ومطران ، والنثر الحديث له مثلث ذهبى آخر ، لايقل شأنا ، أضلاعه طه حسين وعباس العقاد وتوفيق الحكيم . وللقانون كذلك مثلث ذهبى أعلامه عبد العزيز فهمى د . عبد الحميد بدوى وعبد الرزاق السنهورى . وقد اكتمل أيضاً مثلث ذهبى آخر للرسامين منذ الثلاثينات من الرواد محمود سعيد وراغب عياد ومحمد صبرى . وأخيراً يكتمل الآن فى الثمانينات ، مثلث ذهبى نسائى رائع من رسامات موهوبات هن تحية حليم وانجى أفلاطون وجاذبية سرى .

وخلال شهر فبراير ـ الماضى ـ عرضت الفنانتان انجى أفلاطون وجاذبية سرى معرضين شاملين لأعمالهما ، فى مكان واحد فى قصر عائشة فهمى بالزمالك . والمعرضان فرصة نادرة لعشاق الرسم ومتذوقى الفن لاستعراض ثلاثين عاماً من رؤية مصر بعيون نسائية . فالمعرض الشامل فرصة للمشاهد والفنان نفسه ليراقب فى وقت واحد الفن والفنان معاً .

وتختلف رؤية الفنانتين مع انهما من جيل واحد عاش نفس الاحداث . والرؤية الفنية الخاصة هى مزيج بين البصر والبصيرة ، والعين والوجدان ؛ وهنا تختلفان ، لان انجى افلاطون وجدت خلاصها وفنها وموضوعها الاثير فى القرية بينما جاذبية سرى هى ابنة المدينة ـ لم تستطع أن تبارحها الا للنوبة والنيل والصحراء والشاطىء لتعود الى موضعها الأول والنهائى .

وتختلف الفنانتان وكأن انجى افلاطون تعزف بالالحان الوترية وجاذبية سرى تعزف بالالحان النحاسية . وفرق بين الوتريات والنحاسيات . أو فرق بين عائلة الفيولينه ، والفيولا والتشيلو والكنتر باص وبين حدة وغلظة الانغام الوترية وبين عالم النحاسيات كالترمبيت والكورنو والترمبون والتوبا . وعالم جاذبية سرى من النحاسيات ، لان لونها المفضل و الاثير هو اللون الأحمر البرتقالى ، وموسيقاها أقرب الى الأوبرا المرئية التى تتلاحق فيها المساحات وتتداخل وتتوازى فيها الخطوط ثم تتقاطع . وقد اجادت تصوير العلاقة بين الهمس والهتاف . تهتف بالوان كالاحمر والبرتقالى وألوان تهمس كالأزرق وتختار بعناية وأقتدار ألوانها الصاخبة وألوانها الناعمة .

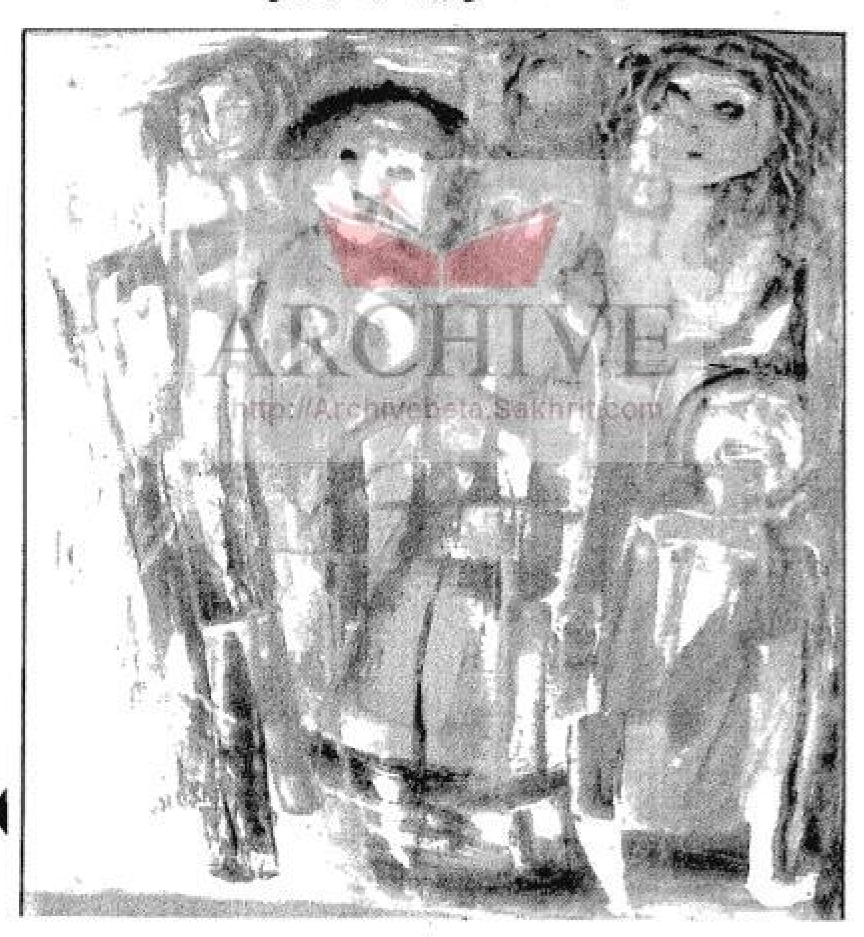
وحتى القبح عندها له جاذبية ، لأنها شخصية حادة متوترة ، تهجم على لوحتها بأشجانها ، وتقلبها وتصبغها ، وتلونها ، وفى لمسة نسائية حانية ورقيقة ، وسط خطوط مشتعلة ، فى مساحات قابلة للاشتعال .

ولايمكن تحليل أعمال جاذبية سرى الا بتحليل حياتها الأولى فى القاهرة فقد ولدت جاذبية من عائلة أصولها

ارستقراطية من العائلات القاهرية التركية القديمة . ومات ابوها وهى فى الرابعة . وعاشت مع امها الأرملة ، وجدتها المطلقة . وأعانها جدها . وانفقت عليها جدتها . وبعد يوم من تخرجها اعلنت لجدها استقلالها ، فمات . واخذ عمها بيدها وقاد عينها لجمال القاهرة القديمة ، وبواباتها وحاراتها ومن ذا الذى عاش فى تلك الأحياء واستطاع الفكاك من سحرها الآسر الذى يغذى العيون بفنون الصنايعى المصرى العظيم . وقادها عمها الثانى إلى كتاب وصف مصر والموسيقى الغربية فى حديقة جروبى . وبين القاهرة المعزية والأيوبية والطولونية التى ولدت فيها . والقاهرة الرومية التى تبدأ من دار الأوبرا وقصر الدوبارة ولاظوغلي حتى ثكنات قصر النيل ، تأرجحت جاذبية سرى بين ما نسميه الموروث والوافد ، او الأصالة والمعاصرة ، أو القديم والجديد .

لكنى أظن ان سنوات الطفولة والصبا كانت اعمق سنواتها ، ففيها احست بالموت والفقدان واليتم ، ولاأظن انها ارادت من الفن الخلود لكنها ارادت من الفن الحياة . فالفن فى وجه الموت هو طوق النجاة من احزان واشجان ، لازال الشجن يطل من عيون ابطالها ، ومن لوحة

● المثلث الذهبى بين اللوحة والواقع





الصغار ، وخشونة الأيدى ، هذا التماسك العائلى كأنما العائلة مصبوبة من حجر .

ان تداخل شخصيات العائلة عندها يشبه هذا التداخل الفرعونى العجيب مابين فرعون الملك وزوجته بين اقدامه او على حجره الملكى ، مثل هذا التداخل والترابط فلا نجد اشكالاً متناثرة ، بل مساحات متداخله ، تدل على ترابط العائلة فى ظل الفجيعة التى تحدث بموت عائلها .

لقد قلبت جاذبية سرى اشجانها لوناً ، واختارته من بين الألوان الجهيرة ، وفى فصاحة لونية استطاعت ان تنقلنا إلى عالمها العائلى الماضى ، عالم الطفولة ، والمرأة ، والأسرة ـ وهو عالم نسائى صرف ـ يتعذر فيه ظهور الرجل ، وتتقارب فيه الرءوس الحزينة التى يهدها الترمل واليتم وتتعانق فيها الهزيمة والحنان كما فى لوحاتها طفلان (١٩٦١) ، ارملة (١٩٦٥) والفتاة والقطة (١٩٥٩)

وبالحلمية القديمة فى شارع نور الظلام ، وبالمعنى هاتين الكلمتين ومغزاهما الضوئى والتصويرى والروحى ، فالرسم ايضاً هو النور والظلام ، كان هذا الشارع القديم الطويل كالأخدود بين مرتفعين .. مرتفعات تل قبيلة بنى يشكر الذى اقيم عليه اروع مساجد العصر الطولونى ، مسجد ابن طولون ومرتفعات اخرى بنى عليها صلاح الدين قلعته ومسجده رمزاً للسلطة الدنيوية والروحية والشارع يمتد من تحت اقدام مسجد ابن طولون ويصب فى شارع محمد على كالجرح الغائر يشبه خطوطها الحادة القاطعة .

والشارع فيه المحكمة الشرعية القديمة ، تلك الدار التى تحدث فيها أحداث درامية هائلة ، لاتكتبهاالصحف ، ولايعبأ بها الا اهلها ، ولكنها احداث عميقة الغور لأن فيها الطلاق واعلان الوراثة واوقاف الخصوصية . والشارع فيه دهاليز ومنحنيات وحوار ومبان ، ومساجد قديمة ، وسبيل ام عباس ، واضرحة منسية ، وملاجىء للعجزة ، وبيوت عثمانية ومملوكية ، وافندية ومنحدرين من صلب البكوات الأغوات ، وسكرين يئست من توبتهم الزوجات والأبناء ، ومصلين فى غاية التقوى والصلاح !

وهذا ما رأته جاذبية سرى بعين الطفلة والصبية . ولكنها رأت ايضاً الموت فى داخلها .

وكان الموت معلمها الأول . والأخير . فيكفى موت واحد ، وأن يكون الموت هو موت الأب للابنة الصغيرة ليقيم الموت فى بيتها ويقيم فى داخلها . ومنه تولد الفزع من فقد الأحباء ، والجزع من الحب خوفاً من موت الأعزاء .

اذن لابد لها من القراءة . فالقراءة حبال من الخيال . وهى كلمات مؤنسة للوحشة . وهى قتل للموت ولو فى الخيال . وهى هداية من الضلال ، وقد تكون مغلالاً . لكنها كانت تلتهم كل شىء من ردكامبول وارسين لوبين الى نيتشه وزرادوشت وكأنها تقول كما قال نيتشه : حياتى حريق واحتراق . الدقة الأولى . ثم الدقة الثانية . ثم الثالثة . والرابعة ، عليك ان تعرف نفسك كما قال زرادوشت . لم يبق الا ان تبحث عن

نفسها . وأن تتمرد لتجد نفسها . وأن تقرأ لتفك طلاسم هذه العمارة العجيبة فى داخلها : النفس البشرية ، ولتصعد من تلك الآبار العميقة فى جوفها من الرعب والخوف من المجهول والقادم .

وفى الفترة التى لم يكتمل بعد تعليمها ووعيها لتكشف ما فى أعماقها وتدرك ما تراه ويتراءى لها ، كانت احيانا تبكى وتشنج فلا تكف الا اذا شدوا لها بين مسمارين فى البيت الكبير على ضوء المصباح الغازى فى غرفة كبيرة ، جملاً مشدوداً ، فوقه أرجوحة ، يهزونها حتى تكف عن البكاء أو تعجز عنه . واذا بهم فى البيت يتصورون انها « مخاوية » لعالم الجن والعفاريت . وسوف تلحظ انها اختارت المرجيحة بين العاب الاطفال لتصورها بعد ذلك .

ومن لم يعش فى مثل هذه البيوت القاهرية لايحسها ولايدركها ، لأنها بيوت لها جذور فى الأرض ، كلما أوغلت فى القدم توغلت جذورها فى الارض . وهى تختلف تماماً عن علب الكبريت الخرسانية التى تحس أنها وضعت على الأرض ، أو ألصقت بها . ومن يقرأ قصة « بيت الموت المؤكد » لألبير خضيرى الكاتب المصرى المولد والفرنسى اللغة ، أو يقرأ روايات يحيى حقى ونجيب محفوظ والسباعى – كتاب القاهرة الموهوبين – يحس بجذور تلك البيوت ، وحيطانها التى تتحدث بالليل ، وتبخ حرارتها فى الصيف القائظ ، وقد نشعت الرطوبة فوق حيطانها كأنها سيقان أقدام رسخت فى المياه الرطبة الآسنة وفى بيوت لها شخصيات ، ولها تاريخ

ولاشك ان جاذبية سرى التهمت بعينها وروحهاهذه العمارة المملوكية والعثمانية ، فإذا بها حين تنتقل من مرحلتها الأولى ، مرحلة تصوير العائلة والأم والبنات واللعب ، الى مرحلة من ذروة مراحلها هى مرحلة تصوير البيوت القاهرية . وما كان يمكن أن تنفجر فيها هذه الصورة وتتفجر فوق لوحاتهالولا كارثة ٦٧ ، وما أحسه القاهريون من نقمة وجزع ونزع وتمرد ، فاذا بالبيوت عندها ترسمها متقاطعة متقاربة ، لها نفس الجذور التى لايمكن اقتلاعها كتشبث بالحياة ، ولها نفس تلك العلاقات بين أفراد أسرة واحدة . وكما يتكوم الفقراء فوق اكتاف بعضهم البعض ، ويتدخلون من بطش الشتاء ، ويتقارب المعزون – رسمت جاذبية سرى اروع رسومها ، وجاء اسلوبها فريداً لم يبلغ رسام قدرتها ومقدار أشجانها .

وقد تمردت جاذبية سرى ، فاستقلت ، وانفردت ، فكانت فنانة فريدة . قاهرية المولد والمزاج . خرجت من القاهرة الى النيل . والقاهرة بغيره تصبح قحطاً . وخرجت الى الصحراء وتنقلت بين النوبة ومرسى مطروح ، ولكنها كانت دائماً تعود إلى البيوت ، لأنها رموز لحياة داخلية غنية . تجد فى أشخاصها هذه الملامح الشعبية فى الوجوه القاهرية ، البليغة التعبير بالعيون ، ولا تخشى من تصوير ملامح القبح فى الأفواه التى تعودت على المضغ والاكل بالفم المفتوح ، فاذا بها تتكور وتلتوى وتتشوه ، وهى لا تخفى ايضا تصوير القبح حتى فى قامة النساء اللاتى يملن دائماً بأردافهن منذ الصغر تباهياً بالنضج قبل الاوان ، بينما يغممن صدورهن اصطناعا للحشمة والوقار .

وخرجت هذه الصور الدفينة من عالم دفين غير مرئى إلى عالم مرئى يشعشع

فيه الضوء واللون وتصوره صاحبته بخطوط حارقة قاطعة مشتعلة ، فى مساحات سريعة الاشتعال ، فكان لفنها وهج قاهرى وأصبح حتى القبح عندها جذاباً وأصبح جمالها الماضى والذاتى

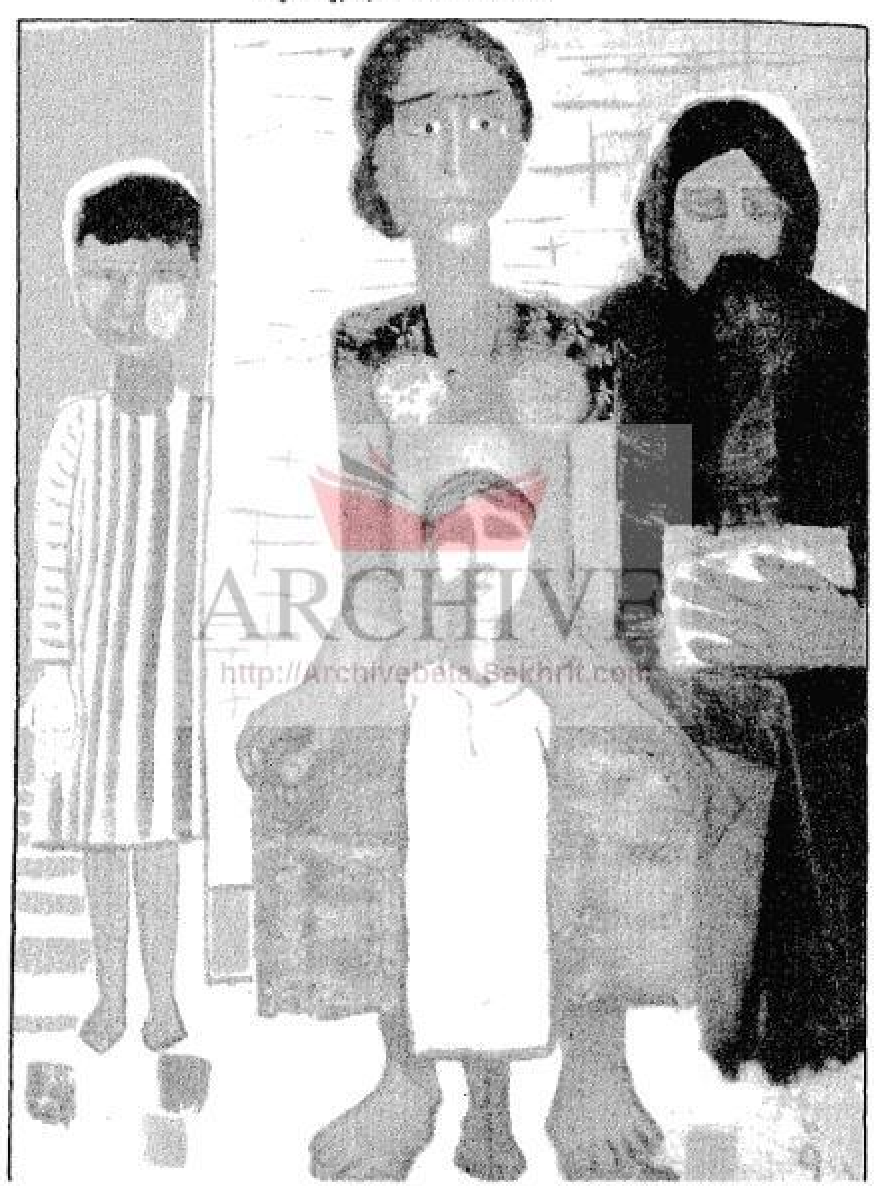
الذى ترسمه بعناية وموهبة ورصانة يملأ كل فراغات اللوحة ، فجاءت لوحاتها كلوحات الفنان الشرقى لا تعترف بالفراغ . وجاءت ألوانها نحاسيّة ، وموسيقاها كالاوبرا الضوئية واللونية

حوار بين الفنان والبيئة ـ جاذبية سرى



ولونها المفضل هو البرتقالى والأحمر فى عالم بين الهمس والهتاف . والشجن والبراءة . وأشهرت فنها فى وجه الموت الذى يخطف الاعزاء . وما ابتغت من الفن الخلود ، بل اشتهت الحياة . وقد جعلها الفن تدرك معنى الحياة . ومن يدرى فقد يصيبها بعد ذلك هذا الشىء الذى نسميه الخلود بعد أن نثرت شظايا روحها فى متاحف العالم الكبرى بين الصين وامريكا والقاهرة وباريس !

اللاجئون . لوحة لجاذبية سرى



ماذا قدمته مصر الفرعونية للعالم ؟!

الفن الفرعوني والقيمة التشكيلية

بقلم : الدكتور صبرى منصور

قد لايدرك غالبية المصريين تلك القيمة الرفيعة للفن الفرعوني ، ومنزلته السامقة بين الفنون التى أبدعتها قريحة الانسان على مر العصور . فلقد ساهمت عوامل كثيرة فى تشويه هذا الفن عند المصريين ، ولعل أهمها العوامل النابعة من المصريين أنفسهم ، بقصور البرامج التعليمية والتثقيفية عن المساهمة فى تكوين النظرة السليمة لهذا الفن والتذوق الصحيح له . واذا أضفنا الى هذا القصور نسبة الأمية التى تخيم على أكثرية الشعب فاننا سوف نجد أن الفن الفرعوني قد أضحى فنا مجهولا بين أهله وذويه ، فهو فن غامض وغريب ، متصل بتاريخ موغل فى القدم ، لاتجمعنا به صلة أو روابط . ولم تسلم منطقة اهرام الجيزة وتمثال ابى الهول - التى تمثل أهم منطقة جذب للمشاهد المصرى - من تلك النظرة الشائهة والتى تسببت فى تحويل المكان الى منتدى للترويح والترفيه ولهو الأطفال ، وتراهم يتقافزون بحرية وطلاقة فوق أحجار الاهرام ، والكل منصرف عن استشعار الجلال الشامخ ، أو الاحساس بالقيمة الجمالية الرفيعة للبناء المعمارى المهيب .

ولعل الافكار التى شاعت بين المصريين عن الفن الفروعوني أنه فن وثني قائم على تمثيل العقيدة الدينية ، وأن اهميته محصورة فى تعبيره عن طقوسها ، فى أسلوب يتصف بالرتابة والتكرار الذى يؤدى الى الملل نتيجة تشابه نماذجه ، كل هذا - الى جانب التأثير السىء للنظرة التى اعتادت على الفنون المقلدة للطبيعة منذ اتصالنا بالحضارة الغربية - قد ساهم فى انصراف المشاهد المصرى عن تذوق جماليات الفن الفرعوني وتقديرها حق قدرها .

وفى الواقع فان الفن الفرعوني قد ظل حتى بدايات القرن التاسع عشر فنا يكاد يكون مجهولا ، ولم ينته إليه العالم إلا بعد كشف شامبليون التاريخى . وكانت العين الأوربية مازالت محصورة فى نموذج الفن



اليوناني والروماني مرورا بفن عصر النهضة الايطالي وما تبعه من طراز الباروك والروكوكو . وحين بدأت بشائر التحف الفرعونية في الظهور بمتاحف العالم الكبرى كمتحف اللوفر بباريس ومتحف لندن وبرلين ، بدأ الكشف عن طراز فني نادر له تفرده ومذاقه الخاص . وبدأ جيل من نقاد الفن والدارسين لآثار الحضارات الانسانية يلتفت الى هذا الفن ويعكف على دراسته واستخلاص قيمه وجمالياته . وسرعان مابدأ الفن الفرعوني يأخذ موقعه في تاريخ الفن الانساني كأول نموذج متكامل للفن أبدعه الانسان على وجه الأرض . وتوارت النظرة السائدة عن جموده ورتابته ، وجاءت شهادات الدارسين والباحثين دليلا على عظمة انجازه وشموخ آثاره . فيؤكد «دي بورج» بأن فن مصر هو الذي فرض طابعه ونفوذه على العالم الخارجي من قبل أن يبزغ فن الحضارة الهيللينية . ويرى «رينيه يوج» أن الفن المصري كان أول من اكتشف ما أصبح بالنسبة للمحدثين جوهر الفن الصحيح ، يعني مصادر الانسجام والجمال التي يمكن ان تستخرج منها العناصر الاساسية في لغة الفن كالخط واللون . كما كان الفن المصري من اوائل الفنون التي جرؤت على التبسيطات الكبرى في التجسيم ، حتى ان المصور التكعيبي الحديث ، أندريه لوت ، قد تأثر في سنواته الأخيرة تأثرا بالغا بالفن المصري ، وأدرك ما فيه من تشابه مع محاولات الفن الحديث ، وكان يرى بأن الدراسة الجادة والعميقة لنماذج الفن المصري الخالدة قد تقود الى انه المنطلق لفن التصوير الحديث ودعامة تطوره وتألقه وازدهاره .

ونحن اذا أردنا تقدير القيمة الفريدة التي تحققت في الفن الفرعوني ، فانه يجب أن ننظر اليه في اطار القيم الفنية التشكيلية الثابتة . وأن نتحقق من تجسد هذه القيم فيه بصرف النظر عن وظيفة هذا الفن الدينية حينئذ يمكن لنا أن نكتشف المقدرة الفنية الهائلة ، والحس الفني الفريد للفنان الفرعوني ، الذي تمثل في سيطرته الكاملة على التصميم والمحافظة على عنصر الاتزان ، والقدرة على التنويع داخل التصميم الواحد ، والاحتفال بعنصر الايقاع ، وسيادة العنصر الرئيسي واجراء تنويعات عليه . وعلى الرغم من الرتابة والتكرار اللذين يبدوان للوهلة الأولى على نماذج الفن الفرعوني ، الا ان العين المدربة تستطيع ادراك مدى الرقة والرهافة في تنغيم الفراغ مع الأشكال ، والحوار التشكيلي البليغ الذي تؤديه كل عناصر العمل الفني بما فيها من كتابات تم ادماجها في العمل لتصبح جزءا اساسيا من مفردات تشكيله ، كل ذلك في اطار تكوينات متزنة متناسقة ، لايحس الرائي ازاءها بأي خلل في البناء أو في دقة الحبكة الفنية .



النائحات

وفى لوحة مثل لوحة «النائحات» من الاسرة الثامنة عشرة (١٣٦٥ ق . م) نرى كيف وفق الفنان فى خلق ايقاع فريد قوامه الخطوط الطولية للأجسام ، وحركات الأيادى المعبرة ، ونلاحظ التنويع الذى أدخله ليحد به من رتابة التكرار ، فأضاف الفتاة الصغيرة العارية ، وجعل احدى الفتيات تمسك بجسد المرأة التى أمامها بدلا من دفعها فى الهواء مثل بقية الأشكال ، كذلك نلاحظ أن حركات الايادى غير متشابهة فى زاوية انفراجها ، كما

● الحركة فى الفن الفرعونى تسبق كل الفنون التشكيلية المعاصرة



● الفنان الفرعونى تخفف من وحدة المقاييس والقيود المفروضة



استغل الفنان بقع الشعر السوداء فى خلق ايقاع جميل .

لقد كان الفن الفرعونى سابقا لجميع فنون الحضارات القديمة فى بلوغ هذا المستوى التشكيلى الخالص ، والذى يعتبر هدفا رئيسيا لكثير من المدارس الفنية المعاصرة ، التى تولى العملية التشكيلية والبصرية الأهمية القصوى فى العمل الفنى . وربما كان هذا التفرد فى المعالجات التشكيلية السبب الذى حدا بالمصور الفرنسى «بول جوجان» ـ الذى كان شاغله الاساسى عنصر التصميم والتشكيل ـ بأن يقتفى أثر الفن الفرعونى اقتفاء واضحا ، بل وتقليده تقليدا صريحا فى لوحة « السوق » حيث نجده قد التزم فيها برسم الصور من الامام والارجل من الجانب ، وحركات الايدى الموحية ، واعتمد على مبدأ التكرار فى نسق هندسى ، ولقد أشاد « جوجان » بالفن المصرى ، وكان يعتقد بأنه يجب على الفنان الاحتفاظ دائما فى مخيلته بجزء منه .

ووصلت مهارة الفنان الفرعونى فى استعمال الخطوط درجة أذهلت المتخصصين والناسخين لنماذج التصوير الفرعونى ، وتقول الرسامة «نينا دافيز» ـ وقد أمضت سنوات عديدة ناسخة لأعمال التصوير بالأقصر وأعمالها موجودة بمتحف لندن ـ ان عمل الفرشاة الدقيق للمصريين القدماء ليثير الدهشة حينما ننظر الى وسائلهم فى التنفيذ ، ومن المؤكد انهم قد حصلوا على هذه الدقة فى الخطوط بواسطة استعمال أعواد البوص المبرى ، حيث أن الفرشاة كانت غير مناسبة على الاطلاق لانجاز هذه الخطوط القوية الجميلة ، وفى جو جاف كما هو الحال فى مصر فان اللون يجف على الفرشاة ويجعلها تلتصق ربما من قبل أن يبدأ المصور فى عمله . وتتساءل الرسامة كيف كان يمكن رسم أطوال مستمرة غير متقطعة بخطوط متساوية فى السمك على السطح المعد للتصوير ، وتجيب بأن ذلك سيظل سرا غامضا بالنسبة للناسخ الحديث .

لمسات الفرشاة .

ويؤكد عالم المصريات «بيترى» بأنه كان للمصريين دائما سهولة كبيرة فى استعمال الخطوط ، وأن اللمسات الطويلة للفرشاة الحرة كانت ترسم بطول الحائط كله ، وغالبا ما تذهب حتى آخر الشكل بدون أن ترفع يد الرسام ، وحتى بدون رجفة أو رعشة أو تردد مما يخجل ويخزى معظم الخطوط فى التصوير الحديث . ولم يضع الفن الفرعونى محاكاة الواقع هدفا له ، بل أنه قد خلق واقعا فنيا خاصا به ، له نظمه وقواعده ، ولقد ظل هذا العالم الفنى الخاص ينمو ويتأكد خلال مئات السنين ، وساعدته الظروف الحضارية المستقرة فى مصر على السير بخطى ثابتة نحو بلورة شخصيته وطرازه . وفى هذا المنطلق لم يلق الفنان الفرعونى بالا الى قواعد المنظور والبعد الثالث ، فالتصوير الفرعونى قائم على استعمال بعدى الطول والعرض دون العمق ، والأشكال تبدو فيه منثورة على السطح دون التفات لمدى قربها أو بعدها ، ومن ثم

لم يعتمد الفنان على مبدأ التجسيم واستعمال الظلال والاضواء لابراز الحجم ، وقواعد المنظور ليس لها قيمة تشكيلية في حد ذاتها ، ومن المؤكد أن الفنان الفرعوني لم يكن خافيا عليه بديهات المنظور ، وأن العين لاتستطيع أن ترى مالا يقع امامها من اشكال وعناصر ، او أن الأجسام يخفى بعضها البعض اذا جاء احدها الأخر ، او ان الاشياء تبدو من بعيد اصغر من الأشياء القريبة ، وهناك من الصور المصرية ماروعيت فيه بعض قواعد المنظور ، على ان ذلك ظل في أضيق الحدود ، واستمر الفنانون يمثلون الأشياء والعناصر من أخص مظاهرها دون اعتبار لما يظهر او يختفى لعين الرائى .

أكمل وجه

ومن سمات الفن الفرعوني التي تبدو غريبة على عين المشاهد المعاصر ، الطريقة التي التزم بها الفنان في رسم الوجه والأقدام من جانب ، بينما يرسم الصدر من الأمام ، وهو أسلوب يعتمد على مبدأ فنى أصيل ـ كما يرى « جان كابارت » ـ وهو إبراز الشكل على أكمل وجوهه ، فخير شكل يبدو عليه الوجه هو من جانب ، وخير شكل تبدو عليه العين هو أن تكون ناظرة الى الأمام فترسم بأكملها على جانب الوجه بالرغم من قواعد المنظور ، وأفضل شكل للجذع هو أن يكون متجها للأمام ، وأجمل شكل للقدمين يكون في وضعها الجانبي لكى يتسنى للمشاهد أن يراها كاملة ، فالاصل عند الفنان ليس محاكاة الواقع على حقيقته ، وإنما إبراز الأشكال في أجمل واكمل اوضاعها .. وفى اعتقاد « كيللاند » ، أن هذه السمة من سمات الفن الفرعوني ، أى إضافة النظرة الأمامية للجذع الى النظرة الجانبية لكل من الأقدام والرأس قد نتج عنها الصورة المسطحة في الفن الغربي الحديث .

وإذا كان الفن الفرعوني قد اهدى البشرية طرازه المتميز في فن التصوير فإنه في مجال فن النحت قد حقق إنجازا هو بكل المقاييس الفنية إعجاز بشرى في مجال هذا الفن ولايدانيه أى طراز نحتى من نتاج اية حضارة أخرى في عظمته وسواء كان النحت مجسما قائما في الفراغ ، أو كان نحتاً بارزاً او غائراً ، أو متصلا بالبناء المعمارى ، فلقد تحقق فيه كل ماينبغى أن يتحقق في عمل فنى نحتى .. والعظمة والجلال صفتان لازمتان للنحت الفرعوني والرقة والعذوبة سمتان من سمات النحت الغائر والبارز ، وتحقق في كل ذلك علاقة حميمة بين الفنان وخامته ، والذكاء والفطنه والحس الفنى السليم لازموا النحات الفرعوني في اختياره لنوعية الخامة التي تلائم موضوع نحته .. والمقدرة الفائقة ـ رغم إمكانيات الزمان القديم ووسائل تنفيذه البسيطة ـ في نحت التماثيل العملاقة دون فقدان للسيطرة على التوازن الكلى للتمثال أو اتساقه .. وتماثيل رمسيس الثاني الأربعة ذات الحجم الهائل في معبد « أبو سمبل » أبلغ دليل على المقدرة المذهلة للنحاتين الذين اقاموا هذه التماثيل الصرحية من خامة الحجر الرملى ، وهى تعد من اكبر التماثيل التي قام بنحتها الانسان عبر التاريخ ، فالمسافة بين الاكتاف تبلغ حوالى سبعة أمتار ونصف ، والمسافة من الأذن الى الأذن تصل الى أربعة أمتار ،



وطول الأذن يصل الى قرابة المتر ، وطول الفم أيضا كذلك ..

وليست الضخامة في حد ذاتها دليلا على عظمة فن النحت الفرعوني .. ولكن سر عظمته يكمن في جمال الكتلة النحتية .. واحترام الخامة ، ودقة التنفيذ .. وفى التناسب والتناسق بين الكتل النحتية ، وتلك التبسيطات والاختصارات البليغة التى أجراها الفنان على الشكل الطبيعى والواقعى ليخضعه لقيم فن النحت .

ولم يكن فن النحت الفرعوني مخلصا فقط لوظيفته الطقسية والدينية ، وانما كان صدقه ـ كما يرى بدر الدين أبو غازى ـ للطبيعة المصرية أيضا ، ذلك الاخلاص الذى كان سبباً فى أن يحفظ له سمات

● المنظر الثلاثى فى احد اشكال النحت المصرى الفرعونى



الفن الفرعوني

ومعالم شكلت القانون الهندسي للتمثال المصري القديم ، فهو يمثل في استقامته النماء والحياة ، ويتأثر في اشكاله المكعبية بامتداد الارض الأفقي الفسيح حول النيل ، وهو في انبثاقه من وادي الزراعة ينطوي على حس داخلي يفيض عامة بالأمن والسكينة ، ويمثل ائتلاف الحياة مع الحجر ، كما يفرض التمثال المصري وجوده على المكان في إدراك للاتزان والنظام والهندسة وكلها من مشخصات كيان الوادي .

وكما كان فن التصوير الفرعوني معتمدا في جوهره على قيم تشكيلية خالصة ، فإن فن النحت الفرعوني ايضا قد بلغ قمة عالية في حلوله الجمالية والتشكيلية . ولقد أدرك هذه الحقيقة نحاتو الفن الأوربي المعاصر ، الذين هجروا تقاليد النموذج اليوناني وامتداداته عبر عصر النهضة ، الى قيم فنية جديدة ، تمثلت في احترام الخامة ، والتخلص من الزوائد والتفاصيل التي تعكر صفو اتساق الكتلة النحتية وتشوش على جمالها .. ويكفي أن نشير الى شيخ النحاتين الغربيين المعاصرين « هنري مور » والى العلاقة الحميمة التي تربط أعماله بالنحت الفرعوني ، ولقد عبر هو نفسه مرارا بأن فنه قد تأثر كثيراً بفنون الحضارات القديمة وبخاصة فن النحت المصري ..

وفي تراث فن النحت الفرعوني نماذج عديدة برهنت على رهافة الحس الفني للنحات المصري ، كرأس الملكة الجميلة « نفرتيتي » من الأسرة الثامنة عشرة (١٣٥٥ ق . م).. فعلى الرغم من ان الرأس غير منتهية ، إلا ان المعالجات الرقيقة لتفاصيل الوجه تشي بمقدرة الفنان وسيطرته على قطعة الحجر التي استخرج منها التعبير الصافي والدقيق لمعالم الوجه ، وهو يبدو باختصاراته وجمال استداراته كما لو كان عملاً فنياً معاصراً .

وحين كان النحات الفرعوني يعالج موضوعات بعيدة عن اشخاص الملوك الذين كان نحت تماثيل لهم يخضع لمواصفات صارمة وقواعد خاصة ، فإنه كان يعمل بحرية أكثر ، ويتخفف من القيود المفروضة ، ويتسع عمله للتعبير الانساني ، ويخضع للمبالغات التشكيلية ، والمرونة في إيجاد حلول فنية جديدة ، كما نلمح ذلك واضحاً في النحت الغائر لوجه صبي من الأسرة التاسعة عشرة (١٣٥٥ ق . م).. حيث نجد الفنان وقد أجرى فيه مبالغة في شكل الرأس المستطيل ، وطول العين ، والتبسيط الشديد في الشكل .

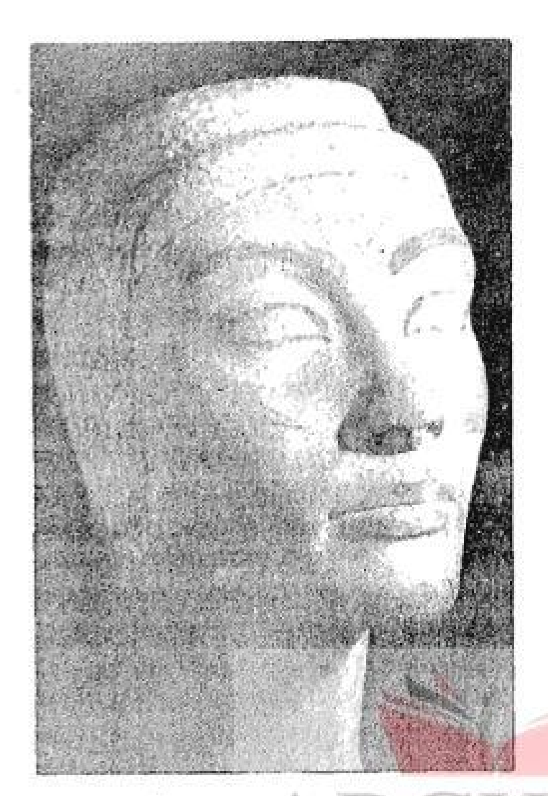
القوالب الجامدة ..

ومن المقولات الخاطئة التي اساءت الى تذوق الفن الفرعوني ، القول بأنه فن ذو قوالب جامدة ، وقواعد متحجرة لم يطرأ عليها تبديل أو تعديل ، وأن شخصية الفنان قد تاهت بين هذه القواعد .

والقوالب ، لكننا نظلم هذا الفن إذا ما طبقنا عليه منطق التغيير المفاجيء الذي ساد الفن الأوربي المعاصر ، الذي لا يكاد يولد فيه اتجاه إذ سرعان مايناقضه بعد عدة سنوات اتجاه أخر ، فهذه هي سمة

العصر السريع فى إيقاعه ، والذى صاحبته تغييرات مفاجئة افقدته عامل الاستقرار والثبات ، وعموما فاننا لا نستطيع ان نطالب فنون الحضارات القديمة ـ سواء كانت يونانية أو صينية أو هندية ـ بتحولات أساسية فى طراز فنونها ، لان هذه الطرز كانت نتاج مجتمعات توفرت لها عوامل الثبات والاستقرار ومن ثم الاستمرار دون هزات كبرى لقرون طويلة

وعلى الرغم من أن الفن الفرعونى قد حفظ له استقرار الحضارة المصرية ورسوخها سمات وصفات ظلت تنتقل من جيل الى جيل عبر القرون الطويلة ، الا انه قد حدثت فيه تحولات وتغيرات ، لكنها لم تؤثر فى شخصيته العامة ، وانما حافظت على المعالم الاساسية التى كونته اذ انه يمكننا ان نلمح فى فن الدولة القديمة ـ التى تمثل المرحلة الكلاسيكية فى الفن الفرعونى ـ صرحية فى البناء الهندسى ، والتعبير عن معانى الجلال والنبل ، والاستقرار والرسوخ ، كما تبدى فى تماثيل زوسر وخفرع بالمتحف المصرى وآثار مقابر سقارة .



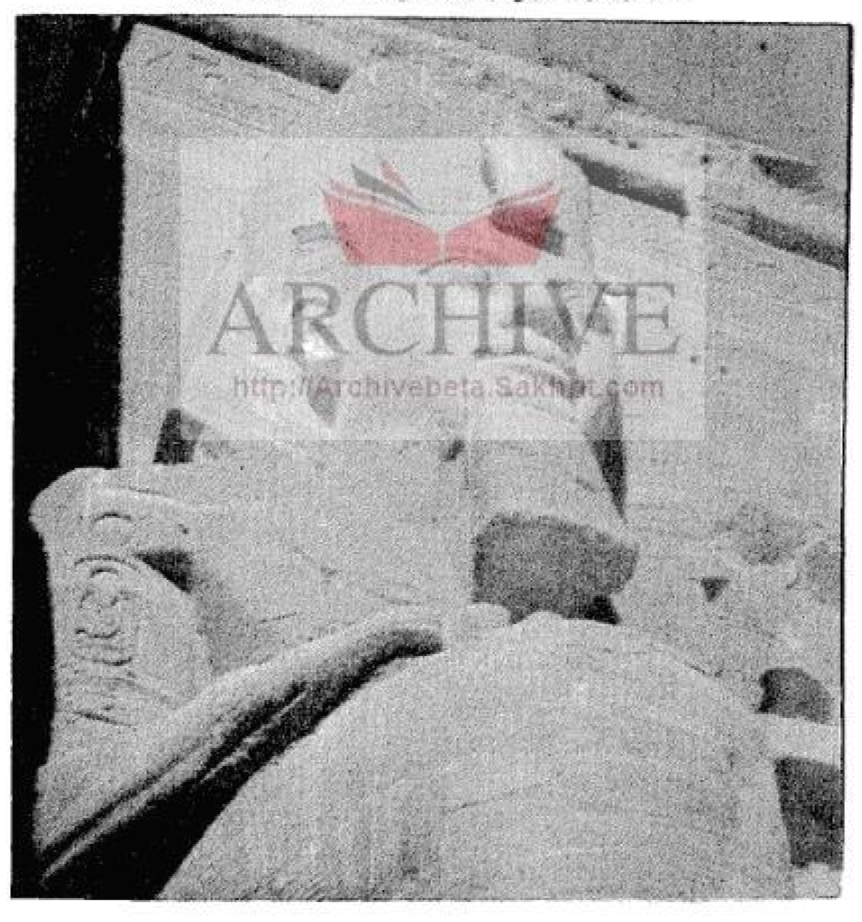
النحت والاعجاز الفنى والوجه الكامل

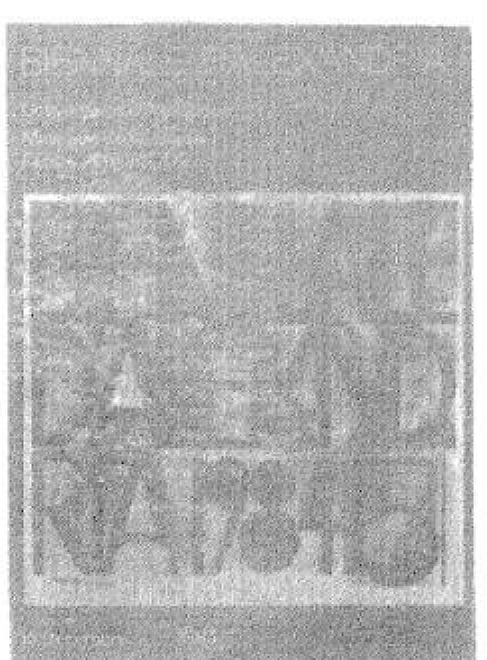
وفى الدولة الوسطى ساد نزوع الى تحقيق التوازن الهندسى فى قالب يتسم بالاناقة فى التشكيل ، كما يظهر ذلك واضحاً فى مقابر بنى حسن . ولاشك فى أن أكبر تحول فى الفن الفرعونى قد تم بعد ثورة أخناتون الدينية ، التى كان لها أثرها البالغ فى النحت والتصوير ، وقد أضفت إحساساً جديداً بالبهجة ، وروحا جديدة بعيدة عن القوالب والتقاليد الصارمة ، فهجر الفنانون قواعد الجمال والأنماط المتعارف عليها ، وجنحوا إلى طلاقة متحررة فى التعبير الفنى ، والى استعمال جديد للفراغ والاشكال . ولعل ابلغ نموذج على هذا التحول الكبير تلك التماثيل والصور التى مثلت اخناتون نفسه ، واظهرته أقرب الى الانسان العادى ، بل أنها مثلته بعيوبه الجسمانية وفى لوحة ، حفلة موسيقية ، من الاسرة الثامنة عشرة (١٤٠٠ ق . م) نرى نموذجا لبعض التحولات فى الفن الفرعونى التقليدى فقد تخلص الفنان من القواعد الصارمة فى رسم الجزء الأسفل

للأشخاص من الجانب فصور الراقصتين فى وضع شبه أمامى ، وهى محاولة فريدة فى تاريخ الفن الفرعونى ، كما نجد تسجيلاً لتفاصيل لم تكن لتظهر من قبل ، كرسم بطن اقدام العازفات ، علاوة على تصويرهن فى وضع امامى كامل ، ومحاولة أخرى فى استعمال التظليل فى مؤخر القدم وأصابعها .

ويختتم عصر « توت عنخ آمون » الذهبى فصول إبداع الفن الفرعونى ، وقد كان عصراً مولعاً بالبذخ والرقة ، جمع خلاصة الخبرات الفنية التشكيلية التى عاشها الفن الفرعونى فى عصوره السابقة ، من رقة ورهافة حس كما فى تماثيل توت عنخ آمون وبقية آثاره ، الى تعبير عن معانى الجلال والعظمة الهائلة كما فى تماثيل رمسيس الثانى بأبى سمبل ، التى تمثل ختاماً رائعاً للرحلة الحضارية الفذة للفن الفرعونى .

تمثال رمسيس ابلغ برهان على براعة الفنان المصرى







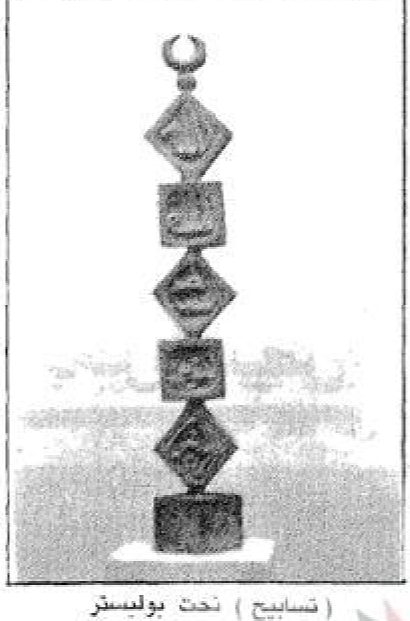
بقلم : محمود عوض عبد العال

في العام الثلاثين يأتي بينالي الإسكندرية الـ ١٥ . وبعد مرور هذا العمر الطويل أبان عددا كبيرا من الاقتراحات والأفكار التي تتناول شكل البينالي قد عرضت . ومئات الأعمال الجيدة قد نفذت مثلا . وهي على أغلب الظن قد خرجت من صدور أصحابها بكل مايحملون من حب زملاء أبلدهم وفنونهم وسط هذا الحوض الأبيض . إلا أن إدارة البينالي لاتلبث أن يعاد تجديد أعضائها ، وفي كل مرة تقوم الإدارة - بحسن النية - بالتجربة واختبارها لمعرفة مدى صلاحيتها . وهكذا نصل الى كل بينالي يولد عفو الخاطر ، مزنوق الوقت والجهد والامكانيات .. يضاف إلى ذلك .. أن معاملة الفنان هي أصعب مافي البينالي من جهد ، فبعضهم يحتاج الى دعوة خاصة . وليس من خلال جاليري هي باده ، وبعضهم يقاطع البينالي لأن جائزة عن أحد الأعوام لم ترسل اليه او فقدت او تأخرت .. وفي كل دول حوض البحر الأبيض التي تستضيف البينالي ، هناك إدارة عليا للبينالي موجودة بصفة دائمة . وليس لها سوى الأعداد والتنظيم للبينالي من جميع جوانبه . نأمل أن نأخذ بهذا النظام عندنا وتكون عندنا إدارة عليا للبينالي تخطط له .. في فينيسيا مثلا ، يعد للبينالي هناك إعدادا قوميا وشعبيا ورسميا بطريقة غاية في الجمال والجدية ، بمعنى أن يعيش شعب فينيسيا كله هذا الحدث الكبير طوال فترة المعرض ، فكل الميادين تعرض أعمالا تشكيلية ، ومستنسخات نحتية موزعة في دور الاعلام الكبرى ، وتقرأ في كل مكان الدعاية



الكاملة والشاملة عن البينالى ، وهناك محلات ترى أن تساهم فى إحداث تأثير اقتصادى جيد للمدنية ، فتعلن فى الصحف والمجلات عن وجود تخفيضات فى أسعار مبيعاتها للسلع والأدوات والكتب التى تهم الفنانين التشكيليين ، والى جانب ذلك .. سوف يطاردك التليفزيون والاذاعة بالمدينة كل يوم ، عن اهم أخبار البينالى ، وعن كبار الشخصيات الفنية أو الاجتماعية التى قامت بالزيارة .. وفى يوم الافتتاح تطلق الصواريخ فى الفضاء ، وتعزف الفرق الموسيقية فى الميادين القريبة من مكان العرض .. وتفرض على جميع المدارس والمعاهد العلمية المختلفة ، تخصيص وقت محدد لطلابها للزيارة ، وتباع شارات البينالى عند مدخل البينالى ، كما كتبت أحدى شركات السجائر اسم البينالى وتاريخ الافتتاح على انتاج نفس يوم الافتتاح ، كنوع من الحفاوة والتكريم .. لذلك كان حجم البينالى هناك أضعاف حجمه عندنا مرات ، وله فى نفوس الكبار والصغار مكانة خاصة ، يتحدثون عنه فى امسياتهم باعتباره واحدا من أعيادهم واهتماماتهم .

وما أرجوه ليس عسيرا أن يتحقق يوما ، هو أن نلح فى دعوة الفنانين للاشتراك فى


(تسابيح) نحت بوليستر
(مصر) ابتسام زكريا لطفى


(بيرا) نحت
(البانيا) ممتاز درامى

البينالى وأن نعطيهم حقهم اللائق والمطلوب ، واعتقد أننا جديرون بذلك ، وقادرون على تحقيقه .. ولانفتح المجال مرة أخرى لما حدث فى الجناح الايطالى ، فقد جاء اشتراك الفنانين الايطاليين ، لعدد من الفنانين الناشئين وعلى غير المستوى ، علامة تنذر بالخطر الذى نتعرض له قدسية واحترام الاشتراك فيه وليس الاستهانة بما يعرض فى الاسكندرية بالذات ، وقد اعتذر القنصل الايطالى لمدير متحف الفنون الجميلة محيى الدين صالح عن هذا المستوى ، مفسرا اعتذاره بحدوث حادث سطو على الجاليرى الذى كان مقررا اختيار الأعمال الفنية الكبيرة منه .

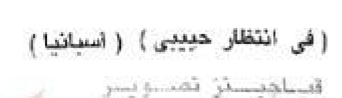
.. ومن حسن الحظ أن كاتلوج البينالى طبع ووزع يوم الافتتاح ، وهذه بادرة طيبة بحيث يجد الفنانون الأجانب وقوميسيرات الدول المشاركة دليلا يأخذهم الى الطريق الصحيح لفهم الأعمال الفنية ، لولا هذا الخطأ الجسيم الذى وقع فيه عفوا الدكتور صبرى حجازى الذى صمم وأشرف على تنفيذ الكتالوج ، بكتابة اسم الاسكندرية خطأ باللغة الفرنسية وتكرر ذلك فى الداخل عدة مرات ، فقد كتبه (D'ALEXND RIA) وهو خطأ وصحته (D'ALEXNDRIE) وللأسف فقد وقع على الغلافين باسمه ، ولو راجعنا محتويات الكتالوج فسنجد عددا من الأخطاء الأخرى لن نذكرها كلها ، ولكن نذكر منها على سبيل المثال ، بالنسبة لجناح الفنانين الفلسطينيين .. نشرت لوحة للفنان (ياسر مصطفى سيدو) ولم تعرض فى القاعة ، كما ذكر اشتراك السودان فى المعرض كضيف شرف وحيد ، ومع ذلك لم تشترك ولم تعرض شيئا ، أما الجزائر ـ ولبنان ـ والمغرب ـ فقد اعتذرت هذه الدول عن الاشتراك فى بينالى هذه الدورة .

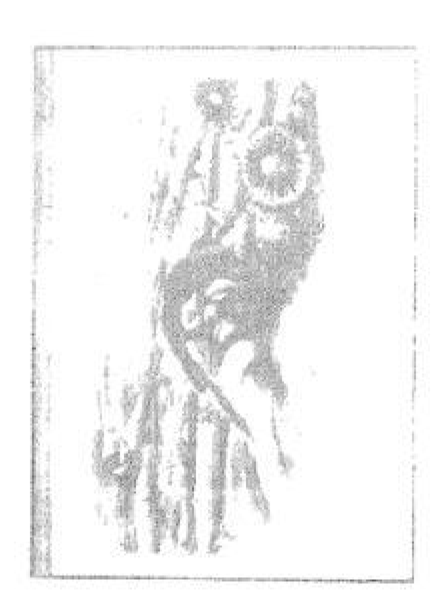
وفى نطاق المدن المصرية تتناثر الى الأذن أخبار عن الفن التشكيلى ، ولاشك أن الجمهور هو الذى سيحقق لنفسه الثقافة ، ولكن بأى وسيلة سيحققها . هذا هو السؤال ؟! وكل فنان فى أى مكان من العالم يتطلع الى ذلك الغد الذى تصبح فيه أعماله أكثر ذيوعا وأكثر تقديرا .. وفيما يتمنى الفنان ، ويريد الجمهور .. نفتح بابا للصدفة .. وهو الواقع الحى لمشكلات الفن التشكيلى فى العالم الثالث ، وهى ترتبط وتتلخص فى ناحيتين ، أولا المبدعون وهم يواجهون أزمة النقد التى تقع على رأس كل الاحباطات ، وهذا الموقف أدخل عددا من كبار الفنانين فى حالة عزوف عن فكرة الاشتراك فى المعارض لعدم جدواها ولسوء الاتصال بالجماهير عن طريقها ، فعدد الفنانين الجادين الذين تعرفهم الحركة التشكيلية أضعاف أضعاف مانعرفه عن هؤلاء المشاهير المتواجدين اعلاميا فى الصحف والمجلات يوميا بشكل أو بآخر ، ولعل اهتمامنا بما كتب عن الفنانين العالميين أمثال بيكاسو وفان جوخ ودالى .. يفوق اهتمامنا بماكتبه فعلا النقاد الغربيون عن فناننا .. حقا انه واقع يبعث على الحيرة ويجعلنا فى حالة صدمة مستقبلية دائمة ..

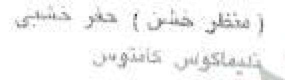


ثانيا : الجمهور الذى يبذل جهدا تزدحم به الشوارع فى طوابير اللهفة أمام الخبز واللحم والبيض والسمك والسجائر ، لأن معدته تصرخ .. فمتى يمكن أن تتحول هذه الطوابير لتزحف امام صالات المعارض التشكيلية ومتاحف الفنون ، ودور الآثار ، وقاعات الاطلاع بالمكتبات .. ولن يجد الفنان مفرا من التعبير ، متأثرا بمن حوله .. لابد وأن ينتج عملا تنعكس فيه البيئة والمجتمع ، فلسنا افضل من حياتنا وعلى حسب حياتنا يحكم غيرنا علينا .

ناتى بعد ذلك الى الدول العشر التى اشتركت فى البينالى الخامس عشر وهم (البانيا ـ قبرص ـ مصر ـ اسبانيا ـ اليونان ـ فرنسا ـ ايطاليا ـ فلسطين ـ تركيا ـ يوغوسلافيا) تتصدر البانيا بفنانيها الـ ٣٨ فنانا أكبر حشد من الأعمال فى التصوير والنحت والحفر ، وتغلب على أعمالهم موضوعات تقليدية ترتبط بالصناعة والعمل والحرب والعمال ، وتظهر على منحوتاتهم القوة والصلابة ، وعند أغلب المصورين الألبان يأتى بورتريه لوجه فتاة ذات منديل على راسها ، يأتى مكررا فيما يشبه العمل الواحد للفنان أو المستنسخات .. لكن البانيا كانت من اكثر الدول اهتماما بفنانيها وتوصيل اعمالهم فى مثل هذا اللقاء العالمى الهام ومعظمهم قد شارك من قبل فى اكثر من دورة للبينالى ، أما قبرص فقد عرضت الموت والطبيعة على يد ثلاثة من فنانيها ، كنوع من الاختيار المحدد لموضوع جناح الفن القبرصى المعاصر . لقد وضعوا انفسهم فى قفص التحديد وهذا ضد الفائدة التى يحصل عليها الفنانون عندما تنمو أعمالهم وسط اعمال اخرى لموضوعات متنوعة وغنية ، وتأتى مصر تقول لجيرانها المشاركين وهى تتعمد التظاهر برقة الطبع لكى تظهر انها افضل من غيرها .. ولم أكن فى الواقع سعيدا للجناح المصرى ، لأننا لم نقدم فعلا نماذج رائعة لفنانينا ، بل قدمنا أعمالا لعدد من الذين وقع عليهم الاختيار للمشاركة ، وقد تنوع هذا الحجم المشارك بين الفلاح وعدم الفلاح ، وكنت أطمع أن يكتب الفنان صلاح طاهر فى كلمته عن مصر شيئا عن مجموعة الفنانين المصريين المشتركين كما فعلت الدول الأخرى ، وان كانت أعمال كل من مأمون الشيخ وابتسام زكريا ورأفت صبرى وأحمد عزمى وفاروق بسيونى وعطيه حسين قد منحت قاعة مصر شيئا من تذكار عظمة ما كانت تعرضه من قبل ، ولا اظن أن الفن التشكيلى المصرى قد خبا وانطفأت شعلته كما قدمته لوحات البينالى ، أننا فى هذا المعرض قد حجبنا أعمالا متقدمة فنيا وتكنيكيا .. ونشبه من يسترخى ويشد وثاق نفسه .. فبالرغم من أن البينالى حدث قومى ، فانه فى الواقع موقف يحتاج الى ذكاء ، حيث أن مثار دهشة دول العالم هو فيما تقوم به من أعمال لعدد كبير من الفنانين الممتازين ،


(في انتظار حبيبي) (اسبانيا)
فياجبستز تصوير




(منظر خلس) حفر خشبي
تيماكوس كاستوس

خصوصا وأن ذلك لن يكلفك مليما في الشحن والسفر والتأمين .. وهو ما نعتقده عائقا امام الدول التي اشتركت بعدد محدود من الفنانين والاعمال .. أين اعمال حامد ندا ، ومحمود موسى ، وأحمد عبد الوهاب ، وعصمت داوستاش ، وبيكار ، وفتحي أحمد ، وطارق زبادي ، واحمد السطوحي ، وفاروق شحاته ، وحامد عويس ، وغير هؤلاء من الفنانين الذين رسخت تجاربهم ومعطياتهم وصارلهم طعم وذوق ومدرسة متميزة عن غيرهم .. ثم أين صلاح عبد الكريم ومكرم حنين وصلاح طاهر والبهجوري ، واللباد وغيرهم .. إنهم كثيرون وجيدون وعالميون .. لهذا فقد أوصد الباب دونهم .. !

ومن الفنانين الاسبان السبعة . ننتقل من التجريد للمناظر ، وايجاد أرقام وحروف تتداخل لتحل محل الأشياء ، أو ماتجده عند أحدهم وهو (سينين أوبينا) الذي يقسم لوحاته الى مثلثات ذات قواعد وصولا بنا الى الشعور والاحساس النادر ، فانك دائما تشعر نحو الفنانين الأسبان بحنو وجاذبية وعناصر جديدة سواء في النحت أو التصوير أو الطباعة على الحرير .

ويقول ـ كلود فورني ـ مدير متاحف





ـ طفل العودة ـ (تصوير)
عبدالرحمن العزيز



الانشطار (ألوان مائية)
محمد بشناق ـ

نيس بفرنسا عن الفنانين الثلاثة الذين مثلوا فرنسا بأن هؤلاء الفنانين الثلاثة يمثلون النماذج الغريبة عن الاتجاهات الموجودة والتى يعرفها العالم عنهم ، منهم اثنان لاينتميان لأى مدرسة ، وثالثهم كان واحدا من مؤسسى « الموجة الجديدة » وأكبرهم سنا تجاوز الأربعين بقليل ، وأصغرهم سنا يقف على عتبة الثلاثين .. ومع ذلك .. فإنهم قادرون بـرؤيتنا وأسماعنا نوتة شبه صامتة ، فى صخاب عالمنا الملون ، علامة يقظة ، قريبة جدا مما يمكن أن تكون فيه حالة العالم الذى نعيش .. وتتابع الصور والمنحوتات وأعمال الحفر عند فنانى اليونان وتركيا ويوغوسلافيا ، لتؤكد حقيقة هامة ذات ملامح بارزة فى التعبيرات الفنية إبداعات الثمانينات ، حيث تختلط الحرية غير المشروطة بالنفوذ والقلق وعدم

الاستقرار .. فى محاولة للوصول الى علاقة جديدة مع العالم العلمانى والاجتماعى العلمى ، بحيث يحققون عنصر التداخل بين القوالب التشكيلية وانماط الذاتية الفردية والتأمل فيها ، وتحت ظلال النكبة يبقى تعبير الفنانين الفلسطينيين ، وسيظل شاهد صدق من كل جوانبه على تفاعل وانفعال الفنان التشكيلى فى الأرض المحتلة ، بقضيته الأولى ووجوده الأول . !

.. وليس بعيدا أن تأتى دورة البينالى الـ ١٦ القادمة ، وتكون لنا نظرة جديدة ، وحيوية غير تقليدية لابداع جناح مصرى يليق .. مع إيماننا بالجهد الذى بذل من أجل أن يرى هذا البينالى النور .. وقد كان فى حكم المفقود لعام ونصف ..

الصهيونية في السينما

من الوصايا العشر إلى شبكة التليفزيون

بقلم : مصطفى درويش

● لست أدرى لماذا كلما جنحت الى التفكير فى الصهيونية وألاعيبها فى السينما ، رحلت مع الزمن داخل صورة من بين صور كثيرة من ماضى هوليوود البعيد احتفظ بها عظة وعبرة .. رحلت متذكرا .

فما هى هذه الصورة العبرة ، وماصلة السينما والصهيونية بها ؟

الصورة لكوكبة من الرواد الأوائل الذين ساهموا فى بناء مصنع الأحلام على شاطىء المحيط الهادى منذ سبعين عاما أو يزيد ، العدد لايزيد عن سبعة رجال وامرأة حسناء « جلوريا سوانسون » نجمة هوليوود الأعظم أيام البطولة تبدع فنا جديدا من العدم .. أيام السينما الأولى قبل أن تتعلم الكلام .

والحق يقال إنه ليس من بين هؤلاء الرجال من يستحق الاهتمام سوى ثلاثة شاءت الأقدار ان يتراصوا محيطين بالنجمة المتدثرة بمعطف من فرو أسود ثمين يقدر الآن بالملايين .

فمن هم هؤلاء الرجال الثلاثة الذين وقفوا الى جوار بعض متساندين ، ومن حول النجمة الحسناء صاحبة الفراء ملتفين ؟

الثالوث غير المقدس

أولهم الى يسار الصورة هو « هربرت روتشيلد» يليه « أدولف زوكور » ثم « سيسيل ب . دى ميل » أى الممول فالمنتج فالمخرج :

كل واحد منهم قد لعب دوره الهام وبتنسيق تام فى مصنع الأحلام .

ويبدو لمن يحكم بظاهر الأمور أن دور ثانيهم وثالثهم فى النهوض بهوليوود هو الدور الحاسم مافى ذلك شك « أدولف زوكور » باعتباره الرائد عابر المحيط من المجر مع أفواج اليهود الهاربين من الفقر والهوان : فاذا مااستقر به المقام فى أرض العم سام اكتشف بقرة السينما الحلوب . أسهم فى تاسيس شركة بارامونت - وهى بحق أهم احتكارات هوليوود واكثرها تأثيرا ◄

الصهيونية فى السينما

فى مسار السينما العالمية ـ تحت عبارة «الجمهور لايخطىء أبداً» ـ يقصد الشباك ـ لتتخذ منها عاصمة السينما شعارا لسلعها التى غزت بها القلوب والجيوب، اكتشف نظام النجوم لاتزال سماء كعبة السينما مرصعة بها.

و «سيسيل دى ميل» باعتباره الرائد الأمريكى الذى شارك بجسارته ومهارته فى انتاج واخراج سبعين فيلما بدأت صامتة «زوجة الهندى» (١٩١٣) وانتهت متكلمة ب «الوصايا العشر» (١٩٥٦)، اشباح الأديان وقصص الكتاب المقدس فاظهر «موسى» على الشاشة مـرتين صامتـا فى الاولى (١٩٢٣) ومتكلما فى الثانية (١٩٥٦) والمسيح فى «ملك الملوك» (١٩٢٧) و «شمشون و دليلة» (١٩٤٩) استحدث بعض القواعد لتحريفه وتشويهه لاتزال جمهرة مخرجى هوليوود على هديها تسير، نشر أسطورة معجزة السينما الامريكية بدوام الزهو والتباهى بالحيل السينمائية التى استعملها مرة ايام السينما الصامتة فى «جواد لوب» بكاليفورنيا ومرة اخرى فى «ابى رواس» بمصر لتصوير البحر الأحمر وهو ينشق بارادة الرب ليفسح طريقا لقوم «موسى» خروجا من أرض النيل ثم وهو يغشى فرعون مصر وجنده مع الأصرار على الامتناع عن إفشاء سر هذه الحيل وكأنها سرّ الهى لم ولن يوحى به لأحد سواه

الاحتفال والوعد

قد يكون من المفيد التذكير هنا بان فيلم «الوصايا العشر» جرى الاحتفال بعرضه فى مدينة الشيطان الاصفر «نيويورك» يوم التاسع من نوفمبر سنة ١٩٥٦ أى فور غزو القوات الأسرائيلية لشبه جزيرة سيناء بأيام بل قل ساعات معدودات.

ولكن الدور الحاسم والرئيسى كان ـ فى حقيقة الامر ـ من نصيب أقل الثلاثة اتصالا بالفن الوليد، واقلهم إعلانا عن نفسه، كان من نصيب «هـربرت روتشيلد» ولاعجب ولاغرابة فى هذا لانه من اشهر بيت مال: بيت روتشيلد الذى يعرف متى ومن وأين يستثمر رأس المال. ولأية غاية يكون الاستثمار، والذى منه قدم البارون «دى روتشيلد» الدعم المالى للمستعمرات الصهيونية الأولى على أرض فلسطين.

وليس صدفة أن كتاب وزير خارجية بريطانيا «ارثر جيمس بلفور» المؤرخ ٢ من نوفمبر ١٩١٧ والذى اصطلح على تسميته «بوعد بلفور» قد وجه الى اللورد «والتر روتشيلد» عميد فرع بيت المال العتيق فى الامبراطورية التى لم تكن تغيب عنها الشمس، ولم يوجّه الى يهودى آخر. هكذا، ومنذ البداية، تحددت معالم الطريق لصناعة فن ناشىء سرعان ماأصبح له شأن كبير وتأثير خطير.

الممول والمنتج من شعب الله المختار، والنجم الاعظم سواء اكان ممثلا او مخرجا يسبح فى الفلك المرسوم له، عنه لايحيد.

حدوتة باربارا

ولعل فى قصة «باربارا سترايسند» وفيلمها «ينتل» (١٩٨٣) الذى توزعه


بـربـارا سـترايسند جسدت الفتاة اليهودية ممثلة ومخرجة

« بارامونت » مايزكد ماتقدم .

فهى نجمة اعظم تعشق أرض الميعاد ومن عليها من بنى إسرائيل . يقع اختيارها على قصة « اسحق سنجر » - وهو أديب اسرائيلي مغمور رغم سابقة منحه جائزة نوبل - لتصنع منها فيلما .

وهى تزعم أنها أخرجت « ينتل » ، ويزعم آخرون أن نفرا من عمالقة الفن السابع - من بينهم الشاب اليهودى المعجزة « ستيفن سبيلبرج » صاحب « الفك المفترس » و « أى تى » و « غزاة صندوق العهد المفقود » الممنوع عرضه فى مصر لانطوائه على فكر مشوب بالصهيونية - كانوا وراءها فى الظل يساعدون ، ولحسابها يخرجون .

ومن عجب أنها لم تكتف باختيار القصة وادعاء الأخراج والمشاركة فى كتابة السيناريو .

ولا باختيار نفسها - وهى فى خريف العمر - لأداء دور صبية مراهقة تنتحل شخصية صبى كى تلتحق بمعهد دينى حتى تتمكن من دراسة التلمود والاحاطة بما يحتوى من أسرار .

إنها تطلب المزيد ، ترى ان من حقها ان يتوج فيلمها بالاوسكار

فإذا ماخرجت به من مولد الجوائز بلا حمص ، سارعت - وهى فى مكتب رئيس الوزراء السابق « اسحاق شامير » بالقدس حيث حضرت حفل افتتاح الفيلم - إلى الاعلان عن اسفها بل واستنكارها لسلوك المشرفين على الاوسكار القائم على اضطهادها لاسبب سوى أنها من جنس النساء وطبعا - وفى مناخ كهذا - يكاد يكون أمرا مستحيلا أن يفلت من وراء قضبان مصنع الاحلام فى هوليوود فيلم يتعاطف مع العرب ، يقف لمحاولات التشهير بهم ، ولمؤامرات الاعتداء على حقوقهم فى فلسطين وخارجها .. يقف لها بالمرصاد .

مؤامرة .. أم ماذا ؟

وعلى كل - وفى ضوء هذه المقدمة الطويلة - ارى من المناسب أن اقف قليلا عند فيلم واحد من إنتاج هوليوود « الشبكة » أو « شبكة التليفزيون » (١٩٧٦) ..لماذا ؟

لانه عرض على شاشة التليفزيون الصغيرة (برنامج أوسكار) ليلة الواحد والعشرين من فبراير سنة ١٩٨٥ مع إشادة بعرضه صباح يوم الأثنين الموافق الخامس والعشرين من الشهر المذكور فى جريدة ذات جلال فى كل العهود .



الصهيونية فى السينما

وفوق ذلك لانه من إنتاج وتوزيع شركة الفنانين المتحدين ـ وهى مع شركتى يونيفرسال ومتروجلدوين ماير ، قد ابتلعها فك « بارامونت » مفترساً .
والنتيجة أن الشركات الأربعة تشكل حاليا احتكارا جبارا قطع فى السينما العالمية مثل خنجر مسموم .
والآن ماذا عن « الشبكة » .. ماخطبها؟

بادىء ذى بدء يتعين التنبيه الى أن الفيلم لم يعرض على شاشة التليفزيون المصرى كاملا غير منقوص ، بل عرض ممزقا شرّ ممزق ، محذوفا منه كل مايتصل بالتشهير بالعرب من قريب أو بعيد . فهل لذلك سبب ..وماهو ؟
لو استعملت كلمة « شبكة » بمفردها دون أن تضاف إليها « تليفزيون » لانحرف معناها عندهم فى الولايات المتحدة الى إحدى شبكات التليفزيون الكبرى التى تحتكر الارسال .. وعددها ثلاث شبكات عملاقة ليس لها فى دنيا الارسال مثيل .
ومن هنا اختيار تلك الكلمة بما لها من دلالات عنوانا لفيلم قيل أن صاحبه المخرج « سيدنى لوميت » قصد به أن يعّرى هذا الاحتكار ، أن يكشف مايحمل للناس من أخطار . ولكن الفيلم انحرف عن هذا القصد ، افتعل عدوا وهميا ، وتعامل معه كأنه الخطر الاكبر الذى يهدد الشعب الامريكى .
كيف حدث كل هذا .. ولماذا ؟

الصعود والهاوية

نظرة طائرة على مسار الفيلم قد تكشف السرّ : من المعروف أن قيمة المذيع فى شبكات التليفزيون الأمريكية أنما تتحدد صعودا وهبوطا وفق درجات يقاس بها مقدار شعبيته أى مدى اقبال المتفرجين على مشاهدة برنامجه .
فاذا مازادت هذه الدرجات أصبح المذيع نجما مرغوبا تتخاطفه الشبكات .
اما إذا حدث العكس وانحدرت الدرجات هوى نجمه الى زاوية الضياع والنسيان .
وبطل الفيلم « هواردبيل » (بيتر فينش) واحد من ضحايا هذا التقدير الغريب للكفاءة .
انه مذيع تليفزيونى نجمه آخذ فى الافول ، شعبيته نزلت الى الحضيض وشبكة « او .ب .اس » فى سبيلها إلى الاستغناء عن خدماته نهائيا .
يبدأ به الفيلم مع « ماكس شوماخر » (وليم هولدن) رجل الادارة المكلف بإبلاغه قرار الرفت ، وهما يحتسيان الخمر ، يتبادلان أطراف الحديث فى اشمئزاز حول مسلسل « ساعة الموت » المخصص لحوادث الانتحار ، الاغتصاب ، السرقة بالاكراه للمصارف والخزائن ، وماإلى ذلك من الوان الترفيه التى تستغل الانتهاك اليومى للحرمات .

الوعد والوعيد

فى اليوم التالى ـ وهو على شفا انهيار عصبى مبعثه الاكتئاب ـ أخطر « بيل » مستمعيه فى آخر ظهور له على الشاشة



جلوريا سوانسون الحسناء ... القراء

الصغيرة ، بواقعة الرفت ، أعلن على الملا عزمه على الانتحار بعد أسبوع ـ داخل الاستديو ـ وعلى مشهد من الملايين .

وطبعا كان لهذا البيان وقع الصاعقة على الشبكة ، حاول المسئولون عنها إقناعه بالرجوع عن قرار الانتحار حفاظا على ماتبقى للشبكة من سمعة .

فلما وافق سمح له بالظهور أمام العدسات حتى يطمئن الجمهور الى انه لن يسفك دما ، يوجه له كلمات الوداع الأخير .

وكانت المفاجأة الثانية .

فقد انتهز الفرصة لا ليتراجع ويودع ، وإنما ليبرىء ذمته ، ليقول بعض الحقائق الأولية ، ليفصح عن أنه ـ وعلى مرّ السنين ـ لم يكف عن الكذب والتضليل للناس .

وليكتشف عن مدى كراهيته لأسلوب الحياة في المجتمع الأمريكي ، وكيف ضرب به سوس الرذيلة والفساد والانحلال .

النبي المجنون

ولم يكن سهلا بعد كل هذه الأهانات أن تبقيه الشبكة .

كان من المفروض أن يختفى من الشاشة وإلى الأبد .

ومع ذلك حدث أمر لم يك فى الحسبان ، ارتفعت شعبيته ، اكتشفت « ديانا كريستنسن » (فاى داناويى) ـ وهى قناصة تبحث عن الأخبار المثيرة تغذى بها

برامج الشبكة - في جنونه مايؤهل لأن يصبح منه نبيا تليفزيونيا ، ناهيا عما يراه منكرا ، داعيا الى تغيير ملامح العصر .

وبكل بساطة جعلت « ديانا » من « بيل » نجما مرة ثانية ، تحولت به - وبفضل الجنون - الى نبى دجّال .

واستمرت اللعبة ، استردت الشبكة جمهورها ، كثرت الأعلانات ، أصبحت « او .ب .اس » الأولى بين الشبكات .

ولكن النجاح دخل ب « بيل » منطقة جنون العظمة فقد صدق أنه صاحب رسالة ، جلجل صوته بالتحدى والغرور ، ومع ذلك احتملته « الشبكة » لأنه خير وبركة ، إلى أن خرج على قواعد اللعبة بأن كشف مؤامرة العصر ، صفقة بيع الشبكة إلى العرب ، التفريط في أعز ماتملك أمريكا ، تسليمه لقمة سائغة للغرباء ملوك النفط الأثرياء .

الصفقة والمنصة

وهنا يتحرك جمهور النبى المجنون - وهو بالملايين ، ينهال ببرقياته على البيت الأبيض احتجاجا ، فتوقف الصفقة المؤامرة .

وهنا كذلك تتدخل الشبكة لتصحيح مسار الذى خرج عن المدار المخطط له .

يستدعيه الرئيس الاعلى ، الراس المفكر وراء الصفقة مع العرب ، يعلمه الحكمة ، يفهمه أن العالم إنما تتحكم فيه الشركات متعددة الجنسية والفلوس ، وأن الأخلاق والقيم لامكان لها .يخرج النبى المتكبر من عنده مكسورا ، منطويا على نفسه لا يقول في البرنامج شيئا له قيمة أو تاثير .

وبالطبع - ومع هذا التغيير المفاجىء توقف البرنامج عن الصعود ، فقد الشعبية .

وكان لابد - وبعد هبوط أسهم « بيل » - من التخلص منه .. كيف ؟ ورفته غير وارد لأنه في حماية الرئيس الأعلى .

اذن فليكن بالقتل ، فهو يستحقه بامتياز .

وفعلا نراه على شاشات التليفزيون صريع طلقات سريعة من مدافع رشاشة يحملها افراد عصابة من الارهابيين تتعاون مع « ديانا » في واحد من برامجها الجديدة الناجحة « ساعة ماوتزى دنج » وينتهى الفيلم .



« فاى داناو ى » نجمة الشبكة



بيتر فينس ـ العربى المجنون

العجب العجاب

وختاما يحق لنا أن نتساءل هل هو فيلم عن التليفزيون ومخاطره أم هو فيلم عن العرب ومخاطرهم ؟

الأكيد أن بيت القصيد منه هو التصعيد للحرب النفسية ضد العرب .

تحريض الرأى العام الأمريكى بتخويفه من خطر وهمى ، خطر استيلاء العرب بفضل أموال النفط على المؤسسات الاقتصادية الأمريكية وفى مقدمتها أجهزة الأعلام .

أما التليفزيون ومشاكله فمن الواضح أن المخرج « سيدنى لوميت » وكاتب السيناريو « بادى تشايفسكى » ـ وكلاهما من يهود نيويورك ـ قد استخدماه كخلفية حية مثيرة لقصة متشنجة تستغل ارتفاع أسعار النفط لافقاد الرأى العام القدرة على الرؤية والاختيار ، لاقناعه تحت تأثير التخويف بأن العرب خطر مابعده خطر .

وأخيرا فمن الحق علينا أن نتساءل لماذا حذفت رقابة التليفزيون عندنا المشاهد المعادية للعرب من الفيلم ، ولمصلحة من أتاحت عرضه على الشاشة الصغيرة بالخداع للمشاهد الذى لم يك فى قدرته ـ بعد الحذف ـ أن يعى من أمر « الشبكة » شيئا .

اختيار صوفى

علق الكاتب الأمريكى ويليم ستايرون على كتابه « اختيار صوفى » الذى يناصر فيه الصهيونية ، بقوله : « نيويورك مدينة نصف يهودية » . ورد الشاعر الصهيونى الفرنسى أندريه سبير فى كتابه أشعار يهودية « إن باريس مدينة نصف يهودية » ! !

ديمقراطية الإسلام

الشورى في السنة النبوية الشريفة

بقلم : د . محمد عمارة

من الأمور المتعارف عليها أن مكان السنة النبوية الشريفة من القرآن الكريم هو مكان « البيان والتفصيل والتجسيد » ..[وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون]..[ومانزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه]..ولقد جاءت هذه السنة النبوية ، فى الشورى بيانا وتفصيلا وتجسيدا لما حواه القرآن الكريم فى هذا المجال .. ونحن عندما نتأمل معنى الحديث الشريف الذى وصفت به عائشة ، أم المؤمنين ، رضي الله عنها ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : «إن خُلُق نبي الله ، صلى الله عليه وسلم ، كان القرآن » ! .. عندما نتأمل هذا الحديث ، ندرك كيف كانت سياسة الرسول للدولة ، وسياسته لبيته ، وسلوكه بين أصحابه التزاما كاملا بهذه الفلسفة التى شرعها الله فى القرآن الكريم ..

● فالرسول ، صلى الله عليه وسلم ، يعلم المسلمين ، من خلال أحاديثه ، ان الشورى « تكليف » و « فريضة » وليست مجرد « حق » « يجوز » الالتزام بها أو التنازل عنها ، فيستخدم فعل الأمر و « لام » الأمر لايجاب « المشورة » على من « استشير » !.. « إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه » .. وهذه الاستشارة مسئولية تتطلب من هو أهل لها ولتبعاتها ، لأن « المستشار مؤتمن » .. « ومن استشاره أخوه المسلم فأشار عليه بغير رشد فقد خانه .. » !

● وهذا التشريع النبوى لم يكن خاصا بالمؤمنين دون النبى ، ذلك أن عصمة النبى واختصاصه بالوحى إنما كانا فيما يبلغ عن الله من أمر « الدين » .. أما الكثير من شئون الدنيا فإنها كانت موضع مشورة مع المسلمين ، بل كانت الشورى فريضة الاسلام ، حتى على الرسول ، لسياسة هذه الشئون .. ومن ثم فلقد وجدنا السنة النبوية شاهدة على التزام الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بالشورى

والتشاور فى سياسة الدولة ، وفى سياسة بيته ، وفى سلوكه البشرى بين الناس .. حتى لقد روى عن ابى هريرة ، رضى الله عنه انه قال : « مارايت أحدا اكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » ! ..

بل إن من الاحاديث النبوية أحاديث تقطع ـ فوق سلوك النبى طريق الشورى ـ تقطع بالتزامه صلى الله عليه وسلم ، بمشورة الأغلبية ورأيها ، حتى لو كان رأيه هو فى الاقلية ، مادامت القضية من شئون الدنيا ، الخاضعة للشورى ، وخارجة عن نطاق التبليغ عن الله لما هو دين خالص .. ونحن نجد هذا المبدأ صريحا فى قول الرسول لأبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب :« لو اجتمعتما فى مشورة ماخالفتكما » ! .. وفى الحديث الذى يرويه الامام على بن أبى طالب عن الرسول ، نجده ، صلى الله عليه وسلم ، يقطع بأنه لم يكن لينفرد ـ وهو رئيس الدولة وقائد الحكومة ـ بتعيين الأمراء والولاه ، دون استشارة ، وإنما كان يستشير فى ذلك المؤمنين ، فكانت القاعدة المستقرة هى أن الشورى هى السبيل لتعيين الامراء والولاة فى دولة الاسلام .. يقول عليه السلام فى هذا الحديث : « لو كنت مؤمرا أحدا دون مشورة المؤمنين لأمرت ابن أم عبد » ـ [عبدالله بن مسعود] ـ .. فثقة الرسول فى جدارة عبدالله بن مسعود بالامارة كاملة لكنه يؤمّره دون مشورة المؤمنين ، لأن الشورى هى سبيل الاسلام والمسلمين إلى تبوء مثل هذه المسئوليات ! ..

● وفى سياسة الرسول وقيادته لشئون الحرب ومعارك القتال ـ وهى مظنة التفرد بالرأى من رسول يأتيه نبأ السماء ، وكانت شجاعته القتالية تجعله الحمى الذى يحتمى به أصحابه إذا حمى الوطيس واشتد القتال ؟ ! ـ ... لكننا نجد الشورى فريضة متبعة ، ونهجا يلتزمه النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فى كل شئون الحرب والقتال ..

ففى اختيار موقع نزول الجيش بغزوة بدر : عدل الرسول عن رأيه ، وأخذ برأى الصحابى الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح ..

وفى قتال المشركين يوم بدر ، ولقائهم خارج المدينة ، سلك الرسول سبيل الشورى ، لأن هذا اللقاء كان يتطلب تطوير التعاقد السياسى الذى تم بينه وبين الأنصار فى بيعة العقبة .. فلقد عاهدوه يومئذ على حمايته بمدينتهم ، ولم يعاهدوه على الخروج للحرب فيما وراء المدينة .. ولذلك ـ كما يروى أنس بن مالك ـ « لما سار رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى بدر ، خرج فاستشار الناس ، فأشار عليه أبو بكر ، ثم استشارهم ، فأشار عليه عمر ، فسكت ، فقال ، رجل من الأنصار : إنما يريدكم ! فقالوا : يارسول الله ، والله لانكون كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : اذهب انت وربك فقاتلا إناهنا قاعدون . ولكن ، والله لو ضربت أكباد الابل حتى تبلغ برك الغماد لكنا معك » .. فبالشورى تم صنع قرار القتال ، من حيث المبدأ .. وبالشورى تطور نطاق التعاقد الذى سبق إبرامه فى بيعة العقبة بين الرسول والانصار ! ..

وفى أسرى هذه الغزوة ـ غزوة بدر ـ ، استشار رسول الله ، صلى الله عليه ،

الشـــورى ..
فى السـنة النبوية الشريفة

وسلم ، ابا بكر وعليا وعمر ، فى أسرى المشركين الذين بلغت عدتهم سبعين أسيرا .

وفى غزوة الاحزاب ـ الخندق ـ فاوض الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، قادة « غطفان » و « نجد » ، فى التخلى عن مساندتهم لقريش وانسحابهم من حصار المدينة لقاء ثلث ثمارها . وقبل إبرام المعاهدة ، إستشار زعماء الأنصار ، ممثلين فى سعد بن عبادة وسعد بن معاذ ، فلما اشارا بغير ذلك ، نزل على رأيهما ، ومزق مشروع المعاهدة ! ...

ويوم الحديبية : عندما خرج الرسول فى أصحابه معتمرين ، فجاءته أنباء استعداد قريش لصدهم عن البيت الحرام بالقتال .. جمع الرسول اصحابه وقال لهم « أشيروا على ... » .

وهكذا كانت الشورى فريضة واجبة ونهجا التزمه الرسول صلى الله عليه وسلم فى شئون الحرب وسياسة أمرها وقيادة الجيش فى الغزوات وفى تعيين أمراء السرايا ..

● وكما كان هذا هو موقف الرسول من الشورى فى شئون الحرب والقتال ... كان له منها ذات الموقف فى سياسة أسرته وأهل بيته ...

ففى حادثة «الافك » ، الذى رميت به أم المؤمنين عائشة .. « دعا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، على بن ابى طالب وأسامة بن زيد ، حين استلبث الوحى ـ [تأخر بنبأ براءة عائشة] ـ ليستشيرهما فى فراق أهله .. » !

وكان هذا السلوك النبوى المستشير عاما فى التشريع للأسرة المسلمة وفى سياسة شئونها .. فهو يطلب أن يكون زواج النساء ثمرة لمشاورتهن ، ويقول : « اشيروا على النساء فى انفسهن .. » .

ولقد غدت الشورى سنة متبعة فى سياسة الأسرة ، فقرأنا فى كتب السنة حديث اسماء بنت عميس ، قالت : « أول مااشتكى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ـ [مرض الموت] ـ فى بيت ميمونة ـ [إحدى زوجاته] ـ فاشتد عليه مرضه حتى أغمى عليه ، فتشاور نساؤه فى لده ، فلدوه .. » .

● وإذا كانت عقائد الدين واحكام شريعته وشعائر عباداته هى وحى يبلغه الرسول عن ربه ويبينهما للأمة ، التى تستجيب وتطيع مسلمة الوجه ، فى كل ذلك ، لله .. دون أن يكون أى من هذه الاصول الدينية موضوعا لشورى البشر ورأى الناس ... إذا كان ذلك أمرا مستقرا فى فكر الاسلام والمسلمين .. فإن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد جعل بعضا من « سبل » هذه الأمور الدينية الخالصة موضوعا لشورى المسلمين ... فالصلاة : دين خالص ، وليست بموضوع للشورى .. لكن سبيل تنبيه المسلمين إلى أوقات الصلاة ومواقيتها قد جعله الرسول موضوعا لشورى المسلمين .. فلقد روى « أن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، استشار الناس لما يُهمهُم إلى الصلاة ـ [أى فى سبيل تنبيههم وتحريك همتهم للصلاة] ـ فذكروا البوق ، فكرهه من أجل اليهود ، ثم ذكروا الناقوس ، فكرهه من أجل النصارى

فنادى النداء تلك الليلة رجل من الانصار يقال له عبدالله بن زيد ، وعمر بن الخطاب ، فطرق الانصارى رسول الله ليلا ، فامر رسول الله بلالا ... فاذن ... فكان سبيل الاعلام بمواقيت الصلاة موضوعا للشورى بين المسلمين .

ولقد كان التزام الرسول بمشاورة اصحابه - الى الحد الذى جعل ابا هريرة يقول : « مارايت احدا قط اكثر مشورة لاصحابه من رسول الله » .. كان هذا السلوك منارة تسير على هداها صحابته فكرا يعلمهم هذا السلوك ويدعوهم الى هذا الخلق صباح مساء .. كذلك كانت اوامره ، صلى الله عليه وسلم ، صريحة فى وجوب سلوك هذا السبيل .. ففى « غزوة مؤتة » كانت عدة جيش المسلمين ثلاثة الاف ، وكان امير الجيش زيد بن حارثة .. واوصاهم الرسول : « إن أصيب زيد ، فاميركم جعفر بن ابى طالب ، فإن أصيب فاميركم عبدالله بن رواحة الانصارى » فإن أصيب كان عليهم ان يختاروا ، بالشورى ، لهم أميرا جديدا ، ولقد سلك جيش مؤتة هذا السبيل ، فاختاروا ، بالشورى ، خالد بن الوليد أميرا عليهم ، بعد استشهاد الامراء الثلاثة ، فقادهم إلى النصر فى أولى معارك الاسلام مع الروم البيزنطيين ..

كذلك ... الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ... أن الشورى هى السبيل إلى الصلاح والاصلاح ... فقال ... « إن كان امراؤكم خياركم ، واغنياؤكم سمحاءكم ، وأموركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها ، وإذا كان امراؤكم شراركم ، واغنياؤكم بخلاءكم ، واموركم إلى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها » ..

وفى حديث آخر يقطع ، صلى الله عليه وسلم ، بأن الشورى هى سبيل السعادة ، وبأن الاستبداد بالرأى والتفرد بالقرار هو طريق الشقاء ، فيقول : « ماشقى قط عبد بمشورة ، وماسعد باستغناء رأى »

هكذا كانت شورى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، سنة متبعة ، ونهجا التزمه فى سياسة الدولة ، سلما وحربا ، وفى سياسة الناس أسرة وأمة .. فجاء سلوكه وجاءت تطبيقاته وكانت سنته بيانا وتفصيلا وتجسيدا لما جاء عن الشورى فى القرآن الكريم .

نهاية الطريق !

لقد وصلت أمريكا إلى نهاية الطريق ، ولم تعد أمامها طرق جديدة ، لذلك تندفع وتجرى فى اتجاهات مختلفة .. فى ذات الوقت ! »

الكاتب الأمريكى جون شتاينبك



مواطنون لاذميون

موقع غير المسلمين في مجتمع المسلمين

تأليف : فهمي هويدي

عرض وتعليق

الدكتور : وليم سليمان قلادة

مؤلف هذا الكتاب - فهمي هويدي - يذكره القراء بالمنهج المستنير الذى كان يتبعه فى تحرير الصفحة الدينية بجريدة « الأهرام » كان يجهد ليقدم الدين فى أصالته ، تطبيقا لما يدعو إليه الاسلام من احترام للآخر ورحابة فى الفكر وود فى العلاقات .

وفجأة أختفى هذا الاسم من تلك الصفحة ، ليواصل عطاءه فى الصحف العربية .

ولكن لأن الرجل هو قبل كل شىء - موقف ، يتمسك به ويدافع عنه ، فإن فهمي هويدى لم يتردد فى أن يشرع قلمه سلاحا ضد بعض الممارسات الشاذة ، التى تنتسب للأسلام - محسوبة عليه ومقدمة لناقديه - كما يقول - الحجة والسند .

وهو ينبهنا إلى حقيقة أن قضية غير المسلمين فى مجتمع المسلمين لم تلق العناية الكافية من مختلف فصائل التيار الاسلامى فى زمننا . الأمر الذى دفع اكثرهم إلى التعامل مع القضية أما بفهم خاطىء ، أو بغير فهم منهم على الاطلاق . واكاد اذهب إلى القول بأن الموضوع فى جملته يشكل إحدى الثغرات فى خريطة الفكر الاسلامى المعاصر . إذ إن الكتب العربية التى تناولته بالبحث خلال نصف القرن الأخير ، يتجاوز عددها - بالكاد اصابع اليد الواحدة . وهو شح ملحوظ وسط فيضان الكتب الاسلامية الذى يتجدد كل عام ، ادى فى النهاية إلى فقر فى البحث والاجتهاد ، كان من نتيجته أن بقيت أمور كثيرة معلقة بحاجة إلى حسم ، حتى استقرت فى أذهان المسلمين اجتهادات خاطئة تحتاج إلى مراجعة وتصحيح ..»

ولعل هذه المقدمة توضح أهمية كتابه الجديد - وكيف أنه يأتى فى ميعاده :

« مواطنون لا ذميون - موقع غير المسلمين فى مجتمع المسلمين » ، الذى يجهد فيه فهمى هويدى **لجبر ذلك الشح فى الاجتهاد .**

يبدأ المؤلف كتابه بتقديم ، تعقبه ثلاثة أبواب !

ويقرر فى التقديم أن ثمة أزمة ثقة تشوب العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين ، هى محصلة لتراكمات تاريخية ومعاصرة . ولا سبيل إلى تخطى هذه الأزمة الا بمواجهة اسبابها باقصى قدر من الصراحة والشجاعة والحسم .

وفى نظرة موضوعية واعية ، يلفت المؤلف النظر إلى أن هذا الشذوذ الفكرى السائد فى زماننا أصاب مكونات الجماعة كافة - المسلمين وغير المسلمين - فنحن بازاء موقف يتهدد الجميع .

ومن هنا مسئولية الجميع ، ولأن الكاتب صاحب موقف فهو لايتردد فى أن يقرر أن مسئولية الطرف الاسلامى هنا أكبر واكثر جسامة ، فحيث يكونون اغلبية فهم مطالبون بموقف يبعث الأمان فى الآخرين ، فضلا عن مسئوليتهم عن جلال رسالة الاسلام .

ولكن الاقلية أيضا مطالبة بأن تتصرف بروح الشريك الأمين الذى يهمه إنجاح « المشروع » الذى هو طرف فيه والذى ارتبط مصيره بمصيره .

بنهض الجميع بواجبهم انطلاقا نحو مستقبل يسع الجميع وفيه يسعد الجميع .

ثم يفصل المؤلف إسهامه لتبديد هذه الأزمة فى أبواب الكتاب الثلاثة .

المعركة الحقيقية

وفى حقيقة الأمر ، فان التشخيص الذى يقدمه المؤلف لأسباب الأزمة يقوم على الفهم الواعى الذى يستبعد القراءة غير البريئة لأحداث التاريخ . فليس ثمة



فى حقيقة المنظور الاسلامى معركة بين الاسلام والمسيحية واليهودية :

« المعركة الحقيقية ... تكمن فى صراع النفوذ والسلطان ، والصراع بين التقدم والتخلف . المعركة الحقيقية تدور على جبهتين ، اوقل جبهة واحدة ذات وجهين هما : التقدم والاستقلال . والعدو الحقيقى هو الانحطاط والتبعية ...

وإذ يمضى الكاتب فى هذه الرحلة الطويلة ، يصل إلى منتصف القرن الرابع الهجرى ، حين « بدأ التعصب بين المسلمين والنصارى يظهر بصورة أصبحت مهددة للأمن . والسبب فى ذلك هبوط المستوى المعيشى والثقافى للناس جميعا ، وسيطرة الجهلاء والرعاع وادعياء الدين .... وكلما زادت الحالة السياسية والاقتصادية والثقافية سوءا ، زادت البلية ، حتى كان ذلك من أسباب خراب بغداد ... وكان خرابها مقدمة لسقوطها » .

ويطبق المؤلف منهجه الموضوعى فى دراسة الأحداث ، فيسجل أن جرثومة التدهور إذا حلت فإن الوباء يصيب الجميع ، المسلمين فيما بينهم ، وفى علاقتهم بغير المسلمين .

ويقدم امثلة صارخة لذلك ، ليخلص إلى أن هذه المحنة « كانت محنة امة بأسرها » ص ٢٨ ـ ٣١ .

وفى ختام هذا الفصل يؤكد هذا الدارس الموضوعى نقطة البداية فى اجتهاده : إننا نقع فى خطأ جسيم إذا القينا تبعة الفتن والتمزق الطائفى على الغرب والاستعمار . فالاختراق لاينجح إلا فى جسد قابل للاختراق والاستعمار ، اى هشاشة وهزال أوضاعنا الداخلية من جراء تلك السياسات التى تجرد شعوبنا بين الحين والآخر من عناصر قوتها وثباتها ، ومن مقومات الصمود والمقاومة لرياح التفرقة والتشرذم والتفتيت » (ص ٥٦) .

خليفة الله فى الأرض

إن نقطة البداية ، ومرجع الإسناد فى اجتهاد فهمى هويدى ، هى « اعتزاز الاسلام بالانسان كمخلوق مهما كان اعتقاده ولونه وجنسه (ص ٦٠) ويورد فى هذا الصدد الآيات التى تعلى من قيمة هذا المخلوق العظيم وتجعل منه خليفة لله فى الأرض لأنه يحمل بين جنبيه نفحة من روح الله وقبسا من نوره الأقدس . وينفى الكاتب أن تكون تلك الحفاوة القرآنية من نصيب المسلمين دون غيرهم كما يتصور البعض . (ص ٨٠ و ٨١) فالناس جميعا خلقوا من نفس واحدة كما جاء فى القرآن الكريم (ص ١٠١) والآيات التى تمجد

الانسان وتعلى مرتبته تتناول الانسان لذاته لا لاعتقاده من حيث هو تكوين بشرى وقبل أن يصبح مسلما او نصرانيا أو يهوديا او بوذيا وقبل أن يصبح أبيض أو أسود أو أصفر (ص ٨٠ و ٨١) والروح التى تسرى فى كل كائن والتى من امر ربى بنص القرآن الكريم لها كرامتها التى ينبغى الا تهدر (ص ٧٩) .

وبالنسبة لأهل الكتاب ، فإن إيمان المسلمين بالسابقين من الأنبياء جعل وجودهم مبنيا على قاعدة شرعية . فأضاف الاسلام بذلك ـ إلى مبدأ قيمة الانسان والأصل الواحد وحصانة الآدمية لذاتها ـ دعامة أخرى لها دورها هى اعترافه بأنبياء اليهود وبالمسيح . فأضاف الاسلام فى أسس التعامل مع الآخرين وشيجة إيمانية إلى جانب الوشيجة الانسانية (ص ٦٠ و٦٢ و١٥٢ و ١٥٣) .

تطبيقات عملية

ويقدم المؤلف فى صفحات كتابه تطبيقات بالغة الروعة لهذه المبادىء . وهى على مستويين : **مستوى المعايشة الطبيعية** التى تتم فى إطار العلاقات الانسانية بين أسوياء البشر ، **ومستوى الاسهام فى المسئولية عن المجتمع** الذى يشكل غير المسلمين جزءا منه .

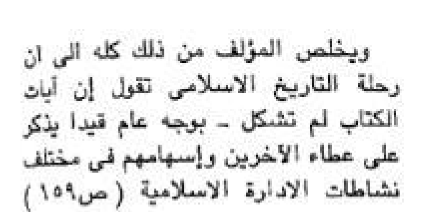
فعلى المستوى الأول نجد أن ثمة معايشة كريمة بين المسلمين وأهل الكتاب منذ بدء الدعوة كانت تتم بصورة تلقائية بغير حساسية ولا خصومة ولاعقد . ولعل أروع نموذج لهذه المعايشة ما حدث حين جاء إلى الرسول وفد نصارى نجران ، فأنزلهم فى المسجد وسمح لهم بإقامة صلاتهم فيه . وكانوا يصلون فى جانب منه ورسول الله والمسلمون يصلون فى جانب اخر ، وما حدث فى مسجد الرسول تكرر فى كنيسة يوحنا الكبرى فى دمشق . فقد رضى المسيحيون أن يأخذ المسلمون نصفها ورضى المسلمون أن يصلوا فيها صلواتهم . فكنت ترى فى وقت واحد ابناء الديانتين يصلون متجاورين هؤلاء يتجهون إلى القبلة وأولئك يتجهون إلى الشرق .

وفى خصوص المستوى الثانى الذى يتعلق بإسهام أهل الكتاب فى مختلف مواقع المسئولية فى المجتمع الاسلامى ، يقدم المؤلف أمثلة واقعية عديدة جديرة بأن يدور حولها الاجتهاد لاستخلاص النظرية العامة فى هذا الصدد .

فأول كل شىء ـ رفض الأئمة والفقهاء أن يبيد الحكام المسلمون أهل البلاد غير المسلمين أو يخرجوهم منها . كما حدث مع السلطان سليم الأول العثمانى فتصدى له زنبيلى على أفندى شيخ الاسلام (ص ٦١) ولما اجلى الوليد بن عبد الملك جماعة من أهل الذمة من قبرص استفظع ذلك المسلمون واستعظمه الفقهاء . فلما ردهم يزيد بن الوليد استحسن المسلمون ذلك ورأوه عدلا . ويمثل هذا كتب الامام

الأوزاعي للوالي العباسي صالح بن عبد الله بن عباس .

ومن ناحية اخرى - فان غير المسلمين تولوا مختلف المناصب في الدولة الاسلامية . وهنا يقدم المؤلف أيضا أمثلة تكثر على الحصر ، بدءاً من عهد الرسالة . فقد قاتل مع الرسول قوم من اليهود في بعض حروبه فأسهم لهم مع المسلمين . واستند الامام الشافعي إلى ذلك عندما أجاز اشتراك أهل الذمة في جيوش المسلمين . وفي العهد الأموى أسند معاوية الادارة المالية في الدولة لأسرة مسيحية توارث ابناؤها الوظائف لمدة قرن من الزمان بعد الفتح الاسلامي ومن افرادها القديس يوحنا الدمشقي المعاصر لمعاوية ولولده يزيد . واختار عبد الملك بن مروان عالما مسيحيا من مدينة الرها يدعى أثناسيوس مؤدبا لأخيه عبد العزيز . ورافق المعلم تلميذه عندما عين واليا على مصر . وبلغ أثناسيوس مرتبة الرئاسة في دواوين الاسكندرية وكان ينعت في المكاتبات الرسمية « بالكاتب الأفخم » (ص ٦٩ ومابعدها) وكان إبراهيم بن هلال (الصابي من المجوس) قد بلغ أرفع مناصب الدولة في العهد العباسي (ص ٦٢) .



ويخلص المؤلف من ذلك كله الى ان رحلة التاريخ الاسلامي تقول إن آيات الكتاب لم تشكل - بوجه عام قيدا يذكر على عطاء الآخرين وإسهامهم في مختلف نشاطات الادارة الاسلامية (ص١٥٩)

مفاتيح الجسور

ويقدم المؤلف بعد ذلك « مفاتيح الجسور » التي اقامتها نصوص القرآن والسنة بين المسلمين والآخرين : وفي مقدمتها الآية : « **لا أكراه في الدين** » ويعرض تطبيقات رائعة لها ، جاءت امرأة مشركة إلى الخليفة عمر في حاجة لها ، فدعاها إلى الاسلام . لكنها رفضت . فقضى لها حاجتها . وإذ خشى أن يكون في مسلكه هذا ماينطوي على استغلال حاجتها لمحاولة إكراهها على الاسلام ، استغفر الله مما فعل وقال « اللهم إني أرشدت ولم أكره » . ومن أرقى المناقشات في هذا الصدد ما أثير حول حق الزوج المسلم في مناقشة زوجته غير المسلمة في مسألة إسلامها . فقد رأى الشافعي الا يفاتح الرجل زوجته في هذا الشأن ولايعرض عليها الاسلام خشية وقوع الأكراه . (ص ٨٩ و ٩٠)

ومن هنا الدعوة إلى إرساء قيمة القسط (العدل) في المجتمع الانساني عامة دون خضوع العاطفة . (ص ٩١ و ٩٢)

ثم اداب الحوار بالتى هى أحسن .

ويورد فى بيان ذلك حشدا من الآيات ، ويقول أن من ثوابت التفكير الاسلامى إتاحة الفرصة للآخرين فى حرية الاختيار خصوصا إذا تعلق الأمر بالايمان والاعتقاد والأصل فى مخاطبة الآخرين هو الحوار الذى يحترم فكر الآخرين دون غلظة ولا إساءة أو استعلاء . (ص ٩٣ - ٩٦)

حقوق الانسان

إن حقوق الانسان فى الاسلام سواء كان هذا الانسان مسلما أم غير مسلم لم تنشئها اجتهادات فقهاء السلف على الاطلاق . بل إن حقوق الانسان وحرياته الاساسية والمساواة بين البشر جميعا هذا كله مقرر فى الاسلام على أساس العقيدة وليس مسائل الاجتهاد والنظر إلا فى حدود التفاصيل والتطبيقات .

ويرتب المؤلف على هذا المبدأ نتيجة تعبر عما لديه من إخلاص لقضيته ، وإيمان بالغ النقاء والصلابة بكرامة الانسان . يقول : « وفى ظل هذا التصور فإن إطلاق وصف « التسامح » على علاقة المسلمين بالآخرين لايعد مستساغا الآن بأى حال » فهذا التعبير إنما يصف ما حدث فى التارخ مقارنا بتعصب الآخرين « ولكن عندما نكون بصدد عرض علمى وجاد لموقف الاسلام من الآخرين فإنه لاينبغى ثمة مكان لمثل هذا الوصف . فمنذ متى كان التزام المؤمنين بالحقوق المقررة فى العقيدة من قبيل التسامح .

ويواصل المؤلف فى موضوعية وواقعية جديرتين بأصحاب المبادىء والمواقف ، يواصل دراسته :

فمن ناحية ـ إن استخدام ذلك الوصف ـ التسامح ـ قد يحمل على الظن بأن الموقف الاسلامى هنا هو من قبيل التطوع والتزيد فى العطف والمودة . وإن المتطوع لالوم عليه إذا عدل عن سلوكه هذا . وهو مايقدم موقف الاسلام ـ الثابت فى الأساس ـ فى صورة مهزوزة ومغلوطة .

اهل الذمة ؟

وثمة وصف آخر يراه المؤلف اكثر الاوصاف حاجة إلى المراجعة وإعادة نظر ـ يقصد بذلك وصف « اهل الذمة » فمن ناحية ـ لانجد فى نصوص القرآن أثرا لهذا التعبير ومن ناحية أخرى ـ فانه اذا كانت السنة النبوية قد استخدمت من كلمة « الذمى » فى مواضع مختلفة الا انها كانت جزءا من لغة التخاطب فى تعامل القبائل العربية قبل الاسلام . واستخدامها فى السنة كان من قبيل الوصف لا التعريف . وفى مراجعة هذا التعبير يفرق المؤلف بين ماهو « شرع » وبين ماهو « فقه » وأساس المراجعة هو

كتاب الشهر

مساواة نعم ... وتفرقة ايضا .

نقطة البداية فى اجتهاد المؤلف النصوص القرانية التى اعلنت مكانة الانسان وقررت المساواة بين البشر . وانعكس هذا على الممارسات والتطبيقات التى انطلقت من قاعدة استقرت فى الفقه والتشريع تقضى بانه « لهم مالنا وعليهم ما علينا » .

ويناقش المؤلف مدى اعتبار اهل الذمة مواطنين فى المجتمع الاسلامى . ويعرض مختلف الآراء فى هذا الصدد ليخلص من ذلك الى انهم مع المسلمين امة واحدة . ويدلك على ذلك بآيات تكريم الانسان ، وحث القرآن للمسلمين على البر بالذين لم يقاتلوهم فى الدين ، وكلمات الرسول التى تستنكر وتتبرا من اى مسلم اذى ذميا ، ثم مانصت عليه « الصحيفة » ليخلص من ذلك كله الى ان غير المسلمين صاروا شركاء اصليين فى أوطان المسلمين ، ولم تعد علاقاتهم بالمسلمين قائمة على إجارة قبيلة لقبيلة أخرى أو خضوع من قبيلة لقبيلة أخرى . الأمر الذى لم يعد له محل بعد نشوء الدولة التى أصبح الجميع فى ذمتها ، وانتماء الجميع الى الوطن الذى يظل ملكا للجميع . (ص ١١٠ ـ ١٢٧)

ويواصل المؤلف جهده فى بيان حقيقة الجزية ، والشروط العمرية ، والجهاد ..

ويبدأ المؤلف الفصل السادس من الباب الثانى وعنوانه « مساواة نعم ... وتفرقة ايضا » بطرح الاسئلة التالية

« هل يقبل ان يرأس شخص مسلم ، دولة اغلبيتها غير مسلمة ؟

« هل يقبل أن تتصدر مساجد غير المسلمين الواجهات والميادين الرئيسية فى مدينة مسيحية الطابع والملة ؟

« هل يقبل أن يؤذن جماعة من المسلمين للصلاة عبر مكبر للصوت خمس مرات كل يوم ، فى مجتمع أوربى غير مسلم ؟ » .

ثم يستدرك المؤلف فيقول : « حتى اذا اجاز القانون هذه الخطوة أو تلك فمن المؤكد انها جميعا تؤذى مشاعر الأغلبية غير المسلمة بحيث يصبح من العقل والفروق وربما المصلحة أيضا أن نجيب على الأسئلة بالنفى » .

والسبب لديه ، أن هناك ميزانا يجب أن يراعى ضبطه بإحكام فى علاقة الاغلبية بالاقلية يقوم أساسا على مراعاة النظام العام للمجتمع وذوقه ومشاعره العامة « والعمومية هنا يقصد بها مايهم المجتمع بأسره ، وما يتمثل فى قيم الاغلبية وقوانينها الخاصة المستمرة سواء من عقيدتها أو من تقليدها وأعرافها ـ وهو ما يهمنا هنا (ص ١٤٧) .

ولدى المؤلف أن ما تطلبه الأقلية الدينية أو المذهبية هو حرية الاعتقاد، وتحقيق المساواة في الحقوق والواجبات مع الآخرين. وبعد أن يوضح استجابة المجتمع الاسلامي للمطلب الاول، يتناول المطلب الثاني.

ويقرر الكاتب أن النصوص المرجعية لاتدع مجالا للبس في تقرير الأساس والمبدأ. وسنده في هذا نقطة البداية في اجتهاده كله وهي كرامة الانسان، والاعتراف بأنبياء اهل الكتاب. ومن هنا جاءت القاعدة الفقهية «لهم مالنا وعليهم ما علينا».

ولكن المؤلف، مستندا [illegible] على قيمة المساواة [illegible] لدعوى المساواة [illegible] حق الأغلبية [illegible] المساواة بأي حال.

والسند هنا [illegible] الديمقراطيات [illegible] والدول الاشتراكية.

فحق الاغلبية في الحكم [illegible] الذي تقوم عليه النظم [illegible] الصياغة الأمريكية للقضية: حكم الاغلبية Majority rule، وحقوق الاقلية Minority right وثمة مواصفات محددة للرئيس الامريكي.

وثمة نتيجة بديهية اخرى لقيام الدولة على العقيدة، وهي أن تستخدم كوادرها على راس المواقع ذات الصلة - البعيدة والقريبة - بتلك العقيدة. ويورد هنا ايضا مايجرى عليه العمل عند انتقال الرئاسة الامريكية من حزب الى حزب، إن يتعين أن يقدم حوالى ألفين من المواطنين الكبار في الادارة السابقة استقالاتهم الى الرئيس الجديد حتى يتسنى له أن يعيد بناء ادارته الجديدة بأكبر قدر من التوافق والانسجام. كما يورد نموذج الدول الاشتراكية. فكونها قائمة على اللينينية الماركسية رتب نتيجة منطقية هي اتجاه هذه الدول الى دفع كوادرها الى جميع مواقع القيادة والتوجيه في الدولة.

ولا يقر المؤلف أن تصل الأمور الى هذا المدى، ولكنه قد يساعد على فهم موقف الاسلام في تلك القضية الدقيقة [illegible] الاستثناءات من قاعدة المساواة هي [illegible] اشتراط شروط معينة في مواقع بذاتها [illegible] لا يحمل باعتباره انحيازا يقوم على التفرقة الدينية او الطائفية. فهو تصنيف Classification وليس تمييزا Discrimination وأديه أن التصنيف لايتعارض مع المساواة.

ابن تيمية

وفي الفصل السابع يقدم المؤلف بعض اراء الفقهاء السابقين: ابن تيمية، والماوردي. فشيخ الاسلام ابن تيمية يضع اطارا عاما للموضوع في كتابه «السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية» يخصص فيه فصلا في استعمال الاصلح. ذلك ان المبدأ الاساسي لديه

كتاب الشهر

أنه يجب على ولى الأمر أن يولى على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل . فان عدل عن الأحق الأصلح الى غيره لأجل قرابة بينهما أو ولاء عتاقة وصداقة أو موافقة فى بلد أو مذهب أو طريقة أو جنس أو لرشوة فقد خان الله ورسوله . ثم يحدد ابن تيمية قاعدة اختيار الاصلح فيقول ان للولاية ركنين : القوة والامانة . ويتصدى بعد ذلك لمشكلة التطبيق فى « قلة اجتماع الامانة والقوة فى الناس . والحل عنده ان لكل ولاية ثمة الأصلح بحسبها . فيقدم فى امارة الحروب الرجل القوى الشجاع وإن كان فيه فجور . وجاء فى الحديث ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر . ويعلق المؤلف على ذلك بأن شيخ الاسلام ابن تيمية يطرح معايير موضوعية للغاية فى تقرير الاسس التى ينبغى ان تقوم عليها عملية الاختيار والتى تلخصها كلمة « الأصلح » بصرف النظر عن المذهب أو القرابة او الجنس . ويصل به مدى الرؤية النافذة جدا يدفعه الى قبول منطق الغزو مع القوى الفاجر طالما أنه فى النهاية سيحقق للمجتمع مصلحته المرجوة (ص ١٦١ - ١٦٤)

وهنا لابد من وقفة

ان الجهد العظيم المخلص الذى بذله المؤلف فى سخاء واصرار ، والاجتهاد الأصيل المستنير والمنير ، والحرص الكامل على كرامة الانسان وحصانته وربطه الوثيق بأصله الالهى - هذا كله لايمكن ان يؤدى الى محاولة لاسناد التطبيقات العملية بشأن حدود المساواة - اسناد ذلك الى النظم الغربية سواء من العالم الأول أو الثانى .

ولقد كنت افضل ان يسبق الفصل السابع ، الفصل الذى جاء قبله . ان المعيار الذى وضعه شيخ الاسلام ابن تيمية لاختيار المسئولين - معيار الأصلح - والمرونة التى يتيحها فى تطبيق المعيار يكفيان . ويغنيان عن محاولة التقريب بين النظام الاسلامى الذى له خصوصيته المتميزة ، وبين النظم السياسية الأخرى غربية كانت أو شرقية .

فالأسئلة التى بدأ بها المؤلف فصله السادس يطرحها من منطلق دينى على مجتمعات لم يعد الدين حاضرا فى وجدانها أثناء حياتها السياسية بل اليومية عموما .

والقول بأن اجازة مايستبعده فيه ايذاء بمشاعر الاغلبية هناك محل نظر .

ثم ان لكل نظام منطقه وبناؤه المتكامل . واذا كان المجتمع الأمريكى

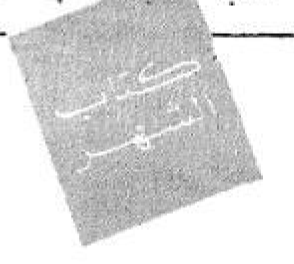
قبل تغيير جهاز الادارة عند انتقال الرئاسة من حزب الى حزب فماذاك الا لأن ثمة مباراة دورية تقام بين الاحزاب تتاح فيها فرص متساوية لكل حزب كى ينتقل الى موقع السلطة . وهذا هو جوهر النظام مانى ذلك شك . وهو أمر غير وارد فى الجماعة الاسلامية . ولماذا يقطع المؤلف الكريم الطريق على شخص مسلم فى أن يرأس دولة أغلبيتها غير مسلمة اذا كان نظامهم يسمح بذلك . وقد سجل أنه قد تم التخلى عن شرط بروتستانتية الرئيس وانتخب كاثوليكى رئيسا . (ص ١٦٠ هامش ١١) ويمضى الكفاح ليتولى اسود ذلك المنصب . ولم يعد من المستحيل فى وقت ما أن يجلس فى البيت الأبيض مسلم . ومن ناحية أخرى ، فانه ليس من الحكمة أن نسند النظام الاسلامى بأضعف حلقات النظام الاشتراكى وهى موقفه من الحريات الديمقراطية ، فنجعل من هذه الحلقة المعترف بضعفها ما يساعد على فهم موقف الاسلام فى تلك القضية .

أن مبادىء النظرية التى انطلق منها المؤلف ، والحالات الواقعية التى لاحصر لها والتى قدمها تدليلا على ما يقوله هذا كله لايمكن أن تصبه فى صياغة غربية تستخدم عبارات لم يفرزها النظام الدينى الاسلامى من خصوصيته المتميزة خاصة . وأنه فى مقال المصور الذى سبقت الاشارة اليه يصف الوظائف المقصورة على المسلمين بأنها ما غلبت عليه الصبغة الدينية . ويقول انها لاتكاد تتجاوز أصابع اليد الواحدة .

وأكاد اشعر أن تعبير الأغلبية والاقلية وهو جوهر النظام السياسى الوضعى لم يستخدمه التراث الاسلامى الذى ينطلق من كرامة الانسان فى ذاته لا فى كمه . ولديه أن من قتل انسانا فكأنه قد قتل الناس جميعا . وصحة النظام أو القرار أو الاختيار مرتبطة فيه بأنه الأصلح وليس بالموافقة العددية عليه .

ان « الصحيفة » دستور المدينة ، مقرونة بمعيار ابن تيمية مرتبطة برحلة التاريخ الاسلامى التى عرضها فى اقتدار على مدى صفحاته المضيئة ـ هذا كله هو التعبير الصحيح عن اجتهاد الكاتب العظيم .

ولقد كرر ذكر هذه الوثيقة الثمينة فى كتابه أربع مرات (ص ١٧ و ١٠٥ و ١٢٤ و ١٧٢) و « الصحيفة » ـ التى أوردها ابن هشام فى السيرة النبوية ، **تنظم ـ من ناحية ـ العلاقة بين المسلمين من قريش ويثرب . ومن ناحية اخرى العلاقة بين المسلمين وغيرهم ـ وقتئذ اليهود . وهى تستخدم تعبيرا واحدا للدلالة على الوحدة بين كل من هذين المكونين للجماعة . فالمسلمون من قريش ويثرب « أمة واحدة » واليهود « أمة مع المؤمنين ـ لليهود دينهم وللمسلمين دينهم »** . هكذا جاء نص الصحيفة وبعد أن قررت الصحيفة مبدأ



وحدة الأمة تنظم العلاقة بين مكونات الجماعة :
أولا ـ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة .
ثانيا ـ بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم
ثالثا ـ يشترك الجميع فى نفقات الدفاع .

واذا كان ابن تيمية قد قرر ان المبدأ هو الأصلح بصرف النظر عن مذهبه أو جنسه ، وأجاز اختيار الفاجر للغزو بقيادته ، واذا كان الكاتب قد حشد كل هذه السوابق التى ضمت كل أنواع الوظائف فى الدولة الاسلامية ـ اذا كان ذلك كله ، فما نحسب أن ثمة حاجة بعد ذلك الى التقريب مع نظم لها منطقها المتميز وبناتها القانونى المتكامل ومسارها التاريخى الخاص .

المشروع . الوطن . المستقبل

ومنذ الصفحات الاولى لهذا الكتاب استخدم مؤلفه تعبير « المشروع » الذى تنهض به كل مكونات الجماعة ويرتبط مصيرها جميعا بمصيره . وصار كل منها شريكا أصيلا فى النهوض به . وهو فى رؤية الكاتب مشروع مستقبلى . أى ينظر الى الغد ، متسلحا بكل ما فى ماضيه من قيم وخبرات . ثم ان هذا المشروع ـ كما يقول المؤلف ـ يتم اساسا فى « وطن » ينتمى اليه الجميع . واستخلصوه بجهد مشترك من غاصبيه . فصاروا بذلك اصحابه على قدم المساواة ـ وصار ملكا للمسلمين وغير المسلمين بغير تسلط من أحد على أحد (ص ١٠٧ و ١٢٦)

ولقد رصد الدارسون الأجانب أن وجود النصارى بين المسلمين كان سببا لظهور مبادىء التسامح (ص ٦٥) وهذه حقيقة ويرجع الفضل فيها الى مواقف الائمة والفقهاء الذين رفضوا أجلاء غير المسلمين من ديارهم كما سلفت الإشارة . وفى حقيقة الأمر ، فان وجود الآخر لا استبعاده ، هو الأساس الموضوعى للتعرف عليه واحترامه . الا أن هؤلاء الدارسين أخطئوا اذ عمموا القول بأن اليهود والنصارى حرصوا على أن تظل « دار الاسلام » دائما غير تامة التكوين . (ص ٦٤) وان دراسة حالة مصر لأبلغ رد على هذا التعميم الخاطىء . فمشاركة جميع مكونات الجماعة المصرية ـ مسلمين وقبطا ـ فى جميع الحركات الوطنية شاهد بأن القبط كانوا عاملا رئيسا فى استخلاص مصر دولة كاملة السيادة دخلت عصبة الأمم فى الثلاثينات دون أى تحفظ . وان موقفهم من محاولة الانجليز

الاحتفاظ بحماية الاقليات جعل المستعمر ييأس من محاولاته وارغم كرومر على ان يسجل فى كتابه « مصر الحديثة » وحدة الموقف الوطنى فى الشعب المصرى كله . وفى حقيقة الأمر فان دراسة حالة مصر تقدم تطبيقا معاصرا لما تضمنته الصحيفة من مبادىء ونظم .

وفى دراسة سابقة قلت انه « فى حقيقة الأمر فان التجربة المصرية تقدم انجازا اسلاميا يفخر به الاسلام ويقدمه للعالم مثلا فى الامكانيات التى يتيحها لمن يعيشون فى ظله ـ ليس فى ظل التسامح والاريحية ، ولكن مع اطلاق طاقات التطور والمشاركة حتى الوحدة بين المواطنين . وهى تقدم انجازا مسيحيا نموذجيا لما يمكن أن يحققه فى اى بلد المواطن المسيحى المخلص فى خدمة بلاده والاخلاص لشعبها ... » وعلى مدى هذه التجربة تخلت الاقلية عن عقدة العزلة والشعور بالاضطهاد . وتخلت الاغلبية عن عقدة الشعور بالهيمنة والتسلط بل بهت المفهوم الدينى للأغلبية والأقلية . وصار لهما فى الحياة المصرية مفهوم سياسى (أحزاب الأقلية) واقتصادى (الاقلية التى تملك والاغلبية المحرومة) .

وهنا قد تنفع الاشارة إلى أن مما يخدم الهدف العظيم الذى نتطلع إليه ـ أى حفظ كرامة الانسان وحصانته فى جميع المجالات ، أن ينضم التراث المسيحى إلى التراث الاسلامى ليكون الاثنان سندا لهذا المخلوق المكرم فى كليهما .

وبعد ـ فإن كاتب هذه السطور وهو يتابع التجربة المصرية تطلع إلى أن يقوم الاجتهاد الدينى فى المرحلة المقبلة باستيعاب « الاجتهاد الشعبى » الذى أفرز النظام المصرى الحديث .

ويكتب فهمى هويدى ان الواقع سبق جهد الباحثين ، وأن رحلة الواقع لم تكن مطابقة بالضرورة لرحلة التنظير والاجتهادات الفقهية وان الواقع سبق دائرة التنظير باشواط عديدة . ويقول ان هدف الاجتهاد والتنظير يظل هنا هو تثبيت قاعدة المساواة (ص ١٢٦ و ١٧٦)

ولقد سجل المؤلف منذ البداية ان مجال الصراع ليس بين اصحاب الأديان ولكن بين هؤلاء صحبة وكتيبة واحدة فى مواجهة التحديات الوطنية والسياسية والاجتماعية والثقافية ـ ان الدفاع عن ارض الوطن ، وتأكيد حقوق المواطن فى جميع المجالات هما المجال الذى يجب الا تتسرب بعيدا عنه جهود مكونات الجماعة كلها ، فتضيع فى مسالك مظلمة بلا مخرج .

ان الكتاب الذى يقدمه فهمى هويدى هو فى حقيقة الأمر ترياق ناجع يجىء فى وقته ، وكلمة طيبة نرجو أن تثمر ثمرا طيبا فى أرض طيبة .

دراسة فى مقدمة

ابن خلدون والعمران البشرى

بقلم : د . محمد عبد المنعم خفاجى

ـ ١ ـ

ابن خلدون موضوع قديم جديد فهو عبقرية من عبقريات الاسلام التى ظهرت فى القرن الثامن الهجرى ـ الرابع عشر الميلادى ، وهو ملحمة من ملاحم الفكر العربى وحياته اشبه بالاساطير التى نسمع بها

ولابن خلدون فى مصر قصة طويلة حافلة بالذكريات الخالدة . وابن خلدون عربى حضرمى عاش اجداده فى اشبيلية فى الاندلس ، وبعد سقوط اشبيلية فى أيدى المسيحيين هاجروا إلى سبته وشغلوا مراكز مرموقة ثم هاجروا الى المغرب ، وكان جده محمد ابن خلدون حاجبا للأمير أبى فارس حاكم إحدى المدن الكبرى فى افريقيا ، وهى بجاية . اما والده محمد بن محمد ابن خلدون الحضرومي ، فكان من اعلام الفكر التونسي وادبائها .

وولد ابن خلدون ابو زيد عبد الرحمن الحضرمي بتونس فى ٢٧ مايو ١٣٣٢ م ٧٣٢ هـ ، وقد ظهر نبوغه وعبقريته وهو فى سن الشباب ، ونبغ فى علوم الشريعة واللغة والأدب والتاريخ ، وشغل وظائف كثيرة فى الدولة ، وأصبح كبير الأمناء بديوان السلطان الحفصى ، ثم صار سكرتيرا له ، وسمح له بالمشاركة فى مجالسه ومناظراته العلمية والتوقيع عنه ، وتزوج ابن خلدون من ابنة قائد جيش الحفصيين محمد بن الحكم ، وفى المغرب العربى ، وفى دولة غرناطة اشترك ابن خلدون فى كثير من مظاهر النشاط

السياسى ، وتعرض لمحن كثيرة هنا وهناك، وكانت فترة عمله فى خدمة الأمير ابى عبد الله محمد امير بجاية من اذهى الفترات فى حياته السياسية ، ففيها عمل حاجبا للأمير ، اى رئيسا لجهاز الدولة ... وهذه المغامرات السياسية ، والمحن التى تعرض لها جعلته يزهد فى السياسة ومناصبها ، ويبدأ التفكير فى التفرغ للحياة العلمية ، حيث تخلى عن الاعمال السياسية وتفرغ لكتابة كتابه التاريخى « العبر » ، وبدأ بكتابة مقدمته المشهورة ، وهو مقيم فى احياء بنى عريف ، وتعنى « المقدمة » الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون « العبر والديوان المبتدأ والخبر فى ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » .

وانتقل ابن خلدون إلى وطنه تونس ، واستطاع ان ينجح فى كسب ثقة السلطان وعطفه ، وفى ذلك الوقت اخذ يواصل عمله فى التاريخ للعرب والبربر ، فاتم تدوين أصول كتابه التاريخى عام ١٣٨١م ، ولكنه وجد نفسه محاطا بالدسائس والمؤامرات ، فعزم على الهجرة من تونس إلى القاهرة ، وفى ٢٥ من اكتوبر عام



ابن خلدون

١٣٨٢م غادر ابن خلدون وطنه متوجها الى الاسكندرية ، فالقاهرة .

وصل ابن خلدون الى القاهرة فى فبراير ١٣٨٣م . وبدأ يلقى دروسه فى الأزهر الشريف على الطلاب وهى دروس فى الفقة المالكى . وفى التاريخ وفلسفته . وفى بنظرياته فى العمران البشرى وصار ابن خلدون فى قمة المجتمع القاهرى . ويقول عنه ابن حجر العسقلانى . كان لسانا فصيحا حسن الترسل مع معرفة تامة بالأمور خصوصا متعلقات المملكة .

وشمل السلطان برقوق ابن خلدون برعايته وعطفه . وفى اوائل عام ١٣٨٤م عينه السلطان فى منصب التدريس فى المدرسة القمحية بجوار جامع عمر بن العاص فى الفسطاط ، وهى مدرسة الفقه المالكى . ولم يلبث السلطان الا قليلا ، حتى اصدر امرا بتولى ابن خلدون منصب قاضى قضاة المالكية .

وشارك ابن خلدون فى حياة مصر السياسية بنشاط وفاعلية . وفى رواق المغاربة بالازهر استكمل ابن خلدون مقدمته المشهورة . وتاريخه « العبر » . ويقول احد خصوم ابن خلدون وهو الركراكى « إن محاضرات ابن خلدون اليها المنتهى » .. وهكذا نقح ابن خلدون طائفة من فصول كتابه التاريخى بناء على المصادر الجديدة التى اطلع عليها بالقاهرة كذا نقح الكثير من افكاره فى المقدمة .

ومادة كتابه عن التتار والترك وتيمور لنك والمماليك جديدة ، كتبت فى القاهرة . ووصل فى تاريخ المغرب الى اواخر القرن الثامن الهجرى .. الرابع عشر الميلادى ، [illegible] عن العلوم كذلك مما كتبه فى القاهرة

والتف حول ابن خلدون نخبة من العلماء والطلاب . وكان من تلاميذه المقريزى الذى كان يلقب استاذه ابن خلدون بلقب « شيخنا » وبلقب العالم العلامة شيخ الفقهاء . ويسجل فى كتبه « السلوك لمعرفة الملوك » حياة ابن خلدون فى مصر . وكذلك فعل فى كتابه « درر العقود الفريدة » وهو الكتاب الذى اقتبس ابن حجر والسخاوى كثيرا من نصوصه .

وزادت مكانته عند السلطان برقوق . وفى نفس الوقت كان يقوم بطلب من السلاطين الحفصيين والمرينيين بسفارات دبلوماسية باعتباره ممثلا للمغرب . وذلك من اجل تاكيد حماية

التجارة وسلامة الحجاج .. كما كان سفيرا للسلطان الفرج بن برقوق لدى تيمور لنك (فبراير ١٤٠١ م) .

وكان ابن خلدون يترك القاهرة أحيانا الى الفيوم فى قرية من قراها كانت مهداة إليه على سبيل الاقطاع . وفى خلال إقامته فى هذه القرية كتب النسخة الاولى من سيرته الذاتية حتى وصل بها الى عام ١٣٩٥م - ٧٩٧ هـ .

وقضى ابن خلدون فى القاهرة الأعوام الأخيرة من حياته يواصل العمل فى تنقيح كتابه ، العبر ، وفى مقدمته . وفى سيرته الذاتية . وادركه أجله المحتوم فى ١٧ من مايو ١٤٠٧م - ٨٠٨ هـ ، ودفن فى مقبرة الصوفية بالقرب من باب النصر فى مدينة القاهرة ، بعد جهاد طويل ، وكفاح مرير ، وصراع مستمر للأحداث وللحكام وللمحن التى احاطت به من كل جانب

- ٢ -

وعن ، العمران البشرى فى مقدمة ابن خلدون ، كتبت ، سفيتلانا باتسيفا ، الروسية كتابا بهذا العنوان ، ترجمه من الروسية الى العربية الأديب العربى المرحوم ، رضوان ابراهيم ، ونشرته الدار العربية للكتاب بتونس منذ ست سنوات - عام ١٩٧٨م - فى ٢٩٢ صفحة .

وفى هذا الكتاب تتحدث المؤلفة عن عصر تاليف المقدمة ، وعن حياة ابن خلدون ، والمراحل التاريخية لدراسة المقدمة ، وعن نظرية ابن خلدون فى فلسفة التاريخ ، وعن النظرية الفلسفية لابن خلدون ، وهذه البحوث هى الفصول الخمسة التى يتالف منها الكتاب ، ماعدا المقدمة والخاتمة .

فعن عصر تاليف المقدمة تحدثت المؤلفة بصفة خاصة عن الحياة الاقتصادية فى القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلادى ، واشارة بصفة خاصة الى بعض التيارات السياسية التى شملت المغرب العربى خلال القرن الرابع عشر الذى عاش فيه ابن خلدون .

وعن المراحل التاريخية لدراسة المقدمة اشارت الباحثة إلى العلماء الاوربيين والعرب الذين اولوْا المقدمة عنايتهم ، وترجموها الى لغتهم او درسوها وكتبوا بحوثا خصبة فى دراستها . وهى تاكد أنه ، يجب أن يقال على الفور إن المفكرين الاوربيين فى عصر النهضة لم يتوصلوا إلى المنزلة السامية فى الفكر التاريخى الاجتماعى والفلسفى الذى نجده عند ابن خلدون ،

وفى رأى المستشرق جيب أن ابن خلدون يضع تصورات الفقهاء السنيين القدامى اساسا للأفكار الفلسفية وجميع مفاهيم ابن خلدون إنما هى تطوير بعيد



ابن خلدون

المدى للمبادىء الدينية للاسلام طبقا لتاريخ المجتمع ، ولم يكن ابن خلدون مسلما فحسب ، بل كان كذلك رجل دين وفقيها للمدرسة المالكية وقد اعتبر الشريعة وحدها قيادة صحيحة ، ويكتب جيب : « لم يستطع ابن خلدون أن يدخل فى تنظيم آرائه اى شيء لا يتفق منطقيا مع تعاليم الاسلام »

أما الفصل الرابع من الكتاب فهو عن نظرية ابن خلدون فى فلسفة التاريخ ، واذا كانت المقدمة هى الجزء الأول من كتاب « العبر » لابن خلدون ، فإن المستشرقين فى مؤلفاتهم يطلقون « المقدمة » على الجزء الأول من كتاب « العبر » مع مقدمة المؤلف فى فصل علم التاريخ ، وهذه التسمية ماخوذة عن حاجى خليفة الذى سماها فى بعض فصول موسوعاته « كشف الظنون » : « مقدمة ابن خلدون »

وابن خلدون يسمى الكتاب الأول من مؤلفه التاريخى بعنوان : « فى طبيعة العمران » أى طبيعة الحياة الاجتماعية ، ويقول ابن خلدون فى مستهل كتابه التاريخى « انشات فى التاريخ كتابا ، رفعت به عن أحوال الناشئة حجابا ، وفصلته فى الاخبار والاعتبار بابا ، بابا ، وأبديت فيه لأولية الدول والعمران عللا واسبابا ، وبنيته على اخبار الأمم الذين عمروا المغرب فى هذه الأعصار ، وملئوا اكناف النواحى منه والأمصار ، وما كان لهم من الدول الطوال او القصار ، ومن سلف من الملوك والانصار ، وهم العرب والبربر ، إذ هما الجيلان اللذان عرفا بالمغرب ماواهما ، وطال فيه على الأحقاب مثواهما ، فهذبت مناحيه تهذيبا ، وقربته لافهام العلماء والخاصة تقريبا ، وسلكت فى ترتيبه وتبويبه مسلكا غريبا واخترعته من بين المناحى مذهبا عجيبا ، وطريقة مبتدعة وأسلوبا ، وشرحت فيه احوال العمران والتمدن وما يعرض فى الاجتماع الانسانى فى العوارض الذاتية ما يمتعك بعلل الكوائن وأسبابها ، ويعرفك كيف دخل اهل الدول من ابوابها ، ورتبته على مقدمة وثلاثة كتب :

والكتاب الأول : فى العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية ، من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ، وما لذلك من العلل والاسباب .

والكتاب الثانى : فى أخبار العرب

واجيالهم ودولهم . منذ بدأ الخليقة الى هذا العهد . وفيه الالمام ببعض من عاصرهم من الأمم المشاهير ودولهم ، مثل النبط والسريانيين والفرس وبنى اسرائيل والقبط واليونان والروم والترك والافرنجه .

والكتاب الثالث : فى اخبار البربر ومن اليهم ، وذكر أوّليتهم واجيالهم ، وما كان لهم بديار المغرب خاصة من الملك والدول.

وعن المقدمة يقول ابن خلدون : انحصر الكلام فى هذا الكتاب فى ستة ابواب :

الأول : فى العمران البشرى على الجملة واصنافه وقسطه من الأرض .

الثانى : فى العمران البدوى وذكر القبائل والأمم الوحشية .

والثالث : فى الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية .

والرابع : فى العمران الحضرى والبلدان والامصار .

والخامس : فى الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه .

والسادس : فى العلوم واكتسابها .

والمعنى التاريخى الاجتماعى المعاصر لاصطلاح « المدنية » الذى يعنى « المقومات الاجتماعية والسياسية والثقافية للمجتمع فى طور محدد » لا يطابق هذا المحتوى الذى وضعه ابن خلدون للعمران . ولا يوافق مفهوم اصطلاح « الحضارة » ، لأن العمران هو نفس العملية الخاصة بالنشاط الحيوى للمجتمع ، والترجمة الحرفية للاصطلاح هى « الحياة الاجتماعية » فهى مطابقة لمفهوم « العمران » عند ابن خلدون . ومن اجل ذلك حدد ابن خلدون مسائله فى ثلاثة اتجاهات متميزة :

١ ـ اتجاه فلسفى ، وهو تعليل للكائنات ومباديها ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها (ج ١ ص ٢ المقدمة)

٢ ـ اتجاه تاريخى ، وهو بحث أسباب التصرف والحول فى القرون الخالية والملل .

٣ ـ اتجاه اجتماعى وهو شرح أحوال العمران والتمدن ، وما يعرض فى الاجتماع الانسانى : من أسباب أوّلية الدول والعمران ، وشرح وتحليل لأحوال المجتمع البشرى .

أما الفصل الخامس من الكتاب فهو عن النظرية الفلسفية لابن خلدون ، ولقد حدد ابن خلدون علمه الجديد « العمران » بانه فرع هام من الفلسفة كما ذكر فى المقدمة (ج١ ص٢) ، فالعلم الجديد يندرج فى نظره تحت مفهوم العلوم الفلسفية .



ثمة تحول تاريخي نادر يقترب منا الآن ، زمن مفعم بالتوقعات والآمال لم نستطع حتى أن نجد له اسما . فمنذ مايربو على التسعين عاماً كان مقدم هذا القرن متوقعا على الأقل من أولئك المهتمين بالشكل الفنى والثقافى ، كانوا ينتظرون مقدمه وهم فى حالة نفسية تتراوح ما بين الملل الحسى الدنيوى والتطلع الذى لا يهدأ إلى حدوث تغيير درامى ، كل هذا يتمثل لنا بصورة حية عندما ترد عبارة نهاية القرن . ولكننا سرعان ما نجد أننا نقترب حثيثا ليس من نهاية قرن فحسب بل وأيضا من نهاية ألف عام . (وماذا عسانا أن نسميه ؟ إن العبارة الفرنسية التى تطلق على نهاية الألف عام قد توحى بأن أهم ما يميز نهاية الألف عام هو زوال موضة معينة من القبعات النسائية) .

إن التقويم الذى يحسب عام ٢٠٠٠ كآخر عام من الألف الثانية قد نشأ بطبيعة الحال فى ديانة معينة وفى إقليم معين ثم ذاع وانتشر بطول العالم وعرضه ، وأصبح يشكل الإطار الزمنى الأساسى لردود أفعالنا بأكثر مما نحس . إن الرقم (التاريخ) الذى نكتبه أو نقرؤه عشرات المرات كل يوم أعلى خطاب أو شيك أو مذكرة أو فاتورة إنما هو بمثابة عداد المسافات على لوحة السيارة التى تقطع بنا التاريخ .

ماهى الآمال ؟ ما هى التوقعات ماهى المعتقدات التى سوف يجلبها لنا معه هذا الزمن الغريب ؟ أن نهاية القرن الماضى ، ونهاية الألف سنة الماضية على حد سواء لا يعطياننا سوابق ذات شأن .

لقد بدأ هذا القرن رحلته انطلاقا من الزمن الماضى . ويقينا فإن المراقبين

المتعمقين فى كل عصر والذين لديهم حس تاريخى قد قالوا نفس الشىء . إسألوا ثيوكليدس ، إسألوا أوغسطين أو ميمونيدس ، إسألوا مونتانى ، إسألوا هنرى أدمز . إن أى عصر ممتلىء بالأوغاد وتهازى الفرص ، وقلة من العباقرة والقديسين . إن الأوبئة والحروب والمذابح والحماقات والكوارث تترك آثارها نمشا على وجه العصر ، كما أنه يشرق بالاكتشافات وجلائل الأعمال والمشاعر الرقيقة والفرص التى تبدو بلا نظير فى الماضى .

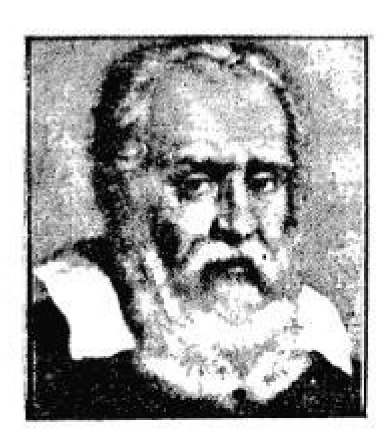
إن قرننا حافل بالكثير من هذه جميعها . لكن ما يميزه بحيث يجعله عصرا فريداً إنما هو شىء آخر : العلم ، أو بالأحرى العلوم . لأن العلوم كثيرة ومتنوعة .

إن القول بأن العلوم والتكنولوجيا التى انبثقت عنها قد غيرت وجه العالم بطريقة متأنية غير مقصودة ، غيرته إلى الأفضل أو الأسوأ . هذا القول أصبح فى حد ذاته أمراً بديهيا .

والأكثر إثارة أن العلوم قد إرتدت إلينا لتغير من حدسنا **our intuition** (١) بالعالم . ومن وعينا بمكاننا فيه ، كما غيرت صميم الأسئلة التى تعودنا أن نطرحها .

منتظرين اجابات عليها . أجل إن القرون الماضية كان لها علماؤها . كما أن هؤلاء العلماء قد توصلوا ـ بقدر فهمنا ـ إلى اكتشافات أساسية .

ولكن كم من العلماء الذين عاشوا فى عصر جاليليو أو نيوتن يمكن أن نطلق



جاليليو

عليهم الآن كلمة علماء ؟ إنهم جميعا يمكن وضعهم فى قاعة محاضرات واحدة . إن البحث العلمى المدعوم لم يبدأ فى القرن ١٦ أو القرن ١٧ بل لقد بدأ فى أواخر القرن الثامن عشر ، ولكن حتى فى ذلك الحين كانت تقوم بالبحث العلمى نخبة أو صفوة مختارة صغيرة . لقد قامت مجموعة من العلماء والأدباء فى منتصف العصر الفيكتورى ـ وقد أثارت حفيظتها الثورة الصناعية والداروينية ـ بشن حملة شعبية عنيفة ضد العلم والقضايا العلمية ، ولقد كان قراؤهم أيضا من الطبقة المتعلمة الصغيرة . وحتى فى نهاية القرن التاسع عشر فإن العلماء الذين يشتغلون بالعلم كانوا من القلة بحيث يمكن أن يعرف أحدهم الآخر .

إن النمو المتميز لمؤسسات البحث العلمى هو علامة التاريخ الحديث . ومع هذا النمو فقد نما اهتمام الجمهور وتتبعه



(١) الحدس **intuition** هو إدراك عقلى فطرى عام صادق بالضرورة كالقول بأن الكل أكبر من الجزء وهو غير الادراك الحسى وغير الادراك العقلى الذى يعتمد على البرهان . والمقصود أن العلم قد غير من صميم وسائلنا الفطرية فى ادراك العالم (المترجم) .

للعلم . كما تزايد افتتان الناس بالاكتشافات العلمية وإعجابهم بالروح العلمية في التفسير . وكثيرا ما يدعى البعض بأن اينشتين أو فرويد قد الهب هذه الحماسة . ولكن هذا التغير لم يبدأ باكتشاف واحد ، بل بسيل منهمر من الاكتشافات جاء ليغمر هذا القرن . لقد عمل هذا على تشقق أسس النظريات التي طال عليها الزمن ومن المهم ايضا بالنسبة للجمهور المتابع فإن هذه الاكتشافات كانت مضادة للمنطق بطريقة استعراضية . إنها لم تكن تتفق والادراك السليم . common sense

ولنلق نظرة على بعض « السخافات » المنافية للعقل التي قدمها العلماء في تلك السنوات والتي نأخذها هذه الأيام على أنها أمر مسلم به .

في سنة ١٨٩٥ اعلن ولهلم كونراد رونتجن عن وجود أشعة إكس ونشر الصورة الشهيرة لعظام اليد التي التقطها من خلال اللحم المعتم الذي يحوط عظام اليد البشرية . لقد كان الاكتشاف غير متوقع . ولقد وجد الناس أن أشعة إكس التي تنفذ من خلال المادة الصماء أمر لا يمكن تصديقه ، إلا ان الدليل كان لا يمكن مقاومته . وفي شهور طبع بحث رونتجن باللغات الأخرى ، وسرعان ما استخدم الاطباء في جميع أنحاء العالم أشعة إكس في تشيخص العظام المكسورة توطئة لتجبيرها وفي عمل الفحوص الداخلية . وفي عام ١٨٩٦ عثر هنري باكرل - في لحظة عدم اكتراث - على النشاط الأشعاعي الطبيعي ذلك الاشعاع الذي ينفذ إلينا دون ان نحس به ، وهو الظاهرة التي لم يستطع قرنان من التقدم في علم الطبيعة أن يشيرا إليها من قريب او بعيد . أو أن يفردا لها مكانا .

وجاءت ماري كوري لتعمد « الهراء » بأن تؤكد أن هناك عناصر معينة كانت معروفة بأنها صماء لاتخترق - تتحل بفعل النشاط الاشعاعي إلى مواد أخرى .

وفي سنة ١٨٩٧ اكتشف ج . ج . تومسون جزيئا مشحونا أثبت أنه أخف ألفي مرة من أصغر ذرة . وهذا بالطبع هو الاليكترون . وفي سنة ١٩٠٠ اندفع ماكس بلانك وقد حفزته كثرة الاستثناءات المتراكمة في تجارب الآخرين لأن يؤكد ان الضوء والاشعاعات الأخرى لاتنبعث انبعاثا متواصلاً مستمراً ولكن على صورة مجموعات منفصلة غير متناقصة سماها الكم gu ant a . وفي سنة ١٩٠١ بدأت جوائز نوبل . وهذه بدورها تولت الاعلان عن الاكتشافات . ولقد حصل رونتجن على جائزة نوبل الاولى في الطبيعة بينما اقتسم باكرل الجائزة الثالثة مع كل من ماري وبيير كوري .

وبرغم ان أبحاث اينشتين الأصلية عن

● العلماء :
فنانو العصر

● بيكون :
المعرفة هي القوة



مدام كورى

نظرية النسبية ، والطبيعة الكمية للضوء والتى بدات فى سنة ١٩٠٥ قد اجتذبت فى بدايتها اهتماماً شعبيا قليلا ، إلا أن العلماء بدءوا يتأملون تلك النظريات والكثيرون منهم جندوا ابحاثهم فى خدمتها . وهكذا فقد عم الازعاج وبدات مراجعة نظريات نيوتن فى الكون ولم تعد الهندسة الاقليدية الواضحة بذاتها تلائم الكون الحقيقى (٢) وبدأ الناس يسمعون كلمات « النسبية » و« البعد الرابع » ثم فى عام ١٩١١ قام إيرنست رذرفوردبتجربة بسيطة ذكية - عرض فيها أحد رقائق الذهب لجزئيات ذرية مبينا كيف تتناثر تلك الجزئيات او الكهارب مثبتا أن الذرة ليست صماء كثيفة إنما لها شحنتها الموجبة واغلب كتلتها تتركز حول نواتها التى تشبه رأس الدبوس وحول النواة تدور سحابة من الاليكترونات فى الفراغ . لقد ظلت الذرة لمدة الفى عام منذ ديموقريطس (٣) ولوكريشيوس صلدة متماسكة لاتنقسم . ولم تعد الذرة الآن كذلك . لقد رءبها رذرفورد أجزاء ومكونات وبنية . والأدهى من ذلك أنه قد بين ان المادة - صميم الصخرة التى كانت يركلها الدكتور جونسون ليدحض آراء الأسقف بيركلى (٤) انما هى تقريبا خلاء تام .

وفى ٢٩ مايو سنة ١٩١٩ التقط عالم الفلك آرثر ايدنجتون صورا للكسوف الشمسى من جزيرة بالقرب من ساحل افريقيا الغربى . كما التقطتها حملة علمية من البرازيل مؤكدة بذلك دقة ماذهبت اليه نظرية اينشتين النسبية (والتى نشرت قبلها بثلاث سنوات) عن مقدار الأنحناء الذى تحدثه كتلة الشمس للضوء الذى يمر بجوارها والصادر عن النجوم القريبة . ولقد احتل تقرير ايدنجتون العناوين الرئيسية فى صحف العالم كله . ولقد كان تاثير ذلك كبيراً على الخيال الشعبى . إن خمسة وعشرين عاماً من المعجزات قد بلغت ذروتها عندئذ ، لدرجة أن مؤرخا

---

(٢) الهندسة الاقليدية تقوم على مسلمة اساسية مؤداها ان السطح مسطح وهى بذلك لاتلائم العلم الحديث خاصة علم الفلك الذى يقوم على اساس ان حركات الاجرام السماوية دائرة او بيضاوية والاجسام السماوية نفسها كروية او بيضاوية (المترجم) .

(٣) ديموقريطس فيلسوف يونانى سابق لسقراط كان يذهب إلى أن الكون مكون من ذرات وان الذرة هى الجزء الذى لايتجزأ من المادة . وبتحطيم الذرة انتهت تماماً نظرية ديموقريطس (المترجم) .

(٤) الاسقف بيركلى فيلسوف عقلى كان يذهب فى عقلانيته مذهبا متطرفا يغلو فيه إلى درجة انكار وجود المادة . وكان الدكتور جونسون يقذف فى وجهه الأشياء ليثبت له وجود المادة (المترجم) .

هذا هو قرن العلوم

بريطانيا قد ذهب مؤخراً إلى أن العصور الحديثة قد بدأت فى ذلك التاريخ .

لكن وحتى سنة ١٩١٩ وبعدها بقليل فإن من بين كل هذه الحقائق والأفكار الرائعة فإن أشعة إكس فقط هى التى اثمرت نتائج عملية . ايضا بدا الاتصال بالراديو ، على حين أن العلوم كانت تنمو وتستقطب الحماسة ، وكانت تتلقى تمويلا معقولا دون ان تعطى ناتجاً قويا يذكر .

إن المسألة دقيقة ، إننا لانستطيع ان نفهم كل مايعنيه العلماء أو مايفعلونه لنا دون أن نعرف أنه فى خلال الحرب العالمية الثانية فقط قد بدءوا يعطوننا النتائج التى انتظرناها منهم طويلا ، كما بدءوا يقدمون لنا المخاوف التى تعلمنا أن نخشاها ، الرادار ، الانشطار النووى ، المضادات الحيوية التى كانت أول إنجاز جوهرى فى الطب منذ اختراع التخدير والجراحة المعقمة فى الماضى البعيد . والتليفزيون وعمليات قياس الرأى العام ، والكمبيوتر ، والثورة الخضراء ، والهندسة الوراثية ، وآلاف الأبحاث والانجازات التى تتكدس على الأرفف من حولنا ، والتى نتمرغ فى خيرها .

ولكن حتى اليوم فإنه مازالت هناك علوم رئيسية تعطى إمكانيات قليلة للتطبيق العملى ، فعلوم الفلك والكوزمولوجيا ليست لهما إلا استخدامات عملية قليلة كما أن نظرية التطور لم تخرج لنا نوعاً جديداً من الحيوان او النبات ، دعك من أن تعمق إحساسنا بالاستمتاع أو تزيد من ذكاء أطفالنا أو قابليتهم للتعلم ومع ذلك فإن علم الفلك والكوزمولوجيا والبالنتولوجيا (٥) وعلم التطور وخاصة تطور الانسان . هذه العلوم على وجه التحديد وماشابهها من العلوم التى ليست لها فائدة عملية ، هى العلوم التى تجد سوقاً شعبية فى مبيعات الكتب ، وهى التى تزحم صفحات المجلات العلمية الأكثر انتشاراً ، وتزدحم بطالبيها فصول مراكز تعليم البالغين والكليات المسائية . إن هذا يذكرنا بشىء كان إدراكه أسهل قبل الأربعينات من هذا القرن الا وهو أن جاذبية العلم العميقة ليست فى التكنولوجيا التى تنتج عنه ولكن فى صميم تلك العلوم نفسها ، أعنى فى الحقائق التى تسعى إليها تلك العلوم ، فى النظريات التى تتوصل إليها وفى طريقتها فى معرفة العالم وفى عرض تلك المعرفة علينا

لقد فسر فرنسيس بيكون هذه الجاذبية لنا منذ أربعة قرون مضت . لقد كان بيكون يمتلك رؤية ملهمة لمستقبل العلم . إن سطراً واحداً لبيكون مازلنا نستشهد به على أنه يقدم لنا الميثاق الذى نسعى لتحقيقه الا وهو : « المعرفة هى القوة » . لكن ماكتبه بيكون هو « المعرفة فى ذاتها

---

(٥) pleontology علم يهدف إلى معرفة اصل الحياة عن طريق دراسة مايوجد فى الحفريات من هياكل للحيوان والانسان الأول (المترجم) .

● هل فقد الفن مبرر وجوده ؟!

● على المرء أن يجرم الأسلحة، لا المعرفة التى أدت إليها!



ولذاتها قوة » . ماالفرق ؟ انه لم يكن يعنى هنا على أى حال قولة ميفستوفوليس الدارجة إن المعرفة تيسر الحصول على القوة . تلك السيطرة على العالم يمكن أن تنتزع من المعرفة كنتيجة عملية . لقد كان بيكون يؤكد شيئا دقيقا فى تلك الأيام . الا وهو أن المعرفة بطبيعتها قوة . أن تعرف شيئا معرفة حقيقية ـ لامجرد أن تعرف عنه ـ إنما يعنى أن تفكر بطريقة خاصة ، وبالضرورة ألا تفكر بطرق أخرى . إن هذا التمييز واضح فى السياق التى وردت فيه جملة ، ومع ذلك فقد تم تجاهله عالميا . إنها على كل حال ليست جملة فاوستية ، فسوف تجدها فى مقاله « فى البدع » . إن بيكون هنا لايتنبأ بالقنبلة الهيدروجينية ولكن بالسلالة العظيمة بدءا من ميلتون حتى جون سيتوارت مل ، وامتدت حتى هذا القرن ، كما أنه يدافع عن حرية البحث . إن المعرفة تستوجب التفكير الصحيح .

ولنلق نظرة الآن على القوة العارمة للعلوم فى هذا القرن ، وعلى طريقة تلك العلوم والمعارف فى غرض هذه المعرفة علينا . ومنذ البداية نجد أن العلوم الآن تقدم لنا ماكنا نطلبه من الفنون . إن العلوم تقدم لنا نظرة جمالية عميقة . إن العلماء وخاصة علماء الرياضة وعلماء الطبيعة انما يقدرون الجمال فى النظريات تقديراً عظيما . انهم يتحدثون عن الأناقة والرشاقة والتناسق ، لقد أصبحت الأناقة مسألة برهان ، ومؤشراً للحقيقة . إن الجمال الذى هو اختبار للنظرية إنما يبدو بالنسبة للعامة أمراً رومانسيا لايكاد يستلزم الثقة . إن عالم الطبيعة بول ديراك أحد مؤسسى آليات نظرية الكم فى العشرينات والثلاثينات من هذا القرن كتب بعدها بعدة سنوات : « أن يلقى المرء جمالا فى معادلاته لهو أهم من أن يجدها تلائم تجاربه » . إن ديراك لم يذهب طبعاً هذا المذهب بلا مبرر . ثم يستمر قائلا « يبدو انه إذا ماعمل المرء من منطلق الحصول على النسق الجمالى فى معادلاته ، واذا كانت لديه بصيرة حقيقية نافذة ، فإنه يكون على الطريق الصحيح للتقدم . ولقد حدث مرة أننى طرحت مسألة العلاقة بين النظرية والملاحظة عليه فأجاب :

ـ « أوه ، أعتقد أن هذه هى المسألة الرئيسية : إن الأمر الأهم هو أن تحصل على نظرية تتصف بالجمال ولو حدث أن الملاحظات لم تسعفك ، لاتشعر بالاحباط .



بل انتظر قليلا وافحص ملاحظاتك من جديد فقد تكتشف خطأ فيها » .

ـ وكيف يستطيع الانسان أن يتعرف على الجمال فى النظرية ؟

ـ حسنا ـ إنك تحسه . تماما كما تحس الجمال فى لوحة أو مقطوعة موسيقية . انك لاتستطيع أن تصفه ، إنه شيء ما . واذا أنت لم تشعر به فإن عليك أن تقر بإنك لست مؤهلا له . إن أحداً لن يستطيع أن يشرحه لك . إذا لم يستطع احد أن يدرك جمال الموسيقى ، فماذا عساك فاعل له ؟ دعك منه » ثم أضاف قائلا : « لقد وجدت لدى أينشتين نفس وجهة النظر هذه » .

ـ من أين تأتى الأفكار النظرية ؟

ـ توقف ديراك قليلا ثم قال : « إن عليك أن تحاول .. وأن تتخيل .. الصورة التى قد يكون عليها الكون . » هذا بالطبع هو بيت القصيد . إن وراء الجمال متعة والتزاما . وأمر أخلاقى ربما يشير إليه الجمال بإعتباره طريق التقدم الأكيد . وهكذا بمعنى مايكمن وراء الجمال فلقد أصبح العلم هو فن هذا القرن . وعليه فإن إجراء مقارنة بين العلم والفن تبدو أمراً قاسيا يغمط انجازات العلم حق قدرها . إنها تحط من قدره . إن العكس قد حدث فبينما كان العلم يكتسب ديناميته ، كان الفن ـ فى جزء كبير منه ـ يتخلى عن أهم ملامحه ، بل عن مبرر وجوده .

فلعدة قرون خلت كان هؤلاء المهتمون بمثل هذه الأمور يذهبون إلى أن الفن يحاكى الطبيعة . لقد ذهب أرسطو هذا المذهب . وبرغم أن الفكرة تبدو واضحة . إلا انها ليست كذلك . لأن الفنون تحاكى الطبيعة بطريقة خاصة . إن الفنون على حد تعبير ارسطو أيضا ـ تبغى الوصول إلى القضايا الكلية . وعليه فإن الشاعر او الكاتب المسرحى على سبيل المثال أكثر أهمية من المؤرخ . ذلك لأن المؤرخ إنما يسجل فقط ماقد تصادف أن حدث ، على حين أن الشاعر يحاول أن يرينا ماقد يحدث أو مايستوجب الحدوث . إن الشاعر ـ بتعبير معاصر ـ يجرب ويستعرض النماذج ، انه يعزل الظواهر ، بل قد يخلقها ، والأكثر انه يستخرج قوانين الطبيعة ، خاصة قوانين الطبيعة البشرية . ولقد توسع النقاد عبر أكثر من ألفى عام فى تفريعات هذه الأفكار البسيطة محتفظين بمتعة إخضاعنا للتعليم التى يقدمها الفن . ولكن الآن فإن فكرة أن الفن يعلّم : إنه يمتع لانه يعلّم تبدو فكرة غريبة . إن ماكان يفعله الشعراء لنا ذات يوم يقوم به العلماء الآن . إنهم هم الذين يحاولون محاكاة الطبيعة بكل قوة وشغف إنهم يحاولون أن يرسموا احتمالاتها وعلاقاتها الضرورية . وكل عالم إنما يفعل ذلك وسط منافسيه المتشككين الذين هم أيضا زملاؤه .

إن المؤسسة العلمية الضخمة تُغيِّرنا كلنا . وهذا التغيير يقلق البعض . وقد يخيفهم . وهكذا فإن العلم خلق له نقاداً بل وأعداء . إن النقاد الآن ليدعون أن من ثمار العلم الآن أننا أصبحنا نتوقع حلا تكنولوجيا لكل مشاكلنا . ولكن التغير الحقيقى فى آمالنا وتوقعاتنا يجرى أعمق من ذلك . لدرجة أن النقاد يشتركون معنا فى هذه الحالة . إن التكنولوجيا قد تقودنا إلى أن نتوقع حلولا . والعلم لديه القوة



اينشتاين

التى تجعلنا نتوقع منه إجابات . وبالتالى فإن الأسئلة التى نسألها الآن هى تلك التى نتوقع أن نتلقى عنها من العلم إجابات لها نفس الطبيعة العلمية .

إن علم الطب والعلوم التى يستخدمها تعطينا أوضح الأمثلة عن كيفية تشكيل توقعاتنا المتعددة الجوانب . إننا ننسى ـ كما يدعى النقاد بحق ـ أن ارتفاع معدلات العمر فى العالم الغربى قبل ١٩٤٠ إنما ترجع ليس إلى تقدم الطب العلاجى ولكن الى التقدم فى مفاهيم ووسائل الصحة العامة . المجارى ، جمع الفضلات ، مقاومة الآفات والحشرات ، الماء النقى ، التغذية ، إن التقدم فى هذه كلها هو ماأحدث الفرق .أما فاعلية الأطباء فهى محدودة للغاية . لكن النقاد غالبا ماينسون أن مستويات الصحة العامة إنما تعكس انتصار العلم والهندسة ، ثم لقد بدأ علماء البيولوجيا فى السنوات الخمسين الأخيرة يمنحون الأطباء سلطانا حقيقيا لمعالجة الأمراض . هذه حلول تكنولوجية لم يحلم بها أحد . ولقد تعلمنا أن نتوقع المزيد . ولم لا ؟

إن المراقب المحايد ـ بلا ريب ـ قد يجد أن بعض هذه الحلول قد جاءت أقل من المأمول ، حين قد يرى آخرون أنها أفدح ثمنا مما يجب (على الأقل فى البداية) لدرجة أنهم يطالبون بعودة طرق العلاج القديمة . لكن هذه فى حد ذاتها ضريبة النجاح .

ومن ناحية أخرى فقد تغيرت ثقتنا الشخصية فى العلاج . كما تغير أيضا إحساسنا بالعلاقة بين المرض والصحة كما تغير متوسط أعمارنا وأعمار أطفالنا . إن حجم وشكل الأسرة وطبيعة بنية السكان فى المجتمع ، وعدد سنوات العمل ، بالاضافة الى نجاحات الصحة العامة والطب . هذه جميعها قد غيرت الكثير من التوقعات الثقافية المتشابكة تغييراً شاسعا والأكثر إزعاجا فإنها تغير فهمنا لطبيعة الحياة نفسها .

هذا هو نمط العلم ، والقوة المتناهية للمؤسسة العلمية . إن الأسئلة الصغيرة كثيرا ما تقود إلى اتساع الفهم . إن العلماء هم مشرعو المستقبل وواضعو حدوده . أنهم ينقلون لنا الحدود . وفى نهاية الألف عام ـ يرى النقاد بحق ـ أن هناك نذراً مشئومة علينا أن نخشاها . إن المرء يستطيع أن يجرّم الأسلحة لا المعرفة التى أدت إلى اختراع تلك الأسلحة . إننا ـ حتى لو أردنا ـ لن نستطيع ان نعود بالعلوم إلى الوراء . إن خلاصنا هو قضيتنا وحدنا . وهذا هو أعمق تغير أحدثه العلم فى آمالنا وتوقعاتنا .



جهاز جديد لحفظ الافلام

اذا كنت من هواة التصوير فهذا الجهاز سوف يفيدك تماما خاصة في حفظ واختبار اشرطة السلبى الملونة وغير الملونة . فمن المعروف انك كى تختبر هذه الأشرطة فانك تضطر الى نزعها او النظر اليها من خلال وسط مضى وشفاف ويمكن ان يتلوث الفيلم من لمس الأصابع . كما انه لا يمكن فحص الأفلام الموضوعة في مجاميع بسهولة .

والجهاز الجديد المانى الصناعة يمكنه حفظ هذه الافلام . وهو يتكون من شاشة وبداخله عدة صفحات يمكن الاحتفاظ بكل منها بفيلم على حده وعند فحص فيلم يمكن عرضه على الشريط بسهولة . مسطح الشاشة يتراوح من ٢٤ سم × ٥ر٦ سم وبسمك واحد سنتيمتر يمكن لهذا الجهاز الاحتفاظ بحوالى ستة افلام تتراوح بين ٢٤ الى ٣٦ صورة ثمنه الذى يباع به حاليا فى الاسواق العالمية حوالى ١٠٠ جنيه مصرى .. يابلاش .

" .. لامراض الفم

" ح ا ر " هو اسم الجهاز الجديد الذى سينهى متاعبك تماما مع امراض الفم والأسنان . الحروف السابق ذكرها تعني حماية الأنسجة الرخوة والجهاز كما هو بالصورة صغير الحجم ويمكن لطبيبك المعالج ان يستخدمه فى



الكشف عن الأماكن الضعيفة بالفم والأسنان وتكسيتها وتقويتها وسيخفف عنك المتاعب التي تسببها أجهزة العلاج المعروفة حاليا . لا يزال هذا الجهاز الذى ابتكره الدكتور برنارد لابار ويستعمل فى حدود ضيقة للغاية

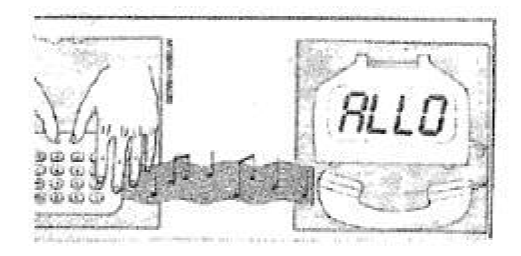
ماذا لو ضاعت . السلسلة

سلسلة مفاتيحك هذا الشيء الصغير لا شك ان ضياعها يشكل ازمة كبيرة خاصة ان لم يكن لها بديل . من الآن لن تخاف اذا ضاعت منك . فسوف تعود اليك حتما . وفى فرنسا هناك مكتب يمكنك ان تسجل فيه مفاتيحك مقابل مبلغ من المال . وفى حالة ضياع المفاتيح فان على الشخص الذى عثر عليها ان يضعها فى صندوق الخطابات وستفاجىء ان الساعى قد اعادها اليك . هذه التجربة قد شهدت نجاحا خلال الفترة السابقة . وسوف تعمم خلال العامين القادمين

سيمفونية وديسكو فى تليفون المستقبل

ايضا التليفون .

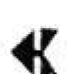
فلأن التليفون هو وسيلة الاتصال المباشرة بينك وبين الآخرين فإن العلماء لا يكفون عن ايجاد وابتكار أسهل الأجهزة استعمالا .. تليفون الغد سيكون رقيقا للغاية لن يزعجك بصوته المرعب ليلا ونهارا .. بل ان سيمفونية موسيقية سوف تنبعث منه بدلا من الجرس عندما يطلبك شخص . وسيكون فى تليفونك شاشة تنقل الكلمات التى يود محدثك ان يقولها لك . فما عليك سوى ان تلمس الجهاز مثلما تفعل مع

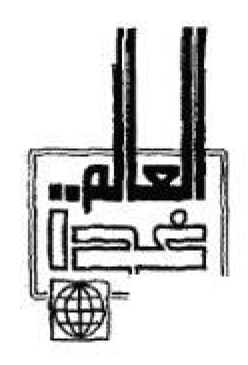


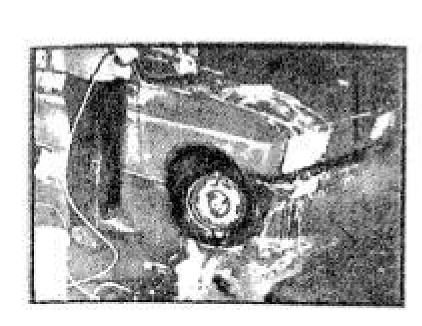
الآلة الكاتبة وتكتب له الرد او الرسالة .. وان لم يكن محدثك موجودا فيمكن للهاتف ان يسجل المكالمة حتى يعود .

العالم ضيق بالمغنطة

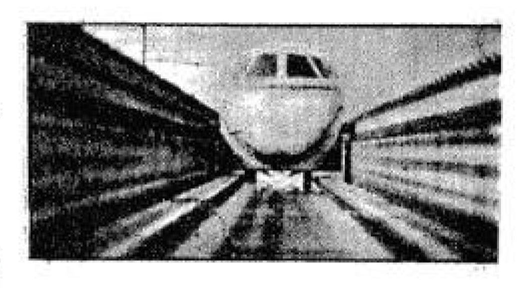
قبل ان يتحرك مترو الأنفاق فى القاهرة الكبرى سيكون ماجليف قد سار بين المدن الكبرى بسرعته الرهيبة . وماجليف هو احدث قطار يابانى يجرى اختباره الآن . وهو قطار يسير على قضبان جانبية ممغنطة . ستصل سرعته الى ٥١٥ كم / ساعة تكلفت الأبحاث حول هذا القطار ما يعادل ٢٥ مليار دولار . سرعة هذا القطار الذى سيتحرك فعلا عام ١٩٨٦ تعطى مؤشرا







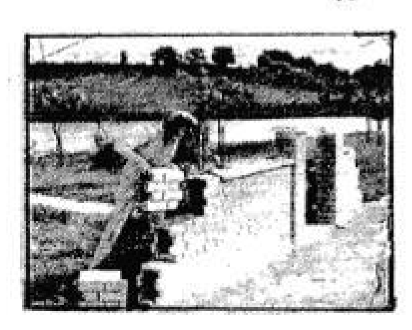
استخدامه . فيمكن من خلاله سحب مياه الأمطار . والمجارى ـ فى شوارعنا ـ ورى الحدائق .



هاما ، ان العالم خلال السنوات القليلة القادمة سيصبح ضيقا للغاية .

قوالب الطوب .. بالجملة

تكثر هذه الأيام الاقاويل حول بدائل الطوب الأحمر فى مصر . ويمكن حل مثل هذه المشكلة من خلال الطوب المبين بالشكل خاصة فى المبانى الغير عالية أو فى الادوار الأخيرة من العمارات . فالطوب سوف يباع فى شكل تجمعى يمكن به تسهيل الوقت والعمالة والجهد والمال وتوفر قوة صلابة اكثر فكل تجمع يحوى مجموعة من الطوبات .



جهاز جديد له سبع صنائع

سوف تدخل العلم غدا فى نظافة سيارتك من خلال المنظف كارشر ٥٥٥ وهو جهاز يزن ١٥ كجم واشبه بالمكنسة الكهربية ولكنه يضخ المياه بقوة يمكن بها أن تنظف سيارتك أو أرضية شقتك أو جدرانها . يكفى أن تدوس بيدك ليضخ المياه . ثم يمكنك أن تضع فرشاة بعد ضخ المياه لتجفيف السيارة من الداخل والخارج بواسطة زر آخر .

هذا الجهاز سوف تتسع دائرة

قد لا تكون هذه الوسيلة الوحيدة لحل مشكلة المباني ولكنها احد الحلول المطروحة من خلال العالم غدا .

سيارة كهربائية أم دراجة معدلة ؟



سيارة تتحرك بالكهرباء سيارة تتحرك بالماء هذا هو الموضوع الذي يلهب خيال العلماء والفنانين والبشر على السواء . ويبدو أن سنوات المستقبل سوف تشهد هذه التجربة بالفعل على مدى واسع بعد نجاح رجل الصناعة الشاب كليف سنكلير من اختراع سيارة صغيرة - كما في الشكل تتحرك بالكهرباء ..

والسيارة صغيرة للغاية لعلها نوع من الدراجات المعدلة . لكن صاحبها يصر على تسميتها سيارة .. فالموتور يدار بالكهرباء وهذا هو أهم شيء . السيارة تتحرك نحو الأمام والخلف ولها بدال لايلف مثل الدراجات لكن يكفي أن تدوس عليه . كما أن هناك بطارية تقوم بتوليد كهرباء تحرك الموتور ؛ تبلغ اقصى سرعة للسيارة الكهرباء ٣٠ كم / ساعة . ويمكنها أن تقطع مائة الف كيلو قبل أن تحال على المعاش .

بوتشيللى بالكومبيوتر

خصصت الهلال جزءا خاصا - هذا العدد - عن الفن التشكيلي .. في عدد شهر مارس من مجلة العلوم والحياة مقال عن الفن التشكيلي والحاسبات الاليكترونية وتفيد أن أجهزة الكومبيوتر الحديثة قد بلغت من الدقة أن أصبح من خلالها إعادة رسم اللوحات الفنية العالمية المعروفة على شاشة الكومبيوتر . وبنفس الكفاءة .

وإن الكومبيوتر الذى أصبح يحتفظ - باللوحات التشكيلية ويعيد عرضها على شاشته حسبما يشاء الانسان . حيث يمكن ترجمة خطوط الفنان التى رسمها إلى شفرات خاصة يمكن الاحتفاظ بها. ثم استعادة هذه الشفرات مرة أخرى من بين هذه اللوحات التى نشرتها المجلة « مولد فينوس » لبوتشيللى وبعض اللوحات الأخرى .. المرحلة القادمة هى استخدام الفنان لأزرار وحدة تشغيل الكومبيوتر بدلا من الفرشاة والالوان .. لاأعرف هل ستغدو هذه الأشياء - دائمة أم أنها مجرد محاولات عابرة ؟



مصر وللمحافظة على ريادته للحركة المصرفية فى مصر واستمرارا لكفاءة الخدمة المصرفية التى يقدمها البنك لعملائه ، فان البنك بدأ اعتبارا من شهر يوليو سنة ١٩٨٣ فى تقديم خدمة مصرفية جديدة لأول مرة فى مصر ، وهى الات الصرف الاتوماتيكية ATM

والتى اطلق عليها كارت مصر - البنك الشخصى وقد أقام البنك حاليا ١٣ آلة من بنوك الخدمة الذاتية . منها اثنتان داخل الفرع الرئيسى وواحدة خارج مبنى فرع مصطفى كامل وخارج مبنى طلعت حرب القاهرة ، وخارج مبنى فرع هليوبوليس بمصر الجديدة ، وخارج مبنى فرع الجيزة وخارج مبنى فرع النزهة ، وخارج مبنى فرع رمسيس ، وداخل نادى الجزيرة ، وخارج مبنى فرع الزمالك ، وخارج سور نادى المعادى واليخت ، وخارج مبنى فرع العطارين بالاسكندرية . وباذن الله سيفتتح البنك خلال هذا العام ١٩٨٥ خمس الات اخرى فى انحاء القاهرة الكبرى . سيعمل البنك على انتشارها فى الميادين والنوادى . ويقوم هذا النظام حاليا بخدمة القطاع العريض من المواطنين اصحاب الدخل الثابت والمعاشات الذين تكون احتياجاتهم الشهرية فى حدود من ٥٠٠ الى ٢٠٠٠ جنيه شهريا وهى الحد الاقصى للسحب من البنوك الذاتيه فى الوقت الحالى حيث يمكنهم سحب وايداع اى مبلغ من دخلهم خلال الشهر بدلا من الاحتفاظ به فى حوزتهم . كما تخدم هذه الالات ايضا اصحاب المحلات والأطباء الذين يمكنهم ايداع ايراداتهم فى البنك بدلا من المخاطرة بحملها الى منازلهم ليلا او نهارا . وكذا الحالات الطارئة التى تستلزم نقودا فى غير اوقات العمل الرسمية للبنوك ، حيث تعمل هذه الالات ٢٤ ساعة .

وقد لوحظ خلال الفترة القصيرة التى عملت خلالها هذه البنوك ان عمليات السحب هى الاكثر شيوعا وبلغت ١٧ر٨٨ ٪ وبمتوسط ٣٣ر٤٧ جنيها فى المرة الواحدة .

وللتعامل مع الالات يعطى البنك للعميل كارتا من البلاستيك وكذا رقما سريا لايعرفه الا العميل وحده ، وحتى البنك نفسه لايمكنه التوصل الى هذا الرقم السرى . يضع العميل الكارت فى المكان المخصص فى الالة ويسجل رقمه السرى على لوحة الارقام فتظهر على الشاشة امام العميل انواع مختلفة من الخدمات ، سحب ، ايداع ، أو طلب دفتر شيكات أو طلب كشف حساب وغيرها . يختار منها العميل الخدمة التى يريدها ، حيث يضغط على الزر المقابل لها .

وقد جاء استخدام بنك مصر لهذا النظام عن اقتناع بضرورة المبادرة لتحديث الخدمات المصرفية فى مصر بعد ان اتجه العالم كله الى ما يسمى بالعملة البلاستيك ، حيث يحل الكارت البلاستيك محل النقود ، الأمر الذى قد يؤدى فى المستقبل الى التخلص من التعامل النقدى فى المعاملات التجارية .



الأدب المكشوف بين المحظور والمباح

بقلم: محمود قاسم

المحظور والمباح

تلك هى القضية التى تشغل بال الكثير منا هذه الأيام ... ماذا يمكن أن يباح للكاتب من حدود الابداع التى لاينبغى أن يتجاوزها ، سواء فى مجال الدين أو السياسة او الجنس ؟ وتقوم أجهزة الرقابة المعنية وأجهزة اخرى عديدة بمراجعة مدى خروج الفنان على حدود اللوائح والقوانين ، وذلك حفاظا على التقاليد والعادات الاجتماعية . وتبقى الى الابد - وخاصة فى مشرقنا - المعركة غير الحاسمة بين إبداع الفنان الذى يود أن ينطلق فيه إلى أقصى حرياته ، وبين الرقابة بجهازها الادارى والضغوط الاجتماعية التى تفرضها .

لكن ، ماذا يدور فى بلاد اخرى تقل فيها حدة المواجهة بين الفنان والأجهزة الرقابية ، فيترك للفنان حرية الابداع بلا قيود ؟ أو ان الأمر سيكون مجتمع الذى لن يسمح له ان يتعدى حدودا لايقبل مابعدها ؟ أو ان هناك شيئا هشا اسمه الرقابة قد الغى تماما ، وترك للفنان ان يعبر عن الممنوعات فى داخله باسلوبه الذى يريده ، والحكم فى النهاية لجمهور القراء او المشاهدين . الفنان فى الغرب ينظر الى ابداعه بنفس منظور « دعه يعمل دعه يمر » الذى اطلقه فى الاقتصاد « ادم سميث » . وقد شهد الادب فى السنوات الاخيرة نماذج ادبية كثيرة تحاول ان تقدم الصور غير المألوفة ، ليس فقط فيما يتعلق بالسياسة ، بل بكل الممنوعات فيما قبل . وعلى راسها الأدب المكشوف . ومنذ سنوات بعيدة وهذا الموضوع فيثير للجدل ..فى « الف ليلة وليلة » و « ديكاميرون » بوكاشيو ومذكرات « كازانوفا » و « عشيق الليدى تشاترلى » للورانس . ومذكرات « المركيز دوساد » وقد ناقش « توماس كارلايل »مدى حدود الكاتب فى دخول غرف النوم .. وفيما قبل كانت هزة الكتابات تثير ضجة هائلة . لكن حدة الضجيج بدات تقل فى السنوات الاخيرة .. حيث بدات سوق الكتب تشهد



• ريجين ديفـــــورج



خلاف رواية الدراجـة الزرقاء ◀

تغيرا واضحا لدرجة ان ادباء هذا النوع لم يصبحوا ذوى سمعة سيئة . بل إن بعضهم قد نال مكانة ادبية هامة مثل « هنرى ميللر » و « هارولدرويفز » فى الولايات المتحدة .

الغريب فى الأمر أن المرأة قد دخلت الميدان كى تعلن نهاية عصر الحياء الأنثوى . فهى تمتلك نفس الاحاسيس التى يمتلكها الرجل . وهى ترغبه مثلما يرغبها . وقد برعت فى التعبير عن مشاعرها فى الحب المكشوف مثلما برع هو فيه . والغريب أن اكثر النساء قد تفوقن . فقد سبق ان قدمنا « أنابيس نين » كنموذج للكاتبة الفرنسية التى عاشت فى الولايات المتحدة وارتبطت بصداقة مع « ميللر » ـ الهلال نوفمبر ١٩٨٢ ـ وهناك « اريكايونج » الامريكية وفى فرنسا برعت أيمانول صاحبة المذكرات الشهيرة التى سجلتها فى خمس روايات متتابعة ، قدمت منها السينما ثلاثة اجزاء . و « بولين رياج » صاحبة الرواية الشهيرة « قصة او » التى اشتركت فى كتابتها « ريجين ديفورج » التى كرست قلمها لهذا الأدب سواء فى مجال الابداع الروائى او الاخراج السينمائى .

و« ريجين » ـ ٥٢ عاما ـ معروفة كناشرة و روائية ومخرجة ، اسست دار نشر فى عام ١٩٦٧ ، واعتبرت اول امراة فرنسية تقوم بتاسيس دار نشر لحقت بها مكتبة لبيع الكتب . وكان أول كتاب تولت نشره هو « مغفل ايرين » للشاعر والروائى المعروف « لوى اراجون » وينتمى الى الأدب المكشوف . ثم قامت بنشر مجموعة اخرى من الكتب الاباحية وقد هوجمت





« ريجين » لهذا الاتجاه . خاصة ان بعض دور النشر قد طبعت نفس الكتب لحسابها الخاص . وعندما رفعت قضية لاثبات حقها فى النشر هتفت بها احدى النساء : « كيف لسيدة مثلك ان تفكر فى هذه الموضوعات ؟ فكرى فى ابنائك » . وقد دفعت هذه المشاكل بها أن تغلق دار النشر والمكتبة وهى تردد : « لست خاطئة فيما يتعلق بالكتب الاباحية . فانا لدى ممنوعاتى مثل كل البشر . ولكن الاشياء ـ بالنسبة لى ـ ليست بالغة التعقيد . لست اشعر بحاجة الى ان تسود الاباحية . طالما أن القارىء يتذوق هذه النصوص . فى رواية « الموت » لباتاى تحسن انه كتاب حب غريب وأنه اكثر الكتب جمالا . ومع « قصة او » أيضا تحس أن الابداع هو امتلاك الذات . ساد ، لاكلو ، « حياة الزنج » لشاتوبريان . هل تذهب هذه الاشياء بعيدا ؟ أحيانا تحدد نفسها . فى الخير والشر » تنحو آفاقا بعيدة . تعود دائما الى نفس الكتب . وتسمع فيها نفس الاشياء ونفهم منها ان هذه الخيارات تجعلك قريبا من الآخرين . أو سرعان ماتبعدل عنهم . لقد أدركت دائما اننى سأكون وحيدة » .

وقد أعجبت « ريجين » بالأدب المكشوف منذ حداثة سنها . فقد قرأت بعض الاعمال المكشوفة وهى فى الثانية عشر من عمرها . و « ريجين » متزوجة ولها ابن فى الخامسة والعشرين ، وآخر فى الثالثة عشر وثالث فى الرابعة من العمر . نشرت أولى رواياتها تحت عنوان « بلانش ولوسى » عام ١٩٧٥ . وفى عام ١٩٧٧ قدمت رواية « حكايات ضالة » قدمتها ايضا فى نفس العام كفيلم سينمائى لم يلق اقبالا . ثم تتابعت أعمالها وهى « لولا وبعض الآخرين » و « الكراسة المسروقة » . أما آخر ماقدمت فهما روايتان نشرتا عام ١٩٨٢ بعنوان « ثورة الراهبات » و « الدراجة الزرقاء » .

فى روايتها « الكراسة المسروقة » نرى ليوند ، فتاة صغيرة . لكنها تسلك سلوك الناضجات . تهتم كثيرا باوجه الاختلاف الفسيولوجى والجسمانى بين الرجال والنساء . وتلازم هذه الاهتمامات عقل الفتاة حتى تبلغ الرابعة عشرة من عمرها . إنها تعيش فى مدينة فرنسية صغيرة . فتاة جميلة تتطلع العيون اليها .. يغازلها زملاؤها فى المدرسة ، لكنها لاتميل الى احد منهم عدا « فيليه » إنها مفتونة به . تكتب عن مشاعرها نحوه فى كراستها الخاصة وهى تعتبر هذه الكراسة بمثابة تنهيدة حب ، لكنها تكتشف ذات يوم أن الكراسة قد سرقت . بدأ زملاؤها فى تداولها فيما بينهم ، ويحادثون أولياء امورهم عما جاء فيها .. تتفجر الألسن .. والفضيحة . تصرخ ليون : « انا متوحشة ـ ساحرة ، إحدى المخلوقات التى يجب ان تبتر . لأننى جئت فى مجتمع اشكل خطرا عليه ، مثل بعض الكتب والمجلات التى يجب إعدامها . كيف السبيل الى النجاة ؟ ليس من الممكن لوجه جميل أحب الكتب والحرية وعدم الخضوع للتقاليد ان يحتمل



● هنري ميللر

هذا . فحبي لميلية قد جعلني آثمة في مدينتي الصغيرة » .

وتدمر هذه الفضيحة الفتاة واسرتها التي نجد ان عليها أن تغادر المدينة في صمت مهاجرة لفترة الى إحدى الدول الأفريقية .

وتقول « ريجين » إن هذه الرواية بمثابة يوميات سنوات الخمسينات ، حيث لم يكن للتليفزيون نفس درجة الانتشار . وكانت الأسرة شيئا مهما . والرأي العام وربما اكثر صرامة منه في ايامنا . حيث كنا نراقب الجيران باهتمام ـ ننتقد حركاتهم دائما . أما الآن فإننا لانشغل كثيرا بما يدور خارجنا . نحبس أنفسنا داخلنا بأسلوب او بآخر .. » .

وتعترف « ريجين » في احد احاديثها الصحفية لمجلة « ال » أنها قد كتبت رواية ذاتية . فهي قد عاشت نفس التجربة . ووجدت المدينة كلها تقف ضدها وحدها ، يسودها الخزي .. فلجأت الى الهرب » .

أما روايتها « ثورة الراهبات » فإنها تصوغها في اطار تاريخي حيث ترجع الى عام ٥٨٩ الميلادي . وهو نفس العام الذي تم فيه انشاء اول دير للنساء في الغرب . فقد اقيم الدير في منطقة منعزلة تحوطها غابة كثيفة تملؤها الذئاب التي تعوي طيلة الليل . ويحدث أن تموت الراهبة الأم . وتحث إحدى الراهبات زميلاتها على التحرر على هذا النوع من الحياة .. وتهرب « فاندا » وهذا هو اسمها ـ إلى الغابة المليئة بالذئاب .. تجتاز الغابة وسط متاعب جمة بالغة القسوة حتى يمكنها أن تصل الى اقرب قرية بعض زميلاتها يؤثرن العودة .. لكن بعضهن الآخر يستطيع اجتياز الغابة .

وتقول الكاتبة إن هذه ليست المحاولة الأولى للهروب من نفس الدير ولكنها تكررت بعد ذلك مرات عديدة في التاريخ .

اما روايتها « حكايات ضالة » التي قدمتها الى السينما بعد نشرها فإنها تتحدث عنها قائلة : « كنت خائفة دائما من الوسط السينمائي . وكنت على حق . فهو وسط مخيف . لايتحدثون فيه الا عن المال . وقد اخرجت فيلمي بطريقة بالغة السوء . فقد كنت على غير دراية بالتقنيات السينمائية اللازمة . ولم اخرج الفيلم مثلما كان يجب على أن افعل » . كما أنها تقول انها قد شاهدت الفيلم يوما في مونتريال بكندا فشعرت بالخجل من هذا المستوى الوضيع . ولذلك فانها لم تفكر ان تكرر التجربة . ورفضت إخراج فيلم روائي آخر عندما عرضت عليها الفكرة .

أما احدث رواية نشرتها الكاتبة بعنوان « الدراجة الزرقاء » فكانت محاولة لتقليد





رواية « ذهب مع الريح » لمرجريت ميشيل .. وهذه الرواية تدور احداثها اثناء الحرب الاهلية فى الولايات المتحدة بين الشماليين والجنوبيين . وتختار « مارجريت » أربع شخصيات هم « سكارليت أوهارا » التى تحب الرجل الوسيم « أشلى » الذى يفضل فى نفس الوقت ابنة عمها « ميلانى » اما « تريت بطلر »فانه يطاردها ويتزوجها ويصبح ثريا من الحرب مثلما تثرى « سكارليت » .. أما رواية « ريجين » فإنها تدور فى فرنسا إبان الحرب العالمية الثانية ، واثناء الاحتلال النازى لباريس .. هناك الفتاة الجسورة « ليا » التى تعيش حياتها وسط الرجال تخلب أبابهم ، لكنها لاتحب سوى « لوران » الرجل الوسيم الذى لايميل اليها ، ولكنه يحب ابنة العم « كاميل » .. امراة رقيقة رائعة .. ويسعى الى الزواج بها قبل ان يتم استدعاؤه للحرب .. اما على هامش هـذه الشخصيـات فيـعيش « فرانسواتافرنية » الميكيا فيللى السلوك . والذى يسعى لامتلاك « ليا » باى وسيلة ..

وتصور الكاتبة كيف خرجت العائلات الفرنسية من المدينة بعد ان غزتها القوات النازية . وتسعى « ليا » لكسب الاموال من هذه العائلات فتصبح ثرية .. وتتزوج من « فرانسوا » لكنها تحن الى الرجل الذى تحبـه .. إنها اقـل احساسـا من « سكارليت » لكنها اكثر ذكاء .. اما « نافرنييه » فهو اقل طموحا من « بطلر » .. إنها شخصيات تنتمى الى البرجوازية الفرنسية وهى ضحية لمصيرها الذى اختارته لنفسها . فإذا كانت « سكارليت » ضحية للشماليين . فإن « ليا » ضحية للوحشية النازية ..

وعن علاقتها بالكتابة تتحدث ريجين فى مجلة « لونوفيل اوبسر فاتور » فى العدد الذى أصدرته عن الأدب النسوى (١٥ ابريل ١٩٨٣) : « كل كتاب هو انتصار لى . اشعر بسعادة بالغة وانا انشر مسودتى أمامى . أجد نفسى أمام مراة . وعندما اكتب كلمة « الختام » فإننى لاأعود اليها . وكأننى أنزع نفسى من كل هذا الزمان » .

« الكتابة مهنة خطيرة . لقد قال (فرنانديز) إن الكتابة أشبه بالدخول الى الزنزانة ! اتخيل أنى وسط الآخرين . احمل كتابا والعن كل العالم ! تعوزنى انانية متوحشة كى اكتب . نحن لانزعج الرجل حين يكتب . ونبدو صامتين ازاء عبقريته . اما عن عبقريتى فإنها عبقريتى الأسرية التى تسعى لحماية الأسرة . اكتب لأن الكتابة تسبب لى المتعة فى أن اكون مغرية . أشعر احيانا أننى أعبر بحر المانش سباحة وأعود بسرعة وانا أبذل قصارى جهدى » .

وحول سؤال مما يمثل الرجل بالنسبة لها تقول : « لاادرى . فان اكون عاشقة أشبه بحجر صلد يهوى من الطابق الخامس . فالمهم هو السمات التى نعرفه بها : والأسلوب الذى يتحدث به . أحب الرجال قليلا . واشاركهم دائما حب قراءة الكتب . قيل انني سوف أعشق شابا يصغرنى بسنوات وانا لاأعتقد هذا » .

الوجه الآخر..

● رد على مقال الدكتور: حامد النساج

د . محمود الحسيني

● ماكنت أحب أن أقف من الاستاذ الدكتور سيد حامد النساج هذا الموقف الذي اقفه الآن .. لكنه وضعني في موقف حرج وأمام اختيار صعب .. فإما أن التزم الصمت ، وعندئذ تلصق بي التهم ، وإما أن أرد فأبرىء نفسي وأدفع عنها تهمة « النقل » و « السرقة » و « السطو » . ولم يكن أمامي مفر من الاختيار الثاني ...

والمقال الذي خرج به علينا الدكتور النساج في عدد يناير ١٩٨٥ من مجلة « الهلال » لم يكن مفاجأة لي ، ولا امرا مستغربا . بل المستغرب أن يتأخر المقال ما يقرب من العام منذ اهديته نسخة من كتابي « الاتجاهات الواقعية في القصة المصرية القصيرة (حتى عام ١٩٨٠) دراسة في المضمون والبناء الفني . وسبب هذا التوقع أن الدكتور النساج لم يسلم من هجومه باحث تطرق إلى القصة القصيرة - باستثناء القليلين - منهم أساتذة كبار . وأكد هذا التوقع عندي ما أوردته بكتابي من نقد موضوعي لكتابيه الذي يدعي انني نقلت منهما .. كما خالفت منهجه ونقدته في صفحة ٢٦٧ من كتابي وصححت له معلومة في الهامش رقم (١ بصفحة ٢٤ من كتابي مما جعله منفعلا حادا .

ماذا نقول في مثل هذه العبارات التي وردت في مقاله : « ماالجديد ؟ .. أين النقد ؟ **لاشيء على الاطلاق** » - « نبحث عن تصوره العلمي للاتجاه الواقعي » **فلا نجد** ، وحديثه عن المنفلوطي **كله منقول بالحرف** » - « **إنه لم يضف حرفا ولافكرة ولامنهجا ولاقصة ولاشخصية ولامرحلة** » - « إنه اقتنص مادته **جميعا** من كتاب اتجاهات القصة المصرية القصيرة » - « وكل الذي شغله وركز فيه جهده وحصر فيه اهتمامه انه غير في المصطلح كلمة واحدة » .. وغير هذا كثير .. هذا هو المنهج العلمي الذي ينقد به بحثا علميا .

وحتى لا اثقل على القارىء .. تعالوا بنا نفند الادعاءات التي وردت بمقاله ..

● يقول السيد الدكتور « المثير للدهشة حقا أن ما أقدم عليه شيء سافر واضح ولايخفى على أحد لدرجة أن طلاب السنة الاعدادية في إحدى الكليات الجامعية نبهوني إلى ذلك وادركوا **هذا العبث وتلك اللامبالاة** . يتساءلون إذا كان صاحب الرسالة قد نقل عن غيره حتى الآن ٢٥٤ صفحة في موضوع مسبوق عشرات المرات فلماذا أجازت الجامعة الرسالة ؟ ولماذا منحت صاحبها درجة الدكتوراه ؟ ... » فأية كلية تلك التي اتفق طلابها على

تلك الحقائق وعلى الرقم نفسه ٢٥٤ صفحة ، والكتاب لم يقرر أصلا على طلبتى فضلا عن طلاب الكليات الاخرى . ومن الذى أدرى هؤلاء الطلاب بأن الكتاب كان فى الأصل رسالة جامعية ؟ وهل كان الطلاب يطالعون معه الكتاب صفحة صفحة حتى يقولوا : « قد نقل عن غيره حتى الآن ٢٥٤ صفحة » ؟ ولماذا لم يضف إلى هذا الرقم - نقلا عن الطلاب - الباب الثانى كله الذى سيدعى فيما بعد أنه منقول هو الآخر ؟ .

● يقول الاستاذ الدكتور أن على طالب الدكتوراه أن يبحث فى كليات الجامعات عن الرسائل والبحوث التى اختارت « نفس الموضوع » .. وقد نوقشت فى القصة القصيرة حول الاتجاه الواقعى رسائل كثيرة .. إلى أن يقول : « ولو أن صاحب الرسالة جهد نفسه قليلا فى سبيل معرفتها وكان صادقا مع نفسه لأدرك أن عددها كثير كثير » ثم يروح بعد ذلك يعدد كليات الجامعات المختلفة ليتمخض كل هذا الكلام فى النهاية عن رسالة واحدة ، هناك رسالة الدكتور السعيد الورقى اتجاهات القصة القصيرة فى الأدب العربى المعاصر »

● أما الكلام عن « الطابع الشمولى والخط الاشتراكى التقدمى » واصرارى - كما يقول - على عام ١٩٦١ ، لانه توقف فى كتابه عند هذا العام نفسه . فالرد عليه ، اننى رأيت من خلال المعالجة الفنية لقصص الواقعية الاشتراكية ، انها تنقسم قسمين : محاولات اولية للواقعية الاشتراكية . ثم تعميق التجربة الاشتراكية عند يوسف أدريس . أن المحاولات الاولية عند عام ١٩٦١ ، وجعلت سعد مكاوى والشرقاوى والخميسى نماذج لهذه المحاولات . ثم جعلت يوسف ادريس مثالا للمرحلة الثانية ومثلت له بقصص حتى عام ١٩٧١ ولو اننى لم افصل بين المرحلتين واعتمدت على مجرد السرد ، كما فعل فى كتابيه ، لما وجدت فرصة لهذه المزايدة .

● اما قوله : « واغلب الظن أن صاحب هذه الرسالة - الكتاب ووجه بنقد متزايد من هنا ومن هناك بأنه لم يزد عن كونه لخص رسالتين لباحث سبقه . فكانت إجابته إلقاء اللوم على الأستاذ الذى أشرف على رسالته ادعى عليه بأنه حذف فصلا كاملا عن التيارات الحديثة فى كتابه القصة وقد أكد هذا الزعم من خلال حلقة من حلقات برنامج (مع النقاد) اذاعه البرنامج الثانى ، فعلى الرغم من المنهج الظنى والحدس والتخمين الذى لجأ إليه . والذى يتنافى مع المنهج العلمى السليم ، وعلى الرغم من أننى لم اذكر فى الحلقة التى اشار إليها ما ادعاه .. على الرغم من ذلك فإننى حذفت بالفعل فصلا عن التيارات الحديثة فى القصة القصيرة ، وصلت فيه إلى قصص محمد حافظ رجب ومجيد طوبيا واحمد هاشم الشريف وأحمد الشيخ .. وغيرهم . وهذا الجزء المحذوف موجود بأصل الرسالة فى صفحات : ٨٨ : ٩٧ (الأدب بين الواقعية وما فوق الواقع) - ٤٢٧ - ٤٤٩ (القصة القصيرة بين الواقع وما فوق الواقع) - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥١٧ - ٥١٨ ..

● ويقول الدكتور بأن إشارتى إلى الفلسفات والمذاهب الادبية والكتاب والنقاد الاوروبيين اعتمدت « كلها » على غرار كتاب الدكتور انور لوقا عن (بلزاك) الصادر عن سلسلة المكتبة الثقافية » . وهو يقصد الجزء الخاص بالواقعية فى الأدب . أى الصفحات ٥٢ : ٩٩ التى لم يحددها فعلى الرغم من ان رجوعى لكتاب الدكتور انور لوقا كان فى معلومة هامشية خاصة ببيان تاريخ مولد ووفاة بلزاك فان رجوعى إليه لدليل قاطع على امانتى العلمية .

لقد رجعت إلى ٣٥ مرجعا عدا الدوريات ، سأكتفى بذكر بعض مؤلفيها . الاساتذة : د . محمد مندور ، د . محمد غنيمى هلال د . محمد على ابو ريان ، د . محمد زكى العشماوى ، د . على سامى النشار ، د . عز الدين اسماعيل ، د . صلاح فضل ، د . كمال عيد ، د . محمد مصطفى هداره ، الشرباشى ، فنكلشتين ، فان تيجم سوتشكوف ، اوكنور ، الفريد كازن . لوكاتس . لنيشر . سارتر ... وغيرهم .

● مثال آخر .. تحت عنوان « الدكتور ينسى .. من اننى نسيت اننى ملتزم بدراسة اتجاه معين فى فترة زمنية معينة : « لا تخرج الصفات من ١٢٥ : ١٤٠ عن هذه الكتب الأربعة » . وأولى الاعاءات نقطة تتصل بالمنهج الذى يخالف منهجه فى كتابيه تماما ، وكان أولى بى الا ارد عليه فيها .. ومع ذلك اقول : لم انس .. بل أحاول أن اثبت ان « الأشكال القصصية القصيرة فى تراثنا العربى كانت تميل إلى الواقع وتقترب من التفكير العقلى مما سيجعل كتاب القصة القصيرة فى مصر فى مراحل تالية اكثر تقبلا للواقعية وسيظهر ذلك واضحا فى بواكير القصة القصيرة » . وثانى الادعاءات قوله باننى تناولت ماسبق لغيرى الخ . وبعد ان لجأ إلى المنهج الظنى باستخدامه حرف التخيير او ، يؤكد فى حدة وصرامة . « لا تخرج الصفحات من ١٢٥ - ١٤٠ عن هذه الكتب الأربعة » وأؤكد باننى لم ارجع إلى اى من هذه الكتب الاربعة باستثناء كتاب محمود تيمور والذى اثبته فى الهامش رقم (١) ص ١٢٦ .

والأدهى انه يذكر أربعة مراجع لم ارجع اليها باستثناء كتاب تيمور . كما اوضحت . ويترك ١٨ مرجعا رجعت إليها فى هذا الجزء واثبتها فى الهوامش . فلماذا إذن لا أذكر كتابك ؟ »

قبل الخوض فيما ادعاه من مواطن النقل ، ينبغى أن نشير إلى عدة نقاط هامة :

■ أنه حاول إيهام القارىء بالنقل او السرقة (اللذين يلتبس فهمهما عليه) بتعداد صفحات بعينها أحيانا مرتبة وأحيانا غير مرتبة . وفى بعض المواضع يحدد فيها مواطن النقل من الكتابين (بذكر ارقام الصفحات) وأحيانا يذكر ارقام الصفحات من كتاب واحد ولا يحدد صفحات الكتاب الآخر . وأحيانا لايشير الى أرقام الصفحات فى الكتابين .

■ يحتم المنهج العلمى أن نسقط من حسابنا المواضع التى لم يحدد فيها ارقام الصفحات فى الكتابين . المنقول والمنقول منه ، وأن اكتفى بالرد على المواضع المحددة لأثبت كذب الادعاء .. لكنى مع ذلك سأشير إلى المواضع غير المحددة بالأرقام إمعانا منى فى اثبات كذب الادعاء ..

■ حاول أن يحول القضية فى كثير من

مواضع الادعاء من ادعاء النقل إلى محاولة المقارنة بين كتابى وكتابيه .. وهى محاولة ظالمة لأن كتابه الأول (تطور فن القصة) مجرد رصد تاريخى لتطور القصة القصيرة ، ولأن كتابه الثانى (اتجاهات القصة) يتناول كل اتجاهات القصة القصيرة ، وحتى تقسيمه لها كان تقسيما خاطئا (كما أشرت إلى ذلك فى كتابى) . أما كتابى فأنه يتناول الواقعية فقط بأتجاهاتها المختلفة من تسجيلية وتحليلية واشتراكية وفكرية وما فوق الواقع (وهو الجزء المحذوف من الكتاب) .

وتعالوا بنا ـ نستعرض مواضع النقل هذه ..

● من أمثلة ادعائه النقل ، قوله : (وحديثه عن المنفلوطى كله منقول بالحرف من (تطور فن القصة القصيرة فى مصر) حتى أن القصص التى استشهد بها هى نفسها القصص التى نقلها ، وهذه العبارة الصارمة لا تعنى إلا شيئا واحدا ، هو اننى وضعت أمامى كتابه ورحت أقرأ فيه وانقل منه كلمة كلمة ونقول لقد كان الدكتور النساج يؤرخ فى الجزء الخاص بالمنفلوطى لحركة الترجمة ، مجرد تأريخ فى أربع صفحات ، ثم أعاد الحديث فى ١٢ صفحة .. بينما رحت ـ أتلمس المنفلوطى فى صفحتين لأثبت أن القصة فى مرحلة الارهاصات كانت إلى جانب سمات الرومانسية الواضحة فيها إرهاصا للقصة الواقعية التى ستظهر فى مرحلة تالية هى مرحلة البواكير . فماذا قال الدكتور عن المنفلوطى ؟ راح يتحدث عن أعمال المنفلوطى . وفى الجزء الثانى (٧٤ : ٨٥) راح يقارن بين القصة عند صالح حمدى حماد والمنفلوطى ، ثم تناول العبرات مرة أخرى (وهاهو يعيد ويكرر ... مصادفة ودون أن نتعقب كتابه .. وهو يأخذه على) وبالمرة يعرج على اشعاره ويحللها (وكتابه عن القصة القصيرة لا عن الرواية أو الشعر) . وفى تناوله التحليلى « الفنى » لقصص العبرات يكتفى فقط بذكر عناوين القصص :

ثم يروح يلخص قصة الحجاب ، وقصة الهاوية وينقل منها فقرات كاملة . اما فى الجزء الأول ، فقد اكتفى بذكر عناوين قصص العبرات واكتفى بهذه الاشارة . وفى كتابى ، دخلت مباشرة فى التحليل الفنى لقصصه الأربع التى أشار إلى عناوينها ..

وموضع الاتفاق بيننا أننى ذكرت فى خمسة أسطر مامعناه أن المنفلوطى لم يكن يعرف لغة أجنبية فكانت تنقل إليه الفكرة ويقوم هو بترجمتها ، وهى معلومة يعرفها كل الدارسين وغير الدارسين .. قلت : « ولعل هذا يفسر لنا ما يتردد بين النقاد من أن المنفلوطى لم يعرف لغة أجنبية ... » لأعلل بها ما أخذته على قصصه فى أثناء معالجتى الفنية التحليلية لها ..

● ثم يقول : « وكذا حديثه عن إرهاصات القصة القصيرة الموضوعة منقول كله عن (تطور فن القصة فى مصر) وعن (القصة القصيرة فى مصر منذ نشأتها حتى ١٩٣٠) .

فى كتابى تحدثت تحت عنوان « إرهاصات القصة القصيرة الموضوعة » عن القصة القصيرة فقط لكتاب تلك المرحلة . وعند حديثى عن النديم الذى

اشترك معه فى الحديث عنه نقده الدكتور مكتفيا بقوله « كان يضفى على مقالاته الاجتماعية الاصلاحية جو القصة » رحت اناقش ماكتبه الأساتذة : عباس خضر ومحمد عبد الغنى ود . ماهر حسن فهمى نقاشا علميا لأثبت أن « النديم كان على رأس أصحاب هذه المحاولات الأولى لكتابة القصة القصيرة » وأنه كان « أول من مهد الطريق للكتابة الواقعية فى القصة القصيرة » رغم سذاجة المعالجة الفنية .

● من امثلة أدعاءات النقل ، التى حدد فيها أرقام الصفحات فى الكتابين ادعاؤه بأن ص ٢٦٦ من كتابى منقولة من ص ٢٠٧ وما بعدها من كتابه (اتجاهات القصة المصرية القصيرة) والغريب انه يذكر ص ٢٦٦ من كتابى ولا يذكر الصفحة التى بعدها ، حيث أتناول منهجى فى تقسيم الواقعية إلى اتجاهاتها ، ففى ص ٢٦٧ أخالفه فى منهجه وانقده فيه . كيف أنقل منه شيئا انقده وأخالفه فيه واوضح خطأه المنهجى ؟!!

● وقل مثل ذلك ، عن ادعاءاته فيما يخص عبد الرحمن الخميسى فنجده يبدأ بالحديث عن الرومانسية بعامة ، ثم الرومانسية عند سعد مكاوى ، والشرقاوى ، ثم حياة الخميسى ودراسته ، ثم يعرج على مكسيم جوركى ، ويذكر لنا بالمرة حياته ومقالاته وعقائده (مكسيم جوركى وليس الخميسى) .. ليعود بعد ذلك فيتحدث عن الرومانسية الجديدة فى أوربا وخصائصها .. يعود بعد ذلك للرومانسية عند الخميسى وتأثيره بالشاعر خليل مطران ، ثم يتحدث عن شعر الخميسى ، ثم تلخيصا لاحدى قصصه ، ثم يوضح العلاقة بين الخميسى و « روبرت أوين » وفى حديثى عن الخميسى لا أذكر شيئا من ذلك .. بل أتناول قصصه الكثيرة بالتحليل والدراسة مستشفا مضامين قصصه فى حين أتخذه مثالا للمحاولات الأولى للواقعية الاشتراكية .. فهل هذا نقل أو سطو أم شيء آخر ؟ .

● وينهى الدكتور النساج حديثه بأن الباب الأول من كتابى منقول عن « تطور فن القصة القصيرة فى مصر » وأن الباب الثانى منقول عن كتابه « اتجاهات القصة المصرية القصيرة » ! ! فماذا يقول عن الثالث فى كتابى والذى جعلت عنوانه « الشكل الفنى فى القصة القصيرة الواقعية » ص ٤٦٧ : ٥٢٦ والذى أغفله تماما ؟ وبعد ..

● فاشكر لك هذا الجهد المضنى الذى بذلته فى قراءة كتابى .. وفتحك لباب الحوار ، ولا أدعى ان كتابى او رسالتى كاملة .. فالكمال لله وحده .. وكان يمكنك أن تنقده نقدا موضوعيا ، ولاشك أنك كنت ستقع على كثير من المآخذ ، التى أخذها على السادة الأساتذة المناقشون فى مناقشة علنية استمرت خمس ساعات ، لو انك تحريت الدقة العلمية ولم تخلط بين مآثرك العلمية وريادتك - التى نعترف بها - وبين النقد الموضوعى الجاد الملتزم حول رسالة علمية أشرف عليها أستاذ فاضل قدير ، وناقشها أساتذة فضلاء لهم وزنهم وثقلهم العلمى .. أشادوا بها ، واثنوا عليها ، واعتبروها إضافة جديدة إلى الدراسات النقدية ، ومنحونى عليها مرتبة الشرف الأولى . وكان أولى بك ان تتناول الكتاب وحده دون المساس بالرسالة فجامعاتنا بخير . ولجاننا العلمية بخير . وأساتذتنا وعلماؤنا بخير ومصر كلها بخير .



● الباحث ●

سمعته يسائل المياه
فى الكوب أو فى البئر
فى النهر أو فى البحر :
« ما السر ؟ »



ويسأل الأطفال فى الملاهى
ويسأل الآباء و الأعمام
« ما السر ؟ »
شد انتباهى
كأنه علامة استفهام

يُحدّث الأسوار والمبانى
يا بؤسه كم ، صابرا ، يعانى
هل تنطق الأحجار بالاجابة
وتمطر الحقائقَ السحابة ؟

ما السر
فى الزورق المعاب ... والغلام ... والجدار ؟!
السر عند الخضر
ينام فى خزانة الأسرار .

محمد محمد السنباطى
شبرا خيت

● الواقع الثقافى والجريمة الأدبية ●

● أنتشرت فى الفترة الأخيرة ظاهرة الجريمة الأدبية بشكل مرتفع سواء فى مجال تزوير الكتب أو السرقات الأدبية على مختلف اشكالها ولقد كان اغلب ضحايا هذه الجرائم أعمال الأدباء المصريين ولقد تصدى لهذه الظاهرة بعض المشتغلين بالصحافة الأدبية فى مجال النقد بحملة قوية دفعت كثيرا من الدول العربية إلى إعادة النظر فى قوانين الطبع والنشر للحفاظ على

حقوق المؤلفين ولكن مازالت هناك دور نشر كبرى تدور مطابعها ليل نهار على تزوير الكتب بغرض الكسب السريع متنكرة لحقوق المؤلفين وساعدهم على ذلك التطور الهائل فى أساليب الطباعة .

وانتقلت العدوى بعد ذلك لمدعى الانتساب إلى الادب إلى ان ينسبوا افكار غيرهم لأنفسهم دون أن يجدوا صعوبة فى ذلك او رادعا يردهم عن غيهم فانتقلت العدوى منهم إلى السطو على المؤلفات الجامعية !!

والمضحك أن بعضهم كما يقول المثل « يقتل القتيل ويسير فى جنازته » وهذا ماحدث من أحدهم حين راح يصرخ فى كلمته الذى جعل عنوانها « سؤال الى من يهمه الأمر » وراح ينعى حال الثقافة واتهم إثنين من الأدباء الذين يعرف قدرهم بالسرقة الأدبية .

واصبح الواقع الثقافى الآن مابين هؤلاء وهؤلاء كالمخبول الذى لايعرف رأسه من رجليه ومازالت حروف المطابع ترتكب جرائمها ومازال المزورون والمزيفون يعيثون فى الفكر فساداً !! ولا حياة لمن تنادى !!

صبرى عبدالله قنديل

• السَّمَّان •

السمان الراحل فى الليلات
الذابلة الأغصان
يهرب من قدر الله إلى قدر الله
ويعبر بوابات الظلمة والنور
وغبش الأحزان
متوجسة فى عينيه الأحلام
يغالب ضعف جناحيه
وغضب الريح
وطول الرحلة فى أرض مجهولة
تتواثب عيناه إلى افق الشمس
ودفء الأحلام المأمولة
أترى تمهله الريح وكف الانسان
أم سيحاصره الجرح
فيسقط مغترباً
كالأمنية المقتولة !
• • •
قدر السمان
أن يرحل مثلى



ثم يموت على باب البستان

مصطفى غنيم
شبراخيت

● صرخة ●

زعموا بأن العصر عصر العلم والعلياء
كذبوا فإن العصر عصر الجهل والظلماء
دجل " خداع ظاهر " إلا على الدهماء
فى ارض افريقيا يعض الصخر فى الظلماء
كالطائر المحموم بات على الطوى والداء
وكلابكم أكلت طعاماً فاخرا كالشاء
ياليتها أكلت لحوم الناس فى الصحراء
لتريحهم من هذه الدنيا بلا استثناء
قالوا وضعنا للحقوق قواعداً للرائى
ماقلتمُ إلا عواء أو صفير هواء
ومتى يكون الحق ميّتا فى بطون خواء
ماانتمُ إلا سياطا فى يد الغلواء
تجنون كل صغيرة وكبيرة بدهاء
نظرات ذاك الطفل فى جنح الدجى بشقاء
نظراته ستكون شاهدة على الكبراء
ستكون ناراً او شناراً أو رءوس بلاء
سيدمر الاعصار كل خميلة غناء
والمال كل المال كل المال ذهب هباء

عامر محمد عبد الحميد — كوم الدرب . س م . المنصورة

● لحظة الظلام ●

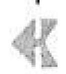
● كانت زوجتى تحل شعرها أمام المرآة وهى تتزين . تطوحه على كتفيها العاريتين . بدت فى عينى كمُهْرَة صغيرة شقية ترنو إلى فارسها . ضوء (الأباجوره) الوردى يفرش ظلاً خفيفا على السقف والحوائط المصقولة .. كان الليل غريبا هذا المساء .. يختبىء خلف النافذة اعرف أنه

بعيد الغور .. موحش وحزين .. اخاف ظلمته ان تلفنى فى عباءتها وتلقى بى فى غياهب جب سحيق ...

زوجتى مشاكسة لكنها ودودة .. قفزت جانبى على الفراش . سحبت السيجاره من بين شفتى باصابعها .. بسحقت راسها المتاجج فى قاع المطفأة الخزفى ... لم أتحرك عندما مالت براسها على صدرى برفق . شممت عطرها وانفاسها الملتهبة لما أدارت بأصابعها وجهى ناحيتها كان ساعداى متصالبين تحت راسى الملتهب كإشارة تحذير غرست قبالة « مزلقان » خطر .. كان رأسى محموما .. المستوطنون اليهود من جماعة (جوش امونيم) يقتحمون مخيم (طو لكرم) .. يطلقون الرصاص فى كل اتجاه بعشوائية مقصودة سقط شاب لم يتجاوز العشرين .. اصيب العشرات بجراح خطيرة ولولت ام عجوز ورفعت يديها على غطاء راسها الابيض .. رنا رجل عجوز ببصره .. بدا ظهره المقوس مثقلا بحمولة اعوام عجاف من الاحتلال لم اتحرك .. كانت زوجتى ساخنة .. تأودت .. تنهدت من جوف الصدر . احاطتنى بذراعيها .. حدقت فى عينى بسخرية طفولية كان اطفال المخيم قد قذفوا عربات الجنود بالحجارة فحطموا زجاجها واشعلوا النار فى الاطارات ...

سقطت الواح من زجاج ثلجى بارد بينى وبين زوجتى . صارت حوائط من الأسمنت والصلب .. خبطت كتفى بقبضة يدها بحنو وتصنّعتْ الغضب لما زمّتْ شفتيها وعينيها وابتعدت قليلا .. بدا غضبها جميلا رغم انى امقت الصلح المنفرد مع هؤلاء الصهاينة الأوغاد فلقد صرت اتحسس ملابسى وجسدى بعد اى صلح منفرد اخر ... لكن .. لعبة الحب الغاضب والصلح المنفرد معها كانت طقسا محببا لنفسى امارسه معها فى ساعات الصفاء .. ويحلوا لها هذا ... لكنى لم اتحرك .. (فجميلة) .. البنت الفلسطينية لما عادت لمخيم (شاتيلا) وجدت بيتها مهدما واباها المقعد مقتولا بجوار كرسيه المتحرك وامها كانت جثة هامدة لما حاولت الرجوع امسك بها احد المسلحين .. قادها إلى بيت قريب كان هناك اربعة آخرون .. مزقوا رداءها الأبيض .. تناوبوا عليها .. اغتصبوها جميعا ....

كانت زوجتى قد ادارت ظهرها لى وقالت (هه) وكورت جسدها . لحمها الأبيض المخنوق فى غلالة قميصها الضيق كان ينبض بحرارة الدم وشعرها الفاحم السواد سائبا بعشوائية مطلقة ... وذقن الحاخام (كاهانا) غزير الشعر . يمسك التوراة بيد ومكبرا صغيرا للصوت بيده الاخرى .. كان يصيح بصوت الأفعى عند باب قرية (أم الفحم) ـ ايها العرب . اخرجوا بحياتكم قبل ان نقتلكم . اختاروا الذهاب الى اى بلدتفضلون . سوف نساعدكم على





الرحيل . هذه أرض صهيون .. وكان يرفع التوراة ...
كانت أجسادهم متلاحمة وصلحوا فى وجهه :
ـ لن تمر من هنا إلا على جثثنا .. أيها المتعصب الأمريكي عد إلى بلدك وسوف نساعدك نحن على الرحيل..

كانت حوائط الزجاج الثلجى والصلب والاسمنت قد استطالت حتى رأسى تفجرت وتبعثرت شظايا حادة مدببة .. اغمضت عينى بقوة .. تجمعت الحوائط مرة اخرى فى قوائم أصلب وامتن .. لم أتحرك عندما استدارت هى عند طرف الفراش وعرت ساقيها .. كنت أحدق فى غلالة الضوء الوردى المرمى على السقف .. القتْ جَسَدَها فوقى وغَرستْ أسنانها بغيظ فى لحم كتفى .. لم اتحرك .. بوجل تحسست جبهتى الباردة المعروقة تسربت شحنة الدفء من جسدها المرمى فوقى الى فراغ الغرفة بسرعة كان ثوبى مبلولا بعرق غزير ..

كان رأسى محموما وانا أهذى .. طو لكرم .. صبرا وشتيلا أم الفحم .. جميلة ... كاهانا ....ولا اتحرك وهى تحدق فى وجهى بعينيها ينسكب منها الذعر .

محمد عبدالله الهادى

● الوهم ●

تـعبـنـا كثيـرا جـهـدنـا كثيـرا
وكـان حصـاد الـزمـان مـريـرا
تـولـت سنـون وجـاءت سنـون
ومـازال حلـم القلـوب أسيـرا
تـولـى سـرابـا إلـى حيـث غـاب
ولـم يـؤت بـعـدُ الجـواب الأخيـرا
وطـفـل الـروابـى بكـانـا ضيـاعـا
ومـازال يبكـى صـغيـرا كبيـرا
بـدمـع يـهـز حشـاشـات قلـب
سقـاه الحنـان الجبـان سـعيـرا
وولـى الأمـان وضـاع المكـان
وظـل الخضـوع علينـا أميـرا
سنمنـاك شـرقـا سئمنـاك غـربـا

وصار الذى نبتغيه كسيراً
كما شئت فاذهب وعد باغيا
وأسق العيون بكاء ضريراً
فكل البلايا وكل الرزايا
وأنت السفيه وكنت الغرورا
وما من حزانى وما من ثكالى
وأنت المعربد كنت المغيرا
ومازال يبكى على الأفق دمعا
لما أوهموه إليه أخيرا

صبرى عبدالله قنديل
كفر الزيات

● اقتراح بقانون ●

● برغم ان هناك كتابا جددا فى الهلال نشتاق ونسعد بكل مايكتبون وبرغم أن الهلال يحيط بشئون شتى وموضوعات متنوعة جداً إلا أنه ينقصه الحديث فى موضوعات قانونية ، ولا اقول القانون بالشكل الذى تدرسه فى كليات الحقوق . ولكن نريده فى شكل مبسط فالحياة فى العصر الحالى تحتاج إلى أن يفهم القراء بعض الموضوعات القانونية . فالقانون هو العمود الفقرى للحياة فى العصر الحديث . فنرجوا أن تستكتبوا أساتذة القانون ليشرحوا لنا وللقراء فى موضوعات مبسطة فى كل عدد عن فكرة قانونية تفيدهم فى حياتهم وفى اعتقادى أن كثيرا من القراء سوف يسعدون بهذا . هذا اقتراح ورجاء من صديق قديم للهلال انتظره اول كل شهر اسعد بلقائه واستفيد منه وجعلكم الله ذخرا للعلم والثقافة

فكرى رضوان
طالب بحقوق القاهرة

● **رجب عبد الحكيم بيومى عبد الجواد محمد الخولى ـ دار العلوم ـ الفرقة الثالثةالعبرى** .



ـ نهنئكم على معرفتكم بأسماء أجدادكم ، أما كتابكم الذى تريدون أن تنشره فى الهلال ، على حلقات ، كما تقولون ، فالهلال لاينشر كتبا على حلقات ، وقد سررنا لكثرة مؤلفاتك التى كتبت أسماءها لنا فى رسالتك وهى تختلف من الشعر إلى الزجل إلى القصة إلى المقالات الأدبية والدينية والاجتماعية والسياسية .. وسررنا كثيرا لقولك إنك قرأت حتى الآن أربعة آلاف كتاب عربى وأجنبى وثلاثة آلاف مجلة أدبية .. فهذا جهد جهيد نرجو



أن يؤتي ثماره !.. إلا أنه لايفوتنا أن ننبهكم إلى خطأ كلمة « الراسل » فلا تكتبوها مرة أخرى ، واكتبوا بدلا منها « المرسل » !..

● الى اصدقائنا ●

صفوت عبد العزيز بخيت ـ الثانوية التجارية ـ المنيا

ـ سنكم تشفع لكم فى الاغلاط النحوية واللغوية والعروضية والاملائية التى حفلت بها قصيدتكم التى سميتموها « لأجل الحب ».. حاول أن تقرأ وتتعلم كثيرا ، فلم يحن بعد أوان نشر إنتاجكم المبتدىء .

● عامر محمد عبد الحميد ـ كوم الدربى :

ـ نشكركم على قصيدة « الاسراء والمعراج ».. ونعتذر إليكم عن عدم نشرها لطولها ..

● أشرف صالح ـ كلية التربية بحلوان :

ـ قصتكم « شرط الحوار الصعب » تنم عن موهبتكم التى سوف تصقلها الدربة الطويلة والتمرس بفن القصة الذى يبدو سهلا ولكنه صعب فى الحقيقة .

● جودة بركات الطحاوى ـ بلبيس .

ـ قصيدتكم « لاشىء فينا تغير » تحتاج إلى إصلاح أخطاء نحوية ولغوية مثل قولك : « من مقلتانا » والصواب : « من مقلتينا ».. وقولك : « كان لصداها دويا » والصواب : « كان لصداها دوى ».. وهكذا .. أما الأوزان فبعضها صحيح والأغلبية ليست كذلك ، ولكنك بالدربة والصبر تستطيع أن تتخطى هذه الحواجز .. أما قصتك : « أحمدك يارب » فهى أيضا ليست قليلة الاخطاء : نحوا وصرفا ».. وينقصها فن القصة ، وهو غير « الحدوتة » .

● د. عبد الرحيم أبو بكر ـ كلية الآداب بالمنيا :

ـ محاولاتك الشعرية طيبة ، ولكن معرفتك بالأوزان تحتاج إلى الصبر الجميل وعدم التطلع إلى النشر قبل النضج ..

● منال صالح السيد ـ الاسكندرية :

ـ تبدأين قصيدتك بقولك « لغاسا كان متاهاه ، والصواب ، لقاؤنا ، اهتمي اكثر باللغة وعلومها فهي اداة التعبير في الشعر والنثر .. وقصيدتك هذه « نثر » نظرا لخلوها تماما من الأوزان .. حاولي مرة أخرى .

● الرفاعي عبد الحافظ عبده ـ طلخا

ـ قصتكم « الدكتاتورية بين أحضان الطبيعة » اقرب إلى التاملات منها إلى القصة .. وهي تاملات جميلة ، ولكن لايمكن وصفها بأنها قصة

● رضا عبد الرحمن شرابي ـ كلية اللغة العربية بالمنصورة .

ـ قصتكم « البلكونة » .. تقريرية التعبير ، وفن القصه شيء آخر . فاقرا كثيرا عنه ، واقرا فيه اكثر ، إذا كان في نيتك ان تواصل هذا الطريق ..

● قصتك « أين تذهب هذا المساء » والقصتان الاخريان ، تدل كلها على محبتك لفن القصة ، فنرجو أن تبلغ في هذا الفن ما تحب إن شاء الله .. فخذ نفسك فيه بالدربة الطويلة ، واهتم باللغة فإن قصصك تتناثر فيها اغلاط نحوية وصرفية وإملائية ..

● جمال محمد فرغلي ـ اسيوط :

ـ شعركم التفعيلي متميز النبرة جريء التعبير ، جيد في جملته ، ولكنك تطرق موضوعات لاتمكننا من نشر كلامك ، فحاول أن تجد أفكارا مشتركة بينك وبين الناس ..

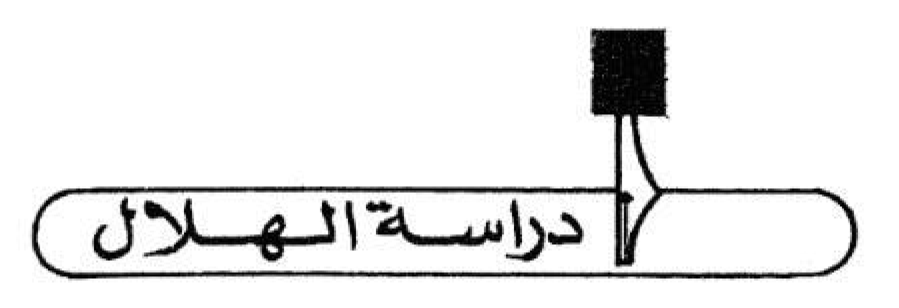
● رفعت محمد بروبي ـ سوهاج :

ـ أنت تقول في قصيدتك « حتى لاتظلميني » :

إن طفت مرة بالديار وجدتها
اطلالا يعلوها سحاب وغيم
لئن انسيت حبك كيف تظنني
ابدو كثار لايراق له دم

وهذا كلام مكسور الأوزان ، والأبيات الأخرى أشد كسرا ، فضلا عن أخطاء اللغة .. حاول أن تقرا وتعلم نفسك ، فذلك هو المهم والأهم ، وليس النشر !..

● ونشكر اصدقاءنا ونعتذر إليهم لضيق المجال ، وننوه باسمائهم :
رمضان الهجرسي .. حسن سيد علي .. أحمد عبد الهادي علي .. عاصم فريد البرقوقي .. احمد عبد اللاه رفاعي .. عمر غراب .. محمد فتحي متولي .. عشرى عبد الرحيم عبد الغني .. محمود مغربي .. حسن المنشاوي .. مجدي عبد الهادي هاشم .. محمود محمود العبيسي .. أحمد عبد العظيم احمد .. فؤاد سليمان معتم .. محمد محمد الجندي .. اشرف صالح محمد سلام ..



كيف يتوافق الأبناء مع الآباء؟

● أطفالنا.. متمردون.. أنانيون مخربون.. لأنهم مظلومون.. كيف؟!

● ممنوعون حق المناقشة، ومحرومون من الرأى.. ولايجدون القدوة.. إلى متى؟!

رسالة دكتوراه تعالج اتجاهات الأطفال نحو الجماعة .

بقلم توفيق حنا

حقيقة لاينكرها احد على الاطلاق .. أطفالنا بصراحة مظلومون فى هذا الزمن الصعب !!

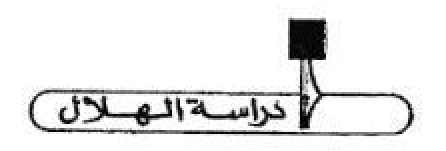
لاتتوفر لهم الظروف النفسية الملائمة ، ولا تتحقق لهم الرعاية العائلية الكافية ، فلا المدرسة تقوم بواجبها ، ولا التليفزيون يقدم البرامج التى تناسبهم ، ولا يجدون فى المجتمع القيم والقدوة الصالحة والمثل العليا ثم ننسى كل هذه العوامل المؤثرة .



هذه مشكلة كل أسرة والتى تبحث عن حل ، وموضوع رسالة الدكتوراه التى تقدمت بها الدكتورة عفاف أحمد عويس المدرسة بكلية الآداب جامعة المنيا (تنمية اتجاهات الأطفال نحو العمل لمصلحة الجماعة وما يرتبط بهذه الاتجاهات من قيم اجتماعية يسعى المجتمع الى غرسها وتأكيدها فى وجدان الاطفال .

لقد حددت د . عفاف عويس الهدف من هذه الدراسة وهو « دراسة الاتجاه نحو العمل لمصلحة الجماعة لدى مجموعة من الأطفال الذكور والاناث من ١٢ ـ ١٢ سنة فى ضوء بعض المتغيرات النفسية والاجتماعية التى توقعت الباحثة وجود علاقة بينها وبين هذه الاتجاهات » .

وتحدد عفاف عويس هذه العوامل



- دراسة التكيف الشخصي والاجتماعي
- أساليب التنشئة الاجتماعية فيما يتعلق بأدوار الذكور والاناث .
- المستوى الاجتماعي والثقافي للأسرة .

العمل لمصلحة الجماعة

وتوضح الباحثة الأهمية العلمية التطبيقية لهذه الدراسة .. فهي مؤمنة بأن العلم يجب أن يستهدف بالضرورة العمل على تقدم ونمو ارتقاع المجتمع وأفراد الجماعة .. ليس هناك علم للعلم .. اذ مهما حلقت النظرية فلا بد أن يكون هدفها الأخير أن تصبح واقعا يجسدها وسيلة من وسائل التنمية في كل أشكال وصور وتحققات التنمية .

تقول عفاف عويس عن هذه الدراسة إنها « إسهام علمي داخل نطاق الاهتمام بقضايا التنمية » وتقول إن « مفهوم التنمية مفهوم اقتصادى المنشأ إلا انه يرتبط بعلم النفس ارتباطا جوهريا » وتقول إن « الانسان هو الغاية والهدف في قضية التنمية .. والأطفال هم الفئة الأساسية التي ينبغي أن يوجه إليها الاهتمام »

ثم توضح لنا الباحثة التي تتحمل مسئوليتها كفرد من افراد هذه الأسرة المصرية الكبيرة .. توضح لنا موضوع دراستها :

« العمل لمصلحة الجماعة هو عصب الحياة الاجتماعية التي ينبغي أن يوجه إليه الاهتمام في عملية التنشئة الاجتماعية للاطفال ، تلك التنشئة التي تلبي حاجة الأطفال الى تحمل المسئولية تجاه النفس وتجاه الأسرة والمدرسة والحي الذي يسكنون فيه .. والتي تدفعه نحو المشاركة الاجتماعية التي تتدرج من المستوى الخاص الى المستوى العام ، ومن العمل الفردي الى العمل الجماعي ... بهذا يستطيع الطفل أن ينمو ليصبح إيجابيا عن طريق التدرج في المشاركة الاجتماعية وعن طريق تأثير الجماعة .. كما يصبح متوافقا مع نفسه ومع مجتمعه »

نعم .. الهدف هو أن « يصبح الطفل متوافقا مع نفسه ومع مجتمعه »

هبوط القيم الأصيلة

ولكن ما الذي دفع الباحثة إلى اختيار موضوعها ؟

تقول د . عفاف أحمد عويس « دار الجدل في الفترة الأخيرة وبتركيز ملحوظ حول ضعف الاتجاه نحو العمل لمصلحة الجماعة ، وبالتالي هبوط القيم الأصيلة المرتبطة به وهي قيمة الانتماء كقيمة عليا ، وقيمة التعاون والغيرية والمسئولية الاجتماعية واحترام الملكية العامة »

ولكن لماذا ..

تجيب د . عفاف أحمد في رسالتها على السؤال ؟

● في مصر تكدست الفصول وعملت معظم المدارس الابتدائية والاعدادية

بنظام الفترتين والثلاث فترات فى اليوم الواحد .. » هذا سبب .

● خرجت الأم للعمل واضطر الأب الى العمل المضاعف الذى يجعله يتغيب عن المنزل لفترات طويلة » وهذا سبب آخر .

● التليفزيون .. يشاهد الأطفال ما يقدم للكبار ، وما يقدم لهم لا يصدر عن خطة واضحة تحدد ما يناسب الطفل وما لا يناسبه » وهذا سبب ثالث .

ولكن لم تذكر الباحثه شيئا عن عصر الانفتاح الذى كان وراء هذه الأسباب جميعا .. وكان وراء هذه الموجة من الاستهلاك الجشع الانانى ، وهذا التمزق للعلاقات الانسانية داخل الأسرة والمدارس والمجتمع جميعا .

تقول الباحثة :

« هذه الدراسة المصرية اسهام لفتح مجال الاهتمام امام الباحثين بهذا النوع من الدراسات التطبيقية التى تجرب مختلف الأساليب المؤدية إلى تنمية الطفل وتوافقه وهو مجال اهتمام يمثل ضرورة ملحة فى عصر نطلق عليه عصر التنمية »

وتقرر الباحثة :

« موضوع الدراسة يطرق مجالا جديدا فى دراسة تغيير الاتجاهات . ويواكب اتجاها جديدا فى الاهتمام باستخدام اساليب توضيح القيم لدى الأطفال »

وتقول عفاف عويس إن هذه الدراسة تعتبر أول دراسة تهتم بالمرحلة ١٢ ـ ١٣ سنة التى يبدأ فيها الطفل الاحتكام إلى رؤيته الذاتية فى تعامله مع الآخرين وعلاقاته بهم »

وتبرر الباحثة اختيارها لهذه السن (١٢ ـ ١٣ سنة) .

« تعتبر نهاية مرحلة الطفولة وبداية المراهقة ، السن المناسبة لتثبيت دعائم هذا الاتجاه ودفعه إلى الامام ، ذلك لأن الطفل فى هذه المرحلة يكون مهيئا لاستيعاب المعارف والأفكار والمدركات والمفاهيم التى تتعلق بالجماعة ، كما يكون مهيئا ايضا لبلورة رؤى خاصة به عن العالم المحيط .

مظاهر التخريب عند الأطفال

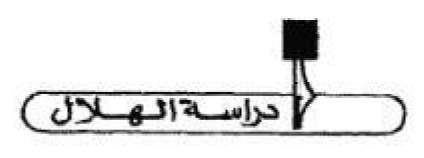
وتعدد الباحثة ابعاد هذا الاتجاه وهى التعاون وتقدير حاجات الجماعة وتقدير المسئولية الجماعية وتقدير الملكية العامة .. وهنا تقول الباحثة :

« وتبدو مظاهرة السلوك الذى يعبر عن عدم تقدير للملكية العامة بالنسبة للاطفال فى تخريب الأدوات المدرسية مثل المقاعد والجدران وعدم غلق صنابير المياه وعدم المحافظة على نظافة الفصل والفناء .. وخارج المدرسة تبدو مظاهر هذا السلوك فى تمزيق مقاعد وسائل النقل ودور السينما إفساد المساحة الخضراء فى الحدائق وعدم المحافظة على الكتب فى المكتبات العامة وعدم المحافظة على نظافة الشوارع وطرقات المساكن وأفنيتها »

والبعد الأخير لهذا الاتجاه هو تقدير البطولة (الجماعية الفردية) وتقول عفاف عويس :

« ترتبط البطولة عادة بالتضحية من أجل تحقيق هدف يعود على الشخص نفسه بالفائدة أو يعود على الجماعة .. والأطفال فى سن ١٢ ـ ١٣ سنة يتجهون إلى متابعة أخبار العظماء والمشاهير فى شتى المجالات ، ويقبلون على قراءة





القصص التى تتضمن بطولات فردية او جماعية »

.. ماذا لو حدث .. الاحباط؟

وتتناول د . عفاف احمد عويس فى الفصل الثانى من الرسالة مجالات الاهتمام فى دراسات الاتجاهات وعلاقتها بموضوع الدراسة ..

إن مفهوم الاتجاه ـ كما تقرر الباحثة ـ هو حجر الأساس فى علم النفس الاجتماعى ..

والاتجاه هو تعبير عن الاستعداد للاستجابة فى موقف معين .. ويقول Allport « الاتجاه حالة من الاستعداد العقلى العصبى تنظم خلال خبرة الشخص وتمارس تأثيرا توجيهيا أو ديناميكيا على استجابة الفرد نحو جميع الموضوعات »

ثم تحدثنا الباحثة عن العلاقة التى تربط الميول والاتجاهات والاهتمامات ..

وتقدم لنا العلاقة بين الاعتقاد والاتجاه والقيمة فى هذه الصورة المنطقية .

العرب كرماء .. اعتقاد
الكرم فضيلة .. قيمة
العرب فضلاء .. اتجاه

وتقول الباحثة إن « الاحباط الذى يصادفه الفرد عند سعيه لاشباع حاجاته النفسية كثيرا ما يجد متنفسا له فى أعمال عدوانية ، تبدو أنها تخفف من حالة الاحباط »

ألا تفسر لنا هذه الحقيقة كثيرا من حوادث الاغتيال والاختطاف والحرائق وكل ألوان التدمير والتخريب والحروب أيضا ..

لقد استعرضت د . عفاف أحمد عويس فى رسالتها أيضا البحوث السابقة وقدمت نماذج من الدراسات الخاصة لقياس الاتجاهات والقيم الاجتماعية للأطفال .. كما استعرضت طرق وتعديل الاتجاهات الاجتماعية للأطفال . ولكنها تقرر أن المقاييس المصرية التى تتعلق بالقيم الاجتماعية عند الأطفال لم تهتم بمرحلة العمر التى اختارتها وهى من ١٢ ـ ١٣ سنة (الأولى الاعدادية) .

الأطفال ممنوعون من المناقشة

لقد أعدت الباحثة ـ كما تقول ـ مقياسا خاصا بهذه الدراسة برغم أنها تقول بالحرف الواحد : « لا يوجد فى الدراسات العربية مقياس للاتجاهات الاجتماعية للأطفال » ولكن الباحثة تقرر أنها استفادت من المقياس الذى وضعه محمد سعيد فرج (١٩٧٨) لدراسة الأسس التوجيهية لقيم الأطفال ، كما استفادت من مقياس مصطفى فهمى ومحمد أحمد غالى وكذلك من مقياس سيد عثمان للمسئولية الاجتماعية

وتقرر الباحثة :

« مازالت طرق التربية التقليدية هى السائدة فى المنزل والمدرسة حيث يدفع الطفل دفعا إلى عدم المناقشة ورفض النقد والتعبير عن الرأى » .

وتعدد لنا الباحثة مظاهر الاتجاه نحو العمل لمصلحة الجماعة :



- الاهتمام بالآخرين .
- الميل نحو التعاون مع الآخرين ومساعدتهم والتضحية من أجلهم .
- تحمل المسئولية الجماعية .
- احترام الملكية العامة .
- احترام قوانين الجماعة وتقدير حاجاتها .
- تفضيل اللعب الجماعي .
- تقدير قيمة التفاعل الجماعي .

الدراسة على الطبيعة

- عينة الدراسة : لقد اختارت الباحثة مجموعة من الأطفال الذكور والاناث من ١٢ ـ ١٣ سنة والأطفال جميعا فى السنة الأولى الاعدادية ومتوسط أعمارهم ١٢ سنة و ٩ أشهر .. ومن منطقة سكنية واحدة (الهرم) ومن أربع مدارس .. مدرستين للبنين ومدرستين للبنات .. وعدد الأطفال ١١٠ تلاميذ وتلميذة كالآتى :

مدرسة اكتوبر تجريبية ٢٩
مدرسة الطالبية ضابطة ٢٧
٥٦ ذكور

مدرسة الهرم تجريبية ٢٦
مدرسة الطالبية ضابطة ٢٨
٥٤ إناث

البرنامج : استغرق تنفيذ البرنامج ثلاثة شهور (من ٦/١ الى ٤/٤/١٩٨٢) كما تضمن ٢٥ لقاء .. مرتين كل أسبوع واستغرق كل لقاء ساعة ونصف ساعة .. وبلغ العدد الكلى لساعات البرنامج ٣٧ ساعة ..

وتقول الباحثة : « أن تغيير او تنمية أى من الجوانب السلوكية المرغوبة ينبغى أن تتم فى اطار اتباع الاحتياجات النفسية للاطفال ...

وتقول الباحثة : « ان التغيير والتنمية يهدفان أساسا إلى إحداث الاتساق بين المعارف والوجدانات والسلوك المرتبطة بموضوع الاتجاه المراد تغييره أو تنميته » وتقرر أن سن ١٢ ـ ١٣ سنة هى مرحلة الاعداد للرشد وهى القنطرة التى يعبر بها الطفل إلى مرحلة النضج وهى مرحلة الدخول إلى عالم الأفكار والتصورات المنفصلة عن العالم الواقعى الحسى كما يقول عالم النفس الفرنسى بياجيه

حاجات النمو الاجتماعى



.. ولكن ماهى حاجات النمو



الاجتماعي .. تقول الباحثة إنها .

ـ الحاجة الى الحب والقبول الاجتماعي .

ـ الحاجة الى الأصدقاء .

ـ الحاجة الى الشعبية وإلى الانتماء إلى جماعات .

ـ الحاجة إلى إسعاد الآخرين .

ـ الحاجة إلى المركز والقيمة الاجتماعية والاعتراف من الآخرين .

ـ الحاجة إلى توسيع قاعدة الفكر والسلوك وتحصيل الحقائق وتفسيرها .

ـ الحاجة إلى الخبرات الجديدة .

ـ الحاجة إلى اشباع الذات عن طريق العمل والتعبير عن النفس والعمل نحو هدف .

الطفل المصري والطفل الأمريكي

إن البعض قد يتساءل إذا كانت السن الحضارية تتعلق بالمستوى الحضاري عند شعب من الشعوب مثلها مثل السن العقلية عند الأفراد .. فهل سن ١٢ ـ ١٣ سنة عند الطفل الأمريكي هي نفسها عند الطفل المصري في هذه السن التي اختارتها الباحثة ؟

وذلك لأن اغلب المراجع الأجنبية التي اعتمدت عليها الباحثة مراجع امريكية .. رغم ان الباحثة كانت على درجة من الوعي بحيث اختارت هذه العينة المصرية واختارت لها مقياسا خاصا اعدته بنفسها .. كما اعدت بنفسها بعض القصص واستفادت بقصص وضعها كتاب مصريون مثل يعقوب الشاروني وعبد التواب يوسف وكامل كيلاني وجميل يوسف ، كما اعتمدت على قصة من أجمل قصص هانز كريستيان اندرسون وهي « ملابس الامبراطور الجديدة » حكاية ماما لبنى ، كما استفادت من قصة لفيلم تسجيلي اعداد فريال كامل ..

كما اختارت الباحثة مشروع النظافة ليكون الهدف الذي ينفذ من خلال العمل الجماعي .. ونحن نعرف أن عدم النظافة هي اخطر مشكلة تواجه المدارس التي تعمل بنظام الفترتين .. وقد أستمر مشروع النظافة سبعة أيام .

اطفالنا .. محرومون .. كيف ؟

وجدير بنا قبل ان نعرف نتائج هذه الدراسة الجادة ان نسمع ما يقوله توفيق الحكيم صاحب « عودة الروح » أن نسمع ما يقوله في حديث الثلاثاء الذي نشر موخرا بالأهرام :

« ان الأهم والمتمشي مع إرادة الله في قرانه هو قبل كل شيء تحريك الفكر .. وبدونه لا يكون عندنا ابداع ، ولن يؤدي التعليم التلقيني الا إلى الجمود الذهني الذي يبقي بلادنا في ذلك الخمول والعجز عن القيام بأي إبداع أو كيف يؤهلنا لمسايرة التقدم » ثم يقول « هل كتب علينا ان نظل نستورد الأردية الجاهزة الحديثة في حاضرنا والأردية الجاهزة القديمة في ماضينا ؟ ..

اما في يومنا الذي نعيشه فليس لدينا الثقة في النفس ولا القوة في الارادة ولا

د . عفاف أحمد عويس .. والأطفال

اهتمت منذ تخرجها بمشاكل الأطفال فى المجتمع .

● حصلت على الماجستير عام ١٩٨٠ وكان موضوع الرسالة « تنمية القدرات الأبداعية للأطفال من خلال النشاط الدرامى الخلاق » .

● اشتركت مع الأستاذة الدكتورة رمزية الغريب فى مهرجان كامل كيلانى عام ١٩٨٢ ببحث عن « دور القصة فى إشباع حاجات الطفولة » .

● اشتركت فى مؤتمر الثقافة والاعلام فى مصر ببحث موضوعه « ثقافة الطفل بين الواقع والطموحات » .



القدرة على التفكير » والفضل فى كل ذلك لنظام التعليم الذى يقوم على التلقين ولا ينمى الفكر . ولا يفكر فى ثورة تعليمية أساسها الفكر وليس الحفظ . ولقد فهمنا الاستمرار والاستقرار على انه الاستمرار فى الجهل والاستمرار فيه » .

لقد انتهت الباحثة من دراستها التجريبية الى عدة نتائج اهمها :-

● أن الممارسة لأنماط السلوك التى ترتبط بالاتجاه المراد تغييره تؤدى إلى نتائج أكثر إيجابية من الاعتماد فقط على أساليب المناقشة والقرار الجماعى ، وأن المشاركة الفعلية الواقعية من جانب الأطفال تؤدى إلى وضوح الاتجاه .

● إن أطفالنا محرومون من الخبرات غير التحصيلية التى تهتم بهم كافراد ، والتى تجعلهم يستوضحون القيم والاتجاهات التى ثبتت فيهم بأساليب التلقين والترديد ، وهم محرومون من القدرة على التعبير والمشاركة فى موضوعات خارج نطاق المواد الدراسية التى يحفظونها ويرددونها .

● إن أطفالنا فى حاجة إلى نظم تربوية جديدة تجعلم يتعلمون ويقتنعون ويدهشون ويسعدون ويطلبون المزيد ، إنهم فى حاجة إلى المعلم الذى يتيح لهم فرص التعبير عن الذات والاستمتاع بالخبرات والتجول فى أعماق النفس .



أطفالنا فى حاجة إلى القدوة

- أن أطفالنا فى حاجة الى تغيير بعض الأساليب المتبعة فى معاملتهم سواء فى البيت أو فى المدرسة ، تلك الأساليب التقليدية التى تحرمهم من حرية الرأى والصراحة فى التعبير والتدريب على الأساليب المختلفة لحل المشكلات .

- إن التربية الوجدانية والاجتماعية للطفل تعد أيضا مطلبا أساسيا من مطالب التنمية التى ترتفع كشعار أساسى فى مجتمعنا فى الوقت الحاضر .

وأخيرا تقرر الباحثة أن هذه الدراسة تعتبر « بحث استكشاف نبت من واقع الظروف التى يمر بها المجتمع المصرى » .

لقد صممت د . عفاف أحمد عويس مقياس الاتجاه نحو العمل لمصلحة الجماعة من ثلاث صور :

أولا ١٣ موقفا لفظيا [اختيرت هذه المواقف مما يدور فى محيط الطفل وما يحدث فى علاقاته مع الآخرين فى الاسرة وفى المدرسة مع الأصدقاء مع الجيران وفى الحى السكنى وفى المجتمع ككل] .

ثانيا : ٦ مواقف مصورة بالرسم .

ثالثا : قصتان غير مكتملتين .

ولقد روعى فى اختيار العينة (١١٠ تلاميذ وتلميذة) التماثل فى المستوى الاجتماعى الاقتصادى الثقافى إلى جانب السن والجنس ومستوى التحصيل .

لقد كان من أهم التوصيات التى سجلتها الباحثة فى ختام دراستها .

- ضرورة الاهتمام بالجوانب الوجدانية والاجتماعية فى تربية الأطفال . كما يوصى بتطوير الأساليب التربوية الخاصة بها والبعد بها عن أساليب التلقين المتبعة فى تعليم المواد التحصيلية فاطفالنا فى حاجة إلى الخبرات التى تجعلهم يعبرون عن خبراتهم ومشكلاتهم وآمالهم وأمانيهم ، وهم فى حاجة إلى توضيح القيم التى انتقلت إليهم حسب المرحلة العمرية التى يمرون بها ، وهم فى حاجة الى أن يتدربوا على أساليب التعبير والمناقشة وابداء الرأى والتدريب على العمل الجماعى والانفتاح على الخبرة التى تجعلهم يعيشون مشكلات مجتمعهم ويسهمون فى حلها بالقدر الذى يتناسب مع سنهم وقدراتهم . وهم فى حاجة أخيرا الى الأشخاص القدوة الذين يتفقون فى سلوكهم مع ما يقدم للأطفال من معايير للسلوك المرغوب والذى غالبا ما يجد الأطفال أنه غير متحقق لدى الراشدين الذين يرتبطون بهم .

- لا يختص البيت أو المدرسة وحدهما بعبء التربية الوجدانية للاطفال . بل ان الأجهزة المعنية بإنتاج وسائل ثقافية للأطفال ينبغى أن تراعى فيما تنتجه ما يحتاج إليه المجتمع فى مراحل تغييره ، فتقدم للاطفال الوسائط التى تساعد على تكوين شخصياتهم بما يتلاءم مع الاهداف التى تتطلبها مواجهة هذا التغيير . وفى ختام رسالتها التى أشرفت عليها د . منيرة أحمد حلمى استاذ علم النفس بكلية البنات جامعة عين شمس سجلت الباحثة أسماء المراجع الأجنبية والعربية ، التى استعانت بها فى دراستها الجادة .

٣ ملاحظات

بقيت لى ٣ ملاحظات حول هذه الدراسة :

ـ الحقت الباحثة فى آخر الرسالة فى مجلد خاص ثلاثة ملاحق تتضمن المقاييس والبرنامج والنتائج .. وهذه الملاحظة تتعلق بالملحق رقم ٢ / ١٦ فلقد أزعجنى رداءة خط التلاميذ جميعا .. ولعل هذا يرجع الى عدم وجود حصة للخط العربى .. الا يوجد علاج لهذا العيب الخطير الذى يهدد علاقة الأطفال باللغة العربية ..

ـ الباحثة تملك موهبة واضحة لكتابة قصص الأطفال .. وأعجبتنى قصة « الأطفال يحكمون المدينة » غير المكتملة .. كم أود أن تكمل الباحثة هذه القصة .. أو تجعل منها موضوعا يشترك فى القيام به مجموعة من الأطفال ولتكن العينة هذه المرة فى إحدى المدارس المشتركة .. مع تنويع المشاكل التى يعالجها الأطفال .. والواقع أن المحبة والتعاون والنظام والمرح التى تسود ألعاب الأطفال يمكن أن تكون عناصر بناءه لتطبيق هذه التجربة التى قدمتها هذه الدراسة ..

ولعل الباحثة لو توفرت على دراسة « ألف ليلة وليلة » مثلا لأمكنها أن تختار من بين قصصها لكتابتها للأطفال ـ وبخاصة تلك القصص التى تعتبر رائدة فى قصص الخيال العلمى .. على أن تكون هذه المحاولات لونا من ألوان التطبيق على هذا البحث عن تنمية الاتجاه نحو العمل لمصلحة الجماعة .

ـ من بين المراجع التى اعتمدت عليها الباحثة رسالتان علميتان للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه من كلية البنات بجامعة عين شمس ومن قسم علم النفس .. وصاحب الرسالتين هو زوجها الدكتور محمد سلامه آدم ..

● رسالة الماجستير (١٩٧٧) وموضوعها : « دراسة مقارنة لاتجاه التحرر ـ المحافظة بين العمال والفلاحين » .

● ورسالة الدكتوراه (١٩٨٠) وموضوعها : « صراع الدور لدى المرأة العاملة ـ دراسة نفسية اجتماعية لتصور المرأة العاملة لدورها الاجتماعى فى ضوء بعض سمات الشخصية » .

كما أن للدكتور محمد سلامة آدم كتاب صدر عن دار المعارف عام ١٩٨٢ وموضوعه « المرأة بين البيت والعمل » .

... وهكذا يتعاون الزوجان العالمان محمد سلامه آدم وعفاف أحمد عويس فى إثراء المكتبة النفسية الاجتماعية المصرية من أجل مجتمعنا الكبير « مصر » والوطن العربى .

حياة الأسرة .. مشاركة

كيفية استعمال العازل الطبي "تبس"

اذا كنا قد ألقينا نظرة في موضوعاتنا السابقة على الظروف التي دعت الى تنظيم الأسرة والدعوة اليه .. وعرفنا من ذلك ان الدول التي تأخذ بالتخطيط منهجا لصنع حياتها قد اخذت بهذا الأسلوب ، سواء في ذلك الدول النامية او الدول المتقدمة وعرفنا ان الطفل في غير موعده يضر بالأسرة وبالدولة .. وآمنا باننا عندما نأخذ باسلوب تنظيم الأسرة .. فاننا نأخذ به ، ليس خوفا من فاقه ، وانما حفاظا على الطفل والأم معا ، وحفاظا على التوازن في المجتمع بين الموارد وبين السكان .. واذا كنا في المرحلة الماضية قد ألقينا العبء كله على المرأة وحدها .. وقلنا ان الرجل مطالب هو الآخر بان يشارك في تنظيم الأسرة .. وعرضنا في أحاديثنا الى الوسيلة المناسبة للرجل ، وهي العازل الطبي « تبس » وقلنا ان درجة الضمان والفاعلية فيه ترتفع لتصل الى ١٠٠ ٪ في بعض الحالات .. وهذه النسبة لا توجد في أى وسيلة اخرى وقلنا ان الوصول الى هذه النسبة يشترط فيه أن يكون الاستعمال منتظما وصحيحا .. وهنا يتبادر سؤال يقول .. ولكن ما هو الاستعمال الصحيح والامثل للعازل الطبي ؟ وتتلاحق الاسئلة حول كيفية استعمال العازل الطبي ؟ ومتى يرتدى العازل ؟ وهل يترك فراغ في نهايته بعد ارتدائه ؟ وهل ينتظر مستعمل العازل فترة بعد القذف ام ينسحب مباشرة ؟ وهل يعاد استعمال العبوة عدة مرات ؟

ونبدأ بالاجابة عن السؤال الأول .. وهو متى يجب ارتداء العازل ؟

والوضع الامثل لذلك ان يتم ارتداء العازل الطبي قبل حدوث الاتصال الجنسي نظرا لتعذر استعماله قبل حدوث القذف مباشرة .

واذا كان العازل يستعمل من اجل

الوقاية من الامراض فيجب فى هذه الحالة ارتداؤه قبل حدوث الاتصال الجنسي ، وذلك لأن الامراض التناسلية قد تنتقل بملامسة الاعضاء التناسلية مثل الهربس والزهرى وقد تنتقل بالاتصال الجنسي مثل السيلان وهناك سؤال اخر هام وهو .. هل يجب ان تترك مسافة خالية فى نهاية العازل الطبى ؟

نعم يجب ان تترك مسافة خالية في نهاية العازل وننصح بان يتم تفريغ هذه المسافة من الهواء كما يجب ان يتم تفريغ الانتفاخ من الهواء حتى لايحدث ضغط عند القذف يتسبب عنه انفجار العازل الطبى .. واذا كان هذا لم يحدث قبلا نتيجة التجارب التى اجريت على العازل الا اننا نقول بذلك زيادة فى الحيطة .

والسؤال الثالث .. هل يجب ان ينسحب الرجل فور حدوث القذف ؟

وينصح عادة بذلك حتى يمكن تفادى انسياب السائل المنوى من الطرف المفتوح من العازل الطبى بعد ارتخاء العضو الذكرى .. ولكن هناك بعض الاطباء ينصحون بعدم ضرورة ذلك ، وخصوصا اذا كان العازل مثبتاً بطريقة صحيحة .

وهناك سؤال آخير يقول :

هل يمكن استعمال العازل الطبى عدة مرات ؟

فى الحقيقة لاننصح بذلك . خاصة اذا كان العازل يستخدم من اجل الوقاية من الامراض .. اما اذا بحثت عنه ولم تجده واصبح من الضرورى استعماله مرة اخرى فيجب غسله جيدا بالماء ثم تجفيفه جيدا ورشه بالبودرة اذا امكن ويبرم حول فوهته المفتوحة ويحفظ فى مكان بارد وجاف داخل غلاف محكم . ولايستخدم اذا كان ملتصقا او لونه اصفر .

كيفية استعماله

- يجب ان يكون متوفرا وفى متناول اليد ويحفظ فى مكان بارد وجاف حتى يسهل استعماله عند اللزوم .
- عدم اختبار صلاحيته بنفخه بالهواء او مطه . وتجب معاملته برفق وعناية عند ارتدائه مع مراعاة الا تثقبه الاظافر الحادة .
- يجب ان يرتدى قبل حدوث اى اتصال جنسي .
- يرتدى العازل بفرده الى اعلى فوق العضو الذكرى .
- يمكن اضافة مزيد من المرونة للعازل وذلك بدهان السطح الخارجي للعازل بجيلى مانع للحمل او مادة اخرى قابلة للذوبان فى الماء .

ولنا لقاء آخر مع أسرة المستقبل فى العدد القادم .

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ، ١٢ عددا ، فى جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة تليفون ٢٠٦١٠ عشرة خطوط .



الاسعار

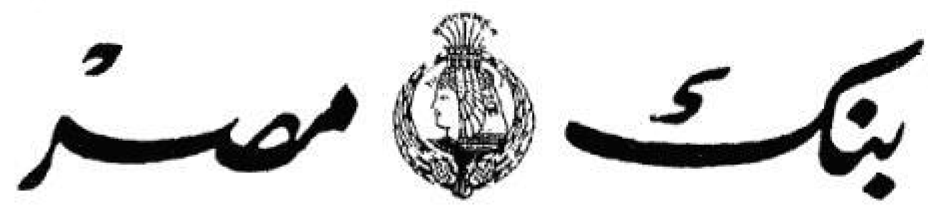
سوريا	٣٥٠	ق . س
لبنان	٤٠٠	ق . ل
الاردن	٤٠٠	فلس
الكويت	٤٥٠	فلسا
العراق	١١٠٠	فلس
السعودية	٥	ريالات
السودان	٧٥٠	مليما
تونس	٦٥٠	مليما
المغرب	٨٠٠	فرنك
الجزائر	٦٥٠	سنتا
الخليج	٤٥٠	فلسا

غزة والضفة	٣٠	سنتا
الصومال	٥٠	بنى
داكار	٤٠٠	فرنك
لاجوس	٦٠	بنى
اسمرة	٤٥٠	سنتا
اليمن الشمالية	٥	ريالات
اديس ابابا	٤٥٠	سنتا
باريس	١٠	فرنكات
لندن	١٠٠	بنس
ايطاليا	١٤٠٠	ليرة
سويسرا	٣،٥	فرنكات

اثينا	٨٠	دراخما
فيينا	٣٥	شلنا
فرانكفورت	٣،٥	مارك
كوبنهاجن	١٠	كرونات
استوكهولم	١٤	كرونة
كندا	٢٥٠	سنتا
البرازيل	٣٥٠	سنتا
نيويورك	٣٠٠	سنت
لوس انجلوس	٣٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت
هولندا	٤	فلورين
عدن	٢٥٠	فلسا


مصر للطيران
علم مصر فى كل مكان
أكثر من
٥٠
سنة خبرة
مصر للطيران
فى خدمتكم
أوربا - أفريقيا - آسيا
(البوينج ٧٦٧ - البوينج ٧٣٧ - البوينج ٧٠٧
الايرباص - الجامبو ٧٤٧)

الجديد فى عالم البنوك
يقدمه دائما

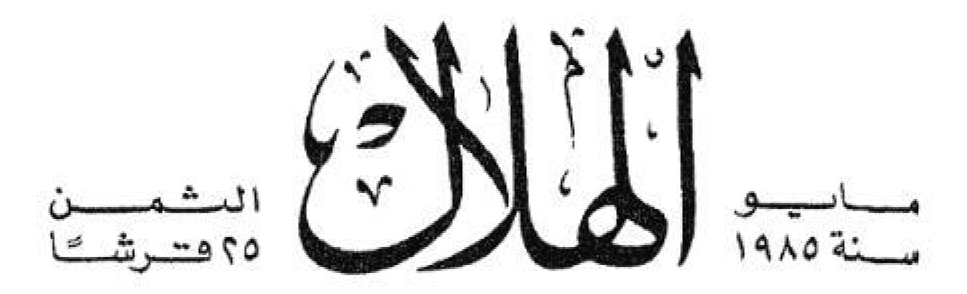




كارت مصر - البنك الشخصى

يوفر لك أى مبلغ فى أى وقت من أى آلة من آلات البنك الشخصى المتواجدة خارج فروع بنك مصر فى القاهرة والجيزة والاسكندرية

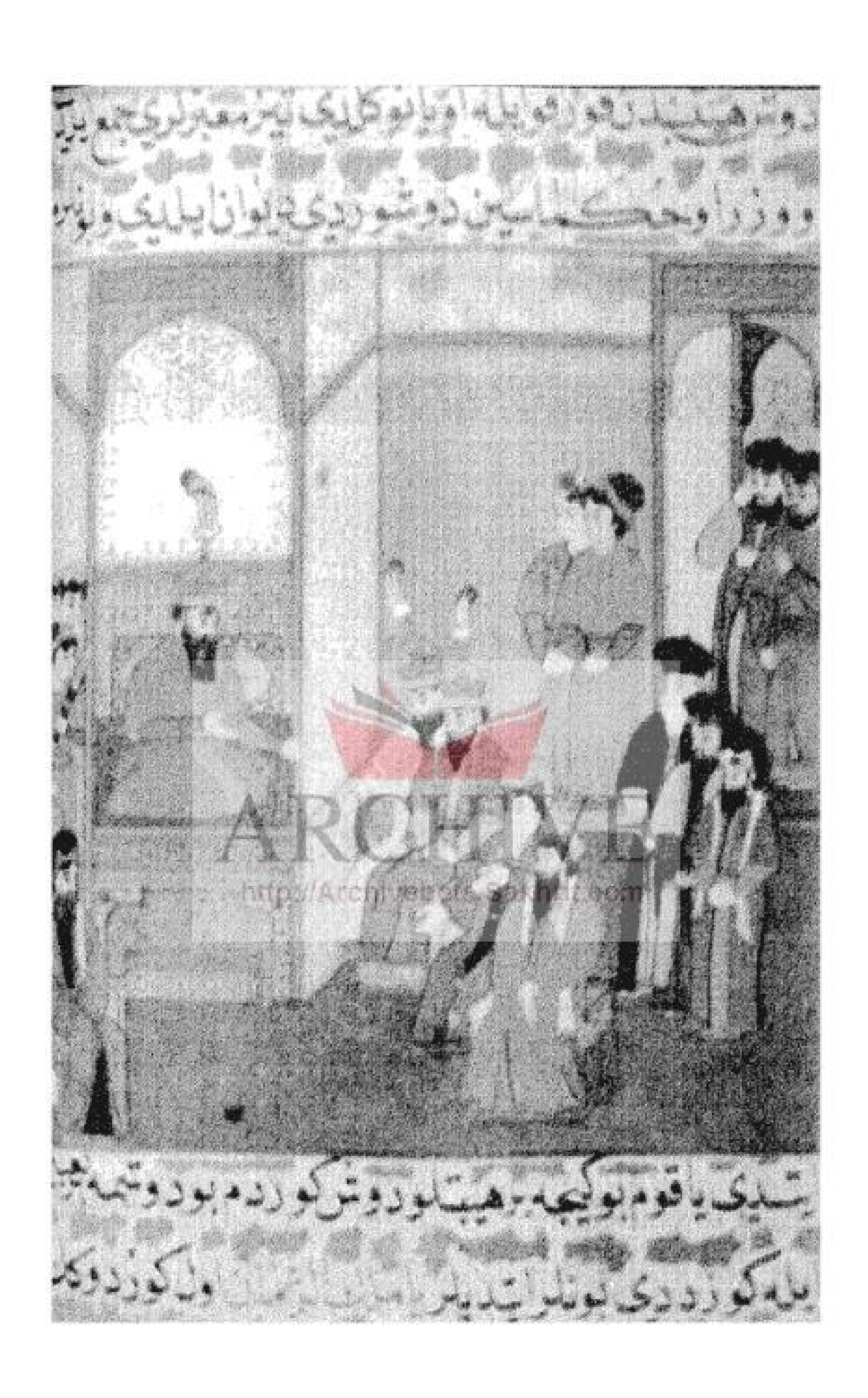
البنك الشخصى يعمل حتى عندما يتوقف الآخرون



عصر الكمبيوتر

جزء خاص

التحدى الكبير للاشتراكية



من روائع الفن الإسلامى

لوحة من القرن السادس عشر للسلطان تحيط به حاشيته ، ويلاحظ على المنمنات الاعتماد على الألوان الرئيسية ، والكتابة باللغة التركية عندما كانت تكتب بحروف عربية وتوجد هذه اللوحة فى متحف طوبكابى فى استنبول .



الهلال

السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال .. اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢ .. اول مايو سنة ١٩٨٥ - ١١ شعبان ١٤٠٥

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المدير الفنى
عادل ثابت

سكرتير التحرير
موسى عبيد



قبرص الساحرة سياحيا
والســـاخنة سياسيا
صفحـــة ١٠٢ »



الجذور التاريخية
للثقافة الفرنسية
فى مصر صفحة ٥٦ »

في هذا العدد

صفحة

● فكر وثقافة ●

● عصر الكمبيوتر ●



مع نجيب محفوظ فى رحلته داخل دنيا الاطياف صفحة ٨٤ .



الاميرة الكسندرة صاحبة اول صالون ادبى صفحة ٨٠ .



كان ياما كان صفحة مجهولة من تاريخنا السياسى صفحة ٧٤ .



بعض الأدباء الذين يحتلون أعمدة أو صفحات فى الصحف المصرية ، يترنمون بالشعار الذى يقول : دع مائة زهرة تتفتح ..

إلا أنهم يُدخلون على هذا الشعار تحويرا « بسيطا » يجعله : لاتدع أية زهرة تتفتح ! ..

ثم يجعلون هذا التحوير محور نشاطهم العملى فيطبقونه بكل صراحة وينهالون بأقلامهم المسنونة طعنا فى قلب كل زهرة تحاول أن تفتح عينيها لنور الشمس فى حديقة الأدب والفكر ..

وقد يتوهمون أحيانا ـ مجرد تَوَهُّم ـ أن ثمة زهرة تحاول أن تتفتح ، ولازهرة هناك ، ولكنْ مجرد هذا الوهم يثيرهم فيدفعهم إلى شن الغارات الشعواء لاقتلاع هذه الزهرة من جذورها ! ..

لقد صار « الوهم » وسواسا قهريا عند هذا الفريق من الكتاب المحسوبين على الأدب والأدباء فى مصر ! .. فترى أحدهم يشرع قلمه ليحارب كما حارب دون كيشوت ، طواحين هواءٍ يتوهمها ويراها وحده فيما يخيله إليه وسواسه القهرى ، ويرفع ـ فى الوهم ـ قميص عثمان فى معركة ـ ليس فيها عثمانٍ رضى الله عنه ، ولاقميصه المخضوب بدمه الزَّكىّ ، وكلّ مافيها أوهامٌ وخيالاتٌ عجيبة تمور فى رأس الكاتب المفضال ! ..

فهل يصدق أحد ممن يعلمون بواطن الأمور أو ظواهرها ، أن الصحف المصرية وأجهزة الاعلام من إذاعة وتليفزيون ومسرح الخ .. قد اجتمعت كلها فى يد عدد قليل من الأفراد ، وأنه لاوجود الآن للأدب والفكر والصحافة والاعلام والفن المسرحى وكل شيء إلا فى

أيدى أولئك الأفراد ، حتى ليحس الأديب « الحر » ذو الوسواس القهرى أنه غريب فى مصر ؟ " ..

هل يصح هذا إلا فى ذهنٍ غلبته الوساوس ، فخلطت فيه الحابل بالنابل ؟!

وأين إذن المجلات الأدبية الشهرية والفصلية والأسبوعية والصفحات فى الصحف اليومية ، والأعمال الفنية والبرامج الاعلامية والأنشطة الفكرية والندوات والمؤتمرات واللقاءات التى تملأ مصر طولا وعرضا ؟! ..

أهذه كلها فى أيدى أناس قلائل يمقتهم أو ينفر منهم الأديب الأستاذ ثروت أباظة الذى بات من يقرأ مقالاته يُشفق عليه لأنه يراه مستسلما لوسواس عجيب يعزله عن الواقع تماما ، ويملأ صدره بالثارات الشخصية ، ويدفعه إلى التعميم الخاطىء فى أحكامه ، وإلى التعتيم الذى يبدو أن الكاتب الفاضل يظن أنه يحجب الحقيقة ، وهى كالشمس لاتخفى على مبصر ، ولاينكرها إلا من ينطبق عليه قول المتنبى : « قد تنكر العينُ ضوء الشمس من رمد » ! ..

نحن لانعطى خواطر الأديب الفاضل الأستاذ ثروت أباظة ـ أكثر من حجمها ووزنها وصداها ، ولكننا ندرك أيضا أنها خواطر غير مسئولة تسىء إلى الحركة الأدبية والفكرية والاعلامية المصرية .. بل تسىء حتى إلى القضايا الوهميةُ التى يجهد الأستاذ نفسه فى تأليف الكلام الضخم عنها ، وكل هذا نربأ به عنه لأنه لايصح أن يصدر عنه وهو رئيس اتحاد الكتاب أو نائب رئيسه .

والحقائق ـ بعد ذلك وقبله ـ أجسام صلبة كأنها الصخر أو الفولاذ تتكسر فوقها الأوهام الثقيلة ، والكلمات غير


الأميرة الكسندرة
صاحبة أول صالون أدبى فى مصر
وأول مجلة نسائية

بقلم : عبد المنعم شميس

● كانت الندوات الأدبية من سمات الجيل الماضي ، واشتهرت منها ندوة علي باشا مبارك التي كان يعقدها يوما كل اسبوع في (مندرة) داره بدرب الجماميز ، وكان أحد اعلامها الشيخ حسين المرصفي الناقد الضرير صاحب الثقافتين الأزهرية والفرنسية ، وصاحب كتاب الوسيلة الادبية أول كتاب في النقد الادبي ، واستاذ الشاعر الفارس محمود سامي البارودي .

وعلى مقربة من درب الجماميز وفي شارع غيط العدة ، كان محمود سامي البارودي يعقد ندوته بعد عودته من منفاه في جزيرة سيلان عندما نفي مع أحمد عرابي ورفاقه .

علي باشا مبارك

مي زيادة

ولكن ندوة البارودي كانت تجمع الشعراء والموسيقيين كل ليلة في قصره بشارع غيط العدة على مقربة من ميدان باب الخلق ، وكان اشهر روادها الشعراء إسماعيل صبري باشا وخليل مطران وحافظ إبراهيم والمطرب الملحن محمد عثمان ، فكانت مجلساً من مجالس الطرب والأدب في وقت واحد .

أما ندوة أحمد باشا تيمور في قصره بشارع درب سعادة بباب الخلق فكانت شكلا اخر ، حيث كان يجتمع فيها الراسخون في العلم من صفوة الصفوة ، ويناقشون مسائل لغوية وادبية وتاريخية تحتاج إلى الرجوع للمراجع ، وكانت مكتبة تيمور باشا بما حوت من نفائس المخطوطات والمطبوعات تعينهم على هذه الابحاث .

ولم يكن للمرأة دور في هذه الندوات ، ولم يكن في استطاعتها المشاركة فيها ، إلا أن تسمع المناقشات من وراء الباب كما كانت تفعل الشاعرة عائشة عصمت تيمور شقيقة أحمد تيمور باشا .

وقد اعتقد كثيرون ان أول صالون أدبي كان صالون الآنسة مي زياده بسبب شهرتها كأديبة موهوبة ، وكاتبة مرموقة ، ولكن الحقيقة التاريخية غير ذلك ، فقد اشتهر في القاهرة صالون الاميرة نازلي فاضل ولو أنه كان صالون سياسة وفكر ، ولم يكن من صالونات الأدب .

وكانت الاميرة نازلي تعقد صالونها في قصرها بشارع الناصرية بعابدين وتناقش فيه غالبا موضوعات تتعلق

الأميرة الكسندرة

بالاحتلال البريطاني . وكان ألمع نجوم هذا الصالون الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده والمحامي سعد زغلول .

أما أول صالون أدبي ظهر في مصر فقد كان في الاسكندرية ، وكانت صاحبته هي الأميرة الكسندره .

وكان إسماعيل صبري باشا محافظ الاسكندرية في ذلك الوقت هو نجم هذا الصالون ، وقد كتب أعذب أشعاره قبل أن يكتب للآنسة مي زياده فيما بعد عندما أصبح رئيساً لصالونها الذي كان يعقد بدارها في القاهرة مساء كل ثلاثاء .

كتب اسماعيل صبري إلى الأميرة الكسندره :

بالله يمم يانسيم الصبا
بمصرَ عنيّ دارَ إكسندره
وحيِّها بين المها إن بدت
في سربها مقبلة مدبرة
واذكر لها مابيننا علها
ياعاطر الأنفاس أن تذكره

ونحن لاندري ماذا كان بين إسماعيل صبري وبين الكسندره حتى يتمنى أن تذكره ؟

وقصة الأميرة الكسندره من أعاجيب القصص في تاريخ الأدب المصري الحديث ، فما هي بأميرة حقيقية ، ولا هي ممن جرت في عروقهم الدماء الزرقاء .

ولدت الكسندره بنت قسطنطين نعوم خوري في بيروت ، وبدأت تعليمها هناك في مدرسة الراهبات العازرية ومدرسة الأمريكان ، ثم جاءت مع والدها إلى الاسكندرية عندما كانت في العاشرة من عمرها والتحقت بمدرسة الراهبات وتعلمت اللغتين الفرنسية والايطالية ، وأحضر لها والدها معلما للغة العربية وآدابها .

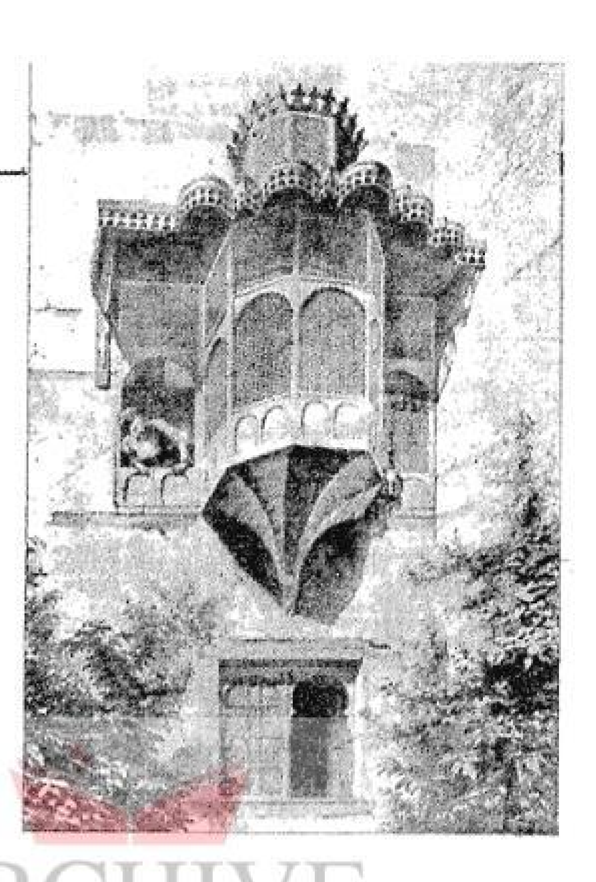
ولما بلغت السادسة عشرة من عمرها تزوجت رجلاً ايطالياً من رجال الأعمال في الاسكندرية هو (ملتيادي دي أفيرينوه) وقد اشتهر أسم (أفيرينو) فيما بعد وكانت له متاجر كبيرة للملبوسات في القاهرة ، ومصانع في شبرا الخيمة .

وكانت الفتاة البيروتية الفاتنة مولعة بالشعر فلم يشغلها الزواج عن الأدب ، بل ساعدها ثراء زوجها على إشباع هوايتها فانصرفت إلى قراءة الصحف والمجلات العربية والايطالية والفرنسية ، وبدأت تكتب في بعض هذه المجلات ، ثم اتسعت دائرة طموحها وفكرت في إصدار مجلة تحمل اسمها .. ولم لا وهي تملك الموهبة الأدبية ، وزوجها يملك القدرة المالية ؟

وأصدرت الكسندره أفيرينو مجلة (أنيس الجليس) في الاسكندرية ، وصدر العدد الأول منها في ٣١ يناير سنة ١٨٩٨ وكتبت في صدر العدد :

أنيس الجليس
مجلة نسائية علمية أدبية فكاهية
منشئتها الكسندره ملتيادي أفيرينوه
كريمة قسطنطين خوري

كانت (أنيس الجليس) أول مجلة نسائية في مصر ، وجعلت الكسندره تدافع في مجلتها عن المرأة وتناضل عن حقوقها ، وكانت صيحة قاسم أمين في



كتابيه (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) تدوى فى آفاق مصر وتجد معارضة شديدة ، ولكن مجلة (أنيس الجليس) وجدت ترحيبا لأن صاحبتها سيدة ساخرة بالطبع وليس على وجهها يشمك أو برقع ، وقد كانت الصحف تتسابق لنشر صورها فيعجب الناس بجمالها ، حتى أن صحف اسطنبول المتزمته نشرت صورها بعد صدور مجلتها فأعجب السلطان عبد الحميد بالصورة وأنعم على صاحبتها بوسام الشفقة الثالث .

لمع اسم الكسندره فى الاسكندرية ، وأصبح صالونها ملتقى الصفوة من المصريين والأجانب وفى مقدمتهم محافظ المدينة إسماعيل صبرى باشا ، وبذلك أصبحت شخصية هامة مرموقة .

وفي سبتمبر سنة ١٩٠٠ سافرت الكسندره إلى باريس لزيارة معرضها بالنيابة عن السيدات المصريات فى جمعية السلام . وبذلك أصبحت أول سيدة تمثل المرأة المصرية فى جمعية أدبية . وقدمت فى باريس قصيدة عربية لتحية (المسيو لوبه) رئيس جمهورية فرنسا فى ذلك الوقت فاستقبلها ودعاها إلى ليلة رقص فى قصر الأليزيه ، ثم دعاها إلى

الأميرة الكسندرة

(جاردن بارتي) مع كبار الحاضرين
وأثناء إقامتها في باريس ألقت محاضرة تحت رعاية وزير معارف فرنسا ، وشهد الخطاب باى تونس ووزراء مراكش الذين كانوا فى باريس لحضور المعرض ، وتحدثت الكسندره عن (فضل المرأة الشرقية وتقدمها) .
وقبل عودتها إلى الاسكندرية سافرت إلى اسطنبول لحضور العيد الفضى للسلطان عبد الحميد ، وقدمت إليه الشكر على ما انعم عليها من وسام الشفقة الثانى .. فأنعم عليها بوسام الشفقة من الدرجة الأولى بسبب زيادة إعجابه بها .

كان جمال هذه السيدة الفاتنة يفتح لها كل الأبواب المغلقة ، وكانت ثقافتها الرفيعة تسحر الألباب . وقد أنعم عليها شاه أيران نظفر خان بوسام (شرفت) وصنع هذا الوسام خاصة من أجلها ، ثم أنعم عليها بعد ذلك بلقب : نجمة الشرق .

وعندما عادت الكسندره إلى دارها فى الاسكندرية أصدرت مجلة فرنسية إلى جانب مجلتها العربية (أنيس الجليس) وإطلقت على المجلة الفرنسية اسم (لوتس) . وكانت ترمز بذلك إلى مصر صاحبة زهرة اللوتس ، وكانت تنشر بالفرنسية مقالات عن أحوال المرأة الشرقية التى كان الغرب يتهمها ... بالتأخر ، ولكن نزعتها الأدبية لم تفارقها فجعلت من مجلة (لوتس) مرآة للأدب العربى الذى كان يترجم إلى الفرنسية فى مختارات شهرية ، واشترك فى تحريرها عدد من الأدباء الذين كانوا يكتبون بالفرنسية . وقد اشتهرت مجلة (لوتس) فى باريس حتى أن حكومة فرنسا رأت فيها وسيلة من وسائل نشر الثقافة الفرنسية فى مصر فكافأت الكسندره بوسام (أوفيسيه دا كاديمى) .

ولكن يبدو أن المسيو افيرينو ضاق بنفقات المجلتين ، فامتنع عن الدفع وتوقف صدورهما ، وكان آخر عدد صدر من مجلة (أنيس الجليس) فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٤م - ١٣٢٢هـ .

وكتب إسماعيل صبرى باشا إلى الأميرة الكسندره يطلب إعادة مجلة (انيس الجليس) قائلا :

خبرى القوم باسمّية اسكندر
باربة النهى والذكاء
هل لوجه الأنيس بعد احتجاب
من سفور فى علم الأدباء
فترى فيه كل بحث جديد
يقف الحق فى صفوف النساء
إن للغانيات حقاً علينا
ليس يخفى إلا على الجهلاء
فاجمعى جيشهن حولك إن شئن
طلاب الحقوق حول لواء
وابعثى من ضياء فكرك فى الناس
سفيراً مُسدَّدَ الآراء
وافتحى باب كل بحث بلطف

إنما اللطف عدة الحسناء
إن تعارض بك الرجال نساء

عارضتهم بالحجة البيضاء
إن للفضليات فى كل عصر
اثراً فى خواطر الفضلاء

ولكن ... كيف أصبحت هذه الفتاة البيروتية الجميلة زوجة رجل الأعمال الايطالى أميرة ؟ ..-هذه هى القصة

لقد انضمت الكسندره إلى جمعية السلام النسائية فى أوربا ، وكانت ممثلة للنساء المصريات فى هذه الجمعية التى كانت تراسها (الأميرة فيزنبوسكا) الايطالية ، وكان مقر هذه الجمعية فى باريس ، فقدمت الى الجمعية علما مصريا جميلا من الحرير المطرز بالذهب ليضم إلى أعلام الدول المشتركة ، واعجبت الأميرة الايطالية ورئيسة الجمعية إعجابا شديداً بهذا العلم الذى كان متألقا وسط أعلام الدول بلونه الأخضر وهلاله ونجومه الذهبية وحواشيه المطرزة بخيوط الذهب ، وعينت الكسندره نائبة للرئيسة ومراسلة لها فى كل الاقطار الشرقية .

ثم زارت (الكسندره افيرينوه) روما لرد التحية للاميرة ، التى ازداد اعجابها بها ، وأرادت ان تقدم إليها هدية ، وكانت الهدية هى لقبها ، لأنها هى وزوجها لم ينجبا من يرث عنهما لقب الاماره ، وكان القانون الايطالى فى ذلك الوقت يسمح بتوريث لقب الامارة عن طريق التبنى ... وهكذا أصبحت الكسندره بنت قسطنطين خورى تحمل اسم : الأميرة الكسندره دى افيرينوه .

لقد اشتهرت الاميرة الكسندره فى مصر فى الجيل الماضى ، ونشرت مقالاتها فى جريدة المؤيد التى كان يصدرها الشيخ على يوسف ... ودخلت قصر عابدين ونالت عطف الخديوى عباس حلمى ووالدته وزوجته ، وكان عباس لايرد لها طلبا وقد أهداها صورته وعليها توقيعه .

وفى أحد أعياد الجلوس الخديوية كتبت قصيدة فى مدح عباس ، ومنحتها لجنة الجوائز الشعرية الميدالية الفضية .

نالت أوسمة عديدة من دول عديدة ، وكانت عضوا فى جمعيات عديدة فى إيطاليا وفرنسا . وكتبت كلاماً كثيراً بعضه شعر وبعضه نثر ولكنه تبدد فى الهواء كالدخان ولم يبق منه شىء .

ورغم ذلك كانت الاميرة الكسندرة افيرينوه اول سيدة لها صالون أدبى ، وكانت أول سيدة تصدر مجلة نسائية ، وكانت أول سيدة تمثل النساء المصريات فى الجمعيات الدولية

لقد استخدمت الأدب للوصول إلى الشهرة .

كثيرون وكثيرات يستخدمون الادب للشهرة ، فلا يبقى الأدب وتزول الشهرة . لأنها لا أصالة فى الأدب مزوق مصنوع تنفق عليه أموال الاثرياء .

ثم انطفات كل الشموع ... واصبح هذا الحديث للذكرى

التفــــزعـــــلى





● رودلف بنر اقتصادى امريكى بارز ، يشغل منصباً خطيرا وهو مدير مكتب الكونجرس للميزانية ، وجهت إليه مجلة « يو إس نيوز اند ورلد ريبورت » (١٩٨٤/٨/١٣) السؤال التالى :

ـ هل يمكنك أن تعطينا فكرة عما سوف يحدث إذا لم تقم [حكومة الولايات المتحدة الأمريكية] بعمل أى شىء للتقليل من حجم ديونها ؟

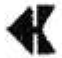
فأجاب الخبير الذى يعمل لأعلى هيئة فى الدولة :

ـ كلما اتجهت الحكومة نحو الاقتراض تقل الأموال المتبقية للقطاع الخاص ، وبذلك تنخفض نسبة النمو الاقتصادى فى المستقبل . إنما الذى خفف من هذا التأثير اننا كنا ولانزال قادرين على أن نستدين من الخارج على نطاق واسع جدا ، وهكذا مضينا فى استثمار رءوس أموالنا بصورة جيدة .

على اننا قد نضطر فى النهاية الى التخلص من الدين عن طريق التضخم ولايخفى أنه عندما يحدث التضخم تقل القيمة الحقيقية للدين .

انتهى كلام الخبير الاقتصادى الأمريكى ، أو بالأحرى ما نريده التعليق عليه من هذا الحديث ، ولكننا نود أن ننبه الى فكرة أخرى وردت فى القسم الذى حذفناه ، وفى الجواب عن السؤال نفسه ، وهى مع الأسف فكرة لا تترك للدائنين "فى الخارج" مجالا كبيرا للأمل فيما وراء كلمة « قد نضطر » فقد قال المستر بنر : إن الخيار الآخر هو إسقاط الدين . وأردف : « ولكن معظم الاقطار لا تفعل هذا » .

وهذه الجملة الأخيرة هى من جوامع الكلم فى العلاقات الدولية . فـ « الشرف » معنى مفقود فى هذه العلاقات ، إنما هى « المعاملة بالمثل » لا اكثر . وحتى المعاملة بالمثل ليست متماثلة تماما . فالولايات المتحدة الأمريكية عليها ديون خارجية ضخمة ، ولكنها لا تهتم لذلك ، فلديها خياران للحل النهائى ، يعلنهما



بقلم : الدكتور شكرى محمد عياد

والدائنون الفقراء

اقتصادى أمريكي مسئول : إما ان تفتعل تضخما يهبط بقيمة الدين ـ إلى النصف ؟ الى الثلث ؟ الى الربع ؟ إنها تملك حرية القرار ، وليس لأحد أن يراجعها فيه ؟ وإما أن تسقط الدين ، وهذا ممكن ايضا ، وقد فعلته على نطاق محدود فى أموال إيران ، ولكنها ـ كقاعدة عامة ـ لا تلجأ الى حل فج كهذا ، ربما لانه سيعود بالضرر عليها فى نهاية الأمر ، وإن كان خبيرهم يكتفى بالقول الموجز الحكيم : « معظم الأقطار لا تفعل هذا » .

ودول أمريكا اللاتينية ، جارات الولايات المتحدة القريبات ، وأخواتها الصغيرات طبقا لمبدأ مونرو ، عليها ديون خارجية أيضا كأختهن الكبرى إلا أن هؤلياء (معلهش) الصغيرات المسكينات يبكين دما لثقل وطأة الدين عليهن ، وقد فكر رئيس إحدي تلك الدول ، وهو لا يزال منتشيا بخمرة التأييد الشعبى ، والانتصار الديمقراطى بعد حرب داخلية قذرة دامت سبع سنين ، فكر راءول الفونسين الرئيس الأرجنتينى المنتخب ان ينظم شبه حلف من دول أمريكا اللاتينية الغارقة فى الديون حتى تتقدم ، جبهة متحدة ، بمطالبها إلى الدائنين لتخفيف شروط السداد. وفيما كانت المحادثات بينهما مستمرة كانت الضغوط تتزايد واخذ الرفاق يتسللون لواذا ليعقدوا اتفاقات منفردة مع الدائنين . ولم يحل الحول على انتخاب الفونسين حتى جاء راكعاً الى واشنجطون يرجو وساطة الولايات المتحدة الأمريكية لدى البنك الدولى وصندوق النقد الدولى ، حتى يتدخلا لانقاذ الموقف مع الدائنين بالصورة التى يرضاها الدائنون . وبالشروط المعروفة : مزيد من التقشف لشعب يعانى ـ أصلا ـ من الفقر .

شتان بين مدين ومدين !

بل إن الولايات المتحدة الأمريكية سعيدة غاية السعادة بديونها الخارجية الضخمة . فإقبال الولايات المتحدة على الاقتراض رفع سعر الفائدة ، وارتفاع سعر الفائدة أدى الى إقبال المستثمرين

المدين الغنى
والدائنون الفقراء

فى الخارج على شراء الدولار ، والاقبال على شراء الدولار أدى الى ارتفاع سعره فى أسواق النقد العالمية ، وارتفاع سعر الدولار مكن الولايات المتحدة من شراء ماتريد شراءه من الأسواق العالمية بأثمان أرخص من القيمة الحقيقية لهذه المشتريات ، فى نفس الوقت الذى تفرض فيه حماية جمركية كلما وجدت أن سلعة ما تهدد إنتاجها الوطنى . وهكذا ساهم العالم كله فى إنعاش الاقتصاد الأمريكى ، وتدعيم ترسانة الأسلحة الأمريكية .

وفى الوقت نفسه كان ارتفاع سعر الدولار يساهم فى مزيد من الفقر للدول الفقيرة المدينة . فقد كان على هذه الدول أن تسدد فوائد الديون واقساطها بالدولار الذى ارتفع بصورة شاذة . أى أنه بينما كانت الدولة الغنية تشترى بضائع رخيصة ، كانت الدول الفقيرة تدفع فوائد مضاعفة . وهكذا يصدق القول على الشعوب كصدقه على الأفراد : الغنى يزداد غنى ، والفقير يزداد فقرا . إلا أنه قول لا علاقة له بالحظ أو النحس ، فالحظ لا يتحيز لأحد ولا ضد أحد ، إنما الدولار هو المتحيز الدولار هو عملة الولايات المتحدة الأمريكية ، وهو فى الوقت نفسه أساس المعاملات العالمية . ولذلك تقترض الولايات المتحدة من الخارج بالدولار الذى تتحكم هى فى سعره ، ويقترض منها الآخرون بالدولار أيضا ، فيدفعون بالسعر الذى تفرضه عليهم ، فوائد وأقساطا للدين الذى فرضت عليهم شروطه : بضائع معينة ، أسعار معينة ، مكافآت ضخمة للخبراء الأمريكان !

وقد وصلت أقساط "خدمة الدين" فى ميزانيات بعض الدول إلى النصف ! أى أن هذه الدول أصبحت ، بالنسبة إلى الأرض التى تحكمها ، فى منزلة الفلاح الذى يتولى العمل فى أرض لا يملكها ، بنظام المزارعة . فحقوق السيادة على أرضها لا تعنى شيئا من الناحية الاقتصادية . ولكن الولايات المتحدة الأمريكية دولة غنية ، وهى معروفة بالسخاء فهى تقدم "المساعدات" إلى البلدان الفقيرة ، فى شكل قروض مختلفة الأشكال ، ومنح لا ترد . أتراها إذن كذلك السيد الاقطاعى الذى كان يضع يده على ثمار عرق الفلاح ، ولكن الفلاح يستطيع إذا ساءت حاله جدا أن يذهب إلى "وسية" الاقطاعى فيقترض كيلة ذرة ، ويستطيع إذا ما الجوع أضر به وبأهله أن يلجأ إلى مطبخ الاقطاعى فيطعم ويحمل بعض الزاد ، ويستطيع إذا أهل العيد على

البائس الفقير يضخ دمه في جسم العملاق !

اطفاله العراة أن يذهب إلى قصر الاقطاعي ويرجع ببعض الثياب او بعض القماش ؟ لعل الأمر أعقد من ذلك . وتصويره أن المستر رونالد ريجان يحتاج إلى مبالغ طائلة من المال يقدمها إلى البنتاجون أو إلى وكالة المخابرات المركزية مثلا ، والرئيس لا يسمح بإثقال كاهل الرأسمالي الأمريكي بالضرائب لئلا يحد من نشاطه ، وإذن فلابد له من طبع سندات ببلايين الدولارات (كل دولار أمريكي عليه توقيع رونالد ريجان شاهداً بأنه سند على خزانة الحكومة الأمريكية) . ولكن لا يقدم هذه السندات رأسا الى البنتاجون أو ... الخ . حتى لا تدور في السوق فيحدث التضخم ، بل يترك السندات المطبوعة تجول جولة في أسواق النقد العالمية ، تحت إشراف البنوك الأمريكية بطبيعة الحال ، ومع إغراء لطيف بأن من يقتني عدداً كافيا من هذه السندات ويتركها مجمدة في البنك يحصل على فائدة مصرفية عالية . ولكن البنوك ــ بطبيعة الحال ــ لا تعرف مثل هذا التجميد . إنما الذي يحدث ان السندات التي اقتناها المستثمر الخارجي تتحول إلى سطر في سجلات البنوك ، بينما تعود الدولارات (أو السندات) نفسها مرة أخرى إلى المستر رونالد ريجان فيقدمها إلى البنتاجون الخ .

وبما أن المستثمر الخارجي لم يحصل على هذه السندات مقابل لا شيء ، بل مقابل سندات عملة أخرى ، وهذه السندات بدورها لم يحصل عليها المستثمر إلا مقابل عمل اداه ، او اداه غيره ولكن وصلت نتيجته بطريقة ما إلى جيب المستثمر ، أو قيمة طبيعية وهبه الله إياها ورضى هو أن يتنازل عنها ــ فالذى يحدث هنا ، بكل بساطة ، هو أن ثمار عمل مئات الملايين من الشعوب خارج الولايات المتحدة الأمريكية ، والثروات الطبيعية التي تملكها هذه الشعوب ، يتحول جانب منها إلى مدد للنشاط الأمريكي ، الاقتصادي ، والسياسي ، والعسكري . اي أن عملية "نقل دم" تتم من عروق إنسان فقير منهك ، إلى جسم عملاق ، لتزداد وجناته توردا ، وعضلاته بروزا وحماسته طغيانا ، وحركاته عدوانا .

والأدهى أن هذا الفقير البائس لا يستطيع أن يكف عن ضخ دمه في جسم العملاق المفترى . فلو فعل ، لو كف عن تحويل ثروته القومية وناتج عمله إلى دولارات ، لعادت الدولارات المطبوعة إلى الولايات المتحدة دون أن تجد من

المدين الغني
والدائنون الفقراء

يشتريها فى الخارج ، فتصبح حملا على الانتاج ، ويحدث التضخم ، وهذا ما يخشاه الفقير البائس ، لأنه يعنى أن رصيده من الدولار ، كبيرا كان أوصغيرا ، سوف تهبط قيمته الحقيقية ، لأنه لن يكون قادرا على شراء نفس الكمية من السلع والفقير البائس يعيش فى رعب من هذا اليوم ولو انه يعرف أنه سيحل حتما – عندما تقرر الولايات المتحدة ذلك – ولكننا جميعا نعرف اننا سنموت ، والقليل منا فقط هم الذين يقدمون على الانتحار

ولكن ماذا لو أوشك دم الفقير البائس أن ينفد ؟ هنا يمد العملاق إليه يده الحنون بكسرة خبز . هنا يأتى دور المساعدات الاقتصادية ! فهذه المساعدات تستبقى قدرة الشعوب الفقيرة على مواصلة العمل ، حتى يواصل العملاق امتصاص جهدها وثرواتها .

أما إذا سألتنى : من هؤلاء الذين يحولون جهدهم أو جهد شعوبهم ، وثرواتهم أو ثروات شعوبهم ، إلى سطور "دولارية" فى البنوك، فلعلك تسمع منى جوابا لم تكن تتوقعه . لقد كانت أصابع الاتهام تشير دائما إلى أرصدة الدول البترولية ولكن هذه الأرصدة توقفت . بل اخذت فى التناقص ، مع بداية الانخفاض فى سعر البترول ، والنقص فى الطلب عليه . وعمر هذا التحول يقرب من عمر السياسة الاقتصادية الأمريكية فى الاقتراض الواسع من الخارج .

إذن من هم هؤلاء المقرضون ؟ من هم أصحاب الودائع الدولارية الضخمة فى البنوك العالمية ؟ كثيرون ، كثيرون . ومنهم – أم اقول اكثرهم ؟ – من ابناء الشعوب التى ترزح حكوماتها تحت عبء هائل من الديون لهذه البنوك العالمية نفسها : رعايا ، وقادة ايضا وبين الحين والحين تظهر فضيحة .

هذه هى الأنهار التى تصب فى البحر . والبحر ليس بملآن اما أنت ياصديقى الذى تكتم كنزك الصغير من الدولارات ، فربما كنت قطرة مطر .

وهذه – سيداتى وسادتى – هى قصة المدين الغني والدائنين الفقراء القيتها على مسامعكم باللغة التى أفهمها وتفهمونها . فإن لم يعجبكم كلامنا يا أساتذة المال والاقتصاد ... فهمونا !

أقوال معاصرة





● « عليكم أن تتوقعوا أن يصل الدولار إلى ألف جنيه سوداني !! »

نميرى قبل سفره إلى واشنطن

● ـ « سيعود رجال الدين إلى عملهم فى المساجد وسيتركون السلطة لاهل الكفاءة »

الامام الخومينى فى يناير عام ١٩٨٠

● ـ « نفذت أوامر قادتى ، وقمت بواجبى . والان اموت عند المستنقعات بالقرب من نهر دجلة ، بعيدا عن الوطن . وتساورنى الشكوك انى سأدخل الجنة .. »

أحد حراس الثورة فى النزع الأخير



● « إن اعلانات داخل الطائفة المسيحية فى لبنان ، لاتهدد الحريه الدينية فحسب بل وتهدد بقاء لبنان ذاته .. »

قداسة البابا يوحنا
بابا روما

● « زعيم سوفيتى أصغر ، يفيض حيوية ، وينتهج سياسات ستالينية ، اشد سوءا بالنسبة إلينا من زعيم سوفيتى معوق !! »

هنرى كيسنجر

● « استمرار اللعب على الانقسامات العربية ، وتجنب المفاوضات الجادة بهدف السيطرة على شعب الصف الغربية ، هذه كلها وسائل لزرع أسنان التنين لمستقبل الفوضى فى المنطقة والذى يبدو اقرب مما نتصور .. »

باتريك سيل

● « الاكتشافات العظيمة ، أبدا .. ليست من صنع واحد بمفرده .. »

كونراد لورنز الحاصل على جائزة نوبل للطب

● اذا دفع كل واحد الضريبة المقررة عليه . فكل واحد سيدفع اقل .. »

الفريد ريكلين روما



ديمقراطية الاسلام

الشورى في دولة الخلافة

بقلم : دكتور محمد عمارة

● في السنة النبوية الشريفة، فلسفة للحكم وسبيلا لسياسة الرعية وخلقا للسلوك، لم تذهب بانتقال الرسول، صلى الله عليه وسلم، إلى جوار ربه .. بل لقد استمرت في دولة الخلافة الراشدة وازداد نموها بازدياد الحاجة اليها .. فقيادة الرسول للدولة، وإن لم تكن له عصمة في تصريف شئونها الدنيوية، إلا أن الوحي الالهي كان يصحح الخطأ ويعاتب على اختيار ماليس بأفضل ولا أولى .. أما بعد قيام دولة الخلافة وسلطتها المدنية الخالصة، فإن الحاجة إلى الشورى - لضمان الاقتراب قدر الامكان من الحق والصواب - قد زادت ضروراتها واشتد إلحاحها .. فرأينا الشورى الفلسفة المتبعة والنهج الذي التزمته هذه الدولة في مختلف ميادين الحكم وسياسة الناس وصنع القرار ..

● فلقد تأسست هذه الدولة بالشورى، التي كانت سبيل الاختيار والبيعة لأبي بكر اول خليفة على المسلمين، بعد وفاة الرسول عليه السلام ..

● وكانت الشورى سبيل اجتماع الكلمة على القرار العبقري الذي اتخذه الخليفة الاول بمحاربة الذين ارتدوا عن « التوحيد الديني » والذين ارتدوا عن « وحدة الدولة »، باعتبارهما وجهي عملة واحدة، هي « عملة التوحيد الاسلامي » في الدين والدولة ! ..

● ولقد سن أبو بكر الصديق سنة استشارة الناس في التشريع وفي القضاء لمواجهة الامور المستحدثة. **التي ليس لها في القرآن ولا في السنة احكام** ..

« فعن ميمون بن مهران قال : كان ابو بكر إذا ورد عليه الخصم، نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه مايقضي بينهم قضى، وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في ذلك الأمر سنة قضى به، **فإن أعياه خرج فسأل المسلمين**، وقال : أتاني كذا وكذا، فهل علمتم أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قضى في ذلك بقضاء ؟ . فربما اجتمع اليه النفر كلهم يذكر من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فيه قضاء،

فيقول أبو بكر : الحمد لله الذى جعل فينا من يحفظ على نبينا . فإن أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، جمع رءوس الناس وخيارهم فاستشارهم ، فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به ! !

وكذلك استمرت سنة الشورى فى عهد عمر بن الخطاب ..

● فهو قد استشار الناس فى تطوير جهاز الدولة على النحو الذى يلائم اتساعها بعد فتح مافتح الله عليهم من البلاد .. فدونت الدواوين ، وأصبح للدولة جيش نظامى ..

● **وهو يحدث تلك التغييرات الجذرية والعميقة الأثر فى الأوضاع الاقتصادية** للدولة ، بجعل الأرض الزراعية فى البلاد المفتوحة ملكا للأمة جمعاء ، الحاضر من أجيالها والقادم ، برفض توزيعها على الجند الفاتحين .. ويجعل ما كان للرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ولذوى قرابته من سهام الغنائم خاصا لبيت مال المسلمين ، ويرفض تخصيصه للخليفة وذوى قرباه .. يصنع ذلك التحول الهائل بالشورى التى اتخذت أشكالا وسبلا عديدة ، منها التحكيم ؟ !

● وإذا كانت « حدود » الشريعة وأحكامها « دينا » خالصا ، لاشورى فيها .. فإن « سبل » إقامة هذه الحدود ، ومقاديرها - أحيانا - قد كانت موضوع للشورى على عهد الراشد الفاروق .. فعن أنس بن مالك قال : « كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يعزر فى الخمر بالنعال والجريد . ثم ضرب أبو بكر أربعين . فلما كان زمن عمر ، ودنا الناس من الريف والقرى ، **استشار فى ذلك الناس** ، وفشا ذلك فى الناس ، فقال عبد الرحمن بن عوف : أرى أن تجعله كأخف الحدود ، فضرب عمر ثمانين » .. وفى رواية ثور بن زيد الديلى : « **أن عمر بن الخطاب استشار فى الخمر يشربها الرجل . فقال له على بن أبى طالب نرى أن تجلده ثمانين ، فإنه إذا شرب سكر وإذا هذى افترى .. فجلد عمر فى الخمر ثمانين ..** »

● **وفى « الفرائض » [المواريث] - حيثما لم يكن نص قطعى الدلالة والثبوت - رأينا الشورى السبيل لصياغة حكم الإسلام .. ففى ميراث الجد .. وجدنا أبا بكر قد ، جعل الجد أبا » من حيث نصيبه فى الميراث فلما جاء عمر اجتهد فى ذلك اجتهاده « فكان يقاسم بالجد مع الأخ والأخوين ، فإذا زادوا أعطاه الثلث وكان يعطيه مع الولد السدس** .. » فلما اقترب من الموت ، و « طعن واستشارهم فى الجد ، فقال : إنى كنت رأيت فى الجد رأيا ، فإن رأيتم أن تتبعوه فاتبعوه ، فقال له عثمان : إن نتبع رأيك فإنه رشد نتبع رأى الشيخ - [أبى بكر] فلنعم ذو الرأى كان .. »

● وكذلك كان شأن عمر فى القضاء ، إذا لم يعلم أن هناك تشريعا فى القرآن أو سنة الرسول ، عليه الصلاة والسلام « فعن المغيرة بن شعبة عن عمر أنه **استشارهم فى أملاص المرأة** .. فقال له المغيرة : قضى فيه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم بالغرة . فقال له عمر : إن كنت صادقا فأت بأحد يعلم ذلك . فشهد محمد ابن مسلمة أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . قضى به .. »

وسلك سبيل الشورى ، أيضا ، فى القضاء بين « رجلين استبا .. فقال أحدهما للآخر : والله مابى بزان ، ولا

الشورى في دولة الخلافة

امى بزانية ! فاستشار فى ذلك عمر بن الخطاب . فقال قائل : مدح اباه وامه . وقال آخرون : قد كان لأبيه وأمه مدح غير هذا ، نرى أن تجلده الحد . فجلده عمر الحد ، ثمانين .. »

فهو هنا قد استشار فى الحكم « القضاء » .. وأخذ برأى الجمع دون الفرد ، والأغلبية دون الأقلية !

● وفى شئون الصحة والمرض .. بل وتحديد حدود ومعانى « القضاء والقدر » .. كانت الشورى هى سبيل المسلمين لصياغة الفكر وصنع القرار !

« فعن عبد الله بن عباس ، أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد ، أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه ، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام . فقال عمر : ادع لى المهاجرين الأولين ، فدعاهم فاستشارهم ، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام ، فاختلفوا . فقال بعضهم : قد خرجت لأمر ، لانرى أن ترجع عنه . وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولانرى أن تقدمهم على هذا الوباء . فقال عمر : ارتفعوا عنى ـ [أى انفضوا] ـ ثم قال : ادع لى الأنصار .. فاستشارهم ، فسلكوا سبيل المهاجرين ، واختلفوا كاختلافهم . فقال : ارتفعوا عنى . ثم قال : أدع لى من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح .. فلم يختلف منهم عليه رجلان ، فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولاتقدمهم على هذا الوباء فنادى عمر فى الناس : إنى مصبح على ظهر ، فأصبحوا عليه فقال ابو عبيدة بن الجراح : أفرارا من قدر الله ؟ ! فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ؟ ! نعم ! نفر من قدر الله الى قدر الله ! .. ارأيت لو كانت لك إبل هبطت واديا له عدوتان ، إحداهما خصبة ، والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ !.. **فمهاجرة الفتح باجتماعهم على الرجوع رجحوا كفة الذين رأوا ذلك من المهاجرين والأنصار ، فصاروا اغلبية .**

● كذلك كان الحال فى شئون معارك الفتح فى ذلك التاريخ .. وعياض الأشعرى يروى فيقول : « شهدت اليرموك ، وعلينا خمسة أمراء .. فأصبنا أموالا ، فتشاوروا » فى كيفية التصرف فى هذه الأموال ! ..

● بل إننا واجدون فى مأثورات عصر الخلافة الراشدة ، زمن الفاروق عمر بن الخطاب ، صياغات فكرية جددت ما سبق للسنة النبوية أن حسمته وأوضحته ، عندما حصرت سبيل الامارة فى طريق الشورى وحده .. فلقد قال عمر بن الخطاب : « **من بايع أميرا عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ، ولا بيعة للذى بايعه .. ! فلا مشروعية لبيعة ولا لمبايعة إلا اذا تمت عن طريق** « شورى المسلمين » !

ولم يقف عمر بهذا المبدأ وهذا القانون عند الامارات الفرعية على الولايات والأقاليم ، وإنما نبه على أن الخلافة العامة وإمارة المؤمنين محصورة هى الأخرى فى هذا الاطار وذلك السبيل

ففى أواخر عهده ، خطب فقال : « إن قوما يأمروننى أن أستخلف ، وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته ، والذى بعث به نبيه ، صلى الله عليه وسلم . فإن عجل بى أمر فالخلافة شورى فى هؤلاء الستة » بقية المهاجرين الأولين

فلما انتقل الفاروق إلى جوار ربه وضع المسلمون هذا القانون فى التطبيق .. « فاجتمع الرهط الذين ولاهم عمر ، فتشاوروا » .. وقبل عبد الرحمن بن عوف أن يتنازل عن سعيه للخلافة ، على أن ينهض بإدارة « عملية الشورى » ، فلم يترك أحدا من الناس إلا استشاره .. استشار كل من بالمدينة ، من وجوه الناس وعامتهم ، مهاجرين كانوا أم أنصارا .. وارسل إلى أمراء الأجناد ، من أهل الولايات والأقاليم ، وكانوا قد حضروا للحج مع عمر بن الخطاب فى تلك السنة ، فاستشارهم وأفضت هذه العملية إلى اختيار عثمان بن عفان للخلافة « فبايعه الناس : المهاجرون ، والأنصار وأمراء الأجناد ، والمسلمون » ..

تلك هى الشورى الاسلامية ...

● الأمة فيها وبها هى مصدر السلطات وصاحبة السلطان فى سياسة الدولة وتنظيم المجتمع وتنمية العمران .

● وهذه الأمة تختار ممثليها ، العارفين « بالواقع » وبـ « الشريعة » معا .. وهم أهل الاختيار ، الذين يختارون رأس الدولة الاسلامية .. وكذلك أهل الحل والعقد ، الذين يحفظون اتساق « الواقع » مع « الشريعة » ، ويطورون « التشريع » ليلائم الواقع الجديد ..

● وهذه الأمة ، من وراء ممثليها ، عليها وعليهم فريضة مراقبة حكومتها .. ومحاسبتها .. والأخذ على يديها ولها - بل عليها - فريضة تغيير هذه الحكومة إن هى فسقت أو جارت أو ضعفت عن النهوض بما فوضت إليها الأمة من مهام ! تصنع ذلك بالسلم إن أمكن .. وبالثورة إن لم يكن بد من ذلك

أما حدود الشريعة والأطر التى حددها الدين ورسمها ، فإنها لاتمثل انتقاصا من حق الأمة فى أن تكون ، فى شئون دنياها ، مصدرا للسلطة والسلطان .. لأن هذه الحدود والأطر هى الثوابت الكافلة لتحقيق مصالح مجموع الأمة وافرادها .. ومن ثم فإن حرية الأمة - بواسطة ممثليها - فى التشريع عندما تقف عند الحدود التى لايجوز تجاوزها ، وهى إبقاء الحرام حراما والحلال حلالا ، فليس فى ذلك انتقاص من حرية الأمة ، وإنما هو التزام بالأطر الدينية المحققة لمصلحة الأمة كما رآها الشارع سبحانه وتعالى ..

وهكذا .. جعل الاسلام ، ويجعل من الشورى فلسفة الحكم الاسلامى ونهج سياسة الرعية ، وطريق السلوك السوى للفرد والأسرة والمجتمع ... فريضة إلهية وضرورة شرعية .. وليست مجرد « حق » من « حقوق الانسان » ! ..

إنها « ديمقراطية » الاسلام والمسلمين .. جعلها الله فلسفة الحكم فى الاسلام .. وترك للأمة كامل الحق وكل الحرية فى إبداع « النظم .. والتنظيمات .. والسبل .. والوسائل » التى تقترب بغايات الشورى ومقاصدها من الفعل والعطاء عندما توضع فى الممارسة والتطبيق !



جورباتشوف والتحدى الكبير للاشتراكية

وسط تطلع المراقبين إلى تبين معالم السياسة التى ينوى أن ينتهجها ميخائيل جورباتشوف السكرتير العام الجديد للحزب الشيوعى السوفيتى ، دعت جريدة « البرافدا » الناطقة بلسان الحزب ، أعضاءه ، وسائر المواطنين إلى انتقاء مايرونه خاطئا فى سياسة الحزب ، أو سلوك كبار المسئولين فيه ، وفى الدولة بصفة عامة

بقلم : عبد الرحمن شاكر

● واذا كانت جريدة « الجارديان » البريطانية ، قد اعتبرت دعوة البرافدا إلى اطلاق حرية النقد على هذا النحو مجرد تأكيد نية جورباتشوف فى مواصلة حملة الاصلاح والتطهير ومحاربة الفساد التى بدأت فى عهد أندروبوف ،

وتباطأت قليلا فى عهد تشيرنينكو ، فإن المدلول السياسى لتلك الخطوة قد يكون أبعد بكثير من مجرد محاربة الفساد الادارى ، بل قد يكون فيها الرد الكامل على السؤال الذى وجهه أعضاء مجلس العموم البريطانى إلى جورباتشوف أيام زيارته لبلادهم قبيل وفاة تشيرنينكو ، وتوليه قيادة الحزب البلشفى خلفا له ، حينما سألوه عن « الحرية » فى الاتحاد السوفيتى ، فلم يستطع إزاءهم إلا الاجابة برد مقتضب هو ، قوله لهم : « إننا لانسألكم كيف تديرون الأمور فى بريطانيا ، فدعونا نعرف شئون الاتحاد السوفيتى على طريقتنا » .

لقد كان جورباتشوف وهو يكتفى بهذا

الرد . يعلم يقينا أنه يتهرب من الاجابة الشافية ، بحكم ظروف توجيه السؤال إليه ، ولكن المسز تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية ، لاحظت أثناء تلك الزيارة أيضا ، أن الرجل كان هادىء النفس ، قليل الاكتراث بالمظاهرات التى قامت ضده وضد بلاده فى بريطانيا أثناء زيارته لها . على عكس ماهو مألوف من جانب الزعماء السوفيت فى ظروف مماثلة ، ومعنى ذلك أنه يعلم أن هناك نقدا ماثلا كبيرا متبادلا ، ولا مفر من ذلك ، مابين النظامين الرئيسيين اللذين يقومان فى العالم الآن وهما النظام الاشتراكى القائم أساسا فى بلده ، والنظام الراسمالى فى الغرب ، وكانت ملاحظة تاتشر مفتاحا لكثير من المراقبين لمحاولة تكوين تصورهم عن ذلك « النجم » الجديد البازغ فى سماء الدولة السوفيتية ، المنتمى إلى الجيل الذى ولد بعد الثورة ، والذى تخطى رقاب البقية الباقية من " الحرس القديم " ، وصولا إلى قمة السلطة فى بلاده .

إن أول وأقرب مداول للدعوة إلى " حرية النقد " ، التى بدأت فى أوائل عهد جورباتشوف ، ودعوة البرافدا إلى الاهتمام بكل " شكوى " يرسلها أحد أعضاء الحزب وغير أعضائه أيضا ، ودراستها بعناية ، واتخاذ الاجراءات الضرورية لازالة أسبابها ، هو بمثابة ضربة قاصمة توجه الى أجهزة الدول البوليسية ، فهو اعتراف فشل تلك الأجهزة فى تعقب الفساد الادارى والقضاء عليه ، خاصة وإن الفساد كثيرا ماجاء فى جانب ، وفى داخل الاجهزة البوليسية المكلفة بالقضاء عليه ذاتها ! وآخر وقائعه ماكان فى عهد بريجنيف ، حيث فقد زوج ابنته مؤخرا منصبه الرفيع فى وزارة الداخلية السوفيتية ، هو والوزير المختص ، بتهمة التواطؤ مع الفساد السائد فيها بل الولوغ

ماذا فعل خروشوف ؟ !

ولم تكن واقعة صهر بريجنيف هى الأولى من نوعها ، التى تدان فيها وزارة الداخلية السوفيتية والأجهزة البوليسية بصفة عامة باعتبارها مسئولة عن الفساد ، بل الواقعة الكبرى والأكثر دويا فى حينها قد تمت بعد شهور من وفاة ستالين عام ١٩٥٣ ، حيث استند خروشوف ، الذى خلفه فى سكرتارية الحزب البلشفى ، إلى قوة الجيش فى القضاء على رجل الارهاب الستالينى المشهور « لافرنتى بريا » ، وقام بإعدامه رميا بالرصاص ، بعد محاكمة سرية اتهم فيها بمحاولة الاستيلاء على السلطة على نحو تآمرى ! وبعد إعدام بريا بأقل من ثلاث سنوات كان خروشوف يقرأ فى المؤتمر العشرين للحزب البلشفى ، تقريره « السرى " عن فظائع عهد ستالين ، وإن كان هذا التقرير لم يبق سريا على الاطلاق ، بل تم تداوله على أوسع نطاق فى جميع أرجاء العالم ، وبعدها أقدم خروشوف على خطوة استعراضية فى الانتقام من زعيمه الراحل المستبد ، حيث أمر بإخراج جثة ستالين من ضريح لينين ، بعد أن كان قد حنط ووضع إلى جواره ، وإحراقها ودفن رمادها تحت سور الكرملين ، أسوة " بصغار » الزعماء السوفيت ، وليس بالزعيم الأكبر مؤسس الدولة .. لينين

جورباتشوف

كما أمر بإزالة اسمه وتماثيله من الشوارع والميادين ، وسائر الأماكن العامة ، حتى مدينة " ستالينجراد " ، رمز البطولة السوفيتية في مقاومة الاحتلال النازي إبان الحرب العالمية الثانية ، فقدت اسمها التاريخي ، وسميت - طبقا لأوامر خروشوف أيضا - " فولجوجراد " ! وقد فقد خروشوف بدوره اعتباره وموقعه ، في عام ١٩٦٤ ، " بإجراء " حزبي تزعمه بريجنيف الذي خلفه في قيادة الحزب الشيوعي السوفيتي ، وتم في عهده - في صمت - رد جزء كبير من اعتبار ستالين بصفته بطلا قوميا ، في تأسيس الدولة السوفيتية وبناء الاشتراكية فيها والدفاع عنها ضد محاولات تدميرها وخاصة خلال الحرب العالمية الثانية . ولم يكن معنى ذلك العودة الى سياسة ستالين ، فقد كان ذلك مستحيلا سياسيا وتاريخيا ، بل كان من أهم إنجازات بريجنيف ، وضع دستور جديد للبلاد ، على أساس التوسع في الحريات العامة ، وفي مقدمتها حرية الاعتقاد ، حيث سمح لأول مرة للمتدينين بالانخراط من صفوف الحزب والترقي في صفوفه ، مما يعني مابين " الماركسية " باعتبارها نظرية سياسية واقتصادية ، لامفر لعضو الحزب الشيوعي من الالتزام بها في هذه الحدود ، وبين ذلك كونها نظرية فلسفية كونية شاملة ، الدين عندها مجرد ظاهرة اجتماعية .

لقد كان سقوط خروشوف أمرا محتما توقعه المراقبون ، وذلك لأنه في إدانته لعهد ستالين لم يقدم أي تفسير نظري مقبول لنشوء « الظاهرة الستالينية » ، من ناحية ، والحاجة إلي التخلص منها من ناحية أخرى بعد موت ستالين . واكتفى في ذلك بالقول بأن الحزب قد وقع في " خطأ " ، هو " عبادة الفرد " ! على أن " عبادة الفرد " هذه هي بدورها ظاهرة كان ينبغي أيضا تفسير نشوئها في أول دولة اشتراكية في التاريخ . ولقد أدى العجز النظري لدى خروشوف إلى حدوث أكبر قدر من البلبلة في صفوف الماركسيين في العالم ، وانقسام صفوفهم إلى مدارس متعددة متنابذة . وكان





تشيرننكو — تاتشر — خروشوف

الخلاف بل النزاع الصينى السوفيتى واحدا من اكبر مظاهره .

السلطة فى مجتمع اشتراكى

إن القضية التى فجرها خروشوف فى المؤتمر العشرين للحزب البلشفى عام ١٩٥٦ ، لم تكن قضية " فرد " منحرف على قمة الدولة السوفيتية ، أو حزب انساق فى تقدير زعيمه إلى حد العبادة ، ولكنها كانت فى المقام الأول قضية السلطة فى مجتمع اشتراكى أو مجتمع يتطلع الى الوصول للاشتراكية .

كانت إدانة خروشوف لعهد ستالين ، هى اكبر نقد وجه للسلطة السوفيتية ، وإذا كان كثير مما تضمن تقريره عن ذلك قد رددته الدعاية الفردية طويلا من قبل ، وانكرته الدعاية السوفيتية بدورها طويلا هى الأخرى ، فإن كثيرا أيضا مما جاء فى هذا التقرير لم يعلم أحد .. إلا من خلال تقرير خروشوف واعتراضه على زعيمه !

ولكن الذى مارس حرية « النقد » هذه المرة ، كان هو السلطة السوفيتية ذاتها ، على نحو جعل التساؤل المطروح : هل السلطة السوفيتية قائمة على نحو صحيح ، وهى تارة ترتكب كل هذه الخطايا ، ثم تعود تارة أخرى للاعتراف بها على هذا النحو الصارخ ؟ أين العدالة الاشتراكية إذن ، وماهو شكلها ، وماهى ضماناتها ؟

بداية ، خرج لينين فى تصويره لفكرة " ديكتاتورية البروليتاريا " عن التزام كارل ماركس القديم بالديمقراطية . كان ماركس يعتبر " الجمهورية الديمقراطية " إطاراً صالحا لممارسة ديكتاتورية البروليتاريا ، كما صلحت من قبل لممارسة " ديكتاتورية للبرجوازية " ، على للنحو الذى كان يقدم به تحليله للسلطة فى المجتمع الراسمالى باعتبارها انعكاسا للسيطرة الطبقية من خلال امتلاك ادوات الانتاج ، وبالتالى ادوات " الديموقراطية " ذاتها من وسائل نشر واجهزة نيابية وتعليمية .. الخ .


كارل ماركس

اما لينين فقد رفض هذا الشكل الديمقراطى ، حينما أرسل جنوده صبيحة انعقاد الجلسة الأولى للجمعية التاسيسية التى انتخبت بعد الثورة لفضها ولم يمض ساعات على انعقادها ، وحول " السلطة " إلى السوفيتات ، اى مجالس العمال والجنود ، وبعد انفضاض التحالف بين حزبه الشيوعى " والاشتراكيين الثوريين " ، لم يسمح بقيام احزاب اخرى غير الحزب الشيوعى ، وقرر فى صراحة أن ديكتاتورية البروليتاريا عندئذ تعنى ديكتاتورية طليعتها ، التى هى " الحزب الشيوعى " فحسب .

ومن خلال ديكتاتورية " الطليعة " اى الحزب الشيوعى ، تركزت السلطة فى ايدى قيادة هذه الطليعة ، اى اللجنة

جـورباتشـوف



لينين



المركزية فى الحزب ، ثم تركزت أكثر فى يد المكتب السياسى أو البوليتبيرو ، حتى انحصرت فى عهد ستالين ، فى شخص السكرتير العام للحزب ، الذى تحول إلى طاغية مطلق السلطان ، تعاونه أجهزة بـوليسيـة رهيبـة للتجسس والقمع والارهاب ، لكل من تحدثه نفسه بتحدى إرادته ، وراح ضحيتها من أعضاء الحزب الشيوعى أنفسهم أكثر مما راح من غير أعضائه ، وأعدم كثير منهم وهم يهتفون بحياة للاشتراكية ، بل وحياة الرفيق ستالين ذاته ! وكان بعضهم يعزى نفسه بأن ستالين لايعرف كل مايجرى باسمه ، ولكنها الأجهزة لعنها الله !!

كـان التفسيـر البسيط للظـاهـرة الستالينية عند المفكر البريطانى هارولد لاسكى هو أنها تمثل الطغيان الثورى الذى عرفته الثورة الفرنسية أيام روبسبيير ، وكتب ماكتب عن ذلك قبل تقرير خروشوف وتنبأ للثورة بعد أن تجتاز صعوباتها وخاصة فى عملية التصنيع الشاقة أن تتحول إلى الديمقراطية ، باعتبار أن التعليم والصناعة هما الأساس الذى تقوم عليـه الديمقـراطيـة فى المجتمعـات المعاصرة ، وإن كان قد فات لاسكى فى تحليله المشبع بالعطف على الثورة الروسية ومأساتها ، أنها أيضا كانت بمثابة قلعة محاصرة لقاعدة الثورة الاشتراكية فى عالم يناصبها العداء ، وحاول تدميرها أكثر من مرة سواء بحرب التدخل بعد الثورة مباشرة ، أو بالآلة العسكرية الجبارة التى أعدها هتلر خصيصـا فى ألمانيـا للقضاء على الشيوعية ، وبالتالى لم يكن المحرضون على تدمير الثورة الاشتراكية وقاعدتها فى الغرب من أمثال تشرشل ، أقل مسئولية من ستالين عن الطغيان الذى عرفته تلك الثورة فى عهده ، قبل أن تملى الظروف على الرجلين وبلديهما التحالف " مع الشيطان " ، وكل منهما كان كذلك فى نظر صاحبه ضد شيطان ثالث عدو لهما ، هو أدولف هتلر !

تلك " القاعدة المحاصرة " للثورة الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى ، كان من طبيعة الأمور أن تحكم ، وقد خاضت من أجل المحافظة على وجودها أكبر حرب شهدها التاريخ حتى الآن ، حكما عسكريا مطلقا أو شبه مطلق ، الكلمة العليا فيه " الجنرالسيمو " ، أو " الماريشال " ستالين كما كانوا يطلقون عليه ، ولكن بعد خروجها منتصرة فى الحرب العالمية الثانية ، وامتدادها لتصبح معسكرا دوليا

كبيرا يضم عددا من دول شرق أوربا ، وجنوب شرق آسيا وخاصة الصين . كان لابد من تراخي القبضة الحديدية داخلها ، وخاصة بعد موت الزعيم والقائد والماريشال ، جوزيف ستالين .

وكانت قنبلة خروشوف ، الذى أساء تصوير مافعله زعيمه ، ثم مافعله هو به ، وإزاء اتهام نظرية ديكتاتورية البروليتاريا ذاتها ، بأنها هي المسئولة ، اكتفى بالوعد بتحويلها إلى ديكتاتورية كل الشعب ! في الوقت الذى قررت فيه أحزاب شيوعية ماركسية لينينية في الغرب ، وعلى رأسها الحزب الشيوعي الايطالي أن تولى وجهها من جديد شطر الديمقراطية وتتمسك بها طريقا للاشتراكية . وكان ذلك بداية الطريق لما يعرف الآن باسم الشيوعية الأوربية تمييزا لها عن شيوعية « البلاد المتخلفة » أى روسيا وشرق أوربا !

الجيل الجديد .. والتحدى

نعود إلى " صاحبنا " الذى بدأنا به أول المقال .. ميخائيل جورباتشوف : إن جميع الملابسات ، وخاصة التعيينات الجديدة في بعض المناصب القيادية ، تدل على أن وصوله إلى قمة السلطة في بلاده إنما هو بمثابة زحف جيل بأكمله الى مواقع المسئولية ، جيل في مثل سنه ممن ولدوا بعد الثورة ، وليس مما بينهم من يستحق ، أو يتجاسر على ممارسة الطغيان إزاء الآخرين باسم هذه الثورة ! كما فعل السابقون .

ولاشك أن جورباتشوف شخصيا ، قد وصل إلى وصل إليه ، خلال تاريخ من الكفاءة الملحوظة فيما تولاه من سابق الأعمال . ولايمكن تصور تلك الكفاءة الا خلال نظرة " ناقدة " استطاعت أن تعرف موضع كثير من العيب في أعمال سابقيه ، وان تجد طريقا للخلاص منها والتغلب على مشكلاتها ، ودعوة البرافدا باسمه - إلى اطلاق حرية النقد من جانب كافة المواطنين حزبيين وغير حزبيين . إنما تعكس رغبته في أن يشارك جيله بأسره في نقد الأوضاع التى ورثوها ، ولم يكن لهم كبير يد في صنعها حتى الآن . وإذا كانت الجارديان البريطانية قد ركزت في اهتمامها بتلك الدعوة على نقد سلوك القيادات الحزبية من أجل التطهير ، فإن الجزء الأساسى فيما أتصور من تلك الدعوة هو الحث على نقد سياسات الحزب ذاتها ، فذلك هو المدخل الفسيح لاكبر قدر من التطور في سياسة تلك الدولة الكبرى ينتظر تحقيقه على يد الجيل الجديد من قادتها .

وفي هذا الصدد فإن حرية النقد وتقديم الشكاوى ، لايمكن لها إذا استمرت أن تكون نهاية المطاف ، فهى لاتعدو أن تكون بداية طريق طويل ممتد للتغيير الجذرى في طبيعة السلطة ، وهى على وشك أن تصنع المجتمع الاشتراكى الأول في العالم وجها لوجه أمام التحدى الكبير . موضوع هذا التحدى هو الديمقراطية ...

حقا لقد قال لينين أن أكبر قدر من الحرية السياسية لايكفى لاشباع البطون الجائعة .

وقد آن الاوان لكى يقال : إن أكبر قدر من الطعام لايغنى الانسان عن حرية التفكير والتعبير والاجتماع ، وكافة الحريات التى عرفتها الجماعة الانسانية .

والسؤال هو : هل الحرية السياسية ترف لاتطيقه إلا المجتمعات الراسمالية ؟ وهل لابد من السماح باستغلال الانسان



جـــورباتشـــوف

لأخيه الانسان ، حتى يتمتع الناس فى مجتمع ما بالحرية السياسية ؟

هذا هو ما ينبغى ان يجيب عليه الجيل الحالى من المواطنين السوفيت وقادتهم . وتحت هذا السؤال تندرج أسئلة فرعية ، إذا ماكان الجواب عليه ، هـو أن الاشتراكية قادرة بالفعل على أن تكفل الحرية السياسية .

فى مقدمة الأسئلة الفرعية : كيف يمكن لأجهزة الاعلام من صحافة وإذاعة وتليفزيون وسينما ودور نشر .. الخ ان تكفل حرية التعبير لجميع المواطنين بلا تفرقة مهما تكن أراؤهم ، وكل هذه الأدوات ملكية عامة يقوم على أمرها موظفون يأتمرون بأمر الحزب وقادته ؟ إن صيغة ما لابد من العثور عليها لكى يكون للعدالة الاشتراكية فى " حق التعبير العام " مدلول حقيقى .

والسؤال الفرعى الآخر هو حرية التنظيم ، حيث الحزب الشيوعى وحده يحتكر السلطة السياسية ولايسمح بقيام حزب سواه ، وإذا كان هذا الوضع قد استغرق فى الاتحاد السوفيتى بحيث لايتصور تغيير سريع له ، فماذا عن التنظيمات الشعبية الأخـرى مثـل النقابات ، وخاصة فى بلدان أخرى خلاف الاتحاد السوفيتى ؟

إن بولندا ، على سبيل المثال تشهد نوعا من الشيزوفرينيا السياسية ، تجعل الحزب الشيوعى ، الذى يعتبر " نظريا " هو طليعة الطبقة العاملة .. فى جانب ، والطبقة العاملة ، أو جزء اساسى منها



يـورى انـدروبـوف



ستـالـين

على الأقل فى جانب اخر ، مع نقابه " تضـامن " المستقلـة ، المحظـور نشاطها ! ويقول المدافعون عن سياسة الحكومة البولندية ، إنها لو أعطت نقابة تضامن كل ماتطالب به من حريات فربما ينتهى الأمر إلى تدخل القوات السوفيتية ، فهى فى الواقع . أى الحكومة البولندية ـ تدافع عن استقلال بولندا إزاء هذا الخطر !!

بادىء ذى بدء فإن قضية الديمقراطية

فى المعسكر الاشتراكى بعامة تقتضى وقف أمثال تلك الاحتمالات ، التى كان يمارس مثلها فى الماضى ، فى عهد ستالين وخلفائه ، وينبغى أن يترك لكل شعب فى المنظمة الاشتراكية حق تقرير مصيره بنفسه ، على نحو ماطالب به جورباتشوف فى مجلس العموم البريطانى كما ذكرنا فى أول المقال !

الأمر الثانى : إن على القيادات الشيوعية فى البلدان الاشتراكية جميعا ، وليس بولندا أو الاتحاد السوفيتى وحده ، أن تعيد النظر فى موقف الحزب الشيوعى من التنظيمات الشعبية الأخرى وفى مقدمتها نقابات العمال ، على سبيل أن الاقربين أولى .. بالديمقراطية !

الطبـــقـــة الجـــديـــدة

يذهب المدافعون عن احتكار الحزب الشيوعى للسلطة فى الاتحاد السوفيتى ، وفى سائر البلدان الاشتراكية ، إلى أن المجتمع الاشتراكى هو مجتمع تنعدم فيه الطبقات وبالتالى لايتحمل تعدد الأحزاب ، لأن الحزب فى النهاية ، وطبقا للتحليل الماركسى هو الجهاز السياسى لطبقة معينة يعكس موقفها عن علاقات الانتاج السائدة فى مجتمعها .

ولكن إعمال هذا التحليل ذاته على أوضاع المعسكر الاشتراكى الحالية ، يجعلنا نفترض أن حرص بعض النقابات العمالية على استقلالها عن الحزب الشيوعى ، والتفاف كثير من جماهير العمال حولها ، وبالمناسبة فليست " تضامن " وحدها فى الميدان ، بل إن حركتها تجد أصداء واسعة فى سائر دول شرق أوربا .. نقول إن الحرص على استقلال تلك النقابات وانسحاب كثير من أعضائها من الحزب الشيوعى ، يدل على أن هؤلاء العمال لم يعودوا يجدون فى هذا الحزب تعبيرا عن مصالحهم الطبقية ، كليا أو جزئيا ، بل يجدون نوعا من التناقض مع المصالح التى يمثلها هذا الحزب .

ماهو تفسير تلك الظاهرة عند الماركسية ؟

أن بعض الاشتراكيين الديمقراطيين فى غرب أوربا يتقدمون بهذا التفسير ، الذى ينطلق من حقيقة أن النظم الاشتراكية التى قامت فى روسيا وشرق أوربا ، إنما قامت فى بلدان أقل تطورا من الناحية الاقتصادية والصناعية من الدول الرأسمالية فى الغرب ، ولاتزال تسعى للحصول على التكنولوجيا المتقدمة ، وأحيانا الاستثمارات المالية المباشرة ، وكلاهما تملكه الشركات المتعددة الجنسية التى أصبحت بدورها دولا اقتصادية عالمية تتخطى الحدود السياسية للدول ، بما فى ذلك الانقسام العالمى إلى معسكرين . ويتيح هذا الوضع لتلك الشركات قدرا كبيرا من المناورة والتلاعب فى أوضاع المعسكر الاشتراكى اقتصاديا وسياسيا ، وتتعمد أن تؤدى " مساعداتها " المالية والتكنولوجية ، إلى تعزيز وجود " طبقة جديدة " من البيروقراطية الحزبية والمكونة فى المعسكر الاشتراكى ، من ذلك مثلا ماقامت به شركة " فيات " المتعددة الجنسية ، لصناعة السيارات ، حيث عملت على إنشاء خطوط تجميع لسياراتها فى كل من الاتحاد السوفيتى وبولندا ، لانتاج النوع الذى يعرف باسم " لادا " .

ومن بين أغراضها فى إنشائه تيسير الحصول على سيارات خاصة لعدد محدود

جورباتشوف

من العناصر القيادية في المعسكر الاشتراكي .

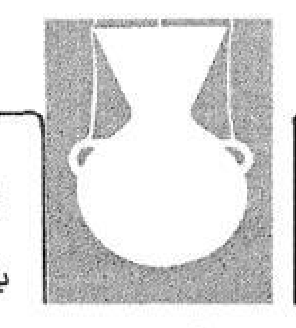
ويذهب أصحاب هذا التحليل للعوامل الاقتصادية الناشئة ، من أوضاع المعسكر الاشتراكي وتعامله مع الشركات العملاقة المتعددة الجنسية أي أن هذه الأخيرة تشجع بطريق خفي استمرار وضع " ديكتاتورية البروليتاريا " بمعنى ديكتاتورية الحزب الشيوعي ، وقمعه للاتجاهات المعارضة ، حتى ولو كانت نقابات العمال ، بل وخاصة تلك النقابات ، وحرمانها من الحق الذي تطالب به الأحزاب الشيوعية النظم الرأسمالية في أنحاء العالم وهو حق الاضراب ، فهذا الوضع الذي لايسمح للعامل في النظام الاشتراكي بالاضراب من أجل تحسين أجره ، يجعل تكلفة إنتاج السيارة " لادا " على سبيل المثال أرخص من مثيلاتها " الفيات " التي تنتج في إيطاليا ، حيث يملك العمال حق الاضراب وينجحون في فرض رفع أجورهم ، وبالتالي زيادة تكلفة السيارة ، وهكذا تنجح الاحتكارات الدولية ، في تمزيق " الدولية البروليتارية " في وضع العامل الروسي أو البولندي موضع المنافسة مع " رفيقه " الايطالي ، حيث تعتمد على خدمات الأولين - في الاستغناء عن الثالث ، في غمر الأسواق العالمية بسلعتها بأسعار تكفل لها الرواج !

ولنا نحن العرب ملاحظاتنا الخاصة عن الدور الذي تقوم به الشركات المتعددة الجنسية وشخصياتها البارزة ، وكثير من تلك الشركات هي في قبضة العناصر



هارولد لاسكى

الصهيونية ، التي تحاول التنسيق مابين المعسكرين الدوليين لخدمة أغراض الصهيونية العالمية ، من ذلك الزيارة التي يقوم بها إلى موسكو ، بين الحين والآخر ، منذ وفاة ستالين ، الملياردير اليهودي الروسي الأصل ، الأمريكي حاليا ، أرمان هامر ، رئيس شركة بيترولبام أوكسيدنترال ، المعروف بأنه كان صديقا للينين ! وقد توجه إلى الاتحاد السوفيتي في نهاية العام الماضي " لاستطلاع " أمر تشيرنينكو قبل وفاته ، وبعدها ذهب مؤخرا للقاء جورباتشوف ، وقد ذكرت التقارير الصحفية أنه في الأولى منهما ، وفي غمرة الأحاديث عن التعاون الاقتصادي ، وتخفيف حدة التوتر بين المعسكرين لم يفته أن يطالب الزعماء السوفيت بإعادة العلاقات الدبلوماسية مع الدولة الصهيونية القائمة على أرض فلسطين المحتلة والسماح بهجرة مزيد من اليهود السوفيت إليها ، وكل حديث يدور في الغرب عن " حقوق الانسان " في الاتحاد السوفيتي يقصد به حق الهجرة اليهودية وحرية الدعاية الصهيونية فحسب ! أما نحن فهي تعني عندنا حقوقا كثير مهدرة ، ليس أولها حق الشعب الفلسطيني ، ولا آخرها حق الشعب الأفغاني !



قنديليات

بقلم: يحيى حقي

● محمد علي والأزهر ●

●● كان الاستعمار في زمنه أنواعا .. فالاستعمار الذى جاء من بلدان مكتظة بالسكان وفقيرة فى الموارد ، أصبح بعد ذلك استعماراً استيطانيا . وهذا ماحدث بالنسبة لاستعمار ايطاليا لليبيا .

والاستعمار الذى جاء من دولة لها ثقافة تحاول نشرها وغرسها . جعلت همها الاستعمارى الأول ثقافى ، وهذا مافعلته فرنسا فى الجزائر .

والاستعمار الذى جاء من دولة متاجرة . تحول الدول المحتلة الى مقبرة تحلبها عن طريق التجارة . وهذا مافعلته بالتحديد انجلترا فى مصر .

ولكن فى زمن محمد على فى مصر حاول الفرنسيون أن يلعبوا بالورقة الثقافية فارسلوا الارساليات زحفوا على مصر وكانت القضية من أين يبدءون ؟ سألوا المصريين : ـ ماذا عندكم ؟ قالوا لهم .

ـ عندنا شريعة إسلامية . هذه هى الكتب التى تحمل الشريعة الاسلامية .

ولكن الفرنسيين لم ينتبهوا الى هذا التعدد وانه هو الثراء بعينه وان الاختلاف هو الحرية قدموا لنا قانون نابليون وقالوا هذا هو النص المعتمد . الفرنسي ثم ترجم الى العربية . كان اقصى جهد اضافه المصريون هو باب رسم الشفعة الذى لم يكن موجودا فى النص الفرنسى . قال رسول الله (ص) : ظل جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه . كذلك هناك باب فى الشريعة الاسلامية هو حق العلوى والسفلى وهو الحق فى البقاء فوق أو البقاء تحت . وهو يشكل حلا جوهريا وجذريا الآن لقضية تملك الشقق .

القانون الذى قدمه الفرنسيون ليس فيه فرق جسيم عن الشريعة الاسلامية وكان يمكن أن يتطور التشريع الاسلامى الى نصوص . أو ان توضع فى قالب مدنى . مادة ، مادة . المشكلة أنه يراد لكل اصلاح أن يأتى من الخارج ويلصق بالجسم الأصلى . مع أنه لو ترك للجسم الأصلى النمو الطبيعي لكان أفضل . ان كلمة يفقهون معناها التطوير والانارة والاستنارة .

ثم ماذا كانت النتيجة ؟ ان مصر تبدو كشجرة شقت نصفين . فرض عليها من جانب القانون المدنى الفرنسى الذى يتدارسه عدد من المدرسين .

ولكن الجزء الآخر شبع مات . والنكبة الأساسية كان ضحيتها الأزهر . لأن محمد على أعطى ظهره للأزهر وأرسل البعثات الى أوروبا . لقد قلت أن هذا اليوم من اسود الأيام فى تاريخ مصر . لقد حدث انقسام رهيب والشعب واحد . وعشنا زمنا طويلا نشكو فيه من هذا الانقسام تحت عنوان " إصلاح الأزهر " . أنتزعت منه دار القضاء ودار العلوم وتحول الأزهر الى جامعة وأصبح من يدرس يجرى وراء لقب دكتور بدلا من العالمية القديمة .



شعر : محمد عفيفى مطر

خشبٌ يكشف وقت الشمس والماء ،
ونهدان استفاقا ، زمن السبى بعيدٌ ،
وقتُ عشاقك فى آلليل بعيدٌ ، هل ترين
المخمل الصوفىَّ والنقش :

بلادٌ جمرةٌ ساطعةٌ ،

خضرةُ نخل ونساءٍ يتعرين ،
طواويسُ دمٍ ، شمسُ دنانير تقاطرْنَ ،
السماواتُ تَهَدَّمْنَ ، استداراتٌ على السرة والأكتاف ،
ليلٌ طالعٌ فى العشب والحلفاء ، والشهقةُ كانت
حَجَرَ الشاهد كانت حَجَرَ التَّقْدِمَةِ .
الليلُ استتاراتٌ تَشظَّيْن من الشفرة ، زهوُ القتلة
واغتصابٌ للسلالات ،
وهذا كفنُ الويةٌ تنشرها الريح ..

ونهدان استفاقا :

(كنا متقابلين تقابُلَ الخيمة والعراء
وبيننا سهيل

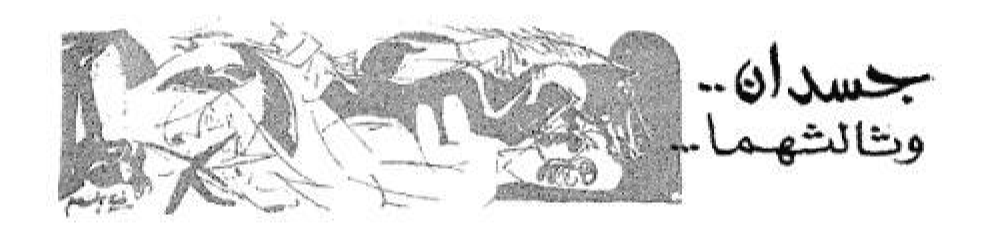


ومتقابلين تقابل النيِّرَيْنِ وبيننا القراءاتُ السبعُ
وحجرُ الفلاسفة
وكنا رجلاً وامرأةً .. وبيننا لغةُ النبوة
وقرابةُ الصعاليك ..)

بيننا نصلٌ وبرقٌ خُلَسٌ يكشف بيت الأهل والهودج فى
آخر أرض الله .
بيتٌ فى أواذيِّ البحار السبع جمرٌ
ثاقبٌ وهجٌ عُقابٌ من حرير الدم يعلو ..
بيننا من حجر البيت الأموميِّ شظايا قُبَلٍ راعفةٍ بالرمل
سوس الخشبِ الدّاثرِ أسنان التعاشيقِ الزجاجية
بيتُ قُبْلَةٌ هائمةٌ بين فضاءين من الدمع ،
ونهدان استفاقا بَغْتَةَ الحلم وأفْلَتَهُما .

الأرضُ مدىً من شجرِ النقش وسجادٌ من
الصوف التراثيِّ : خيولٌ وصهيلٌ غابرٌ منكتمٌ في

جسدان.. وثالثهما..



وبرِ المخمل ، كنا رجلا وامرأة .. كانت شرارات
دمٍ يَقْطُرُ من مرتكز المهماز تغدو لُحمَةً بين
سروجِ الخيل والبادية الناضلة .
النخلُ تدلى في فراغٍ باهت الزرقة ،
عشبٌ ، وغزالاتٌ تسايَلْنَ فراراً والسهامُ
انكسرتْ في الأفق .

كنا رجلا وامرأة نَشْخَصُ للظلمة والريح ،
سهيلٌ يتدلى من بروج الارث والذاكرة ،
الليلُ بلادٌ ظللُ يسكن أصداء القوافي
واشرَأبتْ من وميض الحجر الحيِّ وجوهٌ أقفرتْ
منها المسافاتُ .

وكنا رجلا وامرأة من حجر الصرخة ،
كانت قامتانا هيكل البهو الذى يرقد فى
ذاكرة الوشم الخراب
والدمُ النازفُ من مرتكز المهماز ميثاقَ الينابيع
وبَدْء العتبة ..



مستقبل المسرح العربي

بقلم : حافظ أمين

مر المسرح العربى خلال القرن العشرين ، بفترتين قصيرتين من الانتعاش ، الفترة الاولى فى العشرينات ـ بعد الثورة المصرية عام ١٩١٩ والثورة العراقية عام ١٩٢٠ وباقى الانتفاضات فى الوطن العربى بعد الحرب العالمية الاولى ـ والفترة الثانية فى الستينات ـ بعد الثورة المصرية عام ١٩٥٢ وباقى الثورات الاشتراكية فى الوطن العربى ـ وكل من يدرك مظاهر واسباب ظاهرتى الانكماش والانتعاش فى المسرح ، يستطيع أن يتنبأ بأن عقد التسعينات سيكون عقد الازدهار الجديد لهذا الفن الهام .

هناك مقاييس كثيرة تقاس بها درجة الانتعاش ودرجة الانكماش فى الفن المسرحى ـ مثل عدد الفرق المسرحية وعدد العروض وعدد المتفرجين ... الخ ـ ولكن المقياس الذى يغيب عن الكثيرين ، ولعله يكون أدق المقاييس كلها ، هو حجم الفجوة بين نوعية العروض التى يقدمها المسرح التجارى والعروض التى يقدمها المسرح الجاد . إذ كلما زاد حجم هذه الفجوة زاد الانكماش ، وكلما صغر الحجم زاد الانتعاش ، ذلك لان المسرح التجارى لايمكن أن يزدهر إلا إذا كان جادا ، والمسرح الجاد لايمكن أن يزدهر الا إذا كان تجاريا ، كما رأينا فى أعمال نجيب الريحانى ويوسف وهبى وغيرهما فى الفترة الأولى من الانتعاش (أعمال تجارية ولكنها جادة) ، وكما رأينا فى أعمال نعمان عاشور ويوسف إدريس وغيرهما فى الفترة الثانية (أعمال جادة ولكنها تجارية) ، فإذا استعرضنا فترات الانكماش ، لاحظنا ظاهرة اتساع الفجوة بين نوعين مختلفين تماما من العروض المسرحية ، النوع الأول يتضمن العروض التافهة المليئة بألوان الإسفاف والتهريج ، والنوع الثانى يتضمن العروض السمجة المليئة بألوان التقعّر والتحفلط ، وعروض عقد السبعينات ـ عقد وصول الأزمة إلى قمتها ـ أكبر دليل على صدق هذه الملاحظة .

وإذا كانت فترة الانكماش ـ من ١٩٣٠ إلى ١٩٥٥ ـ قد امتدت حوالى ربع قرن من الزمان ، فان فترة الانكماش التى بدأت





الفريد فرج — عبد الرحمن الشرقاوى

حوالى عام ١٩٦٥ ستمتد هى الأخرى ربع قرن ـ اى حتى عام ١٩٩٠ ـ وقد بدأنا نلاحظ إرهاصات الازدهار القادم من ظاهرة جديدة هى اختفاء العروض شديدة التفاهة ، واختفاء العروض شديدة السماجة ، أو بمعنى آخر ، بداية ضيق الفجوة بين المسرح التجارى والمسرح الجاد .

كان من اهم اسباب انكماش الثلاثينات ظهور منافسيْن خطيريْن للفن المسرحى ، هما السينما والمذياع ، وكان من أهم أسباب انكماش السبعينات انتشار المنافسين الجديدين ، التليفزيون ثم الفيديو . وإذا كان المسرح قد استطاع ان يتغلب على منافسيْه القديمين ، فى منتصف الخمسينات ، بتقديم أعمال لم يستطع أن يقدم أمثالها كلٌ من الفن السينمائى او الفن الاذاعى ، مثل " الناس اللى تحت " و " ملك القطن " و" القضية " و" السبنسة " وغيرها من المسرحيات التى وجد الناس فيها مالم يكن يجدونه فى السينما والراديو ، فإننا نتوقع أن يتغلب المسرح على منافسيْه الجديديْن فى أواخر الثمانينات ، بتقديم اعمال لايستطيع التليفزيون او الفيديو تقديمها ، بحيث يجد الناس فيها مالا يشاهدونه فى الشاشة الصغيرة .

شكل المسرح فى التسعينات

الفن المسرحى ، مثل باقى الفنون ، شكل ومضمون . وإذا كانت العروض قد انتقلت من شكل المهزلة الزاعقة (كما فى عروض الريحانى والكسار) وشكل الفاجعة الصارخة (كما فى عروض يوسف وهبى وجورج أبيض) خلال ازدهار العشرينات ، الى شكل الأوتشرك الخالى من الأحداث والصراعات العنيفة (كما فى عروض نعمان عاشور وسعد الدين وهبة) والشكل الرمزى (كما فى عروض عبد الرحمن الشرقاوى والفريد فرج) خلال ازدهار الستينات ، فإننا ننتظر آن ينتقل المسرح العربى خلال التسعينات إلى اشكال جديدة ، تثير فى نفوس جماهير مسرح التسعينات التجاوب الايجابى والمشاركة الحية مع القائمين على العروض الجديدة . ذلك التجاوب وتلك المشاركة التى من اجلها سيترك الناس

مقاعدهم امام التليفزيون ، ولايتجهون إلى السينما .

هذا من ناحية الشكل المرتقب لمسرح التسعينات . اما من ناحية المضمون ، فقد احتاج المسرح العربى إلى ربع قرن من الزمان لكى يكتشف ان المشاكل الحية للمجتمع قد انتقلت من مشاكل التفرنج والاستعمار والتغريب (تلك المشاكل التى كان يقدمها الكسار ويوسف وهبى والريحانى القديم) إلى مشاكل الظلم الاجتماعى والتفاوت الطبقى (تلك المشاكل التى قدمها الريحانى الجديد ثم نعمان عاشور ويوسف إدريس) ؛ وسيحتاج المسرح العربى إلى ربع قرن آخر (من ١٩٦٥ إلى ١٩٩٠) لينتقل من تصوير حاجتنا للعدالة الاجتماعية إلى تصوير حاجتنا إلى نبذ التخلف الموجود داخل نفوسنا .

لقد رأينا أن النهضة الاولى للمسرح جاءت بعد انتفاضة شعبية عام ١٩١٩ ، ضد أمور غريبة عن مجتمعنا وتقاليدنا ، وان النهضة الثانية للمسرح جاءت بعد انتفاضة شعبية عام ١٩٥٢ ضد مظاهر الاستغلال داخل المجتمع نفسه . وقد بدأنا نشعر منذ أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات بإرهاصات انتفاضة جديدة ، تتجلى فى الثورة على مابداخل نفس كل فرد فينا من عناصر تخلف . فالثورة هذه المرة لن تكون من مجتمع ضد آخر ، أو من طبقة ضد أخرى ، ولكن من قيم وسلوك وأخلاقيات متقدمة ضد أخرى متخلفة .

بدء انفراج الأزمة .

على الرغم من اقتراب المسرح العربى حتى الآن من الشكل أو المضمون المطلوبيْن لمسرح التسعينات ، فإنه يظهر للمدقق فى العروض المسرحية فى السنتين الأخيرتين ، أن هناك ظواهر جديدة تشهير إلى توقف اتساع الفجوة بين المسرح التجارى والمسرح الجاد ، هذه الظواهر التى تدل على بدء انفراج الأزمة والتى تتجلى فيما يلى :

١ ـ دخول بعض الممثلين والمخرجين والمؤلفين الجادين إلى مجال المسرح التجارى ، مثل محمود ياسين ، ونور الشريف ، وسهير البابلى ، وجلال الشرقاوى ، وعلى سالم وغيرهم .

٢ ـ محاولة المسرح التجارى تقديم عروض تقل فيها درجة الابتذال والاسفاف .

٣ ـ محاولة المسرح الجاد تقديم عروض تقل فيها درجة السماجة و " الحفلطة " .

٤ ـ خروج كثير من الممثلين والمؤلفين والمخرجين الذين كانوا يتصفون بالتهريج السفيه ، أو بالتقعر السمج ، خروجا نهائيا من مجال المسرح .

وهنا قد يتساءل القارىء : " فلماذا إذن ـ مع هذه الظواهر الايجابية ـ يستمر إعراض الجماهير عن المسرح ؟ " والاجابة هى أن تناقص حجم الفجوة بين المسرح التجارى والمسرح الجاد ليس إلاّ مؤشرا لقرب قدوم النهضة ، أما النهضة نفسها فلن تحدث الاّ بتقديم أعمال جديدة ، تستطيع أن تنافس التليفزيون والفيديو ، تماما كما نهض المسرح فى منتصف الخمسينات ، عندما قدّم أعمالا استطاعت أن تنافس العروض السينمائية والبرامج الاذاعية .

الازدهار القادم

لما تقدّم ، نستطيع أن نتوقع ان يكون

مستقبل المسرح العربي

عقد التسعينات هو عقد الازدهار القادم للمسرح العربي، وأن تكون عروض التسعينات مختلفة كل الاختلاف عن عروض الستينات، لقد زعم بعض مؤلفي الستينات أنهم لم يتوقفوا قط عن الكتابة للمسرح، وأن المسئولين كانوا يمنعون عرض مسرحياتهم طوال السبعينات لسبب أو لآخر، إلى أن عُرضت بعض مسرحياتهم فى أوائل الثمانينات، وظهر للجميع إعراض الناس عنها، مما يدل على اننا فى حاجة حقا إلى مسرح جديد، يختلف كل الاختلاف عن مسرح الستينات.

أما عن عناصر الجدّة، فلعل أهمها عنصر المشاركة الايجابية بين الممثلين والنظارة، فعروض التسعينات لابد أن تُلبى رغبة الناس فى المشاركة الحية مع الأعمال الدرامية، بعد أن احسوا إحساسا شديدا بمدى فُقدانهم لايجابيتهم إمام التليفزيون والفيديو، ومدى عزلتهم أمام هذه الشاشة الصغيرة عن الناس وعن المجتمع، وبعد أن أدركوا أن المسرح هوالوسيلة الوحيدة التى لديها القدرة على تحقيق هذه الرغبة العنيفة، بعد أن فقدت الشاشة الصغيرة جاذبيتها وفشلها فى تقديم الجديد.

أما العنصر الثانى من عناصر الجدّة، ولعله لايقل أهمية عن عنصر المشاركة، فهو تصوير الصراع الجديد الذى يتحرق الناس شوقا إلى مشاهدته فى أيامنا، وهو الصراع القائم داخل النفس الواحدة بين قيم التخلف وقيم التقدم، وذلك بعد أن ادركنا إدراكا كاملا أن التخلف يعنى الفناء الحقيقى. وهذا الصراع الجديد لن يستطيع تصويره مؤلفون اعتادوا على التفكير، بأن الصراع الطبقى هو الصراع الأول والأخير.

المشكلات الجديدة

ان تخلّى المسرح التجارى عن كثير من سطحيته، وتخلى المسرح الجاد عن كثير من تقعّره، سيُلزم المسرحيين على تقديم عروض أقرب إلى نفوس النظارة، واصدق تصويرا لمشاكلهم المعاصرة، وهذا يحتاج إلى الاهتمام بتحقيق عنصر المشاركة.

لقد أدرك المسرح الجاد - أخيرا - أهمية التخلص من المتقعرين الذين دخلوه اثناء أزمته فى أواخر الستينات وأوائل السبعينات، كما أدرك المسرح الهزلى - اخيرا أيضا - ضرورة الاهتمام بالتخلص من التهريج الرخيص، فنجحت أغلب المسارح خلال العامين الاخيرين فى تقديم عروض بسيطة نظيفة، ومع هذا فمازالت الجماهير مُضربةً معرضة، والسبب - فى رأيى - هو أن المسارح مازالت محتكرة من أفراد لايستطيعون تقديم الشكل والمضمون اللذين سيجذبان المتفرج الذى لن يترك مقعده المريح امام الشاشة الصغيرة، إلاّ إذا ضمن مشاهدة عروض مسرحية تصوّر مشاكله الجديدة وتسمح له بالمشاركة الايجابية معها.



كتاب الهلال
يقدم
رواد الفن التشكيلى
بقلم: بدر الدين أبو غازى
(عدد خاص)
يصدر
٥ مايو
١٩٨٥
روايات الهلال
تقدم
أكلة الموتى
(عن مخطوطة ابن فضلان)
بقلم: مايكل كرايتون
ترجمة: تيسير كامل
تصدر فى
١٥ مايو ١٩٨٥

٤١٠

● ذكرياتى فى المسرح ●

الناس اللى فوق

بقلم . نعمان عاشور

لم يتغير موقفى من ثورة يوليو عام ١٩٥٢ الا بعد تأميم عبد الناصر لقناة السويس ووقوع العدوان الثلاثى .. وكنت اعتبر قيامها مجرد صورة من صور الانقلابات العسكرية التى يدفع اليها الاستعمار الامريكى ليكسب نفوذا سياسيا وسيطرة اقتصادية على حساب الاحتلال الانجليزى .. ثم ليحل محله .. لدرجة اننى اعتبرت قبول الانجليز بالجلاء الفورى وتصفية مواقعهم العسكرية فى كثير من المستعمرات ان هو الا مجرد سياسة متفق عليها بينهم وبين حلفائهم الاستعماريين الجدد من الامريكان .. ورغم هذا الفهم فإننى كتبت مسرحيتى « الناس اللى تحت » لأضمنها دعوة صارخة للشروع فى بناء « مصر جديدة » مستندا فى دعواى الى عاملين كانا يشكلان ابرز واهم عوامل الضغط على حياتنا الوطنية .. وهى سيطرة الاحتلال وتحكم النظام الملكى متمثلا فى سيادة الاقطاع والتبعية المفروضة على الرأسمالية الوطنية .. والآن وقد زالت هذه العوامل بفضل الحركة العسكرية القائمة من خطوات .. بالقضاء على النظام الملكى نفسه وفرض قوانين الاصلاح الزراعى وتوزيع الأرض على الفلاحين ثم انهاء الاحتلال .. أصبح من المهام الحتمية اذا كانت الثورة ثورة بالفعل ولم تكن انقلابا عسكريا أن تشرع فى بناء مجتمع جديد قائم على العدالة الاجتماعية وخال من الاستغلال والقهر .. مجتمع متفتح ينطلق فيه الشعب بكل حرية لتحقيق ذاته وتطلعاته فى نشدان حياة افضل ومستقبل أفضل . وكنت متأثرا فى كل ذلك بمبادىء الاشتراكية التى نمت وترعرعت فى داخليتى فهما ونضالا إبّان الاربعينات .. ولذلك سميت "الناس اللى تحت" بعد انتهائى من تاليفها باسم « مصر الجديدة » .. ولم اعدل عن هذه التسمية الانتيجة لالحاح فرقة المسرح الحر بابتكار اسم آخر يكون أكثر طواعية لاستجابة جمهور المشاهدين سيما والمسرحية تحفل بالكوميديا .. وبالفعل عدلت لهم الاسم مبتكرا اسم الناس اللى تحت تمشيا مع دلالة موضوع المسرحية نفسه ومن واقع الكثير من الفقرات الحواريه عن وصفى لسكان البدروم الذى تدور احداثها داخله .. واقنعنى بذلك المرحوم

الدكتور محمد مندور بعد أن قرأها مدللا على أن " مصر الجديدة " عنوان سبق أن استخدمه فرح أنطون لاحدى مسرحياته فى اوائل العشرينات اذ سماها " مصر الجديدة ومصر القديمة " .

وضوح الرؤية

يتأثر الكاتب وخاصة كاتب المسرح بالاطار السياسى الذى يدور فى فلكه .. ومع ذلك فإننى حين كتبت " الناس اللى تحت ".. وفى ظل مفهومى للثورة على انها لم تكن الا مجرد انقلاب عسكرى .. لم اكن واقعا تحت تأثير هذا المفهوم بقدر ما كنت مدفوعا بما يحركنى من فكر اجتماعى سابق عليها .. وهو الدعوة الى حتمية انطلاق الجماهير الشعبية للمساهمة فى بناء حاضرها ومستقبلها بخلق مجتمع جديد لمصر جديدة . فلما كتبت مسرحيتى " الناس اللى فوق " عام ١٩٥٧ بعد تأميم القناة وزوال العدوان الثلاثى ، كان لابد أن أدير أحداثها متأثرا بالعوامل التى اخذت مجراها فى تطور الاطار السياسى العام وابرزها القضاء على النظام الملكى الاقطاعى واندحار الاحتلال . وجاء الاسم مطابقا مطابقة تلقائية وطبيعية للموضوع الذى شرعت فى معالجته والذى يدور حول انهيار الباشا بطل المسرحية كممثل لهذه القوى السياسية المندحرة .. ومحاولة تلمس أو استكشاف مايعتمل فى داخل هذا الاطار السياسى من عوامل جديدة دافعة نحو تطوير اجتماعى وسياسى افضل .. وكانت هذه العوامل واضحة فى ذهنى تمام الوضوح نتيجة للممارسة السياسية خلال الاربعينات الى جانب ما اكتسبته من قراءاتى من وعى اجتماعى ومعرفة اقتصادية مكنتنى منها دراساتى المتصلة المتتابعة عن الاشتراكية .. وبفضل هذا الوضوح فى الرؤية استطعت أن اكتب " الناس اللى فوق " فيما لايزيد عن ثلاثة شهور .. كان موضوعها مبلورا وجاهزا فى داخليتى . وكانت العقبة تتركز فى محاولة طرقه من خلال ما اتفاعل به مع شخوصه .. لكن هذه الشخوص لم تكن قد تجسدت بعد فى خيالى لأنها شخوص بعيدة عن بيئتى الفعلية ...

الشخصية المحورية

وفجأة وقعت على شخصية عبد المقتدر باشا لاجعل منها شخصية محورية تدور حولها الاحداث .. ومن خلاله أصور طبيعة الانهيار الذى نتج عن سقوطه كخادم للاقطاع وممثل لمصالحه واثر هذا الانهيار على أوضاع المحيطين به .. وفاتتنى صورته المتخيلة فى قالب كوميدى صارخ لدرجة اننى كنت اكتب النص وانا لا أكف عن الضحك .. ورغم ماعانيته من صعوبة فى نسج خيوط البناء الدرامى للنص منطلقا من شخصية الباشا الا انها زودتنى بالكثير من موجبات الكوميديا . والحق أننى لم أشعر بصفاء أو لذة أو شغف بأى مسرحية كتبتها مثلما شعرت وأنا أكتب "الناس اللى فوق" .. ولهذا أعتبرها أفضل مسرحياتى مخالفا بذلك كافة النقاد والدارسين والباحثين الذين كتبوا عن أعمالى المسرحية .. كان القلم يجرى على الورق يكاد يسبق أصابعى وينفلت منها وأنا اكتب

الناس اللى فوق

هذه المسرحية .. وكنت اشعر بنشوة غامرة كلما اعدت قراءة ما كتبت لاتابع الكتابة من جديد . فالمسرحيات لا تحكى قصة ولا تقدم موضوعا أكثر من أنها تبلور شخوصا درامية خالصة فى إطار كوميدى ناعم وصارخ فى نفس الوقت . وكنت مهووسا بشخصية الباشا الذى بلورت حول مأساة انهياره النسيج الدرامى للنص متأثرا فى ذلك بأسلوب تشيكوف فى رسم الجو الذى تدور فيه الاحداث وتتصارع الشخصيات رسما شاعريا رقيقا وفى رنة كوميدية عميقة دفعت الصديق أحمد عباس صالح وهو من اكثر النقاد ادراكا لدقائق موهبتى المسرحية .. جعلته وهو يعلق على المسرحية يعنون مقاله واصفا اياى باننى فى هذه المسرحية بالذات اعتبر التلميذ المخلص لتشيكوف ..

موسم ١٩٥٧

لكن ماذا عن اخراج المسرحية وعرضها ؟!! كان المسرح القومى يستعد لافتتاح موسمه الجديد .. موسم ٥٧/١٩٥٨ بعد عام من تسلم الصديق احمد حمروش لمركزه كمدير للمسرح القومى .. وكنت قد وعدته بكتابة مسرحية يفتتح بها الموسم .. ولم يكن هناك من يكتب للمسرح حتى الآن أحد غيرى من ابناء جيلنا غير الصديق الفريد فرج . وهو الى الآن اثبت كتاب المسرح .. واعلن المسرح القومى عن برنامج موسمه قبل بدئه .. وهذه احدى التقاليد الجديدة التى شرعها حمروش فى دقته وحزمه .. وقد تضمن الموسم تقديم ثلاث عشرة مسرحية فى موسم واحد .. تجمع بين الجديد المؤلف والمقتبس والمعرب والقديم المعاد اخراجه وتقديمه .. اى الحرص على الريبوراتوار كعمود فقرى للنشاط المسرحى .. قدمت اذن فى موسم واحد ثلاثة عشرة مسرحية بواسطة المسرح القومى وحده .. بينما المسرح القومى لم يقدم طوال السبعينات وحتى اللحظة فى أى موسم من مواسمه أكثر من مسرحية أو على الأكثر مسرحيتين او ثلاثة .. واليكم جدولا بالمسرحيات المقدمة فى موسم ١٩٥٧ أسجلها كشاهدة تاريخية لوثبة الستينات المسرحية العارمة التى يتطاول عليها لاخفاء ابرز معالمها كانضج واشمل الحركات المسرحية فى تاريخنا ...

الريبوراتوار « قوام النشاط المسرحى

ولن أحاول تحليل ما يثبته الجدول السابق .. ولكنه يكشف حقيقة هامة عن طبيعة المسرح كفن قوامه « الريبوراتوار » أى اعادة عرض المسرحيات على تتابع الموسم وعدم الاكتفاء بعرضها مرة واحدة ثم ينتهى عرضها الى الابد .. فالريبوراتوار هو العمود الفقرى لتطور المسرح ووجوده .. وقد ظلت مسرحيتى « الناس اللى فوق » كأنجح مسرحيات هذا الموسم .. ظلت تعرض حتى عام ١٩٦٤ وكانت بمثابة الأوزة التى تبيض

مسرحية	تأليف	ترجمة أو اقتباس	اخراج	عدد الحفلات	عدد الرواد
سقوط فرعون	ألفريد فرج	———	حمدي غيث	١٢	٢٥١٢
زواج الحلاق	بومارشيه	فتوح نشاطي.	فتوح نشاطي	٣٣	١٣١٦١
———	———	و أنور فتح الله	———	———	———
يسوع ابليس	فتحي رضوان	———	نبيل الألفي	١٨	٦١٧٧
الصفقة	توفيق الحكيم	———	فتوح نشاطي	٣٧	١٢٢٣٧
الناس اللي فوق	نعمان عاشور	———	سعيد أبو بكر	٣٩	١٣٨٩٢
جمعية قتل الزوجات	يوسف السباعي	———	نور الدمرداش	٢٢	٧٣٥٣
الوارثة	هنري جيمس	عبدالقادر القط	عبدالرحيم الزرقاني	١٤	٢٠١٥
الغيرة	———	سليمان نجيب	فتوح نشاطي	٤	١٠٠٠
ابن عز	———	عبدالمعطي حجازي	فتوح نشاطي	١	٥٠٠
سك مقطوع	وصفي عمر	———	فتوح نشاطي	٢	٢٢٤
الخطاب المفقود	كراجيالي	انور الخراط	حمدي غيث	١٠	٢٩٧٤
ست البنات	امين غراب	———	حمدي غيث	٤	٢١٤٤
قيس وليلى	عزيز اباظة	———	فتوح نشاطي	٣	٢٥٩

عدد المسرحيات	مؤلفة	مترجمة	مقتبسة	عدد الحفلات	عدد الرواد
١٣	٩	٣	١	١٩٧	٦٥٢١٨

ذهبيا بالنسبة للمسرح القومى فى كل موسم .. وحدث فى عام ١٩٦٣ بعد وجود التليفزيون وكان المسرح القومى يكرر اعادة عرضها لاسترداد جمهوره المفتقد .. ان فكر التليفزيون فى التقاطها .. وبالفعل أجريت البروفات اللازمة لذلك . وتأهب الجميع فى اليوم التالى لتصويرها . ولا انسى الحماس الذى كان يغمر الاخوين حسين رياض وفؤاد شفيق لأنهما سيظهران فى مسرحية واحدة لأول مرة معا على مدار تاريخهما الفنى الطويل .. لكننا فوجئنا فى صباح اليوم المقرر للتسجيل بسحب عربة التليفزيون من امام المسرح والعدول عن تسجيل المسرحية .. وكان السبب ان السيد المشرف على الاذاعة والتليفزيون والمسرح أيامها وهو المرحوم الاستاذ محمد امين حماد وذلك فى فترة ادماج وزارة الثقافة فى وزارة الاعلام التى يتولاها الدكتور عبد القادر حاتم .. قد قدم له .. أى للأستاذ حماد .. تقريرا عن المسرحية بأنها مسرحية سياسية تدعو الى الصراع الطبقى واثارة الحقد بين الطبقات الخ .. الخ .. وعلى كل فإن المسرحية لو كانت قد سجلت فقد كان لابد أن يلحقها مصير مسرحياتى الأخرى التى قام التليفزيون بتسجيلها وعرضها خلال الستينات ثم مسحت شرائطها وتوقف عرضها خلال السبعينات فى ظل ولاية الاستاذ عبد الرحيم سرور ورئاسته للجهاز ...

اخراج سعيد أبوبكر

ونعود الى اخراج المسرحية وعرضها .. كان الصديق احمد حمروش قد وضع تقليدا جديدا يحدد حقوق المؤلف بالنسبة لاخراج مسرحيته ومؤداه الا ينفرد المؤلف باختيار المخرج دون الرجوع الى اللجنة الفنية التى يرأسها مدير المسرح والتى ترشح له من المخرجين أكثرهم قابلية لاخراج اللون المقدم من مسرحيته .. بمعنى أن هناك مخرجين

اقدر من غيرهم على اخراج الكوميديا والعكس . ولم أكن قد أخترت من مخرجى الفرقة من يخرج مشرحيتى .. وفوجئت بأن جميع المخرجين بالفرقة قد وقع الاختيار عليهم لاخراج المسرحيات الأخرى المقدمة خلال الموسم .. وذات صباح أخطرنى الصديق أحمد حمروش بأنه يرشح لى الفنان الراحل سعيد أبوبكر .. ثم ناوله سماعة التليفون ليكمل المكالمة فقال انه قرا المسرحية وانه متحمس لها وعلى استعداد لاخراجها .. وكان طبيعيا أن أتحفظ فى الاستجابة فطلبت منه أن نلتقى لنتفاهم .. كان بقية المخرجين للمسرحيات الاخرى قد سبق لهم الاخراج .. وعرفوا أنهم مخرجون .. فتوح نشاطى والزرقانى وحمدى غيث ونبيل الالفى ونور الدمرداش .. بينما لم يكن سعيد أبو بكر قد عرف بأنه مخرج وعلى حد علمى قد سبق له الاخراج فلما التقينا قال انه يلحظ ترددى فى قبول اخراجه للمسرحية مع أنه حريص على ذلك .. ثم انه صحيح لم يخرج للمسرح القومى من قبل ولكن كان مساعدا لأستاذه زكى طليمات فى اخراج العديد من المسرحيات . واطلعنى على اسمائها واعلاناتها وقال انه ليس فى حاجة الى ذلك لولا انه يعتقد أن النص وقد قرأه ثلاث مرات نص "يخرج نفسه بنفسه" وانه مضمون النجاح حتى ولو عرض كما هو بدون مخرج .. ولكن العبرة كما قال ساخرا . بما يمكن ان يتوافر له من الأدلاء التمثيلى الكوميدى وهو الاقدر على ذلك من غيره لانه هو نفسه "كوميديان" .. والحق أننى لم أقتنع بمنطقه خاصة بعد أن شرح لى مشروع اخراجه الذى يقوم على مزيد من التركيز فى الحوار حتى تكون الكوميديا "حراقة" لأنها كوميديا شخصيات ومواقف وليست كوميديا لفظية .. وخرجنا من هذه الجلسة وأنا غير مقتنع بما أبداه من رغبة أكيدة فى اختصار النص بحيث لاتزيد مدة عرض عن ثلاث ساعات الا ربع على أكثر تقدير لاثلاث ساعات ونصف كما اجرى قياسه الزمنى للنص بعد قرأته ثلاث مرات .

المخرج صاحب العرض

لم يرقنى هذا المطلب لأنى لا أقبل أى تعديل فى مسرحياتى .. فالعمل الفنى وحدة متكاملة لايجوز الانتقاص منه او الاضافة اليه .. وهذه بدورها احدى القضايا الرئيسية فى طبيعة المسرح كنص مكتوب لابد من تحويله الى عرض مجسد حى .. وهى القضية التى تثير معها وأثارت فيما بعد عندنا فى مسرحنا اخطر وجوه الخلاف بين المخرجين والمؤلفين .. ونشأت عنها المزاعم القائلة بأن المخرج هو صاحب العرض . وبالتالى فان من حقه أن يطوع النص بقابلية عرضه على الجمهور .. لم أكن ومازلت حتى الان غير مقتنع بهذه النظرية وأن سلمت بضرورتها فى حدود .. أساسها التفاهم على الالتقاء فى


نوح نساطى


سهير البابلى

النظرة بين المؤلف ومن يخرج نصه وأن يجرى أى تعديل تتطلبه حاجة الاخراج بمعرفة المؤلف اذا اقتنع بملاحظات واقتراحات المخرج ..

احتدام الخُلاف

ولهذا سارعت الى الاحتكام للمكتب الفنى مطالبا بتنحية المرحوم سعيد أبوبكر عن اخراج المسرحية بعد أن كان المكتب قد عهد اليه باخراجها .. هنا ايضا نظر قيمة واهمية الدور الذى يمكن أن يلعبه مدير الفرقة المسرحية الحريص على سلامة انتاج وعرض مسرحياتها .. من أجل هذا لم أفاجأ بزيارة حمروش لى فى بيتى وبصحبته سعيد ابوبكر .. ولم يكن قد أخبره برفضى اخراجه للمسرحية .. وانما يحتاج الأمر الى تسوية ما يمكن أن ينشأ بينى وبينه من خلاف حتى نضمن نجاحها .. وكان حمروش متحمسا للنص اكثر من سعيد ابوبكر لخاصة بعد أن أعاد قراءته للفصل فى الخلاف .. ورغم ذلك فقد اختلفنا أنا وسعيد من الدقيقة الأولى حين عاد يكرر مطلبه عن ضرورة اختصار ما سماه "الحشور اللت والعجن" لأن الكوميديا يجب أن تكون ساخنة وحراقة وسريعة الايقاع .. وتناقشنا بحدة .. ويبدو أننى صارحته برفضى لاخراجه المسرحية فقام غاضبا منسحبا .. وجاءت زوجتى رحمها الله منزعجة لخروج سعيد المفاجىء من البيت اذ كانت تعد لنا العشاء وطالبتنى بأن اجرى وراءه واصالحه .. فلحقت به على السلالم وهو فى طريقه الى مغادرة المنزل فإذا به يبكى بكاء الطفل لموقفى منه .. واحتضنته معتذرا وأنا ابكى معه .. كان سعيد رحمه الله شديد الحساسية وقد خيل له أننى اتعمد

اختيار الممثلين (الكاست)



بعدها .. ساد الوئام بيننا فى صداقة عميقة متصلة ظلت حتى وفاته وشرعنا فى

الناس اللى فوق

اخراج المسرحية بتفاهم عجيب خاصة بعد أن أطلعني على اسماء الممثلين الذين اختارهم لادوارها وصمم على عدم تغييرها مهما كانت الاعذار . وكان قد اختار فؤاد شفيق فى دور الباشا وحسين رياض فى دور شقيقه وسناء جميل فى دور زوجة الباشا وأحمد الجزيرى فى دور سكرتيره ونعيمه وصفى فى دور شقيقة زوجة الباشا وكمال حسين في دور ابنها وسهير البابلى في دور ابنة الباشا .. وكان سعيد موفقا تماما فى هذا الاختيار وقد تجلى ذلك من الليلة الأولى لعرض المسرحية اذ كان كل منهم منسجما فى دوره مع الشخصية المختارة له .. والحق ان اختيار "الكاست" أى مجموع الممثلين الذين سيلعبون أدوارا المسرحية يعتبر من أبرز مواهب المخرج الثاقب النظرة . ولهذا كان سعيد أبوبكر رحمه الله يهمس فى أذنى بعد كل عرض "شايف .. مش قلت لك ما يفهمش الممثل غير الممثل اللى زيه" .

حين يخرج النص نفسه بنفسه

ولا أطيل فى الحديث عن المسرحية اكثر من ذلك .. لكن يكفى انها ظلت تعرض على مدار سبعة مواسم متصلة ولم يفتر نجاحها الجماهيرى فى اى موسم .. والذى خرجت منه بعد هذه التجربة شىء أساسى وهام أفادنى كثيرا بعد ذلك فى عرض مسرحياتى .. صحيح أنه لم يكن بينى وبين سعيد اى تفاهم مشترك فى الفكر أو النظرة أو الرؤية أو الموقف السياسى .. ونص المسرحية سياسى خالص لكن سعيد تناولها فى اخراجه لها من الناحية الكوميدية الخالصة .. وكانت المسرحية من هذه الناحية من اصعب ما كتبت فى هذا اللون .. ولا تحتاج من أى مخرج الا أن ينقلها بأمانة وصدق فنى كما هى على خشبة المسرح بدون أى تفسير اضافى من جانبه .. وهذا نفس ما فعله الصديق المرحوم عبد الرحيم الزرقانى حين جاء بعد ذلك ليخرج مسرحيتى "عيلة الدوغرى" بفصها ونصها كما يمكن أن يقال وبدون اقحام أى تفسير أو محاولة اى تعديل من جانبه . ذلك أن نصها هى الأخرى كان كما قال المرحوم سعيد أبوبكر عن الناس اللى فوق .. نص مضمون النجاح لأنه يخرج نفسه بنفسه ..

وهذا يثبت اننا فى الستينات لم نكن نقدم على الكتابة من خلال مواهبنا الادبية بقدر ما كنا نكتب ونحن على نفس الدراية بالمسرح مثل من جاءوا أخيرا ليعتبرونا كمؤلفين أدباء ولسنا مثلهم من رجال المسرح لمجرد أن صنعتهم الاخراج .

وهذا مادفعنى الى المطالبة باخراج مسرحياتى لحمايتها من اى تدخل اخراجى مزعوم .



مع الاعتذار لمايكل أنجلو

إلى أحمد مصطفى

" لا تنسى أن تلاحظ الرخامَ في بداية التشكيلْ
لكي ترى التمثالَ وهو لايزال فكرةً حبيسةَ الرخامْ
تشتاق للظهور ، لاكتمالـها البديعِ في " داوود"
لكنني ، وقد بلغتُ الردهةَ التي أوت معجزةَ الازميلْ
أفـزّ ، فالذي أحبُّ قد نـأى :
وها هي المدينةُ التي أحبُّها تلوح من بعيد
كأنها تنهارُ تحت وطأة الغبار والرخامْ ،
وقد شهدتَ غير مرةٍ تخبطَ الكلام
واختناقَه على شفا الكلامْ .
ما عاد يجديني إذن سوى السكونِ أيها الدليلْ ،
لابد لي من وقفة : كيف فقدتُ من أحب ؟
وما الجنايةُ التي اقترفتُ في تهدم الديارْ
وأين لي بالقدرة التي بها تحرّرُ الأفكارْ ؟

عبد الرشيد صادق

قصة قصيرة
من العـــراق



الذكريات الممنوعة

بقلم: حسب الله يحيى

بجلس هادئة، حولها صور ملونة، وباقة ازهار موضوعة في قدح.

جلست أمامها حزيناً، بقلب دامع .. وحدقت الى (الورد الجهنمى) أمامها .. سألت نفسي .هل يعذب الورد ويوضع فى جهنم ؟

وأجبت .. هى ترعاه وتحنو عليه وتداوى جراحه وتسقيه الماء لتبعث فيه الحياة . وجدت نفسي جالساً فى القدح ..! وعجبت لأمرى . فالدمعة فضحت مشاعري . خاطبتني باسمي، وتولت أمر مواساتي، وتوسلت الى أن أهدأ .

طلبت الى قدحاً من الشاى . اعتذرت، كنت أعلم بأن الشاى سوف يمزق أمعائي . وظلت تحدق فى وجهى .. وكنت أبحث عن شيء أظل أحدق فيه حتى لاتلتقى عينى بعينيها، وعندئذ .. عندئذ سأبكي، وأضيف هماً جديداً الى همومها .

وكنت أعلق وإياها آمالاً .. وكانت آمالها أكبر .. وأنا حزين لاأستطيع أن أتعلق بخيط من ضوء الشمس .. فالشمس ستغيب والخيط سينقطع ..

وتقول العكس : الشمس تشرق كل يوم .. وكل الكائنات تنتظر طلوعها وتمنى أفراحها بالضوء ..

ـ لكنه ضوء مؤقت، ضوء تقليدى . خداع . أنا أبحث عن ضوء، ضوء عميق .

ـ أنت متشائم دائماً . ومنذ عرفتك، عرفت أنك تحمل أحزاناً متراكمة .

ـ وهل خف هذا التراكم، هل زال بعضه ..؟

ـ أضيفت اليه همومي .

ـ همومك، ملك مشاع للناس .. وهذا الشيء الوحيد الذى يخفف عنك ثقله .

ـ كيف ؟

ـ زوجك المفقود، وابنك المفقود، جيلان .. الآباء والأبناء فى خندق واحد .. كنت أريد أن أقول لها ..

زوجك .. كل الرجال وأنا معهم، وابنك .. كل الابناء وابني معهم ..

وآثرت الصمت . حدقت في الورد الجهنمى .. وعلى غير توقع منها .. استأذنت بالانصراف، حاولت أن تعتذر

عن اثارة الموضوع أمامى .. وتوسلت بقائى فترة اطول . غير اننى كنت أصر على الانصـراف ، خشيـة الضعف امامها .

حاولت ان ابدد أحزانى ، وأن اسير حتى اتعب ..

كنت تعبا ، غير اننى صرفت تعبى ، بالساعات التالية ، والتى ساشاهد خلالها ، عمارات سكنية ترتفع ، ونافورات يندفع ماؤها بقوة ، كأنما يريد الخلاص من مصار الانبوب الذى يضيق عليه .. وصور كثيرة ، بحجوم وألوان مختلفة .

احترت بأصابعى فقد كنت أعرف بحركتها اللا ارادية حين اكون قلقا .. وضعتها فى جيبى .. وفوجئت بأن الانظار تحدق الى حاولت أن أصرخ :

ـ أيها الناس لاشىء ، لاشىء فى جيوبى ، لابيانات سرية ممنوعة ، ولا جهـاز التقـاط ، ولامسـدس سريـع الطلقات فى جيبى فراغ .. كلا .. هواء



الذكريات الممنوعة

وانا اطرد الهواء وأشغل الفراغ .. أليس ذلك من حقي .. انه بنطلوني أنا وليست بناطيلكم لأسرق مافيها ، أو أواضع الممنوعات في داخلها .. أنا لا امارس هذه المهن .. ودائما احمل اكثر من هوية في جيب بنطلوني الخلفي . لأثبت شخصيتي .. فبدونها لاأساوي شيئا ، ولايمكن معادلتي برقم ، أي رقم .. فالأرقام اشياء محسوسة ، وأنا رقم غير عادي .. !

وضعت يدي فوق رأسي ، اتاوم الصداع الذي انتابني فجأة ، وحرارة الشمس ، وفوجئت بأن العيون ترصدني .. والعيون تقول بأن هذا الرجل يحمل راسا ، وهو يستخدم راسه للتفكير في امر ما .. نعم ، نعم ذلك وارد .. فالنباتات مزهوة لأنها بلا راس .. انها لاتشغل نفسها بالتفكير ، لذلك تتلون وتعطر الجو .. فهي بلا هموم .. والقطة .. القطة التي تألفني وتلامسني كلما ترائى .. هل تفكر ..؟ تفكر نعم ، فهي تميزني ، فحين اطرد القطط الغريبة التي تريد أن تخاصمها أو تمارس العاطفة معها قسرا ، تلجأ الى لانقذها .. ولا اخيب أملها .. وعندئذ تبقى ساكنة ، اليفة .. وتهرب بقية القطط من غضبي .

هي قطة تفكر بأمنها .. وانا افكر بأمني وأمن من حولي .. وهذا هو الاختلاف مابين تفكيري وتفكير القطة .. وبلادة النبات

واسير .. ويدي على جانبي جسدي .. ماالذي افعله بهما .. ؟

سأدخن وأبتاع علبة سيكائر من النوع الرديء بثمن مضاعف .. وأتوقف عند خزان للماء البارد .. وحين أريد أن ادفع الثمن لا أجد احداً لاستلام النقود . انتظر .. فانا أمين على حقوق الناس .. غير أنني ، وعبر التفاتة الى الخزان قرات الجملة التالية : " اشرب ، واطلب الرحمة للحسين الشهيد " .

طلب الرحمة ، اعتذار . انا ادفع ثمن الماء .. بكلمة (رحمة) واتذكر الحسين ودمه ، واعتذار عن دمه القتيل .. اعتذار ، اعتذار !

توقفت فجاة ، كلمة « الاعتذار » اثارتني .. غداً سيفرجون عن زوجها وابنها ويعتذرون ، وربما في الغد .. سيعتذرون أيضاً .. فلا وجود للاسمين في قوائم المفقودين ..

هذه ... أجوبة التفاؤل التي تنتظر المرأة ..

أما أجوبة الحزن ، فهي أخف كثيراً من حالة التعلق بشيء مجهول ..

فهي لاتعرف أسباب الاعتقال ، ومكان الاعتقال ، والى متى سيستمر ..

وقد يكون مختطفاً هو وابنه . ولكن لا أعداء لهم ، فكل من حولنا يحبهم .. كانت تقول بثقة عالية .. وربما غرقا أو دهسا . لكن الماء لم يكشف عن جثتيهما ، والمستشفيات لم تستقبل حادثاً باسميهما ..

فهل تكون الارض قد انشقت وابتلعتهما ، وهل صعدت روحاهما الى السماء كالمسيح ، وهل القيا في بئر عميقة كيوسف الصديق .. ؟

حاولت أن أتذكر وجه الزوج الصديق ، وابتسامة ابنه ، وتفاؤل الزوجة التي مازالت تنتظر عودتهما منذ سنوات .

الدقيقة الواحدة من الانتظار صعبة
الدقيقة تمتلىء بالذكريات الذكريات العزيزة والاليفة . والكلمات الخضر وتعيد مواقف الحزن والجراح التي تسعى . الذكريات الاجمل . هي الابقى

اذن كيف تصبر هذه المرأة العنيدة كيف تدفع بالصخرة الى الاعلى مثل سيزيف ولاديباس كيف تمارس عملها اليومي وتذكر باشياء كثيرة وهادئة وسلبية . وذاكرتها مملوءة بالصور .. ؟

عجبت للمرأة هذه . كنت احسد فيها الامل . واكثر مايسعدني في حياتي كلها ان اراها سعيدة . سعيدة ومتفائلة .. ومتى فقدت هذا التفاؤل .. اكون قد امتلات بالحزن . وافتقدت كل حاجتي لان اتنفس

تعبت قدماي ورأسي ثقيل . ولا اقوى على حمله . وحمل الذكريات الممنوعة التي في داخله . وتذكرت موضوعا قرأته في صحيفة يومية عن اختراع جهاز جديد بامكانه ان يكشف كل مايحمله الانسان في ذهنه من أسرار يكشف هويته السياسية . وعلاقته العاطفية . يكشف احزانه وافراحه معا !

الممنوع سيحصده حتما . والممنوع سيحصد سواه ايضا . والممنوع سيجعل الامور اسهل في كثير من الحالات . فسيقل الزحام على شراء البيض واللحوم والخبز . وسيتكىء الركاب في السيارات بارتياح .. اذا لم تتوفر لمعظمهم سيارات خاصة .. فهم قلة . وامنون . فما دام ملك الملوك يجلس على كرسيه سعيداً . فالدنيا بخير . لاهم ولا مرض ولاشان للراس بان يفكر في احلام ممنوعة وعلى الجميع ان يحتفلوا بزفاف ملك الملوك في يومي الخميس والجمعة . ذلك ان الطبيعة وخالقها قد اختصهما لأحد الكواكب الاثيرة عنده . وهو كوكب الزهرة . فيما احتار بقية الايام للكواكب الأخرى .. فالسبت لزحل . والاحد للشمس . والاثنين للقمر . والثلاثاء للمريخ . والاربعاء لعطارد

[illegible] الملوك اذن فضل الزهرة . فامتلا [illegible] مسرة . واختاروا الزواج وانبات [illegible] البشرية في هذين اليومين [illegible] .

ازداد ثقل راسي .. واخترت الجلوس على الارض تحت جدار ترك ظلا . ولم اعرف باسي عفوت . إلا عندما دفعت بصري الى اعلى فشاهدت شيئا اشبه بمخلوقات ابن المتعمة والمعافاة . يصرخ في وجهي ويطردني :

- يا .. ياأستاذ . ليس هذا مكان للسكارى . هذا المكان ليس فندقا اذهب من هنا

لم يكن الوقت مناسبا للسكارى كما اعلم . فالنهار في منتصفه . والسكارى نادرون في هذا الوقت . فلماذا ظن بي هذا الرجل .. كوني سكيرا . بدل ان اكون متعبا ومريضا واشكو الصداع القاتل كما هو واقع امري فعلا ؟

قلت : لماذا يكون مثل هذا الذي في ذهني نادر الوجود في تفكيره ؟ فمن حقه ان يكون إنسانا سويا كباقي مخلوقات الله . كون كل انسان متهما في قضية مالم تثبت براءته . والتهمة موجودة . ويمكن تفصيلها ضمن مقاييس مختلفة

ومشيت . بحثت عن مقهى قريب . فلم احد . فكل المقاهي قد تحولت الى (بارات) وتحليل ذلك قائم على امرين

الذكريات الممنوعة

الربح لصاحب (البار) والخلاص الأجوف من الهموم في تناول الزبائن لمزيد من الكحول ..

الحزن ، الحزن .. أكان لزاماً أن يرافقني كظلي ، أكان لزاماً أن يكون أصدقائي في وضع حزين وقلق مثل أحزاني وقلقي ؟

ابتسمت .. وقلت : لولم يكونوا على شاكلتي ، لما التقينا ولم نكن أصدقاء .

●●

وصلت المنزل مرهقاً . استقبلتني زوجتي بالشكوى من الأبناء .. والشكوى من صداعي الذي لايفارقني ..

ـ لقد تعلمت هذا .. صداع دائم ، وأبناء مشاكسون ، وكل الأرهاق لا يقع الا على عاتقي .. أنت لاهم لك سوى الانشغال بصداعك وتذكرت القطة التي لاتفكر الا بنفسها ..

قلت لنفسي : مادمت قد حققت الامان للقطة ، فينبغي أن أحقق الأمان لزوجتي من الأبناء المشاكسين .. وهذا أحد حقوق الزوجية المطلوب تنفيذها . صرخت في أبنائي . خاطبتهم واحداً واحداً .. ألزمتهم بالنوم .. خافوا غضبي ، واستلقوا على أسرتهم بعيون مفتوحة جامدة ، أو عيون مغمضة كاذبة . انشرحت أسارير الزوجة .. خاطبتني : هكذا الآباء .

صمت وتظاهرت بالنوم .. ونامت القطة التي في داخلها .

ونهضت على أطراف اصابعي . جئت الى سرير واحد ، واحد من أبنائي وهمست في اذن كل واحد منهم : اذا لم تكن راغبا في النوم ، اذهب والعب او اقرا قصة تعجبك .. استجاب واحد منهم ، واختار البقية الانصراف كل الى حريته .. سررت .. فقد أطلقت سراح ابنائي ، وكان علي أن أحاصرهم بالنوم ، عليّ أن افقدهم إنسانيتهم .. وأجعل (الممنوع) ساري المفعول في داري . فرحت بقراري .. وغفوت .

●●

في الزمن القصير لغفوتي لاحقتني تلك المرأة .. ولاحقني زوجها وابنها .. لاحقني شيء اسمه « الضياع » أو « الفقدان » .. سألت : ضياع ، فقدان .. المسالة تتعلق بفقدان بشر ، وليس فقدان قرط ، ولاضياع حاجة مادية ..

هذه الأشياء يمكن العثور عليها بسهولة .. وفي حالة عدم العثور عليها لايعني الأمر أكثر من الحزن المؤقت ، والحزن المنسي لاحقاً ..

لكن التذكر .. التذكر الذي يشغل الذهن عن انسان عشت زمانه وعاش زمانك ، كيف تلغيه من الذاكرة ، كيف تمزق أوراقه ، وتلقي بصوره بعيداً عنك .. ؟ جبال الثلج تذوب ، وضوء الشمس يغيب ، والعاصفة تهدأ ، وأفراح ملك الملوك مازالت باقية .. وذكرياتنا الممنوعة باقية .. باقية ..

وتذكرت جواب المرأة وهي تسأل .

ـ أتعلم سر بقائها :

وقبل أن أجيب قالت : لأن الذكريات الأصيلة ، الأصيلة ، لايمكن قطعها . لايمكن أن تستأصل ، لأن جذورها عميقة ، عميقة ..

وأقول لنفسي :

ـ هذه المرأة ، قوية بقناعاتها ، قوية بتفاؤلها ، وقوية أيضاً بأحزانها .. فمن خلالها تتحدى من حولها ، وتتنفس الحياة .. تسقي وردها الجهنمي .

● حكى المؤرخ المسعودى ان جماعة من اهل البصرة خرجوا يريدون الحج . فلما كانوا ببعض الطريق . إذا غلامٌ واقف على الطريق ينادى : ايها الناس . هل فيكم احدٌ من اهل البصرة ؟! فاجابته تلك الجماعة من البصريين وقالوا له . ماذا تريد ؟! .. قال إن . مولاى . يريد أنْ يحملكم وصية . فسالوا معه إليه . فإذا شخص ملقى تحت شجرة فجلسوا حوله فاحسَّ بهم فرفع طرفه اليهم وهو يكاد يرفعه من شدة الضعف . وانشأ يقول

ياغريب الدار عنْ وطنهْ
مُفردا يبكى على شجَنهْ
كلما جدّ البكاءُ به
دبّت الأسقامُ فى بدنهْ

ثم اغمى عليه وهم جلوسٌ حوله حتى اقبل طائر فوقع على الشجرة وجعل يغرد . ففتح عينيه وجعل يسمع تغريد الطائر ثم انشا يقول

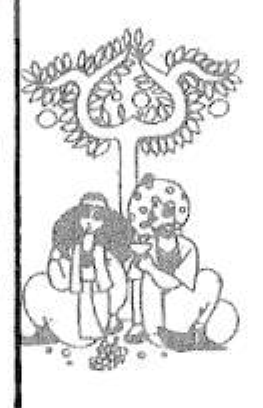
ولقد زاد الفتى شجنا
طائر يبكى على فننه
شفّهُ ماشفنى فبكى
كلنا يبكى على سكنه

ثم تنفس نفسا فاضت روحه معه . فلم يبرح القوم من عنده حتى غسلوه وكفنوه وصلوا عليه

فلما فرغوا من دفنه سالوا غلامه الذى دلهم على مكانه . من هذا ؟! . فقال هذا العباس بن الاحنف ! .

والعباس بن الاحنف هو الشاعر الوجدانى الذى اشتهر بالحب وشعر الحب فى صدر الدولة العباسية

وكان العباس بن الاحنف شديد الحب لفتاة بغدادية اسمها « فوز » . ولم يذكر التاريخ نسبها . ويبدو انها كانت جارية مغنية لأحد الكبراء وكان الاحنف يتردد على مجلس غنائها . وفى ذلك يقول



اتاذنون لصب فى زيارتكم
فعندكم شهوات السمع والبصر

الجذور التاريخية للثقافة الفرنسية في مصر

بقلم الدكتور : محمود متولى

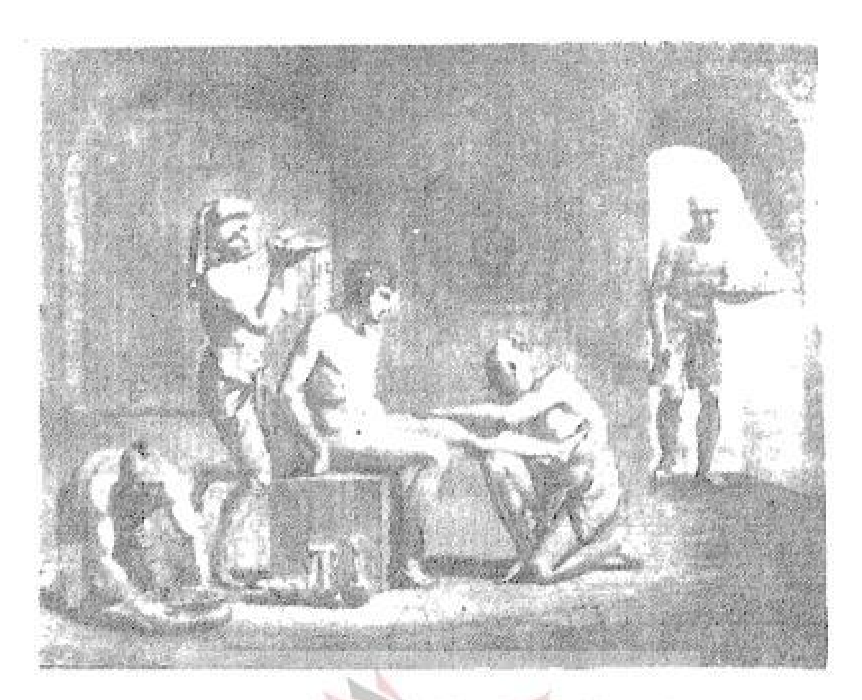
العلاقات الثقافية المصرية الفرنسية لها جذور تاريخية . تبدأ مع اهتمام فرنسا باهمية موقع مصر الاستراتيجى ودورها فى حماية العالم الاسلامى . وإذا ماعبرنا مرحلة العصور الوسطى والحملات الصليبية وبالذات حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة وسجنه فى دار ابن لقمان ثم فديته وإذا ماتغاضينا عن بعض محاولات الأفراد بين الجانب الفرنسى لدراسة المجتمع المصرى وأوضاع الحكم التركى المملوكى القائم قبيل القرن التاسع عشر ... إذا ماعبرنا كل ذلك فانه يجب أن يكون معروفا ان اهتمام فرنسا بالدراسات الشرقية ولغات الشرق جعلها تنشىء فى باريس أول مدرسة لدراسة اللغات الشرقية الحية فى ٣٠ مارس سنة ١٧٩٥ .

ولقد هيأت الحكومة الفرنسية لهذه المدرسة معامل للصوت ومكتبة زاخرة بشتى الكتب العربية وكان المستشرق الكبير « دى ساس » استاذ اللغة العربية الاول فى هذه المدرسة .

ولم يلبث الكثير من العلماء الفرنسيين ان اقبلوا على دراسة اللغة العربية وترجمة امهات الكتب العربية وكان من ضمن الكتب التى ترجمت من العربية الى الفرنسية كتاب الف ليلة وليلة وصار هذا الكتاب متعة فى مجالس المثقفين فى فرنسا ووسيلة للتندر والفكاهة فى المجتمع الفرنسى .

وقد كان من حظ مصر العاثر ان تفقد استقلالها السياسى على يد العثمانيين عام ١٥١٧ عندما دخلها السلطان سليم الاول وهزم طومان باى . وكان حظها أسوأ عندما فقدت قبل ذلك استقلالها الاقتصادى بعد كشف طريق راس الرجاء الصالح على يد الرحالة البرتغالى فاسكودى جاما فى عام ١٤٩٨ م وتحول طريق التجارة من البحر المتوسط الى المحيط الاطلسى فكسرت طرق التجارة التقليدية التى كانت تسير فيها من الشرق الاقصى الى اوربا وهى طريق الخليج وطريق البحر الاحمر وطريق اسيا الصغرى .

ولاشك أن فقدان بلد ما لاستقلاله يفقده الروح الابداعية والخلق والابتكار ويشل تطورها ومن هنا لانستغرب ذلك السكون الذى كانت تغط فيه الثقافة المصرية قبيل قدوم الحملة الفرنسية الى



حمام عام في القاهرة . من اعمال الرحالة الفرنسيين . تتصاعد الابخرة
بسبب غلاء الماء الساخن . ويعد اثر المعمرة . وتبدو بحمل القبوه

مصر وان كنا لايجب ان نغفل الثقافة التقليدية التي كان يحمل لواءها الازهر ولكنها كانت ثقافة تقتصر على العلوم الشرعية والفقهية .

ويمكننا تقسيم القنوات التي وصلت عن طريقها الثقافة الفرنسية الى مصر ومعرفة فرنسا بالكثير عن احوال مصر نتيجة لهذا الاحتكاك الثقافي في اربع قنوات رئيسية.

(١) الاولى تتمثل في الرحلات التي كان يقوم بها بعض الفرنسيين الى الشرق ومصر

(٢) الثانية وهي الحملة الفرنسية ذات التاثير الضخم على مجرى الثقافة المصرية

(٣) الثالثة البعثات التعليمية من ابناء المجتمع المصري الى فرنسا منذ عهد محمد على الكبير

(٤) الرابعة مجموعة الفنانين التي حضرت الى مصر على فترات متقطعة وكانت تجوب البلاد طولا وعرضا تستوحي الطبيعة المصرية والمجتمع المصري مادة لرسوماتها ولاشك ان المجرى الموازي للتاثير الثقافي الفرنسي هو الثقافة المصرية الحديثة التي وصلت إلى فرنسا من خلال نقل بعض اداب المصريين كقصص نجيب محفوظ وادب طه حسين وغيرهما من ادباء مصر

الجذور التاريخية للثقافة الفرنسية في مصر

وكتابها . بعد ان عرفت فرنسا الدراسات الفرعونية بزمن طويل .

ومن اهم المستشرقين الفرنسيين « اندريه ريمون » الذى حضر الى القاهرة ومكث بها مدة طويلة ثم كتب كتابه الشهير عن الحرف والتجار فى القاهرة فى القرن الثامن عشر وأعطى فكرة عن الهيكل الطبقى للمجتمع المصرى واستند فى كتابه هذه إلى حجج الارقاف وسجلات المحاكم الشرعية .

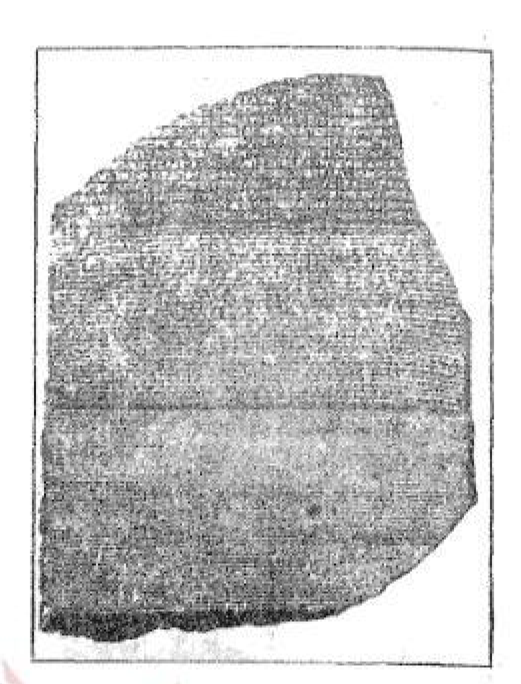
وهناك الرحالة المشهور « جان مارى كاريه » وهو أول الرحالة الفرنسيين الذين وطئت اقدامهم ارض مصر . وهناك الرحالة « سافارى » الذى تأثر بافكار « سترابون » ـ المؤرخ الشهير ـ عن اهالى وادى النيل فجذبته الحضارة المصرية ووصل الى القاهرة سنة ١٧٧٣ فى اخر حكم على بك الكبير وعاش بها ثلاث سنوات خلال حكم « محمد بك ابو الذهب » وحضر وفاته وكانت سن سافارى عند حضوره إلى مصر لاتتجاوز السابعة والعشرين وقد كتب كتابا عن مصر ذكر الكثير من العادات والتقاليد الاجتماعية المصرية فى القرن الثامن عشر واعجب بالقرويات المصريات وجمالهن وتقاطيع اجسادهن وفطرة سلوكهن .

ثم هناك الرحالة الفرنسى « فيفان دينون » الذى كان الومضة الاولى لعلم المصريات وعندما زار مدينة الاسكندرية قال عنها انها مدينة حزينة وعندما وقف أمام « عمود السوارى » راه اقل عظمة مما بلغه من شهرة .

ولكن اخطر هؤلاء الرحالة شانا هو « فولنى » والذى وصف مدينة القاهرة فى القرن الثامن عشر بانها تفتقر إلى التناسق الاجتماعى وذكر ان المملوك كان يظفر باكثر واغلى مما ظفر به اى جندى على مدى التاريخ . وقد وصف المؤرخون الرحالة فولنى بانه « غاز » بعقل عالم وروح جاسوس وكانت مدة اقامته فى مصر سبعة اشهر اعترضه خلالها الكثير من العقبات ولعل حقده على مصر كان وليد ماشاهده والمعاملة التى عومل بها من جانب المماليك . ولقد كتب إلى نابليون تقريرا يدعوه الى فتح مصر وبانها لا تجد من يدافع عنها وانها كالثمرة الناضجة على استعداد للسقوط لاول هزيمة تحدث لها . وزين فولنى لنابليون ان يتخذ من مصر قاعدة إستعمارية لبناء إمبراطورية فرنسية . وفعلا ثبت من مذكرات بونابرت ان كلمات « فولنى » كانت دائما فى اذنه وانها كانت ضمن دوافعه لحملته على مصر .

وقد جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر فى يونيو سنة ١٧٩٨ وخرجت منها فى سبتمبر ١٨٠١ . ومع الحملة يحرص نابليون على ان يأتى معه بأعظم علماء فرنسا ومهندسيها من مختلف التخصصات وكذلك احضر نابليون المطبعة العربية .

ولم يلبث نابليون بونابرت ان انشا المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة فى ٢٠ اغسطس سنة ١٧٩٨ ووضع على راسه العالم « مونج » وكان سكرتير المجمع هو




حجر رشيد ، وشامبليون الذى كشف اسرار امجاد التاريخ المصرى .

المسيو « فورييه » ومن أشهر أعضائه « برتوليه » .

وقد اقام الفرنسيون في القاهرة خلال الحملة الفرنسية مدرستين لتعليم ابنائهم المولودين بمصر وجريدتين فرنسيين ومسرحا للتمثيل ، كما بنوا اماكن للارصاد الفلكية ، والرياضيات والنقش والرسم فى حارة الناصرية ورمموا بعض بيوت الامراء واستخدموها لهذه الاغراض وجعلوا بيت الامير المملوكى حسن الكاشف فى الناصرية مكتبة للمطالعة يحضر إليها من يريد المطالعة ، وإذا جاء احد المصريين رحبوا به واطلعوه على ما اراد . من الكتب وقد جلبوا لهذه المكتبة مجموعة كبيرة من الكتب العربية ولكن الحملة الفرنسية عند خروجها اخذت معها كل شيء .

ومن الجدير بالذكر أن بونابرت كلف فى الاشهر الاولى حملته بعض المهندسين الجغرافيين وضباط اركان الحرب ومهندسى الرى والقناطر والجسور برسم خريطة تفصيلية للقطر المصرى وكان برأس هذا الفريق « تستفيود » الذى قتل فى ثورة القاهرة الاولى فتوقف العمل فى الخريطة ولكن نابليون عين « جاكوتان » الذى جمع الرسومات والبيانات والاحصاءات اللازمة لهذه الخريطة ولكن ظروف الحملة السياسية لم تمكنهم من إتمامها فأخذوا كل المادة العلمية معهم

الجذور التاريخية للثقافة الفرنسية في مصر

عند رحيلهم إلى فرنسا وهناك تم وضع اول خريطة دقيقة للقطر المصرى .

كما شكل بونابرت لجنتين للكشف عن اثار الفراعنة فى الصعيد ورسمها ودراستها وكان يراس اللجنة الأولى سكرتير المجمع العلمى الفرنسى بالقاهرة المسيو « فوربية » وراس اللجنة الثانية المسيو « كوستاز » احد مهندسى الحملة وقد شاركهما فى العمل مجموعة من المهندسين والعلماء المصاحبين للعمل هم مسيو « جومار » والمسيو « قيفان دينون » . وقد دونت ابحاث اللجنتين فى الاثر الخالد للحملة وهو السفر الضخم المعروف باسم كتاب وصف مصر والذى نشر تباعا فى ٢٢ جزءا فى الفترة من سنة ١٨٠٩ إلى سنة ١٨٢٢ .

واثناء وجود الحملة الفرنسية كان يصحبها بعض الفنانين الفرنسيين الكبار مثل الرحالة قيقان دينون الذى صاحب القائد الفرنسى « ديزيه » عند غزوه للصعيد حيث رسم مجموعة من اللوحات للصعيد طبيعته ورجاله كذلك تام بجولته فى الوجه البحرى حيث قام ايضا بوضع مجموعة من اللوحات الرائعة التنسيق والالوان . وصور قيفان حى الازبكية واهتم برسم بعض اللوحات للأثار الفرعونية فى المنيا وملوى .

وبعد الحملة الفرنسية جاء إلى مصر الفنان الفرنسى ان لوى جيرودين الذى رسم لوحة كبيرة واسترجع فيها ثورة القاهرة الاولى فى سنة ١٨١٠ تصور الارادة والمقاومة والاصرار للشعب المصرى فى مواجهة الحملة الفرنسية وهناك فنان يدعى هوراس فيرنيه جاء فى عهد محمد على قام برسم صورة لمذبحة المماليك التى وقعت فى القلعة فى مارس سنة ١٨١١ وتدعمت العلاقات الثقافية الفرنسية المصرية فى عهد محمد على بشكل لامثيل له بحيث يمكن ان يقال انه العصر الذهبى لهذه العلاقات وان كان عصر اسماعيل لايقل عنه رونقا .

ولقد استعان محمد على بأحد علماء الحملة الفرنسية للاشراف على البعثات المصرية إلى باريس وهو العالم « جومار » ففى سنة ١٨٢٦ ارسل محمد على بعثة كبرى إلى فرنسا عدد طلابها اربعون من بينهم الشيخ رافع الطهطاوى الذى رشح من قبل الشيخ حسن العطار ليكون اماما للبعثة وواعظا لها حتى لاتنحرف وحتى لاتنقلب موازين اعضاء البعثة النفسية قبل ما يشاهد من حضارة وبريق واضواء . وكان الهدف من البعثة دراسة الطب والقانون والجراحة والتاريخ الطبيعى والكيمياء والفنون الحربية والبحرية والزراعية وقد اوكل امر الاشراف على هذه البعثة فى باريس إلى جومار ـ الذى كان حريصا على ديون ثقافة بلاده فى وادى النيل وكان المعجبين بمصر خلال وجوده اثناء حملة بونابرت ـ وقد اخلص « جومار » الاخلاص كله للبعثة استحق أن يرسل له محمد على رسالة شكر يقول فيها ـ

« شكرا لك ياصديق مصر العامل بجد وإخلاص لنفعها حتى كانك نبراس رغباتى فى تمدين البلاد التى جعلنى الله على راسها » .

ومن الجدير بالذكر ان محمد على لم يوجه بالنقافة المصرية إلى فرنسا فى البداية ولكنه ارسل بعثة فى بداية حكمه ـ سنة ١٨١٣ ـ إلى انجلترا للدراسة إلا انه وجد ان انجلترا متفوقة في العلوم البحرية فقط ، فعاد من انجلترا عثمان افندى نور الدين الذى اصبح فيما بعد اميرالا للاسطول المصرى فى عهد محمد على .

كذلك وجه إلى ايطاليا بعض المصريين ليتعلموا الطباعة ، وعاد من افراد البعثة المصرية إلى ايطاليا نقولا سابكى الذى تولى الاشراف على المطابع فى عهد محمد على ، ثم ادرك «الباشا» ان فرنسا يجب ان تكون الدائرة الواسعة التى يبحث فيها عما يريده من هنا كانت بعثته الكبرى الاولى إليها سنة ١٨٢٦ ، وفى

عازف الربابة



الجذور التاريخية للثقافة الفرنسية في مصر

سنة ١٨٣٢ ارسل محمد على بعثة ثانية كبرى إلى فرنسا مؤلفة من ٧٠ فردا إختارهم القائد الفرنسي المتمصر سليمان باشا الفرنساوى الذى كان يشغل وظيفة رئيس اركان حرب الجيش المصرى وهو احد ضباط نابليون الذى استعان به محمد على في تكوين جيش مصر الحديث واخلص العطاء لمصر وقدرته مصر خير تقدير وفى سنة ١٨٤٧ أرسل محمد على بعثته الثالثة ايضا إلى فرنسا وكانت مقصورة على طلبة الأزهر لدراسة الحقوق هناك .

ومما يلفت النظر ان البعثة الثانية كانت تضم اربعة من الاسرة العلوية اثنان منهما إبنان لمحمد على باشا وهما الامير عبدالحليم والامير حسين واثنان من ابناء ابراهيم باشا هما الخديوى اسماعيل والامير احمد .

والواقع ان تيار الثقافة الفرنسية ظل يسرى فى عروق مصر حتى وفاة محمد على وبمجيء عباس توقفت البعثات الى فرنسا ثم بولاية سعيد واسماعيل تبدا عروض الثقافة الفرنسية تنبض من جديد ويكفى أن نقول ان الذى شارك فى تحضير مصر لتكون قطعة من اوربا كان معظهم من الفرنسيين !!

ولقد شارك بعض الفرنسيين فى اكتشاف مجموعة من الآثار الفرعونية وكان أبرز هؤلاء بلا شك العلامة شامبليون الذى صاحب الحملة الفرنسية (١٧٩٠ - ١٨٣٢) وكان له الفضل فى حل طلاسم حجر رشيد فقدم للعالم كله إنجازا رائعا حمل معه الكشف عن اسرار الحضارة الفرعونية .

وهناك ماريت باشا (١٨٢١ - ١٨٨٨) الذى عاش حياته دارسا اللغة المصرية القديمة كما قام باستكشافات شتى فى وادى النيل فاستكشف أحد معابد وادى الملوك ومدافن السرابيون ومدافن سقارة . كذلك لايجب ان ننسى جاستون ماسبيرو الذى ولد سنة ١٨٤٦ والذى عين رئيسا للبعثة الفرنسية فى مصر لاستكشاف الاثار ثم عين مديرا للمتحف المصرى عام ١٨٩٩ وظل فى هذا المنصب حوالى ١٥ عاما .

كذلك يحفظ لنا التاريخ اسم الدكتور « أرتين دريفون » الذى ولد عام ١٨٨٩ والذى قام بدور كبير فى النصف الاول من القرن العشرين فى استكشاف الآثار الفرعونية وفى نشر أبحاث من المعابد المصرية القديمة واهرام سقارة والمسرح المصرى القديم وغير ذلك من الابحاث القيمة التى تميط اللثام عن فترة هامة من التاريخ المصرى القديم والحضارة الفرعونية التليدة .

ولا يجب ان ننسى ان ضمن من ساهموا فى استقرار الثقافة الفرنسية على ضفاف وادى النيل اولئك الفرنسيون الذين كانوا اعضاء فى هيئة تدريس الجامعات المصرية من الفرنسيين واولئك الذين حازوا عضوية المجمع اللغوى بالقاهرة نذكر منهم « ماسينون » الذى كان من اكثر المستشرقين الفرنسيين نشاطا وبحثا وإنتاجا وكان عضوا بالمجمع اللغوى وكان استاذا سابقا بكلية الآداب بجامعة القاهرة حيث عين استاذا لتاريخ الفلسفة فى الجامعة وإلقى على تلاميذه دروسا شتى فى التصوف . وصلة الفلسفة الاسلامية

بالفلسفات الأخرى . ونذكر « جاستون فيت » الذى تعلم بمدرسة اللغات الشرقية فى باريس واتقن العربية والتركية والفارسية وقصد إلى القاهرة اذ قام بدراسة الآثار الشرقية وعين أستاذا للآثار بكلية الآداب بجامعة القاهرة وعين فى عام ١٩٢٦ مديرا لدار الآثار العربية وساهم فى تأسيس مجلة « القاهرة » ونشر بها بعض البحوث المتصلة بالآثار المصرية وقد قام « جاستون فيت » بترجمة كتاب « خطط المقريزى » ونشره المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة سنة ١٩٢٨ . كما ترجم كتاب البلدان لليعقوبى حيث نشر فى سنة ١٩٢٧ ونشر له كتاب فى باريس سنة ١٩٢٢ وصف فيه مساجد القاهرة فى كتاب ضخم .

ولعل بعض الأدباء الفرنسيين كان لهم دور هام فى الكتابة عن مصر ومجتمعها نذكر منهم « بيير لوتى » الذى الف كتابا عن اثار فيله سماه « موت فيله » فى سنة ١٩٠٧ وقد انهاه بصرخة عاجلة يدعو فيها المصريين إلى الحفاظ على تراثهم الخالد كى يبقى تبعا لفن تستلهمه الأجيال القادمة . إن تيار الثقافة الفرنسى حفر الكثير من الينابيع داخل القطر المصرى ولا شك ان هذا التيار وجد فى مرحلة من مراحل تطور مصر الاجتماعى الكثير من المؤيدين والانصار فى مواجهة الاحتلال الانجليزى والغزو الثقافى للغة الانجليزية ويعتبر طه حسين عميد رواد الثقافة الفرنسية بمصر الحديثة ..

إن الابداع الحضارى المصرى منذ فجر التاريخ البشرى ، يمثل الحلم الأسطورى للانسان وتزاوج الثقافة المصرية بالثقافة الاوربية عامة والثقافة الفرنسية بوجه خاص ادى إلى انفتاح ثقافى من لون جديد وإذا كانت فرنسا قد اعجبت بالتاريخ الفرعونى لمصر وعارضت النضال الذى قادته مصر للدفاع عن المقدسات الاسلامية فى الشام ، فإن النظرة المعاصرة من جانب الفرنسيين للثقافة المصرية الحديثة قد تبدلت وترجمت روايات نجيب محفوظ وكتابات بعض المفكرين مثل باكثير وجودة السحار ومحمود تيمور ويوسف السباعى ونوال السعداوى ويوسف إدريس وطه حسين والعقاد والدكتور هيكل وغيرهم ... ولا تزال فرنسا تشكل بتياراتها الثقافية قبلة لكثير من المثقفين المصريين .

حديث شريف

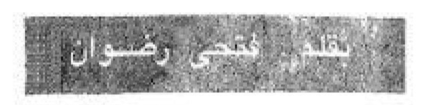
- سألت سيدتنا فاطمة الزهراء اباها رسول الله - بما يدخل الناس الجنة يارسول الله ؟

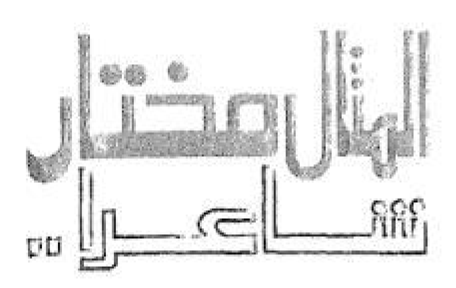
قال بعقولهم

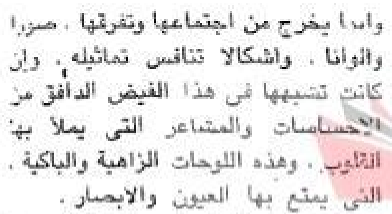
قالت . اليس بإيمانهم ؟

اليس باعمالهم ؟

قال . ياام ابيك .. على قدر عقولهم يكون إيمانهم وتكون أعمالهم .









تمثال نهضة مصر

لقد اعتدت أن اقف ـ كلما اتيح لي الوقوف ـ امام تماثيل مختار، ثم اترك نفسي، تتأثر، وتنطلق مع تأثراتها، في عالم فسيح، لا ينتهي عند حد. أنسى فيه دنيانا المحدودة، التي يعكر صفوها ضجيج لايطاق، ودناءات لاتحتمل، واناس صغار، يخاصمون الفن، ولايدعون أحدا، ليستلهمه أو يستمع إلى همسه الذي يحرك القلوب...

كنت أفعل ذلك دائما، وأنا مدرك، ان مايصنعه مختار في الصخر، وفي البرونز أو الرخام، هو شعر مجسد، وان الوزن فيه والقافية، هما هذه البراعة التي تحيل الجماد إلى جسم حي، تنطق كل قسمة من قسماته. سواء كانت هذه القسمات في وجه أو في صدر أو في ذراع... وبقيت هذه حاله مع تماثيله الصغيرة، الرقيقة، الى أن قرأت بعض ماكتبه فإذا به شاعر حقا، ينطق الكلمات كما ينطق الصخر، فهو لايكرر المعاني المألوفة، وانما يخرج من اجتماعها وتفرقها، صورا والوانا، واشكالا تنافس تماثيله، وإن كانت تشبهها في هذا الفيض الدافق من الاحساسات والمشاعر التي يملأ بها القلوب، وهذه اللوحات الزاهية والباكية، التي يمتع بها العيون والابصار.

وقد رأيت أن اعرض عليه نماذج مما كتب في أكثر من مجال، لتتذوق هذه التماثيل التي صاغتها أنامله، عندما تحمل كلمة.

أرسل إلى صديقته (مارسل) خطابا جاء فيه:

« لقد نضب الشعر اليوم من نفسي، فبعد جولة في جبال الجرانيت وبعد ساعات طوال من الارهاق والعمل، استلقي مجهدا وغدا لن يكون لي من النوم لحظة، يوم ثقيل بعد وحده.

ولقد كان من الحكمة الاأكتب إليك اليوم، ولكنك ياعزيزتي مصدر الافكار التي تستمد قيمتها من وحيك وإلهامك.

. وانه يطيب لى أن أتصور أسماءنا المنسية وقد انبعثت بغتة من أوراق خطاب قد يعثر عليه ، وقد يتساءلون عن تلك المرأة التي لقيت كل هذا الحب وعندئذ سيصمون أطيافنا بالكثير من الحماقات . والسخف ، فإذا كنا نسيء الحكم على الاحياء فماذا يكون الحكم على الغائبين انا اكتب إليك وانا مستلق على الرمال التى لاتزال تحتفظ بسخونة يوم محرق ، وفى الجوريح قبلات ، والرغبات اليائسة تتبدد فى الأحزان وعاودتنى الاوهام ، رأيتك تنبثقين فجأة من احجار الجرانيت ، وفى مهام الزمان حيث كنت أتعدد بدت لى معالم تكوينك تتشكل .

« إننى أرى النيل أمامى ، وفى الضفة الأخرى ، كشك أثرى قديم يغمره الليل والصمت »

وحين أفتقد وجودك إلى جانبى ، تنصتين إلى واحيانا تبتسمين فإننى الى هناك اتجه ، ولكن طالما كان على مقربة منا شخص يحتاج لنا الا تكون الحياة جميلة .

وهل لنا أن نشكو من يكون هذا الشخص محبوبا نستمد من وجوده ومن غيابه ، عواطف واحاسيس غير محدودة

وإذا كنا نحب من جانب واحد ، وإذا كانت الحياة تنطوى على نفسها وتصبح احساسا داخليا ، أليس فى هذا أيضا شعور بالراحة . وكتب أيضا بعنوان (ترنيمة حزينة) خطابا لنفسه لا لصديقته لأن حبه من جانب واحد ، وهو بهذا الحب سعيد .

كتب لها أولا ، خطابا ، فوجدته مرا فحرقته ، بأى حق أشكو منها ! أنى احببتها بهذا الحب الذى لايعبر عنه بالكلام بل نحت فى الحجر الصوان الاصم .

نعم كنت أحبها هذا الحب المقدس . وأبحث فى عينيها عن هذا السر الذى يجذبنى دائما إليها ، لا كما يبحث الانسان بين الاعشاب عن خاتم وقع من أصبعه ، بل كما يبحث المرء عن سعادة صنعتها له الحياة لكل هدوء في أسرار الاشياء ، كنت أحبها وافاخر بهذا الحب السامى الذى وضعت تحت تصرفه جميع مواهبى لأقذف بها فى امواج الحياة المتلاطمة ، لأجعلها حى خالد .

وكان هذا واكثر من هذا مما لايكتب ولايقال ، ولكن يظهر لى انها لم تقدر هذه العواطف الرهيبة وكأنما خشيت أن تنظر إلى عمق هذا الحب المخيف ، الذى لم تتعوده بعد ، فأوقفته بيد من الثلج .

أنظر كيف تعامل هذا الحب ، فقد بقيت كل هذه المدة بدون أن اراها ، او تصلنى اخبارها ، كأن الحياة قد انقطعت اسبابها ونحن نعيش فى مدينة واحدة ، كأنه وضع بينى وبينها سد من حديد ، فاصبحنا لايعرف احدنا الآخر .

انظر كيف تسرف فى عدم الاكتراث ، وهى تعلم أن عدم الاكتراث ماهو إلا سم الحب الزعاف

انظر إليها بعد أن سقته كاس الموت ، كيف تنظر إليه يحتضر ولاينفطر قلبها . وتذوب روحها إجلالا لهذا المنظر الرهيب »

انظر كيف تبتسم امام هذه الدماء المقدسة ، وهى تعلم ان للحب الها حسابه عسير ، فسوف يأتى يوم تثوب إلى رشدها ، وعندها تلبس الحداد إلى أخر يوم من حياتها البائسة .

ولكن لماذا اقول لها كل هذا ؟

إنها سعيدة بدون هذا الحب ، وهل انا أردت شيئا أخر غير سعادتها .

المثال مختار
شـــاعـــرًا

بأى حق أريد أن أشركها فى مستقبلى المليء ألاما وغيوما .
بأى حق أريد أن أقذف زوابع حياتى وعواصفها فى حياتها الهادئة الساكنة .
لا : فلتكن هى سعيدة ولتسامحنى إذا عكرت عليها صفوها لحظة واحدة ولتكن إرادتها .
أما أنا فسأخضع لعزة نفسى ، وأعود إلى وحدتى الساكنة التى أجد فيها دائما الدواء الشافى لآلامى والبلسم الذى يضمد جروحى ، وسأنظر من هذه الوحدة إلى تذكار هذا الحب كما ينظر الانسان إلى كسوف الشمس من خلال قطعة زجاج عليها سحابة من الدخان الى ان تغيب .
ولكنى سأبقى كالانسان الذى لاترى منه العيون العادية أثرا من بعيد ، حتى إذا زلت قدماها أقدم لها يد الشفقة لأنتزعها من الهاوية .
هذان الأثران الذى خلفهما محمود مختار ، والذى وجدتهما فى كتاب الكاتب العظيم بدر الدين أبو غازى وزير الثقافة ، والناقد الفنى الفذ ، عن مختار وهما يكشفان عن أغوار هذه النفس الشاعرة ، ومدى تلاطم مشاعره وعمق أحزانه ـ وأسلوبه الخاص به ، لا بالاحساس بالحب ، وتأثره به ، وتصغيره عنه ، بل بغرابة الدنيا التى عاش فيها ، والتى الهمته هذه القطع التى نحتها فى الجرانيت ، والتى الانها بسحر أنامله ، فنطقت بالطف عبارة ، فاضت بالحزن والحرارة ، والحب والمرارة .

انظر إلى قوله مثلا . فى الجوريح قبلات ، والرغبات البائسة تتبخر فى الاحزان . وإلى قوله : رأيتك تنبثقين فجأة من احجار الجرانيت ، وفى سماء الرمال حيث كنت أعتبرها معالم تكوينك تتشكل وأخيرا هو يفرى نفسه ، بكلمات تمتلىء بالحزن والأسى والانكسار فيقول .
وإذا كنا نحب من جانب واحد ، وإذا كانت الحياة تنطوى على نفسها ، وتصبح إحساسا داخليا ، أليس فى هذا أيضا شعور بالراحة ؟

والحق أن الشعور الذى يصفه هنا . ليس شعورا بالراحة ، لأنه الانطواء والعزلة والاحساس الممض بالوحدة ، ولكنه شعور محب ، لايجد من حبيبته متبادلا فى العاطفة .
وفى الترنيمة الحزينة ، عتاب يفيض بدم الحب المسفوك ، فالشاعر قد هجرته معشوقته ، فانظر كيف يصف موت الحب ، الذى جرعته يد المحبوبة سما زعافا ، وكأنها لا تفعل شيئا ، لأنه هجرته فحسب ، وهى تحسب أن هذا الذى سفكت به دم هذا المخلوق الرقيق الحساس الذى نسميه ، أمر لاخطأ فيه ، ولاعتاب عليه وكالعادة يعزى نفسه بأنه ليس من حقها أن يعصف بهدوء نفسها أو يقذف فى دنياها الساكنة بأعاصير حياته .
وبعد هذا نرى أن الفنان الكبير المحلق والمتسامى فى دنيا الابداع ، والشاعر الذى يحس أضعاف مايحس الناس العاديون ، حينما تشتد به لوعة الحب ، وتحرقه نيران الهجر ليس إلا إنسانا عاديا ، إلا أن قدرته الخارقة على التصوير من جهة وعلى التعبير من جهة أخرى تبديه فى صورة إنسان غريب ، وهو فى

إذ وضعوا مرة تلميذا جديدا فى المجارى حتى اختنق ووضعوا آخر فى برميل وتركوه يصرخ فيه على رصيف السين حتى ساقه الشرطى إلى القسم . أما إذا غضب الجديد فالويل له . وقد يؤدى الأمر إلى خروجه من المدرسة نهائيا .

ولقد كان نصيبى كجديد أن يحكم على بالتجرد من جميع ثيابى ، وأبقى عاريا تماما ، ولم تكن تنفع مقاومة أو شفاعة .

فرضخت من فورى كما رضخ زملاء لى من قبل ، فشدوا وثاقى إلى كرسى ، وأنا عار كما ولدتنى أمى ، ووضعوا على رأسى تاجا من الورق على شكل فرعونى ، وكتبوا عليه « رمسيس الثانى » وحملونى على نقالة رفعوها على أكتافهم . وخرج موكب الطلبة فى جموع غفيرة يتقدمنا من يفسح لنا ، وسرنا كذلك من المدرسة إلى عرض الطريق حتى كنيسة « سان جرمان ذى بريه » فى آخر شارع بونابرت - وكان المطر يتساقط رذاذافوصلنا إلى قهوة بونابرت ، والناس من حولنا ينظرون ويبتسمون وهم جميعا يعرفون عادات مدرسة الفنون الجميلة وتقاليدها .

وهناك وضعونى كما أنا على خوان فى المقهى وطلبوا طعاما وشرابا وجعلوا يرمونى بالفضلات وقشر المحار وكأنهم يقدمون إلى على طريقتهم الزلفى والقرابين » .

وبمناسبة الحديث عن خطابات مختار العاطفية ، نذكر أن القريبين من مختار من الأصدقاء والأقارب ، يعرفون مدى ارتباط المثال العظيم بالمطربة ذائعة الصيت أم كلثوم الآتية من ريف مصر ، وقد يمكن القول إنها كانت عنده بمثابة الفلاحة التى



تمثال لام كلثوم من الشمع
متحف جريفين بباريــــــس

الواقع واحد من الناس ، يضاعف بتفوقه ودقة إحساسه ، آلامه .

على أن شاعرية مختار ظهرت فى أجلى صورها ، فى لوحة قلمية وصف بها طقوس استقبال الطالب الجديد أى طالب جديد فى مدرسة الفنون الجميلة بباريس ، وهى طقوس تصل فى القسوة إلى أقصى الغاية . وقد نال منها نصيبا لايحتمل ، ولكنه يخلد له ، ولما وصفه ، وصفه بهدوء وكأنه نسى مافيه من مرارة جاوزت الحدود ، قال

« لما وصلت إلى مدرسة الفنون الجميلة - نبهنى أستاذى إلى هذه

المثال مختار شاعرًا

جسدها فى تمثاله الرائع « نهضة مصر » والتى رمز بها إلى مصر الحديثة توقظ مصر القديمة ممثلة بدورها فى « أبى الهول » وكان قول مصطفى كامل باعث النهضة الوطنية المصرية (أريد أن اوقظ فى مصر الهرمة مصر الفتاة) وقد الهم المثال بفكرة التمثال ، ولاسيما أن قاعدة تمثال مصطفى كامل الذى صنع بأموال المصريين سنة ١٩٠٨ ، وهى السنة التى انشئت فيها مدرسة الفنون الجميلة بناحية درب الجماميز ، وهى المدرسة التى تعلم فيها مختار .

وقد حدثنى الفريق عزيز المصرى باشا ، وهو صديق حميم لمختار ، عن ارتباطه وتعلقه بأم كلثوم ، على وجه لم يكن ليخفى عن احد من اعضاء الدائرة الضيقة التى كانت تحيط بمختار . وقد عبر المثال عن حبه لام كلثوم وتقديره لفنها ، بتمثالين من اجمل تماثيله احدهما أودع فى متحف الشمع (جرفيه) فى باريس وهو من الشمع ، والثانى من الجبس . ولو لم يقل لى عزيز المصرى ان مختار كان يحب ام كلثوم حبا عاصفا ، ولكنه كان حبا عفيفا مكتوما وقد يكون من جانب واحد ، وإن كانت أم كلثوم شديدة الاعجاب بالمثال ، ماخوذة بشخصيته النادرة والمتحررة فى مجتمع كان فى ذلك الحين ، شديد المحافظة ، عظيم الرياء . لو لم يقل عزيز المصرى لى شيئا عن هذا الحب ، لوشت تماثيل مختار بهذا الحب وأعلنته .

مختار فى سطور :

محمود مختار هو اول مثالى مصر ، حمل الأزميل من الفنان الفرعونى القديم منذ اربعة آلاف سنة .

وهو بذلك منشىء النهضة الفنية المصرية الحديثة .

ولد فى قرية نشا بجوار المنصورة سنة ١٨٩١ .

دخل مدرسة الفنون الجميلة فى القاهرة عند انشائها لأول مرة فى درب الجماميز سنه ١٩١٨ . .

عرض أول تمثال فى صالون الفنون بباريس سنة ١٩١٣ ، وهو أول مثال غير اوربى يسمح له فى هذا ـ بتمثال عايده .

بعد ثورة ١٩١٩ ـ عرض تمثال نهضة مصر فى باريس فى معرض الفنانين الفرنسيين .

اكتتب المصريون بجميع طبقاتهم فى اقامة هذا التمثال ، وقد اقيم فى ميدان المحطة فى ٢٠ مايو سنه ١٩٢٨ .

كلفته الحكومة ، إقامة تمثالين لسعد زغلول احدهما فى القاهرة ، والثانى فى الاسكندرية وعندما اقيما كانا مع تمثال نهضة التماثيل المصرية الوحيدة المقامة فى ميادين مصر . وبفضله نشأت الطبقة الأولى من الفنانين التشكيليين ، امثال يوسف كامل ، وراغب عياد ، ومحمود سعيد ، ثم الجيل الجديد عبد القادر رزق وجمال السجينى ، وصلاح طاهر .

وقال بدر الدين أبو غازى ابن شقيقة المثال عن صلة خاله بأم كلثوم مانصه : كان من أشد المتحمسين لها مع مجموعة من الاصدقاء ، وتمثلت حماسته وصداقته لها فى تمثال يفيض بالرقة والشجن والجمال ، وفى تمثال آخر من الشمع اقامه لها ، إلى جانب تمثال بافلوفا بمتحف جريفن بباريس .



المدخل الصحيح لحل مشكلة الأمية

تشكل مشكلة الأمية فى مصر وفى غيرها من بلدان العالم الثالث ، أحد المحكات الدالة على مدى فاعلية النظام السياسى ، وكذلك على مدى إستجابته لمصالح الجماهير الكادحة ، التى تسعى الى المشاركة السياسية الفعلية فى قضايا الوطن المطروحة على الساحة . كما أن هذه المشكلة تعبر أيضا وبجلاء عن المشاركة الديمقراطية للجماهير الشعبية فى خوض حربها من أجل التحرر الثقافى والتقدم الاجتماعى ..

بقلم : الدكتور شبل بدران

إن مشكلة الأمية فى كل ابعادها ، لم تعد مشكلة تعليمية أو تربوية فقط . بل هى فى الأساس مشكلة حضارية ، وذلك يستتبع منا تحرير مفهوم محو الأمية من إطاره الضيق المقتصر على تعليم القراءة والكتابة والحساب ومن إعتباره أيضا نشاطاً تربوياً وتعليمياً من الدرجة الدنيا ليستوعب الأبعاد الحضارية والاجتماعية ، وبحيث يصبح اكتساب مهارات القراءة والكتابة والحساب ليس غاية فى حد ذاته ، بقدر مايجب أن يكون وسيلة لبلوغ غايات أهم . ومن هنا ينبغى توظيف تلك المهارات المكتسبة فى سياق التقدم لتحقيق المشاركة الايجابية فى بناء المجتمع ، والقيام بالمسئوليات التى تقتضيها المواطنة الصالحة ، ومن اهمها المشاركة فى القرار السياسى وصياغته ، والمشاركة الديمقراطية فى القضايا الملحة المطروحة على ساحة العمل الوطنى ، والنظر إلى الامى باعتباره

المدخل الصحيح لحل مشكلة الأمية

مواطنا ذا اهلية كاملة وله حق إبداء الراى فى كل القضايا التى تمس حياته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

إن النظر إلى الامية بغير هذا الفهم ، لهو لغط لن يفيد كثيرا فى تقدم حركة المجتمع ، وتحقيق افضل النتائج فى تنمية شاملة تستهدف تحقيق تغيير ثورى وجذرى ومخطط فى العلاقات الاقتصادية القائمة . وفى القاعدة الاقتصادية والبنى الفوقية . فى هيكل الاقتصاد الوطنى وفى التركيب الطبقى للمجتمع . كما تستهدف اقامة بناء وطنى متوازن ، وديناميكى متطور باستمرار . وتقتصر على الامكانيات والقدرات الفعلية والكامنة فى الاقتصاد والمجتمع ، وتفيد من العلاقات الاقتصادية الدولية إلى اقصى حد ممكن . وتستند إلى دور الدولة القيادى وقطاعها الاقتصادى المهيمن على العملية الاقتصادية ، وإلى المشاركة الديمقراطية للجماهير الشعبية الواسعة فى عملية التغيير المنشودة وتعتبر هذه التنمية الشاملة الوعاء الذى يحتوى بوضوح ويجسد بدقة كبيرة مضمون السياسة الاقتصادية والاجتماعية للدولة والأهداف السياسية التى تسعى إلى تحقيقها عبر تلك الخطط الاقتصادية ، والتى تعتبر تجسيدا مباشرا لطبيعة السلطة السياسية .

إن ذلك الفهم الصحيح لمحو الامية وتعليم الكبار والتنمية الشاملة المستهدفة ، سوف يضع مسئوليات جديدة على النظام السياسى وفاعليته على الجماهير الشعبية . ولكن نظرا لأن النظام السياسى - رغم تعدد الاحزاب - مازال يملك إصدار القوانين والتشريعات - فى اقل زمن ممكن - وكافة الوسائل المادية ، فإن الجماهير مطالبة بالمبادرة للخروج من العزلة المفروضة عليها - إلى الحركة الواعية والنشطة فى مجال العمل العام والعمل الديمقراطى ، لكى تشارك حقيقة فى صياغة الفهم الجيد للمشكلة ، وتدبير الوسائل والأدوات التى عن طريقها تستطيع ان تحقق الغايات المرجوة من خلال حركة شعبية واعية مهتدية بطبيعتها الوطنية ومسترشدة بها .

القرار السياسى ومطالب الجماهير

يتطلب الفهم السابق لمشكلة الامية حشد كل الطاقات الجماهيرية المتاحة وتوفير كل الامكانيات المادية والعلمية اللازمة لها ، وفتح الباب على مصراعيه امام التنظيمات الجماهيرية لتقديم الاسهامات الفعالة والممكنة ، وتشجيع الجهود الذاتية والتطوعية ، فى مواجهة شاملة لمناشط الحياة ، أملا فى تحديث وتطوير المجتمع باعتبار ان تحديث المجتمع - تطويره - هو الذى سيدفع بالأميين إلى التحرر من إسار اميتهم ، وعلى أساس أن الأمية فى طبيعتها إفراز طبيعى للحياة المتخلفة فى المجتمع .

ولاشك ان المبادرات الشعبية من قبل التنظيمات الجماهيرية التى تتمثل فى النقابات العمالية والمهنية والجمعيات الاجتماعية والثقافية والنسائية وتنظيمات الشباب واتحادات الطلاب إلى جانب الأحزاب السياسية القائمة والتى لاتزال ضعيفة وفى حاجة إلى دعم وتشجيع . إن

هذه القوى الاجتماعية ينبغي أن يكون لها إسهام واضح وفعال في الجهد المبذول ، وان تدرس على المستوى القومي والمحلي وسائل اجتذاب هذه القوى للعمل ، وذلك بإتاحة اكبر قدر من المرونة والحركة لعملها وتخليصها من القيود والبيروقراطية المفروضة عليها

فعلى الرغم من اهمية القرار السياسي وفاعليته في الحملات القومية لمحو الامية ، (حتى لو صدر من أعلى المستويات في القيادة السياسية) ، إلا انه لايكفي ولن تكون له جدوى اجتماعية ومردود إيجابي إذا لم يتفاعل مع الارادة الشعبية وتتبناه المنظمات الجماهيرية والمهنية والأحزاب السياسية . وذلك الأمر يستلزم - ضمن مايستلزم - أن يصدر القرار السياسي من تلك الهيئات والاحزاب السياسية ويعبر عن إرادتها وطموحاتها . ذلك لان القرار السياسي عندما يترجم إلى خطة عمل يجب ان يلاقي استجابة من الاجهزة التنفيذية المسئولة عن وضع استراتيجية محو الأمية وتعليم الكبار موضع التنفيذ .

إن تحول القرار السياسي إلى حركة جماهيرية وعمل ثوري يتطلب توفير المناخ الديمقراطي الذي يحمي الأميين ويدفعهم ويحاصرهم للالتحاق بمراكز محو الأمية . ويجب أن تكون الثقة متبادلة بين القيادات السياسية والجماهير ، من حيث الاخلاص وحسن النوايا ، مما يؤدي إلى التعاون والتنسيق والتكامل في الجهود لوضع القرار السياسي وتفاعلها الحي والواعي ، هو ضمان نجاح القرار السياسي في تدعيم الحملة القومية لمحو الامية .

ماالعمل ؟

• في ضوء ماسبق يمكن أن نقترح تصورا مبسطا لمحو الأمية وتعليم الكبار في مصر في ضوء الامكانات المادية والبشرية .

يجب ، وان يكون المعلم من نفس بيئة الامي حتى لايحدث نوع من الاستعلاء من قبل المعلم . وذلك من خلال برنامج مبسط يوضع " مع " الامي وليس " ل " الامي لايقتصر فقط على القراءة والكتابة والحساب ، ولكنه يرتبط بالمشكلات القائمة والمعاشة للامي ، ومناقشتها معه ، وإثارة الحوار والجدل حولها ، وذلك سوف يرقى من وعيه وشعوره بالانتماء لوطنه واهمية محو الامية ، ليس باعتبارها مصدرا للكسب المادي يعود عليه ، بل لفائدة أكبر واعم تعود على المجتمع ككل . فنحن نملك ١٢ جامعة والمئات من الكليات الجامعية والمعاهد العليا المنتشرة على ربوع القطر ، وكذلك نملك ١٩ كلية للتربية على مستوى الجمهورية من العريش ، لاسوان ، للاسكندرية ، ويمكن أن تقوم كليات التربية بما يلي :-

● كليات التربية والمناط بها اعداد المعلم للمراحل التعليمية المختلفة ، يمكن ان تضيف الى مناهجها مادة " محو الامية وتعليم الكبار " وتدرس للطلاب بها ، على ان يركز على اهمية محو الامية

● ان يقوم طلاب كليات التربية - اثناء الدراسة والعطلات بالتدريس في مدارس الشعب - المدارس الشعبية - التي يجب ان تفتح في المحافظات والمراكز والقرى ، مستخدمين كافة الابنية الحكومية وغير الحكومية من مستشفيات ومدارس ومساجد وأندية رياضية ومجالس محلية الخ وعلى ان يكون ذلك ضمن

المدخل الصحيح لحل مشكلة الأمية

خطة تدريب طلاب كليات التربية اثناء السنوات النهائية ، وأن تكون مادة دراسية مستقلة تقاس بالنتائج المحققة منها ويتم تقويم الطلاب في ضوء النتائج .

● أن يقوم خريجو الجامعات والمعاهد العليا عموما - والذين ينتظرون التعيين عن طريق القوى العاملة ثلاثة اعوام ، بالعمل في المدارس الشعبية كل في محافظته ، وأن يكون بديلا عن مايسمى " الخدمة العامة " والتي اثبتت فشلها .

● أن تقوم المصانع والوحدات الانتاجية المختلفة بفتح المدارس الشعبية بها وأن يوفد المعلمون للتدريب في كليات التربية ، أو يقوم طلاب كليات التربية والكليات الأخرى بالتدريس في هذه الوحدات الانتاجية . وكذلك يمكن ان - يساعد في هذا العمل القومي المتطوعين من الهيئات والمنظمات والأحزاب السياسية والمعلمين المحالين على المعاش ولايجدون عملا كريما يمكن أن - يساعدهم على قضاء بقية عمرهم كمواطنين ذوى ، نفع وفائدة للمجتمع .

● أن تقوم كل مدرسة شعبية بتقويم تجربتها ذاتياً كل سنة ، وان يقتصر دور الجهاز الاعلى لمحو الأمية وتعليم الكبار وكليات التربية على تقديم المعونات المادية والخبرة الفنية ، وان - تقدم هذه المدارس المقترحات والتوصيات التي تراها ضرورية لتقدم العمل بها . مع ضرورة ان يشارك الأمي بأى مستوى في ابداء الرأى

● أن يكثف البرنامج خلال العطلات السنوية والصيفية . نظرا لوجود طاقات شبابية لاتجد بما تشغل به وقت فراغها سوى مسلسلات التليفزيون وهوس كرة القدم

● ضرورة أن يشعر الاميون انهم اصحاب حق في التعليم ، وأن يشعروا بآدميتهم بمشاركتهم الفعلية في هذا العمل - كما يمكن الاستعانة بعد فترة بالاميين الذين محيت اميتهم ، وأصبحوا قادرين على محو امية غيرهم وشيئا فشيئا يصبح محوالامية عملاً خالصا للاميين انفسهم وفق حاجاتهم .

وسوف يباعد ذلك دون أن يعود المواطنون الذين محيت اميتهم بالعودة اليها لعدم ممارستهم شيئاً بعد التجربة .

ولاشك أن كل ماسبق طرحه هو تصورات شخصية ، يمكن أن تعمق من خلال الحوار الوطني الديمقراطي لكافة قطاعات المجتمع المصرى وتنظيماته المختلفة ، وستظل هذه التصورات رهن تغييرات جوهرية في البنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمجتمع المصرى - ورهنا بإتاحة النظام السياسى مساحة اكبر للمشاركة والتعبير عن مصالح الطبقات الكادحة ، ورهنا ايضا بأن تأخذ خطة التنمية المطروحة في اعتبارها هذا الفهم للمشكلة ، كما أن ذلك الأمر يستلزم نمطا جديداً من القيم يعبر عن اهمية الجهد الانساني والعمل اليدوى المنتج ، ويطيح بتلك القيم المتهرئة والمنتشرة الآن ، ويستلزم جهازاً إعلامياً يؤمن القائمون عليه بكل ذلك . حيث إن الاعتماد على تغيير نمط القيم من خلال بلاغات رسمية في وسائل الاعلام او ملصقات - مثل أنظر حولك وخلفك - لن يؤدى إلا إلى مزيد من السلبية واللا مبالاة التي نعيش فيها ... نعتقد ان كل ذلك سوف يحقق قدرا كبيراً من فاعلية النظام السياسى



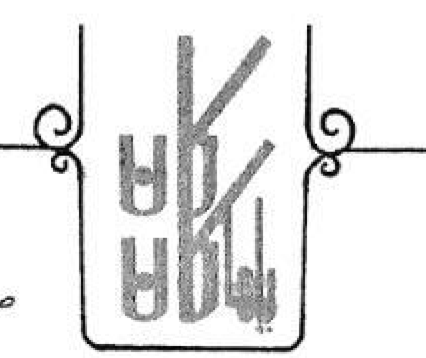
● كان احد مقدمي البرامج فى التليفزيون الامريكي يردد على مسامع صديق من اعضاء الكونجرس ان كريستوفر كولومبوس مثل السياسى الحديث . فسأله هذا
ـ ماذا تقول ؟ وكيف تعلل ذلك ؟
ـ حسنا ، اسمع .. فكولومبوس لم يكن يدرى الى اين يذهب ، ولم يعلم الى اين وصل ، وقد فعل كل شىء بالمال الذى لم يكن له ' .

● سأل احد الصحفيين يوما « جورج سيمنون » . الم تحاول مرة ان تراجع ترجمة كتبك العديدة ؟ '
فقال سيمنون : « لا . مطلقا ، منذ ان روى لى احد اصدقائى فى طوكيو ان مترجما يابانيا اقتبس رواية « دون كيشوت » لسيرفانتس فقد كان الفارس الحزين يهاجم طواحين الهواء . ولكن ـ حسب النص اليابانى ـ بالكاراتيه ' » .

● عاد الموظف من اجازته السنوية فقابل المدير ، مطالبا بزيادة مرتبه لأنه تزوج .
فقال المدير .
ـ لا . ياهذا.. لايسع الشركة ان تكون مسئولة عن الحوادث التى تصيب موظفيها خارج اوقات العمل ' .

● كانت الباخرة تغرق ووسط الهلع المسيطر كانت إحدى ممثلات هوليوود تستعد للنزول إلى احد زوارق الانقاذ . ولكنها مالبثت ان صاحت مذعورة ، وهى تنظر الى الركاب الذين احتشدوا فى الزورق ، موجهة كلامها الى القبطان :
ـ آه . لا ! انا لن استقل هذا الزورق وحدى دون ان يرافقنى كل من مزينى ، والذى يعنى باظافرى ، ومدير اعمالى الفنية ، ومدير الدعاية ' .

● هو ' ارجوك ، ياعزيزتى قولى لى إننى الاول فى حياتك .
هي ' بالطبع ، ياعزيزى ، وانى اتساءل مابال كل الرجال يطرحون السؤال نفسه دائما ' '



صفحة مجهولة من التاريخ السياسى

من هو الشيخ عبد اللطيف الذى يكتب التمائم ؟

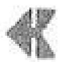
يكتبها : دكتور سعيد اسماعيل على

● كان أهل الحارة جميعا يعرفونه باسم الشيخ « عبد اللطيف سليمان » .. فهكذا أخبرهم ... وكان هو يبتسم فيما بينه وبين نفسه .. لقد اضطرته الظروف الى أن ينتحل هذا الاسم ... لم يكن يقصد الى الكذب ، ولم يكن يريد الخداع .. بل انه يحس فى أعماقه أنه راض كل الرضا عن هذا الاسم الجديد .. انه اسم على مسمىً ... ان « عبد اللطيف » مأخوذ عن اسم صديقه « صالح عبد اللطيف » الذى اغتال وزير الأوقاف المصرى سنة ١٩١٥ ، لأسباب سياسية .. أما « سليمان » فيشير الى « سليمان الحلبى » الذى قتل « كليبر » قائد الحملة الفرنسية بعد « نابليون » .

ولكن هل يكفى تغير الاسم لاخفاء امره عن جيرانه فى « عطفة حوش الحدادين » التى تقع خلف « قرة قول الخليفة » بحى القلعة ؟

انه يعرف فضول الناس فى مثل تلك الأحياء الشعبية .. انه فضول ينبع من رغبتهم فى الصداقة الحميمة ، والاختلاط الذى تسقط فيه الحواجز ، وتنساب فيه الاحاديث من الألسن لتستقر فى القلوب ... ثم انه مضطر للاقامة فى غرفته طوال اليوم ...

واه من غرفته تلك ! .. انها أشبه بكهف فى طبقات الأرض السفلى .. كم كان يود الا يقيم لحظة فى تلك الغرفة ، أو على الأصح فى تلك الزنزانة الرهيبة .. ولكنه



مضطر الا يبرحها الا فى فترات قصيرة من الليل ..

ولكن الى اين كان يذهب وهو الذى يريد أن يبتعد عن كل مواطن الخطر ؟

كان يذهب الى حيث يجلس بعض المساكين من المتسولين ، فينفحهم بالقليل مما يملك ، نظير أن يتحدث اليهم بضع دقائق .. يسرّى بها عن نفسه ، ويبدّد عن طريقها وحشته "

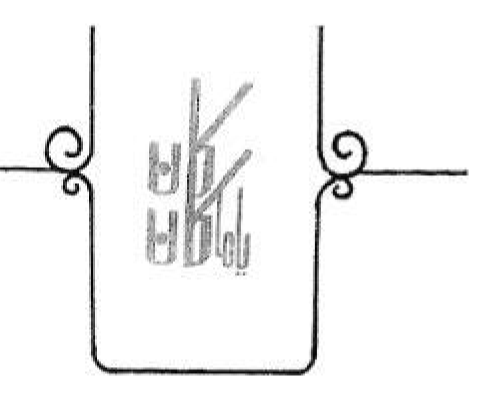
وعندما أحس بأن جيرانه حريصون على الاقتراب منه .. وان مجرد اسمه لم يعد كافيا لاشباع فضولهم واقامة علاقات طبيعية معهم ، راح يحدثهم عن بلده .. لم يحدثهم بالطبع عن « المنصورة » .. وعندما اطمأن الى أنهم جميعا قاهريون ، رغم أنه صعيدى ومن الفيوم . ولما كان يحمل معه ملابس المشايخ القديمة ... فقد رأى أن يحدثهم عن أزهريته .. وقد استطاع أن يؤكد ذلك بما كان يحفظ من آيات الكتاب الكريم ، وبما كان يفسر من تلك الآيات لجيرانه ..

وعندما أحس أن هناك تساؤلا عن مصدر نفقاته .. مجرد تساؤل صامت ، أخبرهم بأنه كان يملك عدة فدادين باعها لينفق منها مدة اقامته فى القاهرة .. وحقيقة الأمر انه كان يملك بيتا صغيرا فى المنصورة . باعه قبل أن يغادرها ، واحتفظ بثمنه القليل معه ...

ولكن ... ماهو عملك الأصلى يامولانا ؟



شكرى الكرداوى



وجاءهم الجواب الذى كان قد فكر فيه طويلا .. والذى كان قد اعد العدة لاثبات صدقه ... كان يعرف أن سكان تلك الأحياء الفقيرة هم مرعى خصب لكل مظاهر الخرافة وفقدان المعرفة .. فالاستعمار الانجليزى ، وطغاة القصر لم يكونوا ليسمحوا لجماهير الشعب بأن تنال شيئا من حقها فى العلم .. وقد كانت هذه الحقيقة تؤلم نفسه وتؤرق ضميره .. ولكن اذا كان هذا هو الواقع ، فلماذا لا يستغله لمصلحته .. ومصلحته هى فى النهاية من مصلحة هؤلاء المساكين ؟ !

وكانت المفاجأة التى ادخلت كثيرا من السرور والبهجة على صفحات نفوس الجيران والجارات !

ان « الشيخ عبد اللطيف » يقرأ الطالع ، ويكتب ويستحضر الارواح ... وذات ليلة مدّ يده الى لفافة فى ركن من أركان الحجرة ، فأخرج منها مصحفه الكبير ، ومسبحته الطويلة ، وبعض أعواد البخور ..

كان يعرف ان هذه اللحظة فى انتظاره ، فتسلل ذات ليلة الى ميدان السيدة زينب ، واشترى منها هذه الأدوات التى لايستغنى عنها أى دجال وإن كان هو ابعد عن الدجل والدجالين '

وبدأ .. « الشيخ عبد اللطيف » يكتب التمائم لذوى الحاجات وذوات الحظوظ التعسة ..

كان البخور ينطلق كل ليلة في غرفته .. وكان صوته الذى يهمهم بالكلمات غير المفهومة يسرى فى نفوس الجالسين والجالسات فيملؤها تفاؤلا وأملا ..

وشاءت الظروف أن تتحقق بعض رغبات القاصدين والقاصدات !!

وذاعت شهرة « الشيخ عبد اللطيف » فى الحارة والحارات المجاورة .. وقصده الكثيرون والكثيرات .. صاحب الحظ العاثر ، وذات القلب الكسور ، ومن قل رزقه ، ومن ضاقت ذرعا بسلوك زوجها . وغير أولئك وهؤلاء من صرعى الظروف التعسة والجهل المنتشر .. وامتلأت يد « الشيخ عبد اللطيف » بعض الشىء وأوشك أن ينسى وضعه الحقيقى .. أوشك أن ينسى أنه طريد الدولة .. وأنه مطلوب لقضاء خمسة عشر عاما يقضيها فى السجن !!

ترى .. هل نسى أو أنه يمضى فى طريق صرف الأنظار عنه ؟

المهم أن « الشيخ عبد اللطيف » .. قد أقدم على خطوة لايقدم عليها الا المستقرون اصحاب الأقدام الثابتة على أرض الواقع .. فقد عقد قرانه على احدى الفتيات .. ولكنه لم يكن موفقا فى هذا الزواج ، فطلق فتاته ليتزوج بأخرى "



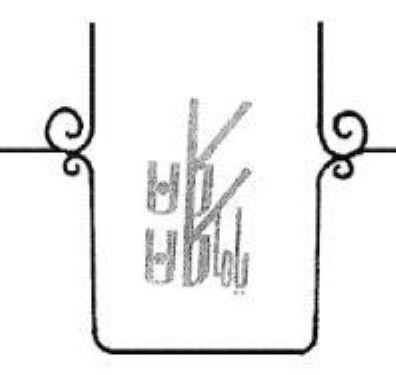
الافندى وكيف تحول الى مشعوذ

وهكذا أصبح « الشيخ عبد اللطيف » من سكان الحارة المرموقين .. يحظى من الناس بالاحترام ، كما يحظى منهم بالحب والتقدير .

وكان على رأس شارع الخليفة مدرسة اولية ، أصيب فيها أحد المدرسين بمرض أقعده عن العمل ، فرشحه الناس للعمل بالمدرسة .. وعلى الرغم من ان المدرسة كانت خاضعة لاشراف وزارة المعارف ، فان الناظر قد احسن استقباله .. فقد كان الشيخ يؤدى عمله دون اجر .. وهبه لوجه الله . وعندما شفى المدرس وعاد الى العمل اخلى له الشيخ عبد اللطيف .. مكانه ، ونقله الناظر الى مدرسة أخرى للبنات . ولكن مفتش وزارة المعارف أعترض وفضل تعيين مدرسة بدلا من مدرس ، فاستقبل الشيخ اعتراض المفتش بالرضا والقبول ..

وظن « الشيخ عبد اللطيف » أن حياته قد ارتبطت الى آجل غير مسمى بالحارة وسكانها .. واستسلم لهذا القدر .. فالحارة على كل حال أفضل كثيرا من السجن والاعمال الشاقة .. ولكن هاهى ذى الظروف تعود الى مسلكها القديم .. لقد راحت تطارده من جديد . لقد ابلغه احد الموظفين من الجيران أن الحكومة فى سبيلها الى حصر سكان القاهرة من اهل الصعيد . حينئذ احس بالخطر يطرق بابه . لابد اذن من مغادرة الحارة . بل لابد من مغادرة القاهرة كلها .. ولكن الى اين هذه المرة ؟ لا .. لا عودة الى المنصورة .. ان معظم من فيها الآن يعرفه ... الم يقبضوا على اهله هناك ؟ .. الم يفتشوا كل منزل من منازل اقاربه ؟ .. الم يعلقوا صورة فى كل مكان ؟ .. الم يعلنوا على الملأ المبلغ السخى الذى سوف يحظى به اى انسان يستطيع أن يدل على ذلك الهارب من وجه القانون ؟ .. خمسمائة جنيه .. ياله من مبلغ يسيل له لعاب كل محتاج او غير محتاج من ذوى النفوس المريضة والضمائر الوطنية الغائبة ! ..

ان الحكومة لم تكتف بالنشر عن هذه الجائزة فى الصحف المصرية .. لقد مداها خيالها الى أن « المجرم » الذى تبحث عنه من المحتمل ان يكون قد غادر البلاد .. فنشرت صورته ونبأ الجائزة



السخية فى صحف الحجاز والعراق والشام !! .. اذن لا عودة الى المنصورة ..

كذلك لا عودة الى الاسكندرية .. وهى مسرح الحدث الكبير .. فالى أين يتجه « محمد شكرى الكرداوى » وهو الاسم الحقيقى للشيخ « عبد اللطيف » ؟ ليتجه جنوبا .. الى الصعيد .. ولتكن أسيوط وجهته .

وفى قطار الصعيد احتل مكانه بين جماهير « الصعايدة » المكدودين المكافحين .. وكان فى هذه المرة يشعر بشىء من الأمان .. صحيح أنه مطارد وأن السلطات تبحث عنه وتطلب القبض عليه ، ولكن كان قد مضى أكثر من عام على الحدث الذى هز به البلاد . ولابد أن تكون قبضة السلطات المتشنجة قد استرخت بعض الشىء ...

وأخذته شبه اغفاءة .. وتحرك شريط من الذكريات المتزاحمة أمام عينيه الغافيتين .. اضراب الموظفين والعمال فى ثورة ١٩١٩ .. واستقالة وزارة « رشدى » الرابعة فى الحادى والعشرين من ابريل من نفس العام .

وكانت الأحداث السيئة تتوالى ..فويلسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وصاحب المبادىء المشهورة فى الوقوف الى جانب الشعوب المغلوبة على أمرها ، عاد وتراجع عن مبادئه واعترف بالحماية البريطانية على مصر .

ومؤتمر الصلح نفسه الذى عقد تلك الايام فى « باريس » لم يشأ أن يكون مسرحا لاقتسام الغنائم ، واعترف هو الآخر بحق بريطانيا فى حماية مصر !

وثارت ثائرة الشعب المصرى ..

وسقطت وزارة « رشدى » .. ولم يقبل أحد أن يؤلف وزارة جديدة .. وبقيت البلاد بلا حكومة لمدة شهر .. ولكن « محمد سعيد باشا » .. وهو أحد أفراد الأسرة المالكة ، قبل تأليف الوزارة الجديدة .. وكان هذا تحديا صارخا لمشاعر المصريين الثائرين ... واحس « الكرداوى » بصفير يملأ أذنيه ففتح عينيه ، وأدارهما حوله ، وادرك انه كان مع شريط ذكرياته .

فلم يرد أن يقطعه .. وأغلق عينيه مرة أخرى ليرى نفسه فى سنة ١٩١٥ وهو يدبر اطلاق الرصاص على السلطان « حسين كامل » .

ما اشبه الليلة بالبارحة !

فها هو ذا « محمد سعيد » سليل الأسرة المالكة يتحدى الشعب ، ويسخر من ثورته ، ويهزأ بثواره ... فهل يسكت « الكرداوى » عنه ؟

كلا .. لابد أن يقتص منه ، بل لابد أن



يتخلص منه . ليجعل منه عبرة للخونة الخارجين على ارادة الشعب .. وفكر وأطال التفكير .. والتقى ببعض الشباب المتحمس ، وجس نبضهم ، ولكنه لم يطمئن بعد الى الشخص الذى يختاره للمهمة الخطيرة ...

وذات يوم .. وبينما كان غارقا فى بحثه عن المرشح لهذا العمل الفدائى ، اذا به يلتقي بصديقه القديم «محمد محمد خليفة» التاجر بكفر الزيات ، والذى كان يعمل من قبل مدرسا بالمنصورة .. ولثقته بهذا الصديق القديم أخبره بما يفكر فيه .. وصمت «محمد» قليلا .. ثم هز رأسه فى ثقة .. وقال بصوته الحازم :

- إن من تطلبه عندى ..

شكرى الكرداوى

- تقول ماذا ؟

قالها «الكرداوى» فى لهفة ..

وردّ «محمد» من تطلبه موجود عندى بكفر الزيات .

- ومن يكون هذا الفتى الشجاع الذى ادخرته الاقدار لأنبل غاية ؟

شاب أزهرى فى العشرين من عمره .. أتريد أن تعرف اسمه ؟ .. إنه الشيخ «سيد على محمد» .

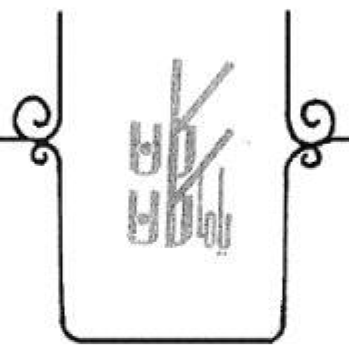
وتمتم «الكرداوى» : محظوظ هذا الشيخ سيد .. لقد فتح له التاريخ أبوابه ..

وتتابعت الصور .

«الكرداوى» يذهب الى الاسكندرية .. ويتجه الى محطة «سان ستيفانو» حيث يوجد قصر رئيس الوزراء .. وعندما يملأ عينيه وخياله بمشهد القنبلة وطريقة القائها ، يعود الى المنصورة

وفى يوم الخميس ٢٨ أغسطس سنة ١٩١٩ يسافر الى كفر الزيات .. و من هناك يستقل القطار فى صحبة الشيخ «سيد» ويهبطان فى محطة «سيدى جابر» .. ومن هناك أخذا الترام الى محطة «سان ستيفانو» .. وأراه «الكرداوى» قصر «محمد سعيد» ومواعيد خروجه منه ، ودلّه على أوصافه ، كما اشار عليه بأفضل مكان يلقى منه القنبلة .

وفى صبيحة الثلاثاء الثانى من سبتمبر



ركبا الترام الى كازينو « سان ستيفانو » ، ورأى « الكرداوى » .. ان يركب كل منهما فى عربة مختلفة من عربات الترام كنوع من الحيطة .. وكان يلبس جلبابا فوق سترة .. كما كان يضع طربوشا فوق رأسه . أما السلة التى وضعها بجانبه فى الترام فكان من الواضح انها تحتوى عنبا مغطى بفوطة وكان قد وضع القنبلة فى مكان امين بأسفل السلة وعندما هبطا فى المحطة . وقف الشيخ « سيد » عند باب الكازينو .. فى حين حمل « الكرداوى » سلته واتجه بها نحو الداخل ... كانت خطواته واثقة فلم يلتفت اليه أحد ، ولا أثارت سلته شبهة أحد وعندما بلغ دورة المياه تقدم فى ثبات نحو مرحاض مفتوح ، وأغلق الباب عليه ، واحكم الرتاج . وفى هذا المكان البعيد عن العيون فتح السلة بحذر .. ونثر محتوياتها امامه .. وأخرج القنبلة .. ثم اخرج زجاجة الحمض من جيب سترته وفتحها .. وبسلك رفيع أسقطها فى مقرها الداخلى من القنبلة .. كان يعرف أن هزة بسيطة كفيلة بخلط الحمض بمواد القنبلة ، ومن تم بانفجارها فى الحال . لهذا اعاد وضعها مكانها بالسلة بعد أن أحاطها بورق

الخطاب المقدم من حضرة حسام الدين أفندى

الموظف بمجلس مديرية المنيا

وهو مكتوب بخط يده ومنقول إلى هذا الكتاب بالزنكغراف

المنيا فى ٢ / ١٢ / ١٩٢٤

عزيزى الأخ محمد أفندى شكرى الكرداوى

الموظف بوزارة المعارف

بعد التحية ، سمعت من حضرتكم وأنتم تقصون حكاية

سنوات عديدة من البوليس من ...

الواضح أن رئيس الوزراء لم يصب بشيء . لقد تحطمت سيارته من الخلف .. وهذا هو كل ما حدث له .. وقبض على الشيخ « سيد » .. وضرب وعذب .. واحضروا والديه ليبقيا معه ويؤثرا عليه حتى يعترف .. وتحت كل هـذه الضغوط اعترف ... تحدث عن الشيخ « خليفة » ودوره في تقديمه للكرداوي ..

وقبض على « الشيخ خليفة » واودع مع الشيخ « سيد » في سجن « الحضرة » أما « الكرداوي » فاختفى . ولم يعثر له أحد على أثر ...

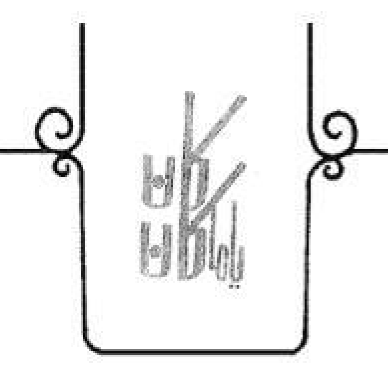
وعندما انعقدت المحكمة .. تراجع « سيد » عن اقواله بالنسبة للشيخ خليفة .. فقد كان بالسجن في ذلك الوقت « عصام الدين حفني ناصف » .. وهو رجل مثقف ، وكان متهما في قضية سياسية أخرى .. وفي لحظة من غفلة الرقابة التقى بسيد وخليفة . واقتنع الأول بأن يعدل عن أقواله بالنسبة للثاني .. وهكذا برئت ساحة الشيخ خليفة . أما الكرداوي ... فقد صدر الحكم عليه غيابيا بخمسة عشر عاما مع الشغل ... ومنذ هذا اليوم بدأت رحلة الاختفاء !!

وكان « الكرداوي » قبل وقوع الحادث قد التقى في الاسكندرية بصديقه القديم « اسماعيل برعي » ... كان رجلا عزبا .. موظفا في مصلحة الفنارات ، يقيم في شقته وحده . واقام « الكرداوي » عنده في الفترة التي كان يعد فيها للحادث .. اخبره انه جاء الى الاسكندرية لشراء بعض البضائع التي اعلن عنها الجمرك في



الصحف باحكام .. وخرج حيث كان الشيخ « سيد » ينتظره ، واعطاه السلة ، فاتجه بها الى المكان المتفق عليه .. وكان محل مياه غازية يواجه قصر رئيس الوزراء .

لم تكن ساعة خروج « الباشا » قد حانت .. فجلس الشيخ « سيد » عند باب المحل يتشاغل بشرب زجاجة من المياه الغازية .. وما كاد يفرغ منها حتى ظهرت العربة الفارهة ، فوقف متهيأ للعمل .. وعندما مرقت من أمامه كانت السلة تتجه اليها في سرعة .. ودوى المكان بصوت انفجار رهيب وسار الهرج والمرج .. وامتلا الشارع برجال الامن .. وكان



الصحف .. ومن خلال أحاديثهما اطمأن « اسماعيل » الى ان صديقه القديم لم يعد له شأن بالسياسة . وكان « اسماعيل » يتركه نائما كل صباح فى حين يتجه هو إلى عمله . كان قد افرد له غرفة خاصة به لم يكن يسمح لنفسه باقتحامها عليه .. وهكذا لم تستطع سلة « الكرداوى » أن تلفت نظره ..

وعلى الرغم من أن « اسماعيل » لم يكن يهتم حتى بقراءة الصحف ، فقد أخبره أحد زملائه فى مساء اليوم التالى لوقوع الحادث أن الشاب المقبوض عليه قد اعترف بأن الذى حرضه على الاعتداء هو شخص يدعى « شكرى » من المنصورة .. ولم يخالج « اسماعيل » شك فى صديقه .. اعتبر تشابه الاسماء مجرد صدفة ..

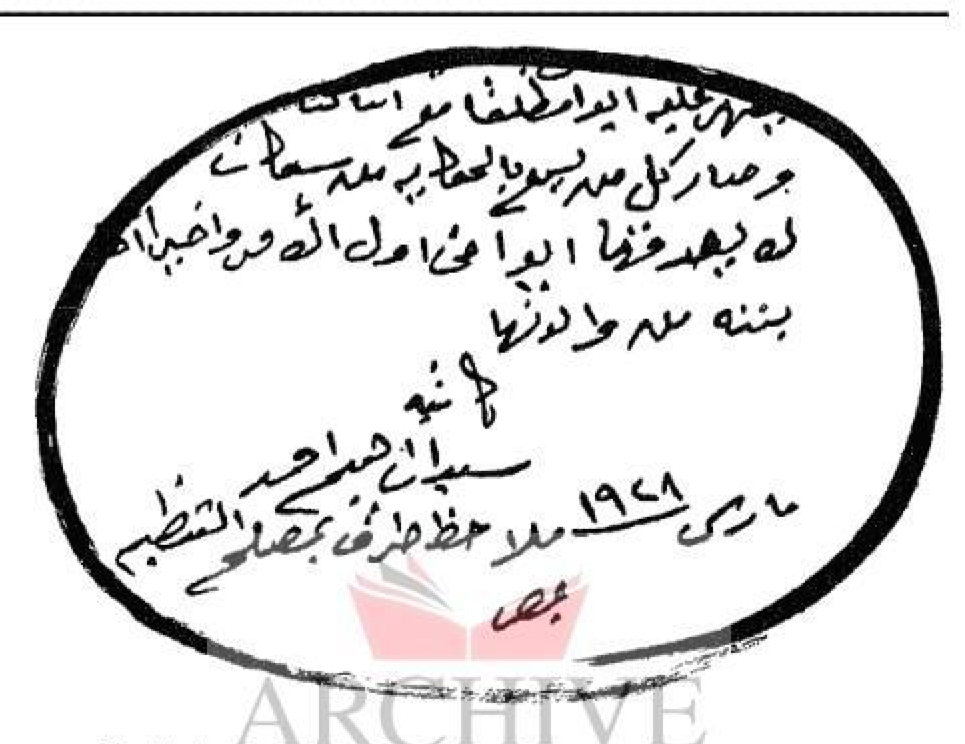
وفى الصباح أخبر اسماعيل صديقه بما سمع ، فلم يظهر أى اهتمام ، واخبره بأنه سيسافر الى المنصورة فى نفس اليوم ليطمئن على أهله ، ولكنه فى الوقت نفسه نصحه بأن يتخلص من أى كتب أو أوراق ممنوعة تكون لديه ، لأن الاحكام العرفية معلنة ، والناس معرضون فى أى وقت للتفتيش ...

وحمل « الكرداوى » حاجاته القليلة واتجه الى محطة السكة الحديدية ، وحصل على تذكرة الى القاهرة بالدرجة الثانية فى قطار « الاكسبريس » الذى يغادر الاسكندرية فى الثامنة والنصف .. ومن محطة « سيدى جابر » ... ركب القطار .. لم يقصد الى مقعده مباشرة .. بل اختفى فى دورة المياه الخاصة بالعربة حتى تحرك القطار ...

وعندما بلغ القطار محطة « دمنهور » وقبل أن يتوقف تماما لاحظ « الكرداوى » أن رءوسا كثيرة تطل من فوق الرصيف لتحملق فى وجوه الركاب داخل العربات وتساءل أحدهم موجها الكلام الى زميل له كان بداخل العربة : هل فتشتم كل القطار ؟ ... فأجابه هذا بقوله .. فتشنا العربات الاخرى ، وسنواصل التفتيش ابتداء من هذه العربة .. مشيرا الى العربة التى يوجد بها « الكرداوى » ..

لم يفكر « الكرداوى » طويلا .. انتزع نفسه فى الحال من العربة ، وانطلق خارجها بكل رباطة جأشه متجاوزا رجال الشرطة السرية التى كانت تنتشر على إفريز المحطة .

وفى طريقه الى باب المحطة الخارجى لم يلتق به أحد .. أما الموظف الذى يقف على الباب ، فكان منصرفا الى الحديث مع احد زملائه أن « دمنهور » بلد صغير لا يصلح للاختفاء .. فصمم على مواصلة الرحلة الى القاهرة ، ولكن عن طريق غير طريق القطار ... وفى أحد الأماكن الخالية غير ملابسه .. ارتدى جلبابا فوق البنطلون بعد أن ثنى أطرافه ، ومن فوق الجلباب لبس سترته ..



وأخيرا بلغ القاهرة .. وعندما جلس على أحد المقاهى فى حى « عابدين » تنفس الصعداء ، وهو يتناول قدحا من الشاى .. وعندما أغلق المقهى أبوابه راح يسير فى الشوارع بخطى سريعة وكأنه يقصد منزله ..

وهام « الكرداوى » على وجهه الى ان بلغ عطفة حوش الحدادين .. التى تركها ذلك اليوم متجها الى أسيوط ..

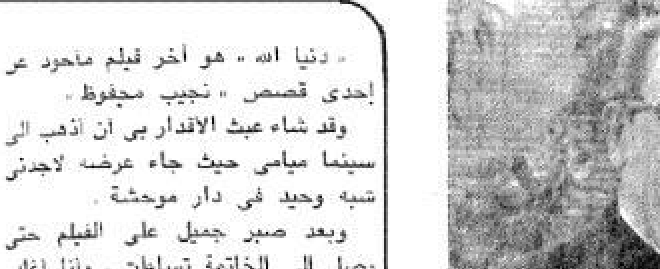
وكان « الكرداوى » وهو فى الطريق الى الصعيد لايدرى من أمره شيئا .. ترى أى مكان سيستطيع ان يأوى اليه ؟ ..

نعم لم يكن الكرداوى يعرف أن القدر يدخر له ثمانية عشر شهرا يقضيها فى أسيوط .. ولم يكن يدرى أن حكما بالعفو سوف يشمله ، كما يشمل غيره من المحكوم عليهم فى قضايا سياسية ، عندما يتولى « سعد زغلول » وزارته الأولى عام ١٩٢٤ ... ولم يكن يعرف أن القدر يمهله حتى يعود الى بلده المنصورة ، ويكتب مذكراته وينشرها فى كتاب « خمسة وخمسون شهرا فى المخبأ » يحكى فيه قصة مناضل وطنى ، ويثبت من خلاله ان هذا الوطن كان وسيظل قادرا على انجاب الأبطال الذين يتبنون قضاياه ، ويدافعون عن شرفه وعزته ، مهما كلفهم ذلك من تضحيات ...



مع نجيب محفوظ في رحلة داخل دنيا الأطياف

بقلم : مصطفى درويش



« دنيا الله » هو آخر فيلم مأخوذ عن إحدى قصص « نجيب محفوظ » .

وقد شاء عبث الاقدار بي أن أذهب الى سينما ميامى حيث جاء عرضه لاجدني شبه وحيد في دار موحشة .

وبعد صبر جميل على الفيلم حتى وصل إلى الخاتمة تساءلت . وأنا أغادر الدار مهموما لماذا كل هذا الفشل . لماذا انفض الجمهور من حول فيلم عن قصة لاديبنا الكبير تحول بها إلى لغة السينما المخرج المزمن بالشباك . المردد لمقولة « الجمهور عاوز كده » . حسن الامام ؟

وفي محاولة لفهم هذه الظاهرة . لماذا يلفظ هذا النوع من الافلام انفاسه الأخيرة . قد يكون من المفيد أن نبدأ ببداية نجيب محفوظ مع السينما . أن نعود إلى الماضي مرتحلين مع الزمن اربعين عاما

غالبا ما يغيب عن البال ان . نجيب محفوظ . هو اول اديب مصري كبير اتصل بالسينما .. غذاها باعمال فنية قبل ان تجيئه الشهرة عن طريق القصة

الزيات .. المازني العقاد لم يتصل احد منهم بها اصلا . طه حسين . جاء اتصاله بها متأخرا . فأول فيلم عن قصة له « ظهور الاسلام » كان وراءه رصيد هائل من الاعمال والمواقف الادبية توجت باقتران اسمه بلقب عميد الادب العربى .

« توفيق الحكيم » كان وقت إخراج اول فيلم عن مسرحية له « رصاصة في القلب » صاحب اسم لامع اشتهر « بعودة الروح » وجعجعة في الصحف والمجلات حول

صينية البطاطس ، المرأة وعدائه لها ، حماره ومشاكل معه لاتنتهى .

« يحيى حقى » ظل نسيا منسيا لاتعرف السينما عنه شيئا ، لاتعى أنه صاحب « البوسطجى » لاتسعى إلى ترجمة قلة من أعماله الى الأفلام إلا بعد أن أصبحت حديث المشرق والمغرب .

ويوسف ادريس بقى مبعدا عن السينما واضوائها لاتكتشف أدبه عن طريق « الحرام » وغيرها من الروائع إلا بعد أن أصبح علما من اعلام القصة القصيرة على امتداد أرض العرب .

اللقاء السعيد

أما نجيب محفوظ فكان له شأن آخر شغلت السينما باله مبكرا ، قبل أن تبدأ المرحلة الواقعية من حياته الأدبية بقصة « القاهرة الجديدة » ـ تلك المرحلة التى أصبح بفضلها واحد من أشهر روائيى الوطن العربى ، إن لم يكن أشهرهم جميعا .

وعن علاقته بالوسط السينمائى ، كيف بدأت يحكى « عرفنى صديقى المرحوم الدكتور فؤاد نويرة بصلاح أبو سيف ، وطلب منى أن أشاركهما فى كتابة سيناريو فيلم للسينما اخترنا له فيما بعد اسم مغامرات عنتر وعبلة ، وكان صلاح أبو سيف هو صاحب فكرة الفيلم » .

وقد شجعنى على العمل معه أنه قرأ لى « عبث الأقدار » وأوهمنى بأن كتابة السيناريو لا تختلف عما أكتبه عندما سألته عن ماهية هذا السيناريو الذى لم أكن أعرفه .

والحقيقة أننى تعلمت كتابة السيناريو على يد « صلاح أبو سيف » ، كان يشرح لى فى كل مرحلة من مراحل كتابته ماهو المطلوب منى بالضبط » .

النهاية والبداية

وعلى كل فالأكيد أن سيناريو « مغامرات عنتر وعبلة » كتبه « نجيب محفوظ » خلال سنة ١٩٤٥ ، وهى سنة فاصلة ، ففيها الأرض على أهبة الاستعداد لاستقبال السلام بعد انتهاء الحرب باندحار الفاشية .

وكانت السينما العالمية فى حالة ولادة لتيار فنى عرف فيما بعد بتيار الواقعية الجديدة .

وكانت السينما فى مصر تعانى من أزمة ، فالجمهور كان قد بدأ يتململ ، ينقلب على مسلسل أفلام تدور وجودا وعدما حول الممنوع والممنوع فى الحب ، يرغب فى سينما أخرى .

فى هذا المناخ العام ، وبفضل هذا السيناريو أصبح « نجيب محفوظ » أول أديب مصرى يكتب للفن السابع .

العلاقات الخطرة

وبدأت بينه وبين صلاح أبو سيف علاقة عمل سينمائية استمرت خمسة عشر عاما ، كان من أهم ثمارها « لك يوم ياظالم » ، « ريا وسكينة » ، « الوحش » ، « الفتوة » ، وكلها أفلام عن سيناريو أما



كتبه نجيب محفوظ بالكامل أو بالمشاركة مع الغير .

وأول ملاحظة أسجلها على هذه الأفلام الأربع انها كانت رائدة .

فلك يوم ياظالم كان ، والحق يقال ، مقتبسا عن قصة « تيريز راكن » للأديب الفرنسي « اميل زولا » .

ومع ذلك نجح السيناريو فى ان يمصر أماكن وشخصيات تلك القصة ، وهذا امر كان جديدا على السينما وأفلامها المقتبس معظمها دون أدنى تصرف .

أما الأفلام الأخرى ، فقد استوحى نجيب محفوظ وقائعها الغريبة من أحداث اهتز لها بر مصر .

فريا وسكينة عن سيرة سفاحتين عاشتا فعلا بالاسكندرية ، نشرتا الرعب بين سكانها بما كانتا ترتكبان من جرائم قتل بشعة بأساليب مروعة .

والوحش يدور حول مجرم حقيقى « الخط » ، كيف استبد بالصعيد ، دوخ الشرطة قبل أن تحاصره ولاتتركه إلاجثة .

أما « الفتوة » فهو فى حقيقة الأمر « زيدان » زيدان التاجر صاحب السلطة والسلطان .. كيف بدأ صغيرا فقيرا وانتهى قيصرا متحكما فى الرقاب ، مستغلا العباد .

ومرة أخرى كل هذا كان جديدا على السينما المصرية وأفلامها التى لا تعترف بشرعية الواقع ، تسقط حقوقه من الحساب .

عطر مصر

والملاحظة الثانية التى أرى تسجيلها ، ونحن فى سياق الحديث عن هذه الافلام . إنها بفضل السيناريو و الحوار وأسلوب الاخراج ، كانت متصلة بعصرها ، فيها من عطر مصر "الشىء الكثير . كانت باختصار مصنوعة ليتلقاها قلب الشخص الآخر ، الذى يسميه تجار السينما « الجمهور » .

وفعلا تعلق بها الجمهور حبا ، وكان ان ربحت السينما موهبتين . نجيب محفوظ مؤلفا لها ، وصلاح ابو سيف مخرجا لأفلامها .

والطريف هنا رواية نجيب محفوظ لموقف المنتجين من بعض هذه الأفلام ، وهى لاتزال فى مرحلة السيناريو تحبو . فهو يذكر فى هذا الخصوص أن صلاح ابو سيف قاسى الأمرين من المنتجين ، فأحد منهم لم يوافق على تمويل « لك يوم ياظالم » بحجة ان البطل شرير ، والبطلة أمراة مزواجة تستبدل الرجال كما تستبدل لباسا بلباس ، والأحداث يحوطها جو من الكآبة منفر للجمهور .

وكانت النتيجة أن اضطر المخرج فى نهاية المطاف إلى تولى القيام بإنتاجه على حسابه الخاص .

وكاد الأمر ان ينتهى إلى نفس النهاية بالنسبة لسيناريو « ريا وسكينة » .

فعند عرضه على واحد من المنتجين سخر من حماس « ابو سيف » له قائلا



السكرية .. من علامات تشويه الادب

« يعنى جايب لى كليو باترة » ! . ودلالة هذه الرواية كبيرة .

ففي حين كان الجمهور فى منتهى اليقظة والحساسية ، تعرف على الجديد المفيد فى السينما ، اقبل عليه متحمسا دون ماتردد ، كان المنتجون فى منتهى التخلف والبلادة ، اختلطت عليهم الامور ، لم يستطيعوا ان يتبينوا ان الزمن متهيىء لمثل هذه الافلام ، وأن ارض الماء اصبحت ارض سراب .

وإلى هنا كان من المفروض الا يكون « الفتوة » (١٩٥٧) اخر افلام الثنائى « محفوظ ـ أبو سيف » العظيمة ، كان من المفروض أن يستمر الخط البيانى للسينما التى تحاول أن تتلاءم مع إيقاع العصر فى الصعود .

ولكن فجأة حدث امر لم يكن فى الحسبان غير صلاح ابو سيف ـ دون سابق إنذار ـ الاتجاه ، ذهب إلى ارض السراب .. كيف ؟

بعد نجاح «الفتوة » وفى نفس سنة عرضه . أخرج « أبوسيف » لحساب المنتج « رمسيس نجيب » فيلمين عن قصتين لاحسان عبد القدوس « الوسادة الخالية » و « لا أنام » .

والغريب أنه ، ولما تمض سنة على « الفتوة » إلا وكان « نجيب محفوظ » قد سحب بدوره إلى ارض السراب حيث استكتبه المنتج المذكور سيناريو فيلم



« الطريق المسدود (١٩٥٨) عن قصة ثالثة لاحسان عبد القدوس .

والأكثر غرابة أن يكون الختام للعلاقة الحميمة بين الاثنين « محفوظ » و « أبو سيف » بفيلم لنفس المنتج كتب حواره « سيد بدير » عن قصة رابعة لاحسان عبد القدوس كتبها اسم « أنا حرة » (١٩٥٩) .

حديث الخروب

كل هذا حدث ، ونحن على مشارف الستينات ، فى فترة غنية بالبطولات تقادم جثث الافكار ، أصبح فيها اسم « نجيب محفوظ » على كل لسان بفضل السينما والأدب معا .

ففى السينما ارتبط اسمه بأفلام أحبها الجمهور ، زادت من الالتفاف حوله مثل « ريا وسكينة » ، « الوحش » ، « درب المهابيل » و « إحنا التلامذة » .

وفى الأدب ترسب اسمه فى ذاكرة الناس بمجموعة رواياته الواقعية تبدأ « بالقاهرة الجديدة » (١٩٤٥) وتنتهى مظفرة بالثلاثية « بين القصرين » (١٩٥٦) « قصر الشوق » ، « السكرية » (١٩٥٧) . فضلا عن معركة ضد الخوف والعبودية من خلال القضايا التى أثارها « أولاد حارتنا » (١٩٥٩) .

إذن كل الظروف كانت مواتية « لنجيب محفوظ » تتيح له أن يستمر فى أداء دوره التاريخى ، النهوض بالسينما كما نهض بالقصة بحيث جعل من وصف العقاد لها « بأنها كالخروب الذى قال التركى عنه إنه قنطار خشب ودرهم حلاوة » ، جعل منه وصفا سطحيا متعاليا ، كالطحلب لا قيمة له .

أسئلة حائرة

ومع ذلك لم يستطع أن يكمل مشوار السينما .. لماذا؟ ألأنه كان قد اقترب من سن الخمسين ، وهي سن خطرة بالنسبة للموظفين؟

أم لأنه كان قد مر بالرقابة مديرا لها ، وبمؤسسة دعم السينما مديرا ثم رئيسا لمجلس إدارتها ؟

أم لأنه كان فى طريقه إلى رئاسة مؤسسة السينما وجميع الشركات التابعة لها ؟

أم لأنه كان قد آثر السلامة بعد زلزال « أولاد حارتنا » الذى كاد أن يعصف بالثقافة ، يرتد بها سنوات ؟

أم لأنه كان على وشك أن يدخل حقل السينما ببديل للسيناريو أكثر روعة وشموخا ، بقصته « بداية ونهاية » ؟

الأكيد أنه بدأ بالقصة الأخيرة مرحلة جديدة من رحلته مع السينما .

أول الغيث ..

والأكيد .. الأكيد أن عقد الستينات لم يكد يقترب من نهايته إلا وكانت جميع المرحلة الواقعية من حياته الأدبية ـ وعددها ثمانية ـ وجميع أعمال المرحلة الرمزية ـ عدا « أولاد حارتنا » ـ من القصص الطويل اللص والكلاب

والسمان والخريف الطريق ، الشحاذ ، ثرثرة فوق النيل ، ، ميرامار - هذه الأعمال جميعها قد تحولت إلى لغة السينما .

وفى الحق ، فالبداية كانت طيبة تبعث على الأمل ، فقد استهلت « ببداية ونهاية » ، وهى من اكثر روايات « نجيب محفوظ » نضجا ، فحوارها متماسك ، وشخصياتها حية ، مقنعة ، فضلا عن ان ترجمتها إلى لغة السينما قد اسندت الى « صلاح ابو سيف » ، اكثر المخرجين فهما لادب « نجيب محفوظ » .

ومن هنا ، ورغم أن الافلام التى اعدت عن رواياته قد بدأت بها ، إلا ان الفيلم المستوحى منها كان - ولايزال - ارفعها مستوى ، واكثرها تمثلا للرواية نصا وروحا .

ولكنه مع الأسف لم يستطع الوصول إلى مستوى « الفتوة » ، كان اقل منه بكثير .

صمت القبور

بعد ذلك تتابعت الأفلام المستوحاة من رواياته .

ومما لوحظ عليها انها كلما كثرت وانتشرت ، كلما تدهورت وانحدرت فنيا حتى انتهى الامر إلى الدخول بها فى منطقة السوقية والابتذال بأفلام « حميدة » (زقاق المدق) و « بين القصرين » و « قصر الشوق » و « السكرية » .

فحسن الامام مخرج الافلام الاخيرة اكتفى من بين شخصيات « زقاق المدق » العديدة واحداثه الكثيفة المتشعبة ، بقصة الحب فى الرواية مستهدفا التركيز على « حميدة » ، كيف تحولت إلى بغى أثناء غياب محبوبها « عباس الحلو » بعيدا عن الزقاق فى معسكرات الجيش البريطانى .

وكيف عثر عليها ، بعد عودته ، فى أحد أوكار الليل غانية بين أحضان جنود الاحتلال .

ولم يستأثر باهتمامه من اجزاء الثلاثية سوى دون جوانيات عبد الجواد وابنه ياسين ، فكان أن سلط الأضواء على الجانب العابث الماجن من حياتهما ، على المغامرات مع أجساد النساء فى سوق البغاء . فما هو موقف نجيب محفوظ من كل هذا التشويه لأدبه على الشاشة

البدايات « درب المهابيل » لتوفيق صالح



البيضاء .. من كل هذا الانحدار بصورته أمام الملايين التى لا تقرأ وترى ؟
كان من المفروض ان يهتز للعار الذى لطخ أدبه ، ولكنه لم يهتم مؤثرا الصمت بل قل الاستسلام .

رضاء سام

والأغرب انه ، وبعد حين ، انقلب مؤيدا هذا التيار الذى اساء إلى ادبه بإفساد الفهم له .
ولعل أخطر شهادة قيلت فى الأفلام التى ابتذلت رواياته هى التالية :
« من حسن حظى أن جميع الأفلام التى أخذت عن كتبى احرزت نجاحا ساحقا ، وقد استجبت لها رغم كل ما قيل عنها .
ليس هناك افظع مما قيل عن فيلمى « قصر الشوق » و « بين القصرين » . ومع ذلك سعدت بهما جدا ، وأنا راض عنهما تماما » .
وخطورتها تنبع من كون صاحبها هو « نجيب محفوظ » ومن كونه يفكر بمنطق الشباك ، منحازا إلى السينما السائدة وافلامها الساقطة .

بئر الياس

ولابد هنا من وقفة قصيرة عند هذا الموقف الغريب كل الغرابة ، فى محاولة للبحث عن مفاتيح لفهمه .
فى ظنى ان المفاتيح هى ادب « نجيب محفوظ » نفسه ، فهو فى جوهره يعبر عن مأساة الفئـات الدنيـا من الطبقات المتوسطة التى فى إطارها يحرك نجيب محفـوظ نماذجـه البشريـة ، يحملهم سلوكياتها الفردية وأوهامها ، يضع على اكتافهم تناقضاتها وأوزارها .
ومن هذه الزاوية ، وبحكم أنه من هذه الفئات ، فهو حين يعبر عن مآسيها إنما يعبر بالدرجة الاولى عن مأساته هو .
فكل من يقرأ لأديبنا الكبير يدرك تمام الادراك انه هو الأخر قد عاش حياة هذه الفئات ، فهم هذا النوع من الحياة ، ادرك فى أعماق أعماقه سخفه ونفاقه والنهاية الفاجعة التى تنتظر البشر رجالا ونساء ممن تزدحم بهم صفوف فئات تعيش على حافة هاوية العدم .
ولكن صاحب الثلاثية لا يتقدم خطوة فى الوعى بعد ذلك ، إنه يسجل المأساة ولايرى أبعد منها .
ومن هنا يخرج القارىء لرواياته والغم يملأ قلبه ، والضيق يسيطر على مشاعره ، واليأس (أو ما يشبه اليأس) يجرى فى عروقه .
اليأس إذن وغمامته التى تمطر عدم الاكتراث واللامبالاة هو الذى وراء نكسة اديبنا الكبير فى السينما ، تلك النكسة التى اوقفت ساعة التجديد عند « الفتوة » لاتتأخر عنه ولاتتقدم ...



العالم في الطريق إلى: عصر العواجيز

مايسة فريد

كما ان الأطفال مظلومون فى هذا العصر، فإن العواجيز أيضا.. مظلومون !. تزايدت أعدادهم، أصبحت دور الرعاية اللازمة لاتكفى..

تشغل هذه القضية الغرب، وحان الوقت لكي نستعد لها فى الشرق..

العالم في الطريق إلى: عصر العواجيز

● اتخذت مشكلة المسنين في العالم الغربي ابعادا جديدة ، فعلى الرغم من توفير دور الرعاية التي تقدم لهم المأوى والطعام ووسائل التسلية ، وتبعد عنهم شبح الوحدة بعد انصراف ابنائهم عنهم لتدبير شئون حياتهم ، إلا ان المسنين في حد ذاتهم صاروا مشكلة ، فقد تزايدت اعدادهم بدرجة كبيرة في الآونة الأخيرة بسبب تقدم الرعاية الصحية والطب الحديث ، ففي بداية القرن الحالي كان متوسط عمر الانسان في أوربا ٤٧ عاماً ، اما الآن فإن هذا المتوسط يبلغ ٧٤ عاماً ، وقد يقال مالضرر في ذلك وهذه الدول المتقدمة غنية بمواردها ، ضئيلة التعداد السكاني ؟ ولكن الحقيقة ان قلة المواليد هي سبب تزايد عدد المسنين لأن الاتجاه الحالي في أوربا واليابان والولايات المتحدة هو الاسرة الصغيرة الحجم ، وبالتالي فإن عدد المواليد يتقلص باستمرار ، بينما يتزايد عدد المسنين بسبب تقدم الرعاية الصحية ..

عصر العواجيز

ويتنبأ الخبراء بأن أوربا الغربية وغيرها من الدول الصناعية المتقدمة ستشهد مايسمى « بعصر العواجيز » حيث سيرتفع عدد المسنين بدرجة كبيرة ، بينما ستنخفض نسبة الشباب ، مما سيضطر أصحاب الاعمال والمصالح الحكومية الى الاستعانة بهم لسد الفجوة الناتجة عن انخفاض عدد الايدي العاملة من الشباب ، وهذه ستمثل ظاهرة خطيرة في المستقبل وقتها سيتحكم المسنون باعتبارهم القوة الرئيسة في المجتمع في جميع مجالات الحياة ، ولكن هذه ظاهرة ليست صحية لأن هذه الطبقة الجديدة من العمال لن تكون قادرة في هذه السن المتأخرة على العمل الشاق ، والانتاج الخلاق .

وتشير الاحصائيات الى أن نسبة المسنين في كل من المانيا الغربية والنمسا ، والسويد بلغت حالياً ١٥ في المائة من تعداد السكان وهذه نسبة كبيرة تستلزم بنداً ضخماً من ميزانية الرعاية الاجتماعية للانفاق عليها ، وهذا يثير مشكلة أخرى : من أين ستحصل هذه الدول على الأموال الازمة لرعاية المسنين الذين تتزايد أعدادهم عاما بعد عام ، ليس أمامنا إلا الضرائب .. ولكن من سيدفع هذه الضرائب وقد تقلص عدد العاملين من الشباب ؟ الحل الوحيد كما يقول الخبراء هو زيادة معدل الضرائب على العاملين وهذه مشكلة أخرى ستواجهها الحكومات الغربية .

الهرم المقلوب

ويتصور خبير بالامم المتحدة العصر

القادم فى الدول المتقدمة على أنه يشبه الهرم المقلوب ، حيث يعمل بضعة شباب للانفاق على الاف المسنين ، وقد حذر الرئيس الامريكى ريجان ذات مرة من هذه المشكلة فقال :« إن هناك احتمالا بأن يأتى اليوم الذى لايجد فيه شباب اليوم مايكفى من الاموال فى صندوق الرعاية الاجتماعية للانفاق عليهم عندما يصلون الى سن الشيخوخة » !!

لقد بلغت فى الولايات المتحدة الأمريكية نسبة المسنين إلى العاملين من الشباب الذين يسهمون فى الانفاق عليهم عن طريق الضرائب ١ : ٥و٣ ، وستنخفض هذه النسبة بعد عشر سنوات لتصبح ١ : ٥و٢ ويتوقع الخبراء أن تصل النسبة نهاية القرن الحالى الى ١:١ ..

وهناك طريق أخر صعب أمام الحكومات الغربية لحل هذه المشكلة وهو خفض برنامج الرعاية الاجتماعية للمسنين ، وهذا بدوره سوف يسبب مشكلة إنسانية خطيرة ، ويجعلنا نتساءل من جديد: من يرعى الشيخوخة ؟!!

● وفى عالمنا العربى لم تصبح بعد مشكلة المسنين خطيرة وذلك بسبب التقاليد العربية والتعاليم الدينية ، التى تدفع الأبناء الى رعاية آبائهم اذا بلغ بهم الكبر ، بعكس المجتمعات الغربية التى تسودها الأنانية وحب الذات ، حيث يسعى الابناء الى شق طريقهم فى الحياة دون أن يكترثوا بالروابط الأسرية ..

ويكفى أن كلمة « شيخ » بالعربية تعنى الاحترام والوقار ، ولكن مانخشاه أن تزحف آثار الحضارة الغربية الضارة علينا ، فنفقد هذا الاحترام ونفقد العطف والحب للكبار . !!

(شباب العجائز)

لقد وجدت ألمانيا الغربية حلولاً عملية لمشكلة تزايد عدد المسنين وقلة دور الرعاية اللازمة لهم .. كيف يقول تقرير وضعه الخبراء فى ألمانيا الغربية .

« يوجد فى ألمانيا الغربية ملايين الأفراد من المسنين ، غير أنه لم يتم بعد اختيار الاسم الصحيح لهم ، فقد أطلق عليهم شباب العجائز ، والكبار الممتلئون بالحيوية ، والراشدون الناضجون ، وغير ذلك من الاسماء ، وهذه الحشود الضخمة من المسنين فى المانيا الذين يتلقون معاشات من مهنتهم السابقة يرفضون أن يعيشوا على معاش الحياة ، ويشعرون انهم مازالوا أصغر من أن يقوموا طوال اليوم (بإطعام البط) على حد قول أحد المسنين ولذلك فان كثيرا من أصحاب المعاشات فى المانيا يعملون حاليا فى الورش والجامعات والوحدات الاستشارية للشركات .

ويتجه المجتمع فى المانيا الغربية بوجه عام نحو الشيخوخة ففى الوقت الحاضر يوجد اكثر من اثنى عشر مليونا من بين سكانها البالغ عددهم ٦و٦١ مليون نسمة فوق ستين سنة ، وطبقا للاحصاءات فان معدل المواليد فى المانيا الغربية يسجل أدنى معدل فى العالم ، كما أشارت الاحصاءات إلى أن كل مواطن المانى من



العالم في الطريق إلى : عصر العواجيز

بين ثلاثة سوف يبلغ سن الشيخوخة بحلول عام ٢٠٠٠ .

وهنا يبرز سؤال

ماالعمل عندما يكون الشخص متجدد الشباب عقليا وسيكولوجيا انه لايمكن ان تدركه الشيخوخة ؟ في الواقع إن اشهر اصحاب المعاشات فى المانيا يعدون الآن من كبار الدارسين فى الجامعات وهي ظاهرة انتشرت في العديد من مدن المانيا الغربية ، ففى مدينة (ماربيرج) يوجد هذا العام مائتان وخمسون طالبا جامعيا تتراوح أعمارهم بين خمسة واربعين وثمانين عاما يتلقون المحاضرات في الكليات المختلفة .

ويقبل الطلاب العجائز على دراسة علم النفس وهو من المواد المحببة اليهم دراستها بالاضافة الى الآداب والطب والتاريخ ، كما انهم شديدو الحرص على المواظبة وحضور المحاضرات ولايتخلفون على الاطلاق : ويذاكرون باخلاص دروسهم استعدادا للامتحانات . لقد تبين ان الفضول وحب الاستطلاع كان الدافع في البداية لدخولهم الجامعة ولكن بعد ذلك ينمو طموحهم الحقيقي ويدرسون من اجل ما سيعود عليهم من هذه الدراسة بالنسبة للحرف والوظائف المختلفة . كما ان بعضهم بعد التخرج يستهدف العمل بصورة شرفية في بيوت رعاية العجائز والمستشفيات والمشاركة فى جماعات خدمة البيئة ..

جماعة وقت الفراغ :-

وتوجد فى مدينة فرانكفورت جماعة ناجحة تطلق على نفسها وقت الفراغ للنساء الحرفيات وتضم أعضاء من كبار السن ولها فروع فى المدن الالمانية الاخرى . وتنتج هذه الجماعة منتجات من



الحرير المنقوش والدمى البارعة بالاضافة الى المنتجات الخشبية وتعرض للبيع فى الاسواق الخيرية .

وفى برلين الغربية عندما بدأت نشاطها فرقة مسرحية تعرف بجماعة « العمل المؤجل » كان مجموع أعمار الممثلين والممثلات على خشبة المسرح نحو سبعمائة عام ، وتتراوح أعمار أعضاء الفرقة بين أصغرهم وهى هانيلور وعمرها واحد وستون عاما فقط وبين أكبر عضو وهى إرنا الداعية السابقة لحق الاقتراع العام والتى يبلغ عمرها تسعون عاما .. ، وتضم الفرقة خمسين عضوا يقومون بكل الأعمال الفنية الخاصة بها من كتابة المسرحيات والتمثيل وحياكة الملابس وإعداد الديكورات .

العواجيز .. المستشارون

وقد بلغ نشاط هذه الجماعات لكبار السن الى حد أنهم أصبحوا يحلمون بأن تصبح هذه الجماعات حركة حقيقية للعجائز .. ومن ناحية أخرى فإن العدد من كبار المواطنين يستغلون وظائفهم بصورة أكبر بعد التقاعد عن العمل . فعلى سبيل المثال أنشأت الغرفة الصناعية والتجارية فى مدينة كوبلز على نهر الراين مركز خدمة استشارى لتقديم المشورة الى أفواج الشباب المتخبط الطموح عديم الخبرة والذين تراودهم الآمال فى نجاح مشروعاتهم الخاصة ..

ويستدعى للخدمة فى هذا المركز الخبراء المتقاعدون فى . الادارة والمستشارون فى عالم المال والضرائب ، وعلى مدى السنوات الثلاث الماضية تلقى الخبراء المحالون الى المعاش أربعمائة مكالمة تليفونية يطلب أصحابها مساعدتهم بالحاح . وتوجد فى بون مؤسسة مماثلة أنشئت عام ١٩٨٣ ويطلق عليها « خدمة كبار الخبراء » تقوم « هذه » المؤسسة بارسال الخبراء المتقاعدين ليعملوا كمستشارين فى دول العالم الثالث ، ويتم تمويل نشاط هذه المؤسسة من ميزانية مساعدات التنمية للحكومة الفيدرالية فى بـون .

كما ان هناك مجموعة أخرى ناجحة يطلق عليها اسم « النادى النشيط لأصحاب المعاشات » ويمارس هذا النادى نشاطه فى إقليم إيفل بالمانيا الغربية ، ويضم أعضاء من بينهم العالم البيولوجى المتقاعد (بارترام) الذى يبلغ من العمر ثمانية وسبعين عاما والذى أنشأ مزرعة للدود فى أحد الأديرة السابقة ، فكان يأخذ من مخلفات الزراعة ومن لحاء الأشجار بالاضافة الى أنواع مختلفة وخاصة من القمامة وأمكن بمساعدة دود الندى التوصل الى إنتاج مادة (الدبال) بصورة عالية التركيز ومادة الدبال هى مادة سوداء تنشأ من تحلل المواد النباتية والحيوانية فى التربة ، وتمارس هذه المؤسسة نشاطها بنجاح حتى أنها افتتحت فروعها فى لوكسمبرج وبلجيكا

كتاب الأمالي للقالي

بقلم : الدكتور/محمد عبد المنعم خفاجي

- ١ -

أبو على القالي البغدادي (٢٨٨ - ٣٥٦ هـ : ٩٠٢ - ٩٦٨ م) شخصية طريفة ، من الشخصيات التي نبغت في القرن الرابع الهجري ، وقامت بدور كبير في خدمة اللغة والتراث وتكوين أجيال من العلماء ، يهبون حياتهم للعلم وفي سبيله ، ويحاضرون ويؤلفون ويدرسون لتلاميذهم ، ويلتقى الناس عليهم مبهورين بعلمهم معجبين بآثارهم ، متتلمذين على مؤلفاتهم والطريف في شخصية أبي علي القالي أنه نسب إلى « قالي قلا » إحدى مدن الثغور الاسلامية الواقعة على الحدود بين دولة الخلافة العباسية وإمبراطورية الروم الشرقية ، ومع ذلك فلم يكن من أهل « قالي قلا » ولا من مواليدها ، إنما كان مولده في منازجرد القريبة من بحيرة وان الواقعة شرقي الفرات في ديار بكر ، وترجع نسبته إلى « قالي قلا » إلى حادث صغير وقع له سنذكره بعد قليل .

ومهما كان فلقد كان أبو على إسماعيل ابن القاسم القالي يعيش في إقليم الثغور الاسلامية ومن شأن هذه الثغور أن تكون موضعا دائما لهجوم البيزنطيين الروم عليها ، وأن يكون الدفاع عنها قائما على قدم وساق ، وأن تكون الحياة فيها قلقة مضطربة ، يسودها الخوف والفزع والاضطراب .

والطريف أيضا أن القالي ينسب ايضا إلى بغداد ، فيقال له : أبو على القالي البغدادي ، وذلك لأن بغداد كانت هي العاصمة الكبرى التي آثر القالي أن يهاجر إليها ، وأن يقيم فيها .

وليس ذلك كله هو وحده مبعث الطرافة في أمر القالي ، بل إنه ينسب كذلك إلى الاندلس ، وإلى قرطبة عاصمة الخلافة الأموية ، والمنافسة للخلافة العباسية كل المنافسة ، وذلك لأنه هاجر إليها من بغداد وأقام فيها أكثر من ربع قرن ، وتوفي فيها فهو قاليٌّ ، وهو بغداديٌّ ، وهو أندلسيٌّ قرطبيٌّ .. وذلك كله ليس مبعث عظمة أبي على القالي ، ولكن مبعث مجده وخلوده ، أنه عاش من رهبان العلم ، وأفنى حياته في سبيله وأنه عكف على خدمة اللغة طيلة حياته ، وأنه أثرى الفكر اللغوي والأدبي

فى عصره وبعد عصره حتى اليوم . ومن أجل ذلك كانت شهرة القالى ، وكان مجده الكبير يقول الامام الضبىّ فى كتابه « بغية الملتمس » عن القالى : إنه كان أحفظ أهل زمانه وأرواهم للشعر ، وأعلمهم بعلل النحو ، على مذهب البصريين .

فقد ولد عام ٢٨٨ هـ فى إحدى قرى ديار بكر ، وتسمى « مناز جرد » من أسرة تنتمى بالولاء لعبد الملك بن مروان الخليفة الأموى العظيم ، ونشأ فى قريته يحفظ القرآن ، ويتعلم اللغة وعلومها ، حتى إذا حصّل أطرافا من العلوم الاسلامية والعربية ، رحل عنها إلى العراق لطلب العلم والتحصيل . وفى طريقه إلى بغداد كان فى رفقة جماعة من « قالى قلا » ، وكانوا ـ كما يقوْل القالى ـ يكرمون لمكانهم من الثغر ، فلما دخل معهم بغداد نسب إليهم ، لكونه معهم ، وأطلق عليه القالى ، وأحيانا كانوا يسمُّونه البغدادى لطول إقامته فى بغداد . وكان رحيله إليها عام ٣٠٣ هـ ، وهو فى الخامسة عشرة من عمره . ومكث فيها ربع قرن يطلب العلم ، يلقى العلماء .

ففى بغداد تتلمذ على فحول العلماء ، وأئمة اللغة ففى الحديث النبوى الشريف : تتلمذ على البغوى (٣١٧ هـ) والعدوى (ـ ٣١٩ هـ) ، السجستانى (ـ ٣١٦ هـ) ، وابن مجاهد ، وابن صاعد ، والمحاملى ، وسواهم وفى علوم اللغة تتلمذ على الزجاج (ـ ٣١١ هـ) ، وابن درستويه (ـ ٣٤٧ هـ) ، والأخفش الصغير (ـ ٣١٥ هـ) ، وابن دريد (ـ ٣٢١) ، ونفطويه (ـ ٣٢٣ هـ) ، وابن السراج (ـ ٣١٦ هـ) ، وابن



الانبارى (ـ ٣٢٨ هـ) ، وسواهم .. ولكنه كان يؤثر مجلس ابن دريد ، مشدودا إلى رواياته ومجالسه الغريبة ، يحفظ عنه ، ويدون من مسموعاته عنه كثيرا من غرائب اللغة والشعر والأنساب . وحين توفى ابن دريد ، حزن القالى لوفاته حزنا شديدا وقال : أرجو الا أقيم بعده فى بغداد

ظهر نبوغ القالى فى علوم اللغة والأدب لأساتذته وأخذت شهرته تزداد فى حلقات العلم فى بغداد وصار موضع ثناء شيوخه وتقديرهم لمواهبه العلمية ، وعاش على الكفاف فى بغداد ربع قرن متعلما ومعلما ومحققا ومفيدا ، حتى جاءت سنة ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م ، وهنا جاءت المفاجأة .

رسالة من الخليفة الأموى فى قرطبة بالاندلس ، تصل الى القالى على يد بعض طلاب العلم من الوافدين من قرطبة الى بغداد ، وفى هذه الرسالة يدعو الخليفة الناصر عبد الرحمن الأموى صاحبنا القالى إلى قرطبة عاصمة ملكه وإلى الاقامة فيها .. ولاعجب فى ذلك فالقالى ينتمى إلى بنى امية ، وهواه معهم ، وازوراره عن بنى العباس معروف للخاصة من اترابه وزملائه ، ولبنى أمية دولة فى الأندلس اسسها عبد الرحمن الداخل عام ١٣٨ هـ ، وظلت قائمة فى عصر القالى .. وكان من الممكن أن يسمع الأمويون فى الأندلس بعالم كبير ينتمى إلى بنى أمية ، يعيش فى بغداد شبه مغضوب عليه ، أو أن يرسل القالى نفسه إلى الخليفة الأموى فى قرطبة رسالة مع أحد طلاب العلم من الأندلس ، من الوافدين على بغداد

والناصر عبد الرحمن الأموى الخليفة كان عهده فى الأندلس عهد ازدهار ورخاء وحضارة ، وهو الذى شيد الزهراء ومسجد قرطبة الكبير وغيرهما من المؤسسات الثقافية الكبيرة فى عاصمة الأندلس الجميلة ، وقد ظل في الحكم خمسين عاما (٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ) ، وكان ابنه وولى عهده الحكم بن الناصر محبا للعلم ، يشجع العلماء ويرعاهم ، وحكم الأندلس بعد أبيه ستة عشر عاما (٣٥٠ ـ ٣٦٦ هـ) . وفى عهد الناصر وابنه الحكم انشئت المدارس والجامعات والمكتبات الضخمة ، وازدهرت الحركة العلمية والأدبية فى الاندلس ازدهارا لم يحدث له نظير من قبل . وكانت قرطبة أنذاك تنافس بغداد حضارة وعمرانا ، وسكانها أكثر من مليون نسمة ، وعلى مقربة منها أو فى ضواحيها مدينة الزهراء التى بناها الناصر . وينقل المقرى فى كتابه نفح الطيب عن أبى سعيد مؤلف كتاب « الحلة المذهبة فى مملكة قرطبة » أن هذه المدينة ـ قرطبة ـ كانت من أكثر بلاد الاندلس حبا للكتب ، وإقبالا عليها ، وكان أهلها اشد الناس عناية بجمع المؤلفات النادرة ، وقل أن يوجد رئيس أو مرءوس إلا وفى بيته خزانة كتب ضخمة ، تحتوى على نفائس المخطوطات .. ويقول سيديو عن قرطبة : إنها كانت تضاء ليلا ونهارا ، وكانت شوارعها يفوح منها الطيب

لكثرة مايلقى فيها من الزهور ، وكانت الفرق الموسيقية تعزف ألحانها فى الشوارع والميادين والمتنزهات .

ـ٢ـ

وهكذا فى لحظة حاسمة فى حياة القالى ، وصلته رسالة من الناصر ، خليفة المسلمين فى الأندلس ، يرغّبه فيها فى الوفود عليه ، لنشر علمه . ولبىّ القالى الدعوة ، وسافر إلى قرطبة ، مودعا بغداد ، مختتما عهده فيها ، وأيامه بها .

وعن طريق القاهرة والقيروان والمهدية ، وتلمسان ، وفاس ، سار القالى إلى قرطبة ومن طنجة ركب سفينة إلى الشاطىء الأندلسى وفى أحد ثغور الأندلس وصلت السفينة التى تُقلُّه ، فتلقاه فى الميناء ـ بأمر من الحكم ولى العهد ـ ابنُ رماحس ، وهو بمثابة محافظ لهذا الثغر ، حيث استقبل القالى فى وفد من وجوه الرعية ، وصحبه الى قرطبة فى موكب نبيل ، فدخلها فى شعبان من عام ٣٣٠ هـ/٩٤٢ م بعد رحلة طويلة تذاكر فيها هو وأصحابه الآداب وغرائب الأشعار ومسائل اللغة .

وكان من الوفد الشعبى الذى استقبل القالى فى الميناء ، وصحبه إلى قرطبة ، الأديب الأندلسى المعروف ، ابن رفاعة الالبيرى ، وللقالى معه قصة مشهورة ، حيث استمع الالبيرى إلى القالى يروى بيتا جاهليا لعبدة بن الطبيب ، رواية تدل على جهل بعروض الشعر ، وتدل على أن القالى لايعرف صحيح الشعر من مكسوره ، فازور الالبيرى عن القالى ، وقال : مع هذا يُوفَدُ على امير المؤمنين الناصر وتتجشم الرحلة لتعظيمه ، وهو لايقيم وزن بيت مشهور بين الناس ، لايغلط فيه الصبيان ، والله لا تبعته خطوة .. وانصرف عن الوفد الذى صحب القالى . ونسى الألبيرى مكانة القالى العلمية التى لايقدح فيها خطوة فى رواية بيت شعر ، بل تناسى المغزى السياسى لوفادة القالى إلى قرطبة التى تنافس بغداد آنذاك .

وهذه القصة جعلت القالى يشهد للأندلسيين بالعلم والذكاء ، ويتعجب من أهل هذا الأفق الاندلسى فى ذكائهم ، ويقول لهم : « إن علمى علم رواية وليس علم دراية فخذوا عنى ما نقلت » .

دخل القالى قرطبة لثلاث بقين من شعبان عام ٣٣٠ هـ ، فاكرم الناصر وفادته ، وأعلى فى دولته مكانته ، وأثره بالعطف والحب ، وجعله فى حاشية ولى عهده الحكم ، استاذاً له ، واستوطن قرطبة ، واخذ يلقى دروسه ومحاضراته فى حلقات مسجدها الجامع : فاورث ابوعلى اهل الأندلس علمه ، واقبل عليه الاندلسيون للافادة والتعلم والتادب على دروسه فى حلقات المسجد الجامع ، حيث كان يلقيها من روايته وحفظه فى كل يوم خميس فى مسجد قرطبه الجامع بمدينة الزهراء . وكان أبو على واسع العلم ، كثير الرواية ، طويل الباع فى علوم الأدب واللغة ، مما شهد به علماء عصره فسمع الناس عنه وقرءوا عليه كتب اللغة والاخبار

والامالى ، وعظمت استفادة الشباب الاندلسى منه ، وكان من تلاميذه الزبيدى مؤلف كتاب « مختصر العين » ، وهو إمام فى اللغة والادب فى الاندلس فى النصف الثانى من القرن الرابع وللروادى الشاعر الاندلسى الكبير قصيدة مدح بها القالى ونوّه فيها بعلمه .

وعاش القالى فى ظلال خلافة الخليفة الناصر عشرين سنة ، وفى ظلال الخليفة من بعده الحكم بن الناصر ستة اعوام ، توفى بعدها عام ٣٥٦ هـ ، فحزن الاندلسيون لوفاته حزنا شديدا .

ومما يدلنا على مكانة القالى ان الخليفة الناصر وولى عهده الحكم عهدا إليه بتمثيل الدولة فى الخطابة الرسمية فى حفل استقبال وفد الروم ، ولولا ان ابا على ارتج عليه فى هذا الموقف فقام مقامه منذر ابن سعيد البلوطى . وكانت وفاة القالى فى قرطبة فى ربيع الآخر من عام ٣٥٦ هـ ، وهو العام الذى توفى فيه ابو الفرج الأصفهانى مؤلف كتاب « الاغانى » .. وابو الفرج فؤادُ ايضا اموى ولاندرى سبب عدم هجرته الى قرطبة ايضا .

ـ ٣ ـ

وتراث القالى تراث كبير ، ضاع اكثره ومن مؤلفاته . كتاب الممدود والمقصور ، كتاب البارع فى اللغة ، كان يشتمل على ثلاثة الاف ورقة ، ويحتوى على مائة مجلد ولم يصنف مثله فى الاحاطة والاستيعاب وهو معجم لغوى ابتدأ فيه القالى منذ عام ٣٣٩ هـ ، وعاونه فيه وراق كان من تلاميذه اسمه محمد بن الحسين الفهرى من اهل قرطبة منذ عام ٣٥٠ هـ ، واستمر فى تاليفه حتى توفى الى رحمة الله . فاتمه الوراق بمعاونة الجيانى . وهو مرتب وفق مخارج الحروف والكتاب مسودات . ولم يبيض منه إلا ابواب معدودة ومن مؤلفات القالى ايضا : كتاب حلى الانسان وكتاب فعلت وافعلت ـ كتاب مقاتل الفرسان ـ كتاب تفسير السبع الطوال (المعلقات السبع) ـ كتاب الأمثال وهو مرتب على حروف المعجم ـ كتاب النوادر واشهر مؤلفات القالى هو كتابه الامالى .

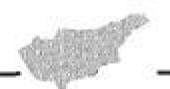
ـ ٤ ـ

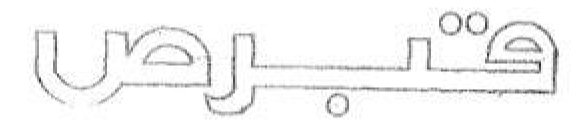
طبع كتاب الامالى فى بولاق عام ١٣٢٢ هـ ، ثم طبع طبعة محققة فى دار الكتب المصرية عام ١٣٢٦ هـ حيث صدر محققا فى جزءين . الحق بهما جزء ثالث يتضمن « ذيل النوادر » . وهو من نفائس المؤلفات التى يغترف منها اللغويون والأدباء والعلماء .. كما الحق بالكتاب كتاب « التنبيه على أوهام القالى فى أماليه » للوزير البكرى الأندلسى والأمالى مع مظهره الأدبى العالى يدل على ثقافة لغوية واسعة ، وهو حافل بالفوائد اللغوية التى لاتوجد فى كتاب ، فنجد القالى يتحدث عن مواد لغوية كثيرة حديثا ضافيا ، ويفسر غريب احاديث نبوية كثيرة ، ويخصص مطالب لتسمية اسنان الابل وترتيبها

واسماء الرجل واسماء الشخص واسماء الالوان واوصافها ، وسوى ذلك مما اشتمل عليه الكتاب من ثقافات لغوية عرض لها المؤلف قصدا ، او ذكرها عرضا اثناء شرحه لنصوص ادبية قديمة او محدثة وفي الكتاب مجالس أدبية عديدة فيها اسلوب القصة ، رواها القالي عن استاذه ابن دريد ، يقال إنها الصورة الأولى لفن المقامات قبل ان يتطور هذا الفن على يدي بديع الزمان الهمذاني (ـ ٣٩٨ هـ) الى الصورة الاخيرة له ، وقد قام المستشرق كرونكو ببحث أحصى فيه أسانيد كتاب الأمالي ، واثبت ان نصفها مروى عن ابن دريد أستاذ القالي ومن مجالس ابن دريد الواردة في « الأمالي » حديث البنات الثلاث اللاتي وصفن فيه مايحببن من الأزواج ، وسوى ذلك . أما ثقافات أمالي القالي الأدبية والنقدية فينطق بها الكتاب بما احتوى عليه من روائع الآثار الأدبية المروية عن العصور الأدبية التي سبقت هجرة القالي إلى الأندلس ، وهي نصوص أدبية ـ رفيعة قد لاتوجد في مصدر آخر ، سواء منها ماكان نثرا أم شعرا .

ونصوص كتاب الأمالي الأدبية تفسر لنا بعض الجوانب الغامضة من حياة العرب في الجاهلية والاسلام حتى نهايات القرن الثالث الهجري . ومن بحوث الكتاب مطالب يذكر فيها ماقال الشعراء في الحديث أو البكاء ووصف الدموع ، أو في العناق أو غير ذلك ، ويذكر كثيرا من القصائد المشهورة في الأدب العربي ، أو يعرض لحديث الشعر والنثر .وكثيرا مايستروح القالي إلى شيء من النقد فيذكر مثلا سؤال بعض خلفاء بني أمية لجرير عن أشعر الناس ، أو يروى مفاضلة بين عمر وجميل في الغزل ، او يذكر مايستحسن ويستجاد من شعر شاعر ، مما يدل على روح النقد الاصيلة . أما ملاحظات البكري على القالي فمع كثرتها نجدها تتصل بتصحيح اسم من الأسماء ، أو تحقيق رواية أدبية ، أو توجيه نص من النصوص توجيها آخر .. أو غير ذلك ، وهي على أية حال تنبيهات مفيدة .

إن كتاب « الأمالي » بمثابة دائرة معارف في الأدب القديم ، ومنهجها هو منهج الرواية ، وكان القالي يقول لناقديه علمي علم رواية وليس بعلم دراية . والكتاب صورة لأدب المشرق إلى نحو منتصف القرن الثالث الهجري ، وآداب المشرق كانت هي الطرفة الجميلة عند الاندلسيين وكانت هي موضع الاهتمام الدائم ، لانه اللغة والادب مصدرها الاول هو المشرق وحده .ومن ثم فإن القالي لم يُرو في كتابه شيئا من آداب الأندلسيين ، ولم يستشهد بشعر لهم : فالأمالي خلْو من الآداب الأندلسية تماما . وبعد فهذه هي شخصية القالي الطريفة ، وشخصية كتابه « الأمالي » ، على وجه من الايجاز ، وبالله التوفيق ،





الساحرة سياحيًا والساخنة سياسيًا .... إلى أين؟

تحقيق مصطفى نبيل

●● عندما تصل إلى جزيرة قبرص، تتذكر على الفور أساطير هوميروس فى الإلياذة والأوديسة. وكأنك أمام مشهد خروج سيدة الجمال. أفروديت. من زبد البحر عند ارتطامه بشاطئ الجزيرة، وتحمل حوريات البحر أفروديت وتأخذها حتى تنمو وتترعرع بين الغابات وعلى قمم الجبال.

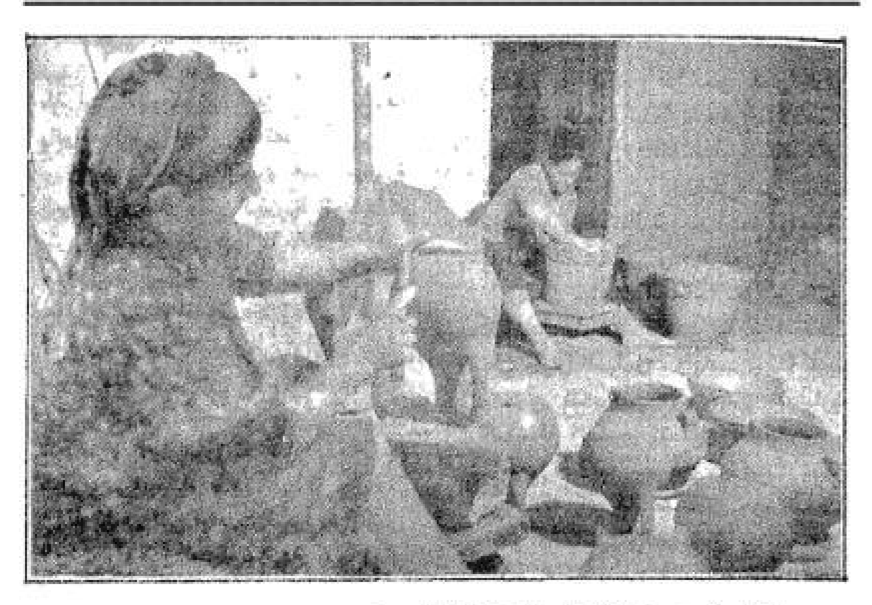
وعندما تزور القرى الجبلية العتيقة القائمة وسط الجزيرة، وترى النساء يطرزن أمام بيوتهن بعيونهن الواسعة وشعورهن السوداء، تلاحظ دقة وصف الفنان كازانتاكيس فى رواياته التى جرت أحداثها فى الجزر اليونانية.

إنها متعة خاصة لايتذوقها سوى من يضع قدميه على أرض الجزيرة الساحرة الغنية بالفن والجمال..

الذى يتردد فى أرجائها أصداء التاريخ وبصمات الزمن ●●

تنتشر المساجد فى شمال الجزيرة وجنوبها





مازالت قبرص تحافظ على الصناعات اليدوية .

الصدفة وحدها هى التى قادتنى إلى قبرص لأقضى بين ربوعها بضعة أيام وهذه زيارتى الثانية ، فقد سبق زرتها منذ مايزيد على عشرة أعوام ، وأيامها كانت الجزيرة تنعم بالحب والهدوء والفتنة ..

ولم تعد جزيرة الحب تعرف الحب ، ولم تعد أفروديت تظهر للمحبين فوق قمم الجبال ، بعد أن مزق الجزيرة الصراع بين الشرق والغرب ..

وخاب ظنى حين تصورت أن هذه الزيارة ستمنحنى فرصة الابتعاد عن المعادلات المزمنة فى العالم العربى ، ووجدت الجزيرة غارقة فى ذات المعادلات وأسيرة نفس المواقف ، وكان هناك تصميما خبيثا على الغوص فى مستنقع بلا قاع ..!

ولنبدأ الرحلة من أولها ..

هبطت بنا الطائرة فى مطار لارناكا فى الجنوب ، أما فى زيارتى السابقة فقد هبطت فى مطار نيقوسيا العاصمة ، وبين الزيارتين قسمت الجزيرة وأصبح مطار نيقوسيا مخصصاً لقوات الأمم المتحدة التى أقامت منطقة عازلة بين الجانب التركى والجانب اليونانى ، وأصبح الجانب التركى يحتل الثلث الشمالى للجزيرة ، وابتعد المطار المخصص للجانب اليونانى جنوباً ..

وأول ماتشاهده فى المطار عدداً من



طائرات الهليوكوبتر الحربية المصفوفة والواقفة على أهبة الاستعداد .

وتغيب مظاهر التوتر عند مغادرة المطار ، ويظهر وجه الجزيرة الحالمة .. وترى أمامك « البحيرة المالحة » وهى تتداخل مع اليابسة والتلال والخضرة فى منظر ساحر ، ويتجمع عند شطآنها الطائر المعروف « أبو السعد » ، والذى يقطع إليها رحلة طويلة فى طريق هجرته بحثا عن الدفء ، ويصلها مابين شهرى ديسمبر ومارس ، ورؤيته بشارة للسائحين بليل دافىء وأيام مشمسة .

لم أشعر انى ابتعدت كثيراً عن أرض الوطن ، فملامح المدينة مألوفة ، وهى مثل العديد من موانىء البحر الأبيض ، التى يكاد يكون لها جميعا مذاق خاص ورائحة مميزة ، ويعمر قلوب أهلها الترحيب بالغرباء ..

ويلفت نظر القادم إليها من القاهرة ، حالة الهدوء والسكينة التى تحيطك ، وغياب التجهم من وجوه أهلها ، ثم الالتزام الصارم بقواعد المرور مع غياب رجال المرور فالنظام أصبح جزءاً أصيلا فى نسيج الضمير العام ، ينعكس على المرور وعلى الالتزام الدقيق بقواعد تخطيط المدن ، رغم التطور الكبير الذى قطعته خلال الأعوام الماضية ..

وشهد الجنوب تطوراً سياحياً واسعاً ، على طول ساحل لارناكا الذى يمتد ثمانية كيلو مترات أقيم عليه العديد من المنشآت السياحية ، وتمكنت الجزيرة من تقديم السياحة الرخيصة فى عالم اليوم الذى لم تعد السياحة مقصورة على الأثرياء وحدهم بل أصبح من حق عمال الدول الأوربية التمتع بأجازة خارج بلادهم ، ويقدم شاطىء لارناكا أسلوبا مبتكراً فى نمو السياحة ، كان الشاطىء فى البداية يضم قرى متناثرة متواضعة وفقيرة ، يقطنها الصيادون والمزارعون ..

وقررت سلطات السياحة تعويض فقدان الساحل التركى ، فقامت بتوفير الخدمات على طول الساحل ، وأقامت شبكة للمياه وأخرى للكهرباء ، وبعض المشاريع البسيطة الأخرى لتجميل الشاطىء ..

وفى البداية خصص كل صياد حجرة فى منزله يؤجرها للسائحين ، ومن داخلها اقام الصيادون والمزارعون بيوتا متعددة الغرف ، ثم اقيمت فنادق صغيرة وأخرى كبيرة ، وفى النهاية اقيمت فروع لفنادق عالمية ، واقيم ميناء لأصحاب اليخوت جذب الكثير من اثرياء العرب والعالم ..

وهى ذاتها التجربة التى طبقت فى تونس والمغرب وأسبانيا . وبدأت لارناكا تجذب الحالمين بقضاء عطلة دافئة والهاربين من زمهرير شتاء الدول الأوربية .

وتعرف قبرص كيف تبيع للسائحين التاريخ ، المتمثل فى آثارها المنتشرة فى كل أنحاء الجزيرة ، واهتمت بكل المواقع الأثرية التى تثير خيال الزوار ، من هياكل وأديرة ومساجد وكنائس وقلاع وحصون وتماثيل وحمامات ، مما جعل الجزيرة تظهر وكأنها متحف التاريخ ..

ويزعم مرافقى أن نيقوسيا تملك اكبر مجموعة من الأيقونات التى تعود إلى القرن الرابع عشر ، ويذكر الأستاذ الهولندى « هسلنج » لايوجد مكان آخر فى

العالم احتفظ فيه بالتقاليد البيزنطية مثل جزيرة قبرص ، فرئيس أساقفتها مازال يمسك فى يده صولجان الاباطرة البيزنطيين ، ويرتدى رداء الأباطرة الأحمر ، ويوقع كما كانوا يفعلون بالمداد الأحمر .. »

ولارناكا ذاتها ، تقوم على إحدى المدن القديمة التى كانت تسمى كيتون ، وهى التى أنجبت أحد فلاسفة الاغريق وهو زينو مؤسس المدرسة الزينونية للفلسفة فى اثينا .

الطاقة بعد السياحة

ويلفت انتباهي اثناء جولتي فى ضواحي لارناكا وعلى إمتداد الساحل ، وجود أجهزة تخزين الطاقة الشمسية فوق أسقف المنازل ، فقد حقق القبارصة نجاحا كبيراً فى مواجهة ارتفاع تكاليف الطاقة عن طريق تصنيع جهاز تخزين الطاقة الشمسية ، فبلادهم تشرق فيها الشمس ٣٤٠ يوماً وتوفر الحكومة هذا الجهاز بأسعار رخيصة لكل من يطلبه ، والذى يساهم فى القضاء على التلوث الذى تعانى منه العديد من البلدان ..

وتذكرت ماشاهدته من قبل فى قرى الصين العديدة ، من استخراج الطاقة من المخلفات الآدمية من خلال تقنية بسيطة وغير معقدة ، مما يوفر على الصين الأموال الضخمة من العملة الصعبة ..

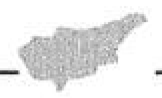
ورغم كل المحاولات التى بذلتها للخروج من أسر رؤية الذات فى الخارج ، إلا انه الح على سؤال : يدور حول ماشاهدته فى السياحة والطاقة لماذا لانطبق الحلول السهلة ، التى تتوفر من خلال البيئة المحلية ؟ وإلى متى سنستمر مولعين بالمشاريع الكبيرة ، ومبتعدين عن البدايات الصغيرة التى تنمو مع الزمن ؟ فالعالم من حولنا يتغير ومن يفوته التطور سيدفع ثمناً غاليا ..

مملكة الرجال .. !

نقضى أمسياتنا فى الجانب القديم من

خريطة قبرص ويظهر خط التقسيم وخريطة اخرى تبين موقع قبرص من العالم العربى





لارناكا ، والتي لاتختلف كثيرا عن الحي القديم في بورسعيد أو حي « أبو قير » في الأسكندرية . تنتشر المقاهي على طول الساحل ، روادها من الأهالي والبحارة والــزوار ، ويجلســون يتصــايحــون ويمزحون ..

ويدور الحديث حول العادات والتقاليد في الجزيرة ، وظاهرة تزايد زواج الأجانب من القبرصيات ، وهل يعود السبب إلى سهام كيوبيد وحده .. ؟ ! أم أن هناك أسبابا إجتماعية أخرى .. ؟ !

فالجزيرة تعتبر بحق مملكة الرجال فمنذ أن عرفت ظاهرة الهجرة تزايد عدد النساء على الرجال ، كما تقضي التقاليد أن تقيم العائلة بيتا لكل بنت من بناتها كعش الزوجية ، وعندما يظهر ابن الحلال تقدم العروس له المهر ، وتقع عليها مسئولية تأثيث البيت كما يصبح من حق زوجها الأجنبي الحصول على إقامة دائمة في الجزيرة ..

العرب والبحر

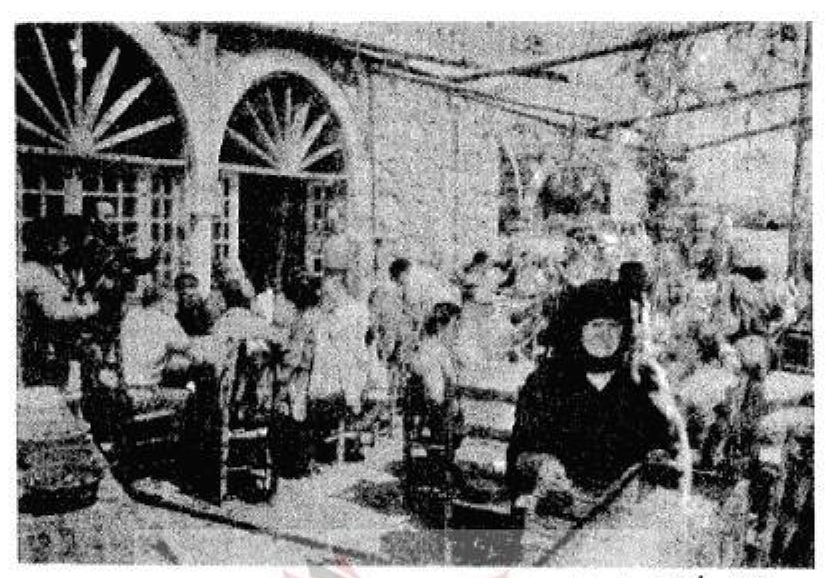
نتوقف أمام مبنى شامخ مهيب على الطراز الشرقي ، تفوح منه رائحة العراقة والقدم . يقول مرافقي إننا أمام تكية هالا سلطان ، وهي مربية النبي عليه الصلاة والسلام ، إنها جزء مما تبقى من آثار العرب في الجزيرة ، والتي تحكي العلاقة التاريخية بين قبرص والعالم العربي ، وتروى قصته أول حملة بحرية قام بها العرب ، عام ٢٨ هـ خلال الصراع ضد الروم .

ومن قبرص بدأ أول إتصال للعرب بالبحر ، فلم يعرف عرب الحجاز قبل الاسلام ركوب البحر والنزال فيه ، وعندما انهمك معاوية والي الشام في الحرب ضد الروم رغب في منازلتهم في البحر ، وواجه معارضة من الخليفة عمر بن الخطاب ، وكتب يحثه على الموافقة بقوله : « إن قرية من قرى حمص يسمع أهلها نباح كلابهم ، وصياح دجاجهم .. » فكتب عمر يسأل عمرو بن العاص : « صف لي البحر وراكبه ؟ . ورد ابن العاص بقوله : « إني رأيت خلقا كبيراً ، يركبه خلق صغير ، وليس إلا السماء والماء إن ركد خرق القلوب ، وإن تحرك أزاغ العقول ، يزداد فيه اليقين قلة ، والشك كثرة ، هم فيه كدود على عود ، إذا مال غرق ، وإن نجا برق .. » ، وعندما قرأ هذا الوصف كتب إلى معاوية : « والذي بعث محمداً بالحق لاأحمل فيه مسلماً أبداً » .

وفي زمن الخليفة عثمان بن عفان ، سنحت الفرصة من جديد لمعاوية ، فأعد حملة لفتح قبرص ، وركب مع زوجته البحر من عكا على رأس متجها الى الجزيرة ، وسار عبدالله بن سعد مسلحاً بخبرة أهل مصر وتجربتهم على النزال في البحر ، فاجتمع الطرفان عليها ، وقد شارك في هذه الحملة عمة النبي التي سقطت من صهوة جوادها وفـارقت الحياة على أرض الجزيرة .. وبدأ تاريخ العرب والمسلمين في قبرص .. ومن أبرز الآثار الاسلامية قلعة لارناكا ، ومسجد جامع السلطان سليم الذي أقيم خلال المرحلة العثمانية التي أعقبت حكم المماليك .

عند أسـوار نيقوســـيا

حان الوقت للتجول في أنحاء الجزيرة



تنتشر المقاهي في كل مكان من الجزيرة .

ومدنها .. فيمضي السائح وقته هنا متنقلا بين آثارها من معابد وقلاع صباحا ، وعند الظهيرة يسبح في أحد شواطئها ، ويمكنه أن يتمتع برياضة التزحلق على قمم جبالها أو الصيد في غاباتها عصراً ، وعندما يأتي المساء يتناول عشاءه على ضوء خافت وهو يستمع إلى الموسيقى اليونانية .

فالجزيرة صغيرة تبلغ أطول مسافة بين الشرق والغرب ٢٢٤ كيلو مترا والمسافة بين الشمال والجنوب ٩٦ كيلو مترا ، وليس بها أنهار وتعتمد على مياه الأمطار والآبار، ولايزيد عدد سكانها عن ٧٠٠ الف نسمة أى اقل من سكان حى شبرا ـ ويأتي الى الجزيرة للسياحة كل عام حوالي نفس العدد ..

يستغرق الطريق من لارناكا الى نيقوسيا أقل من ساعة ، في طريق جميل تتتابع خلاله الصور لحياة اهلها وسط بساتين الكروم والموالح وبين أشجار الكرز والتفاح ، وكل ماتقابله جميل ، الطبيعة من حولك ، والفتاة بملابسها المميزه وهى ترعى الغنم وهى تقود التراكتور وتعمل في الحقول ..

وتحيط نيقوسيا الوديان الجميلة التى تضم أشجار الحور الفضية الباسقه

توقفت عند أسوارها العالية وبواباتها الثلاثة القائمة ، فهنا إلتقت الحضارات ، ومر بها الأباطرة وجحافل الغزاة ، تظهر رءوس التلال من حولك في مظهر مهيب ، فكم من الأحداث رأت .. ؟ وكم من الدماء سالت .. ؟ عند هذه الأسوار .. فنيقوسيا العاصمة تقع وسط البلاد ، بعد ان دمرت الحروب الكثير من مدن قبرص الساحلية ، وقامت في القرن الثانى عشر على موقع



أحد مدن المماليك المسماة ليدرا ، واليوم امتدت نيقوسيا خارج الأسوار ووصلت حتى مشارف تلال ترودوس . وشهد هذا المكان بعض فصول الحروب الصليبية . فعندما جاء جحافل الصليبيين فى طريقهم إلى القدس ، وجدت قبرص نفسها وسط هذا الصراع ، عندما إقتحمها ريتشارد قلب الأسد وعثر فيها على محطة مناسبة لقواته ، واصبحت على حد قول المؤرخ العربى ابن الاثير : « قوة للأفرنج » .

إلى الأسكندرية .

وكانت نقطة وثوب على الأسكندرية ، فى أحد ايام الجمع فى ١٠ أكتوبر عام ١٣٦٥ م وبينما المسلمون يؤدون صلاة الجمعة ، إقتحمت القوات الصليبية بقيادة بطرس لوزنجان الاسكندرية ، ولم تنجح هذه القوات فى البقاء فيها ففر بطرس بغنائمه ، ويذكر النويرة « أنه فعل اللصوص ، لا الملوك ! » .

وانتقم السلطان برسباى من الصليبيين ودخل نيقوسيا وهزم فلولهم ، ونادى فى انحاء البلاد أن قبرص ، صارت من جملة بلاد السلطان الملك اشرف برسباى ، واستمرت قبرص تابعة للقاهرة حتى عام ١٥١٧ م ، عندما انتقلت الى حكم العثمانيين ..

فى شوارع نيقوسيا .

ويشدنى من الغوص فى فصول التاريخ ، شوارع نيقوسيا وأسواقها والحديث مع اهلها . فليس من رأى كمن سمع إن اسواق الحى القديم تشبه اسواق الموسكى فى القاهرة ، بطرقه الضيقة وصناعاته اليدوية والمحلية ، وترى فى أسواقها الحديثة فروعا لأشهر المحلات البريطانية والفرنسية ، وهناك فرق واضح بين اسعار المنتجات المصنوعة محليا وتلك المستوردة من الخارج ، ويعمل القبارصة على تصنيع أغلب المنتجات داخل بلادهم واحيانا عن طريق عقد الاتفاقات مع الشركات العالمية التى تقيم مصنعا داخل قبرص ، وتستخدم العمالة القبرصية والخامات القبرصية .

وفى منتصف الشارع التجارى الذى يشبه شارع الموسكى تظهر أول ملامح الأزمة التى تعيشها الجزيرة ، عندما تعترضك الحواجز فى منتصف الطريق . لتعلن تقسيم نيقوسيا إلى قسمين ، وتلمح الأزمة فى الأعلام المرفوعة فى كل مكان ، ويكاد من المستحيل أن ترى اللون الأحمر لون علم الجانب التركى فى الجانب اليونانى . وإذا إرتكبت خطأ طلب قهوة تركية فى أحد المقاهى على الجانب اليونانى ..

وتعانى الجزيرة من الانقسام والعنف منذ عام ١٩٧٤ ، منذ روعت بمحاولة انقلاب عسكرى ضد الرئيس الراحل مكاريوس ، وكان يهدف إلى ضم قبرص إلى اليونان وهو حلم المتطرفين من حركة ايوكا التى كافحت من أجل الاستقلال تحت شعار « الاينوسيس » أى الوحدة مع اليونان ، مما أدى إلى تمزيق العلاقات بين القوميتين التركية واليونانية ، واسفرت محاولة الانقلاب عن تدخل عسكرى تركى ، لحماية الأقلية التركية التى تضم ١٨٪ من أبناء الجزيرة .

وهذا النوع من الازمات قابل للعدوى والانتشار ، وقد كان احد العوامل التى

ساعدت على تصعيد الأزمة وتفجيرها واستمرار وجود أحياء للأتراك وأخرى لليونانيين ، ولم يعش كافة المواطنين في نسيج واحد ...

وأسفرت الأزمة عن إعلان قيام دولة صغيرة للقبارصة الأتراك على ٣٠٪ من أراضي الجزيرة لم تعترف بهذه الدولة الجديدة سوى الحكومة التركية ، وأصبح في الجزيرة العديد من القوات ، قوات الأمم المتحدة ، والقوات التركية ، وقوات يونانية تعمل بين صفوف القبارصة اليونانيين ، بالأضافة إلى القاعدة البريطانية ..

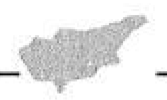
ومن حقنا أن نتساءل : هل إذا استمرت جمهورية قبرص المستقلة الموحدة .. ؟ كان يمكن أن تستمر الجزيرة موئلا للقواعد العسكرية .. ؟ . ومازال السائح الأجنبي من حقه أن يتمتع بكافة أنحاء الجزيرة إذا قدم من الجانب اليوناني . وفي نيقوسيا مناطق للعبور بين الجانبين ، وغالبا مايعبر الزوار إلى الجانب التركي لزيارة قرية بلابيس التي كتب فيها لورنس دوريل روايته « الليمون اللاذع » ، كما يتمتعون بالشاطيء التركي شبه الخالي في ذروة أيام الصيف ، ويتبينوا أن معدل التطور في الجانب اليوناني أكبر .

نجمة الهلال الخصيب

كان رفيقي في الرحلة يكرر باعتزاز أنه يضع قدميه لأول مرة خارج دنيا العرب ،



الأسلاك تقسم الشعب الواحد والشارع الواحد



واصيب بخيبة أمل عندما اكتشف أن الفكرة برمتها محل نظر !

فالقبارصة يقولون إنهم نصف عرب ، أكثر من ثلثى أبناء الجزيرة ولدوا فى القاهرة أو الاسكندرية أو بورسعيد .

والتاريخ من جانب اخر يحكى قصة الروابط المتصلة بين قبرص والدول العربية ، فإذا كانت قبص بحكم الجغرافيا جزءا من أوربا ، إلا أنها أقرب إلى العالم العربى ، وكانت دائما فى مركز أحداثه ، وهى تبعد ٢٤٠ ميلاً عن الاسكندرية ، و ١٦ ميلا فقط عن اللاذقية ، وتبعد عن تركيا ٦٤ كيلو مترا وعن اليونان ٤٨٠ كيلو متراً ..

وكان قدرها أنها احد مراكز التصادم بين الامبراطوريات القديمة والحديثة ، وساهم ذلك فى تحديد مصيرها وتاريخها وثقافتها ، ومازالت آثار مراحلها المختلفة تقف جنبا إلى جنب وكأنها الطبقات الجيولوجية التى تراكمت مع مرور الزمن .. ويتصل هذا التاريخ إلى عصر الفراعنة فقد احتلها تحتمس الثالث سنه ١٥٠٠ ق .م وعثر رجال الآثار فى تل العمارنة على رسالة من ملك قبرص إلى فرعون مصر يعرض فيها تبادل النحاس القبرصى بالفضة المصرية ، وتعاقب عليها الآشوريون والاغريق والفرس والرومان والبيزنطيون والعرب والصليبيون والمماليك والعثمانيون وأخيراً البيريطانيون ..

ومازالت الجزيرة تضم قرى مارونية فى القطاع التركى رغم أن قراهم لم تكن بتعد أكثر من كيلو مترين عن القطاع اليونانى . ويبلغ عددهم ٥٤٦٤ نسمة موزعون على أربع قرى وست مدن .. بل وجاء فى ادبيات الحزب القومى السورى فى

المسرح الرومانى الذى كثيراً مايمتلىء بالحياة بمسرحيات حديثة



الأربعينات ، أن قبرص هي نجمة الهلال الخصيب التي يدعو الحزب إلى وحدتها باعتبار قبرص تتوسط دائرة غير كاملة من الامتداد الجغرافي الذي يربط مابين العراق وسوريا .. !

الأزمة اللبنانية

وقد كانت للأزمة اللبنانية اصداء واسعة في قبرص ، عندما كانت محطة هامة للخارجين من لبنان والداخلين إليه ، ومن ناحية أخرى ساهمت الهجرة اللبنانية في علاج الأزمة الاقتصادية للجزيرة بعد تقسيمها ، واستقبلت قبرص بعد عام ١٩٧٥ آلاف اللبنانيين والفلسطينيين نازحين وتجاراً ورجال أعمال وصحفيين .

واستقبلت الجزيرة ايضا عددا كبيراً من المؤسسات اللبنانية أدت إلى حركة عمران واسعة ، وساهمت رءوس الأموال القادمة من لبنان في إقامة الفنادق والمرافق السياحية في الساحل والجبل الشديدي الشبه بالاراضي اللبنانية ، وبدأت عدة مصارف عالمية عابرة « اوف شور » تعمل في الجزيرة وانتقلت إليها دور نشر وصحف ومطبوعات .. وانتشرت الاعلانات في الصحف الخليجية تعلن عن بيع شقق وعقارات بتسهيلات كبيرة ، وشهدت قبرص محاولة لوراثة دور لبنان كمركز مالي وتجاري في الشرق الاوسط

وانتقلت إلى قبرص المنازعات العربية ، وتشهد حرب مخابرات ضارية ، وتعرضت بعض الشخصيات العربية للاغتيال على اراضيها .

محطة رصـــد .. ونقطة انطلاق .

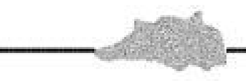
يقوم عند قمة جبل أوليمبوس ، على ارتفاع يصل إلى ٦٤٠٠ قدم ، محطة رادار بريطانية كبيرة ، هي جزء من ثلاث قواعد عسكرية بريطانية على ارض الجزيرة وتلك القواعد جزء من حلف الأطلنطي ومن فوق الجبل يستطيع الرادار أن يرصد دائرة تصل إلى حدود الاتحاد السوفيتي شمالاً وبعض الاراضي الايرانية وكل منطقة الخليج .

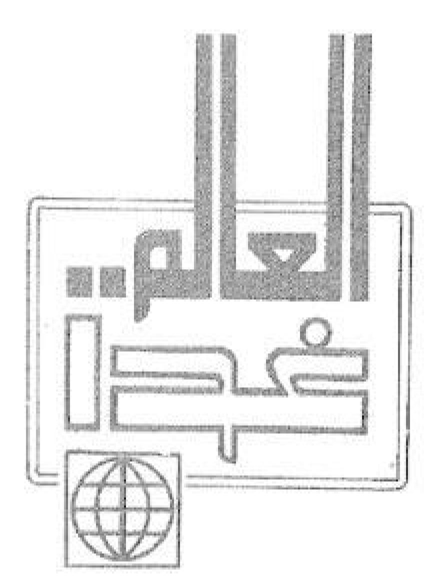
وتشغل هذه القواعد البريطانية ٩٩ ميلا مربعاً وتتبع سلاح الطيران الملكي البريطاني ، ويبلغ عدد الجنود البريطانيين فيها ٤٥٠٠ جندي .

وتحافظ الجزيرة على دورها كمحطة رصد ونقطة انطلاق حتى انها توصف في كتب الاستراتيجية بانها حاملة طائرات في البحر قريبة من مصادر إنتاج النفط ، كما أعلن الكسندر هيج انها إحدى محطات قوات التحرك السريع إلى الشرق الأوسط .

ونأتي إلى ختام رحلتنا التي قد تكون طالت بلا قصد .. فقد ذهبت إلى قبرص لكي أقدم جزيرة فاتنة يزورها السياح ، بحثا عن المتعة والجمال .

ولكن سرعان ما إستغرقتني الحقائق على أرض الواقع ، ومنها ماتحكيه الجغرافيا بلسان التاريخ على مر العصور .. ومن يستطيع ان يتجنب إلحاح السؤال حول طبيعة الأمن العربي ، عندما يؤكد موقع جزيرة قبرص أن « الأمن » لاينتهي عند الحدود السياسية ، بل يمتد إلى ماوراء الأفق ..





كمبيوتر .. بالعربي

لم يعد (الكمبيوتر) هو ذلك اللغز العجيب الذى نستورده من الخارج ونتحول إلى مجرد مبرمجين امامه بل استطاع عالم مصرى ان يطوع مثل هذه الاجهزة كى تتواءم مع متطلبات العالم العربى .

المهندس الشاب سامى فياض المشغوف بتطوير اجهزة الحاسب الآلى القادمة من الغرب قدم فكرة جديدة تتيح حل عدة مسائل فنية فى آن واحد وهو تسجيل الحروف والارقام بالاضافة إلى تسجيل الصور بكميات هائلة وامكان استرجاعها بسرعات عالية باستخدام الحاسبات الصغيرة (الميكرو بروسيسور) على اعداد كبيرة من الشاشات بجودة ممتازة وفى نفس الوقت .

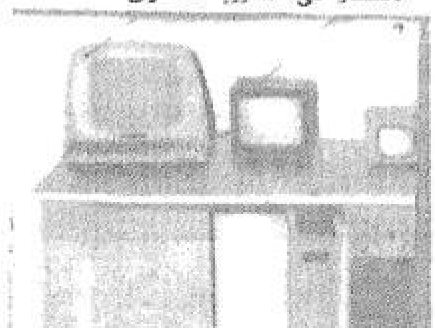
وهذا الجهاز الجديد يسمح باستخدامه فى عدد من التطبيقات الخاصة باستخدام الحواسب مثل الاستخدام الحالى فى تخزين واسترجاع التوقيعات فى الاعمال البنكية . كما يسهل مضاهاة البصمات والصور الفوتوغرافية . والتحكم والانتاج والمخزون .

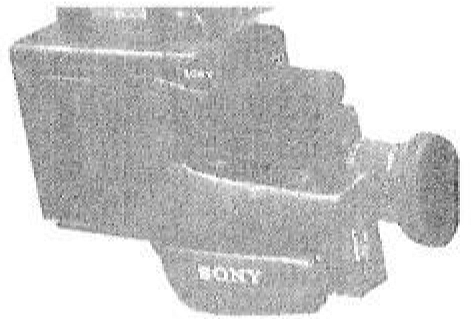
وهذا النظام ايضا يمكن استخدامه فى تداول سجلات الافراد بسهولة حيث يسمح بالزج بين البيانات المسجلة بالاحرف والارقام .

والجديد فى مثل هذه الفكرة هو ان اسعار الاجهزة بهذه الامكانات تكاد ان تكون خيالية بالاضافة إلى ضعف كفاءة الصور على الشاشات وبطء استرجاعها مما يحد من إمكانات استخدام النظام بدقة .

وقد اخذت عمليات التصميم النهائى للنظام مايقرب من العام ودعت الضرورة لاعادة تصميم بعض الأجزاء الالكترونية ليمكن ربط كاميرا التسجيل ذات الكفاءة العالية بوحدات الحواسب الصغيرة جدا بشكل يسمح بكفاءة عالية من ناحية الجودة وسرعة التسجيل . وهذه هى اول مرة يتم فيها ذلك من الناحية التطبيقية

ويقول المهندس الشاب إن تقديم مثل هذا الجهاز قد واجه مشاكل عديدة حين رفضت بيوت المال تحويل عمليات ابتكار التطوير فى حقل تقنى وإن العقلية المصرية التى اعتادت ان تستورد اجهزة الحاسب الآلى من الشركات الاجنبية يصعب عليها ان تتصور ان مصريا يستطيع ان يقدم مثل هذه الابتكارات وبالتالى فإن مثل هذه الاجهزة محدودة الانتشار فى السوق المصرى





فيديو .. ارخص بكثير

العالم غدا سيكون بلاشك هو عالم الفيديو

وقد يدور السؤال الان في عالم الفيديو اجل . ولكن العلماء ورجال الصناعة يطورون يوما وراء يوم هذه الاجهزة وما يتعلق بها لتدخل كل البيوت وتصبح اسهل استعمالا وارخص اسعارا

كاميرا الفيديو غدا ستكون اكثر تعقيدا لكنها ايسر مالا وامكانيات فهي تعمل بشريط المسجل الكاسيت العادي وليس شريط الفيديو المعروف الآن . وبالتالي سيصبح الفيديو ارخص سعرا وربما ان نوادي الفيديو سوف تجد من نشاطها لان نظام تاجير الشرائط سوف يقل .

يمكن لهذه الكاميرا ايضا ان تقوم بتصوير وتسجيل الافلام السينمائية المعروفة بـ ٨ مم او بافلام الهواة . اذن فيديو الغد لن يؤثر بأي حال على من يحبون السينما مشاهدا ومصورا ويمكن للكاميرا ايضا ان تسجل الافلام المعروضة في جهاز التليفزيون

هذه الكاميرا ليست من صنع الخيال . منذ نزلت الاسواق العالمية مع اول مايو الحالي ويتراوح ثمنها بـ ٤ر٠٠٠ جنيه مصري الم نقل ان فيديو الغد ارخص بكثير .

وانه سرعان مايتحول جهازك الى الاستيداع ..

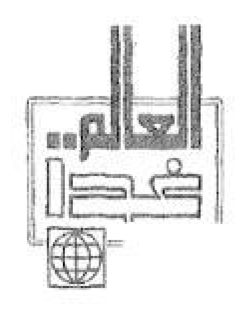
كمبيوتر للجيب

لسهولة الحمل والتنقل من مكان الى اخر انتجت إحدى المؤسسات البريطانية كمبيوترا جديدا له نفس حجم الآلة الحاسبة ويتكون من ذاكرة للمعلومات وثمان من شرائح الكومبيوتر كما ان له مفاتيح للارقام والحروف الهجائية كاملة . وتستوعب شاشته ١٦ رقما او حرفا

واهم مايتميز به الجهاز قدرته على تخزين مايقرب من ٣٢ الف معلومة في وقت واحد ويتم تخزين المعلومات في ذاكرة الجهاز في شرائح متحركة تحتوي كل منها على ١٦ الف معلومة وتحاول المؤسسة ان تزيد من قدرته على حفظ المعلومات إلى ١٢٨ الف معلومة للشريحة الواحدة

كما يقوم الجهاز بنفس وظائف الساعة والآلة الحاسبة

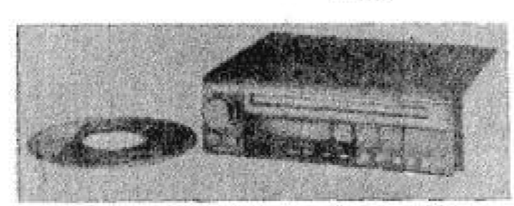


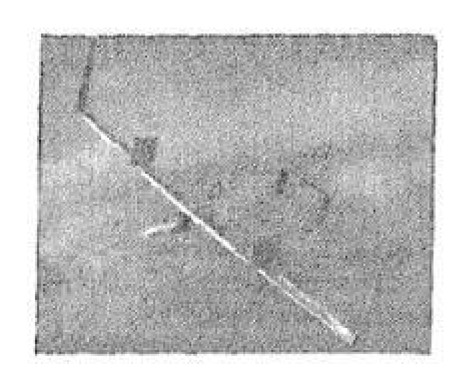


جهاز بيك اب للسيارة

توصلت الخبرة اليابانية إلى اختراع جهاز بيك اب للسيارة بعد التغلب على عدة صعوبات هندسية . فتم تصغير حجم قلب الجهاز الذى يتكون من الريشة المصنوعة من الليزر والتى تترجم الشفرة الرقمية على الاسطوانات وأعيد تصميم الوحدات الداخلية حتى تقاوم الذبذبات الناتجة عن حركة السيارة بالاضافة إلى التغييرات المتفاوتة فى درجات الحرارة والرطوبة وكان لابد من تبسيط مفاتيح التشغيل بقدر الامكان حتى يمكن لقائد السيارة تشغيل الجهاز اثناء السير بدون اى مشاكل .

ويتميز بيك اب السيارة بوجود ازرار لتقديم او استرجاع الاغانى او الموسيقى المسجلة على الاسطوانات بسرعة تفوق الاجهزة العادية عشر مرات كما يوجد زر يمكن المستمع عن طريقه ان يتخطى اغنية معينة بدقة ليصل الى الاغنية التالية . عند دفع الاسطوانة داخل الجهاز فانها ترتكز اوتوماتيكيا فى المكان المخصص لها ويبدأ العمل على الفور يصل سعر بيك اب السيارة إلى ٦٠٠ دولار.





اختراع طائرة تعمل بالطاقة الشمسية

تخطط حاليا وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) لبناء طائرة حديثة تعمل بالطاقة الشمسية لاستغلالها فى مجالات الزراعة . من المتوقع ان يبدأ تشغيل الطائرة فى عام ١٩٩٣ على ان تطير على ارتفاع ١٢ ميلا من فوق سطح الارض

تزود الطائرة بكاميرات تعمل بالاشعة فوق البنفسجية وفوق الحمراء حتى تستطيع التقاط الصور اثناء الضباب او تكاثف السحب او فى حالة سوء الاحوال الجوية . وحسب التقديرات فان الصور التى تلتقطها هذه الطائرة للمساحات الزراعية ستكون افضل واقوى من تلك التى تصورها الاقمار الصناعية بل وستغطى مساحات أوسع . يتميز جسم طائرة الطاقة الشمسية بان عرضها اكبر من طولها وجناحها رفيع طويل وتوجد حجرة لتخزين الوقود الشمسى تحت الجناح وتعلق بها الكاميرات .

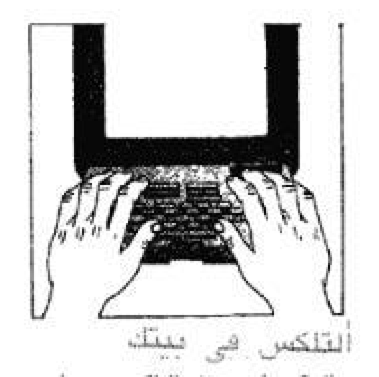
تعمل الطائرة عن طريق الخلايا الشمسية التى تمد المحرك الالكترونى بالطاقة اثناء النهار وفى الليل تستبدل خلايا الوقود التى تم شحنها خلال النهار

قطار موزار الموسيقى

الموسيقى الكلاسيكية العظيمة لم تعد تجذب الكبار ولا الصغار .. على الأقل فى بلادنا . هذه الموسيقى سوف تعود مرة اخرى إلى بيوتنا فى السنوات المقبلة فى العديد من الصور لعل أبرزها لعب اطفالنا .. قد يكون بعض هذه اللعب فعلا مسجل عليها مقطوعة او جزءا من مقطوعة .. لكن هذا القطار يمكن أن يعزف لك خلال رحلته فوق القضبان الصغيرة ثمانى سيمفونيات متكاملة .

ويتلخص هذا القطار فى انه ما إن تلامس عجلاته القضبان الصغيرة حتى تنبعث نغمة موسيقية تتناغم مع سرعة القطار .

تقول مجلة لوبوان الفرنسية ان مثل هذا القطار لو دخل بيت الفنان الكبير موزار لبدأ فى العزف وهو فى الثانية من عمره بدلا من الرابعة . ربما !



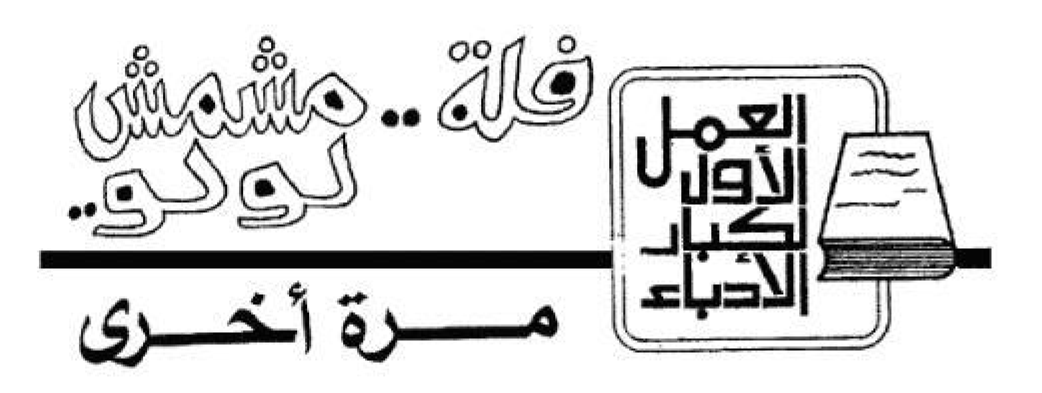
التلكس فى بيتك

بالتأكيد لم يدخل التلكس بيوتنا بعد - ولانه غالى الثمن فانه لن يدخل قبل سنوات طويلة ربما لأن استعمالاته محدودة فى هذه البيوت . لكن بعضا من هؤلاء الذين يمارسون كتابة الخطابات او المقالات او الاعمال فى بيوتهم يمكنهم استعمال هذا الجهاز الصغير - غدا - فى إرسال رسائلهم بنظام جديد اقرب إلى التلكس يتكون الجهاز من علبة سوداء صغيرة . تتصل بشاشة يمكن من خلال أزرار الحروف ووحدة الاتصال أن تتصل بجهاز اخر عند صديقك الذى سترسل له رسالة أو عند الجهة التى تكاتبها .

سيدخل هذا الجهاز دور الصحف التى يقوم محرروها بإملاء مقالاتهم من بلاد بعيدة بالتليفون .

غسالات تعمل بدون منظفات

تمكنت إحدى الشركات الالكترونية من انتاج غسالات للملابس والأطباق تعمل بدون استخدام مساحيق الغسيل . وتعتمد فكرة الغسالة الجديدة على مرور الاشعة فوق الصوتية عبر سائل معين مما يؤدى إلى حدوث فقاعات كثيفة تعمل كالمواد المنظفة تماما . وبالغسالة جهاز إضافى لعمل الفقاعات المزيفة عند وجود ملابس شديدة التلوث او أدوات منزلية كبيرة الحجم لضمان نظافتها تماماً .



عاصر توفيق حنا ـ الناقد والباحث الأدبي ـ رحلة يحيي حقي الابداعية ، وهذا الشهر لاننشر النص الاول بقدر مايُعلق عليه . الكاتب مع مرور ستين عاما على نشاط يحيي حقى الأدبى .

بقلم : توفيق حنا

● فى حى السيدة زينب ـ هذا الحى الشعبى العريق ـ وفى حارة الميضة ولد الكاتب الكبير يحيى حقى فى ٧ يناير ١٩٠٥ .. وبمناسبة عيد ميلاده الثمانين أقامت مجلة « الهلال » فى عدد شهر فبراير ١٩٨٥ مأدبة (سمبوزيوم) اشترك فيها فتحى رضوان ونادية كيلانى وناجى نجيب ومصطفى درويش ونعيم عطية وسيد حامد النساج ومحمد الشاذلى .. وهذ العام يوافق أيضا العيد الماسى (٦٠ سنة) على بداية نشاطه الأدبى فى عام ١٩٢٥ بعد تخرجه فى كلية الحقوق .

ويحيى حقى رائد من أخلص واصدق رواد الاصلاح اللغوى .. وفى حديثه فى هذا العدد يقول يحيى حقى « اللغة هى قالب الافكار . فاذا اخشيب القالب اصيبت الافكار » وفى نهاية هذا الحديث الذى اعدته نادية كيلانى يقول : « أنا أريد أن أذكر فى المستقبل لاككاتب قصة بل كخادم للغة العربية » ...

● ● ●

يقول د . سيد حامد النساج فى بحثه القيم الجاد الذى وضع له هذا العنوان المتواضع « بطاقة تعريف يحيى حقى » وهو يتحدث عن أعضاء المدرسة الحديثة وعن صحيفة « الفجر » التى صدرت فى بداية الربع الثانى من هذا القرن وعن يحيى حقى : « ..ومايلبث يحيى حقى أن يؤكد دوره النظرى ودعوته إلى المصرية واستقلال الفكر والأدب والفن فى مصر بكتابات موضوعية واقعية استفادت من البيئة ومن الواقع الاجتماعى . تشهد



يحيى حقى

بذلك قصصه الأولى التى نشرها فى صحف « الفجر » و « السياسة » و « والمجلة الجديدة » وشارك محمد الشاذلى فى هذه المأدبة بتقديم العمل الأول ليحيى حقى .. « فلة . مشمش . لولو . » ويتفق سيد حامد النساج فى « بطاقة تعريف » مع محمد الشاذلى فى أن هذه القصة هى القصة الأولى التى نشرها يحيى حقى فى صحيفة « الفجر » التى أصدرتها المدرسة الحديثة وناظرها أحمد خيرى سعيد .. وتاريخ نشرها هو ١٩٢٦/٧/١٥ ، تحت عنوان « قصص مصرية » ولكن عندما سئل يحيى حقى عن قصته الأولى أجاب أنها قصة « قهوة ديمترى » التى نجدها التاسعة فى « بطاقة تعريف » سيد حامد النساج وتاريخها هو ١٩٢٦/١٢/١٢ ..

... ونتساءل هنا عن هذه العلاقة بين التاريخ الموضوعى والتاريخ الذاتى .. هل .. يريد يحيى حقى - عن قصد لا عن نسيان - أن يقول إن « فله . مشمش . لولو » هى قصته الأولى من ناحية تاريخ نشرها . وأن قصة « قهوة ديمترى » هى قصته الأولى من ناحية الابداع الفنى .. كما يراه ويريده الفنان المبدع والناقد يحيى حقى .. وكم اود أن أرى هذه القصة منشورة فى مجلة الهلال على صفحات « العمل الأول لكبار الادباء » .. ذلك لأن النسيان عمل ايجابى ارادى . وقصة « فلة . مشمش . لولو » قصة مصرية واقعية نلمس فيها شكلا وموضوعا ومضمونا عناصر اسلوب يحيى حقى .. وهى البساطة والوضوح والاقتصاد فى التعبير والأناقة فى اختيار اللفظ الدال والسخرية الهادفة إلى التغيير .. والتصوير السينمائى للمواقف والمشاهد والشخصيات .. والصوفية التى تنتظم كل الكائنات .. الانسان والحيوان والجماد .

وتدور أحداث هذه القصة فى المنزل رقم ٩ فى شارع ... مكون من ثلاثة أدوار (لايذكر لنا يحيى حقى اسم الشارع) فى الدور الأول تقيم « سرنديل هانم » .. وهى امرأة تركية عجوز . قصيرة القامة . قوية الصوت . تحصل على رزقها من مرتب بسيط تستولى عليه أول كل شهر من وزارة الأوقاف ، و « سرنديل هانم » تحرص على نظافة منزلها ، وكأنها تعتبر النظافة أمرا مقدسا أو شرطا أساسيا للحياة ، ولهذا لاتستطيع أن تكتم تأففها إذا زارت إحدى جاراتها ورأت الأثاث مبعثرا متسخا قذرا ، أو شاهدت ولدا يتناول القلة ويشرب دون أن يستعين بالكوبة .. ولاتحاذر عند ذلك أن تشيح بوجهها وتتمتم بصوت مسموع « فلاحين . بيس مونده (اى قذرين) ولعل هذا هو الذى أدى إلى هذا

فـلة .. مشـمش ..

العمل الأول لكبار الأدباء

التباعد بينها وبين جيرانها . يقول يحيى حقى « كره سرنديل هانم جيرانها لانها تعالت عليهم وجعلت من نفسها جنسا أرقى من جنسهم » وأخذت تعتبر نفسها أنها دليل ناطق حى لعدم صلاحية المصرية للحياة » وهذا تصوير دقيق للواقع الاجتماعى المصرى فى العشرينات ونحن نلمس هذا الواقع فى رواية « عودة الروح » لتوفيق الحكيم .. فهذه السيدة التركية رغم فقرها تشعر انها تنتمى الى طبقة السادة .. الأتراك .. ولعل حرصها ـ هذا الحرص الزائد الذى يصل أحيانا إلى حد المبالغة الكاريكاتورية ـ على النظافة .. محاولة أن تبتعد رغم فقرها عن هذا الجو الذى دفعت دفعا إلى أن تعيش فيه .. ولعل تصوير الفنان الشاب يحيى حقى الذى كان فى العشرين من عمره عندما كتب هذه القصة .. لعل تصويره لنظافة هذه التركية العجوز وسيلة ماكرة لنقد واقع الحارة المصرية اجتماعيا واقتصاديا وسلوكيا . عندما يقرر « المصريون ـ عفا الله عنهم ـ لايحبون من أحد أن يذكرهم بخطئهم » ولما كانت سرنديل هانم تعيش فى هذه الوحدة الباردة فى بيتها . « ليس لها زوج تحبه ولا ولد ولاأهل ولاتنتظر إذا مرضت أن يسأل عنها أحد » لكل هذه الأسباب وحتى تتخلص من هذا الجو الكئيب من الوحدة والعزلة فقد ، حصلت أخيرا على قطة سمتها « فلة » فشاركتها فى محبسها فلا تفارق الدار وتنام معها فى غرفة واحدة » ويصف يحيى حقى « فلة » مما يبرر هذا الاسم الذى اطلقته عليها سرنديل هانم :

« وفلة هذه بيضاء اللون من الصنف الرومى ذات ذيل قصير وشعر طويل ورأس صغيرة مستديرة وعينين مستديرتين لونهما أزرق كلون السماء الصافية » وهكذا اجتمع فى الدور الأول سيدة تركية وقطة رومية أى الطبقة الأرستقراطية من الانسان والحيوان . فإذا تركنا هذا الدور وصعدنا إلى الدور الثانى فإننا نجد « ابو السعود » أفندى وعائلته المكونة من زوجته وبنتين وولد صغير » وقارىء يحيى حقى يجب أن يتسلح بقدر من الذكاء والفهم حتى يتمكن من الغوص إلى أعماق عمله الفنى ويرى ويلمس ملامح وعناصر رؤية الفنان .. الذى يملك قدرا كبيرا من السخرية والمكر يتوسل به إلى هدف معين محدد يريد أن يلفت إليه نظر القارىء المشارك الايجابى .. يقول يحيى حقى وهو يحدثنا عن عائلة « ابو السعود افندى » الذى يعمل موظفا فى محافظة القاهرة :

« ولايهمنا نحن مباشرة من أمر هذه العائلة سوى الابن الصغير فهو ولد مثال فساد التربية من كل وجوهها من حيث النظافة والصحة والتأدب ، وهو مدلل من الجميع لأنه الولد الوحيد بين بنتين لذلك لايستطيع أحد أن يزجره إذا عاد من الحارة متسخ الثياب مبللها » وكان من الطبيعى والمنطقى أن « عزيز هذا فكان آخر شخص تسمح له سرنديل هانم بالدخول الى طابقها » وعلينا أن نلاحظ ان

عائلة « ابو السعود » افندى هى العائلة المصرية الوحيدة التى تسكن هذا البيت ـ كما سترى ـ وأن هذا الولد هو الولد المصرى الوحيد من بين سكان هذا البيت ايضا .. وكان يحيى حقى اراد تصوير شخصية عزيز ـ الذى يعتبر بطل / او شرير هذا العالم الصغير ـ وكأنه يلفت النظر إلى النتائج التربوية الوخيمة التى تنشأ من تدليل الولد ومن التفرقة بين الولد والبنت فى العائلة المصرية . ثم يقدم لنا يحيى حقى فى بناء القصة ذى المعمارية الهندسية العقلانية .. يقدم لنا جانبا آخر للولد الشقى عزيز : « .. ولعزيز قط اسمه « مشمش » وهو قط مدلل لايستطيع احد إيذاءه إذا خطف قطعة لحم من المطبخ .. أو .. أو .. إذ يقف بجانبه عزيز يحميه » ويقارن يحيى حقى بين « فلة » و « مشمش » : « .. ولكن بقدر ماكانت « فلة » نظيفة مدللة فإن « مشمش » يمثل متشردى القطط ». فهو قط بلدى طويل الجسم والذيل ذو عينين باهتتين يضربان إلى اللـون الأصفر مملوءتين خبثا ومكرا ... هو قط قذر على خلاف عادة القطط » ثم يقدم لنا الفنان يحيى حقى الدور الثالث فى هذه الصورة الساخرة : « جشع صاحب الدار وحده هو الذى أوجد هذا الدور الثالث من السطوح .. فهو غرفة صغيرة بداخلها غرفة أصغر منها .. ولم يبق من السطوح بعد ذلك إلا مسافة قليلة يتناوب عليها الجيران فى نشر الغسيل » وعن سكان السطوح يحدثنا يحيى حقى . « تقيم فى هاتين الغرفتين امرأة رومية مع زوجها الذى يغادر منزله فى الصباح ولا يعود إلا حوالى منتصف الليل ولعله جرسون فى قهوة ما »ونلاحظ هنا بداية اهتمام يحيى حقى باللغة الشعبية فهو يقول « امرأة رومية » و « قطة رومية » وكلمة رومى يستعملها الشعب المصرى ويقصد بها اليونانى .. فالشعب المصرى يعتبر هذه الفترة الطويلة من حكم اليونان والرومان فترة واحدة ويطلق على الجميع كلمة .. « رومى » باعتبار الرومان كانوا آخر من حكم مصر قبل الفتح العربى .. والشعب المصرى يقول « جبنه رومى » وهذا الجبن يأتينا فى الواقع من اليونان .

ويحدثنا يحيى حقى عن غزوات « مشمش » لدار سرنديل هانم ومحاولاته للتحرش بالقطة« فلة » ...

وبعد أن يقدم لنا يحيى حقى شخصيات هذا البيت ، وحيواناته التى اتخذ من أسمائها عنوانا لهذه القصة .. وكأنه اراد أن يجعلها قصة تقدم للأطفال وللكبار أيضا ـ تنتهى القصة بهذه الدراما التى يقوم بتمثيلها القط المتشرد مشمش والقطة الرومية« فلة » .. يقول يحيى حقى بعد أن خطف مشمش احد أبناء« فلة » ، وبعد أن قامت معركة على السلالم اشتركت فيها « سرنديل هانم » .

وتنتهى بحوار الذى يلخص لنا هدف يحيى حقى من هذه القصة هذا الحوار باللغة الشعبية البليغة :

قالت زوجة« أبو السعود »

ـ ياسرنديل هانم حقه مالكيش حق .. طب حنعمل إيه للقطط كمان ؟

وأجابتها سرنديل هانم بسرعة :

ـ«انت ياهانم ماتعرفيش تربى قطة !



● تصحيح لابد منه ●

● ورد فى مقالى بالعدد الفائت من « الهلال » بعنوان « الهدف نظرية الوجود العربى » خطأ مطبعى هو : « السادة الصهاينة » وصحته : « الساسة الصهاينة » · عبد الرحمن شاكر

● سمير الليالى ●

اذا رايت الحب قطا فى الطريق
شاردا فى البرد والجوع الصفيق
ينوء بالوحشة
يسوءه الضياع والعقوق
يموء فوق حاجز الهدوء والصمت العميق ·
فاحمله فى وعاء الراحتين
خبئه تحت معطفك
ولا تسل عن وجهة الهوى لاين
القط فى الليل البهيم يستطيع أن يرى
عيناه نجمتان تطفوان فوق
صفحة الكرى
وابداه بالدعابه
او فانتظر فسوف يبدأ
ولا تضق به كى لا يضيق
وانظر اليه وهو يقرأ
مزماره المغموس فى الخمر العتيق

محمد محمد السنباطى

● رسالة من الغرب ●

● رئيس تحرير مجلة الهلال الغراء أتمنى من الله أن يوفقكم دائما لتحقيق المزيد من المكتسبات الادبية لمجلة الهلال العريقة ، التي تحمل وجدان أمة بأكملها ،وتحمل تاريخنا الادبى ، الذى كانت ينابيع منطلقاته من مصر الحبيبة ، التى نغرسها فى قلوبنا سوسنة رشيقة القد ، تفوح بعطر الحضارة والتاريخ والمجد ، مصر التي هى قبلة الادب والفكر والفن الى أن يرث الله الارض ومن عليها
قبل ايام واثناء كتابتى لرسالة ابعث بها الى أحد شعراء مصر وجدت نفسى اسطر هذا البيت بتلقائية ، وان لم يكن مشحونا بالوهج الشعرى فيشفع له انه تفجر من نبض قلبى ، وولائى لمصر الحبيبة اقول فيه :

مصر الحبيبة زهرة من ذاتي هي حاضرى وهي العشاء الاتى

استاذنا الفاضل اعلم ان وقتكم ثمين ، فاعتذر عن هذا التطويل ، واشكركم على نشر قصيدتى فى عدد مارس ، وابعث لكم بقصيدة اخص بها مجلة الهلال . ادام الله امجادها . ووفقكم الله واعانكم على السير بها الى أسمى الغايات وأرقى الاهداف والسلام ..

● نشكركم على حسن ظنكم ، ونرجو أن نتمكن من نشر قصيدتكم فى أقرب فرصة أن شاء الله ..

● طيف ذكرى ●

● سعادة غامرة تلك التى أشعر بها وأنا أكتب اليكم لأول مرة مع أننى كنت أقرأ مجلة الهلال من زمن بعيد ، وأنا مغرم بها الى أبعد الحدود .

لقد كانت أناملى تخونني باستمرار كلما هممت بأن اكتب اليكم وكنت أقول لنفسى دائما ماذا عساك أن تكتب وأنت مازلت .... مع أننى أقرض الشعر وأكتب القصة القصيرة والمسرحية وأنا مازلت بالمرحلة الثانوية وخلال دراستى الجامعية استطعت أن استوعب كل هذا نقداً ودراسة وخصوصا أننى بقسم اللغة العربية ومع هذا فأنا مازلت أجرب وأحاول عسى الله أن يجعلنا من المجيدين فى الغد القريب أو على المدى البعيد .

وها هى قصيدة بين أيديكم بعنوان (طيف ذكرى)



١ ـ هى أيقظتنى باللواحظ مرة هى أنعمتنى بالهوى والامانيا
٢ ـ هى منية الروح التى من دونها جدب الخيال ومزقت أحشائيا



٣ ـ هى بلسم حلو المذاق حنينها هى نشـــوة صارت فؤادا خاليا
٤ ـ عفاف بها يهوى الجميع وصالها سوى انها تهوى فتى متغاضيا
٥ ـ عن الشر والجبروت فهو معزز بين الانام وبالمهابة راسيا
٦ ـ صفاء بها الوجه منها مقسم كالبدر اضحى للسفائن هاديا
٧ ـ أما الحياء فياله من مئـزر اضفى عليها من الهداية كاسيا
٨ ـ ضاعت قلوب العالمين جميعهم صاروا حيارى فى هواها الفانيا
٩ ـ اما انا فلقد غدوت حبيبهـا جاءت الى تشبثت بردائيـا
١٠ ـ اضحت لنا أمنية وكأننــا «خلين» صارا فى الهوى «متلاقيا»

الشحات عبد الرءوف محمد عبده
كلية التربية بالمنصورة

● نشكركم ٠٠ أما قصيدتكم هذه فتدل على صدق محاولتكم فى مجال الاوزان ، ولكن مازال أمامكم شوط ، فهذه الابيات ليست من بحر واحد ، بل تتراوح أوزانها بين بحر الكامل وبحر الطويل ، فالبيت الاول شطره الاول من « الكامل » والثانى كأنه من الطويل ولكنه مختل الوزن

البيت الثانى : من الكامل موزون كله ٠
البيت الثالث : موزون ايضا (بحر الكامل)
البيت الرابع : من بحر الطويل
البيت الخامس : مختل الوزن بين الطويل فى الشطر الاول والكامل فى الثانى ٠٠ وكذلك السادس ، أما السابع فمن الكامل ، ومثله الثامن والتاسع والعاشر ، الا انك فى هذا البيت تقع فى خطأين نحويين ، فى قولك « خلين » وصحتها « خلان » ، وقولك « متلاقيا » فهذا للمفرد وانت تتحدث عن المثنى ! ٠٠

● نظارتى وداعا ●



كان يحلو بها السهر
فى زمانى الذى غبر
كم اعانت وساعدت
بعكوف الى السحر
من ثنايا زجاجها
أستبين الذى استتر
فارقتنى برغمها
قلبها ذاب وانفطر
بيد اللص ويحه
ليس فى وجهه نظر
وأرانى بدونها
مثل عود بلا وتر
لست امسى لقيمة
بل لسحر بها استقر
كدت ادعو مناديا
يعلن البيد والحضر
ولوجهى يعيدها
ولوجه الذى فطر
من لنثرى اذا هفا
او لشعرى اذا خطر

من سيجلو ترابهـا
مرت أحيا بدونهـا
وكتـابي حـروفه
كحـديث من القريض
رب هب لي تصـبرا
واعلي باجـسـر كشف

ان عـراها قذى البشـر
مثـل سـار بلا قمـر
جيش نقـل قد انتشـر
يزهـو بمـا كسـر
عن نواهـا .. عن الضرر
جديد على البصـر
احمد مصطفى حـافظ

● علماء توزر التونسية ●

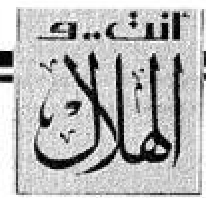
● « توزر درة الجنوب التونسي ومسقط رأس الشابي » تحقيق ملون رسالة تونس من محمد- الشـاذلي مجلة « الهلال » المصرية شهر مارس سنة ١٩٨٥ م من صفحة ١٢٠ الى صفحة ١٢٩ وهنا اريد ان اضيف موضحا : ١) ان توزر مدينة بنيت على انقاض توزورس المدينـة الرومانية القديمة . ٢) يقـول كاتب هذا التحقيق او رسالة تونس الثقافية : لا يعرف احد على وجـه الدقة اسم الشاعر التونسى الـذى برع فى وصف توزر وقال عنهـا

زرتوزر ان رمت زورة جنة   تجرى بها من تحتها الانهار

واقول له هنا بأن هذا الشـاعر التونسى هو : البخترى والـذى يقول :

زرتوزر ان شئت رؤية جنة   تجرى بها من تحتهـا الانهار ..

اما اعلام الجريد : الرئيس ابن يعلول حاكم الجريد فى القـرن الرابع هجرى ، وابو القاسـم الشابى ، وابن شباط العـالم المهندس الذى اختص بتوزيع المياه وكذلك الرياضى وتبرز لنا منـه نواح اخـرى فهـو مؤلف فى الشعر والفقه والتـاريخ ، وابن النفل النحوى المعروف بمجادلاته فى النحو فازدانت شروح النحـو العربى بما قدمه من اراء فهـو العالم الاسلامى استطاع ان يؤثـر بحجته على ابن كاشفين حـاكم المغرب وان ينتصر على غيره من فقهاء الاسلام لتنجو مؤلفات الامام الغزالى من التلف وبرزفى شـوب شاعرى ازدان بقصد (المنفرجة) ، والشقراطى العالم الاديب والشاعر وابراهيم البخترى صاحب المؤلفات العديدة العالم فى البيان ، ومحمـد الخطر حسين الذى ولد بنفطة الجريد ورحل الى القاهرة وتولى مشـيخة جامع الازهر وتوفى هنـاك ، ابن الكرديوس ، ابو بكر التقيـوسى ، ابو على السنى النفطى الـولى الصالح سلطان الجريد نفطـة ، سيدى المولدى بو عرقية الشريف ، سيدى الهادى ، سيدى بو بـكر ، سيدى الميدانى ، ومصطفى خريف ، البشر خـريف وغيرهم كثير .. اما اهم مدن الجريد المشهورة هى توزر الولاية ، ونفطة ، ودقـاش ، والحامة ، وحزوة ، وكـريز ، وسـدادة ، وزاوية العـرب ، ودغومس ، وتمغزة ، وميـداس ، والشبيكة .. وغيرها من المدن ..



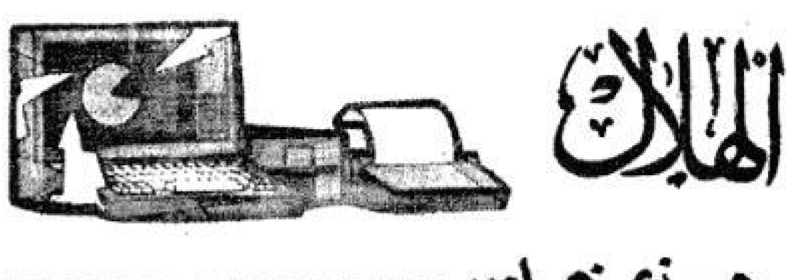
ونظم الشاعر التوزري بدر الدين المؤدب عند وفاة الشيخ سيدي الهادي بن المولدي بوعراقية صاحب الزاوية القادرية بمدينة توزر الجريد المتوفى يوم ١٥مارس ١٩٦١م قصيداً في الرثاء وكتب هذا القصيد على رخامة فوق ضريح الشيخ سيدي الهادي وقد اطلعني على ذلك ابن سيدي الهادي الشيخ سيدي الهاشمي بن الهادي بن المولدي بو عراقية الشريف القادري وكيل الزاوية القادرية زاوية سيدي المولدي بوعراقية الشريف وذلك عند زيارتي هذه السنة مدينة توزرفزرت زاوية سيدي المولدي فيقول في هذا القصد « رثاء » للمرحوم الشيخ سيدي الهادي بن المولدي الشريف المولود سنة ١٨٨١م والمتوفى في ١٥ مارس ١٩٦١م :

لبس الجريد ضحى ثياب حداد لمانعي الناعي الشريف الهادي
واغبرت الارجاء من فرط الاسى والحزن جللها بكل سواد
والناس في الخطب المريع كانما قد فوجؤا بالحادث المياد
يبكون اشرف من رأته عيونهم في النعش محمولا على الاعواد
سبط الشريف المولدي المرتضى ومريد عبد القادر البغدادي
فاهنأ بفوزك في الجنان مخلدا بجوار جنة الضال الاجداد
المصطفى المختار اشرف من مشى بين الورى من حاضر أو باد

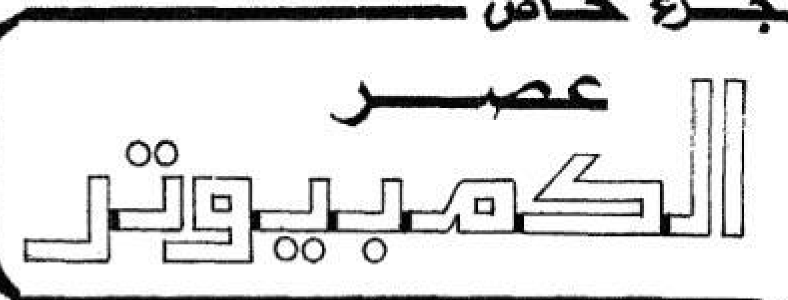
محمد العائش المقوتي •
تونس

• الى اصدقائنا •

● لضيق المقام نعتذر الى اصدقائنا ، ونخص بالذكر السادة: جمال صالح يسري •• صالح مبارك ملص (بعدن) •• خالد محمد غازي •• عوض محمد السيد •• عبد الله السمطي •• اسماعيل تمام •• احمد محمد على البراهي •• رفعت محمد بروبي •• احمد متولي عبد المنعم •• طه محمود مقلد •• سمير ابراهيم عبد الرسول جبريل •• علي عبده اللوبي •• صبري محمد علي •• مؤمن أحمد •• عبده محمد سلطان •• محمد علي البديع •• اشرف محمد مصطفى أبو العز •• أيمن علي دسوقي •• سماح عبد الله الانور •• محمد السيد خفاجي •• محمد علي •• ابراهيم خليل ابراهيم
ونرجو ان نلتقي بهم في رسائل اخرى نتمكن من الرد عليها ان شاء الله •



جزء خاص



● نحن نعيش بحق في عصر الكمبيوتر ، ولم يكن غريبا ان تختار احد المجلات العالمية ، الكمبيوتر ، كرجل العام وكل عام لسنوات عديدة قادمة .. فالكمبيوتر اخطر نتائج الثورة التكنولوجية .

العالم من حولنا يتغير .. يتقدم .. وياويل من يعجز عن ملاحقته .

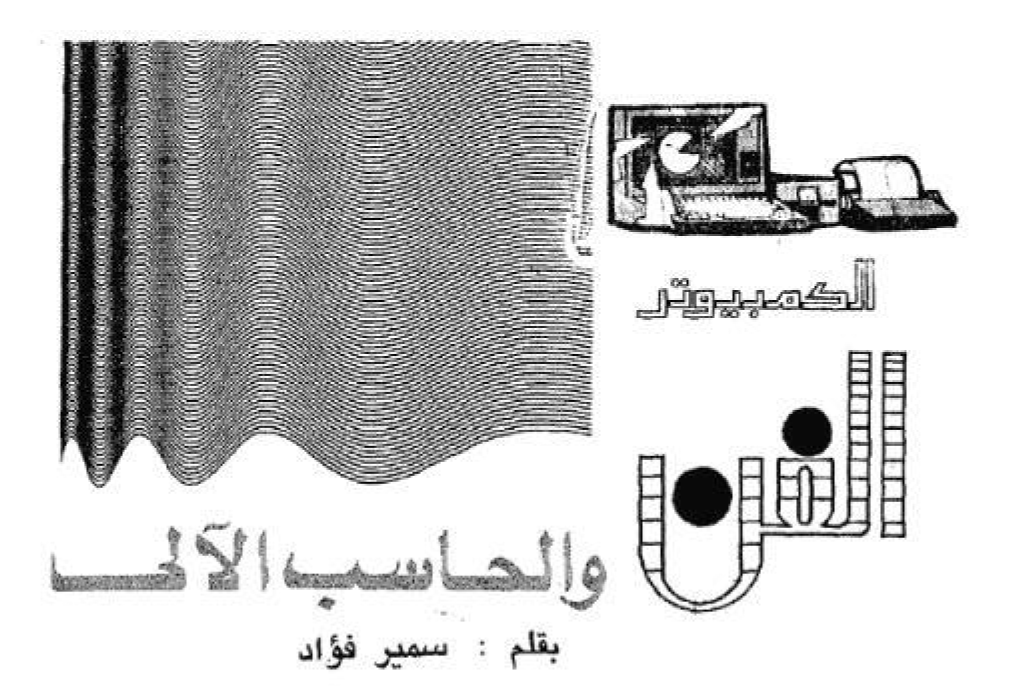
وهذا التطور ينبىء بظهور فجوة في المعلومات ، بين الدول المتقدمة وغير المتقدمة تضاف الى سابقتها ، الفجوة الصناعية ، وخاصة بعد ان اصبح الكمبيوتر قاسما مشتركاً في معظم النشاطات الانسانية

فهل صحيح اننا دخلنا عصر الكمبيوتر .. ؟

يجمع الخبراء انه مازال بيننا وبين الاستفادة من الكمبيوتر شوطاً بعيداً ، فليست العبرة باقتناء اجهزة الكمبيوتر . بل العبرة بالقدرة على إستيعابها وان تتوافر القدرات الثقافية لاستخدامها باسلوب خلاق ، عندئذ يصبح الكمبيوتر اداة تحرير وتنمية وليس اداة تبعية . وما يتطلبه ذلك بالضرورة من نظام تعليمي بديل يساعد على تنشيط القدرة الابداعية ومايصاحبه من تنظيم لكافة مناحي الادارة والنظم المحاسبية ونظم المعلومات .

وعمر الكمبيوتر في مصر إثنان وعشرون عاماً ، ويوجد اليوم في مصر ٦٤٠ جهازاً يعمل عليه ٦٥٩٠ فرداً . وحتى الآن لايوجد إطار تنظيمي يجمع العاملين في هذا الحقل ولم يصبح الكمبيوتر بعد جزءا عضويا من .. مجتمع يتحرك .

وهذا الجزء الخاص هو صيحة صادقة لكي نتدارك مافات ، فاخشى مانخشاه ان يتحول الكمبيوتر الى احد صور إستكمال العياقة الاجتماعية والوجاهة العلمية !



فى البداية كانت الفكرة

راحت شاشة الحاسب الموضوعة على مكتبى تحدق فى بوجه مستطيل يومض بأشكال سيريالية فوسفورية خضراء .. أشحت عنها بوجهى ورحت أداعب صفحات كتاب عن رسوم كبار الفنانين على مر العصور ... من روفائيل ودافنشى الى رمبرانت وانجر .. ثم موندريان ودى كوننج .. وفى ذيل الكتاب توقفت عند ثلاثة صور منفذة على الحاسب الآلى .

لم يستثر اهتمامى فى هذه الرسوم كونها من أداء جهاز أطلق عليه وعن طريق الخطأ " العقل الالكترونى » فعلاقتى بهذاء العقل » تعود إلى نيف وسبعة عشر عاما وهى إلى حد كبير علاقة يمكن أن نطلق عليها مجازا أنها حميمة وقد قضيت شطرا مهندسا أصلح ماافسده الدهر فى ذلك « العقل » .

كما لم يكن موضوع الكتاب ذاته غريبا على فعلاقتى بالفن حميمة ايضا ودخولى المرسم للعمل من الفروض اليومية التى احرص على تأديتها بانتظام .

وإنما كان الذى استثار اهتمامى هو وجودها وسط هذا الخضم من التراث الفنى للانسان .... راحت الأفكار تتدافع تجذبنى بين هذا وذاك ورحت أدخل فى دائرة الصراع بين قطبى حياتى الفن والحاسب الآلى .. وفى البداية كانت الفكرة .

* * * * *

الحاسب الآلى كأداة

بادىء ذى بدء نبدأ بفقرة استعيرها من محاضرة القاها وليام فيتر احد الرواد الأوائل فى مجال استخدام الحاسب فى إخراج الرسوم عام ١٩٦٠ يقول :-

" إن الوسائل الفنية المستخدمة فى

توصيف الأشكال ومعالجتها بالوسائل الضوئية الميكانيكية توائم مهمة ترجمة الفكرة إلى شكل مرئى وعملية إخراج الرسوم على الحاسب الآلى . وتعتبر خطوة جديدة فى هذا المضمار تجمع مهارة المصمم وكاتب البرامج والرسام

وفى هذه الحالة فإن احتمالات الابهام تقل بدرجة كبيرة حيث إن الفكرة يجب ان تتحدد ويتم نقلها بكل الوضوح والدقة

وتوجد ثلاث خطوات هامة يجب اعتبارها عند إخراج الرسوم على الحاسب الآلى .

أولا : صاحب الفكرة أو الرسالة التى يراد توصيلها .

ثانيا . الاخصائى الذى يقرر أحسن وسيلة لتوصيل هذه الفكرة بالرسم أو بالكلمة او بكليهما .

ثالثا اخصائى الحاسب الآلى الذى يختار الوسيلة التى يتم بها تنفيذ المطلوب على الجهاز

والذى يحدث مرارا هو ان يجتمع الثلاثة فى شخص واحد .

والجدير بالاعتبار فى الفقرة السابقة هو التأكيد على نقطتين أولاهما هو ان الفن فكرة يتم ترجمتها إلى صيغة محسوسة وفى حالة الفن التشكيلى تكون هذه الصيغة تشكيل فى بعدين كرسم او تصوير أو فى ثلاثة ابعاد كصرح او تمثال .

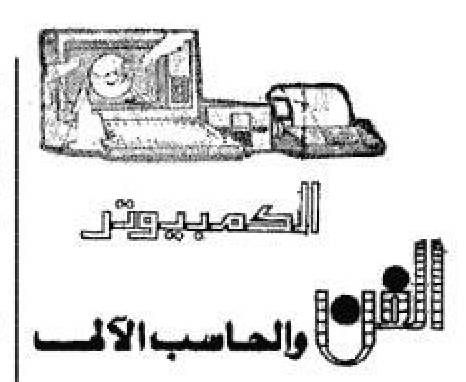
والنقطة الثانية هو انه فى نقل هذه الفكرة إلى الصيغة المحسوسة يعتمد صاحبها على أداة قد تكون أصابع يديه أو تكون حاسبا آليا متطورا وهنا كان مربط الفرس . هل الحساب ليس أكثر من مجرد اداة ؟ ... للعالم كان أو للفنان ليس أكثر من أداة تساعده على الوصول الى بغيته .

* * * *

خلق الأشكال على الحاسب

فى محاولته الدءوبة لتفهم العلاقات الجمالية التى تراها عينه أو إخراج الفكرة التى تراوده إلى الصيغة المحسوسة راح الفنان التشكيلى يفكر فى المشاكل التى تعترضه سواء فى بحثه عن العلاقات الجمالية فى التراث الهائل من النتاج الفنى للحضارات المختلفة او محاولته الوصول إلى علاقات جمالية جديدة أو حل مشاكل حرفية تعجز قدراته الأدمية عن أدائها بالصورة التى يتخيلها عقله .. وكان من المنطقى أن يستثير اهتمامه اى اختراع يفرزه العقل الانسانى .. يتفحصه ليرى إمكانية الاستفادة منه ... فعل هذا مع آلة الطباعة ومع آلة التصوير ... وبنفس المنطق مع الحاسب الآلى .. ورأى فيه إمكانيات هائلة تميزه عن أى اختراع ظهر قبل ذلك .. فهذا الجهاز مبنى على المنطق .. ويمكنه إذا أحسن استخدامه المساعدة على إجراء مقارنات تحليلية والوصول إلى نتائج قد يعجز العقل البشرى نتيجة لتفوق الحاسب الهائل عليه فى السرعة عن الوصول إليها .

.. ولأنه كما أسلفنا فإن نقل الفكرة إلى صيغة محسوسة بواسطة الحاسب تحتاج ثلاثة ، صاحب الفكرة .. والمصمم . واخصائى الحاسب . ولأنه من الأفضل ان يجتمع الثلاثة فى شخص واحد ، إلا ان هذا لايحدث دائما .. ولذلك فإن منتجى الحواسب وتطبيقاتها مثلهم فى ذلك مثل أى منتج يستجيب لطلبات المستهلك على سلعته بدءوا يبسطون فى طريقة التعامل



مع الحاسب حتى يستطيع أى فرد عادى ليس لديه خبرة المتخصص فى الحواسب أن يتعامل معه ويستعمل جميع المتاح من إمكانياته .

وحاليا فإن النظم الجاهزة لاخراج الرسوم على الحواسب تتيح لأن يجلس الفنان التشكيلى أو فنان الرسوم المتحركة على الشاشة الخاصة بالحاسب ويحدد عدد المحاور الاحداثية الكافية لتمثيل الشكل الذى يريده ثم يحدد ماهية هذا الشكل ويكوّنه من الاشكال الهندسية البسيطة مثل الخط المستقيم أو المنكسر أو المنحنى مع إمكانية تعديل مقياس كل أو جزء من الشكل أو نقله من مكان لآخر بالنسبة للمحاور الأحداثية أو جعل الشكل يدور حول أحد الأحداثيات

وبواسطة هذه الطريقة أمكن للفنان التشكيلى أن يخلق أشكالا فنية تراوحت من الاشكال الهندسية الصرفة إلى الاشكال العشوائية اللا منتظمة مرورا بالاشكال التشخيصية كما فى تطبيقات الرسوم المتحركة .

اللامنتظمة مرورا بالأشكال التشخيصية كما فى تطبيقات الرسوم المتحركة .

وكما أن الفنان التشكيلى فى محاولته إيجاد علاقات شكلية جمالية فى أعماله بشتى الأساليب فإنه يستعين أحيانا بقانون الصدفة ومنطق الاحتمالات وخاصة فى بعض المدارس التجريدية والتعبيرية .. فإنه على الحاسب الآلى وجد مجالا خصبا باستعمال مايسمى " المولد العشوائى للأرقام " والذى يولد ارقاما بطريقة عشوائية لايربط تتابعها اى قانون .

وباستعمال الأرقام العشوائية التى يبثها هذا المولد فى تحديد العوامل التى أشرنا اليها فى مرحلة خلق الأشكال على الحاسب الآلى فإنه بالامكان إنتاج تنويعات على لحن شكلى لم يكن الفنان ليفكر فيها تحت الظروف العادية وفى وقت قصير جدا نسبيا ثم يستطيع الفنان بعد ذلك استعمال حساسيته الفنية فى الاختيار بين هذه الأشكال أو إعادة تنسيقها

كذلك فانه لخلق شكل فى ثلاثة أبعاد مثل تمثال أو صرح فإن نفس الأسلوب السابق يستعمل لرسم مسقط هذا الشكل فى بعدين مع إمكان دورانه حول المحور الرأسى لبيان مساقطه من مختلف الزوايا وباستعمال مقياس رسم مناسب ثم يتم نقله وتنفيذه بالحجم الطبيعى فى الخامة المرغوبة إما بطريقة يدوية أو عن طريق جهاز ميكانيكى موصل مباشرة على الحاسب

* * * * *

الحاسب والمقدرة الابداعية

هل يملك الحاسب الآلى المقدرة على أن يخلق فنا خاصا به ؟ .. هل يمكن أن نحدد أن هذه اللوحة من عمل هذا الحاسب وذلك التمثال من عمل ذاك ؟ تقفز هذه التساؤلات إلى ذهنك تفرض

نفسها عليك وعينيك تنتقل من لوحة موندريان ذات العلاقات الرأسية والأفقية الرصينة التى تحصر بينها علاقات شكلية مربع والمستطيل إلى لوحة دى كوننج ذات العلاقات الديناميكية المحمومة والايقاعات الدائرية الفوارة .

وراح السؤال يلح على الاجابة . وتجد نفسك فى مجال من أكثر مجالات الحاسب الآلى تعقيدا .. تتضارب فيه الآراء ويكثر حوله الجدل وهو المجال الذى يسمى " الذكاء الاصطناعى " .

ببساطة محاولين تجنب الابهام والتعقيد فإن نظام مايحكم عليه بانه يمتلك خاصية الذكاء إذا وجدنا من ملاحظة سلوك هذا النظام بأنه يمكنه تكييف نفسه للمواقف المتغيرة .. عنده المقدرة على استيعاب وتفهم العلاقات بين الحقائق ويكتشف المعنى من ورائها

كما تكون لديه القدرة على اكتشاف الحقيقة من الزيف .. كما ننتظر ان يكون لهذا النظام المقدرة على تحسين مستوى ذاته نتيجة لخبراته السابقة .. أى لديه المقدرة على " التعلم " .

وينطبق التعريف السابق على العمليات المعقدة للذهن البشرى وخاصة تلك الخاصة بالابداع الذهنى فى شتى المجالات ومنها مانحن بصدده وهو الابداع الفنى ..

ولأن الحاسب الآلى كما اسلفنا جهاز مصمم على المنطق فإن الانسان حاول أن ينقل إليه خبراته وذكائه فى البرامج التى يكتبها له .. ولذلك فإن كتابة برنامج يمكّن الحاسب الآلى من لعبْ الشطرنج تم عمله بنجاح كبير حيث يمكن وضع جميع الاحتمالات الممكنة لحركة قطعة معينة



باستعمال المولد العشوائى للارقام لابتكار خلق التنويعات الموجودة فى المربعات الصغيرة

تكوين فى الفراغ تم تصميمه باستعمال الحاسب الآلى





الكمبيوتر
الفن والحاسب الآلى

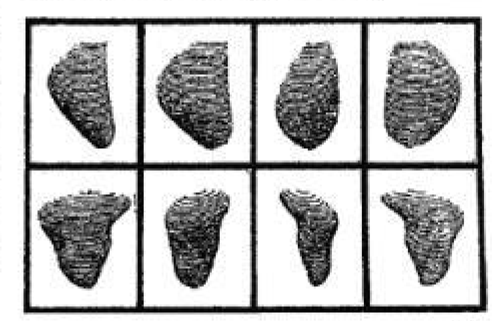
على الرقعة ثم اختيار أحسن هذه الاحتمالات .

الا أنه لأن الذكاء الانسانى بطبيعته متعدد الجوانب فإن محاولة كتابة برامج للحاسب الآلى تحاول محاكاة هذا الذكاء فشلت فشلا ذريعا حيث نتج عنها برامج عظيمة التعقيد كبيرة الحجم وبالتالى كانت كفاءاتها منخفضة إلى حد كبير ..

ولأن عملية الابداع فى الذهن البشرى عملية معقدة للغاية وتمر بأطوار غاية فى الغموض بدءا من الرؤية الخاصة للفنان للبيئة والعالم المحيط به ثم ترجمة هذه الرؤية إلى مفهوم ذاتى يمتزج بالثقافة الفكرية والتكوين الحسى للفنان وانتهاء بافراز هذا المفهوم لفكرة ينقلها كما اسلفنا إلى صيغة محسوسة ... فإن محاولة نسخ عملية الابداع هذه على الحاسب الآلى شبه مستحيلة الآن وستظل كذلك إلى أمد بعيد قد يطول فيتجاوز نهاية هذا العالم ذاتها ..

إلا أن تأثير الحاسب الآلى الذى بدأ يدخل كل مكان على بنية المجتمع تأثير يزداد اضطرارا ولايمكن انكاره .. وبالتالى فأن تأثيره على الفنان كفرد من هذا المجتمع آت لاريب فيه .. إلى أى مدى ؟ . أقدر منى على الشرح هم علماء الاجتماع الذين بحثوا وكتبوا فى هذا الموضوع .. هل ستتأثر رؤية الفنان .. هل ستضمر حساسيته وقدراته وتحل محلها قدرات أخرى اكثر او اقل .. هل ستزداد النمطية وتقل الابداعية الفردية ويصبح كل شىء بلا طعم ولالون ولا رائحة .. إن النفس لترجف وإن الصدر لينقبض .

*التصميم المنفذ بواسطة الحاسب والمستخدم فى تنفيذ تكوين فى الفراغ .



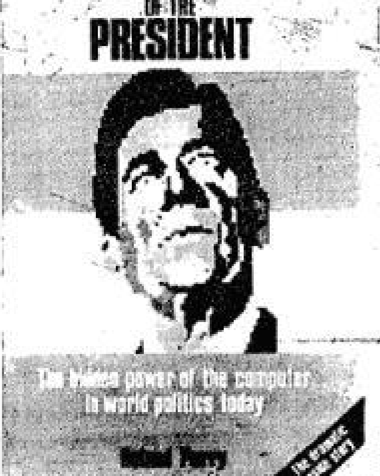
الرؤيـــة

اشار " هربرت فون كارايان " بعصاه إلى عازفى برلين الفيلها رمونية .. وانبعثت سيمفونية بيتهوفن الثامنة تشدو وبألحانها البهيجة المفرحة .. ورقص القلب جذلا وحلقت النفس ترفرف وكانت الحقيقة واضحة الآن وأكثر من أى وقت مضى ... لن يتخلى الفنان الأصيل عن حساسيته ورؤيته الخاصة وفرديته ....

يهزك لون قرص الشمس يغيب بين طيات بحر الاسكندرية ... ووجه مليح وملاءة محبوكة حول جسد رشيق .

وفى البداية كانت الفكرة .







تأليف : رولاند بيرى
عرض وتقديم : ضياء الحاجرى

صناعة الرئيس

العقل الالكترونى يحمل ريجان للمرة الثانية إلى البيت الأبيض

●● النجاح فى الانتخابات الأمريكية له طعم واحد . وان كانت الجهات التى تتسبب فى النجاح مختلفة .

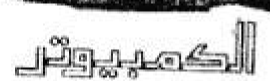
كان وراء نجاح ريجان : العقول الالكترونية ..

وكان وراء نجاح نيكسون : التليفزيون ..

وكان وراء نجاح جونسون : استطلاعات الرأى العام ..

ريجان نجح مرتين .. فى المرحلة الأولى اعتمد على مقدرة الزعامة القوية .. ولكنه فى المرة الأخيرة اعتمد على الشعور الدينى .

فى العالم السرى للانتخابات الامريكية حكايات كثيرة ـ لا أول لها ولا آخر ، وتلك رحلة مثيرة داخل الانتخابات الامريكية ●●



في انتخابات الرئاسة الأمريكية في ١٩٦٨ انتخب التليفزيون الرئيس ريتشارد نيكسون !

هذه حقيقة !

فقد نجح لانه استطاع ان يواجه عدسات التليفزيون ببساطة ودون تكلف او تصنع . ويقال انه ظل يتدرب على إلقاء مقدمة كلمته واحدا وعشرين مرة قبل ان يرضى خبراء التصوير عن هذه اللقطة وتدور الكاميرات لتصويره . وقد اكتسى وجهه بالمكياج كاحد ممثلي هوليود .

كانت الستينات هي عصر التليفزيون السلاح الجبار الذى قال عنه الجنرال شارل ديجول « اعطني التليفزيون ... امتلك فرنسا » وكان من الطبيعي ان يستخدم المرشحون هذا الجهاز في حملاتهم الانتخابية . فبدلا من المرور على بيوت الناخبين ومقار اعمالهم ، والتوجه إلى جميع الولايات .. اصبح في الامكان على كل مرشح ان يصل إلى الناخب عن طريق هذا الجهاز السحرى ، وهو جالس في بيته على استعداد لسماع اى شيء . ولكن في الثمانينات تطورت ثورة المعلومات بشكل أصبح من المتعذر استيعابه ، واصبح العقل الالكتروني اداة رئيسية في الاعلام وجمع المعلومات . فكيف يستغل المرشحون هذا الجهاز الخطير الجديد لادارة حملتهم الانتخابية .

تعالوا نقرا هذا الكتاب

الممثل السينمائي
وعالم السياسة .

كانت السيارة الليموزين الزرقاء تندفع فوق الطريق الملتوى الذى يصعد ببطء تلال سانتا مونيكا في الناحية الغربية من لوس انجلوس المطلة على المحيط الهادى . في المقعد الخلفي كان يجلس ريتشارد ريزلن استاذ كرسي الاقتصاد بجامعة كاليفورنيا ومدير مركز استطلاع الراى بها .. وبجواره جلس صديق له على الاتصال بالمسئولين السياسيين .. لم يكن ريتشارد ريزلن يعرف إلى اين تتجه السيارة . كل ما كان يعلمه من صديقه ان احدى الشخصيات الهامة جدا في الولاية تطلب لقاءه في سرية بالغة .

ورغم القلق الذى كان يشعر به ريزلن إلا انه لم يتبادل كلمة واحدة مع صديقه . وشغل نفسه طوال الطريق بالنظر إلى المراعي الخضراء الشاسعة التى تبللها قطرات المطر . فقد كان الوقت احد ايام خريف عام ١٩٦٨ . وعندما وصلت السيارة اخيرا إلى قصر ريفي واسع .. وجد ريزلن في انتظاره كهلا باسما يرتدى قميصا مفتوح الازرار رغم برودة الجو . وشعر انه راى هذا الوجه عدة مرات في افلام كان يذيعها التليفزيون ايام الاحد عطلته الاسبوعية . ونظر إلى الصديق متسائلا . فرد عليه قائلا « انه الحاكم » .

- تقصد ريجان

- ليس لدينا غيره هنا

ولم يكن ريزلن يهتم كثيرا بمتابعة مجريات الحياة السياسية . او تتبع اخبار المسئولين وعلى راسهم حاكم الولاية ريجان ، فقد شغلته ابحاثه الاقتصادية وخاصة في الاحصاء .. ودراسة طرق قياس الراى العام عما سواها . ورغم انه كان لايزال شابا صغيرا إلا انه حظي بشهرة واسعة على النطاق الاكاديمي لدقة ابحاثه




ريتشارد ريزلن

واطلاعه ونشاطه الهائل . فقد كان من طائفة ترى ان اللذة الكبرى تكمن فى العمل والانتاج وتحقيق النجاح والذات .

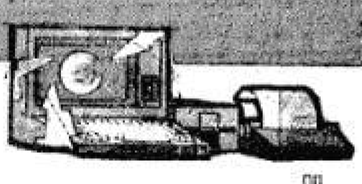
واصطحب ريجان ضيفه الى داخل المنزل بود وترحيب ، حيث كانت تنتظرهم نانسى ريجان ، وقد اعدت عصير الفواكه لهما . ورغم الترحاب والود إلا ان ريزلن ظل قلقا . فلم تكن لديه ادنى فكرة عن السبب الذى دعا حاكم الولاية على استدعائه وهو الاكاديمى الذى لايفقه شيئا فى امور السياسة ودهاليزها .

ولكن ريجان لم يسارع بتبديد مشاعر القلق والافصاح عن سبب المقابلة ، وإنما دخل معه فى مناقشات عن المشكلات التى تواجه ولاية كاليفورنيا ، واراء الحاكم فى ضرورة العمل الشاق من اجل تقدم المجتمع ، وان الاعانات الاجتماعية التى تقدمها الدولة مثل اعانة البطالة ادت إلى تكاسل الأفراد وضعف الدولة انتاجيا واقتصاديا . وهنا وجد ريزلن نفسه يغير رايه فى الشخص الماثل امامه . فحتى هذه اللحظة كان يرى انه يخاطب ممثلا سينمائيا ضل طريقه إلى عالم السياسة ، ولكنه وجد شخصا مثقفا مطلعا على مشكلات واقعية ، وفجاه احس بالتعاطف مع ريجان ، وبان هنا خيطا من التفاهم يربط بينهما .

وعندما شعر ريجان ان أعصاب ضيفه قد استرخت ،عرج على الموضوع الأساسى الذى يريده ، فهو يرغب فى ان يقوم ريزلن باستطلاع الراى العام فى ولاية كاليفورنيا لقياس مدى شعبية الحاكم . فقد علم ريجان ان ريزلن يعد واحدا من اكبر خبراء علم قياس الراى العام فى الولايات المتحدة باسرها ، واراد ان يسارع بالتعاقد معه ليعمل فى فريقه تمهيدا لاعادة انتخابه حاكما للولاية عندما تنتهى مدة ولايته .

ولم تكن طرق قياس الراى العام جديدة على الحقل السياسى الأمريكى . فقد كانت معروفة منذ منتصف الستينات . وكان نيكسون مولعا باجراء الاستطلاعات من حين لآخر لمعرفة تطور شعبيته . ويقال ان الرئيس ليندون جونسون كان يخرج استطلاعات الراى من جيوبه ـ كالحاوى ـ ليظهرها على الملا فى كل مكان ليثبت لهم انه رئيس « شعبى » ونال العاملون فى مجال قياس الراى العام شهرة واسعة ، ونفوذا كبيرا ، واصبحوا كعرافى العصور الوسطى ، يتنبئون بمصير السياسيين ، ولايقوم مسئول بارز على خطوة إلا بعد استشارتهم .

غير ان هذه الاستطلاعات صارت متخلفة بمرور الزمن . فهى كانت تجرى على شرائح من المواطنين يطلب منهم الادلاء بارائهم



فى المرشحين للرياسة ، ويتم تجميع هذه الاراء ومحاولة التنبؤ من الذى سيفوز ومن اكثر شعبية من الاخر ، وبمرور الوقت اصبح السياسيون يتشككون فى نتائج هذه الاستطلاعات ، فاحيانا ما كانت تشير النتائج إلى ان مرشحا ما هو الذى سيفوز فيبدأ فى الاحتفال بفوزه مسبقا ليفاجأ بعد ظهور نتيجة الانتخابات بفوز مرشح غيره ، ومن هنا اخذ نجم اصحاب مراكز الاستطلاع يافل بعد ان ازدهر وسطع فى سماء الحياة السياسية الامريكية .

كان ريزلن يرى ان الكمبيوتر جهاز عظيم ذو إمكانيات هائلة لم تستغل بعد ، وقد أجاد فن التعامل مع هذا الجهاز . وابتكر وسيلة جديدة اسماها « المحاكاة » . وتتلخص فى تزويد العقل الالكترونى بمعلومات تفصيلية عن حالة السوق مثلا ، وخلق نموذج هيكلى داخل الكمبيوتر يشبه السوق الخارجى فى الواقع . وعن طريق هذا النموذج الهيكلى يمكن معرفة احتياجات السوق الواقعى وإمكانية تصريف منتجات معينة . كل هذا كان يتم وفقا لاسس نظرية ورياضية داخل اشرطة العقل الالكترونى ، وكان لايزال امامه تطبيق نظرية « المحاكاة » فى الحقل السياسى .

وهناك فارق اساسى كبير بين استطلاع الرأى التقليدى الذى تجريه معاهد متخصصة مثل « جالوب » و « هاريس » ومراكز ابحاث وجامعات وبين النظرية الجديدة التى صاغها رينشارد ريزلن والمسماة « المحاكاة » فنتائج استطلاع الراى التقليدى تذاع اولا باول على الجماهير . اما النتائج التى تشير اليها طريقة ريزلن فى قياس الراى فتحفظ تحت اعلى درجات السرية ، ولا يطلع عليها إلا المسئول الذى يريدها ، وبالتالى لاتصبح النتيجة مجرد مؤشر على شعبية المسئول ، ولكن علامة توضح الطريق الذى يجب ان يسلكه ليحظى بحب الجماهير ، لانها توضح له ما الذى يحبه الناس وما الذى يكرهونه

كاليفورنيا فى جيب ريجان !

بدأ ريزلن يدرس نقاط القوة والضعف فى شخصية ريجان ، وتحديد خصومه وانصاره ، وكان يؤيد ريجان عدد من رجال الأعمال الاقوياء فى الولاية ؛ ومن بينهم هنرى سالفاتورى صاحب واحدة من كبريات شركات البترول . وتيودور كانجز صاحب سلسلة متاجر السوبر ماركت العملاقة ، وجاستن دارت صاحب عدة متاجر كبرى ، وهولمز تاتل من كبار رجال المصارف .

وكانت الخطوة التالية حشد مركز ادارة الحملة الانتخابية لريجان بعشرات العقول الكترونية الهائلة التى يتم تغذيتها بالاف المعلومات عن شخصية ريجان ، وشخصية منافسه على منصب حاكم الولاية جى انروه ، واراء الاف من مواطنى الولاية فى كل منهما .

كان يتم طرح عشرات الاسئلة يوميا تليفونيا على مئات الأشخاص فى الولاية .



وتنتهي هذه التليفونات بدائرة متصلة بالعقول الالكترونية لتخزن الاجابات فيها، والتى كانت تشير إلى رغبات المواطنين فى نوعية الحاكم الذى يريدون انتخابه.

والحقيقة ان الجديد في هذه الطريقة ان ريزلن استطاع لاول مرة استخدام نظرية «التنبؤ» بمن سيفوز فى الانتخابات على اساس علمى. ونظرية «التنبؤ» ليست حديثة، بل هى قديمة ويستخدمها العلماء فى التنبؤ فى الاحوال الجوية او بحدوث الزلازل والبراكين. كما يستخدمها المهندسون فى «التنبؤ» بالمكان الذى ستهبط فيه الطائرة على حاملة الطائرات، او لتحديد مكان هبوط سفن الفضاء. ويعتمد ذلك على معدلات رياضية بالغة التعقيد بالاضافة إلى فهم لقوانين الفيزياء. ولكن ريزلن ادخل لاول مرة هذه المعدلات الرياضية التى تغذى بها العقول الالكترونية للتنبؤ «علميا» بالفائز فى الانتخابات. وقد اثبتت جميع التجارب التى اجراها بعد ذلك ان نظريته لا تخيب

ريجان يدرس ١٧ قضية سياسية

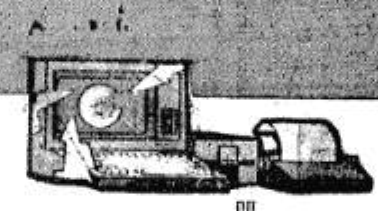
وتمثلت المهمة الآن امام ريزلن ورجاله فى تحويل الممثل السابق إلى سياسى قدير، وبالتالى كانت الخطوة الأولى إحاطته بالقضايا السياسية المحورية التى تواجه الولاية إلى جانب دراسته لـ١٧ قضية سياسية اخرى تهم الرأى العام الأمريكى حتى يصبح على فهم بمجريات الأمور. ومن ثم يمكنه الحصول على إعجاب الناخبين.

وكانت هناك ميزة كبرى لريجان وهومهارته فى التمثيل. فقد كانت مهنته الوحيدة حتى الرابعة والخمسين من عمره هى الوقوف امام الكاميرات لاداء ادوار الفتى الطيب فى عدد من افلام متوسطة القيمة الفنية وهذه المهارة منحته ثقة فى النفس فى الوقوف امام كاميرات التليفزيون، والتحدث إلى الناخبين بشكل طبيعى دون توتر او تلعثم او خوف!

ريجان يتحدى و فورد يكسب

بعد فضيحة ووترجيت واستقالة الرئيس الجمهورى نيكسون تولى نائبه جيرالد فورد الرئاسة حتى إجراء انتخابات عام ١٩٧٦. وفى هذا العام عقد ريجان عزمه على خوض معركة هائلة داخل صفوف الحزب للحصول على ترشيحه فى انتخابات الرئاسة.

وزاد الامر سوءا ان التجارب الحديثة التى ادخلها ريزلن على العقول الالكترونية واتت بنتائج اكثر دقة لم تجد آذانا صاغية تستمع إليها او تضعها فى الاعتبار، كان ريزلن يدرك ان المعلومات سلاح قوى، وخاصة إذا ما استخدمت العقول الالكترونية لفرزها وتصنيفها وتحليلها. وكان من رايه ان يتخذ ريجان موقفا متشددا ازاء قضايا السياسة الخارجية ليتوازن مع وضع فورد / كيسنجر القوى فى هذا المجال، وخاصة ان ريجان لم يكن معروفا بشكل قوى على نطاق الولايات المتحدة، غير ان مدير الحملة الانتخابية لريجان تجاهل اراء ريزلن تماما، وكانت نتيجة عدم



الكمبيوتر

سماع ما تقوله العقول الالكترونية خسارة ريجان امام فورد فى ترشيحات الحزب، وضياع الرئاسة من الحزب الجمهورى بعد فوز الرئيس كارتر بالمنصب .

امال كارتر الغامضة جدا .

قد لا يكون من ضروب المبالغات القول بان بروز اسم كارتر وتلميعه ثم وصوله إلى البيت الابيض ترجع اساسا إلى جهود باتريك كادل احد الخبراء العمالقة فى فن الكمبيوتر واستطلاعات الراى العام .

وفى ذلك الوقت كان باتريك كادل اسطورة فى كواليس السياسة ، بإجادته تشغيل العقول الالكترونية باحدث الاساليب ، ومعرفة نقاط القوة والضعف فى السياسيين سواء من يعمل لديهم او المنافسين ولم تكن تنبؤاته بفوز أو هزيمة المرشحين تخيب لفرط دقتها واعتمادها على اسس علمية ، ولذا كان من الطبيعى ان يسعى كارتر إلى التعاقد معه لمساعدته فى حملته الانتخابية .

ظل كادل طوال عامين يغذى عقوله الالكترونية بمختلف المعلومات عن كارتر ، عن نقاط الضعف والقوة ، والاتجاهات السلبية والايجابية فى شخصيته . ومحاولة تحديد الجوانب المضيئة التى يرغب الراى العام فى رؤيتها بل والتصفيق لها ، وفى نفس الوقت اجريت تجارب طويلة وهائلة على شرائح متعددة ومكثفة من المواطنين لمعرفة إتجاهات الراى العام ، والمواصفات التى يطلبها الراى العام فى الرئيس القادم .

وفى ذلك الوقت كانت فضيحة «ووترجيت» على اشدها ، وقد انتهت بالقضاء على المستقبل السياسى للرئيس نيكسون ، وتولى نائبه فورد الحكم واكسب ذلك فضيحة اخرى اذ اتهم اسبيرو اجينو نائب نيكسون بالرشوة ، وتصادف أن اثير فى ذلك الوقت فضيحة جنسية ارتجت لها انحاء واشنطن ، فقد اتضح ان عددا من اعضاء الكونجرس الامريكى يعينون «صديقاتهم» بوظائف فى الكونجرس لقاء مرتبات كبيرة .

واكتشف باتريك كادل ان الراى العام الامريكى اصيب بالاحباط واليأس من ساسة واشنطن ، بسبب ما يمارسونه من فساد واستطاع كادل من خلال استطلاعاته ان يرصد مشاعر عدم الانتماء والاغتراب والعزوف عن المشاركة السياسية ، وكان خلاصة ذلك كله عدم الثقة فى ساسة واشنطن .

ومن هنا كانت الفرصة أمام كادل سانحة لتلميع البديل ، ذلك الرجل الطيب الأصيل المؤمن بالمبادىء السامية العريقة المتسامح المتفاهم الذى يجيء من الجنوب .. النظيف والطاهر .

وبدأت حملة كارتر الانتخابية للفوز بترشيح الحزب ، وكان محور الحملة «المشاعر المعادية لواشنطن» ، وكان هذا الشعار كفيلا باجتذاب العديد من الاصوات التى ترغب فى التغيير .

وعندما اعتزم كارتر الترشيح رسميا امام صفوف حزبه ومنافسه هنرى جاكسون



وجورج والاس ، كان يشغل منصب حاكم ولاية جورجيا . وفى ذلك الوقت التقى بديفيد روكفلر رئيس بنك تشيز منهاتن ، واحد ملوك المصارف والمال فى الولايات المتحدة . واثناء هذا اللقاء . فهم كارتر ان روكفلر غير راض عن سياسة الوفاق التى انتهجها نيكسون بايحاء من كيسنجر ، لانها ليست المناخ الأمثل لعالم المصارف ، حيث انها تخلق محورا يتكون من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والصين ، وهذا المحور هو الذى له قوة التفاوض مع العالم الثالث وخاصة الدول المنتجة للبترول . وكان روكفلر يطمع فى تقوية محور اخر يتكون من الولايات المتحدة و اوربا الغربية واليابان . كما فهم كارتر ان روكفلر يشكل لجنة تضم عددا من الشخصيات المؤثرة فى الولايات المتحدة بهدف تنفيذ هذه الفكرة . والتى ترمى اساسا إلى تقوية النفوذ الامريكى فى الخارج . وانتهز كارتر الفرصة ليعرب عن تاييده للفكرة . وهو موقف من مساندة روكفلر له عندما تحين ساعة الاحتياج

واصبح كل شيء جاهزا ، ودارت حملة كارتر الانتخابية ، وفاز على منافسيه فى الحزب واصبح مرشحا لمنافسة فورد على منصب الرئاسة ، وبات حلمه اقرب إلى التحقيق . فقد صار كارتر ـ ذلك السياسى المغمور ـ فجأة على كل لسان . بعد ان هبط على سماء الحياة السياسية الأمريكية بمظلة ، الرجل الحلم ، ففوز كارتر كان يعني بالنسبة لكل امريكى انه بإستطاعة اى شخص عادى ان يصبح ذات يوم رئيس الولايات المتحدة الامريكية .. وسرعان ما تعلم كارتر كيف ينفذ تعليمات كادل بدقة ،

فهو يبتسم بمرح امام كاميرات التليفزيون ، ويحتفظ بهدوء اعصابه ويتصرف بشكل طبيعى فى المناظرة التليفزيونية امام فورد . وهو يشير إلى اسم بابا الفاتيكان مسبوقا بلقب « قداسة » كما لو كان كاثوليكيا . فاذا التقى بممثلى الزنوج فهو الرجل الديمقراطى المتسامح ، وفى احيان اخرى نصير العمال ، او الرجل الذى يفهم متاعب ربات البيوت .

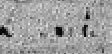
وكانت النتيجة المتوقعة فوز الوجه الجديد الذى يتدفق بالحيوية والطيبة والتسامح جيمى كارتر .

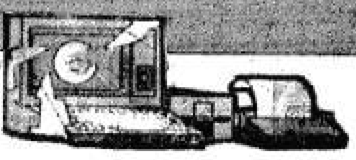
ولكن من وراء الكواليس كان هناك رجل واحد على ثقة من انه لو كانت المنافسة بين ريجان وكارتر لفاز ريجان بلا منازع . ولم يكن هذا الرجل سوى ريتشارد ريزلن خبير الاستطلاعات المخضرم .

كارتر يترشح امام ريجان

استمر كادل يعمل مع كارتر ، ويقيس له اتجاهات الراى العام ليكون على علم بمدى شعبيته بين المواطنين ، والآن وقد دخل كارتر عامه الثالث فى البيت الابيض .. وجد نفسه يواجه مشكلات لم يكن بوسعه التغلب عليها ، فقد بدت بوادر الركود الاقتصادى فى الافق تنذر بالخطر ، وارتفعت معدلات التضخم والبطالة إلى حد لم يسبق له مثيل ، وبدات مشاعر التشاؤم تسيطر على البلاد

ومع اقتراب موعد الانتخابات الجديدة وجد كادل نفسه فى مازق . فكيف يتسنى





الكمبيوتر

إعادة انتخاب كارتر مع وجود هذا الكم الكبير من المشكلات دون حل .. كان كادل قد حقق ثروة هائلة من شركته لقياس الرأى العام وخاصة بعد فوز كارتر ، وإنهالت عليه الطلبات من كل مكان ، وكانت تقاريره عن اتجاهات الرأى العام الأمريكى تباع لجهات عديدة .. منها المملكة العربية السعودية . كما كان وجوده بالقرب من الرئيس يمنحه نفوذا واسعا . وقد أشار كادل على الرئيس أن يحاول مد جسوره مع الناخبين ، ولكن كارتر بدلا من ذلك نزل على نصيحة معاونيه وفصل عدد من الوزراء من الحكومة ، كان الهدف من ذلك كسب ثقة المواطنين ، ولكن التوقيت كان خاطئا .. فقد كانت المشكلة أعقد بكثير من مجرد خروج عدد من الوزراء .

ريجان والمعركة داخل الحزب الجمهورى

فى ذلك الوقت كان ريجان يخوض معركة سهلة للفوز بترشيح حزبه الجمهورى للرئاسة . كان أمامه العديد من المرشحين « الصغار » مثل كرين ، ودوللى ، وبيكر ، واندرسون ، ولكن اقواهم كان جورج بوش مدير المخابرات المركزية السابق الذى قاوم لفترة طويلة قبل أن يستسلم ليرشحه الحزب بعد ذلك نائبا لريجان .

وواصل ريتشارد ريزلن جهوده لانجاح ريجان ، وعندما أصبح حاكم كاليفورنيا السابق مرشحا للرئاسة .. وجد ريزلن أن برنامج الحملة الانتخابية يجب أن يتغير ليوائم المنصب الجديد . لم ينس ريزلن التجربة المؤلمة التى تعرض لها أثناء إدارة حملة ريجان ضد فورد فى الانتخابات السابقة . كانت غلطة العمر فى اعتقاده أن معاونى ريجان ومنظمى حملته لم يسمعوا أصوات العقل الالكترونى ، بل كانوا يقدرون الأمور وفقا لما تمليه عليهم وجهات نظرهم التى غالبا ما كانت تتأثر بالعواطف والأهواء باعتبارهم بشر . ولكن فى هذه المرة لن يقنع ريزلن بمنصب أقل من المشرف على الحملة الانتخابية حتى يكون صوته هو الأعلى ، هذا إذا أراد ريجان أن يفوز بالرئاسة .

ظل ريزلن لفترة طويلة يدرس أوضاع الحزب الجمهورى فى الولايات الأمريكية المختلفة ، ونقاط القوة والضعف ، وهل رؤساء أفرع الحزب فى الولايات والمقاطعات والمدن يتسمون بالكفاءة والقوة أم لا ؟ وهل يتمتع بكوادر حزبية فى هذه المناطق تقوم بإدارة أنشطة الحملة الانتخابية ترد على التليفونات توزع النشرات الدعائية والأهم من ذلك .. تجميع الناخبين يوم الانتخابات وحثهم على التوجه إلى صناديق الاقتراع .

حينما رفعت السيدة مارى أن سماعة التليفون لترد ، أتاها صوت هادىء النبرات من الطرف الآخر يسأل بلهجة رقيقة ، هل تعتقدين أن وصول رئيس قوى إلى الحكم سينقذ أمريكا من هذه الفترة المضطربة التى تمر بها الآن ؟ .. وعندما سألت السيدة مارى بدورها عن شخصية المتحدث رد قائلا إنها مؤسسة ريزلن لاستطلاع الرأى العام .

وردت السيدة مارى على أسئلة أخرى .



الأزمات الكبرى التى واجهتها البلاد ، حرب فيتنام ـ فضيحة ووترجيت ـ وعفو فورد عن نيكسون ـ سقوط سايجون امام الشيوعيين ـ ازمة الطاقة ، واستطاع المتحدث ان يدرك مدى مشاعر اليأس التى تخيم على هذه المواطنة التى كانت واحدة من آلاف المواطنين ، الذين اجرى عليهم استطلاع الرأى لمعرفة اراء المواطنين ومشكلاتهم وآمالهم ايضا . وكان معظمهم يجمعون على ان الرئيس كارتر شخصية ظريفة محبوبة .. ولكنه لايمتلك زعامة قوية فى البلاد .

لقد كانت عمليات الاستطلاع هذه بمثابة سبرغور نفس الأمة الامريكية كان من الضرورى على رجال المرشح ريجان . وعلى راسهم ريزلن معرفة ما يشغل بال الناس ، ليقدم المرشح لهم نفسه باعتباره البديل المناسب الذى سيحل لهم مشكلاتهم ، ويعيد الثقة إليهم .. إنه الرجل الذى سيشيع الرخاء فى الداخل . ويوفر العمل للعاطلين . ثم هو الذى سيقف امام السوفييت بيد من حديد . لم يكن المرشح هنا بالنسبة للكمبيوتر اكثر من مجرد سلعة يراد ترويجها . والمطلوب منه إعداد الدعاية المناسبة لاقناع الناس بشرائها

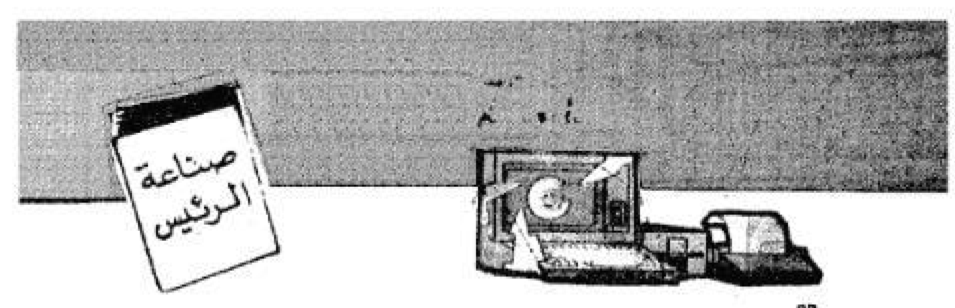
وقد اشار العقل الالكترونى هنا إلى ان السلعة التى يرغبها الناس الآن هى « الزعامة » والمرشح الذى سيقدم نفسه الى الناخبين باعتباره الرجل القوى الذى سيقود البلاد من هاوية الضعف هو الذى سيفوز بثقتهم . يجب على الرئيس الجديد ان يكون قويا وفى نفس الوقت متفهما ، ويجب ان يكون سريعا فى اتخاذ القرار وحاسما . وينبغى عليه ان يجعل العالم يحترم امريكا . ويجعلها القوة رقم واحد فى العالم ، وعليه ان يكون صارما وعنيفا إذا ما تعرضت كرامة ومصالح البلاد للخطر ويجب ان يؤمن بالسلام . ولكن ليس بأى ثمن ، ثم ينبغى عليه ان يبدو رجلا عائليا يحافظ على تقاليد الاسرة الأمريكية ويحمى الرموز التى شيدها المجتمع الامريكى

صناعة الصورة والرتوش والظلال

كانت الخطوة التالية على تطبيق هذه المطالب الشعبية على شخصية المرشح ريجان ، وإن كان الأمر يتطلب إضافة بعض الرتوش هنا وبعض الظلال هناك . ولا بأس من توزيع عدد من التصريحات تناسب الجميع وترضيهم

وفجأة خطرت لريزلن فكرة لتقوية موقف ريجان ، ماذا لو طرح اسم فورد كنائب لريجان فى انتخابات الرئاسة ، لابد ان هذه ستكون خبطة كبرى تجلب مزيدا ومزيدا من الاصوات ، وقام كيسنجر بمحاولة للوساطة بين ريجان وفورد للتمهيد لهذه العملية . ولكنها سرعان ما فشلت ، فإن جيرالد فورد الذى يتمتع بكرسى الرئاسة قرابة عامين لم يكن ليقنع بمنصب النائب ببساطة ، ولكن كانت له شروط كثيرة منها تعيين عدد من رجاله فى مناصب وزارية ، ثم يكون له الاشراف على الأمن القومى فى البلاد ، الأمر الذى سيكبل الرئيس ريجان إلى حد كبير ، وبعد ذلك تمت الموافقة على ترشيح جورج بوش كنائب لريجان

وفى ذلك الوقت كان كارتر يخسر كثيرا



الكمبيوتر

فى المعسكر المقابل . ثم جاءت ازمة الرهائن الأمريكية لتضعه فى مازق لايحسد عليه ، وفاقم الأمر فشل العملية العسكرية لانقاذ الرهائن . واخذت صورة الرئيس كارتر تتدهور كل يوم .

العقول الالكترونية تعلن الحــرب ..

ويبدو ان المنافسة بين ريجان وكارتر قد دخلت ساحة الحسابات الالكترونية ، فكل معسكر يقوده خبير فى هذه الأجهزة يشرف على معسكر ريجان الخبير المخضرم العملاق ريتشارد ريزلن ، ويقود معسكر كارتر استاذ فن قياس الرأى العام باتريك كادل ، وبدا من يفوز منهم على الآخر هو الذى يحدد فوز أى من المرشحين على الرئاسة .. كانت أجهزة ريزلن تعمل على تطور وتغيير صورة ريجان إلى الأفضل وتحدد له ما يقوله فى المناظرة التليفزيونية ، وكيف يكسب حب وإعجاب ورضا الناخبين ، وفى نفس الوقت تتصيد نقط ضعف وأخطاء كارتر ، وترصد فرصة للفوز فى كل ولاية أو مدينة .

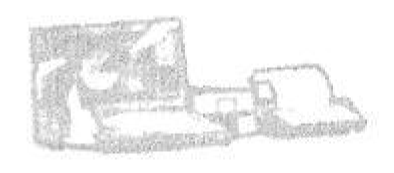
وتم إعداد افلام فيديو دعائية لريجان ، تصوره فى صور شتى ، وهو يمارس الرياضة لينفى عن نفسه تهمة كبر السن ، وهو يقرأ لتصويره كرجل متفهم وواعى ومثقف ، واخرى لاظهاره بأنه رجل القرارات الصعبة ، وانه منقذ الأمة ، وكان ريجان يستجيب ويصغى وينفذ ويكسب كل يوم آلاف الأصوات ، وكانت النتيجة الطبيعية فوزه الكاسح على كارتر فى انتخابات ١٩٨٠ .

وانتخابات ١٩٨٤ .. أيضا

لم ينس الرئيس ريجان جميل وصنيع مستشاره فى الاستطلاعات ريتشارد ريزلن ، وطلب منه ان يواصل دائما قياس شعبيته لدى المواطنين ، وفى ذهنه انه يريد الترشيح لفترة رئاسة قادمة .

وظلت العقول الالكترونية تعمل وتدور ، وإذا كان ريزلن قد اهتدى إلى ان شعار وموضوع الحملة الانتخابية عام ١٩٨٠ هو « الزعامة القوية » فقد وجد أن شعار عام ١٩٨٤ ينبغى أن يكون هو « الشعور الدينى » الذى تزايد فى الولايات المتحدة وفى اماكن أخرى من العالم ، وامتزج باليمين المحافظ .

فقد لاحظ ريزلن من الاستطلاعات ان الاتجاه المحافظ بدا يعود مرة اخرى إلى قطاعات من الشعب الأمريكى بعد الحركات الطلابية والشبابية الهائلة التى انتفض لها المجتمع الأمريكى مثل حركات الهيبز وغيرها من حركات الاحتجاج داخل الجامعة والثورة الجنسية فى الستينات ، ولذلك قرر أن يتبنى ريجان فى حملته الجديدة ، التيار الدينى المحافظ ، فيطالب بلم شمل الأسرة ، ومنع الاجهاض وعودة تدريس الدين فى المدارس . وفوز ريجان مرة اخرى فى انتخابات عام ١٩٨٤ ، يرجع الفضل فيه الى القوة الخطيرة التى ظهرت فى عصرنا الحديث ! العقل الالكترونى .

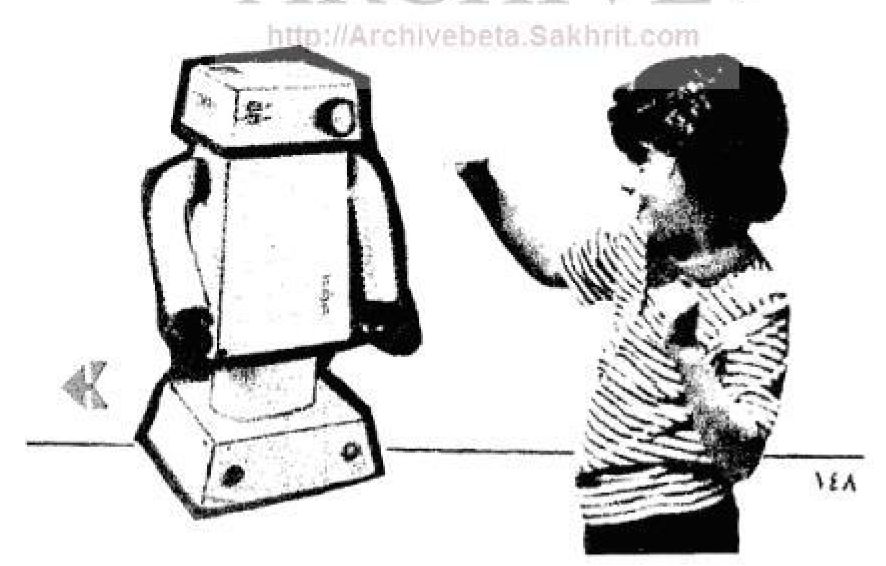


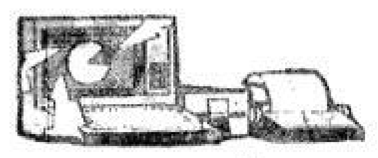
الكمبيوتر

الذكاء الإنسانى والذكاء الآلى

بقلم : د . بهاء الدين حلمى

الكمبيوتر الذى يفوق الانسان فى تفكيره والموجود فى الخيال العلمى ويظهر فى الافلام ومسلسلات التليفزيون لا وجود له فى الحقيقة ، وإن كان الخيال العلمى فى كثير من الأحيان يصبح حقيقة . وتجرى حاليا الأبحاث والدراسات لاعداد البرامج اللازمة لاستخدام الكمبيوتر لحل بعض المشاكل التى يعتمد خلالها الانسان على عقله - أو بمعنى آخر على ذكائه - فى حلها وتندرج هذه الأبحاث تحت اسم الذكاء الصناعى .





الكمبيوتر

الذكاء الانسانى والذكاء الآلى

وفى هذه الأبحاث يقوم العلماء بتوحيد مفاهيم العلوم المختلفة مع علم الكمبيوتر لتعلم كيفية إعداد البرامج التى بدورها تقوم بأعمال التفكير الانسانى والتى لم يسبق لماكينة أتوماتيكية أن قامت بمثلها من قبل .

ومثال ذلك انه قد تم إعداد البرامج الخاصة بلعبة الدامة (الدومانو) بما تحتمل من كسب أو خسارة وحساب كل التحركات امام الخصم . وقد اعد أحد هذه البرامج إعداداً جيدا بحيث أن جهاز الكمبيوتر تحسن فى اللعب حتى انه هزم مؤلف البرنامج نفسه بسهولة ، وذلك لأن جهاز الكمبيوتر قد تعلم ما يجب عمله عن طريق التجربة والخطأ وقام بتسجيل نتائج هذه التجارب للاستفادة بها فى المباريات التالية .

وقد كانت لعبة الشطرنج هى التحدى الحقيقى حيث إنها لا تعتمد على عوامل الحظ فالقطع التى يحصل عليها كل لاعب قد تحسم نتيجة المباراة قبل بدايتها ومن هذا المنطلق تم كتابة عشرات البرامج الخاصة بلعبة الشطرنج ابتداء من برامج للحاسبات ذات الاحجام الصغيرة وهى ما يطلق عليها الحسابات الشخصية إلى برامج للحاسبات الضخمة وكما هو معروف أن عدد الحركات الممكنة فى لعبة الشطرنج كبير جدا لدرجة انه لا يمكن تخزينها أو تحليلها بالكامل فى اى حاسب مهما بلغت ضخامته وعلى ذلك فإن الأسلوب العملى الوحيد هو تصميم برنامج كمبيوتر يلعب عن طريق تقييم للتحركات الممكنة وإعداد خطط مختلفة للعبة .

إن اى مباراة للشطرنج تنقسم إلى ثلاث مراحل . فى بداية اى مباراة للشطرنج فإن الأسلوب المتعارف عليه هو فتح منافذ لبدء الهجوم مع الأخذ فى الاعتبار تقليل الخسائر ويتم غالبا فى التحركات الأولى وتأتى المرحلة الثانية من المباراة والتى من الصعب التنبؤ بها حيث ان لاعب الشطرنج الممتاز يتبنى إعداد سياسة معينة وبعد النظر فى تحديد النتائج المترتبة على الحركة ، ويمكن لأبطال الشطرنج أن يتوقعوا بوضوح النقلات العشر التالية او اكثر والتى تعتمد على مهارة اللاعب وخبرته ، وهذه المرحلة من المباراة هامة لأن نهاية المباراة تعتمد عليها اعتمادا كبيرا حيث يتبقى فى نهايتها مع كل لاعب ست قطع او سبع وتفقد اللوحة وعليها قطع الشطرنج شكلها المعروف إلى حد أنه يمكن أن تجد قطع الشطرنج فى مواضع لم يسبق لها ان حدثت فى تاريخ اللعبة من قبل ، وهنا تبدأ المرحلة الأخيرة من المباراة وفى حركات قليلة يمكن شن هجوم قوى ينتج عنه استحالة الدفاع . وفى هذه المرحلة يجب على اللاعب انتهاج سياسة مختلفة تماما عن السياسة التى اتخذها فى المرحلة الثانية .

وبعد هذا الملخص عن مباراة الشطرنج يكون السؤال الطبيعى هو : كيف أمكن لبرامج الكمبيوتر التفوق

على الانسان فى هذه اللعبة العقلانية جدا ٢

وكان هذا هو التحدى التى بدات قصته عام ١٩٦٨ عندما تمكن دافيد ليفى وهو بطل شطرنج اسكتلندى من هزيمة جون ماكيرثى استاذ علم الذكاء الصناعى فى جامعة استانفورد الامريكية فى مباراة الشطرنج ، وقد أبدى ماكيرثى رغم عدم قدرته على هزيمة ليفى بانه سيعد برنامج كمبيوتر خلال عشر سنوات يمكنه من الفوز وبدا ليفى منذ ذلك التاريخ بملاعبة عدد كبير من برامج الشطرنج وفاز عليها جميعها الى ان نجح ماكيرثى من اعداد برنامج للكمبيوتر تمكن من هزيمة ليفى فى شوط واحد من المباراة وذلك فى شهر اغسطس عام ١٩٧٨ وفى نهاية ذلك العام تم إعداد مباراة نهائية من ستة اشواط بين ليفى وبرنامج جديد للشطرنج . ولقد انتهى الشوط الأول بالتعادل (حصل كل جانب على نصف نقطة) .

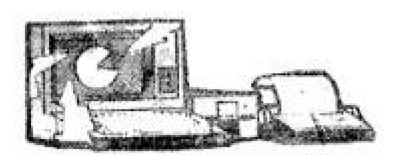
كما فاز ليفى بالشوطين الثانى والثالث بينما فاز الكمبيوتر بالشوط الرابع وفاز ليفى بالشوط الخامس (ولم يعد هناك داع للشوط السادس حيث سجل ليفى ثلاث نقاط ونصف من النقاط الستة الممكنة) ورغم فوز الانسان بهذه الجولة فقد استمر التحدى .

ومنذ عامين تم إعداد برنامج للشطرنج تمكن من منافسة عدد كبير من ابطال هذه اللعبة للحد الذى اعتبر فيه انه قد وصل فعلا أو تعدى المرحلة التى يمكن فيها وصفه بانه منافس ادمى وإنه لمن المؤكد انه مع نهاية هذا القرن وحلول سنة ٢٠٠٠ سيكون قد تم إعداد برنامج للشطرنج يطلق عليه بطل الأبطال .

وفى خلال السنوات القليلة الماضية ومع فكرة الذكاء الصناعى ظهرت كتابات كثيره تؤيد وتعارض ما إذا كان يمكن تصميم كمبيوتر او إعداد برنامج يفكر ويتعلم . وتنشأ المعارضة من نقص الفهم والمعرفة للعمليات المعقدة التى تتم بعقل الانسان لاداء وظائف التفكير والتعلم وعدم وجود علاقات محددة بين هاتين الوظيفتين واثر الوظائف الاخرى التى يقوم بها جسم الانسان وعقله على هاتين الوظيفتين أخذين فى الاعتبار انه حتى فى حالة مباراة الشطرنج فإن العامل النفسى قد يؤثر على اللاعب الآدمى بينما هذا العامل مستبعد تماما من برنامج الشطرنج .

إلى اين يقودنا البحث فى موضوع الذكاء الصناعى ؟ لا أحد يعرف ... ولكن فى الوقت الحالى يتفوق الانسان بدرجة كبيرة على الكمبيوتر فى الجزء الخاص بتعريف المشكلة واختيار الأساليب الملائمة لحلها وتحليل النتائج واستنتاج الحلول ولكن قد يمكن يوما عمل برامج جديدة وكمبيوتر له قرارات فائقة تمكنه من التفوق على الانسان . ولا شك ان هناك بعض العلماء الذين يعملون لبلوغ هذا الهدف .

وعلى اى حال ففى ضوء ما يمكن التنبو به يجب أن يستمر استخدام الكمبيوتر كوحدات للذكاء الصناعى على أن يربط بين القدرة الفائقة للعقل الانسانى فى الامور التى تتضمن عمليات خلق وحكم وحدس والقدرة الفائقة للكمبيوتر فى الأمور التى تتضمن سرعة العمليات ودقة فى الاداء .



الكمبيوتر.. واللغة العربية

بقلم : الدكتور على حلمى موسى

اهتم اللغويون واهل الفكر منذ قرون عديدة بجمع مواد اللغة وتدوينها فى معاجم .

والمعجم على ضخامته يقوم به فى العادة عالم واحد . وعلى الرغم من العبء الهائل الذى يقوم به واضع المعجم . فإن الأخطاء التى قد يقع فيها تكون فى العادة قليلة جدا بحيث إنها لاتقلل من القيمة الكبرى لتلك المعاجم .

ولولا جهد هؤلاء العمالقة امثال الخليل بن احمد والجوهرى وابن منظور وسيبويه وغيرهم ماوصل إلينا هذا التراث اللغوى الضخم .

وقد انطفأت جذوة الاهتمام باللغة العربية فترة من الزمن حتى قام مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وغيره من المجامع اللغوية فى الأقطار العربية المختلفة بجهود ممتازة فى هذا الشأن من الأشراف على جمع اللغة قديمها وحديثها وتحقيق التراث الخالد .

وقد بدأت دراسة اللغة العربية بالاستعانة بالكمبيوتر منذ عام ١٩٧٠ وتم التوصل إلى عدد من النتائج الهامة ، ومازال المجال مفتوحا لمزيد من التطبيقات الكومبيوترية فى مجالات متصلة باللغة العربية .

والعقل الالكترونى او الحاسب الالكترونى (الكومبيوتر) الذى هو سمة هذا العصر قد تطور واتسعت إمكانياته اتساعا كبيرا فى اعقاب الحرب العالمية الثانية حتى عم انتشاره فى مختلف دول العالم .

متقدمة ونامية . واسهم الكومبيوتر فى التقدم العلمى والتكنولوجى والتجارى للدول المختلفة ، واخيرا اصبح استخدام هذا الجهاز لاغنى عنه فى تصنيع ادوات الحرب وفى الطب والتعليم وغيرها من المجالات .

وقد استخدم الكومبيوتر في مضمار البحوث اللغوية الأوروبية وغيرها من اللغات ، وساعد على زيادة تفهمها واستجلاء الغامض منها .

وسنحاول في هذا المقال التعريف بدور الكومبيوتر في بحوث اللغة العربية

الاحصاءات اللغوية

تعتمد البحوث في اى فرع من الفروع - العلمية وغير العلمية - على تحديد المعطيات التي ينطلق على اساسها البحث . وعلى هذا فمن الواجب تحديد مراد اللغة العربية تحديدا كاملا . اى احصاء جميع كلمات اللغة العربية المدونة في المعاجم المختلفة .

وهذه العملية لايمكن ان تتم بالسرعة والدقة الكافية إلا بواسطة الكومبيوتر . ويمكن الاكتفاء باصول الكلمات (جذورها) . وعلى ذلك تكوين جداول إحصائية لحروف تلك الجذور نستطيع عن طريقها تحديد الحروف العربية التى تشترك اكثر من غيرها في نسيج الكلمة وهل يكثر ورود الحرف في أول الكلمة او في اخرها او في داخلها

ومن نفس المعطيات يمكننا عن طريق الكومبيوتر الحصول على جداول إحصائية لتتابع الحروف في الجذور واستنتاج القوانين التى تحكم التتابعات الممنوعة (وهى التى لم ترد في جميع جذور العربية) والتتابعات المسموح بها .

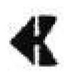
ونستطيع القول ان مثل هذه الاحصاءات قد تؤدي إلى الوصول الى نتائج هامة تحدد العلاقة بين الحروف المختلفة . وإمكانية تقسيم الحروف العربية الثمانية والعشرون إلى مجموعات تشترك كل منها في بعض الخصائص اللغوية .

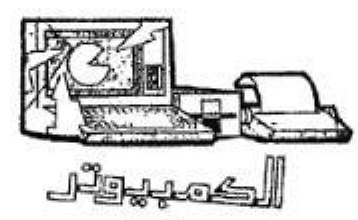
وقد تمت هذه الدراسات على جذور معجم الصحاح وجذور معجم لسان العرب وجذور معجم تاج العروس وظهرت من هذه الدراسات نتائج متعددة ، منها على سبيل المثال أن حرف الراء يشترك في تركيب اكبر عدد من الجذور العربية ، وأن هذا الحرف يفضل ان يسبقه حرف الفاء عن باقى الحروف ، كما يفضل ان يتبعه حرف الباء . وأن حرف اللام لايعقبه حرف الشين في جذور العربية ولايسبقه حرف النون ، وغير ذلك من الاستنتاجات .

وربما يثار السؤال التقليدي : ومافائدة هذه المعلومات ؟

والرد على ذلك ان هذه النتائج التى توصل اليها الكومبيوتر بطريقة علمية بالاضافة الى أنها معلومات جديدة نتعرف عليها لأول مرة ، فإنه بإمكاننا أن نضعها على صورة قوانين لبناء الكلمة العربية ، كما انها تقدم تفسيرا لبعض الظواهر اللغوية التى أوردها علماء اللغة الأقدمون بدون ان يقدموا الدليل عليها .

ومن جهة أخرى فقد أدت تلك الجداول الاحصائية اللغوية إلى توضيح غلبة القوافي التى تنتهي بأحرف الراء والميم والنون ، واصبحت هذه الجداول بمثابة " مسطرة اللغوي " على حد تعبير الأستاذ الدكتور/ إبراهيم انيس حين أوضح أن مشكلة القلب المكاني وهو تغيير ترتيب الحروف في الكلمة الواحـ





الكمبيوتر واللغة العربية

مثل يبس التى قلبت إلى " ايس " وكلمة " جذب " التى تحولت إلى " جبذ " وهذه المشكلة قد وجد لها التفسير الواضح من خلال الجداول اللغوية .

البحوث الأدبية

لعله لايخطر ببال الأديب ان يكون إنتاجه الأدبى موضع دراسة على الكومبيوتر ، ولكن الامكانات الهائلة لهذا الجهاز تجعل من اليسير تحليل أعمال الأديب واستنتاج الألفاظ التى يتميز بها أسلوبه فى التعبير عن أفكاره ومتوسط طول الجملة واستخدام المعانى المتضادة إلى غير ذلك من الخصائص .

ومن الطبيعى أن النقاد يقومون بتحليل أعمال الأدباء خير قيام ولكن ذلك قد يأخذ من الناقد وقتا كبيرا ، كما انه فى خلال رحلة البحث عن المآخذ يفقد متعة القراءة . فإذا علمنا أن الكومبيوتر يمكنه قراءة جميع أعمال الأديب ـ مهما كثرت ـ فى زمن يعد بالدقائق ، وان نتائج التحليل تظهر مطبوعة بعد دقائق أخرى . لتأكدنا أن هذا الجهاز هو خير معين للنقاد ، ولولا تميز الانسان بقدرة التذوق الفنى والاحساس بالنواحى الجمالية لكدنا ان نلقب الكومبيوتر بالناقد الآلى .

ومن القضايا الهامة التى يمكن لهذا الجهاز ان يقوم بحسمها قضية الأدب الجاهلى ولأى العصور ينتمى ؟

الترجمة الآلية

الترجمة الآلية هى الترجمة من لغة إلى أخرى عن طريق الكومبيوتر ، وتتم هذه الترجمة بعد إدخال قاموس لغوى للغتين المراد الترجمة من إحداهما للأخرى إلى ذاكرة الكومبيوتر . وتعد هذه المرحلة من أيسر المراحل، أما المرحلة الدقيقة والتى تتطلب حجما كبيرا من العمل فهى مرحلة التحليل اللغوى للجملة بحيث يمكن تحديد الأسماء والأفعال والحروف وكذلك صيغ كل منها وإعرابها ثم تشكيلها .

وبالنسبة للغة العربية فلم تتم هذه المرحلة بعد ، ولكنها تمت بالنسبة للغات أخرى مثل الانجليزية والفرنسية . ويوم تنتهى مرحلة إعداد اللغة العربية للترجمة الآلية ، سيكون من السهل ترجمة أمهات الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية ولكن يجب أن نعلم أن كفاءة الترجمة بهذه الوسيلة لن تزيد فى أول الأمر عن ٨٠ ٪ من الترجمة الدقيقة التى يقوم بها المحترفون .

تعريب الحاسبات

مع انتشار الكومبيوتر فى الدول العربية فى السنين الأخيرة ، ظهرت الحاجة إلى تعريب الكومبيوتر ، اى جعله فى متناول المستخدم العربى ليقوم بالتعامل معه باللغة العربية مستخدما رموزا عربية وتظهر له نتائج باللغة العربية ايضا بالاضافة إلى جعل البرامج التى تؤهلنا لاستخدامه عربية ١٠٠ ٪ وتتلخص



مشاكل تعريب الكومبيوتر فى نقاط نورد اهمها فيما يلى :

١ ـ وضع نظام لوحة مفاتيح عربية

٢ ـ وضع نظام كود للحروف العربية على الكومبيوتر .

٣ ـ وضع نظام برمجى باللغة العربية

وترتبط هذه الأمور الثلاثة بعضها ببعض وتؤثر فيما بينها ، ويعتمد نظام التعريب على مايلى :

أ ـ شكل الحروف العربية وعلاقتها بوضعها فى الكلمة .

ب ـ العلاقة بين لوحة مفاتيح الكومبيوتر ولوحة مفاتيح الآلة الكاتبة

ج ـ توحيد نظام كود الحروف العربية (وهذا لم يتم حتى هذه اللحظة) لتيسير تشغيل البرامج على الأجهزة المختلفة

د ـ التواؤم بين الكود العربى والأكواد العالمية .

هـ ـ تمثيل جميع أشكال الحروف العالمية .

ولاشك أن التوصل إلى نظام موحد للوحة المفاتيح ونظام موحد لكود الحروف العربية سوف يفتح الطريق امام واضعى نظم البرمجة العربية . والتى لاتشترط توحيد بل إن تعددها يفيد المستخدم العربى فى مختلف الأنشطة .

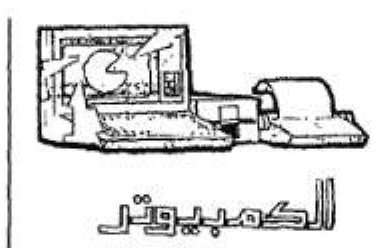
بنوك المعلومات العربية

بنوك المعلومات العربية هى عبارة عن مخازن للانتاج الفكرى يتم تصنيفها على أساس نظم المكتبات الحديثة وتحفظ داخل ذاكرة الكومبيوتر لامكان استرجاعها بواسطة الراغبين فى الاطلاع على الانتاج الفكرى فى مختلف الموضوعات .

وبعض هذه البنوك يتعامل مع الانتاج فى أحد فروع المعرفة وتسمى بنوك معلومات متخصصة ، والبعض الآخر من النوع الشامل الذى يحتفظ بالانتاج فى مختلف فروع المعرفة ويعتبر بذلك مثل المكتبات العامة .

وقد تتم فى مصر برامج للاتصال ببنوك المعلومات فى الخارج بحيث تكون مقتنيات تلك البنوك فى متناول الدارسين والبحاث المصريين ، ويتم استرجاع المادة العلمية المطلوبة فى وقت قصير .

وجميع البنوك التى يمكن الاتصال بها



الكمبيوتر

واللغة العربية

من مصر عن طريق الاقمار الصناعية تحتفظ بالانتاج الفكرى باللغات الاجنبية مثل الانجليزية والفرنسية . وقد تم وضع انظمة للاتصال والاستفسار تعتمد على تلك اللغات الأجنبية .

ومع تطور الانتاج الفكرى المصرى باللغة العربية وزيادة الكتب والمجلات العلمية المتخصصة عن دور النشر المصرية والعربية سوف يأتى اليوم الذى نحتاج فيه إلى بنك معلومات عربى يتم استخدامه بواسطة الدارسين فى مختلف محافظات الجمهورية بالاضافة إلى المستخدمين العرب عن طريق الأقمار الصناعية ومنها القمر الصناعى العربى الأول .

إن إنشا البنك العربى للمعلومات يعتمد أساسا على تقدم البحوث فى مجال تعريب الحاسبات .

والفاظ القران الكريم

نتيه فخرا نحن العرب ـ بان لغتنا العربية هى لغة القرآن . وينظر لنا المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها بغبطة لأننا نقرا القرآن ونفهمه ونتعمقه بسهولة ويسر . على حين يجد باقى المسلمين فى العالم مشقة زائدة فى التعبد بقراءة القران واستيعابه .

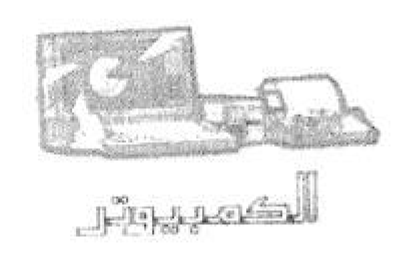
فهل فكرنا يوما فى موقع الفاظ القران من اللغة العربية وما هى الفاظ اللغة العربية التى وردت فى القران الكريم ؟ وماهى الالفاظ العربية التى ترد بالقران الكريم ؟ وأى الالفاظ قد ورد بكثرة ؟ وايها ورد بقلة ؟ إلى اخر هذه الاسئلة التى تحتاج الاجابة عليها إلى إجراء إحصاءات دقيقة لالفاظ القران وهذه بالتالى تحتاج إلى كومبيوتر .

وقد تمت هذه الدراسة وظهر منها ان الفاظ القرآن من الأسماء والأفعال عددها ٥١٩٠٠ وأكثرها ورودا لفظ الجلالة " الله " الذى ورد ٢٦٩٩ مرة ويلى ذلك ورود الفعلين " قال وكان " فأولها ورد ١٧٢٢ مرة والثانى ورد ١٣٨٧ مرة . اما " رب " فقد ورد ٩٧٩ مرة ، ثم يليه الجذر " امن " الذى ورد هو ومشتقاته ٨٧٩ مرة وبعد ذلك الجذر " علم " الذى ورد ٨٥٤ مرة .

كما اظهرت الدراسة ان الجذور الثلاثية الواردة فى القران الكريم عددها ١٦٢٤ جذرا ثلاثيا ورد كل منها عددا من المرات بحيث كان مجموع ورودها ٥١١٠٤ وباقى الالفاظ وعددها ٧٩٦ لفظا إما أن تكون مشتقة من جذر غير ثلاثى أو من اسماء الاعلام .

وقد قام الكومبيوتر بحساب معدل طول الآيات فى كل سورة من سور القرآن وقد ظهر أن سورة الطلاق لها أطول آيات فى القرآن تليها سورة الممتحنة ثم المائدة .


شهادات استثمار
البنك الأهلى المصرى
تصدر فى ثلاث مجموعات
تناسب جميع الرغبات
المجموعة
أ
ذات القيمة المتزايدة
تزيد أموالك بواقع
٣٦٥ ٪ صافى
بعد عشر سنوات
المجموعة
ب
ذات العائد الجارى
تعطيك عائداً صافياً
قدره ١٣ ٪ سنوياً
يصرف العائد كل ستة شهور
المجموعة
ج
ذات الجوائز
سحب دورى ٦ مرات شهرياً
جائزة أولى ٢٠٠٠٠ جنيه صافى
سحب مميز كل شهرين
جائزة أولى ٣٠٠٠٠ جنيه صافى
سحبى ١٥ مايو، وأول يناير من كل عام
جائزة أولى ٥٠٠٠٠ جنيه صافى



الحاسبات الاليكترونيّة فى الطبّ

بقلم: د . محمود محفوظ

دخلت الحاسبات الاليكترونية فى حياتنا خلال السنوات الأخيرة بصورة اصبحت تتغلغل فى شتى المجالات لدرجة يصعب تصور أن العصر الحديث يعيش بدونها .. وقد لايعرف الكثيرون أن فكرة هذه الحاسبات قد نشأت من فكرة المسبحة وأساسها هو اكتشاف العرب لنظام الحساب العشرى ، بمعنى تقسيم الصفر إلى تسعة . ثم مشتقات هذا التقسيم . أما الصينيون فقد قدموا فكرة جهاز أقرب مايكون إلى الحاسبات الاليكترونية مثل لعبة البلح التى كنا نلعبها ونحن صغار .

وليس هناك أى مجال للشك أن علوم الطب قد وجدت مجالا للاستفادة من هذه الأجهزة العصرية . فمن المعروف أن هذه الحاسبات قد استخدمت فى التشخيص والعلاج بالخارج عقب الحرب العالمية الثانية . أى بالتحديد فى عام ١٩٤٦ . ومن المعروف ان الحرب قد أفادت العلم ـ وهذه وجهة النظر قد لاتبدو غريبة ـ فى اكتشاف منجزات عديدة منها هذه الحاسبات التى دعت إليها الحرب وخاصة مجال الطب لتشخيص حالات علاج المصابين فى هذه الحرب .

ومن الصعب تحديد تاريخ دخول الحاسبات بصفة عامة داخل مصر . فإذا قلنا أن الآلة الحاسبة هى أحد انواع هذه الحاسبات ، فيمكن القول انها قد عرفت فى مصر إبان الحرب الثانية . أما الحاسبات بصورتها الحالية فقد دخلت البلاد فى نهاية الخمسينات وبداية الستينات . وإنصافا للحق فإن الدكتور أحمد عبادة سرحان قد تولى رئاسة اول معهد من معاهد جامعة القاهرة للاحصاء والحاسبات الآلية . وهو اول من انشأ هذا المعهد ليس فى مصر وحدها بل فى البلاد العربية مما اعطى لمصر مكانة علمية وعملية فى التدريب ، لم تكن ان تعطى مثل هذا العطاء دون وجود هذا المعهد . ومنذ الوهلة الأولى فكر المتخصصون فى الاستفادة من هذه الأجهزة فى الأشعة سواء كانت أشعة تشخيصية أو علاجية .



وقد تم انشاء لجنة مشتركة من هذا المعهد التابع لكلية طب جامعة القاهرة . وقسم الاشعة بكلية الطب ، تكون مهمتها إستخدام الحاسبات فى التشخيص والعلاج بالاشعة ، واستمر عمل هذه اللجنة عشر سنوات قامت خلالها بوضع برامج تدريبية واخرى للاستخدام التى كان هدفها ادخال هذه الحاسبات فى العلاج الاشعاعى وفى حساب الجرعات للمريض . ونسبة الجرعات المنبثقة من الاجهزة وتوزيعها فى جسم المريض توزيعا يتلاءم مع حالته المرضية .

اما بالنسبة للاستخدام الثانى فهو بالغ الاهمية . خاصة عندما يتزايد عدد المرضى . فعندما يكون هناك حوالى الفى مريض فى مركز العلاج كل عام يعنى ان يبلغ عدد الزوار ثلاثين الف زائر . فمعنى هذا أنه يوجد الاف المرضى . ومطلوب من الطبيب المعالج أن يزود معلومات الزوار فى كل زيارة . وهذه العملية تتم بواسطة الحاسبات وتسهل عملية اتخاذ القرار بشأن حال المريض .

البندقية لاتصطاد بطا

وتنحصر فكرة الحاسب الاليكترونى فى مجال الطب بصفة عامة فى اتخاذ انسب القرارات لحالة المريض . فلايمكن للحاسب ان يتخذ القرار بالطبع . ولكنه يعطى الطبيب مجموعة من المعلومات تساعد الطبيب إن يأخذ القرار المناسب فى الوقت المناسب كأن نقول ان البندقية لاتصطاد البط . ولكن يلزم وجود صائد يصوب البندقية ويطلق الرصاص وهكذا فان الحاسب الآلى اشبه بالبندقية



د . محمود محفوظ

عندما يود الطبيب ان يتخذ قرارا . فالحاسب الآلى لايمكنه العلاج بالطبع . لانه يتعامل مع المعلومة بالأرقام وليس بالأحاسيس . فالحاسب مثلا يمكنه التفرقة بين إنسان ابيض وآخر اسود لكنه لايمكنه التفرقة بين إنسان طيب وآخر شرير . اذن فمهارة الطبيب فضلا عن المعلومة الصحيحة المأخوذة من الحاسب الآلى يمكنهما معا تحديد حالة المريض .

ويجب ألا ننسى انه لاأثر على الاطلاق للاجهزة الاليكترونية على مهارة الطبيب ، فالطبيب هو الذى يضع السماعة ويسمع نبضات القلب . اما الحاسب فهو لايعطيك اى معلومة إلا إذا مددته بها . فالكومبيوتر يعطى زيادة الكفاءة وليست المهارة . فالكفاءة تتمثل فى أن يستطيع الطبيب أن يصدر قرارات عديدة صائبة فى وقت واحد اما المهارة فتتمثل فى استخدام الطبيب





الحاسبات الاليكترونية فى الطب

الجيد لأدواته وطرق العلاج التي يقوم بها .

اتخاذ القرار

لكن هل اقتصر استخدام الحاسبات الاليكترونية على مجال الأشعة . بالطبع لا . فهو يستخدم الآن فى العديد من الأغراض . مثل علاج أمراض القلب ، وجهاز الدورة الدموية ، وحالات التسمم . ففى هذه الأخيرة بدلا من قراءة الكتاب الخاص باستخدام الترياق المناسب للسم فإن الحاسب الآلى يعطيك المعلومة سريعا . فإذا كان هناك طبيب فى أسوان مثلا ومن خلال الاتصال الهاتفى بجهة بها حاسب مزود بهذه المعلومة أن يستخدم على سبيل السرعة الترياق المناسب .

كما أن الحاسب الآلى يقوم بما يمكن تسميته « الاقتصاد الوظيفى » فعندما يريد شخص خلع ضرسه مثلا أو إجراء عملية يمكن للحاسب استخدام التكلفة الاقتصادية . وكذلك فى بحوث تحاليل المواد العضوية والعناصر المختلفة الموجودة فى الجسم الطبيعى . والتى قد تتغير أثناء بعض الأمراض . واستخدام الادوية فى عمليات تشخيص بعض الأمراض . وعندما يدخل الحاسب الآلى على الجهاز الطبى فإنه يزيد من كفاءته . لأنه يخزن المعلومات ويحللها ثم يعيدها بسرعة . ولذا فإن الكثير من الأجهزة الطبية والعلمية الجديدة مزودة بوحدة حاسب الكترونى .

ولأن الطب متقدم فى بلادنا . فقد اهتمت الأجهزة العلاجية فى الدولة بإدخال الحاسب الاليكترونى فى هذه الأجهزة . فعدد المرضى يزداد يوما بعد يوم . ولأن التشخيص خاضع بالدرجة الأولى للنظريات الاقتصادية . فإذا أردنا علاجا سريعا ذا كفاءة عالية ورخيصة فإن هناك ثلاثة عوامل تتدخل فى تحديد الكفاءة : المهارة ـ المعلومة ـ القرار السليم .

السونار ومعرفة الجنين !

من هذه الأجهزة السونار الذى يكشف نوع الجنين . ومن المعروف أن الأشعة السينية ذات حدين . نفعها يماثل ضررها . فليس من الممكن أن تجرى عملية كشف جنين لكل سيدة حامل . وهذه العملية تجرى فى حالة واحدة فقط وهى احتمال أن يكون رأس الجنين أكبر من حوض السيدة الحامل . ويمكن إجراء هذا من خلال الفحص الاكلينيكى أيضا . وعلى طبيب أمراض النساء وحده عمل الأشعة . حيث يعرف أن استخدامها سلاح ذو حدين ولايستعمل الا فى الضرورة القصوى . وهناك قول مأثور لدى الأطباء « عليك أن تستخدم مالا يضر فى استخدامه على مايضره » وقبل أن يخترع السونار كان هذا الأمر ينطبق على

استعمال الاشعة . إلا ان السونار قد سهل هذه العملية

وليس علينا أن نحمل الحاسبات الاليكترونية طاقة لاتتوفر فيها . مثلا الكشف الدورى لايمكن ان يتم من خلال الحاسبات لسبب بسيط هو ارتفاع التكلفة أما الحاسبات فهى لاتستخدم إلا فى حل المشاكل التى لايمكن للفحص الاشعاعى التقليدى حلها . فالطبيب بمكنه تشخيص ٩٠ ٪ من أمراض الصدر بفيلم اشعة . ١٠ ٪ منها يحتاج إلى فحوص معقدة . وهذه النسبة تحتاج إلى حاسب الى يسهل كثيرا هذه الفحوص .

الوقاية خير من الحاسب الآلى

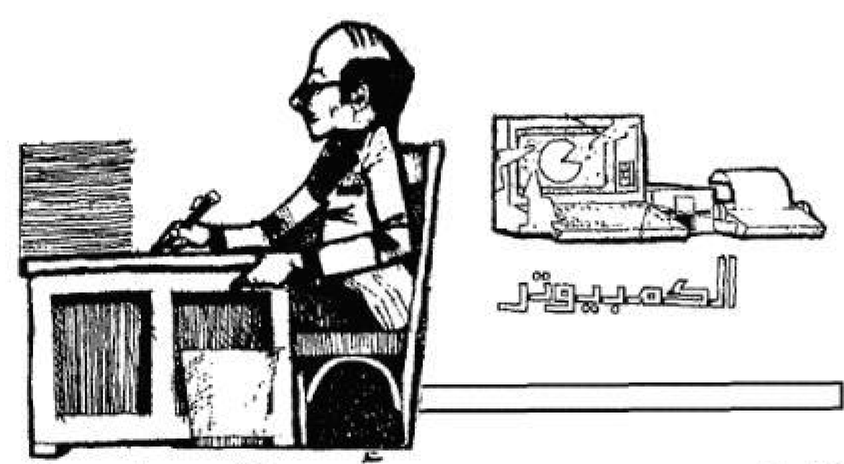
ومع التقدم العلمى من حولنا وتطور اجهزة الحاسبات الآلية علينا ان نطرح سؤالا . هل يمكن أن تدخل الحاسبات فى كل الاقسام بالمستشفيات يمكن . لكن هذا يكلف ارقاما فلكية . وهو لايمكن ان يقلل من حدوث الامراض ولايزيد من نسبة الشفاء . لأن فلسفة الصحة هو ان تمنع حدوث المرض . فلا نترك الأمراض تفتك بالبشر واننذاك نتقدم لعلاجهم باحدث الوسائل . وهذا امر غير مقبول اقتصاديا واجتماعيا فلا يمكن ان نترك الامراض تستفحل على امل علاجها بالحاسب الآلى فالوقاية ستبقى ابدا خير من العلاج وعليه ان يتوفر للمواطن . هواء نقى ، ماء نقى ، ماكولات نقية ، تصرفات عادات صحية سليمة ... الخ ..

ففى المجتمع الامريكى مثلا توجد مستشفى فى كل قرية ، وفى كل مدينة اكثر من مستشفى . والمبدأ العام الوقاية خير من العلاج مما خلق مشكلة . ان المستشفيات كثيرة . والمرضى قليلون . واصبح الكثيرون ممن هم فوق الخمسين يتمتعون بصحة جيدة ولاتوجد نسبةوفاة عند الأطفال . أما الامراض الثلاثة المتواجدة عندهم فهى حوادث الطرق والسيارات وأمراض القلب والشيخوخة .

وهذا الامر يعطى مؤشرا انه إذا اتيحت الأمكانات فانه يكون مستقبل الحاسب الآلى فى الطب فى مصر مفتوحا بلا حدود .. لكن التكلفة الاقتصادية تقف عائقا كبيرا .

الامتحان على الشاشة !

كما أن هناك عاملا هاما للغاية فى ادخال الحاسبات الالكترونية فى الجامعات خاصة فى كلية الطب . فمع تزايد عدد الطلبة يشعر المحاضر بأن ملكة الابداع فى أسوأ حال لديه . ويمكن للحاسب الآلى ان يسهل هذا فى عملية التدريب بصفة خاصة . كأن يطرح المحاضر سؤالا وطريقة إجابته ثم عشرين سؤالا طبيا مثلما يحدث فى الامتحانات الشفهية .. ثم يجلس الطالب امام الحاسب الآلى حيث يقرأ السؤال الأول فان الحاسب الآلى يقوم بتقويم ردوده الصحيحة أو الخاطئة ويرد عليه مباشرة .. ومن هنا يمكن ان تلعب مثل هذه الحاسبات دورها الهام فى تحديد المناهج وتخطيط العملية التعليمية واختيار أنسب الوسائل للاستفادة لدى الطالب



الكمبيوتر.. مديراً أعمال مكتبك

بقلم : مقبل حسين فياض

● مع التوسع المستمر فى استخدامات الحاسب الآلى فى المجالات المختلفة للعمل ، ومع التطور فى نظم الأعمال المكتبية ، ظهرت الحاجة إلى استخدام الحاسبات الآلية فى هذه النظم المكتبية .

وقد جرت محاولات عديدة فى الماضى لميكنة بعض الأعمال المكتبية ولكنها لم تتعد ميكنة لبعض النظم المنفصلة مثل ، معالجة الكلمات او نظم لارسال رسائل بسيطة إلى مستخدمى الحاسب الآلى من خلال الشاشات المرئية .. وقد ظهر حاليا فى الأسواق العالمية نظم متكاملة لادارة الأعمال المكتبية بواسطة الحاسب الآلى وتضم هذه النظم كافة الأعمال اللازمة لادارة سليمة للوحدات الادارية والانتاجية . ويقوم نظام ميكنة الأعمال المكتبية على أساس وضع حاسب آلى او حاسبات آلية فى موقع العمل وكذلك وضع مجموعة شاشات مرئية او وحدات طباعة متصلة بالحاسب فى المكاتب المختلفة ، ذلك باستخدام نفس الموظفين القائمين بالعمل اليدوى فى تطبيق النظم التى تمت ميكنتها وقد اتجهت الدراسات والبحوث فى مجال ميكنة الاعمال المكتبية إلى دراسة النظم اليدوية المطبقة حاليا وبالمصطلحات المتعارف عليها والقيام بتطبيقها على الحاسب الآلى ، بحيث لايشعر الفرد الذى يتعامل مع النظام اليدوى بفرق جوهرى فى طريقة الاستخدام بين النظام اليدوى والنظام الآلى ، ويؤدى ذلك إلى سهولة نقل العمل من النظام اليدوى إلى النظام الآلى . وبدون الحاجة إلى دورات تدريبية معقدة لتدريب العاملين على النظم الآلية . فعلى سبيل المثال فإن المصطلحات المطبقة فى النظم اليدوية مثل ملف ، ومستند ، درج حفظ الملف وكابينة حفظ الملفات قد تم استخدامها فى النظم المميكنة وذلك بدون الحاجة إلى وجود هذه الوجدات فعليا حيث إن حفظ البيانات يتم فى هذه النظم على اسطوانات ممغنطة ولاترى البيانات بالعين المجردة ولكن يمكن استرجاعها

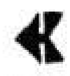
على شاشة مرئية لقراءتها او طباعتها على الة طباعة للاحتفاظ بنسخة منها . يؤدى هذا كما سبق ان ذكرت إلى سهولة إستخدام الموظفين الحاليين وبشيء بسيط من التدريب إلى القيام بالأعمال المكتبية بعد ميكنتها ، أى ان الاعمال المكتبية المميكنة لاتحتاج إلى خبرات خاصة للقيام بها .

وإذا نظرنا إلى نوعية الأعمال المكتبية التى تم نقلها على الحاسب الآلى فإنه يمكن استعراض بعض منها وشرح مبسط لخصائص هذه النظم .

نظام معالجة الكلمات WORD PROCESSING

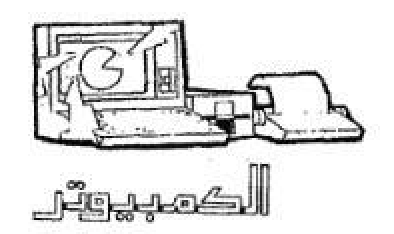
الغرض الأساسى من هذا النظام هو كتابة الخطابات والدوريات وغيره من المواد المكتوبة باستخدام الحاسب الآلى بدلا من الآلات الكاتبة التقليدية سواء باللغة العربية او اى لغة أخرى ، بل ويمكن الخلط بين أكثر من لغة على نفس السطر . وفى نظام معالجة الكلمات فإن مستخدم النظام يقوم بكتابة ما يريد من خلال لوحة إدخال البيانات الخاصة بالشاشات المرئية للحاسب الآلى حيث يقوم الحاسب بتسجيلها على اسطوانات ممغنطة بينما تظهر البيانات التى تم تسجيلها على الشاشة بغرض المراجعة ، وبعد الانتهاء من التسجيل يمكن طباعة ما تم تسجيله على ورق عادى باستخدام الة الطباعة الخاصة بالحاسب الآلى . ويتم حفظ البيان بعد ذلك على الاسطوانة الممغنطة تحت اسم خاص حتى يمكن استرجاعها فى اى وقت كما يتيح هذا النظام إمكانية طباعة البيانات اوالخطابات باكثر من طريقة مثل ترك مسافة بين كل سطرين أو ضبط حدود الطباعة على الورقة من اليمين واليسار ، كما يمكن إضافة اى كلمات او جمل جديدة للبيانات المسجلة دون الحاجة إلى إعادة تسجيل البيانات مرة أخرى . وهناك برامج مساعدة لنظام معالجة الكلمات مثل نظام تصحيح WORD SPELLER وذلك لمراجعة صحة حروف الكلمات وتنبيه مستخدم النظام إلى وجود خطأ فى حروف الكلمة حتى يمكن تصحيحها .

٢ ـ نظام حفظ المستندات



اجهزة معالجة النصوص





مدير أعمال مكتبك
الكترونيا
ELÉCTRONIC FILING

يعتبر هذا النظام من اهم التطبيقات فى ميكنة الأعمال المكتبية ، حيث يقوم النظام بحفظ البيانات الكترونيا وذلك بتسجيل بيانات أية ورقة يريد المستخدم حفظها على اسطوانات ممغنطة ، ويتم حفظها بنفس الطريقة اليدوية المتبعة فى حفظ الاوراق حاليا ، ويقوم هذا النظام على اساس تقسيم أماكن حفظ الاوراق كما يلى :ـ

ا ـ كابينة الحفظ FILe cabinet

ب ـ درج الحفظ داخل الكابينة File Brawer

ج ـ ملف الحفظ داخل الدرج File Folder

ويتم هذا التقسيم نظريا حيث هذه الوحدات لا توجد فعليا ، ولكن النظام يقوم بحفظ المستندات كما لو كانت داخل هذه الوحدات ، ثم يقوم النظام بحفظ المستند داخل اى ملف بتصنيفها طبقا لما يلى

أ ـ تاريخ المستند

ب ـ رقم المستند

ج ـ اسم صاحب المستند

د ـ موضوع المستند

ويمكن لمستخدم النظام إضافة أو الغاء او استرجاع اى مستند عن طريق تحديد كابينة الحفظ ودرج الحفظ وملف الحفظ وكذلك تاريخ ورقم المستند ، وفى الحال يتم عرض المستند على شاشة الحاسب الآلى . ويمكن الحصول على نسخة من المستند باستخدام آلة الطباعة

ويتيح النظام ايضا إمكانية الاستعلام عن جميع الموضوعات التى تم حفظها فى تاريخ معين او جميع المستندات التى تم حفظها عن موضوع معين فى تاريخ معين محدد أو فترة زمنية محدودة ، وذلك عن طريق تحديد التاريخ أو الفترة الزمنية والموضوع وإدخاله إلى الحاسب الآلى الذى يتولى البحث داخل الملفات للحصول على المطلوب وعرضه على الشاشة .

وجدير بالذكر انه توجد نظم عديدة لسرية البيانات وذلك من حيث الحفظ أو الالغاء أو الاستعلام عن البيانات ، بحيث يمكن تحديد الاشخاص المسموح لهم باستخدام كابينة معينة مثلا ، أو درج معين أو موضوع معين .. وهكذا ويتم ذلك عن طريق تحديد ارقام لمستخدمى النظام وكذلك كلمة سر للتعامل مع النظام . بحيث يقوم الحاسب عند طلب اى بيان محفوظ بالبحث فى ذاكرته عما إذا كان طالب البيان له الحق فى الحصول عليه من عدمه .

نظام الرسائل الالكترونية
ELECTRONIC MAIL

يمكن لأى من مستخدمى هذا النظام ان يقوم بإرسال دوريات أو أوامر إدارية او منشورات وخلافه الى جميع او بعض الموظفين وذلك عن طريق كتابة الرسالة ـ من خلال لوحة إدخال البيانات الخاصة بالحاسب الآلى ، حيث يتم عرضها على

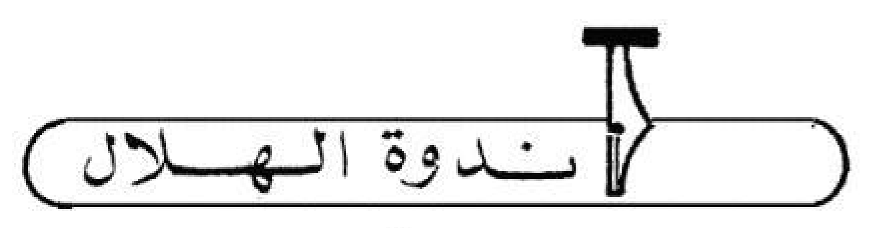
الشاشة لمراجعتها ثم يطلب إرسالها إلى جميع أو بعض مستخدمي النظام وفي هذه الحالة يقوم الحاسب عن طريق الشاشات المرئية بتنبيه المرسل إليهم أن هناك رسائل مرسلة لهم ، وفي هذه الحالة يمكن للمرسل ان يقوم بالاطلاع على الرسالة فورا عن طريق عرضها على الشاشة او تأجيلها حتى يتم إنجاز العمل الذي يقوم به . وفي هذه الحالة يقوم الحاسب بتخزين الرسالة لحين طلبها . كما يمكن لمستخدمي النظام حفظ هذه الرسائل لاسترجاعها فيما بعد أو وضعها في سلة مهملات الكترونية **WASTE basket** . بحيث يمكن التخلص منها في نهاية اليوم اومراجعة محتوياتها لمعرفة ما إذا كانت إحدى الرسائل قد وضعت في سلة المهملات الالكترونية بطريق الخطأ ، وذلك لاعادة حفظها من جديد ويستطيع اى من المرسل إليهم الرد على مرسل الرسالة ، والاحتفاظ بالرد للرجوع إليه عند الحاجة وفي جميع الحالات فإن الحاسب الآلي يقوم لحفظ بسجل يومي للرسائل الواردة والصادرة لكل مستخدم على حدة تمهيدا لحفظه في ملفات خاصة ، يمكن استرجاعها فيما بعد . وواضح ان هذا النظام يغني عن النظم اليدوية الحالية والتي تستهلك وقتا كبيرا في كتابة وإرسال وحفظ الدوريات والأوامر الادارية والنشورات وخلافه

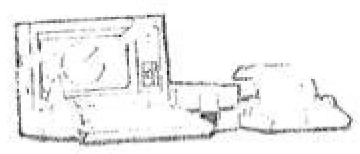
نظـام قـوائـم المراسلات

MAILING LIST SYSTEM

يقوم هذا النظام بخدمة الشركات أو الوحدات الانتاجية التي تتعامل مع قائمة كبيرة من العملاء ، وذلك بالاحتفاظ بقائمة المراسلات والتي تحتوي على اسماء وعناوين وأرقام تليفونات العملاء الذين يتم التعامل معهم وذلك بغرض إرسال دوريات لهم أو طلبات تحصيل مالية أو غيرها من المراسلات . ففي حالة الحاجة إلى إرسال اى منشور إلى جميع العملاء او بعض العملاء طبقا لتخصص معين مثلا ، فإن الحاسب الآلي يقوم باستخراج قوائم هؤلاء العملاء واستخراج البيانات الخاصة بهم مثل الاسم والعنوان وخلافه ، وكذلك يقوم بطبع هذه العناوين على أظرف بريدية تمهيدا لارسالها لهم

وجدير بالذكر فإنه بخلاف النظم الاربعة التي تم استعراضها فيما سبق فإن هناك نظاما اخرى كثيرة من نظم ميكنة الأعمال المكتبية مثل نظام تصميم وإصدار الاستمارات FORMS RUICDER AND PRODUCTION والذي يمكن عن طريقه تصميم اي استمارة على شاشة الحاسب الآلي ثم إصدارها او إرسالها إلكترونيا لمستخدمي النظام . وهناك ايضا نظام إرسال واستقبال رسائل التلكس من على شاشة الحاسب الآلي وذلك بتركيب جهاز التلكس على الحاسب الآلي عبر خط تليفوني ، حيث يقوم الحاسب بإرسال التلكسات إلى مختلف الجهات طبقا لرقم التلكس المسجل في الحاسب . كما انه يقوم باستقبال التلكسات المختلفة الواردة وتوزيعها إلى من يهمه الأمر من مستخدمي النظام وذلك عن طريق شاشات الحاسب .





مستقبل الكمبيوتر فى مصر

●● ونحن على مشارف عصر المعلومات ، الذى تلعب فيه العقول الالكترونية دوراً رئيسيا .. دعت مجلة الهلال نخبة من الخبراء والعاملين فى الحاسبات الآلية فى مصر ، وطرحت قضية مستقبل الحاسب الآلى فى مصر ، وتحاور الخبراء من واقع ممارستهم الفعلية وخبرتهم الطويلة مع الحاسب الآلى ..

وقدموا حقائق مذهلة ، فقد أجمعوا على غياب الخطة الشاملة للاستفادة من هذا الانجاز العلمى الضخم ، وعلى غياب الاطار التنظيمى الذى ينسق بين الجهات الحكومية وغير الحكومية التى تتعامل مع العقول الالكترونية ، وأكدوا ان النظام التعليمى الحالى عاجز عن إعداد العمالة المؤهلة للعمل فى الكمبيوتر ..

وأن الكمبيوتر الذى يستخدم فى العالم كله من أجل تقديم البدائل المرتكزة على الحقائق والمعلومات ، واتخاذ القرارات الصحيحة ، يقتصر دوره فى مصر على الحاسبات والمخازن والمبيعات والتى يمكن ان يؤديها جيوش العاملين المتوفرين فى الأداة الحكومية ●●



■ كيف ندخل عصر الكمبيوتر؟
■ لماذا هاجرت أول مجموعة مدربة على أول حاسب آلي؟!

المشتركون في الندوة

● الدكتور مختار هلوده رئيس الجهاز المركزي للتعبئة والاحصاء .

● الدكتور احمد كمال عميد كلية الهندسة ومدير مركز الحساب العلمي في جامعة القاهرة

● الدكتور على فهمي الأستاذ بكلية الهندسة - جامعة القاهرة

● الدكتور فتحي صالح الأستاذ بكلية الهندسة - جامعة القاهرة

● الدكتور بهاء حلمي مدير عام الحاسب الآلي ببنك مصر .

● الدكتور انس نور مدير مركز البحوث - جامعة عين شمس .

● سامي فياض مدير شركة انفوتيك .

● الدكتور سراج محمد مدير مشروع بشركة مصر الطيران .

● أسامة الغمراوى مدير الحاسب الآلي بالبنك الوطني .

● مجد الدين إدريس مدير شركة خدمات الادارة والمعلومات .



● مايسة مختار خبيرة الحاسب الآلى بشركة بتروجيت .

● سالم البدوى مدير شركة بلسم .

الهلال : يسعد مجلة الهلال أن ترحب بهذه النخبة من خبراء الكمبيوتر التى تعمل من أجل ازدهار وتنمية الحاسبات الآلية فى مصر الحاضر والمستقبل وتؤمن الهلال بضرورة الارتباط بين تقنيات العصر والقارىء ، فمجلة « الهلال » تطمح أن تكون هى المرآة التى يرى خلالها القارىء ملامح العصر .. والنافذة التى يطل منها الباحثون والمفكرون على المستقبل ..

د . بهاء حلمى : يسعدنا نحن رجال الحاسبات الآلية أن نجتمع من خلال مجلة الهلال لنتناقش حول مشاكل الحاسبات فى مصر واستخدامها وذلك فى محاولة لكشف الواقع من هذه التقنيات التى تحتاجها مصر الآن أكثر من أى وقت مضى .. ويسعدنا أن نبدأ بالاستماع إلى الدكتور مختار هلوده رئيس الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء .

الدكتور مختار هلوده : تعتبر مشاكل إدخال الكمبيوتر إلى مصر ، مشاكل جديدة نوعاً ما على مجتمعنا ، ومن أبرز هذه المشاكل ، أننا توقفنا عند المرحلة التى يعمل فيها المبرمج وحده ، وعلينا أن ننتقل من هذا العصر إلى عصر يسيطر فيه "فريق عمل" .

والسؤال الذى يفرض نفسه : هل نحن مقتنعون أن الحاسب الآلى سوف يساعدنا على رفع كفاءة الأداء وعلى عمليات التطوير الشاملة التى تشهدها البلاد ، فقد دخل الكمبيوتر فى الدول المتقدمة على نظام متكامل يعمل بدقة ويحتاج للاسراع فى درجة تقدمه ، اما الحاسب الآلى فى الدول النامية فهو أداة لاعادة تنظيم الأوضاع القائمة ثم رفع كفاءتها ، فمثلا ليس لدينا أرشيف منظم ولاتوجد مكتبات لها هيكل تنظيمى كامل ، وليس لدينا أجهزة بحث متكاملة ، أما الغرب فلديه نظم قائمة كان قد أنجزها عند إدخال الكمبيوتر وقبل قرابة خمسين عاما مع خلفية تجريبية تصل إلى مائة عام .. واصبح أمامنا صعوبتان ، تصميم هذه الانظمة وادخالها إلى العقول الالكترونية ، ثم التنسيق بين هذه العقول الالكترونية ، وأخيراً .. أن نختصر هذا العمل لنعوض مافات .

اذن فعلينا أن نخطط وننفذه لكى تكون الخطة شاملة . وليست مركزية بجلس المختصون معا ويقدمون خطة واحدة . المهم ان يتفقوا كيف يصوغونها ونحن نفتقر إلى الخطة الشاملة .. وهذه احدى المشاكل .

ويجب أن تقدم خططا تدريبية من الجانبين . الشركات والجهات المستفيدة . وقد عرضنا على الشركات أن تقدم لنا خطة تدريبية على المستوى القومى المهم فى هذا الامر ان الذين يتم تدريبهم يعملون داخل البلد ولايتحولون إلى الخارج لأن أغلب من تم تدريبهم قد هجر المؤسسات التى يعمل بها .

وقد أصبحت المشكلة متفاقمة فليس



د . مختار هلودة ، ود . بهاء حلمي



د . احمد كمال عميد هندسة القاهرة

لدينا عمالة مدربة . وليس هناك طلبا حقيقى على الحاسب الآلى لأنه ليس هناك نظام سائد وكما قيل "نحن فى حاجة إلي منظمين اكثر من حاجتنا إلى حاسب"

ونحن ليس لدينا منظمون كما ان الكثير من الجهات لاتضع مواصفات النظم كما يجب وعليه فإنه إذا تم تركيب حاسب لايعمل فكأننا نلقى مجهودنا وأموالنا هباء الريح لأن النظام المطلوب له ليس هو الذى يسير عليه وقد دعينا مجموعات من العاملين على راسها مجموعة من الجامعات كي نقدم برنامجا عاما عمليا لتحليل النظم كي نخرج متخصصين على مستوى جيد وفضلنا أن على الجهة التى تطلب حاسب آلي أن تعرض على الجهاز بما اسميناه "متطلبات النظام التفصيلية" أى أن نعد الاحتياجات بالتفصيل ونضع العلاقات بين المعلومات ونكون دائرة للعمل وأخرى للمعلومات ونترك للشركات الأجنبية أن تكمل الصورة من خلال مشروع أو اكثر

ولاننسى أن هناك مشكلة تتعلق بالمنظم نفسه . فبعد فترة وجيزة من ممارسة العمل يشعر بالمشاكل التى يعانيها الجهاز فيصاب بالملل ويجد ان العائد الذى يحصل عليه قليل فيفكر في ان يهجر المكان .

كل هذه المشاكل يمكن أن نسيطر عليها لو امكننا وضع نظام شامل للعمل يعرفه المديرون ومساعدوهم وعليه فقد وضعنا فى المركز القومى للمعلومات NIC اول برنامج معلومات للمديرين والمتخصصين ويسمى أول برنامج مطلوب لمصر والذى سيعقد اول برامجه في سبتمبر او اكتوبر القادمين .

د . بهاء حلمي : إذا كان الدكتور مختار هلودة حدثنا عن مشاكل تطبيق نظم المعلومات فى مصر فإنه يسعدنا ان نستمع إلى الدكتور أحمد كمال ليحدثنا عن مشاكل تعليم هذه الحاسبات .

د . احمد كمال يعمل التعليم - وخاصة التعليم الجامعى - على تخريج مهندسين أو متخصصين فى علوم المعلومات وتسعى الجامعة ان تخرج



دفعات تكفى إحتياجات البلاد لكن المشكلة أن خريج الهندسة يود أن يحصل على عائد مادي أكبر فضلا عن إحساسه أن الجهة التى يعمل فيها ليس لديها تخصص فيضطر ان يعمل كمندوب بيع وهى وظيفة تأتى له بعائد أكبر .

أما عن التدريب فليس هناك حاسب يعمل بكفاءته التى يمكن أن يعمل بها . ونحن نعلم الطالب أشياء كثيرة عن الأنظمة وإبتكار أجهزة جديدة لكنه يصدم عندما يدخل معترك التطبيق وأعتقد انه يجب إدخال الاستخدامات الصحيحة .

د . انس نور :

هناك ثلاثة تخصصات جوهرية للحاسبات الالكترونية .

(١) نظم المعلومات لشخص يجب أن يفهم الوظائف الجوهرية يعمل على الحاسبات وأن يفهم فى أعمال البنوك مثلا فالأمور ذات شقين جانب يتعلق بالحاسب وأخر يتعلق بتحليل الوظائف فى المؤسسات .

(٢) هندسة الالكترونيات : فلا يوجد فى مصر شركات تصنع الحاسبات لكن فى الولايات المتحدة هناك الشركات التى تصنع هذه الحاسبات ويهمها أن تدرب المهندسين الذين يعملون تصميمات الأجهزة . هناك إذن منافسة على الابتكار .

(٣) علوم الحاسب والخبرة وهى تبحث فى علاقة الأنظمة والأجيال . للتخاطب مع الحاسب وبرامج التشغيل المختلفة بجانب دراسة المنطق والذكاء الصناعى

هذه التخصصات الثلاثة ليست واضحة فى مصر . فى كليات التجارة يقولون كوبول أو فورتران أما فى الهندسة فيحللون نظم هندسية ميكانيكية .

د : هلودة : التخصصات الموجودة في مصر مختلفة وأعتقد أن أصلح واحد يمكنه أن يدخل فى النظام هو المهندس لانه عملى أما غير المهندس فكفاءته منخفضة دراسيا . والجامعات التى تهتم بهذا قليلة والمفروض أن يكون اكثر الخريجين علاقة بالحاسب هم خريجو التجارة والاقتصاد لكن الامور مطلوبة فالمهندسون فى مصر يعملون كمديرين اكثر منهم مهندسين .

د . انس نور : يحتاج الامر إلى خبرة أنا مثلا درست الهندسة والتجارة وأعتقد أن نظام التعليم في مصر عليه هذا الدور فبالنسبة للجامعي لايهمه أن يعى التخصصات الرئيسية أما المحترف فإن أمامه مكونين احدهما الخبرة والآخر التعليم والآن سوف نجد المهندس والطبيب كل منهما يدرس الحاسب الالكترونى .

د . على فهمى : أود أن أطرح ثلاث مشاكل تتعلق بنا فى مصر :

(١) لايوجد فى مصر إطار موحد يمكن من خلاله تبادل المعلومات بين المراكز المختلفة .

(٢) المدخلات والمخرجات للحروف العربية فهى محلولة بطرق مختلفة فى الشركات التجارية أى أن لكل شركة

إسلوبها الخاص فى تقديم كل منهما .

(٢) توفير لغة تشغيل وبرمجة بلغة عربية بسيطة كى يمكن للانسان العادى إستخدام الحاسب الآلى من خلال لغة مبرمجة بسيطة .

اذا تم بحث هذه المشاكل وحلها امكننا بعد ذلك إدخال الحاسب فى كل مكان واصبح التعامل معه لايشكل عبئا على المستخدمين على جميع المستويات .

د . مختار هلودة : سار الحاسب الآلى فى الخارج من أعلى إلى أسفل : العلماء ـ الشركات ـ المديرين ـ طلبة الجامعة ـ المدارس الثانوية ، اما عندنا فاردنا ان ندخل الكل معا المهم أن نطبقه بنظام هرمى اى ان يبدأ باستخدامه المهتمون والذين يجيدون اللغة الانجليزية واعتقد أن الاستفادة لكل متر مربع لن يستغرق وقتا طويلا وهناك مشروع لشركة كندية لوضع شفرات كل كود على حدة إذن فعلينا أن نستخدمه فى المجالات التى تحتاج اولا إلى كفاءة مثل التجارة والزراعة والمطارات ثم أوجه الحياة الأخرى .

د . على فهمى : هناك مشاريع لتطوير الحاسب فى مصر ومن المجد أن نقدم لها يد المساعدة .

د . مختار هلودة : السؤال الآن هل نشترى ام نصنع وقد أشرت لانه لاتوجد خطة شاملة فقد بدات بعض الجهات تدخله وهى ليست فى حاجة إليه .

مجد الدين إدريس : اود أن اطرح تساؤل فقد دار الحديث حول استخدام الحاسب من قبل خريج الهندسة والتجارة وهذه قضايا مستهلكة ولدينا الآن عملية تطبيقات اين المعلومات هل هناك نظام لتخريج متخصصين فى المعلومات ؟ هل يوجد المتخصص الذى يتعامل مع المعلومات ؟

لايوجد مكان يخرج رجل متخصص فى المعلومات واعتقد انه آن الأوان لبحث كيفية اعداد هؤلاء المتخصصين .

سامى فياض : هناك مشكلتان اساسيتان أود أن أركز عليهما :

(١) مشكلة التخطيط الشامل للتعليم فهناك مشاكل ثانوية نحن نعلم الطلبة وهذا أمر متواضع على الدولة أن تكون مهمتها تخريج علماء اما قضية التعليم فهى خلق علماء متخصصين وليست المشكلة أن نعلم الحاسب للطلبة ولو لم يتم هذا لكان التعليم قاصرا لماذا لاتكون هناك خطوة طويلة قد تصل إلى ثلاثين عاما .

(٢) المنهج : أن يكون الحاسب منهج والمنهج ينقصنا لاسيما مايتعلق بالحاسبات لكن بالكثير من امور حياتنا . يجب أن تكون هناك طريقة علمية التداول والا نترك الامور تسير تبعا للمصادفة .

ونحن لدينا الشعور بقصر النفس . فلايوجد الشعور بالاهمية لدى الشخص ليس هناك هدف واضح فالهدف دائما قصير نحن فى حاجة إلى خطة جيدة .

أما التعليم الجامعى فينقصه الاهتمام بعلوم معينة مثل نوع من الرياضيات وعلم المنطق وارتباطه بالحواسب ومايتعلق



باستخدامها فى مجال اعداد البرامج والنظم Soft wave تصنيع الجهاز hard Wave ويجب أن يكون هناك تطبيق محدد لعملية التصنيع والتعبير عن هذه المحدودات بشكل جرىء فليست المشكلة حفظ الفاظ علمية .

واعتقد أن صناعة الحاسبات فى مصر تقع تحت الضغوط العامة التى يقع فيها الانسان مثل تاخر الاشياء التى يطلبها فى الوصول وهذه نقطة عامة وليست خاصة فقط بالحاسبات .

د . مختار هلودة : هذا كلام معقول لانه فكر علمى لأن قصة الالية أصبحت موضة وقد صنعناه من جملة بسيطة يجب القيام بهذا العدد من المسالك العلمية الالية وتوصيف محددات المشكلة واخذ المشاكل فى الاعتبار من حيث التفكير والتذكر .

وانا اتفق معك فى اننا فى مصر باحتفل مناسبات . فكلما كانت هناك مناسبة تقدم بحثا وهذا نظام خطأ ..

مشاكل العمالة

سالم البدوي : نحن كموردين نرى ان جميع المشاكل المطروحة اليوم تؤثر فينا بطريقة مباشرة سواء من ناحية تدريب الكوادر أو الكفاءات العالية التى تهاجر إلى الدول البترولية .

الهلال : هناك مشكلة اساسية عبر عنها د . عبد العزيز حجازى وزير الخزانة السابق حول اول جهاز كمبيوتر لوزارة الخزانة عندما قاموا بتدريب عدد من الفنيين الذين هاجروا للخارج . هل من الحرية ان يتدرب الفنيين ثم يذهبون للعمل فى اماكن اخرى الا توجد ضوابط لهذا الامر ؟

د . مختار هلودة : لايوجد فى مصر تحديد للوظائف المختلفة ولايوجد تحديد بين الاعمال فلا يتصور أحد ان الجاسب الآلى له أولوية فى بلادنا لايوجد نظام غير النظام السياسى . لايوجد نظام علمى او نظام صناعى أو نظام صحافة هناك انظمة تدخل كلها فى إطار النظام السياسى وهذا اختلاف بين الدول النامية والمتقدمة النظام السياسى حر كل شىء فى الدول النامية أما فى الدول المتقدمة فهناك انظمة متعددة والنظام السياسى يجمعها .

مشكلة وزارة الخزانة الأولى هو عدم وجود خطة شاملة . وقد اشترت الخزانة حاسبا آليا ثم باعته لوزارة المواصلات وتم اعداد دراسة لشراء جهاز جديد ثم جاءت شركة امريكية عارضة نظام بحوالى ٧٠ مليون وقد عادت اليوم تطلب المساعدة من الجهاز ومثل هذا كثر اما عن هجرة العمالة فلا يوجد فى مصر تحديد للوظائف المختلفة ولافصل بين الاعمال واعتقد أن المرتبات التى تمنح للعاملين ليس بالغة السوء .

مايسة مختلو رجل الائتمان فى البنك اكثر اهمية من رجل الحاسب فهو الذى يحدد النشاط الاساسى لبنك مثل رجل الانتاج رجل النشاط الاساسي لصناعة ..



مهندس سامى فياض

أما رجل الحاسب الآلى فهو عامل مساعد وطالما انه يشعر أن هذه النظرة الية فكيف يمكن ان ينجح .

كما ان هناك بعض الجهات تشترى اجهزة حاسبات صغيرة بدافع الوجاهة رغم أن حجم الشركة او الانظمة لايحتاج الى مثل هذه الحاسبات .

د . مختار هلودة : السؤال هو هل الحاسب مفيد للمؤسسة أم لا . فالمعلومات تفيد الانظمة لكن المهم هو حجم المعلومات لذلك لا غبار ابدا على أن تكون هناك لجنة قومية للحسابات تنظم هذه الاشياء فهى موجودة فى كل دول العالم المتقدم سواء الاشتراكى منها أم الراسمالى ولكن الدول النامية تعانى من نقص مثل هذه اللجان ..

الهلال : هل هناك إطار تنظيمى يجمع المشتغلون فى هذا المجال .. ؟

د . مختار هلودة فى الخطة الشاملة كتبت عدة مذكرات واخرها لدى الدكتور وزير التعليم العالى والبحث العلمى لعمل المركز القومى للمعلومات . وقد عملنا مشاريع أخرى لتكوين مجموعات علمية متعددة وهناك العديد من الجهات التى تتعاون مثل الجامعات والقطاع العام والخاص ومشروع الرقم القومى والسجل المدنى .

الهلال : هل هناك تنسيق الاجهزة .. ؟

د . مختار هلودة : يوجد علاقات غير رسمية وهناك لجنة أسمها لجنة المعلومات وهناك تعاون بين بعض الجهات وبعضها . تعاون ثنائى او اكثر لكن انا انادى بوجود كيان قوى للتنسيق ولأنه لا يوجد فى بلادنا نظام غير النظام الاساسى ويجب أن يتم عن طريق مجلس الوزراء وعلى ذلك فأن الحل فى يد الدكتور مصطفى كمال حلمى فى انشاء دراسة المركز القومى للمعلومات . ووجود مثل هذا المركز القومى للمعلومات . ووجود مثل هذا المركز أمر ضرورى وحتمى .

اسامة الغمراوى : المشكلة عدم اقتناع الادارة العليا بقياس الكفاءة . ولكن اذا تم ذلك فان انتاج رجل الائتمان الكفء سيزداد الى اكثر من ضعف العمل مع رجل الحاسب الآلى : فيصبح رجل الحاسب الآلى عامل اساسى وليس عامل مساعد .

الهلال . يسعدنا أن نتقدم بالشكر مرة أخرى لسيادتكم واعتقد انكم قد وضعتم الخطوط العامة لمشاكل الحاسبات ومستقبلها ونتمنى من الله أن تضيق دائرة هذه المشاكل وأن تنتقل مصر الى عصر الحاسبات المتطورة من خلال علمائها وباحثيها وشكرا .

شركة النيل للكبريت

• رائدة صناعة الاخشاب والثقاب والمساكن الخشبية سابقة التجهيز.



السيد المهندس محمد عبد الوهاب وزير الصناعة فى جناح الشركة برفقه السيد / حلمى عمر رئيس هيئة الصناعات الكيماوية يستمعان الى شرح الاستاذ المحاسب / محمد جمال زين الدين رئيس مجلس الادارة ..

الحديث عن شركة النيل للكبريت يشدنا معه الى الحديث عن شركة رائدة فى مجال الصناعة فى مصر .. فشركه النيل للكبريت هى الشركة الرائدة فى مجال صناعة الاخشاب والكبريت فى مصر .. وقد اخذت الشركة على عاتقها ان تقود صناعة الثقاب المصرية . وان تتطور بها بما يتلاءم مع تطور الصناعة العالمى فى هذا المجال .

ولعل انتاج شركة النيل للكبريت بصورته الحالية . وبالانواع المتعددة منه يغطى احتياجات السوق المصرية . وعلى درجة من الجودة تجعله منافسا للانتاج العالمى .

كما ان الشركة فى مجال صناعة الاخشاب . تقدم اسهاما ملموسا . وتطورا ملحوظاً نجده فى الانتاج المتعدد الاغراض والمتنوع الاستعمالات .. وقد استعانت الشركة فى ذلك بالخبرة العالمية حتى تحافظ على مستوى الجودة التى تقدم بها منتجاتها من الخشب المضغوط والابلاكاج .. وهى تستخدم فى صناعاتها ارقى الخامات العالمية المستوردة مثل الحق والاسين المستورد .

ولم تال الشركة جهدا فى سبيل تطوير منتجاتها على الدوام . ذلك بفضل الجهود التى يبذلها ابناؤها من العاملين المدربين المهرة التى وفرت لهم الادارة الرشيدة للشركة كل اسباب التدريب واستيراد احدث الاجهزة والمعدات بالاشتراك مع الخبرة الفنلندية فى صناعة الاخشاب . وهى خبرة عالمية تتمتع بسمعه عالمية طيبه وتقوم الشركة بالاعلان على اغلفة النقاب من العلب والامشاط وهو اسرع طرق الاعلان وصولاً للمستهلك وبالشركة جهاز متخصص من الفنيين لتنفيذ طلبات العملاء المتعدده وشركة النيل للكبريت رائدة صناعة الاخشاب والكبريت فى مصر تفخر ان تقدم انتاجها المتطور والمتنوع من :

● النقاب . الأمان . للاستهلاك المحلى :

وتقوم الشركة بانتاج جميع انواع النقاب سواء من العلب عبوة ٥٠ . ٤٠ عودا كما تنتج الشركة الامشاط ٢٠ . ٣٠ . ٤٠ عودا لكى ترضى كل رغبات السادة المستهلكين وتوفر لهم احتياجاتهم من الكبريت .

كما تفخر الشركة بان تسهم فى قطاع التصدير منافسة فى ذلك الانتاج العالمى من الكبريت .. فتقدم .

● النقاب الخاص للتصدير :

وتقدم الشركة منه العلب عبوة ٥٠ . ٤٠ عودا .. كما تقدم الامشاط الفاخرة ٢٠ . ٣٠ . ٤٠ عودا حسب طلب العملاء وتقبل الشركات السياحية والفنادق وشركات الطيران على هذا الانتاج الفاخر من الكبريت نظرا لجودته ومنافسته للانتاج الاجنبى منه .

● المنشات الخشبية سابقة التجهيز

كما تقدم شركه النيل للكبريت انتاجها الفاخر من المنشات الخشبية سابقة التجهيز مدعمة بالخبرة الفنلندية .. مثل :
- الفيلات السكنية والمستشفيات وعنابر الاعاشة . والمدارس والاكشاك والمخازن .

وهذه المنشات تتميز بسهولة التركيب والنقل من مكان الى اخر كما توفر الجهد والوقت والمال .. لقلة تكاليفها وسهولة تركيبها .

كما تقوم شركة النيل للكبريت بانتاج الخشاب الابلاكاج من جزوع الاشجار والحور والاسين المستورد من مقاس ١٥٣ × ١٥٣ سم بسمك من ٣ الى ١٢ ملليمترا .. كما تنتج الابلاكاج بمقاسات تصل لـ ٢١٠ سم

وتنتج الشركة اخشاب الفينير بسمك يبدا من ١ ملليمتر والاخشاب المضغوطة وهى ذات كثافة عالية لاستخدامها فى تصنيع قطع غيار الات النسيج كانواع الانوال والمواكيك .. وغيرها ويتم انتاجها حسب المواصفات التى تطلبها شركات النسيج

وبعد .. فهذه لمحة سريعة عن شركة النيل للكبريت ومدى ما تقدم للصناعة المصرية .. ولا غرو فى ذلك فقد قلنا من قبل انها رائدة صناعة الاخشاب والكبريت فى مصر .

حياة الأسرة .. مشاركة

تُبس

والوقاية من التهابات الحوض

أعزائي القراء .. ونواصل الحديث معامرة أخرى عن الوسيلة التى أحدثت انقلابا فى تنظيم الأسرة .. واذا كانت الوسيلة قديمة ومعروفة منذ زمن طويل .. الا أنها لم تأخذ حظها من الانتشار الا مؤخرا .. وذلك نظرا لارتفاع تكاليفها فى مراحلها الاولى .. وهذه الوسيلة هى الواقي الذكرى .. أو العازل الطبى «تبس» وهذه الوسيله لها العديد من الأمتيازات التى لا تتوافر لأية وسيله أخرى تجعلنا نؤكد عليها فعلاوة على عدم وجود أضرار جانبية لها فهى سهلة الاستعمال ولا تحتاج الى أستشارة الأخصائيين عند أستعمالها .. فهى الى جانب أستعمالها كوسيله فعاله ومأمونه لمنع الحمل وقدرتها التى تصل الى ١٠٠٪ فى بعض الحالات .. وسيلة من وسائل الوقايه من الأمراض التى تنتقل عدواها بالاتصال الجنسى .. وهذه الامراض تعد سببا فى الاصابة بالتهابات الحوض . كذلك فقد تصيب الميكروبات السائل الأمنيوس فى النساء الحوامل ، ولذلك فإن النساء اللائى يستعمل أزواجهن العازل الطبى تقل نسبة اصابتهن بهذه الأمراض والتهاب الحوض وأصابة الرحم أو قنوات فالوب بالعدوى قد يؤدي الى العقم أو الحمل الطفيلي وذلك بسبب الانسداد الكلى أو الجزئى للأنابيب وقد يحدث الانسداد نتيجة للاصابه بميكروبات بعض الامراض مثل السيلان هذه

الميكروبات تنتقل مع السائل المنوى الى عنق الرحم، ولذلك نجد أن العازل الطبى يكون وسيله جديدة للوقاية من أمراض التهابات الحوض لأنه يمنع السائل المنوى الحامل الميكروبات من الوصول الى عنق الرحم. وإستعمال العازل الطبي أثناء الحمل يحمي الحامل من أصابة السائل الأمنيوس الذى يحيط بالجنين ببعض أنواع البكتريا فبعض أنواع البكتريا المسببه للامراض ينتقل عن طريق الاتصال الجنسى، كذلك توجد أنواع اخرى من البكتريا فى منطقة الاعضاء التناسلية وتكون الحامل اكثر عرضه للامراض فى أواخر فترة الحمل، وذلك لأن عنق الرحم يصبح طوله أقصر، كذلك فإن الرحم يأخذ حجمه فى الاتساع وتسبب اصابة السائل الأمنيوس بالامراض مشكلة كبيرة فى الدول المتقدمة وفى الدول النامية تكون المشكلة أكبر.

العازل الطبي تبس وسرطان عنق الرحم

تشير الدراسات الحديثه الى أن العازل الطبى له تأثير وقائى، وربما علاجى أيضا - بالنسبه للخلايا المشوهة فى عنق الرحم، فقد وجد أن سرطان عنق الرحم تنشطه وتحفزه بعض الميكروبات التى تنتقل خلال الاتصال الجنسى، ومن امثلة ذلك فيروس الهربس، والذى يوجد عاده فى نسيج عنق الرحم بالنسبه لمرض الاورام الخبيثـه. وقد أثبتت الدراسات الأكلينيكية أن النساء اللائى يلجأن لوسائل منع الحمل مثل العازل الطبى يكن أقل عرضه للاصابة بسرطان عنق الرحم من غيرهن من النساء. وهذا يعنى أن العازل الطبى يمنع أنتقال مسببات النمو غير الطبيعى للخلايا. وتشير الدراسات أيضا الى أن النساء اللائى يلجأن الى مثل هذه الوسائل لمدة خمس سنوات على الاقل تكون احتمالات الاصابه السرطانيه لديهن أقل من الاخريات وفى لندن أجرى بحث اتضح منه إن الاصابه بالسرطان يكون احتمال حدوثها فى حالة أستعمال العازل الطبى أو الحاجز المهبلى أقل منها فى حالة استعمال الاقراص. ومن هنا يتضح لنا أن العازل الطبى يقى من الاصابه بالتهابات الحوض .. كما يقى من اصابة السائل الأمنيوس للبكتريا .. وهناك امراض اخرى عديدة يقى منها استعمال العازل الطبى سنتحدث عنها فى حلقه أخرى ان شاء الله.

والى لقاء آخر مع اسرة المستقبل فى العدد القادم



THE NCR 8600
VERY LARGE MAINFRAME SYSTEMS

مسايرة لتكنولوجيا العصر في الحاسبات الإلكترونية فإن مراكز أبحاث شركة NCR تضيف الى سلسلة حاسباتها الكبرى حاسبات من طراز ٨٦٠٠ تفوق قدراتها أحدث نظام سابق.
والتي صممت لتعطي أعلى مستوى كفاءة للتشغيل نظم الاتصال المباشر ولخدمة أعداد كبيرة من الوحدات الطرفية.

THE NCR 9300
32-bit Mainframe Processor.

تقدم شركة NCR أحدث استخدامات الدوائر فائقة التكامل التى تمثل قمة الأبحاث التكنولوجية في العالم بسعة حقيقية 32-bit في صورة حاسب ذات قدرة تشغيل عالية يوفر مجالا واسعا من التطبيقات الفاعلية لخدمة كافة الأعمال في مختلف المجالات بمكونات وتكلفة مقبولة.

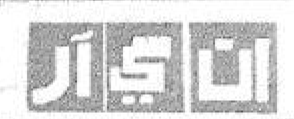
THE NCR 9100 SYSTEM

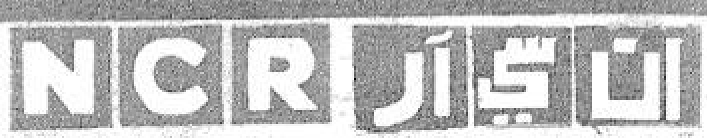
أنتجت شركة NCR الحاسب الحديث طراز ٩١٠٠ ليكون مناسبا للتطبيقات الحاسب الأمثل في مجالات شتى.
ويجمع هذا الحاسب بين أحدث المكونات وبين مجموعة حزم برامج جاهزة أثبتت قدراتها ونجاحها الذي يحدد لك مستخدمي هذا النظام.

THE NCR 5080
SELF SERVICE FINANCIAL TERMINAL

تنفرد شركة NCR بتسويق الأنظمة المصرفية المتكاملة والتى تقدم من خلالها أجهزة الصرف الذاتية لتتيح لعملاء البنوك إجراء العمليات المصرفية المتنوعة طوال ٢٤ ساعة يوميا سواء كان ذلك بمبنى البنك أو خارجه.

المركز الرئيسي :
٢١ شارع طلعت حرب - القاهرة
ت : ٧٥٤٠٥٥ / ٧٦١٨٣٦





تناسب كل الاحتياجات
والبنوك والمستشفيات والفنادق والجامعات



THE NCR TOWER

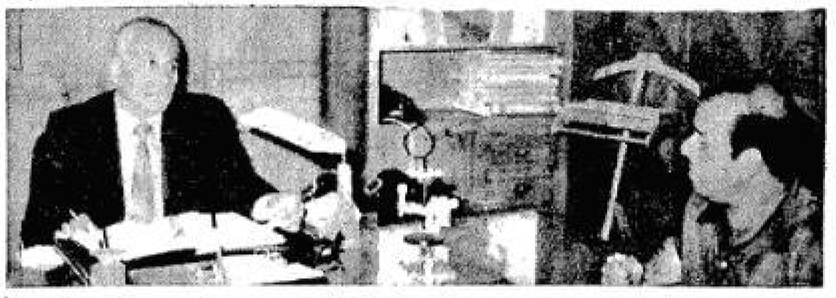
يجمع هذا النظام بين الإمكانيات المتطورة المتمثلة في مكونات الحاسب طراز TOWER وبين قدرات برامج التشغيل الأساسية UNIX لتكون أكثر النظم الحديثة تطورا ونجاحا في مجال الاستخدامات العلمية والتجارية للحاسبات الإلكترونية.



فرع الإسكندرية:
ميدان سعد زغلول
ت: ٩٦٤٧١١ / ٢٩٢٦٥

شركة مطاحن جنوب القاهرة

ودورها فى توفير الطعام لكل فم



السيد المحاسب محمود بيومي رئيس مجلس الادارة في حديثه مع حامد بدر مندوب المجله !

اذا كانت الحياة تتوقف على توفير عناصر ثلاثة ... الماء والهواء والطعام ... فان الخبز يمثل العنصر الرئيسى فى طعام الانسان . ومن هنا كان الاهتمام بتوفير رغيف الخبز فى صورة يطمئن إليها الانسان . هو المحور الاول الذى تقوم عليه سياسة الدولة ... ولهذا فان رغيف الخبز يحصل على النصيب الاكبر من الدعم الذى تدفعه الدولة للحفاظ على مستوى المعيشة .. وقد شهدت فترة سابقة . محاولة امتصاص هذا الدعم من جانب بعض اصحاب الافران الخاصة ، وذلك بتقديم الرغيف فى صورة غير لائقة وغير صحية الا ان الدولة قد تدخلت وذلك بفضل شركات المطاحن والمخابز من الدخول منافسا للقطاع الخاص من الحفاظ على رغيف الخبز ... ومن هذه الشركات شركة مطاحن جنوب القاهرة التى تحملت مع زميلاتها من الشركات هذا العبء ووفرت رغيف الخبز المحسن فى صورة افضل كثيرا مما تعود القطاع الخاص على تقديمه .

ومن هنا كان لقاؤنا مع السيد المحاسب محمود بيومى دسوقى رئيس مجلس ادارة مطاحن جنوب القاهرة لنقدم من خلال حوارنا مع سيادته صورة حية للجهود التى تبذلها الشركة فى معارك الامن الغذائى :

فى الفترة الاخيرة ظهر التحسن الملموس فى رغيف الخبز ... ولعل هذا يجعلنا نقدر الجهد الملموس الذى تقوم شركات المطاحن والمخابز به من اجل توفير رغيف الخبز فى صورة جيدة وصحية فى نفس الوقت ... ولعل شركتكم ، وهى احدى هذه الشركات لها دورها المشكور فى هذا المجال ونحب من سيادتكم ان توضح لنا الدور الذى قامت به الشركة فى هذا المجال ليرى القارىء وبوضوح مدى الجهد الذى يبذل من اجل توفير رغيف الخبز للمستهلكين فى صورته الحالية ؟

ـ يغطى نشاط شركة مطاحن جنوب القاهرة قطاعا كبيرا من القاهرة الكبرى .. فالشركة توفر انتاجها للقطاع الجنوبى من القاهرة ومحافظة الجيزة ... وقد انشئت هذه الشركة فى مارس ١٩٦٧ برasmال قدره ٨٠ الف جنيه ... وقد وصل راسمالها حاليا الى ١٦٫٥ مليون جنيه ... وهذا يعطى صورة لمدى التطور الذى حدث فى الشركة من ١٩٦٧ وحتى الآن .

● وهل يقتصر نشاط الشركة على انتاج رغيف الخبز فقط ، ام ان هناك نشاطات اخرى تمارسها الشركة ؟

ـ ان انتاج الخبز هو احد انشطة الشركة ... ولكن بجانب ذلك فان الشركة تقوم بطحن القمح وتوفير الدقيق بنوعيه البلدى والفاخر . وهى تنتج ٤٫٥ مليون جوال سنويا من الدقيق بنوعيه كما تنتج السرحد السميد الازم لصناعة



ا. د. ناجي شتله وزير التموين . اللواء يوسف صبرى ابوطالب محافظ القاهرة ود. احـ... عبدالغفار رئيس هيئة المطاحن . يستمعون لشرح المحاسب محمود بيومي رئيس مجلـ... ادارة الشركة .

الحلويات بطاقة سنوية قدرها ١٦ الف طن سنويا .. كما تنتج الشركة النخالة وهى العنصر الرئيسى فى صناعة الاعلاف لتغذية الماشية والطيور بطاقة سنوية ١٠٠ الف طن

كما تسهم الشركة بانتاج الخبز البلدى والشامي والافرنجي بطاقة قدرها ٢٥٠ مليون رغيف سنويا ومن خلال عشرين مطحن ٥٥٠ الف طن قمح سنويا

● ولكن الاترى سيادتكم ان هذا الجهد مازال فى حاجة الى المزيد منها حتى تنتهى مسكله رغيف الخبز تماما .

باذن الله سيتم تشغيل ثمانية خطوط جديده يجرى تركيبها فى الصف والتبين وسوق السلاح لانتاج الخبز الشامي طاقتها اليومية ٣٠٠ جوال دقيق تنتج ثلث مليون رغيف يوميا .. كما تقوم الشركه حاليا باجراء التجارب لتشغيل مطحن بمدينة الصف ـ محافظة الجيزة لانتاج الدقيق الفاخر بطاقة انتاجية يومية ٢٠٠ طن / يوم ومطحن اخر فى امبابة لانتاج الدقيق الفاخر بطاقة انتاجية ٢٥٠ طن /يوم وبذلك يمكن خفض استيراد الدقيق الفاخر بطاقة انتاجيه بما مقداره ١٢ الف طن سنويا بما يساعد على تحسـ... ميزان المدفوعات ويوفر المزيد من العمـ... اسهاما فى تنمية الثروة الحيوانية .

● وماهى جهود الشركة فى توفير الخبز الجيد ؟

تقوم الشركة حاليا ـ بالاعتماد على احدث طرق انتاج الرغيف . ذلك باستخدام احدث الالات . فنحن نستخدم احدث المطاحن العالمية ونقوم باستخدام المخابز الالية وهذه الاجهزة توفر الضمان من اجل انتاج خبز مطابق للمواصفات العالمية تتوفر له كل اسباب الجودة

وتهتم الشركة باهم عناصر الانتاج وهو العنصر البشرى فهى تضم ٢٥٠٠ عامل توفر لهم الرعاية الصحية والاجتماعية والترفيهية كما تساهم فى نفقات الحج والعمرة لهؤلاء العاملين

ولاشك ان هذه المزايا تخلق فيهم روح المثابرة والكفاح وبفضل جهودهم تقدمت الشركه كثيرا نحو الافضل فى مجال تحسـ... الخلفاء لجل ـقد

الشركة المصرية للورق والأدوات الكتابية

(روسى)

تأخذك إلى عصر الكمبيوتر

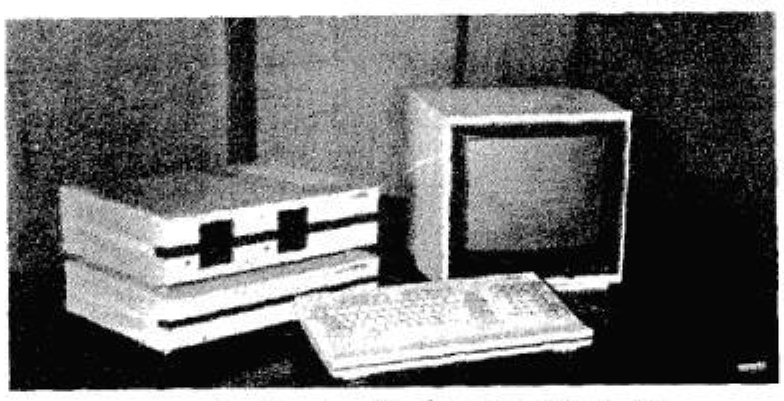


السيد احمد زهران رئيس مجلس ادارة الشركة

اذا كانت الشركة المصرية للورق والادوات الكتابية .. قد احتلت مكانتها البارز فى توفير الورق والادوات الكتابية للسوق المصرية طوال فترة من الزمن .. عملت خلالها فى مجال استيراد الادوات الكتابية . مع الاستعانة بالانتاج المحلى . فانها تعمل الآن على الاسراع للدخول بالانسان المصرى الى عصر الكمبيوتر .. احدث انواع التكنولوجيا العصرية فى مجال التطور .

والشركة المصرية بمالها من دور بارز فى مجال حيوى يهم الانسان المصرى من اجل ملاحقة التطور العالمى فى مجال العلوم والابتكار . فانها توفر للعقل المصرى احتياجاته من الورق والادوات الكتابية وهى وسيلة التعلم والتخاطب والثقافة والتقدم ونظرا لخطورة هذا الدور .. كان علينا ان نلقى بعض الضوء على منجزات الشركة وما تقدم من خدمات لجمهور المثقفين المصريين وابنائنا الذين ينهلون من مناهل العلم ليكونوا الريادة للمجتمع المصرى فى سنواته المقبلة .

وكان علينا ان نلتقى بالسيد الاستاذ / احمد زهران رئيس مجلس ادارة الشركة ونديز معه حوارا تطمئن به الشعب المصرى عامة وجمهور المثقفين خاصة على الجهود التى تبذلها الشركة من اجل الوصول الى مستوى جيد من الانتاج يقبل عليه الجمهور وخفض لاسعار المنتجات حتى تكون فى مستوى الجميع . مع سرعة



احدى اجهزة الكمبيوتر التى تباع بفروع الشركة

توصيل المنتج للجمهور فى الوقت المناسب وفى المكان المناسب ايضا .

والاستاذ احمد زهران يؤمن بسياسة حكيمة من اجل الوصول بالانتاج الى المستوى العالى وبتكلفة اقل .. فهو يؤمن بوحدة الادارة العليا .. اى جماعية القيادة كما يؤمن باسلوب المتابعة على الطبيعة وبشكل ميدانى . اى لا يؤمن بسياسة العمل من داخل المكاتب المغلقة . كما يؤمن بالعلاقات الانسانية التى تربط بين الادارة العليا والعاملين .. بهذه المبادىء التى يؤمن بها يمكن الوصول الى اسلوب جيد يوفر المنتج الجيد بتكلفة اقل .

ومن هنا كان حوارنا معه مثمرا ومفيدا . فقد وجدنا ترحيباً كبيراً من الرجل من اجل الحصول على المعلومات التى تهم القراء . وان كان عبء العمل ومسئوليات الرجل قد حالت دون الحصول على كل المعلومات .

السيد الاستاذ احمد زهران .. يسعدنى كما يسعد اسرة تحرير الهلال اتاحة الفرصة لنا لالقاء الضوء على انشطة شركتكم التى تعتبر علامة من علامات التطور القومى ويهمنا فى هذا المقام ان نلقى الضوء على الانشطة التى تقوم بها الشركة ؟

واجاب سيادته بابتسامة هادئة .

ـ ان انشطة متعددة وكثيرة .. ولكن يمكننا القول بان هناك شقين رئيسيين لنشاطها .. الاول صناعى والثانى تجارى .

● المجال الصناعى

ففى المجال الصناعى لدينا خمسة مصانع ومطابع كبيرة تعمل فى مجال انتاج الورق والكراريس والبلوك نوت ، والاجندات والادوات الكتابية عموما .. مثلا نعطى صورة بسيطة توضح مدى الجهد فى هذا القطاع فمصانعنا تنتج ١٥٠ مليون كراس تموين تباع باسعار زهيدة لخدمة قطاع التعليم فى مصر .. كما اننا نقدم خدمات بشكل افضل وبسعر يقل كثيرا عن القطاع الخاص ومع ذلك فاننا قطاع انتاجى لابد ان يحقق فى النهاية ارباحا .. كما ان الشركة لها ٣٧ فرعا فى جميع انحاء الجمهورية .

● المجال التجارى

واستطرد الاستاذ احمد زهران رئيس مجلس ادارة الشركة قائلا : هذا عن المجال الصناعى .. اما عن المجال التجارى فالشركة تقوم بتوزيع كل انواع الورق والادوات الكتابية واساسات المكاتب ..

والشركة حاليا تحاول تقديم انتاج متطور يتلاءم مع كل قدرات الجمهور . فاذا كانت قد قصرت انتاجها على ذوى القدرات المحدودة فى الفترة السابقة .. فانها بسبيل الانتاج الجيد الذى يتناسب مع اصحاب القدرات الكبيرة مع عدم الاخلال بنشاطها من اجل ذوى الدخول المحدودة .

● نحن نعلم ان ازمة الورق .. ازمة عالمية وتظهر مؤشراتها فى زيادة الاسعار .. وهنا نحب ان نسال سيادتكم عن دور الشركة فى التصدى لهذه المشكلة ؟

ـ فى هذا المجال تقوم الشركة باستيراد جزء كبير من الورق ، سواء عن طريق الاتفاقيات او الصفقات المتكافئة ، او السوق الحرة والحمد الله .. والشركة لها حصة كبيرة ومعظم الورق يصنع محليا وقد سعينا للحصول على حصة من انتاج المصانع المصرية وهناك جهود تبذل من اجل ان تكون الموزع الرئيسى لمنتجات شركة راكتا للورق .. ونتمنى ان تتوسع شركة راكتا فى انتاجها وتطويره حتى نستغنى عن الاستيراد من الخارج .

● نظرا لما تتمتع به منتجات الشركة من الجودة ورخص الاسعار .. فلماذا لاتقوم الشركة بافتتاح منافذ توزيع لها على مستوى الجمهورية وفى جميع الكليات والجامعات ؟

ـ نحن نقوم الآن بتطوير فروع البيع فى القاهرة حتى تتحول الى منافذ قادرة على اداء الخدمة بشكل افضل .. فالخدمة الجيدة تتطلب مكانا جيدا .. ايضا ـ وباذن الله عندما تطور الخدمة داخل هذه الفروع سنبدا فى انشاء فروع جديدة باسلوب متطور يساير العصر ويجعل العميل يتعامل معنا فى سهولة ويسر .. اما فى مجال الجامعات ففروع الشركة منتشرة فى جامعة القاهرة والازهر وبعض الجامعات الاقليمية

وباذن الله سنطور هذه الخدمة حتى تعطى كل الجامعات الاقليمية وفروعها ونوفر منافذ للتوزيع داخل كل كلية .

● ولكن .. نحن نريد ان نستوضح من سيادتكم .. هل نشاط الشركة مقصور على المنتجات الكتابية ؟

ـ لا .. هناك مجالات اخرى غير الادوات الكتابية .. فالشركة تقوم بتوزيع الادوات الكهربائية مثل الثلاجات والتليفزيونات والمراوح .. كما تقوم بتصوير المستندات للطلبة بسعر ٢٤ مليما للصفحة وهذا سعر رخيص جدا اذا قورن بمثيله فى القطاع الخاص .. كما تقوم الشركة بالاتجار فى الات تصوير الاوراق والمستندات والات التصوير الفوتوغرافى .. ولعلى لا اذيع سرا اذا قلت لك ان الشركة قد تعاقدت على ان تكون الموزع الرئيسى لشركة «اولفتى» وبذلك تكون شركتنا هى الموزع الوحيد لاجهزة المينى كمبيوتر فى الاسواق

● لقد بلغنا ان سيادتكم تتبع طريقة جديدة فى الادارة وذلك من اجل زيادة الانتاج .. فهل لنا ان نعرف هذه السياسة ؟

ـ نعم .. لى وجهة نظر فى الادارة .. فالادارة الجيدة تضاعف الانتاج وكلما زادت حوافز الانتاج زاد الانتاج وبذلك يرتفع العائد على الدولة .. علاوة على الجودة التى يقدم بها هذا المنتج .. وهذا لا يتاتى الا اذا شعر العامل بالانتماء لوحدته الانتاجية وحرص الادارة على احياء العلاقات الانسانية بين العاملين والعمل بروح الفريق من خلال ميادين الانتاج .

وتركنا الاستاذ احمد زهران رئيس مجلس ادارة الشركة المصرية للورق والادوات الكتابية لعمله الكبير الذى تتوقف عليه الى حد كبير ـ حركة التقدم العلمى فى مصر وهو يحلم بالغد الذى يوفر فيه كراسة لكل تلميذ فى مراحل التعليم ومينى كمبيوتر يأخذ بيد المصريين للدخول الى عصر الكمبيوتر .. وذلك بالعلاقات الانسانية والعمل بروح الفريق الواحد

اعداد حامد بدر ـ مصطفى بسيونى

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ١٢٠ عددا ، فى جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة أعلاه عند الطلب

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة تليفون ٢٠٦١٠ عشرة خطوط .

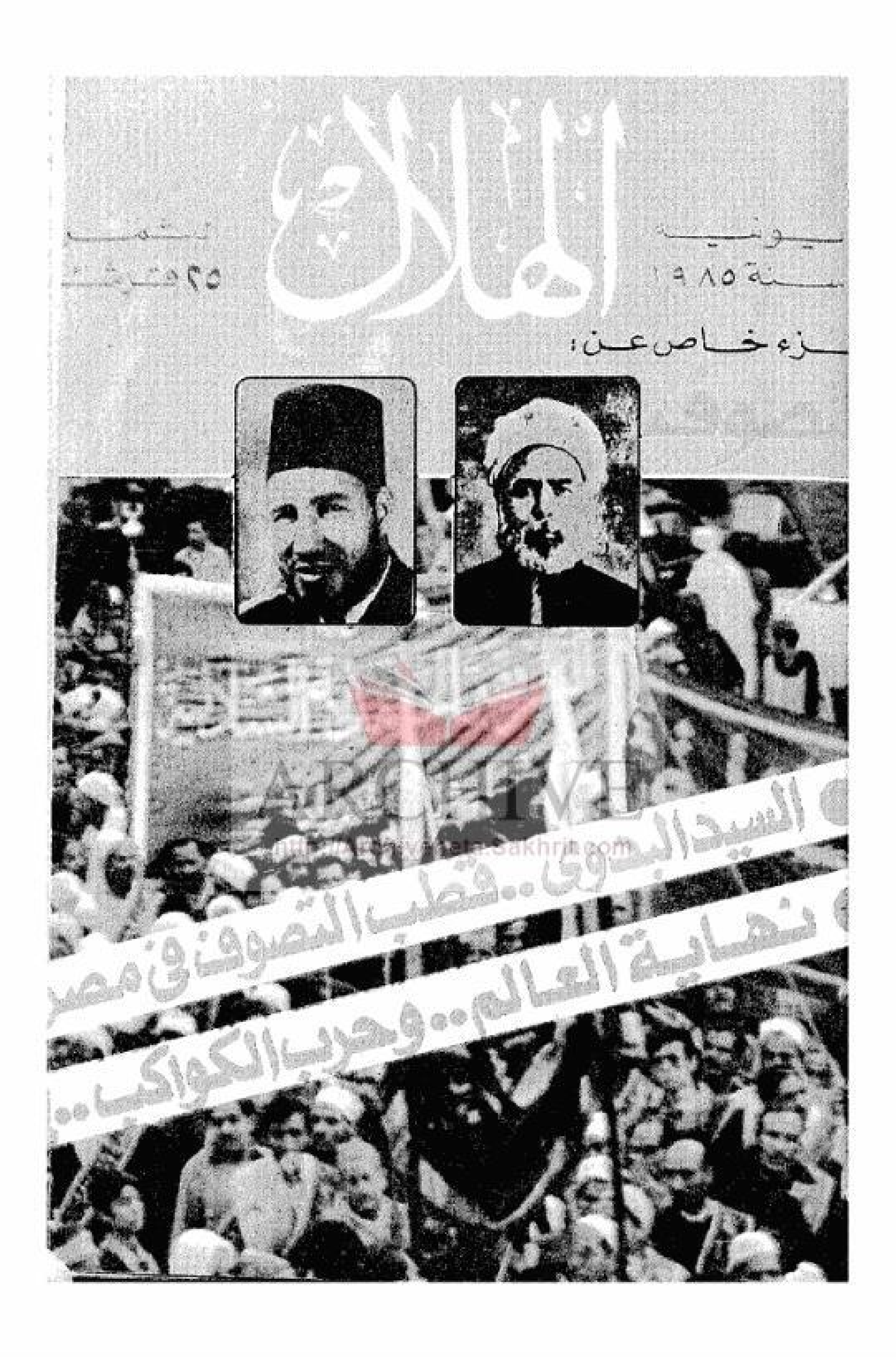


الأسعار

البلد	السعر
سوريا	٣٥٠ ق . س
لبنان	٤٠٠ ق . ل
الاردن	٤٠٠ فلس
الكويت	٤٥٠ فلسا
العراق	١١٠٠ فلس
السعودية	٥ ريالات
السودان	٧٥٠ مليما
تونس	٦٥٠ مليما
المغرب	٨٠٠ فرنك
الجزائر	٦٥٠ سنتا
الخليج	٤٥٠ فلسا
غزة والضفة	٣٠ سنتا
الصومال	٥٠ بنى
داكار	٤٠٠ فرنك
لاجوس	٦٠ بنى
اسمرة	٤٥٠ سنتا
اليمن الشمالية	٥ ريالات
اديس ابابا	٤٥٠ سنتا
باريس	١٠ فرنكات
لندن	١٠٠ بنس
ايطاليا	١٤٠٠ ليرة
سويسرا	٣,٥ فرنكات
اثينا	٨٠ دراخما
فيينا	٣٥ شلنا
فرانكفورت	٣,٥ مارك
كوبنهاجن	١٠ كرونات
استوكهولم	١٤ كرونة
كندا	٢٥٠ سنتا
البرازيل	٣٥٠ سنتا
نيويورك	٣٠٠ سنت
لوس انجلوس	٣٠٠ سنت
استراليا	٤٠٠ سنت
هولندا	٤ فلورين
عدن	٢٥٠ فلسا


مش معقول!
فى الأسرة الصغيرة بفضل الله ونعمته:
● تكون مسئوليات الأب أخف فيحملها راضيًا مطمئنًا.
● تكون صحة الأم أفضل فترعى أسرتها بحنان وسعادة.
● تكون فرص الأطفال أفضل فى كل شئ.. فى المأكل والملبس والتعليم.
مع تحيات
مركز الإعلام والتعليم والإتصال
بالهيئة العامة للإستعلامات


مصر للطيران
علم مصر فى كل مكان
أكثر من
٥٠
سنة خبرة
مصر للطيران
فى خدمتكم
أوربا - أفريقيا
آسيا - أمريكا
(البوينج ٧٦٧ - البوينج ٧٣٧ - البوينج ٧٠٧
الايرباص - الجامبو ٧٤٧)


الهلال
يونيه
سنة ١٩٨٥
ثمن
٢٥ قرشا
جزء خاص عن:
السيد البدوى .. قطب التصوف فى مصر
نهاية العالم .. وحرب الكواكب ..



من روائع الفن الإسلامي

●● مشهدان ماخوذان من مقامات الحريرى التى رسمها يحيى الواسطى ، المشهد الأول ، لوحة تجمع ثلاثة فى الصحراء بازيائهم المتعددة ، مع الناقة والهودج يحيطهم نبات الصحراء ، والثانى ، قطيع الابل ، وهى لوحة مع المقامة الثانية والثلاثين ، ويظهر كيف تمكن الواسطى من تفادى التكرار الذى عبرت عنه اتجاهات الابل ..

اللوحة ١٣٨ مم × ٢٦٠ مم فى المكتبة الوطنية بباريس .





السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال ·· أسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ – ·· أول يونيو سنة ١٩٨٥ – ١٢ رمضان ١٤٠٥

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

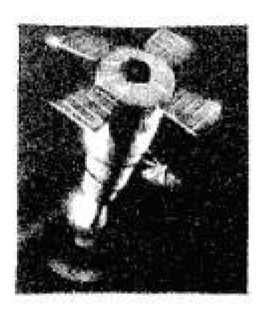
رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المدير الفنى
عادل ثابت

سكرتير التحرير
موسى عبيد



البكتاشية فى مصر
صفحـــــــة ٩٦



نصيب العرب من حرب
الكواكب صفحة ١٢٤

● فكر وثقافة ●

صفحة

● جزء خاص عن التصوف الاسلامى ●



الموسيقى والغناء في قاهرة عام ١٨٠٠ صفحة ١١٥



د . زكى نجيب محمود وتيار العصر والحضارة صفحة ٣٠



اللقاء الأول والمشهد الأخير صفحة ١٤٤

● الأبواب الثابتة ●

٥



كل عام وانتم بخير ..

إن لشهر رمضان المعظم تقاليد عريقة فى الصحافة المصرية ، التى جعلت من هذا الشهر الكريم موسماً للثقافة بمعناها الشامل ، وفى مقدمتها الثقافة الدينية ، وهذه الصحافة هى التى ابتكرت من اجله « أحاديث رمضان ».. فكان فى كل صحيفة يومية « حديث » لاينقطع طوال أيام الشهر ، يكتبه أحد علماء الإسلام أو أئمة الأدب ..

ثم جاءت اجهزة الاتصال الأخرى كالأذاعة والتليفزيون .. فسارت بطريقتها الخاصة على هذا النهج ..

وانتقلت التقاليد التى ارستها الصحافة المصرية إلى الصحافة العربية كلها من المحيط إلى الخليج ، فأضافت إلى العوامل الفكرية المشتركة عاملاً جديداً يوحد الشعب العربى فى كل مكان ..

واعتاد « الهلال » أن يستقبل الشهر المعظم فى حفاوة خاصة بتقديم الموضوعات المتصلة بمعانى الصوم والعبادة ، ومايربط بينها وبين نضال المجتمع وتقدمه ..

إن هلال الصوم الذى لاح فى السماء منذ أيام فبعث الصفاء والمحبة فى القلوب ، يكبر أمام انظارنا ليلة بعد ليلة ، وتكبر معه المعانى التى تمثلت فيه للعرب والمسلمين ، من يوم نزول الوحى فى رمضان إلى هذا الزمن الذى تكالبت عليهم فيه قوى الشر ، وأحاطت بهم عوامل التفرق والضياع .. بالرغم مماجعل الله فى أيديهم من عوامل القوة والتقدم ..

فما أجدر شهر رمضان أن يكون شهراً للتأمل والتفكير في أحوال العرب والمسلمين .. ذلك التفكير الموضوعي الذى يفوق خواطر الصائم ، وإن كان في جوهره من معانى الصوم ومن خواطر الصائمين ..

ويقدم « الهلال » الذى بين يديك ، جزءاً عن « التصوف ».. ومازال « التصوف » منذ عرفه المسلمون .. يعلو صوته في شهر رمضان .. بعد أن عاش في المجتمع الإسلامي من الأندلس إلى الهند مئات السنين ، وأثر في هذا المجتمع المترامي الأطراف أثراً لايجادل أحد في عمقه ، ومازال الجدل دائراً حوله حتى اليوم ..

فما هو التصوف ..؟ وكيف وأين نشأ .. ولماذا ..؟.. وهل أساء إلى أصحابه أم أحسن إليهم ، وبخاصة في هذا العصر الذى صعد فيه أناس إلى الفضاء ، وساروا بأقدامهم على أديم القمر ، ولاعلم لهم بالتصوف ؟!

طرح « الهلال » هذه القضية ، والقضايا المرتبطة بها ، على مجموعة من المفكرين والباحثين والأدباء ، وبينهم بعض رجال التصوف ، فتنوعت إجاباتهم ، والتقت في نقاط كثيرة ، وافترقت في نقاط أخرى ، ولكنها جمعت ولم تدع فيه شيئا لم تتناوله بالبحث ، في هدوء وعقلانية ورغبة في جلاء الحقيقة ..

ونضعها جميعا بين يديك - عزيزى القارىء - لتتأملها وتفكر فيها ، وتحاول معنا أن نصل إلى فهم مشترك يدفع إلى الأمام عجلة التقدم .

المحرر

برنارد شو وقضية دنشواى

بقلم : محمود على مراد

كان موقف برنارد شو من المحكوم عليهم فى قضية دنشواى المشهورة شاهدا على تعاطفه مع المصريين ودفاعه عنهم ٠

وقع حادث دنشواى فى ١٣ يونية ١٩٠٦ أى منذ حوالى ثمانين عاما وكان هذا الحادث بما ترتب عليه من محاكمة واحكام نقطة تحول هامة فى تاريخ الاحتلال البريطانى لمصر جاءت بعد ربع قرن من هذا الاحتلال وانتهت بخروج المندوب البريطانى الحاكم بأمره ، اللورد كرومر ، من مصر والهبت الشعور القومى ضد الانجليز بعد أن كانت صدمة الاحتلال وهزيمة جيش عرابى ونفى عرابى والتدابير القمعية التى اتخذتها سلطات الاحتلال قد أخمدت جذوته ، واتاحت للزعيم مصطفى كامل فرصة اثارة الضمائر فى مصر وفضح الاحتلال وكشف مخازيه والتنديد به فى أوروبا وفى فرنسا بصفة خاصة ٠

وقد أعادت مجلة « المحاماة » المصرية ، التى تصدر عن نقابة المحامين ، فى عددها الصادر بتاريخ مارس - ابريل ١٩٨٠ ، فتح ملف هذه القضية فنشرت بلاغ الحكومة عن الحادث وورقة الاتهام وملخصا لاجراءات المحاكمة بما فى ذلك شهادة الشهود ومرافعة المدعى العمومى ابراهيم الهلباوى وكذلك نص حكم المحكمة المخصوصة التى شكلت لمحاكمتهم ٠

وقد بلغ عدد المتهمين ٥٢ ولم يستغرق التحقيق سوى ١١ يوما ٠ وبدأت المحاكمة فى يوم ٢٤ من نفس الشهر ، ولم تستغرق المحاكمة سوى ثلاثة أيام ٠

لقد تحدث برنارد شو عن دنشواى فى المقدمة الطويلة التى كتبها لمسرحية « جزيرة جون بول الاخرى » - وايرلندا هى البلد الذى ولد فيه برنارد شو وعاش فترة قبل أن ينتقل مع أمه واخواته الى لندن فى سن الواحدة والعشرين ٠ الا أنه لم يكن يعتبر نفسه واحدا من الانجليز شأن معظم الاسر البروتستانتية بل ظل على ولائه لايرلندا الى اخر حياته وقد جمع فى مقدمة هذه المسرحية بين ايرلندا ومصر ليوضح أن عيوب السياسة البريطانية واحدة أيا كان



في الطريق إلى قرية دنشواي لمحاصرتها وتنفيذ الاعدام في ابنائها امام الاهالي .

البلد الذى تحكمه وأيا كانت درجة قربها منه من الناحية السياسية .

واستقى «شو» معلوماته عن دنشواى اساسا من تقريرين رسميين قدما الى مجلس العموم البريطانى الذى عرضت عليه الحكومة تفاصيل الموضوع والمحاكمة .

ووصف الحادث الذى أورده «شو» نقلا عن التقريرين المذكورين لا يختلف فى جملته كثيرا عما وقع الا أنه يزيد أن أهالى دنشواى سبق أن قدموا شكاوى وعرائض الى الحكومة يتظلمون فيها من ذهاب القومندان الى قريتهم منذ سنتين وصيده الحمام فيها ، وأن حسن محفوظ ، الذى حمل عليه المدعى العمومى حملة شعواء ، نهى مجموعة الضباط عن صيد الحمام ولكنهم لم يفهموا ما قاله ، وأن زوجة عبد النبى والمحيطين بها حسبوا أنها لقيت حتفها مما اثار ثائرتهم وأخرجهم عن طورهم ، وأن اصابة القومندان لم تتجاوز فى الواقع شرخا فى عظمة الزند ، وان اشارة بعض الاهالى الى اعناقهم امام الضباط الانجليز كانت تعنى أنهم يستحقون القتل لا ، كما ذكر المدعى العمومى ، أن الفلاحين ينوون قتلهم .

والفرق الاساسى بين نظرة برنارد شو الى المتهمين فى قضية شو ونظرة المدعى العمومى هو أنه كان يعتبرهم قوما شرفاء . هو لم يصفهم بأنهم - كما قال المدعى العمومى - قسوم « أدنياء النفوس سافلى الاخلاق » ولا اتهمهم مثله بأن طبيعتهم طبيعة شريرة « تقبل كل جريمة لاى سبب كان » ، ولم يقل ان الغرض الحقيقى الذى جعلهم يرتكبون فعلتهم هو رغبتهم فى اعدام الضباط ، ولم يشبه ما فعلوه بما كانت تفعله محاكم التفتيش . بل لم يقل عنهم ما قاله محاميهم الاستاذ محمود يوسف من أنهم قوم طائشون جهلاء حمقى لا يدركون مسئولية عملهم .

لا . برنارد شو لم يحاول ان ينحى عليهم بلائمة ، حتى بأخف عبارة ، بل قرر على العكس أن تصرفهم تصرف طبيعى لا غبار عليه وأنهم انما أتوا ما أتوه لان القانون خذلهم حين احتاجوا الى حمايته فى المرة الاولى . وأن حسن محفوظ ، بعد أن يئس من حماية القانون ، قرر الا يستخذى وألا يقبل تكرار التعدى على ما يملك ، وهذا حقه .

وتساءل « شو » فى معرض تبريره لموقف المصريين : ماذا يكون رد فعل اهالى قرية انجليزية لو تعرضوا لما

برنارد شو وقضية دنشواى

تعرض له أهالى قرية دنشواى ؟ ماذا كان شعور القرية الانجليزية مثلا لو أن مجموعة من الضباط الصينيين ظهرت فجأة فيها وأخذت تصطاد البط والاوز والدجاج والديوك الرومية التى يملكها الأهالى ثم حملت ما اصطادته منها بزعم أنها طيور برية مباح صيدها ؟ ورد على سؤاله قائلا ان شعور أهالى دنشواى كان نفس الشعور الذى لابد ان أهالى القرية الانجليزية كانوا سيشعرون به فى هذه الحالة ، وأن أهالى القرية الانجليزية كانوا سيشعرون بشعور أهالى دنشواى لو أن الضباط الصينيين الذين تخيلهم قتلوا زوجة المزارع الانجليزى الذى أراد منعهم من صيد دواجنه

وأضاف انه يجب الاعتراف بأن غضب عبد النبى كان له ما يسوغه فقد تصور أن زوجته قتلت وأن النار اشتعلت فى جرنه بفعل الانجليز . واذا كان قد ضرب الضابط الانجليزى بالعصا نتيجة لذلك فهو لا يستحق اللوم . وقال أن الضباط أساءوا التصرف حيال سخط الأهالى فزادوا الطين بلة ، وأن الورطة التى أوقعوا فيها أنفسهم لو حدثت لنفر من رجال البوليس الانجليز من غير الضباط لشقوا طريقهم بالقوة وغادروا القرية على عجل قبل أن يستفحل الامر ادراكا منهم الا فائدة من محاولة تهدئة جمهور ثائر خاصة اذا كان لا يفهم لغتهم ، وأن مجموعة الضباط لو كانت تحت قيادة ضابط قدير لاستطاع أن يخرجهم من المأزق سالمين .

ولفت « شو » النظر الى أن الضباط لم يذهبوا الى دنشواى فى مهمة رسمية بل ذهبوا اليها بصفتهم الشخصية للترييض والتسلية ، وأنهم بصيدهم الحمام قاموا بعمل فيه مساس خطير بطيور مملوكة لقرية فقيرة وأن مثل هذا الاعتداء الطائش والاتانى على ملك الغير لو حدث فى قرية انجليزية لاضطر مرتكبوه لدفع تعويض لمن أصابهم الضرر ، وأن مثل هذا التعويض لم يقدم أو يعرض على أهل دنشواى فلم يكن هناك ما يدفعهم الى قبول هذه الاعتداءات .

الى من يوجه اللوم

وقال ان الواجب كان يقضى بتوجيه لوم شديد اللهجة الى الضباط الانجليز وبابلاغهم أن ما حدث لهم انما كان نتيجة لما جنته أيديهم ، بأن يعامل أهل القرية الذين اعتدوا عليهم برفق وبأن تقدم لهم التأكيدات ، فى الوقت ذاته ، بأنه سيكون من المحظور على الضباط الانجليز مستقبلا أن يصيدوا الحمام فى قريتهم .

ويقارن « شو » هذه الاجراءات التى يراها طبيعية بما حدث بالفعل ويصف الطريقة التى نفذت بها الاحكام الصادرة على أهل دنشواى بسخرية تقطر دما فيقول :

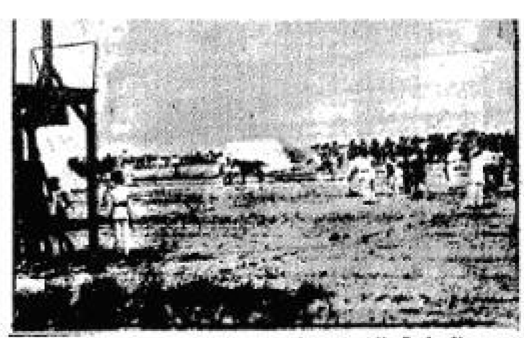
— ان محمد عبد النبى ، بالنظر الى اصابة زوجته ، لم يحكم عليه الا بالاشغال الشاقة المؤبدة ، وأن رحمة بريطانيا لم تقف عند هذا الحد ، بل انها أعفت زوجته من العقوبة تماما ولم توجه اليها حتى تهمة اختلاس الرصاصة التى أخرجوها من جسمها .

— لكيلا يشعر عبد النبى بالوحدة وهو يبدأ فى سن الـ ٢٥ تنفيذ حكم الاشغال الشاقة لبقية عمره ، حكم





برنارد شو



الساحة التي تم فيها إعدام ابناء القرية

على شاب آخر في الـ ٢٠ من عمره بالاشغال الشاقة المؤبدة ايضا ٠

ـ أما حسن محفوظ ، صاحب برج الحمام الذي احتج على هواية الصيد البريطانية وهدد الضباط الانجليز حين صادوا حمامه ، بل ضرب هؤلاء الضباط بنبوت ، فان بريطانيا لم تاخذها به شفقة ولا رحمة لانه في نظرها مجرم يجب أن يعاقب ويكون عبرة لمن يعتبر ٠ ونظرا الى أن الاشغال الشاقة لم تكن كافية كعقوبة لرجل مثله في الستين من عمره فقد حكم عليه بالاعدام ونفذ فيه الحكم شنقا ٠ ورعاية لأسرته وحدبا عليها تم شنق حسن محفوظ أمام بيته وامام زوجاته وابنائه واحفاده ذلك ان بريطانيا لم ترد أن تحرمهم من متعة مشاهدة المنظر وهم وقوف على سطوح البيت ٠

ـ ولكيلا تحسد الاسر الاخرى أسرة حسن محفوظ على هذا التكريم شنق معه ثلاثة آخرون من أهل دنشواي

ويذكر برنارد شو ان المحكوم عليهم بالاعدام واجهوا الموت بتجلد وهم ينطقون بالشهادة ، وأن أحدهم ، وهو محمد درويش زهران ، عيل صبره من بطء اجراءات تنفيذ الحكم فاهاب بالجلاد في شجاعة أن يسرع في شنقه ٠٠ وأثنى شو على متهم كان قد سبق حبسه في شهادة زور وقال ان مقاومته للغزو البريطاني عمل يشرفه، وقال إن اعمار من حكم باعدامهم كانت ٦٠ و٥٠ و٢٢ و٢٠ عاما على التوالي ٠

ويواصل مؤلفنا وصف عملية تنفيذ الاحكام فيقول بطريقته الخاصة :

ـ نظرا الى أن الشنق يفتقر الى عنصري الدم والتعذيب اللذين يشغف بهما خيال العسكريين ورجال الادارة، والى أنه لم يكن في الامكان شنق اكثر من رجل على المشنقة ، وأن عملية الشنق كانت تقتضي ابقاء الجثة معلقة لمدة نصف ساعة للتأكد من الوفاة ، ولاعطاء الاسرة وقتا كافيا لمشاهدة رجلها وهو يتأرجح في الهواء وهو يدور حول نفسه » ، وأن تنفيذ أحكام الاعدام كان يحتاج الى ساعتين، ورغبة في عدم قطع الفرجة على المتفرجين ، قام ممثلو السلطة البريطانية بجلد ثمانية رجال بواقع خمسين جلدة لكل منهم ٠

ـ وكان هناك رجل اسمه سعيد سليمان كان من المفروض أن يجلد ولكنه لم يجلد على ما في ذلك من خطر على الامبراطورية البريطانية

برنارد شو وقضية دنشواى

فقد أوصى الطبيب بعدم جلده لانه مصاب بالصرع وقد انتابته عدة نوبات من الصرع خلال المحاكمة . وقد اخل عدم جلده بالترتيبات التى كانت قد اتخذت لقتل الوقت بين شنق احد المحكوم عليهم بالاعدام وشنق من يليه ، وهى الترتيبات التى تقضى بجلد اثنين من المساجين بعد شنق كل محكوم عليه بالاعدام . وقد ترتب على الاخلال بهذه التدابير أن أصبح تنفيذ الشنق على درويش عملية تبعث على السأم . اذ أن جثته بقيت معلقة من المشنقة ربع ساعة كامل دون جلد احد للترفيه عن معارفه من أهل البلد وعن الضباط وعن فرقتى فرسان الشرطة العسكرية البريطانية وفرسان المشاة البريطانية اللتين حضرتا تنفيذ الاحكام . « وكان الواجب أن تكون هناك بعض أحكام الجلد الاحتياطية للتنفيذ اذا حدث طارىء عارض مثل هذا » .

ـ كانت حصيلة عمل اليوم شنق أربعة والحكم على اثنين بالاشغال الشاقة المؤبدة وعلى واحد بالاشغال الشاقة ١٥ عاما وعلى ستة بالاشغال الشاقة ٧ سنوات وعلى ثلاثة بالحبس مع الشغل سنة وعلى خمسة بـ ٥٠ جلدة .

كيف تصدر أحكام بهذه القسوة التى تفوق كل وصف وقد كان فى المحاكمة محامون ترافعوا ودافعوا عن المتهمين ؟

غضب الانجليز

كان رأى برنارد شو فى دفاع المحامين أنه « أقل كثيرا من معدوم » . وقال أن المحامين الذين انتدبوا للدفاع قد اختيروا من المحامين الذين يخشون على مركزهم من غضب الانجليز وانهم ـ بدلا من الدفاع عن المتهمين ـ كالوا الثناء للاحتلال ووصفوه بأنه نعمة عظمى أمطرتها السماء على بلدهم ، وقالوا ان سلوك موكليهم سبب استياء المصريين جميعا وطلبوا استعمال الرأفة مع الضحايا باعتبار أن الرحمة فوق العدل .

ويراجع برنارد شو نفسه فيلتمس للمحامين العذر ويقول بسخريته المعتادة انهم لو دافعوا عن المتهمين كما ينبغى لاقتنع اللورد كرومر بأن أقل ما يجب عمله لانقاذ الامبراطورية البريطانية هو حرق القرية وصلب جميع سكانها .

وكان وصف الحادث فى نظر مؤلفنا واضحا تماما : قرية غزاها خمسة من الاجانب المسلحين حاولوا ، للمرة الثانية ، أن يصطادوا دواجن أهل القرية ويحملوها معهم . وأربعة من أهل القرية جرحوا عندما حاولوا نزع سلاح المعتدين . وهاج أهل القرية فضربوا الغزاة الى ان خلصهم شيوخ القرية وخفراؤها وسهلوا عودتهم دون أن يصيبهم من السوء ما كان يمكن أن يصيبهم فى أى مكان من جراء فعلة كفعلتهم .

وذكر أن درويش التفت الى بيته وهو واقف تحت المشنقة وقال : « عليه العوض فى هذه الدنيا الكذابة ، دنيا الظلم والهوان » . وأضاف شو : لو أن درويش جرؤ أمام المحكمة وقارن عدالة الله بعدالتها ليثبت أن عدالة المحكمة أقل من عدالة الله لحكمت المحكمة بجلده خمسين جلدة قبل اعدامه لكى يؤمن بعظمة الامبراطورية .. والذى حدث أنه احتفظ بآرائه

لنفسه حتى اللحظة التى أصبح من المستحيل فيها انزال عقاب عليه أسوأ من عقوبة الشنق ٠

هذه هى ملاحظات برنارد شو على وقائع حادث دنشواى ووصفها وعلى مرافعة المحامين المصريين وعلى الاحكام التى صدرت على المتهمين وعلى طريقة تنفيذ هذه الاحكام ٠

لقد ورد فى التقارير الرسمية المقدمة من اللورد كرومر الى البرلمان البريطانى أن « تنفيذ الاحكام قد أحيط بكل مظاهر الاحترام الذى يتفق وجلال المناسبة » ، وأنه تم « بأكبر قدر ممكن من الترفق » ، وأن « الترتيبات التى اتخذت فى هذه المناسبة حدث تدعو الى الاعجاب وانها مفخرة لجميع من يعنيهم الامر » ٠ ويعلق « شو » على هذه العبارة قائلا ان هذه الشهادة الاخيرة ، فيما يبدو ، لا تنصرف الى الضحايا فالواضح أن احدا لا يعتبر انهم ممن يعنيهم أمر المحاكمة من الناحية الرسمية على الاطلاق !

ويقول اللورد كرومر فى موضع آخر ان المحاكمة ، بالصورة التى تمت بها ، كانت « عادلة وضرورية » ٠٠ لماذا ؟ لان المحاكم الاهلية التى انشأتها انجلترا فى مصر عام ١٨٨٣ لم تكن مختصة بالنظر فى هذا النوع من القضايا وأن الذى كان يقوم بالعمل الفعلى لمواجهة الجريمة فى مصر لجان أسمتها لجان الجريمة أعضاؤها جميعهم من المصريين ، وأن هذه اللجان كانت اذا أبلغت بجريمة من الجرائم ، تنزل على القرية التى حدثت فيها وتقبض على جميع من تشتبه فيهم وتعذبهم بكل وسائل التعذيب لاتتورع عن شىء يجوز ذكره اولا يجوز وتتهم كل من يراد منها أن تتهمهم وترغمهم على الاعتراف بأى شىء وبكل شىء يراد منهم أن يعترفوا به ، وان هؤلاء كانوا يقتلون بعد ذلك و يجلدون أو يرسلون للاشغال الشاقة ، وأن شر اللجان المذكورة كان أكبر من نفعها وأن الامر كان يستلزم انشاء محكمة

لقطة لأبطال دنشواى فى السجن . الجميع ضحايا الاحتلال الساجن والمسجون والشانق والمشنوق



برنارد شو وقضية دنشواى

جديدة على نمط المحاكم العسكرية ، ولكن المصريين الموالين لبريطانيا والذين تحتاج اليهم دولة الاحتلال لادارة شئون البلد لم يقبلوا هذا الحل وكان لابد من شرائهم بالوظائف والمراكز والمرتبات ، وأن محكمة الشئت فى عام ١٨٩٥ تتكون هيئتها من ثلاثة بريطانيين ومن قاضيين مصريين ، وأن هذه المحكمة تتمتع بسلطات غير محدودة فى الواقع وليس فيها محلفون واحكامها لا تقبل الاستئناف ، وأن القضاة الذين تتكون منهم هذه المحكمة هم خيرة القضاة المدنيين والعسكريين ويضيف اللورد كرومر الى ذلك أن هذه المحكمة على علاتها ، افضل من لجان الجريمة ، وأن المصريين قد تعودوا ، فضلا عن ذلك ، على أن يقرنوا القانون والنظام بالجلد والاعدام والتعذيب وانهم لايحترمون أى محكمة لا تطبق هذه التدابير والعقوبات وأن المصريين يكنون للضابط الانجليزى كل توقير واحترام .ويدلل على ذلك بأن أحد مديرى مديريات المصريين هدد رجلا بضربه بالكرباج بحضور السير « كلود ماكدونالد » فى الثمانينات فاذا بالرجل يصيح فيه : « انت لا تجرؤ على جلدى الان وقد حضر الانجليز » . ويرد برنارد شو على هذه الحجج الواحدة بعد الاخرى .

وأما دعوى أن المصريين من طول ما اعتادوا على اساليب الجلد والاعدام والتعذيب ، لا يحترمون أى محكمة لا تأخذ بهذه الاساليب ، فهى دعوى يرى مؤلفنا أنها خطيرة . وهو يقول : اننا لو طبقنا نفس هذا المنطق لا تضح لنا أن من المناسب أن يلجأ مبشرو كنيسة انجلترا الى تقديم قرابين بشرية حين يقومون بالتبشير بالديانة المسيحية بين قبائل تقترن الشعائر الدينية عندها دائما بذبح ضحايا من البشر . ثم يضيف أن ما يفهم من الحجة التى ساقها اللورد كرومر هو أن محكمة دنشواى اذا كانت لم تلجأ الى أسلوب تعذيب المتهمين لحملهم على الاعتراف فان الشىء الوحيد الذى منعها من ذلك هو خشيتها من أن البرلمان البريطانى قد لا يهضم ذلك .. ويرجح « شو » انها كانت مخطئة فى مخاوفها « فان البرلمان الذى يتحمل احكام الاعدام التى صدرت (على المتهمين) قادر على هضم اى شىء ! » .

ويلقى برنارد شو فى هذا الصدد ضوءا جديدا على موقف المدعى العمومى المصرى حيال أحد الشهود وهو اونباشى البوليس - واسمه أحمد حسن زقزوق - الذى كان مكلفا بمراقبة مجموعة الضباط . فقد جاء فى مرافعة الاستاذ الهلباوى « أن الاصابة التى حصلت للمرأة كانت من البندقية وهى فى أيدى الاهالى.. وأن الاونباشى قال ان أحد الضباط أطلق عيارا أو عيارين فأصيب الجرحى ولكنه كاذب فى شهادته » ثم قال ان السبب الذى من أجله لم يعلن الاونباشى للحضور من جديد أمام المحكمة بعد شهادته الاولى كان « الخوف من فضيحة البوليس المصرى علنا بوجود أدنياء جناة فيه » .

والذى يقوله برنارد شو عن هذا الاونباشى هو أن الصحيفة الفرنسية

« ايجيبت » التى كانت تصدر فى مصر ذكرت ، فيما نقله بريطانى هو المستر ولفريد سكافن بلانت ، أن أحد القضاة الانجليز سأله ، حين سمعه يؤكد أن اصابة الجرحى كانت نتيجة لاطلاق احد الضباط لعيار أو عيارين .. عما اذا لم يكن يشعر بالخوف وهو يقول هذا الكلام فأجاب زقزوق : « الحق هو الحق ، وأنا لا أخاف من احد » وأن المحكمة أمرته بمغادرة القاعة فورا ، وأن زقزوق - فيما يقرر مستر بلانت - أحيل بعد ذلك الى محكمة تأديبية حكمت عليه بخمسين جلدة وبالسجن سنتين لموقفه فى المحاكمة . ويعلق برناردشو قائلا : نحن ان تأدبنا ولم نسم هذا الاجراء استخداما للتعذيب لتخويف الشهود المعادين لبريطانيا فهو ، على الاقل ، اجراء قصد به اقناع زقزوق بأن يراعى فى المستقبل أن تجىء شهادته على هوى المحتل .

ويشير برنارد شو الى قول اخر للورد كرومر هو أن محاكمة السجناء محاكمة « بلغت فيها العدالة درجة الكمال » . ويلاحظ ما فى هذا القول من مبالغة مفجوجة فهو لم يقل مثلا ان المحاكمة كانت محاكمة حاولت فيها المحكمة أن تتحرى العدالة بقدر ما تستطيع ، وهو أقصى ما يمكن قوله عن محاكمة على الارض » . ويضيف « لا شك أن اللورد كرومر يعتقد فيما يقول ، ولكن قوله نموذج حى لعقلية مسئول انجليزى مارس وظيفته لفترة ثلاثين سنة فى مصر وللمدى الذى يمكن أن يفقد معه هذا الشخص ادراكه بمعنى ما يقول من كلام .

ويعلق برنارد شو على قول اخر للورد كرومر مؤداه أن « محاولة تطبيق اراء غريبة على شعب شرقى شىء سابق لأوانه » قائلا أن معنى هذا أنك متى كنت فى مصر فافعل ما يفعله المصريون ، أى استخدم الكرباج والمشنقة وأن الغازى الذى يفعل ذلك يكون قد انهزم أمام من غزاهم ، ويلاحظ أن عقوبة الضرب بالعصا قد ألغيت فى انجلترا منذ عام ١٩٨٨٣ .

وقد جاء فى التقريرين المقدمين للبرلمان البريطانى عبارة أخرى للورد كرومر يقول فيها : « لقد أنفقت زهاء ثلاثين عاما من عمرى فى محاولة صادقة رفع المستوى المعنوى والمادى لشعب مصر . وأعاننى على ذلك نفر من الموظفين (البريطانيين) الذين بلغوا درجة عالية من الكفاءة والذين يعملون جميعا بنفس الروح التى أعمل بها » . ويقول برنارد شو فى ذلك : « ان مصر لو قرأت هذا الكلام لارتعدت فرائصها . فاذا كان حادث دنشواى تتويجا لثلاثين سنة من الحكم فى مصر ، فأى مصير ينتظر هذا البلد بعد ثلاثين عاما أخرى من محاولات رفع المستوى بنفس الروح ؟ » .

ونقطة أخرى انتقد « شو » اللورد كرومر بشأنها تتعلق بخطاب أرسله الى السير ادوارد جراى وزير الخارجية البريطانى فى اليوم التالى للحادث يقول فيه ان التعليمات ستصدر قريبا بمنع ضباط الجيش من صيد الحمام فى المستقبل تحت أى ظرف من الظروف . ويتساءل « شو » : لم اذن هذا الحظر اذا كان الضباط ، على حد تعبير المحكمة ، « ضيوفا » لم يصدر منهم شىء يستحقون من أجله اللوم ؟

ويسخر « شو » أخيرا من اللورد كرومر الذى شهد بأن « القاضى الانجليزى الذى أشرف على المحاكمة

برنارد شو وقضية دنشواى

رجل يتميز بانسانية فريدة وانه محبوب جدا من المصريين لما كان يظهره ازاءهم دائما من عطف » ، يقول ان هذا قول مضحك وانه شهادة من ظالم لظالم .

لقد حمل القاضى المذكور على المتهمين وأبرز تناقضهم فى اقوالهم وكذبهم . فقد انكروا التهم الموجهة اليهم وادعوا انهم لم يكونوا فى مكان الحادث ومنهم من قال انه كان فى القرية المجاورة أو كان يرعى الانعام على بعد ميل من القرية أو كان فى الحقل . وقال درويش ، الذى عثر على بندقية أحد الضباط فى بيته فى مكان جلست أمه عليه ، ان بعض اعدائه جاء الى بيته فى الليل فى غفلة منه ، ودفنها فى المكان الذى عثر عليها فيه .

وقال « شو » : صحيح ان هذا شيء مزر ، ولكن انتقاد القاضى له مزر اكثر ، لان الحكم الذى أصدره على المتهمين يدل على انه مواس ومنافق ومستبد وجبان من الطراز الاول ، وعلى أنه اتخذ من حكمه وسيلة لتزكية نفسه على حساب المتهمين المساكين » .

ويخلص برنارد شو من هذا الي الحقيقة التالية . أن الامبراطورية البريطانية اذا أصرت على أن تحكم العالم بالطريقة التى حكمت بها على المصريين فى قضية دنشواى عام ١٩٠٦ فلن يكون على الارض واجب سياسى اقدس واكثر الحاحا من واجب العمل على تحطيم هذه الامبراطورية وهزيمتها والقضاء عليها . ويقول ان أى مصرى شب على ضفاف النيل يخضع بارادته للحكم البريطانى بعد حادث دنشواى يستحق أن يعامل باشنع أنواع المعاملة التى وصفها اللورد كرومر بأنها « عادلة وضرورية » .

صورة بشعة لضحايا الاحتلال الذى ندد به الكاتب الكبير



ويضيف مؤلفنا أن المسئولية في هذا الحادث ليست مسئولية محكمة دنشواى وموظفى الاحتلال البريطاني وحسب ، بل هي أيضا مسئولية مجلس العموم البريطاني الذى كان بوسعه أن يرفض التصديق على الحكم وأن يعلن بالمناسبة ذاتها أن انجلترا بلد متمدن لا يقبل مثل هذه العقوبات الانتقامية الهمجية التى يجلد فيها الناس ويشنقون ، ويسجل على المجلس المذكور أنه لم يفعل ذلك .

ويهاجم برنارد شو السير ادوارد جراى وزير الخارجية في الوزارة الليبرالية ويبدى عجبه من أن الوزارة التى استنكرت حادث جلد بعض الصينيين وتنفيذ بعض أحكام الاعدام التى أصدرتها محكمة عسكرية في جنوب افريقيا بحضور امر المحكوم عليهم تحت حكومة امبراطورية سابقة ، هى نفسها التى سمحت باعدام المتهمين المصريين فى قضية دنشواى ، بل تجاوزت ذلك الى مناشدة مجلس العموم - ومناشدته بحرارة - الا ينتقد الحكم الصادر فيها والا يتبرأ من مسئوليتها وادعت أن عبد النبى وحسن محفوظ ودرويش وبقية المتهمين انما كانوا زعماء لمؤامرة اسلامية ضخمة تهدف الى اخراج المسيحية من افريقيا ومن آسيا بحركة تمرد كاسحة كالحركة التى اجتاحت القوات الهندية فى جيش البنغال عام ١٨٥٧ والتى هددت موقف بريطانيا فى شمال الهند باكمله وهى الحركة التى أطلق عليها اسم «تمرد الهند» والتى اتهم المسلمون باشعال نارها .

ووصف برنارد شو هذا الزعم الاخير بانه خرافة غبية سخيفة كاكاذيب « فولستاف » شخصية شكسبير الهزلية المشهورة وأبدى استغرابه من أن تنطلى هذه القصة الحمقاء على أى انسان أوتى حظا من ذكاء أو خبرة سياسية ، ورجح أن يكون شعور الوزراء الخفى بالمعرة والخجل لثورة الانسانية عليهم هو الذى جعلهم يتعلقون باوهى المعاذير ويصدقون مثل هذه الاكاذيب . وقال ان الشيء الذى لن تغتفره الانسانية هو أن انجلترا ، على فرض وجود مثل هذه المؤامرة ، لم تواجهها بشجاعة وبوسائل شريفة بل واجهتها بالارهاب .

هذا ما كتبه « شو » عن دنشواى . لقد هاجم ونقد كل من كان له دور فى هذا الحادث من الانجليز : الضباط البريطانيون الذين ذهبوا الى القرية، والقضاة الانجليز الذين حاكموهم ، والمندوب البريطاني الذى كان يحكم مصر باسم بلده ، والمسئول البريطاني الكبير : فندلى ، الذى كان يشترك فى وضع سياسة الاحتلال ، وجيش الاحتلال ووزير الخارجية البريطاني، والوزارة البريطانية كلها . بل ومجلس العموم .

وقد كتب برنارد شو فى سنة ١٩٢٩ ، أى بعد ربع قرن تقريبا من حادث دنشواى يقول ان انجلترا لم تتعلم شيئا من الدرس الذى كان يمثله هذا الحادث الذى أصاب سيادة بريطانيا على مصر بطعنة أدت الى جعلها تدخل فى رحلة الاحتضار ، وأن بريطانيا أعلنت ، بعد مقتل السردار البريطاني انها ستحول مجرى النيل عند منابعه وستقضى على مصر بقطع مياه النيل عنها . وقال ان هذا التهديد ، ولو ان انجلترا عدلت عنه بصورة يندى لها الجبين ، يوضح أن السلطة البريطانية المترامية تتصرف أحيانا ولأوهى الاسباب ، تصرفات هى الجنون ذاته .



بقلم : الدكتور محمد رجب البيومى

كُنَّا فى مجلس علمى نتحدث عن حجة الاسلام الامام أبى حامد الغزالى رضى الله عنه ، وفينا من يرتفع به إلى مستوى الزعامة الفكرية فى عصره ، ويُجيبُ فى تدفق عن كل مأُخذ يوجهُ إلى بعض ماكتبِ ، وقد قال بعض الحاضرين إنّ الغزالى قدْ ترددٌ فى بعض آرائه فهو فى كتاب مايتحدّثُ عن موضوع دينى بغير مايتحدث عنه فى كتاب آخر ، وضرب الأمثلة على ذلك من واقع مؤلفات حجة الاسلام ، ولكن عاشق الغزالى من أصحابنا ، قد عقب يقول فى استفاضة ، إن هذا التطور فى آراء الامام مما يحسب له لامما يحسب عليه ، فالرجل الكبير دائم التفكير فيما يصدر من أحكام ، ولابد أن يجد له مايصحح الخطأ أو يتم النقص ، وتلك سمة العقل المتجدد ! لقد تحدث أبو حامد عن العبادات من طهارة وصلاة وصيام وزكاة فى بدء حياته العلمية ، ثم تحدث عنها بعد استوائه على القمة الفكرية فأضاف الكثير ، وحلل وعلل ، وفصل وفسر ، وقد ظهر كتاب إحياء علوم الدين ليكون الانموذج الكامل لمعارف الامام ، فهو فى كل أبوابه ، يضيف من المعارف مايعمق الفكرة ويؤيد الحكم ، بل إنه يضيف من خواطره الصافية ، مايدل على شفافية نقية ، ومايكاد يعد به شاعراً ذا قلب ، لا عالماً ذا عقل ، لذلك كان كتاب الاحياء صورة لقلبه ، ومرآةً لوجدانه ، مع ما يحمل من ثمار الفكر الواعى ، والعقل البصير ، وهنا ارتفع صوت يطلب التمثيل ، فأشرق وجه صاحبى المتكلم ، وقال فى هدوء : ليكن موضوع الصوم عند الغزالى هو موضع التدليل :

لقد كان الامام أستاذاً للفقه فى المدرسة النظامية ببغداد ، بل كان أول أساتذة التشريع الاسلامى بهذه المدرسة ، وكان يحضر مجلس درسه ثلثمائة عالم من الكبار ، فهو أستاذ العلماء جميعاً ، تشد إليه الرحال ، ويُستفتى فى العصى من دقائق المعضلات على أنه كان يشرح أبواب الفقه بما تعورف بين الدراسين ، ففى باب الصوم ، يتحدث عن تعريفه ، وواجباته ، وسننه وانواعه ومبطلاته ، ودواعى الافطار التى تباح والمبطلات التى يفسد بها الصوم ، يتحدث عن ذلك بما هو مدون فى كتب السابقين وإن زاد شيئا ففى صحة التعليل ، واستيفاء الدليل والمقارنه بين الاحكام فى مذاهب





اهل السنه ، وله فى ذلك كله لسان فصيح ، وفكر صوال ويقظة واعية فى فهم السؤال وتسديد الجواب ، والرجل الكبير بعد ذلك كله عقل مستوعب دارس ، يعرف أن أدوات العلم هى التفكير والاستظهار ، والارتكاز على النظر المنطقى ، والدليل الشرعى فى التحليل والتعليل والتخريج إلى هنا ويقف الامامْ الغزالى دون أن يخترق هذه المسافة صاعداً إلى افق اعلى ، اما ماكتبه الغزالى عن الصوم فى كتاب الاحياء فلا يقف عند العلم المنقول وحده ، بل يضيف إليه ماتوحى به البصيرة الكاشفة ، والقلب الذواق والوجدان الصافى ، ولن اتحدث اليكم عما ذكره الغزالى فى كتاب الاحياء فى باب الصوم من المسائل المعلومة المشتهرة ، فهو فى هذا المجال متبع غير مجدد ، ولكنى اتحدث عما ذكره الغزالى فى باب الصوم مما اوجب به البصيرة الكاشفة والعقل الذواق .

اقسام الصوم

لقد قسم الامام الغزالى الصوم إلى ثلاثة اقسام فقال رضى الله عنه تحت عنوان (أسرار الصوم وشروطه الباطنة) مايمكن أن نلخصه فيما يلى :

إن الصوم ثلاث درجات ، صوم للعامة ، وصوم للخاصة وصوم لخاصة الخاصة .. اما صوم العامة فهو الذائع المشتهر الذى يمسك فيه الانسان عن شهوة الطعام والشراب وشهوة الجنس من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وقد يرتكب الصائم من الصغائر مالا يلتفت إليه دون أن يفسد صومه ، بل قد يرتكب من الكذب والنفاق والرياء مالا تظن معه أنه ارتكب مايبطل به الصوم ، فيظل طيلة يومه ممسكا عن الطعام والشراب حتى يؤذن المغرب فيقبل على الطعام ، معتقداً أنه قضى يومه صائماً طائعا ومنتظراً مثوبة الله على ما كابد من حرمان .

هذا صوم العامة ، اما صوم الخاصة فهو كف السمع والبصر واللسان واليد

الصوم عند الإمام الغزالي

والجوارح عن الآثام ، فالصائم فى عبادة متصلة ، وصاحب العبادة عليه أن يحترز من المعصية إذ لايليق به أن يمتنع عن الشراب والطعام قياماً بفريضة الصوم ، وهو يستمع إلى الغيبة دون أن يكف سمعه ، وينظر الى المحارم دون أن يكف بصره ، ويخوض فى اعراض الناس دون أن يكف لسانه ، ويغتصب مال الغير دون ان يكف يده ... إنه إذا فعل ذلك اخل بفريضة الصـوم إذ خلط عبادته بما يهوى بها إلى حيث تضيع ثمرتها المشتهاة ، ومثوبتها المرتجاه .

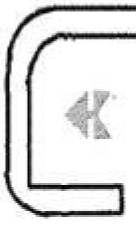
فإذا انتقلنا إلى صوم خاصة الخاصة فإننا نرى الامام الغزالى يراه فى صوم القلب عن كل مسائل الدنيا ، وعن التفكير فيما سوى الله عز وجل ! ويحدث الفطر فى هذا النوع للصائم إذا كان من خاصة الخاصة متى فكر فى غير ربه ، وفى غير مايتعلق بالحساب والجزاء والموت والبعث ، حتى قال بعض ارباب القلوب : من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير مايفطر عليه كُتِبتْ عليه خطيئة ، لأن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل ، وقلة اليقين بتوالى رزقه ، وفيض نعمه وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين ، إذ هى إقبال بجميع الهمة على الله ، وانصراف بالعزيمة عما سوى الله .

قال ذلك صاحبى ثم سكت ، ففاجأه بعض أصحابنا باعتراض على القسم الأخير ، لأن الامام الغزالى قد حجر واسعاً ، وضيق فسيحاً حين جعل الصوم فى هذا القسم وقفاً على التفكير فى ذات الله وحده ، فكيف يستطيع الانسان وهو صاحب عمل كادح أن يترك ميدان رزقه ليتفرغ طيلة الشهر للصوم الصامت !! ومن اين يقطف ثمار عيشه ، وهو منعزل فى صمته ، لايضرب فى مناكب الأرض مرتزقا كاسبا ؟.. والاسلام دعوة للعمل ، وصيحة للكفاح ، وقد انتصر المسلمون فى غزوة بدر ، وفى فتح مكة لدى عهد رسول الله ، وهم صائمون ، والغزالى يقول عن القسم الأخير .. إنه مرتبة الأنبياء و سَيِّدُ الأنبياء كان يناضل العدو غازيا فى شهر رمضان ، وهو صائم متعبد ، واذا لم يكن رسول الله ﷺ من خاصة الخاصة ، فمن يكون إذن ؟

الحق أن الاعتراض وارد على القسم الأخير من تقسيم الامام الغزالى ، ولعله يقصد به جماعةً لعهده قد فرغوا من الدنيا ، وعلقوا فى المساجد راكعين ساجدين .

دفاع وتفنيد

لم يطق تلميذ الغزالى صبراً على ما وُجِهَ إليه من اعتراض ، فاندفع يقول ، إن صوْم الخاصة الذى ذكره الغزالى لا اعتراض عليه من احد ، بل من الواجب أن يرتفع العامة الى مستواه ، لأن الرسول ﷺ يقول « كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش » وقيل فى تفسيره « هو الذى يمسك عن الطعام ويفطر على لحوم الناس بالغيبة



ولايحفظ جوارحه من الآثام ، ومتى التزم كل صائم بآداب الاسلام الخلقية فقد جاوز الطبقة الأولى إلى الطبقة الثانية ، أما الطبقة الثالثة وهي موضع الاعتراض ، فإنى أرى أن الانصراف إلى الله عز وجل لايمنع الانسان من العمل الجاد فقد يكون الصائم محاربا غازيا ، وربه لايَغْرُبُ عن تفكيره ، بل إنه يتقدم إلى حومة الجهاد معتقداً أن الله عز وجل يَدَّخِرُ له أجزل الثواب ، وانه بمرأى ومسمع ممن يعلم السر والنجوى ، فإذا كان الأنبياء يصومون ويحاربون ويناضلون ، فهم مع الله فى كفاحهم الشاق ، وصومهم إذن هو صوم الطبقة الثالثة !.. ومن يسع الى الرزق صائما وهو يفكر في طاعة الله ، فصومه عبادة ، وإذا كان صوم رمضان تمرينا على الصفاء النفسى طيلة العام فى غير رمضان ، فإن التفكير فى الله سيكونُ ديْدَنَ الصائم فى غير رمضان !.. وهنا يتحقق جدوى الصيام إذ تمتد إلى سلوك المسلم اليومى صائما أو غير صائم حين ينهاه الصوم عن اقتراف الموبقات بعد أن ينقضى أمده الزمنى وتحين أيام الفطر فى غير رمضان .

العبادات الأخــرى

ثم استطرد صاحبى يقول ، لم يكن الصوم وحده مجال الغوص النفسى لدى الغزالى دون سائر العبادات ، إذ إن حجة الاسلام قد وقف موقف التأمل الفاحص فيما عالجه من شئون الطهارة والصلاة والزكاة والحج حيث لم يكتف بما قرره الفقهاء من أحكام ، بل تغلغل إلى اللباب الصميم فى فلسفة هذه الفرائض ، وله مع كل فريضة نظره الكاشف وسعته الرحيبة ، فهو فى حديثه عن الوضوء والغسل مثلا لايقف عند الفعل الظاهرى بل ينص على أن الطهارة ذات مراتب أربع فالمرتبة الأولى هى المعرفة فى أبواب الفقه ، والمرتبة الثانية هى تطهير الجوارح من الجرائم والآثام والمرتبة الثالثة هى تطهير القلب من الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة والمرتبة الرابعة هي تطهير السر عما سوى الله ، وهى مرتبة الأنبياء والصديقين يقول الغزالى إن من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لايفهم من الطهارة إلا مرتبة الوضوء والاغتسال ، وهى القشرة الظاهرةُ بالاضافة إلى اللب المطلوب ، وكم رأينا من يهتم بنظافة الأيدى والأرجل والوجوه دون أن يهتّموا بتطهير القلوب من أقذار الحسد والنفاق والكيد ، مع أن الطهارة كل لايتجزأ ...

وفى حديث الغزالى عن الصلاة ، يوجه اهتمامه إلى الخشوع ويراه مناط الكمال لصحة الصلاة ، اذا كانَ الفُقهاء يفتون بصحة الصلاة لغير الخاشع فى كل صلاته فإن مقام الفتوى يتلمس الاعذار اعترافا بقصور الانسان وتقصيره ، لأن اشتراط الخشوع فى جميع الصلاة وإحضار القلب دون شرود مما يعجز أكثر الناس ، فلابد من الخشوع فى بعض اللحظات ، بالنسبة الى العامة ، أما الخاصة فعليهم ان يشمل الخشوع كل

لحظة يقف فيها المصلي بين يدي ربه ، ليمتدّ الخشوع إلى غير وقت الصلاة ، فيصبح المسلم بعيداً عن المحرمات إذ نهته الصلاة عن الفحشاء والمنكر تصديقاً لقول الرسول من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً ...

أما الزكاة فلها كالصوم ثلاث مراتب ، أدناها مرتبة من يقتصرون على الواجب المشروع فلا يزيدون عليهُ وفوقهم من ينفقون على قدر حاجاتهم ، ويدفعون إلى الفقراء مايزيد عن هذه الحاجة ، أما المرتبة الأعلى فلمن صدقوا التوحيد ونزلوا عن جميع أموالهم للفقراء ، هكذا نرى الغزالي يطمح إلى مالا نريد وراءه في هذه الفروض وتلك منزلة لايبلغها غير الآحاد ..

وفي حديث الغزالي عن الحج إفاضة في ضرورة التجرد والتنزه عن الشهوات ، والاقتصار على الضرورات ، وتفسير لمعاني الاحرام والسعي والطواف ورمي الجمار والتلبية بما يضفي على هذه المعاني من الروعة والسمو والصفاء ما يجعل الحاج مولودا جديدا يستقبل الارض بروح السماء .

عود على بدءٍ

قلت لصاحبي ، الا ترى أن الغزالي غير واقعيّ في بعض ما يتحدث عنه من أمور الصوم والصلاة والزكاة ؟ فقال متحمسا : نعتبر الغزالي غير واقعي لو جعل المسلمين طبقة واحدة في العبادات ، ولكنه قسم الناس مراتب ، ولاشك أن فيهم أحاداً يرتفعون إلى الذروة في إخلاصهم ، وهم من يتشدد معهم في بلوغ الغاية أما سواهم فقد سار معهم على سواء الطريق .

ففي باب الصوم مثلا نذكر أن كل فرد عليه أن ينظر إلى استعداده الروحي والجسمي ، فمن أطاق الصوم في أكثر الأيام في غير رمضان ، فتلك عبادة راقية تجد وقودها في استعداده الناهض ، وليس لأحد أن يقوم في وجهه فيصده عن معراج يحاول أن يرتقي به ، ومن أطاق الصوم في أيام خاصة تتوالى في الشهر أو تتفرق ، فله أن يسيرَ مع استعداده المناسب ، ومن لم يطق غير المفروض في شهر الصيام فله أن يلتزم به دون أن يتعداه ، بل إن الذي لايطيق الصوم المفروض في رمضان لاجُناحَ عليه أن يفطر إذ لايكلف الله نفسا إلا وسعها ، لذلك كان محمد صلى الله عليه وسلم يصوم ويصوم حتى يقال لايفطر وكان يفطر ويفطر حتى يقال لايصوم .

وقارىء باب الصوم في كتاب الاحياء يجد من الارشادات الواقعية مايجنبه الشطط والانهماك في الملذات ، فقد فطن الغزالي الى جماعة من الصائمين يمسكون عن الطعام والشراب طيلة النهار حتى إذا أذن المغرب انكبوا على الموائد فاستكثروا مما يجلب التخمة والبشم ، وفيهم من يواصل ملذاته طيلة الليل على أبعاد متقاربة ، والغاية من

الصوم هى كسر الهوى ، واعتبار الصبر على الجوع ، وراحة المعدة ، وقد أخل هؤلاء النهمون بغاية الصوم ، فأبطلوا فائدته ، فكأنهم جمعوا ماكانوا يتناولونه فى الصباح والظهيرة ، وكدسوة فى بطونهم بين المغرب والفجر ، فلم يصلوا الى شىء من تعويد الحرمان وكسر الهوى ، وفاتتهم الفائدة المرتجاة من الصيام ، يقول الامام الغزالى : ومن جعل بين قلبه وصدره مخلاة ممتلئة بالطعام و الشراب ، فهو عن الله محجوب ، لأن امتلاء البطن يقف حائلا دون مواصلة الصلاة فى التراويح ودون التهجد فى شهر العبادة ، ودون مجالس الذكر وخلوات التفكير فى ملكوت السموات والأرض مما يجب أن يكون ديدن الصائم فى شهر رمضان .

إن الانسان وسط بين الملك والحيوان ، فهو بإقباله على مطالب الروح يرتفع عن إنسانيته إلى مصاف الملائكة ، وبانهماكه فى ملذات الجسم دون التزام بحد معقول ينخفض إلى مستوى الحيوان ، والصوم - فى منطق الغزالى - إذا ادى على وجهه الصحيح يرتفع بصاحبه إلى مستوى الأطهار ، ممن تخلصوا من رغائب البدن وملذات النفس ، وعرفوا أن للروح ملذات اخرى حين تسعد بالتفكير الهادىء فى إسعاد البشرية ، وهداية الناس ، فاذا لم يتيسر هذا التفكير سعادة المرء نفسه ومحاولة ابتعاده عن الشرور ، ورمضان فرصة مواتية لهذا التفكير ، إذ هو عبادة تستدعى غيرها من العبادات ، فالصائم متطهر مصل مُزك وقد يصوم فى بعض أيام الحج فيجمع كل العبادات فى وقت واحد ، وهنا تكون صلته بربه قريبة دانية ، وبالتالى تكون صلته بالناس وثيقة هانئة لأن من يقوم بالفرائض على وجهها الصحيح لابد أن يكون حسن السلوك ، جميل السيرة ، يأخذ بالعفو ويأمر بالعرف ، ويصنع الجميل ، ويفسح الصدر لمن يقع فى الزلل ، وتلك صفات الموحدين .

إن رمضان شهر مجاهدة ، ومراتب الجهاد تتفاوت ، وقد أوضحها الغزالى فى إسهاب شاف ، وله روحانيته الصافية ، وذوقه الشفاف ، وعقله البصير ..



قراءة فى مقولة أمريكية جميلة

لاسلام بدون مصر ولا حرب بغير سوريا

بقلم : جمال الالفي

● نسمع عادة تعبيرات سياسية واردة ، ربما تتناول ابرز اهتماماتنا الوطنية أو القومية ، غير اننا نتقبلها ، وأحيانا تستهوينا بسبب سهولتها ، أو جمال الفاظها ، أو إيجازها البديع ، أو باستحسان معناها الذى يرضى المشاعر ، عندئذ نرددها باطمئنان يصل إلى حدود اليقين !

إن عبارة محظوظة ، أطلقها د . كيسنجر ، تقول بانه « لاسلام فى المنطقة دون مصر ، ولا حرب بغير سوريا ، قد إرتفعت بوزير الخارجية الأمريكية الأسبق من مجرد رجل سياسة ، واستاذ جامعة سابق ، ووصلت به إلى منزلة الحكماء !

ولأن عبارة لاسلام بغير مصر ، ترضى مشاعرنا الوطنية ، فقد تقبلناها على الفور ، كما أن الجزء الثانى من المقولة يرضى بنفس القدر مشاعرنا القومية ، لأنه يتعلق بالعزيزة سوريا ، التى لا يمكن التفكير فى الحرب بدونها ، وأصبحت الجملة بكاملها تحمل كل مقومات نجاحها وانتشارها .

وفاز كيسنجر فى العالم العربى بالشهرة ، ولم يفطن أحد بما فيه الكفاية ، بأن العبارة الأمريكية قد وضعت فى عناية ، السم فى الدسم لماذا ..؟!!

● تحمل العبارة جرثومة تناقضها ، لأن مفهومها يحمل فى طياته مغالطة فجة ، ووراء العبارة الجميلة التى ترضى المشاعر ، يكمن خطؤها .

" لاسلام بغير مصر ، ولا حرب بدون سوريا ، " ماذا تعنى إذا ابتعدنا عن تاثير ما قد تحدثه من مشاعر وطنية او قومية معينة ...

تعنى بداهة أن من يصنع السلم قد لا يكون هو بالضرورة من يصنع


السادات


كيسنجر


الاسد

قرار الحرب ، وهذا وهم كبير . فمن لا يستطيع صناعة الحرب ، قد لا يستطيع ان يدخل نفسه في زمرة القادرين على صنع السلام ، دون أن يثير حوله بعض الشكوك .. ثم كيف تكون سوريا قادرة على صناعة الحرب ، وهي لا تريد أولا تقدر على صياغة نوع من السلام ، يجرى ترتيبه وفقا لمعطيات الحرب التي قامت بشنها في البداية ، من اجل تحقيق اهداف سياسية ..

وهكذا يبدو الأمر محيرا ، فنحن امام دولة تصنع السلام وهي مصر ، وكيسنجر يقصد بالطبع السلام مع اسرائيل فالسلام العربي - عربي غير وارد في العبارة الأمريكية .

ولما كان السلام المصري - الاسرائيلي ، قد وقع بعد سنوات من حرب واسعة النطاق في ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، فإن مقولة كيسنجر تفقد اهم عناصرها ، ومصر التي حاربت هي مصر التي صنعت السلام . فإذا اهملنا عن عمد ، قصة الحرب ، وتوسعنا في الحديث عن قرار السلام ، فإن العبارة الأمريكية المصكوكة بعناية ، تخرج عن معناها ، بسبب تلاعب لفظي .. ! !

● ● ●

● وبالطبع ما يقال عن مصر ، يمكن أن يقال بالنسبة للعزيزة سوريا إلا إذا كان المقصود من كلمة " ولا حرب بغير سوريا» محاولة مخادعة للتدليل على أن سوريا دولة مشاغبة بطبعها ، ولا تفكر في قضية السلام ، أو ربما بحكم تكوينها النفسي والجغرافي غير قادرة على إستيعاب فكرة السلام ، وربما كان من المناسب وجود من يفرض السلام على سوريا ... ! !

هل تقصد العبارة الأمريكية ، سحب مفهوم القدرة على صنع السلام من مصر ، كما تسحب بنفس القدر من العدل ، مفهوم القدرة على صنع الحرب من سوريا ... وربما يكون ذلك

لا سلام بدون مصر ولا حرب بغير سوريا

هو الهدف ، إلا باستثناء واحد ، غير أنه للأسف ، نادر الوقوع ، وهو القدرة على توحيد القرارين معا ، ليكون قرارا واحدا مشتركا من جانب سوريا ومصر يصنعان الحرب معا ، ويقودان طريق السلام معا ، وفى وقت واحد ، لأنه حسب المقولة الأمريكية لن يستطيع احدهما بمفرده أن يفعل شيئا ، بعد اقتسامهما بالتساوى قرارى الحرب والسلام »

وهكذا يضعنا السيد كيسنجر ببراعة ، أمام الرهان الصعب .. من يستطيع أن يجمع سوريا ومصر ، على قرار مشترك واحد ، سواء كان حربا أو سلما كما كان يحدث فى الماضى ، وكيسنجر يعتقد أنه لا أمل هناك فى الوقت الحالى ، فى قرار من هذا الوزن الخطير ، لأن آخر اتفاق من هذا النوع ، كان قد تم قبل اكتوبر ١٩٧٣ ، وأفرز الحرب ، وقد اشترك كيسنجر بنفسه ، فى دفع آلة الحرب الأمريكية على عجل ، لانقاذ إسرائيل عسكريا وللاستيلاء سياسيا بعد ذلك على الدولة اليهودية حتى اليوم ، كثمن لاستمرار وجودها ..

● إن الاتفاق التاريخى بين مصر وسوريا على الحرب عام ١٩٧٣ ، ظهر فيما بعد ، أنه لم يكن اتفاقا شاملا ، فى شقيه الأساسيين ، وهما شن الحرب ، ثم البحث عن صيغة معقولة تترجم نتائج الحرب إلى معادلات محسوبة للسلام الواقعى ، والحاصل منذ نهاية الحرب ، قبل اثنتى عشر عاما ، وحتى الآن ، ولأنه كان موثقا بطريقة عملية ، إتفاق الدولتين على شن الحرب ، فانه قد جرى جدل مطول فيما بعد ، حول من بدأ بالمطالبة بإيقاف وقف إطلاق النار ، وهل كان هناك إتفاق مشترك بين الدولتين فى حينه على هذا الطلب ، أم أن دمشق هى التى تسرعت وطالبت منفردة بوقف إطلاق النار ، بعد اليوم الأول للحرب ، وفقا لرواية الرئيس السابق السادات ، كما نقلها إليه السفير السوفيتى فى القاهرة ، أم أن مصر هى التى فاجأت سوريا بإعلان موافقتها على قرار وقف إطلاق النار ، كما يقول الرئيس السورى حافظ الاسد حتى الآن ...

لقد كان إتفاق مصر وسوريا ، على الحرب ، هو أخطر القرارات العربية المشتركة التى جرت قبل إثنى عشر عاما ، وربما كان آخرها ايضا ، لانه بعدها توقف العمل بأى قرار عربى ثنائى أو ثلاثى أو جماعى ، وهذا هو الرهان العظيم الذى يراهن عليه ، كافة القوى الغير عربية سواء فى المنطقة أو خارجها ...

بديهى أن كيسنجر أيضا ، قد ألقى بالقفاز فى وجه العرب ، عندما اشترط

لحسم قضية الحرب والسلام ، لصالح العرب ، اتفاقا مسبقا بين مصر وسوريا ، وهو إتفاق صعب المنال فى ظل الظروف السياسية البالغة التعقيد فى المنطقة . طوال السنوات الأخيرة ، والتى أفرزت كثيرا من التحديات الغير مسبوقة بالنسبة للعالم العربى ، مثل قيام إيران بمحاولة تصدير ثورتها عن طريق القوة المسلحة للعالم العربى ، ابتداء من البوابة العراقية ، مرورا بمنطقة الخليج ، وقفزا على بقية المناطق الساخنة فى الدول العربية وخاصة لبنان . ثم ما جاء غير ذلك من غزو إسرائيلى للبنان ، قبل ان تمر أربعون يوما فقط على رحيل أخر جندى إسرائيلى من شبه جزيرة سيناء يوم ٢٥ إبريل عام ١٩٨٢ ، تنفيذا لاتفاقية السلام المبرمة بين مصر وإسرائيل

● السلام المصرى لم يدفع العدوان الاسرائيلى عن لبنان ، ولا استطاع قرار الحرب السورى أن يوقف قوات الاحتلال الاسرائيلية من دخول العاصمة بيروت وطرد الفلسطينيين من هناك .

ولما كان بديهيا أن د . كيسنجر ، يعلم أن السلام الذى تقصده مصر ، باتفاقيات كامب دافيد ، ليس سلاما منفصلا عن أمن وسلامة العالم العربى ، فإن أى حديث أخر لكيسنجر عن صناعة سلام منفرد مع إسرائيل والاتفاقية تحدثت عن حقوق الفلسطينين فى وطنهم ، وتحدثت عن إستعادة الجولان السورية كشرط ضرورى لاقرار السلام الشامل ، وعندما كان الرئيس السادات يؤكد دائما ان حرب اكتوبر ستكون أخر الحروب ، كان فى نفس الوقت يعتقد ان الجيوش العربية لن تجد نفسها مضطرة لمواجهة الجيش الاسرائيلى فى مغامرات لم تعد قائمة .

وقد كان للرئيس السادات ، ما يبرر اعتقاده ، وهو يضع فى اعتباره أن مصر هى الدولة الوحيدة فى المنطقة القادرة على صنع السلام ، ولكن الرئيس السادات كان قد مات قبل أن تختبر إسرائيل عمليا هذه المقولة ، عندما قامت بشن حرب عسكرية واسعة النطاق ، بهدف غزو دولة عربية ، هى لبنان .

ربما كان الرئيس السادات ، قد راجع معتقداته فى قضية الحرب والسلام بعد الغزو الاسرائيلى للبنان ، إذا كان العمر قد طال أقل من عام ويرى بنفسه الشرخ الذى وقع ، غير أن ما يثير العجب ، ان يطلق د . هنرى كيسنجر نفس المقولة فى تاريخ لاحق لعملية الغزو الاسرائيلي للبنان ، ويجعلنا نسأل عن المغزى الذى يريده من وراء إطلاق عبارته الشهيرة والغير واقعية ..

والتى أطلقها فى ظروف سياسية

لاسلام بدون مصر ولاحرب بغير سوريا

بالغة التعقيد كانت تمر بالعالم

العربى ، وخاصة فى العلاقات المصرية ـ السورية ، التى وصلت إلى أدنى مستوى ، بسبب القرار المصرى بالسلام ، والقرار السورى بالاستمرار فى الاستعداد للحرب ... لقد كان الهدف النهائى لمستر كيسنجر من وراء إطلاق مقولته المخادعة ، هو أن تتمسك مصر بقرارها ، وأن تتمسك سوريا بنفس القدر من الاخلاص

لقرارها ، لأنه مادام السلام الذى هو بيد مصر لن يوجد بغير قرار الحرب ، وهو قرار خطير ومصيرى ، غير أنه يوجد لسوء الحظ فى يد سوريا ، فلماذا تفرط سوريا . فى مثل هذا الشرف الذى لا يدانيه شرف

والنتيجة السياسية لهذه المقولة الأمريكية البلاغية هى كما نرى لاتسر مصر ، ولا تسعد سوريا ...

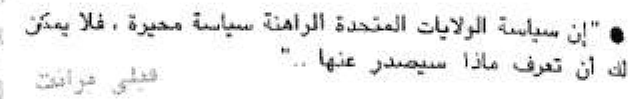
قرار السلام ضربته إسرائيل فى لبنان ،

كما أن قرار الحرب لم يجعل سوريا تشتبك فى حرب شاملة مع إسرائيل بسبب لبنان .

وسيكون الأمر الاكثر مدعاة للأسف ، هو أن قرار الحرب السورى ، لم يمنع من استمرار إحتلال هضبة الجولان السورية حتى اليوم ، لقد ساعدت مقولة كيسنجر ، على تكريس التباعد بين مصر وسوريا ، وهو الهدف النهائى الذى يريده كيسنجر ، كما أنه الهدف الأكثر رعبا الذى لاتريد إسرائيل أن تشاهده مهما كلفها ذلك من ثمن ..

إن قرار الحرب والسلام ، هو قرار واحد لا يتجزأ ، وغير ذلك هو كلام فيه من السفسطة بقدر ما فيه من الرياء والخديعة ، ومن لا يصدق عليه أن يشاهد حاليا الواقع العربى المرير ، فى ظل علاقات متردية بين مصر وسوريا ، بسبب قرار الحرب والسلام فى المنطقة ، والذى إقتسمه كيسنجر بين الدولتين عنوة ، كما أراد من قبل أحد القضاة ، تمزيق طفل رضيع ، نصفين إرضاء لامرأتين إدعت كل منهما بنوة الطفل السيىء الحظ . والرهان على استمرار هذا الوضع هو مصيرى بالنسبة لاسرائيل ، فإذا سقط هذا الرهان ، سوف يعيد السيد كيسنجر صياغة عبارته ، بطريقة أخرى ، ربما تكون هذه المرة اكثر استفزازا للعرب ، بدلا من تملق المشاعر العربية ، ليضمن استمرار مصالحه فى العالم العربى ....

أقوال معاصرة



● "إن سياسة الولايات المتحدة الراهنة سياسة محيرة ، فلا يمكن لك أن تعرف ماذا سيصدر عنها .."

فيلي براندت

● لبنان شأنه شأن سوريا بلد عربي ، هذا هو أحد الدروس المستفادة من عملية السلام لحماية الجليل"

جيروزاليم بوست الاسرائيلية

● " لأول مرة منذ حققت الهند استقلالها ووحدتها ، يصبح الاستقلال الوطنى مهددا ، وعلينا جميعا أن ندافع عنه حتى الموت"

راجيف غاندى

● "اقف ضد اشباه المثقفين الذين يتمرغون كالكلاب فى أوساخ الكلام ."

المخرج الامريكى "سام بيكنباه

● "لا أحد مطلقا يستطيع أن يبرر ما يحدث فى بلادنا"

رشيد كرامى - رئيس وزراء لبنان

● "المال المكتسب احلى بكثير من المال الموروث .."

التليفزيون الامريكى جلوريا فاندربيلت

● "هناك إما ديمقراطية ، أو لاشىء منها

الكاتب الامريكى ارثر ميللر

● "إن محو جراح حرب ١٩٧٣ هو السبب الرئيسى وراء غزو لبنان ، والعمل على تحسن صورة الجيش الاسرائيلى بعد هذه الحرب ، وجاء الغزو الذى يرى فيه ٩٠ ٪ من الاسرائيليين فشلا ذريعا ، وأصبحت مكانة الجيش اسوا مما كانت عليه .."

اسرائيل شاهاك

استاذ الكيمياء فى الجامعة العبرية



● "يقول المثل العربى .. إن العاقل من اتعظ بغيره ، ولا احد يتعظ .."

محمد حسنين هيكل



الدكتور زكى نجيب محمود وتيار العصر والحضارة

بقلم : د . عاطف العراقى

● اعتقد من جانبى اعتقادا لا يخالجنى فيه أدنى شك ، أن الدارس والمحلل والمتأمل لخريطة حياتنا الثقافية فى مصر المعاصرة ، يجد أن من واجبه وضع مكانة ، ومكانة كبيرة للدكتور زكى نجيب محمود . لقد وضع مفكرنا العملاق زكى نجيب محمود ، والذى يعتبر استاذاً بكل ما تحمله كلمة الأستاذ من معنى ومدلول ، اقول وضع بصماته الظاهرة والبارزة على ثقافتنا ليس فى مصر فقط ، بل فى عالمنا العربى كله فى مشرقه إلى مغربه ، من محيطه إلى خليجه .

إننا إذا كنا نقول بأن هرمنا الفكرى والثقافى والادبى ، يمثله عباس العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم ، فإن من الصحيح ، بل من الضرورى أن نضم إلى هؤلاء الثلاثة ، مفكرنا العظيم زكى نجيب محمود وأديبنا نجيب محفوظ .

إن الدور الرائد والحيوى الذى أداه وما زال يؤديه أستاذنا زكى نجيب محمود ، لايقل بأى حال من الاحوال عن اى دور قام بادائه أعظم المفكرين العمالقة فى أمتنا العربية قديمها وحديثها . وإن أى كلمة او عبارة يقول بها زكى نجيب محمود وستظل محفورة فى عقل ووجدان شعوب العالم اجمعه شرقا وغرباً ، فإذا نطق زكى نجيب محمود ، فقد نطق الحكيم . وإذا كتب ، فإن كتاباته تعد تعبيراً عن منارة الفكر ، عن الشعلة الخالدة ، شعلة العقل الذى يعد أعظم الاشياء قسمة بين البشر .

لهذا كله لم يكن غريباً أن يلتف القراء حوله ، وأن تكون كتاباته وأحاديثه مثار مناقشات وتعليقات لاحصر لها . إنها كتابات حية وليست ميتة . كتابات تعد معبرة عن تيار العصر ، وعن جوهر الحضارة كما ينبغى أن تكون الحضارة . كتابات تعد فتحاً عظيماً لآلاف الأفكار والآراء والنظريات . كتابات صادرة عن عبقرية لامثيل لها وتعد ثمرة للعقل الثاقب ، عقل زكى نجيب محمود . لاطلاعه . كما تعد كتاباته ثمرة الاطلاع الواسع الغزير ، ثمرة لاعتقاده بأن الفكر يجب أن يكون قضية الانسان الرئيسية وجوهر حياته .

والواقع أنه يعد من الصعب ، بل من المستحيل تماماً أن نعرض لجوانب فكر زكى نجيب محمود ، فى مقالة ، بل فى مئات المقالات ، إذ أن فكره يعد ثرياً غاية الثراء وعميقاً غاية العمق . ويشهد على ذلك عشرات الكتب التى قدمها لنا ، ومئات الدراسات

الجادة التى وضعها بين ايدينا والتى تعالج موضوعات شتى فلسفية وادبية وفنية واجتماعية اصلاحية ، ومئات المقالات التى تعد كل واحدة منها معبرة عن فكرة أو مجموعة من الافكار يتميز بها مفكرنا الكبير ولاتعد معبرة عن نوع من المتابعة او التقليد للآخرين .وايضا العديد من الاحاديث الاذاعية والتليفزيونية سواء فى مصر او خارجها وكم كانت تلك الكتب والدراسات والمقالات والأحاديث هادية ومرشدة لآلاف القراء والدارسين والباحثين إلى اكتشاف عوالم جديدة تماما لم يكن بامكانهم اكتشافها ولا التوصل اليها ، بل الاقتراب من حدودها ومعالمها وابعادها ومجالاتها الا بفضل زكى نجيب محمود .

لنشر الآن إشارة موجزة إلى الحياة الفكرية لزكى نجيب محمود . ثم نعرض لبعض ابعاد اتجاهه الفكرى مركزين كما قلت على المجال الذى يتعلق بقضية التجديد والدعوة إلى حركة التنوير العقلى ، وكيف بدأت ارهاصات هذا التجديد والتنوير خلال مكونات حياته الفكرية .

ولد زكى نجيب محمود فى قرية ميت المولى عبد الله وكانت تابعة لمحافظة الدقهلية ، ثم أصبحت تقع فى زمام محافظة دمياط . وتاريخ مولده هو ١/٢/١٩٠٥ م . وقد قضى مرحلة التعليم الابتدائى والثانوى بكلية غوردون بالخرطوم عاصمة السودان حيث كان والده يعمل بالسودان . اما الدراسة الجامعية فكانت فى مصر وقد تخرج عام ١٩٢٠م

يقول الدكتور زكى نجيب محمود فى كتابه قصة عقل · اسدلت العشرينات ابوابها ، وبدا عقد الثلاثينات وفى اول اعوام (١٩٣٠) تخرج صاحبنا فى مدرسة المعلمين العليا . وبدأ حياة التدريس ليجعلها احد خطين متوازيين سار عليهما . اما الخط الثانى فهو الاقبال الشديد على متابعة الحياة الثقافية متابعة كادت الا تترك كتابا أو مقالة مما كان يكتبه أعلام الحركة الفكرية والادبية فى مصر ، ومعها متابعة أخرى ـ لم تكن شاملة ـ لما يصدر فى أوربا ـ وانجلترا بصفة خاصة ـ من نتاج ثقافى (ص ١٦)

هذا ما يقوله مفكرنا عن الفترة التى اعقبت مباشرة تخرجه فى مدرسة المعلمين العليا .

وليلاحظ القارىء اهتمام مفكرنا بمتابعة أحداث الحركة الفكرية سواء فى مصر او خارجها . إذ اعتقد من جانبى أن هذه المتابعة ان دلتنا على شىء . فانما تدلنا على فهم





الدكتور زكي نجيب محمود لوظيفة المثقف وكيف ينبغي أن تكون ، وكم نجد العديد من مقالات أستاذنا في الكثير من المجلات والصحف طوال نصف قرن تكشف لنا عن اهتمام برصد كل الظواهر الفكرية الهامة وتحليلها تحليلاً يعد غاية في الدقة والعمق .

وكانت الفترة منذ تخرجه حتى سفرة إلى انجلترا عام ١٩٤٤ ، فترة مليئة بالنشاط الفكري وخاصة ما ارتبط بمجلة الرسالة ، ولجنة التأليف والترجمة والنشر ، وتأليف العديد من الكتب كقصة الفلسفة اليونانية وقصة الفلسفة الحديثة وقصة الأدب في العالم ، وأيضاً تعريب كتاب فنون الأدب .

وقد قضى مفكرنا بانجلترا عدة أعوام للحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة في جامعة لندن وهي من كبرى الجامعات الانجليزية العريقة ، وذلك في سبتمبر عام ١٩٤٤ م حتى أواخر عام ١٩٤٧ م وقد أثرت دراسته بانجلترا في تشكيل العديد من وجهات نظره ويتضح ذلك من خلال الكثير من كتبه كالمنطق الوضعي وخرافة الميتافيزيقا ونحو فلسفة علمية وحياة الفكر في العالم الجديد ، بل إن إيمانه المبكر بفكرة الحرية قد ظهر في اختياره موضوع رسالة للدكتوراه وكان موضوعها الجبر الذاتي ، وطالما نجد من جانبه ربطاً بين الحرية ، وبين تيار العصر والحضارة .

يقول الدكتور زكي نجيب محمود : لقد بلغ اهتمامي يومئذ بفكرة الحرية الايجابية أن جعلتها موضوعاً لرسالتي في الدكتوراه ، فموضوع رسالتي هو الجبر الذاتي ، والمقصود بعبارة الجبر الذاتي هو أن الانسان في حرية إرادته مقيد بماضيه هو نفسه على الاقل ، كما هو مقيد بعوامل أخرى تشكل له الاطار العام الذي يتحرك حراً بين حدوده ، ولكنه داخل تلك الحدود نفسها إذا مافعل فعلاً أو قال قولاً في مستطاعه دائماً أن يبدع ما هو جديد غير مسبوق إليه ، أي أن علوم الدنيا بأسرها لا تستطيع أن تتنبأ على وجه اليقين بما أنا فاعلة أو قائلة في اللحظة الزمنية القادمة ، فهو فعل جديد أو هو قول جديد ، لكنها في كلتا الحالتين جدة تضيف الى حصيلة البشرية من افعال أو اقوال ، وليست هي مجرد الجدة كالتي نراها - مثلا - في تخليط المجانين او في شخبطة الاطفال إذا ما وجدوا ورقا وأقلاماً (قصة عقل ص ٤٨ - ٤٩) .

وقد عاد الدكتور زكي نجيب محمود إلى مصر وعمل مدرساً للفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة . تلك الكلية التي تفخر دواما بأن مفكرنا كان من الذين قاموا بالتدريس فيها مدرساً فأستاذاً مساعداً ثم أستاذاً ولم يشأ أن يتقلد خلال فترة وجوده عضواً بهيئة التدريس بقسم الفلسفة ، القسم الذي يعد أعرق قسم من أقسام الفلسفة في جامعاتنا المصرية ، ولم يشأ أن يتقلد منصباً من المناصب الادارية . إنه يعتقد باستمرار عمله هو الفكر ، والفكر أساساً . وكم بين لي أثناء مقابلاتي لسيادته في منزله مدى التعارض بين الاخلاص للفكر ، والحرص على المناصب الادارية البراقة . لقد كان حريصاً منذ عودته إلى مصر في خريف عام م ١٩٤٧ على الدعوة الى التشبع بروح الثقافة المعاصرة في جهة ، والدعوة إلى التجريبية العلمية من جهة اخرى . إنه يذكر لنا في كتابه قصة عقل (ص ٥٧) ان فكره حين عاد الى مصر ، كان قد تبلور في شعبتين : أحدهما وجوب الاخذ بروح الثقافة الأوربية المعاصرة ، لعلها تنتهي بنا

إلى مثل ما انتهت باصحابها إليه من وضع الانسان الفرد فى مكانة تشبه التقديس والثانية هى وجوب الدعوة الى التجربة العلمية ، لانها إذا كانت مجرد اتجاه فلسفى هناك ، فهى بالنسبة للأمة العربية ضرورة ، إذ من شأنها أن نضبط اللفظ فى مجال التفكير العلمى ضبطاً صارما وهو ما اظننا فى اشد الحاجة إليه .

لقد حصل استاذنا على العديد من الجوائز تكريما له واعترافا بدوره الفكرى والثقافى وريادته فى مجال الفكر العربى المعاصر والفلسفى منه على وجه الخصوص . حصل على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٦٠ عن كتابه نحو فلسفة علمية . وحصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٧٥ . وحصل منذ عام على وجه التقريب على جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . وهو أول مصرى يحصل على هذه الجائزة . وقد ذكر لي أثناء إحدى مقابلاتنا بمنزله . أن منحه هذه الجائزة يدلنا على أن العروبة ثقافة قبل أن تكون سياسة

ويمكن القول بان جميع المهتمين بشئون الثقافة والفكر يسعون من جانبهم الى التعرف على حقيقة اراته التى تعد كما قلت تربة ثراء لا حد له ، وفتحت لنا آفاقا لم تكن ندرى عنها شيئا لقد سعيت من جانبي إلى منزله عدة مرات أحاول إقناعه بقبول تعيينه استاذا غير متفرغ بقسم الفلسفة بداب القاهرة وقد تكرم بتلبية دعوتى وعمت الفرحة كل مكان سواء داخل الجامعة او خارجها . وذلك بالاضافة إلى رئاسته تحرير مجلة الفكر المعاصره واشرافه على العديد من المجلات الاخرى . ورئاسته للجنة الفلسفة والاجتماع بالمجلس الاعلى للثقافة وعضويته باللجان العلمية والفكرية واشتراكه فى الاعداد لكثير من المؤتمرات الفلسفية ومن بينها مؤتمر عن الفيلسوف العربى ابن رشد بالجزائر لقد كنت مسرور



غاية السرور باشتراكى معه فى وضع كتيب عن اخر فلاسفة العرب ، ابن رشد ، لكى يوزع على الحاضرين اثناء المؤتمر . وكم تضاعف سرورى حين أهديت له كتابى ثورة العقل فى الفلسفة العربية اعترافاً بدوره الخلاق والمبدع فى صياغة حياتنا الفكرية

لقد دعانا زكى نجيب محمود إلى ضرورة التعرف على فكر الغرب والاستفادة منه . وقام من جانبه بترجمة العديد من الكتب ترجمة تعد اية فى الدقة والامانة ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر الجزء الأول والجزء الثانى من كتاب تاريخ الفلسفة الغربية للفيلسوف الانجليزى المعاصر برتراند رسل . ومجموعة اجزاء من الموسوعة الضخمة . قصة الحضارة للمفكر الامريكى ول ديورانت ، وكتاب المنطق للفيلسوف الامريكى جون ديوى ، ومجموعة من محاورات أفلاطون . لقد شملت ترجمة التراث القديم والفكر الحديث والمعاصر ايضاً ، وهذا يعد من جانبه اعترافا بقيمة الترجمة ودورها فى التنوير تماما كما حدث فى العصر العباسى ، وما حدث ايضا فى عصر النهضة الاوربية .

غير مجد فى ملتى واعتقادى تصور التنوير بدون الاهتمام بالترجمة فى جميع المجالات



علمية وأدبية وفكرية وفلسفية . إننا إذا أردنا لأنفسنا مواصلة التيار الذى ظهر فى مصر منذ مايزيد على قرن من الزمان والذى يعد فى جوهره إعلاناً عن بداية عصر جديد من عصور مصر الفكرية ، فلا مفر من الاتجاه بكل قوتنا نحو الترجمة الدقيقة الواعية . وإنه لمن المؤسف حقاً أن نرى دول العالم تتجه بكل قوتها نحو الترجمة والاستفادة من الافكار الموجودة فى أمم إخرى ، فى حين أننا نتقاقل عن الترجمة وأهميتها ودورها فى اثراء حياتنا الفكرية وصياغة وجودنا الأدبى والفلسفى .

وإن التنوير لايمكن تصوره إلا من خلال التعرف على أفكار الامم الأخرى . وقضية الأصالة والمعاصرة لايمكن تصورها والبحث فيها إلا بأن تتجه بكل قوتنا نحو الترجمة . والتقدم فى جميع المجالات أدبية وعلمية ومادية لايمكن أن يتم أو يتحقق إلا بأن نعرف أفكار أمم الارض قاطبة من مشرق الدنيا إلى مغربها . ولا أشك فى أن فتح النوافذ حيث الهواء المتجدد النقى يعد أفضل ألف مرة من الهواء الراكز . إن ثقافتنا بدون الترجمة ستكون ثقافة مشوهة وعرجاء . ستكون معبرة عن الظلام لا النور . ومن يطلب منا عدم التعرف على أفكار الأمم الأخرى عن طريق الترجمة ، إنما يهدف وراء ذلك إلى أن يظل شبابنا محصوراً فى معرفته على الأفكار المسطحة والتى لاتجد فيها عمقاً ، أى عمق .

لقد نبهنا مفكرنا العملاق زكى نجيب محمود إلى أهمية الترجمة . ولم يكن هذا من جانبه مجرد دعوة نظرية ، بل أنه كما قلت ـ قد قام فعلا بترجمة العديد من امهات الكتب فى مجالات شتى فلسفية وغير فلسفية .

لقد كان الدكتور زكى نجيب محمود فى دعوته التجديدية حريصاً الحرص كله على أن يبين لنا اهمية الاستفادة من أفكار الامم الأخرى ، أى الانفتاح على حضارة الغرب . إننا نجد هذا واضحاً سواء فى كتبه الفلسفية أو من كتبه التى يغلب عليها انها تعالج موضوعات أدبية نعم إننا نجد هذا واضحاً تمام الوضوح فى كتب عديدة تركها لنا هرمنا الفكرى الشامخ ، زكى نجيب محمود . ومن بينها الشرق الفنان وتجديد الفكر العربى والمعقول واللامعقول وحياة الفكر فى العالم الجديد ، وبرتراند رسل ، وديفدهيوم . والمنطق الوضعى ، ونحو فلسفة علمية ، وجنة العبيط ، وشروق من الغرب ، وقشور ولباب ، ومجتمع جديد أو الكارثة ، والثورة على الأبواب ، ومن زاوية فلسفية ، وفى حياتنا العقلية ، وفى فلسفة النقد ، وهموم المثقفين ، وثقافتنا فى مواجهة العصر ، قصة نفس ، وقصة عقل ... إلى أخر تلك الكتب التى نجد فيها كما قلت دعوة إلى الاخذ بأسباب العلم وأسباب الحضارة .

لقد درس مفكرنا دراسة دقيقة المحاولات التى سبقته . ويمكننا القول بأننا نجد مواقف عديدة حول قضية التراث وصلته بعلوم الغرب وحضارته . فمن المفكرين من يعتمد على الحديث والحديث فقط أى الدعوة الى المعاصرة فحسب دون أن يأخذ فى اعتباره الماضى فى تراثنا ، ومن هؤلاء سلامة موسى وحسين فوزى ولويس عوض . كما نجد أمثلة لأناس وجدوا أن الصحيح هو التراث ، والتراث فقط ، ومن بينهم مصطفى صادق الرافعى وأيضا نجد مفكرين قد حاولوا المزج بين القديم والجديد ، بين التراث والمعاصرة ومن بينهم رفاعة الطهطاوى ومحمد عبده وطه حسين وعباس العقاد وتوفيق الحكيم .

وقد وجد زكى نجيب محمود أن الصحيح إلى حد كبير جدا إنما يتمثل فى هذا الموقف الاخير انه موقف لايرفض تراثنا لمجرد انه قديم ، ولا يرفض ايضاً الاعتماد على ثقافة الغرب وحضارة الغرب

نعم لقد استغرق منه البحث فى هذه القضايا ما يقرب من ثلاثين عاماً . لقد اكد لى فى لقاء تم بيننا منذ ايام على ما سبق ان ذكره فى كتاب الخالد . قصة عقل . لقد قال لى إن تفكيره فى المزج بين الثقافة العربية والثقافة الغربية قد بدا فى عام ١٩٥٦ ثم صاغ الفكرة فى عام ١٩٦٠ وذلك فى كتاب الشرق الفنان . إن هذا الكتاب يعد خطة تفكير ، اى خطة بحث فى المشكلة التى وهب لها عمره ، مشكلة الأصالة والمعاصرة ومايدور حولها من البحث فى كيفية تجديد الفكر العربى او البحث فى افضل الصيغ او الحلول المناسبة ، والبحث ايضا فى كيفية مواكبة تيار العصر ، تيار الحضارة ، والحضارة الغربية منها على وجه الخصوص .

لقد تميز استاذنا ، استاذ الجيل ، زكى نجيب محمود ، بحس نقدى غاية فى الدقة والروعة ايضاً . حس يجعلنا نقف امامه فى اجلال واكبار ، تماماً كما نقف امام الاهرامات وابى الهول . ولسنا فى حاجة إلى القول بأن الحس النقدى هو اهم ما يميز الفكر الفلسفى اهم ما يعبر عن خصائص الموقف الفلسفى وكل مفكر يبرز لديه الحس النقدى إنما يعد مفكراً شامخاً ، مفكراً يحتل مكانة فريدة بحيث يتميز عن سواه من المفكرين . فأرسطو خالد لحسه النقدى . وابن رشد يعد عملاقاً لمنهجه النقدى . وتوما الاكوينى يعد على رأس فلاسفة المسيحية فى العصر الوسيط للبعد النقدى الذى يميزه عن فلاسفة المسيحية الـذين سبقـوه . والفيلسـوف الالمـانى كانتKant إنما تشطر فلسفته . الفلسفة الحديثة إلى شطرين . الفلسفة قبل كانت والفلسفة بعد كانت وذلك لاسباب عديدة اهمها حسه النقدى البارز والذى تجلى فى ثلاثيته النقدية : نقد العقل الخالص ، نقد العقل العملي ، نقد ملكة الحكم . وطه حسين يعد عملاقاً لاننا قلما نجد ظاهرة ثقافية او اجتماعية او فكرية إلا ونجده قد تصدى للبحث فيها على اساس اتجاهه النقدى . وزكى نجيب محمود يعد على راس مفكرينا المعاصرين لانه اعلى كلمة العقل فوق كل كلمة ، اقام تجديده للفكر العربى على اساس نقدى دقيق . والنقد هو اهم خصائص المجدد ، لأن المجدد لايكون مقلداً اومتابعاً للاخرين مجرد متابعة .

وليرجع القارىء العزيز الى اكثر كتب زكى نجيب محمود سواء كانت فى مجال الفلسفة او كانت فى مجال الأدب ، وسيرى مقدار ما تمتع به مفكرنا من حس نقدى ، أعانه عليه ذكاؤه الخارق واطلاعه الجم وتنظيم وقته تنظيما غاية فى الدقة بحيث يكون مخصصاً اساساً للفكر وقضاياه ، وعزوبته التى استمرت حتى الخمسين على وجه التقريب . ولسنا فى حاجة إلى القول والتأكيد على التعارض بين الزواج والفلسفة ، ولكن ما اعان زكى نجيب محمود هو انه كون لنفسه فى مطلع حياته الفكرية ، الخطوط الرئيسية لوجهات نظره . ومن يكوّن لنفسه فى مطلع حياته خطوط فكره واتجاهه فلا ضرر فى هذه الحالة من الزواج . بل إنه يعد مفيداً له .

ومن الواضح غاية الوضوح إذا حللنا تاريخ الفكر العالمى ، انه توجد صلة ، وصلة وثيقة ، بين الايمان بالبعد النقدى من جهة ، والمعارك الفكرية التى يخوضها المؤمن بدور النقد ، المؤمن بعدم تقليد او متابعة الآخرين تقليداً اعمى . ومن هنا نجد استاذنا يدخل فى المعارك فكرية عديدة لقد خاض تلك المعارك متسلحاً بالثقافة الغزيرة ، متسلحاً بالشجاعة مؤمنا بافكاره التى اقامها على اساس ثابت وطيد متماسك البنيان . وإذا كان من حق كل



إنسان أن يؤمن بالرأى الذى يعتقد بصحته ، إلا انه ليس من المعقول ولا المنطقى ان يلجأ نفر من أشباه الدارسين وانصاف المثقفين إلى الهجوم على آراء مفكرنا لمجرد الهجوم أن هجومهم على هذه الصورة الفجة يكشف لنا عن أن هجومهم إنما يعد جهلاً على جهل ولكن أكثرهم لا يعلمون . ماذا يريد هؤلاء الأشباه ؟ هل يريدون منا العودة إلى عصور الظلام ؟ هل يريدون الانغلاق حول أنفسنا ؟ لقد خاض زكى نجيب محمود معاركه التي لا حصر لها دفاعاً عن طريق النور ، دفاعاً عن تيار الحضارة بأجلى وأخصب معانيها . دفاعاً عن الانسان وكرامة الانسان .

ولنقف عند عبارة رائعة نجدها فى كتابه العظيم : قصة عقل (ص ٧٣ ـ ٧٤) . إنه يقول : إذا أنت أمعنت النظر فى الاتجاهات الفلسفية المعاصرة ، ويمكن بلورتها فى أربعة ، وجدت جذرها المشترك هو اتخاذ الانسان فى حياته الدنيوية هو محور الاهتمام . وانظر على هذا الضوء إلى تلك الاتجاهات الاربعة : أحدها هو اتجاه الفلسفة التحليلية التى تعنى أكثر ما تعنى بفلسفة العلوم والتى هى الفلسفة السائدة فى بريطانيا ، فما دامت تصب اهتمامها على التفكير العلمى ، فهى بالتالى تقصر ذلك الاهتمام على ما هو ذو صلة بحياة الانسان هنا على هذه الارض ، وثانيها هو اتجاه الفلسفة البرجماتية الذى له السيادة فى الولايات المتحدة الأمريكية وأساسه هو أن الفكرة تعد صحيحة اذا كانت نتائجها نافعة للانسان ، فليس المهم هو أصل الفكرة من أين جاءت وكيف جاءت ؟ بل المهم هو ماذا عساها ان تثمر للانسان من نتائج تنفعه فى حياته ، وثالثها هو اتجاه الفلسفة الوجودية فى غربى أوربا ، ومدار تلك الفلسفة حرية الانسان فى القرار الذى يتخذه لنفسه ليكون بعد ذلك مسئولاً عنه مسئولية خلقية ، ورابعها هو اتجاه الفلسفة المادية الجدلية السائدة فى شرقى أوربا ، ومحورها أن الحياة الثقافية كلها بما فيها من القيم الاخلاقية والجمالية ، إنما تولدت عن الحياة الاقتصادية من زراعة او تجارة وصناعة ، فاذا غيرت من أسس الحياة الاقتصادية المادية ، تغيرت بالتالى دنيا الثقافة ، وإذن ففى مقدورنا أن نشكل العلاقات الاقتصادية تشكيلاً ينتهى بنا إلى اقامة حياة انسانية تصون للانسان حقوقه .

ويبين لنا مفكرنا أن الفكر فى الغرب إذا كان اتجاهه وهمه الاول هو صون الانسان من العوامل التى كانت تطحنه طحناً وتقهره قهراً ، فإنه من الضرورى إذن العمل على نشر مثل هذا الفكر فى بلادنا وذلك حتى نتمكن من توفير وتقديس مكانة الانسان وكرامته ، بل لامفر من قبول النتائج الفرعية التى تنبسق من تلك الجذور ومنها ماهو خاص بالنظرة العلمية الواقعية الى الأمور ، مادامت أموراً لاصلة لها بمشاعر الانسان الخاصة . ومن هنا جاءت دعوة زكى نجيب محمود إلى الأخذ الصارم بالنظرة العلمية التجريبية مفرقاً فى حياة الانسان بين مجالين : مجال التفكير العلمى بكل تفريعاته ، ومجال الحياة الوجدانية بشتى جوانبها ، فما يصلح لذاك لايصلح لهذا ، فكل منهما مواقف ولك منهما معايير للرفض أو القبول .

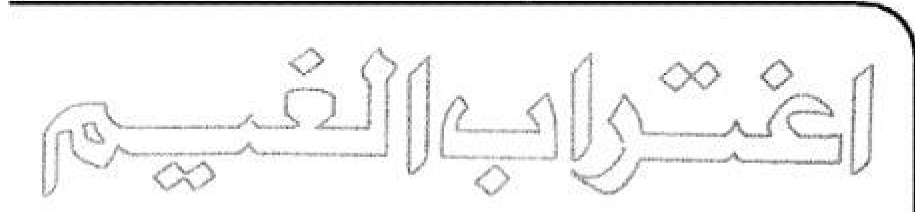
ويقينى أن المهاجمين لفكر زكى نجيب محمود ، واتجاه زكى نجيب محمود ، إذا كانوا قد وضعوا فى اعتبارهم هذه التفرقة عند مفكرنا لجنبوا أنفسهم الهجوم عن جهل أو عن تجاهل . وكم أساء الكثيرون إلى العديد من افكار مفكرنا وخاصة تلك التى قال بها فى

كتابه - خرافة الميتافيزيقا ولم يضعوا فى اعتبارهم انهم اخطاوا نتيجة لتسرعهم فى الهجوم دون مبررات معقولة يستندون اليها .
إنهم لم يضعوا فى اعتبارهم تاكيدات مفكرنا المستمرة على هذا المعنى ، وهذه التفرقة .
يقول مفكرنا (قصة عقل ص ١٤٠) : الايمان بضرورة اللجوء الى العقل وإلى العالم الذى هو فى الحقيقة تجسيد للعقل ، فى رسم السبل الناجحة ، يتضمن إيماناً بقدرة العقل الانسانى على الاضطلاع بما خلقه الله من اجله . لكن هل هذه الوقفة هى التى لها السيادة فى حياتنا ؟ كلا فنحن نفاخر سائر الدنيا باننا اصحاب عقول عامرة بوجدانها ، لافرق فى ذلك بين ان يكون الموضع المعروض للمعالجة مما تنفع أو لا تنفع فيه القلوب ووجدانها ، ومن ثم كانت دعوتى التى ما فتئت اكررها ، بوجوب التفرقة الواضحة بين مجالين . مجال لايصلح له الا العقل بكل رصانته وبروده ، ومجال اخر من حق المشاعر ان تشتعل فيه ما شاءت لها حرارتها .

إن مفكرنا لم يقف فى دراسته لقضية التجديد ، وخاصة من خلال كتابه « تجديد الفكر العربى » ، والمعقول واللامعقول فى تراثنا الفكرى عند التراث لمجرد أنه تراث كما انه لم يرفض التراث جملة وتفصيلا . نعم لم يرفض التراث من أساسه كما يزعم بعض المتسرعين وأشباه الدارسين الذين حشروا انفسهم بين الدارسين للفكر الفلسفى ، والفكر منهم براء . وليرجع القارىء إلى القسمين اللذين يتالف منهما كتابه الرائع « تجديد الفكر العربى » وخاصة الفصل التاسع من القسم الثانى وموضوعه « قيم باقية من تراثنا » وايضا فليرجع الى القسمين اللذين يتالف منهما كتابه « المعقول واللامعقول » انه يضرب امثلة من التراث ، ولا يضرب أمثلة فى الهواء الفارغ إنه يدرس التراث دراسة عميقة وبعد ذلك يرتضى لنفسه أن يقف منه موقف المؤيد لبعض ما فيه من قيم تتفق مع العمل ، وموقف المعارض لما فيه من قيم تعبر عن شطحات اللاعقل الم اقل إن ابرز مايميز مفكرنا العملاق ، إنما هو حسه النقدى ، والذى ظهر بأجلى صوره فى موقفه من الفكر العربى وكيف نوجد مواكبة بين هذا الفكر وبين تيار العصر والحضارة .

إن المعيار الذى على اساسه نقبل موقفا من التراث ونرفض موقفا اخر ، إنما يتمثل فى العقل واحكامه ، كما يتمثل فى مدى ملائمته لروح العصر وحضارته .

لقد اخلص مفكرنا العملاق للبحث فى قضية الأصالة والمعاصرة اخلاًصا لاحد له .
إنه يقول إن قضية الجمع بين اصالتنا وضرورة معايشتنا لعصرنا ربما كانت اهم ما تعرضت له من اهتمامات بالتفكير والكتابة .
لقد اصبحت علي يقين من أن هذه المسألة هي ام المسائل الثقافية جميعا . وانها القضية التى يصح ان نقول حيالها قولة هاملت فى ازمته النفسية : ان اكون أو لا اكون ذلك هو السؤال (قصة عقل ص ٢٢٢)



شعر : محمد
محمد السنباطى

حتى متى ستظل ياقمرُ
ترنو إلينا ثم تستترُ
وتمر غيماتٌ محملة
دكناء فيها يرقد المطرُ
فإذا شعاعك فى حبائلها
لو حاول الأفلات ينكسرُ
حتى إذا مرت قوافلها
تلقاك ترقبنا وتعتذرُ
ويغيب وجهك خلف سابحة
مازالت الغيمات تنتشرُ
وتسودنا ظلماء عابسة
وطلائع الأمطار تنهمرُ
والريح تقصف ما يقابلها
فيميل تحت هبوبها الشجرُ
والموج يغدر ثائراً غضباً
وسفائن يلهو بها الخطرُ
فى كل ركن فى السمار نرى
صورا تلوح وتختفى صورُ
حيث السحاب مفتت رعش
ينضم حينا ثم ينحسرُ
سحب ترق تصير صافية
وتمر لايبقي لها أثرُ
طال اغتراب الغيم واهنةً
سرعان مايودى بها السفرُ



يابدر ياابن الأرض هل عرفت
أم بأن وليدها حجرُ
لولا انعكاس الضوء ماسهرت
عين يضمك شوقها النضرُ
لى فيك ياذا النور ذاكرة
فيها يعيش الشوق والخفرُ
وجه كوجهك فى بشاشته
لكن له العينان والحوَرُ
كانت به الأيام مزهرة
وعناقد الأفراح تعتصرُ
مازلت أجمع شمل ذاكرتى
وطلائع الأفكار تختمرُ
قلبان عصفوران راقهما
نبعٌ على خضراء .. ينحدرُ
مترقرقا عبث النسيم به
وسقاه مسك يانع عطرُ
صور متى عادت لذاكرتى
فكأنما يتبسم القدرُ



بقلم : يحيى حقى

الأحقاد لاتموت

أصبحت هذا اليوم وأنا اجار الى الله سبحانه وتعالى و اقول يالهى : الا تموت الأحقاد ، الا يكتب لنا فى يوم من الايام ان ننسى احقادنا . ذلك انني فى يوم واحد وقعت على ثلاثة اخبار تدل على أن الشعوب لا الافراد لا تستطيع أن تنسى احقادها مهما مر بها الزمن .

فهذا اولا ولى عهد انجلترا يريد ان يدخل على البابا الكاثوليكى فى روما ويصلى معه فلاذا انجلترا وابناء الكنيسة البروتستنتية يثورون ويقولون لايمكن ان يحدث او ننسى اننا انفصلنا على هذه الكنيسة الكاثوليكية واننا ثرنا عليها ، فلايمكن ان نعود ادراجنا وندخل على هؤلاء الناس ونصلى معهم .

الحادث الثانى : ان رئيس وزراء ايرلندا الجنوبى اراد ان يذهب فى زيارة خاطفة إلى ايرلندا الشمالية فاذا الدنيا تقوم وتقعد ويقولون : هذا رسول دولة من اعدائنا كيف يدخل علينا ؟! ..

المثل الثالث : الرئيس رونالد ريجان بعد اربعين سنة من انتهاء الحرب ، وبعد أن سوى الزمن بين الأموات والأحياء اراد أن يزور مقبرة دفن فيها عدد قليل جدا ممن كانوا ينتسبون إلى النازية ، وكما نعرف فى الحكومات والحروب التسلسل الهرمى الآمر فمامور فمامور المامور والمامور هكذا ، فهؤلاء الجنود وان كانوا قد تلوثوا بتهمة النازية فمسئوليتهم اقل بكثير من مسئولية قادتهم وقد مر أربعون سنة وانتهى الأمر وكان ريجان يمد يده للصفاء والتسامح فاذا بالعالم كله يقف ضده .. ولا اريد ان اقول من هو المحرك الأول لهذه الهوجة لانتى اكتفى فقط برصد الظاهرة .. فدعوت الله سبحانه وتعالى ان يشفى الشعوب إذا نالت حقها فى نهاية الأمر ، واذا استخلصت من يد خصومها او اعدائها السابقين حقوقها واستقرت ان يحدث بعد ذلك نوع من المصالحة والوفاق فنحن نريد ان نرى عالما يسوده المودة والصفاء لاتوارث البغضاء ..



يقدم الجيل الجديد من كتاب القصة

كل القصص القصيرة متشابهة .. ولكن ..

هذا كاتب قصة جديد

وكلمة كاتب قصة أصبحت من كثرة استعمالها ، واسعة الشيوع مثلها كلمة فنانة ، او كلمة « لعيب كورة »

ولكنني استعملها هنا استعمالا مختلفا تماما ، فأنا لا أعني أن « حسام فخر » شاب يكتب قصصا جديدة جيدا ، أنا اقول هنا كما يقول « السنيور موجراف » الذي يفحص باطن الأرض . هنا بترول .

هنا موهبة

موهبة غريبة فى بابها حين اطلعت على عديد من القصص التى ابدعتها ليس المبهر فيها هو نجاحها جميعا . ولكن المبهر فيها هو طريقة حسام فخر فى اختيار موضوع القصة .

فالقصص القصيرة الشابة أصبحت لها مواضيع تكاد تكون متشابهة مثلها مثل مواضيع الشعر العامي و الشعر الحديث ، من اول بيت وأول جملة تستطيع أن تصنفها . حسام فخر لا تستطيع أن تصنف مواضيعه .

د. يوسف ادريس

يقدم الجيل الجديد من كتاب القصة

أنه مثل لاعب تنس الطاولة الموهوب تتضح طريقته في الطريقة المندفعة في ضرب الكرة ، وشدة الضربة ، يمينه ويساره ، بكل قواه يضرب ، من موضوع هو أقرب إلى المسرحية من موضوع كأنه الشعر المنثور بجراة شديدة ، ويتهور ، يختار حسام فخر مواضيعه ، وهذه هي شيمة الكاتب الموهوب ، شيمة اول نقطة من بئر بترول غني يحتوي على كم من عنصر الكبريت أو الرصاص .

وأنا لست ناقدا حتى أكتب تحليلا للقصة التي أنشرها هنا ، فليس عمل كاتب القصة مثلي إلا أن يقول : هذه قصة جديدة ، أو هذه ليست قصة بالمرة ، الناقد هو فعلا من يكتب الحيثيات . إذ إن رايي هو كرأي « المحلفين » تماما ، يتلخص في كلمة واحدة : « كاتب أم غير كاتب » .

هذه عين جديدة ترى الناس وللبشرية رؤية جديدة لم تكن في حسباننا .

د . يوسف أدريس

قصة قصيرة

البساط ليس أحمديًا

بقلم : حسام فخر

خلعت الحذاء ودخلت .. يجرجر ثوبها الأسود على الأرض وتستشعر اقدامها الحافية دفء الحصير المبلل بماء الوضوء والعرق .. تحشمت : مدد يا شيخ العرب .. مدد يا سيد يا بدوى .. دخلت الضريح فارتفع صوتها بالسلام على الولي وامتدت يدها تصافح مقامه وشفاهها تقبل نقوشه ثم تقبل الصغير الذى تحمله لتنقل البركة .. في حين تتحرك يده البيضاء الدقيقة محاولة القبض على طرحتها تبتسم عيناه حين يفلح في ذلك .. ويضم قبضته متوعدا عندما تفلت منه الطرحة كلما مدت امه وجهها لتقبل الضريح .. ثم تقف في صف طويل وتمد يدها من خلال القضبان لتمس الحجر الذى لان محبة وحنانا ليحتوى في نفسه رسم قدمي المصطفى إلى الأبد .. وخادم الضريح يلكزها برقة في كتفها لتخلي مكانها لغيرها من الراغبين في التبرك .. اكملت الدورة حول المقام ثم خرجت منه إلى المسجد .. ووضعت طفلها على الأرض واحكمت وضع الطرحة ثم ارتفع صوتها بالتكبير .. انحنت .. سجدت ..°وضع الطفل يده على وجهها وهي ساجدة فما ملكت ان تقبلها بسرعة



د. يوسف ادريس

يقدم الجيل الجديد من كتاب القصة

وهى تعتدل .. سلمت . حملته .. جلست على باب الضريح فى مواجهة الشيخ الضرير الذى يرتل القران مهتزا .. اغمضت عينيها مستعذبة إحساسها بالأمان فى ذلك المكان الطاهر .. ارتفع صوت ابنها باكيا فادركت انه جائع ودون تفكير دست يدها فى صدرها واخرجت ثديا ثريا ووضعته فى فمه .. واعجبها ما فعلت .. انها اول رضعة يحصل عليها وكلام الله يتلى جانبه .. وربما هى الوجبة الوحيدة فى حياته الى جوار صاحب البساط الذى كان يتسع الفا من المحبين المحبوبين .. والطفل سعيد بالطعام السائل فى فمه وتتحرك عيناه بطرب متاملين السقف ونقوشه الجميلة وتدخل عقله ووجدانه مع لبن الأم . وحتى ذلك الصوت العالى النشاز لا يقلل من استمتاعه .

ـ كشف الثدى حرام يا ناسقة .. حتى لو كان لارضاع الطفل .. اليس عندك حياء ولا فى وجهك دم .. تثيرين الشهوات فى نفس من يجب ان ياتوا الله بقلب سليم ..؟

ـ جرى ايه يا خويا ؟ هو اللى تيجى فى دماغه حاجة وسخة كده لما يشوف ولية بترضع ضناها يبقى يستاهل دخول جامع ؟ فيه إيه ؟ بارضع ابنى رضعة مستباركة جنب شيخ العرب .. وربنا بيقول ما تبحلقوش .. مش كده برضه ؟

ـ ترتعش لحيته السوداء الكثة .. ويتقلص وجهه الأسمر الشاب غضبا من جراتها على المحرمات وبجاحتها فى تبريرها .. زعق

ـ قلنا كشف الثدى حرام .. ثم إن المسجد ليس مكانا للارضاع و الطعام بل للصلاة و التعبد والتفكر فى شئون الدنيا وخلق الكون .. غطى صدرك ياوليه .. غطى واتقى الله فى نفسك وفى عباده .

ـ عجايب والله الواد لسه ما شبعش يا خويا . اسيبه جعان ؟ روح شوف حالك يابن الحلال . وما تخلنيش أرضعه لبن معكر .

ـ صك وجهها بيد متشنجة غضبا وإيمانا . وصراخات تقول :

ـ بره .. بره ..

ـ انهمرت دموعها وتشرخ صوتها وهى تقول .

ـ هو كان بيتك تطردنى منه ، ده بيت ربنا .

ـ بيت الله له احترامه .. ومادمت لا تحترميه فلا مكان لك فيه .

ـ بصوت منكسر قالت :

ـ وانت كمان ايش عرفك ؟ اللى فى القلب .

ـ بره .. بره ..

ـ لم يتحرك احد لنجدتها فسارت تنحدر الدموع على وجهها الأسمر المحمر قهرا ومهانة وخرجت من المسجد . والقت على بابه نظرة منكسرة .. وسارت بعيدا عنه .



التصوف

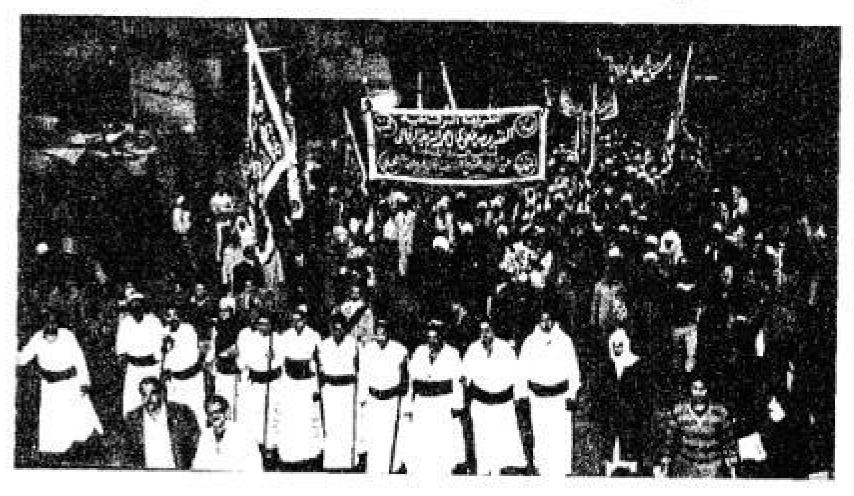
نظرة هادئة على الطرق الصوفية

تحقيق : أحمد حمدى   تصوير : على أبوزيد

قبل ٩ سنوات أخذنى صديق من مريدى الطائفة البرهانية ، الى مسجد بحلوان - حلقه ذكر عادية توالت الاذكار والادعية وطقوس القيام والقعود والانشاد فيها فى عزلة كاملة عن العالم الخارجى . تناولنا حلوى مصرية معروفة ، وقطعا من الخبز الجاف ، قدمنى صديقى بعدها الى شيخ الطريقة الذى كان فى زيارة قصيرة لمصر يعود بعدها الى موطنه بالسودان . .

غرفة ملحقة بالمجلس ، مفروشة بوسائد وحصر ، يتوسطها شيخ فى نهاية العقد الرابع من عمره ، يتحلق حوله ثلاثة او اربعة اشخاص . وتوالت طقوس الالتحاق : أطفأ النور . وطلب منى الشيخ إغماض عينى وترديد لفظ الجلالة بصوت مسموع حتى أرى الكعبة امام عينى المغمضتين . بعدها طلب منى ترديد قسم لا اذكر منه سوى ما يفيد بأنى قد صرت برهانيا . وبطريقة ما اوحى الى الحاضرون بتقبيل يد الشيخ . خرجت وا

موكب الطريقة الرفاعية فى مولد السيد احمد الرفاعى





لاأنوى العودة !

تذكرت هذه الحادثة طويلا وأنا أتجول بمولد السيد الرفاعى قبل أسابيع قليلة. لم اكن من المهتمين بالموالد. لكنى ادركت أن الطرق الصوفية وإن كانت تستمد جذورها من المناخ الدينى إلا انها تستمد وجودها الفعلى من الواقع المادى بكل ما فيه من تناقضات وعناصر.

مناقشة أولية مع أفكار د. فاروق أحمد مصطفى الأستاذ بكلية الآداب، جامعة الاسكندرية، شدت انتباهى الى بقعة تفكير مختلفة بعض الشىء: .. الاخفاق فى تحقيق طموح أفراد المجتمع وظهور التباين الكبير بين مستويات معيشة المواطنين أدى الى شعور أعضاء الجماعات الشعبية بالاحساس بخيبة الأمل، وبأن التغيرات الاجتماعية والثقافية التى شهدتها الستينات لم تؤد الى اصلاح الحياة الاجتماعية بصورة جذرية، وسرعان ما انتكست وفى أعقاب نكسة ٦٧ تبلورت صدمة قوية مؤلفة من انعدام الثقة بالكيان ومن الاحساس بالفشل خلقت أرضية مناسبة لعزلة الصوفية وتوحدها».

مناقشة ثانية وردت فى كتاب «القديس والصوفى» فى مصر الحديثة للمستشرق البريطانى د. مايكل جلسينن، أستاذ الدراسات الشرقية بجامعة لندن. حاول د. جلسينن، على امتداد عامين قضاها بمصر (٦٤ - ٦٦) - أن يجيب على سؤال محدد: هل الصوفية نوع من التأمل ام هى نوع من الشعور الطبقى ؟ تعبير اجتماعى نفسى داخل الانسان ؟ ام هى هروب من الضغوط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ؟ وأجاب المستشرق البريطانى: «انها بمعنى ماكل هذه الأشياء.

والصوفية عموما تبدو نوعا من الهروب من (الطبقة) ولكنها أوسع من هذا .. لقد كانت كذلك فى التاريخ ولها نفس هذا المعنى فى الوقت الحاضر. فإذا نظرت الى الصوفية فى مصر والجزائر ومراكش وسوريا فإنك تجد حتما هذا التعبير الطبقى. فتجد مثلا أن التجار ينتمون الى هذه الطريقة بينما ينتمى الفلاحون الى طريقة ثانية، وان الطبقة العاملة تميل الى الانتماء الى تلك الطريقة. أما الطبقة المرفهة فى مصر خلال القرن ال ١٨ فقد اختارت الشاذلية والرفاعية. والواقع أن الناس الذين عملت معهم فى القاهرة كانوا ينتمون اما الى البيروقراطية، مثل المعلمين، او الطبقة العاملة، او من فئة الفلاحين والمهاجرين الى القاهرة. ويمكن القول بأن الصوفية كانت بالنسبة للبعض هروبا وبالنسبة للبعض الاخر نوعا من اكتمال الوضع الطبقى المتميز».

.. والصوفية التى عرفتها بمصر كانت فى الواقع نوعاً من الرفض وفى هذا الاطار فإن الصوفية تقدما تعويضاً ثقافيا قوياً للنخبة».

● ٧٠ طريقة ... ولاخلاف ..

وتوجد فى مصر ٧٠ طريقة صوفية أشهرها الطريقة الشاذلية ومؤسسها الشيخ «أبو الحسن الشاذلي» الذى ولد

بالمغرب . لكنه قضى سنواته الأخيرة فى الاسكندرية . ومات وهو يخترق الصحراء الشرقية فى طريقه الى الحج ، ودفن بين تنا والقصير ، فخلفه تلميذه ابو العباس المرسى . وقد انقسمت الطريقة الشاذلية إلى ١٨ طريقة اكبرها الحامدية الشاذلية وتضم اكثر من ٢٠٠ الف مريد .

* اما الطريقة الاحمدية فقد اسسها الشيخ احمد البدوى . وقد ولد بدوره فى المغرب . وعاش فى طنطا حيث مات ودفن وقد انقسمت هذه الطريقة الى ١٥ طريقة فرعية اشهرها الطريقة السطوحية التى اسسها الشيخ محمد السطوحى .

وقد اسس الشيخ ابراهيم الدسوقى الطريقة البرهانية التى تفرعت الى طرق . وهناك الرفاعية التى نجحت فى الحفاظ على وحدتها . ثم الجيلانية والخلوتية التى لاتتبع مبدأ معينا وتقوم على الاختلاء بالله فى العبادة ومحاسبة النفس وتطهير الحواس والوجدان . وقد انقسمت الخلوتية الى ١٦ طريقة فرعية .

اما الطريقة النقشبندية فقد اثارت نقاشات واسعة فى أوساط رجال الدين وخارجها . فهذه الطريقة تعقد حلقات الذكر الخاصة بها فى الظلام . دونما أصوات أو حركات على الأطلاق . ويذكر المريد الله بقلبه وهو جالس ووجهه صوب السماء . ويستمر على هذا الحال بضع ساعات .

وأخيرا نجد الطريقة السعدية ، ومؤسسها سعد الدين الجيباوى سورى الأصل والطريقة الرحيمية القنائية ، والشيبانية ، والميرغنية ، والخضيرية ، والقايانية .

ويعلق فؤاد محمد السيد ، رئيس



التبرك بالسيدة حبيبة
زوجة السيد ابو السعود

تحرير مجلة « التصوف » التى يصدرها المجلس الصوفى الأعلى ، على ظاهرة تعدد الطرق الصوفية بقوله : لافرق بين الطرق الصوفية جميعها . هذه الطرق لانستطيع وصفها بالانقسامات . الخلاف فقط يكمن فى طريقة التوجه الى الله .. هناك من يعتمد دلائل الخيرات وهناك من يعتمد الأدعية والأوراد .. وقد أضاف البعض الطبل والزمر ، وهى بدع دخيلة على الصوفية ..

ويعلق د . سيد عويس بدوره على ظاهرة تعدد الطرق الصوفية بقوله : « يشبه تعدد الطرق الصوفية تعدد الأندية الرياضية وتعصبها فهى تعتبر منفذا لاخراج التوترات التى يواجهها الناس وهم يعيشون حياتهم .. وهى أيضا قد تعتبر



مجالاً لتماسك بعض الجماعات أو الفئات » .

والحقيقة أننا لو نظرنا الى الصوفية كأسلوب ذاتي أو كتعبير خاص عن مناجاة الفرد ربه لأدركنا أن هذه المناجاة لابد وأن تتمايز ببساطة بتعدد أصحابها . وأبسط مثال على هذا الشيخ التركي « بابا سرى » شيخ الطريقة البكتاشية ، الذى كان يقيم بمغارة في جبل الجيوشي ، وانقرضت طريقته بعد وفاته . والبكتاشية ، بالمناسبة ، هي الطريقة الصوفية الوحيدة التي انقرضت ربما لقسوة الأساليب التي كان " بابا سرى " يتبناها ويعتمدها .

● البكريون ـ قيادة سياسية ـ دينية

ونستطيع أن ندرك ، بوضوح ، الهوة ، الشاسعة التي تفصل بين الصوفية كبداية ، والصوفية اليوم . وبعيدا عن الصوفية كتعبير فلسفي ـ وجداني نستطيع القول بأنها كانت في بدايتها تعبيراً سياسياً شعبياً يتمتع بأبعاد إيجابية واضحة : ويعود تاريخ الطرق الصوفية في مصر الى عائلة أبي بكر (رضى الله عنه) الذى نزح بعض أبنائه الى مصر ، بعد وفاته ، فاستوطنوا بها . وكسبوا تعاطفاً كبيراً لكونهم من نسل الرسول (ص) .

البعد السياسي الشعبي الذى نلمحه في بدايات الصوفية تجلى مثلاً عند إحتلال بونابرت لمصر . عند ذاك رفض الشيخ البكرى إقامة الاحتفالات بالمولد النبوى احتجاجا على وجود الغزاة بمصر . وفي مواجهة تحريض البكرى للشعب على الاحتلال قام بونابرت بإصراره على اقامة الاحتفال وحضور كبار الضباط الفرنسيين له .

وفي عهد محمد على بقى " البكريون " نقباء لا للتجار وحدهم ، ولا لاصحاب الطوائف والحرف وحسب ، وإنما ترجموا مطالب كتلة الجماهير الموحدة ، في مواجهة تسلط السلطة ، وراء قيادة سياسية دينية ، ولعل الشيخ البكري كان من أبرز من أدرك هذا الموقع بين شيوخ الصوفية والقادة الدينيين حتى أنه طلب من محمد على أن يأمر ب « منع البدع والخرافات في الموالد » . واستجاب الحاكم فورا .

لكن « إزدواج السلطة » هذا كان لابد له أن ينتهي ! وفي الرواية التاريخية المعروفة نجد محمد على ينقلب على الشيخ البكرى ، ويحطم ذات الزعامة الشعبية التي رفعته الى سدة الحكم ويحتكر السلطة وحده . وتبدأ سنوات للتدهور تتبلور أكثر فأكثر مع خروج مشيخة الطرق الصوفية من عائلة البكرى . وفي ١٩٠٣ يصدر الخديو عباس حلمى الثاني أول لائحة صوفية تضع الشيخ الصاوى على رأس ٢٩ شيخا يمثلون ٢٩ طريقة صوفية . ويبدأ احتفال تتويج شيخ مشايخ الطرق الصوفية يكتسب بعداً سياسياً جديداً . الخديو ،

● الطرق الصوفية من الشيخ البكرى إلى بابا سرى

● ٧٠ طريقة صوفية هل تدخل القرن الواحد والعشرين بدلائل الخيرات؟

هذه المرة ، هو الذى يمنح الشيخ عباءته .. هو الذى يمنحه منصبه ومكانته إعلاناً عن زواج قائم ومستمر !!

هذا الانحدار هو بالضبط الفرق الكائن بين البكرى وبين بابا سرى ، أو بين السيدة رابعة العدوية ، والشيخة امينة احمد عزب ، التى تقطن حى الزيتون ، وترتدى زياً ابيض اللون مزينا بوسام احمر واحد وعدة نياشين صفراء !

● لغة الصوفية : لغة النظام ؟!

ونتوقف لحظة امام مقارنة نعتقد انها ذات دلالة بالغة : فى مايو ١٩٦٥ قام عدد من محررى " المصور " بتحقيق عن الصوفية كان اللقاء الاول فيه مع الشيخ محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية . وسأله المحرر : هل انتخبت ؟

الشيخ علوان : لا .. شيخ مشايخ الطرق الصوفية يعين بقرار جمهورى (!)

ويسأله المحرر عن الصوفية بعد ١٩٥٢ فيجيب الشيخ علوان : « بعد الثورة وجدنا العون لنعود من جديد الى العمل والنشاط بعد تفكك وإهمال وذوبان إستمر طويلاً . وضعنا برنامجاً واتصلنا بجماهير الصوفية ، وعقدت الاجتماعات ، وكانت أعياداً إيمانية ووطنية دلت على روح الأمة الدينية وتعلقها العظيم بدينها وتقدير الثورة ـ حكومة وزعيماً ـ للدين ورجال الدين ورجال التصوف وائمة الطريق .. فتحولت الموائد إلى ندوات دينية يعرف فيها كل صوفي واجبه نحو وطنه وحكومته ومستقبله .. ففى التصوف إمكانيات عالية كان يجب أن تستغل من أجل مجتمعنا واعلاء شأنه » .

كانت هذه هى لغة ممثل الصوفية الرسمى فى وقت حشد مختلف القوى الشعبية وراء معركة اجتماعية ـ حضارية بعينها . كانت لغة الصوفية هى لغة النظام .

وفى ١٩٧٦ تكررت لغة الصوفية ـ لغة النظام ، ولكن فى مضمون مناقض ! فى هذا العام ـ ١٩٧٦ ـ صدر القانون رقم ٧٢ لسنة ١٩٧٦ الذى جعل من الصوفية هيئة عامة ذات شخصية معنوية مستقلة يرأسها المجلس الصوفى الأعلى . والحقيقة أن هذا القانون كان من نوع قوانين « المسموح والممنوع » . كان حظر التدخل فى السياسة وممارستها على الصوفيين تحت شعار ان الصوفية تربية للنفس تؤدى الى مكارم الأخلاق . ! كل هذا لايهم .. المثير هو تكرار اللغة الواحدة والهدف الواحد للصوفية والنظام !

الا اننا لكى نكون منصفين ،



وموضعيين ، نقول أن قانون تنظيم الصوفية جاء إيجابيا فى عدد من جوانبه . فقد ترتب على جعل الطرق الصوفية هيئة عامة أن اصبحت أموال المجلس الصوفى الأعلى والطرق التابعة له اموالاً عامة تخضع لميزانية سنوية تحدد الايرادات والمصروفات . كما منع القانون كل ما يخالف الشريعة الاسلامية مثل القول بالاتحاد مع الله او إتيان أفعال لاتتفق والآداب الاسلامية كضرب الجسم بالسلاح أو أكل الحشرات أو الهوام .

والحقيقة أن العقود الثلاثة الأخيرة قد شهدت محاولات متكررة لاصلاح حال الصوفية فى مصر . اهم هذه المحاولات كانت تلك التى قادها الشيخ محمد زكى إبراهيم ، رائد العشيرة المحمدية ، والتى تقدم خلالها بمذكرة الى السلطات الرسمية المسئولة يطالب فيها بالتطوير والأصلاح . وعرض فى مذكرته إقتراحات إستهدفت ، حسبما تصور هو ، أنها كافية لتنقية الحركة الصوفية . واستجابت الحكومة لما جاء فى هذه الاقتراحات وقررت تشكيل لجنة للاصلاح الصوفى برئاسة وزير الأوقاف ، وأختارت الشيخ محمد زكى إبراهيم ليكون مقرراً لها . لكن رد الفعل سرعان ماجاء غاضباً : إجتمعت الجمعية العمومية بأكثر من ٦٠ شيخا بمسجد الامام الحسين ، وقررت بالاجماع « فصل » الشيخ إبراهيم من الطرق الصوفية !

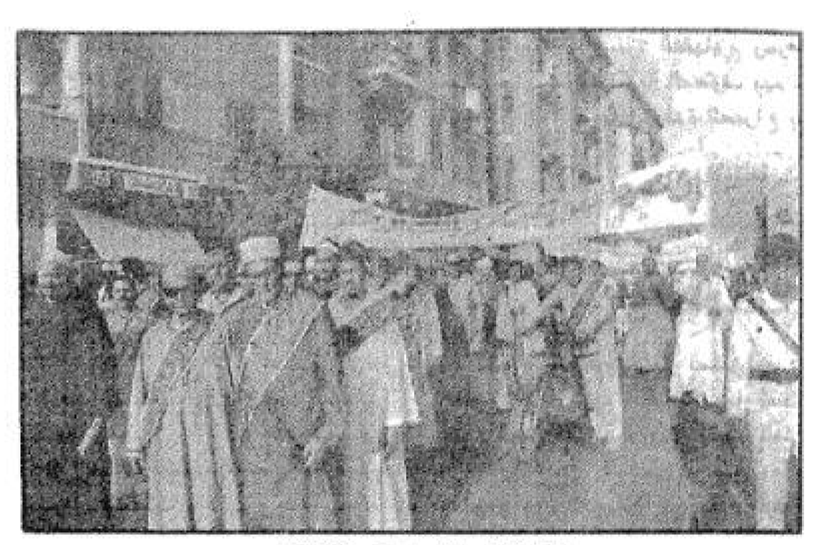
ونكاد نقول بأن ثمة مصلحة لأطراف قائمة فى أستمرار الأوضاع على ماهى عليه . فوزارة الأوقاف مثلاً ، وهى الجهة التى تعطى الموافقة على أقامة الموالد والاحتفال بها ، تحصل على ٥٠٪ مما تجمعه صناديق النذور فى المساجد .

وفى منتصف السبعينات نظمت منابر صحفية حملة ضد البدع والضلالات التى تمارس ضد الاسلام فى الموالد وبين اتباع الطرق الصوفية المتعددة . لكن هذه الحملة الغيورة على الأسلام سرعان ماتعرضت لاتهام خطير مفاده انها ممولة من قبل اتباع المذهب الوهابى فى شبه الجزيرة العربية ! وهو اتهام خطير ينبىء بشراسة هؤلاء المستفيدين من إبقاء الأوضاع على ماهى عليه .

● تبرئة الذمة ...

والحقيقة أن الطرق الصوفية ـ بحالتها الراهنة ـ تعزل الكثيرين عن المشاركة فى صنع مستقبل البلاد

وقد إشترك فضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف ، مفتى مصر الأسبق ، والشيخ أحمد حسن الباقورى ، والشيخ ابراهيم الدسوقى ، مدير عام الدعوة السابق بالأوقاف ، وآخرون فى معركة حامية مع أفكار كتاب « تبرئة الذمة فى نصح الأمة » لمحمد عثمان عبده (برهانى) . والذى وردت فيه أحاديث وخطب لا أساس لها من الصحة على لسان الرسول ﷺ والامام على (رضى الله



الشاذلية ١٨ طريقة ولاخلاف !

عنه) . وفى هذا الكتاب أدعى محمد عثمان عبده أنه خليفة الله !

ويقول المهندس عادل احمد محمد ، من سنورس بالفيوم ، عن علاقته بالطريقة البرهانية : « بدءوا يلقنوننى أن كل من يعارض البرهانية كافر ، وأن الذين يدعون الى إتباع السنة هم أصحاب العقائد الفاسدة ، ورأيت مهازل فى سلوكهم ، ورأيت اننى أمام تنظيم هرمى دقيق تحكمه قوانين صارمة ، وافقت على حقيقة أن هذا التنظيم خطر على الاسلام فبعدت عنه "

ولعل هذا الموقف يوضح الأبعاد الحقيقية للعلاقة التى تربط بين الشيخ واتباعه ، والتى تقترب كثيرا من العلاقة بين الاقطاعى وفلاحى اقطاعيته !

وفى إطار العملية " الصوفية " نجد " الكرامات " تمثل ركنا أساسيا من اركان التأثير فى المريدين فالشيخ محمد شمس الدين الحنفى الشاذلى كان " يعبر النيل الى الروضة ماشيا فوق الماء مع رفاقه " وذات يوم دخل عليه أحد أتباعه خلوته التى كان قد قضى فيها ٧سنوات كاملة دون خروج - فوجد عنده اسدا هائلا يكاد يهجم عليه ، فاغمى على التابع ! والشيخ محمد بن احمد فرغلى الذى كان يحضر البطيخ الأخضر وثمار جوز الهند لمن يطلبها فى غير أوانها !!

ويعلق د . أبو الوفا التفتازانى ، رئيس المجلس الصوفى الأعلى على إستخدام الطبل والزمر والرقص والغناء والموالد والتماس بركة الموتى وغيرها من " البدع " بقوله : هذه من الأمور الشكلية التى لحقت بالتصوف وليست منه وبالرغم من هذا نجد المجلس الصوفى الأعلى يحث اتباعه على الاشتراك فى الموالد وإحيائها . وكما هو معروف فإن ممثلين



للدولة ، والمؤسسات الدينية الرسمية يحضرون هذه الموالد فيما يقترب من صيغة الموافقة الرسمية عليها !

وتقف الصوفية اليوم بين نيران جبهات مختلفة :

● الاسلام السنى : الذى يرى بأن الصوفية لاتتمسك بالكتاب والسنة سواء فيما يتعلق بمسألة الولاية أو تقسيم الاسلام الى شريعة وحقيقة أو العشق الالهى وغير هذا .

● الاسلام الشيعى : ويرى أن الصوفية منهج يعتزل المجتمع وقضايا المستضعفين . وقد عبر د . حسن حنفى ، عن تصورات هذا الاتجاه ، فى مقدمته لكتاب " الحكومة الاسلامية " للامام ، المرجع الدينى الأعلى ، روح الله الخمينى . وفى نفس هذا السياق يرد عداء الاسلام السياسى السنى للصوفية لتبنيها نفس « المقالة الابليسية » : فصل الدين عن الدولة .

● الاتجاه الدينى المستنير : ويتمثل فى هؤلاء الذين سعوا الى تطوير النظرة للاسلام على ضوء التطور الذى لحق بالعصر ويرون فى الصوفية الراهنة نقيضا لمحاولة متقدمة كهذه . ويقترب موقفهم كثيرا من موقف المثقفين العلمانيين .

وفى البدء كان الصوفيون قيادة دينية - سياسية للفقراء والمستضعفين .. وكان الصراع بينهم وبين الفقهاء ، وحراس النظرة الدينية الرسمية المعترف بهم من قبل الحاكم ، ترجمة معقدة للصراع بين السلطان والرعية :

الحلاج صلب بين ضفاف دجلة بعد أن قال : أنا الله ، وأنا الحق ، وسبحانى ما أعظم شأنى .. .. ..

والسهروردى حبس فى قلعة حلب حتى الموت

وابن عربى مزقه تجار دمشق بعد أن صرخ فى وجههم : « أنتم وما تعبدون تحت قدمىّ هذين » .. وكان يقصد المال .

وذو النون المصرى سيق مكبلا بالحديد من الفسطاط الى بغداد ليحاكم بتهمة السحر والشعوذة

وقبل قرن من الزمان ترجم المتصوفون قيادتهم للمستضعفين فى صور اكثر مباشرة ، ووقف الشيخ البكرى نموذجا للحس القومى الدينى المعادى للأجنبى ، والمؤيد لمطالب أمة وليدة فى صنع مستقبلها . لكن راية القيادة سرعان ما انتقلت الى يد محمد على ، وسقطت فى يد ابنائه ليتلقفها مثقفون ورموز جدد كان عرابى وسعد والنحاس وناصر ابرزهم .

واليوم يوجه الى الصوفيين سؤال هام : ٧ ملايين مصرى تجرى تربيتهم على « كدكرد ده ده ده » فى الوقت الذى تخوض فيه مصر معركة المصير من أجل موقعها وسط الحضارة .. ٧ ملايين مصرى يصور لهم الانخراط فى العملية الديمقراطية ، والاشتغال بالسياسة على انه إثم مجرم ومحرم ، بينما تسعى مصر الى « توسيع الديمقراطية » الموقف من الصوفية الراهنة هو موقف من قضية الثقافة المصرية والمستقبل المصرى .





الطرق الصوفية في المجتمع المصرى

بقلم : د . سيد عويس

فى ضوء بعض الدراسات والبحوث التى تمت بإجرائها تبين ان للطرق الصوفية فى مصر شأنا واى شأن . فهى من أقوى جماعات الضغط فى المجتمع المصرى المعاصر فالأرقام تقول إن فى مصر ٦٧ طريقة صوفية مسجلة طبقا للجدول الرسمى المعتمد ، وأن عدد أبناء الطرق الصوفية المنتظمين ستة ملايين وأن هناك ثمانى طرق صوفية غير مسجلة ، وأن مشايخ هذه الطرق الأخيرة ومريديها كلهم من حملة المؤهلات العالية . وأن لدينا حوالى ٢٨٥٠ مولدا للاولياء الصالحين يحضرها اكثر من نصف سكان الدولة . وأن بين مشايخ الطرق الحاليين (٢ لواء و ٣ دكتوراه وسفير سابق ومدير عام) . ويرى البعض أن عدد أبناء الطرق الصوفية المنتظمين فى مصر ثلاثة ملايين فحسب

وتأكد من نتائج الدراسات والبحوث المشار اليها ولاء المصريين لامير المؤمنين "على بن ابى طالب" وأن له عندهم مكانة رفيعة فى قلوبهم ، ونجدهم يحتفلون بمولده رضى الله عنه فى كل عام احتفالا تسترك فيه مختلف الطوائف الصوفية فى الساحة الحسينية بالقاهرة ويسهر على هذا الاحتفال الذى يستمر اياما "المجلس الأعلى الصوفى" و "جمعية أهل البيت" . ولعل من المناسب للتأكيد على الدور الذى تؤديه الطرق الصوفية فى تكريم "الامام على بن ابى طالب" أن اسجل فى المقال الحالى "نص اجازة لأحد خلفاء الطريقة الخلوتية الجنيدية" وهى تبدأ أول ما تبدأ بالآية الكريمة "الله ولى الذين آمنوا . " (٢ م البقرة ٢٥٧) . ثم تسجل الاجازة نص وصية الاجازة ، للسالكين فى طريق السادة الخلوتية الجنيدية وتبدأ بعد البسملة والحمد لله القول ، بأنها اجازة عن شيخنا وقدوتنا العارف بالله وشيخ عموم السادة الخلوتية الجنيدية بجمهورية مصر العربية ، حفيد الامام الجنيدى رضى الله عنه وارضاه صاحب الفضيلة سيدى الشيخ حسين ابراهيم الدسوقى الجنيدى المقيم بنزلة الجنيدى مركز الواسطى محافظة بنى سويف ثم تؤكد الوصية أن الطريق طريق غيب غير محسوس . وسلوكه للقلوب لانه من الغيوب .



فيجب على المريد التصديق بآثاره والاذعان لسطوع أنواره مع الجهد والاجتهاد والتوجيه الكلى والاستعداد لأن سلوكه يصعب على النفوس لكنه علم ذوق لا ينظر فى الطروس ومثال السالك فيه كمثال السالك فى طريق الحج لابد من ترك وطنه .. وهنا كذلك . ثم يترك الأهل والأوطان رغبة فى رضاء الملك الديان ، وكذلك هنا لابد أن لا يلتفت الى أهل ولا اوطان ولا إلى أصحاب ولا اخوان ، بل لابد من تغير الأنفاس والجلاس ليصير من الأكياس . ثم لابد له من زاد وهو هنا التقوى لقوله عز من قال "وتزودوا فان خير الزاد التقوى" (٢م البقرة : ١٩٧).

ولابد له من سلاح يرهب به عدوه وهو هنا الذكر .. ولابد له من راحلة حتى يهون عليه الطريق وهنا المقصود منه الهمة ، لأنها بها ترقى المريد الى أعلى المقامات ولابد له من دليل يسير أمامه وهو هنا الاستاذ المربى فان من سلك طريقاً بغير دليل تاه وضل وربما هلك مع الهالكين . ولابد له من رفقة يستأنس بهم انه اذا سار وأراد أن يشتعل مصباح الحكمة فى بيت قلبه المظلم من آثار السهر والعمل بالحظ والهوى ليرى مافيه من الرذائل فيطهره منها ويخرج بكليته عنها لابد له من سبعة أشياء ، لأن من أراد أن يوقد المصباح فلابد له منها ... ثم تذكر الوصية ان هذه الأشياء السبعة هى الزناد ، والحجر ، والحراق ، والكبريت ، والمسرجة ، والفتيلة والدهن .

وكلها كما يرى القارىء رموزا لأفعال . فالزناد هو زناد الجهد والجهاد ، والحجر هو حجر التضرع الى الله ، والحراق هو احتراق النفس بالمخافة . قال تعالى "واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى" (٧٩ ك النازعات ٤٠) والكبريت هو كبريت الانابة الى الله تعالى ، والمسرجة هى مسرجة الصبر والفتيلة تعنى الشكر لله على نعمه ، ثم لابد بعد كل ذلك من دهن الرضا بالقضا (القضاء) . فاذا تخلق المريد بهذه الأوصاف السبعة فحينئذ يمكنه أن يشعل مصباح الحكمة فى قلبه .. وهذه كرامة يكرم الله بها المريد أن يوقد فى قلبه مصباحا ملكوتيا يحميه من الدسائس النفسانية . فالقلب يشبه البيت فيه خمس نوافذ يدخل فيها الهوى اذا فتحت ، واذا اغلقت امتنع دخول الريح الى ذلك البيت ، وعند غلقها يقوى نور ذلك المصباح ويشرق البيت به . واذا فتحت هذه النوافذ او الكوات أو احداها ضعف اشراق ذلك النور وربما انطفأ . والمقصود من الكوات الخمس هو الحواس الخمس . وعلى المريد أن لا يشغل حواسه الخمس لغير الحق ومن ثم يشغل قلبه بمراقبة جلال الحق تعالى وعظمته وكبريائه التى هى كناية عن المصباح .

وتذكر الوصية بعد ذلك انه يجب على اهل الطريق أن لا يتخطوا خطوة ينكرها الشرع عليهم فان كل من خالف الشريعة المحمدية تاه وضل عن الطريقة المرضية .. فالشريعة اصل والحقيقة فرع فكل من لم يحكم الاصل لا ينفع به الفرع ، ولهذا كان سيد رؤساء هذه الطريقة سيدى ابو سليمان الدارانى رضى الله عنه وقدس سره يقول " ماحرموا الوصول الا بتضييعهم الأصول . فشريعة بلا حقيقة باطلة وحقيقة بلا شريعة عاطلة .

ثم تحض الوصية على قيام أهل الطريق بأوراد الطريق جميعها من غير إخلال بشىء منها ، وأن يوبخوا أنفسهم اذا تخلفوا عن مجلس ذكر ووعظ وغير ذلك . وذلك لأن سيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله عنه كان يقول .

ماقطع مريد أوراده يوما الا قطع الله عنه الامداد فى ذلك اليوم وشروط الطريقة كما تذكرها الوصية ثمانية وهى الصمت ، والجوع ، والسهر ، والاعتزال ، ودوام الطهارة ظاهرا وباطنا ، ومداومة الذكر بالاسم الذى يلقنه الشيخ لمريديه ، ونفى الخواطر من القلب ، وربط قلب المريد بالاستاذ ومعناه انه يداوم على مشاهدة صورة الشيخ . وشرحت الوصية كل شرط من هذه الشروط شرحا وافيا .

وتهتم الوصية بآداب أصول الطريق وهى عشرون خمسة سابقة على الذكر ، واثنا عشر فى حالة الذكر ، ثم ثلاثة بعد الانتهاء من الذكر . وفصلت الوصية هذه الآداب وشرحتها وتتضمن الآداب التى قبل الذكر التوبة والغسل للذكر ، والسكون أن يستمد المريد بقلبه عند شروعه فى الذكر من همة شيخه ، واستمداده من شيخه هو استمداده من النبى ﷺ لانه الواسطة بينه وبين النبى . وتتضمن الآداب فى حالة الذكر . جلوس المريد على مكان طاهر ، وأن يضع راحتيه على ركبتيه ، وأن يطيب المجلس بالرائحة الطيبة وكذلك ثيابه ، وأن يلبس المريد اللباس الحلال الطيب وأن يكون المكان مظلما ، وأن يغمض المريد العينين لكى تنشط الحواس الظاهرة ، وأن يتخيل المريد شخص شيخه بين عينيه ، والصدق فى الذكر ، والاخلاص فيه ، وأن يختار من صيغ الذكر "لا اله الا الله" لأن لها تأثيرا لا يوجد فى غيرها ، وأن يستحضر المريد معانى الذكر ، وأن ينفى كل شىء موجود حال الذكر من القلب سوى الله سبحانه وتعالى فالله غيور أن يرى فى قلب عبده المؤمن غيره . أما الآداب التى تعقب الذكر فأولها يسكن إذا سكت ويخشع ، وثانيها أن يزم (يحبس) نفسه مرارا من ثلاثة أنفاس الى سبعة ، وثالثا منع شراب الماء عقب الذكر .

ثم تختتم الوصية بأصول الطريق وهى خمسة أشياء تقوى الله فى السر والعلانية ، واتباع السنن فى الاقوال والافعال ، والاعراض عن الخلق والاقبال والادبار ، والرضا عن الله فى القليل والكثير ، والرجوع الى الله فى السراء والضراء . وتنتهى الوصية ثم يبدأ الاذن للخليفة الجديد بان يدعو الخلق الى طريق الحق ، فقد قال العارفون ليس الرجل من كمل فى نفسه بل من كمل به غيره ولا من زال عنه الخوف من نفسه ولكن من زال به الخوف عن غيره . ويعتبر هذا الاذن تصريحا للخليفة بالتجول فى انحاء جمهورية مصر العربية . لاقامة الاذكار والصلح بين الناس ، وهو إذ يفعل ذلك يكون نائبا عن شيخنا وقدوتنا العارف بالله تعالى وشيخ عموم الطريقة الخلوتية الدسوقى الجنيدى المقيم بنزلة الجنيدى مركز الواسطى محافظة بنى سويف ، وهو عن والده القطب الربانى سماحة سيدى الشيخ ابراهيم الدسوقى الجنيدى الميمونى ، وهو عن والده العالم العلامة سيدى الشيخ محمد أحمد الجنيدى وهو عن والده القطب الشهير سيدى الحاج أحمد الجنيدى الشهير بالمغربى ، وهو عن سيدى وأستاذى الشيخ عبد العليم السنهورى ، وهو عن شيخه سيدى شمس الدين محمد بن سالم الحفناوى ، وهو عن سيدى الشيخ مصطفى البكرى وهو عن سيدى عبد اللطيف الحلبى ، وهو عن سيدى مصطفى افندى الادرناوى ، وهو عن سيدى قره باش أفندى ، وهو عن سيدى اسماعيل الجورومى ، وهو عن سيدى عمر الفؤادى ، وهو عن سيدى محيى الدين القسطمونى ، وهو عن سيدى خير الدين التوقادى ، وهو عن سيدى لالبى سلطان الاقسرانى ، وهو عن سيدى محمد بن بهاء الدين الازرنجانى ، وهو عن سيدى يحيى الباكوبى ، وهو عن سيدى صدر الدين الخيالى ، وهو عن سيدى الحاج عز الدين ، وهو عن سيدى محمد بيرام الخلوتى ، وهو عن سيدى عمر الخلوتى ، وهو عن أخيه سيدى محمد الخلوتى ، وهو عن سيدى ابراهيم الزاهد



الكيلانى ، وهو عن سيدى جمال الدين التبريزى ، وهو عن سيدى شهاب الدين محمد الشيرازى ،·وهو عن سيدى ركن الدين محمد النجاشى ، وهو عن سيدى قطب الدين الابهرى ، وهو عن سيدى أبى النجيب السهروردى ، وهو عن سيدى عمر البكرى ، وهو عن سيدى وجيه الدين القاضى ، وهو عن سيدى محمد البكرى ، وهو عن سيدى محمد الدينورى ، وهو عن سيد الطائفة سيدى أبى أبى القاسم الجنيدى البغدادى ، وهو عن سيدى السرى السقطى ، وهو عن سيدى معروف الكرخى ، وهو عن سيدى داود بن نصير الطائى ، وهو عن سيدى حبيب العجمى ، وهو عن سيدى الحسن البصرى ، وهو عن سيدنا الامام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه ، وهو عن سيدنا ونبينا محمد رسول الله ﷺ ، وهو عن سيدنا جبريل عليه السلام ، وهو عن رب العزة والعظمة سبحانه وتعالى رب العالمين جل جلاله وتقدست اسماؤه ..

ومثل الطريقة الخلوتية الجنيدية ، نجد الطريقة البرهمية ومؤسسها سيدى ابراهيم الدسوقى وهو من مواليد مصر ، ومدينة دسوق بالذات وتروى احدى الروايات عن هذا الصوفى الكبير ، انه جوهرة من جواهر آل بيت الرسول ﷺ الذين عاشوا فى مصر ، ودفنوا فى ثراها . يقولون ان سيدى ابراهيم الدسوقى يلتقى مع "سيدى احمد البدوى" فى الجد العاشر . وهو ينتمى الى الدوحة المباركة التى ينتمى اليها "سيدى احمد البدوى" وسيدى حسين أبو على أو السلطان أبو العلا . ويؤكد مؤرخو سيدى ابراهيم الدسوقى انه قرشى الأصل ، ويقولون انه ينتمى الى الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام على زين العابدين بن الامام الحسين بن على بن ابى طالب

واحتفال المجلس الأعلى الصوفى وجمعية آهل البيت ، بالامام على بن أبى طالب بخاصة وبأهل البيت بعامة والاهتمام الواضح للطرق الصوفية بهم ، يعنيان بالضرورة نشر الروايات عنهم ومحاولة غرس محبتهم فى قلوب الملايين المصريين المسلمين . وفى ضوء الواقع نجد أن المصريين المسلمين قد استجابوا أو تعاطفوا لذلك . واستجابة المصريين المسلمين لهذا الاهتمام او تعاطفهم أو محبتهم لاهل البيت لا يمكن أن ترجع بعضها أو كلها بالضرورة الى قبولهم لدعوة بعينها أو التزامهم بمذهب معين . والملاحظ أن دولة الفاطميين قد حكمت مصر فى خلال المدة ٣٦٢ ـ ٥٦٧ هـ الموافق ٩٧٢ ـ ١١٧١ م . أى لمدة حوالى ١٩٩ عاما ميلاديا . وقد حاولت هذه الدولة فى خلال فترة حكمها أن تنشر الدعوة الشيعية فى مصر ، وحين أصبحت على وشك الانهيار عاد أهل مصر الى المذهب السنى . وفشلت بذلك المجهودات الهائلة التى بذلها الفاطميون فى سبيل نشر هذه الدعوة فى مصر . واذا كان الفاطميون قد فشلوا فى نشر الدعوة الشيعية ، فان آثار حكمهم المادية مازالت قائمة . منها واهمها مدينة القاهرة ثم جامع الأزهر وجامع الحاكم وجامع الجيوشى وحاكم الاقمر وجامع طلائع بن رزيك ومن الأماكن التى خلفها الفاطميون ومازالت قائمة فى مدينة القاهرة نجد قصر الشوق والجمالية والحسينية وزويلة والجودرية وبرجوان ..

والطرق الصوفية الموجودة فى مصر فى الوقت الراهن ، كما يذكر القارىء ، عديدة . وعدد مريديها لا يمكن أن يستهان به ، وهم منتشرون فى كل قرية مصرية ، واغلبهم من الفقراء والأميين البسطاء . ومن ثم لا يمكن اغفال فاعلية الطرق الصوفية ومن يقومون

عليها على هؤلاء المريدين . ومع ذلك فاننى أرى انه لولا أن تكون الدعوة التى تدعو اليها كل طريقة من هذه الطرق قد صادفت هوى فى نفوس مريديها لما التفوا حولها . هذا الهوى لا يأتى من لا شىء فهو بالضرورة نتاج ثقافة المجتمع . ان سيرة مثل سيرة "الامام الحسين" فى ضوء التراث الثقافى المصرى لابد أن تجد صدى فى وجدان كل مصرى مافى ذلك من شك . فالمصرى القديم قد عرف "اوزيريس" ووعى قصة استشهاده وعاشت فى نسيج كيانه على مر الزمان . والتراث الثقافى المصرى ، كما يعلم القارىء منذ الماضى السحيق ، مملوء بالشهداء الذين واجهوا الموت دفاعا عن الحق وضربوا الامثلة الرائعة ، وكانوا القدوة الحسنة . وكل من يعقد المقارنة الموضوعية بين قصة "اوزيريس" (امام الشهداء) وقصة الامام الحسين (سيد الشهداء) يلاحظ أن الاول أى أوزيريس ، فى احدى الروايات ، كان بشرا عاش فوق الارض وقاسى من شرورها وذهب ضحية مؤامرة (أخيه ست) انتهت بقتله ، وكان اوزيريس هو الراعى الحكيم الذى ماكاد يجلس على العرش حتى حرر الناس من حياة الهمجية وعلمهم الزراعة وشرع لهم القوانين وحثهم على التقوى واحترام الآلهة ... كان أوزيريس يمثل الخير بأجلى معانيه فى ظل المناخ الثقافى الاجتماعى الذى شهد فيه وعاش . وكانت عندما تغيب الشمس لتعود الى الناس فى الصباح يرون صورة أوزيريس . وحتى صورة هذا المعبود الأرضية وهى الأصيلة كان يرمز اليها بالمحصول الجديد فهو زاد الناس وهو ماء الفيض الذى يخصب الأرض . وقد عاشت هذه الصور المتعلقة بأوزيريس فى وجدان الشعب المصرى واستمرت تعيش ، مرورا بالظروف التاريخية ، التى أكدت حياتها وبقاءها واستمرارها فى ظل عصر الاضطهادات التى ذهب ضحيتها آلاف المصريين . تلك الاضطهادات التى ظلت تندلع من آن الى آخر مدى قرن من الزمان (حوالى سنة ١٩٤ م حتى سنة ٢٩٥ م) ولاجدال فى أن الذين استشهدوا من المصريين وبخاصة الأساقفة منهم قد قدموا المثل الأعلى لأبنائهم فى البذل والتضحية .

ومن حق القارىء أن يعلق على ماسبق بالموافقة على ماجاء به او بعدم الموافقة ومهما يكن من الأمر فان المقال الحالى يهتم أول مايهتم بعلاقة الطرق الصوفية بالدعوة الى الأولياء والاهتمام الأكيد بآل البيت . فالطريقة الصوفية هى المدرسة الاكيدة لهذه الدعوة ويؤكد ذلك ماضمه كتاب "جامع السعود من عوالم الشهود المقرب الى علام الغيوب" ، فهو يتضمن فضلا عن أحكام الطهارة واركان الصلاة على مذهب "الامام الشافعى" ، خطبا منبرية وأحاديث نبوية وكلام السادة الصوفية ، والأسرار الربانية فى الحضرة النورانية ،

وأحزاب وأوراد ومدح فى الرسول وآل بيته وشرح المملكة الانسانية (بقصد شخصية الانسان فهى مدينة فى ولاية القلب ، وكل من فى هذه المدينة من سمع وبصر ويد وقدم وجميع الجوارح رعايا وخدم للقلب ، فهم مسخرون له بالقهر مستخدمون له تحت الأمر والنهى) وآداب المريد ، وكلام المؤلف فى طريق القوم والسادة الصوفية

رسائل
إلى الامام .!

ولاجدال فى أن كل من يقرأ مضامين الرسائل المرسلة الى ضريح "الامام الشافعى" يجد انعكاس المناخ الثقافى الذى





يسود العديد من العناصر الثقافية السابق ذكرها . ويكفى أن نذكر جزءا من مضمون احدى الرسائل :

"لقد أرسل رجل من كفر عجيبة مركز ههيا محافظة الشرقية ، ذكر اسمه ، وكتب رسالته على ورقة عادية بتاريخ ١٢ من ابريل سنة ١٩٥٨ م الموافق ٢٣ من رمضان سنة ١٢٧٣ هـ قال بعد ذكر البسملة والحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين النبى الأمى ، موجها خطابه الى الامام الشافعى ،

يتشرف بعرض هذا على فضيلتكم العبد الخادم فلان من كفر عجيبة مركز ههيا شرقية .

المدد يارسول الله

المدد ياسيدنا الحسين ، المدد ياصحبة الشورى يأم هاشم ، المدد ياأبا العلمين يارفاعى ، المدد ياأبا الربيعين ياجيلانى ، المدد ياأبا اللسانين يابدوى .

ياباب الرسول ياباب القبول ياأبا الفراج المدد

المدد ياأبا العينين يا دسوقى ، المدد ياكريمة الدارين يانفيسة .. العلوم يامبرقعة بالانوار ، المدد ياسيدى شبل يامنوفى .

المدد يارجال الله

انتم الوسيلة الى الله العلى القدير أن ينتقم لى من كل من آذانى وأخذ أمتعتى وخاننى فى منزلى ..."

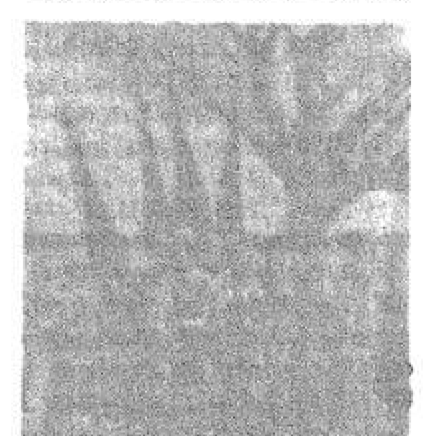
وارتباط الطرق الصوفية بالموالد ، كما سبق أن ذكرنا ، ارتباط أكيد . نجد ذلك واضحا فى موالد "النبى" ﷺ ، " والأمام على بن أبى طالب " و" الامام الحسين " و" السيدة زينب " و "الامام الشافعى" . ونجد ذلك واضحا أيضا فى الموالد التى يرتبط أصحابها بالطرق الصوفية ارتباطا أصبح عند الرأى العام عاما . ومن هؤلاء "السيد أحمد البدوى" بطنطا ، و "السيد ابراهيم الدسوقى" بدسوق . ونجد ذلك واضحا كذلك فى الموالد التى يعتبر أصحابها من مؤسسى الطرق الصوفية ومن هؤلاء المولد الذى تشرف عليه "الطريقة الحامدية الشاذلية" احياء لذكرى "الشيخ سلامة حسن الراضى" ,مؤسس هذه الطريقة

وتشترك الطرق الصوفية فى احتفالات المناسبات الدينية المختلفة مثل موكب الهجرة وموكب رؤية هلال رمضان . وفى هذه المواكب يجتمع أهل الطريقة فى صفوف منتظمة وقد لبس كل واحد منهم وساما مصنوعا من القماش بلون معين يكتب عليه اسم الطريقة بلون آخر ، ويتقدم الموكب حملة الاعلام واللافتات والبيارق . وقد كتب عليها "لا اله الا الله محمد رسول الله" وأيضا اسم الطريقة والملاحظ أن ترتيب الطرق اذا اجتمعت فى أى موكب يكون بحسب نظام معين تحدده اللائحة الداخلية للطرق الصوفية .

وفى ضوء استخدامى لأسلوب "الملاحظة" أحيانا وأسلوب "الملاحظة بالمشاركة" أحيانا أخرى تبين أن اجتماع أهل الطريقة (الصوفية) للذكر والانشاد أو مايسمى بـ "الحضرة" يكون بحضور شيخ الطريقة أو من ينوب عنه ويقال أن الحضرة "اجتماع فاتباع" أى أنها اجتماع لأهل الطريقة يتبعون فيها أداء شيخ الطريقة للذكر والانشاد . ولا تقام الحضرة فى مكان واحد . فهى قد تقام فى بيت أحد أبناء الطريقة ، وقد تقام داخل "الزوايا" فى القرى ، وقد تقام فى أحد المساجد مثل مسجد "الامام الحسين" بالقاهرة وقد تناولت الدراسات التى اهتمت بموضوع "الانشاد فى الحضرة وفقا للطريقة الحامدية الشاذلية" الحضرة التى تقام بمسجد "الامام الحسين" بالذات . وهى تقام مساء يوم الثلاثاء أسبوعيا بعد صلاة العشاء وتضم من الذاكرين من أهل الطريقة ومن

غيرهم (بشرط ان يحترم الاخيرون النظام والتقاليد الروحية للحضرة) حوالى الفين وفى الحضرة الكبرى يشترط ان تقام تحت اشراف "شيخ مشايخ الطريقة" ويلقب ايضا بـ "شيخ السجادة" او "صاحب السجادة" بمعنى "شيخ الطريقة"

والحضرة كشكل لتجمع اهل الطريقة بقصد الذكر تخضع لنظام معين فى ترتيب اماكن جلوس الحاضرين داخل المسجد (اذا اقيمت فى المسجد) . وشكل الحضرة على هذا الأساس يأخذ شكلا مستطيلا بداخله صفوف الذاكرين من اهل الطريقة . وفى أول صف المنشدين على شمال موقع الشيخ يوجد موقع رئيس فرقة المنشدين بالقرب منه ، ثم صفان من المنشدين وخلفهما صفوف الذاكرين . وماوصفناه من صفوف المنشدين والذاكرين على شمال موقع الشيخ يوجد مايطابقه تماما فى عدد الصفوف على يمين موقع الشيخ . وفى منتصف الصف الاول للمنشدين على يمين موقع الشيخ يوجد موقع رئيس فرقة المنشدين . وبين صفى المنشدين على يمين موقع الشيخ يوجد موقع خليفة خلفاء السجادة اى "خليفة الشيخ" وحول صفوف الحضرة يوجد عشرة نقباء للاشراف على نظام الحضرة ويساعدهم فى مهمتهم ستة عشر منظما يقف كل اثنين منهم عند طرفى كل صف من صفوف الذاكرين . ومن وظائف النقباء فى الحضرة ، عدا إشرافهم على النظام ، توصيل إشارات الشيخ الى الذاكرين من قيام وقعود وسكوت وذكر ، وانتقال من درجة سرعة الى درجة



اخرى فى اثناء اداء الذكر والانشاد . ويلاحظ انه فى الحالة الأخيرة نجد أن الشيخ هو الذى يضبط ايقاع الذكر والانشاد من أول الحضرة الى اخرها ووسيلته فى ذلك "التصفيق" ، والشيخ فى العادة هو اول من يبدأ بصوته افتتاح الحضرة .

وتعتبر الحضرة ، فى ضوء ماسبق ، "النظام الجماعى للذكر" او "حلقة الذكر" ، ومن ثم فهى اهم التقاليد الروحية ممارسة فى الطريقة الصوفية . والملاحظ انه على الرغم من أن الذكر ، على المستوى النظرى هو راس الأعمال الصالحة ، وذلك لأن المقصود منه تزكية الانفس وتطهير القلوب وايقاظ الضمائر ، والذاكر حين يفتح لربه جنانه ويلهج بذكره لسانه يمده الله بنوره فيزداد ايمانه ايمانا ويقينه يقينا فيسكن قلبه للحق ويطمئن به . "الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب" (الرعد : ٢٨) .

على الرغم من ذلك فاننا نجد فى الواقع الحى فى المجتمع المصرى المعاصر ، فى هذا المجال ، ان مايقال نظريا لا يمارس فى الكثير من الاحيان عمليا ، وبخاصة فى محيط العديد من الطرق الصوفية . نجد أن الذاكرين منهم اذا ذكروا لا يذكرون "ذكر الله تعالى الوارد فضله فى الكتاب العزيز والسنة المقدسة ، المتلقى من رسول الله ﷺ بالطرق المتواترة والآحاد الصحيحة . فانه عليه الصلاة والسلام افصح العرب وأبلغهم وأصحابه الآخذون عنه هم من الفصاحة والبلاغة بالمكان الأعلى واللسان الأغلى ، والقرآن العزيز والسنة المطهرة انما أخذا عنهم على الحال الواصل الينا بطريق التواتر أو الآحاد الصحيحة من المد أو القصر والتفخيم أو الترقيق والادغام أو الفك ونحو ذلك" .

ظاهرة اجتماعية

وحلقة الذكر أصبحت فى الوقت الحاضر ظاهرة اجتماعية قد تعددت وظائفها .



وأصبحت هذه الوظائف فى الواقع المصرى الحى غيرها كما أمر الله جل ذكره وعلا شأنه ، والذى وصف أولى الألباب الذين ينتفعون بالنظر فى آياته بأنهم :

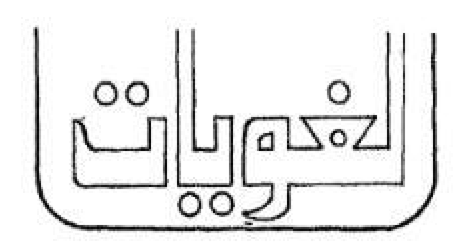
"الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم"
(آل عمران : ١٩١) .

والذى أرشد سبحانه وتعالى الى الأدب الذى ينبغى أن يكون عليه المرء فى أثناء الذكر ، فقال :

(واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ، ولا تكن من الغافلين" (الاعراف : ٢٠٥) .

أصبحت حلقة الذكر فى الوقت الحاضر تعقد فى الموالد وفى الأفراح وفى المواسم ، نجد ذلك كما سبق أن أوضحنا فيما يسمى بـ "الحضرة" وفى حفلات الزواج وفى حفلات "الختان" وفى "شهر رمضان" . وقد تكون حلقة الذكر الأسلوب الوحيد للاحتفال ، وقد تكون أحد الأساليب للوفاء بالنذور .

واذا كانت لحلقة الذكر وظائف اجتماعية معينة فى المجتمع المصرى المعاصر ، فانها هى نفسها احدى وظائف الطريقة الصوفية . والملاحظ أن الانتماء الى احدى الطرق الصوفية بمعنى اتاحة الفرصة للعضو لكى يجد نموذجا فريدا من المنافذ الاجتماعية الذى ينفس أعضاء الطريقة عن طريقه عن الشعور بالعداء الفردى أو الجماعى او عن الشعور بالنقص أو الشعور بالذنب الفردى او الجماعى اذا وجدت هذه الألوان من الشعور كلها أو بعضها . والإنتماء الى احدى الطرق الصوفية أيضا ييسر للعضو الشعور بالحماية . فعمليات التضامن بين الأعضاء ، وتماسكهم فى ظل مناخ ثقافى معين ، فضلا عن احساسهم بنوع من الامتياز ، تكون كل هذه الأمور الملجأ الثقافى الاجتماعى الأمين لكل عضو منهم . ومن ثم تصبح الطريقة احدى الجماعات "المرجعية" الهامة لأعضائها وتكون فى الوقت نفسه احدى الجماعات "الضاغطة" فى المجتمع ، لها قوتها ونفوذها فى محيط مئات الألوف ان لم يكن الملايين من البشر (فى ضوء عدد الطرق الصوفية المنتشرة فى ربوع المجتمع المصرى المعاصر الرسمية منها وغير الرسمية) ، وهى بهذه الصفة قد تستغل ضد مصلحة هؤلاء الملايين من البشر .والملاحظ كذلك ان الانتماء الى احدى الطرق الصوفية يتيح للعضو أنواعا شتى من المعرفة وخاصة ماتعلق منها بالسلوك الانسانى والنظرة نحو الحياة والنظرة نحو الموت على الرغم مما يشوب هذه المعرفة من سلبيات . والدليل على هذه السلبيات واضح فى قرار المجلس الأعلى للطرق الصوفية المنعقد فى شهر يونيو عام ١٩٨٠ ، والذى يتضمن عدم الموافقة على انشاء طرق جديدة الا بشروط ، وشروط قاسية جدا . ذلك لأن فى مصر الآن ٦٧ طريقة صوفية بعضها انحرف عن طريقه ، بعد عن الدين وشعائره ، لدرجة ان احدى الطرق (الطريقة البرهانية) غيرت من شريعة الله ، ورفعت تكاليف الصلاة عن بعض اتباعها !



● لكثير من الرواة وعلماء اللغة كتب تسمى كتب « اللغات » .. يقصدون بها لغات القبائل العربية القديمة التي لا تدخل في اللغة العربية الحجازية والقرشية .. وتشمل « اللغات » جميع الالفاظ المصنوعة والضعيفة والمنكرة والرديئة والمتروكة « والحوشية » .. والمذمومة والنادرة ، وقد يريد بها السيوطي في كتابه « المزهر » .. فاذا قرأت في معجم لغوى قولهم عن احدى الكلمات: « .. وهي لغة في كذا .. » .. فليس معنى ذلك انها لغة مستعملة أو مستحسنة أو صحيحة .. وخير لك ان تتركها الى غيرها من الالفاظ الصحيحة ..

● ليس في اللغة العربية اسم له تسعة جموع الا اسم « الجمل » فانه يجمع على : « جمال .. اجمال .. جامل .. أجمل .. جمالة .. جمل (بضم الجيم وسكون الميم) .. جمائل .. اجامل .. جمالات .. » ..

● يقول القائل : « القرضة » وهي الدويبة التي تأكل الخشب ، وهذا خطأ والصواب « الارضة » .. ويقول: « كفاية قر » .. والصواب : « كفاية أر » .. كما ينطقها العامة بالضبط ويكتبونها على ظهور سياراتهم أحيانا فهم في لغتهم هذه على صواب من حيث يريدون الخطأ .

● « الدخيل » في اللغة داخلها من كلام العجم مثل : « ابريسم » .. فان مثل هذا الوزن غير موجود في اللغة العربية ، ومثل : « نرجس » فانه لا يكون في اللغة لفظ اوله نون ثم راء ومثل « مهندز » فلا يوجد في اللغة لفظ اخره زاى بعد دال ، ولذلك حوروه الى مهندس ثم اعاده العوام الى عجمته الاولى فقالوا « مهندز » ومثل صولجان و .. جص .. فلا تجتمع الصاد والجيم كما لا تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية ، وانما اخذوا كلمة « المنجنيق » عن الاعاجم .. والجيم والتاء لا تجتمعان في اسم عربي ، ولهذا فليس لفظ « الجبت » من العربية ، بل هو معرب ، قال تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت » ! .. كذلك الجيم والطاء لا تجتمعان في كلمة عربية ، أما كلمة « الطاجن » فهي أعجمية معربة.. وكذلك « الصراط » .. اذ لا تجتمع الصاد والطاء في كلمة عربية الا اذا عربت .

● يقول مصطفى صادق الرافعي في كتابه « تاريخ اداب العرب » : « قد وجد الباحثون بعد الاستقصاء ان اكثر مادخل العربية من اسماء المعبودات والاصطلاحات الدينية فهو من الهيروغليفية والحبشية والعبرانية ، كلفظ « النبي » فانه هيروغليفي.. ومعناه في الاصل : عميد ، اورب المنزل ، ومثل لفظ « منبر » فانه معرب عن « ومبر » بالحبشية .. وكالفاظ : الحج والكاهن وعاشوراء .. فهي من العبرانية .. اما اسماء العقاقير والطيوب والجواهر فاكثرها هندي كالمسك ، فانه في اللغة السنسكريتية يسمى « مشكا » والزنجبيل ايضا ويسمى زنجابير ، والفلفل ويسمى فيفالا ... وهكذا .. واكثر اسماء الاطعمة والثياب والفرش والاسلحة فمن الفارسية كالديباج والخز والخوذة والابريق والطست » .

الطرق الصوفية والأحزاب السياسية الموالد والانتخابات

بقلم : د . على الدين هلال

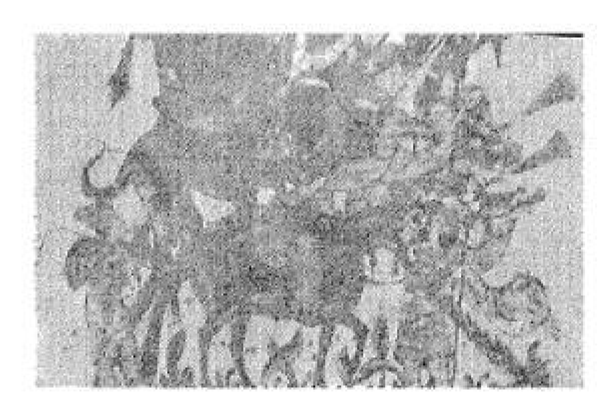
احد المداخل لتحليل النظم الاجتماعية والسياسية هى دراسة المؤسسات الموجودة فى المجتمع ، والوظائف والأدوار التى تقوم بها ، والتفاعلات والتشابكات بين هذه المؤسسات بعضها وبعض ، وأنماط التعاون والتنسيق أو الصراع والتنافس التى تحدث بينهما ، واشكال ادارة العلاقات بين هذه المؤسسات .

ومن زاوية النشأة التاريخية فإن أغلب الباحثين الاجتماعيين يتفقون بصفة عامة على التمييز بين نوعين من المؤسسات أولاهما تقليدية وثانيتهما حديثة . ويقصد بالمؤسسات التقليدية تلك التى تطورت فى أحضان المجتمع التقليدى وكانت جزءا من نسيجه المؤسسى والتنظيمى (ومنها الطرق الصوفية أو نظام الطوائف الصناعية) . أما الحديثة فهى تلك التى نشأت فى إطار عملية التغير الاجتماعى والتحديث الاقتصادى (مثل النقابات والأحزاب) .

وإذا كان بعض الباحثين ، وبالذات تحت تأثير افكار غربية فجة ، قد قبلوا لفترة إقامة علاقة تناقض وتضاد بين التقليدية والحداثة ، وربطوا التقليدية بالتخلف والحداثة بالتقدم ، فإن البحث العلمى قد تجاوز ذلك بكثير . فالمؤسسات التقليدية ليست نمطا جامدا او ثابتا بل إنها تتطور وفقا للظروف وتغير السياق ، وتكتسب وظائف ومهام جديدة وتتنوع هذه الوظائف وتختلف من سياق اجتماعى لآخر . فعلى سبيل المثال فبينما اتخذت الطرق الصوفية فى مصر طابع التجربة الروحية الفردية ، ونات بنفسها فى اغلب الاحيان عن المشاركة فى القضايا السياسية فإن الطرق الصوفية فى ليبيا والسودان اخذت طابعا سياسيا وساهمت بشكل مباشر فى إقامة الدولة ، وقامت الطرق الصوفية فى المغرب العربى بالدور الرئيسى فى نشر الاسلام فى القارة الافريقية .

إن خبرة المؤسسات التقليدية فى مصر وغيرها من بلاد الوطن العربى تكشف عن عدة امور . أولها أن لهذه المؤسسات جذور عميقة فى التربة الاجتماعية والنفسية للمواطن





وللجماعة وثانيها ان هذه المؤسسات تكيفت وتغيرت مع تطور الظروف واكتسبت لنفسها مهاما جديدة ، واستخدمت أساليب حديثة لتكريس وجودها ودورها وثالثها ان استمرار وجود - وحيوية - بعض اشكال هذه المؤسسات لابد ان يدفعنا إلى البحث عن العوامل الدافعة لذلك ، وان نفتش عن ذلك فى طبيعة البناء الاجتماعى القائم وفى عملية بناء المؤسسات الحديثة وفى العلاقة بين المؤسسات التقليدية وتلك الجديدة .

وسوف تركز هذه المقالة على زاوية واحدة من هذا الموضوع وهى عملية بناء المؤسسات الحديثة ومشاكلها وكيف اثر ذلك على دورها فى المجتمع وعلى علاقاتها بالمؤسسات التقليدية .

والرأى الذى اطرحه هو ان شرعية المؤسسات الحديثة مازالت موضع تساؤل لدى القطاعات الاجتماعية والتيارات الفكرية ومع ان النظرة السطحية تعطى الانطباع بان المؤسسات الحديثة قد انتصرت إلى غير رجعة فمن غير المؤكد انها قد تغلغلت فى البناء الاجتماعى واصبحت جزءا من نسيجه القيمى والفكرى .

ففى مجال التعليم مثلا يبدو وكان التعليم المدنى قد توطدت اركانه لارتباطه بجهاز الدولة وفرص التوظيف والترقى وتولى النخبة المدنية مقاليد السلطة والادارة . وفى مجال السياسة تنتشر فى الوطن العربى تنظيمات سياسية أو شبه سياسية تحمل اسماء الأحزاب وتتولى السلطة اما فى شكل حزب واحد وهذا هو الغالب الاعم ، واما فى شكل من اشكال المنافسة الحزبية المقيدة وما بين الاثنين هناك مفاهيم الحزب القائد والجبهة الوطنية .

ومن ناحية أخرى ينبغى أن نذكر ان الصحوة الدينية الراهنة قد أعطت دعما لمؤسسات التعليم الدينى سوف يكون له آثاره لأجيال قادمة . وانه فى مجال التشريع فإن الدعوة لتطبيق الشريعة الأسلامية لم تتوقف قط الا بتأثير الردع .

ولنذكر ايضا ان عدد المنضمين إلى الطرق الصوفية فى مصر مثلا يفوق عدة مرات عدد المنضمين إلى أحزاب



الطرق الصوفية وبناء المؤسسات

سياسية ، وان عدد الذين يشاركون فى الموالد والمناسبات الدينية واحتفالات الطرق الصوفية بشيوخها فى عام واحد عبر البلاد ربما فاق عدد الذين يشاركون فى الانتخابات البرلمانية كل أربع أعوام وان استعداد المواطن لتجشم صعاب الانتقال وتكاليفه من بلدته لحضور مولد سيدنا الحسين أو السيدة زينب أو السيدة عائشة يقابله اى استعداد مماثل للمشاركة فى نشاط سياسى تنظمه الحكومة أو الحزب الحاكم أو اى حزب آخر .

وفصل القول أن المؤسسات السياسية الحديثة لم تحظ بعد بشرعية وقبول شعبيين فى كثير من الحالات . وان هذه المؤسسات لاينظر إليها المواطن باعتبارها معبرة عن القيم السائدة لديه أو على الأقل غير مرتبطة بها ، ومن ثم فإن علاقته بها تغدو علاقة شكلية رسمية قانونية وليست علاقة ولاء وانتماء .

لايمكن لنا أن نفهم جذور وأسباب هذا الوضع الا بدراسة خصوصية خبرة التجديد المؤسسى فى بلادنا فى سياقها التاريخى .

فى هذا الشأن يقال عادة إن مؤسسات المجتمع فى الوطن العربى - ونستخدم هنا كلمة التقليدى بمعنى تاريخى للدلالة على تلك الأوضاع التى وجدت قبل الاحتكاك المنظم والمكثف باوربا الحديثة - كانت قد دخلت فى طريق مسدود ، وفقدت القدرة على التجديد الذاتى والابداع . وإن الاحتكاك بافكار ومؤسسات الحضارة الصناعية الحديثة كان هو المفجر الذى اشعل شرارة التجديد والتغيير فى المجتمع ، لذلك فإن المؤرخين المصريين مثلا يتخذون من الحملة الفرنسية على مصر نقطة بدء العصر الحديث فى التاريخ المصرى .

هذا الراى محل نظر وهناك من يشير إلى بدايات التجديد الفكرى التى شهدها الأزهر الشريف على يد الشيخ حسن العطار ، وكذا التغيرات الاقتصادية التى حدثت فى القرن الثامن عشر وبداية ظهور طبقة تجارية وهذا ما اسماه بيترجران بالأصول الاسلامية للراسمالية المصرية .

وايا كان الراى فإن المجتمع التقليدى هذا اتسم بالتوازن الداخلى وبالاتساق بين مؤسساته ونظام قيمه وبنائه الاجتماعى . كان هناك الطوائف والحرف . وكان هناك الوالى والخليفة . وكان هناك الأعيان والشيوخ والأشراف .

فى هذا السياق تم التجديد المؤسسى الذى اتسم بأربع سمات :

١ - انه لا يمكن دراسته بمعزل عن التطورات التى كانت تحدث فى الدولة العثمانية فلا يمكن الفصل مثلا بين تجربة محمد على ومفهوم النظام الجديد الذى دشنه السلطان سليم الثالث فى تسعينات القرن الثامن

عشر ، ولايمكن الفصل بين التطور الدستورى فى مصر او تونس ودستور مدحت باشا فى سبعينات نفس القرن

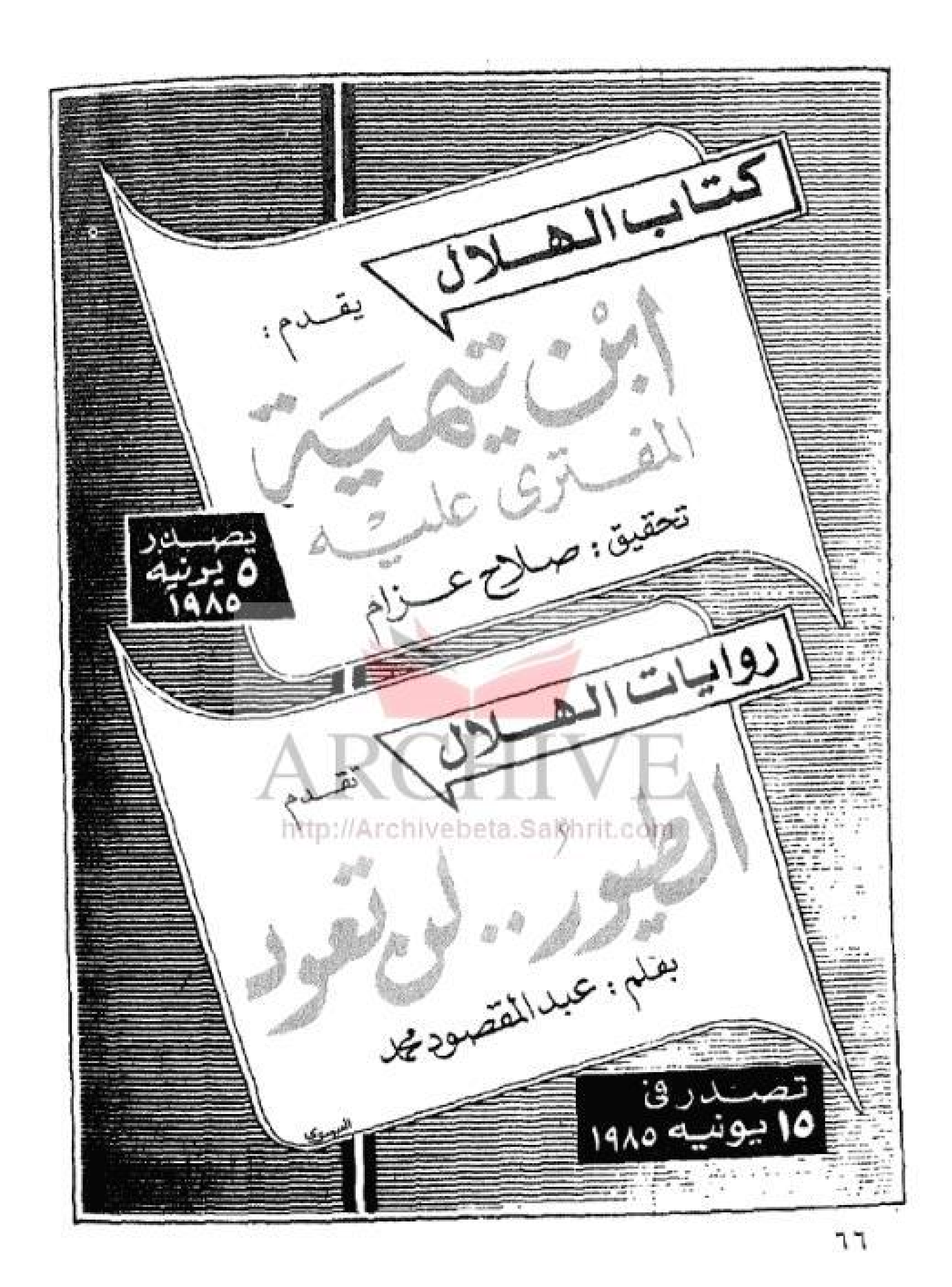
٢ - ان هذا التجديد المؤسسى تم بقرار من أعلى فى أغلب الأحيان بواسطة المستعمر وفى ظل الهيمنة الاستعمارية المباشرة فى شكل احتلال عسكرى وادارة اجنبية ، أو فى شكل نفوذ أجنبى ، وفى كل الحالات فإن هذا التجديد ارتبط بمزيد من التدخل فى الشئون الداخلية للبلاد .

٣ - إن هذا التجديد لم يرتبط بالنظام الفكرى السائد فى المجتمع ولم يحاول الذين أدخلوه ودافعوا عنه ان يعقدوا صلة بين هذه المؤسسات وذلك النظام بل اعتقدوا فى كثير من الأحيان أن هذا النظام عقبة امام التجديد الفكرى والسياسى ينبغى تجاوزها او تجاهلها فى احسن الأحوال .

٤ - إن هذه المؤسسات الحديثة لم تفرز ممارسات شبيهة بتلك التى شهدتها أوربا من احترام لحقوق الانسان ومساواة القانون وغير ذلك من إنجازات ديمقراطية . وقد اثر ذلك على مكانة هذه المؤسسات لدى المواطنين ونظرتهم إليها .

من هذا العرض تتحدد لنا أشكالية التجديد المؤسسى فى النواحى التالية فمن ناحية تم هذا التجديد فى القرنين التاسع عشر والعشرين بإيحاء من النماذج الغربية للتطور السياسى والاجتماعى . وانه تم فى سياق هيمنة النفوذ الأجنبى على البلاد او بواسطة نخبة متغربنة . ومن ناحية ثانية فإن هذه المؤسسات الجديدة لم توطد أركانها بعد لأنها لم تطرح على المواطنين كجزء من الأطار الفكرى والقيمى للمجتمع ، لانها لم تثبت ذاتها كمؤسسات فاعلة فى حياة المجتمع واستمرت أداة فى يد الحاكم محدودة القدرات والتاثير والفعالية . ومن ناحية ثالثة فإن المؤسسات القديمة كانت قد دخلت فى طريق مسدود وفقدت قدرتها على التجديد والتطوير ولم يعد كثير منها - كمؤسسات - قابل للأحياء نتيجة التغير فى الأوضاع السياسية والاجتماعية والصناعية ففى مجال السياسة مثلا فإن تقاليد تلك المؤسسات لاتقدم قنوات لمشاركة المواطن العادى ولاتقدم قواعد لممارسة السلطة .

١ - هذا الطرح لابد وان يثير فى الذهن قضية الدور الاجتماعى والسياسى - المتضمن - للطرق الصوفية والوظائف التى تقوم بها فى إطار عملية التغيير الاجتماعى . فهى أداة للتكامل وتحقيق الانتماء بين المواطن والمجتمع ، وهى مدخل لتجربة روحية ذاتية يجد فيها الأشخاص المختلفون معانى ودلالات متباينة تحقق ذاتيتهم . وهى تعبير عن تكوينات وارتباطات وولاءات عائلية وعشائرية وإقليمية مازالت جزءا أصيلا وتكوينات من البناء الاجتماعى .

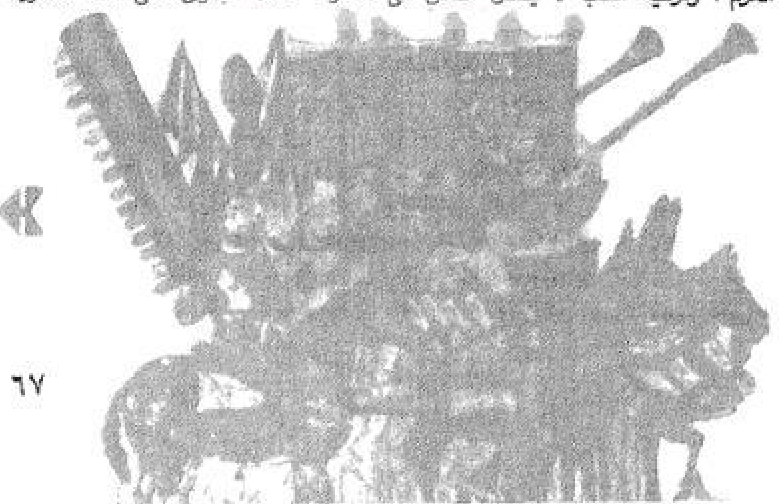

كتاب الهلال
يقدم :
ابن تيمية
المفترى عليه
تحقيق : صلاح عزام
يصدر
٥ يونيه
١٩٨٥
روايات الهلال
تقدم
الطيور .. لن تعود
بقلم : عبد المقصود محمد
تصدر في
١٥ يونيه ١٩٨٥



السيد أحمد البدوى
قطب التصوف فى مصر

بقلم : فتحى رضوان

احسب أننا لوقمنا بدراسة للأسماء الذائعة فى بلدنا ، مع ترتيبها حسب مقدار ترددها على الالسن ، لكان اسم السيد احمد البدوى ، فى مقدمة الأسماء فالعامة تلتمس من السيد ، العون ، وترطب السنتها بذكره وبالدعاء له ، مرات فى اليوم الواحد . فما اكثر مايقوله الناس عبارة (شى اللاه ياسيد) معناها (شىء لله ياسيد) وهم يعتقدون ان (سيدا) ليس لقبا بل اسم هذا القطب الكبير . ولكن الصورة التى تنطبع للسيد احمد البدوى فى اذهان اهل بلدنا ، ليست واضحة تماما ، فهم حينما يذكرون اسمه ، لايتمثلون رجلا من الاتقياء الصالحين ، الذين وقفوا حياتهم ، على الدعوة للدين ، وتطهير نفوس أتباعهم ومريديهم ، ورسم طريق لهم يتبعونه فى العبادة ، وذكر الله ، والنأى عن المعاصى ، والانقطاع ، ما استطاعوا ، لاداء الفروض ، ومجاهدة النفس ، وحفظ كتاب الله وترتيل آياته ، والاستماع إلى قرائه ، ومحاكاة شيخ الطريقة فى تقشفه وزهده ، وصيامه وقيامه ، وتلاوة حفظ الأوراد ، والاحزاب ، وتكرارها ، التماسا لتقوية العزم ، وتزكية القلب لا يتمثل الناس فى مصر ، أحمد البدوى على هذه الصورة





السيد أحمد البدوى

فحسب ، بل يتصورونه وسط هالات تكاد ترفعه من رتبة بشر الى مستوى يعلو عليهم فتصبح له طبيعة ، لايستطيعون بالضبط تحديدها ، فينسبون إليه من الخصائص مايغنيه عن الطعام والشراب ، وعن النوم وحاجات البدن ، ويقرنونه بالكرامات التى تشبه المعجزات أو تزيد عليها ، وهم بعد ذلك يحسون بالطمأنينه الى أن السيد يضفى عليهم حماية تقيهم شرور الدنيا ، وسطوة الحكام وتقلب الأيام ، وكلما اشتد الظلم ، وعظم العسف ، وضاقت الحياة ، كلما زاد السيد عن فريق من أتباعه علوا عن صفات الناس .

وقد بقى السيد أحمد البدوى فى ضيافة ركن الدين سنوات ، ولم يكن يعيش داخل الدار ، وإنما اتخذ من سطحها مقاما له ومقرا ، وقد اختلف رواة سيرته ومن جاء بعدهم فى هذا المسلك فمنهم من قال إن السيد كان لايطيق الحجرات المغلقة ، وكان يؤثر أن يكون على اتصال بالكون الفسيح ، يرى فى مجلسه حركات النجوم والأجرام ، والأشكال الجميلة التى تكونها فى السماء ، فيزداد اتصالا بصور من قدرة العلى العظيم ، فيزداد إكبارا له ، وتعظيما لخلقه ، وبعضهم ذهب إلى أن المقام على سطح الدار ، تحدد من حركاته ، فتفرض عليه تقشفا لحرمانه من راحة الدار ، فيقل اضطجاعه وتنعدم خلوته ، بمخالطته الدائمة بتلاميذه ومريديه ، ويبقى تحت رقابتهم من جهة ، وتدوم صلته بهم من جهة أخرى فيرونه على مدار اليوم بليله ونهاره ، وهو فى ولهه بالخالق ونظره الطويل إلى السماء ومن أجل ذلك سمى بالسطوحى وسمى اتباعه بالسطوحية وقد اتسعت دائرة طريقة الأحمدية وعظم شأنها ، وانهالت على شيخها العظيم ، الهدايا والهبات من أموال ونفائس ، وروءس ماشية ، وحبوب وخضر وفاكهة ، وكان فى وسع الشيخ أن يتقلب فى أعطاف النعمة ، إلا أنه وقفها جميعا على الفقراء والمحتاجين من أبناء الطريقة ، وغيرهم ، وقد أوكل التصرف فى كل هذه الخيرات لنائبة السيد عبد العال ، الذى صحب القطب سنين طويلة فى حياته . فلما توفى القطب فى يوم الثلاثاء ١٢ ربيع الأول سنه ٦٧٥ هجرية ، ١٢٧٦ ميلادية ، خلف السيد ، والثابت أن خلافته كانت باختيار صريح من شيخ الطريقة ، فلما لحق السيد عبد العال بالرفيق الأعلى خلفه شقيقه زين العابدين عبد الرحمن لمدة كادت تصل إلى ربع قرن من الزمان ، ولكن لأقطاب التصوف فى مصر على الرغم من كل ما نسب إليهم والصق بهم ، تولو تربية وتنشئة آلاف من الأتباع والتلاميذ،، على مبادىء صقلت نفوسهم ، وقوت عزائمهم ، وأعزتهم بالبعد عن الناس ، والاختلاء بالنفس ، واطلاق عنان التأمل فى شئون العباد ، وأصول العبادة ، والتمسوا وسائل للارتفاع بأنفسهم ، ونذر الكثير منهم حياته ، لاشاعة فلسفة الزهد والتقشف ، والوقوف مع الضعفاء ، والدفاع عن الفقراء ، وكف شهوات النفس ، ومطامعها ، فانتشرت لهذه الحركات ، موجات من التطهر ، ومقاومة الحكام والتدريب على حمل

السلاح ، وحماية الثغور . وعاد الكثيرون من المواطنين الصغار من أرباب الحرف ، والصنائع ، وفلاحي الأرض ، وزارعيها إلى الدين في أصفى صوره ، ويعقب ذلك حركات فكرية ، أطلقت ألسن الشعراء ، وأرهفت قرائح الكتاب والخطباء

ولكن من هو أحمد البدوي ، كما تصوره وقائع المؤرخين ، الخالية من مبالغات الأنصار والمريدين .

هو أحمد بن علي بن إبراهيم سيرتفع نسبه إلى علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابى طالب ، ويقول رواة سير السيد ، ان اهله من العلويين هاجروا إلى المغرب ، وأن جيلا منهم ، بعد أن أستقروا في هذا الجانب من الوطن العربي ، أستقروا في فاس التي أنشئت في نهاية القرن الثاني للهجرة ، وأن والده عاد الى موطنه الاصلي في مكة ومعه ابنه احمد الذي كان آنذاك صبيا صغيرا والواقع ان الانتقال من الحجاز إلى المغرب والعودة من المغرب إلى الحجاز والتنقل بين هاتين النهايتين ، والتوقف في أقطار عربية أخرى كتونس ومصر والشام ليس بالشيء المستغرب في تلك الايام ، فالوطن العربي والوطن الاسلامي كلاهما وطن لايقدم منه في وجه راغبي الاسفار ، ومحبي التنقل للتجارة والعلم ، أي حواجز ولا موانع ، فالسفر في هذا الوطن المترامي الآفاق ، فيه ككل سفر خمس فوائد كما قال الشاعر ، والتماس اسباب الرزق ، والسعي الى ائمة الفكر والدين كان من تقاليد تلك الايام ، ونجد ذلك مسطورا في أكثر سير الشعراء الأفذاذ ، والأئمة الكبار ، كالامام الشافعي ، والمتنبي وابن خلدون .

انتقلت أسرة السيد أحمد البدوي ، الى فاس ، سنة خمسمائة وخمس وثلاثين ، ثم تركوها حينما عادوا الى مكة سنة ستمائة وثلاثة ، والثابت ان الاسرة في طريقها الى مكة ، طابت لها الاقامة في مصر ، بضع سنين ، ولم يلبث السيد أحمد البدوي أن عقد العزم على السفر الى العراق ، وكان العراق آنذاك مركزا من مراكز التصوف الاسلامي ، وموطن القطبين العظيمين احمد الرفاعي وعبد القادر الجيلاني . غير أن السيد ، غادر العراق الى مكة ، ثم سافر من مكة سنة ٦٣٤ الى طنطا ، توصلها بعد ثلاث سنين وقال بعض رواة سيرته على العهد بهم من المبالغة في ذكر وقائع حياة السيد ، فزعموا أن السيد قطع المسافة بين مكة ومصر في احدى عشرة خطوة ولسنا مع الذين يقولون ان السيد قصد طنطا مباشرة ونرجح أنه اقام في القاهرة زمنا لم يحدده المؤرخون ثم تواردت اليه اقوال الناس ، واقوال اتباعه وتلاميذه الذين ترامت اليه فبهرته وهو في العراق ومكة فتوافدوا عليه وحسنوا له السفر الى طنطا ، ثم الاقامة بها فاقام في بيت احد اعيان المدينة ، وكان رجلا صالحا ، ميسور الحال وكان قد جعل من داره ، دارا للضيافة ينزل فيها ضيوف المدينة ، من كبار القوم ، وذوي المكانة ، ولم يكن آنذاك دار اكثر منها سعة وضعف الادميين ، ويقول الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور في كتابه .

السيد أحمد البدوي : شيخ وطريقه مانصه :

« ونستطيع أن نقرر في صراحة أن كتاب سيرة السيد أحمد البدوي أرادوا ان يحيطوه بهالة من المجد الموهوم ويظهروه في صورة المصلح القادر الجبار الذي يستطيع أن يجند الجيوش في برهة عين من نجد والعراق وغيرهما ، والذي يسانده أن



السيد أحمد البدوى

البيت جميعا ، ويلبون نداءه إذا دعاهم ، والذى يستطيع أن يحيى الموتى ، ويميت الاحياء . » .

والحق ان ماأضفاه أتباع القطب الكبير « السيد أحمد البدوى عليه من صفات وهالات ، لايدله فيها ، ولايسأل عن شيء منها ، فان فى البشر ميلا شديدا الى خلق أبطال لهم من رجال الدين ، والفكر والحكم والحرب ، فإن لم يفهم الواقع على هذا الخلق خلقوه من أوهامهم ، وتصوراتهم وتركوه تراثا للذين يأتون بعدهم يؤمنون به ، ويرجونه ، فقد يأتى جيل أوسع خيالا ، وأجمل عبارة فيصنعون من الوهم القديم ، وهما أكثر منه سحرا ، وأعظم منه أثرا .

وقد لايكمل الكلام عن السيد احمد البدوى ، بغير الحديث عن المعهد الذى أقيم على الأرض المجاورة لغيره حيث كان بيته والى جانبها أرض بنى عليها السيد عبد العال ، زاوية لفقراء الطريقة وقد بقيت هذه الأبنية كلها على حالها لاتمتد اليها يد التعمير والتوسيع والاصلاح حتى جاء السلطان الأشرف قايتباى الذى أمر سنه ٩٠١ هجرية (والسادس عشر الميلادى) فبنى مقام السيد أحمد البدوى مقاما عظيما . فاذا ماجاء عهد على بك الكبير ، الذى كان عهد المقدمة المباشرة لعهد الاستقلال المصرى بقيادة محمد على باشا ، فبنى مسجدا عظيما له ثلاثة قباب ، وكان هذا الجامع الفسيح وهذا الضريح الحافل نعمة وبركة لمدينة طنطا ، فاتسع عمرانها ، وكثر سكانها ، وراجت تجارتها وذاع اسمها حتى أصبحت الى اليوم ، المدينة الثانية بعد القاهرة ، ولكن على بك الكبير اسدى يدا كبيرة للدين والعلم ، اذ حول المسجد الأحمدى الى معهد علمى ويدعون لهذا المسجد الأساتذة ومعاونيهم والفقهاء ومساعديهم والمدرسين لتدريس المواد المقررة فى الجامع الازهر وعلى منهجه ، فأمه طلاب العلم فى النواحى المجاورة ، وكبر مقامه شيئا فشيئا ، ولاسيما قد عين على بك الكبير شيخا للمسجد الأحمدى واضفى عليه لقب (شيخ الجامع الأحمدى) وهو لقب يقرب من لقب شيخ الجامع الازهر . وقد استمر التعليم فى هذا الجامع يتسع كما ، ويرتفع كيفا ، حتى بلغ عدد التلاميذ فى عهد على باشا مبارك زمن الخديو اسماعيل نحو ألفى طالب ، وقد اختير لمشيخة الجامع الأزهر ، عدد ممن تولوا مشيخة الجامع الاحمدى . وهذا وحده احدى بركات القطب العظيم أحمد البدوى ، فلو لم يكن مخلصا فى دعوته للدين والشفقة فيه ولايمانه بالعلم ، بوصفه سبيل النجاة للمسلم ، وطريقا فسيحا لتقدمه ورفعة شأنه ، وتقدم الناس أجمعين مهما اختلفت أديانهم ، وتباينت مذاهبهم ، كما بنى على قبره معهد علم تدارس فيه طالبو العلم لا للمواد الدينية فحسب ، بل أصبحوا يدرسون الى جانبها مايسمى بالعلوم الكونية أو العلوم الحديثة من فيزياء وكيمياء ورياضة وهندسة وطب وفلك .

على انه يجدر بنا ان نقول كلمة عن التصوف ، نقرر فيها حقيقة لايجادل فيها الا الجاحدون هذه الحقيقة ان التصوف نزعة إنسانية قديمة قدم الانسان ، فلما كان الانسان مفطورا على حب الشهوات من النساء والولدان والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والميل الى السلطة والغلبة ، والزهد بالنفس ، فالانسان مفطور على محاسبة النفس والاقرار بالذنب والحاجة الى الاختلاء بنفسه ، وفرض نظام قاس لو الى حين على ذاته يحدد فيه مقدار مايأكل ، ونوع مايلبس ويحرمها من لذائذ تريدها تعلقا بالحياة ، وتملقا لأصحاب الجاه ، هاتان النزعتان الانسانيتان ، يتراوح بينهما الانسان ، وتنشأ من بينهما نزعة التصوف ، فيسعى فريق من الناس ، وهبهم الله منذ البداية الحرص على اصلاح النفس وتزكيتها ، وقمعها عن الشهوات ، وكبح جماحها وتعويدها الجوع والصمت والبعد عن الناس ، وقد بدأت هذه المحاولات الانسانية منذ الخطوات الاولى للحضارة ، فخادم المعبد الفرعوني والراهب البوذي ، والهندوكي والبرهمي ، كلها صور من هذا التصوف ، تختلف باختلاف الزمان والمكان مراسمه وطقوسه ، وأدعيته واناشيده ، ولكنها تلتقي جميعا عند هدف واحد هو الارتفاع بالانسان عن طبيعته البشرية العادية الى أسلوب من الحياة ، يشوبه انكار الذات ومكافحة الهوى ، وليس غريبا أن الرهبانية ، بدأت فى أرضنا فى مصر ، بعد ان دخل المصريون الاوائل الى المسيحية ، فنزلت بهم مصائب الاضطهاد القيصرى الرومانى ، فنجى بعض أفرادهم بمسيحيته الى أديرة ، بنوها فى صحراء مصر قريبا من شاطىء البحر الاحمر وفى مقدمتهم « الانبا انطونيوس » ثم « الانبا بولا » ، وقد انتشر نظام الرهبنة من مصر الى أوربا الشرقية والغربية ، وقد كان رهبنة تطوعية ، ينفرد بها الانسان ، ثم تكاثر عدد الرهبان ، وقامت لهذا النظام قوانين متعارف عليها ، وقواعد معمول بها .

وحدث الشىء نفسه فى الاسلام ، فقد نشأت الطرق ، ثم وضعت لها القواعد ، وأصبح لشيخ الطريقة نفوذ على الاتباع والمهيمنين ليس له مثيل لحاكم ، ولا لأستاذ مدرسة أو جامعة ، وخرج من أتباع الطرق الصوفية فدائيون يحاربون اعداء الوطن ، ويبذلون دمهم وروحهم بذل السماح وشاركت تلك الطرق فى اصلاح أخلاق المجتمع ، وتقويم سلوكه ، وحثه على فضائل الصدق فى القول والاخلاص فى العمل والوفاء بالعهد ، ونظافة الجسد والقلب ، والاقبال على العلم والاقلال من الطعام والنوم والكلام ، وتحبيب النفس وتعويدها شظف العيش الا أن كل شىء من صنع الانسان ، معرض للفساد والتحلل ، وقد أصاب الصوفية آفات أهمها تأليه شيخ الطريقة ونسبت المعجزات التى لم تتم للرسل الى هؤلاء الشيوخ ، وتزييف الأقوال الساقطة على هؤلاء الائمة الأجلاء ، لكى يكون لخلفائهم من بعدهم سلطان على صغار الاتباع من الفقراء الذين يكدحون ليحصلوا على قوتهم وقوت عيالهم ، فتنتزع اللقمة من فيهم ، وتعطى لبعض المشايخ الذين انحرفوا عن جادة التصوف فعاشوا عالة على المسلمين ، لاينفعونهم بعلم ، ولايهدونهم بقدوة ، ولا يقودونهم لعمل .

ولكن الصحوة التى نشهدها هذه الأيام فى مجال التصوف والمتصوفين فى مصر وغيرها ، تقوى الأمل ، فى تقويم لهذا النظام العتيد العريق ، صاحب الأيادى فى عنق الشعب والدين .





بقلم : الدكتور محمد فتحى عثمان ★

لو لم يتجه حسن البنا رحمه الله إلى انشاء حركة الاخوان المسلمين فى مصر التى امتدت منها إلى غيرها من البلاد فروعا او تاثيرا ، لكان « شيخا » من شيوخ الصوفية الذين يستحقون هذه « المشيخة » والذين يتزاحم عليهم المريدون .

فعلى الرغم من أنه استهل دعوته وهو ابن الثانية والعشرين ، ولقى الله شهيدا وهو فى الثالثة والأربعين ، إلا انه كان مكتهلا فى شبابه ، سمته الوقار فى غير عبوس ، والجد فى غير تجهم ، والسكينة فى غير تراخ . وكان رحمه الله حلو الدعابة بشوش المحيا باسم الثغر ، لكنه لا ينغمس فى قهقهة ولا يصخب ولا يضج ولا يهزل ، يجتذب الشباب إليه بعذوبة حديثه وإقباله على محدثه وبوضوح أفكاره وسلامة تعبيره وتبسطه « وقفشاته » لكنه لا يتبذل وإنما يظل دائما السهل الممتنع ، فيه جاذبية الشخصية القوية العملاقة التى ترفع من تجتذبه إلى عليائها . وحسبك أن تقرأ وصاياه العشر التى خرجت عنه فى صدر دعوته لتعرف نمط شخصيته ونهجه فى التربية والصورة التى يود ان يكون عليها إخوانه وأبناؤه .

ومما جاء فيها : « قم إلى الصلاة متى سمعت النداء مهما تكن الظروف ، اتل القرآن او طالع او استمع او اذكر الله ولا تصرف جزءا من وقتك فى غير فائدة ، لا تكثر الجدل فى اى شأن فإن المراء لا يأتى بخير ، لا تكثر الضحك فإن القلب الموصول بالله ساكن وقور ، لا ترفع صوتك أكثر مما يحتاج إليه السامع فإنه رعونة وأيذاء ، تجنب غيبة الأشخاص وتجريح الهيئات ولا تتكلم إلا بخير ،

الواجبات أكثر من الأوقات فعاون غيرك على الانتفاع بوقته ... وهذه الوصايا لا تصدر إلا من « شيخ » تسنم " المشيخة " بحق ، ولا غرو أن يتتابع

★ رئيس تحرير مجلة ارابيا التى تصدر فى لندن .

عليه المريدون الذين أعطوه قلوبهم قبل أن يمدوا إليه أيديهم .

★ رئيس تحرير مجلة "ارابيا" التى تصدر فى لندن بالانجليزيه .

ومعروف أن حسن البنا قد تأثر فى نشأته فى قريته من أعمال البحيرة بالتربية الصوفية ، فاتصل بالطريقة الحصافية وكان والده الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا قد علق على « وظيفة » الأدعية اليومية لأذكار هذه الطريقة ببيان أدلتها من الأحاديث الصحيحة ، وكانت هذه الوظيفة تجمع آيات من الكتاب الكريم وأحاديث من ادعية الصباح والمساء التى وردت فى كتب السنة « ليس فيها شىء من الالفاظ الأعجمية أو التراكيب الفلسفية أو العبارات التى هى إلى الشطحات أقرب منها إلى الدعوات » ـ كما يقول حسن البنا فى مذكراته . ويبرز تعليقه الموجز هذا رأيه فى التصوف وما يقبله منه وما يرفضه ، فهو يقبل ما استند إلى الكتاب والسنة ويرفض ما تأثر بالنزعات الوافدة من معتقدات الأعجمية من هندوكية وبوذية ومانوية ، أو تأثر بالمذاهب الفلسفية الاغريقية من افلوطينية وغيرها ، ويرفض شطحات الاتحاد والحلول التى رويت عن الحلاج أو وردت فى كتابات ابن عربى . فهل رأيت معيارا أجمع واضبط وأبدع من هذا المعيار الشامل الذى انتظمته قرابة خمس عشرة كلمة لا غير ؟ »

وتعزز كتابات حسن البنا المبكرة هذا الرأى الذى أبداه فيما يقبل من التصوف وما يرفض . فله مقال فى « جريدة الاخوان المسلمين » الاسبوعية التى صدرت فى الثلاثينات .

وقد ذكر مقال حسن البنا عن التصوف أنه قد يكون على واحدة من ثلاث صور : صورة منها مرفوضة تماما . وصورة مشوبة مدخولة ، وصورة باقية وحيدة هى المقبولة . فالصورة « الفلسفية » للتصوف وما شابها من أفكار « المراتب » التى تصل إلى « الاتحاد » و « الحلول » مرفوضه تماما . والصورة « التنظيمية » للتصوف وما فيها من خضوع وتبعية وانحراف مشوبة مدخولة ، أما الصورة « التربوية » التى تعنى بتذكر المؤمن لربه وآخرته وهو يعمل فى دنياه ويتعامل مع الناس فهى الصورة الوحيدة المقبولة عند حسن البنا ، على أن تحرص التربية الصوفية على الالتزام بالكتاب والسنة وتتوقى أى انحراف عنها ولو بدافع الورع أو ترقيق القلوب أو ترويض السلوك على الطاعة . وأنا اعتمد فى إبراز المعانى الاساسية فى ذلك المقال الرائع المنير على الذاكرة مع الأسف ، فليس تحت يدى هذا العدد المبكر من الصحيفة الأسبوعية ، وكان يرأس تحريرها الشيخ طنطاوى جوهرى رحمه الله صاحب « تفسير الجواهر » المعروف ، وأظنه كان يتطلع للفوز بجائزة نوبل العالمية ولم يكن الشيخ جوهرى منتميا لحركة الاخوان وإن رأس تحرير مجلتها بحكم مكانته كأحد علماء الأزهر المستنيرين وقتذاك . وقد أوجز حسن البنا خلاصة مقاله المشار إليه فى مذكراته .

ولعل وظيفة أذكار الرزوقية للطريقة الحصافية قد اثرت فى الفتى الصغير بنهجها وأسلوبها فدعته حين اسس حركة الاخوان المسلمين إلى اختيار مجموعة من النصوص من الكتاب والسنة وجهت الأحاديث الصحيحة إلى ترديدها صباحا ومساء ، وقد أسماها حسن البنا



حسن البنا متصوفا

« المأثورات » تأكيدا لكونها مأثورة مأخوذة من السنة النبوية المطهرة دون ابتداع . وكانت بعض هذه الأوراد والاذكار قد تخللها الالفاظ او الاعمال المبتدعة الدخيلة التى قد تبلغ الغاية فى الانحراف عن هدى الاسلام الصحيح . كذلك كان حسن البنا يأخذ من الناس عهدا وبيعة . يمكن ان يرى فيهما اثر الطريق الصوفى كما يبدو فيهما الاقتداء بالسنة النبوية الصحيحة . فقد كان حسن البنا إذا تحدث فى المساجد اختتم حديثه بأن يعاهد المستمعين « عهدا » عاما على الاستقامة على امر الله والتوبة من المعصية والغفلة . من قبيل ما ورد فى القرآن الكريم عن بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء (سورة الممتحنة ـ اية ١٢) . ومثل هذا العهد على التوبة وطاعة الله عرفته الطرق الصوفية مقرونا بطاعة الشيخ واتباعه احيانا . كما كان حسن البنا يتلقى « بيعة » خاصة لمن ينخرط فى سلك جماعته ويلتزم نهجها وكانت عباراته مأخوذة من بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره » . وقد أخرج حسن البنا مجموعة من « الأدعية » لقيام الليل ، اختارها من السنة الصحيحة ومن ادعية بعض اقطاب الصوفية التى لا تخالف الكتاب والسنة ، مثل ابن عطاء الله السكندرى وابى الحسن الشاذلى وابى العباس المرسى والرفاعى ، فضلا عن الشيوخ المتقدمين المعروفين بنهجهم فى الوعظ والدعاء واسلوبهم الادبى الرفيع فى ذلك مثل ابى الحسن البصرى . وفى مرحلة متأخرة من تاريخ حسن البنا وجماعة الاخوان ، توقفت طباعة هذه الرسالة التى كانت تسمى « المناجاة » مع استمرار طباعة رسالة « المأثورات » سالفة الذكر . واعتقد ان هذا قد يشير إلى تزايد التأثير السلفى فى فكر حسن البنا بحيث جعله لا يقبل على توجيه ابناء جماعته إلى " التزام " شيء فى امور العبادة ليس فى الكتاب والسنة ، وان كان لا يتعارض مع هديهما . على ان التوجيه لقيام شيء من الليل فى حدود الطاقة والوسع ، ولو لسويعة قبل صلاة الفجر ، ظل من المعالم الثابتة لنهج الاخوان التربوى دائما ، حيث يؤدى المرء مايستطيع من ركعات الصلاة ويقرأ من القرآن ويدعو وفقا للمأثور ـ مهما كان حظه من ذلك قليلا . ويلاحظ أن كلمة " الاخوان " استعملت فى كثير من الطرق الصوفية ، واستعملت فى الوهابية والسنوسية ، وكانت « الله اكبر ولله الحمد » هتاف المهدية فى السودان .

وكان لحسن البنا اجتماع ليلى ينظمه ليلة الجمعة ـ باعتبار يوم الجمعة التالى يوم عطلة لا يلتزم فيه احد بموعد عمل او دراسة ، وكان يسميه اجتماع « الكتيبة » . وهو يبدأ بصلاة العشاء مساء الخميس ، وربما بصلاة المغرب إذا تيسر . ويعقب الصلاة تناول العشاء ـ وهو

وجبة من طعام شعبي مثل ..... وبقسماط الفول او الطعمية او الجبن الأبيض والحلاوة الطحينية مع فاكهة رخيصة مثل البلح أو البرتقال او اليوسفي . ثم يقرأ كل واحد شيئا من القرآن حتى يأتي موعد حديث الكتيبة وكان يلقيه حسن البنا فى اول الامر غالبا ، ثم تعاون عليه بعض المبرزين من افراد الجماعة فى القاهرة والأقاليم حين كثرت مشاغل « المرشد العام » وكان هذا الحديث يركز غالبا على التوجه إلى الله والاخلاص فى طاعته والاستقامة على امره وتذكر حسابه وجزائه فى الآخرة . وقلما يتجه إلى الامور الفقهية أو شئون السياسة الجارية أو المباحث العلمية الجارية التي كانت تعالج فى المحاضرات العامة لا فى مثل هذه الاجتماعات الليلية التعبدية . وينقل المجتمعون قبل النوم . ثم يوقظون قبل الفجر بعض الوقت ليتهجدوا ويقرءوا القرآن حتى يؤذن المؤذن لصلاة الصبح . وبعد الصلاة يكون هناك حديث آخر هو مثل الحديث الذى اعقب صلاة العشاء فى تركيزه على التذكير بالله والاستقامة على امره . ويفطر المجتمعون معا إفطارا قوامه سندويتشات الفول أو الطعمية وأكواب الشاى . وينصرف المجتمعون إلى بيوتهم للاستعداد لصلاة الجمعة وتمضية العطلة مع اهليهم وقد يؤدون نافلة « الضحى » قبل انصرافهم . وقد برز فى التوجه فى هذه الاجتماعات التربوية إلى جانب حسن البنا الأستاذ البهي الخولي رحمه الله . وكان مدرسا للغة العربية بمعهد طنطا الديني ومن خريجي دار العلوم . وقد ظهر له كتاب « تذكرة الدعاة إلى الله » بتقديم حسن البنا . وتولى الادارة العامة بوزارة الاوقاف فيما بعد .

وتضمنت رسالة " المأثورات " التي اعدها حسن البنا التوجيه إلى قراءة قدر مناسب من القرآن يوميا حسب الامكان وهذا هو « الورد القرانى » . وقد اوردت الرسالة اداب التلاوة والاستماع . وحثت على حفظ ماتيسر من كتاب الله . وقد نشرت الجماعة لطالب من قسم اللغة العربية بكلية الآداب فى جامعة القاهرة كان ينتمى إليها وقتذاك – هو الاستاذ الدكتور احمد لطفى عبدالبديع المتخصص فى الأدب الاندلسى بعد ذلك – رسالة فى " احكام التلاوة " . كذلك دعا حسن البنا إلى أن يخصص كل واحد دقائق قبل نومه يحاسب فيها نفسه على ما قدم من عمل فى يومه . واسمى ذلك " ورد المحاسبة " : " فإن وجد الأخ خيرا فليحمد الله ، وإن وجد غير ذلك فليستغفر ، فليسأل ربه ، ثم يجدد التوبة ، وينام على افضل العزائم " .

على أن حسن البنا حتى فى مرحلة حياته الباكرة ، كان يرى فى التربية الصوفية شحذا للهمة وتنمية للعزيمة والمصابرة والعزة بالله . ويؤكد دائما أن التوكل على الله غير التواكل والتهاون والهوان والبلادة . وأن الزهد الصحيح هو أن يزهد المرء فيما يملك ، فيوجهه لصالح الجماعة والأمة ، ولذوى الحاجة . وليس أن يزهد فيما لا يملك فهذا زهد العجز الذى يعزى نفسه ويعللها بكسب الآخرة وقد يكون بذلك خسر الدنيا والاخرة وذلك هو الخسران المبين . وان حقيقة ذكر الله هى دوام مراقبته وخشيته فى كل قول وفعل ، وان ذكره باللسان ينبغى أن يكون



حسن البنا متصوفاً

تعبيرا عما يجيش فى القلب ، وان يلتزم بالنهج المشروع فى السنة . وهو يشير فى مذكراته إلى مناقب مؤسس " الطريقة الحصافية " التى تبعها فى فتوته . وهو الشيخ حسن الحصافى رحمه الله . وهو لم يدركه وإنما ادرك ولده . ويبرز من هذه المناقب إنكاره المنكر على حكام مصر فى عصر الخديوى توفيق وناظر نظارة رياض باشا واحد كبار موظفى الانجليز بعد الاحتلال البريطانى لمصر . فقد دخل الشيخ الحصافى على الخديوى توفيق مع العلماء فى إحدى المقابلات ، فسلم على الخديوى بصوت مسموع فرد عليه الخديوى بالاشارة بيده فقال له فى عزم وتصميم : رد السلام يكون بمثله أو بأحسن منه . فقل : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته والرد بالاشارة وحدها لا يجوز . فلم يسع الخديوى إلا أن يرد عليه باللفظ وثنى على موقفه وتمسكه بدينه " . وتعبير حسن البنا عن الخديوى بانه " لم يسعه إلا .. " يومىء إلى رايه فيه ويبعد مظنة الثناء عليه حتى فى هذا المقام . ولا يفوت حسن البنا أن يؤكد أن الصوفى الحق صحيح الاعتقاد برىء من اية مظنة للاشراك بالله الاحد الذى ليس له كفوا احد ، فيذكر أن الشيخ الحصافى زار مسجد الحسين مع بعض مريديه فزار قبره الزيارة المشروعة لقبور الموتى . وحين قال له أحد مريديه : " ياسيدنا الشيخ سل سيدنا الحسين يرضى عنى " ، " فالتفت إليه مغضبا وقال : يرضى عنا وعنك وعنه الله ... وشرح لاخوانه احكام الزيارة الشرعية " .

وكان حسن البنا كثيرا ما يؤكد إقبال الصوفية الجديرين بهذا الوصف على الجهاد فى سبيل الله ، واعتبارهم التزام الثغور والمرابطة فيها اعلى مراتب العبادة حتى اقترن فى تاريخ " الرباطات " أو " الربط " فى الاسلام جهاد العدو والتزام العبادة وتعليم القرآن والسنة فى أوقات الهدنة وانقطاع القتال . وكم ترنم حسن البنا بهذه الأبيات التى وردت فى مساجلة بين شيخين زاهدين جليلين هما عبد الله بن المبارك والفضيل بن عياض ، التزم الاخير الصلاة والتعبد فى البيت الحرام بينما ذهب الاول لقتال الروم الذين كانت دولتهم تتاخم دولة الخلافة وتهددها ، فكتب المجاهد إلى العابد سنة ١٧٠هـ بهذه الأبيات التى ذكرها ابن كثير فى تفسيره للآية الاخيرة من سورة آل عمران ومازلت احفظها منذ سمعتها من حسن البنا رحمه الله .

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت انك فى العبادة تلعب
من كان يخضب خدّه بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله فى باطل
فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
رهج السنابك والغبار الأطيب

كذلك كان يشير رحمه الله إلى ارتباط السيد أحمد البدوى المدفون فى طنطا من أعمال مصر بالحركة الفاطمية وجهادها . وكان من ثمار توجيه حسن البنا أن اتجه بعض من تأثر به إلى دراسة « الصوفية المجاهدة » لابطال الزعم بانشغال الصوفية بما سمى « بالجهاد الأكبر » - أى جهاد النفس ، وايثارهم اياه على « الجهاد الأصغر » وهو جهاد العدو . فكتب العالم والسياسى التونسى محيى الدين القليبى من أقطاب الحزب الدستورى القديم بعد زعيمه البارز عبد العزيز الثعالبى عن « الرباط فى سبيل الله » .

وقد بدأ حسن البنا فى مذكراته مؤملا فى « ترشيد » الطرق الصوفية على الرغم من انحرافاتها ، فقد كتب يقول : " ومن واجب المصلحين أن يطيلوا التفكير فى إصلاح هذه الطوائف من الناس ، وإصلاحهم سهل ميسور ، وعندهم الاستعداد الكامل له ، ولعلهم أقرب الناس إليه لو وجهوا نحوه توجيها صحيحا ... ولو أراد الله والتقت قوة الأزهر العلمية بقوة الطرق الروحية بقوة الجامعات الاسلامية العملية لكانت أمة لا نظير لها ... "

على أن الشيخ محمد رشيد رضا ، تلميذ الشيخ محمد عبده ، على عكس هذا الرأى تماما ، وهو يبدى يأسه من إصلاح الطرق وتقويم اعوجاجها إذ تأصل فيها - وذلك فى كتابه المعروف " تاريخ الأستاذ الامام محمد عبده " كذلك واجه الشيخ عبد الحميد بن باديس صراعا مريرا مع الطرق الصوفية خلال دعوته الاصلاحية بالجزائر ، تعاونت فيها الطرق وشيوخها مع الاستعمار الفرنسى ضده . على أن حسن البنا قد ذكر فى موضوعه الانشائى فى العام الدراسى النهائى بدار العلوم سنة ١٩٢٧ عن " أعظم آماله بعد إتمام دراسته ، والوسائل لتحقيقها " : " إن خير النفوس تلك النفس الطيبة التى ترى سعادتها فى إسعاد الناس وإرشادهم





حسن البنا متصوفاً

.. والذى يقصد الى هذه الغاية يعترضه مفرق طريقين لكل خواصه ومميزاته : طريق التصوف الصادق وهو اقرب واسلم . وطريق التعليم والارشاد وهذا اشرف عند الله واعظم ... وقد رجحت الثانى بعد أن نهجت الاول لتعدد نفعه وعظيم فضله ولأنه اوجب الطريقين على المتعلم واجملهما لمن فقه شيئا . واعتقد ان قومى بحكم الادوار السياسية التى اجتازوها والمؤثرات الاجتماعية التى مرت بهم ، وبتاثير المدنية الغربية والفلسفة المادية والتقليد الفرنجى بعدوا عن مقاصد دينهم والتبس عليهم هذا الدين الصحيح بما نسب إليه ظلما وجهلا ... فكان اعظم امالى بعد إتمام دراستى اعلان : خاص هو اسعاد أسرتى وقرابتى ، وعام وهو أن اكون مرشدا معلما ، اذا قضيت فى تعليم الأبناء سحابة النهار ومعظم العام ، قضيت ليلى فى تعليم الآباء دينهم ومنابع سعادتهم . تارة بالخطابة والمجاورة واخرى بالتاليف والكتابة وثالثة بالتجول والسياحة » . وهكذا اختار حسن البنا طريقه ولقى الشهادة فيه . وهو يمضى فى مذكراته فيقول بعد صفحات عن استهلاله نشاطه فى الدعوة حين عين مدرسا بمدينة الاسماعيلية بعد تخرجه :

" لم اكن متحمسا لنشر الدعوة على انها طريق خاص لأسباب اهمها : اننى لا اريد الدخول فى خصومة مع ابناء الطرق الاخرى . واننى لا اريد ان تكون محصورة فى نفر من المسلمين ولا فى ناحية من نواحى الاصلاح الاسلامى . ولكنى حاولت جاهدا أن تكون دعوة عامة جامعة قوامها العلم والتربية والجهاد ـ وهو أركان الدعوة الاسلامية الجامعة .. " وما لبثت هذه الوجهة الاصلاحية الجامعة ان تاصلت فى ذهن حسن البنا فلم يرض بها بديلا ولم يتردد فى المضى فيها قدما وايثارها على نهج الطريق الصوفى ، فقد كتب فى آخر ما نشر من مذكراته رحمه الله : " حضر اليوم ... من القصاصين ، وهو يدعو الى الطريقة وله افكار خاصة تنافى امالى الاسلامية . وانا إنما وقفت نفسى لدعوة أرى انها خير السبل للاصلاح الاسلامى ، وامثال هؤلاء يريدون تحويلها وتشكيلها بشكل دعواتهم ، وذلك ما لا أريده . فلقد أن الاوان الذى اعتز به عن كل هذه الدعاوى المشتبهة ، واكتشف فيه عن الغاية للاصلاح الاسلامى الذى يتلخص فى الرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله وتطهير العقول من هذه الخرافات والاوهام وارجاع الناس إلى هدى الاسلام الحنيف " .

على أن حسن البنا بعد هذه " المفاضلة " الحاسمة ، ما فتئت نشأته الصوفية الاولى تجذبه إلى ما يمكن إن يكون إيجابيا فيها فقد وصف جماعته فى خطابه الجامع سنة



١٣٥٧هـ الذي ألقاه بعد عشر سنوات من قيام الجماعة بقوله : " إننا دعوة سلفية ، وطريقة سنية ، وحقيقة صوفية ، وهيئة سياسية ، وجماعة رياضية ، ورابطة علمية ثقافية ، وشركة اقتصادية ، وفكرة اجتماعية ... وهكذا نرى أن شمول معنى الاسلام قد كسب فكرتنا شمولا لكل مناحي الاصلاح !ثم نراه في صدر رسالة "التعليم" يقرر الاسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا ... والقرآن الكريم والسنة المطهرة ترجع كل مسلم في تعرف أحكام الاسلام ... " ، ويتبع ذلك بقوله : " وللأيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده ، ولكن الالهام والخواطر والكشف والرؤىء ليست من أدلة الاحكام الشرعية ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها مع أحكام الدين ونصوصه . والتمائم والرقى والودع وادعاء معرفة الغيب وكل ما كان من هذا الباب منكرا تجب محاربته ... وكل بدعة في دين الله لا أصل لها ضلالة تجب محاربتها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها ... ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تبارك وتعالى . والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى (الذين امنوا وكانوا يتقون) . والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية ، مع اعتقاد انهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا في حياتهم او بعد مماتهم فضلا عن ان يهبوا شيئا من ذلك لغيرهم . وزيارة القبور أيا كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة ، ولكن الاستعانة بالمقبورين أيا كانوا ونداؤهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب او بعد والنذر لهم وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها ولا نتأمل لهذه الأعمال سدًا للذريعة ... والعقيدة أساس العمل ، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة ، وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعا .. " .

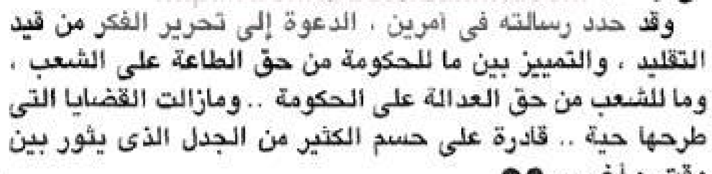
وهكذا حرص حسن البنا على ميزان الحق والانصاف في تقرير المفاهيم التي ركزها لمن تتلمذوا عليه في " تعاليمه " ... ويبقى الصحيح من ركائز الفهم الصوفي والسلوك الصوفي مقبولا عند حسن البنا بعد تمحيصها بمعايير القرآن والسنة لانها بعد هذا التمحيص تكون في حقيقتها إسلامية محضة ، وإن شغل بها الصوفية حتى عرفت بهم وعرفوا بها



رائد الفكر العربي الحديث
الإمام محمد عبده
ورحلته مع التصوف

بقلم : مصطفى نبيل

●● الأستاذ الامام محمد عبده ، أحد ابرز العقول العربية التي ظهرت في الفكر العربي المعاصر ، وأحد أعلام الاصلاح ، وما زالت كتاباته تمثل إضافات هامة في حياتنا الثقافية ، فهي تلح في إعمال العقل واللحاق بالعصر.



وقد حدد رسالته في امرين ، الدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد ، والتمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب ، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة .. ومازالت القضايا التي طرحها حية .. قادرة على حسم الكثير من الجدل الذي يثور بين وقت وآخر .. ●●

ورحلة الأستاذ الامام مع الطرق الصوفية رحلة غنية بالتجربة وهي ذاتها رحلة الوجدان المصري معها ، وهو يدعو للتصوف بمعنى الزهد ومجاهدة النفس وكأسلوب أمثل في التربية ، ويرفض في نفس الوقت شطحات الصوفية والانسحاب



الشيخ محمد عبده

من معركة الحياة ، وتكشف رحلته أن البدايات ليست دائما مثل النهايات .

والتصوف هو الحقيقة الكبرى فى حياة مصر والعديد من دول الشرق ، وله آثار واضحة على كافة مجالات الحياة ، وللطرق الصوفية مكان بارز فى تاريخ ووجدان الشعب المصرى ، ويكفى أن تعرف أن أول ظهور الصوفية كان على أرض مصر ، حوالى ٢٠٠ هـ - ٨٠٠ م ، كما ذكر الكندى ونقله المقريزى بقوله : « ظهرت فى الاسكندرية طائفة يسمون الصوفية ، يأمرون بالمعروف ، ويعارضون السلطان ، وترأس عليهم رجل منهم يقال له أبو عبد الرحمن الصوفى .... وانتقل التصوف فيما بعد إلى بغداد ..

إذن ، بدأ التصوف فى مصر ، التى قدمت للعالم من قبل نظام الرهبنة .

هذا عن التاريخ أما عن الحاضر ، فمازالت تتوزع مقامات الأولياء فى كل ربوع قرى ونجوع مصر ، وتمثل تلك المقامات نواة القرية التى يلتف حولها سائر السكان ..

عاش الأستاذ الامام حياة خصبة حافلة ، استمرت سبعة وخمسين عاماً ، قضى أولها فى التعلم ووسطها فى بحر السياسة وأخرها فى التعليم والافتاء

وتظهر التأثيرات العميقة للطرق الصوفية فى المرحلة الأولى من حياته ، فقد ولد عام ١٨٤٩ م فى أعماق الريف المصرى فى قرية محلة نصر القريبة من طنطا وفى رحاب السيد البدوى ، وامتدت هذه المرحلة حتى لقائه فى القاهرة بالسيد جمال الدين الأفغانى .

فعندما بلغ نحو الثالثة عشرة من عمره ، أرسله أبوه إلى الجامع الأحمدى - ثانى مركز دينى بعد الأزهر الشريف .، إلا انه سريعا ما نفر من أسلوب التعليم الذى يقوم على الحفظ والتلقين دون الفهم والاستيعاب ، فانصرف عنه وعاد إلى قريته ، يحكى محمد عبده هذا الجانب من حياته فى سيرته الذاتية ، وكيف اعاده أحد المتصوفةإلى التعليم ... « إن أحد أخوال أبى واسمه الشيخ درويش خضر ، سبقت له أسفار إلى صحراء ليبيا ، والذى يتبع الطريقة الشاذلية ، ويحفظ الموطأ .. ويشتغل بما يشتغل به الناس من فلاحة



الإمام محمد عبده

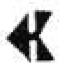
الأرض وكسب الرزق ... جاءني الشيخ وبيده كتاب يحتوى على رسالة كتبها محمد المدنى إلى بعض مريديه بخط مغربى دقيق. وسألنى أن أقرأ له لضعف بصره .. وكانت الرسائل تحتوى على شيء من معارف الصوفية وكثير من كلامهم فى آداب النفس وترويضها على مكارم الأخلاق وتطهيرها من دنس الرذائل .. ..

ولم يأت على اليوم الخامس إلا وقد صار أبغض شيء إلى ما كنت أحبه من لعب ولهو وفخفخة وزهو، وعاد أحب شيء إلى ما كنت أبغضه من مطالعة وفهم، وكرهت صور أولئك الذين كانوا يدعوننى إلى ما كنت أحب .. وفى اليوم السابع سألت الشيخ: ما هى طريقتكم ..؟ فقال: «طريقتنا الإسلام .. فقلت: أو ليس كل هؤلاء الناس بمسلمين ..؟!» فقال: «لو كانوا مسلمين لما رأيتهم يتنازعون على التافه من الأمر، ولما سمعتهم يحلفون بالله كاذبين بسبب وبغير سبب ..». وعندما سألته: وردكم ..؟ قال .. لا ورد لنا سوى القرآن، وإذا خلوت فاذكر الله على طريقة بينها لى، وأخذت أعمل بما قال، ولم تمض بضعة أيام إلا وقد رأيتنى أطير بنفسى فى عالم آخر غير الذى كنت أعهده، واتسع لى ما كان ضيقا، وصغر عندى من الدنيا ما كان كبيرا، وعظم عندى من أمر العرفان والنزوع بالنفس إلى جانب القدس ما كان صغيرا .. وتفرقت عنى جميع الهموم، ولم يبق إلا هم واحد وهو أن أكون كامل المعرفة .....

ويستمر تأثير الشيخ على الفتى ويعيده إلى الجامع الأحمدى للدراسة .. وعندما ينتقل من الجامع الأحمدى إلى الأزهر يتم ذلك بتأثير الحس الصوفى، وها هو يروى فى سيرته الذاتية .. كنت أطالع بين الطلبة، فرأيت أمامى شخصا يشبه أن يكون من أولئك الذين يسمونهم المجاذيب، فلما رفعت رأسى قال، ما أحلى حلوى مصر البيضاء، سألته، وأين الحلوى التى معك ..؟ فقال، سبحان الله، من جد وجد .. فعددت ذلك إلهاما ساقه الله ليحملنى على طلب العلم فى مصر دون طنطا .. وذهبت إلى الأزهر مع محافظتى على العزلة والبعد عن الناس، حتى كنت أستغفر الله إذا كلمت شخصا كلمة لغير ضرورة ..!

وكان التصوف هو درسه المفضل فى الأزهر، وكان موضوع أول كتاب نشر له، وعاش هذه الفترة حياة تقشف وزهد، حتى وصفه صاحب المنار السيد رشيد رضا بقوله: «إنه صادف تربية صوفية نقية، زهدته فى الشهوات والجاه الدنيوى ..»

وكان التصوف عنده رياضة نفسية وفكرية، فالشيخ درويش هو الذى حضه





لوحة تصور احتفالات « الدوسة » التى رفضها الأستاذ الامام

على طلب العلم وحرصه على القراءة فى العلوم المختلفة .

فى بحر السياسة المتلاطم

وتبدأ المرحلة الثانية من حياة الفتى عند لقائه بالسيد جمال الدين الأفغانى ، والتى نقلته إلى مرحلة صاخبة من حياته ، فعندما وصل السيد إلى القاهرة كان الفتى واقفا بين طريق العزلة وطريق العمل مع الناس بعد أن فقد شيخه الصوفى ..

وكان اللقاء الثانى بين محمد عبده والسيد جمال الدين عند زيارته الثانية لمصر عام ١٨٧١ ، بداية عمل مشترك فى الحياة العامة وخروج الشيخ إلى العمل السياسى والثورى ، بعد أن انتقل من التأمل إلى العمل والحركة ، وفتح له السيد أبواب المعرفة بالعصر وما يحيط الشرق من أخطار ، واشتركا معاً فى إثارة الهمم لمواجهة المؤامرات الاستعمارية استعدادا للغزو الزاحف ، والذى يتم بمحاربة الاستبداد السياسى وانتشال الشرق من أوضاع التخلف ..

وانتقل محمد عبده إلى آفاق رحبة فى العمل العام ، بعد تحوله من التصوف



الإمام محمد عبده

والتنسك إلى الفلسفة ، ونقل عن الأفغاني قوله .. « الفيلسوف إن لبس الخشن وأطال المسبحة ولزم المسجد فهو صوفي ، وإن جلس في قهوة متاتيا وشرب الشيشة فهو فيلسوف » .

وانضم الأفغاني ومحمد عبده إلى التنظيمات السرية القائمة في مصر ، والتحقا بالمحافل الماسونية على أمل أن توفر لهما أداة تنظيمية تساعدهما في تحقيق أهدافهما ،وخاب أملهما عندما تحققا من مهادنتها للاستبداد وصلتها بالأجنبي ، وأنشأ معاً الحزب الوطني الذي كان شعاره « مصر للمصريين » ، ونشط محمد عبده في العمل بالصحافة والسياسة ، لتجديد حياة الشرق والنهوض بالأمة ..

ويكاد يندد على مر التاريخ ظهور شخصية مثل محمد عبده تجمع بين الفكر والعمل ، بين النظرية والتطبيق ، بين التصوف والتفلسف ، بين الدين والدنيا ، وكان يكاد يسابق الزمن ، ولديه شعور عميق بما يدبر لوطنه في العواصم الاستعمارية ، في مرحلة المد الاستعماري وضعف الدولة العثمانية ، وسقوط دول الشرق واحدة وراء اخرى ، ويرى من حوله تزايد المؤامرات والمناورات ، وكان غرق مصر في الديون هو الأداة الرئيسية لهذه المؤامرات .

وتنتهي هذه الفترة بالخسران وتدفع محمد عبده إلى السجن والمنفى ، فبعد هزيمة العرابيين أمام قوات الاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢ ، بعد انضمامه إليهم ، اتهم محمد عبده بانه أفتى بوجوب قتل الخديو توفيق لخروجه على إجماع الأمة ، وزج به في السجن رهن التحقيق ، ولا شك انها كانت فترة ثقيلة الوطأة عليه ، وهو يجد نفسه مع اللصوص والأفاقين ، ويمر بتجربة مريرةاخرى في مواجهات مع رفاق النضال ، وهو يعاني من انقلاب بعض الأصدقاء عليه خلال المحاكمة ..

ويهيم على وجهه في بلاد الله بعد نفيه ، وينتقل بين بيروت وباريس التي يلتحق فيها بالسيد جمال الدين في أواخر عام ١٨٨٣ ، يستأنفان النضال معاً من جديد ، ويصدران « العروة الوثقى » التي صدر منها ثمانية عشر عدداً وهي تستنهض همم المسلمين للكفاح ضد الغزو الأجنبي ، ويسافر إلى العديد من بلاد الشرق يدعو إلى الاصلاح ويمارس العمل التنظيمي السري ، حتى أنه دخل مصر سراً ضمن العديد من البلدان في مهام سرية وتنظيمية ..

العودة من المنفى ..

واستمر محمد عبده في المنفى سبع سنوات ، سعى بعدها لدى أصدقائه في مصر يطلب مساعدتهم على العودة ، وألح سعد زغلول على الأميرة نازلي فاضل كي تستخدم نفوذها عند اللورد كرومر ـ الذي أمسك بخيوط الحياة السياسية ـ لكي يتم العفو عنه ، بعد تعهده بالابتعاد عن

السياسة والانصراف إلى شئون التربية والفكر والثقافة ونجح كرومر فى إصدار العفو من الخديو توفيق وعاد إلى مصر عام ١٨٨٩ م .

وبدأت المرحلة الثالثة من حياته ، بعد أن انتهت المرحلة السابقة وقد منى بالفشل والاحباط ، فبعد أن كان اول من حذر من خطر التدخل الأجنبى ، واول من نادى بالاصلاح حتى يمكن مواجهة احتمالات الدخول الاستعمارى ، يجد نفسه فى النهاية وجها لوجه امام كل ماسعى لتجنبه وسبق وحذر منه ..

وتحول من ثائر إلى مصلح يدعو إلى الاصلاح بالتدرج والترفق ، ورأى ان هذا يحتاج إلى عمل طويل لبناء قيم جديدة وظهور جيل قادر على تحقيق ما عجز عنه الجيل السابق ، وعلى ضوء هذه الحاجة نظر إلى كل قضية سياسية أو اجتماعية .

اما عن علاقة الأستاذ الامام بالثائر جمال الدين فقد أصابها الوهن . وقد قيل ان محمد عبده هادىء رزين إذا كان وحده ، اما مع جمال الدين فهو الثائر الداعى الى الانجاز السريع . فإذا افترقا عاد كل منهما إلى طبيعته ..

وأدى موقف الأستاذ الامام من السياسة والانجليز الى غضب جمال الدين . فكتب إليه يقول . . « كن فيلسوفاً ترى العالم ألعوبة . ولاتكن صبيا ملوعاً .! !"

الجوهرى وغير الجوهرى

لذلك كان فى هذه الفترة حربا على البدع والخرافات ، وانصرف إلى أمور التربية وكان التصوف احد اهتماماته ، وعالج فى كتاباته الكثير من شئونه .

كما تناول عقائد العامة ، الذى يرى أنها ألفاظ لاتمت الى الدين بسبب فهى عند الجمهور عودة الى العقائد الجبرية التى تذهب الى أنه لا حرية ولا اختيار للانسان فيما يفعل ..

ويكتب مؤكدا أن الامة قد انحطت لأن الذين حافظوا على عناصر الايمان الجوهرية قد أخذوا يفقدون روح التوازن ويتناسون الفرق بين الجوهرى وغير الجوهرى . واخذوا ينظرون إلى تفاصيل المجتمع الاسلامى الأول كما لو كانت من قواعد الايمان يقتضى لهم طاعتها ، مما اعتبره نوعا من التطرف فى التمسك بظواهر الشريعة ، ويحلل الكثير من الظواهر بقوله : "قد اشتبه على بعض الباحثين فى تاريخ الاسلام ما حدث فيه من البدع والحالات التى شوهت جماله ، والسبب سقوط المسلمين فى الجهل بدينهم ، وبعدهم عن التوحيد الخالص الذى هو أس النجاة ومدار حجة الاعمال ، وليس الأمر كما ظنوا ، فقد ظهر التصوف فى القرون الأولى للاسلام ، فكان له شأن عظيم وكان المقصود منه تقويم الاخلاق وتهذيب النفوس ، وترويضها بأعمال الدين وجذبها اليه وجعله وجدانا لها ، وتعريفها بحكمه واسراره بالتدريج ..

وكان الفقهاء ينكرون عليهم معرفة أسرار الدين ، ويرمونهم بالزيغ والالحاد ، وكانت السلطة للفقهاء لحاجة الأمراء والسلاطين اليهم ، فاضطر الصوفية الى



الإمام محمد عبده

إخفاء امرهم ، ووضع الرموز والاصطلاحات الخاصة بهم ، وعدم قبول احد إلا بشروط واختيار طويل .. وأن يكون أولا طالبا ، فمريدا ، فسالكاً . وبعد السلوك اما أن يصل وأما أن ينقطع . وأخذ الامراء بقول الفقهاء فيهم ، فأولئك يكفرون ، وهؤلاء يعذبون ويقتلون ، حتى انه قتل فى يوم واحد خمسمائة صوفى ، وهذا هو سبب ظهورهم بغير مظهر طائفتهم ، ولجوئهم الى الأختفاء ، وكلامهم فى الطريق ، وما يحصل لهم من الذوق والوجدان بالرمز والاشارة ."

العزلة عن الحياة

ولمس الأستاذ الامام بحيثنيه أهم الانتقادات التى توجه الى الطرق الصوفية وهو العزلة عن الحياة العامة ، وقدم تحليله قائلا : "إن الفقهاء لبعدهم عن التصوف جهلوا سياسة وقتهم وحاله . ولجهلهم بالسياسة لم يعرفوا كيف يمكن تنفيذ الاحكام الشرعية ، واذا عرفوا الحكم ، لايعرفون كيف يجعلون الامراء والحكام يلتزمون هذا الحكم وينفذونه ، ولهذا ضاع الدين والسياسة ..

فاحتقرهم الأمراء والسلاطين فى انفسهم ، واستخدموهم لأغراضهم التى تؤيد سلطتهم ونفوذهم ، وحملوهم على الفتوى بما يؤيد رغائبهم ، ولا يوافق الشرع ، فدققوا النظر واستنبطوا لهم مايطلبون ، وافتوهم بما يشاءون ، وقررت فتاويهم فى كتب الفقه على أنها أحكام شرعية .. نعم .. ظهر عن الصوفية كلام ما كان ينبغى أن يظهر ولا أن يكتب ، ومنه ما يوهم الحلول ، ولو كنت سلطانا لضربت عنق من يقول به . وأنا لا انكر أن لهم أذواقا خاصة وعلما وجدانيا بل ربما حصل شيء من ذلك وقتا ما ، لكن هذا خاص بمن يحصل له ، ولا يصح أن ينقله لغيره بالعبارة ولا أن يكتبه ويدونه علما ..

إن هذا يحصل للانسان فى حالة غير طبيعية ، ولكونه خروجا عن الحالة الطبيعية لا ينبغى أن يخاطب به المتقيد بالنواميس الطبيعية ، وكان غرض صوفية المسلمين تربية المريدين بالعلم والعمل الذى غايته أن يكون الدين وجدانا فى انفسهم تصدر عنه الأعمال الصالحة ، ولا تؤثر فيه الشبهات العارضة .."

"الدوسة !"

وبدأ الأستاذ الامام حربا لاهوادة فيها على البدع والخرافات ، وقدم الكثير من الفتاوى لما ينكره الشرع من رعد الطبول والحضرات والدوسة .. "فالشريعة المطهرة مانعة من أن يقرن ذكر الله بآلات لهو على العموم ، كما يشمل حكم المنع "الحضرات" إذ يختلط فيه النساء والرجال على هيئة ينكرها الشرع والطبع جميعا .."

وكان شائعا حفل للطرق الصوفية الذى يظهر كرامات شيخ الطريقة ، عندما يسير فى موكب مهيب راكبا على صهوة جواده ويمر فوق ظهور اتباعه الراقدين على أرض الطريق ..

مما لفت نظر عدد من الأجانب ، وسجله بريشته الرحالة البريطانى لين ، ووصفه الرحالة الفرنسى جيرارءى ترنفال قائلا : "عندما عبرنا ميدان الأزبكية شاهدنا منظرا ممعناً فى الغرابة ، تجمع جمهور كبير لرؤية الدوسة وفيها يمر شيخ الطريقة ، وهو على ظهر حصانه على اجسام الدراويش ، وكان هؤلاء التعساء منبطحين على بطونهم على أرض الطريق الموصل إلى منزل الشيخ البكرى رئيس الدراويش جميعا ، مكونين طريقا مرصوفا باجساد بشرية .!

وقد شاهدت بعينى راسى شيخ الدراويش وقد تدثر بغطاء ابيض وتعمم بعمامة صفراء ، وقد اخذ يمر فوق احشاء اتباعه الذين التصق بعضهم بالبعض غير تاركين اى فراغ بينهم ، بعد أن عقدوا اذرعهم تحت رءوسهم ، وكان الحصان ذا حدوات حديدية ، وبعد ذلك نهضوا جميعا صفا واحدا وهم يصيحون "الله" .

وحارب الاستاذ الامام هذه البدعة باعتبارها عملا ضد ماكرم الله به الانسان ، وكتب يقول : "بينما نستنشق خبرا ينبىء بإبادة تلك البدعة أو يشعر بزجر أولئك المشعوذين ، وتأديب المخرفين ، اذ سمعنا أن نفراً ممن ألفوا تلك العادات استفزتهم مصالحهم ، وتركت حميتهم للمحافظة على عوائدهم البالية ، والتمسوا من السيد البكرى إعادة الدوسة فى مولد الشيخ يونس المدفون بجبهة باب النصر ، الذى روى عنه أن الزجاج صف

امام حصانه ، فركبه ومر عليه من غير أن يصاب بكسر أو يعتريه اختلال ، محتجين بأن الدوسة فضلا عن أنها من كرامات أحد الأولياء ، فإنه عمل بها من زمن طويل بمحضر كثير من العلماء الاعلام والسادة الفضلاء ، ولم يبن من واحد من حضراتهم معارضة او تنديدا .. ولا يصح بطلانها الآن اتباعا لسنة الآباء والاجداد .. واذا صح ماعزره الى الوالى الشهيد الشيخ يونس من أنه ركب الحصان وداس به على الواح الزجاج ولم تنكسر ، ... فلا يفيد إباحة الدوسة بمعنى أن تصف الرجال منكبين على وجوههم متلاصقى الاكتاف يطأ ظهورهم حيوان من العجم ، لم نشم من سيمته كرامة ، ولم نتبين من حافره منهاج الصالحين ، ويمشى امامه وخلفه نفر من حاشيته ، وكلهم يطئون بنعالهم أجساما أعلى قدرها الحق فى كتابه العزيز ، .. ولا يكون ذلك من الكرامات فى شىء ، فضلا عما فيه من انتهاك حرمة الانسان وتعريضه للخطر والمضرات .. "

إتعاب الفكر
واجهاد النفس

وحافظ الاستاذ الامام فى مراحل حياته المختلفة على طبيعة الصوفى يستخف بالدنيا ولايتهالك عليها ، ورأى فى التصوف أفضل اسلوب فى التربية ،



الإمام محمد عبده



الاستاذ الامام فى السودان مع كبار رجال الدين

فبالرياضة والمجاهدة وذكر الله يتجدد الانسان وترتقى معارفه ..

ولابد أن نتوقف عند قوله ... "من يريد خير البلاد ، فلا يسعى الا فى اتقان التربية ، وبعد ذلك يأتى له جميع ما يطلبه ، بدون اتعاب فكر ، ولا اجهاد نفس .. " وهى مقوله مازالت تحتاج الى دليل . !

ولعل ابتعاده عن السياسة وتوجهه نحو التربية والتعليم بعد عودته من المنفى من آثار تربيته الصوفية ، ولا شك فى اهمية التعليم وأثره على مستقبل الأمة ، وان التربية هى المدخل الطبيعى للتغيير واعداد أجيال جديدة تختزن طاقة التغيير ، إلا انه يستحيل فصل التعليم على مجمل النظام السياسى ، والعاملون فى التعليم يعرفون هذه الحقيقة الهامة ..

بل ونكاد نلحظ اقتدار التأثيرات الصوفية إلى العديد من جوانب حياتنا ، فمثلا حين تهتم بعض الحركات الاسلامية المعاصرة بالعبادات أكثر من المعاملات ، أو حين تتجاهل موازين القوى من حولها ، وبدل ان نراها تسعى الى تغييرها نجدها تكتفى بالتشبث فى عناد بشعاراتها ، أو عندما تعيش ازدواجية بين الظاهر والباطن ومايئتج عن هذه الازدواجية من تضارب وغموض .. !

وكل هذه الظواهر تلمح فيها تأثيرات الصوفية .

ولكن للانصاف كان الاستاذ الامام طوال حياته رائدا للفكر العربى الحديث ساهم فى الاستنارة ورفع شأن العقل ، واستطاع دائما أن يتخطى الزمن ولم يدع الزمن يتخطاه ، أما بعض الحركات الاسلامية فكثيرا ما تخطاها الزمن ، واصبح الكثير من مواقفها عقبة كاداء أمام التطور ..

إنها تأثيرات مازالت باقية ، وحان الوقت للتخلص منها .



كرامات الأولياء

بقلم : جمال الغيطانى

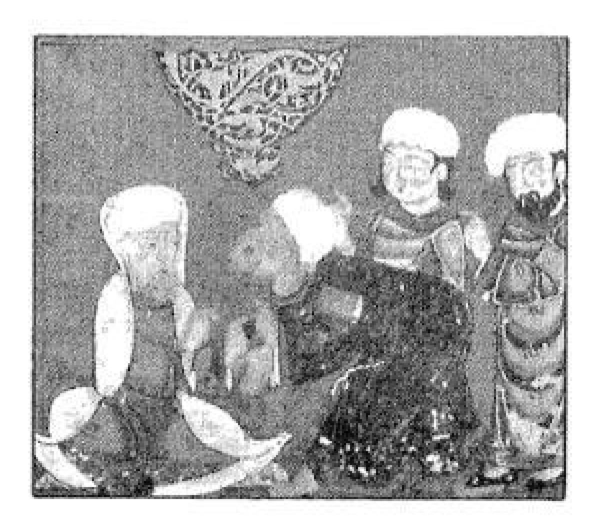
.. بعد معايشة طويلة للتراث الصوفى الاسلامى ، وبعد صحبة عميقة لكبار المتصوفة العظام ، بدءا من الجنيد وحتى الشيخ عبدالكريم الجيلى ، مرورا بالسهروردى ، وعبد القادر الجيلانى ، وابن عربى ، والغزالى ، وغيرهم ، بت مقتنعا ان دراسة الادب العربى لا يمكن ان تكتمل الا بتوجه جديد إلى هذا التراث الروحى الفنى .

واذا اردنا أن نبحث عن أصول القصة العربية أو الرواية العربية ، او فن القص العربى ، وان نضع ايدينا على خصوصيته ، فلابد أن نتجه إلى دراسة التراث الصوفى دراسه ادبية واعية ، لقد دابت الدراسات الادبية على التعامل مع المقامة والسيرة والملحمة والقصص الشعبى على انها تراث القص الأدبى فى اللغة العربية ، ولم تتجه إلى التعامل مع قصص الكرامات المتناثرة فى بطون كتب المتصوفة العظام ، كذلك دابت الدراسات على التوقف عند أساليب كتاب اللغة العربية الأدباء ، مثل الجاحظ والاصفهانى ، وابن قتيبة ، وياقوت ، وبديع الزمان ، والحريرى ، والزمخشرى ، و غيرهم ، ولم يحظ تراث الجنيد والحلاج وابن عربى بدراسات ادبية وافية ، مع أن النثر العربى عند الجاحظ مثلا او بديع الزمان أو الحريرى فيه تكلف وسجع وصنعة ، ولكن النثر العربى عند المتصوفة لا نلقى فيه الصنعة والتكلف ، بل اقول واثقا إن قمة وذروة اللغة العربية ليس فى الآثار العربية الادبية الشائعة ، ولكن فى كتب المتصوفة الكبار ، لان ما كتبه هؤلاء كان يعبر عن حالة ، عن معاناة ، كان الصوفى يجتهد لتطويع اللغة حتى يمكنه الوصول إلى مناطق فى الشعور يصعب التعبير عنها بمادة الكلام ، الصوفى مثل الجنيد او ابن عربى او ابن قضيب البان ، او عبد الكريم الجيلى ، اديب من نوع غير معروف فى الادب العربى ، لا يلجا الى أساليب التعبير المطروقة التى اتبعها



الشعراء او الناثرون . والتي جعلت من الكتابة ما يشبه الصنعة . الكلمات عند الصوفي وسيلة وليست غاية ، في تعبيراته الفوضى والوضوح . الغريب والمالوف . المرارة والأمل ، فيها معاناة هائلة . ومحاولة للنفاذ إلى جوهر الواقع ، وبحث دءوب عن معنى الحياة ومعنى الزمن ، وقدر الانسان ومصيره . والكلمة عند الصوفي توحي ولا تصف . تلمح ولا تمتطق . الكلمة بالنسبة للصوفي حياة كاملة ومعنى وموسيقى وإشارة . انها عنده سحر أسمى منه عند كاتب المقامة ، أو محرر الرسالة ، او حتى عند المصدق بفعالية الكتابة السحرية ، او عند الشاعر ، أو عند المجتهد وراء السجع . الصوفي ـ كما يقول الدكتور على زيعور ـ فنان كلمة ، فنان يعبر بطرائق غير شائعة . ولا هي عمومية ، او مجانية ، أو جاهزة . الصوفي يجعل من اللغة عالما خاصا . فعلاقته بالكلمة اساس ومحور لا يعادلان اهمية ولا بنية . الصوفي بواسطة الكلمة ، وقدرته الفريدة على التعبير عن ذاته ولا وعي ذاته ، يصبح متمتعا بطاقات لا نجدها عند كل من يعبر عن نفسه من الكلاسيكيين . انه يعبر عن هموم وعن حوادث مخزونة لاواعية . وذلك من اجل ذاته ولها ، في كتابات المتصوفة نظرة إلى الانسان جديدة ، وتعبير جديد ينطلق من إحساس خاص ، وروح خاصة . هذا الاحساس . وهذه الطرق الخاصة فى التعبير لم تلق للاسف دراسة واهتماما من قبل المهتمين بالادب العربي او التراث الصوفي نفسه . كثيرة هي الأسئلة التي تتردد حول معنى ، هل عرف الأدب العربي القديم فن القصة او الرواية . كثيرة هي الاتهامات القائلة بان العربي كان محدود المخيلة ، لايعرف جموح الخيال وانطلاقه . واعتقد ان في التراث الصوفي ما يدحض مثل هذه الاقاويل . إن قصص الكرامات المكتوبة تشكل تيارا خاصا فى القصص العربي . في النثر العربي . ولست هنا بصدد البحث فى أصول الكرامة ، او تحليلها ، او البحث فى صلاتها بالدين . بالتراث الشعبي ، بالاساطير ، بعلم النفس . لكنني انبه الى اهميتها الادبية من واقع خبرة مباشرة ومعايشة دءوبة .

الكرامة باختصار هي خرق العادة . الخروج إلى اللامالوف . تجاوز الواقع ، تحقيق ما يطمح إليه الانسان . من طي للمكان . وتجاوز للزمان . واتصال بالجماد . وإقامة الحوار مع سائر الكائنات . الكرامة هي من ذرى تعبير الصوفي عن نفسه بالرمز ، تختصر تجارب غنية ، وتعبر عن هموم إنسانية . انها قصص قصيرة ، مركزة . ضامرة المحتوى ، واسعة المعنى ، سريعة . خاطفة كالبرق . غير انها تعكس تجارب شتى



وطموحات إنسانية تردد بعضها فى الزمن القديم وحققه الانسان فى عصرنا الحديث ، الكرامة تعبير ايضا عن رغبة إنسانية جادة فى تبديد قهر اجتماعى أو ظلم سياسى واقع . والكرامة ليست المعجزة ، فالمعجزة تخص الانبياء والرسل ، اما الكرامة فتبقى فى حيز الامكانية الانسانية لمن اوتى مقدرة ومنزلة ومكرمة ، ويمكن تفسيرها على انها رمز ، ورغبة مكبوتة ، وتطلع ، وقد تحيط المخيلة الشعبية بظلالها بها . وابرز مثال على ذلك ، ما جرى فى السودان مع المهدى إذ وجد اسمه منقوشا على بيض الدجاج وورق الأشجار (نفس العنصر تردد حول زعيم ثورة ١٩١٩ سعد زغلول) . وقيل فى السودان ايضا إن النار كانت تضطرم تلقائيا فى اجساد اعدائه ، هذا تعبير عن انسحاق وتطلع إلى قائد قوى وزعيم يقهر المستعمر ، وبرغم ما تردد من كرامات فإن المهدى لم تؤد كتشنر عندما نبش قبره .

مرة اخرى اقول إننى لست فى معرض تفسير الكرامة ، ولكننى بصدد لفت النظر إليها كجنس ادبى .

إذن ما هى انواع الكرامة ؟

قال التاج السبكى فى الطبقات الكبرى : للكرامة أنواع .

الأول . إحياء الموتى ، واستشهد لذلك بقصة ابى عبيد اليسرى ، إذ دعا الله فى الغزو أن يحيى دابته فأحياها ، وقصة مفرج الدماميني ، اذ قال للفراخ المشوية طيرى فطارت ، وقصة الشيخ الاهدل إذ نادى على الهرة الميتة فجاءت إليه .



ثم يقول ولا سبيل إلى استقصاء ما يمكن من هذا النوع لكثرته . قال ، وانا اؤمن به . غير انى اقول لم يثبت عندى أن وليا حيى له ميت مات من ازمان كثيرة بعد ما صار عظاما رميما ثم عاش بعدما حيى له زمنا كثيرا . هذا القدر لم يبلغنا . ولا اعتقده وقع لاحد من الاولياء . ولا شك فى وقوع مثله للانبياء عليهم السلام . وهذا يكون معجزة ولا تنتهى إليه الكرامة . فيجوز أن يجيىء نبى قبل اختتام النبوة بإحياء امم انقضت قبله بدهور . ولا أعتقد أن وليا يحيى لنا الامام الشافعى وابا حنيفة .

يقول الدكتور على زيعور في كتابه « الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم » ، وهو الدراسة العلمية الوحيدة - في حدود علمي - لدراسة الكرامة الصوفية .

ثقافة الكرامة ثقافة الموت ، راينا انها تدير ظهرها للزمن والعيانى لتنفلت من كل قيد وعي الصوفى شديد الجلاء بالموت ، بانه كائن على شفا الموت فى عالم متغير ومتجه باستمرار نحو الفناء ، ثم التجدد ، ان مشكلة الوجود ، هى سر مأساة الصوفى ، وسر مأساته كامن فى وعيه الحاد بالموت . وبانه يعمل للموت لا للحياة . إنه يقود سلوكه وشخصيته ، وكل مافيه نحو ماوراء الحياة ، نحو المجهول الذى يقض مضجعه

من هنا يحتل الموت فى الكرامة مكانة هامة ، فمن كرامات بعض الصوفية انهم عرفوا ساعة أجلهم ، فالبسطامى يستبقى تلميذه الراغب فى السفر قائلا له بلهجة التأكيد واليقين إنه سيموت فى اليوم التالى ، والجيلانى يقول بعد أن رآه يضحك كثيرا ، إنه يوم الرحيل ، فالموت هو بدء الرحلة الكبرى عند الصوفى ، والهجرة إلى الله ، وما الحياة الا طريق طويل يسلكه ، وبعضهم يختار موضعا نظيفا ليموت فيه ، والمحاسبى يقول لمريديه وهو على فراش الموت ، "إن رأيتمونى اضحك فالامر خير" ومنهم من يتكلم بعد موته ، وآخر ينشق البحر وتظهر له اليابسة كى يدفن لانه اضطر إلى السفر على ظهر سفينة . اما السيد البدوى فيقوم ليغسل نفسه بعد موته .

تعبر الكرامات الخاصة بالموت عن رغبة انسانية فى الخلود . وفى نفس الوقت تسهل الأمر وتعد الانسان له .

يقول التاج السبكى :

ومن الكرامات ما يتعلق بانغلاق البحر وجفافه والمشى على الماء ، وكل ذلك كثير وقد اتفق مثله لشيخ الاسلام عز الدين ابن عبدالسلام وسيد المتأخرين ابن دقيق العيد .

● انقلاب الأعيان ، كما حكى أن الشيخ عيسى الهتار اليمنى أرسل اليه شخص مستهزئا به إناءين ممتلئين خمرا ، فصبّ احدهما فى الآخر وقال . بسم الله كلوا . فأكلوا فإذا هو سمن لم يرمثل لونه وريحه .

● انزواء الارض لهم ، بحيث حكوا أن بعض الأولياء كان فى جامع طرسوس . فاشتاق الى زيادة الحرم ، فادخل رأسه فى جيبه ثم أخرجه وهو فى الحرم .

كلام الحيوانات والجمادات ، ومنه حكاية ابراهيم بن ادهم ونداء الرمانة ليأكل منها . ومنها ابراء العلل . كما روى عن السرى فى حكاية الرجل الذى لقيه ببعض الجبال يبرىء الجبال . والعميان والمرضى ، وكما حكى عن الشيخ عبدالقادر الجيلانى أنه قال لصبى مقعد مفلوج أعمى مجذوم ، قم باذن الله ، فقام لا عاهة به .

ومنها طاعة الحيوانات ، كما فى حكاية الاسد مع ابى سعيد بن ابى الخير الميهنى ، وقبله ابراهيم الخواص ، ومنها أيضا طاعة الجمادات ، ومنها طى الزمان ، واستجابة الدعاء ، وامساك اللسان عن الكلام وانطلاقه ، وجذب بعض القلوب للمحبة ، والاخبار ببعض المغيبات والكشف ، والصبر على عدم الطعام والشراب لمدة طويلة ، ومقام التصريف كما حكى عن البعض أن المطر كان يتبعهم أينما ذهبوا ، ومنها رؤية المكان البعيد من وراء الحجب كما روى عن الشيخ أبى اسحاق الشيرازى انه كان يشاهد الكعبة وهو ببغداد . ومنها هيبة بعض الصوفية كصاحب ابى يزيد البسطامى . ومنها كفاية الله تعالى إياهم شر من يريد بهم سوءا كما اتفق للامام الشافعى مع هارون الرشيد . ومنها التصور بأطوار مختلفة . وهذا الذى تسميه الصوفية بعالم المثال . ومنه ما حكى عن قضيب البان المصولى انه اتهمه بعض من لم يره يصلى بترك الصلاة وشدد النكير عليه ، فتمثل له على الفور فى صور مختلفة ، وقال : فى أى هذه الصور ما رايتنى اصلى ؟ ولهم من هذا النوع حكايات . ومما اتفق لبعض المتأخرين أنه وجد شيخاً كبيرا فقيرا يتوضا فى القاهرة بالمدرسة الصيوفية بدون ترتيب فقال له : ياشيخ تتوضا بدون ترتيب ؟ فقال ما توضات إلامرتبا ، ولكن أنت ماتبصر ، لو أبصرت لأبصرت هكذا وأخذ بيده وأراه الكعبة . ثم مويه إلى مكة فوجد نفسه بمكة ، واقام بها سنين فى حكاية يطول شرحها ، ومنها اطلاعهم على نخاش الارض ، كما فى حكاية ابى تراب لما ضرب برجله الارض فاذا عين زلال ، وانواع الكرامات عديدة ، وأكتفى بذكر المصادر التى دون فيها هذا النوع من الأدب العربى الفريد .

جامع كرامات الأولياء وهو مؤلف حديث للشيخ يوسف بن اسماعيل النبهانى (١٢٦٥ ـ ١٣٥٠هـ) . من جزئين ، وقد جمع كرامات الأولياء ورتبها ترتيبا أبجديا

طبقا لاسمائهم على المعجم ، ويقع فى مجلدين كبيرين ، حققه الشيخ إبراهيم عطوة عوض ، وطبع مرتين فى القاهرة . « الحلبى »

● بهجة الأسرار ومقدمة الانوار ، لنور الدين الشطنوفى ، وقد خصصه لبعض مناقب الشيخ محيى الدين بن محمد عبدالقادر الجيلانى ، طبع فى القاهرة

● الابريز ، وكتب مؤلفه احمد بن المبارك انه تلقاه عن قطب الواصلين عبدالعزيز الدباغ ، طبع بالقاهرة . « الحلبي » .
● طبقات الصوفية الكبرى « لواقح الأنوار فى طبقات الاخبار » للامام الشعرانى طبع فى القاهرة . « الحلبي »
● مواقع النجوم للشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى
● قصص الأنبياء للثعالبى ، مطبوع على هامشه ، روض الرياحين فى حكايات الصالحين ،
● الطبقات لابن ضيف الله ، تحقيق يوسف فضل حسن . طبعته جامعة الخرطوم . قسم النشر ، ويعد من اهم المراجع عن تاريخ المتصوفة بالسودان ، تلك مؤلفات دونت الكرامات مباشرة ، وبالطبع هناك المصادر الكبرى للمؤلفات الصوفية والتى تتناثر منها قصص الكرامات ، حيث البطوله لها سمات خاصة .

البطل الصوفى والمدينة الفاضلة

للبطل الصوفى فى الكرامات ملامح خاصة ، يتشابه بعضها مع العديد من القصص الشعبية المتوارثة ، والشيخ عبدالقادر الجيلانى نموذج للبطل الصوفى فى الكرامة ، فقد ولد فى شهر رمضان ، وأثناء الحمل لم يكن يرضع من ثدى أمه ، وعندما اختلفوا فى بداية رمضان ، جاءوا الى أمه وسألوها ، فأجابت أنه لم يقضم له اليوم ثديا . فاتضح لهم أن ذلك كان أول الشهر الفاضل ، هكذا تنبه المولود وأرشد قومه ، فى حداثته تميز فى كل شيىء ، ومن كل ناحية ، وتغلب على الغواية الشيطانية والمردودات ، وكان يتميز بشارة معينة واتصف بخوارق ، كان يمشى فى الهواء ، أو فوق الماء ، وينتصر على الأعداء ، وعلى السلطة ورجالها إذ لم يكن يوليهم اهتماما . أمده الله بقدرات خارقة ، كان يصلى فيتضاءل جسده ، ثم يرتفع فى الهواء ، كان يكبر ويصغر حسب رغبته ، أو النظر إليه ، كان يقتات بالقليل ، ويمشى فى الصحراء بدون زاد ويجد ما يأكله ، وبعد موته أصبح قبره يحل مشاكل اتباعه ، فيكلمهم إذا زاروه ، وقد تمتد يده من داخله لتصافح بعض الأتباع .

ويعقد الدكتور على زيعور مقارنة ملامح البطل الصوفى ، وملامح البطل فى الملحمة الشعبية ، خاصة ملحمة أبوزيد الهلالى فيجد أوجها عديدة للتشابه ، وكما يوجد البطل ذو الملامح الخاصة فى الكرامة ، فإننا نجد أيضا المدينة الفاضلة التى تجسد أيضا

شكلا من أشكال الحلم الانسانى . إنها مدينة الأولياء مقدسة ، خاصة بفئة مؤمنة . لايدخلها إلا من بلغ الأربعين ، هي في وسط الزمان لافى آخره ، لكنها غير معروفة ، فيها يأكل الانسان من التفاحة فلا تنقص ، أو من حبة واحدة فلا تنضب ، هذه المدينة تقدس الكلمة ، فبواسطة كلمة قرآنية يمكن الوصول إليها ، ترتبط احيانا بليلة القدر ، أو جنة عدن أو جزيرة ، أو بحيرة فى صحراء ، أو بركة ، أو واحة ، قد يتم السفر إليها على ظهر طائر ، او بواسطة جن مؤمن ، او على بساط سحرى أو بحصان طائر أو بطرفة عين ، ولابد من مجاهدة كبرى للوصول إليها ، فقد تظهر للصوفى عند أخر رمق بعد تعب أو جوع او تيه فى طريق ، أنها منعزلة ، نائية مهجورة ، متحررة من المنطق ، من التقاليد وشتى القيود ، انها ذروة الحلم الانسانى ، حيث يتوفر كل مايصبو اليه ، ويحلم به فى عالم المثال .

يقول الدكتور على زيعور فى كتابه « الكرامة الصوفية »

الكرامة تصوير او بما يعوض قلة التصوير بالألوان والرسم ، وكما ان اللوحات الفنية العربية تغرق فى خطوط لا نهائية لتعود فتغوص فى الداخل ، فكذلك نجد الكرامة تدور فى الباطن ، تبدو المنمنمات « أرابيسك » متوازية مع الكرامات . كلاهما يكرر ويستنبط ويجرد ويفتش عن المطلق »

وفى ختام محاولتى هذه للفت النظر الى هذا الجانب الثرى من الأدب العربى ، اورد قصة وقولا اما القصة فقد ذكرها الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى فى الفتوحات المكية (ج ٢ ص٨٢ طبعة بولاق).

انها قصة الجوهرى ، واجد فيها النموذج الأمثل للقصة الصوفية .

ومن وقف على حكاية الجوهرى رأى عجبا . وهو من هذا الباب ، فان قلت وماحكاية الجوهرى ، قلنا ذكر عن نفسه انه خرج بالعجين من بيته الى الفرن وكانت عليه جنابة فجاء إلى شط النيل ليغتسل فرأى وهو فى الماء مثل مايرى النائم كأنه فى بغداد وتزوج وأقام مع إمرأة ست سنين وأولدها أولادا غاب عن عددهم ثم رد إلى نفسه وهو فى الماء ففرغ من غسل وخرج ولبس ثيابه وجاء إلى الفرن وأخذ الخبز وجاء إلى بيته وأخبر اهله بما أبصره فى واقعته ، فلما كان بعد اشهر جاءت تلك المرأة التى رأى إنه تزوجها فى الواقعة تسأل عن داره فلما إجتمعت به عرفها وعرف الأولاد وما انكرهم ، وقيل لها متى تزوج فقالت منذ ست سنين وهؤلاء اولاده منى ، فخرج فى الحس ماوقع فى الخيال وهذه من مسائل « ذو النون المصرى ... »

اما المقولة فلشيخ الطائفة الجنيد ، إذ يقول

« الحكايات جند من جنود الله تعالى ، يقوى بها قلوب المريدين »

وهذا فى حدود علمى ارقى ماوصل إليه تقدير الكلمة المكتوبة فى أى ادب عالمى شعرا كان او نثرا .

البكتاشية في مصر

بقلم الكاتب التركي : محمد فؤاد كوبريلى★

ترجمة : د . محمد حرب

● **البكتاشية في مصر** :تاريخها وتطورها وتكاياها ، موضوعات لم تحظ حتى الآن بأى دراسة . وكل ما نملكه من معلومات ما هى إلا بضع صفحات كتبها اف . دبليو . هاسلوك في مقالته : "التوزيع الجغرافي للبكتاشية" . وقد رجع هذا العالم الانكليزي فيها إلى بعض روايات الرحالة الأوربيين من الذين زاروا مصر وكتبوا عنها . كما رجع هاسلوك أيضا إلى معنى استنبطه من سطور وردت في كتاب أس الظفر من تاليف أسعد أفندى . ولا شك أن هذه المعلومات غير كافية .

ونحن لاندعى اننا سنستطيع القاء الضوء بشكل لائق على مسائل البكتاشية في مصر وكيفية دخولها ، وشخصية قايغوسز ابدال (وهو ما يعرفه المصريون باسم سيدى عبد الله المغاورى) وهو يعتبر مؤسس الطريقة البكتاشية في مصر .

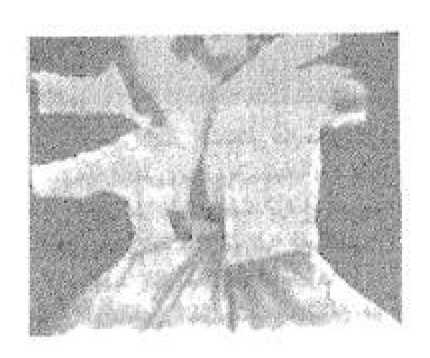
إن المعلومات المتعلقة بتاريخ البكتاشية في مصر في القرنين ١٤ و ١٥ محدودة للغاية ومختلطة بالمناقب الصوفية ، رغم أننا نجد المعلومات في هذا الموضوع في القرنين ١٧ ، ١٨ قيمة وجديرة بالثقة ، رغم تناثرها وعدم كفايتها . وقد حاولنا في القسم الأول إيضاح الصفحة الأولى للبكتاشية في مصر معتمدين على المناقب البكتاشية ـ ونفس الطريقة اتخذناها في تناولنا لشخصية قايغو سز أبدال (الشيخ عبد الله المغاورى) مع الافادة التامة من أصول النقد التاريخي ، مع العلم بأننا لا نجد حرجا من الاعتراف بأن النتائج التى خرجنا بها من هذا المقال ماهى إلا فرضية مؤقتة . وهذا النوع من الفرضيات لابد أن يولى اهتماما لأنه يمكن أن يكون نقطة بداية للبحث التاريخي مستقبلا . اما في القسم الثانى فقد عملنا على استخدام الوثائق ـ وهى وثائق ذات ماهية تاريخية بحتة ـ لتسليط الأضواء على وضع البكتاشية في مصر فيما بين القرنين ١٧ ـ ١٩ .

إننى غير مشتغل بتاريخ مصر خاصة بالطبوغرافيا التاريخية المصرية ، لذلك لم يكن في وسعى تقديم دراسة في مستوى أكبر من هذا في تاريخ البكتاشية في مصر . أمل أن تشكل هذه الصفحات ، خطوة متقدمة لأننى كتبتها معتمدا على الوثائق التى يمكن أن تلقى ضوءا ولو قليلا على الموضوع .

الأحجار والأشجار تمشى

تقول المنقبة البكتاشية أن "قايغوسز

★ وزير خارجية تركيا في وزارة عد نان مندريس



إحتفالات الدراويش

ابدال (الشيخ عبد الله المغاورى) هو ابن امير سنجق علانيه وكان هذا السنجق تابعا لأمير تكه . وكان اسم هذا الابن هو غيبى . تذكر هذه المنقبة أن غيبى هذا كان يصطاد ذات يوم فأصاب ظبيا بسهمه . دخل الظبى الجريح أثناء هربه من الصياد باب تكية كبيرة فتبعه غيبى . وسأل الدراويش الموجدين بالتكية عن الظبى فأجابوه بأن ليست لديهم أدنى فكرة عن هذه المسألة . والواقع أن ابدال موسى شيخ هذه التكية هو الذى ظهر فى صورة الظبى . ذلك لأن ابدال موسى (وابدال كلمة تركية بمعنى المجذوب) استدعى غيبى هذا إلى مجلسه وأعطاه السهم الذى كان أطلقه على الظبى وجرحه به . دهش غيبى امام هذه الكرامة وطلب أن يصبح مريدا لهذا الشيخ ، إلا أن الشيخ أوضح له مدى الصعوبات التى تكتنف طريق التجرد الصوفى وأن لابد من استئذان والده . لكن إصرار غيبى جعل الشيخ يقبل انتسابه ، فحلق الدراويش شعر غيبى على أصول الطريقة البكتاشية والبسوه التاج والخرقة وأعطوه حزاما يتمنطق به . علم والد غيبى بالأمر فتضايق لأن فى انتساب ابنه حط من قدره ، فتوجه الوالد سريعا إلى أمير تكه وطلب منه انقاذ ابنه من يد ابدال موسى ، فأرسل أمير تكه أحد أتباعه وهو قيرغ ايلى عيسى . الى الشيخ لاقتياده اليه . لكن كرامة الشيخ تسببت فى عثرة قدم رسول الأمير فى السرج منذ نزوله من على الحصان فوقع وتبعثر جسده أشلاء وهو ينجر انجرارا من الحصان الجافل الهارب . فغضب أمير تكه واحتد وأرسل العسكر على الشيخ ليقبضوا عليه وليحرقوه فى نار أوقدوها لذلك خصيصا

كشف الشيخ ابدال موسى مايحدث فقام ومعه ما بين ٤٠٠ ـ ٥٠٠ مريد من أتباعه وساروا تجاه أمير تكه وعساكره وهم ـ اى البكتاشية ـ فى حالة وجد وذكر . سارت الأحجار والأشجار أيضا معهم ترافقهم حتى وصلوا إلى مكان النيران ، فاقتحم البكتاشية النيران وأطفئوها بأذكارهم ، ثم رجعوا وأثناء عودتهم إلى تكيتهم ، هبط عليهم من الجبل وحش أسود ، فقال ابدال موسى : أن هذا الوحش ما هو الا روح أمير تكه ، فقام أحد الدراويش ـ وكان يجمع الحطب الى التكية ـ بضرب الوحش ببلطته فأرداه قتيلا . فى هذه اللحظة بالذات مات أمير تكه ، وتفرقت عساكره . أدرك أمير علانيه ـ وهو والد غيبى ـ بعد مشاهدته لكل هذا ، أن ابدال موسى ، ولى من أولياء الحق ، فسار بجنوده وكانوا نحو ثلثمائة الى الشيخ ، وقبل يده ، ورضى ببقاء ابنه مريدا له . وبهذه الصورة خدم غيبى فى التكية ، مدة أربعين عاما ، حتى منحه الشيخ لقب قايغو سز ابدال (= المجذوب الخالى البال) وأخيرا انتوى المريد الحج ، فكتب له ابدال

موسى اجازة وسلمها له . ولما لم يجد قايغو سز ابدال مكانا مناسبا يخبيء فيه ورقة هذه الاجازة قام بتمزيقها ووضعها فى اللبن الحامض الذى يشربه ثم اكلها ، رغبة منه في تخبيئتها . على هذا وجد نفسه يطلق الحكم من قلبه ، وهذه الحكم ما هى الا القصائد الشافية .

عين له شيخه اربعين درويشا لخدمته . وبعد سياحة طويلة مع دراويشه ، وصل قايغو سز إلى مصر . وكان سلطان مصر فى ذلك الوقت اعور ، فوضع قايغو سز عصابة قطنية على إحدى عينيه وفعل ذلك دراويشه ايضا . وركب هذا الجمع مركبا من دمياط حتى وصلوا الى مرفأ بولاق عن طريق النيل . وهناك قابلوا حاجب سلطان مصر ، مصادفة . وجه هذا الحاجب أسئلة الى قايغو سز فوجد إجابات أعجبته . وقام هذا الحاجب بشرح المسالة إلى السلطان فرغب هذا في امتحانهم فاستضافهم على مائدة عليها ملاعق يبلغ طول الواحدة منها ثلاثة أشبار . وكان من المدعوين الى المائدة زهاد مصر وعبادها وأمراؤها . علت الوجوه الدهشة عند رؤية الملاعق ولم يستطع احد أن يأكل ، فلما جلس الدراويش على المائدة اخذ كل منهم يملأ ملعقته اكلا ثم يقدمها الى زميله الذى يجلس امامه فيأكل منها - لطولها - على ذلك أدرك السلطان ان هؤلاء الرجال لابد وأن يكونوا من العارفين (بالله) . زاد الأمر بأن أفصح قايغو سز عن سر وضعه هو ودراويشه القطن على أعينهم وهو أن السلطان اعور . سر السلطان من هذا ! وامر بان ينزعوا القطن ويرمونه جانبا . عند ذلك اخذ قايغو سز ودراويشه برفع أيديهم بالدعاء ، فرد الله البصر الى السلطان .

أمام هذه الكرامة التى اظهرها هذا الشيخ البكتاشى ، لم يسع السلطان الا النزول من فوق العرش والاسراع الى الشيخ ليقبل يده وليصبح مريدا له .

ها هى ذى منقبة قايغو سز ابدال ودخلت الكتب التاريخية التى تناولت العهود الأخيرة بالدراسة والتسجيل ، بل وصلت الى كتب الرحالة الأوربيين التى استفاد منها هاسلوك .

نرى لزاما علينا هنا أن نسجل عدم ورود اسم أمير علائية ولا إسم امير تكه ، كذلك لم يرد هنا - اى فى المنقبة - ذكر لاسم سلطان مصر ، بل انما خلت المنقبة ايضا من ذكر السنوات .

أن لطفى بابا يمدنا بمعلومات يقول فيها أن قايغو سز أبدال دخل مصر اول مرة عام ٧٩١ هـ وخرج منها فى نفس المرة عام ٧٩٦ هـ وكان هذا الخروج بهدف زيارة كل من مكة والمدينة وكربلاء والنجف وأبدال موسى ، ثم عاد مرة أخرى الى مصر عام ٧٩٩ ، وفى عام ٨٠٦ صار شيخا فى تكية قصر العينى اما وفاته فكانت عام ٨٤٨ هـ . وهذه المعلومات لم أراها فى اى مصدر تاريخى حتى الآن .

● وثائق عن البكتاشية ●

واذا استبعدنا الروايات البكتاشية جانبا نجد الآن ضرورة إيضاح ما تقدمه لنا الوثائق الموجودة بين ايدينا حول شخصية قايغو سز ابدال وشخصية ابدال

موسى تاريخيا : بالنسبة لابدال موسى تكفينا ما نجده فى تاريخ عاشق باشازاده ، واذا اعتمدنا عليه فنقول أن ابدال موسى هو احد مريدى الحاج بكتاش ولى (١٢٠٩ - ١٢٧١ م وهو مؤسس الطريقة البكتاشية) ، وابدال موسى كان محبا لخاتون أنه ، وكانت قد أنشأت قبر الحاجي بكتاش ، فجاء مريده هذا وأقام هناك قليلا . واشترك ابدال موسى فى بعض الغزوات العثمانية فى عهد اورخان . واخذ من احد الجنود الانكشارية قلنسوته ولبسها على رأسه وعاد بها الى بلده ، وفى هذا يقول عاشق باشازاده ان هذه المسألة هى أساس التاج الألفى المشهور عند البكتاشيين .

والرواية البكتاشية الخاصة بسيرة حياة ابدال موسى قد جعلت منه شخصية محلية تنتمى الى لواء انطاليه (فى تركيا) . وتم اكتشاف قبره فى قرية تكه على بعد ٣ ساعات من جنوب قصبة المالى ، وكان ذلك فى القرن السابع عشر ليس هذا فقط ، بل أن قبر كافى بابا وتكيته تقع على بعد ساعة من غرب فنكه وعلى باب قبره لوحة ترجع الى القرن ١٩ منقوش عليها أن كافى بابا هذا خادم ابدال موسى . وفى نفس المنطقة فى المالى يوجد بلطه سى كديك وهو الشخص الذى تذكر منقبة قايغو سز ابدال أنه الذى قتل الوحش الأسود ببلطته . كل هذه التفصيلات تبين لنا أن الروايات الخاصة بأبدال موسى ومريديه تتمركز على الأكثر فى هذه المنطقة المذكورة . أن هذه المسألة خطيرة وتتجلى هذه الخطورة اذا وجهنا تفكيرنا الى ان هذه المنطقة كانت مركزا مهما وعريقا للشيعة الباطنية ، وان هذه المنطقة بالذات كانت مكانا مكتظا بالعشائر التركمانية وهى أكثر العشائر ارتباطا بهذا النوع من العقائد .

وان الفرضية القديمة القائلة بأن ظهور البكتاشية كان فى النصف الثانى من القرن ١٥ قد تغيرت تماما بموجب الوثائق الجديدة التى تم العثور عليها مؤخرا . وبناء على ذلك لم يبق هناك سبيل ينفى اعتبار ابدال موسى بكتاشيا ، ولا يمكننا البت بصورة قطعية فى نسبة بعض الكتب لأبدال موسى والتى ينسبها البكتاشيون إليه .

والمعلومات المتعلقة بشخصية قايغو سز ابدال ، تعتمد فى أساسها على الروايات البكتاشية والأمر هنا يختلف عما فى السابق فبفضل ماهو موجود بين أيدينا من أدبه شعرا كان أو نثرا ، نستطيع التعرف على شخصيته الحقيقية . بعض القصائد التى نظمها قايغو سز ابدال تدلنا على انتسابه الى ابدال موسى . ويتضح من هذا ان الرواية البكتاشية فى هذا تطابق الحقيقة التاريخية ، إن المخطوطة المستنسخة من كتاب ديلكشا بتاريخ ٩٠٠ هـ ، وإن منظومة فى كتاب جامع النظائر لتظهر أن قايغوسز ابدال رجل عاش فى أواخر القرن ١٤ والنصف الأول من القرن ١٥ م . إن لقايغو سز ابدال مقام فى مناستر (فى يوغوسلافيا) وهناك بعض الروايات والمناقب عنه . لكن هذا لايدعو للبحث عن أساس تاريخى لهذا نظرا لوجود العديد من الأمثلة الشبيهة بهذا فى تاريخ الأديان خاصة بعد معرفة أن الأمر لايعدو ذيوع شهرة قايغو سز أبدال فى تلك الجهات .



البكتاشية

لاتسعفنا المصادر التاريخية بأى معلومة عن رحلة قايغو سز ابدال الى مصر ، ولا عن انتشار البكتاشية فى الديار المصرية ، ولم أجد أى معلومة فى مصادر تاريخ مصر الرئيسية وبالذات المقريزى على سبيل المثال ، عندما يتحدث عن التكايا المختلفة فى القاهرة ، لا يتحدث عن التكية البكتاشية الا أن انعدام المعلومات فى المصادر التاريخية - بل حتى اذا لم نجد هذا مستقبلا أيضا - . لا يمنع البتة من وجود هذه المسألة تاريخيا أى لا يمنع هذا كله من سفر قايغو سز الى مصر ونشره للبكتاشية هناك . ويحتمل أن تكون البكتاشية قد استقرت فى مصر فى السنوات الأولى من القرن ١٥ م لأن مصر ترتبط دائما بالاناضول بعلاقات ثقافية تراثية خاصة ، وإن مصر كانت تحافظ دوما على ارتباطاتها بالمراكز التجارية الأناضولية مثل انطاكيا وعلائية بوجه خاص . واذا أمكننا ادراك تفوق العنصر التركى فى مصر على عهد المماليك ووصول هذا العنصر الى موقع هام ، واذا ادركنا ايضا معرفة اهمية اللغة التركية وأهمية ادبها فى مصر فى ذلك العهد فإن من الممكن القول بقيام منظمة بكتاشية فى مصر تضم دراويش من الاتراك .

● الانكشارية والبكتاشية ●

بعد الفتح العثمانى لمصر ، كان من الطبيعى جدا أن تكسب الطريقة البكتاشية اهمية خاصة ، فالعلاقة بين أوجاق الانكشارية وبين البكتاشية كانت تتيح لهذه الطريقة فى مصر ان تكون مرادفا للحاكمية العثمانية . فإن الادراك الطبيعى للأمور يتمثل فى أن افتتاح التكية البكتاشية فى مصر فى القرن ١٦ مسالة تلقائية وطبيعية ، إلا أن التفوق لم يكتب للبكتاشية فى مصر نتيجة لتنافس الطرق الصوفية المحلية وهى طرق ذات جذور قديمة فى البلاد مثل الطريقة البدوية (نسبة الى أحمد البدوى) ، مع ان البكتاشية كانت تستطيع ان ترسى لها اسسا فى الأماكن القابلة لابراز نشاط تبشيرى (اسلامى) قوى بين العناصر غير المسلمة والأمثلة على ذلك بلدان ، مقدونيا وتساليا وكريت ، وكذلك بين عشائر التركمان الرحل ، أما فى مصر فالعكس هو الصحيح لأنه لايوجد فيها وضع مماثل لما فى هذه البلدان ، لذلك كانت البكتاشية لاتجد لها أنصارا فى مصر الا بين البلقانيين والأتراك على الأكثر وهم الذين وفدوا الى الديار المصرية من مختلف أماكن الامبراطورية العثمانية ، رغم أن الشيخ ابراهيم الكلشنى ، المعروف قد اضفى على الطريقة الكلشنية فى مصر وضعا قويا أثناء وجوده فى مصر فى السنوات الأخيرة من الحكم المملوكى فيها . ونحن نعرف أن الأتراك فى مصر أثناء الحكم العثمانى كانوا ينتسبون الى الشيخ ابراهيم الكلشنى بدرجة كادت فيها الادارة العثمانية ان تصاب بالقلق . ووصل الأمر الى أن الولاة العثمانيين الجدد حاولوا بشدة منع من فى معيتهم من الانتساب

الى الطريقة الكلشنية إلا أنهم فشلوا فى ذلك على هذا يمكننا التخمين بأن البكتاشية فى مصر كانت فى القرن ١٦ فى وضع ذابل . أما فى الأساس ، فلا توجد بين أيدينا وثيقة صريحة عن البكتاشية فى مصر فى هذا القرن .

اما فى القرن السابع عشر ، فاننا نجد معلومات صريحة عن البكتاشية فى مصر فى رحلة اوليا جلبى (الجزء الخاص بمصر) يروى هذا الرحالة (التركى) انه كان فى مدينة مصر ويعني بذلك القاهرة ١٠٦٠ تكية منها ٢٠٠ تكية خاصة بمريدى السيد أحمد البدوى . ويسجل لنا اوليا جلبى وجود اربع تكايا بكتاشية فى القاهرة ، هى :

١ ـ تكية حسن بابا :

فى التراث البكتاشى أن حسن بابا هذا كان حاملا لعلم النبى . والتكية عبارة عن بناء صغير تعلوه قبة صغيرة ويقع بين غرف العزب وأصبحت ـ من بعد ـ تكية بكتاشية يعيش فيها أربعون درويشا . ولها تعيينات من مطبخ تكية العزب .

٢ ـ تكية قايغو سز بابا :

وكانت تقع بالقرب من باب قاضى العسكر فى مصر بمكان قريب من بين القصرين ، وكانت تكية مظلمة بابها مفتوح ولم تكن كبيرة بدرجة تذكر ، كما لم يكن لها اوقاف . وكان يعيش فيها عشرون درويشا تقريبا ، يعيشون على الصدقات ، وبالتكية مكان واسع (لحلقات الذكر) وبها ايضا مقبرة . وكان دراويشها يقدمون للضيوف بعد الصلاة من كل جمعة لحم الغنم والارز بالزبادى .

٣ ـ تكية عبد الله الأنصارى :

وكانت داخل قصر المقابلجى فى القلعة الداخلية العليا . والمتصرف فيها عدة دراويش بكتاشية .

٤ ـ تكية قصر العينى :

يقول أوليا جلبى أن هذه التكية كانت أهم تكية بكتاشية فى مصر . وكانت تقع فى منتزه معروف باسم قصر أبى العين بيبرس على شاطىء النيل . ونقتبس هنا اهم معلومات أوليا جلبى . تقع هذه التكية وسط منتزه قصر ابى العين وهى بناء له



ارتبطت البكتاشية بالانكشارية . واضطهدت حكومة مصطفى كمال اتاتورك الطرق الصوفية فى تركيا



قبة عظيمة . ميدانها (مكان الذكر الصوفى) مزين بالرخام ويتسع لألف رجل والجوانب الأربع لهذا مفروشة بجلود الخراف ويجلس الشيخ محمد دده تحت المحراب وبجواره وبأقل من درجة يجلس خليفته الكبير .

وعلى الجوانب الأربعة من البناء نوافذ بمشربيات من النحاس الأصفر ، يبدو من خلالها المنظر الخارجي للبناء وكأنه حديقة أسطورية . ويظهر بالخارج مدفن لبعض الشيوخ البكتاشيين . وتحيط بالقبة وعلى شكل مسبحة مجموعة عظام من الأغنام المذبوحة فى التكية . إن الدراويش يرجون بعض القادمين اليهم أن يقدموا قربانا من الأغنام أو الماشية ويقولون له : "أيها العاشق (لطريقتنا) يجب أن يكون لك فى هذه التكية عظام أضحية تعلق بالقبة" .

فى رواية (صوفية بكتاشية) أن السلطان سليم (الأول) كان قد جاء الى مصر قبل فتحه لها زائرا رحالة ، فنزل ضيفا عدة ليال فى هذه التكية ، ولما أراد العودة الى بلاده قال انه سيعود مرة أخرى . وبعد أن فتح مصر ، أوفى بعهده ، وحضر الى التكية ومعه رجال بلاطه أصحاب الغرف الخاصة (رتبة عثمانية) ونزلوا بالتكية ضيوفا سبع ليال .

هذه هى أهم وثيقة لدينا عن البكتاشية فى مصر فى القرن السابع عشر . وهنا يثور سؤال هام هو : ترى فى أى وقت كانت تكية قصر العينى تكية بكتاشية ؟ تقول الروايات البكتاشية السائرة فى مصر انه تم انشاء هذه التكية فى عام ٨٠٦ خصيصا لقايغو سز أبدال ، مع اننا نفتقر إلى الوثائق والى المادة المؤيدة لهذه الروايات . وأبرز دليل على كلامنا هذا أن الرحالة التركى أوليا جلبى لم يذكر فى معرض حديثه عن هذه التكية أى معلومة عن قايغوسز ، بل أنه يتحدث عن تكية أخرى على أنها تكية قايغو سز بابا . وعلى ذلك فلا يوجد أدنى علاقة ألبته بين تكية قصر العينى وبين شخص قايغو سز ابدال ، ولو كانت هناك رواية عن هذا سائرة بين البكتاشيين فى مصر فى القرن ١٧ لسجلها - بالتأكيد - أولياجلبى . ومع هذا فقد كانت فى القاهرة تكية أخرى البكتاشيين فى ذلك القرن تحمل أسم قايغو سز ، تمركزت فيها منقبة قايغوسز ، وبعد أن أزيلت هذه التكية - فيما بعد - اسندت منقبة قايغو سز الى تكية قصر العينى أشهر تكية بكتاشية بالقاهرة .

● أحراق الضيف ●

يقول اسعد افندى مؤلف كتاب اس الظفر وهو كتاب يحوى اسنادات متشددة ضد البكتاشيين ، مايلى : " استولى البكتاشيون على المراقد والزوايا التى تحمل أسماءهم ، وأدعوا أن القابهم مثل لقب سلطان ولقب بابا هى القاب بكتاشية " . ويقول المؤلف أن التكية الواقعة على ضفة النيل فى القصر العينى تخص العينى شارح البخارى ، وأن البكتاشية استولوا عليها وادعوا أنها خاصة بمن يسمى عينى بابا ، وان هذا

الاسم موهوم ويعترف اسعد افندى نفسه ان اسناد هذه التكية الى عينى ليس له اساس تاريخى وانما مستندهم فيه هو الروايات الشعبية . ثم أن غيبى بابا موضوع الحديث فى الرواية البكتاشية هو قايغو سز وليس عينى بابا (كما يدعون) على هذا يمكن فهم التشابه بين قصر العين وعينى وغيبى قد أوقع المؤلف فى الخطأ . والنتيجة الوحيدة التى نخرج بها من حديث أسعد افندى أن تكية قصر العينى التى لم يهتم بها بكتاشيو مصر فى القرن ١٧ قد أخذوا فى نسبتها الى قايغو سز فى رواياتها فى القرن العشرين . وكما ذكرنا من قبل فإن هذه الرواية وهى مغايرة للتاريخ مازالت حتى الآن مستمرة بين البكتاشيين فى مصر . وفيما يلى ما يؤيد هذا الأمر .

عن الشيخ المولوى المشهور ثاقب دده صاحب كتاب السفينة فى مجموعة مناقبه معلومة عن البكتاشية فى مصر فى أواخر القرن ١٧ عن واقعة حدثت له أثناء زيارته لمصر فى تكية قايغو سز : زار ثاقب دده أثناء مقامه فى مصر عدة تكايا وقابل مشايخها ، وزار تكية قايغو سز بالقاهرة عدة مرات ونزل بها ضيفا . قابله البكتاشيون بكل تكريم وحفاوة . وذات يوم دعوه فذهب اليهم وكان للبكتاشيين عادة غريبة هى أن يحرقوا فى فرن التكية فى ليلة معينة من ليالى السنة الضيف الأجنبى الذى يحل عليهم وبهذا يعتقدون أنهم ينتقمون من اليزيديين . وجاء ثاقب دده الذى اختاروه ضيفا عليهم تلك الليلة . وكان فى التكية درويش قديم يعيش فيها منذ ثلاثين أو أربعين سنة . واعتاد منذ سنوات الا يتحدث الى احد قط الا انه سمع اخوانه الدراويش وهم يتحدثون فى أمر ثاقب دده . وقبيل المغرب وفى لحظة خلا فيها المكان الا من ثاقب دده وهذا الدرويش اسر الاخير له بالأمر وأوصاه بالهرب . ارتعد الشيخ المولوى خوفا وخرج من المكان بحجة تجديد وضوئه ثم جرى فى هلع شديد نحو التكية المولوية (نسبة الى مولانا جلال الدين الرومى) فوصلها فى أذان المغرب . وجد البكتاشيون ان ضيفهم تأخر فحملوا العصى وساروا يبحثون عنه حتى أشرفوا على أطراف المدينة ، ثم رجعوا ولم يدركوه .

يبدو أن المؤلف وقد نقل القصة عن والده أنه صدقها لذا يعقب على ذلك بقوله : ان أشياء من هذه القبيل لم تكن موجودة فى البكتاشية لكن الزنادقة العجم منذ عهد الشاه اسماعيل انتسبوا الى هذه الطريقة فأفسدوها ثم انضم اليها الاتراك الجهلاء فأكثروا فيها الفساد ، وأن الحاج بكتاش ولى لينزعج من هذا ، حتى المجاذيب أطلقوا على أنفسهم اسم البكتاشيين .

لم يقل أحد بعادة إحراق البكتاشيين لضيفهم ، حتى أعدى أعدائهم لم يفتروا عليهم بإسناد كاذب هكذا . على هذا يمكن بشكل قطعى أن نفهم ان ثاقب دده أو ابنه قد لفق هذه الحكاية الكاذبة ، ليوقظوا خصومة ما وعداء تجاه البكتاشية . ومع هذا فإن كذب هذه الرواية لايمنع أن نفيد منها كوثيقة تاريخية . فبداية نفهم أن المؤلف وقد كتب بين عامى ١١٤٨ - ١١٩١ يصف التكية بمصر على أنها « تكية قايغوسز بابا » وبذا يورد استمرار



البكتاشية

الرواية البكتاشية القديمة حتى القرن الثامن عشر أيضاً . ثانيا : أن هذه الحكاية تؤيد المعلومات التى أوردها أولياجلبى ولذا فلابد أن تكون التكية على أقوى احتمال تكية قايغوسز التي حدثنا عنها الرحالة التركى وليست تكية قصر العينى . ونجد فى القرن ١٩ معلومات هى التى ذكرها لطفى بابا وتنص على أن تكية قصر العيني بقيت فى حوزة البكتاشيين حتى ١٢٤٩ هـ ١٨٣٣ - ١٨٣٤ م وفى هذا التاريخ تم إخراج شيخ التكية وهو اسماعيل بابا القربانجى البوسنوى مع ست وعشرين من دراويشه منها ونزلوا ضيوفا فى قصر اسماعيل سرى باشا المناسترلى ، وبعد تسعة أشهر سافر هؤلاء الدراويش إلى المدينة . ولم يبق مع اسماعيل بابا غير درويش واحد هو صادق . مات اسماعيل بابا فى أواخر عام ١٢٥٠ هـ أى ١٨٣٥م ، فترك الدرويش صادق مصر إلى بيرأوى . وفي عام ١٢٦٨ هـ يعني/ ١٨٥١ - ١٨٥٢ عاد الدرويش صادق إلى مصر بعد أن أصبح بابا بعد أن أجازه على دده الساعاتى اشترى صادق بيتا في مكان يدعى باب اللوق وعاش عام ١٢٨٢ أصبح على بابا شيخا لتكية المقطم الحالية ، وكان ذلك بأمر من الخديوى اسماعيل باشا .

هذا مايعرفه بكتاشيو مصر اليوم عن تاريخ البكتاشية فى مصر القرن ١٩ ، وليس هناك بين أيدينا وثائق صريحة عن

الطريقة البكتاشية إنتقلت من تركيا الى مصر وحملت معها الكثير من التأثيرات التركية



صحة هذه المعلومات وإن ظهر في كتاب العالم الانكليزى هاسلوك ان تكية قصر العينى موجودة فى حوزة البكتاشيين عام ١٢٢٣ هـ أى ١٨٠٨ م وانها كانت تعرف باسم تكية قايغوسز بابا . وإسناد تكية قصر العينى إلى قايغوسز إنما كان بعد إندراس تكية قايغوسز بابا في القرن ١٨ والتى تحدث عنها اولياجلبى وذكرناها سابقا .

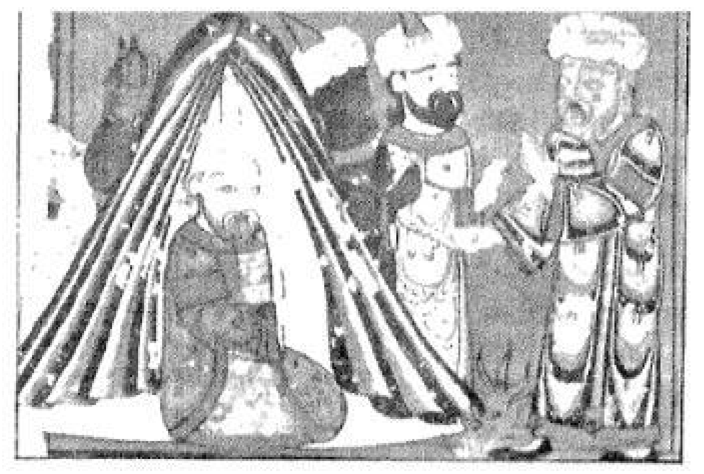
اما عن التكايا الأخرى التى تحدث عنها أولياجلبى فنفهم انها قد اندرست فى القرن الثامن عشر غالبا . وان بكتاشيى مصر قد تركزوا غالبا فى تكية القصر العينى .

فى منظومة فى ديوان نظمه كليسلى عشقى عام ١٢٧٤ قال الشاعر انه اسكت بعض البكتاشيين فى مصر وافحمهم اثناء مناظراته لهم بجانب هذا نجد ان رسالة ويرانى بابا المشهورة طبعت فى القاهرة عام ١٢٩٠ بواسطة بكتاشى يدعى وهبى بابا . إن هاتين المسألتين لدليل على ان نشاط البكتاشيين فى مصر لم يكن شيئا قليلا . خاصة وان بناء تكية المقطم عام ١٢٨٨ للبكتاشيين . ليعتبر عهدا جديدا لطريقتهم فى مصر بعد فترة خمول واضح عقب فقدهم لتكية قصر العينى . على كل حال نستطيع القول بأن البكتاشية فى مصر قد عاشت فى القرن ١٩ عهدا عصيبا مظلما يتناسق مع سياسة اقتلاع جذور البكتاشية بشدة وهى السياسة التى طبقها السلطان محمود (الثانى) ضد البكتاشيين عقب إلغائه للانكشارية عام ١٢٤١ فى الديار العثمانية . ثم اخذت البكتاشية فى الظهور الثانى بين عامى ١٢٦٨ و ١٢٨٢ واخيرا وفى عام ١٢٨٢ دبت الروح فيها مرة أخرى بعد ان تعهد الخديوى اسماعيل باشا بحمايتها . إننا نرى نفس التطور تقريبا يحدث فى تركيا ايضاً.

عن التكية البكتاشية الموجودة فى أعلى القلعة الداخلية فى المقطم ، يقدم هاسلوك معلومات قليلة معتمدا فيها على الرحالة الذين زاروا مصر فى العهد الأخير "تقع التكية فوق التل ويمكن ملاحظتها من بعيد بكتلة الأشجار الخضراء الكثيفة امامها . وهى تكية انشأها حديثا الخديوى اسماعيل وبعض الأميرات . وظهر الميدان الخاص بطقوس المنتسبين إلى التكية نجد فى أعلى التكية بقليل حوشها وهو صغير يؤدى إلى محجر يدخل اكثر من ٢٠٠ قدم من سطح البحر فى داخل صخرة ثم طريق مدخل مفروش بالحصير ومغطى بغطاء خشبى سياجا يمتد إلى أقصى غرفة حيث نجد الشيخ عبد الله المغاورى مدفونا وهو قايغوسز سلطان" .

أصاب هذه التكية الدمار بسبب انفجار فى مخزن الذخيرة فى ١٩ سبتمبر ١٣١٩ إلا أن بناءها قد أعيد من جديد عام ١٣٢١ ، وبعد ذلك وببعض العلاوات المختلفة اتخذت شكلها الحالى ، لكن هاسلوك لم يحدثنا عن حادث هذا الانفجار وفى ديوان الشيخ البكتاشى المشهور محمد على حلمى بابا تاريخ يسجل إعادة إنشاء التكية وبنائها .





المتصوفة بين الظاهر والباطن

بقلم : د. محمد جميل غازى

التصوف فى حقيقته مزيج من افكار ومعتقدات مجوسية ، وبوذية ، مسيحية ، ويهودية ، ويونانية ، وهذه حقيقة يعترف بها المستشرقون الذين درسوا هذا النوع من التصوف المسيحى بالتصوف الاسلامى .. فهذا هو «فون كريمر» يقول فى كتابه "تاريخ الافكار البارزة فى الاسلام .. ان فى التصوف عنصرين مختلفين اولهما مسيحى رهبانى ، والثانى هندى بوذى ، ويذهب المستشرق (تولك) إلى أن التصوف مأخوذ من أصل مجوسى ، كما أن مؤسسى فرق الصوفية الأوائل كانوا من نفس ذلك الأصل المجوسى ، وكذلك يقول المستشرق الهولاندى (دوزى) فى كتابه "تاريخ الاسلام" أن التصوف جاء إلى الصوفية من فارس حيث كان موجودا قبل البعثة المحمدية .. أما المستشرق «جولد زيهر» فقد فرق بين تيارين مختلفين فى التصوف أولهما الزهود ، وهذا فى نظره قريب من روح الاسلام ، وان كان متأثرا إلى حد كبير بالرهبانية المسيحية ، والثانى التصوف بمعناه الدقيق ، ومايتصل به من كلام فى المعرفة والأحوال ، والأذواق وهو متأثر من ناحية بالافلاطونية الحديثة ، ومن ناحية اخرى بالبوذية الهندية ..!

وأيا كانت مصادر التصوف ، ومنابعه التى انحدر منها .. فإن الذى يعنينا الآن هو مايقول به بعضهم فى إصرار . ان التصوف يستند الى الكتاب و السنة ، وهو نفس الكلام الذى تردده كل دعوة تستهدف النيل من الاسلام .. أذ يدعى أصحابها ، والذين يقومون عليها .. ان دعوتهم مستمدة من الكتاب والسنة ..! وذلك حتى لايرتاب الناس فيما يدعون إليه .. إنهم ببساطة يهدفون الى تضليل المسلمين وخداعهم ، وتغطية عقائدهم الفاسدة التى ينفر منها المسلمون .. فلو أن الصوفية تستند الى الكتاب والسنة لكانت هى الاسلام ، ولما كان هذا الجدل الذى استمر عدة قرون وسوف يستمر ..!

والذى يباعد بين الصوفية ، والكتاب والسنة .. ان الصوفية تعتمد اصلا على الادعاء بالكشف بدلا من الدليل الشرعى الذى يستند الى الكتاب والسنة ،وعن طريق هذا الادعاء بالكشف ، فانهم يشككون فى مصادر الشرع بل وينكرون بعض أحاديث الرسول ﷺ الثابتة في دووابن السنة ، يؤولون البعض الآخر وفقا لاهوائهم ، وحجتهم فى ذلك الافتراء على الله ورسوله .. انهم يدعون انهم يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم جهارا ، ويتلقون منه مايعينهم على تاويل الاحاديث او التمييز بين الصحيح منها والضعيف ، واسمعوا ماذا يقول (ابن عربى) شيخ المتصوفة الاكبر فى كتابه "الفتوحات المكية"

« ورب حديث يكون صحيحا عن طريق روايته حصل لهذا الكشف الذى عاين هذا المظهر فسال النبى ﷺ عن هذا الحديث فانكره ، وقال لم اقله ، ولاحكمت به فيعلم ضعفه فيترك العمل به على بينة من ربه ، وإن كان قد عمل به اهل النقل لصحة طريقه ، وهو فى نفس الامر ليس كذلك »

الظاهر والباطن ..!

بل يذهب ابن عربى الى ابعد من ذلك فينسب كلامه الى انه وحى من رسول ﷺ فيقول فى اول كتابه «فصوص الحكم» ، أما بعد فانى رايت رسول الله ﷺ فى ميشرة «رؤيا صادقة» وبيده كتاب فقال لى .. هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به الى الناس ينتفعون به فقلت السمع والطاعة لله ولرسوله ، واولى الامر منا كما امرنا ، فحققت الأمنية ، وأخلصت النية الى إبراز هذا الكتاب كما حدده لى رسول الله ﷺ من غير زيادة ولانقصان . فمن الله فاسمعوا ، والى الله فارجعوا ...»

وهذا باب فتحه الصوفيون ، لكى ينسبوا الى رسول الله ﷺ مايريدون . بحجة أنهم من اهل "المكاشفة" وهذا قادهم الى تقسيم الدين الى شريعة وحقيقة ، وظاهر ، وباطن .. فأهل الظاهر فى نظرهم .. هم علماء المذاهب الاربعة ، وفقهاء الشرع وعلماء الحديث ، وهم طبقة العوام من الناس لديهم .. اما اهل الباطن ، وهم أهل الحقيقة والطريقة ، ويعتبرهم الصوفية الخاصة الذين يعتمدون على تاويل النصوص الشرعية عن طريق مايسمونه بالكشف والخواطر والأحلام ، وعن طريق هذا الكشف يزعمون أنهم يستطيعون تاويل الأحاديث ، والتمييز بين الصحيح والضعيف دون حاجة الى الرجوع الى كتب السنة .. وهذا هو الجنيد راس الصوفية يقول : «لايبلغ الرجل عندنا مبلغ الرجال حتى يشهد فيه الف صديق من علماء الرسوم "الشريعة" بأنه زنديق ، لان أحوالهم وراء النقل والعقل و يقول أيضا : "أحب للمبتدىء الا يشغل قلبه بهذه الثلاث والا تغير حاله : التكسب وطلب الحديث (حديث رسول الله) والتزوج ، وأحب للصوفى الا يقرأ ولايكتب لانه اجمع لهمه"

وهذا "ابو يزيد البسطامى" من أئمة التصوف يسخر من علماء الشريعة ، ويتعالى



عليهم فيقول" اخذتم علمكم ميتا عن ميت ، واخذنا علمنا عن الحي الذي لايموت .. ، وهو يقصد بهذا ان عخذون علمهم عن الرسل بينما الصوفية باعتبارهم اهل الحقيقة يتجاوزون هذا المستوى ويتلقون عن الله مباشرة ..!

واخطر مافي بدع الصوفية .. أنهم يؤمنون بأن كل آية ، وكل كلمة ، وكل حرف في القرآن الكريم يخفي وراءه معنى باطنا لايكشفه الله الا للخاصة من عباده وهم أهل الحقيقة الذين تشرق هذه المعاني في قلوبهم وفي أوقات وجدهم ، وذهبوا بعد ذلك الى تأويل آيات القرآن الكريم عن طريق مايدعونه بالكشف . فجاءوا بالخرافات ، والضلال الذي حشوا به كتبهم . واعتمدوا في ذلك على حديث افتعلوه لخدمة أغراضهم يرد به "ابن عربي» في «الفتوحات المكية» فيقول

« قال الرسول ﷺ ما من آية في القرآن الا ولها ظاهر ، وباطن وحد ومطلع ولكل مرتبة من هذه المراتب رجال ولكل طائفة قطب وعلى ذلك القطب يدور فلك ذلك الكشف وعلى الرغم من أن هذا الحديث المزعوم لاوجود له في دواوين السنة فان "ابن عربي" يقول عنه «وقد اجمع أصحابنا اهل الكشف على صحته»

ان صحابة رسول الله ﷺ ، لم يحدث ان ادعى أحد منهم مثل هذا الادعاء ، وها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول حينما سئل عن معنى آية في القرآن الكريم : «أي ارض تقلني ، وأي سماء تظلني اذا قلت في القرآن برأي» فكيف يدعي "ابن عربي" انه عرف باطن الآيات الكريمة ..؟ ومن أين جاء بهذا الزعم الغريب الذي يعطيه الحق في أن يفتري على الله ورسوله ، وينسب "فصوص الحكم" الى الله سبحانه وتعالى عن هذه الخزعبلات ..

كل شيخ هو « جبريل » ..!

ان الصوفية لايمكن ان تكون منهجا لتقويم السلوك .. فهي التي أضعفت معنويات اتباعها ، وخربت نفسياتهم ، وأصبح الانسان المسلم الذي يدعوه دينه إلى أن يفكر ويتأمل ، اصبح على يد الصوفية عنصرا سلبيا لا إرادة له .. يسلم قياده لشيخه . حيث يقول الشاذلي «على المريد ان يعتصم بالشيخ ويتمسك به تمسك الأعمى على شاطيء البحر بقائده بحيث يفوض امره اليه بالكلية فلا ينازعه في الأمر ولايخالفه » فهم يعتقدون أن الشيخ واسطة بين العبد وربه .. وانه أمين الالهام ، كما أن جبريل كان امينا للوحي . يقول السَّهْرَوَرْدِي في كتابه عوارف المعارف"

كلام الشيخ بالحق من الحق ، فالشيخ للمريدين أمين الالهام . كما أن جبريل كان أمينا للوحي فكما لايخون جبريل في الوحي لايخون الشيخ في الالهام ، وكما أن رسول الله ﷺ لاينطق عن الهوى فالشيخ لايتكلم عن الهوى

ان مشايخ الصوفية يرددون هذا الافك ليلجأ الناس إليهم مستسلمين ، وتتم لهم السيطرة .. فلا اعتراض ولامناقشة .. حتى لو فعل الشيخ مايراه المريد حراما أو مالا يتفق وآدميته . لان الشيخ اعلم ، واعرف ، وكل هذه الأمور التى يلغى فيها العقل لايقرها الأسلام ، ولايرضاها الله ورسوله لخير امة أخرجت للناس ..

المتصرفون في الكون ..!!

يقول الدباغ أحد قادة الصوفية في كتابه "الابريز" ..

إن الديوان يكون بغار حراء . فيجلس الغوث خارج الغار ، ومكة خلف كتفه الأيمن ، والمدينة أمام ركبته اليسرى ، واربعة أقطاب عن يمينه ، وهم مالكيه ، على مذهب مالك ـ وثلاثة أقطاب عن يساره واحد من كل مذهب من المذاهب الثلاثة ، والوكيل أمامه ويسمى قاضى الديون ، ومع الوكيل يتكلم الغوث والتصرف للاقطاب السبعة على أمر الغوث ، وكل واحد من الأقطاب السبعة تحته عدد مخصوص ينصرفون تحته ، ولغة أهل الديوان السريانية ...!!

الا يعتبر هذا القول ضربا من الخرافات ..؟ إنهم تجاوزوا في إيمانهم بالولاية والأولياء كل حدود العقل والنقل معا .. فالأولياءحق القبض والبسط ، والخفض ، والرفع ، وحق التصرف في العباد . وهذا "ابواليزيد البسطامى" يقول :

« وددت لو أنه قامت القيامة حتى أضرب خيمتى على جهنم . فسأله رجل : ولم ذلك ياأبا يزيد ؟ فقال : إنى أعلم أن جهنم اذا رأتنى تخمد وأكون رحمة للخلق . هل هناك تخريف أكبر من ذلك ..؟ »

واذا قال عقلاء الصوفية أن هذه مدسوسات على شيوخهم .. فكيف وهي عصب طريقتهم ، ووعاء طائفتهم ، وسياج معتقداتهم ..؟ ومن ياترى دس عليهم تقديس الموتى ، وسؤال الأخشاب ، والقبور ، وقضاء الحاجات ، وشفاء المرضى ..؟ ومن الذى ابتكر صناديق النذور التى تبتلع عرق الأجير ، ودريهمات الفقير ، ومواشى الفلاحين لتوزع عقب كل مولد على جماعة من اكلة السحت ألافا مؤلفة .. دون ضرائب أو حجوزات .. ومن الطبيعى أن يقف هؤلاء المنتفعون حراسا ، ومدافعين عن الأموال التى تصب في خزائنهم ..!

أما قصص الصوفية مع الاستعمار ، وتقرب المستعمرين من قادتهم ، وإطلاق شعار "ان الاستعمار بلاء من الله لايجب على الصوفى أن يرده أو يرفضه . لان قضاء الله يجب الرضا به والصبر عليه" وكيف اعتمد الاستعمار الفرنسى ، والانجليزى على فرق الصوفية في غزو بلاد المسلمين فذلك له مجال آخر ..!!



يرجع تاريخ نشأة الصوفية فى مصر إلى عصر السلطان صلاح الدين الأيوبى الذى انشأ للصوفية فى مصر دارا لتنظيم العبادة وتدريس العلم وأطلق عليه اسم (خانقاه) . ولقب شيخ هذه الدار بشيخ الشيوخ ... ومن هنا جاءت تسمية رئيس الصوفية بشيخ المشايخ .

وقد انتقلت مشيخة الصوفية التى ينسب شيوخها إلى ابى بكر الصديق .. واستمرت المشيخة متوارثة فى بيت البكرى إلى سنة ١٩٤٩ م .. ثم اصبح للطرق الصوفية فى مصر منذ القرن التاسع عشر الميلادى مشيخة عامة لصاحبها رئاسة جميع الطرق ويعين شيخ مشايخ الطرق بقرار جمهورى بعد أخذ رأى المجلس الأعلى للطرق الصوفية .

والتصوف الاسلامى نزعة روحية لأنه يتجه اساسا إلى مخاطبة القلوب وتصحيح اعمالها ، فهو تخلق وسلوك . والتخلق يقتضى تصحيح النيات الباعثة على الاعمال بحيث تأتى هذه الأعمال محققة لمعنى الاخلاص ، يقول الله سبحانه وتعالى : « الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله ، فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيما . » ويقول الله تعالى « الا لله الدين الخالص » .

● مجاهدة النفس ●

وقد جعل الصوفية بداية الطريق إلى الله مجاهدة النفس ، وغايته القصوى معرفة الله ، وبين المجاهدة والمعرفة يتنقل الصوفى فيما يعرف عندهم بالمقامات والاحوال . فالمقامات كالتوبة والزهد والصبر والرضا والتوكل والصدق واليقين ومحبة الله ورسوله .

والاحوال ، كالأنس بالله والهيبة منه ، والقبض والبسط والخوف والرجاء والفناء والبقاء . والمقامات والأحوال هى مظهر الترقى الروحى للسالك لطريق الله حتى يصل إلى درجة العرفان بالله فى تجربة دينية ذوقية اساسها المعاناة الحقيقية . ولذلك قال الصوفية (من ذاق عرف) ولعلهم استمدوا كلمة الذوق من حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لان طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبمحمد رسولا ، وبالاسلام دينا .

بقلم د . / أبو الوفا التفتازانى
نائب رئيس جامعة القاهرة وشيخ مشايخ الطرق الصوفية

● دور العقل ●

والصوفية لاينكرون دور العقل .. فالغزالى مثلا يقول : إن العقل هو (نبراس) الله سبحانه وتعالى فى أرضه . فالتكيف الشرعى كله يبنى على العقل . واستنباط الأحكام عن أدلتها يعتمد على العقل ، بل فهم الخطاب الشرعى يستند إلى العقل اساسا . ولكن إذا انتقلنا إلى أعمال القلوب من التوكل على الله والرضا عنه فيما يورده علينا ومحبته ومحبة رسوله والأنس بالله والهيبة منه والخوف منه والرجاء فيه وغير ذلك من الأحوال .

فمحل ذلك كله القلب أو الشعور والوجدان فلا بد من التآزر بين العقل والقلب فى التدين والاقبال على الله . ولهذا فإن تجربة التصوف تقوم على أساس الذوق . ومن هنا فإن التصوف اساسا نزعة روحية .

○ التصوف والفلسفة ○

وهناك نوع من الفلسفة تنزع نزعا صوفيا لايتعلق بالتصوف الاسلامى الذى ارتبط بالاسلام او بالوحى أساسا . فنحن حين نتحدث عن التصوف الاسلامى فإنما نتحدث عن منهج للتربية يهدف إلى الترقى بالنفس الانسانية أخلاقيا ليصل بالانسان إلى التكامل الخلقى والعرفان بالله على ضوء ماورد فى الكتاب والسنة ، واقتداء بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

والتصوف الاسلامى بهذا جانب من جوانب الاسلام يتعلق أساسا بالتخلق وعلاج امراض النفس وضبط السلوك ، وإلى هذا يشير « ابن القيم » فى مدارج السالكين يقول : « واجتمعت كلمة الناطقين فى هذا العلم على أن التصوف هو الخلق . وقال أحد أوائل الصوفية « التصوف الدخول فى كل خلق سنى والخروج عن كل خلق دنى » .

وجذور التصوف الاسلامية إسلامية ، وأن هذه الجذور الأولى هى القرآن الكريم والسنة النبوية واقوال وأحوال الصحابة رضى الله عنهم ... وقد كان بعض المستشرقين الذين درسوا التصوف الاسلامى خلال القرن التاسع عشر الميلادى ، واوائل القرن العشرين يتجهون إلى رد التصوف إلى مصدر أجنبى هندى أو فارسى أو مسيحى أو يونانى لوجود بعض أوجه التشابه العامة من حيث التجربة النفسية بين التصوف الاسلامى والتصوف فى هذه الديانات والحضارات ، وعدل الباحثون الآن حتى فى أوروبا عن نظريات المصادر الأجنبية للتصوف .

ولانقف فى دراسة المذاهب الصوفية على أى أثر لفلسفة الهنود . ولم يذكر الصوفية فى كتبهم ووسائلهم التى ألفوها شيئا عن تصوف الهنود .

وإذا كان التصوف الاسلامى يقوم على مجاهدة النفس والترقى فيما يعرف بالمقامات والأحوال كما بينا وينتهى إلى العرفان بالله ، فإن كل معنى من هذه المعانى يستند صراحة إلى آيات من ◀



حقائق عن الصوفية

القرآن وأحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن هنا فإننا إذا رجعنا إلى الرسالة القشيريه التي ألفها الامام عبد الكريم بن هوازن القشيري أحد الصوفيه في القرن الخامس الهجري لوجدناه يربط كل باب من أبواب رسالته في التصوف بالآيات أو الأحاديث التي يستند إليها الباب . وكذلك يفعل الطوسي في كتابه « اللمع » والمكي في « قوت القلوب » . والغزالي في « الاحياء » وهذه هي أمهات الكتب التي ألفت في التصوف منذ نشأته على الأخلاق الدينية وإلى القرن السادس الهجري . ولاأثر في هذه الكتب لفلسفة الهنود أو غيرهم . وإنما هي تمثل الفلسفة الخلقية في الاسلام مستندة أساسا إلى الكتاب والسنه وأقوال الصحابه وأحوالهم الروحية .

● وحدة الوجود والفناء ●

وقد اختلف في شأن متفلسفي الصوفية اختلافا بينا في عصرهم والعصور التي تلتهم من حيث الحكم على عقائدهم . ولكن الواقع أن كلامهم يحتمل تأويلات كثيرة . وكثير من علماء الاسلام وصوفيته قديما وحديثا التمسوا لكلامهم تأويلات حسنة . ولكي نفهم هذا لابد من الاشارة إلى مايسميه الصوفية حال الفناء وهو حال يفنى فيه الصوفي مؤقتا عن شعوره بنفسه لأنه مستغرق في تجربته الدينية ، ويستشعر فيها أنه مع الله - وعندئذ يغيب عن شهود . سوى الله ويعود الصوفي من حال الفناء إلى مايسمى بحال البقاء فيستشعر وجوده مرة أخرى ووجود العالم ومن ثم فلا قول بوحدة وجود حقيقية وهى أن وجود العالم هو وجود الله .

واستشعار الصوفي أنه مع الله وغيبته عما سواه في بعض الأوقات هو حال كمال وعرفان وذوق مستمد إلى مثل قوله سبحانه وتعالى « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » ... وقوله سبحانه وتعالى « قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون » وقوله سبحانه وتعالى « وهو معكم أينما كنتم » .

● شطحات بعض الصوفية ●

أما الخطأ الذي وقع فيه بعض الصوفية كالبسطامي والحلاج . فهو خطأ في التعبير عن حال الفناء ، ولم تسعفهم اللغة العادية في التعبير عن مشهد الفناء فنطقوا بعبارات مثل الاتحاد مع الله ، أو حلول الذات الالهية في الذات البشرية .

وهم في الواقع لايقصدون الاتحاد او الحلول لأن هذا محال نقلا وعقلا ومانسب إليهم من شطحات أو عبارات .. فهي عبارات ظهرت منهم في حال الغيبة والغيبة لايقام عليها حكم شرعي ولو كان نطقهم بها في حال حضور فإنهم يصبحون مسئولين تماما عما ينطقون به . ومن هنا هاجمهم فقهاء الاسلام بل وبعض صوفيته لانهم على أي الأحوال ليسوا من أصحاب الرسوخ والتمكين وقد قال الصوفية « صاحب الحال لايقتدى به » .

ولهذا فإن أحوال التصوف بما فيها حال الفناء هو الكتاب والسنة والالتزام بأن الرب هو الرب والعبد عبد وعدم إساءة التعبير والخضوع للأحوال خضوعا مطلقا . وقد قال الشاذلى لتلميذه : إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فارم به (أى بالكشف) وقل إن الله قد ضمن لى العصمة فى جانب الكتاب والسنة ولم يضمنها فى جانب الكشف .

لهذا ليس هناك محاذير من الاخذ بفلسفة التصوف إذا مافهمت الفهم الايجابى السليم وكانت ملتزمة بكتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلام ـ

● جهاد الصوفية ●

والتصوف يرتبط بجهاد النفس وجهاد الاعداء وكلا الأمرين مشار إليه فى قوله سبحانه وتعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

وكانت للصوفية مواقف كثيرة إيجابية فى مواجهة أى خطر يهدد المسلمين من أعدائهم .

ولم يغفل الصوفية عن جهاد الاعداء لانه فرض كفاية وفرض عين إذا دخل الاعداء ارض المسلمين . ولو درسنا تاريخ التصوف لوجدنا ان الصوفية لم يتخلفوا عن الخروج للجهاد . وساضرب لذلك بعض الأمثلة . فإن « أبا الحسن الشاذلى » .

كان يخرج مع المجاهدين ايام الحروب الصليبية واجتمع مع « المعز بن عبد السلام » فى حتيمة فى ميدان المعركة ليعرف المسلمين بأحكام الجهاد ويحثهم عليه . وفى تاريخ « ابن اياس » إشارات كثيرة إلى ان شيوخ الطرق واتباعهم كالقادرية والرفاعية والاحمدية كانوا يخرجون مع سلاطين المماليك للجهاد . ونجد فى العصر الحديث الأمير عبد القادر الجزائرى وهو من كبار صوفية المغرب يقوم بجهاد المستعمرين . وكذلك فإن الطريقة السنوسية وهى إحدى الطرق





حقائق عن الصوفية

الصوفية قامت بدور عظيم فى جهاد المستعمرين لليبيا . وكانت الزوايا التى انشاتها بمثابة مدارس ودور ضيافة ومخازن للسلاح واماكن للمجاهدين ونجد كذلك في العصر الحديث الحركة المسلحة التى قادها الشيخ شامل احد شيوخ النقشبندية ضد روسيا القيصرية فى القرن التاسع عشر ، وأخيرا نذكر مجاهدى أفغانستان حاليا ومنهم نسبة عظيمة تنتمى إلى الطرق الصوفية .

ولاننسى فضل الطرق الصوفية فى نشر الاسلام فى افريقيا فاليها يرجع الفضل فى نشره بين الوثنيين . وقد قامت الختمية فى نشر الاسلام فى شرق السودان والرشيدية بنشره فى الصومال ، والقادرية والتيجانية بنشره فى المغرب الافريقى وجنوب الحزام الأفريقى كما قام الصوفية بدور كبير فى نشر الاسلام فى اسيا والأمريكتين .

● خطة المجلس الصوفى ●

ولقد تقدمت للمجلس الأعلى للطرق الصوفية بخطة عمل مفصله لدورته الجديدة ومدتها ثلاث سنوات أهمها العمل على تشجيع التاليف العلمى فى مجال علوم الشريعة والتصوف وإعداد دائرة معارف تتناول التصوف وتاريخه وطرقه ومذاهبه واستئناف برامج التدريب للمشتغلين بالدعوة فى حقل التصوف .. كذلك العمل على أن تمارس الطرق الصوفية دورها فى ميدان الخدمة العامة والرعاية الاجتماعية كإنشاء دور العلاج ورعاية المسنين ... وتنظيم موسم ثقافى سنوى يدعى إليه كبار المشتغلين بالدعوة الاسلامية وغيرهم من المفكرين وإنشاء معهد الدراسات الاسلامية الصوفية للنهوض بالدراسات الاسلامية وإنشاء هذا المعهد سيجعل من الطرق الصوفية هيئة علمية ، وسيقوم المعهد بنشر عديد من الرسائل الجامعية في ميدان التصوف .. وستنشأ له مكتبة للدراسين ولتصوير المخطوطات ومجلة علمية سنوية وإنشاء دور للتاهيل المهني وأندية دينية للأطفال ومحو الأمية عن طريق مايسمى المرحلة الشعبية فى معاهد الدراسات الصوفية .

وفى النهاية أحب أن أضيف أن كل إنسان قادر على اداء مافرضه الله عليه واجتناب ما حرم عليه ، فهو صوفى والمهم هو أن يكون قادرا على ذلك . اما إذا كان محتاجا إلى من يرشده فليتخذ له قدوة من شيوخ التصوف أو غيرهم فليس الأمر مقصورا على الطرق الصوفية فى الدعوة إلى الله . والمهم أن يختار الشيخ المرشد القادر على الاكمال والتهذيب الخلقى ، فالتصوف ليس مغايرا للاسلام .. وإنما هو منهج الاسلام فى التربية والتخلق . ولكن ليس شرطا صحبة شيخ معين فقد قال الامام الشاذلى لتلاميذه .

• أصحبونى .. ولا امنعكم أن تصحبوا غيرى .. فإن وجدتم منهلا أعذب من هذا تزودوا ..



بقلم : توفيق حنا

فرقة الخوازى للرقص والموسيقى ، التى تحيى الافراح وأعياد الميلاد فى القاهره كما رسمها ديفيد روبرتس .



من كتاب وصف مصر

الموسيقى والغناء

● كان نابليون فى التاسعة والعشرين عندما فكر فى غزو مصر التى قرا عنها كثيرا أثناء وجوده فى ايطاليا .. ولا تزال الكتب التى قراها تحمل هوامش وتعليقات سجلها نابليون ، كان نابليون يحلم بانشاء امبراطورية فرنسية فى الشرق ـ مثل الاسكندرية ـ تكون عاصمتها القاهرة .. ولهذا اطلق على الباخرة التى اقلته الى مصر كلمة ((الشرق)) (لوريان) .. وقد ضم نابليون الى حملته العسكرية بعثة من العلماء والفنانين تجاوز عددهم مائة وخمسين ((١٥٠)) عالما وفنانا ..

وكان فييوتو ـ الموسيقولوجى ـ ضمن افراد هذه البعثة .. التى جاءت الى مصر عام ١٧٩٨ .... ●



يجوب هذا الموكب شوارع القاهرة إحتفالا بأحد الحجاج

ولكن الحملة العسكرية انهزمت .. وتحطم حلم نابليون .. وانتهت هذه المغامرة العسكرية عام ١٨٠١ .. بانتصار المصريين الاحرار على القائد الفرنسى الذى اراد أن يقلد الاسكندر فشل وعاد الى فرنسا منكسرا مهزوما .

أما البعثة العلمية فقد انتصرت ـ بالعلم والفن ـ هذا الانتصار المجيد والفريد بتسجيل كل ما يتعلق بحضارة مصر منذ بداية مصر القديمة أيام الفراعنة حتى نهاية القرن الثامن عشر فى هذا الكتاب الضخم « وصف مصر » والذى جاء فى ستة وعشرين (٢٦) مجلدا مكتوبا ، وفى أحد عشر «١١» مجلدا مصورا .. وهذا فى الطبعة الثانية وهى طبعة بانكوك ..

سجل العالم الفنان فييوتو ما يقرب من الف صفحة (١٠٠٠) عن الموسيقى والغناء والالات الموسيقية فى هذه الموسوعة المصرية . فى الجزء السادس تحدث عن الموسيقى المصرية القديمة .. وفى الجزء الثالث عشر (١٣) تحدث

فييوتو عن الالات الموسيقية (من ٢٢١ الى ٥٢٥) .

وفى الجزء الرابع عشر (١٤) تحدث فييوتو عن فنون الموسيقى والغناء وتطبيقاتها ، وسجل عشرات النصوص من الاغانى الشعبية والتراتيل الدينية التى كانت تتردد فى المناسبات القومية والدينية .. ودفعه حبه وحماسه الى الاندماج فى حياة الشعب المصرى وبخاصة الاحياء الشعبية بكل عاداتها وتقاليدها وتراثها الشعبى .. وبهرته تلك الحفلات الشعبية وتلك المواكب الدينية ..وعاش هذا الفنان مع الالاتية (المغنين الشعبيين) ووصف الالات الموسيقية التى كانت تصاحب التراتيل الدينية والاغانى الشعبية..وتشارك فى الطرق الصوفيه وفى الموالد الشعبية، كما



الغازيه التى ترقص وتقرع بذاتها

اشترك فى الاحتفالات القومية فى عيد وفاء النيل وفى يوم شم النسيم .. وغيرهما .. من المناسبات القومية والدينية . وسجل فييوتو ما جمعه من الاغانى باللغة العربية - أى النص الاصلى - وبجانب هذا النص كتبه فييوتو بالحروف اللاتينية ، ثم ترجم النص الى اللغة الفرنسية وأخيرا سجل النوتة الموسيقية .. وهذا يؤكد لنا مدى أمانة ودقة هذا العالم الموسيقى ومدى حبه وحماسه للتراث الموسيقى والغنائى فى مصر القرن الثامن عشر .. ومدى هذا الجهد الذى بذله فى سنوات الحملة الفرنسية الثلاث من ١٧٩٨ الى ١٨٠١ (فى اكثر من خمسمائة ٥٠٠ صفحة) .

وفى الجزء الثامن عشر (١٨) حدثنا فييوتو عن القاهرة التى رآها وعاش فيها .. قاهرة عام ١٨٠٠ .

لم يكن عدد سكان مصر يتجاوز ثلاثة ملايين نسمة (٣٫٠٠٠٫٠٠٠) ولم يزد تعداد القاهرة عن ثلاثة الاف نسمة (٣٫٠٠٠) وكانت حدود القاهرة شمالا

تمتد من الحسينية الى باب الحديد وكانت حدودها جنوبا

تمتد من القلعة الى عرب اليسار الى السيدة عائشة الى جامع السيدة نفيسة الى طولون الى باب السيدة زينب وتمتد حدودها شرقا من القلعة الى باب الوزير الى باب القريب الى الحسينية وتمتد حدودها غربا من باب الحديد الى الازبكية الى باب اللوق الى الشيخ ريحان الى الناصرية الى السيدة زينب .

وكانت القاهرة - ايام زمان - تبعد اكثر من الف متر عن شاطىء النيل .. كانت بولاق مرفاها شمالا

من كتاب وصف مصر
الموسيقى والغناء



صورة من الحياة ، ويظهر الأم واولادها .

العالمة كما رسمها لين



احد صور الحياة فى قاهرة القرن التاسع عشر . صالون الحلاقة رسمها باسكال كوست

وكانت مصر القديمة مرفأها جنوبيا وكانت القاهرة – زمان – مدينة صغيرة تعيش داخل أبوابها المغلقة .. فى عالمها المحدود .

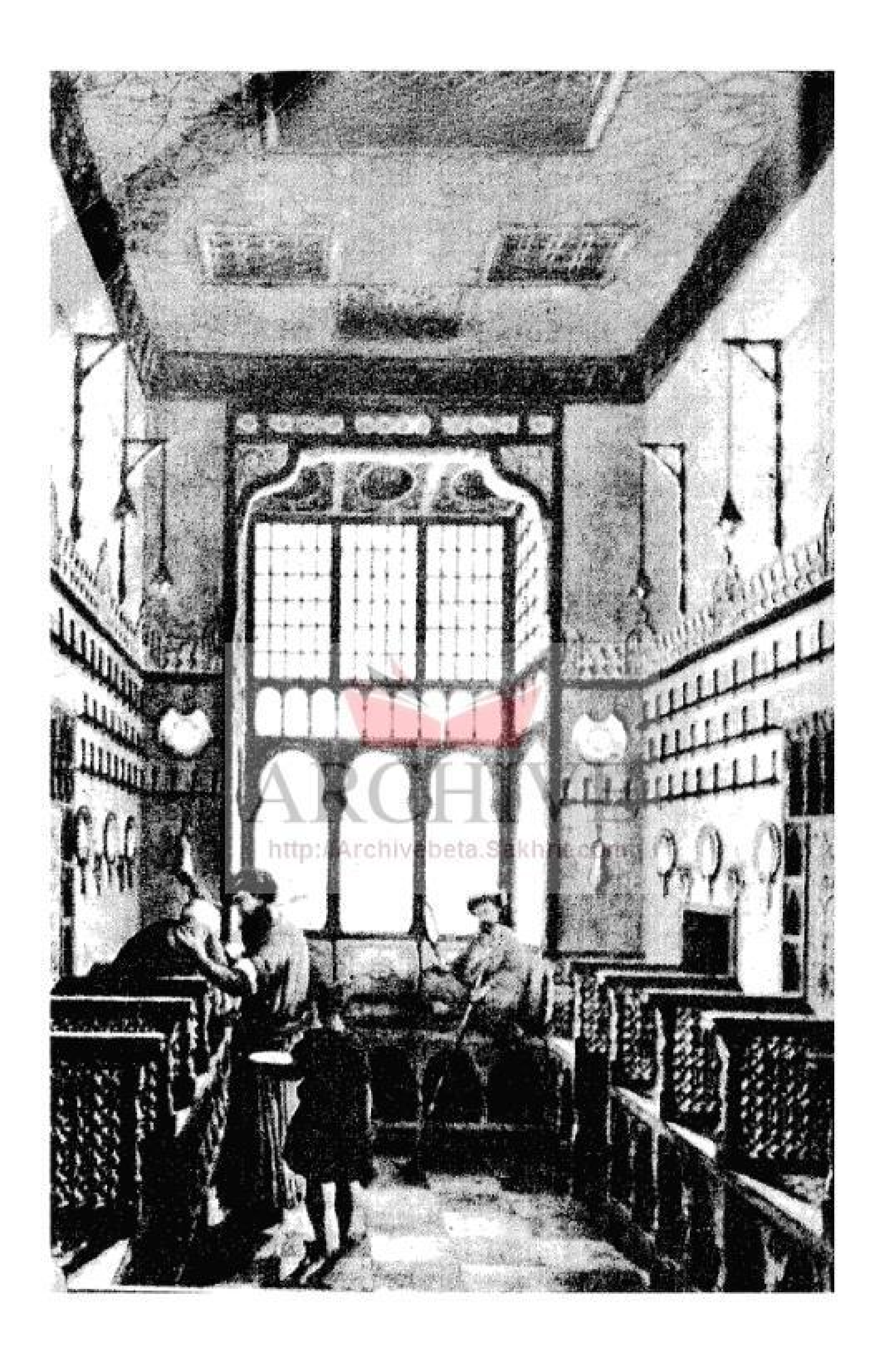
وكانت الافكار الطبيعية والاحاسيس القومية تعلن ميلادها ويقظتها – بعد سبات طويل – عن طريق هذه البورجوازية التجارية التى بدت ملامحها تتضح فكريا واقتصاديا وسياسيا فى رجال الازهر والتجار المصريين الذين كانوا طلائع ورواد هذه المرحلة من تاريخ مصر الحديث .

حسن العطار يصف القاهرة :

فى يوميات المؤرخ المصرى الجبرتى نقرأ وصف حسن العطار لمدينة القاهرة

« .. كانت الازبكية سكن الامراء وموطن الرؤساء ، ولقد أحدقت بها البساتين الوافرة الظلال المنقطعة المثال ، فترى الخضرة من خلال تلك القصور المبيضة ، وكأنه سندس أخضر على أثواب من الفضة . يوقد بها كثير من السرج والشموع ، فالانس بها غير مقطوع ولا ممنوع ، وجمالها يدخل على القلب السرور ويذهل العقول .. »

وكانت هذه القاهرة القديمة تضم ثمانية أحياء ، داخلها الحوارى والازقة ، والمنعطفات (وكنا الى عهد قريب فى طفولتنا نطلق على الكركون وقسم البوليس كلمة ثمن أى ١/٨ نسبة الى هذا التقسيم)



من كتاب وصف مصر
الموسيقى والغناء

تحدث فيوتو عن الاحياء الشعبية وسجل احاسيسه وانطباعاته عن الشعب المصرى عن طريق الموسيقى والاغاني والتراتيل الدينية .. وكان هذا العالم النافذ البصيرة يرى أن الموسيقى والاغانى أقرب السبل واصدقها الى معرفة ملامح الشعب وسماته وقسماته الحضارية والثقافية والانسانية .. وكأنه يؤكد لنا ما سبق أن قرره الرائد وعالم الاجتماع ابن خلدون منذ قرون ان النكتة والاغنية والايقاع الموسيقى خير طريق الى معرفة الشعب .. وكل شعب .

ترى متى يتعاون الموسيقيون

الناي باشكاله المتعددة
كما سجلها كتاب وصف مصر



راقصة فى احد ازقة القاهرة

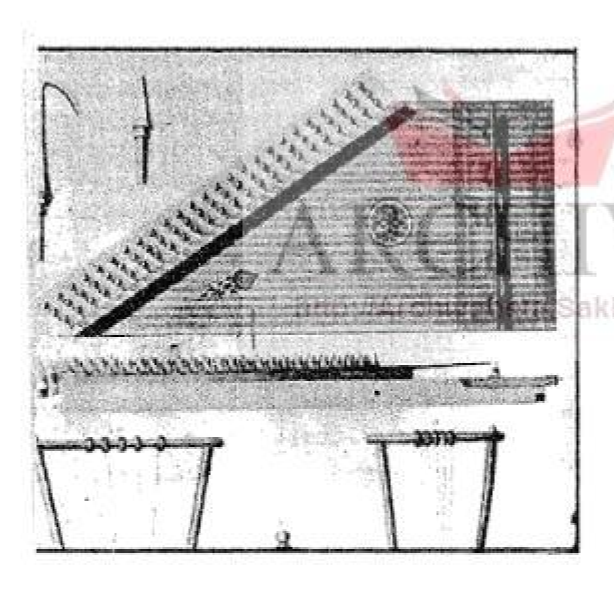
المصريون فى تقديم هذه الدراسة التى قام بها فيبوتو .. والتعليق عليها .. حتى يمكن أن يستفيد بها الباحثون الفولكلوريون وطلاب وعلماء الموسيقى فى بلادنا .. متى ؟

والتفت حولى وأنا أتجول فى شوارع القاهرة ١٩٨٥ .. ويدفعنى الحنين الى هذا السؤال الذى يبقى بلا جواب : أين قاهرة الامس

وأين الازبكية

وأين قاهرة الجبرتى وحسن العطار والتى عاش فيهافيبوتو وغيره من علماء وفنانى الحملة الفرنسية ، الذين كانوا يعيشون ويكتبون ويرسمون فى بيت السنارى فى حارة مونج أستاذ نابليون والذى أشرف على اخراج « وصف مصر » التى تتفرع من ميدان السيدة زينب .. واتذكر بيت للشاعر الفرنسى فرانسوا فييون :

لكن أين ثلوج أيام زمان ؟



الأشكال المختلفة لآلة القانون

العود بأشكاله المختلفة



محلات آى بى . سنتر

تقدم فرصتين للمستهلكين والمستثمرين طبقاً للشريعة الإسلامية

"بسم الله الرحمن الرحيم" .. يقول الحق تبارك وتعالى فى كتابه العزيز "احل الله البيع وحرم الربا" ويقول الرسول الكريم "تسعة اعشار الرزق فى التجارة .. والمجتمع الاسلامى وهو ينهض لياخذ زمام اموره فى يده يحتاج أول ما يحتاج فى زماننا هذا أن يكون زمام اقتصاده فى يد ابنائه .. وأن يجعل تجارته حلالا ، والمال المتداول فى يد ابنائه حلالا ، فالحديث الشريف يقول "كل جسم نبت من حرام فالنار أولى به" .. ومن هنا كانت المشروعات الاسلامية التى بدأت خطاها وباركها الله بارقة أمل تبزغ فى زماننا لتقول ان الله سيأخذ بيدنا الى ما يحبه ويرضاه .

ولعل حديثنا هذا اليوم عن المؤسسات الاسلامية التى دخلت الى ميدان الاقتصاد لتحرر الاموال من الربا ، وتتعامل بالربح الحلال لتعطى مثالا واضحا على ان الله جلت قدرته مبارك فى هذه المسيرة الاسلامية حتى يتم نوره .

وكانت جولتنا داخل محلات اى سى . سنتر شيئا مبهجا للروح ومطمئنا للنفس فداخل بناية كبيرة على مساحة ٣٠٠ متر مربع بوسط المدينة .. كانت دهشتنا لهذه الروح التى تسود العاملين .. وهذا العرض الرائع داخل اقسام محلات أى سى . سنتر العشرة التى تحتوى على كل الاحتياجات الحديثة للرياضيين والدراجات ولعب الأطفال والهدايا ومجموعات كوزموس والأجهزة الكهربائية والادوات المنزلية والمكتبية وادوات الشاطىء والتحف والمصنوعات الجلدية وقسم حافظات الحرارة والرحلات .. كما يحوى اكبر تشكيلة من حقائب السيدات والاكسسوار ومستحضرات التجميل من

خلال قسم خاص للسيدات منعزل تماما عن باقى الاقسام .

واذا كان العرض الرائع داخل الاقسام العشرة قد بهرنا ، فإن الذى شدنا اكثر .. كان هذا النمو الذى باركه الله فإثمر واينع ، وذلك بعد أن عرفنا أن هذه المحلات تقوم على المشاركة الاسلامية التى تعطى فرصة للمستثمرين العرب والمصريين من خلال مشاركتهم بنظام شركة المحاصة سواء فى هذا الصرح الضخم أو فى اشقائه الحاليين او تحت الانشاء فى القاهرة أو الاسكندرية وطنطا او دمياط والحصول على عقد مشاركة يضمن لك اصل المبلغ ..كما يمكن للمستثمر ان يصرف عائدا شهريا فى حدود ٢ ٪ من حساب الارباح السنوية التى نتوقع لها ان تزيد على ذلك طبقا لمبادىء الشريعة الاسلامية الغراء .

كما يمكن للمستثمر أن يسترد قيمة المبلغ الذى شارك به او جزءا منه متى اراد ذلك .

اما أوجه الاستثمار التى تستثمر فيها الاموال فهى كثيرة ومتنوعة .. فى مجالات التجارة والصناعة والتوريدات والمقاولات العمومية .. وبذلك تسهم أموال المسلمين فى دعم الاقتصاد القومى للمسلمين وتعود عليهم بالربح الحلال حسب النظم المالية الاسلامية .. وبذلك ينقى المال ويصبح حلالا ، ويبارك الله فيه وينميه .. وحتى لايتحول المال عن وظيفته ويصبح مكنوزا مزدولا

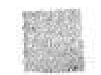
وهذا الصرح العظيم الذى يحوى كل احتياجات الاسرة من ادوات منزلية واجهزة كهربية وحافظات للحرارة والاكسسوار ولعب الاطفال وادوات الزينة والبرفانات والحقائب الجلدية والهدايا يديره ويشرف عليه مجموعة من الخبراء المتخصصين الذين يديرون المال على النظام الاسلامى الحنيف الذى لايدخل فيه الربا او شبهة من شبهات الكسب الحرام "يمحق الله الربا"

واننا ندعو كل اسرة مؤمنة أن تتوجه الى محلات أى . سى سنتر بشارع الشواربى رقم ٥ لشراء كل مستلزماتها حيث البضاعة الجيدة .. والربح البسيط الحلال وحسن المعاملة

وهذه المؤسسات أصبحت بفضل الجهود المثمرة فى حقل التجارة والمال درعا من دروع الاسلام يحمى المال الاسلامى من الحرام ويقدم دليلا واضحا على أن نظام المال الاسلامى .. فيه النماء وفيه خلاص العالم من جشع المرابين الذين افسدوا الرزق الحلال .

اما انت عزيزى القارىء اذا كنت فى حاجة الى المزيد من التفاصيل عن هذا الصرح الاسلامى الشامخ فيمكنك الاتصال باحد المندوبين فى [١٩٥ شارع ٢٦ يوليو البالور عمارة المحاربين القدماء مكتب ٢٠١ القاهرة]
٣٣٢ طريق الحرية - مكتب رقم ٧ الاسكندرية
٨ شارع توت عنخ امون المتفرع من شارع البحر - طنطا

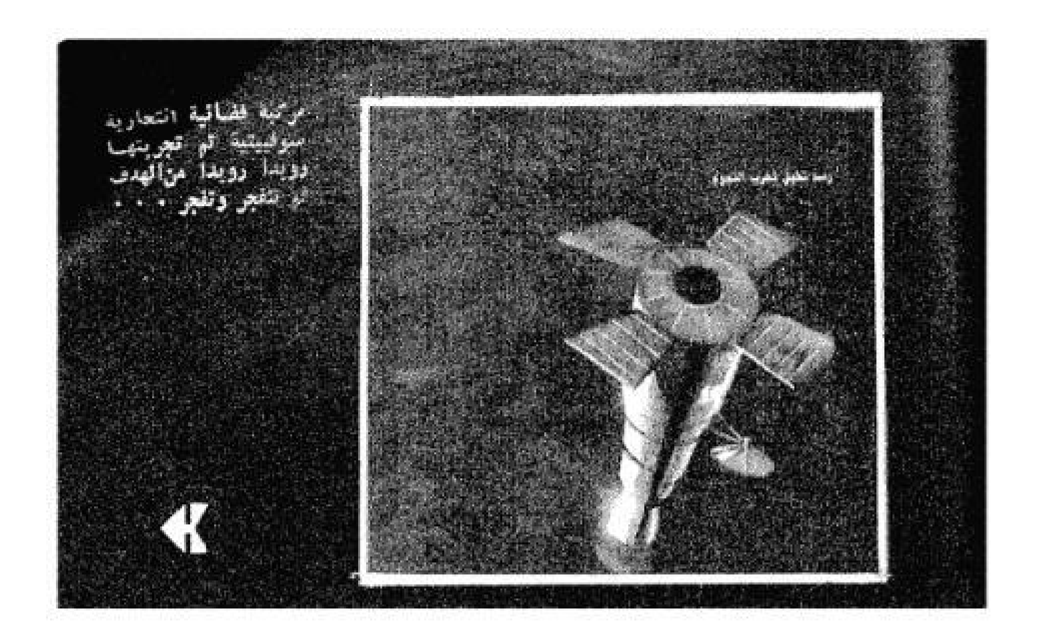




تعتمد استراتيجية الرئيس ريجان للدفاع ، التى شاع الحديث عنها تحت اسم « حرب النجوم » ، على حلم افراغ السلاح النووى من قيمته . وانطلاقا من ذلك يرى مروجوها امكانية احلال سلام حقيقى ، محل التوازن الحالى ، القائم على خوف كل طرف من الدمار النووى الذى يمكن ان يلحقه بالطرف الآخر ، حتى اذا كان الاخير يرد على ضربة نووية وجهت اليه بالفعل .

لكن هذه الاستراتيجية مازالت فى طور الفانتازيا .. وربما كشفت فى مرحلة لاحقة عن مجرد حلم يوتوبى وربما اقتصر اثرها فى نهاية المطاف على جولة جديدة فى سباق التسلح . لكن المؤكد انها ستسفر مع ذلك عن ثورة تقنية تدير الرأس بالفعل .

ونحن نعيش فى عالم حولته امكانات الحرب والاعلام الى قرية . صغيرة ، يمس قرار من مثل « حرب النجوم » مصير كل فرد فيها . ومن هنا ضرورة المام الانسان العربى بالصورة بعيدا عن وهم « الفرجة » ، فهو شريك فيما يحدث رضى ام ابى . . وربما كان التساؤل الطبيعى من هذا المنطلق: ماهو ياترى نصيب العرب من حرب الفضاء ؟

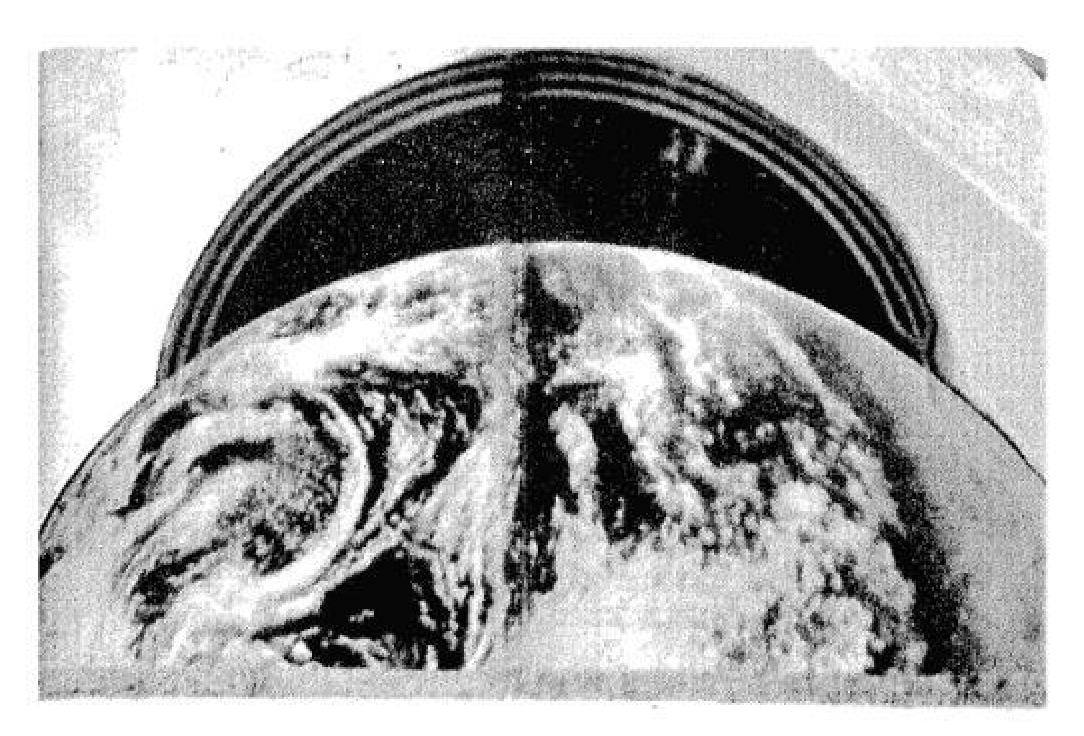


يمكن الرجوع بالبـــدايات الاولى لحرب الفضاء الى انتاج فنانى الخيال العلمى ، بدءا من جول فيرن وويلـز وانتهاء بأفلام حروب النجوم ..

لكن استخدام الفضاء عسكريا بدأ فعلا مع ظهور الصواريخ العـــابرة للقارات ، التى تنطلق رأســـيا حتى تخترق الغلاف الجوى للارض ، وتتحرك فى الفضاء عبر القارات،قبل ان تنحدر مرة ثانية صوب هدفها المنشود فـــوق سطح الارض .

وقد برزت امكانيات النشاط الحربى فى الفضاء بصورة مجسمة مع اطـلاق الاقمار الصناعية الاولى ، أى الاجسام التى يطلقها الانسان لتدور حـــــول الارض ، دون اعتـــراف بالحـــدود الاقليمية .. ومع اكتشاف ظهور صورة الارض ــ ناهيك عن سماع «أصواتها» ــ وربما على نحو افضل كلما ابتعـــدنا عنها . هكذا انفتح الباب واســـــعا لتصوير أى مكان والتصنت عليـــه ، بلا عقبات أو محاذير . ومن هذا المنطلق أخذ نصيب الحرب من أنشطة الفضـــاء فى التزايد باستمرار ، حتى بـــات الخبراء يؤكد ان ٧٥٪ من الاقمـــار الصناعية التى تدور حول الارض اليوم تستخدم ، بشكل أو بآخر ، فى تحقيـــق أهداف عسكرية .. من اتصـــالات الى تجسس أو استطلاع أو حتى دراســات تخدم فى تدقيق مسارات الاســـلحة صوب أهدافها .

وكان طبيعيا مع تصاعد دور الاقمار الصناعية العســـكرى التفكير فى كيفيـــة مواجهتها والتعامل معها عند الضرورة لتعمية « العدو » وشل حركة اتصالاته: جهازه العصبى ، وعيـــونه ، وآذانه . وهنا حلت مرحلة جديدة فى دور الفضاء العسكرى ، بعد أن صار ممكنا حـــدوث اشتباكات فيه . ومن هذا المنطلـــــق ظهرت الى حيز الوجود فى سبتمبر ٨٢ القيادة الامريكية للعمل العســــكرى فى الفضاء (على غرار قيادات البــــ



عندما اصبح الواقع اكثر غرابة من خيال صناع افلام الخيال العلمي ..

والبحر والجو) كما شرعت الولايات المتحدة في تشكيل ما يسمى بالجيش الفضائي الرابع . وسرعان ما طرح الرئيس ريجان في مارس ١٩٨٣ ما اطلق عليه « مبادرة الدفاع الاستراتيجي » التي تجري في اطارها دراسات حول اسلحة الفضاء ، تتكلف ٢٦ مليار دولار خلال خمس سنوات .

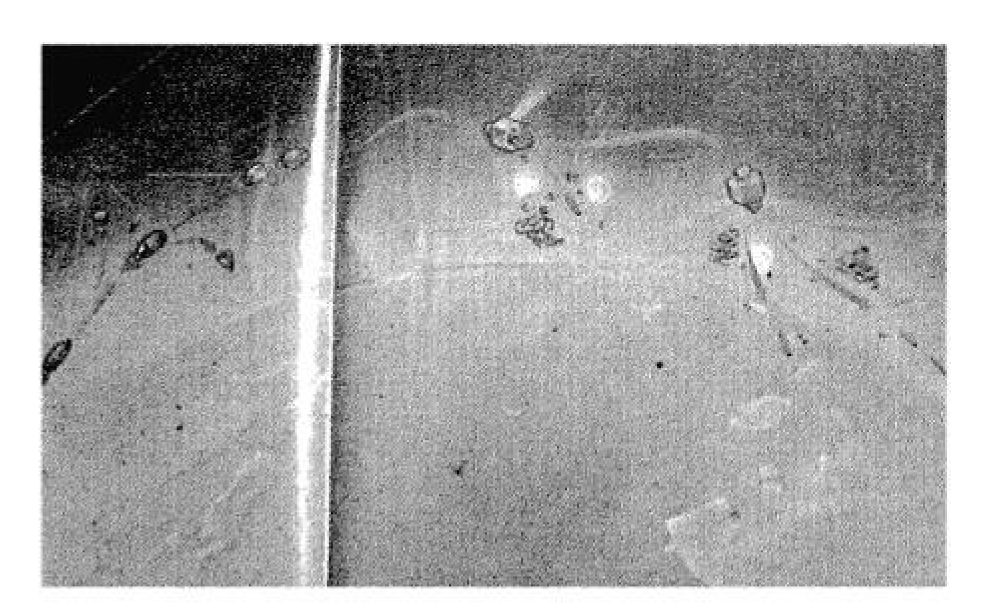
تدمير الخصم قبل أن يتنبه للدفاع

ان ضمانات سلام كوكبنا ترتبط حتى هذه اللحظة بامتلاك كل من طرفي الصراع المقومات التي تمكنه ، حتى بعد التعرض لضربة نووية أولى ، من توجيه ضربة مضادة مدمرة للطرف الاخر .

وانطلاقا من « استراتيجية الدمار الملحق المتبادل » فانه لم يعد ممكنا أن يبدأ عاقل من أي جانب بتوجيه الضربة الاولى .

وعلى طريق هذه الاستراتيجية جاءت معاهدة « سالت - ١ » السوفيتو أمريكية عام ١٩٧٢ ، وهي تحد من عدد الاسلحة والانظمة المضادة للصواريخ ، انطلاقا من أن كل زيادة في هذه الاسلحة لدى أي من الطرفين لابد وأن تدفع الطرف الاخر - انطلاقا من الاستراتيجية المعتمدة - الى تكثيف قدراته أي عدد صواريخه ورءوسه النوويه ، بدرجة يضمن معها اختراق الدفاعات المضادة وتدمير خصمه .

وترمي مبادرة ريجان للدفاع الاستراتيجي الى تزويد الولايات



يستغرق الوقت من انطلاق الصاروخ الى سقوطه
في الهدف ثلاثين دقيقة مهما ابتعدت المسافات

المتحدة بمظلة من أقمار الاستكشاف ، تحميها من أخطار الضربات المفاجئة للصواريخ العابرة للقارات ، عن طريق تشغيل اسلحة شعاعية موجودة على منصات فضائية ، يحلق شق منها فوق الاتحاد السوفيتي، ويكون جاهزا لتدمير الصواريخ فور تلقيه اشارات تفيد اطلاقها ، وان لم يتأت ذلك فور مغادرتها الغلاف الجوى الى الفضاء .

ويرى أصحاب المبادرة أن هذه المهمة ، التي يجب ان تتم خلال دقائق تعد على أصابع اليدين ، ممكنة التنفيذ باستخدام الاسلحة الشعاعية التي تفوق سرعتها سرعة الصواريخ بحوالى أربعين ضعفا ، اذا اتيح لها العمل مع الاجيال الجديدة من الحاسبات الالكترونية ، القادرة على القيام بعشرات الملايين من العمليات الحسابية في الثانية الواحدة ، بالذات وهم يضعون نصب أعينهم هدفا لا يطمح الى تدمير الصواريخ كلها وانما يكتفي بـ ٨٠٪ منها .

ووفق أقوال ريجان فان الاستراتيجية الدفاعية الجديدة ستجهض، على النحو السابق كل قيمة للسلاح النووي ، وبالتالى ستعفى العالم من موازنة « الدمار المحقق المتبادل » الحالية وتفسح المجال امام استراتيجية « البقاء المضمون » ، كما انها ستوفر فى الوقت نفسه تكاليف التطور المستمر للأسلحة النووية .

وعلى الطرف الاخر يرى الاتحاد السوفيتي أن الهدف من « مبادرة ريجان الدفاعية » هدف هجومى في

الاساس . فهى تقوم على مبدأ تأمين قدرة الولايات المتحدة على شن هجوم نووى على الاتحاد السوفييتى ، مع حماية الاراضى الامريكية من ضربة مضادة ، الامر الذى يخلق وهما خطرا بامكانية اشعال الحرب والانتصار فيها ثم اخمادها ، مما يعنى دفع البشرية الى الانتحار ، لان مروجى هذه الاستراتيجية يغفلون أن الاتحاد السوفييتى سيجد نفسه مضطرا لاتخاذ الاجراءات الكفيلة بتأمين مصالحه . هذا كما يذهب السوفييت الى أن وصف الجهود الامريكية الحالية على أنها مجرد بحث علمى يمكن ان يقف عنده الامر برمته محض خداع . ذلك انه يتعذر انفاق ٢٦ مليار دولار دون خرق معاهدة الحد من منظومات الدفاع المضاد للصواريخ ، سالت ـ ١ ، . ولان الابحاث سرعان ما ستجعل الامور تتحرك بقوة الاندفاع الذاتى .

والولايات المتحدة لا تغفل ذلك بالطبع فقد صرح كاسبر واينبرجر فى سبتمبر الماضى بأن الولايات المتحدة قد تلغى او تطلب اعادة النظر فى تلك المعاهدة ، التى أصبحت حجر عثرة فى سبيل تطوير نظام دفاعى يعتد به ، يجرد الصواريخ السوفييتية من فاعليتها .

ولعل ذلك يقودنا الى هدف أساسى يحققه الجانب الامريكى بمجرد البدء فى الابحاث الا وهو ارهاق الاقتصاد السوفييتى بفتح مجال جديد ، باهظ التكاليف ، فى سباق التسلح ، بينما يسعى هذا الاقتصاد الى تعبئة امكانياته للتغلب على المشاكل العديدة التى يواجهها .

وينبغى الا نترك هذه النقطة دون التأكيد على مسألتين . أولاهما ان هذه المبادرة ستشكل ضربة قاضية لمحادثات الحد من الاسلحة النووية ، فليس من المتصور أن يقبل السوفييت معاهدة تنص على تخفيض عدد الرءوس النووية فى ترساناتهم ، بينما تقوم الولايات المتحدة بتطوير شبكة دفاع تستهدف ٨٠٪ من صواريخهم . والثانية ان ايماءات المشروع الامريكى تمتد الى نطاقات مختلفة من عالمنا . فهو يلوح من جانب بالرغبة فى التوسل الى دفاع قومى عن الولايات المتحدة دون الاعتماد على الحلفاء الغربيين . ويلوح من جانب اخر بترك الحلفاء فى أوربا والشرق الاقصى مجردين من حماية مماثلة . كما انه ينطوى على اشارة واضحة الدلالة لكل الدول التى تعتمد الولايات المتحدة عليها فى مخططاتها العسكرية .

وعلى الرغم من ان مشروع ريجان اقرب فى مرحلته الحالية ، الى الفانتازيا او اليوتوبيا منه الى الواقع ـ لاسباب سنذكرها ـ الامر الذى يدفع القائمين عليه الى الاعتراف باستحالة الحديث عن تكاليف دقيقة او حتى تقريبية ـ ليست جزافية ـ او عن مهام محددة بصدده ، قبل تنفيذ برنامج الابحاث الذى يتكلف ٣٦ مليار دولار خلال خمس سنوات .. على الرغم من ذلك يمكن التأكد على انه سيسفر عن ثورة تقنية .

تدمير العدو .. طوبويا

وقائمة المشاكل الفنية لا تنتهى وان كفى ما سبق لان ينظر المتخصصون الى هذا المشروع ـ وسط دعاية « البقاء

المضمون » التي تحيط به ـ في اطار الحلم اليوتوبي الجميل • بالذات ان كان يستهدف القضاء على ٨٠٪ من الصواريخ ، الامر الذى يعنى افلات ٢٠٪ منها • بما تحمل من رءوس نووية • وهذه نسبة قادرة على ان تترك الولايات المتحدة صحراء جرداء ملوثة بالاشعاعات •

وربما كان أكثر الاوصاف دلالة ـ ودبلوماسية في نفس الوقت ـ ماجاء على لسان سير جفرى هاو وزير خارجية بريطانيا من أن هذا المشروع يشبه خط ماجينو الذى اقامته فرنسا قبل الحرب العالمية الثانية لحمايتها من الغزو الالماني • وقد كشفت التجربة عن خوائه التام ، حين حلت ساعة الجد •

ومن يضع في اعتباره الدروس المستفادة من تقصى تاريخ التقدم العلمى ، لابد وان يدرك ان البحث سيمكن من النجاح في كثير من المهام التى تعد اليوم خيالا • ومن هنا القول بأن اثر هذا المشروع قد يفضى الى جولة جديدة باهظة التكاليف في سباق التسلح ، وعلى نفس طريق « الدمار المحقق » ، لان ما سيصل اليه طرف لن يعز على الطرف الآخر ، وان اختلف حجم التضحيات •

وأيا كانت النتيجة فان جهودا تقنية على أرقى مستوى سوف تبذل ، في اطار هذا المشروع • وتدفع الامكانيات الفنية التي يتطلبها الخبراء الى التأكيد على أن الجهود التى ستبذل لابد وان تسفر عن ثورة تكنولوجية جديدة • وان ذلك موضوعا اخر الا ان ابعاده تتجلى اذا عرفنا أن الليزر صار اداة تقنية تستخدم في لحام شبكية العين وجدار البطن ، وفي قطع المعادن ونقل المعلومات ، بل وفي صنع مفاعل نووى ينتظر ان يولد كميات اسطورية من الطاقة باستخدام الهيدروجين المستخلص من المياه •• واشعة الليزر ليست سوى مثال واحد وغيره في جعبة مشروع « الدفاع الاستراتيجى » كثير ••

العرب وحروب النجوم

وهنا لا بأس من التفاتة ندلف منها الى الوقوف على نصيب العرب من حرب الفضاء ولا بأس ان تكون التفاتتنا نحو أوربا •

لقد احست اوربا الغربية في وقت مبكر بضرورة المشاركة في الانشطة الفضائية • وان برزت بعض اعتبارات السمعة او السياسة في المرحلة الاولى فسرعان ما خلت الساحة للاعتبارات الاقتصادية البحتة • لقد ادركت اوربا تعذر الاحتفاظ بمقدرتها على المنافسة العالمية دون هذه المشاركة ، لانها ضمان تطور الصناعة وفق احدث المتطلبات والمواصفات الانتاجية العالمية •

ولما كان من الصعب ان تساعد الولايات المتحدة اوربا على منافستها ، فقد سعت الاخيرة ، عبر نشاط مشترك ، نحو قدر من الاستقلال الفضائى ، تجسد في بناء صواريخ حمل مثل « اريان » ، وصنع معدات فضائية مثل « القمر الصناعي عربسات» وكان من نتيجة هذا النشاط ان صارت أوربا الغربية ثالث قوة فضائية في العالم من حيث حجم الانجازات والتوظيفات ، وان فصلتها هوة كبيرة عن القوتين الرائدتين • وبالرغم من



نصيب العرب من حرب الكواكب

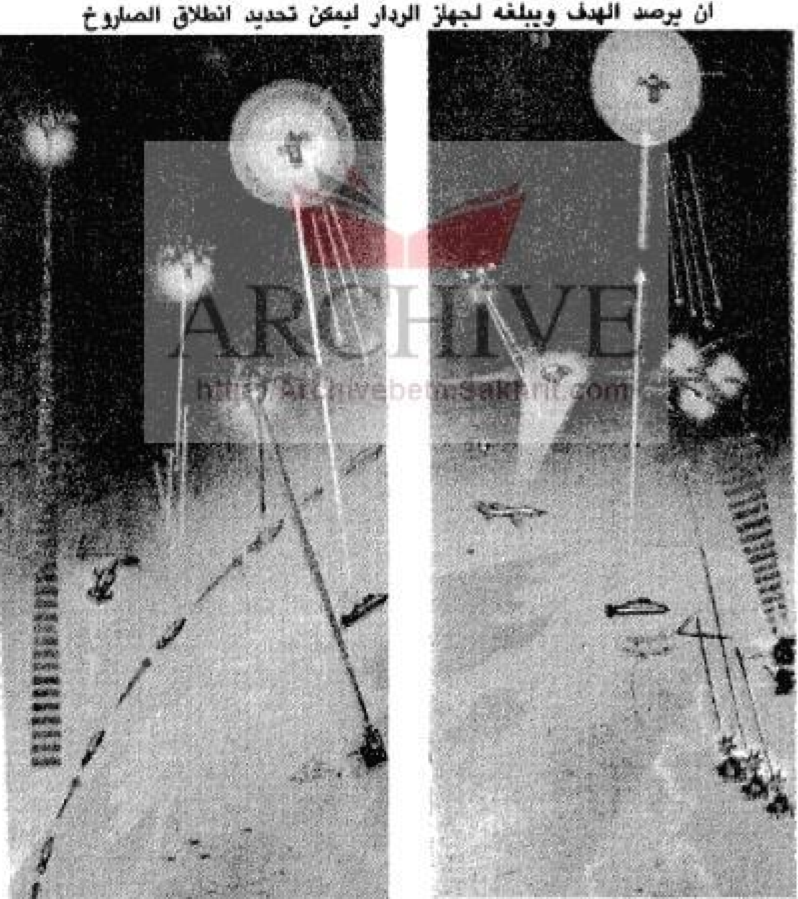
ان الاغراض العسكرية لم تشغل حيزا محسوسا في المخططات الفضائية الاوربية ، حتى ان تجهيزات الناتو (الحلف الاطلنطي) في هذا المجال ظلت شبه احتكار للولايات المتحدة . الا ان طبيعة النشاط الفضائي ذاتها تفتح الشهية لاحلام مختلفة الحجم ، لابد وانها داعبت البلدان الاوربية .

وقد بادرت الولايات المتحدة الامريكية ، ادراكا منها لمجمل الاماني والمخاوف الاوربية من جانب ، وتعبئة لاكبر مقومات النجاح ودعما للموقف الامريكي من جانب اخر .. بادرت بدعوة الطاقات الاوربية بل والعالمية الى مشاركتها برنامج ابحاث حرب الفضاء .

واذا تجاوزنا ردود الفعل الاولية المتضاربة فان تحليل الموقف يكشف عن الاحتمالات التي تنطوي عليها الدعوة الامريكية .

لقد حرم الخاسرون في الحرب العالمية الثانية حتى تاريخه من الالتحاق بالنادي الذري . ويقدم برنامج حرب الفضاء فرصة لليابان والمانيا الاتحادية على وجه الخصوص للالتفاف حول هذا

رسم توضيحي يبين كيف يمكن لجهاز اشعة الليزر في الفضاء ان يرصد الهدف ويبلغه لجهاز الرادار ليمكن تحديد انطلاق الصاروخ



الحرمان ، وتجاوز آثار ٤٠ سنة من التسلح النووي بالذات وقد وصلت المقدرة التكنولوجية لكل من البلدين الى مستوى يؤهل صاحبه لان يصبح قوة فاعلة في الفضاء ٠

هذا ويعني نجاح الولايات المتحدة في جذب بعض الاوربيين الى مشروعها سحب البساط من تحت اقدام التحالف الاوربي الذي كان يستهدف خلق مقومات اكثر استقلالا لاوربا في انشطة الفضاء ٠ وبالفعل تعرض البرنامج الاوربي المشترك لهزة مؤخرا حين فضلت المانيا الغربية توجيه النصيب الذي كانت ستساهم به في برنامج صنع مكوك اوربي صغير ، الى برنامج محطة الفضاء الامريكية ٠

هذا كما ان الولايات المتحدة باصرارها على المضي قدما في تنفيذ مشروعها ، وبالتالي ضرب اتفاقية الحد من الاسلحة المضادة للصواريخ، تضعف كثيرا من موقف بريطانيا وفرنسا فهما اكثر المستفيدين من الاتفاقية المذكورة ، لانها تحفظ على اسلحتهما الذرية المحدودة العدد قيمتها ٠ وبفقدان هذه القيمة ينهار المعنى الكامن وراء امتلاك كل منهما لسلاحها النووي الخاص ٠

ولعل العامل الاهم في هذا الصدد ان الولايات المتحدة تستخدم كل ماسبق كروافد ثانوية تعزز بها تيارا أساسيا يتمثل في المغريات المادية الكامنة وراء المشاركة في برنامج سيكون له تكاليفه الفلكية حتما ، فضلا عما فصلناه من متطلبات المحافظة على المنافسة الاقتصادية في السوق العالمية ٠

وقد لا تنجح الولايات المتحدة ابتداء في تجنيد امكانيات كل الدول المدعوة للمشاركة (اعضاء الاطلنطي الـ ١٣ بالاضافة الى فرنسا واسبانيا واليابان واستراليا ٠٠) في المشروع لكن موافقة من ستنجح في اغرائهم ، لابد وأن تعزز فرص نجاح الانقلاب الصناعي الجديد ، الامر الذي سيغري بدوره من أحجم على أن يعيد التفكير ، حتى من منطلق اقتصادي بحت ، كما أوضحنا على مثال أوربا ٠

لعل السياق يكون قد أوصلنا الى اهم الامور اطلاقا فيما يخص العرب ٠ ان الدعوة التي وجهها كاسبر واينبرجر للمشاركة في مشروع حرب الفضاء تضمنت الى جوار الدول المذكورة اسرائيل ، الامر الذي يعني في نهاية المطاف اتاحة صفوة الخبرات الامريكية الاوربية اليابانية لها من موقف الشريك الفاعل ، وليس مجرد المستهلك السلبي

هذا وليت الامر يقف في حالتنا عند حد مقومات البحث العلمي والثورة الصناعية والاعتبارات الاقتصادية ٠٠ فهو واصل لا محالة الى الصناعات الحربية الخطرة ، استطرادا لما هو حادث حاليا بالفعل ٠٠

لقد وقعت الولايات المتحدة واسرائيل مؤخرا اتفاقية لاقامة مشروع اسرائيلي في حيفا لانتاج غواصات وزوارق مسلحة بالصواريخ ، بالاضافة الى اتفاقيات حول تطوير صاروخ اسرائيلي يستخدم في الولايات المتحدة ــ وغيرهما بالطبع ــ وذلك بعد طائرات « كفير » التي تحاكي الاداء المميز للطائرات السوفيتية،وتستخدمها الولايات المتحدة في تدريب طياريها ٠٠

ولا اعتقد ان القارىء سيسال بعد بعد ذلك عن نصيب العرب من حرب الفضاء ، فالكل شريك فيما يحدث ،وان كانت المشاركة شانها شان غيرها من الظواهر تحتمل السلب والايجاب ٠

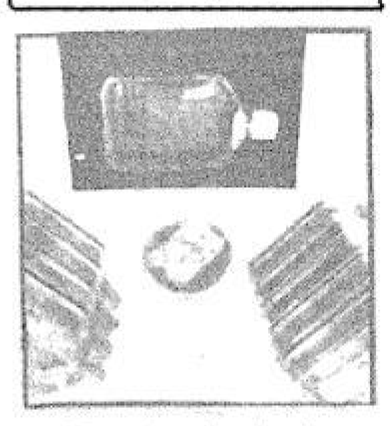


**الولادة تحت الماء
وقدرات غير عاديه**

التقت مجموعة من العلماء والصحفيين مؤخرا فى قاعة المؤتمرات بأحد فنادق موسكو لتشهد نتيجة تجربة فريدة أشرف عليها الباحث السوفيتى "ايجور تشاركوفسكى". شاهد الجمع طفلا لم يتجاوز عمره أسبوعين يستطيع السباحة ويتناول الطعام تحت الماء بل ويمكنه النوم تحت مياه حمام السباحة بالفندق ولايصعد إلى السطح إلا ليأخذ نفساً من الهواء. والسر فى القدرات الخارقة لهذا الطفل انه ولد تحت الماء. فقد اكتشف الباحث السوفيتى أن الأطفال الذين يولدون تحت الماء بأسلوب معين يكتسبون بعض طبائع الكائنات المائية والبحرية. ويقول: إن الولادة تحت الماء وقدرة الأطفال على السباحة مبكراً تجعلهم يكتسبون بعض القدرات التى لاتتوفر عن طريق الولادة الطبيعية والحياة على الأرض بسبب تاثير الجاذبية الأرضية. وإن عملية الابحاث تغدو أكثر سهولة تحت الماء لأن الأم لاتحتاج الى مجهود كبير فى مقاومة الجاذبية، فالطفل يولد بدون ضغوط كما ان نفسيته لاتتأثر بالتغير المفاجيء للبيئة، فهو يعيش داخل رحم الأم فى بيئة مائية، وقد اكتشف الباحث أن الاطفال الذين يولدون تحت المياه ويبدءون السباحة فى سن مبكرة، ينمون فى صحة جيدة أفضل بكثير من الأطفال العاديين. بل انهم لايصابون بنفس الكم من الأمراض التى تصيب الطفل العادى وبالتالى يتقدمون عليهم نفسياً وذهنياً.

بدأت تجارب ايجور منذ عدة سنوات على مجموعة من الحيوانات البرية فاكتشف أنها تستطيع ممارسة الحياة الطبيعية فى البيئة المائية وأمكن تربية الدواجن فى المياه وكذلك الأرانب والقطط التى ألفت الحياة البحرية وعاشت فترة تضاعف مرتين أو ثلاثة الحيوانات البرية العادية. ثم بدأ فى دراسة مدى تأثير حيوان كالدلفين على نفسية الأطفال والبالغين، حيث أن الدلفين يألف الانسان فبدأ يستخدمه فى مساعدة العديد من الأمهات على الانجاب فى المياه بدون ألم أو خوف بل ويمكن القول أن الدلافين استطاعت أن تنقل حبها للمياه إلى المواليد الجدد بل وانها أقامت علاقات صداقة معهم قبل مولدهم أيضاً وهو سر لم يفطن له العلماء حتى الآن.

التقدم في زراعة الجلد البشرى الى نسبة ٩٠٪



عن طريق استخدام تقنيات حديثة لزراعة الجلد البشرى فى المعامل الطبية ، تمكن الطبيب الأمريكى هارولد جرين من انقاذ حياة طفلين فى السادسة والثامنة من عمرهما احترق جسديهما بنسبة ٩٠٪ بعد اشتعال حريق فى منزل أسرتهما . وهذه التقنيات الحديثة تعطى أملاً كبيراً لمصابى الحروق الخطيرة وهى تعتمد على استخدام انسجة الجلد السليمة التى لم تصب بحروق ووضعها فى محلول خاص تنمو فيه ويزداد حجمها بحيث يتم نقلها مرة أخرى وزرعها فى جسم المصاب . وبنفس هذا الأسلوب يمكن للأطباء زراعة كميات غير محدودة من الجلد لسرعة إنقاذ اى شخص يمكن أن يتعرض جسده للاحتراق .

احترس من المضادات الحيوية

لمدة أربعين سنة استخدمت المضادات الحيوية بشكل فعال للتغلب على الأمراض المعدية . والآن يحذر العلماء من الاستخدام الخاطىء والزائد عن الحاجة فهو يلغى تاثير كل هذه المضادات . وهناك احتمال اننا سنفقد معظم مناعتنا الطبيعية ضد المرض إذا لم نقلل من استخدام المضادات الحيوية خلال خمس عشرة إلى عشرين سنة قادمة . ويحذر العلماء من استعمال المضادات الحيوية مثل البنسلين والتتراسيكلين فى غذاء الحيوانات الحقلية لانها تشكل خطورة على حياة الانسان . فبالرغم من انها تزيد من وزن الحيوانات إلا انها من جهة أخرى تزيد من المزارع البكتيرية في أحشائها والتى يمكن أن تنتقل للانسان عن طريق اللحوم . فقد ثبت أن العديد من أنوا ع البكتريا التى تصيب الانسان قد أصبح لديها مقاومة شديدة لبعض العقاقير ، فنحو ٢٥ ٪ من البكتريا المسببة للأنفلونزا قد أصبحت مقاومة للبنسلين ، ونحو ٨٠ ٪ من البكتريا التى تصيب الزور لاتستجيب للتتراسيكلين . والمعروف ان البكتريا تتغلب على المضادات الحيوية بإفراز إنزيمات تلغى فعاليتها . وفى محاولة للتغلب عليها انتجت الولايات المتحدة الامريكية عقاراً جديداً عبارة عن مركب من مضاد حيوى ومادة أخرى تقوم بتسكين الانزيمات البكتيرية التى تهاجم العقار .

الكمبيوتر .. مخرجا

أحدث هذا الفيلم انقلابا تاما فى صناعة السينما . يقول خبراء صناعة السينما إن هذا الفيلم اعلن قيام صناعة سينما اليكترونية فبعد السينما الصامتة والسينما الناطقة هاهو عصر جديد يبدأ . وبعد زمن كان المخرج يجلس امام الشاريو ليدير فيلمه . عليه أن يجلس امام شاشة الحاسب الآلى ليقدم الصورة والموضوع المراد تجسيده . لن يكون هذه المرة مجرد مخرج . وانما أحد من لهم الدراية



الكاملة بإدارة وتشغيل الحاسب الآلي .

والفيلم الذى بدأت به صناعة السينما عصرا جديدا يسمى "ترون" . ولأنه بداية عهد جديد فهو من الضرورة أن يتناول العصر الذى يمثله . أى أنه من افلام الخيال العلمى . ليس الخيال العلمى المتعارف عليه . قدر أن يكون قصة بالغة البساطة تدور أحداثها فى المستقبل . خاصة أن شركة والت ديزنى هى التى انتجت هذا الفيلم .

ورغم أن عصر السينما الاليكترونية قد بدأ إلا أن العنصر البشرى لايزال موجودا يدير هذه الأفلام . فرغم أن أفيشات الفيلم تحمل فى ذيلها اسم ستيفن ليسبرج (وليس سبلبرج) كمخرج الا أن منفذ الفيلم الحقيقى هو ريتشارد تايلور الخبير بالحسابات الآلية الذى لم يتعد الثانية والعشرين وهاريسون الليتشو المنتج الفنى . يقول تايلور إن كل صورة من الفيلم تتكون من مليونى نقطة مضيئة كل منها تترجم من أرقام كودية . وإن الحاسب الآلى لايمكنه فقط قراءة الصورة ولكن تخزين الذاكرة البشرية .

فى أول الأمر فكر أن يرتدى الأشرار الملابس الزرقاء . أما الأخيار فيرتدون الأحمر أو الأصفر "وجدنا أن علينا أن نقلب المألوف . فالأحمر بالنسبة للحاسب الآلى يقلب الألوان . والأزرق شىء رقيق . الحاسب الآلى يمكنه الآن أن يخلق كل شىء . حتى وجه مارلين مونرو .

ولأن السينما الاليكترونية . يمكنها تخزين الذاكرة . فان خبراء هذه السينما يقولون إنه يمكن إنتاج افلام جديدة نرى فيها نجوم السينما القدامى مثل مارلين مونرو وكلارك جيبل وعبد الحليم حافظ وأنور وجدى .

ويقول الليشو إن الحسابات الآلية تمثل المستقبل . وهناك مشكلة تبدو الآن واضحة . وهى أن التقنيات سوف تجسد الخيال وتخلقه " .

وقصة الفيلم بسيطة حول الصراع بين الخير والشر . فهناك ساحر يناضل ضد الآلة التى صنعها وتمردت عليه . الساحر هو الانسان . وهو الشرير . أما الآلة فهى كائن طيب ويختلف الأمر عما حدث فى ٢٠٠١ اوديسا الفضاء .

يقول المخرج إن : " هناك خمس عشرة دقيقة كاملة من فيلمى لم تمسسها يد بشرية . ويقول إنه لم يكن هنا طاقم العاملين التقليديين المعروفين فى السينما . فمع سيناريو بسيط . جلس مع التقنيين أمام شاشة يديرون بعض الممثلين أحيانا . لكن الحاسب الآلى قام بالدور الاكبر . ففى أحد المشاهد التى استغرق عرضها سبع ثوان استغرق إعدادها اربعين ساعة وكان وراؤها ستة تقنيين . وثمانية فنانين تشكيليين وعشرين مسئولا عن الحاسب الآلى .

وجاءت النتيجة غريبة . فقد نجحت التجربة . وعرض الفيلم عام ١٩٨٣ متعة للعين . وأعلن أن عصرا جديدا من السينما قد بدأ . وأن " ترون " هو أول أفلام القرن الحادى والعشرين .



المتحدث الآلي

● كتبت نائلة اسماعيل ●

بالرغم من أن التكنولوجيا تهدف إلى تطوير أسلوب الأداء ، وتسهيل الحياة الانسانية إلا أن تقبل الانسان للمخترعات الحديثة يستغرق وقتا حتى يتحقق من فاعليتها والأمان فى تشغيلها ويهيىء نفسه تجاهها فالناس لم يتأقلموا على فكرة أن الآلة ترد عليهم عندما يتصلون بشخص هاتفيا بدلا من الانسان ، ومع ذلك ظهر فى الأسواق المتحدث الآلى الذى يتحدث إليك عندما يرن التليفون فى منزلك ويبلغك رسالة وينتظر كذلك الرد على الرسالة المتروكة .

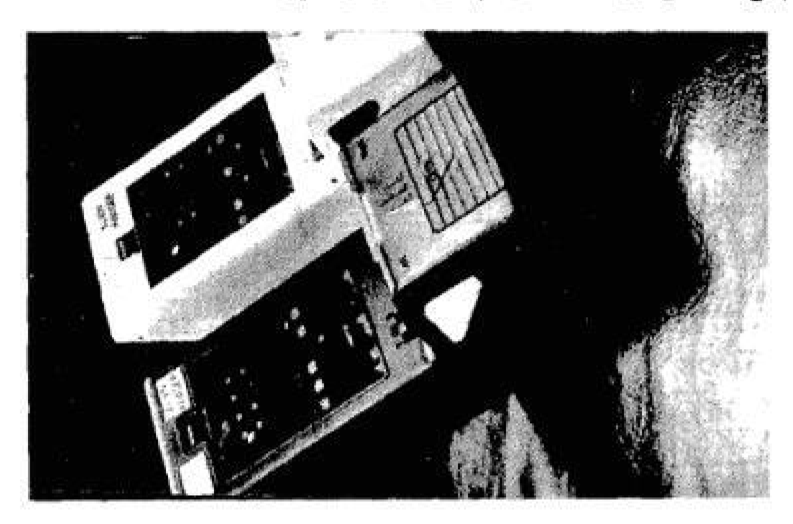
وتعتمد فكرة المتحدث الآلى اساسا على إعداد برمجة خاصة للاتصال بأرقام متعددة أو مجموعة من الأرقام المتتابعة ، ويتم طلب الأرقام التليفونية بالتتابع حتى يتم الاتصال . وعندئذ يبدأ شريط بذبذبات الصوت فى التشغيل ويبلغ الرسالة ويبدأ فى استقبال الرد وتسجيله على شريط ممغنط أو اسطوانة ممغنطة .

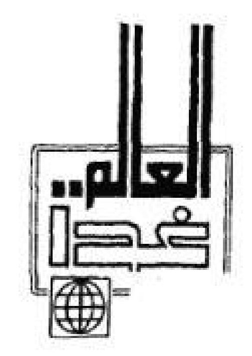
ففى المدارس استخدم المتحدث الآلى لابلاغ الأهالى بإهمال تلاميذهم فى الدراسة . مما أدى الى أن نسبة الاهمال فى المدارس انخفضت ما بين ٤٠٪ حتى ٦٠٪ . كذلك استخدم فى إحدى الشركات الصناعية لاستدعاء عدد كبير من العمال فى أقل وقت ممكن . فقد استطاع إنهاء ٤٠ مكالمة تليفونية فى الساعة الواحدة ، وبالتالى فقد زادت المكالمات التى تمت بنسبة ٢٥٪ . كما يرى أحد المديرين أن المتحدث الآلى له ميزة هامة عند إتمام المكالمات الفاترة الواجب إتمامها لمصلحة العمل .

ومع ظهور هذا الجهاز الجديد وفوائده من وجهة نظر جهات متعددة فإن بعض الأشخاص مازالوا يرفضون الاستماع إلى الجهاز ويضعون السماعةقبل إتمام المحادثة . مما قضى بحظر استخدام المتحدث الآلى فى بعض الولايات الأمريكية إلا بشروط .

فعلى سبيل المثال ان أحد الأجهزة يتضمن مؤشراً للوقت يمكن من خلاله إتمام المكالمات خلال فترة زمنية محددة يتم تحديده . كذلك يمكن توصيل هذا المتحدث الآلى بالحاسب الرئيسى للمنشأة مما يستتبع ذلك استخدامه لأغراض أخرى وليس كآلة متخصصة لغرض معين فقط .







تحويل المياه المالحة الى مياه عذبة

بعد تجارب مكثفة استمرت خمس سنوات تمكن العلماء اليابانيون من اكتشاف وسيلة جديدة لازالة الملوحة من مياه البحر وتحويلها الى مياه عذبة ، باستخدام الغاز الطبيعي السائل . تعتمد هذه العملية على نظرية بسيطة تقول بأن الملح ينفصل عن المياه المالحة عند تجميدها . وتتم هذه التجربة عن طريق حقن الغاز الطبيعي السائل مباشرة داخل خزان مليء بمياه البحر فتقوم مياه البحر الدافئة نسبيا بتحويل الغاز السائل الى غاز في نفس الوقت الذى تتجمد فيه المياه وتتحول على بلورات ثلجية . تضخ بلورات الثلج بعد ذلك الى داخل برج للغسيل حيث تزيل تيارات من المياه العذبة الملوحة الموجودة فى مياه البحر . تنقل المياه العذبة المجمدة فى الخطوة التالية إلى خزان للذوبان حيث تختلط بالمياه العذبة السائلة . وبتطبيق هذه التجربة يمكن تحويل وإنتاج ٢٤٠٠ جالون من المياه العذبة يومياً .

وهذا الابتكار الجديد سيكون له أثر بالغ فى العالم العربى ، الذى تعانى أجزاء كثيرة فى الصحراء التى ينقصها المياه العذبة .

إقرأ فى هلال يوليو :

ابن الفارض وخمرة الصوفية بين شعر العقاد .. ونقد الرافعى ..

بقلم : كمال النجمى

« الخمر فى لغة الصوفية ، شراب المحبة الالهية الناشئة عن شهود آثار الأسماء الجمالية ، فانها توجب السكر والغيبة بالكلية عن جميع الاعيان الكونية ..

فهل عاين العقاد وشرب وانجذب أم نظم قصيدته فى خمرة بار من البارات .. ؟! .

السنة النبوية .. والفن التشكيلى

بقلم الدكتور : محمد عمارة

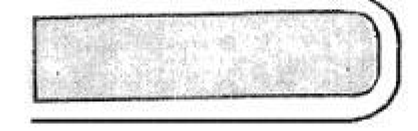
هناك إتفاق غير مقصود ، وتحالف غير مقدس ، بين بعض أعداء الاسلام وبعض المتعصبين للاسلام .. ، فأهل التطرق والغلو من اليمين واليسار دائما متفقون ، يجمعهم الموقف الخاطىء ، وينحرفون عن الموقف الحق .

● الصراع بين العلم والسياسة فى مسرح توفيق الحكيم

بقلم : فؤاد دوارة

العلم فى هذا القرن أصبح قوة تسيطر على حياة البشر ، وكان لابد أن يؤثر ذلك على آراء المفكرين والأدباء وكتاباتهم .

مواقف ضاحكة



« وفاق عائلى »

● نظر الرجل الى زوجته ، حين واجهته بمعطف جديد من الفرو ، ثم قال لها انني رجل عاقل ولن اسمح لشيء كهذا بان يهدد وفاقنا العائلي وسعادتنا فاعيديه الى المتجر فورا .. !!

● قال مدير الشركة للموظف الذي يعمل عنده : انا اعرف انك لن تستطيع ان تتزوج بالمبلغ الذي اعطيته لك ، ولكنني اعرف كيف ستشكرني على ذلك في يوم من الايام !

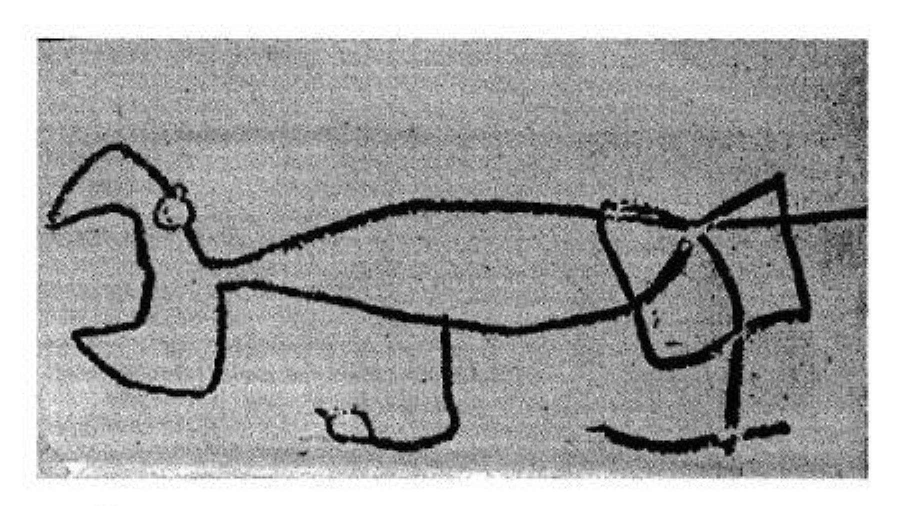
● التقى رجلان في حفلة كوكتيل في باريس ، واثناء الحديث ، قال احدهما للآخر : انظر الى هاتين السيدتين الشقراء والسمراء ، ان واحدة منهما هي زوجتي ، والأخرى عشيقتي ، وعلى الفور قال له الثاني : غريب ، فبالنسبة لي العكس هو الصحيح

كذب هوليود

● قال الممثل هنري فوندا يعرف نوع الكذب الذي يسود مدينة هوليود الامريكية انه الكذب الذي اقوله لشخص ما ، ولكنه يعرف انى اكذب ، ويعرف اني اعرف انه يعرف باني اكذب !

● قالت ام لثمانية اطفال : عندما رزقت بطفلي الاول ، كنت اكلم الطبيب بالتليفون اذا عطس . اما الان فقد ابتلع اصغر اطفالي قرشا منذ بضعة أيام ، فقلت له : سوف اخصم هذا القرش من مصروفك !!

● لم تسمح الام لطفلها الصغير بالذهاب الى المدرسة الا بعد تردد كبير ، وقدمت لمدرسته في اليوم الاول قائمة طويلة من التعليمات ، ومن جملتها قولها ان ابني مرهف الحس جدا ، فلا تعاقبيه ابدا ، بل يكفي أن تضربي الطفل الذي بجواره لكي يخاف هو .. !!



الفن الحديث

بين الخديعة والتجارة

بقلم : د . زينب عبد العزيز

●● ما ان قام جورج جازافـا ، الفنان التشكيلى ورجل القانـون الفرنسى ، بنشـر كتابه عن « الفن والجريمة » الذى تم عرضه فى المقال السابق (هلال ابريـل ١٩٨٥) حتى تدفقت ردود الفعل المتحمسة للموضوع او المؤيدة لرأيه ـ وكان العـديد من الشخصيات والهيئات الثقافية . العلوية كانت تنتظر اشارة الانطلاق او فرصـة جادة للتعبير عن رأيها ..

اما المؤلف فكان يستكمل مسـيرته فى فضح المجالات الخفيفة المحركة لتيار الفن الحديث وخاصـة جانب الغش والتزوير وعمليات النصب التى تتـم علانية دون ان يتصدى لها احد .. وفى الخامس من شهر مارس ١٩٦٢ اقـام دعوى قانونية امام النائب العام ضد ما اطلق عليه « عمليات النصب » التى تتم باسم الفن الحديث والتى تؤدى الى المساس بالتراث القومى والاقتصادى الى جانب خدشها حيـاء المواطنين وما يتبعه من تخريب انسانى حضارى للمجتمع . وارفق نسخة من كتابه عن « الفن والجريمة » بالدعـوى التى اقامها .

وبدأ المذكرة التى تقدم بها بـأنه لجأ الى القضاء نظرا لحالة عـدم الاستقرار السائدة والتى تتسم ببداية صورة من صور الحرب الاهليـة بين الفرنسيين نظرا لتحكم بعض الافـراد فى المجال الفنى وخلقهم مجال احتكارى لا يمكن لفنان حر ان يمارس فلسـه

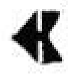
بعيداً عنه . وان الدراسة التي قام بها في هذا الموضوع استغرقت سنوات طويلة الى الولايات المتحدة ليتعرف على « اللامح الجديدة لعمليات العصابات الدولية » .

واقتصرت الدعوى التي تقدم بها على نقطتين اساسيتين هما : الجانب الاقتصادي والجانب الحضاري . ولم يمس من الجانب الاول الا عملية تحويل العمل الفني الى مجرد مساحة يتم قياسها وتقديرها بالسنتيمتر المربع علما بأن اللوحة التشكيلية قيمة جمالية معنوية لا يمكن تقييمها وفقا لما تحتوى عليه من سنتيمترات .. كما ادرج في هذا الاطار ايضا عملية المزادات المدبرة او المفتعلة والمضاربة على اللوحات ، وخاصة عمليات البيع المزيفة التي تتم لشخصيات مجهولة . لا يعلن عن هويتها ، او ان يكون المشترى هو التاجر نفسه بأسماء مستعارة او من خلال اشخاص اخرى، بغية رفع الاسعار بشكل مفتعل شريطة ان يتم ذلك مع مراعاة الشكليات الاجتماعية أو الطبيعية .. اى ما يمكن تلخيصه على حد قول المؤلف بعبارة « الفن الحديث كعملة زائفة يعتمد مروجوها على المخالفات القانونية والاقتصادية » وذلك ما يحرمه القانون الجنائي الفرنسي صراحة .

اما الجانب الثاني من الدعوى فيتناول ما تسببه الاباحية الجارحة التي تحتوى عليها بعض اعمال الفن الحديث من اهدار للقيم الاجتماعية الانسانية ومساس بالتراث القومي . لذلك طالب في دعواه برفع اللوحات التافهة او الاباحية من المتاحف لخدشها حياء المتفرج ـ وخاصة الناشئين ، ولتخريبها المجال الثقافي المعنوى التربوى . وذلك مثال لوحة ميرو المسماه « الرجل ذو الورقة الحريرية » . وهي عبارة عن لوحة بالقلم الرصاص مقاس ٦٢×٤٦ سنتيمترا ، تمثل رجلا جالسا بعد قضاء حاجته وقد استعان الفنان ميرو بورقة ملوثة حقيقية وضغطها بجوار الرسم بين لوحين من الزجاج ، كما بالغ في تصوير العضو التناسلي بشكل منفر ملفت للنظر . وان كانت هذه اللوحة ليست اقبح من غيرها ! والمحزن الغريب حقا ان تباع مثل هذه اللوحات بالاف الفرنكات وتعرض في المتاحف .

ثم اوضح جورج جازافا في دعواه ان هؤلاء التجار يمثلون احتكارا هو في الواقع عبارة عن عصابة مافيا دولية لا تتورع عن استخدام شتى الوسائل الاعلامية الدعائية الحديثة ، بغية الوصول الى ما ترمى اليه من تخريب المجتمع واهدار قيمته وتقاليده وبث الانحرافات والتحلل والتفكك الاسرى . وذلك ايضا ما يحرمه القانون الجنائي الفرنسي ويعاقب عليه

وانتقل بعد ذلك الى شرح الوسائل التي اتبعها تجار الفن منذ اكثر من نصف قرن لطمس القيم الروحية للجمال والعدالة والحقيقة ، التي تكون روابط الوحدة الوطنية ، وبث نوع من ادعاء الثقافة التجريدية اللاانسانية والقائمة على الغش والتزوير . وضرب مثلا بواحد من أشهر تجار الفن ، هو كانفلير ، اليهودى الالماني الاصل الفرنسي الجنسية ، وكيف بدأ عمليات المضاربات المزيفة منذ عام ١٩٠٥ وقام بتقديمها للجمهور بأساليب مبتكرة ، تضافرت فيها جهود التجار والمستثمرين لاستعباد الفنانين بعقود مغرية لنشر وفرض ما يرمون اليه من تخريب حضارى . وانتهى الامر بالجمهور



الفـــن الحـديث

بابتلاع ما يقدمونه اليه حتى وان لم يكن مقتنعا به !

ثم راح يستعرض كيف بدأت عملية نشر هذه الاعمال الحديثة بتقديمها هدية الى المتاحف التى دأب الامناء العاملين بها على رفع اللوحات الواقعية الذهب وحجبها عن اعين المشاهدين . وتلك عملية تزوير اخرى

وينتهي جازافا من دعواه باعتبار هذه القضية جريمة قومية متعددة الجوانب والابعاد وان كانت تعترف باسم الفن او الفن الحديث ، ويرجو قبوله خصما مدنيا يود المساهمة بنصيبه ولا ينوى الهرب أمام كارثة قومية اقتصادية ستؤدى الى مثل ما حدث فى مايو ١٩٤٠ حينما انهار الاقتصاد الفرنسى .

وحيث ان جورج جازافا من كبار المحاربين الى جانبكونه فنانا تشكيليا من الذين عانوا من ضغوط عصابة المتحكمين فى المجال الفنى واتباعهم ، فقد قام بتقديم الجوانب التى تقع تحت وطأة القانون مباشرة ، كما قام بتدعيم اقواله ببنود التقنين الجنائى الفرنسى الشديد الدفاع عن التراث القومى والحريات ..

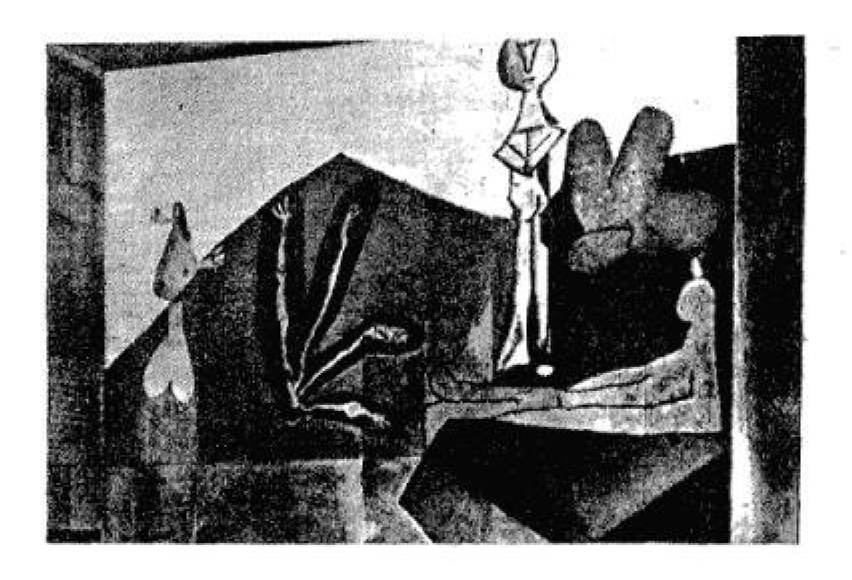
وما هى الا ايام من رفعه هذه الدعوى حتى امتلأت الصحف الفرنسية والاجنبية بالنبأ ، وتوالت مئات التعليقات المتفاوتة الطول والمضمون واجمع العديد منها على وصف هذه المحاولة بأنها « دونكيشوتية النزعة » لانها لم تكن فى الواقع موجهة ضد فرد معين ، وانما كانت تمس عصابة متعددة الاطراف ، تمتد شبكتها على الصعيد العالمى ..

ومن اهم ردود الفعل التى وصلت المؤلف ما كتبه له الدكتور جاك ريفيير، صاحب واحد من اهم المراجع فى تحليل الخط وعلم النفس . ومما قاله :

« لقد قمت بشجاعة فريدة بشن حرب ضد عصابة مافيا شديدة القوة للاسف ، كما انك تحاول اطلاع جمهور طيب يجهل حقوقه . وذلك موقف تهنأ عليه . فلابد من اشخاص مثلك لايقاظ ضمائر الحقائق البسيطة المنسية . ومما لا شك فيه ان اعمال فنان مثل موندريان - ان اعتبرت جذافا اعمالا فنية - لا علاقة لها بالفن فهى اقرب ما تكون باشارات السكك الحديدية »

اما جريدة « لو شاريفارى » فقد نشرت مقالا باسم بيمين ورد فيه .

« لا شك ان حملته الصليبية ضد الفن الحديث ستبوء بالفشل مثل حملة دون كيشوت .. وذلك لا يعنى انها تقل عنها نبلا وصدقا . ان الارض التى يقف عليها مؤلف « الفن والجريمة » ارض صلبة متينة ، فهو يشرح الخديعة التى يقع فريستها كل من الفنان والمشترى ، وان الاعيب هؤلاء التجار تقع تحت طائلة القانون بسبب تزييف رفع الاسعار والحد من حرية التعبير ، كل ذلك صحيح تماما ، لكن بما ان الدولة تحمى هذه اللعبة ، وبما ان المتاحف تكتظ بالعديد من التفاهات التىقام الامناء بشرائها - سواء كانوا ضحية الغش او متضامنين معه لذلك يعنى ان من يجرؤ على فضح هذه العصابة سيدفع الثمن .. (..) . ان محاولة جازافا أشبه ما تكون بضربة سيف فى مياه المستنقع ، لكنها كفيلة بأن تحفظ اسمه ضمن اولئك القالبين



لوحة ام خديعة ؟ تلك القائمة فى مدخل اليونسكو فى باريس
لقد تمكنت عمليات البيع المزيفة من خداع أكبر المنظمات الثقافية الدولية

الفعالين الذين عادة ما تقوم كافة الانظمة الحاكمة بزجهم فى السجون »

وفى العشرين من شهر يونيو ١٩٦٢ كتب روبير جيو ، رئيس جمعية نقاد الفن الى جازانا قائلا :

« لقد قمت منذ ثلاثين عاما (فى فبراير ١٩٣٠) بعمل احتجاج رسمى شديد اللهجة ، نشرته فى كل الصحف ضد عمليات البيع المزورة والسادة القائمين بها من القانون .. فلا يسعنى الا ان اهنئك على حملتك باسم الفن والعدالة والروح المعنوية القومية » .

وفى الخامس والعشرين من شهر ابريل ١٩٦٢ كتبت صحفية « لوجينيول» فى مدينة ليون تقول عن عمليات التزوير هذه : ـ

« كل ذلك الجميع يعرفونه ، على الاقل اولئك الذين لا ينساقون للخديعة . لكنها اول مرة نرى فيها صحيفة باريسية تتبنى الموضوع بهذه الجرأة ولنا ان نهنئها . بل لقد وصلت شجاعتها الى درجة نشر صورتين واحدة من رسم ميرو والاخرى من رسم بيكاسو ، والاثنتان لا تصلحان لاكثر من استخدامهما كورق تواليت فى دورة المياه ! » .

وفى التاسع من شهر ديسمبر ١٩٦٣ كتب رئيس نقابة الفنانين المحترفين لجورج جازانا قائلا :

« ان النقابة تؤيد العمل الذى تمتم به بغية تنقية سوق اللوحات التشكيلية اذ ان حالة الفوضى الراهنة لهذه السوق بحاجة الى اجراء قانونى يسمح بترضيح الوسائل غير الشرعية القائمة على الغش والتزوير » .

ورغم مئات التعليقات المؤيدة التى نشرت فى الصحف أو التى تلقاها المؤلف ، فقد دفعت المحكمة بحفظ الدعوى . ولم يشك جورج جازانا ، رجل القانون ، فى نزاهة رجال القضاء ، فاستأنف دعوته وطالب باعادة النظر فى قرار الحفظ .

وفى الثالث والعشرين من شهر اكتوبر ١٩٦٢ تلقى رفض دعواه

الفـــن الحـــديث

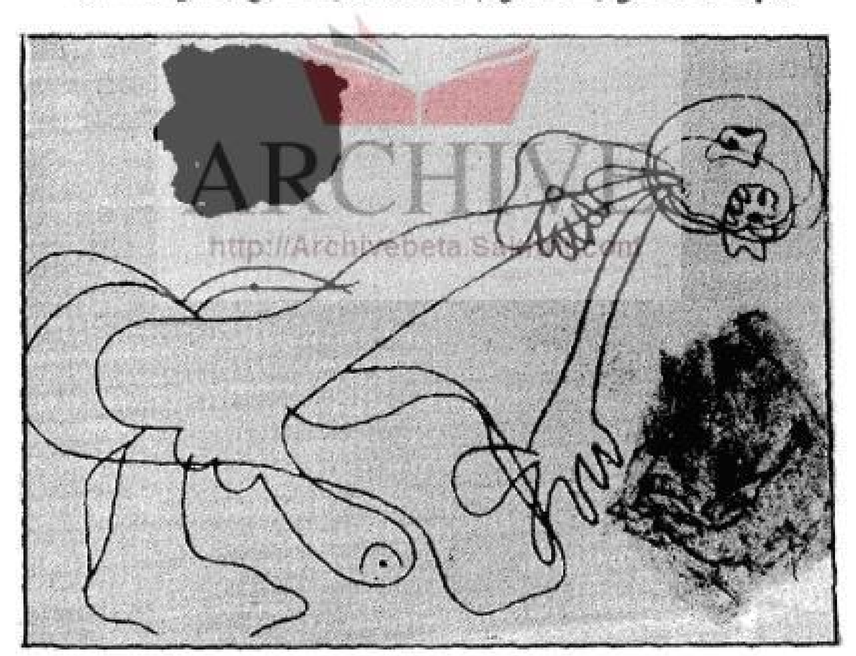
للمرة الثانية · لكنه استأنف من جديد

وفي السادس من شهر نوفمبر ١٩٦٣ رفضت دعواه للمرة الثالثة ، لـكنه واصل حملته · وبعد اربعة شـهور ، في مارس ١٩٦٤ رفضت دعواه للمرة الرابعة · فاقام دعواه في غرفـــة الاتهام وادخل وزير الثقافة انـذاك ، السيد ٦ · ميشلية ، خصما لمسـاحه باستمرار ما اطلق عليه« عملية النصب والتخريب » ـ تلك العملية التي تؤدى الى تسرب رؤوس الاموال الفرنسية الى البنوك السويسرية ، والتي تؤدى من جهة اخرى الى اهدار قيم المجتمع وتراثه ومصالحه ·

وفي السادس من شهر نوفمبر ١٩٦٤ رفضت غرفة الاتهام النظر في دعـواه ودفعت بعدم الاختصاص ! فلم يجـد جورج جازاقا بدا من اللجوء الى لجنة الجماعات الاوربية · لكن المدير العام للجنة ابلغه في السادس من شــهر ابريل ١٩٦٨ برفض الدعوى وحفظها ! فقام جازاقا بمحاولة اخيرة ولجأ الى كل من رئيس وقضاة محكمة العـدل الاوربية ·

الا انهم لم يتحركوا ساكنا ، وتلقت القضية نفس المصير وحفظت فقـام جورج جازاقا بجمع الوثائق التي امكنه الحصول عليها وضمنها كتابه الثـاني الذى صدر عام ١٩٧٦ بعنوان : « الفن الحديث ، الخديعة والتجارة » وقـد اهتم بتخليص عمليات الغش التي يلجأ

عمليات النصف هي وحدها التي جعلت هذه اللوحة تباع بأغلى الأسعار .



اليها التجار وسماسرة الفن واضافهـا الى الوثائق التى جمعها ، ومنها :

● الاستحواذ على الفنان واستعباده بعقد يحد من حرية انتاجه ويحـــدد نوعيته ·

● مطالبته بوفرة الانتاج الســهل العشوائى الخالى من اى مضمون

● قيام التاجر بعرض وشـــراء لوحات فنانيه حتى يضمن رفع أسعارها

● تثبيت القيمة المالية بالنســبة للمساحة وفرضها رسميا ·

● الحصول على تواطؤ كبـــار الموظفين فى مختلف المجالات الاعلاميه وغيرها ·

● فرض هذه الاعمال على المتاحف واستبعاد الاعمال الفنية الحقيقية ·

● المبالغة الشـــديدة فى تحديد اسعار لوحات الفن الحـديث وخفض اسعار اللوحات التى تمثل الاتجـــاه الواقعى بنسبة تصل الى ٧٥٠٠٪ !

● احتكار السوق المحلية والعالمية بفضل العملاء المنتشرين فى كل مكان

● الاستعانة بكافة وسائل الصحافة والاعلام لنشر هذا التخريب المتعمـــد للثقافة والتراث ·

وبقيام جورج جازافا بنشر كتـــابه الثانى ، الذى ضمنه معظـم الوثائق الخاصة بحملته «المدونكيشوتية المنزعة» تنتهى محاولة من اشهر واجـــرا المحاولات التى تمت فى فرنسا لـكشف عمليات التدمير العمدية التى تتـــم وفقا لتخطيط مسبق دقيق ، تتعـــدى ابعاده امكانيات الفرد الواحد ·

ومن المؤسف ان نرى بعض كبـــار الشخصيات فى الحكم وفى القضـــاء الفرنسى تتواطأ لتدفع بعدم الاختصاص ــ اى بانه لا يحق لمواطن ان يقـــوم بدعوى قضائية تتعلق بالصالح العام! وذلك علما بأن كل النقاط التى عرضها جازافا تقع تحت طائلة القانون بشكل صريح لا مواربة فيه ·· ومن الطـريف ان هذه القضية التى شغلت الصـحافة الفرنسية لمدة سنوات وانعكسـت فى الصحافة العالمية ، والتى تم بمقتضاها بداية عودة عرض واقتناء الاتجـاهات الواقعية ولو من بـاب ذر الرماد فى الاعين ، هذه القضية الفنية الثقـــافية الحضارية الهامة والعامة لم تنعكس اصداؤها فى الصحافة العربية ــ علما بأن ذلك الخطر او ذلك القول بعــدم الاختصاص وبأنه لا يحق لـمـواطن ان يتبنى قضية عامة ، لا نجده فى القانون المصرى الذى يضم نظاما كاملا للادعاء والتقاضى للحفاظ على قيم المجتمـــع وتراثه ومصالحه المادية والمعنوية ·

صناعة الجهل، هى التى جعلت لهذه اللوحة قيمة !!





اللقاء الأول والمشهد الأخير..

قصة سينمائية حزينة

بقلم : مصطفى درويش

بعد زلزال الخامس من يونية بقليل ، أمر وزير الثقافة ادارة الرقابة باصدار قرار بحظر عرض افلام الولايات المتحدة وانجلترا والمانيا الاتحادية في ديار مصر ، والسبب تواطؤ الدول الثلاثة مع العدو الصهيوني فيما اصطلح على تسميته بحرب الايام الستة .

وطبعا كان لابد من البحث من افلام بديلة من انتاج دول لم تتآمر مع العدو ، كي تحل في دور العرض محل ما منع من افلام .

ومن هنا صدر أمر اخر ، بعد أيام من أمر الحظر ، بتكليفي بوصفي مديرا للرقابة بالسفر مع واحد من أهل القمة في مؤسسة السينما الى « براغ » و « باريس » بحثا عن بدائل لافلام المتواطئين .

بدأت رحلة البحث بتشيكوسلوفاكيا كانت براغ العاصمة أول أرض اشتراكية التقي بها ، أتنفس هواءها ، الامس أهلها .

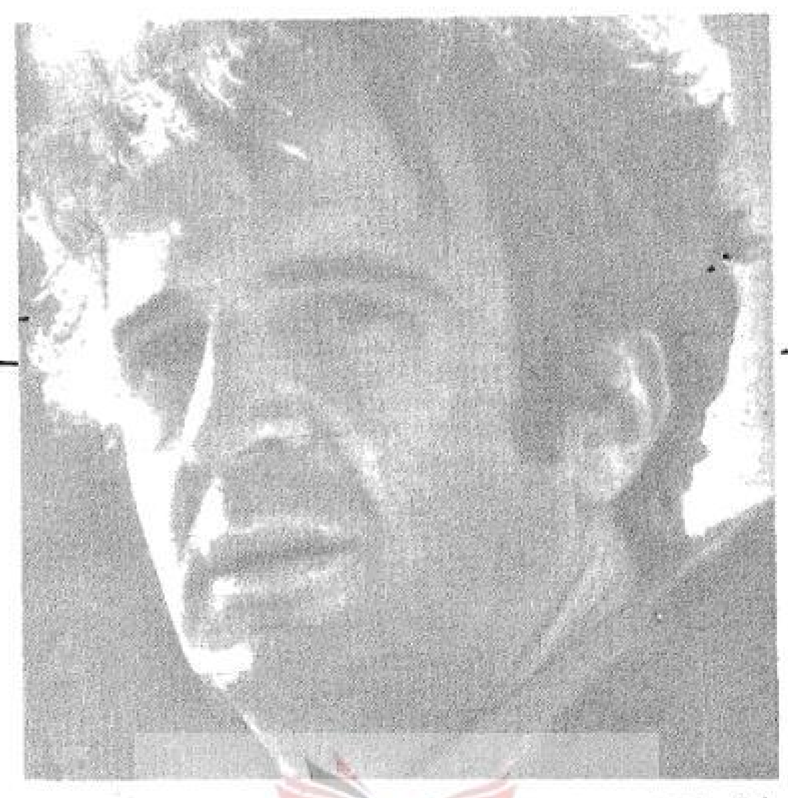
كلمات .. لكلمات

وكانت كلمات ستة نطق بها لسان المترجمة التشيكية — وهي سيدة في خريف العمر — أول ماشغل بالي في الرحلة ، كيف ؟

كانت السيارة منطلقة بنا من المطار الى براغ ، واذا بالسيدة المرافقة تتنهد من اعماق قلبها ، وهي تشير الى قصر عال منيف بيننا وبينه نهر هائج برغم سكون الريح ، ثم تقول الكلمات التي كانت أول ماشغل البال .

هنا يقيم رئيس الجمهورية وكنا نكرهه

ولم يكد ينقضي على هذه الكلمات عام



فرانسوا تريفو .. قبل المشهد الاخير .

أو بعض عام حتى كانت ساعة الرئيس المكروه « انطونين نالوتني » قد دنت فاذا به يجد نفسه مضطرا الى ترك كرسي الحكم ، مطاردا بالعار ، لا هم له الا الاختفاء من الانظار

واذا بقوات حلف وارسو تجد نفسها مضطرة الى حشد قواتها على حدود تشيكوسلوفاكيا ، والانقضاض بها على براغ محررة فى راى ، غازية فى آراء .

وعلى كل فقد انتهت رحلة « براغ » باختيار باقة من افلام قصيرة وطويلة ، كان أهمها « غراميات شقراء » لماذا ؟

لانه جديد ، بعيد عن التعقيد ، يشع سحرا خفيا وليد بساطة تبدو سهلة فى متناول الجميع ، ولكنها فى الواقع صعبة ، بل قل ، ممتنعة المنال ، فضلا عن أن صاحبه مخرج شاب ، له أسلوب يتميز فى الظاهر بالعفوية ، فيه من سينما الحقيقة ممتزجة باطياف شابلن وجودار ، فيه من كل ذلك الشيء الكثير.

ومضت أيام .. وأيام ، ثم قرع سعاة البريد أبواب وزارة الثقافة فى القاهرة حاملين الافلام التى اخترناها فى براغ ، والتى اشتهينا أن نراها مع الناس على ضفاف النيل .

وغنى عن البيان أن « غراميات شقراء » كان من بينها .

ولكن يبدو ان مجيئه كان بعد فوات الاوان فما أن انقضت ثلاثة أشهر على أمر منع افلام المواطنين ، حتى كانت هوليوود قد فتكت به ، وعادت بافلامها الى شاشات العرض على امتداد أرض مصر ، ثملة بخمر النصر .

ومهما يكن من امر فالقدر المتيقن أن « غراميات شقراء » وقع عليه الاختيار



قصة سينمائية حزينة

ن يكون واحدا من آفلام يستهل بها نادي السينما عروض العام الاول من حياته ١٩٦٨ .

ولما انتهيت مع المشرفين على برامج النادي ونشرته من اعداد كل شيء ، فوجئنا جميعا بصدور أمر بمنع عرض « غراميات شقراء » .

رحت أبحث عن السبب ، واذا بي اكتشف أن صاحب الامر لم يتذوق الفيلم وبكلمة واحدة لم ير فيه فنا .

حاولت الاقناع ، عساه يتخلى عن امر المنع فيسمح « لغراميات شقراء » بعرض واحد .

ولكن الجسود كانت مقطوعة تماما ، كان مصرا على أن الفيلم ردىء جدا .

ازاء هذا لم استطع ان افعل شيئا سوى الذهاب به الى نادي سينما دار نقابة الصحفيين حيث كان فتنة للناظرين.

والان لماذا هذه الذكريات ، ما الذي أيقظها من سبات عميق ؟

امران .. الاوسكار يفوز بها صاحب « غراميات شقراء » ، و «فرانسوا تريفو» رائد الموجة الجديدة يحلم « بأماديوس » .. يريد ان يراه قبل الاختفاء

خيالات

في صيف حار ، وبالتحديد في اغسطس لعام ١٩٦٨ كان « ميلوش » مقيما في باريس عندما زحفت جيوش حلف وارسو متجهة الى براغ تحتلها في ساعات

لم يستطع العودة الى أرض الاباء ، شد الرحال الى كعبة السينما «هوليوود» حيث أخرج على مدى ستة عشر عاما ، ستة افلام ، وحيث جاءه المجد يسعى بفضل « طار فوق عش المجانين » ١٩٧٥ و « اماديوس » ١٩٨٤ ؛ وهما فيلمان حصل أولهما من الاوسكار على خمس جوائز وحصل ثانيهما منها على ثمانية جوائز ، كما انهما قد توجا باوسكار احسن فيلم ، هذا الى ان صاحبها خرج من القضاء فائزا باوسكار احسن مخرج مرتين .

وكل هذا ليس بغريب ، فالسينما عند « فورمان » سفر الى الاخرين ، لقاء مع بشر حقيقيين .

ولانه كان قطعة من روح تشيكوسلوفاكيا صار قطعة من روح العالم .

منطقيا ، وبعد الخروج من الوطن منفيا كان يجب ان يسقط ، ولكنه فاز .

ومنطقيا كان يجب أن يتفرق الناس عنه ، ولكنهم التفوا من حوله ، عادوا به الى براغ بعد خمسة عشر عاما ليصور « اماديوس » .

ومنطقيا كان يجب أن يتصرف الناس الاطياف ، ولكنه بعد سبعة عشر عاما .. لايزال في عالم الاخراج نجما اعظم .. ما السر ؟

من يشاهد افلام « فورمان » - لاسيما ما كان منها منتجا على ارض الاباء - يحس أن صاحبها ليس هاربا من عصره ، من زمنه بحثا عن أزمنة وكواكب وكائنات أخرى .

انه لصيق بالناس ، جزء منهم ، يشاركهم افراحهم ، أحزانهم ، في كلمة يشاركهم الحب .

فصل ينتهي

وهذا الحب بينه وبين الجمهور صار صليبا على كتفيه ، زاد اعداؤه .

ولعل قصة الخصومة بينه وبين استديوهات « باراماونت » والمنتج « كارلو بونتي » كما حكاها في مقالة « صديقي فرانسوا تريفو » المنشور في جريدة الموند ١-١١-١٩٨٤ بمناسبة استسلام صاحب « فهرنهيت ٤٥١ » للموت في ٢١ من أكتوبر لعام ١٩٨٤ - لعلها تلقى بعض الضوء على القوى التي تعوق ابداع صانع الاطياف ، تريد أن تستأصل غدد الرفض فيه .

« لعب « فرانسوا تريفو » مع « كلود بري » دورا بالغ الاهمية لصالحي وذلك فور انتهائي من تصوير « كرة رجال الحريق » ١٩٦٧ .

الفيلم كان انتاجا مشتركا فيما بين استديوهات «باراندوف» فى تشيكوسلوفاكيا و « كارلو بونتى » فى ايطاليا . والذى اسهم فى المغامرة بمبلغ ٥٦ الف دولار .

وما كاد « بونتى » يشاهد الفيلم ، حتى رفض استلامه مطالبا التشيك برد مبلغ الـ ٦٥ الف دولار .

ولعلش هـــــذه كانوا يعتبرونها فى تشيكوسلوفاكيا عملا اجراميا .

ومن هنا ذلك الكتاب الرسمى المرسل الى من اســـتديوهات « باراندوف » — مازال محتفظا به حتى يومنا هذا — والذى حمـــل الى انذارا بالاحالة الى المحاكمة بتهمة التخريب الاقتصادى .

الواقع أن « بونتى » مقت الفيلم مقتا شديدا ، وان كان قد تذرع رسميا بانه اقصر لدقيقتين مما جرى الاتفاق عليه فى العقد .

اذن كنت متهما بأننى لم أحترم كلمتى، كنت عرضة من الناحية النظرية لان يلقى بى فى السجن مدة قد تصل الى خمســة عشر عاما .

واغلب الظن ان عقوبتى لم تكن لترتفع الى هذا الحد الاقصى .

ولكن الشىء الاكيد اننى كنت مهددا بسنة سجن على اقل تقدير .

وفى هذه اللحظة الحرجة شاهد «ريفو» و « برى » الفيلم « فقررا شراءه » انقذانى

حديث الوداع

وكعادته فى افلامه انتقل فورمان فجأة فى مقاله الى الحوار الذى دار بينه وبين « ريفو » قبل شهرين فقط من انتحار صاحب « الترو الاخير » امام الموت .

لحول ماذا كان حـــديث الوداع بين الصديقين ؟ تناول الحديث الذى دام ثلاث ساعات — وهى مدة مرهقة بالنســـبة لشخص يعانى آلام ورم فى المخ ومشرف على الموت — موضوعات وطرائف سينمائية شتى لعل أهمها « أماديوس » الرائعـــة الاخيرة لصاحب « غراميات شقراء » .

• كان « ريفو » مشوقا الى «أماديوس»، يريد أن يرى الفيلم ، رســـمع الناى السحرى ، يتنفس به من الصدر المكروب. ومـــــذ « فورمان » أن يجىء له « بأماديوس » قبلّ أن ينتهى مشـــوار الحياة .

والسؤال الآن لماذا كل هذا الشــوق الى « أماديوس » ؟

اتصور أن المخرج الراحل قد شاهد « أماديوس » على خشـــبة المسرح فى باريس .

واتصور أن موضوع المسرحية قد مس فيه كما مس فى صديقه « فورمان » وترا حساسا .

« فأماديوس » فى راى مخرجه ، بعد ان تحول بالمسرحية الى عمل ســـينمائى « فيلم موسيقى مثير يدور حول جريمة ».

وفى نظر « بيتر شافر » صـــــاحب مسرحيات « الصيد الملكى للشمس » ، « الحصـــــان » ، « أماديوس » وكاتب السيناريو « الفيلم دوالى وقائعه مستلهمة من سيرة موسيقار كبير ، قدر له ان يودع الحياة وهو فى ربيع العمر لايزال » .

وعند الدعاة المروجين له فيلم محوره « رجل وموسيقاه .. قتل أحاط به الغموض » .

الطفل المعجزة

فمن هو هذا الموسيقار ؟

انه « أماديوس ولفجانج موزار » الذى اسكب نفسه دموعا على أوتار القيثار .

ثم ماهى الجريمة الغامضة فى حياته ، تلك الحياة التى مرت قصـــيرة رقيقة كسحابة صيف ؟

اماديوس





قصة سينمائية حزينة

من المعروف عن « موزار » انه كموسيقار لا يشق له غبار .

بدأ حياته ٢٧-١-١٧٥٦ في مدينة « سالزبورج » طفلا معجزة يعزف على البيانو ، يؤلف أرق الالحان ، وهو في الرابعة من عمره لم يتجاوزها الا قليلا .

طاف ، وهو طفل ثم وهو شاب تارة مع أبيه ، وتارة في رفقة امه ، عواصم أوروبا ومدنها الكبرى ، يرسل موسيقاه يكلم بها السماء عسى أن ترق له ، فترحمه مما يقاسي .

الحب الاخير

عرف الحب معرفة كلها شجو ، وكلها حنين حين وقعت عيناه على « كونستانزا ويبر » في فيينا ، ازداد بها هياما وذاب غراما ، لم يعد يفكر الا فيها ، لم يقو على عذاب البعد عنها ، عقد ، رغم معارضة أبيه قرانه عليها ٤-٩-١٧٨٢ .

قاسى من مشاق رحلة العيش مع زوجة مريضة لاترحم ، ومن علاقات التفشي بموسيقاه الشاحبة لمجتمع ارستقراطيته غليظة القلب لا تفهم .

لم يسغ ركوع التذلل والضراعة طلبا للرزق ، لم يحتمل حياة الشـــقاء والالام .

ســـقط موهون القوى من الحمى الروماتزمية ١٧٨٤ ، زادت أموره تعقيدا وكمدا ، ترك دار الغناء مغبونا محزونا ، ولم يقل أحد مقتولا . متى كان الموت وأين ؟

في تمام الساعة الواحدة من صباح الخامس من يناير لعام ١٧٩١ على سريره بمنزل الزوجية الواقع في قلب « فيينا » المدينة العتيقة ، عاصمة أسرة الهابسبورج العريقة .

أما الدفن فكان في حضور نفر قليل سرعان مافرقته ريح صرصر عاتية ، بجوار كنيسة القديس ماركوس في مقـــابر الصدقة !!

خلاصة الخلاصة أن موزار قد فقد حياته كما يفقدها أغلب الناس .

اذن ما مصدر الشائعة القائلة انه ذهب الى دار الموتى مقتولا ؟

هو نفسه كان دائم الترديد لها ، ولا أحد سواه .

كيف ، والى من كان يشير متهما ؟

قبل أن يلفظ أنفاسه الاخيرة بقليل كان يردد مصرا أن موسيقار البلاط الاول « انطونيو ساليري » يتآمر على حياته ، يستبيح لنفسه أن يضع السم فيمـــا يحضر له من نبيذ ، للخلاص منه ومن ألحانه التي زلزلت أركانه .

وهذه الاسطورة التقطها الكثير ، فمثلا « ريمسكي كورساكوف » الموســـيقار الشهير جعل منها محورا لاوبرا « موزار وساليري » و « سيدريك جلوفر » أدار من حولها موضـــوع بحثه « المتاريس الغامضة » و « بيتر شافر » اهتدى بها عند تأليف المسرحية .

والفيلم يبدأ وينتهي بالموســـيقار « ساليري » موري ابراهام .

فهو ، والحق يقال ، البطل وليس « موزار » توم هلس .

ففي اللقطات التي يستهل بها الفيلم نراه عجوزا نزيل مستشفى أمراض عقلية زجوا به فيها اثر محاولة انتحار .

انه يعترف بما فعل في حق العبقري ، بالتسبب في فاجعة موت موزار ، وهو لايزال شابا مبدعا .

ومن خلال لقطات تسترجع الماضي ، يسافر « ساليري » الى أزمنة ، نتابع فيها ماكان بينه وبين الشاب العبقري منذ لحظة مجيئه الى « فيينا » ، وحتى لحظة انطفاء حياته ولما يكمل رائعتـــه الموسيقية الاخيرة « قداس الراحة » .

ومأساة « ساليري » كما يصـــورها الفيلم انما تكمن في أن السماء وان كانت قد منحته قدرة التعرف على العبقرية ، الا انها حرمته من مقوماتها ، من متعة التحلي بها .

انه الموسيقار الرسمي ، ومع ذلك !!



الشقراء في غراميات شقراء

وهو الذى ليس كمثله موسيقار فى البلاط احس بانه أمام عبقرية صافية طاغية ، وذلك فى أول لقــاء له بـ « موزار » وموسيقاه .

ألحان السماء

فى البدء نظر اليه معجبا ، مشـدوها غير مصدق لما يسمع من الحان .

الا انه سرعان ما افاق الى نفســه ، سرعان ما أضناه الحقد سهدا ، واحيته الكراهية سهرا ، فاذا به يقسم على التخلص من الروح مبعث هذه الالحان .. ولكن كيف ؟

بدا له فى غضبه العاجز انه يستطيع تحطيم ماليس فى وسعه أن يبدعه .. أعد خطة شيطانية أوقف بموجبها جريان نبع موسيقى « موزار » الساحرة وألحــانه الرقيقة ، ظن انه وضع بذلك نهاية لها والى الابد .

ثم حدث مالم يكن فى الحسبان

حقا نجحت خطة « ساليرى » فى القضاء على « موزار » جسديا ، ولكنها فشلت فيما كانت تستهدفه على المدى البعيد .

فساليرى ــ ورغم كل الحقد والخديعة ــ هو الذى توارى ، واصبحت موسيقاه نسيا منسيا .

اما « موزار » الموسيقار ، فما زال حيا بفيض ماجاد من الحان .

والاكيد أن أحدا لم يستطع ان يعيق رحلة موسيقاه صعودا نحو الخلود .

مشهد المصعد

وختاما يبقى سؤال اخير .. هل أحضر « فورمان » فيلمه « أماديوس » الى المخرج المحتضر ؟

فى مقال « الموند » « صديقى تريفو » كتب « فورمان » التالى .

« ثم آن الاوان كى أرحل ، ترك فراقنا فى نفسى صورة قد لا أنساها ماحييت .

كنا جلوسا فى حجرة يلزم أن تنزل اليها درجات .

لم اشأ ان يودعنى حتى الباب لان ذلك كان يستلزم منه صعود درجات السلم ، وهو كان متعبا .

قلت له « فرانســوا .. سأوفر لك فرصة لمشاهدة فيلمى .. ارجو ان اراك قريبا » لسوء الحظ ظهر أن توفير تلك الفرصة امر غير ممكن . ذكرت له اسم دكتور أعرفه شخصيا مقيم فى ســان فرانسيسكو ومتخصص فى أوجاع المخ .

قلت انه من الافضل الحصول عــلى تشخيص طبى ثان وابديت اســتعدادى لاعداد الترتيبات اللازمة .

ثم صعدت درجات السلم متجها الى الباب الامامى .

لاحظت انه كان يتبعنى بعينيه .

كانت ابنته وزوجته «مادلين» بجواره .

وعندما اختفيت فى الممر ســعيا الى المصعد ، لم يغلق « فرانسوا » الباب الامامى ، حيث ظل واقفا .

ضغطت على الزر ، استغرق مجيىء المصعد بعض الوقت .

كان لايزال بالباب ، وكان احساسا ما قد تملكه بأن زواره انمــا يرونه للمرة الاخيرة .

وحتى الان استطيع أن أراه واقفا هناك بلا حراك ، والمصعد يهبط بى . هــذه الصورة ، أبدا لن أنساها .

المسرح..
لغة المستقبل فى التعليم

بقلم : مهدى بندق

● منذ أن بدأت النهضة التعليمية فى مصر الحديثة والرواد الأول يتتابعون حاملين إلينا نظريات التعليم وعلاقته بأوجه النشاط الاجتماعى من تجارة وزراعة وصناعة وغيرها ، وإنه من قبيل الغفلة أن ننكر فضل روادنا الأول ونحن نستعد لتجاوزهم بوعى أشمل ونضج أنضج . إنما علينا أولا أن نعرف ما قدموه ، ليتاح لنا - تأسيسا عليه - أن نقدم نحن الأنفع والأصلح

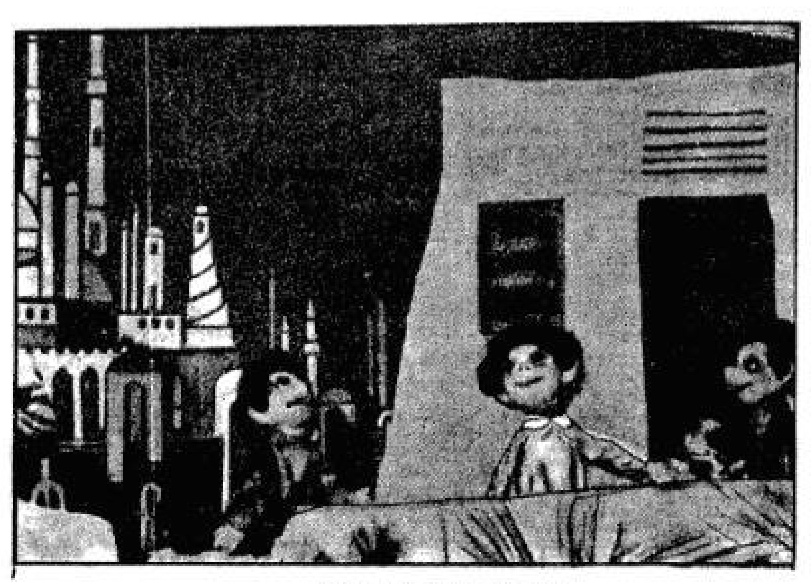
ذلك أنه ومنذ أن أرسى رفاعة الطهطاوى أساس مدرسة الألسن فى عهد محمد على والبعثات تتوالى وتتوالى على أوربا ناقلة إلينا أهم انجازات العلماء والفلاسفة والمفكرين فى شتى المجالات الحضارية .. والعملية التعليمية واحدة منها إن لم تكن صدارتها . ولكن رغم هذا الدور الرائد الذى أرساه رفاعة وتابعه فيه زكى مبارك ثم طه حسين ، إلا أن وقتا طويلا كان ضروريا أن يمر قبل أن يكتشف القائمون على أمر تلك المؤسسة الاجتماعية الأساسية (المدرسة - الجامعة) أن هذا الدور قد اتسم بطابع التقليدية لأنه حصر عمل المؤسسة فى تحصيل أكبر قدر من المعارف ، حتى لقد أطلقت على وزارتها المختصة اسم " وزارة المعارف " ، ومن ثم فلقد شاءت المؤسسة التعليمية أن تنهض نهضتها الثانية مترصدة خطى الاتجاهات الحديثة فى العالم المعاصر فسعت لتربط ما بين التعليم والتربية ولتوائم بينهما مواءمة من شأنها أن ترى كلا منهما بالآخر .

فما هى المفاهيم المعاصرة فى هذا الصدد ؟

إنها المفاهيم التى ترى ضرورة استخدام « الفن » استخداما تطبيقيا يساعد على تنمية المعارف المحصلة من قبل النشء بواسطة الخبرة المباشرة لا بواسطة النقل والتلقين .

يقول الفيلسوف الأمريكى جون ديوى فى كتابه « المدرسة والمجتمع » :

« يجب أن يتغير نظام المدرسة التقليدية حتى يتفق مع نزعات الطفل النفسية وحتى تشبع حيويته ونشاطه ،



مشهد من تمثيلية سفينة نوح

كما يجب ان يتغير هذا النظام حتى يتلاءم مع المجتمع الجديد الدائم التغير .

لقد دفعت بنا النهضة الصناعية منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ إلى آفاق المجتمعات الجديدة الدائمة التغير - بحد تعبير ديوى - مما أحدث تغيرات عميقة ليس فحسب فى بنية المجتمع الاساسية (علاقات الانتاج وقوى الانتاج) بل وأيضا فى بناء المجتمع الفوقى والذى يتمثل فى القوانين وآداب السلوك وقواعد المعاملات والقيم الاخلاقية بشكل عام . ولقد كان أثر ذلك كله حريا بأن ينعكس على أنماط التربية بحيث تتناسب تلك الأنماط مع ما حدث للمجتمع من تغيرات وتحولات غير منكورة .

فالمجتمع الزراعى مجتمع يسوده منطق الانصياع إلى الاكبر سنا أو مقاما ، انصياعا من نتائجه أن تحبس الطاقات البشرية ، بل وقد يقضى عليها فى المهد ، وكيف لا والمجتمع ذاته فى غير حاجة إلى طاقات متجددة ، يكفيه الطاقات المعتادة ، أو لا تزرع الأرض كما كانت تزرع منذ آلاف السنين ؟ !

أما المجتمع الصناعى فهو لا يفتأ يتطور ويتبدل يوما إثر يوم ولابد أن يواكب هذا التطور وذاك التبدل وتأثر جديدة تنعكس على أسلوب التربية وعيا أو تلقاء ذات .. ولله در مجتمع يعى ما ينعكس على تربية الوعى الخلاق .

التلميذ فى مثل هذا المجتمع النامى الواعى ليس مجرد متلق لعلوم ومعا . إنما هو كائن حى متفاعل ومؤثر كما هو متأثر فى الآن .

المسرح ..
لغة المستقبل في التعليم

التلميذ هنا يعد لكى يكون رأس مال الأمة . إذ يكفى المجتمع المطالب نفسه بالتقدم ، أن يعد عدته للمستقبل ممثلة فى بشر نشيطين خلاقين .. خذ اليابان ، وانظر إليها كيف غزت بنشاط ابنائها من كانوا احرياء بأن يكونوا غزاتها ، واليابان لاتملك من الثروات الطبيعية ما تملكه دول بترول ، ودول أراضيها البكر تصلح لاطعام العالم ، لكن تقدم الانسان هناك وتخلفه هنا هو السبب ولا سبب غيره .

لنخلص إذن إلى مادة التربية ، التى نعتقد أنها كفيلة بالاصلاح إن هى استخدمت الاستخدام الأمثل فى مؤسستنا التعليمية ، إنتاجا لجيل جديد يعرف كيف ينتزع له ولأمته المكان اللائق بهم جميعا تحت شمس الحياة .

تتكون مادة التربية من خلاصات التجارب وجواهر المعارف (لبها نعنى) وبدائع المهارات التى استخلصها السلف من ناحية ، والمعاصرون - وإن كانوا أبناء أمم اخرى - من ناحية ثانية .. ومن ثم فلقد بات واضحا ان مهمة المدرسة الرئيسية إنما هى فى نقل ذلك التراث وتلك المعاصرة إلى الأجيال الجديدة الصاعدة .

فأى السبل تتخذها تلك المادة « التربية » لكى تنتقل إلى النشء ؟

مامن شك أن سبل التلقين والاملاء مسددة بمعارف جامدة - مثل جدول الضرب - تمنع التلميذ من الانطلاق وراء التجارب المعملية واستخلاص النتائج العقلية من الطبيعة ذاتها .. وعلى هذا فإن التربية الحديثة تحاول أن تشق لنفسها قنوات جديدة لم تكن معروفة قبلا .. لننظر معا إلى قناة جديدة من تلك القنوات المسرح

لقد ظهر واضحا ميل الصغار إلى اللعب ، بله الكبار ، منذ أن كان فجر الحياة ، ولقد أخطأت الاتجاهات الفكرية القديمة عندما فصلت مابين اللعب والجد ، واعتبرت أن تحصيل العلوم والمعارف ينبغى أن يتم « بجدية » شديدة ، بعيد عن اللعب الذى هو لهو لا طائل من ورائه ، وربما تسامحت بعض المذاهب التقليدية النزعة فاعتبرته ضرورة ولكن من الدرجة الثانية !

أخطأت تلك الاتجاهات فى فهمها للطبيعة البشرية حين قسمتها إلى ما يشبه المناطق الجغرافية السياسية ، وحرمت على سكان بعضها التجول فى غير حدودها حتى وإن امتلكت "جواز سفر" :

ليس العقل البشرى جغرافيا سياسية ، إنما هو - إن جاز التعبير - جغرافيا طبيعية يتصل فيها السهل بالوعر والجبل بالبحر والماء بالنبات دون قيود أو حدود مصطنعة .

هكذا رات الاتجاهات الاحدث فى التربية ، ومن ثم فلقد اقرت مبدأ اللعب داخل الجد ، فاطلقت بذلك المارد من عقاله سامحة بذلك لعقول النشء ان تستخدم كل اصابع البيان ، عازفة سيمفونية الانسان الجديد .

بيد أن كل جديد يحتاج إلى أصالة يستند إليها ويطمئن بها . هكذا رأينا

الحركة " الكلاسية " فى بداية عصر التنوير الأوربى ، وهى تعود إلى الآداب والفنون والثقافة اليونانية والرومانية القديمة ، لتبتعث انجازاتها وتستلهم روحها العبقرى ، مستخلصة تحركها الناشىء (الكلاسية نعنى) من تناغمها بين الجديد والقديم .

وهكذا نفعل نحن ـ أبناء هذا العصر ـ حين نجدد الآن سبل التربية ، غير غافلين عن المنابع ، فترانا إذ نعود إلى فجر الحضارة القديمة لاسيما الفرعونية والهيللنية ، نستلهم منهما قيم المسرح ودوره كمؤسسة تربوية فى صنع المعارف (صنعها وليس استظهارها) واختبار القيم الصالح منها والفاسد ، نبذا لما يثبت خطؤه واضافة لما هو صالح ، تكون بذلك قد ربطنا بين المعاصرة والأصالة

المسرحية Play اى لعب ، او هى تمثيل ومحاكاة لواقع .. ليست محاكاة لما حدث ، وإنما محاكاة لطريقة الحدوث وأسلوبه وقوانين صنعه ، هكذا يجب أن نفهم مقولة ارسطو . وهى رغم كونها ـ المسرحية ـ لعبا صريحا ومتعة عقلية بالأساس إلا أنها ذات أثر جاد جدا من حيث كونها تجميعا انتقائيا لعلوم العصر وثقافته ومعارفه وخبراته .

يثبت الأب الدكتور " إيتون دريتون " العالم الأثرى المعاصر وجودا للمسرح الفرعونى من خلال كشفه عن لوحة إدفو الشهيرة ، والتى نقش عليها مشاهد من مسرحية " ايزيس " ، وأما فيما يخص المسرح اليونانى فهو أشهر من أن نتحدث عن دوره الخطير فى إزدهار المؤسسات السياسية ومد الديمقراطية بدماء يومية جعلت الحضارة الهيللينية ثم الهيلينستية ومن بعدهما الحضارة الغربية الحديثة مثالا يحتذى فى نضج المؤسسات السياسية وفعالية دورها فى حياة المجتمع .

إن العودة إلى المنابع الفنية للتراث الانسانى لتؤكد لنا أن المسرح كان وسيظل أهم وسائل التربية ، فضلا عن كونه أداة ممتازة التعليم ونقل الخبرات العقلية والحياتية بمعنى أشمل .

والتربية المسرحية عندنا تحسن أى إحسان ، إن هى كافحت لتجعل من الدرس التعليمى متعة ولعبا ، فى ذات الوقت الذى تربط فيه المتعة واللعب بالعلم والمعرفة وانماط السلوك الواجب التزامها .

وان هذا ليتحقق حتما عندما تحرص المؤسسة التعليمية على اختيار النصوص الجيدة فنيا والهادفة فى آن ـ دون مواعظ مباشرة أو خطابة زاعقة ـ وهو ما يتطلب إتصالا حميما وفوريا بكتاب المسرح ومؤلفيه ، فضلا عن تشجيع المدرسين انفسهم على أن يجربوا الكتابة برصد مكافآت ادبية ومادية للممتازين منهم ، بل وربما لا نتجاوز القصد إن نحن طالبنا بتشجيع التلاميذ انفسهم على التأليف والابتكار .

إن ارضا بكرا تنتظر البذور تلقى ، والحصاد قادم يقينا إن نحن أخلصنا النية وعقدنا العزم دون انتظار لأوامر تأتى أو تعليمات تلقى ، فالديمقراطية الحقة ليست شكلا للحكم بقدر ماهى مبادرات واعية من المؤسسات الاجتماعية ، مبادرات تعى أن حصادها مستقبل حضارى مشرق ، يحب فيه المواطن العمل ، ويحقق فيه العمل اغراض الحب البهجة ●



بقلم : محمود قاسم

● هناك تجربة غريبة فى عالمنا العربى حول العلاقة بين الأديب والناقد والقارىء . ففى سنوات الستينات بهرتنا الكتب المترجمة والمؤلفة عن الرؤية النفسية التى يتزعم تيارها جيمس جويس وفرجينيا وولف . ثم مدرسة اللارواية فى فرنسا . أعلن أن الكثيرين قد بهروا بهذه الاتجاهات لمجرد انهم قرءوا عنها واعتبروا أن جويس هو عماد الرواية العالمية دون ان يقرءوا نصوص كتاباته . وعندما ترجمت روايات الهلال رواية "النار" لفرجينيا وولف . ثم عندما تمت ترجمة "الأمواج" لنفس الكاتبة لم يستطع ان يبرز الكثيرون ممن اعجبوا بما كتب عن هذه الروايات الغموض الذى احسوا به . ولست أغالى حين أقول إن اكثر من كتبوا متأثرين بهاتين المدرستين لم يقرءوا شيئا كثيرا من هذه الابداعات .

ومنذ عامين صدم القارىء العربى حين نشرت الترجمة الكاملة لرواية "عوليس" لأول مرة بعد ظهورها بسبعين عاما . تساءل البعض هل هذه هى احسن رواية فى القرن العشرين؟ . ورغم أن القراءات قد سبقت الرواية نفسها مما قد يسهل تناولها . لكن أبدا لم يحدث .. مما يوضح اهمية أن تزدهر حركة الترجمة الابداعية والنقدية فى عالمنا العربى ولأن الحصول على الكتب الأجنبية الآن أمر صعب لارتفاع أسعارها . فاننا فى بعض الأحيان نكتفى ان نقرأ لكتاب ونعرفهم معرفة وثيقة دون ان نقرأ سطرا واحدا من إبداعهم .

طرأت هذه الأمور ببالى وأنا أتلقى - كهدية مؤقتة - رواية جديدة لكاتب فرنسى معروف جدا يدعى لوكليزيو . قرأنا الكثير مما كتب حوله ورأينا صوره تنشر فى العديد من الصحف والمجلات الفرنسية وغير الفرنسية على أساس انه أبرز الأدباء المعاصرين . ويصبح لوكليزيو مثل اكثر الأدباء المعاصرين . نعرفهم دون أن نقرأ لهم . وإذا كنا قد عرفنا جويس قبل ان نقرأه فى زمن ازدهرت فيه حركة الترجمة . فما بحال السنوات الأخيرة؟

الانسان و المدينة

وجان مارى لوكليزيو الذى أكمل الخامسة والأربعين فى الثالث عشر من ابريل ١٩٨٥ ينحدر من أسرة بريطانية هاجرت من جزيرة موريشيوس فى القرن الثامن عشر . وقد عمل الأب فى نيجيريا قبل أن يعود بأسرته إلى فرنسا ويتربى جان فى أحضان الأسرة . درس الأدب فى جامعة نيس ثم انتقل للعمل كمدرس بين جامعتى بريستول ولندن . نشر روايته الأولى "الدعوى" عام ١٩٦٣ التى نالت جائزة رينودو ، ثم توالت رواياته التى من أهمها


لوكليزيو ـ العالم الثالث من استعمار الى استعمار
جيمس جويس . قرأوا عنه ولم يقرؤه .

"الطوفان" ١٩٦٦ ، "الحرب" ١٩٧٠ ، "العمالقة" ١٩٧٤ ، "الدائرة ووقائع أخرى" ١٩٧٨ (مجموعة قصص) ، "المجهول فوق الارض" ١٩٧٨ .و « موندو وحكايات أخرى » ١٩٧٩ ، "صحراء" ١٩٨٠ . ثم أخيرا روايته التى صدرت فى فبراير الماضى بعنوان "الباحث عن الذهب" .

يقول معجم الادباء الفرنسيين عن روايته الأولى : "كشفت عن مزاج قوى للكاتب وعن قوة متفجرة لعبت لعبة المجزرة مع الناس ، والعواطف ، والأفكار ، وأيضا لأن الهذيان يذوب مع الكلمات والصور ، ويحمل البطل اسم آدم ويعلن عن نفسه أنه (باتس) أو انثولوجى ويصل ككائن منطلق إلى نهاية الليل الذى يعيش فيه كل من رامبو ، ولوتريامون وسيلين . كان عالم كامى لايزال منتظما اذا قورن باختلال "الدعوى" . يتقدم لوكليزيو كروائى وسط انقاض بقيت منه . راوية لايشعر بحاجة إلى ترميم التالف . وهكذا فإن كاتبنا . لم يكن يتجاوز سن العشرين حين وصل الى مكانة لم يصل اليها مفكرون كبار إلا بعد اغتراب طويل" .

فآدم بولو رجل هارب . لانعرف مم هرب . ربما من مصحة نفسية . أو من الجندية . هو رجل يسعى إلى الموت حثيثا ، اما بطل "الطوفان" فرانسو ابيسون فيرى الموت قابعا فى كل شىء حوله . لقد ابتلعه تلاطم الأشياء . المدينة المليئة بالسيارات والعادم والمصانع والشوارع وهذه الأشباح الآدمية التى تسبح كالأسماك الميتة . ولذا فالموت بالنسبة له محطة انتظار يسعى إليها مثل بولو دون ان ينظر إلى الوراء . انه اشبه ببطل رواية ظهرت فى نفس العام لجورج بيريك بعنوان "رجل نائم" . تاه كلا الرجلين فى المدينة . لامرفأ يصلا إليه . ولاشاطىء يجذبهما تحوله الشوارع إلى نقطة ضئيلة .

وهذا البطل الذى رسمه لوكليزيو فى الستينات موجود دائما فى روايات وأقاصيص الكاتب حتى الآن . ففى رواية "الحرب" نرى رجلا وامرأة مشغوفين بالشوارع . ولا يدخلان ..... .

إنسان الكلمات المتقاطعة

اما فى رواية "العمالقة" فيبدو مدى ..... الكاتب بالعالم الذى اختاره . الشوارع . الافيشات التى تملأها . كأنه الألمانى ميم فندرز أكبر من شغف بتصوير شوارع المدن إنه يذهب إلى الهنود حيث يكتشف لديهم فضيلة الصمت والسلام والانسان المرتبط ببيئته . ويصور الكاتب التنافر بين حياة الهنود التلقائية وبين هؤلاء الغربيين القادمين بمدنيتهم المزعجة . "المدن ومناظرها



الطبيعية . الصحارى ، والغابات والشلال والبحار . تبنى المدن من الخراسانة والزجاج ويبتدع البشر غابة جديدة يسكنونها . ربما سيموتون قبل أن يتعرفوا عليها" وللهنود حكمتهم القديمة . وتتفق ثقافتهم مع تلقائية الطبيعة . ويقول : "لا يختلف عالم الهنود عن عالمنا . ببساطة لانهم يسكنونه . بينما نحن قد أصبحنا فى منفى بعيد عنه" .

ولا يقدم لوكليزيو روايات مسلية . فهناك دائما شخصيات تتقاطع فيما بينها مثل الكلمات المتقاطعة . هناك بشر يعيشون فى المدن . مثل رجل يدعى "آلة" وامرأة تسمى "سكينة" أو هدوء . أما الصغير فيدعى بوجو الابكم . يميل إلى الجلوس فى مواقف انتظار السيارات . ينظر إلى الناس تتحرك وتتحدث . يميل إلى التنزه على الشاطىء ويصنع أهرامات صغيرة من الحجارة . ويتأمل الأفق . أما الآخران فليسا مشدوهين مثله بعالم المدينة . "فالنظرة صامتة . تلقى امواجه عبر الأثير . فلم تندفع للخلف مرة أخرى" .

ويقول كلود بونفوى فى قواس ليتريز ٧ مارس ١٩٧٤ ـ : يبدو أن لوكليزيو يجرنا إلى عالم غريب خيالى وممتع . المشاهد التى يصفها لنا بدقة كأنها الهذيان تبدو لنا مألوفة . كل فن الكاتب هو أن يدير ظهره للواقعية النفسية . وألا يحبس روايته داخل ثقافة ذات محددات عامة" .

فى روايته "صحراء" يتكلم عن فتاة تدعى "لالا" فى السابعة عشر من العمر . سليلة أسرةملكية . تعيش فى إحدى المدن بالمغرب . حامل ولاتملك شروى نقير . تهاجر الى مارسيليا وتعمل موظفة فى أحد الفنادق تقابل مصورا يكتشف انها تصلح كفتاة غلاف . لكنها تفضل ان تبتعد عن الاضواء وتعود إلى المغرب كى تجهض نفسها . وهناك تجلس إلى احد الصيادين العواجيز وتسمع حكاياته القديمة .

الانجليز يطردون السكان

اما روايته "الباحث عن الذهب" التى تأخذ الترتيب الثالث فى المبيعات بفرنسا الآن ففيها نجد انفسنا امام اليكسيس الذى يروى أحداث الرواية . إنه ينتمى إلى أسرة برجوازية . نزحت من جزيرة مورشيوس . لقد عاش طفولة نموذجية تدحرجت بين السعادة والتعاسة . كان زميله الذى يجلس إلى جواره فى الفصل فقيرا . يحلم ابوه طيلة حياته بالعثور على كنز تركه القراصنه . لقد كرس كل حياته للبحث عن هذا الكنز . وعندما يعثر عليه يخفيه فى جزيرة أخرى قريبة اسمها رودريج . لقد سطر رسالة إلى ابنه قبل رحيله .

وعندما يكبر اليكسيس يرحل باحثا عن الكنز . يظل فى الجزيرة أربعة أعوام . يعيش حياة هامشية . يحب سكان الجزيرة ويعجب بأغانى الصيادين ويوله بابنة أحد العبيد الخمرية اللون . وبإحدى فتيات الهنود . يتم تجنيده عندما تندلع الحرب العالمية الأولى ولايعود إلى جزيرة مورشيوس إلا بعد نهاية الحرب . يضيق ذرعا بهذا الجو البيروقراطى الذى يسيطر على الجزيرة فيرحل من جديد إلى جزيرة رودريج . ويقابل "أوما" مرة اخرى . يحدثها عن الكنز المفقود . لكنها لاتعير الموضوع أى اهتمام . فلم تعد الجزيرة جنة عدن المنشودة . فهاهم الانجليز يقومون بطرد كل سكان الجزيرة من غير البيض .

[redacted]

الهنود والسود والباكستانيين . وأيضا اليكسيس الذى ضاع فيه كل شيء . مات والداه . وطردوه من جزيرته . ورحلت فتاته . ولم يعد المحارب المقدام

وإذا كان لوكليزيو مولعا فى رواياته بالشوارع والمدن الصغيرة والواسعة . فإنه يولع هنا بالطبيعة . فجزيرة رودريج أشبه ببناتها العذروات . لايملكن سوى الابتسامات الرقيقة والكلمة الحلوة . والوجه الصبوح . أما الغرب فهو عالم متوحش انتشل إليكسيس من حلمه الطوبوى حين قامت الحرب العظمى فانتشلوه من هناك ليقضى أربع سنوات بين المدافع والخنادق والموت والأمل فى العودة مرة أخرى . إلا أنه عندما يعود مرة أخرى إلى طوبويته فإن الانجليز يعودون من جديد إلى الجزيرة . إنها الذهب بالنسبة لهم . وكى يمتلكوا خيرات الجزيرة وحدهم يقومون بطرد كل الرعايا الآخرين

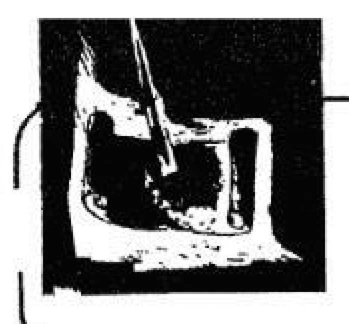
الخضرة والماء والوجه الحسن

وهذه الجزيرة الصغيرة ذات الاسم الانجليزى هى إحدى الجزر الصغيرة القريبة من موريشيوس وتقع تحت سيطرتها . مليئة بالغابات والخضرة . وعندما يقف المرء على حافتها يتطلع إلى البحر تثور فى نفسه أهازيج الرحيل . الا انه عندما يبتعد عنها يحن اليها والى خضرتها . واليكسيس يقع بين سطوتين . خرير البحر وحفيف الأشجار . ثم جمال وجه أوما . أو كما نقول "الخضرة والماء والوجه الحسن" . شيء مافى الأفق يناديه . وصوت رخيم فى الجزيرة يجذبه . إنها ليست الخريطة التى كان يمتلكها أبوه . فهما رجلان من عصرين مختلفين .

"هاجرت اسرة ابى إلى موريشيوس فى القرن الثامن عشر ومع ذلك ولدت فى باريس . ثقافيا انا موريشيوسى . بمعنى اننى بين عالمين . المتقدم والنامى . وأنا رجل مزدوج الجنسية" .

لكن إذا كان لوكليزيو يهاجم الاستعمار الانجليزى للجزيرتين . فهل يعطيه هذا الحق ان يتجنس بجنسية الجزيرة . اليس هو وأسرته مستعمرين فرنسيين . فالصراع بين قوم اليكسيس والانجليز صراع استعمارى من الدرجة الأولى على خيرات العالم الثالث . وماالخريطة التى رسمها الأب الا عنوان سرقة كنوز هذه البلاد البكر . فهل يعطى هذا الكاتب الحق ـ مثلما يفعل البيض فى جنوب افريقيا ـ ان يقول ان موريشيوس جزيرته مثلما قيل عن الجزائر . يقول الناقد جان لوى ازين فى لونوفيل اوبسرفاتور ـ ٨ مارس ١٩٨٥ ـ : "ان لكل من الكتاب المعاصرين جزيرته الخاصة به . يمتلكها فوق الورق . وهى من حقه . فميشيل ديون ـ انظر الهلال فبراير ١٩٨٥ ـ يمتلك سباسى اليونانية . اما جزيرة مادر فهى ملك لجاك مشارون . ويمتلك لورانس داريل جزيرة رودس . وبول موراى جزيرة كريت . وهاهو لوكليزيو يمتلك رودريج" .

واذا كانت هذه الرواية هى الكتاب الخامس عشر للكاتب خلال اثنين وعشرين عاما . فإن هذه هى المرة الأولى التى يتحدث فيها لوكليزيو عن حكاية أجداده . وقد لايبدو هذا غريبا . لأن الكثيرين من كتاب الرواية المعاصرين مشغوفون بالكتابة عن جلودهم اكثر وعن تجاربهم الشخصية . ولم تعد رواياتهم تخرج عن دائرة حياتهم الخاصة جدا .



متابعات أدبية

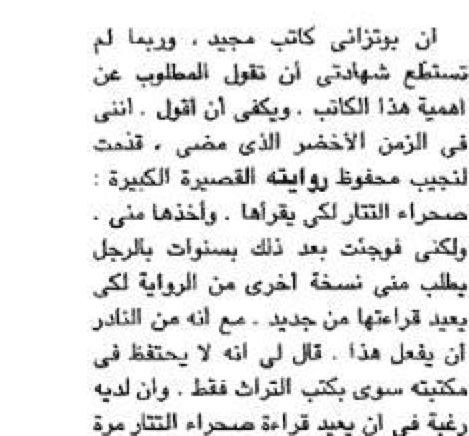
يكتبها : يوسف القعيد

التتار . التتار . التتار

●● في صمت . ودون ضجة . تم سحب كتاب "قصص من بوتزاني" من المكتبات ومن الاسواق . وقصص من بوتزاني ، هي مجموعة من القصص القصيرة ترجمها حسن فرغل عن اللغة الايطالية وهي قصص لكاتب ايطالي رحل عن زماننا مظلوما اسمه بالكامل : دينو بوتزاني .

والرجل يعد ـ بدون شك ـ من اهم كتاب القصة القصيرة والرواية القصيرة في النصف الثاني من قرننا العشرين . ومازالت روايته الفريدة "صحراء التتار" تمثل ذروة إبداعية في زماننا وكذلك قصتاه الطويلتان : الطرق السبعة ، والرسل السبعة وبوتزاني يكتب عن تلك المنطقة الحرجة الواقعة بين الاسطورة والواقع . ولحنه الاساسي وموضوعه المفضل هو تلك القدرة الفريدة للانسان على أن يتكيف مع اكثر الظروف قسوة وصعوبة .

نعود الى مصادرة أو سحب هذا الكتاب الهام من الأسواق . من الصعب معرفة الاسباب الحقيقية وراء كثير من القرارات . ولكن يمكن معرفة بعض الضوء ، من الشوارع الخلفية وببعض الصلات الشخصية . وقد عرفت أن السبب في القرار هو وجود قصة في الكتاب وبدون الدخول في التفاصيل ، والعوم في بحار الجدل ، اقول . ان مثل هذه القرارات تصدر انطلاقا من خطأ بسيط ولكنه قاتل وهذا الخطأ هو عدم التفرقة بين الفن القصصي والحقائق الثابتة في الحياة اليومية . القصة بنت الخلق والابداع فيها عالم متخيل منسوج من الخيال البشرى من الكلمة الاولى وحتى الكلمة الأخيرة ومن الصعب ومن الخطأ محاسبته بالمنطق الواقعي اليومي ، ولذلك فقد يسمح لخيال القاص بما يمكن منعه على جزئيات من الواقع اليومي . في القصة خيال واسطورة وحتى الكتاب الذين يعلنون في كل لحظة انهم واقعيين فهم انما يقدمون الواقع من خلال رؤيتهم واحساسهم به فحتى الواقع الذى يقدمونه ليس هو الواقع الخالص المصفى . فكيف نتعامل بالبنيان الأخلاقي مع مثل هذا الواقع . وكيف نحكم الحس الديني العادى . ان حقائق الدين مقدسة . لاشك فى هذا أبدا . ولكن وضعها في مواجهة قصة . ابداع خيالي بشرى صرف ـ أمر لابد من اعادة النظر فيه تماما .



ان بوتزاتي كاتب مجيد ، وربما لم تستطع شهادتي أن تقول المطلوب عن اهمية هذا الكاتب . ويكفي أن اقول . انني في الزمن الأخضر الذي مضى ، قدمت لنجيب محفوظ روايته القصيرة الكبيرة : صحراء التتار لكي يقرأها . وأخذها مني . ولكني فوجئت بعد ذلك بسنوات بالرجل يطلب مني نسخة اخرى من الرواية لكي يعيد قراءتها من جديد . مع انه من النادر ان يفعل هذا . قال لي انه لا يحتفظ في مكتبته سوى بكتب التراث فقط . وان لديه رغبة في ان يعيد قراءة صحراء التتار مرة اخرى . ولهذا يطلبها من جديد .

وفي بنها قرر محافظ القليوبية ، مصادرة ، كتاب تذوق الفن . الكتاب المقرر من قبل وزارة التربية والتعليم للتدريس على معاهد المعلمين والمعلمات . منذ سنوات مضت وسبب القرار أن الكتاب فيه صورة عارية "لما يكل انجلو" . وهناك قرار اخر من السيد المحافظ بتحويل المسئولين عن تدريس هذا الكتاب إلى التحقيق . وكل هذا بسبب الصورة الغريبة ، التي هي الآن من تراث البشرية العظيمة والتي تستخدم في تدريس الفنون في كل مكان من عالم اليوم .

لا يسعني سوى أن أدعو الله سبحانه وتعالى ـ أن يقينا شر كل هذا الظلام القادم ، والذي يهدد كل ما على الأرض . ادعوه ، بعد أن عجزنا نحن البشر عن أن نفعل اى شيء ..

(٢)إميل حبيبي وسميح القاسم وتوفيق زياد وشوقية عروق ..

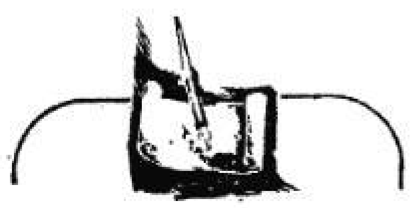
كانت في مصر ، في الشهر الذي مضى ، كاتبة وصحفية من فلسطين المحتلة ، من عرب ١٩٤٨ وليست من عرب ١٩٦٧ . هكذا قالت لي ، وعرفت من حديثها ان الفلسطينيين في الوطن المحتل يعرفون الآن بالسنة التي اتى الاحتلال الصهيوني فأى هوان هذا الذى كتب علينا أن نحياه . والكاتبة والصحفية هي شوقية عروق . تعيش في حيفا وتعمل في الناصرةتعمل محررة في صحيفة الاتحاد ورئيس التحرير : هو إميل حبيبي سيد الرواية الفسطينية خاصة المكتوبة في الأرض المحتلة الرجل الذى لم أره من قبل



دينو بوتزاتي



أميل حبيبي



متابعات أدبية

أبدأ . ومع هذا أشعر فى كل لحظة تمر أننى أعرف حتى تطورات دمه وذلك من خلال متابعة نتاجه الأدبى الفريد .

، وشوقية عروق تحضر وبداخلها فلسطين كلها . وهى تبدو حاملة لقدر كبير من أخبار الكتاب الفلسطينيين الذين قرروا البقاء فى الأرض المحتلة .

تقول لى ان اميل حبيبى انتهى من رواية جديدة هى . "إخطية" وهى قريبة من ذكريات قديمة فى فلسطين قبل الاحتلال وبعده ، وان الرواية ستصدر فى كتاب عن مجلة الكرمل ، المجلة الفلسطينية التى تصدر فى قبرص ، وستكون هى العمل الأول من سلسلة جديدة اسمها : "كتاب الكرمل" .

تقول لى : ان سميح القاسم أصدر ديوانا جديدا هو "سربية" وان توفيق زياد ، ذلك الصوت الشعرى الفلسطينى الصادق ، يعمل الآن ومنذ سنوات عمدة "للناصرة" وان هذه العمودية قد اخذته من الشعر تماما . وقته كله يعطيه لهذه المهمة والباقى للشعر قليل وأقل من القليل .

واميل حبيبى ، ذلك الكاتب الجيد الواقعى ، والذى يقترب من الستين من عمره الآن لم يحضر الى مصر من قبل أبدا . ومازال هو فى انتظار الحضور الى مصر ومازالت مصر فى انتظاره .

(٣) عالم واسع ولحده صغير

اسال دائما عن الكاتب السوفييتى جنكيز ايتماتوف وهو الآن من أهم الروائيين ليس فى الاتحاد السوفييتى فقط ولكن فى عالم اليوم كله . آخر العائدين من موسكو قال لى . انه الآن فى تركيا يقوم بتدريس الادب . وتبدو هذه الاقامة غريبة ومثيرة لكثير من التساؤلات عموما ايتماتوف كاتب كبير يستحق نوبل ولكن يبدو انها لن تذهب إليه . لأنه لم ينشق بعد . ولن تذهب لكاتب من العالم الثالث . مالم يتبرا من هذا العالم الثالث تماما .

● وفى تركيا نفسها كاتب كبير اخر إنه ياشار كمال ، ما إن عثرت على روايته "ميميد الناحل" وميميد تعنى "محمد" وقرأتها وقرات عنه حتى أدركت اننى امام كاتب ملحمى كبير . كاتب مثل الساقية فى ريف مصر ، تروى وتقول وتحكى سواء وهى صاعدة او نازلة . ما إن تنزل قواديسها الى حتى تخرج وفيها مافيها من اللؤلؤ والأصداف .

● وفى باريس انتهى صديقى القديم ، الدكتور عبد الرحمن منيف من الجزء الأول من روايته الجديدة "مدن الملح" والجزء الأول عنوانه : التيه وقد حصلت عليه غاليا ، ومع هذا لا مفر من تأجيل قراءته حتى تصدر باقى الأجزاء الأخرى من هذا العمل الكبير الذى يحاول أن يؤرخ لشبه الجزيرة العربية فى ذلك التحول الكبير والغريب معا . تحول ظهور البترول .

● وفى تونس صدرت طبعة جديدة من رواية الأرض لعبد الرحمن الشرقاوى هى الطبعة العشرون من هذه الرواية التى صدرت طبعتها الأولى فى أوائل الخمسينات . ومع صدور هذه الطبعة قررت وزارة التربية والتعليم التونسية تقرير الرواية لكى تدرس للطلبة هناك .

● وفى القاهرة ، حضر الى مصر وغادرها بعد زيارة سريعة الكاتب الفرنسى ميشال تورنيه . وروايته الأولى هى : جزيرة الباسفيك . وروايته الثانية هى : ملك الغابة والطريف فى حكاية تورنيه انه يقول عن نفسه ، انه نسيب طه حسين . فسوزان زوجة طه حسين خالته . وانه بهذه الصفة وحدها قابل طه حسين وتحدث معه وتناقش معه كثيرا . وقرأ عمله الكبير الأيام بعد ترجمته الى الفرنسية .

● وفى مدينة طنطا ، اصدرت سلسلة الرافعى احترس .. القاهرة . لسعد الدين حسن ، وسلسلة الرافعى تصدر مجلة ايضا اسمها الرافعى ، وسعد الدين حسن ، عاد بعد فترة من الزمن قضاها فى القاهرة الى طنطا لكى يعيش هناك ولكن يبدو أن مرض السفر والترحال قد سيطر عليه وتمكن منه فهو يقضى فترة لكى يعاود السفر مرة أخرى . ولكن الى خارج مصر هذه المرة ، ومجموعته "احترس القاهرة" فيها جهد وتطور كبير ولكن معظمه يدور فى حقول اللغة . انه يكتب قصة شعرية او قصيدة قصصية . وهو مثل كل ابناء الريف الأصلاء ينظر الى القاهرة : باعتبارها غابة من الحديد والاسمنت أو كما قال احمد عبد المعطى حجازى - مدينة بلا قلب .

● ومن الاسكندرية وعنها قرأت روايتين لكاتب واحد مرة واحدة هى : الجهينى وجبل ناعسة للكاتب مصطفى نصر ، وقد استمتعت بقراءة النصين بدون حد وان كانت "جبل ناعسة" أفضل من "الجهينى" أعجبنى مافيها من قدرة فريدة على تصوير أجواء الاسكندرية . وان كانت الروايتان تمثلان مرحلة اعتقد ان مصطفى نصر قد تخطاها الآن . فهو شاب هادىء لم يدخل بعد رحلة النجومية . وهو يعتقد ان دوره الأساسى هو فى قدرته على العطاء والابداع .

الـــزم بيتـــك

فى محكمة جنح آداب القاهرة ، فى مبنى مجمع المحاكم بشارع الجلاء. فى القاهرة : عاصمة مصر المحروسة وفى مايو من سنة ١٩٨٥ ، رقدت ألف ليلة وليلة على منصة القضاء وحيدة . ووقفت شهر زاد فى قفص المتهمات وحيدة .

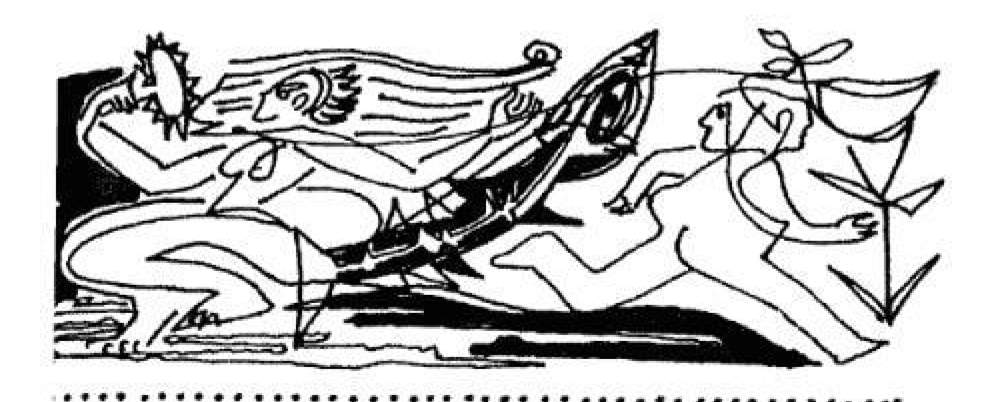
لم يكن هناك مثقف مصرى واحد ولم يكن هناك مثقف عربى واحد ..

وفى محكمة جنوب القاهرة الابتدائية فى مبنى مجمع المحاكم فى باب اللوق بالقاهرة عاصمة مصر المحروسة وفى مايو ١٩٨٥ وقف الدكتور يوسف إدريس صاحب أرخص ليالى والحرام ، وآخر الدنيا وقاع المدينة والفرافير رافعا دعواه وقف بمفرده .

لم يكن هناك مثقف واحد معه ..

ويبدو أن شعار مثقفى زماننا أن الخطر الذى لم يصل الى باب البيت لا يعد خطراً . ويبدو أن الأمر الوحيد الذى ينفذه كافة الادباء والمثقفين هو : الزم بيتك ..

يامن تلتزمون بيوتكم ، هنيئا لكم .



مستنى أمراض العصر

شعر : أحمد فضل شبلول

ابدا .. حيث يكون البحر
وافضى بالسر اليك
واجرى ..
احمل عينيك .. وهمى
انت الواقفة الآن على باب البحر تغنى
تسأل :
من هذا الراكض فوق الموج
ومن هذا الرابض تحت الجفن
ومن هذا المفضى بكلام عن عينى ؟
ابدأ .. حيث يكون الهم .. واجرى
العالم من حولى يسابق ...
انت الواقفة على رمل الشط تحدق
كل يجرى ..
وقطارى لا يعرف اين محطته
كل يحلم ببلوغ المد
وانا ابدأ حيث يكون الجزر ولا اقف
مازلت اصافح عينيك صباحا
مازال البحر بداية حلمى



رغما عني .. اجرى .. احمل همى
هل سالت شفتاك : لماذا ؟
هل مدت كفاك اصابعها لتخفف عنى
ابدا من حيث اغنى
عاصفة هبت ، وسفائن غرقت ، وقطارات ، وصواريخ
ومدائن طمست ..
العالم من حولى يصارع ..
من فينا المنتصر
ومن منا المنهزم ؟
كل يجرى ..
انت الواقفة الآن على باب البحر تغنى
انظر فى عينيك ..
كيف تغنين وقد مستنى امراض العصر
فاصبحت انافق
امسيت اداهن
رافقت لصوص العقل ، وتجار الفكر
فكيف احدث عينيك
اعرف انى خنت البحر ..
ولم ابدا من حيث يكون
اعرف ان غناءك من اجل صفاء الروح
من اجل نقاء النفس
ومن اجلى
لا اقدر ان انظر فى عينيك
ولا املك حق مرورى فوق شواطىء خديك
فقد مستنى امراض العصر .



● اراء حرة ●

● فى أولى رسائلى إلى مجلة الهلال اتوجه بالشكر إلى أسرة تحرير هذه المجلة على اهتمامها برسائل القراء والأدباء الشبان الذين غالبا « مايصابوا » بمرض النشر . ولعل هذا الباب (انت والهلال) يكن فى طياته علاجا « مثبط » لهذا المرض . مرة أخرى اتوجه بالشكر على اهتمامكم بنا كادباء شبان . ضاقت أمامنا الساحة والهب حماسنا حب الظهور حقا قبل الوصول الى درجة من النضج الفنى لاتقان العمل الادبى فى اى من صوره . حتى نتحرر من الالفاظ او الصور التى اثقلها التكرار والتداول بما يقزز القارىء من وقع تكرار هذه الالفاظ ولكن بالنسبة لنا كادباء شبان لاحيلة لنا « إلىْ » المران على الأدوات القديمة مادمنا غير قادرين على التجديد وبرغم هذا لايمنع أن نضع ايدينا على مواقع الضعف عند « ماأسموا » انفسهم « شعرائنا » . الكبار فمثلا قصيدة الشاعر « فريد قرنى » حسد × حسد وقد نالت من المجلة صفحتين كاملتين و « إخراج فنى متواضع » لانجد فيها من الصور الجديدة مايجعلنا نشيد بمقدرة الشاعر على الابتكار الفنى (عفوا) فهو يقول مثلا فى قصيدته .

احسد الأرض التى تمشى عليها
احسد العين التى ترنو إليها
احسد المنديل إذ تنشره
ثم تطويه بكلتا راحتيها

ثم يقول :

احسد الكرسى إذ يحملها
وهى ترخى فوقه من ساعديها

ثم يختمها بقوله :

احسد النسمة تهتز على
ربوة الصدر وتعلو منكبيها
كلها احسدها .. أحسدها
حسد المشفق منها وعليها



أين إذن مواطن الجمال التى ابتكرها هذا الشاعر . (عفوا) أعود فأقول . كان من الأحرى به أن تأخذ هذه القصيدة مكانها فى باب أنت والهلال وتأخذ حقها من التهنئة على موهبة صاحبها . ولكن لايفوتنى أن أبلغه إعجابى بقوله :

أحسد الدمعة إذ تذرفها

أولم تسعد بسكنى مقلتيها

فوجود هذا البيت فى هذه القصيدة كمثل التفاحة فى قفص الطماطم .

★★★★

يبقى أن أرسل إليكم بعضا مما أنتجه حماسى الملتهب وتمخضت عنه مقدرتى الفجة علها أن تلد شيئا يستحق من مجلتكم نشره وإبداء الرأى فيه فى باب (أنت والهلال) ولكم جزيل الشكر ... والقصيدة بعنوان « لقاء مع الماضى) وهذه هى :

يارفيقى

١ - قد مضينا فى روابى العشق ليلاً
٢ - نتهادى الحب زهراً . ورياحين وفلاً
٣ - وقطعنا الليل نلهوا فإذا الصبح هلَّ
٤ - فافترشنا الأرض نورا . ومن الشمس تدلَّى
٥ - كل عشاق السماء . يرسلون الحب ظلاً
٦ - فتعانقنا بحب . وصلينا ثلالاً ....

يارفيقى

٧ - إن سألت الزهر يوما . فى جبين قد تحلَّى
٨ - لاتلمنى يارفيقى . لو يجيب الزهر ملَّ
٩ - قد زرعت الحب نبتا لن تذره اليوم غلاً
١٠ - لاتلمنى يارفيقى . لو تراه اليوم نخلاً
١١ - والعناقيد تدلت . والزهور تذبع فُلاً
١٢ - إن تسلنى يارفيقى . كم شربت الكاس « زُلاً » ؟
١٣ - فجوابى يارفيقى : لن يموت الحب إلاَّ ....

محمود أحمد برغوت
كلية الزراعة - جامعة المنصورة



● نشكرك على آرائك الصريحة ... ولكل رأى . وقد نشرنا كلامك بحروفه وأغلاطه النحوية واللغوية والاملائية . كقولك : « غالبا مايصابو » . والصواب : « مايصابون » .. وقولك « علاجا مثبط » والصواب « علاجا مثبطا » .. وقولك : « لاحيلة لنا إلى المران » والصواب « إلا المران » . وقولك : « عندما اسموا انفسهم شعرائنا » والصواب « عند من أسموا انفسهم شعراءنا » .. أما قصيدتك فتحفل أيضا بالأغلاط النحوية والصرفية والعروضية فضلا عن كونها « فجة » على حد تعبيركم .. ولكى يستقيم الوزن فى السطر الثالث يلزم أن تقول : « وقطعنا الليل نلهو فإذا ما الصبح هلا » .. وكلمة « نلهو » بدون الف بعد الواو ... والسطر الخامس يضطرب الوزن عند كلمة « السماء » .. والسطر السادس لامعنى له . فما معنى قولك « للآلا » .. وكلمة « مل » فى السطر الثامن تكتب هكذا « ملا » .. والسطر التاسع فيه خطأ نحوى فى قولك « لن تذره » والصواب الا تسكن حرف الراء ولاتبيح لك الضرورة تسكينه . وكلمة « غلا » خطأ ... والسطر الحادى عشر مكسور ... وقولك : « شربت الكاس زلا » لامعنى له ولعلك تقصد « ذلا » .. وهكذا ترى ان باب النقد ذو سعة . ولكنك على الطريق ونرجو ان تبلغ فيه غايتك إن شاء الله .

● الشريعة الأسلامية ●

● قنديليات أديبنا الكبير يحيى حقى فى هلال مايو عن محمد على والأزهر وازدواجية التعليم بين التعليم الدينى والتعليم المدنى وآثاره فى حياتنا الثقافية والاجتماعية يحتاج الى وقفة لمناقشة بعض النقاط التى تضمنها المقال . فقد انتهى أديبنا صاحب القنديل الى نتيجة الازدواجية وأثرها وتقرير مظاهرها دون أن يستند الى مقدمات صحيحة من الناحية التاريخية ، فترجمة قانون نابليون لم تتم فى عهد محمد على وانما تمت فى عهد حفيده الخديو اسماعيل ويذكر السيد محمد رشيد رضا السبب فى الأخذ بالقانون الفرنسى فيقول : « قعد اهل الأزهر عن اجابة طلب اسماعيل باشا الخديوى ، تأليف كتاب فى الحقوق والعقوبات موافق لحال العصر سهل العبارة ، مرتبة المسائل فيه على نحو ترتيب كتب القوانين الأوربية ، وكان رفضهم هذا الطلب هو السبب فى إنشاء المحاكم الأهلية واعتماد الحكومة فيها على قوانين فرنسا واحتجوا فى رفضهم بأنهم يحافظون على الشرع .. وكان الخديو إسماعيل قد حاول توسيط رفاعة الطهطاوى فى إقناعهم فاعتذر خشية

ان يتهم بالكفر .... » ومن هنا لم يكن أمام الخديو إسماعيل إلا ان يقرر وضع اسس القانون المصرى الحديث على أساس كود نابليون (سنة ١٨٠٤) كجزء من خطته لجعل مصر دولة عصرية أو قطعة من أوربا كما كان يقول . وعهد إلى رفاعة الطهطاوى وتلاميذه في مدرسة الألسن بترجمة مجموعات القانون الفرنسي ، وقام رفاعة نفسه بترجمة القانون المدنى الفرنسى بالاشتراك مع عبدالله بك السيد من أفراد بعثات محمد على إلى فرنسا ، ولم توضع هذه المجموعات موضع التطبيق التشريعي إلا فى سنة ١٨٨٣ فى عهد الخديو توفيق ، وعليه فإن قضية تطبيق القانون الوضعى الفرنسى فى مقابل الشريعة الاسلامية وبديلا عنها لم تكن مطروحة أساسا فى عصر محمد على ، ويكاد يكون آثر البعثات الفرنسية إلى مصر أو منها إلى فرنسا يكاد يكون منعدما فى مجال التشريع والفقه والقضاء .

ومع هذه النقلة التشريعية من الشريعة الاسلامية إلى القانون الفرنسى نجد لأول مرة أحكام الفقه الاسلامي توضع فى صورة مواد على غرار القوانين الحديثة فى مجموعة كتب محمد قدرى باشا (١٨٢١/١٨٨٦) ومحاولته تقنين الفقه الاسلامى على مذهب أبى حنيفة والتى اشتهرت بكتب « مرشد الحيران فى معرفة أحوال الانسان ، والأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية ، وقانون العدل والانصاف فى القضاء على مشكلات الأوقاف ، وكتابه الذى لم يطبع .. تطبيق ماوجد فى القانون المدني مطابقا لمذهب أبى حنيفة ، وهو يعتبر من الكتب المبكرة فى تراثنا الفقهى المقارن بين الشريعة الاسلامية والقانون الوضعى الفرنسى ، وعلى الرغم من أن الفقيه الكبير قدرى باشا قد افرغ جهده وطاقته فى إعداد هذه المادة التشريعية الا انها لم تأخذ طريقها إلى التطبيق التشريعى لتغلغل النفوذ الأجنبى والاحتلال الانجليزى لمصر ، ولهذا يمكن القول بأن المصريين قد أضافوا الكثير الى القانون الفرنسى مع وجود السيطرة الاجنبية على مقدراتهم .

وليس هناك من ينكر الفروق الشاسعة بين الشريعة الاسلامية والقانون الفرنسى الوضعى من حيث المصدر والنشأة والتطور والظروف التاريخية التى صاحبت كل من التشريعين ويكاد يجمع الباحثون على اهدار قيمة كتاب الطهطاوى « القول السديد فى الاجتهاد والتجديد » ولم يلتفت اليه من يكتب سيرة الطهطاوى وآثاره إذ إن هذا الكتاب يعد بمثابة دعوة لفتح باب الاجتهاد والتجديد من الفقة والشريعة الاسلامية قبل جمال الدين الافغانى وتلميذه محمد عبده ، وكان الطهطاوى فى دعوته للاجتهاد والتجديد متأثرا بدعوة أستاذه حسن العطار فى « ان بلادنا لابد وأن تتغير أحوالها ويتجدد بها من العلوم والمعارف ماليس فيها » .

وعلى ذلك سارت مصر فى اقتباس المدنية الحديثة منذ ذلك الحين



على أن محمد على للحقيقة والتاريخ لم يعط ظهره للأزهر ، فلم يكن الأزهر بنظامه التقليدى بقادر على مسايرة حركة التقدم والتعمير الحضارى بعد اربعة قرون من الحكم العثمانى ، وقد تركه على نظامه لخشية أن يثير سخط العلماء والجماهير حتى قيض الله للأزهر بعضا من أبنائه حملوا رسالة التجديد والحياة .

عمرو عبدالمنعم حموده
برما ـ مركز طنطا

الاسكندرية

ـ يؤسفناأن تلقى كلامك على عواهنه فنحن لانهمل شعرك ولاشعر الشباب ، ولانعرف حين نتلقى القصائد ان كانت لشعراء شبان أو شعراء شيوخ ، وننشر الصالح الناضج منها بدون أن نسأل عن سن ناظمها او عمله او شكله فالعمل الناضج يفرض نفسه ، وحكاية الشباب والشيوخ من سخافات بعض الفارغين الذين لايعرفون أسباب مشكلة النشر فى بلادنا ... اما قصيدتكم فجيدة ولكنا لم ننشرها لانها موجهة ـ كما تقولون ـ « الى الذين يخونون وطنهم بالرحيل » .. فأنت تعلم أن ثمة ثلاثة ملايين مصرى يعملون فى الخارج فهل تعتبر هجرتهم هذه خيانة للوطن ؟ ! .

تصحيح

●● الصورة المنشورة على مقال "الأميرة الكسندرة ، صاحبة أول صالون أدبى فى مصر" ليست هى صورة الأميرة التى أصدرت اول مجلة نسائية ولكنها صورة الأميرة الكسندرا البريطانية ..

ويتضمن العدد مقالا بعنوان "الجذور التاريخية للثقافة الفرنسية فى مصر" وفيه كُتب "ديزيريه" بدلا من "بريسيه" ، وأرتين دريقون بدلا من أتيين دريوتون ، وماسينون بدلا من ماسينيون ..

ولزم التصحيح ..
فاروق البدوى ـ طنطا

● الى اصدقائنا ●

● رجب عبدالحكيم بيومى ـ دار العلوم

ـ نشكركم . ونتمنى لكم حظا حسنا مع فن القصة القصيرة ، وهو ليس بالفن السهل كما يتصوره الكثيرون .

● **عمر غراب :**

ـ أنت غزير الانتاج في الشعر ، ومجيد في قصائد غير قليلة ، ولكن التجويد والتمهل خير من غزارة الانتاج .

● **محمد خضر عرابي ـ جزيرة شندويل :**

ـ الشعر الذي يصلنا منكم موزون دائما ، وفيه جهد ، ونحن ننشر من الشعر ماتتسع له صفحاتنا ، فنعتذر إليكم ...

● **سويفي محمود سويفي ـ أبوتيج :**

ـ شعركم يفتقر إلى الأوزان افتقارا شديدا ، فضلا عن افتقاره إلى صحة النحو والصرف والاملاء ... مع الأسف !

● **د . أحمد كامل :**

ـ قصة كليب وجساس ، والشعر الذي قالته جليلة ، معروفة جيدا لطلبة المدارس ، فلا داعي لنقلها من كتاب الأغاني ونشرها هنا ...

● **عبدالرحيم الماسخ ـ سوهاج :**

ـ لاينقص قصيدتكم الوزن ، ولكن فيها هنات من اللغة نحوا وصرفا ونشكر لكم حسن ظنكم ....

● **عبدالرحيم محمد عبدالجليل ـ مدرسة عين شمس الثانوية :**

ـ إذا كنت تطلب رأينا فيما ارسلته إلينا من « شعر » فهو ليس شعرا ، وإنما هو نثر خال تماما من الأوزان ، ونحيي فيك وأنت في شعبة الرياضيات اهتمامك باللغة والأدب .

● **صلاح شفيع ـ بلقاس :**

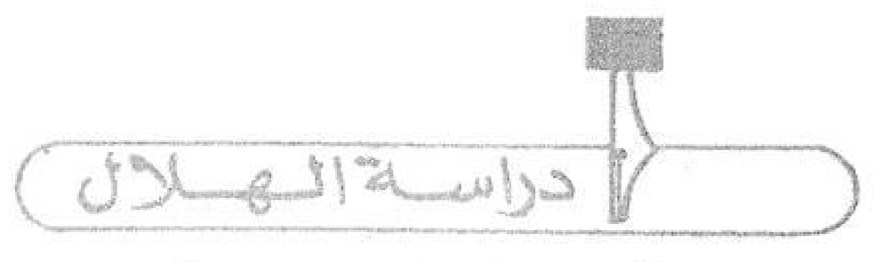
ـ للكتابة في القصة وغيرها آداب وقواعد ، ونرى أن سطورك التي جعلتم عنوانها « تعانق ضحكتين » لاتلتزم بهذه القواعد والآداب .

● **عبدالعزيز بيومي علي ـ مصر الجديدة :**

ـ قصيدتكم « رسالة إلى قبر » شديدة التشاؤم ...

● **تحية خاصة** ●

● ونرسل بتحية خاصة إلى أصدقائنا : عاصم فريد البرقوقي ... هشام حسين خضر .... محمود مغربي .... فوزي خضر .... خالد محمد غازي ... محمد عبدالرحمن قطب .... أشرف محمد مصطفى .... عبدالغني السيد ... الدكتور إسماعيل تمام ... حسن المنشاوي .... طلعت عمر التحيوي .... أشرف صالح سلام .... رفعت محمد بروبي ...



الأبعاد التربوية للصراع العربى الإسرائيلى

بقلم : د . سعيد اسماعيل على

تشير الدراسة التحليلية الناقدة لتلك الهجمة الاستعمارية الاولى فى العصر الحديث على العالم العربى التى قادها نابليون بونابرت سنة ١٧٩٨ الا أن الاستعمار قد غير اسلوبه الذى كان يعتمد عليه فى حروبه الصليبية السابقة حيث كان يعتمد على الاسلحة العسكرية بالدرجة الاولى . اذ هداه تفكيره الى انه ما دام يقوم بالغزو فى عصر سمته الاساسية « العلم » فلا بد وان يصحب العلمــــاء والمفكرون الجيش وبذلك يتمكنون من « عقل » المجتمــــع الذى يتعرض للهجوم ، بالاضافة الى تمكنهم من « الارض » عن طريق القوة المسلحة

ولم يقف الامر عند هذا الحد بــــل راحت قوى الاستعمار تتوسل بوسائل شتى لايقاع اقتصاديات العالم النامى فى شباكها حتى لاتقوم لها قائمة لاطول فترة ممكنة .

وقد تمثلت فى الصــــهيونية كافة اشكال الغزو الاستعمارى التى شهدها التاريخ على مر العصور ، مما يجعـــل مواجهتها مسئولية لا تقع على عـــاتق قادة النظم السياسية وقادة الجيـــوش العربية وحدهم ، وانما تشارك فيهـــا كل قطاعات المجتمع بحيث تكون المواجهة « حضارية لاتنفرد (البندقية) وحدها بأن تكون الاداة وانما تشاركها أيضـــا (الفكرة) و « القلم » و « المصنع » و « المعمل » و « ريشة » الفنان و خيـــال الاديب و « فأس » المزارع ..

« ولقد كتبنا فى الزبور من بعـــــد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون سورة الانبياء ـ أيه ١٠٥

هؤلاء الصالحون هم الذين يملكون المنهج الصحيح ، ويلتزمون به فيجعـــل منهم اناسا قادرين على عمارة الارض وقيادة الحضارة .

ومن هنا كان لزاما على أهل الحق باعتبارهم مستهدفين لما يحمـــلون من حق يكشفون به الباطل ويفضـــحون أهله ، أن يكونوا آخذين حــــذرهم لا يغفلون عن عدوهم ، قال تعـــالى : « وما نقموا منهم الا ان يؤمنـــوا بالله العزيز الحميد » سورة البروج ـ آيه ٨

« الذين أخرجوا من ديارهم بغيـــر حق الا ان يقولوا ربنا الله » ســورة الحج ـ أيه ٤٠

من هذا المنطلق يجد (المختصون) بالتربية ممن يتولون قيادة الســــلطة التعليمية ، ويجد (المتخصصون) فى التربية ممن يعملون فى المؤسســـــات الاكاديمية التربوية وفى مقدمتها كليات التربية انفسهم ازاء مسؤلية هـــامة ،

وهى ان يقوموا بدورهم فى الكشف عن أخطار السرطان الصهيونى فى بنيـة الشخصية العربية والمسلمة وما يمكن أن يقوم به (بناة البشر) من معلمين وباحثين واساتذة من ادوار تؤكد دور التربية فى هذا الصراع الحضـارى الذى لم يشهد له التاريخ مثيلا .

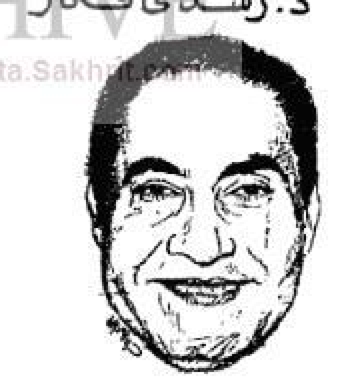
ولا شك أن تحقيق هـذا الطموح يستلزم القيام بالخطوة الاولى فى اى مشروع ناجح وهى تلك التى تقوم على البحث والدراسة والحـوار والنقـد والتحليل والاستنباط وغير ذلك من عمليات المنهج العلمى .

ومن هذا فقد انعقد مؤتمر الابعاد التربوية للصراع العربى الاسرائيلى باشراف قسم اصول التربية بكليـة التربية جامعة الكويت .

وقد حفل المؤتمر بعدد من الدراسات والابحاث الجديدة فى هذا المجال مما يصعب علينا حصره وسنكتفى بايجاز ماتوصلت اليه على سبيل المثـال لا الحصر

تحويل الأساطير إلى حقائق

د. رشدى فكار



قدم المفكر المعروف الدكتور رشدى فكار دراسة بعنوان (اتجاهات الفكر التربوى المعاصر فى الكيان الاسرائيلى)

ولابد للقارىء أن يتساءل : لمـاذا اتجاهات الفكر التربوى المعاصر فى الكيان الصهيونى ؟

الحق ان الفكر التربوى هـو فى الواقع المحور الذى يجسد واقـع الصراع المستقبلى بين امتنا ممثلة فى اطفال اليوم وبين ما يحاول الكيـان الصهيونى أن يزرعه فى جسد هـذه الامة من طفيليات قادرة على ان تشل حركته وان تستنزف عطاءه .

ومع هذا فقد تحاشى البـاحث فى طرحه لهذا الموضوع الهام المغـالاة والتجاهل على حد سواء فمن المعروف أن تصوير ما يجـرى فى الكيـان الصهيونى وتصوره كثيرا ما يقـدم فى اطار من التهويل ، بل والتخويف، فنرى الصهيونى وكأنه انسان معجـز يتمتع بقدرات اسطورية ولا يهـزم ، بلاشك ان هذا الجانب الاسطورى ساعد كثيرا خلال ما يزيد عن ثلاثين عاما فيما نشاهده اليوم لدى العـربى حين ينظر للصهيونى هذه النظـرة التى اسهمت فى تزيفها قدرات ذهنية ماكرة سواء لدى الدول المتقدمة المتواطئـة مع كتلة الضغط الصهيونى أو المنظمات الصهيونية فى حد ذاتها ، نظرا لمـا يتمتعان به تصدر وزيادة على مستوى وسائل التوصيل Mass Madia مقروءة ومسموعة ومرئية ، الى جانب استغلال تصور العربى فى تفهمـه للخصم واستيعابه لواقعه وانه كثيرا ما يرى هذا الخصم من خلال المنظـور الذى يتمناه .

وهكذا تقديم الصهيونى كعمـلاق واسطورى قد اسـتبعد من البداية ، وبنفس الصراحة فى التحليل فقـد استبعد الباحث النظرية الناقضة التى ترى الصهيونى استمرارا لهذا اليهودى

الثائه المعقد خصوصا عقدة الانغلاق Ghetto وان من الممكن الغاءه بجمل مفيدة وخطب رنانة وشعارات من هنا وهناك مكنته في النهاية من ان يتقوى على حساب جهل خصمه بقوته .

واذا كان الباحث قد استبعد العملاق الاسطورى ، الا انه مسلم ببعض المعطيات الموضوعة التي تشكل مكونات صهيوني اليوم وتمهد لصهيوني الغد ونعنى بذلك ما عرفه اليهود في العصر الحديث والمعاصر من تطور ـ الى حد ما ـ جذرى نتيجة لمشاعر الانغلاق والاستبعاد التي مورست نحوه خلال قرن ، اذ من المسلم به ان شعور الاقلية حين يمكنه من الوعي والتعبئة، يصبح قدرة مميزة .

ان انطواء اليهودي على ذاته عبر التاريخ ، مكنه من استيعاب الاخرين واكتشاف مظاهر القوة والضعف لديهم فاستطاع ان يستغل العديد من المواقف التاريخية ويوظفها لحسابه ، وللتمثيل على ذلك ، الصراع بين الكنيسة والعقلانية في الغرب وكيف ان القرن التاسع عشر قدم لنا نماذج لهذا اليهودي المساهم في كيل الضربات وتوجيهها للغربي وتمزيق وجدانه الروحي والقائه في مسلسل التساؤلات بل والقنوط واليأس في الوقت الذي يحيى فيه اساطيره ويمجد خرافات المعبد ليحولها الى حقائق تاريخية ، فهو بقدر ما يلغى تاريخ الاخرين ويحول الحقائق الى أساطير ، يسعى الى تحويل اساطيره الى حقائق .

كذلك استطاع اليهودي التائه ان يركز على بعض القطاعات النشطة والضامنة لرقى المجتمعات بدلا من ان يوزع بطاقاته هنا وهناك وفي شتى المجالات ، فالقطاع الاقتصادى هو محترف له عبر التاريخ ، ثم أضاف اليه القطاع العلمي وخصوصا القطاع الاعلامي كموجه للرأى العام ومعبىء له ، واستغلال كل هذه القطاعات من خلال وسيلة التقدم والارتقاء . ونعنى بذلك الصناعة والمعرفة التكنولوجية تجاهل هذه الوقائع والنظره الى اليهودي كما كان في منغلقه وانطوائه هي بدورها مستبعدة .

النموذج الصهيوني نموذج نشط ومتطلع ويسعى الى الهيمنة لا الى الانغلاق ، ويستغل كل مظاهر ضعف خصمه لتقوية ذاته . بين الموقفين ، موقف المغالاة في تضخيمه والمغالاة في تحقيره، تبنى د . رشدى فكار لا نقول موقفا ، وانما استيعاب موضوعي ما أمكن على ضوء ماتيسر له من توثيق ومعرفة بالفكر التربوى الصهيوني عبر اتجاهاته المعاصرة .

التصدى للصراع العربي الإسرائيلي
أسامه الخولي



وقدم الدكتور أسامة الخولي دراسة بعنوان (التعليم التكنولوجي في العالم

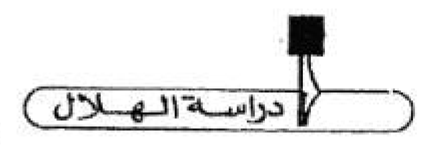
العربي وامكانيات اسهامه فى التصدى للصراع العربى الاسرائيلى) .

ولاشك أن حديثنا الذى يدور حول الصراع العربى الاسرائيلى فى واقعنا العربى اليوم لابد وأن يتاثر الىدرجة كبيرة بتحولات عميقة شهدتها السنوات الاخيرة فى تصور امتنا لحقيقة هذا الصراع ولاستراتيجتنا فى ادارته ، ولتقديرنا لقدراتنا وامكانياتنا الراهنة وفى المستقبل على حسمه لصالحنا . ولا مفر من التسليم بأن هذه كلها أمور ينعكس ما شهدته من تحولات على امكانيات اسهام التعليم التكنولوجى أو غيره من المناشط الاجتماعية ، فى الاسهام فى (التصدى للصراع) ولقد كان هناك زمن غير بعيد كنا نرى فى الكفاح المسلح طريقا فعالا للتصدى . وتتردد اليوم أصوات لايمكن ان يخطئها السمع تنادى بأن هذا طريق مسدود وبأن العمل السياسى هو المتاح لنا فى المرحلة الراهنة ، وبأن حلول السلام لا يعنى نهاية الصراع وانما انتقاله الى مجال اخر هو المنافسة فى ميادين النشاط الاقتصادى والتقنى وغيرها ، أو باختصار فهو تنافس الحضارتين .

انالامر الذى يعنى الباحث مباشرة فىاطار هذا الموضوعهو ان التصورات السائدة حول جوهر الصراع وطرق ادارته والاهداف المبتغاة من حسمه لصالحنا تنعكس مباشرة على نوعية اسهامات اى نشاط اجتماعى فى (التصدى للصراع) والجهد المطلوب منه وامكانيات هذا النشاط لتوفير مثل هذا الجهد . ولم يكن امام الباحث ، والامر كذلك الا ان يستعرض أمكانيات اسهام التعليم التكنولوجى فى الصراع فى اطار التصورات المختلفة لالياته وطرق ادارته واهدافه .

ومن المهم أن نشير أن حديث الدكتور اسامة الخولى قد وقع بعد حديثين ، احدهما عن التعليم العام والاخر عن التعليم العالى واوضاعهما فى الوطن العربى . والتعليم التكنولوجى يقطع عرضا فى هذين المستويين . وهذا امر يحتاج الى تاكيد لانه يعنى ان المعالجة قد تتداخل مع شىء مما يعالج فى حديثين سابقين . وربما حظيت القضية بقدر كافمن المعالجة فىالتعليم العالى، بينما يبقى الحديث عن التعليم التكنولوجى على مستويات ادنى من المستوى الثالث تائها بين الاحاديث الثلاثة . وعلى الرغم من تكرار ممل لحديث لم ينتج عنه بعد فعل مؤثر عن اختلال هيكل العمالة الفنية فى المجتمع ومثالب صغر حجم المستويات الوسطى منها وتدنى مستواها ، تطرق حديث د . اسامة الى كل من المستويين مع تركيز خاص على المستوى الادنى والذى رأى انه من اكبر اسباب تقليص امكانيات التعليم التكنولوجى فى المشاركة فى الصراع .

ولاشك ان النظر فى امكانياتاسهام التعليم التكنولوجى يختلف بحكم الضرورة ، فى نوعيتها وحجمها ، مع تفاوت قدرات هذا التعليم وحجمه فى قطر عربى الى اخر ، ومع متطلبات ادارة الصراع فيه . فهى فى قطر عربى احدثعهدا بالتخطيط المنظم لجهد التنمية ، أو اقل حظا من الموارد الطبيعية أو البشرية أو مستويات تطويرها ، تختلف عنها فى قطر آخر اقدم عهدا بالتنمية وأوفر حظا من المال أو البشر أو الثروات الطبيعية ، وفى الجانب المقابل فان طبيعة الصراع ومتطلباته فى اقطار المواجهة غيرها فى اقطار اخرى بعيدة عن حافة المواجهة اقتصادية كانت ام عسكرية ، دع عنك



اختلافها مع تصوراتنا لمجالات الصراع وطرق ادارته ·

وفى هذا الاطار ، تطرق الباحث الى امور ثلاثة من بينها اثنان مدرجان فى تخطيط اللجنة الفنية المنسقة للمؤتمر وهما محاولة التعرف على واقع التعليم التكنولوجى الراهن فى الوطن العربى واتجاهات تطوره كما ونوعا ، ثم محاولة تشخيص الدور أو الادوار التى يمكن ان يقوم بها هذا التعليم ، وهو ما حاوله الباحث فى اقتدار وبراعة فى اطار عدد من التصورات لمجالات التصدى والصراع وصولا الى دوره بشكل عام فى التنمية الشاملة· وقد تطرق الباحث بعد تلك الى الحديث حول المستقبل وما يحتمل أن يأتى به وأعباء أو فرص ومسائل جديدة فى تطوير التعليم التكنولوجى·

أهداف الكيان الإسرائيلى
د. أنطوان زحلان

أما دراسة د · انطوان زحلان ، فقد كان عنوانها (التعليم التكنولوجى وأثره فى تحقيق اهداف الكيان الاسرائيلى) ، وقد قدم من خلال بحثه معلومات هامة :

لقد فرضت سرعة التبديل فى الكفاءات والفراغات الوظيفية فى المجتمعات الصناعية على تطوير عدة انواع من المناهج التربوية ، ولقد عملت اسرائيل على خلق مجالات جديدة اضافية الى البرامج الاكاديمية الروتينية فى مدارسها ومن أهم هذه المجالات : ـ

١ ـ المدارس الثانوية المهنية ·
٢ ـ المدارس الصناعية ·
٣ ـ المدارس الحرفية ·
٤ ـ دورات تدريبية قصيرة ·

ويجب أن نلاحظ هنا ان نصف خريجى المدارس الثانوية يدخلون المعاهد الثانوية التقنية وتعتبر شروط القبول فيها قاسية نسبيا اذا ماقورنت بشروط القبول فى المجالات الثلاث الاخرى ، وتنقسم الدراسة فيها الى جزئين متساويين ، يحتوى الجزء الاول على معلومات عامة ، والاخر عبارة عن تطبيق عملى ، ثم المدارس المهنية التى هى على اتصال دائم مع أرباب العمل ممن يتطلبون مهارات عاليه ، وتجمع هذه المدارس بين التعليم المهنى وبين الدورات التدريبية وتتراوح مدة الدراسة فيها ما بين الثلاث والاربع سنوات وتلى مدارس الصنائع أو الحرف المدارس الابتدائية ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات · ويجب ان يلاحظ هنا أن الشباب يعملون لمدة خمسة أيام فى الاسبوع لمختلف ارباب الاعمال ويداومون يوما واحدا فى المدارس كما أن هناك دراسات قصيرة تعدها وزارة العمل فى متناول التلاميذ ممن لديهم مشاكل خاصة لتؤهلهم بالقيام بأعمال غالبا ما تكون فى خدمة الجيش ،ومدة هذه الدراسة سنة واحدة ·

ويستطيع الطلبة الراغبون دخول الجامعة بعد اجتياز الثانوية التقليدية وهناك سبع مؤسسات للدراسات العليا وتختلف وظائفها واحجامها وقد بلغ مجموع الطلبة المنتسبين اليها ٥٠٧٠٠ طالبا فى عام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ و ٥٩٠٠٠ فى عام ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ م ·

ولقد نمت فى اسرائيل تكنولوجيا متعددة وقد تبدلت جذريا الصناعات

التقليدية تحت تأثير العلـــوم بسبب سياسات الدولة المتبعة التى اكـــدت على الفرق بين العلم والتكنولوجيـــا وأهمية كل منها فى مجـــال التعليم العالى ٠

من المؤكد أن المجتمع العلمي يصبح فيه العلماء طلبة دائمين فالتعليـــم الجامعي ليس الا امتدادا للجهود التى يبذلها المدرس من أجل المعرفة ٠ وفيما يلى سوف نذكر بعض خصائص هـــذه المؤسسات لتوضيح طبيعة العـــلاقات التى تجمع بين التكنولوجيا والتربية ٠

تهتم جامعة القدس العبرية بالعلوم الطبيعية والزراعيةوبالعلوم الاساسية، ويتابع فيها ثلث الطلبة برامج خاصـة للمجازين ٠

وفى عام ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ م شـارك مدرسو جامعة القدس العبرية و ٢٥٠٠ بحث وقد صدرت نتائج فى الابحـــاث فى ١٤٠٠ مجلة دولية علمية واكاديمية

معهد وايزمان للعلوم ، عبارة عن معهد للطلبة المجازين يحتوى على ٥٥٠ طالبا وتتعلقبرامجه بالعلوم التطبيقية، وهى عبارة عن رأس حربة التكنولوجيا الحديثة وهى كعلم الوراثة والهندسة والبيولوجيا والكمبيوتر ، كما أن هناك برامج تختص بالصيدلة وبدراســـة الفيروسات وبالمواد البلاستيكية هـذا وقد انشئت جامعة بن جورين عـــام ١٩٩٦ وتضم ٥٠٠٠ طالبافىعام ١٩٨٣ ونظرا لموقعها وتوجهها فهى تحـــاول تطبيق التكنولوجيا الحـــديثة فى الصحارى ٠

والتربية فى بناء هذا النمـــوذج المنشود دور لابد أن نتبينه وهو كمـــا نؤكد دائما دور متكامل مع ســـائر صويحباته من جوانب الحياة العربية الاخرى ٠

كيف يتاتى للتربية أن تضطلع بهذا الدور ؟ وما هى معالم الفلسفة التربوية العربية القمينة به ؟ تلك هى المسألة ٠

وقبل أن يمضى الباحث الى صـلب هذه المهمة ، اوضح بايجـــاز أهـــم المنطلقات التى انطلق منها فى معالجة هذه المسألة المعقدة ، مثل : ـ

١ ـ أن التربية جزء من كل ،ونظام فرعى من نظام كلى شامل ٠

٢ ـ وبالتالى تطوير التربية لابـــد أن يكون عملا متكاملا داخل النظـــام التربوى نفسه ٠

٣ ـ ومن هنا تحتل الفلسفة التربوية مكان الصدارة فى أى تطوير تربوى٠

٤ ـ ان تطوير التربية العربيـــة من اجل هذا الهدف ومن اجل سواه عمـــل عربي متكامل ٠

٥ ـ التاكيد على أهمية التحـــام الوجود العربى ٠

وقد يكون ما انتهى اليه هذا المؤتمر على حد قول الدكتور عبد الله عبـــد الدايم حقا ـــ هو هدف توليد الايمـــان بالعمل المشترك من اجل حضارة عربية مفادها العلم والتكنولوجيا وروحهـــا القيم التى تستخرجها من تفـــاعل الميراث مع الواقعالعربى والعالمى ومع المستقبل المنشود ٠

عبقرية الامم كعبقرية الافـــراد ، براكين انفعالية تعصف فى الاعماق، يمكن لها القائم عقل علمى منقب ،ويطلق قواها علم هاد يضبط اقنيتهـا أو قـل انها عقل مبلل بالانفعال،وانفعال يعانقه العلم والعقل ٠ ومن هم كبار الرجال المصـــلحين والانبيـــاء الذين قادوا الانســـانية ؟ انهم اولئك الذين رأوا العلم بعقلهم المحمل بالانفعال وقلبهـم المحمل بالعقل ٠

حياة الأسرة .. مشاركة

تبس

العازل الطبي .. وعلاج العقم

في الحلقة السابقة من الحديث .. عرضنا للعازل الطبي وبعض الحالات التي يقي فيها من التهابات الحوض والسائل الأمنيوس وسرطان عنق الرحم وفي هذه الحلقة من الحديث نعرض لحالات العقم التي يستعمل العازل الطبي في علاجها ..

يكون العازل الطبي مفيدا في علاج حالات العقم الناشئة عن تكوين اجسام مضادة للحيوانات المنوية داخل جسم المراة .. فقد وجد أن حوالى ١٠ ـ ٣٠ ٪ من

حالات العقم التي ليس لها تفسير واضح تكون ناشئة عن تكوين اجسام مضادة للحيوانات المنوية في خلايا المراة أو في الدم .. وفي احيان اخرى يحدث ذلك عند الرجل ايضا .

وحيث ان هذه الأجسام المضادة تتولد عند وصول السائل المنوى لخلايا عنق الرحم ، يقترح بعض الأطباء استعمال العازل الطبى لتقليل معدلات تكوين الأجسام المضادة .

وفي بعض الدراسات التي اجريت على بعض النساء اللاتي لم يكن هناك تفسير واضح بعقمهن ، وجد ان ١٥ ـ ١٩ سيدة كان سبب العقم لديهن هو تكوين اجسام مضادة للحيوانات المنوية بمعدلات عالية .

وقد قام ازواج خمس من هؤلاء السيدات باستعمال العازل لمدة

تتراوح بين ٦٠ يوما الى سته اشهر ثم امتنعوا عن استعمال العازل في مرحلة التبويض فوجد ان معدلات تكوين الاجسام في النساء الخمس قد انخفضت بدرجة كبيرة ، كما حدث الحمل بالنسبة لثلاث منهن ، وقد اجريت دراسات عديدة بعد ذلك في هذا الصدد .

ولكن عل اية حـال .. هناك تساؤلات عديدة حول ارتفاع معدل انتاج الاجسام المضادة بعد التوقف عن استعمال العازل الطبي ، وحول فعالية العازل الطبي كعلاج للعقم .. فعلى سبيل المثال وجد انه :

● بعد استعمال العازل الطبي للعلاج ارتفعت معدلات الاجسام المضادة فور التوقف عن استعمال العازل . وبذلك تظل احتمـالات حدوث الحمل كما هي .

● وجد ان بعض النساء تنخفض لديهن معدلات الاجسام المضادة أو يحدث لديهن الحمل بدون علاج .

● كذلك فإن اختبارات قيـاس معدلات انتاج الاجسام غير دقيقة بدرجة كافية .

ومع ذلك فان الاطباء ينصحون السيدات اللاتي تتكـون لديهن الاجسـام المضادة للحيـوانـات المنوية بـان يستعمل ازواجهن العازل الطبي لمدة ثلاثة اشهر على الأقل . لأن هذا يرفع احتمالات حدوث الحمل بنسبة تتراوح بين ٢٠ ـ ٣٠ ٪ وهناك ميزة هامة لاستعمال العازل .. هي انه غير مكلف ولا يسبب اعراض جانبية . ثم انه يساعد على علاج بعض حالات العقم .

واذا كنا قد عرضنا في حديثنا هذا لفعالية العازل الطبي في علاج بعض حالات العقم التي تنجم عن تكوين الاجسام المضادة للحيوانات المنوية .. فاننا سنعرض لبعض الدراسات والبحوث التي اجريت على بعض الامـراض التي تنشا من الاتصال الجنسي بتفصيل اكثر في حلقة قادمة حتى نعطي القارىء صورة اوضح لمدى تاثير العازل الطبي في الوقاية منها فهذه الأمراض من الخطورة بمكان نظرا لما تسببه من آلام للرجل والمراة معا .. وما يصاحبها من اعراض تنتقل مع الطفل وتسبب له الكثير من الاضرار .. ونحن بهذا البحث الذي ننقل فصولاً منه للقراء . انما نقدم خدمة للانسان المصري الذي نسأل الله له صحة وعافية وسعادة .. وذلك بالاسهام الجدي من أجل جيل صحيح البدن .. صحيح النفس يصنع . أسرة سعيدة . يتالف منها المجتمع السعيد .

والى لقاء أخر في الحلقة القادمة مع أسرة المستقبل .

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي ، ١٢ عددا ، في جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادي وفي بلاد اتحادي البريد العربي والافريقي والباكستاني عشرة دولارات

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في ج . م . ع نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفي الخارج بشيك مصرفي لأمر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ

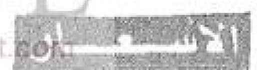
[illegible] of the Alexan-
[illegible] (GOAL)

القاهرة تليفون ٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط

تليفونات دار الهلال الجديدة

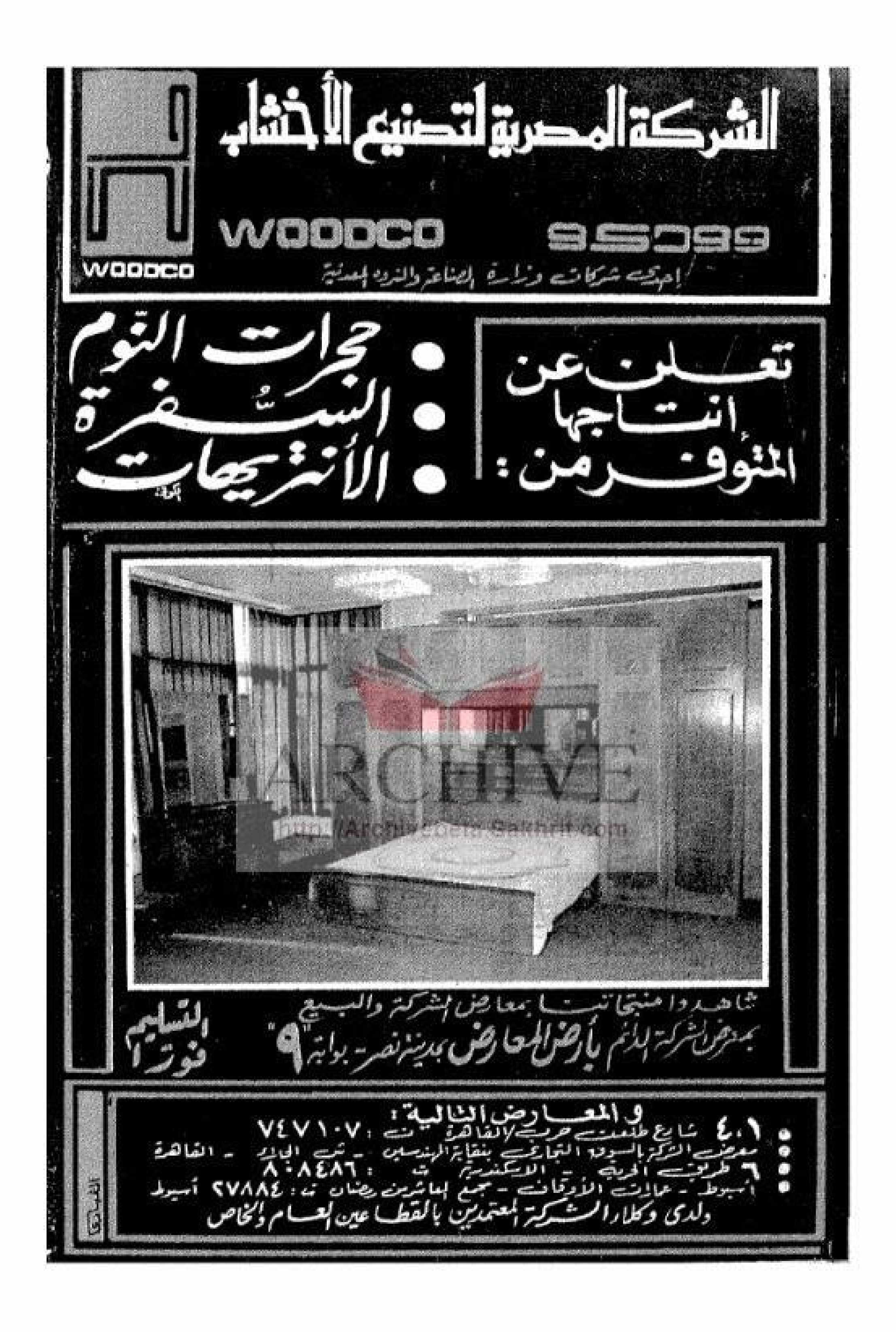
٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط

مجلة الهلال ٦٢٥٤٨١

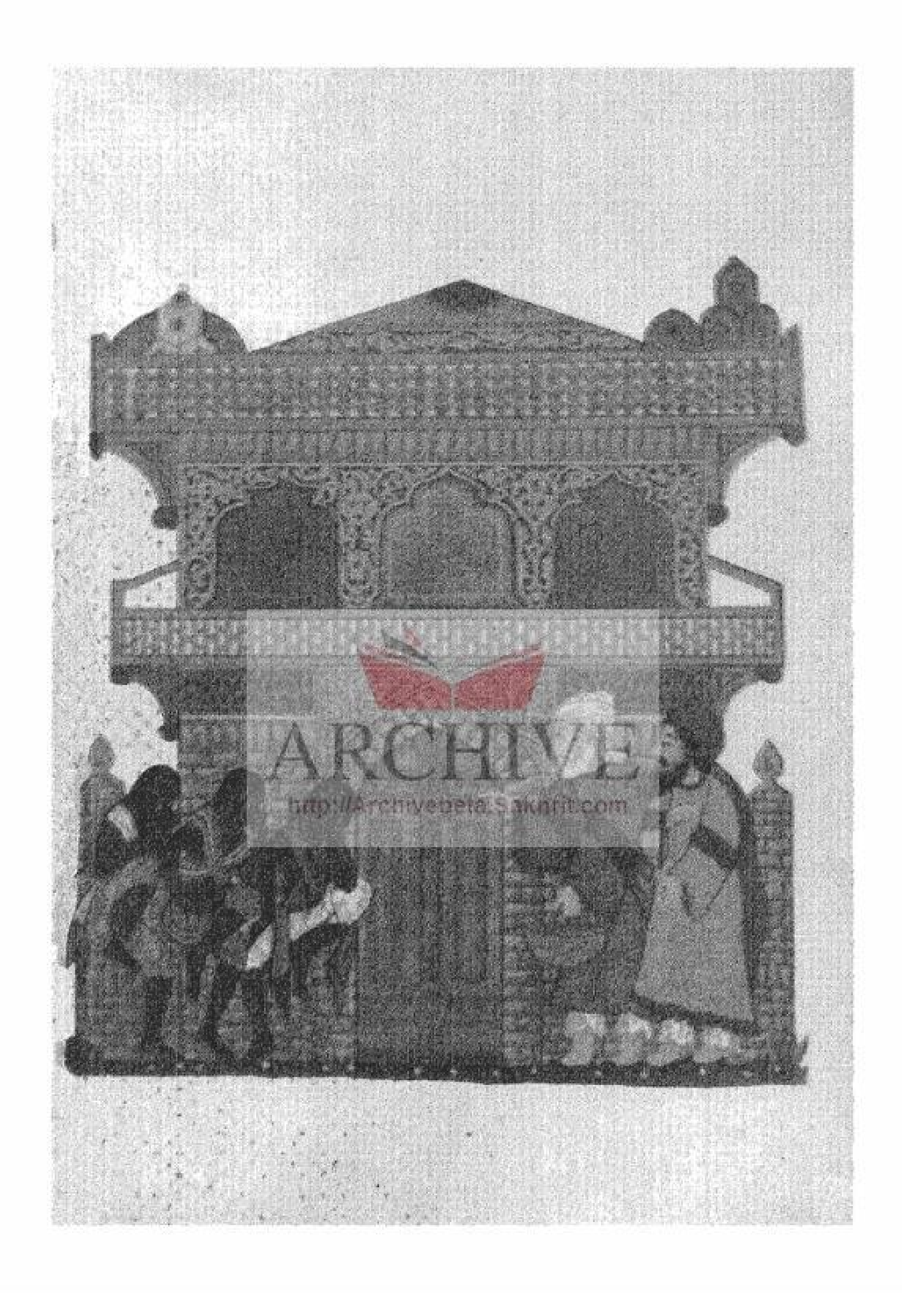


سوريا	٣٥٠ ق . س	غزة والضفة	٣٠ سنتا	اثينا	٨٠ دراخمة
لبنان	٤٠٠ ق . ل	الصومال	٥٠ بني	فلينا	٣٥ شلنا
الاردن	٤٠٠ فلس	داكار	٤٠٠ فرنك	فرانكفورت	٣,٥ مارك
الكويت	٤٥٠ فلسا	لاجوس	٦٠ بني	كوبنهاجن	١٠ كرونات
العراق	١١٠٠ فلس	اسمرة	٤٥٠ سنتا	استوكهولم	١٤ كرونة
السعودية	٥ ريالات	اليمن الشمالية	٥ ريالات	كندا	٢٥٠ سنتا
السودان	٧٥٠ مليما	اديس ابابا	٤٥٠ سنتا	البرازيل	٣٥٠ سنتا
تونس	٦٥٠ مليما	باريس	١٠ فرنكات	نيويورك	٣٠٠ سنت
المغرب	٨٠٠ فرنك	لندن	١٠٠ بنس	لوس انجلوس	٣٠٠ سنت
الجزائر	٦٥٠ سنتا	ايطاليا	١٤٠٠ ليرة	استراليا	٤٠٠ سنت
الخليج	٤٥٠ فلسا	سويسرا	٣,٥ فرنكات	هولندا	٤ فلورين
				عدن	٢٥٠ فلسا


مصر للطيران
علم مصر فى كل مكان
أكثر من
٥٠
سنة خبرة
مصر للطيران
فى خدمتكم
أوربا - أفريقيا
آسيا - أمريكا
(البوينج ٧٦٧ - البوينج ٧٣٧ - البوينج ٧٠٧
الايرباص - الجامبو ٧٤٧)


الشركة المصرية لتصنيع الأخشاب
WOODCO
952099
WOODCO
إحدى شركات وزارة الصناعة والثروة المعدنية
تعلن عن انتاجها المتوفر من:
• حجرات النوم
• السفرة
• الأنتريهات
شاهدوا منتجاتنا بمعارض الشركة والبيع
بمعرض الشركة الدائم بأرض المعارض بمدينة نصر - بوابة "٩"
التسليم فوراً
والمعارض التالية:
• ٤٠١ شارع طلعت حرب بالقاهرة ت: ٧٤٧١٠٧
• معرض الشركة بالسوق التجاري بنقابة المهندسين - ش الجلاء - القاهرة
• ٦ طريق الحرية - الاسكندرية ت: ٨٠٨٤٨٦
• أسيوط - عمارات الأوقاف - مجمع العاشر من رمضان ت: ٢٧٨٨٤ أسيوط
ولدى وكلاء الشركة المعتمدين بالقطاعين العام والخاص


الهلال
يوليه
سنة ١٩٨٥
الثمن
٢٥ قرشا
اليوبيل الفضي:
للتليفزيون!


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



احد المشاهد التي جاءت في مقامات الحريري والتي رسمها يحيى الواسطي ويظهر فيها الأسلوب العربي الناضج المتكامل بعد ان بلغ فن التصوير العربي أوج تكامله في بغداد



الهلال

السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال ... اسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ - اول يوليو سنة ١٩٨٥ - ١٣ شوال ١٤٠٥



كان ياما كان " ذكر يامولاى ذكر " صفحة «٥٢»

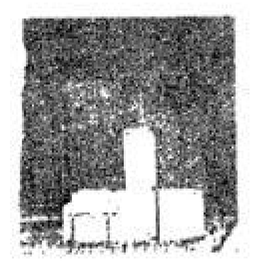


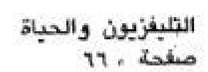
الاميرة الكسندرة ليست صاحبة اول مجلة نسائية صفحة «١٨»

فى هذا العدد

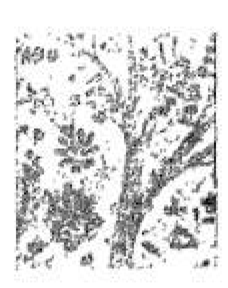
● فكر وثقافة ●

صفحة




التليفزيون والحياة
صفحة ، ٦٦

أعلام معاصرون : الاب الدكتور جورج قنواتى
صفحة ، ١٣٦ ،



السيرة النبوية والفن التشكيلى صفحة ، ١٢٤

اليوبيل الفضى للتليفزيون

الأبواب الثابتة



كل عام وانت بخير .

عيد الفطر المبارك مر بنا منذ أيام قلائل ، فنظرنا إلى هلاله فى السماء ، وتوسمنا فيه خيرا للأرض العربية وللانسان العربى صاحب هذه الأرض الممتدة منذ الأزل بين المحيط والخليج ، كما توسمنا فى هلال عيدنا السعيد ، سعادة وخيرا لكوكب الأرض كله ، ولكل بنى الانسان فوق هذا الكوكب الجميل المعطاء الذى بات مهددا بالاحتراق فى جحيم الحرب النووية

عام سعيد ، تتحقق فيه احلام الحرية لأمتنا ، ولكل امة فى العالم الثالث تناضل من اجل حريتها ، كما تتحقق فيه أحلام السلام العالمى الشامل للنوع الانسانى بأجمعه ، فلا يحترق كوكبنا ويتحول إلى هباءات طائرة فى الفضاء السحيق ويخلو مكانه الذى يشغله الآن فى مداره حول الشمس كما يخلو مكان عمارة تهدم وتزال انقاضها ويتحول مكانها إلى خلاء وفضاء

كل عام وانت بخير

ففى الطريق إلينا بعد ايام ، العيد الثالث والثلاثون لثورة ٢٣ يوليو المجيدة ثورة البناء الاجتماعى والثقافى والاستقلال الاقتصادى وإقامة الصناعة الوطنية وتحصين الزراعة وتنميتها بالسد العالى والمشروعات الكبرى فوق النهر وعلى ضفتيه من أسوان حتى مصبه فى البحر . ثورة التحرر الوطنى ومواجهة الصهيونية واحلامها التوسعية ، ومصادمة الاستعمار العالمى ومشروعاته ومؤمراته ، وتحرير الارادة الوطنية بسلوك طريق عدم

الانحياز ، .. والمضى فى طريق التطور المستقل ، طريق العزة والكرامة

كل عام وانت بخير ..
ولا نقول ، ماذا وراءك ايها العيد
ولا نقول : بأية حال عدت ياعيد ؟ ! ..
ولا نسأل العيد : أفى وفاضك شىء جديد ؟ ! ..
فالقول والسؤال وكل كلام ، فى هذا المقام ، قد يفضى إلى اليأس ، وإنما نحن فى مقام الاستبشار وابتعاث الامل مهما تكاثفت السحب فى السماء ..

أما بعد ..
فهذا « عدد يوليو » من « الهلال » .. فيه العيد الدينى ، والعيد الوطنى ، وحتى « عيد التليفزيون » تجده هنا ، فهو متصل على كل حال بالعيد الوطنى منذ أطل علينا أول وجه من الشاشة الصغيرة ..

وهلال يوليو ، هو أيضا هلالك ـ ياعزيزى القارىء ـ الذى عرفته دائما وعرفك ، فمقالاته وقصصه وقصائده وأبوابه الجديدة مثل « الدنيا فى سطور » .. وأبوابه المأثورة ، وطرائفه وصوره الخ .. كل أولئك منك وإليك ..
وكل عام وأنت بخير ..

المحرر

ابن الفارض وخمرة الصوفية بين شعر العقاد ونقد الرافعى

بقلم : كمال النجمى

● أردت قبل أن أدخل بين الأديبين الكبيرين مصطفى صادق الرافعى وعباس محمود العقاد فى معركتهما حول مايسمى بالخمر الإلهية عند ابن الفارض ، أن ألقى نظرة من بعيد على المزار أو المشهد المعروف باسمه فى سفح جبل المقطم بالقاهرة ●

فى ركن من ذلك الكهف أو الغار دفن ابن الفارض سنة ٦٣٢ هجرية تحت مسجد «العارض» فى القرافة الكبرى بعد حياة لم تجاوز ستة وخمسين عاما ، قضاها عابدا زاهدا ، ثم حاجا مجاورا بمكة سنين حافلة بالرياضات الروحية ، ثم عاد إلى القاهرة فلزم مصلاه بالجامع الأزهر ، حتى وافاه الأجل ، فحملوه من الأزهر إلى مدفنه فى مسجد «العارض الذى سماه العامة من يومئذ مسجد ابن الفارض .

وقفت حيال المقطم ، وقد تغيرت من حوله دنيا الأحياء وضاقت بالأموات ، أتذكر دفين «مسجد العارض» وأتأمل فى حياته وشعره الصوفى البديع وذكراه التى مازالت حية قوية حتى الآن ، كأنها «استذرت بظل المقطم» على حد تعبير المتنبى فى إحدى كافورياته التى قالها بمصر(١) ..

وقلت : السلام عليك يا ابن الفارض .. أنتم السابقون ونحن اللاحقون ! سلام إنسان مازال يسعى فوق الأرض ، إلى إنسان دفين




عباس محمود العقاد



مصطفى صادق الرافعى

تحتها من عهد عهيد . وهى الموعد بين جميع الناس «فقد تساوى فى الثرى راحل غدا وماض من الوف المتئين» ‌

وذكرت قول شوقى

وهل نحن إلا على حفرة
هى الأرض او هى قبر البشر

وظللتنى سحابة من الماضى . فذكرت قول احد احفاد ابن الفارض

جز بالقرافة تحت سيل العارض
وقل السلام عليك ياابن الفارض

وقول الشاعر ابى الحسن الجزار

لم يبق صيب مزنة إلا وقد
وجبت عليه زيارة ابن الفارض
لاغرو ان يسقى ثراه وقبره
باق ليوم العرض تحت العارض

ثم عدت من سفح المقطم ماشيا كما ذهبت تتراءى لى طيوف من التصوف الذى انفق ابن الفارض حياته فيه . ووقف اشعاره البديعة او «البديعية» عليه

وجلست اكتب فى منزلى بجزيرة الروضة فذكرت ان ابن الفارض كان له منزل فيها قبل «سبعمائة عام» عاش فيه صباه وشبابه وكانت الروضة حينئذ مازالت «اجمل مغاذة الدنيا وليس لها مثيل فى الأندلس» كما وصفها ابن جبير فى رحلته (٢)

امتلات نفسى بتاريخ ابن الفارض وشعره وتهيات بذلك للدخول بين الرافعى والعقاد فى القصيدة «التصوفية» التى قال العقاد فى ديوانه إنه نظمها متاثرا بقراءته فى ديوان ابن الفارض

ينكر الرافعى على العقاد دعواه نظم الشعر على طريقة ابن الفارض لمجرد قراءة عابرة فى ديوانه . فالعقاد فى راى الرافعى لم يكن إلا «متفلسفا» على غرار متفلسفة اوربا الذين

ابن الفارض

لأشأن لهم بالزهد والتصوف ، وأكثرهم لايحفلون بالدين فأى جامعة إذن تجمع العقاد وابن الفارض ، وهما ـ كما يراهما الرافعي ـ على طرفي نقيض ؟ !

إن التصوف لايتنزل على صاحبه في سهر ليلة ثم يفارقه في صحو نهار أو سهر ليلة أخرى .. ومابلغ ابن الفارض رتبته فى التصوف إلا بمجاهدة النفس والعكوف على العبادة ، وماشعر التصوف إلا من فيض هذه الحالة أو الرتبة التي بلغها ، ولن تفيض النفس أو القريحة بهذا الشعر تقليدا أو تأثرا بقراءة فى ديوان ابن الفارض ..

وماذا فى ديوان ابن الفارض من أول قصيدته سائق الأظعان يطوى البيد طىء إلى آخر ماعثر عليه مريدوه ومحبوه من شعره وقد ضاع منه ماضاع ؟!..

فى شعر نجوى المتصوف العابد الهائم فى حب الله ورسوله ، وفى شعره أحلامه وأشواقه مصوغة فى الطف تعبير ، كأنما اقتبسها مرقمة (٣) نورا من النور ، يعشو إليه الأدباء والعلماء والصلحاء والزهاد وعامة الناس على تعاقب الأجيال ، ويتغنون به فى أذكارهم وأفراحهم ومجامعهم الحافلة ، وإن اختلفت فيه آراء علماء المسلمين اختلافا كبيرا .

لقد لبث المصريون سبعمائة عام يترنمون بشعر ابن الفارض ، ويتقاسمونه بين حلقات الذكر ومجالس الغناء ، ولن ينسى محبو الغناء فى مصر ما كان يغنيه شيخ الملحنين ابو العلا محمد من شعر ابن الفارض :

غيرى على السلوان قادر
وسواى فى العشاق غادر

وهو شعر يطرب له اهل الغناء واهل التصوف جميعا ..

وفى شعر ابن الفارض نسيب رقيق وتغن شجى بمواضع كثيرة فى الحجاز ، مثل : سلع ورامة وإضم وتوضح وأجياد وحزوى والعذيب وحاجر وعالج وزرود .. وهى مواضع من الأرض المقدسة ، لها فى نفسه أثر الذكرى العميقة الحميمة ، تهيجها معاهد الأحباب ومنازل الخلان ، حتى ليستروح ويستطب بشميم الأنسام تهب من جهاتهم الحجازية ، ومن بطحاء مكة إلى روضة القاهرة .

ياساكنى البطحاء هل من عودة
أحيا بها ياساكنى البطحاء
وإذا اذى الم ألمّ بمهجتى
فشذى أعيشاب الحجاز دوائى

وقبل ان يقول البوصيرى مطلع قصيدته الشهيرة : « امن تذكر جيران بذى سلم » .. قال ابن الفارض :

هل نار ليلى بدت ليلا بذى سلم
ام بارق لاح فى الزوراء والعلم

وقبل ان يقول البوصيرى فى بردته :

يا لائمى فى الهوى العذرى معذرة
منى إليك ولو انصفت لم تلم

قال ابن الفارض :

يالائما لامنى فى حبهم سفها
كف الملام فلو انصفت لم تلم

فابن الفارض هو إمام الشعراء المتصوفة فى عصره (٤) ولاغضاضة على البوصيرى فى الاستئناس ببعض تعبيراته وكلماته فى أبيات من بردته التى مازالت حتى الآن قائمة متفردة بروعتها فى المدائح النبوية لايلحق بها شعر أحد من كبار الشعراء ..

كان ابن الفارض تقيا نقى السريرة ، ظاهره كباطنه ، منصرفا عن الدنيا انصراف الزاهدين فيها ، محبا لله ورسوله حب المؤمنين المتصوفين فى أعلى مراتب هذا الحب ..

وفى أيام ابن الفارض كثر المتصوفة وحملت اليهم الحروب الصليبية أسباب الاستهانة بالدنيا ، فقد رأوا مئات الألوف من الناس تأكلهم نيران هذه الحروب التى

اضرمتها اوربا لانتزاع ارض المسلمين ومحوهم منها .

هؤلاء المتصوفة الذين عاشوا على مقربة من نيران الحروب الصليبية فى مصر والشام والحجاز ، لايشبهون الا قليلا متصوفة بغداد والمدن الفارسية الذين كان التصوف عندهم تجريدا فكريا لاتمسه نيران واقع رهيب يهدد المتصوفة انفسهم بزوال دينهم الذى هو عصمة أمرهم كله وأساس سعادتهم الروحية .

- وقد عانى متصوفة مصر والشام هذا الواقع المرير مائتى سنة تقريبا وسيوف الفرنج مصلتة على أعناقهم مع سائر العرب والمسلمين ' ..

فلا عجب ان قذف كثير من اهل التصوف بانفسهم فى اتون المعارك المتواصلة طوال هذين القرنين .. ومن لم يتح له منهم ان يجاهد بنفسه ، كمنت مخاوفة الشخصية ومخاوف امته فى طوايا نفسه ، ثم ظهرت فى ثنايا شعره الصوفى ..

وشعر ابن الفارض يصور نفسا يساورها القلق والعناء والوجل والامل والرجاء فى الله تعالى ، والتطلع إلى زوال الغمة ، والمتاع براحة الارواح '

وقد تكلم النقاد فى اشعار الصوفية فطلوا كثرة الرمز فى اشعارهم بانهم انما يشيرون إلى معان باطنة لايدركها أهل الظاهر .

وفى راينا ان الامر ليس كذلك على إطلاقه فالرمز عند الصوفية الذين عاشوا عصر الحروب الصليبية ، كان موصولا بالحياة ، وإن كان يبدو منصرفا إلى ماوراءها ولا صلة له بها . ولهذا افتتن عامة الناس فى تلك الايام باشعار ابن الفارض وغيره لأن معانى اشعارهم وإن حلقت فى أجواز الفضاء ، كانت قريبة جدا من مشاكل الأرض ، معبرة عن مخاوف الناس وأشواقهم ..

فهولاء العامة ابناء الشعب ، كانوا كالمتصوفة وسائر فئات المجتمع الاسلامى معلقين من رقابهم بنتائج الحروب الدائرة بين امتهم وبين الجيوش الاوربية الغازية والمستوطنين الأوربيين الذين احتلوا الارض العربية وشادوا فوقها المستوطنات والامارات والممالك ..

ولم يغب عن العامة أن هؤلاء المتصوفة البكائين الذين لاينقطع بكاؤهم من فرط الوجد او التواجد (٥) يرتبط مصير إسلامهم وإيمانهم وتصوفهم وخوانقهم (٦) ومجامعهم وحلقات ذكرهم ، بمصير الامة كلها ، من السلطان الجالس على سريره فى قلعة الجبل إلى العلماء والتجار والصناع والزراع وكل موجود فوق الأرض العربية .. فهؤلاء جميعا تتهددهم أسلحة الصليبيين ..

هذا راى نبديه ونتحفظ فى بعض تفاصيله ، فقد كان بين المتصوفة مشعوذون ومرتزقة وكسالى يعشقون النوم فى الخوانق والعيش على نفقة السلطان والامراء والاثرياء ، ولايعرفون من امور دينهم ودنياهم شيئا ، ولا يعنيهم منها شيء !..

ولكن ابن الفارض كان ممن تعلقت بهم محبة الأمة وأثارت اشعارهم حماستها و روحانيتها فى ذلك العصر الذى احتاجت فيه الامة إلى حماستها الروحية لكى تستنقذ نفسها من الابادة على ايدى الغزاة المستوطنين

هل أطلنا القول فى ابن الفارض ، تقدمة لمعركة الرافعى حول القصيدة التى نظمها العقاد - كمايقول - متاثرا فى نظمها بقراءة فى ديوان المتصوف الكبير ؟!..

جعل العقاد عنوان قصيدته : «الخمر الالهية .. على طريقة ابن الفارض» .. فاى شيء دعاه إلى نظم الشعر على طريقة شاعر من العصر الايوبى ، وهو زعيم الدعوة إلى التجديد الشعرى فى القرن العشرين ؟!..

لقد اصدر العقاد كتابه «الديوان» مع زميله المازنى ، ليمحوا طرائق الشعر والنثر القديمة ، فاى سر منْ أسرار الالهام الشعرى او النثرى جعل العقاد ينظم «على طريقة ابن

ابن الفارض

الفارض» .. هل نظم على هذه الطريقة ليجددها أم ليعارضها كما عارض شوقي بردة البوصيرى .. مثلا ..

ندع الرافعي يتكلم ...

قال الرافعي في مقالة نشرها بمجلة العصور سنة ١٩٢٩ ثم جمعها ضمن مقالات أخرى في كتابه «على السفود» مفتتحا نقده لقصيدة العقاد في «الخمر الالهية» :

«ماهي طريقة ابن الفارض ؟! .. هل يعرفها العقاد على حقيقتها أم هو يقلد في هذا كما هو شأنه دائما ؟! .. الخمر في لغة الصوفية ، شراب المحبة الالهية الناشئة عن شهود آثار الأسماء الجمالية فإنها توجب السكر والغيبة بالكلية عن جميع الأعيان الكونية .. فهل عاين العقاد وشرب وانجذب ، أم نظم قصيدته في خمرة بار من البارات ؟! ...».

ثم قال الرافعي :

«إن ابن الفارض ليس له في الخمر غير قصيدة واحدة هي الميمية المشهورة .. وأبيات استهل بها تائيته الكبرى ، وماعداهما فلم يذكر «الخمر» الا في ثلاثة أو أربعة أبيات .. كل بيت في قصيدة» ..

يريد الرافعي أن يقول إن ابن الفارض ليس له «طريقة خاصة» في «الخمر الالهية» ولا في الخمر الدنيوية ، وانما جاءت أبياته الخمرية على غرار أبيات الشعراء الذين سبقوه وإن لم يقصد مرماهم ، حتى إن قصيدته الميمية التي يسير إليها الرافعي مطلعها :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة
سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

ليس فيها بيت واحد يمكن تمييزه من ألوف الأبيات المعروفة لشعراء الخمر الحسيين ، مع كل مايقال عن رموزه الصوفية في خمرياته ، فلا نفهم كيف اندفع شاعر معاصر غير متصوف - وغير مقلد ولاداعية للتقليد - إلى مجاراتها والنسج على منوالها ومعارضة معانيها ..

● قال العقاد في «الخمر الالهية» :

عقود الدوالي انت والخمر اشباه
فلله ماأسنى حلاه وأحلاه

لآلىء قد نيطت بأسماط عسجد
فصدر الدوالي مشرق النحر تياه

كأن حبوب الكرم بين سلوكها
كئوس من البلور قد صاغها الله

العقاد هنا يحاول أن يقترب بألفاظه ومعانيه من صفة «الخمر التي لاغول فيها» وهي شراب أهل الجنة ، لكن الرافعي يرى أن هذا كله تقليد في تقليد ، لأن القول بأن تأثير العناقيد يشبه تأثير الخمر على التوهم ، انما هو من قول ابن الفارض :

ولو طرحوا في فيء حائط كرمها
عليلا وقد اشفى لفارقه السقم

على أن هذا المعنى ليس من اختراع ابن الفارض ، ومامن شاعر قال في الخمر إلا مس هذا المعنى من قريب أو بعيد ..

يقول الرافعي : «اما قول العقاد : لآلىء قد نيطت بأسماط عسجد الخ .. فاصله بيت رائع لابن الرومي في وصف العنب :

لو انه يبقى على الدهور
قرط آذان الحسان الحور

وكذلك قول العقاد : كأن حبوب الكرم بين سلوكها الخ ..» فهو من قول ابن الرومي في وصف العنب الأبيض الطويل المسمى بالرازقي :

ورازقي مخطف الخصور
كأنه مخازن البلور

● ثم يقول العقاد :

ويسعى إليها الشاربون بمجلس
يحف به عشب أثيث وأمواه

فيثور الرافعي ويقول : لاتكون صفة مجلس الشراب عشبا أثيثا وأمواها ، فالريحان لا

العشب هو الصفة التي يتغنى بها الشعراء.

● أما قول العقاد:

كأباتنا والدهر وسنان غافل

وقد أيقظ العود الصفاء فلباه

فيتضمن نوعا من «البديع» في «وسنان» و «أيقظه».. وهو بديع ساذج لايليق حتى بالمبتدئين في الشعر. وأما قوله «أيقظ العود الصفاء» فمن الشعر الذي كان في مصر قبل عصر البارودي، حين كانت هذه هي ألفاظ الشعراء!.. ولايجمل بشاعر يتكلم في «الخمر الالهية» وله مذهب في التجديد الشعري، أن يجري في آثار الشعراء الصغار الذين كانوا قبل البارودي في عصر محمد علي باشا وعصر البكوات المماليك العثمانيين.

على أن هذا البيت - مع ذلك - مأخوذ من قول أبي نواس:

لا أرحل الراح إلا أن يكون لها

حاد بمنتخل الأشعار غريد

وفي هذا يلخص الرافعي رأيه بقوله:

«لاينبغي أن يجيء الشاعر بمعنى متداول إلا إذا وضع له تعليلا، أو زاد فيه زيادة، أو جعل له سياقا ومعرضا، أو نحو ذلك، ليكون هو في معنى غيره، فكأنه معناه هو.. رأى شيء في «أيقظ العود الصفاء فلباه».. غير استعارة النوم للصفاء، والايقاظ للعود، كأنما العود خادم في فندق.

ويذكر الرافعي هنا بيتين لجميل بثينة

فلما مات من طرب وسكر

رددت حياته بالمسمعات

فقام يجر عطفيه خمارا

وكان قريب عهد بالممات

ويعقب على هذين البيتين البديعين بأن جميلا «جعل في العزف والغناء حياة من الموت الذي في الخمر، فكان في مجلسه مايحيي ويميت».

● يقول العقاد:

يدور بها الساقي علينا كأنها

مباسم ثغر والحباب ثناياه

يعلق الرافعي

«التشبيه هنا غير صحيح إذا كانت كلمة مباسم مصدرا، أما إذا كانت جمعا، فكم مبسما للثغر الواحد؟!..

ثم يذكر الرافعي هذين البيتين الجميلين في هذا المعنى

يادر ثغر الحبيب من نظمك

ومن بختم العقيق قد ختمك

أصبح من قد راك مبتسما

يميل سكرا.. فكيف من لثمك

ويلقي الرافعي في هذا المقام درسا فيقول:

«تشبيه الحباب بثنايا الحبيب، أصله أنهم شبهوا الحباب باللؤلؤ.. ولما كانت أسنان الحبيب تشبه باللؤلؤ جعلوها كالأصل ونقلوا التشبيه إليها، توليدا واتساعا في فنون البيان، ومن ذلك قول البحتري يصف الخمر

وفي القهوة أشكال

من الساقي وألوان

حباب مثلما يضحك

عنه وهو جذلان

وسكر مثلما أسكر

طرف وهو وسنان

ثم تنبهوا من ذلك إلى مراعاة النظير والمقابلة فجمعوا في التشبيه، كقول ابن وكيع

حملت كفه إلى شفتيه

كاسه والظلام مرخى الازار

فالتقى لؤلؤ الحباب وثغر

وعقيقان من فم وعقار

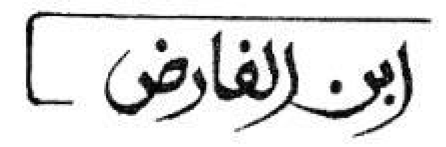
وأبدع ابن النبيه وجاء بالمعنى سائغا عذبا في قوله.

فانهض إلى ذوب ياقوت لها حبب

تنوب عن ثغر من تهوى جواهره

ومن هنا أخذ أحمد شوقي بيتيه الأولين في قصيدته «حف كأسها الحبب» فجمع في التشبيه وأجاد، ومن شوقي أخذ العقاد

● ويقول العقاد



ابن الفارض

جرت فى صفاء الدمع وهى دواؤه
فمن ذاقها لم تجر بالدمع عيناه

اصله قول ابن المعتز :

وليس للهم إلا شرب صافية
كأنها دمعة من عين مهجور

قيد ابن المعتز الدمع بأنه « من عين مهجور » ، وأطلق العقاد لكل عين ، وأراد ابن المعتز أن الدمع يكون أحمر حين يبكى المحب من ألمه دما لا دمعا ، وجعل العقاد الخمر دواء الدمع ، وجعلها ابن المعتز دواء الهم ، وليس كل هم يجىء بالدمع .. وقد جعل الشاعر السلامى الخمر دواء للدمع فقال وأجاد :

بتنا نكفكف بالكاسات ادمعنا
كأننا فى حجور الروض ايتام

● وقال العقاد :

تشابه فى عين النديم وما انتشى
فوارغ صف كالثريا وملاء

يريد أن النديم متى نظر إلى الكئوس خالطته نشوتها فتشابه عليه ما امتلأ منها وما فرغ . وهذا مأخوذ من قول ابن الفارض

ولو نظر الندمان ختم إنائها
لأسكرهم من دونها ذلك الختم

وابن الفارض إنما جرى فى آثار ابن الزيات فى قوله :

كفانى من ذوقها شمها
فرحت اجر ثياب الثمل

ولكن ابن الفارض نقله من الشم إلى مجرد النظر ! .. ويرى الرافعى أن كلمة « فوارغ صف » ليست من لغة الشعر وانما هى من الكلام العامى المبتذل ، وإن كان أحد الشعراء القدماء قد قال :

خفيت على شرابها فكأنما
يجدون ريا من إناء فارغ

ولكن كلمة « فوارغ » رنت فى سمع الرافعى رنينا عاميا ، لأن العامة يكثرون استعمالها فى عصرنا ..

● ويقول العقاد :

شربنا وغنينا وما فى عدادنا
سوى شارب قد باع بالخمر دنياه

يستنكر الرافعى هذا التعبير لأنه يشبه قول العامة فى سكرهم وعربدتهم : « خراب يادنيا .. عمار يامخ » .. أما مجلس الشراب ، وبخاصة إذا كان رمزا للخمر الالهية على طريقة ابن الفارض ، لامجلس كاس وطاس على طريقة العوام الذين باعوا بالخمر دنياهم ، فهو مجلس الرقة والجمال ومكارم الأخلاق . وقد عرف ذلك أبو نواس الذى لم يكن له فى الخمر الالهية نصيب فقال :

لايطيب الشراب إلا لقوم
جعلوا نقلهم عليه الوقارا
لا كقوم فى ضجة وصياح
كنهيق الحمار لاقى الحمارا

● وقال العقاد :

ولو مزجوا بالخمر طينة آدم
لعاش ولم يدر القطوب محياه

هنا يعلن الرافعى الحرب على العقاد لأنه ـ فى رأيه ـ قد خرج على كل تعبير مقبول فى معنى الخمر الالهية .. يقول الرافعى : « نعوذ بالله ! .. لمن ترجع هذه الواو فى قوله « ولو مزجوا » ؟! .. هل خلقت آدم فى رأى العقاد جمعية آلهة فيعود عليهم ضمير الجمع ؟! .. لقد كان فى وسعه أن يبنى الفعل للمجهول فيقول : « ولو مُزجت » .. ولكنه ضعيف فى العربية وأساليبها » ! ..

ثم يستطرد الرافعى :

« لابن الفارض أبيات كثيرة فى « لو هذه .. ومنها قوله :

ولو نضحوا منها ثرى قبر ميت
لعادت إليه الروح وانتعش الجسد
ولو قربوا من حانها مقعدا مشى
وتنطق من ذكرى مذاقتها البكم

ولو خضبت من كاسها كف لامس
لما ضل فى ليل وفى يده النجم

ويقول تعقيبا على هذه الأبيات .

« تأمل هذا النور الشعرى ، وانظر كيف يضيء الكلام كان فيه بقايا من روح قائله ، ثم اخرج من هذا الافق إلى قول العقاد « ولو مزجوا بالخمر طينة ادم » .. فإنك من هذه الكلمة وحدها ستقع في أشد ظلام »! ..

● وقال العقاد :

إذا أعوز الناس البراق فإنها
براق إلى عرش الجلالة مرقاد

يقصد العقاد بطبيعة الحال « الخمر الالهية » فيتعقبه الرافعى بقوله :

« أيرتقى الشارب إلى عرش الله كما ارتقت الانبياء بالبراق »؟ .. وهل ارتفع البراق إلى العرش نفسه »؟ .. وهل سواء مراتب النبوة ومراتب الناس »؟ .. ومع ذلك فهذا من قول ابن الرومى :

يالها ليلة قضينا بها حا
جا ، وان علقت قلوبا بحاج
رفعتنا السعود فيها إلى الفو
ز ، فكانت كليلة المعراج

● وقال العقاد

عجبت لدف لايخف بروحها
كما خف بالمنطاد روح تولاه

كلمة « روح » هنا معناها ريح او « غاز » .. وكلمة « تولاه » تعنى « تمدد فيه » .. يقول الرافعى . « فهنا انقلبت الخمر الإلهية غازا يطير بالدنان ، كما يطير الغاز بالمنطاد

وهذا - على عجزه - من قول القائل المبدع :

ثقلت زجاجات اتتنا فُرّغا
حتى إذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت تستطير بما حوت
وكذا الجسوم تخف بالارواح

اخذ ابن نباتة هذا المعنى فقال واجاد

وكاسات اشد يدى عليها
مخافة ان تطير من المراح

ثم قال واجاد اكثر

خفت فلو لم تدرها كفُّ حاملها
دارت بلا حامل فى مجلس الطرب

ذلك هو راى الرافعى فى الخمر الالهية عند العقاد ، وقد ساق رايه على طريقة النقد المأثور ، فبين السرقة والاقتباس والاغلاط النحوية والصرفية والعروضية ، وضعف التعبير وعاميته ، ثم نبه إلى ان الخمر الالهية عند ابن الفارض والمتصوفة ذات اداب واوصاف ومعان لاتختلط عند اصحابها باوصاف الخمر ومعانيها وادابها الدنيوية ، وإلا كان ابو نواس اشعر من جميع شعراء الصوفية الذين تحدثوا عن الخمر فى رموزهم

والخمر الالهية مخصوص بها اصحابها من أهل الطريق ، فإذا زاحمهم على القول فيها من ليس منهم ، محاكاة لهم او مطاولة او مزايدة ، فقد دخل فيما لايعنيه ومالا يحسنه ..

وابن الفارض قد مضى زمنه ، وفاتت معانيه ، فمن نسج على منواله ، لم يزد على ان يكون مقلدا فى غير مجال التقليد ، وخرج عن معانى التصوف العميقة إلى المعانى المتداولة بين العامة الان

وهذا - فيما يبدو - ما حدث للعقاد فى نسجه على منوال ابن الفارض ، فليس بين الشاعرين مشابه فكرية ولا روحية ، ولا هما من مذهب واحد فى الشعر ، ولم يجمعهما عصر واحد ، ولا كان للعقاد إعجاب قديم بابن الفارض فى شعره او فى طريقته .. ثم إن « المعارضة » فى الشعر او « المحاكاة » . اسلوب مستنكر عند العقاد ونقاد مدرسته ، وبيا طالما ندد بمعارضات شوقى ، واشهرها معارضته لبردة البوصيرى ، مع ان المديح النبوى باب مفتوح لكل قائل ، لايمضى زمانه ابدا ، ولاتفوت معانيه ، ولا يحوزه عصر دون عصر ، ولا قائل دون اخر

لكن العقاد حين وجد شوقى قد نال استحسانا فى معارضته لميمية البوصيرى

ابن الفارض

النبوية ، قام يحاكى ابن الفارض وهو سابق للبوصيري في التصوف والمديح

والعقاد عند نفسه وعند عارفيه « ثائر » على القديم وأغراضه غير معترف حتى بالمجيدين من « قدماء » معاصريه أمثال شوقى ، فلا عجب أن تعد الشعر بالعقاد فى هذا المضمار ، لأنه بتكوينه العقلانى والنفسانى وبما اجتمع له من آراء فى نقد الشعر ، بعيد كل البعد عن أسباب النجاح فيما تصدى له بغير داع ، سوى داعى القراءة في ديوان ابن الفارض

وقد اهتبل الرافعى هذه الفرصة فنال من العقاد كل منال ، ولم تنقل أقواله بنصها لأنها شديدة القسوة ، واجتزأنا مما أسهب فيه ، بهذه الشذرات التى تدل عليه ..

إلا أنه لايفوتنا أن الرافعى الذى أبدى بصرا ثاقبا بنقد خمرية العقاد الصوفية ، لم يستطع أن ينقد نفسه فى باب الخمر الذى أكثر من القول فيه فى نشأته الشعرية ، فجاء بكلام غث عجيب لايصدر عن شاعر كالرافعى كان يرشح نفسه أميرا للشعراء بدلا من شوقى

فالرافعى كالعقاد ، كاتب كبير ، غاية فى البلاغة وعلو طبقة البيان ، ولكنه ـ كالعقاد أيضا ـ على خلاف ذلك فى الشعر ، فأكثر شعره يشبه مايسمى بشعر العلماء أو شعر الفلاسفة ، وقد انهمك الرافعى فى العلم فكان شعره هامشا على علمه حتى ضاق بالشعر المنظوم وأعلن على رءوس الأشهاد أن الشعر لايتسع لمعانيه ، وندد بالأوزان والقوافى وكتب الشعر المنثور نكاية فى الشعر الموزون ، فأتى بأحسن ماتأتى به القرائح الشاعرة فى هذا الباب ..

ويبدو لى أن العقاد حين وثب يحاكى ابن الفارض ، كان يداعب خياله فيتز جيرالد مترجم رباعيات الخيام إلى الانجليزية .. فقد كانت جماعة العقاد والمازني ومحمد السباعى وغيرهم فى العشرينيات منهمكة فى قراءة الخيام بترجمته الانجليزية ، ثم ترجمة المازنى والسباعى إلى العربية ، وفات العقاد أن يترجم مثلهما لأنه لم يكن قد بلغ بعد فى الانجليزية مبلغهما ، إلا فى اتساع المطالعة والقراءة ، فاتجه إلى ابن الفارض .. وكان منه ماكان ..

وأما الرافعى ، فقد نظم فى الخمر تكلفا وتظرفا لكنه لم يأذن لنفسه فى معارضة ابن الفارض أو محاكاته ، لأنه كان شديد التهيب لمن يسميهم « السادة الصوفية » لايجرؤ أن يقحم نفسه عليهم .. ومن هنا سقطت خمرياته وجاءت أضعف أبواب شعره ، ولم تبلغ أن تكون خمرا صوفية ولا خمرا دنيوية .. أليس هو القائل :

الا عاطنى الخمر إن الزمان
على ميمها وعلى رائها
وانعش بها زهرات السرور
فقد نبتت قبل من مائها
أليس من الظلم للخمر أن
تذم بأحسن أسمائها

فهذا من شعر المقلدين العاجزين الذين يقولون مالايفعلون ، ويجيئون بنظم له فى الفم طعم « مر » على حد قوله : « على ميمها وعلى رائها »

وهو القائل :

وإذا ماشربت خديه فاملا
واسقنيها كخده ياغلامى

والقائل :

ولاتأمن الماء يخلو بها
فيولدها من بنات الحبب

فهذا من أسخف مايقال فى باب الخمر وأبعده عن الذوق الشعرى الذى كان

الرافعي على أعظم نصيب منه حين ينقد الشعر لاحين ينظمه .

وهو القائل

زفت ولما يفترعها المزاج
كما تزف البكر عند الزواج ؟
فهلل الشرب سرورا بها
وكبر الديك وصاح الدجاج

وليس بعد هذا عجز وتقصير في الشعر ولو نسب هذان البيتان لخادم في حانات قطربل قديما لأزريا به وبحانته وما يباع فيها من الشراب . وحسبك ما فيهما من إشارات جنسية عامية لو جاءت في شعر العقاد لأقام عليه الدنيا وأقعدها ..

لقد غمز الرافعي خمرية العقاد بأنها جاءت ، من « البارات » لامن خلوات الصوفية . فمن أين جاءت أبيات الرافعي ؟؟

ولقد أكثر الرافعي القول في الخمر حتى رماه المستشرق بروكلمان بأنه من شاربي الخمر ، وحجته في هذا الاتهام كثرة قول الرافعي في الخمر وشاربيها ومجالسها ..

وهذا من غفلة المستشرقين وعجزهم . فإن الرافعي إنما نظم في الخمر لكي يقال إنه بسط القول في جميع أبواب الشعر . فكان الرافعي في الخمر ناظما مقلدا ، لايعرف صفة الخمر إلا من قراءة الأعشى وأبي نواس ومن يتعلق بهما من القائلين في هذا الباب على امتداد عصور الشعر العربي

وبعد

فقد كان الرافعي والعقاد أعظم كاتبين في عصرهما ، وبعد عصرهما ، في رأينا ولكنهما في الشعر يعدان ضمن مئات من الشعراء في عصرنا وقبل عصرنا نسي الناس أشعارهم .. لأن الشعر بأسلوبه الخاص لم يكن مطبوعا على أقلامهم ، ولا كانت أقلامهم مطبوعة عليه ، ولا يعيب كاتبا كبيرا ألا يكون شاعرا كبيرا ، وإن يسقط معظم شعره ، فلا تبقى منه في ميزان النقد والذوق إلا حبات من خردل ..

وقد رأينا كيف أراد العقاد أن يتصوف ولو في قصيدة واحدة ، لغرق في دن من خمرة الصوفية ! . و « السادة الصوفية » أدرى بحقيقة خمرهم .. وإن كنا لانفهم في الحقيقة كيف استعاروا لفظ الخمر لمعنى شراب المحبة الالهية . أفلايوجد في لغتنا الطويلة العريضة لفظ آخر يمكن التعبير به عن معنى السكر والغيبة بالكلية عن جميع الأعيان الكونية ؟ . ماذا كان يقول ابن الفارض في ذلك يا ترى ؟!

كمال النجمي

هوامش

(١) استذرت استظلت واحتمت

(٢) زارها ابن جبير في عهد صلاح الدين الايوبي

(٣) المرقم القلم .. والرقيم . الصفحة المكتوبة . ومنه « الرقيم » الذي ينسب إلى أصحاب الكهف ، وهو « الصحراء » التي تشبه كثبانها سطور الرقيم أي الكتاب

(٤) عاش ابن الفارض في العصر الايوبي ، وأصله من حماه في سوريا ، ومولده ومنزله في مصر ، ومجاورته في مكة والمدينة

(٥) التواجد إظهار الوجد . ويستعمل العامة الآن هذا اللفظ في معنى الوجود ، وهذا خطأ

(٦) الخوانق جمع : خانقاه « وهي دار يأوي إليها الصوفية وينفق عليها السلطان أو الكبراء

(٧) الحاج الحاجات



بقلم أحمد حسين الطماوى

الأميرة الكسندرة ليست صاحبة أول مجلة نسائية أو ندوة أدبية

● فى مجال تعريف الجيل الجديد برواد النهضة الثقافية والصحافية فى مصر والعالم العربى . نشرت مجلة « الهلال » الغراء فى عدد مايو ١٩٨٥ مقالا للأستاذ عبدالمنعم شميس عن الأميرة « الكسندرة الخورى » أو « الكسندرة ملتيادى أفرينوه فرتنيوسكا » .

ذهب الكاتب الى أن الأميرة الكسندرة كانت أول سيدة عربية أو شرقية تصدر مجلة نسائية أو ادبية . وكانت أسبق من غيرها من بنات جنسها فى إقامة ندوة أدبية أو « صالون فكر » يرتاده الأدباء والمفكرون ، قبل أن تعرف الأوساط الثقافية الندوة الشهيرة التى كانت تعقدها الآنسة « مى » فى بيتها كل يوم ثلاثاء وهذا الكلام يفتقد الدقة ، وينكره تاريخ الصحافة والأدب فى العصر الحديث فإذا كانت الكسندرة قد أصدرت مجلة « أنيس الجليس » عام ١٨٩٨ فإن مجلة نسائية أدبية أخرى قد سبقتها فى هذا المجال بعدة سنوات

هند نوفل والفتاة

وهذه المجلة هى « الفتاة » التى اصدرتها السيدة « هند نوفل » فى العشرين من نوفمبر ١٨٩٢ بمدينة الاسكندرية وكانت شهرية . وصدرت العدد الأول بقولها :



الاميرة الكسندرة

ياربة العلم بل ياربة الكرم
غضى لحاظك عما خطه قلمى
تصفحيه بحسن الود منعمة
هذه فتاتك بين العرب كالعلم

وهند هذه بنت نسيم بن عبدالله نوفل ولدت فى بيروت وهاجرت مع اسرتها الى الاسكندرية مع اسر لبنانية كثيرة ، وكانت من بيت علم وثقافة ، وكان أبوها مدير تحرير مجلة الفتاة ، وكانت امها « مريم جبرائيل نحاس » او « مريم نوفل » كاتبة ولها كتاب « معرض الحسناء فى تراجم مشاهير النساء » الذى طبع سنة ١٨٧٩ نادر الأسرة « عشت ادقن هانم » احدى روجات الخديو اسماعيل ، وتقول زينب فواز انها بذلت فى سبيله « كل ما احرزته من الحلى والمجوهرات حتى لايقال إن للرجال العلم والادب وللنساء الجمال والذهب » وكانت اختها « سارة نوفل » اديبة ، ونستطيع ان نقرا لها بحثا عن المراة الشرقية وتقليدها للمراة الأوربية ضمن كتاب « الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور » لمؤلفته زينب فواز العاملى

وترجع اهمية هند نوفل ومجلتها « الفتاة » الى عدة أمور نذكر منها

اولا : انها اول سيدة عربية تنافس الرجال فى اصدار المجلات بعد ان كان هذا المجال مقصورا على الرجال .

ثانيا : انها حطمت السياج التى كانت تختبىء خلفه المراة العربية . فلم تعد المراة كما كانت فى الماضى تنشر المقالات باسماء مستعارة ، أو تمهرها بتوقيعات رمزية ، او حتى باسماء صريحة ، وانما راينا بعد ذلك جملة من المجلات تصدر بأسماء نسائية مثل مجلة "المراة" التى صدرت فى حلب سنة ١٨٩٣ لنديمة الصابونى ومجلة « الانيز » التى صدرت فى لبنان سنة ١٨٩٥ لفريدة الخازن ، ومجلة « الفردوس » فى القاهرة عام ١٨٩٦ للسيدة لويزا حبالين . ثم تاتى بعد ذلك مجلة « انيس الجليس » سنة ١٨٩٨ لالكسندرة افرينوه . وتتوالى المجلات النسائية فى الصدور فنرى مجلة « العائلة » سنة ١٨٩٩ لأستير مورپال ، ومجلة « شجرة الدر » سنة ١٩٠١ لسعدية سعدالدين وغير ذلك كثير ... كثير .

بل إن اسم مجلة هند نوفل « الفتاة » اطلق على عدد غير قليل من المجلات النسائية من عدة أمكنة نذكر منها مجلة



فتاة الشرق » سنة ١٩٠٦ للسيدة لبيبة هاشم ومجلة « فتاة النيل » سنة ١٩١٣ لسارة الميهية من القاهرة ، و « فتاة لبنان » لسليمة راشد عام ١٩١٤ فى بيروت و « فتاة مصر » عام ١٩٢٠ لهانم العسقلانى و « الفتاة » عام ١٩٣٧ للسيدة نبوية موسى

ثالثا : انها المجلة الأولى التى حملت اسم سيدة وطالبت بحقوق المرأة ووجهت الأنظار « الى مركزها الطبيعى فى الأزمنة الغابرة والقرون الوسطى ومابلغته فى العصر الحاضر من العلم والأدب والأخلاق وحسن الادارة وتدبير المنزل وتربية الأولاد وسائر الفنون كالخياطة والتطريز والزركشة والنقش والرسم والتصوير » على حد قول الفيكونت دى طرازى فى تاريخ الصحافة العربية . وهذا التنوع فى المجلة هو ماجعلها رائجة مقبولة عند القراء .

فالمرأة من خلال هذه المجلة بدأت تدافع عن قضيتها . وتطالب بما اسمته حقوقها بنفسها بعد ان كان الرجال هم الذين يطالبون للمرأة بالتحرر والسفور والتعليم على نحو مانقرأ فى مجلة « الراوى » لخليل زينيه وفى غيرها من المجلات

ورغم تنبيه مجلة « الفتاة » أو صاحبتها الى انها ستنأى عن السياسة والخوض فى مضمارها ، فانها تطرقت الى السياسة وتحدثت فيها بما يخدم النساء ، فعرضت لحقوق المرأة السياسية مثل حق الانتخاب وركزت « الفتاة » على تعليم المرأة لأن العلم هو الوسيلة الى نيل كافة حقوقها السياسية وغير السياسية

وقد كان لجراة هند وريادتها فى هذا المجال اكبر الأثر فى نفوس عدد من مشاهير الكتاب فى جيلها فقد قال عنها جرجى زيدان :

« انها جمعت لطف المرأة ونشاط الرجل ، وقد وضعت حجر الاساس فى زاوية البناء من الفن وجرأت غيرها على الاقدام عليه فاقدمن متتابعات وعلى التوالى تكاثرت الصحفيات العربيات وتعددت مجلاتهن حتى ناهزت الخمس عشرة مجلة فى نحو سبع عشرة سنة » (انظر أعلام النساء لكحالة)

وقال الفيكونت دى طرازى فى « تاريخ الصحافة العربية » : عن مجلة « الفتاة » « وهى باكورة الصحف النسائية للناطقات بالضاد ولذلك دعيت منشئتها الفاضلة بأم الصحفيات وعميدتهن »

وامتدحتها زينب فواز العاملى بقولها ، وكانت من كاتبات مجلتها

عز الفتاة يزين ارباب الأدب
وبها ازدهى الجنس اللطيف كما أحب
وغدت محلاة بكل فضيلة
جمعت حضارتها فصيحات العرب
وصفت فلو وصفت جمال سماتها
افكارنا مالت وجلنا فى طرب
لله در فتاتنا وفنونها
فلقد حوت من كل معنى منتخب
فليهنىء الجنس اللطيف بنشأة
ماكان يبلغها الزمان ولو طلب

هذا هو قدر هند نوفل فى أعين معاصريها



وتلك مكانة مجلتها الرائدة فى مجالها ولكن « الفتاة لم تمكث طويلا فاحتجبت فى عام ١٨٩٤ ، وتولت غيرها من ربات الخدور إصدار المجلات ، وما مجلة « انيس الجليس » التى انشأتها الأميرة الكسندرة إلا حلقة فى سلسلة طويلة من المجلات النسائية التى ظهرت بعد هند نوفل و « فتاتها » .

الصالونات الأدبية قبل الكسندرة

فإذا انتقلنا من الصحافة الى الاندية الأدبية النسائية وراجعنا جملة من الاقوال وتراجم بعض شهيرات النساء ف الفترة السابقة على ظهور الكسندرة فى عالم الأدب ألفينا الأندية الأدبية كانت قائمة

ومن هذا ماأوردته الآنسة « مى » فى كتابها عن عائشة التيمورية نقلا عن صحيفة الأفكار فى يوم ١٢ مارس ١٩٢٢ وكانت صحيفة الأفكار قد نشرت مقالا عن الصالونات الأدبية فى فرنسا وانجلترا والمانيا وعلاقة الآداب فى مصر بالدوائر النسائية الفكرية قالت « الافكار » :

« كنا نريد ان نكتب شيئا عن السيدة عائشة تيمور باعتبار ان تاريخ حياتها يفيض بالنور على الحركة الأدبية الفكرية فى مصر فى عهد اسماعيل وتوفيق . ولقد اجهدنا انفسنا على غير طائل وراء الحصول على وصف ولو مجمل أو غير دقيق للدوائر الأدبية التى ظلت سنين عديدة تجتمع بلا انقطاع فى منزلها (بدرب سعادة)

ولكننا سنتكلم عن سيدة انكليزية (ليديا وايت) تشبه السيدة عائشة تيمور من حيث جعل منزلها ملتقى كبار الكتاب والشعراء فى عصرها » وتتساءل « مى » فى تعليقها على هذا الكلام قائلة :

« من اين جاء كاتب هذه الفقرة بمعلوماته ؟ أهو استند على قول عائشة :

« صرت اتهافت على حضور محافل



الكتاب بدون ارتباك فأجد صرير القلم فى القرطاس أشهى نغمه ، واتحقق أن اللحاق بهذه الطائفة او فى نعمة » .

وهى تعنى بذلك ايام اختلافها ووالدتها فى حداثتها القصوى قبل ان تتحجب ام هو رأى ماقد يشير الى ذلك فى القصائد العربية والتركية التى رثت بها بعض العلماء ؟ ام لديه دليل آخر ؟ »

ثم تورد « مى » قول تيمور باشا « الذى قال قبل إذ ان شقيقته كانت « محجوبة » اجاب على السؤال الجديد بقوله انه يظن « ان ذلك لم يحصل » وتحدثنا الآنسة « مى » عن « الست المغربية » التى كانت تمازح الناس بشىء من الجراة المتطرفة وتتطارح الأزجال مع الشيخ على الليثى وغيره » فأين كانت تمازح الناس وتطارحهم الأزجال والأشعار ؟

وإذا كان أمر ندوة عائشة (١٨٤٠ ـ ١٩٠٢) غير محسوم وخاصة انها نفت هى ذلك مع إعرابها عن التهاب صدرها بنار الشوق الى محافل « العلماء » اليوانع فإن جملة من زوجات مشاهير رجال الصحافة كن يفتحن بيوتهن لاستقبال العلماء والأدباء وإدارة النقاش فى شئون المعرفة ، قبل ان تعرف الأميرة الكسندرا طريقها بوضوح الى دنيا الأدب وعالم الصحافة .

فقد كانت مريم نمر (١٨٦٠ ـ ١٨٨٨) وهى اخت فارس نمر (باشا) وزوج شاهين مكاريوس وهما أصحاب صحيفة المقطم واكبر علامها ـ تقيم فى بيتها ندوة يحضرها أصدقاء زوجها الأدباء « من رجال ونساء ، فكانوا على مائدتها كأنهم فى ناد من النوادى العلمية والمحافل الأدبية وهى تطربهم بعذب كلامها وتسكرهم بخمرة معانيها » وكانت هذه الفاضلة لها جمعية أدبية اسمتها « باكورة سورية » وفى عام ١٨٨١ انشئت جمعية لتعليم النساء البائسات فجعلت بيتها مقرا لهذه الجمعية ، ولمريم نمر عدة بحوث عن الخنساء وحرارة الماء ، وزنوبيا . وكانت تنشرها فى المقتطف واللطائف ، عدا مناظراتها مع سليم موصلى وشبلى شميل ، وقد افاضت زينب فواز العاملى فى ذكر اخبارها والاشادة الى رسائلها المفيدة العديدة . » انظر الدر المنثور ... » .

وثمة صديقة لمريم نمر سلكت هذا المسلك ، هى السيدة « ياقوت بركات » او ياقوت صروف زوج يعقوب صروف ، ويقول فيليب طرازى عنها : جعلت بيتها ناديا لأصدقاء زوجها من اهل العلم والفضل ، ولهذه السيدة جملة من الابحاث والمقالات نشرتها فى مجلة المقتطف

وهؤلاء السيدات الفضليات ينتمين

الى جيل اسبق من جيل الأميرة الكسندرة ، فقد ولدت الأميرة سنة ١٨٧٢ ـ على اغلب الروايات ـ وهذا التاخر لايقلل من قدرها لأن الاندية الأدبية والعلمية النسائية معروفة عند العرب القدماء وعند غيرهم من الافرنج ، وهذا العرض التاريخى لا يجعلها اسبق من غيرها فى اقامة الندوات الأدبية فى العصر الحديث

زيادة الأميرة الكسندره :

وإذا كان لابد من ذكرما تفردت به الاميرة الكسندرة دون بنات جنسها . فإننا نشير الى عملين كبيرين وهما

اولا : اصدارها اول مجلة نسائية شرقية باللغة الفرنسية اطلقت عليها « اللوتس » سنة ١٩٠٠ . ويقول خليل مطران فى « المجلة المصرية » عدد مارس ١٩٠١ « وقد سمتها بزهرة النيلوفر او اللوتس للدلالة على انها مصرية وفى هذه التسمية مالا يخفى » .

وكانت الكسندرة قد تعرفت على عدد كبير من رجال السياسة والفكر فى فرنسا . فحملوها على انشاء مجلة اخرى (غير انيس الجليس) تصدر باللغة الفرنسية تتحدث فيها عن المراة الشرقية ، وتكون بحوثها ممن يهم الشرقيين والغربيين جميعا . فانشات مجلة « اللوتس » .

وكانت « اللوتس » تنشر المباحث الأدبية والاجتماعية لعدد من الكتاب الأوربيين مثل الأميرة فيزنيوسكا رئيسة جمعية الاتحاد العام للسلام ، وجول كلارس احد اعضاء المجمع العلمى الفرنسى ، واميل دوشاتل احد اعضاء مجلس الشيوخ بفرنسا ، وجول ليمتر الناقد الشهير ، ومن الكاتبات الشهيرات البارونا دى ستاف ، وديانا توليدو ، وماريا شليجا ، وغيرهن وغيرهم .

ثانيا : اصدارها اول جريدة يومية سياسية ، سنة ١٩١٢ هى « الاقدام » واسندت رئاسة تحريرها الى الشاعر الناثر ولى الدين يكن ، وقد بينت الأميرة فى افتتاحية العدد الأول معنى الأقدام واثره فى تقدم الامم ونهوضها ، وطلبت من المعلمين تعليم التلاميذ فضيلة الاقدام .

وتعتبر هذه الصحيفة اول جريدة يومية سياسية تصدرها سيدة عربية او شرقية فيما نعلم . وقد توقفت بعد فترة قصيرة من صدورها ولم تحاول الكسندرة اصدار اية جرائد او مجلات اخرى بعد ذلك حتى انتقالها الى رحمة الله تعالى فى لندن سنة ١٩٢٧ .

ولم تخل الدراسة التى اعدها الاستاذ عبدالمنعم شميس من الاغلاط الاخرى مثل قوله إن انيس الجليس توقفت سنة ١٩٠٤ ، وهى خطأة وقع فيها كثيرون والصحيح انها احتجبت سنة ١٩٠٧ ، وقد تتبعتها عددا عددا منذ سنة ١٨٩٨ وحتى نهاية ١٩٠٦ .

وعلى وجه العموم فان هذا البحث الذى قدمه الفاضل عبدالمنعم شمس فى ترجمة الكسندرة لم يات بجديد . إذ أن هذه المعارف تكاد تكون تكريرا لمعلومات سبق نشرها هنا وهناك اخرها ماقدمته مجلة الثقافة فى اعدادها ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ (يوليه ـ اغسطس ـ سبتمبر ١٩٨٢) تحت عنوان « انيس الجليس والكسندرة الخورى) ولم يمض وقت طويل على اخر ماكتبت عنها حتى نجدد سيرتها ، ونتغنى بامجادها

مراسلات أدبيّة



بقلم الدكتور : محمد رجب البيومي

● شهد مطلع القرن كاتبة مجيدة ، أخذ نجمها يتألق فى الصحف المصرية ساطعا يرسل النور فى دفء وحنان ، ويثير شتى العواطف المتباينة فيما يخط من أفكار تنحو منحى الاصلاح الاجتماعى للمرأة ، اذ انطلقت الكاتبة الشابة ملك حفنى ناصف الشهيرة بباحثة البادية تؤدى دورها الأدبى فى تفرد باهر جذب اليها الانظار ، إذ تعالج هموم المرأة فى أسلوب نابض حى يهز أوتار القلوب ويعجب به المؤيد والمعارض معا ، فأخذت أقلام الكبار تؤيده وتطريه ، وجعل أحمد لطفى السيد وأحمد شوقى وخليل مطران وأحمد زكى ، وهم من صفوة المبدعين فى هذا العهد يرسلون شواردهم الهاتفة بنبوغ الباحثة ، فاقتعدت مكانها الأدبى فى ميعة الصبا ونضارة الشباب

ولم يكد العقد الثانى من هذا القرن يتنفس عن عامه الأول حتى تألق نجم جديد آخر فى سماء الصحافة المصرية كان نجما متعدد الأضواء يرسل أشعته الرقيقة فى شتى الأنحاء ، حيث لم يقتصر ضوؤه على الناحية الاجتماعية وحدها ، ولكنه امتد الى آفاق متعددة ، فكتب فى الأدب والتاريخ والوجدان النفسى أعذب ما تفتخر به العربية من آيات نسوية بارعة ، وكان لهذا النجم من الومض والرفيف والحيوية والجمال ما جعل أثره خالبا جاذبا ذلك هو نجم الأديبة اللامعة ذات الصيت الرنان الآنسة مى .

● صداقة وطيدة ●

ولم تنافس العادة الغادة فتصطرعا فى عراك أدبى ، يصول به رأى على رأى .



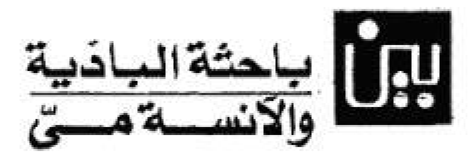
ملك حفنى ناصف



الانسة مى

استجابة لهواتف السبق المتفرد كما يحدث كثيرا بين من تمتلىء نفوسهم بحب الذات ، ولكن صفاء النفس الحساسة واشواق الروح المترفعة ، ورحابة الصدر الحنون لدى الاديبتين الرقيقتين دفع بهما الى السلام فالمصافحة فالعناق فالامتزاج ، دفع بهما الى السلام حين انس قلم الى قلم فرأى صورة نفسه فيما يخط صاحبه ، والى المصافحة فالعناق حين سعت احداهما الى الاخرى ظامئة متلهفة والى الامتزاج حين تكاشف القلبان عن اطهر الخلجات ، واعذب المشاعر ، فامتد الناظران الى افق فسيح تورده الاحلام الزاهية وتعطره الانفاس الفواحة . فهو على البعد حرفا السابح ، وايك الطائر النازح ، وكما دارت بينهما المراسلات على اوراق الصحف امتد بينهما السمر الأخوى فى حجرات اللقاء فرأت الفتاة النابغة أختها الواثبة ، تشعر بإحساسها ، وتنطق بلسانها ، وتسمعها صوتا يحتبس فى قلبها ، ويتردد فى انفاسها ، ليعلن كيف تتلاقى الأرواح وتتناجى القلوب

بدات مى بالتعارف ، وهذا مما يذكر لها ـ اذ لم تتحمل وطأة الشوق الدافع فرأت ان تخرج به من سر الضلوع الى فضاء البوح فكتبت مقالا بديعا يكشف هذا السر الى صاحبة وحيه ، كما يصور وقع مقالاتها فى نفسها المتلهفة على الصداقة المرتقبة . فهى تقول انها ترنمت باسم ملك قبل ان تعرف شخصها فاتخذت منها عنوانا لنهضة المرأة المصرية ، لأن اصوات الجمهور قد اتفقت فى



الثناء على فضلها وتحت يدها منذ ثلاث سنوات مجموعة مقالاتها ، من يوم ان ارتفع فيه صوتها مرشدا هاديا

● من رسالة مى ●

تقول الآنسة مى فى رسالتها الأولى الى ملك : بالأمس لمست نفسك وقرأت افكارك ، فعثرت على جراح بليغة وددت تقبيلها بشفتى وبروحى وما اطبقت الكتاب الا وانا الثم بنانى على غير هدى ، ولم يكن ذلك الا اجلالا لصفحات قلبتها وحبا لنفس استجوبتها وعرفتها ، فيا من ارتفع قلبها الى فكرها ، وانحنى فكرها على قلبها ، لماذا تصمتين ؟ علاتنا مستعصية لايشفيها الا مريض يعرفها . والمراة بعلة جنسها ادرى ، فهى تستطيع معالجتها ، ولدينا قلوب تحترق ولاندرى اى نار تحرقها ، وتلهب شغفا بما لاتعرف ماهيته ، فعلمينا ياباحثة البادية كيف نرشدها ونوجهها ، ولدينا نفوس عزيزة تنمو فيها ميول مبهمة ، ورغبات حارة ، فارشدينا اى الأعشاب فاسد فنقتلعه ، وأيهما الصالح فنسقيه ماء الرعاية والحنان »

هذا بعض ماقالته مى فى خطابها ، وكانت الباحثة حينئذ مريضة تشكو ألم الجسم ، وعذاب الروح معا ، وقد لاقت فى رسالة مى ماخفف بعض الشىء من آلامها ، إذ رات روحا تهتف بها هتاف البصير المدرك ، وهمت ان ترد سريعا ، فلم تستطع ، فاوصت أختها (حنيفة ملك ناصف) ان تكتب بضعة اسطر تعلن وصول الرسالة ، وتظهر جميل الشكر ، وتعد بالرد الشافى حين تبرأ الباحثة من سقامها وقد اذن الله بالشفاء فكان اول ماصنعته ان كتبت الرد الشاكر تقول فيه :

● رد الباحثة ●

تلقيت رسالتك وكنت بين مخالب الموت ، فلم يكن فى وسعى ان امسك القلم لأرد عليك ، كانت رسالتك عزاء جميلا لى فى مرضى الطويل ، وبلسما ملطفا لجراحى البالغة ، آلامى أيتها الآنسة شديدة ، ولكنى انقلها بتؤدة كانى اجر أحمال الحديد ، فهل تدرين ياسيدتى ما هولى ؟ ليس لى بحمد الله مت قريب ابكيه ، ولا عزيز غائب ارتجيه ، وليس لى حال سيىء اشتكيه ولكن لى قلبا يذوب عطفا واشفاقا على من يستحق الرحمة وهذا علة شقائى

ومبعث الامي . انى احمل نفسى اعباء غيرها ، ولست بمسيطرة على هذا العالم ، ولكنى عاهدت نفسى على الأخذ بيد المراة ، ويعز على ان اتخلى عن هذا العهد .

ومضت ملك ناصف تصور جهادها الاجتماعى فى اسلوب صادق رقيق يكشف اسرار نفس بنبله ، تضم فى لفائفها انفس الجواهر ، وتحمل بين دمائها اعذب الاحاسيس .

● مراسلات اخرى ●

تاكدت كل كاتبة من منزلتها لدى صاحبتها ، فكان ذلك مبعث هزة لطيفة يشعر بها من يعتقد ان صوته يجد المستقر اللذيذ فى اذن صديق ، نير العقل ، رقيق الوجدان ، واذا كانت مى تميل الى الاسلوب المترف الأنيق فان تاثيرها اللاشعورى قد انتقل الى اسلوب اختها الكبرى ، فصارت تعتمد الروعة الفنية اعتمادا فى اكثر ماتكتب ، لأن المقالات الأولى للباحثة كانت تهدف الى اللباب الجوهرى دون ان تعنى كثيرا بأناقة الثوب ، ورقة الغلالة ، إذ ان ميدان الحديث عن اصلاح المراة قد اتجه بالأسلوب الى منحاه العلمى حوارا واستشهادا ودفعا ، على حين كانت مى تكتب فى مسائل الوجدان باسلوب الشاعرة ذات الهمس الرقيق ، والخيال الحالم على ان تاثيرا مقابلا قد اتجه الى يراع مى ، حين اخذت تعالج بعض قضايا الفكر ، فخففت من طيرانها السابح فى الفضاء لتصل الى الميدان بين ذوى النقاش المحتدم ، والجدل المتصل وهكذا اقتربت الكاتبتان تقاربا ادبيا حميدا ، وقد تحدثت الباحثة فى بعض مقالاتها عن آلامها النفسية التى تساورها بين الحين والحين ، حين تنظر الى جهادها المتصل فتجد الطريق مديدا رحبا يحتاج الى نضال لاتملك اسبابه ، ويهولها ان يقصر خطوها عن الغاية فتشعر بلوعة اليائس ، وتتمنى ان ترزق من القوة مايطرد عنها المها النفسى لتواصل السير كما تريد وقد بلغت بما كتبت فى هذا الصدد من شغاف مى مبلغا كبيرا دفعها الى ان تكتب لصاحبتها مشجعة مقدرة ، كما اعلنت ماتلمسه من صدى الباحثة القوى فى نفوس القارئين والقارئات اذ يتلهفون على مقالاتها لهفة الظامىء الى الماء النمير !

● من خطاب مى ●

تقول مى لصاحبتها (انى لأقبض على شجاعتى بيدى لأعترف بانى احب الالم النفسية الشديدة من جراء شقاء الانسانية وضلالها ، واتمنى من اعماق فؤادى ان تجد هذه الالام منفذا رحيبا الى قلبك وان يبقى ذلك القلب الكريم لينا يجرح لجرح الغريب ، ويبكى لبكاء المظلوم ، ويشفق على المتوجع ايا كان ، وبالاختصار - عفوك عفوك - اتمنى لك العذاب المعنوى



لأنه النار المقدسة اجل هو النار التى تطهر ، النار التى تحيى النار التى تعين ، النار التى ترفع النفس على اجنحة اللهيب الى سماء المعانى السامية والميول الرفيعة ، والنهوض بالاجتماع نهضة تهتز لها القلوب حمية وطربا ! انى اسر اليك امرا وقفت عليه عندما شهدت صدى مقالاتك لدى القراء رأيتهم جميعا يتقبلون أقوالك بنظرة الفخر وابتسامة الاعجاب وان البذرة التى تزرعها اليوم يد الزارع تنبت سنبلة فى كيانها حياة الغد وعندما تخضر المروج بنضرة الرجاء تتماوج فوق حباتها نسمات الحياة)

● الساعة المفقودة ●

فقدت الانسة مى ساعتها الرشيقة الصغيرة ، فكتبت مقالا رقيقا يتحدث عن الغائبة العزيزة ـ فالساعة كما ترى الكاتبة ـ صورة مصغرة للكون ، مساحتها رمز الفضاء ، وحدودها حدود الزمان والمكان ، وثوانيها دقات القلب ، اذ من الثوانى يتألف الزمان ، ومن نبضات القلب يتم نسيج الحياة

وبعد وصف شعرى رائع قالت الانسة مى تخاطب الساعة الفقيدة:

« يا بنت أبيك الزمان ، انه يغدر بنا ساعة اللقاء ، ويخوننا فى يوم الصفاء ، ويهجرنا عند اللقاء فانت غادرة خائنة هاجرة كأبيك الزمان لما افنت قلبى الوحدة ضغطت على ساعدى قائلة : أنت الصديقة التى لا تخون ، وقد كنت تعزيتى وكنت زمانى ، فما لك تهجريننى الان ؟ إذا وقعت فى يد شرير ، وقصد استعمالك ليؤذى أخا ، فانقلبى أفعى لسّاعة ، وأفرغى فيه سمك حتى يسقط قتيلا ».

● رسالة الباحثة ●

قرأت ملك مقال الانسة مى فى وصف ساعتها الفقيدة ، فكتبت اليها خطابا رقيقا تعلن فيه إعجابها بادبها الرائع ، وتحليلها النفسى البارع ، ثم قالت مداعبة

« انى وجدت ساعتك المفقودة ، والتقطتها ، رايتك ترثينها بحرقة فجئت لأمسح دموعك اذ احب دائما ان امسح دمعة المحزون فتعالى الى لتاخذيها وتستغفريها من وصفك اياها بالغدر وعدم الاحساس فانها احست بشوقى اليك فاتت الى .

« انها تبث الى ماكنت تشكينه من العواطف والالام ، عثرت على وعثرت عليها ، لنكفى قلبك شر الفناء من الوحدة ، ولنؤكد لك انك وجدت الصديقة التى لا تخون »

وهكذا كانت الساعة الفقيدة وسيلة لزيارة مى للباحثة ، اذ دعتها ملك فى لطف ودعابة ليتعارفا تعارفا ذاتيا بعد ان تعانقتا روحيا ' وصادفت الدعوة موضع الاجابة من مى ، فخفت الى لقاء صديقتها فى حلوان ، ووصفت خواطر اللقاء وصفا بديعا قالت فيه :

« ذهبت اليها والشفق يضرم ناره فى قلب الافق ، والسحب قد انقلبت هنا لهيبا ، وهناك انوارا ، وهناك الوانا ، اى نفس لا ترتعش اغتباطا امام جلال الغروب ، والغروب فى مصر ابرع جمالا منه فى اى قطر آخر على ان اغتباطى بمنظره لم يكن ليلهينى عما ينتظرنى من جديد ، ولا ليحبس عن ذهنى اسئلة تتعاقب على فكر المرء قبيل اجتماعه بشخص غريب ، فاننا لا ننفك متساءلين على غير ارادة منا : ترى كيف هو ؟ على اى قرار يوقع نغمة صوته والى اى الالوان يقرب لون عينيه ، كيف يبتسم ويتكلم ويتحرك ؟ بل كيف يفكر ؟ وعلى اى الأساليب تاتى افكاره ؟ اسئلة انما ينحصر الجواب عنها فى النظرة الأولى التى يتبادلها الغريبان . لقد تم اللقاء وكانت الباحثة ـ كما وصفتها مى ـ تضحك بسهولة ، وفى صوتها رنين كرنين اصوات الاطفال ، تضحك كمن يضحك من قلب لم يخالطه معنى الكابة ، ولم تنزل بساحته وطاة الهموم وما أشد ما يسر السامع بهذه الضحكة المملؤة طيبة وذكاء ولولا ان خيالات الفكر والكابة تتماثل على جبهتها السمراء الجميلة لتساءل المرء : أهو فى حضرة امراة ذاقت طعوم اللوعة والألم !

● محنة البيئة ●

صدقت مى حين تحدثت عن ضحكات الباحثة فى مجلسها الأدبى

مراسلات أدبية

بين باحثة البادية والآنسة مي

ان لم تكن هذه الضحكات غير ستار لحزن أليم يقطع نياط قلبها ، فهي تحاول أن تكتمه جهد المستطاع لتضفي على المجلس روحا من البشاشة تناي به عما يثير الكدر ومن أعنف ألوان الصراع النفسي أن يكبت الحزين أساه ليبدو مشرق الصفحة ، ضاحك السن ، انه يعاني من آلام القهر ، وضغوط الكتمان ما يفتت أحشاءه دون أن يقف على سره أحد ، وهذا ما عناه الأديب الكبير الأستاذ على الجارم حين قال :

وأشد الالام أن تلزم الثغر ابتساما والقلب رهن اكتئابه

لقد كانت باحثة البادية غير سعيدة في منزل الزوجية ، اذ كانت وهي المتكلمة بلسان المراة تعاني من ضروب البلاء ما يعصف بهدوئها الامن ، لقد خدعها زوجها أولا حين تقدم الى الاسرة على أنه غير متزوج ، ثم بنى بها وكان عقيما لمرض انتابه فظن أن الباحثة مصدر العقم ، وتزوج ثالثة دون جدوى ، ولم يفسح لأسباب السعادة أن تجد منفذا لزوجته ذات المشاعر النابضة بالحيوية والتوثب فكابدت من عناء حياتها الخاصة ، ما زاد أعباءها الأدبية ، بل ما أوقد الشجون فجعلت تتمثل بلاء المراة حين تصاب بما لا تستطيع دفعه ، ثم غلى الضغط على قلبها الرقيق فانفجر في أزهى سنوات العمر بعد مرض لم يطل أمده ، فروعت الأمة بفقد كاتبتها الأولى ، وسالت أنهار الصحف دامية تقطر دما ، وامتد الشعور باللوعة امتدادا جازعا عبر عنه .

حافظ ابراهيم حين قال في رثاء باحثة البادية

لاكان يومك يـــوم لا ح الحزن مختلف الصور
علمت هاتفة القصـــور نواح هاتفة الشجـــر
وتركت اتراب الصبـــا حزنا يقطعن الشعـــر

يبكين عهدك فى الصبا ح وفى المساء وفى السحر
لا وازغ وقد انقضت ملك يقيهن الضـــــرر

وجزعت مى على صديقتها ، فكتبت رثاءها الحار ، يوم رحيلها ، ونشرت دموعها فى حفلة الاربعين راثية مؤبنة ، ثم أصدرت عنها كتابا خاصا ، يحلل آراءها الاصلاحية ، ويصور جهودها الأدبية فادت واجب الصداقة ، ولبت نداء الحب والوفاء .

● من رثاء مى للباحثة ●

تقول الانسة مى :

« كانت عينا باحثة البادية مفعمتين ابتساما كثغرها ، ولكن اذا أمعن المرء النظر فى اعماقها وجد بعد الغور والكآبة المقيمة وراء الابتسام مما يرى فى عينى المزمعين على الرحيل العاجل ، أولئك الذين لا تطول حياتهم اكثر من زهور الربيع فيذهبون تاركين الجو حولهم معطرا بالعبير .

لقد كان قلب الباحثة يتلظى مضطرما ، ولم تكن ألفاظها الا شرارا من وميضه ، وبه اختبرت البيئة المصرية ، وهالها ما شهدت من ذل وتعاسة فغمست قلبها فى مداد هو سيال من قلبها النارى ، وكتبت فصولها الخالدات تقطع متقدة تدخل القلوب وتمتزج بها حتى تصير جزءا منها يأبى التفرق والانفصال فوداعا أيتها الراحلة . لئن نزل البلى بيدك الرطبة فان الخلود نصيب ذكرك . فانت الان حيث النور الشامل ، والجمال المقيم ، هناك يحيط بك أمثالك من الأرواح الكبيرة فى دار جعلت مقرا ابديا للذكاء والنبوغ .

وانا التى عرفتك واحببتك تريننى جاثية امام ضريح ضم جسمك الثمين لأضع على جوانبه باقة أزهار والأزهار تموت ، أما شكرنا فخالد كفضلك »

وعاشت تذكر ملك كثيرا . ثم رحلت هى الاخرى بعد محنة قاسية لترفرف مع صديقتها فوق شواطىء الخلد . حيث التقتا بعد غياب طويل



● قضية الاسلام والمسلمين فى هذا العصر ليست مجرد قضية فقهية او شرعيــة ، وهى لاتبدأ وتنتهى بالتطبيق العاجل للشريعة الاسلامية او باقامة الحدود فورا على مرتكبى الكبائر والصغائر واكثر الحــوار الحاد الدائر الان يؤدى بقصد او بغير قصــد الى خلط الحقائق والى صرف المسلمين عن القضية الاساسية وعن الخطر الذى يحدق لهم.

وقضية الاسلام والمسلمين فى الربع الاخير من القرن العشرين هى فى جوهرها قضية قومية ، وهى التحرر الشـامل الوطنى والاجتماعى والحضارى لكل الدول والشعوب الاسلامية ، وهى لا تختلف ولا تنفصل عن قضايا شعوب اخرى — غير مسلمة — عانت مثلها سنوات الاستعمار « الاوروبى » القديم وتعانى الان مواجهة عصيبة مع استعمار جديد ، لا يقل وطأة .. ويجمعها كلها عالم متكامل ، لايخلو من التناقض .. هو العالم الثالث .

واستأثرت الدول والشعوب الاسلامية لاسباب عديدة تاريخية ومعاصرة بأوفى نصيب من بطش كلا الاستعماريين ..

وبدأ « المشروع » الاستعمارى الاوروبى الحديث اول مابدأ ضد المسلمين وللالتفاف « حول ظهر الاسلام » ولاكتشاف طريق الى الشرق لا يمر عبر اراضى المسلمين ، ولانتزاع تجارة الشرق « والتوابل » من ايدى العرب الكفار اعداء الله والمسيح.

وكان ذلك هو امر التكليف الذى خرج به فاسكودى جاما فى رحلته المشهورة الى الهند مستهلا عصر الاكتشافات الجغرافية الكبرى الى الشرق ١٤٩٠ وخمسة قرون من التاريخ الحديث ..

وكان لابد من اضفاء القناع الدينى على المشروع « الاستعمارى » وان يباركــه البابا بمرسوم وان يستثير حماس الملوك والعوام بأن يعلن استئناف الحــروب « الصليبية » فى سبيل « التوابل » !

وكما قال مؤرخ هندى « بانيكار » .. « اكتشف الاوروبيون بعد فشــل الحروب الصليبية انهم لن يستطيعــوا اقتحام طريقهم مباشرة الى الشــرق ، وقامت الامبراطورية العثمانيــة فى اول عهدها عقبة كئود امام تجدد المحــاولة

ولهذا اشتدت الحاجة الى طريق «خلفي» الى الشرق » ■

ونجحت المغامرة ، وفاق نجاحها كل خيال ، وتدفقت كنوز الشرق واستأثرت بها البرتغال ، وأثارت لهذا كل حسد وجشع تجار وقراصنة وملوك وأمراء اوروبا ». وبدأ الصراع فيما بينهم حول الشرق ، ثم اشتد وتفاقم واصبح محور السياسة والدبلوماسية والاستراتيجية الاوروبية ، ونشبت الحروب ، ولم تنقطع حتى بلغت ذروتها في الحرب العالمية الثانية .. ولازالت دائرة !

ونزل أشد البطش والخسف بالبلاد الاسلامية ، ثأرا للحروب الصليبية ، ولانها كانت تحوى اثمن الكنوز ، وتحتل اهم المواقع ، ولهذا تكالبت عليها الدول الاستعمارية محمومة ، وفي النهاية لم يبق هناك بلد « اسلامى » ، لم يستعمر أو يقع في تلك او دائرة نفوذ امبراطورية أوروبية ، ولم يبق هناك دولة اوروبية عظمى أو صغرى لم تقتطع شريحة من بلاد « المسلمين » .. الجميع .. بريطانيا فرنسا هولندة روسيا القيصرية – ايطاليا اسبانيا البرتغال ، اخذت كل منها نصيبا ونازعت الاخرين نحو المزيد ■

واقامت بريطانيا « عظمتها » على اشلاء امبراطورية المغول « الاسلامية » في الهند ، وبنت فرنسا حضارتها على اشلاء مستعمرات شمال وغرب افريقيا « المسلمة » وتحولت هولندة من مستنقع الى دولة أوروبية على حساب اندونيسيا او جزر الهند الشرقية « المسلمة » الخ .

وتقدمت أوروبا ، وانتقلت الى طور أبعد من اطوار الحضارة بينما « تجمدت » المستعمرات وتخلفت ، مسلمة كانت أم غير مسلمة !!

ادت الاكتشافات الجغرافية الكبرى الى تغيرات جذرية وجوهرية في الكيان الاوروبي عامة ، وبتدفق الثروة وارباح التجارة واطنان الذهب والفضة على تجار أوروبا وصيارفتها بدأ عصر كامل اطلق عليه عصر الثروة والثورة التجارية معا ، وكان اول نتائجه انتقال السلطة باضطراد تبعا لتزايد الثروة من الملوك والامراء الاقطاعيين الى الاغنياء الجدد من « البورجوازيين » التجار سكان المدن .. بدأ عصر « الطبقات الوسطى » الذى بلغ ذروته في ثورتها الكبرى البريطانية والفرنسية ..

وشحذت المغامرات والرحلات البحرية الكبرى المواهب والطاقات العلمية والتكنيكية وادت الى مزيد من البحث ومن الاكتشافات الضرورية لعبور البحار وادت أيضا الى تحرر العقول من ربقة الكنيسة ، « وشعوذة » البابوات والى الاصلاح والتنوير والعقلانية .. واخيرا الى أهم ماتوصل اليه الانسان الحديث وهو اختراع « الآلة » ■

وقلب الاختراع كل الاوضاع وبدأ اهم أحداث التاريخ الاوروبى ، وهو الثورة الصناعية . ووجد « الاختراع » رؤوس أموال متراكمة من تجارة المستعمرات هيأت استغلاله الى اقصى مداه ..وقامت عليه السيادة والسيطرة الاوروبية .

اصبح « للحضارة الاوروبية » ثلاثة قوائم رئيسية هي الثورة السياسية والثورة الثقافية والثورة الصناعية .. وحرصت اوروبا ، حماية لسيادتها ، أن تحجبها من المستعمرات وتحرمها منها .. وذلك لتبقى احواش واسواق خلفية ..!

ولم يكن الاستعمار مجرد احتلال ارض ولكن ممارسة سلطة وحكم .. ولم تطبق الدول الاوروبية النظم « الديموقراطية » بالطبع ولكن تفننت في ابتكار نظام « ملائمة » لان شعوب الشرق لا تصلح ولم تستعد بعد لقبول الديمقراطية .

وانقسمت أنظمة الحكم الاستعمارى عامة الى نوعين ، الحكم المباشر الذى يمارسه ممثلو الدولة « الام » نائب



الملك أو الحاكم العام أو المقيم الدائم أو الحكم غير المباشر . الذى يقوم على واجهات من الملوك والسلاطين والأمراء المهراجات والمشايخ وكل انواع الاقطاعيين والقبليين ممن يثبتون ولاءهم ويتفانون فى ذلك ..

وحينما يقتضى الحال تقوم الواجهات من أحزاب وسياسيين وأحيانا مجالس محلية أو نيابية .

وحول كلا النوعين من الحكم تكونت فئات وطبقات ، ذات مصالح ، والذين بنفوذها وولائها للمستعمر ولا بقاء لها بدونه ..

وتسابق الحكام المباشرون وغير المباشرين والمسلمون وغير المسلمين نحو هدف واحد عام هو قهر الشعوب وجماهيرها ، وحجبهم عن أى مشاركة أو ممارسة للسلطة أو تقرير مصيرهم ومصير بلادهم .

لم يكن هناك مناص من أن يكون الاستبداد فى قوالب متنوعة ، هو الوجه الآخر للاستعمار

والاستعمار مع هذا ليس احتلالا للارض أو احتكارا للسلطة فحسب ، ولكنه استغلال واستنزاف لموارد وتسخير الاقتصاد المستعمرات لصالح الدولة « الأم » وان تستأثر الشركات والاحتكارات الأوروبية بالمزارع والمناجم والايدى العاملة والاسواق آن تحتكر الثروة ، وتمنح حكامها ووكلاءها نصيبهم « الضئيل » ولا يعنيها بعد ذلك الباقية ـ أى الاغلبية الساحقة .. وان تبقى جائعة جاهلة مريضة تتضور أو تموت ..

وكان الاستغلال « مكثفا » فى البلاد « الاسلامية » خاصة ولهذا بقيت حتى الآن تتصدر « أفقر » شعوب العالم كما يرد فى نشرات الأمم المتحدة .

وتلجأ الامبراطوريات والدول الاستعمارية فى تأمين الاحتلال والاستبداد والاستغلال . وتوطيد أركانه الى سلاح رئيسى فعال « هو تقويض أهم المقومات الوطنية والحضارية والروحية للشعب سيء الحظ » ان تهز ثقته فى نفسه وفى شخصيته وكرامته « الوطنية » . وأن تشككه فى مكانة لغته وثقافته وتراثه « وأن تزعزع ايمانه بعقيدته ودينه . وتستطيع بعدئذ أن تفرض عليه كل الاشكال الممسوخة المبتورة من لغات وحضارة أوروبا .. وسوف يكون أداة طيعة لذات بلا كيان فى قبضتها ..

ولما كان الاسلام هو أهم المقومات الروحية للشعوب المسلمة . وأعمقها وهو العقيدة التى خرج بها العرب الى التاريخ وصلوا بها كما صمدت الشعوب الاخرى التى اعتنقته ، لقد انصب عليه كل الجهد والسخط

وتولى المهمة جيش من المستشرقين « الاستعماريين » تولى اعادة تفسير التاريخ والتراث بما يلائم « الرجل الأبيض » وانتشرت مدارس ومعاهد التبشير فى كل الارجاء ظاهرة أو خفية . ولكن أشد ماخلقوه خطرا وأثرا كان تجنيد جيش من الفقهاء وشيوخ الافتاء « الرسميين » قام بعضهم بتكوين مذاهب وطرق دينية وصوفية ، وزوايا ، تدعو للمستعمر التعاون معه مادام لا يمس الدين ، وطالما كان من أهل الكتاب .

ورزح المسلمون تحت هذا الحكم مايقرب من خمسة قرون ، وباشكال ودرجات متفاوتة من القهر والقمع فى ظل عصر السيادة الأوروبية ، وأصبحت قضيتهم لهذا هى التحرر الشامل أى استرداد السيادة الكاملة على الأوطان « وازاحة الحكام المستبدين صنائع المستعمرين » وتسليم السلطة الى أصحابها الشرعيين أى جماهير المسلمين « تصفية النظم والعلاقات الاستغلالية واعادة انتاج الثروة وتوزيعها بما يقيم العدل وينشره بين كل المستضعفين والمحرومين ، ثم استعادة العقل والروح ، وتصحيح

وتجديد الفكر الديني بما يلائم العصر واطلاق مواهب الخلق والابداع في كل الميادين ، تماما مثلما كان الحال في فترات المجد .

واصبحت « الفريضة » القائمة على كل مسلم فردا او شعبا ان يشحذ كل قواه ويعبئها وان ينسق « جهاده » مع كل شعب مسلم آخر وكل شعب غير مسلم ايضا ، للخلاص من عدو مشترك ..

وفي ظل هذا الجهاد ، يتآلف المسلمون ويتحالفون بعضهم البعض في ظل مثل مشتركة ويتضامنون ويتفاعلون ايضا مع شعوب العالم التي تعاني ما يعانون ، وينفتحون جميعا على كل مثل الانسانية المعاصرة وعلى كل قوى الثورة والتحرر في العالم .

وقد امر الله المسلمين بأن يتعارفوا مع كل شعوب العالم وقبائله .. سواء كانوا مسلمين او غير مسلمين . وافضل اشكال التعارف ، هو الكفاح والعمل معا من اجل رفع « الظلم » وتثبيت « الحق » — وتحرير الانسان خليفة الله على الارض .

وقد ادى كفاح الشعوب ضد الاستعمار ووطأة التحدي الى شحذ الوعي الوطني والقومي « بالذات » والى تعميقه ، وتحقق ذلك بين الشعوب عامة ولهذا اصبح الوعي القومي لدى الاندونيسي او الهندي او الايراني او العربي ، وتمسكه بانتمائه الوطني متكاملا ولا يتعارض بأي حال مع ايمانه الروحي بدينه .. اصبحت « الوطنية من الايمان » ووجهه الاخر .

وحينما وقع الظلم على ابناء الشعب الواحد مسلمين وغير مسلمين اجتمعوا معا في بوتقة واحدة صهرتهم جميعا هي ذلك الوطن .. وبذلك تحققت وحدة وطنية وتعايش روحي لأنك انه افضل « الايمان » خاصة عند المسلمين ..

وكانت هذه هي « القضية » حتى انتهى تاريخ وبدأ تاريخ اخر . لدى نهاية الحرب العالمية الثانية .

تحررت معظم الشعوب .. بعدما سقطت الامبراطوريات الاوروبية او تضعضعت قواها ، وبعدما فشلت في التمسك او استرداد مستعمراتها وبعدما تغيرت موازين القوى في العالم ، وقام نظام عالمي مختلف ، وانتهى عصر السيادة الاوربية الذي بدأ بالطريق الى الشرق ولكن لم تكد تتحرر الشعوب — المسلمة وغير المسلمة — من ربقة الاستعمار القديم « الاوروبي » وتبدأ في تصفية اثاره وتركته الثقيلة ، حتى ادركت ان معركتها لم تنته وان عليها ان تواجه استعمارا جديدا لايقل وطأة ، وربما اختلف في القوالب والاساليب ، ولكنه لا يفترق في الاطماع ان لم يزد .

كان يريد ان يرث الامبراطوريات القديمة وما كانت تملك ، ويريد ان يطبع ما بقي من التاريخ بخاتمه ، أن يقيم نظاما يدوم لالف عام ، تماما كما ارادت بريطانيا خليفته ذات يوم او كما ارادت « المانيا النازية » التي حاربها لنفس السبب .

واراد « الولد » الجديد ان يفيد من كل الخبرة الطويلة المكتسبة ، وان يخلع على مشاريعه « الكونية » التي امتدت بطول العالم وعرضه ثوبا من المثالية والقدسية ، واعلن ان زمام التاريخ قد انتقل اليه ، لكي ينقذ البشرية عامة من اشد الاخطار في تاريخها ، وهو « الكفر » وانه قد تسلم الرسالة لحماية « كلمة المسيح » من اعداء الله الكفار ، ولم يكونوا العرب هذه المرة ، بل لقد تسامح تجاريا مع روح العصر ، واعلن انه يضم الى صفوفه ويشمل بحمايته كل المؤمنين وخاصة المسلمين وكل اهل الكتاب !

كانت البلاد « الاسلامية » تقع في الصدارة من « مشاريعه » الكونية ، كانت تحوي هذه المرة « الكنز » الذي فاق كل كنوز الشرق السابقة وهو « البترول » الذي يعتمد عليه في كل شيء الحرب والسلم والقوة والرخاء ... وكانت البلاد « الاسلامية » ايضا بمدنها وموانيها وبرها وبحرها ، تضم اهم المواقع الاستراتيجية التي يستطيع منها ولا يستطيع بدونها ان يشن حروبه



الباردة .. أو الساخنة .. أو يهدد عدوه ويساومه منها .

إن البلاد « الاسلامية » خاصة العربية هي « عنق العالم » تبدأ منها « السيادة » لكل بناة الامبراطوريات القدامى والجدد لم تكن معركة العصر بالنسبة له ، ولا يمكن أن تكون من خلاص الشعوب المسلمة أو غير المسلمة من الاستعمار والاستبداد والاستغلال .. ولكنها المعركة بين « الايمان والالحاد » وأن على هذه الشعوب ان تؤجل كل مطالبها وكل قضاياها دفاعا عن « عقيدتها » وإيمانها .. وعليها أن تنضم وتنطوي تحت رايته وأن تضع كل مواردها تحت امرته .. « للجهاد » ضد « الكفر وأعداء الله الملحدين .. وأن تظل وراءه حتى تدق ساعة الزحف والخلاص ..

ومرة أخرى وجد الحكام ووجد الكتاب والوعاظ والفقهاء الذين يؤيدون دعوته ..

وليس هذا بالطبع هو الطريق الصحيح او مايقضي به الاسلام ويفرضه على المسلمين ..

والطريق الصحيح والوحيد هو أن يعرف المسلمون « عدوهم » وأن يواصلوا الجهاد « ضده » حتى تتحرر بلادهم ويستردوا كل حقوقهم ..

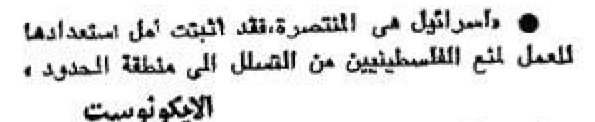
الطريق هو أن تتآلف الشعوب المسلمة وتتكاتف ، حتى لا تنتقل من عبودية قديمة الى عبودية أشد ، وأن تتحالف في ذلك مع كل الشعوب الاخرى التي تخوض نفس المعركة وأن تستعين بالقوى التي تقدم لها العون والمساعدة لتواجه الاعداء المباشرين والاشد خطرا ..

و « فريضة الجهاد » هي تعبئة قوى المسلمين وشحذها ، لصد هذا الغزو واحتوائه .. وحول هذا ينبغي أن يدور الحوار والجدل ، وفيه يجب ان ينشغل المسلمون ويجتهدوا .. لابد من أركان حرة مستقلة لكي تفرض فيها ما تتفق عليه بإرادة حرة من شرائع ، ونستطيع يومئذ حينما تجمع على ذلك أن توقع كل مايوجب فرض الحد على السارق والزاني وشارب الخمر !

سقوط الامبراطورية الرومانية

« في روما في الخامس عشر من أكتوبر ١٧٦٤ ، بينما كنت جالسا اتأمل في أطلال العاصمة ، على حين كان الرهبان والعراة الاقدام يرتلون صلوات المساء في معبد جوبيتر ، الذي هو الآن كنيسة الفرنسيسكان ، نبتت في ذهني لاول مرة فكرة الكتابة عن « اضمحلال مدينة روما وسقوطها » ..

مؤلف « اضمحلال الحضارة الرومانية وسقوطها »



أقوال معاصرة

● «اسرائيل هى المنتصرة،فقد اثبتت أمل استعدادها للعمل لمنع الفلسطينيين من التسلل الى منطقة الحدود»

الايكونوميست

● «نحن نعرض فرصة فريدة للسلام ، قد لا تبقى طويلا ..»

الملك حسين



● «ان الحرب الامريكية فى فيتنام هى من انبل الحروب واقلها انانية فى تاريخ الولايات المتحدة الامريكية !»

فيرنون والترز

السفير الامريكى الجديد - فى الامم المتحدة

● «نصيب المواطن من الثقافة فى السنة ، خمسون قرشا» .

سعد الدين وهبة



● «الشيء العظيم الذى تعلمته من والداى ، هو الا اخاف»

كاترين هيبورن

«الجهل بالتاريخ يعنى بقاء المرء محكوما بطفلية مزمنة» .

وليم بينيت

وزير التربية والتعليم فى الولايات المتحدة .

● «مصالح الغرب تبدأ وتنتهى بالنفط» .

الجارديان

● «فى لبنان دائما الاسوء يقع بعد» .

جون جفنز ـ نيويورك تايمز

● «ليس ثمة ما هو اسوأ من انفجار الاوضاع فى الخليج سوى نهاية الحرب» .

الصنداى تايمز

● «لا اريد أن التقط صورة توصف بالقسوة» .

المصور لورد سنودن

الزوج السابق للأميرة ماجريت .



بقلم عبد الرحمن شاكر

منذ عدة أسابيع توفي الزعيم الالباني « انور خوجة » ، الذى حكم بلاده قرابة اربعين عاما ، وشد انظار العالم الى تلك الدولة الصغيرة ، الفريدة فى موقعها وفى سياستها على حد سواء . فهى من الناحية الجغرافية تقع فى اوربا على بحر الادرياتيك ومن الناحية التاريخية تعتبر جزءا من العالم الاسلامى حيث اغلبية سكانها من المسلمين ، أما من الناحية السياسية ، فقد عزلت نفسها عن الكتلتين الشرقية والغربية معا ، ولم تنضم مع ذلك الى كتلة عدم الانحياز ، بل اختار لها ساستها وعلى رأسهم الزعيم الراحل ان تكون متحفا ، فاذا وسط المتاحف ايضا ، حيث لا يسمح لاحد بزيارته ولو لمجرد العزاء فى الزعيم الراحل ذاته! متحفا لسياسة انقرضت وانقرض صاحبها منذ جيل من الزمان ، وهو الدكتاتور السوفيتى الراحل جوزيف ستالين .

كانت البانيا جزءا من الامبراطورية العثمانية ، حتى قيام الحرب العالمية الاولى وسقوط تلك الامبراطورية ، ومنها كان يأتى الجنود « الارنؤود » ، ومن بينهم « محمد على الكبير » مؤسس الاسرة المالكة فى مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ . وقد اعتنق سكان البانيا الاسلام ، على عكس الكثير من رعايا الدولة العثمانية فى شرق أوربا وربما بدأت عزلة البانيا بعد استقلالها أو اصبحت العزله مرادفا للاستقلال عندها بسقوط الحكم العثمانى ، حيث انقطع التواصل الجغرافى مع العالم الاسلامى ، ووجدت نفسها « مملكة » اسلامية وحيدة فى اوربا !

فلما نشبت الحرب العالمية الثانية اجتاحتها جيوش جارتها القوية ايطاليا تحت حكم الدكتاتور الفاشيستى موسولينى ، ولجأ ملكها السابق « احمد زوغو » الى مصر لينزل فى ضيافة « قريبه » الملك السابق فاروق !



انور خوجـة رئيس البانيـا مع شواين لاى

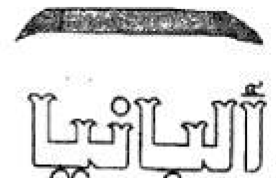
● ماذا بعد انور خوجه

يلم يعد زوغو الى الحكم بعد اندحار لحور وانتصار الحلفاء ، فقـد تم لتحرير على يد الجيش الاحمـر ، ال الحكم فيها ، كما حدث في سائر مرق أوربا ، الى الحزب الشيوعي زعامة انور خوجة .

وبعد ثلاث سنوات تقريبـا دب لخـلاف الشهير ، بين الزعيـم ليوغسلافي تيتو ، وستالين ، وكان ان قف « خوجة » وحزبه بكل حماسـة الى جانب ستالين ، فقد كان بحـاجة الى الحماية السوفيتية ، ضـد اية طماع يوغسلافية في البانيـا ، حيث تقوم بين الدولتين مشاكل على الحدود من بينها مشكلة الاقلية الالبانية التي تعيش حاليا داخل الحدود اليوغسلافية

ولكن ستالين ما لبث ان مـات ، وادان سياسته رفاقه ، وذلك في المؤتمر لعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي عام ١٩٥٦ ، وتزعم تلك الحمـلة السكرتير العام الجديد للحزب في ذلك الحين ، نيكيتا خروشوف في تقريره المشهور عن « عبادة الفرد » ، وقـد تضمنت تلك الحملة ، من بين مـا شملته ، ادانة لبعض مواقف ستالين من « الرفيق » تيتو ، بحبع انور خوجة! فما كان من الاخير الا ان رفض كلية تلك الحملة على ستـالين ، وكل السياسات الجديدة التى نـادى بهـا خروشوف في المؤتمـر العشرين ، واعتبرها اكبر ضربة وجهت الى الشيوعية الدولية ، على أيدى من اسـماهم بالمراجعين الجـدد للماركسـية .

« والمراجعة » تهمة يتبادلها الماركسيون من ايام ادانة لنين ، لما اقدم عليـه برنشتاين في الدولية الاشـتراكية الثانية ، من « اعادة النظر » في بعض مقررات الماركسية فيما يتعلق بالتطور الاشتراكي ، وكان من رأيه أن ازدهار الراسمالية في الدول الصـناعية المتقدمة ، قد اسهم في رفع معيشـة الطبقات العاملة بها ، وان الثورة لم



تعد هي الطريق الى تحقيق الاشتراكية، بل النضال الديمقراطي التدريجي في ظل الراسمالية المزدهرة • ولست ادري حتى الآن لماذا تبدو كلمة « المراجعة » أو « اعادة النظر » ، نوعا من السباب في نظر الماركسيين ، بينما المفروض في الماركسية انها نظرية نقدية في أعمق اعماقها ، تشترط اعادة النظر في مختلف المواقف الفكرية طبقا لتقلبات الواقع الذي يتغير على الدوام من حولها ، بما في ذلك الواقع الذي يشارك الماركسيون انفسهم في تغييره !

وقد وجد انور خوجة حليفا قويا له في استنكار ادانة ستالين ، وهو ماوتسي تونج ومن ورائه الحزب الشيوعي الصيني باكمله وقد تردد ماو برهة من الزمن في الهجوم العلني المباشر على خروشوف والسياسة السوفيتية بعامة في ظله ، ووكل تلك المهمة الى انور خوجة وحزبه المسمى « حزب العمل الالباني » والاجهزة الاعلامية التي يديرها ، حتى لقد اوشكت الصحافة الغربية ان تعتبر انور خوجة مجرد « صوت سيده » الذي هو ماوتسي تونج ! وما لبث ماو ان افصح عن موقفه وبدات معركة هائلة ما بين العملاقين الشيوعيين ، شملت الايديولوجية والسياسة والاقتصاد ، وحتى المصادمات العسكرية ، ومازالت اثار هذا النزاع قائمة حتى الان ، وبعد طرد خروشوف ووفاة ماوتسي تونج •

لم يدم التحالف طويلا ما بين ماوتسي وانور خوجة ، فقد اتجه الاول منهما بعد اشتداد الصراع بينه وبين السوفيت الى طريقه الخاص في « الشيوعية الصينية » واقامة « الكوميونات الزراعية » ، « والثورة الثقافية » ، التي اقتضت ابتعادا كثيرا عن كل ما هو غربي أو اوربي ، حتى الماركسية انزلت الى الدرجة الثانية من الاهمية ، حيث يأتي ترتيبها في قيادة فكر الحزب الشيوعي الصيني بعد افكار ماوتسي تونج ! واقتضت تلك السياسة أيضا قدرا كبيرا من التقشف في معيشة قادة الحزب والدولة والفئات المثقفة بصفة عامة ، حيث اراد ماو التعجيل بالغاء الفوارق ليس بين الطبقات وحدها بل ايضا بين العمل الذهني والعمل اليدوي ، وكان يجبر اساتذة الجامعات على الذهاب الى الريف ليشاركوا في العمل بايديهم حرصا على روح المساواة مع العمال والفلاحين ، واصبحت المراجة هي اداة الانتقال الرئيسية في مدن الصين ، وذلك امر لم يكن انور خوجه ليطيقه، حيث كان من المعروف عنه انه والذين من قادة حزبه يستاثرون في بلدهم « الاشتراكي » بركوب المرسيدس •

وبعد وفاة ماوتسي تونج ، ونقد سياسته بدوره على يد خلفائه ،وعلى راسهم ونج سياوبنج ، تحلل انور خوجة من تحالفه مع الحزب الشيوعي الصيني ضد السوفييت، حيث اتجه الاخيرون الى تطبيق سياسة الانفتاح الاقتصادي على الغرب ، وشرعوا في التقارب مع الولايات المتحدة الامريكية طلبا لمعونتها الاقتصادية ، وربما العسكرية ضد السوفيت ، واصبحت حملته على المراجعين الجدد تشمل



ستالين



خروشوف



ماوتسي تونج

● آخر كهنة المعبد الستاليني.. ومصير الدولية الاشتراكية

● الاتحاد السوفيتي دولة إمبريالية

● الصين ديمقراطية برجوازية

الصينيين أيضا ، بمن فيهم ماوتسي تونج ! الذى فتح انور خوجه ملفه راح يستخرج منه جميع الافكار المراجعة او المنحرفة ، بما فى ذلك دعوته الى اقامة « ديمقراطية جديدة » طريقا للاشتراكية فى الصين بدلا من « ديكتاتورية البروليتاريا » ، وسماحه باشتراك احزاب اخرى فى الحكم ، ودعوته الى ترك مائة زهرة تتفتح وذلك فى اوائل ايام الثورة الصينية ، حرصا على مساهمة « الرأسمالية الوطنية » فى بناء الاقتصاد الصينى ووصفه بتهمة اخرى يضمها قاموس الشتائم المتبادلة بين الماركسيين وهو « الانتقائية » .

واعتبر انور خوجة نفسه القيم الوحيد فى هذه الدنيا ، على الاصولية الشيوعية ، اى الماركسية اللينينية الستالينية،فالاتحاد السوفيتى فى نظره اصبح ـ بفضل خروشوف وخلفائه دولة امبريالية ، الاشتراكية فيها تتقوض ولاتشير الى الشيوعيةوالحزب الشيوعى فيها يصير الى الانحلال بتحوله عن ديكتاتورية البروليتاريا ، الى ما سماه خروشوف « دولة كل الشعب » ! اما الصين فهى مجرد ديمقراطية برجوازية وكذلك يوغسلافيا عدوته القديمة ، ولكن الشبح الذى ظل يؤرقه حتى مات واستحق ان يؤلف كتابا كاملا فى نقده والهجوم عليه ،

ألبانيا



تيتو



احمد زاغو

كان هو الشيوعية الاوربية ، التي تاخذ بها الاحزاب الشيوعية الثلاثة في ايطاليا وفرنسا واسبانيا ·

يقول انور خوجة في كتابه المسمى «الشيوعية الاوربية مضادة للشيوعية» ان مراجعة خرشوف قد فتحت الباب على مصراعيه امام جميع المنحرفين في الحركة الشيوعية العالمية · فهو حينما حمل على ستالين ، اوصى الى تولياتي زعيم الحزب الشيوعي الايطالي ان يعلن تخلى حزبه عن ديكتاتورية البروليتاريا ، وان موسكو لم تعد هي المركز الوحيد للشيوعية ، وانه سوف يحرص على الديمقراطية في ايطاليا ، وطالب في « وصيته » الشيوعيين الايطاليين بالتفاهم مع كافة القوى الديمقراطية في ايطاليا بما فيهم الكاثوليك ، وان الحزب الشيوعي ينبغي ان يبقى مفتوحا لكل من يريد العمل معه حتى ولو كان متدينا ، ما دام يقبل برنامجه السياسي والاجتماعي وقد ادخل بريجنيف تعديلا مماثلا على دستور الحزب الشيوعي السوفييتي في الوقت الذي لا يزال فيه دستور البانيا ينص على ان الالحاد هو عقيدة الدولة ، بالرغم من كون اغلبية سكانها ، بمن فيهم الاسرة التي ولد منها انور خوجة تعتنق الاسلام !

وقد بلغت الشيوعية الاوربية ذروة « خياناتها » عند انور خوجه ، عندما اعلن كاريلو السكرتير العام السابق للحزب الشيوعي الاسباني في المؤتمر السابع للحزب المنعقد في ابريل عام ١٩٧٨ ، ان حزبه لم يعد حزبا ماركسيا لينينيا » ، ولكن حزب ماركسي ديمقراطي ثوري ، وان الحزب بذلك يعود الى المنابع الاولى للماركسية ، كما وضحها ماركس وانجلز ، دون التقيد بالاضافات التي اضافها لينين وخاصة في موضوع ديكتاتورية البروليتاريا ·

ان معنى ذلك هو انهيار الدولية الشيوعية التي اسسها لنين ، والتي كانت تدعو عمال العالم الى اتباع طريق الثورة الروسية في قلب



محمد على



فاروق

النظم الرأسمالية بالقوة وفرض ديكتاتورية البروليتاريا في بلادهم للانتقال بها الى الاشتراكية • ويقول أنور خوجة ان تصفية الحركة الشيوعية على هذا النحو لم تبدأ من أيام خروشوف ولكنها تعود الى وقت مبكر منذ الحرب العالمية الثانية ، حينما أعلن « برودر » السكرتير العام للحزب الشيوعى الامريكى حل الحزب وتحويله الى جمعيات سياسة واندية ثقافية اكتفاء بالنضال الديمقراطى فى ظل النظام السياسى الامريكى الذى يقوم على اساس نظام الحزبين الكبيرين •

وقد جاء قرار برودر المذكور على اثر الاتفاق الذى تم بين زعماء الحلفاء الثلاثة الكبار خلال الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٤٣ ، حيث اجتمع كل من تشرشل رئيس الوزراء البريطانى والرئيس الامريكى روزفلت مع الزعيم السوفييتى جوزيف ستالين ، واتفقا معه على ضرورة حل « الكومنترن » اى الدولية الثالثة ، باعتبارها تضم مجموعة من الاحزاب الموالية للسوفيت داخل اطار الحلفاء على نحو يهدد التحالف بالخطر • وفى الواقع كانت الدولية الثالثة ، تعتبر لدى الشيوعية بمثابة حزب عالمى واحد ، لجنة المركزية هى الحزب الشيوعى السوفييتى •

وقد اقدم ستالين على هذا التنازل حرصا على نجاح وحدة الحلفاء فى مواجهة المحور ، ولكن برودر اعتبرها اشارة الى عدم ضرورة وجود الحزب الشيوعى اصلا فى امريكا ، حيث ان تحقيق الاشتراكية بطريقة ثورية فيها ، يقتضى اولا ان تصيبها كارثة اقتصادية ، وهو لم يكن يتوقع مثل تلك الكارثة ، ولا يريد ان يؤسس استراتيجيته السياسة على اساسها بل ان الاقتصاد الامريكى فى نظره كان مزدهرا بالقدر الكافى لامداد الاتحاد السوفييتى بالعون الكبير خلال الحرب ، وينتظر بعد الحرب أن يقدم بطاقاته الجبارة معونات لكل دول العالم تقريبا !

ويتساءل انور خوجه فى كتابه : لماذا لم يحاول كل من الحزبين الشيوعيين الايطالى والفرنسى الاستيلاء على الحكم غداة تخلص بلادهما من الحكم الفاشستى بعد اندحار المحور فى نهاية الحرب العالمية الثانية ؟ ويقول ان ذلك هو اصل الانحراف فى كلا



الحزبين ، انهما يستسلمان للديمقراطية البرجوازية ، ولا يفكران فى الثورة عليها ، بل يحلمان بالوصول عن طريقها الى الاشتراكية وهو عنده امر مستحيل وواضح انه فى هذا التحليل يريد ان يخفى ان حقيقة وصوله هو وحزبه الى الحكم فى البانيا وكثير من دول شرق اوربا انما اعتمد على قوة الجيش الاحمر ، وليس بالمجهود الذاتية لهذا الحزب او ذاك .

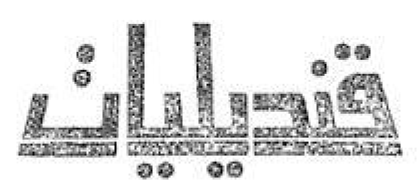
لقد كانت دعوة الكومنترن فى المؤتمر السابع للدولية الثالثة عام ١٩٣٥ ، كما اشار خوجه ، هى الى تشكيل جبهات شعبية من الشيوعيين والاشتراكية تسعى للوصول الى الحكم لدرء خطر الفاشية والمحافظة على الديمقراطية ، ومحاولة التقدم على طريق الاشتراكية وقد نجحت هذه الجبهة فى الوصول فعلا الى الحكم فى فرنسا ، حيث ايد الشيوعية فى البرلمان حكومة ليون بلوم الاشتراكية ، اما فى اسبانيا فقد اشترك الشيوعيون بالفعل فى حكومة الجمهورية الاسبانية التى اقامتها الجبهة الشعبية عام ١٩٣٦ ، ويعترف خوجة فى كتابة بان مؤازرة دولتى المحور المانيا وايطاليا بشكل مباشر هى التى مكنت الفاشية الاسبانية بزعامة فرانكو من قهر تلك الجمهورية الوليدة ، ووقتها راح يزهو بانه قد انقذ العالم من البلشفية !

ولا ادرى لماذا لم يستخلص انور خوجة عبرة اخرى من تلك الاحداث وهو يكتب كتابه المذكور بان يقارنها مع الموقف الحالى للاحزاب الشيوعية فى اوربا ، حيث يعتبر التزامها بالديمقراطية هو المقدمة الطبيعية التى يمكن على اساسها الالتقاء مع الاشتراكيين الديمقراطيين ، وسائر القوى التقدمية فى مجتمعهم للسير فى طريق جديد للاشتراكية ، يتفق مع اوضاع تلك البلدان ومستوى تطورها ، ويختلف بطبيعة الحال عنه فى روسيا القيصرية ايام ثورتها ، او البانيا ايام حررها الجيش الاحمر ووضع « خوجة » على رأس حكومتها ؟!

ان جميع الظروف مهيأة الان بقيام دولة اشتراكية جديدة ، ولتكن هى الدولية الخامسة التى تضم جميع المؤمنين بالديمقراطية طريقا للاشتراكية ولم يعد تشكيل تلك الدولية ترفا من اجل مزيد من الثرثرة بين مختلف الاحزاب ، بل ربما تكون ضرورة سياسية تمليها الثورة العلمية والتكنولوجية ، التى جعلت من النظام الراسمالى نظاما دوليا عماده الشركات العملاقة متعددة الجنسية ، والتى تدفع العالم الى شفا هاوية الحرب ، وبالاقل تستنزف موارده فى مشاريعها العسكرية من من نوع حرب الكواكب التى التقى السبعة الكبار فى العالم الراسمالى مؤخرا لدفع عجلتها ولعاب شركاتهم يسيل للارباح الضخمة المنتظر تحقيقها من ورائها ، حتى ولو ادى الامر الى مزيد من الفقر لشعبهم ولشعوب العالم من ورائهم !







فن القول

بقلم يحيى حقى

احب ان يكون النقد نوعا من الاقتراح . ولا احب ان يشعر القارىء ان الناقد يلزمه باتباع رايه . وان الناقد قد اعتنق هذا الراى بحيث لايستطيع التخلى عنه ابدا . احب ان يشعر القارىء من كلام الناقد انه يقترح عليه وبذلك يتيح للقارىء الحرية ولايشعره ان له اليد السفلى على الناقد .. طبعا لا اريد ان يكون له اليد العليا على الناقد ولا حتى اليد المتوازية . انما على الأقل ان يبقى للقارىء حرية الاستقلال فى مواجهة الناقد .. ولا يجب ان يغضب النقاد من هذا الكلام بل على العكس هذا هو اقرب الى الانسانية والتعامل الانسانى بين الناس فاننى احب ان يسود بين الناقد والقارىء علاقات انسانية

ماهذا الذى يقال له فن القصة . وفن الرواية . جميع الشعوب لها قصص وروايات وجميع الأطفال يطلبون الى امهاتهم ان يحدثنهم قبل النوم . فلا تخلو امة ولا أدب من الحكايات . ولكن العقلية الغربية الحضارية تعودت حتى فى الدراسات النظرية التنظير والتقنين ووضع القوالب والحسابات بالمسطرة والمللى . فوجدنا ان الرواية والقصة فى اواخر القرن التاسع عشر فى اوروبا قد نُظِّرَت . وحددت . وقيدت وسمت لها قيود وحدود وحفظت لنا ودرسناها عن ظهر قلب ..

انا اقول لا .. فالى جانب اتباع هذه القيود هناك عنصر مهم يجب ان يتوفر فى قارىء القصة كما يتوفر فى الذى ينظر الى لوحة جميلة او تمثال جميل او يستمع الى قطعة موسيقية .. يجب ان يتوافر له ما اسميه النشوة .. نشوة روحية .. نوع من انتباه جديد الى أن هناك رؤية جديدة للحياة . نوع حتى من روح الفكاهة من النفس بانه كان يظن ان الدنيا هكذا فاذا هى ليست هكذا . ثم ايضا يدخل فى ذلك التعجب من التحول فى المادة ذاتها . كيف اللون ومجاورات بعضهم لبعض ادى الى معنى جديد . كيف يلين الحجر فى يد المثال . كيف تتقاطر نغمات الموسيقى الواحدة تلو الأخرى فهذا ايضا مبعث من مباعث النشوة . على كل حال النشوة هنا هى الطابع الجمالى فى العمل الأدبى حينما تكون الرواية مجرد دراسة اجتماعية اقبلها على العين والراس . واقرؤها ولكن لابد ان اسال نفسى فى اخر الرواية هل احدثت فى نفسى النشوة التى حدثت لى حينما استمعت الى موسيقى بيتهوفن او رايت لوحة ليونارد دافنشى او تمثال لرودان .. الى اخره وهذه النشوة تتحقق بنوع من الاتزان من حيث الشكل والموضوع وحينما نتكلم عن الأدب يدخل عنصر هام جدا ضمن مسببات هذه النشوة وهى قدرة اللغة التى يستعملها الكاتب على اثراء الصورة التى يرسمها بمختلف الألوان ومختلف الأطياف . وقدرة الكاتب حتى فى قصة قصيرة جدا ان يعطى لك شعورا بانه نفخ فى نفير فاذا جميع الفاظ اللغة العربية قد هبت من مضاجعها وتقاطرت اليه . وبدا فى أغلبها جمال لامفر منه . كذلك اقول ان هذه النشوة مع الأسف الشديد قد تحدث حينما تبلغ الصنعة ذروتها فلا فن بلا صنعة . ولكنها نشوة اقل قيمة من النشوة الجمالية التى نقصدها .. ما احوجنا الى الشعور بالنشوة فنحن ننتشى امام الفن . ونحن ننتشى ايضا امام الصنعة المتقنة

[redacted]

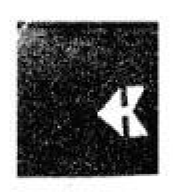
أسرار صغيرة في الثورة الكبيرة

بقلم : فتحي رضوان

احسب ان كل الحقائق الكبيرة فى تاريخ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، قد ذكرت باقلام من أهل الشرق والغرب ، وقد اختلط فيما قيل ونشر ، الوقائع الصحيحة كما وقعت ، واشياء اخرى لم تحدث ، ولكن المؤرخين واشباههم وادعياء العلم بالحقيقة ، قد اضافوا الى وقائع التاريخ ، اشياء لم تر النور ، ولكنها تزيد التاريخ جاذبية وسحرا ، وبعض ما لفق واختلق قصد به خدمة شخص أو جماعة ، أو خدمة رأى أو عقيدة ، وفى بعض الأحوال يفوز الخيال على الحقيقة ، فالخيال حر طليق ، يقول مايشاء وبالأسلوب الذى يريده ، فى حين ان الواقع يبقى جافاً لايجذب قارئا ، ولايثير خيالاً

ولقد استعدت ذكريات هذه الثورة ، فوجدت انه لايزال فى جعبتى بعض الوقائع التى لم يتسع الوقت لايرادها ، أو لم يتسع الوقت لايرادها كاملة ، فرأيت ان اضمنها هذا المقال ، لعلها تسد فراغا أو تزيد حقائق التاريخ وضوحاً

كانت أولى بشائر الثورة اجتماعاً غريبا دعيت اليه ، الى الغداء وكانت الدعوة من المرحوم الدكتور نور الدين رجائى استاذ القانون فى كلية حقوق القاهرة آنذاك ، ومن السيدة حرمه الدكتورة درية شفيق الاستاذة الحاصلة على دكتوراه الآداب من باريس ، وكنت على صلة بكليهما ، فقد كنت زميلا للاستاذ محمد رجائى ، المخرج والمنتج السينمائى ، فى مدرسة محمد على الابتدائية ، ضمنا فصل واحد كما كنا من ابناء حى واحد ، وقد حدث ان أخرجنا ونحن تلاميذ فى المرحلة الابتدائية مجلة مما يخرجها التلاميذ فى أيام الصبى الأول . ولعل الظاهر حسن أحمد ، كان ثالثنا فى هذه المحاولة والظاهر ، برز بين زملائه بعد ان تخرج فى كلية الحقوق ، إذ وقع عليه اختيار رئيس الوزراء محمد محمود باشا رئيس الوزراء سنة ١٩٣٨





حوادث التخريب فى القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢

وكان رسول هذا الرئيس فى مهام رسمية كبيرة وكان نور الدين رجائى ، شقيق محمد عبدالفتاح رجائى ، زميلاً لنا فى نفس المدرسة الابتدائية ، وان كان يصغرنا سنا ، ولكن كان يعرفنا من بعد ، حتى اصبح استاذا فى الجامعة ، نعرفه اكثر المشتغلين بالمسائل العامة ، ولما تزوج السيدة درية شفيق ، ابنة خالته ، وصاحبة مجلة بنت النيل ، وزعيمة جمعية نسائية بهذا الاسم ، وبذلت السيدة درية نشاطا واسع النطاق ، تردد اسمها على الألسن ، واصبح معروفا انها صاحبة دور فى السياسة سيزداد معالمه وضوحاً فى المستقبل ، وبهذه الصفة تعارفنا واصبحت تتصل بى ، تستشيرنى فى بعض الذى يطرا لها فى نشاطها العام ، ثم دعتنى لالقاء محاضرة فى دار جمعيتها ، فحشدت لى عدداً غير قليل من عضوات هذه الجمعية ، وقد أطاع هؤلاء العضوات دعوتى للقيام بالعمل الايجابى ، فاقتحمن داراً للشرطة ، وقبضن على بعضهن ،

وكان لهذه الغزوة صدى ضخم فى الصحافة ودوائر المجتمع . لذلك لما دعيت الى الغداء على مائدة الدكتور نورالدين رجائى وزوجته السيدة درية شفيق ، ذهبت الى دارهما ، وانا أعلم ان هذه الدعوة ليست سوى بعض نشاط هذه الزعيمة الجديدة وزوجها ، وقد اكد هذا التصور اننى علمت منذ البداية ، ان المدعوين الآخرين معى ، كانوا من الأجانب ، وكانوا من رجال السلك السياسى الامريكى ، على وجه التحديد ، وبعد ان تناولنا غذاءً شهياً

فى شقة انيقة ، تحدثنا مع هؤلاء الدبلوماسيين فى امور شتى ، وقد استوقفنى ان الحديث كان يشرق ويغرب .. ولكنه لايلبث حتى يعود الى نقطة بدا انها تستأثر باهتمام الفريق الامريكى ، تلك هى رأينا فى الملك فاروق ، وفى مستقبله ، وكان غريبا لهذه ان يترخص رجال سفارة دولة كبيرة كامريكا فى التحدث عن ملك البلاد التى يمثلون دولتهم امامه ، ولكن

أسرار صغيرة فى الثورة الكبيرة

الواقع ان سمعة الملك فاروق كانت قد تدنت عالميا ، وان صحف العالم الوقورة والصحف التى تخصصت فى سرد الفضائح والجوانب الحميمة من حياة العظماء ، كلتاهما أطلقت لسانها فى الملك فاروق ، وذكرت مايجرى منه فى شواطىء الاستجمام العالمية ، مؤيدا بالصور . لذلك لم يكن غريبا ، ان يدور الحديث وبصراحة حول الملك فاروق ومستقبله ، كأن هذا المستقبل من المسائل المطروحة للحديث .

وانتهى الاجتماع ، ونسينا كل شىء عنه ، ولم نتبين انه فى واقع الأمر ، كان من بشائر التغير الذى ستشهده مصر بعد قليل . وحرقت القاهرة فى ٢٦ من يناير سنة ١٩٥٢ ، وعلى الرغم من ان الصدفة قضت أن اكون فى بيتى بمصر الجديدة عاكفاً على مطالعة احدى القضايا ، فقد اصدر الحاكم العسكرى العام قرارا بقائمة باسماء عدد من المشتغلين بالسياسة الذين رأى أعتقالهم بمناسبة هذه الحريق المروعة ، وكان اسمى فى رأس هذه القائمة كما اتضح ذلك حينما نظرت قضية رفعها اصدقائى وزملائى المحامون ذهبت الى سجن الاجانب تنفيذا لقرار الحاكم العسكرى العام . ثم نقلت الى معتقل فى الصحراء ، اذاع اسمه بعد ذلك فاصبح (هاكستب) علماً من الاعلام فى مثل ذيوع شهرة العتبة الخضراء . وبعد شهور من ايداعى المعتقل ، كنت ذات صباح حار من شهر يولية فى سنة ١٩٥٢ ، كنت مسترخيا فى فراشى الضيق الذى كان قد وقع فى ركن من اركان زنزانة صغيرة فى هذا المعتقل ، كانت مخزنا من مخازن الجيش الامريكى فى هذا المعسكر الذى تحول الى معتقل وكنا قد نجحنا فى تهريب جهاز راديو ، من ماركة (بيلوت) ، وكان خافت الصوت فى المعتقل لضعف التيار الكهربى ، وكان خفوت صوته من مزاياه ، لملاءمته لظروف الحال ، وقد أدرت مفتاح الصوت فى الساعة السابعة ، فإذا بى اسمع صوتا غريبا ، ليس أحد أصوات المذيعين الذين الفت ان اسمعهم ، والذين حفظنا اسماءهم جميعا ، ولم انتبه كثيرا الى حدة الصوت الذى يذيع ، ولم التفت الى شىء اكثر اهمية وهو غرابة مايقوله المذيع ، وبعد قليل تنبهت فجأة الى ان مايقوله المذيع ، ليس غريبا فقط ، بل هو كلام لايقال ، فكيف قيل . وجلست فى سريرى وقد تنبهت كل حواسى ، وتابعت كلام المذيع فلم اصدق اذنى ولكن المتكلم مضى يذيع بيانا قال انه صادر من قيادة الجيش ، وان الجيش وضع حدا لما كان يقوم به المتسلطون على الجيش ، وهم بين خائنين ومرتشين وجبان . اذن هى الثورة ، وقد كانت ، ولم تمض دقائق حتى امتلأ المعتقل بأنباء هذا الحدث الضخم ، ومن عجيب انه بعد زمن قليل . توالت الانباء

من الخارج عن الثورة التي وقعت . ومع ذلك بقينا داخل المعتقل ، كأن هذه الثورة لم تسمع بنا ، ولم تعرف اننا فى المعتقل منذ شهور وكان علينا ان ننتظر داخل المعتقل يومين كاملين ، والثوانى تمر علينا كالشهور او كالسنين ، والقلق يفتك بنا ، فقد خشينا ان نترك نرسف فى الاغلال حتى تدبر الدولة امورها . ولكن بعد ظهر يوم جمعة . جاء بعد يومين من يوم ٢٣ يوليو ، تلقت ادارة المعتقل اشارة تليفونية تأمر بالافراج عنى ، وبارسالى الى سراى بولكلى بالاسكندرية حيث مقر مجلس الوزراء لاقابل رئيس الوزراء رفعة على ماهر باشا . ولن ادرى ماحدث بعد الافراج عنى ، ولا ماجرى بينى وبين رئيس الوزراء فقد رويته كثيرا ، وحسبى ان اقول ان سكرتير اول السفارة الامريكية جاء الى بولكلى ، وهو ممتقع الوجه ، مضطربا لأن ماوصله من انباء كان يتضمن ان سلامة الملك فاروق ، أصبحت مهددة فى قصر رأس التين ، وان جلالته يستغيث بالسفارة الامريكية .

وكان هذا السكرتير الاول ، كبير الضيوف الذين تناولوا الغداء معى على مائدة المرحومين نور الدين رجائى ودرية شفيق . وقد فاتنى ان اقول اننى كنت على مائدة هذا الغداء مع الدكتور نور الدين طراف الذى عين فيما بعد بوزارة الرئيس نجيب فى ٧ من سبتمبر سنة ١٩٥٢ ، وزيرا للصحة ، ثم اختير رئيسا للمجلس التنفيذى فى عهد الوحدة المصرية السورية . اما انا فقد اخترت وزيرا للدولة فى هذه الوزارة . وكنت مشرفا على الاذاعة بحكم كونى وزير الدولة الوحيد .

وقد جرت العادة قبل الثورة على ان يتولى وزير الدولة الاشراف على المؤسسات والمصالح التابعة لرئيس الوزراء . وفى ذات يوم طلب منى مستشار السفارة البريطانية لشئون الاتصال العام ، موعداً ، فحددته له . وأخذ الرجل عقب وصوله الى مكتبى فى مبنى مجلس الوزراء ، يشكو مر الشكوى من حملات الاذاعة المصرية على بريطانيا ، وعلى نشاطها فى شرق افريقيا وقال ان بريطانيا لاتتعرض لمصالح مصر فى اى بقعة من المنطقة التى تهم مصر انما سر الحملات الاذاعية فى مصر على الوجود البريطانى فى شرق افريقيا . لقد احتملت السفارة البريطانية فيلم مصطفى كامل الذى وضعت انا قصته وعرضته السينما المصرية ان عرضت فيلما جديدا بعنوان (ليسقط الاستعمار) يسرد قصة خيالية لم تحدث وقائعها ولا يمكن ان تحدث حول هجوم شباب مصرى على معسكر بريطانى . وضرب الجنود البريطانيين فى الاهالى المصريين ، وهذا كله مشاهد تثير الكراهية ضد الاستعمار الانجليزى فى الوقت الذى يريد الانجليز ان يحسنوا علاقتهم بمصر ، والذى يتمنون فيه للثورة النجاح .

ودخل فى هذه اللحظة السيد / محمد انور السادات وكان ضابطا من الضباط الاحرار وعضوا فى مجلس قيادة الثورة . ولم ارد ان اقدمه لمستشار السفارة البريطانية . وقصدت من ذلك ان يتكلم موظف السفارة بحرية ، وأن يسمع عضو مجلس القيادة ، ما يفكر فيه الانجليز

أسرار صغيرة في الثورة الكبيرة

لماذا تتحرشون بنا ونحن لم نسيء اليكم ، ولم يصدر منا عمل واحد يستدعى غضبكم علينا ، ويبرر حملات اذاعتكم ضد وجودنا في كينيا وماحولها ... ولدينا القوة التى تمكننا من ان نتصدى للثورة ، ثقوا اننا في السويس ونحن قادرون على ان نكون في القاهرة في اقل من ساعة ورايت ان احول الحديث الى جانب فنى ، فقلت له ، هل معك صورة من الاذاعات التى اثارت غضب السفارة او احتجاجها . فقال يمكنك ان تطلبها من معاونيك . فيضعونها تحت نظرك في الحال . فقلت له في اقتضاب : الأفضل ان تقدم لى ماتشكو فيه . فقال حسنا ساحضرها غداً ... وانصرف وانتظرت ان يعلق السادات على هذا الكلام بشيء .. ولكنه لم يفعل ووقع ما توقعته ، وان موظف السفارة لم يعد .

× × ×

ومضت السنون ، ونزلت ذات يوم من مكتبي بالدور الأعلى في مبنى مجلس الوزراء الى الدور الأول حيث مكتب رئيس مجلس الوزراء ، جمال عبدالناصر فوجدته جالساً مع انور السادات ، ويبدو أن كليهما كان في حالة استرخاء ، اذ دار الحديث بينهما اعتباطاً . يتنقل من شيء الى شيء حتى جاء ذكر الاستاذ محمد صبيح الصحفى وكان انور السادات في تلك الحقبة رئيسا لمجلس ادارة دار التحرير التي كانت جريدة الجمهورية تتبعها ، وكنت اعرف ان جمال عبدالناصر كان ابان انضمامه لمصر الفتاة كان تابعا لشعبة هذا الحزب في حى باب الشعرية ، وقد حدثني عن تلك الايام بلهجة تنم على الرضا عن المرحوم الاستاذ صبيح ، فوجه الحديث الى السادات ، وقال : على فكرة ... ماتاخذ صبيح عندك في الجمهورية فقال السادات على الفور : لاياريس . فقال : لا .. لا ليه ... ونظر الى وقال : صبيح كفاءة ثم وجه الى الحديث : مش كده يافتحى . فقلت مؤكدا بلا شك .. فنظر الى السادات وقال : امال ليه ياانور مش عايز تخده ، فقال السادات : لأنه نحس .... فبدا على (جمال) الضيق وقال : نحس ... يعنى ايه ؟ فاضطرب السادات وقال : ياريس ده ماحطش رجله في جرنال اللى قفله ـ وراح يعدد الجرائد التي اشترك فيها ، والتى اغلقت .... فاشعل جمال سيجارة واخذ يشد منها انفاسا بشدة وهو مهموم ثم قال في لهجة غاضبة . بقى حيقفل الجمهورية . ياريت يقفلها يا أخى .. ولم يتكلم عبدالناصر ، وسكت السادات ، ثم انصرف في صمت ... » وكان هذا المشهد الوحيد الذي رأيت فيه السادات يعارض رأيا لعبدالناصر »



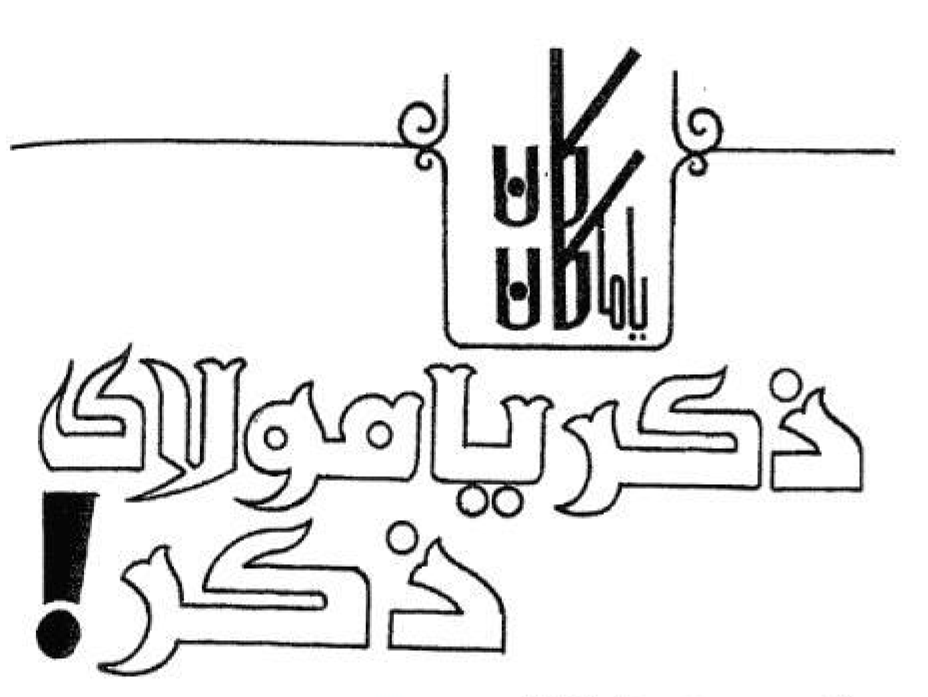
شعر : جليلة رضا

تعالى إننى يقظى اجوب البيت فى حيره
ونام الناس لكنى ساطوى الليل منتظره
تركتك منذ ايام لتكتشفى رؤى الكون
واطلقتُ الجناح الحرّ نحو عرائس الفن
تعالى .. والمسي كتفى وعودى الآن ... يافكره .

تركتك تعبرين البحر نحو الضفة الاخرى
ترى اعرفت سرّ الغاب . سرّ النجمة الحيرى
ترى اضممت ـ سيدتى ـ ضياء قبل الورده
وهل حُمّلت اعماقا وظلاّ يؤنس الوحده
وهل هبط الجناح على جبال عوالمى الكبرى ..

ترى اشربت من نبع رحيب الصدر مغداق
وهل حلّقت فى افق يفوق مداه افاقى
وهل اوغلت سادرة وراء الغيهب المبهم
وعريْت الهوى المستور تحت جوانح البرعم
تعالى .. إننى يقظى ، معى قلمى واوراقى ..

تعالى وامنحينى الوحى فى صدق وحرية
تعالى وارسمى للعقل لوحة فنّه الحيّه
سابدا رحلة الكلمات والتصوير والمعنى
ساسبح فى بحار التيه ، اغزو الكيف والاينا
سادخل معملى السحرىّ حيث اشيد اغنية



بقلم : محمد سيد كيلانى

.كانت الساعة العاشرة والنصف من مساء الأربعاء؛ ١١ فبراير سنة ١٩٢٠ حين اقتحم الدكتور محمد شاهين باشا مكتب السلطان فؤاد الاول بغير استئذان صارخا : ذكر يامولاى ذكر وماكاد السلطان يسمع هذا النبأ حتى بادر الى الذهاب الى حجرة السلطانة نازلى وألقى نظرة على الوليد وقال : ماشاء الله

واقترح عليه الحاضرون ان يسميه محمد على تيمنا باسم جده العظيم محمد على . واقترح عليه آخرون ان يسميه اسماعيل ولكنه قال بصوت ممزوج بالالم : كان عندى ولد بهذا الاسم من زوجتى الأولى ولكن اختطفه الموت وهو طفل .

وكان السلطان قد طلب كشفا باسماء ذكور تبدأ بحرف الفاء . واختار اسم فاروق من بين هذه الأسماء ليطلق علي ولى العهد . ولم يكن هذا الاسم مألوفا فى مصر ولم يتسم به احد من قبل .

وقد اقبل رئيس الديوان وناظر الخاصة والياوران وكبار الضباط يقبلون يد السلطان ويقدمون له واجب التبريك والتهنئة وهو يقول لهم : هذا اليوم هو أسعد ايام حياتى وأمر للدكتور شاهين - أول من حمل اليه البشرى بالف جنيه ذهبا . واهدى رئيس الديوان ساعة ثمينة وشالا . كما امر بمنح مرتب شهر كامل لموظفى القصر والخاصة . ثم الف جنيه توزع على فقراء القاهرة . والف وستمائة جنيه للجمعيات الخيرية . وثمانمائة جنيه لشراء ذبائح توزع على الفقراء فى الملاجىء والمساجد . كما أصدر امرا بإطلاق سراح المحكوم عليهم بعقوبات مدنية من المحاكم الاهلية ممن استوفوا ثلاثة ارباع المدة .

وقد اجتمع مجلس الوزراء اثر صدور هذه البشرى وقرر ماياتى :
١ - إبلاغ هذه البشرى الى جميع المديرين والمحافظين بواسطة وزارة الداخلية
٢ - إبلاغها الى المندوب السامى والى وزارة الخارجية البريطانية
٣ - صدور الامر بإطلاق ٢١ مدفعا من القاهرة والاسكندرية
٤ - منح جميع الموظفين وطلبة المدارس اجازة فى اليوم التالى والسر فى تبليغ المندوب السامى ووزارة الخارجية البريطانية هو انه لما عزلت بريطانيا الخديو عباس الثانى ، وعينت السلطان حسين كامل احتفظت لنفسها بحق وضع نظام لوراثة العرش . ونص العبارة كما جاء فى التبليغ البريطانى لا « وان تكون حكومة البلاد تحت هذه الحماية بيد امير من امراء العائلة الخديوية طبقا لنظام وراثى يقرر فيما بعد . وكان يهم السلطان ان يعترف الانجليز لابنه بولاية العهد .

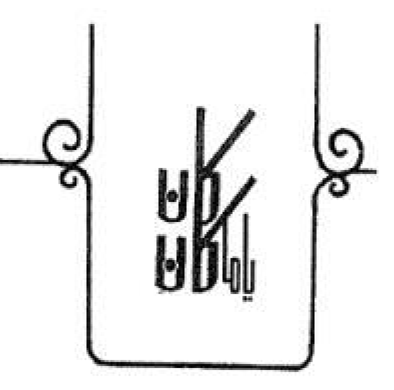
وقد مرت الايام والأعوام سريعا . ومات الملك فؤاد ، ولم يكن فاروق قد بلغ سن الرشد فاقيم مجلس وصاية برياسة الأمير محمد على توفيق وعضوية شريف صبرى باشا وعزيز عزت باشا . وقد حدث صدام شديد فى عدة مسائل بين محمد على ورئيس الوزراء مصطفى النحاس باشا .

فى ذلك الوقت جرى احتفال بتنصيب الملك جورج السادس على عرش بريطانيا وللانجليز تقاليد توارثوها منذ القدم ومازالوا محتفظين بها . وهى أن بعض رجال الدين يتولون تتويج الملك فى كنيسة وستمنستر بعد اجراء طقوس دينية . فاراد الامير محمد على ان تقام حفلة دينية لتنصيب فاروق يتولى فيها الشيخ مصطفى المراغى شيخ الجامع الازهر تتويج الملك بمناسبة توليه سلطته الدستورية ، فعارض النحاس باشا هذه الفكرة ، وكانت وجهة نظره ان الملك يتولى الملك بحكم الدستور ، لا عن طريق بيعة يتقدم بها اليه فرد من الأفراد والملك حينما يتولى سلطته يستخدم حقا دستوريا معترفا به ، فهو فى غير حاجة الى المبايعة ثم ان المبايعة قابلة لان تسحب فى اى وقت .

وقد كان الشيخ المراغى يريد ان يعطى لنفسه صفة كهنوتية تشبه الصفة التى

يامولاى ذكر بهى الطلعة





يتمتع بها رجال الدين فى انجلترا ، واراد ان يقوم بتتويج ملك مصر كما يقوم رجال الدين فى انجلترا بتتويج ملك الانجليز . فلما رفض النحاس باشا فكرة الحفلة الدينية راح على ماهر باشا وانصاره يصورون النحاس باشا فى صورة من يحارب الاسلام ويعمل على هدم التعاليم الاسلامية .

اما نقطة الخلاف الثانية بين القصر والحكومة الوفدية فهى مسألة القمصان الزرق . فقد طلب القصر حلها . فرفضت الوزارة ذلك وحجتها ان احدا لم يعترض على وجود القمصان الخضر مع انها قامت قبل القمصان الزرق . وقامت ضجة تنادى بأنه يجب جعل الشريعة الاسلامية اساسا للتشريع المصرى وان تطبق قواعدها تمام التطبيق وان يفصل بين الطلاب والطالبات فى الجامعة وفى هذا يقول مصطفى النحاس باشا « ولا مراء فى أن هذه الدعاية ماكان يقصد بها وجه الله ولا إعلاء كلمة الاسلام ، فالاسلام بحمد الله عالى الجنبات ، ولكن كان الغرض من ورائها وضع العراقيل واقامة الحوائل فى سبيل اتفاقنا على سريان تشريعنا المصرى على الاجانب المقيمين بيننا . فمما لا جدال فيه ان هذا التطبيق ومايشتمل عليه من قواعد مقررة فى شريعتنا السمحة كقطع يد السارق وجلد الزانى ورجم المحصن ، وحد شارب الخمر ، ومنع التعامل بالفائدة ـ لا يقبل ممثلو الدول الأجنبية الموافقة عليه بحال من الأحوال وماكنا لنستطيع حملهم على قبول مالا يتفق مع تشريعاتهم الحديثة ولقد كان من شأن هذه الدعاية ان تقف حجر عثرة فى سبيل الغاء الامتيازات وينال من وراء ذلك مايرجونه » ثم اقترب موعد بلوغ فاروق سن الرشد فعاد الامير محمد على يخاطب النحاس باشا فى أمر الحفلة الدينية . واقترح أن تكون فى القلعة أمام ضريح محمد على باشا وبحضور الأمراء والوزراء وكبار الموظفين والاعيان وممثلى الدول فرد عليه مصطفى باشا النحاس بأن الدستور يقضى بأن يكون حلف اليمين امام البرلمان مجتمعا فى مؤتمر فى حفل علنى . وهنا أظهر محمد على الزراية بممثلى الأمة قائلا أمة إيه ؟ شيوخ إيه ؟ نواب إيه ؟ والعائلة فين ؟ هى العائلة مالهاش وجود ؟ »

ثم قال : إذن يقام بجانب حفلة البرلمان حفل آخر امام ضريح رئيس العائلة بحضره شيخ الأزهر والأمراء وبعض كبار العلماء ، ويحلف الملك اليمين امامهم بصيغة يلقنه إياها شيخ الأزهر . فرفض النحاس باشا هذا الاقتراح لما فيه من انتقاص لقيمة اليمين الدستورية التى نص الدستور على حلفها امام المؤتمر كأنها لا تتم ولا تعتبر ذات قيمة الا بهذا الاجراء المكمل الذى تتحدث عنه سموكم .

فعاد محمد على يقول : اذن لابد من حفلة دينية للتولية ومن دعاء دينى خاص لان الاسلام دين الدولة الرسمى . فأجاب النحاس باشا : حقيقة ان الاسلام هو دين



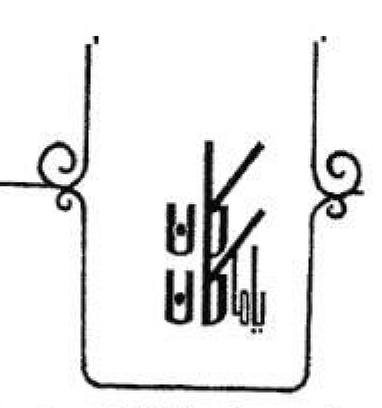
هل الامير فى حاجة الـى مبايعـة .



الامير فاروق وسط الاميرتين فايـزة وفوزيـة

الدولة وقد نص على ذلك الدستور ، ولكن الدستور الذى قرر ذلك نص ايضا على ان يكون حلف اليمين فى البرلمان ولم ير واضعوه فى ذلك تناقضا بين هذا وبين ان الدين الرسمى للدولة هو الاسلام . وانتهى الامر بتغليب وجهة نظر مصطفى النحاس باشا ، وتمت التولية على نحو مانص عليه الدستور . ولكن الامير محمد على ظل حاقدا على رئيس الوزراء ، فتوجه الى الملك افهمه أن رؤساء الاحزاب مجمعون على ضرورة التخلص من مصطفى النحاس وان يعلن الملك عدم امكانه العمل معه .

وكان من سوء حظ الملك فاروق أن بدا حياته بعلى ماهر باشا حين عينه رئيسا للديوان فى ٢٩ يوليو ١٩٣٧ وانتهت حياته كملك لمصر على يد على ماهر باشا فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ . زين له ماهر باشا ان يحكم ويملك غير عابىء بتطور الزمن ، وكان رجلا شؤما على الملك فاروق ، بل على ، عائلة محمد على وعلى مصر كلها . كان قصيرا صغير الجرم ، مات فى جنيف بالسكتة القلبية فى ٢٤ ـ ٨ ـ ١٩٦٠ بعد ان بلغ السابعة والسبعين من العمر . ولم تقف دسائسه عند حد ، فقد اخرج محمود فهمى النقراشى من الوفد وتبعه احمد



ماهر وبعض المنشقين وجمع حوله الأحرار الدستوريين ، وأخذ يحرض مصر الفتاة على إثارة الشغب بين الطلبة فى معاهد العلم . ثم شرع يبث روح الشقاق الدينى بين الطلبة فى معاهد العلم ويمد بعض الصحف والمجلات بالمال للقيام بحملة مفتريات ضد الوزارة الوفدية غير مكترث بالعواقب الوخيمة التى جرها على المصريين واجتهد فى الدس والوقيعة بين الوزارة والقصر وطفق يحرض الأزهريين على تأليف المظاهرات العدائية ضد الحكومة . واعانه فى ذلك الشيخ مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر فى ذلك الوقت واستأجر نفرا للنيل من مصطفى باشا النحاس ببذىء القول . وقد انتهى كل ذلك بمحاولة للاعتداء على حياة رئيس الوفد ثم باقالته فيما بعد ففى صباح الاثنين ٢٩ نوفمبر ١٩٣٧ اطلقت اربعة اعيرة نارية على رئيس الوزراء بينما النحاس باشا يذهب لزيارة حى شبرا فأصاب احدها السيارة من جانبها الايمن تحت النافذة التى يجلس بجوارها الرئيس الذى لم يمسسه سوء . وقد قبض على الجانى عز الدين عبد القادر موظف صغير بوزارة الزراعة . واعترف بالحادث واقر انه من اعضاء جمعية مصر الفتاة ، وكان يرتدى زيها الاخضر تحت ملابسه وحكم عليه بالسجن عشر سنوات مع الاشغال الشاقة .

وقد نشط الدساسون واعداء الأمة فى الكيد للحكومة فنشروا بين الأزهريين واشباههم ان مكرم عبيد باشا هو الذى حارب فكرة الحفلة الدينية حتى لا يكون للأزهر شأن ورغبة منه فى هدم الأزهر والقضاء عليه . وارادوا ان يشعلوا نيران التعصب الدينى بين عنصرى الأمة فاذاعوا بين البسطاء ان مكرم عبيد باشا حول وزارة المالية الى كنيسة وانه هو الحاكم بامره وانه ملأ الوظائف بالاقباط ، وان النحاس باشا طرطور لا اكثر ولا اقل وانه ألعوبة فى يد مكرم يحركه كيف يشاء .

ثم حدث ان خلا مقعدان فى مجلس الشيوخ فرشح الوفد فخرى عبد النور (بك) ، وهو وطنى مخلص له تاريخ فى الجهاد ضد الاحتلال . وكان عاملا من عوامل الاتحاد بين عنصرى الأمة . فلم يوافق الملك فاروق على هذا الترشيح بإيعاز من على ماهر باشا . واقترح تعيين

الامير فاروق فى اول حفل رسمى نيابة عن ابيه الملك عام ١٩٣٤



عبد العزيز فهمى باشا بدله فرفض النحاس باشا قائلا انه سبق ان طعن فى الدستور وقال انه ثوب فضفاض على الامة .

وانتهت الازمة بصدور الامر الملكى رقم ٣٨ فى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ باقالة الوزارة . لاشك ان الملك فاروق لم يجد من يبصره ويرشده فسلك سبيلا وعرا ومشى فى طريق شائك انتهى به إلى خلعه وطرده وضياع عرشه .

على اثر إقالة الوزارة الوفدية صدر الأمر إلى دولة محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين بتأليف الوزارة الجديدة .

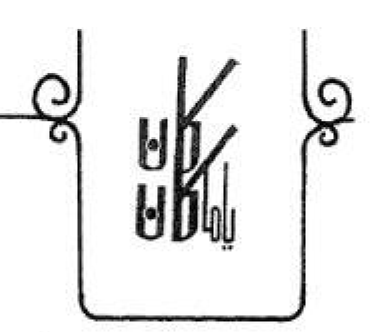
وقد تناولت الصحف البريطانية ماحدث فى مصر فذكرت « الديلى تلجراف » ان الخلاف بين الوزارة الوفدية وبين الملك بدا منذ ٢٩ يوليو . حينما اصدر الملك مرسوما بتعيين دولة ماهر باشا رئيسا للديوان متحديا بذلك حكومة الوفد . واشتدت الازمة بعد ذلك حينما تغيب اربعة وزراء منهم مكرم باشا عن حضور تشريفات عيد الفطر .

صدر مرسوم ملكى بتأجيل انعقاد البرلمان لمدة شهر وحاول احمد ماهر باشا ان يستقطب النواب الى جانبه ليتفادى حل مجلس النواب واجراء انتخابات جديدة فاجتمعت الهيئة الوفدية ولم يجد احمد ماهر من يؤيده سوى ثلاثة نواب اما الباقون وعددهم ٢٢٩ نائبا فقد وقفوا مع النحاس باشا . فصدر قرار الهيئة وهذا نصه « إن كل وفدى يخرج على تضامن الوفد ويقبل تشكيل اية وزارة او الاشتراك فى اية وزارة او تأييد اية وزارة اخرى غير الوزارة التى يراسها حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصرى يعتبر مفصولا من الوفد ومن الهيئة الوفدية وخارجا على وحدة الامة وعاملا على تقويض دستورها » وقد اقسم الاعضاء على تأييد هذا القرار عدا (احمد ماهر) ، الدكتور حامد محمود ، ابراهيم عبد الهادى ، ممدوح رياض)

خرج احمد ماهر من هذا الاجتماع غضبان وانصرف وهو يبيت النية على ان يتوسل بأساليب اخرى لاستهواء من يرى فيهم ضعفا واستمالة من يظن فيهم التردد والخضوع للترهيب والاستسلام للاغراء والترغيب . واخذ يمهد فى الصحف الداعية له بان النواب والشيوخ فى حل من اليمين التى اقسموها بدعوى انها يمين باطلة غير ملزمة ، وانها ضد الدستور ، ومتعارضة مع اليمين الاولى التى اقسموها وان تحليفهم اياها فى الصورة التى جرى التحليف عليها فى الاجتماع دون المناداة عليهم بالاسماء قد اباح لفريق منهم ان يزعموا انهم لم يقسموا حين طلب الى المجتمعين تأدية تلك اليمين

وقد اراد الملك فاروق ان يحطم شعبية الوفد ويجتذب اليه الانظار ، فقرر ان يتزوج ويجعل من حفلات الزواج وسيلة لصرف الناس عن حزب الاغلبية . فاختار انسة من عائلة كريمة هى صافيناز يوسف ذو الفقار باشا وكيل محكمة الاستئناف المختلطة (الملكة فريدة) وقد اطلق اسمها على ميدان العتبة الخضراء مدة من الزمن .

وقد عقد القران السعيد فى غرفة

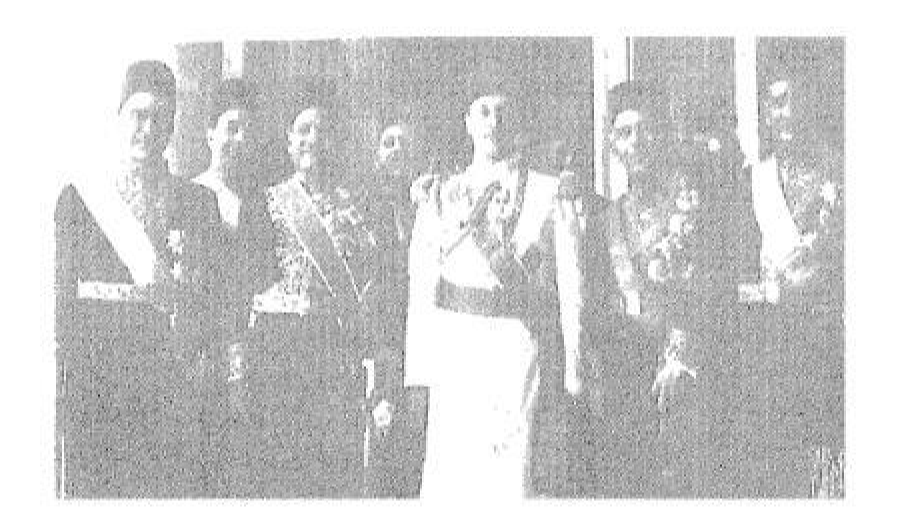


خاصة من غرف القصر الملكى ، وتولى جلالة الملك بنفسه مباشرة العقد ، وناب عن صاحبة الجلالة العروس والدها الجليل صاحب السعادة يوسف ذو الفقار باشا وكيل محكمة الاستئناف المختلطة ، وتولى صيغة العقد فضيلة شيخ الأزهر والشيخ عبد المجيد سليم المفتى الأكبر ورئيس المحكمة الشرعية العليا ورئيس محكمة مصر الشرعية وكان شاهدا العقد حضرتى صاحبى الدولة والمعالى على ماهر باشا رئيس الديوان الملكى وسعيد ذو الفقار باشا كبير الأمناء ثم وزعت بعد ذلك علب الحلوى على المدعوين وهى مائة علبة ثمن الواحدة منها مائة وخمسون جنيها ، وبعد اتمام العقد اطلقت الحاميات العسكرية فى القاهرة وعواصم الاقاليم مائة مدفع وواحد إيذانا بزواج حضرة صاحب الجلالة الملك ، واقامت الخاصة الملكية عشرة سرادقات فى ميادين القاهرة والجيزة لاطعام الفقراء .

خرج موكب العروس من بيتها فى مصر الجديدة بعد اليوم المذكور ، وكان يحلق فوقه سرب من سلاح الطيران المصرى حتى وصلت الى قصر القبة . وعلى اثر وصول الموكب تحرك موكب الزهور والرياحين من ميدان عابدين إلى قصر القبة لتقديم باقات الورد والأزاهير اليانعة إلى حضرتى صاحبى الجلالة ملك وملكة مصر . وكان الموكب مؤلفا من مركبات وسيارات مزينة بأجمل الزهور وأبدع الرياحين تنافست فى تنسيقها البيوت العالمية والشركات التجارية والاندية الرياضية والجماعات والهيئات . وفى مساء اليوم نفسه أقيمت فى النيل بمنطقة الجزيرة مهرجانات كبرى اشتركت فيها شركات مصر للملاحة النهرية وشركة كوك والانجلو امريكان ببواخرها المزدانة بالانوار الكهربائية المختلفة الالوان . واشترك فى هذا المهرجان الجمعية الزراعية الملكية ونادى السيارات الملكى والاندية الرياضية والبحرية ونادى سليمان باشا . وقد اطلقت السهام النارية تمثل مناظر جميلة ، صورتان لحضرتى صاحبى الجلالة الملك والملكة .

واقيمت حفلات شعبية فى حديقتى الأزبكية والجزيرة وفى ميدان المولد النبوى بالعباسية . وفى المساء اقيمت مأدبة ملكية فى قصر عابدين حضرها الملك ودعى اليها ١٥٠٠ من الوزراء والأعيان واطربت الحاضرين الآنسة ام كلثوم وفى مساء اليوم التالى اقيمت مأدبة دعى اليها رجال السلك السياسى الاجنبى . وفى اليوم الثالث اقيمت مأدبة واطرب الحاضرين صالح عبد الحى .

وفى الساعة الحادية عشرة تماما ادى كبار ضباط الجيش يمين الطاعة بين يدى الملك من رتبة الاميرالاى فما فوق . واصحاب السعادة والعزة قواد قسم القاهرة واللواءات المشاة الأولى والثانى والثالث ، وقواد الوحدات والاسلحة بحضور وزير الحربية وشيخ الجامع الأزهر وقد وزع عليهم نسخ من المصحف الشريف فأدوا يمين الطاعة واضعين



ايديهم عليه وبعد ان انتهى كبار الضباط من تادية اليمين عاد كل منهم الى وحدته فى ميدان عابدين . ونادى قائد القوات اللواء حافظ عاطف باشا فى الضباط الى الامام تشكيل فتقدم الضباط عندئذ امام وحداتهم واتخذت لنفسها هيئة دائرة .

ووقف القائد وجميع الضباط وائمة الاورطة فى الوسط ومع كل إمام نسخة من المصحف الشريف : تم تولى الائمة تحليف الضباط والجنود يمين الطاعة واما الضباط والجنود غير المسلمين فقد تولى قائد الاورطة الاولى مشاة تحليفهم بواسطة ممثلهم وبعد الانتهاء من تادية اليمين عاد حضرات الضباط الى وحداتهم .وصدرت اشارة قائد القوات : كتفا سلاح . وعند ذلك اطل عليهم الملك من شرفة عابدين فنادى قائد القوات : سلام الملك ، سلام سلاح ، فعزفت الموسيقى بالسلام الملكى ثم هتف القائد يعيش فاروق الأول ملك مصر ، ثلاثا فردد الضباط والجنود الهتاف بقوة . وفى عهد الوزارة الوفدية وفى عهد وزيرها حمدى سيف النصر باشا برزت فكرة إنشاء ناد لضباط الجيش . واختير المنزل الذى كان يقيم به الفريق سبنكس باشا مفتش الجيش المصرى سابقا ليكون مقرا لهذا النادى . وفى الساعة الرابعة من بعد ظهر الجمعة ٢١ يناير توجه الملك لافتتاح نادى الضباط وقد اذيعت حفلة الافتتاح من محطة الاذاعة اللاسلكية المصرية .

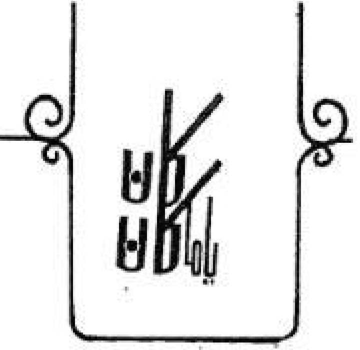
وقد تلقى الملك بمناسبة زواجه :

١ ـ سيارة مرسيدس فاخرة من الهرهتلر

٢ ـ بندقيتين للصيد من الحكومة الانجليزية

٣ ـ زوجين من القفازات من الحكومة الفرنسية

٤ ـ بندقية صيد من الحكومة البلجيكية



٥ - بندقيتين صناعة هولندية من محمد حيدر باشا مدير مصلحة السجون ، نقش على احداهما قوله تعالى «وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى» وعلى الثانية الحديث الشريف «ارم فداك ابى وامى»

٦ - طقم شاى من الذهب الخالص هدية من رجال الملكية ثمنه ١٤٠٠ جم

٧ - سيفا خاصا من الجيش ، صنع خصيصا لهذه المناسبة فى انجلترا وقد نقش على احد جانبيه قوله تعالى «ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم» وعلى الجانب الاخر عبارة «رمز الولاء والاخلاص والطاعة من ضباط الجيش والمحاربين القدماء الى قائدهم الاعلى الملك المعظم» ، وقد وضع هذا الحسام فى صندوق باطنه مكسو بالقطيفة الخضراء والى جانبه قصيدة من نظم الملازم الاول عبدالرحمن حافظ اركان حرب وزارة الحربية مطلعها .

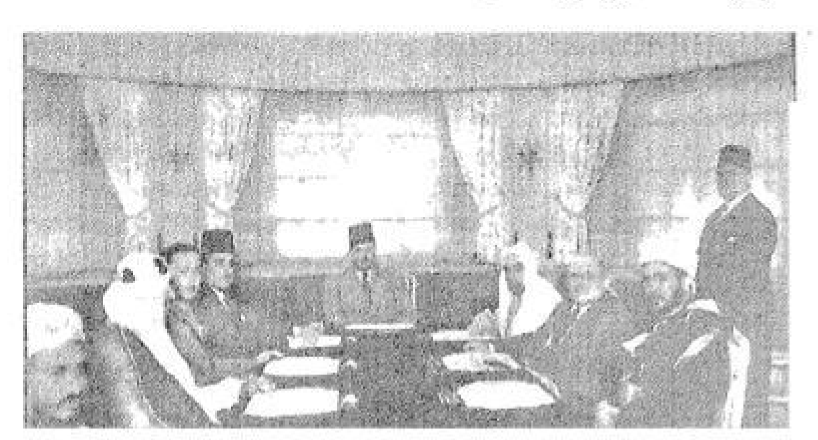
هذا نجاد صلاح الدين فى النسب
سيف من الله يفلل ولم يخب

٨ - تاج مصنوع من الذهب الخالص من غبطة بطريرك الاقباط الارثوذكس .

× × ×

وقد اضيئت بعض المساجد والدواوين الحكومية بالانوار الكاشفة وعلقت عليها المصابيح الكهربائية المختلفة الالوان . وقد انقلب الليل الى نهار فى ميدان العتبة والشوارع المتفرعة منه وابيح السهر فى حديقة الأزبكية حتى الصباح ، وصارت مواكب الشبان من طلبة وعمال فى شوارع الازبكية وعابدين يهتفون للملك ويغنون « فاروق فاروق ، يانور العين ، ياوردة حمرا على الخدين ، ياوردة حمرا على الخدين » « مبروك مبروك ياملكنا مبروك مبروك » وتبرجت النساء ومخاليع البلد وخرجوا عن حدود الأدب وامتنعت الشرطة عن التعرض للناس فى افاعيلهم ، فكانت

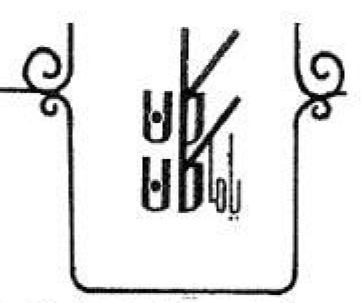
مؤتمر القمة العربى فى انشاص ١٩٤٦



القاهرة فى تلك الايام مراتع غزلان ومواطن حور وولدان فكأنما اهلها خلصوا من الحساب وارتفع عنهم التكليف والخطاب . واصبح السائر فى ميدان العتبة يشم رائحة الحشيش والخمر وراجت سوق الدعارة والفسق والفجور وانقضت الافراح والليالى الملاح وحان وقت العمل . فاراد الملك ان يزيد من شعبيته فركب سيارة مكشوفة واتجه لزيارة مصانع المحلة حيث يوجد اكبر تجمع عمالى فى ذلك الوقت . وكان طلعت باشا حرب قد أعد له استقبالا حافلا . فدخل الملك احد العنابر وكانت تفوح منه رائحة البخار والاصباغ وبعض المواد ، وهى على كل حال رائحة لاتطيب للغريب ولكن الملك اطال الوقوف فى هذا العنبر مستزيدا من الشرح والايضاح معقبا على ذلك بقوله " هذه رائحة مجد مصر . ثم دخل معمل الكيمياء فسأل احد موظفيه : اين تعلمت ؟ فأجاب : فى فرنسا . فطلب منه ان يصف له عمله . وبعد ان فرغ من هذا الوصف قال له : برافو . ثم وجه الى جموع العمال كلمة نصيحة " ونصيحتى التى اسديها اليكم هى : عليكم بالعمل للوطن بعيدين عن السياسة فهتف العمال بحياته . وهنا قال على ماهر باشا " هذه كلمة يجب ان يدفع طلعت باشا عليها مالا كثيرا . وعندما هم بمغادرة المصنع قال : اذا كنت فى الاول مسرور ، فقد تضاعف الان سرورى كتير .. كتير خالص .

ثم حل وقت الانتخابات واذا اردنا ان نعرف كيف جرت هذه الانتخابات فما علينا الا ان نقرا الخطاب الذى ارسله الى الملك ضابط بوليس بمركز شبراخيت واسمه سيف الدين سرى . وهذا بعض ماجاء فيه : "اتشرف يامولاى بان ارفع الى مقام جلالتكم الكريم البيانات اللازمة . لقد مزقت الدوائر الانتخابية شر ممزق ولقد صدرت الاوامر الى رجال الادارة بالتدخل فى حرية الانتخابات والدعاية لمرشحى الحكومة والطواف فى ركابهم . ومنع مرشحى الوفد من الطواف فى دوائرهم الانتخابية أو الاتصال بالناخبين . وقد صدرت الاوامر فعلا الى رجال الادارة بمنع تذاكر الانتخابات عن الناخبين الوفديين . وحتى من تسلم اليه تذكرته ممن عداهم فإنه لايتسلمها الا بعد ان يحلف اليمين على المصحف بالطلاق بانتخاب مرشحى الحكومة .

ولقد صدرت الأوامر فعلا الى رجال الادارة بايهام الناخبين ان النحاس باشا خارج على العرش والدين حتى لقد بلغت الجراة بأحد مرشحى الحكومة ان يخطب الناخبين تحت سمع وبصر رجال الادارة مدعيا بانه مرشح الملك ، وبان فضيلة شيخ الجامع الأزهر قد افتى بان النحاس باشا مرتد . فمن ينتخبه فهو مرتد مثله ، ومن ينتخب مرشحه فهو مرتد كذلك وامرأته طلق . ثم وزع هذا المرشح الحكومى منشورات يتهم فيها النحاس باشا بانه يعمل على نصرة المسيحية على الاسلام ، وبان رفعته يعمل على إقامة الجمهورية وقد ارفقت بهذا منشوراً منها لاطلاع جلالتكم عليه حتى تعلموا مدى الفتنة التى توشك البلاد ان تتردى فيها وكل هذا لم يجد مع الناخبين فتيلا . فلجأ رجال الادارة يوم الانتخاب الى منع الناخبين بالقوة من الدخول الى اللجان



وإبعادهم عنها تمهيدا لتزييف اراء الناخبين وكيل الأصوات كيلا الى مرشحى الحكومى . لقد حدث كل ذلك فعلا وأقرب دليل على ذلك هو ماحدث فى دائرة مركز شبراخيت فقد كنت مكلفا بالاشراف على دائرتين فى الدوائر الفرعية فتركت للناخبين الحرية التامة فى إبداء أصواتهم فكانت النتيجة أن نال مرشح الوفد سعادة محمد باشا المغازى تسعمائة صوت فى هاتين الدائرتين ، ولم ينل منافسة صالح مبروك الديب سوى خمسين صوتا وهى أصوات العمد ومشايخ البلاد ، ابدوها شفويا خشية التنكيل والاضطهاد . وعلى الرغم من ذلك يامولاى فقد فاز مرشح الحكومة صالح الديب فى باقى الدوائر بالتزييف والمنع والاكراه دون جدارة أو استحقاق .

مولاى : هذه الانتخابات باطلة قانونا

امضاء

سيف الدين سرى

ضباط بوليس كنيسة أورين ـ مركز شبراخيت

وهذه بعض فقرات من المنشور الذى أشار إليه حضرة الضابط المذكور :

ابناء الوطن الأعزاء .

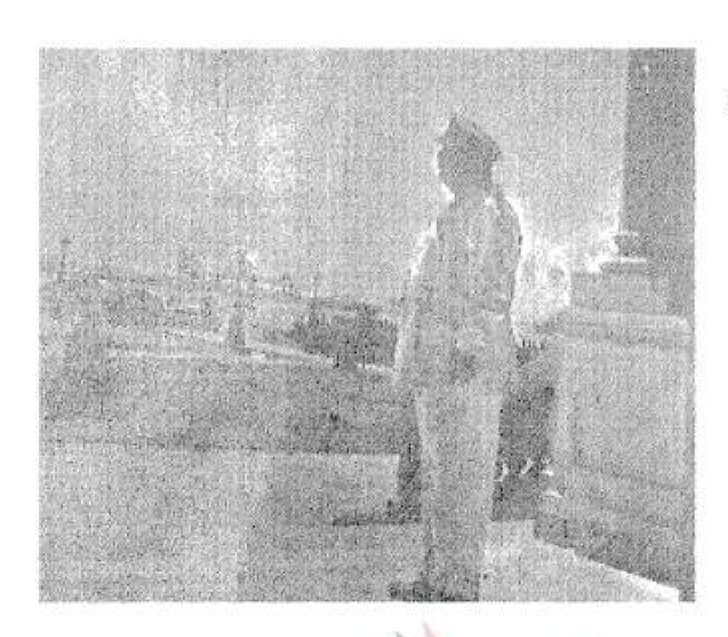
اليوم يوم الفصل ، وماهو بالهزل . يوم يمتحن الله فيه إيمان المؤمنين وثبات المتقين ، .وشجاعة الصابرين الذين واصلوا الجهاد بنزاهة وإخلاص .

ياأبناء الوطن : مصر اليوم بين المطرقة والسندان ، يتطلع اليها العالم الاسلامى على وجه الكرة الأرضية ، يرون فيها المنقذ الأعلى والملاذ الأسمى لحماية الدين الاسلامى من عوامل الهدم ومعاول التحطيم التى يصبها عليه أعداء الملة والدين .

شاءت إدارة حضرة صاحب الجلالة المليك المعظم أن يطهر البلاد من جرائم (مصطفى النحاس ومكرم عبيد) الذين طغوا فى البلاد فسادا وتطاولوا على المقام السامى ، والغوا القمصان الزرقاء لخنق الحريات ومحاربة الدين الاسلامى وتدبير ثورة يقلبون بها نظام العرش ليتولوا هم نظام الجمهورية فيستبدون بكم ويغلبون المسيحية على الاسلامية ، ويحكمونكم حكم (قراقوش) الذى سام المصريين خسفا وعسفا وظلما وإرهاقا فى سالف الأزمان .

اراد صاحب الجلالة الملك أن يحل البرلمان النحاسى الذى لعب بمصالح البلاد ، ولم يحترم كرامة العرش ومقامه العظيم ليرجع إليكم أيتها الامة النبيلة والشعب المخلص لمليكه ، المتفانى فى حبه والولاء لعرشه . يرجع اليكم فى الاستفتاء العام فى انتخاب حر تظهر فيه إرادة البلاد فى اختيار برلمان حر نزيه بعيد عن الغايات الشخصية والمنافع الذاتية والمحسوبية الخبيثة ، وليرعى مصالح الفلاح الذى هو عماد الثروة فى هذه البلاد .

فمن خطاب الضابط المذكور ، ومن هذا المنشور الانتخابى نتبين الجو الذى احاط بهذه الانتخابات وحسب القارىء أن يعلم أن مصطفى النحاس باشا سقط فى



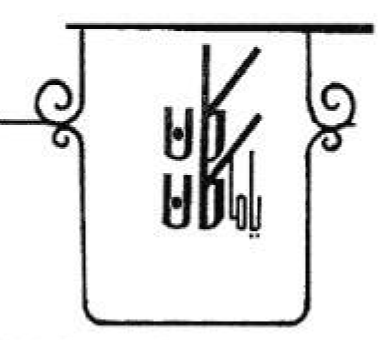
عندما يخرج الملك
مع الاعتذار ليونسكو

دائرتين . الأولى سمنود حيث نجح ضده على المنزلاوى بك والثانية دائرة الزعفران حيث نجح ضده أحمد محمد سعيد افندى . كما سقط مكرم عبيد باشا وحمدى سيف النصر باشا وعثمان محرم باشا وصبرى ابو علم ونجيب الهلالى ومحمد المغازى وزكى العرابى وكامل صدقى وحفنى الطرزى وعبدالفتاح الطويل وغيرهم من كبار الوفديين ومنهم من فقد التأمين .

وقد علقت الصحف البريطانية عن هذه الانتخابات فاجمعت على انها زائفة . قال مراسل « الديلى هرالد » فى القاهرة « إن جميع قوات الحكومة قد حشدت لمساعدة جميع المترشحين من خصوم الوفد . ولقد ابعد جميع الوفديين بمهارة من لجان الانتخابات واحاطت قوات البوليس المسلحة بمراكز إعطاء الأصوات » .

وقالت الجريدة المذكورة فى مقالة افتتاحية «إن رجال القصر ورئيس الوزارة المصرية أحرزوا الفوز فى الانتخابات وهذا الفوز من الجسامة بحيث لايعد حقيقيا . فإن فوز الحكومة الساحق يعد دليلا على أن إرهاب الناخبين كان عاملا حاسما فى الانتخاب . وقد كان من الحكمة لو أن رجال القصر ومحمد محمود باشا لم يمعنوا فى هذه الأساليب إمعانا ، إذ على وجه عام لايمكن أن تحكم البلاد حكما ناجحا بهذه الطريقة » .

ولو رجعنا إلى كتاب إقالة الوزارة الوفدية نجد أن الملك اتهم هذه الوزارة بمجافاتها لروح الدستور ، وبعدها عن احترام الحريات العامة وحمايتها فلم يكن بد من إقالتها تمهيدا لاقامة حكم صالح



يقوم على تعرف رأى الأمة ،لأدركنا كيف بدأ الملك فاروق بارشاد على ماهر حكمه بالاستهزاء بالعقول والمغالطة فى الحقائق والرغبة فى قهر الأمة والاستخفاف بالشعب مما سيعود عليه مستقبلا بالشر العظيم .

•

وقد أجروا الخطباء والكتاب للنيل من مصطفى النحاس باشا بالألفاظ البذيئة والعبارات النابية . وسيروا المظاهرات تهتف « لانحس ولانحاس » « ولانحس بعد اليوم ، ولا دساس بين القوم » ويعنون بالدساس مكرم عبيد باشا . وصوروا النحاس باشا فى صورة العروسة فى يد مكرم ، الذى حشر الأقباط فى الوظائف الكبرى وملأ المصالح الحكومية والشركات بالشباب الاقباط . وهكذا أرادوا أن يبعثوا روح التعصب والفرقة بين عنصرى الأمة . وساعدهم على ذلك موضوع رفض الملك توقيع مرسوم تعيين فخرى عبدالنور بك عضوا فى مجلس الشيوخ وتصميمه على تعيين عبدالعزيز فهمى باشا .

ومن العجيب أن مكرم عبيد باشا كان يتلقى الطعنات من ابناء طائفته كما يتلقاها من أعداء الوفد . فهاهو الأنبا يؤنس بطريرك الأقباط يرسل إلى كبير الأمناء خطابا يعرب فيه عن ولاء الأقباط للملك ، وهذا نصه .

القاهرة – تحريرا فى أول ديسمبر ١٩٣٧ .

حضرة صاحب المعالى الجليل المقام سعيد ذو الفقار باشا .

أهديكم عاطر تحياتى القلبية مقرونة بجزيل احترامى الموفور ، وأدعو لكم على الدوام بكامل الصحة والهناء .

وبعد ، فقد علمت والأسف يفعم قلبى حزنا أن أرباب السوء ، وخدام الشر يذيعون إشاعة يقصد بها السوء بالاقباط واستجلاب الغضب عليهم ، وهم خدام جلالة المليك المعظم ورعاياه الأمناء ، وعبيده المخلصون . وهذه الاشاعة فحواها ان طائفة الاقباط بعيدة عن الوفاء وشعائر الولاء لحضرة صاحب الجلالة المليك المحبوب .

على أن تاريخ الأقباط الماضى وإخلاصهم الأكيد وحبهم المحقق للعائلة العلوية الكريمة وتعلقهم بالعرش المفدى ، وفضل العائلة العلوية العظيمة على الاقباط من عهد مؤسس مصر الحديثة المغفور له محمد على باشا الكبير إلى اليوم مشهور لاينكر . فقد حبتهم الأسرة المجيدة على مرور الأعوام بالعطف الفياض والرعاية السامية والنعم المترادفة ، ووكلت إلى افرادهم المخلصين مهمات كبيرة وأعمالا عظيمة لما عهد فيهم من الثقة والأمانة والأخلاص . والعهد لم يزل قريبا بعطف الخديو العظيم إسماعيل والملك فؤاد الكريم – طيب الله ثراهما – فكيف يتفق هذا كله مع تلك الافتراءات الكاذبة التى لا ترتكن إلى أقل اساس من الحقيقة ؟

فخوفا من أن تتسرب بعض هذه الاشاعات إلى المسامع الملكية الكريمة مع أنى أعلم علم اليقين أن جلالة الملك

المعظم فاروق الأول المحبوب لايحفل بها ولايقيم لها وزنا - أردت أن انتهز هذه الفرصة فاعلن من صميم قلبى باسمى واسم الاقباط جميعا عن اخلاصنا المتناهى وشعائر ولائنا الأبدى مع اعترافنا على الدوام بجميل افعال المليك المعظم واسرته الكريمة علينا وعلى اوقافنا . فمن شذ عن هذا المبدأ القويم فيستحق السخط منا واللعنة من الله - وهو ليس منا ولسنا منه .

فرجاؤنا من معاليكم رفع هذه العريضة الى الأنظار الملكية الكريمة . حفظ الله الملك المحبوب فخرا لمصرا وذخرا للبلاد وعنوانا لمجدها ، مرموقا بعناية الله . وتفضلوا فى الختام بقبول مزيد الاحترام والاجلال

بابا وبطريرك الاقباط والحبشة يؤنس

●●●

وكان قلينى باشا فهمى هو الذى كتب هذه العريضة تقربا من الملك ، وحقدا على مكرم عبيد باشا . وإذا كان رئيس الطائفة وكبيرها وصاحب الصوت المسموع فيها قد اعرب عن عظيم ولائه للملك فمن الطبيعى أن يحرب ابناء الطائفة كذلك عن إخلاصهم للملك وابتعادهم عن مكرم وعن الحزب الذى ينتمى إليه المجاهد الكبير وممن انضموا إلى جانب الوزارة المحمودية القمص سربيوس فقد وقف خطيبا فى اجتماع انعقد لتأييد مرشح الحكومة فكان مما قاله « إن السلطان يريد كذا ومكرم يريد كذا وقد أمرنا ديننا ان نخضع للسلطان ، وقوله « إذا اراد السلطان شيئا فكيف تعارضه ؟ وما قيمة مكرم هذا حتى يعارض السلطان ؟ وكم حصانا تبلغ قوته ؟ » ومن انت يا مكرم يابن حنونة حتى تعارض مولانا السلطان ؟ » وقوله « تزوج عبيد امرأتين فانجب من الأولى مكرما ومن الثانية فلانا . فابن من يكون مكرم ؟ ابن الجديدة ام ابن القديمة ؟» وهكذا المسكين ينال من الوفد والوفديين ويطلق لسانه البذىء فى الزعماء ، ونظرت له جملة صور واقفا إلى جانب محمد محمود باشا .

× × ×

انتهى دور الجماعات التى استؤجرت للكيد لحزب الوفد وللحكومة الوفدية . فاختفت الأصوات التى كانت تنادى بتطبيق الشريعة الاسلامية وانتهى دور الشيخ المراغى فلم يعد له صوت يسمع حتى انه حينما سئل عن الوحدة العربية اجاب بالا راى له فيها وأنه لا يعرف فى السياسة شيئا . قال ذلك بعد أن أحس فتورا من بعض سادته . وهو الذى لعب دورا فى الانتخابات المزيفة بارساله الطلاب والعلماء الى الدوائر الانتخابية طاعنين فى مصطفى النحاس ودين مصطفى النحاس .

ولم تعمر وزارة محمد محمود طويلا . فقد ارغم على الاستقالة مع أنه كان مؤيدا من البرلمان . وهكذا أدرك السعديون والأحرار الدستوريون انهم مجرد خدام عند الملك إن شاء ابقاهم وإن شاء طردهم . فلاهم أصحاب اغلبية برلمانية ولا هم زعماء أحزاب لها شعبية يعتد بها ويعمل لها حساب .

اما الأمير محمد على الذى قال « والعائلة فيهم ؟ هى العائلة مالهاش وجود ؟ » فقد اختفى ، ومد الله فى عمره حتى راى العائلة ولا وجود لها



بقلم : مصطفى نبيل

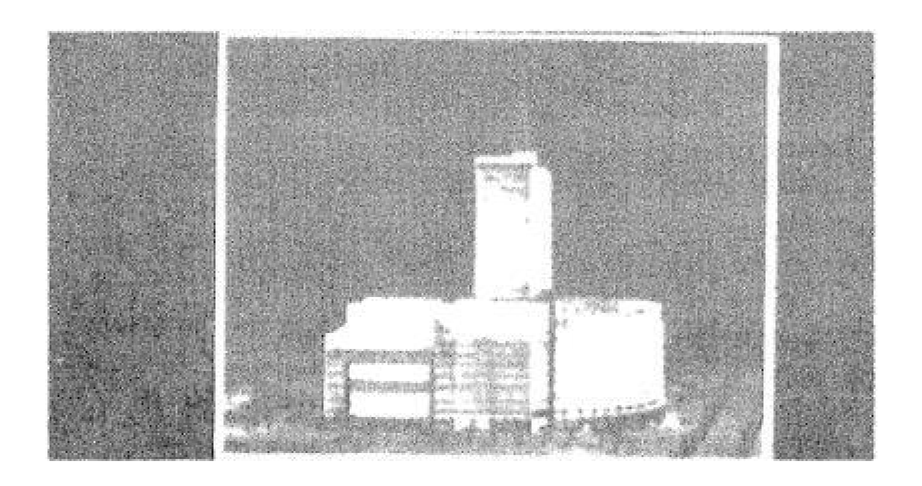
بعد مضى خمسه وعشرين عاما على بدء الارسال التليفزيونى فى مصر ، حان الوقت لوقفة مع النفس ، تناقش التجربة ، تتأمل سلبياتها وإيجابياتها ، لعل هذه المناقشة تحدد معالم المستقبل ، عندما تتحدد بدقة دور التليفزيون ووظيفته .

وهل هناك سبيل لكى نسيطر على ذلك المارد الذى إنطلق من عقاله ، وخرج علينا ـ الصندوق السحر ، مقتحما حياتنا ، بلا منازع ـ يفرض قيمه ونظرته .

فلا جدال أننا نعيش عصر التليفزيون برغم مزاحمة الفيديو ، وأنه يتمتع بقوة جذب هائلة ، يطوف بمشاهديه حول العالم ، بعد أن حول العالم إلى قرية صغيرة ، وغدا عين المشاهد على الاحداث العالمية ينقلها وقت وقوعها ، وينقل معها إيقاع العصر ونبضه .

والغى حدود الزمان والمكان ، وأصبح أداة تنقل إلى المشاهد الحاضر والماضى وبشائر المستقبل ، ويجعلها ماثلة امامه بشخوصها وعمارتها وأزيائها ..

وأصبح له السبق على غيره من أدوات



الاتصال ، وتراجعت فى هذه المنافسة الصحافة والاذاعة ودور السينما والكتب المصورة . بل واصبح شريكا مع البيت والمدرسة فى غرس القيم والمفاهيم وانماط السلوك للأجيال الجديدة ..

ويكفى أن تسمع مايدور على السنة الناس ، فتلمس تأثير برامج ومسلسلات بعينها تجرى تعبيراتها على السنتهم وتظهر فى ازيائهم .

فالتلفزيون يمسك بين يديه بعقول الناس وقلوبهم . بفكر المشاهد وعواطفه ، وليس امام المشاهد سوى أن يتلقى ، الأذن تسمع والعين ترى ، ولافرصة لمناقشة او مراجعة ، وما يرفض اليوم ، يقبل بالالحاح غدا ، وما يرفض مباشرة يقبل بطريقة غير مباشرة عن طريق الأعمال الدرامية بالألوان والأنغام ومع الاضاءة والديكور والحركة والأزياء ..

وقامت إحدى المجلات الأمريكية مؤخرا بعمل دراسة ميدانية تصل من خلالها إلى اهم المؤسسات التى تؤثر فى حياة المجتمع الامريكى ، ورغم إختلاف الظروف عندنا وعندهم ، إلا أن هذه الدراسة تقدم مؤشرات هامة ، فقد حصل التليفزيون على المركز الثانى بعد البيت الأبيض ، وجاءت الصحف فى المركز الثانى عشر والاذاعة فى المركز الرابع عشر ..

وتجاهلت الدراسة أن التليفزيون حمل العديد من الرؤساء الامريكيين إلى البيت الأبيض ، وكان جون كنيدى ابرز الأمثلة على ذلك . !

وحتى المادة التى تقدم فى التليفزيون بقصد التسلية أو الترفيه ، ترسب قيما خاصة فى وجدان المشاهدين ، كما يحاول



المشاهد تلقائيا أن يقلد ما يراه على الشاشة .

● القاطرة والطائرة ●

إن التليفزيون مثل كل المخترعات الحديثة يحتاج إلى رصد ، ثم رعاية وضبط ، فلم يكن ممكنا الحصول على أفضل خدمة من القاطرة أو الطائرة ، إذا لم يوضع لهما نظام محكم لتجنب الحوادث ، أو تقليل التلوث ، فالجهد الانسانى والابداع الفكرى لابد أن يتصل إذا لم يكن للتطوير فمن أجل الصيانة وتقليل أضرار الآثار الجانبية ..

فإذا كان التليفزيون يسيطر على حياتنا المعاصرة ، فلابد من الوصول إلى نظرية للحصول على أكبر قدر من الفائدة وحتى يصبح التليفزيون صمام الأمن الذى يساهم فى صياغة الوجدان المشترك للشعب متباين التعليم ومتباين الحظوظ والثروات ، وحتى يصهر الجميع فى بوتقة الوطنية ، ويخلق عند الجميع الحد الأدنى من الانتماء الوطنى . أو على الأقل من أجل الحد من آثاره المدمرة ،فإذا تصورنا خطأ ما وقع فإن جيلا بأكمله سيتلقى هذا الخطأ ويتعلم منه !

● تنوير أم تخدير ●

ومنذ بدء إرسال التليفزيون وتدور مناقشات حول وظيفة التليفزيون ، وهل هو مجرد أداة تسلية وترفيه بعد عمّل يوم شاق ، أم هو جهاز بناء قيم إيجابية . ؟ وسد الفجوة بين ماهو مطلوب وما هو متاح من أهداف إجتماعية .. ؟

ونلاحظ إنه عند بداية التليفزيون لم تكن هذه القضية واضحة المعالم ، وقامت أفكار زائفة تزعم أن التليفزيون أداة تسلية تعتمد على التمثيليات المثيرة والكوميديا الصاخبة !

ولعله قد فاتنا عندما إستوردنا هذا الجهاز ، أن نحدد بدقة دوره فى المجتمع ، وأن النموذج الغربى كان هو النموذج المتاح ، والنظرية الوحيدة ، ورغم اهتمام التليفزيونات الغربية إهتماما كبيرا بشئون المجتمع والفكر والثقافة ، إلا أن تأثير القنوات التجارية كان هو الأغلب .

وبقيت العديد من الأسئلة معلقة .. مثل : هل يساهم التليفزيون فى تنمية المجتمع أم يساهم فى زيادة استهلاكه وتبديد طاقاته .. ؟ وهل هو أداة تنوير أم أداة تخدير .. ، .. وهل يساهم فى بناء نظام للقيم عن طريق نماذجه المدروسة بعناية .. ؟ وهل يساهم فى خلق لغة جديدة وجميلة للتخاطب ؟ وهل يروج ألفاظ رشيقة

تأتي على السنة مقدمي برامجه وأبطال تمثيلياته .؟ وأخيرا .. هل الهدف من البث التليفزيوني هو إحداث تحول في سلوك المستقبلين ..؟

ولعل إستمرار هذه التساؤلات أحد نتائج هيمنة النموذج الغربي .. فقد ظهر التليفزيون أول مرة في فرنسا عام ١٩٢٣ ، أي نشأ وتطور في مجتمع استكملت مؤسساته واستقرت أوضاعه ، وتحددت ملامحه ، بل وكان في ذروة قدرته يمسك بخيوط العالم ، وله السيطرة السياسية والهيمنة الفكرية والعلمية ..

تجمع إزدهرت فيه العلوم والفنون ، وعرف الابداع في كافة مناحي حياته ، وجاء التليفزيون ليغترف من هذه الفنون المزدهرة وفيض المعلومات المتوفرة ..

بعدما إنتقل الى دول العالم الثالث بعد ما يزيد عن عقدين من الزمان ، إنتقل إلى دول حديثة الاستقلال أو في طريقها إلى الاستقلال ، تخطو خطواتها الأولى نحو بناء مؤسساتها السياسية والاقتصادية ، وبدء عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، في مرحلة دقيقة تتشقق خلالها موروثات وكيانات قديمة ، وتقوم محلها مؤسسات أخرى جديدة ..

وكان من الضروري أن تكون لهذه الدول نظريتها الخاصة في الاعلام ، التي تنعكس على وظيفة التليفزيون ، ولها أولوياتها الخاصة ، وينبغي لها أن ترقب أهدافها حسب ظروفها وإهتماماتها ، فإذا أعطى للترفيه الأولوية فسيؤثر ذلك بالضرورة على مستوى الانتاج والفكر

أما إذا وصلنا الى الرخاء لكان الاختيار محتملا ولكن أن نكون على أعتاب النمو الاقتصادي فهو ما يحتاج إلى جهود هائلة من أهم قناة إتصال في زماننا للتمهيد له والتحريض عليه والتكيف معه ..

خاصة أن دول العالم الثالث ، مازالت تسير بخطوات متعثرة ثقيلة ، بعد أن فاتها أن النمو عملية يشترك فيها الجميع عندما تحدد هدفها بدقة وتختار الطريق الذي تسلكه بعناية ...

والا تتسع الفجوة بين الدول المتقدمة ودول العالم الثالث ، فالعالم من حولها يتحرك ووثب العلم وثبته الجبارة ، وحول العلماء مادة السليكون إلى آلة تحسب وتفكر بل وتتنبأ ..

وينبغي أن تتحدد وظيفة التليفزيون على أن تتجه كل جهود الاعلام والتربية نحو المساهمة في تكييف البناء الاقتصادي والسياسي من أجل بناء الانسان الحر الواثق ، والمجتمع المنتج المسيطر على حاضره ومستقبله .

● أزمة الكتاب ●

ويلاحظ أن تأثير التليفزيون يختلف من مكان إلى أخر ، فمثلا بلاد مثل فرنسا أو بريطانيا أو الولايات المتحدة ، يحكم المشاهدون فيها هذا الجهاز ولايحكمهم ، ولكل منهم عمله وهوايته ، يحدد ساعات جلوسه أمام الشاشة الصغيرة ، لذلك مازالت القراءة مزدهرة ، ومن النادر أن تجد مواطنا من هذه البلاد في طائرة أو قطار لا يحمل كتابا يطالعه ..



ونجد التليفزيون قد اثر بشكل ملموس على القراءة فى الدول العربية ، وتراجع أمامه الكتاب ، وأصبحت الأجيال الجديدة أقل إقبالا على القراءة التى تتطلب وقتا وجهدا وتفاعلا أمام سهولة ... ما يقدمه التليفزيون .

وتقدر إحصاءات اليونسكو ما صدر من الكتب فى مصر عام ١٩٦٥ بما يصل إلى ٣ آلاف و ٢٥٥ كتابا ، وهو يزيد عما صدر فى كل الدول العربية عام ١٩٨١ و الذى لم يتجاوز ٢٨٥٠ كتابا ، نصيب مصر منها ٥٠٠ كتاب فقط .!

وكان يمكن للتليفزيون أن يشجع مشاهديه على القراءة ، إذا إهتم بالثقافة وقدم عرضا للكتب الجديدة ، وخلق الشعور بالحاجة الملحة للبحث والمعرفة ، واذا كان منبرا للحوار بين المدارس والاتجاهات المختلفة . ولم يكن محظورا على أصحاب الاتجاهات الجديدة والآراء الجريئة ..

فكيف لأمة أن تنهض دون حوار حقيقى ينتهى بتشكيل وعيها الاجتماعى ، حتى تكون أقدر على مواجهة التخلف واللامبالاة ، وتعلى قيمة الانسان وتدرك قيمة الوقت فى حياة الفرد والمجتمع ..

فالقوة الهائلة التى يملكها التليفزيون ينبغى أن توجه من أجل التجانس والتوجيه الاجتماعى والثقافى ، وهو القادر على أن يتجنب فيما يبثه ما يشعل التعصب ويرسى قيمة رحابة الصدر وإتساع الأفق ..

وتزداد وظيفته أهمية ، فى مجتمع تنتشر فيه الأمية ، وهو مطالب بزيادة الانتاج ، فهل تستمر الشاشة الصغيرة تحث على الاسترخاء ، أم يطالب التليفزيون بجهد أكبر من أجل تغيير عادات الناس وخلق عادات جديدة ، فمثلا حتى تليفزيون لندن وباريس يبذل جهدا كبيرا ، فى شرح قواعد المرور وحث قائدى السيارات على مراعاة الذوق فى القيادة .. إن التليفزيون مطالب بالمساهمة فى سد الفجوة بين ماهو مطلوب وما هو متاح .

والأمل مازال معقودا فى أن يصبح التليفزيون فى كل بيت وسيلة للعلم والتربية وشيوع المعرفة ، بما يفتحه من نوافذ على العالم ، وبما يقدمه من الأنباء والأفكار الجديدة ومن شخصيات الرواد الذين قدموا انجازا ما لمجتمعهم .. وبذلك يساهم فى تنشئة جيل قادر على صنع المستقبل .

وقد حان الوقت لكى يقدم الاخبار مرتبة وفق أهميتها . وأن يقدم الأهم على المهم

مما يساهم فى تكوين جدول قيّم سليم لدى المشاهد .

وأن يقترب التليفزيون من حياة الناس ، ولا يكتفى بتقديم برامج هى كأحلام اليقظة ، تكون مثل قفزة إلى المجهول ، أو هروبا إلى الامام ..

● النغمة الصحيحة ●

هدف التليفزيون إذن هو تحقيق غايتى الفن اللتين حددهما ارسطو وهما الامتاع والتثقيف ، أى استمرار السعى لتزويد الفرد بأنماط من القيم وطرق التفكير ، يؤدى إلى تنمية ملكاته النقدية ، وتنمية الابداع والتفكير ، وبناء مواطن متوائم مع عالمه ومع مجتمعه ..

فالفن هو الذى يمد المشاهد بالمعرفة ، وهو بهذا وسيلة للتعلم والتكيف الاجتماعى ، والنغمة الصحيحة فى التليفزيون ، هى تلك التى تجمع بين المتعة والفائدة ، والتى تتجنب المواعظ والارشادات ، ولا تلغى حق المشاهد فى أن يتخلص من مشاكل الحياة الواقعية ، ويهرب من سأم الحياة ، ويشبع رغباته فى المتعة وهو جالس فى بيته ومع أسرته عن طريق جهاز يكون رهن اشارته .

وطاقة التليفزيون فى مجال التعليم طاقة جبارة ، وليس المقصود هنا البرامج التعليمية رغم اهميتها وحيويتها ، ولكن ما يبثه عمل درامى من قيم ومفاهيم وأنماط سلوك .

ويمسك التليفزيون بزمام المبادرة ، فإذا إهتم بأمور اللهو والتسلية ، فليس أمام أجهزة الاعلام الأخرى سوى أن تجاريه ، وعندما يهتم بالتنمية فسيعطى الأجهزة الأخرى فرصة القيام بدورها .

ولايمكن له أن يقوم بذلك إلا إذا كانت ساعات الارسال على قدر البرامج الجادة ، وأن يصبح مؤسسة مستقلة قادرة على الحركة الذاتية ، وأن يتولاه المثقفون الفنيون وليس الموظفون .

ولاتترك مقاديره لافراد يرسمون سياسته ويحددون أهدافه ، بل تحدد هذه السياسة مؤسسة مستقلة ذات نظم صارمة ، وأن يضع سياساته مجلس مستقل ، وبذلك يتيح لكل صاحب رأى أن يصل به إلى المشاهد ، وأن يعرض الأفكار عرضا محايدا ، يثير العقل ويحرك الفكر ..

فهل جاءت الفرصة بعد ٢٥ عاما من التجربة للمراجعة وتلافى الأخطاء ، وتوفير اكبر قدر من الضمان لدور جديد فى مجتمع يتغير ، لابد فيه من إعادة الاعتبار للكلمة والصورة التى تصدر عن هذا الصندوق السحرى .

وهل حان الوقت لظهور استراتيجية للتليفزيون تهدف إلى إقامة بنيان ثقافى ، وتعطى إهتماما اكبر لسلوك المشاهد وأنماط إستهلاكه ، ونوع حياته ، وأن تتوخى البساطة والجمال ، وأن يخضع ما يذاع من برامج ومسلسلات اجنبية إلى إنتقاء ومراجعة دقيقة ودراسة عميقة ..

وأن تظهر البرامج التى تجعل المشاهد على إتصال بمشاكل الحياة الواقعية ، وتشجع المشاهد على الانتباه ، ذلك النوع من البرامج التى تسبب ذلك القدر المعقول من القلق الذى يحضر صاحبه لتجديد حياته .. ونستغل افضل وسيلة لنقل الخبرات الواقعية .



إعادة قراءة التليفزيون

بقلم : سعد لبيب

عندما يدخل التليفزيون حياة أى مجتمع ، فهذا حدث عظيم ..

وعندما يمر ربع قرن من الزمان على هذا الحدث فهى مناسبة مثلى لكى يقف الانسان وقفة متأملة يراجع فيها حساباته ويعرف ماذا اخذ وماذا أعطى ..

وعندما يكون الانسان على صلة حميمة بمولد هذا الحدث ونشاته وفتوته ، تصبح المسالة اكبر من قضية شخصية وأعمق فى النفس من قضية عامة ..

وهذه بالضبط قضيتى مع التليفزيون فى مصرنا العزيزة ..

فهو فى نفسى ليس مجرد مجموعة من الحكايا والذكريات ، ولا هو أيضا جانب من حياتنا العامة نتناوله بالبحث المجرد العاقل البعيد عن العواطف والانفعالات ..

انه بالنسبة لى ، وباختصار شديد ، كل هذا معا .

وتعود بى الذاكرة الى الوراء ، خمسة وعشرين عاما ، ويزيدون بضعة اشهر حيث دخل الاعداد لدخول التليفزيون مرحلته الاخيرة وبدأ اختيار «المجموعة الاولى التى ستحمل على كاهلها عبء التخطيط والبناء - وأنا أتحدث هنا فقط على الجانب البرامجى من المشروع وأترك الجانب الهندسى منه فله قصة أخرى ليس هذا مجالها . ووجدت نفسى ، اختيارا لا اكراه فيه ، بين مجموعة صغيرة من الاصدقاء والزملاء الاذاعيين ومجموعة أخرى من السينمائيين الذين لم نكن نعرف منهم الا الاسماء .

لم يكن اختيارنا - نحن الاذاعيين - للتليفزيون ضيقا بالاذاعة أو انكارا لدورها .. فقد كنا على اختلاف مواقعنا ، نحب

الاذاعة ونفخر بانتمائنا لها ونكبر الدور الذي كانت تقوم به في حياة مجتمعنا ، بل وفي حياة الاخرين ايضا ، وكانت حركتنا فيها سهلة ومغامراتنا الابداعية لا حجر عليها الا في القليل النادر ، وعطاؤها ـ من حب الناس ـ سخي بأكثر مما كنا نستحق .

ولكن التليفزيون ، ذلك المجهول ، كان يثير خيالنا ، ويستفز شوقنا الى المغامرة ، رغم لم يكن احد منا قد رأى حتى جهاز التليفزيون من قبل ، وكان كل تصورنا عنه انه إذاعة مصورة .. وحتى في هذه الحدود فقد كان شيئا مبهرا . وكان كل خوفنا على اذاعتنا المسموعة ترى ماذا سيكون مصيرها ، وهل سيهجرها الناس نهائيا وتصبح ـ كما قال البعض منا ـ اشبه بالعربة الحنطور في عصر السيارات والطائرات !

وكان كل عزائنا ما يقوله الدارسون منا لنظريات الاعلام .. فكل وسيلة اعلامية جديدة لا تقضي على سابقاتها ، بل تكيف كل منها وظيفتها رفقا للظروف الجديدة .. وينتهي الامر بان يتآلف الجميع ولا يتناحروا ، ويحدد كل منهم موقعه على الخريطة الاعلامية . وكنا نعرف بتجربتنا الاذاعية ، ان الاذاعة لم تقض على الصحافة . بل لعلها قد نفخت فيها روح المنافسة والتحدي فتطورت الصحافة في عصر الراديو وتعايشت معه واصبحا يتبادلان المنافع والمجاملات .

وقلنا اغلب الظن أن هذا ما سيفعله التليفزيون مع الاذاعة . وكان في هذا عزاؤنا . وبدأنا ندخل عالم المجهول .. عالم التليفزيون .

والحق انه كان عالما مثيرا الى ابعد حدود الاثارة ، وسرعان ما اصبح الابن المدلل للدولة من رأسها الى باقي اجهزتها ، واصبح رغم كل النقد عشق الجماهير .

والحق أيضا انه اخذ يضرب في كل ميدان بسهم . وحمل مسئولية اعمال تبدو في ظاهرها بعيدة عن طبيعته .

ويخطيء من يفصل بين التليفزيون والمناخ السياسي والاجتماعي والثقافي الذي نشأ في كنفه . فظهور التليفزيون في بلادنا مع بداية الستينات مرتبط أشد الارتباط بالتحول السياسي والاجتماعي الذي أخذ يتبلور في هذه الفترة . ولكني أعتقد أن تفسير ظاهرة التليفزيون في تلك المرحلة بأنها لم تكن إلا جزءا من عملية سياسية اعلامية ، فيه تجن كبير على الواقع .

الثقافة والترفيه .

لقد كان الاعلام ولاشك من اول اهدافه ، وفي سبيله استطاع من الناحية المهنية أن يبتكر الاشكال الاكثر جاذبية والاكثر اقناعا ، وجندت له افضل الخبرات والامكانات التقنية ، ولكنه لم يكن الهدف الوحيد ، وكانت الاهداف الاخرى مرتبطة بالعمل على الارتقاء بالمستوى الثقافي للجمهور وتوفير مادة ترفيهية تشبع احتياجاته الانسانية . وسد النقص الواضح في وسائل الترفيه الجماهيري في تلك الفترة . والعمل على رفع مستوى التذوق الفني للمشاهدين وتوفير الادوات التي تعين على تحقيق هذا الهدف والمساهمة بقدر ما تستطيع وسيلة اتصال جماهيري أن تفعله ، في تنشيط عمليات التنمية الاجتماعية



وإذا رجعنا الى السنوات الاولى لحياة التليفزيون فى بلادنا نجد ظواهر غريبة بمنطق هذا العصر ، ولكنها كانت الدليل على ماقلته من شمول رسالة التليفزيون ..

● فالدراما التليفزيونية عنصر من أهم عناصر الجذب فى برامج التليفزيون ولكن الظروف لم تكن مهياة لتوفير ماتحتاج اليه من نصوص وفنانين واستديوهات ، فانشا التليفزيون فرقته المسرحية للاستجابة لهذا المطلب حتى اذا ما نجحت الفكرة أخذت تتطور وتنمو لا لتغذى برامج التليفزيون بما تحتاج اليه من مواد درامية فقط ، وانما لكى تقدم زادا ثقافيا وفنيا لجمهور المسرح ، وتعمل على توسيع قاعدته ..

● وكان التليفزيون يحتاج الى جانب انتاجه ، توافر انتاج سينمائى يمكن الاعتماد عليه فى تغذية البرامج ، فما كان من التليفزيون الا أن أسهم فى توسيع استديوهات السينما القائمة وتطوير معداتها ، وأخذ يعمل على توفير فرص العمل والإنتاج أمام السينمائيين الذين خيمت عليهم فى تلك الفترة هموم الكساد ، ثم تطورت الفكرة من مجرد العمل على إثراء مادة التليفزيون بافلام سينمائية الى العمل على تطوير صناعة السينما نفسها .

وفى مرحلة تالية تم ضم القطاع العام من السينما المصرية الى التليفزيون ليستطيع تحقيق اهدافه بكفاءة اكثر

● وبنفس المنطق ضم التليفزيون اليه فرقة رضا للفنون الشعبية وانشا فرقة للباليه - ولم يكن المعهد العالى للباليه قد ظهر الى الوجود بعد - وانشا فرقة للموسيقى ، ثم فرقة للمسرح الاستعراضى واشترى لها مسرحا خاصا تعمل عليه ، هو مسرح البالوز

● بل انه ولعدة سنوات ، انشا فى اطاره مايمكن أن يسمى الآن وكالة أنباء تليفزيونية مصورة ، تسجل الاحداث الداخلية سينمائيا وترسلها بشكل منتظم الى اكثر من ثلاثين هيئة تليفزيونية عالمية ، مرفقا بها المعلومات الشارحة باللغات العربية والانجليزية والفرنسية .

● وأحس بان من واجبه أن يدعم العملية التعليمية رغم تحفظ كثيرين من المسئولين فى التعليم حينذاك فاخذ فى اذاعة برامج تعليمية مستلهما تجارب الهيئات التليفزيونية المتقدمة وهو مافعله أيضا فى مجال محو الامية ، وفى مجال التنمية الريفية وقام بالتعاون مع بعض الاجهزة المحلية بتوزيع اجهزة التليفزيون على الاماكن العامة فى القرى ليخلق نواة لما كان يسمى حينذاك اندية المشاهدة الجماعية .

وأحس التليفزيون بأن رسالته لا يمكن أن تكتمل الا اذا ضمن وصول هذه الرسالة الى أكبر قاعدة ممكنة من المشاهدين ، وهكذا استطاع بتعاطف

الدولة كما قلنا بل وتدليلها له ـ ان يفجر
ثين مازالا موضع دراسة الباحثين الاعلاميين ..

الاول هو اعفاء كل الاجهزة التليفزيونية المستوردة ، بل وكل مايلزمها من قطع الغيار ، وكذلك اعفاء كل مايصل إلى التليفزيون من معدات أو اشرطة أو افلام من أى رسوم جمركية ، باعتبار التليفزيون اداة ثقافية لابد ان تعمل الدولة على توفرها .

اما الحدث الثانى فكان اقامة صناعة لتجميع أجهزة التليفزيون فى مصر ، وضعت خطتها بحيث تتطور لكى تصنع الاجهزة ومستلزماتها كاملة ، وان تكون بداية لصناعة اليكترونية متعددة النشاط ، وقد ضمت هذه الصناعة ايضا الى التليفزيون ، مع احتفاظها بقدر من الاستقلال الداخلى شأنها فى ذلك شأن العديد من الانشطة الاخرى التى ضمت الى التليفزيون فى مجالات المسرح والسينما والفنون الشعبية وغيرها . واصبح التليفزيون كالمارد الاسطورى .
وسببت هذه الصورة السعادة والرضا للكثيرين ، ولكن آخرين اشفقوا من قوة هذا المارد وسطوته وجبروته ، وساورتهم الريب والشكوك

وكنا نحن العاملين فى التليفزيون سعداء بانتمائنا لهذا المارد الجبار ولكننا كنا ، أو كان بعضنا على الاقل ، يفهم ويقدر ماينتاب الآخرين من وساوس .. فلا احد يمكن أن يضمن أن يظل المارد عاقلا اليفا يبذل قوته الضخمة فيما ينفع الناس ، والا يغيب عنه العقل فينزل على رءوس الناس تخريبا

بين الفيديو والتليفزيون

وتعددت الاجتهادات بتعدد القيادات . ومرت السنوات تتلوها السنوات ، والكل مشغول بهذا المارد الاسطورى وكيف يمكن ان نضمن له استمرار العقل والانضباط .. وفى كل الاحوال فقد نزعت عنه كثير من اطرافه وقلمت اسنانه وأظافره وشل جانب كبير من حركته ، ومازال البحث يدور عن افضل السبل لكى نضمن له استمرار العقل والانضباط ..
وتتطور التكنولوجيا فى عالم الاليكترونيات ، وييسر الله الرزق للكثيرين من عباده فى مصر ، فيظهر على آرضنا الطيبة مارد جديد ينافس ماردنا الاسطورى والذى أخشى ان اسميه "القديم" ايضا ، ويبدأ الصراع بين الماردين ايهما يستحوذ على عقولنا وقلوبنا وينتزع عصارة عمرنا ..
هل تعود قصة الصراع بين الراديو والصحافة ، ثم بين التليفزيون والراديو .. لتتجدد بين الفيديو والتليفزيون ؟
اتمنى أن ينتهى هذا الصراع بنوع من التعايش السلمى بينها جميعا ، ولكن الدلائل لا تبشر بالكثير من الخير .
على ان الامر يقتضى **اعادة صياغة فكرنا تجاه التليفزيون .. او اعادة قراءة التليفزيون . اخذين من الماضى عبرة ، مستشرفين افاق المستقبل ومايمكن ان تتطور اليه تكنولوجيا الاتصال سواء فى مجال الفيديو او البث التليفزيونى المباشر عبر الاقمار الصناعية او غير هذا وذاك وهو كثير .. وذلك كله فى ضوء الاهداف العامة التى نريد تحقيقها .**



قبل أن أبدأ حديثى أود أن اقرر بعض الحقائق هى :

١ ـ اننى اتحدث كمصرى انتمى الى مصر واعتز بهذا الانتماء دون ماغلو فى وطنيتى أو تعصب لها . كما أتحدث ايضا كباحث علمى اجتماعى فى ميدان مهنة البحث العلمى الاجتماعى منذ فترة طويلة

٢ ـ واننى اومن ايمانا راسخا بأن المصالح تصنع المواقف ، وان المواقف بدورها تصنع النوايا نحو الآخرين . ونحن بشر أى ان كل أو معظم ما يصدر عنا من أنماط السلوك يكون فى ضوء ذلك .

٣ ـ أن الحكم على مدى تقدم المجتمع اى مجتمع يكون فى ضوء مستوى مكانة المرأة (بادوارها) فيه ومستوى مكانة اطفاله ومستوى حياة أعضائه فضلا عن سيادة تطبيق المنهج العلمى فيه والأساليب التكنولوجية التى يستعملها سواء كانت هذه الأساليب أساليب انتاجية أو أساليب خدمات (كأساليب الاتصال مثل أجهزة الاعلام والثقافة ومنها جهاز التليفزيون)

٤ ـ ان أجهزة الاتصال بالمعنى السابق أجهزة خطيرة ما فى ذلك من شك . والملاحظ انها لا تعمل وحدها من اجل تكوين المواطنين الصالحين او المواطنين غير الصالحين ، بل هناك أجهزة أخرى خطيرة او ربما أخطر منها مثل الأسرة والجيرة والمنظمة التعليمية والمنظمة الدينية ومنظمة شغل أوقات الفراغ والمنظمة السياسية ان وجدت .

٥ ـ ان خطورة أجهزة الاعلام والثقافة ان وجدت تنصب عادة على اطفال المجتمع وليست على الكبار (فى ضوء عدد السكان فى المجتمع المصرى التقديرى عن عام ١٩٨٥ نجد أن منهم نحو ١٦,١٪ أعضاء اقل من خمس سنوات ونحو ٢٥,٦٪ من سن خمس سنوات الى سن أقل من خمسة عشر عاما) وذلك لأن اعضاء المجتمع الكبار قد تكونت شخصياتهم . اما الاطفال والشباب الذين فى مرحلة المراهقة الأولى ، فإن شخصياتهم مازالت فى ضوء محدداتهم التكوينية والثقافية والاجتماعية والنفسية والعقلية مازالت فى دور التكوين .



المؤتمر الدولى للتليفزيون الذى عقد بالاسكندرية ١٩٦٢

٦ ـ ومن ثم فاننا نجد ان عطاء اجهزة الاعلام والثقافة (ومنها التليفزيون) للكبار يقتصر على امدادهم بالمعلومات والاراء ولكن هذه الأجهزة لا تغرس فى نفوسهم الاتجاهات التى تصدر عنها عادة انماط السلوك (المتوقعة وغير المتوقعة) اى ان المعلومات والاراء (التى تكون فى حاجة عادة الى الفهم والادراك) يجب ان تكون من ورائها قيم (التى تغرس عادة بالتربية) حتى تصدر انماط السلوك المشار اليها

ولا يخفى على القارئ، فى ضوء هذا التفسير . الفرق الشاسع بين الرأى وبين الاتجاه . فالرأى ان وجد عند الانسان هنا وكان مفهوما ومدركا يتغير عادة من حين لآخر على عكس الاتجاه فان تغييره ليس بالامر السهل فالمعلوم فى ضوء علم النفس الاجتماعى ان الاتجاه يكون تنظيما نفسيا مستقرا للعمليات الادراكية والمعرفية والوجدانية لدى الفرد . وهو يسهم فى تحديد الشكل النهائى لاستجابته الصادرة نحو الاشياء والاشخاص والمسميات المعنوية ، من حيث ان هذه الاستجابة استجابة بالاقبال او بالنفور.

٧ ـ ان العملية الاتصالية فى المجتمع المصرى فى ضوء انخفاض نسبه التعليم ثمة عامل من عوامل عدم كفاءتها وخاصة ما يتم منها عن طريق ادوات الاتصال الجماهيرى (ومنها جهاز التليفزيون) والملاحظ ان نسبة الامية فى ضوء تعداد عام ١٩٧٦ هى نحو ٥٦,٣٪ من سن ١٠ فاكثر

والملاحظ ايضا ان تعريف الامى فى ضوء قانون ٧٦ لسنه ١٩٧٠ هو

" كل مواطن يتراوح عمره بين سن ١٨ وسن ٤٥ وغير مقيد فى اية مدرسه ولم يصل تعليمه الى نهاية الصف الرابع الابتدائى "

والملاحظ ان " الامية الوظيفية " هى الاساس الفعلى للمشكلة . ولاسيما بعد ان تاكد جدواها بالنسبة للدول التى تنظر الى هذه المشكلة نظرة واقعية جادة خالية من اية مجاملات سياسية وتعرف " منظمة اليونسكو " الامية الوظيفية بأنها

عدم الالمام بالقراءة والكتابة على النحو



(بالمستوى) الذى يمكن الفرد من ممارسة الأنشطة التى تتطلب معرفة القراءة والكتابة بما فى ذلك توسيع معارفه ذاتيا (أى تعليم نفسه) اذا ما اقتضى الامر ذلك " .

واذا سلمنا بأن الأمية المطلوب القضاء عليها هى الأمية الوظيفية كما جاء فى التعريف السابق فان نسبتها تزيد بالقطع على نحو ٥٦,٣٪ وفق تعداد عام ١٩٧٦ كما ذكر آنفا ، لتصل الى نحو ٨٥٪ تقريبا (على حساب ان الامى هو من لم يكمل دراسته بنجاح حتى السنة الرابعة الابتدائية) أى ما يعادل ١٧ - ١٨ مليون مواطن . ويقدر الآن هذا العدد المطلق من الأميين وظيفياً بما يقرب من ٢٠ - ٢١ مليونا بالنسبة لمن يزيد سنهم على ١٢ - ١٣ سنة (قدرت هذه الأرقام على أساس تقرير المجلس القومى للتعليم والبحث العلمى والخاص بالاستيعاب فى المرحلة الالزامية بالتعليم العام ١٩٧٩) .

٨ - وفى ضوء نتائج دراسة لاحدى قرى الريف المصرى القريبة من المدينة اتضح ان تعرض الغالبية من الريفيين الذين تنتشر بينهم الأمية لأجهزة الاتصال الجماهيرى ومنها جهاز التليفزيون منخفض فقد تبين ان نسبة من يمتلك جهاز التليفزيون من الاميين نحو ٣ر٣٪ ومن لا يمتلك نحو ٧ر٩٦٪ ، اما من يمتلك هذا الجهاز من غير الاميين فقد بلغت نسبتهم نحو ٧ر٦٦٪ ومن لا يمتلكون نحو ٣ر٣٣٪ . وقد يعود هذا الاختلاف الى الأوضاع الاقتصادية التى غالبا ما ترتبط بالحالة التعليمية لعضو المجتمع ، فضلا عن تباين الاهتمامات نحو الاتصال بالعالم الخارجى وسبل تحقيق ذلك ، والتى توجدها بين الاميين وغير الاميين

ولايعنى عدم امتلاك جهاز التليفزيون ان يحرم من لا يمتلكونه من مشاهدة برامجه فى المقاهى أو الاندية الاجتماعية والثقافية (منظمة شغل أوقات الفراغ مثلا) والملاحظ ان المقاهى على الرغم من وجود جهاز التليفزيون ، فاننا نجد عدم الاهتمام بمشاهدة برامجه الا أن يكون ضمنها " مباراة كرة قدم " أو مسلسل " ذو مغزى محبب " لدى رواد المقهى أو بعضهم .

وفى ضوء نتائج بحث أجريته على بعض المشاهدين لاحد الافلام المصرية المعروضة على شاشة جهاز التليفزيون ، وكانوا فريقين فريق كل اعضائه من الاميين (الذين لا يعرفون القراءة والكتابة) وأعضاء الفريق الثانى من طلبة المدارس الثانوية الفنية . وقد لاحظت تضارب أقوال أعضاء الفريقين فالاميون وكانوا من الشبان كانوا يرون ما يتمنون أن يروه على عكس الشبان الاخرين من الطلبة فقد استوعب الاخيرون مغزى الفيلم وأهدافه مع اختلاف فى بعض التفاصيل

وفى ضوء كل ما سبق نتبين خطورة أجهزة الاتصال الجماهيرى فى مصر ومنها جهاز التليفزيون . فقد اكدت هذه الأجهزة ان " الفرد " فى عالم اليوم لا يمكنه بالخبز وحده ان يعيش انسانا والملاحظ ان منظمة الامم المتحدة قد اهتمت منذ تأسيسها بالاعلام والاتصال ، فالمادة التاسعة عشرة من الاعلان العالمى لحقوق الانسان الصادر فى عام ١٩٤٨ نصت على أنه .

" لكل شخص الحق فى حرية الراى والتعبير ، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أى تدخل واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها واذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية "

ويلاحظ انه قد جاء فى ديباجة الشرف الصحفى الدولى الذى وضعته لجنة حرية الاعلام التابعة للمجلس الاقتصادى

والاجتماعى فى دورتها الرابعة عشرة مى عام ١٩٥٢ ما يلى :

" ان حرية الاعلام والصحافة حق اساسى من حقوق الانسان ومحك لجميع الحريات التى ينوه بها ميثاق الأمم المتحدة وينص عليها الاعلان العالمى لحقوق الانسان ، فهى عامل جوهرى يتطلبه التقدم فى سبيل التوفيق وصون السلام "

والملاحظ ان منظمة الامم المتحدة قد بادرت بالاهتمام بجهاز التليفزيون (كاحد اجهزة الاتصال اى الأعلام والثقافة) الذى بدا تسويق معداته فى نهاية الحرب العالمية الثانية . وإن كان أول ارسال تليفزيونى منظم كان قد بدأ فى فرنسا فى عام ١٩٢٣ . وبدأ التليفزيون العربى ببغداد فى عام ١٩٥٨ ، وفى بيروت فى عام ١٩٥٩ . وفى القاهرة فى عام ١٩٦٠ .. وعقد المؤتمر الدولى للتليفزيون فى الاسكندرية فى عام ١٩٦٢ .

ويرى البعض ان جهاز التليفزيون المصرى بعد اقامته بيننا قرابة ٢٥ عاما عايش فى خلالها بستة ملايين اسرة والسجلات الرسمية لا تذكر عدد الاجهزة المنتشرة فى ربوع الجمهورية المصرية العربية من اقصاها الى اقصاها وان اعترفت باهمية جهاز التليفزيون وخطورة تاثيره ، وذلك كما تقول السجلات الرسمية انه .

" قناة الاتصال الوحيدة التى اجتمعت لها كافة الميزات التى انفردت ببعضها قنوات الاتصال (كالسينما والمسرح والاذاعة الخ) ..... واذا كانت المجتمعات الحديثة فى الدول المتقدمة حضاريا ، قد تنبهت الى اهمية " التليفزيون " واهمية ما يتمتع به من خواص متميزة جعلته فى مقدمة قنوات الاتصال ، واذا كانت هذه الدول المتقدمة ذات المستوى الحضارى المرتفع قد عملت على الاستفادة من امكانات التليفزيون واستغلاله فى كافة مجالات الحياة ، بدءا من الاعلام والتثقيف والترفيه ، وانتهاء باستخدام الدوائر التليفزيونة المغلقة فى مجالات التعليم بكافة مراحله وفى مجالات التدريب المختلفة ، فان المجتمعات الاخذة حديثا باسباب الحضارة فى الدول النامية اكثر حاجة الى الاستفادة من امكانات التليفزيون .. "

وقد تاكد اهتمام الدولة بجهاز التليفزيون انها تعرض الانتاج التليفزيونى بانواعه وانماطه ومجالاته عن طريق قناتين . وفى خلال عام ٨٣/ ١٩٨٤ قدم جهاز التليفزيون المصرى ٩٣٣١ ساعة و ٣٤ دقيقة ، بمتوسط يومى بلغ ٢٥ ساعة و٢٩ دقيقة .. يخص القناة الاولى نحو ٨٧ر ٥٣٪ والقناة الثانية نحو ١٣ر٤٦٪ ، بمتوسط يومى للقناة الاولى ١٣ ساعة و ٤٤ دقيقة و١١ ساعة و ٤٥ دقيقة للقناة الثانية .

والملاحظ ان البرامج التى يقدمها جهاز التليفزيون المصرى فى خلال ساعات الارسال برامج شتى منها الدرامى والثقافى والترفيهى وخدمات موجهة وسياسى ودينى وتعليمى واعلانات تجارية فضلا عن برامج الطوائف وقد تضمنت هذه البرامج ما يخص الاطفال والشباب

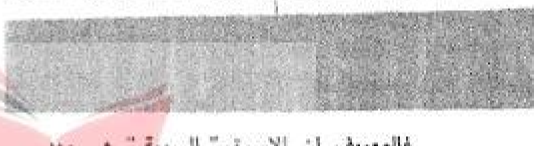
ولا جدال فى أن انتشار اجهزة التليفزيون وبخاصة فى الفترة الأخيرة ، بجانب استخدام اجهزة التليفزيون " الملون " قد صرف عددا كبيرا من الأطفال (وغيرهم من الشباب والكبار) عن متابعة الاذاعة فى الراديو ، خاصة بعد كهربة الريف ، ووصول الارسال الى القرى

واذا تحدثنا عن علاقة جهاز التليفزيون المصرى بما يبثه من برامج بتنمية الأطفال ، فإن هذا الجهاز له علاقة هامة بتنمية الوعى لدى الكبار الراشدين فيما يتعلق بضرورة تثقيف الأطفال وبوسائل هذا التثقيف وصوره وبكيفية المفاضلة بين هذه الوسائل

ان قضايا الطفل المصرى خطيرة وهامة وتحتاج الى الاهتمام الواعى من الدولة ومن جماعات الاسرة وغيرها من الجماعات







فالمعروف ان الاسرة " السوية " هى مهد الضمير الانسانى ، اى انه لا يمكن لانسان ما وحده ان يكون لنفسه ضميرا ، وانه يحتاج بالضرورة الى الجماعة " السوية " لتكوينه له . أى ان الادراك الخلقى تنبت جذوره فى حياة الاسرة مع ملاحظة أن اجهزة التنشئة الاخرى اصبحت تشترك فى تكوين هذا الادراك ومن هذه الأجهزة كما سبق أن أوضحنا أجهزة الاعلام والثقافة ومنها بالضرورة جهاز التليفزيون .

والملاحظ ، وهذا كلام معاد تحدث فيه الكثيرون ، أن مجتمعنا المصرى المعاصر فى ضوء ظروفه الثقافية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية يئن من أدواء ومشاكل عديدة تقف فى سبيل تنميته ومنها بالضرورة مشاكل الشباب وقضاياه . واعيد كلام الآخرين مرة اخرى وأقول ان هذه الادواء والمشاكل تجعل من مجتمعنا مجتمعا متخلفا . ومن ثم فإنه من العسير ان يقوم المجتمع بفئاته وقادته بالتنمية المرجوة . واقصد بفئات المجتمع المصرى المعاصر هنا أهمها ، اى فئة الشباب الذين فى فئة العمر من سن ١٥ الى سن اقل من ٣٠ سنة الذين بلغت نسبتهم فى ضوء عدد السكان التقديرى فى عام ١٩٨٥ ، نحو ٢٧٪ من سكان الجمهورية فالشباب هم حملة مشاعل التنمية ، اى أن التنمية بهم ولهم ولمن يأتى بعدهم من اجيال .

والملاحظ اننى لا أوافق أبدا على اتهام اجهزة الاعلام والثقافة ومنها جهاز التليفزيون ، وحدها بأنها سبب ضياع اعضاء المجتمع المصرى المعاصر وبخاصة الشباب منهم . صحيح أن هذه الأجهزة كما سبق ان ذكرت تؤثر على أطفال المجتمع وشبابه في سن المراهقة الأولى ، بمعنى أنها قد تغرس فيهم بعض الاتجاهات التى تنفر منها اهداف قيم المجتمع المصرى الايجابية .. ولكنها اى هذه الأجهزة لاتمد اعضاء المجتمع الاخرين الابمجرد معلومات وآراء . ونجد كما سبق ان لا حظنا ان الاميين في مجتمعنا لا يفيدون كثيرا أو قليلا من برامج أجهزة الاعلام والثقافة ومنها جهاز التليفزيون ، وأن هؤلاء الاميين وبخاصة ممن يعانون من الامية الوظيفية قد يصيبهم الضرر المعنوى مما يسمعونه أو يرونه ويسمعونه ، فهم لا يرون ولا يسمعون فى ضوء ظروفهم الا ما يتمنون ان يروه أو يسمعوه !

وانني ارى بحق ان المسئولين عن جهاز التليفزيون المصرى بل وعن أجهزة الاعلام والثقافة في الجمهورية ، رجالا كانوا او سيدات او انسات ، يعتبرون من القادة الثقافيين في المجتمع المصري المعاصر

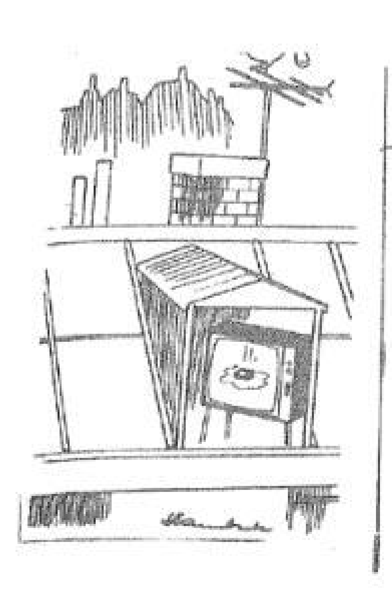
والملاحظ ان عملية بناء مجتمعنا الجديد هى عملية جذرية وشاملة ، اى أن زواياها عديدة تتضمن البناء الاجتماعى والبناء الاقتصادى والبناء السياسى والبناء الايديولوجى او الثقافى غير المادى جميعا وتعنى هذه

العملية مواجهة الكثير من التحديات . وليست هذه التحديات هي فحسب ، تحديات عمليات الانتاج ورفع مستوى المعيشة وارساء التنظيم السياسي الوطني ، وغرس مبادىء الديمقراطية بانماطها وانواعها (الثقافية والعلمية فضلا عن السياسية مثلا) ، ومواجهة اعداء الوطن في الخارج وفي الداخل ، وتطبيق قواعد العدالة وتكافؤ الفرص ، بل هي ايضا خلق المناخ الثقافي الاجتماعي ذو الأهداف الايجابية الذي في ظله يمكن أن تواجه كل هذه التحديات . انما في سبيل الحاجة الى تطهير المتناقضات الثقافية الاجتماعية في مجتمعنا المصري المعاصر ، والى التخفيف من حدة الوان الصراع الناشيء عنها . ولن يفعل ذلك سوى القادة الثقافيين المصريين (ومنهم بالضرورة القادة الاعلاميون جميعا وبخاصة قادة جهاز التليفزيون المصري) . وانني ارى ان تطهير المتناقضات الثقافية الاجتماعية والتخفيف من حدة الوان الصراع الناشيء عنها ييسران بالضرورة وضوح الرؤية عند اعضاء مجتمعنا المصري المعاصر (اطفالا كانوا او شبابا او كبارا) ، وان وضوح الرؤية يعني تيسير بذر بذور الاستعداد للتغيير الى الأفضل ، وعلى هؤلاء القادة ان يجندوا جماهير الشعب في سبيل مواجهة المشاكل القومية ومنها مكافحة الامية ومكافحة تعاطي المخدرات بانواعها وتهريبها والاتجار فيها ومنها مواجهة مشكلة السكان وغيرها من المشاكل القومية . ان تجنيد جماهير الشعب وبخاصة من كانوا من فئة الشباب كما حددتها الدراسة الحالية يعني قيادتهم وقيادة هؤلاء تعني الاتجاه بطاقاتهم نحو العمل الصالح . والمعروف ان العمل الصالح هو شرط الوجود الانساني ، والتحديات التي يواجهها المجتمع المصري المعاصر يمكن بالقيادة المخلصة والقدوة الصالحة واختيار الهدف او الأهداف وتيسير المشاركة في هذا الاختيار والاسهام في اصدار القرار - يمكن ان تواجه وان توجه في سبيل تحقيق الآمال المرجوة .

فالصحراء ، مثلا ، لن تخضر دونما عمل بناء قادر واع يتفجر بالضرورة في ضوء وضوح الرؤية عند اعضاء مجتمعنا والصحراء . مهما رددنا ان تخضر وحدها أو لمجرد اننا نفوت عليها !

والمعلوم انه في ضوء العلم لاشيء مطلق وجهاز التليفزيون يمكن ان يفيد ويمكن ان يضر ولعله ان يفيد من يمارسون بث برامجه كمصدر للرزق والشهرة . ولعله أن يضر بأن يدمر طاقات الشباب المصري او يزيف اهداف الحياة المشرقة التي يرنون إليها . ولعل برنامجا يبث مباراة لكرة القدم مثلا أن ييسر على رجال شرطة المرور اعباءهم ولعل نفس البرنامج يبث ايضا ما تنفر منه اهداف قيم مجتمعنا الايجابية ومثله العليا ومن الظلم الفادح ان نلقي العبء على أجهزة الاتصال الجماهيري ومنها اجهزة الاعلام والثقافة التي تتضمن جهاز التليفزيون . فنحن جميعا نتاج مجتمعنا الصد نتاج اجهزة التنشئة الاجتماعية التي توجد عادة فيه . وكل مجتمع يستحق المواطنين الصالحين يصنع بالضرورة مجتمعه واذا صلح المجتمع صلح اعضاؤه وكذلك ، في الوقت نفسه اذا صلح أعضاء المجتمع صلح المجتمع .

ولعل الحل الامثل لتكوين المواطن الصالح المصري أن نعمل على تحديد سماته التي يرى المجتمع المصري في الوقت الراهن ضرورة التحلي بها في ضوء محددات شخصيته سواء كانت هذه المحددات تكوينية او ثقافية اجتماعية او نفسية عقلية . على ان تعمل اجهزة التنشئة الاجتماعية المشار اليها متضامنة في ظل سياسة قومية تتوفر لها الامكانات المادية والبشرية من أجل غرس السمات . التي تمت الموافقة عليها ، في نفوس أعضاء المجتمع وبخاصة الاطفال منهم والشباب .

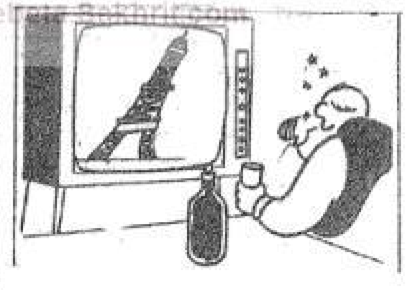




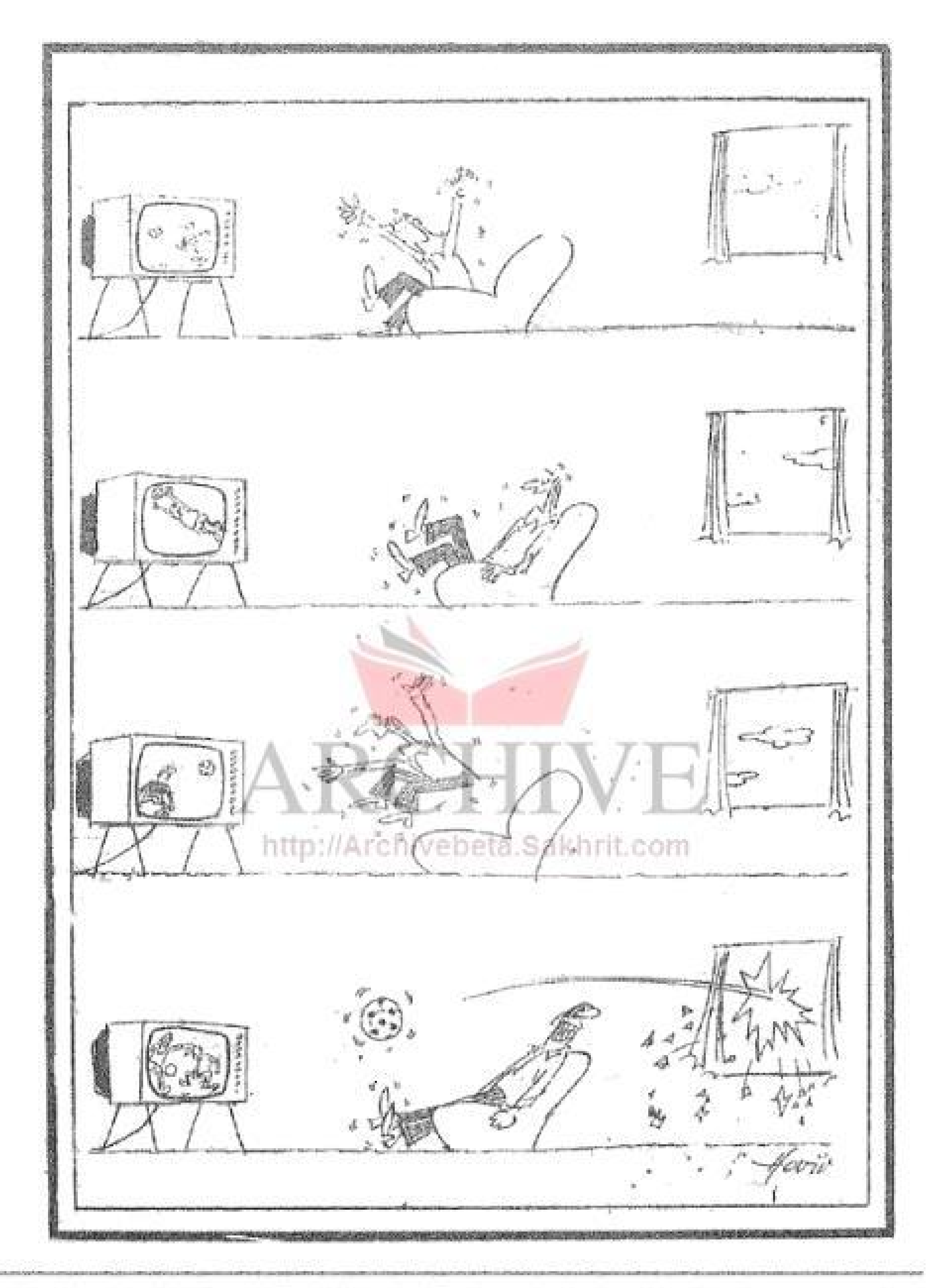
كاريكاتير







● بدون تعليق ●







بقلم : الدكتور سيد الناصرى

نحن نعيش فى عالم متغير يلهث كل يوم وراء الجديد والمثير فى عالم الابتكارات ، وفى نفس الوقت ضاق وقت الفراغ الذى كانت تستمتع به الأجيال السابقة ، واصبحت طبيعة العصر المادية هى السرعة والتسابق ، ولاوقت للفراغ من أجل الثقافة . وفى بلاد كبلادنا ذات تراث عميق وعريق هو أعز ماخلفه لنا الأجداد ، أدارت الأجيال الجديدة اللاهثة وراء الكسب المادى ظهورها لذلك التراث الثقافى فبدأت همزة الوصل بين المواطن وتراثه الثقافى تبتعد رويدا رويداً ، وفى نفس الوقت فان التغير الأجتماعى الذى حدث فى المجتمع المصرى فى السنوات الأخيرة ، جعل فئات من المجتمع تطفو على سطح المجتمع وتملك المادة والمال ، دون أن تكون قد نالت قسطا عاليا من الثقافة يتناسب مع دخولها المادية وبالتالى فرضت هذه الطبقة الجديدة مزاجها الفكرى المتدنى على المسرح والسينما بل حتى على الأغنية والموسيقى . فأصبحنا مهددين من كل جانب بانحسار المد الثقافى . واذا كانت الوسائل الثقافية فى السينما والمسرح يتحكم فيها القطاع الخاص ، والقطاع الخاص يعمل الف حساب وحساب للجمهور العوام لكى يلبى مزاجه المتدنى فى كلمات الأغنية وفى موضوعات الافلام وفى لغة حوار الممثلين فان على الدولة بصفتها المسئولة امام الله وأمام التاريخ أن تتدخل لحماية التراث الاصيل من الثقافة المتدنية واذا كنا نطلق الحريات للمفكرين والعاملين فى مجال الثقافة لكى يبدعوا دون أن نحُول هذه المؤسسات الخاصة لحظيرة الدولة مما ينتج عنه سلبيات التعقيد البيروقراطى وقتل الابداع الفكرى فان الحل الوحيد هو الحرية مع الرقابة الرشيدة وأن تكون الثقافة هادفة لصنع مواطن راق ثقافيا يتناسب مع التطلع الجديد لبناء الدولة الراقية التى نطمح فى بنائها ، فالثقافة هى الركن الرابع للدولة بعد القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية ولما كان التليفزيون ذلك الجهاز المثير الذى فرض

نفسه على كل بيت فى مصر ، وهو الجهاز الذى رغم كل مايقال عنه ـ هو الوسيلة التى افراد الأسرة من صغيرها الى كبيرها حوله والذى قد اعاد للاسرة المصرية شملها وبالتالى فقد اصبح التليفزيون اكثر تاثيرا من الكتاب والصحافة على الناس فالمواطن الذى يعود الى بيته مرهقا بعد عناء يوم شاق يجد سلواه فى هذا الجهاز العجيب ومن ثم فهو اداة التأثير الاولى على جماهير الشعب فكريا وسياسيا ، فهو الجهاز الذى يقدم للفلاح فى القرية النائية ولأرباب الحرف فى قاع المدينة القيادات السياسية لتتحدث وتشرح وتوضح وتناقش ، ومن ثم فان الديموقراطية المباشرة التى وهى اسمى انواع الديموقراطية يمكن ان تحقق عن طريق التليفزيون ومن ثم فان الدور الأول الذى يجب ان نهتم به هو دور الثقافة السياسية للمواطنين بحيث يعرف المواطن خطط الدولة واهدافها وقضاياها والحلول المقدمة ، ومدى مشاركة المواطن فى حل هذه القضايا السياسية ، وكذلك القضايا العالمية بصورة مبسطة سهلة وليس بالشكل الذى نراه فى بعض البرامج الأخبارية . وان كانت نشرات الأخبار قد تطورت بحيث اصبحت نافذة على العالم لكن تطويرها الى الأفضل يظل احد عوامل تنشيط الثقافة السياسية للمواطنين

والمجال الثقافى الذى يمكن للتليفزيون ان يقوم بدور هام فيه هو تعريف المواطن بوطنه جغرافيا وسكانيا . فبلادنا ولله الحمد متنوعة المناطق والسكان بدءا من سيناء ، والوادى بشماله وجنوبه ، والواحات ، هذا التعريف بأجزاء الوطن وسكانه يخلق حصيلة من المعرفة عند المواطن حول وطنه ومدنه وسكانه ، ويوحد من افكارهم فيقضى على العزلة الاقليمية التى تباعد بين اجزاء الوطن الواحد ان المعرفة الجغرافية والاجتماعية ركيزة اساسية لتكوين المواطن المثقف فلا يعقل مثلا الا نعرف محافظات مصر الا من خلال الكتب الدراسية النظرية التى يقرؤها ابناؤنا وسرعان ماينسوها . ان التليفزيون يستطيع ان يخلق جوّا من التعايش النفسى من اقاليم مصر ولهذا فإن اقتراح عمل إستوديوهات للتليفزيون فى عواصم المحافظات بات امراً ملحا ، فليس من المعقول أن يشاهد المواطن حادثة فى الهند ولايشاهد حادثة فى مدينة مصرية فى إحدى المحافظات . ان هذه الأستوديوهات الأقليمية سوف تربط المواطنين فى مختلف المحافظات ، فنعرف التراث الشعبى المتنوع وهو جزء اساسى لربط المواطن بأجزاء وطنه فضلاً عن اعطاء دفعة لمحافظات مصر للاحساس بتواجدها واشعارها بانها ليست مناطق ثانية تتفضل عليها القاهرة بما تشاء . وكما يتوجب على التليفزيون ان يربط بين اجزاء الوطن وينمى المعرفة الجغرافية لدى المواطنين ، فان على التليفزيون ايضا ان يربط بين الوطن والعالم ، فنحن جزء من العالم . وبالطبع لابد ان نبدا فى تعريف المواطن بعالمنا العربى الذى نتعامل معه ، ونحن جزء منه فنعرف المواطن على الأقطار العربية وعاداتها وثقافاتها المحلية ، وان يتم التبادل الفكرى بين اجزاء الوطن العربى عن طريق تبادل البرامج عن طريق الأقمار الصناعية ، خاصة وان القمر العربى « عربسات » قد أصبح حقيقة . ويلى معرفة المواطنين بالعالم العربى معرفة



المواطنين بالعالم الأفريقى وظروفه وقضاياه فنحن جزء من أفريقيا ، وفى نفس الوقت تعرفه على باقى اجزاء العالم . فالمواطن فى حاجة ماسة للانفتاح الفكرى على العالم الذى اصبح بفضل ثورة الاتصالات بيتا صغيرا .

تلك هى الخطوة الثقافية الهامة ، فهى ثقافة جغرافية ومعرفية وهى فى نفس الوقت معرفة عملية نافعة ، وترفيهية ثقافية .

والخطوة الثالثة فى كيفية معالجة قضية الثقافة عن طريق التليفزيون هى تثقيف المواطن بتاريخه القومى ، فالتراث القومى هو الأرض التى تمتد داخلها جذور المواطن ، وكلما كانت الأرض صالحة كان النبات مثمرأ وحسناً فهذا الجيل يجب ان يعرف أنه حلقة تربط بين جيل مضى وجيل آت فنقدم له منجزات الأجيال التى سبقت ونبين له كيف جاهد الأجداد وقاتلوا من اجل أن يحققوا له ماهو حاصل لديه . ونوحى اليه بماذا سيقدم هو للأجيال القادمة من تراث خالد ، ولاشك أن ذلك سوف يكون باعثا للابداع وشحذ الهمم . وتاريخنا عريق ومتنوع وتتمثل فيه كل القيم والمثل ، ولهذا فأن مسرحة التاريخ فى شكل محبب مقبول مجال لابد ان نعتني به ، ويقوم به التليفزيون واننى أحلم باليوم الذى نقدم فيه تاريخ مصر مسلسلا ، كما فعل التليفزيون الفرنسى فى مسلسله الشهير عن الثورة الفرنسية وماقام به التليفزيون البريطانى عن تاريخ انجلترا أن إحياء المسلسلات التاريخية فى شكل ثقافى ترفيهى خال من الدس والاساءة سوف يؤدى الى خلق الكبرياء الوطنى ، والمعرفة القومية التى تزيد من إنتماء المواطن بوطنه وتراثه ، وترفع من درجة ثقافته التاريخية .

واذا ماتركنا مجال معالجة الثقافية التاريخية القومية فان على التليفزيون أن يهتم بالثقافة الادبية والفكرية فنقدم ادباءنا الخالدين ونمسرح اعمالهم ، ونقدم سيرة حياتهم وكفاحهم ثم نقدم ادباءنا وشعراءنا المعاصرين ونعرض اعمالهم ونوضح افكارهم وكذلك نقدم الجيل الجديد من الادباء بنفس الاهتمام الذى نقدم بها الجيل الماضى والجيل الحاضر لكى تتحقق الوحدة الفكرية بين الأجيال . ان إهتمامنا بشوامخنا الفكرية يجب الا يقل عن إهتمامنا بالممثلين والفنانين وهو شىء يؤخذ بشدة على المسؤلين عن برامج التليفزيون حتى اصبح اغلب مايطل على الشاشة هو الترفية الرخيص ، فالتليفزيون يهتم بطبقة الممثلين والفنانين ويحتفى بهم اكثر مما يحتفى بالعلماء والمثقفين العظام حتى حدى بنا الامر ان يجعل تاريخ مصر العظيم هو تاريخ الراقصات ! . اننا لا ننكر الدور الذى يقوم به الفنانون من ممثلين وموسيقيين ولكن ليست الثقافة محصورة فى هذه الطبقة . ولو أمكننا الجمع بين اعلام الثقافة واعلام الفن والتقريب بينهما نكون قد حققنا حلاً وسطاً يرضى الجميع . لكن الأسلوب المتبع حاليا أسلوب يغرق المواطن بأهمية الفنانين دون أن يعرف المواطن شيئا عن العلماء العاكفين فى ابحاثهم وتجاربهم

بعيدين عن الأضواء . ومن ثم يجب أن يعاد النظر في خريطة البرامج بحيث يكون هناك توازن بين المعرفة الجادة والثقافة الرفيعة ، وبين الترفيه الفني والا نغالب طرف على آخر . إن مقارنة بسيطة بين ما يعرض في التليفزيون المصري والتليفزيون الفرنسي او البريطاني أو حتى في بعض تليفزيونات البلدان العربية ليوضح كم نبالغ نحن في الترفيه والاهتمام بالفنانين ، حتى أصبحوا هم نجوم المجتمع وقادته والقدوة التي يتطلع اليها قطاع كبير من شبابنا . ان من واجب التليفزيون ان يثقف الناس قبل أن يفكر في ترفيههم ، حتى الترفيه يجب ان يكون بعيدا عن الابتذال والأسفاف لأن ما يعرض على شاشة التليفزيون تشاهده ملايين الأسر المصرية التي يجب أن نحترم مشاعرها وتقاليدها والتي يجب أن نشركها معنا في التفكير والأبداع ، ولانكتفي بإغراقها في الخيال الترفيهي الخامل بل يجب أن تكون الثقافة الراقية هي المنظور الذي من خلاله نعرض المواد الترفيهية .

ان مشروع قناة ثالثة تختص بالثقافة الرفيعة تجمع بين روح البرنامج الثاني في الاذاعة والبرنامج الموسيقي بالاضافة الى اذاعة محاضرات من داخل مدرجات الجامعة ، واذاعة مناقشة الرسائل الجامعية ذات الموضوع الذي يهم المجتمع وثقافته ومشاكله اسوف يعطي دفعة قوية لعملية تنشيط ومعالجة قضية الثقافة عن طريق التليفزيون . ويجب ان يوضع في الاعتبار عنصر التشويق حتى لا ينفر المشاهدون منها باعتبارها ثقافة دسمة مملة . وفي البلاد الاوروبية توجد جامعات على الهواء ، كما يجب ان تضم البرامج التعليمية الى هذه القناة الجديدة ، ويراعى الدقة في اختيار برامجها والمشرفين على اعداد وتنفيذ هذه البرامج . ومن عناصر التشويق تطعيم هذه القناة الثقافية ببعض البرامج المحبوبة وذات المستوى الراقي مثل نادي السينما وماشابهه . كذلك يراعى في هذه القناة استخدام اللغة الفصحى الراقية بقدر الأمكان مع الدقة المتناهية في قواعد اللغة العربية .

كذلك فان التليفزيون في مقدوره اعادة إحياء التراث الخالد بشكل جديد معاصر عن طريق تشجيع كتاب السيناريو الممتازين على تناول هذه الروائع الخالدة ، ووضع حوار لها يتناسب مع وقارها ويا حبذا لو سبقه عرض هذه الروائع نبذة موجزة عن حياة المؤلف لتذكير الجمهور به وبأعماله . اما ان نشوه هذا التراث كما يحدث حاليا بسرقته ثم تقديمه بصورة ممسوخة تدعو للاشمئزاز . فعندما كتب عبد الحميد جودة السحار مثلا عمله العظيم محمد رسول الله تناوله المرحوم الشاعر عبد الفتاح مصطفى بشيء من التصرف لكنه لم ينكر أن المؤلف هو السحار لكن اليوم نشاهد جهارا نهاراً للمرة الثانية عمل السحار مسروقا وقد وضع مؤلف آخر اسمه عليه بكل بساطة مما الحق الاهانة الكبرى بالعمل العظيم الذي قدمه السحار . وكثيرا ما اتعجب لماذا لا يتكلم المثقفون عن عملية التشويه التي تتم للتراث من خلال هؤلاء المؤلفين المحدودي الثقافة ، والمخرجين الذي يرسمون لنا صورة مشوهة لأجدادنا العظام لا تعبر عن اى



إحترام أو تقدير أو معرفة بالمناخ الحضارى الذى تمت فيه الأحداث ، والمثل على ذلك التى رأيت ستائر حديثة فى القصور الفرعونية !! وكذلك أطقم كراسى معاصرة وستيل . ان سكوت النقاد خوفا من سطوة المؤلفين وتحالفاتهم المصلحية ، وفرض نفوذهم على من يحتكرون عملية النقد التليفزيونى يجعل اصحاب الرأى يفضلون اراحة انفسهم من السب والقذف الذى سوف ينهال عليهم لو عبروا عن رأيهم ، ومما يثير الاشمئزاز ان يخرج هؤلاء الصحفيون المتسلطون على برامج التليفزيون بالمديح والثناء على هذه الاعمال الممسوخة ولقد اشتكى كاتبنا الكبير عبد الرحمن الشرقاوى من هؤلاء النقاد الذين يفرضون انفسهم على برامج التليفزيون ويعتبرون التليفزيون مزرعة خاصة حكرا عليهم والبرنامج الذى لايستفيدون منه ينهالون عليه نقداً وتقريظا والعكس صحيح وذلك جانب واحد من جوانبه المعوقات الثقافية ، والتشويه الفكرى لتراثنا العظيم .

اذا اردنا ان نعالج قضية الثقافية عن طريق التليفزيون فان علينا ان نضع المثقفين على رأس أجهزة التليفزيون وانى لاتعجب اين مجلس الأمناء وما دوره . ان مجلس الأمناء يفترض فيه الاشراف على الخريطة الفكرية والثقافية للتليفزيون على نمو مايقوم به مجلس امناء الاذاعة والتليفزيون البريطانى فلا يقبل برنامج إلا بعد دراسة أهدافه كذلك فان وجود لجنة ثقافية تعرض عليها كافة الأعمال للبت فيها ومتابعتها وتصحيحها وتنقيتها حماية للثقافة من التشويه امر الناس ، ولكن الذى يحدث فى التليفزيون غير ذلك فلست ادرى كيف تسمح بمثيل هذه الأعمال التافهة ان تظهر على شاشة التليفزيون وانى لاتنبأ فإن بعض هذه الأعمال التافهة سوف تحصل على جوائز بفضل اداء هؤلاء النقاد لدورهم فى المديح والنفاق .

الذى لاشك فيه ان لمجلة الاذاعة والتليفزيون دور كبير فى مراقبة مايعرض لو اقامت من نفسها محاميا وراعيا وان يكون صوت هذه المجلة مسموعاً لمدى المسؤلين عن شئون الثقافة .

ان الذين يعتقدون ان الثقافة هى الشعر والشعراء والادب والادباء لمخطئون . ان الثقافة هى المعرفة فى كل فروع الحياة بدءاً بالوطن وانتهاء بالعالم الكونى واى عمل يتناول اى جانب من الفكر بطريقة نظيفة هو عمل ثقافى وكما بينت ان القضايا الثقافية متنوعة المجالات والتخصصات ولذلك فأن تشجيع المسابقات الثقافية بين طلاب المدارس أو بين ابناء المحافظات او بين النوادى الأدبية أو الأفراد من أهم الجوانب التى تساعد وتنشط المعرفة الثقافية لدى الجماهير خاصة لو احسن اختيار مقدمى هذة البرامج واجزل العطاء للمتفوقين والفائزين ، وان اقامة المهرجانات الثقافية والرياضية بين اقاليم مصر سوف ينشط التبادل العسكرى بين المحافظات

وهناك موضوع اريد ان اثيره وهو الخلط المشترك بين الفنانين بين البرامج

والمنوعات والافلام الاوربية يجب ان نفصل بين الثقافتين الاوربية والعربية فتكون القناة الاولى قناة عربية بحتة كما هو الحال فى القناة الأولى فى التليفزيون البريطاني . بينما تتحول القناة الثانية الى قناة للبرامج والمسلسلات الاوربية ويكون امام المواطن حرية إختيار مايريد مشاهدته . لأن عملية الخلط الثقافي يؤدى الى خلخلة فكرية او يقال من شأن ثقافتنا التى يجب ان تكون قاعدتها القناة الأولى . اما عن تخيلى القناة الثالثة فهى للروائع الموسيقية والمسرحية على نهج اذاعة ام كلثوم (كما كنا نسميها قديما) روائع تعرض بدون إزعاج من مقدم او مذيع وفى ساعات محدودة من اليوم .

إن العناية بالافلام التسجيلية الثقافية لمن اهم العوامل التى تنشط الجوانب الثقافية . وهذه المواد كثيرة وتعرض للبيع رخيصة بعضها يتناول مدن العالم ، والتعامل مع الكومبيوتر . وبعضها يتناول سلوك الحيوانات وبرامج النزول على القمر . هذه المواد تقوم شركات عالمية بانتاجها وتعريفها وبيعها . وهى موضوعات ثقافية بحتة وبالتالى فان الاكثار من عرض هذه الافلام التسجيلية سوف يحقق المتعة الترفيهية والمعرفة الثقافية فى ان واحد لأن اغلبها أخرج بطريقة فنية رائعة فضلا عن ان هذه الأفلام التسجيلية الثقافية اقل تكلفة من انتاج مثيلات لها محليا وهى فى متناول الجميع

هكذا يتضح ان على جهاز التليفزيون ان يشرف على تنشيط القضايا الثقافية بصورة محببة . تلعب فيها الصورة دورا كبيرا وان نقلل من الجدل النظرى بقدر الامكان حتى لاينصرف الناس عن متابعة هذا الجدل وان يضع المنظمون للبرنامج فى اعتبارهم ان الثقافة جزء من التكوين الحضارى للمواطن . ومن ثم يجب ان توضع نسبة للمواد التى تعرض بحيث لايطغى الجانب الترفيهى على الجانب الثقافى او السياسى . ولو امكن الجمع بين الجانب الترفيهى والجانب الثقافى لحقق التليفزيون نجاحاً كبيرا فى ارضاء النفس البشرية والبناء الحضارى للمواطن .

ان مسئولية المخططين لبرامج التليفزيون مسئولية كبرى . فعلى عاتقهم تقع امانه الكلمة وتثقيف المواطنين من اجل تكوين جيل افضل منهم المسئولون عن طرح القضايا الفكرية . وإحداث التفاعل بين المشاهد وبين قضايا الثقافة . خاصة وان التليفزيون المصرى هو النافذة التى يطل منها العالم على مصر وعلى شعبها ليتعرف على هويتهم الثقافية او الحضارية الدرجة التى وصلوا اليها من الوعى الحضارى ومدى إدراكهم لقضايا العصر . ومدى إرتباطهم بتراثهم القومى . وتمسكهم بأصالتهم الفكرية ، فهو المقياس التى تقيس به الشعوب درجة الوعى والحضارة عند الشعوب . وفى نفس الوقت هو النافذة التى يطل منها الشعب على حضارات وثقافات الشعوب الأخرى ويجب ان لاننسى ان مصر هى جامعة العرب الثقافية ، فهم يتخذونها المثل الاعلى الحضارة والثقافة العربية المعاصرة ، ويتابعون بشغف برامجها . مما يجعل المسئولية الثقافية كبيرة وخطيرة

قراءة جديدة لرواية جورج أورويل (١٩٨٤)



بقلم : الدكتور جلال أمين

جاء عام ١٩٨٤ وذهب . وحدث ما كان متوقعا ، إذ لم تجد وسائل الاعلام فى الغرب موضوعا أكثر ملاءمة من رواية چورچ اورويل الشهيرة "١٩٨٤" ، فدعى الكتاب والمفكرون لمناقشتها ، وامتلأت برامج الاذاعة والتليفزيون فى الغرب بسرد قصة حياته وتحليل شخصيته . واعيد انتاج روايته للسينما البريطانية . واحتدم الخلاف عما اذا كانت نبوءة جورج اورويل بما سيكون عليه العالم فى ١٩٨٤ ، قد تحققت أولم تتحقق .

وقد ظل العالم الثالث غائبا عن النقاش غيابا يكاد يكون تاما . إذ تصور معظم المعلقين أن اورويل كان يتصور فى الاساس دولة صناعية شمولية كالاتحاد السوفيتى ، أو دولة بلغت أقصى درجات التقدم التكنولوجى . ومن ثم أهمل الى حد كبير ، فى هذه المناقشات ، مدى انطباق روايته على دول العالم الثالث . ولم تحفل بعض أجزاء من روايته ، على أهميتها القصوى ، بما تستحقه من عناية . من ذلك الفصل "التحليلى" الذى يرد فجأة فى منتصف الرواية ، ويقطع سياقها ، ويتعرض لموقف الدولتين العظميين من دول العالم الفقير . ومن ذلك أيضا الملحق الوارد فى آخر الكتاب ، والذى أصر الكاتب على نشره على الرغم من الحاح الناشر على حذفه ، والذى يتناول مستقبل اللغة التى يكتب ويتكلم بها الناس ومصيرها المظلم على يد السياسيين ووسائل الاعلام ، وغير ذلك من النبوءات التى قد تكون أكثر انطباقا على دول العالم الثالث منها على دول العالم الصناعى .

كنت قد قرأت رواية چورچ اورويل لأول مرة فى اعقاب هزيمة ١٩٦٧ مباشرة ،



تحت وطأة ذلك الشعور الشديد بالاحباط الذى اشاعته الهزيمة فينا ، ثم عدت لقراءتها من جديد ، ليس فقط بسبب حلول السنة التى اعطت الرواية اسمها ولكن ربما ايضا لتجدد الشعور بالاحباط المتولد عن عربدة اسرائيل فى منطقتنا . فإذا بى ارى من جديد ملامح كثيرة من حياتنا المعاصرة بصورها قلم اوورويل وخياله البارع كما بدت له منذ خمسة وثلاثين عاما . ورايت من المناسب ان أعيد على القارىء العربى قصة "ونستون سميث" بطل الرواية ، مبرزا فقط تلك الجوانب المسيسة الصلة بحياة العالم الثالث ، ودون التقيد بمجرى الاحداث ، حتى يلمس القارىء بنفسه تلك الدرجة المذهلة من النجاح الذى احرزه اورويل فى التنبؤ بما صارت اليه حياتنا .

عن السياسة والاقتصاد

بطل القصة "ونستون سميث" فى نحو الأربعين من عمره ، ويعيش فى لندن

ولكن لندن الآن ليست مجرد عاصمة لبريطانيا ، بل تنتمى لاحدى الدول الكبرى الثلاث " او شانيا" التى تحتل معظم ما كان يسمى بالعالم أو المعسكر الغربى الدولة يحكمها نظام شمولى تعتبر الديكتاتوريات المعروفة بالمقارنة به كلعب الأطفال . الناس فيها كالدمى تحركها اصابع الحزب ، وكل خطواتك معروفة ومحسوبة .

التليفزيون ، ذلك الجهاز القديم ، حل محله "التليسكرين" وهو جهاز لايكتفى بالارسال بل يستقبل ايضا حركات الناس وسكناتهم وأقوالهم . بل إن من الخطر الشديد ان تسمح لأفكارك بالشرود اذا كنت فى مكان عام ، او فى دائرة عمل شاشة التليسكرين المنتشرة فى كل مكان . فقد تفضحك أدنى حركة او ايماءة او نظرة عين او أدنى تعبير على الوجه ، اذا حمل فى طياته اى شىء خارج عن المألوف ، او اذا اوحى بأن هناك ما تحاول إخفاءه . لم يكن من الممكن بالطبع ان تعرف ما اذا كانوا يراقبونك انت بالذات او يسجلون صوتك فى اية لحظة بعينها ، ولكن من المؤكد ان "بوليس الفكر" يستطيع ان يوصل السلك الخاص بك ، او بأى شخص اخر فى اية لحظة ، بجهاز مركزى فتصبح فى متناول بصرهم وسمعهم

على قمة الدولة رئيس يشار اليه " بالاخ الاكبر" . لا تفارق صوره شاشة التليسكرين ، وتوجيهاته واقواله تطالعك وانت سائر فى الطريق او نائم فى سريرك . وصوره المعلقة فى الميادين كتب تحتها بالخط العريض " الاخ الاكبر يراقبك" . كما تمتلىء الطرقات باللافتات

جورج أورويل

التى تحمل اسم المذهب الرسمى للدولة وشعاراته وأهداف الخطة وانجازاتها

والدولة فى حرب مستمرة ، ولكن العدو ليس هو نفسه دائما . فهو مرة دولة أوربا الأسيوية (يوراشيا) ومرة دولة اسيا الشرقية (إيستاشيا) . ولكن حينما تكون يوراشيا هى العدو ، فإنها لابد أن كانت دائما كذلك ، وحينما تنقلب العداوة الى تحالف ويصبح العدو هو ايستاشيا ، تصبح ايستاشيا هى العدو الخالد ومنذ الأزل .

وبما أن الحرب لاتنتهى فإن كلمة "النصر" شائعة الاستعمال . فالسجائر السيئة التى يدخنها عامة الناس ، بخلاف أصحاب المراكز العليا فى الحزب ، والتى يتساقط منها الدخان بمجرد اللمس ، هى "سجائر النصر" ، والمسكرات التى يشربونها تحمل ايضا اسم "النصر" . وكذلك المجمع الذى يسكنه ونستون فاسمه "مجمع النصر" ، والوزارة التى تتولى شئون الحرب تدعى وزارة السلام ، ولكن هناك ايضا وزارة "الحب" التى تختص بالأمن ، ووزارة « الحقيقة » التى تختص بالاعلام ، ووزارة "الوفرة" التى تختص بالشئون الاقتصادية .

والأخبار الاقتصادية تحتل اهمية خاصة فى اذاعات التليسكرين . فالشاشة تحمل لك باستمرار آخر أخبار الخطة الثلاثية العاشرة ، وكيف تجاوزت إنجازاتها الأهداف المرسومة . وها هو ذا نموذج لاحدى اذاعاتها :

"أيها الرفاق ، انصتوا جيدا ، فلدينا أخبار رائعة لكم هذا الصباح . لقد انتصرنا فى معركة الانتاج . إن الاحصاءات الأخيرة تدل على أن انتاج كافة السلع الاستهلاكية قد زاد بما لايقل عن ٢٠ ٪ خلال العام الماضى . وقد قامت فى كل انحاء اوشانيا مظاهرات تلقائية ، لم يكن من الممكن السيطرة عليها ، قام بها العمال والموظفون الذين تركوا مصانعهم ومكاتبهم ليسيروا فى الشوارع هاتفين وحاملين للافتات التى يعبرون بها عن امتنانهم واعترافهم بالجميل للأخ الأكبر لما حققه لهم من حياة سعيدة تحت قيادته الحكيمة »

اللغة الجديدة :

وعلى الرغم من أن الناس فى أوشانيا لازالوا يتكلمون فى الاساس ، بالانجليزية ، فإن اللغة الرسمية للدولة هى لغة جديدة تعمل الدولة على احلالها محل الانجليزية . هذه اللغة الجديدة ، تقوم على الانجليزية ولكنها تتسم بعدد من الملامح الهامة . فهى ولا تهدف الى تقليل عدد الكلمات المستخدمة الى أقل عدد ممكن ، والتخلص من بعض الكلمات القديمة التى لم تعد شائعة الاستعمال ، "كالشرف" و "العدل" و "الاخلاق" ، والتى تعكس العلاقات الاجتماعية القديمة ، التى كانت سائدة قبل أن يتولى الحزب الحكم . من ملامح اللغة الجديدة ايضا تغيير معانى بعض الكلمات المستبقاة بحيث تدل على معانى جديدة تماما ، وبحيث يصبح من المستحيل التعبير عن

اشياء أو افكار معينة ، او حتى التفكير فيها ، لتعارضها مع مبادىء النظام أصبح من المستحيل مثلا ان يقول احد او حتى ان يخطر له ، "ان الاخ الاكبر غير صالح" ، اذ ان كلمة "صالح" فى اللغة الجديدة أصبحت لاتعنى غير وصف ما يقوم به الاخ الاكبر من اعمال ، ومن ثم تصبح عبارة "الاخ الأكبر غير صالح" عبارة منافية العقل وغير منطقية ابتداء. كذلك تعرضت كلمة "الحرية" لتغيير معناها ، بحيث اصبح من الممكن فقط ان تستخدم بالمعنى الاتى "تحرير الحقل من الحشائش الضارة" ولا يمكن أن تستعمل بمعناها القديم كما فى قولك "انا صاحب فكر حر" بهذا التغيير اصبح من الممكن ان يقبل الناس بسهولة شعارات الحزب الثلاثة الرئيسية ، والمعلقة في كل مكان وهى : "الحرب هى السلام" ، و "الحرية هى العبودية" و "الجهل هو القوة"

التصحيح المستمر للتاريخ

كان ونستون يعمل فى وزارة الحقيقة وهى تشغل مبنى ضخما يتكون من ثلاثة الاف حجرة ، وتختص بالأخبار والتعليم ووسائل الترفيه والفنون الجميلة ، أى ما يقابل وزارات الاعلام والثقافة والتعليم الآن . وكان عمل ونستون هو التصحيح المستمر للتاريخ . فعلى سبيل المثال ، اذا تحول أحد كبار رجال الحزب الى عدو له فإن مصير هذا الرجل ليس فقط أن يمحى من الوجود ، بل وايضا ان يمحى اسمه وصوره من كل التسجيلات والمجلات والكتب التى سبق لها الظهور . كذلك يجب ان تعدل اهداف الخطة ، التى أعلنت منذ سنوات ، على ضوء ماتم بالفعل إنجازه واذا كان الاخ الاكبر قد تنبأ يوما بحدوث ثورة فى أفريقيا مثلا ، ولم تحدث الثورة فيجب أن تصحح النبوءة بحيث تتفق مع ما حدث فى الواقع . واذا كانت وزارة الوفرة قد وعدت بتخفيض اسعار الكاكاو فى ١٩٨٤ ثم حدث ان رفعت سعره فلابد ان يمحى الوعد ، وان يحل محله فى اعداد الجرائد القديمة ، تحذير بأن سعره





ريتشارد بيرتون وجون هـرت فى احدث طبعة ١٩٨٤

چورچ أورويل

سوف يرتفع فى نفس الشهر الذى ارتفع فيه .. وهكذا " إن كل سجل مكتوب قد تعرض إذن إما للازالة أو التزييف . كل كتاب أعيدت كتابته ، كل صورة أعيد رسمها ، وكل تمثال أو شارع أو بناء اعيدت تسميته . لقد زال التاريخ ولا يوجد شيء غير الحاضر ، الذى يقول إن الحزب دائما على صواب "

العامة والصفوة :

فى وزارة الحقيقة اقسام أخرى غير القسم الذى يعمل به ونستون . من بينها قسم مهمته تأليف الكتب وانتاج المجلات والأفلام المخصصة لاستهلاك العامة . وهى تعتمد على اثارة الغرائز وتركز على المباريات الرياضية والجرائم وحوادث العنف والتنبؤ بالحظ وتوقعات المنجمين . بل إن هناك قسما خاصا لانتاج الكتب والأفلام الجنسية المحضة التى تنتج للاستهلاك الشعبى ويحظر على اعضاء الحزب ، عدا العاملين بهذا القسم ، الاطلاع عليها . الحكومة تلهى الناس ايضا باليانصيب والتعلق بأمل أن ينالوا جوائزه . بل أن من الممكن القول إن السبب الوحيد الذى يجعل ملايين من الناس يعتقدون أن هناك شيئا لايزال يستحق العيش من أجله ، هو احتمال الفوز بجوائز اليانصيب .

كان موقف السلطة من عامة الناس يختلف اذن اختلافا جوهريا عن موقفها من المثقفين واعضاء الحزب . بل إن الجزء الأكبر من عامة الناس لم يكن لديه جهاز تيلسكرين فى بيته . كانت الحكومة فى مأمن من ناحيتهم ، فهم فى نظرها كالحيوانات ، إذ حتى لو تصورنا انهم قد يشعرون يوما ما بالسخط فهم يسخطون على أشياء ضئيلة الشأن ، كتوفر أو عدم توفر سلعة غذائية . ومن ثم فإن الشرطة تترك العامة ، فى أغلب الأحيان وشأنهم . كانت المدينة مليئة باللصوص والعاهرات والمتاجرين فى المخدرات دون أن تتدخل الحكومة فى أمورهم طالما كانت هذه الجرائم تجرى بين افراد العامة انفسهم ، ولاتمس أحد غيرهم . بل إن من شعارات الحزب « لامساس بحرية العامة والحيوانات » .

« الجنون المخطط »

كان ونستون يكره الحزب وشعاراته وجواسيسه . انه نظام يقوم على "الجنون المخطط" إنهم يستخدمون المنطق ضد المنطق . فهم يسخرون من الأخلاق وفى نفس الوقت يدعون أنهم حاملو لوائها . يقولون إن الديمقراطية مستحيلة وفى نفس الوقت يدعون انهم حارسوها . إنهم يمحون التاريخ ولكنهم يختارون من أحداث الماضى مايناسبهم فى اية لحظة بعنيها

كان ونستون يشعر بأن الشيء الوحيد الذى أصبح يملكه حقا ويسيطر عليه ويتحكم هو وحده فيه هو عدة سنتميترات مربعة هى مركز التفكير داخل رأسه . كان يعرف أنه وحيد وقد يكون هو وحده الذى يكره الأخ الأكبر . ولكنه كان يشعر على نحو ما ، أنه اذا استطاع أن يحتفظ بهذه السنتيمترات المربعة حية فى رأسه ، وأن

يردد ما يدور بها من افكار ، ولو لنفسه وحدها ، فإنه يستطيع على الأقل أن يضمن "الاستمرارية"

كان يقول لنفسه "إني أحافظ على التراث الانساني وأحميه ليس بالضرورة عن طريق اسماع صوتي ، بل فقط بنجاحي في ان احتفظ بقواي العقلية"

إن الأمل الوحيد في التغيير ، هكذا كتب ونستون في مذكراته ، يكمن في عامة الناس وبسطائهم . صحيح إنه كثيرا ما يعتريه اليأس حتى منهم . فعامة الناس لايتذكرون الا اتفه الاشياء ، كالمشاجرة مع جار أو حادثة سرقة ، وهم ينسون اهم الأشياء . إنهم يبدون عادة كالنملة التي تستطيع رؤية الاجسام الصغيرة ولاترى اكبرها . وحينما يسيطر عليه اليأس منهم كان يتساءل "اذا كانت الذاكرة قد ضاعت ، والسجلات قد تم تزييفها . فما الذي يمكن أن يدحض ادعاء الحزب بأنه قد رفع مستوى المعيشة ؟" ما الذي يمكن ان يدحض هذا اذا كان قد ضاع كل معيار يمكن ان يقيم الحاضر اساسه ؟ أو لايجوز أن يكون الحزب على حق حينما يقول

من يسيطر على الماضي يسيطر على المستقبل ، ومن يسيطر على الحاضر يسيطر على الماضي ، ومع ذلك فقد كان يعود اليه من حين لآخر الشعور بأن عامة الناس وحدهم القادرون على أن يحققوا الخلاص فهم وحدهم الذين لازالوا يحتفظون بقواهم العقلية ، وذلك بفضل عجزهم عن الفهم . انهم بسبب قلة خطرهم لايتعرضون لغسيل المخ الذي يتعرض له الأكثر ذكاء او لعل السبب هو أنهم يتركون لممارسة عاداتهم وتقاليدهم دون أن يتعرض الحزب لها ، أو أنهم يتوالدون بكثرة ، أو انهم لازالوا يذكرون الاغاني القديمة ، او انهم متدينون ، ولا أحد يمنعهم من ذلك . لقد "بلعوا" كل شيء ولن يلحقهم الضرر من وراء ذلك ، إذ أن مادخل امعدتهم خرج منها دون أن يترك وراءه اى اثر ، وكأنه حبة القمح التى تمر بجسم العصفور وتخرج منه دون ان يهضمها

لماذا الحرب

إن الذى يعرفه جيدا قادة الدول العظمى الثلاث ، اوشانيا ويوراشيا وايستاشيا ولايذكرونه صراحة ابدا ، هو أن نظام الحكم ونمط النظام الاجتماعي وطبيعة الحياة فيها تكاد تكون واحدة أو متشابهة جدا . على الرغم من أن النظام يتسمى بأسماء مختلفة فى الدول الثلاث . إن الايديولوجيات الثلاث ، رغم تظاهر الحكام بأنها مختلفة يكاد يستحيل تمييز احداها عن الاخريين . ففيها نفس البناء الاجتماعي الطبقى ، حيث تسيطر قلة فى قمة النظام على سائر الناس ، وتستأثر بالسلطة والامتيازات ، وكلها تمارس نفس الطقوس فى عبادة القائد شبه المقدس ، وفيها كلها يعتمد النظام على استمرار الحروب وانتاج الاسلحة

إن الدافع الاقتصادى للحرب هو تنافس الدول الثلاث فى الحصول على العمل الرخيص فى الاقاليم الواقعة خارج حدودها ، والممتدة من برازافيل الى هونج كونج . فالدولة التى تتمكن من السيطرة على افريقيا الاستوائية او بلاد الشرق الأوسط او جنوب الهند أو الجزر الاندونيسية يمكنها ان تتحكم فى اجساد عشرات او حتى مئات من الملايين من

چورچ أورويل

الأفراد القادرين على العمل الشاق ، والذين يقبلون العمل بأدنى الأجور . ولكن هذه الأقاليم الأستوائية "المستعبدة" لاتمثل أى عنصر اساسى من عناصر النظام الدولى . فهى دائمة التنقل من الخضوع لاحدى الدول الثلاث الى الخضوع لدولة اخرى دون أن تكون لها أدنى سيطرة على مصيرها وانما يتوقف خضوعها لهذه الدولة أو تلك على قدرة احدى الدول الكبرى على الخداع أو الايقاع بالدولتين الآخريين . وهكذا نجد أن الحدود بين مناطق النفوذ للدول الثلاث دائمة التغير ولاتستقر ابدا .

إن الحرب بين الدول الكبرى لاتتوقف إذن ابدا . فهى لم تعد ، كما كانت فى العقود الأولى من القرن العشرين ، عملا ساحقا شاملا يحاول فيه كل طرف أن يدمر الآخر .

بعد أن أصبح كل طرف عاجزا عن تدمير الآخريين ، مع تطور الاسلحة ووسائل الدمار . ولهذا نجد أنه ، على الرغم من أنه لايوجد اتفاق رسمى صريح بين الدول الثلاث على عدم استخدام القنابل الذرية فإن هذه القنابل لاتستخدم ابدا فى الحرب ، وإن كانت الدول الثلاث لاتتوقف عن انتاجها وتخزينها فى الاقاليم المتاخمة لها التى لم يتحدد بعد بشكل واضح ما اذا كانت ستقع تحت نفوذ هذه الدولة الكبيرة أو تلك .

على أن ذلك العامل الاقتصادى ليس هو العامل الوحيد ولا حتى الاساسى فى الحرب الحديثة . إن الغرض الاساسى من الحرب هو استخدام ناتج الالة على نحو يمنع من الارتفاع بمستوى المعيشة لغالبية الناس .

تفسير ذلك أنه منذ اللحظة الأولى التى أخترعت فيها الآلة اصبح من الواضح أن التقدم الطبيعى فى فنون الانتاج وأساليب الصناعة من شأنه أن يسمح للعالم ، لأول مرة فى تاريخه ، بالتخلص من كل مظاهر الجوع والحرمان والجهل ، وينتهى الى الأبد ذلك الصراع التقليدى حول اقتسام الناتج المحدود . ولكن كان الواضح ايضا أن رفع مستوى الاستهلاك للجميع لابد أن يؤدى بدوره الى وضع نهاية للمجتمع الطبقى القائم على سيطرة القلة على الغالبية . ذلك أن مجتمعا يحصل كل افراده على ضروريات الحياة ، ويتمتعون فيه بدرجة عالية من الفراغ ويحصلون فيه على مستوى رفيع من التعليم ، لايمكن لقلة حاكمة أن تقهره . الحرب الحديثة إذن هى الوسيلة الضرورية لضمان استمرار المجتمع الطبقى برغم التقدم فى اساليب الانتاج . إنها وسيلة "تدمير" الانتاج بدلا من توزيعه فبتدمير الانتاج الزائد يمكن تحقيق درجة من الحرمان تضمن خضوع الغالبية لسيطرة الأقلية الحاكمة فضلا عن أن الحرب ، بما تخلقه من مناخ نفسى يشعر فيه الناس باستمرار بالخوف ، سوف تجعلهم ايضا يشعرون بأن من الطبيعى أن تجلس على قمة المجتمع فئة تستأثر بالحكم ، وكأن هذا هو الشرط الضرورى لمجرد البقاء .

إن الغرض الاساسى من الحرب هو الابقاء على الهيكل الاجتماعى داخل

الدولة دون تغيير ، اى تكريس اللامساواة والقهر . وهكذا تخلى الناس عن الحلم بتحقيق الفردوس على هذه الأرض فى نفس اللحظة التى أصبح فيه تحقيق هذا الحكم ممكنا

لقد ظن المصلحون الاشتراكيون انه بالغاء الملكية الخاصة سوف تتحقق المساواة وينتهى القهر ولكن ها قد تم القضاء على الملكية الخاصة واذا باللامساواة والقهر يصبحان نظاما ابديا . كان الاشتراكى القديم يعتقد أن مالايمكن توريثه لايمكن ان يبقى حكرا لجماعة من الناس الى الابد ، وانه اذا قضى على نظام الارث قضى ايضا على اللامساواة . ولكن ظهر أن من الممكن أن تظل الامتيازات والسلطة حكرا على جماعة بعينها والى الابد طالما كان باستطاعة الحكام أن يحددوا اسماء من سيخلفونهم لقد زالت حقا طبقة الراسمالية ولكن ظهرت بدلا منها ارستقراطية جديدة تتكون من البيروقراطيين والسياسيين المحترفين وقادة نقابات العمال وخبراء الاعلام والفنيين والصحفيين ، هذه الارستقراطية الجديدة ، وإن كانت اقل تطلعا الى الرفاهية المادية من سابقتها فإنها اكثر طمعا فى محض السلطة . وهم فى سبيل احتفاظهم بالسلطة على استعداد لممارسة وسائل للقهر تعتبر وسائل الكنيسة الكاثوليكية فى العصور الوسطى بالنسبة لها ، غاية فى التسامح .

التعذيب والاعتراف

فى "السجن" يسأل ونستون سجينا سياسيا اخر عن سبب اعتقاله فيأتى الرد هناك جريمة واحدة فقط ، اليس كذلك

لقد اعترف ونستون بكل ما يمكن ان يتصور ان يعترف به ، ولكنهم لم يكونوا يريدون اعترافاته ، كانوا يريدون إيمانه وعقله . لم يكن يهمهم ان يحصلوا منه على هتاف بحياة الأخ الاكبر ، بل ان يعتقد بالفعل بأن الاخ الاكبر لايمكن أن يخطىء . (ويسأل ونستون نفسه . ما الذى يمكن أن تفعله ازاء شخص مجنون ولكنه اكثر ذكاء منك ؟ يستمع الى حججك ثم يواصل جنونه ، وكأنك لم تقل شيئا على الاطلاق ؟ "

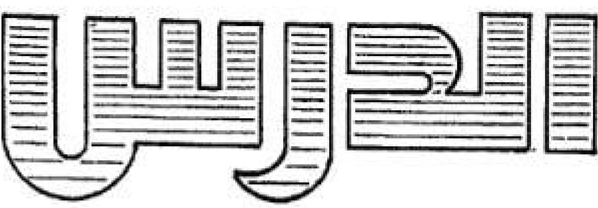
على أن مهمتهم كانت صعبة مع كل ذلك . فقد يعترف الانسان بأى شىء تحت وطأة العذاب الجسمانى والاهانة ، ولكن عقله يظل ملكا له . قد يردد ونستون قولهم إن ٢ + ٢ يمكن أن تساوى خمسة او عشرة ، ولكنهم يريدونه ايضا أن يعتقد حقا وصدقا أن ٢ + ٢ يمكن بالفعل ان تساوى خمسة او عشرة وهنا يظهر العقل الانسانى مقاومة ابسل بكثير من مقاومة الجسم الانسانى الضعيف .

ولكنهم يكسبون فى النهاية فيفقد ونستون عقله ، ويعترف ، حقا وصدقا ، ٢ + ٢ يمكن ان تكون خمسة أو عشرة

لقد اطلقوا بالفعل سراحه ولم يعودوا يراقبونه بعد الآن . وعينوه فى وظيفة جديدة ، عضوا فى لجنة فرعية ، منبثقة من لجنة فرعية ، منبثقة من لجنة عليا ، تقوم باعداد الطبعة الحادية عشر من قاموس اللغة الجديدة . وعندما تنتهى القصة تكون هذه اللجنة منهمكة فى اعداد تقرير مبدئى يتعلق بتحديد المكان الامثل للفاصلة اذا جاءت مقترنة بجملة موضوعة بين اقواس هل توضع الفاصلة داخل القوس ام خارجه ؟



قصة قصيرة



بقلم : حسين عبد العليم

نقر الاستاذ باصابعه الرفيعة الطويلة فوق طاولته الخشبية ، هدأ اللغو تدريجيا الى ان حل الصمت .

ـ صباح الخير

ـ صباح الخير استاذ

قبلت مصحوبة بابتسامة مشرقة لخمسين تلميذا ، تلتها جلبة فتح الادراج واخراج الدفاتر والكتب ثم ساد الهدوء .

ـ درس اليوم عن الوطن ، هل تعرفون ما هو الوطن ؟

ارتفعت خمسون اصبعا تريد الاجابة ، كان الاستاذ يمسح نظارته الطبية بمنديله ، اعاد وضعها امام عينيه ، نظر ثم قال :

ـ محمود

ـ الوطن هو قطعة الارض التى استوطنها الناس منذ اجيال بعيده .

ـ صحيح .. اسامه

ـ هو حبنا لارضنا التى عاشت الامنا وافراحنا

ـ صحيح .. على

ـ الوطن هو مصر التى نفديها بالروح والدم على مدى التاريخ .

ـ صحيح .. يوسف ـ الشاعر

ـ الوطن يا سيدى هو ان اختلس مقابلة حبيبتى كل يوم و .. قاطعه الاستاذ .

ـ صحيح ، وهو ان تكتب الشعر ، وتشرب قهوة امك فى المساء وتدخن فى زوايا الشوارع دون ان يراك احد ، وترسب او تنجح فى الامتحانات .

نظر الاستاذ الى مجموع التلاميذ

ـ الوطن كما قلتم ، والوطن هو الحريه

نقرات خفيفة ، بعدها فتح باب الصف ودخل وكيل المدرسة

ـ استاذ عيسى الناظر يطلبك

همس الاستاذ : هل هناك شىء ؟

تلعثم الوكيل وقال بصوت منخفض وقدماه تنتويان الانسحاب .

انهم موجودون فى مكتبه

أبتسم الاستاذ في سخرية ثم نظر الى تلاميذه : افتحوا الدفاتر واكتبوا ورائي
- الوطن هو حريتي في ان احيا حياة عادية مثل جميع الناس اعيشها لحظة بلحظة حتى السأم ، دون خوف او احتساب • جمع الاستاذ دفاتره ، نظر الى تلاميذه بحزن واشفاق، اذ الى خارج الصف ، اغلق الباب وراءه في هدوء •



الفن يحذر من الارهاب ..

فهرنهيت ٤٥١

عندما يحرقون الكتب!

بقلم : توفيق حنا

كنت فى لندن عندما علمت بنبأ وفاة ـ المخرج الفرنسى الكبير فرنسوا تريفو .. فى ٢١ اكتوبر ١٩٨٤ ..

كان فرنسوا تريفو يتوقع هذه النهاية .. حتى انه فى حديثه الاخير مع محرر مجلة « استيلز » الانجليزية لم يتحدث عن المستقبل . ولكنه اشار الى كتابين تحدثا عن حياته وفنه .. وكأنه يعلن لنا انه اوشك ان يكون تاريخا ... وكانت علامات الشيخوخة تبدو واضحة فى شعره الابيض وفى صوته الضعيف وفى حركته البطيئة المتثاقلة . ولكنه كان يستعيد حيويته ونشاطه وهو يضحك .

كان فرنسوا تريفو من رواد الموجة الجديدة الفرنسية .. وقد اصدر الكسندر استروك البيان الاول عن هذه الحركة فى ٣٠ مارس ١٩٤٨ تحت عنوان « ميلاد حركة طليعية جديدة » فى مجلة « الشاشة » الفرنسية ... يقول :

« ان فن السينما لغة مفرداتها تتكون من الصور واللقطات والسينمائى يستخدمها كما يستخدم الاديب والشاعر مفردات اللغة ويصوغ بها الرواية او المقال او القصيدة .. فالكاميرا هنا مثل القلم سواء بسواء » .

ولد فرنسوا تريفو فى باريس فى ٦ فبراير ١٩٣٢ .

بدأ حياته الفنية بانشاء ناد للسينما .. وعمل ناقدا فى مجلة « كراسات السينما » ، وفى عدد يناير ١٩٥٤ من هذه المجلة اصدر بيانه عن حركة الموجة الجديدة تحت عنوان « اتجاه خاص للسينما الفرنسية » موضحا هدف هذه الموجة الجديدة وهو خلق المخرج المؤلف وتحرير الفن السابع من سيطرة المعايير التجارية ومتطلبات السوق .

والواقع ان انشاء معهد الايديك « معهد السينما الفرنسى » عام ١٩٤٢



فرنسوا تريفو اثناء تصوير احد افلامه

وظهور مجلة « كراسات السينما » عام ١٩٥١ كانا وراء قيام هـذه المدرسة الجديدة من النقاد الذين تحولوا من الكتابة بالقلم الى التعبير بالكاميرا عن وجهة نظرهم الفنية والانسانية .. وفي مقدمتهم فرنسوا تريفو وجان لوك جودار وكلود شابرول وايريك رومير وبيير كاست وجاك ريفيت .. ومن السينمائيين نذكر الكسندر استروك جان بيير ملفيل وانييس فاردا وروجيه فاديم ولوى مال ..

وفي مهرجان كان عام ١٩٥٩ انضم جان كوكتو الى هذه الحركة وشارك في تحرير مجلة « كراسات السينما »

يقول جان ـ لوك جودار :

« عندما اقوم باخراج احد الافلام فانني اعالجه بنفس المعايير النقدية .. وكأنني اكتب مقالا بالصورة » وهذه الموجة الجديدة الفرنسية تعتبر استمرارا وامتدادا لحركة الواقعية الجديدة الايطالية التي ظهرت عقب الحرب العالمية الثانية .. ولقد عمل فرانسوا تريفو عام ١٩٥٦ مساعدا للمخرج الايطالي روبرتو روسيليني وهو من رواد الواقعية الجديدة وهو مخرج فيلم « روما مدينة مفتوحة » « ١٩٤٤ » .

وفي عام ١٩٥٨ اشترك مع جان ـ لوك جودار في اخراج الفيلم التسجيلي « حكاية الماء » وفي نفس العام قدم فيلمه « ٤٠٠ طلقة » وفي عام ٦٠ اخرج فيلم « اطلق الرصاص على عازف البيانو » وفي عام ١٩٦١ اخرج فيلم « جول وجيم » وفي عام ١٩٦٤ اخرج فيلم « البشرة الناعمة »

وتتابعت اعماله السينمائية والنقدية .

ولكن اهم اعماله الفنية هو ـ من وجهة نظري ـ « فرنهيت ٤٥١ » الذي كان اول فيلم يخرجه بعيدا عن بلده فرنسا .. وهو اول فيلم له بالالوان.

عندما يحرقون الكتب

اعتمد فرنسوا تريفو على قصة الكاتب الامريكى راى برادبرى عندما انتشر الارهاب الفكرى الذى تزعمه ماكارثى فى أمريكا .. وهى قصة بنفس العنوان وتعتبر من أبدع قصص الخيال العلمى .. التى تصور الحضارة الانسانية بعد الحرب العالمية الثالثة .. وقد استحالت الى حضارة يسيطر عليها التليفزيون الملون .. وتقف موقف العداء الرهيب ضد الكلمة المكتوبة .. اى ضد الكتاب والثقافة والتراث الانسانى بكل انجازاته وروائعه .

وفى افتتاحية الفيلم لا نجد اسماء الفنانين والفنيين مكتوبة ـ طبعا ـ وانما نسمع اسماءهم عن طريق صوت مذيعة تليفزيونية .

والصحف فى هذه المدينة التى تنتمى الى هذه الحضارة الغربية تصدر فى صور بدون كلمات .

اما عنوان القصة « والفيلم » وهو « فهرنهيت ٤٥١ » فانه يشير الى درجة احتراق الكتب .

و « التنين » هو شعار هذه الحضارة التى تحولت فيها عربات اطفاء الحريق الى عربات لاحراق الكتب .. حيث أن التقدم التكنولوجى قد تمكن من التخلص من البيوت الخشبية التى تحترق .. فلم تعد تحدث الحرائق التى كانت تنتشر فى الحضارات البائدة .

وصناديق البريد فى شوارع المدينة وميادينها تحولت الى اجهزة انذار تتلقى صور الخارجين على قانون هذه المدينة ـ المتحضرة جدا ـ وهم الذين يحتفظون فى بيوتهم بمكتبات تحوى كتبا .. وعندما تصل هذه الانذارات ـ عن طريق جواسيس او بصاصى هذه المدينة ـ الى المسئولين فسرعان ما تندفع عربات احراق الكتب وتقوم بواجبها الحضارى الجديد ..

والزمن فى هذه الحضارة هو الحاضر فقط .. حاضر بلا ماض وبلا مستقبل .. وابناء وبنات هذه الحضارة لا يتذكرون ولا يحلمون ... ولا يتألمون ولا يحبون .. كائنات تائهة .. وحيدة .. كائنات من نسخة واحدة مكررة مثل زجاجات الكوكاكولا .. كائنات سطحية ومسطحة تعيش على الحبوب وعلى التليفزيون .. وأروع رموز هذا الفيلم هذه التشكيلات اللونية التى تصور أحداث هذه المدينة باللونين الاحمر والاخضر .. الاحمر هو لون هذا التقدم التكنولوجى التليفزيونى المذهل .. والاخضر هو لون هذه الطبيعة التى تقع خارج حدود المدينة .. واليها يهرب الخارجون على القانون حيث يعيشون وقد حفظ كل منهم كتابا من كتب التراث الانسانى .. نراهم يسيرون فى هذه الطبيعة وهم يرددون كلمات كتابهم .. اذ اصبح كل واحد من هؤلاء الثائرين المتمردين كتابا مسموعا .. حتى ينقلوا التراث الانسانى الى الاجيال الجديدة ويبنوا ـ من جديد ـ حضارة الانسان التى تعتمد على ماضى الانسانية وما يحمله التراث الانسانى من قيم الحرية والعدل والخير والحب والسلام .

هذه هى وصية فرنسوا تريفو سجلها فى فيلم « فهرنهيت ٤٥١ »

انذاراً مبكراً حتى لا تقوم حرب ثالثة تدمر كل ما انجزته الانسانية منذ فجر التاريخ حتى الان .. وتنتهى الى عصر يسوده الظلام والجهل والكراهية .. عصر يحرق الكتب ويحارب الكلمة .. ويقضى على كل مظاهر الثقافة ..

اشترك المخرج مع جان ـ لوى ريشار فى كتابة السيناريو .. ولقد وفق نيكولاس روج فى تصوير هذا الفيلم الذى صور فى استوديوهات باينوود فى ضواحى لندن .. وعبرت موسيقى برنار هرمان ادق تعبير عن حضارة الصورة والتليفزيون .. وهو صاحب موسيقى فيلم « المواطن كين » .. اما التمثيل فقد وفق المخرج فى اختيار جولى كريستى للقيام بدورين مختلفين كل الاختلاف دور الزوجة المستسلمة الخاضعة لقوانين هذه المدينة ودور المدرسة المثقفة الثائرة ضد هذه الحضارة القاتلة لكل قيم الانسان .. كما وفق فى اختيار اوسكار فرنر فى دور رجل احراق الكتب « مونتاج » الذى تمكن ـ عن طريق حبه للمدرسة ـ ان يتحرر من هذه المدينة المظلمة والظالمة .. وينطلق الى الطبيعة وهو يحمل فى ذاكرته رواية « دافيد كوبر فيلد » لشارلز ديكنز .. التى كانت الرواية الاولى التى بدأ فى قراءتها والتى تحرر بها من عمله الكريه وهو احراق الكتب .. علما بان مونتاج كان موضع اعجاب رئيسه سيريل كوساك « ... الذى عبر بسلوكه وكلماته عن هذه القسوة الباردة التى تعيش فى اعماقه والتى تبدو بوضوح بشع وهو يقوم مع فريقه باحراق الكتب .. وكان بعض اصحاب هذه الكتب يفضل ان



اوسكار فرنر (مونتاج)
جولى كريستى (كلاريس) المدرسه

يحترق مع كتبه .. شهداء سلطان الظلام .. فى حضارة التليفزيون .. هذه العين البصاصة التى ترى وتسمع وتتحدث الى المشاهد وكأنها تعيش معه .. وتراقبه وتحاسبه ..

ونهاية الفيلم متفائلة .. بعكس نهاية رواية « ١٩٨٤ » لمؤلفها جورج اورويل .. المتشائمة .. فقد استسلم بطلها ونستون سميث وانهزم امام قوى القهر وخان نفسه وخان حبيبته بان طلب ان تعذب بدلا منه وهذا يدل على قمة انهياره وسقوطه انسانيا واخلاقيا .. بعكس مونتاج بطل فيلم « فهرنهيت ٤٥١ »



حيرة رقابة

بين المشروع والممنوع

بقلم : مصطفى درويش

كان مأخوذا عن قصة " نيقولا والكسندرا " للكاتب " روبرت ماس اشترى " سام سبيجل " حق تحويلها إلى عمل سينمائى وهو منتج " لورنس العرب " و" جسر على نهر كواى "

كان أحد الافلام الضخمة التى تنفق عليها الملايين بغير حساب .

وكان مقدرا له أن يستمر عرضه فى عاصمة مصر مدة تطول إلى اسابيع

ولأمر ما جاء عرضه بعد منتصف شهر يناير سنة ١٩٧٧ بقليل ، وربطت الرقابة على المصنفات الفنية بين احداثه الملحمية ، وبين وقائع ١٨ و ١٩ يناير المسماة فى قول بانتفاضة شعبية وفى قول آخر بانتفاضة الحرامية ، فكان أن سحبت قرار اجازتها له بعد أسبوع واحد من عرضه ، وذلك بحجة أنه فيلم " بلشفى "

ولفهم هذا الموقف الرقابى ، قد يكون من اللازم المفيد سرد بعض أحداث مأساة اخر القياصرة " نيقولا والكسندرا " .

تبدأ سيرة القيصرة والقيصر فى الفيلم بلحظة فرح ، حين يزف الاطباء إلى صاحب روسيا بشرى ان زوجته قد انجبت له - وبعد اربع بنات - وليّ عهد وزنه ثمانية ارطال يرث الارض ومن عليها غير أن الفرح لايدوم ، فثمة حرب ضروس مع بلاد الشمس المشرقة تنتهى بالاسطول الروسى فى قاع المحيط الهادى حطاما .

ووليّ العهد مريض بالهيموفيليا " نزف دم وراثى جاءه من امه حفيدة الملكة فيكتوريا " ، ولا يرجى له شفاء .

والقيصرة امراة متعجرفة تنحدر من اصل المانى ، رسالتها فى الحياة ، الحفاظ على سلطات القيصر كاملة غير منقوصة ولابنهما العليل من بعده ، تعتقد فى الخزعبلات ، إذا ما اصطدمت مصالحها بالعلم وقوانينه لجأت إلى الدجل والشعوذة .

● اللعنة ●

وهى فى بحثها عن الخلاص لوحيدها تلتقى برجل يتاجر فى الدين اسمه " راسبوتين " .

ومع هذا اللقاء تتشابك خيوط المأساة ، وتتصاعد إلى حيث نرى القيصر وافراد عائلته الستة قريبا من النهاية ، وقد ساقتهم العاصفة المميتة إلى مشارف سيبريا سجناء (يولية سنة ١٩١٨)

وهذه النهاية تمهد لما هو ابشع .

ففى المشهد الأخير من الفيلم نرى نيقولا والكسندرا واولادهما ، وهم يقتلون جميعا برصاصات تنطلق من فوهات بلاشفة قساة ....

وهذه المذبحة جرى تصويرها وكأنها مذبحة ابرياء ، بقصد أن يخرج المتفرج متأثرا ، متعاطفا مع ال رومانوف ، غاضبا على البلاشفة غلاظ القلب .

ومع ذلك فالرقابة عندما جنحت لمنع " نيقولا والكسندرا " - بعد اليوم السابع - تذرعت بانه خطر على النظام العام بمقولة انه يحمل من التأييد للثورة البلشفية الشيء الكثير !!

● بعد السقوط ●

هناك إذن خلط شديد

هناك رقابة المشكلة معها انها لاتعرف اين هى ، ماذا يراد منها .. إلى اين اتجاهها ، وفى سبيل اية غاية او هدف .

وعلى كل فالثابت انها ، وهى تطيح بنيقولا والكسندرا " قد استندت إلى المادة التاسعة من قانون الرقابة رقم ٤٣١ لسنة ١٩٥٥

وهى نفس المادة التى استندت إليها بعد ذلك بست سنوات ، عندما كشرت عن انيابها لفيلمى " درب الهوى " و" خمسة باب " فسحبت ترخيصيها لهما بالعرض على امتداد ارض مصر .

ماذا تقول هذه المادة التى اصبحت سيفا مسلطا على رقاب اصحاب الافلام يعيشون من اساءة استعمالها فى رعب وعذاب ؟

تقول أن السلطة القائمة على الرقابة يجوز لها أن تسحب الترخيص السابق



اصداره في اى وقت بقرار مسبب إذا طرات ظروف جديدة .

وغنى عن البيان أن المقصود بتلك الظروف فى ضوء التفسير الصحيح للمادة هو ما تعلق منها بالنظام العام وحسن الآداب ومصالح الدولة العليا .

وبدهى أن ظروفا هذا شأنها تتغير بين يوم وليلة .

وبالنسبة للفيلم لايتصور تغيرها بعد انقضاء أيام معدودة من عرضه .

وهذا التفسير الصحيح ضربت به الرقابة عرض الحائط .

فبعد سبعة ايام لاتزيد من عرض « نيقولا والكسندرا " .

وبعد ستة عشر يوما من عرض « خمسة باب » اصدرت قرارها بسحب الترخيص لهما بالعرض العام .

وقد اعترفت لنا انها منعت الفيلم الأول ـ وهو امريكى الجنسية ـ لأنه بلشفى ، وهو اتهام ثبت انه إلى التخليط الشديد اقرب . أما فيلم " خمسة باب " فقالت تبريرا لمنعه انه قد اتضح لها ـ بعد عرضه ـ انه " احدث انطباعا سيئا لدى الجماهير "

● اليتيم المجهول ●

والمقصود بالجماهير مقال يتيم نشرته جريدة اخبار اليوم فى العشرين من اغسطس سنة ١٩٨٣ حمل رأيا نسب إلى مجهول تستر وراء توقيع " مصرى "

وهذا الرأى يعترض على « خمسة باب » ، يقول فيه ما قاله مالك فى الخمر ، يستنفر وزير الثقافة إلى التدخل حماية للآداب .

مرة اخرى تتعثر الرقابة فى الخلط .. ولا تفرق بين الجماهير ومقال يتيم مجهول الصاحب .

فالفيلم بحكم أنه عمل فنى يمكن أن تختلف من حوله الآراء ، ولا يشترط فيه أن يكون موضع استحسان الجميع بلا استثناء ، فاختلاف الآراء فى شأنه ـ قبولا أو رفضا ـ امر وارد فى جميع الظروف والاحوال .

وعلى كل فلا يمكن أن يتصور فى الجدل أن يكون مقالا يتيما مجهول الصاحب من قبيل الظروف المستجدة التى عناها القانون ، والتى تبيح للرقابة سحب قرارها بالترخيص .

فمثل هذه الظروف يشترط لتوافرها :

أولاً : أن تكون ظروفا واقعية أو قانونية جديدة .

ثانيا : أن يكون من شأن توافرها تقويض الاساس القائم عليه القرار الصادر بالترخيص .

ثالثا : أن تكون غير واردة فى تقدير السلطة المختصة وقت الترخيص

ولا يعقل أن يكون لمقال وحيد كل هذا التأثير وباستبعاده كسبب معقول للحكم على « خمسة باب » بالاعدام ،فكيف كان للرقابة إذن أن تعرف أن الفيلم قد احدث انطباعا سيئا لدى الجماهير ؟

فمن المعروف أن مصر لايوجد بها معهد أو اسلوب علمى لقياس الرأى العام كما أن هذا القول غير مقبول منها : وهى التى رخصت للفيلم بالعرض العام بعد أن

قدرت ان المجتمع المصرى قد تطور واصبح يتقبل هذه النوعية من الافلام

وليس من شك ان الاقبال على مشاهدته هو خير معيار وخير دليل على ان الجماهير بريئة من تهمة العداء لخمسة باب وغيره من الافلام .

● مذبحة الافلام ●

ومن اسباب هذا الخلط الجهل بطبيعة العمل السينمائى ، بانه شكل متميز من اشكال التعبير عن الفكر لايجوز الحجز عليه الا فى اضيق الحدود .

وهذا الجهل والسكوت عليه اديا إلى مزيد من التخبط فى الاحكام الرقابية ، إلى زحف غير مقدس للمنع بحيث اصبحت الافلام تهمة ، واجازتها تهمة اخطر ، واخذت المعركة بينها وبين الرقابة شكل المذبحة .

فكل فيلم هو بالضرورة صوت الرذيلة ، يحمل تخريبا للنفوس .

ونظرة طائرة على بعض الافلام الاجنبية الممنوعة تؤكد فساد هذا الاتجاه وخطورته على حرية التعبير .

● خطوة ... خطوة ●

فمفيستو واحد من اهم الافلام فى تاريخ الفن السابع جاء إلى الرقابة تسبقه سمعة انه اول فيلم مجرى يفوز بجائزة اوسكار احسن فيلم اجنبى (١٩٨١) .

موضوعه يدور حول المثقف الشريف عندما يدخل مصيدة المهادنات .. كيف يتهاوى وينهار متذرعا بحجج وتبريرات زائفة مثل

" إذا لم افعل ذلك فغيرى سيفعل ما هو اسوأ " ، " انا بذلك استطيع ان افعل شيئا اساعد به اصدقائى " ، " انا ادافع عن الثقافة وقيمها " ، " على المرء ان يتلاءم مع الظروف " ، " الواحد لا يعيش الا مرة واحدة " ، " من حقى أن استغل مواهبى "



راسبوتين والقيصرة





خمسة باب يهدد
حســـن الآداب



وفى نهاية المطاف يجد نفسه وحيدا ، لم تنفعه كل تهادناته ، كل تحالفاته مع الشيطان .

ولكن يبدو أن الرقابة لاتريد لاحد أن يتعلم درس " مفيستو " أن يستفيد من اخطاء الآخرين ، فكان أن منعت الفيلم ، اعادت نسخته من حيث اتت ، إلى شركة فوكس للقرن العشرين .

" وحمر " هو الآخر جاء إلى الرقابة تسبقه سمعة ان شركة « بارامونت » صرفت عليه اربعين مليون دولار ، وأنه فيلم سياسى غرامى الحب فيه قصة اخاذة متميزة ، تدور حول نفر من الناس التحمت حياتهم بوقائع صاخبة جرت فى ازمنة باهرة لن تتكرر ابدا

وهذا التميز فى قصة الحب رأته الرقابة ـ بحكم الاعتياد على قصص الحب التافه فى السائد من الافلام ـ رأته رذيلة تستوجب حرماننا من مشاهدته حماية لنا من الحب غير التافه الذى كان بين " ريد " (وارن بيتى) صاحب كتاب « الايام العشرة التى هزت العالم » وبين " لويز برايانت " (ديان كيتون) ، تلك الفتاة التى ولدت مثل " ريد " فى مدينة « بورتلاند » من أعمال ولاية « أوريجون » ، انغمست منذ الصبا فى

الدعوة الى تحرر المراة ، ثم رحلت بعد طلاقها من طبيب فى تلك المدينة فى اعقاب " ريد " الى نيويورك حيث ارتبطا بالزواج .

وحياتهما المشتركة التى اعتبرتها الرقابة خطرا كبيرا يتهدد النظام العام ، هذه الحياة كانت من النوع العاصف .

فما اكثر الهزات التى تعرضت لها بسبب غياب " ريد " الطويل بعيدا على طريق السياسة ، وبسبب سحابة حب عابر بينه وبين كاتب المسرح « اوجين اونيل » (جاك نيكلسون)

● غضب الرب ●

وعلى مرّ الايام يشتدّ الطوفان ، يتكاثر المنع ، تفتعل له الاسباب .

فڤيكتور وڤيكتوريا « اخراج « بليك ادواردز » وتمثيل زوجته " جولي اندروز " و" توتسى " اخراج "سيدني بولاك " وتمثيل " داستن هوفمان " يمنعان لالسبب سوى ان الرجال والنساء على حد سواء ينتحلون شخصيات من الجنس الآخر

« والبحث عن جودبار » اخراج « ريتشارد بروكس » وتمثيل " ديان كيتون " و« الجوع » اخراج " تونى سكوت " وتمثيل " كاترين دى نيف " لا يرخص بعرضهما لاحتوائهما على مشاهد جنسية تتنافى مع الطبيعة الاخلاقية للسينما .

و« اثنان فى واحد » للمخرج " جون هيرتنيلد " وتمثيل " جون ترافولتا " يحال بينه وبين العرض لانه يبدأ بصوت آت من بين النجوم يتحدث مع الممثلين .

يتحاور معهم مفاضلا بين الحياة هنا على الارض وبينها هناك بعيدا فى السماء .

و« سنة الحياة فى خطر » اخراج " بيتر ڤير " وتمثيل " ميل جيبسون » لايرخص له لان قصته عن الايام الأخيرة من حكم الرئيس " سوكارنو » كيف انقلب العساكر على نظامه .. كيف سالت الدماء انهارا

وهكذا .. وهكذا تختنق السينما بطوفان المنع يصل إلى الذروة بصدور قرار يحظر افلام شركة « كولومبيا » جميعها وبلا استثناء ... حتى « غاندى » لم يسلم من القرار ووجد نفسه متهما .. خارجا على القانون

● التخليط لماذا ●

ومع هذا كله ، فإن هناك ما هو افدح واخطر ، واعنى به انعدام المعيار الواحد فى الحكم على الافلام .

فالرقابة التى ارتأت ان « الوجه المدمر » للمخرج الامريكى " بريان دى بالما " غير مشوب بعيب العنف فاجازته ، هذه الرقابة نفسها انتهجت نهجا اخر عندما ارتأت أن « شوارع من نار » للمخرج الأمريكى « والتر هيل » فيلما مشوبا بهذا العيب مما يوجب عليها الامتناع عن اجازته .

ولو بدأنا بتأمل الفيلم الأول لوجدناه

حيرة رقابة

زاخرا بموانع متفجرة كفيلة ببث الرعب فى قلب اى رقيب ، نسف ما قد يكون متبقيا عنده من مدخرات الشجاعة .

فما هى هذه الموانع : ما الذى فى « الوجه المدمر » يفزع ، يحمل لاى رقيب الهمّ والغمّ ؟

فيه كمّ مهول من العنف لو وزع على عشرات الافلام لفاضت دماء ودمارا

ولا غرابة فى هذا فمخرجه اشتهر بالتعطش للدماء ، رأيناها حمراء تسيل بلا حساب فيما اتيح لنا أن نشاهده مما جادت به قريحته من افلام .

وفيه كذلك مشاهد للكوكايين وشمه فى العربات الفارهة والقصور والاوكار ، لم تقع على مثلها عين من قبل

ولاعجب فى هذا " واوليفر ستون " كاتب السيناريو له خبرة طويلة فى عالم تهريب المكيفات وقرائبه ، لمسناها فى « قطار منتصف الليل السريع » ذلك الفيلم الذى يعرض لحياة مهرب مخدرات شاءت له الاقدار أن يزج به فى واحد من سجون

تركيا حيث لاقى اهوالا يشيب لها الولدان .

وفيه مشهد ختامى ، لعله واحد من أكثر مشاهد العنف عنفا .

امامنا " تونى مونتانا » المجرم الكوبى ذو الندبة (آل باشينو)

لقد ذهب شمّ المسحوق الناصع البياض بعقله .

أنه ممسك بمدفع رشاش ، تنطلق منه الرصاصات الى القلب من قصره ، حتى إذا ما انتهت المعركة الدائرة بينه وبين الفرقة الانتحارية البوليفية التى ارسلها اباطرة الكوكايين للخلاص منه ، بسقوطه من شرفة القصر جثة هامدة فى النافورة التى تزين البهو ، ران صمت كصمت القبور وسط اشلاء ودمار ودماء .

اما « شوارع من نار » فله قصة اخرى لعب فيها الخط العاثر دورا كبيرا

● قصة الحي الشرقي ●

هو من نوع الكوميديا الموسيقية الذى ابتدعته هوليوود بدءا من السادس من اكتوبر سنة ١٩٢٧ .

يبدأ بأفراد واحدة من عصابات شيكاغو بالولايات المتحدة فى زمن الروك

« مفيشو » حتمية منع فيلم الأوسكار



والرول بأنغامه الشابة الصاخبة .

انهم صعاليك يرتدون ملابس من جلد اسود سميك ، يضعون على صدورهم الجمجمة شارة الموت ، يمتطون دراجات بخارية يسابقون بها الريح ، ينطلقون عابثين تحت سمع وبصر شرطة لاتملك من امر امن الشوارع شيئا ، إذا دخلوا مكانا افسدوه ، نشروا فيه الذعر والدمار والسنة النار .

وهم فى لقطات الفيلم الاولى نراهم داخل قاعة رقص كبيرة بها حشد هائل من الشباب المراهق يهلل لكلمات تشدو بها احدى ملكات الروك « ديان لين »

وفى ثوان يصعدون الى خشبة المسرح يختطفونها ، يذهبون بها اسيرة الى مكان امين .

ولايكاد ينتهى المشهد الا ويكون « الشجيع » (مايكيل بارى) و« الشجيعة (امى مادريجان) قد ظهرا .

وكما فى افلام الغرب الاقصى (رعاة البقر) تبدأ المعارك حامية ضارية بين الخير يرمز اليه الفارس الاوحد ، وبين الشر تمثله عصابة من الاوغاد .

وطبعا ينتهى كل شىء بانتصار الاخيار على الاشرار : بانقاذ المغنية المخطوفة من براثن زعيم العصابة ، طاهرة لم يمسسها بشر بعودتها الى محبيها عشاق اغانيها معززة مكرمة

إذا ما تعمقنا الفيلم قليلا لتبين لنا أنه بلا دماء بلا قتلى من البشر

قتلاه ـ اذا جاز استعمال هذه العبارة ـ من نوع جديد ، دراجات بخارية يطلق عليها الشجيع الرصاص من غدراته فى موضع خزان البترول ، فتخر صريعة والنار مشتعلة فيها

ومن هنا اسم الفيلم « شوارع من نار » راضح اذن من السرد المتقدم ان نصيبُ الفيلم الثانى من العنف اقل بكثير من نصيب « الوجه المدمر » ورغم ذلك رد الفعل الرقابى اختلف .

الاباحة لفيلم قصر عرضه فى الولايات المتحدة على الكبار ، والمنع لفيلم مباح عرضه فى نفس الولايات للجميع

ماسر هذه المفارقة الصارخة ؟

هنا يتدخل الحظ العاثر .

فوقت عرض « شوارع من نار » على الرقابة ارتكب نفر من الشبان جريمة الحى الشرقى فى ضاحية المعادى .

تلوث الجو ، صار مشحونا بهوس الخوف من ذئاب بشرية لا همّ لها الا الاغتصاب ، هوس تحريض العدالة على انزال اشدّ عقاب بتلك الذئاب .

وفى ظل هذا الجو المسموم كان لابد ان يزداد القمع الفكرى ، ان تنهار معايير التقدير ، ان تتقلص رقعة حرية التعبير .

وكان لابدّ ان يصيب الرقابة خوف شديد معه يضيع من الذاكرة التاريخ القريب .

ومن منطلق الخوف هذا نقبت الرقابة فى "شوارع من نار" فاكتشفت ان ثمة فتاة اختطفت ، وان شبابنا لو تعرض لفتنة مشاهدة لقطة اختطافها لاندفع من دار العرض فاقد الوعى ، مفسدا فى الارض .

ومن هنا كان التضاد المحزن بين التبرئة "للوجه المدمر" وبين القضاء على "شوارع من نار" بالاعدام .

المهمّ فى الامر ان الرقابة فى حيرة ، واشدّ جوانب هذه الحيرة مدعاة للحسرة انها تفعل مع الفن السابع ماتشاء بغير اسباب .. وبغير حساب .

المتفــزعـــــلى

الأشواك

ملاعب وملاعب

بقلم : الدكتور شكرى محمد عياد

● علاقتى بالملاعب واهية جدا . أولادى وأحفادى يتندرون بجهلى المطبق بأسماء اللاعبين فى أية رياضة كانت ، فى الداخل أو الخارج . ربما كان بيليه ومحمد على كلاى هما الاسمان الوحيدان اللذان يمكن أن أعرفهما لو امتحننى أحد مقدمى برامج « المعلومات » فى الاذاعة او التليفزيون وقد حاولت أن أكون إنسانا طبيعيا فشهدت مباراتين او ثلاثا (كان ذلك اثناء المد الثورى القومى والرياضى أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات) ولكنى عجزت عن الشعور بأى تحمس ، حتى حين أسعدنى الحظ بأن كنت من شهود المباراة التاريخية التى انتصر فيها الأهلى على فريق ريال مدريد ، أو فريق بنيفيكا البرتغالى ، لم أعد أذكر الآن ، اعذرونى

بل إن هذه التجارب الفاشلة فى الالتحاق بالجماهير المتحمسة جعلتنى اتصلب فى موقفى العدائى من الملاعب واللاعبين ، فكنت أتبجح بعد ذلك بأنى قضيت أكثر من عامين فى البرازيل ، عندما كان بيليه فى قمة مجده ، و« الكرة البرازيلية » كما يقولون ، تتصدر اندية العالم ، ولم أذهب مرة واحدة الى مباراة كرة قدم ، ولاعرفت طريق « الماراكانا » استاد ريودى جانيرو المشهور ، وكأنما جعلت رسالتى فى الحياة إثبات أن الانسان يمكنه أن يعيش بدون يشاهد مباراة كرة قدم .

فلماذا أريد الحديث عن الملاعب ؟ لعلك تتهمنى بسوء النية ، والرغبة فى الشماتة ، بعد جرى ما جرى من مشجعى فريق ليفربول ، وهجومهم المسلح والغادر على مشجعى الفريق الايطالى المنافس ، داخل حدود دولة محايدة وهى بلجيكا . ولكنك تسرف فى سوء الظن فالواقع أننى كلما فكرت فى هذه الحادثة الشاذة ، التى جلبت العار على إنجلترا وعلى كرة القدم ، كما قالت رئيسة الوزراء تاتشر ، تبادرت الى ذهنى صور الحوادث اليومية المستمرة فى لبنان والفريق الذى لايزال يرتكبها ، وكأنه مصاب بجنون ، أين منه جنون الكرة ، او واقع تحت

تاثير سحر اسود ، اين منه سحر الملاعب ، او مصمم على عربدة ، اين منها عربدة الخمر الرخيصة التى يتزود بها المتفرجون الانجليز . لا ، ليس لأحد ان يشمت أو يزدرى

ولكننى اكتب عن الرياضة والملاعب اقتداء بإمام عظيم من ائمة هذا الشأن ، وهو البارون بيير دى كوبرتان الفرنسى ، فالتاريخ ـ تاريخ الحضارة لا الرياضة فحسب ـ يسجل لهذا الرجل أنه كان صاحب فكرة الدورات الاولمبية وراعيها الأول ، منذ الدورة الاولى التى استطاع إقامتها فى اليونان سنة ١٨٩٦ حتى وفاته سنة ١٩٣٧ ، ولم يكن رياضيا ولكن كان عالما ومربيا . فتراد إحياء « الألعاب الاولمبية » التى كانت نوعاً من الشعائر الدينية فى اليونان القديمة ، مقرها اولمبيا » وهى العاصمة الدينية لبلاد اليونان ، يقصد إليها المتسابقون فى سائر المدن اليونانية ، مرة كل اربع سنوات ، حين كانت المدن اليونانية دولا مستقلة متناحرة . فكان موسم الألعاب الاولمبية اشهرا حرما يمنع فيها القتال ويسود السلام .

دامت الألعاب الأولمبية القديمة قرابة الف عام . ولعلها استطاعت ان تبقى فكرة السلام والأخوة الانسانية حية فى أذهان البشر وإن لم تستطع ـ بداهة ـ ان تضع نهاية للحروب . بل إن اسبرطة استغلتها لتدعيم سلطانها السياسى على سائر المدن . ولا شك ان البارون العالم كان يعرف ذلك . ولكن هل كان يعرف أن الألعاب الاولمبية الحديثة ستحقق كل هذا القدر من النجاح وكل هذا القدر من الفشل أيضا ؟ هل كان يعرف ان بعد ١٣ دولة اشتركت فى الدورة الأولمبية الأولى سوف يتحول « الاولمبياد » بسرعة الى تظاهرة عالمية حقة ؟ وهل كان يعرف أن جزءاً كبيرا من الفضل فى هذا الانتشار السريع يرجع الى الدعاية الهائلة والرعاية الخاصة التى أغدقها هتلر على اولمبياد برلين سنة ١٩٣٦ ، ليجعل من هذا الأولمبياد احتفالا ضخما شاهدا بعظمة المانيا النازية ؟

هل كان يعرف انه قبل أن ينقضى خمسون عاما على الأولمبياد الاول ستقطع الدورات مرتين ، ليخوض العالم ، على مدى عشر سنوات ، حربين طاحنتين ؟ وهل كان يعرف ، او كان مكن أن يعرف ، ان الدورتين الأخيرتين ستتحولان الى معركتين من معارك الحرب الباردة بين عملاقى الشرق والغرب ؟

ن ليس غريباً أن تتصارع نزعات الخير والشر على مستوى العالم ، كما تتصارعان على مستوى المجتمعات الوطنية او المحلية أو على مستوى الأفراد . ولكن الغريب ، والمحير ايضا هو أن ختلط هذه النزعات بحيث يصعب التمييز بينها ، وان ينقلب الضد الى ضده بسهولة تامة ، وان حدث هذا الانقلاب والاختلاط فى حياة الانسان اللاعب ، وليس فقط فى حياة الانسان التاجر او الانسان المحارب !

وقد يزول بعض هذه الحيرة إذا بحثنا ، بدقة اكبر ، فى نسب الاستاد الرياضى المعاصر

فإذا كان الاستاد هو سليل المعبد والديانة الجامعة من إحدى الجهتين ، فإنه ينتمى من الجهة الأخرى الى « الأمفيتياتر » ومن المتقابلات اللافتة للنظر ان الأمفيتياتر لم يبدأ نجمه فى الصعود إلا حين اخذ نجم اوليمبيا فى الأفول . وكما كانت بلاد اليونان مهد الألعاب الأولمبية ، كانت روما موطن الامفيتياتر الأول . ليس السبب فى هذا الاختلاف راجعا الى اختلاف فى طبيعة

الشعب زعـــاى

الأشواك

الشعبين ، كان يقال مثلا ـ إن الشعب اليونانى كان عاشقاً للجمال بنوعيه . الجسمي والروحى ميالاً الى الفلسفة والفن ، بينما كان الشعب الرومانى مطبوعاً على القتال ، غارقاً فى شئون الحياة العملية . فقد كان هذا الشعب فى مبدأ امره شعباً طيباً مسالماً يسكن وادياً خصبا بين مناطق جبلية وعرة ، وكان يعيش من خيرات الارض ، ويقدس الأسرة والتقاليد كسائر الشعوب الزراعية ، ولكن جيرانه الجبليين الأقوياء فرضوا عليه الحرب دفاعاً عن حريته واستقلاله فجعل محاريثه سيوفا ، واقام دولة وامبراطورية

ولكن ما هو الأمفيتياتر ؟

الأمفيتياتر هو الملعب الرومانى الكبير . مدرج دائرى يتسع لعشرات الالوف ، فى وسطه ساحة أشبه بحفرة واسعة منبسطة ، تحيط بها غرف وسراديب ذوات أبواب تفتح وتغلق : تفتح ليدفع من داخلها رجال وحيوانات ، رجال فى ايديهم سيوف ووحوش ضارية اجيعت اياما ، وتغلق حين يصبح الرجال والوحوش فى الساحة ـ الحفرة . وكان مخرجو المشهد يتفننون : فالصراع مرة بين ثور وأسد ، أو بين ثور وإنسان ، او بين أسد وإنسان ، أو إنسان وإنسان . وكان يلقى فى هذه الساحة عادة بالمجرمين والأسرى ، يتقاتلون حتى الموت . وعندما ظهرت ديانة جديدة ينتسب اتباعها الى شخص اسمه المسيح ، أصبح « الصراع » بين هؤلاء المسيحيين وبين الأسود هو المشهد اليومى .

وغدا « الامفيتياتر » هو مكان التسلية المحبب لجماهير روما . فكيف تحولت هذه الجماهير الطيبة الكادحة الصابرة الى وحوش تطرب لرؤية أنهار الدماء ؟ لقد اصبحت روما مدينة ضخمةوعاصمة إمبراطورية . وجلب إليها الوف العبيد من الأقطار المفتوحة ، يعملون فى القصور والمصانع والضياع المجاورة . ولم يستطع الفلاح الرومانى الحر أن ينافس العمل العبودى الرخيص . فباع أرضه وقدم الى المدينة يلتمس فى جنباتها أسباب الرزق ، ويعيش متعطلاً اغلب الوقت . هذا هو جمهور الملاعب الرومانية .

ولكن « الأمفيتياتر » غدا ، منذ ذلك التاريخ ، مؤسسة ضرورية للمحافظة على الاستبداد الطبقى ، يدخلها المواطن ، الذى أصبح شحاذا مدنيا ، ليتطهر من عدوانيته المكبوتة ، ويفرغ طاقاته الحبيسة . وفى عصر الديمقراطية السياسية لم يعد الشعب متفرجاً فحسب . أصبح من حقه أن ينتخب ، وأن يتظاهر ، وأن يضرب عن العمل ، وأن يشغب فى الملاعب .

لأن الملعب الحديث لم يكتشف ذاته الحقيقية بعد : بين عمومته فى « أولمبيا » ، وخؤولته فى « الأمفيتياتر » .

إسكندرية

شعر : عبدالرحمن الوزير . صنعاء



كطيور البحر
تسافر عمياء الى آفاق الوعد
لا ادرى كيف ولا من اين
جميع الامواج ..
جميع الازمنة ..
تلاقت فى الرئتين العائدتين
تلاقت تصطخب ، وتمتد
هنا هاهى ذى
فى الرئتين النائيتين
العاصفة تهب
يفىء المد ..
البحر المتوسط يستيقظ بعد
مدينته العذراء تموج
مدينته العاشقة
سقاها الله .. مدينه
تستدعى قبل تجىء
سماء طفولتها ، عالمها التوأم :
كل الامواج لكى تأتلق
وكل الازمنة لكى تنبثق
حضورا يتنفس
فى الرئتين العاشقتين



• من يركب مترو الانفاق •

ينظر الناس فى القاهرة الى تلك الحفر والاتربة المتناثرة فى منتصف المدينة على انها الامل المنشود فى عام ١٩٨٧ حين يخترق مترو الانفاق المدينة لاول مرة · ويعانى الناس كثيرا من اجل الغد · القاهرة التى « حملت » اكثر من اثنى عشر مليون نسمة ·لم تعد تكفيها الكبارى العلوية رغم انتشارها فى كل اتجاهاتها رأت المدينة ان عليها ان تخترق الارض بعد ان اخترقت الجو ·· وحول مترو الانفاق نشرت جريدة لوموند دراسة فى ٧ مايو ١٩٨٥ · عن مستقبله وجدواه وتكاليفه ·

تقول الجريدة ان فكرة مترو الانفاق لم تبرح اذهان المسئولين المصريين الذين رأوا ان عليهم الا يتأخروا فى تنفيذ هذا المشروع ابتداء من اول السبعينات وان هذا المترو سيربط شمال المدينة بجنوبها فيما يقارب عشرين كيلو مترا يقطعها مجيئا وذهابا مارا بمنتصف المدينة وان مثل هذا العمل لن يكون سهلا وسط الظروف الراهنة ·

عشر سنوات من الدراسة مع الحكومة الفرنسية · وخمس سنوات من المباحثات · ثم تم توقيع العقد عام ١٩٨١ الذى نص على ان تقدم فرنسا بتمويله كقرض يدفعه المصريون يتكلف ١,١ مليار فرنك بفائدة سنوية قدرها ٣٪ يدفع على مدى ثلاثين عاما

تقول الصحيفة انه منذ توقيع العقد والمتاعب لا تنتهى · ففى اول الامر أحس المسئولون المصريون بمدى مايمكن بسبب المشروع — خلال انجازه — من ارباك لنظام الحياة فى المدينة ·خاصة شارع رمسيس ويقول السيد كارلييه احد المسئولين عن التنفيذ « اخرنا غياب الاعداد ونوايا المسئولين لمدة عامين ··

اما المشاكل الاخرى فمن اهمها مواجهة خطوط الكهرباء والتليفزيون والمجارى والغاز · وتقول الجريدة انه عند بداية العمل ظهرت بعض الخطوط لم تؤخذ فى الحسبان عند تخطيط المشروع كما ادت المياه الجوفية المشبعة بالطين دورها فى عرقلة تقدم المشروع بالاسلوب الامثل كما ان تعاقب اكثر من مسئول فرنسى على التنفيذ قد ساعد فى التأخير · حيث تولى ادارة المشروع على التوالى اربعة من الفرنسيين احدهما سقط مريضا · والثانى لم ترغبه الحكومة المصرية لانه من اصل جزائرى · اما الاخرين فقد رحلا بعد ان اصابهما الملل · ولذا فحتى شهر مارس عام ١٩٨٣ لم يكن قد تم شىء ذى جدوى ·

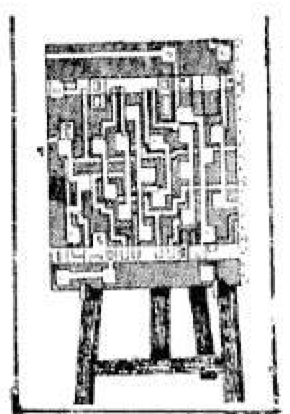
الا ان العمل سار بعد ذلك فى ظروف افضل · فحتى مارس الماضى تم انجاز ٥٠٪ من المشروع · يصرح السفير الفرنسى فى القاهرة : « لم تعد هناك مشاكل فقد بدأ الناس يتأقلمون والعمل يتقدم · وتبقى المشكلة الرئيسية ان يخرج المشروع فى النهاية على احسن صورة » ·

وحسبما تقول الجريدة أن العاملين فى مترو الانفاق يبلغــون ثلاثة الاف عامل مصرى • وثلاثمائه خبير فرنسى وانه كان من المفروض ان يتم افتتاحه فى نوفمبر ١٩٨٥ • ولكن نتيجة لبعض الصعوبات السابق ذكرها فسوف يتم افتتاحه فى اواخر عام ١٩٨٧ وان هذا التأخير قد رفع من التكلفة الاجمـالية التى ستصل الى ٤ر٣ مليار فـرنك فرنسى تتحملها مصر وحدها مــع فوائدها •

من الواضح ان المترو مشروع هام بالنسبة للعالم غدا فى مدينة « حاملة » مثل القاهرة • لكن هل سيحل مشاكل المدينة ؟ بالطبع سيعمل على تغييــر وجه الحياة فى القاهرة • وســوف يخفف الكثير من معاناتها • لكن هل يمكن لاصحاب السيارات ــ وما اكثرهم ان يستعملوه ؟ أم أن استعماله سيظل مقصورا على رجل الشارع العادى الذى يتكدس يوميا فى وسائل المواصلات وهذه مشكلة جديدة ستواجه المسئولين وعليهم الاستعداد لها من الان •

تقول لوموند ايضا ان مترو الانفاق ليس هو المشروع الوحيد الضخم الذى تشهده القاهرة الان • فهناك مشاريع اخرى لها جدواها مثل انشــاء مستشفى عين شمس اضخم مستشفى بنيت فى البلاد منذ اكثر من خمسين عاما •



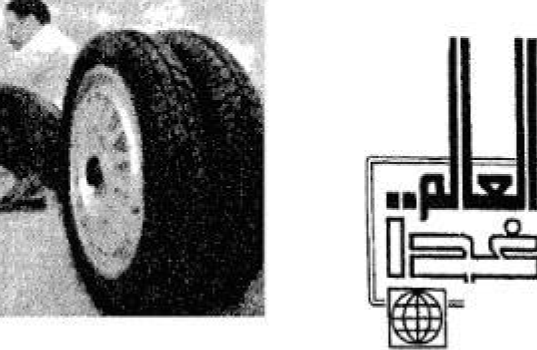


● الكومبيوتر •• يبحث عن حقوقه كمؤلف ●

لعل هذا الخبر يبدو طريفا • لـكنه سيكون واقعا فى العالم غدا •• فمن المعروف أن الكومبيوتر سيكون سيد العالم غدا ومنافسا للانسان فى مجالات كثيرة • وقد نجح الكومبيوتر بالفعـل فى رسم اللوحات الفنية وكتابة بعض القصائد وتاليف سيمفونيات واخراج افلام سينمائية •• وغدا سوف تزداد كفاءته وأهميته •• وسيصبح مؤلفــا دون الاستعانة بالانسان ••

والسؤال المطروح • من ســيكون صاحب حق التاليف للاعمال الفنيــة التى يبدعها الكومبيوتر •• هل هــو الجهاز الاصم نفسه ؟ أم المنظم الذى يعمل عليه • ام صاحب العمل الاصلى مثلا لوحة مثل الجيوكندا •• يمكـن للكومبيوتر اعادة رسمها عن طــريق التنقيط كما هو مألوف •• فمن هــو صاحب هذه اللوحة الجديدة هل دافنشى ام الكومبيوتر الذى سيرى أن هنـاك اختلافات جذرية بين لوحتة ولوحــة ليوناردو دافنشى • مثلما يفعــل المخرجون فيما يتعلق بالنص الادارى حاليا •• كما ان هناك مشكلة اخـرى ستظهر فى المستقبل تتعلق بهــذا الموضوع وهى السرقات الفنية والادبية بين اجهزة الكـــومبيوتر •• فى تلك الاونه سوف تشهد ساحات المحــاكم

العالم غدا



نوعا جديدا من القضايا ليست مألوفة حاليا . وسوف تشهد تصريحات هذه الاجهزة حول الموهبة الحقيقية والمزيفة الحمد لله لن تظهر هذه المشكلة فى بلادنا .. لاننا لا نتعامل مع اتفاقية حق المؤلف .

● احدث ميكروفون فى العالم ●

للحصول على تسجيل نقى ، وأوضح فائق الجودة تمكنت شركة بريطانية من انتاج احدث ميكروفون فى العالم. صمم الميكروفون على شكل مجداف وبالتالى يساعد سطحه العريض فى التقاط واستقبال الموجات الصوتية المباشرة والعكسية مما يعطى صوتا نقيا وتسجيلا خاليا من العيوب . يمكن استخدام الميكروفون مع اجهزة التسجيل العالية أو الفيديو كاسيت ووصل سعره الى ٦٠ دولارا



● جهاز انذار مبكر فى اطار سيارتك ●

كثيرا ما تقع حوادث السيارات نتيجة انفجار مفاجىء فى احد الاطارات مما يفقد السائق القدرة على السيطره على سيارته وبالتالى تصبح حياته معرضة للخطر . لهذا السبب انتجت احدى شركات الاطارات جهاز حساس يركب داخل اطار السيارة العادية ويتمشى مع هندسة السيارات بشكل عام بحيث يعمل بمثابة جهاز للانذار المبكر يحذر السائق من الخطر الذى قد ينتظره . يتضمن هذا الجهاز الحساس على جهاز للارسال يتأثر باى ارتفاع مفاجىء فى الحرارة أو انخفاض فى ضغط الهواء فيرسل اشارة مباشرة قد تظهر على لوحة العرض امام السائق أو يصدر هذه صوت نفير مميز يعرفه السائق فيدرك على الفور وجود الخلل فى اطارات سيارته .

● العالم عام ٣٠٠٠ ●

يتصور الكاتب الامريكى جورج ادم العالم عام ٣٠٠٠ على الصورة التالية :

● امريكا وروسيا يغزوان القمر ويكون بينهما مناصفة . ويزدحم القمر بالسكان اكثر من الارض ويكون هناك ضوضاء وربما تلوث

● يكون الانتقال الى القمر بواسطة الصواريخ بدلا من الطائرات ويكون الانسان اقرب الى السماء بدلا من الارض .

● أما عن المدن عام ٣٠٠٠ ستكون

أيضا على القمر وفى البحار وقاع المحيطات وتكون الغواصات وسيلة المواصلات بين بلد وأخرى وان اى شخص يمكنه مشاهدة ما بداخل أعماق البحار والمحيطات من مختلف انواع الاسماك والاعشاب المرجانية وغيرها بواسطة المشاهدة من نافذة الغواصة ·

ومن اهم مميزات مدن عام ٣٠٠٠ ، ان تكون العمارة سهلة التركيب ويمكن فكها ونقلها وتركيبها فى اى مكان

● اما عن المواصلات ستكون بواسطة الصواريخ وطائرات الكونكورد التى تقطع المسافة الان بين امريكا ولندن فى ٤ ساعات فانها ستقطع فى ساعة واحدة·وحينئذ تختفى السيارات وتظهر موضة شراء الطائرات التى يمكنها السير على الارض مثل الطائرة ·

● اما تليفزيون عام ٣٠٠٠ ، يمكنك مشاهدة تليفزيونات العالم كله عن طريق الاقمار الصناعية ، فمثلا وانت فى امريكا يمكن مشاهدة تليفزيون افريقيا والعكس فى كل انحاء العالم

وعن التليفزيون عام ٣٠٠٠ فيكون بدون اسلاك ولا كبلات ولا حرارة ولا يعطل ويكون مرىء بالاريال وقد تشاهد المتكلم ويشاهدك

● اما بالنسبة للقطار الصاروخى فانه قد يختصر المسافة الى اقل من ربع المسافة الحالية ·

وبالنسبة للكومبيوتر فانه ينتشر بشكل كبير ويكون على شكل ساعة صغيرة تضعها فى جيبك او تلبسها فى معصمك ويكون استعماله سهلا جدا ·

يكون الانسان مستريحا جدا فى كل شىء حتى مأكله فستكون الثلاجة مثلا صغيرة جدا حيث لا يحتاج الانسان الى وضع طعام فانه سيكون على شكل حبوب أو بودرة

● السينما أكثر أبهارا ●

كلما زاد انتشار الفيديو فى العالم فصناعة السينما اصبحت فى خطر وضع السينمائيون ايديهم على قلوبهم يعرفه الجميع ·· ومنذ اختراع السينما وهى تحاول دائما ان تقدم الجديد من اجل الابهار ·· والابهار هو أهم سمة للسينما ويفتقده التليفزيون والفيديو معا ·· ولذا فان العلماء يعملون فى مجال تطوير فن السينما يقدمون دائما كل ما هو مثير للابهار فبعد الشاشة العريضة · والسينيراما والصوت المجسم ـ وهذه كلها ليست فى الفيديو ذلك الصندوق الصغير قدم العلماء للمشاهد الفرنسى اضخم شاشة عرض فى العالم ··

هذه الشاشة افتتحها الرئيس فرانسوا ميتران فى مايو الماضى بباريس تبلغ مساحتها الف متر مربع (ولك ان تتخيل حجمها) على هذه الشاشة تم تكبير الصورة عشرة اضعاف الصورة التقليدية لشاشة الى ٣٥ مم وتصبح قوة تجسيم الصورة ستة اضعاف الصوت المتعارف عليه وبعيدا عن أى ازعاج · ويتم بث هذا الصوت من خلال اثنى عشر مكبرا تنتشر فى الصالة · اما آلة العرض فتعمل من خلال قوة كهربية تبلغ ١٥ الف وات وتبلغ مدى الرؤية ١٨٠ درجة ·

العيب الوحيد فى مثل هذه الصالات انها لا يمكن ان تستوعب عددا كبيرا من المشاهدين الذين لا يزيدون عن الاربعمائة ·· وهو عدد متواضع قياسيا الى صالات السينما الكبيرة الموجودة الان فى المدن · وبلاشك سوف يكون سعر التذكرة مرتفع وسيصبح متفرج هذا النوع من دور العرض مجرد هاو ·· ولعل الفيديو لن يتأثر كثيرا رغم نقائصه ·



كيف تحطم الأرقام القياسية

إعداد : نهال الشريف

□ يستطيع الانسان الحديث أن يحقق نتائج افضل بكثير من تلك التى حققها من قبل عن طريق جهود ذهنية وجسمانية اقل . هكذا يقول لنا البروفيسور فلاديمير كوزنتسوف المسئول عن معمل القدرات الانسانية المختزنة فى معهد ابحاث الدراسات البدنية فى موسكو .

فى داخل هذا المعمل تحولت إحدى صالات الجيمنيزيوم الى معمل اختبار يؤدى فيه اللاعبون الألعاب المختلفة وذلك لاختبارها وتحليل النتائج . وفى المعمل الصغير نرى اللاعبين وهم يمارسون الجرى والقفز ويرمون الرمح ويرفعون الأثقال وغيرها . ولكن كل هذا بأجهزة علمية معدة إعدادا خاصا لاجراء التجارب فالرمح مثلا تجده غير تقليدى فهو مزود بجهاز ماص للصدمات ومثبت على دعامات خاصة بحيث تجبر اللاعب على أن يسدد رميته بالشكل الصحيح .

أما العداءون فهم لايجرون حول الملعب وإنما يجرون فوق جهاز صغير ثابت على الأرض ومزود بسير متحرك ويقوم المتخصصون بتحليل هواء الزفير الذى يخرجه اللاعب اثناء جريه لقياس كمية الاكسجين المستهلك . وهذا الاستهلاك يعد مؤشرا للطاقة المستهلكة لدى اللاعب وبناء عليه يمكن تحديد القدرة القصوى للاعب وتنظم الجرى المطلوبة بالنسبة للمسافات المختلفة .

وفى زاوية اخرى من المعمل يوجد جهاز أشبه بالأرجوحة مزود بعدد من الروافع يقابلها من جهة اخرى الاوزان المختلفة وترى اللاعب وهو فوق هذا الجهاز وقد اسند يديه على جزء ثابت منه . ثم يضغط بقدميه على قاعدة الجهاز الذى يسجل قوة الضغط التى حققتها قدما اللاعب والحمل الواقع على ساقيه . ويختزن الكومبيوتر المعلومات التالية الزمن ١٣٩ر من الثانية . قوة الدفع ٧٣٠ ك جم اسم اللاعب فلاديمير ياشينكو وهو لاعب عالمى حطم رقما قياسيا فى القفز العالى من قبل . ويتضح لنا من هذا الرقم الذى سجله

الجهاز أن هذا اللاعب بإمكانه ان يحقق قفزة عالية يبلغ ارتفاعها ٥ر٢ متر وهو مايبدو لنا الان امرا مذهلا

قدرات إنسانية لم تكتشف

من الاشياء الهامة بالفعل انه مهما بلغت معرفة الانسان بقدراته إلا انه مازال هناك الكثير مما لم يكتشف بعد حتى ان بعض الخبراء العالميين يخطئون في تقدير الامكانيات المختلفة للبشر . وهذا ما تاكده لنا الدورة الاوليمبية التى عقدت فى المكسيك فى عام ١٩٦٨ فالالعاب الاوليمبية كانت تجرى على إرتفاع ٢٢٤٠ مترا فوق سطح البحر وقد اعتقد البيولوجيون وعلماء الكيمياء الحيوية وعلماء النفس والأطباء من مختلف الدول حينذاك ان انخفاض مستوى الاكسجين فى الهواء سيكون له الرد السلبى على الاداء الاوليمبى ولكن على عكس كل التوقعات فإن الانخفاض المعتدل فى معدل وصول الاكسجين لانسجة الجسم قد ساعد على تحقيق النتائج الرياضية المذهلة فى اوليمبياد المكسيك ومنها الوثبة الطويلة التى حققها اللاعب الامريكى بوب بيمون والتى بلغت ثمانية امتار وتسعين سنتيمترا

ان الظهور المفاجىء للقدرات البشرية الخفية او الكامنة يحدث فى حياتنا اليومية مثلما حدث مرة فى القارة القطبية حينما كان احد الطيارين يقوم بفحص طائرته عقب هبوط اضطرارى ثم احس فجاة بان قدم دب قطبى قد لمست احدى كتفيه برغم كل الملابس الثقيلة التى كان يرتديها الطيار ، ولشدة فزعه قفز الطيار عاليا فى الهواء واستقر فوق احد جناحى طائرته والذى كان يعلو عن سطح الارض بمسافة مترين

مثل هذه القصص تتخلل حياتنا اليوميه وتبدو وكانها غير معقولة ولكنها تحدث فالظروف الطارئة والمفاجئة هى التى تحتم ظهور القدرات البشرية الكامنة

لقد ظل العلماء يدرسون الانسان العادى فى ظل الظروف الطبيعية وكان كل ماهو غير طبيعى فى هذه الظروف يعتبر امرا فوق طاقة الانسان فى المقاييس الرياضية

ولكن ماذا لو تناولنا الفكرة من زاوية اخرى ؟ ماذا يحدث إذا غيرنا فكرتنا التقليدية واعتبرنا ماهو غير طبيعى طبيعيا ؟

إن العالم بافلوف هو الذى اسس فرعا جديدا للعلوم باسم « علم القدرات الانسانية القصوى » وشرح لنا البروفيسور كوزنتسوف ان هذا العلم يدرس الحالة التى يكون فيها انسان بحالة صحية جيدة عند تعرض قدراته الذهنية والجسمانية للجهد الاقصى

ومع بداية هذا القرن توصل العالم بافلوف الى نظريته القائلة بان ظهور القدرة الذهنية والجسمانية القصوى للانسان لاتحدث إلا فى ظل الظروف القصوى



ناجى اسعد يتفوق على نفسه

كيف تحطم الأرقام القياسية

وعلى اى حال فإن حياة الرياضيين ماهى إلا سلسلة متصلة من الجهد .

منطق الظروف القصوى لأداء الجسم البشرى

ويقول البرفيسور كوزنتسوف . عندما يحطم أحد الرياضيين رقما قياسيا فإنه يدخل منطقة الظروف القصوى بالنسبة للجسم البشرى والتى لايطيقها الانسان العادى وربما لاتستمر حياته إذا دخل منطقة هذه الظروف ولمزيد من التوضيح يقول ان الرياضى المدرب جيدا عند نقطة حرجة معينة يبدأ صمام الأمان لديه فى العمل ليجعله قادرا على تحمل ماهو فوق القدرة البشرية . وبدراسة ميكانيزم هذه الظاهرة يضع العلماء القوانين العامة لكيفية عمل الأعضاء البشرية فى ظل الظروف القصوى والطبيعية أيضا .

لقد ساعدت التجارب التى اجريت على كبار الرياضيين عبر العديد من السنين من خلال الباحثين فى معهد أبحاث البروفيسور كوزنتسوف ليشكلوا مايسمونه بقانون المنطق وهذا القانون ملخصه انه فى حالات الضغط القصوى التى يتعرض لها اللاعبون فإن الأعصاب والعضلات تكون فى اقصى شد لها كما ان الجسم لايستطيع ان ينفق المزيد من الطاقة وبذلك تاتى حركات اللاعب كلها محسوبة بدقة حسب كمية الطاقة المتاحة له . وهذا بالتحديد مايجعل اللاعب قادرا على اللجوء للاحتياطى الكامن من قدراته وطاقته حسب ماتقتضيه الظروف .

هذا الاحتياطى يمكن اكتشافه بمساعدة الأجهزة الموجودة بالمعمل فعلى سبيل المثال نجد ان الرمح الذى ذكرناه من قبل وهو مزود بأجهزة خاصة لايتيح الفرصة للاعب أن يرمى بالرمح بطريقة خاطئة تتطلب منه بذل مزيد من الجهد ليصل للهدف المطلوب بل ان الجهاز يجبر اللاعب على ان يسدد الرمية الصحيحة بأقل جهد ممكن وقد اتضح من تحليل دقيق لتكنيك رمى الرمح لدى افضل اللاعبين فى هذه الرياضة فقد وجد انهم يشتركون فى تكنيك متشابه وبذلك يمكن الوصول لأفضل النتائج



اسماعيل الشافعى بطل التنس المصرى العالمى



محمد رشوان صاحب المركز الثانى على العالم فى الجودو فى اولمبياد لوس انجلوس

كما اتضح ايضا من التجارب انه من الطبيعى ان يعتمد رمى الرمح على جهد الذراع اى الجهد الذى تبذله خمس إلى سُبع عضلات الجسم . ولتحقيق افضل النتائج فإن ٧٠ عضلة مختلفة فى الذراع والاكتاف والساقين والظهر يجب ان يشتركوا فى بذل الجهد فى تتابع محدد

وهناك هدف مماثل تحققه لنا الارجوحه ذات الروافع والموازين فاللاعب يدفع بنفسه فوق ارضية الجهاز ويضغط باسلوب محدد . وقد وجد ان جهاز التدريب قد ساعد اللاعب الذى يجرى تدريبه نفسيا بدرجة كبيرة لتسجيل ضغطة كبيرة اتضح منها ان باستطاعة اللاعب ان يحقق قفزة ارتفاعها ٢٫٥ متر .

وهذه الحقيقة الاخيرة تعد ذات اهمية حيوية قصوى . فالاثر النفسى لدى اللاعب يكون ذا تاثير هام على ادائه .

وفى المعمل ايضا يوجد وحدة كومبيوتر تقوم بتسجيل التغييرات الحادثة لدى اللاعب حتى بالنسبة للحركات التى لايستغرق اداؤها سوى دقائق والتى تبدو غير ملحوظة بالنسبة للعين البشرية ومنها على سبيل المثال مجموع الحركات التى ياتى بها رافع الاثقال والتى قد تجعله يحطم رقما قياسيا حيث تكون فى هذه الحالة جميع التحركات الذهنية والجسمانية التى يقوم بها اللاعب مثالية . ففى عديد من التجارب وجد ان الانحراف عن التحركات المثالية فى حوالى ٢٥ ـ ٣٠ ٪ من الحالات يكشف عن عدم الاستعداد النفسى الكافى لدى اللاعب وفى هذه الحالة لايستطيع اللاعب ان يرفع ثقل اكبر من ٧٠ ـ ٨٠ ٪ من الثقل الاقصى الذى يستطيع رفعه .

ويعتقد العلماء ان المعلومات التى يحصلون عليها من تجاربهم حول القوانين التى تحدد تحركات الجسم البشرى فى ظل الظروف القصوى ستساعدهم على اخراج الكامن من القدرات البشرية فى الوقت المناسب بدلا من انتظار الصدفة لظهور القدرات الكامنة .

ارقام اللاعبين المسجلة والحد الاقصى الممكن للاداء

يرى العلماء من تحليل اداء اللاعبين الرواد او محطمى الارقام القياسية انه يمكن تحديد الحد الاقصى الممكن لهذا الاداء وماذا لو استفدنا من هذه النتائج وحاولنا تطبيقها مثلا على عمال الخراطة والمعادن وغيرهم من العمال الذين يبذلون جهدا عضليا فى عملهم ؟

وفى هذا الصدد يقول لنا البرفيسور كوزنتسوف لابد ان جميعنا قد راينا فى يوم ما احد العمال وهو يؤدى عمله . ولابد اننا لاحظنا ان حركات هذا العامل كلها محسوبة بدرجة كبيرة فهو يعمل بسرعة ولايتعب بنفس الدرجة التى يشعر بها اى شخص اخر غير مدرب يحاول ان يقوم بنفس العمل وهدفنا فى النهاية ان نستفيد من تجاربنا لنجعل اى شخص عاملا ماهرا يستطيع عن طريق التدريب والارشاد ليبذل الجهد المناسب لكى ينتج الحد الاقصى الممكن عمله .

وفى ضوء هذا البحث المتعلق بالحدود القصوى للقدرات البشرية وضع الباحثون فى معمل البرفيسور كوزنتسوف قاعدة جديدة بحيث تحول فترة التدريب المهنى إلى عادات مهنية سليمة ودقيقة وهذه القاعدة تنص على ان تبدا فترة التدريب بالعناصر الاساسية جدا على ان تاتى العناصر الاقل اهمية فيما بعد . ويعتقد العلماء انه يمكن تطبيق هذه القاعدة فى عدد من المجالات حيث وضع نظام تدريبى للكتابة على الآلة الكاتبة لاختصار فترة التدريب من عدة شهور إلى اسابيع قليلة



● فى بعض القضايا نجد هناك اتفاقا غير مقصود، بين بعض من اعدا اعداء الاسلام وبعض من أكثر المتعصبين للاسلام ؟ ! ..

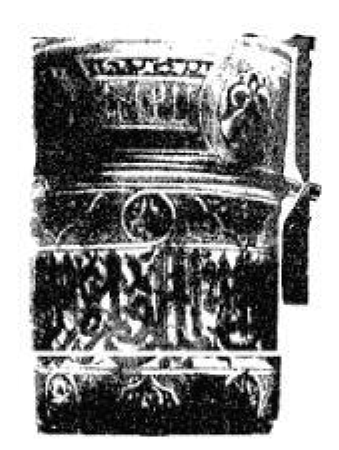
وقضيتنا – قضية موقف الاسلام من « الفن » ، ومن « الفن التشكيلى » – وبالذات : الرسم والنحت والتصوير – هى واحدة من القضايا التى اتفق فيها المعادون للاسلام والعرب والحضارة العربية الاسلامية ، عن جهل أو سوء قصد – مع قطاع كبير من « الفقهاء » غير المجتهدين !! وانصاف المثقفين بثقافة الاسلام ، من الذين وقفوا عند ظواهر النصوص والمدلول الحرفى والجامل للمأثورات !..

فالشائع لدى هؤلاء .واولئك ، أن الاسلام ، كدين ، قد اتخذ موقفا غير ودى ، ان لم نقل معاديا ، من الفن التشكيلى ، عندما حرم تصوير «المخلوقات الحية » ، حيوانات كانت أو انسانا ، وان هذا التحريم قد اصاب الحضارة العربية الاسلامية بما يشبه العقم او الفقر فى هذا الميدان .. وأن ماشهدته هذه الحضارة من رسم ونحت وتصوير انما كان نشاطا « دنيويا » ، تأثرت فيه بالموارث السابقة على الاسلام ، والوافدة على بلاده ، وانها قد احتضنته وطورته فى تناقض ، ان لم نقل فى عداء للاسلام كدين !

ونحن عندما نتأمل « حجج » هؤلاء الذين يغضون من شأن « الحاسة الفنية » فى حضارتنا العربية الاسلامية ، نجد أن الاحاديث النبوية الشريفة التى رويت فى ذم التصوير والنهى عنه هى الاعمدة والمرجع لكل الذين رأوا أن الاسلام موقفا غير ودى من النحت والتصوير .. ومن هنا كان استقراء هذه الاحاديث ، وتفسيرها على ضوء الواقع الذى قيلت فيه والظروف والملابسات التى احاطت بقولها .. مع البحث عن خيوط التطور فى السنة النبوية ازاء هذه القضية .. امرا جوهريا وضروريا وحيويا فى وعى الموقف الحقيقى للاسلام من الرسم والنحت والتصوير ..

ان البعض ينطلق من ظاهر نصوص عدد من الاحاديث النبوية ، كيرى ان السنة قد حرمت الصور والتماثيل للاحياء حيوانا كانت أو انسانا – وانها بذلك قد نسخت الاباحة التى كانت لها فى شريعة النبى سليمان ، عليه السلام ، عندما كانت من نعم الله التى انعم بها على سليمان ..

« ولسليمان الريح غدوها شهرورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن



بقلم الدكتور محمد عمارة

من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير، يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور «(١)» .

لكننا اذا طلبنا بيان علة هذا النسخ الذى يقول به البعض ، نجد انها : تحول الصور والتماثيل الى معبودات ، قبيل وعند ظهور الاسلام .. كما كان حالها لدى قوم ابراهيم ، عليه السلام .. وهو الامر الذى لم تكنه زمن نبوة النبى سليمان .. واذا كانت الاحكام تدور مع عللها وجودا وعدما ، فان التحريم للتماثيل والصور سيصبح ، بداهة ، مرهونا بمظنة اتخاذها اندادا تشارك الله فى الالوهية والتعظيم ، فاذا ما انتفى هذا السبب وزالت هذه العلة انتفى التحريم ، وعادت الاباحة ــ التى هى الاصل فى الاشياء ــ حكما للصور والتماثيل !..

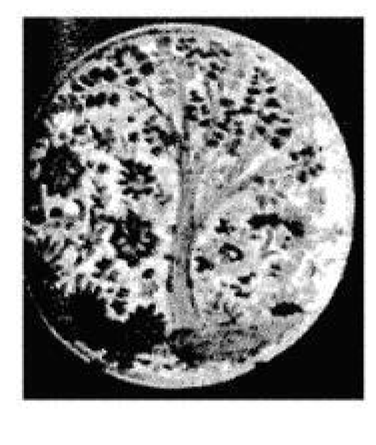
ولحسن الحظ .. فان « النظرة الشاملة » ، وايضا « الاستقرائية » للاحاديث النبوية الشريفة التى رويت فى « الصور والتماثيل » تؤكد هذا الذى نذهب اليه ، وتقطع بأن التحريم مرهون بكون هذه الصور والتماثيل مظنة العبادة من دون الله والاشراك به فى العبودية .. كما انها تفصح عن أن هذه الاحاديث التى تنهى عن « الصور والتماثيل » انما كانت تعالج شئون جماعة بشرية هى قريبة عهد بالشرك والوثنية ، وان توحيدها لله سبحانه قد خرج بها من هذه الحالة خروج الدواء بالمريض من مرحلة العلة الى بدايات طريق الشفاء .. فهى قد خرجت من الوثنية وعبادة الصور والتماثيل ، لكنها لا تزال ــ يوم قيلت هذه الاحاديث ــ فى « دور النقاهة » ، الامر الذى استدعى تركيز الاحاديث النبوية على النهى عن اتخاذ الصور والتماثيل كيلا تعود هذه الجماعة الى المرض من جديد !..

وبادىء ذى بدء .. فان لدينا عددا من الاحاديث النبوية تنهى عن التصوير .. وعن اتخاذ الصور والتماثيل .. لكننا يجب أن نستحضر ، ونحن نتدبرها ، المناخ والبيئة والاطار الذى قيلت فيه ، حتى ندرك المقاصد والعلل والحكم والغايات ..

فهى قد قيلت لمؤمنين بالله الواحد كانوا حتى الامس القريب يعبدون الصور والتماثيل .. وهؤلاء المؤمنون كانوا محاطين بعبدة الصور والتماثيل ، الذين لم يؤمنوا بعد بالتوحيد .. وصناع التماثيل والاثاث والادوات ــ وهم فى الاساس من غير العرب ــ كانوا يزينون



السنة النبوية والفن التشكيلي



طبق من الخزف منغرس عليه شجرة يرجع الى القرن السادس عشر الميلادي

مصتوماتهم ومنسوجاتهم بصورة الآلهة «الأصنام» ـ كي تروج في البيئة العربية الوثنية .. ولذلك كان النهي عن هذه الصور ، في ذلك الظرف والمناخ ، نهيا من الوثنية ، ودعوة لتنقية المنازل من صور الأصنام المعبودة في الجاهلية ، وسعيا لاجتثاث جذور المرض الوثني ، أو مرض الوثنية ، وذلك حتى تبرأ الجماعة البشرية العربية تماما من الشرك والتعدد ، وترسخ في قلوبها عقيدة التوحيد .. ولذلك جاء النهي عن الصور التي تمثل الآلهة ـ وهي التي كانت تعبد ـ ولم يحدث نهي عن صور الشجر أو تلك التي تمثل الطبيعة ، إذ لم تكن من المعبودات .. ولم يحدث نهي عن صور « النار » ـ مثلا ـ لأنها كانت معبودا مجوسيا فارسيا .. ولم تكن صورها خطرا على التوحيد في البيئة العربية ، التي لم تعرف عبادة النار!..

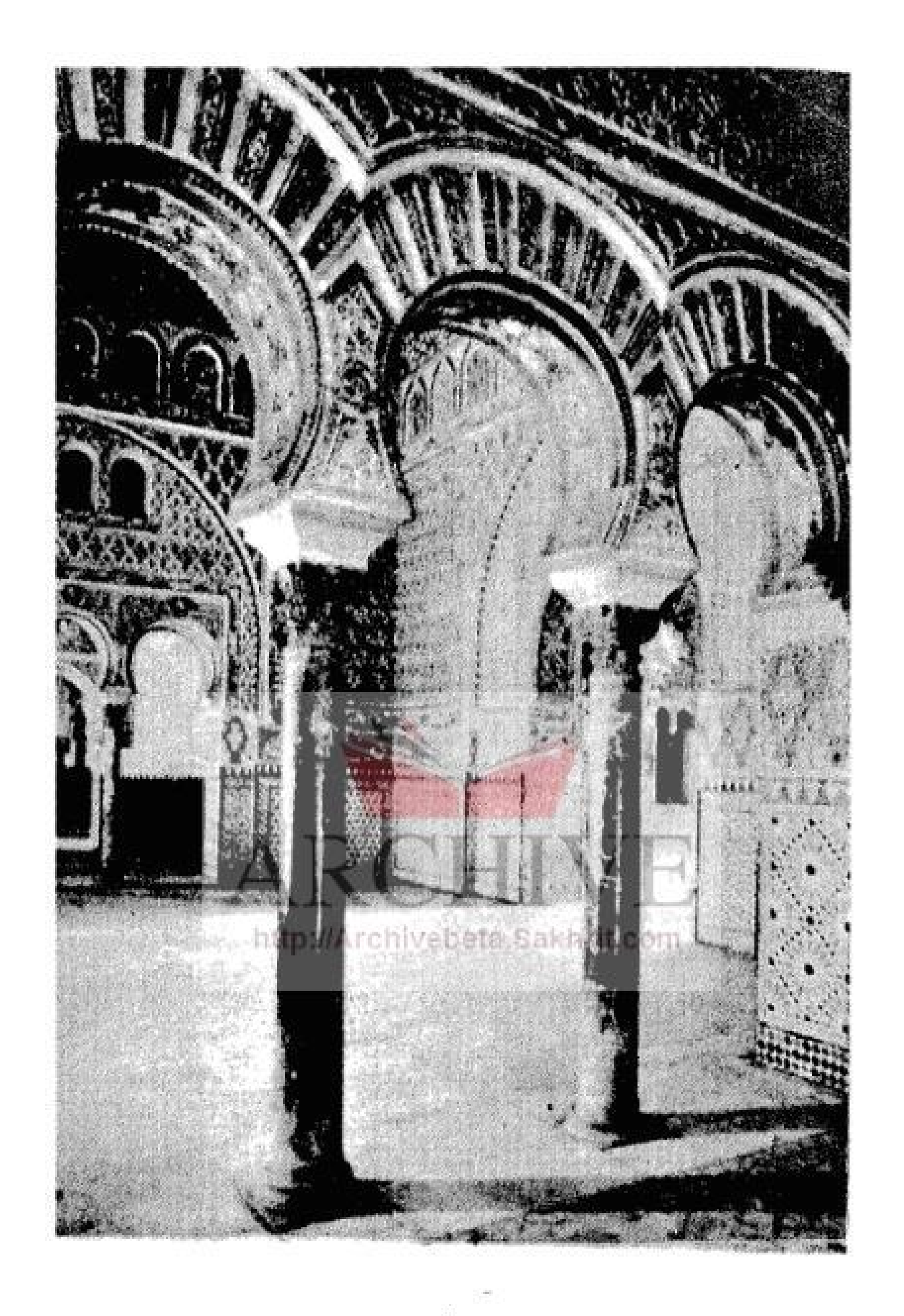
فالمستهدف ليس « الفن » ، والتماثيل الوثنية ، والمسارب التي يمكن أن تؤدي الى دعوة الإشراك بالله ؟ ..

● وفي اطار هذا النص نقرأ كقول الرسول ، صلى الله عليه وسلم : « من صور صورة عذب يوم القيامة حتى ينفخ فيها ، وليس بنافخ ... » (٢) .. أي حتى ينفخ فيها الروح فيحييها .. وأنى له أن يستطيع ذلك

ولقد جاء رجل من أهل العراق ، كان يحترف التصوير ، جاء الى عبد الله بن عباس ، فقال له : « يابن عباس ، اني رجل أصور هذه الصور ، واصنع



قطعة فنية بارزة من العاج محفوظة في متحف اللوفر ترجع الى القرن العاشر الميلادي



بيوت السفراء على طريقة الفن الاسلامي



هذه الصور ، فافتنى فيها » !

● فقال له ابن عباس : « انبئك بما سمعت من رسول الله ، سمعت رسول الله يقول : كل مصور فى النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفس تعذبه فى جهنم » ! ..

ثم استطرد ابن عباس ، فاشار على الرجل أن يصور مالا حياة فيه ، فيمارس « الفن » فى غير ماهو مظنة الوثنية مما جاء فيه النهى والتحريم ، فقال للرجل : « ... فان كنت لابد فاعلا فاجعل الشجر ومالا نفس فيه » (٣) .

● ولقد وضع الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، هذا الحكم وهذا الموقف موضع التطبيق ، فقاد المسلمون حملة ازالة وتحطيم لصور المعبودات الوثنية وتماثيلها .. صنعوا ذلك بالمدينة قبل فتح مكة وتطهير الكعبة .. ففى الحديث الذى يرويه على بن أبى طالب يقول : « كان رسول الله فى جنازة ، فقال : أيكم ينطلق الى المدينة فلا يدع بها وثنا الا كسره ، ولا قبرا الا سواه ، ولاصورة الا لطخها ؟ ... فقال « رجل » : أنا ، يارسول الله ، فانطلق ، فهاب أهل المدينة ، فرجع ! . فقال على بن ابى طالب : انا انطلق ، يارسول الله . فانطلق ، ثم رجع ، فقال : يارسول الله ، لم أدع بها وثنا الا كسرته ، ولا قبرا الا سويته ، ولا صورة الا لطختها . ثم قال رسول الله : من عاد لصنعة شىء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد .. » (٤) فالازالة هنا لرموز الوثنية ، بما فيها الصور المعبودة والمعظمة وشواهدها !..

ويوم فتح مكة .. أمر النبى ، صلى الله عليه وسلم ، عمر بن الخطاب أن يتقدم الى الكعبة فيزيل من داخلها الصور والتماثيل المعبودة ، والتى كانت تمثل ابراهيم واسماعيل ، عليهما السلام ، ومريم .. فعن ابن جريج : « ان النبى نهى عن الصور فى البيت ، ونهى الرجل أن يصنع ذلك ، وانه أمر عمر بن الخطاب ، زمن الفتح ، وهو بالبطحاء ، أن يأتى الكعبة فيمحو كل صورة فيها ولم يدخل البيت حتى محيت كل صورة فيه ... » (٥) ..

ويروى ابن عباس أن النبى ، صلى الله عليه وسلم « .. لما رأى الصور فى البيت ـ يعنى الكعبة ـ لم يدخل ، وأمر بها فمحيت . ورأى « صور » ابراهيم واسماعيل ، عليهما السلام ، بأيديهما الازلام ، فقال : قاتلهم الله ، والله ما استقسما بالازلام قط ! .. » (٦) .

وفى البخارى ، أن عمر بن الخطاب كان يمتنع من دخول الكنائس من أجل ما فيها من التماثيل والصور المعبودة .. « وكان ابن عباس يصلى فى البيعة ، الا بيعة فيها تماثيل ! » ..

فالنهى والتحريم ، فى النظرية والتطبيق ، يستهدف مظان الشرك ، وشراك الوثنية ، والروافد التى تحفظ الحياة وتمد فى العمر لنقيض عقيدة التوحيد ! .. وليس التصوير أو النحت كفن من الفنون ! ..

● فاذا ماجئنا الى التجربة العملية والذاتية لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مع الصور ، وفى داخل منزله ، ومع أهله ، رأينا الاحاديث التى تحكى هذه التجربة شاهدة على مانقول .. فعندما تكون الصور مظنة تعظيم ، أو تمثل شاغلا يلهى ويصرف عن الصلاة أويحول دون الاستغراق فى التعبد بين يدى الله سبحانه ، أو مظنة ان التوجه فى الصلاة انما هو اليها عندما يكون الامر ذلك أو نحوا منه ، يكون نهى الرسول

منها ، ودعوته لازالتها .. فاذا ماتحولت هذه الصور عن اماكنها هذه ، فزالت عنها تلك المظنة ، غدت مقبولة فى بيت النبوة ، بل واصبحت مما يستخدمه الرسول ، عليه الصلاة والسلام ! ..

فعائشة ، ام المؤمنين ، رضى الله عنها ، تروى الحديث فتقول : « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من سفر ، وقد اشتريت نمطا — « ثوبا من صوف — او بساطا » — فيه صورة ، فسترته على سهوة بيتى — « السهوة : الرف ، او الطاق ، او الكوة » — فلما دخل ، صلى الله عليه وسلم ، كره ماصنعت ، وقال : اتسترين الجدر ياعائشة ؟ ! فطرحته ، فقطعته مرفقتين — «وسادتين» — فقد رايته ، صلى الله عليه وسلم ، متكئا على احداهما وفيها صورة » «٧» !.

فكراهة الرسول ، هنا ، للصورة قد ارتبطت بكونها ترفا يستهدف مجرد ستر الجدار ! .. وبكونها ، بهذا الوضع فى مثل هذا الموقع مما يستقبله المصلى ، لتشغله ، او تكون مظنة استقبالها فى الصلاة ! .. فلما انتقلت الصورة الى الوسادة ، لم ينه عنها الرسول ، بل استخدم الوسادة ، « وفيها الصورة » ، كما تقول عائشة فى الحديث !..

ويؤكد هذا التفسير — اذا كان محتاجا الى تاكيد !! — حديث الصحابى انس بن مالك — وهو خادم الرسول ، العارف بشئون منزله ، الذى يقول فيه : « كان قرام — « ستر » — لعائشة قد سترت به جانب بيتها ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : اميطى عنا قرامك هذا ، فانه لاتزال تصاويره تعرض لى فى صلاتى » «٨» ..

فالنهى خاص بمكان وضعه ، والسبب فى التحريم هو ان تصاويره تعرض امام الرسول وهو فى الصلاة .. اى ان العلة هى قصد الابتعاد عن مايشغل عن الصلاة ، وازالة كل مامن شانه ايجاد شبهة التعظيم لغير الله !..

● ولذلك ... فعندما تزول هذه الشبهات ، وتنتفى هذه المحاذير من الصور والتماثيل ، فان الحكم فيها ، والموقف منها يتغير بالتاكيد ... لان الحكم يدور مع علته وجودا وعدما .. كماهومعروف .. فليس القصد هوتحريم الصور التماثيل ، لمجرد انها « فن » ، وبعلة انها صور وتماثيل !..

واذا كان القرآن الكريم — كما اشرنا فى الجزء الاول من هذه الدراسة — قد حكى لنا نبأ التماثيل فى عهد النبى سليمان ، عليه السلام ! باعتبارها نعما الهية يصنعها صانعوها باذن الله ، فان النبى ، صلى الله عليه وسلم ، يحدثنا من سوق الجنة كل بضاعتها الصور ، صور النساء والرجال ! .. فعلى بن ابى طالب يروى قول الرسول « ان فى الجنة سوقا ما فيها بيع ولاشراء الا الصور من النساء والرجال ، فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها ..«٩» !؟ فهى لن تقود الى شرك او وثنية .. ومن ثم فهى حلال .. بل ونعمة من نعم الله ، ويمنحها من نعيمه على الصالحين يوم الجزاء ! ..

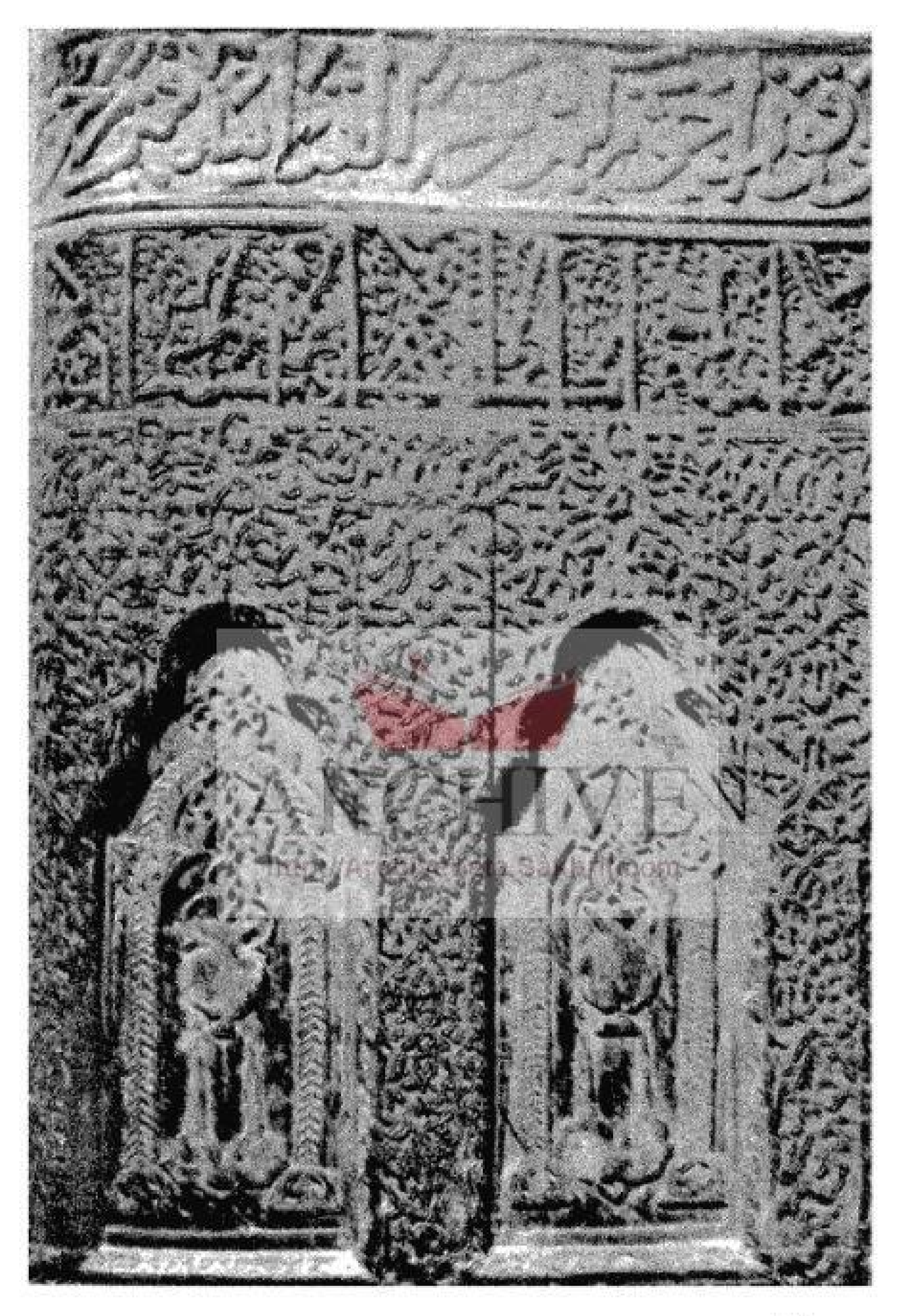
● بل ان مجتمع الدعوة ذاته ، ذلك الذى شهد التحريم للصور — نظريا وعمليا — عندما كانت مظنة للشرك والوثنية — ان هذا المجتمع ذاته قد تغيرت نظرته للصور والتماثيل عندما اخذ يبرأ من مرض الوثنية والشرك والتعدد فى ذات المعبود ... فعندما دخل المسور بن مخرمة على عبد الله بن عباس « يعوده فى مرض مرضه » ، فرأى عليه ثوب استبرق ، وبين يديه كانون موقد عليه تماثيل ، فقال له : يابن عباس ؟ ما هذا الثوب الذى عليك ؟!

قال — وماهو ؟..

— قال : استبرق !

— قال : والله ماعلمت به . ما اظن رسول الله نهى عنه الا للتجبر والتكبر ، ولسنا بحمد الله كذلك .

— قال : فما هو الكانون الذى عليه الصور ؟!



مشربية من الخشب البارز تمزج بين الحرف العربى والارابيسك ◄

البسملة بين روعة الخط والفن التشكيلى

ـ قال ابن عباس : ألا ترى كيف احرقناها بالنار ؟! .. » «١٠»

فابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ يرى ان تحريم الاستبرق علته التجبر والتكبر ، فاذا زالت العلة زال التحريم ..ويرى، كذلك ، أن علة تحريم الصور هى مظنة تعظيمها ، فاما وقد وضعت حيث لاتعظيم لها ، واما وقد امن الناس من مظنة عبادتها ، فلا تحريم ! ..

وعندما ينزع الصحابى ابو طلحة الانصارى نمطا ـ « ثوبا من صوف سترا » من على فراشه ، فيسأله الصحابى سهل بن حنيف : « لم تنزعه ؟! ».

ـ فيقول : لان فيه تصاوير ، وقد قال فيها رسول الله ما قد علمت ! »

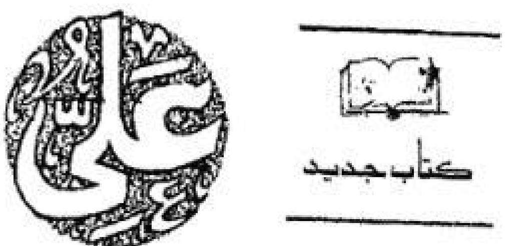
ـ يرد عليه سهل بن حنيف قائلا : « أو لم يقل الرسول : الا ما كان رقما فى ثوب «١١» !

ليعلمنا الصحابى سهل بن حنيف ، بهذا الحديث ، ان النهى النبوى عن الصور ليس مطلقا وانما كان مقصودا به المنفعة ـ من الصور ، مثل ما كان منها نقشا وزينة فى المنسوجات ـ بعيدا عن مظنة الشرك والعبادة من دون الله فلا نهى عنه ولا تحريم فيه : ـ

الن .. فالسنة النبوية ، مثلها فى ذلك مثل القرآن الكريم ، لا تحرم الصور والتماثيل على التعميم والاطلاق .. وانما التحريم فيها ، كالتحريم فى القرآن ، خاص بالمواطن التى تصبح فيها هذه الصور والتماثيل شراكا للشرك وحبالا للوثنية . وسبيلا لتعظيم غير الله ..

اما اذا كانت ، هذه الصور والتماثيل ، للمنفعة ، وتجميل الحياة وزينتها المشروعة، وتخليد القيم الفاضلة وتزكيتها .. فان موقف السنة النبوية يصبح معها ، لا ضدها ، لانها ، بذلك، تنتقل من اطار الامور الضارة الى حيث تصبح واحدة من نعم الله على الانسان!.. هذا هو موقف السنة من الرسم والنحت والتصوير ..

«١» سبأ : ١٢ ، ١٣ ..
«٢» رواه البخارى ومسلم وابو داود والترمذى والنسائى وابن حنبل ..
«٣» رواه احمد بن حنبل ..
«٤» رواه مسلم والنسائى وابن حنبل
«٥» رواه ابو داود وابن حنبل ..
«٦» رواه احمد بن حنبل ..
«٧» رواه أحمد بن حنبل ..
«٨» رواه احمد بن حنبل ..
«٩» رواه احمد بن حنبل ..
«١٠» رواه احمد بن حنبل ..
«١١» رواه احمد بن حنبل ..
« ومثله مروى عن البخارى ومسلم وابو داود والنسائى وابن ماجة »



إمام الأئمة

بقلم د. محمد عبدالمنعم خفاجي

- ١ -

● على إمام المتقين لعبدالرحمن الشرقاوي وعلى إمام الائمة للشيخ احمد حسن الباقوري كتابان جديدان يثيران الاهتمام حقا ، ويستحقان القراءة والتأمل .

والامام على عند الكتاب المعاصرين العقاد ، وطه حسين ، والشرقاوي والباقوري ، والكاتب الاردني المسيحي روكس بن زائد العزيزي ، وعند الكتاب الآخرين الكثيرين ، موضوع يستحق الدراسة حقا ، فالامام على شخصية إسلامية رفيعة : إبن عم رسول الله ، وأول المؤمنين به من الشباب ، وزوج بنت رسول الله فاطمة الزهراء ، ووالد الامامين الجليلين : الحسن والحسين ، وخليفة رسول الله الرابع .. وهو صورة عالية للنموذج الاسلامي الرفيع في عصر الرسالة وما بعد عصر الرسالة ، وحياة الامام على حياة حافلة بالعظمة والسيرة الذاتية العالية ، وبجلال الفكر والقول والعمل ... ويؤثر عن رسول الله ﷺ انه بلغه صلوات الله عليه قضاء قضى به على بن ابى طالب فاعجبه ، فقال : الحمد لله الذى جعل فينا الحكمة اهل البيت .

وعن معاذ بن جبل قال رسول الله ﷺ لعلى : تختصم الناس بسبع ، ولايحاجك احد من قريش : انت اولهم إيمانا بالله ، وأوفاهم بعهد الله ، واقومهم بأمر الله ، واقسمهم بالسوية (العدل) ، واعدلهم فى الرعية ، وابصرهم بالقضية ، واعظمهم عند الله مزية .

ونظر رسول الله ﷺ الى على بن ابى طالب ، فقال له : انت سيد فى الدنيا ، وسيد فى الآخرة .

الامام على الشاب والرجل ، والبطل والقاضى ، والمفتى والحاكم ، والاديب والشاعر والحكيم والبليغ نموذج وأى نموذج إسلامى عظيم .. وهذا النموذج



الشيخ احمد حسن الباقوري



عبد الرحمن الشرقاوى

جدير بالتسجيل ، وبالوقوف الطويل عنده ...

ـ ٢ ـ

واذا كان الشرقاوى فى الجزءين اللذين سجل فيهما صورة واضحة ورائعة لحياة هذا الامام العظيم الخالد ، باعتباره صورة فكرية واجتماعية وسياسية للفكر الاسلامى فى عصر النشأة . وهو فكر متوهج معلوه بروائع الايمان والبطولة والايثار والتضحية .

فإن الشيخ احمد حسن الباقورى يدرس الامام على بن ابى طالب باعتباره شيخ ائمة المسلمين على اختلاف المذاهب والمشارب .

وفى مقدمة هذا الكتاب الجديد عن الامام يقول الشيخ الباقورى إنه اختار تسمية كتابه باسم « على إمام الائمة » لأمرين : طهارته من الشرك منذ طفولته ، وانه شيخ ائمة المسلمين .

فالشيخ الباقورى وهو مفكر إسلامى معاصر يدرس الامام من ناحية أنه مفكر إسلامى كان شاهدا على عصر الوحى والرسالة والنضال من اجل تبليغ رسالة الله الى الناس . ويدرسه الكاتب الاسلامى الكبير عبدالرحمن الشرقاوى باعتباره المثل السياسى والاجتماعى لفكر الاسلام ، والنموذج الرفيع لمبادىء الرسالة المحمدية فى العدالة والحرية والديمقراطية والتكافل الاجتماعى ... ومن اجل ذلك اختلف منهج هذين المفكرين فى الكتابة عن الامام ، وتسجيل تاريخ حياته ..

وشخصية العباقرة والعظماء والأبطال هى كما يقول الشيخ الباقورى مفتاح للكتابة عن سيرتهم ، فمنها يأخذ المؤرخ ، والباحث والكاتب عناصر البطولة والاعجاز فى حياتهم .

والامام على كما يلخص الباقورى شخصيته له فى شرف العروبة مقام



كريم، وله من ادب الاسلام حظ عظيم

ويقول الباقورى فى لهجة المحلل للشخصية ، ولشخصية والد الامام على الخصوص .

« لست تجهل ان احرار العقول يرون فى الانتصار للخير والحق والجمال انتصارا لأنفسهم ، من حيث كانوا مسئولين مثل الناس أو قبل الناس . وأبو طالب لم يفته ان يعرف للواجب الذى نيط به حقه عليه ، فراح ينتصر لرسول الله ويؤيده ويخاصم الناس جميعا فيه وفضائل ابى طالب تنتظم معانى شريفة تقوم على تحرجه من القبائح ، وانتصاره لرسول الله فى مواجهة مشركى قريش » .

ويتحدث المؤلف عن علم الامام على فيقول : ان الامام كرم الله وجهه اصل هذا العلم واساسه . فكل فقية فى الاسلام مستفيد منه وعيال عليه . ويذكر ان الامام احمد اخذ عن الشافعى ، والشافعى اخذ عن أبى حنيفة ، وابو حنيفة قرأ على جعفر ، وجعفر اخذ عن والده الباقر ، والباقر اخذ عن على زين العابدين ، وهو ابن الحسن والحسين . أما مالك فأخذ عن ربيعة الراى ، وأخذ ربيعة عن عكرمة ، وعكرمة عن عبدالله بن عباس ، وابن عباس اخذ عن على . وكان اصحاب رسول الله يرجعون الى الامام ، ويأخذون برأيه

وعلى هو الذى وضع اصول علم التوحيد او الكلام ، وكانت عنايته واهتمامه بعلم القرآن وبالفقه : وقد ورث على فضائل الحنيفية ، كما اخذ قيم الاسلام ومآثره وجعلها قلائد مجده فى الحياة . وكان على فى مجلس الشورى فى عهد الخلفاء بعد رسول الله ﷺ .

ودخل على مع غيره فى محنة الخلافة ، وهذا الجانب السياسى كان أبعد الناس عن طبيعة الامام ، لأنه لم يخلق للمناورة وللمؤامرة ولا للصراع ، لقد كان رجل حرب ، ورجل سلام ، كما يقول المؤلف ، وكان سيد العلماء بشئون الاجتماع ، وكان العلم والامام فى البلاغة والبيان ، وكان اللسان المبين لدعوة الاسلام ، وهو حاكم معلم ، وقاض ليس بعده ولاقبله ، ويفيض المؤلف فى تجلية هذا الجانب من فكر الامام وفقهه ، وفى عهد الرسول كان الامام وزير صدق لرسول الله ، وبعده كان مستشارا للخلفاء الثلاثة ، واجتهاد على فى مقام القمة من اجتهاد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

ولايترك المؤلف فى كتابه جانبا من جوانب شخصية الامام الا ويتناوله ، سواء فى فقهه واجتهاده ، ام ادبه وبلاغته وشعره ، أم عظمة القدوة فى شخصيته ، أم فى إيمانه وأخلاقه وفى المثل العالية التى ضربها للناس من بعده .

الامام على صورة رفيعة لفكر رفيع لشخصية تالدة خالدة ، وهو النموذج الأروع لشخصية المسلم وسلوكه وأخلاقه .

- ٣ -

وعلى امتداد مايقارب الأربعمائة

صفحة يمضى المؤلف فى كتابه يحلل شخصية الامام تحليلا رائعا فى كل مظهر من مظاهر هذه الشخصية ، وكل سلوك وخلق وادب سلكه وتخلق وتأدب به ، وفى كل قول او عمل قاله وعمل به .

الامام على النموذج والقدوة والمثل قليل النظائر فى جيله ، وهو بعد جيله معدوم المثال .

وأهم أصول هذا الكتاب ، يرجع الى حسب الامام ، والى مواقفه من رسول الله صلوات الله عليه ، والى سلوكه وأخلاقه وادبه وبلاغته . وحكمته وفقهه . والى الجوانب السياسية التى خاض فيها الامام وناوأه الزمن بسببها . والى استشهاده رضى الله عنه على يدى اللؤم والمناورات البغيضة .

وهكذا رسم لنا المؤلف . الامام وعظمة الشخصية الاسلامية فى حياته فى اروع صورة من البلاغة والبيان والأدب الساحر .

والباقورى وشخصيته مفكرا وأديبا وعالما فى غنى عن الكلام . والامام يحدث عن الامام ، هو فى ارفع مقام ، واعلى سنام من ذروة الشرق والفكر والأدب والاجتهاد . وهى الجوانب التى اثر الشيخ الباقورى ان يتحدث عنها . والتى من اجلها سمى كتابه « على إمام الائمة » .

والجانب السياسى فى حياة الامام مما الم به المؤلف ، ولكنه اوجز فيه ، ولم يشأ ان يطيل الحديث عنه او يفصل الكلام حوله وفيه .

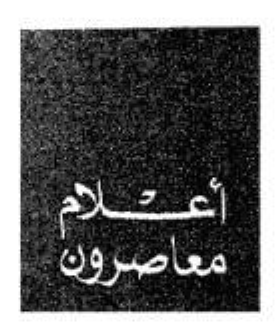
فالسياسة لااهمية لها فى جانب حياة الامام وشخصيته إنما الخلود لفكره ومثالياته الانسانية العالية .

والامام قد نقول فيه : إنه ممن جنت السياسة عليه ، لأنه كان ارفع من ان يجعل الواقع اساسا لفلسفته ، وكان دائما يتخذ من الانسانيات والقيم والمبادىء مثله وصورة حياته .

كان الامام فى إنسانيته لاتجد له شبيها وكان غناه الفكرى والسلوكى بالنموذج الذى عاصره طويلا ، والذى تربى على يديه ، وهو النموذج النبوى الشريف يضرب اروع الأمثلة فى اقتدائه العظيم بالرسول العظيم .

وبعد فإن هذا الكتاب جدير بالقراءة والتأمل ، ففيه من جمال الأسلوب ، وجلال العرض ، ومن تسامى الذات ، ونبل الهدف واتساع الأفق ، مايشد القارىء اليه شدا ، ومايدفع به الى التأمل فى عظمة الامام على ، وعظمة شخصيته الباهرة ، ومايجعلك تؤمن حق الايمان بأن الرسالة الخالدة هى رسالة الفطرة والطبيعة والايمان .





الأبّ الدكتور جورج قنواتى سفير مصر الفكرى

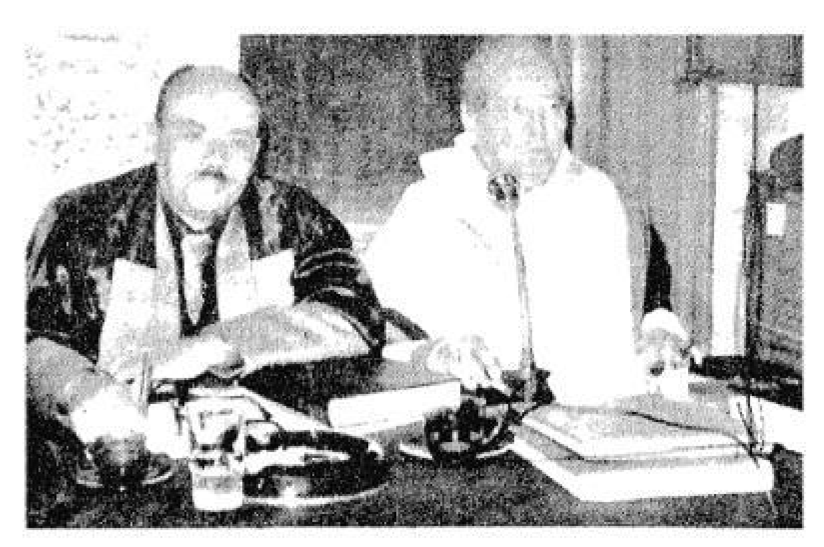
بقلم :الدكتور عاطف العراقى

● إذا تأملنا فى حياة مفكرينا سواء فى عالمنا العربى أو فى بقية أرجاء العالم شرقا وغربا ، فإننا نجد نوعين من المفكرين فيما يتعلق بالنمط الذى يسيرون عليه فى حياتهم وأسلوبهم فى المعيشة والتعامل مع غيرهم من أفراد المجتمع

نوع منهما يهوى الشهرة والضجيج حوله ويسعى إلى الآخرين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لاضفاء هالة حوله ، قد لايكون مستحقا لها وقد تساعده على ذلك وسائلنا الاعلامية من صحف ومجلات وإذاعة وتليفزيون ، بالاضافة الى نوع من اللباقة من جانبه والذكاء الاجتماعى يتيحان له طريق الوصول والشهرة .

والنوع الثانى قد يكون على العكس تماما من النوع الأول . إنه لا يسعى الى الآخرين ويجد عزاءه فى انتاجه الفكرى العميق أولا وقبل كل شيء . إنه يحلل ويتأمل ويفكر فى هدوء ولايهمه فى قليل او فى كثير أن يعترف الآخرون بمكانته الحقيقية التى يستحقها فعلا . إنه يقرأ أكثر مما يكتب ولايتعجل الشهرة بأى حال من الأحوال . إنه يؤمن بالواجب ، والواجب وحده وإذا لم يعترف بعمله الجبار أبناء جيله ، فلا بد أن يجد التقدير من جانب أجيال لاحقه حتى بعد وفاته ، ففى النهاية لايصح الا الصحيح كما يعتقد اعتقادا راسخا بأن العمل ، والعمل وحده هو الذى سيتيح له طريق الخلود الفكرى ، وأما إذا سعى إلى الشهرة على وجه الاستعجال ودون وجه حق ، فإنها ستكون شهرة سرعان ما تنطفىء لأنه لا يملك العطاء الفكرى المستمر . إذ ان بريق شهرته قد جاءه من الشوارع الخلفية الجانبية ، قد جاءه بطريقة غير مشروعة

ومفكرنا الذى نكتب عنه الآن ، الأب الدكتور جورج شحاته قنواتى مدير معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومينيكان ، يعد من خير الممثلين لهذا النوع الثانى ، النوع الحقيقى انه يمثل بوجه عام الطبيعة التى نجدها فى الجيل القديم من المفكرين المعاصرين ، سواء من غادرنا



د . جورج قنواتي مع د . عاطف العراقي

منهم الى الحياة الاخرة ، او من كان منهم على قيد الحياة . إنه جيل لم يستعجل الشهرة ، إنه جيل يعتقد دواما كما قلت بأن العمل والكفاح المستمر هو ما ينبغي أن يضعه الانسان نصب عينيه إذا اراد لنفسه طريق الخلود . اما السعى الى الاخرين والصعود فوق اكتافهم ، فإنه طريق لايصح أن يسير فيه من اراد لنفسه حياة الفكر ، من اراد لنفسه الخلود كما ينبغي أن يكون الخلود ، وسواء كان الخلود فى مجال الفلسفة او مجال الأدب أو مجال الفن إلى آخر تلك المجالات وما اكثرها

هذه مقدمة اراها ضرورية حتى يستطيع القارىء إدراك الأبعاد المشرقة والوضاءة من حياة وفكر وعلم الاب جورج قنواتي . الأب الذى يمثل مصر فى اكثر المؤتمرات الفكرية العالمية سواء فى مصر أو خارجها من دول العالم العربى والعالم الغربى ، وبحيث اصبح الى حد كبير سفير مصر الفكرى ليس هذا فحسب ، بل إنه خلال الفترات التى يقضيها بمصر فى دير الآباء الدومينيكان ، ويقدم لنا الكثير من الأعمال الفكرية الممتازة سواء كانت فى مجال التأليف أو مجال التحقيق ، أو مجال الترجمة .

وأستاذنا الأب قنواتى من مواليد الاسكندرية . لقد ولد فى اليوم السادس من شهر يونيو عام ١٩٠٥م . ومعنى هذا اننا نحتفل الآن بمرور ثمانين عاما على مولده ، اطال الله فى عمره . وقد أهلته دراساته الأولى لاتفاق اللغات الأجنبية . لقد تلقى دراساته الأولية ، وايضا الثانوية ، فى مدراس الفرير بالاسكندرية . وقد جمع الأب قنواتى فى دراساته الجامعية بين دراسة الصيدلة ودراسة الكيمياء (مهندس كيماوى) ، إذ انه تلقى دراسة الصيدلة فى جامعة اليسوعيين فى بيروت ، وتلقى دراساته الكيماوية فى جامعة ليون بفرنسا .

لقد عاد الأب قنواتى الى الاسكندرية



عام ١٩٢٩ واشتغل بمهنة الصيدلة والتحليلات الكيماوية لمدة خمس سنين وبعد ذلك نجده يدخل الرهبنة فى جماعة الدومينيكان التى سنشير إليها بعد قليل ، وكان ذلك فى بلجيكا وفرنسا . ونجده يتخصص - طبقا لما هو شائع عند الآباء الروحانيين اتباع الدومينيكان - فى دراسة الفلسفة واللاهوت . لقد حصل على درجة الدكتوراه فى الفلسفة ، وعلى درجة الدكتوراه فى اللاهوت ، ولكن أكثرهم لايعملون ونجده بعد ذلك يتجه الى الدراسات الاستشراقية **Orientalism** ولا اشك فى انه عن طريق اهتمامه بالدراسات الاستشراقية قد قدم لنا العديد من الأعمال المؤلفة والمترجمة والتى إن دلتنا على شيء فإنما تدلنا على أفضال الأب قنواتى وأياديه البيضاء فى هذا المجال شأنه فى ذلك أكثر المستشرقين الغربيين إن لم يكن كلهم ، ومع ذلك نجد بعضنا - للأسف الشديد - يهاجم الاستشراق والمستشرقين هجوماً عنيفا لايقوم على أساس ، بل يعبر عن ضيق الأفق والانغلاق الفكرى ، والظلام لا النور . إننا حتى الآن نعتمد على دراساتهم اعتمادا جوهريا ورئيسيا ، بل إن المهاجمين لهم ولانتاجهم الفكرى يقومون بالنقل عنهم وينسبون عملهم إلى أنفسهم زورا وبهتانا ، ثم بعد ذلك يقومون بالهجوم عليهم والتقليل من شأنهم وذلك عن طريق عبارات وألفاظ تخضع لطائلة القانون ، تماما كجزاء سنمار

لقد عاد الأب قنواتى إلى مصر عام ١٩٤٤ وبعد تخصصه فى الدراسات الاستشراقية . ولاشك أن دراسته للفلسفة ودراسته للاهوت قد أعانتاه على التعمق فى الدراسات الاستشراقية . ومنذ عام ١٩٤٤ ، العام الذى رجع فيه إلى مصرنا العزيزة وهو يعمل فى دير الدومينيكان وعند تأسيس معهد الدراسات الشرقية فيه ، أصبح مديرا له ورئيسا لتحرير المجلة العلمية الممتازة **Mideo** والتى ينشرها المعهد . وكم نجد فى هذه المجلة ، دراسات غاية فى العمق والدقة لايستغنى عنها المهتم بمجالات الفكر والعلم .

واذا كان الأب قنواتى من الآباء الدومينيكان فلعل هذا يفسر لنا تعمقه فى دراسة فلسفة أرسطو وفلسفة توما الاكوينى ، بل إن أستاذنا الأب قنواتى يعتبر القديس توما الاكوينى من فلاسفة العصر الوسيط ، أعظم فلاسفة العصر الوسيط .

ويمكن القول بأن جميع الرهبان الدومينيكان يعتبرون على درجة عالية من الثقافة والفكر الرفيع وخاصة ما تعلق منه بالدين . إن جميع الرهبان الدومينيكان الموجودين فى دير القاهرة بالعباسية ، قد درسوا العلوم الفلسفية والعلوم اللاهوتية دراسة تستمر لمدة سبع سنوات وتعادل الليسانس ، بل فى بعض الأحيان تعادل الدكتوراه ، وكثيرا مانجد أن هيئة الدومينيكان قد انجبت لنا العلماء المتفوقين فى مجالات عديدة من بينهما الفلسفة واللاهوت واللغات . لقد نال بعض الرهبان الموجودون بالقاهرة وقبل انتظامهم فى سلك الرهبنة شهادات عليا من جامعات عديدة .

ولكننا نجد من بين هؤلاء الرهبان عددا يخصصون بالاضافة الى عملهم الروحى الدينى ، جزءا كبيرا من وقتهم وجهدهم للبحوث الدينية الثقافية والفكرية وخير مثال لذلك الأب الدكتور جورج قنواتى .

ان هؤلاء الرهبان يواصلون نشاطهم العلمى بالاشتراك مع المؤسسات العلمية والفكرية فى مصر وخارجها . ومن بين تلك المؤسسات العلمية والفكرية على سبيل المثال لا الحصر ، الجامعات ، والمجمع العلمى المصرى ومجمع اللغة العربية وعلى راسه الاستاذ الكبير ابراهيم بيومى مدكور ، ودار الكتب ، ومعهد الدراسات العربية العليا .

أما عن مكتبة الدير ، دير الآباء الدومينيكان بالقاهرة ، فاننى لا ابالغ اذا قلت بأنها تعد قلعة ثقافية كبرى . إنها تعد من أحسن مكتباتنا دقة وتنظاما . وكم استفاد منها العديد من الاساتذة .

بل أن البحوث التى تعتمد على المقارنات بين الفكر العربى الاسلامى من جهة ، ومصادره اليونانية القديمة عند أمثال أفلاطون وارسطو ، يجد أصحابها أنه لا مفر من اللجوء الى مكتبة الدير ومن بين تلك البحوث التى لم يكن بالامكان أن تكتمل الا بفضل الاعتماد على كنوز مكتبة دير الآباء الدومينيكان من جهة ، ورعاية الأب قنواتى وأشرافه الدقيق على المكتبة من جهة أخرى .

أما عن العقل المفكر ، عقل الأب قنواتى ، فإنه يعد خير مثال فى مجال النشاط العلمى والفكرى . لقد حصل استاذنا الاب قنواتى على الدكتوراه الفخرية من جامعة لوفان ببلجيكا ، كما حصل فى العام الماضى على الدكتوراه الفخرية من الجامعة الكاثوليكية بواشنطن .

إن اى فرد منا حينما يعلم بالنشاط الفكرى الخصب والعميق للأب قنواتى سيشعر بدهشة لا حد لها وسيجد نفسه أمام رجل فكر من الطراز الاول ، رجل يعد عظيما بين العظماء ، عملاقا بين العمالقة وما اقلهم عددا . لقد وهب الرجل نفسه وجهده ووقته وصحته للفكر والعطاء العلمى بغير حدود وواجبنا أن ننحنى اعجابا بشموخ هذا الرجل الذى آثر أن يعمل فى هدوء وصمت . واذا حاول اى فرد منا حصر مجالات نشاطه الفكرى ، فإنه سيجد ذلك أمرا غاية فى الصعوبة .

ولايتحدث عن اعماله الفكرية ولو حديثا عابرا . إنه راهب الفكر والعلم .

اننى أتحدث عن الأب قنواتى ، حديث القريب منه ، الملازم له فى كثير من المناسبات والمجالات الفكرية . إن فكره يعد غاية فى الثراء والتنوع . إنه يمثل الانفتاح على افكار الآخرين وكم اتفقنا فى بعض الآراء ، واختلفنا فى آراء أخرى واختلاف الرأى لا يفسد للود قضية . كم شهد دير الآباء الدومينيكان مناقشات ومساجلات فكرية بينى وبين استاذى الأب قنواتى ، لاننى تتلمذت على يديه فترة من الزمان . لقد كان حريصا ومازال ، على دعوتى للقاء هذا الاستاذ أو ذاك من الاساتذة الذين يفدون الى دير الآباء الدومينيكان وقد جاءوا من بلداننا العربية أو من البلدان الاوربية .

أما عن النشاط العلمى والفكرى للأب الدكتور جورج قنواتى ، فإنه يعد كما قلت غاية فى الثراء والعمق والخصب . فهو عضو فى لجنة ابن رشد لتحقيق اعماله



العربية وعضو فى اكاديمية العلوم الدينية ، ولجنة الفلسفة والاجتماع بالمجلس الأعلى للثقافة بمصر ، ولجنة تاريخ العلوم ، والمجمع العلمى المصرى ، والمجلس البابوى للثقافة بالفاتيكان ، ولجنة ابن سينا لتحقيق كتاب الشفاء ، ومستشار فى سكرتيرية المجمع الخاص بالمؤمنين غير المسيحيين بالفاتيكان

وبالأضافة الى عضويته بهذه اللجان نجده أستاذا زائرا بالعديد من الجامعات العالمية ومساهما فى العديد من المؤتمرات والندوات . لانكاد نسمع عن وصوله الى وطنه القاهرة بعد المساهمة الفعالة فى المؤتمر، الا ونسمع بعد أيام قليلة أنه متجه للعمل كأستاذ زائر، أو القاء مجموعة من المحاضرات فى أحدى جامعات العالم .

واكثر المؤتمرات والندوات التى يساهم فيها الأب قنواتى مساهمة فعالة ، إنما يكون موضوع البحث فيها اساسا الموضوعات الخاصة بالاستشراق وفلسفة العصر الوسيط والمقارنة بين الفلسفة العربية وفلسفة العصر الوسيط المسيحية . لقد كان أحد ممثلى الجامعة العربية فى مؤتمر ابن سينا فى بغداد عام ١٩٥٢ ، وفى طهران عام ١٩٥٤ . كما مثل معهد الدومينيكان فى العديد من المؤتمرات ، من بينها مؤتمرات المستشرقين والمستعربين . لا أشك فى أن دعوة الأب قنواتى لحضورها والقاء البحوث بها والمشاركة فى مناقشاتها ، إن دلتنا على شىء ، فإنما تدلنا على الثقة فى قدرات الرجل العلمية والفكرية ، بالاضافة إلى تمكنه من اللغات العربية والاجنبية ومن بينها الفرنسية والانجليزية واللاتينية واليونانية وكم كنا ومازلنا نحن طلاب البحث نلجأ إليه لحل الكثير من المشكلات اللغوية وخاصة القديمة منها والتى تواجهنا حين نرجع إلى النصوص القديمة لفلاسفة اليونان من جهة وفلاسفة المسيحية فى العصر الوسيط من جهة اخرى .. لقد قام على سبيل المثال لا الحصر بمراجعة الترجمة التى قام بها الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى لكتاب النفس لأرسطو ،قام بمراجعتها على النص اليونانى .

وكم دعانا الأب قنواتى الى ضرورة الاهتمام باللغات القديمة كاليونانية واللاتينية ، اذ الرجوع الى النصوص الأصلية التى كتبها الفلاسفة القدامى ، افضل من الاعتماد على ترجمات لها ، كالترجمات العربية والفرنسية والانجليزية .

ولم يقتصر النشاط الفكرى لمفكرنا العملاق الأب الدكتور جورج قنواتى ، على حضور المؤتمرات والندوات والعمل كأستاذ زائر فى العديد من الجامعات العربية والأوربية والأمريكية ، بل نجد له العديد من المؤلفات والتحقيقات التى تعد غاية فى الدقة والاتقان . ومن بينها كتابه مؤلفات ابن سينا والذى وضعه بتكليف من الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية عام ١٩٥٠ . إن هذا العمل الذى قام به أى تأليفه لهذا الكتاب يعد عملا غاية فى المشقة ، ومع ذلك انتهى الأب قنواتى منه

بعد تردده على العديد من المكتبات العالمية . ورغم ذلك نجده يتحدث فى تواضع جم عن هذا العمل الذى قد يعجز عنه فريق من الباحثين . استمع اليه أيها القارىء العزيز وهو يتحدث فى الصفحات الاولى من كتابه . إنه يقول « لاريب أن القيام بحصر جميع مؤلفات فيلسوف غزير الانتاج وإحصاء سائر الأبحاث التى دارت حوله عمل شاق . فكيف اذا كان هذا الفيلسوف هو ابن سينا . قد يبدو أن محاولة مثل هذه مصيرها الفشل حتما لغزارة الانتاج . بدأت عملى هذا منذ سنين والنفس مملوءة شوقا الى ابن سينا وانتاجه ، ثم جاءت دعوة الأستاذ احمد امين الى الاضطلاع بهذه المهمة رسمية باسم الادارة الثقافية للجامعة العربية فزادتنى شوقا وجعلتنى اواصل جهدى بكل همة وجلد . واليوم وقد انتهيت الى هذا الجهد اقف مذهولا إزاء الجرأة التى حفزتنى على القيام بمثل هذا العمل ويعترينى شىء من القنوط عندما ارى الفرق الشاسع بين ماكنت آمله وما حققته فعلا . لقد اضطرتنى ظروف قاهرة أن اقف عملى عند هذه الغاية على مافيه من نقص وترددت كثيرا فى نشره . واخيرا تغلبت على رغبة قوية فى أن اقدم الى الباحثين العديدين الذين سينكبون على البحث والتنقيب بمناسبة العيد الالفى لابن سينا ، مادة تساعدهم بالرغم مما يعوزهم من الكمال » أليس فى هذا القول ، قول الاب قنواتى ما يعد درسا لنا ولشبابنا درسا ما أجدرنا أن نستفيد منه

لقد قام الاب قنواتى بتحقيق العديد من النصوص الفلسفية الهامة ومن بينها المدخل فى كتاب الشفاء لابن سيناء ،



والمقولات منه ايضا والقسم الأول من الالهيات وكتاب النفس . وتحقيقات الاب قنواتى تعد آية فى الدقة والاتقان . نقول هذا ونحن نضع فى اعتبارنا أن اغلب ما نجده الآن عند من يطلقون على انفسهم أنهم يشتغلون بتحقيق التراث ، لايزيد عن كونه عملية تجارية . لايزيد عن كونه تحويل الورق الاصفر الى ورق ابيض ولكن اكثرهم لايعلمون بل يغالطون

إن منهج الاب قنواتى فى تحقيق التراث يذكرنا بمنهج مجموعة من المستشرقين الكبار من بينهم موريس بوبيج الذى قضى اكثر حياته فى تحقيق مجموعة من كتب التراث الفلسفى تحقيقا يعد غاية فى الدقة ومن بين تلك الكتب تفسير ابن رشد لكتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو والذى تقترب صفحاته من الفى صفحة . ومن بينهم أيضا مونك فى تحقيقه لكتاب دلالة الحائرين للفيلسوف الاندلسى موسى بن ميمون . لقد فقد مونك بصره تماما من جراء المجهود العنيف الذى قام به فى تحقيق هذا الكتاب . ورغم ذلك يحلو للبعض أن يهاجم هؤلاء المستشرقين وكأنهم يمثلون خطرا



كبيرا على ثقافتنا ، أليس هذا من مصائب الزمان ؟ !

لقد أصدر الأب قنواتي العديد من الكتب والمقالات مؤلفة كانت أو مترجمة ولا يمكن لأى دارس أن يتجاوزها أو يصرف النظر عنها . ومن بينها ماكتبه باللغة العربية ومن بينها ماكتبه بالانجليزية والفرنسية . ومن امثلة تلك المؤلفات والمقالات ، المسيحيون فى مصر ، والمسيحية والحضارة العربية ، وفلسفة ابن رشد فى تاريخ الفلسفة العربية وقد صدر بروما ، وفى صحة ايمان ابن رشد فى ضوء الجدال بين فرح انطون والشيخ محمد عبده ، وفى ذكرى الدكتور عثمان امين ، والحوار المسيحى الاسلامى ، والمدخل الى علم الكلام بالاشتراك مع لويس جارديه ، والمدخل الى التصوف الاسلامى ، وكتاب شامل يصف محتوى الكتب العربية التى نشرت فى مصر فى السنوات ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤ وقد صدر هذه الكتاب بالقاهرة ... إلى اخر تلك الكتب والدراسات والتى من الصعب حصرها ، بل إن مجرد ذكر اسمائها يحتاج إلى مجموعة كبيرة من الصفحات .



اما عن دراساته فى مجال تاريخ العلوم عند العرب فهى تعد اية فى الدقة والاتقان . لقد ادى اكبر خدمة للباحثين فى هذا المجال إن الأب قنواتى حين يكتب فى هذا المجال ، فإنه يكتب وهو واثق الخطوة تماما ، إذ بموجب دراسته السابقة فى الصيدلة والكيمياء على النحو الذى سبق أن اشرنا اليه ، استطاع عالمنا ومفكرنا الأب قنواتى أن يوجه جزءا من نشاطه نحو تاريخ هذين العلمين فى التراث العربى والاسلامى . لقد قام منذ عام ١٩٥٥ م بتدريس تاريخ الصيدلة فى كلية الصيدلة بالاسكندرية . وقد نشر فى هذا المجال مجموعة من الدراسات الرائدة والمستفيضة من بينها على سبيل المثال ، الكيمياء عند ابن سينا ، وأدوية العين عند حنين بن اسحق ، وتاريخ الصيدلة عند العرب بالاشتراك مع الدكتور عبد العظيم حفنى صابر والدكتور عبد الحليم منتصر ، وذلك بتكليف من لجنة احياء التراث الطبى والصيدلى بجامعة الدول العربية ، وتحقيق النص العربى لتلخيصات ابن رشد لرسائل طبية لجالينوس بالاشتراك مع الأستاذ سعيد زايد (تحت الطبع) ، وترجمة لهذه الرسائل الى الانجليزية مع الدكتور بول غليونجى (تحت الطبع) ، ومقالة عن كتاب الجواهر والأحجار للبيرونى وذلك بمناسبة مؤتمر البيرونى فى باكستان ، وفصل خاص بتاريخ العلوم فى الاسلام من كتاب تاريخ الاسلام الذى أصدرته جامعة كمبردج بانجلترا .

أما عن كتابه : تاريخ الصيدلية والعقاقير فى العصر القديم والعصر الوسيط والذى صدر منذ اكثر من ربع قرن ، فإنه يعد من الكتب الرائدة بكل ما

تحمله كلمة الريادة من معان ومدلولات . انه يتحدث بأسلوب علمى رصين فى هذا الكتاب عن فوائد تاريخ الصيدلة والعقاقير ، والطب والسحر والادوية السحرية ، والصيدلة فى بابل وسومر ، والصيدلة والعقاقير فى مصر القديمة ، وابقراط والمدرسة الطبية ، وجالينوس ، والصيدلة والعقاقير عند العرب عند أمثال ابى بكر الرازى والذى يعتبره الاب قنواتى اعظم الاطباء العرب على وجه الاطلاق وهو على حق تماما فى هذا الراى من جانبه ، وابن سيناء وابن البيطار الى اخر هؤلاء الأطباء والصيادلة ، إذ ان الطبيب كان يجمع عادة بين كونه طبيبا وكونه مشتغلا بالصيدلة وهذا على العكس مما نجده الآن . يقول الاب قنواتى فى تصديره لهذا الكتاب : هذا الكتاب وليد فكرة جريئة ابداها بإيمان عميق وحماسة متزنة رجل يقدر مهنة الصيدلة الى اكبر حد ويضيف الى علمه الفنى الفائق القدرة الحجيبة على تحقيق الأمانى بصورة ملموسة واضحة امام الملا .

والواقع أن الأب قنواتى قد اهتم بالصيدلة ودراسة تاريخها منذ زمن بعيد ، واشتغل بها فترة طويلة قبل ان يتفرغ للدراسات الاستشراقية . واذكر أننى حين قمت بزيارته فى صومعته منذ عدة أعوام وجدت ان الأدوات التى كان يستخدمها ، مازال يحتفظ بها ولا أشك ان التخصص فى دراسة تاريخ العلوم من طب وصيدلة إنما تلزم دراسات تجريبية كتلك الدراسات التى توافرت للأب قنواتى بمقتضى دراساته الجامعية سواء فى بيروت (الصيدلة) او فى فرنسا (الكيمياء)

وإذا كان الاب قنواتي قد بذل جهدا يندر ان نجد مثله عند باحثينا ، فى دراسة لمؤلفات ابن سينا ، فإنه قد بذل نفس الجهد بحيوية ونشاط فى دراسة لمؤلفات ابن رشد . لقد رحب بالقيام بهذا العمل حينما طلبت منه ذلك المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . واذكر انه حين تم تشكيل لجنة لتنظيم أعمال مهرجان ابن رشد بالجزائر عام ١٩٧٨ تتكون من د . ابراهيم مدكور وزكى نجيب محمود وناصر الدين الأسد وبدر الدين أبوغازى والشيخ بيصار والأب قنواتي وكاتب هذه الصفحات ، ابدى الجميع رغبتهم فى قيام الأب قنواتى بهذا العمل وخاصة اننا كنا ندرك تماما انه لن يستطيع احد منا القيام بهذا العمل لأن خبرتنا بالمكتبات العالمية ومخطوطاتها اقل من خبرته وقد استجاب مشكورا - كما قلت - لهذا الرجاء من جانبنا واصدر كتابا ممتازا عن مؤلفات ابن رشد يعد ثمرة للجهد المستمر من جانبه وتنقلاته بين كثير من البلدان وما فيها من مكتبات شرقا وغربا

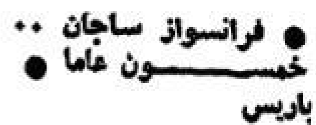
اخيرا اقول من جانبي إننا نجد أنفسنا أمام مفكر عملاق ، مفكر من طراز ممتاز ، مفكر دخل تاريخ العلم وتاريخ الفلسفة من أوسع ابوابها ، مفكر قضى اكثر من نصف قرن من الزمان ينشر العلم والفكر والثقافة فى أرجاء العالم شرقا وغربا . كل هذا فى صمت العالم وتواضع الحكيم انه مازال يثرى مكتباتنا العربية والاجنبية بالعديد من الثمار الفكرية الناضجة والصادرة عن تامل عميق وتحليلات رائعة ومااجدرنا ان نفاخر دواما بمفكرنا وعالمنا الأب الدكتور جورج شحاته قنواتي ، سفيرنا الفكرى فى أرجاء العالم شرقا وغربا

يقدمه : محمود قاسم

العالم في سطور







● فرانسواز ساجان ..
خمسون عاما ●

باريس

فرانسواز ساجان .. الفتاة المعجزة فى عالم الادب خلال الخمسينات .. والمرأة الناضجة الوجودية فى الستينات والسبعينات .. واشهر كاتبة فرنسية فى القرن العشرين ـ على الاقل بالنسبة لنا ـ والتى حققت شهرة فى العالم اجمع وهى تحت سن العشرين .. اين هى الان ؟ تحتفل فرانسواز ساجان هذا الشهر بعيد ميلادها الخمسين .. انها واحدة من هؤلاء الساحرات اللاتى يخضع الزمن اثاره عليهن . بعد برجيت باردو وصوفيا لورين اللذين احتفلتا بعيدهما الخمسين منذ اشهر .. لكن هل يذبل الفكر والعطاء مثلما يذبل الجمال ؟ هذه أطروحة قديمة تسرق نفسها من جديد مع العيد الخمسينى للسيدة ساجان .. فقد شهد سوق الكتب أحدث رواية لها تحت عنوان « من الحرب المتول » .. قوبل الكتاب بنفس الحماس الذى قوبلت به كتب ساجان الاخيرة .. ولكن ليس بالطبع بنفس الحماس الذى قوبل به روايتها الاولى صباح الخير أيتها الاحزان ، عام ١٩٥٤ .. وحتى لو تفاوتت همية هذه الروايات فان القارىء يتطلع دائما الى معرفة ماذا تقدم الفتاة المعجزة مع تطور سنوات العمر . بلغت هذه الروايات خمسا وعشرين من ابرزها « ابتسامة ماو » قليل من الشمس فى الماء البارد » ، خفقات قلب » .

فى حديث أجرته معها جريدة لوموند فى ٢٠ مايو الماضى تقول : « أنا لا اكتب لاننى بالغة الكسل وأنا احب الا اعمل شيئا . ان اظل فى سريرى انظر الى السحب تمر . او اقرأ روايات بوليسية . او اذهب للتنزه او لرؤية أصدقائى .. هناك لحظة تخطر افكار على بالى ابدا ابانها فى الاحساس بتموجات فى افكارى . وتتحرك خيالات امامى . واشعر بالعصبية . ثم تحين لحظة ارى فيها اشخاص يتحركون من الخارج . ولحاجتى للنقود ، فان كل هذه الاشياء تتزاوج وتصبح كائنا ضخما لا استطيع ان اقاومه فاكتب . بصفة عامة . فان الحاجات الخارجية والرغبات الداخلية تتحرك فى نفس اللحظة . ولكن القوى الخارجية اكثر سيطرة من الالحاح الداخلى .

● تحققت النبـــوءة قبـــل ثلاثين عاما ●
بروكسل

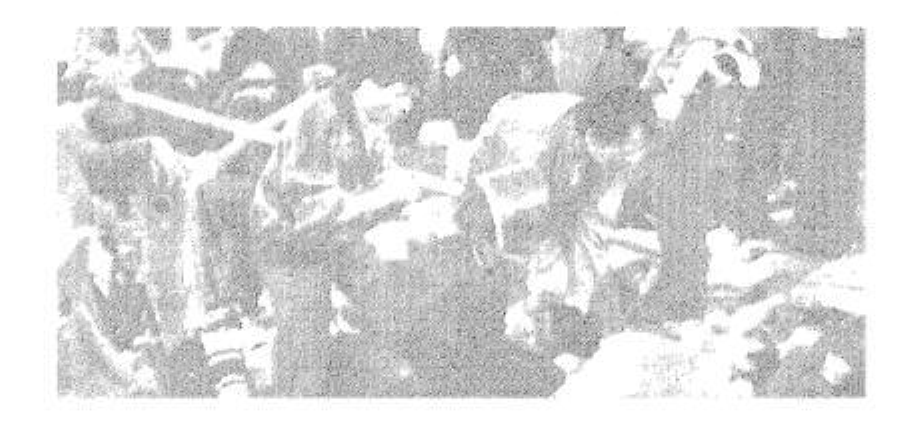
اثار هذا الحادث كل مشاعر العالم حين قتل اكثر من اربعين متفرجا فى بروكسل وتحت أعين ملايين المشاهدين اثناء مباراة كرة القدم بين فريقى ليفـــربول الانجليزى ، واليوفنتوس الايطالى اللذين سبق لكل منهما أن وصلا من قبل لنهائى بطولة أوربا ٠

اعادت صورة العنف الذى ســاد المباراة ـ بصورة لا يصدقها عقل نفس الصورة العنيفة التى تخيلهـا الكاتب الامريكى ويليام هاريسون عن الرياضة وملامح العنف والدماء فى القـــرن الحادى والعشرين روايته « جرائم كرة الانزلاق » التى نشرت فى عام ١٩٧٣ ٠

تخيل هاريسون العالم عام ٢٠١٨ وقد أصبح دولة سياسية واحدة تنقسم الى مقاطعـــات تعيش على الاكتفاء الذاتى ٠٠ ولا اهتمـــام لدى سكان العـــالم سوى صنعة الفرجـة على مباريات كرة الانزلاق المليئة بالعنف والدماء ٠ لقد انتهى زمن الحروب ٠حسبما تخيل الكاتب ـ ولم يبق سوى كرة الانزلاق ٠ اللعبة التى لا تعرف الرحمة ولا الهوادة ٠٠ انها اشبه بما كان يدور فى حلبـــات الرومان من وحشــية ٠٠ فاللاعب لابد أن يكون رجلا قويا يتمتع بقوة جســدية ٠ أما اللعبة فقل أن يستمر فى الملاعب لاعب واحد لاكثر من عامين ٠ وعلى اللاعب وهو يعيش فى قمة الرفاهية أن يقتل زملاءه فى الملعب وهو يدحـــرج كرته الحديدية بينما يجلس المتفرجون أمام شاشة التليفـــزيون يتناولون الحلوى يتناثرون اللب من بين أسنانهم ٠

ومثلما حدث فى مباراة بروكسل بمات أربعون متفرجا فضلا عن عشرات الجرحى وتحت نظر العـــالم كله ٠٠فان « جو » بطل رواية هاريسون يقتل الاخرين أمام العدسات ليبقى وحده فى الحلبة ٠

وقد نقلت السينما هذه الرواية عام ١٩٧٥ وكشفت الرواية ـ والفيلم ـ أن يوتوبيا القرن الحادى والعشرين أشبه بما دار فى ملاعب بروكسل لكنه اذا كان العنف عام ١٩٨٥ أشد ضراوة من خيال المؤلف الذى تصور أن عنفا أخف سيدور فى عام ٢٠١٨ فماذا سيحدث بالعقل فى الملاعب فى العقد الثانى من القرن القادم ؟





● انطباعات انطونيوني ●

روما

في حديث صحفي للكاتبة المعروفة سيمون دي بوفوار منذ سنوات قليلة ـ قالت انها تتمنى أن تخرج فيلما حتى تصل الى جمهور يختلف عن جمهور الكتاب

ويبدو أن كل فنان يسعى الى اثبات مكانة في مجال اخر غير مجاله .. فبعد ان كتب المخرج ايلياكازان بعض الروايات . يتجه المخرج الايطالي مايكل انجلو انطونيوني الى الكتابة حيث قدم اخيرا كتاب بعنوان « الامر لا يعدو كذبات » وذلك اسوة بزميله الراحل باولوبازوليني .

يضم الكتاب مجموعة من الخواطر والرسومات حول الافلام التي اخرجها انطونيوني مثل « الليل » و « الفجار » وفيلمه الاخير « هوية امرأة » ويقول: لم يتغير شيء في الدنيا . عندما افتح صحيفة . فانني استعد لان اتلقى اعجب الاخبار قرأت ان المسئولين السياسيين الايطاليين يسافرون في سيارات لها زجاج لا يخترقه الرصاص هذا الصباح قتلوا احدهم في نابولي. بالرغم من الزجاج الواقي الا ان رصاصتهم مصنوعة من الماس . هذا شيء من اشياء عديدة تثير دهشتي .. التقدم في الفن هو ان نقتل . وان نصبح شيئا فشيئا رقيقا »

ويقول انطونيوني : « يجب ان يؤمن الفنان الخالق بما يرويه . رغم مايمكن ان يتعرض له من انتقاد . حتى لو حطموه . اللهم الا انه يفتقد الواقع بين يديه . فيسقط منه كل شيء . علينا أن نثق بالانسان . وان ننتظر مبادرته وعلينا ان نكون املين دائما » .

● العام الدولي لميشيما ●

طوكيو

رغم أن العالم يحتفل خلال عام ١٩٨٥ بالذكرى المئوية لكل من جوزيف كونراد ود . هـ لورانس (انجلترا) وفيكتور هيجو وفرانسوا مورياك (فرنسا) الا ان مجموعة من الظواهر والاحتفاءات قد ارتبطت ببعضها تحظى الكاتب الياباني يوكيوميشيما باهتمام اكثر من كل هؤلاء جميعا في الفترة الاخيرة . ففي مهرجان كان الاخير قدم المخرج الامريكي بول شرودر فيلمه « ميشيما » الذي صوره في اليابان من انتاج المخرج كوبولا . وفي انجلترا قدم الصحفي هنري سكوت كتابا عن حياة ميشيما . وفي بيرو ظهر كتاب مترجم عن اليابانية حول ميشيما . اما في فرنسا فقد



مايكل انطونيوني



عرضت مسرحية باليه « خمس نوءات، No. جديدة » التى ترجمتها الكاتبة المعروفة مرجريت يورسنار واخرجها موريس بيجار .

لماذا ميشيما بالذات ؟ لقد اكتشف العالم فجأة اهمية الكاتب اليابانى الذى ارتبط ادبه وسلوكه العام بالدفاع عن وطنه الواقع تحت السيطرة الامريكية وانتحر بطريقة الهاراكيرى احتجاجا على وضع بلاده تحت السيطرة الامريكية .

ولد بوكيو عام ١٩٢٥ . نشر روايته الاولى عام ١٩٤٤ بعنوان « غابة الزهور » ومن اهم كتبه ترجمة ذاتية بعنوان « اعترافات قناع » و « الوان ممنوعة » و « موت الامواج » « ومعبد السرادق الذهبى » .. عمل ممثلا فى المسرح . وكتب القصيدة والرواية .. ورغم ان مواطنه كاوباتا قد نال جائزة نوبل عام ١٩٦٨ الا ان شهرة ميشيما جالت الافاق بعد ان انتحر . فبعد أن انتهى من كتابة رباعيته « مجرد الخصوبة » التحم مركز قيادة الدفاع الذاتى . والقى خطبة حث فيها ابناء شعبه ان يقوموا بانقلاب ضد النظام فى البلاد . ثم تلا شعائر الانتحار على طريقة الهاراكيرى وهى ان يدفع بطنه نحو حافة سيفه وبقوة فى جسده باسلوب عنيف حتى يلفظ اخر انفاسه

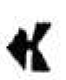
الغريب أن أى ممن قدموا ميشيماأى ركزواعلى هذه النقطة..ولم يقترب احد من ادبه يحلله ويربطه بسلوكه العام .. فميشيما الان شخصية امريكية اكثر منها يابانية .. لان الامريكيين يحبون مثل هذا الرجل حتى وان كان يتظاهر ضدهم . لان ميشيما يظل بالنسبة لهم مجرد كاتب « فانتازيا » قبل ان يكون أديبا مبدعا والا اين ابناء اليابان الاخرين .. ولماذا الاهتمام بحياة يوكيو اكثر من كتاباته ؟ .

الحب والاباحية .. على الطريقة الصينية ○

بكين

فى الفترة الاخيرة زاد الحديث عن الف ليلة وليلة ويبدو ان لكل دولة فى العالم « الف ليلة وليلة » الخاصةبها احدث طبعة من هذه الليالى صينية الصنع تحت عنوان « زهرة فى قارورة ذهبية » فى طبعتها الكاملة .. الكتاب ظهر لاول مرة عام ١٦١٨ لمؤلف صينى غير معروف على وجه التحديد . ومؤرخو هذه الحكايات يضعون احتمالاتهم فى ثلاث كتاب صينيين هم « تانج اكسيانزو » ، « لى كايكسيان وجياسانجن »

يتكون الكتاب من مائة فصل ويقع فى اكثر من ثلاثة الاف





صفحة •• وهى مثل كل الف ليلة وليلة فى كل حوله لا يخلو من الادب المكشوف وذلك مثلما فعل بوكاشيونى « ديكاميرون » و « بلزاك » فى « ليالى بلزاك » ليست الاباحية وحدها القاسم المشترك بين هذه الكتب ولكن كبر الحجم وتعدد الشخصيات وسلاسة العبارة وجنوحها الى اجواء العشق والفنتازيا ومكائد الجدين معطية الشخصيات من ابطال وظرفاء وملوك وفقراء يمزجون بين الواقع التاريخى والميثولوجيا الاجتماعية •• واذا كانت الف ليلة تحوى مئات الحكايات •• وديكاميرون

مائة حكاية بالتحديد •• فان « زهرة فى قارورة ذهبية » تحوى موضوعا واحدا ولكنه يتشعب الى مئات الحكايا لنفس الابطال الذين يبلغون ٢٢٥ شخصية والبطل الرئيسى هو « ووسونج » البطل الشعبى الذى صرع نمرا بيديه المجردتين الا انه خائف جبان امام حبيبته التى تتعرض لاغراء اخيه بالتبنى وتتزوج منه • وسيطرة احد التجار الاثرياء الذين يحاولون الايقاع بها •• وهناك ايضا ثلاث نساء يحطن بالمرأة لوتس أو القارورة • المرأة التى تموت حزينة بعد أن يختفى ابنها • وكذلك حكايات المغول القادمين من الشمال لغزو البلاد ودور البطل سونج فى مقاومتهم مع ابناء شعبه ••

الجدير بالذكر ان علماء الانثربولوجيا قد وجدوا فى هذا الكتاب نبعا خصبا للاطلاع على عادات الشعب الصينى وتاريخه ليس فى القرن الثالث عشر الميلادى ـ حيث تدور الاحداث ولكن يمتد الى اعماق التاريخ


الاميرة النائمة من المشرق الى المغرب


امحوتب ، اله الطب عند الفراعنة

ماذا أضافت مصر الفرعونية إلى العالم ؟

أوجه التجديد في طبّ العصر الفرعوني

بقلم : الدكتور بول غليونجى

لقد انفجرت المعجزة المصرية منذ نحو من سبعة آلاف سنة ، ولم يكن انفجارها انفجار قنبلة بل كان أشبه بفعل مارد من الجان أدار مفتاحا سحريا فأزاح ستارا تدفقت عبر ثغرته الأضواء ، واحدا تلو الآخر حتى غمر العالم بريقها

واذا اعتبرنا التجديد الذى تشاهده العصر الفرعونى وجدناه أقرب الى التخليق منه الى التجديد لجهلنا بما سبقه ، ومرد جهلنا الى الافتقار الى أى ثبت مكتوب عنه وهذا لعدم اختراع الكتابة بعد ، ويمكن الجزم بأن التطورات التى حولت مصر من العصر الحجرى الى قمة الحضارة مرجعها المباشر اختراع الكتابة وابتكار ورق البردى .

فالكتابة معجزة تخلق المعجزات لولاها اعتمد العلم على الذاكرة البشرية مع كل أوجه نقصها فهى من حيث الكيف خائنة ومن حيث الكم محددة بحدود الذهن البشرى ، ومن حيث الزمن تزول



أوجه التجديد في طب العصر الفرعوني

بزوال صاحبها ويتعذر بالتالي التقدم إما بالتحديد او بالاضافة وقد خلفت الكتابة علوم الحساب ، فكما أن الذاكرة البشرية محدودة فان إمكانات الحساب الذهنى لاتتعدى أبسط العمليات الحسابية وأصغر الأرقام ، ناهيك عن عمليات الجبر والهندسة التى تحل قضاياها بسلسلة متواصلة من الحجج والقياسات المنطقية .

ثم ان الحساب سمح باستبدال السنة الشمسية بالسنة القمرية البدائية التى لا ترتبط بالمواسم الزراعية ولا بالفصول الجوية ولا بأطوار الفيضان ، كما انه اتاح تنظيم الريّ على طوال الوادى بشكل لم يكن ليتيسر دون بيروقراطية واتصالات ورسائل وسجلات كتابية .

وقد سهل الكتابة اختراع خطير اخر هو تصنيع الورق من البردى ولاشك فى أن كل واحدة من تلك الانجازات أسهمت فى تقدم الطب او في نشأته ولكن هناك ظاهرتين اخريين أسهمتا بسهم فعلى ، أولاهما نتيجة مباشرة لمشاهدة الأراضى المروية أدت الى تصور الجسم الآدمي على أن قنوات لاحصر لها تخلله ، يمرض اذا انسدت أو شحّت أو فاضت ، فما من شك فى أن مشاهدة الأراضى المروية وممارسة الريّ أدتا الى نظرية القنوات (الميتو) التى ستعرض لها فيما بعد وهى ركيزة الطب الفرعونى .

إلا أن المشاهدة اليومية للقنوات كانت متاحة أيضا لأهل مابين النهرين الذين لم يصلوا الى النتيجة ذاتها لاختلاف تفكيرهم عن الظاهرة الثانية التى تميز بها المصريون وهى الموضوعية التامة والبعد عن الخزعبلات الشيطانية التى كان من سيم بين النهرين

× × ×

يجدر بنا قبل أن نتتبع ما أورده المصريون من جديد فى الطب مراجعة بعض ملامح طبهم مع ملاحظة ان كل من هذه الملامح تعدّ كشفا من حيث المعلومات وتجديدا من حيث المنهج الفكرى .

لقد ظل المؤرخون يرددون أن طب الفراعنة لم يكن سوى رقى مصحوبة ببعض المعرفة بالأعشاب ناسين أن قدامى المصريين شيدوا منذ مايربو على اربعة آلاف سنة أهراما يعجز عن بنائها أمهر المهندسين اليوم ، وأن علماء الاغريق من أمثال افلاطون وأبقراط لم يضنوا بسنوات من شبابهم ليتلقوا عنهم العلم ، وان اباطرة آسيا كانوا يستدعونهم الى بلاطهم للاستفادة بعلاجهم ، وأن أعيان الأجانب كانوا يفدون الى مصر طالبين الشفاء على أيادى من كانوا يعدون أمهر أطباء العالم .

لقد ظلت هذه الفكرة الساذجة الشائعة حتى سنة ١٩٣٠ عندما نشرت ترجمة بردية "ادوين سميث" التى أحدثت ضجة من الدهشة بين علماء المصريات ولمهست هذه البردية هى الوحيدة فقد وصلت الينا ثمان برديات أخرى ، ولكنها تختلف فى محتواها من حيث نسبة الطب الواقعى الى

الطب اللاهوتى والسحر حيث انها لم تكن مؤلفات علمية تعليمية بالمعنى الحالى ولكنها مصنفات نقلت من اصول مختلفة وبدون تمييز .

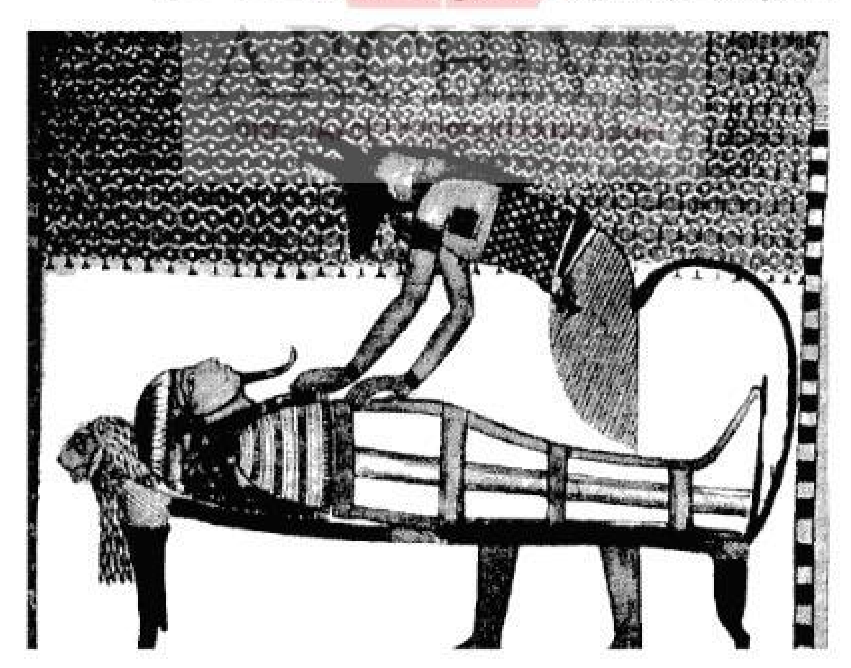
اما بردية إدوين سميث فانها تحمل تاريخ ١٥٠٠ ق ـ م ولكنه واضح من نصها ان الأصل او الأصول التى نقلت منها ترجع الى عهد الاهرام . تصف هذه البردية ٤٨ مشاهدة فى جراحة العظام تبدأ بالراس وتهبط حتى البطن ، وربما كانت تشمل فى الأصل كل أجزاء الجسم إذ ان آخر مشاهدة فيها تختتم بعبارة ناقصة .

ويلفت النظر الواقعية التامة فى وصف الحالات وعلاجها ، وخلوها من التمائم والسحر ، واهتمامها بربط العوارض بموقع الاصابة ، وتحديدها مآل كل حالة ، والترتيب الدقيق الذى يسودها ، وهى مميزات تدل على تفكير أصيل وتأمل عميق ، وتقاليد طويلة سبقت الكتابة .

فقد عرف كاتبها معنى قرقرة العظام وقيمتها فى التمييز بين الكسر والخلع والجزع وعرّف الجزع بأنه إصابة الأربطة دون تغير فى وضع العظام ، وأدرك صلة المخ بالحركة الارادية وبتعيين ناحية الشلل وعلاقة الصمم بعظمة الصدغ وسوء مآل كسور الرأس اذا انقطع نبض الدماغ تحتها او اذا صحبها تقلص الرقبة او النزف من المنخرين ، كما وصف كسر العمود الفقرى ومايتبعه من شلل رباعى واستمناء دون فقدان الوعى . ومما يشير الى إجراء المؤلف الصفات التشريحية بعض الأوصاف لحالة الأنسجة المصابة فشبه مثلا الفقرة المنغرزة فى الفقرة التى تليها بالقدم الغائصة فى أرض منزرعة

ثم انه وصف رد الكسور والخلوع بوسائل وطرائق تنم على مهارة فائقة وقد

كاهن يرتدى ملابس انوبس اله الموتى والتحنيط لاجراء عملية تحنيط





أوجه التجديد في طب العصر الفرعوني

اقتبس منه ابقراط والغرب ولاتزال مستخدمة اليوم .

لن اذكر في هذا المجال المحدود سوى برديتين اخريين : بردية كاهون التي تتركز اهميتها في انها افضل مرجع لنا عن علاج امراض النساء ، بالاضافة الى انها تحوى وسائل التكهن بخصب النساء وبجنس الاجنة وقد اقتبسها عنهم كذلك الاغريق والعرب .

أما البردية الثانية فهي بردية "إبرز" التي تعد المرجع الأساسي لمعرفتنا بالطب الباطني وبالعلاج ويمكن تقسيم محتوياتها الى "فارماكوبيا" لامراض الجلد والبطن والجلد والعينين وأمراض النساء والجروح والحروق ، ثم الى جزء يتناول القلب والأوعية وهي تعد أقدم مؤلف يعرض للحياة والمرض ووظائف الأعضاء بطريقة موضوعية خالية من الاعتبارات الفلسفية التي خالطت طب الاغريق أو التخيلات الروحانية التي افسدت طب مابين النهرين وقد . وردت في هذه الموسوعة فقرات جديدة بالاعجاب منها وصف للذبحة الصدرية وخطورتها ، ومنها المميزات السريرية لمختلف الأورام من اورام دهنية وأكياس وغددية وفتق وتمدد الشرايين وخراريج .

وفي عالم الجراحة فقد مارسوا الختان منذ بدء التاريخ وأخذ اليهود هذه السنة منهم ، وأجروا التربنة والبتر وكانوا يفتحون الخراريج بالمشارط ويفرغون الأكياس ثم يستأصلون باطنها تماما لمنع تولدها من جديد . وفي عالم الأسنان أوصت بردية إبرز بحشو الاسنان المسوسة كما وجدت في بعض المقابر أسنان قلقة تثبت الى جاراتها بأسلاك من الفضة أو الذهب .



عملية ختان
معبد الكرنك

ولنتحدث الآن عن الأمراض الباطنة وعن نظرتهم الى اسبابها ، إنهم تصوروا سبب المرض عاملا يتسرب الى الجسم إما من الخارج فذكروا الغذاء غير الصالح والأجسام الغريبة والريح والحشرات والديدان والأرواح الشريرة ، وإما من الداخل اى من محتويات الامعاء اذا خرجت من وعائها الطبيعي أو اذا تعفنت فتحولت الى مواد مرضية أو ديدان .

فاذا تسربت هذه العناصر داخل الجسم تخللته متخذة أوعية وقنوات شملت فى نظرهم الأوعية الدموية وقنوات الغدد اللعابية والمعوية والمنوية ، الخ ، وأحدثت إما عوارض عامة كالصداع أو الهزال او الحمى ، وإما إصابات محلية كالخراريج والاورام ، اما البرء فكان يتم عند خروج هذه العناصر عبر فتحات الجسم الطبيعية .

كان يتحتم إذن التخلص من هذه العناصر بالمسهلات ومدرات البول والحقن الشرجية ثم إعادة الحال الى أصلها بالعقاقير وقد استمدوها من عالم النبات والحيوات والمعادن وذكروا نحوا من ٢٥٠ منها ، نعرف ترجمة ثلاثين منها على وجه التأكيد والباقى لايزال مطروحا للبحث .

ولنذكر إحدى هذه المواد الحيوانية وهى لبن امراة انجبت طفلا ذكرا وقد تكرر ذكر هذا اللبن حتى انه يبدو اساسا من اسس علاجهم ، ثم لنذكر عصارة الكبد التى كانت توصف لعشى الليل ولاشك فى أن كمية فتامين (١) التى تحويها قادرة على شفاء هذه العلة وقد استعار الاغريق ومن بعدهم العرب عددا كبيرا من تلك العقاقير منها لبن المرأة التى انجبت ذكرا وعصارة الكبد ونباتات ظلت تذكر فى اقراباذين القرن العشرين الى أن استبدلت بها المضادات الحيوية والمركبات الكيماوية .

بقى أن نذكر أن المصريين أول شعب كان له أطباء علمانيون متخصصون يحملون لقب الطبيب ويدرسون مهنتهم فى مدارس خاصة أطلق عليها (بيوت الحياة) ، يعملون ضمن سلم مهنى يبدأ بالطبيب العادي ويتدرج الى مفتش الأطباء ورئيس الأطباء ورئيس أطباء الجنوب الى رئيس أطباء الجنوب والشمال الذى كان مسئولا امام الوزير أو فرعون فكونوا شبه نقابة تخضع لرقابة الدولة ومن الغريب أن أول طبيب عرفه التاريخ وكان اسمه (حسى - رع) كان طبيبا للأسنان ولم يكن التخصص فى الأسنان مثالا فريدا اذ كان التخصص فى فروع ضيقه كالعينين أو غيرها منتشرا بحيث علق عليه مؤرخو الاغريق امثال هيرودوت .

وهنا يتعين علينا التساؤل : هل ترك المصريون أثرا ملحوظا فى طب الاغريق وطب الاسكندرية الذى كان منطلق الطب الاسلامى ؟

لقد روى جالينوس أن أطباء الاغريق كانوا يترددون على منف فى القرن الثانى الميلادى أى بعد أوج الطب الاغريقى للاطلاع على خزائن الكتب المودعة بها ، ثم اننا نعلم حق العلم أن أحد أطباء سايس (سا الحجر اليوم) اعاد بناء كلية الطب فى هذه المدينة فى عهد دارا الفارسى .

فاذا تأملنا فى أن هذا الحدث الخطير حدث فى سا الحجر قريبا من (راكوتيس) القرية التى بنى عليها



أوجه التجديد في طب العصر الفرعوني

الاسكندر عاصمته ، وفى ان تماثيل بعض مشاهير اطباء (سايس) جلب الى الاسكندرية فى عهد البطالمة ليعرض ضمن تماثيل اعلام الطب ، لتأكدنا من أن التراث المصرى وصل الى الاغريق ، وهذا ماتفرزه الامثلة التى اوردناها من تماثل بعض وسائل العلاج فى الحضارتين المصرية والاغريقية .

ويمكننا بالمثل ذكر فقرات عديدة من الطب المصرى التى وصلت الى الهند والى أهل التوراه .

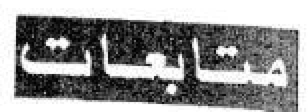
أما اذا حاولنا فى نهاية هذه الدراسة السريعة ، البحث عما جدده قدامى المصريين فانه يمكننا ـ بالاختصار ـ ذكر الآتى

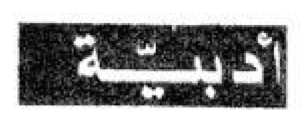
● ممارسة التحنيط وفى ـ وإن كانت عملية دينية ـ بصرت المصريين بطبيعة محتويات الجسم وشكلها فى حالتى لصحة والمرض فربطت فى أذهانهم لمرض بحالة العضو ، فتفوقوا فى هذا لميدان على الشعوب الأخرى التى كانت حرق الجثث أو تدفنها دون مسّها ، ثم نها عودت العقول على هضم فكرة أن فتح لجثة لا يعد تمثيلا بها وأتاحت لأطباء لعصر البطلمى تشريحها منظما لا تخبط يه بينما كان التشريح محرما على شعوب لعالم الأخرى كافة .

● مزاولة طب تجريبى مبنى على الخبرة الملاحظة السريرية المنظمة زاوله أطباء علمانيون درسوا الطب فى معاهد متخصصة .

● استنباط نظرية (الميتو) والعناصر المرضية السارية فى الجسم التى اكدت على وحدة الجسم الوظيفية وعلى تبعية كل الاعضاء للقلب الذى قيل عنه ـ فى صدد وصف النبض ـ أنه يتكلم فى كل عضو وهذه النظرية الجديدة التى استبدلت بنظريات عتيقة آخذة باستقلال كل عضو وتبعيته لنجم أو فلك أو اله مستقل كانت تبشر بنظرية الأخلاط التى سادت العالم حتى القرن التاسع عشر . ومما يلفت النظر أن فكرة عدّ النبض التى لم يدركها الاغريق فى العصر الكلاسيكى عادت الى الحياة فى العصر البطلمى فى الاسكندرية وريثة المدارس المصرية القديمة .

● ابتكار وسائل علاجية جديدة وقد أشرنا اليها فيما سبق هذه ـ فى اختصار شديد أوجه التجديد التى طرأت على الطب فى العصر الفرعونى ، فاذا كان المصريون قد نشأوا فى جو من الجهل والسحر ، شأنهم فى هذا شأن غيرهم من القدماء فانهم كانوا أول من حاول التخلص من كل هذه الخزعبلات وهيأ العالم للمنجزات المصرية .



بقلم : يوسف القعيد

قراءة فى وجه مصر الثقافى

●● اعترف اننى تضيت ليلة كاملة اقرأ التقرير الثقافى الخاص بواقع مصر الثقافى فى الفترة من ١٩٥٢ وحتى ١٩٨٠ . واعترف اننى ذهبت الى المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية فى امبابة من اجل المشاركة فى النقاش فى اليوم الذى حدده المركز من اجل مناقشة المسح الشامل للمجتمع المصرى . والذى قام به المركز . ولكننى وعندما اقتربت لحظة المناقشة انصرفت ولم اشارك فيها . ربما يأسا وربما هروبا . ولكن من المؤكد اننى انصرفت وانا اهمس لنفسى :

ـ وهل هناك جدوى الآن ؟

الانصاف يتطلب الحديث عن هذا المشروع الطموح للمركز القومى ، والذى يعمل فيه المركز من سنوات ، من اجل عمل مسح شامل للواقع المصرى بكافة وجوهه منذ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحتى السنة الاولى من الثمانينات . وهو جهد طيب ومشكور وكنا فى أمس الحاجة اليه فمعرفة الواقع والاحاطة به هى نصف الطريق الى معرفة قضاياه ومشاكله وهمومه . وقد بدأ هذا المشروع فى السنوات الاخيرة بقيادة الدكتور احمد خليفة للمركز ودوره الهام فيه . والمركز القومى بشكل عام . يمثل منارة ترى الواقع الاجتماعى . وتلعب فى بعض الاحيان دور جرس الانذار وتنبه الى المخاطر التى ربما تكون قادمة الى مصر .

اصل الى الجزء الثقافى ، والمشرف عليه والمسئول عنه هو الآن فى رحاب الله . انه بدر الدين ابوغازى . الرجل الذى كان وجهه كله ابتسامة عريضة . ومن كتب الاجزاء الخاصة بالرواية والقصة والشعر هى الآن خارج مصر . انهما الدكتور سيد البحراوى والدكتور صبرى حافظ . وملخص المسح نفسه تم طبعه فى حوالى الف صفحة . ومن المتوقع قريبا ان يتم طبع الاصل نفسه فى حوالى اربعة عشر الف صفحة . وبذلك سيعد اكبر محاولة لرصد واقع مصر بعد وصف مصر . المجلد الضخم الذى وضعته البعثة العلمية التى رافقت نابليون بونابرت فى حملته على مصر ، الذين ذهبوا من المثقفين المصريين كانوا قلة شديدة . ذلك ان المناقشات كانت تتم فى غرف مغلقة وبعيدا عن ميكروفونات الاذاعة وكاميرات التليفزيون . وبالتالى فقد رفض الذهاب




د . بدر الدين ابو غازى



طلاب الشهرة والمجد والنجومية والجماهيرية .

— لكن اقول ان الدكتور علي الراعي كان هناك . كان الرجل مرهقا ومتعبا ولكنه حرص على البقاء حتى اللحظة الاخيرة . وتولى ادارة المناقشة فؤاد دوارة . الذي قضى يوما من التعب والعرق والغبار . وكان هناك احمد محمد عطية الكاتب والناقد الجاد وصاحب الكتاب المعروف: ادب الثورة المضادة في مصر . وكان هناك علي سالم . الكاتب المسرحي المعروف .

التقرير الثقافي نفسه قد تكون كلمة جريمة أفضل وأنسب تعبير يمكن ان يطلق عليه . ولكن ماجدوى المناقشة ان كان التقرير قد طبع ونتيجة المناقشة ستتحول في النهاية الى توصيات ترفق بالنص الكامل للتقرير ..

— ماجدوى هذا ؟

كان من المفروض ان تتم المناقشة قبل الطبع . وأن يكون واضعو التقرير هنا من أجل ان نناقشهم وأن نسمع ردودهم على هذا الشيء الخطير الذي كتبوه في تقرير مفروض انه يخاطب الازمنة القادمة ويعلو على مشاكل اللحظة الراهنة ويخرج من تحت معطف الشكلية والنظرة الضيقة ..

ماذا تعرف عن جماهير القراء ؟

●● لابد من الاعتراف — في البداية — اننا نكتب ، وعند وضع كلمة النهاية ، تنقطع علاقتنا بالعمل الذي نكتبه ، مع ان العمل الادبي يمر بعدد من المراحل بعد الانتهاء من كتابته وحتى يصل الى القارىء . وكلها مراحل هامة وأساسية ومصيرية ورغم هذا نحن لا نهتم بذلك ابدا

ولابد من القول أن أحرف الكلمات المطبوعة على ورق أبيض . تظل ميتة حتى تأتي عين القارىء . وتلقي عليها نظرة . وهذه النظرة هي التي تمنحها فرصة الحياة حيث تتحرك وتحيا وتمنح القارىء بالتالي تلك المتعة الفريدة .

لابد من التأكيد ثانيا اننا نكتب وكأن الكتابة هدف وغاية ووسيلة ، ولا نلقي بالا الى الناحية الاخرى من النهر . حيث القارىء . الذي من المفروض ان يكون هدفنا وغايتنا هي الوصول اليه .

يبقى ان اقول ان هذا القارىء يمثل حالة من الارق الخاصة بي في الفترة الاخيرة . ولاننا نعيش هذا الزمان الفردي في كل شيء فلا مفر من ان يقابل كل منا



د. سيد أبو النجا

الامر بصورة فردية مطلقة . مع ان هذا الارق الخاص يجب ان يتحول الى أرق عام يحرق هذا الاطمئنان الغريب عند الكتاب جميعا . انني اتخيل أحيانا اننا نكتب وأننا نقرأ مانكتب وينتهي الامر عند هذا الحد .

مع انه من المفروض أن يصبح هذا القارىء همنا جميعا نبحث عنه ونجري وراءه ونحاول معرفة الطريقة التي يتعامل بها مع النص الادبي .

وكلما سمعت جديدا عن هذا القارىء تجدد الحزن واستيقظ الهم وأصبح القلق القديم طريا وجديدا ..

سمعت مؤخرا من الدكتور سيد أبو النجا . انه اجريت دراسة عن هذا القارىء ، وان نتائج هذه الدراسة اكدت ان اكثر فئات الشعب المصري قراءة هي

من متوسطى المستوى المادى . ليسوا من الاغنياء وليسوا أيضا من الفقراء . وان أكثر ابناء الشعب قراءة هم من مدرسى المرحلة الثانوية وطلاب الجامعات

واحب ان أضيف الى ذلك أنه من ناحية التوزيع الجغرافى فان سكان المدن اكثر اقبالا على القراءة من سكان الريف . لان الكتاب يصل اليهم بصورة اسهل واسرع وانه فى متناول اليد . اما القرية المصرية فالكتاب لايصلها ابدا . الا مع مسافر قادم من المدينة اصلا .

اننا كثيرا ما نسأل أنفسنا لم نكتب ولكن من النادر ان يكون السؤال لمن نكتب ؟ . مع أن القارىء يكمل الحلقة الناقصة من العملية الابداعية . وما أكثر الدراسات . وما أكثر حلقات البحث التى تقام . وما أكثر الجهات المعنية بالعملية الثقافية ولكن من النادر أن يهتم احد بالقارىء . مع انه يساوى الكاتب فى الاهمية . فمتى نهتم به ..!

سجل الخالدين

●● أصدرت الهيئة العامة للاستعلامات سجلا لمن حصلوا على جوائز الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية والاداب والفنون منذ انشاء هذه الجائزة حتى الان .

وهو عمل جيد مشكور للهيئة فى زمنها الجديد تحت رئاسة الدكتور ممدوح البلتاجى الذى يقود مرحلة جديدة فى هذه الهيئة يمكن القول انها مرحلة تضميد الجراح فى الهيئة . ويبدو ان هذه المرحلة قد انتهت . لان العمل والانتاج هو الاساس الان .

ولكن هذا السجل الذى سيعد الان المرجع الوحيد للاجيال القادمة ينقصه أن تحدد السنة التى فاز فيها الكاتب بالجائزة . وان يحدد الفرع الذى فاز فيه .

حتى تبدو الامور واضحة ومحددة خاصة وان هذا السجل يتوجه بخطابه الى الزمن القادم أساسا .. وبعض هذه التفاصيل يبدو هاما ..

كذلك ما المانع من اصدار كتاب عن الحاصلين على الجائزة التشجيعية وكتاب اخر عن الحاصلين على الجوائز فى فروع العلوم البحتة .

متابعات سريعة

●● فى الكويت انتهت ليلى العثمان من نصها الروائى الاول . روايتها الاولى عنوانها : « المرأة القطة » : وهى تدخل الى عالم الرواية وورواءها عدد غير قليل من المجموعات القصصية القصيرة المتميزة ومن المؤكد ان تجربة الخروج من معطف القصة القصيرة الى رحابة الرواية . تعطى ماتكتبه ليلى العثمان هذه المرة مذاقا خاصا .

● وفى الكويت وبيروت حدثان مختلفان وان كان الايقاع واحدا . فى الكويت جمع الكاتب المسرحى المصرى المقيم فى الكويت السيد حافظ كافة المقالات المكتوبة عنه واصدرها فى كتاب عنوانه : تجربتى باقلامهم . وفى بيروت جمع الناشر والروائى عبد الرحمن مجيد الربيعى كل الاحاديث الصحفية التى جريت معه واصدرها فى كتاب واحد .

● وفى باريس يكتب الان الروائى الكولومبى ماركيز رواية جديدة والصحافة تلاحقه فى كل مكان تحاول معرفة هذا النص الذى يكتبه . وهو يرفض الحديث.



الروائى ماركيز



فالرجل الآن نجما يحمل لقب : حاصل على نوبل .

وكل ما امكن معرفته عن الرواية الجديدة أن موضوعها هو الحب ، شاب وفتاة يلتقيان فى السادسة عشرة . يحبان بعضهما لم يفترقان ويلتقيان مرة أخرى فى سن الثمانين من العمر . وهذه الفكرة تضع اليد على جوهر أساسى فى مكونات عالم ماركيز ، انه يستخدم الزمان بصورة جيدة . لقد اكتشفت ان اللعب بالزمان كان بندا اساسيا فى « ساعة نحس » و « يوميات موت معلن » وغيرها وغيرها .. ونحن فى انتظار اول رواية لماركيز بعد نوبل ..

وفى أمريكا تم اكتشاف نص روائى لم ينشر من قبل لجراهام جرين ، الروائى الشهير صاحب رواية «الامريكى الهادىء» والنص الجديد اسمه : «الرجل العاشر»

ويبدو أن الواقع الثقافى العالمى يبدو مثل التاجر الذى يفلس فلا يبقى له سوى البحث فى الدفاتر القديمة ..

● ويعيش العالم الآن حالة من الاهتمام بالكاتب اليابانى يوكيو ميشيما . وها هو فيلم عن حياته . وها هما روايتاه . قصة قناع والبحيرة نقلتا الى اللغة العربية .

● وفى مكان ما من اوروبا جلس الشاعر الفلسطينى محمود درويش وكتب : من الجنون أن يكون الانسان فلسطينيا ، وقد كتب هذا بعد أن شاهد بنفسه مذبحة صبرا وشاتيلا رقم ٢ ..

وانا اقول له :

ــ من الجنون أن يكون الانسان عربيا فى الخمس عشرة سنة الباقية من قرننا العشرين ..

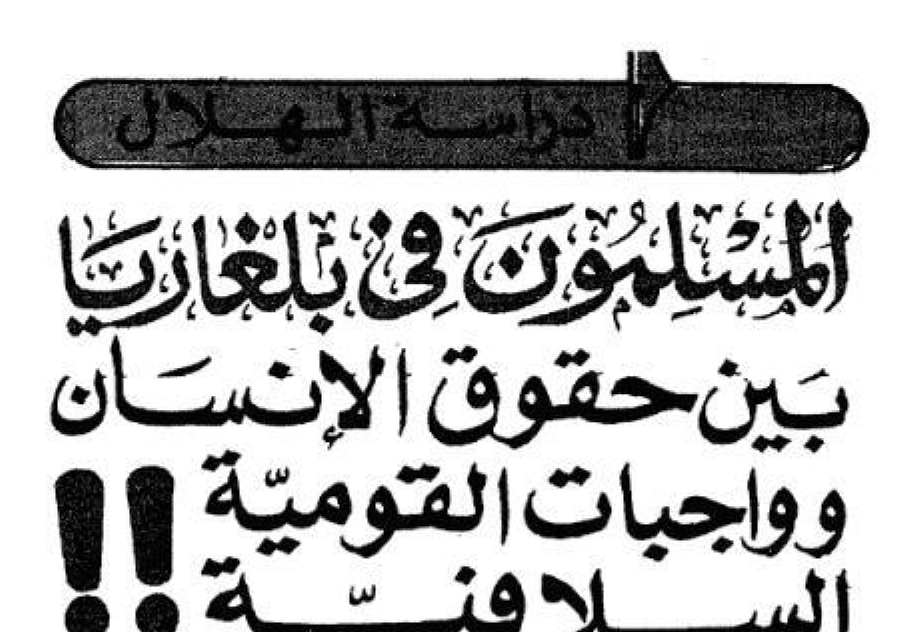
●● وفى بغداد وقع الدكتور محسن جاسم الموسوى .. الباحث والناقد الادبى العراقى المعروف ورئيس تحرير مجلة « آفاق عربية » فى سحر وغرام شهرزاد تلك التى تحاكمها هنا فى مصر . لتقام بترجمة رسالته من اجل الحصول على الدكتوراه عن لياليها وجعل عنوانها : الوقوع فى دائرة السحر

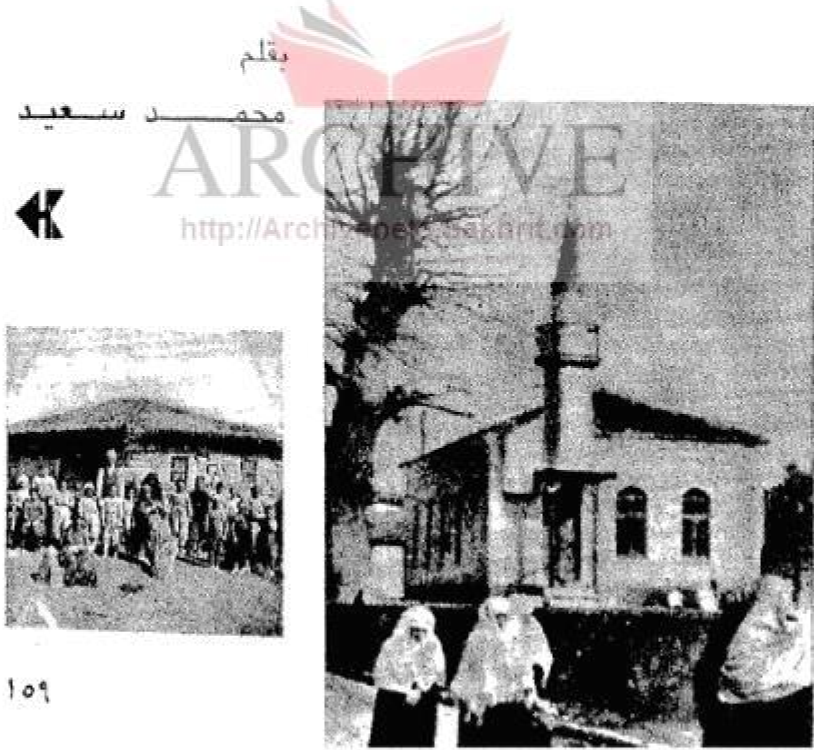
والرسالة مقدمة اصلا الى جامعة هارفارد واحدة من اعرق جامعات عالم اليوم .

●● وفى لندن صدر كتاب طريف عنوانه : « اورويل : الحرب تذيع » والكتاب مؤلفه و . ج . وست ، وهو عن السنوات التى عمل فيها أورويل مذيعا فى هيئة الاذاعة البريطانية فى الفترة من ٤١ الى ١٩٤٣ . وايضا عمل مندوبا للاذاعة على جبهات القتال وقدم رسائل صوتية ميدانية من ميادين القتال .

والكتاب الطريف الصادر يحتوى على يوميات أورويل ونشاطاته ولكن المقابلات التى اجراها ستصدر بعد ذلك ..

من قبل سرق منا أورويل سنة ١٩٨٤ حجزها لحسابه الخاص ، عندما كتب رواية تحمل اسمها قبل مجيئها بسنوات. والان ماذا نفعل بعامنا هذا : ١٩٨٥ ؟ اتمنى عند قراءة هذا الكتاب من اجراء مقارنة بين الفصل الذى خصصه اورويل فى روايته ١٩٨٤ عن وزارة الحقيقة حيث سخر بدون حدود من الحرب الدعائية. وبين الكتاب الجديد .. ذلك ان اورويل عمل فى هيئة الاذاعة البريطانية فى سنوات اشتداد الحرب الكلامية بين انجلترا من ناحية وبين المانيا النازية من ناحية اخرى ..


دراسة الهلال
المسلمون في بلغاريا
بين حقوق الإنسان
وواجبات القومية
السلافية !!


بقلم
محمد سعيد

تبدو المسألة من مدخل التبسيط وكأنها محاوله من السلطات البلغارية لتغيير أسماء الرعايا المسلمين .. ولكن الامر يبدو أكثر تعقيدا من هذا التبسيط المخل الذى تتداوله أجهزة الأعلام العالمية وحتى البلغارية .

فمسألة تغيير الأسماء العربية والاسلامية لرعايا الدولة البلغارية من المسلمين قضية تتصل بجوهر حقوق الانسان من ناحية .. ومن ناحية أخرى فهى أنتهاك لقواعد وبنود الدستور البلغارى الذى ينص على احترام حقوق الأقليات .. ومن ناحية ثالثة فهى عودة غير مبررة لفرض هيمنة الأكثرية على حقوق الاقلية .

هذا التعقيد الثقافى والاجتماعى والسياسى يبدو المدخل السليم لفهم حقيقة مايجرى على الأرض البلغارية فى مواجهة حقوق الأقلية البلغارية المسلمة .. وهو تعقيد لايصعب على الفهم برغم تداخل متغيراته .. بينما التبسيط فى تناول تلك المشكلة وكأنه مصادره على الاقتراب من حقيقة الموقف حتى وإن صدر هذا التبسيط عن السلطات البلغارية .. أو حتى عن أقرب من يتبنون وجهة النظر المقابلة لمنطق السلطات البلغارية .. ونقصد جارة بلغاريا

زرت بلغاريا لأول مرة فى عام ١٩٧٥ .. فى أعقاب بعض أحداث عنف لجماعات بلغارية تدين بالاسلام .. كانت السلطات البلغارية تصف سخطها وتذمرها بأنه سلوك ضد المجتمع من بعض العصابات المنتمية للجماعات ذات الأصول التركية

ومنذ أحداث عام ١٩٧١ .. والعقول المفكرة فى الحزب الشيوعى البلغارى تبحث عن وسيلة لاستيعاب كيانات الأقلية فى المجتمع البلغارى .. وتبحث عن صيغة لذوبان هذه الأقليات فى التيار العام للكتلة السكانية البلغارية .

ومن خلال مالاحظته فى زيارتى لبلغاريا من تعتيم واضح من السلطات على وجود الأقلية البلغارية المسلمة برغم وضوح مشاركتها فى الحياة الاجتماعية لم يكن غريبا على من تعرف على أحوال المسلمين فى بلغاريا أن يتمعن فى شكل التناول الأعلامى البلغارى لمسألة تغيير الأسماء الاسلامية ذات الأصول العربية والتركية إلى أسماء مرتبطة باللغة المستمدة من اصول سلافية بلغارية .. وهو واجهة سلوك السلطات البلغارية تجاه رعاياها من المواطنين البلغار المسلمين .. فالأعلام الرسمى فى بلغاريا يجعل الاجراء الأخير يرتبط بهالة من الوطنية البلغارية حتى أن الصحف والاذاعتين المرئية والمسموعة تصف مايحدث بأنه خطوة ثورية تاريخية فى السعى نحو تحقيق وحدة الأمة البلغارية .

والتناول الأعلامى البلغارى لمشكلة رفض المسلمين البلغار للاجراءات المخالفة لنصوص الدستور بشأن حقوقهم كأقلية بلغارية يتجاهل وجود أقلية مسلمة من أصل تركى ويحاول فى تناوله ان يصور هؤلاء المسلمين على أنهم من اصل بلغارى سلافى لكنهم حملوا الأسماء الاسلامية أثناء السيطرة العثمانية على بلغاريا .. وتريد أجهزة الأعلام البلغارية

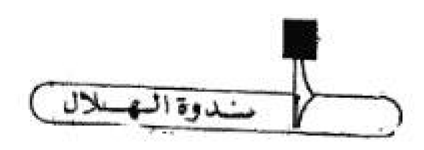
ان تبرهن على أن تغيير الأسماء لاترتبط بالدين ولا بالهوية ولا بحقوق الاقلية . ولكنها تخضعها لظروف تاريخية .. ولهذا فهي ترى ان الاندماج التام في المجتمع البلغاري يحتم هذا التغيير الثقافي والاجتماعي .

ومشكلة التناول الاعلامي لمشكلة رغبة السلطات في تغيير الشكل العام لهوية الرعايا المسلمين البلغار تنبع ايضا من تجاهل الأعلام البلغاري لوثائق حقوق الانسان ولبنود الدستور البلغاري الذي صدر في عام ١٩٤٤ .. وايضا الى أن الاجراءات الأخيرة في مجملها .. وفي تفاصيلها تتعارض بالقطع مع الفكر السياسي الماركسي الذي يرفض اضطهاد الأقليات في اطار دعوته الى الاممية كبديل عن القومية البرجوازية والمعروف ان الدستور البلغاري الذي صدر بعد قيام جمهورية بلغاريا الاشتراكية الشعبية .. ولايزال معمولا به حتى الآن يكفل حرية العقيدة والاعتقاد الديني للسكان والأقليات بجانب توقيع بلغاريا على اتفاقيات حقوق الانسان الدولية التي تتعارض مع الاجراءات البلغارية الأخيرة في مواجهة المسلمين البلغار وهي اجراءات فاقت كل الحدود المتصورة منذ بدات السلطات البلغارية في ديسمبر ١٩٨٤ .. حملتها لتغيير الأسماء واغلاق المساجد وتحويل المساجد الكبرى الى منشات عامة .. وهو ماعجل بحدوث المواجهة التي جرت بين السلطات البلغارية المحلية وبعض الجماعات البلغارية المسلمة الرافضة لهذه الاجراءات التعسفية .

والغريب ان ردود افعال الهيئات والمنظمات الدولية تجاه مايجرى في بلغاريا ويتصل بالاعتداء على بديهيات مواثيق حقوق الانسان لم يصل في استقباله للأنباء القادمة من بلغاريا الى حد الاستهجان وليس الى حد الغضب الذي يبرز في مواجهة الأنباء القادمة من موسكو والمتعلقة بالمنشقين اليهود في الاتحاد السوفييتي .

والغريب ايضا أن يكون أول رد فعل صحفي في العالم هو مايصدر عن عدد من المفكرين الاشتراكيين الماركسيين في اوربا الشرقية ممن رفضوا على حد مانشرته المجلة اليوغسلافية العالمية الشئون الدولية) الاجراءات البلغارية والتي يقولون من خلالها ان الأفكار والعقائد التي تحاول الأقليات على تغيير اصولهم الثقافية والدينية والاجتماعية أمر ينتمي الى محاولات فرض الأغلبية هيمنتها على الأقلية .. وهي مظاهر كانت تسود هذا الجزء من العالم قبل الثورة الماركسية وها هي تعود لتنتعش اليوم بهذا الشكل السافر في بلغاريا .

وما يتجدد اليوم في بلغاريا سبق أن تكرر في أوقات سابقة قبيل الحرب العالمية الثانية .. وايضا قبيل عدة سنوات وقد تناوله تقرير اللجنة الدولية للأقليات ومركزها بريطانيا .. وحيث جرى اتهام الحكومة البلغارية بمنع المسلمين من ممارسة شعائرهم الدينية واحتجاز البعض عند المجاهرة بممارسة هذه الشعائر بجانب تعنت اجهزة الحكم المحلي في مسائل قيد المواليد بأسماء سلافية ورفض الأسماء الاسلامية ومنع مراسم الزواج على الطريقة الاسلامية ومضايقة المسلمين عند الاصرار على دفن موتاهم بالشكل الاسلامي .



والمسلمون فى بلغاريا عددهم نحو مليونين من السكان من بين تعداد عام لكل بلغاريا يتجاوز تسعة ملايين نسمة .. والسكان المسلمون فى بلغاريا من بينهم مليون من أصول تركيه يسمون المسلمون الاتراك البلغار بجانب مليون مسلم من أصول بلغاريه سلافية يسمون المسلمون البوماق ومعهم أقليات قليلة الكثافة السكانية من أصول مقدونية ويونانية وغجرية وتترية .

وقد صاحب فرض الأسماء البلغارية على المسلمين من البوماق والاتراك والغجر والمقدونيين والصربيين تمرد ورد فعل حاد لهذه الاجراءات صاحبة مقتل عدد كبير من البشر لرفضهم تغيير عنوان هويتهم وهى أسماءهم وهى بداية حمله من الاجراءات المطلوبة البلغارية لتغيير واقع المسلمين فى بلغاريا .. وحيث قسمت الحكومة البلغارية المسلمين بين جنوب البلاد وشمالها الشرقى بحجة منع تكدسهم فى أقليم واحد يعرض البلاد لهزة انفصالية فى حالة وجود تدخل أجنبى .. وقد صاحب هذه الاجراءات قيود على حركة السكان ونشاطاتهم .. الأمر الذى جعل نسبة كبيرة منهم تصل الى ٤٥٠ الف نسمة تهاجر مضطرة الى تركيا تاركه بيوتها وممتلكاتها الأخرى من عقارات وأموال ودون أى استجابة من الجانب البلغارى للطلب التركى بشأن عقد مباحثات تعويض للمهاجرين الى تركيا عن عقاراتهم ومنقولاتهم التى تركوها فرارا من محاولات الدمج غير الديمقراطية فى الاكثرية البلغارية السلافية .

لقد تلخصت ردود افعال السكان المسلمين البلغار لمسالة التشدد فى تغيير الأسماء فى فض الاستجابة لهذه القرارات الادارية الأمر الذى جعل السلطات البلغارية تلقى القبض على عدد كبير من الشباب المسلم حتى أن المصادر المجاورة لبلغاريا فى تركيا ويوغسلافيا واليونان أوضحت أن عدد القتلى تجاوز بضعة آلاف ممن حاولوا رفض هذا التعسف الذى يهدف الى الغاء حق الانسان فى اختيار الاسم الذى يميزه ويتماشى مع أفكاره ومعتقداته ومواريثه المختلفة .. حتى أن البسطاء من اهالى القرى البلغارية المسلمة يقومون بكتابة الأسماء العربية الاسلامية للابناء على الأيادى بطريقة الوشم بالنار حتى لايضيع الاسم المسلم فى ارهاب ملاحقة الأسماء وصراع تذويب المسلمين البلغار فى الاكثرية ذات الاصول البلغارية السلافية المسيحية .

وتتجاوز ردود الأفعال نطاق السلطات البلغارية ورعاياها من المسلمين البلغار حيث أن بلغاريا تتهم تركيا التى أدانت هذه الاجراءات القمعية بأنها محاولة للتدخل فى شئونها الداخلية بينما المصادر التركية تتهم بلغاريا بمحاربة أقلية ذات أصول تركية من حقها التعبير عن نفسها واستخدام لسانها الام كما لايجوز أن تحرم السلطات البلغارية هذه الأقلية من حقها فى ممارسة الشعائر الاسلامية والاحتفال بالأعياد الدينية

بجانب اجراءات التميز وعدم المساواة بين مكونات المجتمع من السكان السلاف والمسلمين وحيث تحول السلطات البلغارية دون انضمام المسلمين للجندية وتجندهم فى مشروعات الطرق والمرافق كما تقف امام اشتغال المسلمين بوظائف الخدمة العامة وتفصلهم من الوظائف العامة وتغلق مدارسهم التعليمية ومراكزهم الثقافية والدينية .

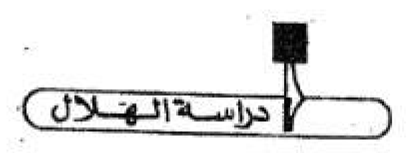
الحقبة الاسلامية فى بلغاريا

يرجع تاريخ المسلمين فى بلغاريا إلى نهاية القرن الرابع عشر الميلادى ومع بداية فتوحات الدولة العثمانية فى البلقان ويُرجح عددهم الآن رقم ٢ مليون نسمة نصفهم من أصول تركية اى ان المسلمين فى بلغاريا يشكلون نسبة ٢١ ٪ من مجموع السكان ومعدل التزايد عندهم نحو ٢ ٪ سنويا وهى ثلاثة أضعاف نسبة التزايد عن غيرهم من الأصول السكانية الأخرى فى بلغاريا .

المؤرخون يرجعون ازمات المسلمين فى بلغاريا إلى عام ١٨٧٩ عندما استقلت بلغاريا عن الامبراطورية العثمانية التى ظلت تحكم بلغاريا نحو خمسة قرون منذ فتح السلطان العثماني مراد الأول مدينة صوفيا العاصمة ومعها جنوب بلغاريا فى عام ١٣٧٢ ميلادية ثم اصبح شمال بلغاريا تابعا للدولة العثمانية فى عهد خليفته السلطان بايزيد (ابن السلطان مراد) .. فى عام ١٣٩٢ ميلادية وفى خلال المائة عام التى اعقبت استقلال بلغاريا عن الدولة العثمانية شهدت البلاد محاولات القضاء على الاسلام فيها بداية من اغلاق المساجد وهدم الآثار الاسلامية وتحويل المسجد الكبير بصوفيا الى متحف صوفيا أسوة بما فعل كمال اتاتورك بتحويل مسجد استانبول الكبير الى متحف كما حاولت الحكومة البلغارية تحويل السكان المسلمين الى الديانة المسيحية من خلال أساليب الترغيب ثم التهديد والمنع من ممارسة الشعائر الدينية الاسلامية .. ومنعهم من السفر لأداء فريضة الحج وتقسيم تواجدهم بين جنوب البلاد وشمالها .. ثم ارغام المدارس التركيه الاسلامية فى بلغاريا على الاندماج فى التعليم العام عام ١٩٤٧ .. والغاء اللغة التركية من التعليم كلغة ثانية للاقلية المسلمة من أصول تركية .

ومع عملية اعادة توزيع السكان المسلمين فى الارض البلغارية فرضت السلطات البلغارية الحظر على زيارات المسلمين .. ومنعت الصحفيين والمراسلين والهيئات الدولية من زيارة مناطق تجمعات المسلمين .. وقد إزداد هذا المنع مع احتفال بلغاريا فى ديسمبر ١٩٨٤ .. بمرور قرن من الزمان على الاستقلال عن الدولة العثمانية .

ويظل أبشع مظاهر العنف الذى سلكته السلطات البلغارية فى مواجهة المسلمين لرفضهم تنفيذ اجراءات الوصاية عليهم والقيد على حرياتهم وحقوقهم العامة ماتناقلته الانباء عن حادثة قرية « يابلونوفو » فى شمال شرق بلغاريا .. وفيها جاء رجال الادارة المحلية باستماراتهم لاجبار السكان المسلمين على تغيير اسمائهم الاسلامية ذات الملامح العربية والتركية ولما توقف الاهالى عن الاستجابة أصابهم وابل من السباب والشتائم قبل ان يتم إجبارهم على



تغيير اسمائهم وبالتالى هويتهم بالقوة وهو أمر ترتب عليه الصدام بين السلطة والأهالى حتى أن عدد القتلى فى هذه المنطقة وحدها وصل الى ٨٠٠ قتيل استشهدوا رفضا لهذا الاسلوب فى تغيير الأسماء التى تعد ابسط حقوق المواطنة وأول الحقوق الانسانية فى أن يحمل الانسان الأسم الذى يختاره له والديه ويرضى بحملة تعبيرا عن هويته وانتمائه

ومن ناحية أخرى يظل مايخرج عن بلغاريا مصرا على موقفها لأن بلغاريا لاتقتنع بغير ماتفعل وبحجة أنه اجراء يحقق الوحدة البلغارية الوطنية .. ولهذا فإن الناطق الرسمى بلسان الحكومة البلغارية يصف مايتردد حول أجبار المسلمين البلغار على تغيير أسمائهم بأنه تجاوز للحقيقة لأنه لم يحدث ارغام وعلى حد تعبير ل . شوبوف ... المتحدث الرسمى بلسان الخارجية البلغارية فان القوانين البلغارية تعامل المواطنين جميعاً بالمساواة .. وأن تغيير الأسماء يتم بالأختيار !!

والمغالطة فى رأى المتحدث الرسمى البلغارى واضحة .. فهل يعقل أن يتصرف ٢ مليون مسلم بلغارى مرة واحدة مثل هذا التصرف ليهرعوا لتغيير أسمائهم فجأة ودون تهديد ، أى رغبة فى الوحدة الوطنية واختيار الأنتماء الى الأمة السلافية .

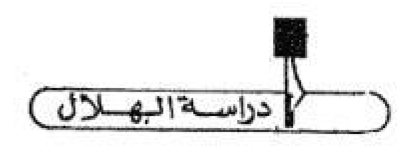
وما حدث فى قرية « بابلونوفو » تكرر فى مدينة « سيمولين » وفى مدينة « قاشقور » وفى ضاحية « بلوفديف » وفى مدينة « مومو شيبجراد » وفى الكثير من المناطق التى يقيم فيها المسلمون فى شرق بلغاريا .. وحيث قامت السلطات المحلية بتغيير البطاقات الشخصية وجوازات السفر وحتى مستخرجات شهادات الميلاد لكى تزيح الاسماء العربية الاسلامية عن هؤلاء ممن يحملونها .. ولكى يحملوا بدلا عنها أسماء سلافية بلغارية ... والغريب أن حملة تغيير الأسماء صاحبها هدم بعض المساجد ودك عددا من المقابر الاسلامية المدون على شواهدها آيات من القرآن الكريم بحروف عربية حتى أن صحف الأقليم الاسلامية التى كانت تصدر باللغة التركية بحروف لاتينة أصبحت تطبع باللغة البلغارية بالحروف السيديلكية .. وتغيرت أسماء الكتاب والصحفيين من الأسماء المسلمة الى اسماء أخرى سلافية بلغارية وامتد هذا الأمر لغير الكتاب والصحفيين من المشاهير الرياضيين والفنانين حتى أن بطل العالم البلغارى المسلم رحيم سليمان الذى حقق بطولات أوليمبية فى رفع الأثقال .. أصبح اسمه يتردد الآن فى الصحف وميكروفونات الراديو وشاشات التليفزيون على أنه ناعوم شالا مانوف .. تطبيقاً لسياسة الحكومة فى بلغرة الأسماء والالقاب .. وقد نشرت المجلة اليوغسلافية المتخصصة فى الشئون الدولية (International Affairs) (دراسة حول أوضاع الاقلية المسلمة فى بلغاريا ذكرت فيها أن الصدام مع الأقلية المسلمة انتشر فى الستينات وتطور فى الثمانينات .. وكانت ابرز تلك المواجهات ماحدث فى اعوام ١٩٧١ ـ ١٩٧٣ ـ ١٩٨١ .. ثم هذه الصدامات الأخيرة فى عام ١٩٨٥ .

المشكلة بين التوقيت ودراسة ردود الأفعال

فى العاصمة الفرنسية باريس التقيت بالبروفيسور هيلين دونكوص استاذة العلوم السياسية المتخصصة فى دراسات الاتحاد السوفييتى ودول شرق أوربا التى قالت لى ردا على سؤال حول تحليلها لما يجرى فى بلغاريا انه ضد أبسط حقوق الانسان .. وأنها مندهشة ولاتعرف لماذا يطرح هذا الموضوع الآن فى بلغاريا .. ولماذا تسلك الحكومة البلغارية هذا الموقف بشأن التعامل مع الاقليات غير السلافية .. ولماذا اختيار هذا التوقيت ؟ وهل يعود هذا الفعل البلغارى الى المشاعر السابقة تجاه الدولة العثمانية وهل تجدد هذا الشعور مع الاحتفال بمرور قرن على الاستقلال البلغارى عن الامبراطورية العثمانية ..؟ وهل هى محاولة بلغارية لقياس مدى صلابة تمسك المسلمين البلغار بدينهم وهويتهم فى محاولة لمعرفة اتجاهات قادمة للانتقاص من دور الدين فى الحياة البلغارية المعاصرة .

وتمضى البروفيسورة هيلين دونكوص فى فهم مايجرى فى بلغاريا من خلال طرح مزيد من التساؤلات .. فتتصور أن هناك سؤالا جدليا يترتب على صمت الاتحاد السوفييتى إزاء مايجرى فى بلغاريا .. وهى اقرب حلفاء الشرق الأوروبى الى موسكو .. وهذا السؤال هو : هل مايجرى فى بلغاريا الآن حالة دراسة يقاس على أساس ردود افعالها المحلية والاسلامية والدولية قياس الشعور العام للمسلمين فى جمهوريات الاتحاد السوفييتى فى حالة التفكير فى تغيير مايطرأ على أوضاع الجمهوريات الاسلامية فى الاتحاد السوفييتى .. وفى ظل الصدى الدولى لسماع الاجابة التقليدية من الاتحاد السوفييتى بشأن مسألة حقوق الانسان التى تعنى فى المفهوم السوفييتى تغيير اتجاه الرأى بالحديث عن حقوق العمل وحقوق الصحة وحقوق الرعاية الاجتماعية وما إلى ذلك من حقوق ليس من بينها حقوق الاختيار والمسلك الديمقراطى الحر .

●● أن فهم دوافع السلطات البلغارية فى هذا الاتجاه الى تغيير هوية المواطنين البلغار المسلمين يصعب أن يتأتى فى ظل الرد البلغارى المتصل بمفهوم الوحدة الوطنية البلغارية خاصة وأنه لم يطرأ على بلغاريا تلك الدولة التى تشغل مساحة ١١١ الف كيلومتر مربع تقبع فى شرق البلقان ويقطنها حوالى عشرة ملايين نسمة لم يتغير حالهم السياسى والاقتصادى والاجتماعى بإستثناء إعادة توزيع السكان من المسلمين البلغار بين شمال البلاد حيث يقع وادى نهر الدانوب وجنوب البلاد .. حيث جبال البلقان . بينما تعود الاحوال العامة للسكان الى احتلال القبائل السلافية للمنطقة فى القرن السابع الميلادى وماترتب على انضمام هذا الجزء من العالم للدولة البيزنطية .. وحتى جاء التغيير التاريخى الثالث بانضمام ذلك الجزء من العالم فى القرن الرابع عشر الميلادى للدولة العثمانية .. وحتى جاء التغيير التاريخى الرابع برسم حدود بلغاريا من جديد فى عام ١٩٠٨ .. وبعد عشر سنوات من استقلالها عن الدولة



العثمانية فى أواخر القرن التاسع عشر .

ويظل السؤال عن سر اختيار هذا التوقيت لبلغرة الاسماء الاسلامية وما يترتب على ذلك من ردود افعال داخلية وخارجية هو السؤال الذى يصعب الأجابة عليه فى ظل عدد من المتغيرات تبدو واضحة على الساحة البلغارية وفى مواجهة علاقات بلغاريا مع جيرانها وهى متغيرات قد تسهم فى فهم الدوافع البلغارية .. ويمكن أن نحصرها فى الأمور التالية .

● علاقة اجراءات تغيير الأسماء بالاستعداد للحصر السكانى والاستعداد للتعداد الجديد لبلغاريا .. حيث لايشار الى الديانات واتباعها وبالتالى الاقليات .. وحيث تتحايل السلطات البلغارية فى نشر تعداد المسلمين الحالى بعد أن ادى النشر السابق الى تناقص الأرقام الرسمية عن الوجود الحقيقى للمسلمين فى بلغاريا .

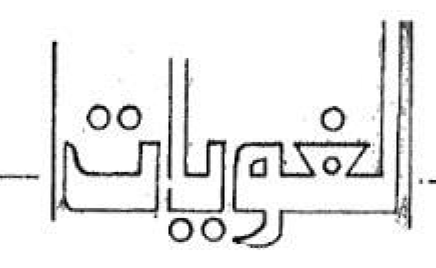
● مواجهة الأنفجارات التى تنشأ عن الصدام بين بعض الأقليات والسلطات البلغارية .. مثلما حدث فى مدينة « بلوفديف » حيث اكثرية السكان من المسلمين .

● معدلات النمو المتزايد للسكان المسلمين وحيث وصل عدد السكان المسلمين حسب دراسات العينة الى نحو مليونين من السكان .

● مواجهة الفشل فى سياسات اعادة توطين المسلمين فى الأرض البلغارية وحيث لم تسفر عمليات النقل والنفى الاجبارى عن جديد فى عمليات اذابة المسلمين فى الأكثرية السلافية البلغارية .. ومنذ محاولات عام ١٩٤٧ فى نقل آلاف المسلمين بالقوة من مقاطعة « رودب » الى مقاطعة « دوبريكا » وماتكرر من نفى العائلات الاسلامية من مناطق « مستانلى » الى شمال شرق البلاد فى أعوام ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠ ... الى مناطق ترويان وسومون وحيث منعوا الآباء من الاختلاط بالأبناء ممن هجروهم الى مناطق زراعية لايوجد بينها وبين المناطق التى رحل اليها الآباء أى اتصال أنسانى مصرح به .

● العلاقات مع تركيا .. وعدم قدرة تركيا على طرح المشكلة دوليا بسبب مشاكل الجوار البلغارى ومرور أنابيب الغاز الطبيعى السوفييتى الى تركيا عبر الأراضى البلغارية واعتماد تركيا على أنارة مدينة " أستامبول " على استيراد الكهرباء والطاقة من بلغاريا بجانب دور العمال الاتراك وعائلاتهم من الوطن الى مناطق تشغيلهم فى وسط وغرب أوربا عبر الاراضى البلغارية من والى بلادهم وهى اعتبارات تعطل من فعالية الدور التركى فى طرح المشكلة .

وتبقى مشكلة المسلمين البلغار غير المسلمين البلغار من اصول تركيا وهم المعروفون باسم « المسلمون البوماق » والغجر ممن يدينون بالاسلام والمسلمون من أصول تترية وصربية ومقدونية .. ممن لايجدون من يساندهم فى المحنة التى تمس حقوقهم الأنسانية فى غياب دور مؤثر للمنظمات الدولية ومنظمات حقوق الانسان وكذلك منظمة الدول الاسلامية



● نقرأ فى بعض ما يكتبه الأدباء احيانا قولهم : « حلب فلان الدهر اشطره » .. يقصدون بذلك مرت على فلان هذا صروف الدهر من خيره وشره .. واصل هذا التعبير من « اخلاف الناقة » .. والمقصود « اثداء الناقة » .. ولهذه الأثداء شطران من قدام ، وشطران خلفهما ، فكل خلفين شطر .. ومن هنا جاءت « اشطر الدهر » التى يحلبها المجربون من الناس ، ويتحدث عنها الأدباء فى كتاباتهم من قديم الزمان ..

● ويقولون « ادفعه إليه برُمّته » .. واصل هذا التعبير الذى ما زال متداولا ان رجلا دفع إلى رجل بعيرا بحبل فى عنقه .. و « الرمة » هى الحبل القديم الذى اصابه البلى ، فقيل ذلك لكل من دفع شيئا بجملته ولم يستبق منه فى يده شيئا ، يقولون ادفعه إليه برمته اى ادفعه إليه كله .

وقد اشتهر الشاعر « ذو الرمة » .. اى ذو الحبل البالى ، ولتلقيبه بهذا اللقب قصة ذكرتها كتب الادب لا مجال لها هنا .. والاسم الحقيقى لهذا الشاعر « غيلان » وقد ذكره ابو تمام فى قوله من قصيدته البائية المشهورة التى مدح بها المعتصم بعد فتحه « عمورية »

ما ربع مية معمورا يطوف به
« غيلان » اشهى ربى من خدها الترب

● ويقولون فلان نسيج وحده . و « نسيج وحده » مضاف ومضاف إليه ، لا يتغير إعرابها هذا ، ولا يقال « كان فلان نسيجا وحده » . فهذا من اغلاط العوام فى ايامنا ، ولكن يقال .. « كان فلان نسيج وحده » .. واصل هذا التعبير كما قال ابن قتيبة فى « ادب الكاتب » أن الثوب الرفيع النفيس لا ينسج على منوال غيره ، فوصف القائلون بهذا الوصف كل رجل كريم نادر من الرجال ..

● ويقولون لمن رفع صوته : « رفع عقيرته » .. واصله ان رجلا قطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى وصرخ بأعلى صوته ، فقيل لكل رافع صوته ، قد رفع عقيرته ، والعقيرة : الساق المقطوعة ..

● ويقولون « برح الخفاء » .. اى انكشف الأمر .. وبرح فى معنى « زال » .. ويقال : صار فى البراح ، وهو المتسع من الأرض .. وما زال هذا التعبير يستعمل فى المقالات الادبية والصحفية

● ويقال : « غضب واستشاط » اى : احتد .. وهو من « شاط .. يشيط » إذا احترق ، كأنه التهب فى غضبه .. وإذا « شاط الطعام » فقد احترق ! ..

● ويقولون : « كما تدين تدان » .. اى : كما تفعل بالناس يفعل الناس ، وكما تجازيهم يجازونك ، وهو من قولهم : « دنته بما صنع » اى : جازيته ..

● « القفة » التى يستعملها الريفيون الان كلمة عربية واصلها الشجرة التى يبست وبليت ، ويقال : قف الشجر إذا يبس .. ومن هنا جاء اسم « القفة » ، لانها من خوص جاف ..



● ذكرى الشيخ محمد عبده ●

● عن رائد الفكر العربي الحديث الاستاذ الامام محمد عبده ورحلته مع التصوف كتب الاستاذ مصطفى نبيل فى عدد هلال يونيو مقالا ضافيا متناولا جوانب من سيره الامام ، كاشفا عن صفحات شبه مجهولة من حياة هذا الرائد المجدد العظيم والذى استطاع بدعوته وتعاليمه فى مصر وفى بلاد العروبة والاسلام أن يوقف حياته على رفع لواء القيم الروحية والاخلاقية ، وان يؤدى للوعى الانسانى والقومى ما ينبغى له من احترام انسانية الانسان ، وتمكن من خلال رسالته فى التجديد الدينى والاصلاح الاجتماعى ان يتصور مكانته فى ريادة الفكر المصرى الحديث بجدارة ، ومن بعده تلاميذه من امثال المراغى ومصطفى عبد دالرازق ومحمود شلتوت وغيرهم فى الازهر ، وفى حياتنا الفكرية والثقافية كان صاحب فضل على ادب العصر كله بمدارسه المختلفة من مدرسة حافظ ابراهيم والمنفلوطى إلى مدرسة العقاد والمازنى.

عندما نفى استاذه السيد جمال الدين الافغانى من مصر كان مما قاله لمريديه « قد تركت لكم الشيخ محمد عبده ، وكفى به لمصر عالما » تذكرت جوانب السيرة العظيمة للاستاذ الامام وانا اقرا مقال الاستاذ مصطفى نبيل عن رحلة التصوف فى حياة الامام ، وعشت مع المقال من خلال تجاوب وتناول جوانى مع جوانب عبقريه الاستاذ الامام .

وفى ١١ يوليو تحل الذكرى الثمانون لرحيل الاستاذ الامام عن دنيانا بعد ان ادى رسالته الانسانية والقومية ، وبهذه المناسبة ووفاء لذكراه وعرفانا بفضله واعترافا بدوره فى نهضتنا الفكرية وتطورنا الاجتماعى ، ومن خلال منبر الهلال العريق ، اقترح على ازهرنا الشريف ومجمع اللغة العربية والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية وجامعاتنا ان يكون شهر يوليو من كل عام موعدا لموسم ثقافى وعلمى ودينى يعقد فى الرواق العباسى باسم الامام وفيه يتم دراسة وبحث وتناول تراثه الذى

خلفه ، ويجدر بالازهر في هذه الذكرى السنوية المتجددة أن يخصص جائزة باسم الامام تمنح لاحسن البحوث المبتكرة في مجالات الشريعة الاسلامية واللغة العربية والعلوم الاجتماعية الاسلامية ، كما ينبغي ان تتضافر جهود مؤسساتنا الفكرية والثقافية على اعادة نشر الاعمال الكاملة له ومقالاته في العروة الوثقى جماهيريا مشروحة ومعلقا عليها باقلام المتخصصين من رجال الفكر الاسلامي وفي مهرجان الاستاذ الامام يجب ان تتكفل وزارة الثقافة باعادة طباعة ونشر الكتب التي تتناول سيرته الخالدة لتكون في متناول الجميع

عمرو عبد المنعم حموده
برما - مركز طنطا

● أشواق عاتبة ●

زادى وصالك بعد طول الجفوة
يامن نسيت لطول بعدك حيرتى
راعيتنى إذ كنت عندك سالما
وهجرتنى لما منيت بعلة
فهل المودة أن تغيب وحاجتى
لعظيم ودك لاتحد بغاية
إن كنت تتهم الزمان بانه
سبب الفراق فتلك ايضا حجتى
فعلام نايك والحياة قريبة
منا تنادى يارفاق الرحلة
والله يعلم ان قلبى لم يزل
يهفو لقلبك ياحبيب بلهفة
فارجع بربك إن اردت تكرما
علىّ أرى بالقرب منك سعادتى

محمد ابراهيم المجريسى
ابو تيج



● الشاعر ●

على قلبك مازالت .. ملامحه الطفولية
ووجهك لم تزل مسكونة خلجاته
بالعشق والحكمة
وتحلم دائما بالضفة العذراء .. والأرض الصباحية
وتحرن كالجواد الحر ..
لا يرضيه صندوق من العتمة
ولا تنصاع مثل الناس .. خلف غواية اللقمة
تذود الحر عن وجه الحياة
لكي تعيد الخصب والنعمة
وتزرع في قلوب الناس أعياداً من الزنبق
وتخشى أن يفرقهم زمان الشوك والعوسج
فلا تقلق
فإن بوسع أشعارك أن تستنزل الرحمة
بعصر كله ظلمة
بعصر قلبه المعطوب لا يعشق

مصطفى غنيم
شبراخيت

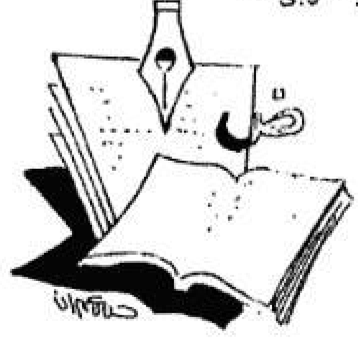
● بل .. البساط أحمدي ●

نشرت الهلال في عدد شهر يونية الماضي أقصوصة لاديب شاب هو حسام فخر بعنوان « البساط ليس أحمديا » وقام الكاتب الكبير د . يوسف ادريس بتقديم هذا الكاتب وهو تقليد رائع نرجو ان تتبعه سائر الصحافة الادبيه ..

لكن الأقصوصة نفسها نشرت في كتيب منذ عدة اشهر بنفس العنوان أصدرته مطابع الاهرام التجارية ..

سعيد عبد المقصود ـ السيدة زينب

● بالعربى ●



فى هذا الزمن المستورد
ترفضنى صحفك يابلدى
تبحث عن شىء مستورد
وانا عربى للأبد
قسما بغرامك فى قلبى
بسمائك .. بتراب عربى
لن اكتب هذا المستورد
لن اكتب إلا بالعربى
لن اكتب إلا يابلدى

احمد عامر
شبين القناطر

● الشعر الحلمنتيشى ●

● ارسل إليكم قصيدتين من الشعر الفكاهى « الحلمنتيشى » الذى لم نعد نقرا شيئا منه فى صحفنا . إحداهما قصيدة « للحب لهلبة » ومطلعها :

اقرقش الثلج علَ الجوف يبترد
وفى الجوانح نار الحب تتقد

والقصيدة الاخرى مطلعها :

غررت بى وتركتنى
فوق الرصيف المقفر

شوقى محمود ناجى
ابو تيج

ـ مع إعجابنا بقصيدتيك هاتين ، إلا انك تعلم ان الشعر الحلمنتيشى لم يكن فى عصره ينشر إلا فى المجلات الهزيلة والفكاهية ، ولا مجال له فى المجلات الرصينة ، فنعتذر إليكم .. وقد سبق أن اعتذرنا لكم من عدم نشر قصائد اخرى من هذا اللون .



● النغم العليا ●



ارفع رمش العين اليمنى
عن حاجبها الأيسر
ولترتفع اليسرى عن حاجبها الأيمن
ولتمض بقية أيامك احول
والأفضل أن تبصق فوقهما
بشهيق التوابين الخطائين
وعبير نفاس البصاصين
همزا .. لمزا .. خطفا .. رمزا .. غمزا
وليؤنسك المشى على عكاز الغمض الخفض النازف
لاتهلك قلبك بالطمع الزائف
بتراب النغم العليا
تتلاشى فى الورد الطائف

جمال محمد فرغلى
اسيوط

● إلى أصدقائنا ●

● عماد محمد على سلطان ـ بلقاس :

قصيدتك : « أحببتها » ينقصها الوزن .. والأغلاط النحوية واللغوية فيها ليست قليلة .. وأنت تسألنا : هل تستمر فى الشعر أم تتركه ؟ ! .. وهذا راجع إليك أولا وأخرا .. لأن النصيحة هنا لاجدوى لها ، لكن الاستمرار فى حبك للشعر أفضل ..

● محمد اسماعيل طنطاوى ـ الجيزة :

ـ قصيدتكم « البحث عن قصيدة » تختلط فيها الأبيات الموزونة من بحر الرمل بالابيات المكسورة التى تنتمى إلى هذا البحر أو إلى بحور أخرى .. فحاول مرة أخرى ..

● محمد أحمد مسعد الالفى

ـ ستجد فى هذا العدد والأعداد التالية صفحة لغوية وربما زدناها إلى صفحتين ، وليس هدفنا من ذلك تعليم القراء اللغة والنحو كما تطلبون ، بل توسيع الثقافية اللغوية ..

● طارق عزيز ـ مدرس بمدرسة كوم الدربى الاعدادية :

ـ قصيدتاك : « قم ايها العربى » .. و « اين هى » .. تنتشر فيهما الأغلاط النحوية واللغوية وليس فيهما بيت واحد موزون .. ونشكرك لطلبك النقد والنصيحة ..

● ممدوح عبد الامام القرى ـ حقوق اسيوط :

ـ لعلنا لم نخطىء فى كتابة اسمك ، فلم نستطع قراءة الكلمة الثالثة فيه .. ونحن لن نغفل الرد على رسائلك ، وهذه هى الرسالة الاولى لك عندنا .. أما قصيدتك التى جعلت عنوانها « آخر الأزمان » فينقصها صحة الوزن ، كما تنقصها صحة اللغة ، إلا فى قليل من سطورها ..

● جمال عبد العليم حامد ـ دار السلام ـ القاهرة :

ـ قصيدتكم التى بلاعنوان .. ومطلعها : « ياسائلى كيف قضيت حياتى » تنقصها الأوزان وصحة اللغة ..



● دعد عبد الرحيم ابو بكر ـ كلية اداب المنيا :

ـ قصيدتك التى عنوانها « سيناء » وتقولين فيها : « سيناء ياوادى القمر .. تحياتى لرمالك الشقراء .. وتحياتى للبدو البسطاء » .. يمكن أن تسمى شعرا منثورا إذا رغبت فى ذلك ، فليس فيها كلمات موزونة إلا فى النادر ، أما لغتك فإنها قليلة الأخطاء ، وهذا حسن جدا إذا قيس بلغة الشعراء الناشئين فى زماننا هذا الذى استعجمت فيه الألسنة العربية

● محمود مصطفى حسن عبد العاطى ـ طب الأسنان بالقاهرة



قصيدتاك « الليل » و « يافتاتى » ينقصهما الوزن نقصا شديدا .. ولغتك لا بأس بها ، وأغلاطك النحوية ليست كثيرة ..

● اسماعيل عبد السميع ـ الاسكندرية .

لم يصلنا منك قبل رسالتك الأخيرة ، رسالة غيرها وليس لدينا فكرة عن قصيدتك التى تتحدث عنها فأرسلها إلينا إذا شئت .. ونشكرك ..

● رفعت محمد بروبى ـ سوهاج :

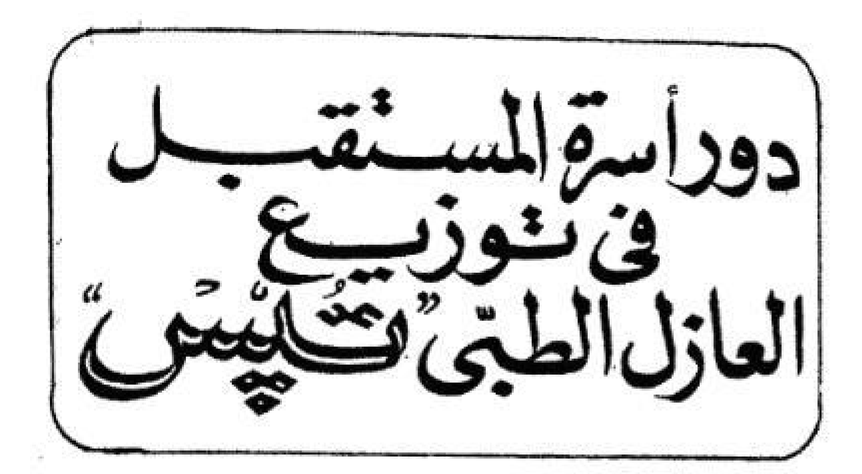
ـ قصائدك التى وصلت إلينا تحتاج إلى مراجعة أوزانها ولغتها ..

● ايناس اسماعيل محمود ـ ثانوية محرم بك بالاسكندرية :

ـ لاتتعجلى النشر فأنت مازلت فى سن صغيرة ، وشعرك ينقصه الوزن واللغة ونرجو لك التوفيق .

● ونشكر أصدقاءنا ونتمنى لهم التوفيق فى انتاجهم من الشعر والقصة ، مع الهمس لهم بأن الأدب لا ينضج إلا بعد صبر طويل ، وهم السادة : أشرف صالح محمد سلام .. مجدى عبد النبى .. وجيه عبد الهادى .. عبد الرحيم الياسخ .. حامد محمد عبد المنعم .. محمد محمود أحمد .. محمود على الأزهرى .. ناصر على حسن الفيشاوى .. ابراهيم خليل ابراهيم يوسف .. سعيد ابراهيم عبد الرسول .. رفعت عبد الوهاب المرصفى .. عشرى عبد الرحيم عبد الغنى .. عبده محمد سلطان .. محمد عبد القوى الشباسى .. عاصم فريد البرقوقى .. ابراهيم على حسن بوخشيم .. احمد عبد اللاه رفاعى .. محمد سعد خطاب .. محمد ابراهيم الرقباوى .. احمد صفوت محمود شعلان .. رءوف عبد الله رزق ..


كتاب الهلال
يقدم :
فى بيت أحمد أمين
بقلم : حسين أحمد أمين
يصدر
٥ يوليو
١٩٨٥
روايات الهلال
تقدم :
الخطيئة السابعة
تأليف : سومرست موم
تصدر فى
١٥ يوليو ١٩٨٥



اذا كنا قد تحدثنا عن العازل الطبى وفوائده الكثيرة والمتعددة .. فاننا نضيف الى ذلك فائدة أخرى .. لعلها هى الاخرى من الاهمية بمكان فالعازل الطبى بما تاكد من بحوث ليست له اعراض جانبية عند الاستعمال علاوة على سهولة استعماله وما يوفره من وقاية ضد العديد من الامراض .. فانه ايضا ـ من السهولة بمكان فى طرق تداوله وكان علينا ان نبرز دور " اسرة المستقبل " فى توزيعه

وللواقى الذكرى « تبس » طرق عديدة فى التداول نوجزها او نقصر حديثنا على اربعه منها .. وهى

١ ـ المنافذ التجارية
٢ ـ الاطباء وعيادات تنظيم الاسرة
٣ ـ مشروعات التوزيع فى المجتمعات الصغيرة
٤ ـ برامج التوزيع الاجتماعى .

والمنافذ التجارية هى الوسيلة الأكثر انتشارا فى العالم كله ، حيث يباع العازل الطبى لدى تجار التجزئة مثل الصيدليات والسوبر ماركت وتساعد هذه الوسيلة على ان يكون العازل الطبى فى متناول اليد بسهولة كبيرة .. وهى اكثر انتشارا فى الدول المتقدمة التى لاتوجد بها برامج مكثفة لتنظيم الاسرة .. ولكن فى الوقت نفسه تنتشر هذه الطريقة فى الدول النامية مثل : نيجيريا وغانا واوغندا وكولومبيا وكوريا الجنوبية والمكسيك والبرازيل .. وتشير الاحصائيات الى ان ثلثى مستعملى العازل الطبى يشترونه من الصيدليات .

● كما يقوم الاطباء وعيادات تنظيم الأسرة بتوزيع العازل الطبى ، ولكنهم لايعدون مصدرا رئيسيا للتوزيع فمعظم المترددين على عيادات تنظيم الأسرة ورعاية الام والطفل يكونون من النساء .. كذلك فان العازل لا يعتبر

وسيلة طبية ، ولذلك ففى بعض الاحيان لايشجع الاطباء على استعمال العازل .. وعلى سبيل المثال نجد ان بريطانيا التى توزع فيها وسائل منع الحمل مجانا تطلب فيها عيادات تنظيم الاسرة من الرجال التوجه للصيدليات لشراء العازل الطبى .

● اما الطريقه الثالثة للتوزيع فهى مشروعات التوزيع فى المجتمعات الصغيرة حيث توفر العازل مجانا للراغبين . سواء فى بعض المستودعات أو عن طريق الباعة المتطوعين الذين يمرون على المنازل وتشترك النساء والرجال على حد سواء فى هذا الاسلوب . ففى كوريا الجنوبية - مثلا - بدأ برنامج منذ ثلاث سنوات يقوم فيه المتطوعون بامداد النساء بوسائل منع الحمل ، سواء الحبوب او العازل الطبى مع شرح كيفية الحصول على هذه الوسائل وبهذه الطريقة زادت نسبة استخدام الوسائل المختلفة حوالى ١٤٫٥ ٪

● والطريقة الرابعة هى برامج التوزيع الاجتماعى ، فهى الأكثر شيوعا وانتشارا ، كما تجمع بين عدة اساليب .. اهمها انخفاض السعر بالنسبة للمستهلك وطرح العازل فى منافذ التوزيع التجارية الخاصة لتوزيع وسائل منع الحمل باسعار مدعمة .. ويسهل توزيع العازل الطبى فى منافذ عديدة ليكون فى متناول اليد ، مع اللجوء لقنوات التوزيع الخاصة لانه لايحتاج لارشادات طبية متخصصة

وكذلك يجب توفيره بانتظام ويدعم هذا الاسلوب ببرامج دعائية تنشيطية لزيادة الوعى حول فكرة استعمال العازل الطبى ولخلق صورة ذهنية جيدة حوله .

نجاح التسويق الاجتماعى

تشير الاحصاءات ان برامج التسويق الاجتماعى تساهم بشكل فعال فى زيادة الاقبال على استعمال العازل الطبى .. فعلى سبيل المثال فى « سيرى لانكا » بدأ برنامج التسويق الاجتماعى عام ١٩٧٣ وبحلول عام ١٩٧٦ وصلت نسبة المبيعات الى ٢٫٥ مليون قطعة فى العام .. وذلك بفضل صغر حجم « سيرى لانكا » ، ووجود شبكة مواصلات جيدة ، مع انخفاض كبير فى معدلات الأمية .. وفى الهند قفزت المبيعات من ٥٠ مليون عازل طبى فى عام ١٩٧٠ الى ١١٥ مليونا فى عام ١٩٧٣ بفضل هذه البرامج والاحصاءات تؤكد لنا ان العازل الذى يباع خلال برامج التسويق الاجتماعى هو وسيلة منع الحمل بالنسبة لـ ٥٫٥ ٪ من المتزوجين ممن هم فى سن الانجاب فى مصر ونيبال و ٨ ٪ فى جامايكا .

ولكن هناك ملاحظة .. وهى ان هذه البرامج تزيد من الاقبال على استعمال العازل فى بدايتها ، الا انه بمرور الوقت تقل نسبة الاقبال ، وربما يرجع هذا الى انخفاض الكثافة الاعلامية ، او لعدم الوصول الكامل للمستهلكين ، او لرفع اسعار بيع العازل ..

ولعل أهم ما يميز هذه البرامج هى انها غير مكلفة ، وخاصة بعد السنوات الاولى منها ..

والى لقاء اخر ان شاء الله تعالى لنستكمل معا هذا الحديث ؟!

مع تحيات اسرة المستقبل



قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا ، فى جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستانى عشرة دولارات

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ

القاهرة ـ تليفون ٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط . مجلة الهلال ت ٦٢٥٤٨١



الأسعار

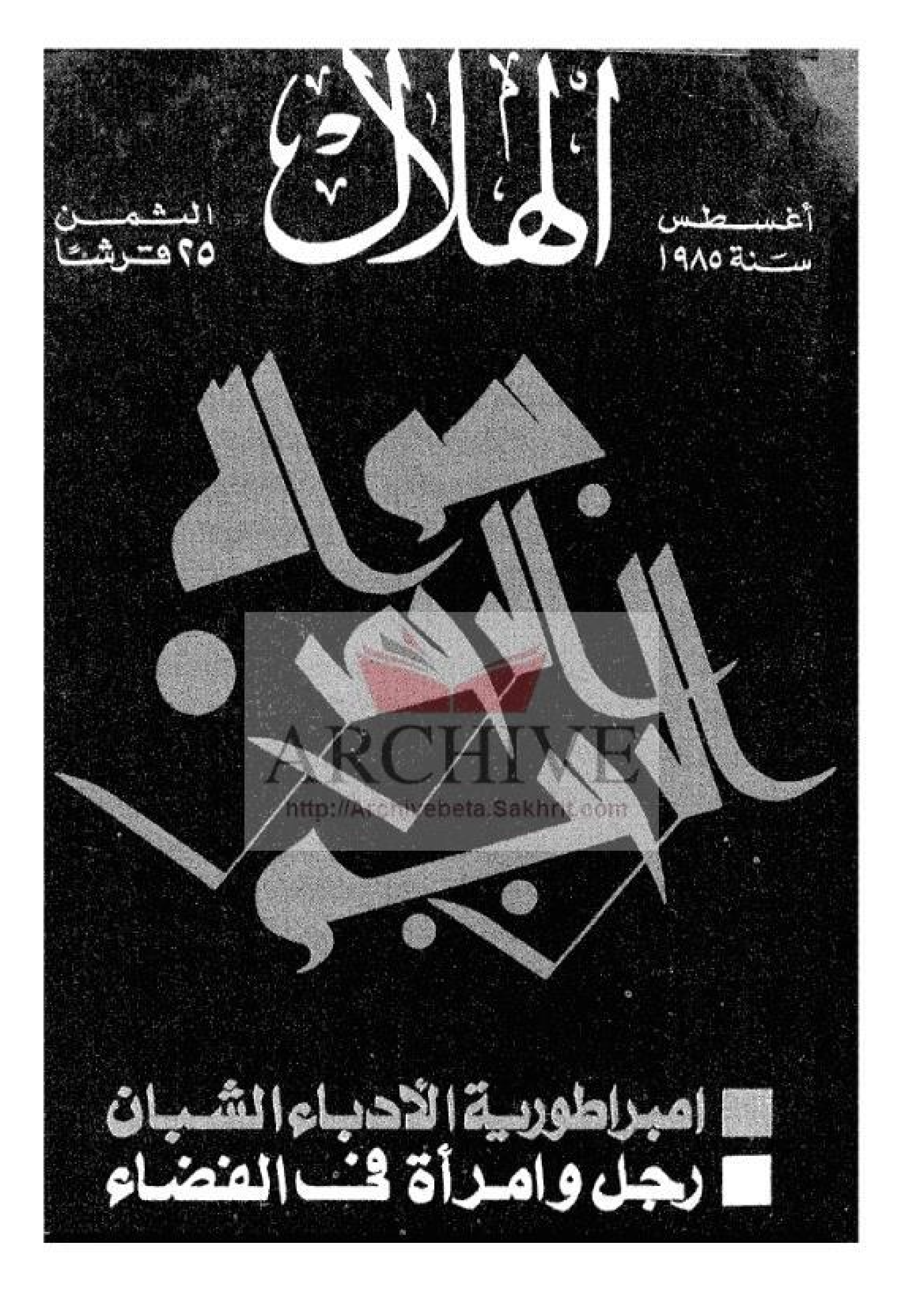
سوريا	٣٥٠	ق . س
لبنان	٤٠٠	ق . ل
الاردن	٤٠٠	فلس
الكويت	٤٥٠	فلسا
العراق	١١٠٠	فلس
السعودية	٥	ريالات
السودان	٧٥٠	مليما
تونس	٦٥٠	مليما
المغرب	٨٠٠	فرنك
الجزائر	٦٥٠	سنتا
الخليج	٤٥٠	فلسا

غزة والضفة	٣٠	سنتا
الصومال	٥٠	بنى
داكار	٤٠٠	فرنك
لاجوس	٦٠	بنى
اسمرة	٤٥٠	سنتا
اليمن الشمالية	٥	ريالات
اديس ابابا	٤٥٠	سنتا
باريس	١٠	فرنكات
لندن	١٠٠	بنس
ايطاليا	١٤٠٠	ليرة
سويسرا	٣,٥	فرنكات

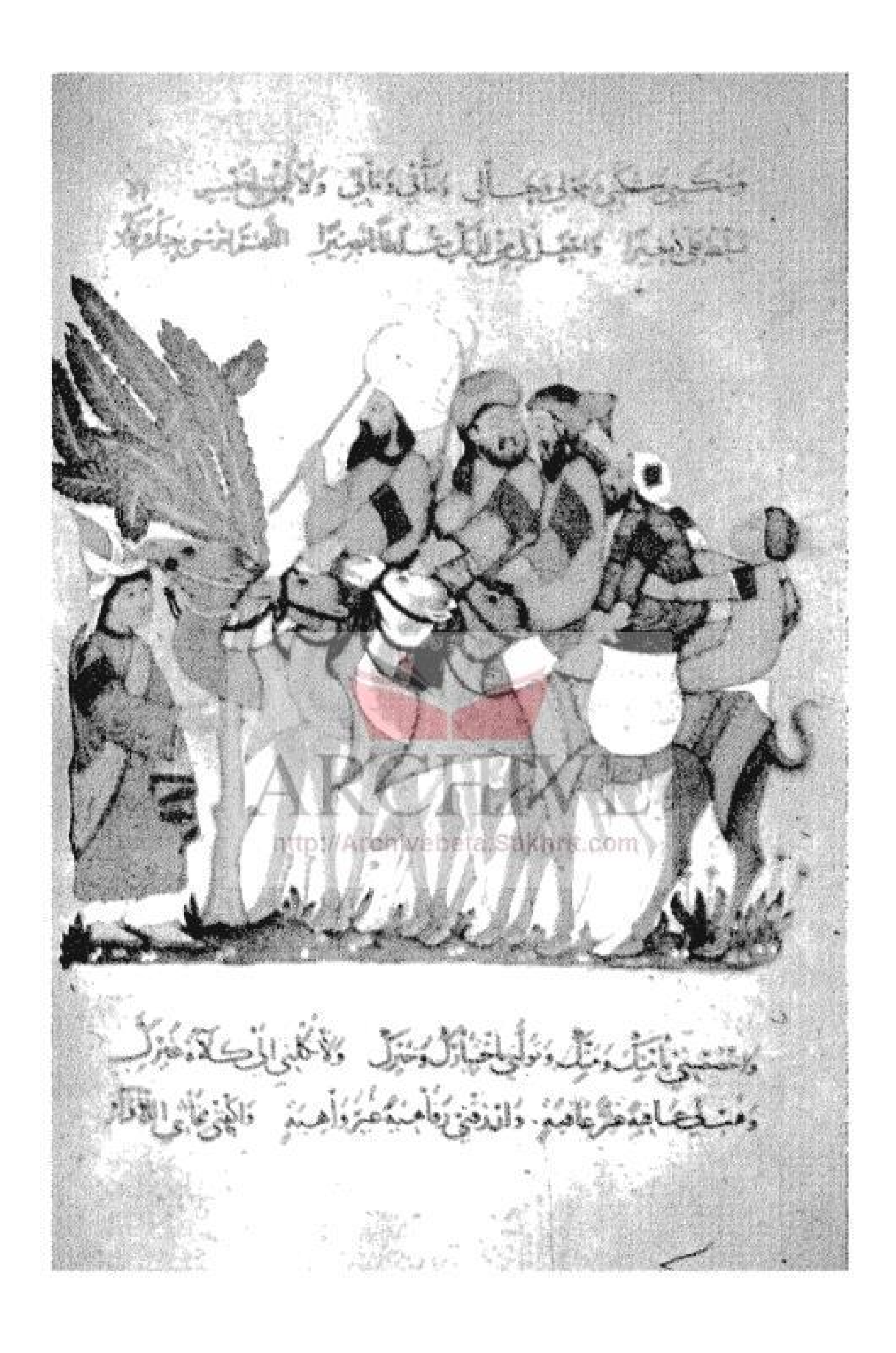
اثينا	٨٠	دراخمة
فيينا	٣٥	شلنا
فرانكفورت	٣,٥	مارك
كوبنهاجن	١٠	كرونات
استوكهولم	١٤	كرونة
كندا	٢٥٠	سنتا
البرازيل	٣٥٠	سنتا
نيويورك	٣٠٠	سنت
لوس انجلوس	٣٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت
هولندا	٤	فلورين
عدن	٢٥٠	فلسا


مصر للطيران
علم مصر فى كل مكان
أكثر من
٥٠
سنة خبرة
مصر للطيران
فى خدمتكم
أوربا - أفريقيا
آسيا - أمريكا
(البوينج ٧٦٧ - البوينج ٧٣٧ - البوينج ٧٠٧
الايرباص .. الجامبو ٧٤٧)


ALEXANDRIA COMMERCIAL & MARITIME BANK
بنك المستقبل
شهادات الادخار
الثلاثية
ذات الدخل الربع سنوى
شهادات الادخار
الخمسية
ذات الدخل الربع سنوى
حسابات التوفير بالعملة المحلية
حسابات التوفير بالعملة الأجنبية
الودائع لأجل بالعملات المحلية والأجنبية
القيام بكافة العمليات المصرفية
ولمزيد من المعلومات يسعدنا تشريفكم لمقر البنك
الاسكندرية : المركز الرئيسى : ٨٥ طريق الحرية ت : ٢١٥٥٦/٢١٢٣٧/٢٩٢٠٣
تلكس : ٥٤٥٥٣ - العنوان البرقى : كومارتيج - ص.ب : ٢٣٧٦
فروع جديدة يتم افتتاحها خلال العام :
القاهرة : ١٠ شارع طلعت حرب - عمارة ايفر جرين
الاسكندرية : ٧ شارع أديب ناصية سعد زغلول وأديب



الهلال
أغسطس
سنة ١٩٨٥
الثمن
٢٥ قرشا
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com
امبراطورية الأدباء الشبان
رجل وامرأة في الفضاء



من روائع الفن الإسلامي

●● احد لوحات مقامات الحريرى بريشة يحيى الواسطى . عندما بلغ فن التصوير العربى قمته . وهي لوحة لقافلة فى الصحراء . وتظهر مظاهر الحياة في العراق . وكانت مراة فريدة للحياة العربية

وتصل لوحات هذه المخطوطة الى تسعة وتسعين لوحة . والموجودة فى المكتبة الوطنية بباريس ●●



السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ - اول اغسطس سنة ١٩٨٥ - ١٤ ذو القعدة ١٤٠٥

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المدير الفنى
عادل ثابت

سكرتيرا التحرير
موسى عبيد
عيسى دياب



القرآن والفن التشكيلي
صفحة ٦٨



يهود الفلاشا يواجهون
عبادة فالوس صفحة ١٢

في هذا العدد

● فكر وثقافة ●

صفحة


بروباجندا الحكيم
صفحة ٥٢


رجل وامرأة فى الفضاء صفحة ١١٥


هموم الجيل الجديد
صفحة ٩٠

● تحقيقات الهلال ●

● الأبواب الثابتة ●



●● قبل أربعين عاما أو أكثر قليلا، كان مصدر الاشعاع الثقافى الأساسى للأمة العربية، يتلألأ فى سماء القاهرة. وكان ثمة اتفاق عربى غير مكتوب على الالتفاف حول هذا المصدر المشع بنور الفكر الجديد والقديم فى وقت معا..

ثم تعددت مصادر الإشعاع فى البلاد العربية عاما بعد عام، وتنوعت أشكال ومضامين التوجهات الثقافية لهذه المصادر حتى كادت لفرط تنوعها أن تتناقض أو تتطاحن فى هذه الناحية أو تلك من النواحى الفكرية

ويقول المتشائمون الآن: لقد نهض العرب فكريا وثقافيا عندما كان لهم مصدر واحد للاشعاع، ثم وقعت فيهم البلبلة الثقافية والفكرية - دعك من التنافر السياسى والاجتماعى - حين صارت لهم مراكز إشعاع كثيرة قوية غنية بإمكاناتها المادية إلى الحد الذى لم يكن يتصوره أحد من قبل!

أما المتفائلون فيقولون: إن العالم يتجه فى كل شئونه إلى تعدد مراكز الاشعاع فى الثقافة والعلم والفن والسياسة وكل شىء.. لقد تغيرت الدنيا، ولكن ليس إلى الأسوأ..

فى السياسة.. مثلا لم يعد للدول الغربية مركز إشعاع سياسى واحد هو واشنطن التى انفردت طويلا بقيادة الاشعاع الحضارى الغربى بشقيه المادى والروحى، على اختلاف الآراء فيه..

ولم يعد للدول الشرقية كذلك مركز واحد يرسل الأشعة فى كل الاتجاهات.. وقامت بكين بإزاء موسكو. بل قامت تيرانا الألبانية الصغيرة بإزاء موسكو وبكين معا..

وفى الاقتصاد حدث ذلك أيضا، برغم اجتماع كل كتلة اقتصادية فى منظمة كبيرة فإن السوق الأوربية المشتركة ليست إلا إطارا تتعاون فى داخله أوربا الغربية، وتتنافس أيضا وتتناقض ويأخذ بعضها بخناق بعض

وكذلك منظمة الكوميكون الاقتصادية.. فى داخلها تتعاون أوربا

الشرقية . ثم تنفرد كل دولة بأسلوبها في التعامل مع الاقتصاد العالمي فضلا عن اقتصادها الخاص ..

وفي الفكر والأدب والفن .. كانت باريس قديما مدينة النور ، ولكنها الآن مجرد مدينة بين المدن الكثيرة التي ينبعث منها النور شرقا وغربا ، ولم ينتقص هذا التطور من قدر باريس ..

وعالمنا أصبح صغيرا جدا .. واختصرت ثورة المواصلات وثورة المعلومات والثورات الأخرى التي تتابع بلا انقطاع ، مسافات شاسعة كانت تفصل بين الأقطار والأفكار ، ولم يعد ممكنا تتويج بلد واحد على جميع البلدان ، ولا الأخذ بطريقة واحدة في التفكير واستبعاد جميع طرق التفكير الأخرى ..

فالعالم يتقارب ويتلاقى في نقاط لا تنتهي ، ويسير نحو الوحدة أو التوحد أو الاتحاد ، ولكنه في الوقت نفسه يفتح كل يوم أبوابا من التنافس والتناقض ، حتى ليبدو كأنه سائر نحو حرب عالمية ! .. وتلك هي جدلية التطور في عالمنا : التطور السريع الكاسح من خلال التناقض الرهيب العاصف ! ..

وليس تعدد مصادر الإشعاع الثقافي العربي ، حالة خاصة منعزلة عن الأحوال العامة التي تغمر وجه الأرض الآن ، مع أن للأمة العربية بطبيعة الحال تطورها الخاص الذي يجعلها تعمل في مجالين يبدوان كأنهما متناقضان : مجال العمل في سبيل الوحدة القومية الاستراتيجية ، ومجال النشاط المتنوع الذي يتناقض أحيانا في سياق العمل القومي الشامل المعقد الذي تتلاقى فيه الشعوب العربية على غير اتفاق ، إلا ذلك الاتفاق العفوي الذي لاتتحكم فيه إلا عوامل التاريخ العميقة التي تعمل عملها الدائب العميق في صمت وهدوء ، ماضية في طريقها بإرادة البشر أو بغير إرادتهم ..

إننا نستبشر بكل مصباح للفكر والثقافة والأدب والفن ، يضيء في طريق الأمة العربية وهي تسعى إلى أهدافها فوق أشد الطرقات وعورة ووحشة وقسوة ، وأحفلها في الوقت نفسه ببواعث الأمل !

المحرر



شخصيات لا شبيه لها

● كنت اسمى هذه الشخصيات التى انا سبيل الحديث عنها « غريبة » ثم رايت العدول عن هذا الوصف ، فالغرابة قد توحى بانها شخصيات شاذة ، والشذوذ كما يكون الى الخير ، يمكن أن يكون الى النقص والشر ●

بقلم : فتحي رضوان

والاطباء والامم من العباقرة والافذاذ، شواذ ، لا يتقيدون بعرف ، ولا ينزلون على مقتضى تقليد ، حتى يبلغ بعضهم فى غرابة الاطوار ، حد الجنون ، حتى كاد البعض يحسبون ان العبقرية بعامة هى ضرب من الجنون ، واصل هذا اللفظ فى العربية ، يؤيد هذا التصور فالعبقرية نسبة الى واد تصور العرب القدماء انه واد يسكنه الجن ، والانس اذا مسهم طائف من الجن ، قد يفجر من امكاناتهم قدرات ، يتجاوزون بها ، قدرات البشر الاقوياء الاصحاء ، فيكون منهم الافذاذ الشعراء والمصورين والمثالين والخطباء والكتاب . وقد يعين على توقع الغرابة ، ومخالفة المألوف والخروج على تقاليد الناس . ان اكثر عباقرة المفكرين والمبدعين يخرجون على الناس بما يشبههم ليرفضونه لاول وهلة ويردونه الى اختلال الفكر ، واضطراب النفس ، وقد كان الانبياء اكثر الناس تعرضا لتهمة الجنون ، وفى الذكر الحكيم مواضع عديدة ، اثار فيها الرسول مقرونا بتلك الاية فقد جاء فى القران « يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون » وهنزه الله تعالى رسوله من هذا العبث الجسيم فقال « ما انت بنعمة ربك بمجنون »

ولو لم يخلق الله من عباده اناسا لهم قدرات خارقة ، وطاقات نادرة ، وطموح يفوق طموح عامة الناس ، لبقيت حياتنا على ما كانت عليه ونحن خارجون لتونا من الكهوف ، وربما لبقينا فى الكهوف ، والحق ان ما من شىء جديد فى حياتنا ، الا قبلناه بفتور على الاقل .. ولكنا فى

الاغلب الاعم ، نلقى كل جديد بالرفض العنيف ، والانكار الناضب ، سواء كان هذا الجديد ، يتعلق بالعقائد والافكار ، او اساليب الحكم والسياسة ، او انظمة الادارة والقانون نكل دعاة هذا الجديد والمروجين له ، يصيبهم نصيب من الكراهية ، والاعتراض على الجديد الذى يعرضونه ، فيتهمون غالبا بالغرابة والتطرف ، او بالشذوذ او الجنون . وحينما تقوم الالفة بين الجديد والمجتمع ، تتغير المشاعر نحو المجددين ، فيرضى عنهم المجتمع ، شيئا فشيئا ، حتى يتقلب الرضا الى اعجاب ، ثم يتقلب الاعجاب الى حب ، ثم ينقلب الحب الى التقديس وقد يصبح خصوم الامس انصار اليوم

والشخصية التى اريد ان احدثك عنها ، لم تصدم المجتمع بشىء ، يثير سخطه او احتجاجه ، بل على النقيض كانت تحسن الصلات بالمجتمع ولكن مع ذلك ، كان الكثير من اعضاء هذا المجتمع ، ينظرون اليها باعتبارها ، خروجا على المألوف

كان السفير طاهر العمرى ، احد رجال السلك السياسى المصرى ، افاء الله عليه الثراء ، والعلم ، والمكانة الرفيعة . لقد وهبه الله حسا فنيا نادرا ، جعله متذوقا للموسيقى الكلاسيكية ، وقادرا على شرح اعظم الوانها ، شرح الخبير المتمكن وارجح انه كان يستطيع العزف على اكثر من اله من الات الموسيقى . ولكن يغلب على الظن بأن تذوقه واحساسه بدقائق الاثار الموسيقية الكبرى ، وقدرته على ابراز هذه الدقائق لغيره من محبى الموسيقى فاق مواهبه كعازف ولذلك اصبح استاذ مدرسة تسمع السمفونيات الخالدة فى بيته ، ثم يبدا هو بشرح هذه السيمفونيات ، لاذا برواد صالونه يسمعون طرازا من الفن ، لايقل جمالا ولا روعه من تلك السمفونيات التى يحتفظ حركاتها من ظهر قلب ، ويعزف الفوارق بين الواحدة والاخرى له والمؤلف ، بل يعرف كيف تطور المؤلفون الموسيقيون من مرحلة الى مرحلة ، وقد استقرت ندوات طاهر العمرى وعرفت ، واصبح للانضمام اليها ، والتتلمذ فيها ، اصول وقواعد واصبح منشىء هذه الندوة ومعلمها ، رائدا لهذا الطراز من الاتصال بالفن وتلقينه والتاثر به . الى هنا لا يكون طاهر العمرى شخصا غريبا ، فقد كثر الذين يشرحون الاعمال الموسيقية الكبرى ، ويترجمونها الى مئات او الاف المتذوقين الذين يريدون ان ينفذوا الى اعماق هذه الاثار ، ويستزيدون من مكنوناتها وخفاياها ، ولكن الجانب الاول من تميز طاهر العمرى ، عرفته ذات يوم ، حينما اعطانى صورة لى ، فراعنى شدة انطباقها على الاصل ، ولكن ادهشنى حينما قال لى انه تخصص فى ضرب من رسم الاشخاص او التصوير ، لا يستعمل فيه سوى المسطرة والبرجل ، اى لا يلجأ فيه الا الى الخطوط المستقيمة والدوائر فقط ، ثم ترى نفسك بعد ذلك الى جهود وجوه غاية فى الدقة

وقد ارانى طاهر العمرى عشرات من الصور لعظماء الرجال والنساء مصريين وعرب واوربيين ، وارانى التخطيطات الاولية لهذه الصور ، فعرفت ان الضرب الذى يعالجه طاهر العمرى لا يشاركه فيه غير رسام سواه ، وعندئذ تجتمع فى مصرى ، هاتان الموهبتان العظيمتان التصوير باسلوب نادر والموسيقى عزفا وتذوقا وشرحا ، وهذا يكفى لتميز هذا الانسان ، ووضعه فى طائفة الافذاذ

ولكن لاتزال اشياء فى جبة الغرائب التى ينفرد بها طاهر العمرى ، لقد دعيت الى معرض لاعمال طاهر العمرى فى التصوير ولما ذهبت لم افاجأ بصوره لوجوه الاشخاص المرسومة بالمسطرة والبرجل وحدهما اى بالخطوط المستقيمة والدوائر ، فقد كنت قد عرفت سرها ، ولكنى فوجئت بان طاهر العمرى ، يعرض لنا لوحات صغيرة من

[redacted]

شخصيات لاشبيه لها

نوع « المنيافير » اى الصور الصغيرة الدقيقة بالوان جميلة تستوقف نظرك وتحملك على التساؤل ، انا لم ار الوانا بمثل هذا التألق والبريق والجدة واعلن لنا طاهر المصرى المواد التى استعملها فى ابداع صور والتى تدعوك لتفكر من اى شىء يصنع صوره ، هل صنعها من طباشير الباستيل ، اى من انابيب المعاجين المعدة للرسامين والمصورين ، او من الالوان المائية ، او بالقلم الرصاص مضافا اليه اشياء اخرى والواقع انه لم يستعمل لا هذا ولا ذاك ولا ذلك ولا الصور انه سيكون فى مقدور اى قارىء ان يهتدى الى المادة التى استعملها طاهر المصرى فى صوره الجميلة الرائعة التى استوقفت رواد المعرض وجعلتهم يطيلون الوقوف امامها ، ويطيلون التامل فيها ، ولا يحبون ان يتركوها .

ان المادة التى استعملها طاهر المصرى هى اعشاب البحار . نعم اعشاب البحار . ولكن هذه الاعشاب حينما تقع فى يد الفنان طاهر المصرى فانها تستحيل اداة للتعبير ، ناطقة وحساسة وتستطيع ان تمتع عين وحس المشاهد المتأمل ، بعالم متوهج من الالوان والاشكال .. وقد عبر بتلك الاعشاب عن تأثرات باحدى السيمفونيات ، فكانت الصورة الصغيرة سيمفونية بذاتها .. والمتاملون فيها تجاذبهم اكثر من احساس : لقد كانوا مفتونين بجمال ودقة وبراعة الصورة ، وكانوا ماخوذين بغرابة المادة المستعملة ، وكانوا سعداء ومستمتعين بهذه الالوان الجديدة التى تنقلهم الى عالم لم تطأه من قبل اقدامهم . الى هنا ، ويبدو غرائب طاهر المصرى مقصورة على شخصية ولكنه يتمتع بغرائب تتجاوز الى صديق له فى مثل تفرده ذلك هو الاستاذ رمسيس شافعى ..

ورمسيس شافعى ، هوزميل لطاهر المصرى فى السلك السياسى وقد اشتغل اخيرا فى احدى الوظائف بهذا السلك فى باريس .. وهو صديق حميم لطاهر المصرى .. فماذا فعل : واظب على ان يرسل كل يوم خطابا من باريس لصديقه فى القاهرة خطابا مكتوبا باللغة الفرنسية بخط جميل يكاد يكون لوحة جميلة . خطوط مستقيمة انيقة ، تنقل الى احد الصديقين خواطر ومشاعر واحساسات الاخر احدهما فى عاصمة عتيقة فى الشرق ، والثانية فى عاصمة فى الغرب، والخطابات لا تنقطع يوما واحدا كل يوم يكتب الصديق فى باريس خطابا وفى كل يوم يتسلم الصديق فى القاهرة خطابا ، وتتوالى الخطابات وتكثر ، وتكون مجموعة ، يمكن لو جمعت لكونت كتابا فى ادب الرسائل ، يمتع القراء ، ويلهمهم ، ويكشف لهم عوالم لم تخطر لهم على بال ، فهى الخواطر التى تصدر من الكاتب الذى يعرف ان القراء سيطالعونها ويعلقون عليها وقد تنقد بعضها او تنقدها كلها والصديقان يواصلان هذا التراسل النادر الغريب ، دون ان تشغلهما الدنيا التى يعيشان فيها ، ويواصلان هذا الطراز من التواصل الانسانى غير المسبوق والرجلان فى الشيخوخة التى تكتب فيها العواطف ، ويقل النشاط ، وينصرف الانسان عن الدنيا وبما فيها مللا من تعاقب الايام وتشابه الاحداث ، وخلو الحياة ... اخر الامر من المثير والهدف واعجب ما وصل الى علمى عن طريق الاستاذ يحيى حقى كاتبنا العظيم ان زوجة طاهر المصرى جاءته تسأل ماذا افعل بهذه الرسائل وقد قلت له وهو يتهيأ للسفر الى باريس اعطها لى احميها لها مكانا فى احد معارض وزارة الثقافة

أقوال معاصرة





● « من يقاتل فلسطيني يدخل الجنة !! »

نبيه برى

● « ان السلك بين مصر والسودان اجل من النظم والقوى من الاشخاص »

الرئيس السودانى سوار الذهب

● الفن لم يخضع يوما لمقارنة بينه وبين الاخلاق

نعمان عاشور



● « لن نفهم ما يواجهنا من مشاكل ، مالم نعترف أنها ليست وليدة خطأ « جيمي ريجان » وانما هي نتيجة قرون من الصراعات الانسانية والقبلية . ! »

جيمس ردستون
النيويورك تايمز

● « ان الاسئلة التي طرحت في الشرق ـ قبل قرن ، لم تجد اجاباتها حتى اليوم . ! »

احمد بهاء الدين

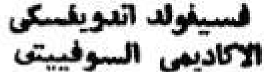


● « ما حدث مع الف ليلة وليلة مأساة يتحول فيها الفن الى وعظ ، والدين الى مجرد حجاب .. »

الدكتور عبد الغفار مكاوى
اديب وناقد

● « نطالب بعقد محكمة دولية تدين العراق ، وتحدد التعويضات »

رافنجستانى
رئيس مجلس الشعب الايرانى





● « كما ان للنقود وجهين ، كذلك كل اكتشاف فى حقل العلم يمكن استغلاله لما فيه خير الناس ولما فيه هلاكهم .. »

فسيفولد انوفيسكى
الاكاديمى السوفييتى

● « المريتطوريلد نام ـ للريجيا ـ معتمدا على مدخراته المحلية وحدها ، وان يصدر فى ذات الوقت رؤوس امواله .. »

هنرى كيسنجر
وزير خارجية الولايات المتحدة السابق



نجمة داوود والحياة المصرية .. وحلم الفلاشا



يهود الفلاشا

بقلم : عبدالرحمن شاكر

● هناك اثنا عشر نظرية على الاقل ـ كما تقول صحيفة « جيروزاليم بوست » ، عن اصل « يهودية » اليهود الاثيوبيين المعروفين بالفلاشا ، والذين تم ترحيل حوالى عشرة الاف منهم الى الاراضى المحتلة فى فلسطين ، منذ عدة شهور ، بتواطؤ مع الحكومة الامريكية والاثيوبية والحكم السابق فى السودان .. ويكره هؤلاء اليهود الاثيوبيون تسميتهم بالفلاشا ، ويعتبرونها اهانة لهم ، حيث تعنى باللغة الامهرية « الغريب » أو « المنفى » . وهى مما نبذ به العبيد ! أما الاسم الذى يطلقونه على انفسهم فهو « بيت اسرائيل » ، وينطقونه بلفظ قريب الى هذه الصيغة العربية .

أول هذه النظريات هو ما ذهب اليه الرؤساء الدينيون لليهود خلال القرون الخمسة الماضية ، من أن هؤلاء اليهود الاثيوبيين هم سلالة سبط « دان » أحد الاسباط العشرة الضائعة بعد الغزو الاشورى لمملكة اسرائيل الشمالية الغابرة عام ٧٢٢ قبل



الفلاشا بالزى الوطنى الاثيوبى قبل الرحيل



يواجهون عبادة فالوس !

الميلاد ، و ـ دان » هــذا هو الابن الخامس ليعقوب النبى ، الذى تنبأ له بقوله حسب ما جاء فى العهد القديم :

« دان يدين شعبه كأحــد اسباط اسرائيل • يكون دان حية على الطريق ، افعوانا على السبيل يلسع عقبى الفرس فيسقط راكبه الى الوراء » ويعلق الدكتور جورج بوست ، واضع قاموس الكتاب المقدس على تلك النص بقوله :

« والارجح أن ما قيل بشأنه فى عــدد ١٦ يشير الى مساواة سبطة مع سائر اسباط اسرائيل مع أنه كان ابن سرية • وأما بقية النبؤة فتشير الى دهــاء ذريته ومكرهم • كل يعلم أن شمشون وهو أحد مشاهير سبط دان كان على شىء من الدهاء وحب المكائد » •

وهناك نظريات أضعف من هذه ، منها أن هؤلاء اليهود الاحبــاش هم سلالة الزواج بين موسى عليه السلام وملكة حبشية ! وأخرى تقول انهــم سلالة الملك سليمان من زواجه بملكة سبأ المعروفة عندنا باسم بلقيس ••• وهلم جرا •

أما النظــريات « العلمانية » فتقول احداها ان هؤلاء الاحباش هم ســلالة قبيلة « اجواو» الاصيلة فى الحبشة ، ولكن أجدادهم اعتنقوا « اليهودية » من التجار اليمنيين الذين كانوا يفــدون



الى بلادهم . ويذهب بعض الدارسين الى أن هؤلاء قد تهودوا منذ حوالى خمسة وعشرين قرنا على يد جنود اسرائيليين كانوا يعسكرون فى جزيرة « فيلة » على الحدود المصرية النوبية !

وواضح من تباين تلك « النظريات » وتضاربها ، والطابع الاسطورى لمعظمها ، مقدار الفساد والبطلان فى النظرية الصهيونية التى تزعم أن يهود العالم هم شعب واحد تشتت فى انحاء الارض ، واكثر هذه النظريات قربا الى العقل يؤكد ما تذهب اليه منظمة التحرير الفلسطينية فى ميثاقها ، من أن اليهودية هى مجرد ديانة قابلة للانتشار فى انحاء الارض مثل سواها من العقائد ، وقد اعتنقتها عناصر من شعوب كثيرة ، وليست « هوية قومية » .

اذا كان ذلك هو شأن اليهود الاثيوبيين ، وهم فى النهاية من ابناء هذا « الشرق » العربى الافريقى ، فماذا عن اليهود الغربيين أو الاوربيين وهم الغالبية العظمى من يهود العالم ومعظمهم - وخاصة الوافدون منهم من روسيا وشرق اوربا . وهم أصحاب السطوة سياسيا وعسكريا ، واقتصاديا فى الدولة الصهيونية - يعرفون باسم اليهود « الاشكناز » ؟

اذا كانوا يعتمدون التوراة - كما اعتمدت فى اثبات نسبة يهود الفلاشا عند رجال الدين اليهود الى اسرائيل ، فان هذه التوراة ذاتها تنفيهم تماما من هذه النسبة ! فالاشكناز المنسوب اليه هؤلاء هو فى سفر التكوين ابن جومر بن يافث بن نوح عليه السلام ، بينما ابراهيم وابناؤه وحفيده يعقوب أو اسرائيل هم من بنى عابر من سلالة سام بن نوح وأرض اشكناز فى تعريفها بقاموس الكتاب المقدس المشار اليه فيما تقدم هى « بلاد على شطىء البحر الاسود شمالا تنصرف الى الجنوب الشرقى » . وهذا تعريف ينطبق تماما على القوقاز ، أو جنوب روسيا حاليا ، وهى التى عرفتها العرب فى صدر الاسلام باسم بلاد الخزر لان سكانها خزر العيون ، أى ان عيونهم ضيقة . وطبقا للمصادر التاريخية وفى مقدمتها المصادر العربية ان الخزر قد تحولوا الى اليهودية من زمن لا يزيد عن اثنى عشر او ثلاثة عشر قرنا ، أى بعد ظهور كل من المسيحية والاسلام ، وان ذلك قد تم فى عهد الدولة العباسية فى الشرق ودولتى بيزنطة وشارلمان فى الغرب بقرار من ملوك الخزر ، بعد ان كانوا قوما وثنيين ، على حالة رثة من البدائية ، يدينون بعبادة « فالوس » رمزا لاله الخصب عندهم ، وشرع كثير منهم فى الدخول فى المسيحية او الاسلام بحيث كان لملك الخزر نائبان احدهما مسلم والاخر مسيحى ثم قرر الخاقان بولان احد ملوكهم اعتناق اليهودية لكى يعطى شعبه ديانة محترمة تصده عن اللحاق بالديانتين الاخريين .. ويكون فى ذات الوقت متميزا عن جارتيه القويتين دولة العباسيين وبيزنطة وبعده تولى ملك الخزر الخاقان « عبديه » الذى تسمى بهذا الاسم العبرانى ، وقرر الا يتولى ملك الخزر الا من يعتنق اليهودية فتهود

البـلاط الملكى كله ، ثم تبعهم معظم أبناء شعب الخزر • وواضح أن الذين حملوا الديانة اليهودية الى هـؤلاء كانوا أيضا من التجار اليهود كمـا هو الحال بالنسبة ليهود الحبشة •

فاذا كان الامر كذلك بالنسبة لـكل من اليهـود السـود والبيض على السـواء ، فعـلى أى أساس تقيم الصهيونية دعواها من أنهم شعب واحد قد لحقه الشتات ؟! الا فى استخدام الاسطورة لغرض سياسى ، بما فى ذلك مجرد دعواهم أنهم ساميون وأن من ينتقد أفعالهم هو معاد للسامية •

بالرغم ممـا أعلنه الحاخام الاول الصهيونى ـ كما تصفه جريدة دافار الاسرائيلية عوتيديا يوسف ، عـام ١٩٧٣ من أن يهود الفلاشا هم من اليهود الحقيقيين ، وما أعلنه بعده بعام الحاخام شلومو غورن من أنهم أحفاد سبط دان ، الا أن سـيطرة « الاشكناز » البيض على المجتمع الصهيونى قررت أنه « نظرا للمشكلات التى تتعلق بالشرائع حول الزواج ، تحـدد بأن عليهم ـ أى اليهـود الاحباش ـ اتباع اجراءات مشددة لاتباع الدين اليهودى » ، أى كالتى تتبع مع المتهودين الجدد سواء بسواء• وذلك يعنى كما تقول « جيـروزاليم بوست » : « تجاهل الرؤساء الدينيين لليهود الاحبـاش ، (الذين يعتقد اتباعهم أنهم من سلالة هارون عليـه السـلام) ، وأن جميع القيم الدينية لديهم قـد أهدرت ليستبدلوا بهـا تفاطين سوداء ولكنه عبرية لشفاه ، من نوع نطق السبت « شبس » بلغة الاشكناز ، بدلا من « شبت » بلغـة الاحباش ، وبالمناسبة فهؤلاء الاحباش يستنكرون أن يسافر اليهو- فى هـذا اليوم المقدس عندهم ، أى أنهم لديهم أيضا اعتراضاتهم على تدين الاشكنازر سواء بسواء •

ولكن مع ذلك تقرر الحاق جميـع أبناء الفلاشا ، بالمدارس الدينيـة فحسب ، لكى يعاد تعليمهم الدين من جديد ! ولغرض آخر فى نفس يعقوب ـ ويعقوب مظلوم معهم هذه المرة ! ـ وهو نفيهم من المدارس الدنية التى تخرج القادة والحـكام ! لان البيض يرفضون ذلك ، بل حتى فى المدارس الدينية ، هدد كثير من الاباء البيض بسحب أولادهم من المدارس اذا استمر الحاق أبناء السود بها !

وتجمع الصحافة الاسرائيلية على أن المشكلة الرئيسية التى تواجهقضية

هل الفلاشا بالفعل من يهـود الشتات



استيعاب هذه الهجرة الغريبة .. على حد قولها ، في المجتمع الصهيوني هو لونهم الاسود !! حتى انه ينسب الى مناحيم بيجين وزير الداخلية فيحكومة مناحيم بيجين قوله : « من يحتاج الى هؤلاء السود ؟ » . وقد احتج مديرو الفنادق ورؤساء البلديات على انزالهم فيها ، ورفض السكان البيض في مختلف المناطق اسكانهم الى جوارهم اما الذين رحبوا بقدومهم فحسب ، فكانوا هم المستوطنين في ارجاء الضفة الغربية المحتلة ، لدعم الإستيطان الصهيوني بها ، نظرا لانقطاع الهجرة البيضاء من روسيا !

لذلك كله اصيب يهود الفلاشا بالاحباط الشديد ، وسارت مظاهراتهم في القدس تحمل لافتات تقول : « نحن يهود أمثالكم ولسنا متهودين » ، وبلغ اليأس والقنوط ببعضهم حد الاقدام على الانتحار !

لقد كشفت هجرة الفلاشا الى الدولة العبرية عن نظرية فاسدة من اساسها . لان ما يواجهه الطرف المغلوب حتى الان داخل اسرائيل وهم اليهود الاحباش ، انما هو العنصرية البيضاء البغيضة بكامل هيئتها ليس غير ، لدى أبناء عقيدتهم من الاشكناز .

واذا كان الاشكناز البيض يبدون اشمئزازهم من السود بدعوى أنهم « بدائيون متخلفون » لم يصلهم شيء من الحضارة الاوربية البيضاء ، فان سلوكهم يكشف عن كون البيض اكثر بدائية منهم في موقفهم من الجنس الانساني في عمومه ، وأنهم لم يتقدموا في هذا الميدان قيد أنملة ، رغم اعتناقهم الظاهري لاحد ديانات الشرق عما كانوا عليه ايام كانوا قبائل وثنية تدين بعبادة فالوس .

وبين تلك العقيدة القديمة والعنصرية البيضاء علاقة وثيقة ، فهم انما يعبدون لون جلودهم فحسب ، والاداة البيولوجية التي تؤدي الى تكاثرها . وذلك لا ينطبق على اليهود الاشكناز وحدهم بل على سائر الجنس الاوربي بمن فيهم من دخلوا في الديانة المسيحية ولكن مايزال لليهود سلطان ظاهر عليهم ، كالمجتمع الهولندي مثلا ، الذي ماتزال اثار عبادة فالوس ظاهرة في اعماله الفنية بما في ذلك انية الزهور التي يجرى تصميمها من الخزف الابيض على هيئة « المعبود » التقليدي في تلك الديانة الوثنية !. والهولنديون هم اباء البيض الذين استوطنوا جنوب افريقيا ، وماتزال آثام مجتمعهم العنصري هناك واضطهادهم للسود يمثل فضيحة بشرية كبرى ، وهم أيضا في مقدمة اباء المجتمع الابيض في الولايات المتحدة الامريكية ، وتاريخه البشع مع الزنوج هناك لا يمكن ان يفارق ذاكرة الجنس الانساني .

ومن المناطق التي اختارت الدوائر الصهيونية اسكان اليهود الفلاشا فيها مدينة عكا ، وربما كان السبب في ذلك انها مدينة مختلطة ثلث سكانها من العرب . وقد اقترح رئيس البلدية فيها تخصيص مستشفى الامراض العقلية لسكناهم بعد ترميمه ، ويطالب بابعادهم عن المرافق السياحية مثل شاطىء البحر !



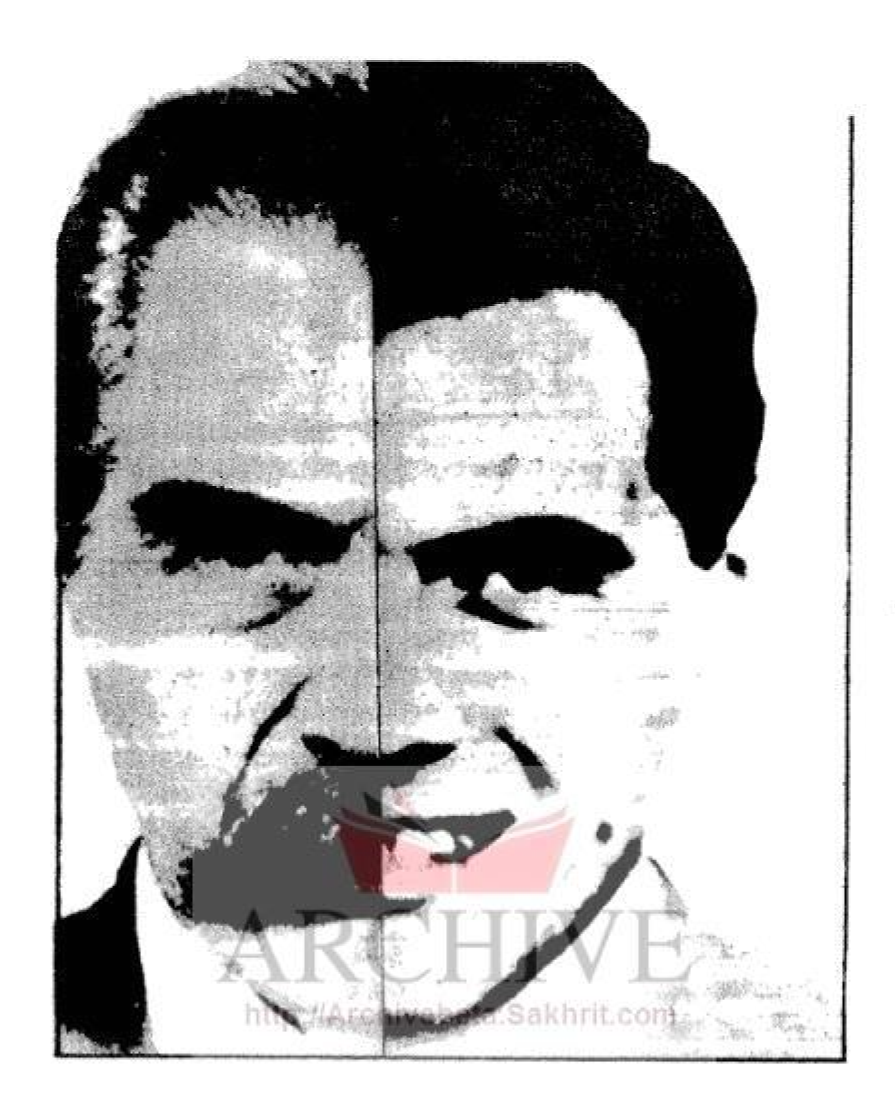
من الجبل الى
مقاعد الدرس

ويبدى كاتبان اسرائيليان همـــا « يرون زليغ » و « يهـــودا تسور » تخوفهما من تصاعد المواجهـــة بين الفلاشا والاشكناز فى هذه المدينة ويتساءلان : « ماذا لو صاح مواطن يهودى على مهـاجر اثيوبى بقوله : زنجى ، عربى ... ؟! » وهذا التعبير يعكس الشعور الحقيقى لدى المستوطنين الصهاينة ازاء كل من الزنوج والعرب .. ولكن مصدر تخوف هذين الكاتبين أنه لو صدر عن أحدهم فسوف تسقط جميـــع الاقنعـــة وتنكشف الطبيعة العنصرية الكاملة للمجتمع الصهيونى من حيث كونه مجتمعا للمستوطنين البيض فحسب ، كمـــا هو الحال فى جنوب افريقيا ، أمـــا من ســـمحوا بهجرتهم اليه من اليهود الشرقيين أو الزنوج فهو لستر الحال من ناحية ، ولتعويض النقص البشرى فى حاجات « الدولة » من المستوطنين من ناحية أخرى .

ولكن قبل أن يقولهـــا مواطن ـ أو بالاصح مستوطن يهـــودى لمهـــاجر حبشى ، ينبغى أن نقولها نحن لانفسنا ولكن بمنظور اخر : ان عدد المليلاد ، المشرق العربى وافريقيـــا هى منطقة واحدة أصحابها هم العرب والزنوج والاستيطان العنصرى الابيض واحـــد فيها سواء فى فلسطين أو جنـــوب افريقيا ، وينبغى أن نوحد صفوفنا جميعا فى مواجهة هؤلاء وأولئك من الغزاة .

ولكن أين العـــــرب وهم أسرى صراعاتهم السخيفة التى وصلت الى حد التقتل بين أبناء البلد الواحد ؟. وأين الزنوج الذين لا تقل خصوماتهم السياسية عما هو دائر بين العرب ، بالاضافة الى مصائبهم الاقتصادية التى وصلت الى حد الموت جوعا ؟ بل أين المسلمون من هـــؤلاء وأولئك وغيرهم ممن كانت تظلهم عقيدة تقول انه لا فضل لعربى على أعجمى ولا لابيض على أسود الا بالتقوى ؟! كنا أصحاب حضـــارة أشرقت بسموها الانسانى على الدنيـــا ، ونوشك أن نضيعها وقد غزينا فى عقر ديارنا بالمتصربين من كل حدب وصـــوب يستبيحون ديارنا ويذلون أبناءها من كل لون وجنس ودين ..

فمتى نفيق من غفلاتنا .. متى ؟!!



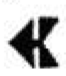
البحث عن منجل جديد

بقلم محمود قاسم

● رغم سخونة الاحداث التى شهدها العالم كله فى الاسابيع الاخيرة . الا ان صحافة الغرب لم تجد موضوعا يستحق الاهتمام به بالدرجة الاولى سوى المنشور على رفات جوزيف « منجل » .. اجل جوزيف منجل الذى افردت له صحافة الغرب الاف الصفحات فى الاسابيع الاخيرة .وتصدر اغلفةالمجلات كاحد نجوم السينما الكبار او رجال السياسة الاكثر شهرة .. قد يبدو الاسم غريبا على القارىء العربى . ولكنه اهم رجل تود اسرائيل اصطياده منذ قيامها .. ليست اسرائيل وحدها . بل الولايات المتحدة والمانياالغربية ايضا . فمن هو ذلك الرجل العجوز الذى لم تستطع مخابرات كل هذه الدول من التوصل اليه ، او القبض عليه فتحول الى شخصية أسطورية خياليةحتى وان كان منأشهر مجرمى الحرب العالمية الثانية ●

ورغم ان منجل شخصية واقعية الا ان الغرب لم يكتشف جرائمه خلال مذكرات « آن فرانك » التى دونتها وهى فى الثانية عشر من وضعية اليهود فى معسكرات الاعتقال حيث تحدثت عن جوزيف منجل وما فعله بابناء عشيرتها .. اما الكاتب الامريكى اليهودى ايراليثين ـ صاحب رواية « طفل روماري » ـ فقد قام بكتابة رواية عن منجل عام ١٩٧٥ بعنوان « الاولاد من البرازيل » وزعت ملايين النسخ . ثم انتجتها شركة يونيفرسال فى فيلم ضخم قام ببطولته جريجورى بيك فى دور منجل واشترك معه لورانس اوليفيه وجيمس ماسون واخرجه فرانكلين شافنر صاحب « كوكب القرود » .

فمن هو جوزيف منجل ؟
يقال انه قد قتل فى معسكرات الاعتقال النازية ما يتراوح بين ٣٠٠ الف ٤٠٠ الف يهودى كان يجرى عليهم التجارب الخاصة بعلم الوراثة . ابان الفترة التى التحق بها بمعسكر الاوشفتس عام ١٩٤٣ وحتى ١٩٤٥ . ولان الفترة قصيرة . وعدد الضحايا كبير فان اسرائيل كانت تسعىللحصول عليه حيا او ميتا باى ثمن كما فعلت فى الستينات مع ايخمان .. لكنهم لم يستطيعوا الوصول اليه حيا .واكتشفوا جثته فى مقبرة صغيرة باحدى المدن البرازيلية الصغيرة « امبو » التي



البحث عن منجل جديد

لا يزيد عدد سكانها عن ٨٠ الف نسمة .. واكتشف ان منجل د دفن فى فبراير ١٩٧٩ لينام هادئا بعد ان عاش حياته يتخفى هاربا من بلد لاخر. ويبدو ان هذه النهاية قد خيبت آمال المسئولين الاسرائيليين الذين لم يقتنعوا ان منجل قد مات فعلا . فيعلق احدهم : « هذه وسيلة لطيفة لتحويل انظار الناس عن عمل غير لطيف ... لكن رويلف منجل الابن الاكبر للنازى القديم يعلن ان هذه هى رفات ابيه بالفعل .. خاصة أن اسرائيل قد اقامت فى فبراير الماضى محاكمة غيابية لمحاكمة منجل واصدرت المحكمة حكما بالاعدام على جوزيف منجل .

ولد منجل فى ٦ مارس عام ١٩١١ فى بافاريا فى احدى الاسر الصناعية الكبرى التى تخصصت فى صنع الالات الزراعية بعد أن حصل على شهادة الدكتوراه فى الفلسفة بجامعة ميونخ بدأ يدرس الطب فى جامعة فرانكفورت وما لبث أن أصبح من المتفوقين فى الطب وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية انضم منجل الى الحزب النازى . ثم أصبح أحد أفراد فرقة العاصفة ؟؟ .. وقد أصيب عام ١٩٤٢ فى أوكرانيا على الجبهة الشرقية . فأثر أن يتم ترحيله للعمل كطبيب فى معسكر الاعتقال المعروف تحت اسم اوشفتس ثم اصبح كبير الاطباء فى هذا المعسكر

ويقال أن منجل أو « ملاك الموت » قد استخدم كل الطرق مع اليهود من اجل اجراء تجاربه فى علم الوراثة . بعد ان انتهت الحرب تمت محاكمته فى محاكمة انجليزية ووضع فى أحد معسكرات الاعتقال . وقيل انه هرب. واصدر المدعى العام الامريكى قرارا عام ١٩٤٦ ان منجل قد مات الا أن منجل استطاع ان يهرب مع أسرته عام ١٩٤٩ الى الارجنتين

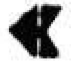
وفى بيونس أيرس افتتح عيادة تحت إسم مستعار . وفى عام ١٩٥٥ بعد ان سقط خوان بيرون رحل الى باراجواى مستخدما بطاقة هوية ارجنتينية . ومالبث أن عاد الى الارجنتين ليعمل فى ميدان الالات الزراعية . وفى عام ١٩٥٩ حصل على الجنسية الباراجوية . ولكنه لم يستطع الاقامة فى باراجواى فرحل الى كندا تحت اسم جوزيف منك عام ١٩٦٢ .. ويقال انه اختفى عن الانظار منذ ذلك الحين . وقد رصدت حكومة بون عشرة ملايين فرنك للحصول على رأسه وقيل انه ينتقل من بلدة الى أخرى . لكن أحدا لم يستطع الامساك به. ومن المعروف انه عاش فى البرازيل منذ عام ١٩٦٢ . وقد وشى عنه أحد السويسريين عام ١٩٧٥ . ومن هنا بدأت رحلة البحث عن منجل. فقام ابنه رويلف بالعثور عليه عام ١٩٧٧ لكن أحدا لم يتمكن من لقائه .. وقيل



ايراليفين   هتلر يعود عام ١٩٩٠



جريجورى بك ادى دور منجل فى السينما   عبقريه الشر



انها آخر مرة شوهد فيها · قبل أن يموت فى ٧ فبراير ١٩٧٩ أثناء استحمامه فى أحد الانهار بالبرازيل ·

ومنجل الآن شخصية اسطورية، نسج الباحثون عنه الكثير من الملامح الاسطورية فغدا أكثر خيالا · فنتازية من شخصيات الخيال المعروفة ·· فهو أمهر من جيمس بوند فى الهروب والتخفى هو وحده دون أن يمتلك جهاز مخابرات واحد يستطيع أن « يدوخ » مخابرات ثلاث دول طوال عشرات السنوات ومع ذلك لم ينجحوا فى العثور عليه ·· بدرجة أنه أثير ان منجل لم يمت · وان ما أثير حوله أخيرا ليس سوى محاولة لتضليل الباحثين عنه كى يكفوا عن بحثهم · ويتركوا العجوز يعيش فى أمان ··

واذا كان منجل قد مات بهذه الطريقة ·· لقد سبق للكاتب اليهودى ايراليفين أن قتله أشنع ميتة فى نهاية روايته « الاولاد من البرازيل » ·

وايراليفين مؤلف هذه الرواية من أذكى كتاب الرواية اليهودية فى الولايات المتحدة · وهو يضع السم دائما فى طبق شهى كامل الدسم · فرواياته باللغة الجاذبية · يعزف على تمجيد أمة اليهود بأى طريقة ·· وهو من الكتاب الذين يؤمنون بمزج الخيال بالواقع · مثل روايته « طفل روز مارى · حين مزج أجواء السحر بالواقع الامريكى عام ١٩٦٦ · ثم جمعت رواياته علم الخيال بالسياسة مثلما فعل فى «السعادة التى لا تذوب» و « الاولاد من البرازيل » ·

البحث عن منجل جديد

ذات مساء فى مدينة فيينا يصل نداء هاتفى الى ياكوف ليبرمان صياد النازيين قادما من البرازيل . أنه احد تلاميذه المعجبين به . يخبره انه سوف يرحل ستة من رجال الحرس النازى القديم فى اليوم التالى من ساوباولو الى عواصم أوربية عديدة لقتل اربعة وتسعين يهوديا من الاريين .. وفجأة ينقطع الاتصال يقوم باكون على التو بالاتصال بأصدقائه العاملين فى مكتب وكالة رويتر بفيينا .

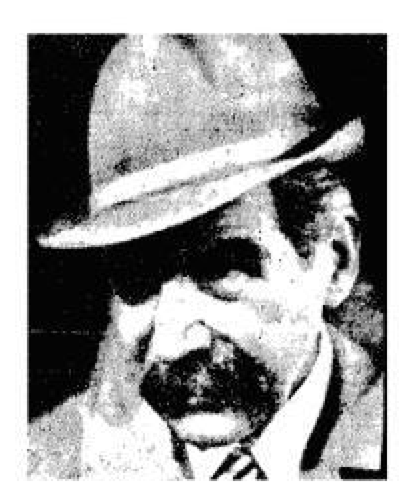
فى البرازيل . يظهر مرة أخرى بعد فترة صمت وهمية الدكتور جوزيف منجل . لقد اختفى فترة طويلة فى أحراش أمريكا اللاتينية ليعود مع اتباعه الذين يرسلهم الى اوروبا لمهمة قتل من ناحية ولاحضار ستة أطفال من التوائم ـ مثلما كان يفعل فى معسكرات الاعتقال ـ يمكنه ان يعيد منهم صناعة شخص جديد له نفس التركيب الوراثى لادولف هتلر ..

وتدور مطاردة بين منجل وليبرمان فهذا الاخير كما يصوره المؤلف علامة يهودى يكره العرب ويدافع عن وجود اسرائيل . يحظى باحترام الاخرين . فى الخامسة والستين . شاهد تعذيب بنى عشيرته . ومقتل الالاف منهم على يدى منجل . لذا فانه يسعى الى قتله والتخلص منه .. واذا كانت مخابرات ثلاث دول قد فشلت فى الواقع فى اصطياد منجل حيا وميتا . فان هذا العجوز ليبرمان ينجح وحده فى ذلك .. انه يعرفان منجل يسعى الى اعادة امجاد هتلر جديد من خلال خطته الجهنمية التى تتحقق عام ١٩٩٠ . ولا يفوت الكاتب ان يعطى لكل من الرجلين صفات كاريكاتورية محددة . فاليهودى طيب شجاع مقدام صاحب علم اما منجل فهو شرير غشيم متعصب .

وعندما يواجه ليبرمان خصمه فانه كما يقول الكاتب ـ لايمس يديه ـ بل يطلق عليه كلابه الشرسة تمزقه اربا ..

وقد جسد الممثل لورانس اوليفييه دور اليهودى ليبرمان فى الفيلم السابق الاشارة وهو الذى تخصص فى اداء شخصية اليهودى فى اكثر الافلام التى قدمها خلال السنوات العشر الاخيرة مثل « عدو الجاز » و « كوبرى بعيد جدا » و « رجل السباق » .. وغيرها ..

السؤال الان .. لماذا كل هذه الضجة .. هل قتل منجل بالفعل كل هذا العدد من اليهود ؟.. ولمصلحة من أن يبقى منجل ماثلا فى اذهان العالم دليلا على تعذيب اليهود وقتلهم .. لسنا مع منجل بل نحن ضد كل من عذب أى من أبناء الجنس البشرى مهما كانت صفته .. ولكن اليهود يلذلهم ان


جوزيف منجل

يصنعوا رجالا مثل هتلر وايخمان ومنجل حتى وان كانت مثل هذه الشخصيات غير موجودة في التاريخ فعلا .. فكما قال الكاتب الروسي المنشق الكسندر زينوفيف في مجلة الاكسبريس (١٢/٥/١٩٨٥) ان من مصلحة اليهود ان يوجد نموذج مثل هتلر يكن لهم العداء ويشهر سلاحه عليهم .. كي يصنعوا منه نموذجا لما يمكن أن يلقونه من تعذيب وهوان على ايديه .. ثم يبدأون في تذكير العالم بما أصاب اليهود .. وجذب تعاطفه . لالقاء اتهام خطير على كل من لا يتعاطف معهم وهو « معاداة السامية » .. فظهور رفات منجل في الذكرى الاربعين لانتهاء الحرب العالمية الثانية لم يكن مجرد مصادفة بالمرة . وانما هو عملية متوافقة مع الاحتفال بهذه المناسبة .. لان الكتابات التي نشرت في الفترة الاخيرة عن هذه الحرب كانت حول الانتصارات العسكرية للحلفاء .. وتمجيدا للابطال العسكريين لهذه الحرب .. ومن ثم فعلى اليهود افتعال ضجة ، الا تنسوا ان اليهود قد دفعوا بلا ذنب الثمن . وان منجل هذا قتل وحده ٤٠٠ الف .. وان المنتصر كان بثمن دماء اليهود .. ولذا من مصلحة اليهود ان يكون منجل حيا والا تقتلوه ابدا .. واذا كان قد مات فعليهم كان يبحثوا عن نازى آخر حى وصنعه مطاردة وهمية له اشبه بما حدث مع منجل .. ليكتبوا عنه روايات وافلاما وليحكوا لاولادهم وللعالم كله عنه وعنهم .. ويالها من حكايات !! ..



بقلم : يحيى حقى

الإلحاح اللزج

كان من دلائل الاناقة فى الجيل السابق ان تحمل السيدة مروحة فى يدها وفي الغالب عليها رسوم يابانية او صينية، وكان يقال إن هذه المروحة تصلح للتعبير عن بعض اغراضها من إظهار الدلال او الغضب او العتاب او طلب ميعاد وأن يحمل الرجل مذبة او منشة مقبضها من العاج او الابنوس وشعرها ابيض اسود من شعر ذيل الحصان ، ومما لايزال يحز فى نفسى ان عصر انتشار حمل الرجال للمذبات او المنشات دفعت لأناس من اسفل خلق الله يدخلون اسطبل الخيل بالليل ومعهم موس حاد فيقطعون ذيول الخيل ويهربون .

هل يدل هذا على أن هذا العهد كان عهداً يكثر فيه الذباب ، ولم تكن هذه المنشة للوقاية من الذباب بل لمنع إلحاح هذا الذباب من لمس الوجه مرة بعد اخرى بعد طرده فلا شىء يثير الضيق مثل الالحاح ..

ولقد رايت اناساً كثيرين يدفعون للشحاذ فى العهد الماضى صدقة لاحبا فى فعل الخير أو اشفاقا به بل هربا من مطاردته والحاحه

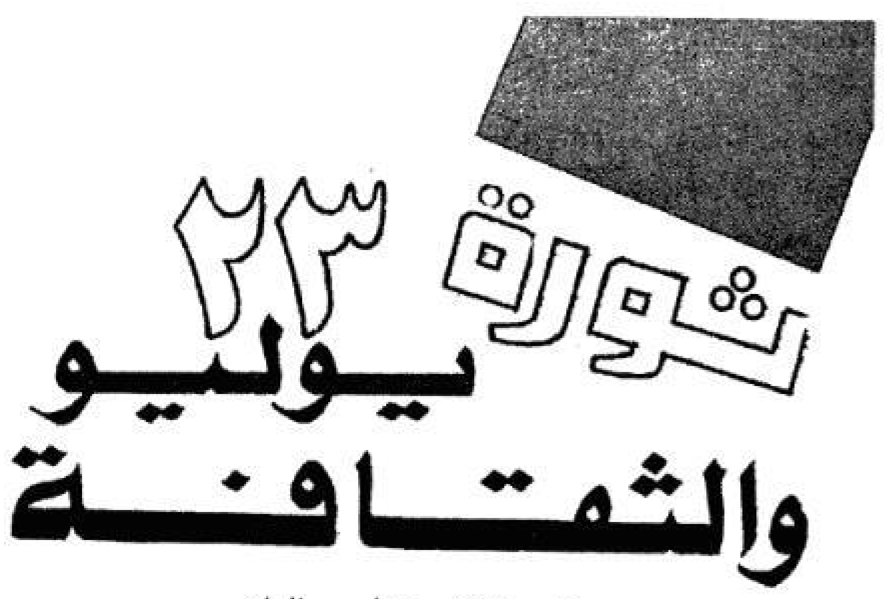
وبهذه المناسبة اريد ان افاجىء القارىء برأى ارجو ان يعد لى فيه حبل العذر ، ولكن ملحيلتى وهذا الراى اؤمن به دون ان الزم احداً بالموافقة عليه فاننى اضيف الى بشاعة الالحاح بشاعة اللزوجة ، فلا تخلو حياتنا من مقابلة رجل من مثل هذا الطراز اللزج ، فلا تقول عنه انه يقابلك بل انه «يلزق بك» ومهما كان وزنه تجده ثقيلاً عليك ولاتستطيع ان تنشه كما تفعل بالذباب لأن يدك ستلصق به وستبذل جهداً غير قليل من انتزاع يدك منه كانك وضعت يدك فى قدر من الصمغ السائح او شربات لقمة القاضى



فما رأيك ايها القارىء بانني ساجمع بين الالحاح واللزوجة تعبر عنها مع الاسف الشديد اغنية شائعة ما سمعتها مرة الا امتعضت لها وعجبت كيف لا يشاركني احد هذا الاحساس . واقول في سري ملذا جرى في هذا البلد وهو المعروف بالذوق ، وملحن ومنشد هذه الاغنية هو صديق عزيز لي اجله واحترمه واعجب بفنه مع انه لم يلق في حياته هذا التقدير الكبير الذي لقيه بعد وفاته ، فقد انتبه الناس اخيرا واشادوا بحلاوة بساطة انغامه وسهولة وصولها عبر الاذن الى القلب‹او ابتداعه لاغاني الاطفال الجميلة .. ولكن لماذا اراه في احدى هذه الاغاني فيتخذ صورة شاب يقف تحت شرفة لا كمثل روميو تحت شرفة جوليت يتحدث لها بالشعر فتجيب له بالشعر عن اسمى العواطف الانسانية النبيلة ، بل في صورة انسان يعترف علنا وبلا خجل به بانه شحاذ جائع عطشان يستجدي بالحاح الشحاذين ايام زمان او بلزوجة الانسان الذي وصفته لك او بالحاح الذباب الذي تنشه فلا يمكن نشه ويستجدي من هذه الفتاة ميعاداً وهي تصده مرة بعد المرة فيحلف عليها فيشفع لها بانه مسكين غلبان وكحيان وعطشان وجوعان .. ويوهمها انه يطلب صدقة منها سيكون ثوابها في الاخرة لافي هذه الدنيا لولا الملامة لدلقت عليه هذه الفتاة ماء طشت الغسيل كما يحدث في بعض الأزقة في ذلك الوقت .

ليس هذا هو الحب الذي ارفعه الى السماء ، والذي يصدر من القلب الى القلب ليس فيه اي شبه للتذلل او الاستجداء .

لاتاخذني ايها القارىء العزيز اذا عددت هذا الراي بانه شاذ ومستهجن وغريب وغير منتظر مني ، وانه يخالف الراي العام ، وانني أؤذن في مالطة فهذه الاغنية تلاقي نجاحا ولكن ماعذري ولاشيء يدفعني الى هذا التعبير إلا هزة في اعصابي لااملك معها دفعا وأؤكد من جديد ان هذه الاغنية واحدة شاذة في « ريبورتوار » هذا الملحن العظيم صديقي الذي اترحم عليه وأقرا على روحه الفاتحة .



بقلم الدكتور : علي الراعي

الخطأ الكبير والمضلل الذى يقع فيه من ينكرون على ثورة ٢٣ يوليو المجيدة انجازاتها الكثيرة فى حقل الثقافة هو انهم يخلطون ـ عامدين او لاهين ـ بين انجازات الثورة وبين ماجرى لبعض المثقفين من اضطهاد واعتقال وتشريد بل وقتل من حالة بعينها هى حالة المثقف التقدمى المرموق : شهدى عطية

لقد حمل الحنق بعضا ممن نالهم القهر على أيدى سلطات الثورة الى القول بأن هذه الثورة لم تحقق شيئا على الاطلاق فى ميدان الثقافة . او انها لم تأت بجديد فى ذلك الميدان ، بل عاشت على ماحققته الفترات السابقة عليها من انتاج ثقافى ومن اطقم ثقافية . وقال فريق ثالث ان الامر لايقتصر على العقم الثقافى للثورة ، بل يتجاوزه الى تحقيق تخريب متعمد فى التراث الثقافى وطحن لعقول المثقفين ، واشاعة لقيم وعادات وسلوك معادية كلها للثقافة وللمثقفين . فسجل الثقافة على عهد الثورة عند هذه الطوائف الثلاث هو : اما صفحات مسروقة او اخرى خالية من كل حرف مكتوب ، او صفحات سوداء تدين وتشين .

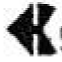
فلننظر اذن فى هذه القضية ، كما تصورها وجهات النظر سالفة الذكر . ولنبدأ بان نقرر حقيقة هامة يعمى عنها الكثيرون او يتعامون ، وهى أن ثورة ٢٣ يوليو لم تكن بناء واحدا ، منظما ومتسقا وبالتالى جامدا ، خاليا من الدينامية كقوالب الطوب المرصوص فى داخل الاطار العام للثورة كان هناك ثورة وثورة مضادة . كان ثم أناس يؤمنون بالمبادىء المعلنة للثورة ايمانا مخلصا ، ويعملون على تحقيقها . وكان هناك انتهازيون لبسوا ملابس الثورة وتسللوا الى صفوفها الاولى لمحاولة ضربها من الداخل . وكان هناك اعداء حقيقيون



فتحي رضوان



ثروت عكاشة



للثورة لم يخفوا يوما واحدا عداءهم لها ، ولم يقصروا في مهاجمتها بالقول والفعل والاشارة ما استطاعتهم القدرة وواتتهم الفرصة .

وزاد المشكلة تعقيدا ان قيادة الثورة قد اتخذت ـ منذ البداية ـ موقفا حذرا ومتشككا من المثقفين ـ وبالتالي ـ من الثقافة . لقد تصورت هذه القيادة أن المثقفين هم أعداء للثورة بالفعل أو بالامكان ومن ثم تحفظت كثيرا في معاملتهم ، وطرحت شعارات ضارة بالثورة وبالمثقفين معا مثل : « أهل الثقة لا أهل الخبرة » ، ومثل : « عقد المثقفين » ومالت الى الاعتقاد بأن الكوادر الثقافية التي تكونت قبل الثورة هي بالضرورة كوادر معادية للثورة من الواجب التخلص منها ـ ولم تحاول محاولة جادة أن تدقق في أمر هؤلاء ، وأن تصنفهم تصنيفا فرديا ، بدلا من التصنيف الدامغ الشامل ، ولم تسع الى كسب ود المترددين بين هؤلاء والذين يخطئون بحسن نية ، والذين يتخذون مواقف مضادة للثورة هي بطبيعتها مرحلية أو نتيجة لاسباب معينة يمكن ازالتها ، وبالتالي يمكن كسب هؤلاء لصفوف الثورة .

غير ان أخطر ماوقعت فيه قيادة الثورة من أخطاء هو أنها مالت الى جانب المنتجات الثقافية المسطحية ، وفضلتها على المنتجات العميقة الاثر البعيدة الغور . وكانت تلك نظرة سياسية في المحل الاول ، فان قيادة الثورة رأت في الثقافة بضاعة استهلاكية وظيفتها تزجية وقت الفراغ ، والترفيه عن المواطنين من أيسر السبل . وكسب رضاهم بأية وسيلة . وكان هذا ـ في الواقع ـ هو الجناح الاخر لنظرة أخطر الى عقول الناس وهمومهم الفكرية يكون عن طريق أجهزة الاعلام ، وليس عن طريق الاجهزة الثقافية الاجهزة الاولى ـ في نظر القيادة ـ أوقع ، وأفعل ، ومردودها مباشر وسريع بينما مردود أجهزة الثقافة بطيء وغامض ، ومتحذلق ومعوق وبالتالي ـ في آخر المطاف ـ معاد للثورة اما عمدا أو عن غير قصد .

ومن ثم أغدقت الاموال والتسهيلات على أجهزة الاعلام ، بينما ضيق على أجهزة الثقافة تضييقا شديدا ، وسمح لاجهزة



ثورة ٢٣ يوليو

الاعلام ان تخترق ـ عمدا ـ اجهزة الثقافة وان تتداخل مع انشطتها . فكان ان اشتغل الاعلام بالنشر ورفع شعاره المغرب : « كتاب كل ست ساعات » ، كما اشتغل بالمسرح ، فرفع شعارا ليس أقل ضررا : « مائتا مسرحية في العام » واندفعت المطابع وخشبات المسرح تقدم كل من هب ودب ، بل كل من هب ولم يدب . واحيانا اخرى كل من قعد على الارض كالكسيح ، فلا هب ولا دب !

واصبح للنشاط الثقافي في عصر الثورة فريقان متناحران يتبادلان اللكمات والمواقع والهزائم والانتصارات ، في مسلسل طويل كان نتاجه الحقيقي الهزيمة الثقافية لمصر كلها ، وهي هزيمة بدت واضحة بعد نكبة ١٩٦٧ .

قلت آنفا ان قيادة الثورة قد اتخذت ـ منذ البداية ـ موقفا حذرا ومتشككا من المثقفين . وتصورتهم أعداء للثورة بالفعل او الامكان . واتهمتهم بالتآمر اليميني او اليساري ، وقام في وهم القيادة أن ثمة تآمرا بالفعل ، في حقل الثقافة ـ من جانب اليسار بالذات والدليل على ذلك ما تطورت اليه وزارة الثقافة منذ انشائها تحت اسم وزارة الارشاد في عهد وزيرها الاول فتحي رضوان ، الذي ما لبث أن طورها الى وزارة للثقافة .

لقد اتهمت وزارة الثقافة في عهدي فتحي رضوان وثروت عكاشة بانها تضم المحسوبين اليساريين وتوسع لهم في المناصب وتضعهم في موضع القيادات . وهو اتهام تعمد التزييف والتخليط لاقناع قيادة الثورة بأن المؤامرة حقيقية واقعة . مع ان المعروف ان الوزيرين لا علاقة لهما بالشيوعية او اليسارية من قريب أو بعيد . فتحي رضوان مناضل وطني صلب قبل وأثناء وبعد الثورة لم يتخل يوما ما عن دعوته الى عدم الانحياز رافعا شعاره المعروف «لا شرقية ولا غربية» . وهو بعد هذا زعيم فائق الحس بالاسلام والمسلمين ، وعامل نشط من أوائل العاملين في سبيل وحدة العرب ، منذ أن كان طالبا في كلية الحقوق .

اما ثروت عكاشة فقد تربى فكريا وفنيا ومزاجيا في الغرب ، ومن ثم سعى الى نقل افكار الغرب وأجهزته وأنظمته الثقافية الى مصر ، وظل على توقيره لثقافة الغرب حتى النهاية .

اذن ما الذي حدث من وزارة الثقافة حتى جلب عليها تهمة « اليسارية » ؟ حدث انها استخدمت كل ذي موهبة من المثقفين ، استعانت بهم بصرف النظر عن ارائهم السياسية . وكان منهم عدد قليل من اليساريين الموهوبين .

وقد بدا هذا لبعض الناس امرا خطيرا ، ومهددا ، وداعيا الى التخوف الشديد مع انه في واقع الامر منطقي ومعقول ومتكرر الحدوث في بلاد اخرى . فضلا عن انه النهج القويم الذي كان على الثورة ان تسير عليه .

ولو أن قيادة الثورة نظرت حواليها في العالم كله ـ وفي العالم الرأسمالي على وجه الخصوص ولم تكتف بقراءة تقارير الاجهزة لتبينت حقيقة ثقافية تبدو غريبة تصبح مفهومة ومقبولة : في العالم الرأسمالي لدى النظرة الاولى ، ولكنها ـ عند التدقيق ـ تصبح مفهومة ومقبولة : في العالم الرأسمالي بما فيه امريكا يقف كل من يستحق لقب الى يسار النظام القائم ، وليس معه ، أو الى يمينه . وهي ظاهرة تتكرر في العالم الاشتراكي ايضا ، حيث يقف بعض المثقفين الرافضين للاندماج في مواجهة النظام ، تحديا ، واحتجاجا على بعض ما يستذهم منه . وانا اعني ـ بالطبع ـ المحتجين المخلصين ، وليس عملاء المخابرات المركزية الامريكية . اعني الشاعر افتوشينكو ـ مثلا ـ او باسترناك وليس المثقفون الذين « ينشلون بوعيرتهم

على ومضـــات عدســـات الصحافة والتليفزيون وميكروفانات الاذاعـــة وماشتات الصحف والكسب المـــادى الوفير الذى ينتظرهم فى الغـــرب صدقا أو كذبا .

لماذا يقف المثقفون الى يســار انظمتهم أو فى مواجهتها ، شرقا وغربا عـلى السواء ؟ هنا نصل الى بيت القصيد ، كما كانوا يقولون قبل أربعين أو خمسين عاما ، حين كان ثم قصـيد ، وله بيت !

السبب ان المثقف هو موقف ورأى ، وليس خزانة للمعلـــومات أو واجهـــة لها . فثقافته تدعو دائما الى تجاوز حدود القول الى العمل . هكذا كان المثقفون دائما سقراط لقبل السم على الـــسردة « وجاليليو ضرب الارض فى أعماق سجنه صائحا : « ولكنها - أى الارض - تدور !» ووليم موريس زاوج بين اهتماماته بالفنون الحرفية الشعبية وقيادة المظاهرات ومارکس خرج من المتحف البريطاني بكنوز من العلم حولهـــا الى مواقف وبيـــانات ومظاهرات ودعوة الى التغيير . وكـى جيفارا حمل موقفه الثائر الى كـل بلد ينصت اليه ، و ظل يدعو الى التغيير العالم حتى ظفرت به قوات الثورة المضادة . المثقف - اذن - ثائر دائما . راغب فى التغيير . ساخط على الواقع . متطلع الى الواقع . لا يقبل ما تصوره السلطة اليه . ان يقول نعم . أن يرضى . انه - عـل النقيض يقول : لا . ويسأل لماذا ؟ يسأل ولا يرضى ويجزء عدم الرضى الى الثورة

قالوا عن الشاعر الرومانسى الانجليزى : شيلي وهم يهوئون من شأنه : انه « ملاك غير ذى خطر » . ولقد كان الرجل رقيق الحاشية فعلا ومع ذلك كان الرجل رقيـق احدى قصائده موجها القول الى الجماهير ، داعيا اياها الى الثورة فى بيته المشهور : « أنتم الكثرة وهم القلة » . وهـو الذى راى فى الشاعر قائدا ورائدا ، ووصفه بانه مشرع العالم الذى لا يعترف به أحد .

الرغبة فى التغيير - اذن - هى طبـع المثقف فى قديم الزمان وحديثه . ووصف عمله فى سبيل مبدئه بانه تآمر وصف ظالم وغير مجد . فلم يحدث ان مات قول مثقف متخلص بموته . فقد زال أعداء سـقراط وبقى سقراط . واغتالت المخابرات المركزية الامريكية شى جيفارا وبقى قوله وصـورته وصورته والمثل الذى ضربه للناس يلهـم الكثيرين ويحفزهم الى البحث عن الحرية .

وقد كان من واجب قيادة الثورة أن تعى هذه الحقيقة . ان تعى ان تأييد الثورة لايكون بمعسول القول ، ولا بالعمل المنافق ، وانما بالتأييد الفاحص ، المدقق ، الرافض حيث يجب الرفض ، القابل عن اقتناع وبعد تمحيص . اما شعار : « من ليس منا فهو علينا » . أو شعار : « كلنا ناصريون » . أو « كلنا أعضاء فى الاتحاد الاشتراكى » . أو تلك الملاءة الكبرى التى بسطت على وجه

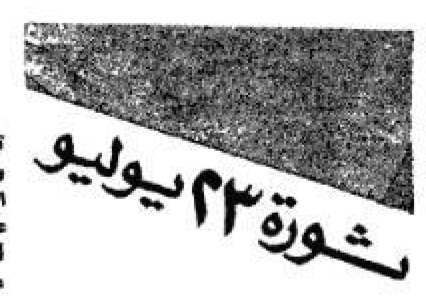
عبد القادر حاتم

لويس عوض

ابراهيم زكى خورشيد







مصر كله لتخفي التناقضات وتبرر القول بأننا ألغينا في الثاء حرب الطبقات ، أو أننا ذوبنا الفروق بين الطبقات — هذه الشعارات الضارة كلها قد كانت المقتل الذي فطن اليه أعداء الثورة وتسربوا منه الى أفنيتها وردهاتها وحجراتها بل وبرج قيادتها نفسه ، تلمسا الى اسقاطها من الداخل .

ولو ان الثورة كانت أكثر احتفاء بالمثقفين، وأذكى في محاولة الافادة منهم — لو أنها لم تناصبهم العداء تارة ، تلتف حولهم تارة أخرى ، لو أنها لم تضعهم في مجالس المعتقلات مرة أو في هشيم الوظائف القيادية مرة أخرى ، لكان المثقفون في وضع أفضل للدفاع عن الثورة ومبادئها ، ولا تسع أمامهم المجال لحماية الثورة عن أعدائها وأصدقائها ، على السواء ، بدلا من اضطرارهم — حين تأزمت الامور — الى الدفاع عنها وظهورهم الى الحائط .. !

برغم ما تقدم من سلبيات كثيرة ، فقد انجزت ثورة ٢٣ يوليو انجازات ثقافية كبرى أقدم استعراضا سريعا لها ، يجاوز التعداد الى تبين المغزى الحقيقي لكل انجاز .

أول هذا الانجاز هو قيام وزارة للثقافة في مصر . كانت هذه الوزارة أول وزارة للثقافة في العالم الثالث على الاطلاق ، وثامن وزارة للثقافة في العالم كله . وكان انشاؤها اعترافا خطيرا من الثورة وقادتها بأهمية الثقافة كعنصر تنمية هام وعامل فعال في بناء الانسان .. وربما لم يكن الاعتراف واعيا تماما بأهمية الحدث — خاصة في أوائل انشاء الوزارة — ولكن أهميته سرعان ما اتضحت للجميع ، للصديق والعدو معا . فوجهت للوزارة حملات ضارية من أعداء الثقافة داخل اطار الثورة الرسمي وخارج هذا الاطار وخاصة من صحف ومجلات دار صحفية كبرى كانت ترتعد هزلا من مجلة « المجلة » التي لم يزد توزيعها عن أربعة آلاف أو خمسة آلاف نسخة في الشهر ، ومع ذلك فقد قدر أعداء الثقافة — محقين — ان التأثير في العقول لا يتأتى — بالضرورة — عن طريق التوزيع العريض بدليل ان توزيعهم العريض لم يفلح قط في صرف الجماهير عن تأييد ثورة يوليو .

وزاد من مخاوف أعداء الثقافة من وزارة الثقافة ، أن المثقفين — على اختلاف توجهاتهم . قد التفوا حول وزارتهم منذ أيامها الباكرة وبنوها طوبة طوبة ، ودافعوا عنها دفاعا مستميتا ضد الهجوم الشرس المتصل الذي وجه اليها في كل المناسبات . وقد زاد هذا الالتفاف حول الوزارة من حدة الهجوم وشدة الكراهية لهذه الوزارة « المشاغبة » ولم يهدأ الهجوم الا حين قرر رئيس العهد السابق أنور السادات أن يلغي الوزارة بجرة قلم ، ظنا منه أنه يستطيع — من بعد — ان يمحو آثرها . وقد أثبتت الحوادث التالية فساد هذا الظن . فقد ظلت الوزارة باقية ، رغم تغيير الأسماء . ذلك ان وزارة الثقافة ليست مجرد مكاتب وتنظيمات ، بل هي حاجة حقيقة لبلادنا ومثقفيها ، ستبقى ما بقي في البلاد أناس يطلبون حقهم لدى الدولة في أن توفر لهم الغذاء الثقافي اليومي .

وسرعان ما مضت وزارة الثقافة تنشيء أجهزتها اللازمة لخدمة أغراضها . كان من أهم ما فعلته الوزارة انشاء مصلحة الفنون وقد أسند وزير الثقافة فتحي رضوان قيادتها للاديب الودود الصادق المحب للثقافة والمثقفين والفنانين : يحيى حقي ، الذي استعان بكاتبين مرموقين هما نجيب محفوظ وعلي باكثير . وقد وضعت مصلحة الفنون على عهد يحيى حقي أسس النظرة العلمية للرقص الشعبي ، بانشائها « فرقة يا ليل ياعين » ، التي كانت نواة لانشاء فرقة رضا فيما بعد .

وعندما انشئت فرقة — لتسافر الى الصين تحقيقا لتبادل ثقافي بيننا وبين هذا البلد الكبير . وعندما كان المنظر — لتسافر الى الصين تحقيقا لتبادل ثقافي بيننا وبين هذا البلد الكبير . وكان النظر المعادي للثورة الا ذاك يعتبر الصين بلدا شيوعيا ينبغي مقاطعته ، فاستبسل الاعداء في الهجوم ، وتطاولوا ، ووقفوا بأجسادهم







سعد كامل ـ يحيى حقي ـ نجيب محفوظ

يسدون الطريق ، غير انهم باءوا بالفشل المزرى، وسافرت الفرقة وترسخ فى الوجدان المصرى ان الرقص فن عظيم ورفيع ، يصلح مادة للتبادل الثقافى ، وان مكانه الوحيد ليس الخمارات والكابريهات كما اراد اعداء الثقافة له دائما .

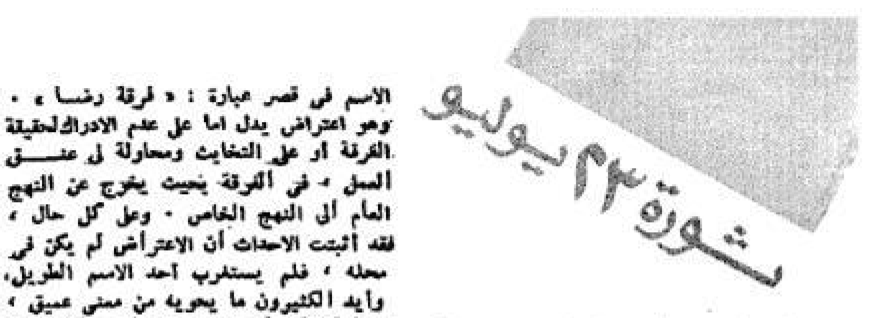
وقد جاءت بعد فرقة ياليل ياعين ، فرقة رضا للفنون الشعبية . وكان محمود رضا وفريدة فهمى من الفنانين المؤسسين للفرقة الاولى . وقد نجحت الفرقة الجديدة فى تأصيل النظرة الجديدة للرقص وقدمت خدمات كثيرة لا شك فيها . غير انه من الطريف اللافت النظر ان اعداء الثورة لم يقابلوا فرقة رضا بأى عداء . على العكس، بذلوا لها كل ود وترحاب ووضعت صفحات كثيرة فى دور صحفية بعينها فى خدمتها . وكان السبب الاول فى هذه المعاملة الكريمة ان الفرقة لا تتبع الوزارة الكريهة ، ولا قطاعها العام ، ونجاحها يدل على ان المبادرة الفردية هى اساس التقدم فى الفن كما فى الاقتصاد فالفرقة اذن .. ونجاحها الواضح ـ تكذيب عملى متصل لضرورة تدخل الدولة فى حقل الفنون ودعمها له .

وقد اتضح العداء الكامن والدائم لمشروعات الدولة الثقافية فيما يلى ، حين قررت وزارة الثقافة على عهد ثروت عكاشة، ان تنشىء فرقة للرقص الشعبى استقدمت لها طاقما من الخبراء على راسهم الفنان المرموق رامازين ، تلميذ مودسييف ، فنان الرقص الشعبى اللامع فى الاتحاد السوفييتى .

وقد مضى رامازين ، ولسنة تجربات كثيرة ، يدرب شبابنا من الجنسين على الرقص الشعبى القائم على اسس علمية ، حتى اذا اوشكت الفرقة على ان تؤتى ثمارها ، أخذت المؤامرات تحاك حولها ، زاعمة انها فرقة فاشلة ، ووضعت خطط سرية لاغتيال رقصاتها وضمها الى احدى فرق التليفزيون المسماة: الفرقة الاستعراضية والغنائية . وقد اوشك الاغتيال ان يتم بالفعل ، لولا اننى ـ وقد كنت آنذاك رئيسا لمؤسسة المسرح والموسيقى والفنون الشعبية ، التى تلت مصلحة الفنون ، تقدمت بالرجاء الى الوزير المسئول ، وهو الدكتور حاتم ، طالبا اعطائى مهلة كى تخرج الفرقة الى الوجود . وكانت مدة المهلة عشرة ايام . وينبغى ان اسجل للدكتور حاتم انه استجاب لرجائى ، مما جعلنا جميعا نعمل ليل نهار حتى تخرج الفرقة فى ميعادها . وبالفعل خرجت للناس فى الميعاد المضروب ، وكان الدكتور حاتم أول المهنئين بهذا النجاح ، ومن اكثرهم سعادة بالانجاز الذى تم .

وقد نجحت عروض الفرقة نجاحا مدويا ، وبدا الفارق الفنى الواضح بين رقصاتها ورقصات فرقة رضا ، كما ظهرت ايضا الفروق فى النظرة الى العمل الفنى . فرقة رضا كانت تميل الى التشكيل الجمالى الذى لا يتعمق الاشياء والموضوعات كثيرا . وان كان يرضى عامة الناس ومن يلذ لهم ان ينظروا الى بلادهم نظرة سياحية . كما ان فرقة رضا ارتبطت بمبدأ النجوم منذ اليوم الاول لانشائها . اعتمدت على الوجود اللامع لمحمود رضا وفريدة فهمى وعلى رضا . اذا حضر هؤلاء احتفظت الفرقة بمستواها ، وان

←



غابوا لسبب ما ، نزل المستوى بشكل ظاهر .

أما الفرقة الجديدة ، فقد اعتمدت مبدأ العمل الجماعي . لانجم مفرد بين أفرادها . كل الاعضاء نجوم يشكلون النجم الاكبر وهو الفرقة ذاتها . لا غرو أن قررنا ان نطلق عليها اسم : « الفرقة القومية للفنون الشعبية » . تأكيدا لهذا المعنى . هذا ليس جهد أفراد ، وانما هو الجهد الذي يمثله فريق متكامل متراخ . وقد قام من بين اعضاء الفرقة افراد ممتازون بالفعل ، الفنانة ماري ، مثلا ، والفنانة دينيس ، والراقصة الموهوبة تهاني ومصمم الرقص كمال نعيم والمدربين حسن خليل وسامي يونس ، وحدث أن ترك هؤلاء الفرقة في فترات متعاقبة ، فلم تتأثر أعمالها ، وانما مضت في الطريق المرسوم .

والطريف ان واحدا من كتابنا الصحفيين ، ساءه ألا تنسب الفرقة الى أفراد ، فاعترض على ذلك قائلا ان اسمها طويل وانه غير تجاري . وكان من الواجب ان يكون الاسم في قصر عبارة : « فرقة رضا » . وهو اعتراض يدل اما على عدم الادراك لحقيقة الفرقة او على التخابث ومحاولة لي عنق العمل - في الفرقة بحيث يخرج عن النهج العام الى النهج الخاص . وعلى كل حال ، فقد أثبتت الاحداث أن الاعتراض لم يكن في محله ، فلم يستغرب أحد الاسم الطويل ، وأيد الكثيرون ما يحويه من معنى عميق ، فلما انشأت العراق فرقتها الشعبية الخاصة ، أسمتها هي الاخرى : الفرقة القومية للفنون الشعبية !

والاحتفاء ذاته الذي أبدته وزارة الثقافة وأجهزتها المتخصصة بالرقص الشعبي ، أظهرته لباقي الفنون . اهتم فتحي رضوان بفن الاراجوز وسعى الى حمايته من الانقراض . وأيد مشروع اقامة فرقة لفن العرائس ، مالبثت أن قامت بمساعدة فنية من رومانيا وبنت مؤسسة المسرح للفرقة أول مبنى في العالم يخصص لفن العرائس .

كذلك امتد الاهتمام الى فنون السيرك ، فاختير من فرق السيرك الاهلية أفضل العناصر والحقت بفرقة الفنون السيرك انشأتها الوزارة بمساعدة فنية من الخبراء السوفييت ، وأطلقنا على الفرقة الجديدة اسم : السيرك القومي تأييدا لهذا الفن الذي كان موشكا على الانقراض ، وتأكيدا لاستحقاق فنانيه ان ينتسبوا الى الوجدان القومي العام .

كذلك اهتمت ثورة يوليو بالكتاب ، فأثرت



فرقة رضا وليدة الثورة ومسرح التليفزيون ؟

عن طريق مؤسساتها الجادة مبدأ دعم الكتاب ، ونشرت سلاسل ثقافية كثيرة أيام الاستاذ ابراهيم زكي خورشيد جمعت بين الرواج والنجاح الثقافي مثل : سلسلة : أعلام العرب وسلسلة المسرح العالمي . وبيعت كتب هاتين السلسلتين بأسعارزهيدة اعمالا لمبدأ هام هو أن الكتاب يوازي الرغيف في بناء الفرد الوطني .

وكان اهتمام ثورة يوليو بنشر الثقافة في الاقاليم والريف احدى النقاط اللامعة في تاريخها الثقافي . وجاء هذا الاهتمام تحقيقا لمبدأ حق المواطنين جميعا في الثقافة أينما وجدت ، في الاقاليم أو في القرى ، الى جوار العواصم . وقد أنشأت وزارة الثقافة لهذا الغرض جهازا قائما بذاته أطلقت عليه : « الثقافة الجماهيرية » وبنت قصورا وبيوتا للثقافة من الاسكندرية حتى أسوان . واخذت هذه القصور والبيوت تقوم بعمل وزارات مصغرة للثقافة انتشرت في طول مصر وعرضها ، وشجعت قيام الفرق المسرحية الاقليمية كما شجعت النشاط الثقافي لادباء الاقاليم وقد عرفت « الثقافة الجماهيرية » أزهى عصورها أيام كان يشرف عليها سعد كامل ، أول وانجح من قام بهذا العمل القيادي الهام . وقد نجح سعد كامل في اقناع كثير من المثقفين والفنانين القاهريين بترك أعمالهم المريحة ووظائفهم المريحة ، والسفر الى الاماكن النائية لادارة قصور الثقافة .

وفي حقل الفنون التشكيلية تبنت وزارة الثقافة المشروع الهام الذي تقدم به الدكتور لويس عوض والذي عرف باسم مشروع التفرغ . وقد أفاد المشروع كثيرين من الفنانين استطاعوا عن طريق انتاج أعمال هامة بعيدا عن متاعب كسب العيش اليومي .

وأمر سريعا على باقي الانجازات في حقل السينما والدراسات الاكاديمية الفنية مكتفيا بالقول بأن المبدأ الذي قبلته ونفذته ثورة يوليو في هذين الحقلين مبدأ حيوي خلاق ، يقوم على اعتبار الفن نشاطا جادا يستند الى دراسة متعمقة جادة وتأهيل علمي متشعب الاتجاهات .

كيف نفسر التناقض بين هذا الانجاز الكبير وبين ما جاء في صدر هذا المقال من تعداد لسلبيات كثيرة في نظرة ثورة يوليو للثقافة ؟

التفسير يكمن في أن قيادة الثورة ان كانت قد أخطأت في بعض الاحيان فهي في الاساس قيادة وطنية مخلصة ، تتبنى مصالح الشعب وترجو له الخير . كما يكمن في ان المواقف المعلنة يصيبها تغييرا واضحا لدى التنفيذ والممارسة . فهو عبد الناصر نفسه الذي أنشأ وزارة الثقافة ، ومول مشروعات الصوت والضوء وحضر احد عروض السيرك القومي ، وأبدى اهتماما خاصا بمجلة « المجلة » وولاها بالمتابعة والنقد في كثير من الاحيان . وهو الذي وافق على مشروع قصور الثقافة وما حمله المشروع من مبدأ وممارسة ثوريتين . وقل مثل هذا الكلام عن باقي المشروعات الثقافية ، التي تقدم في وجه معارضة ابتدائية ، ثم لا تلبث ان تنجح ، فيغري نجاحها المخلصين من معارضيها على الانتقال الى صفوف المؤيدين . فالممارسة تؤدي الى التغيير في الافراد والمواقف كما تصحح الاخطاء .

والى جوار هذا فقد كان يخدم وزارة الثقافة حتى اواسط الستينات طاقم متحمس لعمله ، كان اذا سمح له بخطوتين على الطريق الثقافي زادها الى اربع أو خمس ، واضعا بذلك نفسه والوزارة والثورة ذاتها امام الامر الواقع ـ الامر الناجح . وكان هذا الاندفاع المحمود يقابل أحيانا بترحاب ، وأحيانا أخرى على مضض ، وكانت يد المنع تحول دون المزيد منه في كثير من الاحيان .

وبعد .. فان تاريخ الانجاز الثقافي لثورة يوليو المجيدة لم يكتب بعد . ويوم يكتب تنفتح أعين كثيرة على الحقيقة ، وتدخل السنة طويلة بلهاء الى أفواهها ، وتخرس أصوات كريهة تؤذي الاسماع الان بأكاذيبها وترهاتها ، وتظن انها نجحت في طمس الحقيقة ، لمجرد ان أحدا لم يأبه بأن يرد عليها .

غير ان هذا موقف لن يبقى . وانما يبقى في الارض ما ينفع الناس .



سر الغرب التعطش إلى المعرفة

يقلم دكتور : أحمد كامل عبدالرحيم



اوجين ديلاكروا
فاوست ومفستو
فيليس ١٨٢٨

● اذا كنا نفهم كلمة "كلاسيك" على انها ترمز إلى كل ما هو قديم او نستخدمها فى حياتنا اليومية وكأننا نعبر عن عظمة من او ماذا نتحدث عنه . وإذا كانت كلمة "كلاسيك" تأتى من كلمة "كلاسيكوس" وكانت تطلق عند الرومان على المواطن التابع لشريحة ضريبية مرتفعة . فان الأدباء أخذوا هذه الكلمة

واعتبروا ان الأدب الكلاسيكي هو ذلك النوع من الأدب الذى يأخذ من الحضارة القديمة ، أى حضارة الرومان والاغريق ، مثلا له ، تلك الحضارة التى كانت ولا تزال قمة الحضارات بالنسبة لسائر دول وشعوب اوربا ، ولذا فإن اى فترة كلاسيكية عاشها اى شعب من الشعوب الأوروبية تعتبر فترة إزدهار ادبية لهذا الشعب او ذاك حيث ظهر خلالها عمالقة الأدب والفكر والفن . وبالنسبة لعصور ازدهار الأدب وهو ما انتهينا إلى تسميتها بالعصور الكلاسيكية فاننا نجدها ممثلة فى انجلترا فى شخص شكسبير وفى أسبانيا فى شخص كل من لوبى دى فيجا وكالديرون وثيرفانتس وفى فرنسا نسمع عن كورنى وراسين وموليير وفى المانيا نجد جوته وشيللر وهيردر وليمسينج ، وكل هؤلاء على مستوى القارة الأوروبية والعالم الغربى بأكمله حتى يومنا هذا خالدون بأعمالهم وفكرهم ، ففى المانيا كان لهم الفضل فى نشوء الأدب القومى واللغة القومية بل والفكر القومى بالمفهوم الشامل لم تكن اعمال عمالقة الأدب والفكر هؤلاء جوفاء تافهة بل كانت غنية بكل فكر إنسانى رفيع تصور روح العصر وكل عصر حتى أصبحت عالمية ولم تعد حكرا لشعب من الشعوب بل هى ولا تزال وستظل تراثا للفكر البشرى فى الشرق والغرب . واذا سألنا انفسنا فى شأن امكانية ايجاد تفسير لكلمة « غربى » مستلهمين فى الاجابة إستعراض عظمة الأدب والفكر الأوروبى الغربى فاننا سنرجح كفة إجابة على سؤال بهذا كان المعنى عنوانا لمحاضرة القيت أمام الجمعية الأمريكية للغات الحديثة فى شيكاغو . لقد اعترف المحاضر هانس إيجون هولتوزن بصعوبة إيجاد تفسير لكلمة « غربى » باعتبار انها شىء معنوى وليس مادى ملموس . لقد قال ان هدف محاضرته هو استيضاح لما يسمى عندهم فى المانيا « الغرب » وافاد بانه لم يتطرق احد قبله إلى ايجاد تفسير لما تحمله هذه الكلمة من معانى وقال بانه سيحاول الاشارة إلى مجموعة من الاعمال والافكار اعتقاداً منه انها تجسيد لما يفهمه الالمان تحت كلمة « اوروبا » لقد ذكر أن هناك مجموعة من الابطال الكلاسيكيين فى الأدب الأوروبى ينبغى الاهتمام بها خمس شخصيات لها قوة ابداع أدبى يحق لها ان تمثل المجتمع الحضارى الأوروبى ، انها اوديب وهاملت ودون كيشوت ودون جوان وفاوست .

←



سر الغرب التعطش إلى المعرفة

إن كلا من هذه الشخصيات لها مكانها المرموق فى تاريخ الأدب الغربى وهى ليست بأى حال من الأحوال مجرد ظواهر ادبية عارضة بل أنها شخصيات أبطال لأعمال ادبية كتب لها الخلود .

إن أسطورة أوديب أصبحت من الموضوعات المحببة فى مجال الأدب ومنذ العصور القديمة وحتى وقتنا الحاضر قام أدباء يونان وفرنسيون وألمان بجعل أوديب بطلا لأعمالهم التراجيدية . لقد عاش أوديب أحداث مأساة مروعة فى حياته فأصبح دون أن يدرى قاتلا لأبيه وزوجا لأمه وهذا هو أسوأ شىء يحيط بانسان ارتكب مثل هذه الجرائم البشعة وهو منها براء . لقد فسر العالم النفسانى والمحلل السيكولوجى زيجموند فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩) « عقدة أوديب » بأنها حب الابن لأمه والابنة لأبيها ، حب يقابله غيرة وكراهية لأى من الوالدين . إن اسطورة أوديب هى يونانية الأصل ويرجع تاريخها إلى العصور القديمة ولا تعتمد على خلفية مسيحية أو دينية سماوية بخلاف الشخصيات أو الأبطال الأربعة الآخرين .

والبطل الثانى هو دون جوان (أو دون خوان بالاسبانية) فهو بطل الدراما الاسبانية وكوميديا موليير (١٦٦٥) وباليه جلوك (١٧٦١) وأوبرا موتسارت (١٧٨٧) ومسرحية جرابة الدرامية (١٨٢٩) وآخر هذه الأعمال التى تناولت هذا البطل وأهمها كان فى اللغة الألمانية حيث الكوميديا الرائعة للتى كتبها الدرامى السويسرى ماكس فريش وظهرت له عام ١٩٥٣ تحت عنوان : « دون جوان أو الحب لعلم الهندسة » . قدم ماكس فريش عملا ملهاويا جديدا من نوعه ان العاشقة الحقيقية للبطل ليست بالفعل فتاة ولكنها علم الهندسة . ان هذه الدراما محاولة مرحة لتجسيد أزمة الانسان ورغبته فى التحرر من قيود المجتمع والانطلاق إلى آفاق بعيدة . لقد ظهرت شخصية دون جوان لأول مرة عام ١٦٣٠ وهى شخصية زير النساء أو صياد النساء فى مدينة الفن الاسبانية سيفيللا ومنذ ذلك الحين ولا يزال هو البطل المحبب إلى القلب على خشبة المسارح الأوروبية ، كما لا تزال أوبرا « دون جيوفانى » للملحن العالمى موتسارت أوبرا الأوبرات حيث جمع فيها بين النص واللحن لتصبح قمة العمل الفنى المتكامل

والبطل الثالث هو « فاوست » الأسطورى فلقد ظهرت هذه الشخصية أول ما ظهرت فى ألمانيا وانتقلت إلى انجلترا قبيل نهاية القرن السادس عشر ثم عادت إلى وطنها ألمانيا . إن اسطورة فاوست هى فى نفس الوقت ملحمة شعبية حية ترعرع الشباب الألمانى على حبها وفى مقدمتهم يوهان فولفجانج جوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢) شاعر ألمانيا العظيم فكانت له رائعته .. مأساة فاوست هى فى الحقيقة مأساة الشعب الألمانى . على الرغم من أن جوتهولد إفرايم ليسينج (١٧٢٩ - ١٧٨١) كان أول من راودته فكرة كتابة عمل درامى كبير عن فاوست فأراد أن يقدم على خشبة المسرح بطلا

هدفه الأول والأخير هو « المعرفة » ورأى ليسينج ان يُظهر فاوست فى صورة لا يلعنه من خلالها بل كان يريد ان ينقذه من محنته إقتناعا منه بأن طريق فاوست الملىء بالمعاناة وسعيه للتوصل إلى المعرفة هو طريق إلى هدف فاضل من أساسه .... اما جوته فلقد وضع شخصية فاوست فى إطار فكرى متعدد الجوانب ليناسب كل العصور والأزمان . ان « فاوست » جوته تعتبر بمثابة بوتقة تضم كل الحركات الفكرية للحضارة الاوروبية ففيها من الحضارة القديمة وحضارة العصور الوسطى والعصر الحديث . إن « فاوست » جوته تعكس فى مضمونها تطور الوعى الذاتى الاوروبى ومأساة جريتش . تلك الفتاة التى فضلت ان تنعم بالعفو الالهى عن الهروب من قيود الحياة الدنيا وفضلا عن ذلك فان اسلوب جوته اللغوى فى عمله الشعرى « فاوست » يعتبر انقى وارفع الاساليب اللغوية على الأرض الالمانية ولقد سبق ليسينج وجوته فى معالجة « اسطورة فاوست » الكاتب الانجليزى كريستوفر مارلو فاخرجها فى عمل درامى عام ١٥٨٧ . كما سبقهما ايضا على الأرض الالمانية كل من مالرميوللر وكلينجر ثم تعامل من بعدهما مع اسطورة فاوست كل من خاميسو وجراية وهاينه وليناو وفاليرى وتوماس مان . اما الشخصية الرابعة فهى شخصية هاملت فى العمل التراجيدى للكاتب الانجليزى الكبير ويليام شكسبير (١٥٦٤ ـ ١٦١٦) وهى تعتبر ركيزة من ركائز الحضارة الغربية وانعكاسا لروح مأساة العصر . انها شخصية لا تقل شأنا عن العباقرة يوليوس قيصر وافلاطون . ان هاملت يظهر فى صورة بطل حديث للغاية انه ليس ضحية مأساوية ولكنه شخص مأساوى يشك فى العالم وفى نظامه . انه لا يستشعر الطمأنينة لا فى الحياة ولا فى الموت ويعى الشك المطلق للوجود





كورنى



جان راسين



توماس مان

سر الغرب التعطش إلى المعرفة



شكسبير

الانسانى والازمات التى تحيط به .. ان هاملت يحس بالاشمئزاز تجاه الكينونة وان تفسيره للعالم الأوروبى الحديث يمكن ان نسميه « بالتشاؤمية الأوروبية » . ان هاملت هذا الأمير الدنمركى الأسطورى أخفق فى حل المهمة التى وضعها لنفسه وهى العمل على تحقيق تعايش بشرى على أساس مفهوم إنسانى .

ولنتناول فى النهاية شخصية دون كيشوت (أو دون كيخوتى دى لامانتشا بالاسبانية) للروائى والأديب الاسبانى ميجويل دى ثيرفانتس سفيدرا (١٥٥٧ - ١٦٦٦) ان دون كيشوت هو بطل أعظم اول رواية كبيرة فى الأدب الغربى ان شخصية دون كيشوت هى من النوع الماساوى الملهاوى وهى ماتسميها بالشخصية التراجيكوميدية . دون كيشوت ماساوى لأن لديه إرادة سامية ومع ذلك يخفق فى تحقيق اهدافه ، ملهاوى لأن مغامراته النادرة مضحكة للغاية انه يتصدى للطواحين الهوائية إعتقاداً منه بأنها عمالقة يجب منازلتهم وقهرهم .... ينظر إلى الماعز والخراف على أنها خيول . ومغزى هذه الرواية رغم هزليتها يكمن فى أن دون كيشوت يفتقر إلى المعرفة المطلقة ، فهو قد وصل إلى حد أنه لم يعد قادراً على التمييز الصحيح بين الاشياء . ان المغزى الحقيقى لهذه الرواية يبدو وكأنه « كارثة فى نظرية المعرفة »

ونعود الآن إلى السؤال الذى طرحه هولتوزن من قبل مستفسراً عن شرح وتوضيح للمقصود من كلمة « غربى » وعن السبب فى أن هؤلاء الابطال الخمسة بالذات أصبحوا محببين لدى الشعوب الاوروبية ولا يزالون يعيشون فى قلوبها ووجدانها ، ويجيب قائلا بان القوة الدافعة لهؤلاء الابطال الخمسة هى المعاناة من أجل التوصل إلى المعرفة ، معرفة لا تقف بمعزل عن العوامل الأخرى ، بل معرفة ترتبط ارتباطا وثيقا بالفعل والمعاناة .

والمفهوم الثانى لكلمة « الغرب » حسب رأى هولتوزن هو مفهوم الحرية . ان الحرية هى الدستور الأساسى للوجود الانسانى فى المجتمع الأوروبى الغربى ، حرية هى الطابع المميز لروح عصر هؤلاء الأبطال الخمسة بحيث تظل روح كل العصور فهى الهدف الذى تسعى اليه كل الشعوب وتعانى حتى يتحقق لها .... انها حرية الفكر وحرية الارادة .

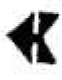


الجيل الجديد لكتاب القصة

اسمحوا لى ايها الأصدقاء ان نصنع من هذا الباب (ورشة) قصة . و (ورش) القصص والمسرحيات وحتى الروايات شيء معترف به فى الاوساط الجامعية الشرقية والغربية ، فقد وصل التعليم الجامعى فى الدول المتقدمة الى درجة محاولات جادة وخطيرة لتعليم (فن الكتابة) ، بالضبط مثل تعليم فن الموسيقى وفن الرقص والغناء وكتابة السيناريوهات والتمثيل ...الخ ...الخ ...

ولقد زرت بعض الجامعات الاوروبية والأمريكية التى (تدرس) فن كتابة القصة وكان لى مع بعض اساتذة التدريس فيها ، ومع الطلبة ، مناقشات ومساجلات . لقد فوجئت تماما بفكرة ان (فن) القصة ممكن ان يدرس وتنطبق عليه حكاية التعليم والتعلم . كنت اظن بادىء الأمر أن فن القصة ، موهبة ، لايمكن اختلاقها ، ولايمكن بالتالى تعلمها . ولكنى بمناقشاتى مع طلاب واساتذة هذه (الورش) ادركت ان الموهبة لايمكن اكتسابها او اختلاقها وانما لابد ان تكون اصلا موجودة ولهذا هم يجرون امتحانا لكل متقدم ، امتحان يقرر فيه شيء واحد . أهذا الشخص موهوب أم غير موهوب . ولذلك طرق عدة ، ربما نذكر هنا وفى الأعداد القادمة من الهلال ، بعضها . فاذا وجد الشخص موهوبا ، دخل (الورشة) . والورشة عملها ان يكتب فيها الطالب مايشاء من قصص وان يتولى كتاب قصة ونقاد كبار قراءتها ، ولفت نظره الى مواطن موهبته الشخصية الكامنة فيه ليتدرب على استخدامها بطريقة اروع ، هذا الى جانب دراسة اشياء أخرى عن الأدباء الكبار وطرقهم . وعن الاصالة والمعاصرة ، وعن فكرة النبوغ وكيف يتاتى .. واشياء اخرى كثيرة







وحتى لانضيع الوقت والمساهمة في الحديث النظرى ، سوف ندخل مباشرة الى قصة الصديق (فوزى عبدالمجيد شلبي) التى اسماها (الالبوم) .

وكم كان يودى ان انشر لكم قصته الثانية التى ارسلها وسماها الانتوبى وحماره ، والطوفان . فهى الأخرى تحوى (فكرة) قصة قصيرة حقيقية

والفكرة دائما هى (البويضة) الأولى لأية قصة قصيرة ، حتى لو لم تكن تحوى فكرة بالمرة . فخواؤها من الفكرة يكون احيانا فكرة .

ولكن قصة (الالبوم) تحوى فكرة عظيمة تماما ، وجديدة جدا . فكرة انسان يتأمل اليوم حياته . وبالمرة حياة من عرفهم وصادقهم ام لم يصادقهم . فكرة كتلك تكفى لكى يدخل صديقنا فوزى عبدالمجيد شلبى (ورشة) القصة القصيرة من اوسع ابوابها لا ليتتلمذ . وانما يدخل ليتخرج فورا ككاتب قصة شاب .

واذا كان لكاتب مثلى ان يقول ملحوظة واحدة فقط على هذه القصة فانى اقول ان العيب فى الفكرة أن هيكلها العظمى ظاهر للعيان باكثر مما يجب ، وان شيئا من اللحم والعظم والدم و (العاطفة) كانت كفيلة باحالتها الى رسالة دكتوراه

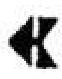
ولكن من قال اننا نبدأ حياتنا ، فنية كانت او عملية ، بالحصول على الدكتوراه ؟ !



فوزى عبدالمجيد شلبى - طنطا

هاهو فى الصفحة الاولى من الالبوم .. يضحك فى براءة ، ويجب أن يضحك طالما يخطر يزهو الى جانب هذا العملاق المهيب الذى يرنو اليه الجميع فى وجل وتقدير .. ترى لو لم يكن هذا العملاق هو والد "فريد" الطفل ! ؟ هل كانت نظرات الناس اليه كما هى فى هذه الصورة ؟ اكان يجرؤ ان يقتحم عالماً غير عالمه ويفسده بغطرسة أبداً لم يأخذها عن والده لأنها لم تكن فيه ؟ كم كان هذا الطفل صاحب هذه الصورة بعينه ثقيل الدم ؟ كان دلوعه حتى وهو يجلس

إلى الشيخ فى الكتاب ، ويحب ان يسمع القرآن . أما حفظه فكان مشكلة . وإذا لم يعن بهذ الحفظ ، وكأنه بذلك يشهد أقرانه على أنه أفضل منهم مادام الشيخ لا ولن تمتد عصاه إلى جسده كبقية الأولاد ، وكأنه أيضاً يشهدهم على جبن وخوف الشيخ من أن يصيبه حتى بما فيه مصلحته .. هو نفسه الذى كان يلعب ويجرى كثيراً إلى أن ينتهى به المطاف أمام الجامع الكبير فيقفز من فوق سوره الذى يمتد أمام الباب .. كثيراً ماكان هذا الولد الشقى يحب الجرى ، فلم يمر عليه يوم واحدً الا وقد اشتكى العديدون من شقاوته لوالدته التى لم تنهره



ابدا .. وكان يخاف أن تصل اخباره السيئة الى والده ـ بالرغم من ان يد والده لم تمتد عليه يوما ما ـ ولكن مادامت اخبار شقاوته بعيدة عن أسماع والده ـ طالما أمه تخشى ذلك لعلمها بشدة بأس زوجها ـ فهو في مأمن ولا يعدو الخوف بداخله هذه الابتسامة الساذجة فتظل على شفتيه

ـ ٢ ـ

وفي الصورة الثانية ، تلميذ موفق في دراسته ، وينافس اترابه في كل شيء ، كما كان ينافسهم في المذاكرة وفي (الممتاز) الكبيرة التى كان الأستاذ يكتبها بالقلم الأحمر لمن يسبق زملاءه في الاختبارات .. حتى في صحن الجامع أصبح له مكان للصلاة وللمذاكرة ايضا

ـ ٣ ـ

وذلك الصبي اللاهي العابث بعد ظفره بالنجاح في الامتحانات العام تلو العام .. وفي الأجازات الصيفية ينحني ظهره تحت شمس الصيف الحارقة لجمع دودة القطن ، ويتجمع حوله في القيلولة جمع لابأس به وهو يرتل القرآن ويقلد مشاهير القارئين ، هو أيضاً الذى كان ينتقل من مصنع لآخر ويعمل باليومية ـ إذا فرغ من الامتحانات ـ ليتسنى له جمع النقود لشراء الحلوى ودخول السينما والاشتراك في الرحلات .. وكان والده يشجعه على العمل في الأجازات بغية الاعتماد على النفس ولكنه بتاتاً لم يعتمد على نفسه في شيء مادامت كل متطلباته الصغيرة أوامر .

ـ ٤ ـ

هذه الصفحة تحمل أكثر من صورة .. وصاحب الصورة الأولى ينبغي أن اعرفه ـ لأتجنبه ـ ملامحه غريبة ، ملامح شيطان .. يسخر مني لكوني لم آت بما كان يأتي به أصحابي المراهقون من مظاهر الرجولة .. جميعهم كانوا يتهامسون ويتباهون بالعادات السرية والمغامرات النسائية وهو يستمع اليهم صامتاً حاقداً مشدوداً ، لأنه عاجز حتى عن الكذب عليهم أو تأليف الروايات لهم .. هو أول من بلتقي على طريق الضياع .. وأول من أمسك بين يديه بسيجارة ليصبح رجلاً في نظر الآخرين مادام يجرؤ على التدخين .. الذى اختلط بالمتشردين والتافهين ، وهرب من المدرسة .. وكان أول من تنكر لكل القيم يوم أصبح ذلك العربيد الذى عرف الجنس دفعة واحدة عندما تعرف على شيطانة في مثل سنه بعد طول جدب وظمأ ، وعندما تركته وفارقته إلى غاية أخرى بعد ان عاش معها في جنة الحرام الملتهبة بضرام الجنس شهوراً بات يمارس أقبح الرزائل .. هو بنفسه الذى كان يعي ويدرك معاناة اسرته المادية ولا يأبه لها ويخترع الأكاذيب ويلفق الحكايات لكي يحصل على نقودها القليلة ويحتكرها للهوه وضياعه وللعب القمار .

ـ ٥ ـ

اما القابع في هذه الصورة الثانية فيخيل إلى انى أعرفه ـ أو انا احب ان اعرفه ـ ذلك الشاب الذى كان يحب الله ولايناقش من شئونه شيئاً .. الذى احب الناس جميعا كما كان يحب الهدوء والخضرة والجمال .. الذى احب الشعر والموسيقى والأنغام الحالمة

وأوجد بين هذا جميعه وبين السماء صلة عظيمة حينما أحب "فيروز" ، التى أحس كأنه يحبها منذ عرف الحياة ، "فيروز" التى جعلته يشعر وكأنه فى واحة من الجنة (جنة) لا جنة لى فى السماء إلا إذا تخلصت من سماتى الباطنة .. أكثيرٌ علىّ أن تكون لى جنة فى الأرض إلى أن أصبح جديرا بجنة السماء؟ ! هذا الشاب الذى يحب "فيروز" أنا أحبه وأكرهه ! ولكن هل يمكن أن يجتمع الحب والكره ؟ كيف يتحد الضدان ؟ أهو أنا ؟ أنا أحب أن أكونه ولا أحب ! نعم ، أحب أن أكونه لكى تعود إلى لذة الحياة ومتعة الدنيا - التى كانت ماثلة لى عندما كنت أنا هو - ولا أحب أن أكونه لكى لا يعود علىّ ماعاد عليه هو بعدما حالت الأقدار والأيام وأتلف الأنسان والحيوان ، واتحد لأول مرة الأنس والجن ونجحوا جميعا فى أن يفصلوا روح "فيروز" عن روحى حتى صرت أنا الذى يحب وأنا الذى يكره !

- ٦ -

أنا الذى هنا فى هذه الصورة ، كبرى الصور جميعا .. هذا الرجل أنا على ثقة من معرفتى به .. هذا الرجل فى هذه الصورة هو أنا ! الذى أصبح خبيراً فى كل شىء ونال ثقة كل الأحزاب والمنابر بعدما أجاد المداهنة وعرف الطريق الى الرشوة والسلطة .. له علاقات شتى .. رجل مجتمع هو ، كالحرباء إذ تعامل مع كل الطبقات .. يعرف المفكر والتافه ، كما يعرف المثقف والجاهل .. أصدقاؤه ومعارفه على كل نوع من أنواع البشر .. تجد فيهم الصالح والطالح .. القديس والسافل .. العامل والعاطل .. المهندس والطبيب .. السجان والشرطى .. وو .. له بينهم جميعاً مكانة عظمى كما له بين بنات حواء .. آه من حواء ومالهذا الرجل عندها .. له عندها ليال حمراء وصفراء وخضراء ونهار أبيض وأسود وحياة من كل لون .. نعم هو ذا ، ولكننى لست أدرى لماذا أفضل هذه الصورة التى توجد فى الناحية الأخرى ؟ !

- ٧ -

وهذا الذى يولع بالاطلاع على الكتب وينهل منها بنهم ويجعل كل شىء يمر به يخضع ويستسلم للعقل والمنطق .. الذى يدمع اذا سمع دعاء طيباً ، وينزف قلبه إن رأى حمامة تُذبح ، ويئن إن سمع طفلاً يبكى وبريئاً القضاة أن اقترف إثماً .. أهو أنا ؟ !!

- ٨ -

وذاك الذى يليه ، الذى لايزال ينكب على الورق ليكتب ويكتب ويكتب .. يكتب فى كل شىء ولا يترك شيئا ، ويخرج أفكاره المتناقضة المتضاربة تلك فى صور شتى .. ويطيب له أن يكتب عن المرأة والحب .. والرجل والجنس والخير والشر .. ويمزج هذا كله فى خليط عجيب لاهو بالشعر ولا بالقصة ولا بالرواية وكأنه استقر على نوع جديد فى عالم الأدب لا يعرفه الآخرون من الأدباء والفلاسفة .. والذى أرسل بعضاً من عبثه على الورق بالقلم الى الصحف والمجلات وتم نشره ولكنه مايزال مقتنعاً كل الاقتناع أنه لو نشر كل إنتاجه فهو لم يخلق لكى يكون كاتباً أو أديباً بل هو شىء آخر .. شىء لايزال فى حيز المجهول ولكنه بالتأكيد شىء فى هؤلاء جميعاً الذى يتكون هو منهم .

- ٩ -

أنت أيها الجامع الشامل .. أراك تنظر إلىّ فى خيلاء .. يحترمك الجميع ، أينما وجدت تلمح

• الألبوم •

ملء عيون الناس الاجلال والاحترام .. نضر السمات .. وجه مستدير وعينان واسعتان وقوام فارع يميل إلى النحافة .. أبيض البشرة ، أسود الشعر تمشطه فى عناية فيبدو مطيعا لاتند منه شعره ولا تثور .. حتى تلك الشعيرات البيض التى تسللت ومازالت تتسلل إليه يوما بعد يوم باتت مع رفاقها تجعل من رأسك هذا ومظهرك ذاك فتى جميلا بهى الطلعة .. ولكن اين انت من هذا جميعه ؟ ولماذا ياسيدى لم تستطع فى يوم من الايام ان تحترم نفسك ؟ ساخطة هى عليك وعلى أفعالك ! فأى شىء يحترمه الناس فيك ؟ تلك الهيبة التى ورثتها عن المرحوم والدك ! وأين انت منه ؟ لاصلة بينك وبينه على الاطلاق إلا فى الاسم الذى تركه لك ! وماذا فعلت فى حياتك لتحمل عنه هذا الاسم الكبير ؟ ومانت لكى تصير سلفاً لعظيم ؟ لاشىء !! هكذا منذ وجدت فى الدنيا .. أرسلك أبوك الى المدارس بعد الكُتّاب ومال بك التدليل إلى التعليم المتوسط ، ثم ماذا ؟ أصبحت موظفا ؟ (طظ) ! وماذا فى ذلك ؟ هناك آلاف من امثالك بل عشرات الآلاف لا طعم لهم ولا لون !! حاولت أن تصبح شيئاً فى عملك ؟ بماذا ؟ ببكائك وندب حظك فى بداية حياتك العملية عندما أرسلتك القوى العاملة إلى هناك فى جنوب القطر ! أم بعجزك عن تحمل مسئولية نفسك أو أعباء غربتك وشكواك لطوب الأرض كى تعود الى بيتك .. سنوات وعدت بعدها إلى أهلك وسنوات أخرى بعدها ، فلماذا أضفت لحياتك ؟ هيمنة زائفة فى عالم الضياع ! عالم الجنس الآخر ! أتظن انك بهن صرت شيئاً ؟ ألم تعلم أن هيمنتك اللعينة عليهن سوف تعود عليك بآثار عكسية مريرة ؟ ! بل إنها عادت فعلا بكل المرارة .. أتحدى هذا الفاجر الماجن الذى بداخلك إن كان يطلب العقدرة على الارتباط المقدس بإحداهن ، حتى لو كانت أضعفهن جميعاً كتلك البلهاء التى صار لها مكان بجوارك على كرسى العرش الزائف .. تلك التى استولت على عواطفك بعقدية سحرية .. تلك البائسة التى لم ترحمها كما لم ترحم نفسك .. التى لو علمت حقيقتك [illegible] لكان لها معك شأن آخر .. تقول إنك تملك عزيمة قوية .. لا داعى ياعزيزى [illegible] الذريع فى كل أمر جاد مر بحياتك وانهيارك التام أمامه .. سوف [illegible] تركت صرح الزمالك الذى كان لك بغباء الآخرين فى [illegible] الى عالم العلم [illegible] وهذا العالم الرحب الفسيح .. شهور وشهور [illegible] بل تتقهقر وها أنت قد جاوزت الاربعين [illegible] عملاً واحداً [illegible] عنه .. حتى هذا الذى تلقى به على الورق [illegible] ان يسمى به لو لم تكن حياتك التافهة [illegible] والتفاهة تخلق من صاحبها كاتباً او اديباً .. حذار [illegible] انهم نشروا لك بعضا مما اسميته كتابة .. [illegible] العاصمة [illegible] عاصمة ـ اى عاصمة تلك التى [illegible] ما تحمل [illegible] اهلها ؟ ! التى [illegible] تطيق ما بها [illegible] حاجة [illegible] اعبائها وأثقالها ويجب ان تعلم هذا كله [illegible] كما يجب ان تعلم [illegible] هؤلاء الذين تتكون انت منهم او يتكونون هم منك [illegible]



أغنية مصرية في الأردن

شعر فتحي سعيد

● على مدى ثلاث امسيات شعرية في الاسبوع الثقافي المصرى بالأردن تألق الشعر العربى بقدر ما تجاوزته الأضواء الصحفية إلى السينما وعروض الرقص والعرائس .. وكانت هذه الأغنية المصرية التى استعيدت عدة مرات وأثارت لغطا كبيرا .. ●



من اى بحر روَيتم منه ننسكبُ
وأى متنٍ ركبتم فوقه نثبْ
إنا بنو الشعر لانمشى بقافية
إلا واورق فيها العوسج الحطبُ !
همنا بفن القوافى دون بادرة
اوبذرةٍ .. لأميرٍ شاعر يهبُ ..
عرج علينا تجدْنا دون سدْرتها
انداء صدق بعصر كلهُ كذبُ
يُفدى بنا ويراح الدهر كوكبةً
مرّوا عجالى .. فلماً وثّبوا .. وثبوا ! ..

● ● ●

إن كان بينكم شعر الهوىُ يروى
فنحن فينا الهوى العذرىُّ والأدبُ
او كان افقكم مُزناً بلا سحبٍ
فالمُزن فى افقنا حبلى بها السحبُ
تهمى فخصب واد غير ذى شجر
الضفتان له .. والنهر ما يهبُ

● ● ●

لأى فرع سموتم نحن ننتسب
وأى درب سلكتم منه .. نتشعبُ
إن كان عندكم كرمٌ بلا عنب
إنا لدينا معا .. التين والعنبُ
او قيل من نحن ؟ قلنا فتية عشقت
تلك الديار فما مالوا ولا اغتربوا
او قيل من اين قلنا مصرنا وطن
والنيل جد لنا .. والشاطئان ابُ



عصابة من بقايا الفجر ادركها
البدء والمنتهى والحرف والغلبُ
نحن الشداة الألى للفجر عيِّرنا
انا قليلُ بها .. الجاه واللقبُ
مصر السما والحمى والجاه والرتب
مصر الذرى والقرى والمهد والحسب ..

● ● ●

الله أكبر كم فى الفتح من عجب
الله اكبر لافتحٌ ولا عجبُ !
هانت فلسطين من يبكى قضيتها
قضاتها العور .. ام اقيالها العربُ ؟
دمٌ تلظَّى على استار كعبتها
سالتْ مداداً به .. الاشعار والخطبُ !
غنَّيت للشعب .. من كالشعب اغنية
يُشدى بها .. وشداة القوم قد تعبوا !
شتان بين عروش تاجها ذهبٌ
وبين عرشٍ لنا .. اركانه خشبٌ ..!

● ● ●

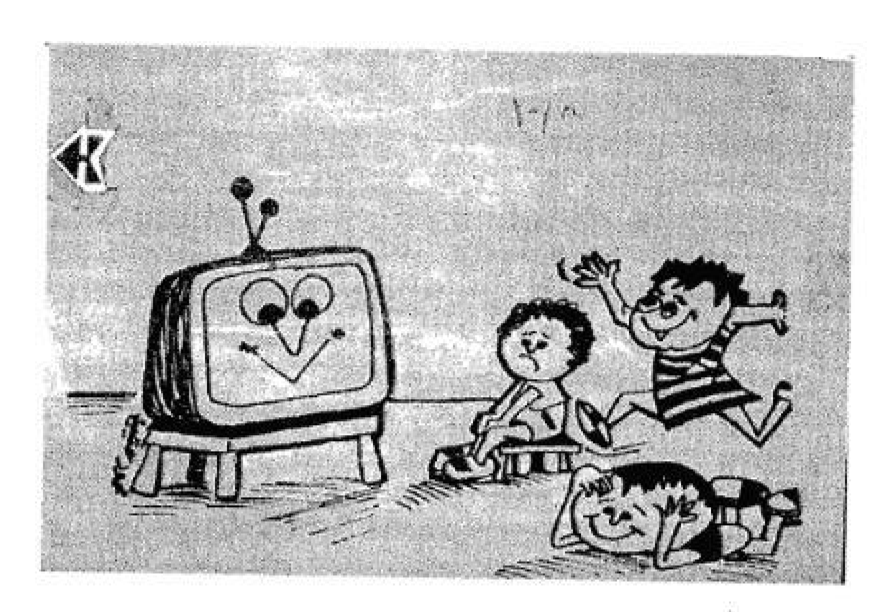
بيروت .. لاتينها حلو ولا العنبُ
بيروت .. لاقُرطها توتٌ ولا رطبٌ ..!
فانظر أمير القوافى مهد زحْلتها
واطرب لجارة واديك الذى اغتصبوا ..
مصر السما والحمى والجاه والرتب
مصر الذرى والقرى .. والمهد والكتُبُ

أخبار التليفزيون والطفل المصرى

بقلم الدكتورة : إنشراح محمد الشهال

فى عام ١٩٧٦ ، من طغيان المادة المستوردة - التى تحمل مضمونا اجنبيا - على حساب المادة المحلية ذات المضمون المحلى . فقد اتضح من خلال تحليل اسبوع صناعى من نشرات اخبار الساعة التاسعة التى تقدمها القناة الاولى ، ان نسبة الاخبار المحلية لا تشكل سوى ٤٥٫٩٪ فقط من المساحة الزمنية للنشرة ، وقلنا ان هذا «قد يشير الى ان التليفزيون فى سبيله الى ان يقود المشاهد نحو سياسة خارجية على حساب السياسة المحلية ، على حين ينبغى أن تكرس وسائل الاعلام اهتمامها لرصد الاخبار الداخلية للدولة ، والتى يفترض « وليبورشرام » ان تكون نسبتها مابين ٦٠٪ و ٩٠٪ من جملة الاخبار، لان كل زيادة فى نسبة الاخبار الخارجية يقابلها نقص فى نسبة الاخبار الداخلية وكثرة تعرض المتلقى للاخبار الداخلية يؤدى الى زيادة شعوره بالانتماء الوطنى، مما يزيد من التماسك الاجتماعى داخل الدولة .» وحذرنا عندئذ - كما حذر ايضا وولتر ليبمان - « .. من أن يؤدى ربط المشاهد بالاحداث العالمية على حساب الاحداث الداخلية الى بلبلة فكر المشاهد وابتعاده عن واقعه وبلده » وفى هذا نذهب كما ذهب روبير اسكاربيت » .. الى ان الاعلام فى الدول النامية التى تبحث عن هويتها ، يجب ان يتشابه والاعلام المحلى فى اية دولة متقدمة صناعيا ، والذى يجب ان تظهر فيه النزعة القومية Nation بكل ما تحمله هذه الكلمة من دلالات . الا أن هذه الرؤية لا تعنى اننا نرفض الاخبار الخارجية خاصة، وأن منها ما يمكن ان يمسنا بطريقة او باخرى . كل ما يهمنا هو انتقاء الاخبار بدرجة كافية من الوعى بخطورة الاعلام واهميته

واذا اخذنا ايضا بنتائج الدراسات الميدانية التى تشير الى اهتمام المشاهد المصرى - كغيره من المشاهدين فى مختلف دول العالم - بالاخبار المحلية اكثر من اهتمامه بالاخبار العالمية ، حيث بلغت نسبة اهتمام عينتنا المدروسة بالاخبار المحلية ٤٦٫٨٪ مقابل ٢١٫١ فقط بالنسبة للاخبار العالمية . وارتفعت نسبة مفضلى الاخبار المحلية فى البحث الذى اجراه اتحاد الاذاعة والتليفزيون المصرى عام ١٩٨٣ الى ٨٢٫٥٪ مقابل ٨٫٠١٪ فقط تفضل الخبر العالمى ، اذا اخذنا تفضيل المشاهدين فى الاعتبار ، لما وجدنا تعليلا مقبولا لتغلب الاخبار الخارجية على حساب الاخبار المحلية ، التى لم تتجاوز نسبتها ٢٨٫٥٧٪ من عدد



الاخبار التى قدمتها نشرة الساعة التاسعة فى العينة التى درسناها عام ١٩٨١ ، ارتفعت قليلا عام ١٩٨٣ فوصلت ٣٦٫٢ .

كل ما سبق يتعلق بدراسات تمت على النشرة الاخبارية « الرئيسية » التى تقدم على القناة الاولى فى الساعة التاسعة مساء .

وشى من البيان ، ان الطفل المصرى مشاهد جيد لبرامج التليفزيون ، وان النشرة الاخبارية ليست تمرا على المشاهدين الذين تخطوا مرحلة عمرية محددة . فالتليفزيون وسيلة بث تستقبل رسالة فى شكل جماعى . فهو ملك للاسرة كلها ، ولم يصبح بعد من الاجهزة الشخصية ، وخاصة فى الدول النامية حيث يوضع الجهاز فى البيت فى المكان الذى يمكن ان تتجمع فيه الأسرة ، بل يراعى فى مكان وضعه لدى بعض الاسر الا يتعارض مع استقبال الضيوف ، ان لم يكن يوضع خصيصا فى الغرفة المخصصة للاستقبال . كل ذلك لا ينفى ان يكون هناك بعض الاسر التى اصبح جهاز التليفزيون فيها وسيلة مشاهدة فردية — او على الاقل — انقسم فيها المشاهدون الى فئتين : الاطفال فى غرفتهم — الآباء فى غرفة اخرى .

وفى دراستنا هذه ، اتضح لنا انتشار جهاز التليفزيون فى المجتمع المصرى لدرجة فاقت كل توقعاتنا . فلم يتعد عدد الاسر التى ليس لديها جهاز تليفزيون فى المحافظات الثمانية المدروسة عشر اسر فقط من ٦٠٢ حالة ، من بينهم ثلاثة قالوا ان ملعيهم البروتستانتى يحرم مشاهدة التليفزيون ، وان كانت هذه الاجابة التى ادلى بها اطفال فى الثانية عشرة من عمرهم تحتاج الى وقفة متأنية .

وعلى كل حال ، يمكننا ان نقرر هنا ان انتشار التليفزيون فى مصر قد اصبح حقيقة ، وان عدد اجهزة استقبال البث التليفزيونى فى مصر قد تخطى الحد الادنى الذى اقرته اليونسكو وهو ٢٠ جهاز لكل الف شخص ، حيث وصلت هذه النسبة فى عينتنا المدروسة فى يناير ١٩٨٥ الى اكثر من ٩٧٨ جهازا لكل ١٠٠٠ اسرة فاذا افترضنا ان معدل متوسط عدد افراد الاسرة فى مصر هو سبعة افراد « خمسة ابناء والاب والام » ، كان لدينا ولنا للعينة المدروسة اكثر من ١٣٩ جهاز لكل ١٠٠٠ نسمة ، بصرف النظر عن اسلوب المشاهدة الجماعية للتليفزيون .

ومن خلال دراستنا الميدانية ، اتضح لنا ان الطفل المصرى يشاهد ايضا نشرات الاخبار التى يقدمها التليفزيون

أخبار التليفزيون والطفل المصري

وقد بلغت نسبة مشاهدة نشرة الاخبار في العينة المدروسة ٧٣٫٤٪ « ١٣٣ مفردة من بين ٤٦٠ حالة » ، دون ان نتعرض لباقي المواد التي يشاهدها الاطفال على شاشة التليفزيون ، اي ان نسبة تعرض الاطفال الذين لديهم جهاز تليفزيون في المنزل لنشرة الاخبار تصل الى ٧٤٪ « ٣٣٣ حالة من ٤٥٠ » .

اما عن نشرة اخبار الطفل ، التي تقدم يوم الجمعة من كل اسبوع ، لقد وجدنا أن نسبة اقبال الاطفال عليها تقل قليلا عن مشاهدتهم لنشرة الاخبار العادية ، فقد بلغت نسبة مشاهدة الاطفال للنشرة الموجهة اليهم ٦٧٫٦٪ « ٣١١ حالة من حجم العينة المدروسة » ، اى ٦٩٫١٪ بالنسبة للاطفال الذين لديهم جهاز تليفزيون في منازلهم . وقد يرجع عدم اقبال بعض الاطفال « من سن ١٠ ـ ١٢ سنة » على هذه النشرة المسماة بنشرة اخبار الطفل ، واقبالهم على النشرة الاخبارية العادية ، الى ان تعرضهم للاخيرة يتم في مناخ المشاهدة الجماعية في الاسرة ، كما ان بعضا منهم قد ذكر ان نشرة اخبار الطفل دون المستوى ، ولذلك يمنعهم بعض افراد الاسرة من مشاهدتها في مقابل ذلك ، وجدنا من بين الاطفال المبحوثين من يقرر ان امه تفتح التليفزيون خصيصا لكي تجعله يشاهد النشرة .

وبتحليل عشرة نشرات اخبارية من التي تقدم للطفل المصري ، وجدنا انها لا تخرج اكثر من البرنامج التليفزيوني المعروف باسم « ثالثة على العالم » . بل ان بعض مواد النشرة احيانا هي نفس المواد التي تذاع من خلال ثالثة على العالم » .

ومن اهم نتائج التحليل التي نعرض في ذكرها هنا ان نشرة اخبار الطفل قد اصبحت فترة اخبارية متنوعة تشمل اخبارا تقدم باللغة العربية ، واخبارا اخرى مختلفة عن الاول تقدم باللغة الانجليزية ، واخبارا مختلفة غالبا عن سابقتيها تقدم باللغة الفرنسية ثم تقريرا بحالة الجو خلال الاسبوع التالي ويقدم باللغة العربية .

ومن الجدير بالذكر هنا ، ان مستوى اللغة التي تقدم بها النشرة الانجليزية والنشرة الفرنسية ، وطريقة قراءتهما لا يمكن ان يفهم الا من الاشخاص الذين تجاوزوا الثانية عشرة من بين هؤلاء الذين يدرسون ـ او درسوا ـ في مدارس اللغات . اي ان هاتين النشرتين موجهتان اساسا لمن يجيدون احدى اللغتين . فاذا اخذنا في الاعتبار المرحلة العمرية التي تقدم اليها هذه النشرة ، والتي اقر بعض الاطفال في العينة المدروسة ممن لم يتجاوز عمرهم الثانية عشرة انهم لا يشاهدون نشرة اخبار الطفل لانها اقل من مستواهم ، مما يتوافق مع نتيجة بحث آخر اجريناه على عينة من الاطفال في معرض الكتاب حيث قال بعض منهم انهم لا يتابعون برامج الاطفال التي يقدمها التليفزيون لانهم « كبروا » اذا اخذنا كل ذلك في الاعتبار ، نستطيع ان ندرك عدم جدوى تقديم هذه النشرة باللغات الاجنبية الا بعد اجراء دراسة ميدانية موسعة لمعرفة مدى الاقبال عليها

اما اذا كان الغرض من نشرة اخبار الطفل باللغات الاجنبية هو الوصول الى ابناء الجاليات الاجنبية المقيمين في مصر فاننا نتساءل عن عددهم حتى نخصص لهم وقتا في البث التليفزيوني ، وماذا نقصد من ذلك ، خاصة وان التحليل قد اثبت ان معظم ما يقدم من اخبار

باللغة الانجليزية والفرنسية اخبار أجنبية من حيث المضمون والمصدر ».. واذا كان الغرض من تقديم هذه النشرات الاجنبية تقوية الاطفال فى احدى اللغتين ، فيمكن ان نحقق هذا الهدف بالاسلوب المباشر من طريق تدريس اللغة نفسها وليس بهذا الاسلوب الاحباطى ، وهذا يقودنا الان الى الحديث عن مضمون هذه الاخبار

تضمنت النشرات العشرة التى قمنا بتحليلها ١٤٠ خبرا ، ٤٠ منها لموضوعات تتعلق بمصر و ١٠٠ خبر لموضوعات تتعلق بدول أخرى . اى ان نسبة الاخبار المحلية بالنسبة لمضمونها فى هذه النشرات لم تتجاوز ٢٨ر٥٧٪ من عدد الاخبار وهى نسبة ضئيلة جدا !

واذا نظرنا الى بقية موضوعات الاخبار محل البحث وجدنا ان بها خبرين فقط لموضوعات خاصة بالعالم العربى وثلاثة اخبار لدول أخرى من العالم الثالث التى تنتمى مصر اليها . اى أن نسبة الاخبار التى يمكن أن تمس الطفل المصرى من حيث المصدر فى هذه النشرات لا تتجاوز ٣٢ر١٤٪ فقط مقابل ٦٧ر٨٧٪ «٩٥ موضوعا » لدول العالم الاخرى ».

فالى اين نقود الطفل المصرى ، الى العالمية ام الى القومية ؟ الى «العربية» أم الى الانتماء الوطنى ؟ ..

أسئلة كثيرة يمكن أن نطرحها الان ، والاجابة يمكن أن تكتشفها بسهولة من خلال اجابات الاطفال فى الدراسة الميدانية ، والتى تشير اشارة واضحة الى اهتمام الطفل المصرى بالطفل العالمى الذى يراه ويتابعه بوضوح من خلال وكالات الانباء والصور والشبكات العالمية التى يعتمد عليها التليفزيون المصرى فى اختيار موضوعاته ».

ومن الموضوعات الجديرة بالدراسة فى النشرات الاخبارية اختلاف عدد الاخبار من نشرة الى اخرى ». لقد وصل عدد الاخبار فى النشرات المدروسة فى العينة الى ١٤٠ خبرا اى بمعدل ١٤ خبرا فى النشرة الواحدة ، وهو رقم كبير بالنسبة لنشرة تقدم للاطفال ، خاصة عندما نعرف أن تذكر الاطفال للأخبار التى تقدم فى هذه النشرة فى الدراسة الميدانية التى اجريناها لم يتعد خبرين . وقد يرجع السبب فى تقديم هذا الكم من الاخبار فى النشرة الواحدة الى تعدد اللغات التى تقدم بها النشرة حيث يتراوح عدد الموضوعات فى النشرة المقدمة باللغات الثلاث ما بين ١٨ و ٢١ خبرا . اما بالنسبة للنشرات الاولى والتى كانت تقدم باللغة العربية فقط ، فقد كان عدد الموضوعات فيها يتراوح ما بين ٧ ، ١٣ موضوعا .. أى ان عدد الموضوعات فى النشرة الواحدة غير ثابت ويتغير من نشرة الى اخرى ، وهذا الاسلوب غير مقبول من وجهة نظرنا الخاصة ، لاننا نحمل التليفزيون مسئولية نود أن يقوم بها ، وهى لا تقل فى أهميتها عن مسئولية البيت والمؤسسات التعليمية فى تنشئة الفرد .

وقد يرى البعض ان اختلاف عدد الموضوعات الاخبارية من نشرة الى اخرى لا يشكل اى مشكلة ، ولا يؤدى الى اخطار يمكن ان نتخوف من أن تنجم عنه ، ولكننا هنا لا نشير فقط الى عدد الموضوعات غير الثابت داخل النشرة ، بل نشير ايضا الى هذا التذبذب فى طول النشرة الذى يتارجح فى العينة الملحوصة ما بين ١٦ دقيقة و٢٤ دقيقة. اى اكثر من الضعف .. ناهينا عن توقيت البث ، الذى يتقدم ويتاخر .. فماذا يمكن ان يتعلمه الطفل من خلال كل ذلك ؟



عرباجندا
الحكيم
بقلم : مصطفى عبد الغنى



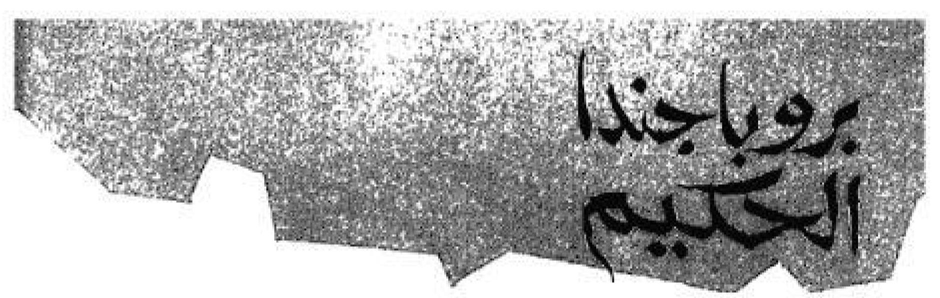
هناك وجه اخر مغاير لهذا الاديب

فاذا كنا نعلم ان توفيق الحكيم قد ناهز التسعين عمرا ، وجاوز الستين عملا ، وعرف فى كل المحافل والمراكز الثقافية العربية منها والعالمية ، فان الوجه الاخر ، الظاهر الخفى ابدا يمثل مفتاحا هاما من مفاتيح شخصية هذا "الحكيم" . من يمتلكه يمتلك معه تفسيرات كثيرة ومثيرة

وقد تمثل هذا الوجه فى الهالة المضيئة التى تحيط باسمه ، التى تتمثل فى (البروباجندا) التى اقامها لنفسه او حول نفسه ، غير انه عند التريث العلمى سرعان مايزول وهج هذه الهالة ، ومع ذلك ، فانه لامندوحة منه لكشف الرؤية وجلائها ، وهو ماتمثل في تلك الضجة التى تصدر عن الحكيم من ان الى اخر ، او تصدر عنه بين كل عهد وعهد جديد

فلنحاول كشف هذه (البروباجندا) وتبين مساحات الصورة فيها ..

ان من يطالع صحف الثلاثينات خاصة ، وهو العقد الذى شهد ازدهار الحكيم حين كتب اهم اعماله · عودة



الروح (١٩٣٣) ، اهل الكهف (١٩٣٣) عصفور من الشرق (١٩٣٨) ، شهرزاد (١٩٣٤) ، براكسا او مشكلة الحكم (١٩٣٩) .. الى غير ذلك ، يلحظ ان الحكيم يمثل فى هذه الصحف بما يحاول ان يشغله مساحة شاسعة ، فمن يحاول اعادة قراءة هذه الكتابات له ، او عنه ، بروعه ، انها كلها تدور حول تصنع الاعتراض على أمر اجمع معاصروه على الموافقة عليه ، والالتفات حوله ، او ، تعمد الخروج على كتابه بامر يضعه فى خانة الغرابة والشذوذ .

الخروج من خانة المجموع الى خانة الفرد ..

من تهادى التيار الى الوقوف امامه ..

ففى هذه الفترة عرفنا (مودات) كثيرة .. عداوته للمرأة وكراهيته لها فى وقت كانت الدنيا تقوم ولاتقعد من أجل حصول المرأة على حقوقها ، ووضعها فى وضع مساو للرجل ، وفى الوقت الذى كانت الاحزاب المصرية فيه قد ائتلفت فى عام ١٩٣٦ للحصول على صيغة الاستقلال السياسى فى معاهدة ١٩٣٦ ، وماتبعها من محاولات الحصول على الحرية والديموقراطية والتحرر الداخلى وما الى ذلك .. فى هذا الوقت يخرج الحكيم لاعناً مجلس النواب غاضبا على الحزبية رافضا لكثير من اشكال التطور السياسى فى هذا الوقت

وفى العقد التالى تعلو نبرة غير مألوفة فى صوت الحكيم وفى هذه الفترة اذ تتضح رموز اختلافه ومفارقته عن المجموع حين نشهد فى هذه الفترة الايغال فى موقفه من المرأة ، وتدفع به رموزه الكثيرة من امثال : (عصا) الحكيم ، و(بيريه) الحكيم ، و(حمار) الحكيم الى وضعه "جسديا وفكريا" فيما يسمى (البرج العاجى) ليعزله عمن حوله مزينا لمعاصريه انه حريص عليه .

ومن يطالع مقالاته السياسية حينئذ والتى جمعها فيما بعد فى كتابين بعنوان (مقالات فى السياسة) و(تحت شمس الفكر) بين عامى ٣٨/ ١٩٥٤ يروعه تنصل الحكيم من الانتماء السياسى او الاجتماعى او الحماس له ، وحرصه الشديد على الاختلاف الفكرى وولوعه بعدم الالتزام بفكر معين او الميل لمذهب مميز او التمسك - حتى - بأى شىء .

وهذه هى الفترة التى يشاع فيها عنه صفة (البخل) التى حاول الصاقها بنفسه عامدا ، متعمدا مقلدا بعض شخصيات الجاحظ الذى تاثر به لغويا وفكريا الى حد بعيد وذلك منذ بداية حياته الادبية ، فمن المعروف انه لم يؤثر فيه كاتب مافى الشرق او الغرب بقدر ما اثر فيه الجاحظ وشخصياته الفنية ومنهجه فى التناول كما اكد لى (مقابلة خاصة فى اواخر عام ١٩٨٢) معتقدا ان فكرة (البخل) ان تضفى عليه

من علامات الملح والطرافة مالاتستطيع اية فكرة اخرى ان تمنحه اياها قط .

وقد فطن عدد كبير من معاصريه لهذه الملح والدعابات التى كان يغلوبها ويغالى فى الفن ليظل دائما فى قمة الموجة او على قمة الموجة الممتدة الى اعلى .. وقد لاحظ هذا وكتب بالفعل عدد كبير ممن عرفوا عن قرب مثل طه حسين ، ومن الجيل التالى له د . يوسف ادريس ويمكن ان نتوقف خاصة فى هذه الفترة عند مجلتى (الرسالة) و(الثقافة) وصحيفة (الوادى) فى كثير من اعدادها لنرى الحكم الظاهرة ، ونرى توصيف طه حسين لها وفى شكل لم يكن ليخلو لديه من دهشة وعجب شديدين .

فى ١٠ يونيو ١٩٣٤ ، على سبيل المثال ، يكتب طه حسين فى (الوادى) مقالة بعنوان (رد على الدولة) ، ويقصد بالدولة هنا توفيق الحكيم لما ابداه من لهجة متعالية فى الحديث عن نفسه وعن القضايا التى يتعرض لها ، وفى ١٧ يونيو يكتب مقالا آخر تحت عنوان (الاديب الحائر) - قصة تمثيلية - يرسم فيها خطوط هذه القصة التى يسرد تصرف الحكيم معه ، اذ كان يسر طورا ويغضب طورا آخر ويتصنع السرور مرة اخرى دون ماسبب واضح بعباراته العنيفة التى يوجهها فى رسالة الى طه حسين جاء فيها (لست احد يخاطبنى بلسان التشجيع فما انا فى حاجة الى ذلك) ، مضيفا طه حسين ان هذه اللهجة لايملكها غير الحكيم الا رئيس الوزراء .

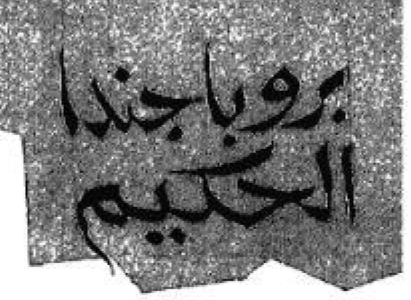
وقد ترددت هذه العلاقة بالرسالة المنشورة فى الصحف بين الحكيم وطه حسين فى عجب شديد من طه حسين وتصنع شديد من الحكيم ، فالحكيم يرسل مرة فصوله الى طه حسين ليقرأها ويراجعها ، ويحتد إذا سمع الراى عنها وهو مرة اخرى يظهر الرضا لصديقه طالبا منه ان يكتب له مقدمة لمسرحيته (اهل الكهف) حتى اذا ماابدى طه حسين موافقته يفاجأ بطبعها ونشرها دون اعلامه بهذا .. وقد كان لابد ان ينقضى وقت طويل حتى ينتقل طه حسين من طور الاعجاب والصداقة الى طور الفهم والامعان فى الفهم الذى راح يترجم فى كتاباته عن موقف الحكيم فى هذا الوقت ، اذ استطاع الحكيم بعد ان اصطنع معركة وهمية ضد المراة ، داعيا اياها بالعودة الى البيت من اجل صنع (صينية البطاطس) ان يصل الى منصب وزارى ، فانشات وزارة الشئون الاجتماعية ليصبح مسئولا عنها ، وحينئذ ، كان لابد لطه حسين ان يدرك نية الحكيم وسوء طويته وعبثه بالمهمة التى وكل بها فخصص مقالة كاملة عنه اسماها (مدرسة الازواج) فى مجلة الثقافة (١٢/ ١٢/ ٣٩) عن هذه الوزارة التى وصفها بانها لم تخلق غير (مادة للكلام .. ومادة للدعاية) ، وقد تنبه فيها لادارة الدعاية التى انشأها الحكيم واصفا اياه بانه (مدير الدعاية) ومايقدمه فى وزارته لم يعدو أن يكون (لونا من الوان الدعاية وفن من فنون الاعلان) سائلا :

(متى يرحمنا الله من الاعلان ؟)

(ومتى تقتصد وزارة الشئون الاجتماعية من الاعلان ؟)

(ومتى يكلف الاستاذ توفيق الحكيم شيئا غير ادارة الاعلان ؟)

ومن الجدير بالذكر انه فى الوقت الذى كان يتجه فيه الحكيم هذه الوجهة



التى كانت تدل على شغفة بالدعاية لنفسه ، كان طه حسين يتجه وجهة اخرى ، الى المجتمع الذى يفتقد الى تحقيق العدالة ، وهو مايفسر انه فى نفس السطور وجه طه كلماته الى الحكيم والى امثاله ممن يزعمون انهم يبحثون عن الاصلاح بينما يتخذونه مادة لانفسهم ، وهو مايضطرنا هنا لنقل هذه الفقرة ، يقول :

(العدل العدل ايها السادة ، العدل الاجتماعى وحده هو قوام الاصلاح ، هو سبيله ، هو غايته ، وهو كل شىء وقد كنت اظن ان وزارة الشئون الاجتماعية قد انشئت لتحقيق هذا العدل الاجتماعى)

وقد زخرت كتابات طه حسين طيلة الاربعينات بهذا المعنى فى وقت كان يمضى الحكيم فى الاتجاه الاخر ، ويغلو فيه ، الى درجة ان طه حسين قال وهو يصف الحكيم صراحة فى الاهرام (١٠ يوليو ٤٠) بمامعناه ان (توفيق الحكيم وامثاله من عشاق الدعاية وطلاب الادب اليسير)

وقد امتدت هذه الفترة التى كانت تشتعل من أن لاخر بالخصومة المفتعلة حتى ثورة ٥٢ ، ظل الحكيم بعدها يتبوأ مكانة محمودة بما وهب من حذق فى ادارة فنون (البروباجندا) ولكن لحسابة الخاص كما سنرى .

وتقوم ثورة ٥٢ فى مصر ، وكان لابد للحكيم من أن يغير اسلحته ، ويبدل اساليبه .. فاذا هو يحيا فى اسطورة (عودة الروح) التى قيل وقتها عنها انها أثرت فى جمال عبدالناصر ، وقد حظى لهذا بمكانة استطاع بها أن يظل فى دائرة الضوء الى درجة تكريمه فى وقت هوجم فيه بعنف من بعض المثقفين .

وبمجرد رحيل عبدالناصر ، كان لابد للحكيم ان يعيد حساباته لتستمر هالة (البروباجندا) التى اقامها حول رأسه دائما .. ففى هذا الوقت تتوالى رموزه المميزة ، المفتعلة ، وفى كثير من المواقف التى كان منها ، انه ، أثار ضجة كبيرة فى حواره مع اليسار المصرى (يناير - سبتمبر ٧٥) بخلافه واختلافه مع هذا التيار التقدمى فى مصر ، ومالبث ان خرج بعد عشرين عاما على معاصرته للزعيم الراحل وتبوأه فى عصره مكانة فريدة بكتابه المعروف (عودة الوعى) (٧٤) ، وبعد ذلك بكتابه الوثائقى الاخر (فى طريق عودة الوعى) ٧٥ ، إذ أثار فيهما الكثير من الجدل والنقاش ، وفى غضون عام ٧٨ دعا الى ماعرف (بحياد مصر) اسوة بسويسرا والنمسا ، ولم تمض سنتين أخرتين حتى خرج علينا من جديد بهجومه الحاد على يوسف ادريس ، متهما اياه ، بانه ، (وبالسخرية الاتهام الذى يوجه للغير) يضخم ذاته بالاعلان من آن لاخر على انه خالق القصة القصيرة ، وتتتالى مواقفه حتى خرج علينا اخيرا بحديثيه (حديث مع الله) و (.. الى الله) كأحد الرموز المميزة التى حرص عليها منذ فترة مبكرة من حياته الفنية .

وعلى هذا النحو ، يظهر جليا ملامح

الوجه الآخر ، المغاير ، فاذا كان الوجه الاول يتمثل فى انتاجه الغزير بين قصة ورواية ومسرحية وسيرة ذاتية ومقالة حوارية .. فان الوجه الاخر يمثل هذه (البروباجندا) التى تؤثر ، دون شك ، عند تقييم نتاج الحكيم علميا .. غير ان تاثيرها يمضى فى الاتجاه الاخر ، حيث يتاثر جموع القراء وتزيف لهم القيم الثابتة او الكامنة فى العقل الخفى ، فضلا عن انعكاس هذا كله فى موقف الكاتب من القرار السياسى وتحديد مدى مسئوليته فى اتخاذه من قبل الحاكم فى فترة من فترات حياته .

لنحاول ، اكثر ، الاقتراب من مساحات الظلال فى هذا الوجه ..

لاشك ان هذا الوجه الذى يحرص الحكيم على الظهور به من ان لآخر هو وجه مؤثر يريد به صاحبه ان يظل دائما فى دائرة الضوء ومركز الابهار فيها بما يبذله من تواصل الاعلان لنفسه والدعاية لها ، فهو لايستطيع الحياة على حد قول يوسف ادريس (الا محاطا بهالة اهتمام ربما اكثر بكثير مما يقوله ويفعله) . وهو حرص لم ينج منه كثير من كتابنا فى فترة من فترات حياتهم الفكرية ، غير انه عند الحكيم يظل اكثر لمعانا وابهارا

ويؤكد هذا ـ وهو ليس فى حاجة لتاكيد ـ انه بعد ان تهدا المعارك حول قضية من المعارك التى يثيرها ويشارك فيها الكثيرون معه ، او ضده ، سيان ، فان الحكيم نفسه بعدها يعود ليصبح ملكيا اكثر من الملكيين انفسهم .

وعلى سبيل المثال ، فان اسطورة (كراهيته للمراة) . ومن واقع دراسة

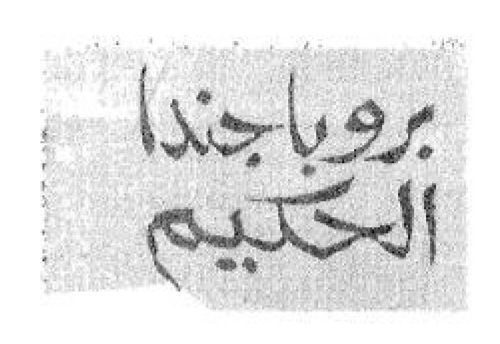


اعماله خاصة ، يتاكد لنا ان علاقته بالمراة هى علاقة لايجب ان يشوبها نوازع الدعاية او العمل لها فى اى اطار

وهو فى معركة اخرى مثل معركة (حياد مصر) عاد بعد انتهاء المعركة الطويلة بما خلفته من حبك خيوط (البروباجندا) حوله ، ليعلن على حطامها ايمانه بالقومية العربية اكثر من ذى قبل .

وهو بعد ضجة (عودة الوعى) ، يصرح اكثر من مرة انه لم يخلص من حب عبدالناصر والشغف به ، كما لم يقصد مهاجمته أو النيل منه شخصيا .

ويلحظ ان كتابات الحكيم الاخيرة تحتوى اما فى المقدمة واما فى الخاتمة على مقتطفات طويلة نوعا ما عمد صاحبها ان يضمنها الكتاب فى طبعته الاولى

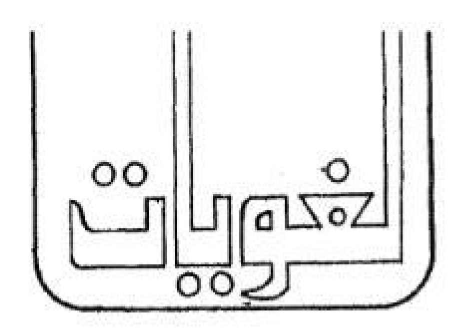


طبعاته الاخيرة لعدد كبير من الكتاب الغربيين خاصة ممن راحوا يشيدوا له بهذا العمل او ذاك ، أويثنون على هذا التوفيق فى عرض الفكرة والبراعة فى الاستهلال ، فضلا عن تخصيص فى المقدمة صفحات كثيرة عبارة عن (ثبت) يدون فيها الكتب التى نشرت للكاتب بالعربية ، او فى لغة غير عربية بعد ترجمتها ، فضلا عن ذكر عديد من المراجع الاجنبية الكثيرة عن (فكر المؤلف) .



ويمكن ان نلحظ فى هذا السياق ايضا انه ماتكاد تمضى معركة يختلقها الحكيم أويروج لها حتى تخلف وراءها له كتابا أو كتبا يستفيد من نشرها والأمثلة لاتنتهى : عودة الوعى ، وثائق عودة الوعى ، الاحاديث الاربعة .. فضلا عن الكتب التى يروج لها فى دور النشر ، وهى مقالات تحمل اسم الحكيم ، وتتضمن تجميعا متنوعا لبعض مقالاته التى تلضم فى خيط واحد ، مصطنع دون شك ، وتأخذ اسما واحدا وتطرح باسم بعينه مثل كتاب يحمل عنوان (الحكيم ساخرا) صدر عن دار المعارف بمصر .

وعود على بدء ، فان وجه توفيق الحكيم ، الأخير ، بدا لامعا ، لما يثيره من آن لاخر من المعارك الجانبية والرئيسية ، ربما يتحمس له الى حد الافتعال (لا الانفعال) ، وهو وجه ، مهما يكن من جوانبه الايجابية من تحريك لسطح البحيرة الراكد ، فله ، حتما ، جوانب سلبية يطغى فيها صاحب العمل على العمل ، وتختلط الظلال بالاضواء حتى تتحول حركة المثقف الى شىء اشبه بالبندول فى مساحة الوعى العربى وقضاياه



● من الكلمات التى يستعمل العامة الآن لمعنى واحد وهى لمعنيين ، كلمة " الطرب " فهم يستعملونها لمعنى الفرح والسرور عند سماع الغناء ـ مثلا ـ ولكن هذه الكلمة يمكن استعمالها ايضا لمعنى الجزع أو الحزن ، لأن " الطرب " خفة تصيب الانسان فى الفرح أو الحزن او الجزع . قال النابغة الجعدى يصف حزنه لفراق اصحابه :

وارانى طَرِباً فى إثْرِهِمْ
طَرَبَ الواله أو كالمختَبل

● كلمة " الحشمة " لها معنيان ايضا .. احدهما " الغضب " والآخر " الحياء ".. وقد سئل العلامة الكبير المبرد : الحشمة هى الغضب ، والحشمة هى الحياء .. ما معنى هذا ؟ ! .. فقال : الغضب والحياء كلاهما نقص يلحق النفس ، فكان مخرجهما " اللغوى " واحدا .. ويسمى حشم الرجل حشما لانهم يغضبون لغضبه ويستحيون منه ايضا

● " القافلة " هى العير أو الابل العائدة من السفر لا الناهضة الى السفر ، ثم سميت كل عير بالقافلة ، تفاؤلا بقفولها سالمة ، كما سميت الصحراء بالمفازة ، تفاؤلا بالفوز فى قطعها والنجاة من اخطارها ..

● يكتب الأدباء فى رسائلهم الى إخوانهم : " حياك الله وبيّاك ".. وأصل معنى " حيّاك " هو التمليك ، اى "ملّك الله ".. بتشديد اللام ، والتحية هى الملك ، ومنه "التحيات لله" يراد بها : الملك لله .. اما " بيّاك الله " فمعناها : اعتمدك الله بالملك والخير .. ومن معانيها : أضحكك ، وجاء بك ..

● يقال : استأصل الله شأفته ، والشأفة هى قرحة تخرج فى القدم فتكوى فتذهب وتنقطع ..

● ويقال : " بالرفاء والبنين ".. يدعى بذلك للمتزوج .. والرفاء الالتحام والاتفاق ..



بقلم : محمد العائش القوتي

شهدت تونس قيام أول فرقة للمسرح في بداية سنة ١٩٠٨ [illegible] « النجمة » وقبلها زارت تونس فرقة مصرية يرأسها [illegible] القرداحي وقدمت عروضا كثيرة في العديد من المدن التونسية وخلال سنة ١٩٠٩م عاجلت المنية سليمان قرداحي بعد مرض قصير ... عاد بعض افراد فرقته الى مصر وبقى البعض الا[illegible] فعرض عليهم التونسيون الذين اسسوا فرقة النجمة تأسيس فرقة مشتركة اطلقوا عليها اسم الفرقة التونسية ـ المصرية ـ وقدمت هذه الفرقة باكورة اعمالها فكانت مسرحية نديم او صدق الاخاء تأليف اسماعيل عاصم (التي تم اعادة اخراجها للمسرح وتمثيلها من قبل الفرقة القارة للتمثيل بالكاف خلال اسبوع المسرح التونسي ـ نوفمبر ١٩٧٠م) وهي من اخراج كمال العلاري واختيار هذا النص مرتبط بذكرى مرور سبعين سنة على نشأة المسرح التونسي لذلك فان نص المسرحية وثيقة تاريخية باعتبارها اول عمل يشارك في تمثيله وتقديمه باسم الجوق ـ التونسي المصري سنة ١٩٠٩م .

فرقة جورج ابيض ... فرقة يوسف وهبي ... رحلة زكي طليمات الى تونس

ـ جاءت فرقة جورج الابيض الى البلاد التونسية سنة ١٩٢٩م وقدمت مسرحية « عطيل » وتحركت في الوطن العربي طولا

وعرضا واستفادت من وحدة الجمهور العربي ولم تقتصر في نشاطها على مصر وحدها فرحلة جورج ابيض الى تونس حيث بقى عدة شهور يدرب مجموعة من الشبان على اصول الفن المسرحى من بينهم الاستاذ المرحوم محمد الحبيب للاستفادة من خبرته المسرحية بل انه تتلمذ له عند اقامته بتونس وكذلك بالنسبة للاستاذ المرحوم البشير متبنى والاستاذ محمد العقربى اللذين لهما شأن كبير فى المسرح التونسى المعاصر وكذلك فرقة يوسف وهبى زارت البلاد التونسية آنذاك فى عهد الاستعمار الفرنسي وعرضت جل اعمالها التى بلغت شهرتها المشرقين وهى المعروفة باسم فرقة « رمسيس » فقد كانت هذه الفرقة تعتمد اعتمادا اساسيا على رحلاتها الى البلاد العربية وعلى تقديم عروضها امام الجماهير العربية الواسعة .



رقص شعبي في قرية المقطة بجنوب تونس

١ - فرقة مدينة تونس للمسرح

كانت تعرف باسم الفرقة البلدية للتمثيل واول نشأتها كان سنة ١٩٥٣ م على يد الفنان التونسى حمادى الجزيرى الذى تخرج في فن المسرح بفرنسا فقد رصدت له البلدية مبلغا ماليا ليتولى بعث الفرقة تنفيذا لاقتراح تقدم به آنذاك الى الشاذلى القسطلى احد الرؤساء المساعدين لبلدية تونس العاصمة فى حين نشأة المسرح فى تونس يرجع الى سنة ١٩٠٨م ثم كانت التجربة الثانية للفرقة على يد الرجل المسرحى المصرى زكي طليمات الذى تولى ادارتها سنة ١٩٥٣م . فاخرج عدة مسرحيات من بينها : أوبريت شهرزاد ومسرحيتى (يوليوس قيصر » و « ابن جلا » وكانت الفرقة تعتمد عناصر تمثيلية هاوية ونصف محترفة وحوالى سنة ١٩٥٦ م تم تركيزها على اسس متينة وقد جاء طليمات مرة ثانية الى تونس وتكونت الفرقة في معظمها من عناصر متخرجة من معهد التمثيل او ذات مواهب مثل « نور الدين القصاوى - جميل الجودى - محمد الرشيد قارة - نرجس عطية - منى نور الدين - واضيف الى هذه العناصر عناصر قديمة مثل حمدة التيجانى والهادى السعلالى .والزهرة غائزة - وامتزجت تجربة القدامى مع انطلاقة العناصر الشابة وقدمت الفرقة مسرحيات منها (صقر قريش) (ولد أشكون هاالمغبون) (الغيرة تذهب الشيرة) .



تونس وفن المسرح

وغادر زكي طليمات تونس بعد انتهاء عقده مع بلدية تونس العاصمة عائدا الى مصر وخلف على رأس الفرقة مساعده محمد العقربي وكان من بين المسرحيات التي قدمتها مسرحية (ولادة ابن زيدون) بمشاركة فتحية خير ثم تولى ادارة الفرقة حسن الزمرلي المؤسس والمدير السابق لمعهد التمثيل فقدمت عددا من المسرحيات الكلاسيكية والعصرية ثم كانت الانطلاقة الجديدة فى الستينات فى عهد على ابن عياد وعرف المسرح التونسي على يديه وجها جديدا بل انه فرض فيه الممثل التونسي لا فى الداخل فقط بل وعلى الساحة العالمية وتوفى على ابن عياد فجأة بفرنسا حيث كان يعد العدة ليقدم عرضا مسرحيا باللغة الفرنسية يخدم القضية الفلسطينية تقوم به فرقة مدينة تونس ، وبعد وفاته تولى ادارة الفرقة محسن بن عبدالله احد افراد الفرقة ثم خلفه في الادارة الفنية المنصف السويسي الذى كان مديرا فنيا لفرقة التمثيل المحترفة فى مدينة الكاف فأعطى نفسا جديدا فى إخراجها ومن بينها سيدى بنادم و ليلة من الف ليلة و اللغز ومولاى السلطان الحسن الحفصي وبعد سفر المنصف سويسي لادارة فرقة تمثيلية فى الخليج العربى تولى ادارة الفرقة ثلاثى مؤلف من عبدالمجيد الاكحل والبشير الدريسي وعبداللطيف بن جدو وهى الادارة الحالية فى انتظار تعيين مدير جديد للفرقة التى قدمت فى عهد هذه الادارة الثلاثية بعض المسرحيات من بينها : اوبريت ـ وبين نومين والسيرك ـ عرضت هذه المسرحية المذكورة اخيرا ـ السيرك بقاعة الافراح بمنجم المتلوى سنة ١٩٨١ (وعبدالله الزغوانى) .

فرقة مدينة تونس تحت ادارة المرحوم على بن عياد

اهتمت بالمسرح الشعبى وقدمت ٢٣ مسرحية وهى تعتبر أخصب فترة عرفتها هذه الفرقة منذ تأسيسها الى يومنا هذا (المسرحيات العالمية) على بن عياد لم يتجاوز اسلوب جان فيلار ونظرته للأشياء بحيث ان الذى يهمه ـ اولا وقبل كل شيء ـ هو اناقة العرض ونظافته وابهار المتفرج والسيطرة على اعصابه وتطهير نفسه من ادران انفعالاتها بالضرب على اوتار الخوف والشفقة فيها بالاعتماد على مانسميه بالايهام حيث يصبح العمل المسرحي محاكاة للطبيعة وتقليدا لمختلف مظاهرها وايهاما للمتفرج بان ذلك هو الواقع ليظل (دخيلا) حتى النهاية غريبا حتى يسدل الستار مستسلما لمشيئة المخرج (المسرحيات العالمية) التى لايقبل عليها الا الذين يتمتعون بثقافة عميقة شاملة يؤمنون المسرح بدافع التقليد و (السنوبيزم) لم تتناسى تلك المسرحيات الهزيلة التى يدعى اصحابها (النزول عند رغبة الشعب) اى انها من هذه الناحية لاتختلف عن الفرق الهاوية الضاربة فى متاهات الاسفاف إيمانا بمسيرها بتحقيق التعايش السلمي بين

الانواع المسرحية ولوادى بها ذلك الى فقدان بعض رصانتها والتزاسها بتقديم مسرحيات «الوزن الثقيل» البدايات الجادة التى بادرت بها فرقة مدينة تونس كمساهمة اولى للخروج بالمسرح من اشكاله الكلاسيكية الاولى نحو اشكال اكثر جمالية وعمقا وكذلك تجربة المنصف السويسى فى فرقة الكاف عندما اجتهد بقدر كبير فى مد شبكة العروض المتكررة داخل الجمهورية واستطاع ان يؤسس العادة المسرحية ادى الجماهير.

توفى على بن عياد ذات ليلة من ليالى فبراير سنة ١٩٧٢ م بباريس لقد اعطى الكثير للمسرح التونسى بتمثيله المبدع للادوار فى عدد من روائع المسرح العالمى او باخراجه الذكى لاثار مازال الجمهور يحمل عنها ذكرى باقية فاعظم فضل قدمه للمسرح هو بدون منازع سعيه الدائب لابراز ملامح مميزة للمسرح التونسى وحرصه فى هذا الاتجاه على اكتشاف اقلام تونسية واخراجها الى النور فكانت (ثورة صاحب الحمار) وثورة الزنج لعز الدين المدنى ومراد الثالث للحبيب بو لاعراس و اقفاص وسجون ترجمة واقتباس المرحوم الدكتور الطاهر الخميرى.

ب ـ المسرح التجريبى:

سنة ١٩٦٧ م بالضبط ظهرت تسمية (المسرح التجريبى) كهيكل كبير يضم ٢ وحدات ـ الاولى ويشرف عليها عمر خلفة ـ وسليمان ميمون ـ بغية اخراج مسرحية (الحضيض) لماكسيم جوركى. بينما اهتم المنصف سويسى فى الوحدة الثانية باعداد مسرحية (السيد بونتيلا وخادمة انى) لبريخت. اما الوحدة الثالثة فمن نصيب عبد المطلب الزعزاع الذى اختاره (الزواج) لجوجول من الاعمال التجريبية الاخرى (الهانى بودربالة) التى اعدها المنصف سويسى عن مسرحية جورج دندان ـ لموليير ـ لاتكاد تختلف فى النظرة والاسلوب عن اعداد روجيه بلانشون لها سوى ان دندان عوض (الهانى) وعائلة سونتفيل ب «السيد والسيدة القباش».

ـ المسرح التجريبى من التراث إلى الاصالة والتفتح

لم ينج من ذلك الا العمل الذى قام به النادى المسرحى التجريبى لدار الثقافة (ابن خلدون) بتونس العاصمة فى عمله «راس الغول» وهو عمل يشكل استثناء للقاعدة العامة لمفهوم نقدى معاصر غايته معالجة اهتمامات الجماهير والتعبير عن تطلعاتها الحقيقية. ونعتقد ان ماقامت به فرقة مسرح الجنوب بقفصة فى «جحا والشرق الحائر» تاليف محمد رجاء فرحات محاولة رائدة فى هذا المضمار حيث عريات الاسطورة الشعبية من المفاهيم المزيفة وجعلت من جحا بطلا ملحميا يجسم احلام الجماهير وتطلعاتها وحتى تناقضاتها ولم تكتف بوصف الواقع كما هو بل كما ينبغى ان يكون فالمسرح الطلائعى له دور تمثيل فى الالحاح على الصراع الطبقى وتنمية الوعى الاشتراكى لدى الجماهير حسب لغة قوامها البساطة فى الاسلوب والوضوح فى التعبير والموضوعية فى الرؤية تفتح امام الجماهير المسالك الوعرة وتعرى امامها الواقع وتعمل على تحريرها من كل اشكال العبودية والاستغلال فالمخرجون



التجريبيون يتسمون بالروح الخلاقة مع تنويع للاشكال

- جماعة المسرح الجديد فى تونس العاصمة

وخلال صيف سنة ١٩٦٩ قدم جميل الجودي مسرحية « قريتي » لكاتبها عبداللطيف الحمروني .

المسرح الموجود « تياتروفي » أما من اعمال فرقة مسرح الجنوب بقفصة « حصة الجريني » نص احمد عامر واخراج عبدالقادر مقداد و« البرني والعطرة » اقتباس محمد رجاء فرحات عن الكاتب الايطالي « روزاني » واخراج فاضل الجمايبى و« فتران الداموس » نص محمد عمار شعابنية واخراج عبدالقادر مقداد و« صاحب الكلام » نص حسن حمادة واخراج عبدالقادر مقداد و « عمار بالزور » تأليف احمد المختار الهاني واخراج عبدالقادر مقداد والمسرحية الجديدة الاخيرة قدمت بقاعة الافراح بالمتلوى فى هذه السنة فهى مسرحية « السوق » نص احمد عامر واخراج عبدالقادر مقداد .

- الجامعة التونسية للمسرح :

تم بعثها سنة ١٩٦٩ م وانضوت تحت لوائها كافة الفرق المسرحية الهاوية : فالفرق الهاوية هى التى دائما منطلق للفرق المحترفة وهما العمل المتكامل الذى يبذله كل منهما للنهوض بالمسرح التونسى فالتنشيط المسرحى يعتمد على تدعيم العمل الجماعى يبدأ من خلق النص الى تصميم الديكور وخلال سنة ١٩٧٠م انعقدت ندوة مسرحية بالمهرجان القومى الأول لمسرح الهواة .

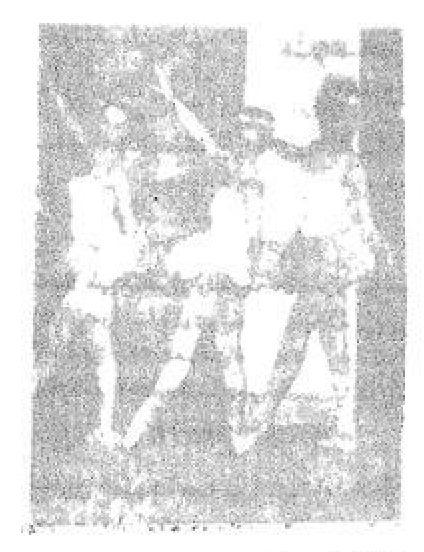
- المسرح المدرسي

عرف المسرح المدرسى انطلاقة فى سنة ١٩٦٩ م وشمل فى بدايته قرابة الثلاثين معهدا باشراف مسرحيين تابعين لوزارة الثقافة .. وفى هذه الاثناء تعددت هذه التجربة فى مختلف فروع الشبيبة المدرسية وتزايد عدد المدربين المسرحيين وقد كان هذا النشاط المدرسى يهدف الى تنظيم مباريات مسرحية على الصعيدين الجهوى والقومى تتوج باسناد جوائز فردية للعناصر البارزة فى التمثيل واخرى جماعية للفرق الناجحة وتتمثل فى بعثات خارجية لحضور المهرجانات المسرحية الصيفية العالمية ... ولقد تأكدت ضرورة ادراج المسرح المدرسى فى مرحلة تجريبية فى صلب برامج التعليم ومنذ سنة ١٩٦٣م الى حوالى سنة ١٩٦٩م كانت معظم الاعمال المدرسية متواضعة بل وتكريما لقواعد بالية ومهما يكن من امر فقد كانت بداية تلتها مرحلة هامة جدا توقفت سنة ١٩٧٤ وهى المرحلة التى سجلت حضورا فعّالاً للمسرحية المدرسية اذ تغيرت نظرة التدريب فاصبح التلاميذ يشاركون فى الاعمال المسرحية كتابة واخراجا . ولاننسى هنا ان نذكر بتجربة النصف العائم عندما كان تلميذا او كذلك تجربة

عبدالرؤوف الباسطى عند اشرافه على تلامذة معهد المنستير الثانوى لكن انطلاقا من سنة ١٩٧٤ م الى حد سنة ١٩٧٩ م تراجع المسرح المدرسى الى الوراء بالرغم من تخرج مجموعة من المدربين المسرحيين الذين كان من المنتظر ان يواصلوا ما سجله القطاع المدرسى من تطور رغم حرص البعض على المثابرة والمواصلة فان النسبة الغالبة لم تؤمن بذلك لاسباب عديدة يرجعونها الى الوضعية التى كان عليها المدرب وخصوصا وضعيته الادارية التى انتهت بصدور القانون الاساسى منذ سنة ١٩٧٧م .

بداية من سنة ١٩٨٠ سجل المسرح المدرسى تطورا وعودة الى مرحلته الثانية اذا مانظرنا اليه بصفة اجمالية خلال المهرجان القومى الثقافى الرياضى المدرسى الجامعى الذى اقيم بالعاصمة (تونس) بدار الثقافة ابن رشيق قدمت ١٤ مسرحية اختلفت فيما بينها شكلا ومضمونا لكن معظمها تميز بالبحث عن بديل جديد للمسرح المدرسى وقد كان عنصر التمثيل بارزا وملموسا حيث ظهر ممثلون تلاميذ ابدعوا . وهناك من قال ان بعضهم وصل الى درجة الاحتراف والملاحظة الاخرى التى يمكن تسجيلها ان اغلبية الفرق المدرسية تجاوزت المضـامين المحنطة والمتـاكلـة الى مضامين اكثر حيوية وتماشيا مع الواقع فكفت انتيجون عن الصراخ واقبل توفيق الحكيم كما رحل موليير وشكسبير ويمكن ان نقسم هذه المضامين الى المحاور التالية .

١) اجتماعية سياسية



[illegible]

٢) خرافيــــــة

٣) تاريخيـــــة

الا ان المحورين الاخيرين لم يجنحا الى التوقع بل عمدا الى استقراء الخرافة او التاريخ وتقريبهما من الواقع وجعل الاحداث مسايرة للتطورات والوقائـع المعاصرة ولئن جاءت بعض المسرحيات على مستوى الاخراج مجردة من كافة الديكور ومعتمدة اساسا على حركة الممثل واستغلاله لطاقات جسمه فان البعض الآخر حاول ان يجعل من الديكور وكل المتممات حفلا مسرحيا يدخل فى اطار النظرة الجديدة للتدريب القائمة على جعل الركح يعج بالمناظر والاضواء والالوان لتشريك اكبر عدد من التلاميذ فى العمل اذ المسرح المدرسى لايمكن ان يقتصر

تونس وفن المسرح



فقط على التمثيل والكتابة والاخراج وانما هناك مواهب اخرى يجب استغلالها مثل التكوين وتصميم المناظر وما الى ذلك من متممات العمل المسرحي .

ـ مسرح الاطفال .

من المؤسف جدا هو اننا نشاهد اعمالا مسرحية لم تراع من قريب او بعيد حتى الحد الادنى من اعتبارات (الظروف الاجتماعية والنفسية والحضارية والدينية) ... فنراها تتوجه الى كل الاطفال دون اعتبار السن . وتستسلم للاختيارات السهلة فتصور خرافات أو اساطير وحكايات شعبية دون اى اهتمام بمدى تفاعل هذه الاختيارات مع الطفل ومدى تأثيرها على نفسه وعلى ذهنه اذا تمكنا من معرفة احتياجات الطفل فى بيئة معينة وظروفه هل تستطيع ان تكتب مسرحية جديدة للاطفال ؟ ان فنيات الكتابة اصبحت شبيهة بالقواعد الثابتة لكنها تبقى فى واقع الامر مجرد تجارب قام بها مؤلفون واعطت نتائج معينة فى ظروف معينة وليست قوالب جامدة تعطينا اشكالا ثابتة فكل كتابة مسرحية مهما اعتمدت هذه النماذج فى الكتابة تبقى تجربة فردية من نوعها فلكل مؤلف طريقته فى الكتابة ولكل مؤلف رصيده من التفاعل مع المجتمع ومع ثقافته وتزداد قيمة البحث عن طرق جديدة ووسائل تقنية افضل عند الكتابة للأطفال . لان عملية تطويع هذه القواعد والوسائل لحاجيات الطفل وبناء شخصية تحتاج الى ادراك كامل لكل هذه الوسائل والى روح عالية فى الخلق والابتكار (اذا درسنا نمو الطفل منذ ولادته وجدنا فيه العناصر التى تكون الدراما فى الحركة والصوت والبكاء والضحك والايقاع : حركات للايدى والارجل فى المرحلة الاولى والمشى وملاحظة العالم ثم الدخول فى الجو العائلى اى فى النشاط الجامعي المشترك وكل مرحلة من هذه المراحل تخلق فى الطفل جزءا من اخلاقه وطباعه المستقبلية فمغامرات المشى والحديث تخلق الثقة فى نفس الطفل وتمنحه قوى جديدة وبمجرد ان يكتسب الطفل هذه القوى يبدأ فى استعمالها تظهر مقوماتها بل مقاومته للكبار » ان الطفل مسرحى بالطبع » .

ـ المسرح بين اللغة والاداء

ان المسرح التونسى فى ثورة رغم انها لم تكن عميقة الجذور فهى على الاقل محاولة فى نقل ملحمة الواقع الى مسرح الفكر وهذا النقل مهما يكن لاواقعيا فهو بحاجة الى وسيلة التقنية الاولى التى تربط الكاتب بموضوعه الاجتماعى من ناحية و الممثل بالمسرحية من ناحية اخرى .

للمسرح اكثر من حوار بين اللغة الفكرية وخشبة المسرح من خلال الممثلين انه تجسيد آخر مختصر لحياة اجتماعية فأى لغة تصلح فنيا للعمل المسرحى ؟ لقد ظهر كتاب فضلوا (اللغة الدارجة) مثل (محمد عمار شعابنية ، احمد عامر ، احمد المختار الهادى) وآخرون اصروا على استخدام الفصحى)

مثل الحبيب بو لاعراس وعز الدين المدنى ، ومصطفى الفارسى ، وحيد الخضراوى ، حسن حمادة والمرحوم الدكتور الطاهر الخميرى)

وهناك تيار ثالث يقول بالادب المزدوج الذى طلع به الشاعر الاندلسى ابن شجاع حينما ابتكر الزجل المزدوج وفى رأينا ان كل لغة تصلح ان تكون لغة المسرح على شرط أن تعبر عن امرين :

الامر الاول : هو الاتجاه الثقافى فى المجتمع ، والثانى ان تلبى حاجات جمهور المسرح ان اللغة ان وضعت لها القواعد والقوانين لاتنفصل كوسيلة فنية عن التقنية العامة للمجتمع فاللغة كنظام تعبيرى وجهاز حى مرتبطة بباقى الانظمة الصغيرة داخل النظام الاجتماعى الشامل ليس للمجتمع التونسى لغة واحدة وانما (لغات) وهنا لا اعنى ان المسرح حينما يكتب لنا عن عائلة ريفية لابد ان يعتمد لغتها فى كتابته ولغة الريفيين غنية فى التعبير عن ادوات الحياة وعن حاجاتها والرموز التى يستخدمها الفلاحون وعمال المناجم (فئران الداموس ـ الخدامة ـ عمار بالزور) وسكان البوادى والقرى فى الدلالة على افراحهم واحزانهم وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم ان اللغة لايمكن ان تظل واحدة الا فى المدرسة والعمل المسرحى الحقيقى لايمكن ان يظل مدرسيا فان انفتاح المسرحية على الواقع يجعلها تحترم على الاقل معالم الحياة وتجسد ملامحها البارزة هذا لا يعنى ان المسرح المسرحى الحقيقى هو الذى يصور الواقع كما هو وانما يعنى ان المسرحى الناجح هو فيلسوف الوجود الواقعى الذى ينقل للمجتمع نفسه صورة عميقة معينة وناطقة من صوره الكثيرة فالمسرحية دعوة الى التفكير حول مشاكل الواقع من خلال التكوين الفنى ولا نغالى اذا اكدنا ان المسرح بالنسبة للمفكر هو مختبر يحلل فيه الجوانب الغامضة والجوهرية فيرى من خلال مزايا التمثيل دون ان تفرض عليه رؤية مشوهة .

وبينما يظن البعض انّ اختيار اللغة كوسيلة اولية عليه يتوقف استمرار المسرح او فشله فلو كرس كتاب المسرح فى كتاباتهم لغة معينة وانفصلوا بذلك عن جمهور المسرح وضرورة استمراره لوقعوا فى نفس المشكلة التى تعانيها عدة بلدان اوربية من بينها فرنسا الا وهى اغلاق المسرح وتحويل المسرحيات الى مجرد قصص تقرا .

ـ الاذاعة ... التلفزة ... السينما

هذا ولاننسى ان الاذاعة والتلفزة والسينما والانواع الفنية الكثيرة الاخرى تزاحم لان المسرح والضمان الوحيد لاستمرار المسرح هو خلق جمهور يعيش المسرح ويخلص له اذ لابد ان يتنازل المسرحيون التونسيون عن نظرتهم الفردية الى الفن وهى التى تعوق نجاحهم فى مجال المسرح ، وان يتناولوا الواقع كما يعيشه التونسيون لا كما ينظر اليه الكتاب الاجانب ، طبعا هناك طرق كثيرة لحياة الواقع وبهذا المعنى فان المسرحى حر فى تصوير هذا الواقع او ذاك . المهم هو العودة الى مشاكلنا الخاصة والفن قبل ان يصير عالميا لابد ان يعبر عن حالات قومية واعتقد اننا لانزال بعيدين نسبيا عن الادب العالمى ● ●



بقلم الدكتور : محمد عمارة

● فى بعض البلاد الإسلامية يتربع على قمة مؤسسات الإفتاء الدينى « علماء » يحرمون ـ باسم الاسلام ـ الرسم والنحت والتصوير ؟! ..

وفى جماعات اسلامية جديدة ، وكثيرة ، شاعت وتشيع « فتاوى » التحريم الديني للرسم والنحت والتصوير ـ وكل الوان الفن التشكيلى ـ حتى لقد وجدنا شبابا يهجر التعليم لأن « شئون الطلاب » قد علقوا قيده فى الجامعة على احضاره صورة « فوتوغرافية » له ، فآثر هجران التعليم فرارا بدينه من حرمة التصوير ؟! ..

ووجدنا شبابا من اعضاء هذه الجماعات يحملون بطاقات هويتهم بلا



صور ! .. ورخص قيادة السيارة « طاهرة » من رجس التصوير الفوتوغرافى ؟! ..

وقبل هؤلاء « العلماء » .. وهؤلاء الشباب شاعت فى الدراسات الاستشراقية مقولة تحريم الاسلام للرسم والنحت والتصوير ؟! ..

فما هو وجه « الحق الاسلامى » فى هذه القضية « الفنية » ؟ .. وماهو راى « الاسلام الحق » من خلال « فقه » مواقفه ومأثوراته ازاء « الفن التشكيلى » ؟؟ ..

لنبدأ البحث من « الجذور » و « الأصول » وصولا الى « الوعى » بموقف القرآن الكريم من هذا « الفن » .. فن « التشكيل » بالرسم والنحت والتصوير ..



إن القرآن هو المصدر الأول للدين ، وهو النص المعصوم من الوضع والتحريف ، أوحى به الله سبحانه وتعالى الى رسوله محمد بن عبدالله ، صلى الله عليه وسلم ، وضمن له الحفظ مما اصاب كتب الشرائع السابقة من التبديل والتغيير [انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون][1] .. ولذلك كان القرآن ولايزال هو القول الفصل والنص الحاكم الذى تفسر فى ضوئه ووفق معاييره بقية النصوص والمأثورات ..

فماذا يعلمنا القرآن الكريم عن موقف الإسلام من « الفن التشكيلى » ؟؟..

القرآن والحاسة الفنية

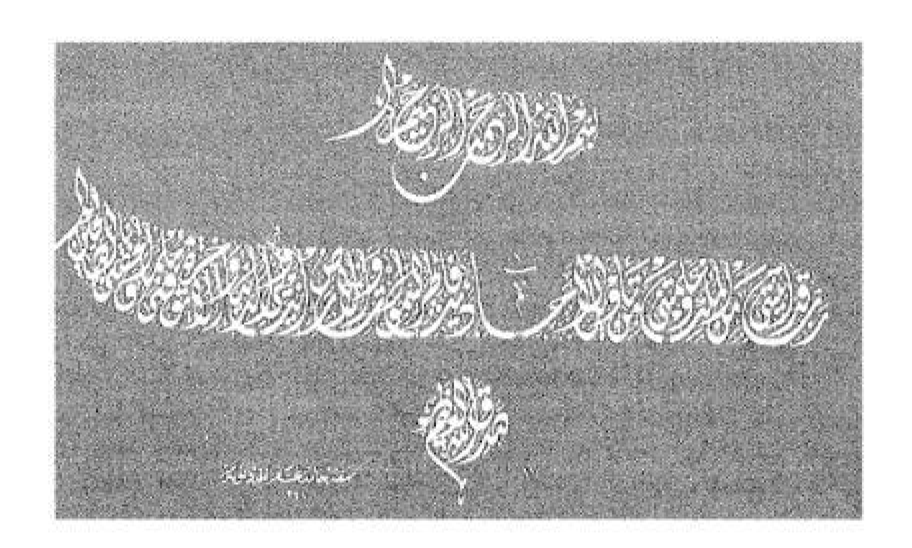
لحسن الحظ ، فان كل من له صلة بالقرآن الكريم ، حتى ولو لم يكن متدينا بالاسلام ، سيجد فى بلاغة القرآن ، التى هى بعض اعجازه ، حقيقة لايمكن ادراكها ووعيها ، ومن ثم الايمان بها ، الا من قوم قد ارتقت بهم الحاسة الفنية الى حيث يدركون ما فى هذا الكتاب من اسرار الاعجاز وفنون البيان ..

فالايمان باعجاز القرآن مرهون بازدهار الحاسة الفنية لدى المسلم ، وبتحول هذه الحاسة الى قسمة ملحوظة فى الحضارة الاسلامية . ومن ثم فان البداهة قاضية بان يكون القرآن داعيا يزكى تنمية الحاسة الفنية لدى المسلمين ، ليتسنى لهم ادراك اعجازه وتلزمهم الحجة بصدق الرسول عليه الصلاة والسلام .

فاذا انتقلنا من مجال التعميم الى الدراسة الواقعية راينا كيف امتلأت سور القرآن الكريم بما نسميه فى الدراسات الادبية والفنية بـ « التعبير بالصور » اى رسم الصور الحسية كى تعبر بها آياته عن المعقولات والأفكار ، فنحن ، فى القرآن ، أمام عشرات ، بل ومئات من اللوحات التى تعبر بالصور المحسوسة عن المعانى والمعقولات .. أى امام « **التمثيل** » و « **التصوير** » ! ..

● فعندما يتحدث القرآن الكريم عن الذين كفروا ، فاحبط الله اعمالهم ، واضاع الثمار المرجوة من مثلها ، نجده « يمثل » هذه « الفكرة » فيعرضها فى « صور » محسوسة ، و « يرسمها » فى لوحات فنية تراها العين عندما ينطق بكلماتها اللسان ! ... فاعمال هؤلاء الكفار : رماد هبت عليه الريح العاصفة ، فلم تبق منه لاصحابه كثيرا ولا قليلا : [مثل الذين كفروا بربهم **أعمالهم كرماد إشتدت به الريح فى يوم عاصف** لايقدرون مما كسبوا على شيء ، ذلك هو الضلال البعيد][2] ..

ولوحة فنية أخرى يصور فيها القرآن هؤلاء الكافرين ، الذين جعلهم تنكبهم عن الحق ودعوته وهديه بمثابة الصم البكم المعطلة ملكاتهم العقلية ، أما ما يهذون به فليس الا النعيق !.. [ومثل الذين كفروا



كمثل الذي ينعق بمالا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لايعقلون]٣ ..

اما اليهود الذين حولوا كتابهم (التوراة) - الى « شكل » غاب من ساحتهم ما به من « مضمون » فانهم كمثل الحمار ، يحمل الكتب الثقيلة الكثيرة دون أن يدرى من مضمونها شيئا او ينتفع بقليل من هذا المضمون ![مثل الذين حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا ، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، والله لايهدى القوم الظالمين]٤

اما ذلك البائس ، الذى ، اتاه الله الآيات ، فانسلخ منها بدلا من أن يلتزمها ويهتدى بها ، فان الغواية قد أصابته ببؤس جعل منه مثل الكلب اللاهث فى كل الحالات !؟ : [واتل عليهم نبأ الذى اتيناه ياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بأياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون]٥

اما هؤلاء الذين تركوا الاستنصار والاستعانة بالله واسبابه وطرقه ، وركنوا الى غيره ظنا منهم ان لدى هذا الغير نصرا يستعيضون به عن نصر القادر الحكيم ، فإن مايعتمدون عليه لايعدو ، فى قوته « قوة » بيت العنكبوت ! .. [مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون]٦

● وطلاب الحياة الدنيا .. أولئك الذين يقفون منها عند حدود « اللعب واللهو والزينة والتفاخر » بما لايستقر ولايثبت ولايدوم .. يرسم القرآن الكريم لهم ولما



القرآن والفن التشكيلي

اختاروه ووقفوا عنده ، لوحات تجسد لهم الضياع الذى اختاروا والبؤس الذى ينتظرهم انتظار المصير المحتوم ! .. فهذا النبات الذى جادت به الصحراء بعد ان زارها المطر ، سرعان ماتصيبه الصفرة ، ثم يصبح حطاما ! .. : [إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد **كمثل غيث أعجب الكفار** نباته ثم يهيج فتراه **مصفرا ثم يكون** حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور]٧ ..

[واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء **انزلناه من السماء** فاختلط به نبات **الأرض فاصبح هشيما** تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا]٨

[إنما مثل الحياة الدنيا **كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والانعام حتى إذا أخرجت الأرض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ، كذلك** نفصل الآيات لقوم يتفكرون]٩ ..

نعم .. كذلك يفصل الله الآيات **وكذلك « يصور » القرآن الكريم « الافكار » فيحيل « المعقولات » الى « صور محسوسة » تعرضها آياته الكريمة فى « لوحات » ! ..**

● أما هؤلاء الذين يفسدون ثمرات انفاقهم الأموال بالرياء والسمعة والتفاخر عندما يجعلونها المقاصد والغايات من وراء الانفاق ، فان انفاقهم هذا تراب وغبار غطى سطح جبل صخرى أملس فالناظر اليه يحسبه ترابا ، لكن وابل المطر سرعان مايعرى الزيف ويكشف الصلد ، ويذهب





بثمرات الانفاق الذى لم يقصد به وجه الله ! .. : [ياايها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولايؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لايقدرون على شىء مما كسبوا والله لايهدى القوم الكافرين]١٠ ... اما إذا كان الانفاق فى سبيل الخير ومصالح الامة وابتغاء مرضاة الله ، كما الواجب ، وكما هو شأن المؤمنين ، فإن ثمراته تبقى بل وتزدهر وتتضاعف : [ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فاتت اكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل ، والله بما تعملون بصير] ١١..

لوحتان تجسدان الافكار والمعقولات بالصور المرئية والمحسوسة تعرضهما الايتان المتتابعتان . فالتراب الذى يعلو الصخر سرعان مايذهب به المطر ... بينما يسبب هذا المطر النماء للحديقة التى تعلو الربوة . فتؤتى كلها ضعفين ، فشتان مابين الربوتين المتقابلتين . عندما ينزل عليهما المطر تتحول إحداهما الى صخرة جرداء بينما تصبح الثانية جنة غناء ! ..

● والكلمة .. الفكرة .. كثيرا ما تحول فى ايات القران الكريم التمثيل الى صورة محسوسة ينمى بداعها الحاسة الفنية للمتدبرين متفكرين ! .. [الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء . تؤتى اكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون]١٢ ..

وفى مقابل هذه الشجرة ذات الأصل الثابت الراسخ والفروع السامقة فى السماء ، والتى تعطى طيب العطاء فى كل الاحايين .. فى مقابلها ، وعلى الضد منها « صورة » الكلمة الخبيثة ! .. : [ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار]١٣ ..

هكذا ... وعلى هذا النحو تتناثر فى القران الكريم تلك الصور التى تجسد الافكار وترسم المعقولات وتحول المعانى الى لوحات فنية تقرا باللسان وترى بالبصيرة وترتسم فى المخيلة .. الامر الذى ينفى ، نفيا قاطعا ، مايزعمه البعض ويتوهمه البعض الاخر من موقف غير ودى للقران من الرسم والتصوير ! ..

التساؤل

غير ان باستطاعة الذين يتهمون الاسلام بتهمة إضعاف الحاسة الفنية ، بناء على قولهم انه قد حرم التصوير والنحت « للاحياء ذات الروح » باستطاعتهم ان يقولوا ان تعبير القرآن الكريم بالصور قد حد من تأثيره تحريم « الفكر الاسلامى » للتصوير والرسم والنحت وهو تحريم تتعدد اسانيده فى الاحاديث النبوية الشريفة ، ويؤيده الكثير من الفقهاء .. فالقضية ماتزال قائمة .. قضية الموقف من الانسان .. هل له أن يصور الاحياء ؟! .. ام أن ذلك حرام وممنوع ؟! ..

واستكمالا لعرض موقف القرآن الكريم



القرآن والفن التشكيلى

من هذه القضية وتمهيدا للنظر فى موقف السنة النبوية الشريفة منها - نود أن ننبه الى ان القرآن الكريم لم يتخذ من التصوير للأحياء موقفا معاديا .. بل لقد اناط الأمر بالمقاصد والغايات والنتائج والثمرات ... فاذا كانت الصور والتماثيل وسائل للشرك بالله ، وسبلا ينحرف البعض ، بتعظيمها ، عن عقيدة التوحيد ، كان الرفض لها والتحريم لصنعها هو موقف القرآن ... اما اذا كانت لمجرد الزينة ولابراز براعة الانسان وقدرته ولتجميل الحياة وتنمية الحس الجمالى عند الانسان ، وكذلك إذا كانت لتخليد القيم والمعانى والمآثر الطيبة والجميلة .. الخ .. الخ .. فانها عندئذ تصبح من الطيبات المباحة ، بل والمقصودة المرغوبة ، باعتبارها من نعم الله على الانسان !

ولقد عرض القرآن الكريم للحديث عن « التماثيل » - صراحة وبالنص - فى موطنين اثنين .. وجاء حديثه عنها فى أحد الموطنين حديث الرافض المحرم .. وفى الثانى حديث العادّ لها من نعم الله على الانسان ..

ففى سورة « الأنبياء » وبصدد الحديث عن قوم ابراهيم ، عليه السلام ، أولئك الذين اتخذوا التماثيل اصناما عبدوها من دون الله ، جاء حديث القرآن الكريم معاديا لهذه التماثيل ، ومن ثم - وبالتبعية - لصناعتها عندما تستهدف هذا الشرك بالله .. [ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . اذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ؟ قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين قالوا اجئتنا بالحق ام أنت من اللاعبين ؟! قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين

ولم يقف الموقف القرآنى من « التماثيل » عند حد التسفيه بالقول والحجة والمنطق ، بل لقد أراد الله لنبيه ورسوله ابراهيم أن يحطم هذه « التماثيل » ويمحو وجود هذه الأصنام فاستمر سياق القرآن يتحدث عن قول ابراهيم عليه السلام ، لقومه : [وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيراً لهم لعلهم اليه يرجعون] ١٤..

وما صنعه ابراهيم الخليل مع هذه « التماثيل » المعبودة هو ما صنعه خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، عندما طهر شبه الجزيرة العربية من كل أثر لها ، وأذّن فى الناس يومئذ ، وهو يحطمها قائلا : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » ! ..

اما الموطن الثانى الذى عرض فيه القرآن الكريم - باللفظ - للحديث عن « التماثيل » فكان فى معرض تعداد نعم الله ، سبحانه وتعالى ، على نبيه سليمان عليه السلام فلقد ذكر القرآن « التماثيل » وصنعها وصانعيها وتحدث عن اقتنائها باعتبارها من نعم الله على نبيه سليمان ! ... فهو قد سخّر له الريح



وأتاح له عينا تفيض بالنحاس المذاب - [القطر] - ... وسخر له الجن تصنع له زينة الحياة الدنيا : بيوتا عالية - [محاريب] - ... وحفرا كبيرة - [جفان] . وقدورا راسيات ... وايضا « تماثيل » من زجاج ونحاس ورخام تصور الأحياء بل وتصور الأنبياء والعلماء ! - كما يقول مفسرو القرآن الكريم ١٥ .. [ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير . يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات . اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور]١٦... « فالتماثيل » هنا - وعند انتفاء مظنة عبادتها - هي من نعم الله على الانسان ، وعاملها وصانعها انما يعملها [بإذن ربه .. وعلى الذين انعم الله عليهم بهذه النعمة مقابلتها بالشكر لله ! ..

إذن ... فموقف القرآن الكريم من الرسم والتصوير والتشكيل للأحياء ، ليس واحدا وليس مطلقا .. فحيثما تكون هذه الفنون سبلا ووسائل ووسائط للشرك بالله ، فهي حرام ، والواجب تحطيمها .. اما عندما لاتكون هناك مظنة لعبادتها ، فهي من نعم الله على عباده ، يجب على الانسان ان يقصد اليها قصدا ، وان يتعلمها تعلما وان يمارسها ويتخذ منها سبيلا لترقية حسه وتجميل حياته وتزكية القيم الطيبة وتخليدها في هذه الحياة ! ..

ذلك هو موقف القرآن الكريم من فنون الرسم والنحت والتصوير - الفن التشكيلي -

---

الهوامش

(١) الحجر ٩ (٢) ابراهيم ١٨
(٣) البقرة ١٧١ (٤) الجمعة ٥
(٥) الاعراف ١٧٥ ١٧٦ (٦) العنكبوت ٤١
(٧) الحديد ٢٠ (٨) الكهف ٤٥
(٩) يونس ٢٤ (١٠) البقرة ٢٦٤
(١١) البقرة ٢٦٥ (١٢) ابراهيم ٢٤ ، ٢٥
(١٣) ابراهيم ٢٦ (١٤) الانبياء ٥١ ، ٥٢
(١٥) القرطبي [الجامع لاحكام القرآن] جـ٤ ص ٢١١ طبعة دار الكتب المصرية
(١٦) سبأ ١٢ ، ١٣

سيد الكيلانى عاشق التراث يتحدث عن:



بين الترام والمترو

أجرى الحديث : محمد الشريف

●● **أخيرا تكلم علم من اعلام تحقيق التراث العربى .. بعد صمت دام اكثر من ٣٠ سنة .. منزويا فى الظل .. يحمل على كتفيه اتربة كتب ودوريات دار المحفوظات .. يشم رائحة الورق القديم الذى يرجع تاريخه إلى مئات السنين .**

يراجع. ويحقق النصوص الادبية .. تعرفت عليه من خلال نتاجه الموسوعى : طه حسين الشاعر .. الأدب القبطى قديما وحديثا .. السلطان حسين كامل فترة مظلمة .. ترام القاهرة ... و ... دفعنى الحنين للبحث عن. عالم هذا الانسان .. لمعرفة سر أسراره فى شمولية التحقيق فى أكثر من جانب .. وكانت رحلة البحث شاقة ـ فى حى الظاهر ـ أطرق الابواب .. اسأل الخدم والنساء .. واصحاب المحلات .. ادور وأبحث من شارع لآخر ... ماكدت اراه حتى سالت دموعى .. شيخ كبير مشعث الشعر .. نحيل الجسم .. المرض ينخر عظامه . اتساءل فى حسرة أبكى فيها ذاتى .. هل هذه نهاية المطاف مع الأدب والكتب ومصير من يرتبط بالكلمة فى عالم تطحنه الصراعات المادية والسياسية .. ؟؟

هل من الممكن ان تقدم بطاقتك الشخصية لعشاق الأدب والثقافة

ـ محمد سيد كيلانى .. مواليد ١٩١٢ الاقصر قنا ـ من اقصى جنوب صعيد مصر .. تعلمت مبادىء القراءة فى الكتاب .. ثم مدرسة الاقباط الأبتدائية بالاقصر .. وحصلت على البكالوريا من القاهرة عام ١٩٣٣ باختصار حاصل





سيد الكيلاني

على الماجستير عن الحروب (الصليبية وأثرها فى مصر والشام) عام ١٩٥٣ .. لم اتزوج .. !

● ● ماذا قدم الباحث المحقق محمد سيد كيلانى .. للمكتبة العربية .. ليعرف الجيل الجديد ماوصلت اليه من جهود فى تحقيق التراث العربى .. وماذا اضفت فى مجال الدراسات الأدبية والاجتماعية .. ؟

ـ أول مابدأت به ديوان البوصيرى الذى فتح لى أفاقا لمعرفة الوصول بعد ذلك تحقيق : ابن زيدون .. والمختار من الشعر الجاهلى .. والتفصيل فى شرح وإعراب ابن عقيل .. وإغاثة اللهفان فى مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية والملل والنحل للشهرستانى .

أما فى مجال الدراسات الأدبية التى تجهلها الأجيال المعاصرة فقد حاولت قدر استطاعتى أن اقدم اكثر من دراسة موسعة منها كتب : أثر التشيع فى الأدب العربى .. والحروب الصليبية وأثرها فى الأدب فى مصر والشام .. وعين اليقين فى سيرة سيد المرسلين .. وفصول ممتعة فى الأدب والنقد .. وفي ربوع الأزبكية .. والأدب القبطى قديما وحديثا .. وطه حسين الشاعر الكاتب .. والأدب المصرى فى ظل الحكم العثمانى .. وترام القاهرة .. واكثر من ٥٠٠ مقال منشور فى الصحف

القاهرة
بين الحرام والـ...

والمجلات المصرية من ١٩٤٧ حتى أواخر السبعينات .

● ● بعد هذا التعريف الذى قدمته عن اهم إنجازاتك على الساحة الادبية ... أعتقد انك لم تاخذ مكانك الطبيعى على ساحة الحركة الثقافية وحقك من الشهرة .. ولم يعرفك القراء جيدا .. ترى ماهى الأسباب .. ؟

ـ هذا يرجع إلى أنا بالذات ـ والكلام للمحقق محمد سيد كيلانى ـ .. لأنى لم اسع إلى شهرة أو كسب مادى .. وأحب دائما ان اكون بعيدا عن المجتمعات .. لانى اريد أن اكون مستقلا برأيى وتفكيرى .. لاأتأثر بجماعة أو انساق وراء رأى الاخرين فى موضوع من الموضوعات .. ولذلك جاءت كتبى من وحى تفكيرى الشخصى .. ولم اتعامل مع هيئة حكومية لإن ارائى قد لاتوافق المشرفين عليها .

● ● اذا كان هذا موقفك من الحركة الثقافية فماذا تقول عن الذين يقومون بتحقيق التراث .. وما يحدث فيه من إدخال بعض المقولات المدسوسة ...؟؟

ـ ينبغى أن ينشر التراث كما هو .. لأنه يمثل عقلية الكاتب والمجتمع فى عصره .. ثم إن هذا التراث كان معروضا ولم يبتكره أحد من العلماء .. أما أن يقوم المحقق بدس بعض المقولات عن الشخصية التى يقوم بتحقيق أعمالها .. فأعتقد أنه شخص له اغراض تحمل اكثر من معنى من وراء مايقوم به .. من تزيف للعمل الذى يتعرض لدراسته وتحقيقه .. وواجب المحقق أن يبين موقف الأديب ... هل كان بجانب الشعب ام كان بجانب الظالمين والمستغلين لجهده وعرقه ... مع البحث والتنقيب عن الاسم والنسب .. والنشأة ومراحل التعليم .. والمحصلة الثقافية إلى جانب الصفات والأخلاق .. وتصرفاته وأعماله ومذهبه الدينى والفكرى .. وحياته الاجتماعية فى منزله .. وموقفه الفكرى من عصره كلية .

واجب المحقق الاجتهاد فى البحث عن كل ما يتعلق بمن يراد تحقيق أعماله الفكرية التى أصبحت تمثل جزءا من التراث العربى الأصيل ... سواء منها المطبوع أو المخطوط .. مع تثبت التراجم .. والتوضيح والتعليق عليها .

● ● استوقفنى ديوان البوصيرى وكتاب الادب القبطى قديما وحديثا . وكلاهما قمت بتحقيقه وجمع مادته نقبت عن كل منهما فى دواليب الزمن عبر قوافل الأجيال الأدبية من مجتمع لآخر .. الم تر ان هناك تناقضا فيما تناولت ؟ .. واين موقفك الفكرى إذ وانت تجمع الضدين اللذين تعرضت لهما بالتحقيق والدراسة ؟.. المسيحية والاسلام .. ؟

ـ يقول المحقق محمد سيد كيلانى .. لم أتعرض لمناقشة الأديان (الاسلام والمسيحية) فى كلا الكتابين (البوصيرى ـ والأدب القبطى قديما وحديثا) .. وإنما تعرضت للحياة السياسية تارة .. وأنظمة الحكم فى كل فترة تارة أخرى .. وتتابع الولاة .. مركزا قبس ضوء على الحالة الاجتماعية من حيث علاقتها بالادب شعره ونثره . شارحا لبعض الأغراض التى قيل فيها الأدب .. كالغزل والوصف .. والتماسك

كاشفا عن احكام خاطئة فى ازمان غابرة .. فمثلا البوصيرى شاعر مصرى من شعراء القرن السابع .. نجد فى شعره النكت الطريفة .. وله قصائد كلها شكوى وتذمر من الموظفين فى عصره .. وهى ترجمة للحالة الاجتماعية والاقتصادية فى زمانه .. فهو يذكر ان الموظفين كانوا يسرقون الغلال .. وانهم لولا ذلك مالبسوا الحرير .. ولا شربوا الخمور .. وان من الكتاب طائفة تنسكت وعدت من الزهاد مع انها تملأ بطونها بالسحت .. وتاكل مال الايتام .. ويذكر « البوصيرى » أن القضاة خانوا الأمانة وبرروا خيانتهم بتاويل القرآن والحديث .. وقد اشار إلى ان المسلمين والاقباط كانوا مختلفين فكان المسلمون يقولون لنا بمصر حقوق .. ونحن أولى الآخذين .. وكان القبط يقولون : نحن ملوك مصر .. وسوانا هم الغاصبون .. وكان اليهود يستحلون مال الطوائف أجمعين .. ولا أجد ماأقوله عن البوصيرى إلا هذه الأبيات التى تقدم شهادة عن عيوب الادارة والفساد الذى كان يسود مصر فى ذاك الحين منذ ١٣ قرنا من الزمان

نقدت طوائف المستخدمينا
فلم أر فيهمو حرا أمينـا
فقد عاشرتهم ولبثت فيهم
مع التجريب من عمرى سنينا
فكتاب الشمال همو جميعا
فلا صحبت شمالهم اليمينـا
فكم سرقوا الغلال وماعرفنا
بهم فكأنهم سرقوا العيونـا
ولولا ذاك مالبسوا حريرا
ولاشربوا خمور الأندرينـــا
ويضيف محمد سيد كيلانى قائلا

وفى الأدب القبطى لم اتناول المسيحية كعقيدة .. وانما كان اهتمامى بالأدب الذى يصور حالة الاقباط النفسية وحركاتهم الاجتماعية وأمانيهم الوطنية .. وهو ليس كتاب دين .. وانما كتاب ادبى يشمل الشعر والنثر .. يعتمد على الجمع والتحليل لبعض الظواهر والحقائق التاريخية .. وتسجيل المعارك الأدبية تسجيلا راعيت فيه الأمانة والدقة .. وقد كان مثل هذا الموضوع من بعض نواحيه شائكا فيما مضى واما اليوم فقد تغيرت الافكار .. وتثقفت العقول .. واستقرت العدالة الاجتماعية .. ومدت لواءها على جميع أبناء الأمة دون استثناء .. واصبح الناس يعيشون فى ظل الاخاء والمساواة ... لافرق بين مسلم وقبطى فى الحقوق والواجبات .. فالوطن للجميع .. ويؤكد هذا المعنى قول الشاعر عوض واصف فى جريدة الوطن ١٩٠٩/١/١٩ ميلادية :

أبناؤها عبد المسيح وأحمد
والموسوى وليس ثم دخيل
لافرق بين العالمين وارضهم
وطن وحيد والجميع سليل
ماذا جناه الناس فى نزعاتهم
ياصاحبى وماجنى التفضيل
هل فى السماء مذاهب وعناصر
هل ثم إلا صاحب وخليل ؟
فعلام نتخذ الخلاف صناعة
فى الارض وهى لحيظة وتزول ؟

واصبح شعراء الاقباط وكتابهم بعد ثورة ١٩١٩ يعبرون عن امال البلاد وأمانيهم .. ويفرحون لفرحها .. ويحزنون لحزنها .. ومثال ذلك ماقاله لوزا الأسيوطى فى رثاء سعد زغلول سنة ١٩٢٧

اتباع احمد والمسيح تصافحوا
بك فى الجهاد وتصافح الاخوان

القاهرة
بين الترام والمـ ... ـرة

ويك المساجد والكنائس خشعا
رفعت أهلتها مع الصلبان
كم صحت فى وجه المفرق قائلا
مصر لنا والدين للديان

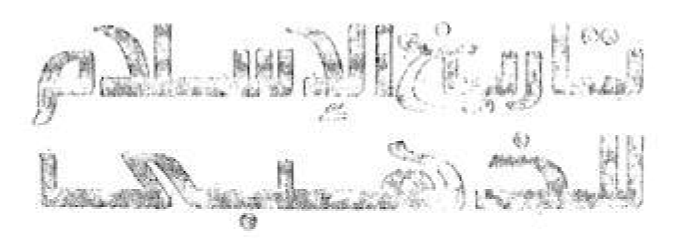
ويقول المحقق الكبير محمد سيد كيلانى : اعتقد أن من يقرأ شعر البوصيرى الذى قاله فى القرن ١٢ عن الحالة الاجتماعية وماكان يتفشى فى البلاد من فساد فى الذمم والأخلاق .. والصراع بين الناس على سلب ونهب المال العام فى البلاد .. ويقارنه بما قاله الأقباط فى النصف الأول من القرن العشرين عن الدعوة إلى الاتحاد والقوة .. بعد أن ازداد سعار بقايا الأتراك والمماليك والانجليز فى سلب خيرات البلاد .. يجد أن البلاد ليست فى حاجة إلى صراع دينى .. طالما الدولة تحترم حرية العبادة والعقيدة للديانات السماوية .. وانما هى ـ الدولة ـ فى حاجة لاستقراء ماضيها الفكرى وتاريخها الاجتماعى .. حتى تستطيع إعادة صياغة قوانين الحياة العصرية التى تعمل على سعادة الانسان المصرى ونحن على مشارف نهاية القرن العشرين .

● ● محمد سيد كيلانى ... قدم دراسة تاريخية واجتماعية وادبية عن تاريخ دخول الترام إلى القاهرة .. تناول فيها بالعرض والتحليل هذه الظاهرة يوم أن بدأت منذ حوالى ٨٠ سنة وماواستجد وقتها من معارضة وخوف من هذا الضيف الذى كان البعض يعتبره رجسا من عمل الشيطان .. وقيلت فيه الأزجال .. والأشعار تارة بالقدح وتارة اخرى بالمدح .. ترى ماذا تقول على ضوء ما قدمته عن الماضى بعد تطور الحياة الاجتماعية فكريا وعلميا ..

ـ لاشك ان عام ١٨٩٦ حدا فاصلا فى تاريخ المجتمع القاهرى .. إذ انتقل فيه من طور البداوة والتاخر الذى يتمثل فى استخدام الحمير والخيل وسيلة للانتقال إلى طور الحضارة والمدنية الذى يتمثل فى استخدام القوة الكهربائية .. ومن يطالع الأوراق القديمة لتاريخ القاهرة .. يجد ان يد الاصلاح لم تمتد إليها .. فلما انشيء الترام حدثت ثورة هائلة فى جميع نواحى الحياة القاهرية .. وبدأت الروابط الاسرية فى التفكك .. وضعفت رقابة الاباء على الابناء .. كما ساعد وجود الترام على اتساع حركة العمران .. وانشئت المحلات الكبرى لتجارة التجزئة فى ميدان العتبة الخضراء .. وكثرت الأندية الثقافية والصحف والمجلات واخذت الحركة الفكرية تنمو نموا مطردا .. وطاب السهر عند الناس فكثرت المسارح وصالات الرقص والغناء .. فحدثت نهضة فنية .

وحينما ظهر الترام وجد الادباء أشياء غريبة فى المجتمع لم تكن معروفة من قبل فتناولوها شعرا ونثرا .. وبمرور الزمن اصبح الكثير منها امرا مألوفا .. لايستوقف النظر .. فانصرف الادباء عنه إلى اشياء اخرى ولدتها ظروف الحرب .

بقلم الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجى



ـ ١ ـ

صدر عن دار الكتاب اللبنانى المصرى المجلد الأول من التاريخ الكبير المشهور المسمى « تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام » ، الذى الفه فى مطالع القرن الثامن الهجرى مؤرخ الاسلام ومحدث الشام ، الامام الحافظ ابو عبدالله شمس الدين الذهبى . وهذا المجلد يعد كتابا مستقلا ، حيث قصره المؤلف على المغازى النبوية .

والامام الذهبى (٦٧٣ ـ ٧٤٨ هـ ـ ١٢٧٤ ـ ١٣٤٨ م) ولد ونشأ وعاش فى دمشق ، وتلقى العلم على الشيوخ من أسرته ، وعلى كبار شيوخ عصره ، وقد ذكر جماعة منهم فى خاتمة كتابه « تذكرة الحفاظ » ، وتتلمذ عليه طائفة من العلماء ، منهم تاج الدين السبكى (٧٢٧ ـ ٧٧١ هـ) وغيره ، وانصرف الى القراءة والتأليف والتدريس وتولى مشيخة دار الحديث بدمشق ، وذاعت شهرته العلمية فى كل مكان ، وشهد له معاصروه من شيوخه وتلاميذه بالنبوغ .

وجمعت الصداقة بينه وبين ابن تيمية الحرانى (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ) ، ولما وقفت الجماهير موقفا خاصا من ابن تيمية كتب الذهبى الى صديقه ابن تيمية ناصحا ومشفقا رسالته « النصيحة الذهبية لابن تيمية » .

ومن مؤلفاته : تاريخ الاسلام فى ستة أجزاء ، وقد نشرته فى القاهرة مكتبة القدس عام ١٣٦٧ هـ ، ويبدأ بالسيرة النبوية ، تذكرة الحفاظ فى أربعة أجزاء ، وقد طبع فى حيدر اباد بالهند : دول الاسلام وقد طبع فى حيدر اباد ، ثم فى القاهرة : ذيل العبر ، وقد طبع فى الكويت بتحقيق من محمد رشاد عبدالمطلب : سير اعلام النبلاء ، طبع منه ثلاثة أجزاء ، العبر فى خبر من غبر فى خمسة أجزاء ، وقد طبع فى الكويت : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال فى أربعة اجزاء وقد طبع فى لكناهور بالهند ، ثم فى القاهرة .

ـ ٢ ـ

وكتاب « تاريخ الاسلام » للذهبى من اهم مؤلفاته واعظمها وهو موسوعة كبرى

[redacted]

[redacted]

فى التاريخ الاسلامى ، أرخ فيه الامام الذهبى للاسلام على مدى سبعة قرون من السنة الأولى من الهجرة الى تمام المائة السابعة ، ورتبه على السنين والطبقات ، وانتشر الكتاب وراج رواجا كبيرا ، وقرأه عليه تلميذه صلاح الدين الصفدى (٦٩٦ ـ ٧٦٤ هـ) .

وفاتحة كتاب « تاريخ الاسلام » فى السيرة النبوية والمغازى والمجلد الأول منه هو فى المغازى ، والثانى فى السيرة النبوية الشريفة .

وقد نهض الأستاذ محمد محمود حمدان بتحقيق كتاب المغازى ونشره لأول مرة عن نسخة كمبردج رقم ٢٩٢٦ وهى منسوخة عام ٨٤٥ هـ وتقع فى ٢٢٨ ورقة ، ونسخة مكتبة الأمير عبدالله بن عبدالرحمن الفيصل بالرياض المنسوخة عام ١٢١٣ هـ ، ونسخة الدكتور محمد حميد الله ، ومصادر التحقيق وفيرة ، وعمل المحقق عمل علمى جليل مشكور .

ـ ٣ ـ

ويعتمد الذهبى فى مغازى على ابن اسحاق (٨٥ ـ ١٥١ هـ) ، وموسى بن عقبة (ـ ١٤١ هـ) والواقدى (١٣٠ ـ ٢٠٧ هـ) ، وعلى كثير من كتب التاريخ والمصادر الاسلامية الأولى فى الطبقات وغيرها .

ويبدأ الجزء الأول من تاريخ الاسلام بتاريخ السنة الأولى من الهجرة ، فالثانية ، فالثالثة ، فالرابعة الى تمام السنة العاشرة .

وهذا القسم خصصه الذهبى لمغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمغازى وقعت بعد الهجرة ، ومن ثم كان هذا القسم كله خاصا بمغازى رسول الله صلوات الله عليه إلا ماندر من احداث وقعت فى هذه السنوات العشر الحافلة الخالدة ، لكنها على الجملة ترتبط بالمغازى برباط وثيق . ويقع هذا القسم فى ٧٦٠ صفحة .. والفهارس الموضوعة له تشمل اكثر من ١٦٠ صفحة منها وتحتوى على فهارس للآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، والأعلام ، ورجال الاسناد ، والبلدان والأمكنة ، والأمم والقبائل ، والغزوات والسرايا والبعوث والوقائع والأيام ، والأديان والقصائد والاشعار والأراجيز ، والكتب والموضوعات .

وتبلغ غزوات الرسول وسراياه ثلاثا واربعين ، كما يذكرها الذهبى .

ويبدأ الذهبى بتاريخ السنة الأولى من الهجرة بشهر ربيع الأول وهو شهر الهجرة النبوية من مكة الى المدينة ، وفى السنة الثانية يبدأ بأحداث وقعت فى ربيع الأول ايضا ، ومن السنة الثالثة يبدأ بأحداث المحرم ، وكذلك فى السنة الرابعة ومابعدها الى آخر الكتاب ، ولعل السنتين الأوليين لم تقع فيهما أحداث فى شهرى المحرم وصفر .

ولكن الذهبى فى اخبار مطلع السنة الحادية عشرة التى توفى فيها الرسول يذكر اخبار شهرى المحرم وصفر ويقف عندهما ويقول فى ختام هذا الجزء ثم دخل شهر ربيع الأول ، وبدخوله تكملت

عشر سنين من التاريخ للهجرة النبوية ، فهو لم يعتبر العشر السنين الأولى من تاريخ الاسلام بعد الهجرة تنتهى بنهاية السنة العاشرة ، بل وصلها بشهرى المحرم وصفر وهما مطلع السنة الحادية عشرة ، ووقف عند شهر ربيع الأول الذى توفى فيه رسول الله صلوات الله عليه ، وهو الذى وقعت فيه الهجرة النبوية أيضا .

ويقودنا ذلك الى ان الهجرة هى بداية التاريخ الاسلامى وقد حدثت فى شهر ربيع الأول ولكن بداية العام الهجرى جعلت من المحرم لامن ربيع الأول الذى حدثت فيه الهجرة ، ويرجع ذلك الى ان العام الهجرى جعلت بدايته من نهاية موسم الحج وبدء انصراف الحجاج من مكة والمدينة ، والحج عند العرب وعند المسلمين مكانة عظمى ومن ثم عادوا بالعام الهجرى الى أول المحرم ، ولم يجعلوا بدأه شهر ربيع الأول ، اعتزازا بمكانة الحج وعظمة مشاعره ، ولأن المحرم شهر حرام تعظمه العرب جميعا ويحرم فيه القتال ، ولأنه كان بداية التفكير فى الهجرة والاعداد لها .

- ٤ -

وغزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم تكن عدوانا من المسلمين على غيرهم ، إنما كانت دفاعا عن النفس وعن العقيدة وعن حرية الانسان وحقوقه المشروعة فى الحياة ، فغزوة احد والأحزاب مثلا هل يمكن عدها عدوانا من المسلمين . وجيوش المشركين جاءت الى المدينة مهاجمة لتدميرها ، وللقضاء على المسلمين فيها ؟

وغزوة فتح مكة هل يمكن عدها عدوانا من المسلمين ، وقد نقضت قريش المواثيق والمعاهدة بينها وبين رسول الله ، وهاجمت حلفاء الرسول صلوات الله عليه من القبائل العربية ؟

وغزوة الطائف هل يمكن عدها عدوانا وجميع خصوم الرسالة والرسول قد تجمعوا فيها وبداوا يعدون جيشا ضخما لمهاجمة رسول الله والقضاء عليه .

غزوة الرجيع فى السنة الرابعة من الهجرة ، وبنو لحيان من هذيل بأسرهم ، قبيلة كاملة · تهاجم عشرة من صحابة رسول الله لايملكون سلاحا ، ولم يكونوا مهاجمين و معتدين على أحد ، ويقتلون من اصحاب رسول الله من يقتلون ، ويأسرون من يأسرون ، وممن قتلوهم خبيب ، الذى قال عند مقتله :

لقد جمع الاحزاب حولى وألبوا
قبائلهم ، واستجمعوا كل مجمع
فكلهم ابدى العداوة جاهدا
على لأنى فى وثاق مضيع
وقد جمعوا ابناءهم ونساءهم
وقربت من جذع طويل ممنع
وقد خيرونى الكفر ، والموت دونه
وقد هملت عيناى عن غير مجزع
ووالله ماارجوا اذا مت مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى

وقتل بنو لحيان خبيبا غدرا وصلبوه على جذع نخلة طويل : فهل يمكن اعتبار المسلمين فى هذه الغزوة كانوا معتدين على احد ، او مهاجمين لأحد ، وهم عشرة

مسالمون ، ساروا فى الطريق ، فأسرتهم بنو لحيان ، ومثلت بهم شر تمثيل .

وغزوة بئر معونة مثلا - فى السنة الرابعة - هل يمكن ان نعدها عدوانا من المسلمين أو من الرسول بينما كان عامر بن مالك ملاعب الأسنة المشرك يلح على رسول الله ان يبعث معه بعض المسلمين لدعوة قومه الى الاسلام ، وتعهد بأن يحميهم ، ففعل الرسول فسمع عامر بن الطفيل بجماعة المسلمين الذين قدموا الى نجد للدعوة للاسلام ، فاستنفر القبائل ، فتجمعت واجتمعوا على المسلمين فقتلوهم ببئر معونة ، واستشهد المسلمون جميعا الا كعب بن زيد من بنى النجار ، الذى جرح ، وعاش حتى مات فى غزوة الأحزاب .

وغزوة مؤتة لحدود الروم فى الشام هل يمكن عدها عدوانا ، مع ان الرسول صلوات الله عليه ، كان قد بعث الحارث الأزدى سفيرا الى ملك بصرى بالشام ، فقتله شرحبيل الغسانى دون ماجريرة ، فكانت غزوة تبوك بسبب ذلك .

وغزوة بدر لايمكن عدها عدوانا ، والرسول يرى ان يهاجم قافلة تجارة لقريش ، لأن قريشا صادرت اموال المسلمين فى مكة ، وحرمتهم من اموالهم وديارهم وتجاراتهم وكل مايمتلكون ، ولأن قريشا خرجت الى بدر مهاجمة معتدية ، حتى اذا انتصرت فى بدر سارت الى المدينة تهاجمها وتقضى على المسلمين فيها ...

الغزوات النبوية كلها كانت دفاعا عن النفس والعقيدة ولم تكن عدوانا على أحد ، ولم تكن مباداة بالحرب ، ولم تكن رغبة فى شىء من أغراض الدنيا ..

- ٥ -

ويقص الذهبى قصةُ هذه الغزوات كلها سنة بعد سنة فالسنة الأولى بعد الهجرة لم تقع فيها غزوات ، إنما كانت سنة الهجرة ، وبناء المسجد الشريف ، وفى السنة الثانية تقع غزوة الأبواء ، وبدر الأولى ثم غزوة بدر الكبرى وغزوة السويق ، وغيْرها .

وفى السنة الثالثة تقع غزوة بنى قينقاع ، لأن اليهود عبثوا بعرض عربية ، فدافع عنها مسلم فقتلوه ، فغضب المسلمون ، وحاصروا اليهود من بنى قَيْنُقاع ، وكذلك تقع غزوة بنى النضير فى السنة نفسها ، وبنو النضير طائفة من اليهود بناحية المدينة أيضا ، وكانوا يعدون لحرب رسول الله ، بمؤامرة دبرها معهم المشركون فى مكة .

وفى السنة الرابعة تقع غزوة الاحزاب ، وهى معروفة ؛ وغزوات أخرى بعدها

وفى السنة الخامسة تقع غزوة دومة الجندل على أطراف الشام ، لأن الروم جمعوا جموعا كبيرة هناك لمهاجمة الرسول ، ثم غزوة بنى قريظة ، وهم جماعات من اليهود كانوا قد دبروا مع قريش المؤمرات ضد رسول الله ، وظاهروا المشركين وأعانوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى السنة السادسة كانت غزوة الحديبية ،وفى السنة السابعة تقع غزوة خيبر وفيها اليهود الذين كانوا يأتمرون برسول الله مع قريش والمشركين .. وتقع كذلك فى السنة الثامنة لهجرة غزوة فتح مكة ، ثم غزوة

حنين والطائف ، وغزوة مؤتة ، ثم كانت رسل النبي صلى الله عليه وسلم الى الملوك والأمراء في كل مكان .

وفي السنة التاسعة والعاشرة جاءت الوفود من انحاء جزيرة العرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعلن خضوع القبائل العربية ، ووفودها لأول مرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- ٦ -

ويقص الذهبي في كتابه كل ذلك وغيره في إفاضة وسعة تحليل ، وفي استيعاب ودقة وعمق ووفور مصادر .

والذهبي يستقصي الروايات ويناقشها ويصحح اخطاء بعضها إن كان هناك خطأ ، ويقف دائما مع اقوى الروايات .

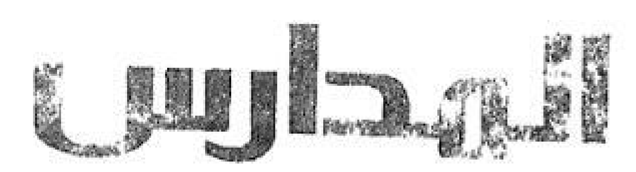
ويعتمد الذهبي في تاريخه للحوادث علي أوثق المصادر من كتب السنة ، والتاريخ والمغازي والطبقات والسيرة النبوية مناقشا ومدللا ومرجحا في عقلية مؤرخ وإحاطة محدث ، واستقصاء باحث ، واهتمام عالم والتزامه بالمنهج العلمي التاريخي الرفيع .

في غزوة الحديبية مثلا يستوثق مصادر من الصحيحين ومن رواية الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة وفي عدد المسلمين في هذه الغزوة يروي عن ابن مخرمة ان رسول الله خرج عام الحديبية في بضع عشرة مائة من اصحابه ، ويذكر رواية شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن ابي اوفى ان عدد المسلمين يومئذ كان الفا وثلاثمائة ، ويذكر رواية جابر ان عددهم كان خمس عشرة مائة ، ورواية اخرى عنه ان عددهم كان اربع عشرة مائة ، ويقول · وكأنّ جابرا قال ذلك علي التقريب ، ولعلهم كانوا اربع عشرة مائة كاملة تزيد عددا لم يعتبره أو خمس عشرة مائة تنقص عددا لم يعتبره والعرب تفعل ذلك كثيرا ، كما نراهم قد اختلفوا في سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاعتبروا تارة السنة التي ولد فيها والتي توفى فيها ، فأدخلوهما في العدد ، واعتبروا تارة السنين الكاملة وسكتوا عن الشهور الفاضلة - اي الزائدة - ويبين هذا ان قتادة قال : قلت لسعيد بن المسيب : كم كان الذين شهدوا غزوة الحديبية - بيعة الرضوان - ؟ قال أخمس عشرة مائة ، قلت : إن جابرا قال : اربع عشرة مائة ، قال : يرحمه الله ، لقد وهم - اي ظنّ ذلك واخطأ في ظنه - هو حدثني انهم كانوا خمس عشرة مائة ، اخرجه البخاري .

هذا الاستقصاء العجيب في ذكر الروايات يدل على اننا امام مؤرخ جليل ، وعالم عظيم ، وبحسبنا ان يقول عن كتابه هذا « تاريخ الاسلام » معاصر له مثل ابن الزّملكاني : هذا الكتاب جليل ، وهو كتاب علم ، ويقول فيه حاجي خليفة (١٠١٧ - ١٠٦٧ هـ) · هو تاريخ كبير علي ترتيب السنوات ، جمع فيه بين الحوادث والوفيات ، ويقول عنه ادوارد فانديك (١٨٤٦ - ١٩٣٧ ؟) في كتابه "إكتفاء القنوع بما هو مطبوع" : "الكتاب في التاريخ السياسي وطبقات العلماء لغاية سنة ٧٠٠ هـ ، وقيل · بل لغاية سنة ٧١٥ هـ ، وجعله على جملة اجزاء ، ورتبه على سبعين طبقة ، كل طبقة عشر سنين

القفز على

الأسوار



في الجو ـ هذه الايام ـ كلام عن التعليم وسياسة التعليم وخطط التعليم · ولكنني افضل أن أتكلم عن المدارس · فقد ثبت لدى اخيرا أن المدارس شيء مختلف عن التعليم · المدارس شيء نعرفه جميعا : شيء أرسل اليه ابني أو بنتي ، وترسل اليه ابنك او بنتك ، وقد تجد صعوبة في الحاق الولد أو البنت بالمدرسة التي تريدها لكونها قريبة من البيت، أو معـــدودة من مدارس الدرجة الاولى في الوزارة · وقد ينصحنا صديق او قريب بأن تدخل الولد أو البنت مدرســة من مدارس اللغات ، لان « الوسط » هناك افضل ، او لان المدة التي يقضيها الطفـــل يوميا في المدرسة أطول او لان المدرسين انشـط أو أعلم ، و الادارة أحكم أو احزم · وهنـا يكون علينا أولا أن نتوسل بجاه فلان أو نفوذ فلان أو صداقة فلان أو قرابه علان كي يقبل الطفل في المدرسة ، ثم يكون علينا ثانيا أن ندفع حلوانا كبيرا كالذى كان يدفعه طلاب المناصب في العهد العثمــاني ، وان كانت المدرسة تسميه مساهمة في انشاء فصـــل جديد بالجهود الذاتية · ثم يكون علينـا ثالثا ان نفرد جزءا لايستهان به من ميزانيتنا المحدودة لمصاريف المدرسة : بين رســـوم دراسة ، واشتراك سيارة ، ونشـــاط ، ورحلات .الخ · ثم لا يلبث أن يقال لنا ان التلميـــذ ضعيف في الحســـاب أو بحاجة الى تقوية في العربي · ومن هنا تبدأ رحلة طويلة مع « الدروس الخصوصية » ، لا تنتهي الا بحصول « الطالب على الليسانس · مهمـا يكن في أمر هذه الدروس الخصوصية مـــن مبالغات تصل الى حد زعم بعض أولياء الامور أن من المدرسين من تمتد ساعاته الى الثانية بعد منتصف الليل ، ومنهم من يبدأ الطلاب في حجز الاماكن لديه بمجرد اعلان نتـــائج الامتحانات ، وسواء أكانوا من الفائزين أم من الخائبين ـ مهما يكن من هذه المبالغات فالذى لاشك فيه أن الدروس الخصوصية اصبحت تقصم ظهر أى ولى أمر ، وبعض أوليـــاء الامور يدعون أن تخصيص نسبة كبيرة من الدرجة النهائية لما يسمى أعمال السـنة له دخل كبير في زيادة أعباء الدروس الخصوصية.

وسبب هذا الادعاء هو وبدون شك جهلهم بالمبادىء البيداجوجية التي دعت الى اعتمـاد هذا النظام ·

وقد يشعر الطالب النبيه أن ما حصله من المدرسة ومن الدروس الخصوصية غير كاف. فلا يدخل قاعة الامتحان الا وقد تزود بمـا يحتاج اليه من « البرشام » · ويقـال ان صناعة البرشام تقدمت تقدما مدهشا في هذه الايام ، وذلك بفضل استخدام الوســـائل التكنولوجية الحديثة في التصوير والتصغير وطباعة الفوتو والمونو · ولا تسأل عن المراقبين، فاكثرهم غائبون او غافلون أو متغافلون

بقلم دكتور . شكرى محمد عياد

ولماذا يقحمون أنفسهم فى هذه الامور وهم يرون « قرن الغزال » يطل من جيب الطالب النجيب ، ولهم اسر تنتظر اوبتهم كما تنتظر الام اوبة ابنها المقاتل فى الجبهة . وقد أخبرنى أحد كبار رجال التعليم أن من هؤلاء المراقبين رجالا آثروا الحسنى ووقفوا فى لجنة الامتحان يملون الاجوبة بالميكروفون . وعلى الرغم من هذه الاحتياطات كلها — اذ ان كثيرا من الطلاب لا يحسنون النقل أو يخطئون فى تمييز الكلمات — تأتى الاجوبة فى مجموعها مخيبة للامال ، ولذلك يلزم تدارك الامر فى لجان التصحيح ، حيث يتقرر منح قدر معين من الدرجات لكل من فيه رمق ، فلا يرسب الا طالب يكتب فى ورقة الاجابة أغنيات عبد الحليم حافظ ، أو طالب يزعم أن الفيلة تعيش فى القطب الشمالى .

هذه هى المدارس .

أما التعليم الذى يتكلمون عنه فى كليات التربية « وان كانت هذه أيضا مدارس » ، وفيها أقسام لعلم النفس والتربية النظرية والتربية العملية والمناهج وطرق التدريس الخ . وهى تمنح الماجستير والدكتوراه كغيرها من الكليات . ومن دخلها عرف الميول والاستعدادات والصحة النفسية والقياس العقلى ومراحل النمو وسيكولوجية التعلم والانتباه ، وأمكنه أن يحدثك عن فرديبل وبستالوزى وجون ديوى وربما عن ابن خلدون ، اذا كنت ممن يهتمون بهؤلاء الناس . واذا كان محدثك أستاذا فى احدى هذه الكليات ، أو شابا حديث التخرج متوثب الامال ، فسوف يتطرق الى انتقاد المناهج وطرق التدريس السائدة فى مدارسنا ، وسوف يعزو اليهما كل ما نشكو منه من ضعف مستوى الخريجين ، وافتقاد روح المبادأة لديهم ، وسوف يتحمس للطريقة الكلية أو طريقة المشروع ، ويدافع بحرارة عن النشاط المدرسى ، « اللاصفى » . باختصار ، سوف يعلن ما يشبه الثورة على نظم التعليم السائدة . وما زالت هذه « الثورة » تقوم وتنتهى ، بمعدل مرة كل عشر سنين ، طوال نصف القرن الاخير ، اى منذ بدأنا نستقبل البعثات التى تخصصت فى التربية فى انجلترا وأمريكا . وتزداد « الثورة التربوية » قوة وجلبة بقدر ازدياد رجالها عددا ونفوذا ، ولكنها تسير بمنهج ثابت : يعلن المسئولون عن ضرورة تصحيح مسار التعليم تؤلف لجان فى الوزارة لبحث خطط التعليم وبرامج الدراسة . تقدم اللجان تقاريرها الى لجنة أو لجان عليا . تؤلف لجان أخرى لوضع كتب مدرسية جديدة ، أو يعلن عن مسابقات لوضع هذه الكتب ، وتقوم لجان الوزارة بفحص الكتب المقدمة واختيار افضلها . تقرر الكتب وتطبع وتعمم فى جميع المدارس العامة والخاصة . وكثيرا ما تثبت التجربة أنها أسوأ من الكتب السابقة . النتيجة التى لا يختلف عليها اثنان هى أن المستوى العام فى المدارس يهبط سنة بعد سنة ، سواء من حيث النظام والانضباط ، أم من حيث عطاء المدرسين ، أم من حيث اكتساب الطلاب .

لا يمكن بداهة أن يكون هذا الفشل المتكرر « فهو فشل واضح » راجعا الى عيب فى علم النفس التربوى أو فى الطريقة الكلية أو طريقة المشروع ، ولا أن يعد بستالوزى أو جون ديوى مسئولين عنه . فهذه الاشياء التى تدرس فى كليات التربية أشياء مفيدة لاتقان العملية التعليمية ، ليس فى ذلك أدنى

[illegible]

شك ، وربما كان الاستغناء عنها مستحيلا ، بل ربما كان التعمق فيها مطلوبا . ولكن المشكلة هي ان أشياء الثورات التعليمية هذه لا صلة لها بالمدارس وما يجرى فى المدارس . انها ثورات لجان وتقارير ومناهج وكتب ، كثيرا ما تتلقاها المدارس بالرفض المعلن احيانا .. او المضمر غالبا ، وان خلقت انتعاشا ماديا واهمية مؤقتة لبعض الناس .
وكلما جاءت ثورة من هذه الثورات وذهبت ، ازداد مجتمع المدرسة ـ مدرسين وتلاميذ وادارة ـ تشككا وسخرية ، وازداد المجتمع الكبير من حولها ابتعادا عن مشكلات الحياة الحقيقية ، وعجزا عن رؤية أهدافه او النهوض بواجباته .

حركة عشوائية تشمل الكبير والصغير ، تنعكس من المدرسة على المجتمع ، ومن المجتمع على المدرسة ، فيصبح المكسب القريب ـ شهادة فى جيب الطالب ، او مبلغ من المال فى جيب المدرس ـ هو الباعث الوحيد والمبرر الوحيد . حركة الى أسفل ، كمن يغوص فى الرمل . ومن أجل هذه الحركة ينفق الشعب والحكومة آلاف الملايين من الجنيهات من أجل تخريج ملايين العاطلين ، وان سموا موظفين ، تدار المدارس والجامعات وينشأ المزيد منها ، بينما ينقص الانتاج الزراعي والصناعي كما ويتخلف نوعا ، لنقص العمالة الماهرة .

أما آن لنا أن نخرج من هذه الدوامة ؟
هناك أناس يتوهمون أن الخروج منها يكون بالغاء مجانية التعليم كليا او جزئيا ، وهذه قضية يجب أن تعالج بهدوء وموضوعية ، بعيدا عن التعصب الطبقي ، بعيدا فى الوقت نفسه عن الاغراض الديماجوجية التى تلبس ثياب الايديولوجية . ان الشعب الفقير ، وهو الاغلبية « المسحوقة » وان تغيرت مواقع الافراد بتأثير الظروف الاقتصادية المتغيرة ، لن يفرط فى حقه فى تعليم ابنائه بحسب ما تسمح به قدراتهم . هذا حق انساني بقدر ما هو اضافة للثروة القومية . ولكنه حق مشروط بالجدية فى استعماله مع القدرة العقلية التى تتناسب معه ، وان لم يكن مشروطا بالقدرة المادية .

على أن مجانية التعليم ليست لب المشكلة لب المشكلة هو الوصول الى المعادلة الصحيحة التى تتألف من أهداف المجتمع وامكانياته ووسائله لتحقيق هذه الاهداف . وعلى رأس هذه الوسائل يأتي اعداد القوة البشرية القادرة على تحقيق الاهداف بحسب الامكانيات المتاحة ، وربما كان الحل هو الا تقتصر على المدرسة ، بنظامها التقليدى وتكاليفها الباهظة ، كمؤسسة لاعداد البشر . لماذا لا تربط التعليم بالمصنع والمزرعة ؟ لماذا لا تستخدم الاذاعة والتليفزيون لتعويض النقص فى المدرسين الاكفاء ؟ لماذا لا تتحول وزارة التعليم الى جهاز اتصال كبير يوزع مهمة اعداد القوى البشرية على أكثر من جهة واحدة ، ويعطى شهادات الاهلية ـ للعمل أو لمزيد من الدراسة أو التدريب ـ لكل من يثبت قدرته على أحدهما ، مهما تكن الطريقة التى حصل بها على هذه القدرة ؟ لماذا لا نعيد نظام التلمذة الصناعية على الاقل بالنسبة للصناعات الصغيرة أو الدقيقة ، وقد كان عماد النشاط الصناعي عندما كانت لنا حضارة أصيلة ـ مع ربطه بالتعليم العام ؟ لماذا لا تطرح كل الافكار ، لتناقش فى الهواء الطلق ، بدلا من اجتماعات اللجان فى الغرف المغلقة ؟
لماذا ؟ ولماذ ؟ ولماذا .. الجواب عن كل « لماذا » من هذه هو أننا نتوهم أن التكنوقراطيين ـ وهم هنا البيداجوجيون ـ يمكن أن يحلوا لنا مشاكل التعليم . وهذا نوع من الكسل العقلى ، والهروب من المسئولية . فالتكنوقراطيون ـ فى التعليم كما فى غيره ـ لا يحلون الا مشاكل التنفيذ . ونحن نواجه مشكلات من نوع آخر . نحن نواجه مشكلات جذرية لا يحلها الا الفكر الحر والنقاش الواقعي الواعى ، يتبعه التزام مسئول على أوسع نطاق .
وليس أمامنا خيار .


الهلال
تحقيقات
هموم الجيل الجديد
امبراطورية الماستر
جرائم الشباب



بقلم : عصام الجمل

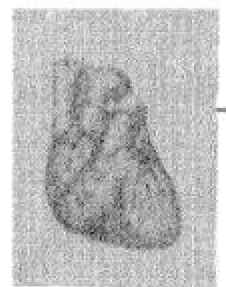
الاطعمة المسمة والحلويات .. وينسون تماما طبق السلاطة الخضراء .. فى ذات الوقت تظل نسبة الاصابة بالحمى الروماتيزمية ثابتة بل وتتزايد والمعروف أن الحمى الروماتيزمية مرض ينشأ بعد الاصابة بميكروب يسبب التهاب الزور واحتقان اللوزتين .. وينتشر بين الاطفال فى البيئات الفقيرة والتى لا تلقى بالا لعلاج طفل من التهاب الحلق .. وينتهى الالتهاب .. لكن الخطر يكمن فيما بعد ذلك وبعد فترة يتعجب الاهل من الم المفاصل واحمرارها الذى يعترى الطفل .. ولكنهم ينسون الامر تماما حينما يكف الطفل عن الشكوى .. ولكن الحال بالطبع يختلف فيما بعد حينما يضطرون لحمله اخيرا للطبيب مصابا بضيق او ارتجاع فى احد صمامات قلبه نتيجة لاصابته المتكررة بالحمى الروماتيزمية وعلى هذا .. فاننا بالفعل نواجه المتناقضات حتى فى أمراضنا .. أمراض المدنية وامراض التخلف فى أن واحد .

الحديث عن الحمى الروماتيزمية يجرنا للحديث عن المشاكل الصحية والاجتماعية التى يعيشها الطفل المصرى .. ففى الوقت الذى اختفت فيه الحمى الروماتيزمية تماما من الغرب مازالت احد اهم الامراض التى يعانى منها الطفل العربى عموما .

الوقاية من الحمى الروماتيزمية .. ثمنها عشرون قرشا فى الشهر

للاسف .. مازالت الحمى الروماتيزمية احد الاخطار التى تهدد الطفولة المصرية خاصة أن انتشارها فى المقام الاول يرجع الى سوء الاحوال المعيشية وتكدس الصغار فى فصول الدراسة ثم ازدحام المواصلات الى جانب سوء التغذية والعادات الصحية الغير سليمة . وبالطبع عدم الاهتمام بالتهابات الحلق عند الصغار .. يهاجم المرض أحد صمامات القلب ويترك به تشوهات من جراء الالتهاب الذى يحدثه .. ينشأ عنها اما ضيق فى الصمام .. أو ما يسمى بالارتجاع وفى هذه الحالة يتغير شكل الصمام فبدلا من أن يفتح فى اتجاه واحد يصبح من الصعب أن يغلق بصورة كاملة ، وبالتالى يمكن للدم ان يندفع فى الاتجاه المعاكس أى من البطين الى الاذنين بدلا من البطين للشريان الاورطى أو الرئوى كما هو طبيعى .. وبالطبع تبدأ عضلة القلب فى محاولة مواجهة هذا الجهد الجديد فتتضخم وتتسع ويبدأ هبوط القلب فى تلك الحالة تبدو الجراحة حلا وحيدا لا يقبل المناقشة .

بالطبع هناك مراحل كثيرة يمر بها المريض .. وتختلف الحالات حسب الاصابة الروماتيزمية فتكرار الاصابة يضاعف من خطورتها وتمكنها من صمام دون الاخر قد تتيح فرصة التدخل بالعلاج الطبى « مدرات البول وعقار الايجوكسين المقوى لعضلة القلب » الى فترات طويلة قد تتيح للطبيب أن يسمح بزواج مريضه أو



كيف تعيش سليم القلب

مريضته دون احساس بالخطر وربما أيضا الحمل والاهتمام بالطفل .. لكن الجراحة بلاشك تظل دائما الحل النهائي . ويخطر ببالي الآن ان أسدي نصيحة مخلصة لكل مريض بتلف أحد صمامات القلب الناشيء عن الاصابة بالحمى الروماتيزمية وحلمه الأول السفر للخارج لاجراء استبدال الصمام جراحيا .. جراحة استبدال الصمام الآن تتم في مصر بنجاح كامل لسبب بسيط هو أن التميز في الجراحة يتطلب أن يجري الجراح عددا كبيرا من العمليات ونظرا لانتشار الحمى الروماتيزمية في بلادنا فقد أصبحت من أهم مراكز اجراء جراحات الصمامات في العالم وحاليا عملية توضيع الصمام الميترالي تجري بنجاح وبلا أي مشاكل كذا عمليات القلب المفتوح لاستبدال الصمامات الأورطي والتيسرالي .. فلا داعي اطلاقا للاصرار على عملها في الخارج طالما انها تجري الآن في أكثر من مركز مصري متخصص .

ويبقى جزء من النصيحة .. كان يجب أن نبدأ به .. هناك بعض الحقائق الصغيرة قد تتوه منا فلا نعيها الا متأخرا .. الحمى الروماتيزمية على خطورتها يمكن اتقاء كل أخطارها بمجرد الشفاء منها للمرة الاولى بحقنة واحدة من البنسلين طويل المفعول ۱٫۲۰۰٫۰۰۰ وحدة مرة واحدة كل شهر .. ولا يتجاوز ثمنها عشرون قرشا !..

حقا تشخيص الحمى الروماتيزمية وعلاجها قد يستغرق أسابيع من ملازمة الطفل للفراش الى جانب العلاج الملائم من أسبرين أو بعض الكورتيزون وقد تؤلمه بعض الوقت حقنة البنسلين مرة كل شهر .. لكنها تقيه من أخطار الحياة بقلب معطوب وصمامات تالفة يجب استبدالها . ونأتي الى سؤال

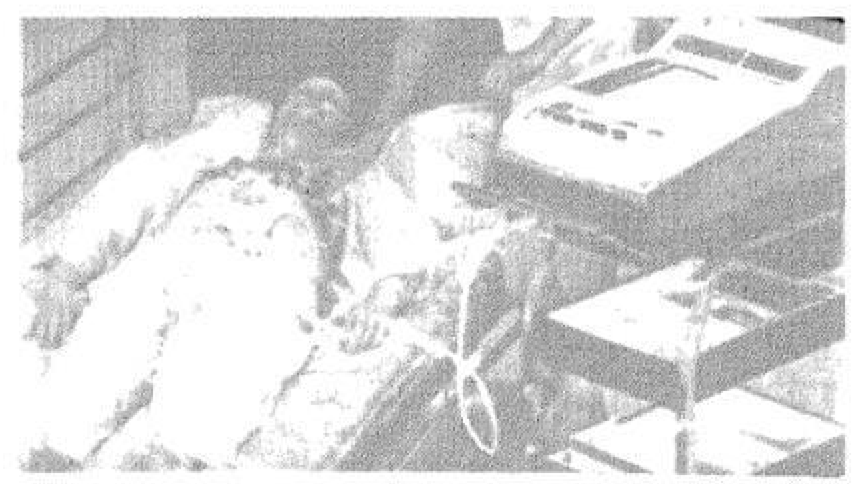
الى متى تستمر الحقنة الشهرية .. وهل لها من بديل ؟

يجب في الواقع أن تستمر حقنة البنسلين طويل المفعول حتى الخروج من عنق الزجاجة ، وهو بالنسبة لنا سن الخامسة والعشرين حيث تندر بعدها الاصابة بالحمى الروماتيزمية وقد تصل احتمالات الاصابة بها الى عدمها .. يراعى أيضا خلال هذه الفترة أن تعالج اى اصابة للزور بمضاد حيوي ملائم .. أيضا يجب أن يعرض الطفل على طبيب أسنان كل ستة أشهر لأن الاسنان تشكل قاعدة انطلاق للميكروبات للدم مباشرة من خلال اى بؤرة صديدية .

قد تخشى خطر حساسية البنسلين . نعم .. هذا الخطر قائم ولكن بنسبة ضئيلة للغاية قد لا تذكر اذا ما قارناها بفائدة البنسلين .

واختبار حساسية البنسلين يمكن اجراؤه ببساطة بحقن بعضه تحت الجلد .. قد يتصور أحدنا أن حساسية البنسلين تعني احمرار الجلد أو الرغبة في هرش المكان .. اطلاقا حساسية البنسلين ان وجدت تعني اضطرابا شاملا في اجهزة الجسم يحدثها هبوط مفاجيء في الضغط ينشأ من افراز مادة الهستامين اذا ما كان الشخص بالفعل حساسا للبنسلين ولا يحدث هذا الا لشخص واحد من مليون شخص اذا أردنا نسبة صحيحة للاصابة بحساسية البنسلين .

بالطبع في هذه الحالة نلجأ لبدائل البنسلين من المضادات الحيوية



جهاز او آلة تخطيط القلب الكهربائي

المشابهة وان كانت حالة البنسلين طويل المفعول الى الان هى الطريقة المثلى لدرء خطر الحمى الروماتيزمية مستقبل الانسان يواجه الحياة بصمام صناعي !

هو ايضا مستقبل اى انسان .. بيد الله .. حاليا تجرى هذه الجراحات بنجاح يكاد يكون تاما .. وبلا مشاكل ولكن بالطبع سلامة حكم الجراح وتعاونه مع الطبيب الباطني يشكلان عاملا مصيريا فى نجاح الجراحة وحالة المريض العامة بعدها .

عندما تكون اصابة الصمام طفيفة ولا تشكل عبأ كبيرا على عضلة القلب فان المريض يمكنه مع نوع او اثنين لا اكثر من الادوية من استكمال حياته بلا مشاكل تذكر حتى بدون جراحة أما اذا كانت الاصابة متكررة وشديدة ونشأ عنها تشوه كامل للصمام يكون التدخل الجراحى هو الحل الاوحد .

ضيق الصمام يمكننا توسيعه دون الحاجة لعملية قلب مفتوح أما الارتجاع فلا حل له الا الاستبدال بصمام اخر صناعى وهناك عدد من الصمامات يسمح الان لنا باختيار ما يلائم المريض حسب حالته ـ وربما اختياره فى حدود ـ فصمام صناعي لطفل بالطبع يختلف عن اخر فى أواسط عمره ، بل أيضا تراعى الظروف المحيطة بالمريض كوجوده الى جانب مركز متخصص أو معيشة فى الريف .

العلم الان بمختلف فروعه يعرض خدماته لمرضى القلب لتصميم صمام صناعي بالطبع لا يحتاج لجراح قلب يستبدله بصمام تالف فقط بل لمجموعة من العلماء فى علم وظائف الاعضاء والكيمياء الحيوية والطبيعة والهندسة الطبية وما اليها من تخصصات دقيقة يفرزها العلم باستمرار .

الذبحة الصدرية .. وتصلب الشرايين .. وقائمة امراض العصر

تتصدر الذبحة الصدرية وأمراض تصلب الشرايين الان قائمة امراض العصر والتى تنشأ عادة كمراطات لظاهر المدنية الزائفة .. فالمدنية الحقيقية لا علاقة لها بالامراض ! القلق والاضطراب والعمل اليومى ومشاكله التى لا تنتهى والتدخين والمهن التى تستلزم مجهود ذهنى شاق كلها مفردات قاموس واحد نتعامل به جميعا .

بل أيضا لم ينج منها ـ كما كنا ندعى منذ سنوات قليلة ـ الفئات التقليدية المثقفون ورجال الاعمال بل



كيف تعيش سليم القلب

التقل الى جوارهم فى ذات الخانة كل من ارتفع مخله بصورة تسمح له بالتدخين ! بالفعل .. لا خطر يعدل التدخين في كل الاخطار التى تحددها الدوائر الطبية والتى تسهل الاصابة بتصلب الشرايين التاجيه ومنها ارتفاع ضغط الدم وازدياد نسبة الدهون والكوليسترول في الدم والسمنة المفرطة ثم عامل الوراثة ومرض السكر ومختلف الضغوط النفسية . وخطر التدخين لا يكمن فقط فى ابتلاع الدخان كما يدعى البعض لكنه أيضا فى استنشاق دخان السجائر فى الزحام كالمواصلات العامة وكل الاماكن المغلقة .

فى مؤتمر القلب الذى عقد بالقاهره منذ شهور قليلة عرض أحد الاطباء الفرنسيين فيلما صوره لشرايين القلب التاجية اثناء التدخين وبعدها بساعتين .. وكان الفيلم قاطعا حينما رأى الجميع الشرايين التاجية وهى تتقلص اثناء التدخين !! ....

الوقاية خير من العلاج .. مقولة صالحة لكل العصور

بالطبع .. ينتظر الجميع من الطبيب فى النهاية نصيحة .. اذا ما سألت عنها .. اقول اننا نصيحة يسمعها الجميع ولا يعمل بها الا قلة .. الوقاية خير من العلاج .

حينما يقولها طبيب أو جراح قلب فانه يعنيها تماما ويترجمها بصورة بسيطة :

● حقنة بنسلين طويل المفعول شهريا تقى الطفل بعد علاجه من الحمى الروماتيزمية من اصابة صمامات القلب مستقبلا .

● الامتناع نهائيا عن التدخين .. وتنظيم ساعات عملك .. واقتطاع وقت من يومك للرياضة ولتكن المشى يوميا لمدة ساعة تعاونك على اتقاء شر الاصابة بأمراض العصر .

● وقفه قصيرة عند بداية الاربعين لاجراء كشف شامل على أجهزة الجسم تعاونك على التعرف على خريطة عامة لتضاريس صحتك واكتشاف أى مواطن الضعف فى جسدك .. وتمسكك من اغلاق كل المنافذ فى مواجهة ريح قادمة لا تعرف من أى جد تنحدر .

● قياس الضغط ومعرفة نسبة السكر فى الدم معياران يمكن بهما قياس كفاءة الشرايين واحتمال الاصابة بأى مضاعفات للسكر تكون أخطر من المرض نفسه كاصابات شبكية العين بنزيف أو خلل وظائف الكلى أو حتى مضاعفات الاصابة بجرح لا يلتئم .

لذا ينصح بقياس ضغط الدم ولو مرة شهريا واجراء تحليل السكر فى البول والدم ومتابعة أى خلل ممكن مهما كان بسيطا .

● وجبة غذائية متوازنة يغلب عليها اللون الاخضر .. وتتعادل فيها نسبة البروتينات والسكريات والدهون تقيك شر أمراض السمنة المفرطة واحتمالات الاصابة بأمراض تصلب الشرايين .

● أخيرا .. ولان معظم النار من مستصغر الشرر .. فاننى اكرر ان علاج الامور الصغيرة يأتينا محاولة محاصرة الكبيرة .. سرعة تشخيص المرض تعنى كم هى قدرتنا على مجابهته بصورة قاطعة وهذا يعتمد فى المقام الاول على ملاحظة ذكية تبديها أم للطبيب عن ابنها أو يذكرها مريض متعاون مع طبيبه .



بقلم :

مازن جلال الشعار

بيـــروت

١١١



إنسان البراري

في أواخر العام المنصرم . طلعتْ إحدى الصحف البيروتيّة بنبأ مثير للفضول ، وهو ذلك الانسان الذى عُثر عليه في براري سوريا حيث كان يرعى الكلا بين قطيع من الغزلان ، وليس به فارقٌ عنها إلّا ضئيلاً . وقد أثبتتْ الصحيفةُ صورة ذلك « المخلوق » واشارتْ إلى وجوده في المصحِّ العقليّ بحلب . وبذلك أثبتَتْ الحادثةُ إنتقالها من طَوْر النبوءةِ المعهودة إلى عالمِ الحقيقةِ المرئيّة .

ولايَسَعُ المُطالعُ لهذه الحادثة إلّا أنْ يسترجعَ ذاكرتَه قليلاً ، ليقفَ على انباء عديدةٍ تناقلتْها جرائدُ لاحصرَ لها في بحورِ الستّينات وماأعقبها . وهي تطلعُ باكتشافاتٍ مطابقةٍ في عالم المخلوقات الغريبة . ومن المراجعِ الموثوقة في هذا المضمار ، كتابُ صدَرَ باللّغة الفرنسيّة حينذاك وهو بعنوان « الاولادُ المتوحشون » Les enfants sauvages للمؤلّف الفرنسيّ لوسيان مالسون ، وهو سِفْرُ فريدُ في ثلاثةٍ وخمسين إكتشافاً لأولاد متوحشين عُثِرَ عليهم فى الغابات والصحارى والسهوب ...

إن مجرّد التفكير في أمْر هذا « المخلوق » الغريب لَهُوَ كفيلُ بأنْ يهيمَ بنا إلى عالمِ الأساطير القديمة التى زَخرَتْ بصور هائلة من طراز إنسان البرارى اليوم ومثالاً على ذلك أسطورة « تيرو » و « زيوس » أو « ريموس » و « رومولوسى » الذين رضعُوا حليب اللّبوة وترعرعوا في أحضانها .. وكلّها أقاصيص غبرَ عليها الزمنُ ومافتئتْ تعاودُ حوادثها في عصورنا الحديثة .

وليس ذا بال ههنا ، أنْ نستوثق من وقائع حدوث هذه الاكتشافات بقدر ماتبعثُ هذه الأخيرةُ الهمّة على التأمُّل العميق بمدلولاتِ هذه الحوادث التى اثبتتْ قراراً ليس باليسير من حقيقتها في أصقاعٍ متباعدةٍ من الارض . فنحنُ عارفون ماأثارتْ نظريةُ « النشوء والارتقاء » من زوابعَ هادرةٍ إنطلقتْ من العالم الغربي فى مستهل القرن العشرين



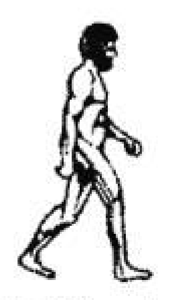
مخلوق البراري برسم مخلوق المدن

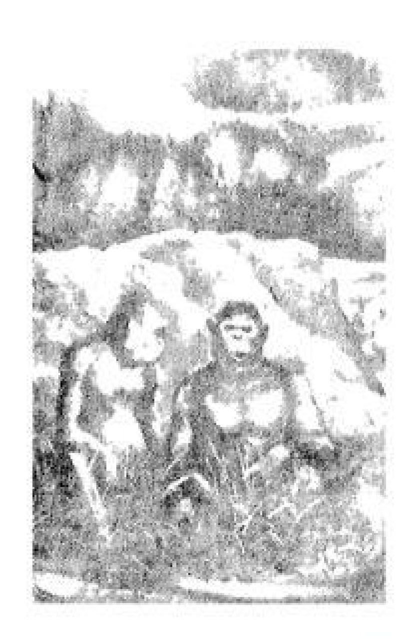
على يد « تشارلز داروين » الفيلسوف الانكليزيّ الشهير ، والتي اجتاحتْ كلَّ العقود المنصرمة وصولا إلى يومنا الحاضر .

وبالرغم من أنّ نظريّة « داروين » مابَرحتْ تتراوحُ بين عالم الحقيقة وعالم الغيبيّات ، وبالرغم من أنّ فلسفته لم تشقّ طريقها إلى الوثوف الكلّيّ لدى أوساط الفلاسفة والدارسين ، فإنّ العالم ليحار كثيراً عندما تستوقفه حوادث غريبة من طراز انسان البراري ، فيذهب فريق منهم مذهب الدهشة العالقة ، في حين يطلقُ الآخرون بعيدا في التسليم بأن هذه « الحوادث » هي ، في جوهرها ، أفاعيلُ فلسفيةٌ لمذهب « داروين » على أنها تثبت ذاتها بذاتها عبر المراحل الزمنية فنسجتْ المخيّلةُ الغربيّةُ تأثُّرا بتلك الأقاويل مثالاً أعلى لابن الطبيعة البدائى . وقد استغلّ أكثرُ من فنان غربيّ هذا المثال الغامض ليبتكر شخصيةً وضعيّة له كما تُوحى اليه مميّلته الذاتية وليس على قاعدة التصوّر التاريخيّ للأسطورة . فابتكرتْ المخيّلةُ الغربيّةُ شخصيةً خارقةً لابن الطبيعة ، والقتْ عليها حُلّة من القوةِ الجسدية لاتضاهى دون ما الاكتراث الى مناشيء العقل

ريموس وروملیوس قبل البشرية بملايين السنين





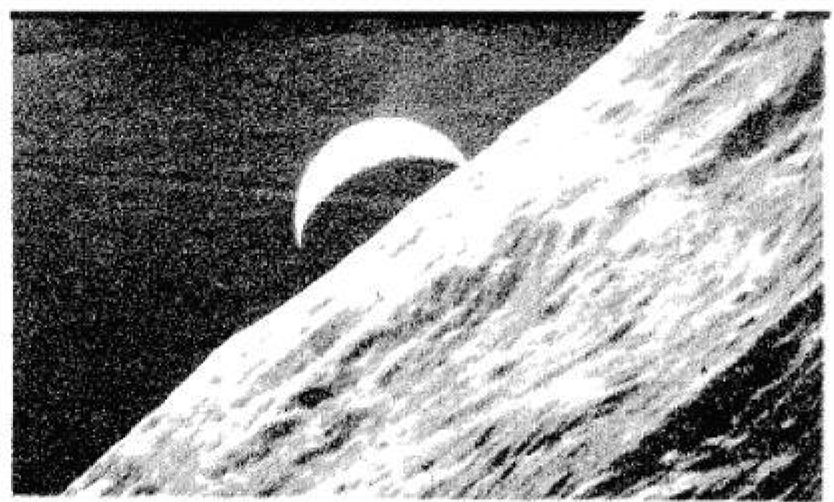


المسير لها وماهيته . وتتبادر الى ذهن المستطلع إحدى هذه الشخصيات التى ذاع صيتها فى هذا الباب ، ألا وهو « **طرزان** » **ربيب الغابات** ! وإن تراثنا العربيَّ ليزخر بمثل هذه المعتقدات ، وهو يقرُّ بفكرة اوّلية لاغبارَ على حقيقتها وهى إمكانُ حدوث مثل هذه الظواهر فى سياق حقائق الطبيعة الالهية ، المخلوقة ، واللامتناهية . ولكن وجه الاختلاف مع التصوّر الغربى هو أن التراث العربى قد اثرى تلك الظواهر مضموناً فلسفياً بعيد الأغوار كما تطالعنا قصة « حى بن يقظان » لابن طفيل أو القصة ذاتها عند إبـن سينـا فـى سـرد أخبـار « سلامان » و « أسال » وهى القصة التى اقتبس عنها الغربُ لاحقاً شخصية « روبنسون كروزو » ... وجميعها تتفق على احوال ذلك الانسان البدائى الذى يمثل حالة الطبيعة المكتنفة بالغموض وانتقال هذا الانسان الى مرحلة اكتساب المعرفة والعلوم انتهاء باكتسابه صفة الادراك الحسى وميزة العقل النظرى امام مطلق الموجودات التى تحيط به فى هذا الكون الشاسع .

وهذه مزيّة للتراث ، كما أسلفنا ، لا تدانيها معارفُ الغرب إلا من باب تزويق الخيال أو تبسيط الأسطورة الى اذهان العامّة لا اكثر .

وإنّ منْ يتأمل فى حادثة إنسان البرارى اليوم ليقع بديهياً على وجه التطابق بينه وبين قصة « حى بن يقظان من حيث أنه ترعرع فى الغابات بين الغزلان ، فاكتسبَ صفـاتهم ، وتطبع بطبائعهم ، ونشأ على شاكلتهم . وهى مطابقة مجردة من حيث المبدأ ، ولكن حادث له مدلولاته الثانية على وجه العموم .

ولكل كائن عالم يختص به دون سواه واذا شاءت الأقدار ان رمت « إنسان البرارى » فى عالم الطبيعة القاسية فذلك ان المشيئة الالهية قد اختارته واحد من مليارات البشر ليكون شاهدا على قدرتها اللامتناهية فى التحكم بمصائر الأرض ، والاتيان بضرائب الاقدا وعجائب الصروف .



رجل وامرأة في الفضاء

بقلم محمد فتحى عبدالفتاح

● فى البدء حلقت الكلبة فى الفضاء الكونى . ومن بعدها حلق الرجل . وفى مشهد مثير حلقت المراة . لكن تحليقها ظل مايقرب من عشرين عاما شبيها بالجملة الاعتراضية فى ملحمة إكتشاف الفضاء وريادته . فقد بقى النشاط الفضائى الشاق الخشن حكرا على من هم اهل له ..

ومع الزمن فقد هذا النشاط نصف خشونته ونصف خطورته ، كما امكن إضاءة الكثير من تاثيراته على الانسان . فبدات بنات حواء فى التحليق من جديد . وليست الأمريكيات من امثال سالى رايد وآنا فيشر ، او السوفييتيات من امثال سفيتلانا سافيتسكايا سوى بداية مرحلة جديدة من الانشطة الفضائية .. مرحلة الرحلات المختلطة والاقامة الطويلة فى الفضاء القريب من الأرض ، وربما العيش فى التبات والنبات ، وإنجاب الصبيان والبنات ●



● الزمان صيف عام ١٩٨٢ ..
● المكان محطة " ساليوت ـ ٧ " التى تحلق في الفضاء الكونى على مدار قريب من الأرض ..

باب بيت ومعمل الفضاء الذى يقطنه ويعمل فيه رجلان يدق الباب . الطارق رجلان وامرأة صعدوا من الأرض فى زيارة عمل تستغرق إسبوعا . فتح الساكنان باب البيت ، وتوالت رموز مشهد اللقاء .

صحيح أن الانفعالات تطغى على المشهد . فالرجلان قضيا ثلاثة شهور فى وحدة مطلقة بعيدا عن الأرض ، كما أنهما يستقبلان من يحلق فى الفضاء للمرة الأولى ، مع من خلق من قبل ، وإن أضناه الحنين لمعاودة التحليق فترة طويلة . وكل هذه مبررات لمزيد من العواطف الجياشة ، لهذا لم يكن هناك بد من أن تغلب الانفعالات .. لأن مشهدا من هذا النوع يحظى باعداد جيد كالمشهد المسرحى تماما ، فالارسال التليفزيونى يجعله يقع على رؤوس الأشهاد ..

" طرق الزوار باب البيت الفضائى محملين بالهدايا التى اصطحبوها من الاهل والأحباب على الأرض . إنفتح الباب تتراجع الضيفان خطوة ، كما لو كان فى مجاملة بريئة لزميلتهما . تقدمت الضيفة وإستقبلها الرجلان من داخل البيت الفضائى بأغلى وردة فى عالمنا ، وكما لو كان فى مجاملة أخرى ، وفقا لقواعد الاتكيت ..

لكن المشهد كان كله رمزا ، تقدم المرأة رمز ، الورد رمز .. وتوالت الرموز بعد المشهد فى احاديث يبدو وكأنها جاءت عفو الخاطر ، تدور حول البيت والدفء والجمال والاستقرار والمطبخ .. رموز كثيرة تتداخل ، يجمعها رمز كبير .. رجل وامرأة فى الفضاء الكونى !

صحيح اننا فى عصر المساواة .. عصر عمل المرأة كتفا إلى كتف مع الرجل فى كل مكان .. على الأرض وفى البحر والجو ، وليس هناك مايمنع ان تمتد صحبة العمل إلى الفضاء .. لكن هذا لاينفى أن النهايات تكون دائما ، كما علمتنا حكايات جداتنا ، أن يعيش الشبان والشابات فى التبات والنبات ، وان يخلفوا صبيانا وبناتا ..

لكن مالنا نقفز هكذا سريعا إلى النهايات ، ولماذا لانبدأ بالبدايات ؟

فى البدء (عام ١٩٥٧) طارت الكلبة .. قبل " لايكا " لم يكن الانسان يعرف ، بصورة دقيقة وقاطعة ، كيف يمكن أن تؤثر حالة انعدام الوزن ، وظروف الفضاء عامة ، على الكائن الحى . وذلك برغم التجارب الكثيرة التى أجريت بصورة موجهة ومنهجية (بدءا من عام ١٩٥١) لدراسة تاثير هذه الظروف على انواع مختلفة من الأحياء ، لم يكن أولها الفئران والأرانب والقطط ...

وظهر أن الفئران فى هذه الحالة تدور





على طريق عش الزوجية فى الفضاء الكونى

وكأنها مربوطة فى ساقية ، بلا إنقطاع يحاول الفار الوقوف ، لكن الساقية لاتتيح له ذلك .. ومع الزمن كانت الفئران تحاول استعادة بعض الهدوء من الارتكاز بذيولها على اى شيء ..

وكذلك الارانب كانت تقفز وترفس دون توقف ما ان تجد نفسها فى هذه الحالة ، لكنها مع مرور الوقت كانت تهدا وتفرد ظهورها ، وتمد اذرعها إلى الأمام طارحة رؤوسها إلى الخلف ، كما لو كانت تتمطى ، وفى إستمتاع ..

وكانت القطط تفنجل عيونها وتموء بصوت عال ، وتلوح باطرافها فى جنون ، علها تعثر على شعرة تتشبث بها فى الفراغ ..

باختصار كانت الحيوانات عامة ترتبك فى بداية مواجهتها لحالة إنعدام الوزن ، ورويدا يتاقلم كل او معظم او بعض افرادها على هذه الحالة .. لكن الكلاب اثبتت إنها اعقل الحيوانات واسرعها على التأقلم .. صحيح انها راحت فى البداية تهز ذيولها المنتصبة ، وتلوح بارجلها ، وتفنجل عيونها ، مثل القطط .. لكن سرعان ماكانت تهدا وتستقر وسط الفراغ



الأمريكيان جيبسون وسيدور إدواب في الفضاء



باسترخاء وهدوء ويقظة تحسد عليها!

حلقت الكلبة فماذا عن الانسان ؟

هكذا قر قرار العلماء على إختيار كلبة لاختبار الأمر على الطبيعة ، فإن أحدا لم يكن يعرف كيف سيكون سلوك الأحياء فى الحالة الحقيقية لانعدام الوزن ، فالتجارب كانت تجرى فى ظروف شبيهة تحاكيها لهذه الحالة على الأرض .

طارت الكلبة وقطع طيرانها فى الأمر بقول : الكائن الحى يستطيع العيش فى ظروف انعدام الوزن " .. لكن مع إجابة أى سؤال عادة مايظهر سؤال - أو أسئلة - جديد يحتاج - إلى إجابة : " ماهو كائن حى قد تحمل ظروف التحليق ، فماذا عن الانسان ؟ "

على الأرض كان الانسان يجرب التجارب تقول أن هناك طائفة من البشر يضل الواحد من افرادها ويصاب بأوهام السقوط من حالق فى هذه الحالة .. يشعر بأن كل ماحوله يتفجر كبركان ثائر .. وبالتالى فهو يحس بالذعر والكآبة والقلق الشديد .. وطائفة أخرى يحس افرادها ، ناهيك عن أوهام السقوط ، بأنهم معلقون من أرجلهم ، ورؤوسهم إلى اسفل ، لكن ذلك لايستمر إلا لفترة قصيرة سرعان مايتبعها حالة من الانتعاش ، ومزاج فى غاية المرح والانسجام !! وتحليق افراد الجماعتين محفوف بالمخاطرة ، ولا يحقق المطلوب ، فالهدف ليس عقاب الانسان بتعذيبه وتخويفه ، وليس العثور على وسيلة جديدة باهظة التكاليف والمخاطر للانشراح والانسجام ..

ولحسن الحظ ظهر أن هناك مجموعة ثالثة يحتفظ أفرادها فى ظروف الفضاء بملكات التقدير والاهتداء ، والأهم من ذلك كله بالقدرة على العمل برغم مايطرأ على حالتهم من تغيير ..

التجارب الارضية تقول ان تحليقاً قطاء من الناس ممكن ، لكن العلم يترك الكلمة الأخيرة دوما للمياه التى يمكن ان تكذب او تصدق الغطاس .. وهكذا طار الرجل وعاد باجابة قاطعة عن السؤال ، لكنها تفتح الباب لاسئلة جديدة كالعادة · الحياة ممكنة لكن لأى مدى ؟ والمدى هنا مفهوم مجسم له الف بروفيل وبروفيل ، او الف وجه ووجه ، كان على العلم ان يستقصى الاجابات عنها .. لهذا توالت التحليقات التجريبية ، من لفة حول الارض إلى تحليق ليوم كامل ، ثم تحليق لعدة ايام ·

رجل وامراة فى الفضاء





واستمر إستقصاء بروفيلات الزمن حتى شاءت الظروف أو فرضت ان تتجاوز إقامة أحد الملاحين فى الفضاء عاما كاملا !! تخللته أجازة سنوية قضاها على سطح الأرض .

لكن إلى مدى ؟

ومع إجابات اسئلة البروفيل الزمنى جاءت إجابات عن بروفيلات عديدة لسؤال المدى ترتبط بامكانيات العيش : التنفس والمأكل والمشرب والنوم والاغتسال والاخراج بل وكثير من الوظائف الحيوية الأرقى وإجابات عن اسئلة كثيرة حول معنى وجدوى مثل هذه التحليقات .. كما ظهرت بروفيلات جديدة لسؤال " إلى أى مدى ؟ " مضت تفرض نفسها على العلماء فى الحاح ، ومنها البروفيل الذى يهمنا هنا أكثر من غيره ، وكان قد أطل برأسه عام ١٩٦٢ يوم صحا العالم على صوت امرأة تداعب أحلامه وهى " تسبح " فى الفضاء الخارجى تحت اسم كودى هو " النورس " .. ذلك الطائر الذى تفهم منه السفن انها تقترب من يابسة بعد طول إبحار .. وربما إبحار فى المجهول .

وعاد " النورس " إلى الأرض يبشر بمرحلة جديدة ، تتجاوز تأكيد قدرة المرأة على التحليق فى الفضاء وتعطى سؤال المدى أو بروفيله أبعادا جديدة .. حط النورس ليجد فى انتظاره على الأرض وليفا ، وأى وليف ؟

الملاح الكونى الأول كان متزوجا ، والثانى أيضا .. لكن المفاجأة التى بدت مناقضة لكل الأعراف السوفييتية ، التى تفرض أن يكون الملاح الكونى عضوا فى الحزب ، وأن يكون متزوجا .. الخ .. كانت المفاجأة التى حيرت الألباب أن كان الملاح السوفييتى الثالث (نيكولاييف) حلق فى الفضاء اعزبا .. لكن الحيرة لم تدم طويلا فما أن انتهت إحتفالات نجاح رحلة " النورس " حتى بدأت احتفالات من نوع جديد .. خلعت الملاحة الكونية ثوب الفضاء وارتدت ثوب العرس ، وذراعا فى ذراع دخلت مع الملاح الأعزب قصر الزواج ، ووضع كل منهما دبلة ذهبية فى يد زميله ، وتم عقد القران ، بشهادة يورى جاجارين الملاح الكونى الأول ومعه زوجته .. قصة كلها فضاء فى فضاء أو زواج فى الفضاء جوا وأبطالا وشهودا ..

طفلة رائدى الفضاء صارت عروسا

بروفيلات اسئلة المدى كثيرة ، ولكل بروفيل رئيسى عشرات من البروفيلات الفرعية .. وقد أجاب عن واحد من هذه البروفيلات حمل وولادة زوجات الملاحين الكونيين بصورة إعتيادية ، بعد عودة أزواجهم من الفضاء .. واجاب عن بروفيل آخر تحليق تريشكوفا ـ النورس ـ وإنجابها



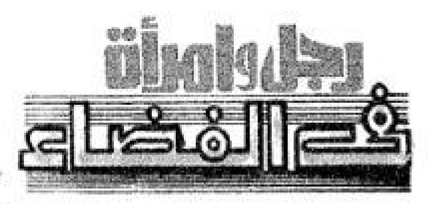
اول رائد فضاء مع اول رائده
جـاجـارين ـ فالنتينا

كريستين طفلة رائدة الفضاء
انا فيشر في لباس فضائي حقيقي

بعد الزواج من ملاح كونى .. ومرت ١٧ سنة صارت طفلة رائدى الفضاء خلالها عروسا . او " يمكن أن تملأ بيتا " وفقا للتعبير الشعبى . وربما أجاب ذلك عن بروفيل ثالث .

وخلال عقدين كان إنقلابا قد وقع فى طبيعة النشاط الفضائى . لقد طالت مدة التحليقات ، ولم تعد مجرد مسابقات واستعراض عضلات وتحول الجانب الاكبر منها إلى عمل له ضرورته وعائده وكسبه ، وايضا اقتصادياته ...تكاليف هذا السفر البعيد تتطلب ان يتسع وقت الرحلة بحيث لايضيع معظمة فى التاقلم على حالة إنعدام الوزن ، ثم فى الاستعداد للعودة إلى ظروف الأرض .. الوضع الاقتصادى الأمثل يتطلب فترات من الاقامة الطويلة ، ذلك بالاضافة إلى ان التحليق إلى اقرب كوكب لنا يستغرق سنوات ، وسنوات لامحالة !! كل المؤشرات تشير إلى ضرورة إقامة الرجل فى الفضاء فترة طويلة .. والرجل لايمكن ان يعيش وحده طويلا ، أو ليس هناك مايبرر ان يعيش لهذه الفترات الطويلة وحيدا .. بالذات والتحليقات لم تعد على ماكانت عليه من الخشونة والمشقة والخطورة .

وهكذا جاءت بداية المشهد الرمز .. امراة تتقدم رجلان فى الولوج من باب بيت الفضاء . لكن الرمز لم يقتصر على البداية ..لقد صعد قاطنا بيت الفضاء قبل شهور من الارض دون ان يصحبوا معهم وردا . غرسوا بذور الورد فى الفضاء.



الورد مثله كمثل كثير من النباتات . كان لايلبث ينمو ، خلال رحلات الفضاء المبكرة ، إلا ويموت .. يعيش ويموت دون إجابة قاطعة عن واحد من أسئلة المدى : وماذا عن النبات وقطاع الزراعة والتغذية و.... ؟

وهكذا جاءت إجابة الوردة الرمز فى نهاية المشهد : لقد نجح العلماء فى تهيئة الظروف لبذور الورد حتى تنبت فى الفضاء ، وأجابوا عن سؤال بالغ الاهمية يمكن أن نعود إليه فى مقال اخر .. لكن مايعنينا هنا انه بين بداية ونهاية المشهد بين تقدم المرأة وتقديم الورد رمز كبير

لقد كد العلماء فى دراسة ما تتعرض له الكائنات الحية فى الفضاء حتى على المستوى النسيجى والخلوى والجزيئى .. وتطبيقا على كثير من الأحياء . وبالذات الاحياء الدنيا التى تتوالى أجيالها بسرعة

سافتسكايا فى الفضاء



مكنت العلم من ان يصل فى الوقت الحاضر إلى دراسة تاثير ظروف الفضاء على الجيل الثانى والثالث بعد العشرين والثلاثين بل والخمسين ... بالنسبة لأنواع مختلفة من الاحياء ... ومرة أخرى يلح سؤال : وماذا عن الانسان ؟

وهكذا كان المشهد الرمز مجرد بداية لمرحلة جديدة فى التعامل مع الفضاء الكونى لقد طالت فترات الرحلات الفضائية .. التجربة تقول انه لافرق فى تاثير ظروف الفضاء على كل من الرجل والمراة .. نمو الطفلة ـ ثمرة الفضاء الأولى ـ بعد ان صارت عروسا ضوء أخضر امام الانسان فى إكتشافه للفضاء الكونى .. اجيال الحشرات والحيوانات الدنيا اضواء خضراء هى الاخرى ...

العلم لايعترف فى النهاية إلا بالمياه التى تكذب الغطاس أو تصدقه .. وحكايات جداتنا فى المهد علمتنا ان النهاية تكون دائما بان يعيش الشبان والشابات فى التبات والنبات .. اينما ذهبوا أو حلقوا ، وان ينجبوا صبيانا وبناتا .. وليست أنا فيشر أو سفيتلانا سافيتسكايا او سالى رايد سوى رمز لبداية هذه المرحلة الجديدة

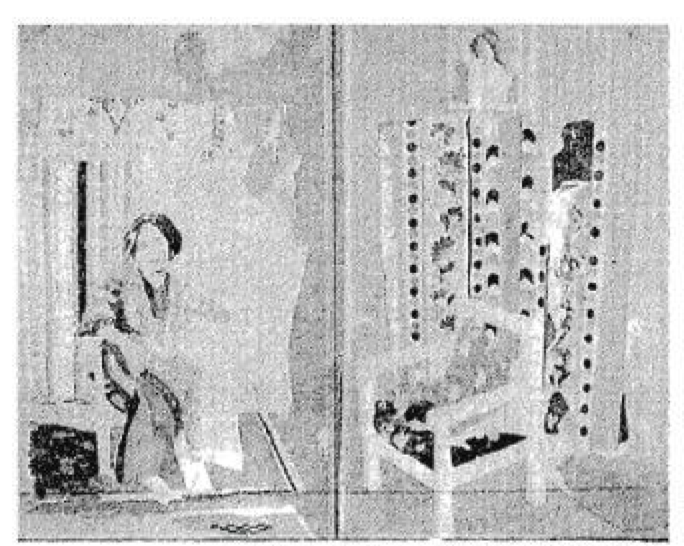
..سافيتسكايا رائدة الفضاء مع الورد





بقلم الدكتور : صبري منصور

● إن من تسنح له الفرصة لزيارة دولة الكويت ، وان يطلع على الحياة الفنية التشكيلية فيها ، ويلتقي باعمال الفنانين ويتناقش معهم يلاحظ تلك الوثبة في مجال الفن التشكيلي ، ففي خلال فترة قصيرة من الزمن اتسعت القاعدة الممارسة في شتى المجالات الفنية ، وازداد عدد الهيئات المعاونة والمشجعة للفنانين على الانتاج الفني ، وبدأت تتضح ملامح حركة تشكيلية متكاملة وواعدة ●

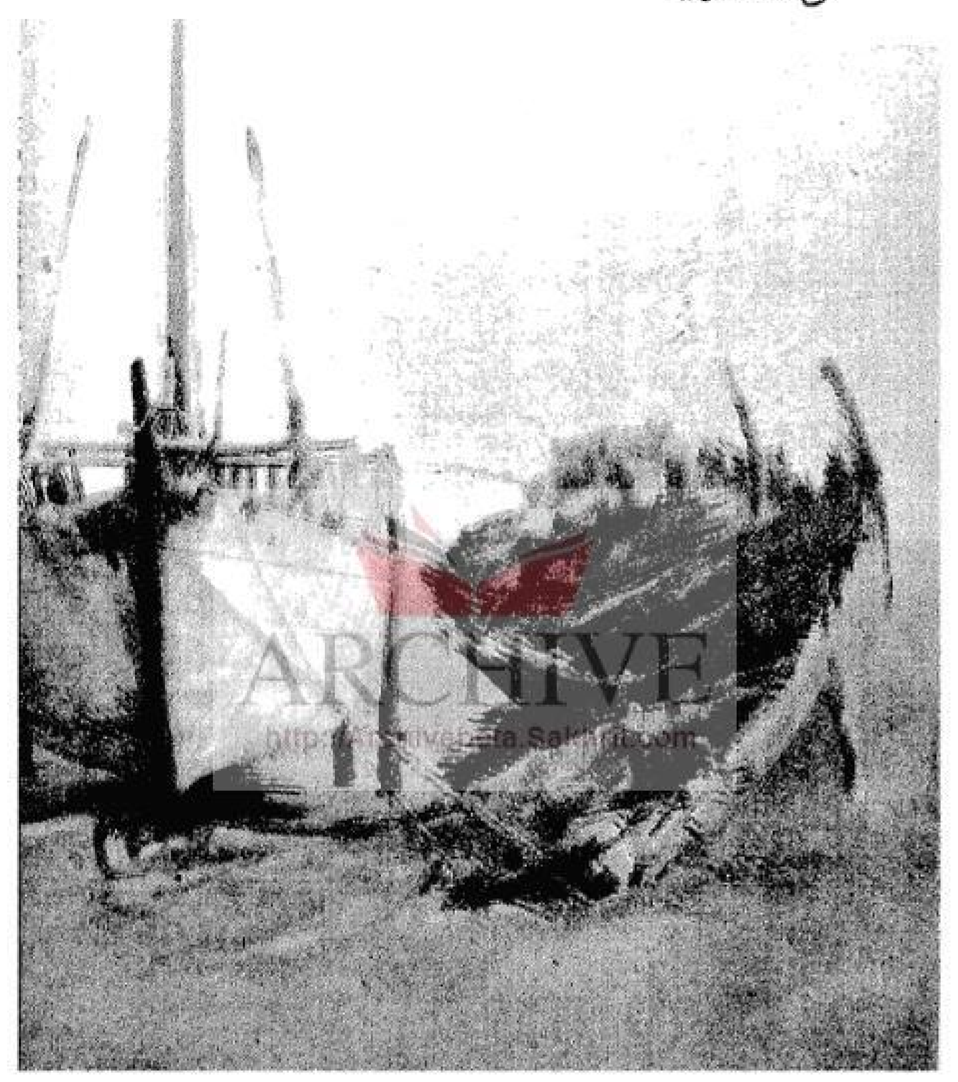


نموذج من اللوحات الحديثة لجعفر إصلاح

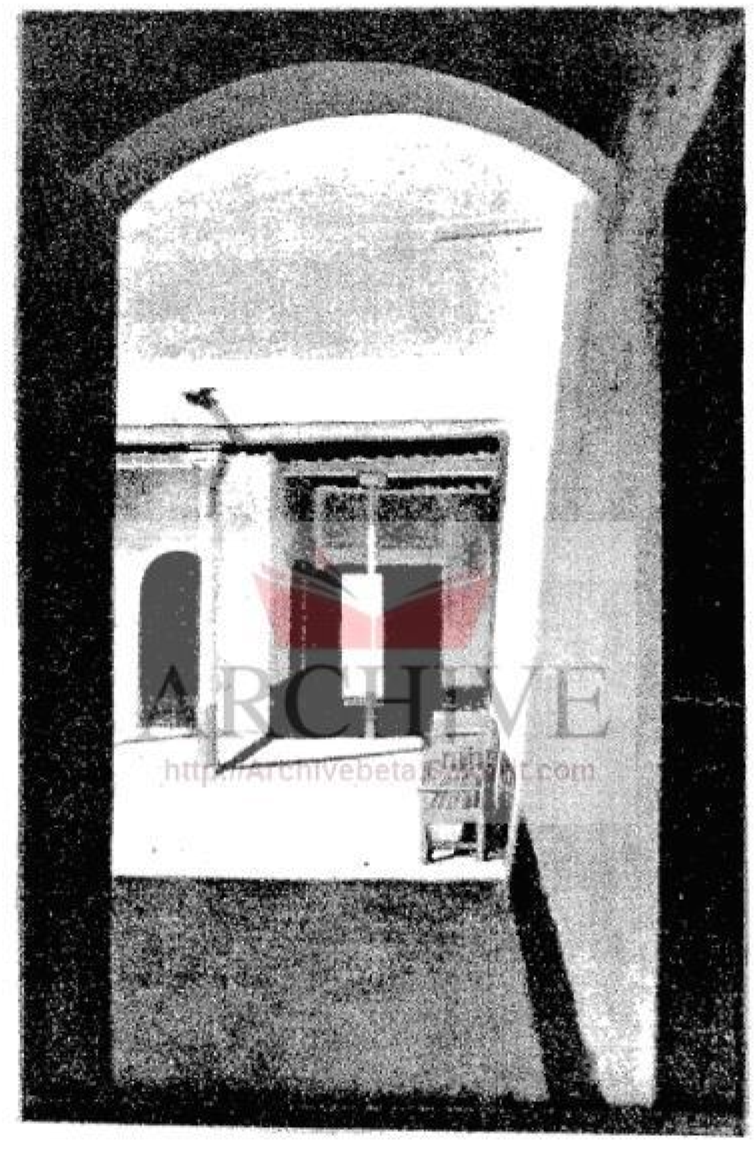
لوحة للفنان الكويتي عبد الله القصار







لتجريد في الزمان والمكان عند الفنان موضي حجي



الضوء والظل فى لوحة للفنان الكويتى محمود الرضوان

كان انشاء أول مدرسة نظامية فى الكويت ـ المدرسة المباركية ـ فى عام ١٩١٢ ولكن بعد التحول النفطي سرعان ماالتفت المخططون لتغيير وتحديث المجتمع الى اهمية التعليم فى احداث التحول المنشود . وكان من حسن طالع الفنون التشكيلية ان اولئك الذين تولوا التخطيط للنهضة الشاملة فى نظم التعليم وبرامجه قد أولوا الفنون قسطاً وافرا من التقدير والرعاية ، فلم تكد تمر سنوات على تشكيل اول مجلس للتعليم عام ١٩٣٦ ، إلا وبدأت طلائع الفنانين التشكيليين الموهوبين تأخذ فرصتها فى السفر الى الخارج لدراسة الفنون فى المعاهد المتخصصة ، وكان الفنان معجب الدوسرى أول مبعوث كويتى لدراسة الفنون فى انجلترا عام ١٩٤٥ . ثم توالت بعد ذلك البعثات الفنية الى كل من فرنسا وايطاليا وانجلترا . كما قامت مصر بدور بارز فى استقبال عديد من الفنانين الكويتيين وتعليمهم فى كلية الفنون الجميلة وكلية التربية الفنية ، نذكر من بينهم الفنانين ـ عبد الله القصار ـ عيسى صقر ـ المرحوم محمد الدمخى ـ موضى حجى ـ محمود الرضوان ـ سامى محمد ـ خزعل عوض ـ عبد الله سالم ـ صبيحة بشارة ـ حميد خزعل ـ حسين اشكنانى ـ قاسم ياسين ـ وهؤلاء الفنانون يمثلون الآن عماد الفن المعاصر فى الكويت .

ولقد بدأ النشاط الفنى التشكيلى فى الكويت من خلال المعارض المدرسية فى الثلاثينات والاربعينات ، تلتها فى الخمسينات معارض دورية كان يطلق عليها معارض الربيع وجدير بالذكر ان أول معرض خاص يقيمه فنان كويتى اقيم عام ١٩٥٢ وكان للفنان خليفة قطان .

ولاشك ان من أهم العوامل التى دفعت الفن التشكيلى بخطى سريعة نحو التبلور والنضوج ، ذلك التنافس لعديد من الهيئات الرسمية والشعبية فى تقديم العون والرعاية له ، فهناك وزارة التربية بمعاهدها المتخصصة فى اعداد التربويين الفنيين الذين يقع على عاتقهم عبء اكتشاف المواهب الشابة وتنميتها . وكان اول مؤلف عن بداية مسيرة الفن التشكيلى فى الكويت للفنان عبد الرسول سلمان وتم إصداره عام ١٩٧٥ وهناك « المرسم الحر » الذى أنشىء عام ١٩٦٠ ، وهو نظام يماثل نظام التفرغ للانتاج الفنى فى مصر ، حيث يقيم الفنانون المتفرغون معرضا سنويا لانتاجهم الذى تفرغوا من أجله ، وهم يشغلون جميعا مراسم فى مبنى اثرى واحد لاتاحة الفرصة للقاء والحوار المثمر بينهم . كما يضم هذا المبنى قاعة للعرض ، وأخرى للمحاضرات ، لذلك فإنه يعج بنشاط ثقافى وفنى دائم .

وهناك أيضا المجلس الوطنى للثقافة والاداب والفنون الذى يختص بإقامة المعارض العامة والشخصية ، واستضافة المعارض الخارجية ومباشرة الدراسات من اجل تجميل المدينة وإبراز وجهها الحضارى ، وإقامة المسابقات الفنية المختلفة ، بالاضافة الى توليه مهمة اقتناء الأعمال الفنية المتميزة من الفنانين .

واخيرا تأتى الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية ، وهى بمثابة نقابة للفنانين هناك . وقد وضعت ضمن اهدافها رعاية الحركة الفنية والعمل على ازدهارها ، وتنمية الوعى الفنى ، وتشجيع الفنانين وإقامة المعارض ، وتمثيل الكويت فى المعارض العربية والمحافل الدولية . ومن الانشطة البارزة للجمعية المعرض السنوى الذى تقيمه لأعضائها ، ومعرض السنتين للفنانين العرب الذى تبنت فكرته وتقيمه بنجاح يدعو للاعجاب منذ عام ١٩٦٩ .

وقد كانت الكويت ـ التى عرفت قديما عند الاغريق باسم (لاريسا) وسميت بعد ذلك بالكوت اى الحصن ـ معبرا اساسياً للقوافل التجارية فى الزمان القديم ، وكان الفنان فى الكويت يشق لنفسه طريقاً جديداً لايعتمد فيه على استمرارية خيوط فنية بعينها والنسج على منوالها ، أو تنميتها والاضافة اليها وعلى الرغم من صعوبة البدء فى تشكيل ملامح فنية لدولة حديثة ، فان الفنانين الكويتيين لم يلقوا بالا الى النماذج الجاهزة فى الفنون الحديثة ، ولم يشغلوا بالهم بإقتفاء اثرها ، بل حافظوا على استقلالية رؤيتهم وادائهم الفنى الخاص الذى ربما يبدو بسيطا فى معظم الاحيان لكنه جدير على اية حال بالاحترام والتقدير لأصالته وصدق تعبيره .

ولقد انطلق الفنانون الكويتيون فى بدء الحركة الفنية اعتمادا على تسجيل معطيات البيئة والواقع المحلى ، الذى يقوم على البحر والمراكب والصيد والمصنوعات الشعبية البسيطة ، وحفلت الاعمال الفنية فى تلك الفترة المبكرة بمناظر تسجل البيوت الشعبية المتواضعة ، والدكاكين ، ومراكب الصيد ، والعادات الشعبية فى تنوعها . ثم تبع ذلك جيل من الفنانين تحول العمل الفنى لديه الى تركيب فنى اكثر تعقيدا . وذلك بتخطيه تسجيل الواقع الى محاولة خلق اعمال لها قواعدها الجمالية الخاصة ، وزاد الاهتمام بالجانب التقنى ، وتغليب عنصر التعبير الفنى والخيال الانسانى .

ومن بين الفنانين الذين استطاعوا من خلال الممارسة الجادة ان يؤكدوا شخصياتهم الفنية ، وتبلورت اتجاهتهم لتكون معالم بارزة فى الحركة الفنية المعاصرة فى الكويت الفنان محمود الرضوان الذى يتناول فى لوحاته ملامح البيئة الكويتية ـ وخاصة البحر والمراكب ومناظر الاحياء والمنازل الكويتية التقليدية ـ وذلك فى اسلوب واقعى رصين ومعالجات لونية بسيطة ، مع التركيز على الانتقالات الحادة بين درجات الفاتح والغامق ، ورغم دراسة الفنان الرضوان فى القاهرة على ايدى الفنانين حسنى البنانى والمرحوم عبد العزيز درويش وقد كانا من اتباع الاتجاه التأثيرى ، الا انه استطاع ان يتخلى هذا



الحفر البارز الحجر سمة من سمات الفنان سامي محمد

الاتجاه ، مقتربا في اعماله من المعالجات الحديثة ، بحسن استغلاله للحوار بين الكتل الغامقة والاضواء المتسربة خلالها ، في تركيبات ينزع فيها الى التخلص من التفاصيل الزائدة . ولوحاته تكاد تخلو من العنصر الانساني ، مما اكسب الاعمال بعدا غير واقعي ، واضفى عليها مسحة ميتافيزيقية تستدعي الى الذاكرة أعمال المصور الايطالي المعروف دي شيريكو ، وينفرد الفنان عبد الله القصار بشخصية فنية شديدة التميز ، يصعب ادراجها تحت لواء اى اتجاه متعارف عليه ، فله معالجاته التشكيلية الخاصة ، واختصاراته الذكية للعناصر والمفردات التي يتكون معظمها من عناصر بيئية وتراثية ـ كالمراكب والقواقع والاسماك والأدوات الشعبية ـ يقوم بنثرها على سطح لوحته في تصميم فني محكم ، وعلى الرغم من بساطة الاسلوب والأداء والمعالجة اللونية لسطح اللوحات إلا انها تبدو في النهاية مغلفة باطار سحرى اقرب الى الاسطورة والحلم .

اما المصور جعفر اصلاح الذي يمتلك مقدرة فنية واضحة ، ومهارة عالية في الاداء ، فقد استطاع ان يبلور شخصيته الفنية في اسلوب رشيق يحتفل باللون ، ويتغنى بدرجاته الزاهية واعماله اقرب الى الغنائيات اللونية ، ويذكرنا اسلوبه بالفنان الفرنسي هنري

ماتيس واهتمامه بعنصر الزخرف العربي واستيحائه فى تشكيلات فنية حديثة ، ويمزج جعفر إصلاح فى لوحاته بين الشكل الانسانى والعناصر الزخرفية مزجاً رقيقاً هامسا ، يساعده تمكنه كرسام يمتلك رشاقة وسلاسة فى الخطوط ، ومقدرة فى السيطرة على حبكة التكوين .

وتقترب اعمال الفنان عبد الله سالم من الاتجاه التجريدى ، الذى لايخلو من التلميح الى البيئة الكويتية ، بما يضمنه لوحاته من عناصر محلية ، وتشكيلاته المجردة تتسم بالاتزان وحسن استغلال الفراغ . كما تعكس اعماله مقدرة اداء فنى عال . وهو يلجأ الى استعمال الوان قوية مستمدة من طريقة تلوين وحدات « السدو » الشعبية الشبيهة بالمشغولات الصوفية بواحة سيوة . ولعل من ابرز المثالين الكويتيين ــ وعددهم ضئيل لا يتجاوز المتميزون فيهم اصابع اليد الواحدة ـ المثال سامى محمد ، الذى درس النحت على يدى المثال الراحل جمال السجينى ، وتعكس اعمال سامى رؤيا فكرية ناضجة ومضامين انسانية تعبر عن قلق الانسان المعاصر وعذابه . كما تتبدى فيها شخصية فنية لها سماتها الخاصة ، وقدرة على التبسيط والاختصار ، وقد تعدت اعماله مرحلة التسجيل الى خلق رؤيا فنية متكاملة ، لها ابجاديتها الخاصة ، فى اسلوب حديث بعيد عن النقل او التقليد . إن اشكاله الانسانية تبدو فى صراع هائل مع كتل ضخمة صماء تسجن الانسان او تكبله أو تحاصره . وربما يبدو سامى محمد بهذه الرؤيا الكابوسية غريبا فى المجتمع الكويتى الذى لاتبدو عليه ــ على الاقل من السطح ــ مظاهر التفكك والصراع ، بل ينعم بكل دواعى الاستقرار والطمأنينة والى جانب هذه الاصوات المتميزة فى الفن التشكيلى المعاصر فى الكويت ، يلمع كثيرون ممن تبشر اعمالهم بمستقبل فنى ناجح ، مثل الفنان حسين اشكنانى بأعماله الموفقة فى النحاس المطروق ، والفنانة موضى حجى بالوانها الرقيقة ومعالجاتها الفنية لتراث من البيئة الكويتية ، والفنان حميد خزعل بلوحاته ذات النكهة التعبيرية .

والشيء الذى تفتقده هذه الوثبه .. التشكيلية فى الكويت ـ كى تصل الى المدى المطلوب ـ هو حركة نقدية تواكب الابداع المطروح فى الساحة الفنية ، وتتناوله فى موضوعية بالتحليل والتقييم ، وتكون بمثابة الضوء الكاشف للمواهب الفنية الصاعدة تنير لها الطريق وتأخذ بيدها حتى تضعها فى المسار السليم . كما يكون من واجب هذه الحركة النقدية طرح القضايا الفكرية فى مجال الفن التشكيلى ، وتعميق المفاهيم الفنية ، وإثارة الانتباه نحو تجويد المستوى التقنى ، والتأكيد على تحليل المقومات التشكيلية للعمل الفنى ، وإظهار مواطن الجمال فيه ، وتمييز الانتاج الذى يحتوى على القيمة الفنية الرفيعة . وذلك كله كفيل بأن يحمى هذه النهضة الفنية من مزالق التصنع والافتعال ، ويفتح لها افاق النمو والازدهار .



بقلم
مصطفى درويش

● هل كانت رحلة السينما المصرية مع الفساد ، محاولة جادة لكشف أبعاده بهدف تطهير المجتمع من مساوئه ؟ •
هذا ما يعالجه مصطفى درويش بقلمه الرشيق ●



محمود عبد العزيز ونور الشريف في الصعاليك

« المذنبون » فيلم فاصل بين عهدين لسببين :

اولا : لانه كان أول عمل سينمائي مصري يعرض للنساء في البلاد على جميع المستويات ،يتآمر على سلامة اهل القمة بوضعهم بكل انحلالهم ، بل قل انحطاطهم في دائرة الضوء ، اي في منطقة الخطر .

وثانيا : لانه بتطاوله هذا عل علية القوم قد دفع بوزير الاعلام والثقافة وقتذاك « ١٩٧٦ » الى اصدار الاثة قرارات اولها بوقف عرضه ، وثانيها باحالة الرقباء الذين رخصوا بعرضه وتصديره الى النيابة الادارية باعتبارهم مذنبين ، وثالثها — وهو القرار الصادر تحت رقم ٢٢٠ لسنة١٩٧٦ بتشديد الرقابة على الافلام وذلك باضافة مزيد من المحظورات الى قائمة الممنوعات المفروضة على صانعي الافلام ، لعل اكثرها غرابة خطر عرض المشكلات الاجتماعية بطريقة تدعو الى اشاعة اليأس والقنوط واثارة الخواطر !!

قبل « المذنبون » وتشديد الرقابة بسببه كان في امكان السينمائيين من خلال الواقعية الاجتماعية ذات المحتوى السياسي الضمني ان يقولوا الكثير ، ان يتناولوا في افلامهم الفئات المتوسطة من المجتمع المصري ، وبخاصة المستويات الدنيا منها ، تلك الفئات التي لعبت دورا بالغ الاهمية في الحياة السياسية بمصر ما بعد الثالث والعشرين من يولية سنة١٩٥٢

وهذا التناول كثيرا ما ادى الى تعرية هذه الفئات والكشف عن بذور فسادها أو استعدادها للفساد .

● علاقات اثمة ●

ولعل اكثر الافلام تعبيرا عن هذا الاتجاه الفاضح لتلك الفئات وفرسانها الذين عصفوا بالعهد القديم ، هي « القاهرة ٣٠ » « ١٩٦٦ » لصلاح ابوسيف و « الرجل الذي فقد ظله » «١٩٦٨ » وميرامار « ١٩٦٩ » لكمال الشيخ « فمحجوب » في الفيلم الاول يجرفه الطموح الجامح الى الموافقة على الزواج من عشيقة شخصية سياسية كبيرة حتى يوفر للعلاقة الاثمة غطاء يوفر لها الاحترام .

وهو من اجل الصعود والارتقاء وظيفيا يرتضي اية مهانة ، يستجيب الى طلب العشيق صاحب النفوذ ان يستمتع بشريكة حياته واين ؟ في العش الهادىء .. في فراش الزوجية

وانعدام الشعور بالامن والامان لدى تلك الفئات نراه متمثلا في ربط « محجوب مصيره بمصير عشيق زوجته السياسي في تخوفه من فقدان العشيق مركزه في القمة ، وبالتالي سقوطه مرة أخرى في مستنقع الفقر والحرمان

● الوصولية والارتقاء ●

والخوف الرهيب من الانكسار فالانحدار الى مستوى الضائعين في قاع المدينة هو الذي يدفع من هم على شاكلة محجوب الى التردي في اشد اشكال الوصولية سوقية .

« فيوسف » في « الرجل الذي فقد ظله » يشي لدى الشرطة بزملائه الصحفيين من اجل حماية مستقبله - انه يصعد على جثث الآخرين .

وبقدر علو مركزه ومقامه يزداد تقبله لمقولة ان الصحافة « نصف حقائق .. لنصف اكاذيب »

تضمر انسانيته حتى انه لايسمح لموت ابيه ومشاريع زواجه ان تكسر ايقاع عبوديته لمن هم أعلى منه شأنا .



ولا سرحان » في « ميرامار » يتشدق بشعارات الاشتراكية يستغل مركزه في لجنة المشترين بالاتحاد الاشتراكي ، يزداد وزنا وعافية بالتجارة في امراض المجتمع ، يادعاء رفع المعاناة عن الجماهير .

واكثر مايعاب على الشخصيات التي من هذا القبيل هو تسيبها خلقيا وثقافيا ،وعدم التزامها بالقيم المتعارف عليها حتى ما كان منها انسانيا بحتا .

ومما يثير الدهشة ان الشخصيات الاكثر ايجابية في تلك الافلام ، هي الاخرى تعاني نقصا في صلابة بنيانها الداخلي ، عجزا عن الصمود للاحداث وخطوطها

وهذا الانهيار الشامل ، قد يكون سببه مالوحظ من غياب اى التزام له جذوره الراسخة الضاربة في الاعماق ، فلا احد من تلك الشخصيات له قضية تبناها ، يجعل منها محورا لحياته بداية ونهاية .

● بعد الطوفان ●

كل هذا كان قبل « التلفزيون » والاعصار الرقابي الذي جاء مصاحبا لمرضه

اما بعد الاعصار فاغلبية الافلام ابان ماتبقى من عقد السبعينات كانت في حقيقتها عبارة عن فيلم واحد ينقل عن نموذج واحد مبطوط .

واستمر الحال كذلك الى ان بدأ نفر من صانعي الافلام المتخرج من معهد السينما التمرد على الرقابة ، ادرك ان لغة السينما تحتاج الى كلام جديد ، وان الخروج من الانحطاط لا يكون الا بخلع ثيابه .

ولم يكن الامر سهلا .

فالرقابة التي اعتادت على ان تكون الافلام مبنة متعددة على حياتنا ، قد افزعتها الصحوة ، فوقفت لافلام هذا الجيل الجديد المتمرد بالمرصاد . ولست ادرى كيف اصف الاهوال التي تعرض لها المخرج « محمد شبل » وهو يستمع للاتهامات الرقابية تكيل ضد فيلمه « أنياب » : والصوت العقل ينصحه بالتخلص من نسخته السالبة بالحرق .

ولما يقوله الفيلم من ان مصاصي الدماء قد انتشروا في ربوع البلاد ، وعششوا ، وان لهم حق رسم خريطة عواطفنا وكلامنا بل ومعتقداتنا ، وان هذا الحق الذي اغتصبوه قد تحول بالجيل الشاب الى جيل على هامش الحياة .

ولو انتقلنا الى الافلام الاخرى لهذا النفر المتمرد من فناني السينما وهي « قيدت ضد مجهول » و « عيون لاتنام » و « اهل القمة » و « الدوامة رقم ٧٠ » و « العار » لوجدنا ان النغمة السائدة فيها هي الاحتجاج على شريعة الغاب والانانية ، التي تمسك بخناق المجتمع ، وعلى اجهزة الامن والامان التي تخلت عن مهمتها وهي السهر على خدمة الشعب ، واستبدلت بها وظيفة اخرى هي حماية المهربين والمتاجرين في الاقوات والاعراض .

ففي فيلم « قيدت ضد مجهول » لصاحبه « مدحت السباعي » يختفي الهرم الاكبر بالجيزة ثم النيل ، ومع ذلك فالشرطة لاهية ، ومايشغل بال كبار القائمين على حراسة الامن العام ، ليس البحث بديا عن الجناة المتسببين في هذين الحدثين الفاجعين وانما الجرى وراء اللذات في احضان الغانيات والصاق الاتهامات بالابرياء .

● سلام العبيد ●

« وعيون لاتنام » اول فيلم يخرجه كاتب السيناريو « رافت الميهي » يصور القاهرة بعد ان تحولت الى مدينة صاخبة مخربة باكثر مما يستطيع عدو مجنون ان يفعل

وكرمز لها بعد ان فقدت امنها وسلامها وقع اختياره على قطعة ارض تحت احد الكبارى العلوية .

وفي ورشة اصلاح سيارات مقامة عليها ينفجر الصراع داميا ، ينتهي الى اقتتال الاشقاء اصحابها ، بعد ان تكتشف لهم ان ثمن ارض الورشة ـ ومساحتها لاتزيد عن الف متر ـ قفز الى رقم الاحلام .. رقم المليون جنيه .

وتشاء الصدفة ان يجيء عرض « اهل القمة » آخر افلام « على بدرخان » مواكبا



المذنبون اكبر ضجة في السينما المصرية الحديثة

لفضيحة احد نواب مجلس الشعب ، رفعت عنه الحصانة النيابية لاتهامه بجمع ثروة جاوزت الخمسمائة مليون من الجنيهات في فترة من عمر الزمن لاتتجاوز خمس سنوات جمعها عن طريق تهريب المخدرات بفضل حماية اهل القمة .

وفيلم « علي بدر خان » يعرض لحياة من هم على شاكلة هذا النائب ، هؤلاء الذين يرسمهم التهريب والهرب من العقاب لماذا ؟

لان صغار رجال الشرطة هم وحدهم الذين يقومون باداء الواجب .

انهم يطاردون المهربين ، يقتفون اثرهم، يعرضون حياتهم للخطر ليجدوا عملهم في نهاية الامر محكوما عليه بالاغتيال من جهات عليا .

● شعارات ●

والامر على العكس من ذلك في « العوامة رقم ٧٠ » لصاحبها خيري بشارة « فلا فرق داخل صفوف الشرطة بين كبير وصغير ، فالفساد قد ضرب بجذوره في الارض ونشر فروعا في الهواء .

وكعهدنا بصاحب « العوامة » اختار فساد الاوضاع موضوعا لفيلمه يحاكم من خلاله عصرا باكمله بكل اجهزته ومؤسساته

وقد يبدو لنا لايتسق الامران الاختلاس في القطاع العام بكل ما يتولد عنه من فساد والفساد هو محور الفيلم

ولكن سرعان ما يتضح ان له محورا آخر .. المدينة البديئة والفساد الذي استشرى والعجز عن محاربة الفقر والجهل والمرض.

ولذلك فلا غرابة ان انتهى الفيلم ببطولة المخرج التليفزيوني « احمد زكي » وهو يقرر لحظة الاحباط الكبرى ان يختار مرض البلهارسيا المنتشر في ريف مصر موضوعا لفيلمه المقبل ، يواصل به رحلة العذاب بحثا عن الحقيقة .

● التقوى والفجور ●

وفي اعتقادي ان « العار » للمخرج «علي عبد الخالق » يعتبر نموذجا وذروة لافلام هذا التيار المتمرد

هو عن قصة وسيناريو وحوار لمحمود ابو زيد ــ احد الرقباء الذين المسئولين عن عرض فيلم « المذنبون »

يدور حول عائلة ثرية متماسكة بفضل النجاح والايمان كبيرها تاجر عطارة «الحاج عبد التواب » يبدأ به الفيلم في دكانه رجلا تقيا ورعا طاهرا ، يقول لابنه الاكبر«كمال»



« نور الشريف » عندما يبلغه ان فوائد رصيده في البنك بلغت ثلاثين الف جنيه « حد الله مابيني وبين الفوائد .. اعوذ بالله ناكل ربا »

فلما يقترح عليه الابن اضافة الفوائد لحساب الزكاة والصدقات باعتبار ان الفقراء والمحتاجين اولى من البنك يرد معاتبا « الزكاة والصدقات لا تجوز الا من المال الحلال ياسي كمال .. لقد احل الله التجارة والبيع وحرم الرباء .. ربنا يكفينا شره »

وهو يقيم الصلوات في اوقاتها ، وصلاة الظهر في سيدنا الحسين لاتفوته ابدا .

فاذا ما انتقلت به الكاميرا الى قصره المنيف وجدناه زوجا فاضلا حنونا يعد حرمه « اصيلة هانم » « امينة رزق وهي الاخرى سيدة مؤمنة أدت فريضة الحج الى البيت الحرام سبع مرات - بان يتزمها بزيارة « الحبيب المصطفى » عندما يعقد قرآن ابنتهما الوحيدة على خطيبها ضابط الشرطة .

● الحرام .. الحلال ●

ومع سفر هذا الرجل الطاهر الذي يحلف الناس بشرفه وسمعته الى الاسكندرية لاستلام بضاعة ، يتكشف لنا ان وراء قناع كبير العائلة يتخفى تاجر مخـدرات من الوزن الثقيل ، وأنه في تلك المدينة لعقد صفقة حشيش بمليون جنيه أو « ارنب » في لغة عالم المهربين ، وأنه يحمل في يمينه حقيبة بها مليون الا « ربك » أي الا ربع

وفي قصره المنيف المطل على بحر الاساطير يعرض كبير المهربين « فؤاد بك » على الحاج ان يشرب كاسا من « الويسكي » ، فاذا ما امتنع لان الخمر حرام علق « فؤاد بك » ساخرا متشفيا « الشرب حرام وتجـارة المخدرات مش حرام ياحجوجة »

وفي طريق العودة الى القاهرة - وبعد اتمام الصفقة يقع حادث مروع لسيارته المرسيدس يذهب ضحيته هو وجميع فتواته الذين يعملون معه في تجارة السموم .

ويبقى سر كبير العائلة مجهولا لاولاده جميعا عدا الابن الاكبر الذي يستمر في ادارة اعمال التركة بما في ذلك تجـارة المخدرات .

وازاء اتهام اشقائه له بالاستيلاء على اموال التركة يضطر الى البـوح بالسر الرهيب

وبعد غضبة قصيرة يستبيح الاشقاء الاستمرار في الاتجار بالمخدرات مخافة فقدان الثروة والسقوط

وهكذا تتعرى العائلة ، ويبدأ كابوس مرعب كله دموع واشواك وتمزق ينتهي بالمقلب الصارم لافرادها على فجور كبيرها « والفيلم مليء بالدلالات ، زاخـر بالاسقاطات على اخلاقيات الفئات المتوسطة



شادية وعبدالمنعم ابراهيم في لقطة من « ميرامار

القائمة على الاثراء بلاسبب ، وبكل وسيلة ، وماتجلبه فى نهاية المطاف من خراب وعار .

● الردة الجديدة ●

ومع العار بدات موجة الافلام التى تمثل ارادة الحركة والتغيير فى آلانحسار ، ظهر تيار يعلق كل فساد على شماعة الانفتاح الاستهلاكى يحاول ان يبرأ الفئات المتوسطة من المجتمع ، يذهب الى القول بانها ضحية وليست سبب الانفتاح ومفاسده .

وازهاصات هذا التيار بدات بفيلم « انتبهوا ايها السادة » للمخرج « محمد عبد العزيز »

ولقد اختار « احمد عبد الوهاب » صاحب سيناريو الفيلم ان يقول رأيه فيما يحدث للمجتمع من خلال مواجهة كاريكاتورية بين جامع قمامة « محمود ياسين » وبين مدرس جامعى يعد رسالة دكتوراه فى الفلسفة « حسين فهمى » لتنتهى بتحول الاول من جامع قمامة الى صاحب مزرعة لتربية ماشية ثم الى مقاول كبير يتاجر فى كل شىء ، وبانهيار الثانى بعد فقدانه خطيبته يسلبها منه جامع القمامة وضياع مستقبله الجامعى .

وبفضل نجاح الفيلم المذكور تجاريا تدعم التيار الذى يعرض لظاهرة الانفتاح وانحرافاته دون الغوص فى اعماق المجتمع بحثا عن مسبباته .

فكان فيلم « قهوة المواردى » الذى اراد به مخرجه « هشام ابو النصر » ان يقول كل شىء عن فساد الانفتاح ، فلم يقل شيئا

وافلام اخرى كثيرة لعل اهمها رباعية « عادل امام » « حب فى الزنزانة » ، « الغول » ، « الافوكاتو » و « حتى لايطير الدخان » ، وهى عبارة عن تنويعات على موضوع واحد لايتغير .. الانفتاح بلصوصه داخل السلطة وخارجها يتاجرون فى كل شىء ابتداء بالاطعمة الفاسدة ووصولا الى المخدرات ، وفى مواجهتهم يرفع راية المقاومة ضد الفساد أبطال من الفئات المتوسطة « صغار المحامين والصحفيين »

● بر الامان ●

وكذلك فيلم «سواق الاتوبيس» للمخرج « عاطف الطيب » الذى اقف عنده وقفة قصيرة لاختيار النقاد له ضمن العشرة الافلام الاولى التى انتجتها السينما المصرية منذ انهيار العهد القديم ليلة الثالث والعشرين من يولية

ماذا يقول الفيلم ؟

يقول فيما يقول ان الاسرة المتوسطة المصرية كانت فى الايام الخوالى تتصف بالتماسك والوفاء والتضحية المتبادلة .

ولكن الرغبة المسعورة فى الكسب السريع خلفت آثارا مروعة

فكان ان تقضى على تلك القيم الجميلة لتحل محلها قيم الانفتاح تنتشر كالطاعون .

باختصار تناثرت حبات المسبحة اضحت كل حبة تبحث عن طريق الصمود حتى على حساب اخواتها .. كيف ؟

يدور الفيلم حول رحلة سائق اوتوبيس « نور الشريف » يحاول انقاذ ورشة اخشاب يمكلها والده « عماد حمدى »

والرحلة تبدأ به محاولا اقناع شقيقاته وازواجهن بالوقوف الى جانبه انقاذا للورشة من البيع .

وتنتهى بالفشل فالاب يموت محسورا والورشة تذهب مع الريح .

ولو كان قد كتب للفيلم ان يقف عند هذه النهاية الحزينة لاتهم صاحبه بالدعوة الى اشاعة اليأس والقنوط مما يشكل مخالفة لمحظور رقابى الامر الذى كان لابد وان يؤدى الى المنع وسوء المصير

ولكن صاحب الفيلم اضاف اليه نهاية ثانية توحى بان النصر ليس قدر الاشرار فعندما يقوم نشال فى المشهد الاخير القفاف بسرقة محفظة تقود احدى الراكبات ، ينطلق سائق الاوتوبيس فى اعقابه ، يمسكه يوسعه ضربا .

وفوق هذا يصفى حسابه معه ومع سائر النشالين ـ وبهم يرمز الى لصوص الانفتاح بان يسبهم باعلى صوته قائلا « ياولاد الكلب »

وبهذه النهاية المتفائلة حاول صاحب « سواق الاتوبيس » ان يرد الاعتبار الى الفئات المتوسطة من المجتمع ، ان يحيى الامل فى قدرتها على المقاومة والصمود .

وعلاوة على هذا ان يساير الرقابة ، فلا يصبى لها ممنوعا .







طوكيو

● يوذا يرتدي القبعة ●

صاح الجندي السوفييتي الذي يدخل بيتاً امريكيا لأول مرة «كوكاكولا .. كوكاكولا» راجع فيلم «الروس قادمون» الذي عرض في الشهر الماضي بالتليفزيون .. لم يثره في هذا المنزل سوى زجاجة الكوكاكولا .. هذه العبوة الصغيرة التي اصبحت رمز الحضارة الغربية .. ليس بالنسبة لدولة بعينها ولكن للعالم كله .

في الفترة الاخيرة بدأ العالم ينظر الى نوع آخر من المنتجات على انه رمز حضارة جديدة يمكن ان تكشف نفسها في السنوات القادمة تظهر في شرق آسيا .. لقد اصبحت اليابان من خلال منتجاتها المادية موجودة داخل كل بيت من اقصى الدنيا الى اقصاها وبدأت الاسماء اليابانية تتردد على كل لسان .. لكن يبدو ان اليابان قد اختارت ان تصبغ لون الحياة بها بالصبغة الغربية بدلاً من ان يحدث العكس .

قد لا يكون هذا غريبا . فاليابان لم تسع للخروج عن دائرة الغرب الذي بدأت نهضتها الحديثة بتقليده والسير على نهجه . بل أن اليابانيين فكروا ان تكون نهضتهم مادية نفعية من الدرجة الاولى . الاهتمام بالحاسبات على حساب تطور الفنون والآداب . صناعة الازياء وأجهزة الفيديو دون التركيز على تطور فن السينما او دراما الفيديو . لدرجة ان

اليابانيين تركوا لبلاد اخرى ان تحول فنونهم الحديثة مثلما حول الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة وفرنسا اشهر الافلام اليابانية الاخيرة .

احدث صيحة الان في اليابان - على الطريقة الغربية - هو اصدار طبعات يابانية توزع الان داخل البلاد على أوسع انتشار من اشهر المجلات النسائية - وليس الفكرية او الثقافية - العالمية . مثل كوزمو بوليتان، فوكس (امريكا) « ال » « ماري كلير (فرنسا) .. ومثل هذا النوع من المجلات لابد ان يصبغ الحياة اليبانية الحديثة باللون الغربي . فهي مجلات تأتي لليابان بأحدث أنواع العطور وأدوات التجميل والازياء . والتي بدأت البلاد الان في تصنعيها وتصديرها الى الاسواق العالمية لمنافسة جيدة مع المنتجات الامريكية الاوربية لقد بدا أن اليابان قد اختارت أن تسير في طريق افقدها هويتها المعروفة عنها وبدات ملامح الحياة اليبانية المعاصرة ترتدي قبعة « الوسترن » وتشرب الكوكاكولا . بل تدهن الجلد الاصفر باللون الاحمر الوردي .. ويجري اليابانيون عمليات لتوسيع عيونهم الضيقة ... ويرتدي بوذا المعروف بابتسامته الهادئة قبعة أبطال الغرب !

كان

● بونابرت - ليه ●

لم يثر فيلم مصري الحوار مثلما اثار فيلم « وداعا بونابرت » ليوسف شاهين واذا كان هذا هو حال الفيلم . فان شخصية نابليون بونابرت تظل حتى الان احدى الشخصيات التاريخية الهامة التي الهبت حواس الكتاب والفنانين ومخيلتهم . واذا كان الفرنسيون قد غضبوا من الصورة التي قدم بها يوسف شاهين نابليون .. لكن هذا الرجل قد اختلفت حوله الاراء .. وجسده العديدون من الممثلين على شاشة السينما بصورة خاصة .. نابليون .. لماذا ؟ على طريقة يوسف شاهين بلاشك فانه رجل حقق الكثير من الانتصارات لبلاده التي ظلت تنظر له على انه قادم من كورسيكا الجزيرة ذات الاصل الايطالي .. رجل الهزائم والانتصارات والمكائد .. هو عاشق احيانا .. قائد







العالم في سطور

أحيانا اخرى .. مهزوم أو منتصر في كثير من الاحيان

ظهر نابليون أول مرة في السينما عام ١٩١١ حين جسده الممثل الفرنسي ادمون ديسكن من خلال فيلم « مدام سان جين » ... ويقال ان ادمون بعدان جسد هذا الدور قد وضع في مصحة عقلية وشوهد يسير في ردهات المصحة مقلدا نابليون .

اما البير ديودنه الذي جسد الشخصية في فيلم حمل نفس الاسم عام ١٩٢٦ من اخراج ابل جانس فقد ظل يتصرف طيلة حياته كنابليون وبلغ به تقمص الشخصية أن كتب مسرحية تحت عنوان « انا نابليون » .

ورفض كل الادوار الاخرى خارج شخصية نابليون .

وقد استطاع العديد من الممثلين ان يفلتوا من سحر الشخصية ويتجاوزونها الى شخصيات اخرى ومن الذين رأيناهم يمثلون نابليون نذكر : شارلي شابلن وسيرج لاما وجان لوى بارود وشارل بوابيه ورايمون بللجرين . ودانيل جلين ، مارلون براندو ، رود شتايجر ، جيرار اوري وأخيرا باتريس شيرو .. اما الممثلة المعروفة سارة برنار فقد جسدت الشخصية على المسرح في « النسر الصغير » .. كما الهب نابليون خيال كبار المخرجين مثل هنري كوستروساشا جيتاري وابل جانس ويوسف شاهين . فان المخرج المعروف ستانلي كيوبريك يستعد حاليا لاخراج فيلم جديد عن القائد الفرنسي .. وستراه هذه المرة بوجه جاك نيكولسون .

نيويورك ..

كوكايين . كوكايين . كوكا .

انه عبارة كانت ترددها جدتي تقول : « لا يأتي من الغرب شيء يسر القلب » . وكانت تقصد بالذات الكوكايين الذي ينتشر بين ابناء جيلها ويدمر الشباب والرجال من الذين يتعاطونه. هذا المسحوق الابيض الذي وجد طريقه مرة اخرى من بلاد الغرب الى بلادنا

سوف يصبح مع عام ١٩٨٦ حديث الناس من خلال مجموعة الافلام المصرية التي يتم تصويرها الان في الاستوديوهات وستطلع على الناس بموجة جديدة وقانا الله شرها .

ولعل المخرج الامريكي المعروف بول موريسي كان يعرف نية السينما المصرية الى ان تستفيد من هذه الظاهرة المدمرة

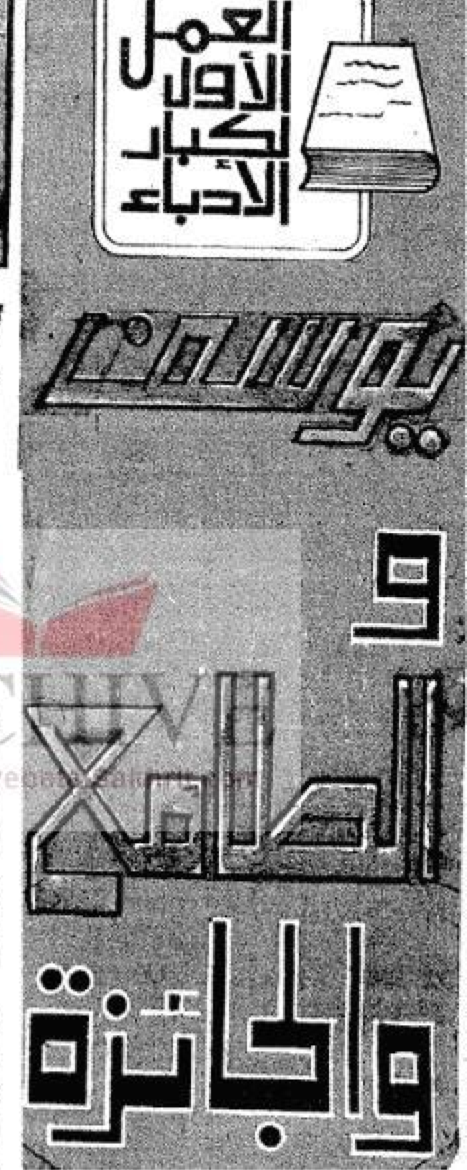
ـ تعاطى الشباب الكوكايين ـ لمبق رقدم فيلمه « دمــاء مختلطة » الذى يعرض الآن فى الولايات المتحدة وأوروبا حول الشباب والدعارة والمسحوق الأبيض · حشد المخرج لفيلمه مجموعة من الشباب الذين يقفون لأول مرة أمام الكاميرا · بل انه انتقل الى التجمعات الشبابية التى تتعاطى هذا المسحوق · وهى أماكن الفقراء أو المهاجرين من البلاد الاخـرى خاصة أمريكا اللاتينية الى نيويورك والولايات المتحـدة · حيث الخرابات والدهاليز والشوارع الخلفية · خاصة فى حى ـ الف باء » · ويحكى الفيلم قصة عائلة برازيلية تسكن أحياء نيويورك الخلفية · ريتا ربة العائلة تسعى الى أن تعيش ـ بأى اسلوب ـ فى هذه المدينة الضخمة من خلال الاتجار فى المسحوق الابيض ·

وأسرة ريتا لا تتعاطى المسحوق لانها تدرك خطورته · فالمرأة ترى أنها تتاجر فى سلعة مثلها مثل أى تجارة أخرى · خاصة انها كانت من قبل تعمل فى تجارة الرقيق الابيض ·

اراد موريسى ان يخالف قول جدتى المأثور السبق ذكره بمنظور أمريكى · فهو يسير فى موجة أفلام أمريكية تدين لهجرة من دول أمريكا اللاتينية اليها مثلما فعل ـ منذ سنوات ـ بريان دى بالما فى « ندبة الوجه » حول هجرة الكوبيين حاملين مساحيقهم البيضاء الى الولايات المتحدة ثم فيلم حرس الحدود لتونى ريتشارد سون عام ١٩٨١ · وكى يعطى لفيلمه الصبغة الواقعية اسند دور البطولة للممثلة البرازيلية ماريليا بارا ··







يوسف جوهر

بقلم: محمد الشاذلى

● واخيرا .. حصل يوسف جوهر احد رواد القصة القصيرة على جائزة الدولة التقديرية، بعد ان بلغ عمره ثلاثة وسبعون عاما، ويوسف جوهر من اوائل الرواد الذين خلقوا الصلة العضوية بين الأدب المصرى والسينما، واحد الذين ساهموا فى تاصيل القصة القصيرة فى الثلاثينات .. ●

ولد يوسف جوهر عام ١٩١٢ وتخرج فى كلية الحقوق عام ١٩٣٥ وافتتح فى نفس العام مكتبا للمحاماة فى مدينة طنطا ولمدة سبع سنوات . وقف خلالها امام القضاة للدفاع عن المساكين الذين يضيعون اعمارهم فى التفاهات، والجرائم المتشابهة فى الريف . مما



اتاحت له فرصة تامل وتحليل المشاعر الإنسانية العميقة .

وقصة « الطامع » هى أول قصة قصيرة منشورة للكاتب الكبير فى مجلة الرسالة الأسبوعية لصاحبها احمد حسن الزيات فى ١/١٠/١٩٣٣ . وهى تعبر عن اختياراته المبكرة لقصصه من واقع الحياة المصرية ، وتدلل على موقفه الأخلاقى تجاه القضايا الاجتماعية ، ورؤيته الصارمة لمسالة الثواب والعقاب .

تدور « الطامع » فى إحدى القرى المصرية ، حيث تصعد اسهم أحد ابناء القرية ، ويصيب رزقا واسعاً ، فيصاب بدوار الطمع ، ولا يقف طموحه عند حد ، وبهذا يبدأ الطريق نحو الأفول والضياع لنفسه ولثروته ولكيانه الاجتماعى .

ويكون نوعا من مصادرة النص إذا قلنا أن القصة محاولة لبسط الحكمة الشعبية القديمة ، الطمع قل ما جمع ، فى قالب درامى ، ولكن القصة فى الواقع تحمل اكثر من معنى إنسانى .

الف يوسف جوهر ١٥٠ فيلما للسينما ، كما كتب السيناريو للعديد من الأعمال الادبية الكبرى ، منها : دعاء الكروان والحب الضائع لطه حسين وبين القصرين لنجيب محفوظ والرباط المقدس لتوفيق الحكيم .

وقد اتجه الى السينما عن قناعة بدورها فى توصيل الأفكار الجادة لجمهور عريض من الناس ، وقدم للسينما اعمالا ذات مضمون جيد بعد ان كانت السينما المصرية تعتمد فى معظمها على النقل وكتاب السيناريو او ما يطلق عليهم « كتاب البطارية » .

يشتهر يوسف جوهر بانه كاتب قصة قصيرة ومؤلف قصة سينمائية فقط ، على الرغم من انه روائى جيد . ولكنه كان اكثر إخلاصا للنوعين الأولين . وقد حصلت اول رواية كتبها « عودة القافلة » ـ ١٩٤٢ ، على جائزة اول مسابقة لمجمع اللغة العربية بالقاهرة بالاشتراك مع اربعة روايات اخرى لـ : ـ نجيب محفوظ ـ عبد الحميد جوده السحار ـ على احمد باكثير ـ عادل كامل . بعدها كتب « أمهات فى المنفى » و« دوامات فى نهر الحب » و« الصعود إلى قمة التل » .

فى « الطامع » إرهاصات لما نراه ـ فيما بعد ـ فى قصص وروايات يوسف جوهر ، حيث البناء اللغوى المحكم ، والتمهيد النفسى غير الممل ، والموضوع الحافل بالقيم الانسانية ، وقدرة فائقة على التعبير عن الطبقات الكادحة بصدق وموضوعية وحس مرهف



لقد واتاه الحظ، ومشى إليه السعد، وحفلت حياته الجديدة بما تحفل به حياة رجل عظيم! . لم يعد الشيخ "ياقوت" رجلا عادياً فى القرية، بل أضحى رجلاً مرموقاً . فأنت ترى الجلوس فى آخر الطريق ينهضون على أقدامهم عندما يبدو فى أوله فى جبة من الجوخ وقفطان من السكروتة، وعمامة متقنة يبدو شاشها دائماً ناصعاً مزهرا . وبين أنامله مسبحة من الكهرمان متألقة الحبات وشفتاه لاتفتران عن تسبيح الخلاق القدير فتنيران وجهاً جميلاً مشرباً بالحمرة .

وإن "منظرته" لتحفل بالأضياف فى الشتاء وتزكو فى موقدها جمرات الأثل ويشرق من سقفها على الجالسين نور جميل يرسله مصباح فى "فانوس" من الزجاج الملون . وفيها يشيع صوته الحلو الحنون يردد آى القرآن أو فقرات الحديث، وأصوات الأضياف ترتفع بتلك الجملة الأبدية : صدق الله العظيم .. صلى الله عليه وسلم!

فإذا ماحل الصيف انتقل المجلس إلى "المصطبة" المستندة إلى واجهة الدار حيث يحلو السمر تحت ضوء القمر . وحيث جرت العادة أن تعقد حفلات الذكر والختمات، وحيث كان أصحاب الربابة والمزمار، ومنشدو أبى زيد، والقصاصون يجلسون فيطربون حلقة المستمعين من شيب وشبان، وسيدات جالسات، خلف الأبواب ووراء النوافذ .

لم تكن للشيخ ياقوت هذه المكانة فى أول الأمر . كان فى البدء مأذوناً للقرية . فإذا ماكان يوم الجمعة واجتمع الناس فى المسجد وعظهم بلسان فصيح وكلمات زاجرات، وأراهم الطريق إلى الجنة ورغبهم فيها، والطريق إلى النار وحذرهم منها .. فإذا ماانتهت الصلاة تقدم إليه الجمع يستفتيه فى أمور الدين والدنيا ويستلهمه النصح والارشاد . ولقد أهم الشيخ ياقوت ضيق رزقه وقلة ماتجدي عليه وظيفته فتفتق ذهنه عن فكرة صائبة وسرعان ماظهر فى القرية دكان مزين الجدران ترتفع فوق بابه لوحة كتب عليها "راجى عفو المنان، الشيخ ياقوت



عثمان" ! .. ونفقت تجارته . واقبل الناس عليه . فهم يجدون عنده مالا يجدون فى حانوت القرية الآخر . وسرعان ماأخذ الناس يتحدثون عن جودة بضائعه وطرافتها . ويطرون ماعنده من تمباك ودخان وسور مكتوبة . واوراد وتعاويذ تخاط فى الاحجبة فتقى الناس شر العين وكيد الحسود ! .. ولم ينس الشيخ ان يستحضر الوانا مختلفة من المسهلات والبرشام فلم يعد يتكبد المحمود او موجوع الراس او الامعاء عناء الذهاب الى المدينة لالتماس هذه الاشياء . كان صاحب الحانوت الاخر مستبدأ بأهل القرية لايؤجل لهم ثمن مايشترون على رداءة بضائعه وشحه . فلم يقو على منافسة الشيخ ياقوت فادركه الافلاس





والحق أن الشيخ كان دمث الأخلاق من أرباب السياسية والكياسة وكان يسخو في البيع ويمهل في الدفع ، وهو فضلاً عن ذلك من حفظة القرآن فالشراء منه بركة ، والتمسح به وهو من أصحاب المراكز فيه نفع لامضرة . وهو يعطى المشترى المواظب ، من حين الى حين شيئاً من بخور السيدة الذى أحضره من القاهرة .

وعند الدكان مقعدان طويلان تجدهما أبداً مشغولين بالجلوس من المشترين الذين يرغبون البقاء لاستماع الشيخ وهو يقرأ الجريدة ويقص عليهم الأخبار وما يحدث في بلاد الكفار . وقد كان اليهودى ينزل القرية بين الحين والحين يحمل بضائعة على كتفه ويصيح «شبت يابنات مناديل روابيع .. حراير .. أمشاط .. مرايات يابنات ..» لكن هذا الصوت قد اختفى ونفض اليهودى حذاءه من تراب القرية ، فقد كرههم الشيخ ياقوت في معاملته ، واستحضر لزوجته تلك البضائع . فكانت تبيعها في المنزل بالسعر المعتدل المقسط ، وانتشر خيرها في القرية فأصابها في الرزق أكثر مما يصيب الشيخ من حانوته ، وأخذ الشيخ يكثر من تسبيح الله وترديد اسمه والثناء عليه . وابتدأت الحمرة تنتشر في وجهه ..ومضى الحول فإذا به يخرج على الناس بمشروع جديد ، فقد كبر عليه أن تظل القرية بلا كتاب ، فشمر عن ساعد الجد ، واشترى الخشب وكان في صباه نجارا فلم يلبث أن سواه مقاعد يجلس عليها صبية « الكتاب » الذى افتتحه . وكان « الكتاب » بجوار الدكان في الطابق الأول من الدار فأخذ يوزع نشاطه بين العملين ويراوح بينهما في المجهود .. وكانت بضائع الحانوت تنفق سريعاً ، فان أولاد النجوع المجاورة صاروا يعودون في المساء بعد الدرس بما يحتاج إليه ذويهم من بضائع الشيخ . فإذا ماكان الصباح وابتدأ الدرس وأخذت عصا الشيخ ترقص في يده ذهبوا إلى الدكان يحاولون الاكثار من ابتياع الحلوى وما إليها ابتغاء مرضاته حتى تقصر عنهم عصاه . واثمرت جهود الشيخ الجديدة- فصارت القرية تفاخر بعدد من الصبية حفظوا القرآن . وذاعت شهرة الكتاب فوفد اليه ابناء الكفور القريبة يتتلمذون على الشيخ ومضت الأيام فإذا بكتاب الشيخ ياقوت من كتاتيب الاعانة التى تتقاضى تسعة جنيهات في السنة !

فتح الله عليه أبواب الرزق فصار يتاجر ، ويغامر ، ويكسب ، ويستأجر الأرض ويزرعها .. وجعل يتغنى صباح مساء "وأما بنعمة ربك فحدث" غير أن

همة دفينا كان يقلق الشيخ ويقض مضجعه . فقد مضت خمس سنوات وزوجه لم تعقب له ولدا غير « حسان » وهو رجل يطمع فى كثرة النسل ويريد أن يرى أنجاله يرتعون فى هذا الرزق الواسع والخير العميم ... اما ان يمنى بقلة الذرية فقد كان شيئا ثقيلا على نفسه . كان الناس يتهامسون رثاء له واشفاقا . والاعداء يشمتون ويودون لو يخطف الموت حسانا فلا يبقى للرجل من زينة الحياة غير المال ، والمال بلا بنين كالشجر بلا ثمر ... كلما مر بالشيخ ياقوت هذا الخاطر ارتاع وابتأس . وماذا يدعو الى الارتياع اكثر من شماتة الأعداء ، نار الحساد التى لاتجد لها وقوداً غير كارثة تلم به وبلاء يقع فيه ! ..

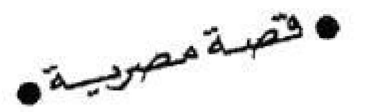
كان يفكر أن يتزوج بأخرى ، لكنه كان رجلا شهما ، تأبى رجولته ان يتزوج على أم حسان . فيؤلم نفسها ، ويجزى إخلاصها وصبرها شر الجزاء . كان يحبها حباً خالصاً ويجد فيها الزوجة الصالحة المطواع ، والمرأة الجميلة الصبوحة .

كانت ام السعد تشعر بهذا الخطر الذى يهددها وبأيدى السوء التى تدأب على إفساد حياتها الزوجية ووضع النار فى بيت هنائها ، فكانت تصبر علي وشايات أم الشيخ وأخواته اللواتى أمتلكتهن رغبة محرقة فى ان يتزوج الشيخ من بنت العمدة ، فقد وصل رجلهم الى الدرجة التى تؤهله إلى نيل هذا الشرف ...

كانت أم السعد تداريهن ، وتصبر على ما يصيبها منهن طمعا فى أن تظل وحدها حليلة زوجها . اما هن فقد غلون فى اضطهادها والاساءة بعد أن عرفن موطن الضعف فيها ، ووقفن على تلك الغيره المستترة خلف قلبها . واضحت لهن امة ضارعة ذليلة تفزع إذ يلوح لها شبح « الضرة » ، وتضع أصبعيها فى أذنيها حين تسمع كلمة الطلاق ، فقد كانت تعرف أنها سائرة إلى أحد الطريقين . صارت تنذر النذور وتستصرخ الأولياء ، وتذهب الى قبور الصالحين تستمد منها البركة يأتى عليها الليل وينام القوم فتصعد الى السطح وتكشف رأسها وتسخر كل قوى روحها فى التوسل الى الله أن يرزقها ولدا أخر . وقد تسترسل فى بكائها وهى تتذكر آلام النهار «والتعيير» والكيد ، فلا تمسح دمعها حتى تظهر نجمة الصباح فتعود لتنام عند قدمى زوجها . فاذا كان شهر رمضان صامته من غير سحور وبذلت الاحسان من غير حساب .

وبلغ حسان العاشرة من عمره والأم لم تظفر بالأمنية ... ونفد صبر الزوج فخطب ابنة العمدة لنفسه . وابتدأ البيت يمتلىء بالضوضاء ويستعد لاستقبال الأفراح والليالى الملاح . وكانت « أم السعد » تنسل الى غرفتها كما ينسل الى وكره حيوان مضطهد مجروح .. كانت تعيش من فكرها فى مأتم ، وكلما اقترب يوم العرس انقطع بين يديها خيط من خيوط الهناء ، حتى صارت تفتقد مسرات حياتها فلا تجد بين يديها إلا خرقة مهلهلة . وماذا بقى لها بعد أن صارت المرأة المنبوذة ؟ ! كيف تطيق أن ترى المرأة التى تتوج بدلها بعد أن كان التاج لها ، تتخطر مزهوة مختالة يزرى جمالها الفتى ألجديد بجمالها الذى فقد الجدة والفتنة !.. لقد شادت هى كل شىء وتعبت فى كل شىء ، فإذا بامرأة غريبة تتسلم البضاعة وتأمر وتنهى ! ليتها لم تفعل شيئا ! ليتها لم تدبر ولم تقتصد







كانت تشقى فى حاضرها لتسعد بمستقبلها فإذا بالمستقبل يضيع وبالأمل يتحطم !

وحسان العزيز ! إن امه ليدمى فؤادها . لقد اشترى له أبوه أثوابا جديدة بمناسبة قدوم العروس ، وامرها أن تخيطها له ! إن ثياب الحداد أولى به فقد دالت دولته . ولن يدلل قيما بعد ! سيصبح بنْ المراة القديمة ... وسيتحول أبيه عنه الي أولئك الأطفالْ الصغار الذين ظال اليهم اشتياقه . كيف تستطيع احتمال هذا ؟ انها لترسل بصرها فى المستقبل فترى ابنة العمدة جالسة فى رحبة الدار تخرج ثديها فخورة مباهية لترضع طفلها . كأنها تتعمد إغاظتها والحط من شأنها ! وستنكس هى بصرها خجْلا وسيندى جبينها خزيا ! إن ثديها العاطل المحروم ليحن للارضاع ! بل انه ليهتز شوقا الى طفل . وهى تخرجه فى وحدتها وتتأمله بحسرة حرى وعين أسيفة ، وتعصره لعله يبض له بقطرة تكون نذيرا بالحمل ! .. فلا تظفر بغير الخيبة ، ولايلوح على وجهها غير ظل ابتسامة كسيرة مهزومة ...

مضى شهر على الزواج الجديد .. وكانت ام السعد قد سئلت أن تخلى غرفتها للعروس ، ووعدها زوجها أن يرد الغرفة اليها بعد أيام ؛ لكنه حنث فى وعده ، وتركها تقيم مع أوعية اللبن والجبن فى هذه الغرفة القائمة فوق السطح .. وهى الآن جالسة تخطط فى التراب وتحدق فيما تخط بعين ذاهلة . وقد مسح الحزن عن وجهها ضياءه واشراقه . ولم يبق من محياها الجميل غير معارف امرأة محطمة . ناقمةٌ ، متجددة السخط والغضب . وكيف



لايتجدد سخطها وغضبها ! .. هاهى ضوضاء الدار تصعد إلى اذنيها فتتبنها ان القوم لاهون بينما هى وحدها تتعذب والدخان يرتفع من اسفل فيضايقها ويؤذى رئتيها ويحمل إلى خاطرها صورة « الوليمة » . ووجه زوجها وهو يضحك فى وجه العروس ويداعبها .

واذا هى تعض اناملها . حانت منها التفاتة فرأت اثواب حسان البيضاء التى غسلتها فى الصباح تخفق تحت اشعة الشمس . فقامت اليها متثاقلة وجمعتها واخذت تخيط مابها من ثقوب وفتوق وظلت تنتظر عودته من الكتاب لكنه لم يعد . ثم عضها الجوع فقامت الى الطعام لكنها لم تصب منه غير قليل ثم عافته . وصعد اليها حسان وفى حجره الوان من الحلوى ، وحدثها انه تناول الطعام مع العروس ... وثارت نفس الأم ، فلطمته ودفعته بعيدا .. فتبعثرت حلواه وطفق يبكى . لكن حنانها عاودها فذهبت اليه ، ومسحت دموعه واجلسته فى حجرها ، وسالته أن يسمعها ما حفظ فى يومه فانشنا الصبى يرتل ، واسارير الأم تنبسط كان شعاعا من العزاء يتسلل الى قلبها . ويبدد شيئا من ظلمته الحالكة واخذ النوم فالقى راسه الصغير الى كتفها . وغلبها الحنان فتناولت كفه وادنتها من شفتيها . لكنها عافت اليد الصغيرة عندما رات عليها لون « الحناء » الذى اباحت جدة الصبى لنفسها أن تخضب به يدى حفيدها . فحفل صدرها بالغيظ وملأ الحقد قلبها وملأ الدمع عينيها ... وتبكى الأم بحرقة ، ويستيقظ الصبى مرتاعا ، ويملأ الدمع عينيه البريئتين وهو يسال امه أن تكف ، فتحاول لكن اساها يغلبها ، فتعتذر اليه بأن هناك نارا تسرى فى احشائها ، وتعتلج فى صدرها . وتحدثه وهى سدق فى وجهه بجزع وقد وقفت على شفتيها ابتسامة مشلولة : انها لن تعيش طويلا لان تلك النار لم تبق شيئا ..

من هذا اليوم سقطت ام حسان مريضة وتضافرت عليها اوجاع الجسد والروح ، فاخذت تتقهقر من ميدان الحياة على عجل .. اما الشيخ ياقوت فيأبى أن يدعو الطبيب ويزعم انه خبير بدهاء النساء ، ويتهم زوجته بانها تتمارض . ويهددها بأن عصاه كفيلة بمداواة الغيرة التى تاكل قلبها ، وينذرها بانه لن يسمح لها أن تجعل بيته جحيما . وان كلمة « الطلاق » مختبئة خلف شفتيه يلفظها ان سولت لها نفسها الامارة بالسوء إعادة هذه اللعبة المفضوحة للتنصل من الخدمة ! وتنسحق روح ام حسان تحت عبء هذه الكلمات كما تنسحق قطعة الفخار تحت ضربات المطرقة وكانها تؤثر الا تضايق قرينها فتغادر الحياة بعد ايام قلائل ! ..

كانت هناك نفس واحدة حزينة لفراقها هى نفس حسان ، لكن حزنه انجاب سريعا كغمام الربيع .. لم يطل عهد حسان بالحلوى والتدليل ، وتقدمت به الأيام فإذا به يلطم ويزجر .. وتنكر له الجميع . وقوى إحساسه باليتم واكتابت روحه الظمأى للحنان فذبل كما يذبل لحظ النرجس من كثرة العطش - وفقد النصير . ولم يعد يملك إلا أن يطوف بمقبرة القرية يرمق منزل امه فيها ويود لو تناديه اليها ليقيم معها

اما الشيخ ياقوت فقد اطمان الى الثروة التى اجتمعت له فاغلق الدكان واهمل الكتاب ، وركن إلى حياة مترفة ، لاهية



● قصة مصرية ●

الطالع



موزعة بين أحضان الزوجة ودوار العمدة ...

ومضت الأعوام والزوجة لا تنجب ولداً ولا بنتاً ، وثروة الشيخ تتبدد في الانفاق على القابلات ، والزلفى الى أصحاب الكرامات . وكبر على ابنة العمدة ان تبقى عاقراً ، وشعرت أن « أم السعد » وهي في القبر قد غلبتها وهي في الحياة ، وخلت أن روح المرأة الشامتة تطوف بها وتسخر منها . وذهبت تنشد غاية تفنى فيها غيظها فلم تجد أمامها غير حسان ، فانشأت تضطهده وتسخره وتنكل به . ويستنصر حسان الأب ، فيخذله أبوه ، ويسحر المرأة الجميلة ، وتضيق الدنيا في عيني الفتى ويطلب النجاة لنفسه فيهجر القرية .

وتمضي الأعوام ولكن الابن المفقود لا يعود ... وتستيقظ روح الشيخ ياقوت فلا يجد بين يديه أطفالاً يمرحون ويصخبون ، ويبلغ به الأسى فيوشك أن ينادي « حساناً » ليحييه على الحياة لكن الكلمة تختنق فوق شفتيه ...

وضاعت الثروة كما ضاع الشباب وأضحى رجلا مقلا ، فلم تعد هناك حلقات ذكر ولا حفلات سمر ، وإنما كانت أجنحة الخيبة ترفرف صامتة حول البيت .

فقد الرجل مركزه ، فلم يعد الوجه محمراً ، ولا الشاش مزهراً ، ولا الجبة زاهية ... ولم يعد الناس يقفون عندما يبدو في أول الطريق ، بل صاروا يغمغمون بما يشبه التهكم : « مسكين .. سي الشيخ » ! .. وكان هذا ينال من نفس الشيخ ، ويدمي فؤاده ، فلا يكاد يقطع الطريق حتى يتهالك على عتبة الدار .

ويطول به الجلوس وهو يتذكر الماضي ويخطط في التراب ويرسل بصره نحو « مقبرة القرية » ...

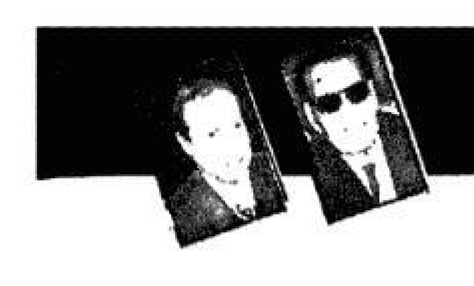


مدارس اللغات وثلاثية التعليم

عندما أطلق الدكتور طه حسين منذ
الى نصف قرن صيحته محذرا من
بية التعليم فى مصر ، كان يهدف الى
.يق وحدة البناء الفكرى للانسان
صرى ، وبرغم ما تعرض له الكاتب من
.امات بسبب دعوته هذه ، فقد أثبتت
يام صدق نبوءته ، وأصبحنا ومازلنا
.انى من أثر هذه الثنائية فى تباين القيم
ختلاف الاتجاهات حتى داخل الأسرة
احدة - ليس هذا موضوع الحديث
يوم - ولكن القضية التى أصبحت تطل
اسها هى أنه الى جانب ماتراه من ثنائية
م تزل قوية ، خرج الى الحياة مولود
ديد ولد عملاقا اسمه مدارس اللغات
ستوى رفيع ، بدءا بحضانة اللغات
ستوى رفيع ، وتحت هذا الشعار تدريس
اللغات والمستوى الرفيع اندفع الناس
يلتمسون لأبنائهم مكانا عزيزا يبذلون فى
سبيل الحصول عليه كل مرتخص وغال
ويسجلون أسماءهم بمجرد ميلادهم فى
قوائم الانتظار ، ولم تعد المصروفات
الباهظة أصلية كانت أو إضافية عائقا أمام
احد ، وإن اشتكى بعضهم على
استحياء .

إلى هنا والأمر يبدو غير ذى خطر

محمد محمود رضوان



مدارس اللغات وثلاثية التعليم

فحرية الأب فى أن يختار لابنه نوع التعليم الذى يراه صالحا لحياته ومؤمنا لمستقبله أمر لا ينازعه فيه أحد .

لكن أن تدخل الوزارة المسئولة عن التعليم ، وتوفيره للناس ورعاية مجانيته وتكافؤ فرصه . طرفا فى تجارة التعليم فتتبنى إنشاء ماعرف باسم مدارس اللغات الحكومية بمصروفات لا تقل عن مثيلاتها فى مدارس الأفراد والهيئات . فهذه هى القضية !

وليت الأمر وقف عند هذا الحد بل إن مدارس اللغات الحكومية ذات الأجر انقضت على مدارسنا المتواضعة واقتطعت من افنيتها وساحاتها مايسمح بإنشاء هذه المدارس الجديدة دون أن تبحث لنفسها عن مكان آخر تمارس فيه نشاطها وتجارتها كما تريد .

ودعونا نناقش أبعاد القضية قوميا وتربويا وسياسيا .

حضانة اللغات تعني بالطبع تدريس لغة أجنبية لطفل مازال لسانه يتعثر فى نطق الكلمات اليومية العادية فضلا عن العربية السليمة ، فنأتى نحن ونقدم له لغة أجنبية تختلف فى تراكيبها ونطقها عن لغته القومية فيضطرب منطقه وتكون الحصيلة لكنة غير مستساغة لا هى عربية ولا هى أعجمية فى الوقت الذى ينادى فيه الجميع بضرورة العمل على تدارك الضعف الواضح والتدهور البين فى مستوى اللغة العربية

وهذه الحقائق البديهية نادى بها ، وحذر من الاتجاه إلى تعليم اللغة الأجنبية فى سن مبكرة تربويون كبار منهم على سبيل المثال المرحوم الأستاذ إسماعيل القبانى والدكتور عبد العزيز القوصى والدكتور محمد محمود رضوان وغيرهم

وخلاصة ماقالوه :

أن النمو اللغوى لدى الطفل عملية معقدة ، والتدريب عليها يستغرق وقتا وجهدا ولكل لغة مخارجها الخاصة وصوتياتها المميزة ، وفى بحث أجرى حول هذا الموضوع تبين أن الطفل فيما بين سن الثالثة والرابعة يستخدم حوالى ١٥٠٠ مفرد لغوى وإدخال لغة أجنبية تختلف فى تراكيبها ونطقها على اللغة القومية للطفل إما أن يفسد الاثنين معا ، أو تتغلب إحداهما على الأخرى كما يحدث فيما يعرف بظاهرة "الكف الرجعى"

ليس هذا فقط بل إننا نضيف إلى مشكلة ثنائية اللغة لدى أطفالنا حيث يتعلم الطفل لغة فصيحة ويتعامل بلغة عامية وهى مشكلة فى حد ذاتها عويصة لأنها تشعره بالتكلف والتعسف وتخلق لديه شعورا بأنه يتعلم مالا يستعمله ويستعمل مالا يتعلمه .

من أجل ذلك نادى مجلس المعارف الانجليزى فى تقرير له بتأخير تعلم لغة أجنبية الى الصف الثانى من التعليم الثانوى عندما يكون التلميذ قد اتقن وسائل التعبير وتقدم فى مقدرته على فهم لغته تقدما مفيدا كما أن التلميذ فى مدارس فرنسا يبدأ دراسة اللغة الأجنبية

عادة فى الفرقة السادسة أى السنة الأولى من الدراسة الثانوية .

وإذا انتقلنا من هذا الجانب التربوى وتساءلنا : أين مدرسو اللغات الأجنبية المؤهلون تأهيلا كاملا لتدريسها .

إن الاحصاءات المطروحة من وزارة التربية تنطق بالعجز الملحوظ فى ذلك مما يضطرها إلى الاستعانة بمدرسى بعض المواد الأخرى لتدريس اللغات الأجنبية بعد تدريبهم على عجل .

او ماكان الأجدر أن نوفر لمدارسنا العامة أولا ما تحتاج إليه من مدرسين مؤهلين ومدربين علاجا لضعف الطلاب ورفعا لمستواهم ولا نتخير الممتازين منهم لهذه المدارس الجديدة ، وبخاصة ان هذه الحضانات امتدت إلى مراحل ابتدائية وسوف تمتد إلى مراحل اخرى وهذا ينقلنا إلى بعد ثالث للموضوع ، ايعود الأمر بنا إلى تلك الحقبة الغائبة التى كان لها فيها نوعان من المدارس ؟ إحداهما إلزامية مجانية والأخرى ابتدائية بمصروفات الى تعليم الخاصة وتعليم للعامة وإذا كان للآباء منطقهم وعذرهم فى سعيهم إلى تعليم متميز يجدونه فى المدارس الخاصة ويفتقدونه فى العامة .

فما منطق المسئولين عن العملية التربوية ؟

إن القضية بهذا الشكل تتحدى البناء الاجتماعى للمجتمع نفسه والذى تحددت ملامحه وارتكزت أسسه على زكائز ثابتة من أهمها :

ـ مجانية التعليم ـ ديمقراطية التعليم ـ تحقيق فرص متكافئة كما تتحدى مقوما أساسيا من مقومات التكوين القومى للمواطن وهو اعتزازه بلغته ، واكتساب القيم التى تعبر عنها وتدعو إليها ، وتلك نقطة البدء فى بناء الشخصية القومية

قد تكون هناك عوائق أمام تحقيق الأهداف السابقة كلها او حلها لكن علاجها لا يكون بالقفز فوق المشاكل وتحويلها الى مسارب مختلفة تبعد بنا عن مواجهتها والعمل على حلها ، وتصل بنا فى النهاية إلى تناقض جوهرى بين الغايات والوسائل .

وقد يكون هناك ضعف ملحوظ فى إجادة اللغات الأجنبية فى ظل مناهج وطرائق الدراسة الحالية لكن الحل لن يكون بانتشار مدارس اللغات فى مراحل الحضانة والابتدائى . بل هناك من الوسائل مايعين على تحقيق هذه الغاية معتمدة على أسس منهجية وتربوية ليست العبرة فيها بطول الفترة الزمنية وإنما العبرة بالمنهج والطريقة والمعلم .

ولا ننسى فى غمرة الأسى على هذا الضعف فى اللغات الأجنبية ، أن هناك ضعفا اقسى وأمر فى لغتنا العربية ، وأن أسلافنا الأقدمين كانوا حريصين أشد الحرص على وقايتها من الدخيل وصيانة ألسنتهم من العجمة وكانوا يعتبرون اللحن فيها كبيرة من الكبائر ، وكان منهجهم فى هذا تنشئة ابنائهم على الفصحى بما يزودونهم به من روائع الكلم شعرا ونثرا

محمد حسنين الشاعر
من المعلمين

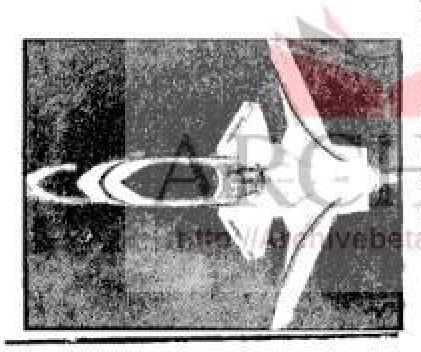


● الانسان الآلي الجديد
.. شـــــديد الذكاء

يبدو ان الانسان لم يكتف بالتقدم التقني الهائل الذي شهدته السنوات الاخيرة الا تدفعه طموحاته حاليا لتطوير الكمبيوتر بحيث يصل الى درجة ذكاء الانسان ونفس اسلوب تفكيره . وخلال القرن القادم سينتشر استخدام الانسان الآلي الشديد الذكاء في المنازل والمكاتب وحتى في السيارات اذ يمكنه القيام بايقاظ صاحبه بغناء احدى الاغنيات التي يحب سماعها وتذكيره بالمواعيد التي ارتبط بها كما يقوم بقيادة السيارة بمجرد ان يحقق صاحبه الجهة التي يرغب في التوجه اليها . كما يتميز الانسان الآلي الجديد بالاسلوب المنطقي في التفكير الذي يعتمد على الربط بين الاحداث للتوصل الى نتيجة نهائية .. وتفوق سرعة تفكير الحاسب الآلي الحالي بعشرة اضعاف ■

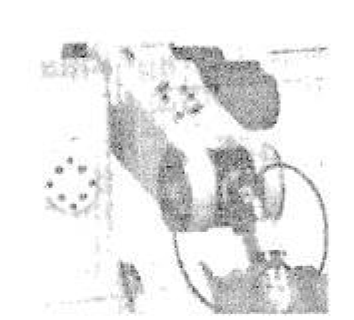
● طائرات المستقبل تحدث
ثورة في تاريخ الطيـران ●

ستحدث خلال العشرين سنة القادمة ثورة في عالم الطيران لم يشهدها من قبل فسوف تزيد سرعة طائرات النقل التجاري على سرعة الصوت . وفي الوقت الذي يصل فيه وزنها الى نصف وزن الطائرات الحالية تتضاعف قدرتها على الحمل . ستنتج ايضا طائرات تصل سرعتها الى خمسة اضعاف سرعة الصوت وتقطع المسافة بين نيويورك وهونج كونج في ساعتين ونصف . بالاضافة الى الانظمة المعقدة للتحكم بالكمبيوتر في عملية الطيران. كما ستنتج طائرات تعمل بالطاقة الشمسية وتظل في الهواء لايام او لاسابيع .



● تليفون الطاقة الشمسية ■

تمكنت احدى الشركات من انتاج تليفون يعمل بالطاقة الشمسية ، او بطاقة الرياح اذا غابت الشمس . يتكون التليفون الجديد من عدة الواح شمسية تركب فوق سارية تحمل بطارية يتم شحنها طوال النهار . تتصل البطارية بهوائي وعند الاتصال يحول الخط الى اقرب تحويلة



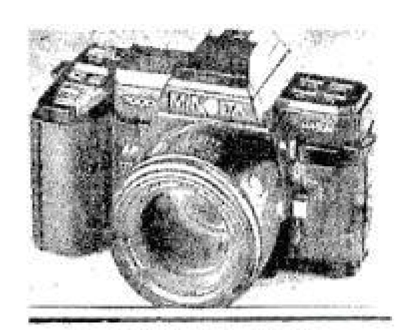
لتقويته وتوصيله بالشبكة الرئيسية . توجد مروحة صغيرة اعلى السارية تتحول من خلالها الطاقة الحركية الى طاقـــة كهربائية تشحن البطارية فى حالة احتجاب الشمس . يمكن استعمال تليفون الطاقة الشمسية بسبعة وعشرين عملة مختلفة .

● كاميرا جديدة لاتحتاج الى انســـــان ! ●

لم تعد عملية التصوير تشكل أى صعوبة بالنسبة للذين لديهم أى خبرة فى هـذا المجال . لقد انتجت الولايات المتحـدة الامريكية نوعا جديداً من الكاميرات تعتمد على جهازين من أجهزة الكومبيوتر للقيام بعملية التصوير كاملة .

اذ تقوم الكاميرا بضبط البعد البؤرى ذاتيا ودون تدخل العامل البشـرى . وينقسم الضـوء الداخل الى الكاميرا الى صورتين تسلطان على اللوح الحساس بالكاميرا . ويقوم موتور دقيق بضـبط العدسة حتى تلتقط الصورة بوضوح . لم

يرسل اللوح الحســاس اشارة لشرائح الكومبيوتر حتى يتم التقاط الصــورة خلال ١٥ر الى ٥٥ر من الثانية حسب نوع العدسة . ويعمل ضبط البعد البؤرى الذاتى حتى فى الظلام باستخدام الاشعة تحت الحمراء التى تنبعث من فلاش الكاميرا . وكل عدسة من عدسات الكاميرا مزودة بذاكرة . ومن هنا يبرز دور الكومبيوتر فى تحديد العدسات الملائمة للكاميـرا واختيار زوايا التصوير وسرعة الالتقاط .

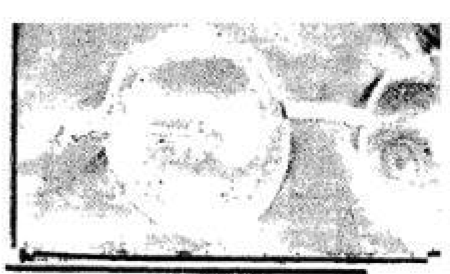


● خوذة جديدة تزيد من سرعــــة الاداء ●

اثبت احد العلماء الامريكيين أن رفع درجة حرارة الرأس يساعد على تحسين عملية التفكير . وللتوصل الى ذلك انتج خوذة خاصة ترفع درجة حرارة الرأس تدريجيا درجة واحدة مئوية . وبتجربتها على ٥٠ شخص فى مختلف الاعمار تبين انها تزيد من سرعة ادائهم بنسبة تتراوح بين ٦٪ الى ١٣٪ حسب نوع أعمالهم .







● نظارة للصم ! ●

قراءة الشفاه من وسائل الاتصال الاساسية للمصابين بالصمم ولكنها قد تبدو في بعض الاحيان غامضة وغير مفهومة خاصة اذا كانت مخارج الاصوات متشابهة. والعلم الحديث يقدم لهؤلاء المصابين بالصمم نظارة طبية تساعدهم على ترجمة الكلمات بدقة اكثر وقراءة الاختلافات بين الاصوات عن طريق ظهور رموز رقمية على عدسات النظارة . تتكون هذه النظارة التي تعرف باسم « اوتوكيود » من زوج من العدسات مزود بميكروفون وكمبيوتر صغير ، وطريقة استخدامها كالاتي يقوم الميكروفون بالتقاط الاصوات القادمة من على بعد قد يصل الى ١٢ قدم ثم يرسلها الى الكمبيوتر الذي يحللها ويصنفها . والكمبيوتر بدوره يرسل اشارات رقمية الى صمام متصل بعدسات النظارة ومن ثم يعكس الصمام على عدسة النظارة واحدا من الرموز التسعة التي تساعد مرتدي النظارة على التفرقة بين حرفين مثل (م) و (ب) اللذين قد يظهران متشابهين لقارئه الشفاه .

● ساعة جديدة .. تقيس ضربات القلب ●

مع سرعة التقدم التكنولوجي الحديث استطاع العلماء الامريكيون انتاج ساعة يد جديدة يمكنها قياس عدد ضربات القلب . اذ تنتقل ضربات القلب اليها خلال اسلاك رقيقة متصلة بها . ثم تقوم الساعة بترجمتها وعرضها رقميا على شاشتها المصنوعة من الكريستال السائل. ويمكن قراءة عدد ضربات القلب في الدقيقة الواحدة بالضغط على زر مثبت على جانب الساعة . ويمكن أيضا برمجة معدلات ضربات القلب التي تشكل خطورة على حياة الانسان في هذه الساعة بحيث تطلق جرسا للانذار اذا وصل الانسان اليها .



● مادة لاصقة للجروح بدلا من الخياطة ●

يقوم الاطباء الجراحون في بريطانيا هذه الايام بمجموعة من التجارب النهائية لاختبار مادة طبيعية تمكنوا من استخراجها من جسم الانسان لتستخدم في لصق الجروح بدلا من خياطتها بما ينجم عنها من آلام فعند تعرض الانسان للاصابة ، يتم رش هذه المادة لتكون طبقة مطاطية

بيضاء تساعد على التئام الجرح • وهذه المادة اللاصقة هي احدى مكونات دم الانسان التي تتسبب في حدوث التجلط والتجلط الابيض هو في الحقيقة تجلط دموي بدون خلايا الدم البيضاء وهو يذوب في النهاية عند شفاء المصاب ويمتصها الجسم مثل تجلط الدم العادي بالضبط • ويتوقع ان تستخدم هذه المادة اللاصقة في المستقبل لربط الخلايا التي تكون اوعيتها الدموية دقيقة جدا بحيث يصعب خياطتها او لعلاج الكبد او الطحال اللذين قد يتعرضان للتهتك نتيجة حوادث السيارات والذي يضطر الجراح لاستئصالهما في بعض الاحيان لتعذر الخياطة •

● التجميل بالكومبيوتر ●



تكنولوجيا الكمبيوتر تتقدم بخطوات ثابتة الى الامام • واحدث ما اتجه العلم في هذا المجال جهاز كومبيوتر يقوم بعمل استكشاف او رسومات تخطيطية مصممة الكترونيا لتخدم مصممي الازياء ومنتجي مستحضرات التجميل وكذلك الجراحين. فعن طريق البرنامج البياني للكمبيوتر يمكن تعديل او تغيير الصورة الثانية بدون تغيير الاصل • فكما هو موضح بالصورة اذا اراد شاب على سبيل المثال اختيار افضل طريقة لقص الشعر تتناسب مع وجهه ، يقوم الكمبيوتر بتكوين صور جانبية على الشاشة التليفزيونية بها قصات الشعر المناسبة دون ان يحدث اى تغيير لوجه الشاب او شعره • الصور التي ينتجها الكومبيوتر تشبه الصورة الاصلية مع التغيرات التي ادخلت عليها وفي نفس الوقت تتميز بوضوح تام والوان ثابتة •

● جهاز جديد لتحليل نسبة السكر في الدم ●

يضطر مرضى السكر لاجراء اختبارات منزلية لمعرفة نسبة تركز السكر في الدم من آن لآخر حتى يحددون نسبة الانسولين التي ياخذونها • احدث ما يقدمه لهم العلم في هذا المجال جهاز صغير يستخدمه المريض ليعرف من خلاله نسبة الجلوكوز او السكر في الدم • يضع المريض نقطة من الدم على شريط بلاستيك معالج كيماويا ثم ينتظر دقيقة ويدخل الشريط في الجهاز فيقيس الجهاز التغيرات التي تحدث للون الشريط ليحدد نسبة تركز الجلوكوز في الدم على شاشة رقمية • سعر الجهاز حوالي ١٥٠ دولار •



قراءة جديدة في نسب المتنبي

هل انكشف سر المتنبي؟

بقلم الفنان: عبد السميع عبدالله

ابو الطيب المتنبى شاعر القرن الرابع الهجرى ، ذلك الذى ملأ الدنيا وشغل الناس فى عصره .. وفيما بعد عصره لم يتصد لتحقيق نسبه إلا قلة من المؤلفين القدامى والمعاصرين ... أما القدماء فقد تصدوا لنسب الشاعر تحت ضغط قوى سياسية تلوى أعناق الحقائق حتى لتكاد أن تحطمها كى تتوافق مع مصالحها ، ولا بأس أن توضع الأحداث وضعا وأن تجتث الحقائق اجتثاثا .. فالغرض أولا وأخيرا أن يكتب تاريخ الرجل كما تشتهى هذه القوى ... أما لماذا اختُص هذا الشاعر بكل هذه الحملات التى قصد بها إلى تشويه سيرته .. فذلك لأن المتنبى كان شاعراً من طراز فريد ... لم يكن إمَّعة ، وانما كان له وجهة نظر فى الأحداث التى كانت تمر بأمته العربية .. وكان يعبِّر من خلال أشعاره عن وجهة نظره تلك .. وقد أوقعه ذلك فى خصومات شديدة مع هذه القوى .. وأولها ... دولة العباسيين التى كانت تحكم من بغداد ، والتى تفسخت وانهارت أركانها ، ولم يبق للخليفة فيها الا



اللقب بينما استأثر بالسلطة غلمان من الترك والديلم وجوار من كل الأجناس .. وتأمل قول الشاعر

بكل منصلت مازال منتظرى ..
حتى أذلت له من دولة الخدم

ثم القرامطة الذين التقت أفكاره عن مهاجمة الترف والمترفين بأفكارهم لبعض الوقت ... ولا شك ان شاعرنا تأثر بالمذهب القرمطى فى صباه وشبابه الباكر حين شاهد غزو القرامطة للكوفة مرتين مرة وهو فى الثامنة .. ومرة وهو فى الثانية عشرة .. وقد أدى به إعجابه بالبطولات التى شاهدها منهم إلى القيام بثورته المعروفة فى قرية سلمية .. وكانت مقرا للدعوة الفاطمية ... لكن الفتى حين نضج عقله وتمت معارفه فطن إلى أن هذه الدعوة تروج للشعوبية ، ويراد بها هدم النفوذ العربى فنبذها .. بل وحاربها بسيفه وبشعره .. وتأمل هذا البيت الذى قاله فى مطلع قصيدة يمدح بها «دلير بن لشكروز».. قائد الخليفة العباسى حين ظفر بالقرامطة ..

كدعواك كل يدّعى صحة العقل ..
ومن ذا الذى يدرى بما فيه من جهل

ثم الفاطميون وكانوا أولى قوة وأولى بأس شديد .. قد أقاموا دولة فى المغرب .. وكان خليفتها فى ذلك الوقت هو القائم بأمر الله .. ودولة أخرى فى اليمن أسسها ابن حوشب ، ودولة ثالثة فى البحرين على يد " حسين الأهوازى " و" حمدان الأشعث " و" ابو سعيد الجنابى " و" وذكرويه بن مهرويه ".. وكان دعاة الفاطميين ينتشرون فى كل الأقطار .. ومنهم " ابن كروسُى " اليهودى الذى طارد المتنبى بعداوته فى بلاط " بدر بن عمار ".. ثم حرض عليه الأمير " ابن طفج " كى لايفك محبسه .. وتأمل هذا البيت الذى قاله للأمير ابن طفج

فلا تسمعنَّ من الكاشحين ...
ولا تعبأنْ بعجل اليهود ..

إن أعداء المتنبى والحاقدين عليه ، هم الذين كتبوا تاريخه الذى وصل إلينا بعد ان حشوه بالمعلومات الزائفة والأراجيف الملفقة ... لذلك ... ولغيره من الأسباب الخاصة بالشاعر ، والتى دعته أن يكتم نسبه ، ولا يصرح به .. فإنى لن ألتفت إلى تاريخ المتنبى وأنا أحاول تحقيق نسبه

لن ألتفت حتى إلى ما وصلنا من المؤرخين القدامى عن تسلسل نسبه هكذا ... أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجُعْفى .. فما دام الرجل مجهول النسب كما علمنا ، فكيف يتفق أن يذكر هذا النسب واضحا مفصلا حتى ينتهى إلى عبد الصمد الجعفى .. أو عبد الجبار الجعفى كما ذكر فى إحدى الروايات ؟

وإنما سوف أقصر اعتمادى على بعض الوقائع الثابتة وعلى أشعار الشاعر .. أحاول بهما جلاء الغموض عن نسبه واستنباط سر أسراره .. وذلك بطرح المقدمات ومناقشتها ، . ثم الوصول إلى النتائج المنطقيه .. تماما كنظريات الهندسة ..

لقد أشار العميدى فى كتابه (الابانه) إلى جلال نسب المتنبى ونفى عنه شائعة أن أباه هو " عبدان السقا ".. هذه الشائعة التى لم تتردد إلا بعد سنة ٣٥٢ هـ عقيب وقيعته مع رجال الوزير " المهلبى " فى بغداد .. لكن " العميدى " لم يكشف النقاب عن هذا

هل انكشف سر المتنبى؟

النسب الذى وصفه بالجلال .. اما " على بن المحسن التنوخى " فيؤكد من خلال روايات كثيره صفة نسب المتنبى ... وكما اختلف القدماء فى هذا النسب .. هذا يزكيه وذاك يزرى به ، . كذلك كان الحال بين المحدثين .. فقد أكد جلال نسب الشاعر ادباء معاصرون منهم " عمر فروج " و" رضوان الشهال " و" محمود شاكر " و" سعيد الملاح " .. بينما أزرى على هذا النسب الدكتور " طه حسين " فى كتابه (مع المتنبى) .. حيث اكد فيما يشبه اليقين أن الشاعر نشأ لايعرف له أما ولا أبا ولا نسبا ... وأن الشاعر كان يخفى هذا النسب لوضاعته ، مقتفيا فى ذلك اثار الاقدمين من المؤلفين الوضاعين الذين شوهوا سيرة الشاعر تقربا الى السلطة .. او الى من يهمهم تشويه سيرة الشاعر

فما هو وجه الحقيقة والباطل فيما قيل عن نسب هذا الشاعر الكبير ؟ .. هناك اثنان من كبار الكتاب المعاصرين تناولا سيرة المتنبى وحققا نسبه .. هما الأديب الباحث " محمود محمد شاكر " ثم الدكتور " طه حسين " .. وقد اخترتهما لأن لكل منهما رايا يختلف عن الآخر فى نسب الشاعر ..

يقول الدكتور " طه حسين " فى كتابه (مع المتنبى) ... من حقك أن تسألنى لماذا اطيل الحديث عن المتنبى .. أقصد نسبه .. وأظهر الشك فى معرفته لأمه ومعرفته لأبيه مادمت لا أميل إلى الجدال فى عنصره العربى الصريح ... من حقك ان تلقى هذا السؤال ... فاعلم ياسيدى انى لم اثر هذه المناقشة الطويلة لاعرف اكان المتنبى عربيا أم أعجميا .. وإنما اثرتها لانتهى منها إلى حقيقة يظهر أنها لاتقبل الشك .. وهى أن المتنبى لم يكن يستطيع أن يفخر بأسرته ولا أن يجهر بذكر أمه أو أبيه .. التمس لذلك ماشئت من علة فهذا لا يعنينى .. وإنما الذى يعنينى ويجب أن يعنيك .. هو أن شعور الصبى بهذه الضعة أو هذا الضعف من ناحية اسرته وأهله الأدنين قد كان العنصر الأول الذى اثر فى شخصية المتنبى ، وبغض الناس إليه وفرض عليه أن يرى أن حياته بينهم لم تكن كحياة أترابه ورفاقه . ، وإنما كانت حياة يحيطها

كثير من الغموض ، ويأخذها كثير من الشذوذ .. رأى نفسه شاذا لامر ليس له فيه يد ، وليس له عليه سلطان .. ففكر تفكير الشاذ ، وعاش عيشة الشاذ .. ثم انضمت إلى هذا العنصر عناصر أخرى سيظهرها لنا شعره .. فكونت هذه الشخصية التى لم نستطع أن نفهمها ولا أن نحللها إلى الآن .. انتهى حديث الدكتور " طه حسين "

فلننظر إلى ماقاله الأستاذ " محمود محمد شاكر " .. وسوف نجد أنه والدكتور " طه حسين " على طرفى نقيض فى هذا الأمر .. هذا يجزم بضعة نسب المتنبى وشذوذه .. وذاك يؤكد جلال هذا النسب .. فلنر ماذا يقول ... ((وضع القضية كالآتى - تزوج رجل من العلويين ولا جرم أن يكون من كبارهم بنت جداة

المتنبي فحملت منه ووضعت أحمد بن الحسين ـ وهذا الحسين غير عيدان السقا ـ ولأمر ما أريد هذا الرجل العلوى على طلاق امرأته وفراقها ، وحمله العلويين على ذلك ففارقها وطلقها فرجعت إلى امها بجنينها ، أو طفلها وحزنت حزنا اهلكها فاستلها الموت وذهب بها .. وبقى الطفل فكفلته جدته وتعهدته وقامت بأمره حتى بلغ مبلغ الفتيان ، . ودلته على الطريق بعد أن صرحت له بحقيقة أمره وصحيح نسبه .. وكان من حزمها أن حذرت الفتى عواقب التصريح بأمر نسبه .. وأخذت عليه المواثيق والعهود بحبها له وحبه لها .. وأنه إن فعل كان فى ذلك هلاكه وهلاكها ... فبقى على ذلك متململا حتى كان من أمره ما كان من ادعائه العلوية بالشام .. فقبض عليه ، فاضطر إلى الاخلاد والتسليم ، وحرص على أن يطيع امر جدته بعد أن علم حزمها وصواب رأيها وإخلاصها له المشورة ومحضها له النصيحة)) انتهى كلام الأستاذ «محمود محمد شاكر»

كنت قد انفقت من عمري ثلاثة عشر عاما أعيش مع المتنبى . . اتدبر كلماته وأدرس أشعاره دراسة متأنية .. وكان حقا على جلاء سر الشاعر واكتشاف حقيقة نسبه بعد طول المعايشة

ثبت لدى كل المؤرخين أن المتنبي كان يخفى نسبه .. فلماذا ؟... هل لأنه كما ذكر فى إحدى الروايات ، وكان قد سئل عن ذلك فأجاب بأنه شاعر يطرق القبائل ، ولا يأمن أن تكون قبيلته محل ثأر .. وأنت ترى أن هذا سبب ركيك حتى قبل أن تسمع رأيى ، وإلا جاز لكل شاعر أن يخفى نسبه لنفس السبب .. فلنأخذ احتمالا أخر هو أن يكون إخفاء النسب لوضاعة المنشأ وشذوذه كما قال بذلك الدكتور " طه حسين ".. لكن هذا الاحتمال مرفوض أيضاً ، ولو أن عميد الادب العربي يقف من ورائه مظاهرا .. ونأخذ أسباب الرفض من كلمات الشاعر نفسه حين يقول :

لا بقومى شرفت بل شرفوا بى ...
وبنفسي فخرت لابجدودى
وبهم فخر كل من نطق الضا
د وعوذ الجاني وغوث الطريد

ثم وهو يفاخر أميره سيف الدولة العالم بالانساب وحاشيته المتعاظمة فيقول فى ثقة المطمئن الى علو نسبه

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا ...
بأنني خير من تسعى به قدم

ولو كان المتنبى وضيع النسب ماجرؤ على النطق بهذا البيت... لم يبق إلا احتمال ان يكون إخفاء هذا النسب درءاً لخطر متوقع خطر جسيم حذرته منه جدته اذا باح باسراره .. ايكون هذا الخطر انه علوى كما قال بذلك الاستاذ محمود محمد شاكر ؟ ... ابدا .. فالدولة العباسية كانت تعج بالعلويين ، وكان لهم فى الكوفة نقيب معروف هو الشاعر الحمانى ، ولم يكن الانتساب الى العلويين جريمة يستخفى الانسان بسببها من الناس والدولة ... يضاف الى ذلك أن الأستاذ " محمود شاكر " قد عاد ونقض هذا الرأى فى نفس كتابه (المتنبى) هامش الصفحة ٢٨ ـ حيث يقول ... هذا ماقلته منذ اربعين سنه . اما الآن فقد صار ماقلته هنا لايعبر عن الحقيقة . فان علاقة المتنبى بالعلويين لم تقتصر على تعلمه فى كتاب فيه أولاد اشراف الكوفة بل ارتفعت علاقته الى

هل انكشف سر المتنبي ؟

أخوة بالرضاع كما ذكر " ابن النديم ... وهذا الكلام يعني أن المتنبي ليس من العلويين كما ذكر الاستاذ " محمود شاكر " الذي بنى كثيرا من الاستنتاجات وفسر أشعار المتنبي على انه من نسل العلويين ثم عاد ينسف ذلك جميعا من أساسه حين جرده من النسب العلوي الذي أسبغه عليه من قبل ....

لم يبق إلا احتمال واحد هو أن المتنبي لم يكن من عامة العلويين وإنما يرجع في نسبه الى إمام معصوم كما يقول بذلك الاستاذ . " سعيد الملاح " في كتابه (المتنبي يسترد اباه) .

هنا يجب عليه الاستتار وإخفاء نسبه حتى لايظهر أمره فتطارده الدولة ، ولاتهدأ حتى تتخلص منه كما تخلصت من الكثيرين قبله من الذين يرجعون في انسابهم الى الائمه المعصومين ... ذلك لان الائمة المعصومين لهم حق المطالبة بالخلافة وهذا خطر داهم لاتتسامح الدولة ازاءه

فاذا اقتنعنا بوجاهة هذا السبب لاخفاء المتنبي نسبه ، فلنحاول جلاء هذا النسب من هذا المدخل الضيق الذي لانجد غيره من اسف لاماطة اللثام عن الأسرار التي تحيط به .

واذا كان المتنبي ينتمي الى الائمة المعصومين فمن ايهم كان ؟ ... هناك فرقتان للائمة المعصومين ـ الاسماعيلية من نسل " اسماعيل بن جعفر الصادق ـ ثم الاثنا عشرية من نسل " موسى الكاظم بن جعفر الصادق " أيضا والطائفتان تنتميان الى الامام " على زين العابدين بن الامام الحسين " من زوجته الفارسيه (شهربانو ابنة كسرى يزدجرد) اخر ملك تولى عرش العجم ..

وأنا على يقين أن المتنبي لاينتمي الى احدى الطائفتين فقد هجا الفرس واقذع حيث قال :

وإنما الناس بالملوك وما ...
تفلح عرب ملوكها عجم
لاأدب عندهم ولاحسب
ولاعهود لهم ولا ذمم

ولايعقل ان يقول المتنبي هذا القول فيمن يفترض انهم اخواله

فلنلتمس له اصلا عربيا خالصا لايختلط بالعجم لكنه ينتمي الى الإمامة بصلة ـ اصل لاينتمي حتى الى قريش .

هناك كثير من الباحثين قد الحقوا المتنبي بالعلويين ولهم في ذلك حجة معقولة .. فقد ثبت انه تعلم في كتاب العلويين كما اكد ابو الفرج الاصفهاني وكان معاصرا للمتنبي ـ وكذلك ثبت ان امراة علوية قد ارضعته كما قال ابن النديم فلماذا كل هذه العناية بطفل لم يكشف بعد عن مواهبه ؟ .. ما الذي يدفع امراة علوية لارضاع طفل فقير من ربع كندة بالكوفة ؟ ولماذا تصنع لابنها اخا من الرضاع لاينتمي الى نسب شريف ؟ ...لكن المتنبي كان ينتمي الى نسب جليل وان لم يكن علويا كما توهم الباحثون فكيف كان ذلك ؟

هذا ماسنعالجه في المقال القادم .

الأعرابى صانع العلم العربى نقد أم سخرية..!

محمود العزب - باريس

● لم يكن الدكتور محمد عابد الجابرى بدعاً من الكتاب والمفكرين العرب المعاصرين فى مشرق الوطن العربى ومغربه ، فى تعامله وبحثه للفكر والتراث العربيين ، سواء على مستوى الاستخدام التعسفى للمنهج ، المنهج ذلك السكين العصرى الجميل والحاد ، الذى به يمكن ان نخيف ونرهب اية دعوة للحفاظ على الهوية فى زحام النداء بالحداثة والعصرية والتشكك فى كل شىء ، ذلك المنهج الذى ابسط ما يمكن ان يقال فيه انه سلاح ذو حدين ، فلم ولن ينكر احد على باحث او ناقد ان يستخدم المناهج الحديثة المعاصرة فى النظر والدراسة والتحليل ، بل انه مطلوب .. ولكن اى منهج ؟ منهج من ؟ وهل هو مطلق ذلك المنهج وثابت ؟ وهل يمكن ان يستخدم على عمق وسطح معا ؟ لاشك ان من الخطأ الفاحش تعسف وقسر الظواهر المدروسة ولوى ذراعها لتطبيع المنهج الذى يستخدم اساساً كنتيجة مسبقة ، ويكون دور الباحث وهدفه هو تحويل وتحوير الظاهرة موضع الدراسة ، وجمع جزء من هنا واخر من هناك وربطها لتقول لذلك المنهج - لبيك ..

ان هذا التعسف هو احد اشنع الاخطاء التى يقع فيها باحث ، ناسيا او متناسيا ان هذا القسر سوف يؤدى بالضرورة إلى خطأ مماثل فى النتائج التى سيتوصل اليها .. نقول سواء على هذا المستوى او على مستوى رؤية غريبة لتراث امة وتاريخها اللغوى او غيره . حيث يكون الخلاص فى رأى اولئك الباحثين فى رفض كامل وشامل لفترة او لفترات من تاريخ فكرهم وحضارتهم بل ولغتهم .

كان لابد ان نشير اولا إلى الموضوع هدف الحديث .. والذى تناوله الدكتور محمد عابد الجابرى ، احد الباحثين المعاصرين والاستاذ بجامعة المغرب - كلية الآداب - الرباط .. واحد المفكرين النشطين والمحاورين الجيدين .

وقد قرانا فى كتابه - تكوين العقل العربى . سنة ١٩٨٢ فصلاً مثيرا وشيقا هو





د. محمد
عيد الجابرى

الفصل الرابع تحت عنوان « الاعرابى صانع العلم العربى ».. عنوان مثير شأن لغة واسلوب الدكتور الجابرى الذى يبدو متمكنا من لغة طيعة تستجيب لما يريد ان يصب فيها من فكر ونقد وتحليل رغم ان موضوعه هو رفض اللغة العربية ومصادرة لها .. وبكاء وصراخ على ما ارتكبته وترتكبه تلك اللغة من جرائم .. فهى المسئولة عن تعثر الفكر والحضارة العربيين ، أو بلغة سهلة : هى المسئولة الأولى عن تخلف الانسان العربى

اننا مع الدكتور الجابرى فى تاكيد الفرضية التى طرحتها الدراسات الحديثة وهى كون اللغة - اية لغة - تحدد او على الاقل تساهم مساهمة اساسية فى تحديد نظرة الانسان إلى الكون . وتصوره له ككل وكأجزاء .. وبسرعة **يقرر ان « اللغة العربية** ربما كانت اللغة الحية الوحيدة فى العالم التى ظلت هى **هى فى كلماتها ونحوها** وتراكيبها منذ **اربعة عشر قرنا » ليستنتج** مدى مايمكن **ان يكون لها من تاثير على** العقل العربى ونظرته للاشياء .. ونحن نسلم بهذا التلازم . **الا ان اللغة حسب** رؤية الدكتور الجابرى « كانت دائما سجنا قاهرا للفكر »!!

★ وثمة مغالطة كبيرة حين يصل النقد إلى ان « النقل عن العرب الاقحاح الحفاة العراة مطلوب وهم « مطلوبون بكل الحاح ، وهنا ينقل الباحث نماذج من اراء « باحثين معاصرين ، تمثل احكاما سريعة وجاهزة دون عناء تحليل او دقة تمحيص . فحين يذهب النحويون وواضعو اللغة فى زمن ما وفى مكان ما إلى البادية ليأخذوا مشافهة عن الاعراب . فإن الكاتب يقرر مايراه الباحث « محمد عيد ».. والذى يرد إليه كل ماهو قطعى وحاسم - والذى يبدو انه معجب به ومسلم بارائه إذ يقول محمد عيد « وهكذا ينقلب الاعرابى نتيجة تلك البداوة المباركة استاذا للعلماء يتحاكمون اليه فى الخصومات والخلافات .. كما انه يصف اولئك الأعراب الذين كان ينقل عنهم من البادية او يفدون لحواضر كالبصرة او الكوفة بانهم « بائعو كلام »..

ويطرح الدكتور الجابرى سؤالا : اذا كان المقصود من جمع اللغة وتقعيدها هو حماية القران من اللحن . فلماذا لم يعتمد اللغويون القران نفسه اساسا وحيدا لعملهم ، مع انه باعتراف الجميع افصح وابين ؟ وهنا يرفض على غير عادة منه راى محمد عيد القائل بعدم رغبة اللغويين القدامى فى ذلك ، لانه كان يطرح مشاكل لغوية ونحوية لايمكن الفصل فيها الا بتخريجات لغوية ونحوية فى نص مقدس . الشىء الذى لم يكن يسمح به لهم التحرز الدينى » ويرى الدكتور الجابرى ان السبب فى عدم اعتماد النص القرانى اساسا للعمل اللغوى هو ان « المطلوب كان ايجاد لغة ماورائية تكون اطارا مرجعيا على

مستوى معاني الكلمات والتعابير المجازية .. ويقوى مذهبه ذاك بسوق مايروى « عن ابن عباس او عن النبي ﷺ اذا تعاجم شيء من القران فانظروا في الشعر فان الشعر عربي ».. وثم مغالطة اخرى ، سنوضحها في تحليل النقاط فيما يلي

والنتيجة « ان هذه اللغة لغة الثقافة ظلت تنقل الى اهلها عالما « يزداد بعدا عن عالمهم .. عالماً يتناقض مع العالم الحضاري التكنولوجي الذي يعيشونه والذي يزداد غنى وتعقيدا .. ويؤكد مرة ثانية عنوان الفصل « وهو ان الاعرابي هو فعلا صانع العلم العربي »... ولن يكون جديدا بعد ذلك ان يصل البحث الى تقرير مفاده ان العربية ، لغة حسية تنقل عالما حسيا ناقصا فقيرا ضحلا جافا لاتاريخيا ، يعكس ماقبل تاريخ العرب ».. ولا يخفى مافي ذلك من خطأ فادح والغاء لمراحل تطور اللغة وكأنه يسحب فترة التدوين على كل مراحل حياة اللغة ، ويقول ان اللغة وقفت عندها ابدا .. وقل يادكتور ويجب فورا ـ وهذه نتيجة حتمية ـ القاء هذه اللغة بكل ما انتجت في كل فروع المعرفة في مزبلة التاريخ وتبني لغة اخرى عظيمة قادرة بطبيعتها على استيعاب الفكر العربي ـ ان كان سيظل عربيا ـ وتحريره من القيود المشئومة التي فرضتها هذه اللغة العربية المريضة والمحكوم عليها بالموت منذ ولدت .. لقد سبق ونادى البعض بكتابة العربية بابجدية اخرى كاللاتينية مثلا لعجز الخط العربي عن الوفاء بالاداء الصحيح كرمز للصوت ورسم له ... وحدث ان لغة كالتركية تصورت ذلك وحاولت حتى استبعاد الكلمات العربية منها .. فهل كان ذلك سبيلا لنهضة اللغة .. فنهضة الفكر بشكل عام

وسنحاول هنا ان نناقش فرضيات وأحكام الدكتور الجابري .

أولاً : على مستوى المنهج فإن التعسف كما قلنا في البداية واضح لاسبيل إلى تغافله .. وهو امر تجده في كثير من بحوث ودراسات اكثر الباحثين العرب المعاصرين في المشرق والمغرب العربيين .. الذين درسوا في الغرب خاصة ، وبصراحة اكثر نرى فيها صورا اخرى لآراء ومناهج المستشرقين وان كان اولئك المستشرقون لهم مبرراتهم ربما من مواقع لايتسع المجال لطرحها هنا .. المشكلة ان باحثينا يرون في هذه المناهج لامناهج تحليل نسبية قابلة للتفاوت ، وانما على اساس انها اساسيات ثابتة زمانا مكانا وصحيحة دائما او غالبا في كل خطاها ... ولانرى لباحثينا عذرا في ذلك لأنهم نتاج تلك البيئة الثقافية والحضارية موضع البحث ولابد ان يكون طابعهم على مناهجهم او ان تظهر شخصياتهم الثقافية في نظرتهم .. انهم نتاج بيئة ثقافية مختلفة عن بيئة المستشرقين الثقافية ، وهم يخرجون من تلك البيئة ويضعون على عيونهم وعلى عقولهم منظارا خارجيا تماماً ليرون به داخليتهم ، انهم كما وصفهم شاب صحفي عربي « المستشرقون العرب » وهي ظاهرة جديدة مازلنا لم نستوعبها بعد ...

ان الدكتور الجابري يلتمس أحداثا من سلسلة تاريخ اللغة العربية مثل عصر التدوين الذي بدأت به دراسة اللغة العربية ليجعله مطلقا ونهائيا وأبديا ، خالداً على الزمان والمكان كما ان هناك خطأ ومغالطه في مقولته التي مفادها ان سر تخلف الانسان العربي هو انه مقيد بتلك اللغة التي لابد ان تكون بدوية حتى تكون صحيحة ، ونسبته ذلك إلى النحاة العرب وكل ذلك غير صحيح ، فالنحاة انما أرادوا وصف لغة ما في عصر ما ووضعوا ضوابطها من خلال السماع عن العرب الأقحاح ، وانهم حتى وان قالوا بضرورة استمرارية هذه الضوابط كشرط لصحة هذه اللغة ، فهم وبحوثهم وجهودهم محكمون بعصرهم ، ولم يكونوا بدعا من اى لغويين اخريين . وان في عملهم هذا نوع من الحفظ

الوثائقي للهجات العربية في موطنها القديم من الجزيرة العربية التي خرج منها القران والذي لاينكر احد انه اثر في تكوين حضارة عربية وانتج فكرا او ادبا وفلسفة وعلما في فترة ازدهار تلك الحضارة وليس الدين واللغة فقط كما يحدد الدكتور الجابري .

ثانيا : نلمس قدرا لاباس به من التناقض والتضارب في رفض ذلك الاعرابي القح والسخرية منه كمصدر حي للنقل عنه لوصف لغته وتحليلها وتقعيدها وهذا هو السماع الواقعي الذي يتناقض مع صناعية او اصطناعية اللغة منه قبل النحويين الذين اطلقوا القياس في مدرسة البصرة اللغوية ، والذين يوصفون بانهم جعلوا اللغة منطقا صوريا ولكن ثمة مدرسة الكوفة اللغوية ايضا والتي تعتمد السماع اساسا للغة الصحيحة وليس القياس ، وقد افاض الباحثون المعاصرون في دراسة المدرستين والفروق بينهما ... فماذا يفضل الدكتور اساسا لرؤية اللغة ؟ هل المطلوب هو الوصف الدقيق للغة حية واقعية لاتصورية ؟ اذن فهاهي مدرسة الكوفة المحافظة والنقل عن الاعراب مشافهة يكفلان ذلك على اعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية وكائنة حية لامفترضة ولا متصورة أم المطلوب هو فتح باب التطور وتعامل اللغة مع اللغات ومع المنطق واطلاق خط التجدد والحركة والقياس وطرح الجديد من الصيغ والاستعمالات ؟ واذن فهي المدرسة البصرية وانفتاحها على ثقافات ولغات اخرى ، واتخاذها الاشتقاق والقياس اللغويين اساسا لمنهجها ، تكفل ذلك ؟ وكلا الاتجاهين وكلتا المدرستين تركا اثارهما في نتاج تلك اللغة

ولكن الدكتور الجابري نفسه ربما احس بشيء كبير من هذا التعسف وربما تذكر مايمكن ان يرد عليه وعلى منهجه فقال في ص ٨٣ نقصد مارافق السماع من صنعة واصطناع . مع انه كان قد قال من قبل في نفس الصفحة . لقد كان من الطبيعي والحالة هذه ان يتحكم القياس بدلا من السماع .. وكانه يريد ان يقول . هناك السماع ولكن عليه تهمة القياس وهناك قياس وهو مرفوض لانه يجعل اللغة ممكنة لاواقعة .

ان هذا الاعرابي ليس محللا ولا منظرا وانما هو مصدر حي فقط يؤخذ عنه تسجيلا ليوظف مايقول من طرف العلماء والباحثين .. انه يقول : انطق كذا واقول كذا تماما مثل من يطلق عليه الآن « راوية » لادخل له بعد ذلك في التحليل والتنظير كما يقول .. انه يدخل فقط في تحديد موضوع البحث والرجوع اليه للتاكد من ان لغته هي فعلا موضوع البحث ام لا .. والنقطة التي يكررها الباحث من ان كتب اللغة تصف هذا الاعرابي بالخشونة والجفاف هي في الواقع سند لصحة عمل النحاة اكثر من عكسها . فهي تحدد اللغة موضوع البحث ولا تفرض ابدا بالضرورة جعل هذه اللغة مفروضة وابدية وخالدة .. اذن كان هذا العمل والتدقيق على وصف الاعرابي لوصف لغته بمثابة حفظ دقيق لتوصيف لغة ما في عصر ما لانسان هذه صفاته .. ولا يصح ان يتخذ ذريعة للقول بان المفروض هو سجن العقل العربي في هذا الاطار من اللغة والخيال البدويين لانه اللغة الواقعة والتي تتابع دراستها تجاوزته . ومازالت تتجاوزه وهذا لايخف على الدكتور الجابري

ثالثا وقفة سريعة عند الخليل وعمله

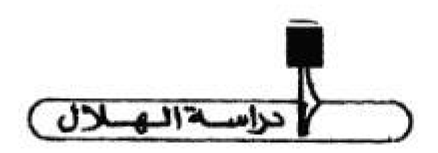
من الواضح اعجاب الدكتور الجابرى الشديد بالخليل وبعمله ومنهجه فى ذلك العمل ، وهو لايستطيع .. ولا نحن ايضا ـ الا ان يسلم بذلك وقد سبقنا به مستشرقون مثل برجشتراسر فى التطور النحوى للغة العربية ، ولم يسبق الغرب فى هذا العلم ـ الاصوات والصيغ ـ الا الهنود والعرب .. ثم يقرر ان كتاب العين للخليل هو اول واهم مرجع فى هذا الصدد ، الا ان الدكتور الجابرى على اعجابه الشديد بالخليل وعمله عاد فوصفه بانه قولب اللغة وحولها إلى قياس عقلى ومنطق صورى وهنا ايضا قدر لابأس به من التناقض فى رؤية الدكتور فهو ـ اى الخليل ـ قد قولب اللغة ص ٨٣ ، وانطلق من الامكان الذهنى يتعامل مع الحروف الهجائية العربية تعاملا رياضيا صرفا ، فحصر انواع الالفاظ الممكن تركيبها منها .. وهذا المبدا كان لابد ان يجعل اللغة من صنع الذهن بدل ان تكون نتيجة للتعامل معها كمعطى واقعى ، اى انه حول اللغة من واقع إلى نظر ، ولاشك ان ذلك وضع للغة .

مع انه فى الصفحة السابقة ٨٢ يقول ، لقد لاحظ الخليل ان الكلمات العربية هى اما ثنائية او ثلاثية او رباعية او خماسية .. اما مافوق ذلك فهى حروف زائدة يمكن الاستغناء عنها برد المزيد إلى المجرد .. وبناء على ذلك اخذ يركب الحروف الهجائية العربية بعضها مع بعض مثنى وثلاث ورباع وخماس مستنفدا كل التراكيب الممكنة ... ثم اخذ يفحص هذه الالفاظ المجموعات فما وجده مستعملا مثل . ضرب ابقاه وسجله وما وجده غير مستعمل مثل جشض التى لا وجود لها فى لسان العرب اهمله (ونحن الذين وضعنا الخط تحت ماسبق)



وكان الدكتور الجابرى يقول ان الخليل الثبت ـ بعد رصد كل الممكنات ـ مايقوله العرب واهمل واسقط مالا وجود له فى لسان العرب ص ٨٢ ، ولكن مع ذلك فهو قولب وقيد اللغة وحولها إلى ممكنات وإلى تصورات منطقية ص ٨٣ .. تناقض صارخ . فكون الخليل يصنف التراكيب الممكنة ثم ينفى ويهمل مالم تقله العرب هو يؤكد دقة الخليل فى توكيد وضبط ماقالته العرب ولا يفرض اشكالا وصوراً عقلية ممكنة .. او غير ممكنة

ثم ان تسجيل وتدوين لغة ما فى زمن ما ، بل والتدقيق على وصف الزاوية المنقول عنه وشتى مناحى حياته لهو من الدقة العلمية بمكان .. ثم ماذا يقصد الدكتور الجابرى بقوله فى ص ٨٨ بالهروب من اللحن إلى لغة العرب الاقحاح ، وان هذا قد ادى إلى ترك الحرية للحن يصنع لغة التعامل . لغة الحياة اليومية ؟ فماذا كان يتصور إذن ان يتكلم الناس دائما لغة العرب الاقحاح الذين يسخر منهم ؟ او ان يتكلموا لغة القران الكريم ؟ او ؟ وماهو التطور اللغوى او تاريخية اللغة فى نظره ؟ اليست هى تعامل تلك اللغة مع اللغات الاخرى ؟ او ليس اللحن هو الذى يصنع او يساهم فى التطور وفى استمرارية اللغة ؟ ربما لا يعرف سيادته ان اللحن والترجمة والتجوز والتعريب والاشتقاق ، كانت عوامل هامة ونقاط بحث امام الدارسين للغة قديما وحديثا وكانت الشغل الشاغل لمجامع اللغة العربية منذ انشئت إننا لنستغرب حقا ان يكون باحث مثل الجابرى قد قرأ وفهم كتاب العين وغيره ، وفهم منهجه فى البحث واقر بانه بعد وضعه لكل التراكيب الممكنة للغة اسقط مالم تستعمله العرب واقر مايقولون .. ثم يعود يذكر بعد ذلك فى الصفحة ٨٢ ان الطريقة التى اتبعها الخليل ادت إلى صنع اللغة وتحجيمها فى قوالب ثابتة صلبة



ان المغالطة تكمن فى ان الباحث تجاهل دقة هذا المنهج الوصفى ، وانه أطّر ما هو موجود من اللغة فعلا ولم يفترض ولم يتصور ولم يصنع لغة ولا وضعها ... انه لم يضع قوالب فارغة افترضها هو لتصب فيها اللغة ولم يقسر الناس على أن تتكلم أبداً على نمط هذه القوالب ثمة فرق بين تأطير وتصنيف ماهو موجود .. وبين خلق أطر وتصور قوالب ليتكلم البشر على نمطها .

كيف يقف الباحث عند مرحلة تدوين اللغة وينسى اويتناسى ما اعقبها من دراسات وجهود موضوعية لمواكبة اللغة فى مراحل تطورها ، ومشاهدته هذه اللغة من تطور فى عصور الحضارة العربية فى مجال تلك الدراسات من ترجمة وغيرها ؟ هل تستطيع ان تقول يادكتور ان نصا كتب فى صدر الاسلام هو بنفس اللغة : على مستوى المفردات والصيغ والتراكيب . التى كتب بها نص آخر فى عصر المامون وبعد ، دار الحكمة ، ونص ثالث فى القرن العشرين ؟ وأين هذا كله من لغة الاعرابى الجلف الجاف الذى تسخر منه وتهزأ به وبلغته ؟ هل كتب توصيف وتحليل اللغة العربية فى عصر الخليل هى فى العصر العباسى ثم الأندلسى ثم عصرنا الراهن ؟

هل من السهل ان تتسرع فى لصق تهمة التخلف الحضارى العربى المعاصر باللغة وان تقول انها المسئولة بحكم تخلفها الطبيعى ؟ هل هذا منطق ؟ ان اللغة ليست الا احدى ظواهر حضارة الأمة وانتاجها وعطائها وادبها وفكرها تؤثر وتتأثر بذلك الانتاج كله . تعطيه وتأخذ منه وحين تزدهر حضارة ما فى كل جوانبها .. فإن اللغة أيضا التى تصب فيها هذه الحضارة تزدهر هى أيضا وتنتشر وتاريخ الحضارة العربية نفسه شاهد على ذلك ـ ان كان الدكتور سيسمح لنا ان نقول كلمة حضارة عربية فحسب فصله هذا كل العقل العربى هراء ـ فى هراء ـ فقد نفذت العربية الى لغات بشرية كثيرة واثرت فيها واثرتها ، والمصطلحات العربية العلمية فى الصيدلة والطب والطبيعة والفلك نجدها حتى اليوم فى لغات العالم المتحضر ، نحن معك فى عدم صحة البكاء على الطلول والعيش فى الماضى ولكن لسنا معك فى مصادرة هذا الماضى بمزاياه وعيوبه أو فى القول بانه كله عيوب . خاصة فى مجال بحثنا وهو اللغة .

هل يجهل الأستاذ الجابرى أم يتجاهل أن العربية تنتمى إلى أسرة هى اللغات السامية .. وأن الأسر اللغوية الكبرى بحكم البيئة والتاريخ تتفرع إلى لهجات تستقل كل منها حتى تشكل لغة قائمة بذاتها وان كانت الأسس العامة فى الأصوات والصيغ والتراكيب تظل بطابعها على كل لغة من بنات الأسرة القديمة .. فهل اطلع على اللغة الاكدية وماسجل فيها من حضارة راقية بما فيها أول قانون منظم ومكتوب فى تاريخ البشرية قانون حمورابى المشهور .. وهل يعرف ان الآرامية أخت العربية كانت واسعة الانتشار فى كل انحاء الجزيرة وان اثرها امتد الى مصر القديمة ؟ نقول هذا لنشير إلى ان دارسى اللغات المتخصصين يطرحون كل يوم قضايا الاخذ والعطاء بين العربية وهذه اللغات من خلال علم اللغة المقارن .. ولنذكر بانه لايصح النظر إلى العربية على انها

ولدت قبيل الاسلام او بعيده .. صحيح ان الاسلام غير مجرى تاريخ هذه اللغة من خلال القران وعلومه .. وهنا نذكر ايضا بأن النحويين بعد الخليل كانوا يستشهدون دائما بالشعر الجاهلي وبالقران في تقعيد اللغة وليس كما يقول انهم اهملوه ، او لم تكن لدراساتهم علاقة به .. ولكن العربية تضرب خلال التاريخ بجذور عميقة جدا .. فاين عربية الجنوب ولهجاتها في اليمن القديم . هل ماتت هذه اللغات تماما ؟ ام انهاتوزعت في لهجات الشمال وعبرت باب المندب إلى الحبشة لتكون اللغة الجعزية وانها تعاملت مع لغات اخرى سامية او غيرها واخذت من تلك اللغات وطوعت وعربت وكان دارسو العربية يعون ذلك دائما ويرصدونه وقد رصدوا في القران مايحدد بتقريبات مختلفة مابين مائه إلى مائه وسبعة وخمسين مفردة على وجه التقريب من المعربات بين حبشية وارامية وعبرية ويونانية ورومانية وفارسية .. وكتب لغويون مثل السيوطي واشار ابن حزم ايضا لذلك وان كانت بحوثهم لاتتسم بكامل الدقة الا انها بالنسبة لعصورها اصابت شيئا كثيرا من الحقيقة .

اما مايقرره في ص ٩١ من ان «.. الاذن تنوب هنا عن العقل في الرفض والقبول ومعروف في اللغة العربية ان الاذن هي التي تستسيغ وليس العقل !».. ان في هذا الكلام خلطا شنيعا بين القوانين الصوتية والايقاعية للغة وبين قدرة هذه اللغة على التعامل مع العقل ... لان قبول او رفض الاذن ليست مسالة خاصة بالعربية وانما في كل لغات العالم ، حتى اولئك الذين ليسوا خشنين ولا اجلافا .. وكثيرا ماتردد كل كتب اللغات هذه العبارة « غير مقبول لسبب صوتي » فقبول او رفض الاذن او تفضيلها ترتيبا صوتيا على اخر او تجاور صوت واخر مسالة ليست من العقل والمنطق في شيء وانما هو امر داخل في صميم طبيعة اللغة ترسمه تقننه اسباب اخرى غير العقل والفكر والمنطق فاللغات ليست معادلات كيميائية ولا قوانين رياضية .

وإذا اردنا ان نختم هذا الحديث الذي لايتسع للتفاصيل العلمية الدقيقة .. **فاننا نقول ان الاستاذ الجابري لم يكن الفريد الوحيد في هذا الفصل . وانما هو حلقة في سلسلة من منطق وفلسفة وقدرة عدد لاباس به من كتاب ومفكري وفلاسفة العرب المعاصرين الذين يريدون ان ينفضوا ايديهم تماما من امة بتراثها كاملا بسبب ان هذه الامة تمر بمنعطف صعب في حياتها الحضارية بشكل عام بدلا من ان يبحثوا لها ومعها المخارج وسبل النهوض . وكاننا غدا سنغير وجه تاريخنا المعاصر ونقضي على كل مشكلاته اذا قلنا اننا نبرا تماما من كل هذا التاريخ بل وانه كان خطا من البداية حتى اللغة نفسها ' .. وطبيعي ان يكون كل هذا باسم المنهجية والتحديث في النقد . وكان تلك المنهجية وذلك التحديث لايتاتى الا بالهدم والتقويض وذكر المثالب فقط لانك حين تذكر النقاط المضيئة لن تكون قد اتيت بجديد.الجديد الا تكون تقليديا بل ان ترفض حتى اللغة .. معذرة نضطر لهذا القول لان الفصل الساخر - الاعرابي صانع العلم العربي - يسد كل الطرق امام اية محاولة للنهوض بالفكر والحضارة واللغة العربية .. انها قرارات واحكام تعجيزية ونهائية ... لا تحاول فكل شيء ميت . حتى اللغة نفسها التي تمثل الكيان او اساسا من اساسياته هي ايضا مريضة .**

ومع كل هذا تهنئة للدكتور الجابري الذي استطاع ان يصب فكره المعاصر في القرن العشرين داخل هذه اللغة لغة الأعرابي الجلف الجاف .





● عود الى الله ●



قذفت بالكاس بالطاغوت بالراح
أفقت من غفلتي ابصرت مصباحي
هذا لساني غلام الغي الجمـه
واليوم للذ انطقني والفصاحي
صفقت للهو لا ادرى عواقبـه
وكم تجاهلت من جاءوا لإصلاحي
فبارقات الهدى بالدرب خافتـة
ولا فتات التقى تبدو كاشـبـاح
تبدل الامر مذ عادت لخالقها
نفسي فعادت مع الايمان الراحي
والعلن قلبي بنور الله وانقشعت
فلول ليل مضى يمحوه اصباحي
يسبح الكون اجلالا لخالقـه
كلا هبوا وعد الله يا صــــاح

عبد الناطي موسى عبد العاطي

● قصة قصيرة ●

● احاسيس راهبة ●

● تحت جدران المعبد .. اجثو .. ورنين المعبد يأسرني وينســاب الى فضائي ، الى وجداني البكر

يعزف ترنيمته الفريدة .. وانشودته الفارعة الراهبة يعزف ، ويعزف .. حتى الذوب .. تفتت اجــزائي .. وتخلق جذور جديدة .. انها تنبت بداخلي .. تتخلق شيئاً فشيئــاً .. فتبعث الامل وتنشر الدفء وتعادل نفسي .. تزنها .. تحتضن طفولتها ، تنتشل غربتها وتزرع جذورا جديدة وبساتيــن عطرة ..

لكن آ.. لكن هناك .. في ركن المعبد . يوجد ناقوس ، ومصباح انذار .. يدق الناقوس فجأة .. ويومض المصباح .. اصحو .. افيق تتفتح عيناى .. تنتابني دهشة ، وصحوة .. اجول في المكان .. ابحث خلف الجدران ؟ عن اجزائي .. ؟!

مازلت احس ان هناك خســائر .. وبداخلي احساس هائل بالفقد .. يذوب

الامان منى يرتعش المكان منى .. تصبح ايامى عجافا .. تجف وتجف ! ..
وينتشر العمقيع ..
يلتف حولى .. يحوط بكل اجزائى .. انطوى على نفسى .. انكمش ..
مازلت اللم فى نفسى الفتات ٪ وبداخلى احساس هائل بالفقد !
مازلت انكمش ، وينكمش الامان معى اخرج من المعبد .. بهيكل حطام ..
وقوام مرتجف ..
يتساءل راهب المعبد ، وتتساءل معه العيون .. ابحث فى نفسى عن سبب .. عن الاجابة .. تهرب الاسباب منى .. لا اجد تبريرا واحدا . سوى
احساسى بالرجفة !
احساسى بالشك
احساسى بالخوف
من شيء ..
ومن لا شيء ..؟

سوسن ناجي رضوان

● نبوءة عاشق ●

انا لا اظن اميرتى ان الزمان سينتظر
حتى نحقق حلمنا ونعيش ساعات العمر
فالكون يركض حولنا والعمر يوشك ان يمر
والشمس يخبو نورها والبدر غاب عن النظر
فلئن تشتت شملنا فالامر امر قد قدر

عبد الرحمن عبد المحسن النملة

● الماء والهواء والشعر ●

● ارسلت لكم « عدد » غير قليل من اشعارى قبل ان اتمكن من الوزن وبعد ان تمكنت منه ، ولا ادرى لماذا لم ينشر لى اى قصيدة رغم انى تعديت مرحلة الاوزان ، فلقد اصبح الشعر لى كالماء والهواء .. ام انه مازال « صعب » و « طويل » سلمه .. وارسل اليكم هذه القصيدة بعنوان : ابحث عنك ... ارجو ان « تحوز » اعجابكم :





ابحث عنك فى اعماقى
ابحث عنك فى اوراقى
يا بدرا فى احداقى
ما اجمل ان « « نتلاقا »
فى وادى اشواقى
انت كل صفائى
روحا تسرى فى احشائى
نجما يسطع فى احنائى
جملا تسكن فى وجدانى
تحمل حبا ومعانى
تبقى شوقا فى وجدانى

– ها نحن أولاء ننشر قصيدتك ورسالتنا ، وقد وضعنا أغلاطها النحوية والاملائية بين القواس ، لكيلا تتكرر الكلام منها هنا .. وأما أوزانك ، فان تفعيلاتك – وهى خليط – صحيحة تقريبا وان كان الكلام يحتاج الى معنى واحساس . ولعلك تكتسب ذلك بطول التمرين والصبر على مكاره الاوزان والمعانى ...

● الى البطلة سناء مهيدلة ●

يا سناء قد فاق كل سناء
جل ما جئت من عظيم العطاء
انت اعطيت للبطولة معنى
ودفعت الفداء اعلى سماء
لم تخالى الحمام غضة عين
كيف يخشى الحمام ذو الارزاء؟
مرحبا بالحمام ان كان ثأرا
لشهيد من طغمة الاشقياء
جدت بالنفس فى الربيع فداء
من سماح يزيد قدر الفداء
قد هجرت الحياة فى زهرة العمر

وكم هام طامن بالبقـــاء
الرت نفسك الخلود فبشرى
لخلود مطرته بانتمـــاء
انت نعم المثال .. قل مثال
منك ـ والحق ـ من لدن حواء

احمد قاسم أحمد
مدير قلط التعليمية ـ قنا

● قضايا الادب ●

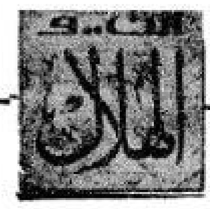
● مازال الحديث موصولا من الخطر قضايا الادب والثقافة التى اثارتهـا الهلال فى السنوات الاخيرة .. فبعد قراءة مقال « الوجه الاخر » ردا على الدكتور النساج وجدنا ان اكثر ماابرزه الدكتور الحسينى هو لعتـرافه بمكانة ناقده وانتهاجه اسلوب التادب ، فى السرد والعرض الا ان الانفعال تصاعد صريحيا خلف الكلمات والتى لـم تف بدورها نفيا قاطعا ما اتى وجاء الرد عامرا بالمبررات التى خلفت من وقع الادلة فى بعض المـواقف التى قدمها الدكتور النساج واكدت ضمنيا الدلة اخرى على ثبوت الواقعة وليس اصرارا منا على استمرار الاتهام ولـكن لخطورة الامر نتمنى ان تصدر جامعـة الاسكندرية بيانا توضح فيه المـوقف تماما دون الدفاع عن احد او هجوم على آخـر فالكل فى النهاية يحرص على سمعة التعليم الجامعى .

صبرى عبد الله قنديل

● رسالة من قارىء ●

● أرسلت الى سيادتكم على مدى عام كامل « أربعة قصائد وبعد سـنة كاملة تفضلتم بنشر اسمى فقط والتنويه عن ضيق المساحة ، فى حين نطـالع على صفحات مجلتكم الحبيبة قصـائد دون المستوى شكلا وموضوعا تأخـذ صفحة كاملة وصفحتين لاسماء فرضت علينا ، فهل تضيق الساحة الادبيـة وخوت من الشعراء المجيدين ؟ أم ان هذا الشاعر « المفروض علينا » لـه تصيب الاسد من اسهم المجلة العريقة « الهلال » ؟ واذا كان سيادته يحمل لديكم ، فانى ارجوكم ان تاخـذوا بكالوريوس الهندسة الذى ساحصـل عليه قريبا ان شاء الله « وتتبلوننى » موقف درجة عاشرة عندكم . وانا اعلم جيدا اننى وهذا البكالوريوس لسـنا « 13 » قمة فى بلاد المجموعات استحلفكم بالله ان تفتحوا قلوبـكم « وصفحاتكم » للشباب فهم الـذين سيحملون لواء الادب من بعدكم . اطال الله فى عمركم .

محمد محمد الجندى
وكيل رابطة الشعراء بكفر الزيات



ـ انت تظن ان ما ينشر في هـذه المجلة وغيرها ، اقل مستوى من قصائدك التي لم تنشرها ، وهـذا حكمك انت كشاب لم ينضج بعد سنا ولا علما ولا شعرا ، فالحق ان قصائدك التي ارسلتها الينا كانت دون المستوى ، واوزانها غير صحيحة وهذا هو سبب عدم نشرها وليس النشر متوقفا على «سن» الشاعر فقد ننشر لشاعر في العشرين من عمره اذا كان شعره ناضجا ، ولا ننشر لشاعر في الثمانين اذا كان شعره رديئا .. وقد تفشت اكذوبة الاجيال والاعمار بين ناشئة الشعر والادب ليبرروا بهـا عجزهم وقلة نضجهم ، فلا تكن من هؤلاء وحاول انت ومن يشاء من زملائك ان تنضجوا انتاجكم قبل عرضه للنشر !.. ولا يوجد في الهلال شاعر ينشر شعره في كل عدد ، وان كنت تعرفه فارسل الينا باسمه مشكورا ، ولا معنى لحديثك عن بكالوريوس الهندسة وبلاد المجموعات الخ .. فهو حديث صبياني مع الاسف .. وخطرة للجيل الجديد ، فمهمتنا به انه يتقبل النصح ويحاول ان يتعلم !. هذا وقد وضعنا الاحكام التجربة بين الرواسي فطرية !

● ضيوف من الجرذان ●

لم يبق غير « الجرذان »
بسلامتي ، وبراحتي ، وكياني
وقفت .. على راسي .. تمارس لهوها
لم ترع حرمة نائم ، فالآن
انتبهت .. مذعورا .. اسائل حيرتي
ماذا جرى في غفلة النسيان
وبلهفة .. تمتد كل اصابعي
في كل ناحية من الجثمان ..
.. تحصى على الجرذان جسمي راعشا
من اخمص القدمين .. للآذان !
واذا استعدت هدوء نفسي ، وانقضى
روعي ، وقفت لحربها ميداني
فابتعدت « نصيحة » ولم ابخل بما
عندي من البرقوق ، والرمان
وسهرت انتظر « الضيوف » وفي يدي
« نعلي » .. اراه عجيبت للضيفان
وبطول ليلي في انتظار احبتي
والطول يؤنسني من الامكان
وهناك .. عند الفجر .. تأتي فروضا
وكأنما الدنيا سهول امان
ويشق صمت الليل بعد هنيهة
صوت الزعيم ، يدوي في الفئران
يدعو الى الهرب الرهيبة ، معلنا
ان السلامة في ثياب جبان
فتدور بين يدي وبين زعيمها
حرب تصون كرامة الانسان

رمضان ابو غالية
وكيل قويسنا الثانوية للبنين

● ركب العميان ●

خداع اللى يفهم
فى ركب عميان
فاتدهم ابكم
فى صمته الليل .. والليلْ ما تعلم
خوف وساوسه
اللص اذ اظلم
لا يسمع النجوىَ .. لا يرحم الشكوىَ
القسوة القسوة والنقمة القصوى
فى زمن ضاع العالم

واختفت المعالم
وارتقت العوالى
فلا عجب ـ لو جن العاقل
الركب كثير الالوانْ
ركب العميان .. فى كل مكانْ
حرمان تتملق .. دودة تتشرنق
لعوب تتسلق

محمد السيد حماد الضبع
جهينة سوهاج

● الى الشعراء ●

● السادة الشعراء : صفية مصطفى احمد بدوى .. فرج رمضان عبد الحليم .. محمد فتحى رشوان .. مملوح عبد الامام .. رقيت محمد يرويى .. محمد عبد الستار عويس .. حامد محمود طه .. مدحت مصطفى الامين .. عبد الله السعطى .. محمد صالح الوعر .. محمد حسين ابراهيم هاشور .. جمال صالح يسرى .. محمد سعيد رشاد .. غنان السعيد ابراهيم مكرم .. رمضان السيد .. صابر الميدروس .. عادل حلمى حمزة .. عبد الرحيم المانسخ .. بهاء الطفى .

نعتذر اليكم من عدم النشر ، وننصح بالاهتمام قبل محاولة النشر ، بالقراءة والاطلاع واتقان الاداة الشعريةمن اوزان ولغة الخ .. لان قصائدكم تنقصهاصحة الاوزان ، وتنتشر فيها الاخطاء اللغوية والنحوية ، بدرجات متفاوتة ، فبعضكم لايعرف من الاوزان شيئا ، وبعضكم يعرف الكثير وينقصه القليل .. ولا يوجد شعر بدون أوزان صحيحة تماما ولغة صحيحة ايضا بلا اى خطأ فى النحو والصرف .. فضلا من شاعرية الشاعر التى لابد منها.

عبد الجواد محمد الخضرى ـ شربين :

ـ المقالات والقصص والاشعار التى تصل الينا لاترد الى اصحابها سواء نشرت او لم تنشر ، وهذا تقليد معروف فى الصحف ، فاحتفظ بنسخة من كل مارسله للنشر فى الصحف لكيلا تحتاج الى السؤال عنها فى ادارت الصحف

● السادة كتاب القصة القصيرة : حسن على وهيب .. قدرى صابر توفيق .. محمد يونس محمد القنيص .. علاء الدين سعدان رجب ... نعتذراليكم من عدم نشر قصصكم ، ونرجو ان تهتموا بتجويد انتاجكم من القصة قبل التسرع فى نشره ، فالنشر ياتى بعد نضج الانتاج ..

العازل الطبي تُـبس هـو الأمثل والأكيـد

اذا كنا قد عرضنا في الحلقات السابقة للعازل الطبي .. وتحدثنا عنه كوسيلة فعالة من وسائل منع الحمل .. وتناولنا بالشرح والتحليل فعاليته في الوقاية من الامراض التناسلية وغيرها .. كما قلنا انه وسيلة سهلة الاستعمال ليست لها اعراض جانبية يخشى منها على الرجل والمرأة على السواء .. ثم عرضنا لطرق التوزيع التي يتم بها تداول العازل الطبي . فاننا في هذا المقال سنتناول تقديم العازل الطبي الجذاب للجمهور .

ففي أي مجتمع يكون من الطبيعي أن يكون العازل الطبي الجذاب والذي يشد اليه الذين يفكرون في استعماله - أن يكون هو الخالي من العيوب .. الجيد الصنع ذو المقاس المناسب والسمك الرفيع بقدر الامكان .

وقد يتنوع الاختيار بين المستهلكين من منطقة لاخرى ، ومن بلد لآخر . لذلك فان أفضل ما يمكن عمله هو استطلاع للرأي العام للحصول على اجابة لأربعة اسئلة هامة .. هي :

١ - ماهو نوع العازل الاكثر شعبية وانتشارا بين المستهلكين ؟

٢ - ماهو الغلاف الأكثر فائدة وجاذبية ؟

٣ - كم عازلا يحتاج اليها الازواج شهريا ؟

٤ - ماهو السعر المناسب لبيع العازل الطبي ؟

تشير الدراسات التي اجريت في الولايات المتحدة وسرى لانكا والمكسيك الى أن الرجال يفضلون العازل الطبي المرن ذو النهاية المنتفخة . وفي بلاد اخرى يفضلون العازل الملون .. ففي كينيا نجدهم يفضلون اللون الأحمر .. وفي اليابان نجد أن اللون الاسود هو المفضل . اما مصر وتايلاند ونيبال وجامايكا فتوردلهم هيئة المعونة الامريكية نوع العازل الطبي له عدة ألوان منها الأزرق والأخضر والوردي والاصفر .

اما بالنسبة للتغليف والتعبئة فقد وجد في عدد من الدراسات انها ينبغي ان تكون العبوة جذابة الشكل ، وسهله

الحفظ ، وان تكون العلبة سهلة الفتح وان تكون قطع العازل منفصلة عن بعضها ليسهل اخراج كل عازل على حدة .

وهناك نقطة اخرى هامة .. هى .. كم عازلا يحتاجة الأزواج ؟ والاجابة الأكثر شيوعا هى ١٠٠ قطعة سنويا ولكن الاكثر واقعية هو أن نقول من ٥٠ الى ١٠٠ قطعة .. ففى الدراسات التى اجريت بالهند اتضح ان العدد المطلوب هو ٧٢ قطعة فى السنة . وفى بنجلاديش بين ٨٠ الى ٩٠ قطعة فى السنة . وفى كوريا الجنوبية وجد ان معدل الاستهلاك هو ٦ قطع فى الشهر تقريبا .

وعلى اى حال فان العازل الطبى تتم تعبئته بمعدل ٣ او ٦ او ١٢ قطعة فى كل عبوة ، ويفضل من يستعملون العازل الطبى كوسيلة لمنع الحمل العبوة التى تزيد على ثلاث قطع لان ذلك يجعل العازل فى متناول اليد فى اى وقت .

اما عن الاسعار .. فقد وجد ان المستهلكين يفضلون ان يشتروا العازل باسعار معقولة حيث يعتقد البعض ان العازل الذى يمنح مجانا او بسعر منخفض جدا تكون نوعيته رديئة ، وان كان ذلك غير صحيح . ولكن هذا لايمنع ان يكون هناك بعض المستعملين الذين يؤكدون انهم سيمتنعون عن استعمال العازل الطبى اذا طلبت منهم اى نقود ثمنا للعازل .

وبعد اداء الدراسات الكافية للتعرف على رغبات واتجاهات المستهلكين لابد من توجيه الاهتمام لحملات التوعية والدعاية لما فى ذلك من اثر كبير على زيادة الاقبال على استعمال العازل الطبى .

ففى جزر بالى وجاوه فى اندونيسيا كان العازل الطبى مطروحا فى الاسواق فى عام ١٩٧٤ ولكن فى ١٩٧٥ بدأت حملة التوعية التى ارتفعت على اثرها المبيعات من ٥٠٠ قطعة الى ١٥٠٠ قطعة شهريا ، وعندما توقفت الحملة هبطت المبيعات من جديد . وفى بنجلاديش عندما توقفت حملات التوعية بالعازل الطبى لاعتراض البعض عليها انخفضت معدلات الاقبال على استعمال العازل الطبى .

وهناك سبل اخرى لزيادة معدلات الاقبال على استعمال العازل الطبى . مثل توزيعه كعينات مجانية فى بعض المناسبات مثل المباريات الرياضية والمهرجانات . ومن امثلة ذلك ما قامت به اسرة المستقبل فى مصر .

وبرغم ان هناك من يعترضون على الاعلان عن العازل الطبى ، الا ان المحول الأساسى فى زيادة الاقبال على استعمال العازل هو جودة انتاجة وسهولة الحصول عليه وتوفيره بالسعر المناسب .

• وتبس • العازل الطبى الذى تطرحه أسرة المستقبل للتداول هنا فى مصر هو من اجود وامتن العوازل الطبية هذا علاوة على توفره فى جميع الصيدليات بسعر مدعم حتى يصبح فى متناول الجميع .

فالى لقاء فى العدد القادم باذن الله

مع تحيات أسرة المستقبل

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا - فى جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستانى عشرة دولارات .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب .

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب

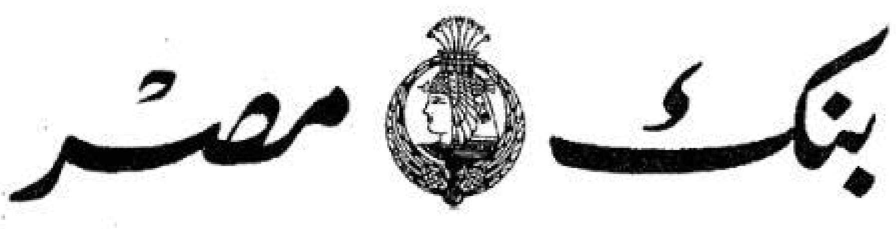
القاهرة - تليفون ٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط . مجلة الهلال ت : ٦٢٥٤٨١



الاسعار

سوريا	٣٥٠	ق س	غزة وقطاع غزة	٣٠	سنتا	اثينا	٨٠	دراخمة
لبنان	٤٠٠	ق . ل	الصومال	٥٠	بنى	فيينا	٣٥	شلنا
الاردن	٤٠٠	فلس	داكار	٤٠٠	فرنك	فرانكفورت	٣,٥	ماركا
الكويت	٤٥٠	فلسا	لاجوس	٦٠	بنى	كوبنهاجن	١٠	كرونات
العراق	١١٠٠	فلس	اسمرة	٤٥٠	سنتا	استوكهولم	١٤	كرونة
السعودية	٥	ريالات	اليمن الشمالية	٥	ريالات	كندا	٢٥٠	سنتا
السودان	٧٥٠	مليما	اديس ابابا	٤٥٠	سنتا	البرازيل	٣٥٠	سنتا
تونس	٦٥٠	مليما	باريس	١٠	فرنكات	نيويورك	٣٠٠	سنت
المغرب	٨٠٠	فرنك	لندن	١٠٠	بنس	لوس انجلوس	٣٠٠	سنت
الجزائر	٦٥٠	سنتا	ايطاليا	١٤٠٠	ليرة	استراليا	٤٠٠	سنت
الخليج	٤٥٠	فلسا	سويسرا	٣,٥	فرنكات	هولندا	٤	فلورين
						عدن	٢٥٠	فلسا


مصر للطيران
علم مصر فى كل مكان
أكثر من
٥٠
سنة خبرة
مصر للطيران
فى خدمتكم
أوربا - أفريقيا
آسيا - أمريكا
(البوينج ٧٦٧ - البوينج ٧٣٧ - البوينج ٧٠٧
الايرباص - الجامبو ٧٤٧)



إستمتع بقضاء أجازتك بالإسكندرية

باستخدام كارت مصر

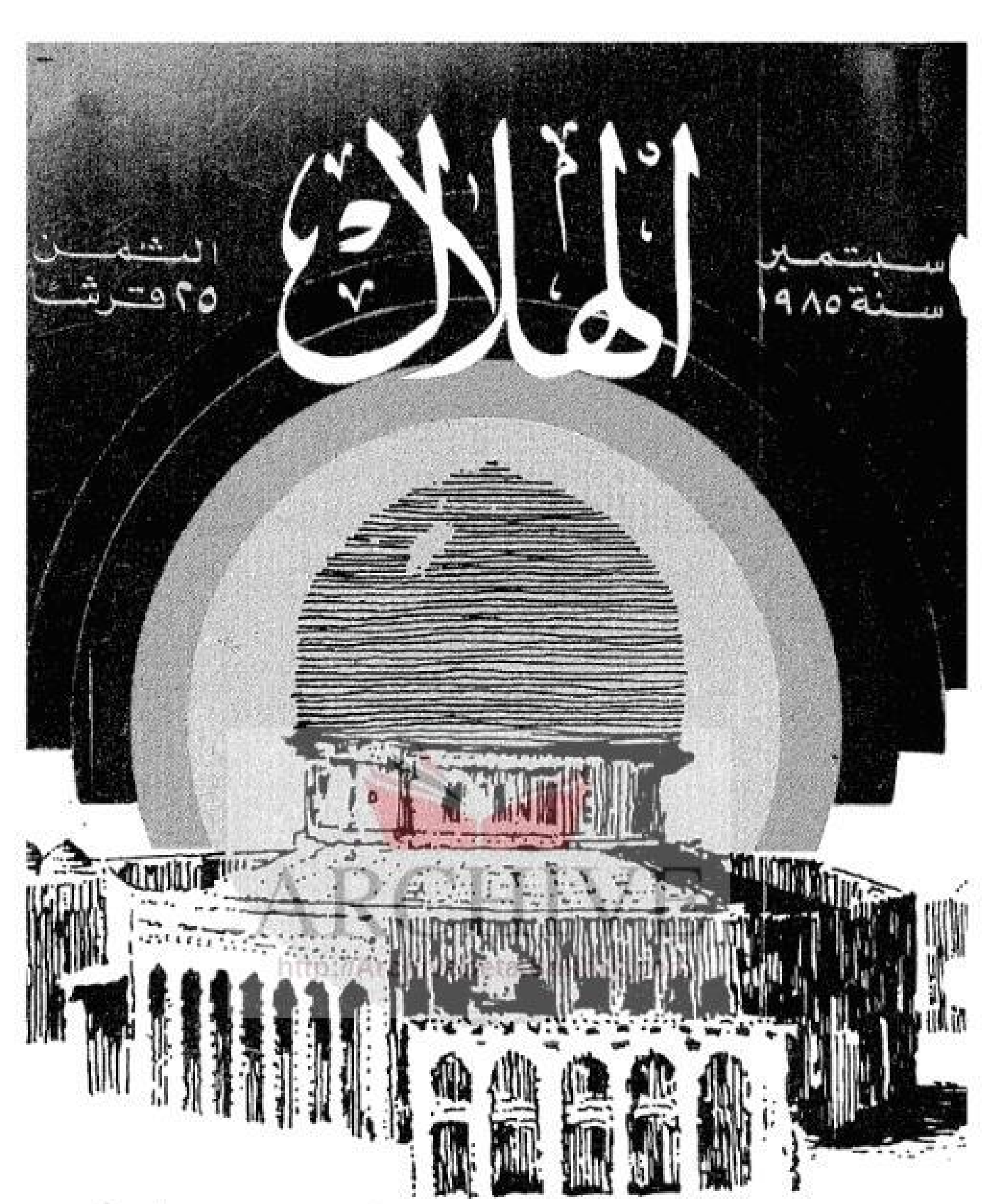


فرع العطارين
١٨ شارع طلعت حرب

فرع إيزيس
٤٦٣ طريق الحرية

كارت مصر - البنك الشخصى

يوفر لك أى مبلغ فى أى وقت فى أى مكان



جنرالات إسرائيل يبحثون عن الوهم في القدس !!!

مسئولية المثقفين عن ما يحدث في مصر



من روائع الفن الإسلامي

● هل يمكن ان نقاتل ليلى حبيبها .. ؟!

لعل ذلك ما ادى الى اصابته بالجنون ، وهو ما تعبر عنه هذه اللوحة ، وهى من الفن التركى ، الذى ازدهر فى آسيا الوسطى ، فى تلك المناطق التى تمتد من تركيا حتى حدود الصين ، والتى اصبحت على امتدادها جزءا من الاتحاد السوفيتى ..

رسمت هذه اللوحة فى القرن الخامس عشر الميلادى ، وهى من مقتنيات متحف طوب كابى فى اسطنبول ●

الهلال

السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ - أول سبتمبر سنة ١٩٨٥ - ١٦ ذو الحجة ١٤٠٥

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المدير الفنى
عادل ثابت

سكرتيرا التحرير
موسى عبيد
عيسى دياب

الغلاف تصميم الفنان
محمد ابوطالب





تراثنا الفني المعاصر
مهدد بالضياع ص ٨٨

في هذا العدد

● فكر وثقافة ●

صفحة



الفن التشكيلي في المغـــرب صـ ٦٣



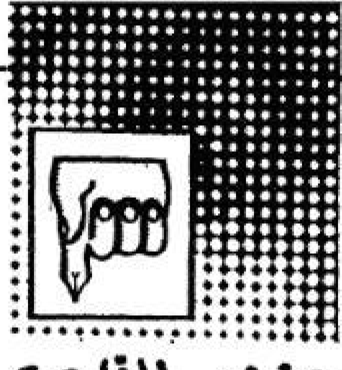
عودة الفلاح الى دنيا الاطياف في السينما صـ ١٣٢





تولستوى وشعراء مصر وكتابها صـ ٩٩

● الابواب الثابتة ●



عزيزي القارئ

يدخل « الهلال ».. بهذا العدد عامه الرابع والتسعين ، فيجمع بين الحداثة الدائمة ، والفتوة التي تتجدد كل شهر ، وبين طول العمر وإمتداد السنين التي تربط ماضيه بحاضره .

اختار جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ لمجلته هذه اسم « الهلال » تيمنا بالهلال العثماني - على حد قوله - وهو الهلال الذى يتوسط الراية العثمانية الحمراء ، وكانت مصر حينذاك تستظل بهذه الراية ذات الهلال ، فى الوقت الذى كان العلم البريطاني يرفرف فوق قلعة القاهرة !..

وقديما اختارت الدولة العثمانية الهلال رمزا لها ، واعتزت بهذا الرمز فلم تكتف بنقشه على رايتها ، بل رفعته أيضا فوق مآذن مساجدها ، ولم يسبق لدولة إسلامية أن وضعت رمزها فوق منارات المساجد ، ولكن الرمز العثماني ثبت على الأيام حتى أننا نضع فوق مئذنة كل مسجد جديد،هلالاً جديداً ..

وهكذا يعيش الرمز أكثر مما يعيش أصحابه ، ويتحور معنى الرمز ولكنه لايفقد دلالته الباقية فى الأذهان ..

ومجلة «الهلال» عند صدورها كان اسمها رمزا للأرض التى تعيش فوقها .

وكان مضمون المجلة رمزاً لاتجاه جديد فى صحافة الثقافة العربية ، فلأول مرة قدمت «الهلال» إلى القارىء معنى جديداً للعلم والأدب ، فليس الأدب هو التراث ومايستخرج منه فقط ، وليس العلم هو العلوم الدينية لا غير

وقد استطاعت مجلة «الهلال» اداء هذه الرسالة فى الوقت الذى كانت فيه الدولة العثمانية ـ دولة الهلال ـ تشجع مفاهيم القرون الوسطى حول العلم والأدب

ونجحت مجلة الهلال فى هذا المنهج وسط ركام التناقضات والعقبات ، فاستقلت برسالتها وأدتها إلى قارئها فى جميع الظروف ، واحتفظت بجوهر صيغتها الصحفية مع توسيع مجالها ، وتجديد آفاقها ، صامدة لتقلبات الأيام وتعاقب الرموز ..

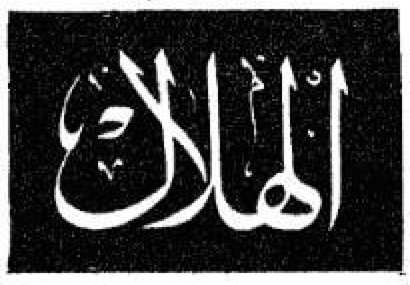
إن «الهلال» هى المجلة العربية الوحيدة بين المحيط والخليج التى توالى الصدور بلا انقطاع منذ أربعة وتسعين عاما ، وقد عايشت على إمتداد عمرها مجلات ثقافية وعلمية وادبية لاتحصى ، كان بعضها رفيع المادة ، ولكن هذا العدد الضخم من المجلات الثقافية إختفى مع الأسف واستمر «الهلال» حتى صار رمزاً فريداً للصحافة العربية الثقافية ، وخرجت من عباءته الضافية مجلات كثيرة فى مصر والبلاد العربية ، نسجت على منواله ، وسارت على نهجه ..

وقد تطور «الهلال» وحل الجديد محل القديم فى صيغته الصحفية ، وكان لتطوره بالغ الاثر فى كل بلد عربى تصدر فيه دورية ثقافية .. ونرجو أن يجد قارىء الهلال فى سنته الرابعة والتسعين صورة صادقة لثقافتنا العربية المعاصرة وثقافة العالم من حولنا كما يجد نفحة التراث العربى الاسلامى الذى نستروح منها رائحة الأصالة والمعاصرة معاً ..

نود أن نقول أن «الهلال» قد خدمت أجيالاً كثيرة من المثقفين والكتاب والقراء العرب منذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر إلى اليوم .. ونحن على مقربة من العقد الأخير للقرن العشرين .. متجددة بلا انقطاع ، كما يتجدد هلال السماء .. رمزاً لتجدد الانسان العربى وبقائه حيا نابضا فى أجياله المتعاقبة ، برغم ما يواجهه من التحدى الذى يهدد ثقافته وتراثه ، بل يهدد بقاءه فوق أرضه ..

المحـرر

في ذكرى إنشاء



جرجي زيدان والهلال

بقلم: أحمد حسين طماوى

في مقام ذكر الاسلاف والمعروفين للتاليين ، يجدر بنا الوقوف عند الرواد الذين جابوا آفاق المعرفة ، وفسروا لامتهم ما تحتاج اليه من زاد فكرى ينهض بها ، ويثير وجهها ويرسخ ثقافتها ، ويجدد دمها ولو الى حين .

وهذا الكلام ننهض به جملة من رواد المعرفة الانسانية في القرن التاسع عشر ، وان امتد بهم العمر الى القرن العشرين ، من بينهم صاحب مجلة « الهلال » .

وجرجي زيدان من رادة الفكر ، وقادة الرأى . روافده غزيرة ، وفنونه كثيرة ، وقد دل ما كتبه على عراقة في الكتابة التاريخية ، والمعية في فهم القضايا السياسية وشئون الحكم من خلال تجارب الامم . وذكائه في استقراء الكثير من المسائل العلمية ، مع معالجة ناجحة لمشاكل لغوية وبخاصة في فترة الترجمة والتعريب ، ونقل المصطلح الغريب الى لغة الضاد .

كان زيدان من اوائل الذين أرخوا للصحافة العربية ، فقد ذكر اسماءها وصنفها وترجم لاعلامها ، وهو من اكبر هؤلاء الذين وجهوا الفكر العربي الحديث الى كتابة التاريخ الاسلامي ، والى جانب ذلك كان في طليعة الكتاب الذين اطلعوا على كتب المستشرقين وافادوا منها .

وهذا لا يعني خلوه من المثالب ، وان عقود الثناء لا تنظم الا فيه ، ولا تليق الا عليه ، فهو انسان له هوى ، وأى انسان بعيد عن الاهواء ؟!!

وفي هذا الحديث نتناول عملا

جليلا من مفاخر اعمــــاله ، تخطى الصعب ، وتفوق على المثول ، وطــاول الزمن ، ومازال يطاول · انه مجــلة الهلال ·

●●●

في مثل هذا الشهر من عام ١٨٩٢ اصدر جرجي زيدان العــدد الاول من مجلة الهلال ، فكان عملا رئيسيا في تاريخ الصحافة العربية ·

كانت الصحافة العربيــة الى حين ظهور الهلال قد نشـــطت وتعددت وتنوعت واذا كان الجــانب السياسي هو الغالب عليها ، فاننا لم نعـــدم مجلات متخصصة أو شبه متخصصــة في العلوم والاداب والحقوق والزراعة ·· وغير ذلك ·

ولكن بعض هذه الدوريات لم يصمد امام التحديات فسرعان ما تحتجب بعد ظهورها بقليل ، وتتنوع الاســباب المؤدية لذلك ، فاما لعدم رضى السلطات الحاكمة عنها ، أو لعدم اقبال القراء عليها ، أو لظروف اصحابهــا التي لا نعلمها ·

وفي سنة ظهور « الهلال » ١٨٩٢ ظهرت عدة مجلات وجرائد منهــــا « الرشاد » « ١٨٩٢ ـ ١٨٩٥ » لمحمود سلامة ، « والاستاذ » « ١٨٩٢ ـ ١٨٩٣» للنديم و « المنظوم » « ١٨٩٢ ـ ١٨٩٣» لاحمد نجيب ، و « الفرائد » « ١٨٩٢ ـ ١٨٩٤ » لجرجي وفوزي ·· وغيرها وجميع هذه الدوريات توقفت بعـــد صدورها بفترة قصيرة ، وبقيت الهلال تواصل العطاء ، وتمد القراء بمــادة متنوعة والفارق بين هذه المجـــلات والهلال يكمن في طبيعة وثقافة هــؤلاء الصحافيين من ناحية ، وطبيعــــة



جورجي زيدان



غلاف الهلال ـ السنة الاولى ◀

في ذكرى إنشاء

الهلال

وثقافة جرجي زيدان من ناحية اخرى ، فلم يكونوا من طبقته في الثقافة والادارة ، ولا في عزيمته واستعداده للكفاح من اجل النجاح والصعود ٠

وقد كانت مجلة « المقتطف » في ذلك الوقت أشهر المجلات العربية واطولها عمرا ، واكثرها انتظاما في الصدور ، انشئت في بيروت ، وفي عامها التاسع انتقلت الى القاهرة ، وكانت اهتماماتها علمية في المقام الاول ، اذ حفلت باخبار التقدم العلمي ، واتسعت صفحاتها لانباء الاختراعات والاكتشافات ، وبينت فوائد كل ذلك في التطور والنهوض ، وساهمت الى حد ما في القضاء على الخرافة والشعوذة، واستخدام الطرق البدائية في العلاج ٠

بيد ان الساحة الثقافية والصحافية كانت في حاجة الى مجلة اخرى تعنى بالتاريخ والاجتماع البشرى ، والتطور العمرانى ، وتهتم بالاداب الى جانب المجالات العلمية الاخرى ، فكانت مجلة « الهلال » ٠ التي توفر عليها رجل خبير ، عارف بمستدق الامور ، وقادر على محاورة القراء ، واستمالتهم اليه ، وتنمية المعرفة فيهم ٠

جرجي زيدان قبل الهلال

والظاهر لنا ان جرجي زيدان كان محبا للمعرفة منذ بواكير عمره ، ولن نستطرد في تقصى اخباره واسرار حياته ، وانما سنقف فقط على تجاربه الصحافية والثقافية التي مهدت لانشاء مجلة الهلال ٠

فقد كان في صباه يبعث بالاسئلة التي تحيره الى مجلة المقتطف عندما كانت تصدر في بيروت ، وحينما انتقل الى مصر لدراسة الطب ، لوى عصاره وعمل فترة بجريدة « الزمان » اليومية التي اصدرها علكسان صرفيان في المدة من « ١٨٨٢ ـ ١٨٨٤ » ، وبعد ذلك بعامين تقريبا تولى ادارة المقتطف في الفترة من « ١٨٨٦ ـ ١٨٨٨ » ٠

ولابد انه اكتسب خبرة واسعة من عمله في هاتين الصحيفتين ، فالى جانب ثقافته الموسوعية وهى الركيزة الاولى لاصدار مجلة ، عرف كيف يهيىء الامور، ويخرج مجلة حسنة الطباعة ، ويتعرف على اهتمامات القراء ، والتجاوب معهم والارتقاء بهم تدريجيا في نفس الوقت ، وبالجملة كانت هاتان الصحيفتان هما المدرسة الصحافية التي تعلم فيها ، وتخرج منها ، ليصدر مجلة لها طابعها المستقل هذا من ناحية ٠

ومن ناحية ثانية كان جرجي زيدان يعرف عدة لغات ، ويحيط بجملة من العلوم من بينها الطب والطبيعة والحيوان والجيولوجيا والكيمياء ٠ وبطبيعة الحال تتفاوت معرفته بهذه العلوم بين الاتقان والالمام ٠

وكان المجتمع المصرى قد عرف زيدان مؤرخا ، وذلك من خلال عدة كتب وضعها ، من بينها « تاريخ مصر الحديث » في جزءين ، و « التاريخ العام » في بعض ممالك اسيا وافريقيا ، وكتاب « تاريخ الماسونية العام » التي يبدو انه كان متورطا في محافلها ٠

ومن هذه المعارف التاريخية ، والموضوعات العلمية ، استمدت مجلة الهلال مادتها ٠

ومجلة الهلال بهذا الشكل صورة

من صاحبها وانعكاس لثقافته ومعارفه وقد كانت مادة معظم المجلات فى تلك الفترة تبرز ثقافة اربابها ، وتوضح ميولهم وخبراتهم ، ويمكننا من غير عناء ان نحيط باتجاهات المحرر وثقافته وملامح من شخصيته اذا امعنا النظر فى اعداد مجلته . وعلى سبيل المثال كانت المقتطف التى غلبت عليها الموضوعات العلمية صورة أخرى ليعقوب صروف ، وكانت مجلة « الضياء » الحافلة بالبحوث اللغوية والعلمية ، صورة من ابراهيم اليازجى اللغوى العالم .

وقد اشتهر بيننا زيدان بالتاريخ ، وصروف بالعلم ، واليازجى باللغة ، فاذا راجعنا مجلاتهم رأينا الغالب عليها هذه الاتجاهات والموضوعات .

العدد الاول من الهلال

صدر العدد الاول من مجلة الهلال فى سبتمبر ١٨٩٢ م فى اخراج صحفى بسيط غلافها لا يزدحم بالرسوم ولا تتعدد فيه الالوان ، وان احاط به اطار زخرفى جميل تتصدره كلمة « الهلال » بخط بارز ، اسفلها تعريف المجلة « مجلة علمية تاريخية ادبية » تحته « لمنشئها » « جرجى زيدان » ولا يغفل ذكر قيمة الاشتراك ، وتاريخ الصدور ، مقدما التاريخ الافرنجى على التاريخ العربى بعكس مجلات اخرى .

ورغم ان جرجى زيدان عرف الهلال بأنها « مجلة » الا اننا نراه يعدها ضمن جرائد العربية التى لا تزال حية فى ص ١٣ « العدد الاول » ويطلق عليها جريدة مرة اخرى فى ص ٤٤ وعلى الغلاف يعرفها بقوله Journal مما يعنى ان اسم « مجلة » لم يرسخ حتى ذلك الوقت فى الاذهان ، ومن ثم جاء التخبط فى التسمية ، ولا يغرب هذا ان اسم « مجلة » اطلقه ابراهيم اليازجى على هذا النوع من العمل الصحافى المعروف لنا الان باسم مجلة ، وفرق اليازجى بين « المجلة » و « الجريدة » عندما وضع تعريفا على غلاف مجلته « الطبيب » الصادرة عام ١٨٨٤ قال فيه « مجلة طبية علمية صناعية » .

ومع ان زيدان عرف مجلته بالهسا







في ذكرى إنشاء



« علمية تاريخية ادبية » ، وقدم كلمة « علمية » علي كلمتي « تاريخية وأدبية» بل انه في تصنيفه للمجلات والجرائد عد الهلال من الجرائد العلمية ، تقول مع هذا ، فان المتصفح للعدد الاول من الهلال والاعداد التالية له نجد ان المادة التاريخية قد غلبت بوضوح على كل شيء اخر ، ولكننا لا نعدم موضوعات علمية بارزة في اعداد متفرقة من الهلال في مختلف سنواته · وربما قصد زيدان من كلمة « علمية » معناها العام « الاكاديمي » أي انه يتناول الموضوعات التي يعرض لها تناولا علميا موضوعيا ، أو ربما ذهب الى أن التاريخ والادب وما يلحق بهما من علوم نظرية أخرى مثل الاجتماع ، هي علوم ·

وعلى أية حال فان هذا التعريف متواضع جدا بالنسبة لما نطالعه في الهلال على مدار سنواته في الفنون ، والاديان الكتابية والوضعية ، وفي أحوال الاجتماع البشرى والعمراني ، وفي موضوعات صحالية ، وروايات تاريخية ، ونقد ادبي وتقريظ واحاديث جادة عن اللغات ·· وغير ذلك كثير ·· كثير ·

تسمية الهلال وأبوابها

ظهر العدد الاول من الهلال في ٤٨ صفحة متضمنا « فاتحة » بين فيها صاحبها خطته وسبب تسميته لها بالهلال » قال في ذلك :

« وقد دعونا مجلتنا هذه بالهلال لثلاثة اسباب :

« اولا تبركا بالهلال العثماني الرفيع الشان شعار دولتنا العلية ايدها الله » « ١ »

« ثانيا : اشارة لظهور هذه المجلة مرة كل شهر » «٢» ·

« ثالثا : تفاؤلا بنموها مع الزمن حتى تتدرج في مدارج الكمال ، فاذا لاقت قبولا واقبالا تصير بدرا كاملا باذن الله » ·

أما ابواب المجلة فهي على هذا النحو :

اولا : باب « تاريخ اشهر الحوادث وأعظم الرجال » ، وهو من أهم ابواب الهلال ، وقد كان زيدان يفتتح كل عدد بالحديث عن حادثة او شخصية من الشخصيات البارزة ، او التي اثرت في الحركة التاريخية او العلمية او الادبية ، من القدماء والمحدثين ومن الشرقيين والغربيين ومثال ذلك ما كتبه عن نابليون ، ومحمد علي ، وامرىء القيس ، وفولتير ·· وغير ذلك ، وكان نصيب الشخصيات الحديثة والتاريخية اكثر من الشخصيات القديمة او التي جالت في مجالات المعرفة · ومن ثم فانه لا مفر من الرجوع الى هذا الباب عند التأريخ للاحداث او للاشخاص في القرن التاسع عشر ، وقد جمع زيدان معظم مقالاته تلك في كتابه الذائع « تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر وهو مرجع هام ·

وقد تاثرت بعض المجلات بعد ذلك بهذا الباب ، ومن يتصفح مجلة « الجامعة » التي أصدرها فرح انطون

«١» كان العلم العثماني ذلك الوقت لونه أحمر ، يتوسطه هلال ابيض ونجمة ·

«٢» صدرت الهلال مرة كل شهر في السنة الاولى ، ثم مرتين كل شهر من السنة الثانية حتى الثانية عشرة ، ثم صارت شهرية بعد ذلك·

سنة ١٨٩٩ » شهرية فى الأسكندرية ، يجد بابا تحت عنوان « مشاهير المتقدمين والمتأخرين » جارت فيه مجلة الهلال وحذت فيه حذوها .

ولسهولة أسلوب جرجى زيدان ، كان الكبار والصغار يرجعون الى هذا الباب للتتلمذ على كاتبه من خلاله . وقد حدثنى الاستاذ « على أدهم رحمه الله قائلا : انه عندما كان طالبا فى المرحلة الثانوية ، كلف المستر « فيشر » تلاميذه باعداد دراسة يوازن فيها الطلاب بين محمد على ونابليون ، فكان من بين مراجع الوجيه أدهم ما كتبه زيدان عن محمد على فى هذا الباب واستطاع الطالب النجيب ان يقدم بحثا مفيدا استحق عليه شكر استاذه . وقد قلنا عن على أدهم فى مجلة الثقافة عدد يونية ١٩٧٧ : « ان جرجى زيدان كان استاذه فى هذه الفترة ، فقد وجه تفكيره الى دراسة التاريخ » وقد كان الاستاذ أدهم يعتقد ذلك ويصرح به فى مجالسه ، وصار فيما بعد من كبار كتاب التاريخ ، وعلى وجه الخصوص التاريخ الاسلامى .

ثانيا : باب « المقالات » . وقد كانت مجلة الهلال تورد المقالات فى مختلف الموضوعات ، ومقالة الهلال سهلة الاسلوب ، واضحة الفكرة ، وعبارتها تخلو من التأنق ، وتنأى عن الاحتفال بالزخرف ، واكثر ما تتناول الاوضاع الاجتماعية ، وشئون العمران ، والاخلاق ومقاومة الخرافة والمعتقدات البالية .

ثالثا : « الروايات » قد كان جرجى زيدان ينشر فى الهلال روايات تاريخية منجمة ، ولعله كان يسهل على الناس قراءة التاريخ ، ويحببهم فيه ، فأخذ على عاتقه سرد أحداثه من خلال أعمال روائية ، وقد اختلفت الاراء حول قيمة هذه الروايات ، ولكن الكتاب



في ذكرى إنشاء

الهلال

أجمعوا على انه من اكبر رواد سرد التاريخ بأسلوب الروايات •

رابعا : « تاريخ الشهر » وكان يتسقط فيه بعض الاخبار المحلية ، ويوجز فيه أهم الاحداث العالمية شهرا بعد شهر ، ويضعها تحت عنوان مناسب ، وهذا العمل بمثابة تغطية صحفية لما يجرى هنا وهناك من وقائع سياسية أو احداث اجتماعية ، أو اخبار ثقافية ومن خلال هذا الباب يقف القارىء على أهم اللوائح والقرارات التى اتخذت لتنظيم المجتمع المصرى والنهوض به •



خامسا : « منتخبات » وكان يورد فيه بعض أقوال المجلات أو الجرائد الاخرى ، مما يساير موضوعات مجلته ، وفى هذا الباب يطالع القارىء نتفا مفيدة منتقاه مما فاضت به قرائح الاخرين • وقد تغير اسم هذا الباب فيما بعد الى « باب التقريظ والانتقاد » ثم الى « مطبوعات جديدة » وكان يعرض فيه كثيرا مما يستجد على الساحة الثقافية من صحف ومجلات وكتب ، ينتقدها ، أو يقرظها ، و يعرف القراء بها ، للفت الانظار الى وجوه اهميتها ، وفى اعتقادى انه من اكثر ابواب المجلة فائدة ، ذلك اننا نجد فيه أسماء كتب ودوريات لا وجود لها الان فى المكتبات العامة •

واذا كانت هذه هى أبواب الهلال فى سنتها الاولى فانه فيما بعد اضيفت اليها عدة ابواب اخرى زادت فى قيمتها ، واثرت مادتها ، ومن هذا « باب » « صحة العائلة » و « رسوم مشاهير العصر » وتجد فيه صور الاعلام من الشرق والغرب على ورق خاص ، وباب « عجائب المخلوقات » و « غرائب العادات والاخلاق » و « أحوال الدول المعاصرة » و « التهانى » و « التعازى » •

وبهذه الابواب وما تخللها من مادة ثقافية غزيرة ، تقدمت الهلال الى قرائها فى الشرق والغرب ، وارتفعت بمستوى التفكير ، ووجهت ثقافة العربى الى تراثه ، وارشدته الى الجديد المفيد من العلم ، مع توليد الثقة فيه ، وتنمية الحوار معه عن طريق « السؤال والاقتراح » ، واذا كان زيدان لم يرفع شعار التطلف « مناظرة نظيره » فانه عمل به ، فلم يسخر من سؤال ، ولم يهزأ بانسان ، وانما كان جوابه لائقا ، وصوابه لائما ، وعطاؤه للسائل بغير حدود •

أقوال معاصرة



■ . قلت إنني ساعود الى بلدى بوثيقة لاذكر فيها لكلمة . الصهيونية ، وها قد فعلت .. »

مورين ريجان
إبنة الرئيس الأمريكى
ورئيسة الوفد فى مؤتمر المرأة فى نيروبى

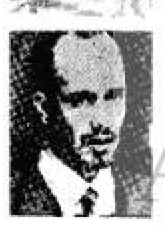


● . حكومتنا لا تعرف الى اين تتجه ، ومن هنا فهى اشبه بحيوان خطر .. »

الاسقف ديزمونت توتو فى جنوب أفريقيا ، والحاصل على جائزة نوبل

● . لا لهيروشيما اخرى .. »

عمدة هيروشيما



● . الحروب الطائفية لا تنبت الورود ، بل تقتلها .. »

طلال سلمان
رئيس تحرير السفير

● . اعتقد ان هذا المؤتمر سيكون اخر مؤتمرات القمة العربية

يوسف العلوى
وزير خارجية عمان

● . الطبيعة كتاب مفتوح . قراءته فى متناول الجميع »

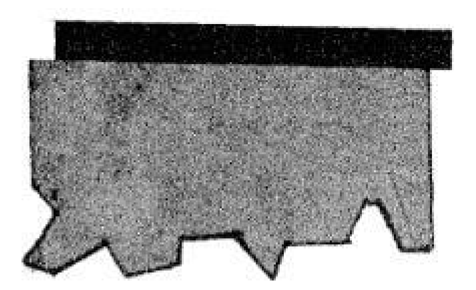
ايزدور رابى
الحاصل على جائزة نوبل فى علم الطبيعة

● . لانستطيع ان نغير الماضى . لكن المستقبل مازال فى أيدينا .. »

د . أحمد عبد الرحيم مصطفى
أستاذ التاريخ الحديث

● . لم تعد الحكاية هى ان يتحدث الفلسطينيون والاسرائيليون .. وانما كيف .. ؟
فى منطقة غاصت فى الآمال الزائفة ، فالمطلوب معجزة سياسية »

روبرت هنتر .
الهيرالد تريبيون



عبد المنعم عبد الرءوف

وأكبر قضية عسكرية في تاريخ مصر الحديث

بقلم: فتحي رضوان

غاب عن دنيانا هذه الايام الضابط الطيار عبد المنعم عبد الرءوف، وهو اسم نجده في كل مذكرات او كتب تناولت تاريخ ثورة ٢٣ يوليو.

لم يشذ عن هذه القاعدة لا ضابط ولا مؤرخ.

ولج تاريخ مصر، عبد المنعم عبد الرءوف، بوصفه ضابطا من تنظيم الضباط الاحرار، بل عرفته في مناسبة اخرى، هزت مصر والوطن العربي، هزا عنيفا وبقيت تشغله لفترة طويلة، وبعث في الوقت نفسه، امالا في نفوس الوطنيين الذين كانوا يمنون انفسهم، بقيام حركة تمرد او مقاومة، تقف في وجه الانجليز، وكان الامل الاكبر أن

تنبعث هذه الحركة من صفوف العسكريين المصريين، أي ضباط الجيش، ولا سيما الشبان منهم. فالجيش هو المنظمة التي تضم أقدر المصريين على مقاومة الانجليز، لأنها: أولا تتكون من مجموعة غير قليلة من المصريين أصحاء البدن، المدربين على حمل السلاح واستعماله، وهي في الوقت نفسه أكثر المصريين احساسا بما يلحقه الجيش البريطاني من العار والاهانة بشرف مصر، وبجيشها.



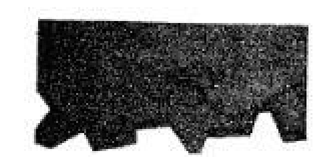


ـ عبد المنعم عبد الرءوف وزميله حسين ذوالفقار صبرى امام مبنى محاكمة عزيز المصرى

وثانيا لان اتفاق الضباط المصريين ، بحكم كونهم مقاتلين ، على رفض الاحتلال ، وكراهيته يهيؤهم لان يكونوا طلائع المقاومة ، ومصدر الروح الوطنية فى البلاد ، واجتماعهم فى اماكن مشتركة لاوقات طويلة ، يتيح لهم تبادل الرأى والتحضير للعمل الوطنى الشامل .

كانت المناسبة التى عرفت فيها مصر ، حدثا ضخما تمتزج فيه المجازفة المتسمة بالبطولة والشجاعة والمناداة بالعمل السياسى المخطط له والمدبر ، ففى مايو سنة ١٩٤١ ، علمت الدنيا كلها ان رئيس اركان حرب الجيش المصرى الفريق عزيز المصرى ، حاول الخروج من مصر فى طائرة عسكرية ، تولى قيادتها اثنان من ضباط سلاح الجيش العاملين :

ان هذين الضابطين هما النقيبان عبد المنعم عبد الرءوف ، وحسين ذو الفقار صبرى ، وان الطائرة سقطت بركابها فى ناحية قليوب بعد أن اصطدمت باسلاك كهرباء فى هذه المنطقة ولم يعد لمصر ، شغل يشغلها ولاء العرب ، الا التحدث عن هذه الحادثة التى لم يسبقها شىء مثلها ، وترديد اسماء ابطال هذه المجازفة عزيز المصرى باشا ، والضابطين عبد المنعم عبد الرءوف وحسين ذو الفقار صبرى ، لم



عبدالمنعم عبدالرءوف

متابعة مجريات المحاكمة العسكرية أمام المجلس العسكرى العالى الذى شكل من خمسة من كبار الضباط لمحاكمة هؤلاء الضباط وحفظت هذه القضية العسكرية بعد ذلك ، وافرج عن الضباط الثلاثة وعاد الضابطان الشابان الى عملهما فى الجيش ، ولكن فى غير سلاح الطيران ■

لم يعد اسم عبد المنعم عبد الرءوف يذكر ، حتى فوجيء المصريون فى صباح يوم ٢٣ من يولية ١٩٥٢ ، بثورة عسكرية ، اقتلعت الملك ثم الملكية من جذورها .. ثم استقرت الثورة ، واخيرا بدأت الكتب والمقالات والبحوث، تظهر لتروى .وقائع ميلاد الحركة التى دبرت للثورة ونفذتها ، وقد اجمعت كل هذه المراجع على شخص واحد ، هو أن عبد المنعم عبد الرءوف ، كان ضمن أعضاء الخلية الاولى من خلايا الثورة ، وانه كان الرجل الثانى بعد جمال عبد الناصر ، وانه كان مثال الضابط الثائر ، استقامة وأمانة ، واليك الامثلة على ذلك :

كان أول كتاب يروى قصة الثورة هو كتاب أنور السادات الذى جمع فيه مقالات كان ينشرها فى جريدة الجمهورية بعنوان قصة الثورة كاملة، واختار للكتاب نفس الاسم . فذكر عبد المنعم عبد الرءوف كثيرا، فقال: «تكونت الهيئة التأسيسية فعلا وكانت تضم فى البداية جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين وعبد المنعم عبد الرءوف.» ثم قال : بينما نحن نعد خطتنا لقلب نظام الحكم على أساس تقديرنا لموقف البلاد فى ذلك الوقت فوجئنا باليكباشى عبد المنعم عبد الرءوف وهو ينادى بضم تنظيم الضباط الاحرار كله الى الاخوان المسلمين ■

ولم يجد عبد المنعم عبد الرءوف من يستمع اليه :« واصر عبد المنعم عبد الرءوف على اخضاع الضباط الاحرار لجماعة اخوان المسلمين وقال وهو يحاول اقناعنا بوجهة نظره ان جميع أعضاء تنظيم الضباط الاحرار يمكن ان يقبض عليهم قبل ان يتمكنوا من عمل شيء . من يرعى اطفالهم وزوجاتهم واهلهم ! . وقلنا له جميعا ، اننا مثله لنا زوجات وأولاد ، ويهمنا أن نطمئن عليهم وعلى مصيرهم ، ولكن المسألة ليست مسألة شخصية فنحن نعد ثورة لا مؤامرة .»

وقد تحدث جمال حماد عن عبدالمنعم عبد الرءوف فى كتابه « ٢٣ يولية ، أطول يوم فى تاريخ مصر » فقال :

« تخرج عبد المنعم عبد الرءوف فى الكلية الحربية عام ١٩٣٨ فهو من نفس دفعة السادات وعين ضابطا طيارا بسلاح الطيران وعرفت عنه الاستقامة والصلابة وصدق الوطنية ، وقد حذا عبد المنعم حذو الكثيرين من الضباط الشبان المتحمسين الذين اجتذبتهم شخصية عزيز المصرى فبدأ يتردد على منزله بالمطرية وتولدت نتيجة لذلك رابطة قوية من المودة والثقة الى الحد الذى جعل عزيز المصرى يصارح عبد المنعم برغبته الملحة فى السفر الى بيروت ووسائله المعونة وكان عزيز المصرى يهدف من وصوله الى بيروت . أن يساعده عملاء الالمان على السفر الى العراق للمساهمة فى ثورة رشيد على الكيلانى التى قام بها ضد الانجليز

واستطاع عبد المنعم بدوره اقناع زميله « فى الكلية والدفعة » حسين ذوالفقار صبرى للاشتراك فى نقل عزيز المصرى الى بيروت بطائرة من السلاح الجوى المصرى بحكم وجود حسين ذو الفقار فى سرب المواصلات



عبد المنعم عبد الرءوف

ولكن المغامرة التي وقعت يوم ١٦ من مايو سنة ١٩٤١ ، لم يتيسر لها النجاح فان حالة الاستعجال تسببت في ان يغلق الميكانيكي مفتاح الزيت بدلا من ان يفتحه مما ادى الى هبوط الطائرة اضطراريا بالقرب من قليوب . ورغم اختفاء عزيز المصري والطيارين لمدة ٢١ يوما في حي امبابة عند احد اصدقاء عبد المنعم تمكن البوليس من القبض عليهم يوم ٦ من يونية سنة ١٩٤١ ، واجرى التحقيق معهم بعد اعتقالهم وقدموا للمحاكمة واستمروا معتقلين حتى افرج عنهم في مارس ١٩٤٢ في عهد حكومة النحاس ولم يعد عبد المنعم عبد الرءوف الى سلاح الطيران بطبيعة الحال بل نقل الى الجيش وانضم لقوة الكتيبة الثالثة المشاة بمنشية البكري بالقاهرة وهناك جمعته الاقدار بضابط شاب تعرف عليه لاول مرة ولعب بعد ذلك دورا خطيرا في مجرى حياته . وكان ذلك الضابط هو جمال عبد الناصر الذى كان يعمل وقتئذ مساعدا لاركان حرب الكتيبة الثالثة ، وكان من ضمن قوة الكتيبة التي نقلت من الصحراء الغربية الى القاهرة في مارس سنة ١٩٤٢ وهو نفس الشهر الذى افرج فيه عن عبد المنعم عبد الرءوف وانضم فيه الى قوة الكتيبة هو الآخر .

كما تحدث عن عبد المنعم عبد الرءوف كثيرا حمدى لطفي في كتابه الذى صدر ضمن سلسلة كتاب الهلال بعنوان « ثوار يوليه — الوجه الآخر » فقد أورد على لسان عبد اللطيف البغدادى اسماء اعضاء لجنة الضباط الاحرار ، فقال من قسم الطيران في هذه المنظمة : من الطيران حسن ابراهيم وجمال سالم ووجيه اباظة والمرحوم محمد شوكت وعمر الجمال السفير بعد ذلك ، ثم انضم الينا على صبرى ، وشقيقه حسين ذو الفقار صبرى ثم عبد المنعم عبد الرءوف ثم قال !

لقد اكتشفت لي جولة بحثي بين ثوار يوليه أن بين زملاء دفعة الرئيس السادات ، الضابط الثائر بكباشي عبد المنعم عبد الرءوف الى سلاح الطيران ، عند قيام الثورة ، وقد انضم عبد المنعم عبد الرءوف الى سلاح الطيران ، وكان شابا متدينا مؤمنا . وقد قادالطيار عبد المنعم عبد الرءوف زملاء دفعته الى لقاءات تعددت وكانوا جميعا يؤمنون بفكر واحد وآمال واحدة فضلا عن تقارب اعمارهم واحلامهم وهم المرحوم احمد سعودى وحسن ابراهيم وعبد اللطيف بغدادى وحسن عزت ، وكانت بداية التجمع الثورى ، وتشوه الفكر الوطني المتحرر الرافض لمقاييس الحكم الملكي واعمدته التي تساندة وهي في الدورة الاولى قوات الاحتلال البريطاني في مصر .. وكان هؤلاء الثوار من صغار الضباط خلف فكرة الاتصال بالفيلد مارشال روميل ، وارسال صور الواقع العسكرية الانجليزية المنتشرة في انحاء المملكة المصرية اليه عن طريق الطيار احمد سعودى الذى سقطت طائرته قبل أن يصل الى القوات الالمانية في الصحراء الغربية ، بينما نجح الصول محمد رضوان بسالم في اليوم الثاني من الوصول الى الالمان وقاد طائرة



عبدالمنعم عبدالرءوف

استكشاف للبحث عن طائرة سعودي ».
وقال كمال الدين ضابط المدفعيه في هيئة الضباط الاحرار عن المنعم عبد الرءوف .. « في حي السيدة زينب كنت اسكن ، وفي الحي نفسه يسكن الضابط عبد المنعم عبد الرءوف والتقينا، وكنا نستخدم تراما واحدا .. في الذهاب والعودة ، ونتحدث في كل شيء ..

وذهبنا معا الى جمال عبد الناصر بمنزله في منطقة تقاطع شارع أحمد سعيد مع شارع الملكة نازلي - والتقينا هناك بالصاغ محمود لبيب لاول مرة ، ثم ذهبنا الى اجتماع الاخوان المسلمين بتشجيع من المرحوم محمود لبيب ، ومحمود لبيب هو ضابط مصري بدأ جهاده في عهد الحزب الوطني الاول ، حزب مصطفى كامل ومحمد فريد ، وقد هاجر الى ليبيا في فترة الغزو الايطالي لها سنة ١٩١١ وزامل في هذه الحرب عددا من الضباط والمجاهدين المصريين كان منهم صالح حرب باشا فيما بعد رئيس جمعيات الشبان المسلمين» ، وعبد الرحمن عزام « باشا أمين عام الجامعة العربية » .. ««

وجاء في كتاب « ثوار يولية » بصفحة :

« وتولى كمال حسين قيادة مدافع الميدان (في فلسطين) ومعه المرحوم أنور الصيحي ، وخالد فوزي وتولى حسن فهمي قيادة المدافع المضادة للدبابات وذهبوا الى فلسطين ومعهم أيضا الشهيد سالم عبد السلام ، وعبد المنعم عبد الرءوف

وجاء في كتاب « صفحات من تاريخ مصر » تأليف حسين محمد احمد حمودة ، عن عبد المنعم عبد الرءوف .

قدمت نفسي يوم ٢٨ - ٦ - ١٩٤٣ للكتيبة الثالثة مشاة بالماظة وكنت وقتئذ ضابطا برتبة الملازم اول ، وتصادف أن نقل الى هذه الكتيبة اليوزباشي عبد المنعم عبد الرءوف بعد ان افرج عنه في مارس سنة ١٩٤٢ وحل المجلس العسكري الذي انعقد لمحاكمته هو وزميله حسين ذو الفقار صبري والفريق عزيز المصري ».

وحدث اثناء تناول الطعام مع الضباط في الميس « قاعة الطعام » في يوم لا اذكر تاريخه بالضبط في الشهور الاخيرة من عام ١٩٤٣ ، أن كان يجلس بجواري اليوزباشي عبد المنعم عبد الرءوف ، فاخذت اتجاذب معه أطراف الحديث ومالبث أن همس في اذني انه يريد التحدث معي على انفراد في موضوع بعد الغداء .

وانفردت معه « بالميس » بعد انصراف الضباط ، فقال عبد المنعم عبد الرءوف لي انه لاحظ اهتمامي الزائد بعملي وحرصي على تفوق سريتي في التدريب وتمسكي بمبادىء الاخلاق الكريمة وانه يود ان ازوره في منزله ليتحدث معي حديثا اكثر حرية واعطاني موعدا مساء الجمعة ، ذهبت الى منزل عبد المنعم عبد الرءوف بالسيدة زينب وتحدث معي عبد المنعم عبد الرءوف حديثا خلاصته ان مصر حالتها لا تسر احدا ، فالاحتلال البريطاني جاثم على صدر البلاد يكاد - يخنق انفاسها ويحول بينها وبين اى تقدم والفساد يضرب أطنابه في كل اجهزة الحكم ««

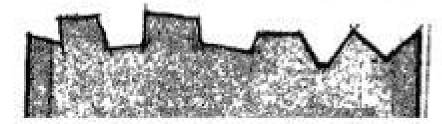
وتلاقيت مع عبد المنعم عبد الرءوف كثيرا حتى اطمأن لي واطمأننت له .

هذا هو عبدالمنعم عبد الرءوف الذي تجمع المصادر جميعا ، انه صاحب دور هام في تأليف جمعية الضباط الاحرار، وانه الرجل الثاني في مؤسسيها .

وان كان بعضهم قد حاول ان يجعله المؤسس الاول . وقد كانت مجازفته الضخمة بالاشتراك مع زميله حسين ذو الفقار

صبري ، في نقل عزيز المصري باشا بطائرة حربية وخلال فترة أكبر حرب عرفتها الانسانية بعد الحرب العالمية الاولى ، ضربا من الفدائية التي لا ينكر أحد انه عنوان شجاعة لا تهاب شيئا ولا شخصا ، ولا تفكر في مصيرها ، ولا تبقى على حياتها . وقد كانت هذه المحاولة التي تمت في ١٦ من مايو سنة ١٩٤٣ ، دويا أيقظ كل النائمين ، وحرك كل المستسلمين للأمر الواقع والراضين به ..

وقد كنت أعرف أطراف هذه المغامرة الكبرى على درجات من التفاوت .. وكانت معرفتي لعبد المنعم عبد الرءوف ، تجعله قريبا مني ، دون أن تنشأ بيننا صداقة حميمة فقد جمعتنا الظروف في مدينة اسيوط ، وانا في السنة الاولى الثانوية ، فقد كان أبوه قائد ما يسمى - سنة ١٩٢٤ وما بعدها - بالاورطة التي كانت تعسكر في عاصمة الصعيد ، وكان أبي مهندسا للري ، وكان بيتانا متجاورين في هذه المدينة، وقد لعبنا معا كثيرا ، ولكن بقيت علاقتنا سطحية ، حتى وقعت طائرته وطائرة زميله حسين ذو الفقار صبري في قليوب ، ولجأ الى صديق من أصدقائي هو المثال العظيم عبد القادر رزق الذي كان آنذاك مدرسا لفن الحفر في مدرسة الفنون الجميلة ... وكانت أجهزة الأمن تبحث أصلا عن المرحوم أحمد حسين زعيم حزب مصر الفتاة ، وكانت صلتي به معروفة ، فراقبت أجهزة الأمن مكتبي وشاء الحظ أن يزورني ذات يوم زميلي في الحزب الوطني أحمد مرزوق ، أستاذ الرياضة في معهد التربية البدنية العليا آنذاك ، فتتبعوه حتى قابل بطريق الصدفة المحضة في شارع عدلي المثال عبد القادر رزق وكان شخصية مجهولة للشرطة ، ولكن المخبر الذي كان يراقبني بدا له أن يتعقب هذه الشخصية الطارئة وهو يمني نفسه أن تقوده الى حيث يختبىء أحمد حسين ، وسار وراءها حتى وصلت الى منزلي في حي امبابة فأبلغ رؤساءه الذين داهموا هذا المنزل وهم يعتقدون أنهم سيجدون أحمد حسين فاذا قائد الشرطة السياسية اللواء محمد ابراهيم امام يرى نفسه أمام الفريق عزيز المصري ومعه الضابطان عبد الرءوف وذو الفقار ، وأمامهم أسلحتهم ، فصرخ فزعا خشية أن يقتلوه بهذه الاسلحة، ولكنهم لم يفعلوا ، وألقى القبض عليهم وسيقوا للمحاكمة ، أمام مجلس ضم خمسة من الوية الجيش ، وترافع عنهم عدد من أكبر المحامين كان على رأسهم حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطني ، ورأت بريطانيا أنه ليس لها مصلحة في استمرار القضية لخطورها ، والحرج من التهمين . ثم ما لبثت الثورة أن قامت واختلف عبد المنعم عبد الرءوف مع اخوانه من اليوم الاول ، كما أسلفنا ، وحكم على عبد المنعم عبد الرءوف بالموت ، ولكنه لجأ الى الأردن وهناك عينه الملك سفيرا للاردن في الهند ، وسافر جمال عبد الناصر الى الهند زائرا لنهرو ، وفي المطار اصطف سفراء الدول ليحيوا الضيف العظيم القادم ، ووقف في مقدمتهم عبد المنعم عبد الرءوف سفير الاردن في الهند، وصافحه عبد الناصر دون أن يلتفت جيدا الى شخصه ، ثم عاد فدقق واذا به يفاجأ بأنه يصافح صديق العمر ، وزميل الجهاد، وعدوه أخيرا وأضحكته المفارقة ، ثم تعانقا.







حين جار يونس بالشكوى من ظلم القدر ، ابتلعه الحوت ، وظل يونس يرفع راية الشكوى التي لا تهدأ ، والاحتجاج الذي لا يهادن ، حتى ضج من صوته كل من في البحر والبر على السواء ، فابتلع الحوت حوت آخر ، وغاص الى اعماق اليم في محيط مجهول ، وسط ظلمات مجهولة ، وكل شيء ظلام في ظلام ، ويونس يرفع صوته ، ولا يكف عن تحويل فكره الى كلمات صارخة قوية هديلة الاثر ، عالية الوجود .. حتى ضجت كل كائنات البحر وكل كائنات الارض ، ووصل صوته الى كائنات السماء .. وتقلب الصوت على الظلمات ، وتقلبت الكلمة على القهر ، فلفظ الحوت يونس الى البر .. فيعود ويسبح من جديد بعظمة الخالق وروعة الكائنات ، وسحر سر الوجود .. وظل يونس أبدا ودائما رمز الانسان الذي يعلي الكلمة على كل شيء ، ويعني الاحتجاج الحق في الطاعة العمياء ، ويعلي ايضا صوت النور وسط الظلام المطبق حوله وامامه وخلفه .. فالكلمة قهرت ظلام بطن الحوت ، وعمق المحيط ، وسواد الوجود المغلف بسواد القهر ، وسطوة القدر الغبي العنيد ..

ويونسنا خاض في بحر الظلمات جهيرا بصوته ، رافعا احتجاجه ، عميقا في كلماته التي تقدم العلم والمعرفة والكشف الجديد . وضجت كائنات البحر والارض



خاض يونسنا معاركه . رافعا احتجاجه عميقا فى كلماته التى تقدم العلم والمعرفة

والسماء بصوته ، حتى توج على الجائزة التقديرية من اعوام ، لم توج على اول جائزة عن ريادة الادب الشعبى فى مؤسسة التقدم العلمى فى الكويت هذا العام .. فخرج الى الارض ، لفلق الحوت ، ليسبح بحمد الله ، ويسبح بفكره وعطائه ويعلن ان الله هو الكلمة الحق .. وان العلم هو الكلمة الحق .. وان العلم هو سياج الانسان وعطاؤه ووفاؤه وان الفكر الحر هو طريقه الى الخلاص . وان الانسان معنى بالبحث دائما وراء المعنى ووراء الهدف . ووراء مغزى ما خلق الله من كائنات ، حتى تعلو كلمة الله عن معرفة ويقين ومن علم واخلاص — ولسلم الظلمات ضحيتها الى النور ، فاذا هو وسط الظلمات يرى النور واذا هو وسط الظلمات يشع النور واذا هو وسط الكلمات رمز قائم لمعنى النور .. النور فى العقل والنور فى القلب ، والنور فى الوجدان — والنور فى معنى الاخلاص للكلمة والوفاء بها ، الايمان بالكلمة والدفاع عنها ، والتبتل للكلمة والبحث عن معناها ومغزاها فى كل مظنة بحث ، وكل منطلق معرفة .. ذلك هو عبد الحميد يونس الكاتب الفنان المرهف وذلك هو الدكتور عبد الحميد يونس استاذ الادب الشعبى واول من جلس على كرسيه فى الجامعة ، والرائد للدراسات الشعبية الجامعية فى مصر والعالم العربى باسره ، واستاذ الاساتذة الذين يعلمون ويدرسون هذا الفن الشعبى فى كل جامعة تنطق بالعربية وتعرف ان الشعب كلمة ، وان الشعب تعبير ، وان الشعب بقاء .

قال لى الدكتور عبد الحميد يونس :

— انا ارى من خلال الايقاع — قد تدهش .. ولكن حتى فى الموسيقى الساكتة عندى او « البوزة » كما يسمونها لها دلالة فى الكلام . ويقوم النبر والايقاع بتجسيد الصورة عندى .. فالايقاع وموسيقى الكلمة والجرس ، وتلوين الصوت تتحول الى صورة تتجسد وتتحدد ملامح بذاتها ، فيتحول هذا كله عندى الى رؤية واضحة »



هذا رجل يقهر بارادته عوائق القدر، هذا رجل ينفذ من خلال الصوت الى الرؤية التى حرمها ، هذا رجل يريد ان يعلى قدر الانسان ، وقدر ارادته ويريد ان يكرس عقلية وجود الانسان ، وعقلية فعله المخزون

ويقول الدكتور عبد الحميد :

ـ منذ صغرى وانا اعيش بالاحلام ، دائما كنت ومازلت اختزن كل شيء فى ذاكرتى ، وحتى الان اسمع ما يقال وما يوصف لى واستمع الى هذا كله ثم اختزنه ، وقد ادى هذا الى وجود المحشود من الصور فى ذاكرتى ، حشود وحشود ، من المخزون ، وهى صور لها قدرة تجسيدية ، وهى ايضا صور لها وجود لونى ، بل وجود لونى معقد .. وفى احيان كثيرة استطيع ان اصور هذه الالوان ، وهذا كله الى جوار فعل اللغة .. فالكتابة والقراءة وسيلة التصفية التحويل المسموع الى مرأى بالرمز واعادة تمثيل هذا المرئى الى مسموع مرة اخرى .. وهذه العملية موافقة لى تماما .. فالقراءة والكتابة لها عندى معنى مجسد .. وارجو ان يكون هذا مفهوما .. ولست اعرف هل هذا مفهوم عند غيرى أم لا ولكنى اعرف انه مفهوم عندى رغم قدرتى البصرية .. فانا اعرف كيف تتحول الاصوات الى صور ، ولعل مهمتى فى مرحلة طويلة من عمرى كانت محاولة التحكم فى كيفية تحويل الصوت الى شيء مرأى مشاهد ومجسد عند متلقيها .. فقد كان هذا هو فن الاذاعة عندى، سواء وانا القى النص الاذاعى او وانا اخرجه او وانا اكتبه على السواء .فقن الاذاعة اساسا هو فن تحويل المرئى الى مسموع ، ثم تحويل المسموع الى مرئى بعد ذلك ، يتجسد عند المتلقى بما بما تحمله ذاكرته من صور والوان وعلاقات وابعاد وكتل وتجمعات وتحركات فنية ..

والدكتور يونس يضيف الى كل ما قدمه الى المكتبة العربية هذه المعلومة التى قد تعبر كثيرا عن الرؤى النقدية لدور الاذاعة فى مواجهة بعدها لمن يريد ان يفهم ويعى .. ويجعل للكلمة المسموعة دورها الرائد من جديد فى ادب العربية الذى بدا ادبا ويجعل للكلمة المسموعة دورها الرائد مسموعا الى الامر وادبا دالا ومعبرا وموصلا توصيلا جيدا للصورة والرائحة والطعم ، وان الاوان ان تكرس الوسائل السمعية لتفى برسالته حق الوفاء لو فهم العاملون فى مجال الكلمة المسموعة دورهم ورسالتهم ـ هى شجاعة ان نعترف بما فقدناه ، وهى شجاعة ايضا ان نهاجم هذا العالم المجهول الذى فقدناه لنحاول ان نجعله معلوما ، وان نؤكد له اننا لم نفقده ابدا ، بل هو دائما وباستمرار تحت اصابعنا نتلمسه ونعايشه ونعرفه معرفة كاملة وتامة .. وان نؤكد له ايضا انه لم يقهرنا حين نسينا وتجاهلنا ، بل نحن قهرناه حين عرفناه ودرسناه ، وكيفنا كيفنا انفسنا لتواجهه وهذا المعادلة التى يرسلها الدكتور عبد الحميد يونس ارسالا ، وربما لاول مرة واجبة الدراسة والفحص من اصحاب التخصصات التى تهتم بالانسان ككيان وكتحد وكصمود ..

ـ والدكتور عبد الحميد يونس ولد فى فبراير عام ١٩١٠ ، وعاش فترة طفولته وشبابه فى حى السيدة زينب .. نحن الان فى حى يحمل نبض مصر ، نحن ايضا فى عصر يحمل مخاض الثورة المصرية على الاستعمار والمستعمرين ، فهو ابن الشعب ، وهو ابن التمرد فى ان واحد .. شاهدت الدكتور عبد الحميد يونس لاول مرة فى مدرج كلية الاداب فى الاداب محاضرة الادب المصرى للاستاذ أمين الخولى ـ دخل الاستاذ ووراءه دخل الاستاذ يونس . وتنحى الاستاذ وجلس الاستاذ يونس على مقعد المحاضرة ، ثم بدا يتحدث الينا ، وكنا طلاب الليسانس بما هو امتداد لما كان يقدمه استاذه

الخولي . وصحتنا تسمع للوافد الجديد وادهشنا أن يحاضرنا محاضر آخر في حضور استاذ المادة .. وقال الاستاذ الخولي في نهاية المحاضرة ان من حاضرنا تلميذ نابغة له ، وانه اصبح واحدا من اسرة كليـــة الاداب ، وانه منذ الان سيترك مادة الادب المصري للمحاضر الجديد – وكان الاستاذ يونس في هذه المحاضرة الاولى متهيبـا وجلا ، لم يحمه منا الا وجود استاذه العملاق في المحاضرة . ولكننا تعلمنـــا وقتها معنى الجامعية ، ومعنى الاستاذية ومعنى التلمذة .. وعاد يونس الينا اكثر من مرة ، واحببناه وتعاطفنا معه ، وتخطينا تحرجه وعصبيته لننفذ الى القلب الواعي والذاكرة الحافظة ، والذهـــن المتيقظ المتمرد خلف كل هذا جميعا – واحببناه في مقعد الدرس ، وفي وجوده المتميز في جماعة الامناء ، ثم في صراحته الدائمة لنا وحتى الان ..

اخرج الدكتور يونس كتاب الخـولي في الادب المصـــري بمقـدمة منه ، وكان هذا تقليدا الشيخ ان يقـــدم له تلامذته النجباء كتبه وافكاره ، فقدم الدكتور العلالي فن القول ، وقـــدم شكري عياد مناهج تجديد ، وقدم عبد الحميد يونس الادب المصري ، وتحقق بهذا تلاحق الاجيال وتعاطف الطالب مع الاستاذ ، ودور الاستاذ في عطاء الطالب وتقديم رؤيته التي هي امتداد اكثر تقدما من عطاءات استاذه . وظل يونس بعد هذا الابن الاول لامين الخولي في جماعة الامناء وفي مجلة الادب التي كان قلم يونس من ابرز الاقلام فيها ، ثم في صـــميم الحياة الادبية والفكرية في مصر والعالم العربي كله .. فلقد كانت دفعة الخولي ليونس للاهتمام بالادب المصري هي المصدر الاساس لدراسته للظاهر بيبرس وحـــاز عليها درجة الماجستير ، ثم للهلالية وحاز عليها درجة الدكتوراه ، ثم الادب الشعبي المصري ، ثم العربي بعامة وحاز عليهـا الجائزة التقديرية في مصر وجائزة مجلس التقدم العامي في الكويت اول جائـــزة تمنح للدراسات الفولكلورية والشعبيـــة في العالم العربي ..

وهذه القمة لم تبدأ من فراغ ، وانما الطريق الى القمة دائما صعب ومتعب، بل وبعض الاحيان طريق تعيس – ماذا كان يدور في خلد الصبي الصغير يلقنه أبوه ان العربية هي الطريق الى الوطنية، وانه لا وطنية لمن لاعربية له .. صعب هـذا الدرس حتى الان على شباب العصر ، فما بالك به عند صبيه العصر في حياة عبد الحميد يونس الاولى في مدرســة محمد على الابتدائية .. الاب ممن تعلموا كل مواد الدراسة باللغـــة الانجليزية ماعدا اللغة العربية والدين .. هكذا كانت مواد الدرس ، وهكذا كانت مقـــررات التعليم .. وهكذا ايضا كان رد الفعل الطبيعي والتلقائي والوطني في ان واحد، الافراق في دراسة العربية وادابها بعيدا من المدرسة ومن حصة الدرس ، ومـن هنا ايضا كان افراق الابن في حب العربية وارتباطه بها .. فلقد كان جيل الابـــاء حريصا على مقاومة الغزو التثقـــافي الانجليزي او الفرنسي بالامعان في دراسة الادب العـــربي ، معـــاصره وقديمه على السواء في نوع من مقاومة الفعل بفعل مضاد ، ومن هنا امتلأ ضمير الصبي الصغير بحب ادبه وثقافته العربية في مقابـــل ما يلقنه في المدرسة من ثقافة انجليزية واجنبية بصفة عامة ..

اتقن الدكتور يونس الانجليزية اذن ، وحمل لواء الترجمة عصرا هاما وطويلا ومثمرا ، لقـــد كان احد المترجمين لدائرة المعارف الاسلامية ، الذين حملوا مهمـــة عمل وتأليف . مهمة ترتبط بالرسالة التي تريد ان تملأ الساحة بما يثريها ويعطيها رؤى ثقافية هامة واساسية ؟ وتريـــد ايضا ان تقدم هذا العمل المتكامل الـــذي قام به المستشرقون باســـتكمالات عربية لاصحاب الدرس والبحث من ابنـــاء العربية ، وابناء الدراسات الجديدة في دنيا البحث الادبي والثقافة الاسلامية، والثقافة العربية والمعرفة الانسانية بعامة .. ثم تقدم الى الاسهام من ابداعات الحضارات الشعبية بترجمها ، ومن ابداعات الادب



بعامة يعرفنا بهـا ويلخصها ، ويعلق عليها واراح هـذا الى حد كبير حسه الرهف الذى يريد أن يبدع فنا ذاتيا خاصا ، فلم يجد متنفسه الا فى الاهتمام بالابداعات الجمعية العامة ، سواء كانت هذه الابداعات ترجمة وتحرير دائرة المعارف الاسلامية ، او ترجمة وكتابة وتحرير « معجم الفولكلور » الذى يعتبر تجربة رائدة فى دنيا الثقافة الشعبية العربية، سبقتها حقيقة بعض محاولات جادة ، ولكن محاولة الدكتور يونس كانت الاكثر منهجية والاكثر دقة والاكثر شمولية .

انه يونس فى بطن الحوت حين عز عليه ان يصل بصوته المفرد ، مزج صوته بصوت الجماعة ، فعل صوته وتميز ووصل الى السماء ، لانه حين علا لم يكن صوته وحده ، وانما كان صوته ممتزجا بفكر الجماعة وآلامها وتعبيرها الانسان من ذل الاسر والعبودية المقهورة فى بطن حوت ابتلعه حوت ، وغاص به فى اعمق اعماق البحر المحيط .

ومن هنا جاء البحث عن صوت الجماعة ، صوت معاناتها وآلامها ، صوت طموحاتها واحلامها .. وكانت رسالة الهلالية والظاهر بيبرس ، وكانت الدراسات التالية عن الفن الشعبى والفولكلور ، العام والمادة .

وواضح ان البداية كانت دراسة الادب المصرى باعتباره واحدا من الاداب الاقليمية العربية التى تكشف فى حدود التماهى سر الانسان فيها ، الذى يسلم الى معنى التوحد مع الانسان العربى فى سائر الاقاليم ، ثم يسلم الى معنى التوحيد مع معنى الانسان فى كل زمان ومكان - وكان التوجه رائدا .. وكان الجهد جديدا ، وكانت النتائج التى توصل اليها البحث مازالت مجرد كلمات فى سطر فى جملة فى عبارة مفيدة .. ولكنها - لاشك .. كانت شيئا على الطريق وشيئا هاما ايضا مستفزا للكثير من المقولات الثابتة التى لا تريد ان تهتز او ان تحرك بنفسها عطائها .. ومعركة يونس مع هذه المقولات معركة طويلة ، اصابه منها الكثير من الجروح والندوب . فقد اتهمه اصحاب القضية التى تريد ان تهتم بالعام والتجريب والريادة الى اشياء لا علاقة لها بالعلم والريادة والتجريب .. ونحى عبد الحميد يونس عن الصفحة الادبية فى الجمهورية التى تولاها من اول نشاتها بل ومن اول صدور الجمهورية نفسها .. فقد كانت الصيحة يومها انه يمثل التيار اليمينى الرجعى الذى يريد ان يشد البلاد الى بعيد عن التقدم والارتباط بالمعاصرة الى مزيد من الاغراق فى الرجعة والنظر الى وراء ، والارتباط بالموروث القديم .. وكانت الصيحة عالية ومغرضة ، والشكل ايضا انها كانت غير فاهمة لمعنى ما يفعله يونس ومعنى ما يقدمه يونس من عطاء - اعتبروا ان المصرية اقليمية ، وان الاتجاه الى الادب الشعبى نكسة وانكفاء على الذات ، وان المناداه بالتراث والاهتمام به عودة الى السلفية ، وانفصالا عن المجتمع المتطور الذى يريد ان يشق طريقه الى امام - واثبت الاستمرار والوجود الدائم للدعوة وتطبيقاتها وتلاميذها واصرارها ، ان المصرية والبيئة المحلية هى المنطلق الصحيح نحو المعنى القومى والعربى العام ، وان الادب الشعبى انطلاقه الى امام ، وبداية البحث عن الهوية والذات ، وخاصة الهوية العربية والذات القومية . وان الاهتمام بالتراث هو اول نقاط الانطلاق نحو المعاصرة ، فمن لا امس له لا يوم له ،



د . عبد الحميد يونس

ومن لم يعرف امسه ليس جديرا بالمشاركة فى صنع حاضره وغده .

ووضح أن المسألة كلام ، فى كلام ، وعبارات جوفاء لا تحمل عملا ولا علما ، ولا تريد لعمل أن يستمر ، أو لعلم أن يقوم .. وكان لابد ان تطرح الرحلة كلها ، بكل امراضها وصراعاتها قهريا ، وان يتقدم العمل الجاد ليكون الفيصل فى القضية كلها ..

وعبد الحميد يونس فى كل مرحلة مستعد دائما أن يبدأ من جديد . بدا من جديد حين اصابته كرة القدم فى وجهه فلتقد بصره ، ومع هذا أصر وصارع ليتعلم ، واستعان بكل الامكانيات المتاحة ليظل مصرا على تحصيل العلم .. وبدا من جديد حين رفض عروض جماعات التبشير ان تضمه الى جناحها وتقدم له كل عون فى حياته ودراسته ومستقبله على ان يكون احد خدام الثقافة الانجليزية فى مصر واصر ودخل قسم اللغة العربية واكمل المشوار فى حزم وشجاعة وأمل لا يعرف الخوف ولا ولا أن يخبو ابدا ..

ومن داخل قسم اللغة العربية بدا تعامله مع الثقافة الانجليزية والادب الانجليزى ، كما بدا تأصيله لوجوده بالدخول الى عمق الثقافة العربية بعامة والثقافة المصرية على الخصوص ، والثقافة العربية الشعبية على الاخص .. ومن هذه المعادلة الغريبة المتعددة كان الدكتور يونس اول مشاعلنا الى ربط الانسان المصرى والعربى بالمعنى الانسانى العام ، ليفهم الانسان المصرى والعربى انه هو نفسه لاغيره مكون الانسانية فى حضارتها وماضيها ، وفى وجودها ومستقبلها ، أن استعمل ما لديه من ادوات ثقافية ، وان حقق معنى الاصالة فيه ، وان اتجه دائما الى ان يكون هو بنفسه التعبير المعاصر عن انسان العصر .. ومن هنا كان يونس هو الصيحة ترتفع من بطن الحوت توقظ من يعرف معنى اليقظة ، وتؤكد الطريق لمن يعرف معنى الاستمرار ، وتفتح النور والامل للغد لمن يعرف معنى النور والامل للغد .

ولقد ترك يونس آثاره العملية شاهدة على عمله ، ومدللة لمن يتبعونه فى منهج البحث ، وذات الموضوع والتخصص ، ولكنه ترك ايضا معنى حرية الفكر واصالته ، ومعنى الاصرار وعراقته ، لمن يريد ان يكون الكاتب الحر صاحب الرأى والفكر .. فهو فى الاكاديمية لبنة من بناء ، وهو فى العطاء الحر ، صاحب صرح لم يدرس بعد ، ولم تحدد قسماته الحقيقية التى اوصت وتوحى وتستمر .. ولكنه فى كل هذه المعانى ابن صاحب الكلمة المشرقة « كريم على نفسى » ابن امين الخولى ، ثورة الضوء فى عصره ، وبؤرة الهداية لمن تلاه من شداة ومعاصرين ..

ويعيش التلميذ باستاذه ، ويعيش الرائد بعطائه ، ويعيش الفكر باستمراره ، يعيش الانسان بصموده .. ويخرج يونس من بطن الحوت ليعلى كلمة الانسان ويؤكد قدرة الانسان .



● بعد اربعين عاما على نهاية الحرب العالمية الثانية ●



بقلم : الدكتور صلاح العقاد

رغم انقضاء اربعين عاما على نهاية الحرب العالمية الثانية فان اقلام المؤرخين والكتاب لم تتوقف عن معالجة احداثها وكل ما يتعلق بالمقدمات التي ادت اليها والنتائج التي تمخضت عنها ، ولا غرو فان معظم اوضاع العالم المعاصر قد انبثقت بشكل مباشر او غير مباشر عن تلك النتائج ·

وتخصص بعض الدراسات فى معالجة قضية فرعية ، كما ان بعضها الآخر يحاول رسم صورة شاملة



ـ ستالين ، روزفلت ، تشرشل فى الاجتماع الشهير

وتحليل مسار الحرب سياسيا او عسكريا على اساس ما توفر من معلومات ، ومن المدهش ان تلك المعلومات لم تتأخر كثيرا فى الظهور، ذلك لان ادوات البحث فى عالمنا المعاصر اختلفت عما كانت عليه فى القرن التاسع عشر او فى اوائل القرن العشرين • ففى ظل النظم النيابية والصحافة الحرة وتقدم وسائل الاتصال لم تعد اسرار الدولة حكرا مقصورا على رجال الحكم ، بل انه فيما يتعلق بموضوع الحرب العالمية بالذات كشف النقاب فى وقت قصير عن وثائق رسمية عديدة ، وعلى راسها وثائق وزارة الخارجية الالمانية فى العهد النازى التى عثر عليها الحلفاء الغربيون اثناء زحفهم نحو برلين للالتقاء مع الجيوش السوفييتية يضاف الى ذلك ان العديد من رجال السياسة وقادة الجيوش الذين كان لهم دور رئيس فى الحرب لم يتوانوا عن نشر مذكراتهم التى افادت كثيرا فى توفير معلومات تفصيلية عن مجريات الاحداث •

على ان وجود هذه المصادر الاصلية لم يمنع من الاختلاف فى الرأى حول كثير من القضايا التى ارتبطت بتاريخ الحرب • فالتاريخ مثل العلوم النظرية عموما لا تثبت فيه الحقائق بشكل حاسم مائة بالمائة ويبقى الخلاف بطبيعة الحال منصبا على التفسير والاستنباط والتحليل ، وليس بالنسبة للوقائع الحربية او الاتفاقات السياسية المكتوبة وما اشبه ذلك •

ولا شك ان جهد المؤرخ هو بالدرجة الاولى معتمد على التفسير والتحليل • وهذا التفسير يمكن أن يختلف من شخص الى اخر ، اما حسب المنهج او حسب الانتماء القومى • فالكتاب السوفييت لهم رؤيتهم الخاصة التى تختلف عن رؤية حلفائهم الغربيين فى تفسير العديد من تطورات احداث الحرب والعلاقات الدولية التى اقترنت بها •

ومن امثلة هذه الاختلافات مايتعلق

بعد أربعين عام على نهاية الحرب العالمية الثانية

بطبيعة الصلات التي نشأت بين النازيين والسوفييت خلال فترة التقارب بين النظامين النقيضين بين عامي ١٩٣٩ - ١٩٤١ ولم يحسم نشر الوثائق الالمانية هذه القضية ·

ومما يجدر ذكره في هذه المناسبة ان الحلفاء الغربيين لم ينتظروا انتهاء عملية الاعداد لنشر المجموعات شبه الكاملة لوثائق الخارجية الالمانية ، بل بادروا في سنة ١٩٤٦ اي بمجرد انتهاء عهد المحالفة مع السوفييت وظهور بوادر الحرب الباردة ، باشروا الى نشر مجموعة مختارة من هذه الوثائق بعنوان « العلاقات الالمانية السوفييتية » وكان الهدف من ذلك هو اثبات النظرية القائلة بان التقارب الالماني السوفييتي ذهب الى مدى بعيد ، وان السوفييت واتفقوا - في مرحلة ما على تقسيم العالم الى مناطق نفوذ وخرجوا بذلك عن مبادئهم المعادية للتوسع والامبريالية · وابدوا استعدادا للتعاون مع نظام فاشستي عنصري في هذا السبيل · ويخلصون من ذلك الى ان هذه السياسة شجعت المحور على التمادي في العدوان · ومن ثم فان مزاعم السوفييت بانهم تصدوا للمقاومة النازية اكثر من غيرهم هي مزاعم غير صحيحة ·

وعلى الطرف الاخر سجل الكتاب السوفييت تاريخ المرحلة السابقة على الحرب مباشرة مقرونا بشعور شديد بالمرارة فذكروا كيف ان الحلفاء وخاصة بعض شرائح المجتمع المحافظ الراسمالي « بريطانيا وفرنسا كانت تخطط لتكتل راسمالي في غرب اوربا يضم المانيا وايطاليا وهدفه هو القضاء على الثورة الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي ·

وبما ان حرية الكتابة مكفولة في ظل النظم الليبرالية السائدة في الغرب فقد ظهر من بين السياسيين والكتاب من يلوم الحكومتين البريطانية والفرنسية بالفعل لتراخيهما امام النازية · وكان هؤلاء المنتقدون ياخذون على حكوماتهم تشككها المريب مصورة مبالغ فيها ازاء الاتحاد السوفييتي فلم يعطوه الفرصة لكي يكون تكتلا معاديا للمحور يضم المعسكر الاشتراكي الى المعسكر الديمقراطي فيتحالف وثيق ، بل على العكس اخذت تلك الحكومات تبدي تحفظاتها على التحالف الذي قد يؤدي الى دخول الجيش الاحمر الى اقطار شرق اوربا ، وعلى راس هؤلاء المنتقدين ونستون تشرشل صاحب اهم مذكرات منشورة عن الحرب ·

وقبل ان نتحدث عن هذه المذكرات يجدر بنا ان نعود الى الاشارة للوثائق



الالمانية ، فهى مجموعة ضخمة تحتوى على مراسلات وزارة الخارجية الالمانية مع السفراء الالمان المنتشرين فى انحاء العالم وتضم مذكرات وتقارير النازيين عن مختلف القضايا العالمية ، وذلك خلال الفترة من ١٩٣٣ ـ ١٩٤٥ ، وهى مرتبة ترتيبا زمنيا ، ويحتل الشهر الواحد جزءا كاملا ، وفى بعض السنوات الغنية بالاحداث يحتل اكبر من جزء وقد نشرت هذه المجموعة الضخمة سنة ١٩٤٨ تحت اشراف هيئة علمية وبلغات ثلاث فى نفس الوقت هى الالمانية والانجليزية والفرنسية ·

وبعد مضى ثلاثين عاما على بداية الحرب اخذت بريطانيا حسب قانونها الجديد تطرح وثائقها الرسمية سنة بعد اخرى لاطلاع الجمهور ، مما اوجد حيوية جديدة للتاليف حول الموضوعات الجزئية الدقيقة المتعلقة بفترة الحرب · وقد افادت هذه الوثائق فى التفاصيل ، وان لم تغير فى الاساسيات لما ذكرناه من ان اسرار الدول لم تعد كما كانت فى الماضى حكرا على رجال الحكم ـ على انه يجب ان يؤخذ فى الاعتبار ان قانون الوثائق البريطانية يبيح حجب بعض الوثائق التى يرى أن نشرها يمس أمن الدولة ، أو يمس سمعة شخص مازال على قيد الحياة ، وهى الوثائق التى تضاف اليها اشارة « سرى للغاية » ·

وفى الولايات المتحدة حيث احوال الدولة اكثر انكشافا لجمهور يخفض القانون المدة اللازمة للاطلاع على الوثائق الى خمس وعشرين سنة · مع وجود نفس التحفظ المعمول به فى بريطانيا ·· والواقع ان الوثائق الامريكية اضافت الكثير فيما يخص الوضع فى الشرق الاقصى · وقد عمدت الحكومة الامريكية فى اعقاب انتهاء الحرب الى نشر مختارات من وثائقها التى تفيد فى ادانة الاطراف المعادية ، ولا سيما اليابان واثبات مسئوليتها عن بدء العدوان · وكانها تريد ان ترد على حجج انصار العزلة الذين كانوا قوة ضغط قبل سنة ١٩٤١ اى قبل الهجوم اليابانى على بيرل هاربور ·

أما الوثائق الفرنسية فمن المعروف أن فرنسا التى اشتهرت قبل غيرها بالدعوة الى النظام الليبرالى الحر ، لم تكن فى التطبيق تضارع الانجلو سكسون · وبالتالى فان تحفظها على نشر الوثائق الرسمية كان وما يزال اقوى من مثيلاتها فى الغرب · فضلا عن اشتراط مضى خمسين سنة قبل طرح الوثائق للتداول فان الحصول على حق الاطلاع يجد امامه بعض العراقيل · وقد نشرت فرنسا بعض المختارات الوثائقية التى تبرر دخولها الحرب العالمية الثانية على هيئة الكتب الدورية ، ولكن انقسام السلطة فى فرنسا اثناء الحرب بين حكومة

هتلر

بعد أربعين عام على نهاية الحرب العالمية الثانية

فيشى وبين حكومة فرنسا الحرة بزعامة الجنرال ديجول اتاح كشف كثير من الاسرار المتعلقة بالاحوال الداخلية نتيجةلتبادل الاتهامات ولعله مما يقلل من اهمية الوثائق الفرنسية فى موضوع الحرب الثانية ن فرنسا لم تساهم فى تلك الحرب الا لفترة قصيرة نقلا عن الستة وليس فى دورها خلال الحرب مايشرف الشعور الوطنى •

وقد يتساءل المرء ! وماذا عن وثائق الاطراف الرئيسية الاخرى : الاتحاد السوفيتي من معسكر الحلفاء ، واليابان من معسكر المحور ؟

وقد تكون الصلات الثقافية المحدودة بين العالم العربى وبين هاتين الدولتين اذا ما قورنت بالعلاقات الثقافية مع الغرب سببا فى ضعف معرفتنا باحوال وثائق هاتين الدولتين •

غير انه من المؤكد أن نظرة السوفييت للتاريخ تختلف عن نظرة الغرب الليبرالى فالشيوعية مثل النظم الشمولية الاخرى تعتبر التاريخ اداة من ادوات خدمة النظام ، وبالتالى فان المعالجة التاريخية كثيرا ما تكون بعيدة عن الموضوعية • وفضلا عن ذلك فان تكتم الحكومات الشيوعية على اسرار الدولة يؤدى منطقيا الى التحفظ الشديد حول نشر الوثائق الا ما تراه الدولة مفيدا للنظام •

وثمة مجموعة من الوثائق الرسمية التى يرجع اليها المؤرخون وان لم تكن هذه المجموعة على نفس الدرجة من الاهمية واعنى بذلك محاكمات نورمبرج التى جرت فى اعقاب الحرب واثبتت فيها التهم الموجهة لقادة النازية كافراد، واحتوت هذه المجموعة على شهادات كثيرة من معاصرين ربما اتسمت بالمبالغة احيانا فى وصف جرائم هؤلاء القادة ، واشترك فيها عديد من اليهود الذين اتخذوا من تلك المحاكمات فرصة للدعاية الصهيونية ، ومازالت اسرائيل وحتى وقتنا الحاضر تكسب موضوع الاضطهاد النازى اهمية كبرى وكان هذه القضية التاريخية البحتة مازالت قائمة حتى وقتنا الحاضر فتبنى عليها الدعاوى والمطالب بالتعويضات الى غير ذلك من المعلومات المغلوطة • وقد تم الكشف من ثنايا الوثائق الالمانية عن وجود صلات بين الاقطاب الصهيونية والاقطاب النازية • وعلى العكس لاحظنا فى مراجعتنا لبعض المجموعات ولاسيما الجزء العاشر من مجموعة سنة ١٩٤١ الذى واكب حركة رشيد عالى الكيلانى فى العراق وتقدم روميل فى الصحراء الغربية قلة الاشارات وعدم الاكتراث بالشئون العربية مما ينفى المزاعم الصهيونية بوجود تعاطف بين الوطنيين العرب وبين النازين •

● المذكرات ●

اذا ما انتقلنا من حديث الوثائق الى النوع الثانى من المصادر الاصلية وهى مذكرات الساسة والقادة العسكريين فاننا نجد على رأس هذه القائمة الطويلة مذكرات رئيس الوزراء البريطانى ونستون تشرشل وهى تقع فى ستة اجزاء نشرت تباعا بين عامى





ابتسامة على شفتيه حلقه اربعين عاما

١٩٤٨ ، ١٩٥٣ وترجمت الى العربية. ولابد ان نذكر القارىء بأن تشرشل واغلب ساسة الغرب يختلفون عن كتاب المذكرات فى مصر والعالم العربى • فهم لا يستنكرون نقد الذات ، على حين نلاحظ ان معظم الذين كتبوا مذكرات بعد ١٩٥٢ تفاخروا فى كل مناسبة بأنهم ابدوا النصح الشديد للقيادة المصرية سواء عند التدخل فى اليمن او عند حرب ١٩٦٧ ، ولو ان القيادة استمعت الى نصائحهم لما حدث كذا او كذا من الاخطاء • وهكذا يغلب عليهم منطق التبرير • وليس معنى ذلك دمغ جميع الكتاب العرب بهذه السمة • فلدينا مذكرات سعد زغلول التى تفيض بنقد الذات • وعلى نفس النمط سار تشرشل فى مذكراته عن الحرب الثانية • فهو فى الجزء الاخير على سبيل المثال لا يملأ الدنيا ضجيجا بالتفاخر بالنصر ، بل يعنون الجزء الاخير المخصص لدراسة سقوط المانيا النازية بعبارة « نصر ام ماساة » ويقصد بذلك انه اذا كانت الحرب قد بدأت لانقاذ بولندا من النازية فانها قد انتهت بسقوط بولندا والقطار شرق اوربا كلها فى قبضة الاتحاد السوفييتى ويتمى على صديقه الرئيس الامريكى روزفلت تساهله فى مؤتمر «يالتا» حيث ترك الحرية للسوفييت فى تقرير مصير شرق اوربا وتجاهل مقترحات تشرشل الداعية الى انزال قوات الحلفاء فى شرق اوربا بدلا من التقدم الى المانيا من ناحية الغرب •

وفى تقديرنا ان رئيس الوزراء البريطانى - وان كان صريحا فى مذكراته • الا انه تجنب الخوض فى بعض المسائل ذات الحساسية البالغة • فهو على سبيل المثال لم يجل الغموض الذى احاط بحادث هبوط رودلف هيس بمظلة فى اراضى بريطانيا مايو سنة ١٩٤٢ ، اى قبيل الغزو الالمانى للاتحاد السوفييتى • وبما ان هذا الحادث قد اتاح للكتاب السوفييت ترويج الشائعات القائلة بان الرجل الثالث فى الرايخ الالمانى جاء الى بريطانيا حاملا خطة لانهاء الصراع معها حتى يتفرغ النازيون القضاء على الاتحاد السوفييتى •

لقد جمعت مذكرات تشرشل بحكم موقعه كرئيس لوزارة حرب بين الشئون العسكرية والسياسية • وتضمنت مراسلاته مع القادة العسكريين ورؤساء

بعد أربعين عام على نهاية الحرب العالمية الثانية

الدول على حين تخصصت مذكرات اخرى في احد الجانبين • ويلاحظ بصفة عامة عدم اقبال كتاب الدول الشمولية على كتابة المذكرات السياسية حيث يكون المجال مفتوحا للتحليل والحوار • بينما ان المذكرات العسكرية لا تحتاج الا الى الوصف التفصيلي للمعارك • فاذا كانت تلك المعارك قد انتهت بالانتصار فان ذلك يشجع بصورة اقوى على كتابة المذكرات • فنجد جوكوف القائد السوفييتي الشهير في الحرب العالمية الثانية يصدر مذكراته التي تصف عملية الزحف منذ تحول السوفييت الى الهجوم حتى الاستيلاء على برلين في مايو ١٩٤٥ •

ومن أشهر المذكرات العسكرية تلك التي كتبها اروين روميل • وقد نشرت بعد سقوط الرايخ وهي تشير الى ما كان يحدث • بين القادة النازيين من خلافات وخاصة بين روميل وهتلر •

وعلى العكس حينما انشق الكونت شيانو عن النظام الفاشستي الايطالي وجد الفرصة مهيأة قبل وفاته لتسجيل مذكراته السياسية بعبارة اخرى فان الانشقاق عن النظام الشمولي كان مشجعا لاقتحام باب المذكرات السياسية • ولا يفوتنا في هذا المجال ان نشير الى اهمية تلك المذكرات بالنسبة لآثار الحرب العالمية الثانية على منطقة الشرق الاوسط • وذلك بحكم اهتمامات ايطاليا وتوجهاتها الجغرافية • وفي هذا المجال تكتسب أيضا مذكرات الجنرال ديجول جانبا من الاهمية نظرا الى أن فترة الحرب شهدت نشاطا مركزا في المستعمرات الافريقية وفي دولتي المشرق لبنان وسوريا حيث دار الصراع بين انصار فرنسا الحرة وبين حكومة فيشي •

● الشرق الاوسط ●

اذا كانت المصادر الاولية من وثائق ومذكرات قد توفرت بنسبة كبيرة للباحثين ، فان المؤلفات قد تجاوزت عدة آلاف بلغات مختلفة وتخصص بعضها لدراسة نتائج الحرب في منطقة معينة كالشرق الاقصى او الاوسط، كما ان المواطنين في كل بلد على حدة لم يكن بوسعهم أن يؤرخوا لبلادهم دون التوقف طويلا عند الحرب العالمية الثانية كما فعل بعض المصريين حيث اقترنت الحرب العالمية بقضايا ماتزال ساخنة مثل حادث ٤ فبراير الذى اختلفت حوله الآراء بين من يجد مبررا لسياسة الوفد ومن يرى غير ذلك • كما تقترن ايضا ببداية النشاط السياسي بين ضباط الجيش المصري •

وقد لا يعرف الكثيرون انه تكونت في اوربا والولايات المتحدة جمعيات متخصصة لتنمية الدراسات التاريخية المتعلقة بالحرب العالمية الثانية ، نذكر على سبيل المثال الجمعية الفرنسية التي كونها احد الجنرالات يدعى مارجلان •

وفي نهاية المطاف نستطيع ان نخلص من هذا العرض الى بعض النتائج :

● انه رغم تداخل الشئون السياسية مع الامور العسكرية في اية دراسة تخص الحرب الثانية الا انه ينبغي التنبيه الى ان التخصص في الدراسات

التاريخية اصبح من الوضوح بحيث نستطيع تقسيم الدراسات الى نوعين منفصلين : دراسات تتعلق بالتاريخ العسكرى • وهناك ثوابت لهذا التاريخ تجعل من المفيد اطلاع العسكريين على تفاصيل المعارك وتكتيكات الحرب رغم التغييرات الهائلة التى حدثت فى التسليح • واذا كانت معارك نابليون ما تزال تدرس فى الكليات الحربية ، فمن باب اولى أن تولى عناية خاصة بمعارك الحرب الثانية •

ودراسات تتعلقبالتاريخ الدبلوماسى والتطورات الاجتماعية والاقتصادية التى نجمت عن الحرب ورغم ان التغير هو سمة هذا المجال وليس الثوابت فان كثيرا من القضايا الحيوية تعود بجذورها الى فترة الحرب • وقد ضربنا مثالا على ذلك بمبالغات اليهود فى وصف اضطهاد النازى ومزاعمهم عن وجود تعاطف بين بعض العرب والنازيين • وهم يهدفون من وراء ذلك الى اثبات صدق تعاونهم مع الحلفاء واستحقاقهم بالتالى للمكافأة •

● انه بعد ظهور هذا الكم الهائل من الوثائق والمذكرات والدراسات الجادة لا يتوقع اكتشاف حقائق هامة جديدة • والمحتمل فقط هو ظهور معلومات تفصيلية تتعلق بنقطة معينة او اختلاف حول تفسير واقعة من الوقائع او تحقيق صحة وثيقة او مذكرة ••

ومن اشهر اعمال التزوير التى دست على المذكرات الخاصة بفترة الحرب قيام احدى الصحف الالمانية الغربية بنشر مذكرات تنسب الى ادولف هتلر وسرعان ما انكشف التزوير وحكم على الصحيفة بغرامة كبيرة

وهناك ايضا بعض المسائل التى اثارت جدلا لم يحسم بعد ، مثلا دفاع بعض الكتاب الامريكيين عن استخدام هذا السلاح النووى ضد اليابان فى اغسطس ١٩٤٥ بحجة انه بدون استخدام هذا السلاح الذى حسم نهاية الحرب لاستطالت الى سنة او اكثر لما عرف به اليابانيون من العناد وشدة المراس ، ولسقط خلال تلك الفترة اضعاف من قتلوا فى هيروشيما ونجازاكى • ومع ذلك فان الغالبية العظمى من الرأى العام العالمى استنكر هذا الاسلوب وتجلى ذلك فى ضخامة مظاهرات الاحتجاج التى اقيمت بمناسبة الذكرى الاربعين فى هيروشيما ونجازاكى واشتركت فيها وفود من دول عديدة •

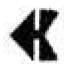
وفى اعقاب الحرب ايضا نشا جدل مثير حول مصير هتلر • وشكك السوفيت فى واقعة انتحاره ، ومالوا الى ترويج الشائعات القائلة بانه هرب بطائرة الى احدى دول امريكا الجنوبية وتكونت لجنة للتحقيق ايدت فى النهاية واقعة الانتحار •

● اننا نعتقد اعتقادا راسخا بأن تناول المؤرخ لموضوع الحرب العالمية الثانية شأنه فى ذلك شأن الموضوعات الاخرى ينبغى أن يستهدف دراسة الماضى فى حد ذاته ، دون التعصب لمذهب او لقومية معينة • وهو يختلف فى منهجه عن المتخصص فى العلوم السياسية الذى قد يختار من دراسة الماضى ما يؤيد وجهة نظره او ما قد يساعده على التنبؤ بالمستقبل ، وهذا منهج اجتهادى تؤثر فى النزعة الذاتية فى حين اننا نعتبر التاريخ من العلوم التى يمكن ان تخضع للبحث العلمى الموضوعى والمجرد •



بقلم : الدكتور شريف حتاته

●● يطرح هذا المقال قضية هامة ، لانها تثير اتهاما خطيرا يتناول اثر المثقفين على تخلف التطور الحضارى فى البلدان العربية ..
ويرى ان الطرح غير العلمى للمشكلة يقودنا الى حلول وهمية تؤدى بدورها الى الفشل والاحباط .. !
وعلينا ان نبحث عن الاسباب الحقيقية لازدهار الصناعة والتنمية فى اليابان وتدهورها فى بلادنا بصورة ملحوظة ●●



لكل ظاهرة فى الوجود أسباب نشوئها ، واختلافها ، وعوامل تؤثر على تطورها .. ومن المفروض على اى دراسة علمية أن تحيط بالاسباب والظروف والعوامل الخاصة بموضوعها احاطة شاملة .. وان استعصى هذا فالمطلب الايمان الا تسقط منها الاسباب والعوامل الاساسية ، والا تسلط الضوء على حقائق ثانوية لترفعها الى مصاف الحقائق الجوهرية .. فالتركيز على العوامل الثانوية واعتبارها الاساس يقود الى تشويه الصورة ، والى طرح خاطىء للمشكلة .. كما يقود الى البحث عن حلول وهمية تؤدى الى الفشل والاحباط وضياع الجهد .

واحدى سمات التفكير غير العلمى السائد بين كثير من المثقفين فى مجتمعنا هو هذا الجنوح الى التركيز على حقيقة او حقائق ثانوية ، وكأنها تمثل جوهر المشكلة المطروحة .. هو هذا العجز عن رؤية الاشياء فى شمولها ، وفى النفاذ الى قلب الموضوع .. وهو ليس تعبيرا فقط عن موقف منهجى خاطىء ، ولكن ايضا عن المنظور الجزئى الذى يعكس المصالح الحيوية او الطبقية لاصحابها .

مثال ذلك ما قرأته فى صفحة الفكر العالمى التى تنشره جريدة الاهرام كل يوم جمعة .. ففى عدد ١٩ يوليو ١٩٨٥ كتب الاستاذ مصطفى عبد الغنى تعليقا بعنوان « كتاب جديد يجيب على سؤال قديم . لماذا تقدم الفكر اليابانى وتأخر الفكر العربى ؟ » .. ويدعى المعلق ان السؤال قديم ولكنه لم يجد اجابة بعد ..

اما الكتاب الجديد فهو رسالة دكتوراة « التقليد ، والحداثة فى التجربة اليابانية » للاستاذ « عبد الغفار رشد » .

وموضوع التقليدية والحداثة كما تعلم قد استهوى عددا كبيرا من المفكرين والمثقفين فى السنين الاخيرة واصبح محورا للجدل الواسع .. بل كاد أن ينقلب فى بعض الاحيان الى شبه الشامل كما هو حادث الان فى الحوار الدائر حول تطبيق الشريعة ، والدولة الاسلامية والعلمانية ، وما الى ذلك من موضوعات تملأ مواعيد الصحف . وكثيرا مايتردد أثناء هذه المناقشات ان الجمع بين التيارين الحديث والتقليدى والمزج بينهما بشكل من الاشكال هو المخرج الذى يمكن ان يفتح آفاقا للتطور امام المجتمعات العربية ، وامام الفكر العربى ... ويبدو ان الكتاب المشار اليه يحاول تفسير التقدم الذى احرزته اليابان وارجاعه الى نجاح المفكرين والمثقفين اليابانيين فى الاهتداء الى الصيغة الملائمة للمواءمة بين الحداثة والتقليدية .

والحديث عن تقدم اليابان الذى سماه البعض «المعجزة اليابانية» . «من قبل كان هناك حديث عن المعجزة الالمانية ثم الاشتراكية ازاء عثرات المجتمع الالمانى » فهو كما يقول كاتب التعليق نفسه موضوع قديم .. فكلما قام أحد المسئولين بزيارة اليابان عاد ليكيل الثناء على ما صنعه اليابانيون ، وليبث فى قلوبنا اليأس لعجزنا عن تحقيق ما حققوه .. وليتهم العقل العربى « بعدم قدرته على ايجاد



الحلول المناسبة ، او التصرف العملى ، او اتقان التنظيم او الالتزام ، او تقدير عنصر الزمن ، او المثابرة والجهد .. تماما كما لو كنا من الاجناس الادنى التى كثيرا ما يتحدث عنها الاستعماريون القدامى والجدد .. وقد شارك عدد من كتابنا المرموقين فى هذا الندب ، واللطم على الخدود ، وفى بث هذا الاحساس بالدونية ازاء هؤلاء « العمالقة الصفر » .. دون أن يكبدوا انفسهم مشقة دراسة الاختلاف بيننا وبين اليابان فى التاريخ ، والموقع الجغرافى ، والظروف ..

وفى هذه المرة يرجع الاستاذ مصطفى عبد الغنى « مستندا الى رسالة الدكتور عبد الغفار رشد » عجزنا فى تحقيق ما حققته اليابان الى قصور المثقفين العرب .. ذلك ان مفكرى ومثقفى اليابان نجحوا فى ايجاد ذلك المزيج المطلوب بين الحداثة الفكرية والثقافة التقليدية للسكان فى المدن والقرى .. أى انهم نجحوا فى تطعيم الجماهير بمناهج الفكر الحديث، او بنظرة حديثة لامور المجتمع والحياة .. وهكذا تمكن هؤلاء المثقفون اليابانيون « المؤمنون بالحداثة » المتقنون لاساليبها « فى الفكر والتطبيق » من كسر العزلة التى قامت بينهم وبين الجماهير « المرتبطة بالثقافة التقليدية » .. فامكنهم ان يدفعوا بتطور المجتمع ، وان يحققوا المعجزة اليابانية المشهودة .. وان يجدوا تلك الصيغة « التوفيقية » - على حد تعبير الكاتب - المطلوبة بين الحداثة والتقليدية . فحققوا ما فشل فى تحقيقه المثقفون العرب .. وفى هذا الصدد يقول :

« تستمد التجربة اليابانية مما يسمى « بالمدرسة التوفيقية » التى تحاول التوفيق بين العناصر الوافدة الحديثة ، وبين تلك المحلية التقليدية » .

ثم يضيف فى مكان آخر : « اذا كانت المجتمعات النامية تعكس فجوة بين نخبة تؤمن بأهمية ، وضرورة تكريس الانماط الحديثة ، وبين الجماهير ذات الوجهة التقليدية ، فان هذه الفجوة يمكن التغلب عليها من خلال النخبة السياسية الحاكمة تدعمها بعض عناصر المثقفين لاقناع الجماهير باهمية الانماط الحديثة » .. ويختم مقاله بالفقرة التالية : « وبعد فما زال المثقفون يقصرون جهدهم على اشياء كثيرة ليس فيها المشاركة فى بناء ايديولوجية مميزة تجمع بين الاصالة ، والمعاصرة فى منطقة مميزة ، ومن ثم ما زالت هذه الايديولوجية التوفيقية خيوطا فى منظور لم نره بعد .. » .

وحتى يؤسس حججه على منطق مقبول فالاستاذ مصطفى عبد الغنى مضطر لان يقول فى اول مقاله ان اليابان تعتبر من البلاد النامية : « فاليابان فضلا عن انها تنتمى للعالم النامى آسيا ، وافريقيا وامريكا اللاتينية حققت معجزة التقدم ليس بالمقارنة بمثيلتها فى العالم الثالث، ولكن ايضا بمثيلتها فى دول الغرب المتقدم .. »

ويثير هذا الكلام عددا من النقاط التى كنت أود التعرض اليها بالتفصيل .. ولكن فى هذا التعليق السريع لابد من الاقتصار على تسجيل بعض الافكار الرئيسية ..

اولا : ان اعتبار اليابان من البلاد النامية فيه مجافاة للحقيقة ، بل تعسف شديد اضطر اليه كاتب التعليق حتى يعضد نظريته فى دور المثقفين وفى اسباب

المعجزة التى هى موضوع تحليله ...وهو بذلك يتجاوز حقائق التاريخ .. فاليابان أصبحت من البلاد الراسمالية المتقدمة لان ظروفها الخاصة فتحت امامهـــا طريق النمو الراســمالى المســتقل وارتفعت الى مصاف الدول الغربيةبفضل احدى الصدف التاريخية التى ليست لها مثيل فى آسيا ، أو افريقيا ، او امريكا اللاتينية .. لقـــد كانت جزيرة اقطاعية على الاطراف البعيدة للقـــارة الاسيوية تعزلها مساحات المحيط عن باقى الكتل الارضية .. الوصول اليهـــا اذن يحتاج الى جهد ، ومشقة ، والى خوض المغامرات البحرية .. كما لم تكن فيها اية موارد طبيعيـــة .. فلا نفط ؟ ولا معادن ، ولا فحـــم ، ولا حتى اراضى زراعيه خصبة مثل تلك التى وجدت على ضفاف الانهر الاســـاسية .. ولذلك عندما زحفت القوى الاســـتعمارية على العالم لم تول اهتماما لتلك الجـــزيرة البعيدة الملقاة فى اعماق المساحات المائية، ولم تحاول الاســتيلاء عليهـا اللهم الا محاولة أو محاولتين للغزو سرعان مامنيت بالفشل الذريع نتيجة المقاومة الوحشية للفرق المحاربة من المرتزقة التى شكلتها الامارات الاقطاعية ...

وهكذا عندما نمت القوة البورجوازية فى المجتمع لم تجد امامها عدوا أجنبيا يحول دون تطورها الاقتصادى والاجتماعى الطبيعى ، وقيامها بدورها التاريخى .. وبسائد القلول الاقطاعية ، ويستميل الى جانبه فئات من الراسمالية كما حدث فى مصر وبعض البلاد العـــربية .. فكيف يمكننا المقارنة بين الوضعين .. ؟ وكيف ننسى تجربة « محمد على » الذى حاول أن يقيم دولة مصرية مستقلة وقـــوية فحاصرته وهزمته القوى الاســـتعمارية ؟ فاضطر الى الركوع والاستسلام ، وانتهى به المطاف الى الجنون التام .. كانت مصر فى قلب الملتقى بين آســـيا ، وافريقيا ، واوروبا والمنطقة العربية .. وسرعان ما تحولت الى مزرعة نموذجية بفضل النيل ، والرى والاراضى الخصبة، والحضارة ، والقوة البشرية ..

هكذا لعب الاستعمار دورا اساسيا فى الحيلولة دون ان تصـــبح مصر بلدا راسماليا حديثـــا يعتمد على الصناعة المتطورة ، وعلى النمو الهائل للقـــوة الراسمالية .. وفى الحيلولة دون تطـور الثقافة والمثقفين ، وتطور الفـــكر والمفكرين ..فالتبعية تمنع الامة من المرور بمراحلها الطبيعية .. تمنع البورجوازية ومفكريها من القيام بدورهم التاريخى .. بينما لم يحدث هـــذا فى اليابان التى سمحت ظروفها من ان تحقق ثورتهـــا البورجوازية ، وان تصـــل الى اعلى درجات النمو الراسمالى حتى اصبحت هى نفسها دولة اســتعمارية خاضت الحرب الى جانب المانيا النــازية .. وبعد الحرب استفادت دونا من باقى

• لماذا إنتهت تجربة محمد على بالاستسلام والتجربة اليابانية بالنجاح ؟



الدول الغربية من شروط معاهدة السلام التى كانت تحرم عليها صرف اموالهـا على الاستعدادات الحربية .. فتركزت كل امكانياتها المالية والبشرية على تطوير الصـناعة .. وانكب علماؤها وخبراؤها وفنيوها ، ورجال الصناعة فيهـا على تطوير الصناعات الاساسية مثل الحديد والصلب ، ووسـائل النقل ، والالكترونيات .

اما فى مصر فلابد من ان تنشا ظروف تاريخية جديدة تصبح فيها الطبقـات الوطنيـة والديموقراطية قادرة على استكمال ما لم تعد البورجوازية قادرة عليه .. قادرة على استكمال الثورة البورجوازية فى صورة مختلفة بحكم دخولنا مرحلة تاريخية جديدة ، وانتشار المبادىء التى تنادى بتطبيق المساواة الحقيقية والعدالة الاجتماعية .. مما جعل عبد الناصر يحاول الخروج من اطار الثورة البرجوازية التقليـدية ويختار طرقا يتعارض مع بعض المصالح الراسمالية « تمصير الشركات الاجنبية فى سنة ١٩٥٦ وتسليمهـا للمؤسسة الاقتصادية ثم تاميمات سنة ١٩٦١ » .

ولذلك ، وهنا نتفق جزئيا مع التعليق المشار اليه اصبح المثقفـون المصريون مطالبين بالمسـاهمة فى ايجاد الاسس الفكرية لتطور المجتمع المصرى على نحو مستقل فى اتجاه تحقيق الحـرية ، والعدالة الاجتماعية والوحدة العربية .. وفى بلورة الصيغ الفكرية والفلسفية ، والاجتماعية والثقـافية التى تلائم بين الحداثة « بمعنى تطبيق المفاهيم والمناهج العلمية » وبين واقع المجتمع ، وتراثه وتاريخه ...

ولكن .. وهذه هى نقطتنا الثانية لايمكن ان يكون منهجهم هو « التوفيقية » .. اى ايجاد نوع من الصـيغة الوسطية بين الحداثة ، والتقليدية .. بل المطلوب هو شىء آخر تماما .. المطلوب هو ايجاد تفاعل حى ، وعميق بين الفكر العلمى الحديث ، وبين دراسة الواقع ، والتاريخ بحيث ينشا مولود جديد .. ايديولوجية لها سمات وطنية مميزة ، ولكنها فى الوقت نفسه تعبر عن المناهج العلمية فى التفكير ، وعن ارقى ماوصل اليه العصر فى العلوم الفيزيائية ، والانسانية والاجتماعية .. وعن نظرة اصيلة للتاريخ ..

ان « التوفيقية » بين الحداثة والتقليد لن تنتج عنها ايديولوجية مميزة .. انها تؤدى الى ثقافة مشوهة ، وسطحية تجمع بين الخرافة ، والتطرف ، والجمود ، وبين ممارسة الحداثة فى بعض الامور مثل محاكاة القيم الغربية الاسـتهلاكية ، والفردية ، والانانية التى تولد المنافسة الشرسة ، والتفرقة بين الناس على اساس الثروة ، والطبقة ، والجنس ، واللون.. انها تؤدى الى بناء فرد مشوه يجمع مابين « التقليدية » « وهى مشتقة من كلمة تقليد التى تنفى القدرة الابداعيـة والتجديد » وبين تقليد بعض القيـم والعادات الشائعة فى المجتمعات الراسمالية الغربية .. ان « التوفيقية » تنتج تلك الانماط من الناس التى نشـاهدها فى مجتمعنا الان .. انماط تدعى الايمـان العميق ، وتبحث عن الربح السريع . باى وسيلة ، وتعبد الدولار ، وتعشـق الاستهلاك والمتعة الحسية التى لاتحكمها الاخلاق .. انها تؤدى الى فقدان الاشياء.. الاصيلة فى الانسان ، والتى لايمكن المحافظة عليها الا بالفكر المستنير واستيعاب احسن مايوجد فى التراث ..

ثم من قال ان المثقف اليابانى هو خير مثال ..؟ فقد يكون المجتمع اليابانى قد حقق النجاح فى التطور الصناعى والعلمى

• كيف يتم : بناء يضرب بجذوره فى الماضى ويتسع لكل أحلام المستقبل ؟

شأنه شأن امريكا ، والمانيا .. واستطاع ان يطوع بعض تقاليد الاقطاع لاحتياجات النمو الراسمالى ، وسيطرة الشركات المتعددة الجنسيات ..

ولكن المجتمع اليابانى يعانى بشكل متزايد من اغلب الادران التى نشاهدها فى البلاد الغربية المتقدمة صناعيا .. من البطالة ، والمخدرات ، وجرائم الجنس ، والتلوث ، وضياع الشباب .. ولم يبق الكثير من تلك الصورة القديمة للالتزام المبنى على قيم الاقطاع ، والاسرة المحافظة وسلطة الاباء والرؤساء ..

نعم نحن فى حاجة الى شىء آخر تماما .. الى عملية تفاعل ديناميكية بين المنهج العلمى والحداثة وبين واقع المجتمع وتراثه .. حتى نستنبط فكرا جديدا ، وثقافة مميزة ، وحلولا تساعد على تطوير المجتمع، وعلى بناء مستقبل يضرب بجذوره فى الماضى ويتطلع الى آفاق تتسع لكل احلام البشر ..

ثالثا .. اية حداثة تلك التى نتطلع اليها .. فالحداثة انواع .. نوع يطفو على السطح .. ونوع يدخل حتى الاعماق ويطور انسانية الانسان .. هناك حداثة الآلة ، والعلم الفيزيائى .. وهناك حداثة الانسان الآمن بالمساواة والعدالة ، وحرية الفرد والوطن .. وهنا نختلف فى النظرة الى دور المثقف التى تخللت تعليق الاستاذ مصطفى عبد الغنى .. فنحن نعتقد ان المثقف الذى لا يتحقق من منظور وطنى ديموقراطى سيعجز عن الاقتراب من الجماهير والعمل معها .. سيعجز عن مساعدتها على تطوير نفسها من خلال تجربتها الذاتية .. وعلى استنباط وعى جديد يصبح هاديا لحياتها .. اننا لانقر تلك النظرة النخبوية ، التى اخذت تنتشر بين كثير من المثقفين نتيجة الوهن واليأس الذى أصابهم ، واصاب نضال الجماهير .. فجعلهم يرون ان الامل الوحيد يكمن فى العمل مع المراتب العليا فى المجتمع .. او نتيجة المصالح التى يعبرون عنها دون ان يدركوا تماما كل ابعاد تلك المصالح .. اننا نختلف مع اولئك المفكرين والكتاب الذين ينظرون الى المجتمع من اعلاه والى دورهم على ان مهمتهم هى القيام بدور الناصح للانظمة والمؤسسات ، او حتى للناس عامة وكفى المؤمنين شر القتال .. او يعتقدون انهم همزة الوصل بين الحكام والانظمة والاحزاب والهيئات من جانب وبين الجماهير الشعبية فى المجتمع .. ان الحداثة التى لاتقود المثقف الى المشاركة فى النضال لالغاء كل انواع الاستغلال والقهر التى تقع على الانسان العربى سواء كانت تمارسها القوة الاجنبية أو القوة المحلية فى الاقطار العربية ليست حداثة ذات اثر حقيقى على مستقبل الوطن ..

ان الحداثة التى نريدها ليست حداثة الاستعمار الجديد واعوانه ، والمتحدثين باسمه .. ولا حداثة التطلعات الطبقية وسباق المكاسب ، والمناصب ، ولا حداثة اللعبة السياسية التى كثيرا ماتدور فى المجتمع . ولا حداثة اعوان الامراء ومستشاريها وخبراء الاجهزة .. ولا حداثة المتربعين على قمة المؤسسات الثقافية ، والعلمية والحافظين لمسافة بينهم وبين العاملين فى المدرسة ، والحقل ، والشارع، والمصنع .. وانما حداثة القادرين على الوصول الى قاع المجتمع .. ليصنعوا مع اللاعبين فيه المرتقب ..



بقلم : محمد سيد كيلاني

●● عقب رحيله من مصر ، كتب اللورد كرومر كتابا عن مصر تجنى فيه على الاسلام باعتباره من اسباب تخلف مصر والشرق، وتصدى له العديد من الكتاب ،وكان اهم الكتب التى نشرت للرد على مزاعمه ما كتبه مصطفى الغلاييني فى كتابه « الاسلام روح المدنية » ، ومن ابرز من تصدوا للورد كرومر الدكتور شبل شميل .. ●●



اللورد كرومر

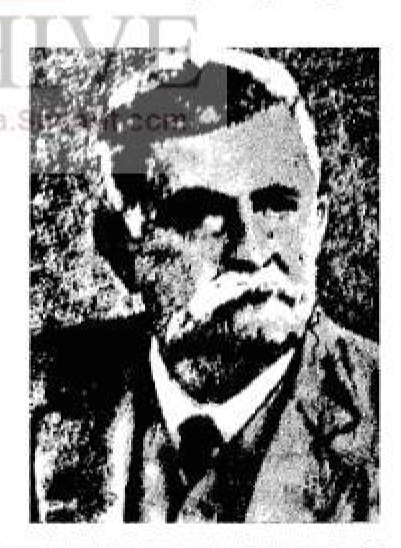
لما اقيل اللورد كرومر من منصبه عقب حوادث دنشواى ورحل عن مصر ، الف كتابا عنوانه « مصر الحديثة » يقع فى جزأين ، مجموع صفحاتهما ١١٦٥ صفحة • وفيما يلى بعض ما جاء فيه من مطاعن فى الدين الاسلامى :

ان الاسباب التى اوجبت فشل الاسلام هذا كنظام اجتماعى متعددة • اولها واعظمها اهمية ان الاسلام يجعل المرأة فى مركز منحط جدا • ثانيا : ان الاسلام بمراعاته التقاليد المحيطة بالقرآن اكثر من القرآن نفسه جمع بين الدين والشرع فجعلهما جزءا واحدا غير قابل للتفريق او التغيير فنتج عن ذلك ان تلاشى من النظام الاجتماعى ما فيه من المرونة اشتهر الاسلام بانه دين خال من التسامح ، وهى شهرة صحيحة من بعض الوجوه ، ولكن لابد من تعيين وايضاح لهذه التهمة العامة • ففى قرى الصعيد لبث الهلال والصليب ، والجامع والكنيسة جنبا الى جنب سنوات كثيرة ، ومع ذلك فان الاسلام يميل الى بث روح عدم التساهل وانماء الحقد والاحتقار ، ليس فقط للمشركين ، بل ايضا فى اقل شكل الى جميع المؤمنين الذين لا يقولون ان محمدا هو رسول الله •

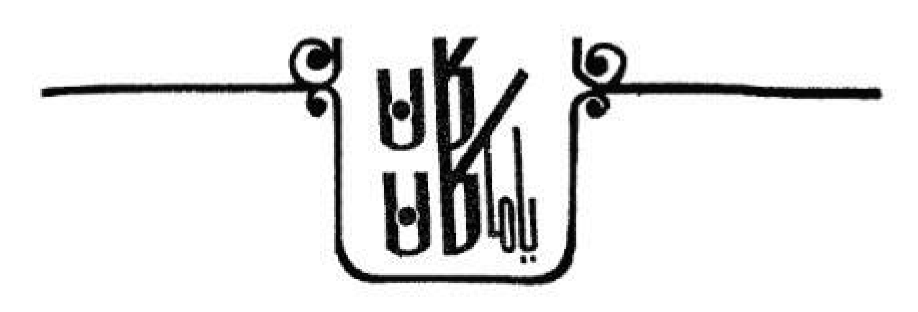
ثم اخذ يصف الاسلام فقال : ان المسلم منذ قرون كثيرة ما برح يؤمر بان ينتقم لنفسه من اعدائه وان يضرب من يضربه ، عينا بعين وسنا بسن

الدكتور شبلى شميل


احمد شوقى







وعليه نجد ان الاسلام يختلف عن النصرانية فى انه يغرس فى العقول ان الانتقام والكره يجب ان يكونا اساسا للعلاقات بين الرجل والاخر ، بدلا من المحبة والاحسان . ثم ان الاسلام يوجد بغضا فى درجة خاصة للذين لا يقبلون الدين الاسلامى . يقول القرآن « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثختموهم فشدوا الوثاق) .

« يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم ، والذين كفروا فتعسا لهم واضل اعمالكم » ، « ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ، والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم » .

ثم علق اللورد كرومر على الاية فى ذيل الصحيفة بقوله: ومن الجهة الاخرى نجد فى سورة البقرة قوله ــ لا اكراه فى الدين ــ ان الاقوال المتناقضة الكثيرة وغير المتلائمة الموجودة فى القرآن لا يمكن التوفيق بينها ، ولعل السبب فى ذلك هو ان تعاليم محمد كانت مبنية بالاكثر على الحوادث الجارية ، وعلى احوال شخصية فى حياته .

وما كاد ينشر هذا الطعن الذى يدل على جهل كرومر بحقيقة الاسلام حتى شمر اصحاب الاقلام وتباروا فى كتابة المقالات وتاليف الكتب دفاعا عن الاسلام . فكتب كثيرون عن مكانة المرأة فى الاسلام وما اوجبه الاسلام لها من حقوق . وعرضوا لاحوال المرأة فى اوربا وما كانت عليه من هوان . ثم تحدثوا عن سماحة الاسلام . كانت معركة كبيرة ساهم فيها الشعراء . قال حافظ ابراهيم من قصيدة فى رثاء مصطفى كامل :

قم وامح ما خطت يمين كرومر
جهلا بدين الواحد القهار

وقال مخاطبا كرومر بعد ان غادر مصر :

واودعت تقرير الوداع مغامزا
رأينا جفاء الطبع فيها مجسدا
غمزت بها دين النبى واننا
لنغضب ان اغضبت فى القبر احمدا

وقال احمد شوقى :

لو كنت تسيسا بهيم مبشرا
رتلت اية مدحكم ترتيلا
من سب دين محمد فمحمد
متمكن عند الاله رسولا

ومن الكتب التى الفت ردا على ادعاءات كرومر كتاب « الاسلام روح المدينة » لمصطفى الغلاييني . وفى هذا

الكتاب كما فى غيره كثير من اقوال الغربيين الذين انصفوا الاسلام مثال ذلك قول اسحاق تيلر ، وهو قسيس انجليزى من خطبة له :

« ولا يتعلق بغرضنا الان بيان كيفية انتشار الدين الاسلامى فى بداية امره، ولكن علينا ان نبين حالته فى ثباته ودوامه واخذه بقلوب المتمسكين به. فان الديانة المسيحية اقل سطوة منه على القلوب لذلك ترى القبيلة الافريقية تدخل فى الدين الاسلامى ثم لا ترتد الى الوثنية قط ولا تتنصر ابدا الاسلام قد نفع التمدن اكثر من المسيحيه انظروا الى تقارير ارباب المناصب من الانجليز والعامة من السائحين تقفون على فوائد الدين الاسلامى فى اصلاح الاعمال البشرية » .

حافظ ابراهيم



ويقول « كارلايل » إن القرآن لا ريب فيه . وان الاحساسات الصادقة الشريفة والنيات الكريمة تظهر لى فضل القرآن ، الفضل الذى هو أول وآخر فضل وجد فى كتاب نتجت عنه الفضائل على اختلافها ، لا بل هو الكتاب الذى يقال عنه فى الختام – وبه فليتنافس المتنافسون – لكثرة مافيه من الفضائل المتعددة » .

وممن تصدوا للرد على كرومر الدكتور شبل شميل مسيحى من أصل لبنانى قال : « وقد تقهقر الروم على عهد النصرانية حتى انحلت عرى ملكهم واقام العرب على انقاض دولهم ودول الاكاسرة ملكا باذخا وهم حديثو عهد بالدين . ولقد كانت اوربا فى العصور الوسطى فى حالة سيئة جدا مع انتشار النصرانية فيها الى درجة لم يكن الناس يرون السعادة الا بالاعتزال فى الاديرة والصلاة على قارعة الطريق » . واستطرد شبل شميل قائلا « اليس قيام نساء المسلمين فى أول عهد الاسلام يخطبن فى القوم حاسرات الوجوه اقوى دليل على ان مسألة الحجاب ليست من المسائل الجوهرية فى الدين ؟ » « اما تعدد الزوجات فهو فى الحقيقة ليس بالاعتراض الوجيه على القرآن لانه منهى عنها صريحا فيه بفرض العدل فيها » .

ختم رده بقوله « ولولا رجال المجمع كلوثر ، ولولا الثورة الفرنسية التى حطمت من صولة الاكليروس والحكام لما اغنت النصرانية اممها شيئا ولما ارتقوا الى ما هم عليه الان » .



بقلم : عبد الرحمن شاكر

استفزاز متعمد لمشاعر المسلمين في الضفة الغربية

هل بدأت مرحلة تهويد العرب بانكار شخصية النبى العربى ؟

● خلال الاسابيع الماضية ، تدفقت الانباء عن الاضطرابات فى الضفة الغربية المحتلة ، وعن لجوء السلطات الصهيونية الى

اساليب القمع العنيفة ازائها ، بما فى ذلك القاء القبض على الفدائيين بالطرق الادارية ، والتفكير فى تطبيق عقوبة الاعدام عليهم ، ومطالبة المتطرفين الصهاينة بطرد السكان العرب من الارض المحتلة قبل عام ١٩٦٧ وبعدها ، وفى مقدمة تلك الانباء اغلاق جامعة النجاح الوطنية فى نابلس ، وهى كبرى الجامعات الفلسطينية والقبض على عدد من طلابها ●

ومنذ بداية العام الدراسى المنصرم شهدت تلك الجامعة واقعة دنيئة ، بطلها « استاذ » درزى يحمل الجنسية الاسرائيلية ، واسمه « سليمان بشير » وكان يشغل منصب نائب رئيس تلك الجامعة ، لقد أصدر هذا الاستاذ كتابا بالعربية فى اكتوبر الماضى ، عنوانه «مدخل الى التاريخ الاخر — نحو قراءة جديدة فى التراث الاسلامى » وفى هذا الكتاب راح يعرض « نظرية » جديدة فى التاريخ الاسلامى ، مؤداها ان الاسلام قد ظهر اولا فى الشام فى عهد دولة بنى امية ، مع تراجع الحكم الرومانى ، وان الذين اعتنقوا الاسلام ، هم « الحنفاء » من بين نصارى العرب فى الشام ، ممن كانوا على ملة ابراهيم عليه السلام ، فلما قامت دولة العباسيين فى بغداد ، ارادت ان تسحب الاصالة الاسلامية من بنى امية ، « باختراع » قصة لبى الاسلام فى مكة و وذلك لانهم كانوا ينتسبون الى محمد بن الحنفية » ، وان النص القرآنى قد اعتمد على جمع القصص الدينية المنتشرة فى منطقة الشام فى ذلك الحين !!

وكل من لديه ادنى معرفة بالتاريخ الاسلامى ، يعلم أن هذا التاريخ يفرق تماما بين شخصية كل من « محمد بن عبدالله» رسول الله صلى‌الله عليه‌وسلم ، و «محمد بن الحنفية» ابن على بن ابى طالب ، وان تسميته بابن « الحنفية » انما كان لان امه كانت خولة بنت جعفر من بنى حنيفة ، وانه ليس لهذه النسبة صلة غير التشابه اللفظى مع «الحنيفية » اى ملة ابراهيم عليه السلام ، وانه انما عرف بهذا الاسم تمييزا له من اخويه الحسن والحسين ابناء على بن ابى طالب من فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريم ، وان اباه عليا قد استاذن رسول الله — اذا جاءه ولد من بعده — ان يسميه باسمه ويكنيه بكنيته فاذن له وحده دون المسلمين ، حيث قال لسائرهم « سموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى » ، ويعرف المسلمون ايضا ان محمد بن الحنفية قد ولد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان مولده كان بالمدينة المنورة عام ٢١ هـ — ووفاته كانت بها عام ٨١ ، وان العباسيين انما ينتمون الى العباس بن عبد المطلب عم الرسول ، وليس الى ابن عمه كما هو الحال بالنسبة لمحمد بن الحنفية ، وان من بقية امره ان الثائر الشيعى مختار الثقفى كان يدعو الى البيعة له بعد مقتل اخيه الحسين بن على ، وان طائفة من الشيعة تسمى الكيسانية ، ماتزال تؤمن به باعتباره الامام المنتظر وتزعم انه لم يمت وما يزال حيا فى رضوى . ولا صحة على الاطلاق لما زعمه هذا الاستاذ الدرزى من ان تاريخ حياته يشبه حياة الرسول ، فقد كان معاصرا لعبد الله بن الزبير فى الحجاز أيام عبد الملك بن مروان ، ولم تكن الجاهلية قائمة فى الحجاز آنذاك كما يزعم ذلك الاستاذ!

وواضح تماما ان نشر هذا الكتاب المبنى على مغالطة سخيفة انما كان استفزازا



استفزاز متعمد لمشاعر المسلمين



متعمدا من جانب الدوائر الصهيونية لاثارة الفتنة فى صفوف المسلمين بعامة فى الضفة الغربية ، وطلاب جامعة النجاح الفلسطينية بصفة خاصة تمهيدا لاغلاقها ؛ لان هذه الجامعة تعتبر فى نظر تلك الدوائر الصهيونية معهدا «للوطنية الفلسطينية» وليس للبحث العلمى الحر ! كان ماذهب اليه هذا الدرزى الوقح هو حقا من بين البحوث العلمية الجادة النزيهة ، وكان من طبيعة الامور ان تصدر الجامعة قرارا بفصله بعد فعلته التى فعلها . الامر الذى اتخذته السلطات الصهيونية ذريعة لاتهام الجامعة بعدم الالتزام بحرية التفكير العلمى !

اما ولاء هذا « الاستاذ » للصهيونية فواضح تماما مما روته صحيفة « جيروزاليم بوست » من سيرته فى عددها الصادر فى ١٢ يوليو الماضى ؛ حيث قالت عنه انه من مواليد القدس الشرقية وقد تلقى تعليمه بالجامعة العبرية ، وبالرغم من كونه يعتبر نفسه مفكرا عالميا !! الا انه يبدى اسفه لانه لم يستطع — لاسباب صحية — اداء الخدمة العسكرية فى جيش الدفاع الاسرائيلى !! وهاهو ذا يؤدى خدمة اخرى لاتقل فداحة فى آثارها عن العدوان العسكرى على ابناء الامة العربية داخل فلسطين وخارجها !

على ان العبث بالتاريخ الاسلامى على هذه الصورة ، لم يكن مجرد مقدمة لاستفزاز مشاعر المسلمين ، وبالتالى تمهيد الطريق لقمع سكان الضفة الغربية على نحو ماهو جار الان ، وانما يشير الى ان الصهيونية قد دخلت فى مرحلة جديدة من مراحل غزوها للعالم العربي والاسلامى هى مرحلة التبشير المباشر باليهودية

فالصحيفة الاسرائيلية التى روت هذه القصة ، تقول فى مقدمة مقالها ان نظرية « سليمان بشير » تهدم احد شقى الشهادة التى هى عصب العقيدة الاسلامية : الشق الخاص بأن « محمدا رسول الله » ؛ وهو الشق الذى تحرص اليهودية على هدمه ! ليس بانكار نبوة النبى العربى فحسب ، بل مجرد وجوده !! وواضح أن الاستاذ الدرزى الذى وضع هذه « النظرية » ، قد أصبح هو واليهود سواء بسواء ، حيث لا خلاف بينهم وبين المسلمين حول الشق الاول من الشهادة ، وهو انه « لا اله الا الله » !

لقد توجه هذا الأستاذالى امريكا — بعد فصله من الجامعة الفلسطينية — وهناك تعاقد على العمل فى احدى جامعاتها ، كما ينوى اعادة نشر كتابه باللغة الانجليزية وغير بعيد ان يعود من هناك طلبة عرب مقتنعين بنظريته ، بعد ان يتم توسيعها وتطويرها وتقديمها كدراسة علمية جادة، ليصبحوا بعد ذلك مبشرين صرحاء بما يبقى على اليهودية كديانة وحيدة وينقض أسس الاسلام ، على نحو ما حاول المستشرقون وتلامذتهم فى الماضى من التشكيك فى اصالة الشعر الجاهلى ، والادعاء ايضا بانه كله قد تم وضعه فى العصر العباسى «١» . لان القرآن جاء متحديا للعرب باعجازه فى لسانهم الذى قيل به هذا الشعر الرفيع المستوى ، وقد فشلت تلك اللعبة فى حينها حينما تصدى لها علماء العربية والاسلام ، ولكن الصهيونية تلعب الان لعبة أكبر واخطر ، وقد اصبح لها فى بلادنا قاعدة هى الدولة الصهيونية ، واصبح لها « عملاء » داخل صفوف المؤسسات العلمية العربية ، من نوع ذلك الاستاذ الدرزى، ممن يحسنون ، أو المفروض فيهم انهم يحسنون قراءة النصوص العربية وتحريرها

على خلاف المستشرقين الذين يمكن الطعن في تمام قدرتهم على ذلك ومن سخرية الاقدار أن ذلك الاستاذ الدرزى ، قد استطاع بحكم موقعه في الجامعة الفلسطينية — كنائب لرئيسها لشئون الابحاث !! — ان يحصل من طريق عمان، على صور وفرتها له جامعة دمشق ، من مخطوطات المسجد الأموى الكبير في دمشق ، ويحاول ادراجها ضمن أسانيد « نظريته » المزعومة !

غير بعيد أن يعلن بعض ضعاف النفوس من « المسلمين » ، وخاصة من الفرق الشاذة ، اقتناعهم بنظرية الاستاذ الدرزى ، وأنه ليس من بين العرب نبى ، وان التوحيد والنبوة هى في بنى اسرائيل وحدهم ! ولا شك ان الدوائر الصهيونية سوف ترحب بأمثال هؤلاء ، وخاصة من سكان الارض المحتلة في فلسطين ، او الواقعة تحت « ذراعها الطويلة » مثل لبنان ، وقد تفتح لهم أبواب الترقى الاجتماعى والثراء ، ليصبحوا طبقة موالية لها من أبناء العرب والمسلمين ، على غرار ماكان يفعل المبشرون في افريقيا أيام كانت تحت حكم الاستعمار المباشر .

ان شعوب الهجرة اليهودية ، وخاصة من القوقاز الروس ، قد جعل « التهويد » سياسة جديدة للدولة الصهيونية ، تعتمد عليها في توسعها البشرى لاستيعاب الأرض المحتلة وتصفية الوجود العربى بها . وقد بدأت عملية « التهويد » هذه بتطبيقها على يهود الفلاشا انفسهم (راجع الهلال عدد اغسطس الماضى) ، فبالرغم من كون الفلاشا يعتبرون انفسهم يهودا ، وبعض الرؤساء الدينيين لليهود يعتبرونهم « يهودا أصلاء » ، الا ان السلطات الصهيونية الاشكنازية قد فرضت عليهم الخضوع لاجراءات التهويد من جديد لضمان اعتناقهم اليهودية على طريقة الاشكناز البيض . واذا كانت الدوائر الصهيونية تعمل على اقناع المجتمع الصهيونى بقبول هؤلاء الزنوج في صفوفهم مادامو قد تم تهويدهم ، فما الذى يمنع أن تحاول اقناع ذلك المجتمع ايضا بقبول تهويد من يرغب في ذلك من العرب ، حتى ولو كانوا قبل ذلك من المسلمين او المسيحيين !!

وينبغى الا يفوتنا أن هذه الفرية الجديدة التى تولى كبرها استاذ يحمل اسما عربيا ، تنطوى من بين ماتنطوى عليه من دسائس ، التشكيك في صحة ماكتبه المؤرخون العرب في العصر العباسى واتهامهم باختلاق اهم عناصر هذا التاريخ . ولا ننسى ان المؤرخين العرب في ذلك العصر هم الذين سجلوا واقعة اعتناق الخزر الاشكناز الذين كانوا يسكنون القوقاز لليهودية — على مانصلت في مقالات سابقة للهلال — وان هذه الشهادة هى التى تنسف دعوى الصهيونية في انتماء كل اليهود .او معظمهم الى اسرائيل ، وان هذه الشهادة من جانب المؤرخين العرب في العصر العباسى ، هى التى اعتمدت عليها مصادر يهودية « محترمة » من نوع دائرة المعارف اليهودية ، وكتاب يهود من امثال ارثر كوستيلر والفريد ليلنتال .

ومن لا يصيبه الشك في قضية اعتناق الخزر لليهودية ، يصيبه الشك في حقيقة وجود نبى العرب عليه الصلاة والسلام ! هكذا يحلمون ، ومادامت العملية كلها « تهويدا في تهويد » ، كما بدأت من أيام الخزر ، حيث انقرض « اليهود الحقيقيون » من بنى اسرائيل ، فلماذا لا يتهود الجميع ، زنوجا كانوا أو عربا ، من أجل غاية سياسية وجدت من أجلها الدولة الصهيونية ، وهى ادخال المنطقة العربية كلها فيما يسمى « بالعصر الاسرائيلى » ؟!

هل اتضحت أبعاد اللعبة الصهيونية الجديدة ، لعل وعسى .. واكتفى من بيت الشعر العربى القديم بشطره الاول :

لقد اسمعت لو ناديت حيا ..





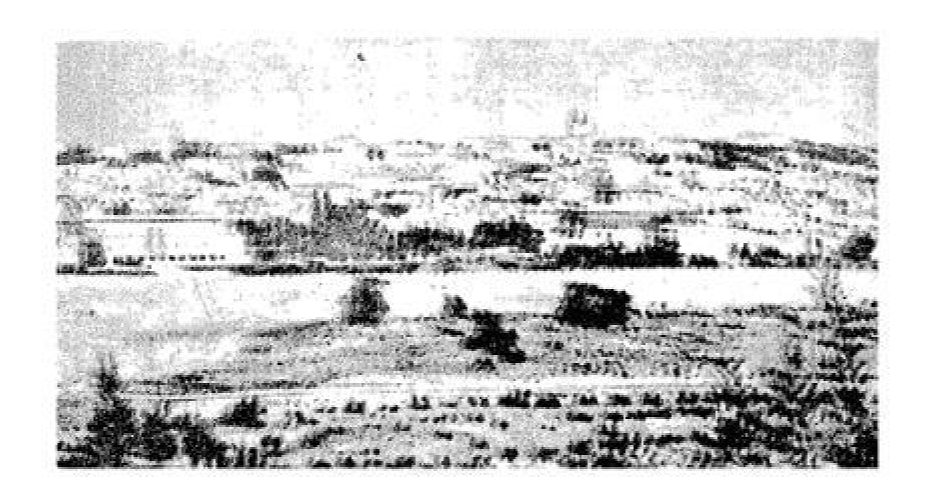
الدعابة والسخرية

الدعابة كلمة أصدق وأجمل من كلمة السخرية ، وعندما أتأمل أحوال الناس ، أضيق ذرعا بالرجل الذى يظن نفسه « حاجة عظيمة جدا » . لا يحد عظمته حدود .. والقرآن الكريم يقول : « ولا تمش فى الأرض مرحا » ويقول : « ان الله لا يحب كل مختال فخور » ..

وأتساءل .. هذا الطراز من الناس ، كيف تعامله .. ؟ وكيف ترده الى الاعتدال .. ؟ .. وكيف يدرك أن هناك أشياء أهم منه ، وأن المسألة ليست بهذه العظمة التى يبديها لنا ، عندئذ تداعبه بشىء من السخرية وتبين له التناقض فى موقعه ، وأن نتائج بعض ادعاءاته كانت وبالا عليه ولكن شرط السخرية الا تكون جارحة ، لا تؤذى من يتلقاها ، ومن يقولها أيضا ، فالرجل الذى يستعمل سخرية جارحة يسقط من قيمته أيضا .

فالدعابة اذن أشمل وأعم بشرط أن تكون ، رقيقة ، لطيفة ، لاذعة ، خفيفة تصل الى القلب وتوضح المعنى ، وتجعل الابتسامة حلوة لها مذاق خاص .

وقد اشتهرنا بالدعابة . وهناك من يكتبها على طبيعته ، ولكن أكبر أنواع السعادة أن يعرف الانسان حدوده لا يتجاوزها ، ومن لا يستطيع أن يعطى الدعابة حقها فله قدره فى معان أخرى ، فهناك القادر على تصوير الحوار واستمراره وتبادله ، وهناك من يكون مهيئا للمسرح ، ومن يطيب له أن يروى الحوادث متتالية متتابعة وتروق له الرواية .



جنرالات إسرائيل يبحثون عن أطلال وهمية في القدس

بقلم: عبد الحميد الكاتب

● لو كان في مدينة القدس وقت الفتح الاسلامي معابد او هياكل او آثار يهودية ، لما كان هناك مايبرر لجنرالات اسرائيل ، امثال « موشى ديان » و « يادين » و « وايزمان » و « هرتزوج » ال

جنرالات إسـرائـيـل في الـقـدس

أن يتحولوا الى علماء آثار ، وهواة حفريات .. ينقبون تحت الارض في القدس وما حولها يفتشون عن معابد يهودية قديمة او هياكل يهودية بائدة .. دون أن نسمع حتى الآن انهم وجدوا شيئا !

لو كان في القدس عندما دخلها المسلمون سنة ٦٣٦ ميلادية وتقابل السنة الخامسة عشرة من الهجرة معبد أو هيكل يهودى لامر أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » بالابقاء عليه بل لامر بصيانته ورعايته .. ولامر بالمحافظة على تفرشه ومحتوياته ، مثلما أمر بالمحافظة على كنائس المسيحيين ومزاراتهم وما فيها من صور وصلبان وتماثيل .

فلم يكن هناك سبب ديني . والدين هو الذي كان يحدد خطى المسلمين وأعمالهم في ذلك الزمان ، يدعو الى ان يفرق المسلمون بين كنائس للمسيحيين ومعابد اليهود .. فهؤلاء وأولئك من أهل الكتاب ، وسوى بينهم الاسلام في الحقوق والواجبات .. فاكراههم على الدخول الاسلام محظور ، وحقهم في ان يعيشوا في المجتمع الاسلامي سالمين آمنين مكفول .. هذا حق لليهود وللمسيحيين على السواء تقابله واجبات ، او واجبان على وجه التحديد . هما واجب « الجزية » .. وواجب الامتناع عن احداث فتنة عامة في المجتمع الاسلامي أو ضد الحكم الاسلامي ، لكي يعيشوا هم والمسلمون جنبا الى جنب متفاهمين ومتعاونين ..

ولقد بقيت مدينة القدس من قبل الفتح الاسلامي ، وحتى يومنا هذا حافلة بالكنائس والمزارات والمقدسات المسيحية .. رعاها المسلمون أكمل وأفضل رعاية عند الفتح الاسلامي وبعده بوقت طويل .. بل ان التاريخ شاهد صدق على ان المسلمين زادوا عليها ، فوسعوا من أرضها وأعلوا مبانيها .. وانفقوا في سبيل هذا مالا كثيرا من خزانة الدولة الاسلامية ..

وعندما مر بالمسلمين بعد هذا عصر من الضعف والتخلف ، وما يولده هذا وذاك من التعصب الديني .. وخاصة في العصر الذي انتقل فيه الحكم الاسلامي من الأيدي العربية الى أيدي عناصر انحدرت من المغول والشركس والاتراك ، وكانت حديثة عهد بالاسلام .. عندما مر بهم ذلك العصر فان حكامهم لم يحسنوا معاملة رعاياهم من المسيحيين في القدس او فلسطين أو بعض البلاد الاسلامية الاخرى ، منحرفين بهذا عن مبادىء الاسلام التي تدعو الى السماحة والتسامح ، الا ان التاريخ يشهد أيضا بأن أيدي المسلمين لم تمتد الى هدم الكنائس أو العبث بما فيها من صلبان ومقدسات .

وكلنا يعرف قصة « عمر بن الخطاب » عندما دعاه الاسقف « صفرنيوس » الى جولة في مدينة القدس ليشاهد معالمها وآثارها .. نعرف هذه القصة جيدا .. ولكن لا بأس من تكرارها في هذا المقام لنرى أن ما فعله « عمر » رضى الله عنه تجاه الكنائس المسيحية ، كان لابد فاعلا مثله تجاه المعابد اليهودية . لو أنه كانت في القدس يومذاك معابد أو مقدسات يهودية .

القصة التي نعرفها جيدا .. ونعرف صفحة من صفحات التاريخ الذي سجله المؤرخون المسلمون وكذلك المؤرخون المسيحيون واليهود .. تقول لنا انه بينما كان « عمر بن الخطاب » والاسقف « صفرنيوس » يتجولان في مدينة القدس دخلا كنيسة القيامة ، وهي الكنيسة المقدسة عند المسيحيين ايمانا منهم بأن جثمان

المسيح عليه السلام دفن فيها ثم رفعه الله الى السماء .. وادرك « عمر » ومن معه من المسلمين موعد الصلاة ، فطلب اليه أسقف المسيحيين أن يصلى فى الكنيسة .. فاعتذر « عمر » .. اعتذر للأسقف بانه لوصلى فى الكنيسة فقد يجىء المسلمون من بعده ويقولون ان « عمر بن الخطاب » صلى هنا ، فيتخذونها مسجدا ، ويخرجون النصارى من كنيستهم مخالفين بهذا عهد الامان الذى أعطاه خليفة المسلمين للمسيحيين من أهل القدس .

خرج « عمر من الكنيسة وصلى فى مكان قريب .. وفى هذا المكان اقام عمر مسجدا بسيط البناء مثل مسجد الرسول فى المدينة يوم أقيم .

قال بعض المستشرقين فيما بعد ـ اى بعد ان انقضى عصر التسامح الدينى وجاءت عصور التعصب الدينى الذى أخذ صورة الحرب الصليبية مرة ، وصورة الاستعمار مرة ، وصورة الاستشراق المغرض ثالثة ـ جاءت تلك العصور فقال بعض المستشرقين ان « عمر بن الخطاب » لم يصل فى الكنيسة ابتعادا عما فيها من صلبان وصور وتماثيل وأنه اعتذر بما اعتذر به لكى لا يجرح شعور الشيخ الطيب اسقف المسيحيين .

كلام المستشرقين هذا لغو من القول ، ولا وزن له ولا أساس .. فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى فى الكعبة قبل الهجرة وبها مابها من الاصنام والاوثان .. وكذلك المسلمون القلائل الذين تشجعوا بعد أن أسلم وانضم اليهم « عمر بن الخطاب » ، اخذوا يصلون جهارا فى الكعبة ومن حولهم الاصنام والاوثان .. وبعد الهجرة بسبع سنوات جاء الرسول من المدينة ومعه الفان من المسلمين ، فطاف وطافوا بالكعبة التى تحيط بها وتطل عليها الاصنام من كل جانب .. ثم علا « بلال » سقف الكعبة ، واذن لصلاة الظهر ، فصلى


.. منظر عام للحفريات الاسرائيلية فى الزاوية الجنوبية من المسجد الاقصى ..



جنرالات إسرائيل في القدس

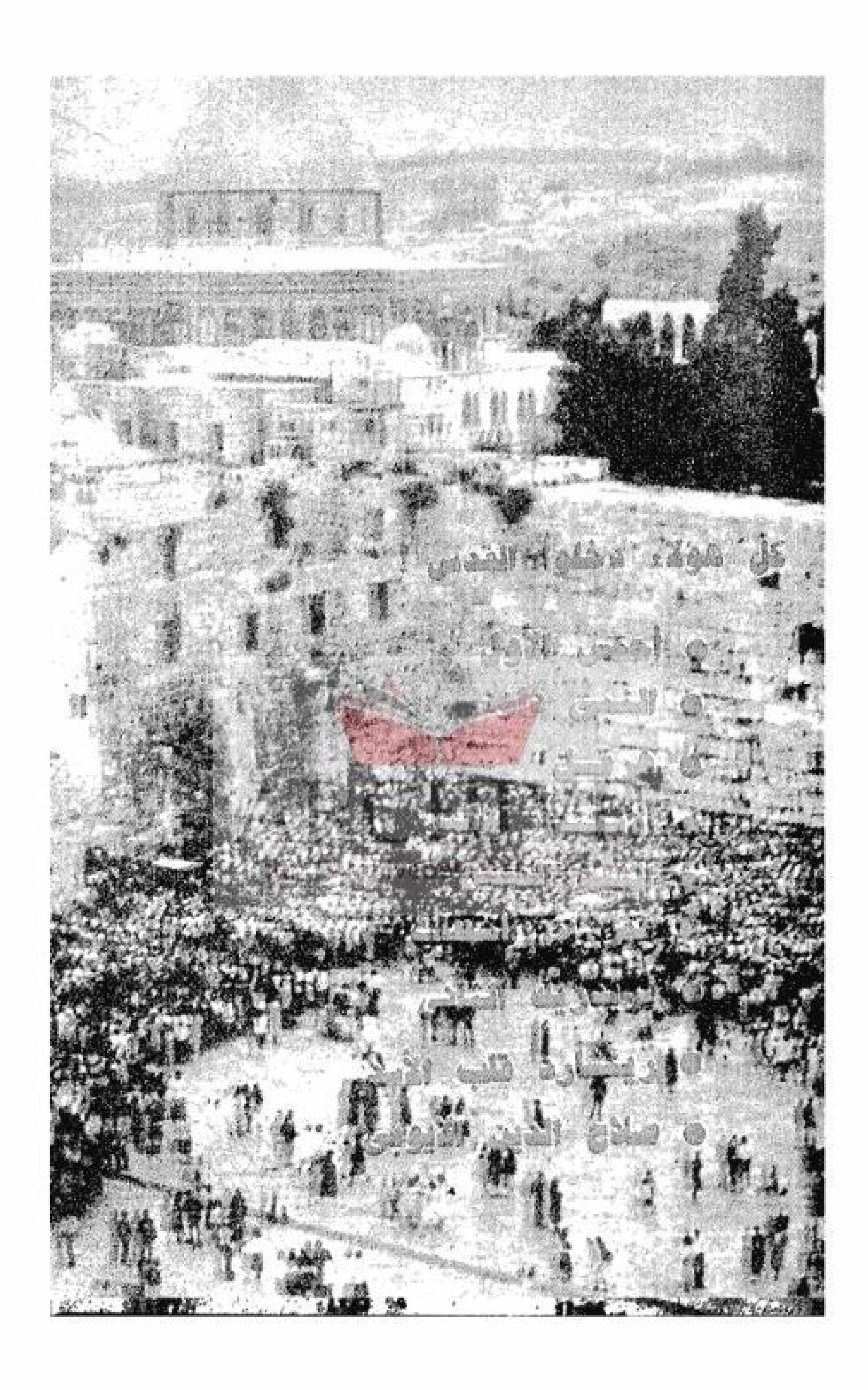
« محمد » أماما لاثنين من المسلمين صلاة المؤمنين الموحدين .. وهل تحول الصور والتماثيل وماشئت مما يصنع الانسان بين قلب المؤمن الخاشع وبين الله الواحد الاحد ؟

« وعمر بن الخطاب » نفسه صلى في احدى كنائس القدس .. صلى في كنيسة المهد في بيت لحم .. وفيها مالى غيرها من الكنائس من صور وتماثيل وصلبان .. ورأى « عمر » أن يحتفظ الكنيسة لاهلها المسيحيين فكتب عهدا خاصا بكنيسة المهد قضى فيه بالايدخلها من المسلمين اكثر من شخص واحد في المرة الواحدة .. وحتى الساحة التي امامها لا يسمح بالصلاة فيها لاكثر من مسلم واحد في المرة الواحدة .

وقد ظلت هذه الكنائس المسيحية قائمة في مدينة القدس منذ الفتح الاسلامي وحتى يومنا هذا ، لم يصبها بسوء من قريب او بعيد حكم اسلامي استمر اربعة عشر قرنا ، او على الاصح ثلاثة عشر قرنا . فقد قامت في القدس « مملكة مسيحية صليبية » زهاء قرن من الزمن « من سنة ١٠٩٩ الى سنة ١١٨٧ ميلادية » .. وعندما استردها المسلمون ودخلها « صلاح الدين » دخلها دون أن تراق قطرة دم واحدة .. تماما مثلما دخلها من قبل « عمر بن الخطاب » ..

الزخارف الإسلامية على بوابات المسجد الاقصى




كل هؤلاء دخلوا القدس

جنرالات إسرائيل في القدس

وتلك قضية اخرى عقلية ينبغي ان تروى ان شاء الله ، للعبرة وللذكرى ..

وقامت في القدس مساجد المسلمين جنبا الى جنب مع كنائس المسيحيين ، فكان القدس الشريف نقطة التقاء بين العالم الاسلامي في أوج الحضارة الاسلامية وبين العالم الاوربي في أوج سيطرة الكنيسة على ملوكه وأمرائه وشعوبه .. بل كان القدس الشريف هو أول حلقة اتصال بين الشرق والغرب في ذلك العصر ..

قرأت في كتاب عنوانه « القدس » لمؤلف فرنسي اسمه « ميشيل جوان لامبرت » مايلي : ان حكام المسلمين في بغداد وافقوا على ان يسافر راهب من القدس اسمه « زكريا » ، حاملا معه مفاتيح كنيسة القيامة ، ليسلمها للامبراطور « شرلمان » . وقد سافر الراهب وسلم مفاتيح الكنيسة على سبيل التهنئة من هارون الرشيد ، خليفة المسلمين ، الى « شارلمان » بمناسبة تتويجه امبراطورا على أوربا ..

ويقول المؤلف : منذ ذلك الوقت بدأ « شرلمان » في انشاء مستوطنات مسيحية أوربية في القدس » .. وكان هذا العمل يثير خيال الشعراء في أوربا فينظمون القصائد .. وأضافوا من عندهم قصة غير صحيحة وهي ان « شرلمان » نفسه ذهب الى القدس ..

ذلك كان موقف المسلمين من الكنائس والمقدسات المسيحية منذ دخلوا القدس وعلى مدى قرون عديدة وعصور طوال .. فبقيت قائمة مرعية حتى يومنا هذا .. فلماذا اذن لا توجد في القدس معابد ولا هياكل ولا آثار يهودية ؟ .. ولماذا يتعب جنرالات اسرائيل انفسهم فيتحولوا الى علماء آثار ، والى هواة حفريات ، فضلا عما تحشده « الجامعة العبرية » وجماعات أمريكية وأوربية من علماء وغير علماء .. كلهم ينقبون تحت أرض القدس الشريف عن معبد « داود » أو عن هيكل سليمان او عند قبر « يوسف » .. فما وجدوا شيئا حتى الآن !

ما من أحد من المؤرخين ، ومن بينهم المؤرخ اليهودي الشهير « يوسيفوس » ، الذين كتبوا تاريخ القدس بالتفصيل قد ذكر أو ادعى أن المسلمين هدموا في يوم من الايام معبدا يهوديا ، أو طمسوا أثرا يهوديا ، أو استولوا على كنيس يهودي وجعلوه مسجدا لهم .. وهذا دليل مابعده دليل على أنه لم يكن في القدس عندما دخلها المسلمون معابد أو هياكل يهودية ، وان القدس لم يكن مدينة يهودية عندما فتحها المسلمون .. وانما كان مدينة اهلها عرب من نسل كنعان .. وكانوا يتكلمون اللغة العربية .. ويدينون بالديانة المسيحية .

وهنا نتساءل : ألم يدخل اليهود مدينة القدس ؟ ألم يقيموا فيها مملكة لهم ردحا من الزمان ؟

والاجابة التاريخية على هذا السؤال تقتضي أولا تصحيح السؤال ! .. ينبغي ان يكون السؤال : هل دخل بنو اسرائيل — وليس اليهود — مدينة القدس وأقاموا فيها مملكة لهم ؟ . هذا التصحيح واجب لان هناك فرقا تاريخيا بين بني اسرائيل وبين اليهود ، وهذا موضوع يقتضي بحثا آخر من اللازم ان يكتب بوضوح ، وان ينشر على الناس ..

والاجابة التاريخية عندئذ هي ان بني اسرائيل دخلوا القدس فعلا .. وأقاموا فيه

• لم يكن فى القدس يوم دخلها المسلمون معابـــد وهيـاكـــل يهـوديــة .

مملكة لهم فعلا .. وكان هذا فى عهد «داود» وابنه «سليمان» عليهما السلام .

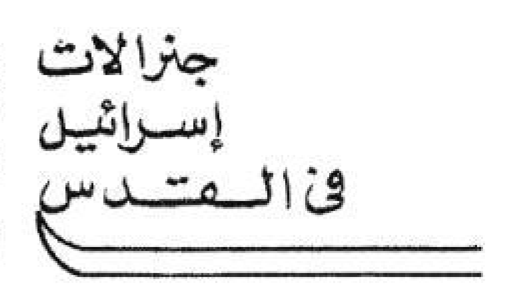
وقد عاشت هذه المملكة الاسرائيلية فى القدس سبعين سنة .. نعم ، سبعين سنة فقط .. وهى فترة قصيرة جدا من تاريخ القدس الذى يضاهى فى طوله تاريخ مصر .. الذى يتكون من مراحل طويلة كل مرحلة منها دامت مئات السنين .. فبعد المرحلة العربية الاولى التى جاءت فيها قبائل كنعان العربية واستوطنت فى فلسطين وزرعت أرضها وبنت فيها القرى .. وهى مرحلة طويلة استمرت زهاء الفين من السنين .. تعاقب على غزو فلسطين وحكمها والاقامة فيها أمم عـــديدة .. هى أمم الاشوريين والبابليين والفرس والمصريين واليونان الرومان .. وقد أقام كل من هؤلاء مرحلة تاريخية أطول من السنوات السبعين عاما التى عاشها بنو اسرائيل فى القدس .. دون ان يدعى احد منهم ما تدعيه اسرائيل فى زماننا هذا من ان لها حقها التاريخى فى القدس وفى فلسطين جميعا !

بدأت تلك السنوات عندما دخل النبى «داود» القدس فى سنة ١٠٥٠ قبل الميلاد او حول هذا التاريخ .. ولم يبن «داود» معبدا ولا هيكلا فى القدس . فقد جاء فى العهد القديم . فى سفر الايام الاول ، مايلى : «قال داود لسليمان» يا بنى قد كان فى قلبى أن أبنى بيتا لاسم الرب الهى .. فكان الى كلام الرب قائلا : قـــد سفكت دماء كثيرة ، وعملت حروبا عظيمة ، فلا تبن بيتـا لاسمى ، لانك سفكت دماء كثيرة على الارض أمامى .. هو ذا يولد لك ابن اسمه يكون سليمان .. هـــو يبنى بيتا لاسمى .. وظل «داود» يؤدى صلواته فى خيمة من الشعر .

وبنى «سليمان بن داود» عليهما السلام المعبد .. وكان معبدا صغيرا ملحقا بالقصر الملكى وبابه مفتوح من جهة القصر لانه خاص بالملك وحاشيته وزوجاته او بعض زوجاته ، لان بعضـــهن الاخر لم يكن عـــلى دين «سليمان» ، وكن يتعبـــدن عبـادتهن الخاصة .. ومنهن زوجته المصرية ابنــة فرعون مصر التى كانت على دين آبائها .

هذا المعبد يسمونه الهيكل الاول ..

ولم يدم هذا المعبد طويلا ، لان أولاد «داود» و «سليمـــان» ، قـــد نشبت بينهم المنازعات والمشاحنات ، لم يستمروا فى حكم القدس وفلسطين طويلا .. اذ أغار عليها المصريون من جانب ، والاشوريون من جانب ، وصارت المنطقة كلها منطقة معارك وحروب .. خربت مدنها وتشتت ســكانها .. ثم ظهرت قـوة كبيرة فى الشرق هم البابليون .. فاقتحموا المدينـة سنة ٥٨٧ ق . م .. ودخلـهـا «بنوخـذ نصر» ملك بابل ، فاحرق الهيــكل ، وقوض أركانه وجدرانه ، وسـبى جميع الرجال والشبان ، من كان منهم قادرا على حمل السلاح ، او كان ماهرا فى صنعته او حرفتـــه .. ونقلهم جميعا الى بلاده وبقيت «اورشليم» مدينة مخربة تحت حكم البابليين فترة من الزمن .. ثم ظهرت



قوة الفرس وملكهم « قورش » .. فانتصر على « أورشليم » وانضم اليه أشتات اليهود انتقاما من البابليين .. فسمح لهم بالعودة الى « أورشليم » ، وبنى لهم فيها معبدا ، وهذا مايسمونه : الهيكل الثاني.

وكما احرق ودمر الهيكل الاول ، احرق ودمر الهيكل الثاني .. وذلك عندما جاء الاغريق وحكموا « أورشليم » .

البائكة الشمالية الشرقية التى انشاها الناصر محمد بن قلاوون

• لماذا تحول جنرالات اسرائيل الى رجال اثار ... ؟

العقود الحجرية المهددة بالانهيار .



جنرالات إسرائيل في القدس

جاء « الاسكندر المقدوني » اولا ، وكان شابا مستنيرا تتلمذ على « أرسطو » وفلاسفة اليونان .. وكان يحلم بأن ينشر حضارة اليونان في بلاد الشرق .. ولهذا استقبل في البلاد التي فتحها بشيء من الترحيب .. حدث هذا عندما جاء الى مصر، وحدث مثله عندما وصل جيشه الى « أورشليم » . فوجد أحبار اليهود في انتظاره مرحبين .. وأسرفوا في الترحيب فاعلنوا أن كل مولود يهودي في تلك السنة يسمى « اسكندر » ..


مسجد عمر بن الخطاب ..

وقد لاحظت عندما أقمت في مدينة « نيويورك » ردحا من الزمن منذ عدة سنين انتشار اسمه « الاسكندر » بين اليهود هناك .. ولم أكن أعرف حينذاك لماذا يتسمى اليهود باسم يوحي بأن صاحبه مسيحي .. ثم قرأت فيما بعد بأن هذا يرجع الى أيام « الاسكندر المقدوني » ودخوله « أورشليم » ومبالاة اليهود له واطلاق اسمه على أولادهم ..

ولم يدم الود بين اليونان واليهود طويلا .. فجاء أحد خلفاء الاسكندر وأذل اليهود .. هدم الهيكل .. وأقام مكانه تمثالا لرئيس آلهة اليونان . وأمر بأن تذبح في هذا المعبد الخنازير .. وحظر على اليهود الاختتان .. وأجبرهم على العمل يوم السبت .. وكان عقوبة من يخالف هذا هي الاعدام .

وظل الامر هكذا حتى دخل الرومان مدينة القدس .. وكان هذا سنة ٦٣ قبل الميلاد .. ورحب اليهود بالرومان مثلما رحبوا من قبل باليونان .. فأقام الحاكم الروماني « هيرودس » معبدا كبيرا يسمونه الهيكل الثالث .

لم يكن ذلك الهيكل الثالث معبدا يهوديا وان كان يسمح لليهود بدخول بعض أرجائه .. بل كان معبدا رومانيا بني على الطراز الروماني وعلى مساحة تبلغ عشرين فدانا .. وكانت تقام به الالعاب الاوليمبية ومسابقات الاوليمبياد ! وكانت تقام به الحفلات الساهرة تكريما لضيوف المدينة من الكبراء ..

. ثم ساءت العلاقات بين اليهود والرومان

.. ثم أمر الامبراطور الروماني « نيرون » بأن تحرق « أورشليم » كما أحرقت روما نفسها .. وتم هذا على يد أحد القواد الرومان الذي اشعل النار في المدينة ، فظلت مشتعلة شهرا كاملا .. وأمر بهدم الهيكل الثالث فلم يبق منه الا حائط .. ذلك هو حائط المبكى .. وذبح جنوده كل من وجدوه في المدينة من اليهود ..وكان هذا في سنة ٧٠ بعد الميلاد .

وقرر الحاكم الروماني الغاء اسم « اورشليم » .. وأطلق على المدينة اسما جديدا ، فسماها « ايلياء كابيتولينا » .. وظلت تعرف بهذا الاسم حتى دخلها المسلمون سنة ٦٣٦ ميلادية .. لهذا نجد أن العهد العمري نص على انه عهدامان لاهل ايلياء .

● هذه لمحة سريعة جدا بتاريخ مدينة القدس ، أو بعلاقة اليهود بالقدس ومنها تبين ان آخر معبد يهودي .. أو آخر معبد يسمح لليهود بدخوله وممارسة طقوسهم في بعض أرجائه ..هو ذلك الهيكل الثالث الذي أحرقه الرومان وهدموه ونهب جنودهم ما فيه .. في سنة ٧٠ ميلادية ، أي قبل دخول المسلمين بأكثر من خمسة قرون ونصف قرن !..

فلما دخل المسلمون مدينة القدس .. و لما تجول « عمر بن الخطاب » مع أسقف المدينة « صفرنيوس » ليرى معالم المدينة .. لم يكن هناك معبد ولا هيكل يهودي واحد .. لقد اندثر هذا كله منذ قرون وقرون.. ولم يسأل « عمر بن الخطاب » عن شيء من آثارهم البائدة ، وانما سأل عن « الصخرة .. صخرة يعقوب» .. لانه لم يكن من الممكن احراق الصخرة ، أو هدمها .. وانما اكتفى الرومان ، واكتفى اهل القدس من المسيحيين ، بأن طمروها تحت أكوام من القمامة . .

هذا الاثر الوحيد الذي لم تمتد اليه أيدي من حكموا القدس بالاحراق والتدمير سأل عنه أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب» .. ودله « كعب الأحبار » على مكانه ، وأشار عليه أن يقيم مسجدا للمسلمين متجها الى الصخرة .. فنهره عمر قائلا : أمرنا بالكعبة ولم نؤمر بالصخرة .. وأقام المسجد في مكان آخر غير بعيد من صخرة يعقوب » .

أما الصخرة .. فلنتذكر ماذا فعل خليفة المسلمين « عمر بن الخطاب » فلنتذكر مانعرفه جميعا وما ينبغي ان نستعيده في هذا المقام .

لقد رأى الناس يوم الفتح الاسلامي مشهدا عجبا !

رأوا أمير المؤمنين وخليفة المسلمين يشمر عن ساعديه ، ويأمر أصحابه ان يفعلوا مثلما يفعل ، فيزيح بيديه ما على الصخرة من القمامة ويلقي بها بعيدا .. مازال هو وأصحابه بالصخرة حتى أزالوا كل ما عليها .. وظهرت « صخرة يعقوب » مرة أخرى على سطح الارض . وصار المسلمون على مدى أربعة عشر قرنا يتبركون بالصخرة في القدس مثلما يتبركون بالحجر الاسود في ركن الكعبة .. وعليها اقام الخليفة « عبد الملك بن مروان » القبة الرائعة ومن حولها بني المسجد العظيم .

لم تكن القدس اذن يوم فتحها المسلمون مدينة يهودية ..

ولم يكن في القدس حين دخلها المسلمون معابد ولاهياكل يهودية بل لم يكن في القدس في ذلك الوقت سوى اقلية ضئيلة جدا من اليهود .. يكرههم ويمقتهم أهل المدينة الذين كانوا يدينون بالمسيحية .. ويضطهدهم الرومان الذين كانوا يحكمون القدس ويحكمون فلسطين والشام ، رغم ان من بين اليهود من كانوا يعملون عملاء وجواسيس للحكم الروماني..ويعيشون بما يمارسونه من الربا والاتجار في الذهب والفضة .. ولهذا اشترط المسيحيون على المسلمين وهم يسلمونهم المدينةالا يسمحوا لليهود بالدخول اليها

جنرالات إسرائيل في القدس

ولكن .. اليوم هذه الأيام .. وتتعالى أصوات اليهود في العالم بكل ما أتيحت لهم وسائل الدعاية والاعلان أساليب التضليل والافتراء .. لنقرأ ونسمع ونرى كل يوم من يقول : ان المسلمين احتلوا القدس وأخذوا فلسطين من اليهود ، واستولوا على هذه البلاد وحكموها قرونا عديدة .. ثم نهض اليهود من سباتهم ، واستعادوا بنشاطهم القوة والسلاح ، فاستردوا من المسلمين بلدهم اليهودي ومدينتهم اليهودية !

ويصدق العالم هذه الدعاية ..

بل ان في العالم العربي ، والعالم الاسلامي ، من يصدق هذه الدعاية ..

وهي ليست مجرد دعاية .. بل انها اكذوبة من اكبر الاكاذيب .. ولكن التكرار والالحاح يوما بعد يوم ، وسنة بعد سنة ، جعلا الاكذوبة الكبرى تبدو وكأنها حقيقة أو كأنها شيء قابل للتصديق .. وللأسف فاننا نجد العالم الاسلامي ساكتا أو مستكينا وهو يقرأ بعينيه ويسمع بأذنيه ان في اسرائيل جماعة أو جماعات ارادت أن تنسف المسجد الأقصى بالقنابل وتهدمه .. ولم يمنعها من هذا الا أن انهيار المسجد الأقصى قد يؤدي الى سقوط حائط المبكى ... ذلك الجدار المتبقي من الهيكل الثالث الذي لم يبنه اليهود وانما بناه الرومان !

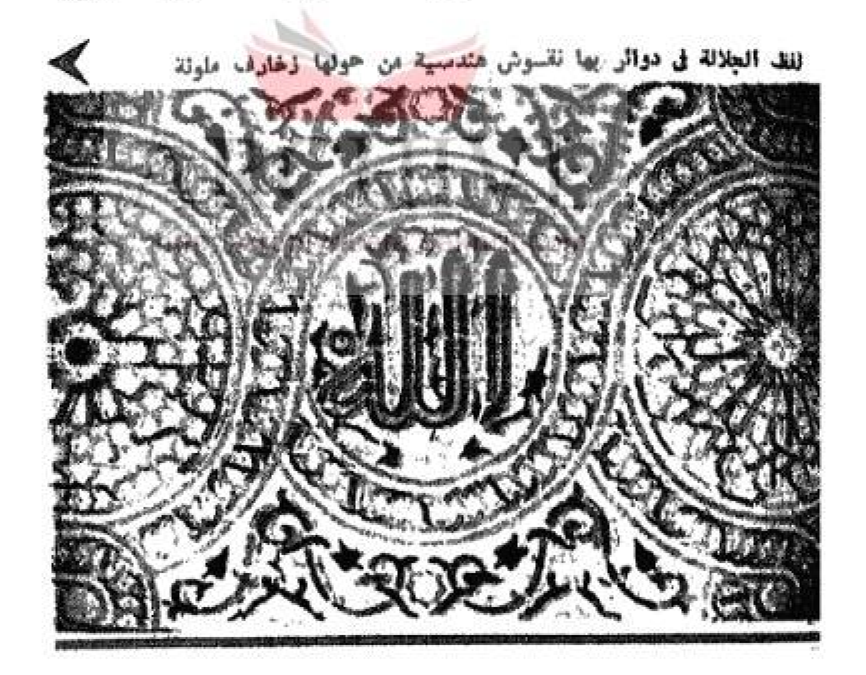


باب الذهب من أبواب سور المسجد الأقصى



بقلم : الدكتور مصطفى الرزاز

لفظ الجلالة في دوائر بها نقوش هندسية من حولها زخارف ملونة





يقدم العلم بن رجال لكتابة البحث الجديد للتراث الإسلامي في المغرب العربي بعبارة للشعر الزواق او النقوش تقـــول « الزواق عسل على الشفاه ، وفم موشى وخد طابع حسنه ازهار . الزواق كذلك هـــو اصابعي التي تجف ، وذراعاي اللذان يعلان ، ان الـــزواق ينطوي على سر ، فهو يتـــكلم ويخاطب العين » !

ويمهد المؤلف لمسعفه الرائع بمسألة من التراث والاصـــالة كمداخل للدفع الحضاري المتجدد فيقول انها العودة المنابع الحضـــارية كسبيل للسير في اتجاه التاريخ ويمثل العناية التي توليها المغرب لايات التراث ولمنابعها بالعودة بسفينة نوح عليه السلام التي انقذت الحضارة من الطوفان بأن حملت العناصر الاساسية التي تضمن استمرار المسيرة .

والواقع ان هذا التمهيد لمثل حالة المثقف التراثي الكبير كان ضروريا جدا فقد صدر المصنف وســـط عاصفة من الجدل الصاخب حول قضية الاصـــالة والمعاصرة .

في طيات هذا الحوار المحتم ، رغم صخب الثقـــافة وصيغتها على الوضع الثقافي الراهن حول مسألة الاصـــالة والموقف من المعاصرة يتقاصف الفرقاء

العبارات المفرطة ، والتفسيرات الملوحة باخطر النتـــائج فيرى فريق انه اذا ما ستقلت الثقافة في مجـــال التراث كتب منها ان تجر اذيال التخلف والمحـــافظة والرجعية بجف لتسباب الابداع المجدد .

ويرى الفريق الاخر انه على العكس من ذلك فبدون الاعتصـــام بالتراث الاصيل تقع الثقافة وتبعها الانســان فريســـة السطوة التـــكنولوجية العصرية غير المروضة لتتهدد الهوية ويتحلل الوجـــود الاصيل ، ويصير الانصهار في بوتقـــة المجتمعات التي فقدت هويتها وشرعتها الحضارة الصناعية .

وبين نقيضي التطرف لاحـــد اللاعبين توجد المحاولات التوفيقية الطامحة الى تحقيق توازن بين الاصيل والمجدد ، على مستويات مختلفة من الفهم والتفســير للمقصود وللمنهج المقتـــرح لتحقيقه وتتـــداخل الاراء على جميـــــع المـــستويات بين الفـــاء الاولة غير المتنورة ذات النزعة الخطابية والغيرة العمياء احيانا وبين المحاولات المتفاوتة في مطالبها . كانت الحركة الثقـــافية تمع بنماذج من الفئة الاولى تجمدت افكارهم في محراب بمنطق يشتم بعبارات او باشكال استهلكها فرط التداول السوقي والتاويل الوطني .

ومن ناحية اخرى رهب فكرة التراث والاصالة زمرة من المثقفين الذين احترقوا العيل التربية في السياقة والبناء دون دعم فلسفي وفكري لانها تهدد قوالبهم الشائعة بعدم الصلاحية .

وهكذا صار كل فريق يوجه الاتهـــام القاسي للفريق الاخر ، فمنهم من يتهم بالرجعية والغواء والتبعية ، ومنهم من يتهم بالجمود وقصر النظـــر والعجالة العوزاء لمتاجر بليت وفقدت اشعاعها منذ زمان بعيد .

ومع سخونة الحـــوار التي اصبحت خاصية في الستينات ، تحول الوضـــع تدريجيـــا في مرحلة الانفتاح الى ملتقى فلسفي يفتح فلاله ويغلق دون التوغل في تعرضه وسطوره ، ولن تمرة هـــذا الحوار المحـــرد على وجاهته ، اسئلة مسائل تتعلق برعاية الحرف التقليدية

وتشجيعها لتعميق المفاهيم العامة للفنون التقليدية ولدعم التقنيات التى تتيح امكانات تطبيق تلك المفاهيم .

ومن ذلك رعاية المعلمين والاسطوات ، وتيسير تتابع أجيال الصبية الفنيين والمبدعين على النسق التقليدى . وفتح منافذ ووظائف مصرية لمنتجات أولئك الحرفيين المبدعين .

وقد قامت مصر بمبادرات فى الستينات ما لبثت أن تسربت لمراتبها فى دروب القطاع الاستثمارى لاستحوذ المشرفون على تلك التجارب على خيرها وحولوه الى استثمار خاص .

انحرف الهدف من مساره الاصيل واتجه لينا مطاوعا لمتطلبات السوق الرخيص .

والنتيجة ان جنى أو يكاد مستثمر التمويل الاساسى للاسطوات والمسلمين والصبية المهرة ، كما انصرفت الغالبية العظمى من بين الممارسين من طريق الابداع والتجويد وانحدرت الى النمطية الرخيصة والانتاج المتدهور سعيا الى السوق معزوز الحنكة .

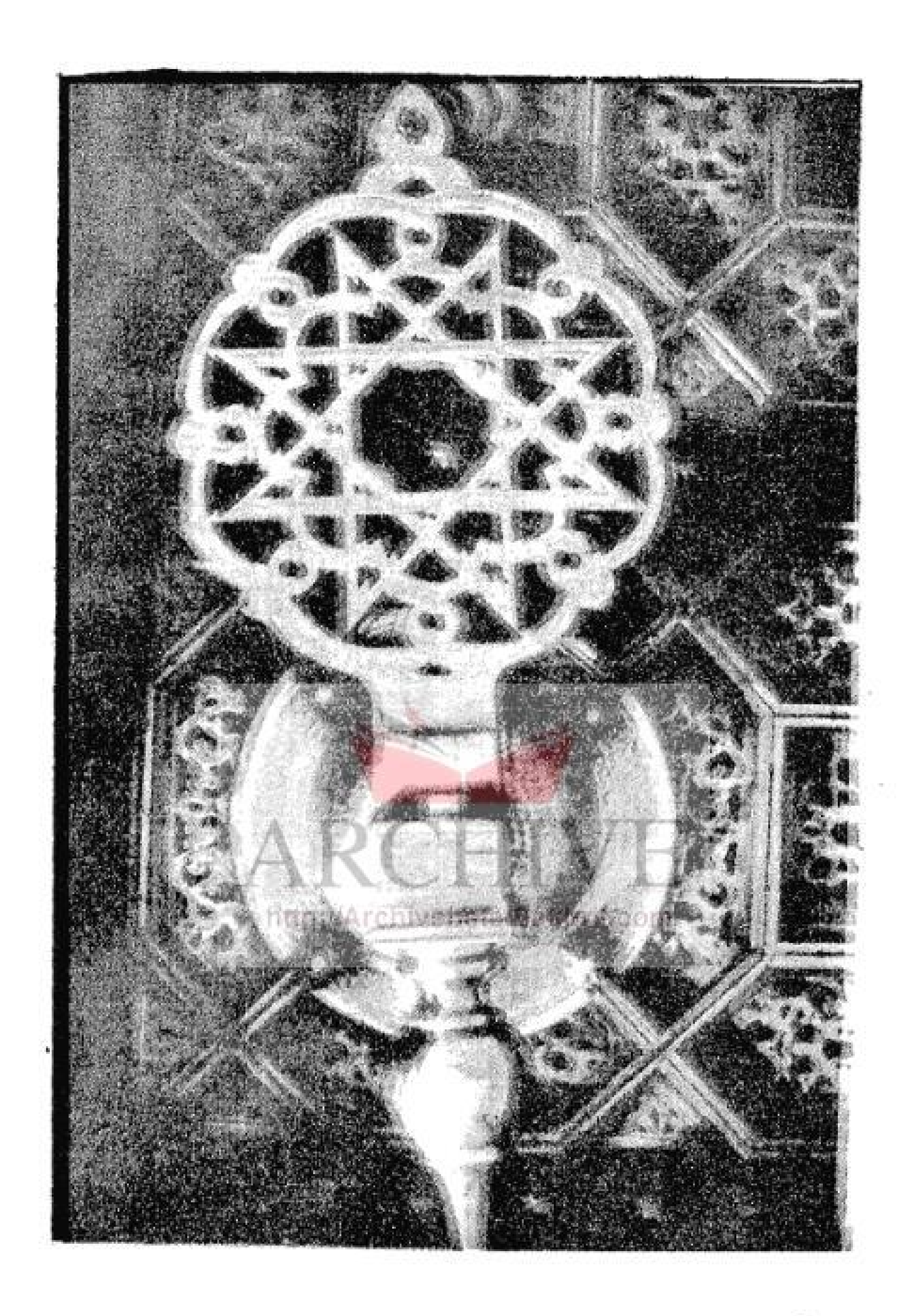
الأمر الذى حدا بالهيئة المصرية للآثار أن تلوذ بطلاب المعاهد الفنية - وهى فكرة رائدة - للمشاركة بجهود الترميم الجبارة التى هبت رياحها الرائعة على كل أنحاء مصر نتيجة لغياب أجيال الاسطوات والصبية .

وقد أنشئت فى الستينات مراكز للتدريب المهنيين على الحرف التقليدية الاسلامية المرتبطة بالعمارة ، والمستقلة منها ، كاشغال الخشب الزخرفى - الحشوات المجمعة ، والشربيات المخروطة والتطعيم والتلوين وكاشغال الحجر - التطعيم والحفر والنحت والبناء ، واشغال المعادن كالتكفيت والتطعيم والتنزيل والحفر والنقش والتفريغ والطرق البارز والغائر ، وكاشغال الخيامية على أنواعها . والحرف الزجاج والفخار ومن بين أشهر هذه المراكز ما أقيم فى وكالة الغورى برعاية الاستاذ الفنان الراحل محمود مقيلى ، ومركز بيت السنارى الذى يرعاه الفنان خميس شحاتة ومركز الفن والحياة بقصر المانسترلى الذى يرعاه المربى الكبير حامد

صانع المشربية الإيات الكريمة بأنامل مصرية







سعيد الى جانب المركز الملحق ببيت المنارى والتابع لهيئة الاثار لاعداد الحرفيين المهرة اللازمين لترميم الاثار الاسلامية على الاصول التقنية القديمة الى جانب مركز القطاط الذى اشرف عليه والد فن الخزف فى مصر الاستاذ سعيد الصدر .

وفى غضون السنوات القليلة الماضية ازدهرت الفنون والصناعات التقليدية فى كل من تونس والمغرب والجزائر فقد انشأت تونس دائرة للصناعات التقليدية ابقته على اصولها العريقة وزودتهما بالادارات الوطنية الفعالة ، لتصارت تكون مصدرا للفخر الوطنى ، وللوعى الاصيل ، ومفتاحا لبوابة لا تغلق للعملات الحرة ، وبصمة عربية فى العواصم الدولية .

وفى المغرب العربى تكفلت الجهود الرسمية والوطنية فى تعميق المفاهيم العامة التى يستلهمها الفن الاسلامى وتمكين اهل الصناعة من أسرار التقنيات وتواصل تلك الأسرار عبر الأجيال المتعاقبة .

وقد قدم أندريه باكار المصمم الزخرفى الفرنسى مجلدين عملاقين يسجل فيهما ذلك النشاط الدؤوب الدائر فى احياء المغرب العربى ومن حولهما فى قلب القارة الافريقية ، حيث ينشىء المعلمون والاسطوات من أساطين الصناعات التقليدية الاسلامية وتلامذتهم ، العمائر الدينية والمدنية فى أرجاء المغرب واصقاع افريقيا ، بكفاءة رائعة وتمكن وجد واتقان لا يخلو من الابداع والتجديد .

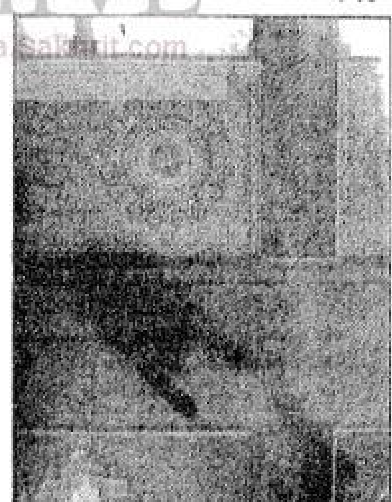
ويشير باكار الى ان المعلم هو أستاذ الحرفة وهو العلامة وحافظ اسرارها من التدهور . ويقول انه يعتز بالتشابه لسلالة من صناع النواقيس منذ سبعة أجيال ولذا فانه لا يجد نفسه غريبا عندما يتعاون مع كبار المعلمين بالمغرب .

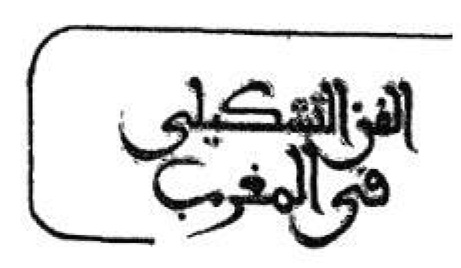
ويأتى المجلدان فى ألف ومائة صفحة من القطع الكبير فى طباعة فاخرة كاملة الالوان رائعة الاخراج احسن تنظيم صفحاتها واختيار انماط الحروف ومقاساتها بالنسبة للصفحة الكلية ، وقد غلف بفخامة متناهية وقامت دار «اوليى» للنشر بهذا المجهود الضخم مستعينة بمعامل « فوتومانياك كالوير » فرنسا فى فصل الوان الصور وبشركة الطباعة العربية بجنيف لانجاز الجمع التصويرى باللغة العربية حيث صدر الكتاب بالعربية والانجليزية والفرنسية .

وقد تضمن الكتاب مقدمة توضح الغاية من اصداره .

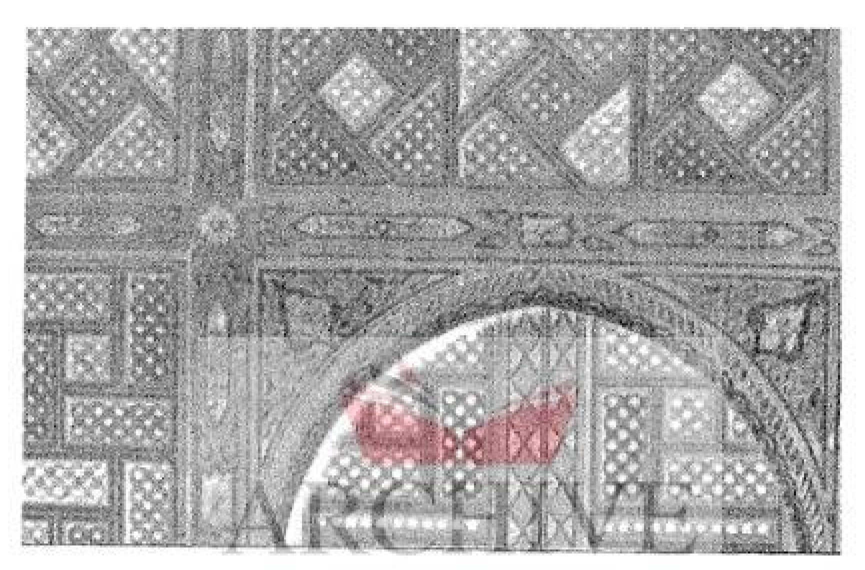
ثم بمجالات من الفن الاسلامى ومن تطوره التاريخى وأهم المؤثرات التى تدخلت فى بلورته ، ثم عرج المؤلف الى تصنيف محتويات المجلد الاول التى تتناول الدار - أماكن الصلاة - التخطيطات الناظمة ثم الخط العربى .. وبعد التحليل الممتع المدعم بالصور الممتازة التى توضح أدق التفاصيل وأهم الكليات والتخطيطات الشارحة لمسار العمل وخطط التنسيق تتناول سلسلة من التقنيات بالشرح المصور المذيل

الضوء الساقط من [illegible] الزجاجية و العوارض [illegible]





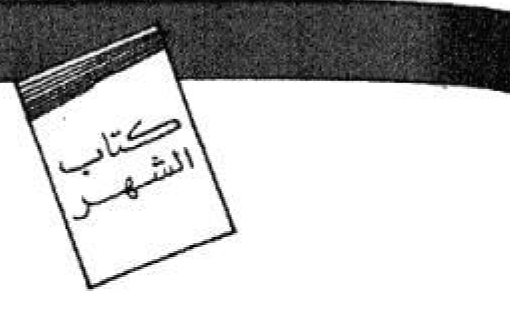
مشربية بالالوان الزاهية ..



بالتفسيرات المكتوبة ، ومنها الطين حيث تصنع منه الفخاريات والاوانى والترليج — اى البلاطات المزوقة التى تجمع على الجدران والاراضى بصورة هندسية مركبة — والقرامد اى تلك الوحدات النصف اسطوانية المطلية بالمواد المزججة وترص فى صفوف متعاقبة متوازية على اسطح المبانى لتعطى رونقا وجمالا ولتحول دون بقاء مياه الامطار فوالله تلك الاسطح — ثم يتناول المؤلف كل من الحجر والجص والخشب والمعدن . حيث يصف تفصيلات أصناف المنتجات الرائعة التى ينجزها المعلمون والاسطوات من هذه الخامات .. وفى النهاية يخص الماء والنور بفقرة توضح استثمار الفنان المعمارى والمزخرف لتلك العناصر فى اضفاء الحيوية والطراوة والسحر على السطوح والمجسمات المعمارية .

ان ما يجرى بالمغرب الان نهضة فى سبيل احياء التراث الاسلامى الاصيل ومواصلة تقاليده ومفاهيمه وتقنياته فى جميع اشكاله الزخرفية التى تطبع على مختلف الخامات لتادية اغراض شتى .

المدهش هو توازى تلك العمائر الدينية والمدنية الجديدة مع آيات التراث التقليدى دون تنافر أو تدهور ، بل بشكل رائع النمو متجدد الابداع ، ناهيك من ترسيخ التقاليد الاسلامية فى العمل واتقانه بامانة وبحب .





في تراثنا العربي الاسلامي

بقلم الدكتور : محمد عبدالمنعم خفاجى

●● الدكتور توفيق الطويل احد رواد الفكر العربى الحديث ، وابداعاته وكتبه تمثل فكرا فلسفيا جديدا هو مفخرة للعقل المصرى والعربى حقا .

ولندع مؤلفات الدكتور الطويل كلها قليلا ، الى آخر كتاب صدر له فى سلسلة عالم المعرفة الكويتية ، وهو كتاب « فى تراثنا العربى الاسلامى » الذى اعده معلما من معالم نهضتنا الفكرية حقا ، بل ثروة كبيرة فى منجم الابداع العربى المعاصر ، والذى يجب أن يكون فى أيدى المثقفين والشباب وطلبة الجامعات فى كل مكان من وطننا العربى الكبير ، وان يطبع عشرات الطبعات فى أوسع نطاق ●●

الكتاب ممتع حقا ، ويقع فى خمسين ومائتى صفحة ويشتمل على ستة فصول : الفصل الاول حول خصائص التفكير العلمى بين تراث العرب وتراث الغربيين. والثانى : حول الترجمة ونقل الثقافات الاجنبية الوافدة الى تراثنا



العربى الاسلامى فى عصر الاسلام الذهبى، وهو عصر الحضارة الاسلامية الزاهرة :

والثالث : حول معجزات العرب فى مجال الطب .

والرابع : عن دور العقل فى حياتنا الفكرية .

والخامس : دراسات حول التصوف الاسلامى .

والسادس : عن دور الفكر العربى فى تكوين الفكر الاوروبى الحديث .

واذا كان الكثير يعترون بالمعجزة اليونانية فى الفكر والعلم ، لان المعجزة العربية فى عصر الإسلام الذهبى ، الذى تدور أغلب بحوث الكتاب فى اطاره ، جديرة باعتزازنا واعتزاز كل مفكر فى الشرق والغرب ، لما حققه العرب فى المجال العلمى ، فيما يقول سارتون ، يكاد يتجاوز حد التصديق ، ولهما كتبه البروفسور كويلر يولع من التنويه بالدين الثقافى العظيم ، الذى يداين به العرب والمسلمون أوربا ، والذى كان سبب نهضتها وحضارتها .

ان التفكير العلمى الذى يعد العرب من أعظم الرواد فى مجاله ، بكل خصائصه العلمية ، بدءا من منهج الشك والملاحظة الى التجربة والبحث والاستنتاج ، الى الفكر والكشف والتجديد .. هو من أهم الأسس التى قامت عليها حضارة الاسلام ، والذى نقل الغرب عنها كل ابداعاتها وتفوقها وابتكاراتها . ولا يزال التراث العربى ودوره فى خدمة الحضارة العالمية صاحب الدور الكبير فى معجزات العلم والحضارة فى عصرنا الراهن .

ومن الترجمة ونقل الثقافات الاجنبية الى اللغة العربية ، يتحدث الدكتور توفيق الطويل حديثا عميقا متصلا لا يمل سماعه او قراءته ، وكذلك دراسته الجليلة لتاريخ الطب العربى ، وقد اعتمد الطب العربى الاسلامى — كما يقول د . توفيق الطويل — على التراث اليونانى والهندى والفارسى ، لم تكشف من مصدره العربى الاسلامى الاصيل ، واهل الغرب حين قراوه مترجما الى اللغات الاوربية ، ويتحدث المؤلف عن دور العرب فى تكوين التفكير العلمى عند الاوربيين فى شتى العلوم ، وبخاصة الكيمياء والصيدلة والنبات والطبيعة والفلك والعلوم الرياضية والفلسفة التى سارت وثيقة الصلة بالعلم ، ووضعت أساس المنهج التجريبى ، وظلت الحركة

العلمية الناشئة آنذاك فى جامعة اركسفورد ابان القرن الثالث عشر . ويعتبر روجر بيكون الجد الاول للمنهج التجريبى الذى قال به فرنسيس بيكون ، وهو بدوره تلميذ مخلص لابن سينا ، وكانت جامعة بادوا ، وهى اخر معقل لابن رشد وفلسفته ، كما ذكر الاستاذ توفيق الطويل قد قامت بدراسات فلسفية وطبية مهدت بها للحركة العلمية الحديثة .

●●●

والدكتور توفيق الطويل شيخ الفلاسفة العرب المعاصرين ، واستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة ، فيما كتبه عن أسس الفلسفة ، والعرب والعلم فى العصر الذهبى ، وغير ذلك . يعد أحد رواد الفكر العربى المعاصر حقا ، وهو فى نزعته الفلسفية الاصيلة الذى يبعد بها قليلا عن الميتافيزيقيا الى مشكلات الحياة والحضارة والفكر المعاصرة ، والى الواقع الحى لمجتمعاتنا العربية والانسانية . وفى أبداعاته الفكرية المتألقة ودراساته الجامعية الاصيلة جدير حقا بالتقدير والاكبار .

وفيما كتبه الدكتور الطويل فى مسائل فلسفية ، وفى مشكلات فلسفية ، وفى فلسفة الاخلاق ، وفى التصوف الاسلامى ، ما يثرى حياتنا الفكرية المضطربة اليوم .

ولا ريب أن الفكر المتألق فى دراسات الدكتور الطويل ، وما استنه من مناهج علمية أصيلة فى البحث الاكاديمى ، وما كشف عنه من نظريات فى الفلسفة والاخلاق والتصوف ، ليلقى على حياتنا العقلية ضوءا جديدا يهدينا فى متاهات التطور الى كل أبداع حقيقى مثمر ، والى الطريق السوى من أجل التوفيق بين النظرية والتطبيق فى مجال العلم والحياة ، والى نتائج كبيرة هى حصيلة الزاد العقلى للامة العربية على طول الاجيال .

●●●

واذا كان العرب قد استخدموا الملاحظة باعتبارها أهم ركن فى منهج البحث العلمى التقليدى ، ومن منهج القياس الارسطى الذى ساد التفكير العربى منذ ان نقل العرب أبحاث ارسطو المنطقية الى لغتهم فى مشرق العصر العباسى فى الوطن العربى الكبير ، الى المنهج التجريبى الذى استخدمه جابر بن حيان « ١٩٨ هـ ــ ٨١٣ م » والحسن بن الهيثم « ٤٢٠ هـ ــ ١٠٩٢ م » ، واخوان الصفا فى رسائلهم المشهورة ، والذين استخدموا منهج الاستقراء العلمى خير استقراء ، وهو منهج يؤدى ولا ريب الى القوانين العلمية ، ومعيار الصواب فى هذا المنهج هو مطابقة النتائج للواقع .. من كل ذلك سار العقل العربى خطوات واسعة ، ومضى فى مسيرة كبيرة نحو الابهار الفكرى الذى احتل به الصدارة فى عصر الحضارة الاسلامية .

وبعد ففى هذا المجال نعتز كل الاعتزاز بكل مبتكرات العقل العربى ، التى أضاءت بها عيون التراث الاسلامى ، صاحب الدور الكبير فى خدمة الحضارة العالمية ، ولا ريب أن مرد هذا كله ــ كما يقول د. توفيق الطويل ــ هو ما تهيأ لهم من خصائص التفكير العلمى ، التى سبقوا بها عصرهم ، وتميزوا بها دون من عاصرهم من شعوب الارض ، وكشفوا عن طريقها كنوز من الحقائق ميزت تراثهم الاصيل المبتكر ، فاتجهت اليهم أوربا ، وهى تنفض عنها أثواب تخلفها ، الذى غطت فيه قرونا ، ثم استيقظت على نور العلم العربى ، واستضاءت به فى مسيرتها نحو التقدم والازدهار العقلى والحضارى الذى تحيا فى ظلاله اليوم .



كيف رأى سفير المغرب
أسبانيا فى القرن الثامن عشر ؟

بقلم : مصطفى نبيل

تعودنا أن نقرأ عن الشرق الاسلامى بأقلام غربية ، وهذه المرة نقرأ عن أحدى الدول الغربية بعيون شرقية ، عندما زارها السفير المغربى ابن عثمان المكناسى عام ١٧٧٩ م.

ولم يلحظ ابن عثمان خلال رحلته سوى الطغيان والفجور ، ويبدو هذا منطقيا اذا تأملنا الظروف التى تمت خلالها سفارته ، وعلى عكسه يصل رفاعة رافع الطهطاوى الى نتائج مغايرة خلال رحلته العلمية الى باريس .

فيدعو الى الاستفادة من التقدم العلمي ولا يرى فى ذلك تهديدا للهوية الوطنية .

شهدت العلاقات بين الشرق الاسلامي والغرب الاوربي ، خلال الاربعة قرون الماضية . حلقات متتابعة من الصراع والتوتر والمعارك الدامية والخاسرة ، مما دفع الشرق الى ايثار السلامة ورفض الاستفادة من التقدم العلمي المذهل الذي تحقق في الغرب !

وكلما ارتفعت صيحة تطالب بنقل المعرفة الغربية ، حال دون الاستجابة لها استمرار الصراع الذي تحول في موجته الأخيرة الى الظاهرة الاستعمارية وما يلازمها من سيطرة اقتصادية وهيمنة عسكرية .. مما باعد بين الشرق والتفاعل الخلاق مع مستحدثات العصر ، حتى انهارت المقاومة في الكثير من انحاء الشرق ، وتحولت بلدانه الى مجرد مستهلك لمنتجات وافكار الغرب ، مكتفية بالقشور ، بعيدا عن التفاعل الخلاق ، مما ادى الى استمرار التبعية العمياء !

واستمرت تلك الحالة كأحد العقبات الرئيسية التي تحول دون ان تتكامل العناصر الثقافية والحضارية في دول الشرق ، التي لم تعد الحياة الفكرية فيه كما كانت زاخرة بكل ما انتجه العقل البشري من علوم وآلات ، وبكل ما انتجه الوجدان البشري من فنون وآداب .

واخذ البعض يمسكون بمصباح ديوجين يفتشون وسط الشمس الساطعة عن وسائل التقدم المفقود ، وتعثرت الخطى بين الذين يطالبون بأن تكون مصر قطعة من أوربا ، كما كانت صيحة الخديو اسماعيل - وبين الذين يطالبون باغلاق الابواب . تجنبا للغزو الفكري !

وغاب في ظل ذلك جديد العصر ورحيق التراث معا ، وأصبحت أعلى الاصوات أصوات المقلدين ، سواء كان هذا التقليد لمستحدثات العصر او لامهات الكتب القديمة ..

رغم انه كان من الاولى مع تاجج الصراع وفي ظل المعارك التي يسمع خلالها قعقعة السلاح ، أن تكون المهمة الاولى التي تشغل بال الجميع ، هي





● السلطان احمد المنصور . اول من عقد إتفاقية تجارية مع بريطانيا في القرن السادس عشر . والرسالة التي بعثها الى الملكة اليزابيث الاولى



السعي لاكتشاف سر السلاح الذى نواجهه ثم نقله وتطويره ..

ومما لاريب فيه أن الذى يفرق بلدا متقدما وآخر متخلفا ، أن البلد المتقدم اخذ بأسباب العلم وأساليب تطبيقه ، فالعلم الحديث هو تكثيف للمعارف البشرية طوال التاريخ ، وأن البلد المتخلف هو البلد الذى يكتفى باستهلاك ما انتجه الاخرون سواء الاحداد او الاغراب ..

وليس صحيحا أن الشرق امامه اختيار ، فليس امامه سوى طريق واحد أن يستوعب العلوم والصناعات، وأن يتمثلها وتصبح جزءا من تجربته المعاصرة ..

تلاحقت على ذهنى هذه الافكار عندما قرأت «الاكسير فى فكاك الاسير» لكاتبه محمد بن عثمان المكناسي والذى يروى مشاهداته فى اسبانيا عام ١٧٧٩ م ، وتهدف سفارته للسعي الى فك اسرى المسلمين لدى الاسبان فى احد فصول الصراع بين الشرق والغرب، يروى مشاهداته للغرب بعيون شرقية ، وكانت هذه السفارة ضائعة وسط الاف المخطوطات ، وعثر عليها مؤخرا فى الخزانة الملكية المغربية ، وقام بنشرها وتقديمها الاستاذ محمد الفاسى ، وهى رحلة بالغة الدلالة لما تلقيه من الاضواء على سبب احجام الشرق عن الاستفادة من الغرب وتنقل صورة تنبض بالحياة للعلاقات بين الشرق والغرب .

ولعل تأمل هذه العلاقات فى مراحل مختلفة ومن مواقع متباينة يساهم فى تجاوز تلك الازدواجية . ويفسر سبب ضياع صوت الذين حصلوا على الثقافة الغربية وحدها ، ولا يصل صوتهم الى كل الاذان ، ولماذا يصبح المتحدث فى واد والمستمعون فى واد آخر !

وهذا الكتاب جزء من أدب الرحلات فى التراث العربى الذى يحتل مكانة بارزة فى المكتبة العربية ، والذى يكاد يكون المصدر الوحيد للكثير من الاصقاع فى العصور الوسطى ومن بينهم الغرب الاوربى ، فرحلة ابن فضلان مثلا هى المرجع الرئيسى للدول الاسكندنافية فى القرون الوسطى .. وكتب بروتز مؤرخ الحروب الصليبية يقول : « ليس فى وسع الاوربى أن يقدم مثالا افضل من المؤلفات العربية ، والمقارنة تكشف دون تردد اين يكمن الفهم والاحساس التاريخى والوعى السياسى والذوق فى الشكل والفن فى العرض »

وتوجد سلسلة متصلة الحلقات من الدراسات الشرقية عن الغرب ، ويرصدها برنارد لويس من القرن التاسع عندما اتسعت المعرفة بالغرب حتى شملت الجزر البريطانية وايرلندا واسكندنافية فى بداية القرن العاشر على ايدى ابن الفقيه والمسعودى ، وظهر وصف هارون بن يحيى لبلاد الفرنجة ووصف روما وصفا دقيقا ، كما كتب ابراهيم بن يعقوب عن الايرلنديين وعاداتهم وملابسهم .

وبالنسبة للغرب الاسلامى فقد مر بتجربة خاصة . مع الخروج العربى

من الاندلس ، عندما كانت معرفة المسلمين باوربا اكثر دقة ، ففي كتابات الادريسي جمع العديد من المعلومات خلال رحلاته ، ثم تزايد الاهتمام في القرن السابع عشر حين ظهرت دراسات عن تاريخ ملوك الفرنجة .

وتاتي رحلة ابن عثمان في القرن الثامن عشر وتصف اسبانيا وصفا دقيقا منذ بدء سفارته حتى عودته ، بعد ان رحل اليها مبعوثا من امام المغرب الى ملك الاسبان ، ويهدف خلال بعثته الى تجديد الصلح بين المغرب واسبانيا ، والعمل على اطلاق سراح اسرى المسلمين الجزائريين في اسبانيا ، وقد كللت مهمته بالنجاح . ووصف رحلته ومعالم الحياة في اسبانيا ، وتناول الحجر والبشر ، ووصف الرقص والتمثيل ومصارعة الثيران ، وتوقف عند مظاهر العلم والفن واهتم بالمتاحف والقصور والمتنزهات والمكتبات العامة ، ولم يفته وصف الطبيعة الساحرة من جبال وانهار ووديان وبحيرات وغابات ومن الطبيعي أن يجد نفسه في بؤرة الصراع بين الشرق والغرب وخاصة عندما يتوقف امام الآثار الاسلامية في الاندلس ويتاسى على تاريخهما ، وعندما يتحدث عن العائلات الاسبانية التي لها اقارب من المسلمين بالمغرب .

● سبتة المحطة الاولى ●

وكانت محطته الاولى والمدخل الى عالم الغرب ، كفيلة وحدها أن تملأ نفسه بالمرارة ، عندما بدأ رحلته

قلعة المارتيين في مدينة سبتة





بدخوله الى سبته المطلة على مضيق جبل طارق والخاضعة للاحتلال الاسبانى، والتى مازالت خاضعة لهذا الاحتلال حتى اليوم، وهى تقع على رأس المثلث المكون من ثلاث مدن تحكم جبل طارق هى طنجة وسبته وجبل طارق، والتى تتوزع السيطرة فيها على كل من بريطانيا واسبانيا والمغرب.

ومدينة سبته تحكى أحد فصول الصراع بين الشرق والغرب، وتبين اهمية المغرب كبلد تخوم واحد الثغور فى مواجهة الغرب، وشهدت سبته نتائج التفوق الايبيرى والخروج من الاندلس، ثم جاءت الهجمة الغربية الثانية بعد انتهاء الحملات الصليبية بالفشل، وعقب الفتوحات العثمانية فى شرق اوربا عندما اطلق البابا نداءاته للهجوم على الموانىء المغربية.

ولابد أن ابن عثمان وهو يدخل المدينة الاسيرة قد جال بخاطره ما سجله التاريخ من اطلاق كلمة «الاسترداد» على «استيلاء» الاسبان على المدينة المغربية، بعد أن كانت اهم ميناء بحرى للمغرب، وتمضى الايام وتنصرف اسبانيا الى الشئون الاوربية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، فيمر الصراع بمرحلة مهدئة مؤقتة وهى المرحلة التى تشهد رحلة ابن عثمان ..

ويصف ابن عثمان وصوله الى سبته والمظاهر العسكرية التى شاهدها بقوله: «نزلنا بظاهر سبته وخرج الترجمان وطائفة من عسكرهم من موضع تحت الارض من السور، بعد ان حفروا تحت الارض حفيرا داخل سورهم، وسقفوا الاخدود بالقبو وجعلوا فيه طيقانا كثيرة لادخال الضوء واجتزنا الباب الاول ثم الثانى حتى وصلنا الى باب المدينة. فوجدنا حفرة متسعة وعميقة متصلة بالبحر، وتحولت سبته الى جزيرة يحيطها البحر من كل جانب واقاموا على الحفرة قنطرة لها قوسان، وجعلوا مكان القوس الثالث قنطرة من الخشب فى رأسها سلسلتان، يتصل باب المدينة بالقنطرة والسلسلتين».

أليست هذه البداية كفيلة بأن تفقد صاحبها امكانيات التفاعل الطبيعى مع ما حوله، وانه من التعسف ان يبحث صاحبها عن القيم التى تقف وراء عمران الغرب؟ ولنمضى معه فى جولة يقول عند وصوله الى اشبيلية: «نزلنا فى دار بديعة الشكل غريبة المثل وهى دار العابدين من المسلمين رحمهم الله، وهى ذات صنائع متقنة ومرائى مستحسنة، مفروشة بالرخام الابيض، ولها من سوارى الرخام اربعة ومائة سارية اثنان وخمسون فى اسفلها ومثلها فى الطابق الاعلى، وسطها نافورة تدفع الماء فى الجو .. واشبيلية مدينة كبيرة بهية المنظر كثيرة الآثار بما فيها من البناءات الفائقة والمنارة الرائعة وسقف بيوتها من القرميد الابيض، واقيمت على ارض فسيحة، وفاقت اشبيلية بموقعها عند الوادى جميع البلدان».

ويصف دارا .. «معدة للتعليم





استقبال كارلوس الثالث للسفير المغربي محمد بن عثمان ، وبينهما المترجم الشاطر المصري « ([illegible]) » .

الصبية علم البحار ، وبها قيم معين من قبل « الطاغية » يجتمع عنده في الدار اليتامى المهملون وابناء المستضعفين مع اولاد الاكابر ، واول ما يتعلم الصبيان الكتابة والحساب ، وبالدار سفينة بقلوعها واحبالها ومدافعها ، يتعلم فيها الصبية امور البحر ويتدربون على القوس والبوصلة وخريطة العالم .

ويصف دارا اخرى معدة لصنع المدافع الكبار والمهارس وبها من الحركات والالات ما لا يمكن وصفه » ، ويتابع خلال جولته ما يتعلق بالحرب ، يقول :

« توجهت مع اعيان البلد الى موضع يقال له الطرى ـ اى البرج ـ فطلعنا اليه ، فاذا به مراة عظيمة تنتصب على قوائم ، يراكب الموكل بها المراكب التى تظهر فى عرض البحر ، فيراها عن بعد كانها امامه ، فيعرف اتجاهها وعدد مدافعها وجنسيتها ، وان كانت معادية يستعدون للقائها » .

فاهم ما يلفت نظره التطور فى العتاد الحربى ، وهذا طبيعى ، فاول ما ينقل من حضارة هو النظم العسكرية ومعدات القتال ، هذا ما قامت به الدولة العثمانية وما سعى الى القيام به محمد على فى مصر ..

● فى مدريد ●

وانتصب ابن عثمان الى عاصمة اسبانيا ، الى مدريد ، التى يصفها بانها مدينة غاية فى الكبر وهى حاضرة الحواضر ، اقيمت على ربوة ، وزادها

الغرب
بعيون شرقية

مدخلها من وادى مانسنارس حسنا وبهاء وبهجة وسناء ، وسرنا فى سكك متسعة ، ورأينا ديارا مرتفعة ، ولكل دار سراجيب مغلقة بالزاق - الزجاج - وعليها شبابيك من الحديد. وأسواقها عامرة مشحونة بأهل الحرف والصنائع والتجارة والبضائع وجل باعتها نساء •

ويلتقى فى مدريد بالملك كارلوس الثالث الذى يطلق عليه لفظ الطاغية « عندما تقابلنا مع الطاغية دفعنا له رسالة الامام المؤيد العلوى الهاشمى وعرف مضمونها وما أشار اليه سيدنا أمير المؤمنين من تسريح أسرى المسلمين ، وتلقى الامر المطاع بالانقياد وأخذ يدبر ما تلقى » •

ويؤخذ بقصر الملك كارلوس ••• « هى غاية فى الحسن وبهاء المنظر ، وكلها من الحجارة المنحوتة التى تشبه الرخام ، وسقفها من الحجارة • وشاهدت طائرا يقال له الكناليو - الكنارى - له حركات يتحرك بها ويخرج الموسيقى وازاءه فتاة تضرب بيدها على أوزان الالحان ، قلت لأصحاب الدار : هذه الموسيقى ليست من عمل الصور التى رايتها وإلا لكانت المرأة تحس أصابع يدها الاوتار وكفانا الله بهرجتهم ! »

● ابحث عن المرأة ●

ومما يلفت نظر الشرقى عند زيارته لاحد البلاد الغربية ، طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة ، هكذا كان الحال مع ابن عثمان ومع رفاعة رافع الطهطاوى صاحب أشهر الرحلات الى باريس فى فترة متقاربة مع ابن عثمان •

ونجد ابن عثمان يقول عند وصوله الى مدينة خيرق •• « اجتمع بالدار التى نزلنا بها أعيان البلد ، وبعد العشاء اجتمع نساء أعيان البلد ، فتلكأت فى الخروج ، فألح علينا الحاكم ، فلم أملك سوى اسعافه ، فاذا بجمع كثير من النساء قد اظهرن

صورة الملك كارلوس الثالث



زينتهن بما يناسب ، اما فى مدينة اسيخه « فقد وردت الضامات نساء الاكابر بقصد السلام ، واحضرن الموسيقى التى لهن اعتناء كبير بها ، ورقصن مع اكابر البلد نساء ورجالا ؟» ويصف ما يقع فى المتنزهات بين الرجال والنساء بقوله : « وهووا من شفا جرف هار الى بحبوحة النار وبئس القرار ! » ، ويقول : « اجتمعوا ذات ليلة نساء ورجالا ورقصت النساء كما هى عاداتهم ، وترى الرجل جالسا وامرأته او ابنته ترقص مع اجنبى ، ويناجى بعضهم بعضا ، ولا حياء لديهم مع ما هو معلوم بينهم وشائع من الفسق والزنا ولا يبالون بشىء فقد جبلوا على عدم الغيرة ... »

وهنا يتفق ابن عثمان مع الطهطاوى فى الموقف من المرأة ، ويسجل الطهطاوى فى رحلته الى باريس عام ١٨٢٦ تحفظاته على طبيعة العلاقات بين الرجال والنساء ويصف الفرنسيين بقوله : « ومن خصالهم الرديئة قلة عفاف كثير من نسائهم وعدم غيرة رجالهم فيما يكون عند الاسلام من الغيرة » .

ولكن يختلف الطهطاوى عن ابن عثمان ، فى الكثير من الجوانب ، فلم تكن رحلته تقريرا دبلوماسيا خلال زيارة بلد بين حربين ، وانما كانت رحلة علمية لاكتساب معارف الغرب وعلومه ، ليس لدى صاحبها شعور بالنقص او الاستعلاء ، فقد فشلت الحروب الصليبية ، وسجن لويس التاسع ملك فرنسا فى رشيد اسيرا واندحرت الحملة الفرنسية .. لذلك لم يمنعه شىء من البحث عن سر تقدم الغرب ، وكتب يقول : « اذا كانت البلاد الافرنجية قد بلغت اقصى مراتب البراعة فى العلوم الرياضية والطبيعية واذا كانت البلاد الاسلامية قد برعت فى العلوم الشرعية والعمل بها ، فانها فى حاجة الى كسب مالا تعرفه ، وجلب ما تجهل صنعه » .

فكان لقاء الشرق والغرب عند الطهطاوى لقاء وفاق ولقاء ابن عثمان لقاء عنيفا داميا . قدم الطهطاوى العلوم والفنون والصناعات ولم يجد فى ذلك مع ما يتعارض مع انتمائه وولائه وهويته ، فيلتقى الشرق والغرب فى عقله ووجدانه فى ميزان دقيق .

● المسرح والمتحف ●

ونعود الى جولة ابن عثمان ، وكيف تلقى الفنون المختلفة مثل المسرح



والمتاحف والمكتبات العامة ونقــرأ تعليقه عليهـــا عندما يدعى لزيارة المسرح فى سانتا ماريا يتابى ويرفض .. « ومن جملة الاكرام هياوا دارا بالقرب منا للفرجة تسـمى الكمبدبة وطلبوا الينا التوجه اليها ثابت ، فورد علينا من له معرفة سابقة بنا ، وقال لقد صنعوا هــذه الفرجة من اجلكم ويقصد اكرامكم ، وانفقوا عليها مالا كثيرا وليس هذا وقت الفرجـة ، فذهبت ، فـاذا بدار عظيمة من اربع طوابق ، واوقدوا فيها من الشـمع مالا يعد ولا يحصى ، وجلس اصحاب آلات الطرب والموسيقى فى سـفلى الدار ، وهياوا لنا موضعـا مقابلا للموضـــع الذى يكون فيه لعبهـم وطربهم ، وشـاهدنا من العجب فى تلك الدار مالا يمكن وصفه من انواع التصاوير والنبات والحيوانات التى يخيل للناظر اليها كانها قائمة ..

ويصف العديد من المتاحف ، وفى مدريد يزور متحفا للعتاد الحـربى ، « دار كبيرة يقال لها دار العدة فيها من آلات حـرب الاقدمين شىء كثير من الدروع والسـيوف ، وقد شـاهدت « شكل مكحلة فيها بارود يكفى ثمانى عشرة عمارة ، وينتقل الى وصف نظام الفرسان وصفا دقيقا مفصلا .

ويسال اكابر البلد فى كل مكان يحل فيه ، هل بقى اثر من آثار المسلمين ؟ ويعثـر على دنانير وريال صـغير وفلوس مكتوب عليهـا بعض آيات قرآنية واسم الجلالة واسم النبى صلى الله عليه وسلم ، « فاعطونى بعضا منها ، وامتنعوا عن قبض الثمـن ، فلهم اعتناء كبير بها يتوارثونها سلفا عن خلف ، وشاهدت سـكينا راودت صاحبها على بيعها واعطيته فيها مائة مثقال فامتنع » .

ويدهشه كيف يقدم ملك اسـبانيا الطعام الذى يعده بنفسه للمساكين فى عيد الفصح ، عندما يدعو اثنى عشر رجلا من الفقراء ويدخلهم بيته ويقوم على خدمتهم ، يناولهم الطعام بيده ويسـقيهم الخمر ، فاذا فرغـوا من الطعام والشراب غسل الطاغية بيده اقدامهم ، واخـيرا يعطيهم كسـوة ودراهم .

كما يدهشه اهتمام الملك بالصناعة ويصف الدار التى يصنع فيها البللور بعد ان جلب الملك اليها معلمى هـذه الصنعة ، وكل ما يصنع فيها يقـدم للطـاغية ، وله دار معدة لبيع ذلك بثمن معلوم ، ويخسر الملك فى كل سنة نحو الخمسة عشر الف ريال حرصـا منه على اسـتمرار هذه الصنعة فى بلاده ، ويصـف ايضا صـناعة الحرير والآلات الكبيرة ويعلق قائلا : « من الغـريب ضبط هؤلاء الكفرة وتبصرهم بامور دنياهم ، عندما جمعوا فى هذه الدار من الصبيان اليتامى والارامل عددا كبيرا ، يتعلمون الصنعة والطاغية ينفق عليهم فى ملبسـهم وسائر مؤنهم ! »



رئيس الوزراء الاسبانى فلوريده بلانكا الذى اجرى المباحثات مع السفير المغربى محمد بن عثمان

مكتبة الاسكوريال

ويصف مكتبة الاسكوريال بأنها احدى عجائب الدنيا ، وهى من أغرب ما يحكى فى جمال البنيان وبوسطها قبة فى غاية العلو ، وكلها مفروشة بالرخام ، وبها الذخائر النفيسة والأحجار الثمينة والصور الذهبية والفضية ..

ورأينا فى خزانة كتبهم من البسط المنضدة بالجوهر الثمين عددا كثيرا، ورأينا حجرا من ألماس زنته نحو رطلين او ثلاثة ، كما شاهدنا خزانة كبيرة فى غاية النظافة والصون جعلوا بها كتب المسلمين التى بقيت ، وهى عندهم فى غاية الحفظ لا يمكن لاحد أن يدخل الى تلك الخزانة كائنا من كان ، وتضم الف وثمانمائة سفر ، فيها نسختان من المصحف الكريم وعدة تفاسير والعديد من كتب الطب ، وقد طالعت ما سمح به الوقت ، وخرجت من الخزانة بعد ان اشتعل فؤادى بنار الاحزان ، ويا ليتنى لم أرها ..

ويعلق ناشر الكتاب الاستاذ محمد الفاسى على وجود هذه المخطوطات العربية فى مكتبة الاسكوريال بعد اوامر محاكم التفتيش بحرق كل المخطوطات والكتب العربية ، بأن هذه الكتب كانت لمنصور الذهبى فى أيام السعديين ، وعندما اضطر ابنه للفرار، كان اول ما فكر فيه جمع خزانة كتبه فى صناديق أرسلها الى آسفى لتشحن على سفينة فرنسية الى احد مراسى سوس ،وطال انتظار السفينة ولم يأت الذهبى فأقلعت بشحنتها الثمينة ، وهاجم السفينة قرصان اسبانى ، واستولى على الكتب وقدمها هدية لملك اسبانيا ، وهى المودعة فى الاسكوريال والقائمة حتى اليوم ..

واخيرا لعل كتاب ابن عثمان يلقى الضوء على قضية قديمة جديدة ، كان ينبغى تجاوزها منذ زمن بعيد ، وهو التراوح فى موقف الشرق الاسلامى بين المقاومة ورفض ما يمكن أن يساهم فى تقدمه ورقيه ،والذى يعقبه التقليد الأعمى الذى يكتفى بدور المستهلك لما يصنع فى الغرب ..

وهى دعوة حارة للوصول الى نقطة التفاعل الخلاق الذى يحافظ على الهوية ويضيف الى الفكر والتجربة الانسانية.



شعر : احمد عبد الحفيظ سلام

كل مافى الكون سرٌ يتجلى بعد حين
عنكبوت الغار يبدو وهو نساج الحصون
جاهدا بين خيوط طولها عمر السنين
لا تقل هذا هباء فى خضمٍ لا يكون

ذاك مخلوقٌ صغيرٌ عقله فاق الزمانْ
يحتوى قلبا مضيئا نافذا لا يستهانْ
يعرف الاخبار مهما جاوزت حدّ المكانْ
فى سماء الغيب امرٌ يحتوى بحر البيانْ

قد راى فى الغار نورا فيه خير المرسلين
عنكبوت الليل فاقت عينه كل العيونْ
قال هذا سرُّ دين سوف يغزو العالمين
وانا كلفت حتى انصر الحق المبين

فى سبيل الله هيا ... كن معى يامغزلى
در على كفى واوصل ... اخرى فى اولى
لا تنم إن جنّ ليل ... او صباح ينجلى
سوف ابنى من خيوطى ... حضن مجدى المقبل

ooo

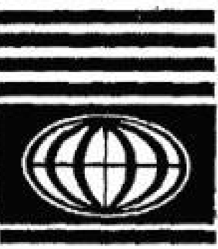
السموات تناديني ... نداء يحتويني
وانا عمرى مطيع ... امر ربى امر دينى
قد علمت اليوم انى ... رهن مكرى وفنونى
ساعة الجدّ وهذا ... مغزلى بين يمينى

يا رجال الشرك انتم ... فى قلوب نافره
قد جمعتم عدة الموت ... لروح طاهره
وانا فى زمرة الخلق ... هنات عابره
سوف احميها وروحى ... لقواكم قاهره
رب هبنى من يقينى ... قوة تبنى الجبالْ
مثلما مكّنتنى ان ... اهزم اليوم الرجالْ
رب ألبسنى دروعا ... لجهادى والنضالْ
إن كيدى فى خيوطى. ... ليس فى حد النصالْ





العالم في سطور





● مدريد ●

اسبانيا تجدد منزل الرسام جويا

بعد سنوات طويلة من الاهمال بدات الحكومة الاسبانية تعيد تجديد المنزل الصغير الذى كان يسكنه فرانشيسكو جويا ، احد الرسامين الاسبان البارزين فى القرن الثامن عشر • فرانشيسكو جويا فنان من اصل ريفى عشق الفن ودرسه ولكن معاداته للنظام الحاكم اضطرته الى مغادرة بلاده واللجوء الى ايطاليا وفى عام ١٧٤٩ وبعد أن بلغ الخامسة والاربعين من عمره أصبح الرسام الخاص للملك تشارلز الرابع وفى عام ١٨١٤ وبعد عودته الى موطن رأسه عينه الملك فرديناند رساما للقصر الملكى • من اشهر لوحات فرانشيسكو جويا لوحة « مآسى الحرب » والتى استلهمها من غزوات نابليون بونابرت وهى تكشف عن عبقريته النقدية وروحه الساخرة • اما منزل جويا الذى تجدده الحكومة الاسبانية حاليا فقد اشتراه فى بداية هذا القرن الرسام اجنانيو لولوجا وجدده على حسابه الخاص ثم تنازل عنه ورثته من بعده الى السلطات المحلية فى عهد الجنرال فرانكو •



عصر المذكرات .. المضادة

الرواية الجديدة · المدرسة الادبية التى ظهرت فى أواخر الخمسينات عندما حطمت الحدوته والمكان والزمان ووحدة الجملة .. لا تزال حية تنبض فيهـا الدماء حتى اليوم · بل انهـا استطاعت ان تنتزع الجوائز الادبية الكبرى التى لا تمنح عادة الا للشكل التقليدى من الادب ·

ود الان روب جرييه احد اعمدة هذه الرواية أن يثبت من جديد ان ابناء هذه المدرســة قادرون دائمــا على العطاء بلا حدود فاصدر فى الشـــهر الماضى روايته « المرآة العائدة » · وفيها يحذو حذو زميلته مرجريت دورا التى قدمت مذكراتها الخاصة من خـــلال روايتين بعنوان : « العشيق » و «الالم» اراد الكاتبان ان يثبتا ان الرواية الجـــديدة يمكن ان تحول مذكـــرات الكاتب الخاصة · حيث يمكن للكاتب أن يسكب من ذاكرته مايشاء عن واقعه فاصحاب هذه المدرسة يرون ان الذكرى « ربما » · هى شىء مزيف · حلم ثابت يراه المرء فى منامه ويقظته · ديكور لاشياء غير موجودة · او باب وهمى ندلف منه · او سراب لا يمكن لمسه · ولذا فان مذكرات دورا وجرييه ليست سوى نوع من الواقع الغير موجود · لانه ـ ببساطة ـ من الصعب الامساك بـه ·

وابطال هذه الروايات لا يعدون ان يكونوا خيالات متحركة لا تثبت ابدا · فعندما يتكلم الكاتب عن امراة فليس من الضرورى ان تكون هناك حـــالة حب · واذا تحدث عن جريمة فلايشترط أن يوجد قاتل او مقتول ·

اطلق النقاد المعاصرون على هذه الكتابات اسم « اللا مذكرات » مثلما اطلقوا ـ من قبل ـ على روايات هذه المدرسة باللارواية ·





● بروكسل ●

سيدني : حذار من الرجل البالغ

رغم تعدد حالات الاغتصاب في الفترة الاخيرة .. ورغم اهتمام باحثينا بهذه الظاهرة . الا ان احدا لم يطلع علينا بدراسة مستفيضة مثل تلك التي نشرتها الباحثة ماري اوديل فارجيه في كتابها « الاغتصاب » والكتاب ضخم ولا يمكن ان نتناوله في هذه السطور الا اننا سوف نورد اهم ما جاء في الفصل المعنون « من يغتصب » . حيث توصلت الباحثة في دراستها الى :

ـ المغتصب دائما انسان بالغ واعي وهذا الرجل هو في الغالب من ابناء البلاد التي يتم فيها الاغتصاب .. بمعنى ان الغرباء يخافون من ارتكاب هذه الجريمة في بلاد غريبة عليهم ..

وتوصلت الباحثة في دراستها على المجتمع الفرنسي ان المتزوجين يميلون الى الاغتصاب اكثر من غير المتزوجين وتقل نسبة عمليات الاغتصاب عند الاباء عنها عند المتزوجين ولم يرزقوا باولاد .

وتتحدث الباحثة ان الاغتصاب ينتشر في المستويات الاجتماعية المتواضعة بينما تقل حالاته كثيرا في المستويات الراقية .. كما ان اغلب من جرت عليهم الدراسة من الذين ارتكبوا جرائم الاغتصاب سبق لهم ان اتهموا في جرائم اخرى .

اما الفتيات اللائي يتعرضن للاغتصاب حسب الدراسة فهن البنات الاصغر سنا اى في اول سن البلوغ وتتدرج النسبة اضطراريا .

هذه الدراسة التي اجرتها الباحثة على اكثر من ١٤٦٨ حالة يمكن استخلاص نتائجها في اى مجتمع بشرى معاصر .. سواء كان هذا المجتمع ناميا او متقدما .

ويبقى الاغتصاب ظاهرة تقتصر على الرجال كما تقول الباحثة .. « الاغتصاب مشكلة ثقافية » على النساء حماية انفسهن .

● بون ●

وداعا .. هاينريش بل

تطورت الامور في حياتنا لدرجة اصبح بعدها المرء لا يحزن ان يسمع نبا وفاة كاتب او فنان عالمي عظيم . قدر ان يحزن وهو يطرح هذا السؤال : هل قرانا هذا الكاتب ؟

يمكن لهذا السؤال أن يطرح مرة اخرى بمناسبة وفاة الكاتب الالماني هاينريش بل فهو لم يكن مجرد كاتب، بل أعظم الالمان المعاصرين قاطبة .. فهو الوحيد الذى نال جائزة نوبل فى المانيا منذ اكثر من خمسين عاما . ولا يتعدى عدد رواياته الثمانية والتى من أشهرها : « شرف كاتريفا بلوم الضائع » و « منزل بلا حارس » و « التكشيرة » .

قبل وفاة بل بعدة أشهر مات اديبان كبيران دون أن نسمع عنهما أو نقرأ لهما شيئا بالمرة . الأول اليهوكاربنتير (٧٥ عاما) وهو اشهر كاتب فى كوبا والثانى شستر هايمز (٧٥ عاما) احد اهم الكتاب الزنوج الامريكيين .. وذهبا ـ بالنسبة لعالمنا العربي ـ مع الريح دون أن نقرأ عنهما . والقادمات اكثر من الذاهبات .

هاينريش بل هو الذى عبر عن الروح الالمانية بعد زمن الحروب . فماذا حدث للبلاد من تغيرات بعد أن سيطرت عليها قوات الحلف الاطلنطى . شمخت المانيا صناعيا . لكنها مخنوقة من خلال بعض الالمانيين الذين يعملون لخدمة الامريكيين . مثل فريتز تولم الصحفى الكبير الذى يصدر صحيفة تكون لسان حال الامريكيين . فى رواية «حماية تامة» لقد اتوا به من الأسر الى رئاسة التحرير . ساعدوه أن يصبح احد اساطين الصحافة ويدافع فى مقالاته عن اثر الاقتصاد الامريكى الانفتاحى فى البلاد . ويعمل الامريكيون على ان يصبح تولم نقابيا كبيرا يحوطه الاصدقاء والاعوان من كل المدن والقرى فى المانيا لتغطية اوجه الحياة الاجتماعية . وعندما يكبر فى السن تتم تنحيته ويأتون برجل جديد فيتزوى



فى منزله ولا يحس به أحد بعد أن كان يعيش فى حراسة مشددة تحوطه سيارتان ومن اعلى طائرة مروحية . ويموت فريتز كحطام رجل حطمته دراجة .

نفس العالم وصفه الكاتب فى رواية « كاترينا بلوم » وهو اسم فتاة يعذبها رجال الشرطة كى تعترف بما لا تعرف عنه شيئا . كل ما اقترفته انها احبت صحفيا يناهض التدخل الامريكى فى المانيا . ويحذر الكاتب من أن النازية الجديدة ستظهر فى المانيا مرة اخرى اذا لم تكف السلطات عن استخدام أساليب العنف .

من جديد نتساءل : من يملك زمام المبادرة فى بلادنا لتقديم اعمال هاينريش بل . وزملائه من الاحياء مثل جونتر جراس ، بيتر هاندكه ، ارنست يونجر وآخرين للقارىء العربى قبل ان يفوت الاوان ونصبح اكثر انفصالا عن العالم مما نحن عليه الآن

تراثنا الفنى المعاصر مهدد بالضياع

بقلم : محمود عوض عبد العال



ليس من السهل أن تسمي خطوات الفن التشكيلي في مصر في الطريق الذي قطعته الفنون التشكيلية في بلاد الغرب المتقدمة ، وأن تقاطع الطريقان في أماكن متعددة .

فالفن التشكيلي في مصر يحقق اليوم على يد مبدعيه ، وبالذات المغتربية بخبراتها وتراثها الفني الممتد ، نجاحا عالميا وغزوا حضاريا في جميع متاحف العالم ، واستطاع الفنان المصري المعاصر مواجهة التقاليد والوثوب بمفردات لغته المحلية الى نطاق أرحب وأوسع ، وفي احتضان العالم المتقدم لفنانينا ووجودهم الحي المستمر في معارضهم ومتاحفهم وقواميسهم ومقتنياتهم الخاصة،نشأت للفن المصري سوق عالمية ، يعرفها كل الفنانين الذين باعوا اعمالهم واقتنتها جاليريهات روما واسبانيا وفرنسا ولندن وكندا والسويد والمانيا الغربية .. لقاء ثمن الحياة في تلك البلاد من اجل دراسة الفنون أو مجرد رحلات لمتابعة الفنون المعاصرة .. وعلى الرغم من وجود فنانين داخل تيار الفن العالمي المعاصر،



تراثنا الفنى

محمد ديب الصباغ

فليس عندنا تربية فنية فى مراحل التعليم المختلفة ، وبالرغم من وجود رواد لحركة تشكيلية واضحة المعالم ومبدعين مؤثرين على نطاق حوض البحر الابيض المتوسط والمنطقة العربية والافريقية والاسيوية .. فليس عندنا للاسف الشديد متحف واحد يحفظ هذا التراث على اسس علمية فى الاقتناء والحفظ والعرض ، وحتى الاحساس الواعى بقيمة الاعمال الفنية المقتناة فى متاحف الدولة ، يعد نوعاً من الخيال لدى حراس هذه المتاحف .. وزيارة



واحدة فى شكل مواطن عادى لاحد هذه المتاحف بالقاهرة والاسكندرية ، فانك بلاريب سوف تدخل الى مقابر جماعية للفن المصرى فى شكل متحف للفنون ، زيارة واحدة غير رسمية وغير مدبرة كفيلة بتأكيد الحقيقة المؤلمة التى اقولها : « تراثنا القومى فى خطر» انه يعانى من قلة الضوء والهواء النقى وكثرة الفئران والعتة والصراصير والرطوبة والتمزق والتآكل ، بل اننا نكرر فى غفلة من الوعى ، ذلك الزمن القبيح الذى كنا نجوب فيه العالم شرقا وغربا بحثا عن تراثنا الانسانى المبعثر فى كل مكتبة من مكتبات الدنيا جزء منه ، واذا حصلنا على نسخة منه كان علينا ان ندفع الثمن حتى نسترد بضاعتنا ، ويجب علينا انقاذ الفن المصرى من الاحتضار فى مقبرة جماعية ، بعيدا عن اسلوب التحقيقات وراء الظالم والمظلوم ورفع رايات البراءة وسلامة العمل الوظيفى لمديرى المتاحف .



وليس بعيدا ذلك الاعلان المنشور فى بطاقة الدعوة فى المصحف اغسطس ١٩٨٠ باسم « متحف برلين الاسلامى » حيث وجهت الدعوة للاحتفال بمرور مائة سنة على انشائه فى المانيا ، وهو المتحف الذى تحكى قاعاته العظيمة تاريخ الحضارة الاسلامية والفن الاسلامى ، والفن العربى والاسلامى ليسا فى قاعات متحف برلين فقط ، وانما هما موجودان فى اللوفر بباريس ، والمتحف القومى فى بكين ، والبريطانى بلندن ، والفنون فى ليننجراد وفى عدد آخر من متاحف الثقافة العالمية ... حقيقة .. نحن امام كارثة بلغة الواقع ، وامام فوضى بلغة مواطن عادى ، وامام موقف غامض بلغة الفنانين التشكيليين انفسهم .. ارجو ان ينال هذا الموضوع اهتمام ـ مواطن ـ يعز عليه ان يأتى

• ليس لدينا متحف واحد يحفظ تراثنا على أسس علمية !

• كيف يمكن إنقاذ تراثنا من الاحتضار فى مقبرة جماعية ؟

جيل وراء جيل وقد شوهت منحوتات فنان مصر العظيم محمود مختار فى متحفه الخاص بأرض الجزيرة حيث قام موظف منذ سنوات ، وكان قليل الحيلة ورديء الوعي ، بغسل تماثيل مختار الرخامية (بماء النار) بدلا من الصابون والماء .. فاحدثت المادة الكاوية خدوشا فى الملمس الحريرى الناعم للرخام ، وهذا الخطأ لا يمكن علاجه ، وكان موظف (ماء النار) شديد الحب لمختار والا ما كلف نفسه نفقات ماء النار وخطورة التعامل فيه .

.. حقيقة .. نحن أمام مشهد رخيص .. وارجو ان يتال عناية ـ مواطن ـ يملك قوة مليون مليون حصان دفاعا عن نورعيتيه .. ومقتنيات الدولة لاعمال الفنانين تجد طريقها الى مخازن مظلمة ودورات مياه معطلة يتم فيها الحفظ والصون ، وحتى تراثنا الفنى من اعمال الفنانين الاجانب الذين عاشوا زمنا طويلا فى مصر ثم رحلوا عنها ، فقد فقدنا عددا كبيرا من هذه الاعمال ، فى مقبرة جماعية .

وجيلنا أمام مسئولية التهوين من قيمة تراثنا حين يعلم ان اعمال روادنا مكومة فى غرفة أو غرفتين مثل بضاعة تالفة ، فى انتظار ترميم بناء أو بناء متحف جديد ، ولا ادرى ان كانت القضية تهون عند هذا الحد .. ونحن نقرأ الخبر المنشور يوم ٢٩ ـ ٦ ـ ١٩٨٥ بجريدة الاهرام بشأن اعتماد وزير الثقافة مبلغ ٣٠٠ الف جنيه لاقتناء اعمال الفنانين الراحلين من رواد الفن المصرى المعاصر وهم محمود مختار ، ومحمود سعيد ، ومحمد ناجى ، وراغب عياد ، وسيف وادهم وانلى بالاضافة الى بعض تلاميذهم .. والذى ادهشنى واعلمه جيدا أن الدولة سبق لها شراء جميع اعمال مختار ومحمود سعيد وسيف وأدهم وانلى ويمكن الرجوع الى الفنان حامد عويس الذى رأس لجنة شراء جميع أعمال وانلى واخيه .. ام ان الوزارة مشكورة تريد أن تضيف قيمة مادية فوق تقديرها السابق حتى تصل بأعمال الرواد الى مصاف التحف النادرة .. وهكذا وجدتنى اتحرك باتجاه ـ مواطن ـ متحد مع الفنان المصرى فى صلة قرابة أو فى تركيب واحد .. ليقول لى حسب تصورى ان هناك ـ فوضى ـ فى الجهود المبذولة

تراثنا الفنى

[illegible]

• غسل تماثيل مختار الرخامية بماء النار ... !

للحفاظ على تراثنا الفنى.. ربما تكون فوضى تلقائية ، المهم هو وقف هـــذه الفوضى والحد منهـا ، وعلى الفنانين وحدهم أن يدركوا اهمية التقليـل قدر الامكان من اضرارها على التراث الفنى، باعتبار اننا احد شعوب العالم الثالث التى تعد الفنون التشـــكيلية بحث فى تميز شعوبها بخصوصيتها الذاتيـة ، والمتمثلة لحد بعيد فى كونهـــا مرآة لواقعها تعكس معاناتها وصـورا من نضالها وملامح من تطلعاتها لحـــو الاستقلال والحرية ..

.. وبما انه لن يلتفت احد الى بحات اصواتكم دفاعا عن ابداعاتكم التى هى ملك لكل مواطن ، وليس ثمة هـــذه الخلفية التاريخية عن حجم ودور الفن حضاريا .. حيثتسود ثقــــــافة الموظفين عبر علاقات ورقية وطــــابع تمغة .. وما يتـــــرتب على ذلك .. ضياع فنوننا التشـــكيلية فى سراديب وبدرومات الحفظ والصــون .. لنـــا الله .. وليس هناك علاج لعـــــدم المعرفة .. ولماذا لا يتكون جهــــاز فنى من أساتذة الفنـــــون ومحبى الفنون .. تكون مهمته حفظ وصيانة الاصول المملوكة للدولة من الاعمـــال الفنية .. بعيدا عن وزارة الثقــافة ، فقد ارهقها العبء الذى تنوء بحمله ، ولم تعد وزارة الثقافة سنديا للفنان للتواصل مع الحركة العالمية للفن ثم يؤكد حضوره بها .. ولقد تبوأ راغب عياد وواتلى وناجى ومختار ومحمود مرسى ومارجريت نخلة وغيرهـــم .. مكانتهم الكبيرة فى الفن الحـديث ، بما ابدعوه من أعمال ذات قدر عـال من العبقرية والتفرد اللذين منحهمـــا تقدير واعجاب الناس ، وظلت موضع اهتمام النقاد والتى تجاوزوا بهمــــا الاشكال التقليدية ، وكانت قــدرتهم على المغامرة هى سر مفتاح نجاحهم .

.. وكم يحزننى أن أصــــادف أعمالا فى التصوير ضمن مقتنيـــات الدولة فى حالة سيئة للغـــاية ، من بينهم عملان للفنان محمود ســعيد ، ونحت لصلاح عبد الكـريم ، وراغب عياد ، ومحمد ناجى ، والفنان اليونانى بابا جورج ، ومارجريت نخلة ، وعدد كبير من أعمال الرواد فى حاجـــة شديدة الى عمل ترميمات عاجلة لها ، وهناك أعمال فى حاجة الى رؤيـــة النور حتى تجف الرطوبة ويمـــوت السوس الذى اكل البــرواز وتعطلت جوانب النوال وتآكلت .. والصــــور المنشورة مع هذا الموضوع توضــــح الى اى مدى نحن فى حـــاجة الى ـ ـ مه اطن ـ ـ ديد ضــمنا أن يثبت لصريته انه قادر على حماية ماضــيه ومكانته فى الفن الحديث . متى رغب فى ذلك ..

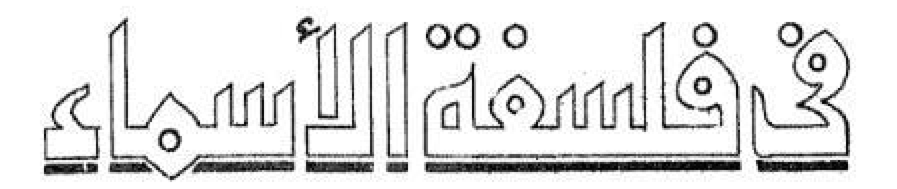
صوت خارج اللغة

شعر : عبد الرحمن الوزير

صنعاء



صدى من الاعماق
رجع من وجيب التراب القديم
صوت بدائي ، شجاع ، رخيم
عاودني الليلة في هدائي
ايقظ صمت طمأنينتي المطمور
خلف السكون
صوت ، تعرفته
كان لي ذات زمان خادر :
وطنا وشفافية
كان صوتي الذي فارق صوتي
في شتاء الكمون
هاجر الصحارى الجليدية نحو الافق
نحو الضجيج الطلق
حتى .. يكون
عاودني
قف بي الليلة
لازال المدى وجهين
لازال المدى .. أمنيه
الشمس اسرى في شعاعاتها
انزع الامواج مستلقيه
الجوع اغصان على الاوديه
اللذة الليلة
قلها بعد
قلهـا
الكلمة المنسية
الكلمة العشبية
الكلمة العارية .



● لا يحتاج المرء ان يكون فيلسوفا لكي يتفلسف حول الاسماء • فكثير من الناس يسألون انفسهم في لحظة ما : لماذا كان اسمي علي مثلا ، ولم يكن محمود ، أو ابراهيم ؟ وهل كان يختلف الحال لو ان اسمي محمود أو ابراهيم ؟ وحتى العشاق يجدون انفسهم احيانا غارقين في فلسفة الاسماء، مع انهم غارقون ايضا ـ وهذا أمر مسلم به ـ في نشوة الغرام • وهكذا تقول جولييت لروميو :

« اسمك وحده عدوي • انت انت ، لست مونتاجيو ، وما مونتاجيو ؟ انه ليس يد انسان و لاقدمه ولا ذراعه ولا وجهه ، ولا أي جزء آخر منه ! أوه ! لتكن اسما آخر ! وما الاسم ؟ ان ما نسميه وردة يظل عاطرا لو سميناه باسم آخر • كذلك روميو لو لم يكن اسم روميو لبقى له كماله الحبيب بدون ذاك اللقب ، روميو ! انزع عنك اسمك ، وبدلا من اسمك الذي ليس جزءا منك ، خذني كلي ! » •

فيجيبها روميو : « نعم ، وكرامة ! سميني حبا وكفى ، تكن معمودية جديدة لي • لن اكون روميو منذ الآن ! » •

والناس كلهم يتلاعبون بالاسماء مثـــل هذين العاشقين المدنفين • وقديما قال أبو تمام في صفة الخمر :

خرقاء يلعب بالعقول حبابها ‏ ‏ ‏ ‏ كتلاعب الافعال بالاسماء

وعابه نقاده لانه اقحم اصطلاحات النحويين في الشعر ، ولعل الرجل ـ وقد كان ذا ثقافة فلسفية ضخمة ـ رمى إلى ما هو ابعد ، فحركات النفوس هي التي تدفعنا الى العبث بأسماء الاشخاص والاشياء (وليس بالكثير على



بقلم : الدكتور شكرى محمد عياد

شاعر عربي عظيم أن يفهم ما فهمته فتاة أوربية فى الرابعة عشرة من عمرها) فاذا رضينا عن فلان أو ترضيناه فهو « عسل » ، واذا سخطنا على علان فهو زفت أو ما هو شر من الزفت • وحركات النفوس أو انفعالها كثيرة لاحد لها ولا حد لتلاعبها بالاسماء • ومازلت أذكر من عهد الصبا امرأة سكنت حارتنا وكان كل أطفالها يموتون (ذلك قبل تقدم الطب واختراع المضادات الحيوية) ثم رزقت بنتا فسمتها « خيشة » كى تقتحمها عيون الناس فلا تصاب بالحسد ، وعاشت الطفلة ورزقت أمها بمولود ذكر فسمته «شوال» للسبب نفسه •

ولكن العادة جرت بعكس ذلك • فما أكثر من يسميهم أهلهم سعيدا أو كريما أو جميلا أو حبيبا أو نبيها ثم يخلف الزمن ظنهم • والناس أحرار فيما يطلقون على أبنائهم من أسماء ، كما انهم أحرار فى التعبير عن رضاهم أو سخطهم بما يطلقونه على الآخرين من ألقاب ، فالناس يتأثرون فى علاقاتهم الشخصية بالدوافع الوجدانية أكثر مما يستمعون الى صوت العقل أو يلتفتون الى شهادة الواقع ، وكل انسان مسئول عن درجة التوازن التى يستطيع ان يحققها بين دوافعه الوجدانية وضوابطه العقلانية فى حياته الشخصية ، أو المساحة التى يخصصها لكل منهما ، ولكننا حين نسمح للانفعال أن تتلاعب بالاسماء فى حياتنا العامة ، أى فى بناء مؤسساتنا ، وتشكيل سياساتنا ، فان العواقب يمكن أن تكون خطيرة جدا •

وهذا — مع الاسف الشديد — هو ما يحدث الآن فى عالمنا العربى • وليس من الصعب تحديد بداياته ولا المرحلة التى يمثلها فى تطورنا اللغوى• ولكن ذلك يتطلب نوعا من البحث لا تقوم به معاهدنا العلمية • ولذلك اكتفى بالقول ان تلاعب الانفعال بالاسماء قانون لا مفر منه فى الحياة العامة والخاصة ، كما أنه قانون مسلم به فى النحو • ولكن أى نوع من اللعب يمكن أن يكون ابتكارا يسيطر عليه الخيال المبدع ، ويوجهه بوعى نحو أهداف حيوية ، كما يمكن أن يكون اندفاعا عشوائيا ليس له ضابط ولا هدف ولا نتيجة سوى اهدار الطاقة • وهنا مكمن الخطر •

القفز على
الأشواك

وسأعرض عليك أمثلة من تلاعبنا بالاسماء فى حياتنا العامة ، ملتزما جانب الحياد والموضوعية على الاقل حتى لا أقع فى التناقض ، مادمت قد بدأت بالاعتراض على الوجدانية فى التسميات ، وهى فرع عن الوجدانية فى الاحكام • ومع أن للظاهرة شواهدها فى شتى انحاء العالم العربى ، فسأقتصر على وطنى المصرى ، أولا لأنى أدرى به من غيره ، وثانيا لان فيه الآن – والحمد لله – قدرا أكبر من الديموقراطية (مع صرف النظر مؤقتا عن هذا الاسم) بحيث يصبح القفز على الاشواك أقل صعوبة •

وكما هى العادة فى أى دراسة علمية ، سأبدأ من الابسط الى الاكثر تركيبا •

فمنذ مدة ، لعلها تجاوزت العشرين سنة ، أنشأنا وزارة سميناها وزارة القوى العاملة • وطوال عمر هذه الوزارة لم يشعر المواطنون بوجودها الا مرة كل عام ، عندما تشرع فى توزيع الخريجين على الوزارات والمصالح وشركات القطاع العام • والتغيير المهم الذى حدث هو اتساع الفجوة الزمنية بين تخرج هؤلاء الخريجين والحاقهم بأماكن « عملهم » • أما المفاجأة فهى اعلان هذه الوزارة أخيرا عن أن البلاد تعانى عجزا فى خريجى الآداب والحقوق ! أما عن خريجى الآداب ، فمن الواضح أن زيادة عدد المدارس
والحقوق ! أما عن خريجى الآداب ، فمن الواضح أن زيادة عدد المدارس
استطاعت أن تفترع نوعا جديدا من العمالة ، وهو أعداد العاطلين • وأما عن خريجى الحقوق فالفضل فى ازدياد الطلب عليهم يجب أن يعزى كاملا الى وزارة القوى العاملة المذكورة ، التى نجحت فى رفع مستوى قسم كبير من العاملين ، بحيث أصبح خريج الحقوق يقوم بالعمل الذى كان يقوم به خريج الاعدادية •

ومن هذا الباب – باب سعيد وكريم ونبيه وجميل جمال – اسم وزارة أخرى وهى وزارة « التنمية الادارية » ولكن ثمة عنصرا لغويا جديدا يدخل فى هذه التسمية الاخيرة وهو ما يعرف عند اللغويين بتعدد المعنى أو الابهام المقصود ، وقد أصبح لهذا العنصر مكانة كبيرة فى النقد الحديث • وهو متوفر فى حالتنا هذه لان « التنمية » يمكن أن تدل على أكثر من معنى واحد • ومن هذه المعانى تطويل الاجراءات ، وتكثير الادارات ، وزيادة الوظائف ، مع ما يتطلبه ذلك من تنظيم الدورات وعقد المؤتمرات • والمواطن المصرى يلاحظ أن وزارة « التنمية » الادارية نجحت فى تحقيق ذلك كله ، كما يثلج صدره – صدر هذا المواطن – شعوره بأنها تعمل فى تعاون وتناغم

تامين مع وزارة القوى العاملة •

وثمة باب ثان من التلاعب بالاسماء ، يقرب مما وصفناه بالابتكار والخيال المبدع ، ويمكننا ان نطلق عليه « تدجين الاسماء » • والمثل « الكلاسيكي » فى هذا الباب هو « الاشتراكية » • اخذنا هذا الاسم عن غيرنا من طريق الترجمة ، مع درجة لا باس بها من الوعى بمعناه ، وبالحاجة الى « اقلمة » هذا المعنى كى يتفق مع ظروفنا • ووجدنا أن « الاقلمة » تستلزم « تقليما » وتطعيما • فقلمناه وطعمناه بالقومية مرة وبالاسلامية مرة ، وبالوطنية اخيرا • وانتهينا بعد هذه التجارب الى نتيجة قائمة فى الواقع ، غائبة عن الوعى ، وهى أن « الاشتراكية » اصبحت فى حياتنا كلمة خالية من المعنى •

ربما كانت هناك اسباب كثيرة لهذا • ربما تمت عملية « الاقلمة » هذه بقليل من الارادة ، وقليل من الخبرة ، ربما كانت التجربة مستحيلة النجاح من البداية ، اذ كانت « الاشتراكية » ـ بسبب ارتباطاتها السابقة ـ محل شك قد يصل الى درجة الاتهام ، مع كونها سياسة معلنة ومنفذة • ربما كانت الالتزامات التى اخذت على عاتقها فى الداخل والخارج فوق ما يحتمله عودها الطرى • ربما كانت المشاركة الايجابية من جانب الشعب ـ الذى قامت باسمه ـ فى تصورها وتخطيطها وتنفيذها ضعيفة او معدومة ربما كانت هذه الاسباب مجتمعة هى التى ادت الى انصراف الاكثرية عنها ، او على الاقل سوء ظنهم بها • ولكنهم ما كانوا لينصرفوا عنها أو ليسيئوا الظن بها لولا انهم وجدوا الاحوال العامة ـ أعنى عناصر الحياة الاساسية من طعام وكساء ومسكن وصحة وتعليم ومواصلات ـ تزداد صعوبة بعد سنين كثيرة من هذه الاشتراكية (حتى ولو كانت هذه الصعوبة ناشئة جزئيا عن ازدياد تطلعاتهم هم انفسهم) •

فى هذا الخواء الفكرى اصبحت الحلول الفردية لمشكلات الحياة هى القاعدة • ومعنى ذلك انحلال النظم الاجتماعية والاخلاقية • وفى هذه الظروف بالذات قدم شعار جديد اسمه « الانفتاح » قد يكون « الانفتاح » ، فى بعض جوانبه ، استجابة لضرورات سياسية أو اقتصادية معينة ، ولكن المحقق ـ على كل حال ـ انه حمل سمات الخواء الفكرى والفوضى الاجتماعية والاخلاقية التى اصبحت مميزة لحياتنا الحاضرة • والاشنع انه يمثل درجة ثالثة اشد تركيبا وخطورة،من درجات التلاعب بالاسماء : أعنى درجة خداع النفس المقصود • فالانفتاح يسمح ، ضمن ما يسمح به ، بما يسمى الاقتصاد الحر • بل ان بعض الناس يرون أن هذا هو مدلوله الحقيقى • بل اكثر من هذا : انه اشد حرية من اى اقتصاد حر •• انه النظام الذى خلق فئة ضخمة عاتية من المليونيرات ، حققت ثرواتها الطائلة خلال بضع سنوات عن طريق الاستيراد ، مدعومة ببنوك يهمها العائد السريع ولا يهمها أن

الأشوالك

توجه أموالها الى صناعة أو زراعة ·

والذى يحدث الان فى حياتنا العامة شىء يطرب له العالم اللغوى الذى يرصد لعبة الاسماء « فالانفتاح » ، الاسم الذى عملت فى ظله رأسمالية الوسطاء ، يتطور بسرعة ليصبح بدوره اسما خاليا من المحتوى · والاسباب واضحة هذه المرة : انخفاض الموارد ، غير العادية أو غير الانتاجية ، التى أوجدت سوقا استهلاكية رائجة فى السنوات القليلة الاخيرة : أرباح البترول ، رسوم القناة ، تحويلات المصريين العاملين فى الخارج ·

والاسم الذى يطلق اليوم « الترشيد » هو التعبير الملطف عن الحاجة الى نظام اقتصادى أكثر انضباطا · وسواء فهمت رأسمالية الوسطاء ذلك أم رفضت الاعتراف بالواقع ، فان الواقع لابد أن يفرض نفسه بطريقة ما · وقد يميل العالم اللغوى الى التفاؤل ، فيقول ان « التعبير الملطف » هو حالة غير خطيرة من حالات اللعب بالاسماء · وقد يتفاءل أكثر فيرجو أن يكون مرحلة وسطى للخروج من خداع النفس الى مواجهة الواقع ، والاسم الذى يمليه الواقع الان هو « التقشف » ·

ولكن من يقولها ؟ ولمن يقولها ؟ بالتأكيد ليس لشعب تعيش أكثريته بالفعل فى أشد حالات التقشف · لكى تقال هذه الكلمة لابد من اصلاح المعجم كله · قد يكون من السهل على الفتاة جولييت أن تطلق على الوردة أى اسم تشاء ، لان شعورها وكيانها كله سيظل ممتلئا بورود الحب · أما نحن فى واقعنا الكالح ، فلن نستطيع الخروج من هذا الواقع اذا سمينا الـ ··· باسم غير الـ ···

الحبّ فى الأمثال

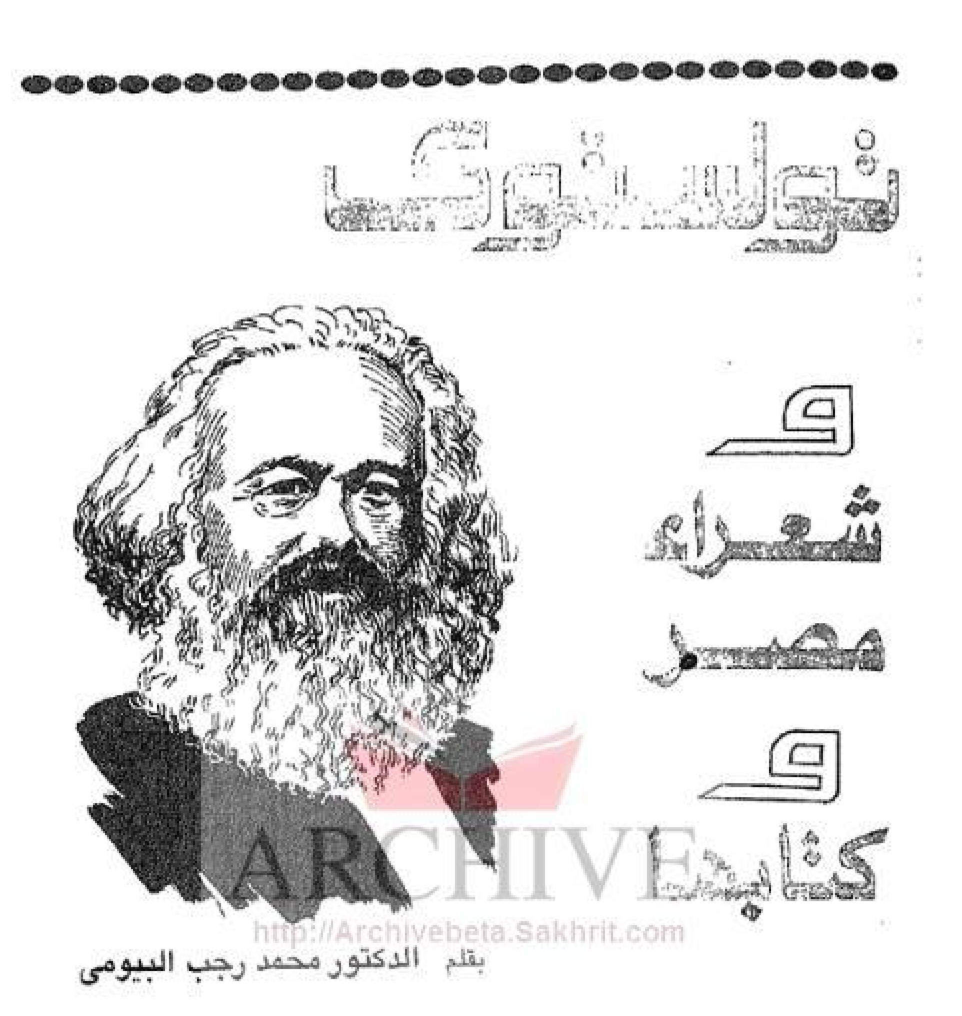
● امثال فرنسية

- الحب يعلم الحمير الرقص
- قلما يموت الحب فجأة .
- يبقى الحب ما بقى المال
- لا حب بلا غيرة .

● امثال المانية

- الحب لا يعرف الخوف .
- الجوع اقوى من الحب .
- الحب جزاء المحب .
- ليس الحب أعمى . لكنه لا يبصر .

تولستوى وشعراء مصر وكتابها



بقلم الدكتور محمد رجب البيومى

نال تولستوى أبعد حدود الحظّ فى ميادين الشهرة والثراء والأدب والاصلاح ، إذ نشأ فناناً موهوبا ورث المال والجاه عن اسرة نابهة ، وكتب القصص الرائعة ذات المرمى البعيد ، ونهل أفاويق السعادة زوجا ووالدا وعاشقاً ، وكان المظنون بمن لقى حظوظه السعيدة أن تطّرد حياته على نحو عذب هنىء ، ولكنّ الفنآن الحالم قد امتزج بالمصلح الثائر فى رُوحه امتزاجاً أورثه الحيرةَ والقلقَ ثم قذف به إلى نار الالم حين أخذ يُوازن بين حياته المترفة الناعمة ، ومايدعُو إليه من إصلاح دينىّ واقتصادى إذ تعاظمه أن ينتشر البؤس القاتل فى الاف الأكواخ مُسلّطا أسلحته الفاتكة من فقر ومرض وجهل على السّواد الأعظم بين الناس ، وان يذوق هؤلاء غُصَص الحسرة القاتلة حتى يريحهم الموت ، على حين يخلدُ الكاتبُ الفنان إلى نعيم رافه

تولستوى

يُغاديه بالسعادة ، ويراوحه باللذة والنشوة ، لقد وازن بين سعادته وشقاءِ مَن حوله فاعتصر الالم قلْبه اعتصاراً . وصَمم على أن يفرّق أرضه وماله وتصوره على الجائعين العارين من ذوى الالم والمرض والحرمان ، فقامَ فى وجهه اقربُ الناس إليه ، ونفرتْ منه الزوجةُ وضايقته بما أنْغر جراحَه ، وسور عيشه ، ولم يجد بدأ من الفرار الهائم على وجهه دون هدف ، وهو يحمل اعباء الشيخوخة الواهنة ، تتقاذفهُ الخرائبُ والسبل حتى لفظ أنفاسه وحيدا فى محطّة قروية لايعلمُ أحدُ من ساكنيها من هُو الميت الفقيد ! وكانتْ خاتمتهُ رائعةً مفجعة لفتت الناس فى كلّ مكانٍ إلى تضحيته الهائلة ، وجعلتْ منه مشعلَ طريق ، وقائد دعوة ، ولم تكنْ مصر العزيزة بمعزلٍ عن ركب الانسانية المتطلعة الى مشارق النور حين أسِفتْ مع الآسفين على رَحيل الكاتبُ المصلح فقام شعراؤُها وكتّابها بتأبينه وتعداد مواقفه ، وواسى الشرق أخاه الغرب فى مأساة مصلح رائد حفظ حقّ القلم فى الرعاية والتوجيه ، وأعطى المثل الحسن فى التجرد والتسامي والأثبار ! لم تكن مصرُ إذن بمعزل عن حركات الأصلاح العالمى كما يزعُم ظلْما من يُحاول أن يطمس لالاءها السّاطع ، بل كان النابهون من أبْنائها يُواكبون حركات الاصلاح ، ويُقدرّون للمجاهد كفاحه ، ويعرفون للظالم جُشْته وانحداره ، كانتْ مصر تنعمُ بأمثال محمد عبده وعلى يوسف وقاسم أمين وفتحى زغلول وأحمد شوقى وسعد زغلول من ذوى البصائر النيرة ، والنهوض المتوثب إلى أرقى آفاق الحريّة وكانَ محمد عبده رائد الاصلاح الاسلامىّ فى مصر أوّل مَنْ توجّه منهم إلى تولستوى بالتحيّة فى حياته . إذ أعجب كثيراً بموقفه من



الأمام محمد عبده

الأصلاح الاجتماعى ورأى فيما كتب إليه الكاتب الروسى عن المسيحية ما يعضد وجهته فى الاصلاح الدينى ، فكتب إليه مُباركا مؤيداً ، كتب إليه كتاب النظير عن ثقةٍ بالغة التمكّن ، ليعلن إليه أن بنى الانسان ذوو رحم واشجة مهما تباعد المكان وأنّ ذوى الفكر من بَنى الانسان طيور تصدح على شجرة متعدّدة الأفنان .



احمد لطفى السيد



احمد شوقى

من محمد عبده إلى تولستوى

كتب الأستاذ الأمام إلى تولستوى يقول

«أيها الحكيم الجليل –

لم نحْظ بمعرفة شخصيتك ، ولكننا لم نحرم التعاون مع رُوحك ، إذ سطع علينا نُور من أفكارك ، وأشرقتْ فى آفاقنا شموس من ارائك ، ألفتْ بين نفوس العقلاء ونفسك ، إذْ هداك الله إلى معرفة سرّ الفطرة التى فطر الناس عليها ، ووفقك إلى الغاية التى هدىَ البشر إليها ، فأدركت انّ الانسان جاء الى هذا الوجود لينبت بالعلم ، ويثمر بالعمل ، ولإنْ تكون ثمرته تعباً ترتاح إليه نفسه ، وسعْيا يبقى به ، ويُرقّى جنسه ، وشعرتَ بالشّقاء الذى نزل بالناس لمّا انحرفوا عن سنّة الفطرة ، ولمّا استْعملوا قُواهم – التى لم يمنحوها إلا ليسعدوا – فيما كدّر راحتهم وزعْزع طمأنينتهم .

ونظْرت الى الدّين فجرحْت حجب التقّاليد ، ووصلت الى حقيقة التوحيد ، ورفعْت صوتَك تدعوُ الناس الى ماهداك الله إليه ، وتقدّمت امامهم بالعمل لتحمل نفوُسهم إليه ، فكما كنت بقولك هادياً للعقول ، كنت حاثاً للعزايم والهمم ، وكما كانت آراؤك ضياءً يهتدى به الضّالون كانّ مثالك فى العمل إماماً يقتدى به المسترشدونّ»

● شعراء مصر ●

وتحليلُ خطاب الأستاذ الامام يتطلب مجالا أخر فقد اوجز مناحى الاصلاح لدى تولستوى إيجازا يحتاج الى تفصّيل ، وحين مات الفنآن الروسى بعد عشرة أعوام من خطاب الأستاذ





الامام ، ضجت عليه صحافة مصر ، نظرتْ انهارها تتدفق بمآثره ، وتحين بفصول مؤثرة من كتاب حياته ، وقد ظهرت " الجريدة " بمقال افتتاحيّ كتبه محررها الاستاذ احمد لطفي السيد تحت عنوان (مات الرجل) فاحسن الالماع الى مواقف تُولستوى فى دقّة ورصانة تعهدان عنه ، وكان شوقي غير غائب عن فجيعة العصْر فى تولستوى فاندفع الى رثائه اندفاع القادر البصير ، فجاءتْ مرثيته مع نبضها العاطفيّ وايقاعها الوجدانى ، وشجاها الدامع الحزين ، جَاءتْ قصيدته مع هذا كله تحليلاً بصيرا لألمع الخوافى فى حياة الراحل ، وجاء بها من الومض الكاشف ، واللمح الساطع ماكشف النّور عن شعاب رحيبة تعمر افاق تولستوى ! شوقي اروسْتقراطي بنشأته ومنصبه ، لكن روح الاشتراكى الراّحم تترقرق فى شعره ، فانت إذا طويتَ مدائحه الرسميّة ، ونظرت إلى معدنه الفنيّ رأيت الانسان المعذّب بمصائب البشر تصرخ فى اعماقه ! هذه الروح هى التى دفعته إلى رثاء تولستوى حين لمح دموع الباكين من البائسين تنهمر خلفه ، وحين رأى الفلاّحين فى الأكواخ يتأوهون على من اخذ بناصرهم حين فقدوا النصير ، ومن نطق بمآسيهم وعمل على مَحوها حين نادى بحقّهم فى الحياة السعيدة ، وهمْ فى مجموعهم كما عناهم شوقي حين قال مخاطبا تولتسوى

ويندبُ فلاّحون انت منارهم
وانت سراج غيبوه منيرٌ
يُعانون فى الاكواخ ظلما وظلمة
ولايملكون البثّ وهو يسير

وقد كانت زوجة تولستوى بعض مآسيه ، ولكنها ندمتْ على ماأسلفتْ حين تلقّت منعاه ، فبكتْ بكاء حارا عبرّ عنه شوقي حين قال

ويبكيك الفُ فوق (ليلى) ندامةً
غداة مشى (بالعامرىّ) سرير

وهى إشارةٌ مهذبة تدلّ على ذوق أمير الشعراء ، وقد غاب مغزاها عمنّ انتقد شوقي فتساءل ؟ وما دُخلُ ليلى وقيس هنا ؟ وكان عليه ان يتعلمّ قبل ان يتهكّم !
ولم يفتْ أمير الشعراء اعتزازه بشعراء لغته ، إذ أحبُ ان يُفارق بين تولستوى وبين عظيم من ذوى الفكر يُساميه ، فاختار ابا العلاء المعرىّ اختياراً صائبا ، فكلا الحكيمينْ قد عَرك نوائب الدهرْ ، وتحمّل مصائب الانسانية بقلب باك ، وضمير ثائر ، وقد شاء شوقي ان يَصف زيارة تولستوى لحكيم المعرّة فى عالم الخلود ، وان يُجرى على لسان الحكيم الروسىّ اعترافا يقدمّه لحكيم المعرة قائلا فى تواضع .

إليكَ اعترافى لاالقسّ وكاهن
ونجواى بعد الله وهو غفور

فزهدك لم ينكرهُ فى الارض عارف
ولامتعال فى السماء كبير
سلكت سبيل المترفين ولذ لى
بنون ومال والحياة غرور
اداةُ شتائى الدفء فى ظل شاهق
وعدةُ صيفى جنةٌ وغدير
ومتعت بالدنيا ثمانين حجة
ونضر ايامى غنى وحبور
تسائلنى هل غير الناس مابهم
وهل حدثت بعد الامور امور
أناس كما تدرى ودنيا بحالها
ودهر رخىُ تارةً وعسيرُ
وَحِرْصٌ على الدنيا وميْلٌ مع الهوى
وغش وإفك فى الحياة وزور

لقد صار شوقى متشائما ' وكان المعرى قد اعداه بل كانَ مأساة تولستوى حين هجر الانس والصفو ولاقى الموت فى مكان موحش قد اعداه بهذا التشاؤم ' وإلاّ فامير الشعراء فى كثير من قصائده متفائل ذو ارتياح وهو الذى عاتب المنفلوطى متسائلا فى رثائه

مَنْ شوّةَ الدّنيا إليك فلم تجدْ
فى الملك غير مُعذبين جياع
ماهكذا الدينا ولكنْ نقلةٌ
دمْعُ القرير . وعبرةُ الملتاع

واهون مايقال عن شوقى فى هذا المجال إنه ينطق بلسان تولستوى لابلسانه ، أو انه كان فى لحظات ضيق '



وماكادت قصيدة شوقى تتألق فى الصحُف حتى باراها حافظ بقصيدة قال فى مطلعها مخاطباً تولستوى

رثاك امير الشعر فى الشرق وانبرى
لمدحك من كتاّب مصر كبيرْ
ولست ابالى حين ارثيك بعده
إذا قيل عنىّ قد رثاه صغير
فقد كنت عونا للضعيف وإننّى
ضعيف ومالى فى الحياة نصير

تولستوى

وقد انتقد الكاتب الكبير الأستاذ على أدهم هذا المطلع فقال إن شاعر النيل بهذه الأبيات التى تنمّ على شىء من الضعف ، وعدم الثقة بالنفس قد ظلم نفسه ، ويُخيلُ الىّ ان الاستاذ ادهم رحمه الله نسى انّ حافظاً قال هذه المرثية قبل ان يُوظف بدار الكتب ، وكان وجهُ الحياة كالحاً فى عينه فصدق التعبير عن نفسه حين قال إنه ضعيف وماله فى الحياة نصير . وإذا صدق الشاعر فى تصوير عاطفة فكيف يُلام ؟ على أن أدهم أصاب شاكلة الصواب حين انتقد قول حافظ :

ولست أبالى هنا حين أرثيك للورى
حوتكَ جنان ام حواك سعير

لأن ذكر السعير هنا مستبشع او إن كانت قوة أدهم فى نقد البيت تدلّ على انفعال حادٌ لانعْهده فى نقداته الصائبة ، وقد تابع شاعر النيل أمير الشعراء ، فأجرى لقاءً بين تولستوى والمعرى ، واندفع الى جفاف ذوقى لم يقبله الأستاذ ادهم أيضا حين قال حافظ مخاطبا تولستوى

إذا زرت رهن المحبسين بحفرة
بها الزهدُ ثاوٍ والذكاء ستير
فقف ثم سلِّم واحتشمْ إن شيخنا
مهيبٌ على رغم الفناء وقور

فالأمر بالوقوف والسلام والاحتشام ! مما لايجوز أن يُملىء على تولستوى ! وقد كان شوقى أدرى بمقتضى الحال حين قال مخاطبا تولستوى .

إذا أنت جاوزت المعرىّ فى الثرى
وجاور (رضوى) فى التراب (ثبير)
واقبل جمع الخالدين عليكما
وَغالَى بمقدار النظير نظير
جماجم تحت الأرض عطرِها شذى
جناهنّ مسكٌ فوقها وعبير

ولكن حافظا تيقَّظ لنفسه بعد هذه العثرة ، وأجرى على لسان المعرى من دقائق الحكم مايعدٌ وليد نبوغ متأصِّل فى فكر حافظ ، إذ شاء شاعر النيل أن يكون المعرى واسع النظرة ، رحيب الأفق ، صادق البصر فى غور الحياة إذ يراها قربا دائماً لأن سُنّة العمران تُوجب التناحر ، فالشرُّ أصلٌ أصيلٌ فى الحياة ولولا امتزاجه بالخير ما بعث الله النبيين الهداة ، ولما انبعثت الهمم العالية إلى الاصلاح ، ولما عشق العلياء حرّ وسادٍ كريم ، ورجا الثراء فقير ، فَرُبَّ نقمة

تجلب نعمة وكمْ فى طريق الطيبات من شرور ! هذه نظراتٌ حكيمة وجهها المعرّى الى تولستوى على لسان حافظ ابراهيم اذ هتف

حياة الورى حرب وأنت تريدها
سلاماً ، وأسباب الكفاح كثير
أبتْ سنّة العمران إلا تناحرا
وكَدْحاً ولو أن البقاء يسير
تحاولُ رفعَ الشرّ والشرّ واقع
وتطلبُ محض الخير وهو عسير
ولم يبعث الله النبيّين للهدَى
ولم يتطلّعْ للسّرير أمير
ولم يعشق العلياء حُرٌ ولم يسدْ
كريمٌ ولم يَرْجُ الثراء فقير
ولو كان فينا الخيرُ محْضا لما دعا
الى الله داع ، أو تبلّغَ نورُ
ولاقيل هذا فيلسوفٌ موفّق
ولاقيل هذا عالمٌ وخبيرُ
فكمْ فى طريق الشرّ خيرٌ ونعمة
وكم فى طريق الطيبات شرور
إذا هُدّمت للظلم دُور تشيّدتْ
له فوق أكتاف الكواكب دور !

وجريان الحديث على هذا النحو الرائع كان فى حاجة الى تتمة تؤكدُ ضرورة السعى فى الاصلاح ، ولعلّ الذى دعا شاعر النيل إلى إهمال هذه التتّمة أنه يتحدث على لسان المعرّى ، وأبو العلاء متشائم يائس فلا يجوزُ أن يدعو الى الخلاص من الشرّ فى حياة يعتقد أنها بنيت على الأكدار ! وللخروج من هذا المأزق كان على حافظ أن يُصدر حكماً تالياً على حوار أبى العلاء ، يفتحُ فيه باب الأمل أمام المصلحين ، ولكنّ حالته النفسية التى أشرنا إليها من قبل ، حالت دون هذا التفاؤل . وقد قال عن القصصى الروسىّ ماأوحت به عاطفتهُ الذاتية ، وحسبه هذا!

● أحمد نسيم ●

كان للشعر فى الثُلث الأول من هذا القرن صولةُ ظافرة ، فما يكادُ شاعرُ من شعراء الصف الأول يُبدع قصيدةً فى غرض مؤثر حتىّ يُجاوبه غيره من ذوى الأبداع الشعرى ، وهكذا بدأ شوقى وثنىّ حافظ ، ثم جاء أحمد نسيم ليحذو حذوهما ، ونسيمُ أقرب فى منحاه الأدبى إلى حافظ منه الى شوقى ، إذ كان يدور فى فلك شاعر النيل ، وقد لقّب نفسه بشاعر الوطن حين رأى الصحافة المصرية تنعت حافظا بشاعر النيل ، كما كَباَ حظّهُ حين مدح المستعمر فى الفترة الأولى من عهده بالشعر ، ثم أدركه المتاب فاقلع عن خطئه ، واتجه وجهة الوطنيةَ الصحيحة مخلصا صادقا ، والتاريخ لايرحم إنسانا ، لانه لسان الحق ، يحصى المثالب ويعدُد المحاسن ،




وحين نُشر الشاعران رثاءيّهما في تولستوي ، انطلقتْ شاعرية نسيم ترددُ ماجاش بصدر صاحبها في هذا الموقف ، وقارىء نسيم يشعر أنه يَحبُو نحو حافظ حَبْواً دون أن يقترب منه اقتراب النظير للنظير ، وكان نسيم يعلم ذلك من نفسه ، وكأنه قلّد حافظا حين قال في مطلع مرثيته

تُلستوى ابشرْ قد رثاك ثلاثة
صغيرهم في النابغين كبير
ولولا النهى ماثار شوقي وحافظ
ولاكاتبُ جم البيانِ قدير
ومابينهم يوم الفخار تفاوتٌ
فكلٌ بما يثني عليك فخور

واندفع أحمد نسيم يسجلُ خواطره نحو المصلح الفنان ، وقد غضب لثورة خصُومه ، وندّدَ بمن قاوموا فكره الديني ومذهبه الاجتماعي ، وانذرهم بعذاب قاصم ينزل بساحتهم بعد حين ، كما أعجبه ماحاوله تلستوى من تقسيم ثروته على الفقراء ، وميله الى الزهد طمعاً في مساواة تشمل الناس جميعا ، وحديث نسيم عن الفيلسوف حديث المتأثر لاالدارس ، فليس له عُمق شوقي ، ولابعد نظره ، وقد وسّع الشاعران جوانبَ الموضوع حين اتّخذا المعرّى طرفاً في قضية تولستوى ! وكان على نسيم أن يُبدع مثالاً جديدا يُضيف الى تراثه الشعرى بعد الجدّة ، فاذا عَزّهُ أن يجد الجديد ، فليتعمّقْ حديث الشاعرين عن المعرّى ، ليستهدى به في توليد أفكار لم تتح إليها ! .

وكانت خواتم القصيدة أقوى من مطالعها حيث دعا نسيم شوقيا وحافظاً إلى رثائه فهو في نظر نفسه دفينٌ مقبورٌ لاحيٌ يتنفس . والشاعر صادقٌ في أحساسه إذ كان إبان قوله هذا تائهاً ضائعا يعيش في كنف الأديب الكبير محمد ابراهيم هلال ، دون أن يجد باباً للرزق ، ثم واتاهُ الحظ بعد ذلك فعُيّن بدار الكتب ، لذلك أجاد التعبير عن نفسه حين توجّه الى الشاعرين الكبيرين قائلا

خليليَّ هل جَل الأسى فبكيتما
جهاراً أم الخطب الملمّ عسيرُ
الا فارثياني في الحياة فانني
دفينٌ ، وحولي منكر ونكير
حطمتُ يراعي وابتُليتُ بوأده
ولكنني رغم الخطوب صبور

لقد عاش تلستوى في أذهان الصفوة من شعراء مصر ، كما عاش في ذهن شاعر مجيد لم يكتبْ عنه قصيدةً ، ولكنْ ألفَ عنه كتابا ضخما كان أجمل ماصدر في العربية عن هذا الرجل العظيم ، ذلكم هو الشاعر الكاتب المؤرخ الفقيد الأستاذ محمود الخفيف .. ●



● كان الموظف يتناول طعام الافطار فى منزله .. بينما انهمك فى مطالعه الصحيفة اليومية لفترة طويلة ، ثم التفت الى زوجته وطلب قدحا اخر من القهوة فقالت الزوجة : قهوة أخرى ، الن تذهب الى مكتبك اليوم . فقال الزوج فى دهشة : ياالهى لقد كنت اظن انى فى المكتب فعلا ..

● بعد ان انتهى الطبيب من فحص المريض ، قال له : افضل نصيحة أوجهها إليك هى ان تترك التدخين والشراب فورا ، وان تنام مبكرا ، وتستيقظ عند الفجر . فقال المريض متوسلا · فى الواقع انا لا أستاهل افضل نصيحة فهل أجد لديك نصيحة اقل منها .. ؟ !

● قالت الزوجة لزوجها : لاحظت ياعزيزى انك تكسب النقود بسرعة اقل مما استطيع انفاقها !

● قالت الزوجة تشكو لزوجها من الافلام القديمة التى يعرضها التليفزيون · لقد رأيت هذا الفيلم منذ العهد الذى كنت معتادا ان تصحبنى فيه الى الخارج !

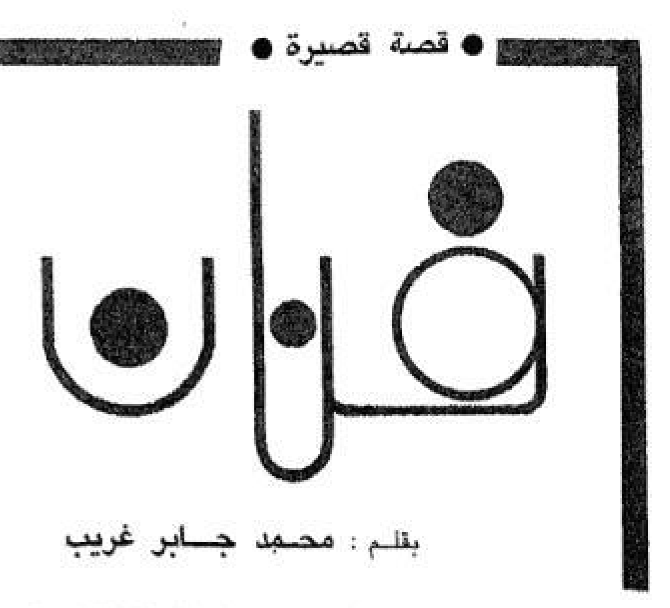
● قال صديق لصديقه : لقد قلت لى انك ستبقى صديقى للنهاية ، اذن اقرضنى مائة دولار فرد عليه صديقه : وهكذا نكون قد وصلنا الى النهاية ..

● للرجال الذين يقيمون معارض السيارات الدولية طريقة فلسفية خاصة فى معرفة جنس زائرى هذه المعارض ، ويقول احد مديرى شركة « فورد للسيارات » اذا فتح الزائر غطاء السيارة ونظر فى المحرك واذا فحص داخل السيارة ونوع مقاعدها فهو انجليزى ، واذا اهتم بموضة السيارة وشكلها فهو فرنسى ، واذا جرب النفير فهو ايطالى ، اما اذا فحص حجمها وبطاقة سعرها فهو احد اثنين امريكى او ثرى عربى ! ،

● قال الكاتب المعروف « اوسكار وايلد » انه يحب موسيقى « فاجنر » أكثر من غيرها ، لأنها مرتفعة جدا ، الى حد انك تستطيع أن تتحدث طوال الوقت حين تعزف دون أن تزعج غيرك من الناس !

● سئل النجم الفرنسى « موريس شيفالييه » عن السبب الذى يجعل الرجال الفرنسيين يتبادلون القبلات على الوجنتين فقال : لاننا نحن الفرنسيين نحب ان نجدد معارفنا ، ولهذا قد نقبل رجلا لم نر ه منذ خمس سنوات ، او فتاة لم نراها منذ خمس دقائق !!

• قصة قصيرة •



بقلم : محمد جابر غريب

اطلق دخان سيجارته زفر - فى اللحظة ذاتها جاءه صوت الساعى
- الباشا طالب حضرتك.
ضم اوراق الملف . تأكد من تمامها .
ضغط السيجارة . كانت الطقطوقة عامرة بالاعقاب .
محجوب غمز لمذكور . تسلك كلماتهم اليه هامسة :
- البساط بدأ صاحبك يسحبه .
احس بغصة .. ازدرد ريقه . نحى مقعده .
وهو يضغط اكرة الباب صفعته نظراتهم الحاقدة .
قال الباشا - اجلس .
جلس
- وصلتنى اخبار سارة عنك
- خير يافندم
- اليوم فقط عرفت انك اديب
علت وجهه حمرة مباغتة
استطرد الباشا وهو يمسح نظارته
- لذلك قررت تعيينك رئيسا للسكرتارية
- يافندم انا
- انت انسان مثالى ولازم تاخذ وضعك
(من لايتمنى العمل مع اللواء محسن فهمى ؟ ! ٪)
- المسالة لاتحتاج لاكثر من لتركيز ، وقليل من الجهد .
تركيز ؟ ! - جهد ؟ ود لو انه لم ينطقها .
اتسعت مساحة الغصة سدت حلقه تعلقت عيناه بشفتى الباشا

تابع كلماته الودود
- سعادة الباشا تسمح لى .. اقول
- قل
ابتسم . مد يده

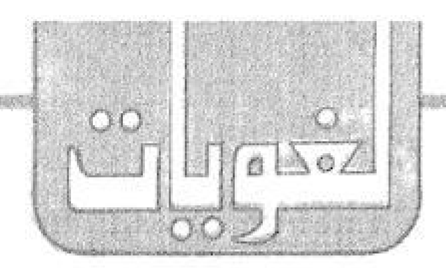
لوحة للفنان العالمى جويا



انحدرت قطرة عرق . ضاقت «الكرافتة» حول عنقه
اغتصب الكلمات ، وهو يصافحه .
- ارجو ان اكون عند حسن ظنك

الوعى فى هذه الحالة قاتل ومدمر . المشكلة ستكبر . تتضخم بمجرد ان يلامس مقعده الجديد .
محجوب يبصق
- دنيا بنت كلب . اخيرا اصبحت راس الصعلوك براسى .
(حقيقة امك لم تخطىء التسمية) محجوب وانت محجوب .. هكذا شاءت القدرة ان يجىء الاسم مطابقا لطمس البصيرة .
كلنا ولاد تسعة يابن علوان .
زفر .. اطلق دخان سيجارته ...
نفخ مدكور ، وهو يقول - خوفى وسمى العنطظة والنفخة الكذابة .
- لاتحمل هما .. انا اعرف كيف اعلمه الادب .
- الادب .
«طالما كانت المسيرة شاقة وعصية .
منذ التحاقى بالمكتب . وقلمى اصيب بشىء ما . بالضبط لا ادرى ...
لا استطيع ان اكتب . ان اقرا ..
لابد وان للمسالة وجه آخر . يتضمن شيئا ما .
سال نفسه :
- من الرابح . من الخاسر؟
الأمر اذن يحتاج لوقفة . أجل وقفة طويلة ، وربما متاملة ، متانية

بعد ايام كانت مفاجاة للجميع
مساحات الدهشة فوق عيونهم . علامات استفهام كثيرة ارتسمت .
تساؤلات افترشت الملامح .
كل الأشياء تتدخل - تضطرب
ما حدث وما يحدث ..
أحد منهم بالضبط لايفهم . لايريد أن يفهم . كان فى الأمر معضلة تستعصى على الفهم .
الاستقالة كانت مكتوبة بالخط العريض كانها تتحدىّ . كانها تخرج لهم لسانها .
كانها تصفعهم او تبصق فوق وجوههم .
محجوب تهالك فوق مقعده . ضرب كفا بكف .
بدا عليه كانه يحادث نفسه :
- من كان يصدق ان صعلوكا .. يمكن ان يضحى بالمكافاة ، والعلاوات والأجر الاضافى



● من اغلاط الصحف فى ايامنا قولهم «جاءت المراه بطفلين توام» او قولهم «هذان شقيقان توام» .. وهذا خطا .. والصواب أن يقال «شقيقان توامان» .. و «جاءت الوالدة بطفلين توامين» لأن التوام هو احد التوامين فقط ..

● تقول «شكرتك» و«شكرت لك» و«نصحتك» و«نصحت لك» و«اشتقتك» و«اشتقت إليك» و«هديتك إلى الطريق» و«هديتك الطريق» .. فهذه كلها تعبيرات صحيحة

● قال سيبويه : ليس فى الأسماء ولا فى الصفات «فُعِل» بضم الفاء وكسر العين ولايكون هذه البنية اللغوية إلا فى الأفعال .. اما الأخفش فقال : قد جاء على «فُعِل» اسم واحد هو «الدُئِل» .. اسم دويبة صغيرة تشبه ابن عرس ، وبها سميت قبيلة ابى الأسود الدُؤلى أول من تكلم فى علم النحو .. ويلاحظ انهم عند النسبة إلى الكلمة فتحوا الهمزة استثقالا لكسرتين بعد ضمة .. والعرب تستثقل تتابع الكسرات وياءى النسب كما فى «الدؤلى» ! .. ولهذا فتحوا فى هذه الكلمة ولم يكسروا

● إذا غاب احدهم عن دعوة او جلسة او وليمة قالوا «اعتذر فلان عن الحضور» ، أو «اعتذر فلان عن عدم الحضور» ، وكلاهما خطا ، والصواب «اعتذر فلان من عدم الحضور» ، لأن الغائب هنا إنما اعتذر «من» «عدم حضوره» ، ولايقال «عن» ، لأن الغائب لم يعتذر نيابة عن عدم الحضور ، وقد ادركنا المرحوم انطون الجميل باشا رئس تحرير الأهرام حتى سنة ١٩٤٨ وهو يتشدد فى هذا التعبير ولا يسمح بنشر قولهم «عن عدم الحضور» ، ويضع بخط يده كلمة «من» بدل «عن» .. فلزم تنبيه إخواننا فى الصحف المصرية والعربية فى ايامنا هذه ..

● اراد الشاعر الكبير المرحوم اسماعيل صبرى باشا ... اللغوى الحجة المرحوم الشيخ حمزة فتح الله فكتب على لسانه ابياتا يشكو فيها «شركة» كوك الإنجليزية ... على المدارس فى انحاء مصر ، فقال اسماعيل صبرى باشا هذا البيت الساخر الضاحك على لسان الشيخ موجها إلى المندوب السامى البريطانى المشكو إليه :

اشكوك كوكك ذى يفك عن جذب

قد كان قبلا ... وكل ...

فلم يغضب الشيخ لنظم هذا «الشعر» القبيح على لسانه ، ولكنه غضب للخطا فى قول الناظم «اشكوك» لأن الصواب أن يقول : «اشكو إليك «شركة كوك» .. او «كوك» كما قال ـ ومختارا «كوك» التى هى تحت سيطرتك بوصفها شركة إنجليزية» . اما قوله «اشكوك» فمعناه انه يشكو المندوب السامى شخصيا

هكذا كانت مناقشتهم رحمهم الله ! ..

بقى ان نفسر لك البيت : «اشكو إليك شركة كوك لكثرة ... الناظم ، فإن ... كان وماتزال عيبا ، وكل الناس قد ... الذى ... به هذه الشركة ... ،



بقلم : الدكتور سعيد اسماعيل على

●● حقيقة اجتماعية نبه اليها ارسطو منذ زمن طويل، .. واكد عليها ابن خلدون فيلسوف العرب العظيم وهذه الحقيقة تقول : ان المجتمعات البشرية لا يستقيم امر كل انسان فيها الا بالتعاون ، اما العزلة والانفراد والاستئثار والانطواء وما ينعطف عليهما كلها ، فمن اضداد المجتمع والاجتماع وما اليهما ، وكل شىء يعمله الانسان منفردا يمكن ان يتم بشكل احسن فى ظل التعاون مع الغير . وفى التعاون تكامل للجهود ، كما ان من مقتضياته وجود قيادة تحسن تنسيق الجهود المتعاونة وتكامل بينها وتوجهها نحو الاهداف المشتركة . وفى مثل هذا المجتمع المتعاون افراده المتكاملة جهوده ، المستنيرة قيادته ، يجد الفرد امنه وطمانينته ويستقر وضعه ، وهذه هى اسس سعادته التى لا تتحقق الا فى اطار الانتظام القائم على التنسيق والتكامل المستند الى الحركة الديناميكية التى لا توجد الا فى مجال القيادة الرشيدة المرنة والتبعية البصيرة المقتنعة ●●


يحيى شاهين وعبد الرحمن الخميسي في فيلم الأرض

واذا كان لنا أن نزعم أن « المثقفين » يتحملون مسئولية كبيرة فى « القيادة الاجتماعية » ، فان لنا أيضا أن نؤكد أن « المعلمين » — كأحد فئات المثقفين — يتحملون قدرا هاما فى هذه المسئولية لعدة اعتبارات :

● ان المعلمين يضمون فيما بينهم كافة التخصصات العلمية والفنية الموجودة فى الحياة العامة ، فما من مشكلة اجتماعية الا واساسها العلمى والاجتماعى عند بعضهم بحكم دراساتهم المتنوعة .

● انهم بحكم تخصصهم يتقنون — أو مفروض أنهم يتقنون — عمليات التوجيه والارشاد والقيادة والاقناع والتنظيم ، فهذا فنهم .

● انهم متغلغلون فى أرض الوطن بعيدها وقريبها ، عامرها وغامرها ، مدنها وقراها ، حضرها وباديتها ، فحيث لايوجد طبيب أو محام أو مهندس ، يوجد معلم بالضرورة .

● ان علاقاتهم متصلة بجميع الناس بلا استثناء ، فلا توجد أسرة فى أى بيئة الا والعلم جزء مكمل لحياتها عن طريق تعليمه لأولادها وبناتها ، وما من فرد الا وله معلم . المعلم فنى أو اخصائى كل الناس ، زبائنه يحتكون به يوميا ، على حين ان الطبيب لايتصل الا باحاد المرضى ، والمهندس لايتصل الا باحاد من أصحاب الثروة ، والمحامى لايتصل الا باحاد من أصحاب القضايا ، ولكل من هؤلاء محام أو مهندس أو طبيب . أما عامة الناس على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية ومستوياتهم الاقتصادية ، فلهم علاقات بأكثر من معلم ، وكل معلم يعتبر زبائنه أو عملاء بالآلاف .

هذا هو « المثال » .. لكن الى أى حد يقترب « الواقع » منه أو يبتعد ؟ لقد درجت العادة أن تكون الاجابة عن مثل هذا السؤال باجراء دراسة ميدانية تقنن لها أدوات الاستقصاء والاستفتاء ،

الوظيفة الاجتماعية للمعلم

لماذا لو حاولنا طريقا آخر هو البحث من « الرؤية الادبية » لهذا الواقع كما تصوره رواية « الارض » لعبد الرحمن الشرقاوي ! لقد حظيت هذه الرواية المبدعة بالكثير من الابحاث والدراسات من زوايا وجوانب شتى ، ومع ذلك ، فأمامنا اليوم جانب آخر لاأظن أنه قد حظي باهتمام من قبل .

ولعل ميزة هذه الرواية بالنسبة لموضوعنا ، أنها لا تقدم لنا نموذجا واحدا من المعلمين وانما ثلاثة نماذج : معلم الكتاب ، ومعلم المدرسة ، وناظر المدرسة . كذلك فان موقعهم في احدى القرى المصرية يضعهم بالفعل أمام أهم قضايا المجتمع ومشكلاته تلك التي تدور حول الاستغلال الراسمالي للفلاحين والاستبداد السياسي وشيوع التفكير الخرافي الذي يشل كل قدرة لدى المواطنين نحو التقدم .

يقدم لنا الشرقاوي نموذج معلم الكتاب وكيف كان يقوم بوظائف متعددة ، فالشيخ الشناوي هو فقيه القرية ومفتيها ، وخطيب مسجدها ومأذونها الشرعي ، ومعلم الاولاد فيها ، وواعظ الكبار ، ومن جملة الصفات التي يقدمها لنا الكاتب عنه نعلم مدى « نهم » هذا المعلم وتكالبه على المأكولات ، كما نقف أيضا أمام تلك العلامة الهامة التي تميز هذا الصنف من المعلمين وهي « العصا » ، الاداة الاولى في التعليم ، فهو رجل طويل عريض ضخم الجثة ، غليظ القفا عظيم الكرش ، يحب الموالد والطعام ولا يكاد يوجد في القرية رجل لم يلق عصا سيدنا الشيخ عندما كان يقرأ في الكتاب .

واذا كنا نحن الآن نشاهد ونعرف أن عمل المعلم يكاد ينحصر داخل أسوار المدرسة ونرفع عن كاهله مسئوليته عن الاولاد والبنات خارجها ، فان هذا لم يكن حادثا في القرية ، وبالنسبة لهذا النوع من المعلمين بالذات ، فالعمل لا ينتهي بانتهاء اليوم المدرسي ، وهو يمتد الى كل مكان يوجد فيه التلاميذ والتلميذات ، ولعل هذا أيضا يرتبط بنمط العلاقات الاجتماعية في الريف الذي يختلف اختلافا كبيرا عنه في المدن ، فالجميع في القرية على وجه التقريب يعرف بعضهم بعضا ، وكل فرد يعتبر نفسه — الى حد كبير — مسئولا عما يحدث للآخرين من آلام ومشكلات وعوائق ، ويتشاركون في مواجهتها .

لذلك نجد أن الصبية الذين كانوا يلعبون لعبة « العريس » في المصلى يفزعون فزعا شديدا عندما يشعرون باقتراب الشيخ الشناوي .

وهنا يتخلى المعلم من دوره الاجتماعي والديني ، وبقيامه بمهمة « النهي » و « الزجر » ينسى أهم قاعدة في « التربية » وهي أن الانسان لكي يسلك ، فلابد أن يقتنع ، وهو لكي يقتنع ، لابد أن يفهم ، وان تحقيق الفهم لا يتأتى الا بالوقوف على « الاسباب » و « المبررات » .

وعندما يعلم الاب بالحكاية ، ينال الابن عقابا صارما ، ولكن : هل يقول له أحد لماذا أيضا ! كلا ، فـ « التربية الجنسية » لا وجود لها في هذه البيئات ، والنتيجة ، أن الابناء يبحثون عن كل ما يتعلق بـ « الجنس » من مسالك ودروب أخرى قد لا تكون صحيحة ، فتكون سببا في عديد من الاخطاء والعقد النفسية فيما بعد .

« ولم أسأل أبي عن تفسير لكل هذا .. ولكني حاولت أن أسأل « وصيفة » ، فقد كانت تعرف كل الاسرار » .

ويدبر عمدة القرية مكيدة للفلاحين بمساعدة « محمود بك » ، قريب أحد الباشوات الاقطاعيين وذلك في أوائل الثلاثينات ، ويكتب « عريضة » بمطالب القرية « هكذا » ادعاء معتمدين في ذلك على الامية الشائعة بين الاهالي ، فهم لن يقرءوها وسيكتفون بالسؤال عما فيها ،

وبالطبع من السهل ممارسة الكلاب عليهم هنا لغياب الوعى . بيد أن معلم الكتاب يعرف القراءة والكتابة ، ويستطيع ان يعلم مافيها فيحذر الفلاحين من هذه المكيدة .

بيد انه لايفعل ذلك ، فهو يلتمس رضا ممثلى السلطة اكثر مما يريد التماس رضا الناس « المساكين » ، ولذلك فهو يوقع على الورقة دون قراءة ، ولا يكتفى بهذا ، بل يحث الناس على ان يقتدوا به فيحملون اختامهم ليضعوها تحت امضائه ، فاذا ما سأل أحد عما فى العريضة او اذا طلب احد قراءتها ، ثار فيه الشيخ وشتمه .

ـ اللى يحب الله ورسوله يروح عالدوار .. ياللا ياكفرة ، يابلد زنادقة!

انه يقحم الدين لخدمة السلطة الظالمة بينما تنطق آيات عديدة من هذا الدين بانه يأبى للانسان ان يرضخ للظلم ، ويأبى على الانسان ان يستغل الاخرين .. ان المعلم بهذا السلوك يحارب من حيث لايدرى الدين لانه يقدمه مشوها محرفا ، وهو يساعد أيضا على تثبيت اركان الظلم والاستغلال ، ويدعم جسور القهر والاستعباد .

فالاقطاع والاستبداد السياسى يتعاونان فى سلب أهل القرية فى رى أراضيهم ، ويتشاورون فيما بينهم عليهم عمله لمواجهة هذا التحدى السافر ، ولكن معلم الكتاب « الشيخ الشناوى » يرفع صوته ويطلب منهم أن يصلوا به على النبى !! وتتردد على الافواه بطبيعة الحال همسات الصلاة على النبى ، ولم لا ! فالفلاحون قوم متدينون ، ولكنهم لايجدون امامهم من يستغل هذه القوة الهائلة فى سبيل ترقية أحوالهم وتطوير حياتهم والثورة على الاوضاع القائمة ، ويمسك شيخنا بالسبحة ويرفع يديه ويقربها من عينيه ، ويطلب من الموجودين أن يقرأوا عدية يس على من قصر مواعيد الرى : ان ينتقم الله منه بحق جاه النبى !! وليس ذلك من الدين بطبيعة الحال ، فهو ـ هكذا المفروض ـ أداة تطور لا أداة جمود ، وهو سبيل التقدم لا سبيل الرجعية ، ومن هنا كان تنبيهه للناس بأن « الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » .. بيان هام للناس ، ومنهم بالتالى هؤلاء الذين لم ينالوا قسطا من التعليم ، والناس بفطرتها تعلم هذا ، وتعلم أيضا ان مجرد « الكلام » و « الدعاء » لا يغير من الامر شيئا ، ويتمثل هذا فى « عبد الهادى » الذى يعارض فكرة الشيخ ويطلب منه أن يفكر فى غير هذا ، أو فليسكت هو .. ويترك أصحاب الشأن يفكرون !

ويشهر الشيخ فى وجه عبد الهادى ذلك السلاح البغيض ، سلاح « التكفير » ..

ولابد لنا من ان نعترف أن هذا النموذج قائم بالفعل ومنتشر فى احياء البلاد ، ويمارس هذه الانظمة الهدامة ، وقديما قال العرب : « أحمق من معلم كتاب » ، بل ان العرب احيانا ما كانوا يرفضون الاعتراف بشهادة « معلم الصبية » ، على اساس انه لطول معاشرته لهم ، ينزل بمستوى تفكيره الى درجات دنيا لايصح عندها الاستناد الى حكمه والرجوع الى رأيه ، لكن من الضرورى ايضا أن نلفت النظر الى أن هناك أنماطا اخرى من المعلمين النقباء ذوى الاذهان المتفتحة والعقول الراجحة ممن يعرفون حقيقة الدين ويدركون خطورة مايحتله المعلم ورجل الدين من موقع قيادى هام ، فيمارسون صورا اخرى تبعث على الفخر وتشيع الرضا فى النفس .

ولعل هذا يجعلنا نقف دائما أمام مثل هذه النماذج فى بعض رواياتنا ومسرحياتنا موقف الحذر التام ، اذ الحق أن كثيرين من كتابنا يظهرون دائما طائفة « الشيوخ » فى صورة مزرية متعفنة هدامة ، لا هم لها الا ملء البطن والتسبيح بحمد أولى النعمة واصحاب السلطة والجاه حتى ليخرج القارىء أو المتفرج بانطباع سيىء عن هذه الفئة متصورا أن الجميع هكذا ، بينما نؤكد ـ مرة أخرى ـ أن هناك نماذج أخرى أكثر اشراقا واشد فاعلية فى اتجاه التطور ومصالح الجماهير مهما كلفها ذلك من تضحيات .

الوظيفة الاجتماعية للمعلم

والنموذج الثاني الذي يقدمه الشرقاوي هو « محمد المندي » الذي يصفه بانه رجل هادىء الصوت ، قصير ، نحيل ، رقيق الجسم ، طويل الرقبة .. يحلق ذقنه بانتظام ، ويقص نصف شاربه بطريقة لايفعلها احد غيره في القرية ..

وهو يقرأ الصحف احيانا ، ويقرأ لرجال القرية بعض المقالات التي تعجبه بصوته الهادىء العميق ، وجلبابه نظيف على الدوام ، مخطط واضح الخطوط .. وشبشبه الاصفر فاقع اللون .. والطاقية المربعة البيضاء على رأسه تميل عن منبت شعر منسق هو الشعر الوحيد الطويل المنسق بين رجال القرية .

وهو مثال لمدرس المدارس الالزامية او الاولية التي كانت قائمة قبل الثورة ، يتقاضى مرتبا بسيطا للغاية « أربعة جنيهات » شهريا ، وهو نموذج آخر للسلبية ، فازاء العديد من الوان البطش والاستغلال وخاصة ما يتعلق بمياه الري ، يجد ان مجرد كتابة « شكوى » ورفعها الى المسئولين ، وسيلة كافية لدرء الخطر المتوقع . ومن الغريب انه اذ يفكر في هذا ، نجد ان شخصية روائية اخرى تتمثل في محمد ابو سويلم الذي كان شيخا للخفراء ، يندد بهذه الوسيلة مؤكدا أن التجربة قد علمته أن الحكومة تخاف ولا « تختشي » . وعندما يصر المعلم يصيح أبو سويلم :

– ماتخلى الحكومة تقول ياجدع خليهم يقولوا ؛ مش تقضبوا مواعيد الري حاضر خليهم يقولوا بس ، واللي في القلب في القلب ! خليهم يتكلموا على كيفهم ، واحنا نروى على كيفنا

وهكذا ، بينما يقف المعلم في الجانب السلبي ، يقف « الفلاح » – أبو سويلم – في جانب يتسم بكثير من الايجابية .

والمعلم هنا يسلك مثلما يسلك هؤلاء الذين يرهبون السلطة فيخطبون ودها دائما بالحق أو بالباطل ، ولذلك ، فهو بعد ان يكتب « العريضة » التي تحمل شكوى أهالي القرية ، يصر على الذهاب الى « العمدة » أولا ليخبره بالامر على الرغم من علمه بمواقفه غير المشرفة من اهل القرية بتحالفه الصريح مع القوى المستغلة للجماهير ، وعلى الرغم من تحذيرات عدد من الفلاحين وتنديدهم به :

وبطبيعة الحال تكشف التجربة عن فشل هذه الوسيلة المقيتة العاجزة ، فالمطالب لاتنال بالتمني ، وانما تؤخذ الدنيا غلابا فيما يقول شوقي . ان اللجوء الى ممثل السلطة العميلة يجعل القضية أكثر تميعا . ومن هنا نجد «ابو سويلم» يصيح عندما يسمع بفشل الشكوى :

– دهدى ! هيه ماتصلوا بنا على النبي ياجدعان وتقولوا لنا بس نعمل ايه .. البيه محمود لا هو خد العريضة وسافر بها مصر ، ولا هو اللي كتب واحدة جديدة ! والزرع أهو حايموت والحمد لله حانقعد كل مرة نخطف الميه ونستحمل رزالة شيخ البلد ؟ مايزينها تنحل قبل دور الميه الجاي ! كانت شورة غبرا ، شورة العريضة دي .. قلت لكم بلاش العمدة .. آدي اخرتها ! ما قولك يبقى ياسى محمد ؟ اديك طلعت ابن الحمار ! أهم قالوا عليك ابن الحمار .

فماذا يقول هذا « المعلم » ؟ ولماذا يشتمونه وهم يعلمون بمدى ضعفه وسلبيته ؟ ومن المضحك انه كان يتصور أن « الاساليب البيانية » والتزويق في الكلام والكتابة يمكن ان تواجه أساليب الاقطاع والاستبداد ، فهو يتحسر ان لم تجد الشكوى نفعا رغم انه كتب فيها « ان الفلاحين اذا تظمت منهم خمسة أيام



حمدي احمد اصبح نموذجا للمعلم المصرى فى الريف من خلال شخصية محمد افندى

رى ، لانهم سيفترشون الغبراء ويلتحفون السماء » !! صورة من صور البيان استعارها من المنفلوطى ، وها هو اسلوب المنفلوطى يفشل !

ورغم مالقاه محمد افندى من شتائم، فهو يسعى الى « محمود بك » الذى شتمه ، يسعى اليه مرة أخرى بالعريضة التى أجبروا أهل القرية أن يوقعوا عليها دون أن يعلموا بما فيها .. حتى هذا المعلم !! لذا فقد استحق أن يسخر منه عبد الهادى بقوله :

لكن محمد افندى حايسافر ازاى مع البيه بعد ماقاله عليك ابن الحمار ياسى محمد .

ولا تنفع هذه الاقوال وغيرها فى تبصيره بالواقع المر ، وانما على العكس من ذلك فهو سعيد وفخور انه سيذهب مع « البيه » الى مصر متوهما انه سيقابل الحكام هناك ، وبالتالى فسوف يستطيع ان يأتى للقرية بالخير العميم ، وان كانت بعض الوساوس والخواطر تهيج فى رأسه من حين لآخر عن حقيقة « العريضة » :

ـ جحشة معتبرة ، وبردعة نظيفة وركبة ملوكى . والله عال لبقى انت ياواد يامحمد افندى ياابن الحمار رايح تقابل الحكام فى مصر حكام ايه يااخواتى ؟ يقابل مين ياسى ! بقى انت اللى حارجع لنا اليه ؟ طيب لما نشوف اخرة العريضة دى يابلد هو حد عارف العريضة فيها ايه ؟ مختمين البلد على ايه ؟ يمكن مختمينها على كمبيالة ! حد كان قرا العريضة ؟ مايمكن مقرز والعمل فى البلد ! اه يابلد .

وعندما يذهب محمد افندى الى القاهرة مع محمود بيه ، وتأتى اللحظة التى يقف فيها على مافى « العريضة » ، يجد أنها تشتمل على التماس بشق طريق زراعى !! وعندما يحاول أن يناقش الموضوع ، يثور سعادة البيه فى وجهه ويوجه اليه اهانة تلو الاهانة .

وهكذا يفشل هذا النموذج الثانى من

التربية الاجتماعية للمُعلم

المعلمين فى ريفنا المصرى فى مواجهة مشكلات وقضايا مجتمعه وافراده من الفـلاحين البسطاء الفقراء .

بيد أن الشرقاوى لايتركنا هكـذا لليأس ، اذ يقدم لنا نموذجا ثالثا يعرف موقعه فى الخريطة الاجتماعية ، ويمارس بالفعل دورا ايجابيا بناء وان كان يقاسى من جراء ذلك ، متـاعب والوانا من الاضطهاد متعددة .. ذلك هو الشيخ « حسونة » ..

تلقى تعليمه بالازهر ، واشتغل معلما بالصعيد حيث خبر حياة شاقة صعبة يعرفها هـؤلاء المعلمون الذين كانوا يمارسون التدريس فى تلك المناطق منذ زمن ، اذ كان ينام على سرير من «جريد» النخل ترحف تحته العقارب . وقد شغل بعد ذلك وظيفة ناظر للمدرسة الاولية فى احدى القرى المجاورة وظل يعمل بهـا ويحظى باحترام اهلهـا حتى اذا تولى اسماعيل صدقى رئاسة الوزارة سـنة ١٩٣٠ وكون ما سمى بـ « حزب الشعب » بدأ يمارس دوره الحقيقى فى القيـادة الواعية نحو مقاومة الاستبداد والظلم لتقاوم هذه الوزارة . وعندما بدأت الحكومة فى اجراء انتخابات جديدة ، قاطعتها كل الاحزاب ، يوقف هذا الشيخ موقفا مشرفا للغاية ، اذ طلب من أهـل القرية أن يقاطعوا الانتخابات ، واذن للمدرسين أن يتركوا المدرسة ليشجعوا على مقـاطعة الانتخابات .. ولم لا فالمدرسة ليست مكانا لتعلم مجموعة من الحقائق والمعارف والمعلومات عن الطبيعة والحسـاب والجغرافيا والتاريخ .. الخ ، ولكنها مكان لتعلم الحياة بكل جوانبهـا ، والقضية الوطنية بناء على هـذا ، والاشتغال بها عمل تربوى هام تتراجع امامه كافة الاعمال الاخرى فى مثل هذه اللحظات التى يمارس فيهـا الزيف والاستبداد على الشعب .

وعندما يزور نائب حزب الشعب القرية التى يعمل بها الشيخ حسونة ، يرفض الشيخ استقباله فى المدرسة ، بل والادهى من ذلك انه يصرف التلاميذ الى منازلهم ويغلق ابواب المدرسة ، وينصرف هو الاخر حتى اذا جاء النائب لم يجد الا الصمت القاتل .. اقوى من اى كلام !!

ويحدث — صدفة — أن يتقابل مع النائب فى الطريق ، فيسوق اليه التحذير تلو التحذير بانه لو زار القرية التى فيها ارضه ، فسوف يهاجمه الفلاحون ولا يتركونه الا وقد قطعوا رأسه بالفئوس !!

وشيعت القرية المجاورة النائب الزائر بالطوب وصراخ النساء ، ولذا فهـو يسعى لدى المسئولين فى نقل الشـيخ حسونة الى مدرسة اخرى بعيدة أو فصله .

وتم نقله بالفعل مدرسا بقرية تبعد كثيرا من قريته لايستطيع الوصول اليها الا فى « وابور البحر » وهو ينقل لا كناظر كما كان ، وانما كمدرس عادى . وهكذا تلعب المناورات الحزبية التى كانت البلاد تئن منها ، دورها فى تحطيم القيم الديموقراطية فى هذا الميدان الهام ، عالم التـربية والتعليم ، فاذا كان المعلمون يعاملون من قبل السلطة هكذا لا لشىء الا لانهـم يمارسون حقهم المشروع فى ابداء الرأى ، فكيف يمكن أن نتوقع منهم أن يربوا لنا اجيالا تؤمن بالديموقراطية وتسـتطيع ممارستها ؟ انها حقيقـة مرة لابد ان تسجل ، وهى ان القيم الديموقراطية اذا كانت تذابح على أبواب المدرسة ، فلا امل اطلاقا فى العثور ، حتى على صورها الباهتة فى ركن من أركان المجتمع .

وعلى الرغم من هذا الذى حـدث للشيخ حسونة ، فقد ظل اهل قريتـه والقرى المجاورة ، بل وفى المدرسـة

الجديدة ، يسمونه بـ « حضرة الناظر » تقديرا له واحتراما لمواقفه المشرفة بجانب قضاياهم ومشكلاتهم ، تماما مثلما عزلت نفس الحكومة ، الدكتور طه حسين من عمادة كلية الاداب لعدم رضوخه لمطالبها غير السليمة ، فحملته الجماهير على اكتافها مرددة بصوت قوى أصم اذان المستبدين . ان السلطة اذا كانت قد حرمته منصب العمادة ، فسوف يظل الشعب يخلع عليه نفس اللقب ، ولقب منذ ذلك الوقت بـ « عميد الادب العربى » بدلا من « عميد كلية الاداب » وظل اللقب متداولا طوال حياته لاتفاقه مع واقع الحال الى حد كبير .

وتجلى تقدير الجماهير وحبها لهذا المعلم الوطنى « الشيخ حسونة » عندما يسمع اهل القرية بانه سيأتى لزيارتهم:

تعالى شوف اللى بيجرى تعالى شوف!

وعندما يأتى الشيخ حسونة ، يبدأ فى ممارسة قيادته الصحيحة الواعية فهو يوبخ قريبه « محمد أفندى » وهو النموذج السابق للمعلم السلبى الضعيف ويحثه على ضرورة ان ينشر الـوعى السياسى والاجتماعى بين الفلاحين حتى لا يقعوا فريسة للحكام المستبدين :

ـ انت عارف ايه اللى حصل فى الانتخابات انت يا أخينا مش تفهم الحاجات دى كويس علشان تنور الفلاحين ولابس شاطر تجرى الى مرة ورا الصحافة ومرة ورا محمود ابن انجه هانم ومرة ورا البنات الصايعين

وعندما يشكو اهل القرية من سوء حال القطن ويتناقشون فى الاسباب يلفت نظرهم الى الاسباب الحقيقية البعيدة

ـ شوف .. اطرد الانجليز واطرد حزب الشعب كمان ، ورجع الدستور ، والقطن يبقى عال ، ولا انت لسه مش فاهم يامحمد الناس بيقولولك يامحمد افندى ، خليك متنور وافندى بصحيح ، اقرا الجرائد يا اخى .. سعد باشا قال : مفيش فائدة طول ما الانجليز هنا . ويستحث اهل القرية على عدم الرضوخ لاجرآءات الحكومة المستبدة ، وضرورة ان ينفذوا ما يريدونه هم وما يرونه صالحا للقرية ، فهو سجن وعذب ومع ذلك فها هو بكل قوته وعافيته أصلب عودا واشد مراسا !!

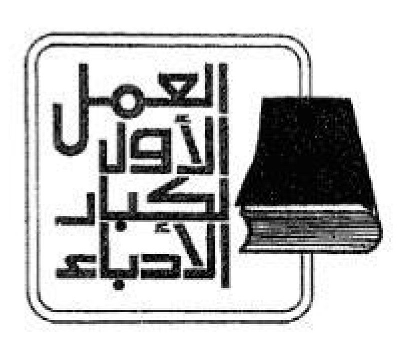
ـ يعنى همه رايحين يحرموبا مـن الهوا ؟ يا عم حا يحرمونا يعنى مـن الاوكسجين ؟ خليها على الله ! ويزيد على ذلك فيستحث الاهالى على المقاومة الايجابية فيقول :

ـ يا سيدى .. ابقى على بالهم يا محمود يا خويا ؟ همـا كانوا شافوا من البلد ايه يسكتهم. يا « ابو سويلم » لازم البلد توريهم العين الحمرة .

وهو لكى يؤكد هذا الذى يقـول ، ليسترجع لهم بعض احداث ثورة ١٩١٩ ودورها فى حياتهم ودوره فيها ، فلقـد كان فلاحو القرية اثناء الثورة يسيرون فى جماعات كبيرة يرددون : « يانجليزى يا حرامى اصولى ... خد سعيرى وقمحى وفولى » وكان الشيخ حسـونة يرفع يديه ويلوح باصبعه ويقـول : « وبالاستقلال ابشر » فيردد الفلاحون : « رغم انف الانجليز » :

ولم يقتصر دوره على قيادة حركة المظاهرات والهتافات ، بل قاد القرية فى حركة كفاح مسلح ، فقد هبطت فرقة من الجنود الانجليز وعسكرت بجوار القرية ، فجمع عددا من رجال البلد وفتيانها وحمل كل منهم قطة او كلبا صغيرا عقد فى ذيله شريط قماش مبلل بالبترول ، وزحفوا على البطون ومعهم الكلاب والقطط حتى اذا وصلوا الى المعسكر الانجليزى ، اشعل كل منهم عود كبريت فى الشريط المربوط بذيول الحيوانات وقذفوا بهـا الى حقول الحنطة ، فانطلقت تجـرى بجنون وتشعل اللهب فى الاعود اليابسة حول الجرن الذى يقيم فيه معسكر الانجليز حتى اصبح المعسكر وكأنه عقرب كبير حاصرته دائرة من لهب ودخان . ومنذ ذلك الحين لم يحاول الانجليز ان يرسلوا الى القرية رجالا اخرين !

بقلم : خيـــرى شلـــبى



سعد مكاوى

أكبر رواد الحداثة فى القصـــــيرة



كانت قصة « عطر فى الظلام » اول قصة قصيرة ينشرها القاص الكبير الاستاذ « سعد مكاوى » فى جريدة المصرى فى اواســط

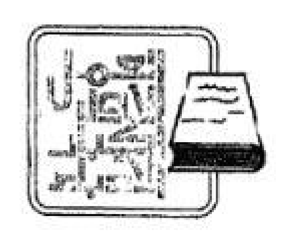
الاربعينات ثم ضمها الى مجموعة قصص « نساء من خزف » ، التى صدرت فى سلسلة كتب للجميع ـ العدد الرابع فى ابريل عام ١٩٤٨ ، ثم اعاد نشرها بنفس العنوان فى مجموعة اخرى صادرة عن دار المعارف عسام ١٩٧٢ عنوانها « الرقص على العشب الاخضر » مما يوحى بأن ... لهذه القصة مكانة خاصة فى نفسه ..

ومنذ ذلك التاريخ وحتى هذه اللحظة لم يكف « سعد مكاوى » ـ اطال الله عمره ـ عن كتابة القصة القصيرة والرواية احيانا والمسرحية من حين الى حين ـ لكن اخلاصه لفن القصة القصيرة لم يتزعزع . وقد بلغ من شدة اخلاصه لهذا الفن الفريد أنه لم يكن يكتب شيئا آخر سواه لسنوات طويلة . ظلت صلته وثيقة جدا بالقارىء من خلال الكتابة القصصية وحدها على صفحات جريدة المصرى، وربما كان الاديب الوحيد بين أعضاء جيله الذى رفض أن تستهلكه الصحافة أو تستدرجه لكتابة الموضوعات أو حتى المقالات الادبية ، وهو نوع من الاحترام للنفس وللقارىء فى وقت معا ، فلقد رأى أديبنا الكبير منذ البداية ان لا يظهر للقارىء الا فى الصورة التى ترضيه وترضى كبرياءه.

يستحق « سعد مكاوى » ان نطلق عليه بجدارة « راهب القصة القصيرة » .. التحق بمحرابها سنين طويلة افنى زهرة العمر فى سبيل تطويرها وتأصيل فنها فى اللغة العربية على نحو صحيح يوسع من رقعة الارض التى افتتحها « محمود تيمور » و « ابراهيم المصرى » ثم « شحاته » و « عيسى عبيد » و « يحيى حقى » و « محمود طاهر لاشين » وغيرهم ممن اولعوا بهذا الفن وكانوا أصداء قوية من « جى دى موباسان » و « تشيكوف » .

واذا كان تاثير هذا الجيل على القصة القصيرة المعربية قد وصل الى حد يسمح لنا بالقول بانهم زرعوها زرعا فى لغتنا العربية ـ اقصد القصة القصيرة بمفهومها الحديث كما شاع فى الغرب ـ فان هذا الفن قد مر بفترة ركود ، ومع احباط الثورة المصرية فى العام التاسع عشر وانزواء الحركة الوطنية لتجمع نفسها على مهل وهدوء راج فى حقول القصة والرواية نوع رخيص من القصص السطحى الذى يخاطب الاحتياجات الغريزية للقارىء مثل الروايات البوليسية والجنسية .

واذا اردنا معرفة افضال « سعد مكاوى » على فن القصة القصيرة العربية وجدنا على راسها تطويعه للغة ، حيث جعل من اللغة العربية لغة درامية قصصية ، تتحرر من الاساليب العربية العتيقة المترهلة بالمترادفات المتخلفة من عصور قديمة كانت تعتبر التطريز اللغوى فى حد ذاته هدفا ينتسب الكاتب بموجبه لزمرة الادباء . ورغم الجهود الفنية العظيمة التى بذلها جيل القصة السابق من طراز محمود كامل المحامى ومحمود تيمور وغيرهما الا ان اساليبهم لم تكن قد خلت بعد من الجمل الطويلة المطوطة والمحسنات البديعية وغرائب الالفاظ



ويجيء « سعد مكاوى » على رأس كوكبة أبرز فرسانها « عبد الرحمن الشرقاوى » و « عبد الرحمن الخميسى » .. وقد برز من هذا الجيل هؤلاء الثلاثة وأصبحوا علما عليه . أما الخميسى والشرقاوى فقد استخدما فن القصة القصيرة فى تحقيق أهداف سياسية نضالية مباشرة كان لهما اثرها الكبير فى نفوس القراء ، حيث ركز الخميسى على تقديم صورة قصصية ساخنة بأسلوب ملتهب يمزج الشعر بالنثر ، تحرض على الثورة واسترداد الحقوق المستلبة الضائعة بين فكاك وحوش المجتمع وذئاب الاحتلال ويتمثل ذلك فى مجموعتيه (لن نموت) و (قمصان الدم) ، أما مجموعته (المكافحون) فقدمت صورا أخرى تمثل نضال المثقفين والثائرين ضد عوادى الزمن وجبابرة الظلم والطغيان .

وقد عشق « سعد مكاوى » فن القصة لذاته ورفض ان يستخدمه كأداة تخدم فكرة او غرضا سياسيا حتى ولو كان وطنيا ، اذ هو من مدرسة تؤمن بأن الفن فى ذاته فيه الكفاية اذا ما جاء من خلال عين ترى جيدا ، والفن فى نظر اقطاب هذه المدرسة — وهم كثيرون فى جميع انحاء العالم — اذا خضع لسلطان فكرة بعينها ايا كانت، او حركه غرض معين أيا كان صار فنا دعائيا قليل القيمة لا يصلح ان يكون شاهدا على عصره .

وليس معنى ذلك أن «سعد مكاوى» انسلخ عن مشكلات عصره وقضايا امته ! بل معناه انه وقد اهتم بنفس القضايا وحمل عصره فى قلبه — كان وهو يعبر عنه يضع فن القصة فى المرتبة الاولى ، بحيث يشعر القارىء انه امام فن جيد اولا ، امام لحظة قصصية وضاءة ذات قدرة على النفاذ الخلاق وعلى اضاءة العقل والاحاسيس بحيث يصبح كلاهما — العقل والاحساس — مهيئا ومؤهلا لاستنباط الافكار والقضايا الاجتماعية والسياسية من قلب هذه الشريحة من الحياة التى نعيشها من خلال عين الكاتب فى اطار قصة قصيرة .

واذا كان كل من الخميسى والشرقاوى يتنازلان عن الكثير من التقاليد الفنية التى هى بالنسبة للقصة بمثابة القانون يحمى بناءها ، فى سبيل الفكرة ، أى اذا كان كل منهما يضحى بالفن قليلا من جل أن تطغى الفكرة المراد توصيلها .. فان « سعد مكاوى » يقف على النقيض من ذلك ، انه يحول كل الافكار الى صور درامية مجسدة فى اطار قصة تقصر او تطول حسب حجمها الزمنى والموضوعى ، انه يمتعك فنيا قبل كل شيء ،بكونك تقرا قصة ما ، قصة يوهمك احكام صنعتها انها بريئة من كافة الاغراض غير مسخرة لاى شيء من خارجها ، تخلو تماما من الخطابة والحذلقة والحيل المكشوفة للتبليغ،درس او موعظة . القصة عنده كيان فنى لكيان انسانى قائم بذاته تحكمه قوانينه الخاصة وكل الدلائل تنبع من داخله، وهى فى النهاية قصة تقدم لك لحظة استنارة مشرقة ، القصة القصيرة عند

« سعد مكاوى » رؤية فنية محكومة باطار موضوعى ، يستجلى الكاتب غموضها واحداثها من فقرة الى أخرى من نقلة الى أخرى من جملة الى أخرى، حتى يشف هذا الكيان الفنى المتماسك عن رؤى كثيرة ومقولات كثيرة ويرمى الى أبعاد مترامية ·

ومن هنا فان لغة « سعد مكاوى » تجىء لغة قصصية محضة ، تخضع لمقتضيات السياق القصصى بما تفرضه لهجة الحكى من اختراع الفاظ جديدة منحوتة من مصادر تراثية ، ومن استخدامات جديدة لنفس الالفاظ عن طريق الاستعارات والتشبيهات الشعرية، ومن تطويع للتراكيب اللغوية الأصيلة حتى تكون قادرة على استيعاب النفس الانسانى للشخصية القصصية كما هى فى الواقع وعلى امكانية التوائم مع لهجات حديث الناس فى حياتهم اليومية العادية ·· كل ذلك جعل لـ « سعد مكاوى » أسلوبا خاصا متفردا بين كتاب جيله مشبعا بالثقافة ومنجزات الحضارة الغربية المعاصرة الى جانب كونه ضاربا فى التراث اللغوى العربى الى أعمق أعماقه ·

ومنذ مجموعته الاولى (نساء من خزف) ـ ابريل عام ١٩٤٨ ـ حتى هذه اللحظة قدم « سعد مكاوى » مجموعات كثيرة لعل اهمها : (راهبة من الزمالك) و (الماء العكر) و (فى قهوة المجاذيب) و (الزمن الوغد) و (رجل من طين) و (الرقص على العشب الاخضر) · وقدم روايات : (شهيرة) (الرجل والطريق) و (السائرون نياما) و (الكرباج) و (لا تسقنى وحدى) · الى جانب مجموعة مسرحيات منها : (الحى والميت) و (الحلم يدخل القرية) وغير ذلك من الكتب والروايات والمسرحيات ·

ولد « سعد مكاوى » لأب من خيار الطبقة المتوسطة الزراعية كان يعمل مدرسا للغة العربية ويملك الى ذلك عددا من الافدنة ، يحلم بتربية أولاده تربية صالحة عالية فى المقام ، فواحد مهندس والاخر طبيب والثالث محام· فى هذا النطاق كانت تدور احلام الطبقة المتوسطة الزراعية فى ذلك الوقت · ولم يكن غريبا أن جميع ثوار مصر وعظمائها وفنانيها الكبار هم من أبناء الطبقة المتوسطة الزراعية طوال تاريخنا فى الثلاث القرون الفائتة ··

وكان حلم الأب أن يكون ابنه « سعد » طبيبا ، فبعث به الى باريس ليدرس







الطب فى احدى جامعاتها • وبالفعل التحق باحدى جامعات باريس الاقليمية هى جامعة مونبليه ، لكنه بدلا من أن يواصل دراسة تشريح الجسد الانسانى آثر أن يدرس تشريح النفس البشرية والوقوف على ما تحويه من غوامض الأسرار • لم يكن ليتحقق له ذلك الا عن طريق دراسة الأدب والفن ، فأخذ يدرس الموسيقى ، وبعد أن حصل منها درسا وفيرا وجد انها وحدها لا تكفى لدراسة نفسية الانسان والتعبير عن عقله ووجدانه بآماله وآلامه وطموحاته واحباطاته • وكان لابد أن يدرس الأدب دراسة علمية منهجية ، فالتحق بالسوربون • وفى أثناء الدراسة سيطر فن القصة القصيرة على أحلامه ، اكتشف أنها الأداة المعاصرة الصالحة للغوص فى أعماق النفس البشرية واكتشاف أسرارها •

ولقد جمع « سعد مكاوى » فى طابعه القصصى بين المسحتين اللتين اصطبغ بهما جيله والجيل السابق عليه لقد كان معظمهم حائرا بين الرومانسية والواقعية حتى لنرى القصة أحيانا تخلط بين المنحيين فى تخبط وعجز واضحين ، نرى القصة واقعية بمدخل رومانسى أو رومانسية فى وهم واقعى مما يفقد القصة قدرتها على التأثير ويعجزها عن شحن القارىء بشحنة انفعالية صادقة موحدة

غير أن القصة عند « سعد مكاوى » تجىء بوعى اما واقعية خالصة وإما رومانسية خالصة • القصة الواقعية عنده يتفق شكلها مع مضمونها مع لغتها من حيث التكنيك واسلوب العلاج وطابع اللغة • كذلك القصة الرومانسية عنده • والقصة الواقعية عنده اعتمدت على موضوع مادى ملموس يمثل وضعا اجتماعيا أو مشكلة حياتية تتصل بحياة السواد الاعظم من الناس وان حدثت لأفراد معينين ذلك أن قدرته الفنية والأدبية تمكنه من تلخيص السواد الاعظم فى هذه المجموعة المحدودة من الشخصيات فى المحدود من الزمن والمحدود من المكان ، اما القصة الرومانسية عنده فهى ما اعتمدت على مشكل انسانى مطرد وعام فى نفس الوقت ويمس الوضع الانسانى برمته •• حينئذ يعلو به الكاتب فوق كل البيئات والمجتمعات الاقليمية الخاصة ينجح فى تجريد حدثه من الملامح البيئية الخاصة يجعل شخصياته مجرد ناس يحملون الصفات الانسانية المطلقة ؟ •

فى حين نرى كما هائلا من القصص الواقعية الصميمة الضاربة فى أعماق الواقع المصرى العربى ••

والجدير بالذكر أن مجموعة قصص « الزمن الوغد » تحمل عنوان واحدة من أروع وأعظم القصص القصيرة العربية ، حيث كتب « سعد مكاوى » قصة الشاعر الساخر الهازىء الضال « عبد الحميد الديب » مصورا بؤسه وبؤس الواقع المصرى فى حينه أعمق تصوير ، وحى الباطنية الذى كان يسكن الديب فى أحدى حجراته القذرة

والقصة فوق ذلك تستخدم أسلوبا لا يزال محدثا حتى اليوم حيث يتداخل فيه السرد بالمونولوج الداخلي بالحوار مع الاطراف الاخرى ، حيث تتحد النفس مع الواقع البائس المتدنى رغما عنها مثلما اتحد الزمان بالمكان بالفقر المدقع بالقذارة فى لحظة جمود تاريخية لا ينبض فيها شيء سوى قلب هذا الشاعر البائس « عبد الحميد الديب » الذى لم ينتبه اليه الرواة والدارسون بعد .

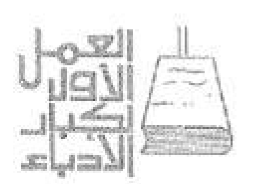
ربما يلاحظ القارىء أن قصة (عطر فى الظلام) رغم مضى ما يقرب من اربعين عاما على كتابتها لا تزال جديدة كأنها مكتوبة اليوم . ولقد تمثلت فى هذه القصة معظم الخصائص الفنية والأسلوبية التى تميز بها فن « سعد مكاوى » فيما بعد متطورة من قصة لأخرى . لا نكون مبالغين اذا قلنا انها تحمل الخصائص الفنية التى لا تزال تتمتع بها القصة القصيرة العربية حتى الآن .

كذلك كان « سعد مكاوى » رائدا كبيرا فى توسيعه رقعة القصة القصيرة واثراء مجالها الفنى بعشرات من الاشكال الفنية المدروسة ، ان القصة القصيرة عنده - ولو كانت صفحة واحدة - تراها تقوم على بناء متين يتكون من وحدات وجزئيات يرتبط بعضها ببعض ويؤدى بعضها الى بعض فى حركة متصاعدة نحو ذروة بنائية شكلية ترصد بدورها الى تصاعد الوعى لدى القارىء واستكشاف الابعاد المضيئة للقصة .

ان البناء المعمارى عنده خاصة فى رواية (السائرون نياما) يضرب أساسه فى ارض الموضوع الى أعماق بعيدة ، فلست ترى فقط رواية يحكيها صوت قوى من خلال عين ناقدة بل ترى الى ذلك بناء معماريا يشبه فى تصميمه تصميم الوكالات والخانات والارباع والتكايا والاسبلة وسائر أبنية العصر المملوكى .

ومن الملامح الفنية التى تأصلت فى القصة القصيرة العربية على يدى « سعد مكاوى » شكل القصة التى تعتمد على تصوير لحظة زمنية خاصة ذات مدلول خاص . وهو من ابرع القادرين على وصف هذه اللحظات ونقل دقائقها النفسية ورتوشها وظلالها التى تعطيها حيوية وسخونة . ومهما كانت اللحظة قصيرة او سريعة فانها فى العادة تجيء محتفظة بعناصرها القصصية الموحية . ذلك ان « سعد مكاوى » مولع بالقص والحكى الى حد يخلب الالباب حقا . يستطيع أن يجعل العادى المألوف من الامور مادة صالحة للحكى ، وأن يجعل كل جملة مهما قصرت تنطوى على قدر من الحكى متلاليء التعابير » .

ولهذا استطاع « سعد مكاوى » أن يجمع بين القصة وادب القصة ، القصة كمادة شعبية سائغة مفهومة تخاطب كل الالباب وتداعب الاخيلة على جميع مستوياتها .. وأدب القصة الذى يرتفع بمستوى التعبير ويستر اغوار الحدث والنفس البشرية من خلال اسلوب يتدفق فيه صوت المزمار البلدى والناى والسلامية والدربكة ، تتدفق فيها زفرات الأسى واصوت الامنيات وهدير الاحلام المحبطة المتطاولة رغم الاحباط نحو محاولة للخروج .





١٢٦

فى عصر كل يوم كنت اقوم بهذه الرحلة البغيضة ، فاقبع فى ركن العربة والعصابة على عينى والخادم ذو العين الواحدة يصف لى بعض ما نمر به فى الذهاب والعودة بين العباسية حيث كنا نسكن وشـــارع فؤاد الاول حيث كانت عيادة الطبيب ، فكان « سمعان » هذا كان عينى فى محنتى ..

وكنت ادعه يصور لى باسلوبه الفذ ما تقع عليه عينه الواحدة ، واعكف على فصول حياتى الساذجة الصغيرة اتمثل فى ظلام الاربطة صورها . ولم تكن اول مرة قدر لى فيها ان اخضع لمبضع جـراح العيون ، ولن تكون فيما احسب واحس الاخيرة . لقد سبق لى ان عانيت هذه المحنة فى فناء المدرســة الابتدائية ، هناك فى ذلك الركن القصى حيث نصبت تحت شجرة الجميز تلك الخيمة البيضاء التى جعلنا ننظر فيها ولا نقربها ، ونسمع عنها اكثر مما ترى اعيننا منهـــا .

وكنت ، منذ جاءتنا الخيمة بمعـــداتها ، وطنت نفسى على يوم رهيب فى الايام ، ذلك بأن عينى كانتا مريضتين منذ الحداثة ، وهما ابدا مذقلتا الجفن ، ووزارة المعارف لا تريد ان يكون بين تلاميذها من كان على شاكلتى ، وقد تكون الوزارة على حق ، ولكنى فى ذلك الوقت لم اكن ارى رأيها ..

وكان حتما ان يجىء دورى ، فسرنا ذات صباح الى الخيمة ، صفا من سبعــة اطفال ابرياء مطرقة رءوســـهم واجفة قلوبهم كأنهم يساقون ظلما الى المشنقة . واستقبلنا الطبيب فى ردائه الابيض وهو يقلب فى وعاء من الزنك عددا كبيرا من الاسلحة المعدنية البراقة ، وثمة تلك الرائحة الكريهة القوية الخاصة التى ابغضها الى اليوم وابغض معها عيادات الاطباء ومخـازن الادوية وهؤلاء الناس انفسهم ـ الرائحة التى تضم معانى الصحة والمرض فى جوها الحاد الثقيل .

وفى ظلام العصابة البيضاء ، اذكر تلك اللحظات القاسية التى عشناها فى تلك الخـــيمة ، وقد وقفت ارقب رفاقى اذ يحملون الواحد تلو الاخـــر الى « المشرحة » فيرفع « شارب الدماء » ذو الرداء الابيض سلاحه بيمناه فى غير اكتراث ، ويمد يسراه فيفتح باصبعين منها عين « الضحية » ويدفع جفنه الى الوراء فى غلظة مهينة تعودها والفها .. ونغلق نحن عيوننا حتى لا نشــهد المبضع وهو يهوى « فى » عين الصديق وان هى الا دقائق معدودات حتى نرى صــاحبنا العزيز يخرج محمولا على الاعناق دون ضجة أو اهتمام ..

وتعود الى ذهنى صورة عودتى الى البيت فى ذلك اليوم البعيد فى عربة كهذه العربة ومعى نفس هذا الخادم الامين الذى الفت ان يقوم لى مقام بصرى كلما حجبت اللفائف نور الدنيا عن عينى ، وكيف حاول « سمعان » فى الطريق ان يضحكنى ويسليتى ، فلما بدا لى أن اسأله كيف فقد عينه وعما فعل يوم ان فقدها ، اضحكه هذا الســـؤال وقال انه ظل يبكى بالأخـــرى حتى بدا له انه قد يفقدها ايضا اذا امعن فى البكاء فكف عنه وقنع بقسمته ..

فى ذلك اليوم تعلمت ان الامور فى هذه الدنيا نسبية قبل كل شىء ..

ورأيتنى بعين الذكرى ادخل البيت فانال من اهلى عطفا جميلا ، ويعدنى ابى هدية طيبة اختارها يوم يرفع الحجاب عن بصرى ، وكان عجبـــا ان يقع اختيارى على « نظارة سوداء » ! .. ثم تقبل خالة لى فى مثل سنى كانت فى ذلك العهد تقيم معنا فتقول لى ان « بهيجة » تسال عنى وقد رأتنى ادخل البيت

فى رعاية الخادم والاربطة حول راسى فخشــيت أن يكون قد اصابنى شر فى الطريق ·· وانهض فى حراسة هذه الخالة الصغيرة فأقف فى النافذة ، واســمع على الفور من ناحية بيت « بهيجة » صوتها المشفق يسألنى فى حنان ولهفة عما اصابنى ·· ثم لا اكاد اجيبها حتى تكون يدا قاســية قد ردت النافذة فى عنف ، واذا هو أبى قد دخل علينــا لينهانى فى غضب عن مخــاطبة تلك « المــرأة » ··

وتنساب بى العربة وانا أتمثل فى الظلام محيا « بهيجــة » التى كانت امرتى تمنعنى عنها وتغلق فى وجهها النوافذ كلما سمعتها تنادينى من بيتها القريب ··· وما كانت تدعونى لتلحق بى اذى ، بل كنت اجد عندها ما لا اجد فى بيتنا من الروح والانس والمحبة · كانت بهيجة « صديقتى » · نعم ، صديقتى الوحيدة فى الشارع ، وكانت فى العشرين ، وكنت دون العاشرة · وكانت حسناء نعم ، الحسناء الوحيدة فى الشارع ، وكانت تلبس كغيرها من النساء ، بيد أن فى زينتها قليلا من التكلف والاسراف لم يكن يخفى على ، ولم يكن يسوءنى وإن ساء غيــرى » ···

وكان لها عطر يدير الرءوس ، ويعطر الانفاس ، ويذيع من حولها فيمس القلوب كعصا الساحر ، ويقول عنه ابى انه « فضيحة » تضج منها السموات ·· نعم كانت غــانية ···

ولم تكن هى تحدثنى عن حياتها ، ولكنى فهمت مما يتطاير حولى من الهمس أن صديقة طفولتى تكسب عيشها من هذه التجارة المريبة التى كانت اول مهنة احترفتها المرأة ··· وكان اهل الشارع يكرهونها ، ويسبونها ويغلقون فى وجهها ابوابهم ، وترتسم على وجوههم امارات المقت والاحتقار لذكر اسمها ··· وكانت هى تعرف ذلك وترضخ له وفى عينيها هذا الظل الشقى التعس الذى كنت احبه فيها واحبه ما عشت فى عيون النساء ···

واحسبنى كنت الشىء الوحيد الطيب الكريم البرىء فى حياتها

فى أول مرة رأيتها كنت مع رفاقى نلعب الكرة فى الشارع الضيق الطويل، وبعض النســوة من ساكنات الشارع قعيدات النوافــذ والشرفات والمشربيات يتفرجن على لهونا وصــخبنا ، وفيهن المشتركة معنا فى اللعب بنصــائحها تسديها من مقامها العالى ، والعابثة بما نحن فيه من لعب كانه الجد ، والتى تود لو نزلت الينا لتمرح مرحنا وتضحك الحياة وتغضــبها معنا ··· وكان على أن ادير ظهرى وأضرب الى الوراء الكرة المصنوعة من الجوارب القديمة فما كدت اتهيأ لقذفها حتى حدثت ورائى معجزة صغيرة ! ذلك ان حدة النقاش التقليدى بين رفاقى تلاشت دفعة واحدة حتى كأنهم اختفوا من المكان فى غمضــة عين ، وصدرت فى الوقت نفسه حركات غريبة من النوافذ والشرفات ، فالتفت محجما عن ارسال الكرة لاتبين الامر ، فرأيت زملائى قد تجمعــوا صفا الى الجدار وابصارهم رانية الى مدخل الشارع ، وتتبعت ببصرى أبصارهم المتحفــزة المتطلعة فما وجدت شــيئا يستحق ان يكف له الاطفال عن الحركة والجــدل وتختفى رءوس النسوة من هذه الفتحات اللائى يعرفن الحياة ويطللن عليهــا من وراء خشبها ·· وانما كانت هناك فتاة مقبلة تتهــادى فى شىء من الرفق والعجب ··· حتى اذا ما اصبحت منا على خطوات ، رأيت الرفاق الصــغار يتنازعون بينهم أمرا فى همس خطير ، وما كادت القادمة ذات الجمــال والدلال

تمر بهم حتى انطلق الصف كله خلفها كان هزة كهـــربائية واحدة قد حركته ووجهت ارادته تلك الوجهة الواحدة المنكرة :
ـ الملعونة ! ·· الملعونة !

واضـــطربت خطا العابرة ، وانسدلت اهدابها على وجنتيهـــا ، واصطبغ بلون الدم محيـــاها الحزين · وتقلصت اناملها فوق حقيبة يدها ، وعضت اسنانها شفتها ، وكان الدموع توشـــك ان تطفر من عينيها لتستدر الشـــفقة والرحمة من اولئك الطغاة الفجرة الذين كان صوتهم الرهيب المنكر يتبعها كظلها وهم يدقون أكفهم الصغيرة دقا منغوما على وقع الكلمة الظالمة ··

وعندما ثبت الى نفسى ، صرفت رفاقى بلسانى ويدى عن هذا اللهو العنيف الظـــالم ، ولم تلبث العـــابرة ان اختفت فى احد ابواب الشـــارع غير بعيد من بابنا ، بعد ان التفتت نحوى فى ايماءة شكر وعرفان ···

وما كادت تفعل حتى عادت الرءوس النسوية الفارغة تبرز فى فتحاتها ، وتصايح نسوة الشارع الضيق الطويل ، وكان عجبا ان اسمع هؤلاء النسوة اللاتى احتجبن عند مرور المنبوذة وقد انطلقن يصفن معطفها وثوبهـــا ويتحدثن حديث العارفات عن نوع قماشها وثمن المتر منهما ، ولم تنس احداهن ان تحث اولادها على قطع الطريق عليهـــا كلما خطرت فى الشارع ، بعد ان نالتنى بالسخرية وتوعدتنى برفع امرى الفاضح الى ابى المدرس الذى « لايعرف كيف يربى اولاده قبل ان يتصدى لتربية اولاد الناس » ·

وتنساب بى العربة دائما بين العيادة والبيت ، وفى مخيلتى هذه الصورة القديمة العزيزة ، و « سمعان » ماض فى « اذاعته » لا يكف عنهـــا ليســـعل او يبادل العربجى الحشاش نكتة لطيفة او دعابة عابرة ··· وانى لاجسم الامانى فى ظلامى : فاتخيل : ان « بهيجة » ستلقانى بعد هذه الاعوام السبعة ، وستلقانى من جديد وفوق عينى هذه العصابة البيضاء ، فاتنسم فى الظـــلام عطرها الذى لا ينسى ، وتحنو على كما كانت تحنو على عهدنا الماضى ، فتاخذنى فى ذراعيها الى صدرها ، وتذوب على يدى عطفا ودموعا وقبلا ، وتغمر كتفى وخدى ورأسى المعصوب بقبلاتها الممتزجة بالدمع والعطر ···

ولست اكتم عن « سمعان » هذا لذى احـــلم به يقظا ، والله ليســـخر منى فانصرف عنه غاضبا الى ذات نفسى انطوى عليها وراء ظلماتى ولا اعـــود اعبأ به اذ يذيع بطريقته الفريدة وصف ما نمر به من المناظر والحوادث ، وهو يفعل ذلك فى صوت جهير يلفت أنظار المارة ، وكان هو لا يعجبه هذا الالتفات فيشـــتبك احيانا فى معارك كلامية مع اولاد البلد ، وقد يحلو له ان يلتحم مع بعضـــهم فى « قافية » يطرب لها صاحبه العربجى الحشاش وان كانت تملؤنى ذعرا ···· ففى ذات يوم ، وكنا نجتاز فى عودتنا ميدان العتبة الخضراء الذى كان بحالته القديمة مدينة كاملة غريبة ، توقف « سمعان » فجأة عن اذاعة اخر الانباء ، وسمعته يطلب الى الحوذى ان ياخذ بلجم الخيل لتكف عن السير ، ثم احسست به يقفز من العربة الى الشارع وهو يهتف بى فى دهشة وفرح صـــادق : « ان فيك يا بنى شىء لله ! ···

ومالت العربة على جانبها الايمن وقد هدات الخيل واوشـــكت ان تكف عن الحركة المنتظمة السريعة ··· ثم ذاع من حولى العطر القديم الذى طالما عطر انفاسى وايامى ، واحتوانى جسد دافىء ممشوق كالرمح ، وطوقتنى ذراعان

عبلتان رخصتان ، واطبقت على فمي شفتان حارتان كان بينهما ريح الجنة وتهادت العربة فى رفق وقد اصبح الخادم الظريف الى جوار السائق يحكى له قصة لا اسمعها ..

وهمست حين خلى بينى وبين الكلام : بهيجة !!

فلم تجبنى من فورها ، فقد كانت ـ بين البكاء والضحك ـ مضطربة لا يقر لها قرار ، وانعم روحى عطرها المألوف ، واضطراب جسدها الملتصق بى ، ودق قلبى فى صدرى كالطبل ، وانقلبت ارض الله الواسعة عربة يجرها زوج من الخيل العجفاء فى شارع صخاب من شوارع القاهرة ، ثم اشربت روحى ذلك الصوت الحبيب يهتف بى : حدثنى ما بال عينيك ؟ الا ترحماتك ابدا يا مسكين ؟ وهل كتب على ان لا اراك الا وعلى نور عينيك حجاب ؟ .. اتذكر عهدنا ؟ .. اتذكر كيف كنت تسعى متلمسا طريقك براحتيك ، فادخلك بيتى ، واسكنك صدرى ، تنام فى امنى ، وتصحو على حبى ابكى لنفسى فتبكى لى ، واضحك لك فتضحك للدنيا ، فما كانت الحياة عندنا يومئذ الا دموعا وضحكات

. قلت ما احسب عيناى اكتفتا يا صديقتى ، واكبر ظنى انهما لن تدعانى طويلا قبل ان تطلبا الى فدية جديدة عن نورهما من دمى واعصابى ، ولكنى اعدك واشهد السماء اننى لن اسلم فى المرة القادمة تسليما ، فليست المسالة لعبة بعد كل هذا الذى عانيت وانما هى مسالة فيها نظر ! .

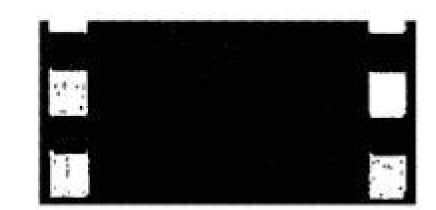
قالت ، مسكين يا حبيبى ! . اننى اهب اعواما من عمرى ثمنا ليد سحرية تهبط الان فترفع عن بصرك الحجاب لارى روح الرجل الذى حل فى عينيك مكان روح الطفل ولتمتحن من فورك اثر السنين السبع فى صديقتك التى فرقت بينك وبينها الليالى ..

قلت : انى لضنين على الزمن بهذه الساعة الرائعة ، ولا يعجلنى ان احث البصر ، فان حرمانى المؤقت منه يجعلك تسبغين على هذا العطف اللذيذ الذى قد احرم بعضه متى ارتد الى ! .. ثم ان لى فى هذا التصور فى الظلام لذة الخلق الفنى .. اننى اصورك الان ، واراك برغم الظلام راى العين وراى القلب ، واتحسس محياك بانامل ، واتخيل رسمه البعيد الراسخ فى مخيلتى ، ويرسم لى خيالى خطا متموجا يلمع فى هذا الظلام كجدول من الفضة الذائبة يحدد لى شخصك الحبيب ، فهذه ذروة شعرك حيث يبدأ الجدول الفضى رحلته وسط السواد ، وهذا هو يميل فى رقة فيعبر عن جبينك وعينيك وانفك وشفتيك وذقنك ، ويدخل بعد هذا دخولا لطيفا الى حيث عنقك الاتلع الطويل ، ويهبط بعده قليلا وفى حذر ليعود فيبرز فجاة عن يمين وشمال بروزا وقحا محرضا يرسم به صدرك الناهد بتواميه ، ثم اراه بعد ذلك يتلوى كالثعبان فى بحثه الملتاث عن اسرار جسدك الغامضة حتى ليكاد يضللنى ، ثم يصل بى وقد تهدج صدرى واهتزت انفاسى الى قدميك ..

وعندما قالت لى فى ايحاء الانوثة البليغ ، انها سعيدة ان ترانى قد بلغت مبلغ الرجال ، احسست فى تلك العربة ، وفى تلك الساعة ، انى اسعد رجل صغير فى العالم ..ولست والله اذكر ما اجبتها به ، ولعل سمعان فى مقعده العالى سمع طرفا من حديثى ، فان له اذنين كبيرتين وان لم تكن له غير عين واحدة ، فقد سمعته يغالب الضحك وهو يهمس فى اذن صاحبه الحوذى همسا خبيثا ، ثم سمعت الحوذى يسعل وهو يهوى بسوطه على ظهر الخيل قائلا :

ـ مسالة لم يعد فيها نظر !!


كتاب الهلال
يقدم :
التاريخ
الذى أحمله على ظهرى
(دراسة حالة)
بقلم الدكتور : سيد عويس
يصدر
٥ سبتمبر
١٩٨٥
روايات الهلال
شعب وطاغية
تأليف : اسكندر دوماس الكبير
تصدر فى
١٥ سبتمبر ١٩٨٥



بقلم : مصطفى درويش

عودة الفلاح إلى دنيا الأطياف

• تحقق الحلم جاء « وليم جولدنج » الى بر مصر فى فبراير من العام الماضى ، وذلك عقب انتهاء الصراع من اجل جائزة نوبل للادب بخروجه منتصرا ، فائزا بها وحول رحلة الشتاء هذه الف كتابا « يوميات مصرية » (طبعة فابر ١٩٨٥) ضمنه قصاصات من الخواطر والانطباعات



سالى فيلد فلاحة فى الغيط .



فعلا رأيت بيوتا كثيرة متروكة دون تكملة ، وارضا ، أرضا نادرة غير مستغلة على خير وجه .

وردا على هذا الانتقاد من جانب الضيف الكبير صاح امين عام المحافظة قائلا .

● بيت العز ●

« يالها من ملاحظة صادقة ، بل صادقة جدا ، حقا انها لمشكلة ضخمة ، ربما تعرف ان الفلاحين اصلا ناس فيهم طيبة ، ولكنهم ليسوا ، لا .. ليسوا اذكياء فهم يغالون فى المطالبة بأجور مرتفعة لايستطيع اصحاب الاراضى الاستجابة لها .

ومن هنا اصبحت زراعة الأرض عملية غير اقتصادية وهو نفسه يعرف كثيرين ممن عجزوا عن مواجهة تكاليف الانفاق على بيت العائلة ، واضطرتهم الظروف الى ان يبنوا لانفسهم بيوتا اصغر .. انها لمأساة حقا .

بل ان بعضهم ، كما لاحظت بنظرتك الثاقبة ، عاجز حتى عن اكمال بناء تلك البيوت الصغيرة .

ماذا يخبىء القدر لهؤلاء الناس .

وكان واجبا علينا الا نضيع وقته الثمين باكثر من ذلك ، فقمنا وقام وقال نحن ضيوف الحكومة

بعد انتهاء هذا اللقاء استقل « جولدنج » ومن معه حافلة صغيرة توجهت بهم الى دير مواس واثناء انتظار المركب التى سترحل بهم الى مملكة الفرعون المرتد تحققت له رغبة عزيزة فما هى ؟

« ميل جيبسون » فى دور فلاح امريكى « النهر »

فى السينما

إرى من المناسب فى شهر الاحتفال بعيد الفلاح ان انقل منها قوله فى وصف ريف المنيا الذى مر به مرور الكرام قبل القيام بعبور النيل فى « فلوكة » الى البر الشرقى بحثا عن اخناتون .

« ختاما طلب الى (يقصد امين عام المحافظة) ان افصح عما قد يكون لدى من انتقادات ، مايكون قد تكشف لى من اعوجاج .

فهم متلهفون للنقد البناء ، وهنا اجبت بطلاقة وبأسلوب يليق بمستوى متحاورين من علية القوم ، بأننا ضيوف البلاد ، وليس لنا ان نوجه أى انتقاد ، وانما علينا ان نلهج بالشكر والثناء على حسن الضيافة .

ومع ذلك اصر راجيا ان اشير ولو الى عيب واحد واخيرا أوصيت اليه مترددا باننى قد لاحظت شيئا - كيف اسميه - شيئا من الإهمال فى تنفيذ احد المشروعات .



● الصمت والصبر ●

« سأزور بيت فلاح فقير . فقد سبق وان طلبت الالتقاء بافراد من الشعب مدفوعا باعتبارات اجتماعية مغلفة بعض الشيء بشعور ديني .

ولكن وانا الآن على وشك التلاقي وجها لوجه وجدتني متحرجا شاعرا بالزيف .. لماذا ؟

كان الرجل وزوجته يتمتعان بقدر وافر من الجمال والجلال قاما بتحيتي باسلوب زاد من احساسي بالاحراج .

« انهم فقراء جدا .. هكذا كان وصف علاء (المرافق) هذا هو الاب ، وهذه هي الام ، وهذا هو الابن الفلاح ، اقصد من بقى هنا كي يزرع الارض ، الابن الاكبر في الجامعة »

مكان الجلوس كان عبارة عن حوش مشكل بغير انتظام وبغير سقف

عيدان سكر القصب مكدسة تستند الى حائط وفي كوة كان يوجد الدليل المرئي الوحيد على فقرهم المدقع : جهاز تليفزيون ، ولكنه اسود وابيض

وبالالهام وحده جرى لساني بسؤال عن الأحفاد فقد تبين انه سؤال محبوب ، وكان من اثره ان جرى استعراض شجرة العائلة على امتداد ثلاثة اجيال .

وفي الحوش كان ثمة شيء ضخم عمودي لايقف مستقلا ، وانما يستند الى الحائط بين اكوام عيدان القصب ، له نفس حجم أنيات الاختزان بالقصر في « كنوسوس » (مدينة في كريت القديمة) دون شكلها

رأى الاب او بالاصح الجد اهتمامي ، فانحنى واخرج حفنة من الحبوب من فجوة في القاعدة . فحصتها متأملا ثم أومأت براسي .. شددت على ايدي الجميع مصافحا .

ولم ينس « جولدنج » الفلاحة العجوز الأم ذات الجلال سيدة الدار والدوار فهي الاخرى كانت في وداع الاديب الانجليزي المتوج بامجاد نوبل ، ولم يفتها في لحظة الفراق هذه ، وما امرها ان تلثم يده !

● العاصفة المميتة ●

ومهما يكن من امر هذه العائلة الفقيرة ، هل هي تنحدر حقا من نوع ريفي اصيل ام هي من ذلك النوع الفولكلوري (الشعبي) الموظف لخدمة السياحة او السياسة وماهو مرسوم لايهما من اهداف .

فالاكيد ، ان « جولدنج » ـ وهو في الثانية والسبعين من سنيه ـ كان مهتما بما وصل اليه الحال في الريف المصري .

استفزه ما رأى من اهمال لشأن ارض طيبة اهدت العالم حضارة رائعة

راعه ماسمع من قلب لحقيقة الفلاح المصري في محاولة للتطاول عليه بانكار ما اشتهر عنه من ذكاء والاكيد .. الاكيد انه ليس وحده المهتم بالفلاح المصري ومصيره ، فالعالم الذي لايتصور حديثا عن النيل لاتكون مصر جزءا منه يشارك في الاهتمام .

والمأساة ان حديث النيل انما يدور حول شريط الحياة على ضفافه وما يتهدده

كيف تترك ملايين الفدادين للتصحر فى الحبشة والسودان ومصر

كيف تهلك الملايين جوعا وعطشا كيف تموت الآمال اختناقا وكيف تغلق الابواب امام الاحلام امسالا

والعجيب ان العالم يهتز للكارثة الكونية التى تتعرض لها الحياة في وادى النيل ؟ ولا احد من سينمائى مصر تهتز له شعرة . وكأن كل واحد منهم قد وضع نظارة سوداء على عينيه ويتظاهر بانه لايرى .

بل ان الوحيد من بينهم (المخرج محمد خان) الذى انفرد بالذهاب الى الريف لم يكن هدفه العرض لمعاناة زارعى الارض ، وللتحديات كيف يواجهونها بصبر جميل ، وليس بلامبالاة كما يتوهم الواهمون .

وانما كان هدفه من فيلمه « خرج ولم يعد » ان يصور الريف فى مصر وكأنه جنة الله على الارض ، وكان الفلاح « فريد شوقى » مالك اكول مترهل كسول لايعمل يعيش عالة على الارض السعيدة به وبناته اللاتى لاهدف عندهن من الحياة سوى انتظار العرسان .

● الجذور ●

والعجيب العجيب ان هوليوود التى ليس من مهام المشرفين على مصنع الاحلام فيها الانفعال بما قد يصل آذانهم من اصداء اوجاع وصرخات الفلاحين .

هوليوود هذه التى نادرا ماينتقل صانعو افلامها حاملين الكاميرا الى ربوع الريف بحثا عن موضوعات .

هوليوود هذه التى لم تنتج حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، اى على مدى اربعين عاما من عمر الزمن سوى اربعة افلام روائية مستوحاة احداثها من كفاح صانعى الحياة فى الريف المنسى هى : « خبزنا اليومى » (١٩٣٤) رائعة المخرج « كنج فيدور » و « اعناب الغضب » (١٩٣٩) للاديب « جون شتاينبك » و « طريق التبغ » (١٩٤١) للاديب « ارسكين كالدويل » وكلاهما من إخراج "جون فورد" واخيرا "رجل الجنوب" (١٩٤٥) عن سيناريو مبتكر اشترك فى ابداعه الاديب « ويليم فولكنر » واخرجه « جان رينوار » .

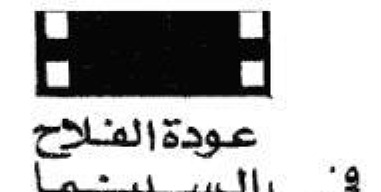
هوليوود هذه التى لاتهتم تراها فجأة تهتم بالفلاح الامريكى بما يواجه من مشاكل ، وما يتهدده من اعاصير

وهاهى ذا تنتج فى اقل من ثلاثة اشهر ، ثلاثة افلام تدور حول صراع زارعى الارض فى الولايات المتحدة من اجل الحياة او بمعنى اصح استمرار البقاء .

واول ملاحظة تسجل على الافلام الثلاثة ان المرأة تلعب فيها دورا رئيسيا . انها قوامة على الرجال ، وهى المنقذة للارض ومن عليها .

وقد جندت هوليوود لهذا الدور مواهب ثلاثة من ألمع نجوم السينما الامريكية المشهود لهن بالذكاء وحسن الاداء

ولم يقف احتفال عاصمة السينما بالريف عند هذا الحد ، بل تجاوزه الى ترشيح الممثلات الثلاثة للفوز باوسكار احسن اداء ، تلك الجائزة التى يرنو اليها الجميع ايا كان علو المنزل فى دنيا النجوم (فازت بها سالى فيلد)



عودة الفلاح في السينما

وظاهرة جعل المرأة بطلة تنفرد بالدفاع عن الارض، تقف وحدها منتصرة لها ، هذه الظاهرة نراها اكثر ماتراها فيما انتجته هوليوود من افلام تعرض للارض وما يحيط العاملين بها من مآسى منذ نهاية الثلاثينات صعودا الى يومنا هذا .

ولعل مشهد « سكارليت اوهارا » الذى ينتهى به الجزء الاول من فيلم « ذهب مع الريح » لعله بما يحتوى من لقطات خير معبر عن تلك المرأة فى تصور السينما الامريكية .

فهو يبدأ بها جائعة ضائعة ، نراها باكية تخر جاثية على تراب « تارا » مزرعة الاجداد والآباء ثم نبصرها وهى تنهض شامخة ملىء الارض والسماء ، وكف يدها المرفوعة فى تحد الى القبة الزرقاء ، قابضا على حفنة من ذلك التراب المقدس الذى يميل لونه الى الاحمرار وشمسها والشمس تغيب ، تقسم بصوت زاخر بالثقة واليقين ، بانها ابدا لن تجوع ولن تهان ، ابدا لن تترك « تارا » نهبا للغرباء .

وطبعا ـ ومع اقتراب الفيلم من الختام ـ نشاهدها وقد تغلبت بفضل العزم على الهم واحتفظت بالارض العذراء .

● ريف الغضب ●

والآن ماهى افلام الريف الثلاثة التى اهتمت بها هوليوود كل هذا الاهتمام ، وما الذى جعلها مدهشة متميزة عن غيرها من الافلام ؟

انها « الريف » للمخرج « ريتشارد بيرس » و « اماكن فى القلب » للمخرج « روبرت نبتون » صاحب « كرامر ضد كرامر » و « النهر » للمخرج « مارك رايدل » .

وهى جميعا ترحل بنا الى ريف الناس فيه بسطاء أصحاب قلوب كبيرة من بين شيمهم الكثيرة الطيبة والصبر .

على امتداد الافق نراهم يحرثون الارض مع مطلع الفجر ، يواصلون العمل حتى عتمة المساء .

ليس عندهم متسع من وقت للسياسة والاعيبها ، ولا للفلسفة ومتاهاتها .

ومع ذلك هم مهددون احيانا بعواصف مميتة ، واحيانا اخرى بفيضانات تملأ القلوب رعبا منكوبون بشبح افلاس يكاد يقتلعهم من الارض ، تكاد تنتهى بهم الحياة .

فمثلا فيلم « الريف » يتمحور حول اسرة تعانى من محنة كبرى .. لماذا ؟

لانها استمعت الى نصيحة الحكومة استثمرت فى الارض ، توسعت فى الزراعة .

واذا بالسياسة تتغير ، واذا بكل شىء يفسد .

المحاصيل تزيد ، السوق تتشبع ، ولا مفر من التخلص باى ثمن مما اثمرته الارض بالعرق والدموع .

وتزداد الامور تأزما حين يمكر المصرف بالاسرة مكر السوء ، يمتنع عن الاقراض بما وعد ، يهدد بنزع ملكية الارض تمهيدا لبيعها بالمزاد

هنا تدخل الام « جيسيكا لانج » فى



فلاح وزوجته فى مواجهة المصارف والاعاصير

الصورة كوميض البرق فى الظلام

فحتى بلوى المزاد هذه كان اعداد الطعام غسل الاطباق ، رعاية الاطفال وما الى ذلك من الشئون المنزلية شغلها الشاغل

اما الآن ، فقد تغير الحال ، وهاهى ذا تذهب الى جيرانها المهددين مثلها ، تستجير بهم ، توحد صفوفهم انتصارا للارض .

وبطبيعة الحال - وكما علمتنا السينما الامريكية بتفاؤلها المعهود - ينتهى الفيلم بها فائزة على المصارف والاعاصير .

والام « سالى فيلد » هى الاخرى نراها مهددة بضياع الارض .

يبدأ بها فيلم « اماكن فى القلب » وقد فقدت زوجها مقتولا برصاصة طائشة انطلقت من غدارة زنجى مخمور وحيدة مع طفلين وهموم ديون تراكمت بالفوائد ولا تنتهى

انها تحتمل هذه الاعباء ، واثقالا اخرى من بينها عواصف وانواء تنشر الكوارث الاهوال تنجح فى التصدى لها ،بفضل اراده من جديد

فاذا ما انتقلنا الى « النهر » لوجدنا اما فلاحة « سيس سباسيك » يتهدد ارض اسرتها الفيضان وغيلان المال والاعمال

ومع ذلك فكبرياؤها يأبى عليها ان تستسلم وفى الحق فالنهر فيلم يموج بتفاصيل دقيقة مستمدة من واقع الحياة اليومية كما يعيشها زارعو الارض فى الريف الامريكى تسرد من خلال لقطات اخاذة رسمتها كاميرا واحد من عباقرة فن التصوير « فيلموس زيجموند » ومن بين مشاهده التى لاتنسى وقوف الفلاحة هى وشريك حياتها « ميل جيبسون » وولديهما صامدين لخطر فيضان لو ترك لمياهه الهادرة ان تجرى كما تشاء وتهوى لأهلكت الزرع ، وخربت الحياة .

فهل هذه النغمة المتفائلة لها محل ؟ الواقع المر فى الريف الامريكى يجيب على هذا السؤال بلا .

واذا كان ثمة مايدعو الى قليل من التفاؤل فهو عودة الفلاح الى السينما . واين ؟ فى هوليوود حيث بدا الحديث الجاد عن . الارض وما يتهدد الشجر والبشر .

وليس من شك انه حديث فى الجذور فى اصل الاشياء







بقلم : يوسف القعيد

مصر وفلسطين وتونس وبالعكس..

● الجرح الذى اصبح بندقية ●

●● قضيت فى تونس اسبوعا ، وصلت اليها ظهر الخميس وغادرتها ظهر الخميس الذى جاء بعده ، سافرت اليها مشدودا الى الحلم الفلسطينى ، وكان النهار يمضى وسط مناقشات سياسية . ولكن ما ان يأتى الليل . حتى يتحول الحديث الى الثقافة . ولأن سفرتى كانت عشاقا للجرح الفلسطينى . ذلك الجرح الذى اصبح بندقية زماننا فقد تحول الحديث عن الثقافة الى حديثين ، الثقافة الفلسطينية ، ثم الثقافة التونسية . وخلال أى حديث عربى عن الثقافة لا مفر من ان تكون الثقافة المصرية هى المبتدأ وهى الخبر . هى الكلمة الاولى وأيضا الكلمة الأخيرة .

وصلت الى تونس فى الوقت الذى كان يغادرها فيه محمود درويش ، ومع هذا بعرت فى المكتبات اخر دواوينه الشعرية، مطبوعا طبعة أنيقة وجيدة وان كانت غالية السعر . وهذا هو حال الثقافة العربية كلها الآن . يرفعون سعر الكتاب ويقولون لك ولم الكتاب بالذات ؟! الم يرتفع سعر كل شىء تقريبا ؟! ديوان محمود درويش الأخير هو : حصار لمدائح البحر . وهو منشور الآن فى اكثر من مكان عربى . فى بيروت وفى تونس وفى فلسطين المحتلة .

وفى تونس الآن مقر اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، وفى مقر الاتحاد قابلت الشاعر الفلسطينى احمد دحبور، الذى يعيش فى تونس .

ومشروعات الاتحاد كثيرة. اخرها مشروع جديد هو كتاب الكرمل . والكتاب الاول الذى يصدر عن مجلة «الكرمل» هو عبارة عن اخر روايات اميل حبيبى : اخطيه . ومن المتوقع ان تصدر فى نفس هذه السلسلة رواية لسليم بركات . الذى يتولى سكرتارية تحرير مجلة الكرمل .

ايصبح من المتوقع ان تصدر رواية : الطريق الى عين حارود للكاتب اليهودى عاموس كنيان فيها . والرواية الاولى التى صدرت من السلسلة وهى رواية الخطية لاميل حبيبى .. والرواية الثالثة وهى الطريق الى عين حارود نشرتا فى الكرمل . المجلة. وفى تصورى ان هذه السلسلة لايجب ان تتحول الى كتاب يعيد نشر ماصدر فى المجلة . فلابد من وجـــود هامش من الاستقلالية مابين المجلة والكتاب . والا ماهو مبرر شراء كتاب يعيد نشر مانشر من قبل فى المجلة ..

واحمد دحبور يستعد الان لاصـــدار مختاراته الشعرية من سبعة دواوين هى: الضوارى وعيون الاطفال . حكاية الولد الفلسطينى ، طائر الوحدات . بغير هذا جئت . اختلاط الليل والنهار ، واحد وعشرون بحرا ، شهادة بالاصابع الخمس.

ومن الوجوه الثقافية الفلسطينية فى تونس الكاتب والقاص زياد عبدالفتاح ، صدرت له من قبل مجموعة قصص قصيرة عما جرى فى بيروت وله ايضــا مجموعة قصص جديدة . ويحمل معه بطاقة تعريف به. مجلدات مجلة يقدمها لك من وجهـة نظره فهى افضل اوراق اعتماد يقدمهـا لك . المجلة اسمها المعركة وهى مجلة يومية كانت تصدر فى ايام حصار بيروت تحاول تقديم صورة حية ودقيقة عما جرى هناك فى زمن الحصار ، حيث تنقل حتى جزئيات الواقع اليومى . ومعاناة مــن عاشوا تجربة الحصار هذه .

والفلسطينيون فى تونس لهم حضور من نوع خاص . انهم الغائب الحاضر . وهم يعيشون على تخوم المدينة ، فى الاطراف البعيدة . محرومون من دفء التواجـد على مقربة من بعضهم البعض . وعنـدما تقابل قادتهم وصناع القــرار تدرك ان الثقافة جزء جوهرى من مكونات كل واحد فيهم ، عندما تقدم كتابا لياسر عرفات . يتحدث فورا عن مكتباته . تلك المكتبـات المتناثرة فى اماكن عديدة من الوطن العربى. وكلمة مكتبات تلخص على الفور القضية. وتجسد الهم الفلسطينى افضل تجسيد. فالمكتبة حجرة فى البيت . ولكن كيف تبدو هذه الحجرة عند من ليس له بيت ؟ او من له عدد من البيوت فى اكثر من وطن ؟ دون ان يكون وطنه الحقيقى احد هـذه الاوطان التى يتجول عبرها . وابو عمار يعيد الكلمة : قلت مكتبات ولم اقل مكتبة حتى اكون واضحا ومحـــددا . ويدرك الانسان فى المسافة بين الكلمتين معنى ان يكون الانسان مبعثرا معنى الشتات . معنى اقامة العلاقة مع اكثر من مكان باعتبار كل منها هو مكانه الاساسى .

واعترف اننى قابلت صـــلاح خلف « ابو اياد » دون ان اكون قد قرات كتابه الهام « فلسطين بلا هوية » والكتاب كله عبارة عن حوار بينه وبين الكاتب الفرنسى ـ المغربى الاصل والمولد ـ اريك رولو . وان كانت كلمات « ابو اياد » تكشف عن اهتمام خاص بالادب . وكلماته تخرج مشبعة بروح ادبية تنطلق من اهتمـامات ادبية قديمة .

وفى مكتبات تونس ما اندر الكتب التى تتحدث عن الصراع العربى الاسرائيلى وما اندر الكتب التى تتحدث عن اسرائيل ، وهناك قليل من الكتب التى تتحدث عن فلسطين . وعندما كنت اتجول فى مكتبات تونس ادركت الحقيقة البسيطة التى لم



ادركها الا وانا فى تونس ان مكتبات القاهرة ، ودور النشر المصرية . فيها اكبر قدر ممكن من الكتب الصادرة عن اسرائيل انطلاقا من موقف محدد : وهو ان اسرائيل جسم استعمارى فى المنطقة ونوع من التعبير الصارخ عن الصهيونية العالمية . ما اكثر الكتب المصرية . وما اندر ما وجدته فى مكتبات تونس . على الرغم من جولاتى المتعددة . وعلى الرغم من ان تونس هى العاصمة السياسية للقيادة الفلسطينية . فيبدو انه من الصعب ان تتحول الى عاصمة ثقافية لاسباب كثيرة . ربما لان الثقافة اعلى صوتا وحضورها يعلن عن نفسه بقوة . ويبدو ان التواجد الثقافى سيظل موزعا بين قبرص والقاهرة . وعواصم اخرى كثيرة .. ولفترة قادمة لا ندرى الى مدى تطول .

● العروبة التى اصبحت قضية ●

ما من مثقف تونسى التقى به الا وكانت الجملة الاولى فى حديثه على شكل سؤال : ماذا فعلتم بالف ليلة وليلة ؟! لم ادرك ابدا ان هذه المعركة التى تمت ضد طبعة من الف ليلة وليلة فى مصر لا مبرر لها ابدا . لم تؤد الى شىء بقدر ما ادت الى عملية اهالة اكبر قدر من التراب فوق وجه الثقافة المصرية .

والتساؤلات التى كانت تحاصرنى كثيرة : هل من المعقول ان تصدر طبعة لالف ليلة وليلة فى بيروت لكى تصادر فى القاهرة ؟ القاهرة التى تعلمنا منها كل شىء .

ولان الاخبار تصل بصورة فيها اكبر قدر من التهويل . فهناك القليل من المثقفين الذين يتحدثون عن المصادرة فقط . ولكن هناك من يتحدثون عن حرقها فى ميدان عام وان ذلك حدث فعلا ؟.

واتوقف على البعد امام هذا الحدث المصرى . احاول الامساك بمردوده فلا اجد له اى مردود ابدا ، سوى انه يقدم فرصة ذهبية لمن يرغب فى الهجوم على الثقافة المصرية ان يفعل هذا . ونحن هنا اسرى اللحظة السريعة دون ان نفكر او نحاول ان نفكر فى تاثير ذلك خارج الحدود.

كم كان مرهقا لنا ونحن هناك ان ندخل فى نقاشات كثيرة . اغلبها كلمات قيلت من قبل . ووجهات نظر طرحت من دور مصر الثقافى . ولابد من القول انه يوجد الان جنون عربى اسمه وراثة الدور المصرى فى الثقافة . ونحن – ببعض المعارك الصغيرة التى لا فائدة من ورائها ابدا – نقدم لهم المادة الخام لذلك .

الكتاب الدينى المصرى اكثر اشكال الكتب حضورا فى تونس . والاقبال عليه شديد . وفى بعض الاحيان تقف امام احدى المكتبات فيخيل اليك – لبعض الوقت – انك مازلت فى القاهرة وانك تقف هذه الوقفة امام مكتبة قاهرية .

وقد لاحظت فى تونس عدم وجود اسواق الكتب القديمة والمستعملة باستثناء مكتبة بجوار جامع الزيتونة فى الحى التجارى العربى . وهى مكتبة وليست سورا مثل سور الازبكية المصرى الذى كان .

والرواية هى الفن التونسى الاول ، تليها الترجمة خاصة عن ادب شمال افريقيا المكتوب اصلا بالفرنسية . وهناك سلسلة ادبية هامة تصدر فى تونس من دار الجنوب التى يملكها مثقف تونسى هو محمد المصمودى . والسلسلة هى : عيون المعاصرة . ويشرف عليها ناقد وباحث ادبى مستنير هو توفيق بكار . وتكاد ان تكون المساهمة المصرية فيها كبيرة . فقد اصدرت هذه السلسلة رواية : ابراهيم الكاتب للمازنى . وتنوى أن تصدر قريبا طبعات تونسية من الارض لعبد الرحمن الشرقاوى والزينى بركات لجمال الغيطانى . واللجنة


محمود درويش


ابو القاسم الشابي

لصنع الله ابراهيم وكتاب محمود امين العالم : ثلاثية الرفض والهزيمة . وهو احدث كتاب نقدى له صدر بعد عودته من الخارج .

وفى تونس سلسلة اخرى هى : عودة النص . وهى معنية بترجمة النصوص الادبية وتهتم الان بالاعمال الادبية لكتاب شمال افريقيا التى كتبوها باللغة الفرنسية .

وقد اصدرت هذه السلسلة تحية لكاتب بالسينما . وعملين للطاهر بن جلون هى : صلاة الغائب ومحا المعتوه محا الحكيم . ونجل الفقير لمولود فرعون . والتطليق لرشيد موجودة . والحضارة اماه لادريس الشرايبى . والبحار والاسطرلاب لمحمد عزيزة . ويدير هذه السلسلة : محمد كمال قحة .

وفى تونس روائى هو محمود المسعدى، صدرت عنه اربع كتب حتى الان وله نصان روائيان فقط هما : السد ، وحدث ابو هريرة قال . وكتاب واحد عبارة عن مقالات هو : تاصيل كيان وقد حرصت على قراءة المسعدى بعد هذا الجو الذى يحيط به فى تونس . وقد اكتشفت امرين : اولهما : انقطاعه التام من الكتابة منذ حوالى ٣٠ سنة مضت . فمنذ ان ولى رئاسة مجلس الشعب التونسى وهو لايكتب وهو الان فى الثمانين من العمر اطال الله فى عمره . وثانيهما : ان رؤيته الروائية قريبة من التجريد . وان معظم مغامراته هى فى حقول التجريب الروائى . والتمارين فى اللغة العربية قد تكون استلهاما للتراث، واقترابا من التراث . ولكنها عند الحديث عنها كانجاز روائى لابد من التحفظ كثيرا .

وفى تونس اصوات شعرية كثيرة . ولكن يبدو انهم يعانون من ضخامة اسم « ابو القاسم الشابى » . فعلى الرغم من مرور نصف قرن على وفاته ، الا انه مايزال مثل الحاضر الغائب فى الجو الثقافى فى تونس . وقد اكتشفت مؤخرا قصائد جديدة له . ونشرت فى تونس اعماله الشعرية الكاملة . وكتابه النثرى الوحيد الخيال الشعرى عند العرب .

وفى تونس اصوات قصصية جديدة منها محمد رضا الكافى : الذى اصدر من قبل مجموعته القصصية الاولى : خريف . ويستعد الان لاصدار روايته الثانية . ومن الاصوات القصصية الجديدة حسن بن عثمان ، الذى نشر عددا من القصص المتفرقة ويستعد لاصدار مجموعته القصصية الاولى .

العروبة هى الكلمة الاولى فى سفر الواقع الثقافى التونسى الجديد . جيل جديد يحاول البدء من قاموس عربى سليم . يحاول الخروج من واقع ثقافى لم يكن قريبا من قضية العروبة بالقدر الكافى . وقد جاء الوقت الذى لابد من معالجة هذا الامر فيه بقدر نادر من الوضوح . وهذا ماتحاول ان تقوم به الاجيال الجديدة فى الواقع الثقافى الراهن فى تونس ..



كشف علمي يهز العالم

العلم يطيل الساق عشرات السنتيمترات

بقلم : محمد فتحي عبدالفتاح

●● حين وقف جافريل ابراموفتش ايليزاروف يعرض نتائج ابحاثه على زملائه ، خلال مؤتمر عالمى ، قوبل بعاصفة مثل «اسنة الرماح» فقد كان حديثه اقرب الى الاساطير منه الى التصورات العلمية السائدة وقتها .

لكن ممارسات الطبيب النابغة اثبتت بالفعل انه من الممكن اطالة قامة الانسان ـ بصرف النظر عن عمره ـ عشرات السنتيمترات ، وان علاج الذراع المكسورة يكون انجع بالشروع فورا فى ممارسة رفع الاثقال ! وان صالة الرقص لها اهمية طاولة العمليات ، بالنسبة لانسان كسرت ساقه ! وان جهدا من هـذا النوع يختزل فترات الشفاء الى الربع وفى حالات اخرى الى الثمن .. اى الى اسبوع مثلا بدلا من شهرين !!

فى عام ١٩٦٤ منح نقاد العالم فاليرى بروميل لقب « افضل رياضى فى العالم » للمرة الثالثة على التوالى، فقد كانت نتائجه فى الوثب العالى بالاعجاز اشبه . وكان « عينا » ، ضربت البطل فاصيب فى حادث أدى الى كسر ساقه وتاه بروميل بين المستشفيات والمعاهد المتخصصة ما يقرب من ثلاث





سنوات ، أجريت له خلالها ٢٥ عملية جراحية ، سبع منها تعد بين الجراحات الكبيرة التي لا تجرى الا بتخدير كامل .. ومعها فقد بروميل كل امل في الشفاء الناجح ، وبالتالي في العودة الى الملاعب ..

لكن الصدف قادت بروميل في نهاية المطاف الى عيادة طبيب العظام السيبيري ايليزاروف . وهناك ثبت الاطباء حول ساقه – بعد أن قوموا عظامها – بعض الحلقات والقضبان وربطوا الكل بمجموعة من المسامير والصواميل !!

وفي اليوم التالي فاجأ الطبيب مريضه :

– اتحب مشاهدة التليفزيون ؟

– نعم . في بعض الاحيان .

– اذن فعليك بالذهاب الى قاعة التليفزيون ومشاهدة ما يروق لك من برامج .

ومضى الطبيب في ايضاح مطلبه : « حتى تلتحم الكسور اسرع يجب ان تستعيد – ويستعيد الجسم من حولها – التناسق الحيوي الذي فقدته ، وياحبذا ان تمكنا من تحميلها رويدا .

وبالفعل ذهب بروميل الى مشاهدة التليفزيون قاطعا ستين مترا ذهابا ايابا ، يطأ الارض هونا ، فوق الساق التي قطعت عظامها الى اجزاء ، توطئة لتقويمها ، قبل يوم واحد !!

وفي اليوم التالي زادت المسافة التي سارها الى ثلث كيلو متر ، وبعد يومين الى نصف كيلو متر .

بعد اسبوعين من العملية انتزع ايليزاروف العكازين من بروميل مداعبا : « هناك من هو أولى بهما منك » . واعطاه عصا يتوكأ عليها مؤكدا : « الان كلما مشيت اكثر اقترب يوم خروجك من المستشفى » .

كان السير مؤلما لكن كل الم يهون مقارنة برحلة العذاب التي خبرها بروميل في المستشفيات قبل الوصول الى ايليزاروف ، ومقارنة بدبيب الثقة والقدرة الذي اخذ يشعشع في نفسه من جديد .

وبعد أسبوعين غادر بروميل المستشفى السيبيري على قدميه في رحلة الى موسكو استغرقت شهرا كاملا وجهاز ايليزاروف مثبت حول ساقه ، بعد ان علمه الطبيب كيف يراعيه بنفسه .

وبعد اسبوعين من الشفاء وانتزاع الجهاز صالح بروميل الملاعب . بعد خصام للرياضة دام ما يزيد على الثلاث سنوات .. ولم يمض اسبوعان على بدء التدريب حتى كان بروميل يرفع عارضة الوثب العالي خمسة سنتيمترات فوق القرين ويجتازها !!

ولم يسمع مطلع بذلك الا وقال : « معجزة » . « اعجوبة » . « اسطورة »

● اعجوبة . معجزة . اسطورة ●

طراز من التعليقات النمطية التي يبديها الناس العاديين وربما الأطباء العاديين ، على كثير من الحالات التي عالجها النابغة ايليزاروف .

● فتاة دخلت عيادته باحدى ساقيها اقصر من الاخرى ٣٢ سنتيمترا وخرجت بساقين متساويتين في الطول !

● امرأة اجمع الاطباء على ضرورة بتر ساقها ، لكن ايليزاروف قال «لا» وابقاها لها !

● شاب كسر ساعده واجريت لـه اربع جراحات اسفرت عن قصر الساعد المكسور ٢٤ سنتيمترا دون أن يشفى ٠ وجاء دور ايليزاروف لاليشفيه فقط وانما ليعيد الساعد الى طوله الطبيعى ايضا !

نتائج قد يبدو ايليزاروف معهـا ساحرا يصنع المعجزات بالفعل ، لـكن ليس امامنا الا ان نصدق ما يقـوله ايليزاروف نفسه : « انا لست ساحرا ، وليس فى الامر اى معجـزة ٠ ان المسألة ليست سوى محاولة مخلصـة لفهم نواميس الطبيعة ، وطاعة هـذه النواميس ٠ فعلى الطبيب ان يبحث عن طرق علاجية تساعد الجسـم على استعادة التناسق الحيوى الذى يفقده بالمرض ٠٠ وتجدر الاشـارة الى ان الجسم يبدى استعدادا طيبا للتعـاون مع مثل هذا الطبيب » ٠

وان كان هذا كلاما معجزا من حيث بساطته وصدقه ومنطقيته وتواضـع الناطق به ، فالساحر هنا هـو ان الانجازات السـابقة ـ وما شابهها لا تخرج عن ان تكون امرا طبيعيا ، بل وطبيعيا جدا ، وفق النظرة التى رسخت فى واعية ايليزاروف منذ طفولتـه المبكرة حول وظيفة الطبيب ٠٠



الطبيب ايليزاروف

● أسعد الحظ الطفل بالمرض ●

فى قرية صغيرة ولد جافـــــريل ابراموفتش ، الابن الاكبـــــر لاسرة ايليزاروف الـكثيرة العيال ٠ وكانت اعباء الحياة تفرض على الاســـرة اختصار مراحل فى عمر اطفالهـا ، لتدفع بهم الى ساحة العمل والكسب ٠ وهكذا صار جافريل فى التاســــعة راعيا يجوب الجبال باغنامه حينـا ، وعاملا يحرث الارض ، ويجمع ثمار الغابة حينا اخر ٠

ويوما أصيب جافريل بتسمم لتناوله

● علاج الذراع المكسورة عن طريق رفع الأثقال !

العلم يطيل الساق
عشرات السنتيمترات

طعاما ملوثا . ومن شدة الالم سلم الطفل بانه سيموت بل ومضى حين طال العذاب يستعجل الموت ، ليخلصه مما يعانيه . هنا ادركت امه الا مناص من استدعاء حلاق الصحة الذى ارغم الطفل على تناول كثير من الماء المغلي ، كما اعطاه حقنة ..

وزلزل الموقف كيان الطفل : « لقد ذهب الالم » . وسأل جافرول نفسه : اذا كان بامكان حلاق الصحة ان ياتي بهذا الفعل المعجز . فماذا بمقدور الطبيب اذن ؟ وكان قرارا فوريا : « ساكون طبيبا » .

● الطفل يهرول حتى يصبح طبيبا ●

كانت الظروف والصدفة قد ابعدت الطفل عن التعليم ، فوصل العاشرة دون ان يشاهد المدرسة ، وكان عليه أن ينعطف بحياته ويولي وجهه شطرها .

وجد اترابه على عتبة الصف الرابع ولم تكن قامته باقل من قاماتهم، ولكنه كان يتفوق عليهم من حيث معرفته ، وربما فوقهم جميعا ، ماذا يريد على وجه التحديد من هذه المدرسة . وفي عجلته لان يكون طبيبا قرر الالتحاق بالصف الرابع مباشرة ، على ان يتحمل ما يتضمنه مثل هذا القرار من اعباء . كان يدرس في ساعات الدرس ، ويدرس بين الدروس ، ويدرس بعد المدرسة طوال الوقت ، ولا ينام اكثر من ثلاث ساعات كل يوم !!

وساعده المعلم الذى يداعب مخيلته، كما ساعدته نشأته الخشنة ، وكثير من الاستغناء الذى تعوده منذ الطفولة على اللحاق باترابه . وما أن وصل الى الصف الخامس حتى كان يحصل على الدرجات النهائية في كل المواد .. وما لبث ان انهى صفوف المدرسة العشرة « مستوى التعليم الثانوى » في خمس سنوات ، ليجد نفسه على عتبة قدس الاقداس : المعهد الطبي العالي .

ولما تخرج ايليزاروف في السنوات الصعبة التالية للحرب العالمية الثانية كلف بالعمل في الوحدة العلاجية لقرية صغيرة . ولم يكن هناك طبيب غيره في الناحية كلها . وهكذا وجد نفسه يقوم بتوليد النسوة وعلاج الاطفال وخلع الاسنان ، بل وباجراء جراحات التجميل ..

وعالم طبي بهذه الرحابة يحمل في طياته ، رغم ثرائه ، مخاطر الانجراف مع الصدف . لكن ايليزاروف كان في يقظة من أمره . فأيام طفولته لم تزوده بعلم الطبيب الاسطورة فقط ، ولكن بكثير من المفاهيم التي تساعده على ادراك هذا الحلم . وهكذا لم يترك الصدفة تتحكم في خطوه ، وظل يبحث وهو يتجول وسط السهوب السيبيرية عن تجسيد لحلمه .

راع الطبيب خلال ممارساته العلاجية أن وجد الافكار الاساسية التي تحكم علاج العظام ثابتة تقريبا منذ أيام قدماء المصريين ، ذلك بينما شهدت مختلف حقول العلاج والجراحة تقدما ، بل وانقلابات هائلة .. فمنذ عرف الانسان علاج العظام ساد اعتقاد بأن الكسور تلتئم ببطء شديد لكون العظام نسيج خامل ، احتياطياته في

مجال التجدد والتوالد واستعادة حالته ، جد واهية • وكان ذلك اعتقادا مركزيا بين الدوافع وراء تجبيس ما يصاب بالكسور من عظام ، والحكم على صاحبها بالبقاء فى الفراش دون حركة فترة تقدر بالشهور فى كثير من الحالات ، وفى وضع اقل ما يقال فيه انه غير مريح •• ذلك لانه ضار صحيا بالتأكيد • لكن ما العمل اذا كانت حركة واحدة غير مواتية تشكل تهديدا بتباعد اجزاء العظام ، او عدم استوائها عند الالتئام ، الامر الذى لابد وان يقود الى جراحة جديدة ، والى بدء مشوار العذاب من جديد •

● نسيج خامل ودور حيوى ! ●

لقد كان هناك اجماعا فى الدوائر الطبية على أن العظام وحدها هى الملومة فى هذا الوضع المحزن • ولهذا انحصر فى تفاصيل هامشية مثل التوصل الى جبس اكثر بياضا ، جبائر من البلاستيك •• لكن الحادث الذى صنع لايليزاروف حلمه بالطبيب الاسطورى علمه الشك ، وعدم التسليم الاعمى بصحة ما هو شائع ، وما هو مسلم به ، لمجرد صدوره عن سلطة • الم يضع الكبار الطبيب فى سلة واحدة مع العفريت والذئب عند تخويفه فى طفولته ؟ وهكذا ولدت بذرة التساؤل الفنى الذى ظل يؤرقه كيف يمكن التسليم منطقيا باحتواء الجسم الحى على نسيج سلبى خامل له مثل ذلك الدور الحيوى الذى تقوم به العظام ؟

الا يمكن ان يكون الحال فى مجال علاج العظام مثله حالة ساعة الاصابة بالتسمم فى طفولته ؟ لقد تمنى ساعتها الموت • لكن الموت لم يكن الا هروبا من الالم • وقد علمه الدرس ان الهرب لم يكن المخرج الصحيح ، وان المواجهة الحقيقية تحتاج الى الفهم والحب اللذين تمثلا ساعتها فى امه والعلم الذى تمثل فى حلاق الصحة •

اليس من الممكن ان يكون الداء كامنا فى التجبيس ذاته وما يتبعه من موات واخراج للعضو عن طبيعته كعضو حى له وظيفته يؤديها ويستقيم عوده بها ؟ وهكذا بدات تؤرقه مشكلة تحرير العظام المكسورة من اسار اقفاص الجبس • وظلت هذه المشكلة تشغله سنوات طويلة • يفكر بها فى صحوه و يفكر فيها وهو يعمل ، ويفكر فيها وهو يجرى جراحاته ، ويفكر بها فى كل وقت ••

● وجدتها وجدتها ●

وكانت صعوبة التنقل فى المنطقة الجبلية تفرض عليه أن يلبى استدعاءات المرضى متحركا على عربة تجرها جياد فى احوال ، وعلى زحافات تجرها كلاب فى احوال اخرى ، وعلى متن طائرة هليوكبتر فى احوال ثالثة • وكان يطير عدة مرات كل اسبوع لتلبية الاستدعاءات العاجلة • وكانت طائرته من طراز قديم ، ذات كابينة مكشوفة ، لا تسعد راكبها بادنى قدر من الراحة ، وكانت القراءة فى مثل هذا الجو مستحيلة ، ولم يكن امامه الا ان يستغل وقته فى التفكير • وفى احدى المرات كان الزمهرير يقرص أنيه والرياح تصفر حوله ، والكابينة تهتز ، والطائرة تزمجر وهى تهوى فى مطب جوى ، وهو يود أن يقفز على مقعده صائحا كارشميدس وجدتها وجدتها ••

لم يكن الامر وحيا هبط عليه وهو يحلق بعيدا عن الارض فى ظروف غير طبيعية • وصحيح انه يمكن الربط بين فكرته الخاصة حول تثبيت اجزاء العظام المكسورة لتتحرك معا ، وبين كيفية تثبيت الجواد فى العربة ليتحركا سويا •• وصحيح ان الطائرة الهليكوبتر القديمة التى كان يلبى عليها الاستدعاءات الطبية قد شحذت تفكيره الميكانيكى •• وصحيح انه بالامكان



التطرق الى تخريجات كثيرة ليس أخرها الربط بين الثلج الابيض وهروب الحيدة ، أو الربط بين شوارع اللون الابيض فى سيبيريا وبين فقدانه للجاذبية التى يتمتع بها عند من كانو يبحثون عن جبائر أكثر بياضا .. لكن كل هذه تخريجات تدخل ، على قيمتها وصحتها ، فى بند المصادفات التى يمكن ان تهدر تماما ، ما لم يربطها جهد ارادى يلملم اشلاءها لتخرج فى كيان نافع جديد ..

لقد كانت وجدتها نتيجة عمل مضن طويل امتد الى اللحظة التى خلص المرض فيها ايليزاروف من الامه . ولم يقتصر الامر على مراحل الاعداد العلمى والمعنوى ، ولا على التفكير الذى انخرط فيه وهو يعالج ويطور ويجرى الجراحات .. الخ . لقد تجاوز الجهد الارادى ذلك كله الى القراءة والبحث الموجه لقد كان ايليزاروف يقرأ نهارا وحين يضيق وقت النهار يقتطع من وقت النوم ويقرأ ليلا . وبعد ان قرأ كل ما يهمه فى مكتبته الخاصة ، ثم فى مكتبة المستشفى ، وفى مكتبة القرية . بدأ يطلب ، مستخدما بطاقة القراءة الخاصة به « عن طريق التبادل بين المكتبات » ، كل الكتب التى يمكن أن يحصل عليها فى قرية دولجوفكو حيث يعمل ، لم يجد مفرا بعد ذلك من أخذ اجازة بدون أجر والذهاب الى العاصمة « ليقيم » هناك فى المكتبات العامة .

● ايليزاروف يتعلم مهنة البرادة ●

هذا كما ان وجدتها وجدتها لم تكن مجرد نهاية للجهد المضنى . كانت نهاية لمرحلة وبداية لمرحلة جديدة فى نفس الوقت فقد كان عليه بعدها ان يدرس علوما لم يمتك بها من قبل بالمرة .. وجد نفسه يدرس مقاومة المواد ، والبيوميكانيكا ، بل والميكانيكا وأتى عليه يوم ، حين شرع فى تصميم جهازه ، ومضى يتعلم مهنة البرادة !!

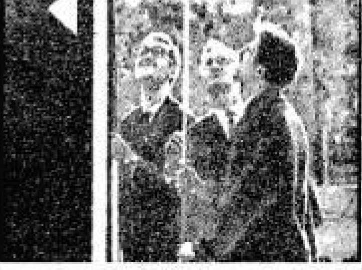
كان التصور الذى أدار ايليزاروف جهده حوله يتلخص فى ان تأدية عضو ما لوظيفته شرطا لاستقامة هذا العضو وسوائه ، بل ولنموه . وبالتالى فان التحام العظام - كما يجب - ناهيك عن نموها ، مستحيل دون جهد وتحميل ، ذلك اضافة الى التأثير الايجابى الناتج عن استمرار حركة الانسجة حولها بصورة طبيعية ..

وكانت الخطوة الحاسمة فى قصة هذا الانجاز الطبى نجاح ايليزاروف فى تصميم الجهاز الذى يمكن المريض من الاستمرار فى تحريك اعضائه وتحميل العظام المكسورة .

● نبتت للعجوز ساق جديدة ●

وحان وقت الممارسة العلاجية . ووقع الاختيار على عجوز لازمها عكازها ١٥ سنة كاملة وربما روعى بين عوامل اختيار هذا العجوز تمرسها بعالم العلاج وتمرس عالم العلاج بها ، مما يجعلها محكا قيما لمعرفة مدى فائدة الاسلوب العلاجى الجديد ، مقارنة بالاساليب الاخرى ، بالذات بعد أن وصلت المريضة الى سن ابتعدت فيه الانسجة عن افضل حالتها . ذلك بالاضافة ، طبعا ، الى ان العجائز هم





بعد ٢٥ عملية جراحية فقد بروميسل الامل في الشفاء والعودة الى الملاعب . لكن ايليزاروف عالجه وعاد بطلا من جديد ..

بدأ زمن العمالقة

● صالة الرقص مثل غرفة العمليات فى علاج الكسور !

اكثر الناس معاناة من طول فترات العلاج ومن التأثيرات الضارة لقلة الحركة ..

لم تكن العجوز تصدق نفسها وهى تغادر المستشفى على ساق جديدة خالية العكاز الذى اقام عودها ١٥ سنة متواصلة . لقد قام الاطباء بتقويم عظام الساق ، التى التحمت وفق طريقة العلاج الجديدة فى فترة مذهلة « سدس الفترة الطبيعية » ولم تشأ المرأة أن تتصل بذويها كى يحضروا من قريتها البعيدة لاصطحابها، كما تعودت من قبل ، اذ ودت أن تفاجئهم بمعجزتها الجديدة .

ولما وصل القطار الى المركز الادارى لقريتها كان يفصلها عن موعد أول وسيلة مواصلات الى قريتها ساعتين كاملتين ، لكنها قررت فى فورة الثقة أن تجمل مفاجأتها كاملة ، وقطعت الكيلومترات التسع على صاحبيهـا لتدهش ذويها بالسيقان الجديدة العجيبة التى نبتت لها ..

وهكذا اضاء النور الاخضر امام هذا الاسلوب العلاجى . وكان لابد من تحسين وترشيد وتنويع مكونات جهاز ايليزاروف ، حتى تتلاءم وصلاته مع الاشكال المختلفة للعظام - وهكذا اتصل الجهد حتى امكن التوصل الى ما يمكن تسميته تجاوزا بميكانو ايليزاروف ، الذى لا تخرج مكوناته الاساسية عن مجموعة بسيطة من الحلقات والقضبان والصواميل والمسامير ..



تعطي مجلات عالم الغد اهتماما كبيرا لتطور العلوم وتقنياتها ، ولقد انتظرنا طويلاً سد هذه الثغرة وظهور مجلة علمية تتوجه الى القارىء العادى . فتثير خياله وتحفزه على متابعة التغيرات التي تقع حوله .. وتخاطب الحضارة بلغتها ومفاهيمها وتسابقها وتسبقها ..

وظهر مؤخرا مجلة علمية عربية هي افاق علمية ، ومن قبلها مجلة ، علوم ، العراقية ، والظاهرة اللافتة للنظر هي صدور مجلة افاق علمية بتمويل عدد من رجال المال العرب على رأسهم عبد المجيد شومان ، فقد تاخر طويلا مساهمة رجال المال في الانشطة العامة التي تساهم في تطوير مجتمعاتهم . وجاءت هذه المبادرة التي نامل ان تكون بداية لمساهمة اكبر في الحياة العامة ..

تولى رئاسة تحرير افاق علمية احد المعارين العرب الذى ساهم بدور بارز في الحياة السياسية العربية ، وتعرض مؤخرا لمحاولة اسرائيلية غادرة لاغتياله في قبرص ، مدركا ان المساهمة في رفع المستوى العلمي والفكرى للعرب لاتقل اهمية عن العمل السياسي وهو الأستاذ هاني الهندى الذى كتب في العدد الأول يقول :

« إن أهداف هذه المجلة متعددة ، فهى تعرف بما يدور في الجامعات ومراكز البحوث وتساهم في تعريف وتوحيد المصطلحات العلمية ، وتخلق وعيا علميا عربيا ، وتبنى قاعدة معلومات لموسوعة علمية عربية وقد خصصت المجلة ملفا بعنوان « الموت الجماعي الكبير » كما قدمت دراسة حول العالم العربي البارز الخوارزمي

ويكتب الدكتور فؤاد زكريا مقالا بعنوان « اين العرب من الابداع العلمي » تناول فيه علاقة العلم بالسلطة السياسية واثر هذه العلاقة على صياغة المستقبل وتناول الدكتور صبحي قاسم مشكلة التصحر في العالم العربي ، وذكر ان نسبة ٧٥٪ من العالم العربي صحراء ، وأن أسباب التصحر تتمثل في الزراعة الجائرة والرعي الجائر وقطع الأشجار وقلع النبات



وطرق الرى غير العلمية ، والتوسع العمراني على حساب الأرض الزراعية

● نفق برى بين بريطانيا وفرنسا ●

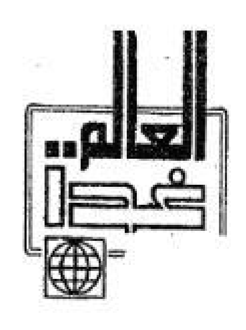


بدات الحكومتان الانجليزية والفرنسية تتخذان خطوات جديدة لبناء النفق البرى الذى يربط بينهما والذى سيمر تحت القناة الانجليزية امتدادا من كاليه على الشاطىء الفرنسى وحتى فوكستون على الشاطىء الانجليزى . وترجع قضية ربط فرنسا وبريطانيا بنفق إلى عام ١٨٠٢ عندما طلب نابليون بونابرت من مهندسيه تقديم مشروع بهذا الشان فاقترحوا شق نفق من كاب جريستز شمال فرنسا إلى مدينة موكستون جنوب شرق انجلترا مع اقامة جزيرة صناعية فى المنتصف ولكن نابليون اهمل المشروع فى غمرة انتصاراته العسكرية . ومنذ ذلك الوقت تقدم كلا الدولتين عدة مشاريع سنويا لم تنفذ كلها بسبب اختلاف الاراء السياسية او مشكلة التمويل او تغيير الحكومات . وبدا المهندسون الانجليز والفرنسيين معا فى اعداد خطط جديدة للدولتين اللتين فرقتهما العوامل الجيولوجية وسنوات طويلة من الحروب . وقد وافقت مارجريت تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية والرئيس الفرنسى ميتران على دعم المشروع واتفقت الدولتان على قبول المقترحات على ان يتم اختيار افضلها فى نهاية العام . وتقدر التكاليف الاجمالية للمشروع حوالى ٣ بلايين دولار وسوف يمد النفق لمسافة ٣١ ميلا وسيقام خط سكة حديد بداخله لعمل السيارات والشاحنات من الجانب الانجليزى إلى الفرنسى وبالعكس . يتوقع ان يستمر العمل فى المشروع ست سنوات ونصف وسوف يوفر ١٠٠ الف فرصة عمل امام الحكومتين اللتين تواجهان متاعب داخلية بسبب ارتفاع معدلات البطالة

● اسلوب جديد لمنع تسرب المعلومات ●

اكثر من اى وقت مضى اصبحت سرية المعلومات مصدرا خطيرا للقوة . ويشترك رجال الأعمال والساسة والصحفيون والعلماء فى الحاجة لحماية المعلومات التى يحتفظ بها كل منهم من التسرب . لذلك انتجت إحدى الشركات الأمريكية المتخصصة فى تصنيع معدات الرقابة والامن جهاز كومبيوتر جديد يقوم بإرسال





المعلومات بصورة مشوشة خلال الخطوط التليفونية العادية حتى لايمكن لأى انسان أن يفهمها إلا المستقبل وتستوعب شاشة الكومبيوتر نحو ٤٠ رمزا . ويمكنه تخزين رسالة مكونة من خمس صفحات ويتميز بانه سهل الحمل إذ يمكن الانتقال به فى حقيبة رجال الأعمال أو فى جيب السترة .

وعند الاستعمال يقوم الشخص بكتابة رسالة مكونة من ١٦ حرفا ثم يضغط على زر خاص بتحويل هذه الرسالة إلى شفرة عبارة عن ومضات رقمية يتم التشويش عليها من خلال إحدى شرائح الكومبيوتر الموجودة فى مفاتيح التشغيل . ولنقل الرسالة يتصل الشخص ويثبت سماعة التليفون على الجهاز ثم يضغط على مفتاح التشغيل لنقل الرسالة وخلال دقائق تبلغ الرسالة فى شكل معلومات رمزية رقمية لايستقبلها إلا جهاز من نفس النوع على الطرف الآخر للتليفون .

● احتفالات بمرور ٣٠ عاما على والت ديزنى ●

تقيم مدينة والت ديزنى بولاية كاليفورنيا الأمريكية احتفالات ضخمة بمناسبة مرور ثلاثين عاما على إنشاء المدينة الأم التى تبعها إنشاء مدينة أخرى بالولايات المتحدة وثالثة باليابان . اعدت إدارة المدينة برنامجا حافلا للزائرين ووعدت بتقديم هدايا قيمة من بينها سيارة مجانية للضيف الذى يحمل التذكرة رقم ٣٠٠٠ او مضاعفتها بالاضافة لجائزة للضيف الذى يجعله الحظ صاحب التذكرة رقم ٢٥٠ مليون . هذه الاحتفالات جزء من برنامج العام الذى توزع فيه المدينة جوائز بحوالى ١٢ مليون دولار وكانت مكاسب مدن والت ديزنى الثلاث قد وصلت فى العام الماضى إلى ١,١ بليون دولار الجدير بالاشارة أن مدينة والت ديزنى بولاية كاليفورنيا استقبلت ٣٠,٨ مليون زائر فى عام ١٩٥٦ بينما وصل عدد الزائرين فى عام ١٩٨٠ إلى ٥ر١١ مليون زائر



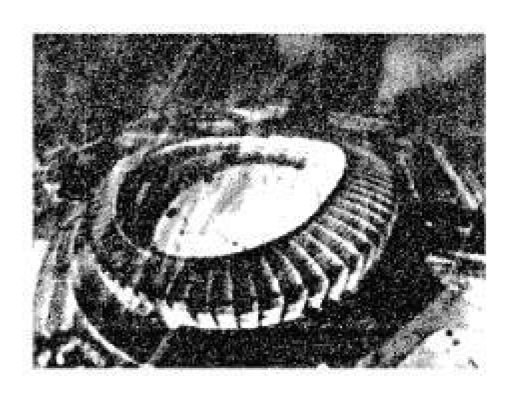
● جهاز إنذار مبكر .. فى دارك ●

لاتزال مشكلة عادم استقرار التيار الكهربى تؤرق حياتنا .. خاصة مع اشهر الصيف . ومع تزايد الاجهزة الكهربائية فى بيوتنا فان منظمات الجهد الحالية لم تعد

قادرة على التغلب على هذه المشكلة بشكلها المتسع .

احدث جهاز سيعرض فى السوق المصرى قريبا يقدمه المهندس حمدى حامد مطلقا عليه : جهاز الانذار المبكر الذى تنحصر وظيفته فى حماية كافة الاجهزة الكهربائية والالكترونية من ارتفاع او انخفاض الضغط الكهربى . وهذا الجهاز تم تغذيته من مصدر القوى فيقوم بعمل الحارس اليقظ ضد اى تيار يدخل الى الجهاز المراد حمايته وذلك فى زمن قياسى ۰٫۳ من الثانية فيفصل التيار الكهربى خمس ثوان يصدر الجهاز انذارا كى يتمكن الفنيون من عمل اللازم وعند انتظام التيار مرة اخرى يتم التوصيل آليا ودون تدخل احد .

هذا الجهاز لن يغنى عن منظم الجهد الحالى ولكنه سيرفع من كفاءته خاصة فى البيوت التى تكثر بها الاجهزة الكهربية او فى المشاريع الصناعية المحدودة التى لا تحتاج الى مولدات قوى خاصة .



● اوليمبياد ۱۹۸۸ ●

فى منطقة هادئة جميلة جنوب شرق سيول عاصمة كوريا الجنوبية يضع المهندسون والفنيون اللمسات الأخيرة للمجمع الرياضى الضخم الذى اختير مقرا رئيسيا لاقامة دورة الالعاب الاوليمبية فى عام ۱۹۸۸ . الاف من عمال البناء يعملون ليلا ونهارا للانتهاء من بقية المنشات والملاعب التى ستقام عليها المسابقات الرياضية بعد الشارع الرئيسى المطل على المجمع الرياضى اقيم خط سكة حديد لمسافة ٣٦ كيلومترا ليصل الى مطار كيمبو الدولى الذى سيستقبل الوفود الرياضية والضيوف من كافة انحاء العالم . وتبذل حكومة سيول جهودا كبيرة لانجاح الدورة الاوليمبية القادمة ومن بين الاستعدادات المخصصة لذلك اعطاء سائقى التاكسى دورات تدريبية خاصة لمعرفة فن معاملة السائحين وتعليم الانجليزية للطلبة والعمال وربات البيوت وشن حملة لتجميل اوجه المنازل والمؤسسات والمبانى فى كافة انحاء العاصمة . وبدأ العمل فى المجمع الرياضى فى عام ۱۹۷۷ وهو يضم قاعدتين للالعاب الرياضية حمام سباحة مغلق ، ملعب بسيول وستاد ضخم يسع مائة الف متفرج تكلف انشاؤه ۸۸ مليون دولار وقد اقيم مترو انفاق دائرى ينقل ۱۸۰ الف شخص فى الساعة من المجمع الرياضى الى الاحياء الشمالية والجنوبية والغربية فى سيول سيبلغ عدد الملاعب ۳۳ ملعبا بالاضافة لمواقع التدريب وعددها ٨٤ موقعاً مع نهاية الصيف القادم ولاستقبال الضيوف والسائحين فان سيول تضم ٥٤ فندقا دوليا بها ١٢ الف حجرة كما سيتم بناء ١٣ فندقا ايضا من قبل بداية الدورة

الصراع بين العلم والسياسة في مسرح توفيق الحكيم

بقلم فؤاد دوارة

أصبح العلم في هذا القرن قوة من القوى الرئيسية التي تسيطر على حياة البشر وتوجهها في شتى الميادين ، وبخاصة بعد التقدم العلمي والتكنولوجي في مختلف المجالات ، وتفجير الطاقة النووية ، وتطوير أسلحة الحروب ، وثورة الالكترونيات والعقول الالية وغزو الفضاء ، وكان لابد أن يؤثر ذلك في آراء المفكرين والادباء وكتاباتهم ، فقد شهد القرن «رد فعل على كل الخطوط الرئيسية للفكر الفلسفي في القرن التاسع عشر ، المثالية والوضعية ،وكل طرائقها العقلانية في التفكير ، فرأينا بعض فلاسفة القرن العشرين ، ممن يتمتعون بأوسع شعبية واكبر نفوذ ، يؤكدون الاهمية الكبرى لملكات الانسان غير العقلانية - مثل الحدس ، والفهم المباشر للظواهر والوعي بالتجربة الداخلية . انهم يرفضون الطريق العلمي الذي ساد في القرن التاسع عشر بنظرته المادية والميكانيكية ، كما يرفضون النظرة العلمية الجديدة لاعتمادها على الاحتمالات الاحصائية ، واهتمامها بالظواهر الاجتماعية ، وعجزها أن تلقي ضوءا على حالة الفرد الفريدة في بابها ، هؤلاء الفلاسفة مشغولون بالحياة والانسان ، ومشغولون بالفرد على وجه خاص ، في وجه الحياة الميكانيكية في

المجتمع الصناعي ، والانصراف الموضوعي الى العلم»



والواقع ان رد فعل الادباء والمفكرين تجاه التقدم العلمي والآلي قد بدأ مع الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر حين اخذت الهوة تتسع بين التقدم المادى من ناحية وتقلص القيم والمعانى الروحية من ناحية اخرى . فكان من الطبيعي أن يتخذ كثرة الادباء والمفكرين موقفا معاديا للثورة الصناعية . وقد عالج هذا الموضوع العالم والأديب الانجليزى «س . ب سنو» فى محاضرة القاها فى جامعة كامبريدج عام ١٩٥٩ بعنوان «الثقافتان» تحدث فيها عن الصراع الضار القائم بين الانسانيات والعلوم . ومما قاله فيها

«... اذا تركنا الثقافة العلمية جانبا وجدنا ان معظم المثقفين فى الغرب ـ فيما عدا العلماء ـ لم يحاولوا قط أن يفهموا الثورة الصناعية وأن يتقبلوها . المثقفون الأدباء بطبيعتهم محطمون للآلة وهذا ينطبق على انجلترا ، رغم أن الثورة الصناعية بدات منها ، وينطبق ايضا الى حد كبير على الولايات المتحدة

لقد زحفت أول موجة للثورة الصناعية على البلدين ، بل على العالم الغربى بأسره وازاء هذا التقدم الصناعى اختار الادباء أن يخرجوا من المعمعة . واغرقوا فى بعض الخيالات التى كانت فى حقيقة الامر صيحات فزع ، ومنهم راسكن ، ووليام موريس ، وثورو ومن الصعب ان

الصراع
بين العلم والسياسة
في مسرح توفيق الحكيم

يجد المرء كاتبا بسط خياله ليتصور ما يمكن أن تحققه الصناعة ...»

وينهى س . ب . سنو محاضرته الهامة بهذا التحذير :

«فى زمن يتحكم فيه العلم فى مصير الانسانية يصبح من الخطر الا تتواصل الثقافتان ، قد يسىء العلماء النصيحة ، وقد لايدرك من بيدهم الأمر مدى سوء هذه النصيحة ، واذ يملك العلماء وحدهم حق تقدير الأمور ، فإنهم يصدرون فى ذلك عن معرفة محدودة تخصهم وحدهم ، وهنا تكمن الخطورة على الامل الاجتماعى . حقيقى قد يحدث احيانا أن يتحكم منطق العلم التطبيقى فى العملية السياسية ذاتها كما حدث فى الاختبارات النووية ، ولكنه من الممكن أن يكون انتصار الحكمة أسرع اذا تحقق التواصل بين الثقافتين ....»

***

واذا كان توفيق الحكيم من أكثر ادبائنا ان لم يكن اكثرهم بالفعل ـ اهتماما بالتقدم العلمى وآثاره فى تطور الحياة الانسانية ، فمن الطبيعى أن تتردد فى كتاباته ومسرحياته اصداء بعض هذه الآراء والمواقف ، وأن تميز مع ذلك بنظرته الخاصة المستلهمة من تراثه العربى والاسلامى ، والمتسقة فى الوقت نفسه مع آرائه ومواقفه الأخرى تجاه مختلف القضايا السياسية والانسانية ويتضح ذلك بصفة خاصة فى ثلاث من مسرحياته وهى «ايزيس» (١٩٥٥) . و«رحلة الى الغد» (١٩٥٧) ، و«الطعام لكل فم» (١٩٦٣) .

فرغم أن توفيق الحكيم لم يتخل عن الطرائق العقلانية فى التفكير شأن بعض مفكرى القرن العشرين ، فانه يتفق معهم فى الدفاع عن ملكات الانسان غير العقلانية ، وهى التى يسميها «القلب» حينا و«الايمان» حينا آخر ، و«القيم الروحية» حينا ثالثا ، ويدعو دائما وبالحاح الى أيجاد نوع من التوازن أو «التعادل» بينها وبين «العقل» و«العلم» و«التقدم المادى» ... معتقدا أن اهم أسباب شقاء الانسانية فى العصر الحديث أنما يرجع الى طغيان الجانب العقلى المادى على الجانب الروحى والعاطفى :

أن التعادل الذى كان قائما حتى مطلع القرن التاسع عشر بين قوة العقل وقوة القلب .. اى بين نشاط التفكير ونشاط الايمان ... قد اختل منذ ذلك الوقت بتوالى انتصارات العلم العقلى ، واستمرار جمود الجانب الدينى ، فالعلم وليد العقل قد ضاعف قوته وجدد وسائله ووسع افاقه ، فى حين أن الدين وليد القلب بقى محصورا فى افقه ، لم يكتشف منابع جديدة فى أعماق القلب الانسانى ، تتعادل مع تلك العوالم الجديدة التى اكتشفهاالعقل البشرى .

«وباختلال هذا التعادل وقع العصر الحديث فى الجانب الارجح ونجم عن ذلك خضوعه للنتائج المترتبة على سيطرة العقل وحده ..»

وعنده أن هذا الاختلال فى التعادل بين تطور الفكر وتطور الايمان قد عرقل سير الانسان فى طريق الرقى والكمال

وفى الفصل الرابع من مسرحيته «رحلة الى الغد» تطبيق عملى لهذا الاختلال وقد بلغ مداه فى مستقبل الانسانية كما تخيله الكاتب . فقد نجح العلم فى أن يوفر للبشر كل احتياجاتهم الاساسية والكمالية ... واستطاع أن يستخدم الالات فى القيام بكل الخدمات ، فحرم الناس بذلك من فرص العمل ومتعته وفرض عليهم حياة فارغة خالية من العواطف والامال ، واخضعتهم الحكومة القائمة لرقابة دقيقة صارمة ، تقتحم عليهم بيوتهم وعقولهم لتضمن عدم تمردهم عليها وعلى اسلوب الحياة الذى فرضته عليهم .

ورغم هذا الموقف المتشكك من اثار التقدم العلمى ومايترتب عليه من سيطرة الالية والجماعية على حياة البشر ، فاننا لانستطيع ان نضم الحكيم الى تلك الطائفة من الادباء الذين اسماهم « س . ب سنو » « محطمى الالة » لانه لايهاجم التقدم العلمى والآلى فى ذاته ، بل يهاجم إساءة استخدام رجال السياسة لهذا التقدم.. محذرا من طغيان الجانب العلمى والعقلى على الجانب الروحى والعاطفى من حياة الناس ، داعيا الى قيام نوع من التوازن بين الجانبين والى اخضاع التقدم العلمى والآلى لارادة الانسان ، لئلا يسيطر العلم ومكتشفاته على حياة البشر ويستعبدهم ، فهذا الاختلال يعرقل ـ فيما يرى ـ سير الانسانية فى طريق الرقى والتقدم ، ويفقد البشر ادميتهم ، ويحولهم الى آلات صماء مطيعة ، بل يعرض حياتهم ذاتها للهلاك والدمار .

يؤيد هذا الفهم لموقف « الحكيم » من التقدم العلمى مانلمسه فى مسرحية « ايزيس » من اشادة بالخدمات الجليلة التى اداها « اوزيريس » لحياة الشعب ، وتقدمه بما استحدثه من مكتشفات علمية .

وكذلك دعوته فى مسرحية « الطعام لكل فم » الى ان تتجه ابحاث العلماء الى توفير القوت الضرورى للبشر ، ووصفه المشروع الذى يشغل العالم الشاب فى المسرحية وهدفه الغاء الجوع بأنه سيحدث « اعظم انقلاب فى تاريخ البشرية» ... « اعظم من القنبلة الذرية » .. ويضيف على لسانه ...

« إن تحطيم الذرة عمل لاقيمة له عند الناس اذا لم يؤد الى تحطيم الجوع ... عندما تلغى الجوع ستلغى فى الوقت نفسه عبودية الانسان للانسان ... علميا ونظريا المسألة محلولة ولكن الصعوبة فى التنفيذ والتطبيق ... » .

اما العقبات التى تعترض تنفيذ هذا المشروع فتضعها الحكومات لان «من لهم مصلحة ـ على حد تعبيره ـ فى السيطرة على الناس والشعوب لايناسبهم الغاء الجوع ... إن الجوع هو سلاحهم فى السيطرة الاقتصادية ... وهم يفضلون بذل الجهد والمال فى تدعيم اسلحة الدمار التى تزيد فى انتشار الجوع ... ولايعملون خالصين من اجل الطعام والسلام ...»

وكل ذلك يؤكد أن « الحكيم » لايهاجم العلم او التقدم الآلى ، وإنما يهاجم اساءة رجال السياسة استخدام مكتشفات العلم ، وتوجيهها لتحقيق أطماعهم ومأربهم فى استعباد البشر ، واحكام سيطرتهم عليهم بل تدميرهم اذا اتفق ذلك مع مصالحهم .

هذا الموقف نفسه نلتقى به فى شخصية العالم فى مسرحية «صلاة الملائكة» ، والعالم الصينى فى مسرحية

الصراع
بين العلم والسياسة
فى مسرح توفيق الحكيم

«تقرير قمرى» ، وأحاديث الشباب المتمرد فى « قضية القرن الحادى والعشرين » وغيرها من كتابات الحكيم

وقد جسد «الحكيم» ذلك الصراع الازلى بين رجل العلم ورجل السياسة فى مسرحية « إيزيس » من خلال شخصيتى « اوزيريس " و "طيفون" واذا كان قد جرد "اوزيريس" من كل وسائل الصراع الدنيوى وجعله اقرب الى الزاهد المنصرف الى ابحاثه ومكتشفاته النافعة ، ومن ثم استطاع "طيفون" السياسى الداهية ، أن يخدعه ويستولى على عرشه ثم يغتاله بعد ذلك ، فإن ذلك يتفق مع عقيدة الكاتب التى تزيدها وقائع الحياة المعاصرة المحيطة بنا ، وقد عبر عن هذه العقيدة بقوله :

" ... أن ازمة العالم اليوم مردها الى ان سلطة العمل قد اغتصبت المسئولية الكاملة فى إدارة دفة الدنيا وتوجيه مصائر البشر .

"مامن أحد اليوم يستطيع الزعم بان "الفكر الحر" هو الذى يوجه عالمنا الحاضر ... لقد اضطهد علماء الذرة الذين رفضوا الرضوخ لأوامر السلطات الحاكمة رغبة منهم فى انقاذ البشرية ونزولا على حكم مسئولياتهم امام انفسهم وضمائرهم ... أما بقية العلماء والمفكرين فقد اذعنوا وسايروا وتعاونوا ..."

والدعوة الى التزام العلم والفن بما يفيد الناس ليست القيمة الايجابية الوحيدة التى تتضمنها مسرحيات «الحكيم» التى عالجت قضايا العلم وتأثيره فى مستقبل الانسانية ، بل هناك قيمة أخرى لاتقل عنها ايجابية ولااهمية . وتتمثل فى الاعلاء الواضح من شأن العمل وأهميته فى حياة الانسان .

نرى ذلك فى شخصية "اوزيريس وحرصه على العمل الدائب المستمر لخدمة الناس واسعادهم ، وسواء وهو ملك على بلاده ، أو وهو عبد مجهول فى مملكة «ببلوس» أو وهو مختف يحيا حياة الفلاحين البسطاء فى احدى القرى الصغيرة ، حتى لقد دفع حياته ثمنا لهذا الحرص على العمل لخدمة الناس واسعادهم .

وفى مسرحية « رحلة الى الغد » كاد الطبيب والمهندس يصابان بالجنون ، على الكوكب المجهول ، وفكرا فى الانتحار للتخلص من ذلك السجن الأبدى حيث لاموت ولاعمل ولاأمل ولاانتظار لغد . ولم ينقذهما من تلك الحالة المؤسية ويعيد اليهما الاحساس بإنسانيتهما الا بدؤهما فى العمل فى إصلاح الصاروخ للعودة به الى الارض .

وعلى ارض المستقبل التى عادوا اليها يتأكد المعنى نفسه ، فقد وفر التقدم العلمى للبشر كل احتياجاتهم ، ولكنه حرمهم متعة العمل ، فجردهم بذلك من أهم مقومات انسانيتهم فتكون حزب معارض يطالب باتاحة فرص العمل للناس ...

وفى مسرحية «الطعام لك فم» نلتقى بصورة حديثة لأوزيريس فى شخص العالم الشباب «طارق» المشغول مثله عن كل شىء بالعمل من اجل خدمة

الانسانية، حتى ليرفض ان يضيع وقته فى مشكلاته العائلية الخاصة فيعطل ابحاثه التى تهدف لتوفير الطعام لكل الجائعين ...

وكانت جدية «طارق» وحبه للعمل النافع للانسانية مثالا تاثر به كل من «حمدى» وزوجته «سميرة» فاقبل الأول على القراءة والبحث والتاليف، واحيت الأخرى اهتمامها القديم بالموسيقى، فاصبح لحياتهما معنى وقيمة بعد ان كانت ضائعة بلا هدف ولاجدوى ...

* * *

ومما سبق يمكن اجمال اهم اراء «الحكيم» فى علاقة العلم بالسياسة كما عرضتها مسرحياته الثلاث فى نقاط ست .

الأولى الدعوة الى قيام توازن بين التقدم العلمى والآلى والقيم الروحية والعاطفية . لكيلا يفقد الانسان انسانيته ويتحول الى آلة صماء لاتحس ولاتشعر .

والثانية التحذير من سيطرة رجال السياسة على نتائج التقدم العلمى والآلى لئلا يستغلوها فى استعباد البشر ودمارهم بدلا من اسعادهم وتوفير الرخاء لهم .

والثالثة عجز العلماء بمثلهم العليا عن الصمود فى مواجهة رجال السياسة بأساليبهم الملتوية وقوى بطشهم

أما النقطة الرابعة فى آراء «الحكيم» حول علاقة العلم بالسياسة فتمثل فى اعلائه من شأن العمل باعتباره عنصرا اساسيا فى انسانية الانسان، وعاملا من أهم عوامل سعادته واستقراره النفسى .

والخامسة هى دعوته للعلماء، والفنانين الى توظيف علمهم وفنهم لخدمة الجماهير والدفاع عن مصالحها .

والنقطة السادسة والأخيرة هى دعوته للافادة من التقدم الذى حققه العلم لوسائل الاعلام المنتشرة فى الارء. بمستوى الجماهير الفكرى والثقافى بدلا من الهبوط بها، وتبديد طاقاتها فيما لا يفيد وقد يضر .

ومن الواضح أن هذه الآراء جميعا تؤكد الدور الخطير الذى ينبغى أن يضطلع به الفكر - علما وفنا - فى تقدم البشرية، باعتباره المعبر عن ضميرها، الحافظ لقيمها، الحارس لها مما قد يورطها فيه رجال السياسة من اندفاعات مدمرة تسىء استخدام مكتشفات العلم، ان لم تقض على المجتمع الانسانى قضاء نهائيا، فقد تودى بكثير من قيمه الروحية النبيلة ومثله العليا .

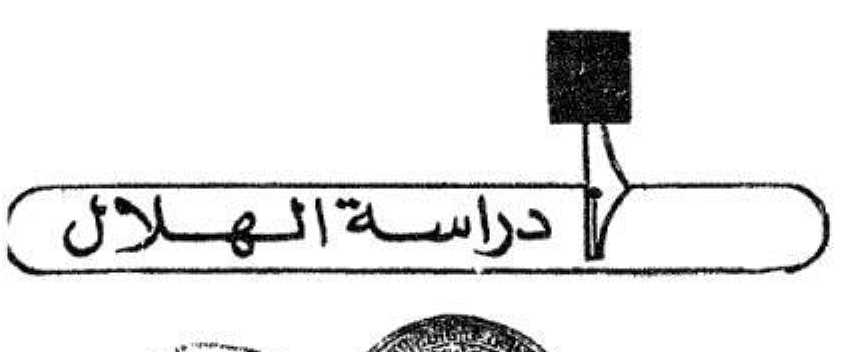
فكانه يدعو المفكرين - علماء وفنانين الى الاتحاد للدفاع عن قيمهم ومثلهم، فى مواجهة رجال السياسة وأساليبهم الانانية، والنهوض بمسئوليتهم فى خدمة الانسانية، وهو ما عبر عنه صراحة فى كتابه "التعادلية" حين قال :

« ... فى كل دول الارض نجد سلطة العمل متفاعلة متحدة فى وضع واحد : هو إخضاع الفكر لخدمة اغراضها ... »

هذا الاتحاد والتفاهم من جانب « العمل » يقابله اختلاف وانشقاق من جانب «الفكر» .

ماذا لو استطاع « الفكر » فى كل أمم العالم أن يتحد ويتفاهم ويوحد سلطانه ويقول كلمته الحرة فى وضع البشرية ويحمل مسئوليته امام نفسه وحدها، ويرفض فى وقت واحد، فى كل رقعة من الدنيا، أن يتعاون مع سلطات العمل فيما يعتقد ويقرر انه ضار بمصلحة الانسان والانسانية ؟

ماذا لو وقف الفكر فى الدنيا كلها هذا الموقف الموحد ؟ اترك التقدير لك





صندوق النقد الدولى ودول العالم الثالث

بقلم : الدكتور محمود عبد الفضيل

● كثر الحديث خلال السنوات الأخيرة عن الضغوط التى يمارسها صندوق النقد الدولى على بلدان العالم الثالث ، التى تلجأ اليه للاقتراض ، لتعديل مسار السياسة الاقتصادية بها . وقد ادت ضغوط وشروط صندوق النقد الدولى ، فى احيان كثيرة ، إلى إسقاط نظم وحكومات . بل لقد اصبح شعار إسقاط سياسات صندوق النقد الدولى احد شعارات الشارع السياسى فى بعض بلدان العالم الثالث كالسودان ، وتونس ، والمغرب ، والأرجنتين ، والبرازيل .

فماهى حقيقة القصة الكامنة وراء هذه الأحداث التى دفعت بصندوق النقد الدولى إلى عناوين الصفحات الأولى من الصحف اليومية ؟

هذا هو ما سوف نحاول الاجابة عليه فى ثنايا هذه الدراسة الموجزة التى نقدمها لقارىء الهلال .

النشأة والسياسات

انشىء صندوق النقد الدولى "IMF" عام ١٩٤٤ بموجب إتفاقية « بريتون وودز » الشهيرة ، كجزء من عملية إعادة ترتيب العلاقات والأوضاع المؤسسية للاقتصاد العالمى غداة الحرب العالمية الثانية تلك الأوضاع التى تعكس هيمنة الولايات المتحدة العالمية على توجيه دفة الامور الاقتصادية فى بلدان العالم الراسمالى . فحينما تاسس الصندوق كانت حصة الولايات المتحدة هى الاكبر حيث بلغت ٣٦ بالمائة من مجموع الحصص . وبعد سلسلة من التعديلات الدورية للحصص خلال الاربعين عاما الماضية ، مازالت الدول السبع الراسمالية الكبرى تملك حوالى ٤٣٪ من القوة التصويتية ، وتظل الولايات المتحدة مسيطرة على حوالى ٢٠٪ من القوة التصويتية داخل الصندوق ، مما يجعل من المستحيل إدخال تعديلات جوهرية فى نظام الصندوق أو اسلوب ادائه دون موافقة الولايات المتحدة ، حيث تشترط الاتفاقية المنشئة للصندوق ضرورة موافقة ٨٥٪ من الاصوات لاجراء أى تعديل أساسى فى نظامه .

وهكذا يمكن القول دون مغالاة كبيرة ان فلسفة الصندوق ونظرته الاقتصادية إنما تعكس مصالح البلدان الراسمالية الكبرى الدائنة التى تتحكم فى سياساته وفى النظام النقدى العالمى ووفقا لأحدث التعريفات التى تحدد مجال اختصاص وصلاحيات صندوق النقد الدولى ، فإنه يكون للصندوق « مسؤولية اساسية بالنسبة لاسعار الصرف ، وبالنسبة لتصحيح حالات الاختلال « المؤقت » فى موازين المدفوعات ، وكذا بالنسبة لتقييم الأوضاع الاقتصادية فى البلدان الأعضاء ومساعدتهم لصياغة برامج كاساس ثابت للتقدم الاقتصادى ..

وينطلق الصندوق فى سياساته وممارساته وتوصياته من منطلق تحرير التجارة والمبادلات والاعتماد وبصفة اساسية على « اليات » و « قوى السوق » ، لاجراء التصحيحات اللازمة للاختلالات الاقتصادية لموازين المدفوعات وموازنة الدولة . ولهذا يوجد عداء متأصل فى كتابات خبراء صندوق النقد الدولى لأشكال « التوجيه الاقتصادى » ولسياسات « إدارة الطلب الفعال » التى تاثرت بافكار المدرسة الكينزية غداة الحرب العالمية الثانية .

• • •

وينعكس ذلك فى العديد من ممارسات وتوصيات بعثات الصندوق التى تزور البلدان النامية بصفة دورية . فهناك عداء واضح من قبل الصندوق لاتفاقات التجارة والدفع الثنائية ، التى يتم إبرامها بين دولتين . ويتم الاتفاق فى



إطارها على أساليب متميزة لتبادل السلع وأسلوب خاص بالدفع يتفق وظروف الدولتين (الدفع بالعملات الحرة أو **بمقايضة** سلع البلدين بعضهما ببعض)

إذ يظل الموقف الثابت للصندوق أن السبيل الوحيد لتحرير التجارة والمبادلات هو **إلغاء الاتفاقات الثنائية**، والاتجار المباشر من خلال السوق الدولية واتساقاً مع هذا المنطق، طلبت بعثة صندوق النقد الدولي التى زارت مصر فى أواخر شهر مايو عام ١٩٧٨ إلغاء الاتفاقات الثنائية التى مازالت قائمة بين مصر وبعض دول العالم (الصومال - اليمن الشمالية - اليمن الجنوبية - مالى - الأردن - السودان)، كأساس لتحرير التجارة وزيادة حصيلة مصر من العملات الأجنبية.

● ● ●

كذلك فى مواجهة عجز ميزان **المدفوعات المزمن**، الذى تعانى منه معظم البلدان النامية، فلا يجد خبراء الصندوق أسلوبا أفضل من «تخفيض سعر الصرف» للعملة الوطنية لتحسين وضع ميزان المدفوعات من خلال جعل **الصادرات** أقل ثمنا والواردات أكثر كلفة - وبالتالى تنشط الصادرات ويقل الطلب على الواردات. وهكذا يستعيد ميزان المدفوعات بعض توازنه، والاقتصاد الوطنى بعض عافيته، من خلال الاعتماد على آلية مايسميه الاقتصاديون المحترفون «جهاز الثمن»... حيث أن «سعر الصرف» للعملة المحلية، هو أحد الأثمان الأساسية فى النظام الاقتصادى.

● ● ●

ولكن تخفيض «سعر الصرف» لا يكون دائما علاجا ناجحا للمشاكل المزمنة لموازين المدفوعات فى البلدان النامية... حيث الاختلالات هى **إختلالات هيكلية** لاتجرى معها الأدوية المؤقتة والجرعات المسكنة. فنظراً لأن معظم البلدان النامية هى بلدان مصدرة لسلع أولية أو نصف مصنعة، فان تخفيض سعر الصرف لايؤدى إلى تنشيط كبير فى حصيلة الصادرات على النحو المتوقع والمأمول. وفى الجانب المقابل، فإن معظم واردات البلدان النامية تتمثل فى خامات أساسية، ووقود، وقطع غيار، وآلات ومعدات وغيرها من السلع الراسمالية. وسلع استهلاك ترفيه - وكلها سلع ذات مرونة سعرية منخفضة - أى يجرى استيرادها فى كل الأحوال مهما ارتفع ثمنها.

وبالتالى، فان حصاد سياسة تخفيض العملة، من خلال تعديل سعر الصرف، هو نتيجة لعدم التحسن فى حصيلة النقد الأجنبى.. مع زيادة ضخمة فى الأسعار، ناتجة عن إرتفاع تكلفة الواردات التى تدخل بشكل مباشر أو غير مباشر فى انتاج العديد من السلع والخدمات المنتجة محليا

ويكاد لايجادل احد من خبراء الصندوق، فى أن حصاد سياسة تخفيض سعر الصرف هو حدوث المزيد من التضخم[1]

والأمر الذى يثير الانتباه حقا، ان خبراء الصندوق لايشيرون من قريب او بعيد، فى كتاباتهم وفى تقاريرهم، إلى اهمية فرض قيود كمية على الواردات.

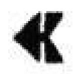
على اساس انتقائى، لتخفيض حجم الواردات .. وبالتالى تحسين أوضاع موازين المدفوعات فى البلدان النامية، فى ظل الركود الحادث فى حصيلة الصادرات اذ المقاومة لهذا الاقتراح ليست مسألة فنية بحتة .. بل هى قضية « ايديولوجية » متعلقة بالمساس بقدسية نظام « حرية التجارة » و « آليات السوق » .. والابتعاد عن التدخلات البيروقراطية .. و « الحكومية » البغيضة!

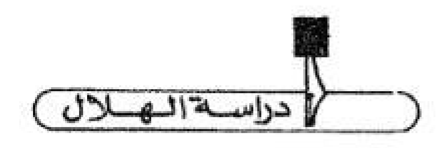
ويبرز ذات التحيز فى مجال مقترحات الصندوق حول الاصلاح المالى .. ومعالجة العجز فى موازنة الدولة. إذ لاتخرج توصيات الصندوق فى هذا المجال عن ضغط حجم الانفاق العام. والاقلال من حجم اقتراض القطاع العام وتخفيض اعتمادات الدعم للسلع التموينية ومستلزمات الانتاج.

ان تركيز مقترحات الصندوق على ضغط بنود الانفاق العام على « اعتمادات تخفيض تكاليف المعيشة » (او مايسمى « اعتمادات الدعم » فى حالة مصر) وكذا تقليص حجم النفقات العامة فى مجال تقديم الخدمات الأساسية كالصحة والتعليم، والمواصلات، وغير ذلك من المرافق الحيوية ... هو تركيز على طرف واحد فقط من اطراف المعادلة المالية لموازنة الدولة. [فكما ان هناك نفقات تحتاج لضغط وترشيد .. فهناك كذلك إيرادات سيادية ابرزها حصيلة الضرائب تحتاج لاصلاح وتنشيط برفع من موارد الدولة] ويساعد على تخفيض عجز موازنة الدولة.

ولذا فاننا نجد ان العديد من الاقتصاديين المرموقين مثل لورد كالدور N Kaldor استاذ الاقتصاد بجامعة كمبريدج بإنجلترا يرون ان الاصلاح الضريبى ومكافحة التهرب الضريبى يمثل أحد المداخل الفعالة لرفع الايرادات التى تصب فى خزانة الدولة .. وبالتالى الاقلال من حجم العجز فى موازنة الدولة، دون الاضطرار لتقليص بنود الانفاق على أنشطة وبرامج خدمات يستفيد منها جمهرة المواطنين.

ولكن خبراء الصندوق، يرون أن ضغط مستوى الانفاق العام يمثل الحل الاكثر سهولة وضمانا ... دون الاصطدام بمصالح رجال الأعمال وأصحاب الدخول العالية الذين سوف يتضررون من عمليات الاصلاح الضريبى ومكافحة التهرب الضريبى. وهكذا نرى أن عبء الاصلاح المالى وتخفيض عجز الموازنة العامه يجب أن يقع - وفقا لفلسفة وتوجهات الصندوق - على الفئات الأقل دخلاً والأقل حظا من متاع الدنيا .. تلك التى تستفيد بصفة مباشرة من الدعم للسلع الأساسية ومن الخدمات الحكومية الأساسية « المجانية » و « شبه المجانية ».





ولكن تجدر الاشارة هنا إلى ان اى دعوى للصندوق فى مجال ترشيد الانفاق الحكومى ووضع حد للتبزير والاسراف فى مجال تنفيذ البرامج الحكومية للخدمات .. هى دعوى محمودة ... وهى موضع إتفاق الجميع الذين يسعون للنفع والخير العام . ولكن جوهر الخلاف يدور حول التكاليف والأعباء الاجتماعية التى تترتب على ضغط الخدمات الأساسية التى يستفيد منها جمهرة الناس ، مقابل عدم المساس **بالاعفاءات الضريبة** واشكال **التهرب الضريبى** التى يترتب عليها ضياع موارد واموال هامة على خزانة الدولة

نخلص من ذلك إذن ان قضايا الاصلاح المالى ومحاصرة العجز فى موازين المدفوعات ليس لها حلول فنية خالصة .. بل لها بدائل حلول .. ولكل بديل تكلفة اجتماعية وسياسية . وهنا تكمن كل دقائق لعبة المفاضلات والموازنات بين المصالح والأعباء التى يحملها فى طياتها كل بديل من البدائل المطروحه أمام راسمى السياسة الاقتصادية وتجىء توصيات الصندوق ، فى هذا السياق ، لترجح بديلا دون الاخر وتصورا محددا للاصلاح المالى والاقتصادى يطغى على غيره من التصورات .

اسلوب عمل صندوق النقد الدولى فى مجال متابعة اداء البلدان المقترضة .

إن الاجراء التقليدى الذى غالبا مايتبعه خبراء صندوق النقد الدولى عند التفاوض على منح قرض لاحدى الدول هو : **اولا** ان يطلبوا من تلك الدولة تقديم « تقريرات » و « تنبؤات أولية » عن الفترة الاقتصادية المقبلة لكافة المتغيرات الاقتصادية الكلية ويقوم خبراء الصندوق ، من جانبهم **ثانيا** : على حساب الفجوات والاختلالات المتوقعة فى موازنة الدولة وميزان المدفوعات خلال **الفترة المقبلة** .

وبناء على هذه التقديرات والحسابات ، تقوم إدارة الصندوق بوضع بعض الشروط وتحديد بعض **القيود** المتعلقة بحجم التوسع فى الائتمان المحلى وضم الانفاق العام وهيكل أسعار الفائدة ومقدار التعديل المطلوب فى سعر الصرف . وهكذا يطالب الصندوق بفرض وصايته على بعض أدوات السياسة الاقتصادية ، كشرط أساسى لمنح القرض أو الدعم المالى الذى يجرى التفاوض بشأنه .

وعادة مايتم تحديد وتفصيل مجموعة الشروط والقيود الاساسية ، التى يراها الصندوق ، فى إطار مايسمى « خطاب النوايا » الذى يحوى العديد من الفقرات التى تحاصر رقعة الحركة المتاحة لاسم

السياسة فى مجال تحديد توجهات السياسة الاقتصادية خلال الفترة المقبلة . وقد لاحظ بعض الاقتصاديين أن قائمة الشروط والقيود ، التى يضعها الصندوق كأساس لحسن أداء إقتصاد البلد المقترض ، آخذة فى الازدياد من عام لآخر . فبينما اشتمل **خطاب النوايا** الذى تم الاتفاق عليه بين الصندوق والحكومة البريطانية على **فقرتين فقط** عام ١٩٦٧ .. نجد أن **خطاب النوايا** الذى تم الاتفاق عليه عام ١٩٧٦ ، إشتمل على ١٥ فقرة .. تحوى العديد من الشروط والقيود الجديدة والمستحدثة .

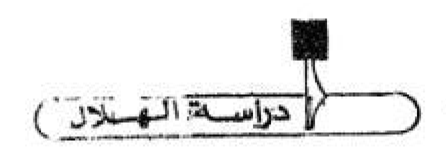
ويعتبر خطاب النوايا هذا الوثيقة الاساسية التى تحكم العلاقة بين الصندوق والحكومة المقترضة خلال مدة استمرار القرض . إذ يكون لخبراء **الصندوق** ، بمقتضى خطاب النوايا **الملحق** باتفاقية القرض ، سلطة التحقق **كل ثلاثة شهور** من مدى التقدم الذى **حدث فى** مجال تنفيذ السياسات **والمقترحات** التى أوحى الصندوق **بتطبيقها** .. **ومعرفة** مدى الخروج **والتجاوز** بالنسبة « للقيود » و **« السقوف »** التى تم تحديدها فى **مجالات الانفاق العام ، والتوسع فى الائتمان المحلى والاقتراض بواسطة وحدات القطاع العام .**

وبناء على عمليات المتابعة والتفتيش المخولة لبعثات الصندوق ـ طوال استمرار فترة القرض التى تمتد فى احوال كثيرة لثلاث سنوات ـ تقوم إدارة الصندوق بإصدار تقارير أقرب ماتكون إلى **« شهادات حسن سير وسلوك اقتصادى »** ، تعبر عن مدى ثقة الصندوق (وبالتالى أسواق المال العالمية) فى حسن سير وأداء الاقتصاد موضع المتابعة والتفتيش ، إذ يتوقف على هذه التقارير اعطاء **الضوء الأخضر أو الأحمر** للبنوك التجارية وأسواق المال العالمية لمنح مزيد من القروض والتسهيلات الائتمانية أو حجب هذه القروض والتسهيلات الائتمانية .

فقوة الصندوق لاتستمد إذن من حجم القروض والتسهيلات الائتمانية التى يمنحها الصندوق للبلدان التى تعانى من عجز فى موازين مدفوعاتها ... بل تستمد من أن تقارير وشهادات الصندوق تفتح الأبواب أمام مزيد من الاقتراض والحصول على التسهيلات من أسواق المال العالمية . ولذا يرى بعض المحللين أن مسلك صندوق النقد الدولى فى هذا المجال إنما يقترب من مسلك « **الشرطى المالى الدولى** » الذى يسهر على ضمان انضباط السلوك الاقتصادى والمالى للبلدان المقترضة وفقا للقواعد والشروط والتوصيات التى تتفق مع مصالح البلدان الرأسمالية الكبرى التى تسيطر على أسواق المال وعلى تدفقات التجارة الدولية .

● سياسات صندوق النقد الدولى وتنازع السيادات ●





إن تدخل صندوق النقد الدولي في صميم الشئون الاقتصادية المحلية لبلد ما ، تعاني من عجز في ميزان المدفوعات ، يطرح مشكلة اقتصادية واجتماعية على جانب كبير من الخطورة . تلك المشكلة تتعلق **بتنازع السيادات** بين ادارة الصندوق ، من ناحية ، وبين حكومة البلد المعنى ، من ناحية أخرى ، في مجال ادارة الشئون الاقتصادية للبلاد .

فعندما تفقد الدولة سيطرتها على أهم أدوات السياسة الاقتصادية في الأجل القصير :

- **هيكل** أسعار الفائدة
- **مستوى** سعر الصرف الخارجي **للعملة المحلية**
- **حجم** الانفاق العام
- **حجم الاقتراض** للقطاع العام
- **تحديد** السقوف الائتمانية (اى **الحد الأقصى المسموح به للتوسع في الائتمان المحلي**) .
- **سياسات تسعير بعض السلع الأساسية**

فماذا يبقى إذن للدولة لكي تبسط سيادتها في مجال إدارة شئونها الاقتصادية . إذ انه لا يخامرنا شك في أن قائمة الشروط والقيود التي تتضمنها **خطابات النوايا** والاتفاقات المبرمة مع **صندوق النقد الدولي** ، تحمل في طياتها تقليصا واضحا **لرقعة السيادة** التي يتمتع بها راسم السياسة الاقتصادية على ارض وطنه . وهكذا يجرى بهدوء سحب بعض أهم صلاحيات البنك المركزي ، ووزارة المالية ، ووزارة الاقتصاد في مجال تحديد سلوك بعض أدوات السياسة الاقتصادية ، لكي تصبح من اختصاص إدارة **صندوق النقد الدولي** .. الذي يتولى إدارة الشئون الاقتصادية للبلدان المقترضة نيابة عن حكوماتها .

وفي الحقيقة ، فإن التركيز المفرط لتوصيات النقد الدولي لتحقيق فائض في ميزان المدفوعات وتخفيض مقدار العجز في موازنة الدولة بأي ثمن .. يجعله يضرب عرض الحائط بأهداف اقتصادية واجتماعية لها خاصة في حالة العديد من البلدان النامية ، مثل **تخفيض حجم البطالة ، رفع معدل نمو الدخل القومي ، تثبيت مستويات المعيشة للفئات محدودة الدخل** .

ولهذا فإننا نجد أن خبراء الصندوق يفخرون أحيانا بنجاح برامجهم فى التطبيق .. إذا ماتحقق فائض فى ميزان المدفوعات فى اقتصاد ما فى مقابل تقليص حجم الاستثمارات الكلية ، وبغض النظر عن ارتفاع معدلات التضخم والبطالة .. وظهور بعض الاتجاهات الانكماشية فى الاقتصاد القومى

ولعل خبراء صندوق النقد الدولى يواسون انفسهم فى معظم الإحوال بتمثل قول مأثور لاحد الإطباء الجراحين المشهورين فى الغرب ، على إثر وفاة مريضه بعد عملية جراحية خطيرة : « إننى أشعر بالارتياح .. فلقد نجحت العمليـة ولكن لـلأسـف مـات المريض » .

(١) : ت . م . ريتشمان ، « المعونة المشروطة لصندوق النقد الدولى ومشاكل المواءمة : ١٩٧٣ ـ ١٩٧٥ » ، التمويل والتنمية ، عدد رقم ١٥ ، ملحق الاهرام الاقتصادى (١٥ يناير ١٩٧٩) ، ص ١٠

● كلمـات عاشت ●

● إن عالمنا فى غاية الحاجة الى كواكب مضيئة ، ورجال صلاح واصلاح ، فلماذا لا تكون احدهم .؟

● من الحكمة : ان لا يصدق الانسان كل مايسمعه ، ولا يفعل كل ما يقدر على فعله .. ولا يقول كل مايعرفه ، ولا يصرف كل مايكسبه .

● المجتهدون فقط يصلون الى الاهداف .. بينما اليائسون يعيون فى الطريق ويسقطون ..

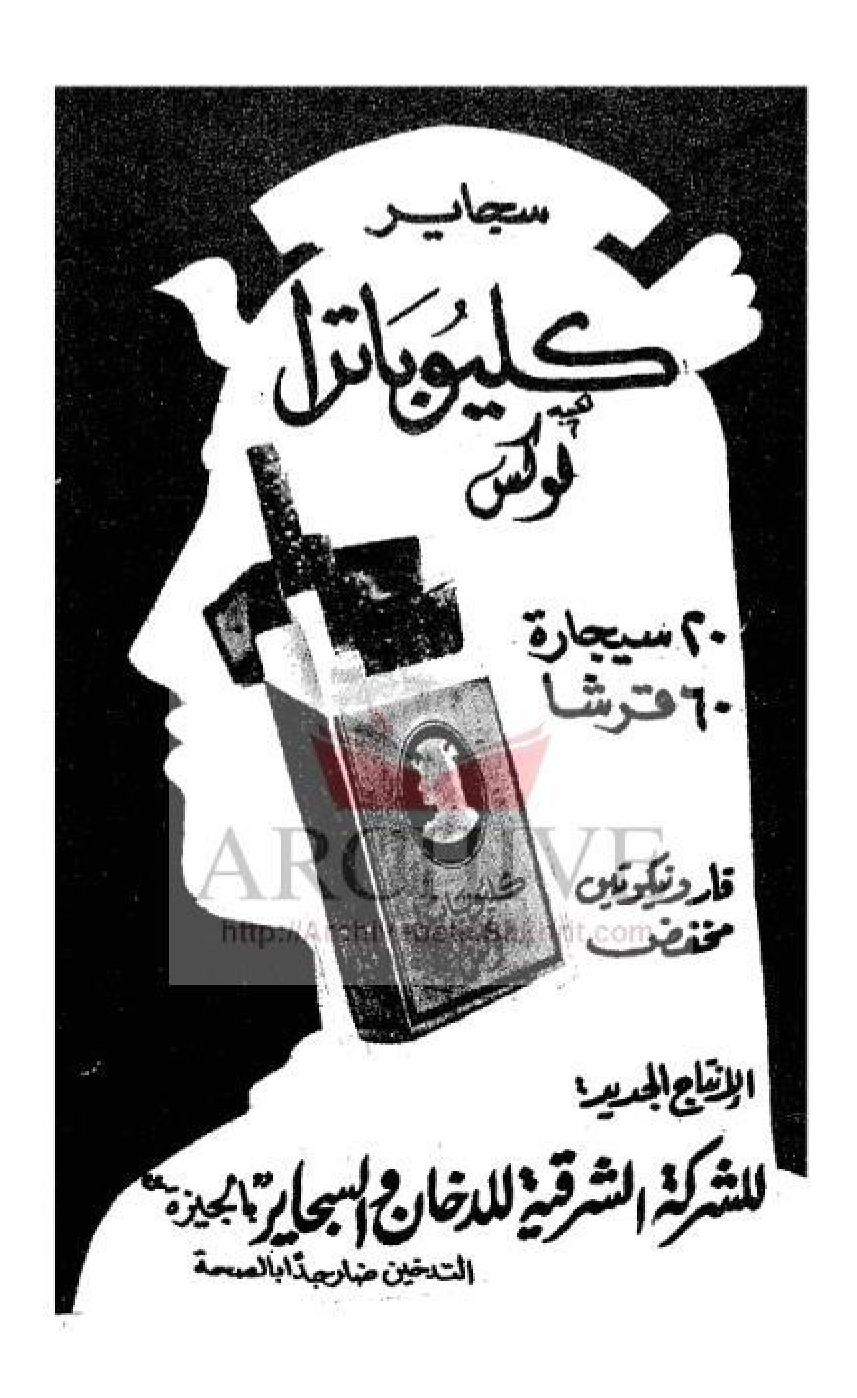
● علينا ان ندرك ان ليس فى الحياة شىء صحيح بلا ثمن .. والثمن هو نية حسنة وعزيمة صادقة وتضحية وجهاد واستشهاد .

● لا يستطيع الانسان ان يعبر التعبير الصحيح عن قدرة الله وعظمته الا بالحياة الصالحة التى يحْياها على الارض .

● إن قيمتك ليست بما تمنع بل بما تعطى .

● الفرق بين المثل الاعلى الذى تعتنقه والحياة العلمية هو الذى يؤكد درجة حياتك الروحية .. فكلما اقتربت للمثل الاعلى كلما عظمت وتكرمت وبالعكس نجد العكس

● قال حكيم لابنه : « انا يابنى لا أطلب منك ان تقتدى بى او ان تكون مثلى ، بل ان تكون قدوة لغيرك » .


سجاير
كليوباترا
كينج لوكس
٢٠ سيجارة
٦٠ قرشا
قار ونيكوتين
منخفض
الإنتاج الجديد
للشركة الشرقية للدخان والسجاير بالجيزة
التدخين ضار جداً بالصحة

الشركة الشرقية للدخان

٦٥ عاماً فى خدمة الاقتصاد القومى

الشركة الشرقية للدخان هى احدى علامات الاقتصاد المصرى فهى تعطى بجهدها وتطورها الدائم الدليل على قدرة الانسان المصرى على العطاء إذا توفر المناخ الصحى للانتاج والعمل وذلك بحسن الادارة وتضافر جهود العاملين .

لقد تاسست الشركة الشرقية للدخان عام ١٩٢٠ وفى ابريل ١٩٥٧ تم تاميم حصة الشركاء الاجانب وكانت تبلغ ٨٢٪ من راسمال الشركة وبذلك أصبحت شركة مصرية مائة بالمائة تعمل فى خدمة الاقتصاد الوطنى

ومنذ ذلك التاريخ والشركة تواصل تطورها باتباع احدث اساليب التكنولوجيا لتلبية احتياجات المستهلكين لمنتجاتها داخل وخارج البلاد فكانت الشركة تنتج ٨٥ ٪ من احتياجات السوق من السجائر والتبغ إلى ان تم إدماج شركة النصر للدخان فى اول يوليو ١٩٨٤ لتصبح الشركة الوحيدة المنتجة للسجائر فى جمهورية مصر العربية ولعل نظرة على التطور الذى حدث فى ارقام الانتاج يعطى الدلالة على مدى مايبذل من جهد خدمة لمصر وللانتاج القومى

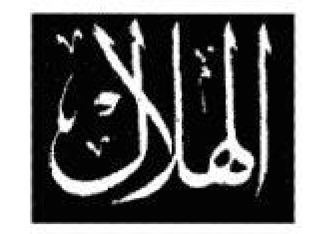
فلقد قفز الانتاج من ٨٫٩ مليار سيجارة فى عام ١٩٧١ ليصبح فى عام ٨٤ / ١٩٨٥ ٤٧٫٥٥٧ مليار سيجارة .

كما حققت الشركة فوزا مشرفا على المستوى العالمى للعامل المصرى حيث حصلت الشركة على الميداليات الذهبية لأصنافها الشهيرة كليوباترا وسويس وجيزه وحصلت الشركة على كاسين لصنفى كليوباترا وجيزه سوبر . لفوز هذين الصنفين بالميداليات الذهبية الثلاث سنوات المتتالية ٧٩ ، ٨٠ ، ١٩٨١ كما حققت الشركة فوزا جديدا اعوام ٨٢ ، ٨٣ ، ١٩٨٤ بحصولها على ثلاث ميداليات ذهبية فى مسابقة اختبار الجودة العالمية لأصنافها كليوباترا ١٠٠ مم وجيزة ١٠٠ مم ودخان الغليون «كابتن».

والشركة من جانبها وحرصاً منها على دعم الاقتصاد الوطنى قد وقعت عقدا لانتاج السجائر الأجنبية فى مصر والعمل على تخفيض اسعارها فى الأسواق مع الحفاظ على حق الدولة فى الحصول على رسم الانتاج الذى يخصص للخزانة وسيطرح هذا الانتاج فى الأسواق وهو يحمل شعار «صنع فى مصر» حتى نتوقف عن استيراد السجائر من الخارج .

ويعمل بالشركة حوالى ١٥٫٠٠٠ عامل يتمتعون بكافة المزايا والخدمات الصحية والترفيهية والتغذية .. ويوجد بالشركة ناد رياضى على مساحة خمسة افدنة بجوار مدينة الفنون باول طريق الهرم يزاول فيه عمال الشركة كافة انواع الانشطة الرياضية والكشفية والموسيقية ... كما يوجد ناد إجتماعى بوسط القاهرة يقتصر نشاطه على النواحى الاجتماعية والثقافية والرحلات ويعد ملتقى للعاملين لتقضية وقت فراغهم

وليس هذا بالجديد على ابناء الشركة الذين بدءوا العمل النقابى فى مصر واثبتوا تفوقهم فى كافة المجالات على المستوى المحلى والقومى بل وعلى المستوى العالمى . والشركة لاينضب معينها بل هى دائما متجددة العطاء فهى بحق تعتبر مصنعا للرجال



● بعيدا عن الأرض ●



كلّما لينع البرتقال استشاط النخيلُ .
وفاض به الغيظ ..
وانفلتتْ منه أعصابهُ ..
النخيل الذى ..
كلما أمطرته الحجارةُ ..
سال على الأرض منه العسلْ !
قالت الريحُ ! !
انت النخيلُ ! !
قال : اعْرِفُ ..
لكننى العامَ ..
لا تمر عندى .... فقالت :
إذن ..
لا تسُبُّ الرياحَ ..
ولا البرتقالَ ..
.. .. وسُبُّ الكسلْ .

محمود عبدالحفيظ
كلية الآداب .. جامعة الزقازيق

● يامصر هل تقراين ●

يالخت داوى جراحى	★	داوى جراح السنين
يالخت انت صباحى	★	من بعد ليل حزين
قد قلت لن تستباحى	★	ياقبلة العابدين
امنت هذا سلاحى	★	والنصر للمخلصين
يانت زين الملاح	★	انا اول العاشقين
هل تطلقين سراحى	★	هل ترحمين السجين؟
من نزف عطر الجراح	★	يامصر هل تقراين؟؟!

أحمد عامر
شبين القناطر

● متأسف : ●

دعني أهواك ولا تُسرفْ
ما يحمل قلبي من شوق
من غيرك أطمع أن يسقي
من سوف أبوحُ له دوما
أن يفشي سر صبابته
فأرحني منك بتلبية

في الصدِّ فإنك لا تعرفْ
للقائك دومـا فلتنصف
ريحانة حبي من يعطفْ
بسرائـر قلب يتعفف
لعذول منك له موقف
أو قل لي حتي : متأسف

محمد ابراهيم المجريسي
أبو تيج

● شعر ومجلة ●

● ارسل إليكم بعض قصائدي لاعرف رأيكم فيها .. وسنصدر مجلة أدبية تهتم بأدب الشباب ، فنرجو التنويه بها في باب « أنت والهلال » ..

خالد محمد غازي
دمياط

ـ أما أشعارك فقد نشرنا رأينا فيها مرارا في هذا الباب ، وملخصه أن الأوزان تنقصها .. وأما مجلتكم ، فمن الذي سيصدرها .. وأين ؟ .. وما هو اسمها لكي ننوه به ، وموعد صدورها لكي يعرفه القراء الخ ..

● ماهو الشعر ●

● إليكم بعض أشعاري .. أسميها هكذا مجازا ولست أعرف أي اسم أطلقه عليها .. أرجو أن أعلم ما هو المقياس الذي تضعونه لمعرفة جودة الشعر ، هل هو احتواؤه للوزن والقافية أم نضج التجربة الشعرية أم كل أولئك .. وما رأيكم فيمن لا يريد أن يحدد مشاعره بعلم العروض ؟ ! ..

بهية محمد طلب
كلية الآداب بالمنصورة

ـ أنت متواضعة حقا لأنك تقدمين إلينا أشعارك وتسألين عن الاسم الذي تسمي به : شعر أم نثر ؟ ! ... بعكس بعض الناشئين الذين



يكتبون كلاما مليئا بالأغلاط النحوية واللغوية والعروضية ويسمونه شعرا ويطلبون نشره مفتخرين به ! ..

أما مقياس جودة الشعر فنحن لم نضعه ، بل هو مولود مع الشعر منذ وجوده ، واقرأى كتب الأدب لتعرفي ذلك وبخاصة أنك في كلية آداب .. أما الوزن فمعناه الذى نقصده صحة الأبيات إذا كانت القصيدة متكاملة الأوزان ، وصحة التفعيلة إذا كانت تفعيلية ، ولابد فى الحالتين من نضج الشعر وارتفاع طبقته وإلا كان غثا سخيفا فى الحالتين حتى لو كان مستوفيا شرط الوزن .. وأما إذا كنت ـ كما تقولين ـ لا تريدين أن تحددى مشاعرك بالعروض ، فلك الحرية فى ذلك بشرط ألا تسمى هذه المشاعر المنثورة شعرا .. وقد قدمت إلينا نموذجا من ذلك فى « قصيدتك » التى تقولين فيها :

يا صاحبى ....
خذ من كل زهور الأرض عبيرها ...
اجعل بيتك بستانا لهن ..
اعلم أنك مثل الشمس تميل إليها رءوس الزهور ..
كن شهريار مليون ليلة ...
واضمم إلى « حرملك » حبك كل النساء ..
وإذا فرغت أمامك عذارى البحر يشدون بلحن حبك ..
إشرب كل كئوس الخمر لتهرب منى ! ..

فهذا بعضه نثر وبعضه تفعيلات موزونة .. ويبدو أن « الوزن » فى طبعك ، فلماذا لا تحاولين تجربة الشعر الموزون إلى جانب الشعر المنثور ؟ ! فالسطر الرابع من كلامك هذا موزون وكذلك السطر الأخير

● ألفية ابن مالك ●

● إننى فى حيرة من أمرى ، فعندى ألفية ابن مالك .. فهل الألفية هى منقذى من الوقوع فى براثن الجهل اللغوى أم شىء آخر ؟ ؟ .. فإذا كانت الألفية هى المخرج فهل يحتاج الانسان عند دراستها مرشدا أم يكفى حفظها وقراءتها ؟ !

خالد حسن على
ليسانس الصحافة بسوهاج

ـ ألفية ابن مالك خاصة بقواعد النحو فقط لا بكل شىء يتصل باللغة العربية .. فمثلا أنت تكتب فى رسالتك إلينا « الراسل خالد حسن » والصواب أن تقول « المرسل » .. وهذا يدخل فى علم الصرف لا النحو فقط ، فكيف تقف على أرض صلبة من الصرف والنحو وعلوم اللغة ؟! ..

الطريقة المثلى ان تقرا كتب الأدباء الفصحاء لتنطبع الفصاحة فى أسلوبك ، وتجرى الألفاظ الصحيحة فى كتابتك ، ثم لا تحتاج بعد ذلك إلا إلى مراجعات فى الأدب واللغة تثبت بها ما انطبع لديك من اللغة الصحيحة .. أما الألفية فلا ضرر من حفظها ، بل إن فى حفظها فائدة لمن يفهمها ويطبقها ، ولكن مجرد حفظ الالفية لايجعلك نحويا ولا لغويا ولا اديبا .. بقى أن تقول إنك ارسلت الينا مع خطابك مقطوعة من الزجل العامى .. فأنت تسأل عن اللغة الفصحى وترسل إلينا كلاما عاميا ! .. فحاول أن تتعرف على الشعر العربى ..

● فرانز فانون والثورة الجزائرية ●

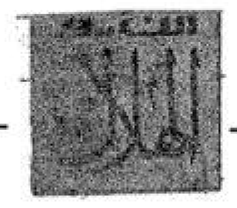
● قرأت بمزيد من الاهتمام موضوع « فرانز فانون » والثورة الجزائرية بقلم الدكتور / محمود مرتضى بمجلة « الهلال » ، وأريد هنا ان اوضح واضيف قائلا : « ان فرانز فانون عالم اجتماع افريقى كبير صاحب كتابى « المعذبون فى الارض » و « جلود سوداء واقنعة بيضاء » ، واول من عرف بفرانز فانون فى المانيا وترجم له كتاب « المعذبون فى الارض » الى اللغة الألمانية خلال سنة ١٩٦٤ هو الكاتب الألمانى « مانيوس انزانبسرغيز » وكتب عنه عددا من الدراسات والمقالات حول افكاره وارائه . وان « فرانز فانون » ليس ايدلوجيا متحمسا يلعب بالشعارات والكلمات الثورية بل هو مفكر عميق اطال التأمل فى مشاكل العالم الثالث بثبات وصبر وتوصل الى بلورة رؤية ثورية ونقدية لم يتوصل اليها الكثير من معاصريه وليس هناك احد فى افريقيا توصل بعد وفاته الى تطوير هذه الرؤية ومواصلة ما كان بدأه « فرانز فانون » المفكر الأصيل .

محمد العائش القوتى
عضو اتحاد الكتاب بتونس

● الثقافة الفرنسية ●

● تناول الدكتور محمود متولى فى هلال مايو الماضى الجذور التاريخية للثقافة الفرنسية فى مصر .. وهذا الموضوع طويل ويحتاج إلى شروح كثيرة ، ولكن شكرا للكاتب الفاضل ولعله يواصل كتاباته فى هذا الموضوع ، وحبذا لو عنيت مجلة الهلال بذكر نبذة عن كل من يكتب فيها من المحررين والكتاب حتى نزداد بهم معرفة .

ديمترى سلامة عبود
المحامى بشارع حسن موسى العقاد



● بئر فى القلب ●

دعنى اتأمل .. فى القلب الأبيض ، والأسود
ما الفرق ؟ ! ...
دعنى وتمهل ...
فالفرق الواضح هذا الجلد الجيد
فالنبض موحد
واللحم الأحمر ، والشريان
والجلد رخيص .
فالمتر يفصل الف حذاء
دعنى أبحث عن ينبوع الماء .
فالبئر عميقة
وحواليها ألف حديقة .
وعلى الدهليز الفارس يرقبنى
من خلف تلال الموتى
دعنى أخطف منه المصباح
دعنى افعل .. لا تمنعنى
اجلس ، وارقب كل الحركات
والسكنات .. والرعشات
إنى نازل
فالبئر عميقة .
إن غبت ثلاث ليال فيها
فاعلم انى هالك
أو سالك .
نحو الحق طريقة
فالبئر عميقة .
والبئر سحيقة

حامد سعيد الجمال

● ردود سريعة ●

● صيدلى / جمال محمد فرغلى ـ اسيوط :

ـ أنت لم تحاول أن تتفهم ملاحظاتنا الكثيرة التى نشرناها عن شعرك فى الأعداد

الماضية ، ولذلك مازلت ترسل إلينا نفس النوع من الاشعار .. وياصديقى خفف عن نفسك بعض الشيء ، فما هذه الأكداس من القصائد ؟ !..

● احمد حمدي ـ البداري :

ـ قصيدتك التى أولها : « بلبل يسمع الدُّنا تغريده .. أسكرتنى من شدوه تغريده » .. من بحر الخفيف ، وهى ذات أوزان صحيحة ماعدا ثلاث شطرات هي قولك : « عطرت فى ساح الجمال خدوده » .. و « بلبل قد حاز المفاتن حتى » .. و « والهوى يأبى أن يفك قيوده » .. والقصيدة بوجه عام تدل على استعداد طيب لقول الشعر والاجادة فيه ، فنهنئك ونرجو لك التقدم

● صالح اسماعيل الزيادنة ـ غزة :

ـ قصيدتك « بيتى » حسنة المعاني ، ولكن أوزانها تحتاج إلى مراجعة ..

● محمد يونس محمد حسن الغنيمى ـ العريش :

ـ لو انك تابعت أعداد « الهلال » بانتظام وبدون انقطاع لرأيت فيها من البحوث الاسلامية ما تقر به عيناك ، ولكنك فيما يبدو لم تتمكن من متابعتها .. أما قصتك القصيرة فابعث بها إلى مجلة متخصصة فى نشر القصص ، ونعتذر إليكم ..

● يحيى عبدالرحمن غيث ـ حلوان :

ـ قصيدتكم « أجيبى بحق الهوى » قصيدة طيبة ، لم نتمكن من نشرها لضيق المقام . نرجو الا تنقطع رسائلكم ..

● رشاد سلام ـ المحامى بدمنهور :

نشكركم على خواطركم التى ارسلتموها بعنوان « الجانب الأخر »

● إلى أصدقائنا ●

● نشكر للسادة الأصدقاء التالية أسماؤهم ونعتذر إليهم من عدم الرد عليهم تفصيلا لضيق المقام : احمد حلمى عبدالغنى .. ياسر مصطفى كمال .. إيناس اسماعيل محمود .. احمد محمود كراد .. اسحاق روحى كرومر .. محمود على الأزهرى .. طارق عز الدين .. اشرف سيد عبدالغنى .. رضا ابراهيم عبدالمعطى رفعت محمد بروبى .. كمال على عابدين .. رمضان السيد .. عبدالرحيم الماسخ مصطفى الضبع .. عبدالعاطى موسى عبدالعاطى .. محمد بركات .. وائل محمد حامد .. مصطفى غنيم .. السيد محمد على عصر .. ممدوح عبدالامام القرى .. محمد امين الشيخ .. محمد بلال بركات .. سمير عبدالحميد عامر .. محمود مصطفى حسن .. قاسم كمال .. عاصم فريد البرقوقى .. أحمد محمود كرار .. عونى ابو الفتوح عثمان .. سعيد ابراهيم عبدالرسول .. جمال صالح يسرى رشوان .. حامد محمد عبدالمنعم .. محمد فخر الدين القعقاع .. أجاد وهيب ميخائيل .. عبد الصيفى .. احمد مصطفى عفيفى .. خليفة على اسماعيل .. محمد العمورى .. نبيل بقطر ..

كيف يتم تصنيع العازل الطبى "تبس"

اثناء حديثنا عن العازل الطبى .. كان علينا ان نتاكد من جودته وحسن صناعته حتى نتاكد من سلامته .. فكلما كانت صناعة العازل جيدة وخاماته قوية .. كلما كان ذلك ادعى الى الاطمئنان اليه والاقتناع به .. والعازل الطبى يصنع من اجود الخامات واحسنها ليونة ونعومة ويمر بمراحل صناعية دقيقة .. وتتم مراقبته بادق ادوات القياس الصناعية .. ومن هنا فإن علينا ان نتاكد ان صناعة العازل الطبى تتم على احدث طرق الصناعة الحديثة ... ومن هنا ايضا يحق لنا ان نؤكد على فعاليته .

تتطلب صناعة الانواع الجيدة من العازل الطبى وجود فريق من العاملين الاكفاء ، ومعدات صناعة خاصة .. والمشروعات الكبيرة لانتاج العازل الطبى غالبا ماتكون الية .. مع ضرورة مراقبة العوامل التى تتحكم فى جودة الانتاج

والمادة الرئيسية فى صناعة العازل الطبى هى عصارة شجر المطاط التى تحتوى على جزئيات مادة المطاط العالقة فى الماء .

وبشكل المطاط الموجود فى هذه المادة نسبة ٣٠ - ٣٦٪ فيها .. وذلك حسب المنطقة التى يزرع فيها المطاط ، وحسب الفصل الذى تستخرج فيه المادة وحسب عمر الشجرة .. ويتم تركيز المطاط ثم اضافة مواد لحفظ الخصائص الكيميائية والطبيعية للمطاط .. وتضاف مواد اخرى لتصفية المطاط وذلك باضافة مادة الكبريت تحت درجة حرارة مرتفعة .. كما تضاف ايضا مواد ضد الاكسدة لتمنع تلف المطاط .. وتتراوح نسب هذه المواد حسب خطوات الانتاج ونسبة المادة الخام الموجودة فى عصارة شجر المطاط .. ولكن فى النهاية يخرج نسيج رفيع من المطاط له قوة وكثافة متساوية فى جميع اجزائه ..

وبعد ذلك يتم تشكيل العازل الطبى اليا باستخدام نماذج من الزجاج او المعدن يتم غمسها بالترتيب داخل احواض بها مادة المطاط .. المبرد ثم تدخل بعد ذلك فى افران لتجفيف العازل .

وبعد ذلك يتم تشكيل العازل الطبى آليا باستخدام قوالب من الزجاج أو المعدن وبعد ذلك يصب المطاط المبرد بها .. ثم تدخل فى افران التجفيف .. ثم تمر فى احواض بها مطاط سائل ايضا ومن فوقها فرشاة تدير حلقة لتشكيل الطرف المفتوح

للعازل .. وفى النهاية تدخل فى افران للتجفيف

وبعد ذلك يتم خلع العازل من على القوالب وتغسل بالماء والفرشاة .. ويتم تنظيف القوالب ايضا لتبدا عملية تصنيع جديدة .. وهكـذا

وتعد عملية تقسية المطاط من العمليات الهامة جدا فى خطوات الصناعة حيث يجب ان تصل الى درجة معينة حتى يكون العازل مرنا بالشكل المطلوب .. وبعد خلع العازل من على القالب وغسله يجفف ويرش ببودرة خاصة .. ويختبر العازل الكترونيا لمعرفة ما اذا كانت به ثقوب ام لا ؟.. وتجرى عملية تلينه لتتم بعد ذلك تعبئته .

انتـاج العازل فى الدول النامية

يقدر حجم الانتاج العالمى من العازل الطبى بـ ٣٤ مليون عبوة فى السنة تحتوى على ٥ الاف مليون قطعة .. اى اكثر من الاحتياج اللازم لـ ٤٠ مليون شخص .. وذلك بمعدل ١٠٠ عازل للفرد فى السنة .

وفى اغلب الاحيان يتمركز انتاج العازل الطبى فى الدول المتقدمة . وتعد اليابان هى اكثر الدول انتاجا للعازل الطبى ، ربما لاتساع سوق الاستهلاك المحلى .. ولذلك توجد ثلاث شركات كبرى لانتاج العازل الطبى بطاقة انتاجية تصل الى ٥٠٠ مليون قطعة فى السنة . وتوجد شركات اخرى ذات شهرة عالمية فى الولايات المتحدة ولدى هذه الشركات فروع فى عدة دول اخرى .

ويبلغ حجم انتاج العازل فى الدول النامية حوالى ثلث الانتاج العالمى ، فالصين على سبيل المثال تنتج حوالى ٧٠٠ مليون قطعة فى السنة .. كذلك بامكان كل من الهند وكوريا الجنوبية ان تنتجا ٣٠٠ ـ ٤٠٠ قطعة سنويا ولكن مشروعات العازل الطبى تنتج بين ٥٠ ـ ١٠٠ مليون قطعة سنويا .. وغالبا مايكون هذا الانتاج للسوق المحلية ، وقد افتتحت مماثلة فى بعض البلاد .. مثل ماليزيا والبرازيل .

وتبلغ تكاليف الدخول فى مشروع كهذا حوالى ثمانية ملايين دولار ، وذلك بالنسبة للمشروع الذى يصل انتاجه الى ٧٠ مليون قطعة سنويا .. وبالطبع تشكل مسالة التكاليف صعوبة بالنسبة للدول النامية .. ثم هناك مشاكل اخرى مثل المهارات التقنية اللازمة للحصول على منتج جيد . والحصول على المادة الخام ذات المستوى العالى والمحافظة على التوازن المطلوب فى درجات الحرارة والرطوبة داخل موقع الانتاج ، والتغلب على مشكلة تردد التيار ، وتوفير قطع الغيار المطلوبة .. وتقوم بعض الشركات العالمية بتقديم الخبرة والمعدات للدول النامية الراغبة فى القيام بانتاج العازل الطبى بنفسها .. وفى حالة تعذر الانتاج داخل الدوله نفسها تقوم باستيراده معبئا او تقوم بتعبئة خفضا للتكاليف حيث قد تصل الى نصف تكلفة استيراده .. كذلك فان هذا الاسلوب يساعد الدولة المستوردة على ايجاد عمل لعدد كبير من العمال يقومون بعملية التعبئة المحلية حيث يسهل ذلك عملية طباعة ارشادات الاستعمال بلغة اهل البلد .. كذلك يتم اختيار لون العبوة الذى يناسب ذوق المستهلكين .

وبعد فهذه نظرة سريعة على صناعة العازل الطبى ولعلها تعطينا صورة لمدى ماتتمع به صناعة العازل من دقه توفر له الفاعلية والامان .. فالى لقاء بإذن الله مع اسرة المستقبل فى العدد القادم .

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي ، ١٢ عددا ، في جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادي وفي بلاد اتحادي البريد العربي والافريقي والباكستاني عشرة دولارات

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في ج . م . ع نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفي الخارج بشيك مصرفي لأمر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة أعلاه عند الطلب

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ،

القاهرة ـ تليفون ٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط . مجلة الهلال ت ٦٢٥٤٨١



الأسعار

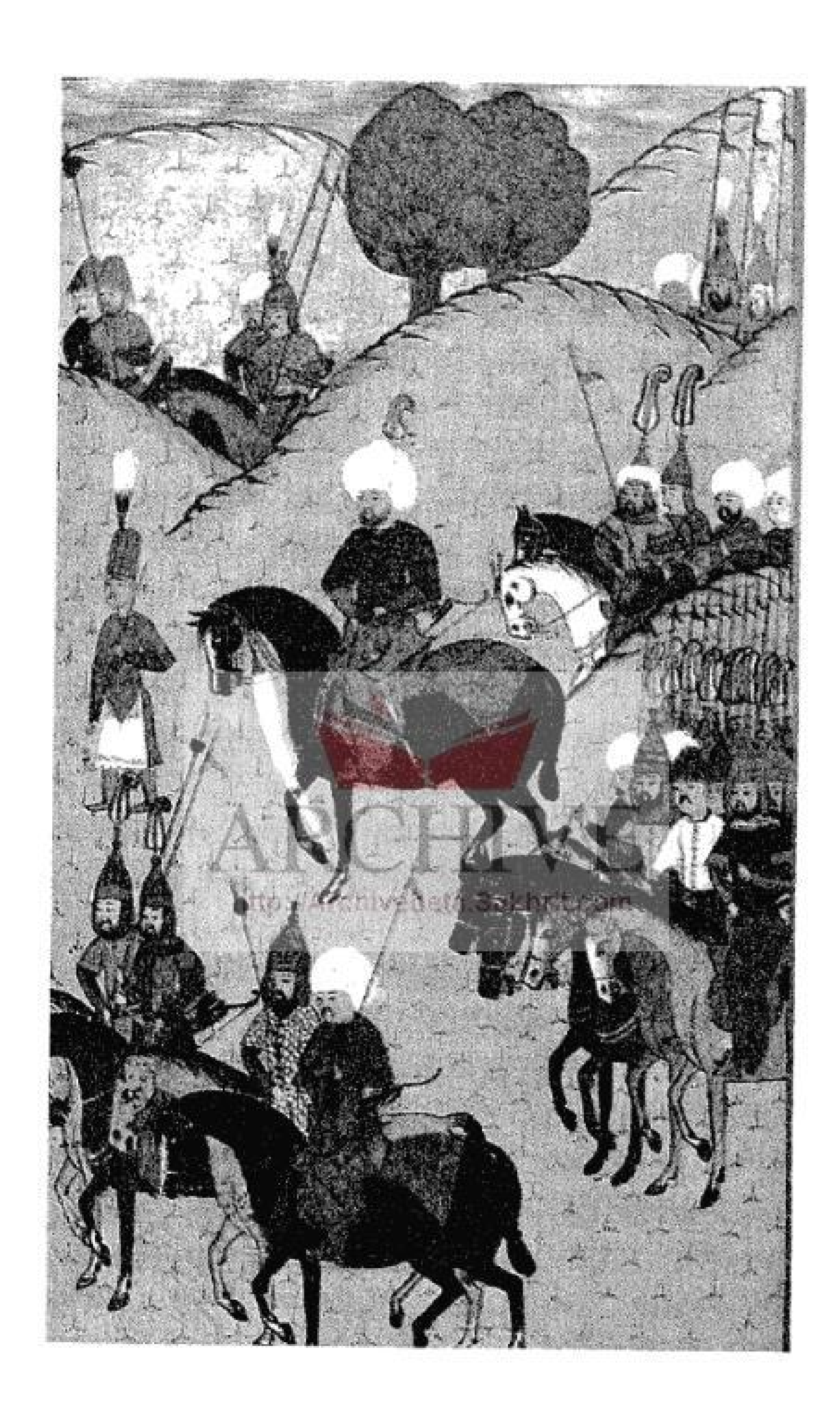
سوريا	٣٥	ق س
لبنان	٤٠٠	ق . ل
الاردن	٤٠٠	فلس
الكويت	٤٥٠	فلسا
العراق	١١٠٠	فلس
السعودية	٥	ريالات
السودان	٧٥٠	مليما
تونس	٦٥٠	مليما
المغرب	٨٠٠	فرنك
الجزائر	٦٥٠	سنتا
الخليج	٤٥٠	فلسا

غزة والضفة	٣٠	سنتا
الصومال	٥٠	بني
داكار	٤٠٠	فرنك
لاجوس	٦٠	بني
أسمرة	٤٥٠	سنتا
اليمن الشمالية	٥	ريالات
اديس ابابا	٤٥٠	سنتا
باريس	١٠	فرنكات
لندن	١٠٠	بنس
ايطاليا	١٤٠٠	ليرة
سويسرا	٣,٥	فرنك

اثينا	٨٠	دراخمة
فيينا	٣٥	شلنا
فرانكفورت	٣,٥	مارك
كوبنهاجن	١٠	كرونات
استوكهولم	١٤	كرونة
كندا	٢٥٠	سنتا
البرازيل	٣٥٠	سنتا
نيويورك	٣٠٠	سنت
لوس انجلوس	٣٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت
هولندا	٤	فلورين
عدن	٢٥٠	فلسا


مصر للطيران
علم مصر فى كل مكان
أكثر من
٥٠
سنة خبرة
مصر للطيران
فى خدمتكم
أوربا - أفريقيا
آسيا - أمريكا
(البوينج ٧٦٧ - البوينج ٧٣٧ - البوينج ٧٠٧
الايرباص - الجامبو ٧٤٧)


الهلال
الثمن
٢٥ قرشًا
...وبر
...ة ١٩٨٥
التعليم
ومستقبل مصر
ندوة الهلال
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com
العلاج عند العطار



من روائع الفن الإسلامي

● لوحة تركية تمثل السلطان سليم الثانى ليلحق بقواته فى طريقه الى بلجراد عام ١٥١٧ .. وتكشف قدرة الفنان على استخدام الالوان والتكوين .. وهذه اللوحة محفوظة فى متحف طوب كابى فى اسطنبول ●



السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر من مؤسسة دار الهلال
أسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ – أول أكتوبر سنة ١٩٨٥ – ١٦ محرم ١٤٠٦



الغلاف : تصوير محمود عارف
العلاج عند العطار
تحقيق ملون ص ١٢٦



المرأة والأزهر ص ٣٢

في هذا العدد

● فكر وثقافة ●



شارلى شابلن
كتاب الشهر - ص ٩٢



ندوة الهلال
التعليم ومستقبل مصر
ص ١٣٤

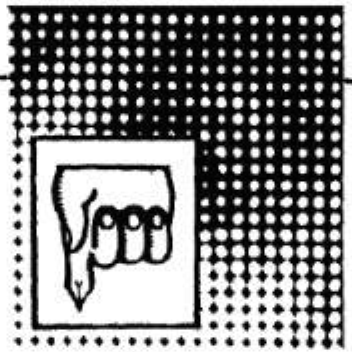


الشخصية اليهودية فى الأدب السوفييتى ص ٧٦

● ندوة الهلال ●

الدكتور محمود محفوظ — الدكتور عبد العظيم انيس .
الدكتور حلمى مراد — الدكتور اسماعيل على

● الأبواب الثابتة ●



عزيزي القارئ

كان يوم ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ اول يوم تنهزم فيه الاسلحة الصهيونية في مواجهة الاسلحة العربية منذ انشأ الصهيونيون مستعمرتهم الاولى فوق ارض فلسطين العربية سنة ١٨٨٢ وهى السنة التى احتل فيها الاستعمار البريطاني مصر ..

وبين سنتى ١٨٨٢ و ١٩٧٣ توالى المد الصهيوني مؤيدا بالقوى الاستعمارية التى حاربت العرب من قديم ،فاصدر مؤتمرهم الاول سنة ١٨٩٧ قرارا مدعوما من هذه القوى بانشاء وطن صهيوني فى فلسطين العربية ..

وبعد اقل من عشرين عاما اخرى ، احرز المد الصهيوني انتصارا اخر بصدور وعد بلفور الذى اباح فيه الاستعمار البريطاني فلسطين كلها للاستيطان الصهيوني ..

ولم تمض عشرون عاما بعد ذلك حتى احرز المد الصهيوني الزاحف بلا انقطاع انتصارا مدويا باعلان قيام دولة اسرائيل ، وفي اقل من سنتين هزمت هذه الدولة المولودة فى حضن الاستعمار الجديد ، مجموعة الدول العربية المشتركة التى اطلقت عياراتها النارية فى جو فلسطين بين سنتى ١٩٤٨ و ١٩٤٩ .

ثم انتقل المد الصهيوني تحت جناح بريطانيا وفرنسا سنة ١٩٥٦ فاحرز نصرا جديدا لم يتزحزح عنه الا ليجمع قواه لضربة ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ التى بلغ فيها اوج انتصاره على الامة العربية ، وبلغت فيها الامة العربية حضيض بؤسها المعنوي والمادي، وذهبت هزيمتها الثقيلة الزهيبة مثلا فى التاريخ تتمثله الامم للذكرى والاعتبار ..

وخيل الينا وقتها انها هزيمة نهائية ، وان عجزنا عن



رد عدونا هو العجز الابدى الذى ضربته علينا الاقدار ، فلا مناص من الخنوع له ، ومد ايدينا الى شعوب العالم لعلها تحنو وتشفق وتجود علينا بالخلاص ! ..

ثم جاء ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ وعبر الجيش المصرى باحلام امته العربية وامالها الى الضفة الاخرى من قناة السويس واقتحم الحاجز المائى الشاسع الذى قيل ان عبوره مستحيل ، وان اقتحامه على الصهيونيين معجزة كبرى ، وليس هذا زمن المعجزات !

وفوجىء الصهيونيون لاول مرة بالسلاح العربى يضربهم ولا ينهزم امامهم ! ..

واذهلهم انهم لاول مرة منذ اقاموا مستعمرتهم الاولى فى فلسطين وجعلوها ثكنة مدججة بالسلاح ، يضطرون الى التقهقر وعيونهم على مستعمراتهم وراء ظهورهم ، ويجبرون على التخلى عن سلاحهم ، ورفع ايديهم فوق رءوسهم تسليما للجندى العربى المنتصر ! ..

لقد كان ذلك كله مشهدا جديدا تماما على ساحة الصراع العربى الصهيونى .. ولكنه مشهد واقعى تماما ، لم يجىء به الخيال ، بل جاءت به الجهود والتضحيات ! .

وفى ذكرى هذا اليوم الجليل الشأن ، العظيم الدلالة، نراجع نحن العرب كل ما استطعنا ان ننجزه فيه ، كبداية لا كنهاية ، فالانسان العربى الذى بدأ فى ٦ اكتوبر ، لن ينتهى فيما يتجدد بعد ذلك اليوم المجيد من ايام على امتداد التاريخ المرتقب ..

والانسان العربى فى بداية عمله ، وفى قصده وغايته لا ينشد الا حقه المحض ، مجردا من كل زيادة ، ومن كل نقصان ! ..

ان النصر فى يوم ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ لم يكن مصادفة او حظا حسنا ، بل كان ايمانا وعملا وبطولة ، وكذلك يكون النصر فى كل زمان ومكان !

المحرر



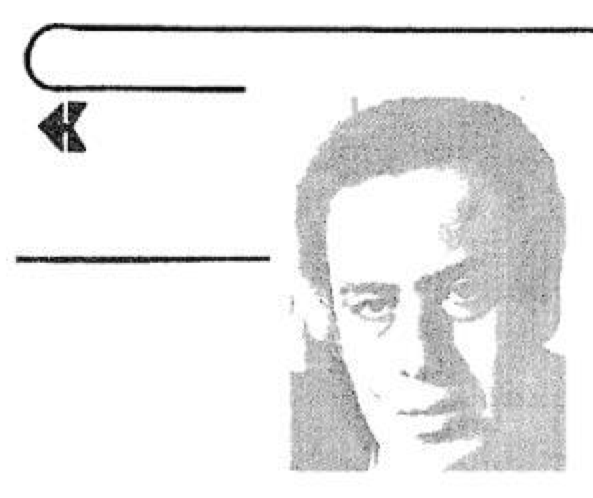
بقلم الدكتور شكرى محمد عياد

الصديق الكريم الدكتور سمير سرحان :

لتكن هذه تهنئتى لك على منصبك الجديد ، واعذرنى فقد تولى هذا المنصب قبلك أصدقاء أعزاء ، فلم أذهب إلى أحدهم مهنئا ، ولا دخلت الغرفة التى تجلس فيها الآن إلا لعمل اقتضى ذلك ، وريثما فرغت من هذا العمل ، وأنت تعلم أنك لست أقل معزة عندى من هؤلاء الأصدقاء القدماء .

ويبدو أنه لم يعد أمامنا خيار : لابد للمثقف أن يعمل مع الحكومة . ولست واثقا أن هذا الوضع أسوأ من وضع كان يضطر فيه إلى الالتحاق بحاشية أمير أو وزير ، ولامن وضع آخر يخضع فيه لرغبات ناشر هو بدوره خاضع لنزوات الجماهير . ولكننى واثق من شىء واحد : أن كُل مايمس حرية المثقف ينقص من قيمة إنتاجه . ومن حسن حظك أن توليت رئاسة هيئة الكتاب فى وقت نعم فيه الكتاب بقدر من الحرية لم يعرف له مثيل منذ بضع عشرات من السنين ، فلا حجر عليهم فيما ينشرون من كتب أو مقالات ، فى الهيئة أو فى غير الهيئة وصحيح أن الحرية تفتح الشهية لمزيد من الحرية ، ولكن معظمنا يعيش الآن ، والحمد لله فى مرحلة من التوازن أو الاكتفاء .

ولكن هل الحرية فى إبداء الرأى هى كل ما يفهمه المثقف من معنى الحرية ؟ ألا يحدث أحيانا أن توجد « قنوات » للعمل الثقافى تضع « كيفيات » معينة للعمل وإن لم تضع شروطا



د . سمير سرحان

وماطبيعة هذه القنوات ، حيث توضع فى جهاز من أجهزة الدولة ؟ هل يحتمل أن تتبنى أو تحتضن تيارا فكريا او ثقافيا جديدا ، قادرا على العطاء والنماء ؟

ابتداء ، اريد ان افرق بين الكتاب او المجلة وبين العروض الفنية . ماكان يمكن أن تتصور فرقة باليه او أوركسترا سمفونية فى بلادنا بدون إشراف مباشر من الدولة ، وينطبق هذا ـ بدرجة أقل ـ على المسرح أيضا ، ولكن يجب الا نغفل مبادرات الأفراد والجمعيات الحرة نذكر منها فرقة المسرح الحر وفرقة رضا . بل الواقع انه لولا هذه المبادرات لخرجت الفرق الرسمية إلى الوجود ميتة . فالسؤال الذى يجب أن يطرح هو : هل أفاد الاشراف المباشر للدولة هذا النشاط الفنى على المدى البعيد ؟

والامر مختلف ـ على كل حال ـ بالنسبة إلى الكتاب والمجلة ، ويرجع هذا الاختلاف ـ فى تقديرى ـ إلى طبيعة كل من العملين . فالانتاج الذى يصب فى القالب اللغوى إنتاج فردى إلى اقصى درجة (إذا صرفنا النظر مؤقتا عن الاختلاف بين الحضارات والعصور) على عكس تلك الأنواع الأخرى من الانتاج الثقافى ، التى لايمكن أن ترى النور إلا بجهد جماعى . ولعلنا متفقون على أن التغيير الثقافى الحقيقى والشامل لايمكن ان يتحقق إلا بأعمال فردية ذات طابع ريادى متميز ، إن فى الكتابة الفنية أو الكتابة الفكرية فالسؤال الذى يجب أن يطرح بالنسبة إلى الكتاب او المجلة هو : هل ساعدت المشروعات الأدبية التى تولتها الدولة على

الكتاب وهيئته

ظهور مثل هذه الأعمال الفردية الرائدة المغيرة ، أو كانت ـ على العكس ـ عاملا من العوامل التي عاقت ظهورها ؟

ولكيلا نتهم أنفسنا بالتحيز دعنا نحصي ماأنتجته المشروعات الحكومية من هذا الصنف ، وما أنتجته الجهود الفردية . لن نورد عناوين الكتب أو أسماء الكتاب فنحن لانتحدث عن أشياء مجهولة ، ولكن في وسع أي قارىء ذكي أن يمسك ورقة وقلما ويعطي مالقيصر لقيصر وما للشعب للشعب . ولا أظن أننا سنختلف على النتيجة . هذا على الرغم من البون الشديد بين الشعب والحكومة ـ طوال هذه الثلاثين سنة الأخيرة ـ في القدرات والامكانيات .

وما دمنا قد أرجعنا هذه الظاهرة إلى علة أصيلة وجوهرية في طبيعة الابداع الأدبي والفكري ، ففي وسعنا أن نتجاوز عن عوامل أخرى ـ نعدها ثانوية ـ مثل : البيروقراطية المعطلة ، والجهل المتحكم ، و « الشللية » (تذكر ياصديقي أن هذا الاصطلاح لم يولد إلا في عهد سيطرة الحكومة على أجهزة الثقافة !) الظالمة .. ولاتنس الفساد الاداري !

قرأت في الصحف اليومية أنك تزمع إعادة مشروع الألف كتاب وقد بليت زمنا ـ تحت ضغط الحاجة ـ بالعمل ضمن هذا المشروع . ترجمت عددا من الكتب ، وراجعت عددا آخر فيما عدا رواية « البيت والعالم » لطاغور ، التي اقترحت ترجمتها أو على الأصح إعادة ترجمتها ـ كان يعهد إلي بكتب اختارتها لجنة الترجمة في المجلس الأعلى للآداب والفنون ، وكان يغيب عني دائما وجه الحكمة في هذا الاختيار ولكنه لم يكن ـ بكل تأكيد ـ لأن هذه الكتب تقع ضمن قائمة « الألف كتاب » التي يمكن أن تتفق مجموعة من المثقفين على أنها أساسية في الثقافة الغربية ، ولا أقول العالمية . وربما فكرت ـ وقد جلبت علي سوء الظن ـ أن للمكاتب الثقافية التابعة لدول معينة مصلحة في ترجمة هذه الكتب بالذات . أما الكتب التي راجعتها فكانت تشكيلة عجيبة : منها كتاب عن « الحياد الايجابي » ظهر في مجموعة « بليكان » وسيرة لابراهام لنكولن ظهرت في سلسلة أمريكية شعبية كذلك . هذا إلى جانب عدد غير قليل من الروايات والمسرحيات . هكذا أضعت أحفل سني عمري بالنشاط في هذا المجهود العقيم وكان من نحس طالعي أنني إذا ترجمت كتابا دفع به إلى مراجع لايحتاج أن يضيف إليه شيئا أكثر من توقيعه الكريم (تفضل أحدهم بكتابة مقدمة) وإذا راجعت اضطررت إلى التدميج والتعديل والتبديل إلى أن تصبح الترجمة ـ في واقع الأمر ـ كأنها لي . حتى صعبت على حالي



فاعلنت العصيان على الالف كتاب وخليفة الدار المصرية . وكان المبدأ الذى قررته الا اترجم إلا كتابا اختاره ، وألا أراجع ترجمة احد ولايراجع ترجمتى احد . وكما تعرف أو تتوقع لم يأبه لثورتى احد ، وكان على ان اتحمل شظف العيش إلى ان جعل لى الله من بعد عسر يسرا ، وله الحمد والمنة !

فإذا احببت ياصديقى أن تصدر الف كتاب ثانية فأرجو ان تدرس بنفسك أو تكلف واحدا من اهل ثقتك (ولكن بالله عليك لا تشكل لجنة !) ليدرس تجربة الألف كتاب الأولى . ثم أرجو الا تبدأ مشروعك هذا إلا وتحت عينيك الف عنوان والف مترجم (دون « مراجع » واحد) أمامك الجامعات وأمامك الأكاديميات وأمامك وأمامك من أهل الاختصاص الذين تلتمس عندهم المشورة ، ولكنك لن تحصل على بغيتك إلا بتوفيق من الله يكاد يشبه المعجزة ، ولست املك لك إلا الدعاء !

ومع ذلك فإن مشروع « الف كتاب حقيقى » هو أهون مايطلب من هيئة الكتاب! فالمبرر الوحيد لوجود هيئة حكومية للكتاب هو كالمبرر لوجود وزارة للتعليم أو وزارة للبحث العلمى : أن تقيم القواعد التى لاتستطيع جهود الأفراد إقامتها . وقواعد الكتاب هى المجموعات الشاملة والمراجع الأساسية ، هى دوائر المعارف ، والمعاجم ، والكتب الأصول ، فى كل علم وفن ، التى لايستغنى عنها باحث أو دارس . والنهوض بهذه الأعمال الكبيرة يتطلب كفاءة إدارية اخشى الا تكون موجودة فى أى جهاز حكومى . والشىء الأشد إثارة للأسف هو أن هذه الكفاءة تتحسن مع الزمن بل تنحدر باستمرار . كان المجهود البارز للدار المصرية ـ سلفكم العتيد ـ فى باب تحقيق التراث هو إخراج طبعات مصورة من الكتب . التى حققت فى مطبعة بولاق او فى دار الكتب المصرية أما « الاضافة » التى قدمتها فكانت « منتخبات » من هذه الكتب لم تحقق اى غرض ، بل ثبت انها كانت مجرد وسيلة للارتزاق . وبجهد جهيد استطاع السلف والخلف أن يتمما كتاب الأغانى وكتاب نهاية الأرب . ولكنهما عجزا ـ فى باب الاعمال الموسوعية ـ عن ان يتما مجموعة « تراث الانسانية » فماتت بفقر الدم . وعجزا عن أن يتما « القانوس الشامل » الانجليزى العربى ، فدفنت أضابيره فى مكان ما من الهيئة . أما مشروع « دائرة المعارف العربية » فلم تكد الدار المصرية تقترب منه حتى ولت مذعورة

ليتك تفكر فى هذه المشروعات كلها حين تفكر فى الألف كتاب فبناء قواعد الثقافة عمل هندسى متكامل . واذا كان جهازك ـ كما اتوقع ـ عاجزا عن النهوض بهذا العبء الثقيل ، فليكن أحد الخيارات أمامك أن توزع العمل على جهات متعددة ـ الجامعات مثلا ـ بحيث لاتقوم

الكتاب وهيئته

الهيئة الا "بالتجميع ، النهائى . ولكن اياك ان تسلم عملية "التوزيع" لمقاولى الباطن فإذا كانت "الصناعة الثقيلة" فى انتاج الكتاب هى مهمة الهيئة الأولى ، فإن مهمتها الثانية هى جعل توزيع الكتاب خدمة قومية

ولست مع القائلين ان الحكومة يجب أن تدعم الكتاب كما تدعم رغيف الخبز ، بمعنى أن تتحمل جزءا من تكاليف انتاجه . لقد كانت كلمة تشبه النكتة ، وما احسب إلا أنها باخت بعد أن اصبحت قضية دعم الرغيف هى نفسها مشكلة . ان ملء مخازن الهيئة بالكتب التى لاتقرا ليس انجازا رائعا . ولكن "جعل توزيع الكتاب خدمة قومية" يعنى فى نظرى شيئين :

الأول : زيادة قنوات التوزيع بحيث تغطى جميع الكتب التى تصدر فى مصر ـ وحدها احيانا ومع غيرها من الكتب العربية أو العالمية احيانا اخرى ـ فرصة الوصول الى أى قارىء محتمل فى الداخل أو الخارج . واذا كان من المستحسن ان تتعدد مراكز الانتاج كى تتنوع موضوعاته ودرجاته واشكاله وكيفياته ، فإن من المصلحة ايضا أن تتوحد قناة العرض تشجيعا للبائع وتيسيرا على المستهلك . واظن أن تجربة معرض الكتاب دليل واضح على صحة هذه النظرية ، ولكنها يجب أن تدرس وتقيم فى كل مرة ، حتى يستفاد من الدروس السابقة ، ثم يجب أن تعمم فى مدن الاقاليم ، ولايكتفى بالقاهرة والاسكندرية واظن انه قد آن الأوان ايضا لعرض الكتاب فى جميع المتاجر الكبرى ، وفى بعض المحلات الصغيرة أيضا : لماذا لاتوجد ـ مثلا ـ فترينة صغيرة للكتب الزهيدة الثمن لدى كل بائع سجائر ؟

واما الطريق الثانى لخدمة الكتاب فهو الاكثار من المكتبات العامة . من الواضح أن هذه الخدمة قد ضعفت جداً عما الفناه فى شبابنا ولو قورن الازدياد فى عدد المكتبات العامة ومقتنياتها بالزيادة فى عدد السكان لبدا التخلف مذهلا . والعجيب ان التوسع فى هذا الجانب من عمل هيئة الكتاب لايكاد يكلف شيئا اكثر من تدبير المكان ، الذى يمكن أن يتبرع به بعض ميسورى الحال من اهل القرى ، أو يخصص له ركن فى دار المناسبات التى لاتكاد تخلو منها الأن مدينة أو قرية ، هذا ـ بطبيعة الحال فضلا عن "قصور الثقافة" التى لااستطيع أن اتصورها الا مكتبات محلية ذات انشطة متعددة .

لن يكلفنا هذا العمل الا شيئا من الكفاءة فى الادارة ، وقليلا من الانفاق على اثاث بسيط . أما المطبوعات فإصدارات الهيئة حتى الان كافية بمفردها لتكوين مكتبة صغيرة .

هذا ما أنتظره من هيئة الكتاب ، ولعل الكثيرين ينتظرون معى . أما الفكر والفن فطائران لا يألفان الا الفضاء العريض ، فإن أمسكا فى قفص كلّ منهما الجناحان ، وخرس اللسان إلا عن أغاني الحزن





● « ان مايميز العلاقات السوفييتية الامريكية ، انه سواء كنا نحب بعضنا ام لا ، فاننا اما ان نعيش معا او نننى معا ».

الزعيم السوفييتى
جورباتشوف

● « هل تنوون البقاء فى الاراضى العربية المحتلة الى الابد .. ؟! وهل تتصورون امكان السيطرة على العرب ؟! »

تساؤلات مسز تاتشر التى وجهتها لوزير خارجية اسرائيل



● « بطالة الشباب سرطان يجب مقاومته ، انها حرب ضارية .. »

فابيوس
رئيس وزراء فرنسا

● « الشهادة الجامعية فى الطب اصبحت جواز مرور للبطالة ! »

رئيس الجمعية الطبيه فى اليونان





● « ثروة اية مؤسسة تكمن فى عمالها المهرة »

بيتر روبنصال
المسئول عن البرمجة فى شركة سيمونز

● « منذ اكتوبر عام ١٩٧٣ ، لم تعد الحروب تحظى بتأييد شعبى فى اسرائيل ، فلم تعد مجرد نزهة فى الصحراء ! »

امنون كابليوك
صحيفة دافار

● « العالم العربى يصر على تعميق مساره داخل المأزق ، وينكب على تعقيد مسالك الخروج !! »

جميل مطر

● « الهة واجبين على القصاص: ان يقول الحقيقة كما يراها .. والا يقبل مزايا خاصة من اية جهة »





الدكتور شوقى ضيف ومجمع اللغة العربية فى خمسين عاماً

بقلم : الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى

واحد وخمسون عاما (١٩٣٤ - ١٩٨٥) مرت على قيام مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، صرحا شامخا للعلماء والمفكرين فى مصر والعالم العربى ، من العاملين فى حقل اللغة والفكر والادب ، ورمزا خالدا لقيمة مصر الفكرية والعلمية على طول الايام ،

والمجمع يمثل اكاديمية لغوية وفكرية مستقلة تعمل ليل نهار من اجل ازدهار اللغة وتجديد حيويتها ومنحها عوامل الصمود والبقاء والتجدد فى صراعها مع الزمن ، ومع الاحداث ، ومع الضعف اللغوى الملحوظ فى السنة الناطقين بالضاد ●



ـ اجتماع قديم لمجمع اللغـة العربية برئاسة لطفي السيد ويلقي الكلمة الدكتور احمد امين ويظهر في طرف الصورة الاديب فريد ابو حديد ..

ومن الحق أن مصر لم تال وسـعا في أن تمد المجمع بأعلامها ، ممن قادوا نهضتها الفكرية والادبية والعلمية فـي القرن الحاضر ، حتى اليوم ، وقـدمت الاقطار العربية بدورها الى المجمـع علماءها اللغويين الأعلام ، ليسهموا فيه مع صفوة من المستشرقين ، أعضـاء عاملين فيه أو مراسلين ، وبذلك لم يبق للعربية عالم فذ في مصر ، أو في الشرق أو في الغرب الا ضم الى المجمع كما يقول الدكتور شوقي ضيف في مقدمة هذا الكتاب الذي يقع في جزء كبير صدر بعد حفلات مجمـع اللغـة في الذكرى الخمسينية في العام الماضي .

ويقـول الدكتور شوقي ضيف : ان مجمع اللغة العربية سبقته مجامع عالمية، من أولها :

ـ مجمع افلاطون « ٤٣٠ ـ ٣٤٧ ق.م» العلمي » وسمي بالاكاديمية .

ـ مجمع الاسكندرية في عهد البطالسة، او جامعة الاسكندرية .

ـ دار الحكمة في بغداد انشاها هارون الرشيد .

ـ جامعـة الازهر ، انشاها جوهر الصقلي بامر المعز الفاطمي ..

ـ دار العلم في القاهرة ، انشـاها الحاكم بامر الله وتسمى دار الحكمـة ايضا .

ـ مجمع قرطبة العلمي ..

ويمكن أن نضيف الى ذلك : دار الحكمة بالقيروان التي انشاها الاغالبة ايـام حكمهم ..

ـ ودار الحكمة في قرطبة

وهي كلها مجامع علمية كبيرة ..

ويتحدث الدكتور شـوقي ضيف عن الاكاديمية الفرنسيـة « ١٦٣٥ ـ حتى اليوم » التي قامت لرعاية اللغة الفرنسية التي أخذت تقاليدها لمجمع اللغـة العربية في القاهرة .

ويتحدث الدكتور عن مجامع لغـوية قامت في الوطن العربي في هـذا القرن، ومن بينها ..

ـ مجمع دمشق العلمي العربي «١٩١٩ ـ حتى اليوم »

ـ مجمع دار الكتب المصرية الفـه احمد لطفي السيد عام ١٩١٦ .

ـ مجمع اللغة العربية في القـاهرة الذي قام عام ١٩٣٤

ـ مجمع بغداد « ١٩٤٧ ـ حتى اليوم»



الدكتور شوقي ضيف ومجمع اللغة العربية في خمسين عاما

او المجمع العلمى العراقى .

- مجمع عمان « ١٩٧٦ حتى اليوم » .

- اتحاد المجامع اللغوية العربية « ١٩٧١ - حتى اليوم » .

ويتحدث الدكتور عن نظام المجمع القاهرى « مجمع اللغة العربية فى القاهرة » وقوانينه وعضويته ولجانه واعضائه واعماله ومجلته حديثا طويلا .

يذكر ان عبد القادر المغربى اقترح لالة تدفئة البيت اسم « مدفاة » ، ويذكر ان المجمع عنى فى الدورة الرابعة بكتابة الاعلام الاجنبية قديمة وحديثة .

وفى المؤتمر السنوى للمجمع عام ١٩٤٤ فى الدورة العاشرة له اقترح أحمد امين بعض الاصلاح فى متن اللغة كالاجتهاد فى اللغة ، وطرح بعض الفاظها التى لا تستعمل ، والكلمات الحوشية التى يمجها الذوق ، واستبعاد كثير من المترادفات ، والتخفف من كلمات الاضداد والاشتراك ، وتسهيل قواعد المذكر والمؤنث ؛ ورد عليه الشيخان : ابراهيم حمروش و الخضر حسين :

وفى هذه الدورة « العاشرة » اقترح عبد العزيز فهمى ، كما يذكر الدكتور شوقى ضيف اتخاذ الحروف اللاتينية لرسم الكلمات العربية .

وفى الدورة الحادية عشرة عام ١٩٤٥ عرض موضوع « تيسير النحو » ، واقترح الشيخ عبد القادر المغربى احياء الالفاظ القاموسية الفصيحة . وفى الدورة الخامسة عشرة قدم الزيات بحثا فى حق المحدثين فى وضع الالفاظ .

وفى الدورة الخامسة والعشرين قدم محمود تيمور بحثا فى الفاظ الحضارة ،

محمود تيمور بحثا فى الفاظ الحضارة ،

بحثا عن العامية الفصحى :

وفى الدورة السادسة والعشرين قدم العقاد بحثا عن الشعر العربى والمذاهب الغربية الحديثة . وفى الدورة السابعة والعشرين قدم احمد بدوى بحثا عن اللغة المصرية القديمة وصلتها باللغة العربية :

وفى مؤتمر الدورة الثانية والثلاثين قدم عزيز اباظه بحثا عن الفصحى والعامية ، وقدم محمد خلف الله احمد بحثا عن مستقبل الفصحى فى الدورة الخامسة والثلاثين .

وفى الدورة السابعة والثلاثين قدم الشيخ عبد الرحمن تاج بحثا عن حذف « لا » فى الاسلوب القرآنى .

وفى الدورة الثانية والأربعين قدم الشيخ محمد بهجة الاثرى بحثا عن التوهم فى اللغة ، وفى الدورة التالية قدم الدكتور ضيف بحثا عن تيسير النحو ، وفى الدورة التى تلت هذه الدورة قدم الدكتور ضيف أيضا بحثا عن الفصحى المعاصرة .

وفى مؤتمر الدورة السادسة والاربعين قدم الدكتور ضيف بحثا عن لغة المسرح بين العامية والفصحى ، وفى الدورة التالية قدم الدكتور مجدى وهبه بحثا عن فن الترجمة :

ويتحدث عن مقالات رائدة فى مجلة المجمع ، ومن بينها :

- بحث فى الاشتقاق للشيخ ابراهيم حمروش فى العدد الثانى من المجلة .

- بحث عن لهجات عربية شمالية قبل الاسلام للمستشرق ليتمان فى العدد الثالث :

- بحوث كثيرة فى اللغة والادب والشعر وتراجم اعلام المجمع الخالدين ، وغير ذلك ، ومن أهم الاقلام التى جالت فى صفحات المجلة الاستاذ محمد شوقى أمين عضو المجمع

ويراس تحرير المجلة الآن الاستاذ

ابراهيم الترزى ، ويرأس اليوم المجمع الاستاذ الدكتور ابراهيم مدكور ، ونائب الرئيس الدكتور عبد السلام هارون .

وتحدث د. ضيف عن مطبوعات المجمع، وعن كثير من قراراته ، ومن بينها :

– جــواز نطق كلمة متحف بوزن « مرسل » ، أو بوزن مصدر.

– جواز نطق كلمة منطقة بوزن مصبغة او بوزن مدفأة .

– جــواز أستعمال ســاهم بمعنى اخذ نصــيبا مع غيره في شركات المساهمة .

– جواز استعمال كلمة ســواء مع ام ، ومع او .

– جواز استعمال : بواسطة كذا ، مثل : بوساطة كذا .

– جواز استعمال ها انا اكتب بدون كلمة « ذا » .

– جواز استعمال : على الرغم منه ، وبالرغم منه .

– جواز الاســلوب : هل هذا الامر يعجبك ، وهل يعجبك هذا الامر .

– جواز استعمال : ها انا ازورك ، وها انا ذا ازورك .

وللاستاذ محمد شوقى أمين بحث مفصل فى هذا فى كتابه « الالفاظ والاساليب » الصادر عام ١٩٧٧ .

– صحة قولهم : « العيد الخمسينى » وراجع فى ذلك صفحة ٧٩ وما بعدها من كتاب « الالفاظ والأساليب » للاستاذين محمد شوقى امين ومصطفى حجازى .

– جواز قول الكتــاب العشرينيات والثلاثينيات ، مثــل العشرينات والثلاثينات ، وفى كتاب « الالفــاظ والاساليب ص ٧٤ بحث من ذلك .

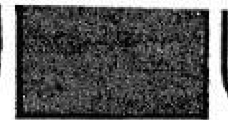
– صحة أسلوب : عاش الاحداث ؛ وفى ص ٨٥ من كتاب « الالفــاظ والاساليب » الــذى اصدره المجمع للاستاذين محمد شوقى امين ومصــطفى حجازى بحث فى ذلك .



– د ابراهيم مدكور



– د . مهدى علام



الدكتور شوقي ضيف ومجمع اللغة العربية في خمسين عاما



محمود تيمور

- صحة لفظ « المتنزه » .
- صحة لفظ الكفاءة ، والكفاية .
- صحة لفظ رصيد بمعنى محفوظ .
- صحة لفظ مصادفة ـ صدفة
- صحة مثل : ماهى الاسباب ؟ و : اما الاسباب .
- صحة مثل : شباب واعد

ـ ٢ ـ

ومن بين المعاجم التى اصدرها المجمع :

١ ـ المعجم الوسيط .

٢ ـ المعجم الوجيز .

٣ ـ معجم الفاظ القرآن الكريم

٤ ـ ويعمل فى اصدار المعجم الكبير ، ومعجم فيشر التاريخى ، وقد صدر من المعجم الكبير جزء اول عام ١٩٥٦ وجزء ثان بعد ذلك بطويل .

وغير ذلك : كالمعجم الجغرافى ، والمعجم الفلسفى .

ويتحدث د . ضيف من احياء التراث وتشجيع الانتاج الادبى .

وغير ذلك من المواضيع الكبيرة التى تتصل بالمجمع ونشاطه العلمى اللغوى .

ويتحدث عن اعضاء المجمع من الخالدين والعاملين حديثا وطويلا .

ـ ٣ ـ

والكتاب ـ ولا ريب ـ وثيقة تاريخية كبيرة ، ووسام على صدر المجمع بلا جدال .

وقد تحدث فيه المؤلف عن كثير من المشكلات اللغوية ، ومن بينها تيسير النحو ، وعن كثير من نشاط المجمع وأعماله الكبيرة .

والكتاب فى عمق بحثه ، وغزارة مادته ، ونصاعة أسلوبه ، يعد أحد ابداعات الدكتور شوقى ضيف الكبيرة ، ويقع فى اكثر من مائتى صفحة من القطع الكبير .

وهو تاريخ مضىء للمجمع ولمصر وللعروبة وللغة العربية ، لغة القرآن الكريم .

وبصدق قال الدكتور المؤلف فى فاتحة الكتاب : عرضت فى هذا الكتاب مجمعنا اللغوى فى خمسين عاما منذ نشأته الى اليوم ، وما فتح للعربية من ابواب كانت مغلقة ، وما هيأ لها من طاقات كانت معطلة حتى تستوعب الفاظ الحياة الحديثة والحضارة العصرية والعلم والتكنولوجيا ، ولم يكن طريقه ذلك معبدا مستويا ، بل كان مليئا بالصعاب والعقاب ، فاخذ يسعى الى تذليلها ، وكلما ذلل عقبة جد فى تذليل تاليتها بكل ما يستطيع من ادوات ووسائل ، حتى عبد الطريق ومهده ، وخلصه من كل عائق يعترضه دون غايته .

ولا ريب أن المجمع والسفر الذى صدر عن المجمع بقلم الاستاذ الدكتور شوقى ضيف ، جديران بكل تقدير واهتمام وعناية .





بقلم : يحيى حقى

عزومة المراكبية

الحقيبة صغيرة ، وليست كبيرة وهي من الرحلات التى اضف فيها ما شاهدته فى فرنسا وطبائع الشعب الفرنسى ، واقارنه أيضا ببعض عاداتنا ، وكيف يحدث أحيانا نوع من سوء التفاهم بين الغربى والشرقى. لان كل واحد منهما لا يريدان يفهم دواعى هذا السلوك .. يعنى مثلا يتهموننا فى الغرب اننا نلجأ فى بعض الاحيان الى ما يسمى « عزومة المراكبية» يعنى ان مركبين فى النيل احدهما وراء الآخر يقول صاحب المركب الاول لصاحب المركب الثانى: تعال .. تفضل الغداء عندنا !!

الاوربى يقول : هذا نفاق .. فلماذا يدعوه وهو لا يستطيع ان يلبى ؟!..

لا .. ليس نفاقا .. انما هو نوع من المودة والكرم فى ابداء الاعزاز للاخرين :

وحدث لسيدة أجنبية أعرفها فى مصر أن كانت جالسة فى صحبة طيبة لفت نظرها سبحة فى يد أحد الاصدقاء .. فقالت له : ما أجمل هذه السبحة ، فقال لها « تفضلى ، فاخذتها ووضعتها فى حقيبتها .. فاخذها زوجها المصرى فى ناحية ، وقال لها : يا مجنونة كيف تفعلين هذا ؟! ان الرجل يريد ان يقدم لك تحية فبأى حق تغتصبين السبحة منه؟!

فقالت له : اذا لم يكن يعنى ما يقوله فلماذا يقوله اذن ؟!.. انا اعامل الناس حسب قولهم ، وفى بلدى حين يقول لى انسان « خذى » .. اخذ على الفور .. انتم اناس متعبون جدا وتستعملون الفاظا كثيرة بلا معنى وبلا دلائل والاجدر ان ترجعوا الى الصواب والحق .. واذا قصد ان يعطينى .. يعطينى .. أو لا .. فلا ..

مثل هذه الخلافات البسيطة فى العادات اهتمت بها ووبينتها فى كتابى حقيبة فى يد مسافر ..

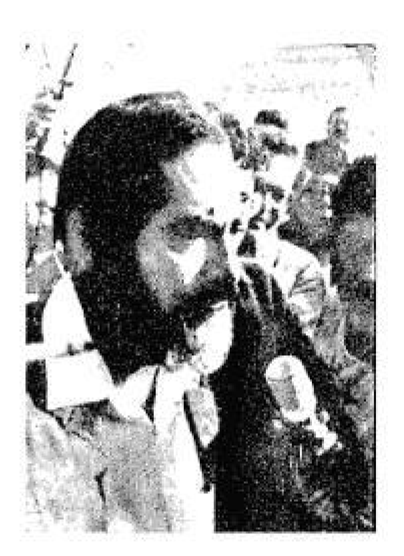
كاهانا يحلم بحزب من المتهودين العرب

● حرب السكاكين والقهر الديني على غرار الأندلس

بقلم : عبد الرحمن شاكر

حينما كتبت « للهلال » في عدد اغسطس الماضي ، عن حكاية الاستاذ العرزي ، الذي اصدر كتابا في الضفة الغربية ، يزعم فيه أن العباسيين هم الذين « اخترعوا » قصة نبي الاسلام في مكة ، وقلت ان ذلك يمثل دخول الصهيونية في مرحلة التبشير المباشر باليهودية بين صفوف أبناء الامة العربية وخاصة في الارض المحتلة ، كنت أحسب هذا القول مجرد استنتاج من جانبي تقود اليه تلك المقدمة ، ولم اكن احسب ان واقع الاحداث قد يسبق احيانا استناجات الكاتب وتوقعاته .

لبعد ايام قلائل من تسليم المقال المذكور الى « الهلال » ، وفي ١٥ اغسطس الفائت ، نشرت الزميلة الكبرى « الاهرام » ، مقتطفات نقلتها عن « النيويورك تايمز » الامريكية ، عن ترايد شعبية الحاخام الصهيوني المتطرف مائير كاهانا ، الذي « يدعو الى طرد كل السكان العرب من اسرائيل ومن المناطق المحتلة ، وتحويل اسرائيل الى دولة يهودية يتم حكمها طبقا للشريعة اليهودية » .



ونظرا لاصدار الكنيست قانونا يجعل حزب كاهانا غير مشروع قال كاهانا: « انه يتولى الدوران حول القانون باجتذاب مؤيدين من العرب الذين تحولوا الى اليهودية للانضمام الى الحزب ووضعهم في قائمته الانتخابية في الانتخابات القادمة .

ومعنى ذلك أن المجتمع الصهيوني الذي تتزايد شعبية كاهانا داخله كل يوم ، حتى ليتوقع ان يكون حزبه هو الحزب الثالث في عدد المقاعد بالكنيست في الانتخابات القادمة ، قد شرع في تطبيق ذات السياسة التي طبقتها الكنيسة الكاثوليكية في الاندلس منذ خمسة قرون ، وراح ضحيتها مئات الالوف من المسلمين واليهود ، حينما كان يتم تخيير غير المسيحي ، ما بين الانضمام الى الكنيسة الكاثوليكية ، او الطرد من البلاد ، وقد تم بالفعل تنصير العديد منهم ، وبعضهم كان يظهر القبول بعقيدة الدولة ويخفي عقيدته الحقيقية ، ولكن محاكم التفتيش كانت تتعقب هؤلاء لتعلم من تنصر منهم حقيقة ومن يتظاهر بذلك فحسب ، وكان النكال الفظيع هو عقوبة من يثبت عليه التظاهر بغير ما يضمر ، ومن طبيعة هذه العملية الوحشية من القهر الديني ان الذين يتحولون سواء بالاغراء او التهديد الى عقيدة الدولة السائدة ، يصبحون شاءوا أم أبوا — أداة في أيديها ، وقوة مضافة اليها ضد بقية اخوانهم ، ممن تلكأوا في اتباع ذات الطريق ! ومن هذه العملية ظهرت الطائفة التي عرفت باسم « الموريسكوس » أي العرب أو المغاربة الذين تنصروا حديثا ! وهذا بالضبط ما ينوى أن يفعله كاهانا ، وهو استخدام العرب الذين تحولوا الى اليهودية على حد تعبيره في تأييده لطرد بقية العرب ممن يرفضون التهويد وتطبيق تلك السياسة على فلسطين كلها سواء المحتل منها قبل عام ١٩٦٧ ، أو بعدها ، أى الضفة الغربية وغزة ، التى نشطت فيها عمليات الاستيطان الصهيوني على أيدى أمثال كاهانا من المتطرفين ، في ظل تواطؤ مع السلطات الصهيونية تعجز عن أن تخفيه ولو تظاهرت بغيره ، بدليل استيلائها على أكثر من ٥٤٪ من أراضي الضفة وغزة بدعوى الحاجة اليها للاغراض العامة وفي مقدمتها أغراض الامن !

ولقد سألت بعض الاخوة الفلسطينيين في القاهرة ، عن حالات تحول بعض العرب الى اليهودية ، فقالوا انها حالات فردية لا تزيد على العشرة ، أهمها حالات بعض من يرغبون في الزواج من فتيات

كاهانا

يهوديات ، فيقال لهم انه لاسبيل الى ذلك الا باعتناق الديانة اليهودية .. ولكن مايشير اليه كاهانا في تصريحه يدل على حد تعبير « نيويورك تايمز » ، على قول كاهانا من « ظاهرة مرضية » في المجتمع الصهيوني يتوقع له ان يشفى منها الى « ظاهرة سرطانية » .. وهي كما هو واضح ظاهرة متنامية والا لما بنى أحلامه السياسية على اجتذاب مؤيدين من العرب الذين تحولوا الى اليهودية الى صفوف حزبه ، الى حد ضمهم على قائمته الانتخابية !

ان الصهيونية ممثلة في « نجمها الصاعد » كاهانا ، تخلع كل يوم رداء من اردية التظاهر التي بدأت بها ، سواء في ذلك قضية « الشعب اليهودي » ، أو قضية الديموقراطية نفسها بدأت طلائعها تتوافد على فلسطين منذ مطالع هذا القرن ، كانوا يزعمون انهم يلجأون الى الارض المقدسة هربا من الاضطهاد الذي يلاقونه في مجتمعات اوربا المسيحية ، وعلى ذكر الاندلس فيما تقدم فقد كانت الاستانة مقر الخلافة الاسلامية في العهد العثماني هي الملجأ الاكبر لليهود الفارين من بطش محاكم التفتيش في الاندلس ، بالاضافة الى المغرب التي لجأ اليها بعضهم ومعظم المسلمين الفارين من الاضطهاد ذاته . ومع تزايد النشاط الصهيوني خلال المائة عام الاخيرة ، كان يهود « الدونما » في تركيا أداة ضغط هائلة على الدولة العثمانية للسماح بهجرة اليهود الى فلسطين ، ولقد شاركوا في احداث الانقلاب العثماني في عام ١٩٠٨ الذي سمح لاول مرة بهذه الهجرة ، ويهود « الدونما » هؤلاء هم يهود اظهروا الاسلام طواعية من عند انفسهم ، اى لم يجبرهم احد على ذلك ، لكي يتسنى لهم التسلل الى المواقع المؤثرة في مناصب الدولة العثمانية للوصول الى مآربهم وقد خلع كثير منهم اردية التظاهر هذه بعد سقوط تلك الدولة ونجاح سياستهم في التسلل الى فلسطين !

وكانت الخطوة التالية ، بعد حق اللجوء الى ديار الاسلام ،التي عرفت بالتسامح الديني طوال تاريخها ، هي دعوى حق « الشعب اليهودي » المشتت في أرجاء الارض في ان يكون له وطن قومي ، وهذا ما اللحت الصهيونية في انتزاع وعد به من « بلفور » وزير خارجية بريطانيا العظمى عام ١٩١٧ ، وهي الدولة التي كانت تحتل فلسطين آنذاك ، وأقامت انتدابها عليها بقرار من عصبة الامم التي قامت بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٨ ، واستغلت كل سلطات انتدابها تلك في تسهيل عملية الهجرة اليهودية الى « وطنهم القومي » المزعوم في فلسطين !

وبعد الحرب العالمية الثانية كانت مزولة الصهيونية ، من اجل انتزاع دولة لهم على أرض فلسطين ، بقرار من الامم المتحدة عام ١٩٤٧ ، هي حق الشعب اليهودي في فلسطين في الاستقلال بدولة خاصة به ، مع اعلان حق كل يهود العالم في الهجرة الى هذه الدولة واعتبارهم مواطنين فيها بمجرد وصولهم اليها .. وذلك بالرغم من الحقيقة الصارخة ان معظم يهود العالم وهم يهود الغرب المنتمون الى الاستمتاع الذي يلبسون بها ، في التسولاز

الروسي ، باستثناء من هاجروا منهم الى غرب اوروبا والولايات المتحدة الامريكيــــة ، وبالرغم من توقف اضطهاد المجتمعات المسيحية لهم ، سواء بسقوط القيصرية في روسيا عام ١٩٢٧ ، وسقوط النــــازية الالمانية بهزيمتها في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ .

ولقد بحت أصوات العرب ، في التأكيـــد على أن اليهودية ديانة وليست قومية ، في وجـــة ادعاء الصهيونية أن اليهود قومية وأن أرض الاباء والاجداد بالنسبة لهـا هي فلســــطين ! واليوم تخلــــع الصهيونية ممثلة في قمتها الثانية كاهانا وحزب كاخ الذى يتزعمــه آخر اردية التظاهر بمـــا في ذلك قضية الشعب اليهودى المزعومة ، بعد أن اوشكت هجرة اليهود الخزر من القوقاز الروسي على التوقف ، ويعلنون انهم يريدون فلســـطين كلها خالية ممن لا يدينون الديانة اليهودية ، وأن الطريق الباقي امام أبناء تلك الارض من العرب لكي يبقوا عليها هو اتباع تلك الديانة .. والا فالطرد وكافة صــــنوف الاضطهاد الذى يقود اليه هو في انتظارهم ، تماما كما حـــدث في الاندلس ، وكان اليهود انفسهم ـ كما تقدم هم بعض ضحاياه !

لم تعـــد الصهيونية ممثلة في امثال مائير كاهانا ، قانعة بمن يهاجر اليها ـ أى الى دولتها في فلسطين ـ من يهود العالم ، بمـا في ذلك يهود الفلاشا ، الذين تم تهجير بعضهم اليها لمزيد من تهويد الارض المحتلة ، ويجرى الآن اعادة تهويدهم على طريقة الاشكنـــاز البيض ـ من الخزر مؤسسي الحركة الصهيونية ؟ والعمـــل على جلب البقية منهم من الحبشة ، ولكنهم يطلبون أيضا ، أى هذا الجيــــل الجديد « الصاعد » من الصهاينة .. « هجرة » العرب المســـلمين ـ والمســـيحيين في فلســـطين الى « اليهودية » أو يخرجوا من تلك الارض ، الى هذه الحـــد وصلت وقاحة الصهيونية ؟

وفي مسلسل « الاستربتيز » أى خلع جميع اردية التظاهر التي تمارسها صهيونية كاهانا الذى يعتبر نفسه وحزبه مستقبل اسرائيل .. وعلى طريقة النازى في صعودهم الى السلطة في المانيـا ، لم يتردد هذا الحاخام الامريكي الاصـل ، في ان يواجه الصحافة الامريكيـة بالزراية على الديموقراطية الغربية تماما كما كان يفعل هتلر ، فيصرح لمجلة نيويورك الامريكيـة ـ على حد ما روى الاستاذ محمد سيد أحمد في أهرام ٣ ـ ٩ الماضي بأن « هناك فارقا بين اليهــــودية ـ والصــــهيونية من جانب ، وبين الديموقراطية والثقافة الغربيتين من الجانب الاخر » ، ويقول : « أعلم انني املس وترا حساسا عنـــدما اقرر أن القيم اليهـــودية والقيم الغربية تختلف كل الاختلاف » !

وبالطبع فهذا واضح كل الوضوح ـ لا يحتاج الى تصريح منه ـ في برنامج حزبه وفي ممارسات عصاباته الارهابية في الارض المحتلة ، انه لا يطيق أن يرى « اسرائيليا » ـ أى شخصا يحمل جنســـية الدولة الاسرائيليـــــة باعتبـــارها دولة « ديموقراطية » ، وفي الوقت ذاته يعتنق ديانة غير اليهودية ! يريد ازالة هذا التناقض الذى نشأ عن اقامة دولة تحمل اسم اسرائيل على أرض فلسطين ، وتسعى الى ضم كل هذه الارض اليها ، وتهـــدد الاردن بدعوى أن العمليات الفدائية تنطلق من أرضها ، ويصرح صهاينة آخرون من امثال آريل شارون بأن الاردن أرض اسرائيلية من حـق اليهود أن يستوطنوها هي الاخرى

كاهانا

وفي مواجهة القهر الديني الصريح .. الذي تمارسه الصهيونية حاليا على يد طلائعها الجدد من أمثال كاهانا ، نسمع كل يوم عن تصاعد أعمال العنف في الارض المحتلة ، عن حوادث قتل فيها « اسرائيلي » هنا أو هناك بسكين عربي ، في مقابل العشرات أو المئات من العرب يحصدون بالرصاص ، أو يطردون من الارض ، أو يسجنون ، ويتم نسف منازلهم أو الاستيلاء عليها ، حتى أصبحت العلاقة بين العرب واليهود في الضفة الغربية ، على حسب ما وصفها به الياس فريج عمدة بيت لحم ونقلت عنه الصحافة الامريكية ، مثل « قبيلتين متعاديتين .. فعندما يتم قتل فرد من احدى القبيلتين ، يقوم افراد قبيلته بالاخذ بالثأر من قاتليه ، ومع انتشار المستوطنات الاسرائيلية في الضفة الغربية يتراجع امل الشباب الفلسطيني في المستقبل » .

ومن الطبيعي أن لايكون للشباب الفلسطيني كبير أمل وهو لايملك الا السكاكين في مواجهة دولة تملك القنابل الذرية ، وتشترك في برنامج حرب الكواكب الامريكية ، وفي ظل تفكك « دول عربية شقيقة » تنظر عاجزة الى ما يدور على ارض فلسطين المحتلة ولا تطيق حراكا ازاءها .

لقد كانت الاندلس حينما سقطت على أطراف العالم العربي ، ولكن فلسطين في قلب هذا العالم والى الجوار من بقيته ، فهل استسلم العرب للمصير المحتوم تسقط فيه بلادهم قطعة بعد أخرى !

من مأثورات سقوط الاندلس أن أحد ملوك الطوائف بها رأته أمه وهو يبكي ملكه الذي ضاع فقالت له : « ابك كما تبكي النساء على ملك لم تصنه كما يفعل الرجال » فما أشبه الليلة بالبارحة ، بل أشد وأنكى .. !

كلمات مضيئة

- السهم الابي لايرضى ان يكون سوطا في يد طاغية مهما كانت المغريات ومهما عظمت المكافآت (تامر نصر)
- اتريد ان تنجو من نقد النقاد . إذن كن لنفسك ناقدا قاسيا فان الجاهل من يعجب دائما بعمله (بوالو)
- الاخلاق الحميدة صنعت من تضحيات زهيدة (إيمرسون)
- ان الامة المستعبدة بروحها وعقليتها لاتستطيع ان تكون حرة بملابسها وعاداتها (جبران)



شعر : محمد محمد السنباطى

سنة تنقضى واخرى تعود ... هكذا عمرنا : قديم جديد
كم سنين مضت وكم من سنين ... سوف تمضى كغيرها وتبيد
ويريد الانسان عمرا مديدا ... هل ينال الانسان ما قد يريد
ويود المفتون لو عاش قرنا ... فاذا عاش قرنه يستزيد
ويدر الطموح الباء العمرى ... تلك تحقيقها قريب بعيد
يا نشيد الحياة سمت تغنى ... طاب فيك الغناء والترديد
وسواء : غنتك ورقاء دوح ... ام بساح الوغى تدوى الحشود

انت انت المراد والامل العذب ... وانت النشيد والمنشود

لا تباع الحياة الا فداء ... لتراب سارت عليه الجدود
ثم اضحت من نسجه وهو منها ... لا يضلل عينيك ذاك الركود
ليس اغلى من الحمى ليس ابقى ... تتساوى سهوله والنجود
تتساوى خضراؤه والفيافى ... تتساوى سهولة والنجود
كل قلب بمهده مسترق ... وجناح الهوى جموح شريد
يا بلادا نقية وسهولا ... طاهرات يطيب فيها السجود
قد اتاك الزمان وهو صبى ... ليزور التاريخ وهو وليد
فرأى ما رأى فاقعى ذهولا ... اى طفل هذا القوى العتيد
هو فى المهد قوة واقتدار ... وغدا عزة وباس شديد



بقلم فتحى رضوان

حافظ محمود

● كانت صورة حافظ محمود القلمية من اول الصور بالتقديم ، لا لطول سعيه فى مجال الصحافة والخطابة والكتابة فى دروب السياسة والادب والاجتماع ، ولا لانه عاصر اكبر الاحداث وعاشر أكبر الشخصيات واقترب من القمة حتى كاد يعلوها ، ويستقر عليها وقد خرج من كل هذا سليما معافى ، لم يمس احد شرفه بكلمة ، ولم يجرح خصم مهما اشتدت ضراوته ، وحميت عداوته ، وبقى هادىء النفس ، خافت الصوت ، حسن العلاقة بالجميع ، لغير اضطرار الى المنافقة او المصانعة .

تعارفنا ونحن اشبه الناس بصبيين صغيرين ، ولست ادرى كيف تم هذا التعارف ، ولا مناسبته ، ولا ماذا تبادلنا من حديث ، ونحن نبدأ علاقتنا الاولى . ولكن الذى اذكره ان صلتنا لم تنقطع منذ نشأت ، وقد طوحت بنا المقادير ، كل فى اتجاه ، كأنما نحن النقيضان ، ولكن فقد كان دائما قريب من الحكومة او بعض سادتها دون ان يكون حكوميا ، ودون ان يجنى من هذا القرب جنيها ولا قرشا ، فقد بقى عليها خجولا متأبيا لكل مواقف الوشايا والصغائر ، وكنت بعيداً عن السلطة ، لا اعرف احدا من ذويها ، ولا اعرف كيف الحدث اليهم ، وكنا اذا اجتمعنا ، لم يدر حديثنا حول موقف كل منا من الحكام ، فقد كان هذا شأنا قليل القيمة والقدر عندنا ، وكان لدينا موضوعات للحديث تخضنا، تمتعنا وتطلق ضحكاتنا على ما يجرى حتى الثمالة ، فاذا همنا بالانصراف ، لم نتلق على موعد ، لان كلا منا كان يعتقد باطمئنان لاشوبطاق باننا سنجتمع حتما . سنستانف ضحكنا وسخريتنا مما يجرى ، وان هذا الاجتماع سيعقد بلا موعد ولا تحضير . وربما ونحن سائران فى الطريق ، كل يمضى الى غايته ، وهو لايدرى انه ملتق بعد خطوات بصديق العمر وانا سنبدأ فى التو ، كأننا كنا معا فى الامس القريب او كأننا نتم حديثا بدأناه ولم نفرغ منه . ثم جاءت ايام كان تلاقينا يتم بعد ما يشبه قطيعة الشهور اوالسنوات ولكن دون ان يحس احدنا انه فقد صاحبه او انقطعت صلته به ، او انه اذا رآه ، تعثر بحثا عن بداية للحديث او موضوع للكلام .

كان بيتانا فى شارع واحد ، هو شارع السيدة زينب المتفرع من الميدان العتيق الذى يقع على ضلعه الجنوبى

مسجد حليدة الرسول ، زينب بنت الامام على ، ام هاشم التى يأتنس الشعب المصرى كله لا شعب الحى وحده ولا شعب القاهرة ، بجوارها له ، واشرافها عليه ، وقل ان يوجد مصرى مثقف او امى ، لم يقل يوما فى ضائقة « شيئا لله يا ام هاشم » او «شيئا لله يا ست » « او شيئا لله ياام العواجز » وان لم يقلها بلسانه مسموعة ، فانه قائلها بقلبه ، ولا يسمعها الا هو .

كنت انا وحافظ فى جوار ام هاشم وعلى القرب تطل علينا مأذنة مسجدها العظيم، وتوحى الينا، كما توحى الى مئات الالوف من اهل الحى ، بخـــــواطر واحساسات وافكار ، وتصورات واحلام»



أول مقالات حافظ محمود.. أيام قضية الاغتيالات الكبرى، حول نفسية المتهم والقاضى..



كان بعضها ينغمس فى شعورنا الخفى ، وبعضها نعلنه ونحدث به الناس وانفسنا . وكان بيته بعد بيتى على يمين القادم من الميدان ، ويجاوره مباشرة مسجد ، كنت احسبه جامعا فقيرا متواضعا الا اننى قرأت فى كتاب يتحدث عن مساجد القاهرة يقف امامه ، ويصف عمارته ، ويروى شيئا من تاريخه ، ونحن لا ندرى ان جامعنا القريب ، الذى كنا ندخل اليه بعض ايام الجمعة لتصلى فرض الجماعة ونسمع خطبة مطبوعة فى كتاب يتلوها امام المسجد العجوز الذى يصعد درجات المنبر فى اناة ورفق ، فنحس لصعوده بما وصفه محمود سامى البارودى بانه يشبه دبيب الاماني فى النفس ، ذلك لان امام المسجد ، والخفير ، والمسجد نفسه ، والاذان واقامة الصلاة قد اصبحت كلها اجزاء حية من حياتنا ودنيانا ، لا يمكن ان نعيش بغيرها ، وكانت تحرك الراكد فى نفوسنا ، والخفى فى قلوبنا ، والعجيب اننى لم ار حافظ محمود ، وهو يدلف الى المسجد يوم جمعة ، وان كنت اذكر جيدا والده ، بلحيته البيضاء الجميلة الوقورة ، يخطو الى المسجد ، مشغولا به من الدنيا كلها ، الا اننى كم صليت بعد ذلك مع حافظ فى زنزانة واحدة ومعنا اخونا الحبيب احمد حسين ، بعد ان نتناقش ونختلف ونتقاطع ونتحدث ، ثم نصطلح بعضنا مع بعض ، ونسمع حافظ محمود يتلو بصوته الجميل الرخيم ، من المصحف او من محفوظه ايات ، تنسينا اننا فى قبضة الحاكم ، واننا لا ندرى متى سنترك السجن ونستانف الحياة ، وتنسينا قبل ذلك اننا صبية صغار ، فقراء ، ولا حول لنا ولا قوة واننا نتحدى السلطة ، ونحسب اننا اقوى منها ، وان القدر يكتب لنا ، مهما صالت وجالت ، واستاسدت وتعالت .

كان بيت حافظ محمود فى شارع السيدة زينب بيتا عجيبا جديرا بان يحفظ ولا يهدم الا اذا كانت يد الهدم قد ازالته بقصد توسيع الشارع وتجميل الميدان ، ذلك لان بيت حافظ محمود ، كان مقرا لنشاط ادبى خالص ، فى وقت كان فيه علم الناس بالندوات الادبية ، علما ضعيفا ، وكانت الندوات التى جاءت بعد ذلك ، اجتماعات للوجاهة فيها ، وازجاء الفراغ ، والعلم الاهتمام بمشكلات البلاط ، اكثر مما فيهما من صدق وجد واخلاص .

كان اطفال وشباب الحى كلهم ، يلعبون فى الشارع ، او فى حوش درب الشمس القريب منا ، او حوش ايوب البعيد عنا ، او حى بركة الفيل الذى ضم انذاك احمد رامى الشاعر ، وعبد الحليم حافظ المطرب ، وضم فى وقت بعيد نوعا ، دار اكبر مطربى وممثلى مصر الحديثة الشيخ سلامة حجازى ، ولم يخرج على هذه القاعدة الا فتى واحد ، هو حافظ محمود لم اره قط قذف بقدميه كرة ولا حصاة ، بل لم اره قط فى جلباب فقط ، او فى جلباب فوقه «جاكتة» كما كان حالنا جميعا ، وفينا من وصل الى اكبر المناصب العلمية . رئيس جامعة فى الاسكندرية او فى الخرطوم او فى القاهرة ، اذكر منهم الدكتور حسين فهمى الداغستانى عميد كلية حقوق الاسكندرية ، ونائب جامعتها ومدير جامعة الخرطوم وشقيقه محمود الداغستانى وزير المواصلات وآخرين كثيرين . غير ان حافظ محمود كان لا يسير



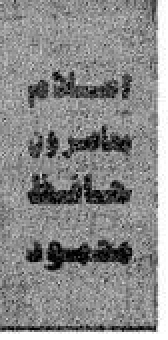
حافظ محمود يراس اجتماع قديم لنقابة الصحفيين يحضره الدكتور رفعت المحجوب . ويظهر في الصورة حامد دنيا



في الشوارع الا ببدلة كاملة وربطة عنق من طراز البابيون غالبا ، وهو يسير في جميع الاحوال ، بسرعة خاطفة كان وراءه موعد ، ومطرقا كأنه يخجل ان ينظر الى وجوه الناس او يترفع عن ان يكون فضوله معلنا بلا حياء . ولم نلبث ان دخلنا الى بيت حافظ ، وقبلنا ان ننضم الى النادى المفتوح الابواب في مكتبه والذى كان يقف فيه احيانا صاحب الدار ، ليسمعنا خطبا يرتجلها ، فلا ندرى ما اذا كانت خطبا او الحانا جميلة .

ثم دعانا حافظ لان نكون اعضاء في جمعية القلم ، فلبينا الدعوة دون ان يسكرنا هذا الاسم الجميل الرائع : « جمعية القلم » وكلنا فرحنا بالانضمام ونحن اقرب ما نكون من الطفولة العزيزة ان نتصرف تصرف الرجال وان نكون اعضاء في جماعة تفكر ويخطب رئيسها ويحدثنا من خطباء مصر ، سعد وحافظ رمضان ، ومن ، ومن اساتذة مصر امثال منصور فهمى ، ومن شباب الادباء المتطلعين الى الصدارة امثال الدكتور زكي مبارك والشيخ الصاوى شعلان .

لم ندر انذاك اننا نخطو الخطوة الاولى نحو هذه الحياة . الهائجة المائجة ، التى ولدت ثورات ، وجمعيات وافكارا جديدة وخطيرة ، وشبانا سيحملون تاريخ مصر الحديث على اكتافهم ، وسيواجهون السجن ويقتربون من اعواد المشنقة ، وتطاردهم السلطات الاصلية والدخيلة ، كما ستلد مجلات



وصحفا ، وكتبا ، وكان حافظ محمود بغير جدال ، هو اسبقنا الى الصدارة، فى الوقت الذى كنا نمسك فيه الاقلام ولا ندرى كيف نقبض عليها جيدا ، فاجانا حافظ بسلسلة من المقالات غير مسبوقة تدور كلها حول نفسيات ، وكانت كلمة « نفسية » كلمة مستحدثة ، طارئة لم يستعملها من قبلنا آباؤنا واجدادنا . وقد اختار حافظ لمقالاته التفكير بحديثه لنفسية القاضى ونفسية المتهم ونفسية الشاهد ، وكان فى هذا الاختيار ملهما فقد كان القسم الثانى من قضية الاغتيالات السياسية قد بدأ عرضه على محكمة الجنايات برياسة قاض بريطانى استعمارى فلم هو المستر

كرشو ، وكان المتهمان الرئيسيان فى هذه القضية اثنين من ابناء البيوتات اولهما الدكتور احمد ماهر الذى عاد من اوربا بعد ان حصل على اجازة الدكتوراه ثم أختير وزيرا للمعارف (التربية والتعليم) وجلس الى جانبه زميله ورفيق كفاحه محمود فهمى النقراشى الذى اختير وكيلا لوزارة الداخلية . وكانت خواطر المصريين كلهم مشغولة بهذين البطلين وبزملائهم فى تلك القضية الخطيرة ، ولذلك كان الحديث عن نفسية المتهم ونفسية القاضى ونفسية الشاهد، حديثا فى موعده ، واتسع نطاق نشاط حافظ محمود ، فاقام فى حوش منزله مهرجانات الخطابة ، سمعناه فيها ، وتعلمنا منه كيف تكون الخطابة التى تعلو فيها نبرات الخطيب ، وتتناغم فيها الالفاظ ، حتى تصبح لونا من الطرب ثم ذهب حافظ الى قاعة سينما فى

لقاء الاصدقاء القدامى بين مكرم عبيد وفكرى اباظة ومصطفى النحاس وحافظ محمود



شارع طلعت حرب « الشيخ السباع » سابقا ، وكان كل هذا شيئا جديدا غاية في الجدة ، فشبان تلك الايام تشغلهم الرياضة ولا سيما كرة القدم ، او الجمعيات التمثيلية كجمعية انصار التمثيل التي ضمت محمد تيمور ومحمد صلاح الدين « الوزير » وزكي طليمات وسليمان نجيب .. ذهبت انا الى الريف وبقى حافظ واحمد في القاهرة، لتتسع شهرتهما ويتراس نطاق نشاطهما ، فقد اصبح احمد حسين نجم التمثيل المدرسي يناظر يوسف وهبي في المسارح الكبرى، ويشبهه صوتا وموهبة حضور ، اما حافظ فقد اخذ يكتب الفصول المتابعة ويلفت نظر قرائه ، شيئا فشيئا ، حتى اجتمع شملنا في بداية مرحلة التعليم الجامعي ، فقد انضم الينا كمال الدين صلاح الذي راس جمعية التمثيل في مدينة المنصورة ، وكان من معاونيه الشاعر صالح جودت ، واتصل بشعراء المنصورة على استحياء علي محمود طه ، والدكتور ابراهيم ناجي وربما الشرى ايضا .

وفي اوائل سني الدراسة الجامعية، توثقت علاقتنا بالاستاذ امين الخولي ، وباساتذة الجامعة وفي مقدمتهم المرحوم محمد حلمي بهجت بدوي « الوزير فيما بعد » والدكتور مصطفى القللي «رئيس جامعة القاهرة » والدكتور علي مصطفى مشرفه العالم المصري العالمي .. واحد رواد الموسيقى الكلاسيكية في مصر بالتعاون مع محمد زكي علي باشا «الوزير وعضو مجلس الاذاعة » وكان كلاهما يتقن الفنان الاوبرالي - والنساس لا تعرف ..

واخرجت جماعتنا جريدة الصرخة بعد ان حصل على رخصتها زميل لنا هو الاستاذ عبد الرحمن العيسوي « رحمه الله » وفي هذه الفترة خرج احمد حسين بمشروع «مرتين» اكثر مشروعات الشباب نجاحا ، وانسمها شهرة ، ثم مشروع الطلبة الشرقيين الذي سافرنا من اجله في البلاد العربية وتركيا ، واذابه السلطة في عهد عبد الفتاح يحيى باشا

ثم اسس احمد حسين جمعية مصر الفتاة . واخرجنا لها جريدة الصرخة لتكون لسانا لحالها . وراس حافظ محمود تحريرها ، وراح يكتب المقال الرئيسي فيها . وزجت بنا السلطة الى سجن الاستئناف . وكان لاعتقالنا صدى بعيد ، فقد نشرت الصحف صور ثلاثة شبان ، لا يؤيدهم حزب كبير ولا يسندهم زعيم خطير ، ولا تحمي ظهورهم سلطة ، ولا يملأ جيوبهم مال ، ولذلك كان هذا الاعتقال حدثا ، وكان في الوقت نفسه بداية عهد جديد يتوالى فيه نشاط الشبان يوجهون السياسة ويتزعمون الحياة العامة فكانت جمعية مصر الفتاة . يراسها احمد حسين .وجمعية الهدى المصري يراسها سلامة موسى . ويقوم بامانتها حافظ محمود . وجمعية الاخوان المسلمين يراسها حسن البنا وابتدات الحياة في مصر تاخذ صورة جديدة وتشق لنفسها نهجا جديدا .

وكان من اعلام هذه الحياة الجديدة حافظ محمود واحمد حسين بلا جدال، ولبثت مكانة حافظ محمود كصحفي حتى اختير امينا عاما لاول نقابة للصحفيين. واصبح حافظ محمود الخطيب . عنصرا ثابتا في كل اجتماع كبير ، والمتكلم الاول في كل ندوة واصبح اسلوبه في الكتابة .وموضوعاته التي يطرقها .ضربا جديدا من ضروب الكتابة - الادبية والصحفية



هل تعلمت المرأة في الأزهر القديم؟

بقلم : الدكتور محمد رجب البيومى

قال الأديب الكبير الأستاذ عبدالعزيز البشرى فى مقدمة مقال له عن النقد الأدبى :

« لا أزعم أنى استويت اليوم إلى مكتبى ، وهذا الموضوع الذى أتقدم للحديث فيه واضح المعالم فى رأسى ، مجتمع الأقطار والحدود ، وإنما هى خواطر تتطاير من هنا وهناك فى هذا الباب ، وسأحاول بجهدى نظمها ، فإذا اتسق منها موضوع واضح الشخص ، مستوى المعارف ، وإلا فليأخذها القارىء على أنها خواطر نثار »

هذا ما قاله الأستاذ البشرى قديما ، وأذكر أنى قلت فى نفسى حين قرأته لأول مرة ، ما بال الكاتب يقدم على موضوع يصرح بأنه ليس واضح المعالم فى رأسه ، وإنما هو خواطر تتطاير من هنا وهناك ! أما كان الأولى أن يتريث فى الكتابة حتى يتضح الموضوع بعناصره وأدلته كل الوضوح ؟ قلت ذلك فى نفسى قديما أنتقد الرجل ، ثم بدا لى من بعد أنه على حق أكيد ، فقد تكون لدى الكاتب بعض أفكار لم تجد ترابطها الدقيق وإنما هى أفكار « نثار " ، ومن الخير أن يقدمها للباحثين فقد تجد من يضيف إليها الجديد فيستقيم البحث على سننه الصحيح ، وتُملأ الفجوات على يد كاتب آخر ، أما إذا أهملت دون قيد فستضيع مع الأيام ويضيع معها حق أكيد .

وموضوع تعليم المرأة فى الأزهر القديم يجد لدىّ بعض الحقائق الواضحة وقد انتظرت من يخصه بالحديث أمدا طويلا فلم أجد من قائل ، لاسيما حين أقيم الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر ، وكثرت البحوث عن تاريخه ، واستفاضت المجلات والكتب الخاصة فى نشر ما يقال بهذه المناسبة ، وقد بحثت عن نصيب المرأة الأزهرية فيما كتب ، فلم أجد إلا إشارات إلى ما افتتح من المعاهد والكليات بعدما يعرف بقانون التطوير ، إذ أنشئت فى ظله معاهد الفتيات وكليات الدراسة الخاصة بالبنات ، أما تعليم المرأة فى الأزهر القديم فلم يقل عنه سطر واحد ، فليت شعرى لماذا سكت الدارسون عنه ؟ أيكون مالدىّ من الحقائق الثابتة غير مشتهر معلوم ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، فمن واجبى أن أذيع .

● الخيط الأول ●

إن مالدى من الحقائق بهذا الصدد قد توالى على أبعاد مترامية ، ومن هذه الحقائق ما جاء عن طريق الاستنتاج العقلى ، وما جاء عن طريق النص الصريح ، وسأبدأ بتصوير ما توارد على



ذهنى من الخواطر العلمية منذ بدات هذه الخواطر تجد تيارها فى نفسى ، إذ كان المبدأ الأول لهذه الخواطر أنى كنت أقرأ ما كتبه جلال الدين السيوطى عن تاريخه العلمى فى خاتمة كتابه (بغية الوعاة) فوجدته ينص على أنه قرأ على سيدات من العالمات المتخصصات فى الدراسة الدينية ، منهن السيدة الأصيلة الثقة الخيرة الكاتبة ـ كما قال المؤلف ـ أم هانىء بنت الحسن الهورينى ، ومنهن السيدات الفضليات هاجر بنت محمد وأم الفضل المقدسية ، ونشوان بنت عبد الله ، وكمالية بنت أبى بكر ، وأمة الخالق بنت العقبى وفاطمة بنت على القسطلانية ، وأمة العزيز بنت محمد ، وخديجة بنت الحسن بن الملقن وغيرهن وغيرهن من الفضليات . فإذا كان السيوطى العالم الأزهرى قد وجد من أساتذته أكثر من عشر سيدات عالمات ! وإذا كان الأزهر منار الحركة العلمية فى آخر عصر المماليك الذى ائتلق فيه كوكب السيوطى ، فأين تعلم هؤلاء الفضليات ممن قرأ عليهن عالم كبير كان صدر العلماء فى زمانه ؟ ان المدارس العلمية كانت تجاور الأزهر إذ ذاك ولكن أساتذة هذه المدارس هم الأزهريون ، وطريقتهم طريقة المعهد التليد ! فإذا فرض أن بعض هؤلاء قد تعلمن فى هذه المدارس فهن من طالبات الأزهر عن يقين ، وقد كان الطلاب على عهد الأستاذ الامام محمد عبده يتركون الأزهر إلى حلقات تقام فى مسجد أبى الذهب ومسجد الملك المؤيد ، وساحة القبة الغورية ، لضيق المسجد الجامع حينئذ ، والقائمون بالدراسة أزهريون ، والمتعلمون أزهريون على افتراض أن مدرسات الجلال السيوطى لم يتعلمن كلهن فى الأزهر فاليقين كل اليقين أنهن تعلمن فى المدارس التابعة له ! أو المتشبهة به وعلى أيدى علماء من الأزهريين !

فإذا تركنا السيوطى إلى معاصره الكبير « السخاوى » فإننا نجده يخص السيدات العالمات فى زمانه بجزء أخير من كتابه (الضوء اللامع) وتخصيص جزء من الضوء للسيدات يدل على أن أكثرهن قد برزن فى الميدان العلمى ؟ فأين تعلم هؤلاء ، ومن أساتذتهن ؟ وإذا كانت الدراسة الدينية وحدها هى العامة فى عصر السيوطى والسخاوى فأساتذة هذه الدراسة هم الأزهريون !

● الخيط الثانى ●

ظللت أفكر فيما كتبه العالمان الكبيران ردحا من الدهر ، وأنا أعرف أنى أستنتج أستنتاجا له شواهده الدالة ، وإماراته الصريحة ، وليس له نصه الجازم الحاسم ، حتى وقع فى يدى العدد (٣٩٥) من مجلة الرسالة الصادرة بتاريخ ١٩٤١/١/٢٧) وفيه نبذة تحت عنوان (فتيات فى الأزهر) يقول كاتبها الفاضل مانصه :

« ذكر المستشرق الانجليزى (مستر دون) فى كتابه (الحياة الفكرية

والتعليمية فى مصر ، فى القرن التاسع عشر) ما خلاصته : أن الحملة الفرنسية اثناء قدومها إلى مصر ، وجدت فى صحن الأزهر بضع نساء يتعلمن إلى جانب الشبان ويتفقهن فى الدين ، وكانت هناك عالمة ضريرة يلتف الشبان حولها ، ويتلقون الدروس عنها ، كما انه كان فى معهد طنطا الدينى جماعة من الفتيات يحضرن الدروس الدينية ويستمعن إلى التفسير والحديث »

فماذا يرى الدارس فى هذا النص ؟

إنه اعتراف صريح بتعليم الفتيات بالأزهر على عهد الحملة الفرنسية يؤيده ماذكره الأستاذ محمود ابو العيون فى مقال له بمجلة الهلال (سنعرض له فيما بعد) حيث قال رحمه الله (الهلال نوفمبر ١٩٣٤ ص ٩٧) ان النساء كن يتلقين العلم بالأزهر الى عهد غير بعيد ، وكان من شيوخهن الأساتذة القويسنى والسقا والصعيدى العدوى والخضرى ، وهؤلاء جميعا من مشهورى العلماء الكبار ومنهم من شهد خاتمة العهد العثمانى ومن أدرك الحملة الفرنسية ، كما ذكر أبو العيون أن الشاعرة الشهيرة عائشة التيمورية كانت تحضر العلوم اللغوية والشرعية على أيدى عالمات حضرن فى الأزهر منهن السيدة فاطمة الأزهرية والسيدة ستيته الطبلاوية وقد درست عليهما جانبا من النحو والعروض .

مرة ثانية أقول ماذا يرى الدارس فى هذا النص ؟ أليس فيه ذكر لأسماء الأئمة الأعلام ممن درسوا للسيدات ، ومنهم من عاصر الحملة الفرنسية التى ذكر عن أيامها المستشرق الانجليزى مايفيد تعليم الفتيات بالأزهر فجاء قول أبى العيون تأكيدا له ! ثم من هذه التى كانت أستاذة



الشيخ عبد العزيز البشرى



عائشة التيمورية فى النحو والعروض إن لم تكن أزهرية تعلمت من أزهريين !

● الخيط الثالث ●

أما الخيط الثالث فهو أقوى الخيوط ، وأثبتها دلالة وأرسخها برهانا ، إذ اثبت بالوقائع الملموسة أن المرأة تقدمت لامتحان العالمية بالأزهر ! وهى أرقى شهادات الأزهر العلمية ، فى زمن كان لهذا الامتحان روعته المخيفة لدى الرجال ! وفيهم من يقضى عشرين عاما دون أن يجرؤ على التقدم إليه ، إذ كان الممتحنون من كبار العلماء ، ولهم فى الأسئلة الدقيقة مغاص عميق ، حيث لايقفون عند دائرة خاصة بل يكون السؤال الواحد مزيجا من علوم شتى فهو يتضمن



الفقه والأصول واللغة والنحو والبلاغة فى وقت واحد ، يقول الأستاذ محمود أبو العيون بمجلة الهلال الصادرة فى نوفمبر سنة ١٩٣٤ من مقال مستفيض :

« كانت لجنة امتحان العالمية تطوف على المعاهد الملحقة بالأزهر لامتحان طلبة الشهادة فيها ، فسافرت اللجنة من علماء الأزهر إلى معهد طنطا سنة ١٩١١ لامتحان طلبته ، وتقدمت الشيخة فاطمة العوضية للامتحان ، وكان موضوع درسها فى علم الأصول (لا تكليف الا بفعل) من كتاب (جمع الجوامع) وهو باب عويص ثقيل وفيه إشكالات وتعاقيد ، وقليل من النابهين من يحذقه أو يجوزه بسلام

وما إن أخذت الشيخة فاطمة العوضية مقعدها من اللجنة حتى أمطرها أعضاؤها وابلا من الأسئلة المعقدة فى الباب المعين لها ، وناهيك بامتحان الأزهر فى القديم ، فقد كان مزهقا حقا ، وكان السبيل فى نجاح الطالب أن يكون ملما بما كتب فى الحواشى والتقارير ، وأن يكون قادرا على الجمع بين الآراء والخلافات وتصحيح المسائل المختلفة بلباقة وحصافة ، وأن يؤيد المذاهب المختلفة بالأدلة والبراهين الواردة عن العلماء المعروفين ، والعبرة فى ذلك كله بعمق الفهم ، والقدرة على الترجيح ، لا بكثرة الحفظ ، ونقل الأقوال والمسائل ..

جعلت الشيخة فاطمة العوضية ، تجيب عن أسئلة اللجنة ، واللجنة تهاجمها بمعضلات المسائل ، ولقد سألها فضيلة الأستاذ الشيخ دسوقى العربى – أطال الله عمره – مغالطا : هل الاسم والحرف يكلف بهما كالفعل فأجابت : داشىء وداشىء ! أى أن الفعل هنا فعل المكلف المخاطب بالأحكام ، وهو غير الفعل قسيم الحرف والاسم ، فاعجب أعضاء اللجنة بهذا الجواب الظريف » .

مرة ثالثة أقول ماذا يرى الدارس فى هذا النص ، إن الطالبة فاطمة العوضية تقدمت لامتحان الشهادة العالمية سنة ١٩١١ م وقانون العالمية حينئذ لايجيز الامتحان إلا لمن قضى اثنتى عشرة سنة فأكثر بالأزهر ! اى أن الطالبة حضرت اثنى عشر عاما على الأقل ، ودون ذلك فى أوراق رسمية أجازت لها أن تلحق بالامتحان عن يقين ، كما أن العلوم التى كانت موضع الامتحان بنص قانون سنة (١٣١٤هـ المعمول به حينئذ) هى علوم التوحيد والأخلاق والفقه والأصول والتفسير والحديث والبلاغة والمنطق ومصطلح الحديث والحساب والجبر والعروض والقافية ! وتحصيل هذه العلوم يتطلب المواظبة على الحضور والنقاش ، وقد ذكر أبو العيون أن الشيخ دسوقى العربى كان رأس الممتحنين ، وله شهرة مدوية فى هذا المضمار ، جعلت اسمه مصدر رعب لدى من يتخلفون عن الامتحان عامدين ! وقد كان الشيخ حيا عند كتابة هذا المقال سنة ١٩٣٤ ، كما كان عضوا فى هيئة كبار العلماء

والاستشهاد به ليس موضع شك إذ لو توهم واهم أن الامتحان غير جدى ! ماسكت الشيخ عن إيضاح ذلك وقد استشهد به . وذكر أبو العيون بعض أسئلته التى وجهها على سبيل المغالطة فالأمر من الوضوح بحيث يغنى عن التعقيب . والذى تدل عليه الشواهد أن الطالبة فاطمة العوضية ليست دون زميلات فى مجال الطلب بالمعهد الأحمدى ، إذ لا يعقل أن تستمر اكثر من اثنتى عشرة سنة دون من يزاملنها فى تلقى العلم ، والا كانت نشازا بين الأزهريين فتصبح موضع الاعتراض فى زمن يلتزم الدقة والتشديد

● الخيط الرابع ●

كنت طالبا بمعهد التربية العالى بالاسكندرية سنة ١٩٤٩ ، وقد سكنت فى منزل بحى باكوس مع بعض الطلاب ، وكانت صاحبة المنزل ذات دراية بالمسائل العلمية المتواضعة إذ جعلت تتباهى ببعض محفوظاتها من متون الألفية والرحبية وتحفة الأطفال ، وهى متون أزهرية كانت ولا زالت موضع الشرح والدراسة فى حجرات الأزهر ، وقد سألتها عن اتجاهها العلمى فذكرت أن والدتها عالمة أزهرية ، كانت تتلقى العلم بمسجد (الشيخ) بالاسكندرية ! مع زميلات اسكندريات ! فأخذت أسأل عن هذا المسجد ، فعلمت انه النواة الأولى للمعهد الدينى بالاسكندرية ، وقد كان فى أخريات القرن الماضى (التاسع عشر) وأوائل هذا القرن حافلا بالعلم والعلماء ومن طلابه حينئذ الأساتذة أحمد الاسكندرى وأحمد العوامرى وعبدالفتاح شريف وحسن منصور وعبدالله النديم وغيرهم من رءوس العلم فى مصر ! كما كان من بين طلابه النابهين حمزة . فتح الله وعبدالعزيز جاويش وسلامة حجازى ، وكان حديث السيدة عن والدتها العالمة موضع شك لدى ، ولكنى بعد قراءة مقال أبى العيون بالهلال اطمأننت إلى أن فروع الأزهر بالأقاليم كانت تضم السيدات ، بل حفلت بمن يتقدمن إلى نيل أرقى شهادات الأزهر دون اعتراض .

(تعليم المرأة)

وقبل إنشاء الأزهر كانت المرأة المسلمة ذات نصيب من الثقافة المتشعبة ، ففى مصر كانت السيدة نفيسة رضى الله عنها ذات حلقة علمية يحضرها علماء العصر وفقهاؤه ، وقد سعد بلقائها الامام الشافعى بمصر ، وسمع عنها الحديث ، وفى غير مصر كانت شهدة الكاتبة راوية عالمة تتلمذ عليها أبو الفرج ابن الجوزى وروى عنها كثيرا من الآثار ، والمحدثات من راويات السنة النبوية كثيرات كتب تاريخهن ابن حجر فى الاصابة وابن سعد فى الطبقات ، كما ذكر الامام مسلم انه روى الحديث عن سبعين سيدة فى عصره ، أما علاء الدين السمرقندى أشهر علماء سمرقند فقد كانت فتواه الدينية تصدر عنه إلى الأمصار النائية ، ومعها توقيعه وتوقيع ابنته العالمة الشهيرة فاطمة العلائية ، فلا يستغرب إذن أن يكون الأزهر حافلا بالعالمات الفاضلات ، إنما المستغرب أن يسكت مؤرخوه عن أبناء السيدات من تلميذاته ، ولى أمل أن يقوم بعض أساتذة التاريخ الاسلامى بالأزهر بدراسة مستأنية فى هذا المجال ، وأن يهتم بذلك صديقاى الباحثان الفاضلان الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر والدكتور عبداللطيف خليف نائب رئيس الجامعة ، ليكمل تاريخ هذا المعهد الجليل على وجهه الصحيح



مصادر الإبداع الأدبى

بقلم الدكتورة نوال السعداوى



تتناول الدكتورة نوال السعداوى قضية هامة عندما تكشف كيف اختفى التسلط الاجتماعي خلف رداء العلم، وأصبح الرجل الاسود أدنى من الرجل الابيض، والمرأة أدنى من الرجل لأسباب علمية وبيولوجية وتمزق الأقنعة، وحتى يسود من جديد صوت العقل ..

• عقل المرأة العملاق حبيس قيود ثلاثة آلاف سنة ..!•

أهم صفة للانسان المبدع انه قادر على تجاوز القيود الاجتماعية المفروضة على العقل . وقد فرضت القيود على العقل منذ نشوء الرق حتى لا يدرك العبيد أسباب الظلم الواقع عليهم .

وقد تتنوع القيود المفروضة على العقل وترتدى اثوابا جميلة . وفي التاريخ جاءت ابشع انواع القيود تحت اجمل ما يحب الناس مثل العلم والادب والفلسفة والاخلاق .

وكانت اول القيود الاجتماعية على العقل هي فصله عن الجسم وبالتالي فصله عن الحقيقة سواء كانت جسم المجتمع كحياة سياسية او جسم الانسان كفرد .

وقد بدات الفلسفة كرياضة ذهنية كلامية داخل دروس الفلاسفة ولا علاقة لها بما يحدث في المجتمع . ومن حكاية عن « ارسطو » ان لجأ اليه احد المظلومين بعد ان استولى على قطعة ارضه احد السادة الكبار في اثينا لكن ارسطو لم ينشغل بهذه القطعة الصغيرة من الارض لانه كان يفكر في الكرة الارضية كلها .

ولهذا السبب لم يدرك ارسطو الظلم الاجتماعي على العبيد والنساء في اليونان القديم ، بل تصور ان العبودية امر عادل تفرضه الطبيعة .

وكان ارسطو من اشهر الفلاسفة استنادا الى العقل لكن عقله كان منفصلا عن الحياة الاجتماعية والسياسية وهكذا بدا التناقض بين قانون العقل وبين النظام الاجتماعي . وفي العصور الوسطى اصبح النظام الاجتماعي قانونا مقدسا تفرضه الكنيسة . وفي القرن التاسع عشر ارتدى النظام الاجتماعي ثوب العلم او القانون البيولوجي . واصبح الرجل الاسود ادنى من الرجل الابيض لاختلاف بيولوجي في لون البشرة . والمرأة ادنى من الرجل لفروق بيولوجية .

لكن الفن او الابداع كان دائما اكثر صدقا من الفلسفة والعلم . وادرك الفنان الخلاق منذ نشوء الرق ذلك التناقض المفروض بين العقل والحقيقة حقيقة الانسان كفرد في مجتمع متصارع سياسيا واقتصاديا . وحقيقة الانسان كوحدة لا تنفصل جسما وعقلا .

• جنون الفنان •

وحين اعلن ارسطو ان العبودية قانون طبيعي وقف الفنان على المسرح واعلن العكس تماما . العبودية ضد الطبيعة، هكذا صرخ يوربيدس وحكم عليه حكام اثينا بالجنون .

وعاش انسان العصر الحديث التناقض الموروث بين عقله وجسمه من ناحية ، وبينه وبين المجتمع من ناحية اخرى .

وقد استفاد بعض العلماء من كتابات الادباء ورسوم الفنانين في تطوير نظرياتهم العلمية . ومن رسومات ليوناردو دافنشي مثلا استطاع « سيجموند فرويد » ان يتجاوز بعض الحواجز بين العقل والجسد او التفكير والشعور ، او بين ما اطلق عليه العقل الواعي والعقل غير الواعي .

ولم يدرك « فرويد » ان جنون « يوربيدس » كان قمة العقل الواعي، وان الفن الخلاق مصدره « الوعي »

مصادر الابداع الادبي

وليس « اللاوعي »

لكن الوعي الاجتماعي عند « فرويد » كان لا يزال قاصرا ولم يكن قد تجاوز بعد الحواجز بينه وبين المجتمع والسياسة *

التنافس بين العقل والوجدان

وانحصرت مساهمات « فرويد » في البناء بعض الفروق الموروثة بين العقل والجسم . واتضح له حسب علم البيولوجي أن الانسان مزدوج الجنس، وداخل كل انسان أعضاء ضامرة من الجنس الاخر ؛ وفي دماء كل انسان تجري هرمونات مذكرة ومؤنثة .

لكنه فصل بين علم الجسم « البيولوجي » وبين علم النفس « السيكولوجي » . لكن تلميذته « كارين هورني » تجاوزت هذا الفاصل بين الجسم والنفس ، وادركت ان داخل الانسان الواحد قلب الام وعقل الاب ، وان الحنان يصدر من العقل بمثل ما يصدر التفكير من القلب ولا فاصل بين العقل والقلب ، او التفكير والوجدان

واصبح الفنان هو الوجدان العام للشعب وظلت الفلسفة تفصل بين العقل والوجدان ولهذا صاح في امريكا اللاتينية ارنستو ساباتو الروائي الارجنتيني قائلا : « ماهي السياسة ؟ الروائي رجل سياسة لهو يعكس الوجدان العام وهذه هي السياسة ! وهل يمكن ان يعيش الفنان بعيدا عن السياسة اذا كان حبل المشنقة على بعد سنتيمترات قليلة من عنقه ؟ اذا وضعت الكلمات على مناقير الطيور ؟ واذا منعوا الاشجار من التعامل اللا مشروط مع الريح ؟ واذا منعوا الارض من البكاء على موتاها ؟ فهل ينفصل الادب عن السياسة ؟



ارسطو

● احبك لانك لا تبكين ●

منذ ان اكتشف علم النفس اخيرا نظرية الانسان المتكامل الذي يحمل الامومة والابوة او الرجولة والانوثة معا . ومنذ ادرك العلم ان داخل الرجل حنان وبكاء هائل مكبوت منذ نشوء الرق ، وان داخل المرأة عقل عملاق تحت سلاسل وقيود منذ ثلاثة الاف عام . منذ ذلك الحين زال الحرج من الرجال فاذا بهم يبكون ويطلقون العنان لعواطفهم ، وزال الحرج من النساء اذا بهن يفكرن ويستخدمن عقولهن *

واصبح الفرق بين المثقف العادي والفنان الخلاق هو ان المثقف يستخدم

● هل الفروق بين الرجل والمرأة فروق بيولوچية أم نتاج الموروث الاجتماعى ؟ ●



ليوناردو دافنشي

رأسه فقط ، لكن الفنان الخلاق يعمل بكل جسمه . واصبحت العبقرية هى تلك القدرة على أن يكون الانسان وجسدا وليس مجرد رأس او عقلانية جافة .

ومن ابيات لشاعر من البرازيل يقول

انت ياحبيبتي لاتبكين
وانا احبك بكل كياني
بامومتي وبالجزء الانثوى العميق
وابكى ، أبكى حين تلحين
ومع الايام يشتد حبى
وما احبه اكثر واكثر
هو الجزء الذكرى فيك
فانت يا حبيبتي لاتبكين !

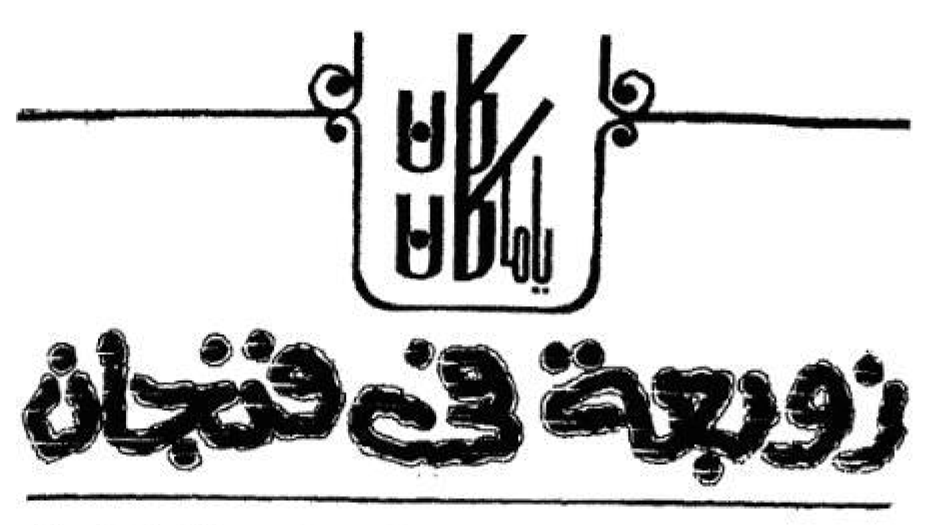
وتلخص هذه الابيات الشعرية علم النفس الجديد الذى ادرك بعد ثلاثةآلاف عام ان الموروث الاجتماعى ضد الطبيعة وضد الحقيقة . وان بكاء الرجل ليس ضعفا . وان ذكاء المرأة ليس قبحا. وان التناقض بين الحنان والقسوة او الانوثة والذكورة لم يكن الا قانونا اجتماعيا لا علاقة له بالعلوم الطبيعية .

● طاقة المرأة الخلاقة ●

وحين قرأ احد الفلاسفة فى العالم « كارل بارث » رواية « العشب يغنى » للكاتبة « دوريس ليسنج » هتف قائلا: المرأة تخلق الفن العظيم بمثل ما تخلق الجنين ، بالسهولة الممتنعة عن الرجال.

ومنذ اعوام قليلة كان هذا الفيلسوف ذاته يقول : « المرأة لا تخلق الادب والفن لانها تخلق الجنين » وهى العبارة نفسها التى رددها « فرويد » متصورا انالطاقة الخلاقة عند الرجل تتحول الى فكر وادب وحضارة وان الطاقة الخلاقة عند المرأة تتحول بيولوجيا الى ولادة الطفل .

لكن الادب الخلاق الذى صدر عن الكاتبات خلال النصف الاخير من هذا القرن قضى على نظرية « فرويد » ، ولم يعد احد يقول ان الرجل ينتج الفكر والمرأة تنتج الاطفال الا هؤلاء الذين لا يعيشون العصر .



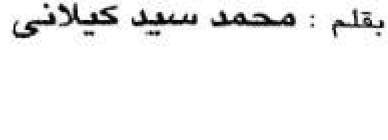
• كيف استقبلت الدوائر الثقافية نظرية دارون .. ؟

□ أما الزوبعة فقد أثارها شبلي شميل حول :نظرية دارون في التطور واصل الانسان • و النشوء والارتقاء • يقول : « في سنة ١٨٧١ كنت أدرس الطب في المدرسة الكلية السورية ، وسمعت أن رجلا ادعى أن أصل الانسان من قرد ، فاشمأزت نفسي مما سمعت ومن قائله الذي اعتبرته حينئذ داعيا ما خالف الا ليعرف • وبعد رحلتي الى أوربا واطلاعي على هذا المذهب في مؤلفات أصحابه ادركت حقيقته »

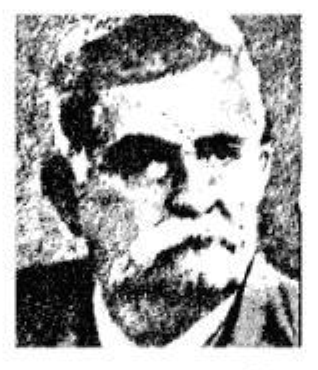
ثم حضر الى مصر وقام بمدينة طنطا وزاول الطب وكان الى جانب هذا يحرر المقالات وينشرها في المقتطف • وفي يناير ١٨٨٦ انتقل الى مدينة القاهرة وسكن في شارع عماد الدين، قالت المقتطف : « أهلا بحليف العلم والادب ، وناظم الدر في سموط الذهب الذي سارت كتاباته سير الكواكب » •

وقال عنه سلامه موسى في تربيته : « كان رجلا كبير الذكاء ، محدود المعارف وكان يعتمد على الحجة المنطقية اكثر مما يعتمد على البينة العلمية ، وكان من حيث المزاج والتفكير بل والمعيشة أوربيا • وكان يحمل على عادات الشرق وتقاليده ، وكان متدينا شديد التدين بالديانة البشرية » •

انخدع شبلي شميل ببريق الحضارة الغربية ، كما انخدع بنظرية دارون وأخذ يروج لها • قال : « ولو بني نبع الانسان على علاقته الحقيقية بالطبيعة واقيمت ادابه على نواميس الاجتماع الطبيعي لكان في كل أعماله متناسبا مع نفسه ، متوافقا مع تعاليمه ، غير مضطر أن يقاوم تعاليمه في كل خطوة يخطوها كعقبات امامها هو نفسه في سبيله ، ولاستغنى عن تلك النظرية المضللة المبنية على الخيال ، واقام مقامها الفلسفة العملية الهادية الى السبيل القويم ، المبنية على العلم


بقلم : محمد سيد كيلاني

شبلي شميل



سلامة موسى



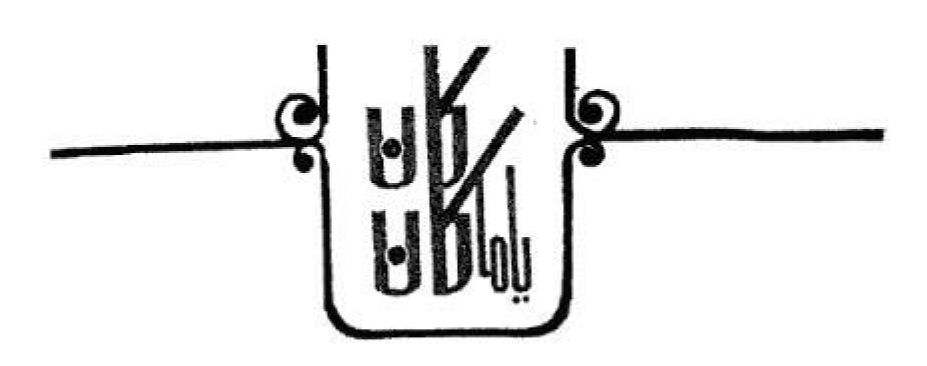
الشيخ رشيد رضا




الحقيقى ، ولما كان به من حاجة الى اقامة - تلك العلوم التى هى أشبه شيء بهذيان المصدعين الا وهى علوم الكلام على الاطلاق لتفسير ما لا يفسر ، وتأويل ما لا يؤول ، وتطبيق ما لا يطبق ، التى أضلت عقولا كثيرة وغلت عن العمل أياد كثيرة ، فلم تنتفع الاجتماع بشيء ، بل أضرته اذ أضلته وأصبحت عالة عليه . وعلوم الفقه سخافات يتنزل العقل فيها الى حد التبذل » .


وهذا الكلام يؤيد ما ذكره سلامه موسى عن شبلى من أنه كان قليل المعرفة بطبيعة النفس الانسانية .

وقد اثار شبلى شميل حوله غضب أهل الديانات السماوية من مسلمين ومسيحيين وانبرى لمعارضة أفكاره كثيرون منهم محمد فريد وجدى مؤلف كتاب « الاسلام فى عصر العلم » ذكر فيه أن غايته من هذا الكتاب اقامة أقوى الادلة العلميــة على أن الدين عند الله الاسلام . والشيخ طنطاوى جوهرى مؤلف كتاب « نظام العالم والامم » و « الاخاء المتين بين العلم والدين » لمؤلف مسيحى لم يذكر اسمه وقد دافع شبلى عن الاشتراكية لانها



- كما ذكر - تقلل من ويلات الانسان فتضمن له حاجاته وتصون حقوقه بعد أن تفرض عليه واجباته .

وترجم عن الالمانية « شرح بخنر على نظـرية داروين » وقـد وصفه بعضهم بأنه كفر محض لانه يدعى أن لا شيء في الكون الا المـادة والحركة التي هي من لوازمها

وكان يحط من قدر الادب العربي قال : أنت تستطيع أن تترجم شعر هوجو وموسيه وروستان وتستفيد من ذلك ولكنك لاتستطيع أن تترجم شعر المتنبي وأبي تمام والبحتري ، ولا أن تستخلص منه شيئا سوى بعض الحكم والامثال مشـتتة في تلك الادغال ، لا رابط ينسقها ، لان هوجو أطل عقلي العالم أجمع فنظر الى الحقائق وبما له من قوة الخيال وحسن السبك ربطها وكساها من شعره حلة مهيبة رهيبة النفس ، كمـا كساها موسيه رقة وجمالا . وروستان نظر الى الوقائع فاكسبها من قوة خياله ومتانة شعره وقعا في النفوس جعلهـا أبلغ في العظة . أما المتنبي وأبو تمام والبحتري فقد استغواهم المـدح واسـتهوت الخلاعة نفوسهم فاذلوا لها قرائحهم، وقد غلب هذا الاسلوب على الشـعر العـربي . وكيف يترجم رنف يقعد صاحبه كأنه كثبان عالج؟ ولم يعجبه من الشعراء سوى أبي العلاء المعري .

مضيعة للوقت

ومنذ اليوم الذي تقدمت فيه العلوم الطبيعية والابحاث الكيميائية اخـذ بعض الناس يندد بالادب ويسخرون من الادباء ويرون أن الاشتغال بالادب مضيعة للوقت . والاولى بالانسان أن يشتغل بالعـلوم النـافعة كالهندسة والطب وعلم طبقات الارض فهذه العلوم هي التي تفيد المجتمع . وكان شبلي شميل يرى هذا الرأي . وهـو خطأ واضح، لان الانسان لا يمكن أن يعيش بالماديات فقط متجـردا من المشاعر والعـواطف التي تنعكس في الاداب والفنون .

وكان هو نفسه يحفظ كثيـرا من الايـات القرآنية والاحاديث النبـوية ويستشهد بها في بعض مقالاته .

مات شبلي في اليوم الثـاني من يناير ١٩١٧ عن ٦٥ عاما . ومع أنه كان ملحدا ، لا يعترف بوجود الله ، الا أن أسرته ذكرت في نعيه أنه « رحل مزودا بالاسرار الالهية . وصلوا على جثمانه في كنيسة الروم الكـاثوليك بالفجالة .

وفي العاشر من فبراير اقيمت حفلة تأبينه حضرها حافظ ابراهيم وانطون الجميل ويعقوب صروف واميل زيدان والشيخ رشيد رضا . وكل هؤلاء القوا

● نظرية دارون أمام محكمة الجنايات .. ؟

كلمات مناسبة للمقام أشادوا فيهـا بمكانة الفقيد . قال ابراهيم زيدان : « عاش الدكتور شميل شـابا طول حياته . نعم كان شابا من قمة رأسه وان اشتعلت شيبا ، الى أخمص قدميه وان أنهكهما العمر » .

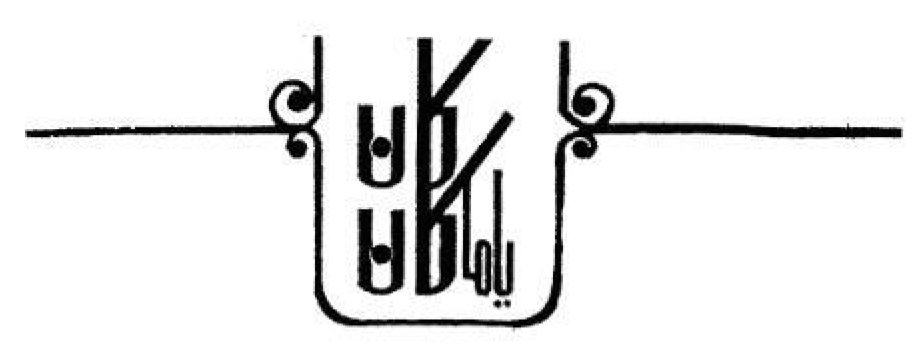
واقترح أحد الحاضرين اعادة طبع آثاره العلمية واذاعتها بين الناس . فحبذ رشيد رضا هذا الاقتراح وتحمس لتنفيـذه . وكان رشيد يعتقـد الا تعارض بين نظـرية التطور وأصل الانسان وما جاء فى القرآن الكريم . وأخذ يفسر آيـات القرآن عـلى هذا الاساس مثـال ذلك قوله فى تفسير أول سورة النسـاء « يا أيهـا الناس اتقوا ربكم الـذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها » حيث صرح بأن الله ذكر هذه النفس الواحدة ولم يعينها ولكل أمة أن تفهم منهـا ما تعتقده ، وأنه لم يوجد فى القرآن نص أصولى قاطع على أن آدم أب لجميع البشر ، وان اتفـاق المسلمين عـلى القول بذلك منشؤه تقليد اليهود .

وان ما ورد فى القرآن مثل قـوله تعالى ـ يا بنى آدم ـ يكفى فى فهمه أن يكون موجها فى زمن التنزيل الى قوم يعتقدون أن اباهم آدم وان مـا ورد فى سورة البقرة فى قصة آدم وزوجه فقد ورد على سبيل التمثيل ، وان المباحث العلمية والتاريخية تعارض القول بأن آدم أب لجميع البشر وأن النفس الواحدة تفسر هنـا بالماهية الكلية لتشمل ما يقوله كل فريق مـن الباحثين فى هذه المسألة فيتفق القرآن مع القول بأنه قد كان قبل آدم آدمون وقـد نقل عن بعض الرافضـة القـول بتعدد آدم .

ثم ذكر أن النفس الواحدة يصح أن تفسر بأنها كانت جامعـة لاعضـاء الذكورة والانوثة كالدودة الوحيدة ثم ارتقت فصار افرادها زوجين .

التحريف والمحكمة

وقد انبرى للرد عليه الشيخ عبد الباقى سرور من رجال الازهر فقال ان رشيدا ارتكب شططا فى تأويل الآية لتتاخى مع نظـرية التطـور وأصـل الانواع ، وأنه حرف الكلام عن مواضعه لانه أوله تأويلا غير صحيح ، وهـو لا ينطبق على الاصول الاسلامية . وقال ان رشيدا انكر النصوص التى وردت فى القرآن وهى تثبت أن آدم أب لجميع البشر ، وذكر أن المبـاحث الحديثـة أثبتت أن الجنس البشرى يرجع بأسره الى زوجين اثنين ، لا الى عدة أصول . وقال ان القـول بأن القرآن ورد بمعان ترك تحديدها الى ما لكل أمة من العادات والتقاليد يعد استهزاء بآيات الله ، وانه أمر يخشى



منه على العقائد ، اذ لا مانع يمنع اى انسان من أن يدعى تلك الدعوى فيما ورد من الايات فى الاله ، وفى الرسل والدار الاخرة والصلاة والزكاة وسائر التعاليم الاسلامية وان القول بأن ما ورد فى قصة آدم وزوجه قد ورد على سبيل التمثيل من الاقاويل التى تعتبر تلاعبا بالعقائد الدينية لانه يفتح باب القول بأن ما ورد فى شئون الدار الاخرة ومسائل الوحى والرسالة ورد كذلك على سبيل التمثيل ٠

وكتب عبد الباقى سرور مقالات كثيرة فى صحيفة الافكار رد فيهما على رشيد وفند اقواله وتهجم كل منهما على الاخر وتبادلا العبارات الجارحة مما ادى برشيد الى أن يرفع دعوى ضد عبد الباقى سرور اتهمه فيها بالقذف فى حقه ونسب اليه أمورا لو صحت لاوجبت احتقاره بين الناس ٠

وقد انعقدت محكمة الجنايات فى ١٧ ـ ٥ ـ ١٩١٧ برياسة محمد مجدى باشا ونظرت القضية ، فقام لطفى جمعة المحامى عن الشيخ سرور وقال: نطلب أن تعرض المحكمة الصلح على الطرفين احتراما لمقام العلماء ٠ وبعد مناقشة قليلة بين المدعى والمدعى عليه والمحامين تقرر وضع الصيغة الاتية لتكون مقدمة للصلح وهى على لسان الشيخ سرور ٠

« لم اقصد اهانة الشيخ رضا ولا مس عقيدته الاسلامية واحترم آراءه » وقد اعتبر الشيخ رشيد هذا التصريح أمام المحكمة ترضية له ٠ وقد اقرت المحكمة هذا الصلح بعد أن القى رئيسها كلمات طيبة بشأن المناظرة وآدابها ٠

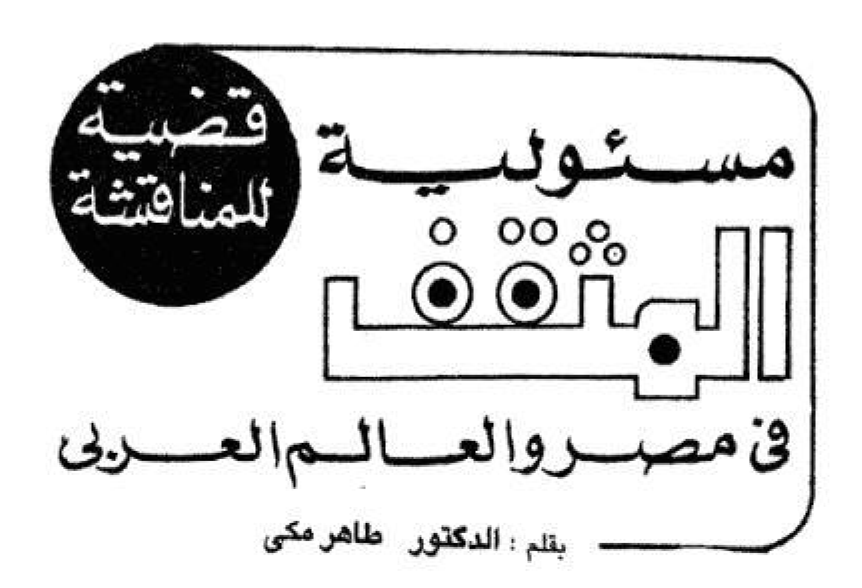
وقد فوضت النيابة الامر للمحكمة فقضت هذه بالبراءة ٠ وخرج الناس مسرورين بهذا الاتفاق الودى ٠



يعقوب صروف 

حافظ ابراهيم 

اميل زيدان 



بقلم : الدكتور طاهر مكي

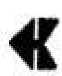
في سيرة المنتصر عبر كل بلاد الاغريق ، وجد الاسكندر الاكبر ، بعد ان تولى الملك خلفا لابيه ، رفضا غير متوقع من جماهير متناثرة هنا او هناك ، وقلة من الاغريق احتفلت بقدر كبير من استقلالها وقالت له ماتفكر فيه فعلا ورايها فيه .

وعندما وصل الى مدينة كورنت استقبله اهلها ، مثل بقية المدن ، بعناق منافق مرحبين ، ولكن الملك الشاب أحس بخيبة امل كبيرة عندما نظر حوله فلم يجد بين هؤلاء المرحبين من المتملقين والمداهنين الفيلسوف العظيم ديوجين . وكان الوحيد بين سكان المدينة الذى حظى باعجاب الاسكندر وتقديره ، ويحرص على ان يحظى لدى الفيلسوف العجوز بمثل هذا التقدير . ولما سأل عنه عرف أنه في احدى ضواحي المدينة ، لايعنيه شيء من زهو الفاتحين ، وابهة الملك ، ولم يكلف نفسه حتى مئونة ان يرى العرض العسكرى الضخم ، الذى اقامه المقدونيون تكريما للملك ، ولم يجد في نفسه اية رغبة في ان يلقى الملك المنتصر او يحييه .

وبما ان ديوجين لم يات الى الاسكندر ، فان الاسكندر قرر ان يذهب اليه ، ووجده وحيدا مستلقيا في الشمس ، وما ان رآه الملك حتى اظهر له وده وتقديره وحمايته ، ثم سأله عما اذا كان يستطيع ان يصنع من اجله شيئا يامر به .

فرد الفيلسوف العجوز فى استرخاء ، وبلا اكتراث : نعم ايها الملك ! ، ان تتحرك عن مكانك قليلا حتى لاتحجب عنى الشمس !

وبعد ذلك باكثر من الفى عام تقريبا ، او على الدقة فى ٢٤ من شوال من عام ١٣١٥ هـ ـ ١٨٩٧ م ، ذهب الخديو عباس حلمي الثاني ليزور الجامع الازهر ، يفتتح رواقا بناه ، وبابا جديدا





اقامه ، وحمل كلاهما اسمه حتى يومنا ، وتجديدات اضيفت الى ابنية الجامع العتيق ، ورمت ماوهي من بنائه . وكانت الشمس تسطع في صحن الازهر ، وامتلأ على سعته بالحاشـيـة والمنتظرين والمرحبين . وجمهرة من المنافقين والمداهنين ، وفي طرف منه ثان يجلس مجاور ازهري ، في سن متقدمة ، ومظهر متواضع، مسترخيا في الشمس ، وقد مد ساقيه امامه ، وامسك بكتاب عتيق ، وبعينين مجهدتين راح يقرأ في صوت متهالك ، يسمع نفسه ، ويكرر القول ليؤكد مايقرأ في ذاكرته . وفي البدء تركوه على حاله ، تخيلوه سينهض في اللحظة المواتية مرحبا هاتفا ، ولكن الرجـل ظل في موضعه ، وعندما وصل الخديو ، هرول الجند ، وصاحوا به : مولانا وصل ، ولكن الازهري المجاور لم يلملم ساقيه ، ولم يعـدل من وضعه ، وفي اعتزاز شديد ، ولامبالاة طبيعية : وماشأني بمولانا ؟

– اذا لم ترد ان تكون بين المستقبلين ، فعليك ان ترحل وان تفسح الطريق !

– ولكن الصحن واسع ، ويتسع للخـديو وكل مرافقيه ، وازيد منهم ايضا .

واصر الجند ، واصر الطالب الشيخ ، وحدثت مشـادة عالية ، وبلغ الامر اسماع الخديو ، فاشار بتركوه وشأنه ، وحين ترك الازهر ارسل له مع واحـد من حاشيته ، صرة ، تحمل بعض المال هدية للمجاور الشرس العنيد ، وفي ظنه ان صلابته سوف تلين وتتلاشى امام رنين الريالات ! .

وجاءه رجل الحاشية ، وزف اليه التهنئة بصرة الخديو ، لم القى بها اليه ، والرجل في مكانه ، لم يعدل من وضعه ، ولا تغيرت مشاعره ، وفي صوت محايد رد :

– ومن الذي قال للخديو انني في حاجة الى مال !

– مظهرك ينبىء انك في حاجة اليه ، فلا ترفض رزقا ساقه الله اليك !

– اسمع يا اخي ، بلغ الخديو ان من يمد يده لا يمد رجله ! . هل فهمت ؟! .

وادرك رجل الحاشية انه امام طراز فريد من المجاورين ، فحمل صرته ومضى لحاله .

● الانتصار على النفس ●

اسوق هاتين القصتين على مابينهمـا من فارق في الزمان والمكان والموطن ، ومستوى ثقافة البطلين ، الى مثقفي وطني ، والعالم العربي باسره ، حتى يدركوا واعين ان مهمتهم الاول ، اذا ارادوا ان يكونوا



الخديو عباس

اصحاب رسالة وان يوفقوا فيها ، تبدا من داخلهم ، بان ينتصروا على انفسهم ، وان يكونوا سادة مقدراتهم ، ولن يستطيعوا ذلك الا اذا انتصروا على الطموحات البرجوازية الصغيرة فى اعماقهم والتى نمت وترعرعت فى العقود الاخيرة من تاريخنا ، وبعد ذلك – لا قبله – يمكن ان يصبحوا لشعوبهم قادة ، ولاجيالهم قدوة .

من الواضح ان ثمة ضروريات فى الحياة كلنا ملزم بتوفيرها لنفسه ولاسرته ، اما حين نتجاوزها الى عالم الكماليات فسوف نجد انفسنا فى سوق واسعة بلا حدود ، كلما عبينا منها احتجنا الى المزيد . وفى مجتمع يمر بمرحلة تراجع الفضائل العليا ، وضمور القيم الفكرية ، والتسابق الرهيب نحو الثراء الفاحش ، دون ان يأخذ المتسابقون انفسهم باى مبدأ او قانون ، وبين مجتمع يزن المرء بما يملك ، سوف يجد المثقف نفسه مشاركا فى هذا السباق الرهيب ، بكل سوءاته وسيئاته ، ويجىء مكانه – بحكم طبيعته وقدراته فى عالم المال – فى آخر المتزاحمين ، فليس عنده مايقدمه فى سوق النخاسة هذا غير فكره وقلمه وهما راس ماله ، والراغبون فى شرائه كثيرون ، وبخاصة اذا كان صاحب قلم ورأى وموقف ، ولكن الثمن الذى يدفع فيه لن يكون باهظا بحال . واليكم المثل من ايامنا هذه .

فى الستينات والسبعينات حين صمت جل المثقفين فى مصر ، او اعتزلوا ، او استجابوا لاغراءات السلطة ، او خافوا قهرها ، ظل فنانان – على الاقل – لم يتوقفا عن الابداع الحر ، احدهما ينظم والاخر يغنى ، ونسجا فنهما كلمة وموسيقا من معاناة المواطنين فى حياتهم اليومية ، وعريا الفساد ، وكشفا عن سوءات الفاسدين ، وضاقت بهما السلطة ، وكانت اضعف ، بعد « يونية » من ان تعتقلهما او تضعهما فى السجن ، فاشار المستشار المثقف الذكى الاديب برأى آخر ، اجمله فى عبارته الشهيرة : اقتلهما شبعا .

وهكذا وجد الفنانان نفسيهما وسط اضواء التليفزيون القاهرة ، وعناية الاذاعة ، وحرص الصحف على ان تفسح لهما من صدرها مكانا ولكن الترف والرفاهية لم يأتيا على اصالتهما ، ولم يلينا صلابتهما ، ولم يقتلا فى اعماقهما روح الفدائية والنضال ، فالقى عليهما ستار صفيق من النسيان والصمت مرة اخرى !

واذا كان غير الكاتب يؤكد ذاته من خلال الانجاب ، او الثروة او اللهث وراء السلطة او الشهرة ، ولو كان ثمن ذلك ان يفسق بعقله ، او يخون شرفه ، فليكن تأكيد الكاتب لها بان يخدم مجتمعه ويذوب فى افراده ، وان يتحسس حاجات امته ، وان يكون صدى امينا لهمومها وطموحاتها ، ولسوف تذهب كل الاشياء الاخرى ، ويبقى هو ، لانه حين يضحى بذاته ، ويفنى فى غيره ، سوف يهبه هذا الغير ان عاجلا او آجلا كل مايتمنى ، وسيجد ان الالتزام بامته يحميه من الانحراف .

كذلك من اول واجباته ان يعنى بثقافته ، فكلما عمقت والسمت ازداد تواضعا ، وسما خلقا ، وادراكا واعيا رسالته ومسئوليته ، وصلب امام المغريات من جانب والتهديدات من جانب آخر ، ومن لاثقافة له لاخلق عنده ، وبداهة اعنى الخلق بمعناه القومى الرفيع .

● التحرر من التبعية ●

تلك هى المسئولية الاولى للمثقف العربى ، ان يبدا بنفسه ، وان





يحررها من التبعية ليكون قادرا على العمل والحركة والعطاء ، وهي حرية لابد ان تعتمد على حرية الشعب نفسه في المقام الاول ، اذ من الصعب ان يكون الانسان حرا في بناء اجتماعي يحد من الحرية ، او يجعلها رهنا بارادة الحاكم وحده ، وحين يكون المثقف حرا ومستقلا ، غير تابع ولا مباع ، ويحرص ان يكون كذلك دواما ، ويرغب لمجتمعه هذه الحرية ، لايجد حرجا ابدا في ان يتعايش مع اى آراء تخالفه ، حتى وان كان يخشاها ، اويخافها،وسوف يقتبسها حينئذ قبولا او رفضا بمقدار ماتعود به من خير على امته فحسب .

والحرية التي اريدها للمثقف ، ولقومه ، لاتعني الفوضى او التحلل من كل الضوابط الاجتماعية ، وانما هي حرية المشاركة ، والتعايش ، والتقدم ، والعدالة الاجتماعية ، انها ديمقراطية متحضرة ، يلتفحولها المواطنون ، وقد يختلفون ، وفي النهاية يشد كل منهم على يد الاخر ، كما لو كانا ينهيان لعبة رياضية !

وحين يحقق المثقف هذه الرحلة، وهي التى واصعب ماسوف يواجهه في خطاه الاولى ، وعليها تتوقف مكانته ملكراراتنا اوانسانااانتهازيا قصارى جهده ان يعرف من اين تؤكل الكتف ، تبدأ بعدها مهامه الاخرى ، وهي كثيرة ومتنوعة ، ولكن الجوهري منها لايختلف عليه احد ، واما الخطأ فيما هو عارض فيمكن اصلاحه ، او تجاوزه ، وفي كل الحالات ضرره محدود .

● خطر الاستعمار ●

اول ما على المثقف العربي ان يرعاه ، ولا اظنه خافيا على احد ، ان العالم العربي يحتل من الدنيامنطقة بالغة الحساسية ،جغرافيا واقتصاديا ، واستراتيجيا ، وحضاريا ، وليس هناك من يريد له ان يقوى ، والخطوة الاولى في الابقاء على ضعفه ان يحال بينه وبين اية وحدة ، في اى جانب من حياته ،.ومهما يكن الاطار الذى يحتويها ، ووسائلهم في هذا كثيرة ، وذكية ، وخفية ، وتستخدم احدث ماوصل اليه العلم والتقنية ، من حروب نفسية ، وجواسيس ومخربين ، يأتون في ثياب اصدقاء ، او خبراء ، او فلاسفة ، او علماء ، او اطباء ، او حتى رجال دين ، للحيلولة دون قيام اى لون من الوحدة .

وهو ، اعنى الاستعمار ، او القوى الكارهة لنا ، يستخدم كل الوسائل النفسية الناعمة الخفية ، لاثارة الاقليمية وتعميقها ، واشاعة الفرقة وتقويتها ، كاننا لم نكن يوما ، وفي اوسع فترات تاريخنا واعظمها ازدهارا ، امة واحدة .واذا اخذنا لذلك مثلا الاذاعات الموجهة الى العالم العربي من كل القوى الكبرى ، فسوف نجد انها كانت قبل ثلاثين عاما تتوجه الى العالم العربي في جملته ، لاتكاد تفرق بين شعوبه ، لانه في جملته كان مستعمرا ، وواقعا تحت قبضتها المباشرة ، لاتخشى خطره ، ولا تخاف بأسه

الاسكندر الاكبر

فلما بدات النهضة العربية ، واصبحت الدعوة الى الوحدة العربية تمثل خطرا على مصالح القوى الكبرى ، بدات هذه الاذاعات نفسها تتحول الى داعية تفرق ، تثير النعرات المحلية الضيقة باسلوب حلو ، يلتهمه السامع حتى الثمالة دون أن يتبين مكمن الخطر فيه ، فاصبحت مثلا — الى جانب اشياء اخرى لا تقل خطورة — تقدم ركنا للاغاني المصرية ، وآخر للعراقية ، او الجزائرية ، او التونسية ، او المغربية او اليمنية ، كان هذه كلها ليست اغانيا عربية واحدة ، واصبح هناك ادب لكل شعب عربي يحمل اسمه ، فهناك الادب المصري ، والادب العراقي ، والادب السوري ، وهكذا لكل منطقة من مناطق العالم العربي ، كان هذا الادب لم يكتب في لغة واحدة ، ولقارىء واحد ، وجازت الغفلة على عدد من الجامعات فانشات كراسيا تحمل اسماء هذه الاداب الاقليمية ، ومضت المانيا الغربية بالامر خطوات أبعد ، وصنعت مالم يصنعه احد قبلها ، ولا من بعد حتى الآن ، فبدات تذيع نشرات الاخبار باللهجات العامية ، وجعلت لكل منطقة نشرة أخبار مستقلة ، فهناك نشرات للمغرب ، او الجزائر ، وجنوب الجزيرة ، ومناطق اخرى ، وتتحاشى فيها كلها ان تشير الى انها عربية .

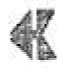
● ضرب الوحدة ●

قص لي صديق سوري ، ان سوريا كانت تستعين منذ الاربعينيات بعدد من الاساتذة المصريين ، يدرسون العلوم والرياضيات في مدارسها الثانوية ، واستطاع هؤلاء خلال فترة وجيزة ان يكونوا موضع اعزاز المجتمع ، وتقدير الدولة ، وحب التلاميذ ، والسعيد من بين هؤلاء من يدرس لفصله استاذ مصري ، فهو يجمع الصفات المطلوبة في المدرس الكفء : العلم والتواضع والبشاشة والصبر ودماثة الاخلاق . ولم تكن مرتباتهم في سوريا عالية ، فتحملت مصر رواتبهم تدفعها لهم في وطنهم ، تشجيعا لهم وعونا ، ودعما للعلاقات الثقافية بين البلدين ولم يشعر أحد في سوريا الا انهم اشقاء ، وما احسوا هم الا انهم اخوة جاءوا يؤدون واجبا ، ويسهمون في بناء امتنا .

وحين قامت الوحدة بين البلدين ، وتوسعت الدولة في انشاء المدارس ازداد عدد المدرسين المصريين تبعا لذلك ، وماهي الا شهور حتى بدأ من يهمس خفية في خبث ، ويشير الى هؤلاء الاساتذة الاجلاء ، قائلا : طلائع الاستعمار المصري ! .

وبدأ المخربون يعزفون في الخفاء على اكثر من وتر ، ويؤلبون الناس والتلاميذ على المدرس المصري ، وكان بالامس موضع اعزاز وفخر وتكريم ، ولم يتغير من الامر شيء ، سوى أن مصر في عهد الوحدة كانت تتحمل مرتبه كاملا ، و لاتدفع له سوريا شيئا ، كما كان الامر من قبل ، وفي وقت كانت المدرسة المصرية في اشد الحاجة اليه ، اذ كانت مصر تقوم باوسع حملة لبناء المدارس ونشر التعليم .

ومابين قيام الوحدة عام ١٩٥٨ ، وحركة الانفصال عام ١٩٦١ ، لوث عملاء الاستعمار هذا العمل الجليل تماما ، وحين وقع الانفصال اسيء الى هؤلاء الاساتذة الاجلاء اساءات بالغة ، واهدرت كرامتهم ، كأنهم جاءوا جنودا غزاة ولم يكونوا هداة متطوعين ، وواضح ان







اشخاصهم لم تكن مقصودة ، وانما كان القصد البعيد ضرب الوحدة فيهم .

ومن خلال الحديث عن المأثورات الشعبية ، اى الفولكلور ، بدأوا يدفعون شعوبنا دفعا الى العناية باللغة العامية ، تحت زعم ان لها ادبا وشعرا وقصصا ، وبدات الصحف العربية ، حتى فى الجزيرة العربية نفسها ! ، تخصص مساحات واسعة لهـذا الادب العامى ، واخذت الهيئة العامة للكتاب فى مصر تنشر فى سذاجة باللغة مسرحا وشعرا والوانا اخرى من الأدب باللغة العامية ، تحت ستار حماية المواهب ، واتاحة الفرصة لها ، ودواع اخرى كثيرة ، زائفة ومضللة .

وخارج نطاق مراكز الابحاث فى الجامعات والهيئات العلمية ، ومهمتها أن تدرس مكامن الضعف فينا ، ومراكز القوة عند غيرنا ، لتحللها وتردها الى اسبابها ، ليس يفيدنا فى شىء ان يقف المثقف عند السلبيات ، وعليه ان يتجاوزها ، والا يعرض لها الا بقدر ، وان يقف عند الايجابيات ، وان ينحتها فى وجدان الامة وشعور ابنائها ، لتكون قوة دافعة وبانية ، وهو مالم نفعله ، وبذلك حققنا مايريده لنا اعداؤنا .

اننا نتحدث عن هزيمة ٥ يونية مئات بل آلاف المرات ، بمناسبة ولادنى ملابسة ، ولا نعرض لنصر ٦ اكتوبر الا لماما ، وعلى خجل واستحياء ، ويتحدثون عن حرب اليمن كانها خطيئة قاتلة ، وينسون انها حررت شعبا من الرجعية ، وارضا من الاستعمار ، واضافت الى رصيد الامة العربية منطقة ذات حضارة ضاربة فى اعماق التاريخ ، لو فكت عن عقلها القيود الخانقة ، والزيحت عن طريقها المعوقات المدمرة ، فسوف يكون اسهامها ايجابيا ، ووضيئا ، وبلا حدود .

● دور المثقف العربى ●

المثقف العربى الحق داعية وحدة ، مهمته أن يجمع لا ان يفرق .

وان يكون رفيق نضال فى عمل جماعى ، لان الدعوات الفردية تومى، الى صاحبها بالفضل ، وتهدى الجماعة الى الخير ، ولكنها لاتوقظ شعبا نائما ، ولا تنبه امة غافلة ، ولا تدفع عنها هجوما عاتيا ، وطريقنا الى ذلك اللقاءات الشعبية ، تجىء بدءا فى شكل صلات شخصية ، ومؤتمرات جادة غير رسمية ، ولا باس ان تكون متواضعة المظهر ، محدودة النفقات ، يستطيع حضورها كل « مستور الحال » ، فمثلها يجىء من ورائه خير كثير ، لان القائمين عليها سادة انفسهم ، واحرار فى اختيار قرارهم .

اما الدعوات المشبوهة تاتى بالالزام والمدعين والمحترفين ، تنزلهم افخم الفنادق ، وتجلسهم الى خير الموائد . وتضع بين ايديهم غالى الشراب ، يحلمون ويتخيلون وهم بعيدون عن الواقع ، وغير جادين فى تحقيق الغاية ، ويثرثرون فى كل شىء الا ماهو مفيد ونافع ، ولا ينطقون بكلمة قبل ان يقيسوا صداها ، ولا يتخذون قرارا الا اذا اشير عليهم به ، فلا يرجى من وراء مثلها اى خير ، لان من يدفع النفقات يملك توجيه القرار ، ومع انها لم تتوقف ابدا فى الاعوام الاخيرة ، وعلى كل امتداد العالم العربى ، كان عائدها لا شىء .

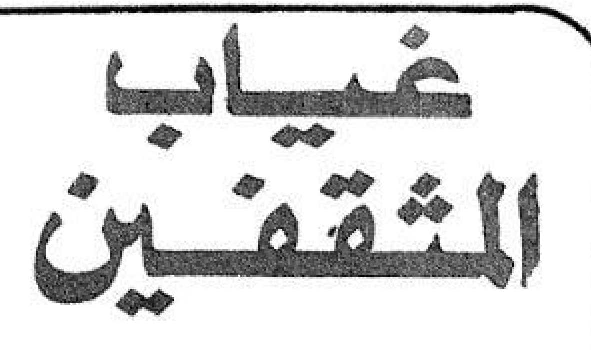
وهو داعية الى الايمان بالعلم والعقل ، بعد الايمان بالله ، عليهما نبنى حياتنا ، وبهما نحاول حل مشكلاتنا ، وهما طريقنا الى النهوض المادى ، فلا نظل فى حلبة الاختراع مجرد متفرجين ، ويجىء دورنا بين الامم المبدعة فى نهاية المطاف ، وهو حال يجب ان يخجلنا مهما تكن ثروات البعض منا ، ولن يعوضنا عن هذا التخلف الا جهد مشترك ، ووعى عام يقظ ، يحول دون ان نستقدم اجنبيا ليدرب فريق كرة مقابل مليون دولار مكافأة فى العام ، الى جانب مخصصات اخرى ، فى الوقت الذى لاتملك فيه الدولة العربية التى استقدمته مصنعا واحدا ينسج ملابس اهلها ، او يلبى بعض مطالبهم اليومية ، فضلا عن الاسهام فى اكتشاف مرض ، او تركيب دواء ، او صنع آلة ، وبعيد جدا ان نحلم بما هو اكثر من هذا .

ويدرك المثقف العربى ان الوطن ليس تعبيرا تجريديا فحسب ، او مساحة معينة فى كتب الجغرافيا ، وانما يقوم بابنائه ، ويصبح واقعا بهم ، وبقدر مايضمن كرامة افراده : حرية فى التعبير ، ورقيا فى المعاملة ، وعدلا فى توزيع الرفاهية ، او المعاناة ، يكون ولاؤهم له ، واخلاصهم فى العمل ، وتفانيهم فى الواجب ، وقدرتهم على الخلق والابتكار ، وتسابقهم فى الذود عنه اذا جد الخطر او احدقت به المؤامرات .

واخيرا نحن فى حاجة الى ثورة ثقافية تذهب بكل الترهل الذى اصاب حياتنا العلمية والادبية ، وبدا العقم يزحف على العقول والمشاعر ، واللامبالاة تغتال الارادة وتجعل من المثقفين مجرد متفرجين ، وكل عالم او اديب يرحل من بيننا تفتقد مكانه ، وتترحم على ايامه ويحتل مقعده من يجىء بعده ، ودونه ، بدرجات .

اتراني كنت احلم بهذا كله ؟ ... ربما ، ولكنا تعلمنا فى صبانا ، ان حقائق اليوم احلام الامس ، واحلام اليوم حقائق الغد ، فلعل مثقفى وطنى ياخذون من امسنا درسا ، ومن حاضرنا عظة ، ويتقدمون نحو المستقبل خطوة ، وهى بداية اى طريق مهما طال .

الوجه الآخر



ومسئولية ما يجرى فى



فى مطلع العام الرابع والتسعين من عمر « الهلال » المديد فجر هذا المسرح الثقافى الكبير قضية مصيرية بحثنا حولها كثيرا ، وذلك فى مقال الدكتور شريف حتاتة المنشور بعدد سبتمبر ١٩٨٥ تحت عنوان : هل المثقفون مسئولون عن تأخر مصر والعرب ؟ وتم التنويه عن هذا المقال على غلاف العدد بعبارة تقول : مسئولية المثقفين عن ما يحدث فى مصر . ولقد اخترت كمدخل لمشاركتى فى مناقشة هذه القضية الهامة أن أعالج ما أطلقه الوجه الآخر للعملة فى مشكلة دور المثقفين . يتضح ذلك من عنوان تعقيبى ، حيث يتضمن التساؤل عن مدى مسئولية ما يحدث فى العالم الثالث ككل ، وبالتالى فى مصر والمنطقة العربية ، عن غياب أو ضعف الدور الفعال للمثقفين . والتى اذ أشكر « الهلال » وكاتب المقال على فتح ملف هذه المشكلة الملحة ، أتصور أن البداية المنطقية لتناول جوانبها المعقدة والمتشابكة أن نحدد أهم الأسئلة التى يجب أن نتدارسها ، وأن نضع لها الاجابات الملائمة . وأظننا لا نختلف على أن وضع الأسئلة الصحيحة كثيرا يكون أول الطريق الى الحل السليم لما يواجهنا من مشكلات .

بقلم : الدكتور
أحمد حسن شوقى

قبل أن أستعرض الاسئلة التى أدعو المهتمين من قراء « الهلال » الى مناقشتها باسهاب ، أظن أن من حق المقال الذى اختتم النقاش أن ينال ما يستحقه من التحليل والتعقيب . فى بداية مقاله ، حذرنا الدكتور حتاتة من الانزلاق الى التفكير غير العلمى ، وذلك بالجنوح الى التركيز على حقيقة أو حقائق ثانوية ، وكأنها تمثل جوهر المشكلة المطروحة . وقد فسر ذلك بالعجز عن رؤية الاشياء فى شمولها بسبب الموقف المنهجى الخاطىء وتغليب المصالح الذاتية أو الطبقية على التناول الموضوعى المنزه الذى ينفذ الى قلب المشكلة . لا يختلف ، أو لا يجب أن يختلف ، اثنان على ذلك . ولكن ، هل ينطبق هذا الوضع على المثال الذى اختاره الكاتب الفاضل ، وعلى موضوع الحداثة والتقليدية بالذات ؟ وحتى يتابع القارىء هذا التعقيب بسهولة ، اذكر باختصار شديد أن الدكتور حتاتة اختار كنموذج للمنهج الخاطىء السابق وصفه ، تعليقا للاستاذ مصطفى عبد الغنى نشر فى الاهرام بتاريخ ١٩ يوليو ١٩٨٥ تحت عنوان : لماذا تقدم الفكر اليابانى وتأخر الفكر العربى ؟ هذا التعليق يتناول رسالة الدكتوراه الخاصة بالاستاذ عبد الغفار رشد ، وموضوعها : التقليد والحداثة فى التجربة اليابانية . اذا كانت الرسالة قد ذهبت الى تفسير أن التقدم الذى احرزته اليابان يعزى الى نجاح المفكرين والمثقفين اليابانيين فى الاهتداء الى الصيغة الملائمة للمواءمة بين الحداثة والتقليدية ، فلا غرابة فى ذلك . وبرغم ما بيننا وبينهم من اختلافات ، الا أننا ينبغى أن ندرس هذا النموذج لنعرف كيف أتيح لهؤلاء المفكرين والمثقفين تحقيق ما وصف بالمعجزة .

كما أن موضوع الحداثة والتقليدية يعد أكثر أوجه المشكلة سخونة ، ولا أظن أحدا يعتبره ثانويا بحال من الاحوال . ورغم عدم تبينى للحقائق الثانوية التى لا يجب الارتكاز عليها ، الا أننى اتفق مع الدكتور حتاتة تماما فى شدة اختلاف ظروف اليابان عن ظروفنا وفى عدم انطباق مواصفات الدول النامية عليها ، بما فى ذلك عدم تعرضها لتاريخ طويل من الغزو والتبعية ، كما هو الحال بالنسبة لمصر مثلا . وأعتقد أيضا أن الكاتب الفاضل قد أصاب كبد الحقيقة عندما رفض فكرة المواقف « التوفيقية » بين الحداثة والتقليدية ، لان المطلوب فعلا هو التفاعل بينهما لايجاد صيغة مستقبلية ملائمة ، أما التوفيقية فلا تؤدى عادة الا الى مسخ ايديولوجى مشوه . والخلاصة التى قد يسهل اتفاقنا عليها جميعا أننا يجب أن نأخذ العبرة من كل التجارب الانسانية الاخرى ، القديمة والمعاصرة ، بما فى ذلك التجربتين الالمانية واليابانية ، لنتأكد بلا تردد أن الاساس الاول للتقدم يكمن دائما فى قيام المفكرين والمثقفين بدورهم الحتمى فى مواجهة مشاكل بلادهم ، والتوصل الى الحلول الملائمة لهذه المشاكل . وأننا يجب قبل اتهامهم بالسلبية أو عدم القدرة ، أن نمكنهم من أداء واجبهم بكفاءة . لمصر ، يجب أن نحل أزمتهم قبل أن نطالبهم بحل أزماتنا ، أو أن ندينهم بعدم المسارعة الى تقديم هذا الحل .

د . شريف حتاته



يعود بنا السرد السابق الى ما ذكرته من ضرورة صياغة مجموعة من الاسئلة الاساسية ، التي يجدر بنا أن نجيب عليها لنتعرف على أزمة المثقفين في الدول المتخلفة ، وابعادها التي تؤدي الى اعاقة قيامهم بالدور التاريخي المنوط اليهم . ولقد آثرت أن أعرض هذه الاسئلة على شكل عدة مجموعات ، تتكون كل منها من عدد من الاسئلة المترابطة . هذه المجموعات هي :

١ ـ ماهي سمات مثقفي الدول المتخلفة ؟ كيف يتم تكوينهم فكريا ؟ ما تأثير مختلف العوامل الداخلية والاقليمية والدولية على هذا التكوين ؟ وما تأثير الانتماء الطبقي لكل منهم على موقفه من مشكلات وطنه ؟

٢ ـ ماهو الدور المطلوب من مثقفي العالم الثالث المتخلف ؟ وما مساحة الحركة المتاحة لهم لممارسته في ظل السلطات الواسعة لمؤسسات التأثير والحكم في دولهم ؟ وما تأثير طبيعة الممارسة الديموقراطية ومدى جديتها على كفاءة قيام المثقفين بواجبهم ؟ والى أي مدى يستطيعون المشاركة في صنع القرار ، وفي الدفاع عنه ؟ .

٣ ـ ماهدى تأثر دور المفكرين والمثقفين بالتفكك المهني الذي تعاني منه الدول المكونة لاقليميات كبيرة ، يمكنها لو حاولت أن تواجه العالم الخارجي ، وأن تحل مشكلاتها بشكل أكثر تكاملا وفعالية ؟ وهل قصر المثقفون في مواجهة التفكك ، ورأب الصدع ؟

٤ ـ ما حجم الاحباط الذي يعاني منه كل المثقفين ذوي الانتماء الوطني من جراء الانهيار النظري والفعل لنموذج عدم الانحياز ؟ وكيف يمارس هؤلاء دورهم التاريخي بحرية، في ظل سيف التبعية السياسية والاقتصادية والتكنولوجية المسلط على رقابهم من جراء الفقر أو الضعف أو الاثنين معا ؟ وهل هذا هو قدرهم ؟ أم أن بيدهم تغييره ؟

٥ ـ كيف أدت هذه العوامل مجتمعة الى نزيف العقول المستمر ، بدرجة جعلت بعض الدول النامية تضع الخطط لعودة مهاجريها أو الانتفاع بخبراتهم ؟ وما تأثير الهجرة الطويلة على كفاءة العطاء عند العودة الكلية أو الجزئية ؟ وهل يبذل المزيد من العناية بمن لم يهاجر ، حتى لاينقد أو يجهض ؟ وهل هنالك تخطيط لتناسب العرض مع الطلب بالنسبة للهجرة المؤقتة ، أي العمل في الخارج لفترة محددة ، حتى لاتبخس حقوق الكثير من المثقفين الاكفاء ، ويقل قدرهم في سوق العمالة العالمي نتيجة لغياب هذا التخطيط ؟

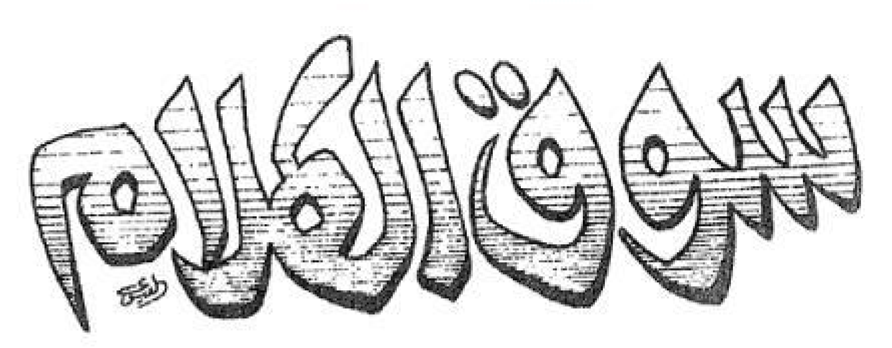
لا ريب أن المشاركة في الاجابة على هذه الاسئلة المتشعبة ستمكننا من التعرف على أبعاد مشكلة عدم قدرة المثقفين على القيام بالدور المرجو منهم ، وان كان تلمس الاعذار ، مهما كانت حقيقية ، لا ينفي حتمية نضالهم في سبيل تمكينهم من القيام بهذا الدور ، لانه في واقع الامر أكبر حق من حقوقهم ، بقدر ما هو أكبر واجب مطلوب منهم ، وبغيره يفقدون حتى مبرر وجودهم نفسه . ولكي ندرك مدى الخسارة التي تتكبدها الدول المتخلفة من جراء التأخر في مواجهة هذه المشكلة ، علينا أن نحاول بشكل علمي قياس التأثير السلبي

لنقص الاسهام الكفء لمثقفى هذه الدول على المستوى الحضارى بمكوناته الفكرية والسياسية والتنموية • ان مثل هذه الدراسة الجادة ، رغم الصعوبة البالغة التى تتميز بها ، ستوضح تماما وبشكل علمى محدد لمساحة الخطب ، والتداعيات الخطيرة لاستمرار التأخر فى المواجهة •

وبعد ، فقد ركزنا فى العرض السابق على وضع أسئلة ملحة ، لا تكفى الاجابات المختصرة المتسرعة ، مهما بدت واضحة من بين السطور ، فى أن توفيها حقها من الدرس والتحليل • هذه الامثلة لم تكن بحال من الاحوال محاولة لتبرير موقف المثقفين •• انها لم ترم الكرة فى ملعب غير ملعبهم ، فمن سيجيب عليها ؟ اليسوا هم أنفسهم ؟ وهنا أرجو من سيرى مشكورا المشاركة فى النقاش أن يكسب اجاباته الملامح العربية المصرية بقدر الاستطاعة ، لمن هذا المنطلق سنتلمس الطريق الى الحلول • هذه الحلول المرجوة يجب أن تنطلق من واقعنا الخاص ، وأن تتبنى كما ذهب الدكتور شريف حتاتة بحق ، على أساس التفاعل الخلاق بين الحداثة والتقليدية ، وان كنت أفضل كلمة الاصالة بدلا من الاخيرة • فاذا كانت التقليدية مشتقة من التقليد ، فان الاصالة تعنى التمسك بالعناصر الايجابية التى أدت الى انتصار الامم فى معارك التقدم الماضية ، باعتبارها الجذور الحقيقية التى تغذى الروح النضالية فى معارك التقدم الحاضرة •

واخيرا ، لنا وقفة • أظننا لا نظلم أحدا اذا قررنا عدم امكانية كل المثقفين القيام بهذا الدور • فان من يستطيع القيام بذلك ، وكما ذكر الدكتور حتاته ، هو الذى يتفهم معنى حداثه القادرين على الوصول الى قاع المجتمع ليستمع مع الملايين عندهم المرتقب ، وسيسقط فى الطريق من يزمن بحداثة التطلعات الطبقية وسباق المكاسب الشخصية، ومن الأخص أن يكون مستسلما للتبعية ولكل اشكال الاستعمار الجديد • أى أن معركة التقدم فى الدول المتخلفة تتطلب عطاء من كنا نسميهم بالمثقفين الثوريين ، لكن هذه التسمية لم تعد تتردد كثيرا ، لعل المانع خيرا • وبصرف النظر عن الاسم ، فان الامر يشتمل على موقف نخبوى بصورة أو بأخرى • وان كانت النخبوية هنا من النوع الذى نؤيده ، لانه يختلف عن نخبوية النصح والوصاية والمصالح الذاتية الضيقة •• فهذه نخبوية يجب أن نرفضها تماما • ولا يبقى الا أن نشكر ثانية « الهلال » ، والكاتب الفاضل الذى افتتح الحوار ، راجين اتصاله ومساهمة أكبر عدد من المهتمين فى اثرائه بارائهم •• بل اننى أدعو عقد ندوة لتدارس كل أوجه المشكلة بشكل يمكن فعلا من الوقوف الى أول الطريق السليم لحلها • فالحل ممكن •• ممكن • وسيكون تسويفه أو تأخيره أكبر خطأ تاريخى فادح يمكن أن ترتكبه الامم المتطلعة الى التقدم • أدعو الله مخلصا الا تقع أمتنا العربية أو مصرنا الغالية فى هذا الخطأ •





• قصة مصرية •

بقلم : كاميليا كمال الدين

لا أعرف كيف وجدت نفسي بينهم لا أملك غير عقل بدائي وقلب فطري.. جلست صامتة .. فسألني أحدهم . ما اسم السيدة ؟

قلت أظن نجوى ..

عفوا لا تقاطعني ففي سوق الكلام اي قول محتمل سواء أكان منطقيا او غير منطقي ... واللامنطقية خاصة لها اعتبار آخر .

قال الجالس الى جواري ..

ان أحد العلماء قال، ان سر الحياة موجود في كهف اسفل قمة جبال الهيمالايا من يصل اليه يدخل يسارا ثم يتحرك يمينا !.. وسوف يجد صندوقا صغيرا مغلقا في هذا الصندوق يوجد به سر الحياة لاجابه مستمعه .. قد تسلقت أعلى قمم العالم والتفت قليلا أسفل القمة ولكني لم أجد كهفا ولا صندوقا .. فأجابه العالم ساخرا

.. ومن قال لك صدقتني ! حينئذ .. هم واحد منهم وانتفض وقال صلى على النبي ..

أجاب البعض وصمت الاخرون .. جلس على طرف المقعد ومد ساقه الى الامام ثم قال ... زيد النبي صلاه ..

أجاب البعض .. اللهم صلى عليه .. تناول حلقة مفاتيحه .. حيث تلقفها بيد وتناولها بالاخرى ثم قال .. اقرأوا الفاتحة لاجل النبي .. قرأها البعض .. وصاح هو قائلا .. غدا سوف أرسل لكم سيارة الحاجة .. امى « الام بركة خير » . ستقضى يومين فى شاليه الحاجة في العجمى ..

قال الاخر : وهو يضع ساقا فوق الاخرى ويفرك أصابعه ..

هل كان يتصور أحد ان يصل سعر البطيخة الى خمسة جنيهات ؟ كان الجالس الى جوارى يتمتم بصوت خافت

ومالبث أن ارتفع فجأة . قال .. كيف دخل ابليس الى الجنة ؟

ثارت حميتي وتصورت انني مسئولة عن الجواب .. قلت والله لم اكن قد وجدت آنذاك ولكن على قدر معلوماتي فان « ابليس » كان ملاكا وعندما أبى ان يسجد لآدم صار شيطانا وطرد من الجنة، نظر الى متحديا كأنه يتوعدني .. ثم قال .. كان للرسل والاولياء معجزات .. اما يختص امريء في عالمنا هذا بمعجزات سماوية ؟

تمتمت ترا أيصدق المرء في عالمنا هذا صنع نفسه حتى يصدق صنع ربه ؟

هم وانتفض مرة أخرى ثم قال .. وحدوا الله .. أجاب البعض في صوت جماعي .. ثم قال .. على الغالي يارب .. على الغالي يارب ماراَيكم الآن في سهرة نرى فيها براقصة .. الرقص الشرقي ممتع .. نظروا الى بعضهم



سوق الكلام

قصة قصيرة

لم يسمعوا [illegible] كان الناس .. كانت [illegible] بيننا نتكلم بالمشاعر الصادقة .. ثم قال: انا لن [illegible] أن [illegible] يتكلم [illegible] الكلام ..

وضحكنا ونحن [illegible] بين السماء والأرض .. ثم قال: الله موجود في كل شيء هو النفس العظيم .. الان قد ذهبت ولا أحد يستطيع أن يراك .. ولم أتكلم لم أكن [illegible] أراه جيدا ولكن لا أحد هنا [illegible] الاخضر .. [illegible] رأسه على كتفه ثم قال: من أرادني [illegible] ليستدعيني [illegible] ورشف رشفة من [illegible] ماء ثم قال الناس جميعا موجودون بداخلي [illegible] استطاع أن يتخطى حدود السور سوف [illegible] على [illegible] حلوتي ..

كنت على وشك الجنون [illegible] سألته .. قل بالله يا سيدنا كيف يكون الناس بداخلك؟ نظر إلى [illegible] ثم قال .. [illegible] سيدكم .. ثم ابتسم وقال .. منذ أن نولد ونحن نتلقى الحياة من الناس الآخرين ذلك أن الناس موجودون بداخلي ..!

ترددت لوان ثم قلت .. كيف يكون لك سورا يتخطاه الناس .. فضحك .. وهز رأسه وأمالها بيننا ثم قال ..

نعم .. الاحساس بالانسان والتعمق في أعماقه هو كسر حواجزه ..

وقبل أن يكمل حديثه قاطعتنا الفتاة السمراء بغتة وعلى غير توقع .... بضحكة لها رنة متميزة. حدقت بعينيها في الجميع ومالت برأسها على كتفي الشاب الجالس الى جوارها، وكانت أصابعه تعبث بخصلات شعرها الأسود المسدل بغزارة على كتفيها .. ثم قالت .. أحب أن أتناول [illegible] ... ذلك بشعري [illegible] بمكان الشباب [illegible] جدا وقامت الى [illegible] ... [illegible] وقال .. لم يتكلم واحد منكم عن الكرة مع أنها أيسر طريقة لمخاطبة الجماهير .. ترى أي عهد من العهود اتفق المجتمع على رأي أحد .. كما اتفقوا على تشجيع النوادي الكروية.

ـ رشف أحدهم رشفة من فنجان القهوة ثم قال .. الزحام شديد جدا على «الاوكازيون» كأن الناس جميعا على موعد. مؤكد حدثت تخفيضات هائلة على الملابس المجاهرة!

فجأة انفعل الجالس الى جواري واحتد وقال .. ترى هل يتوصل العلم الى قراءة بواطن الانسان! أين تذهب أسرار المخ بعد الموت؟ العقل البشري مليء بالاسرار كم أقلقت عقول الزعماء والفلاسفة والعلماء على أسرار .. ذهبوا جميعا بأسرارهم وأسرار الناس معهم ..

عفويا تكلمت .. قلت: ان التي تتكلم وتتحرك وتفكر، هي الروح والروح سر الهي .. ولكن لم يصغ ـ كالعادة ـ أحد .. ولكن الدقة كانت شديدة، اخترتها المنضدة بقبضة يد قوية أعتقد انها كانت مسموعة لدى الجميع ..

ثم انفجر القائل كالبركان .. المشكلة انه لا يوجد علف للبهائم ثم قل لي بربك لم لا يحدث ارتفاع في أسعار اللحوم ولم يصمت الا عندما سقط على حذائه رماد اللفافة التي كانت في يد الجالس الى جواره، عدل من وضع نظارته .. ـ سمع وقال .. ان النبات تعود اليه الحياة عندما يصغي الى الموسيقى

تراجع واحد آخر وتنهد ثم قال: دائما نحن نشتري

القديم ونعيش فوق سطح الجديد فتتعلق على ارجوحة في مرئية الهواء .. او استطعنا استخلاص القيم من القديم ومعايشة الجديد بعقل معاصر سوف لا تحدث فجوة اجتماعية .

حينئذ هب الرجل ذاته والتفش وقال .. صلى على النبي ..

العربة المجاورة لنا تحتكر اشجار المانجو .. وحدوا الله ! .. صاحب العربة صديقي جداً ... ما رأيكم في قفص مانجو الآن .. قال الجالس الى جوارى بصوت خفيض .. الانسان في نهاية المطاف يتحول الى ذرات كونية .. ذلك يعنى أن معلوماته وافكاره موجودة في الفضاء الخارجي .. والا فأين تذهب ! ..

كان الثالث ينظر الينا جميعا نظرات صقرية حادة .. كأنه يتفحصنا اويقرأ افكارنا او يحولنا الى الات تتحرك بالعقل الاليكتروني او كان يده تمتد الى احشاء ايامنا تحولها كيفما اراد سواء أكان جهازا يتحرك بالكهرباء أم آلة تمتص الاشعة الشمسية ... ثم قال .. الروح التى تسألون عنها توجد في لحظة الجماع بين الرجل والمرأة .. والعقل الذى حيركم مخلوق من نطفة ويتحكم العقل امكن تحقيق الخيال .. بالسيطرة على كثير من الموجودات وكشف اسرارها .. فمثلا توصل العلم الآن الى جميع الاصوات الموجودة في الفضاء الخارجي منذ الاف السنين وسوف يأتي يوم نستطيع ان نسمع حديث القدماء ..

ولانني اعرف عدم استطاعتي ان اتكلم في سوق الكلام فقد ابتسمت فقط .. كانت السيدة الجالسة امامى تغنى نعم تغنى .. بصوت حالم رقيق .. « يا الكويت بالنار فرح العزول في » ثم قطعت الغناء وقالت .. هل يستطيع العلم الحديث جمع اصوات كائنات غير مرئية ؟ ولم تنتظر الجواب .. واصلت الغناء .. « والقلب بات سهران يا روحي وعينيه .. ليه كتر صدك .. ليه ؟؟

قال الثالث .. وهو يبتسم .. السيدة تقصد المخلوقات الفضائية ؟ اعنى سكان الكواكب الاخرى ؟.

واجاب على سؤاله .. الواقع أن فكرة تسخير الكائنات الفضائية لم ترد في البحث .. قطعت الغناء وقالت .. الم يفكر احدكم في تسخير الجان او اكملت الغناء قال الجالس الى جوارى .. السيدة تعنى العودة الى السحر ؟

قالت وهى تهم بمواصلة الغناء .. اعنى تسخير الجان بأسلوب علمى قال الثالث والابتسامة الجامدة تملأ شدقيه ..

السيدة تعنى أن يحدث انقلاب كونى ؟!

كان الثانى مايزال هائما بعينيه فى كل اتجاه .. ثم شملنا جميعا بنظرة ذات معنى واحد .. ثم قال .. انقى مافى الوجود الحس الداخلى .. قلبك هو دليلك ..

حينئذ هب الرجل ذاته والتفش كعادته ، وقف وجلس فى ثوان ثم ضحك .. وقال ..

صلى على النبى .. ولم يجبه احد .. قال زيد النبى صلاه ..

ولم يجبه أحد ... قال .. ألا ينقض هذا الحديث ..؟

مارأيكم فى زجاجة بيرة الآن مع العشاء ؟

حينئذ احسست اننى فقدت قدرتى على الاستماع وقمت وانا اشعر بهزيان . وتساؤلات متداخلة ..

ابليس .. الوجود .. الانسان .. الفضاء .. الجان .. الكرة . بالسحر يمكن تسخير الانسان .. بالعلم يمكن تسخير الجان رددت الجملة من اللاوعى .. حينما تأكدت مما اقول ادركت اننى افقت .. !! يا الكويت بالنار فرح العزول فى ..

كنت اريد ان اضحك كثير .. كثيرا جداً .

وسألنى احدهم قبل أن امضى .. اظن اسم السيدة .. ؟

قلت ربما مذيعة ..؟

• الإسلام وبرنارد شو •

كيف تحايل "شو" على الرقابة والقراء؟

كان برناردشو يرى ان الكتابة عن الانبياء اهم عند الكاتب المسرحى وافيد من الكتابة عن الغزاة والفاتحين .

وقد ذكر فى مقدمة مسرحيته « انكشاف بلاسكو بوزينت » ان فكرة تاليف مسرحية عن حياة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحت عليه زمنا طويلا وانه لم ينفذها مع ذلك خشية ان يحتج السفير التركى عليها وان يحمل ذلك الرقيب على النصوص المسرحية ، على منع عرضها .

وهاجم « شو » فى الوقت ذاته الرقابة وقال إن منع عرض مثل هذه المسرحية امر غير مفهوم وفى المكتبات ترجمات للقران وصف محمد في مقدماتها بانه « دجال » ! ، كما وصف فى المؤلفات القديمة بانه « كلب » او « شيطان » ! !

والراجح لدينا ان خوف الرقابة لم يكن العامل الوحيد الذى جعل مؤلفنا يعدل عن فكرة كتابة مسرحية عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانه كانت هناك اعتبارات اخرى مثل احترامه لمشاعر المسلمين الذين يكرهون ان يظهر نبيهم كبطل او شخصية فى مسرحية حتى إذا لم يكن فيها تجريح له وإذا كان مؤلفها لايبغى من كتابتها سوى الاشادة به والثناء عليه .

ومن الجائز ايضا أن يكون « شو » قد خشى أن يصدم مشاعر الشعب الانجليزى ، وهذا هو الاحتمال الاكبر .

إن الانجليز على استعداد دائم لسماع اى نقد يوجه إليهم ، لاسيما إذا كان صادرا من الداخل ، اى من كاتب إنجليزى ، وقد سمعوا وقرءوا من نقد برنارد شو لهم ومن سخريته بهم الوانا واشكالا . سمعوها وقرءوها ولم يغضبوا . ولم يمنعهم إصرار المؤلف على تاكيد انه ايرلندى (رغم ان ايرلندا فى ذلك الوقت كانت تابعة للتاج البريطانى) وليس إنجليزيا ، من تقبل نقده بصدر رحب ومن الاقبال على قراءة كتاباته وحضور مسرحياته والضحك والقهقهة على انفسهم حين يبرز عيوبهم ومساوئهم باسلوبه

محمود علي مراد - جنيف

الفكه ونكته اللاذعة . ومن امثلة ذلك انه كتب مسرحية « جزيرة جوق بول الاخرى » التى اشرنا اليها في مقالنا السابق ، في نقد الانجليز من وجهة نظر الايرلنديين . بفكرة عرضها في مسرح ايرلندى . لكى يضحك الجمهور الايرلندى على الانجليز . ولكن الظروف حالت دون قيام الغرفة الايرلندية التى كان من المفروض ان تمثل المسرحية . بعرضها وعرضت المسرحية بدلا من ذلك في لندن ونجحت لدى الجمهور الانجليزى نجاحا تجاريا منقطع النظير كان اول من فوجىء به هو برناردشو . ومن امثلته أيضا انهم كانوا يضحكون ملء اشداقهم من طريقة مؤلفنا في إقحام شخصية أو شخصيات إنجليزية في مسرحياته ، سواء كان موضوعها يسمح بوجود هذه الشخصية او لايسمح ، كما فعل في مسرحية قيصر



وكليوباتـره ، لالشيء إلا للتعريض بالانجليز والسخرية منهم

ولكن هناك اشياء لايستسيغها الانجليز رغم تقاليدهم الديمقراطية التي تكفل حرية الرأى وحرية التعبير ورغم طبيعتهم المرحة التى تقبل الفكاهة حتى على حساب انفسهم

ومن هذه الأشياء أن يأتي كاتب كبرنارد شو ، فى وقت اجمعت فيه الأمة اسرها على الدخول فى حرب ضد المانيا سنة ١٩١٤ ، ويقول إن الأسباب التى يستند إليها هذا القرار خاطئة وإن الالمان ليسوا ـ بالمقارنة بالانجليز ـ شعبا مجرما باغيا كما تصور وسائل الاعلام البريطانية .

ومنها إن يحدثهم أحد عن الاسلام او عن نبيه حديث المعجب المفتون . .

حساسية خاصة

إن لدى الانجليز والغربيين بصفة عامة حساسية خاصة فيما يتعلق بالاسلام . هم لايطيقون كثيرا ان يذكر الاسلام ونبيه أمامهم بخير . وحساسيتهم حيال هذا الدين الذى كانت دوله ضعيفة مهيضة الجناح او كانت خاضعة لهم ، اكبر من حساسيتهم حيال الألمان . فالالمان ـ مهما يكن من امر اقوياء ، وهم غربيون مثلهم ، ومسيحيون مثلهم ، وأصل حضارتهم وأركانها هى أصل وأركان حضارة الانجليز .

والناس فى الغرب لاتمانع فى سماع الحديث عن محاسن الحضارة العربية فى عصورها الذهبية ، ايام العباسيين وفى أسبانيا مثلا . ولكنهم لايصبرون كثيرا على الاستماع إلى من يتحدث عن عظمة



الاسلام باعتباره نظاما إنسانيا له قيمه حتى فى مواجهة الحضارة الغربية المنتصرة ، ومن يقول إن هزيمة العالم الاسلامى أمام التفوق الحربى والحضارى لدول الغرب وروسيا لايغض من قدره كدين ونظام إنسانى .

هذا حديث تمجه أذواق معظم الناس فى الغرب ويصدم معتقداتهم الاصيلة . فهم يفضلون البقاء على ارائهم بشان الاسلام لانها مريحة ، ولأنها تبدو لهم منطقية ، وأخيرا لانهم قد تعلموها ونشئوا عليها منذ نعومة اظفارهم ودرسوها عن ابائهم واجدادهم .

فالاسلام دين متاخر بدليل ضعف دوله وتاخر شعوبه .

وهو دين حرب وسيف بدليل حروبه العديدة مع العالم المسيحى واستيلاء المسلمين على بلاد كثيرة كانت فى يد المسيحيين

وهو دين همجى بدليل انه يقر نظام الرق وأن النخّاسة فى إفريقيا كانوا من العرب ! !

ورسوله كان رجلا شهوانيا له حريم كثير من الزوجات والاماء !

وكان فى الحرب مقاتلا متعطشا لسفك الدماء لايرعى الاّ ولاذمة ولايحترم قواعد

الحرب فى معاملة الأسرى ولاتأخذه بعدوه شفقة ولارحمة !

وكان يؤلف كلاما من عندياته او ينقله عن غيره ، ثم يدعى أنه موحى إليه من الله عن طريق ملك من ملائكة السماء ! !

ودينه ـ على أحسن الفروض ـ كان دينا إن صلح لبنى قومه من العرب فى شبه الجزيرة لايصلح لشعوب اخرى تختلف عن عرب الجزيرة فى الظروف ، كما لايصلح خارج زمانه .

وكان برنارد شو يخالف هذا كله وأغلب الظن أنه حين فكر فى تأليف مسرحية عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يريد أن يتخذ منها وسيلة لتصحيح هذه الافكار الخاطئة ، إحقاقا للحق ، من ناحية ، ورفعا ، من الناحية الأخرى ، للحواجز النفسية التى تحول دون نهل الغرب من مناهل الاسلام فيما يساعد على إصلاح مافسد من احواله واحوال الناس فى كل مكان ، وينقذ العالم من المصير الذى كان « شو » يرى انه منحدر إليه لامحالة إن استمر فى إدارة ظهره للحلول التى اتت بها الديانات .

ولكن « شو » وجد بلا ريب ان القارىء ، الانجليزى ليس فى حالة نفسية وذهنية تسمح له بتلقى هذا الدرس والاستفادة منه إذا القى عليه دفعة واحدة بهذه الصورة الصريحة المباشرة .

إن برناردشو ليس بالكاتب الذى يسمح لشىء ، بأن يثنيه عن كتابة مايرى ان واجبه كمفكر يحتم عليه أن يكتبه . كما أنه ليس بالكاتب الذى يسير وراء القارىء ولايقدم له إلا مايستمرئه ويستسيغه . لقد كان يرى أن مهمته هى إيقاظ النيام وهز

دعائم المجتمع الفاسدة وتحطيم الافكار الخاطئة ومواجهة الناس بعيوبهم . لذلك كان الصمت عن آرائه مهما كانت الأسباب خيانة لرسالة الكاتب وإقرارا بالعجز لايرتضيهما لنفسه .

وطريقة التحايل التى اختارها برناردشو هى الرمزية بمعناها الواسع . وقد استخدم هذه الطريقة التى استخدمها قبله الكاتب المسرحى النرويجى ابسن ـ الذى كان لشو فضل تعريف الجمهور الانجليزى به ـ والتى لها كذلك جذور قديمة فى الآداب الاوروبية ، فى عديد من مسرحياته للتحدث عن محمد وعن الاسلام مع إحداث اقل قدر من النفوذ والانزعاج لدى القارىء الانجليزى .

وتتمثل الرمزية التى استخدمها « شو » فى انه كان يخفى وراء المعنى الظاهر للمسرحية او لأشخاصها معنى باطنا ويترك لحصافة القارىء ومشاهد المسرحية وللنقاد ان يفهموا الرمز والمعنى المستتر ويكتشفوا ماتعمد الكاتب إخفاءه .

ورمزية « شو » احيانا صعبة الحل لانها تتضمن إحالة إلى أعمال أو كتابات او شخصيات أو أحداث يصعب على من لم يعرفها أو يطلع عليها أن يفهمها ، وقد ترتب على ذلك غموض كالغموض الذى يشوب احيانا بعض كتابات إبسن . ولهذا ، ولكى لايترك برناردشو القارىء فى الظلام ، فقد زوده فى كل مسرحية تلعب فيها الرمزية دورا مهما بعدد من « المفاتيح » التى تيسر له ، إذا بذل مايلزم من جهد ، عملية الاهتداء إلى المعنى الذى يرمى إليه من كتابة المسرحية ، أى معناها الباطن .

مم تتكون هذه « المفاتيح » ؟

هى تتكون أولا من فلسفة برناردشو العامة فيما يتعلق بالاسلام ونبيه الكريم



وبالسيد المسيح ، وهى فلسفة لاتتضح معالمها وابعادها إلا بالاطلاع على جملة أعماله من مقدمات ومسرحيات وكتابات أخرى ، وربط دلالاتها ببعضها البعض والمقارنة بينها ، ومحاولة التوصل إلى الاسس والمبادىء التى تهيمن على فكر المؤلف والتى يصدر عنها فيما يكتب

وهى تتكون ثانيا من اشياء فى المعنى الظاهر للمسرحية تبدو ، بشىء من التعمق ، مفتعلة او غير معقولة او تخالف المالوف مخالفة صارخة . لقد حاول المؤلف فى مسرحياته الرمزية ، كما هو طبيعى ، ان يجعل المعنيين الظاهر والباطن مقنعين ، بحيث لايحس القارىء والمتفرج الذى لايخرج من المسرحية إلا بمعناها الظاهر بأن فيها شيئا ناقصا او غير مقبول ، وبحيث لايحس القارىء والمتفرج المتعمق فى الوقت ذاته بأن فلسفة المسرحية لاتقف على قدميها . وقد نجح برنارد شو فى حالات كثيرة ، لاسيما متى كانت درجة الرمزية فى المسرحية مخففة ، فى التوفيق بين المعنى الظاهر والمعنى الباطن بصورة تجعل كلا منهما يكاد يستغنى تماما عن الآخر لان دعامات المسرحية من شخصيات وأحداث تصلح لكل منهما بنفس الدرجة . ولكن هذه الدعامات تبدو احيانا ضعيفة فيما يتعلق بالمعنى الظاهر حين تزيد درجة الرمزية

ويضطر المؤلف إلى التضحية إلى حد ما بالمعنى الظاهر إنقاذا للمعنى الباطن .

مفاتيح شو ..

وتتكون « المفاتيح » ثالثا من إشارات خاصة تتعلق بكل مسرحية وترد عادة فى المقدمات . والفكرة السائدة عن مسرحيات « شو » هى أن المؤلف يشرح معناها ويحل الغازها فى المقدمات التى يكتبها عن كل منها (وهى مقدمات طويلة فى العادة بل يفوق طولها المسرحيات ذاتها احيانا) . وهذا صحيح فى بعض الحالات ولكن الذى اتضح لنا من كثرة القراءة والتامل فى مسرحيات برناردشو انه ليس صحيحا فى جميع الحالات . فقد يحدث الا يتعرض المؤلف فى المقدمة إلا لمعنى المسرحية الظاهر وأن يمعن فى التعمية والتضليل فيبعد القارىء عمدا عن الوجهة الصحيحة فى تفسير المسرحية وهو يتظاهر بأنه يقوده إليها وهو فى هذه الحالات يكذب على القارىء مرتين حين يوهمه ان للمسرحية معنى واحدا لاغير هو المعنى الظاهر مرة فى المسرحية ذاتها ومرة فى مقدمتها . اما المفتاح الحقيقى لباب المعنى الخفى فهو موجود فى مكان آخر غير مقدمة المسرحية هو ، فى الغالب ، مقدمة مسرحية أخرى .

ويتمثل المفتاح أحيانا فى الأسماء التى يطلقها المؤلف على أشخاص مسرحياته . والمدقق فى هذه الأسماء يكتشف أن هناك ، فى حالات كثيرة ، صلة وثيقة بين اسم الشخص وبين الدور الذى يلعبه فى المعنى الخفى .

وهو يتمثل احيانا فى عبارة ترد فى الحوار ، واحيانا فيما يسمى « بالتوجيهات

المسرحية » أى التعليمات التى يعطيها المؤلف للمخرج فى أول الفصل أو المشهد أو عند خروج ودخول بعض الاشخاص ، ليرتب على مقتضاها المنظر والأثاث والصور والتماثيل والمقاعد وزى الممثلين وهيئتهم إلخ . وقد اعتاد « شو » ان يطيل فى هذه التوجيهات إطالة غير مألوفة بين كتاب المسرح وهو يضمنها أحيانا بعض الاشارات التى هى بمثابة « مفاتيح » كأن نجد فى مسرحية من المسرحيات ، وبغير مناسبة تقتضيها الأحداث أو يتطلبها زمانها أو مكانها ، « رجلا تركيا » أو « رجلا يرتدى زيا عربيا » أو « جمالا » أو « تمرا يأكله الأهالى » أو « أثاثا شرقيا فاخرا » . هذه الاشارات التى لاينتبه إليها القارىء عادة لأنها قصيرة أو سريعة لاتتجاوز كلمة أو كلمات ، تبدو دخيلة على المنظر ، ولكنها فى الواقع إشارات مقصودة قصد بها المؤلف أن يلفت النظر ، من طرْف خفى ، إلى زاوية غير تلك التى ينظر إليها القارىء أو المشاهد .

والحيل التى استخدم فيها برناردشو الرمزية فى مسرحياته عديدة . وقد نتجت أولاها - كما نتصورها - عن الموقف الذهنى التالى . الناس حين تصف شخصا إما أن تصفه وصفا مباشرا يتناول سماته الجسدية وأخلاقه أو تصفه بشخص آخر يشبهه . الوصف المباشر إذن هو وصف للشخص ذاته أما الوصف بالشبه فهو ينصب على شخص آخر . وأنا أريد أن أصف محمدا فى عظمته وأخلاقه ولكن الرقيب والقراء لايقبلون أن أصفه وصفا مباشرا . إذن فلأ صفه بالشبه . ونظرا إلى أنه ليس هناك ، حسب علمى ، شخص




برناردشو « أرأيتم هذا الشخص ؟

يجمع نواحى عظمة محمد كلها فلا عالج كل ناحية منها على حدة ولأختر لها شخصية من الشخصيات التاريخية تشترك مع محمد فيها ولو بمقدار ولأصف هذه الشخصية للناس وعينى على محمد ، وبعد أن أفرغ من وصفى ألتفت إليهم وأقول : « أرأيتم هذا الشخص ؟ إن محمدا يتشبه فى هذه الصفة . »

حيل برناردشو

والشخصية الأولى هى شخصية فاتح ورجل دولة عظيم كان لايلجأ إلى الحرب إلا إذا أعياه التوصل إلى مايريد بالوسائل السلمية

والشخصية الثانية هى شخصية فتاة جعلت منها الكنيسة الكاثوليكية قديسة كانت تقول إنها تسمع أصواتا من عالم





آخر تلقى إليها أوامر معينة ، وكانت تحارب وتحرض على حرب أعداء بلدها .

والشخصية الثالثة هى شخصية ملك عظيم له ولع كبير بالنساء ولكن ولعه بهم لم يمنعه من النهوض بأعباء ملكه كأحسن مايكون النهوض .

والذى أراده « شو » ـ حسب نظريتنا ـ من اختيار الشخصية الأولى هو الرد على من يتهمون محمدا بأنه رجل سيف يُحب الحرب للحرب . والذى أراده من اختيار الشخصية الثانية هو الرد على من يتهمون محمدا بالدجل لقوله انه يتلقى وحى ربه من جبريل ومن ينعون عليه انه لم يكتف ـ كالمسيح ـ بالكلمة وسيلة لابلاغ دعوته . والذى أراده أخيرا من اختيار الشخصية الثالثة هو الرد على من يعايرونه بحب النساء .

أما الحيلة الثانية التى استخدم فيها برناردشو الرمزية فهى نفس الحيلة الأولى ولكن بمفهومها العكسى أى : وصف الشخص بالمقارنة بنقيضه . وقد وصف « شو » بموجب هذه الحيلة شخصية لفاتح يغظمه الكثيرون ويعتبرونه عبقريا ولكنه هو يرى أنها ليست من العظمة ولا من العبقرية فى شىء ، كل مافى الأمر أن ظروفا خارجة عن إرادتها مهدت لها فرص النجاح وماكان يمكن أن تنجح بغيرها علما بأنها لم تكن تسعى إلى غاية نبيلة وانها أضرت بالجنس البشرى وسببت للناس آلاما كثيرة بلا داع . وجعل المؤلف محمد المقابل العكسى لهذه الشخصية .

والحيلة الثالثة التى لجأ إليها « شو » هى أن يصف الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وصفا مباشرا يصوّر فيه جانبا من جوانب عظمته ولكن مع تغيير اسمه وهيئته ـ بل ودينه ـ وأن ينقله إلى ظروف إقليمية وزمنية لاتوحى على الاطلاق بأن الحديث إنما ينصرف إليه .

والحيلة الرابعة هى أن يخلق فى إحدى المسرحيات شخصية ترمز إلى المسيحية حسب مفهومه ويجعلها تعيش فترة فى بلد إسلامى ويسجل ردود فعلها ويقارنها بردود فعل الشخصيات الاخرى .

والحيلة الخامسة هى أن يخلق شخصية رجل مسلم ويجمع بينها وبين شخصية نسائية ترمز إما إلى مجموع الديانات أو إلى الديانة اليهودية ، ويسجل ـ هنا أيضا ـ ردود فعل هذه الشخصية الأخيرة فى اتصالاتها بالمسلم ويقارنها بردود فعلها مع باقى أشخاص المسرحية .

والحيلة السادسة هى أن يتصور أن مركز الامبراطورية البريطانية قد انتقل إلى بلد إسلامى وأن الجزر البريطانية أصبحت بقدرة قادر مكانا يقطنه قوم امتدت أعمارهم حتى بلغت المئات وقد أكسبهم كبر السن رجاحة فى العقل وحكمة لاتتوافران للبشر العاديين ، ثم أن يعطينا فى كلمات قليلة رأى هؤلاء القوم فى المسلمين وفى غيرهم .

هى إذن حيل عديدة توسل بها برناردشو لاخراج محمد ـ صلى الله عليه

وسلم - والاسلام من بيئتهما الطبيعية ونقلهما - بخيال الكاتب المسرحى - إلى قلب العالم الغربى فى أطر ومواقف مما يدخل فى علم أو فى ثقافة القارىء الغربى ، وهدفه من ذلك التعريف بهما وجعل القارىء ومشاهد المسرحيات يألف ذكرهما فى حديث كاتب يكنّ لهما من مشاعر الاعجاب والتوقير مالم يتعوده ، وذلك بصورة لاشعورية إذا كان لايقف من المسرحيات إلا عند معناها الظاهر ، او

بصورة شعورية واعية إذا اهتدى او هداه أحد إلى معناها الباطن ، وإذا فطن إلى ابعاد الشخصية المحمدية التى اراد المؤلف ان يلقى عليها الضوء.

والغريب فى الأمر أن من أكتشفوا رمزية برناردشو فيما يتعلق بحديثه عن محمد بل وفى حديثه عن المسيح عليه السلام قليلون للغاية . وقد عثرنا فى قراءاتنا لنقد مسرحية من مسرحياته على كاتبين احسا بهذه الرمزية ولكن إحساسهم بها كان غامضا ينقصه التحديد كذلك فإنهما لم يدركا ابعاد تأثر برناردشو بشخصية محمد وبدينه.

ومرجع ذلك فيما نرى هو جهل الغربيين بسيرة محمد الحقيقية وبجوانب العظمة التى تنبه إليها برناردشو فى شخصه وفى الدين الذى بعث به . جهلهم أو سوء طويتهم . وقد يكون مرجعه أيضا انهم قرءوا بعض اعماله دون بعضها الآخر أو انخدعوا بتضليله فى مقدماته رغم أنه قال عن نفسه ذات مرة حين سئل أن يصف نفسه انه .. كذّاب ، وكان المفروض الا يأخذوا اقواله فى هذه المقدمات قضية مسلمة ، او انهم يقرءوا مسرحية أو مسرحيات له لم يستخدم فيها الرمز ولم يكن لها معنى باطن . وقد يكون مرجع ذلك أخيرا ان فكاهة المؤلف وخفة روحه فى الأحداث الظاهرة لمسرحياته قد استغرقت انتباههم كله وأن حيله واساليبه المختلفة فى التمويه والتعمية قد انطلت عليهم فلم يفطنوا إلى معانيه الخفية .

ويلاحظ آخيرا أن برناردشو قد قرن فى مقدماته اسم محمد - صلى الله عليه وسلم - بأسماء عدد من الشخصيات التاريخية والمعاصرة التى يعرفها القارىء الغربى ، قرن اسمه صلى الله عليه وسلم باسم السيد المسيح وباسم جان دارك وبأسماء الأنبياء موسى ، وإبراهيم ، وسليمان عليهم السلام ، وباسم قيصر ، وباسم هتلر ، وموسولينى وبأسماء غيرهم .

وكان تعليق «شو» فى المناسبات المذكورة - على عادته - تعليقا مقتضبا للغاية ، لايتجاوز كلمات قليلة . ولكن مغزى هذه التعليقات على قصرها كبير للسبب الذى ذكرناه . فقد كان الجمع بين شخصية الرسول وكل شخصية من هذه الشخصيات التاريخية التى جمع برناردشو بين اسمها واسم النبى العربى فى المقدمات من الشخصيات التى بنى حولها بعض مسرحياته التى اشرنا إليها فى معرض الحديث عن الحيلة الأولى .

ولو أن شو كتب المسرحية التى كان يفكر فى كتابتها عن محمد واكتفى بها لما تسنى له أن يحقق من النتائج كل ما حققه من عملية «الالتفاف» الواسعة النطاق حول الرقابة والقراء الانجليز الذين يكرهون محمدا والاسلام أو يسيئون الظن بهما ولايتحملون الحديث الطويل المتصل عن مناقبهما . هذه العملية التى ظل يقوم بها فى كتاباته على مدى عشرات السنين

مُمثلات أديبات

رحلة الحنين إلى زمن

●● قد تبقى ممثلة السينما مجرد وجه جميل . لكن من المستبعد ان تكون هذه الممثلة ذات الوجوه المتعددة امرأة مبدعة . حتى اذا ابدعت نظر اليها الجمهور على انها تقدم نزوة عابرة ●●

ومع هذا فان نجوم السينما من النساء امسكن اقلاما وسطرن روايات ادبيه بوجه مختلف هو وجه المرأة المبدعة . وفي عالمنا العربي ابدعت الممثلة العربية في العديد من المجالات مثل الاخراج السينمائي وكتابة السيناريو . لكن حديثنا اليوم عن الممثلة الروائية وعلى مدى عمر السينما ـ ٦٠ عاما ـ عرفت ممثلات نزوة الكتابة ومن ابرزهن زوزو حمدى الحكيم ونعيمة وصفى ومديحة يسرى ولبنى عبد العزيز . واكثر هذه الكتابات غيرمنشورة في كتب . الا ان اشهر هذه المحاولات تلكما الروايتين اللتين كتبتهما الممثلة سامية شكرى في اوائل السبعينات ونشرتا مسلسلتين على صفحات احدى المجلات اللبنانية الفنية . وهما خاليتان من الفنية .

والذى حدث مع مطلع العام الحالى يغير هذه النظرة نحو الممثلة . فقد دفعت خمس ممثلات فرنسيات مرة



بقلم : محمود قاسم

العظماء

وداعا فولوديا

واحدة بروايات الى المطابع • وخرجت هذه الروايات لا لتنافس بعضها البعض • بل لتنافس الروايات الاخرى المعروضة فى السوق • وحققت احدى هذه الروايات ـ وداعا فولوديا ـ اعلى المبيعات فى فرنسا لعدة اشهر على التوالى •

الممثلات الخمس شهيرات • بمعنى انهن وصلن الى مرتبة النجومية : انا كارينا ، ليزلى كارون ، جولييت جريكو، مارى فرانس بيزيه • وسيمون سينيوريه • وسوف نرى ان هؤلاء الخمس قد عملن خارج حدود بلادهن وخاصة فى السينما الامريكية بدون استثناء ، وارتبطت بعضهن بمواقف سياسية معينة • مثل موقف انا كارينا وسينيوريه من ثورة الجزائر •وسوف نتناول فى حديثنا ثلاثا من هذه الروايات •

لو اخترنا ان نبدا بمارى فرانس بيزيه التى ذاعت شهرتها اخيرا مع فيلم « الرغبة المدمرة » فان علاقتها بفن الكتابة ليست جديدة ، حيث سبق ان كتبت السيناريو لفيلمين هامين هما: « الحب الهارب » لفرانسوا تريفو ، « سيلين وجولى فى بارب » لجاك ريفيت • وهو فيلم تجريبى يمكن لمن شاهده ان يتاكد الى اى حد تتمتع مارى بحس فنى راق • وانها لم تتجه لكتابة الرواية كحدث عابر • ومن المعروف ان مارى درست الفلسفة فى مقتبل حياتها ثم تخصصت فى العلوم السياسية • عملت سنوات طويلة مع تريفو • كما عملت مع الان روب جرييه فى فيلمه « قطار اوربا السريع» وحصلت على جائزة سيزار فى التمثيل اكثر من مرة •• ورغم ان السينما الأمريكية قد عملت على شهرتها فى الفيلم السابق الاشارة اليه الا انها عادت ـ مثل اكثر النجوم الفرنسيين الذين تحاول هوليود جذبهم ـ الى بلادها ولم تغادرها مرة اخرى للعمل • وفى العام الماضى ادت دورا بارزا فى فيلم « الجبل السحرى » عن

مُمثلات أديبات



سيمون سينيوريه

رواية لتوماس من •

والرواية التي نشرتها تحت عنوان « حفل السيد المحافظ » تنتمي الى ادب المذكرات او رواية السيرة الذاتية فهي تتبلور باحداثها داخل راس الكاتبة لانها وحدها التي عاشتها • مدينتها الصغيرة في كالدوني الجديدة حيث تحترق الذكريات والشباب المرصع باشعة الشمس وصديقتاها اللتان ارتبطت بهما • تيا ، وايزابيل •جمعت المربة كلا من الفتيات الثلاثة في مستعمرات الهند الصينية ، فالاباء يعملون في وظائف عليا داخل هذه المستعمرات•هناك مشاكل يعانيها هؤلاء المستعمرون فوق ارض غريبة•ومشاكل اخرى مع بناتهم • لقد اصبحت الفتيات فاكهة خضراء وعما قريب سوف تنضج • ودائما تتغير الاشياء عندما تكبر البنات • ففي سن الخامسة عشر تتجه الصديقتان الى البحث عن متعة الحياة • اما ماري فانها تدخل المكتبة • تقرا وتمسك قلما • تعرف انها ستغدو يوما امراة حقيقية•ليست التي تثير خيال الرجال • ولكن عقلا يحرك العالم من حوله • يقدم اعظم احاسيسه ومشاعره او كما قال احد الذين عملوا معها « لا يمكنك سوى ان تحترمها » وفي هذه الرواية تهتم الكاتبة بمرحلة التحول عند الصغيرة ماري فالمجتمع الذي يحوطها يفكر بمفاهيم تختلف • فعلى الفرنسيين ان ياخذوا من الهند الصينية كل ما يسبب لهم المتعة • وقد جاء السيد المحافظ يوما لزيارتهم فاقاموا له حفلا رائعا وهو الذي لا يستحق كل هذا التكريم •

والطفلة الصغيرة الشبيه ببطلات كوليت • محبوسة داخل جلدها وتود ان تنطلق • وبينما الحرية امامها فانها لا تريد ان تخترق الحاجز حتى لا تسقط • ولذا فهي تمارس حريتها فوق اوراق تجسد فيها احلامها • تذهب الى الحدائق وتجمع الورود كي تكتب فوق بتلاتها • وبينما نرى البنات في سنها يضعن الكحل في عيونهن تنظر هي الى المراة لترى عينيها ليستا في حاجة الى رتوش اضافية •

وماري لا تتذكر هذه الاحداث في عام ١٩٨٤ حين كتبت الرواية • ولكنها تتذكرها بعقلية فتاة العشرينات • في نفس السن الذي بدات فيها العمل في السينما •• تتحدث انها لم يكن يروق لها تلك الافكار الاستعمارية لهؤلاء الموظفين الذين ذهبوا الى المستعمرات



سيمون دى بوفوار وسارتر وجلسات الوجوديين ..

ليصبحوا كبارا . لاهم لهم سوى ارضاء السيد المحافظ . عليهم امتطاء الجياد والصعود الى المرتفعات والنظر بشموخ الى القرى ويحسون ان هذه الارض ملكهم . هذه النظرة المتخلفة المتعجرفة كانت تفصلها عن ابيها الذى تحول الى رجل اخر عندما عاد الى مدينته الاصلية واصبح شخصا جديدا مختلف عن الاستعمارى المتحجر المفكر.

اما الممثلة الثانية جوليت جريكو التى تقترب الان من الستين ـ ولدت عام ١٩٢٧ ـ فقد عرفت كمطربة وممثلة وصديقة للادباء الوجوديين أمثال سارتر وسيمون دى بوفوار وقيل انها الممثلة التى عبرت عن سنوات الوجودية فى الاربعينات والخمسينات فى اغانيها وافلامها . وخاصة اغنيتها المعروفة « فى شارع المعطف الابيض » ومن ابرز افلامها « شرخ فى المرآة » ، « الشمس تشرق ايضا » عن رواية هيمنجواى .

ورواية « جوجوب » لجوليت بمثابة ذكريات تتناثر من عقل الفنان . ولكن ذكريات جوليت اكثر ذاتية . فهو كتاب عن مسام جلدها . تسمى نفسها جوجوب . فتاة صغيرة رائعة . تقول انه فى عام ١٩٤٣ كانت تعيش سنوات المراهقة الرائعة . قبض عليها الالمان . عذبوها .. لذا قررت جوجوب ان تنام بقية حياتها فى الضوء المستقل . وهى لا يمكن ان تتعرى امام احد قط » . وتقول انها تعلمت من هذه السنوات ان تضحك مثلما تكتب . لقد عاشت احلى سنوات فرنسا . الشباب ملىء بالحيوية والرغبة فى التمرد والتعبير عن الذات . شارع سان جرمين حيث يجلس الفنانون : جان كوكتو وسارتر وسيمون دى بوفوار وبقية الوجوديين . هم يجيدون الثورة . وهى تجيد الغناء « بكلمات الحرية » ويعزف لها الموسيقى « ينيه لوبيتش » .

لا املك شيئا فى وجودى .
فهذا الوجود يثير نهايتى .
انه الاحساس كله
لذا تنساب الاموال من يدى .

وتقول عن سارتر : « كان يحب الاكل ، شرها . متذوقا جيدا » ونعوم

ممثلات أديبات

انه كان يحب أن يتكلم واقفا • وهو من الذين يجيدون السماع حين يتكلم الاخرون •

وجولييت التى لم تعرف سوى رجل واحد فى حياتها مثل كل النساء عرفت صداقة قوية ربطتها ببعض الرجال• المطرب الوسيم ساشاد يستل والممثل ميشيل بيكولى « هناك الذكريات الممزوجة بحب من نوع خاص • حب بلا هدف يحسه شباب يافعون عندما يعزفون على الجيتار فى سان جرمين وهم يكنون مشاعر الحب الصامت • فيهبون خيالات البنات والنساء الغارقات فى الحب • ادارت السعادة رأس جريكو نحو نفسها وتاخرت زمنا طويلا • ذات يوم اطلقت جناحيها وقررت تعيش وحدها فوق سريرهابدون رجل • ثالث الشهرة• تقول انها عندما اصبت فعلا قررت أن تتزوج من الممثل ميشيل ارمير وسعت أن ترزق منه بطفل وعندما جاءت ابنتها بدأت تعلمها اشياء كثيرة • « لم ترزق جوجوب الا بطفل واحد • هى ابنتها التى مثلت بالنسبة لها حب فريد من نوعه • وهى لم تاسف عليه أبدا » •

وترى الكاتبة ان السنوات الذهبية التى عاشتها قد انجبت اعظم رجال القرن العشرين مثل سارتر وكامى وميرلو بونتى وهيمنجواى • وان من حسن حظها ان صادقت هؤلاء العظماء واصبحت مثلهم شاهدا على عصر عاشقة بكل مافيها من وجود واحساس•

***

اما الرواية الثالثة «وداعا مولوديا» فهى اول رواية تكتبها سيمون سينيورية وقد سبق للممثلة أن قدمت منذ تسع سنوات كتابا بعنوان « الحنين لم يكن كما ننتظر » وهو سيرة ذاتية عنحياتها اما روايتها الاولى فهى ايضا نوعاخر من الحنين والذكريات• فسنيورية مثلما يفعل اغلب الروائيين اليهود المعاصرين فارقة ـ حتى فى ابداعها الروائى ـ فى ذاتيتها ولا يهمها سوى جلدها وحدها• فهناك فى قلب المدينة وفى احدشوارعها عاشت اسرتان فى الفترة بين عامى ١٩٢٥ ، ١٩٤٠ • هما اسرتا روجينسكى





وجوتمان وتتمتع سيدتا الاسرتين برقة وانوثة باللغتين • انهما جارتان جاءت احداهما من أوكرانيا والاخرى من بولندا عاشتا طفولتهما في حياة اسرية مترابطة • يهوديتان من نفس الاصل الان بدا الاطفال ينسون اللغة اليديشية التي تعلماها في بلادهما التي جاءتا منها • وتندمج الاسرتان في اللغة الفرنسية وفي ثقافة البلد اللتين حضرتا اليه •

وتتحدث سيمون عن بعض ابناء الاسرة فهناك ستيان واخوه جان الذى يعمل في حقل الازياء • تزوج من امراة مثيرة وساحرة تساعده في اعماله• اما سيمون فتتعرف على اليكس الذى يعرف الكثير عن عالم السينما يحب ان يناديها باسم « ظاظا » ثم يساعدها على الرحيل الى هوليوود قبل ان تطولها ايدى النازيين •

لكن من هى فولوديا ؟ انها احدى بنات العم التي اثرت البقاء في اوكرانيا وجاءت يوما في زيارة خاطفة الى باريس • وجدت الاسرة في حال افضل وكانها شاهد على ما يتمتع به اليهود في باريس • ثم تعود من حيث اتت•

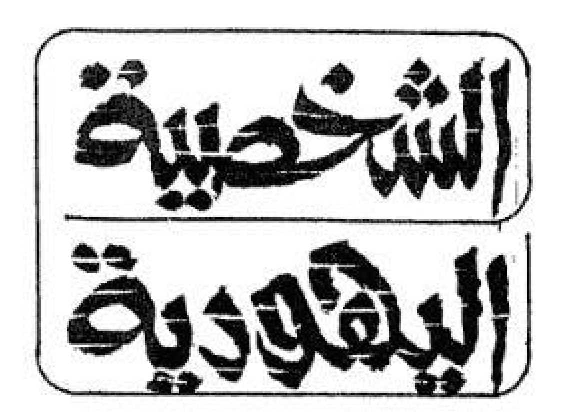
اما الصغير موريس فهو خجول لايستطيع ان ينطق باسمه امام الاخرين رغم ان ابويه يدفعانه ان يكسر حدة هذا الحياء • عليه ان يخترق الصمت ويكتشف ان هناك مذابح قد حدثت في بولندا واوكرانيا جعلت الاسرتين تهاجران الى باريس •

وبلذ لسيمون سينيوريه ان تتحدث عن وضع اليهود في فرنسا واوربا ابان سنوات طفولتها وصباها ثم عن خطواتها الاولى في السينما وعلاقتها المبكرة بايف مونتان الذى تزوجت منه فيما بعد •



ماري فرانس بيزيه وحفل السيجو الى الظل

الان • وبعد أشهر من صدور تلك الرواية •• ما هو الصدى الذى تركته في ذهن القارىء • من الواضح ان الممثلة لم تعد فقط ذلك الوجه الجميل والجسد المثير • فكما راينا فان كل كاتبة كانت لها فكرة محددة تدافع عنها وتقف الى جانبها حتى سيمون سينيوريه رغم اختلافنا معها •• ومن ممثلات لا يضعن فقط مساحيق امام الكاميرا ـ ولكنهن اراء حادة ـ تتعلق من العمر عاشتها كل منهن • والغريب ان الممثلات الثلاث ـ عن غير قصد ـ قد عاد بهن الحنين الى سنوات الاربعينات والخمسينات • رغم ان مارى فرانس لم تبلغ الاربعين من عمرها بعد •



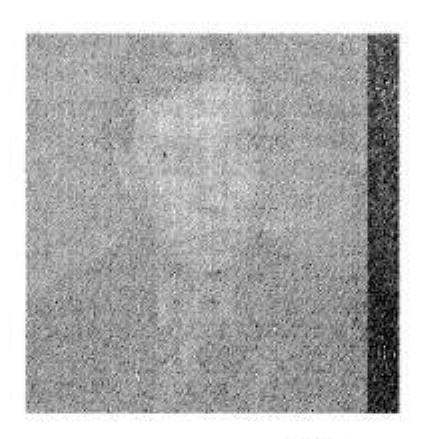
فى الأدب السوفيتى



بقلم : حسين أحمد أمين

●● من الخطا ان نعتبر الادب فى مجتمع معين ، مرآة دقيقة صادقة لكافة مظاهر الحياة فى ذلك المجتمع . ومع ذلك فان الادب السوفييتى ـ بحكم طبيعته الخاصة ، وتوجيه الحكومة والحزب الشيوعى له ـ يصلح الى حد كبير اساسا عظيم الفائدة لدراسة التيارات السياسية والاوضاع الاجتماعية فى الاتحاد السوفييتى . وسنحاول هنا أن نرسم ملامح الشخصية اليهودية كما تظهر فى صفحات هذا الادب ، ونحدد معالم العلاقة بين اليهود وغير اليهود فى المجتمع ، وموقف اليهود من الحكومة ومن النظرية الشيوعية معتمدين فى دراستنا على الادب السوفييتى وحده ●●





باسترناك

فأما عن صورة اليهودى فى الادب الروسى السابق للثورة .. فهى الصورة التقليدية التى لا تختلف كثيرا عن صورة شايلوك فى « تاجر البندقية » . فهو شخص هزلى عادة . يعيش على التجارة والربا . ولا يفوت فرصة لامتصاص دم ضحيته . بل انه حتى فى الصور الادبية النادرة لليهودى الطيب . كشخصية «جيده» فى رواية جوجول « تاراس بولبا » . وشخصية بومشتاين فى رواية « منزل الموتى » لدوستويفسكى . نجد اليهودى اقرب الى البهلوان . غير خال من النقائص الشائعة عن اليهود . كحب المال والميل الى استغلال الاخرين . وقد كان العداء للسامية من المشاعر المألوفة فى روسيا القيصرية التى كان يسكنها فى القرن التاسع عشر نحو نصف تعداد اليهود فى العالم كله . وكان ابرز الادباء الذين ظهرت فى أدبهم هذه الكراهية لليهود الشاعر فيت Fet والروائى دوستويفسكى . وقد كتب الاخير فى احدى مقالاته العنيفة ضد اليهود أن الادعاء بأن اليهود شعب مضطهد هو جزء من مخطط يهودى يستهدف ازالة العقبات فى سبيل السيطرة اليهودية الكاملة على الحياة المالية فى العالم بأسره .

وقد سبقت الثورة الروسية عام ١٩١٧ . محاولات فى الادب . خاصة فى ادب تولستوى وجوركى واندرييف للدفاع عن اليهود . واستنكار العداء للسامية . ورسم صور لشخصيات يهودية ممتازة . وقد فسرت هذه المحاولات بأنها صدى لتأنيب الضمير لدى المثقفين الروس . أو بأنها تعكس ازدياد تأثير الفكر الماركسى . غير أن التطور والتغيير الحقيقيين جاءا عقب الثورة البلشفية . نتيجة لما احدثته من هزات عنيفة فى الانماط



الاجتماعية والاقتصادية . ذلك أن الدين لم تعد له مكانته السابقة . كما قضت السياسة الحكومية بمنح الحق في تقرير المصير والتنمية الحرة لكافة الاقليات القومية داخل الاتحاد السوفييتي .. أو كما نصت المادة ١٢٣ من دستور سنة ١٩٣٦ :

« مواطنو الاتحاد السوفييتي متساوون في الحقوق . بغض النظر عن قوميتهم أو جنسهم . في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية .. ويعاقب القانون على أي انتقاص مباشر أو غير مباشر من هذه الحقوق . وكذا على خلق أية امتيازات مباشرة أو غير مباشرة لبعض المواطنين على أساس جنسهم أو قوميتهم . وعلى أية دعوة للتمييز العنصري أو القومي أو للحض على الكراهية والاحتقار » .

● اليهود والثورة البلشفيه ●

أثرت مثل هذه المبادىء تأثيرا عميقا في الحياة اليهودية وشخصية اليهودي . فقد أقبل اليهود في حماس على الاستفادة من الفرص الجديدة المتاحة لهم . وشغل المناصب والمراكز التي كانت من قبل موصدة دونهم . فبالرغم من أن نسبتهم الى مجموع السكان لم تكن تزيد على ٧٨ر١٪ عام ١٩٣٩ . فان احصاءات تلك العام تشير الى أن نحو ١٠٪ من المثقفين (الانتليجنتزيا) . و ١٧٪ من الاطباء .. و ١٠٪ من طلبة معاهد التعليم العالي في الاتحاد السوفييتي . كانوا من اليهود . هذا الى كثرة اليهود بين القادة السياسيين والادباء والموسيقيين والمخرجين مثل : تروتسكي وزينوفييف وكاميئيف وكاجانوفيتش وبابل واهرنبورج وايلف وكافرين باسترناك واويستراخ ومايرخولد .

لقد انحازت الغالبية من اليهود الى صفوف البلاشفة وقت الثورة وإبان الحرب الاهلية . ولم يكن انحيازهم هذا في أغلب الاحوال ناجما عن عقيدة سياسية . وانما بسبب شيوع روح العداء للسامية لدى القوى المناهضة للثورة . واقبال جيوش أعداء البلاشفة على احراق المدن اليهودية . وأعمال القتل في أفراد اليهود خلال سني الحرب الاهلية . وهو ما طبع الشعر اليهودي في تلك الفترة بطابع الحزن العميق والقتامة . مما دفع النقاد الادبيين فيما بعد الى تسمية تلك المرحلة من الشعر اليهودي بمرحلة النواح !

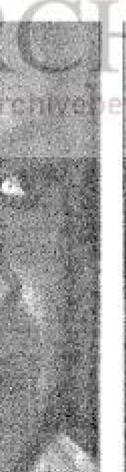
ومع ذلك فقد كان هناك من اليهود من عارض الثورة البلشفية معارضة ايجابية نشطة نتيجة لعقيدة سياسية .. أو مصالح مالية .. وهم اليهود الذين كانوا من البورجوازيين الناجحين في ظل النظام القيصري السابق . ففي رواية « أسبوع » ليوري ليبيدنسكي التي نشرت عام ١٩٢٢ .. نجد الصيدلي اليهودي رفائيل سيناتور الذي صودرت تجارته . يبكي على مجده الزائل كلما مر على صيدليته القديمة باسمها الجديد « الصيدلية

الجماعية رقم ١ » . وهو لحقده على الشيوعيين يجعل من مسكنه مقـرا للاجتماعات السرية التى تعقـدها جماعة من المناهضين للثورة . وذلك بالرغم من احتقار أفراد هذه الجماعة له لكونه يهوديا . ورغم تسميتهم اياه باليهودى القذر . وعندما يأسر أعداء الثورة ضابطا شيوعيا . يواجهـه رفائيل فى فرح شديد وهو يصيح : « سنقتلكم جميعـا أيتهـا الكلاب المسعورة . وأعود الى صيدليتى فأضع عليها اسمى من جديد .. أتسمع ؟.. صيدليتى .. صيدليتى أنا .. فأنا غنى .. بورجوازى .. اتسمع ؟.. وسأظل بورجوازيا الى أبد الابدين »!

● التسـعة عشر ●

غير أن عددا كبيرا من اليهود كانوا من العاملين النشطين فى الحركات اليسارية وفى صفوف البلاشفة قبل نشوب الثورة . ولعبوا دورا بارزا فيها..وكان هؤلاء هم أساس شخصيات « الابطال الايجابيين اليهود » فى الادب السوفيتى بعد عام ١٩١٧ . ومن أشهر هذه الشخصيات شخصية ليفينسون بطل رواية « التسـعة عشر » التى نشرها فادييفسنة ١٩٢٦ . وليفينسون هذا يهودى شيوعى لا يعرف الخوف . ذو لحية حمراء . وبدن سقيم .. و « ارادة صلبة ورثهـا عن آبائه وأجداده » . وبالرغم من أن أباه كان تاجر أثاث لم يخبر من الرغبات غير الرغبة فى جمـع ثروة طائلة . فان الابن لا تربطه بنمط حياة أبيه رابطة .. فهو ينحاز الى الجديد . ويعلم سبب انحيازه :

« لقد سحق فى نفسه كل ما ورثه من أوهام وأكاذيب عن الاجيال السابقة .. فهو يريد أن يرى كل شىء كما هو فى الواقع حتى يتمكن من تغيير كل شىء . والتحكم فى كل شىء . وكان هذا الـذى أدركـه ليفينسون أبسط وأصعب ما يمكن للانسان أن يدركه




زينوفيف

تولستوى



وصفت غالبية النقاد رواية « التسعة عشر » بأنها حدث عظيم في تاريخ الادب الروسي . كما كان نجاحها هائلا لدى جمهور القراء فقد طبع منها حتى عام ١٩٤٧ نحو ٢٥٠،٠٠٠ر١٦ نسخة في خمس وسبعين طبعة . وهو رقم لم تتعده اية رواية سوفييتية اخرى غير « الدون الهادىء » لشولوخوف . غير انه من الجدير بالذكر أن كافة النقاد الذين ثنوا على الرواية تجنبوا الاشارة الى دين بطلها . واعتبروا ليفينسون بطلا سوفييتيا لا ينتمي الى دين معين . او قومية معينة .

كذلك تعرض شولوخوف لنفس الموضوع في روايته الكبرى « الدون الهادىء » . فشخصية انا بوجودكو فيها (وهي ليست شخصية رئيسية) . هي لفتاة يهودية في التاسعة عشرة من العمر . انضمت اثناء الحرب الاهلية الى فرقة بلشفية . وتعلمت استخدام المدفع الرشاش . سألها قائد الفرقة :

– أمن اوكرانيا انت ؟

ترددت لحظة ثم اجابت بحزم : لا .

– يهودية ؟

– نعم .. ولكن . كيف عرفت ؟ هل اتكلم كيهودية ؟

– بل عرفت من شكل انفك .. ومن عينيك .. انه ليعزني أن تكوني معنا .

– ولماذا ؟

– لان الشائع بين الناس عن اليهود انهم في المعارك يكتفون باصدار الاوامر دون أن يعرضوا انفسهم الخطر وهو أمر غير صحيح . وستثبتين بتصرفاتك انه غير صحيح .

ثم تلقى انا بوجودكو حتفها في هجوم ضد الجيش المناهض للثورة .

● اليهودي بين الادب والواقع ●

مثل هذه الشخصيات توضح التغيير الجوهري الذي طرأ في المجتمع السوفييتي تجاه اليهود . فقد فتح الادب – شأن السياسة والحياة العامة – الباب على مصراعيه لهم . غير ان الشخصية اليهودية التي بدأ ظهورها يتردد في الادب قد طرأ عليها هي الاخرى تغيير كبير . فلم يعد اليهودي في الادب مشغولا بالمشكلة اليهودية . يستخدم لغته وحدها في الحديث شديد الوفاء لعادات قومه ومطامحهم، وانما هو الان مشغول بالقضايا العامة، يتحدث بلغة المجتمع حوله ، ويسعى الى خدمة الوطن السوفييتي والمبدأ الشيوعي . وهو أمر لا نجد مثيلا له في التاريخ اليهودي .

غير أن هذه الصورة المثالية لليهودي في الادب ، لا يمكن اعتبارها ممثلة لكافة اليهود في الواقع . فقد كان ثمة عدد كبير من اليهود الاقل تمسكا بالمبادىء والمثل العليا ، ممن رحبوا ترحيبا حارا بالسياسة الاقتصادية الجديدة N.E.P. التي بدأ انتهاجها منذ عام ١٩٢٢ ، والتي ازالت قدرا كبيرا من القيود على التجارة . وبذا تمكن الكثيرون منهم من العودة الى المهنة المفضلة لديهم فأثروا من جراء التجارة ثراء عظيما . وقد كان الادب السوفييتي وقتئذ من الامانة

بحيث لم يغفل تصوير هذه الظاهرة ، ورسم شخصيات المضاربين اليهود الجدد •

ففى رواية « الا ستة » لماتفى رويزمان (وهو من أصل يهودى) نجد صورة حية لاحد اليهود المستفيدين من السياسة الاقتصادية الجديدة ، وهو هارون سليمانو فيتش فيشباين ، رجل بالغ الدهاء واللؤم ، شديد الحرص على المال ، يسرق من أبيه فى صباه ، ويدخل فى مضاربات وتلاعب مالى حتى تحس السلطات به فتنفيه من موسكو • وهو عاجز عن فهم ما يجرى فى البلاد من تطورات هائلة • ونسمعه يهتف حين يقرأ نبأ البدء فى اتباع السياسة الاقتصادية الجديدة : « هذا يعنى انه سيصبح باستطاعتنا العودة الى استغلال البروليتاريا ! » •

وقد هاجم النقاد هذه الرواية لما قد تتسبب فيه من اثارة لمشاعر العداء للسامية • غير أن هذا العداء كان قد بدأ بالفعل يصبح حقيقة واقعة فى المجتمع السوفييتى بسبب تصرفات اليهود تلك • واذ ظهرت بوضوح مظاهر الكراهية لهم ، اتجه الأدب اليهودى السوفييتى الى تصوير ما يتعرض له اليهود من اضطهاد ، وتذكير الشعب بأقوال القادة الشيوعيين بصدد العداء للسامية ، وتصوير اشتراك اليهود الفعال فى بناء المجتمع الجديد • ووصف الادباء اليهود روح العداء للسامية بأنها مناهضة للثورة ، ومخالفة للمبدأ الشيوعى • وقد اشتركت الحكومة نفسها فى الحملة المكافحة للعداء للسامية • فالى جانب الروايات والمسرحيات المدافعة عن اليهود مثل رواية « الرجل الذى يقبل الارض » ليخائيل كوزاكوف (١٩٢٨) ومسرحية « المستوى الخامس » لماركيش (١٩٣٣) التى تتعرض لرفض عمال أحد المناجم قبول عمال يهود جدد ، نجد الحكومة السوفييتية تصدر عددا غير قليل من الكتيبات الدعائية الخاصة بالمشكلة ، مثل : « من الذى يفترى على اليهود ، ولماذا » و « كراهية اليهود » و « الحقيقة عن اليهود » •

● الوطن القومى ●

وبالاضافة الى نمو مشاعر العداء للسامية لدى الشعب ، بزغت عوامل أخرى دفعت الحكومة السوفييتية الى التفكير واتخاذ الخطوات الايجابية فى سبيل انشاء وطن قومى لليهود داخل الاتحاد السوفييتى • من هذه العوامل ازدياد تحمس اليهود السوفييت للصهيونية ثم رغبة الحكومة فى حل مشكلة ذلك العدد الضخم من اليهود المتعطلين غير المنتجين الذين بلغت نسبتهم عام ١٩٢٦ نحو ٣ر٣٢ ٪ من مجموع عدد اليهود السوفييت ، وقد سعت السلطات فى بادىء الامر الى حل هذه المشكلة الاخيرة عن طريق انشاء هيئات ادارية وتنظيمية هدفها مساعدة اليهود المتعطلين على الالتحاق بالوظائف والصناعات وفلاحة المساحات الشاسعة من الاراضى الزراعية التى خصصت لليهود فى أوكرانيا والقرم • غير أن انتعاش الفكرة الصهيونية فى ذلك الحين ، حول الحكومة السوفييتية الى فكرة تأسيس دولة يهودية فى بيرو بيدجان البالغة مساحتها ١٥ ألف ميل مربع ، والواقعة فى الشرق الاقصى عند الحدود السوفييتية الصينية •

وقد تم اعلان هذه الخطة فى ٢٨ مارس سنة ١٩٢٨ ، ووجهت على اثره الدعوة الى اليهود داخل الاتحاد السوفييتى وخارجه للهجرة الى هذه المنطقة • وقد حرصت الحكومة على



الا تقدم على استخدام القوة فى نقل اليهود السوفييت الى بيرو بيدجان ، واكتفت بمنح التسهيلات والمعونات السخية لليهود فى الاستيطان فيها ·

وفى ٧ مايو سنة ١٩٣٤، على اثر ما حققته بيرو بيدجان من تقدم كبير فى الزراعة والصناعة ، أصبحت بيرو بيدجان مقاطعة يهودية تتمتع بالحكم الذاتى داخل جمهورية روسيا الاشتراكية الاتحادية كما صرح القادة السوفييت بأن تخصيص منطقة واسعة لليهود ، يستخدمون فيها لغتهم ويمارسون فى نطاقها تقاليدهم ، من شأنه أن يضمن استمرار القومية اليهودية ·

وتدفق سيل من الكتاب اليهود السوفييت على بيرو بيدجان لزيارتها والكتابة عن الحياة فيها · فكانت كتبهم تلقى الترحيب والتشجيع، وتنشر على نطاق واسع، وتترجم الى لغات جمهوريات الاتحاد · ومع هذا كله ظلت الغالبية من سكان بيرو بيدجان من غير اليهود · وهو ما يفسر لنا التضاؤل التدريجى منذ نهاية الثلاثينات فى الاشارة اليها على أنها « المركز القومى للحياة اليهودية السوفييتية» فقد تزايدت مساحة المقاطعة شيئا شيئا ، فى حين تضاءلت الهجرة اليهودية اليها تضاؤلا سريعا رغم محاولة اخرى من جانب الحكومة فى السنوات ما بين ١٩٣٦ و١٩٤٨ للحث على هجرة اليهود الى المقاطعة ·

● بابى يار ●

غير أن فشل المشروع لم يحل دون استغلال الحكومة السوفييتية له فى الدعاية لحكمة السياسة السوفييتية الخاصة بالقوميات ومقارنتها بالسياسة النازية · وفى مسرحية لكاتب يهودى من المقاطعة بعنوان « انه من بيرو بيدجان » ، نرى ضابطا روسيا فى الجبهة يتحدث عن البطل اليهودى فى المسرحية فيقول : « كلما نظرت الى هذا الملازم الفتى القادم من بيرو بيدجان ، جالت فى خاطرى صورة الوديان تغص بجثث القتلى من اليهود هذا هو ما حققه هتلر ! ثم افكر فى هذا الضابط اليهودى وفى المقاطعة التى جاء منها ·· هذا هو ما حققه السوفييت ! » ·

جاء الغزو النازى للاتحاد السوفييتى فى يونيو سنة ١٩٤١ ، فعانى اليهود من جرائه الامرين · أو كما كتب الشاعر الروسى سوركوف :

« وشاهدنا الارض مرة اخرى الى الشرق والغرب
قد لطخت بدماء القتلى من اليهود » ·

ففى مدينة كييف ، عند بابى يار ، قتل اكثر من ٥٢ الف يهودى رميا بالرصاص · وفى دنيبروبتروفسك قتل نحو ٢٦ الفا ، وفى يافلوجرا أربعة الاف ، وفى خاركوف ١٣ الفا· ويقول الكاتب فاسيلى جروسمان انه فى مدينة مينسك وحدها قتل اكثر من مائة الف يهودى فى مدى عامين · وبذا عاد الادب اليهودى فى طابع النواح، وان حاول الكتاب اليهود ـ بضغط من السلطات ـ أن يبقوا فى أدبهم على

عنصر الامل والتطلع الى مستقبل منير .. ففي مسرحية برجلسون «ساعيش» (١٩٤٢) ، نجد اخصائيا زراعيا عجوزا من اليهود يعذبه النازيون حتى يلقى اليهم بمعلوماته . وعندما يصر على الرفض ، يأتون اليه بابنتـه «فريدا» ، ويقول الضابط النازي له : «انظر اليها وامنحها بركتك . فهي من اليوم فصاعدا ستستخدم في اشباع شهوة الابطال من الشباب الالماني في الجبهة .. باركها ايها العجوز وبارك دعارتها المقدسة !» . فيضع اليهودي يديه على رأس ابنته ويخاطبها بقوله : «فلتبقى على نقائك يابنيتي ، وادفعي حياتك ثمنا له لو اضطرتك الظروف الى ذلك . واني لاباركك على هـذا بدمي الذي يتساقط من يدي على رأسك الان» .

وفي قصة قصيرة لاسكندر بيزيمينسكي ، يتحدث الكتاب عن امرأة روسية متزوجة من يهودي .. راد بسرقه النازيون الى القتل تختار لنفسها ولولدها نصف اليهودي مصير زوجها وقومه :

«وعادت الى ذهنها ذكرى مساء قضته مع زوجها في قراءة مقال لينين (العزة القومية لدى الروس) .. الان قد وضح لها مغزى المقال . فهي امرأة روسية . والشعب الروسي هو الدافع عن كافة الشعوب المظلومة ، وهو الاخ الاكبر للكادحين من كافة الاجناس هذه الكلمات التي كانت تبدو لها في الماضي مجردة مبهمة ، اضحت الان قريبة الى قلبها ، حبيبة الى نفسها ، مليئة بالمعاني ، تعزها اعزازها للارض التي

خريطة الاتحاد السوفيتي ، ويشير السهم الى منطقة بيروبيجان التي تتمتع بالحكم الذاتي لليهود .





تصير عليهـا ، والهواء الـذى تتنفسه ! » .

● التحول بعد الحرب ●

غير أنه ما انتهت الحرب ، حتى شرعت الصحف السوفييتية تشن هجوما عنيفا على « أولئك الكتاب اليهود الذين اقتصروا فى ادبهم على تصوير جرائم النازيين ضد اليهود ، وكأنما لم تكن تلك الجرائم فى حق الشعب السوفييتى كله » . كـذلك هوجم الكاتب اليهودى كيبنيس وطرد من اتحاد الكتاب الاوكرانيين عـام ١٩٤٧ حين كتب فى قصة قصيرة له : « لكم كنت أود أن أرى اليهـود أجمعين ، يسيرون فى جرأة عبـر شوارع برلين ، وقـد علقوا على صدورهم بين الاوسمة والنياشين ، نجمة النبى داود الجميلة ! » وقد اتهم أمثال هذا الكاتب من اليهود بالتعصب الاحمق لقومهم ، وبالوطنية البورجوازية الزائفة . « فهم لايريدون أن يفقهوا أن الجنود اليهود السوفييت لم يحاربوا من أجل داود ومطامع داود ، وانما من أجل الحياة السوفييتية والدولة السوفييتية والوطن السوفييتى » .

ومنذ ذلك الحين (منذ عام ١٩٤٨ على وجه التحديد) تضاءلت فى الادب السوفييتى حتى كادت تختفى ، تلك الاشارات الى اليهود باعتبارهم قومية مستقلة ، وأصبح من الصعب الاعتماد على الادب فى تكوين صورة عن أحوالهم ومشاكلهم . فمظاهر البطولة التى قد يبديها أفراد من اليهود فى بناء المجتمع السوفييتى هى نفس المظاهر التى قد يبديها أى سوفييتى آخر . وأن رسم لنا كاتب صورة لبطل يهودى فى رواية أو مسرحية أفهمنا ضمنا أنه ليس بطلا « لانه يهودى » ، ولا « بالرغم من أنه يهودى » .. ومن ثم فقد أصبح ينطبق على تصوير اليهود فى الادب ذلك التصريح السوفييتى الذى صدر وقت اندلاع حرب فلسطين :

« ان الاتحاد السوفييتى ليس فى جانب اليهود ، ولا هو فى جانب العرب ، وانما هو فى جانب المبادىء اللينينية الستالينية » .

لقد عرف ستالين الثقافة القومية فى الاتحاد السوفييتى بأنها « ثقافة اشتراكية المضمون ، قومية الشكل تهدف الى تثقيف الجماهير فى ظل الروح الدوليـة ، والى تعزيز دكتاتورية البروليتاريا » . وقد انصاع الادب اليهودى السوفييتى الى حد كبير لهذا التوجيه . غير أنه بينما اتجه الادب الروسى على الفور الى مهمة ارشاد العمال والفلاحين الى طريق الاشتراكية ، كان على الادب اليهودى أن يجعل من اليهود بادىء ذى بدء عمالا وفلاحين ، ثم يرشدهم بعد ذلك الى طريق الاشتراكية . وبينما سعى الادب الروسى الى استئصال شأفة العداء بين القوميات المختلفة بكافة مظاهره ، سعى الادب اليهودى السوفييتى ـ بتوجيه من

ما حققوه من اندماج في المجتمع . فحين أثير مثلا عام ١٩٦٢ موضوع العداء للسامية بمناسبة اختيار شوستا كوفيتش لقصيدة يفتوشنكو (بابي يار) موضوعا للحركة الاولى من سيمفونيته الثالثة عشر ، صرح خروشوف بقوله :

« ليس ثمة عداء للسامية في الاتحاد السوفييتي . ومع ذلك فانه من الافضل الا يتولى اليهود المناصب الرفيعة في الدولة حتى لا يثير ذلك سخط الرأى العام . وفي رأيي أن القلاقل والفتن التى حدثت في بولندا والمجر عام ١٩٥٦ سببها تولى عدد كبير من اليهود للمراكز الهامة في الحكم » .

وأضاف خروشوف موجها حديثه الى الكاتب اليهودى ايليا اهرنبرج : « يجب أن تفهم أننى كسياسى محترف أجد لزاما على أن آخذ الامور كما أجدها ، وأن أحذر الناس من الاخطار المحدقة » .

فماذا يمكن أن تعنيه عبارة « اثارة سخط الرأى العام » ما لم تكن هناك بقايا عداء لليهود في الاتحاد السوفييتي ؟ أو الحديث عن مسئولية اليهود عن القلاقل والفتن ما لم تكن هناك بقايا لمشاعر اليهود بالترابط فيما بينهم والولاء لليهودية ومصالحها دون الدولة ومصالحها ؟ وهل هذه المشاعر « بقايا » ومخلفات من عهود طويلة سابقة سيتم استئصالها بازدياد تغلغل المبدأ الشيوعي في النفوس ؟. أم انها صفات لصيقة باليهود اينما كانوا ، وأن النجمة السوفييتية الحمراء لا يمكن أن تحل في قلب اليهود مكان « نجمة النبى داود الجميلة » ؟

أسئلة تحتاج الى المزيد من البحث .


مايكوفسكى

الحزب الشيوعي - الى التحذير من أى تأكيد للاختلاف بين اليهود وغير اليهود ، والى دعوة اليهود السوفييت الى أن يصبحوا جماعة مساهمة في بناء المجتمع ، لا عنصرا غريبا أجنبيا مفسدا ومعرقلا .

فهل يعنى ذلك أن النظام السوفييتى قد نجح في اقناع اليهود بالاندماج في المجتمع الذى يعيشون فيه ، (وهو ما نصح به باسترناك اليهود في جميع أنحاء العالم في روايته « دكتور جيفاجو ») ؟

ان المقارنة بين وضع اليهود في الاتحاد السوفييتى ووضعهم في الدول الغربية مثلا ، قد تدفع الى الاجابة بالايجاب . كما قد يدفع اليها ذلك التضاؤل المستمر في توزيع الصحف اليهودية وفي عددها ، تضاؤل كمية ما يصدر عن دور النشر اليهودية من الكتب ، حتى في المناطق التى تغص بالسكان اليهود ، وانصراف اليهود الشبان عن تعلم لغة آبائهم . غير أن بعض تصريحات القادة السوفييت تثير من حين لآخر الشك في مدى

العالم في سطور







جائزة نوبل ... لمن ؟

في الاسبوع الثاني من هذا الشهر سيتطلع العالم الى مدينتى ستوكهولم وأوسلو لمعرفة اسماء الفائزين الجدد بجوائز نوبل لعام ١٩٨٥ في الفروع التالية ، الادب ، الطب، الفيزياء ، الكيمياء ، السلام . ولأن هذه الجائزة هى اهم جائزة تمنح فى هذه الفروع الخمسة فان الحديث يكثر عن سلبياتها وايجابياتها . ونتيجة لتقاليد الاكاديميتين اللتين تمنحان الجائزة، فانه من الصعب معرفة اسم الفائز الجديد بالجائزة قبل اعلانها بصفة رسمية . ومع ذلك فان الهلال تتوقع أن يفوز بالجائزة - فى فرع الادب - هذا العام بعض الادباء الذين سنذكر أسماءهم . وهذه الاسماء لا نقدمها بواقع الاختيار العشوائى . ولكن لان اكاديمية ستوكهولم قد رشحت الكثيرين منهم لنيل الجائزة اكثر من مرة وينتظر كل منهم دوره مع كل عام جديد.

أولى المرشحات البارزات هى الكاتبة نادين جورديمر من جنوب افريقيا البيضاء التى تناهض التفرقة العنصرية . وقد رشحت أكثر من مرة لنيل الجائزة . واذا فازت بها هذا العام لاستحقت اكاديمية ستوكهولم نفسها جائزة مماثلة.

من المرشحين البارزين ايضا : جونتر جراس (المانيا) صاحب رواية « الطبلة » ، دوريس ليسنج الكاتبة البريطانية صاحبة خماسية «ابناء العنف» . الشاعر الفرنسى رينيه شار أمير الشعر الفرنسى الحديث ، باركين عميد الرواية الصينية وصاحب الرواية المعروفة « العائلة » . خورجه لويس بورخس الشاعر والروائى الارجنتينى المعروف والذى حجبت عنه الجائزة عام ١٩٨١ بسبب فضيحة ادبية اكتشف فيها انه نسب الى نفسه كتابا ليس من تأليفه. اما ويليام ستايرون فمرشح للجائزة بسبب روايته « اختيار صوفى » التى تدور حول اضطهاد النازية لليهود .

من المتوقع الا تحصل أى من هذه الاسماء على الجائزة . لسبب فى غاية البساطة . وهو أن الاكاديمية قد دأبت فى السنوات الاخيرة أن تمنح جائزتها لادباء جانبين اقل شهرة مثلما فعلت مع بسنت اليخاندر (أسبانيا) ، ياروسلاف سيفيرت (تشيكوسلوفاكيا) ، شيزلاو ميلوش (بولندا) الياس كانيتى (السويد) .

بون

على جناح التبريزى

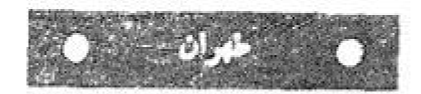

الفريد فرج

فى مدينة بون بالمانيا الغربية . وفوق خشبة احد اكبر مسارحها عرضت ـ باللغة الالمانية ـ مسرحية « على جناح التبريزى وتابعه قفة » للكاتب العربى الفريد فرج وهى تعد أول مسرحية عربية حديثة تعرض فى المانيا عرضا جماهيريا .

كانت التجربة غريبة . فالمسرحية من اللون الكوميدى . وهذا اللون من فن الدراما قليل فى الادب الالمانى . ومع ذلك فان المسرحية أضحكت المتفرج الالمانى بنفس القدر الذى أحدثته فى مصر عندما عرضت لاول مرة فى الستينات .

حرص المخرج الالمانى أن يقدم الشخصية العربية بأسلوب « أنيق » يختلف عن المفهوم الغربى دائما للشخصية العربية فى الاعمال الفنية . ففى مسرحية الفريد فرج نرى العربى انسانا ذكيا لماحا . يتسم بالبساطة وخفة الظل . ويبدو أنيقا طيلة أحداث المسرحية . شاطرا مثل كل الشطار المعروفين فى تاريخ الدراما .

دفع نجاح هذه المسرحية الى اعداد نصوص اخرى لنفس الكاتب لتقديمها فى الموسم القادم فى المانيا الغربية . وهكذا ينشر أدبنا العربى الحديث فى انحاء العالم .



سندباد يساعد كولومبس

الف ليلة وليلة ..

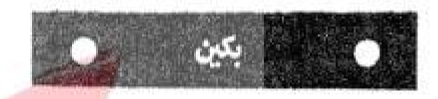
هذا الكتاب الخالد هو بلا شك اهم حدث ادبى لعام ١٩٨٥ . ليس فى مصر وحدها ولكن فى العالم كله . فبعد أن أعادت اكثر من دولة طباعة كتب حكاياتها كاملا . تصدر فى طهران طبعة عصرية من كتاب « مغامرات السندباد البحرى » الذى كتبه الكاتب الايرانى رينيسه خرام عام ١٩٦٧ .

سندباد هو اشهر الشخصيات العربية العالمية . واصبح رمزا لهذه الشخصية على مدى العصور من خلال حبه للمغامرة والابحار وقهر بحار الظلمات . ولذا فانه اهم شخصيات الف ليلة وليلة بدون منازع وسندباد هو الذى دفع كلا من ماجلان وكولومبس وكوك وليفنجستون الى الخوض فى بحار مجهولة بحثا عن العالم الجديد . لان السندباد البحرى لم يكن أبدا شخصية وهمية رغم انه قابل فى رحلاته السبع مخلوقات اسطورية . فقد اكد خرام أن التاريخ عرف رجلا عربيا يحمل نفس الاسم ابحر الى جزر اندونيسيا وشرق افريقيا واليابان .





يقول كلود ميشيل كلوني المتخصص في دراسة الادب العربي الحديث انه في الوقت الذي تعرضت فيه هذه الحكايات اللطيفة لمقص الرقيب في مصر · ولان سندباد قد أحس بالظلم الواقع عليه فقد ابحر في مركبه وحيدا يجرها معه باحثا عن بلاد أخرى تهتم به مثلما حدث في فرنسا وهي تترجم ـ للمرة الثانية ـ كتاب « مغامرات السندباد البحري » للخوام ·



جنسية الكاتب .. المهاجر



نتيجة لكثرة عمليات الهجرة ـ خاصة الادباء ـ الى العالم الغربي · فان سؤالا أبديا يطرح نفسه : ما جنسية الكاتب المهاجر · وما جنسية أدبه ، فهل تعتبر هان سوين صينية أم بلجيكية ؟، جبران خليل جبران هل هو عربي أم امريكي ؟ ابن جلون وكاتب ياسين · هل هما فرنسيان أم عرب ؟ نطرح هذا السؤال من جديد بالنسبة للكاتب المعروف لوسيان بودار الصيني الاصل الذي يعيش في فرنسا منذ سنوات· فالى أي الثقافتين ينتمي بودار ؟ هل الى فرنسا من خلال الفلسفة الجديدة التي شارك في صياغتها في منتصف السبعينات ؟ أم الى الصين التي يكتب عن شخصياتها وأهلها خاصة عن أمه « أن ماري » الصينية الاصل ؟

طرح هذا السؤال بمناسبة صدور كتاب « صيد الذئاب » لبودار وهو يعد الجزء الثاني من سيرته الذاتية · ففي هذا الكتاب اتضح أنه مهما تفرعت أغصان الكاتب في الثقافة الفرنسية · الا أن جذوره تتأصل عميقة في الصين لذا فان الحكومة الصينية دعته في الخريف القادم لزيارة الصين ولتكريمه وكي يلتقي مع الاجيال الجديدة من الادباء الصينيين وللتعرف على الوجه المعاصر لبلاده ·

أهدت الحكومة الصينية مسكنا لبودار كي تجذبه للعودة اليها ولو مرة كل عام







فنون الشعوب لا تعرف الكتابة

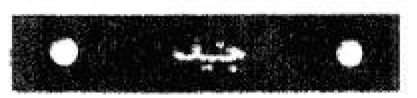


فى شهر يونيه الماضى بيعت لوحة من الفن الافريقى ترجع الى القرن الثامن عشر بمليونى دولار . أثار هذا السعر دهشة أصحاب المعارض . فمن المعروف ان النظرة العامة تجاه الفن الافريقى انه فن « بدائى » لا يستحق هذا الاهتمام ولا يمكن أن يقدر بهذا الثمن . فهو لا يتعدى أن يكون فنا « أسود » .

اكتسب الفن الافريقى بعضا من الشعبية حين اهتم جوجان به . ثم تبعه الوحشيون وبيكاسو . فأصبح فنا عصريا وبدأ الاهتمام به يزداد تدريجيا وسمى « فن شعوب لا تجيد فنون الكتابة » وتضاعفت أسعار المقتنيات الفنية الافريقية يوما بعد يوم . ثم بدأ منظمو المعارض يعدون معارض ضخمة تطوف أنحاء العالم تشمل العديد من المقتنيات الفنية الافريقية وفى لندن بيع فى يونيه الماضى ٨٥٪ من المقتنيات بأسعار خيالية . مما دفع منظميه أن يطوفوا به الى مدن اخرى مثل بروكسل وباريس ونيويورك .

ففى نيويورك أقيم معرض ضخم تحت اسم «البدائية فى فنون القرن العشرين» ضم أشهر اللوحات الحديثة التى تأثر أصحابها بالفن الافريقى . كما جاءت لوحات من نيجيريا وموزمبيق وأوغندا ، وبدأ الفنانون يخشون من ظاهرة جديدة وهى أن ارتفاع قيمة هذه المقتنيات لما تمثله من تلقائية وصدق مايقلل من أهمية لوحات الاوربيين أنفسهم .





« أدب اللغات الاربعة » في سويسرا .

جنيف : كتب الدكتور احمد كامل عبد الرحيم .

ان ما يثير الدهشة حقا هو ان سويسرا هذا البلد الصغير الذي يقع وسط أوروبا ولا يزيد تعداد سكانه على ستة ملايين ونصف ليس له أدب قومي يمكن ان يتميز عن غيره من خلال موضوعاته أو أنماطه أو اتجاهاته الأدبية والسبب في ذلك هو تعدد اللغات المستخدمة هناك حيث ان اللغــات الرسمية هنــاك هي الالمــانية والفرنسية والايطالية والريتوررومانية (التي تتحدثها مجموعة شعبية رومانية تعيش في المنطقة السويسرية من جبال الألب) ويضاف الى ذلك فان الأدب والفكر والكيان الثقافي للدول المجــاورة التي تتحــدث الالمانية أو الفرنسية أو الايطالية يؤثرون الى حد كبير على الفكر والأدب والكيــان الثقافي للمناطق السويسرية التي يتحدث ســكانها هذه اللغــة ، لذلك فان الأدب السويسري ككل يطلق عليــه اسم « أدب اللغات الاربعة » ..

ان روح العصر على الأرض السويسرية تأثرت خــلال النصف الاول مــن القرن العشــرين بنشــوب وتطــورات الحرب العالمية الأولى وبالصراعات الاجتمــاعية في فترة ما بين الحــــربين وبتزايد قوة الفاشية في الدولتين المتجــاورتين المانيا وايطــاليا ، كما تأثرت أيضا بالحــرب العالمية الثانية وبالتالي فلقد تأثر أيضــا أدب اللغــة الالمانية بهذه التطــورات المليئة بمختلف الصراعات .

الا أن نهاية الحــرب العــالمية الثــانية لا تعني على الاطلاق بداية جــديدة لأدب اللغة الالمانية في سويسرا ـ وهــو محور حديثنا ـ فلقد ثبت ان الانتاج الأدبي لمعظم الكتاب هناك تقريبا يؤكد ان هــذا النوع من الأدب مســتمر بشــكل يثير الاعجاب لدرجة ان هذه الاســتمرارية تبعث على الاحساس بأن هذا الأدب ظل في جزيرة من الامان دون أن تتطاول عليه يد الحرب واحداث الزمان . غير ان الصورة الأدبية نجــدها تتغير بظهور الكــاتبين السويسريين المشــهورين ماكس فريش (المولود في ١٥/٥/١٩١١) وفريدريش دورنيــمات (المولود في ٥/١/١٩٢١) اللذين وجدا نفسهما بعد الحرب وبالذات في قطاع الكتابات المسرحية في البلدان المتحدثة باللغة الالمانية يصطدمان بفراغ فكري وأدبي يجعل منهما اثنين من عمالقة كتاب المسرح باللغة الالمانية . فلكل منهما مسرحيات وروايات نالت الاهتمام وكانت ولا تزال وستظل محل نقد ودراسة وترجمة من الالمان وغير الالمان .

يميل ماكس فريش في أنتاجه الادبي بشكل واضح الى الخصوصيات رغم ذلك فان الموضوعات التي يطرحها في روايات ومسرحياته وخطبه تجذب جمهور القراء او المشاهدين الى مناقشات مفتوحة بشكل أكبر مما هو الحال عند دورينمات، الذي يبحث على وجه التحديد في مسرحيات



ماكس فريش

عن انماط جديدة من العرض الكوميدي حيث أن الغرض من المسرح عنده هو البحث أساسا عن صورة مثالية للمجتمع غير أن ضخامة هذه الصورة المبالغ فيها التي يقدمها دورينمات في كتاباته يصل الى حد الاستفزاز ، فهو يهدف من خلالها الى عدم جعل المسرح وسيلة لهروب جمهور المشاهدين من همومهم اليومية بل يجعلهم يتفاعلون مع قضايا المجتمع التي يعيشونها ويواجهونها في صرامة وحزم ، وهذا هو الهدف من المسرح في مفهوم دورينمات فهو يحاول بث العنصر العبثي في كتاباته كي يختلط على الجمهور المنطلق والواقع بشكل غير مألوف حتى يضطر الجمهور الى التفكير في العودة الى المنطق الواقع ولكن في ثوب جديد ومعايير مختلفة يعتقد دورينمات انها هي الامل المنشود، ونذكر هنا على سبيل المثال مسرحية «رومولوس العظيم » فعلى الرغم من انها لأول وهلة تبعث في جمهور مشاهديها روح الهزل والاستخفاف الذي يصل الى حد الاستفزاز الا انها في النهاية كعمل متكامل تعود بالجمهور الى المنطق والعقلانية والحقيقة.

واذا كنا نجد شخصية ماكس فريش الادبية قد تحددت ملامحها خلال الحرب العالمية الثانية في اطار مسرحياته « سانتا كروز » (١٩٤٤) والتي تبين الذنب والحرية في الزواج و « ها هم يغنون ثانية » (١٩٤٦) التي تستعرض اسباب وصول الشعب الالماني المتحضر الى هذا السلوك البربري ، الا اننا نجده يلجأ الى ذلك النوع من الكتابة الذي يعرض بشكل تقليدي دراسة وتحليل الفرد لدوره في المجتمع في جو من الصراحة التامة كما نجده يشق طريق نجاحه بروايته « شتيللر » (١٩٥٤) التي يستخدم فيها تكنيك الراوي فنجد بطلها الراوي أناتول شتيللر يستعرض بنفسه شخصيته من خلال العديد من الصور والاسقاطات والمواقف ، ويعجب فريش بتكنيك الراوي فيعود الى استخدامه ايضا في رواياته اللاحقة « هوموفابر » (١٩٥٧) و « اسمي قد يكون جانتنباين» (١٩٦٤) ونجده في مسرحياته التي تسير على نمط بيرتولت بريشت ان التحليل الذاتي يظهر فاضحا الى حد أن يصبح صراعا دراميا تؤكده صوره متلاحقة وتعالج سلوكية غير مألوفة .

واذا كان ماكس فريش قد وقع تحت تأثير بيرتولت بريشت في اسلوب ونمط كتابة المسرحيات فان دورينمات قد تأثر ايضا فنجده مثل بريشت يعالج الفساد واللا اخلاقيات في المجتمع ويتضح ذلك في مسرحية دورينمات « فرانك الخامس » أو « اوبرا احد البنوك الخاصة» (١٩٦٠) حيث يستوحي فكرتها من فكرة «اوبرا البنسات الثلاثة» لمؤلفها بريشت الا انه من الواضح ان دورينمات يقتبس من بريشت الاتجاه الى المعالجة النقدية للمجتمع دون أن يتأثر بأيديولوجيته الثورية .


بقلم : مصطفى درويش
كتاب
الشهر
شارلى
شابلن
الدكتاتور اليهودى
وألقاب
أخرى
٩٢

حيرة ما بعدها حيرة ، فآخر كتاب عن شـــــارلى « شابلن حياته وفنه » (طبعة كولنز ١٩٨٥) لصاحبه « دافيد روبنسون » الناقد الانجليزى الشهير ، هاهو ذا امامى مجلد ضخم يقع فى ثمانمائة صـــفحة من القطع الكبير .

ولسبب ما اجدنى تائها ، لست ادرى من اين ابـدا الحديث . . من اين ابـدا العرض لبعض ما يحتـويه هذا العمل الموســـــوعى الشيق المثير .

أمن البداية مع أول بيـان صحفى تحت كلمة « المهد » من عدد «الماجنت» الصادر فى الحـــادى عشر من مايو سنة ١٨٨٩ ، يعـلن للناس على امتداد الامبراطورية التى لا تغـرب عنهـا الشمس أن زوجة السـيد « شارلز شابلن » قد جاءت له فى الخامس عشر من الشهر الماضى بولد جميل، وان الام والابن كليهما يتمتعان بالصحة والعافية .

أم من النهاية مع اختفــاء جثة « شــابلن » يوم الثانى من مارس سنة ١٩٧٨ من دفنهـــا فى مقبرة « فيفى » بسويسرا وما قيل فى محاولة فك طلاسم هذه الجريمة ـ قبل القاء القبض على الجناة ـ من تفسيرات .. وما اثير حولها من تسـاؤلات

هل هى من تدبير جمـــاعة نازية جديدة اقترفتها على سبيل الانتقـام من فيلم « الدكتور العظيم » .

أم هى نزوة نفر اندفـع بهم طيش الحماس الجارف فآلوا على انفسهم أن يحتفظـوا بالبـــاقى الفانى من النجم المعبود .

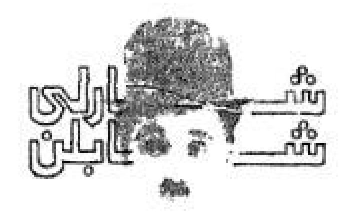
أم هى مجـــرد صيحة معادية للسامية احتجاجا على تدنيس مقبرة مسيحية بجثة واحد من جنس اليهود

● الكذبة الكبرى ●

أم ابدأ من بعد النهاية مع مانشر من تقارير المكتب الاتحادى للمباحث الامريكية (اف . بى . آى) السرية (١٩٠٠ صفحة) . وما انطوت عليه تلك التقارير من اشاعات واكاذيب اطلقت ضد « شــابلن » على مدى خمسين سنة أو يزيد لعـل أهمهـا واكثرها اثارة للدهشة ما تيسـل فى أصله من انه ينحدر من عائلة يهودية اسمها « سونشتاين » هاجرت من أوروبا الشرقية واستقر بها المقام فى لندن سنة ١٨٥٠ .

والعجيب أن هذه الاكـذوبة التى تبنتها المباحث الامريكية مأخوذة بدون أى نقص للحقيقـــة من دليـــل للشـخصيات الامريكية اليهـودية البارزة .

والعجيب .. العجيب أن المباحث المذكورة دأبت ـ بعـد ذلك ـ فى تقـاريرها ضد « شـابلن » على الاسـتناد الى اكذوبة انه يهودى ، وعلى مراعاة أن يكون أسمه المكتوب





على رأس تلك التقارير مصحوبا باسم آخر « اسرائيل تونشتين » لا أعرف كيف المصقته به مباحث أغنى وأقوى دولة في العالم •

وعلى كل فبعد تردد وأخذ ورد ، وجدت انه يكون من النافع أن ابدأ من نهاية الفصل الخامس الموضوع له العنوان الآتى : « اسانيي » وهو اسم ثانى شركة سينمائية امريكية عمل « شابلن » لحسابها وأخرج لها أربعة عشر فيلما أولها « وظيفته الجديدة » (١٩١٥/٢/١١) وآخرها « البوليس » (١٩١٦/٥/٢٧)

● القول الفصل ●

لماذا هذه البداية من تلك النهاية؟

لانى أردت أن اقف عند كلمات اختتم بها فجأة صاحب الكتاب هذا الفصل .. اقف عندها قليلا لان فيها عما اشيع من انحدار « شابلن » من أصل يهودى القول الفصل •

فما الذى قاله الناقد الجاد فى تلك الكلمات الفاصلة ؟ قال من بين ما قال •

منذ لحظة وصول شابلن الولايات المتحدة ، وثمة انبهار غريب بأصوله العرقية •

فحتى أثناء جولات فرقة « كارنو » كثيرا ما كان المحاورون والمخبرون الصحفيون يشيرون انه ابن لفنانى رقص وتمثيل ارتجالى هزلى«فودفيل» من اليهود •

ومع ذلك ففى الاجيال الاربعة التى نستطيع بثقة أن نتتبع من خلالها اصوله القديمة ـ عائلات شابلن وهيل وترى وهودج وبطبيعة الحال ال سميث من قبائل الغجر ـ لا يوجد أى دليل ايجابى على وجود دم يهودى •

والبادى أن هؤلاء الاسلاف كانوا جميعا يمارسون الطقوس العائلية فى نطاق كنيسة انجلترا •

وذلك الى أن بحثت « حنه » (أم شابلن) فيما بعد من السنين عن الخلاص فى رحاب شيعة المعمدين •

● الجريمة والجنس ●

وأول بيان مسجل لشابلن عن هذا الموضوع انما يرجع تاريخه الى سنة ١٩١٥ ، عندما سأله مخبر صحفى مستفسرا عما اذا كان يعتبر ـ حسب المفترض ـ يهوديا •

وبرشاقته التى كان غالبا ما يتحلى بها ، وهو يواجه الصحافة ، أجاب شابلن «هذا التوفيق ليس من نصيبى»

وهذا الرد لم يكن مجرد لهو أريد به المجاملة فشابلن سيستمر طول العمر يعبر عن عميق اعجابه بالعنصر (وهو أمر كان لابد وان يجنح به الى الاعتراف باية أصول يهودية) •

فبينما هو على ظهر السفينة عائدا من أوروبا سنة ١٩٢١ قال محاور! مسافرة صغيرة (يهودية) « كل العباقرة العظام فيهم دم يهودى .. لا .. أنا لست يهوديا • ولكن انى واثق أن هناك قدرا منه فى مكان ما منى .. أتمنى هذا »

وذلك الشعور بالتعاطف تجاه هذا العنصر لا يعنى القبول بلا قيد ولا نقد لكل ما هو يهودى •

فعلى سبيل المثال كان دائم الارتياب فى الختان ، يرى فيه خطرا نفسيا ، فضلا عن انه أمر غير مرغوب من

الناميتين الجمالية والجسدية على حد ســواء .

● الوهم والحقيقة ●

وثمة قصاصة من فيلم في ارشيف « شابلن » تظهر « سيدني » (أخ غير شقيق من أمه) مع هيئة الاستديو وهم يودعون « شـابلن » قبل ان يستقل القطار المتجه الى الشرق .

هذه القصاصة تزودنا بدليل ساحر غريب على قناعته ، الممتزجة بالحسرة بانه لم يكن يهوديا .

فلقد كان الاعتقاد الســائد في العائلة أن والد « سيدني » المفترض السيد « هوكس » كان يهوديا ، وذلك رغم أن « سيدني » جرى تعميده وفق طقوس كنيسة انجلترا .

وها هو « شابلن » يهرج للكاميرا، فيضع ذراعه حول « سيدني » ثم يأخذ في الكلام بواسطة اشــارات تتسم بجمال الوضوح في التعبير ، فيقول « نحن أخوة السنا متماثلين ؟ » .



وعندئذ يجيب على السؤال بالنفي شارحا الافتقار الى التشابه العائلي بتصويب اصبع الى « سيدني » ثم القيام بتمثيل شخصية اليهودي كما في المسرح ، هازا كتفيه استهجانا ، رافعا يديه مشيرا الى أن « سيدني » يهودي ، اما هو فليس كذلك .

وثمة تعليق مرئي آخر غريب كل الغرابة نراه في لقطة لشـابلن مع « هاري لاودر » سنة ١٩١٨ .

فها هو ذا «لاودر» يرسم كاريكاتورا ركيكا لشابلن على السبورة .

واذا بالاخير يبـادر الى تغيير الانف المعقوف الكاريكاتوري لليهودي، ذلك الانف المعروف الذي لا تخطئـه عين .

والاكيد أن شابلن اليهودي المفترض كـان هدفا مبكرا للنازية المعـادية للسـامية .

● طوفان الطاعون ●

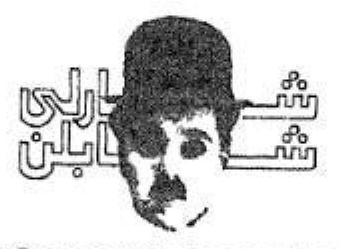
ففيلمه « الاندفاع نحـو الذهب (١٩٢٥) منع عرضه في السنوات الاولى من حكم الرايخ الثالث .

واسـمه كان من بين الاسـماء المذكورة في مطبوع كـريه يشـهر بالمثقفين اليهود البارزين عالميا .

وصورته نراها مع صور «اينشتين» ومان » و « راينهارت » وآخرين وذلك بعد أن ادخلت عليها تنقيحات فجة لتاكيد ملامحها العبرية ، وتحتها كلمـات قليلة تعتبره مجرد بهلوان يهودي صغير لا يثير سوى الشـعور بالاشمئزاز والملل .

فماذا كان رد فعل الرجل الصغير لهذا التحقير ؟

ماذا كان رد فعل هذا الرجل الذي وصـفه اللورد « لورانس اوليفيه » عندما سمع خبر وفاته ليلة عيد الميلاد سنة ١٩٧٧ ، بانه قد يكون أعظم ممثل



في كل زمان ، فأحسن الوصف والبيان؟

في آخر كلمات الفصل الخامس كتب « دافيد روبنسون » ما معناه ان رد فعل « شابلن » قد انتهى به الى ان يلعب على المكشوف دور شخصية يهودية في « الدكتاتور العظيم » (١٥ / ١٠ / ١٩٤٠) والى ان يقول تبريرا منه لاخراجه « انا صنعت هذا الفيلم من اجل يهود العالم » !!

اذن فأكاذيب اجهزة الدعاية النازية في المانيا الهتلرية القائمة على ما روجته المباحث الامريكية من اشاعات، هي التي اغضبت « شابلن » فجعلته ينفعل بالمسألة اليهودية ، ويتعامل مع هذا الانفعال تعاملا مباشرا باخراج الدكتاتور العظيم » .

● ملحمة .. لماذا ؟ ●

فانسجاما منه مع منطقه الفني طوال حياة من الابداع دامت اكثر من خمس وسبعين سنة من عمر الزمان، لم ينتظر انحسار مياه الطوفان حتى يخرج فيلما عن الطوفان .

لم يتريث مبتعدا عن وجه النازية القبيح الملطخ بالدم والوحل ، بل سارع الى كتابة سيناريو «الدكتاتور العظيم» ثم الى اخراجه وتمثيله وتوليفه مستهدفا عرضه ابان الطوفان .

والفيلم بهذه المثابة يعتبر ظاهرة ليس لها مثيل ، حادثة ملحمية في تاريخ الانسانية .

فمن كان يتصور ان اعظم مهرج وصاحب أكثر شخصية محبوبة في عصره ، يقف بالمرصاد للرجل الذي نشر الشر والشقاء ، ترعرع في ظل نظامه الموت والخرائب .

من كان يتصور أن بهوانا صغيرا همة الاوحد الاضحاك، يتحدى زعيما ملا الارض رعبا ، اغرق العالم في بحار من الدماء ، فيتقمص شخصيتين في الفيلم .. الدكتاتور « هينكل » والحلاق اليهودي ثم ينتهي بالاخير هازما الدكتور العظيم

● الصغير والكبير ●

وهذا التعامل المباشر مع الانفعال ليس بالامر الجديد على « شابلن » فنحن نراه اكثر ما نراه في «الصغير» اول فيلم روائي طويل يخرجه (١٩٢١) اي قبل « الدكتاتور العظيم » بعشرين سنة الا قليلا .

فكرة الفيلم كانت كامنة ، حاضرة لا تنتظر سوى الفرصة المناسبة .

وهذه الفرصة جاءت حين وضعت زوجة « شابلن الاولى » ميلدريد هاريس » في السابع من يولية سنة ١٩١٩ صبيا أسمياه « نورمان سبنسر شابلن » .

ولكن حياته هنا على الارض كانت قصيرة لم يكتب لها ان تدوم سوى ساعات .

بعد فاجعة الفراق هذه بأيام بدأت فكرة « الصغير » في التخلق الى أن كتب لها ان تتخذ شكلها النهائي في فيلمه الطويل الاول الذي هو في رأي أغلب نقاد الفن السابع اجمل افلامه على الاطلاق .. لماذا ؟

قصة « الصغير » من أمتع ما ابدعته عبقرية شابلن .

● التشرد والتمرد ●

فهو يتقاسم التشرد فيها مع طفل يتيم ، التقطه رضيعا ، أنشأه تنشئة



الصعلوك والمتشرد والرجل البسيط وهتلر الديكتاتور وصورة شابلن الأبدية

تقوم على اساس مواجهة الحياة بحلوها ومرها ، اتخذ منه ابنا ورفيقا فى زمن كله سواد وكساد .

وهما من اجل البقاء مضطران الى كسب العيش بطريقة من تلك الطرق البهلوانية التى تدخل فى باب العجب العجاب .

فالصغير يحمل بيد مخلاه مملوءة حصى وحجارة وبالاخرى يحمل مقلاعا ، يتوجه الى احد الشوارع حيث يعمل فى زجاج النوافذ تحطيما وتكسيرا ، حتى اذا ما انتهى من فعلته، اختفى وظهر الكبير ليطرق الابواب عارضا على ربات البيوت اصلاح ما افسده الصغير .

وطبعا كن يستجبن له شاكرات ، يدفعن له أجرا سخيا .

وطبعا تكررت العملية ، وعاش المتشردان الصغير والكبير بما تيسر لهما هكذا من المال الحلال .

وبداهه مثل هذا الحال لا يدوم ، فبينما يد الصغير ترتفع لترمى نافذة حجر ، اذا بها تصطدم بشىء جامد سرعان ما استبان انه جسم ضخم لرجل شرطة رهيب .

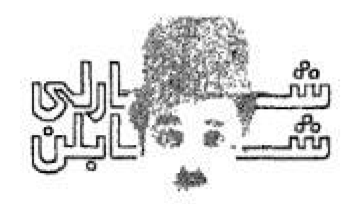
● المكر والسحر ●

فكيف الخروج من هذا المأزق ؟ أيسلم ساقيه للريح ام يلتمس الشفقة والرحمة ؟

لا هذا ولا ذاك .. انه يعتصم بالحيلة ، وها هو ذا يلقى بالحجر الى أعلى ، ثم يتلقفه ناظرا الى الشرطى نظرة ملؤها البراءة . وكأن لم يكن شىء .

هذا المشهد ، ومشاهد اخرى تقطر مكرا وسحرا هى التى جعلت من الصغير « جاكى كوجان » حبيب الملايين .

وكيف لا ، وهو يتيم مقهور ، ينشد الحب والحماية فى مواجهة أعاصير



لا تحمل له ولامثاله سوى البؤس والعذاب .

وفوق هذا فقد تميز اداؤه للدور بقدر من الصدق الممتزج بعاطفة مشبوبة .

ولعل هذا التميز هو المفتاح لفهم لماذا لم يستطع أى طفل ممثل سواء في أيام السينما الصامتة أو المتكلمة ان يرتفع الى مستوى اداء « كوجان » لدور الصغير .

ومهما يكن من امر فالفضل في اجادة الصغير للتمثيل انما يرجع الى صاحب الفيلم « شابلن » والمتشرد الذى فى أعماقه ، ذلك المتشرد الذى يعيش بحالة طفولة مستمرة في سلوكه ، وفي تصرفاته ، وفي قدرته على أن يرى الحياة بعين بريئة كل البراءة .

والقدر المتيقن أن « شابلن » أمكنه اثناء الاخراج أن يجمع بين روح الطفولة تلك وبين روح الابوة .

فهو لم يكتف بتبني الصغير على الشاشة ، وانما تعامل معه داخل الاستديو ، أى في الواقع ، وكأنه ابنه بحيث استحال على العاملين في الفيلم ان يقاوموا الشعور بان « شابلن » كان يرى في « كوجان » بديلا لوليده الذى فقده في الساعات الاولى من الحياة .

● قتلة بالجملة ●

ولو تتبعنا افلام شابلن الاخرى في مؤلف « دافيد روبنسون » لوجدنا نفس التعامل الصادق المباشر مع الانفعال ، ولوجدناه يؤدى الى التخلق والابداع السينمائي .

فمثلا في الحقبة السوداء التالية لكارثة القاء القنبلة الذرية على « هيروشيما » و « نجازاكي » تمهيدا لاعلان الحرب الباردة ، في تلك الحقبة انفعل « شابلن » بالاحداث الفاجعة فاخرج الرائعة « السيد فيردو » (١٩٤٧) التى هزت الضمير وأثارت ضده قوى الظلام .

ومثلا من خلال المعاناة في ظل الاضطهاد الماكارثي ، والاضطرار الى الفرار من الولايات المتحدة على ظهر عابرة المحيطات «الملكة اليزابيث» (١٧ / ٩ / ١٩٥٢) للعيش منفيا في سويسرا ارض الشتات . من خلال تلك المعاناة ولد فيلم « ملك في نيويورك » (١٩٥٧) دامغا لمجتمع يسيطر عليه شيطان المال والاعمال .

وختاما فلعلي لست بعيدا عن الصواب اذا ما قلت ان كل ما تقدم انما يؤكد صدق مقولة « شابلن » التالية :

« المأساة تنعش روح السخرية .. فانا افترض ان السخرية شكل من اشكال التحدى ، فنحن يجب ان نتحداك في مواجهة عجزنا امام قوى الطبيعة ، والا انتهى بنا الامر الى الجنون » .



« فتى أم فتاة »

● كان السائحون يقفون فى طابور لدخول احد المتاحف ، عندما همس شخص عجوز للشخص الواقف خلفه : انظر الى هذا الشخص الصغير الجسم الواقف امامى ببنطلونه الأزرق وشعره الصغير المجعد ، اهو فتى ام فتاة ؟ وجاءه الرد الغاضب : انها ابنتى .. فقال العجوز معتذرا ، اغفر لى يا سيدى ، فانا لم افكر بانك والدها ، وجاءه رد غاضب اخر : انتى لست والدها ، انا امها !!

● فى اجتماع عقد فى احد النوادى النسائية فى روما ، قدر ان ١٠٠٪ من الحاضرات يضعن احمر شفاه و ٣٥٪ يصبغن شعورهن و ٨٠٪ يطلين اظافرهن و ٨٥٪ يضعن ظلالا حول عيونهن و ٧٥٪ يحملن رموشا صناعية ، و ٦٠٪ رسمن حواجب بالقلم بعد ازالة حواجبهن الاصلية ، والطريف أن موضوع الاجتماع كان : « مشكلة التغليف الخادع » .

● لم تسمح الام لطفلها الصغير بالذهاب الى المدرسة الا بعد تردد كبير ، وقدمت لمدرسته فى اليوم الاول قائمة طويلة من التعليمات ، ومن جملتها قولها ان ابنى مرهف الحس جدا ، فلا تعاقبيه أبدا ، بل يكفى أن تضربى الطفل الذى بجواره ، لكى يخاف هو !!



« نهاية الصداقة »

● قال صديق لصديقه : لقد قلت لى أنك ستبقى صديقى النهاية ، الان اقرضنى مائة دولار ، فرد عليه صديقه : هكذا نكون قد وصلنا الى النهاية !!

« اليوم الاخير »

● سئل طفل فى الثامنة من عمره ، عما يحبه فى المدرسة ؟ فاجاب : انا احب أربعة اشياء ، هى : الموسيقى والعطلات والاجازة الصيفية ، واليوم الاخير من السنة



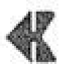
(ابو المعاطى ابو النجا) قصاص وروائى له شخصيته الفنية والفكرية المستقلة وسط ابناء جيله . يتبدى بسيطا سهلا مقنعا ولكنه عميق الاغوار ، غزير الاحساس ، بعيد المدى فى التقاطه اللحظة الشمولية التى تسجل وتتجاوز الطبيعة والواقع والناس والتكتلات للاشياء المترابطة ، دون أن يفقد القدرة على اكتشاف التفاصيل ومعرفتها وفحصها وتعريتها وتقديم نموذج الانسان العادى المغمور المطحون فى سلم التركيب الطبقى الاجتماعى ، سواء فى الريف أو المدينة .. وهو مفكر متأمل فى مصير الانسان ، ومعنى الحياة والموت وعلاقته الميتافيزيقية عموما والواقعية

والكتابة عنه تحتاج إلى نظرة متأنية جدلية رحبة متعددة الجوانب ، نظرة دائرية تحيط بكل اعماله التى قدمها فى أصرار ودأب ، عارفا عن طريق الدراسة والموهبة بخريطة القصة القصيرة المصرية والعربية ، وإرهاصات التحول فى المبنى والمعنى التى ستحدث فيها وقت ظهورها ومن هنا كان تميزه وعدم انبهاره بالاشكال والتجريب الحديث المنفصل عن تراثها لدينا . صحيح لقد تأثر بأبرز كتابها فى الغرب مجى دى موباسان» و «تشيخوف» و «هيمنجواى» و «جوركى» و «كامى» وغيرهم غير انه استوعب تراثها العربى من «عيسى عبيد» و «محمد ومحمود تيمور» و «طاهر لاشين» و «يحيى حقى» و «محمود البدرى» حتى «يوسف ادريس» غير انه كان سابقا لجيل الستينات فى عدم الوقوع والتأثر بيوسف ادريس والثورة التى احدثها فى كتابه قصة مصرية فى الشكل والمعنى تقف فى وجه القصة الاوربية .

ويكفى أن الذى قدمه للحياة الادبية هو الناقد الواقعى النافذ البصيرة (انور المعداوى) الذى مازلنا نفيد من نقده المضىء . لقد كان «انور المعداوى» مصيبا فى الرهان على مستقبل هذا الشاب الريفى الخجول الذى صور الريف والمدينة بعيز جديدة ، ورؤية طازجة غمرنا بها فى مجموعاته التى تكون مرحلة مضيئة من تاريخ القصة القصيرة .. كذلك الرواية ذات الطابع الخاص وأقصد (العودة الى المنفى) .

كيف نبدأ بتقويم هذا الانتاج الخصب الممتع ؟ اعتقد ان البداية تكون برصد اعماله فى تتابعها التاريخى .. لقد أصدر (ابو المعاطى) سبع مجموعات قصصية هى على التوالى (فتاة فى المدينة) سنة ٦١ و (الابتسامة الغامضة) سنة ٦٣ و (الناس والحب) سنة ٦٦ و (الوهم والحقيقة) سنة ٧٤ و (مهمة غير عادية) سنة ٨٠ و (الزعيم) سنة





٨٢ و (الجميع يربحون الجائزة) وقد أصدر روايتين (العودة الى المنفى) سنة ٦٩ و (ضد مجهول) سنة ٧٥ .

ورغم التنوع فى اساليب السرد فإن الغالب فى تكنيك (ابو المعاطى ابو النجا) هو اختيار «ضمير الأنا الراوية» الذى يدخل بك فى جو

الحدث والتعرف على الشخصيات لابطريقة يقينية مدعية انها تعلم كل شىء ، إلا انه مجرد راوية يثير انتباهك ويجعلك تستغرق فى الجو ومعايشة الشخصيات ويدفعك الى متابعة التطور الدرامى للحدث ، وفهم المعنى المختفى خلف الحوار أو التأملات ، والسرد الشاعرى المكثف ، والصور التعبيرية المركبة الجماليات ، المنحوتة من الجو وبيئة الحدث ومستوى ثقافة الشخصية وتكوينها .. وهو يوزع السرد الى مقطوعات تنتقل فى الزمن القصصى موازيا للزمن الواقعى والنفسى فى نفس الوقت ، ويكشف عن ابعاد أعمق ، واغوار اكثر كثافة ، بحيث يخرج القارىء من متابعة السرد وهو مكتسب معنى وبعدا جديدا للاشياء والاشخاص التى تمر عليها العين العادية مرورا عابرا

ولدينا عدة قصص تؤكد هذه السمات سنقوم بتحليلها .

البحث عن معنى

فى قصة (الابتسامة الغامضة) تبدأ بانه لاخلاف بين اثنين على أن (صابر افندى) اخلص وأدق وأنشط مدرس ! حتى الناظرة رغم إعجابها به فإنها لاتخفى ضيقها بأنه يجعل من فصله فصلاً مثاليا فى كل شىء . ففى كل يوم يرسل لها بصحبة الضابطة تلميذة او اكثر لتوقيع العقاب المناسب ، وقد حاوره زملاؤه فى تزمته ، غير أنه لخص موقفه بحدة ، إن التدريس ليس مجرد مهنة بل رسالة ومسئولية عن جيل جديد وتوجيهه .. الخ وبشهادة المفتشين فقد كان فصل (صابر افندى) بين كل الفصول مثالا فى الانضباط ، ولكن رغم ذلك لايدرى (صابر افندى) متى يحدث هذا الشىء الغريب . فرغم الانضباط الذى يحدث عقب دخوله الفصل والصمت الملازم له ، فما أن تبدأ الحركة فى الشرح مستخدما اليدين ، وتمس حركته سكون التلميذات حتى يبدأن فى التفاعل معه ، وتتحول وجوه التلميذات ورءوسهن الى مجرد كرات صامتة ترقبه ولايكاد «صابر افندى» يسعد برؤية هذه الملامح البشرية حتى تنتكس سعادته حين تصطدم بهذه الابتسامة التى تولد فجأة على هذه الملامح . ابتسامة غامضة تؤثر فى الوجوه ، لكنها لاتصل أبدا الى شفتى



اية تلميذة وبهذا تظل تلك الابتسامة الغامضة شيئا لايقع تحت دائرة الممنوعات التى يعاقب عليها . ولقد حاول (صابر) أن يتجاهل تلك الابتسامة . لقد حقق الانضباط فى الفصل واعترافه بهذه الابتسامة اعتراف صريح بأنه اصبح يخشاها ، غير انه بدأ يعترف بينه وبين نفسه أنه المقصود بهذه الابتسامة وبدأ يشك فى ملابسه وصوته وحركاته ، وبدأ يضبط ايقاع حركاته وصوته ويديه ، واعتقد انه بذلك سيقضى على الابتسامة ولكن الابتسامة بقيت كما هى ، فراح يحقق فى الأمر ، وتنقل من تلميذة الى تلميذة ، ولكنه لم يصل الى سبب رئيسى ، وقرر أن يعاقب اى وجه يبتسم ، كما قرر أن ينصب كمينا لصيد مصدر الابتسامة فاستدار ليكتب على السبورة ثم فجاة التفت خلفه فابصر الطائفة التى تجلس فى الركن الأيمن تولد على وجوههن الابتسامة فطرد الطائفة كلها . وفى الصباح فوجىء بالابتسامة اللعينة تظهر على وجوه طائفة اخرى كانت تجلس قرب طائفة الأمس . لعاقب المجموعة الاخرى . لن يهمه ان يقل عدد التلميذات فى الفصل . المسألة تتعلق بمبدأ وتوالت الايام ، ولاحظ ان صوته بدأ يرتفع ، وحركات يديه أصبحت اكثر عصبية ، ومنظر المقاعد الخالية يقبض القلب

لقد ظن انه سيطر على الموقف . وان مجرد وجوده قد دفن تلك الابتسامة ولم يعد يرغب فى أن يدير ظهره . ثم فجاة غرق فى الصمت . ولم يكن صمته مفهوما . كانت عيناه فقط تحومان فى وجوه التلميذات وفمه نصف مفتوح . وذراعه لاتزال معلقة فى الهواء وادرك ان منظره مضحك وأنه بذلك وهو الذى القى بطوق النجاة لتلك الابتسامة اللعينة التى راحت تمزق السطح الساكن وترتسم فى لحظة واحدة على كل الوجوه ساخرة متحدية كانما تحمل وحده مسئولية ظهورها . وظل مشلولا محاصرا بهذه الابتسامة . وعرف انه ليس فى مقدوره ابدا ان يطرد احدا هذه المرة انه لو فعل لما كان هناك فصل على الاطلاق ، وماكان ثمة مبرر لوجوده . وعرف ان وجوده مع هذه الابتسامة اللعينة مستحيل ، فالقى نظرة منكسرة وخرج ، وأعقب ذلك ان الابتسامة الغامضة قد تلاشت بدورها وخلفت وراءها وجوما ثقيلا .

تبدأ قصة (الوهم والحقيقة) بالزاوية وهو يبحث عن تحديد اللحظة التى بدأ يشعر بها شعورا المه وحيره وجعله مشتتا ، وليس هناك جدوى من البحث عن بداية اللحظة ، فالمهم هو هذا الشىء الغريب الذى يشعر انه قديم قدم علاقته بزوجته (لماذا لااقول اننى نظرت فى وجه زوجتى ذات يوم او ذات لحظة ، فتأكد لى انها تحب . نعم زوجتى تحب .. تلك هى المسألة) ووجه زوجته وتصرفاتها وحركاتها والتغييرات التى طرأت عليها كلها هى ادلته الملساء لكى يؤكد لنفسه هذه الحقيقة ، ويظل يراقبها فى حيرة وغضب .. ويوما يجد صديقا اوحد له ، لايتورع عن الاعتراف له بهذه الحقيقة ، وهو يدرك ان صديقه هذا ربما اتهمه بالجنون . وقد فكر للحظات ان هذا الصديق قد يكون هو نفسه الذى تحبه زوجته ، وينصحه الصديق بأن يحسم شكوكه التى تعذبه حتى يعرف ما إذا كانت حقيقة أو وهما ، ثم يطلب إليه ان يفاجئها باتهامه بانها تحب . بعد حيرة وشك وخجل طرح عليها هذا السؤال (سناء .. انا أحب ، وكمن يمثل الدهشة قالت : اعرف ودهشت بحق هذه المرة : تعرفين ماذا ؟ ـ انك تحب .. حاول المشاكسة ـ ناقص تقولى انك تعرفينها ـ اعرفها طبعا ـ من ؟ انا .. والقت بنفسها عليه ، وامتزجا فى كل واحد) ، ورغم ذلك مازال ينقر الشك فى راسه ، ولكن الجنون الحقيقى لا المتوقع هو الذى كان فى انتظاره

حين فوجىء باختفاء صديقه .. بحث عنه فى كل مكان بلا جدوى .

والغريب انه عقب اعترافه لزوجته بغيبة صديقه ، واخذها المسألة ببساطة ، بدأت تظهر عليها الام المحبين وحزنهم . وتحولت زوجته الى شبح كاد يمزقه . وشعر بالندم (كلانا يتهاوى تحت مطارق ثقيلة تسحقه وتمزقه . ورغم ذلك فكلانا وحيد تماما ـ ووقع فى حيرة اشد من الحيرة الاولى) ، ويتوجه الراوية للقارىء بعد ان يعترف أنه سيظل ينتظر صديقه قائلا (ألمح فى عينيك نظرة ارتياب ، ولكنى لاأسمح لك لحظة واحدة بان تشككنى فى براءة صديقى فلو سمحت لنفسى بهذا الشك ، فعليك انت أن تشك فى هذه القصة كلها من البداية حتى النهاية . أسمعك تقول بأن جنونى مؤكد . ولكن تريث فى اصدار الحكم ، فمن يدرى فربما تكتشف بدورك أن زوجتك تحب) .

معنى الموت

للموت عند «ابو المعاطى ابو النجا» سحر غريب . يدعوه لتأمله لالى عيشته بل فى وجوده كمقابل للحياة .. الا أن مايحيره هو اختياره لاقرب الناس اليه وللناس عامة . انه يصور ادراكه له فى اكثر من قصة بشاعرية أسيانة ، وحزن متعقل متامل . من وجهة ادراك الطفل لمعنى الموت تقدم قصة (وقت الزوال) هذا المعنى فى تماسك درامى وسرد متأمل ، وحوار مقتصد ، وحدث دائرى (الزوال ليس مجرد وقت ، وعلاقتى به ليست علاقة . وشغفى ليس مجرد عاطفة ، وأحيانا يخيل لى انه يفسر الاحداث اكثر مما يحتويها) لقد عرفه وهو طفل من «سيدنا» بالكتاب حين اخبره بأن صلاة الظهر تكون عند (الزوال) اى ان الزوال هو الوقت الذى تتوسط فيه الشمس كبد السماء يعنى منتصفها تماما . وتلك اللحظة فجرت اكثر من معنى فى نفس الطفل ، وارتبطت بها احداث لاتريد أن تنتهى ، ففى نفس وقت الزوال ، بل قبله بنصف ساعة ، ورغم تحذيرات سيدنا يتسلل الأولاد وعلى راسهم العريف نفسه الى الترعة ، وينزلون الى الماء . كان الطفل لايستطيع ان يقاوم الاغراء ، فبدأ يسبح قرب الشاطىء ثم فى الاعماق ليتعلم السباحة فاكتشف عالما جديدا وذات يوم اوشك على الغرق . (سحر الموت وسحر العوم معا ، حبى وخوفى منهما ، لماذا يتلازمان ؟ لماذا يصبحان شيئا واحدا كما تصبح كل الايام فى لحظة زوال ؟) وتمر عدة ايام وهو عائد الى بيته فيسمع صراخا وولولة يظن انهما من بيته ولكنه يفجع عندما يعرف انها من بيت الحاج احمد جاره .. لقد مات فجأة وهو فى احسن صحة لقد مات ايضا فى (وقت الزوال)

وفى قصة (الحدود) يقرأ الراوية خبر وفاة (الحاج صالح الخضر) فيذهب الى قريته ليقدم العزاء . والحاج «صالح» غريب فى موته لقد ناهز الثمانين وتتعانق حياة الراوية وهو طفل وصبى وشاب ورجل مع احداث حياة الحاج «صالح الخضر» فهو جزء من القرية ، كالترعة ومئذنة المسجد وهو مساح يقيس الأرض . وهاهو رغم كل ماقام به (لأول مرة يمضى وحده دون أن يحمل ادوات القياس التى لاتفارقه لم يعد فى حاجة اليها . فقرية الموتى التى لاتزيد ولاتنقص ، والتى يتجاور فيها أهل الزهايرة لأول مرة فى سلام أبدى الظالم والمظلوم لايحتاج احد فيها ابدا أن يعرف حدود ما يحتاج اليه أو مايستحقه)

ويوجد لدى «ابو المعاطى ابو النجا» عدة قصص يتشكل فيها الفرد وسط تكتل المجموعة وحركتها الجماعية ودورانها حول الفرد ، «كالزعيم» «والجميع يربحون الجائزة» «والناس والحب» «والناس والحقيقة» و «العنكبوت» .

وقد كتب عدة قصص فى الغربة ذات مستوى رفيع لعل ابرزها هنا (السيد م م ه وحكايته مع الوجه الذى لايتغير) يشيد القصاص بناءها على مقاطع مثيرة للدهشة

أبو المعاطي أبو النجا

فنحن امام قروى مهذب . تعلم فى القرية ، ثم بدا يلاحظ فى حياته شيئا غريبا يلاحظ وجها محدد الملامح فيه كل ملامح المصرى الاصيل . راه اول مرة يحمل فأسا يحفر بها الأرض لتمتد فيها المواسير ، والقروى المهذب يحب الناس ويرتب عن بعد مشكلاتهم وافراحهم وأحزانهم . وسافر الى العاصمة ، واصبح لتى يافعا وذات يوم وجد امامه صاحب الوجه الذى لايتغير . لقد تنقل حتى الى البلاد العربية ، وهو دائما يجد هذا الوجه الذى لا يتغير .. ويعود الى بلاده فى ظروف صعبه كانت بلاده تستعد للحرب ورد ع الهزيمة فوجد صاحب الوجه الذى لايتغير يبنى القواعد وهكذا يظل ابدا الوجه المصرى الاصيل يبنى ويعمر ويشيد ويطل على حياة القروى يثير فيه الرغبة فى العطاء اللامحدود .

ولايمكن اكتمال الحديث عن «ابو المعاطى ابو النجا» اذا لم نشر الى جهوده فى الرواية ، خاصة روايته الفريدة التاريخية الوثائقية (العودة الى المنفى) وهى عن تاريخ حقبة من الحركة الوطنية المصرية وثورة عرابى من خلال اخلص ابنائها «عبد الله النديم» الذى صور نشأته وتطوره والتحامه بالشعب والثورة والمنفى . لقد حقق فيها شروط الرواية التاريخية . فقد استخدام الكاتب الرواية وهو يعتقد ان ازدياد الوعى بالحاضر يؤدى الى ازدياد الاهتمام بالماضى . وهكذا ساهم فى استجلاء ماحدث فى التاريخ .. وذلك فى ضوء تساؤلات (جورج لوكاش) حينما كان يتحدث عن الرواية التاريخية (ماهو التاريخ ؟ من اين يبدا وماهى القوى التى تشارك فى صنعه ؟ وكيف تصنعه ؟ . لقد اكتشف على غير ماعرفناه فى رواياتنا التاريخية اشتقاق الشخصية الفردية للشخوص من خصوصية عصرهم التاريخى حيث لاتجرى معاملة التاريخ وكأنه مجرد ازياء) غير اننا نلمح تشابها بين النهج الروائى هنا وبين كل من روايتى (المواطن توم بين) (وسبارتاكوس) (لهوارد فاست) .

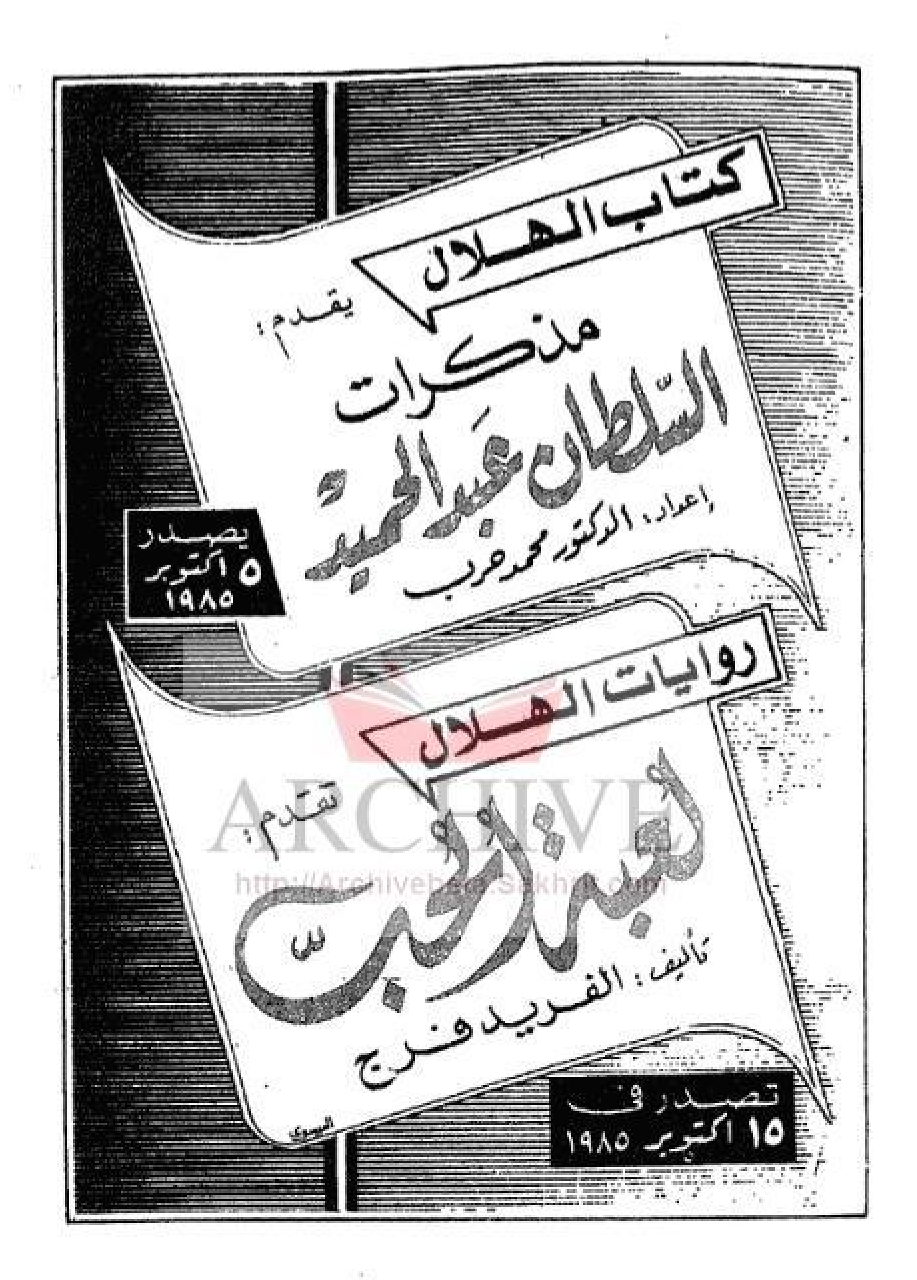
● فى الحب والزواج ●

● ما مات أحد فى حب امة حتى أحبته ! (جمال الدين الأفغانى)

● وأخيراً .. يصبح الحب فى خزانة الذكريات . (برنارد شو)

● إذا كنت مفتقداً الى حبيب .. فتعلم ، أولاً كيف تحب ! (إيليا أبو ماضى)

● أحبنى أبى فألقانى أخوتى فى الجب وأحبتنى امرأة العزيز فلبثت فى السجن بضع سنين ! (يوسف عليه السلام)


كتاب الهلال
يقدم:
مذكرات
السلطان عبد الحميد
إعداد: الدكتور محمد حرب
يصدر
٥ أكتوبر
١٩٨٥
روايات الهلال
تقدم:
العبد المحب
تأليف: الفريد فرج
تصدر في
١٥ أكتوبر ١٩٨٥

عمود الشعر

عشت فى القيد مطلق الروح حرا
عشت فى البحر وزنه وشجاه
فى (امرىء القيس) سرمدى العذارى
عماريات لشاعر جاء يكسو
ويناجى الهوى : افاطم مهلا
فوق ظهر الصحراء فارس حب

ايهذا الجلمود .. من اى صخر
كيف فرعت للخيام عمودا
فى صحارى تنام الا نجوما

اسر القيد ما تشكيت اسرا
فى هدير الاوتاد مدا وجزرا
يتدفقن فى البحيرة نهرا
فى قدود الحسان نهدا وخصرا
همسة ما تزال اعتى واضرى
وجواد جرى مكرا مفرا

من صخور الاهرام شيدت قصرا ؟
فى مهب الرياح حلق نسرا ؟
تتلظى فى هداة الليل جمرا



يسمع المالك المطاع (زيادا)
اهما مالكان .. يا للقوافى
(هرم) فى عطائه ام (زهير)
ملكات الجمال لولا (جميل)
المجانين فى القوافى ملوك
كان حقا ام كان وهما سمعنا
وذهلنا لمادح ولنهاج
غـاية تفضح الشاعر ناسى
اجبرتنا على التجول .. فاسلم
ما (ابو الطيب) اللجوج بشىء
انه الوحش يسأل الناس ملكا
كيف عاش الدهور مدحا وهجوا
فى (المعرى) ينتمى العمى شكوى
فيلسوف الظلام يصحو فيحكى
ويغنى (ابو فراس) فيحيا
وعسى (النيل) رعمسيس القوافى
مثلما موجه .. يرق ويطغى
ذلك الفاتح العظيم اليه

فيطيع العذر المتوج شعرا
تتحدى الملوك فتحا وقهرا
كان رب العطاء عصرا فعصرا ؟
فى قضاياه ما تقدسن ذكرا
يحكمون العقول : نهيا وامرا
واطعنا وهما تجسد بحرا
وهما يعويان ذئبا وهرا
حين نجتازها ونقطف زهرا
ايها الشعر للابوة جسرا
غير ابداعه التملق فخرا
ويرينا فى الشعر نابا وظفرا
آه من مائج جرى كل مجرى !
وانتقادا للكون دنيا واخرى
عاصر الكرم والعناقيد حرى
سجنه فى حمامة الايك طيرا
احمد فى الخلود يحكم مصرا
ويعيد العروبة الام بكرا
ينتمى الشرق فى الحضارة فكرا

شعر :

الرافعى

طرابلس ـ لبنان



بقلم : الدكتور محمد عمارة

●● صحيح أن الكثرة الكثيرة من فقهاء المسلمين قد وقفت عند حرفية الأحاديث النبوية المحرمة للصور والتماثيل ، وتعبدت بظواهر نصوص هذه الأحاديث دون أن تربط هذا التحريم بعلته ـ مظنة الشرك مخافة الوثنية التى كان مجتمع البعثة يجاهد للخلاص منها والبرء من آثارها ـ ودون أن توقت هذا التحريم بفترة نقاهة العرب الذين أسلموا من مرض الوثنية الجاهلية .

صنع هؤلاء الفقهاء ذلك ... وتركوا ، بما كتبوه فى الفقه ، انطباعا بتأبيد التحريم الإسلامى للصور والتماثيل ، الأمر الذى وإن لم يمنع ظهور الفن التشكيلى فى حضارتنا العربية الإسلامية ، إلا أنه جعل « النظرة الدينية » إلى الفن التشكيلى هى النظرة إلى « الواقع » الخارج عن مباركة الفقهاء !

لكن .. وعلى الرغم من موقف هؤلاء « الفقهاء ـ النصوصيين » .. فان قطاعا هاما من المفسرين للقرآن الكريم ومن « الفقهاء ـ المجتهدين » ـ وخاصة فقهاء المذهب المالكي ـ قد أباحوا التصوير والنحت اذا كانت لهما ضرورة اجتماعية او تربوية ! ●●

قديما

● فالمفسر : النحاس ، أحمد بن محمد بن اسماعيل المرادي « ٣٣٨ هـ ٩٥٠ م » يحدثنا عن أن قوما من المفسرين والفقهاء قد قالوا : ان « عمل الصور جائز » ، وانهم قد استدلوا بالآية القرآنية التي جعلت من صنع التماثيل لسليمان نعمة من نعم الله سبحانه « يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل » «١» .. واستدلوا كذلك ، بصنع المسيح عيسى ابن مريم، بأمر الله ، لتماثيل الطير .. « انى قد جئتكم بآية من ربكم ، انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله » «٢» .. فعيسى عليه السلام ، قد صنع تماثيل للطير من الطين، صنعها بأمر الله ، لتكون آية من آيات الله ، وجاز ذلك عندما لم تكن هناك شبهة شرك او وثنية تلحق بالعقائد بسبب هذه التماثيل ...

● ويحدثنا المفسر الاندلسي : مكى ابن حموش « ٣٥٥ ـ ٤٣٧ هـ ٩٦٦ ـ ١٠٤٥ م » في كتابه ـ الهداية الى بلوغ النهاية ـ ، وهو سبعون جزءا في معاني القرآن وتفسيره ـ يحدثنا عن « أن فرقة تجوز التصوير » مستدلة بهذه الادلة ذاتها «٣» ..

● والقرطبي ، المفسر « ٦٧١ هـ ١٢٧٣ م » ـ صاحب « الجامع لاحكام القرآن » ـ يشير الى اجتهاد لفقهاء



الاجتهاد الإسلامى

المذهب المالكى بجواز صنع واقتناء التماثيل عندما تقتضيها ضرورات التربية، مثل تربية البنات التى تستدعى تعويدهن على اللعب بالدمى — من « عرائس » وغيرها.. فيقول : « ... وقد استثنى من هذا الباب — « باب الخلاف فى التحريم » — لعب البنات ، لما ثبت عن عائشة ، ام المؤمنين ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، تزوجها وهى بنت سبع سنين ، وزفت اليه وهى بنت تسع ، ولعبها معها ... قالت : كنت ألعب بالبنات — « أى اللعب — الدمى — العرائس » — عند النبى ، وكان لى صواحب يلعبن معى ، فكان رسول الله اذا دخل ينقمعن — « يختبئن وراء ستر » — منه فيسربهن » — « يبعثهن » — الى فيلعبن معى » (٤) !!

فعائشة ، ام المؤمنين ، تلعب بعرائسها — وهى دمى وتماثيل لاحياء ادمية — مع صواحبها .. والرسول ، صلى الله عليه وسلم ، يرى ذلك ، ويرضى عنه — بل يبعث لها بصواحبها يلاعبنها ، اذا هن اختبأن منه حياء !!

وفى « طبقات ابن سعد » ما يفيد تنوع هذه الدمى .. فلقد كان فيها دمى للخيل أيضا .. فعن عائشة ، قالت : « دخل على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يوما وانا ألعب بالبنات فقال : ما هذا يا عائشة ؟ فقلت : خيل سليمان . فضحك » (٥) ..!

ثم يعقب القرطبى على هذه القضية فيحكى ان العلماء قد اباحوا الدمى واللعب بها ، للدور الذى تقوم به فى التربية ، خاصة تربية البنات ، حيث « يتدربن على تربية أولادهن » منذ الصغر — فالالعاب التى يتخذ [illegible] بيتوت ويسع دمى العرائس والاطفال » (٦) ...!!

● بل اننا واجدون لدى مجتهد اخر من مجتهدى المذهب المالكى ما هو اكثر من اباحة التصوير والتماثيل ، التى تتطلبها مصالح الامة العملية وتنمية معارفها العلمية وتربية حاستها الفنية وتهذيب طباعها وسلوكها .. واجدون لدى الامام القرافى ، ابو العباس احمد ابن ادريس « ٦٨٤ هـ ١٢٨٥ م » [illegible] اشتغالا عمليا بفن النحت والتصوير ، لا مجرد الافتاء باباحته فقط ! .. فهو يتحدث عن ممارسته — وهو الفقيه الاصولى المجتهد — لفن صناعة الدمى والتماثيل ، فيقول فى كتابه « [illegible] المحصول » : « .. بلغنى أن السلطان الكامل وضع له شمعدان — وهو عمود طويل من نحاس له مراكز يوضع عليها الشمع للانارة — كلما مضى من الليل ساعة انفتح باب منه ، وخرج منه شخص يقف فى خدمة الملك ، فاذا انقضت عشر ساعات — « اى حان وقت الفجر » — طلع الشخص على اعلى الشمعدان ، واصبعه فى اذنه ، وقال : صبح الله السلطان بالسعادة . فيعلم أن الفجر قد طلع .. » !! .

يحكى الامام القرافى هذا عن الشمعدان الذى استخدمت فيه التماثيل — تماثيل الانسان — آلة يقاس بها الزمن ، وفيها الحركة والصوت معا ! .. ثم يذهب ، فيتحدث عن تجربته وهو فى صنع شمعدان مماثل به ، الى جانب تمثال الانسان ، تمثال أسد ، فيقول : « ... وعملت انا هذا الشمعدان ، وزدت فيه : ان الشمعة يتغير لونها فى كل ساعة — وفيه اسد تتغير عيناه من السواد الشديد الى البياض الشديد الى الحمرة الشديدة ، فى كل ساعة لهما لون ، فاذا طلع شخص على اعلى الشمعدان ، واصبعه فى اذنه ، يشير الى الاذان .. غير انى عجزت عن صنعة الكلام » [illegible] ٤٧ .

فهنا ، فقيه ، مجتهد ، مارس صناعة الفن ، فكان مثالا ، يصنع تماثيل

الانسان والحيوان ، وفى صنعته هذه تتابع وتتعدد الالوان ؟! ..

وهكذا ... فالى جانب الذين منعوا التصوير والنحت ، فى تراثنا الفقهى — من « النصوصيين » — كان هناك الذين اباحوا هذا الفن — « المجتهدين » — بعد أن أمنت الامة خطر الشرك وعبادة هذه الصور والتماثيل .. بل وكان هناك الفقهاء المجتهدون الذين مارسوا هذه الصناعة ، فكانوا : « فقهاء مجتهدين — فنانين » ؟!

وفى العصر الحديث

عندما شرعت مدرسة التجديد الدينى، فى عصرنا الحديث ، تزيل من الفكر الاسلامى غبار عصورنا المظلمة — عصور المماليك والعثمانيين — وجدنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده « ١٢٦٦ — ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ — ١٩٠٥ م » يطرق هذا الباب ، باجتهاده وتجديده ، فيعلن مباركة الاسلام لهذه الفنون ، ويؤكد على دورها النافع فى تسجيل معالم الحياة، وحفظها من الضياع والنسيان ، وعلى فائدتها فى ترقية الاذواق والمشاعر البشرية ، والاقتراب بالانسان من صفات الكمال الانسانى ! ..

ولقد عرض الاستاذ الامام لهذه القضية .. قضية دور « الفنون التشكيلية » فى حياة الامة ، اثناء سياحته فى جزيرة « صقلية » سنة ١٩٠٣ م .. ففى « صقلية » زار المتاحف والمقابر ومواطن الآثار التى تحفل بالصور والتماثيل ، آثار وتاريخ الغابرين ... وكان يرسل الى مجلة « المنار » فصولا يحكى فيها مشاهداته فى رحلته هذه، وفى هذه الفصول كتب عن هذه الفنون، وعرض لرأى الاسلام فى الصور والرسوم والتماثيل ..

والذين يتأملون الصفحات التى كتبها الاستاذ الامام حول هذه القضية ، يطالعهم الرجل ذواقة للفن ، عاشقا للابداع الفنى ، الامر الذى يضيف الى تجديده فى الدين والادب واللغة قسمة أخرى تجعل له فضلا لا ينكر فى السعى لتجديد حياة الامة بواسطة الفنون ! ..

فهو يتحدث ، فى شاعرية راقية عن الرسم ، كفن يضاهى الشعر الذى هو ديوان الامة العربية منذ القدم — فيقول: فيه « ان الرسم : شعر ساكت ، يرى ولا يسمع ، كما ان الشعر : رسم يسمع ولا يرى .. » (٨) ؟!

ثم يعرض للحديث عن منافع هذه الفنون ، ودورها فى حفظ تراث الامة على مر الازمنة ، وما يعنيه ذلك من حفظ للعلم والحقيقة والتاريخ ، كى تظل شاهدة ماثلة لمن يأتى من أجيال .. « فحفظ الآثار — الرسوم والتماثيل — هو حفظ للعلم والحقيقة ، وشكر لصاحب الصنعة على الابداع فيها ! » كما يقول الشيخ محمد عبده .

ثم يأتى الاستاذ الامام الى القضية الشائكة الخلافية .. قضية موقف الاسلام من هذه الفنون وأصحابها ، فيدلى بالقول الفصل فى فائدتها ونفعها، لتغير الملابسات والتقاليد التى دعت الى نفور المسلمين منها فى عصر البعثة النبوية ، يوم كانت الرسوم والصور والتماثيل انما تتخذ كى تعبد من دون الله .. أو على الاقل، كانت مظنة شبهة ، لتعظيمها دينيا ، فكان ان نهى عنها الرسول ، عليه الصلاة والسلام .. أما الآن وبعد زوال هذا الامر بالكلية وبعد أن لم تعد الرسوم والتماثيل مظنة شبهة العبادة او التعظيم الدينى، وبعد ان اوضحت منافعها فى ترقية اذواق الامة وحفظ حقائق تاريخها ومعلوماتها ، فان رضاء الاسلام عنها ، ومباركته لها ، امر لاشك فيه ! ..

والاستاذ الامام عندما صاغ اجتهاده هذا ، وسطر لنا تجديده فى هذا الميدان ، كان يوجه حديثه الى الشيخ محمد رشيد رضا « ١٢٨٢ — ١٣٥٤هـ ١٨٦٥ — ١٩٣٥م » صاحب مجلة « المنار » .. وكاتب « آثار » ، تنشر هذه الفصول التى يصف فيها سياحته فى « صقلية »

الاجتهاد الإسلامي

.. وكان الأستاذ الامام يتولى ، يومئذ ، منصب « مفتي الديار المصرية » ، ويتربع على عرش الامامة والاجتهاد فى طول بلاد العالم الاسلامي وعرضها ! ..

وفى هذه الفصول أخذ الشيخ محمد عبده يتحدث الى الشيخ رشيد رضا ، عن هذه القضية ، فقال ، بعد وصفه لما شاهد من الرسوم والصور والتماثيل فى متاحف « صقلية » واديرتها وكنائسها ومقابرها وميادين مدنها ، وبعد حديثه عن دور هذه الرسوم والصور والتماثيل فى « حفظ العلم » وتخليده » .. قال :

« وربما تعرض لك مسألة ، عند قراءة هذا الكلام ، وهى :

ماحكم هذه الصور فى الشريعة الاسلامية؟ اذا كان القصد منها ما ذكر ، من تصوير هيئات البشر فى انفعالاتهم النفسية واوضاعهم الجسمانية ؟ هل هذا حرام ؟ او جائز ؟ او مكروه ؟ او مندوب ؟ او واجب ؟؟ .. فأقول لك :

ان الراسم قد رسم ، والفائدة محققة لا نزاع فيها ، ومعنى العبادة وتعظيم التمثال او الصورة قد محى من الاذهان ، فاما ان تفهم الحكم من نفسك ، بعد ظهور الواقعة ، واما ان ترفع سؤالا الى المفتى وهو يجيبك مشافهة — « لاحظ ان المفتى هو المتكلم » ؟! — .. فاذا اوردت عليه حديث : « ان اشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون » ، او ما معناه مما ورد فى الصحيح ، فالذى يغلب على ظنى انه سيقول لى : ان الحديث جاء فى ايام الوثنية ، وكانت الصور تتخذ فى ذلك العهد لسببين : الاول : اللهو ، والثانى : التبرك بمثال من ترسم صورته من الصالحين ، والاول مما يبغضه الدين ، والثانى مما جاء الاسلام لمحوه ، والمصور فى الحالين شاغل عن الله ، او ممهد للاشراك به ، فاذا زال هذان العارضان ، وقصدت الفائدة ، كان تصوير الاشخاص بمنزلة تصوير النبات والشجر فى المصنوعات ، وقد صنع ذلك فى حواشى المصاحف ، واوائل السور ، ولم يمنعه احد من العلماء ، مع ان الفائدة فى نقش المصاحف موضع النزاع ، اما فائدة الصور فمما لا نزاع فيه ، على الوجه الذى ذكر .

اما اذا اردت أن ترتكب بعض السيئات فى محل فيه صور ، طمعا فى ان الملكين الكاتبين ، او كاتب السيئات على الاقل ، لا يدخل محلا فيه صورة كما ورد »[10] . فاياك ان تظن ان ذلك ينجيك من احصاء ما تفعل ؟! ، فان الله رقيب عليك وناظر اليك حتى فى البيت الذى فيه صور ، ولا اظن ان الملك يتأخر عن مراقبتك ! . اذا تعمدت دخول البيت الذى فيه صور ؟! ..

ولا يمكنك ان تجيب المفتى : بسان الصورة ، على كل حال ، **مظنة العبادة** ، فانى اظن انه يقول لك : ان لسانك ايضا مظنة الكذب ، **فهل يجب ربطه؟!** مع انه يجوز ان يصدق ، **كما يجوز** ان يكذب ! .

وبالجملة ، فانه يغلب على ظنى ان الشريعة الاسلامية ابعد من ان تحرم وسيلة من افضل وسائل العلم ، بعد تحقيق انه لا خطر فيها على الدين ، لامن جهة العقيدة ، ولا من جهة العمل .... وليس هناك ما يمنع المسلمين من جمع بين عقيدة التوحيد ورسم صور الانسان والحيوان لتحقيق المعانى العلمية ، وتمثيل الصور الذهنية .. » (11) .

هكذا صاغ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، فى الفنون التشكيلية ، ما يشبه الفتوى الشرعية ، فقرر انها أداة لحفظ الحقيقة العلمية ، بل « وسيلة من افضل وسائل العلم » ..

والها فنون راقية ، ترتقى بذوق الانسان كما يرتقى فن الشعر وغيره ، من الفنون التى ليس على الابداع فيها كلام ولا ملام فى الاسلام !

وهو ، بذلك ، قد اقتحم ميدانا وعرا من ميادين التجديد والاصلاح فى فكر الاسلام الحديث وحياة المسلمين المحدثين »..

● ان القرآن الكريم قد ميز بين التماثيل والصور ، عندما تكون سبيلا للشرك بالله ، والانحراف عن نقاء عقيدة التوحيد ، فحرمها اذا كانت كذلك او مظنة لذلك .. وبينها اذا كانت سبيلا للمعرفة ، وحفظ الحقيقة ، وتهذيب النفس ، وتنمية حاسة الذوق والتذوق لدى الانسان .. فاعتبرها من نعم الله على الانسان ، وتحدث عن صنعها ، اذا كانت مستهدفة لهذه الاغراض الخيرة ، باعتباره صنعا يتم « باذن الله » .. !

● كما ان تعبير القرآن الكريم عن الافكار والمعقولات ، بالصور « الحسية الفنية » شاهد على استهدافه تنمية الحاسة الفنية لدى المؤمنين به .. فهو مع الفن والجمال ، لا ضده ، كما يتوهم نفر من المتعصبين ضد الاسلام ونفر من المتعصبين بلا وعى ولا علم — للاسلام ! ..

وليس هذا مجرد استنتاج منطقى .. فكثير من الاحاديث التى سقناها — فى الجزء الثانى من هذه الدراسة قاطعة بذلك .. ومن ثم فان موقف السنة النبوية ، من هذه القضية ، متسق تماما مع موقف القرآن الكريم منها ..

● اما الفقهاء الذين وقف كثير منهم عند حرفية نصوص الاحاديث وظواهر الفاظها ، ولم يبصروا ارتباط تحريمها الصور بعلة هذا التحريم ، ودوران هذا التحريم مع هذه العلة وجودا وعدما .. فان آخرين منهم قد اخلوا ، بالاجتهاد ، موقفا مغايرا ، فافتوا بجواز الصور والتماثيل — صنعا واقتناء — طالما ان خوف الشرك والوثنية غير قائم ، وتحدثوا عن دور هذا الفن فى المسلم والتعليم والتربية والتهذيب .. بل ومارس بعضهم صنعة هذا الفن الجميل فكانت حياتهم واجتهاداتهم وممارساتهم التجسيد لموقف الاسلام الحق من هذا الفن .. موقف التزكية والمباركة ، طالما كان فنا راقيا ، يسعى اهله به الى ترقية حياة المسلمين وتمكينهم من تذوق نعم الله الجميلة التى افاضها على الطبيعة ، وسخرها لتجميل حياة الانسان ».

«١» سبأ : ١٣

«٢» آل عمران : ٤٩

«٣» القرطبى — الجامع لاحكام القرآن — جـ ١٤ ص ٢٧٢ . طبعة دار الكتب المصرية .

«٤» رواه مسلم وابن ماجه والبخارى

«٥» ابن سعد — كتاب الطبقات جـ ٨ ص ٤٢ . طبعة دار التحرير . القاهرة .

«٦» — الجامع لاحكام القرآن — جـ ١٤ ص ٢٧٤ ، ٢٧٥

«٧» مقدمة تحقيق كتاب القرافى — الاحكام فى تمييز الفتاوى عن الاحكام — ص ١٠ المحقق الشيخ عبد الفتاح ابو غدة . طبعة حلب سنة ١٩٦٧ م

«٨» — الاعمال الكاملة للامام محمد عبده — جـ ٢ ص ٢٠٤ ، دراسة وتحقيق — د . محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ م .

«٩» المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٠٥

«١٠» يشير الاستاذ الامام الى الحديث الذى يقول فيه الرسول ﷺ « لا تدخل الملائكة بيتا فيه جنب ولا صورة ولا كلب » رواه ابو داود والنسائى والدارمى وابن حنبل .

«١١» — الاعمال الكاملة للامام محمد عبده — جـ ٢ ص ٢٠٥ ، ٢٠٦



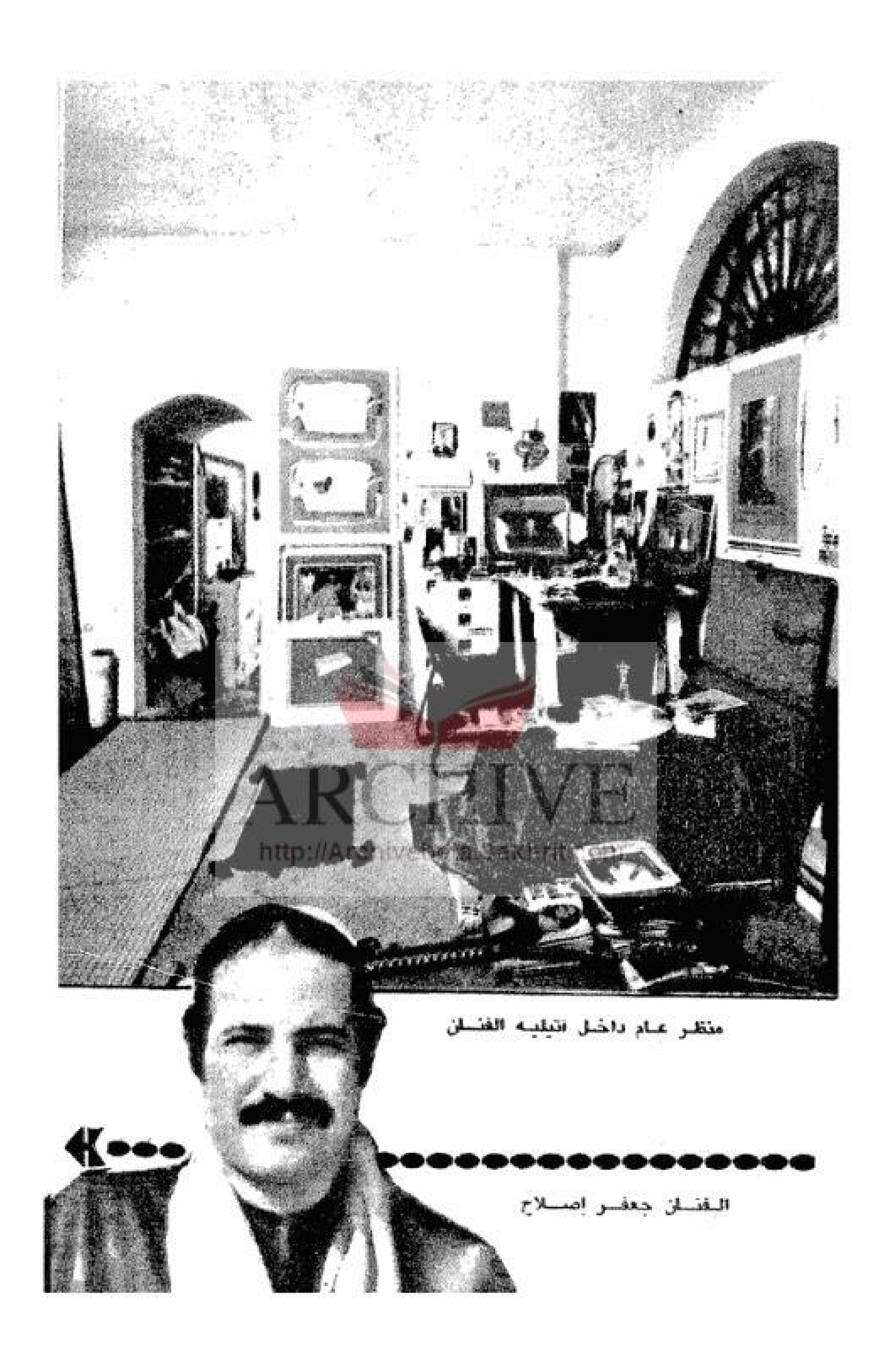
بقلم : احمد غانم

●● كيف تستطيع ان تفك اسرار تجربة فنية ذات تفرد وخصوصية نادرة ؟! تجربة استطاعت ان تستوعب الدرس ما بين ماض - عربي وعالمي .. متحول وما بين مستقبل متوثب . لقد اخذ الناقد الفرنسي الان بوكيه على عاتقه الوجه الايجابي فتكلم عن ماهية تجربة الفنان جعفر اصلاح بما يستحقه فلم يدع لاحد قول المزيد .

لكن اعمال اصلاح تمثل علامة فارقة كما تعني بان دائرة كاملة من التصاوير الخليجية قد اتمت فصول نضجها فاعماله يمثل وجهها الاول تجربة وعي عميق وارادي بالمتغيرات التي حدثت في حركة التصاوير العالمية ، ووعي ورفضا بالمعطيات البيئية القديمة والجديدة كما ان وجهها الثاني يمثل تجاوزا للمازق النمطية التي وقع في اسارها الفنان الخليجي .

.. وعن هذا الوجه الثاني سيدور حديثنا :





منظر عام داخل اتيليه الفنان

الفنان جعفر إصلاح

حول أعمال الفنان العربي

جعفر إصلاح

● استعارة المعاناة ●

يكاد يكون نتاج الفنانين التشكيليين بعد عصر الثورة الفرنسية الى الان ملحمة مستمرة سريعة لاهثة لاهبة الانفاس وبما يشكل هجائية كبرى لا تخطئها العين ..

هذه الملحمة خط متواتر متوتر متصل لفنانين ارقهم الهم العام والعذابات الجماعية لعصورهم ..

كل هذا العذاب كان كبيرا . كصخرة اسطورية وسرطانية تكبر مع الـزمن ولكم يشبه الفنان المعاصر الملك لير .. « ظل لير » يصرخ في وجه العاصفة : للتتشقق وجنتاك . غير انه يظل هذا الفنان وانسانه - شاخصا . كروح عارية .. مقيدا يعجله النار .. ويولد في هذا الزمان الدوار ليبكي عن انسيه المحروم المضيع المحترق .. وقد الى وتسمر فوق مسرح البلهاء الكبير .. طفلا شريدا وانسانا وحيدا ، ظامئا ومقيدا ، ومسموع اله بالموت والعنف .. والصراخ ، فقط .. وحتى المرأة رمز العطاء والحنان القديم ، لم تعد اكثر من طلاء براق ، امتلأت بها تصاوير الفنانين وتصاميم المعلنين واشبه بطعام الجحيم : لا يشبع احدا او يروي ظمأ .. « وما زال لها شكل المرأة الذي يحميها » .. والجوهر ليس بانسان !

لكأني بجعفر اصلاح يقف على الحافة من هذا التراث ، او هذه الاهجية الملحمية الكبرى ... ويقول : هل الى خروج من سبيل !؟ وانت أيها الفنان الفنان : (ظل لير) ، المعذب في الارض دعني أنيل يدك ... لاقبل حتى لسبحها آتسحها ، ذلك بان فيهـا رائحة الفناء ..

ولكن جعفر اصلاح - يقبل الينا - من واحة الرضا والتي تمد الينابيع والعيون فيها · اعاريج الفن الاسلامي، والتصاوير الاسيوية العريقة ... كفنان ذا روح سعيدة ، فنان شاكر عطية الوجود .. كطائر اسطوري لا تحـرقه النار ! ...

يفتح في الفن « باب الشكر » ، قلبه الطمأنينة ... وادراكه عميق ، انه ابن النعمة الالهية ، والتي انبثقت عطاءا من باطن التربة الذهبية .. فالمعاناة ليست حديثة ، والقلق والتوتر عبادة لا تليق به .. ولم لا !؟ ... وهل نحرم رحها من البشاشة !؟

.. وهذه البشاشة ليست ساذجة انها تصدر من موقف لتقدي واع وبناء، ذلك بان معطيات الفنـان الخليجي المعاصر هي اقرب الى النعمة ، كما ان معاناة الفنان الفرد هي معاناة ذاتيـة واجتماعية معا ونرى تصاوير المعـاناة والتوتر في اغلب تصاوير الخليجيين المعاصرين رجع صدى او اسـتعارة « تراثية » للمعاناة !.. فتبدو هكذا : لماذا هي « معاناة فاخرة » الى هـذا الحد !؟ ويأتي جعفر اصلاح ليخلع عن الفنان الخليجي هذا الامر .. ويقول انه ليس شرطا جوهريا في الفن » .. وكأنه يقود الانظار - كطائر النـورس الابيض - الى ارض عربية اخـرى ارض فيروزية يراها ، طفنا ت الاخرى ليجسيها الحلم الطفل بها ... الواحة من الامان ومن الدهشة : ارض السلام البعيدة، ولكنه يراها ، كزرقاء اليمامة، جد قريبة ..

« واصلاح » في هذا المنظور الفلسفي الشامل يقترب من محمود مختـار (١٨٩١ - ١٩٣٤) - مبدع النحت العربي ومعلاته - فكليهما مشبع بالرضا . وكليهما قادر - « بخاصته العقلية » الجبارة - على التجاوز الكلي للـرؤى الآنية المكلورة المسهدة .. وهذا التعالي الذي يكاد يكون طبعا غالبا في شخصيه

مختار وفنه لا يصدر عن امتهـــان او استخفاف من اى نوع للحظة ولشجونها. فترى اعمال مختار وكانها نشيد امتنان عميق بالمعاناة ، وهو فى هذا مؤمن بالشعب وقد جعل من « الحارس » و« الفلاحة » خلائف فى الارض ، بلى وصروح منحوتات اسطورية ، لعمالقته لم يولد واحـــد منهم وفى فيه ملعقة من ذهب بل انهم يخرجون

على استواء وجمال قريب من معين الناس وتجاريب التاريخ .. أن مختار الفذ هو فنان « الصبر » الجميل وصرح صمود لا يبارى .. وها هو « حفيده » الخليجى يقف على بوابة « الشكر » الذهبيـة راضيا ... وفى عصر اللهاث العـــربى تقول هيئته « الهمامـــة » برايـــات الرخى ـ يا عرب ـ على مرمى حجرا.



غلاف كتاب من أعمال الفنان





حول أعمال الفنان

جعفر إصلاح

لوحة . التصنيع الرومانتيكى
ألوان اكريلك . بلاستيك



لوحة النخيل

حول أعمال الفنان لعربي

جعفر إصلاح

وهكذا يرسم فنانان من الشرق ، واحد منهما نحات فذ ، وثانيهما مصور يرسمان صورة ايجابية للفن ، وبما يمس الاصول العميقة فى تراث المنطقة مسا مبدعا ؛ انها هجرة ارادية فذة مصدر روح آمنة ونفس واثقة مطمئنة — الى عالم من السعادة النفسية ، وصولا الى الجوهر الباقى ، وهو المطلق من كل الانسان ▪

لكننا نقسم بروحهما المطمئنة الواثقة ، كما نقسم بهذه « النفس اللوامة » للفنان الغاضب الحزين .

● الذاتية والجماعية ●

تشكلت الفنون الحضارات البشرية القديمة والوسيطة على مبدأ « الجماعة فى الفن » : فكل حضارة او جماعة تواضعت على شخصية اعتبارية فى الفن واشبه « باصطلاح » او « مسطرة ثابتة » يعمل وانقها الفنان ويبدع فى دائرتها ▪

وجاء الفنانون المحدثون بمبدأ « الذاتية فى الفن » ، وحيث يظهر الفنان برؤية وشخصية شديدة الاستقلال والتفرد ، وكأنه اولا غير مسبوق

ولقد تواكبت الذاتية مع معاناة الفرد ووحدته « الكوب الذي فى يدى أقرب الى من كل من حولى » الاخر هو الجحيم » وبدت ▪▪ هذه الذاتية — اشبه بمحاولة احداث توازن بين الفرد وبين المجتمعات الحديثة الشمولية الطابع كمساحة للحرية والتوام الذاتى كما جاءت نتيجة فصل الفن التشكيلى نهائيا ان يكون تابعا للكهنة او رجال الدين او الاساطير او الموضوعات الادبية ؛ كما انها تواكبت مع التراكمات الناجحة والمعارف الجديدة على الـ صعيد

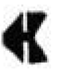
وتبدو الذاتية فى الفن الغربى الحديث وكأنها لا تعنى مطلقا بعامة الناس ، ولسان حال الفنان : افهم او لا تفهم ، اننى اتوجه بعملى الى الصفوة ، والى الاجيال : « وسوف اعلو ببنائى » وانه ليكفينى ان اتوام مع الطبيعة وتناسق الكون والمعرفة فى داخلى ...

لكن الدارس المدقق يدرك أن الذاتيه فى القرن التاسع عشر والعشرين لم تكن بمثل هذا السوء . والانفلات التى تظهر به . وانها فى جوهرها لم تكن مبدأ للشطحات اللامعقولة الدلالة . ولكنها اعمال قد تبدو غامضة الدلالة المقلبة ، واشبه برياضة صعبة ، تحتاج الى دراية وثقافة ، فكان لها دائما منطقها ، ولها نقادها وشراحها ومفكروها . ولهذا فانها تصل الى عامة الناس ولكن بعد حين .. وكان الفنانون ومعهم كوكبة من الشعراء أو الادباء أو الفلاسفة او العلماء او النظريات العلمية يتجمعون كفراشات شريعة اللقز ، حساسة للنور حول التغيرات الجديدة من فكر او علم ويحددون لهم موقفا من الحياة ، ثم يعلنون على هدى من موقفهم النقدى والاستشراف الصريح . فلم تكن الذاتية ابدا رياضة فى المجهول . ومع سرعة التغيرات والتراكمات الثقافية الحادثة كانت الجماعات الفنية تتشكل وتتناثر . بل أمكن لهذه الجماعات فى لحظات معينة أن تصيغ « بيانا » ولعل اشهرها « المنفستو » الاول ثم الثانى الذى دشن مذهب « السريالية » او « المنفستو » الذى دشن مذهب « المستقبلية » .. الخ

● الذاتية فى الفن ●

تراكم هذا التراث على صدر الفنان الشرقى العربى الناشىء دفعة واحدة ؛ ومع اهتمامه الاساسى « بالتلمذة » وتعلم لغة التشكيل العصرى فانه لم يتح له فى

تلوث البيئة . ملصق لمعرض ١٩٧٣ الكويت



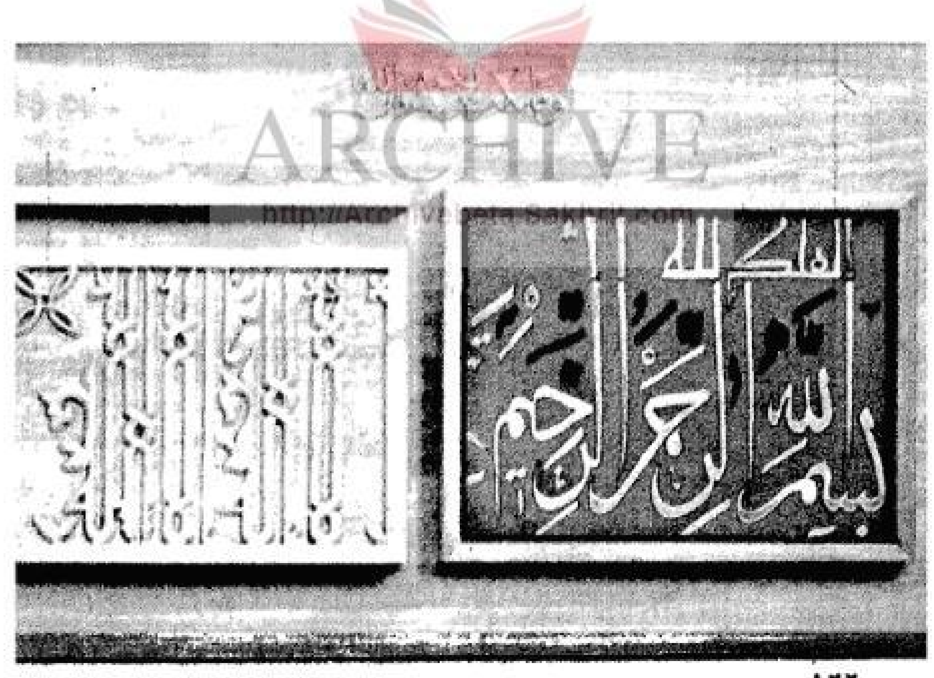
حول أعمال الفنان العربي

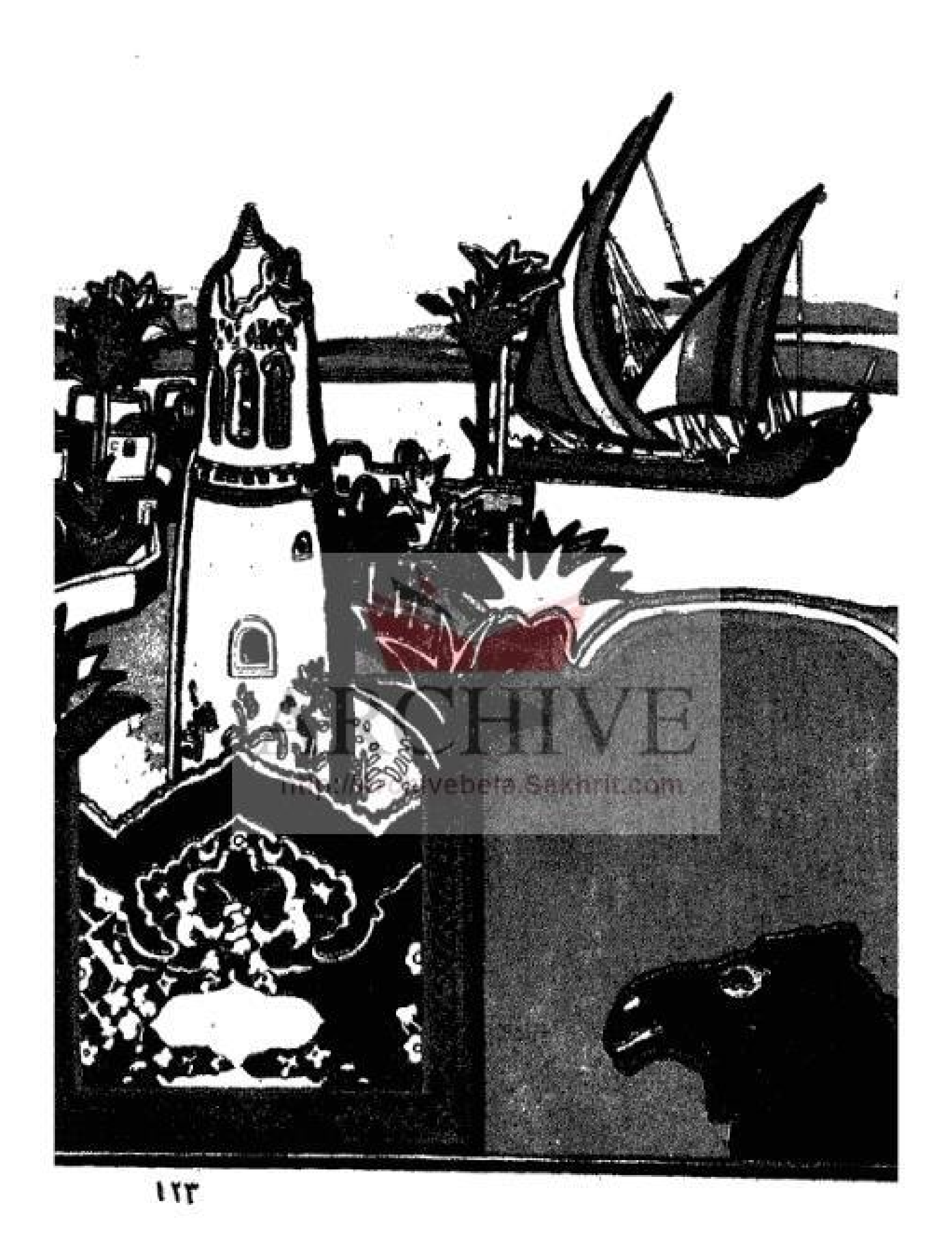
جعفر إصلاح

كثير أو قليل تأمل هذا التراث العربي بعين ناقدة .. كما أن الأنظمة السياسية والاجتماعية — المادية والحوار والتجمعات النقدية جعلت من الفنان في العالم الثالث فردا وحيدا في مواجهة « وحش ثقافي حقيقي لم يتعرض للتحليل أو التقويم من منظور عربي .

ويبدو أنه يتعين على الفنان العربي ، إذا أراد « العبقرية » والتباهي بذاته الوطنية « ورائه » أن يكون أمة في نفسه لا فردا ضمن جماعة ! ويبدو لي من موقف تأملي طويل ومعاني أن نقطتي الارتكاز الأساسية قد برزتا — دون تنويع — وهما مختار مصر وإصلاح الخليج. كلاهما أدركا أن الذاتية لا تعني الانغلاق أو التسطح والتقطع وأن الذاتية في الفن يمكنها أن تساعد الفنان أكثر في حرية تمثيله وتماهيه بقيم الجماعة وتراثها.

الخط العربي .. إحساس فريد كما تصوره الفنان
وعلى الصفحة المقابلة : الخليج .. لوحة من إبداعات الفنان





حول أعمال الفنان العربي

جعفر إصلاح

كما ادركنا أن الفنان الغربي يستبد به الولع بالذكاء والمهارة والتفوق فيلفته ان يعقد صلة عميقة مع عامة النـــاس في بلاده . الا ان الفنان الشرقي القديم يبدو ولعه الاكبر في التواضع والتواصل الاجتماعي العميق . ولعة قاعدة متصلة في فنون الشرق من سحيق الازمان الـه بفطرة وحكمة مبدعة يعقد ابدع الصلة بين أزهى العقول وابسطها . وان يبسط الصعب .

.. وبهذا كله يبدو عمل « مختـار » و «اصلاح» آلهـاما عميقـا للفنان الشرقي . ولقد ساعد على هذا في عمل مختار كونه احتفالا واحتفاء بالوطـــن ورموزه وقضايا الحرية والتحـــدي الحضاري ، كما ساعد على هذا في تصاوير « اصلاح » الوجدان ووعيـه بمعطيات عصره ، وحيث برزت فنون التصميم كقوة عظمى ذات تأثير وشأن . فنراه يصمم الملصق والمحاريب والمـواد كما يرسم في يسر ووحدة عضوية وتكربة والجدير بالتنويه ان لغة التصميم هي اقرب الى لغة العلـــم ، فالت امـــام تصميم باهر لسيارة او شعار شركة او

بـورتـريـه .. « وجـه إنسانـي »



الفنـــان
جعفـــر إصـــلاح

- ولـد عام ١٩٤٦
- درس فى جامعة بيركلى بكاليفورنيا
- نشر كتاب الصور بعنوان [واحد موجود فى كثير - وكثير موجود فى واحد]
- فاز بجائزة فى فن التصوير فى بينالى القاهرة عام ١٩٨٤

علبة دواء لا تستطيع أن تتبين ذات القاعل بل تلتقط تعيش معطياتها . ولقد عاش اصلاح متوالما - بكل ذاته - مع أعمق واقصى معطيات عصره . ملهما بحاسة ذوقية نادرة خالعا على الوضوع - المنضدة مثلا - ذاته البصيرة .

● منشور نادر ●

الفن الجيد كمنشور زجاجي نادر ، يظهر كل جانب منه لونا من ألوان الطيف والفكر ، وكما راى الآن يوكيه - الكاتب والناقد الفرنسى - فى تصاوير « جعفر اصلاح » الهاما للعين العربية وعينا أخرى . فالفن الجيد ولادة دائمية ، طفولة مستمرة ، ودهشة وبكارة خالدة لا تنقص ظلالها . وهكذا رأينا فى فن اصلاح اشراقة تغير المسلمات المتداعية فى فتور وتكرار فى ثقافتنا الفنية ويعيدنا من دهشتنا الشخصية ازاء تصاويره ، والتى بدت كطيف قديم لمحته عين الطفل فينا ، وكأننى رأيتها من قديم الزمان خالعة على سماء الصحراء - أرخبيلات القدسة - حلة فيروزية لم نرها حين من قبل .. وهكذا يسرقنا الفنان الى ذواتنا العميقة ، غير أننا لحينا هذا الجانب الانطباعى من قلمنا ، وقد رحنا نتأمل مغزى هذه التصاوير كحادثة واحداث فى دنيا التصاوير العربية . غير أنه فى هذا الختام يهمنا أن نؤكد بان هذه « البوابة اللاهبية » لم تقدم خلاصا - مجردا لتقط - من المأزق النمطية التى يقع فى شباكها التقليدية الفنان الخليجى بل هى نقطة وهى ونقطة تفسح فى مسار الفنان العربى بعامة ومن حسن حظ الخليجيين أن يظهر بينهم فنان كجعفر ، يقف فى قلب مراتعهم ، وهو أخ لهم ، ليصرخ فيهم مستنكرا : « أانتم فنانون حقا !! » .. انه - وهو ابن السعادة والسرور المطمئنة - يفض منهم ظلالة الخدر والرضى التى تحدثها الوفرة الفاجئة . لقد آن للخليجيين أن يقودوا معركتهم الفنية بالقسهم ، وان يدركوا انه لا فنا جيدا يأتى بغير صراع . وان هذا الصراع فى حقيقته ليس صراعا ضد آخرين ، بل هو صراع مع النفس ، صراع مع الفكر العميق ، والتنظير المبدع الرصين ، والاكتسابة الواسع ، انه الحوار حين يبدأ من نقطة التصارح الحتمية .

والحق انه كان من حظ المسرودين الخليجيين أن تواكبت فى الديار دليهم اجيال من مهلس الفن ، التربويين الانسانيين ، واللذين يستحسنون اى جهد ، ويباركون اى نشاط ، بروح من الصبر والتجميل والتشجيع .

وهكذا تبدأ بجعفر اصلاح حلقة قوية من حلقات التصاوير الخليجية ، بل والعربية ومن بين خطوط « البوابة اللاهبية » فى الخليج الى خطوط « صروح النيل » يبدأ العالم العربى فى التشكل كصيرورة واحدة « او هكذا اتمنى » ، او هكذا تكون الامنية .

العلاج مرة أخرى عند العطار!

بقلم : الدكتور بول غليونجى

● النبق والكرفس والكمون تعالج القرح والأمراض الجلدية !

● اللبان والحنظل والصبر يعالج أمراض العيون!

● التمر وحب العزيز والحنظل تعالج السعال !

● الجميز والزبيب والكمون تعالج الأمعاء والجهاز البولى ..

● البصل والقمح والبطيخ يشخص الحمل ويؤدى للخصوبة ....



استشارة طبية مستمدة من «مقامات الحريرى»
حول وصف العلاج بالاعشاب . قديما

يتجه الطب الحديث مرة اخرى الى العطار ، عندما تبين اهمية النباتات الطبية فى علاج العديد من الامراض، وقلة اثارها الجانبية

ويتناول العالم الكبير الدكتور بول غليونجى ابرز طرق العلاج بالنباتات والاعشاب ، ويكشف الاهمية الاقتصادية للاهتمام بزراعة هذه النباتات ، فهل يمكن ان تسترد مصر دورها القديم وتنتج التربة المصرية الخصبة الاعشاب الطبية؟ وتسترد مصدر حيوى هام لرفع الدخل القومى.



لا أدرى متى استعمل ، أول مرة ، تعبير « النباتات الطبية » التى أطلق عليها قديما « المفردات » ولا من ابتكره ، ولكنه تعبير يؤدى معنى حديثا ، اذ انه يرمى الى تمييز فئة من النباتات تنسب اليها خواص علاجية ، فى حين أن جميع المواد ، من نباتية ، وحيوانية ، ومعدنية ، كانت فى غابر الزمان تستخدم حسب خواصها ، دون فواصل حادة بين ماكان يعد عقارا وما كان يعتبر طعاما ، فقد ناقشها كبار الاطباء كما فعل ابن سينا فى الجزء الخاص بالمفردات من كتاب القانون حيث جمعها وفصلها ، فوضع قاتل الذئب وهو سم قاتل والسقامونيا وهى مسهل قوى الى جانب القرع والباذنجان والزئبق والطباشير ولحم الضأن والشمايف .

أما التمييز بينها فانصب على كيفية انفعالها على الجسم وانفعالها به فقالوا ان مايقهره البدن يسمى غذاء ، وما يقهره البدن غاية القهر فهو دواء ، وما يقهره البدن فى اول الأمر ثم يقهره البدن يسمى غذاء دوائيا ، وما يقهر البدن ثم يقهره البدن يسمى دواء غذائيا .

ثم قسموا الانفعال الى درجات عبر عنها ابن سينا فى ارجوزته الشهيرة :

ماكان تغيير له مقبولا
فذاك من درجة فى الاول
وكل ما تغيره يحس
وليس بالشديد اذ يجس
فهذا شهادة عليه وافية
بانه من درج فى الثانية
وكل ما تغييره شديد
لكنها افساده بعيد
وليس بالمفسد فى ممتزجه
فانه من ثالث فى درجة
وكل ما يفسد مايغير
من شدة تحرق او تخثر
فماعليك ان تقول من حرج
بانه فى رابع من الدرج

« ارجوزة ابن سينا فى الطب

وكان العلاج يتم بالضد أى بمكافحة المرض بعقار ذى كيفيات مضادة لمزاج المرض .

أما كيفية استنباط افعال العقاقير فانها ـ قبل معرفة وسائل التحليل الكيماوى وابتكار المنهج الاختبارى ـ كانت تستنتج من الوسائل الوحيدة المتاحة للعلماء وهى الاختبار الشخصى ثم الخصائص الفيزيائية وتاثيرها على الحواس ، اى بمعنى آخر كانت تستنبط من اللون والمذاق والرائحة واللمس ، حيث انه فى نظر العلماء كانت هذه الظواهر تنحدر من تركيب الاجسام ومن حظها من الاركان الاربعة المكونة للمادة ، وهى فى افتراضهم الارض والماء والنار والهواء . وبالتالى من حظها من الكيفيات المميزة لهذه العناصر ، وهى البرودة والرطوبة للماء ، والبرودة والجفاف للارض ، والرطوبة والسخونة للهواء ، واليبس والسخونة للنار .

واذا تخيلنا أن هذه الطريقة فى التقييم ساذجة او بدائية فيجب ان نعترف لها بقسط من الصحة فان فاعلية هذه المواد كامنة فى نسب الاملاح والزيوت العطرية التى تحويها والتى تحدث المذاق بملامستها للسان وتحدث الرائحة بتبخرها الى الانف .

● دور رائد ●

ولهذا السبب ، اى للدور الرائد الذى لعبه المذاق والرائحة فى تحديد فوائد المواد المختلفة ، لعبت النباتات ذوات الطعوم القوية او الروائح النافذة دورا هاما فى ترسانة الادوية وعلى موائد المتذوقين على السواء ، وكان ثقلها التاريخى جسيما ، امال احيانا مسيرة التاريخ امالة خطيرة فالشم والمذاق هما الحسان المبنيان على الادراك الكيماوى ، اقدم حين ظهرا اثناء التطور الحيوانى ولهما اثر بالغ على المشاعر والعواطف ، ويسبقان كل حس آخر فى

استحضار الأرواح المتسببة وايقاظ الانفعالات المغموزة في اعماق اللاوعي واضفاء فتنة وجاذبية على اتفه السيدات واسخ الاطعمة .

ولهذه الاسباب ولغيرها لعبت التوابل « او الابازير » عبر التاريخ دورا اكثر خطورة من مجرد الزينة او اثارة الشهوات ، فبالاضافة الى الاستفادة من خواصها المشهية او الهاضمة كانت تستعمل لحفظ الاطعمة من الفساد او لتغطية الروائح الكريهة التى تنبثق منها .

فمن التوابل : الكمون الذى كان يضاف الى الخبز والحساء ويعد من القرابين المفضلة عند الفراعنة ، ونوع يرجح أن يكون الينسون لتشابه اسمه المصرى القديم « اينست » واسمه الحالى وقال بعضهم انه الريحة ، والكبر ، والقرفة التى كانت تضاف الى التحاميل والمراهم والاضمدة والزيوت المقدسة ، والكزبرة التى شبه المن بها فى التوراة ووجد قدرمنها فى مقبرة توت عنخ آمون وكانت تضاف الى السمك وتستعمل ضد لدغ الافاعى ، والشبت التى وجدت كمية منه فى مقبرة امنوفيس الثانى وارتبط باحد الالهة الاربعة الذين كانوا يحمون احشاء الموتى ، والشمر وكان يسمى « شمرى » او «بسبس» كتسميته العربية ، والمردقوش الذى اتخذ زينة للموميات ، والنعناع ، والخردل . وقد وجدا فى المقابر القديمة ، والفلفل المستورد عن طريق البحر الاحمر ، وحصا اللبان ، والعصفر المستخدم لزينة المومياوات ولدباغة الانسجة ، وكان يستخدم للتخلص من الديدان المعوية ، والزعفران المستورد ، وحبة البركة ، والريحة ، والقرنفل ، والحلتيت ، وقد يكون نبات سمى « حمايت » هو الحلبة وكان زيته يستخدم لاعادة نضارة جلد الشيوخ .

ويلاحظ أيضا عدم اختلاف ما نعده طعاما بما نعتبره دواء .

فاجمعوا على الشبت والرمان والاثل والشعير والعرعر وحب العزيز والبلح والقمح والكرفس والكتان والبردى والنبق والجميز والخروب والابنوس والبصل واللوتس والبلخ والسنط والخيار والكمون والصفصاف والتين والمر وزيت اللبان واللبان الذكر .

ويمكن تقسيم هذه النباتات حسب وجه استعمالها كالاتى ، مع التحفظ لعدم معرفة اسماء بعضها معرفة اليقين :

للقروح والجروح والامراض الجلديه : أنواع من الصنوبريات والعرعر والسنط والنوبية والمر واللبان الذكر وأوراق النبق والكرفس والكمون والصفصاف ولبن الجميز والبصل والكرات والشعير والقمح ونباتات أخرى لم يتم التعرف عليها بعد قد تكون الكتان والعشر والشمر والسنبل والسمسم والقناب والقرفة والحنظل والنيل

امراض العيون : السنط والابنوس والمر واللبان والصبر « ؟ » والحنظل ونباتات مجهولة .

للاسنان : لبان وكرفس وكمون وحنظل «أ»

لتصلب الاعضاء : صنوبريات والعرعر والكتان واللبان الذكر والكرفس وحب العزيز والسنبل « أ » والحنظل « أ » ونباتات مجهولة .

للسعال والرئتين : حب العزيز ومنتجات البلح والحنظل « أ » .

للامعاء والجهاز البولى : العرعر والكتان واللبان الذكر والكرفس وحب الكمون والتين والجميز والشعير والمستكة « أ » والنبق « أ » وحب العزيز والسنبل « أ » والسنامكى « ؟ » والحنظل « أ » ونباتات مجهولة .

للديدان المعوية : الرمان ونباتات مجهولة .

للتحاميل واللبوسات : العرعر وزيت اللبان والشمر وكف مريم وغيرها .

لتشخيص الحمل والخصوبة : البصل والشعير والقمح والبلح والبطيخ .

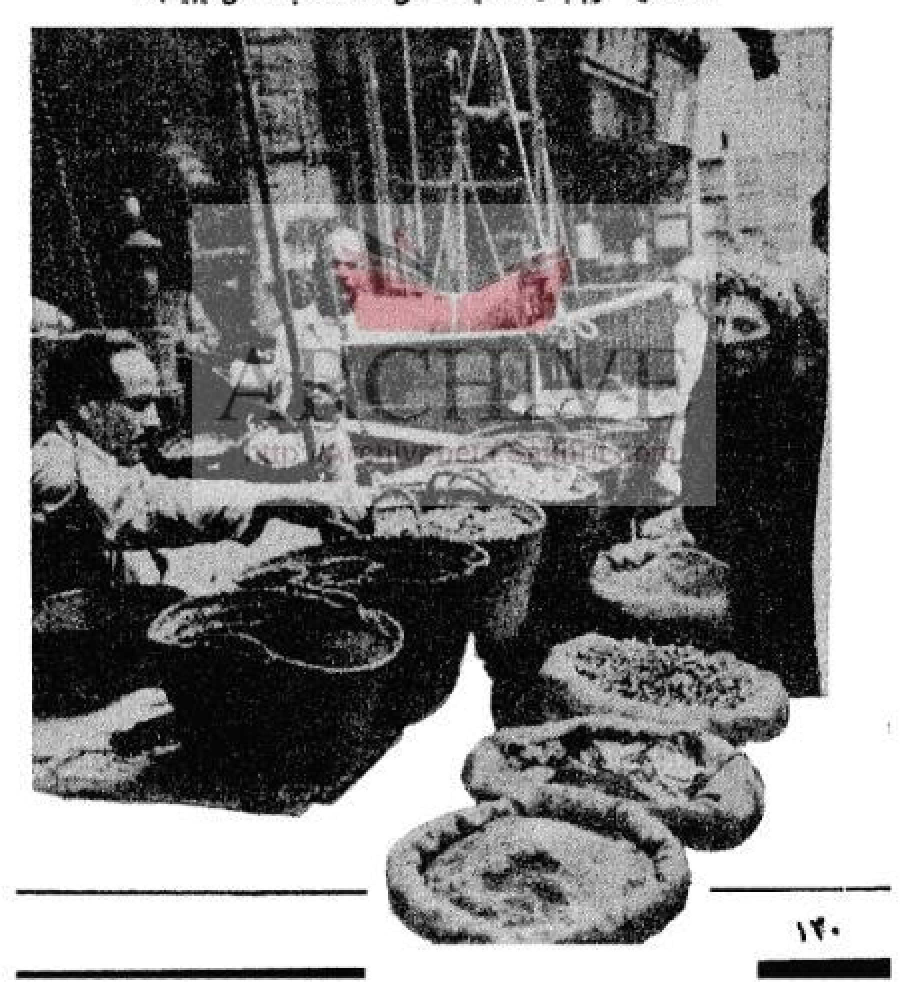
ولعل أول عالم افرد للنباتات مؤلفا باكمله كان ديوسقوريدس الطبيب اليونانى الذى صاحب جيرش نيرون فى القرن الاول الميلادى وجاب الشرق حيث جمع معلومات عن كل النباتات الطبية التى عثر عليها وبصفة

العلاج مرة أخرى عند العطار!

خاصة المصرية وكان عددها يزيد على ٦٠٠ قسم مؤلفه « المادة الطبية » الى خمس مقالات .

وقد نقل العرب هذه المجموعة الضخمة وأضافوا اليها الكثير من عندهم ومما حصلوا عليه من الهندوفارس والصين ، وقننوها وتسموا قواها الى قوى أول وقوى ثانية ، ثم بوبوها حسب افعالها الى الادوية المنحة والمليئة والصلبة والمسددة والمخلخلة والكثفة والمضيقة والمحرقة والمفتة والمقوية للحم والقاتلة والتى تبنى اللحم والجلابة

العطـار وإقبال شديد على الاعشـاب التى يبيعهـا



والدائمة والمخلصة والمسكنة والمفتتة للحصى والمدرة للبول والمدرة للطمث والمولدة للبن والمولدة للمني والقاطعة للمني ، والمنقية للصدر والرئة ... الخ ، وصنعوا منها المعاجين والترياق والمطبوخات والحبوب والحقن والفتائل واللزوقات والاقراص والسفوف والجوارشنات والادهان والاشربة والربوب والمربيات والاكحال والشيافات والمراهم وأدوية الاسنان والغرغرات وأدوية الجلد .. الخ فاصبحوا ولا مراء آباء الصيدلة الحديثة .

● تعريب اسماء النباتات ●

أما في الاندلس فيروى ابن جلجل أن العلماء حصلوا على ترجمة عربية لمؤلف قام بها اسطفانوس بن باسيلي في بغداد، ثم أن امبراطور بيزنطة ارمنيوس الثاني أهدى الخليفة القرطبي عبد الرحمن الثالث بعض الهدايا منها نسخة من المؤلف باللغة اليونانية الاصيلة مزدانا بصور نفيسة للنباتات ، وانه عرض عليه ارسال عالم له دراية بالاغريقية لترجمتها ، فارسل بالفعل الراهب نيقولاس سنة ٣٤٠ هـ ٩٥١م الذى - بالاشتراك مع علماء آخر - توصل الى ترجمة أسماء النباتات التى كانت تركت على لغتها الاصلية في التراجم السابقة لاسطفانوس وحنين وقد تم هذا العمل بعد وفاة الراهب فيما عدا اسماء عشرة عقاقير لم يمكن تعريب اسمائها .

كانت تجارة التوابل والنباتات الطبية - أصلا - حكرا للعرب وبصفة خاصة حكرا لاعراب الجنوب الذين كانوا يجلبونها - باستثناء لبان الذكر - من الهند وسيلان وجاوا وينقلونها الى الغرب مدعين انها من انتاجهم وحريصين غاية الحرص على عدم الافشاء بمصادرها .

غيران الحكام والحكومات لتهافتها على هذه السلع التى ثمنها ثمن الذهب لم يترددوا في السطو المسلح على مصادر الانتاج لاستبعاد الوسطاء العرب الذين دابوا على نسج أساطير رهيبة حول أهوال الوصول اليها لتثبيط عزائم منافسيهم ، منها خرافات نقلها « بلينيوس » عن أفاع مجنحة ووحوش مفترسة تحمى الاشجار ولا يسمح بمشاهدتها او بالاقتراب منها الا لاعضاء أسر معينة ، وعن ضرورة احراق قرابين من الميعة المستوردة من الشام أمامها لابعاد الوحوش المفترسة .

وكانت القوافل الحاملة لها تمر بتسع وتسعين محطة تفرغ سلعها في كل منها وتدفع الاتاوات حتى يسمح لها باعادة شحنها ، غير قادرة على سلوك طرائق أخرى بسبب الجدران السميكة التى بناها حكام هذه المحطات حولها .

ولكن هذه التجارة أصيبت بضربات قاسية أولا من جراء كشف البطالسة والرومان عن سر الرياح الموسمية ، وثانيا لانتشار المسيحية وزوال عبادة الاصنام التى كانت تستهلك كميات ضخمة من هذه المواد وبصفة خاصة من لبان الذكر والمر ، وثالثا عندما قضى الاحباش بمعاونة بيزنطة على دولة حمير التى كانت متحكمه في هذه التجارة وعلى المناطق المنتجة للبان الذكر .

● في مصر المملوكية ●

أما في مصر المماليك فلان اعادة تصدير التوابل الى اوروبا « ترانزيت » عن طريق تجارة البندقية كانت تدر ارباحا طائلة سمحت بازدهار الحضارة في ذلك العصر ، وهي أرباح اسالت لعاب الاجانب حتى ان الخيال جمح بهم الى انها كانت تقع من الاشجار في الجنة في نهر جيجون الذى قالت عنه التوراة « تكوين ١٣،٢ » انه يدور حول مصر ، والحقيقة ان هذه التوابل كانت - فيما عدا الينسون والنعناع - تستورد : المرمر من فارس ، والقرفة من سيلان والهند والصين وعن طريق البحر الاحمر ، والقرنفل من اندونيسيا عن طريق جاوا وعدن وجوز الطيب من اندونيسيا ، والفلفل من سيلان وملابار واثيوبيا والهند وسومطرا ، وجاوا والزعفران من ايران والهند واسبانيا . والهال من ملابار عن طريق عدن ، والجنزبيل من الهند ، وزنزباد ومدغشقر وتركيا .

أما في عهد بارزباى فقد حدث تطور ذو اهمية كبرى في العلاقات بين مصر المستوردة



والبلاد العربية الوسيطة والبلاد المنتجة هذا أن تجارة الهند كانت تمر بمدينة عدن فاتخذ بارزباى بعض الاحداث ذريعة لينقل هذه التجارة الى جدة بدلا من عدن وحول جدة الى مخزن لهذه السلع تشرف عليه الجمارك المصرية ويحافظ من المماليك ، وفرض الضرائب الاضافية عليها . وقد قدر مجموع السلع الهندية المستوردة سنويا فى سنة ٨٣١ هـ / ١٤٢٧ م بمليون الى مليونين من الدنانير وبلغ ايراد الضرائب ٥٠٠٠٠ دينار .

ومع الازدهاد قوة اسطول البرتغاليين وكشفهم عن طريق راس الرجاء الصالح واجهت تجارة مصر الصعوبات . لمذ هذا ان اغرق البرتغاليون سنة ١٥٠١م سفينة متوجهة الى مصر محملة بالتوابل . وان واسكودى جاما ، مكتشف طريق راس الرجاء الصالح عاد فاغرق سفينة اخرى متجهة ايضا الى مصر محملة بالقرنفل والجنزبيل ، فكانت النتيجة ان هاجر التجار الى لشبونة عاصمة البرتغال . فارسل البابا « يوليوس الثانى » خطابات الى ملوك اسبانيا والبرتغال جون جنوى ، فاتخذ السلطان الغورى اجراءات عنيفة ضد التجار الايطاليين فى القاهرة واستدلجنة عليا للتوابل فى البندقية فى حين دخلت الدبلوماسية الاوربية مرحلة محمومة ، واهتم باعادة هذه التجارة سفير البندقية فى مصر و لويس الثانى عشر ووفد أرسله السلطان الغورى الى البندقية تحت رئاسة « سانجاريتو » .

وعندما كشف الستار نهائيا عن طريق هذه التجارة دخل البرتغاليون والهولنديون والانجليز والفرنسيون البلاد المنتجة بجيوشهم وكتبوا صفحات صاخبة من تاريخ الاستعمار لاتقل بشاعة عن تلك التى كتبتها تجارة الرقيق لزراعة قصب السكر .

ولنعد الى استعمال النباتات فى الطب وقد شاع منذ اعرق العصور غير أن فوائدها لم تعرف على وجه التحقيق الا حديثا ويمكن تقسيمها الى البنود الاتية :

● التتكيه اى تحسين نكهة الطعام وبالتالى تنبيه الشهية واثارة افراز العصائر الهاضمة ، والعناصر العطرية التى تقوم بهذا الفعل مكونة من زيوت طيارة وزيوت راتنجية . والزيوت الطيارة هى المسببة للنكهة وتوجد بكثرة فى القرنفل والكركم والكمون والكراوية والهال والكزبرة والقرفة والشمر والحلبة وجوز الطيب وهناك انواع اخرى تضاف الى الاغذية لمجرد التلوين واكثر الانواع التى تستخدم لهذا الغرض هى الكركم والزعفران والفلفل الاحمر وعصير الطماطم وما يماثلها

● مضادات الاكسدة : لقد اسفرت التجارب وبصفة خاصة تلك التى تناولت حصى البلبان والمريمية وباستثناء الجنزبيل عن خواص تعادى الاكسدة وبهذا تحمى الدهون من التلف . فى الماء من جهة أخرى ، ولذا فان الفعل يختلف حسب المادة التى تضاف اليها .

● الخواص الحافظة : وهى تعتمد على تاثير التوابل القاتل للجراثيم وقد اجمع الباحثون على ان الخردل والقرفة والقرنفل من اقوى التوابل ضد الفطريات والخمائر والبكتريا ويمكن رد هذه الخواص الى الزيوت العطرية ومن المعتقد هذا فان الكميات التى تضاف عادة الى الطعام لا اثر لهـا ، الا فى المصلصات الصناعية حيث الخردل والقرفة والقرنفل فى غاية القوة وبصفة خاصة الخردل حيث أن ريحه السرى من كبريتيت وبنزوات الصوديا .

● التاثير على اللعاب . وهو زيادة الادرار وتركيز الخمائر الهاضمة فيه . وهذا التاثير الذى يختلف اختلافا بينا من شخص ال شخص آخر ويعتمد على اللامسة

المباشرة ، لايتحقق اذا تنوولت هذه النباتات او زيوتها مقللة

● محاذير التوابل ●

● عصارات المعدة . ولقد دأب الاطباء على تحذير مرضى المعدة من تناول التوابل دون اى سند علمي الا ان تجارب دقيقة تمخضت عن النتائج الاتية :ـ

أ ـ ان القرفة والبهار والصعتر والمريمة والبابريكا والكراوية لم تؤثر على سرعة الشفاء من قرحة المعدة الا اذا اعطيت بكميات كبيرة على مدى أسابيع عديدة ثم أنها لم تحدث اية عوارض جانبية كالتجشؤ والالم وحرقان المعدة اذا مزجت بالاطعمة

ب ـ ان هذه العوارض تلاحظ اذا اتخذت هذه التوابل على معد فارغة .

ج ـ احدث الفلفل الاسود والقرنفل عوارض لدى المصابين بقرح الاثنى عشر اذا اعطيا مع الطعام بدون العلاج التقليدى كما انها تسببان احتقان وآوذيما بغشاء المعدة .

د ـ يمكن عد الفلفل الاسود والفلفل الشيلى والقرنفل والخردل وجوز الطيب مهيجة للمعدة .

هـ ـ لم يتغير افراز البوربيسين نتيجة لتعاطى التوابل .

واخيرا لنا كلمة حول معركة افتعلها مروجو الاعشاب الطبية ضد الاطباء وأساسها اتهامهم بتفضيل الادوية الكيماوية رغم المعروف عنها انها اقل فاعلية بل انها سامة ومضرة . وفي رأيي ان مرد هذه المعركة الى قيام هذه التجارة في بعض البلاد النامية بقصد صمود رهو الاقتصاد من النقد الاجنبي ، وبسفسطة من انصاف المثقفين وهذا غير مقبول ، وقد تبنى هذا الاتجاه بعض الشركات التجارية التي ربحت الملايين وأسست مؤسسات ذات واجهة علمية وعقدت المؤتمرات ووزعت النشرات والمجلات فالسدت الرأى العام بتقديم حجج واهية هي :

اولا : ان الاطباء عكفوا على وصف العقاقير الكيماوية السامة لجهلهم بالنباتات الطبية ، وهذا القول فيه مغالطة جسيمة حيث ان علم الاقرابازين اى علم العقاقير يدرس تدريسا وافيا في كليات الطب ويعتمد جل اعتماده على النباتات ، غير ان تركيز المواد الفعالة في النباتات يختلف حسب التربة والجو وموسم الجنى والنوع وظروف الزراعة ، ولذا فقد حاولت الفارماكوبيات تقنين فاعليتها قبل عرضها للبيع الا ان شيئا من هذا لا يتم عند العشابين واذا تم فان فاعلية النباتات تتغير مع مرور الوقت حسب ظروف حفظ هذه العناصر القابلة للتلف ، ولذا فان المعامل دأبت على استخراج المواد الفعالة من النباتات وبلورتها فاصبح الآن لدى الاطباء ترسانة من المواد التي يمكن قياسها بطرائق كيماوية معروفة ويسهل حفظها دون تلف ويمكن حقنها في الاوردة عند الطوارىء .

ثانيا : ان المقولة بان النباتات غير سامة لانها تحوى مع كل سم مضاد له قول اقرب الى الخرافة منه الى الحقيقة ومعناه ان خانق الذئب او السكران او الجوز المقىء او غيرها من السموم الفتاكة ليست سامة .

ثالثا : القول بان النباتات تشفى كل الامراض ينطوى على جهل فادح او كذب صارخ بالاضافة الى خطر جسيم فأى نبات يغنى عن مصل الدفتريا ، او الانسولين للكوما السكرى ، او الامتين لالتهاب الكبد الاميبى أو الكلورامفينكول للتيفود .

واى نبات يمنع الاوبئة في حين ان الجدرى والتيفوس والحمى الصفراء وشلل الاطفال زالت او قاربت الزوال بفعل الامصال والمحصنات « الفاكسين » ؟.

ومع الاسف فان ذوى المصالح اتخذوا ذرعا شاعريا عاطفيا من شعارات مختلفة كالطب التقليدى او اليونانى او الاسلامى ، والطب الاسلامى برىء من هذه التهمة فقد استخدم كل الوسائل المتاحة سواء كانت نباتية أو حيوانية او معدنية لتحقيق رسالته ، ونظرة عابرة لمؤلفات ابن سينا وغيره تؤكد هذا .

ندوة الهلال

أعد الندوة : عاطف مصطفى



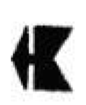
● ضرورة استقرار فلسفة التعليم.. من أجل التنمية ومواجهة العصر

● هل مازالت العملية التعليمية هى المدخل الرئيسى للإصلاح؟



د . محمود محفوظ ـ د . محمد حلمى مراد ـ د . عبد العظيم انيس
ود . سعيد اسماعيل على فى حوار ساخن

● تتحقق الوحدة الوطنية عن طريق التعليم وداخل القوات المسلحة



التعليم

ومستقبل مصر

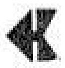
مع بدء عام دراسي جديد ، يقفز موضوع التعليم ويصبح على راس قائمة الاولويات والهموم ، لكل من يبحث عن مدخل لعلاج المشاكل المتراكمة التى تواجه المجتمع ، وبعد ان اكد الرئيس مبارك على اهمية العناية بالتعليم فى مراحلة المختلفة كاحد وسائل عبور عنق الزجاجة ، عندما سجل دور التعليم فى خطاب تكليف الوزارة الجديدة .

فاعدادالمواطن هو قضية الوطن فىالحاضروالمستقبل ودور التعليم وفلسفته هي احد اهتمامات الحركة الوطنية منذ بشائرها الاولى، حملقضية التعليم على كاهله رفاعة رافع الطهطاوى وعلى باشا مبارك والامام الشيخ محمد عبده ومصطفى كامل ، ونظر كل منهم اليها باعتبارها اداة المجتمع للحفاظ على هويته ووسيلته الى التقدم والاستجابة لتحديات العصر الذى نعيشه .

وبادرت الهلال بالدعوة الى ندوة موضوعها «التعليم ومستقبل مصر» دعت اليها صفوة من المفكرين هم الاساتذة :

الدكتور محمد حلمى مراد
والدكتور محمود محفوظ
والدكتور عبد العظيم انيس
والدكتور سعيد اسماعيل على
وراس الندوة الاستاذ مكرم محمد احمد

وطرحت الهلال فى بداية الندوة فلسفة التعليم على ضوء واقعنا الراهن ، وهل الفلسفة القائمة قادرةعلى الوفاء باحتياجات المجتمع.



الهلال : تضم ندوتنا اليوم اسماء كبيرة لانود اغراقها فى التفاصيل ، واقترح ان نتناول الاضار العام للموضوع ، حتى يكون لدى القارىء موضوع متكامل ..

● د. محفوظ :

ـ هناك تداخل بين فلسفة التعليم والمشاكل التطبيقية ، أحدهما يهم الخاصة ، اما مشاكل التطبيق فتحظى باهتمام جميع المواطنين ، وفلسفة التعليم ودوره فى تنمية الانسان والمجتمع هى التى تهم قارىء الهلال . ونكتفى بتناول ما يتعلق بانعكاسات فلسفة التعليم على التطبيق .

● وبدأ د. محمود محفوظ الحديث قائلا :

ـ ينبغى العودة قليلا الى الوراء ، لقد بدأ التعليم فى مصر منذ أيام محمد على بفلسفة واضحة ، وعند بدء الحركة الوطنية اتضحت تلك الفلسفة اكثر عند انشاء الجامعة المصرية ، وكان هناك ترتيب للاولويات فى ذلك الوقت لاعداد الانسان المصرى لمرحلة الاستقلال ، ومن الضرورى اعداد كوادر قادرة على التفاعل مع الحضارة الغربية ومزجها بحضارة الشرق .

والاستعمار الانجليزى عمل على تخريج موظفين ، ولم يعمل على تخريج المتعلمين ، بهدف ضرب الاهداف الوطنية لفلسفة التعليم فى مصر وعندما دخلنا فى مرحلة الاستقلال أى النصف استقلال بعد ثورة ١٩١٩ ، بدأت الجامعة تضرب من الداخل والخارج .

وبدأت المشكلات الاقتصادية تواجه التعليم فى مصر ، حيث كانت الدولة تتحمل العبء الاكبر ، وظل هذا الوضع سائدا الى أن ظهرت الازمة الاقتصادية بشكل واضح عام ١٩٦٧ ، وبدأ التعليم يواجه مشكلات حادة ، بدءا من التعليم الاساسى الى الجامعى ولكى نتناول التعليم ، فان ذلك يتم من خلال ثلاثة محاور فلسفية هى :

● علاقة الاقتصاد بالعملية التعليمية .

● دور قيمة المعرفة فى المجتمع

● التعليم ومشاكله والبرامج التى تعد له ، خاصة وأن مشكلتنا فى فى مصر اننا فى حاجة ماسة لاعادة تخطيط أولويات استثمار البشر ، وعلى أن يكون التعليم استثمارا لا خدمات

(الهلال) : لقد قفز بنا الدكتور محفوظ من عصر محمد على الى الاحتلال البريطانى الى العصر الحديث ، ونحن نطمع فى أن يحدثنا الدكتور حلمى مراد عن الوضع الراهن فى العملية التعليمية فى مصر ورأيه فى ذلك ..

● د. حلمى مراد :

ان الصورة الغالبة هى تلقين الفرد بهدف الحصول على شهادة دراسية ، بغرض التوظف للارتزاق وكسب العيش . ونشهد ذلك من خلال

التعليم
ومستقبل مصر

توجه الطلاب الى الشعب المختلفة فى التعليم الثانوى، واختيارات الالتحاق بالكليات عن طريق مكتب التنسيق ، ويواكب هذه النظرة عادة محاولة الوصول الى المكانة الاجتماعية.. مما يؤدى الى مشاكل اجتماعية ومتاعب كثيرة ، وخاصة بالنسبة لاستيعاب جميع الخريجين فى كل النواحى النظرية، وعجزت الدولة عن توفير فرص العمل للخريجين والقصور فى توفير العمالة الخاصة ببعض المهن والحرف اللازمة لعمليات التنمية الاقتصادية والصناعية والزراعية .

ولان التعليم حق لكل مواطن كما نص على ذلك ميثاق حقوق الانسان أى يجب أن يكون شاملا ، معبرا عن مبدأ «دمقرطة» التعليم، وجب أن نعيد النظر لاحداث تغيير شامل لنظرتنا للتعليم .

بدأ تساؤل يطرح نفسه فى ضوء مجانية التعليم وهو : هل تعليم الاعداد الكبيرة معناه الهبوط بمستوى التعليم ، ويصبح تعليما مزيفا ؟!.. وبالطبع فقد حدث اخطاء ، حيث اصبح لدينا عدد كبير من الحاصلين على الثانوية العامة ، مما ينتج عنه فتح أبواب الجامعات فوق طاقاتها . ولذلك ينبغى أن تكون عملية التعليم فى المرحلة الاساسية هى تكوين الفئة القادرة على استيعاب كل جديد .

(الهلال) : لكى يتواصل الحديث ، هناك قضية هامة ، هى العلاقة بين هيكل العملة فى مصر ، ونتائج التعليم الاساسى ، والتناقض الشديد فى هيكل العمالة يعكس بالفعل عدم وجود فلسفة تعليمية فى مصر .

● د. عبد العظيم أنيس :

– ان فلسفة التعليم تتناول قضايا أربع هى :

● تخزين القيم وطرائق السلوك فى المجتمع عن طريق ما ينقله المدرس الى التلميذ .

● نقل وتوريث مجموعة الافكار والرموز الهامة والرئيسية المرتبطة بكيفية القراءة والكتابة والحساب

● اعطاء التلميذ حرفة أو مهارة يمكن أن يستخدمها فى المستقبل .

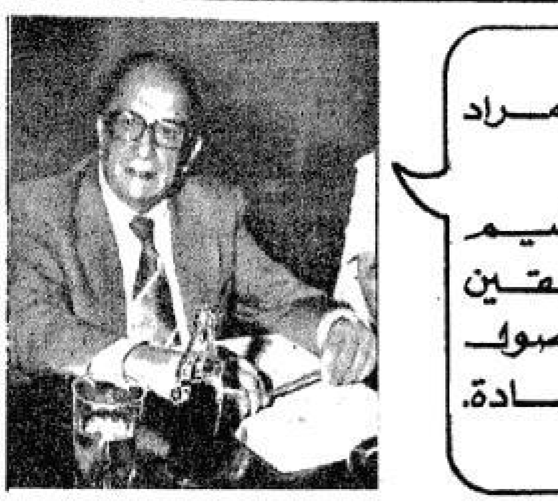
● الاهتمام بتكوين المثقفين والثقافة بشكل عام .

وقد تتداخل هذه القضايا معا .. فضلا عن أن لكل دولة نظامها التعليمى ، بحيث يعد من ضمن طبيعتها الوطنية .

وديمقراطية التعليم فى مصر التى اشار اليها الدكتور حلمى مراد لها أهميتها خاصة وأنها تطرح قضية التعليم كعملية اساسية .

كما أن علاقة التعليم بالتنمية تجعلنا فى حاجة ماسة الى كوادر وطنية ، خاصة وأن هذه العلاقة تأخذ

● تنظيم استخدام الموارد البشرية هو الطريق لمواجهة تحديات العصر. د. محمد محفوظ



الدكتور حلمي مراد يقول :
تحول التعليم إلى مجرد تلقين من أجل الحصول على شهادة.

بعدا خاصا في البلاد النامية ، فضلا عن ان التعليم اسلوب اساسي من اساليب النظام الاجتماعي ، وهناك طبقات اساسية في السلم الاجتماعي تتطلع الى الصعود عن طريق التعليم

وقضية الاستقلال الوطني في مصر لها اهمية خاصة في ارتباط تطور التعليم بالاستقلال الوطني ، كما أن تخلف التعليم ارتبط بالتخلف في الاستقلال ٠

مواجهة المشكلة

ويضيف د٠ انيس قائلا :

ـ ان التعليم هو احد الوسائل الاساسية في دعم الحركة الوطنية في مصر ، ولذلك يجب أن تكون هناك مرحلة أساسية تعليمية تستوعب كل الاعمار من ٦ ـ ١٥ سنة ٠

وهناك مقولة لنابليون بعد الثورة الفرنسية ٠٠ ، تتحقق الوحدة في فرنسا عن طريقين : المدرسة والجيش ، واذا كان الطالب يتعلم بطرق متعددة فهذا لا يساعد على تكوين الوحدة الوطنية ، وبالتالي ينبغي مواجهة هذه المشكلة في التعليم الاساسي ، كي نضمن غرس القيم خلال هذه الفترة ٠

لقد قفز التعليم خلال ثورة يوليو قفزات كبيرة ولكن لم يكن هناك وضوح كامل حول فلسفة التعليم ، كما بدات ازمات التعليم في عام ٦٥ ، ٦٦ ، ١٩٦٧ ، وبدات مؤتمرات الدكتور عزت سلامة في عام ١٩٦٦ حول قضية التعليم ، حيث كانت الجامعة في عزلة عما يجري في المجتمع ، ولهذا يمكن القول بأن أزمة التعليم سابقة على مرحلة الانفتاح ، لكنها لم تكن متفجرة بهذا الشكل ٠ والغريب في الامر انه مع

التعليم
ومستقبل مصر

الانفتاح، نشأت مشكلة ضغط الانفاق.

وفيما يتعلق بديمقراطية التعليم الجامعي فنجد أن الشريحة العمرية لطلاب الجامعة من ١٨ ـ ٢٢ سنة، ولم تزد هذه النسبة فى مصر عن ١٢٪، علما بأن النسبة تصل الى ٥٥٪ فى الولايات المتحدة و ٣٥٪ فى الاتحاد السوفييتى، وفى أوربا ما بين ٢٦ الى ٣٥٪.

والمشكلة تتمثل فى الخلل الواضح فى توزيع الموارد، وليست مشكلة التعليم، بل تتعلق بالوضع الاقتصادى.. وأنا مع رأى ذكره الدكتور محفوظ يتمثل فى أن استثمار البشر من أهم الملامح فى بلد كمصر، لاننا بلد محدود الموارد.

ولكن للاسف هناك خلل فى توزيع الطلاب فى الكليات، حيث ذكرت احصاءات عام ١٩٨٤ أن هناك نصف مليون طالب وطالبة فى التعليم العالى منهم ٢٥٪ من هذه النسبة بكليات التجارة علما بأن ظروف المجتمع المصرى تفرض عليه زيادة اعداد المهندسين والاطباء والزراعيين الى ضعف النسبة الحالية وفى كليات الطب قل عدد الخريجين من ٧٠٠٠ الى ٢٥٠٠ الى ١٨٠٠ خريج هذا العام!

فلسفتان للتعليم

● د. سعيد اسماعيل على:

ـ تبدأ القضية التى تناولها د. محفوظ من وجهة نظر تاريخية وسوف أبدأ من نفس النقطة.

فى أيام الاحتلال كانت هناك فلسفتان: (١) بحكم وضع القضية فى مصر فى عهد كرومر رؤى أنه لا يحتاج من التعليم الا المستوى الذى تقوم به الكتاتيب، وكان رد فعل الحركة الوطنية، مشروع نهضة شاملة للمجتمع المصرى، وقد أشار مصطفى كامل الى خطورة الجهل والتخلف فى مقالاته، ولذلك تنافست الاحزاب فى بناء المدارس، وهنا أوجه نظر الاحزاب الحالية الى بناء المدارس والاسهام فى محو الامية.

وتدخل الدكتور محفوظ مشيرا الى انه فى احدى المحافظات انشأت احدى الجمعيات الخيرية ٢٦ مدرسة، ولم يكن لوزارة المعارف سوى مدرسة واحدة.

● ويواصل د. سعيد اسماعيل قائلا:

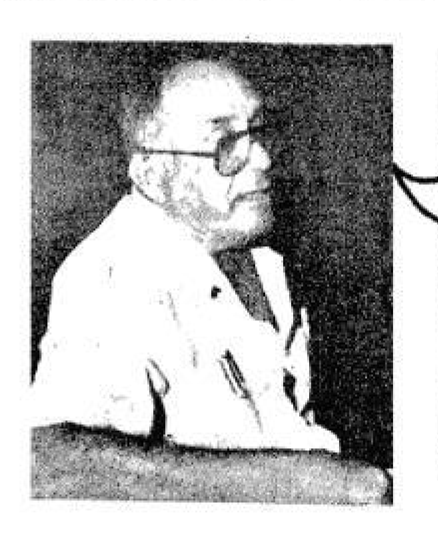
لقد قامت المدارس الاهلية بدور كبير فى الماضى، على عكس ما يحدث الآن، كما أن التفكير فى انشاء الجامعة المصرية، جاء نتيجة لانشاء الجامعة الامريكية فى مصر، ولكى توجه سياسة التعليم لمنافسة تلك الجامعة.

● د. محمود محفوظ:

ـ لا يوجد سند تاريخى للعلاقة بين النفوذ الامريكى والبريطانى فى ذلك الوقت، وقد اعتمدت الجامعة فى انشائها على تبرعات وأوقاف الاغنياء وبعض الهبات.

● د. سعيد اسماعيل على؟

ـ كانت هناك خطة استعمارية للقضاء على الجامعة الاهلية. واذا عدت الى فلسفة التعليم الاساسى، فأخشى أن نعود مرة أخرى الى فلسفة اللورد كرومر، عندما يهدف الى اعداد موظفين ـ بالتطبيقات الحالية ـ فلك



الدكتور محمود محفوظ يقول :

فى مصر ٢٩ مجلس أعلى ولا يوجد من يخطط للسياسات الكبرى .

قرأت بعض المقررات الخاصة بالتعليم الفنى ، ومن الخطأ أن ننظر الى هذه المقررات على أنها مادة يتعلمها الطالب فى المرحلة الاساسية ، كى يتخرج لشغل وظيفة معينة ، ولا يتأتى هذا الا فى مراحل العمر التالية وهى مرحلة الشباب .

ولقد بدأ يتردد استخدام التعليم الاساسى فى المحافل الدوليــة التى كانت تنصح بالتعليم لدول العالم الثالث ، على أساس أن هذه الدول ليست فى حاجة للتعليم الا بقدر احتياجها أن يتولى الصبية الصغار الاعمال الحرفية البسيطة .

(الهلال) : هل هناك فلسفة متكاملة لما يمكن ان نسميه التعليم الاساسى واين يمكن ان نجد التفرقة بين الاستخدام الحقيقى لجوهر فلسفة التعليم الاساسى كما هو قائم ، وامكانات البراجماتية التى يمكن أن تحول الفكرة الى مجرد تسخير مجموعات تحت ادعاء انها قد تعلمت بالفعل ؟

● د. محمود محفوظ :

السؤال الذى نطرحه هو : لماذا يتعلم الانسان ، ولماذا يحرص الوالدان على التعليم ؟

ان المرحلة التعليمية لم تظهر فى دين من الاديان الا فى الاسلام حتى أن سورة « القلم » كانت حول المعرفة والقراءة والكتابة ، وفى عصر النهضة الوطنية فى عام ١٩١٩ ، كنا نتعلم من أجل الاستقلال الوطنى ، وكل ذلك تغير الآن ليواجه التحديات المتمثلة فى أن مجتمعنا يتهم بأعداد كبيرة من البشر ، ومياه محدودة واردة من النيل وأرض خصبة محدودة ◄

.. وتعليم ابنائنا لمجابهة هذه التحديات .

(الهلال) : ما هو سر اهتمام بعض المنظمات الدولية بالتركيز على بعض المجتمعات ، وعلى الصبية الذين يتعلمون بعض الحرف ؟

● د. حلمى مراد

- قد يكون لبعض المنظمات اغراض من ذلك ، ويمكن أن نفسد عليها اغراضها . ولكننا فى حاجة الى ضرورة احترام العمل اليدوى لدى الشباب وممارسة العمل الحرفى، لسد النقص الموجود فى حياتنا المنزلية .

(الهلال) : لقد فتح لنا الدكتور سعيد بابا لأن نقلق من أن تكون هناك بعض منظمات تحاول عرقلة سياساتنا التعليمية !

● د. سعيد اسماعيل على

- ان التعليم الاساسى ينبغى أن يكون سلوكا ونهجا تطبيقيا عمليا .. لقد كان طلاب مدرسة الحقوق الخديوية يتدربون فى المحاكم على كيفية رفع الدعوى، وهو المقصود بصيغة التعليم العملى .

- ويتدخل الدكتور حلمى مراد قائلا : ما يود أن يذكره الدكتور سعيد الا يصبح التعليم عملية تلقينية، وما اشير اليه ضرورة أن تنتهى مرحلة التعليم الاساسى بتعلم حرفة ، وذلك تنص عليه بعض الدساتير وليس مفروضا أن يواصل الطلاب تعليمهم الجامعى ولابد من مواجهة الحياة باتاحة تعلمهم الحرف خلال تسع سنوات .

ولو أعطينا التعليم الفنى اهمية خاصة ووفرنا الورش والتجهيزات فسوف يعطى ذلك مردودا جيدا للمجتمع ، خاصة وأننا نرى أنهم فى الخارج يلحقون المدارس الفنية بالمصانع ، ويتولى التدريب مهندسون متخصصون .. أما عندنا فيتهرب المهندسون من الالتحاق بالتربية والتعليم .

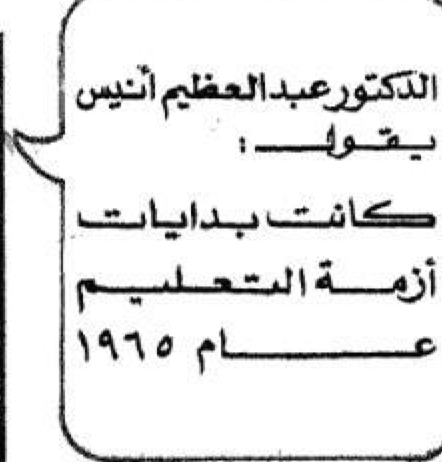
ويطيب لى فى هذا المجال ومن خلال هذا المنبر «الهلال» أن أطالب بفتح باب التعليم الفنى وبالحاق الخريجين بالمصانع التى ينبغى أن تنتشر فى كل انحاء مصر بحيث تتوزع هذه المصانع على كل محافظات مصر ولابد من الاهتمام بالزراعة ، خاصة الميكنة الزراعية وتربية الحيوانات والاسماك والارشاد والتوجيه التعليمى للطلاب هام جدا ، ولابد أن يتم عن طريق اجهزة الاعلام والمكاتب المختصة بذلك ، لتوجيه الطلاب حسب احتياجات البلاد .

مفاهيم غريبة

● د. محمود محفوظ :

- (مواصلا الحديث عن التعليم الفنى) ينبغى ضرورة التأكيد على الصلة بين التعليم الفنى والتعليم العالى ، بحيث نتيح فرصة للممتازين وذوى المهارات فى الالتحاق بالتعليم العالى .

لقد سادت القيم المادية فى المرحلة الحالية، وأصبح التركيز هو الحصول على الشهادة بهدف اكتساب لقمة العيش ، وكان قيمة التعليم فى المجتمع حاليا أن الحصول على شهادة يساوى بطاقة تموين !! . فضلا عن أن الدروس الخصوصية أصبحت





مقبولة من الام والاب والمدرس ٠

واذا كان الامر كذلك ، فلابد من عملية مواءمة ، ومن ذلك جعل اكتساب المهارة كجزء من العملية التعليمية أمر وارد ، وذلك يقودنا الى سن الاعالة والتى تبدأ فى المجتمع الامريكى فى الخامسة عشرة ، وفى مصر فى الثالثة والعشرين ٠ ولابد من التأكيد على التطور المستمر فى نوعية التعليم ، خاصة وان القدرة على الانتاج لابد أن تساير التطور التكنولوجى الذى يعيشه العصر ومواجهة التحديات بالعلم ، الى ضرورة تطوير البرامج وفق التحديات التى تواجهنا ٠

اهمية التعليم الفنى

● د ٠ عبد العظيم انيس :

ــ أود أن أشير الى نقطة هامة تتعلق بالتعليم الفنى ، ومن ناحية المبدأ ، لا ينبغى أن يكون ضد مبدأ التعليم الاساسى الذى يستمر تسع سنوات لجميع التلاميذ مع الربط الوثيق بين التعليم النظرى والتعليم التطبيقى العملى ، بحيث أن التلميذ اذا لم يستطع اكمال دراسته بعد سن ١٨ سنة ، يستطيع بتدريب بسيط لمصنع من المصانع أن يؤهل لحرفة ما ٠

ولا ينبغى الا نكون ضد التعليم الفنى ، ومن الضرورى أن يكون التلاميذ مؤهلين بصرف النظر عن وضعهم الاجتماعى ، والوضع الراهن المحزن الذى نعيشه الان أن نسبة الالتزام فى المرحلة الابتدائية لا تزال ٦٨٪ ، وهناك حوالى ٣ مليون تلميذ لم يلتحقوا بمرحلة التعليم الاساسى ونحن نطمع أن يلتحق كل ابنائنا بمرحلة التعليم الاساسى ، وأن يكون هناك تفريع بعد التعليم الاساسى ، حتى



التعليم ومستقبل مصر

نصل الى انشاء المدرسة الثانوية الشاملة ..

ان ظاهرة خطيرة تواجهنا فى التعليم المهنى فى مصر وهى ان ثلثى من يتعلمون فيما يسمى بالتعليم الفنى ، تعليم تجارى ، وهو ارخص انواع التعليم ، حيث يتكلف الطالب ٣٢ جنيها فى السنة فى مقابل ١٦٥ جنيها للطالب فى التعليم الصناعى.

والتعليم الفنى ما لم يكن تعليما صناعيا وزراعيا ، فنحن نجرى وراء وهم وكل ما نفعله ان ابناءنا يلتحقون بمدارس لا يحتاج اليها المجتمع .

وبنظرة بسيطة على الاحصائيات نجد ان ثلثى الطلاب يلتحقون بالتعليم الفنى والثلث الباقى يلتحق بالتعليم الثانوى ، وهذا يعنى من الناحية النظرية انه شىء جيد ، ولكن عمليا فان الذين يلتحقون بالتعليم الفنى ، لا يتم تاهيلهم كما ينبغى ، وبذلك فاننا نضحى بهم !

● د . محمود محفوظ :

ـ (مقاطعا) .. بعد اذنك يا دكتور عبد العظيم .. هناك مشكلة واجهتنا بالنسبة لقلة عدد الممرضات فى عام ١٩٧٢ ، وكنا وقتها نستعد لحرب أكتوبر ١٩٧٣ .. وكنا نحتاج وقتها لآلاف الممرضات .. وكان لابد من محاولة التعرف على ابعاد مشكلة عدم اقبال الفتيات على الالتحاق بمدارس التمريض ، واكتشفنا ابعاد المشكلة وابرزها المظهر الاجتماعى ، والتقت وقتها مع الاستاذ على عبد الرازق ـ رحمه الله ـ على عمل مدارس ثانوية ، فنية للتمريض ، تتبع وزارة التربية والتعليم وتتولى وزارة الصحة تجهيز تلك المدارس وتقديم الدعم المادى لها وتتولى التدريس بها مدرسون من وزارة التربية وطرحنا الفكرة على المواطنين ، من خلال اجهزة الاعلام ، واستطعنا تخريج ٥٠٠٠ ممرضة من المدارس الثانوية الفنية ، بعد الاعتراف بمدارس التمريض ، وحصول الخريجات على شهادات تعادل الثانوية العامة ، فضلا عن ان هذه الشهادة تتيح لمن ترغب الالتحاق بالمعهد العالى للتمريض .

وضع محزن

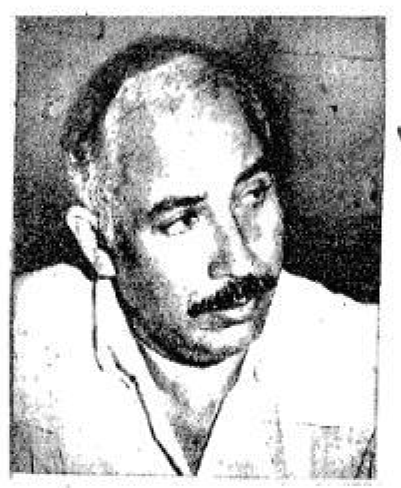
● د . عبد العظيم انيس :

(مواصلا حديثه) ان الوضع محزن للغاية بالنسبة للتعليم الزراعى والصناعى ، فالمدرسون عادة لا يكونون مسلحين بتعليم تطبيقى . وبالتالى فان كثيرا من الطلاب الذين يتخرجون من تلك المدارس ، لا يجيدون حرفة ما ، باستثناء حصولهم على بعض المعلومات النظرية .

والغريب فى الامر ان كثيرا من تلك المدارس لا يتوفر بها الورش ، واذا وجدت فانها لا تتناسب مع الاوضاع الاقتصادية الحالية كما اننا لا نجد مدارس للالكترونيات وبناء السفن ، وتلك مسائل اساسية فيما يتعلق بالنهضة الصناعية التى حدثت خلال ثورة يوليو ١٩٥٢ !

(الهلال): اننا من خلال هذا الحوار البناء نتبادل الخبرات ، ولذلك فهناك قضية هامة نود طرحها تختص بالتكنولوجيا المتطورة فى صناعة الصحافة . لقد صرف فى المرحلة الحالية على دور الصحف المصرية





للتجهيزات الطباعية في المتوسط حوالي ٦٠٠ مليون دولار . وصرف الكثير من هذه المبالغ للتجهيز الجمع التصويرى والتجهيزات الفنية لمطابع الاوفست وفصل الالوان .

وعلى الرغم من ذلك لم يتواكب مع هذه النهضة انشاء معاهد لتأهيل العاملين فى هذا الميدان ، وبالطبع واجهتنا مشكلة الاستعانة ببعض المهندسين من اليابان الذين كلفوا المؤسسات الصحفية مبالغ باهظة ، فى الوقت الذى كانت فيه بعض الاعطال التى تحدث بسيطة للغاية .

وقد اتفقنا مع مصنع يابانى لتدريب مهندس ، ووجدناه يتكلف اكثر من عشرة الاف دولار ، للتدريب عدة شهور وبعد ان تم ذلك ، فوجئنا بهذا المهندس يطلب اجازة لانه سوف يذهب فى اعارة خارج البلاد !

ونفس الشىء واجهنا بالنسبة لتدريب العاملين فى الجمع التصويرى لقد صرفت مبالغ ضخمة ، وكان من الممكن ان تدفع كل مؤسسة مليون دولار لانشاء مدرسة او قسم بمدرسة الصناعات ، لكى توفر العمالة التى تتطلبها صناعة الطباعة المعاصرة ، بدلا من المبالغ الباهظة التى تدفع لبعض العاملين ثم يطلبون الذهاب فى اعارات خارجية !

اننا نقول بأن عملية التحديث التى تتم فى مصر تصاحبها استمرار هذه المشكلة ، وذلك يدل على ان رجال التعليم فى واد والمؤسسات فى واد آخر .

التعليم والتنمية

● د . سعيد اسماعيل على :

ـ ان التعليم ينبغى أن يكون من أجل التنمية، ولكن هناك حركة عكسية

أخرى لم ننتبه لها عادة ، وهي ضرورة ان تكون هناك جهود تنموية حقيقية.

وذلك يثير سؤالا لماذا يكون التعليم قوة طاردة من الريف المصرى ؟! والرد على ذلك هو أن الوضع الاجتماعي والاقتصادى في الريف المصرى مازال متخلفا، ومازالت أساليب العمل والانتاج بدائية ، ولذلك يضطر المتعلم للهجرة الى المدينة ، حيث تتاح له الفرص المناسبة للحصول على العمل.

والظاهرة التى تحدث عنها د. عبد العظيم أنيس ، حول أسباب ازدهار التعليم التجارى ، مردها أن العديد من البنوك والمشروعات الاستثمارية تحتاج الى هذه النوعية ، ولو كانت هناك حركة مواكبة للانتاج ، فذلك يخلق طلبا .

(الهلال) : هل تقول على ضوء ذلك أن الوضع الاجتماعى هو الذى يحدد شكل التعليم ؟..

ونحن مازلنا حتى الآن نمارس الزراعة بالطرق التقليدية ، ولو بدأنا الاهتمام بالزراعة الحديثة ، فلابد من أن يتوفر لدينا فلاح جديد ، يتميز بالمهارات العالية لمواجهة مستحدثات الزراعة في كل مجالاتها

وبدخول الكهرباء الى الريف وتغيير شكل نظام الرى ـ مثلا ـ والاهتمام ببعض الصناعات ، تنخفض امكانية الا يكون التعليم قوة طاردة .

وواضح من التشخيص انه لا توجد قنوات بين العملية الانتاجية وبين التعليم ، فما هي الحلول ، وكيف يمكن خلق الصلة بين العملية الانتاجية من جانب وبين التعليم من جانب آخر؟

● يجيب د. محمود محفوظ قائلا:

ـ هناك ٣ خطوات للاجابة على الشق الاخير من السؤال .

● وحدة الفكر نحو استراتيجية التعليم ، وهى المناقشة التى استغرقت وقتا طويلا من ندوتنا هذه ، ومن الضرورى مواجهة الامية بكل انواعها .

● علينا حينما تتواجد المنشآت الفنية انشاء المدارس ، سواء داخل المصانع أو المزارع ، خاصة أن صورة المجتمع قد تغيرت الآن ، فالمجتمع أصبح مصنعا ومزرعة .

● علينا أن ننشىء بجانب مدارس التعليم الاساسى فى الريف مدارس صناعية وزراعية .

يضيف د. حلمى مراد : أن التخطيط على مستوى التعليم ينبغى أن يشارك فيه ممثلو قطاعات الانتاج ، لبيان احتياجاتهم وأوجه النقص، ولو كان هناك من يبلغ احتياجات المؤسسات المحلية من الفنيين الصناعيين ، لتنبهت وزارة التربية والتعليم الى ذلك ، وأعدت مثل هذه المدارس بالاتفاق مع المؤسسات المحلية ، بحيث تتم المشاركة فى التخطيط والتنفيذ .

وأشير الى ضرورة الاستفادة من الرسائل الجامعية التى تبحث الكثير من المشكلات الانتاجية الواقعية .

● د. عبد العظيم انيس :

ـ ربما لا يمكن لوزارة التربية والتعليم تحمل أعباء من ناحية الميزانية فى انشاء مثل هذه المدارس الصناعية

والرد على هذا أن وحدات الانتاج بالدولة، يمكنها المشاركة فى التمويل، بحيث يخفف العبء الذى تتحمله الوزارة ٠

مجانية التعليم

● الهلال : هناك قضية مطروحة على الرأى العام ، وهى قضية مجانية التعليم ، فمع ادراكنا ان التعليم فى الشرق كان على الدوام مسئولية المجتمع ، متاح لكل من يطلبه ، وجاء التعليم بالمصاريف الباهظة مع الاحتلال البريطانى ٠ واعاد الحكم الوطنى المجانية للتعليم الابتدائى فى عام ١٩٤٤ ، والثانوى عام ١٩٥٠ والجامعة عام ١٩٦٢ ٠٠

ورغم تسليمنا بأنه لا يوجد مايفوق الاستثمار فى التعليم ٠٠ وتاكيدنا على ان يظل للتعليم اولية الانفاق العام ٠

الا ان هذا المبدأ يواجه نقص الموارد الذى يؤدى الى تدهور التعليم ٠٠ فكيف يمكن مواجهة هذه القضية؟ وفى هذه النقطة الخاصة بدور الجمعيات التى تعرض لها د٠ محفوظ من قبل وخاصة جمعية المساعى المشكورة ، وحتى الارستقراطية القديمة ، نشير الى أنه بالرغم من المباذل السياسية لبعض الارستقراطيين فى الماضى ، الا انهم اوقفوا اطيانا وعقارات للاعمال الخيرية فى مجالى التعليم والصحة ٠

وللاسف الشديد ، فان الطبقات الجديدة ليس لديها هذا الحس ـ ايضا ـ كيف توقظ من جديد مبدأ المشاركة الشعبية للاسهام بجزء من اعباء هذه المشكلة، ولمواجهة القصور فيها ؟٠

ضرائب الاغنياء

● د ٠ عبد العظيم أنيس :

ـ لا ينبغى فى بداية اجابتى على سؤال الهلال ان نقارن بين التعليم فى الماضى والحاضر ٠٠ حيث كانت الاعداد محدودة للذين بدأوا تعليمهم بالنسبة لمجموع السكان ، ونظرا لتعثر الحكومة المصرية فى عام ١٩٢٣ ، وجد هؤلاء الذين تبرعوا للتعليم وجاء دور الجمعيات أيضا نتيجة لتبرعات عدد من الاغنياء ، لانشاء مدارس التعليم المدنى والدينى ٠

ولكن الوضع اختلف الان ٠٠

وانا لست ضد التبرعات ، ومن الممكن أن يتبرع شخص ما لبناء مدرسة ، لكن ذلك لن يكون جوهريا فى حل مشكلة التعليم واقتصادياتها ٠

وفى رأيى أن هناك سوءا فى توزيع الموارد المصرية ، فيما يتعلق بالدولة ، وهذه قضية سياسية ، ينبغى أن تواجه صراحة ، وهذا السوء فى التوزيع ، يؤدى الى وجود أشياء ينفق عليها أكثر مما يجب وأشياء « يقتر » عليها

وهناك بنود كثيرة يمكن ضغط الانفاق فيها ، ليست لها أهمية وزارة التربية والتعليم ، أو وزارة الصحة

والمطلوب اصلاح الميزانية ، خاصة وان الوضع اجتماعيا مقلوب ، وبعد أن يتم الاصلاح ، تجىء نقطة هامة جدا ، وهى فرض ضرائب على الاغنياء ، وأنا ادعى أن الضرائب على الاغنياء فى مصر اقل مما يجب، وهناك حالات للتهرب الضريبى المنتشرة ، لو عولجت

لزادت موارد الدولة ، وأمكن الانفاق على التعليم .

(الهلال) : هل يعقل أن كل ما يدفعه الأب لابنه في تعليمه لا يساوي ثمن علبة سجائره ؟

● **د . سعيد اسماعيل على :**

– الأب لا يدفع للحكومة اكثر من ثمن علبة سجائر هذا صحيح .. ولكنه يدفع لفئات اخرى !

● **د . عبد العظيم انيس :**

– أن مدرس الثانوى يتقاضى الآن مرتبا اكثر من نصف مرتبه من الدروس الخصوصية ، ولقد تحول التعليم الثانوى الى ما يمكن ان نسميه بالتعليم الموازى ، وأدى ذلك الى أن ينفق أولياء الأمور من محدودى الدخل الكثير من مرتباتهم على الدروس الخصوصية والكتب الخاصة !

● **د . محمود محفوظ :**

– ردا على السؤال الذى طرحه الهلال حول مواجهة الموقف أقول .. بداية فانا مع الدكتور عبد العظيم انيس فى طرحه لحسن استخدام الموارد المتاحة لقطاع التعليم ، خاصة وأن ما ينفق فى اعداد المعلم قليل جدا ولا يذكر ، علما بأنه هو الذى يتولى تنشئة الجيل، او اللبنة التى هى أساس المجتمع .. لذلك ينبغى ان اعطى اهتماما لتنمية هذا المدرس وتدريبه وتحسين ظروفه الاولوية،ونبدأ فى ذلك فورا .

ثانيا : مبدأ المشاركة الشعبية أمر وارد فى كل مرحلة من مراحل نمو أى مجتمع من المجتمعات .

ولدينا ٢٠ الف جمعية تقع تحت قانون وزارة الشئون الاجتماعية ولا تفعل شيئا ، يمكن الاستفادة منها فى المدارس الفنية ومدارس محو الأمية . خاصة وأن مجتمعنا مليء بالطاقات ، والنوايا الطيبة التى تحتاج الى أن توجه فى عمل مفيد .

ثالثا : التنسيق بين قطاعات التعليم وأن تنشأ المدارس الفنية بالمصانع .

رابعا : هناك تجارب فى مجتمعات مثل المجتمع الامريكى فيما يختص بالضرائب فمن يدفع تبرعا يخصم من الوعاء الضريبى .. وبذلك يمكن علاج مشكلتين فى آن واحد .

– المشاركة الشعبية ،

– والتخلص من مشكلة التهرب الضريبى وبالطبع فان ذلك يحتاج الى ضوابط .

وهذه النقاط الاربع تحتاج كل واحدة منها الى خطط تنفيذية ، مع ضرورة أن تتوفر وحدة الفكر بين مخططى التعليم ومخططى الانتاج وهنا اقول : كل ما أتمناه ان ارى وكيل وزارة التربية والتعليم للتعليم الفنى عضوا فى المجلس الاعلى للصناعة .

وتلك النقطة تستوقفنى كثيرا .. ففى مصر ١٩ مجلسا أعلى ، ولست أدري ما هى وظيفة المجالس العليا ؟ علما بأن المجالس العليا من ابرز ادوارها أن تترجم الفلسفات الى خطط وبرامج وسياسات ، تترك الناس لكى تنفذ ، ولكننا نجد أن المجلس الأعلى للثقافة – مثلا – أصبح



محرم محمد احمد ومصطفى نبيل اثناء حوار الهلال حول مستقبل التعليم في مصر

وزارة الثقافة .. فضلا عن أن مفهوم المجالس العليا غير واضح في مصر

● د . سعيد اسماعيل على :

ـ لو نظرنا الى أن التعليم قضية تدخل في مسئولية جميع الاجهزة الموجودة في المجتمع ، فذلك يجعلنا نسعى الى تنفيذ المقترحات التي طرحت في الندوة ، وتصبح مسئولية وزارة التربية والتعليم من الناحية الفنية ، كاعداد المدرسين ووضع طرق التدريس وتجهيز الكتب .

ولكن بقية المؤسسات الاخرى تشارك ليس في التمويل فقط ، بل في رسم الخطط والبرامج ، لان من يرسم الخطط والبرامج ـ حتى التعليم الفنى ـ في وزارة التربية والتعليم ، أناس بعيدون عن مواقع الانتاج ، ولذلك فهم يقترحون موضوعات وخططا تمثل القرن الماضي ، ويتعلم التلميذ وفقا لهذه الخطط، وحينما يتخرج يجد نفسه غريبا عن سوق العمل والانتاج، ويفضل عادة صاحب العمل ذوى الخبرة حتى لو كانوا غير متعلمين .

وفي اعتقادى أن هذه المسالة تحتاج الى قرارات سياسية

د. عبد العظيم أنيس :

هذا بالاضافة الى أن مناخ الانفتاح، ليس مولدا جيدا لموضوع التعليم الفنى الصناعى والزراعى ، نظرا للقيم التى سادت هذا النظام .

د. حلمى مراد :

لابد أن تكون هناك جدية في

التعليم
ومستقبل مصر



د . عبد العظيم انيس يتابع مناقشاته ، والكل يتابع حديثه لما وصل اليه التعليم الآن

الاستفادة من مجانية التعليم، والطالب الذى يرسب ينبغى أن يدفع نفقات الاعادة والسؤال الآن .. كيف يظل الطالب الذى يدرس فى كلية لمدة أربع سنوات لمدة تصل أحيانا ١٠ سنوات.. ان ذلك سوف يؤدى الى مضاعفة نفقات التعليم بلا مبرر .

د. محمود محفوظ

انى أؤمن ايمانا مطلقا بأن التعليم حق لكل مواطن ، حتى مرحلة معينة وهى المرحلة الاساسية بالاضافة الى جزء من المهارة الفنية ، ثم تبديا المجانية تأخذ شكلين :

● قدرة الشخص واستعداده لمواصلة الدراسة .

● القدرة المالية والتى يجب الا تقف حائلا امام تعليم الطالب .

ويمكن هنا أن يتكلف المجتمع أعباء تعليم الطالب ، فاذا تكلف مثلا ـ ١٠ آلاف جنيه ـ يقوم بارجاع ذلك فى صورة عمل .

والتبادل بين عطاء الفرد وعطاء المجتمع ، يمكن أن يدخل فى تركيبة اجتماعية اقتصادية ، بحيث يقترض الفرد من المجتمع ، ويعيد هذا القرض مرة ثانية وكيفية اتمام ذلك أتركه لعلماء الاقتصاد والقانون يحددونه .

د. حلمى مراد :

أحيانا يهاجر هذا الخريج بلاعودة!!

● مطلوب زيادة الضرائب على الأغنياء للإنفاق على التعليم.

د. عبد العظيم أنيس

● الهلال :

نحن نتساءل .. هل يكون التعليم مجانيا بشرط انتهاء المرحلة الاساسية، ثم يدخل الجامعة المتفوق فقط او من يتمتع بمهارات معينة ، ومن لا يكون قادرا على دفع المصروفات يدخل الجامعة ، ويعتبر ذلك قرضا يرده بعد تخرجه ؟

● د. حلمي مراد :

كمبدأ .. فان ذلك مقبول .. فمن لديه القدرة والاستعداد لمواصلة تعليمه الجامعي يعلى نهائيا ، ومن لا يؤهل للدخول الى الجامعة ، وفقا للقواعد المقررة، فان نفقات تعليمه تعتبر قرضا عليه، علما بأن الطالب بمجرد حصوله على الدرجة الجامعية، يبدأ في التفكير في الهجرة ، فضلا عن أن بعضهم الآن مهاجرا بفكره وعقله ، وظروف مجتمعنا مسئولة عن هذه الروح التي تولدت عند الشباب .

اننا نريد أن نشعر هذا البعض بالانتماء للمجتمع

● د. عبد العظيم انيس :

لا اعتراض على فكرة تسديد نفقات التعليم عند تخرج الطالب ، وعند القدرة ، ولكنني أحذر من فكرة أن القادرعلى دفع مصروفات يسمح له بالتعليم الجامعي ، بصرف النظر عما اذا كان مؤهلا للتعليم الجامعي أم لا !

● الهلال : التعليم الأساسي شرط وضروري لكل تلميذ ، وما طرح حول التعليم الجامعي فتكون هناك نوعية معينة لها شروط يتوفر فيها الالتحاق بالجامعة ، ويتم معرفة القادرين وغير القادرين بمعايير معينة .. وينبغي وضع قواعدعامة لمن يلتحق بالجامعة .

● د. سعيد اسماعيل على :

هناك سؤال يطرح نفسه .. كيف سنحدد قدرة الطالب على مواصلة التعليم لآخر المرحلة .. ان علامات استفهام تواجهنا ، منها مجموع الطالب ، وكيف استطاع الحاصل على ٨٠٪ أن يحقق هذا المجموع ؟ وزميله يحقق ٦٠٪ مثلا .

وهل هي قدرات عقلية وقدرة على التحصيل ، أم أن المسألة ترتبط بظروف اجتماعية يعيشها الطالب بحيث تكون لديه القدرة للحصول على المجموع المرتفع أو المنخفض ..!

وهناك طالب يستعين بكل المدرسين وآخر لا يستطيع ذلك .

التعليم

ومستقبل مصر

● الهلال :

نود الاشارة الى تجربة بدأ التفكير فيها ، وهى تأجيل دخول الجامعة الى ما بعد سن التجنيد ، وللاسف فانه بسبب المجموعات الضاغطة فى الحزب الوطنى ، قتلتهذه التجربة فى مهدها، ولو تمت هذه التجربة لاستفاد شبابنا من التدريب بمعاهد الجيش ، وربما اتاح ذلك تعلم حرفة .

● د. سعيد اسماعيل على :

هناك ملاحظة أود الاشارة اليها ، وهى ان لجنةالسياسات فى اجتماعاتها لا يحضرها وزير التربية والتعليم ، على الرغم من اننا نقول بأن التعليم استثمار !

● د. محمود محفوظ :

ركز علماء الاقتصاد فى مصر على ان مشكلة التنمية ، مشكلة اقتصادية، ثم اجتماعية، مع أنه فى مصر لابد ان تكون اجتماعية اقتصادية (بدون واو العطف) .

نتحدث عن التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، كأن المسألة كلها مادية، أى أعطنى المال وانا اجعل الانسان جيدا ، وانا اقول بأن الانسان الجيد هو الذى يستطيع الحصول على المال.

هناك عيوب حدثت، وفى مقدمتها اسلوب «الفهلوة» الذى يغلب على والغنا .

وفلسفة التغيير فى المجتمع المصرى التى حدثت فى السنوات العشر الماضية، فلسفة مادية ، وبالتالى فاننا نحصد الان كل نتائجها والسؤال .. ماذا نفعل ؟

وأجيب .. ان مدخلنا هو الثقافة ، ولينطلق كل من يستطيع أن يثرى المجتمع بثقافة مكتوبة أو مقروءة او مسموعة، ولتكن الثقافة رخيصة جدا، والكلمة جيدة جدا ، ومجتمعنا ذكى ولديه قدرة فائقة على الاستيعاب ويمكنه ان يعرف الصواب من الخطأ.

ولابد منه تنظيم استخدام الموارد البشرية،ومدخلنا لتغيير وتنمية الانسان المصرى ليتمكن من مواجهة تحديات المرحلة القادمة ، هو الام وليس الاب وهذا يتضح اذا القينا الضوء على بعض الدول المتقدمة .

اقول ان المطلوب هو تغيير المفاهيم ومن الذى يضع فلسفة التعليم الجامعى، واسلوب التغيير فيها .

واسلوب الحوارات من اساسيات الوصول للحلول الصحيحة وان يكون الحوار قويا ..

والتعليم ليس مشكلة « الحزب الوطنى » ولا مشكلة حزبى الشعب والتجمع ، ولكنه مشكلة مصر كلها ، لان الانسان القادر على تفهم تحديات المرحلة ، هو الانسان الذى يمكن أن نشترك فى تنميته ، وليس حزبا من الاحزاب .

ولهذا فاننى اطالب المفكرين المصريين بأن يأخذوا قضية التعليم

كمشكلة اساسية تواجه مصر ، وينبغى وضع الحلول لها ٠

● الهلال :

لوحظ ان اثنين من المصلحين هما على مبارك ومحمد عبده تصورا ان اصلاح نظام التعليم فى مصر، فى ظل الوجود الاستعمارى ، هو الحل للمشكلة المصرية ، فهل فى تقديركم فى هذه المرحلة ، هل يمكن ان نجد حلا، ام ان هناك معوقات ؟

● د٠ عبد العظيم انيس :

هناك ـ بلاشك ـ معوقات ، تتعلق اساسا بالمناخ العام، هو كما ذكرت من قبل الانفتاح، والذى يمس مشكلة كبيرة جدا ، وهى مسار التنمية فى مصر ٠

والمسار الحالى لا يؤدى الى نهضة صناعية او تكنولوجية ٠٠ وينبغى أن نستفيد من التجربة اليابانية ، بدلا من الاعتماد على القروض، والاعتماد على الرأسمالية الدولية ، وينبغى أن نعبىء مواردنا بدقة واحكام ، ونعتمد على انفسنا فى الاساس ، وعلى تنمية مواردنا النقدية والبشرية بالدرجة الاولى ، من أجل بناء نهضة صناعية زراعية فى مصر ٠

● د٠ محمود محفوظ :

ان الفيصل بين المسار الاقتصادى الرأسمالى ، ونجاح التنمية فى أى مجتمع ، هو ما يسمى فى علوم التنمية بالسياسة التكنولوجية وهى عبارة عن المسار الذى تنتقل به التكنولوجيا من مجتمع متقدم الى مجتمع يريد ان ينمو ٠

وسياسة نقل التكنولوجيا من أخطر السياسات ، وهى تعادل نظرية الاعتماد على الذات، وحسن استخدام الموارد المتاحة ٠

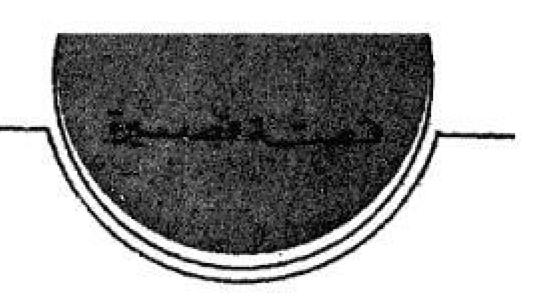
ان أى مجتمع من المجتمعات لابد ان يلجأ الى السياسة التكنولوجية، وقد وضعت اكاديمية البحث العلمى وثيقة « السياسة التكنولوجية فى مصر » وهناك لجنة تدرس كيفية تنفيذ هذه السياسة وبالطبع فان اى شىء جديد يتم تنفيذه فى مصر دون أن يسبقه حوار ، فسوف تكون ردود الفعل عكسية ٠٠

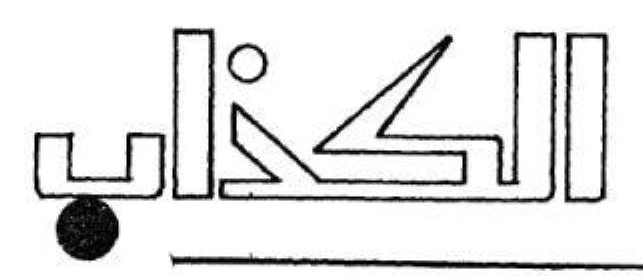
ولقد طالبت بعرض هذه الوثيقة فى مصر أولا ، وسوف تطرح قريبا للحوار ٠٠ وكل ما أرجوه أن تتبنى دار الهلال الحوار حول هذا الموضوع الهام جدا ٠

● الهلال :

فى نهاية هذه الندوة نشكركم ، والقول بان دار الهلال اقامت ست ندوات على الاقل عن التعليم ، لم ترق الى حد هذا الاخلاص والتوافق ، وهذه الشجاعة فى الرأى، والى حد التوصيف المتكامل بالفعل لمشكلة فلسفة التعليم فى مصر ٠٠

٠٠ نشكركم جميعا ٠





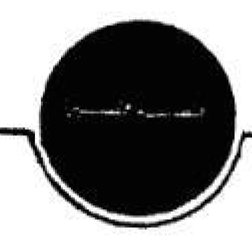
بقلم : سعيد سالم

في المساء عاد الى الفندق منتشيا باوهام نصف الغائب . المطل والكوفيه والبيرية والقفاز ، ودرجة الحرارة تقترب من الصفر تزداد النشوة بمصافحة نسمات الهواء المثلج لجلد الوجه الساخن المتفجر بالحرارة والحيوية . خمر عتيق . وجوه باسمة . هدوء حالم . السعادة الحقيقية. ما ابدع الانطلاق في فضاء الحياة اللانهائي تندثر الهموم . تتبدد مخاوف الغيب ... ولو انها لحظات نصف غيب الا انها لحظات نصف وعي ، وكم هو ممتع ان يتارجح بها على حافة الحضور . انها لحظات حياة حقيقية يدفع عمره كي تستحيل الى اعوام متصلة بنفس دفائقها غير العادية ، على الا يعقبها سوى الموت السريع .

استلقى بالغرفة على مقعد هزاز . ادار الموسيقى المجسمة بالضغط على زر رقيق . دار بالمقعد دورة .. الستائر مرفوعة . الميدان اسبح . تمثال اورفيوس - الموسيقى الحالم - يعزف الحانه الهائمة ومن حوله الملائكة تغني وترفرف باجنحتها الصغيرة . في بؤبؤ عينيه تجسد احساس وثيق ، لصيق بالحضارة .. رسخ الانسان في الارض وسادها واسعد نفسه . هنالك على بعد آلاف الاميال لا لمسك العين بهذا الاحساس . تساءل هل هي مسألة مواقع مميزة على الكوكب دون الاخرى ام ان احساس العين مخادع لاتصاله الخفي باحساس العقل ؟ .

منذ تسعة اشهر لم ير اسرته . الوطن بعيد بعيد . الزوجة والاولاد والاقارب والاصدقاء والجيران . المسافة بعيدة والزمن طويل طويل . قال استاذ جامعي ان درجة الحضارة تتناسب عكسيا مع درجة الحرارة الا ليتني ولدت في بلاد الجليد . الشمس تصنع بالجلود الوانا سوداء وصفراء وحمراء الشعر بني احرث وطني ناعم واصفر واحمر واسود و .. و .. مطلوب القبض على الجاني حيا او ميتا .. ها ها ها . من الجاني ياسيد ؟ . طلقات طائشة . التعبير غباء لا يدل عليه . تعلو درجة الحرارة





ليمتزج العرق بالاتربة ليهبط الصاروخ على القمر . كان النبي جميلا وعبقريا . واذان العصر حسب التوقيت المحلي لمدينة القاهرة ايها العرب اعطونا البترول يسحر عقول نطيكم حضارتنا بنفس السحر .. ام تريدون ان تتجمد حتى الموت ؟

رفع سماعة التليفون . طلب فنجانا من القهوة . في لمح البصر دق الباب . فتاة من ذوات الجلد الاحمر والشعر الذهبي الناعم الابتسامة متشابهة في صدق . ليست ابتسامة العمل او الوظيفة . من الاعماق نابعة من القلب .. ساذج ؟! اوهام لصف العاشر . وضعت القهوة . ابتسمت انصرفت . ما اجمل الجمال . ايها الخالق العظيم . احبك . انت فنان رائع .

فتيان وفتيات يرقصون في الشارع . شاب يعزف وسط الحلقة على الجيتار . تجمع البعض واعلنوا الحرب على الكفار . دارت الحرب بين المؤمنين والكفار وبين الكفار والمؤمنين . صوت الموسيقى جميل ، ينبعث من زهور الحياة عطرها الفواح بروعة الشباب ممتزجا بموجات الانغام الراقصة . لو لم يكن هذا الكوكب بيضاويا لاختلف الامر كثيرا . لو كان مسطحا ـ مثلا ـ لانتشرت عدوى احساس الحب المتجسد بين ذوي الجلود المختلفة ، بل ربما توحد لون الجلد فانتهت الحرب بين الفئتين المذكورتين برقص الشباب . اللعنة على كل الاشياء . تزداد سنوات العمر . ينبض القلب بانتظام حتى الموت تتنفس الرئة بسهولة ويسر ، تتلون الارض بلون اخضر والسماء بلون ازرق .

شد الستائر . اسكت الموسيقى . انتقل الى المكتب الفاخر . سحب الاوراق الناعمة الملونة المحولة بشعار الفندق الصالحي الشهير . امسك بالقلم . كانت تعبيرات وجهه جادة .

●●●

« زوجتي العزيزة .. اعرفك انني .. وانني .. و .. و .. وسوف اصل الى القاهرة باذن الله يوم .. شهر .. الساعة .. فات . فات الكثير وبقي القليل . انني على خير مايرام . واحشتني معالم وجهك الجميل ، وشقاوة الاولاد العفاريت ارجو ان تكوني قد التزمت بتوصياتي الاخيرة بشأن الاقتصاد في الانفاق المنزلي لاتنسي زيارة والدتي مرة كل اسبوع . ابعثي بتهنئة الى ابن عمي بمناسبة زواجه هدية مناسبة ليس من الضروري ان تكون غالية الثمن . الذي يحتاجه البيت محرم على الجامع . ابلغي تحياتي العطرة لوالديك العزيزين . هل يعمل التوجيه؟ اخشى ان يعبث بها الاولاد فيعطل ولاتنسي القيام لصلاة الفجر . الناس هنا فاجرات والعياذ بالله لايعرفون اتجاه القبلة . كان بودي ان احضر معكم عيد الفطر . لاتنسي توصيل الزكاة الى عم حسين النجار . اخشى ان يكون المسكين قد مات في وحدته . انا وحيد . حزين . احيانا أسعد بالوحدة والوحدة بالحزن . البرودة قاتلة بالشارع اعمل عملا متواصلا لانجاز مهمتي ، حتى انني لا اجد الوقت للتجول بشوارع المدينة الا فيما ندر . شاهدت فيلما سينمائيا نفسيا مثيرا اثار راسي . ولم اصل الى نتيجة نهائية حتى الان امسك من خلالها بخيط يقودني الى اكتشاف موقع السعادة من النفس الانسانية . لاعليك فهذه مسالة معقدة ، والحقيقة انني لم اعد افهم اشياء كثيرة ، و مكتك الاول انني فقدت ذاكرتي جزئيا هذه الايام . هناك اشياء هامة في حياتي لا استطيع ان اتذكرها الان بسهولة مثل تاريخ ميلادي ورقم تليفون منزلي . هناك اشياء مختلفة تماما الان عقلي واحساسي بل ووجودي كله ، مثل الوان الجلد والشعر

ودرجة الحرارة والحضارة . لهذه الاسباب الغبية اجدني الان سعيدا منتشيا بالرغم من اجهادي الشديد في العمل ، واحساسي المتضخم بذاتي .

زوجتي العزيزة .. لقد راودني بالامس شعور غريب بعدم جدوى العمل فقررت الاسترخاء بالفندق . في الصباح نظرت من زجاج ؟ النافذة فلم استطع مقاومة النزول على الفور . العين أهم ادواتي للاستعانة على الحياة في هذه البقعة . تمتزج اشعة الضوء باحساس العين المتجسد بخطوات الناس بدقات القلب بما فوق اعلى درجات اللذة فاري الحياة سحرا لايقاوم العمل . المتعة الانسان . لاتنسي زيارة طبيب الاسنان لحشو ضروسك . لا اريد ان اعود لاجدها مترمة . احلقي للاولاد بصفة مستديمة واحرصي عليهم من البرد . اني اصلي لاجلك .

الصق المظروف وكتب عليه عنوان منزله بوطنه . اشعل سيجارة . اعاد الموسيقى من جديد . جلس على المقعد الهزاز . اخذ يدور يمينا مرة ويسارا مرة . ثم يمينا عدة مرات ثم يسارا عدة مرات ، ثم مرتين يمينا ومرة يسارا وهكذا . ظل يكثف تركيزه حول اتجاه الدوران في كل مرة بحيث يختلف عن سابقتها على اساس هندسي منتظم . الارض تدور حول نفسها وحول الشمس . كل شيء قائم اساسا على الدوران . شعر براسه تدور . ادار قرص التليفون وتحدث طويلا بالانجليزية . آخر كلمة قالها

– انا في انتظارك

عاد الى المكتب . امسك بالمه . انفرجت شفتاه عن ابتسامة موحية . كتب رسالة مطولة . وضع الرسالة في مظروف . قبل ان يغلقه سمع طرقات على الباب . فتح عن صديقته . لابد ان تكون حسناء . عالقته

– ماذا كنت تفعل ؟

– كنت اكتب خطابا لصديق

امسكت بالمظروف بانبهار لامبرر له

– هل تسمح لي بقراءته ؟

– لكنك لاتعرفين العربية

ساشير الى الكلمة وتترجمها لي .

وافق بسعادة . قالت له وهي تدير زر الموسيقى :

– احضرت معي مشروبا رائعا

ودع نصفه الحاضر وشربا حتى الثمالة . بدا يقرا لها بالعربية ويترجم الى الانجليزية . ترددت ضحكاتها بين ارجاء الغرفة بالقاهرة ، امتزجت بصوت الموسيقى « صديقي الحبيب سميح .. سوف تظل نادما حتى الموت على رفضك مشاركتي هذه البهجة بالرغم من ترددك لها معي . كم كان مبروك للرقص سخيفا وغبيا » . سالته صديقته باهتمام شديد .

– لماذا لم يحضر معك صديقك ؟

– كان مرتبطا مع اسرة خطيبته بموعد بصدد عقد القران .

– اووه .. ولماذا لم يؤجل الموعد لما بعد عودته من البهجة ؟

– لو كنت مكانه لالغيته الى الابد ..

ضحكت من اعماقها . قالت ان صاحبه هذا انسان مثالي .

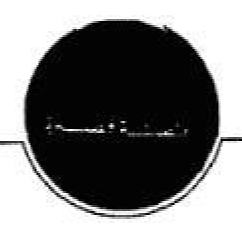
– حبيك الله يا سميح . مائة مرة اقول لك بضرورة ان تعرف الحياة قبل التحامها ان تفهم المراة قبل معاشرتها . انا واثق ان تجربتك الاولى مع المراة لن تكون الا مع زوجتك . لعلها سوف تكون الاخيرة ايضا . هل تعلم انني ..

– هل تمزح معه بقولك هذا ام انك جاد ؟

– والله العظيم جاد .

– اوه .. ياه . انه لشيء خرافي . مثير .

. هل تعلم انني بالرغم من ذلك احسدك احيانا على خيبتك القوية ؟ . لعلها تمدك بشعور دائم بالرضا والسكون . النساء



هنا ياعزيزى نهر عذب لا تكاد ترتوى من من مائه حتى تطمئن أليه من جديد والنهر في كل مرة يغير من طعم مائه . كل طعم اطعم من الذى قبله . انه ينساب في سخاء وكرم لا حدود لهما . يا الهى . لقد حرمت عينيك ياسبيع من رؤية الجنة ان الله ..

ـ يبدو ان الطبيب العبقرى يخفى بداخله شاعرا عظيما .

ـ كل ما هنالك اننى اكتب لاصدقائى بصدق .

ـ اذن فانت تعشق نساء الغرب فقط .. أم ترى كل النساء ؟

ـ ها .. هى .. هو

« ان الله خلق جنة على الارض لاناس دون اناس . لست أعرف حكمته فى ذلك. ان يخص بعضا من مخلوقاته على الارض بالجنة والبعض الاخر بالتعاسة والتخلف أهذا ما يحيرنى . قد تقول ان ارض الله واسعة وملك للجميع ومن لا يعجبه هنا فليذهب الى هناك والعكس صحيح . قد تقول ان الانسان هو صانع جنته او ناره على ارضه . انا اعرف انك محب للجدل ، لكنك ..

قالت وهى تعانقه :

ـ انى احترم راى صديقك بشدة :

قال بلا مبالاة

ـ لهذا سوف ارفع درجة حرارة السخان وننام عرايا بلا غطاء حتى الصباح .. ما رايك ؟

ـ انى احب الجنون لدرجة الجنون .

« لكنك حين ترى بعينيك سيخرس لسانك وتفتح فمك طول النهار اعجابا وذهولا . لقد شربت مساء اليوم زجاجة ويسكى كاملة ولم اسكر . امامنا الف عام على الاقل حتى نتعلم منهم كيف نستمتع بحياتنا لاننا لم نتعلم حتى الان كيف نعمل حتى نستحق هذه النعمة . سأعود الى الصلاة بمجرد عودتى الى الوطن ، لانى اخشى ان استمرىء هذا الفساد اللذيذ .

قالت وهى مسترخية تماما :

ـ كنت شابا فى الثلاثين .. انك مجنون حقيقى .

ـ كم ندمت على عمر التعقل .

« ستسالنى وهل تضمن عمرك ؟ اتريد ان تموت كافرا ؟ . صدقنى يا عزيزى اننى لن اشعر بشىء لحظة الموت . الجو هنا يبعث على النشاط والحيوية . البرودة تحفزك على العمل . النظام يجبرك على النظام . شيئا فشيئا اصبحت مثلها دون ان ادرى وانا ملك الفوضى والعربدة . حين اعود الى البامية والملوخية سارتد بالتأكيد الى سلوكى المعهود . تعود ريمة الى عادتها القديمة . لا فائدة . كل شىء يدور فوق الارض . انا لست اعرف لماذا كتبت اليوم اليك . ربما لشعورى بالرغبة فى ان انقل اليك مجموعة من الاحاسيس الخاصة والمشاعر الهادئة التى امسكت بتلابيبها فى هذه اللحظات السعيدة . شاهدت فيلما سينمائيا مثيرا عن الجنس . تقززت نفسى لهول ما رايت ، بالرغم من جمال بطلات الفيلم . حتى اللذة فى النهاية تتحول الى شىء مقرف بعد نفادها واستنزافها .

لقد اصبحت كل الاشياء محيرة فى نظرى بالرغم من احساسى بالسعادة . ان راسى ثقيل للغاية .. تصبح على خير » .

فى الحمام قالت له وهى تجفف ظهره :

ـ لقد كانت رسالة رائعة

على الفراش تثاءب بقوة وقال بجفنين ثقيلين

ـ تصبحين على خير .





●● لم اقرأ بعد سوى الحلقات الاولى من رواية نجيب محفوظ الجديدة « يوم أن قتل الزعيم » وكان نجيب محفوظ قد حدثني منذ عامين عن هذه الرواية ،وكان يكتب فصولها منذ عامين وقد ظلت فترة وهي تعد للنشر ٠

وقد سألته يومها :

ـ هل الزعيم الذى تقصده فى الرواية هو « السادات » ٠ وهل يوم القتل هو السادس من اكتوبر سنة ١٩٨١ ؟

وقد قال لى يومها :

ـ يا عزيزى انتظر حتى تقرأ العمل ٠

وقال بعد قليل :

ـ لم هذا التسرع ٠٠

كنا نجلس يومها فى كازينو يطل على النيل ، وكنا مساء يوم جمعة ٠ وكان رواد ندوته الادبية لم يحضروا بعد ٠

وكنت أرغب فى معرفة الصورة التى سيقدم بها نجيب محفوظ هذا اليوم ٠وكان على أن انتظر عامين حتى أقرأ الفصول الاول من هذه الرواية ٠

وفى كل لحظة تصافح عيناى سطور الرواية أشعر برغبة صادقة فى تجاوز كل فضاءات الخلاف مع هذا الكاتب الكبير واحيى فيه هذه القدرة الفريدةعلى الاستمرار والعمل فى أكثر الظروف صعوبة ٠ وفى الوقت الذى تضيع أعمار الاخرين فى المناقشات والمعارك الوهمية والجرى وراء بريق الاعلام ٠ فان هذا الرجل الفريد يعمل ٠

فصول الرواية الاولى تقول ان الرجل يحاول غسل يديه نهائيا من كل ما قاله عن السبعينات ـ أعرف انه من الصعب الحكم على عمل ادبى لم يكتمل ـ ولكن ما نشر حتى الآن يقول هذا ٠ يبدو أن الرجل استرد وعيه وبدأ ينظر الى المرحلة كلها من منظور جديد وان كان يقع فى خطأ انه يساوى بين الستينات والسبعينات ٠ وهذا يقترب من مشكلة التعميم فى الاحكام. ولكن أليس من حقنا أن نسأل نجيب محفوظ وهو يحاول القيام بهذه المراجعة ٠

نجيب محفوظ





عن الجوهرى والعارض فى موقف الكاتب من الاحداث الكثيرة ٠٠ ؟

فما هى حدود الثوابت والمتغيرات فى هذا الموقف وما هو هامش الحركة فى الانتقال من موقف الى آخر ٠

لقد مر نجيب محفوظ بانتقالات عنيفة ٠ وعندما نشر كتابه الاول ، كان يحكم مصر فؤاد الاول ٠ ملك مصر والسودان ٠ ثم جاء فاروق ٠ وعبر محمد نجيب ٠ وجاءت انجازات عبد الناصر واتى السادات وها نحن فى أيام مبارك ٠ تغيروا وبقى هو يكتب ويقص ويقول فما هى حدود حرية الحركة لديه فى أن يكون له موقف اليوم ونقيضه غدا ؟ ٠٠

الغريب اننا نعجب كثيرا بموهبة نجيب محفوظ القصصية ٠ ولكن مسألة المواقف السياسية فيها نظر ٠ وقد صدمت جدا عندما وجدته يغسل يديه من كل ما قاله عن السبعينات ولكن وسط هذه الحالة من السعادة ٠ كان لابد من وقفة لكى أسال نفسى :

ـ أليس من حقى ان أسال عن حدود هذا الكاتب فى الالتزام بموقف سياسى ما ٠ ومتى يكون له حق الانتقال عبر المواقف ٠

قضية محيرة ٠ وان كنت أدرك بالفطرة وحدها ٠ ان الكاتب موقف والانسان موقف بالطبع قد يتم تغيير هذا الموقف وتعديله فى بعض الاحيان ٠ ولكن لامفر من قناعة محددة فى كل مرة ٠

قلت اننى لم اقرأ النص الروائى كله وهذه مجرد تساؤلات على أبواب اليوم الذى قتل فيه الزعيم ٠

● فصول وابداع ●

●● لاننا نقف على أبواب مفترق طرق ، ولان بعض التغييرات قد تمت ٠ تحولت أقلام الامس الى جماعة ضغط بدات تعمل فورا ٠٠ والهدف هذه المرة هو الهجوم على مجلتى فصول وابداع ٠ وكذلك سلسلة مختارات فصول ومجلتى : عالم الكتاب والقاهرة ٠ كانهم لا يقولون مابانفسهم مباشرة ٠ لا يقولون ان المسالة هى صراع فكرى بين التقدم والتخلف ٠ وبين العلم والشعوذة ٠ والموهبة واللاموهبة والارتباط بالاوطان واللهاث وراء اللحظات العابرة ٠

انهم لا يقولون كل هذا ٠ولكنهم يقولون ان هذه المجلات توزيعها محدود وخسائرها كثيرة ٠

وأعتقد اننى تعرضت ـ وغيرى من أبناء جيل ـ للذبح على صفحات فصول ٠ وتعرضت للهجوم على صفحات ابداع ٠ ومع هذا تبقى حقيقة لا يمكن للالم الشخصى ان يقترب منها وهى أن هذه المجلات ٠ منارات مصرية ٠ نوع من جوازات السفر التى ترفع القامة وتمد الهامة فى بلاد الغربة ٠ ولذلك لابد من الدفاع عنها ـ بصرف النظر عن الاتفاق والاختلاف معها ٠

وقد قابلت الدكتور سمير سرحان رئيس هيئة الكتاب الجديد ٠ يوم وصوله الى الهيئة لاول مرة ، وكانت المجلات الثقافية موضع تساؤل منى ٠ وقلق على مصيرها ٠ خاصة بعد ترك الدكتور عز الدين إسماعيل الهيئة ٠ وهو الرجل الذى صدرت هذه المجلات فى أيامه ٠ وقد قال لى الدكتور سمير سرحان :

ـ باستثناء فصول ، وهى المجلةالوحيدة التى رسخت تماما ٠ كل مجلات الهيئة قد تخضع لعملية اعادة نظر ٠

يتحدثون عن أرقام التوزيع وعن الخسائر ، وحديثهم هذا كله باطل يراد به باطل ٠

وعلى الرغم من معرفتى بأن أرقام توزيع مجلات هيئة الكتاب جيدة وانه لا خسائر هناك ، فالهيئة كلها تقدم نوعا من الخدمة الثقافية التى لايجب أن نتعامل معها بمنطق الربح والخسارة ٠ كذلك من الصعب الحديث عن أرقام توزيع مهولة لمجلة ثقافية ، فهذا يتناقض مع فكرة المجلة الثقافية أساسا ٠ فهى مجلة تخاطب الصفوة والقلة فى المجتمع ٠ وانا أطلب من الدكتور سمير سرحان أن يعلن أرقام توزيع مجلات الستينات ثم مجلات السبعينات

وأخيرا : فصول وابداع . لنكتشف ان حكاية ارقام التوزيع وهم . وان حكاية الارباح والخسائر لعبة جديدة . يحاولون استخدامها في هذه الايام . ولكن اتق في موقف الدكتور سمير سرحان من هذه القضية ما اسهل أن تغلق مجلة . ولكنها سابقة خطيرة ، وما أصعب أن تصدر مجلة جديدة وعلينا أن نتعلم من تجارب الماضي .

من المؤكد ان كل من يهاجم هذه المجلات له طلب خاص وقضية شخصية فاحذروا مهاجمي المناسبات هؤلاء .

● كلاب علي سالم ●

●● اعجبت جدا بفكرة نزول علي سالم الى أرض الواقع ومواجهته كل الظروف الصعبة لكي يقدم عمله المسرحي الجديد : « الكلاب وصلت المطار » . فقد تولى اخراجه . وعندما تطلب الامر منه أن يمثل دورا فيه لم يتوقف ولكنه فعل هذا .

الاختيار الان حاسم : اما أن يجلس الكاتب نادبا حظه . باكيا ليلا ونهارا . او أن يعمل . يترك الغرفة المغلقة والمكتب المعزول لكي يكون جزءا من الواقع الحي .

وقد عاصرت علي سالم وهو يستعد لكتابة هذه المسرحية . كانت تربط بيننا معرفة عمل ومكان عمل واحد في هذه الفترة . وكان علي يتوقف أمام حادث جزئي فعلا في أرض الواقع لكي يحوله الى عمل مسرحي . فيه الكثير من الاضافات الهامة لم يتوقف علي سالم أمام الحدث الذي جرى ولكنه أضاف وبدل وعدل وحذف .

ولكني أشعر بنوع الحذر في التعامل مع مسرح علي سالم . ان سطح الاشياء عنده جيد ولكن المشكلة في أعماق الموقف . في بعض الاحيان يكون بدون أعماق . والمشكلة ان هذه الاعماق هي الاساس . هي التي تحرك فينا كل ما يفعله الفن العظيم عادة .

● السعدني قصاصا ●●

●● لدي شعور ان تيار السياسة الجارف قد أخذ من الواقع الثقافي قصاصا كبيرا هو محمود السعدني . والسعدني حتى عندما يكتب فكاهاته المرة ، فانه يقص ، وعندما يتكلم في سهراته التي لا تنتهي الا مع الفجر فانه يقص . وقد أصبح الرجل الآن صاحب اسلوب خاص ومتميز وممتع وجميل ، وقد قرات محاولاته القديمة في القصة وفي الرواية . قرات مجموعته القصصية « بنت مدارس » وروايته البديعة : « حتى يعود القمر » وله في محاولات المسرح : « عزبة بنايوتي » . أما في السيرة الشخصية . فانا لا أعتقد ان هناك في أدبنا العربي كتابا أعذب ولا ارق من الولد الشقي . في جزأيه الاول والثاني والولد الشقي في السجن .

اخيرا .. صدرت مجموعة من القصص القديمة لمحمود السعدني . انها خوخة السعدان . وعندما جلست لكي اقراها ، تحسرت من جديد على هذا القاص الهام والخطير الذي تاه منا .

في دروب السياسة ، ان السعدني قادر على كتابة القصة الهزلية . وهو يكتب كما يتكلم بسهولة وبساطة وبدون أي تعقيد ولي تصوري ان الروائي الكبير هو الذي يولد روائيا . ومن الصعب أن يتعلم الانسان لكي يصبح روائيا . ربما يتعلم ويتثقف لكي يصبح كاتبا . اما الروائي فلا يمكن أن يتعلم القص .

وتلك هي معجزة محمود السعدني الخاصة جدا .

علي سالم





نشرت احدى المجلات الانجليزية ، بحثا علميا مدعما بالاحصاءات عن تعرض المديرين فى مختلف بلاد العالم ، للامراض التى تنتج من الارهاق والقلق والمعاناة وكانت الارقام تشير الى ان المدير المصرى هو اكثر المديرين فى العالم كله تعرضا لهذه الامراض



بقلم : حافظ أمين

وفى الشهر الماضى ، نشرت نفس المجلة بحثا جديدا ، يتلخص فى ان اهم اسباب الارهاق عند المدير ، هو عدم الكفاءة فى تفويض السلطات . فتساءلت : الا يمكن ان يكون المدير فى مصر من اجهل المديرين بفن تفويض السلطات ؟

وبعد تفكير بسيط ، رأيت ان المدير المصرى ـ بعمله وذكائه ـ لا يمكن ان يجهل اهمية هذا الفن الكبير ـ فن تفويض السلطة ـ فهو عندما يتكلم يستطيع فى شرح



فوائده وأصوله ومزاياه ، ولكنه عندما يمارس السلطة لا يعير هذا الفن أدنى اهتمام فهو — عندما يشكو من التعب والاجهاد — يفسر ذلك بمختلف الاسباب ، وينكر انكارا قاطعا السبب الرئيسي والحقيقي للارهاق .. الا وهو حبه « للتكويش » على السلطة ، وهو في انكاره هذا يشبه البخيل والجبان والاناني ، الذين يجدون لصفات البخل والجبن والانانية مئات الاسباب ، ليس من بينها السبب الحقيقي .

والاغلب أن يكون عدم تفويض المدير المصري للسلطة ، ناتجا عن عقدة نفسية تعرض لها منذ كان طفلا يحرمه والداه من تحمل المسئولية ؛ ثم نمت معه وهو صبي يحرمه اساتذته من التفكير الحر ، ثم تأصلت فيه وهو موظف صغير يحرمه رؤساؤه من المشاركة في الادارة واتخاذ القرارات ..

عدم تفويض السلطة من المدير المصري اذن ، عقدة نفسية كعقدة الشح عند البخيل تنتج من شدة الاحساس بالحرمان اثناء الطفولة والصبا ، الاول من ابداء الرأى والتفكير بحرية ، والثاني من تحقيق مطالبه الاساسية . فالتكويش على السلطة كاكتناز الاموال ، مرضان ناتجان عن عقد نفسية دفينة لا يعالجان بالمنطق والاقناع .

المنطق يقول ان تفويض السلطة يحفظ للمدير صحته النفسية والبدنية ، ويهيىء له الفرص للقيام باعمال أكثر نفعا وأهمية ، ويضمن للمؤسسة التي يديرها استمرارية النجاح ، ويرفع من الروح المعنوية لدى المرؤوسين ويشجعهم على تنمية قدراتهم ، ويزيل التوترات والمشاحنات ، ويجعل من العمل أمرا محبوبا مليئا بالبهجة ، ويضمن الانتفاع بمختلف المواهب والكفاءات ، وغير ذلك من الفوائد التي لايمكن لأى مدير أن يغفلها ، ولكن العقد النفسية أقوى من أى تفكير منطقي ، تماما كما لا يمكن ان يتحول الجبان الى شجاع ، أو البخيل الى كريم ، اذا عرفنا فوائد الشجاعة والكرم .

فاذا عرفنا أن أهم مشكلة من مشاكل التنمية في أى بلد هي ضعف الادارة ، واذا عرفنا أن أهم مشكلة في الادارة المصرية هي عقدة « التكويش » عند المدير المصري ، أدركنا أن كل ما تقدمه للمديرين من برامج تدريب وتثقيف وتوعية ، لا نفع منها ولا فائدة ، طالما تركنا « عقدة التكويش » في عقله الباطن تلعب الاعيبها .

ما فائدة برنامج « الادارة بالاهداف » اذا كانت أهم أهداف المدير المصري هي الا يكون من بين معاونيه انسان ذو شخصية أو كفاءة ؟ .. ما فائدة برنامج التدريب على « تفويض السلطات » ، اذا كان رد الفعل الوحيد لهذا البرنامج هو قول المديرين : « وماذا نفعل اذا كان كل مرؤوسينا كسالى أغبياء » ..

أمراض سيادة المدير العام

ما فائدة برنامج التدريب على « تفويض للعاملين بالدولة » اذا تبعها عملا متصلا من المديرين لخفض هذه الكفاءة الادارية .. ما فائدة كل البرامج التي تحاول رفع الروح المعنوية للعاملين اذا كانت عقدة « التكويش » عند المديرين تعمل كل ساعة على قتل هذه الروح المعنوية ·

فاذا كانت صفة (اجادة فن تفويض السلطة) من أهم صفات الناجح ، كان لابد أن توضع هذه الصفة من بين أهم الصفات التي يجب ان يتم على أساسها اختيار الشخص لمنصب المدير · هذا اذا كانوا يريدون حقا نجاحا للمشروعات ، ونجاحا لتنمية البلاد · ولكن يبدو ان هذا ـ هو آخر شيء يحدث .. فكما لا يوضع الشخص الامين أو الشجاع في الوظيفة التي تحتاج الى امانة او شجاعة كذلك نلاحظ ـ عند اختيار المديرين ـ وضع مواصفات كثيرة ليس من بينها « مدى خلو المدير من عقدة التكويش » أو مدى استعداده لتقبل العمل مع ذوى الكفاءة والموهبة ، ناهيك عن استعداده لرعايتهم وتنميتهم ، ولو وضعوا هذا الشرط عند اختيار اى مدير لاحدى المنشآت ، لزادت كفاءة الادارة فى بلادنا أضعافا مضاعفة ، وبالتالى زادت سرعة التنمية ، بل ولعمل المديرين العاشقين للسيطرة على التخلص من عقدهم النفسية ، وجاهدوا لقهر شهوتهم فى التكويش على السلطة ·

***

المدير الذى لا يفوض سلطاته يمنع عن مرؤوسيه فرص الترقى والاستمتاع بالعمل ، بل هو يمنع عن نفسه هذه الفرص أيضا ، لان التكويش على السلطة ـ كاكتناز المال ـ يحرم الجميع من النمو والمشاركة فى مباهج الحياة ، ويصيب المدير ـ وبعض من يعمل معه ـ بالاجهاد والارهاق ، ويصيب بقية العاملين باليأس والملل ·

واذا كانت صفة (التكويش) عند المدير، صفة سيئة ، عندما كانت التكنولوجيا بسيطة، والانتاج متماثل والمعلومات محدودة ، والاهداف سهلة ، والعلاقات ساذجة والادارة نمطية ، فقد أصبحت هذه الصفة هى مصيبة المصائب كلها فى عصر التكنولوجيا المتقدمة الذى يعتمد أساسا على التعاون ، وعصر الاعتماد الكامل على توفير المعلومات الذى يعتمد على تبادل الخبرات ، وعصر الاهداف والادارة الصعبة والانتاج المتنوع ، والعلاقة المتشابكة الذى لا يتفق مع الانفراد بالسلطة·

المدير (المكوش) فى عصرنا هذا لا يعلم عن معنى (الكفاءة) الا أنها تقاس بمقدار ما يحل من مشكلات ، أكثرها من صنعه هو ، بسبب عدم تفويضه للسلطات ، وهو فى هذا يشبه رجل المطافى الذى يتباهى بكثرة ما يطفىء من حرائق ، مع ان كفاءته الحقيقية تقاس بعكس هذا تماما ، أى بالحرائق التى تحدث بسبب ذكائه ونشاطه فى وضع الضمانات ، أو هو يشبه الطبيب الذى يظل يداوى المريض من علل نتجت من عقاقير كان قد سبق أن وصفها له ·

والمدير الذى لا يفوض سلطاته يشكو دائما من الاجهاد المستمر ، وان كان يصوره أحيانا بصورة الجهاد من أجل وطنه او منشآته والاجهاد الذى يستمر طويلا يحرق (وقود التكيف) داخل جسم الانسان ، ووقود التكيف هذا هو المادة الموجودة فى منطقة « المخ » ، والتى تساعد الانسان على مواجهة التغيرات التى تحدث له ، ومواجهة التغيرات والتكيف معها هى أهم صفة فى عصرنا ، هذا العصر الذى لم يشاهد التاريخ مثله فى شدة التغيرات وسرعتها ·

(عدم تفويض السلطة) اذن من أقبح صفات المدير المصرى ، فهى التى تنهكه وتقضى على حيويته ، وهى التى تقتل كفاءة كل من يعمل معه ، وهى التى تهدم المنشأة من أساسها اذا تخلى عنها المدير « المكوش » لاى سبب ·

لو أنصف المسئولون عن تنمية البلاد ، وعن اختيار المديرين لمختلف المنشآت ، لوضعوا صفة (فن اجادة تفويض السلطات) الصفة الاولى عند هذا الاختيار ·



يقول بعض العامة ، وبخاصة في الريف : « فلان ولد فلان » .. بكسر الواو وتسكين اللام في « ولد » .. ويظن البعض انها كلمة عامية وصوابها « ولد » بفتح الواو والدال .. ولكن الكلمة في شكلها الاول صحيحة لغويا ، كما في شكلها الثاني .. وهناك شكل ثالث صحيح ، بضم الواو وتسكين اللام ..

● ويقول بعض العامة : علوان الكتاب ، او علوان البيت ..وكلمة علوان صحيحة مثل « عنوان » .. وتنطق « علوان » بضم العين وينطق « عنوان » بضم العين او كسرها .

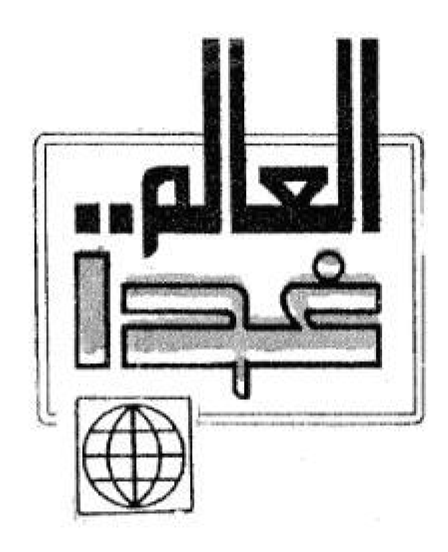
● في الاغاني والازجال التي تروى قصة « ادهم الشرقاوى » المشهورة يقول الزجال بالعامية : « مفين أجيب ناس لمعناة الكلام يتلوه » .. وكلمة « معناة » صحيحة مثل « معنى » .. وتستطيع ان تقول : « فهمت معنى الكلام » و « فهمت معناة الكلام » ..

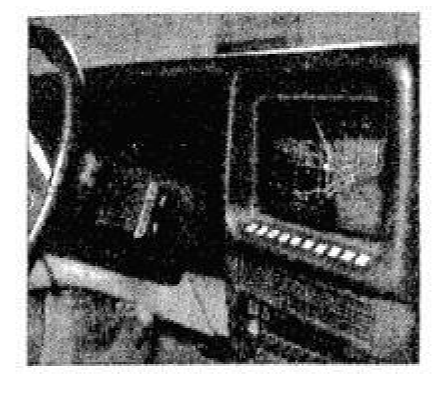
● يحرص بعض المتحدثين الان على ان ينطقوا كلمة « اصبع » بكسر الالف وتسكين الصاد وفتح الباء .. ولكنهم يستطيعون ايضا ـ اذا شاءوا ـ فتح الالف او ضمها ، وضم الالف مع ضم الباء .. فيكون نطق هذه الكلمة على اربعة اشكال .. او اربع لغات كما يقولون .

● يشبه العامة كثرة الشىء بكثرة الارز فيقولون : « زى الرز » .. وقد ابطلت ازمة الارز هذا التشبيه الان ، ولكن بقى الارز كثيرا في اللغة ، فان له فيها ست كلمات : ارز بفتح الالف وضم الراء وتشديد الزاى .. و « ارز » وتنطق كسابقتها ما عدا الالف فعليها ضمة .. و « ارز » ..بضم الالف المهموزة وتسكين الراء وضم الزاى او فتحها او كسرها على حسب موقعها من الاعراب.. و « ارز » .. وهى كالسابقة مع ضم الراء وهناك « رز » كما ينطقها العامة .. و « رنز » ولا تزيد على الكلمة السابقة الا حرف النون الساكن .. فهذه ست لغات صحيحة في « الارز » الذى كنا نضرب المثل بكثرته في الماضي ..

● يقول اخواننا السوريون واللبنانيون عن شخص ما ، انه « زلمة » لفلان ، اى تابع له .. وهى كلمة صحيحة ، فان « الزلمة » هو العبد .. ومثلها « زلمة » بتسكين اللام .. و « زلمة » بضم الزاى وتسكين اللام ..

● الصحفيون المصريون ينطقون كلمة « الصحافة » بفتح وتشديد الصاد ، ولكن الصحفيين في كثير من البلاد العربية ينطقون هذه الكلمة بكسر الصاد المشددة وهو الاصح ، لان وزن « فعالة » يأتى في الصناعات والولايات مثل : التجارة والخياطة والوكالة والخلافة والامارة والسياسة والوزارة .. والصحافة ! .





● الجري يقضي على مشاكل الرجال

تسبب قلة الحركة في المتاعب القلبية وتصلب الشرايين والاصابة بمرض البول السكري والامراض الخطيرة الاخرى التي يكون لها تأثيرا سيئا على القدرة الجنسية للرجال . وهي تؤثر على الجهاز البولي للرجال وذلك بتعرض البروستاتا التي تلعب دورا كبيرا في تكوين الحيوانات المنوية للالتهاب والاصابة بالعجز .

وقد ثبت أن رياضة الجري مفيدة في تحسين الدورة الدموية والتغلب على التهابات البروستاتا . كما تساعد ايضا على تهدئة الاعصاب والتخلص من الوزن الزائد . الا انه يجب اجراء بعض الفحوصات واستشارة الطبيب قبل القيام بهذه الرياضة .

● سيارات الغد

يؤمن خبراء صناعة السيارات ان العقل البشري يستطيع ان يقدم الكثير من الابتكارات التي تفيد قائدي السيارات وتساهم في خفض نسبة ارتفاع الحوادث، فالنوم أثناء القيادة على سبيل المثال من المشاكل التي تواجه الكثيرين وتتسبب في حدوث كوارث على الطريق لهذا السبب انتجت احدى شركات السيارات جهازا يحذر السائق من النوم وينبهه باطلاق صوت جرس عال كذلك يصدر صوت صفير عند اقتراب السائق من السيارات او العوائق الاخرى . الطريف أن احدى المؤسسات اليابانية تعكف حاليا على صناعة سيارة تتأثر بمزاج وصحة سائقها فلكي يبدأ السائق تشغيل السيارة عليه ان ينفث الهواء في جهاز مخصوص للتحليل فاذا كان متعبا لا تدور السيارة حتى لا يضطر لقيادتها وهو مرهق . أما الكمبيوتر فسوف يتم استخدامه بشكل جديد داخل السيارة بحيث تصاحبه شاشة تحمل خريطة للمنطقة التي تسير فيها السيارة ويحدد موقع السيارة ويوضح اقصر الطرق الى الهدف ، جهاز آخر سيضاف الى سيارات المستقبل اشبه بالصندوق الاسود الموجود على متن الطائرات لهذا الصندوق سيقوم بتخزين تفاصيل خط السيارة بحيث يمكن اصلاح اي عيب تتعرض له ببساطة .

● انسان المستقبل.. يعيش في الفضاء

يحاول علماء الفضاء السوفييت تحويل المحطات الفضائية التي اقاموها الى مدينة فضائية للسكن الدائم من خلال الرحلات الفضائية المتعددة . ويهدف السوفييت

الى بناء مشروعات صناعية فضائية والتى يعتمد نجاحها على الاختيار السليم للاتجاهات الاساسية لبرنامج تطوير الفضاء وعلى معظم الاستخدامات الزائرة للمحطات التى يعيش فيها الانسان .

ويعتقد العلماء أن المدينة الفضائية ستتكون من نظام واسع من المنشآت تقام على ارتفاعات تتراوح بين ٢٠٠ و ٤٠ الف كيلومترا والتى ستوضع فيها المعامل البحثية والمساكن المريحة ومصادر الطاقة القوية ومواقع البناء وباختصار كل الخدمات الحيوية للحياة العادية ولكن تحت ظروف غير تقليدية ، وهذا سيجعل من المحتمل القيام بعمليات التصنيع بانتظام والتى لايمكن القيام بها على الارض حيث توجد الجاذبية . وستكون للمدينة الفضائية القدرة على ارسال التقارير اليومية الى الارض عن حالة الجو والمحيطات والمحاصيل الزراعية والأعاصير ، كما ستقوم بتقدير حجم المعادن وتقديم معلومات لمساعدة الصيادين والبحارة والقائمين على بناء السكك الحديدية والطرق السريعة وخطوط انابيب الغاز .

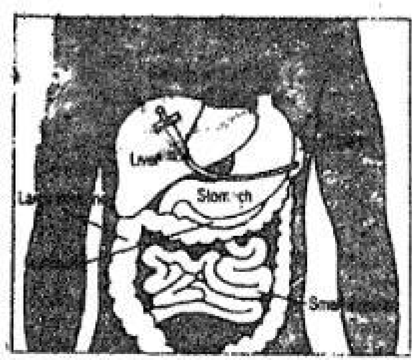
وقد تم تطوير هذه البرامج الفضائية فى عدد كبير من المؤسسات التى يتلقى فيها رواد الفضاء تدريبات معقدة ويدرسون العديد من فروع المرئة .

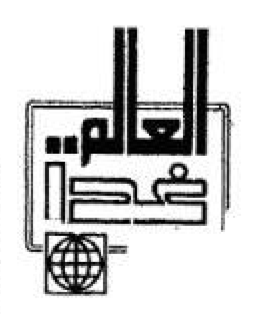
● علاج الكبد بالحقن بدلا من العمليات الجراحية

يلعب الكبد دورا هاما فى جسم الانسان فهو يقوم بفحص الدورة الدموية وتنقية الدم من المواد الضارة السامة اما بتخليص الجسم منها او عن طريق التفاعلات الكيميائية التى تؤدى الى تحويلها الى مكونات غير ضارة . وفى بعض الاحيان يعجز الكبد عن القيام بدوره فى التغلب على السموم والفيروسات التى تدخل الى الجسم .

ويمكن أن تؤدى السموم الموجودة فى المنتجات الغذائية والمواد الكيماوية والادوية الطبية الى التهاب الكبد وموت بعض خلاياه والاصابة بمرض التليف الكبدى ومن لم يعجز الكبد عن القيام بوظائفه ولقد أصبح الاسلوب الوحيد لانقاذ المرضى هو نقل كبد سليم . وتجرى عمليات نقل الكبد عند اصابته بورم سرطانى وفى حالات التشوهات الخلقية فى الاطفال الذين يولدون بالسداد فى القنوات الصفراوية فى الكبد والتى تؤدى الى تليفه . وقد تمت المحاولات الاولى لنقل الكبد فى الاتحاد السوفييتى بزراعة الكبد السليم بجانب الكبد المصاب ولكنها فشلت لزيادة وزنهما الذى يتراوح بين ٢ر١ و ٤ر١ كيلوجرام مما يؤثر فى أداء مهامه ويؤدى الى اضطرابات القلب والوفاة . لذلك لجأ الاطباء الى زراعة الجزء الايسر للكبد فقط خارج تجويف البطن فى نفس المكان الذى تزرع فيه الكلى . الا انها فشلت أيضا بسبب رفض الجسم لها . ثم أجرى الأطباء تجارب لنقل الكبد من الكلاب حديثة الولادة الى الكلاب الاكبر سنا . وقد اثبتت هذه التجارب نجاحها . الا أن عمليات نقل الكبد الصغير خطيرة ولا ينجو منها المرضى فى الحالات المتقدمة .

واخيرا توصل الاطباء الى أن خلايا الكبد المعزولة والتى يتم حفظها فى بيئة غذائية لمدة طويلة تحتفظ بقدرتها على اداء الوظائف . ويمكن بحقن تجويف البطن بها أن تقوم بمهام الكبد المصاب . وقد اثبتت هذه التجارب نجاحا كبيرا كما انه يمكن استخدامها فى العيادات .





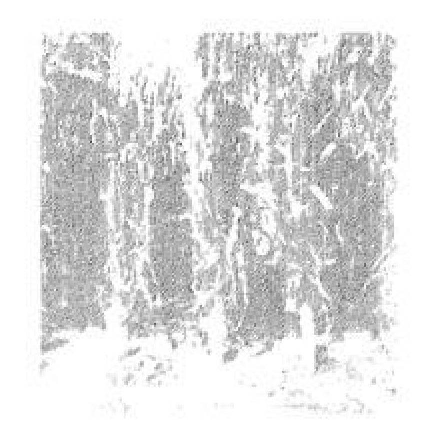
أمل جديد لمرضى السكر

يعيش مرضى السكر على تعاطى حقن الانسولين رغم مضاعفاتها الجانبية والتى سببها ان الحقن التى يأخذها المريض بشكل منتظم خلال اليوم لا تتمشى مع النظام الطبيعى الذى يغذى بموجبه البنكرياس الانسولين فى الوقت الذى يحتاجه الجسم . وبعد سنوات من الابحاث الطويلة على الحيوان توصل الاطباء لعلاج جديد سيحل فى النهاية محل الحقن . والعلاج الجراحى الجديد يقضى بالحصول على خلايا افراز الانسولين من جثث الموتى على أن يتم زراعتها بعد ذلك فى جسم المريض بالسكر . والنتائج الاولية لهذه الجراحة مطمئنة حتى الان بعد أن تأكد فشل امكانية زراعة البنكرياس فى جسم المرضى بسبب رفض الجسم له بالاضافة لكونه مصدرا للانزيمات المعوية التى يمكن ان تضر الاعضاء الداخلية ولذلك عكف الاطباء على ابتكار اسلوب جديد لاتكون له أعراض جانبية . والمعروف أن الانسولين هو المادة التى تنتجها غدة البنكرياس التى تصل طولها الى ١٥ سم . وتوجد خلف المعدة وكانت المحاولات السابقة لزراعة البنكرياس تبوء بالفشل لصعوبة فصل هذه الخلايا من تلك التى تنتج الانزيمات المدمرة للأنسجة . ولكن بفضل الجراحة الجديدة تمكن الاطباء بنجاح من استخراج خلايا البنكرياس من جثث الموتى وذلك بعد حقن البنكرياس بمادة الكولاجين التى تقضى على النسيج الاساسى للعضو ولكنها تترك خلايا الانسولين سليمة . وقد طبق الاطباء التجربة حتى الان على تسعة من المرضى فبعد الحصول على خلايا البنكرياس قام بعمل قسطرة للمرضى من خلال شق صغير فى جدار البطن ثم حقن خلايا الانسولين فى الطحال لانه سيساعد الخلايا على الحصول على كمية وفيرة من الدم . وقد اثبتت التجربة نجاحها على ستة من المرضى ، وبالرغم أنهم مازالوا يتعاطون حقن الانسولين الا ان النسبة انخفضت من ٥٠٪ الى ٩٠٪ .

جهاز يحفظك من ضربة الشمس

اكد الاطباء ان التعرض للشمس لفترات طويلة يمثل خطرا على الانسان بسبب تسرب الاشعة فوق البنفسجية الحارقة الى الجلد لتسبب اضرارا لايشعر بها الانسان الا بعد مرور ساعات طويلة وقد يصل الامر الى اصابته بسرطان الجلد . لذلك تمكنت احدى المؤسسات العلاجية الامريكية من تصميم جهاز يسهل حمله . يمكن أن يقلل من مخاطر التعرض للشمس لانه يطلق انذارا عندما يتخطى الشخص المعرض للشمس حدود الامان . يوجد بالجهاز الحساس عدة ارقام تشير الى نوعية جلد الشخص الذى يستخدمه ويتم وضع الجهاز على سطح املس فى ضوء الشمس حتى يمكن ان تتخلله الاشعة فوق البنفسجية لتسقط على صمام فولت يتصل بجهاز اليكترونى يحدد طول فترة الزمان يصل سعر الجهاز الى ٣٠ دولار .





كلب البحر ينقذ ضحايا الغرق ..

سيجد الغطاسون على شاطىء لاجونا بولاية كاليفورنيا .. ما يساعدهم على اداء مهمتهم . وهؤلاء المساعدون الجدد هم كلاب البحر ، التى تم تدريبها على انقاذ ضحايا الغرق وحملهم الى الشاطىء .

يقول بيل فورد وهو مسئول بمركز الثدييات المائية « هذا المركز يعنى بانقاذ الثدييات البحرية التى تجرح او تمرض على طول شواطىء ولاية كاليفورنيا » : « ان كلب البحر لديه القوة والمهارة اللازمتان للسباحة ، وهو يستطيع ان يسبح ٢٥ ميلا فى الساعة . فيمكنه الوصول الى اى شخص اسرع من الانسان » .

ويشير فورد الى ان تلك الحيوانات الذكية قد تم تدريبها فى البحرية الامريكية على اداء مثل هذه العمليات مثل البحث عن بعض ضحايا الغرق او التنقيب عن بعض المعدات المفقودة . والى الان لم يتم استخدام كلب البحر لانقاذ ضحايا الغرق لكن قريبا سيقوم كلب البحر بهذه المهمة بسهولة ، ذلك لان كلب البحر معتاد على تلقى الاوامر .. وعلى ملامسة الجسم البشرى . وفى الاونة الاخيرة تم تدريبه على حبل عوامة لمساعدة الشخص المشرف على الغرق . ولو اثبت كلب البحر قدرته على اداء هذه المهمة فسوف يتم تعميم التجربة على كل الشواطىء خلال عام واحد .

ولكن فورد يقول : « قبل ان توضع كلاب البحر على الشواطىء .. فاننا نحتاج الى برامج توعية مكثفة للجمهور حتى يعتاد رؤيتها على الشاطىء .. ولا يخاف منها » ..

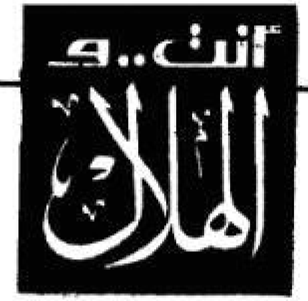
الرغيف المحسن ام القمح المحسن

لاشك ان القمح يلعب دورا رئيسيا فى تحديد سياسات الكثير من دول العالم الثالث ومنها مصر . وان القرار السياسى الخارجى والداخلى مرتبط بحاجة هذه البلاد الى الغلة الكافية لها ..

يثير هذا الموضوع اهتمام العلماء فى العالم كله وليس فى العالم الثالث وحده ـ وقد حاولت بعض البلاد اختيار بديل اخر عن القمح لصنع خبزها اليومى . لكن الذوق العادى للمستهلك قد عرقل صناعة الخبز من الذرة والشوفان خاصة فى امريكا اللاتينية

احدث الافكار للتغلب على ندرة القمح وخاصة فى المستقبل تنحصر فى انتاج نوع من القمح المحسن او القمح العملاق .. اكبر حجما واكثر سنابل وبالتالى اوفر دقيقا .. هذه التجارب موجودة فى المعامل والحقول منذ سنوات وقد نجحت احدى محطات البحوث بالفعل فى انتاج هذا القمح العملاق عن طريق التهجين واحداث طفرة داخل الانواع الممتازة ثم احداث تزاوج بين الطفرات واعادة احداث طفرة ثانية .. وبالفعل ظهر القمح العملاق فى الحقول ..

لكن السؤال المطروح هل سيتناسب دقيق هذا النوع من القمح مع ذوق المستهلك فى العالم الثالث ام سيبقى مجرد تجارب ناجحة ؟ وتبقى المقولة الشعبية الشهيرة « شحاذ وعاوز عيش طرى



● سر المتنبى ●

● نشرتم فى عدد يوليو الماضى من « الهلال » مقالة للفنان عبد السميع بعنوان : « هل اكتشف سر المتنبى » وقد ورد اسمى فى المقالة : « سعيد الملاح » بدل اسمى الحقيقى : « عبد الغنى الملاح » ..
اهى غلطة مطبعية .. ام هفوة ذاكرة ؟!
لو عدتم الى ارشيف مجلتكم لوجدتم فيه كتابى : « المتنبى يسترد اباه » وقد ورد عنوان كتابى صحيحا فى مقالة عبد السميع الى جانب اسمى الذى ورد مغلوطا ، فارجو تصحيحه وشكرا لكم ..

عبد الغنى الملاح
الحارثية ـ دور المحامين
بغداد ـ العراق

● الشاعر والنسيان ●

● منذ وفاة الشاعر واللغوى عضو مجمع اللغة العربية الاستاذ محمد عبد الغنى حسن لم يذكره النقاد والكتاب الا قليلا جدا ، ولم ياخذ حقه من الصحافة مع اننا نكرم لاعبى كرة القدم ونجوم المسرح والسينما . رحم الله شاعرنا عبد الغنى حسن ، والهمنا الصبر على مانحن فيه من اهمال للنوابغ الادباء .

نور على القفطى
قفط

● الزحمة واللحمة ●

● احب ان « اقرظ » الشعر .. وتاليف الشعر ليس عندى نزوة كما هو عند الكثيرين .. ارجو ان تقراوا بعض ماجادت به قريحتى واحكموا :

زحام .. زحام ..
مابعده زحمه ..
شحت الاقوات ..
وقلت اللحمة ..
وكثرت القسوة ..
وانعدمت الرحمه ..
تلوث الهواء ..
وانعدمت النسمة ..

الراسل : محمد حسين محمد يونس
سوهاج ـ منية تامر

ـ الصحيح أن تقول « اقرض الشعر » .. أما « اقرظ » فلها معنى آخر .. أما شعركم ، فأنتم على حق في شكواكم من الزحمة وتلوث الهواء وغير ذلك مما يشكو منه الناس جميعاً ، ولكن شعركم يفتقر الى الاوزان ، والى روح الشعر ، فهذا الذى تكتبونه مجرد نقد تقريرى بســيط .. وكلمة « الراسل » خطأ .. وصحتها « المرسل » ..

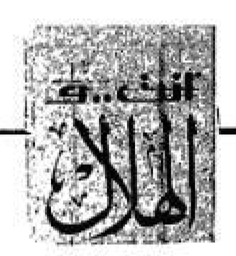
● اشواق ●

الشوق يضنيني الى اطفالك
واعيش وحدى فى بعاد بالك
اشكو الى الرحمن قسوة امرنا
فى البعد يازوجى على شكواك
وفراق اطفال الصغار يهدنى
ومرور ذكرى الابرياء هلاكى
واكاد انسى راغبا فيشدنى
شوقى لاولادى وطيب لقاك
يازوجتى انى على عهد الوفا
لم يلتفت قلبى لغير وفاك
والى متى يبقى بنى بحيرة
يتساءلون اذا اردت رجاك
اماه اين ابى ؟ .. لماذا لم يعد
وتجيبهم زوجى بغير شكاك
هو غائب ولسوف يأتى بعدما
يأتيكم بمشاعل الافلاك

رمضان ابو غالية
وكيل قويسنا الثانوية للبنين

● الحضارة العربية والفكر الغربى المعاصر ●

● فى دراسته عن « العقاد والتراث » على صفحات المصور حدثنا د. لويس عوض عن محاولة العقاد ايجاد نوع من التأثر بين الفيلسوف الالمانى « ليتشه » والشاعر العربى « المتنبى » . واذا كان الاستاذ العقاد ـ كما رأى د. لويس عوض ـ قد فتح الموضوع على استحياء فى ذلك الوقت المبكر الا انه فيما بعد قد ذاع ايجاد نوع من التأثر او محاولات للربط بين مفكرين غربيين ومفكرين عرب ، بل ان العقاد نفسه قدم لنا كتاب « اثر العرب فى الحضارة الاوربية » وأخرج الدكتور عبد الرحمن بدوى كتابه « دور العرب فى تكوين الفكر الاوربى » .. بل ان هناك درجات جامعية قد منحت لرسائل فى هذا الباب وصار من الامور المتفق عليها ان يكون اى مفكر غربى قد تأثر بأحد مفكرى



العرب القدماء فهناك ربط بين ابن عربي الفيلسوف الصوفي واسبينوزا ثم ليبنتز وبين المعري ودانتي الايطالي وبين الغزالي وديكارت وبين الامام مالك ومشرعي القانون الفرنسي ... الخ .

وللامانة العلمية يجب أن أذكر أن الاوروبيين أنفسهم هم أول من انتبهوا الى ذلك من خلال العلوم والدراسات المقارنة التي ازدهرت عندهم . ولقد جاء هذا الانتباه من جهتهم في مرحلة التأزم التي تعيشها الحضارة الغربية المعاصرة والتي ظهرت بوضوح في حربين طاحنتين في هذا القرن فكان لابد من المراجعة لاصولهم ليطلعوا على مكوناتهم الحقيقية لمعرفة أساس الداء الحضاري الذي ينتابهم لعلهم يتلافونه ، ومن هنا كان اهتمامهم بالحضارة الفرعونية وحضارة بلاد الرافدين وبلدان الشرق الاقصى بسائر حضاراته ودياناته وأساطيره أيضا ، فضلا عن الحضارة الاسلامية .

ولا أشك في الغرض النبيل الذي حدا بأساتذتنا الاجلاء من وراء نقل مثل هذه الدراسات الينا خاصة د. بدوي والاستاذ العقاد فربما كان دافعهم هو منحنا الثقة في ذاتنا الحضارية وقدرتنا على الابداع لمحاولة السير على الطريق كما سار أسلافنا وربما كان ـ وهذا هو الاقوى ـ تشجيعا لنا في التعامل الفكري مع الحضارة الغربية المعاصرة والانتباه لما يمكن أن نأخذه منها .

ولكن بعد ذلك تناولت هذا الموضوع أقلام غير واعية لذلك بل تناولته بأسلوب « الردح » للحضارة الغربية فأخذته على أن الحضارة الغربية كلها مسروقة ومستلصة من عندنا وبالتالي يجب الابتعاد التام عن هؤلاء اللصوص ! والرجوع بكليتنا الى « سلفنا الصالح » فليس في الامكان أبدع مما كان . وطلعت علينا تلك الدعاوى التي تطالبنا بأن نعود الى تلك القرون البعيده لنعيش فيها وان « نهجر » هذه « الجاهلية » المحيطة بنا .

والتقينا

يا حبيبي ..
صرخ الطفل بأعماقي :
أغاف الليل .. يطويني دجاه
في بحار الوهم أمضي ،
مرفأ النور بعيد ..
أين مني ضفتاه
مر عقدان من العمر !!
ولم أعرف سوى الآلام ،
لحنا .. و لام
والتقينا .. !



فنطون اليأس عنى
كيف لا !
والفجر وضاح سناه
لم لا أحيا ..
وهذا الامل الدافئ يرعانى !
فاهلا .. بالحياه

اسماعيل الشيخة
مذيع باذاعة الاسكندرية

● الشعر الجديد ●

● وقعنا فى محنة أسوأ من محنة العصر العثمانى اذ ان شعراء ذلك العصر قد استبقوا قواعد الشعر ولكننا رغبة فى التغيير لاجل التقليد نقضنا ماغزل الاولون وجئنا بما لم يأت به الاوائل من شعر وقد أكون متجنيا بتسميته شعرا غث خال من كل قيمة جمالية أو فنية او شعورية شىء لا أستطيع وصفه قل هى الفاظ هلامية جمعت من المعاجم على طريقة حادى بادى » لاتصل بك الى غرض ولا توحى اليك بفكرة ويزعم صاحبها انه شاعر وثالثة الاثافى كما يقول الاقدمون أن تفتح لهم صدر المجلات الادبية ليلقوا فيها بكل ماتنتجه عقولهم من الغث والسمين .

والحرية فى الشعر لاتعنى الهروب من الوزن وانما تعنى السيطرة عليه واتقانه ، يقول الدكتور طاهر مكى « لكنى اعرف ان الشعراء فى مصر سبقوا اليه صدقا وقالوه كرها فعل حين كانت مجلتا الاداب وشعر فى بيروت تعيران صفحاتهما لكل من يخط حرفا مادام لايطلب مقابلا فامتلات اعمدتهما بشعر حر كثير لاناس لايعرفهم فى جملتهم احد » .

من هذين الموقعين بدأ الدكتور لويس عوض يمارس تأثيرا قويا فى الحياة هناك شىء آخر وهو ضياع اللغة على السنة هؤلاء تجوزوا مالايجوز من الاشتقاقات اللهم الا قلة منهم حافظت على سلامة اللغة والاوزان وتنكرت للقوافى .

ومع ذلك فهناك بعض البراعم الحقيقية تبشر بالخير ارجو أن تخترق الثرى وتؤتى ثمارها .

عبد الحميد على احمد
السنابسة - الوقف - قنا

● امبراطورية الماستر ●

● نشر « الهلال » مقالا للاستاذ محمود قاسم عنوانه : « امبراطورية الماستر » تعرض الى الموضوع من خلال نماذج من مطبوعات الماستر اثبتت وجودها وقدمت للســاحة الادبية اسماء ينتشر ابداعها وهو ما أكده كاتب المقال فى قوله « لا شك ان أبناء جيلنا قد استفاد من هذه الصناعة » .



الا ان ماهي الدوافع التي جعلت الكاتب يستخدم مصطلحات اقرب الى الارهاب الفكرى منها الى التناول الموضوعي مثل « له ملامح غريبة » ، « قلة الرقابة عليها . » « بدأ يختلط الحابل بالنابل » ، « هي اشبه بالمطبوعات السرية » هل لان كاتب المقال يجد الان هو والبعض من جيله النافذة الادبية مفتوحة امامه مما جعله يثور في وجه التجارب التي في بداية الطريق ؟

وبرغم أن اسم مطبوعة « نبضات » التي تصدرها « رابطة الشعراء والادباء الشبان » والتي أتشرف بالاشراف عليها جاء في راس المقال مع مطبوعة نادى القصة الا أن الكاتب تجاهلها بشكل مباشر وهاجمها بشكل غير مباشر ومعها كاتب هذه السطور بشكل وصل الى حد التجريح متعللا بتكرار الاسم الذى اقتضت ظروف المطبوعة في عددها الاول ذلك ولاثبات أحقية الرابطة في مشروعها المطروح للمناقشة بعد أن هاجمته احدى النافذة الصحفية وترك الكاتب مواد المجلة وراح يتأمل في الصورة التي لم يعجبه فيها « لوى الرقبة » واتهمني بالاعجاب بذاتي وشبهني بنجوم السينما ! .. واقول له : يدى على يدك للوصول الى ذلك !!

ولقد ضمن مقاله عدة اسئلة منها .. هل ظهر الماستر لان هناك ازمة نشر ؟!!

لماذا هذا الاصرار رغم عيوب الماستر من سوء طباعة وقلة اعداد المطبوع وصعوبة قراءته !! .. لقد طالعنا مقالا للشاعر وليد منير يؤكد فيه تعدد محتوى الظاهرة وعمق جذورها سياسيا وجماليا من منطلق الاستقصاء العلمي والرصد الموضوعي حيث اصدر الروائي جمال الغيطاني « رؤية حراسة » عن « آفاق ٧٩ » بطريقة الماستر وايضا فعل القاص يوسف القعيد نفس الشيء في « رباب لمنزل الرسم » ومن قبلهما القاص فؤاد حجازى الذى اصدر اول روايات الماستر في مصر « سجناء لكل العصور » واضاف أن جيل الماستر « كما تحلو التسمية عند المصنفين » افرز مبدعيه ونقاده على السواء دون جلبة او ضجيج في صمت نبيل وهو مادفع الاديب محمد صـــــادق أن يتهم صحفيي القاهرة بمحاربة التجارب الناجحة في اقاليم مصر لتظل الاضـــــواء مسلطة عليهم وهو ماجاء في مقاله « بين ادباء الاقاليم وصحافة الظاليم » في مجلة « مواقف » التي تصدر من بني سويف .

وذهب الاديب سمير الفيل الى أن الاصدارات النشطة للماستر هي صيحة وتعديل المسار الذى ظل يحاصر الادب الجاد في مدن مصر وقراها .

وفي راى للروائي محمود عوض عبد العال مؤسس احدى مجلات الماستر قال :

« ستظل الصحافة الادبية في مصر ملكا لقطاع محدود من ارباب الشلل والمعارف لكل اللذين لهم ميراث في ملكية وظيفة صحفية او أعلاميـة وهم لايمثلون قيمة حقيقية عندما نريد دراسة ابداعات الكتاب في مصر .

من هذه الاراء يمكن أن تتبين مردود الافعال والدافع الى اصرار الادباء على بقاء المطبوعات واستمرارها وكذلك يتضح لنا أن المقال أدخل القضية من الباب الخلفي للنقد في محاولة لتحجيم التجربة التي أدت دورها ولازالت والتي تعد مرحلة انتقالية في حياة الادباء ان صح هذا التعبير كما حرص المقال على ترسيخ وجهة نظر أصحاب المصلحة الاولى في رفض التجربة وهم اصحاب النجوم الاعلامية الذين لايشعرون باصحاب هذه التجارب .

صبرى عبد الله قنديل

● الى اصدقائنا ●

● ابراهيم عبد الحميدشاهين:

ـ ذكرنا في هذا الباب مرارا أن الهلال مجلة للأدب المكتوب باللغة العربية الفصيحة لا باللهجات العامية .. فنعتذر اليكم من عدم نشر ازجالكم ..

● يحيي عبد الرحمن غيث ـ المعصرة ـ حلوان :

ـ شعركم طريف وموزون ، ونعتذر لضيق المقام من عدم النشر ، ونعدكم بالنشر في أعداد قادمة .

● محمد خضر عرابي ـ جزيرة شندويل :

ـ نحييكم وننتظر رسائلكم القادمة ان شاء الله ..

● على السيد فايد .. شوقي فرج .. عبد المطلب عامر :

ـ نرجو قبول اعتذارنا بسبب ماترون من ضيق المقام ..

● خالد محمد غازى .. السيد محمد على عمر .. ابراهيم موسى عبد العاطي .. عبد الرحمن عبد المحسن البطة .. عبده محمد سلطان .. ابراهيم عبد الحميد شاهين .. ورلفت بروبى .. سويفي محمود .. أحمد عبد اللاه رفاعي .. عبده محمد سلطان .. عبد العزيز فليوة السحار .. ايهاب النجدي .. جاد وهيب ميخاليل .. طارق أحمد خليفة .. خليفة على اسماعيل :

ـ نشكركم على قصائدكم ، ونرجو الاهتمام بالاوزان واللغة ، فلا شعر ولا نثر بدون لغة صحيحة . . أما الشعر فلابد له من أوزان ولو كانت مجرد تفعيلات ، بشرط أن تكون هذه التفعيلات سليمة .. وهذا مع الاسف ماينقص اكثر ماقرأناه من شعركم .

● رمضان يوسف محمد سليمان ـ المعيد بكلية اللغة العربية بالزقازيق :

ـ ليس مطلوبا ان تكون جميع المجلات الادبية على غرار واحد .. أما الحصول على عدد من الهلال فيمكنك أن تحقق ذلك بالكتابة الى قسم الاشتراكات بدار الهلال ..

● محمد يونس القنيمى .. مجدى عبد النبي .. اشرف صالح سالم .. احمد حامد احمد :

ـ قرأنا قصصكم ، ونرى ان كتابة القصة القصيرة ليست بالامر الهين كما يتصور المبتدئون ، وان اتقان هذا الفن يحتاج الى موهبة وثقافة وصبر قبل النشر ..

المواصفات القياسية للعــازل الطبى « تبس » توكيد دائمــا أنــه الأمثل

اذا كنا فى الحلقات السابقة .. قد تناولنا العازل الطبى من حيث فعاليته فى منع الحمل .. ومن حيث انه يعمل واقيا للعديد من الامراض التناسلية والطبية الكثيرة .. وتناولنا طرق تداوله والـوسائل المتبعـة فى عمليـات التوزيع .. ثم عرضنا لطريقة صناعته والخامة التى يستعمل منها حتى يكون القارىء على بينة من كل شىء يؤكد سلامة العازل الطبى .. فاننا فى هذه الحلقة نعرض لجانب اخر له اهمية كبيرة فى الثقة بالعازل الطبى .. هذا الجانب هو المواصفات القياسية التى وضعت للتاكد من سلامته وبالتالى فعاليته فى منع الحمل .

توجد احدى عشرة صفة حددتها المنظمة الدولية للتوحيد القياسى ، يجب ان تتوافر فى العازل الطبى حتى يمكن الاعتماد عليه كوسيلة لتنظيم الأسرة .. سبع منها خاصة بطول العازل واتساعه وثبات لونه وقابليته للشد ومقاومته للانفجار وتعبئته وتغليفه وتخزينه . وهذه المواصفات السبع تم تحديد خصائصها واعتمدت من قبل المنظمة . وقد تحددت وسائل اختبار وجود ثقوب فى العـازل وكثافتـه وامكانيات تخزينه اقرتها المنظمة فى عام ١٩٨٣

وفى ضوء هذه المواصفات يتم تحديد مدى جودة المنتجات باجراء اختبارات على عينات من الانتاج . كما يجب ان تكون كل مفردات الانتاج متشابهة من حيث الشكل والطول والاتساع وشكل السطح الخارجى للعازل . وكل مجموعة انتاج يجب الا تزيد على ١٥٠ الف قطعة ولاتقل عن ٣٥ الفا . كما يشترط الا تزيد نسبة

عيوب الانتاج عن ٥ ٪ فى كل مجموعة

وتجرى اختبارات الطول والاتساع والكثافة معا . فانتاج الدرجة الأولى من العازل يجب الا تقل طوله عن ١٦٠ مم

وان يبلغ اتساعه ٨٥ مم وذلك عند قياس الطرف المفتوح .

اما انتاج الدرجة الثانية فيجب الا يقل طوله عن ١٥٠ مم واتساعه ٤٨ مم .. كما يجب الا يزيد وزن الدرجة الأولى عن ١٫٧ جم اذا كان سطح العازل املس أو ٢ جم اذا كان سطحه غير املس

وبالنسبة لاختبار الثقوب يعلق العازل من طرفه المفتوح ويملأ بـ ٣٠٠ سم(مكعب من الماء فى درجة حرارة الغرفة

وهناك اختبار اخر لثبات لون العازل وهو بسيط للغاية ، حيث يلف ورق نشاف ابيض حول العازل وهو مبتل ويترك لمدة ٢٤ ساعة لمعرفة ثبات اللون

وتعد قوة العازل مسالة هامة لذلك تجرى اختبارات خاصة عليها .. أولها هو اختبار مقاومة الشد ، حيث يعلق العازل فى حلقة اتساعها ٢٠ مم ويجب اجراء الاختبار قبل مرور ١٢ شهرا من تاريخ الانتاج . ويجب ان تصل المقاومة الى ١٧ ميجا باسكال ، وان تبلغ نسبة الاستطالة عند الانقطاع ٦٥٠ ٪ من عرض العازل قبل الشد .

واذا جرى الاختبار بعد ١٢ شهرا من الانتاج فيجب ان تصل مقاومة الشد الى ١٥ ميجا وان تبلغ نسبة الاستطالة الى ٦٠٠ ٪

اما الاختبار الثانى فهو عبارة عن ملء العازل بالهواء حتى ينفجر ، وإذا كان الاختبار يجرى فى الاثنى عشر شهرا الأولى من الانتاج فيجب ان تكون كمية الهواء اللازمة لقطع العازل ١٥ لترا

اما اختبارات امكانية تخزينه فهى كالآتى توضع العبوه وهى مغلقة فى فرن تصل درجة حرارته ٧٠ درجة مئوية لمدة طويلة ثم يحتفظ بالعبوة فى درجة حراره ٢٣ مئوية لمدة ٩٦ ساعة وتفتح العبوة بعد ذلك لنتاكد من صلاحية العازل .

اما عن شروط التعبئة والتغليف فتؤكد المنظمة العالمية للتوحيد القياسى على ضرورة تغليف كل قطعة من العازل الطبى بمعزل عن الاخرى ، مع ضرورة أن توفر العبوة الحماية والنظافة لقطع العازل اثناء تخزينه ونقله . ويجب الا تكون مواد التغليف تجذب الحشرات او لزجة قابلة للالتصاق . ويجب ان تحمل العبوة المنتج مع ضرورة كتابة ارشادات الاستعمال

ويجب أن يحفظ العازل فى مكان بارد جاف بعيدا عن المواد المستخرجة من البترول واذا ظهرت عليه بوادر التلف مثل التصاق جوانبه ببعضها فيجب الامتناع عن استعماله

وبعد فلعلنا قد تحدثنا عن العازل الطبى بما يكفى للتعريف به وبالجهود والعناية التى يحظى بها حتى يصل فى هذه الصورة التى يصلنا عليها .. تتوافر فيه كل عوامل الصلاحية للاستعمال والفعالية لتادية دوره بنجاح فى منع الحمل .. ولعل هذا يجعلنا نقول وبحق انه الأمثل دائما والى لقاء آخر بإذن الله مع اسرة المستقبل فى العدد القادم

الاشتراكات

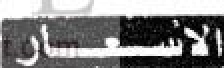
قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا - فى جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستانى عشرة دولارات

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب

القاهرة - تليفون ٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط . مجلة الهلال ت : ٦٢٥٤٨١





الأسعار

سوريا	٣٥٠	ق س
لبنان	٤٠٠	ق ل
الاردن	٤٠٠	فلس
الكويت	٤٥٠	فلسا
العراق	١١٠٠	فلس
السعوديه	٥	ريالات
السودان	٧٥٠	مليما
تونس	٦٥٠	مليما
المغرب	٨٠٠	فرنك
الجزائر	٦٥٠	سنتا
الخليج	٤٥٠	فلسا

غزة والضفة	٣٠	سنتا
الصومال	٥٠	بنى
داكار	٤٠٠	فرنك
لاجوس	٦٠	بنى
اسمرة	٤٥٠	سنتا
اليمن الشمالية	٥	ريالات
اديس ابابا	٤٥٠	سنتا
باريس	١٠	فرنكات
لندن	١٠٠	بنس
ايطاليا	١٤٠٠	ليرة
سويسرا	٣,٥	فرنكات

اثينا	٨٠	دراخمة
فلينا	٣٥	شلنا
فرانكفورت	٣,٥	مارك
كوبنهاجن	١٠	كرونات
استوكهولم	١٤	كرونة
كندا	٢٥٠	سنتا
البرازيل	٣٥٠	سنتا
نيويورك	٣٠٠	سنت
لوس انجلوس	٣٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت
هولندا	٤	فلورين
عدن	٢٥٠	فلسا


مصر للطيران
علم مصر في كل مكان
أكثر من
٥٠
سنة خبرة
مصر للطيران
في خدمتكم
أوربا - أفريقيا
آسيا - أمريكا
(البوينج ٧٦٧ - البوينج ٧٣٧ - البوينج ٧٠٧
الايرباص - الجامبو ٧٤٧)



تفخر بأن تقدم
انتاجها الجديد من الثلاجات
"بابين"
ايديال
IDEAL
ايديال ١٢ قدم تبريد ★★★
إذابة الثلج اوتوماتيكيا
+ ضمان
التسليم بأسبقية
تجميد ٨٥
٣٧٥ جم
+ النقل والضمان أو ٢٧٥ دولار
١٠،٤ قدم "بابين" تبريد ★★
٣٨٠ لترا
٢٩٠ جم + النقل والضمان
أو
٢٢٥
دولار أمريكي
التعاقد
تجميد ٨٥
فريزر بحجم ٧٠ لتر يمثل ٢،٥ ضعف الفريزر العادي
والغسالة فول أوتوماتيك
٥٢٠ جم بالنقل أو بالعملة الأجنبية
٣٥٧ جم أو ٢٧٥ دولار أمريكي
والمجففة المطورة
بالتايمر
٩٥ جم أو ٧٥ دولار
أولوية مطلقة في التسليم للحاجزين بالعملة الأجنبية
الحجز والاستعلام
توزع بمعارض الشركة وممثلينا بالدول العربية الشقيقة

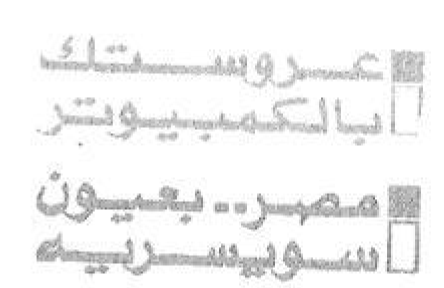
الهلال

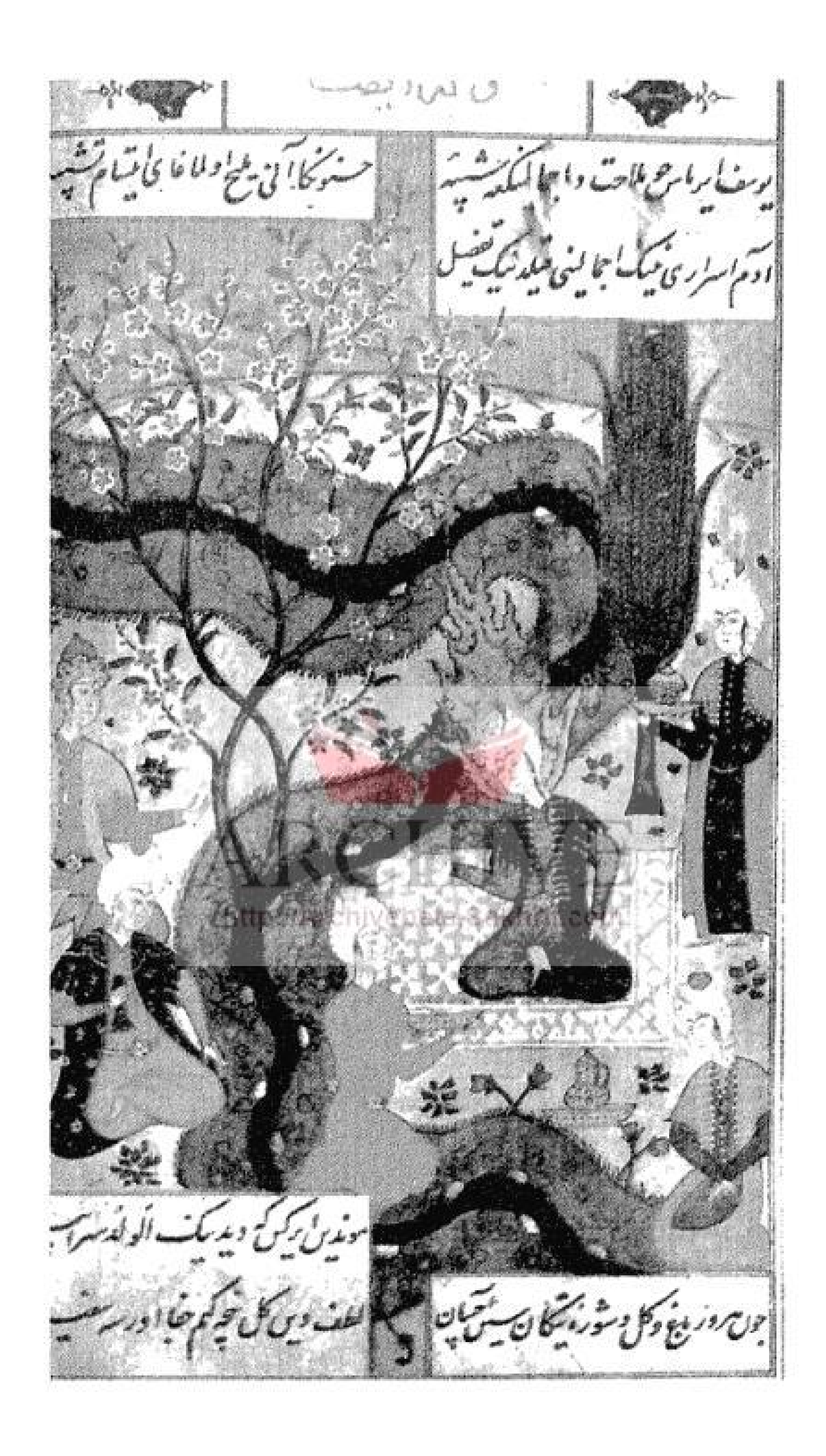
نوفمبر
سنة ١٩٨٥

الثمن
٣٠ قرشا













بلغ فن المنمنمات الاسلامية ذروته فى القرن الخامس عشر فى مدن أواسط آسيا ، واحتل مكانته فى تاريخ الفن فى العالم .. وهذه المنمنمات تعكس التراث الاسلامى ، وكانت تزين العديد من المخطوطات .. والتى تتميز بالخطوط الدقيقة ، ووضوح ورقة وتناغم الألوان ..

وهذه اللوحه من تبريز من القرن الخامس عشر عبر فيها الفنان عن احد قصص القرآن الكريم ، وهى من مجموعة المكتبة الوطنية فى باريس

الهلال

السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال أسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ - أول نوفمبر سنة ١٩٨٥ - ١٨ صفر ١٤٠٦

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المدير الفنى
عادل ثابت

سكرتيرا التحرير
موسى عبيد
عيسى دياب



جـزء خـاص عـن
السيرة والسنة

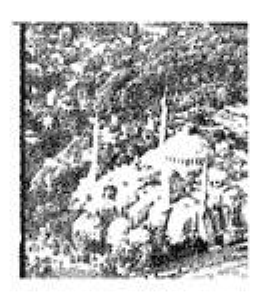


الفلسطينيون ص ١٥٦

فهرس

في هذا العـدد

● جزء خاص عن السيرة والسنة ●



اسـطنبول مـدينـة
التراث الاسلامى ص ١٢٣



جيمـس بـونـد
وحنا .. ك ص ١٤٨



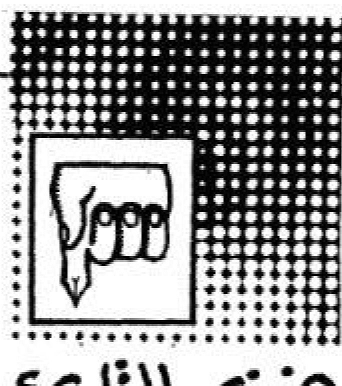


انا واهل الفن ص ٥٢

● شعر وقصة ●

● فن تشكيلى ●

● الابواب الثابتة ●



عزيزى القارئ

يقيم الأزهر الشريف فى هذا الشهر مؤتمرا عالميا كبيرا للسنة النبوية الشريفة التى لايجهل مكانتها فى الاسلام أحد ، فهى المصدر الثانى الذى يعتمد المسلمون عليه فى دينهم الذى هو عصمة أمرهم . وقد اجمع علماء الاسلام من قديم على أن الأخذ بالسنة النبوية قولاً وعملاً ، واجبٌ تماما كالأخذ بالقرآن الكريم ..

ويقدم علماء المسلمين فى هذا المؤتمر مائة بحث تقريبا ، ويشترك فيه اساتذة ذوو آراء خصبة ، وأساليب متنوعة ، يتوافدون من الأقطار العربية والاسلامية .. كما يشترك فيه بعض المستشرقين المسلمين كالأستاذ روجيه جارودى الذى سيلقى بحثه باللغة الفرنسية ، كما يلقى أربعة من المشتركين فى المؤتمر بحوثهم باللغة الانجليزية ، وتتم الترجمة الفورية لهذه البحوث على الحاضرين ..

وبهذا الاعداد العصرى للمؤتمر ، يكون هو المؤتمر الأول من نوعه فى المادة التى يبحثها من حيث الشكل والترتيب ، فضلا عن ضخامة عدد المشتركين فيه وكثرة ابحاثهم ..

أما من حيث مضمونه ومحتواه ، فإن من أهم المعانى الملحوظة فيه أن الاتجاهات « اللاهوتية » التجريدية لا أثر لها فى بحوث المشتركين ، فان علماء المسلمين قد وضعوا أيديهم على نبض قلوب عامة المسلمين وخاصتهم الذين باتوا يتطلعون إلى وجهة نظر معاصرة تلقى الضوء على الوظيفة التى أدتها السنة

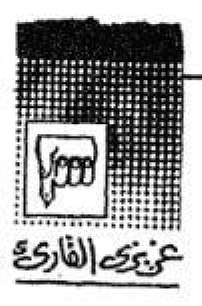
النبوية ممتدة عبر ألف وأربعمائة سنة ، وعبر مجتمعات وبلدان وتقلبات تاريخية لايمكن إحصاؤها ، حتى بلغت عصرنا ، عصر الفضاء ، وعصر القفزات التكنولوجية التى أصبح الانقلاب الصناعى فى القرن التاسع عشر ـ بالنسبة إليها ـ من مخلفات التاريخ ..

إن البحث الذى سيقدمه روجيه جارودى فى المؤتمر ـ على سبيل المثال عنوانه : « سنة الله وآخر الأنبياء محمد » .. ولروجيه جارودى كلمات مستفيضة جديدة المنحى فى كون محمد عليه السلام خاتم الانبياء ، اى آن النبوة خُتمت به وانتهى عصر النبوات منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، ولكن سنة الله التى شرحها النبى بكلماته المثبتة فى الكتب الصحاح ، والتى كانت تصرفاته فى حياته ترجمانا لها ودليلا ثابتا عليها .. هذه السنة قد امتد بها عمل النبوة خلال العصور المتعاقبة ، والأجيال المتوالية ، واتخذ منها أهل كل زمان ومكان نبْراسا على قدر اتساع أحوالهم وتطورها فى زمانهم ومكانهم ، أو ضيق هذه الأحوال وجمودها وعجزها عن الحركة إلى الأمام ..

هذه السنة النبوية العريقة هى الآن مطروحة بجملتها وتفصيلها على مسلمى السنوات الأخيرة من القرن العشرين وهم يطلون بعيونهم على القرن الواحد والعشرين ومايليه من أزمان متطاولة يتغير فيها وجه الأرض ، بل وجه الانسان نفسه كما يقول بعض المتنبئين بالمستقبل ..

لنتذكر مثلا أن المسلم يصلى متجها إلى « القبلة » وقد صعد أحد المسلمين فى سفينة فضاء ـ يملكها غير المسلمين ـ وصلى غير متجه إلى قبلة ، لأنه لا قبلة فى الفضاء حيث يدور الانسان حول الأرض بسرعة خرافية ، منعدم الوزن ، غارقاً فى ملابس الفضاء ، محترزاً من أدنى خطأ يخرجه عن مداره ..

وغدا أو بعد غد سيدور الانسان حول الزهرة والمشترى والمريخ ، حيث أرضنا هناك ـ منفصلة عن هذا الانسان ، انفصالا يقدر بمئات الملايين من الأميال ، ولا صلة له بأربعة أركانها ، أو بمكانها وزمانها وكأنه ليس من أبنائها ! ..



إن السنة النبوية ـ معززة بنص القرآن الكريم ـ لاتخذل الانسان المسلم فى مسألة كهذه ، ولا ترفع فى وجهه صكوك التحريم ، فحيثما تغيرت ظروف الحياة ، وقف المسلم حيالها موقفا عمليا ، فلا يتجمد على ظروف انقضت وتخطتها الحياة ..

نحن لانعرف حتى الآن مما سيقوله المشتركون فى المؤتمر إلا عناوين بحوثهم ، وأكثرها أكاديمى أو تقليدى ، ومراجعه القديمة معروفة ، ولكن بعض هذه العناوين يجنح للتجديد ، إلا أن المهم فى الحقيقة هو ماتحت هذه العناوين ، لأن لافتة الاتجاه الجديد قد تكون ذات عنوان قديم ..

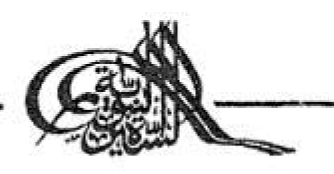
والمهم فى كل حال هو كيف يشارك المسلمون بإسلامهم فى التطورات العلمية والعملية الهائلة ، ولا يجفلون عنها بعد أن دخل فيها غير المسلمين وتوغلوا حتى سبقونا بأشواط بعيدة جدا ، تتقطع دونها الأنفاس ، لكن لابد لنا من اللحاق بهم ومن التقدم عليهم إن أمكن ، فبدون ذلك سوف يجد المسلم نفسه وحيدا غريبا مغلوبا على أمره ، وربما مطرودا من المجتمع الانسانى ..

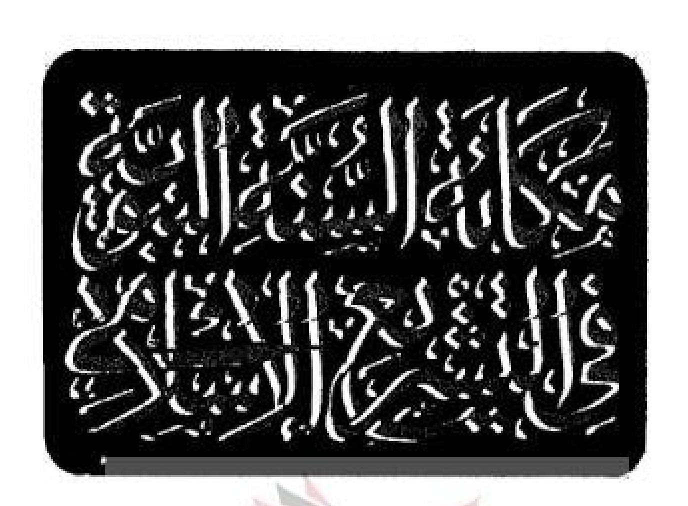
وعسى أن يكون هذا المؤتمر بداية لاهتمام إسلامى شامل بموقف الانسان المسلم من عصره وفى عصره ، وكيف يعيش فيه متقدما غير مقهور وغير مهدد بالطرد من الحياة ..

إن مؤتمر السنة النبوية والمؤتمرات الاسلامية التى سبقته والمؤتمرات القادمة التى نرجوها ، ينبغى لها أن تعزز وتوسع إجابة الانسان المسلم عن هذا السؤال : لماذا أنا مسلم ؟!

وهو سؤال قديم جديد يطرحه المسلم على نفسه ، ليجيب عنه للاخرين الذين كثيرا مايطرحون عليه هذا السؤال !







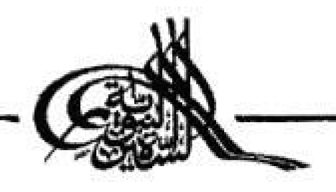
بقلم : فضيلة الإمام الأكبر

الشيخ جاد الحق على جاد الحق

السنة هى المصدر الثانى للتشريع والتى يحرص عليها المسلمون .

فى هذا المقال يتناول فضيلة الامام الاكبر الدليل على مكانة السنة فى التشريع الاسلامى كما ورد فى القرآن الكريم ، وفى كتب الحديث .





مكانة السنة النبوية

لفظ السنة معناه في لغة العرب : الطريقة ومنه قول الله تعالى : «١» «ولن تجد لسنة الله تبديلا » وبهذا المعنى: يطلق اللفظ على الطريقة المحمودة كما يطلق على الطريقة المذمومة .

وقد جاء في الحديث الشريف : « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » «٢» ، أما السنة في الاصطلاح الشرعي :

فهي ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير :

والسنن القولية هي ، أحاديثه التي نطق بها في مختلف الاغراض والمناسبات مثل قوله : « لا ضرر ولا ضرار » « ٣ ».

والسنن الفعلية هي أفعاله صلى الله عليه وسلم مثل أدائه الصلوات الخمس بهيئاتها وأركانها ، وأدائه مناسك الحج ، وسلوكه في القضاء وتقرير أصول المحاكمات .

والسنن التقريرية هي ما أقره الرسول عليه الصلاة والسلام مما صدر عن بعض أصحابه من أقوال وأفعال ، وذلك بسكوته وعدم انكاره ، أو بموافقته الصريحة ، وإظهار استحسانه ، فيعتبر بهذا الاقرار والموافقة عليه صادرا عن الرسول نفسه .

مثل ماروى من أن صحابيين خرجا في سفر ، فحضرتهما الصلاة ، ولم يجدا ماء فتيمما وصليا ، ثم وجدا الماء في الوقت فأعاد أحدهما صلاته ، ولم يعد الاخر. فلما قصا الامر على الرسول صلى الله عليه وسلم أقر كلا منهما على ماكان منه، فقال للذى لم يعد : أصبت السنة وأجزأتك صلاتك ، وقال للذى أعاد : لك الاجر مرتين .

حجية السنة : أجمع المسلمون على أن ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير وكان مقصودا به التشريع والاقتداء ـ وثبت نقله بسند صحيح يفيد القطع أو الظن الراجح بصدقه ـ يكون حجة على المسلمين ومصدرا تشريعيا يستنبط منه المجتهدون الاحكام الشرعية لافعال المكلفين.

وهذا يعني : أن الاحكام الواردة في هذه السنن تصبح مع الاحكام الواردة في القرآن واجبة الاتباع .

(١) من الآية ٣ من سورة الفتح

(٢) رواه مسلم كما في رياض الصالحين للنووى والطبراني في المعجم الكبير وغيرهما مع اختلاف في العبارة لوروده من عدة طرق .

(٣) رواه مالك والشافعي مرسلا كما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه والدار قطني في سننه .



دلائل حجية السنة ..

أولا : القرآن الكريم : فقد جاء في كثير من آيات هـذا الكتاب الكريم الامر بطاعة رسول الله ، وجعل طاعته طاعة لله سبحانه ، وامر المسلمين ـ اذا تنازعوا في شيء ـ أن يردوه الى الله والى الرسول ، ولم يجعل للمسلمين خيارا اذا قضى الله ورسوله أمرا ، ورفع وصف الايمان عمن لم يطمئن الى قضاء الرسول، ولم يذعن له وذلك كله وغيره برهان من الله سبحانه على أن ما شرعه رسوله هو تشريع الهي واجب اتباعه والاذعان له .

وفي القرآن كتاب الله ايات كثيرة في هذا الباب منها قوله تعالى :

« قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين » (٤)..

وقوله « من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا » (٥) ..

وقوله : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » .. (٦) ..

وقوله : « ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » (٧)

وقوله : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » (٨) ..

وقوله : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٩) ..

وقوله : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (١٠) ..

فهذه الآيات وغيرها تدل ـ باجتماعها وتساندها وتكاملها ـ دلالة قاطعة على أن الله أوجب اتباع رسوله فيما شرعه .

ثانيا : ان في القرآن الكريم فرائض مجملة ، لم تفصل أحكامها ، ولا كيفية أدائها . كالصلاة والزكاة والصوم ، فقد جاءت النصوص دون بيان كيفية اقامة الصلاة ، وعددها ، ومواقيتها . والاموال التي تجب فيها الزكاة ومقدارها وشروط الوجوب ، وبعض أحكام الصوم والحج فصلت في القرآن الكريم دون البعض ، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الاجمال بسنته قولا وعملا، حيث منحه الله سبحانه سلطة هذه الابانة ، بقوله تعالى :

« وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » (١١)..

فاذا لم تكن هذه السنة البيانية حجة على المسلمين وشرعا واجبا اتباعه لتعذر تنفيذ ما فرضه الله في القرآن ، وتعذر كذلك اتباع أحكامه .

وانما وجب اتباع هذه السنن باعتبارها صادرة من الرسول ، ورويت عنه بطريق يفيد القطع أو الظن الراجح بورودها عنه صلى الله عليه وسلم .

---

(٤) الآية ٣٢ من سورة آل عمران ..
(٥) الآية ٨٠ من سورة النساء ..
(٦) الآية ٥٩ من سورة النساء
(٧) الآية ٣٦ من سورة الاحزاب
(٨) الآية ٧ من سورة الحشر
(٩) الآية ٨٣ من سورة النساء
(١٠) الآية ٦٥ من سورة النساء
(١١) الآية ٤٤ من سورة النحل



مكانة السنة النبوية

ومن ثم : كانت كل سنة تشريعية صحيح صدورها عن الرسول حجة واجبة الاتباع ، سواء كانت مبينة حكما فى القرآن أو منشئة حكما سكت عنه القرآن الكريم ، لانها جميعا مصدرها الرسول المعصوم الذى منحه الله سلطة التشريع وبيان ما نزل الى الناس .

هذا وتعتبر السنة – من جهة الاحتجاج بها واستنباط الاحكام الشرعية منها – المصدر الثانى ، أى التالى للقرآن الكريم ، بحيث أن المجتهد لا يرجع الى السنة للبحث عن حكم واقعة الا اذا لم يجد فى القرآن حكم هذه الواقعة ، لان القرآن اصل التشريع ومصدره الاول ، فاذا نص على حكم اتبع ، واذا لم ينص على حكم واقعة كان الرجوع فى شأنها الى السنة ، فان وجد فيها الحكم اتبع .

ويؤكد هذا حديث معاذ بن جبل – رضى الله عنه – حين بعثه الرسول – صلى الله عليه وسلم – الى اليمن قاضيا حيث سأله : « بم تقضى اذا عرض لك القضاء ؟ » فقال : بكتاب الله . قال: فان لم تجد » قال : فبسنة رسول الله . قال : فان لم تجد قال : اجتهد رأيى ولا آلو .. وقد اقر الرسول قوله هذا وسر به «١٢» .

وما جاء فى السنة من أحكام منسوبا الى القرآن لا يعدو واحدا من ثلاثة انواع :

● أن تكون سنة مقررة ومؤكدة حكما فى القرآن ، فيكون الحكم له مصدران ، وعليه دليلان ، دليل مثبت فى القرآن ، وآخر مؤكد له فى السنة .

ومن هذا : الأمر باقامة الصلاة وأداء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، والنهى عن الشرك بالله وغير هذا من المامورات والمنهيات التى دلت عليها آيات القرآن وأيدتها السنة .

● وقد تكون السنة مفسرة ومفصلة لما جاء فى القرآن مجملا ، او مقيدة لما جاء مطلقا ، أو مخصصة لما جاء فيه عاما ، وذلك كالسنن التى بينت مواقيت الصلوات أركانها وهيئاتها وأنصبة الزكوات وأنواع الاموال ومناسك الحج حيث جاءت هذه الفرائض مجملة والامثلة فى هذا كثيرة .

● وقد تأتى السنة منشئة أو مثبتة لحكم سكت عنه القرآن : « وما كان ربك نسيا» «١٣» فيكون هذا الحكم ثابتا بالسنة فقط كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها او خالتها وتحريم كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير ، وتحريم لبس الحرير والتختم بالذهب على الرجال ، وحديث : « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » . وهذه الانواع من السنن هى ما قال عنه الامام الشافعى رضى الله عنه فى رسالته فى الاصول .. « لم أعلم من اهل العلم مخالفا فى أن سنن النبى صلى الله عليه وسلم من ثلاثة وجوه :

أحدها : ما انزل الله عز وجل فيه نص كتاب ، فسن رسول الله مثل مانص الكتاب .

الآخر : ما أنزل الله عز وجل فيه جملة فبين عن الله معنى ما أراد. والوجه الثالث : ما سن رسول الله مما ليس فيه نص كتاب .

---

(١٢) سنن أبى داود فى كتاب الاقضية.
(١٣) سورة مريم من الآية «٦٤»

■ القرآن أصل التشريع ومصدره الأول ، فإذا نص على حكم اتبع ، وإذا لم ينص على حكم واقعة كان الرجوع فى شأنها الى السنة

ثالثا : ادلة وجوب الاحتجاج بالسنة :

اجماع الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ فى حياته وبعد وفاته على وجوب اتباع سنته ، فقد كانوا فى حياته يمضون احكامه ، وينفذون اوامره ونواهيه وتحليله وتحريمه ، لم يفرقوا فيه فى وجوب الاتباع بين حكم جاء فى القرآن وحكم صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه ، وقد نقل صحيحا ان ابابكر بعد ان ولى الخلافة كان اذا لم يحفظ فى الواقعة التى تعرض عليه سنة خرج الى المسلمين فسأل : هل فيكم من يحفظ فى هذا الامر سنة عن نبينا ، وكذلك كان يفعل عمر وغيره من الصحابة ممن تصدوا للفتيا وللقضاء ، وكذلك من التابعين وتابعيهم بحيث لم ينقل ، بل ولم يعلم ان أحدا ممن يعتد به منهم خالف فى أن سنة رسول الله اذا صح نقلها وجب العمل بها واتباعها .

ونخلص مما سلف الى أن الاحكام التى وردت فى السنة . اما ان تكون احكاما مقررة لنا فى القرآن ، أو احكاما مبينة لها ، أو احكاما سكت عنها القرآن اظهر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حكم الله فيها .

ومن ثم . فلا يمكن أن يقع تعارض أو تخالف بين أحكام القرآن والسنة . وهى تالية للقرآن فى المكان والمكانة حيث وضعها الله وأعلى مكانتها بعلو مكانة الرسول : أليست كلمة التوحيد : أشهد ان لا اله الا الله ، وان محمداً رسول الله ..

وصدق الله : « ورفعنا لك ذكرك » (١٤) .. صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم .

---

(١٤) الآية ٤ من سورة الشرح .



العقل ودوره في مذهب أهل السنة



كان من اهم ما قدمه اهل السنة الى الفكر الاسلامي على امتداد تاريخه ، موقفهم من دور « العقل » في الوصول الى فهم القرآن الكريم فهما صحيحا ، ولئن يكن هذا الموقف قد اختلف في بعض تفصيلاته بين الائمة من أهل السنة ، الا أن بينهم جميعا مبدأ مشتركا ، يمكن ايجازه في قولنا انه اذا لم يكن ظاهر الآية متفقا مع حكم العقل ، لجأنا الى التأويل ، لنصل به الى معنى يتفق مع ذلك الحكم العقلي ، دون أن نتعسف في اخراج الالفاظ عما تقتضيه لها ضرورات اللغة . ولا يلجأ الى مثل ذلك التأويل ، اذا كان ظاهر الآية كافيا للوفاء بمعنى مقبول عند العقل وأما ما استعصى عليه موافقة أحكام العقل من آيات الكتاب الكريم ، فيكون قبوله « ايمانا » .

حول هذا المحور ، جاءت مواقف الكبار من أهل السنة ، بدءا من ابي الحسن الأشعري ، وحتى الشيخ محمد عبده مرورا بالائمة الكبار ، من امثال الباقلاني ، والجويني امام الحرمين ، والغزالي حجة الاسلام ، فلقد خرج أبو الحسن الأشعري (القرن الرابع الهجري) على مبدأ المعتزلة ، من حيث المدى الذي أراد المعتزلة أن يذهبوا اليه في احتكامهم الى العقل حتى لقد كانوا يصطدمون أحيانا بنصوص قرآنية واضحة وقاطعة في معناها فيحاولون الدوران حولها وصولا الى ما اعتقدوا انه حكم العقل ، فوقف الأشعري موقفا يتسم بالاعتدال ، وكان ذلك في كتابه « مقالات الاسلاميين » ، واصبح موقفه ذاك اساسا لمذهب اهل السنة فيما بعد ، ولقد أجمل الأشعري في كتابه هذا ، خصائص مذهبه فيما يلي :

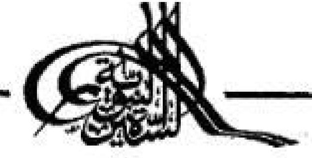
« قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها ، التمسك بكتاب الله ، وسنة نبيه ، (صلى الله عليه وسلم) ، وما روى عن الصحابة والتابعين ، وائمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ..

واهم ما يتالف منه مذهب الأشعرى هو انه جعل لله سبحانه وتعالى ما يليق به ، دون ان يهدر حق الانسان فى استخدامه لعقله فموقفه وسط بين المعتزلة فى طرف ، ومن لم يتركوا للانسان مجالا يدرك فيه بالعقل ما يفسر به الوحى ، فى طرف اخر .

وكان لأبى حامد الغزالى وقفة شبيهة بوقفة الأشعرى ، فهو يرى ضرورة الوقوف عند ظاهر النص اذا لم يكن فى المعنى المباشر ما يتناقض مع حكم العقل ، فاذا تعذر ذلك لجأنا الى التاويل فى اضيق حدوده ، وكان من اهم مؤلفات الغزالى فى مقاومة الاسراف فى التاويل ، كالذى عرفت به « الباطنية » ، كتابه « فضائح الباطنية » الذى ساق فيه الحجة بعد الحجة ، على ان المبالغة فى تاويل الظاهر بباطن يزعم له انه وراء ذلك الظاهر ، انما هو طريق يؤدى بنا الى التشعب فى فهمنا للكتاب الكريم ، ويتساءل الغزالى فى هذا الصدد قائلا ما معناه : كيف يريد انصار « الباطنية » ان يكشفوا عن معنى خاف وراء الظاهر ؟ هل يحدقون بانظارهم فى الكلمات ؟ ولماذا يجاوزون ظاهر اللفظ اذا كان ذلك الظاهر كافيا ولا يتنافى مع منطق العقل ؟

ونرى هذا الموقف نفسه عند الشيخ محمد عبده ، فى كتابه « الاسلام والنصرانية » ، فهو يذهب فى وضوح الى انه اذا تناقض ظاهر النص مع « العقل » ، لجأنا الى التاويل ، لنصل الى معنى مقبول عند العقل ، دون اعتساف فى الخروج باللغة عن طبيعتها ، واذا تعذر ذلك ، لم يكن لنا بد من التسليم الايمانى ، بان عند الله سبحانه علم ما استغلق علينا فهمه على اساس عقلى .

والسؤال الذى يجب ان نلتمس له اجابة واضحة ، هو : وماذا يراد « بالعقل » فى سياق هذا الحديث ؟ وربما كان اوجز طريق ، واوضحه ، للاجابة عن هذا السؤال أن العقل هو ما اثبته العلم ، او ما يمكن أن يخضع لمنهج العلم فى الاثبات ، وبهذا يكون ما ورد عند ائمة أهل السنة فى هذا الصدد ، معناه كما يلى : اذا جاء النص غير مناقض لنتيجة اثبتها العلم ، قبلناه بظاهره ، وانما اذا وجدناه مناقضا لحقيقة اثبتها العلم ، او مناقضا لما يمكن تناوله بمنهج العلم ، حاولنا التاويل ،واذا تعذر علينا ذلك التاويل، قبلناه على اساس الايمان ، فعلمه ــ عندئذ ــ هو عند الله سبحانه وتعالى .





أديب العرب الأول

بقلم : د. إبراهيم عوضين

« انا افصح العرب »

جملة قالها محمد صلى الله عليه وسلم في مواجهة من وقفوا له بالمرصاد ينقبون عن سقطة له يتخذون منها سلاحا يستعينون به على حربه وايقاف مده المستمر من بيت الى بيت ومن قبيلة الى قبيلة .

ولو وجد هؤلاء المعاندون في تلك الجملة شبهة من خروج على الواقع او تجاوز للحقيقة لجعلوا منها سلاحا يواجهونه به ، ويكشفون كذبه ، مستثيرين العرب ضده ـ وهم من هم فصاحة واعتزازا بان يشتهروا بين جيرانهم بذلك ـ ولكن احدا من هؤلاء او اولئك لم يجد في عبارة محمد تلك مايؤخذ عليه او يلفت النظر ، فهي تقرر حقيقة مسلمة ، لا يستطيع عربي ان يعترضها ، او يزعم خلافها بل ان ما اثر عن صحابته ليؤكد خلوص هذه العبارة من شبهة المبالغة .

لقد روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال :

« ما سمعت كلمة غريبة من العرب الا وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمعته يقول : (مات حتف أنفه) وما سمعتها من عربي قبله » .

ولما قدمت وفود العرب على النبي صلى الله عليه وسلم ، قام طهفة ابن أبي زهير النهدي ـ وهو خطيب مفوه ـ فتكلم بكلام غريب من لغة قومه . أجابه صلى الله عليه وسلم بمثله ، ودعا له . فقال له علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : يا رسول الله نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره . فقال صلى الله عليه وسلم : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » .



وما أثار دهشة علي بن أبي طالب فدفعه الى هذه التساؤلات ، أثار دهشة أبي بكر رضي الله عنه ـ وقد كان في علم العرب وأنسابها وأخبارها ولغاتها وآثارها الغاية التي يوقف عندها ـ فقال له :

« لقد طفت على العرب ، وسمعت فصحاءهم ، فما سمعت أفصح منك ، فمن أدبك ؟

قال : « أدبني ربي فأحسن تأديبي »

ومن هذا المنطلق تردد في العصر الحديث صوت الأديب والمفكر الفرنسي (فيليب كاردينال) الذي نقلته صحيفة الأهرام الصادرة في ١٩٨٤/١/١٣ يعيد هذا المضمون الذي يصور فصاحته صلى الله عليه وسلم ، في قوله :

« أعتقد ـ كأوربي دارس للأساليب اللغوية المعاصرة ـ أن أسلوب هذه الاحاديث ـ يعني الأحاديث النبوية ـ هو أسلوب متفرد تماما ، يدفعنا دفعا الى اعادة صياغة وحداتها أو تطورها لادخالها في بناء الرواية اللغوي . ويمكننا حينئذ أن نستفيد بهذه اللغة في اعادة النظر الى لغتنا المعاصرة » .

ويستطرد الاديب الفرنسي فيقول :

« استطيع القول ـ بدون مبالغة ـ ان الاحاديث النبوية أحدث أسلوب أدبي في العالم المعاصر » .

ويتوج كلام هذا وذاك في وصف بيان محمد صلى الله عليه وسلم ما وصفه به القرآن الكريم في نحو قوله تعالى :

ـ « قل : يا أيها الناس انما أنا لكم

نذير مبين » (٤٩ الحج)
« فان تولوا فانما عليك البـــلاغ المبين » (٨٢ النحل)

فربط الانـــذار والابلاغ بالابانة ، يكشف عن اهمية الابانة او الفصاحة لاسلوب الدعوة ، ويعني ان الابانة واحدة من خصائصه صلى الله عليه وسلم التي جعلت منه ـ دون غيره ـ المصطفى لتلقي وحي ربه ، والقيام بين الناس بالدعوة اليه ·

فاذا وجهنـــا النظر الى بيـــانه صلى الله عليه وسلم لنتعرف علىمكانه من اجناس البيان العربي المعهود ·· وجدنا انفسنا امام اجناس بيانية لا عهدللعرب ـ ولا لغير العرب ـ بالكثير منها على هذا المستوى المتسق المحكم·

فالبليغ في الامة يسير ذكره حيـن يمتاز على غيره بجملة وببضع جمل ، ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم قدم لامته في المفـــردات اللغوية ما يملا معجما لغويا ، وفي التراكيب ما يملا اسفارا ليقف السابق واللاحق خلفـه ـ كما رأينا ـ دون منازع ·

وما يختلف فيه محمد صلى الله عليـــه وسلم عن غيره من الفصحاء المبينين ان كل اديب فصيح يقصد الى ان يتسلق الى القمة ليكون المقدم على من ينافسهم او من ينافسونه !

اما محمد صلى الله عليه وسلم فانه ـ في كل ما قدم من الاساليب البيانية ـ لم يضع نصب عينيه شخصا ما يريد التفوق عليه ، او اللحاق به ، او التوافق مع قوانينه وقواعـــــده الفنية ، فما قصد من وراء بيانه تميزا بيانيا ، ولا تفوقا تعبيريا ، وانما كان قصده الابانة التي هي احدى وسائل رســـالته ، فما نطق بكلمة الا كـــان قصده من ورائها أن يصل بهـــا الى سامعيه ·

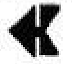
من ثم تميز بيانه صلى الله عليـــه وسلم بمراعاة ما يقتضيه حال المتلقي مراعاة وافية شاملة ، تعتمد على ما اوتيه من فطرة بيانية هذبها تتلمـذه على البيان القرآني ايمـــا تهذيب ، فحقق لبيانه اهم ما يسعى اليـــــه الاديب من الاقناع والامتاع ·

وما ذلك الا لانه كان يقول ما يقول وليس هنـــاك ما يشغله سوى الوصول الى سامعيه بمضمون ما يقول ·

اما غيره فيقول ما يقول وهـــو مشـــغول الذهن بالقصد الى تحقيق التميز والتفوق ، أو اللحاق بهذا أو ذاك ، أو التوافق مع هـــذا الناقد أو الخروج عليه ·

فاذا كان الاديب لا يصـــل الى ما يريد الا بكد الخاطر ، وطول الاناة ، وتقليب الكلمات والعبـــارات لينتقي ويختار ، حتى يقع على ما يلفت اليـه الانظار ، أو يحفظ له مكـــانه بين معاصريه ··

فان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يصدر في بيانه خالصا من كـــل هذه الشواغل العارضة ، مستمدا ذلك من فطرته التي هذبها القرآن ، منطلقا في طريق واضح المعالم ، فحقق لبيانه عنصري الابانة الفنية ـ الاقنـــــاع والامتاع ـ على كل المستويات ، في عصره وفيما تلاه من العصور الى العصر الحديث ، وفي بيئته وفي كـل البيئات الاخرى ، من غير حاجة الى ما فرضـــه الادباء على انفسهم من



المراجعة ومعـــاودة النظر للتنقيح والاصطفاء .

ولانه صلى الله عليه وسلم انمـــا تمد الابانة بكل كلمة صدرت من فيه ، اتجهت به فطرته المبينة فى كل موقف الى ما يناسبه من ألوان البيـــان ، بحيث أثر عنه من البيان ما يعالج الموضوع الواحد بأكثر من شكل بيانى .. وما ذلك الا لان الموقف فى هـــذه الحالة يختلف عنه فى تلك ، فهو فى هذه الحالة يتطلب لونا بيانيا يعتمـد على الايجاز ، لكنه فى الحالة الاخرى يتطلب بيانا مفصلا مسهبا .

من ثم ضم البيـــان النبوى ألوانا مختلفة من فنون البيان ، دون تباين بين هذه الفنون ، فهى كلهـــا على مستوى واحد من الدقة والاحـــكام ، والقدرة على الوصول الى المتلقى من اقرب الطرق واقواها تأثيـرا ، على النحو الذى فتن المعاصرين واللاحقين المنصفين من العرب ومن غير العرب ، على نحو ما اشرنا آنفا .

فليس غريبا أن يجد الدارس فى البيان النبوى الحديث المباشر الى جوار الخطبة ، والقصة ، والحــوار التمثيلى ، والرسالة ، والعهـــد المكتوب ، والوصية ، والابتهال .

وليس غريبا أن يجد الدارس فى البيان النبوى الاعتماد على الاسلوب التقـــريرى الى جـــانب الاسلوب التصويرى ، أو يجد الصورة الفنية بكل ابعادها الفنية القديمة والحديثة .

ليس غريبا هذا وذاك ، لان محمدا صلى الله عليه وسلم كان على وعى تام بالغاية من بيانه ، فهو يتوسل بالبيان ليعالج القضية الاساسية فى حياته وهى قضية الرسالة والدعوة اليها فالوصول بها الى المتلقين هو الشغل الشاغل له فى كل حالاته ، وكان عليه أن يتلمس طريقه الى المتلقى معتمـدا على فطرته المبينة الصادقة التى كانت واحدة من مميزاته صلى الله عليـــه وسلم .

فالابانة اذن لم تكن عنده غـــاية - كما هى عند الآخرين - وانما هى وسيلة يستعين بها على أداء الرسالة .

من ثم امتاز بيانه صلى الله عليـه وسلم بوحدة الموضوع ، فالبيـــان النبوى - على تعدد فنونه - يدور داخل اطار واحد ، بحيث لا تخرج جمـــلة واحدة عن دائرة (الدعـوة الى دين الله ، والقيام عليه ، والتوضيح لمبادئه ، والحض على التمسك بقيمه) .

فما سمع منه صلى الله عليه وسلم - فى أخص خصوصياته البشرية - الا ما يبشر بهذا الدين ، ويتصل به من قريب أو من بعيد .

ولا ريب فى أن الموضوع الواحـــد يلزم الاديب بمنهج بيانى مبين يلائم هذا الموضوع الواحد فى عمله ، فاذا كان فى كل اعماله ملتزما بموضوع واحد فهو معرض اذن للوقوع فى خطر التكرار الذى يقضى على العمل الفنى ويصيبه بأسباب الملل .

ولكن الناظر فى البيـــان النبوى - على امتداده - فى موضـوعه الواحد ، لا يكاد يحس تكرارا ، ولا يشعر بشىء أى شىء من الملل ، فهـو أمام بيان متجدد ، يجد فى هـــذا ما لا يجده فى ذلك ، وان كان فى الحالتين لم يخرج على الاطار العام ذى الموضوع الواحد .



فبدلا من أن يتولــــد عن وحدة الموضوع هذا التكرار الممل ، تولد عن تلك الوحـدة التزام كل فرعياته بما يلائم هذا الموضوع الواحــد من وسائل بيانية جرسا وايحاء ، ولفظا ونطقـــا ، ومعنى وفكرا ، وصـــورة وخيالا ..

أما التكرار فى البيان النبوى فلم يكن التكرار الممل المعهود فى الاعمال الفنية ، والذى يعيبه النقـــاد على الاديب ، ولكنه كان واحـــدة من الخصائص التى يمتاز بهـــا بيانه صلى الله عليه وسلم .

فالتكرار فى البيان النبوى ليس مظهرا من مظاهر الضعف البيانى ، ارغم عليه المبين ، دون قصد منه ولكنه وسيلة مقصودة تطلبتها الدعوة .. اذ الدعوات الجديدة دائمـــا فى حاجة الى تقرير وتأكيد للتعريف بهـا وتثبيتها فى عقول المتلقين وقلوبهم .

والذى يبعد هـذا التكرار عن الملل والسامة ، أو يبعد الملل والسامة عنه هو قـــدرة المبين على التلوين فى العـــرض ، والابداع فى التصوير والصـــدق فى التعبيـــر ، والادراك الواعى للغاية منه ، بحيث يجد المتلقى من عناصر التشويق فى العـــرض والتلوين ما يشغله عن التكرار .

فالذى يتلقى قوله صلى الله عليـه وسلم :

« أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصــلاة ، فان صلحت صلح سائر عمله ، وان فسدت فسد ســائر عمله » .

وقوله : « الصلاة . الصلاة . وما ملكت أيمانكم » .

وقوله : « أرايتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل منـــه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شيء ؟.. قالوا : لا يبقى من درنه شيء . قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » .

الذى يتلقى هذه الاحاديث الثلاثة يجد نفسه امام نصوص ثلاثة تقـــدم فكرة واحـــدة ، فهى فكرة كررت ، لكنها فى كل مرة البست ثوبا بيسانها جديدا كل الجدة ، بحيث لا يحس معها المتلقى بالتـــكرار ، على الرغم من وضوحه وبروزه .

هذا الى انه صلى الله عليه وسلم ما غاير فى الاسلوب بقصد المغـايرة الاسلوبية - الامر الذى يحول البيان الى صنعة ممجوجة - ولكنه غاير فى الاسلوب بقصد الوصول بالفكرة الى المتلقى ، فهو فى المرة الاولى يثيـر فى الانسان مخاوفه ، فينتقل به الى يوم القيامة ليريه أهمية الصلاة فى ذلك اليوم . وفى الحديث الثـــانى يحض على الصلاة بطريق الاغـراء المباشر الصريح . وفى الحديث الثالث يكشف للانسان عن أثر الصــلاة فى حياته معتمـــدا على التمثيـــل المقرب ، والتصوير المجسم الـــذى يبرز المعنويات فى صورة مادية حية ، يراها ويحسها ويتعامل معهــــا من يتلقاها .

وهكذا عالج الفكرة الواحـــدة بالاسلوب التقريرى المبـاشر مرة ، وبالاسلوب التمثيلى المصـــور مرة اخرى ، دون أن يكون وراء ذلـك دافع التفوق الفنى ، اذ الغـــاية من ذلك هى الوصول الى المتلقى بالفكرة .



ومن ثم ضم البيان النبوى ألوانا مختلفة من الفنون البيانية ، من غير قصد اليها لذاتها ، فليست الخطبة في البيان النبوى مقصودة لميل منه معين الى الخطبة ، اذ يجد نفسه فيها دون غيرها — كما يقول النقاد — وكذلك الحال بالنسبة لفنون البيان الاخرى التى برز فيها البيان النبوى ، فهى جميعها وسائل بيانية يفرض الواحد منها ظروف خاصة في الموقف ، فيتجه اليه صلى الله عليه وسلم بحسه الفطرى ، متوسلا به للوصول الى متلقيه من أقرب الطرق إليه ، وأوضحها له .

ولذلك عجز الدارسون والنقاد عن أن يخصوا بيانه صلى الله عليه وسلم بفن من فنون التعبير ، دون آخر ، باعتباره الفن الغالب على بيانه ، أو البارز فيه ، اذ كل ما في بيانه من الفنون النثرية على مستوى واحد ، قوة وأداء واقبالا منه صلى الله عليه وسلم .

وعلى العكس من ذلك نجد من سواه من البلغاء المبينين في عصره وفي غير عصره ، يحصر الواحد منهم في فن بعينه ، يدور معه ، ويبرز فيه ، ويشتهر به ، بحيث يرتبط الفن بشخصه ، أو يرتبط هو بهذا الفن ، اذ الفنون الاخرى في بيانه لا ترقى الى مستوى هذا الفن الذى خص به ، فيقال : هذا أديب قاص ، وهذا أديب مسرحى ، وهذا أديب خطيب .. الخ .

●

من ثم يتضح انه صلى الله عليه وسلم يعلو ببيانه على مقررات الناقدين وقواعدهم النقدية ، ومقاييسهم الفنية ، لانه — في بيانه — لم يخضع للاعراف النقدية ، ولم يحتذ هذا ولا ذاك ، فهم جميعا يؤسسون هذه المقاييس ، ويستنبطون تلك القواعد من النظر فيما تحت أيديهم من النتاج الادبى ، فيقررون اليوم ما ينقضونه غدا ، وما ينقضونه اليوم قد يكون مقبولا امس ، لان الاديب والناقد كليهما يحرص على الانتقاء والاحتذاء تحقيقا للمنافسة والمسابقة .

بخلافه صلى الله عليه وسلم ، فهو انما يقصد الابانة ... دون أى شىء آخر فهو البيان الادق ، والاحكم ، والاصدق .

وهو صلى الله عليه وسلم افصح العرب ... والعجم !



من روائع السيرة النبوية

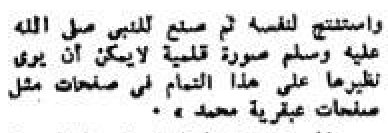
الرسول يبكي ولده ابراهيم

بقلم : د . محمد رجب البيومي


عباس العقاد

حظيت السيرة النبوية باوفى نصيب من التسجيل التاريخى والتحليل الادبى فى القديم والحديث لان مواقف رسول الله كانت من الروعة البالغة بحيث جلبت اليها اقلام المفكرين عن طواعية دافعة ، اذ شاقهم ان يغوصوا على اللآلىء المكنونة فى سيرة هذا النبى العظيم ، ولم يكن تعدد الكاتبين ، وتنوع الدارسين مدعاة سأم للقارىء المستوعب ، لان لكل كاتب جدير بهذا الوصف مرآته الذاتية التى تريه من الملامح الخاصة ما يغيب عن سواه لذلك تجد الموقف التاريخى الواحد لايفقد جدته عند الكاتب الاصيل، اذيلهمه من العواطف الذاتية ما يجعل قارئه يشهد الجديد الطريف اذ يقرأ الحدث القديم.





توفيق الحكيم　　د. حسن الزيات

ولعل هذا العصر كان من أحفل العصور وأشدها اهتماما بتاريخ الرسول ، لان سيرته الطاهرة لم تنحصر فى نطاق التخصيص من أساتذة التاريخ ، بل جذبت اليها كبار الادباء من ذوى التصوير الناطق والتحليل المتعمق والتعبير الشفاف ، ونريد اليوم ان نعرض لموقف من مواقف صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، لنرى كيف ظهر فى مرايا الكاتبين من أدباء هذا العصر ، ويضيق المجال عن تتبع هؤلاء ، فيحتم علينا أن نقصر الحديث عن الرواد منهم ، وفى طليعتهم عباس محمود العقاد وطه حسين ومحمد حسين هيكل وأحمد حسن الزيات !

أما الموقف الذى نعنيه فموقف الصابر المحتسب محمد بن عبد الله حين فقد ابنه الوحيد ابراهيم ، وهو موقف شديد اللوعة جلب قطرات الدمع من عين الرسول القدوة ، فبكى لبكائه من شهده من صحابته ، وسجل الحدث الرائع فى كتب السيرة على توالى الاجيال فجعل العيون القارئة تشارك العيون السائلة بكاءها الدامع ، اذ بلغ الموقف المؤثر من الروعة الاسية اقصى ما يبلغ موقف لهيف .

ونبدأ بالعقاد عن عمد مقصود اذ أنه المحلل الفاحص الذى يتغلغل فى أعماق الموقف التاريخى مسلطا مجهره الدقيق على الخوافى الكوامن من ذراته الضئيلة ، حتى يأتلق للعين ، ساطع الملامح ، مؤتلق السمات .

عباس محمود العقاد

يقول الاستاذ توفيق الحكيم عن كتاب عبقرية محمد « لقد أدركت من الفصل الاول أن لدى العقاد ما يقول ، وان الكلام الذى عنده يرغمنا على أن نصغى اليه ، وان كل ماعرف من قبل عن النبى محمد لن يغنينا عما عند العقاد ، لان العقاد قد درس وفكر ، واستنتج لنفسه ثم صنع للنبى صلى الله عليه وسلم صورة قلمية لايمكن أن يرى نظيرها على هذا التمام فى صفحات مثل صفحات عبقرية محمد » .

وهذا حق ، لان العقاد قد استبطن السيرة النبوية فشاهد فى مطاويها الغائبة ماجلاه لاول مرة ، وكأنه يكتب عن حدث جديد ! لقد كان ابراهيم قرة عين والده ، وقد سعد بمشرقه ، ورأى ملامحه فى وجهه فازداد به تعلقا ، وتقضى ستة عشر شهرا لايؤثر عليه أثر لمرض ثم دهمته العلة ، ولم يطل به المرض ، فسرعان ما شاهده أبوه فى حجر أمه يحتضر ! وقد احتضر من قبل ولداه القاسم والطاهر صغيرين ، وماتت جميع بناته غير فاطمة ، ورأى الرسول ما نزل بوحيده من الخطب فذرفت عيناه باكيا ! وأحس أن أصحابه يتعجبون لبكائه فقال : تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول غير ما يرضى الله ! وانا على فراقك يا ابراهيم لمحزونون .

هذا لباب الموقف ملخصا من كتب التاريخ فماذا قال عنه العقاد ؟!

ان الكاتب الكبير قد تغلغل الى ادق الخلجات الهامسة ، حين نظر بعين الصقر الى الحدث النفسى فى أبعاده المترامية فجلاه احسن جلاء اذ قال :

« مات الطفل ولم يبلغ السنتين . مصاب صغير ان كانت المصائب تقاس بسنوات المفقودين ، ولكن المصائب في الاعزاء انما تقاس بمبلغ عطفنا عليهم ، والصغير أحوج الى العطف من الكبير المستقل بشأنه ، وانما تقاس بمبلغ تعويلهم علينا ، وتعويل الصغير على وليه أكبر من تعويل الكبير ، وانما تقاس بمبلغ الامل فيهم ، والامل يطول في بداءة الطريق ، وقد يقصر في منتصف الطريق .

انما تقاس آلام المفقودين بأعمار الفاقدين وأى مصاب أفدح من مصاب السنين وما بعدها في الامل الوحيد ، الواصل بينها وبين الزمان ماضيه وآتيه .

ماتخيلت محمدا أدنى الى القلوب الانسانية في موقف من موقفه على قبر الوليد الصغير ، ذارف العين ، مكظوم الوجد ، ضارعا الى الله .

نفس قد تفتت الرجاء في نفوس الالوف بعد الالوف ، وهي في الموقف قد انقطع لها رجاء عزيز ، رجاء – وا أسفاه – لا يحييه كل ماينقله المصلح من رجاء .

وكأني بمحمد يوم ذاك ، كان أقرب الى نفوس الخالقين من بعده ، مما كان مع الجالسين حوله ، ومع أقرب الناس اليه ، كان أقرب الناس اليه زوجاته أمهات المؤمنين ، وكن يحببنه غاية مايحب النساء الازواج ، ولكن حبهن اياه لم يكن في هذا الموقف من المقربات العاطفات ، لانه حب أثار غيرتهن من أم الوليد المأمول فاحتجب من عطفهن بمقدار تلك الغيرة ، وبمقدار ذلك الحب ، ولا لوم عليهن فيما طبع عليه الانسان ، وفيما لا يقصدنه ولا يقدرن عليه .

وكان أقرب الناس اليه أصحابه الخاشعون بين يديه ، وكان اكبارهم لسيد الانبياء ينسيهم أنه أب من الاباء ، بل انه أرحم من سائر الاباء .

ظنوا أن النبي لايحزن ، كما ظن قوم أن الشجاع لايخاف ، ولا يحب الحياة ، وان الكريم لايعرف قيمة المال ، لكن القلب الذى لايعرف قيمة المال لا فضل له في الكرم ، والقلب الذى لايخاف لا فضل له في الشجاعة ، والقلب الذى لايحزن لا فضل له في الصبر ، انما الفضل في الحزن والغلبة عليه ، وفي الخوف والسمو ذنيه ، وفي معرفة المال والايثار عليه » .

هذا بعض ماقال العقاد في موقف الرسول من رحيل ابراهيم ! وهو على ايجازه يغني عن اسهاب مطيل .

● الدكتور طه حسين ●

اذا كان العقاد قد قال عن رحيل ابراهيم مالايخطر في بال أحد ، فان الدكتور طه حسين على النقيض اذ قال في هذا الموقف ما يمكن أن يخطر في نفوس الكثيرين ، ولكنه ساقه مساقا بارعا ، اذ التزم الاسلوب القصصي فيما كتبه في مؤلفه الشهير « على هامش السيرة » والدكتور قاص بارع حقا ، يسرد الاحداث ، ويصور الشخصيات في تسلسل وانسجام ، وله خياله المصور يرسم به مايريد أن يعبر عنه من العواطف والانفعالات ، وهو كما قال الاستاذ أحمد الشايب قد انتقل بخياله في كتابه النبوى الى الناس في صدر الاسلام يحس باحساسهم ويأكل مما يأكلون ويشرب مما يشربون ! وبذلك استطاع أن يقص الاحداث بجوهرها ، فنقل الينا الماضى أو نقلنا اليه بحيلة لطيفة فاذا أردنا أن نعرف كيف صور رحيل ابراهيم فاننا نجده قد اصطنع الخيال ليربط حادثا بحادث ! فقد تخيل من يسمى بحنظلة الخزاعي ، فرسمه شيخا مهيبا له مكانة « أثيرة » لدى الناس في الفسطاط ، وقد قدم الى قرية من قرى الريف فوجد

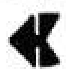




د . حسين هيكل   د . طه حسين

كبيرها مرزوءا في ولده ، يعزى عنه فلا يتعزى ، فأسرع الى مواساته اذ قص عليه مصاب الرسول في ولده ابراهيم ! هما اذن مشهدان لا مشهد ، مشهد متخيل جعل اطارا لمشهد حقيقي ، يهمنا اكتمال الفن القصصي لدى الراوى المبين .

يقول الدكتور عن المشهد الاول متحدثا بلسان حنظلة الخزاعي « لقد ذهبت الى القريه أتعهد بعض أعمالي ، فما أبلغها وما استقر فيها حتى اعرف أن عظيما من عظماء النصارى قد رزىء في صبي له ، فاوى من الخير والبر أن أسعى اليه معزيا فأفعل ويلقاني الرجل حفيا بي ، وقد ملك الجزع كل امره ، واخرجه عن طوره ، وكنت اعرفه جلدا صبورا وقورا ، ولكن هذا الصبي كان وحيده ، وكان قرة عين له حين تولى الشباب وادركته الشيخوخة ، فلما نزل به لم يثبت له ، ولم يستطع عليه صبرا ، وقد عجز من يحيطون به من القسيسين والرهبان عن تسليته ، ويأخذني الرفق به والاشفاق عليه ، فأتحدث اليه في لغته القبطية ، مواسيا مسليا ، وأقول له فيما اقول « لو عرفت أن أحاديث نبينا تعزيك او تسليك لقصصت عليك طرفا منها ، فقد رزىء نبينا في صبي وحيد له ، كما رزئت في صبيك هذا الوحيد ، فتلقى الرزء كريما



يملأ قلوبنا نحن المسلمين اكبارا له ، واعجابا به ، ورحمة للصبية من ابنائنا ، في احتفاظ بالرجولة ، وثبات على المروءة واصطناع للوقار ، واعتراف بحق الله ، فيما يمن به علينا من المال والولد ، يأخذه كما أعطاه دون أن يكون لنا أن نضيق بذلك او نثور عليه ، وانما هي نعمة أهديت الينا ثم أخذت منا ، وقد ابتلينا باهدائها الينا ، كما ابتلينا بأخذها منا » .

قال الرجل ، فحدثني بحديثك ، فان ماتقوله يبعث في نفسي شيئا من راحة وأمن ودعة !

هنا انتهى المشهد الاول الذى جعله الدكتور اطارا بارعا للمشهد الثاني ، مشهد رسول الله حين وقع الخطب فحزن الفؤاد ، ودمعت العين ، ولم يقل نبي الله غير مايرضي الله !

قال الدكتور على لسان حنظلة : ان نبينا قد رزق في آخر ايامه صبيا ابتهج لمولده ابتهاجا عظيما ، وسر به سرورا لايقدر ، ولكن نبينا كان يحسن لقاء النعمة كما كان يحسن لقاء المحنة ، كان لايخرجه الابتهاج عن طوره ، وكان البطر والاثر ابعد الاشياء عنه ، وكان اذا رضي لم يستأثر بلذة الرضا ، وانما يشرك فيها الناس ، فلم يكد يرزق هذا الصبي حتى اعلن ذلك للناس مغتبطا ، ثم تصدق على الفقراء ، ووسع على من ضيقت عليهم الحياة ، وكان رفيقا بابنه هذا يسمى اليه عند مرضعه الى قال الناس ، اي دخلوا في القيلولة فيأخذه ويقبله ، ويقول له ماشاء الله أن يقول من الالفاظ الحلوة التي تصور اجمل تصوير حنان الاباء ورحمتهم لابنائهم ، وقد كانت نعمة الله على نبينا لاتحصى ، وكان منها امتحان الله له في أحب الاشياء لديه وآثر الناس عنده فما يبلغ ابنه ستة عشر شهرا او ثمانية عشر شهرا حتى تسعى اليه العلة ، ويمضى النبي مع صبي من اصفيائه يقال له عبد



الرسول يبكي ولده ابراهيم

الرحمن بن عوف ليعوده فيبلغه وهو يجود بنفسه ، وينظر الاب الى صبيه الوحيد الذى جساه حين تولى عنه الشباب ، وحين اقبلت عليه الشيخوخة ، وحين استيأس من الولد ، ينظر الاب الى ابنه هذا أيضا محزونا ، ولكنه ينظر اليه مع ذلك راضيا مطمئنا ، ملعنا لقضاء الله ، وعلى عينه تدمع ، وعلى صفيه ينكر منه ذلك ، ويقول له : أتبكي وقد نهيت الناس عن البكاء ! فيجيبه انما هذا رحم ، وان من لايرحم لايرحم ، انما نهى الناس عن النياحة ، وان يندب الرجل بما ليس فيه ، ثم قال : لو لا أنه وعد جامع ، وان آخرنا لاحق باولنا ، لوجدنا عليه وجدا غير هذا ، وانا عليه لمحزونون ، تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب »

هذا لباب ماذكر الدكتور طه حسين فى رحيل ابراهيم ! وفى مجال الموازنة بينه وبين ماتقدم من كلام الاستاذ العقاد ، نرى ان حديث العقاد يخاطب العقل أولا والوجدان ثانيا ، وحديث الدكتور طه حسين يخاطب الوجدان أولا والعقل ثانيا ! وكل قارىء فى حاجة الى اقناع العقل وامتاع الوجدان معا ، ولست ترى منطقيا متحجرا ولا عاطفيا ذائبا اذ لابد من قدر مشترك بينهما فى الكيان الانسانى ، والذين يمكثون على طعام واحد يرون الدنيا بعين واحدة ! وكما يحتاج الانسان الى استاذ حاسم يوجه ويسدد ، فهو فى حاجة الى صديق مخلص يمتع ويؤنس !

● أحمد حسن الزيات ●

أصيب الاستاذ أحمد حسن الزيات فى ولده الصغير « رجاء » فبكاه بمقال حار سال دموعا وتقاطر دما على صفحات مجلة الرسالة ، ثم شاء ان يخفف عن برحائه مرة ثانية فاهتدى الى حديث ابراهيم بن محمد ، حيث وجد فى مصاب الرسول اسوة شافية لجراحه فكتب بالعدد الممتاز من مجلة الرسالة مقالا حارا تحت عنوان « محمد الوالد » يحس قارئه ان مأساة الزيات فى والده قد رفرفت فى خياله حين تحدث عن ابراهيم عليه السلام ، وقد ختم مقاله بقوله مناجيا رسول الله :

« تعزيت يارسول الله لان الالم سبيل من سبل دعوتك ، والعزاء أصل من أصول دينك ، والارض وما عليها أهون من دمعك والسماء ومافيها ثواب لصبرك ، ولكن ماذا يصنع البائس المحزون اذا فقد الرجاء وليس له فى يومه صبر ولا فى غده عزاء »

والبائس المحزون فى هذا المجال هو الاستاذ الزيات ، واشهد ان حزنه البالغ كان من أسباب توفيقه فيما كتب عن محمد الوالد ، اذ كان مقاله تحفة رائعة من البيان المصور ، اقول هذا وانا اعرف أن أعداء البلاغة العربية يضيقون بالبيان المنمق الانيق ويعدونه مصدر افتعال وتكلف ، وهم بعد النأى عنه طريقا ، وأجفاهم عن تفهمه واستشفافه ، ولو كتبوا جملة واحدة منه لطاروا بها فرحا ، ولكنه العى والقصور ثم التهجم والغرور .

واذا كان العقاد محللا ، وطه قاصا فالزيات رسام مصور حين وصف المسرح الهادىء لبيت النبوة فقال : « بين ظلال النخل والكرم » ، وفى بيت محمد « صلى الله عليه وسلم » المصرى على العالية من ضواحي المدينة ، أتم الله نعمته على رسوله ، فوهب له على الكبر ابراهيم ، يومئذ تنفس الصبح بأنفاس الفردوس ، وضاحكت الشمس خمائل يثرب من خلال الاجنحة المنيرة ، ومست يد الربيع المخصبة دوحة النبوة ، وغرقت نفوس المؤمنين فى مثل الخلد ، واقبل المهاجرون والانصار على المسجد مستبشرين يهنئون النبى بالخليفة الوليد ، والامل الجديد والعوض المبارك »



ونهض الرسول الوالد الى بيت مارية القبطية ، ليرى نعمة ربه ، وبضعة كبده ، فوجد فى طلعة ابراهيم الانس الذى يعوزه ، والرضا الذى يرجوه ، والخلف الذى يمثله ، ففاضت غبطته لله حمدا ، وعلى المؤمنين بركة وفى الفقراء صدقة ، ورفع امه الى مقام ازواجه ، ودفع مرضعته بسبع من المعزى سمان يحلبن عليها وعليه ، ثم عق له بكبشين املحين ، وتصدق بزنة شعره فضة ، وتعود كل صباح أن يزور أم ولده ليحمله عنها ليضمه ويشمه ، ويتذوق طعم السعادة الارضية من أريجه ، ويطالع نفسه العائدة فى نفسه ، ثم يدخل به على الامهات اللائى ولدن جميع المسلمين ولم يلدن ، ليباهى بحسنه ويغتبط بنموه »

وهذا التصوير الجيد تعقبه الحكمة الرائعة :• حكمة ابتلاء الله لانبيائه ورسله ، وهم موضع امانته ، ومبلغو رسالته وقد احسن الزيات رسمها فى دقة بليغة حين قال ممهدا لحادث الفقد المحزن واثره فى نفس الرسول !

« ولكن انبياء الله موضع بلائه وسر حكمته ، دعوتهم الحق ، والحق ثقيل ، وعدتهم الصبر ، والصبر كليل ، وبرهانهم الالم ، والالم قاتل ، غرباء فى الارض لانهم من السماء ، واغراض لسهام القدر لانهم ضحايا ، وامثلة لبؤس العيش لانهم عبر ، هذا ابراهيم حبة قلب أبيه ، وسواد عين أمه ، مسجى على فراش المرض تحت النخيل ، تذوى نضارته على وهج الحمى ، وتذوب حشاشته على عرك الموت ، وأمه وخالته قائمتان على سريره ، تشهدان منظرا أى منظر ، وهذا أبو ابراهيم يضعضعه النبأ المروع ، فيتحامل على عبد الرحمن بن عوف ، ويمشى ثقيل الخطى ، لهيف الفؤاد الى الصغير المحتضر ، لو كان لمتاع العيش فناء لتقلب فيه المؤمن ، ولو كان لقانون الموت استثناء لافلت منه المصلح ، ولو كان فى قلب الثاكل المحزون شبهة لجلتها محنته .

الله لرسوله ، أخذ ابراهيم من حجر امه فوضعه فى حجره ، ثم نظر من خلال الدمع الى قسماته المشرقة تغشاها ظلال الموت ، وقال بصوت متهدج ، وفؤاد متأجج ، واستسلام مطمئن « أنا يا ابراهيم لانغنى عنك من الله شيئا » ! يالله ، ان النبى الذى ولد فى مهد اليتم ، ودرج فى حجر العدم ، وتقسمت عمره عوادى الخطوب فكابد اذى قريش ، وحقد المنافقين ، وكيد اليهود ، وعالج مكاره الدعوة من القلة والذلة والهزيمة والفتنة ، قد احتمل كل ذلك بصبر المجاهد ، ويقين المؤمن ، وعزم الرسول ، ويصيبه الله فى ابراهيم ، فيرفض عنه الصبر ويتملكه الجزع ، ويقف من الشكل الاليم موقف كل والد ، يرى جزءه الجديد يبل ، ورجاءه الناشىء يخيب ثم يقول « ان العين لتدمع ، وان القلب ليجزع ، وانا بعدك يا ابراهيم لمحزونون »

هذا ايضا بعض ماقال الزيات ، والمقال بتمامه فى الجزء الاول من وحى الرسالة ، وماهو ببعيد .

● محمد حسين هيكل ●

من مزايا أسلوب الدكتور هيكل رحمه الله التدفق والانسيال فى غير كدورة ولا غين ، فهو لايكتب الا حين يجيش خاطره بأمواج كثيرة يرسلها الى القارىء فى تحدر واندفاع ! وحين كتب حياة محمد لم يفارقه هذا الاسلوب الفياض المترفع ، ولا يرجع ذلك الى قدرته الاسلوبية وحدها بل يرجع الى صدق حسه وعمق يقينه ! وقد رأينا اناسا يشيحون عن كتابه الرائع لبعض ملاحظات لايخلو من امثالها كتاب يؤلفه انسان ! وقد نسوا أن الكاتب الكبير جعل



حياة الرسول مجالا لاقلام حذاقه ، وتأثرت به ، ولولاه ماتكرت في اتجاهه الرشيد ، بل لنسوا انه بكتابه الرائع عن رسول الله قد جلب عشـاقا لسيرته الطاهرة كانوا يصدون عنها من قبل ، اذ لم تعرض في بيانه المؤثر ومنطقه المبين .

يقول هيكل عن ابراهيم وموقعه من نفس ابيه ، « لم يكن تعلق محمد بابراهيم لغاية في نفسه ، لها اتصال برسـالته او بمن يخلفه ، فقد كان عليه السلام في ايمانه بالله وبرسالته لايفكر في ولده ، ولا فيمن يرثه ، بل كان يقول : نحن معاشر الانبياء لانورث ، ماتركناه صـدقة ، انما هي العاطفة الانسـانية في اسـمى معانيها ، العاطفة الانسانية التي بلغت من السمو في نفس محمد مالم تبلغه في نفس احد غيره ، العاطفة الانسانية التي جعلت العربي يرى فيمن يخلفه من الذكران صورة من صور الخلود ، هذه العاطفة هي التي جعلت محمدا يخلع على ابراهيم كل هذا الحب ، ويرمقه من العطف بما لا عطف بعده ، وقد زاد هذه العاطفة رقة وقوة في نفسه انه فقد ولديه القاسم والطاهر وهما مايزالان طفلين في حجر امهما خديجة ، وانه قد فقد بناته بعد خديجة واحدة بعد الاخرى بعد أن كبرن وصرن ازواجا وامهات ، فلم تبق له منهن غير فاطمة ، هؤلاء الابناء والبنات الذين تسـاقطوا من حوله فدفنهم بيده تحت صفائح الثرى ، تركوا في نفسه قرحة الم ، اندملت بمولد ابراهيم واثمرت مكانها رجاء واملا ، وكان حقا له أن يمتلىء بهذا الامل غبطة واستبشارا » .

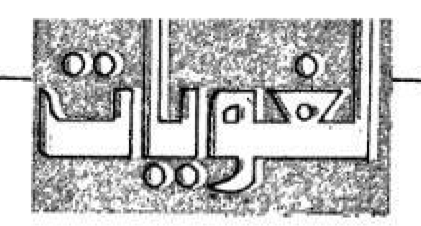
وبعد أن يفيض في وصف الاحتضـار ومشـهد الوداع ومسيرة الدفن ، يقول الدكتور هيكل :

ووافق موت ابراهيم كسوف الشمس ، فرأى المسلمون في ذلك معجزة ، وقالوا انها انكسفت لموته وسمعهم النبي ، أترى فرط حبه لابراهيم وجزعه لموته قد جعله يتعزى بسماع مثل هذه الكلمة . او يسكت على الاقل عنها ، او يعذر الناس اذ يراهم مأخوذين بما يحسـبونه المعجزة ، كلا ! فمثل هذا الموقف ان لاق بالذين يستغلون في الناس جهالتهم ، او لاق بالذين يخرجهم الحزن عن رشادهم ، فهو لايليق بالنزيه الحكيم فما بالك بالرسول العظيم ، لذلك نظر محمد الى الذين يذكرون أن الشمس انكسفت لموت ابراهيم فخطبهم قائلا « ان الشـمس والقمر آيتان من آيات الله لاتنخسـفان لموت احد ولا حياته ، فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله بالصلاة ! فاية عظمة اكبر من الا ينسى الرسـول رسالته في اشد المواقف التي تملأ النفس بالفجيعة والهول !

رحم الله الدكتور هيـكل ، فقد ترك بكتابه مجدا لا يبيد .

شعراء العصر

ذكرنا اقباسا من بيان الكبار من الكتاب في موت ابراهيم ، ولم اجد شاعرا معاصرا جعل من هذا الموقف المؤثر مستزادا لخاطره ، لان اكثر شـعرائنا يقفون عند الاحـداث الرنانة كالهجرة والمولد وبدر ، ولا انكر ان الشاعر الكبير احمد محرم قد نظم سيرة الرسول في ديوان رائع ، ولكن اين من شفع جهد الشاعر الكبير رحمه الله بجهود تزيد عليه زيادة فنية تستجيب لعامل التطور الزمني ، وتقدم مواقف السيرة في افقها الارفع بعيدا عن الرصف الحجـرى ، والاندفاع الخطابي ... اين تجد من فعل ذلك وفي كل بلد اسلامى اسماء ترن ، وابيات تصلصل دون غناء كبير .



● بعد وفاة الشيخ أحمد حسن الباقورى ـ رحمه الله ـ وفى أثناء حياته ، كان بعض المهتمين باللغة يتساءلون عن أصل لقبه « الباقورى » .. والمعروف أنه منسوب الى قرية تدعى « الباقور » وهى غير قرية « الباجور » .. والباقورة هى البقرة بلغة أهل اليمن قديما .. وقد كتب النبى عليه السلام الى اهل اليمن كتاب الصدقة: « فى كل ثلاثين باقورة ، بقرة » .. واشتق اسم البقرة من فعل (بقر ـ يبقر) ومعناه « شق ـ يشق » لأن البقرة تشق الأرض بالحراثة ، أى بجر المحراث .. قال العلامة المبرد ، تقول: هذا بقرة للذكر .. وهذه بقرة للانثى ، فلا فرق بين الذكر والانثى الا فى « الاشارة » الى كل منهما . ولكن الشائع ان « البقرة » للانثى فقط ..

● يقال : « دموع التماسيح » بمعنى « الدموع الكاذبة » .. وأصل هذا التعبير فى اللغة أن « التمساح » اسم مشترك بين الحيوان المائى المفترس المعروف في نيل مصر ونهر السند وغيرهما ، وبين الرجل الكذاب الذى قد يبكى للخداع ..

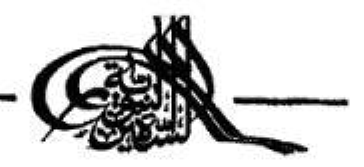
● يتجنب بعض الأدباء استعمال كلمة « زريبة » فى معنى « حظيرة » وهى مأوى الغنم ، والكلمتان صحيحتان فصيحتان .. و « الزريبة » أدق فى معنى المكان الخاص بالغنم .. وفى صعيد مصر يقولون « الزرب » بفتح الزاى وتشديدها وتسكين الراء ، وهى كلمة صحيحة فصيحة بمعنى الزريبة أيضا .

● يشتهر عند الشيعة « كتاب الجفر » .. وأصل الجفر ولد المعز ، واستعير الجفر لقطعة الجلد التى كان القدماء يكتبون فيها ، وقد قيل أن كتاب الجفر كتبه الامام جعفر الصادق لآل البيت يخبرهم فيه بما سوف يقع من حوادث .

● ينطق بعض العامة كلمة « الحوار » بضم الحاء ، وهو الكلام بين اثنين او اكثر .. والصواب نطق هذه الكلمة بكسر الحاء ، فالحوار ـ بضم الحاء ـ هو ولد الناقة .

● من أنواع السمك التى عرفها العرب نوع يسمى « الشيخ اليهودى » .. يقال انه حيوان وجهه كوجه الانسان ، وبدنه كبدن الضفدع ، فى حجم العجل ، يثب فى الماء كما يثب الضفدع فلا تلحقه السفن !

● كلمة « الغول » وكلمة « الضبع » مذكرتان عند العامة ، والصواب تأنيثهما . والعامة يؤنثون كلمة « البطن » وكلمة « الرأس » وهما مذكرتان ويذكرون كلمة « الكرش » وهى مؤنثة .. تقول بطن كبير .. ورأس كبير .. وكرش كبيرة .





بقلم: عبد المنعم الجداوى

اذا لم يكن الحب عند رسول الله .. فعند من تجده..؟ هذا المصطفى المختار الذى احبه ربه فادبه واحسن تاديبه . هذا الذى بعث ليتمم مكارم الاخلاق .. كانت مكارم الاخلاق ناقصة فجاء رسول الله ليتمها .. والحب اسمى ما خلق الله بعد محمد عليه الصلاة والسلام .. الم يكن هو حبا فى ذاته ؟ الم يبعث رحمة للعالمين جميعا.. اى حب بعد هذا الذى يسع البعيد والقريب ، الذين اتبعوه ، والذين لم يتبعوه .

• لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين ..!

• حبان كبيران فى حياة النبى .. خديجة ، وعائشة ..!

• أحب رسول الله الجماد والبلاد ، وأحب « مكة » وأحبته « المدينة »..!

.. فقد روى أنه فى غــزوة « حنين » صلى الله عليه وسلم .. أعطى من الغنائم لبعض أهل « مكة » الذين خرجوا معــه يدافعون عن حرم « مكة » ، وهم بعد جدد فى الاســلام أضعاف ما أعطى قــدامى المسلمين . فلما حرم أنصار المدينة الذين خرجوا معه من المدينة ، وتكبدوا مشــقة السفر ، والقتال فى فتح « مكة » .. ثم فى غزوة « حنين » ضــد أهل الطائف . وقادة ثقيف الذين انزعجهم . أن يعــود « محمد » فاتحا .. فلما قهرهم ، ودارت الدائرة عليهم .. وسدت الغنــائم وادى « حنين » فقسمها الرسول بين مسلمى الفتح . فتكلم بعض الانصار ، وقالوا ان النبى عليه الصلاة والســلام . طابت له « مكة » بعد الفتح . فأعطى أهل قريش وتركنا نحن .. وبلغت مقالتهن رســول الله . فأرســل الى كبيرهم ليجمعهم الى كلمة يلقيها بينهم . فاجتمعوا فخــرج عليهم ، فذكرهم بأنهم هم الذين ناصروه يوم أن لم يكن له نصير غير الله .. وهم الذين آووه ، وهم الذين آثروه عــلى أموالهم ، وأولادهم ، وهم الذين شهدوا معه « بدر » و « أحد » ، « والخندق » .. ثم قال عليه الصلاة والسلام لهم .. ان هؤلاء الذين أعطاهم الغنــائم من أهل « مكة » ليس لهم الا ما غنمــوا .. « أفلا ترضون يا معشر الانصار أن ينصب النــاس الى رحالهم بالشــاة والبعير ، وتذهبون برسول الله الى حالكم .. ؟ فوالذى نفسى بيده لو ان الناس سلكوا شعبا وسلكت الانصار شعبا لسلكت بشــعب الانصــار ، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار .. ! .

اللهم ارحم الانصار ، وأبناء الانصــار وأبناء أبناء الانصار .

هنا بكى القوم الذين كانوا يتقولون ويتكلمون .. سالت دموعهم على لحاهم



● لقد احسوا كم يكن رسول الله من حب لهم . وتفجر المكنون من حب رسول الله في قلوبهم .. فهتفوا : رضينا بالله رباً ، وبرسوله قسماً .. ثم انصرفوا ، وكل منهم يشعر انه ملك الدنيا وما عليها .. !

● الاسلام كان جنينة الحب . !

ان دعوة رسول الله الناس الى الاسلام قامت اول ما قامت على الحب ، ولا شيء غير الحب .. فالذى ربط بينه ، وبين أبى بكر الصديق . هو الحب العميق النبيل ، الذى يتمثل فى صحبته للهجرة .. الحب الكبير الذى ينسيه مكانته فى قريش ، وينسيه تجارته وينسيه ابوته فيترك أهله وأولاده ، وبناته ، وينسيه أنه ابن لرجل عجوز فى حاجة اليه ، ويخرج مع رسول الله ليكون معه ، يدافع عنه بنفسه ، ويفتديه بروحه ان كان ولابد .. لا شيء عنده أحب اليه من رسول الله حتى نفسه ولم يكن يخشى الموت .. بل : كان يخاف ان يصاب رسول الله باذى .. حينما يصلان الى الغار يصر على ان يدخله قبل رسول الله .. حتى اذا كان يكمن فيه خطر اصابه هو بدلا من النبى .. ويصل الكفار الى باب الغار ، ويسمع باذنيه اصوات اقدامهم ، والخطر هو الامتحان العسير لكل حب .. ولم يفكر أبو بكر رضى الله عنه لحظة فى نفسه . كان قلبه يعتصر شفقة وخوفا على رسول الله .. أى حب يمكن أن يصل الى هذا الحد من الروعة والفداء .. انه يلغى غريزة حب البقاء اقوى الغرائز عند بنى البشر .. لتتحول الى ما هو انبل وأسمى .. لكى تبذل طواعية ليبقى من يحبه ... ويجيء الحديث الصحيح .

« والذى نفسى بيده لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده ، والناس أجمعين ..

وفى طريق المدينة يفطن رسول الله الى حيرة صديقه . فهو لا يستقر بجانبه .. فهو تارة عن يمينه ، وتارة عن يساره ، واخرى خلفه ، واخرى أمامه .. فيسأله عن السر ، فيقول أبو بكر ، وهو يفطن .. تنتابنى الوساوس يا رسول الله .. فاظن الخطر قد يجيء من الخلف فأتأخر حتى القاه عنك .. ثم تحدثنى نفسى أنه قد يأتى من الامام فأقفز أمامك ، وقد يأتى من اليمين فاحرس يمينك ، وقد يأتى من الشمال فاحرس شمالك .. رحم الله أبا بكر .. لقد كان رسول الله أحب اليه من نفسه التى بين جنبيه .. وهذا الحب الذى بلا حدود .. يقف عند حدود الله فلا يتعداها .. فيخرج على الناس بعد **انتقال رسول الله الى الرفيق الاعلى ..** ليهتف بكل صوته .

أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت .

هذا هو الحب المبصر .. الذى لا يزيغ ولا يضل .. الحب الواعى الذى لا يخلط بين الاساءة ، والاحسان الى المحبوب ..

● احب النبي الجماد والبلاد ..!

وكانت دائرة الحب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واسعة .. لم يحب رسول الله البشر فقط ، واحبوه .. لقد تسامى عليه الصلاة والسلام بالحب ، واتسع قلبه لحب غير البشر .. فاحب البلاد ، واحبته البلاد ، واحب الجماد ، واحبه الجماد .. ان صوته الخافت الحنون ما زال يتردد فى الوديان المشرفة على « مكة » .. يمكن ان يسمعه كل من اصاخ السمع ، والقى القلب وهو شهيد ، وهو يقول يودعها لا يدرى اذا كان سيلقاها مرة اخرى أم لا ..؟ يودع مراتع شبابه



.. وطفولته ، ومسرح رجولته وزواجه من خديجة رضى الله عنها ، ومنزل الوحى ، ونبوته قائلا .

والله انك لاحب ارض الله الى الله ، وانك لاحب ارض الله الى ، ولولا ان اهلك اخرجونى منك ما خرجت .

قلب شريف لطيف حياه الله ليسع كل شىء حبا .. النـــــاس ، والاماكن والمواضع ، والذين استحقوا حبه ،والذين لم يستحقوه .. !

جاء فى صحيح مسلم والبخـــارى ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع . فلما اتخذ المنبر تحول اليه . فحن الجزع ، فاتاه فمسح يده عليه . والجذع هو بقايا نخلة ، وما من شىء الا يسبح بحمد الله . فكيف لا يحب رسول الله من يسبح بحمد الله ! . وما هو وجه العجب فى هذا .. ؟ فلا عجب اذا كان حبه شرطا من شروط الايمان .. !

● الحب الاكبر فى حيـــاة النبى ..!

ثم يجىء الحب الاكبر فى حياة النبى صلى الله عليه وســلم حبه لخديجة بنت خويلد ، رضى الله عنها .. هذا الحب احتوى يوما ما لبنة الاسلام الاول .. لقد احبت « خديجة » فى رسـول الله مكارم الاخلاق .. احبت فيه العفة ، والعفاف ، والتقوى .. احبت فيه الانفة ، والشموخ .. وهى تعرض عليه ان تضاعف له الاجر الذى اتفقت عليه معه . بعـــد أن خرج فى تجارتها فاربحها ربحا لم تكن تحـلم به كتاجرة . وسمعت من عاملها الذى رافقه من قصص الامانة ، والحلم ، والشجاعة ، ما اذهلها .. فاذا به يرفض أن يحصــل منها الا ما ارتضاه ، واتفقا عليه قبــل الخروج .. فتقول له رضى الله عنهـــا .

ولكن رجالا استأجرتهم قبلك . فكانو اذا ربحت التجارة . تطلعوا الى مزيد من السخاء فوق الاجر .. لكنه واصل رفضه .. فادركت ـ وكانت مدركة ـ انه ليس كغيره من الرجال .. الى ان كان زواجهما .. ومن هنا ، من هـــذا المنطلق ، كان عليها أن تصدقه عندما حدثها بحـــديث الوحى .. ليس هذا فحسب ، بل يتعاظم صديقها ، وايمانها بصدقه الى حد ان تقف بجانبه .. مؤكـــدة له انه لابد وان يكون نبى هـــذا الزمان الذى آن أوانه ، وتحدث عن ظهوره أهل الكتب السابقة ..

ثم تورد حيثيات هذا التأكيد له قائلة ابشر فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق .

هذه حيثيات تصديقها ، وصدقه ، وحبها وحبه ، وايمانها بنبوته الذى لا يتزعزع أن حبها له صلى الله عليه وسلم ، وحبه لا ينبع من الثقة بينهما ما يذهب عن النبى روعه ، ويســكن حيرته ، ويعيد اليـــه طمأنينته ، بعد ان كان يصيح «زملونى . زملونى » ، فيتقلب عباراتها فى ذهنه .. ثم يستجمع خواطره التى بعثرتها مفاجأة الوحى ، وينطلق معها الى ابن عمهـــا « ورقة بن نوفل » الذى كان قد تنصر ، وقرأ ، وكتب من الانجيل ما شاء الله له ان يكتب ـ وما كاد يســتمع الى روايته عن الوحى ، وما حدث له معه حتى يقول له « هذا الناموس الذى نزل الله علـى موسى . يا ليتنى فيها جذعا . ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك » . فقال رسـول الله :

ـ أو مخرجى هم ! ؟ فيقول : نعم . لم يأت رجل بمثل ما جئت به الا عودى ، وأن يدركنى يومك حيـــا ، أنصرك نصرا مؤزرا ..



نقطة حب ، وانطـــلاق ، واصرار على تكريس هذا الحب بين رسول الله صـلى الله عليه وسلم ، وبين خديجة رضى الله عنها .. فقد شاءت ارادة الله الا يعيش اولاده منها ، يعيش البنـات فقط . وكان فى وسع النبى وهـو فى شـبابه ان يتزوج باخرى يرزق منها الولد ورغم ان العرب ، وقريش بالذات عيرت النبى بعد أن بعث بانهم سوف يصبرون عليـه حتى يموت بلا عقب ، ويعلنون ان محمـدا اذا مات لم يرثه عقب ، ولن يحمل رسالته أحد .. رغم كل هذا فلم يفكر صاحب مكارم الاخلاق . ان يتزوج بزوجة اخرى على « خديجة » رضى الله عنها . فقد كان حبه لها ، وتعلقه بها ، وتقديره لهـا ، فوق حبـه للاولاد الذكور فى عصر كانت « قريش » تئد فيه البنـات ، واذا بشر أحدهم بالانثى ولى مدبرا .وهو كظيم مسود الوجه .. يحرص الا يلتقى بالناس ..!

كان الحب بينهمـا عميقا . أصيلا . تخلل البدن ، والنفس ، والروح ، وتحدى الزمن . فظل وفيا لها بعد موتها بعشرات السنين . رغم كل مشاغله . فقـد روى انه كان يحتفل بصديقة لها بعـد الهجرة فى المدينة .. كلما زارته الى حـد أن « عائشة » رضى الله عنهـا . غارت من اهتمام النبى الزوج . بتلك التى تعيـد اليه ذكرى « خديجة » وتجعله يتذكـرها .. ويترحم عليها .. فتقول متعجبـة .. ماذا كنت تراه فيها . لم تره فى الاخريات .. حتى لتظل تذكرها ، وقد كانت سيدة عجوز .. أو نحو هذا المعنى .. فيجيبها مدافعا قائلا .. لقد صدقتنى حينما كذبنى الناس ، واعطتنى حينما حرمنى الناس ، ورزقنى الله منها الاولاد والبنات ..! ان غضبته على « عائشة » رضى الله عنهـا . التى تبدو فى اختياره العبارات التى القاها عليها فى وصف « خديجة » لاتؤكد فقط انها منطلقة من وفاء لذكرى ، وانمـا هو

وليـدة حب قائم لم يفتر وما زال يملك عليه جوانحه صلى الله عليه وسلم ..!

● « عائشة » حب رســول الله ..!

هى عائشــة التى كانت تعرف ، ويعرف الجميع مـدى مالهـا فى قلب رسول الله من مكانة وحب .. مما دفع « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه ليقول لابنته « حفصة » ام المؤمنين رضى اللـه عنهـا . حينما علم أن نساء الرسـول يراجعنه .

لا تغترى بابنة ابن أبى قحافة ، فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ان حب رسول الله لعائشة ، وايثاره لها على سائر زوجاته لم يكن فى حاجـة الى تأكيد . فقد كان الكل يعرفنه حتى ضرائرها ، ويرضين به .. فيقول لنسائه عليه الصلاة والسلام .

لا تؤذونى فى عائشة فانه والله مانزل على الوحى وانا فى لحـاف امرأة منكن غيرها » ولهذا الحب الممزوج بالرحمة . كان يتقبل منها مالا يتقبـله من غيرها . فقد طلبت منه أن تنظر الى ملاعب الاحباش فسمح لهـا . فأرسل اليهم فجـاءوا يعرضون العابهم امام بابه وقام رسـول الله صلى الله عليه وسلم فوضع كفـه على الباب .

تقول عائشة ومد يده . ووضعت ذقنى على يده ، وجعلوا يلعبون وأنظر ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « حسبك » ـ أى يكفيك هذا ـ ، واقول اسكت مرتين أو ثلاثا .. ثم قال يا عائشة « حسبك » فقلت نعم . فأشـار اليهم : فانصرفوا » .

وكان عليه الصلاة والسلام يعدل بين نسائه فى العطاء ، وفى المبيت ، وفى كل ما هو مادى . ثم يقول . اللهم هـذا جهدى فيما املك ولا طاقة لى فيما تملكه

ولا أملك » . أي انني يارب عدلت فيما يمكن العدل فيه .. اما أمور القلب فلا أملكها . اشارة الى حبه الشديد لعائشة

● الحب الذى انتصر على العصبيات ..!

ولقد أحب الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا . سيطر على وجدانهم .. وانتزعهم من العصبيات .. والنسب . فكانوا يؤثرونه على صلاتهم الرحمية ، ولا يتزحزحون عن حبه ، اذا تعارض مع الام أو الاب أو الابن أو الاخ ، وهددت ام « مصعب بن عمير » امه بأنها سوف تضرب عن الطعام حتى تموت ، ويعبر بهما بين القبائل اذا لم يرجع عن صحبة محمد . ودين محمد .. فكان رده رضى الله عنه عليها .. انها لو ماتت عدة مرات أمامه . ما ترك محمدا ، ولا دينه الذى هدى اليه .. وذهلت الام من مقولة ابنهما .. ! وتنزوى حائرة عاجزة عن ادراك سر هذا الحب الذى لم تعرفه العرب ، ولا العجم من قبل .. !

وفى غزوة « أحد » .. أحاط المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم يريدونه ويطلبونه ، فى غفلة من صحابته وزحمة الحرب .. وراجع النبي يناورهم ويحاورهم ، وكان راجلا لم يفطن الى حفرة كانت خلفه . فاذا به يسقط .. يوشك الخطر ان يقع .. فيسرع عليه الصلاة والسلام .. ويصلب طوله فى دفاع مستميت ، ضد كثرة . ظنت أنها نجحت فى الايقاع بالقائد فيزدهيها النصر ، وتطبق عليه ويتصايح بعضهم انهم قتلوا محمدا .. !!

الا أن « كعب بن مالك » يحمل على المشركين حتى يخترق حلقتهم ، ويعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلف درعه . فلا يكاد يتأكد من انه مازال حيا يقاتل فى قلب الخطر ... حتى يصرخ بكل ما يحمله من لهفة وحب ، وفرحة بصمود القائد قائلا :

يا قوم هذا رسول الله ما زال بينكم .. !

فيسرع رسول الله لحكمة عسكرية . فيشير اليه أن يصمت .. حتى لا يدل المشركين على مكانه ، وغبار المعركة لم ينقشع ، والكفار يصولون ويجولون ، والخيول صرعى بفرسانها ، والاجساد ملقاة تخترقها الرماح ، ورءوس تدحرجت هنا وهناك ، ويسرع « على » ، وعمر بن الخطاب ، وأبو بكر ، والزبير والحارث فيحيطون بالنبى عليه الصلاة والسلام .. ويخرجونه من المعركة يتلقون عنه النبال بأجسامهم ، وقد جرح وجهه الشريف وكسرت رباعيته .. !!

ويعلم « سعد بن ابى وقاص » ان الذى أدمى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . هو « عتبة بن أبى وقاص » فيظل يتتبعه ، وقد تمكن منه حب الله ورسوله ، واجتاح أمامه حبه لاخيه .. ذابت عصبية الجاهلية امام أشرف . وأنبل حب فى الوجود .. وأن يعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بعد أن عثر على اخيه تصرعه مقابل عدوانه على حبيبه رسول الله .. لست انكر فى مثل هذه المواقف قوة الايمان ، وحرارته ، وصدقه .. فإنه لايستطيع أى محلل أن يتجاهل أثر الحب الذى يربط بين النبى وصحابته. هذا الحب الذى يبدو واضحا فى كل مايصدر منهم ، وينعكس فى كل فعل يرتبط بالرسول من قريب أو بعيد ..!



تطور جديد في كتابات الغربيين للسيرة النبوية

بقلم : أنور الجندى

مرت كتابة السيرة « سيرة النبى صلى الله عليه وسلم » فى الغرب بمراحل مختلفة ، منها مرحلة « الغلو والتعصب » ثم مرحلة « الرأى المسبق القائم على الهوى » وانتهت اليوم الى مرحلة يمكن أن يقال انها تفسح الطريق لرؤية معتدلة ولكل مرحلة عواملها المرتبطة بها .

اما مرحلة الغلو والتعصب فقد بدأت بعد هزيمة الغرب فى الحروب الصليبية التى شنتها على العالم الاسلامى وعادت فلول القوى المنهزمة مبهورة بعدالة الاسلام وسماحته مما هز دوائر الكنيسة خشية سريان هذا الاعجاب فى جموع المسيحيين ، ولذلك فقد ووجه هؤلاء المنصفين بالاعتداء والقتل وتكميم الافواه وبدأت تلك الحملة الواسعة التى قادها التبشير والاستشراق على الاسلام ونبيه وكتابه القرآن ، فى تعصب عنيف وحقد بالغ .

وفى هذه المرحلة وجهت الى الرسول « صلى الله عليه وسلم » عديد من الشبهات التى ظلت ترددها القوى المختلفة وسجلتها دوائر المعارف البريطانية والفرنسية والامريكية والتى لم يقم اصحابها بتصحيحها او تخفيف لهجتها بعد ابلاغها عنها ، بل لقد ذهبت مؤسسة اليونسكو فى موسوعتها التى اصدرتها فى السنوات الأخيرة الى ترديد هذه الشبهات .

ثم جاءت مرحلة « الرأى المسبق القائم على الهوى » نتيجة توسع الاستعمار فى العالم الأسلامى والسيطرة على مناهج المعاهد والمدارس والجامعات وقد وصلت الى تجاوزات كثيرة خطيرة .

وفى هذه المرحلة استخدمت بعض العناصر العربية والاسلامية من التغريبيين الى مواصلة هذا العمل وتبنى وسائل خطيرة تحت اسم « تجديد التراث الاسلامى » ودس هذه الشبهات حيث خضعت السيرة لمقاييس مضللة كالتفسير المادى للتاريخ والمذاهب الغربية المادية القائمة على انكار الوحى . والنبوة

والمعجزات على النحو الذى عرضناه فى كتابات بعض الكتاب المصريين الذين اخرجوا السيرة من منطلقهـا الحقيقى وادخلوا اليها كثيرا من الاساطير .

ادعاء وحقد

وقد تراوحت الدعاوى والشبهات فى هاتين المرحلتين بين الكذب والادعاء وبين التعصب والحقـد ، من ذلك ما ذهب اليه بعض هؤلاء من أن التقاء النبى صلى الله عليه وسلم بالراهب «بحيرا» وورقة ابن نوفل وقس بن ساعدة كان له أثر فى تلقى التعاليم الدينيـة والادعاء بأن النبى كانت له رحلات كثيرة الى الشام واليمن وفلسطين وآسـيا الصـغرى وفارس ، وما ذهب اليـه المستشرقون من ايهام بأن تعدد الزوجات يعطى النبى صلى الله عليه وسلم صورة مختلفة كانوا هم دائما طامعين فى محاولة وصف النبى بها ، ومنه ما ذهب اليـه البعض من تصور للوحى بأنه مرض نفسى او الهام داخلى ومنـه ما ذهب اليـه البعض من تصور النبى بصورة المصلح الاجتماعى العارف بحاجات قومه ، وما ذهب اليه بعضهم من أن العـرب كانت ناهضة مستعدة للظهور فلما جاء محمد نهض بها لنهضت ، ومنها ما ذهب اليه البعض من وصـف النبى بالزعامة او العبقرية او البطولة وكلها « غير النبوة » ومن ذلك قول بعضهم ان دعوة محمد كانت استجابة لظروف تاريخية معينة ، كان يحياها العالم فى القرن السـابع ومن ذلك دعوى انتشار الاسـلام بالسيف واتهام المسلمين بأن دافعهم الى الفتح كان البحث عن الطعام ، ومنها ما ذهب اليه كتاب الغرب من ان الاسلام مأخوذ من المسيحية او اليهودية كذلك لقـد حاولت كتابات الاستشراق والتغريبيين اضافة مجموعة من الاساطير روجت بعـد العصر الاول الى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم مرة أخرى بعد أن نقـاها



ارنست رينان

منها رجال السيرة المحققين ، وقد أريد بهذه الاساطير افساد العقول والقلوب من سواد الامة وتشكيك المستنيرين ودفـع الريبة الى نفوسهم فى شأن الاسلام ونبيه .

ان أبرز ما تكشف عنه كتابات الغربيين هو أحد امرين :

● أما المفهوم المسبق القـائم على الخصومة القديمة التى وضعها الاوربيون مع لبن امهاتهم نحو الاسلام ونحو النبى صلى الله عليه وسلم

● واما العجز الواضح لمن فهـم النبوة الاسلامية بالقياس الى المسيحية واليهودية وهذا العجز يتجلى فى عدم قدرتهم على التفرقة بين « الألوهية » و « النبوة » من ناحية وبين النبـوة والبشر العادى « وخاصة الحواريين او صحابة النبى » .

ومن ذلك الخلاف فى الفهم بين الاسلام والمسـيحية حـول الكتب السـماوية وهل هى من كلام الله تبارك وتعالى « كما فى القـرآن » او من كلام الرسـل والحواريين كما فى الاناجيل .



كل هذا وضع فاصلا عميقا دون فهم المستشرقين وكتاب الغرب لنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ويبدو هذا واضحا فى نصوص كتابات الحوار التى دارت فى الندوات المختلفة التى عقدت بين علماء المسلمين وعلماء المسيحية فى قرطبة وباريس وروما وغيرها حيث يقف علماء المسيحية موقفا غامضا من النبوة المحمدية .

وتأتى هذه المرحلة الجديدة لتفسح الطريق لرؤية معتدلة ، وهى المرحلة المعاصرة التى تكشف فيها الظلال الكثيفة فى الغرب عن تيار جديد ، مغاير التيار التبشير والاستشراق ، وأتباعهما ، ويقود هذا التيار جماعة من مصلحى الغرب اكتشفوا أخيرا أن الحضارة الغربية تنهار وأن الايديولوجيتين الليبرالية والاشتراكية قد عجزتا عن العطاء وأن هناك أملا فى النظر الى الاسلام ورسوله الكريم .

والحقيقة أنه طوال تاريخ الاسلام كانت الامم فى الشرق والغرب تتطلع فى شوق لأن تستجلى طلعة هذا النبى الكريم وتتعرف الى تعاليمه وخلقه بعد أن سمعت بسماحة دعوته وحسن معاملته لمعارضيه مما دفع هذه الدعوة فى تلك الانطلاقة العجيبة الى آفاق الارض فبلغت فى الوقت القصير من حدود الصين الى نهر اللوار ، غير أن قوى كثيرة كانت ومازالت تحول بين الامم وبين أن تتعرف على نبى الانسانية الاعظم ،

صحيح أن كثيرين كتبوا عنه فى الغرب واشادوا به أمثال جوستاف لوبون وكارليل وتولستوى وبرنارد شو ، ولكن ظلت هذه الكتابات محصورة فى نطاق ضيق وظلت قوى كثيرة تحجبها وجاء دعاة التغريب فى بلادنا ليسخرون منها ومن قائليها خوفا من أن تصل الى قلوب مشوقة متطلعة الى نور الحق ، كذلك فان ما كتبه لامرتين وجوته جرى تهجم شديد عليه ووصف كتابه بالسذاجة .

اننا اذا نظرنا اليوم الى افق الغرب نجد علامات كثيرة تكشف عن بروز هذا التيار المنصف الصحيح الذى يتمثل فى ثلاث علامات كبرى هى :

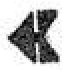
اولا : صيحة الاوربيين

ثانيا : ما كشفت عنه الابحاث عن الكتب القديمة

ثالثا : كتابات المنصفين

على كل حال لقد انتهى الى غير رجعة ذلك الطابع العنيف الذى كان واضحا فى كتابات رينان ومرجليوث الذى يعد كتابه عن النبى صلى الله عليه وسلم من اكثر الكتب فى تاريخ العالم كذبا وافتراء ، وما كتبه مؤلف الكوميديا الالهية الذى اجترأ على النبى محمد بينما اعلن اعجابه بابن سينا والفارابى وابن رشد ، ومنها ما كتبه فولتير فى روايته المعروفة عن النبى محمد والتى وضعها تحت اقدام البابا .

لقد استطاعت كتابات المسلمين المنصفة بالحكمة والاصالة والبعيدة عن التبعية أن تصل الى قلوب الغربيين وتقنعهم بصدق الرسالة المحمدية ، كما كشفت النظرة البعيدة عن الهوى عن تقدير واضح لهذا الاثر الضخم الذى تركته الرسالة المحمدية فى انتشارها السريع خلال ثمانين عاما حتى وصلت ما بين حدود الصين ونهر اللوار من ناحية ومازال تصل اليه يوما بعد يوم من فتوح فى قارات الدنيا الخمس ، وهو فتح سلمى لم يتوقف منذ توقف التوسعات الاولى كما تحطمت النظريات الباطلة عن انتشار الاسلام بالسيف وتعدد الزوجات بعد أن قبل الغرب هذا التعدد ومن ذلك استمرار الاسلام بعد كذب تنبؤات المتعصبين بانه سينتهى فاذا هو يزداد توسعا فى اقطار الارض ، وفشل ظن الذين كانوا يظنون انهم سيقضون على الاسلام ويجتثون جذوره من على الارض



وقد تعالت الصيحات فى الغرب بان الاسلام هو القادر على تقديم البديل الايجابى بعد فشل الايدلوجيتين وانه وحده الذى يستطيع أن يقدم البعد الربانى للحضارة ، والبعد الاخلاقى للمجتمع فضلا عن السماحة والاخاء والرحمة التى يحملها الاسلام للانسانية بدلا من التعصب والحقد والاستعلاء بالعنصر وسلاح الحرب المسلط على الرؤوس .

صيحة الاريوسية

لقد علت فى الغرب صيحة الاريوسية التى تكشفت من طريق المقارنات التاريخية فى الكتب المقدسة وعن طريق العلم وأن سيدنا عيسى عليه السلام هو نبى مرسل فان ذلك قد فتح الطريق الى نظرة جديدة الى النبى محمد عليه الصلاة والسلام والى رسالته العالمية الخاتمة كما صدق القرآن نبوة عيسى عليه السلام .

ويتصل بهذا ما ذهب اليه علماء اللاهوت من انجازات ضخمة متصلة أشار اليها الدكتور موريس بوكاى وكلها تلقى الضوء على كثير من نصوص العهد القديم .

كذلك لقد اشارت الأبحاث العلمية الى ما يؤكد الحقائق التى قدمها القرآن الكريم من خلق الانسان وانه لم يكن هناك فى هذا العصر بشر يعلمها ، مما يؤكد انها وصلت الى المسلمين من مصدر أعلى من البشر ومن شان هذا الاعتراف أن يكرم ويعلى من شان النبى صلى الله عليه وسلم المبلغ من ربه عن طريق القرآن الذى لا يزال الوثيقة الربانية الخالية من التحريف .

وقد أعلن الباحثون وفى مقدمتهم الدكتور موريس بوكاى أن النص القرآنى الموجود الان بين أيدينا هو عينه الذى كان متداولا فى فجر الاسلام ، لهذا اليقين شرط أساسى لصحة المقابلة بين نص القرآن والمعارف العصرية .

وان كل المعلومات التى قدمها القرآن من الأرض ولا سيما دورة الماء فى الطبيعة ومن مفاهيم تهم العلوم الطبيعية والفيزيولوجيا وتوالد البشر ، كل هذه الآيات تفرض القول على انسان موضوعى صادق النية أنه يستحيل على انسان كان يعيش فى العصر الذى نزل فيه القرآن ان يعبر بمثل هذا الكلام من تلقاء نفسه وقال أن القرآن لا يتضمن شيئا ما يمكن للعلم أن يرفضه لان كلامه كلام وقائع ثابتة مؤكدة وغير قابلة للتغيير كما أن عددا من المعلومات الواردة فيه لا يمكن فهمها الا فى عصرنا هذا ، وأن اشتمال القرآن على جميع العناصر التى هى من الوقائع الراهنة والتى أخذت فى هذا القرن العشرين بفضل المعارف الحديثة بعد كان مجهولا الى ذلك الحين ليحملنا الى دعوتكم الى التدبر فى هذه الاية الكريمة :

« كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون » (قرآن كريم) .هذه المعلومات المقررة الآن فى الغرب فى المقارنة بين الكتب المقدسة والقرآن كان لها أبعد الاثر فى تغيير النظرة الى الاسلام والرسول محمد صلى الله عليه وسلم

كتابات المتصفين

كذلك لقد ظهرت فى العقود الاخيرة كتابات غربية منصفة كان فى مقدمتها ما كتبه الدكتور مايكل هارت فى كتابه.

« الاعلام المائة وعلى راسهم محمد »

الذى تكشف كتاباته بانه نوعا جديدا من تقدير الباحثين القائم على الانصاف وهو يعلل أختياره للنبى صلى الله عليه وسلم على اساس واضح انه النبى الوحيد فى التاريخ كله الذى نجح فى اقامة دولة : بينما أن هناك رسلا وأنبياء وحكماء بدءوا رسالات عظيمة ولكنهم ماتوا دون اتمامها كالمسيح فى المسيحية أو شاركهم فيها غيرهم أو سبقهم اليها سواهم كموسى فى اليهودية :

« ولكن محمدا هو الوحيد الذى اتم



• تطور جديد في كتابات الغربيين •

رسالته الدينية كاملة وتحددت كل احكامها وآمنت بها شعوب باسرها في حياته ولانه اقام الى جانب الدين دولة جديدة، فانه في هذا المجال الدنيوى ايضا وحد القبائل في شعب والشعوب في امة ووضع لها كل اسس حياتها ورسم امور دنياها ووضعها موضع الانطلاق الى العالم ايضا في حياته فهو الذى بدأ الرسالة الدينية والدنيوية واتمها .

ان معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا في قلب احد المراكز الحضارية في العالم في بيئة متقدمة تبرر ظهور العظماء فيها ولكن محمد ، هو الوحيد الذى نشأ في بقعة من الصحراء الجرداء المجردة تماما من كل مقومات الحضارة والتقدم .. الخ الخ .

فاذا ذهبنا لنستعرض ما قبل ذلك وجدنا لونا من الفهم يتطور مع الزمن يقول « سكان بلال ماكدونالد » : ان الشخصية المحمدية لا تزال بعد اربعة عشر قرنا مصدر المدد المتصل في تقوية المسلم ، وان اطوار المسلمين تختلف اختلافا لان منه بين الناس ينتمون الى كل جنس والى كل اصل من الاصول البشرية ولكن الاسلام قد اوجد فيهم « اخوة عامة » قل ان ما يوجد لها نظير في اتباع الكنيسة الواحدة .

ويقول ستارز ان ستراير المحلل السياسى المعروف : « عندما نستعرض التاريخ الطويل لافريقيا نجد ان الشخصية الرئيسية التى تلعب الدور الاساسى في معادلة النهج السياسى ليست هى فلان او فلان وانما هى شخصية محمد الذى كان يعيش في مكة منذ الف واربعمائة سنة فالاسلام هو الجبل الاشم الذى تحطمت عند سفوحه موجات الاطماع الاستعمارية فالاسلام يكسب خمسة من الاتباع مقابل واحد ينضم الى الدين الآخر ، الخ .

وفي هذا المجال يجب ان نعرض لامرين هامين :

الاول : فتح باب الحوار بين الاسلام والمسيحية ، هذا الحوار لم يستطع ان يصل الى غايته المرجوة لانه لم يستطع ان يبدأ من النقطة الحقيقية له وهى ايقاف حملات التبشير الغربى على البلاد الاسلامية اذا كان اصحابه جادون حقاق الالتقاء بالمسلمين على هدف واحد هو مواجهة التيارات المادية والالحادية التى تعمل على محاربة الاديان السماوية وليس تأييد النظام الراسمالى الغربى كما يقولون .

لقد وجهت الى دعوة الحوار تحفظات كثيرة ومن اخطرها العمل الجاد على اعادة النظر في كتابات دوائر المعارف الغربية من الاسلام والرسول والقرآن. والآن هل لنا ان نتساءل : هل هناك تحول حقيقى ؟!.

ان اغلب الكتاب الذين يكتبون الآن انصاف اليوم هم ممن ليسوا مجندين في مؤسستى الاستشراق والتبشير ومن اصحاب الضمائر الحية التى تريد ان تقدم للغرب منطلقا للخروج من الازمة لا يقدمه الا الاسلام وربما نجد بعض كتاب الغرب اليوم وهو يتنازل من مفاهيمه تحت تأثير الاحساس بالحاجة الى تنمية العلاقات الاقتصادية مع العرب ان هناك في الغرب موجة جديدة تستشرق الاسلام وسيرة النبى صلى الله عليه وسلم في اعجاب شديد واقتناع عقلى كبير وهناك موجة من الدخول في الاسلام .

وعلى كل الاحوال فان الانفراج الحاضر في الكتابة عن الاسلام والرسول في الغرب لا يجعلنا نغفل عن مؤامرة النفوذ الغربى المستمرة والمتصلة في الاستشراق الغربى والماركسى والصهيونى .

ولكننا نعتقد ان الغلبة ستكون للتيار المنصف الاسلام ورسوله وكتابه والتى يقوم عليها اليوم علماء ومفكرون لا يخضعون لسيطرة دوائر الاستعمار والاستشراق والكنيسة .



●● وخصوم السيرة النبوية .. ماذا يريدون ؟

فضيحة الأحقاد الصهيونية وراء العبث بتاريخ الإسلام

بقلم : عبد الرحمن شاكر

تلقت « الهلال » من الكاتب « نبيه القاسم » المذيع فى التليفزيون الاسرائيلى بالجليل الغربى فى الارض المحتلة فى فلسطين رسالة يحتج فيها على ماكتبته فى عدد سبتمبر الفائت من الهلال عن حكاية الاستاذ الدرزى ، الذى اصدر كتابا يزعم فيه ان المؤرخين العباسيين هم الذين اخترعوا قصة نبى الاسلام فى مكة ، وان حقيقة الامر عنده ان الاسلام قد ظهر على عهد دولة بنى امية ، على ايدى « الحنفاء » من بين نصارى الشام ، وان العباسيين قد عمدوا الى ذلك ، لانتزاع الشرعية من بنى امية ، ولانهم كانوا ينسبون الى محمد بن الحنفية !





وخصوم السيرة النبوية ماذا يريدون ؟

● ويطالب نبيه القاسم، الذى يصف نفسه بأنه صديق للهلال ، بنشر مقالة له – سبق ان نشرها فى مجلة « الجديد » وتصدر فى الارض المحتلة ، وارسل صورة منها للهلال – كيما تنشر على صفحاته ، لتكون بمثابة رد على ما كتبته ، حيث أنها تتضمن عرضا وافيا للكتاب المذكور وتعليقا عليه ، وخاصة أنه هو الذى اطلع على هذا الكتاب ، من دونى ، وقد تفضل بتصحيح عنوانه ليكون كالتالى : « مقدمة فى التاريخ الاخر ، نحو قراءة جديدة للرواية الاسلامية » – تأليف الدكتور سليمان بشير » .

أما النشر فلا شأن لى به ، وأما الذى املكه فهو مناقشة هذا الكاتب فيما ورد فى رسالته ومقالته :

وأبادر الى القول بأننى لم أكن لأقدم على مناقشة هذا الكتاب الذى لم أطلع عليه ، لولا أننى قرأت عنه فى صحيفة اسرائيلية هى « جيروشاليم بوست » ، وهالنى مدى الحفاوة التى استقبلت بها هذا الكتاب ، والنتائج التى رتبتها على ما وصفته بأنه « نظرية سليمان بشير » فى التاريخ الاسلامى ، وأن من شأن هذه « النظرية » أن تنسف الشق الثانى من الشهادة التى هى عصب العقيدة الاسلامية ، وهى الشق الخاص بأن محمدا رسول الله !

ولم تتردد جيروشاليم بوست فى وصف الضجة التى أحدثها هذا الكتاب فى الارض المحتلة من فلسطين ، ومقدار الاستياء الذى ساد الشعور العام لدى المسلمين هناك وخاصة بين طلبة جامعة النجاح الفلسطينية بنابلس ، التى كان هذا الاستاذ يشغل منصب نائب رئيسها لشئون الابحاث ، وقد أبدت الصحيفة الاسرائيلية دهشتها – عن حق – لوصول المذكور الى هذا المنصب ، وهو الذى يحمل الجنسية الاسرائيلية ويبدى أسفه لأنه لم يتمكن – بسبب ضعف صحته – من الخدمة فى جيش الدفاع الاسرائيلى !.

وتصف الصحيفة الاسرائيلية الازمة التى أثارها هذا الكتاب ، وانتهت بطرده من الجامعة الفلسطينية ، وما ترتب على ذلك من اغلاق تلك الجامعة .. أقول تصف هذه الازمة بأنها قضية اسرائيلية ، حيث أن « بطلها » مواطن اسرائيلى بحكم الجنسية التى يحملها !

ذلك الجانب السياسى للموضوع هو الذى دفعنى لكتابة ما كتبت عنه ، واعتمدت فى معلوماتى من الكتاب على تلخيص الصحيفة الاسرائيلية له ، كان ذلك هو المادة التى أمامى ، والتى أرى أن من حقى أن أناقشها لما ترتب عليها من آثار سياسية ، أما سليمان بشير ذاته وكتابه المذكور فلا يعنينى أمرهما فى شىء الا من تلك الزاوية .

وها أنت ذا قد جئت – يا من تصف نفسك بأنك صديق للهلال – لتزودنا بمزيد من المادة عن كتاب صاحبك ، فهل تسمح لنا بمناقشتها اعتمادا على صحة نقلك عنه وفهمك لكلامه ؟

هل اندثر الامويون حقا ؟

لقد ذكرت فى عديد من المواضع فى مقالتك أن الاسلام بما فى ذلك نص القرآن الكريم – قد تم « تطويره

وبلورته » (!؟) فى أواسط العهد الاموى وفى عهد عبد الملك بن مروان بالذات ، ووردت أيضا فى كثير من المراضع أن العباسيين قد حرصوا على تغييب « الرواية الشامية » عن التاريخ الاسلامى لطمس معالم الامويين فى نشأة هذا الدين ! وذلك لانهم تغلبوا سياسيا على الدولة الاموية ، ثم كلفوا مؤرخيهم باعادة كتابة هذا التاريخ على النحو الذى يلائم أغراضهم السياسية !

فما رأيك اذن ، وما رأى صاحبك مؤلف الكتاب ، فى الحقيقة التاريخية التى لم يرد لها ذكر فى مقالك ، ويبدو أن صاحبك قد نسيها أو تناساها أو تعمد الذين علموكم التاريخ والكتابة فيه فى الجامعة العبرية أن يدفعوكما الى تجاهلها

ما رأيك فى أن الامويين لم يندثروا سياسيا بظهور الدولة العباسية ، وانما قامت لهم دولة أموية ثانية فى الاندلس بعد سقوط دولتهم الاولى فى الشام بست سنوات لا أكثر ؟ !

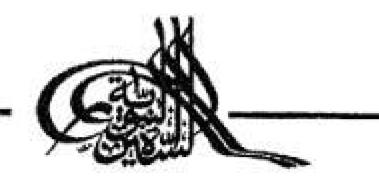
لقد فتحت الاندلس فى عهد الوليد ابن عبد الملك بن مروان ، أى بطل « الرواية الاسلامية » ! ، التى يرويها ويبشر بها صديقك سليمان بشير ، وتولى الحكم فيها ولاة من جانب الخلفاء الامويين .. حتى اذا ما سقطت الدولة الاموية فى الشام ، عام ١٣٢ هجرية ، وشرع أبو جعفر المنصور الخليفة العباسى الثانى فى مطاردة الامويين وأعقابهم ، فر من وجهه عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، وتوجه الى الاندلس حيث استولى على حكمها عام ١٣٨ هجرية ، وهو الذى عرف باسم عبد الرحمن الداخل ، واستتب الامر له ولخلفائه من بعده ، ودام ملكهم فى الاندلس مدة أطول من حكم العباسيين أنفسهم ، وكان أبو جعفر المنصور هو الذى أطلق على عبد الرحمن الداخل لقب « صقر قريش » ، اعجابا به رغم كونه خصمه السياسى ..

هل عجز كل هؤلاء الخلفاء الامويين فى الاندلس ، عن اعادة كتابة تاريخ الاسلام طبقا للرواية الشامية أو الاموية ، التى غيبها العباسيون كما يزعم صاحبك وتؤيده فى منطقه وتقول انه قد أعجبك وأقنعك ؟! هل كان يعجز أبناء عبد الملك بن مروان الذين حكموا تلك البلاد النائية ، البعيدة عن سطوة العباسيين فى بغداد ، عن أن يعلنوا « الحقيقة » التى اكتشفها صاحبك

.. وأن عبد الملك بن مروان هو مؤسس هذه العقيدة ، وليس محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، لولا أن كانت تلك هى الحقيقة فعلا ، وأن عبد الملك وأبناءه كانوا مسلمين مؤمنين بما جاء به هذا النبى العربى ، شأنهم فى ذلك شأن بنى العباس ، وكانوا مثلهم على مذهب أهل السنة الذى يقر صاحبك سليمان بشير بأن العباسيين كانوا عليه ، ويزعم أنهم

قد « طوروه » بدورهم على أنقاض « الرواية الشامية » لبنى أمية ؟ !

لقد كان الخلاف بين العباسيين والامويين خلافا سياسيا محضا ، حول من يتولى حكم المسلمين ، أما من الناحية الدينية لمعظم المسلمين فى المشرق والمغرب ، عباسيين كانوا أو أمويين ، مماليك أو عثمانيين كانوا كلهم على مذهب أهل السنة ، يتلون القرآن الكريم على نصه الذى أثبته عثمان بن عفان فى مصحفه ونسخ منه أربع نسخ للامصار الاسلامية ويتلقون الحديث والفقه عن الصحابة والتابعين ، ولم يكن عبد الملك بن مروان الا واحدا من هؤلاء ، وقد اشتهر الى جانب كونه حاكما حازما ، بأنه عالم فقيه ، ولم يكن « مطورا » للدين الاسلامى كما يزعم صاحبك !



وخصوم السيرة النبوية ماذا يريدون ؟

اعتقـــد أن حكاية « تغييب الرواية الشامية » هذه هي مجرد افتراض سخيف من جانب صاحبك مؤلف الكتاب وصاحب النظرية التي بنيت على التلفيق ، وتجاهل تاريخ الاندلس كله على هذه الصورة ، وهو ما كان بمثـــابة تاريخ للدولة الاموية الثانية ، طوال قيام الدولة العباسية واستمر طويلا بعدها .. واعتقد أن هـــذه الجراة على التاريخ وتصويره على هـــذا النحو طبقا لاهواء صاحبك هو فضـــيحة جديدة تفضلت أنت باطلاعنا عليها فيما كتبت ، وهي كفيلة بأن تجعل من صاحبك مؤلف الكتاب سخرية المؤرخين من كل امة وفي كل زمان مكان ، ولو وصـــل امرها الى اية جامعة تحترم نفسها لالغت تعيينه أستاذا بها ولسحبت اعترافهـــا بالدرجة العلمية التي يحملها !

● ترهات الاحقاد الصهيونية ●

بعد بيان سخف ادعاء صــــاحبك بان العباسيين قد اخفوا الرواية الشامية عن ظهور الاسلام ، فلا داعي لمناقشـــة الركام الهائل من الترهات التي نقلهـــا صاحبك عن المستشرقين ، وخاصة اليهود منهم بناء على الفكرة ذاتها ، مثل الخلط ما بين فتح مكة في صدر الاسلام على يد الرســـول الكريم ، وبين فتح الحجاج بن يوســـف الثقفي لها في عهد عبد الملك بن مروان ! وكذلك الخلط بين جمع القرآن على عهــــد عثمان بن عفان رضي الله عنه والباته في مصحف امام ، وبين مصحف المتقدمين لاحد من رجالهم بانه جمع القرآن بمعنى انه كان يحفظه ويستوعبه في صدره .. وهلم جرا

ولكنني اقف عند نقطة واحدة هي عنوان الحقد الصهيوني الذي يقف وراء مثـــل هذه الاعمال العابثة التي لاتمت الى البحث الاكاديمي الجـــاد « كما سميت كتـــاب صاحبك » بصـــلة ، من ذلك اعتراف صاحبك بان الاسلام ينتسب حتى طبقـــا للرواية الشا مية المغيبة على حد زعمه ـ الى الحنيفية اى ملة ابراهيم عليه السلام

فاذا كان الاســـلام ينتسب على هذا النحو الى عقيدة ابى الانبيـــاء ابراهيم ، فما هو وجه القرابة في أن يكون هنـــاك بعض التشابه مع العقيدتين اليهـــودية والنصرانية وكلاهما ينتسبان او المفروض فيهما انهما ينتسبان الى المصدر ذاته وهو ملة ابراهيم ؟

الان صاحبك ينقل عن المستشرقين أن العرب ينتمون الى هاجر ام اسماعيـــل على حد تعبيرهم ، يحاولون التشكيك في اصالة الاسلام من هذه الزاوية ، لمـــاذا لا يقولون ان العرب ينتسبون الى اسماعيل ذاته وهو الابن الاكـــبر لابراهيم ، ومن الطبيعي جدا أن يتوارث العرب هذا الدين من أبويهم ابراهيم واسماعيل ، تماما كما توارثه أبناء الابن الاصغر وهو اســـحق ابن يعقوب او اسرائيل عليه السلام ؟ وأن الدعوة الاسلامية في مكة قامت على نهى العرب عن الشرك بالله وعبادة الاوثان وردهم الى الدين الحنيف ، دين ابراهيم القائم على توحيد الله .وان الموقف من الديانتين الاخريين كان يحدده مقـــدار الاقتراب او الابتعاد عن هـــذا الاصل ، الموافقة على ما تضمنه كل من التوراة والانجيل ممـــا لا يتنافى وما جاء في القرآن الكريم

« وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون »

« سورة البقرة ١٢٥ - ١٣٦ »

فاذا كان اليهود قد رفضوا ولا يزالون يرفضون الاعتراف بان هناك نبيا من ابناء اسماعيل ، وان النبوة قد حصرت في بني اسرائيل ، فذلك شأنهم ، ولكن ليس من شأنهم ، أن يحاولوا تعليم ابناء العرب والمسلمين - كما فعلوا مع صاحبك سليمان بشير هذا في الجامعة العبرية - العبث بالتاريخ الاسلامي على هذا النحو الى حد محاولة التشكيك في صحة وجود نبي الاسلام من حيث هو شخصية تاريخية ، هي عند من يحترمون أنفسهم من المؤرخين من غير المسلمين ، اثبت شخصية في التاريخ ، وابعدها تأثيرا في تاريخ البشر

ولعل هذه النقطة الاخيرة هي مبعث الحقد الهائل المستمر حتى الآن . فالاسلام هو الذي نشر عقيدة التوحيد في ربوع المنطقة وامتد بها من حدود الصين الى المغرب الاقصى على نحو لم يتم لسابقيه من الرسالات ، بل ان امتداده مع الفتوح العربية الاسلامية الى القوقاز ، او ارض اشكناز كما تسميها التوراة ، هو الذي اتاح وصول الديانة اليهودية الى الخزر الوثنيين الذين اعتنق ملوكهم هذه الديانة اليهودية بعد ان استفحل لديهم اعتناق رعاياهم المسيحية والاسلام ، فخافوا من ضياع ملكهم ما بين دولة العباسيين الاسلامية ودولة بيزنطة المسيحية في ذلك الحين ، وارادوا ان يعطوا شعبهم ديانة محترمة ومتميزة في الوقت ذاته من ديانة كل من جارتيهم القويتين فاختاروا اليهودية ، وتبعهم شعبهم في ذلك ، وهذا الشعب الذي تهود بعد ظهور كل من المسيحية والاسلام ، وبفضل انتشار الاسلام وفتوحاته هو أصل معظم اليهود في العالم الآن وهم المعروفون باسم اليهود الاشكناز ، ومن صفوفهم خرجت الحركة الصهيونية ، فهل جاءوا الى هذه المنطقة ليبيعوا فيها بضاعة نشأت لديها ، واستهلكت وبارت من قديم ؟ !

لقد صدق المؤرخ البريطاني توينبي حينما وصف « اسرائيل » بأنها مجرد حفرية حضارية ! ! وما هي « دولتهم » قد قامت منذ ما يقرب من اربعين سنة ، كانت كافية في الماضي لكي ترتفع كلمة التوحيد في ارجاء الارض على يد الاسلام في عصر لم تكن هناك فيه طائرات ولا سواها من طرق الاتصال والمواصلات .. وفي استطاعة طائراتهم ان تقصف الناس وتقتلهم كما فعلوا اخيرا في تونس ، ولكنها لاتستطيع ان تدخل في قلوبهم ما يهوون من معتقدات !

لقد آمن الناس على يد الاسلام بان الله رب العالمين ، وليس مجرد « رب اسرائيل » كما الفت كتبهم ان تصفه ، وان حكاية الشعب المختار قد انتفت وليس ابن الجارية باقل شأنا من ابن الحرة ، وانه ليس لعربي على اعجمي ولا أبيض على اسود فضل الا بالتقوى ..

واذا كان عميل لهم مثل سليمان بشير قد فعل فعلته التي فعلها فارضت سادته من الصهاينة واستحق سخط امة باسرها حتى الفناء .

فقديما قيل :

واذا اراد الله نشر فضيلة
طويت اتاح لها لسان حسود !

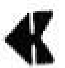
القفز على الأشواك



● لم تعد الدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية مقصورة على جماعات مثل « الجهاد » و « التكفير والهجرة » . بل ان العنوان او الشعار ذاته « تطبيق الشريعة الاسلامية » يتبيم بطبيابع معتدل اذا قيس بالعناوين السابقة . وأصحاب هذه الدعوة ليسوا شبابا متحمسين يقدمون على سفك الدماء أو وضع القنابل او اشعال الحرائق على انها من واجبات المؤمنين الصالحين ، ولكنهم رجال ذوو مناصب ، سياسيون معروفون ومهنيون بارزون وكتساب مشهورون ورأسماليون كبار . يتساءل بعض النساس : هل كانت الحركة الاولى مقدمة للثانية (بمعنى أن هناك مخططا مرسوما) ام ان الفريق الثاني ركب الموجة واستغلها لصالحه ؟ للذين يدعون العلم بخفايا السياسة وعلاقات القوى ودسائس الامبريالية أن يقولوا ما عندهم فى ذلك ، اما نحن الذين لا نتهم احدا بالخيانة او العمالة ، ولا نحاسب الناس الا على اقوالهم وافعالهم ، ولا نرى ان الاهتمام باحوال المجتمع ينبغى ان يكون مقصورا على فريق دون فريق ، فكل ما نطلبه من اصحاب الدعوة الجديدة ان يدرسوا ويتفهموا ويتثبتوا، كما طلبنا مثل ذلك من اصحاب الدعوات القديمة

ونحن ـ مثل الكثيرين من ابناء هذه الامة ـ نرى ان لهذه الدعوات ـ قديمها وحديثها ـ اصلا صحيحا افسده ضيق الافق او قصر النظر أو غموض الرؤية او تعجل المصلحة . ولولا ذلك ماوجد اصحابها احدا يلتفت اليهم او يخشى خطرهم .

ومالى لا اقول ان شباب الجماعات



بقلم: د. شكري محمد عياد



احمد امين



محمد عبده



مصطفى عبد الرازق

الاسلامية المتطرفة تلقوا كلمات من بعض المفكرين الاسلاميين فأخذوها بحرفيتها كما يفعل الشباب عادة ولاسيما فى بلادنا . ثم اسسوا على هذه المقدمات نتائج منطقية من حيز الكلام الى حيز العمل كما يفعل الشباب ايضا . قيل لهم : جاهلية القرن العشرين ، فقالوا : واهل الجاهلية كفار فأهلنا هؤلاء كفار لا يحل لنا ان نعايشهم او نساكنهم ، فلابد ان نهاجر من ديارهم ، ثم علينا ان ننشر « الدعوة » بين من نرى فيهم استعدادا لتقبلها حتى نقوى على قتال « المشركين » وحملهم على جادة الدين الصحيح ، ومن خرج على الدعوة بعد ان قبلها فهو مرتد يجب قتله . وقد عرفنا بعض اولئك المفكرين الاسلاميين الذين اتخذوهم مرشدين . وما كانوا على شيء من العنف او القسوة ، بل كانوا اناسا تغلب عليهم الطيبة والوداعة ، وكانهم انكروا على الناس احوالهم فى معاملاتهم وتكالبهم على المادة وجريهم وراء الشهوات ، وراوا ذلك شيئا لا يتفق مع مثل الاسلام ومنهجه فى الحياة فعزوه الى التأثر بالغرب الكافر الملحد ، وبوثوا هذا الفكر السطحى الساذج فى كتب تداولها بعض الناس معجبين ، كما تتداول فئات اخرى من البشر قصص الغرام او احاديث السحرة والجن ، كل فريق ينفس عن انواع معينة من الاحباطات والضغوط . اما الشباب الطاهر النقى الذى يشتعل رغبة فى الاصلاح فقد كان من امره مع هذه الكتابات ما رايت . ولو ان هؤلاء الشباب تجاوزوا تلك الكتابات

الأشواك

الصحفية السطحية ونهلوا من منابع الفكر الاسلامي في عصوره الزاهية وتمرسوا باساليبه ومناهجه ومحصوا صحيحه من فاسده - والقوم بشر يخطئون ويصيبون وربما اتوا افعالا عن رغبة او رهبة - لكان من امرنا وأمرهم غير ما كان ، ويظهر من بينهم علماء ومفكرون وفلاسفة يتممون ما بداه رواد الفكر الديني الحديث ، من محمد عبده الى مصطفى عبد الرازق وعلى عبد الرازق واحمد امين وامين الخولي • ولكنهم صعب عليهم الدرس وهانت عليهم الحياة ، فساروا خلف « ائمتهم » يتخبطون، وربما ذكر لهم اسم واحد من هؤلاء الاعلام المجددين فتراهم يخوضون فى ذمه وربما كفروه دون ان يكلفوا انفسهم عناء قراءته • بل انى لازعم الكثيرين منهم قلما يقرءون القرآن الكريم والحديث الشريف قراءة فهم وتدبر !

وتحضرنى قصة قريب لى من هؤلاء - مهندس تخرج منذ بضعة عشر عاما ، اى انه لم يعد شابا - وكنا نعرفه بالاستقامة وطهارة اليد والمحافظة على فرائض الدين • وكثيرا ما كان يحدثنا عن « شيخه » كما يسميه : الشيخ قال ، الشيخ فعل ، الشيخ ذهب ، الشيخ جاء • ثم رايته بين يدى هذا « الشيخ » متواضعا له اشد التواضع ، والشيخ يهذى بكلام سخيف لا اصل له فى عقل ولا نقل ، ولا عجب ، فلم يكن « الشيخ » الا شابا يصغره فى السن ، وعلمت فيما بعد انه لم يجاوز تعليمه المتوسط ، ولكنه كان ذا لحية عظيمة ، يحدث بالخوارق والكرامات ، مشيرا بيديه معبرا بجوارحه منغما صوته كممثل محترف قلت لقريبي بعد ان ذهب الشيخ لحاله : لو طالعت فى كتاب من كتب التفسير ، قرأت صفحة من كتاب من كتب الحديث ، لكان اجدى عليك من الاستماع لهذا الشيخ • واشهد ان قريبى هذا - وهو منى بمنزلة الولد - كان بارا مطيعا ، فلم يكذب خبرا ، ولكنه جاءنى بعد ايام وقال لى مرتاعا : سمعت نصيحتك ، وقلت اقرأ شيئا فى صحيح البخارى ، ولكنى لم اقرأ منه صفحة حتى تشتت فكرى ، وخفت ان اضل ، فطويته مؤثرا السلامة •• هممت ان اقول له : عليك بشرح العينى ، أو شرح القسطلانى ، ولكنى اشفقت عليه ، فأخذته من يده الى مجلس صديق لنا ، يجتمع عنده طلاب العلم الدينى ليلة كل اسبوع ، فيقرأ عليهم شيئا من أمهات كتب الحديث او الفقه ، ويشرحه بكلام سهل • وبعد مدة سألت صديقى عنه فقال انه لم يره منذ تلك الليلة • وعلمت ان قريبى ازداد التصاقا بشيخه الجاهل ، يستمع اليه هاشا باشا وهو يورد عليه الجديد والقديم فى احاديث الخوارق والكرامات •

ولكن صرحاء ولو مرة ، فالكتب الدينية - كما تسمى - التى يقرؤها الناس في هذه الايام اكثرها من نوع الكتابات الصحفية الهشة التى تقول للناس ما يحبون أن يسمعوه ، لا ما تمدهم معرفته ، اضف اليها بعض كتب الوعظ ومادتها الاساسية من الاحاديث الموضوعة ، وما يتصل

بها من كتب المناقب وسير الاولياء ، وقد اصبحت هذه مصدر الهام عند بعض ادبائنا المعاصرين من شعراء وقصاصين • اما امهات كتب التفسير والحديث فنحن نقتنيها للتبرك ولانرجع اليها الا نادرا ، واما كتب الفقه فقد اصبحت طلاسم مغلقة ، لا يحسن فك رموزها الاالقليلون • ولا اظنني ابالغ اذا قلت ان قراءة نص قديم اصبحت اليوم عملا لا يقدر عليه الا افذاذ العلماء • وهل يقدر على تحصيل العلم ـ فضلا عن الاضافة اليه والتجديد فيه ـ من فقد اداته ؟

وكيف يستحل بعض الناس أن يتكلموا فى الدين وهم لا يحسنون قراءة نص ؟ فلا احد يجهل ـ حتى ولاهم ! ـ ان فهم الدين لا يكون الا بفهم نصوص الدين ، او ان العلوم الشرعية اساسها النقل كما يقول القدماء • ويااليت بعض الذين يتحدثون عن التراث واهمية التراث ياخذون انفسهم بالجد فيدرسون طرق تفسير النص عند القدماء ، فان هذا الموضوع ـ على عظيم خطره ـ لايزال بكرا، ولم يمسه ـ فيما اعلم الا زميلان فاضلان من اهل اللغة والادب ، وهما الدكتور تمام حسان والدكتور احمد مطلوب • ولا يزال الموضوع محتاجا الى من يحيط باطرافه عند المفسرين والاصوليين واللغويين والنقاد •

هذا ما نقوله للشباب •

اما الذين يدعون الى تطبيق الشريعة من ذوى المناصب واهل الراى فنود ان نقول لهم ايضا : ان الاسلام كما علمنا وعلمتم منهاج حياة ، فليست الشريعة منحصرة فى الحدود التى يقول عنها الامام الشافعى انها كفارات ، ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من اصاب منكم من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله ، فانه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله عز وجل » وهذه سياسة النبوة فى ايقاظ الضمائر وتهذيب النفوس ، اذ ليس من شأن السلطة الزمنية ان ترضى باستتار المخالفين • ولكن أمامنا يا سادة مشكلات كثيرة جدا يجب ان تشغلنا عن الجدال فى أمر الحدود • فمادام الاسلام منهج حياة فيجب أن نستضىء بشريعته فى امور المال والاقتصاد والعلم والتعليم والفن والرياضة الخ• اى باختصار فى كل ما تقوم به حياة المجتمعات • هذا هو الاصل الصحيح فى دعوتكم • ولكننا بعد ذلك يجب ان نسأل : كيف نصنع فى هذا العالم الذى تخيق رقعته اكثر فاكثر ، والذى اصبحت ماليته ، واقتصاده ، وعلومه وفنونه ، تدبر وتسير فى مراكز بعيدة عنا ، لانكاد نعلم كيف تدبر وتسير فضلا عن ان تكون لنا سيطرة عليها • هل فى استطاعتنا أن ننفصل عن هذا العالم ، فنستغنى عن ماله واقتصاده وعلمه وفنه ؟ بل هل نريد حقا وصدقا ، وبلا نفاق او مراوغة او خداع للنفس ، ان ننفصل عنه ؟ فهل نريد اذن ان نبقى اتباعا خاضعين له ، بل فى الذيل من اتباعه ؟ اخشى ان الكثيرين منكم ان لم يكن معظمكم ، ان لم تكونوا كلكم ! ـ تتهربون من هذا السؤال • ذلك اننا ، فى واقع الامر ، قانعون بمنزلتنا الخسيسة فى هذا النظام العالمى • ولا اظن ان الذين صفقوا

الأشواك

منكم لحاكم عربي ، حين اعلن عن تطبيق الشريعة في بلده ، كانوا يجهلون ان هذا الحاكم قد وضع نفسه وبلده في خدمة دولة عظمى ، ولو أني استبعد انهم كانوا يعلمون المدى الذى وصل اليه في ذلك ٠

الامر جد اذن ! بل الامر يحتاج الى كل الايمان ، وكل الصبر ، وكل العزيمة والاصرار ، لنحيا حياة اسلامية حقة ، وقبل هذا كله نحتاج الى العلم بما يجرى في عالم اليوم ، ان العالم يعيش اليوم ثورة صناعية جديدة تسمى ثورة المعلومات ٠ والذى يعلم اكثر واسرع هو الذى يفرض نظامه وسلطانه فهل انشانا مركزا واحدا ، في طول العالم الاسلامى وعرضه ، لصناعة الالكترونيات ؟ بل أقل من هذا : هل نملك مكتبة واحدة يمكن ان تسمى — حقيقة لا أدعاء — مكتبة بحث ؟

ولا ينبغى ان تلهينا معرفة العالم المعاصر عن اكتشاف — او اعادة اكتشاف — قيم حضارتنا — ٠ وما أحوجنا الى كل هذا الشباب الذكى ، المتحمس ، طيب النية ، لينقب في تراثنا ، ويغربله ، ويحلله ، وينقده ، كى يجلو لنا روح حضارتنا العربية ٠

على أساس العلم ، والعلم وحده ، يمكن أن يقام مجتمع اسلامى حديث : باقتصاده ، وأخلاقه ، وعلومه ، وفنونه ، وصناعاته ، وعلاقاته الداخلية والخارجية ، ولن يقوم بناء هذا المجتمع الا بجهود الملايين الفاهمة الواعية ٠



امين الخولى

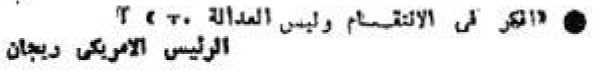
أحلم هذا ؟ انه يبدو كذلك ، مادمنا نترك بلادنا تخترق وتمتص بالقوى الاجنبية ٠ ولكنه فريضة على كل من يدينون بوجودهم للحضارة الاسلامية، سواء أكانوا مسلمين دينا أم غير مسلمين ٠ فاهم ميزات هذه الحضارة هو انها استطاعت ان تصنع من مجموعة من الشعوب المسحوقة أمة كان لها اسهامها البارز في الثقافة العالمية ، واهم من ذلك دورها في رقى الضمير البشرى ٠

وبرغم ما اصاب هذه الحضارة من تدهور ، فان لبابها — وهو الشريعة الاسلامية — مازال قادرا على ان يخاطب الشعوب في دول العالم المتقدمة والمتخلفة على السواء ٠

وأولى الناس بحمل هذه الامانة هم الذين يدعون الى « تطبيق الشريعة »، بشرط ان يصححوا — اولا — فهمهم لكلمة الشريعة ٠ فيعرفوا انها تربية نبوية ، وهداية ربانية ، وليست سلطة قهرية ، وأنها اعظم كثيرا جدا من رجم زان ، او قطع يد سارق ٠

انهم ان ينهضوا بهذه الامانة يكونوا حقا خير أمة اخرجت للناس !

أقوال معاصرة



● «الكبر في الانتقام وليس العدالة ٣٠» ؟
الرئيس الامريكي ريجان

● «اسرائيل كنز لا يفنى» !
رونالد ريجان


ريجان

● «انقسام الفلسطينيين لا يقل خطرا من تقسيم فلسطين»
كامل زهيري

● «عندما يتردد المرء بين : ان يعيش او يموت ، فمن الافضل ان يموت»
الاديب يوكيو ميشيما الذي انتحر بالهاراكيري


كامل زهيري

● «انهم لا يريدون السلام ، نعرف أنه أما نحن او هم» ليس لدينا سلاح ولا مساعدة من الخارج ولكن عندما يحدث الانفجار سيكون مدمرا ..»
سائق تاكسي في قطاع غزة

● «عندما يبدأ فنان في انتقاد العالم ، يبدأ في فقدان نفسه»
اوجين اونيل
كاتب المسرح الامريكي


اوجين اونيل

● «الرأسمالية في جنوب افريقيا ، دخلت مرحلة الصراع من أجل البقاء»
ستانلي اوس
الجارديان .

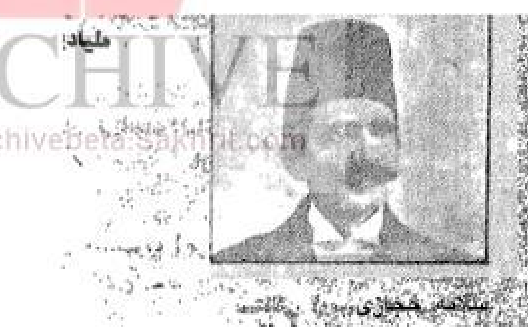
● «محاولة حل النزاع العربي الاسرائيلي مع منظمة التحرير الفلسطينية ، مثل السعي الى انهاء سباق التسلح النووي من خلال اتفاق مع يوجوسلافيا»
دانييل بايبس
ووستريت جورنال

شريط الذكريات

أنا وأهل الفن

بقلم : فتحي رضوان





سلامة حجازي

كنت على صلة بالفن وأهله شببت عن الطوق . فقد شاءت الظروف أن أقضى سنى الصبا المبكر ، أو قل سنى الطفولة فى منزل تملكه بريمادونة مسرح الشيخ سلامة حجازى ، والبريمادونة هو لفظ غربى يطلق على الممثلة أو الفنانة الأولى بمسرح ما . وكانت بريمادونة مسرح سلامة

الشارع الذى وصفه الحكيم فى عودة الروح!

مليا ديان فى مسرح سلامه حجازى!!


احمد شوقى

حجازى هى السيدة « ملياديان » ، وكان لها بيت جميل مبنى على مايشبه نظام « الفيلات الحديث » لقد كان يتكون من دورين كبيرين ، سكن والدى فى الدور الاعلى منه ، وسكن فى الدور الاول ، مهندس مثل أبى ، هو المهندس عبد الرحمن على الذى نال فيما بعد لقب الباشوية فاصبح عبد الرحمن على باشا ، وأسندت اليه رياسة مصلحة الاموال المقررة .

وقد بقيت جاهلا لان صاحبة منزلنا يهودية مصرية ، حتى نشأت قضية فلسطين ، واصبح موسى ديان علما من أعلام الصهاينة ووزير دولتهم على أرضنا العربية . وكانت « ملياديان » سيدة جميلة الوجه ، مليئة الجسم ، تصلح لاداء الادوار التراجيدية ، فى تراجيديا سلامة حجازى مثل « أوديب » ، « عطيل » ، « روميو وجوليت » ، وكان لها رداء يفصل قامتها الطويلة وامتلاء جسمها بلا بدانة ولا ترهل ، ووجه يعلوه الوقار كأنها أميرة . وكانت هذه الفنانة الشهيرة تزورنا فى بيتها بين الحين والآخر . فيفرح أهل الدار بمقدمها ، ويجتمعون حولها ، ويمتلىء المكان بعبق عطرها ، الذى كانت تنشره الفنانة الكبيرة ، بحركات ردائها الفاخر الثمين ، وبمروحة يدها التى تروح وتغدو فى يدها ، تتحرك معها القلوب . وكنت طفلا — أشبه بقط المنزل الصغير ، فاذا جاءت « ملياديان » لزيارة أهلى ، كمنت فى جانب من صالة الاستقبال الفسيحة ، ورحت أتأمل وجهها ، واستمل تقاطيع وجهها الجميل المهيب ، كأنى أشاهد صورة رائعة ، ولا أحد يلتفت الى أو ينتبه الى ما أنا فيه من انجذاب .

وقد زادت صلتى بالفنانة الشهيرة ، اذ كلفتنى يوما بشراء علبة سجائر كانت معروفة يومذاك ، اسمها سجائر « كرياذى » وأظنها علبة من الصفيح المصقول ، وقد رسم عليها منظر جميل ، هو منظر أسد تجلس أمامه امرأة جميلة ، عارية الذراعين كأنها ملياديان ، خرجت من الواقع ، وأخذت مكانها على هذه العلبة السحرية ، وكان بين يديها سيجارة ، المفروض أنها سيجارة من سجائر كرياذى ، وراحت تنفث دخان سيجارتها فى وجه الاسد ، فطابت له رائحة السيجارة ، وغلب عليه ما يشبه النوم من التلذذ ، فاغمض عينيه قليلا . وقد عدت الى ميلياديان ، وأنا أنظر الى الصورة ، وأتأمل المرأة الفتانة ، والسيجارة التى تدغدغ الاحساس ، ويخيل الى أن شخوص الصورة سيخرجون منها ، ويأتون ليجلسوا مع ملياديان فى صالون الاستقبال فى دارنا .



كانت هذه هي الصفحة الاولى من حياتي مع الفن ، زادت عمقا بذهابي مع أخوتي الى منزل الفنانة الشهيرة في حي الظاهر لاراها في ملابس النوم التي تكشف عن مفاتنها أكثر مما كان يكشف « فستانها » الرائع ، ولعلها قبلتني وضمتني الى صدرها ، وهي لا تعلم انني مأخوذ بجمالها ، على الرغم من سني الصغير ، وتجربتي المحدودة مع المرأة وجمالها .

وقد كان بيت « ملياديان » في شارع له شأن غريب ، ذلك هو شارع سلامة المتفرع من شارع زين العابدين الخارج من ميدان السيدة زينب . فلعله الشارع الوحيد الذي ظفر من الادب المصرى الحديث برواية كاملة ، وهي ليست رواية عادية اذ هي الرواية المصرية الاولى في الادب المصرى المعاصر ، واعني بها « عودة الروح » التي عرف بها توفيق الحكيم ، فقد جرت وقائع روايته ، والعائلة المصرية التي لعب افرادها البطولة فيها ، في شارع سلامة الذي كنا نسكن فيه بيت « ملياديان » . وكان توفيق الحكيم نفسه من سكان هذا الشارع . كما كان أحد افراد الاسرة التي حدث القراء عن شئونها المعيشية ، وازماتها العاطفية ، وكان يسكن في نفس الشارع اديب من اكبر ادباء مصر ، واحد اعضاء الثالوث الشهير المكون من عباس العقاد ، وعبد الرحمن شكري ، وابراهيم عبد القادر المازني ، وكان الاخير من هذا الثالوث ، اى المازني ، يسكن معنا في شارع سلامة . كما كان يسكن فيه عبد الرحمن الجديلي الذى كان صديقا أو مريدا لامير الشعراء شوقي ، وتلميذا مقربا من الزعيم سعد زغلول . وقد صور معهما في صورة واحدة في منزل شوقي كرمة ابن هانيء ، وهو القصر المطل على النيل والذى أصبح متحفا الان . وقد تم أخذ هذه الصورة ، بمناسبة زيارة سعد لامير الشعراء شوقي في صباح أحد الايام وليقدم التهاني للشاعر الكبير بمناسبة عقد قران ابنته في مساء ذلك اليوم نفسه ، وللاعتذار عن عدم الحضور في حفلة عقد القران لاعتلال صحته ، وعدم امكانه الخروج في المساء . وقد قال الجديلي يومها ، « الخالدون » فاشار سعد بيده الى شوقي وقال : هذا هو الخالد .

وقد كان شارع سلامة يتوسط مايشبه مستعمرة أدباء ، فقد كان يسكن غير بعيد من هذا الشارع ، مصطفى لطفى المنفلوطى ، صاحب النظرات والعبرات وماجدولين والفضيلة ، والذى كان يعد من أشهر الكتاب في ذلك العهد والذى بيع من الطبعة الاولى من كتابه « النظرات » عشرة آلاف نسخة . وكان ذلك في تلك الايام ، رقما ضخما اذ لم يزد المطبوع من اى كتاب عن الف نسخة يباع منها نصفها في سنوات اذا راج الكتاب وذاع اسمه .

وكان يقطن قريبا أيضا من شارع سلامة ، الشيخ عبد العزيز البشرى الذى عرف كابرع كاتب للصور المطلية التي عرفت باسم « في المرآة » التي كان البشرى يكتب فصولها في جريدة السياسة الاسبوعية وهي الفصول التي أتاحت لقراء الادب

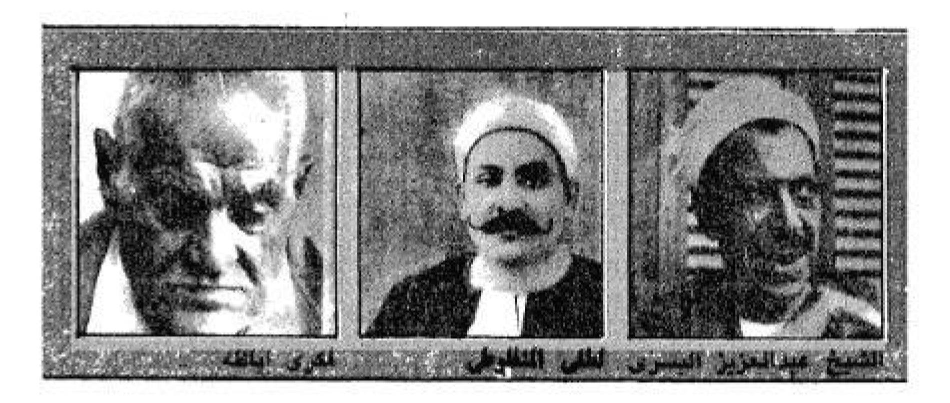

سعد زغلول

العربي في مصر تذوق لصول أقرب ما تكون من آثار الجاحظ ، خفة ظلّ ، وبراعة وصف، ودقة تحليل .

ونعود الى « ملياديان » فأقول ان شهرتها كانت مستمدة من شهرة أستاذها ، ورئيس الفرقة التي تعمل فيها وهي فرقة الشيخ سلامة حجازي . وكان سلامة حجازي في تلك الايام ليس مطربا محبوبا كما أحب المصريون بعد ذلك محمد عبد الوهاب ، اذ كان سلامة حجازي ابان بدء شهرته ، وذيوع اسمه بطلا بلا منافس ولا أحد يقارنه في عظمته ، وسطوع نجمه ، فلم يكن احد يدانيه في قوة الصوت ، ورخامته وجمال الصورة ، فضلا عن اتقانه للتمثيل ، وبراعته في التلحين ، حتى كاد يجمع في شخصية المطرب ، والمؤذن والخطيب ، والملحن المجدد ، وكان محبو صوته ، والمعجبون بفنه ، يقفون أمام مسرحه ، عند خروجه منه في الليل المتأخر ، ودخوله اليه في المساء المبكر ، وكانوا يتزاحمون لكي يحيوه ، أو يقبلوا يديه ، أو وجنتيه ، أو يلمسون ثيابه ويشمون رائحته . وكثيرا ما حلوا سيور خيول عربته ، ليسحبوها بأنفسهم . وكان اذا دخل المسرح ولا سيما بعد اصابته بالفالج ، يحيونه وقوفا . ويصفقون حتى تدمى أيديهم . وكان اذا بدأ الغناء ران عليهم صمت وقور محترم .

وجدت ام كلثوم في أول حياتها منافسة لها هي فتحية أحمد ، وقد حاول بعض الناس ، ان يبالغ في اعجابه بفتحية احمد ، ثم اختفت فتحية احمد وبقي عبد الوهاب ندا « لام كلثوم » يقاسمها الشهرة ، ويزاحمها على حب واعجاب الجماهير العربية . ثم ظهر فريد الاطرش وشقيقته اسمهان صاحبة الصوت القوى المعبر الذي كان ينتظر له نجاح كبير ، لولا أن المنية عاجلتها . اما سلامة حجازي فقد بقي النجم الوحيد الساطع في سماء الفن والغناء والطرب والتلحين والتمثيل ، حتى توفاه الله ، ولذلك كانت « ملياديان » لانها بطلة روايات هذا الكوكب المتفرد الموهوب والمحبوب ، شهرة تتعلق بها الجماهير ، وتحيي في شخصها زعيم الفن في أيامها .

ومضت السنوات ، حتى ظهر في مدرسة الخديوية شاب بعثته وزارة المعارف « التربية والتعليم » ليدرس التاريخ في انجلترا ، وعاد وقد امتلأ صدره بآمال جسام ، منها أن يجعل التمثيل مكملا لتعليم التلاميذ وتثقيفهم ، وممهدا لترقيق أذواقهم ، ومدخلا الى معرفة الفنون الاخرى من غناء وموسيقى ونحت وتصوير . ذلك هو المرحوم الاستاذ محمود مراد الذي درس التاريخ في مدرسة الخديوية ، وأنشأ بها أول فرقة تمثيلية في مدرسة ثانوية حكومية ، ووضع لها أوبريت كامل اسمه « مجد



الشيخ عبدالعزيز البشرى — لطفى المنفلوطى — فكرى اباظه



رمسيس » ، وقد ألف لهـــذه الرواية الموسيقية الشعر والالحـان ، ودعا ملحنين شبانا كانوا فى ذلك العهد مبتدئين منهم صقر على وعبد الرحمن على ، فوضعوا لهذه الباكورة ألحانها ، ثم تعرف على « سيد درويش » وعلى « محمد تيمور » ووضع لسيد درويش أوبريت الباروكة . فازدهر فى مصر المسرح المدرسى ، وأصبح فى كل مدرسة بالقاهرة فرقة مسرحية ، ثم انتقل حب المسرح الى مدارس الوجهـــين .القبلى والبحرى ، ودعى كبار الممثلين لتـدريب الطلبة ، فغرسوا فى قلوب بعضهم حب هذا الفن الجميل ، فتعلقوا به ، وأصبحوا بعد ذلك فنانين كبارا . وقد برز وسط هذه النهضة الفنية الوفورة الناشئة فى حضن المدرسه الثانوية وباشراف وزارة التعليم ومشاركة الادباء وكبار الفنانين أمثال عزيز عيد وجورج أبيض وأحمد علام الذين أحسنوا تدريب الكوكبة الاولى من هواة المسرح الذى وقعت على عاتقهم النهضة المسرحية القديمة يتصدر هؤلاء جميعا ، وتفوق عليهم أحمد محمود حسين ، الطالب بالمدرسة الخديوية ليصبح معروفا لزملائه يشار اليه بالبنان قبل أن يدعو الى مشروع القرش ، وقبل أن يؤسس جمعية مصر الفتاة التى أصبحت حزبا تتلمذ فيه ؛ وتعلم على يديه شباب مصر الحديثة ، فى مقدمتهم جمـال عبد الناصر .

ولصلتى الوثيقة بأحمد حسين ابان تزعمه لنهضة التمثيل فى المدارس ، تعرفت على عدد كبير من زعماء هذه النهضة ، أذكر منهم محمود المليجى الذى كان زميل أحمد وتلميذا له ، وقد تأثر به وحاول أن يحاكيه ويقلده .

وفى ذات يوم كنت فى الـزقازيق فى الاجازة السنوية كعادتى السنوية . وقـد كان لى خال من محامى هذه المدينة ، وألفت أن أقضى فى ضيافته على الاقل شهرا ، أنتقل خلاله بين المحكمة صباحا والمكتب مساء أشاهد المتقاضين وأسمع المحامين ، وأتابع الجنايات الكبيرة . وكان فى الزقازيق فى تلك الفترة مجموعة من أكبر محامى مصر بينهم فكرى أباظة وعلى أيوب الذى عين وزيرا ، وحامد فهمى باشا الذى أصبح

محمود المليجى — ام كلثوم — ابراهيم المازنى

مستشارا نائبا من مستشارى محكمة النقض .

وفى ذات يوم كنت فى المكتب ، مكتب خالى الاستاذ محمد على حمدى رحمه الله — فسمعت جلبة لم أعهدها ، فجريت نحو الباب ، فاذا بى أمام مجموعة من الشبان لا يتجاوز عمر أكبرهم العشرين ، وكان فى مقدمتهم أحمد حسين ، يجاوره زميله الذى عرفته فى مصر محمود المليجى والممثل أحمد فرج النحاس ، ووقف وراءهم قليلا طالب طب هو عبد الرحمن الصدر الذى أصبح فيما بعد أحد كبار جراحى مصر ، وقد شغل منصب أستاذ الجراحة وعميد كلية الطب فى جامعة الاسكندرية ، وكانت معهم فتاة لبنانية حديثة السن اسمها فيوليت صيداوى ، وسألت ما الخبر فقالوا لى انهم الفوا فرقة مسرحية من أنفسهم ، وقرروا أن يطوفوا بها خلال فترة الصيف بعض مدن الريف ، وقد وقع اختيارهم على مدينة الزقازيق ثم يتبعونها بمدينة ميت غمر ، وقد هدتهم الحيلة الى اختيار رواية فكاهية اسمها « دخول الحمام مش زى خروجه » وكان سر اختيار هذه المسرحية الناجحة ان مؤلفها هو الكاتب المسرحى المشهور يومذاك « ابراهيم رمزى بك » ، وكان المؤلف شقيق محافظ الزقازيق اسماعيل باشا رمزى فظنوا أن العلاقة بين المؤلف والمحافظ ستساعد على مد يد المعونة للفرقة ان تعثرت .

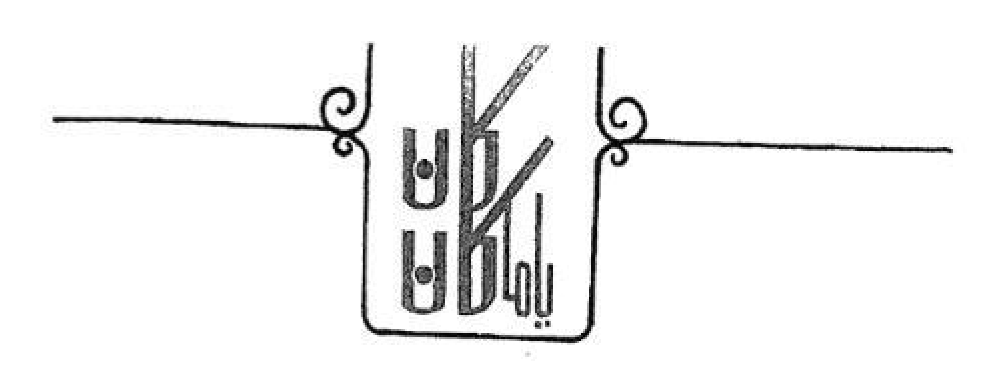
ورأيت نفسى واقفا أمام الامر الواقع .. فاضطررت أن أشارك فى أعمال الفرقة قبل ليلة الافتتاح من المشاركة فى عملية التلقين ولكن لم ألبث حتى دعيت لاشارك فيما هو أهم وهو تموين وتغذية الفرقة التى جاءت وليس عندها ما يقيم الاود ، ولم أر بأسا من ان أسطو على مطبخ خالى دون استئذان ، ولما اشتدت أزمة الفرقة ، دعوتهم الى عملية سطو منظم فى الليل بعد ان نام أهل بيت الخال العزيز ، فنسفوا كل ما كان فى الحلل والاطباق والتمليات وتركوا المطبخ قاعا صفصفا .

وجاءت ليلة الافتتاح ، فكانت قاعة المسرح الصغير بدورها قاعا صفصفا اذ لم يقبل على مشاهدة رواية « دخول الحمام » الا أشخاصا يعدون على أصابع اليد الواحدة ، ومع ذلك جاء المحافظ ليجلس فى بنوار الشرف نزولا على مقتضى العلاقة بين المؤلف والمحافظ .. ومع ذلك أدى الممثلون أدوارهم ببراعة دلت على مواهبهم التى نضجت فيما بعد . وضحك الحاضرون حتى امتلأت عيونهم بالدمع .

وفى صباح اليوم التالى واجهت الفرقة المشكلة الكبرى وهى كيفية توفير المال اللازم للعودة الى القاهرة ، فذهبوا الى مكتب المحافظ يتقدمهم خال ، ليطلبوا المعونة باعتبار أن المحافظة هى عون كل محتاج وكل من انقطع به السبيل ، وقد أوصى الله خيرا بأبناء السبيل — ورق قلب السيد المحافظ وأخرج من اعتماد المصروفات السرية أو مايشبهها ، مايلزم الفرقة لتعود الى القاهرة فى الدرجة الثالثة . وقد وقف بعض الذين شاهدوا المسرحية فى الليلة السابقة على الرصيف وهم يلوحون بأيديهم للفرقة العائدة ، وكأنها « ساشكوباترا » وزعيمة « دون كيشوت » ، وهم بين الضحك ودموع الفراق . ثم سافرت الى أسيوط ، لأكون رئيس فرقة التمثيل فى مدرسة أسيوط الثانوية وليزاملنى فى المدرسة اثنان من نجوم المسرح والسينما والتليفزيون : عماد حمدى الممثل ونيازى مصطفى المخرج ، وحسن رمزى .

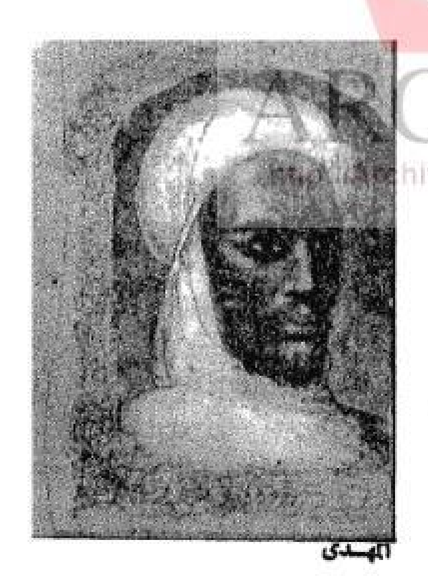


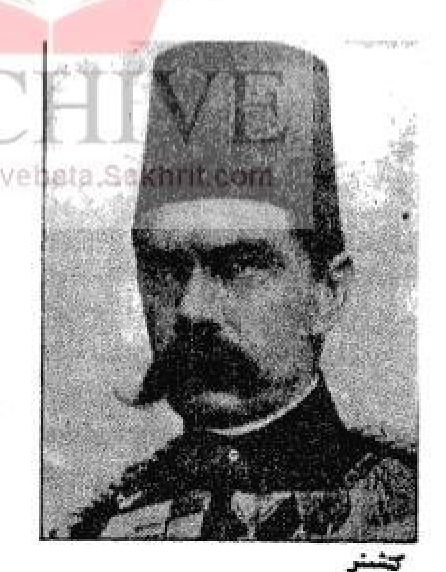
اسمهان



وذهب كتشنر طعاما للسمك

بقلم : محمد سيد كيلانى


المهدى


كتشنر

كيف انتقمت بريطانيا من المهدى بعد وفاته؟!

كان لورد كتشنر وزيرا للحربية البريطانية اثناء الحرب العالمية الاولى، وقد ركب الطراد الحربى همشير فى طريقه الى روسيا للتباحث مع القيصر فيما تحتاجه بلاده من مال وسلاح وذخائر وطعام وكساء . وعلى الرغم من ان الرحلة قد احيطت بالكتمان الا ان جواسيس المانيا فى روسيا قد علموا بها وبعثوا بخبرها الى الالمان الذين بثوا الالغام فى طريق الطراد . وبينما كان سائرا بقرب جزائر اوركنى بشمال اسكتلندة ، اذا به يصطدم بلغم وسرعان ما هوى الى القاع فغرق كتشنر ومعه كالبالة من كبار اركان حربه . ولعله تذكر فى هذه الاونة ما سبق ان امر بفعله فى جثمان المهدى بعد ان دخل ام درمان . لقد امر بنبش قبر المهدى واخراج جثته وتفتيتها والقائها فى النيل طعاما للسمك . وها هو قد لاقى نفس المصير .

وفى ٢٠ فبراير ١٨٩٩ جرت مناقشات فى مجلس العموم البريطانى بشأن اعمال الانجليز عند دخولهم ام درمان فالقى مستر سكوت ، احد النواب ، سؤالا على مستشار وزارة الخارجية ، وهو :

● هل فى الامكان ان تكذب الروايات الشائعة من انه بعد الاستيلاء على مدينة ام درمان اخرجت جثة المهدى من القبر وقطعت اربا اربا ثم القيت فى النيل ؟

فاجاب مستر برودريك المستشار بقوله :

ــ « نعم قد علمت ان جثة المهدى اخرجت من قبره والقيت فى النهر، لان السردار راى ان الاحترامات الخرافية التى يعتقدها الاهالى فى المهدى ربما جددت القلاقل فى السودان يوما ما ، ولهذا استصوب ان تتخذ تدابير فوق العادة لاجتناب وقوع ما يخل بالراحة « صراخ من بعض النواب : اوه ، اوه »

● وقال مستر دردموند : وهل يمكننى ان اسأل عما حصل بالجثة بعد ذلك ؟

ــ فاجاب المستشار : انها القيت فى النيل « ضجيج من النواب » .

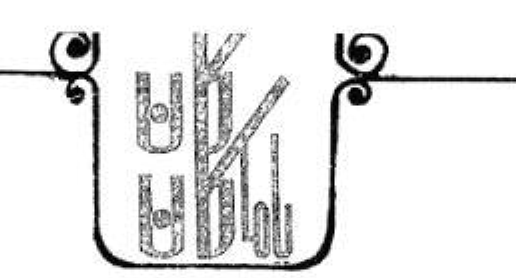
● فقال مستر ماكنيل : لاطعام السمك ؟

ــ وقال مستر روميد : رخصوا لى فى ان اسأل جناب المستشار : هل يسوغ وقوع فعل فظيع مثل هذا لوكانت الحرب مع احدى الدول الاوروبية ؟ « ضجيج واستحسان من بعض النواب » .

عند ذلك قال الخطيب : « النظام ، النظام »!

اما المستشار فسقط فى يده ولم يبد جوابا

وقد حملت بعض الصحف البريطانية حملة عنيفة على كتشنر وكرومر، فاضطر وزير الخارجية البريطانية لوردسالسبرى ان يبعث الى كرومر يطلب منه بيانا



وافيا عن التهم التى ألصقها بعض الصحفيين بكتشنر على أثر دخوله ام درمان فرد عليه كرومر بما يأتى :

اتشرف بان اعرض على جنابكم ما اراه مختصا بمسالة نسف قبر المهدى ، ورمى جثته فى النيل بعد واقعة ام درمان . وارى من الموافق ان اذكر عبارة لورد كتشنر التى ارسلها الى . قال : « بعد واقعة ام درمان رأيت من المناسب من جهة السياسة ـ مع ملاحظة حال البلد والمركز الذى هى به ـ ان ينسف قبر المهدى الذى ربما صار كعبة حج يقصدها السودانيون ، ومنبع تعصب دينى لا تأمن عواقبه . وزيادة على ذلك فان قبة ذلك القبر كانت فى حالة لا يؤمن مع وجودها حفظ الارواح . ثم قال كتشنر : « استشرت بعض الضباط المسلمين فنصحوني بنبش قبر المهدى واخراج جثته لئلا يظن بعض جهلاء كردفان وما جاورها اننا لم نقدر على الحاق الضرر بقبر المهدى ، وان بركته وصلاحه كانا سياجا له من الاذى .

وهناك العلماء والقضاة وبقية السكان لا يعتقدون فى المهدى اكثر من انه كان مسلما ملحداً ؟ لانه هدم جميع المساجد وقوض محال العبادات ، وقال عنه الشيخ السنوسى انه رجل زنديق ، وقد عامل المسلمين الذين لم يقبلوا ما ادخله من التغييرات فى دينهم معاملة كفار يستحقون جزاء القتل . وانى متحقق من انه لا يوجد مسلم فى هذه البلاد الا وهو راض بتقويض اعلام مملكته . مع القضاء على كل اثر من مذهبه » .

ولما نشر خطاب كرومر هذا علقت عليه بعض الصحف البريطانية ، فمن ذلك ما جاء فى صحيفة الديلى نيوز : « ورأينا انها ـ اى مذكرة كرومر ـ غير مقنعة . ونرى فيها لورد كتشنر يتنصل مرة بدعوى انه يحامى عن الدين ويعضد المسلمين فى آرائهم . ومرة بدعوى المحافظة على الارواح. فمتى كانت وظيفة السردار ذلك ؟ ومن اين له ان يتداخل فى اختلافات المذاهب الاسلامية ؟

وقد اجتمع المسلمون الموجودون فى مدينة ليفربول واحتجوا على عمل السردار . قالت صحيفة « صدى ليفربول » : اجتمع المسلمون ليحتجوا ضد ما عمله السردار من نبش قبر المهدى ولم يفعلوا ذلك لانهم يعتقدون فى دعوى محمد احمد المهدى او انهم يعضدون احزابا مخصوصة فى السياسة ، بل لان المنبوش قبره رجل مسلم يعتقد بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام، ومن الواجب ان تبقى جثته وعظامه كما وضعت فى قبرها .

قالت الصحيفة المذكورة « والحق بايديهم هذا العمل لا يقع من قوم لا يعرفون للانسانية معنى ولا يعمل مثل ذلك مع بنى الانسان ، انما تنبش قبور الكلاب وبنات آوى والذئاب والضباع وغيرها !

عمل فدائى

فى اوائل سنة ١٨٩٥ سيرت فرنسا جيشا بهدف احتلال اعالى النيل، وكلفت

ففى ١٢ مارس ١٨٩٦ بعثت وزارة خارجية انجلترا الى لورد كرومر معتمدها فى مصر بالشروع فى تجريد حملة مصرية تسير حالا الى دنقلا . وفى صباح اليوم التالى قابل كرومر مصطفى فهمى باشا رئيس النظار وابلغه كنه الخبر ، وبين له بالاجمال أن هذا الامر قضاء حتم ، لا نقض فيه ولا ابرام . فذهب رئيس النظارة الى قصر القبة وقابل الخديو عباس ونقل اليه مطالب الانجليز . ثم شاع الامر وذاع عقب ذلك وكان شيوعه فى خلال عطلة دواوين الحكومة ، لانه كان آخر شهر رمضان والناس تستقبل ايام العيد بثغور باسمة ، فما يشعرون الا وكأن صاعقة انقضت عليهم من السماء فصعقت افراحهم وبدلتها بشر الاتراح .

وفى هذا اليوم الذى شاع فيه الخبر سئل رئيس النظار عما اذا كان يعلم بشىء من مقدمات الحملة قبل القطع بها من لندن . فاقسم بالله العظيم انه لم يكن يعلم من امرها شيئا الا بعد ان ورد الامر الملزم بتجريد الحملة على أى صورة كانت . ولوحظ فى وجهه انه مثل كل الناس يستغرب هذه المفاجأة لكنه يبسط لنفسه العذر بأن لا محيص لنا من مسالمة الانجليز فيما نحب ونكره .

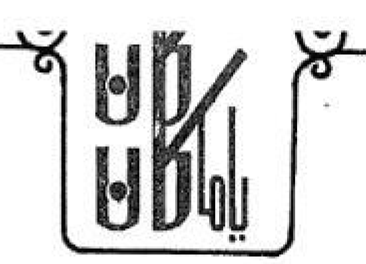
وكانت ايطاليا قد احتلت كسلا منذ سنة ١٨٩٤ ، وجلت منهـا فى ديسمبر ١٨٩٧ وسلمتهـا الى قوات الجيش المصرى .

وبعد ان سقطت أم درمان فى ايدى قوات كتشنر أسرع كتشنر الى فاشودة ، وقبل ان يصل اليها تلقى خطابا من القائد الفرنسى مرشـان جاء فيه « أرى من المناسب اخباركم باننى احتللت مديرية بحر الغزال الى نقطة مشرع الرق وملتقى بحر الجبل ثم بلاد الشلوك الموجودة على الضفة اليسرى من النيل الى فاشودة التى وصلت اليها فى ١٠ يوليو . وبعد



مصطفى كامل

فرقة بقيادة « مارشان » باحتلال فاشودة ، وقد عجزت حكومة الدراويش عن التصدى للمحتلين . وقد وقف السير ادوارد غراى وكيل خارجية انجلترا اذ ذاك والقى خطبة فى مجلس العموم جاء فيهـا : ان دوائر النفوذ الانجليزى المصرى تشمل وادى النيل ، ولذلك فهو لا يستطيع الظن بان فرنسا قد ارسلت حملة الى النيل الاعلى ، اذ ينبغى عليها ان تعلم ان مثل هذا العمل منها تعتبره انجلترا عملا عدائيـا . ثم قال : ان خبر الارساليات الفرنساوية على النيجر من أهم الاخبار ولكنه يمتنع من الخوض فيها حتى يرده جواب فرنسا بهذا الشأن . وهذا ما دفع انجلترا الى طلب تسيير الحملة لفتح السودان .



تخليص البلاد من ظلم الدراويش ابرمت مع السلطان – يقصد سلطان قبائل الشلوك – في ٣ سبتمبر معاهدة تقضي بوضع تلك البلاد فيما يلي الضفة اليسرى من النيل الأبيض تحت حمـــاية فرنسا . واهنئكم بسلامة الوصول الى النيل الاعلى ثم الى فاشودة التى اعتبر نفسى سعيدا فيها اذا سلمت عليـــكم باسم الدولة الفرنسوية » امضاء : مرشان

بعد أن تسلم كتشنر هـذا الخطـــاب واصل سيره الى فاشودة ودخلها وكانت الاعلام الفرنسية تخفق فوقهـا . ثم جاء اليه مرشان وجرمان فحياهما ثم قـــال لرشان : « انه مكلف باخباره بان وجود الفرنسويين فى فاشـودة ووادى النيل يعتبر تعديا على حقوق مصر وبريطـــانيا العظمى ، وانه بمقتضى التعليمات الصادرة اليه يقيم الحجة باشد اللهجـــات على احتلال فاشودة ورفع العلم الفرنسـوى فوق الاملاك الخديوية .

فاجابه مرشان بانه بصفته من الجنود يجب عليه الخضوع للاوامر الصادرة اليه وتقضي عليه هذه الاوامر باحتلال بحـــر الغزال وفاشودة ، وقد احتلهما ، وهو ينتظر اوامر جديدة من حكومته .

وقد انتهى الامر بجـلاء الفرنسيين عن المناطق التى كانوا يحتلونهـــا فى وادى النيل واستقال دلكاسيه وزير خارجيـة فرنسا فى ذلك الوقت .

وفى ١٦ اكتـــوبر ارسل كتشنر الى حكومة مصر ما يفيد بانه اعاد سلطتهــــا علي فشودة .

وقد نظم بعض الشعراء مسرحيةشعرية تحت عنوان « رواية فشودة » جاء فيها :

مرشـــان بالنيل التقى
من بعد ما عز اللقـــــا
مرشان فيهـــــا قد ثبت
كأنه عــــــود نبت
اخرجه دلـــــكاس
العـــــوبة للناس
وكيف كان العاقبـــة
فان مصر الغـــــالبة
اذ لم يكن لبطـــــرس
من طـــــاقة بدلكس
ولا له من بـــــودى
يسمع سالسـبورى
فجاء سالســـــبورى
لمصـــــر فى سرور
يقول وهى تســــتمع
يفتنهـــا فتنخـــدع
يا مصـــر يا فتـــاتى
يا زينة البنـــــات
يا منية التــــاميز
والوطن العــــزيز

ومن عجيب امر الدراويش انهـم لم يستطيعوا ادخال القبـــائل الوثنيـة السودانية فى الاسلام ، وفى نفس الوقت يلصقون بالمصريين صفة الكفر ويستحلون قتالهم .

لم تكن العناصر الوطنيـة راضية عن تسيير حملة ضد الدراويش . قــال مصطفى كامل « ان وجــود الانجليز على راس جيشنا يكفى وحده لعدم انجـاح الحملة . يكفى لتحقيق مصيبة عظيمة » .



وجودهم على راس الجيش يفتح بيننا وبين السودانيين حفرة من أعمق الحفر ، تؤخر لزمن مديد صلحنا معهم .

ولم تكن مصر مالكة لامرها فى هــذا الوقت فسارت الحملة الى دنقلة . وقد راى كتشنر ان يوزع على اهل السودان منشورا فيه من الايات القرآنية والاحاديث النبوية ما يبين زيف دعوى محمد احمــد ومن اتبعه . ومما جاء فيه ومما يستدل به على ضلال الطريق ان المتمهــــدى والتعايشى الطاغيين الباغيين منعا الناس من الحج الشريف مع انه فرض عين . قال الله تعـــالى ـ ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الاية .. ثم ان كلا منهمـــا فسر القرآن برأيه وهواه ، واستنبط احكاما شرعية حسب امنيته ومنعكم من قراءة كتب الدين مثل الحديث والتفسير » .

وقد علقت صحيفة « المؤيد » على هذا المنشور بقولها « وهو دعوة دينية محمدية صادرة من القائد الانجليزى المسيحى فى آن واحد ، اذ لا ريب ان الســودانيين المليئين بالحمية الدينية والعــواطف الملية التى يسميها الاوربيون تعصبا ، لا يقابلون مثل هذه الدعوة من الداعى اليها وهو لا يعتقد مضـــامينها ، الا بالسخرية والهزء . وقد فعل كتشنر هذا ليكون كل شىء له حتى الزعامة الدينية على جيش مسلم » .

ومن أهم وقائع هذه الحرب معــركة عطبرة التى اسر فيها الامير محمود بعد أن قاوم مقاومة الابطـــال ولكنه لم يستطع التغلب على الجيش المصرى وكيف تتغلب السيوف والرماح على البنادق البعيدة المرمى والمدافع سريعة الطلقات ؟

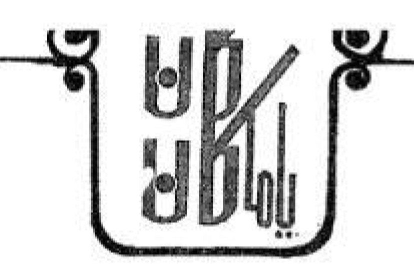
ولما وقع الامير محمود صاحب معــركة عطبرة فى الاسر اركبوه حمارا ، ومروا به بين الجيش الذى كان مصطفا بنظـــام ،



كرومر



جوردون



تصدح موسيقاه بانغامها الشجية . فلما اقترب الامير منه طلب من القائد ان يسمح له باستعراضه راجلا اجلالا واحتراما له ، مظهرا اعجابه بنظامه وحسن ترتيبه ، فاجيب الى طلبه الذى يشعر بان الرجل على شيء من المدنية .

هذا وقد كان لكسرة هذا الامير وقع سيىء لدى جماعة من الدراويش حتى انهم الفوا نشيدا حزينا جاء فيه :

يا امير محمود .. بتسلم ليه ، بتسلم ليه

يا امير عطبر .. يا بوى النظر

يا سامى الجد .. وسخى اليد

وعديم الند .. بتسلم ليه ، بتسلم ليه

يارب السيف .. يا مقرى الضيف

تتركنى ضعيف .. وتسلم ليه ، وتسلم ليه

يا صاحب الرمح .. ويا وجه الصبح

يازول السمح .. بتسلم ليه ، بتسلم ليه

اما واقعة ام درمان فلنا وفاها حقها من الشرح والايضاح مستر « بنت بيرلى » مراسل صحيفة الدالى تلغراف ، فكان مما قاله :

« شاهدنا منظرا هائلا من الشجاعة والاقدام . فان الدرايش بعد تقهقرهم اول مرة انتظموا ثانيا بالجانب الغربى من الوادى وحملوا حملة اخرى حيث كنا نراهم على بعد كخط واحد فى غاية الانتظام ، تلمع السيوف والحراب فى ايديهم لمعان الكواكب . وفى مقدمتهم نحو الفين او ثلاثة آلاف فارس على صهوات الجياد مسلحين بالحراب. وكانوا يقصدون ان يحملوا حملة شديدة على مقدمتنا ليمنعوا الجنود من اطلاق النيران فيتمكن بذلك راجلوهم خلفهم من الالتحام معنا يدا بيد ، غير ان هذا العمل الحربى ليس من السهل اجراؤه مطلقا وان كان الدراويش لم يخافوا عاقبته فاندفعوا بشدة غير منتظمين وساروا الى الامام متقدمين لايبالون بشيء حتى كانوا على مقربة من منطقة نيراننا ، وقد اوقفنا اطلاق النيران برهة وجيزة ، بينما كان كل جندى من جنودنا يشاهد بعينه هذا الاقدام متبهرا مندهشا ، وكيف ان هؤلاء الفرسان يتقدمون الى الموت بهذه البسالة العجيبة ، وظلوا زاحفين حتى صاروا على مقربة من صفوفنا ، وقد ساد السكوت وخيمت الرهبة على الوادى باجمعه واهتز الجند بالاعجاب العظيم بهؤلاء الفرسان الكواسر ، ولكن بعد بضع دقائق انقطع هذا السكوت حيث الفرسان لا يزالون يتقدمون الى ان كان بينهم وبين الجنود نحو مائتى ياردة ، عند ذلك اطلقت عليهم النيران، وانصب عليهم الرصاص كالسيل الجارف، وقد شاهدنا بعد ذلك منظرا من اعظم مشاهد القتال شجاعة واقداما واخلاصا ، لامثيل له فى تاريخ الامم ولا فى خيالات القصص والروايات ، حيث كانت الراية السوداء المنقوشة ببعض الكلمات الدينية تخفق وحولها يسقط الدراويش زرافات ووجدانا صرعى بقنابل مدافعنا ورصاص بنادقنا الى ان فر

الخليفة التعايشى »

وبعد هذه الموقعة التى استمرت من صباح الجمعة «٤-٩-١٨٩٨ » الى الساعة الثانية بعد الظهر ، تحرك كتشنر ودخل مدينة ام درمان . وقد اراد مراسل صحيفة نيويورك هرالد ان يكون اول داخل فى المدينة ولكن قابله احد الدراويش برصاصة قضت عليه ، كما جرح مراسل التيمس .

قدرت خسائر الدراويش فى «موقعة» ام درمان بنحو ١٠٫٠٤٠ قتيل ، ١٦٫٨٠٠ جريح والاسرى بنحو اربعة الاف .

وخلال الهجوم على المدينة قتل من الاهالى نحو تسعة الاف ، ومن بقى على قيد الحياة تعرض للموت جوعا نظرا لارتفاع اسعار المواد الغذائية . ثم شرعت الحكومة فى اصلاح شوارع الخرطوم وصودرت املاك الناس نظير المان بخسة واحتكرت الحكومة تجارة سن الفيل .

وفرضت ضرائب ، فعلى كل من يشترى خروفا او تيسا ان يدفع للحكومة ثلاثة قروش ، وعشرة قروش على البقرة او الثور . وخمسة عشر قرشا على الواحد من الابل .

واشترت الحكومة جميع سفن الاهالى بحيث لم تبق سفينة واحدة عند صاحبها بحجة الخوف من ان يتخذها الاهالى للنقل ما تمنع الحكومة نقله .

وقد حدث ان دخل احد اعيان التجار بام درمان على المامور دون استئذان ، فاتهم انه اساء الادب فى حق المامور اثناء تادية وظيفته فحكم عليه بالجلد مائة جلده وغرامة قدرها خمسون جنيها

وقد ابيحت ام درمان ثلاثة ايام للنهب والسلب وارتكاب كل موبقة . ومثل بجرحى الدراويش شر تمثيل ، وترك ستة عشر جريحا فى الفضاء يجوز عليهم الجوع والظما والالام .

بورتريه

شعر : مرسى جابر توفيق

رقص سالومى وراس المعمدان
وانا اخـرج من اغنيتى
كـان للحية قلب وبـستان
ضاع انجيلى وضلت خطوتى
يا نبيا ليس من هـذا الزمان
ايهـا البحر والشمس له

ودمـاء الليل فـوق اللا مكان
اصف الاشياء . فاخسا يا بيان
وعيون ظلها كالشمعدان
ثم ماتت فى ضميرى وردتان
صـدا الكذب على كل لسان
مرفا ، كل اغانيك دخان

شعر: عبد الستار سليم

أين جيادكم "التغلبيّة"؟!!



شيوخ قبائلنا يفهمون الزمان
بفكر المصاطب .. والاثل .. والسديان
فهم كالليوث بسوق « عكاظ »
وبين الخيام شداد فلاظ
طوال الرماح .. بساح الرطانه
ويوم تدق طبول الوغى
تراهم ــ حفاظا على الروح ــ
مثل العبيد هوى واستكانه
فتلك جيوش العدو ــ على ارض
لبنان ــ تفرش نطع التحدى
تدوس رقابكمو بادماة التصدى
وشعب فلسطين يجرع كأس العذاب
وحيداً يغالب .. تحت جحيم القنابل
فاينكمو ياشيوخ القبائل !؟
الستم حماة الحمى .. وجنود القضية ؟!
فاين جيادكم « التغلبية » .. ؟!
واين الكفاح .. ؟!
وقيم النباح ..
الذى تقلقون به يومنا ؟!!
واين الاسنة .. أين الاعنة .. ياقومنا ؟!
وماذا فعلتم. وماذا غدا ــ انتمو فاعلون ؟!



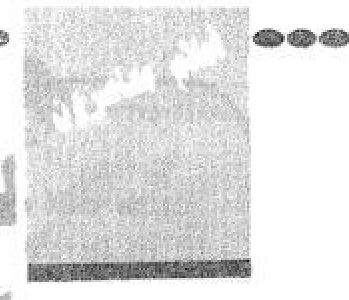
سوى ان وقفتم لهم تنظرون
فيا .. كل صاحب هامه
مجازر «صابرا» و «شاتيلا» كانت علامة.
على ان نفسك .. أقبح وجها ..
واقصر قامه

●

شيوخ القبائل
اراكم وقوفا بغير حراك
كأن الذى تم .. لايستحق سوى اللطم
والندب فى الامسيات
وهز الاكف بعود الاراك
وغير التعاويذ بالجن .. والادعيات
أكل الذى تستطيعونه ..
ذهبتم تدقون ابواب اسيادكم ؟!
حملتم اليهم عديد الرسائل
وفيها ذرفتم دموعا غزارا ..
على زعم أن طويل البكاء يحل
عويص المسائل !!!
لكونوا حروفا ..
وكونوا ضيوفا ..
وظلوا وقوفا .. على كل باب
الى أن يمزق خدر العروس وبطن الكتاب
وتسقط كل سقوف المنازل
وتبقون انتم .. شيوخ القبائل
و .. عودا بنا لعصور الجهاله
لنشرب كأس المذلة حتى الثماله

●

شيوخ العرب
حذار .. فان سيوف الغضب
تسل لتهتز فوق بنان القد المرتقب
لتطلع ـ بعد رجى الليل ـ
فجر القضية





لويس عوض الثورة والتجديد

بقلم : نبيل فرج

كتب الدكتور لويس عوض (١٩١٥).. الأشكال الأدبية المختلفة : الشعر ، والقصة القصيرة ، والرواية ، والمسرحية ، والمذكرات ، إلى جانب المقالات والدراسات النقدية ، وترجمة العديد من النصوص الشعرية والنثرية عن لغاتها الأصلية من الأدب اليونانى ، واللاتينى ، والانجليزى فى عصوره المتتالية .. ويمكن تقسيم حياته الفكرية إلى قسمين أساسيين :

يبدأ القسم الأول فى أواخر الثلاثينات ، أو عقب عودته من بعثته الى كامبريدج سنة ١٩٤٠ .. وينتهى بفصله من الجامعة سنة ١٩٥٤ .. ضمن ٥٠ أستاذا ومدرسا جامعيا ، وكانت على الترجيح بسبب آرائه الجريئة فى دستور الشعب التى عبر عنها فى ثلاث مقالات نشرت قبل شهور من هذه الحملة ، وطالب فيها بحقوق للشعب مستمدة من حقوق الانسان ، وهى بلغة القدماء ، الحرية والمساواة والاخاء وبلغة العصر .. الحرية والمساواة والسلام .

فى هذه المرحلة وضع لويس عوض فى كتاباته أسس المنهج التاريخى فى النقد الأدبى الذى يرى الابداع محصلة للتيارات السائدة فى زمنه ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية ، تنهض دراسته على التحليل والتفسير .

نطالع هذا بجلاء فى « فن الشعر ».. لهوراس ، وبرمثيوس طليقا " لشيلى " (١٩٤٧) وفى الأدب الانجليزى الحديث . (١٩٥٠).

فمن يقرأ هذه الكتب يضع يده على أركان هذه النظرية العلمية التى تتناول العمل الأدبى ، كشكل ومضمون فى ضوء المرحلة التاريخية التى ينتمى اليها ، يسرى عليه مايسرى عليها ، ويعتبر الشاعر أو الكاتب هو المجتمع أو بعضه ،



ولكن بمايؤكد فى الاختيار النقدى نزعة التجديد والتقدم النابع من الصراع القائم .

واذا اخذنا اللغة على سبيل المثال ، فان هوراس ، وهو امام المحافظين اللاتين ، يشبهها بغابة من الاشجار تتساقط اوراقها كلما انسلخ عام ، ثم تتجدد بالخضرة عندما يأتى الربيع .

وبذلك يعطى هوراس ، لكل جيل ، رخصة الابتكار ، وسك مايشاء من الالفاظ والتجارب المغايرة للماضى ، والمطبوعة بروح العصر .

ولان حركة التاريخ لاتتوقف ، فان التفاعلات المتصلة فى الواقع تؤدى دائما ، ليس فقط الى تجديد اللغة ، كما يقول الشاعر اللاتينى العظيم ، وإنما تؤدى مع كل دورة تاريخية الى خلق انماط وحساسية أدبية وفنية جديدة ، تتعدى الصيغ التقليدية البالية وتستطيع الناس جذورها الحقيقية فى البيئة التى تصدر عنها .





وتعد الثورة والتجديد ، في معتقد لويس عوض ، قيمة أساسية لاغنى عنها ان أراد الفكر والفن أن يكون تعبيرا عن عصره .

بيد ان الثورة على المقاييس القديمة لاتتم فى تصوره ، إلا بعد استيعابها ونشرها الكامل ، وإلا غدت مجرد فوضى وركاكة .

التراث اذن ، ضرورة .. وتجديده ، أيضا ضرورة مماثلة والجهل بالقديم جهل بالحديث ، ولابد للكاتب أن يثبت أولا .. قدرته على ممارسة الأبنية التقليدية حتى يكتسب حق الخروج عليها ، وانتزاع الحرية فى التمرد عليها .

ويمثل ديوان « بلوتولاند » الذى نظم فى سنتى ٣٧ ـ ٣٨ .. وصدر عن (مطبعة الكرنك ١٩٤٧).. تجسيدا لفكرة التجديد والثورة من خلال تحطيم عمود الشعر ، وطرح قوالب وصياغة جديدة باللهجة الدارجة ، تختلف عن البيان العربى المألوف ، وتحقق وحدة القصيدة بدلا من وحدة البيت معتمدة على الموسيقى المركبة ، لا الرتيبة ..

كما تعتبر رواية « العنقاء أو تاريخ حسن مفتاح ».. من انتاج ٤٦ ، ١٩٤٧.. تجسيدا آخر لإيمانه العميق بالجديد ، الذى يخرج من شرنقة القديم ..

كانت هذه المرحلة فى الجامعة .. فترة التحصيل ، واستكمال التكوين أو البناء الثقافى والروحى والتشبع بدروع الفكر والوعى .

أما المرحلة الثانية من حياته الفكرية ، فقد ارتبطت بالصحافة ، وبدعوة الأدب للحياة (لا للمجتمع).. وتحول فيها لويس عوض من النقد النظرى عبر دراسة الأدب العالمى ، الى النقد التطبيقى للأدب المصرى المعاصر .

وكتب الدكتور لويس عوض ، مثل : « دراسات فى أدبنا الحديث » (١٩٦١).. « الاشتراكية والأدب » (١٩٦٣).. « دراسات فى النقد والأدب » (١٩٦٤).. « دراسات عربية وغربية » (١٩٦٥).. « الثورة والأدب » (١٩٦٧).. « الحرية ونقد الحرية » (١٩٧١).. تقدم صورة عريضة للحركة الثقافية فى بلادنا ، التى فجرت ثورة ١٩٥٢ .. طاقاتها الكامنة ، فى الشعر ، أو القصة والرواية أو المسرح .

ومع أن ازدهار المسرح المصـرى ، فى هذه الفترة تحقق بالعروض المسرحية ، التى يتضافر فيها التأليف والاخراج والتمثيل والموسيقى فى جديلة واحدة ، إلا أن نقده المسرحى يقتصر على النص الأدبى فقط ، ولا يتناول فنون العرض الذى كتب النقد فى غضونه .

وداخل هذا النطاق سقط من حساب لويس عوض مجموعة من أسماء كتاب المسرح المصـرى ، كان ينبغي الاهتمام بها لدفع الحركة المسرحية وغرس تجاربها الأصيلة فى التربة .

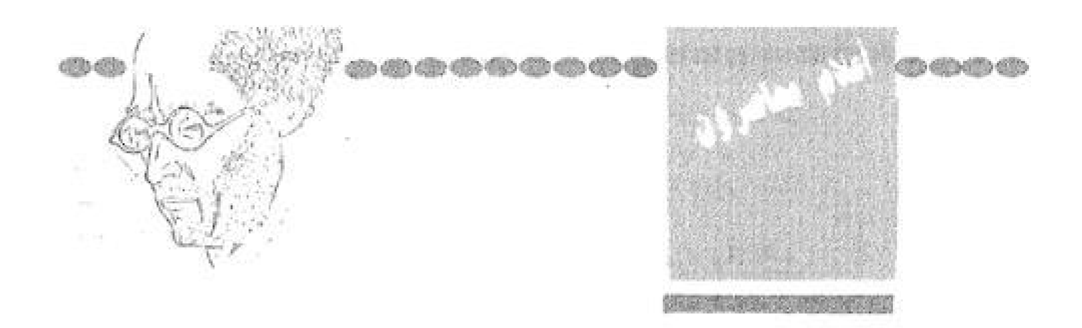
واكتفى هنا بالاشارة الى اسمين لا أكثر . ميخائيل رومان ، ومحمود دياب .
عن ميخائيل رومان الذى يعد مسرحه علامه مفارقة ، تنبض بتناقضات الواقع وأبعاد القهر والامتهان فيه ، اعتبر لويس عوض مسرحية « الدخان » التى افتتح بها المسرح القومى فى موسم ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ .. « أردأ نص عربى على المسرح المصـرى منذ سنوات وسنوات ».. ووصفها بأنها " مجرد شىء ".
وعلى جدة وغنى وتنوع مسرح محمود دياب ، وتعدد مصادر استلهاماته واخطارها مسرح السامر ، فقد تجاهله تماما (كما تجاهل على سالم).. فى الوقت الذى كتب فيه عن مسرحيات لاحمد حمروش ، واحمد سعيد ، وصلاح حافظ ، ومصطفى محمود !

ولم يشأ فى الأوقات اللاحقة ، أن يصحح هذا الموقف الذى ينسحب ، بصورة أو بأخرى على سائر الألوان الأدبية .
وبالنسبة لأعماله النقدية ككل فلم يتجاوز لويس عوض الأدب المصـرى الى الأدب العربى فى أقطاره المختلفة . فيما عدا تناوله لايليا أبى ماضى وبدر شاكر السياب عند وفاتهما

وغنى عن البيان أن الكثير من تجارب هذا الأدب على مدى الساحة العريضة ، تتفوق على التجارب الاقليمية فضلا عن أن المجال العالمى الذى يسعى اليه لويس عوض بكل طاقته ، ونمطه الوحيد لديه الثقافة الأوربية لن يتحقق إلا عبر جسد الأدب العربى ، وليس عبر احد آدابه المحلية المتفرقة .

والأدب العربى ـ العالمى الذى تتطلع اليه ، لن يكون إلا فى إطار انتماء قومى ، يعزز الهوية ، وقد أصبح ، الآن ضرورة وجود ، وليس فقط ضرورة حية
وللمرء أن يتساءل : الم يجد لويس عوض ، فى المسرح الاحتفالى المغربى للطيب الصديقى واحمد الطيب العلج ، الذى ترامت أصداؤه فى عالمنا العربى ، او فى أعمال سعد الله ونوس المسرحية ، أو روايات حنامينه أو عبد الرحمن منيف أو الطيب صالح أو الطاهر وطار أو إميل حبيبى ، أو فى أعمال عبد الوهاب





الباتي الشعرية . او سعدى يوسف . او ادونيس . او خليل حاوى . او محمود درويش وسميح القاسم . وغيرهم كثير من الجيل التالى . فاستحق ان يدرس ويبين خصائصه الانسانية والفنية . لاثراء ابداع العربى فى مختلف الثقافة .

ولويس عوض فى نقده لايفرق بين مسرح يكتب بالعامية ومسرح يكتب بالفصحى . او بين مسرح محلى ومسرح عالمى . او بين شعر حر . يعتمد التفعيلة . وشعر منثور لايتقيد باى وزن سوى موسيقاه الداخلية ـ طالما انه لا يتخلف عن ايقاع الحياة من حوله

والى جانب تقديره للادب الرسمى . فانه يرى فى الادب الشعبى تعبيرا اصيلا من ارفع مستوى عن الوجدان العام . لايقل جمالا عن الادب الرسمى . خاصة فى السير والملاحم . وفى حياته المبكرة حاول جمع وتسجيل بعض الاغانى والاشعار الشعبية عن افواه الفلاحين فى قرية شارونة بالمنيا . حيث نشأ . ولكنه توقف لحظة أدرك صعوبة هذا العمل بالنسبة للمجهود الفردى .

وتحت تأثير تعامل لويس عوض مع العامية استخدمها لغة للتعبير الادبى كالفصحى سواء بسواء . فى كتابه "مذكرات طالب بعثة" الذى كتبه سنة ١٩٤٢ . ثم ضاعت اصوله نحو عشرين سنة وحين عثر عليها فى الاسكندرية صدرت فى "الكتاب الذهبى" . ١٩٦٥

و"مذكرات طالب بعثة" رحلة فنية وفكرية إلى اوربا . تحفل بالمعانى الانسانية التى تتوجه إلى العقل والقلب . تعنى فيها بالطبيعة . وعايش الانسان فى بحثه عن السعادة . والعدل . والجمال

واذا كان اسم لويس عوض اقترن بالادب الواقعى . إلا انه لايتحيز له وحده . وانما يتحيز لكل الآداب والثقافات الانسانية . التى تتوفر لها عناصر الاصالة والخلق والابتكار . بما يدرجها فى التراث الانسانى

وهذا التراث لا يتشكل بالعزلة . والاكتفاء الذاتى . وانما بتبادل الخبرات . او التأثر والتأثير . اى بالاخذ والعطاء . والتقاء القيم والافكار القومية بالقيم والافكار الاجنبية . فى ظل الحضارة المشتركة بين البشر . فى كل زمان . ووحدة الطاقة الذهنية .

ويؤكد لويس عوض ان ادبنا لن يتجدد الا بالمشاركة فى هذا التراث والاندماج فى المحيط العالمى .

والفرق بين اتجاه لويس عوض النقدى ، وبين اتجاه النقد لدى المدرسة الواقعية ، يمكن حصره فى ان هذه المدرسة تضع نصب عينيها المجتمع وقضاياه الملحة ، بينما يضع هو الانسان ، من حيث هو انسان ، فى المحل الاول ، ويصف الارتباط بالمجتمع كعلاقات بالمذهبية الضيقة ، مهما اتسعت آفاقها .

وبينما تتمسك هذه المدرسة بالتزام الفنان إزاء المجتمع ، لا يجد لويس عوض غضاضة فى انسحاب الشعراء من الحياة ، والغرق فى متاهة الاحزان والميتافيزيقا والتشاؤم ، وملء الكون "بالانين والاشجان"

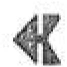
حسبه ان تكون العبارة المقدمة ناضجة ، رفيعة المستوى ، ترضى ربة الفن فى عليائها

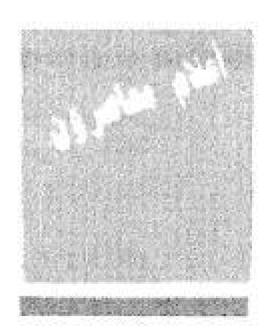
ويرى فى استخلاصها دلالة العمل الفنى ، وبيان مقاصده وفض رموزه ومغلقاته واسقاطاته على الواقع ، ظاهرة مرضية ، تتضمن دعوة للمصادرة وبذلك يمنح المبدع حرية التعبير ، ويسلبها من الناقد ، الذى يتعين عليه ان يمتلك ، مثل الابداع تماما ، نفس الحرية ، بالاضافة الى حق تبصير الكاتب بما هو اكثر ايجابية ، وتوجيهه الى ماهو افضل ، وهذه وظيفة النقد وروحه ، التى تودى الى تقدم الادب والحياة معا

ولعل هذا يرجع الى وجدان الرومانسى المبكر ، وما يخامره من مثاليه وايمان بالديمقراطية او الحرية الفردية ، واحتفاء اساسى بالخيال

ويأخذ بعض المعاصرين لويس عوض بقافلة المفسرة التى تطفو احيانا على السطح ، وبصفة خاصة عندما يستشف فى النص رموزا يقوم بتفسيرها تفسيرا عاما ، يبدو اشبه بحل الالغاز ، ويجىء عادة على حساب الجوانب الفنية والاسلوبية للعمل الادبى

ففى مقاله عن مسرحية "جمهورية فرحات" ليوسف ادريس ، تحدث عن المدينة الفاضلة فى محاورات افلاطون ، متقصيا احلام الفلاسفة فى المدن الفاضلة ، ولو انه كان مجرد مدخل . وفى مقاليه عن ديوان "احلام الفارس القديم" لصلاح عبد الصبور ، تطرق إلى ترجمة تحسين لاثينيين من القرن الرابع عشر الميلادى ، لقسيسين يتبادلان الراى بالشعر حول ماهو افضل ، حب العذراء الخام ، اليانعة بالفطرة ، ام حب المرأة المتمكنة ، المجربة ؟ ! وفى تناوله لمسرحية ، سكة السلامة ، لسعد الدين وهبة ، شغل نصف المقال بترجمة





موال من الأدب الشعبي الاسكتلندي ، مجهول المؤلف ، عنوانه ، توما الشاعر ، عن سكة السلامة وسكة الندامة ، يعود تاريخه الى سنة ١٥٠٠ ميلادية

غير ان الاخطر من هذا كله اصداره الأحكام العامة القاطعة ، التي تخطىء اكثر مما تصيب ، لانها تتناقض مع الظروف التاريخية ، استنادا الى جزئيات لاترقى بحال الى هذه الأحكام ، او تاسيسا على قضايا ليست يقينية ، يقيم عليها صرحا مرتفعا .

وغالبا مايبدا بهذا الحكم ، بدل ان ينتهي به .

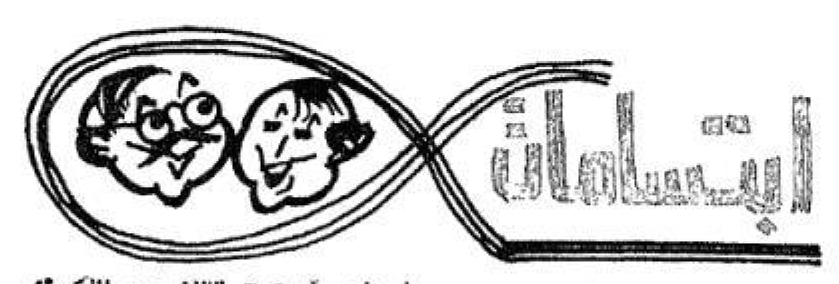
من هذه الأحكام دعواه ، في قمة المد الواقعي في الادب المصرى في الستينات ، بعودة الرومانسية ، لأن بعض الكتاب نشروا اوراقهم القديمة ، او ان موت المسرح الدرامي في مصر ، يرجع الى البيئة الزراعية التي تؤمن بالاختيار الحر ، وليس بالجبر ، ومن هنا لم تعرف هذه البيئة سوى المسرح الملحمي الذى يدور فيه الصراع خارج النفس ، بين قوى الخير وقوى الشر .

والحق ان خضوع البيئة الزراعية لقوانين الطبيعة الحتمية للقضاء والقدر ، او للجبر الأعلى ، اكبر مايكون ، وهذه البيئة لاتختلف اذن عن طبيعة الحياة اليونانية التي ازدهر فيها المسرح الدرامي

واذكر من النقاد الذين تصدوا لهذه الافكار ، من وجهة نظر مناقضة محمد مندور ، حسين مروة ، محمود امين العالم ، عبدالقادر القط

ولكن لاشك انه بفضل ثقافته الموسوعية والمتخصصة في ان ، وظمأه الذى لايرتوى للمعرفة ، يفيد لويس عوض جمهرة القراء فائدة جمة ، خاصة عندما يقوم بتعريف قراء العربية بالانتاج الادبي للفكر الاوربي ، ونظمه ومذاهبه اليسارية ، برؤية شاملة ، تبشر بالجديد .

نجد هذا واضحا في رحلاته الغربية والشرقية ، وقد جمع جانبا منها في : « الفنون والجنون في اوربا ١٩٦٩ » ، « كتاب الهلال ١٩٧٠ » ، « دراسات اوربية » ، « كتاب الهلال ، ١٩٧١ » ، « رحلة الشرق والغرب » (اقرأ ، ١٩٧٢) ، وفي كثير من مقالاته الاخرى المتناثرة ، التي لم تجمع في كتب



أروع ترتيب

● كان اثنان من علماء الذرة يجلسان في أحد النوادي الليلية عندما ظهرت احدى الفنانات من اللواتي تتمتعن باجسام رائعة الجمال ، فقال احدهما للآخر هذا اروع ترتيب للجزئيات رايته في حياتي !!

الذكور والاناث

● قام أحد الازواج بطرد الذباب من البيت .. ولما تضايق من اخراجه كله ، راح يقتل ما تبقى منه . وبعد ان فرغ من مهمته ، سالته زوجته ساخرة : « كم ذبابة قتلت ؟ » .. اجاب : «ثمانية» اربع اناث واربعة ذكور ؟ » فقالت له : « ولكن كيف استطعت أن تميز الاناث من الذكور؟» .. اجاب : « كانت الاربع اناث واقفة على المرآة .. بينما الاربعة الاخرى كانت مرتكزة على قطعة من السكر »!!

العقبة الوحيدة

● قال الممثل الهزلي « جاك بار» عندما التفت الى الوراء تبدو حياتي كسباق طويل واحد للموانع ، وانا العقبة الوحيدة في هذا السباق !

اعــلان

● نشر الاعلان التالي في احدى الصحف الامريكية : حذاء حريمي غالي الثمن وجد تحت المقعد الامامي من سيارتي لو استطاعت صاحبته أن تشرح لزوجتي كيفية وصوله الى هناك لسوف ادفع اجر هذا الاعلان واشترى لها حذاء آخر.

هدايا معقولة

● قالت الزوجة لزوجها : دعنا نتبادل في هذا العيد هدايا معقولة ، فاهديك رباطا للعنق وتهديني معطفا من الفراء !

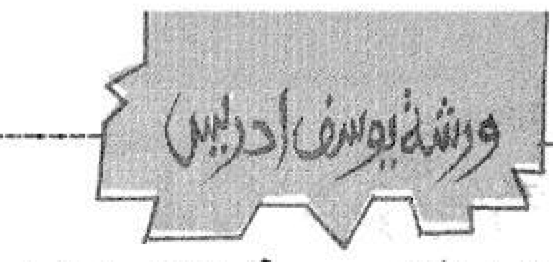
استفتاء

● طلب الى احد المدرسات أن تذكر في استفتاء عام : ثلاثة اسباب لاختيارها مهنة التدريس فاجابت: «يونيو» ويوليو» اغسطس ، وهي شهور العطلة الصيفية!

دكتوراه

● قال النجم الكوميدي الامريكي «بوب هوب » وهو يتقبل درجة الدكتوراه الفخرية من كلية بنسلفانيا : ما اجمل ان يكون الانسان دكتورا ، فهناك بضع زيارات منزلية كنت اود القيام بها ..!





رائد القصة يقدم :
الجيل الجديد من كُتاب القصة

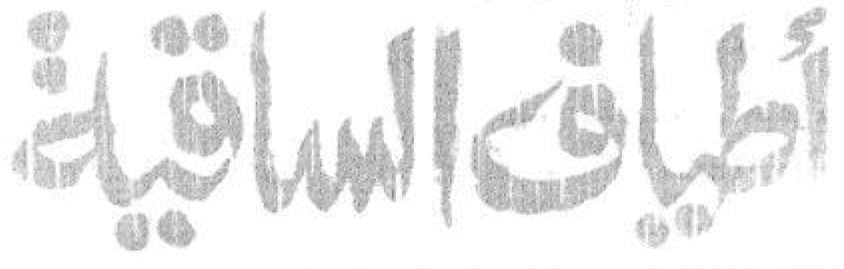
ليس للقصة شكل واحد ولا موضوع واحد ولا طريقة واحدة ابدا فى الكتابة .. انها تماما مثل البشر جميعهم بشر .ولكن احدا منهم لا يشبه الآخر حتى لو كان توامه .

وهذه قصة موضوعها غريب .. الحب .. والحب أيضا مثله مثل القصة لا يتشابه ، ان كل حب هو فى الحقيقة قصة حب متفردة ، وكل قصة حب متفردة هى نوع من أنواع الحب ، وأنواع الحب من الكثرة والتشعب بحيث ان عددها يكاد يوازى عدد البشر،البشر الذين احبوا ، والبشر حتى الذين لم يحبوا . فعدم الحب ايضا حب ، وما يحسه من لا يحب ، من حب ورغبة فى الحب اضعاف اضعاف ما يحسه الذى أحب .

دعونا اذن نقرا ذلك النوع الذى يعزف على العاطفة من القصص ، عزفا رقيقا ناعما هامسا كعزف القيثارة ، ولكنه يفور فى النفس .

واعظم ما استطيع أن أقوله عن هذه القصة التى حين قراتها احسست انى فعلا ، من زمن طويل لم احب واننى مشتاق جدا ، ان احب وأن احب .

اتريد بعد هذا يا عزيزى محمد السيد سالم ، وصولا ؟!





القبلية

قصة قصيرة

بقلم:
محمد السيد سالم

أطياف الساقية القبلية

لعلك يا سامية تذكرين جيدا تلك الايام النائية التي كانت تمتد بوداعة تحت وهج شمس تكاد تبرق البيوت والرءوس وكل دواب قريتنا المتثاقلة

ايامها كان قصركم الابيض الشامخ ينتصب وسط القرية كبرج رائع متوهج بينما بيتنا الصغير ينزوى بهدأ عند نهاية حارة ضيقة مليئة بالاتربة واكوام الروث ملتصقا بصفوف البيوت الكالحة التي تنوء تحت اثقال اكوام الحطب الجافة ، ورغم هذا التقينا لحياة في كلية واحدة ، وعلى مقعد واحد رغم شمس القرية الحارقة والدواب المتثاقلة والقصر الابيض الشاهق

يومها رأيتك امامي في فناء الكلية ولاول مرة دون اى موكب حولك فادرت جسدى واخفيت رأسي ..وراء كتاب اختلطت فيه السطور وتداخلت ، وبعد اسبوعين تعارفنا واستطاعت غربتنا بالمدينة ان تذيب ذلك الصقيع الذي يمتد منذ الازل من ابواب قصركم حتى مداخل حارتنا الضيقة ومع الوقت ازدادا كل منا معرفة بالاخر ..

اسرتك بالطبع كانت عريقة ، مرموقة فعمك عمدة القرية وابوك من اعيانها وباقى افرادها يحتلون على طول الوادى وعرضه المقاعد الوثيرة ويتحدثون عن ساحات الثراء المتسع

اما اسرتي فلم تزد عن ابي « عواد الخفير » الذي كان يقف احيانا حارسا على ابواب قصركم ، ويجوس احيانا بين ازقة القرية المظلمة الخاوية بحثا عن لصوص الليل بينما امي على حافة الترعة منذ الفجر تعمل في تخمير الطين وخلطة بالتبن وضرب الطوب كانا رحمهما الله يفعلان ذلك بفخر غريب واعتزاز يثير الدهشة ولكنك لم تعرفي عنا كل ذلك ، وكل ما كنت تعرفينه انني ابن عواد الخفير فحسب ..

وفي نهاية العام الدراسى اتى ابوك بسيارته الفارهة وجلس بداخلها ينتظرك امام الباب الحديدي الكبير وكنت ساعتها اصحبك للخارج وانا اغوص في دوامة من احلام يقظة تدور كلها حولك ...

– ابي .. هذا زميلي سامى عواد

– هيا يا ابنتي حتى لايسرقنا الوقت

– الا تعرفه يا ابي انه من قريتنا

– ابن من تقولين ؟

– عم عواد الراضى !

– الخفير !

قالها بدهشة صارخة ثم ارتبك وتقلب وجهه ، احسن في لحظة انني طردت من عند معبده المقدس عجبم تحرك دفعك نحو السيارة ومضى بها في جنون وعلى الفور اندفع زئيرها يحدد من جديد معالم تلك الهوة السحيقة التي لا يمكن عبورها باى حال

احسست بجسدى ينهار وباحذية المدينة كلها تتكدس في وجهي وبسرعة مضيت اوارى في حلقي الباحتة واترنح في خضم الزحام اللاهث ، وعند القرية وقفت خلف نافذة بلا زجاج امام اسقف البيوت الكسيحة الشاحبة ارقب قصركم البعيد احلم بك ممدودة الذراعين ضاحكة العينين .

– هنام بك يطلبك في قصره

– لم يا ابى ؟

– لعله يود أن يسألك عن الكلية

وعندما وصلت الى قصركم ووقفت تحت ادراجه هبطت في ثوب أبيض والورود الحمراء تلمع في وجنتيك وحين اقتربت منى لم تلق بالا الى حلتى التي لم تتغير منذ كنا في الكلية ولعلك لحظتها

شاهدت فى عينى ذلك الربيض الذى يدخره الانسان للحظات العامرة لم ظهر ، والدك بشموخه الزاهق وعباءته الفضفاضة وهبط خلفك فى كبرياء لتقبل مشى فى طريقه دون ان يعيرنى ادنى التفات :

ـ سامى اريد منك كتابا من الهندسة الفراغية هل أجده لديك ؟

ضاع صوتى ، تهدل على وهج جدران تنزف ضوءا ووقف الخرس جامدا على شفتى المرتعشتين :

ـ هل ستقف طوال النهار هكذا تفضل يا سامى

وصعدت معى الدرجات وفجاة هبست قبل ان تصل الى نهايتها

ـ منذ اتينا هنا لم آرك .. لم يا سامى ؟

جلست على طرف المقعد فى الصالون الكبير وأنا الملم جسدى فى اعياء واجمعه كتلة مستعطفة تنز عرقا باردا وحين اتيت وانت تحملين كوبا من الليمون البارد ورأيت حالى .. التمعت ضاحكة :

ـ مالك ترتعش هكذا يا سامى ، هل انت فى امتحان ؟ ؟

تبسمت وتطلعت الى السقف السامق اتامل نقوشه المذهبة بينما قلبى يطن كدائر السانية يزقزق كعصفور .

هل تذكرين يا حبيبتى ساحة النخيل التى كانت تتمرغ فى نهايتها حارتنا الضيقة ايامها كنا نلتقى تحت الظلال وسط نظرات تعسف أهل القرية والحجة كانت دائما كتابا لم يزد ثمنه وقتها على عشرة قروش وخلال احد هذه اللقاءات جرات وهربت بك بعيدا من ساحة النخيل ونظرات المشدوهين ووقفت بك عند حالة السلاقية القبلية الجاثمة عند شجيرات الخروع وسط هدوء حالم وصمت يتالق .

ـ أبى لاحظ ما بيننا اعذرنى ياسامى ان لم القك الا فى الكلية ..

ـ لم العل مايغضبه ؟

ـ وهل تكفى تلك الدقائق لتعويض صيف باكمله

ـ ربما لم يكن امامى الان الا خمس دقائق

ـ سوف اذكر هذه الليلة دائما ، ولعلك تفعل مثلى

ترى هل تذكرين تلك الليلة ياسامية لقد حدثت اشياء كثيرة بعدها فقد تغيرت القرية وساحة النخيل والساقية القبلية لقد زرت القرية اخيرا فلم ار الاعمدة الخرسانية الثقيلة التى ارتفعت كاشجار الجميز المتحجرة وقد تشعبت منها اعواد هائلة من الحديد الاسود ، وغاص للابد اللون الاخضر تحت قاع الابنية التى امتدت ، واختفت تماما الساقية القبلية وابتلعت طرق السيارات الطويلة ومواقفها القبيحة ساحة النخيل ، وحتى الهدوء الحالم والصمت الذى يتالق مزقته الابواق الزاعقة وضجيج الزحام الهائل ..

ولكن بعد أن انتهت الدقائق ومرقت كشبح مرتعد نحو القصر احسست فجاة بوحدة قاتلة وحتى لا تتحول أيامى فى القرية الى جحيم سارعت عند الفجر الى « البندر » لاعمل فى احد فروع شركة كبرى لاصلاح السيارات ذلك العمل الذى طالما مارسته كل صيف أيام طفولتى وصباى

فى البداية لم اكسب الكثير من هذا العمل ولكننى حين اعتبرته خلاصا من مأزق غيابك من ساحتى حققت اشياء جعلتنى قادرا ولاول مرة على اكتشاف ذلك البصيص الذى يومض فى نهاية

أطياف الساقية القبلية

دخلوز حياتى ، ساعدتنى دراستى فى الكلية على تطوير أشياء كثيرة خلبت راس مدير العمل وجعلته يكاد يهمس بى ورغم هذا كان قلبى فى لحظات التوقف اللاهثة يندفع بخيل ناحية الساقية القبلية ابتسامتك تنسكب عطوريا دافئة ذراعى المتعبتين ، كان طيفك وتنها عواصف دفء تلتف حول صقيع ايامى الحزينة

وحين بدات الدراسة من جديد فوجئت بك لم تات علمت انهم نقلوك الى جامعة اخرى بعيدة ، وعادت النيران تلسع اعصابى وتنهش فى ضراوة اطياف الصيف البعيـــدة

وغير أننى لا انكر ان هذه المحنة الثقيلة افادتنى فى مواجهة ما اعتبرته تحديا ، وبكل قواى صرت اركض حافيا على الصخور بينما العرق الملتهب يتصبب من اظافرى

وبعد سنوات من التخرج صرت ممثلا للشركة الكبرى فى عواصم الدنيا كنت كل يوم اركب طائرة اسابق الغيوم ، اسبح فوق طبقة حارة ضيقة صادت كخيط رفيع ينقرزنى التراب .

وبعد سنة ، سنتين ، ثلاث ، خمس سنوات كان لى مصنعى الخاص وسكرتيرتى الحسناء وعربتى الفارهة وقصرى الكبير ، القى ابى ببندقيته التى ادمت كتفيه سنوات وسنوات ، ومسحت امى اكوام الطين عن ذراعيها النحيلتين واقبلا ليعيشا معى فى المدينة ، ولم اكد التقط انفاسى حتى اخترقت بسيارتى الطريق المؤدى الى ابواب قصركم الشامخ ثم انطلقت الزغاريد تعربد فوق فيضان انوار كست القرية واحالت ليلها القاتم الى نهار هل تذكرين يا سامية حين كنت امر

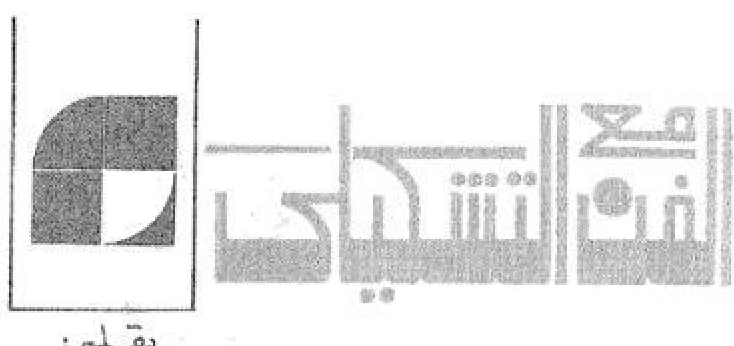
منهكا الى البيت فى الظهر والمساء احمل اكياس الفواكه وعلب الحلوى لتهجم على « نانا » تختطف منى الاشياء والضحكات ثم ترتمى على صدرى وتتدلى من رقبتى وتشدنى من ظهرى .

لقد مرت على هذه الايام يا حبيبتى اكثر من ثلاثين عاما

ومنذ ايام وانا الاحظك تستعدين فى خفية للاحتفال غدا بعيد زواجنا الفضى الذى مازال لامعا كشمس قريتنا رغم كل ما مر من سنوات وسنوات !!

ولكننى بالامس احسست بك صامتة يرتعش جسدك بعاصفة من البكاء الصامت ابنتنا « نانا » لم تعد صغيرة يا سامية لقد انهت هذا العام دراستها الجامعية وهى تعتقد انها تحب زميلها ذلك الشاب الذى اتى منذ ايام يطلب يدها فبارتعاد بينما نظراته مدفونة بين قدميه ، ولكن حين تفجر الرفض فى وجهك تساقط صوته هزيلا متوترا وتعلقت عيناه فى شحوب بخطوط السقف الذهبية ثم قام شاربا يحمل معه كمدا ووجوما ، واندفعت « نانا » فى اثره لتشهق باكية خلف احد الابواب ، ورغم كل ما حدث ارجوك يا سامية ان تمنحى هذا الفتى فرصة اخيرة بعد ان تنتهى من هذه المحاولة التى حاولت فيها وبقدر استطاعتى استعادة شريط ذكريات التقاء نظراتنا وارتعاش قلوبنا وصخور طرقاتنا ، وان اجعلها فى نفس الوقت هدية متواضعة اليك فى عيد زواجنا الفضى

ارجوك يا سامية ان تتذكرى جيدا ذلك الشاب الريفى المرتجف الذى قدمت له منذ ثلاثين عاما كوبا من الليمون البارد لم يلق احلى منه فى حياته اعتقد انك مازلت تتذكرين اليس كذلك يا حبيبتى ؟



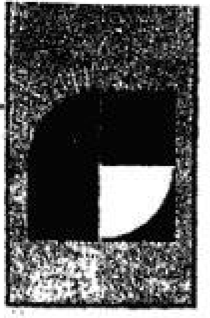
بقلم :
محمود بقشيش





أقام الفنان الكبير « صلاح عبد الكريم » معرضا شاملا لانتاجه ، فى مجال النحت ، والتصوير ، وكان المتوقع أن يضم المعرض انتاجه من « الخزف » ، أو ، على الاقل ، تصميماته « الديكورية » التى تخصص فيها ، وسافر من أجلها الى ايطاليا ، وفرنسا ، فى بعثة استغرقت خمس سنوات ، ويبدو أنه انحاز الى فن النحت منذ عودته عام ١٩٥٨ ، وربما كان الدافع الى هذا الانحياز الموفق كلمة أمينة فتحت امامه آفاقا جديدة فقد حدث ان كان منشغلا بصنع شكل نحتى لسمكة متوحشة ، من الحديد « الخردة » ، يزين بها غرفة الطعام ، حينما صادفه الفنان ، والناقد « حسين بيكار » ، وأبدى اعجابه بها ؛ ولم يكتف بذلك بل لح عليه فى الاشتراك بها فى بينالى « ساوباولو » وفوجىء بفوزها بالميدالية الشرفية ، وكانت المفاجأة حافزا له للاشتراك فى بينالات اخرى ، فاز فى معظمها ، فيما أظن ، الا انه عندما اشترك فى مسابقة محلية ، ارتبكت « لجنة التحكيم » التى كانت تضم بعض كبار النحاتين المصريين ، وتساءلت ان كان ذلك العمل منتميا أصلا لفن النحت ، واحتج البعض على اشتراكه أصلا فى مسابقة للنحت باعتباره استاذا للزخرفة !

لم يكن الحديد معروفا فى مصر كخامة نحتية ، الى أن ادخلها « صلاح عبد الكريم » عام ١٩٥٨ ، واثارت من المناقشات ، واختلاف وجهات النظر ،



التي لا يخلو بعضها من طرافة ، الركود بعض الشيء . ومن الاتجاهات التي سبقت ، ذلك الاتجاه الموجه « للخامة » باعتبارها خامة لا تفصح الا عن هوية غربية ، ولا تعبر الا عن مجتمعات صناعية ، ومن ثم ليس من حق فناني العالم الثالث الاقتراب منها ! . غير ان منحوتات « عبد الكريم » قد فجرت بشكل واضح ، وصريح ، الاحتياج الى تجديد الخلايا ، بالخروج من قوقعة الجمود ، بالتعرف على ما يدور في العالم الخارجي .

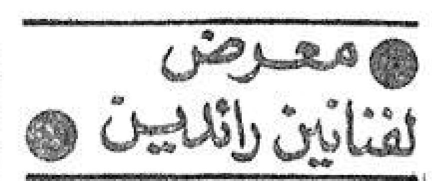
دار المعرض حول اربعة موضوعات .. هي بالترتيب : الحشرات .. الحيوانات .. الانسان ! كما قدم بعض منحوتاته التجريدية الاخيرة ، الشبيهة بالعقد . والمتابع لرسومه الصحفية ، ولوحاته التصويرية ، يكتشف ان انسب الخامات لطبيعة خطوطه ، وتصميماته . هي خامات الحديد ، فخطوطه حادة . قاطعة . يلتزم بالاسلوب « التكعيبي » ، الا ان « تكعيبيته » تخلو من التحريف الصارم ، الذي يميز الفنان الغربي ، وتميل الى التزيينية ، كما تميل الى « البنائية » المنطقية للعناصر .

ان لحنه النحتي الاساسي هو الحشرات ، وهو موضوع عشق قديم ، فقد كان يقوم بتجميعها . وتصنيفها والاحتفاظ بها في غرفته ، والعناية بغذائها ، وكان يتمرد احيانا على دور الراعي ، ويتقمص دور الجراح ، املا في اكتشاف اسرارها التشريحية ولقد اتت تلك الدراسات القديمة بنتائجها ، في التزامه بالنسب الواقعية غير انها ـ على الرغم من تمتعها بالاناقة تبدو محملة بشحنات تعبيرية عارمة ، فتبدو حشراته ، وحيواناته ، في مجملها ، في حالة تحفز ، استعدادا لخوض معركة ، وتشاركها خطوط ، ومساحات الوحدات الحديدية ، المتقاطعة مع الضوء النافذ ، ذلك الاندفاع المقاتل ، اما « الانسان » فيظهرها مشيا في اعماله النحتية .

اما مرحلته الاخيرة : المرحلة الانبوبية ، حيث الاعتماد على عنصر واحد ، هو الشكل الانبوبي ، فانه يعتمد في التنفيذ على اعمال تحضيرية ، تعتمد على الحركة الخطية المتداخلة ، والمتواجهة ، وتشكل كيانا نحتيا شبيها بالعقد ، وتكشف عن ايحاءات حسية ، غير انها في تقديري اقل اثارة ، وامتاعا للعين ، على الرغم من اقتصادها البليغ .

يضم معرضه ، اكثر منحوتاته شهرة ، وان لم يكن اعظمها مستوى ، اعني منحوتة بعنوان « صرخة » ، والتي نشرت في معجم « لاروس » العالمي ، وتنتمي الاعمال الى اسلوب واحد ، باستثناء بعض الاعمال التي تبدو غريبة نوعا ما .

ان عملا واحدا من اعمال الفنان في نهايات الخمسينات كان كفيلا باثارة الجدل ، وتحريك السكون ، اما اليوم فمعرضه الشامل يمر في صمت جنائزي !



اقيم ، منذ شهر اغسطس وحتى منتصف اكتوبر ، معرض للفنانين الرائدين : راغب عياد ، وهدايت . اهملته وسائل الاعلام المختلفة اهمالا كاملا ، على الرغم من الاهمية التاريخية التي يحظى بها الفنان الاول ، على الاقل ، لقد كان احد الاربعة الذين اسسوا الحركة التشكيلية المصرية : محمود مختار ، محمد حسن ، يوسف كامل ، اما الفنان الثاني فهو فنان تركي الاصل ، واستقر في مصر ، وله مدرسة في التلوين بالالوان المائية .

اقيم المعرض في القاعة الصغيرة ، والانيقة : قاعة ارابيسك ، وهي قاعة عرض خاصة ، كانت فيما مضى تابعة للدولة ، ثم انشطرت الى مطعم ، وقاعة عرض ، على ايدي اصحابها الحاليين ! .. ومن ثم لا نستطيع ان نطالب المسئولين عن تلك القاعة بتقديم عرض « مدروس » لانتاج الفنانين الكبيرين الراحلين ، محاطا بالرعاية الاعلامية المناسبة

ضم المعرض نحو عشر لوحات لكل منهما . تنتمي بعض لوحات « عياد » الى مرحلة الموضوع الشعبي المتمثل في الافراح ، والحيوانات الاليفة ، منفذة بالوان الفلوماستر على ورق ابيض ، وبعضها الاخر ينتمي الى مرحلة « الاديرة » . لوحات زيتية على قماش ، ولقد احيط « عياد » بقدر لا بأس به من الحفاوة الاعلامية على النقيض من زميله في قاعة العرض ، كما ان تأثيره على الاجيال اللاحقة واضح بصورة اكبر من « جاره » !

ولد « راغب عياد » بالقاهرة في ١٠ مارس ١٨٩٢ ، وتوفي في ٦ ديسمبر ١٩٨٢ ، مشيعا في لا مبالاة . كان ضمن الدفعة الاولى التي التحقت بمدرسة الفنون الجميلة عام ١٩٠٨ ، ويحكي تاريخ الفن المصري المعاصر موقفا اخلاقيا لا مثيل له ، فقد تبادل هو وزميله « يوسف كامل » مهام وظيفة الاخر ، وارسال راتبه الشهري له ، لاستكمال دراسته بالخارج ! ، واتيح له بعد ذلك السفر الى روما ، في منحة دراسية ، لمدة خمس سنوات ، ثم تولى عند عودته عددا من المناصب منها : رئاسة قسم الزخرفة بكلية الفنون التطبيقية ، التدريس بكلية الفنون الجميلة ، ادارة متحف الفن الحديث ، وهو الذي انشأ جناحا للمثال « محمود مختار » بمتحف الفن الحديث ، وحصل على جائزة الدولة التقديرية للفنون عام ١٩٦٥ . كانت الفترة التي عاشها « عياد » في اوربا فترة التحولات الكبرى ، وقد اختار من بين اساليب الفن الاسلوب « التعبيري » ، وربما كان انسب الاساليب لطبيعته الرافضة للاسلوب « الاكاديمي » منذ كان طالبا في مدرسة الفنون الجميلة ،

كانت اجواء « عياد » في غالبيتها بهيجة ، دالة الحركة والحيوية ، وتشيع في ملامح شخوصه ، واوضاعهم ، طرافة وكاريكاتورية ، على الرغم من وجود بعض اللوحات الكبرى عبر رحلته الفنية .

اما الفنان « هدايت » فلم يحظ كما اشرت بنفس الرعاية الاعلامية ، الا ان اللوحات المعروضة تصلح لان تكون درسا مفيدا لرسامي الالوان المائية ، بما يتميز به من براعة في الاداء . فانت امام لوحاته تشاهد اغنيات بصرية ، تشكلها تنويعات من اللمسات البارعة ، الرشيقة ، وباعتباره منتميا للاسلوب « التأثري » فمثيره الجمالي هو الطبيعة ، ويضم المعرض عديدا من المناظر الطبيعية ، بعضها يقل في مساحته عن مساحة « الكارت بوستال » ، اما الجو الذي تعكسه اللوحات فهو البهجة ، والانتعاش بالطبيعة التي تحولت بين يديه الى طبيعة مخملية .



عندما تاهبت للسفر الى المدينة الصغيرة الحالمة استروجا التى تقع في يوغوسلافيا في مثلث الحدود اليوغوسلافية اليونانية الالبانية عادت بذاكرتى الى ما نعرفه عن لقاءات الشعر والادب في العصر العربي الجاهلي حول ليالى وايام سوق عكاظ والسبب ان ما يجرى في كل عام ومنذ ١٩٦٢ في مدينة استروجا تحت عنوان امسيات الشعر الدولية في استروجا لا يختلف من المعنى والمستهدف من مثل لقاءات عكاظ القديمة .

واذا نحت القرون الطويلة التى تفصل بين امسيات عكاظ وامسيات استروجا قد جعلت لادوات التحديث هذا الاثر في اخراج ما يطرح من اشعار في مهرجانها المهرجان الادبى والثقافى وعلى نحو يجعل للشعر ادوات تعبير فنية تقدمه على خشبة المسرح بشكل فنى يعتمد على الاضاءة والالقاء والحركة وجمال التعبير حتى وان كان القصد اظهار ابداعات الشعراء في فن القصيدة وليس من خلال الاعمال الدرامية المسرحية .

وبين استروجا « ١٩٨٥ » وعكاظ « الزمن الجاهلى » يظل السؤال الذى راودنى منذ حضورى لهذه الامسيات الشعرية : ما هو دور الشعر في زمن يلح علينا بما فيه مفاهيم ومصطلحات ، خطوات وابتكارات ، حروب وصراعات ، زمن يصارع استراتيجيات حرب الكواكب وازدياد تجارب الرعب النووى في البحار والمحيطات مع عدم القدرة على الخلاص من توترات الحروب الاقليمية التى لم يخفت لهيبها اشتعالها منذ عكاظ وحتى استروجا

● غياب الشعر العربي عن مؤتمر استروجا بيوغسلافيا ..

شعراء ٤٨ دولة في الامسيات

● وفي الدورة الجديدة للمهرجان الشعري الشهير جاء شعراء يمثلون ٤٨ دولة من اقصى الغرب وحتى أقصى الشرق ومن منتهى الشمال وحتى منتهى الجنوب.

وكان المهرجان قد شارك فيه من شعراء الدولة المضيفة يوغوسلافيا عدد كبير من الشعراء يمثلون جمهوريات يوغوسلافيا

وقد اختار المهرجان العام الحالي ليكون عام الصين في امسيات استروجا الشعرية وكان العام الماضي هو عام مصر في هذه الامسيات من خلال مشاركة الشعراء ملك عبد العزيز وفاروق شوشة وعز الدين اسماعيل ومحمد ابراهيم ابو سنة .

وقد اختارت لجان القراءة والتحكيم الشاعر اليوناني الكبير يانيس ريتسوس لكي تمنحه جائزة الدرع الذهبي التي تصل قيمتها الرمزية الى نحو عشرة الاف دولار والشاعر اليوناني ريتسوس « ٧٠ سنة » هو اول شاعر يوناني يحصل

الشاعر يانيس ريتسوس



على هذه الجائزة التي سبق وان فاز بها من شعراء العالم كل من بابلو نيرودا «تشيلي» – ليوبولد سنغور «السنغال» – مونتالي «ايطاليا» – رافييل البرتي «اسبانيا» – دجلا رجالي «تركيا» – كورجسا «يوغوسلافيا» – فاتسيا أجاي «الهند» – اندريه فوزنسكي «الاتحاد السوفييتي»

ورغم المشاركة العربية في امسيات المهرجان على مدى اعوامه التي تقترب من ربع قرن الا ان الشعر العربي لم يحظ حتى الان بجائزة المهرجان وقد يكون السبب في ذلك مستوى تمثيل الشعر العربي في المهرجان وقد ناقشت رئيس المهرجان بيتر بوشكوفسكي وهو كاتب وناقد مقدوني معروف عن السبب الذي يحول بين الشعر العربي برغم مكانته في الوجدان العربي وبين جوائز امسيات استروجا وهل يعود ذلك الى اسلوب دعوة المشتركين الممثلين للشعر العربي ؟

ويقول رئيس المهرجان بيتر بوشكوفسكي ردا على التساؤل : « الحضور الاوربي والامريكي يتم من خلال ترشيح الجمعيات والهيئات واتحادات الكتاب والجهات غير الرسمية بينما ترشيح المشتركين من بعض البلاد الاخرى ومنها البلدان العربية يتم من خلال الأجهزة الرسمية وهي في الغالب وزارات الثقافة في البلدان التي يتبعها الشعراء المرشحون للاشتراك في الامسيات الدولية ».

ويضيف رئيس مهرجان استروجا ان الملاحظات المتصلة بقصور مستوى المشاركة العربية في الامسيات من ان تستوعب

الشعر في زمن الكومبيوتر

إهم الشعراء ممن يكتبون باللغة العربية هي محل مناقشة في هيئة المهرجان بحثا عن الاسلوب الافضل لاجتذاب مشاركة افضل الشعراء العرب حتى يكون التمثيل العربي في المهرجان على مستوى مشاركة ابداعات شعراء العالم في آداب اللغات الاخرى .

وعقب مناقشتي مع رئيس المهرجان سألته الناقد والكاتب رامو شكري وهو عضو مكتب المهرجان الذي يختار الاعمال والشخصيات الممثلة في المهرجان عن رأيه في مستوى المشاركة العربية وهل يعبر بصدق من حال الشعر العربي وعندما لم يحصل مني على اجابة قال معقبا باستثناء مشاركة الشاعر الراحل صلاح عبد الصبور في امسيات الاعوام السابقة لم تكن المشاركة العربية على مستوى اسماء عبد الوهاب البياتي ونزار قباني وسميح القاسم ومحمود درويش واحمد رفيق المهدوي واحمد عبد المعطي حجازي ومحمود سعيد « ادونيس » وممدوح عدوان والدكتور عبد الله العتيبي وغيرهم من شعراء العرب ممن نعرفهم من خلال القراءة لهم باللغة العربية او من خلال حركة الترجمة من اللغة العربية الى اللغات الاخرى .

سألت الكاتب اليوغوسلافي رامو شكري الذي يجيد اللغة العربية بجانب لغته الام التركية ولغة الشارع في يوغوسلافيا اللغة الصربية الكرواتية : لماذا لم ينل اي شاعر عربي حتى الان جائزة الدرع الذهبي للمهرجان على مدى اعوامه الاربعة والعشرين ؟.

ويجيب : ارجو ان تعود الى تعقيبي على مستوى المشاركة العربية بين الشعراء الموجودين على الساحة العربية وبين هؤلاء ممن تتاح لهم فرصة الحضور الى المهرجان لتعرف سبب حجب الجائزة عن الشعر العربي .

ان السبب الذي لم يوضحه رئيس المهرجان او الكاتب الكبير المشترك في لجان التحكيم التي تضم رئيسا لهما الناقد سلوبدان ميكسوفيتش وتضم في عضويتها الاديب علي شكري والمؤرخ الادبي اندنوف فاتكو والاديب بيتر اندرفسكي والكتاب والنقاد ديمتار بشفكي وبشكلوف كيريل وباسكال جلفسكي ومن الفنانين جوشفسكا وترسلاف زوجرافسكي .

السبب الذي اكتشفته من تقصي الحقيقة وراء المشاركة العربية في المهرجان ويحول دون التمثيل للشعر العربي فيه يعود الى اسلوب المشاركة العربية الذي يأتي للمهرجان بالشعراء « الموظفين » او ممن يعتبرون الاقرب الى الاجهزة الرسمية والى جهات الترشيح والاختيار في الاقطار العربية التي يتم اختيار ممثليها من خلال وزارات الثقافة التي لم تفعل مثل تلك الدول التي اختارت من يمثلونها على مستوى بابلو نيرودا وازرا برجر ودجلا رجالي وبونتالي وباليس ريتسوس وغيرهم ممن كان ترشيحهم على مستوى التمثيل الخصب للابداع الشعري في آداب اللغات التي يمثلونها ولذا حقق معظمهم شرف الفوز بجائزة الدرع الذهبي في المهرجان الذي يعد اهم لقاء للشعر في العالم حتى بمقارنته باشهر اللقاءات الاخرى التي تعقد في قرطبة باسبانيا وليتيل بفرنسا وسرآييفو بيوغوسلافيا وكارديف في بريطانيا وفلورانسا في ايطاليا وهامبورج في المانيا وغيرها .

لماذا ريتسوس وجائزة الابداع الذهبي

لقد أختار مهرجان استروجا الشاعر

اليوناني الكبير يانيس ريتسوس للفوز بجائزة الدرع الذهبي وهي الجائزة التي كان اول من فاز بها شاعر شيلي الكبير بابلو نيرودا وفي توضيح اسباب فوز يانيس ريتسوس بالجائزة تقول المذكرة المصاحبة والصادرة عن لجان التحكيم في امسيات استروجا الشعرية ان عطاء ريتسوس يمتد قرابة نصف قرن من خلال طريق شاق في التعبير الصادق جعلت العطاء الشعري هو ملخص حياة هذا المبدع الكبير

ان موهبة ريتسوس لا تبدأ من تجربته ولكنها تشمل تجارب من استوعب عطاءهم مثل سافو وهومر وبالاس وكفافيس وهو في حصيلة عطائه لا يتحدث اليونانية فقط ولكنه يتحدث بلغة الانسان اذا كانت هذه اللغة في لغتنا مثلما هي لغته حتى ولو كانت اللغات هي الانجليزية والروسية والفرنسية والعربية والالمانية والايطالية والصينية وحتى لو كان هذا الانسان في بريطانيا او الاتحاد السوفييتي او اليابان او الهند او الشرق الاوسط او جنوب امريكا او غيرها فهي عطاء من انسان للانسان في كل مكان .

لقد طور ريتسوس من مضمون اعماله واحتفظ ايضا بنفس الايقاع المتطور في الشكل الذي يستخدمه لصياغة هذه الاعمال ولهذا كانت قصائده هي غناء الحب في عالم يجوع من الحب ويحتاج الى صدق ريتسوس وعمق اخلاصه للانسانية وللقيم والمثل العليا الخالدة.

●● ورغم الحاح السؤال عن جدوى الشعر في زمن الكومبيوتر اجد ان الاجابة وضحت بصورة غير مباشرة في هذه المعزوفة الكبيرة التي عزفتها لجان تحكيم امسيات استروجا الشعرية وهي تكرم الشاعر اليوناني الكبير يانيس ريتسوس وتمنحه جائزة الدرع الذهبي وظلت كلمات بعض الشعراء المشتركين في الامسيات الدولية تجيب على تساؤلي النابع من اعماق الحيرة بين التعامل مع ادوات التحديث في العصر الحالي والاستماع الى نبض الشعراء في زمن العدو واللهث والصراعات العديدة .

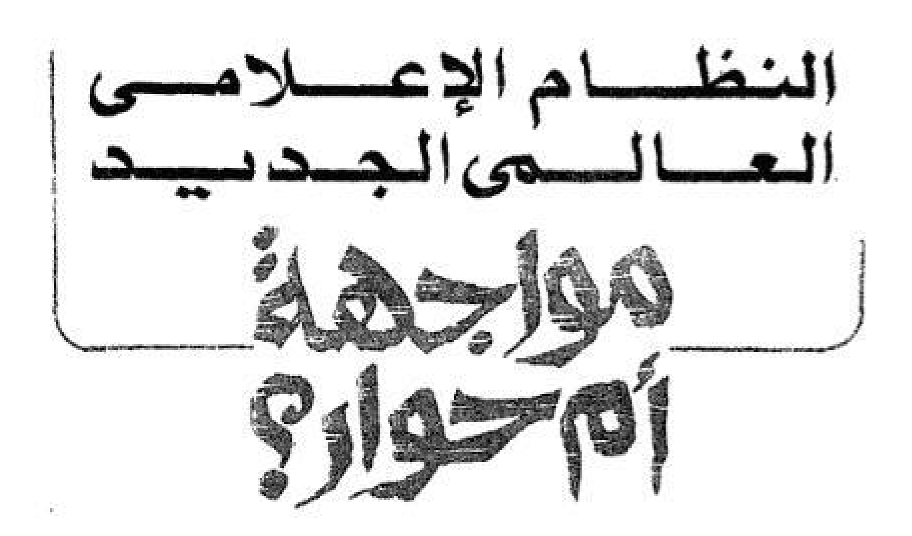
قال لي الشاعر البريطاني دوبيدل ان مخاطبة الشعراء للناس في زمن الماديات ضرورة لان العواطف لا تخمد برغم برود الالة ودقة تنظيم وتنسيق احدث آليات العصر التي تفيد في الحركة ولكنها لا تقدم ما يغني عن العقل المبتكر الذي لن يعطي اذا ما خمد لهيب المشاعر الذي يتواءم في حركته مع تشغيل العقل .

وقال لي الشاعر المجري استيفان آك ان القيم والمثل العليا هي غذاء الانسان العقلي ويصعب ان تخزنها في ذاكرة الكومبيوتر ولهذا فانها تجد أرضيتها في عطاء الشعراء وليس في برنامج الحاسب الالي .

ويقول لي الشاعر الفنلندي ترايان بتروفسكي ان ما لا يمكن تحديده بالكلمات المباشرة في زمن يحاصر عطاء العقل يمكن التعبير عنه عبر لغة الموهوبين في وسيلة الشعر في التعبير .

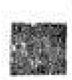
ويختتم الشاعر البرتغالي آجيتو جولسالفيز الاجابة حول التساؤل عن جدوى الشعر في زمن الكومبيوتر بعبارة مركزة يقول فيها وهل يجد الانسان غير الشعر وسيلة تخلصه من هذا التوتر المرصود . ■

والتمع باجابات عدد من الشعراء حول السؤال الذي حيرني وانا في طريقي لحضور اشهر امسيات الشعر الدولية ولكني لا اجد ان من حقي ان اطرح مثل هذا السؤال خاصة وان هناك تساؤلا لم اجد ما يقنعني باجابة حتى الآن حول مستوى المشاركة العربية في امسيات ولقاءات الشعر في العالم خاصة تلك التي ينتظم عملها من خلال المسابقات والجوائز مثل امسيات استروجا التي منحت على مدى ٢٤ عاما جائزتها الذهبية لشعراء من اقطار العالم المختلفة دون ان يكون للشعر العربي نصيب في هذه الجوائز .



النظام الإعلامي العالمي الجديد
مواجهة أم حوار؟

بقلم : محمد وهبى



لعله من المبكر ان نقول ان هناك تيارا فكريا محددا ومتكاملا قد برز الى الوجود فى العالم الثالث ازاء ما اصطلح على تسميته بوجه عام بالفزوة الثقافية .

هناك ولاشك موجات من ردود الافعال تختلف عمقا واتساعا ازاء هذه « الفزوة » يتنوع ردود الافعال الى حد كبير ، فبينما يؤكد الكثيرون ان هذه الفزوة انها تمثل من الد الهيمنة « الاجنبية التى قد ترسخ عملية الصمود الثقافي التى تعانى منها الكثير من الدول النامية ، لاسباب متنوعة ومتعددة فان البعض يرفض اصلا ما ينطوى عليه لفظ « الفزوة » من سلبيات ويرى ما يحدث على انه نوع من « الريادة الثقافية من جلب الغرب الاكثر تقدما وان اخفاء رءوسنا فى الرمال على طريقة النعامة لن يؤدى الا الى اغفال الحقائق التى اصبح ايقاع تطورها اسرع مما تستطيع دولة من دول العالم الثالث المعزولة دون التعرض لتأثيراته المتنوعة .

ولكيلا يتشعب الموضوع فاننا سنحصر اهتمامنا هنا على مجال الاعلام خاصة وانه موضوع « ساخن » ويشتعل الجدل والنقاش حوله بين الغرب المتقدم وبين دول العالم الثالث منذ تقرير « شون ماكبرايد » الذى وافق عليه المؤتمر العام لليونسكو فى اواخر عام ١٩٨٠ والذى طالب بمزيد من « العدل والانصاف والمعاملة بالمثل فى تبادل المعلومات » ، والى « قدر اقل من التبعية فى تدفق المعلومات » كما طالب « بمزيد من الاعتماد على النفس ودعم الذاتية الثقافية » وبقدر اقل من الرسائل الاعلامية المتدفقة من اعلى الى اسفل » اى من دول الشمال المتقدمة الى دول الجنوب النامية .

ولعل القارىء يستغرب امكانية اشتمال



شون ماكبرايد





خليل صابات



مصطفى المصمودي

الجدل والنقاش حول هذه المطالبة رغم اعتدالها الواضح والحذر الشديد الذى صيغت به ، كما يتضح من كلمة « مزيد » او من عبارة « بقدر اقل » . كما ان هذه المطالبة قد وافقت عليها الدول الغربية الممثلة جميعا فى اليونسكو فضلا عن انها جاءت فى تقرير أعدته لجنة دولية ضمت ستة عشر خبيرا عالميا فى شئون الاعلام كان من بينهم الأمريكى والفرنسى والهولندى والكندى واليابانى ، مما امن تمثيل وجهة النظر الغربية ومساندتها من داخل اللجنة ممثلين عن دول معروفة بانحيازها الكامل تقريبا للغرب ، فضــــلا من ان رئيس اللجنة « شون ماكبرايد » هو ايرلندى حائز على كل من جائزة نوبل وجائزة لينين للسلام ، اما باقى اعضاء اللجنــة باستثناء العضو السوفييتى فقد انتموا جميعــــا الى دول محايدة ومنهم مصرى « الدكتور جمـــال العطيفى » وتونسى « مصطفى المصمودى » .

تقييد حرية الاعلام

ومع ذلك فقد هبت اجهـــزة الاعلام الغربية فى ثورة لم يعرف لها مثيل من قبل ، فاجتمع ممثلو ستين صحيفة ومحطة اذاعة وتليفزيون واكبر اربع وكالات للانباء العالمية « يونيتد برس » ، « اسيوشيتد برس » ، « ورويتر » ، « واجنس فرانس برس » فى مدينة تالوار الفرنسية فى مايو ١٩٨١ ، واصـــــدروا اعلانا صاخبا بالكلمات الغاضبة وبالاتهامات التى سيقت جزافا ، فاتهموا النظام الاعلامى العالمى الجديد الذى يتمثل فى تقرير ماكبرايد بانه يهدف الى تحويل الصحافة الى اداة فى يد الحكومات تفعل بها ماتشاء والى تقييد حرية الاعلام والاتصـــــال وشل حركة المراسلين الصحفيين بل ومعاداة حق من حقوق الانســـــان الاساسية المتمثلة فى حرية الصحافة وهو امر اوضح المؤتمرون فى تالوار — وكأنهم يقسمون على كتاب مقدس — التزامهم بمواجهته .

وتصاعدت واشتدت حدة المواجهـــة بسرعة خطرة وتحولت من مجرد اعلان من جانب اجهزة الاعلام الغربية الى قرارات حكومية عرضت وما زالت تعرض منظمة اليونسكو نفسها الى اكبر تهديد واجهته منذ نشأتها . فانسحبت الولايات المتحدة من هذه المنظمة الدولية الهامة مع بداية هذا العام ، ففقدت المنظمة ٢٥ ٪ من ميزانيتها واعلنت بريطانيـــا عزمها على الانسحاب ايضا ابتداء من يناير القـــادم

وضع حد للمواجهة

فى هذا الجو المشحون بالمواجهـــــة والتصادم قامت مصر فى الفترة الاخيرة بالذات بدور هادىء لوضع حد تدريجى

النظام الإعلامي مواجهة أم حوار؟

للمواجهة وتهيئة مناخ مناسب ليكون الحوار البديل الوحيد للمواجهة وقد ظهر هذا الدور المصرى واتضحت ابعاده بشكل خاص في مؤتمر وزراء الاعلام الافارقة الذى عقد فى اديس ابابا فى اواخر مارس الماضى فلم تكتف مصر باستنفار افريقيا لتكون جسرا بين الشمال والجنوب وانما تقدمت بمبادرة متكاملة على الصعيد النظرى والعملى للتمهيد لاقامة حوار وتعاون حقيقى بين الجنوب والجنوب لكيلا يرى العالم وكأنه قد ارتكز على خطوط راسية فقط ولا وجود فيه للخطوط الافقية . فقدمت مصر المزيد من المنح الدراسية فى مجال الاعلام فى معاهدها المتخصصة وبالذات فى مجال الاذاعة والتليفزيون التى ثبت فيهما بالتجربة مدى الفائدة التى عادت على الكادرات الافريقية التى تم تدريبهما فيها . بالفعل بجانب استعداد مصر لارسال المزيد من الخبراء الاعلاميين وتقديم العديد من التسهيلات للحصول على برامجها التليفزيونية والاذاعية والافلام الترفيهية والتسجيلية والخدمات الخبرية والصحفية . وقد اظهرت الدول الافريقية تقديرها للمبادرة المصرية التى قدمها باسم مصر الاستاذ صفوت الشريف وزير الاعلام ، بجانب تقديرها لدور مصر فى التغلب على العديد من المشاكل التى واجهت المؤتمر والتى كادت تنسفه على حد تعبير وزيرة اعلام تانزانيا – اظهرت الدول الافريقية تقديرها بان انتخبت وزير الاعلام المصرى رئيسا لمجلس وزراء الاعلام الافارقة لمدة عامين كما اختارت القاهرة لعقد اجتماع استثنائى للمجلس رغم ان مقره الدائم فى اديس ابابا فى نوفمبر لمتابعة مبادرة مصر سواء من أجل التمهيد للحوار بين الشمال والجنوب حول النظام الاعلامى العالمى الجديد او لتدعيم التعاون بين الجنوب والجنوب

بجانب هذا التحرك على الصعيد الدولى ، فقد عقدت الجمعية المصرية للاتصال من اجل التنمية ندوة فى القاهرة من ٢٢ الى ٢٤ سبتمبر الماضى عن النظام الاعلامى العالمى الجديد بالاشتراك مع منظمة « فريد ريش ايبرت » الالمانية ، وقد حضر الندوة نخبة من خبراء الاعلام المصريين سواء فى الحقلين النظرى او العملى او فى مجالى الاعلام المحلى او الدولى . وقد نجحت الندوة الى حد كبير فى الاعداد فكريا للمؤتمر وزراء الاعلام الافارقة السابق الاشارة اليه .

وقد تقدم بعض المشاركين فى الندوة ببحوث متميزة فكرا وبحثا ، نخص بالذكر منها احد رواد الاعلام المعروفين الدكتور خليل صابات ، وبحث الاستاذ سعد لبيب الذى لمع اسمه فى مصر وفى الخارج على مدى خمسة وثلاثين عاما ،وبحث للدكتورة جيهان رشتى والدكتور فاروق ابوزيد الاستاذين بكلية الاعلام بجامعة القاهرة .

وقد عالج الدكتور صابات باسلوبه السهل والمباشر اصل الخلاف بين الدول المتقدمة والدول النامية بل جعل عنوان بحثه سؤالا محايدا : « هل حابى النظام الاعلامى الجديد الدول النامية على حساب الدول المتقدمة ؟ » واعقب ذلك فى صلب البحث ذاته بعدة اسئلة مثل : هل فى المطالبة بمزيد من العدل والانصاف والمعاملة بالمثل فى تبادل المعلومات ، عدم انصاف بطرف من الاطراف ؟ وهل اذا طالب النظام الاعلامى العالمى الجديد البلاد النامية بان « تحقق اكتفاء ذاتيا فى قدراتها وسياستها فى مجال الاتصال » ما يسىء الى حرية الاعلام او الاتصال ؟ وهل فى ذلك – وهذا التساؤل من عندنا – ما يبرر هذه الثورة من جانب اكبر الصحف ووكالات الانباء وهيئات الاذاعة ؟

ثم ان تقرير « شون ماكبرايد » الذى يتضمن النظام الاعلامى الجديد لم يلق بالمسئولية فى عدم تدفق المعلومات بحرية

على عاتق الدول المتقدمة فحسب ، بل اكد فى نفس الوقت ولعلى اضيف دون ادنى محاولة لمضغ الكلمات : أن الدول النامية تضع سلسلة من العوائق تحول دون هذا التدفق المطلوب فى المعلومات مثل « العنف البدنى والتهديد وقوانين القمع والرقابة وادراج الصحفيين فى القائمة السوداء وحظر الكتب والاحتكارات التى تقام بواسطة اجراء سياسى والعوائق البيروقراطية والمحظورات القضائية ... الخ .. بالاضافة الى عوائق اخرى تنشأ من وجود » اتجاهات ثقافية راسخة » او سيطرة سلطة علمانية او دينية دون معارضة ! .

رؤية مصرية

اما الدكتور فاروق أبوزيد فقد انطلق فى دراسته التى حاول فيها التوصل الى « رؤية مصرية » للنظام العالمى الاعلامى الجديد من فرضية أن النظام الاعلامى فى اى مجتمع ليس سوى انعكاس للنظام السياسى والاجتماعى السائد فيه ودرجة التطور الحضارى به ، وأن تعدد النظم السياسية والاجتماعية وتنوع درجة التطور الحضارى قد حالا دون اقامة نموذج اعلامى عالمى واحد ومن ثم فقد انتهى الامر حاليا الى وجود نظامين اعلاميين لهما السيطرة على الصعيد الدولى وهما النظام الليبرالى السائد فى الغرب الرأسمالى والنظام الماركسى السائد فى الشرق الشيوعى .

فى ضوء فرضية الدكتور فاروق واستنتاجها الاساسى الذى يتعارض ظاهريا على الاقل - رغم تقديمه لنظريته فى بناء محكم منطقيا - مع الاطار العام الذى عقدت الندوة فى داخله ، فانه لم يكن من المستغرب أن يثير بحثه اقوى المناقشات .

التبعية الاعلامية

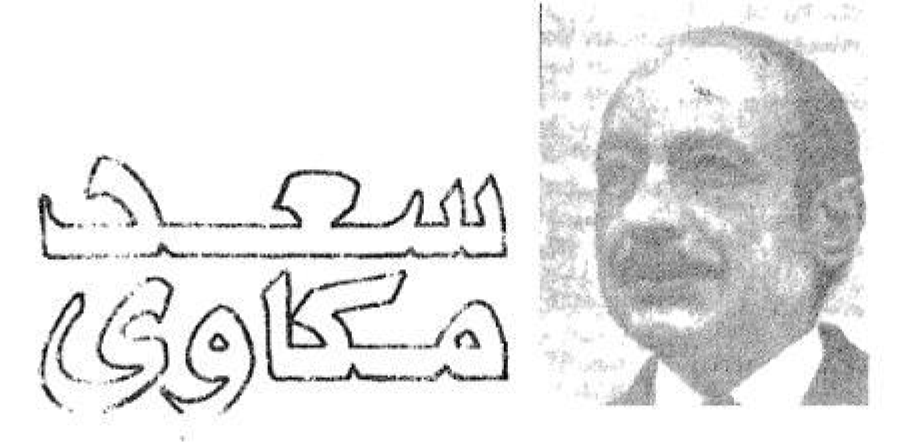
بجانب هذه السيطرة فهناك التبعية الاعلامية التى تؤدى الى تبعية ثقافية ، تعانى منها الدول النامية فنجد على سبيل المثال ان نسبة البرامج التليفزيونية المستوردة فى العديد من الدول النامية، تصل الى اكثر من ٨٠ ٪ اما الافلام الروائية ، فباستثناء الهند التى تشاهد من انتاجها السينمائى اكثر من الانتاج الاجنبى ، فان الافلام الاجنبية التى تشاهدها معظم الدول النامية تمثل حوالى ٩٠٪ من الافلام التى تعرض فيها .

اما بالنسبة للاخبار فان الوكالات العالمية الاربعة « رويتر ، اليونيد برس ، الاسوشيتد برس » والوكالة الفرنسية تمثل المصدر الوحيد لحوالى ٨٠ ٪ من الاخبار المنشورة على صعيد العالم بأسره .

وقد اوضحت الدكتورة جيهان رشتى فى بحثها الممتاز ، الخطورة التى يمثلها هذا الاعتماد على وكالات الانباء الاجنبية التى يعيب اخبارها نسب متفاوتة من التحيز والتحريف والنمطية والرؤية التى تحكم فيها الخلفية الثقافية والقيم السائدة فى مجتمعات تختلف اختلافا جذريا عن المجتمعات النامية . وفضلا من ذلك فان هذه الوكالات تركز على الاحداث السلبية والشاذة بالاضافة الى انها تخضع احيانا للسياسة الخارجية التى تتبناها دولتها حيال الدول الاجنبية فتلجأ الى التعتيم او التبسيط او استغلال الاخبار للضغط على الدول الاخرى لتتبنى سياسة لا تتفق ومصالحها .

ومن ثم فانه من المحتم على الدول النامية أن تطور اجهزتها الاعلامية الذاتية على المستوى الوطنى ثم على المستوى الاقليمى مع توسيع التعاون بين الجنوب والجنوب فى مجال الخبر « انشاء وكالة أنباء لدول عدم الانحياز مثلا » حتى يمكن تحويل مفهوم الاعلام التنموى الى حقيقة فى مجال الاعلام الدولى بحيث لا يصبح الخبر حدثا فقط .

ظروف ومعطيات كثيرة تؤهل مصر بالذات لان تقوم بدور رئيسى لايجاد هذا القدر الاكبر من التفاهم بين بشر وبشر يشاركون عالما واحدا ينكمش باستمرار . وعلى أساس هذا التفاهم وحده فانه يمكن اقامة النظام الاعلامى العالمى الجديد



والزمن الوغد!!

بقلم : د. سيد حامد النساج

● فقدت الحياة الثقافية والادبية فى مصر ، يوم الجمعة الموافق ١١ من اكتوبر ١٩٨٥ ، واحدا من كتابها الجادين ، ومثقفا من مثقفيها التقدميين، هو الكاتب الكبير سعد مكاوى

وقليلون هم اولئك الذين يعرفون دور هذا الكاتب الفنان . لانه منذ عشر سنوات آثر الكتابة فى صمت ، والابتعاد عن الاجواء المسمومة ، والمناخ غير الصحى فكريا وثقافيا وفنيا وادبيا ، ذلك الذى قد تشيعه ظروف غير سوية تكتظ بكثير من عوامل التخلف وليس التقدم ، عوامل التدمير للنفس وليس الارتقاء بالمشاعر ، مما جعله يؤثر « الابداع » و « الابداع » وحده ، فى مسكنه بضاحية المعادى وكانت كتاباته تنشر هنا او هناك فى صحيفة «الشرق الاوسط » او فى مجلة «العربى » او فى غيرهما ●

ومن ثم فان قراء هـــذه الايام ، وبخاصة الشباب منهم ، لا يعـــرفون شيئا عن دور هذا الكاتب · لانه لـم يسـعـ الى الاذاعة ، والتليفزيون ، والسينما · ولانه لم يجتهـد فى ان تكون له شلة تحسن الدعاية له · ولانه لم يلهث وراء نشر اخباره وصوره فى الصحف والمجلات · ولانه لم يتوسل كى تكون له نافذة فى هذه الصحيفة او فى تلك ·

انه يعـــرف قيمة ما قدم · ويدرك حجمه الطبيعى فى الحياة الثقافية · ويفهم ابعاد العـلاقات بين المثقفين · وقد كان واحدا مـن المـع كتـــاب الاربعينات والخمسينات · وظل يعمل طوال حياته محررا ادبيـا فى صحف «المصرى» و « الشعب » و«الجمهورية» ثم تولى رئاسة هيئة المسرح التابعـة لوزارة الثقافة فى مصر حتى بلـــغ الســـــتين · (ولد بقرية الدلاتون الصغيرة بمحـــافظة المنوفية فى ١٦ اغسطس ١٩١٦) ·

ويمكن لمتابع كتاباته ان يتبين دوره جيدا ، فى اكثر من دائرة ومجـــال · ففى دائرة الابداع اصدر اربع عشرة مجموعة قصصية هى : « نساء من خزف » ١٩٤٨ · و « مخالب وانياب » ١٩٥١ · و « قهوة المجازيب » ١٩٥٢ · و « راهبـــة من الزمالك » ١٩٥٤ · و « الماء العكر » ١٩٥٤ · و « مجمع الشياطين » ١٩٥٩ · و « الزمن الوغد » ١٩٦٢ · و « القمر المشوى » ١٩٦٣ · و « ابـــوب الليـــــل » ١٩٦٦ · و « الرقص على العشـــب الاخضر » ١٩٧٣ · و « شهيرة وقصص اخرى » ١٩٧٤ · و « الفجر يزور الحديقة » ١٩٧٥ · وكان يعد للطبع مجمـوعتين هما : « على حافة النهر الميت » و « كلمات فى المدن النائمة » ·

كما اصـــدر اربع روايات هى : « السائرون نياما » و « الرجــــل والطريق » و « الكرباج » و « لاتسقنى وحدى » · وله اربع مسرحيات هى : « الميت والحى » و « ايام صــــعبة » « الهدية » و « الحلم يدخل القرية » · كما صدرت له دراسة عن الموسـيقى (لو كان العالم ملكا لنا) ودراســـة فى التاريخ السياسى (رجل من طين)

وقد كان الواقع الاجتماعى هـــو النبع الثرى الغزير الذى ينهل منـــه سعد مكاوى فى قصصـــه وروایاته وبخاصـــــة انه عاش واقع القرية والمدينة معا · واضاف الى معايشته دراسة تحليلية ناقدة للتاريخ المصرى بمعنى ان رؤيتـــه كانت شمولية · لم ينظر الى الواقع المصرى نظرة جزئية قاصرة ؟ وانما نفذ الى اعمـــاقه من خلال رؤية كلية ، لا تقف عند جـانب دون الاخر · وما اكثـــر قصصـــه القصيرة التى جسدت رؤيته هذه ·

والقصص التى ضمتها مجموعـــة « الماء العكر » قصص تبشر بالثـــورة لصالح الفلاحين · وقصة (الينبوع) التى نشرها ١٩٤٩ تنبأ بانهيـــــار البرجوازية ، كطبقة مالكة متحكمة · بعد ان عرى سوءاتها الاخلاقيـــة ، وفكرها المنهار ، وكشف عن تناقضاتها الداخلية : (كانوا متى اجتمعـــوا صورة موجزة دقيقة للمجتمع المريض كما اعادت خلقه فى اخر الزمـــان رذيلة النفاق الاجتمـــاعى ، وكل ادواتهم من سيارات وخيام وفـرش وطعام وشراب تشـــير الى ان درع الحياة الاجتماعية فى عالمهم هـــو ما ورثوه أو كنزوه من المال · لقـد وضعت عبرية المال فى افواههـــم الارستقراطية اعنة تبرق ولكنها بالرغم من بريقها قاسية لا ترحم ، وباطشــة لا تلين) ·

وفى قصة (قديســـة من باب الشعرية) ــ المنشورة بصحـــيفة « المصرى » العـــدد ٤٥٩٥ فى ١٠

سعد مكاوى

سبتمبر ١٩٥٠ يقول البطل : (وتبدى لى كل شىء حولى فى الحياة والناس باطلا وحصاد هشيم .. ازياء الناس واوضاع المجتمع . حدود القيم وقوانين البشر . عبودية الجاه وسطوة المال . وزيف الحياة الدنيا على قيد الجسد) .

ولم يكن فى قصصه الواقعية مجرد وسيط سلبى ينقل فى صورة طبق الاصل ما تقدمه له الحياة ، وانما هو اعاد خلق الواقع الحقيقى ، واستمع بانتباه شديد جدا الى صوت الموضوع المعبر عنه ، محاولا تقديم ما يراه موافقا لافكاره ومثله التى يدين بها ، ورغم احتفاله الشديد بالموضوع الاجتماعى ، ودعوته الى الثورة على الاوضاع ، واختياره نماذجه من قاع المجتمع فى الريف والمدينة على السواء ، فانه كان حريصا على الا يفقد الفن قواعده واصوله . وهذا يدل دلالة واضحة على وعيه العميق باصول الفن من ناحية وعلى انه كان ينظر الى العمل الفنى كوحدة موضوعية ، حتى لاتفقد القصة او الرواية اهم خصائصها ومميزاتها ، وهى انها فن اولا وقبل اى شىء خر .

خلق الواقع الحقيقى

لذلك تخف حدة الخطابية فى قصصه ، وتختفى الشعارات ، ويتوارى الزعيق والانفعال ، والصراخ بالهتافات ، وتلك ماخذ كانت تؤخذ على كتابات رفاقة من ابناء جيله الذين ضمنوا قصصهم شعارات وخطبا وما شابه ذلك . انه عبر عن فكره بوضوح فى مقالاته ، وفصل فصلا واعيا بين الشعارات والفن ، بين ما يكتبه للتغيير وما يكتبه للتعبير .

الفن فى رايه صيرورة دائمة وامكانات متجددة ، وهو كاتب حريص على ان يعبر عن الحياة والناس ، والواقع ، والعصر بقضاياه وهمومه، خلال المسيرة الانسانية الباحثة عما هو افضل . الانسان موضوعه . والمسيرة البشرية هى الحقيقة الاولى والاخيرة التى تنبع منها رؤيته كفنان

ولم تكن هذه الرؤية بعيدة عن المنظور الواقعى الذى صدر من خلال الأحداث التاريخية فى رواية السائرون نياما » . وهى من الروايات الجيدة جدا فى الادب العربى الحديث . عالج التاريخ معالجة متميزة . استطاع ان يخضع المادة التاريخية لارادته الفنية ولوجهة نظره الخاصة، صور مرحلة تاريخية من اشد المراحل اضطرابا فى تاريخ مصر اثناء حكم المماليك . لم يكن مباشرا فى اسقاطاته بل انه نسج رؤيته فى اناة ، والتقط ادق الجزئيات ليدعم هذه الرؤية وليجعلها تبدو وكانها طبيعية .

اختار المرحلة التاريخية بذكاء ، حشد من التفاصيل والجزئيات والشاهد ما لم يبعده عن مرحلته هو (١٩٦٥) . احتفظ بروح العصر التاريخى والمرحلة الراهنة .

وهكذا كان تناوله للواقع وللتاريخ للانسان فى جماعة . وفى صراعه مع القوى التى تنهشه وتريد ان تقهره فقد كان مهتما ـ بشكل اساسى ـ بمشكلة تفاعل الانسان مع واقعه ، ان سلبا وان ايجابا ، وباستشراف الانسان المعاصر لافاق المستقبل الذى يؤمن ايمانا راسخا بان سيكون افضل . وهو يؤمن بان الكلمة

الصادقة تقف دائما مع الحرية ضد الخوف ، ومع الحقيقة ضد المنفعة • ولذلك فأن مسئولية الكاتب عنده تتحدد بوقوفه الى جانب قوى الخير . وفى المواجهة الشجاعة لقوى التعويق التى تترصد المسيرة البشرية •

وهنا نشير الى الدائرة الثانية التى دارت فيها كتابات سعد مكاوى . وهى دائرة المقالات النقدية ، لقد كان من ابرز الدعاة الى الواقعية فى الادب والفن • كما كان من اوائل الذين دعوا الى ان يكون للادب دور هام فى حياة المجتمع •• والى ان يكون الاديب قائدا ورائدا لمجتمعه • وقد كان يكتب مقالاته جنبا الى جنب والدكتور محمد مندور ، ومحمد مفيد الشوباشى •

فكر واع

وما اكثر مقالاته التى عبر فيها عن وجهة نظره فى الادب والفن وعلاقتهما بالحياة الاجتماعية المحيطة ولعل اسهامه القوى فى هذا المجال يتضح لو اننا عرفنا انه حينما كان يشرف على تحرير الصفحة الادبية بجريدة (المصرى) فتح الباب على مصراعيه للكتاب والنقاد التقدميين ، كى يعبروا عن ارائهم وافكارهم ، ولينشروا قصصهم ورواياتهم • وكانت صفحة الادب صفحة يومية كاملة ، تعنى بنشر النقد الواقعى الاشتراكى ، والقصص القصيرة الواقعية ، والمقالات والدراسات ، واهتمت بتقديم الكتاب العالميين ، والكتب المشهورة عالميا • وعلى هذه الصفحة قرانا لمحمود امين العالم وعبد العظيم انيس ومحمود عبد المنعم مراد وحسن فؤاد • وربما يكون فى نشر رواية (الارض) للاستاذ عبد الرحمن الشرقاوى ابتداء من العدد ٥٤٥٠ الصادر فى ٢٩ يناير ١٩٥٣ على هذه الصفحة مغزى كبير •

كتب فى صحيفة (الشعب) العدد ٦٣٦ الصادر فى ٨ من مارس ١٩٥٨ يقول : (اذا اعرض الادب عن مهمته الحقيقية فانه لايعود غير لعبة لاقيمة لها • فالأدب الحجة هو الادب الذى يتكلم لغة عصره ، ويحترق بحميا اته ويكشف اماله والامه ، ويقود معاركه• وهو الذى يغمر جذوره فى تربة الحياة نفسها ، ويخدم حقائق عصره واحتياجاته ، ويجعل مهمته بناء الرجال وهندسة الحياة) •

ولم ينس سعد مكاوى الكاتب الناقد الفنان دوره بالنسبة للكتاب الجدد ، فقد وقف الى جانبهم • وساعدهم على نشر نتاجهم فى الصفحات التى اشرف عليها • اتاح لهم الفرصة • وهيأ لهم السعى وفتح امامهم الباب •• ووقف منهم موقف الاستاذ والمرشد والمعلم • ولم يبخل — الى جانب ذلك — بثقافته العربية والعالمية •

ومع ذلك نسيته الدراسات النقدية والاكاديمية التى كانت تعد حول القصة القصيرة او الرواية الطويلة او المسرحية او حركة النقد الواقعى فى ادبنا العربى الحديث • فى حين انه خلف لنا علامات فى كل هذه المجالات • « الماء العكر » و « الزمن الوغد » و « قهوة المجاذيب » ، فى القصة القصيرة • و « السائرون نياما » فى الرواية • و « الحلم يدخل القرية » فى المسرحية •

وهو فى كل كان ذا رؤية واعية ، وحس اجتماعى يقظ، ووعى فنى متكامل، وعقل مفتوح يدرك مواطن الخلل والتناقض ، وذكاء حاد ينفذ الى اعمق الاعماق • لكن ذلك كله قد اغتاله زمن وغد ، فاصيب الكاتب الهادىء القابع فى داره بنزيف حاد فى المخ افقده الوعى والوجود والحياة •

• جائزة نوبل ١٩٨٥ •



بقلم : محمود قاسم

فى الاسبوع الماضى منحت اكاديميـة ستوكهولم جائزة نوبل فى الادب للروائى الفرنسى كلود سيمون الذى ينتمى الى مدرسة الرواية الجديدة فى فرنسـا

ويعد كلود سيمون احد ادباء الظل .. بمعنى انه اكثر ابتعادا عن وسائل الاعلام ، واذا كانت الجائزة سوف تسلط عليه مؤقتا بعض الاضواء فان تلاميذ الرواية الجديدة سيسعون الى الاستفادة من هذه المناسبة للدفاع عن كتاباتهم . وقد سبق جائزة نوبل ان منحت ايضا لكتاب تجريبين فى السنوات الاخيرة ينتمون الى ادباء الظل مثل الياس كانيتى ووليام جولدنج

ولد ايوجين هنرى المعروف بكلـود سيمون فى العاشر من اكتوبر عام ١٩١٣ بمدينة تاناريف بمدغشقر — ابوه الطوان سيمون الذى كان فى تلك الفترة ضابطا فى المستعمرات وقد رحل كلود الى باريس ليدرس الادب فى مدرسة ستانيسلاس . ونشر روايتـه الاولى « الغشاش » عام ١٩٤٥ . نشر حتى الان قرابة عشرين رواية تنتمى جميعها الى الرواية الجديدة . ولم يكتب سيمون اى نوع ادبى اخر غير الرواية . ومن ابرز رواياته « الحبل المشدود » ١٩٤٧ و « قدسية الربيع » ١٩٥٤ ، « جاليفر ١٩٥٥ » — الريح — ١٩٥٧ ، — العشب — ١٩٥٨ . — الساعات الهادية — ١٩٥٩ و — طريق الفلاندر — ١٩٦٠ وهى اهم رواياته على الاطلاق والمرجح انه فاز بالجائزة من اجلها ثم « المكان » ١٩٦٢ ، « نساء » ١٩٦٦ ، و « تاريخ » والتى نال عنها جائزة مدسيس الادبية وهى جائزة لا تمنح الا للروايات التجريبية . وانضم سيمون الى عضوية اكاديميـة مدسيس فى الفترة بين عامى ١٩٦٨ و ١٩٧٠ .

هاهى الجائزة تعود الى فرنسا مرة اخرى بعد خمسة وعشرين عاما . فقد نالها آخر مرة الشاعر سان جون بيرس عام ١٩٦٠ وباستثناء جان بول سارتر الذى رفضها عام ١٩٦٤ . ورغم غياب الجائزة عن فرنسا طيلة ربع قرن الا انها اسعد الدول مع جائزة نوبل فى الادب حيث نالتها على مدى ٧٧ عاما ثلاث عشرة مرة .. وبذلك تهل الكتب...



كلود سيمون « فى الوسط » بين ناتالى ساروت وجرييه وبنجيه

دولة حصلت عليها ومن اكاديمية ستوكهولم تليها الولايات المتحدة وانجلترا . حيث نالت كل منهما الجائزة ثمان مرات .

واذا كانت مجلة « لوبوان » فى عددها الصادر فى ١٤ اكتوبر الماضى – اى قبل منح الجائزة بثلاثة ايام – قد تحدثت عن جائزة نوبل تحت عنوان « جائزة فوق مستوى الشبهات » فالغريب ان المجلة قد كتبت ان جائزة نوبل قد تجاوزت ثلاثة روائيين فرنسيين هم ميشيل تورنييه وجريت يورسنار ثم كلود سيمون . –

وقالت ان ويليام جولدنج الذى فاز بالجائزة عام ١٩٨٣ قد تفوق انذاك على سيمون بصوت واحد فقط داخل لجنة الترشيحات .

وقد تبدو هذه النقاط مألوفة النقاش .. لكن النصر الاكبر الذى ناله سيمون بحصوله على الجائزة هو الدليل القاطع على ان الرواية الجديدة

قد اصبحت ادبا كلاسيكيا يمنح ذوات المنظور التقليدى مثل جائزة نوبل وبذلك تنتهى اسطورة ان هذا النوع من الرواية مجرد شطحات عابرة او مذاهب فردية سرعان ما تذوب مع تيار الرواية التقليدية . فالرواية الجديدة موجودة وتحظى باحترام كل الهيئات والاكاديميات الادبية . وبمنح جائزة نوبل لسيمون استطاعت اكاديمية ستوكهولم ان تبعد نفسها قليلا عن مستوى الشبهات . بل انها جذبت اليها روادا جدد يؤمنون بتحطيم كل الاشكال التقليدية المعروفة للرواية .

لقد اثارت الرواية الجديدة التساؤلات العديدة هل هى رواية « مقروءة » . هل هى نزوة عابرة ام باقية ؟ . وقد خصصت مجلة « اونوفيل ليتريز » فى العاشر من مارس ١٩٧٤ عددا خاصا تحت عنوان « انحدار وبعث الرواية » قالت فيه ان الرواية الجديدة قد ظهرت عام ١٩٥٤ مع الان روب جرييه وميشيل بيتور .. وان سيمون هو مهندس معمارى لهذه المدرسة حيث قام بتصميمها وشيد اساسها وبناها الاخرون . وان الكلمة فى رواياته تعد مفتاحا خاصا للدخول الى هذا النوع من الادب وان الرواية الجديدة حركة جماعية ، وليست ادبا فرديا قط كما تصور البعض وانه بظهور هذه الرواية كان لابد من ظهور النقاد التقليديين والانطباعيين. كان عليهم

ان يغادروا الساحة بلا عودة . وقد جاء نقاد هذه المدرسة فى أول الأمر من ابنائها الروائيين انفسهم فقدم مرجرييه كتابه « نحو رواية جديدة » ومضى وقت طويل قبل ان يظهر هذا الجيل من الكتاب الذى يدافع بايمان عن هذه الرواية الجديدة .

ومادمنا نقول رواية جديدة - او اللارواية - فانه من الصعب أن نقول ان رواية « العشب » مثلا تروى حكاية فتاة او أن « طريق الفلاندر » تناقش كذا . فهى روايات لا تعتمد على الحدوتة لكنها انطباعات كاتب ، ترتيبه رموز .. مرقش متشاعر . فمن الواضح ان ابناء هذه المدرسة قد خرجوا جميعاً من جمعية جيمس جويس فى خلق تنسيق روائى حول بناء كثير الصلابة . تادى على قدرة الاشخاص وتنظيم الزمن الذى يتحركون فيه . فالزمن مرن وتضيق حيزات الاماكن والاوقات ويصبح الرمز سيدا وتمتزج الاسطورة بالواقع داخل نفس التعبير . او كما قال سيمون نفسه .. « لا أستطيع ان ابدأ فى كتابة رواية الا بعد أن امارس ترتيبها خلال بضعة اشهر . وابتداء من اللحظة التى أرى فيها تفشى مالكا المخططات .. تبدو لى الفعالية التعبيرية كافية بالنسبة الى هذه المنطقة التى تدعونى الى الاصل وحين اتزود بهذه الاداة . بهذه البوصلة او بالاحرى هذه الخريطة الاحتياطية .. ابدأ فى روايتى ، فهذه هى الادوات التى استعملها . وبدونها لا اجرؤ ان اسير حيث اريد أن اخترق الحاجز » .

ويقول كلود روى فى لونوفيل ابسرفاتور - ٣ اكتوبر ١٩٨١ - أن سيمون « يعرى ويعيد نسخ موضوعاته . فهو يفرشها جميعا فوق مائدة ضخمة . ويقوم داخل



كلود سيمون .. ادب الظل

نص الفارس سيمون . برد الشتاء القارس فى عامى ٣٩-٤٠ . تلك الحرب الغريبة ثم الاحساس باليأس الذى لامفر منه من انه يدعو للجلوس امامه كل الصور والذكريات والوثائق والاحلام . بطل رواية « واقعى » هو جورج اورويل الذى ذهب ليحارب ضد فرانكو فاصابته طلقة نافذة فى رقبته وانتهى الامر بان طاردوه كمؤيد لتروتسكى وظل حتى مماته يفكر فيما حدث له فى اسبانيا وهو يصرخ . حذار . فالثورة يمكن ان تخفى نقيضها . ولم تكن الدولة البوليسية ابدا دولة اشتراكية ..

ويقول روى ان كلود سيمون قد صاغ جملة متراكمة تراكم اشياء الحياة .. هذه الجمل التى لا تنتهى أبدا .. انها متلاصقة لا تتفكك وكانها كابوس تاريخى . واضطراب لا نهاية لها . تذكرنا هذه الجمل باننا نسينا هويتنا .

واذا كان الناقد اندريه شينييه قد قالا : انه على المفكرين الجدد ان يتجهوا نحو القديم فان سيمون يرد عليه قائلا : بل اننا من هذه الاشياء القديمة نصوغ رواياتنا الجديدة » ويردد : « لاجديد تحت الشمس فالناس يولدون ويعانون

ويحبون ويقتتلون ويدفعون لبعضهم بالكوارث ذلك منذ بدء الخليقة .. » ومن هذه العبارة يسعى سيمون الى خلق صياغات جديدة للحياة ولممارستها فى رواياته ...

وسيمون ليس كاتبا سهل القراءة فهو مثل هيرمان هيسه وتوماس من وفوكنر يتوغل داخل عالم بالغ الخصوصية ليس على القارىء العادى فقط بل حتى بالنسبة لبعض المثقفين .. وقد كتب اميل هنريو فى تعليقه على رواية الريح : « اؤكد لى من جهات متباينة انه قد ظهر « كتاب كبير جدا » الريح للسيد كلود سيمون ، كاتب فذ . قوى وعميق .. ينتمى الى سياسة النفس الطويل وذلك من خلال جمله الطويلة التى يقوم بصياغتها .. واقعى عنيد ، موفور الطاقة ، قوى ، غريب وشمولى .. السيد سيمون هو كل هذا . ونتيجة لاسلوبه النثار فاننى لم استطع قراءة روايته حتى النهاية رغم العديد من المحاولات . بالنسبة لى فهى رمل عميق . مثلما قال جيمس جويس . وسيمون كاتب مبدع على طريقة : « سترى حدود موهبتى بعد مائة عام . وستتاكد انه كنت مخدوعا » والى القارىء اترك له وحدة الحكم .. »

وبالفعل فانه بالنظر الى الجملة عند سيمون – والصياغة دائما هى اكثر ما يهتم به كتاب الرواية الجديدة – فاننا سنلاحظ ان الجملة طويلة طويلة .. وتنعدم الفواصل بين الجمل والحوار نادر . وتتراكم الكلمات متزاحمة لقبلة فى طابور طويل او فى تراكيب تراكمية ويكاد يشعر القارىء ان فصلا كاملا ليس سوى جملة واحدة . لذا فانه يشعر بان انفاسه مكتومة حتى ينتهى الفصل لينطلق تنهيدة طويلة قبل ان يكتم انفاسه مرة اخرى . وقد يلجا سيمون الى استخدام الهوامش والتفسيرات اللغوية لبعض رموزه فى حدود ضيقة للغاية .. ولكن الرمز اللغوى قليل الى حد ما عند سيمون قياسا الى الشطحات ثم زملائه من نفس المدرسة .. وقد يدفع هذا اللون من الكتابة بالاديب الى الشطحات ثم العودة الى الحدث الاساسى الذى يتناوله مثلما فعل فى حديثه من شخصيته المحورية « وال » فى رواية « طريق الفلاندر » التى نترجم سطورا منها :

« امسك خطابا بين يديه ورفع عينيه ونظر من جديد الى الرسالة ثم تجاهى ، استطعت ان اراه يروح ويجىء ويحس البقع الحمراء فى شعره التى تبرق فيه طرقه ، كان الطين موحلا بغوص فيه حتى اذنيه ولكننى تذكرت انه ينزلق اثناء الليل فجأة ويدخل واله الحجرة حاملا القهوة قائلا ان الطلاب قد التهمت الطين ، لم اسمع التعبير قط ، يبدو كانه راى الكلاب كمخلوقات جهنمية ذات افواه وردية واسنان باردة بيضاء كاسنان الذئاب التى تلتهم الطين الاسود فى دياجير الليل – ربما فى الذاكرة – فالكلاب تنبح وهى تنظف انيابها : الان اصبح المكان معتما وبدات اقدامنا تغوص فى الطين ونحن نجرى » .

المعروف انه كى تحمل الجائزة اسم نوبل فعليها ان تطابق وصيته التى تركها قبل وفاته .. ولكن بالمقارنة بين وصية العالم الذى وهب امواله من اجل العلم وبين حيثيات الجائزة التى تمنح سنويا فى خمس مجالات فان هناك تجاوزات عديدة قد حدثت .. بعض هذه التجاوزات يمكن عدم تضخيمها والقبول بها . والبعض الاخر يجب الوقوف عنده . ففى وصية نوبل انه يجب ان تمنح الجائزة لافضل عمل ادبى ظهر فى العام السابق للحصول على الجائزة .. الا ان القائمين على امور الجائزة يقدمونها لكاتب له تاريخه الادبى مع التركيز على كتاب بعينه . وهذا الكاتب – فى اغلب الاحيان – يكون فى طى النسيان مجهولا تقريبا على المستوى العالمى . مثلما حدث مع ويليام جولدنج والياس كانيتى وياروسلاف سيفيرت وبسنت اليخاندرة .

لكن الجائزة التى منحت فى كثير من

الاحيان للكتاب بانصاف موهوبين قد اهملت اسماء هامة لا جدال حول عبقريتها مثل تولستوى وابسن وتوماس هاردى جيمس جسويس ، د. هـ لورانس ، وبروست .

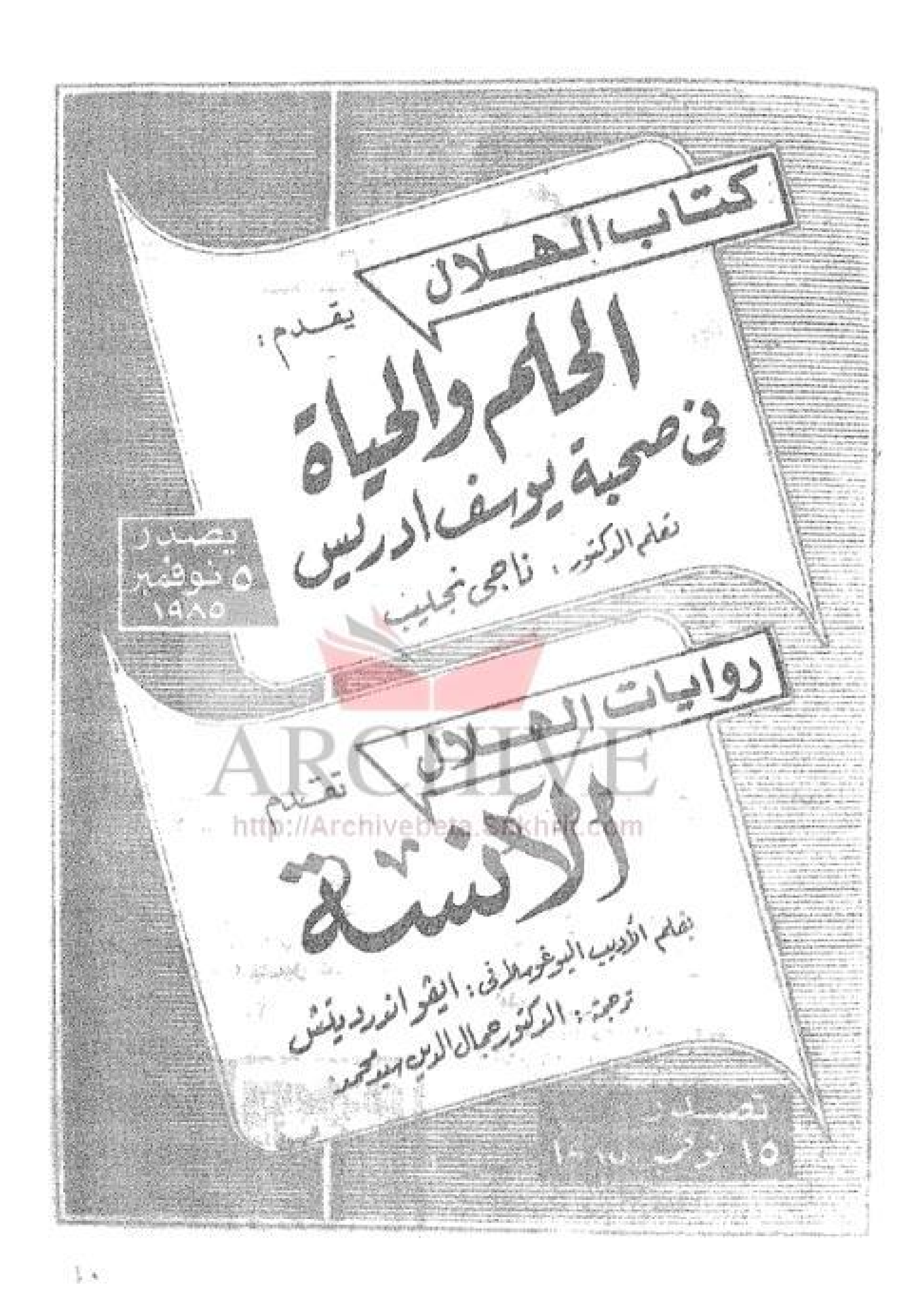
ورغم ان من حيثيات الوصية ينبغى عدم النظر للفائز من حيث الجنسية او الديانة او ان تنحاز لاتجاه سياسى ضد اخر ، الا انه من الواضح ان الجائزة قد اصبحت خاصة بالفكر الغربى . فهى تناصر هذا الفكر وتقف الى جوار من يؤيدونه .

كما انها تقف الى جوار المنشقين من المعسكر الشرقى .. فقد منحت لباسترناك عن رواية انتقد فيها الثورة الشيوعية بعنف بينما اهملته كشاعر من الدرجة الاولى .. وقد اضطر ان يرفض الجائزة بناءا على اوامر الحزب الشيوعى الروسى . اى ان السياسة قد تدخلت بصورة سافرة فى منح الجائزة سواء من جانب الذين طلبوا من باسترناك عدم استلامها . نفس هذه الظاهرة تكررت عند سولجنتسين وميلوش وسيفيرت . فكانت مكافأة انشقاق سولجنتسين عن بلاده وهروبه الى الولايات المتحدة ان يمنح الجائزة عام ١٩٧٠ . اما شيزلوميلوش الروائى البولندى المنشق الذى هاجر الى الولايات المتحدة من اشعاره التى تنتقد سياسة بلاده الاشتراكية فقد نالها عام ١٩٨٠ .

ولا تمنح الجائزة بصفة عامة الا لادباء الغرب من ناحية . او الى الكتاب الاقرب فى فكرهم الى الاسلوب الغربى . وفى سنوات بعيدة قبل ظهور الايدولوجيات الحديثة فاز بها الشاعر الهندى طاغور عام ١٩١٣ . الا انها لم تمنح لاسيا سوى اربع مرات : منها مرتان لليابان . ومرة لاسرائيل باعتبارها دولة اسيوية . اما اوروبا وامريكا الشمالية وخاصة الولايات المتحدة فقد منحت الجائزة بشكل يؤكد فيها ان الجائزة مصنوعة للناطقين باللغات اللاتينية دون غيرهم . فقد منحت لفرنسا اثنتا عشرة مرة . ومنحت فى المانيا وايطاليا ومنحت فى السويد والنرويج - بلد الفريد نوبل نفسه - سبع مرات . اما افريقيا فلم تمنح مرة واحدة حتى الان .

وفى العدد الصادر فى ١٤ اكتوبر ١٩٨٥ من مجلة لوبوان ذكر ان ثلثى سكان العالم محرومون تماما من الجائزة ممثلين فى الصين وافريقيا ، ونسيت المجلة ان تقول والعرب !!

معنى هذا ان الجائزة محرومة على شعوب ما بعينها . وان على هذه الشعوب ان تكتب الادب على الطريقة الاوروبية او الغربية وقد حرم منها العرب وفى محاولات عديدة مبشرة لارضاء العرب فان الاكاديمية قد تنشر قبل منح الجوائز واعلان الفائز بها قوائم الترشيحات التى يمكن ان تمنح الجائزة . ومن ابرز هذه الترشيحات على مستوى الجائزة الادباء طه حسين وتوفيق الحكيم . ثم نجيب محفوظ وادونيس واخيرا يوسف ادريس هذا العام . لكن المتتبع لنظام منح الجائزة سنويا سيدرك ان ما تفعله الاكاديمية هو نوع من المراوغة . او بالضبط ارضاء الشعوب التى لا تمنح الجائزة فى نفس العام حتى يمكن ان تكتفى الدولة التى لم تفز بانها قد رشحت يوما .. ودائما نجد فى قائمة الانتظار ادباء من العالم الثالث ودول المعسكر الشرقى لكنهم لا يفوزون بالجائزة الا فى حالات نادرة مثلما حدث مع نيرودا وماركيث .. والحقيقة ان الانتظار فى منح الجائزة غير وارد . ثم اختفت تماما من قوائم الترشيحات فى الاعوام التالية مثلما حدث مع الروائى الصينى باركين ودوريس ليسنج جرهام جرين وبورخيس .. ثم مع توفيق الحكيم وطه حسين اللذان كان ترتيبهما - فى احد الاعوام - داخل القائمة : التاسع والخمسين والستين .

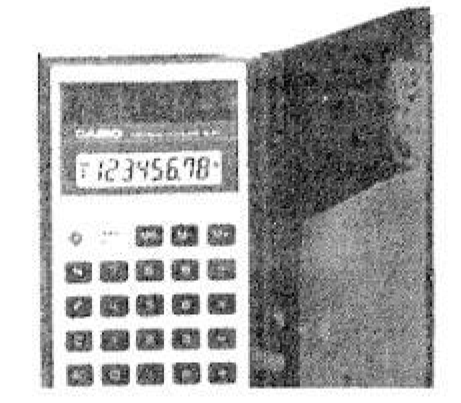

كتاب الهلال
يقدم:
الحلم والحياة
في صحبة يوسف ادريس
بقلم الدكتور: ناجي نجيب
يصدر
٥ نوفمبر
١٩٨٥
روايات الهلال
تقدم
الآنسة
بقلم الأديب اليوغوسلافي: ايفو اندريتش
ترجمة: الدكتور جمال الدين سيد محمد
تصدر
١٥



ساعة بالطاقة الشمسية

ستنتهى مشكلة الساعات والحاسبات الرقمية التقليدية التى بين ايدينا خلال فترة قصيرة · فالاجهزة القائمة الى الاسواق لن تكون فى حاجة الى تغيير حجارة الشحن كل فترة زمنية معينة · ولكنها ستعمل بالطاقة الشمسية اذ يكفى أن تعرض هذه الاجهزة لاشعة الشمس لفترة محدودة كى تكتسب شحنتها وتعمل بطاقة تعادل ثلاثة اضعاف الاجهزة التقليدية الحالية ·

أما الاجهزة المنزلية التى تنتمى الى هذا النوع والتى من الصعب نقل اشعة الشمس اليها · فانه يكفى ضوء شمعة أو مصباح كهربائى لاعطائها طاقاتها المطلوبة للتشغيل لفترة طويلة



شابلن .. بالالوان الطبيعيــــة

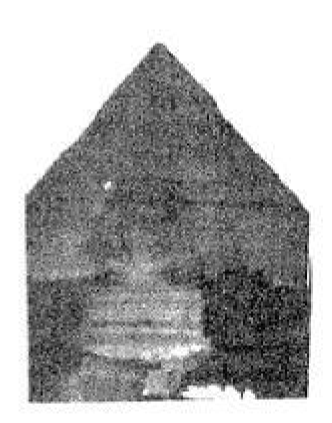


اعتادت اعيننا على رؤية التليفزيون الملون لدرجة أصبح من المثير للضيق رؤية بعض الفقرات وخاصة الافلام القديمة باللونين الابيض والاسود · وسعيا وراء تلوين كل حياتنا · فان شركات الانتاج الكبرى فى هوليوود قد رصدت ميزانيات ضخمة لتلوين افلامها القديمة كى تعيد تصديرها الى انحاء العالم من خلال شرائط الفيديو لتتفرج عليها العالم ملونة ·

بدأت هذه التجربة فى ستوديوهات السينما عام ١٩٦٧ مع النسخة القديمة من « ذهب مع الريح » · ورغم التكاليف الخيالية الا أن معامل هوليوود قد ظلت تمارس تجاربها لتصل التكاليف الى حد معقول يمكن من خلاله تعميم التجربة على المستوى التجارى ·

فى بادىء الامر سعت هذه الشركات الى تلوين الافلام الهامة كافلام «شارلى شابلن» و «بن هور» و « الوصايا العشر » · ثم فى المرحلة التالية ستعمم التجربة على كل الافلام السينمائية والمسلسلات والبرامج المحفوظة فى الارشيف ·

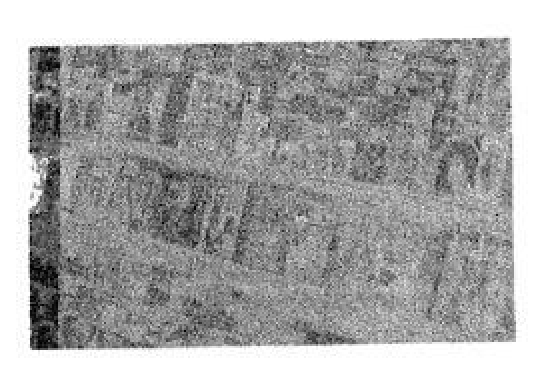
● نظرية جديدة وراء بناء الاهرامات ●



كان هناك اعتقاد ان للهرم الاكبر ـ خوفو ـ مراصد فلكية وهو يستند الى احدى النظريات الشائعة التى توصل اليها جون هيرشيل عالم الفلك البريطانى فى اوائل القرن التاسع عشر بانه فى عام ٢٨٠٠ قبل الميلاد ـ اى عند بناء الهرم ـ كان الممر الذى يمتد من واجهته الشمالية يشير الى «ثوبان» نجم الشمال آنذاك الا انه قد ظهرت حديثا نظرية اخرى تتعاون مع هذا الاعتقاد .. فقد ذكر « ديك واكر » عالم الفلك الامريكى انه ليست هناك اى علاقة بزاوية الممر والفلك وانما الهدف منه ليس سوى تسهيل حركة المصريين بالاحجار الضخمة بسرعة . فحاليا ينحرف الممر الذى يبلغ طوله ٣٧٧ قدما من نجم الشمال بحوالى ٢٦ر٢٢ درجة وبحساب ذبذبات الارض بالطرق الحديثة وجد واكر انه من المتعذر رصد « ثوبان » من قاعدة الممر عام ٢٨٠٠ قبل الميلاد وذلك على صدق نظريته بان الخريطة الاولى لرصد النجوم قد حددها قدماء المصريين بعد بناء الهرم الاكبر بنحو ١٥٠٠ عاما .

● العلم يؤجل الحرب العالمية الثالثة ●

لولا العلم ما تغير وجه الحياة البشرية خاصة فى العصر الحديث . ولما تحولت الكرة الارضية الى قرية صغيرة بفضل تطور وسائل الاعلام .
حول هذا الموضوع خصصت مجلة العلم والحياة عددا خاصا صدر أخيرا تحت عنوان « صنعة الاعلام » وتبعا لطبيعة المجلة فانها قد اهتمت بتأثير العلم ودوره فى صناعة وسائل اعلام متطورة تزداد دقة يوما بعد يوم وتتدخل فى جميع دقائق حياتنا فمطبعة جوتنبرج أدت الى ظهور الصحافة ، ونقلتها وسائل المواصلات الى جميع انحاء العالم أما اختراع الهاتف ومكبرات الصوت فقد ادخل الى كل البيوت صناديق صغيرة كالمذياع والتلفاز والفيديو ليتحول البيت البالغ الصغر الى كرة ارضية هائلة الحجم . وتقول المجلة ان الصحافة ـ مثلا ـ لم تتأثر فقط بتطور التقنيات الاخرى . وانما تطورت





لتنافس نفسها . فالصحف والمجلات مطلوبة فى كل أنحاء العالم . ويلعب اختيار القارىء لنوع المطبوعة الصحفية دورا فى احداث تطور دائم لهذه المطبوعات .

وقد شهدت المنافسات تطورا مذهلا فى الادوات التى لها علاقة بالصحافة مثل صناعة الورق والطباعة والالوان وأجهزة الطبع والالات الكاتبة والحاسبات . مما دفع من تقليل الجهد والسماح بصدور اكثر من عشرطبعات مختلفة من نفس الصحيفة فى فترة قياسية .

أما التلفاز فقد شهد نفس التطور ونفس المنافسات بين القنوات المختلفة خاصة مع ظهور القمر الصناعى الذى يمكن أن يخلق قناة عالمية تسيطر على القنوات المحلية وتبتلعها .

وترجع المجلة تأخير قيام الحرب العالمية الثالثة الى تطور وسائل الاعلام التى حولت العالم كله الى أسرة واحدة رغم تباين الاتجاهات فى شتى المجالات . وقامت حروب أخرى ساخنة بين وسائل البث التى يبثها كل طرف ضد خصمه لطرح أفكاره لكن ظهر احتكار اعلامى تستحوذ عليه دول مثل الولايات المتحدة وألمانيا الغربية وفرنسا وانجلترا .

وقد شهد العالم تطورا تقنيا حديثا يسمى بالرسائل الكهربية يتم من خلاله كتابة وتبليغ الرسائل وتدوينها وتسجيلها بنظم سريعة غير معرضة

المتلف ويمكن الرجوع للمتفرج حسب المكان الذى يجلس فيه . وتبقى الآن مشكلة الشاشة المجسدة التى لم تعد بعيدة المنال عن العالم غدا كما سيقدم التلفاز شاشات التليراما ، على وزن السنيراما .. ويمتلىء صندوق الزمن باعاجيب عديدة .

جهاز جديد لحماية السدود

أثار انهيار السد العالى فى ايطاليا وموت ٢٠٠ شخص نتيجة لذلك الانتباه للمشاكل التى تواجه أمن السدود ومن بينها أنه من الصعب متابعة المظاهر التى تدل على وجود خلل داخلى فى السد . فمعظم السدود تتم ملاحظتها من حيث الشكل الظاهرى الامر الذى يترتب عليه صعوبة اكتشاف أى تشققات خطيرة فى البناء . لذلك تزود بعض السدود الضخمة بأنظمة المراقبة الداخلية للانذار بتزايد الضغط مع وجود ضعف داخلى ، الا أن هذه الانظمة مكلفة لذلك انتجت مؤسستان امريكيتان معدات الكترونية

الكشف فى العيون الهيكلية

ECTING STRUCTURAL FLAWS

ACOUSTIC EMISSION MONITOR

Sensor

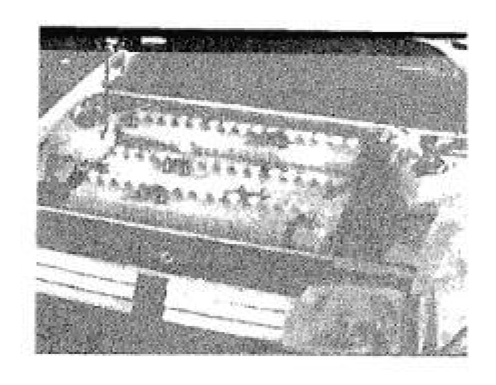
nal processor

recorder

Print-out

Cable

e area



رخيصة يمكنها التصنت على السدود والانذار اذا ما كانت هنـــاك مظاهر ضعف .

وتعتمد معدات التصنت على نظرية فيزيقية أساسية وهي أنه عندما يضغط على أي مادة فانها تطلق أصواتا غير مسموعة ولها درجة تردد عالية يمكن للمعدات الالكترونية الحساسة تتبعها .. ويمكن للمهندسين الكشف عن أي خلل أو تشقق خطيـــــر في السد عن طريق توصيل أجهزة المراقبة بالمسلح المستخدم في البناء أو بوضع هـــذه الاجهزة في المياه خلف السد . وتقوم أجهزة التصنت بتحويل الاصوات الى دفعات الكترونية وتكبيرها ثم ارسالها عن طريق الكابلات الى وحدة الكترونية توضع على السد أو بالقرب منه .. وتزيد الوحدة بدورها من تكبيـــــر اشارات الضغط . وبقياس قوة هــذه الاشارات وتوقيتها ومعدلاتها يمكن للمهندسين ادراك الاخطاء واتخــاذ الاجراءات الوقائية اللازمة .

● بالبنزين أفضل ●

وسط الحـــديث من اسعار البترول وحاجة العالم الى وجـود بدائل لم في التشغيل .. يفكر العلماء بصفة دائمـة في تشغيل سيارة المستقبل بالشـحنات الكهربية .. وفي حالة نجاح تشــغيل السيارات بالكهرباء في من بعد المركبات الاخرى وخاصـة الطائرات والاجهـــزة العسكرية سوف يتغير شكل العالم تماما .

حول هذا الموضوع تـــدمت مجـلة « البحث » الفرنسية في عدد شـهر يونية ١٩٨٥ دراسة طويلة تحت عنـوان « هل سيارة المستقبل كهربية ؟ » قالت فيها أن التفكير في هذه السيارة لم يبارح خيال العلماء .. فهناك معوقات تقف امام هذه السيارة . ليس لانها من الصعب اختراعها . ولكن لانها لا تعمل بنفس الكفاءة التي تعمل بها السيارة الحالية . فالسيارات التي خرجت من دائرة المعامل اقل سرعة وكفاءة واصغر مساحة خاصة ان الشعب الامريكي يعشق السيارات الكبيرة وهو اكبـر مستهلك للسيارات في العالم . كما ان الطاقـة المستخدمة في مثل هذه السيارات كبيرة، مما ينتج عنه ارتفاع اسعارها الى اضعاف الاسعار الحالية . ناهيك عن ثقـــل البطاريات المستعملة في توليد الكهرباء لادارة السيارة .. ففي الصورة المنشورة نرى تسع بطاريات من النيكل ـ الحديد تزن ٣٠٠ كجم . وتبلغ قوتها الكهربيـة ضعف البطاريات الحالية . اما عمرها الزمني فيبلغ حـوالي ١٥٠٠ دورة اي قرابة ٢٠٠ الف كيلو متر . والعمـر الافتراضي للسيارات ـ سنوات ، وقد اعلنت الشركة المنتجة ان اقصى سرعة يمكن ان تبلغها هذه السيارات ١٢٠ كم/ ساعة .



بقلم : محمد فتحى

● بدا العالم العربى اقتفاء اثر العالم الصناعى المتقدم فى اختيار شريك العمر بالكمبيوتر !!

وفى الترويج للحب بالتكنولوجيا يستغل بائعو الاوهام فى الغرب محنة قاتلة تجتازها الاسرة هناك

فالدراسات تكشف ان معظم المتزوجين غير راضين عن زواجهم وان ما يقرب من ثلثهم يصلون الى حالة فك الاشتباك بالفعل . ناهيك عن شيوع اتجاهات يفضل اصحابها عدم الارتباط فضلا عن عدم الانجاب .

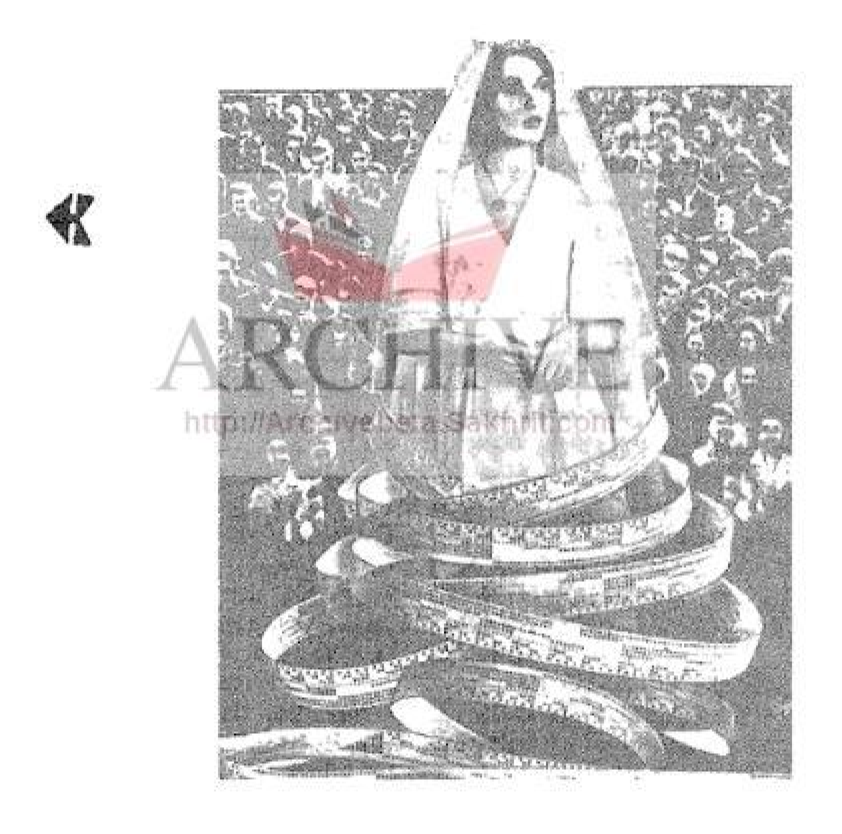
ولان الاسرة العربية بعيدة عن هذا الواقع ولان المشكلات النوعية للاسرة العربية ـ وهى كثيرة ـ نوع مختلف. ولان اللعبة الجديدة لعبة خطرة تنطوى على كثير من الوهم فضلا عن المزالق . ولانها تدق بابنا فيما يشبه السرية والكتمان .. يستدعى الامر المناقشة ●

في ظل البرنامج القيمي المحدد : تحطيه يابنتي في عينك ، وتسمعي كلامه ، ربنا يبارك لكما ... الخ » ، الذي كان ينتقل الى البنت من الام من الجدة .. كان ما هــو مطلــوب من الزوج والزوجة لحنا معروفا شائعا ، يسهل على أي اثنين عزفه فور اللقاء

لكن الدنيا تغيرت ، والى جــوار هذا البرنامج المتوارث صارت تشارك في صنع تصورات الازواج برامــج تربوية كثيرة يصل تنوع عناصرها الى حد التنافر ، ويستقي المرء بعضها من الاعمال الفنية الكثيرة التي يطالعها، وبعضها الاخر من علاقاته العـامة في المدرسة والجامعة والشارع والعمل.. ذلك بينما ينحصر نصيب المؤسســات التربوية والتعليمية المعنية في اقــل القليل ، ان كان لهذه المؤسسات وجود في الاصل ..

ومع تعدد البرامج التربوية ، ومع كثرة وتنوع الالحان ، غام النمــوذج العام للاسرة ، وتزايدت صـــعوبة العزف المشترك ، فدبت الخـلافات في مختلف جوانب الحياة الزوجية ..

✻ هي تحب اقتناء الكتب . وهــو يصاب بالارتكاريا من وجودها ـ الكتب ـ في البيت .



اختيار العروس بالكمبيوتر

* هو يحب متابعة اخبار ومباريات كرة القدم ليل نهار وهي ترى الامر جنونا يستحق استشارة الطبيب ٠

* هو يحب النوم مبكرا والاستيقاظ مع اذان الديك وهي لا يستقيم برنامج يومها الا بمشاهدة فيلم فيديو بعد انتهاء الارسال التليفزيوني العادي حتى لا تفوتها شاردة ، ولا يهم ان تستيقظ مع اذان الظهر ٠

* هو يتطلب عمله الهدوء وربما الانقطاع فترات عن الناس ٠ وهي في حالة حضور مسرحي دائم تحب العشرة والضيافة والزيارات والاداء الجهير ٠

* هو يحب الطعام المسبك ٠ وهي لا تحب سوى المسلوق ، وياويل من لا يمتدح صنعة يدها ٠

وليت الامر يقف عند الحدود التي تصلح ملحا، او حتى توابلا، تفتح الشهية للاقبال على الحياة ، فالخلافات تمتد للاسف الى ما هو ابعد تأثيرا ٠٠

* هو يرى تعويد الطفل المسئولية والانضباط من الصغر ٠ وهي ترى ذلك قسوة وفظاظة من جنس لا يعرف الحنان ٠

* هو يرى تعليم الطفل السباحة من الشهر الاول ، وهي ترى ان الغيرة بلغت بالرجل حدا دفعه الى محاولة خنق البرعم الجديد في مهده ٠

هكذا ونتيجة للبرامج التربوية الكثيرة تعددت وتداخلت وتباعدت التصورات الخاصة ، واصبح لامفر من وقوع الخلافات عند اللقاء ٠

ولان وضعا مثل هذا يتطلب حلا ٠ ولاننا في عصر اثبت فيه التشطة مثل الزار والسحر والشبشبة ما يليق بها من مصير ، كان لابد وان يدلي العلم والعلماء بدلوهم ، بالذات بعد ان شرعوا في دراسة مشاكل شبيهة تخص توافق افراد اطقم رحلات الفضاء ، او تخص توافق المرضى النفسيين ، او التوافق في مجالات التوجيه المهني المختلفة ٠

● منبع الخلاف بين الزوج والزوجة ●

ولان العلم يهتم باقامة ما يشيده على اسس سليمة انكب العلماء ، بما هو معهود عنهم من منطق صارم ، على البحث عن اجابة لسؤال اساسي حول منبع الخلاف بين الزوج والزوجة ٠ وحتى نوضح الطريقة التي فكروا بها لابأس من مثال بسيط٠٠

اذا افترضنا اننا امام سؤال :من يشترى عشرة كيلو جرامات بطاطس من السوق ؟ الزوج ام الزوجة ؟ لوجدنا انفسنا امام اجابتين ٠٠ الاولى تلتزم منطق : لان هذا عمل بدني ثقيل فهو واجب الرجل ٠ بينما تلتزم الثانية منطق : هذا أمر يدخل ضمن مملكة البيت ، كل شئونها من اختصاص الملكة ، ولهذا لا دخل للرجل بمثل هذا الامر ٠

ووصل العلماء الى ان خلافا لايمكن ان يحدث بين الزوج والزوجة اذا كانا معا من انصار الرأي الاول او من انصار الرأي الثاني ٠ لكن الخلاف يبدأ عندما يشرع كل منهما بصره في اتجاه مخالف ٠ حتى اذا رأت الملكة ان تتحمل عبء شراء البطاطس ، ورأي زوجها ان يضحي هو ويفعل ٠٠

المهم ان العلماء خرجوا من التفكير على هذا النحو بنتيجة منطقية مؤداها حتى يكون الزواج راسخا يجب ان يكون الشريكان متوافقين ٠٠

وقدر يسير من التمعن يكشف أن النتيجة التي توصل اليها العلماء نتيجة عادية جدا ، وطبيعية جدا ، بل والاطرف من ذلك انها نتيجة مالوفة جدا ، فكلنا نمارسها باستمرار ، ان لم يكن لانفسنا فلغيرنا .. واحكام مثل « ما جمع الا اما وفق » ، « ده ما يسواش ضافرها » (او العكس) ، ما هي الا نتيجة لعمليات تقويم تجريبها لعوامل الاتفاق والاختلاف بين عنتر وعبله ، وشنكح وريما ، وياسين وبهية ، والشاطر حسن وست لحسن والجمال ..

● ضرورة اعادة وظيفة الخاطبة

لكن الروح العلمية الطويلة النفس لا تقف عند بحث الاساسيات ، كما انه لايمكن ان يقف بينها وبين السعي الى غايتها ما يبدو من القلة النتيجة او شيوعها ، اذ ان المهم - من وجهة النظر العلمية - ان يستطيع ببحث موضوع التوافق مؤسسات متخصصة ، تسترشد بالمعارف العلمية ، وهذا شيء اخر غير اجتهادات الهواة التي تتسابق على عواهنها ..

وليت الامر وقف عند ضرورة اعادة وظيفة الخاطبة المحترفة التي انقرضت او كادت ، اذ بعيدا عن ما ظهر ان كم الالحان الناتجة عن البرامج التربوية المتباينة ، وكم ما ينتج عنها من مشاكل بين الازواج وسمعا كثيرا ما كنا نضمنه تعبير « الضافر » في قولنا « لا يساوي ضافرها » ..

هكذا مضى « العلم » في ممارسة جهوده التشريحية التوصيفية للعوامل المختلفة المفروض البحث عن توافقها بين الازواج ، ليصنفها في النهاية بين مجالات مادية ، وثقافية ، ونفسية ، وعقائدية ، ووجدانية ... الخ . وسرعة حلتها الروح التجارية الحدث دوائر هذه المجالات في الاتساع باطراد ..

وعملية من هذا النوع تعني بلغة العلم الكثير من الاشياء المحددة ، يمكن الاقتراب من روحها اذا عرفنا ان من يصلح لشخص بعينه وفق تفنيط مائة بند فقط من بنود الاختلاف او الاتفاق من قبيل موضوع شراء البطاطس هو واحد بعينه من بين ستين الف شخص (طراز) ..نعم واحد بالذات من ستين الف !!

● فشل الخاطبة الالكترونية ●

هذه نتيجة تبين أول ما تبين استحالة اعتماد مؤسسة الزواج المتخصصة على الجهد البشري حتى لا يقضي الناس اعمارهم بحثا عن التوافق دون ان يظفروا به .

ولان المسألة تحولت الى حساب في حساب فقد كان الطبيعي ان تؤول في نهاية المطاف الى الحاسب الاعظم الى الكمبيوتر .. بالذات ومشكلة من هذا النوع مجرد لعب اطفال فيما يخصه ، فحتى اجياله القادمة تستطيع ان تقوم بملايين العمليات في كل ثانية -

وعند هذا الحد بدا وكان مشكلة التوافق المفقود بين شركاء الحياة وقعت على حلها الامثل ، وبدا ان الوئام المفقود عائد ليرفرف بين جنبات البيوت على اجنحة اعصارية السرعة لكن الامر لم يخل من مفاجاة . فعلى الرغم من ان جهاز الاحلام يختار ذلك الحداة المناسب خلال ثوان قليلة ، وعلى الرغم من عشرات و مئات الاجهزة التي تعمل ليل نهار ، ولسنوات متواصلة ، بقيت مشكلة الاسرة الغربية على حالها ، ان لم





لكن قد واصلت تفاقمها بنفس الوتائر السابقة !

وقدر يسير من التمعن ، مـــرة اخرى ، يكشف امنا امام نتيجة طبيعية جدا ، اذا ما نظرنا للامر نظرة علمية حقيقية ، تختلف فى منطلقاتها عن النظرة الكومبيوترية القاصرة الجـــامدة ، المتخلفة مهما اســـتعارت من ازدية وصرعات ومخلفات واكســـسوارات العلم الحديث ·

● الانسان ليس مجموع تشــرياته ●

لقد شرح المنطق الـــكمبيوترى الانسان ، ووصف ما اســـتطاع ان يصفه من أجزاء ، ثم جمع التشريات التى وصفها ، وعامل الانسان على أنه حاصلها · ذلك رغم ان الانسان اكبر بكثير من مجموع كل اجـــزائه ، لو تيسرت معرفة هذه الاجـــزاء ··

فليس معنى معرفتنا مثلا ان جسد أحد الكائنات الحيـــة يحتوى على عشرين كيلو جرام مياه ، وخمســـة كيلو جرامات كربون ، ونصف كيلو جرام واحد حديد ·· الخ ، ليس معنى معرفتنا هذه التفاصيل أن تجميعهـــا يوصلنا الى الكائن المعنى ، لان هناك شيئا معجزا اخر ســـيظل غائبا عن مجيئتنا مهما سلم تكويننا ··

وان كان ذلك يســـرى حتى على الجماد ـ الخصائص البـــاهرة لاى

صورة احد النماذج المصممة فى مصر .. فرغم اختلاف الظروف بين الشرق والغرب بدات هذه اللعبة الخطرة بغير تقدير لاثارها الاجتماعية

أكثر من ١٠٠ جنيه AA
أكثر من ٥٠ جنيه AB
لا يهم XX

أرض لو دخلها أعلى من A
لا يهم B

انا أعزب AA
ارمل بدون اولاد BA
مطلق بدون أولاد CA
أرمل ED
مطلق FD

١٩/١٨ أن تكون حالتها الاجتماعية :

أنا متدين جدا AA
أؤدى الفروض الاساسية فقط AB
مهمل فى بعض الفروض CD
لا أؤدى معظم الفروض CC

٢٢/٢١ أن تكون درجة تدينها :

طولى

لون بشرتى

٣ أن يكون لون بشرتها :

أعمل فى مصر AA
فى الخارج مؤقتا BB
فى الخارج بلا عودة DD

٣٩/٣٨ أن يكون عملها فى :

أميل أكثر للهوايات الفنية A
الرياضية B
العلمية C

٤١ يجب أن تفهم جيدا أنهم A
يمكنني أن افهم حيث تفهم B

٤٢ أن تكون امرأة عاملة A
لا تعمل B
لا يهم X

انهيت دراستى A
مازلت ادرس B

استعد بأن انا الاجدر إلى الاحسن A
تعبر عنا انا من لا اكثر فى التعبير

[illegible]
يستمد فى اعتقادى عن الخبرات جديدة AX
اكثر فى انشاء مشروع XD
اخشى المغامرة وابقى على المبلغ CD

٤٤ افضل أن تشاركنى الرأى وتحاقش
قبل أن توافقنى A
افضل المرأة المطيعة B

افضل الافلام الاجنبية أكثر A
افضل الافلام العربية أكثر B

أفضل افلام الرعب A
افضل الكوميدى B
افضل العاطفى C
افضل الافلام الرئيسية السحرى والنفسية D

أنا ذواق وأحب الاكل A
لا أهتم ـ آكل اى شئ B

املك سيارة A
لا أملك سيارة B

أرسلت لكم عنوانى بعد أن عرفت بوســـيلة المشروع من خلال :

سبيكة معدنية ، مقارنة بخصائص عناصرها - فما بالنا بالكين الارقى النابض بقتافيت الحس والعواطف والانفعالات والارادة ؟!

● المرء يعيش عدة شخوص في بضع دقائق ●

هذا كما تناسى المنطق الكمبيوترى أن الانسان الطبيعى يعيش على مدار الساعة الواحدة - لاعلى مدار العمر كله - عدة شخوص دون أن يكون بالضرورة ممثلا أو بهلوانا • فالام حين تستيقظ فى الصباح لتساعد اطفالها فى الذهاب الى المدرسة تمارس دور الوالد المسئول ، لكنها لا تتحول ما أن تودعهم ، وخلال لحظات ، الى « طفل معتمد » يتكىء على كتف الزوج المحبوب •• وما هى الا دقائق بعد ذلك ، حتى تشد رحالها تتعامل معاملة الند مع غيرها من اليافعين الاعلياء ، خلال رحلة العمل ••

والام فى ذلك كله امرأة طبيعية جدا ، وعاقلة جدا ، وعلى سجيتها جدا بدون « علم » ، أو ان شئتنا الدقة بدون تعالم ، لان مرشدها فيما تفعله خلاصة علمية [illegible] الخبرة الانسانية الثرية الرحبة المديدة ••

لكن المنطق الكمبيوترى يصبح لعلاقة الزوج بالزوجة : « قف » ، ما ان تصدر عن مثل هذه الام وربما فى لحظة ضيق ، كلمات مثل « لم أعد أطيقه • انه لا يرى فى شريكة حياة • انه يبحث عن أم بديلة » • ليت الكمبيوتريين يتوقفون عند ذلك ، ل يكدون فى التشريح والتجزيء ووضع الحواجز •• وربما كمن الحل فى مجرد أن يفهم المرء الا مانع من أن يكون الرجل ابا لزوجته فى لحظة ، وطفلا لها فى أخرى ، وشريكا على قدم المساواة فى ثالثة •• وأن يفهم ضرورة مجاهدة النفس ، بعيدا عن الرومانسية ، فى ممارسة ذلك كله •

● الانسان كيان نابض متغير ●

ولابد أن يجرنا ما سبق الى الحديث عن منزلق اخر • فالمنطق الكمبيوترى يعامل الانسان على انه صيغة باتة قاطعة نهائية ، بينما هو فى واقع الامر كيان نابض متحرك لاتفتأ خبراته الحياتية تصحح له الكثير من مفاهيمه ومعتقداته ومواقفه ، حتى اللحظة التى يكف فيها عن أن يكون انسانا •

والخطير أن المنطق الكمبيوترى يحول الكيان الانسانى المرن باسم العلم ! - الى كتلة صماء من البرونز ، او الى روبوت على احسن تقدير ، داعما تصورا خطئا يعبر عن نفسه كثيرا فى أحكام مثل « انا كده خلاص • امرت نفسى » رغم ان هذا التصور هو الموت بعينه ، وربما كمن فيه بيت الداء ، وبالتالى فهو مايحتاج الى اقناع مضاد ، ليفهم المرء أن عليه أن يسعى ويجهد ويتغير ويتواءم ويجاهد ويتحمل مسئولية وجوده لحظة بلحظة ، وحتى اخر لحظة من العمر ••

● الكمبيوتر « عايز كده » ●

ويمكن الاستطراد طويلا على هذا



المنوال ، لكن لا بأس من الالتفات الى العصب الاساسى الـكامن وراء ذلك كله ..

لقد جاء هذا الادعاء « العلمى » أساسا ليحرم الانسان من أهم قيمة له .. من كونه المخلوق الوحيـد المسئول عن اختياره ، والقادر على هذا الاختيار ، والذى تمكنه مؤهلاته من مواصلة حركته ، صوب غايته فى كل لحظة ..

لقد جاء المنطق الكمبيوترى ليحرم الانسان من كل ذلك تاركا اياه يردد «أنا مالى » الكمبيوتر هو الذى اختاره او « الكمبيوتر عايز كده » مريحـا باله ، فى نهاية المطاف ، من عناء أن يكون انسانا !!



هـل من عريـس

اذن فليس غريبا ان تواصل مشكلة الاسرة الغربية تفاقمها ، رغم دوران المكن بكل قوته دون ابطـاء . ذلك ان الكمبيوتر يتعامل مع طحين بشرى ، وهو شىء مختلف تماما عن القمح البشرى .. الق بطن من الدقيق فى الطين ، ولن يزداد الطين بياضـا . ازرع حبة قمح ، وستطرح لك سنبلة ، وساعد الحبة بتهيئة ظروف صحيحة لنموها ، وستضاهى سنبلتك سـبع سنابل ..

لا اعتـراض بالطبـع على ان يبين العلم من اين يأتى التوافـق ، ومن أين يأتى الخلاف . ولا اعتراض على ان يسعى الناس الى زيجـات متوافقه ، بل ان ذلك هو عين العقـل والدين والمسئولية والراجب .. فهناك مخاطر حقيقية تزلزل ، على سـبيل المثال ، حياة كل شريكين يميلان الى الاستبداد أو الاكتئاب أو الانقياد او الغرور ... بل وحيـاة كثيرين من حولهما ، الامر الذى يحرم الاسرة مما يفترض فيها من اجواء السكن والوئام والانسجام ..

لكن ذلك كله شىء ـ قد نعود اليه فى دراسة مقبلة ـ وأوهـام الحب بالكمبيوتر ، وفق حسابات ناقصة بالضرورة ، شىء اخر تماما ..

بقى اخيرا التأكيد على ان اهتمامنا قد انصب هنا على بيان ما هو علم او أشبه بعلم فى الموضـوع ، لكن ما لا صلة له بالعلم وراء هذا الوبر كثير وزلق وخطر ، ويستدعى الا تتم مثل هذه التجارب الكمبيوترية فيما يشبه الخفاء .

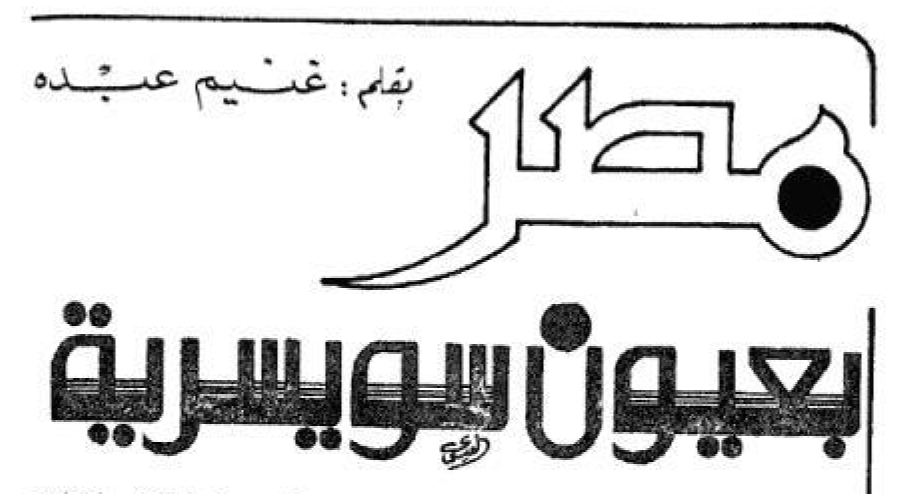


سؤال إلى زهرة تنتحر

: إسماعيل [illegible]

هل كان ظلا بيننا يشب ؟
ما زلت ارحل فى دمى تعبا
يمضى بدرب لا يعى قدما
ماذا نكون ؟ فهل نعى خبرا ؟
سقطت مرايا الصمت ضاحكة
لم يبق شيء غير نظرتنا
قد صار وجهك يشتهى هربا
كل يضيع العمر من يده
ماذا بكفك خفت مصرعه
قد كنت احسب بيننا شبه
ما عدت املك غير معذرة
يازهرة للشوك قد لجات
كل المعانى بيننا سكنت
أينساك منك الان فانتبهى ؟
قد صرت دربا ماله أثر..

أم كان طفلا رده التعب
وخطاك سر حوله الريب
يلهو بجرح ماله سبب
ولاى درب نحن ننتسب ؟
وبريق وجهك شله الغضب
فعلام تضحك بيننا الحجب ؟
فالام يخفى وجهك الهرب ؟
فسلى يدينا ملها تهب
فتركته للصمت ينتهب ؟
حتى انتبهت وقلت لاشهب
لبريق صمت راح يحتجب
ورمت شذاها وهو يصطخب
وغدا كلانا الان ينسحب
كل المدائن فيك تنقلب
.غدوت نارا ما لها لهب



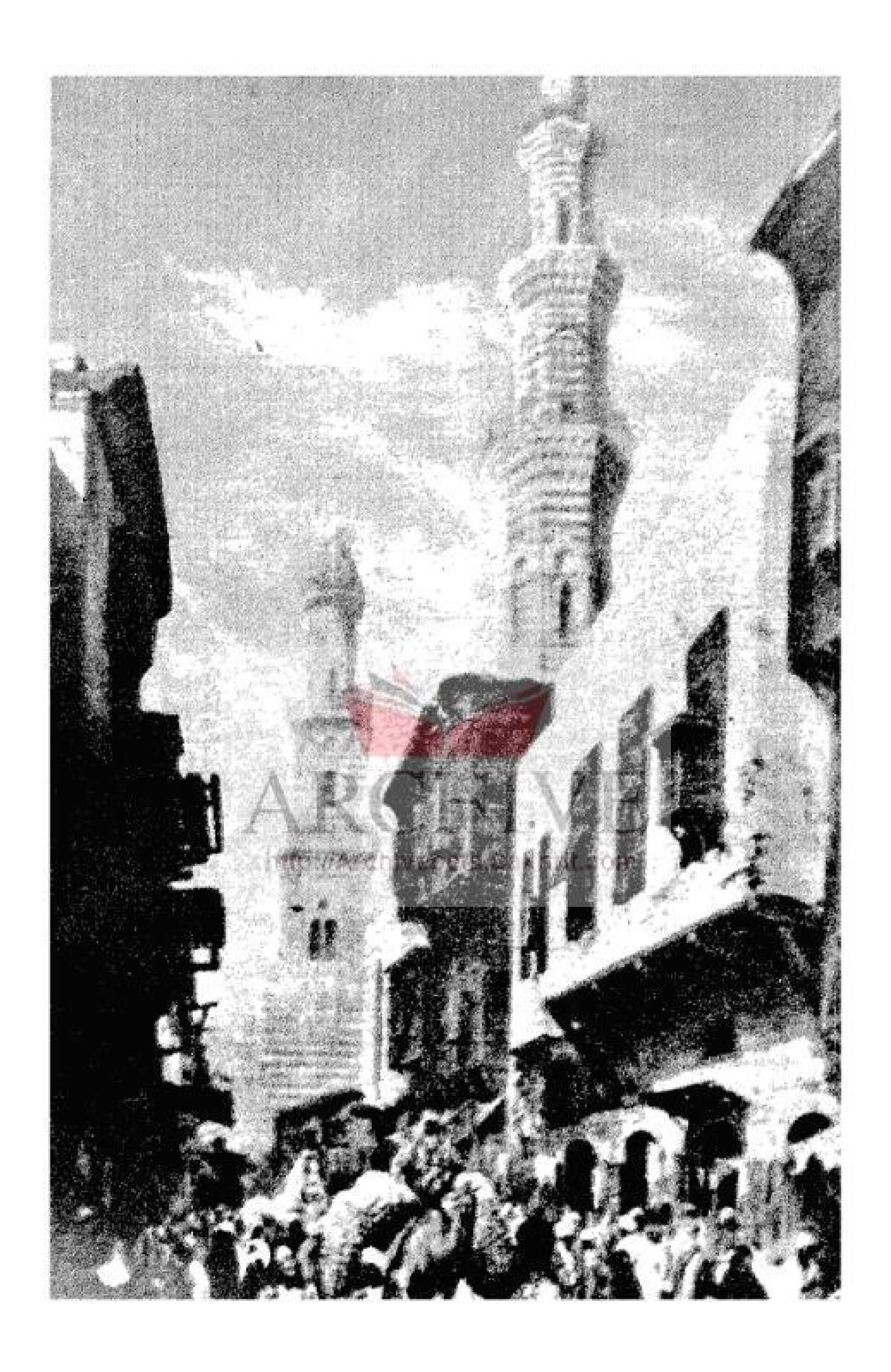
سويسرا هي احدى اصغر بلدان العالم اذ تبلغ مساحتها ٤١٢٨٨ كيلو مترا مربعا ، ربعها ثلوج وجرانيت وبحيرات ، وخمسها غابات وعرة ، وخمسها مراع طبيعية فوق جبال الالب التى تشق البلاد بالطول .. ولهذا يصدق عليها مقولة .. ان السويسريين هم الذين خلقوا سويسرا .. فقد اصبحت بفضل كفاح اهلها ثالث دولة بين الدول الغنية من ناحية دخل الفرد منها .

وسويسرا هى بلد البنوك والمنظمات الدولية والمؤتمرات ، وقد حصل من اهلها ١٢ عالما وفنانا على جائزة نوبل ، وهى البلد التى انجبت ماكس فرش وفردريك دورينمات اشهر كتاب الدراما فى العالم .. وانجبت من مشاهير الفنانين التشكيليين بولسكلى وجياكوميتى واعظم المعماريين فى هذا القرن « لاكور بوزييه » .

سويسرا اقامت معرضا فى القاهرة بمناسبة الذكرى الخمسين لتوقيع معاهدة الصداقة بين مصر وسويسرا اقيم المعرض فى مجمع الفنون بالزمالك فى قاعة اخناتون تحت عنوان « مصر كما يراها الرسامون السويسريون واقيم فى قاعة « اخناتون » ؟ معرض اخر يضم اعمالا فوتوغرافية عن وجه سويسرا المجهول .

وقد حرص معهد الفنون بمدينة زيورخ على عرض نسخ ملونة بالحجم الاصلى لاشهر فنانى النصف الثانى من القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين الذين زاروا مصر او عاشوا فيها .

القاهرة فى منتصف القرن التاسع عشر





وتتجسم معالم مصر القديمة على لوحات السويسريين حتى تكاد تنطق بما تخفي من اسرار .. والمتأمل لهذه اللوحات يدرك منذ النظرة الاولى ان اولئك الفنانين قد وجدوا انفسهم امام مناظر جديدة فلم يشعروا بالحاجة الى الابتعاد بقدر ما شعروا بضرورة التأمل والبحث عن المصادر التى يتميز بها الشرق من جمال وغرابة فابرزوها فى نغمات حادة يغمرها نور الشمس الساطعة .

والنور هو العنصر الهام فى لوحات المستشرقين السويسريين ، وقد ساعدهم على تجسيم الاشكال من مسطحات تسطع بالنور وتشعه فى مناطق الظلام .

وان كان بعض الفنانين السويسريين قد استخدم اللون استخداما رمزيا فان هذا يرجع الى الاسلوب الذى كان متبعا فى عصرهم عندما كانت السيادة لرجال الكنيسة حيث كان رداء السيدة العذراء يلون دائما باللون الازرق والعباءة باللون الاحمر ، كما استعمل بعضهم الالوان ايضا لمحاكاة النموذج وابراز طبيعته وحجمه فى الحيز الكافى .

ومن اشهر هؤلاء الفنانين شارل جلير الذى ولد عام ١٨٠٦ بمقاطعة فود وتلقى تعليمه فى باريس وروما وجاء الى مصر عام ١٨٣٥ كمرافق لسائح امريكى حيث انتج مجموعة من اللوحات أطلق عليها انطباعات من مصر وهى اللوحات التى تعود اليها شهرته .

ومن اشهر الاعمال التى عرضت أعمال الاخوين كارل وادوارد جيراردييد .. وهما من أسرة فنية معروفة ، وقد كلف الملك لويس فيليب عام ١٨٤٣ كارل ليرسم لوحة تاريخية كبيرة تصور الصليبيين ليضعها فى المعرض الحربى فى فرساى ، واستعدادا لهذا العمل سافر الى مصر مع أخيه وقضى بها فترة طويلة .

اما جوهان جاكوب فقد جاء الى مصر عام ١٨٤٢ مع العالم ر . ليسيوز الذى توجه الى مصر فى بعثة كلفته بها حكومة بروسيا وعند عودته الى روما حيث كان مشهورا بها منذ اقسام بها للتعليم .. وقد رسم جوهان مجموعة كبيرة من الاعمال التى تميزت بايقاع الحياة المصرية .

ويعتبر اتيان دوفال هو اهم رسام سويسرى عاش فى مصر فقد اقام فيها منذ عام ١٨٦٩ وحتى عام ١٨٨٣ ، وتمتاز اعماله بدراسة الطبيعة المصرية التى كان عاشقا لها .

ويطلق السويسريون على أوجست نيبون لقب اعظم رسامى الشرق فى القرن التاسع عشر ، وبيبون قام برحلات عديدة منتظمة الى شمال افريقيا واسيا الصغرى ، لكنه لم يتأثر مثلما تأثر بمصر التى زارها مرتين عامى ١٨٧٣ و ١٨٨٥ .

تأثير الحضارة المصرية

وربما يكون من الجرأة ايجاد نوع من التقارب بين مصر القديمة وسويسرا ، لكن السويسريين يقولون ان تأثير الفراعنة يرى فى جبال سويسرا ويدللون على هذا بالاثار الموجودة والتى اكتشفت فى « فالى » « ولودى » و - « جنيف » « وبرن » والتى تثبت ان عبادة ايزيس قد



الريف المصرى   قليلون من المستشرقين هم الذين جذبهم الريف المصرى

انتقلت الى هذه الاماكن خلال العصر الرومانى حيث شهد العالم مولد الديانات الشرقية التى تطلعت الى العالمية ، وحاولت ان تتحدث الى الجميع • وان عبادة ايزيس شاعت فى ارجاء الامبراطورية الرومانية وحظيت بشرف بناء معبد رسمى لها بين عامى ٣٦ و ٣٩ قبل الميلاد وعن طريق روما دخلت الى شمال اوروبا وفى هلفيتيا الرومانية كانت ايزيس تعبد فى بادن حيث تم اقامة معبد لها فى نهاية القرن الاول وبداية القرن الثانى الميلادى •

وقد تم العثور على حجر فى منطقة وتينجان تحكى عن وجود معبد لايزيس فى بادن ، يعطى تفاصيل عن تاريخ انشاء هذا المعبد ، الذى اقيم لحساب احد اعيان بادن الحالية وهو لوسيوس انوسيوس الذى اهداه بعد ذلك الى مواطنيه •

كما تم العثور فى افانس على تمثال صغير لايزيس من الصلب ، وتمثال لاوزوريس فى غابة « برمجارتن » كما تم اكتشاف تمثال لانوبيس بالقرب من « فالى » وراس من الرخام للاله « جوبيتر » فى جورة ونسخة اخرى من هذا التمثال فى جنيف •

وهذه الاكتشافات تدل على ان مصر القديمة كانت على صلة بهلفيتيا الرومانية « سويسرا حاليا » وان الرباط الروحى كان موجودا بين البلدين منذ اقدم العصور •



بعيون سويسرية

وتؤكد الدراسات السويسرية ان مصر المسيحية قد ساهمت بشكل كبير في تطور المسيحية في العالم بفضل انتشار العلوم والعلماء في الاسكندرية مركز الهلينية ، واصبح وادي النيل هو الارض المقدسة التي يحج اليها الرهبان ، وتؤكد هذه الدراسات ان بعض رهبان سيناء قد اقاموا في القرن الرابع عشر في بعض اديرة سويسرا وبصفة خاصة في « ديشتو » وبدأت اتصالات بين الكنيسة السويسرية والشرق كما يؤكد ارمان جاسبار » في كتابه « الدراسات البيزنطية وسويسرا » الذي نشر عام ١٩٥٢ .

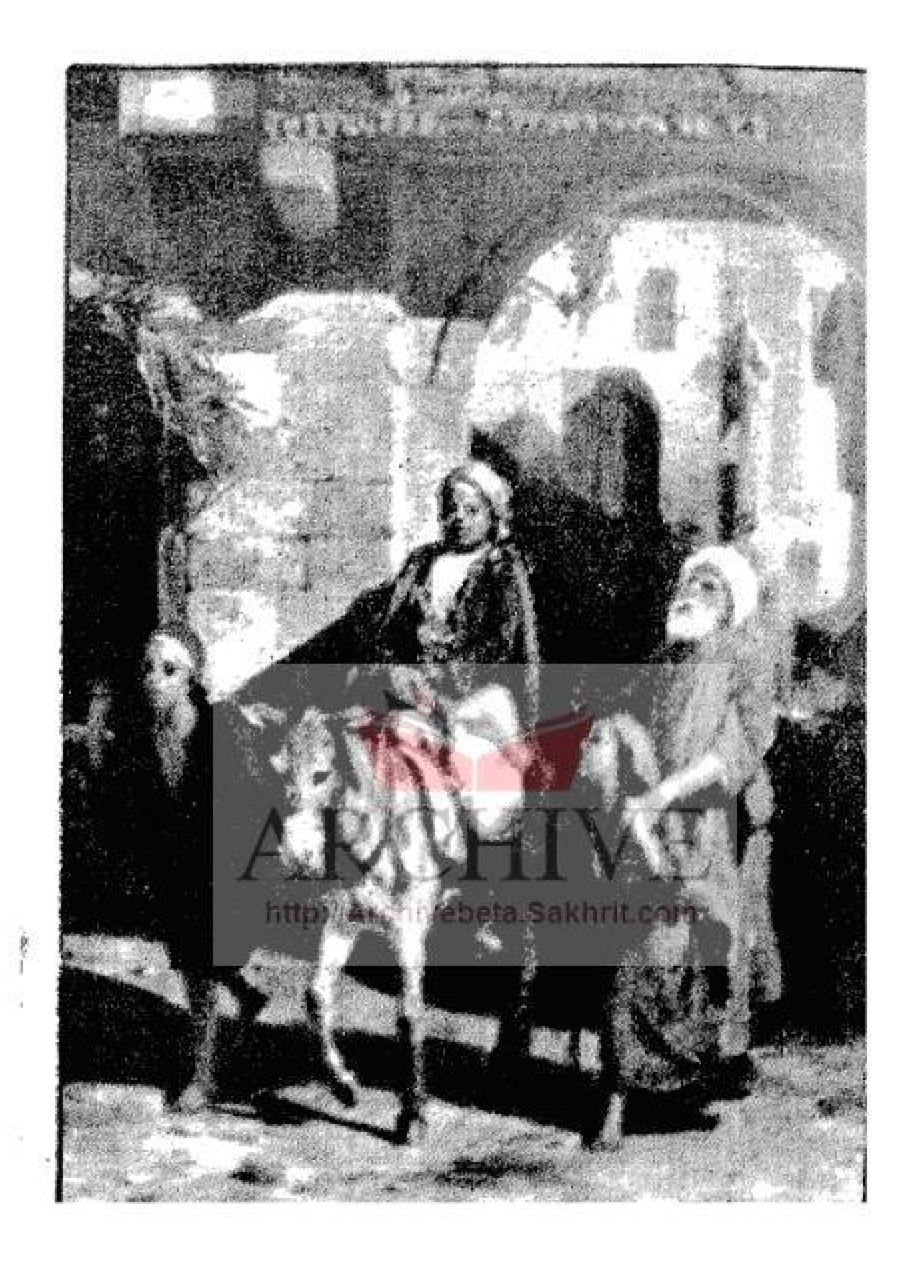
وفي القرن الخامس عشر قام عدد كبير من الحجاج السويسريين بزيارة دير سانت كاترين .

وقد نشأت العلاقة بين سويسرا ومصر عن طريق حجاج دير سانت كاترين ، وان كان هؤلاء الحجاج لم يهتموا بدراسة مصر وطبيعتها وشعبها بقدر اهتمامهم بالناحية الدينية ـ ولكن هناك بعض الوثائق تجعلنا نفترض ان بعض هؤلاء الرحالة الاوائل قد اقاموا في دلتا النيل اثناء رحلتهم الى فلسطين بدليل ان هؤلاء نقلوا تأثير الفن القبطي المصري الى الكنائس السويسرية وهو ما يرى في رسومات كنيستي « سان فيجيليو » و « شالبير » وهي تشبه رسومات الكنائس المصرية .

وكانت البعثة العلمية التي

رقص الخيل .. انطباع لم يستطع الفنان السويسري مقاومته .



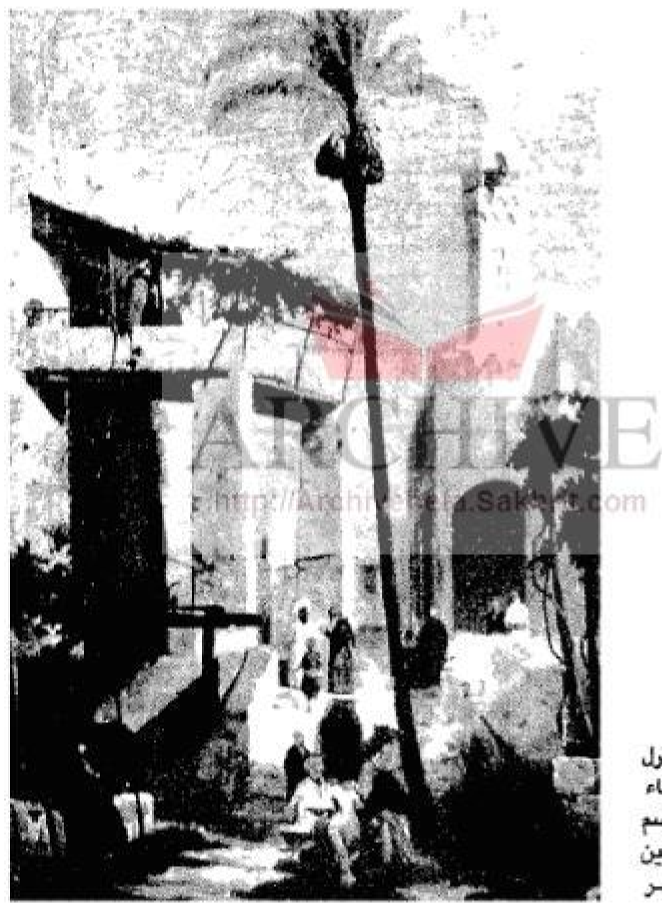


بوابات القاهرة، ووسائل المواصلات منذ أكثر من قرن ونصف



اصطحبها نابليون خلال حملته على مصر تضم علماء من سويسرا منهم « بواسييه » من مدينة جنيف «ورافينى» الذى نشر فى كتاب «وصف مصر» عدة لوحات عن النباتات فى مصر ، والجنرال « رينييه » من لوزان الذى الف كتابا عن الزراعة فى مصر وامكانية تحسينها .

وقد ساهم كثير من المؤرخين السويسريين بكتاباتهم ومذكراتهم فى التعريف بمصر فى بلاد الغرب منهم الجنرال « رينييه » الذى تحدث



لوحة من اعمال كارل جيرارديه الذي جاء إلى مصر ليرسم لوحة للصليبيين فبهرته اثار مصر

عن مصر بعد معركة هليوبوليس وضمن كتابه بعض ملاحظاته عن الجنرال مينو وجنرالات فرنسا فى ذلك الوقت

وقد بدأت مصر التعرف على السويسريين فى اوائل القرن الثامن عشر بالتجديد منذ عهد الخديو اسماعيل الذى استعان بمهندس مناجم سويسرى هو « جون نينيه » فى الاسطول النهرى المصرى ثم عينته مشرفا على زراعة القطن فى مصر بعد أن اشهر « نينيه » اسلامه ·

كما طلب الخديو اشتراك سويسرا فى الشرطة التى شكلها فى الاسكندرية كما دعا الخديو المجلس الفيدرالى السويسرى لحضور احتفالات افتتاح قناة السويس ·· وناقش الوفد الذى حضر فى افضل الطرق لتقوية العلاقات بين مصر وسويسرا ·

كما أعرب عن رغبة مصر عن طريق نوبار باشا فى أن ترسل سويسرا مبعوثا خاصا لمصر لدراسة امكانية اقامة المهاجرين السويسريين فى المناطق المستزرعة بفضل بحيرة المياه العذبة التى شقت الى جانب قناة السويس · كما اقترح اشتراك قضاة من سويسرا فى المحاكم المختلطة كما ارسل الخديو ابنه الى احدى المدارس الداخلية فى جنيف · وبعد خلع الخديو اسماعيل زار « فيش » مصطحبا سكرتيره السويسرى «ديبتان»

وقد اتخذ الخديو توفيق نفس الموقف فعين « انطوان مونتان » السويسرى مدرسا لابنه فى اللغة الفرنسية وعينه مدرسا فى مدرسة الانجلو التى بناها خصيصا لابناء الامراء وصفوة المجتمع المصرى ·



النيل شريان الحياة ، جذب انظار الرحالة السويسريين



كما أرسل الخديو عباس حلمي الثاني أولاده للدراسة في سويسرا وعين بعض معاونيه من السويسريين

واستمرت العلاقات الودية بين مصر وسويسرا في عهد فؤاد الأول الذي درس في كلية « توفيشوم » في جنيف وطلب خبراء من سويسرا لاصلاح مدرسة الهندسة بالجيزة وانشاء مدرسة للساعات ومصحة للحياة في مجال العلوم الطبية ٠ وقد اهدت جامعة جنيف الدكتوراة الفخرية في العلوم الاقتصادية للملك فؤاد عام ١٩٢٩ ٠

وعندما انشئت هيئة الامم تم انشاء قنصلية مصرية في جنيف عام ١٩٢٤ وتوقيع اتفاق الصداقة المصرية السويسرية عام ١٩٢٥ ٠ واستمرت العلاقات المصرية السويسرية في الازدهار ٠

وبعد ٠٠

ان معرض مصر في عيون سويسرا يثبت ان مصر كانت ولا تزال مصدرا للجمال وللالهام للعديد من الاعمال الفنية وانها غيرت الكثير من مفاهيم الفن في العالم على مدى عصور التاريخ ٠

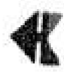


الآثار المصرية التي جاء شارل جلير عام ١٨٣٥ لرسمها

اسطنبول مدينة التراث الإسلامي

بقلم : هبه عادل عيد

● على تلة صخرية عالية ، يطل جزء منها على بحر مرمرة ، تقع مدينة اسطنبول كزمردة نادرة عند التقاء خليج البوسفور بخليج القرن الذهبي ... انها القسطنطينية العاصمة القديمة ، التي تشتهر بالمساجد المذهبة رؤوس قبابها ، والقصور ذات المآذن الفخمة ، وكل مسجد فيها يحكي قصة سلطان عثماني قديم ، ضاع مجده ، ولم تبق الا المئذنة ●





النصب التذكاري لمصطفى كمال اتاتورك اعتاد المواطنون وضع الزهور عليه يوم ذكراه ..

اسطنبول

واسطنبول مدينة شامخة تقع فى قارتين ، وما بين اسطنبول الآسيوية، واسطنبول الاوربية على ضفاف البوسفور وعلى جانبى بحر مرمرة تصافحك المآذن ، وتذكرك بشرقيتك أو بشرقيتها ، أو بكلاهما معا .. ومساجدها الشامخة تدعو الناظر اليها للتأمل العميق والاعجاب ، فهى التى شهدت اندثار مجد وراء مجد ، وسقوط امبراطورية تلو الاخرى .

بين الماضى والحاضر

لقد اجتاحت جحافل القوط روما فى الماضى وأصبحت القسطنطينية حارسة الفكر والثقافة الغربية ، وحارسة المسيحية ، وكانت حتى القرن الخامس عشر أحد مراكز العالم المتمدين ، وكان لموقعها الفضل فى تدفق الثروات عليها ، وكان عليها أن تقاسى الحصار تلو الآخر ولا تزال أسوارها البيزنطية باقية بعد أن أعاد الاتراك ترميمها .

وقد سقطت مرتين ، الاولى فى يد الصليبيين عام ١٢٠٤ م ، حيث أعملوا فيها السلب والنهب ، وحطموا كثيرا من كنوزها ، والأخرى فى يد الاتراك العثمانيين عام ١٤٥٣ م .

واليوم لم تعد اسطنبول عاصمة تركيا ، ولكن مازالت العراقة والقدم الممزوج بروح الشرق تميزانها ، فضلا عن التراث الاسلامى ، الذى يبدو فى قصورها ومساجدها .

ولا تزال اكبر واجمل مدينة بتركيا ذات ميناء مزدهر ، ولا يزال للبوسفور اهميته الاستراتيجية ، كواحد من اهم مضايق العالم المائية ، وتعد مركزا للصناعات الخفيفة .

ويبلغ عدد سكان اسطنبول ٩ ملايين نسمة ، ويفد اليها ثلاثة ملايين سائح اجنبى كل عام اكثرهم من العرب .

واسطنبول التى تقل مساحتها عن القاهرة بقليل يعتنق ٩٩٪ من سكانها الدين الاسلامى ، واللغة التركية تكتب الآن بالحروف اللاتينية ، بعد ان كانت حروفها عربية .

●● سألت مرافقى : هل أنت مسلم ؟

ابتسم على الفور وقال : الحمد لله .. أنا مسلم حقا .

وأردت معرفة مدى المامه بالتاريخ الاسلامى ، فرد ببساطة .. « لا أعرف شيئا عن التاريخ الاسلامى ، ولا أرى اهمية لذلك ، فليس هناك ما يدعو لاقحام الدين فى الدولة وسياستها ، ولا افهم سببا منطقيا واحدا لذلك ، فالدين مكانه المسجد أو الكنيسة ومكانه الاول القلب .. أما غير ذلك فلا ! » .

.. ولكن سؤالا دار بذهنى .. هل هذه حقا اسطنبول التى تحتوى على ٧٠٠ مسجد ، وأكثر من الف مئذنة .

والاجابة تتلخص فى التناقض الشكلى ، متمثلا فى البنايات التى شيدت على الطراز الاسلامى ، والتناقض المعنوى الخاص بتغريب تركيا ككل على يد اتاتورك .

فاسطنبول جمعت فى ماضيها بين الغرب ثم الشرق فى حقب متفاوته .. فياترى أين هى اليوم .. وفى أى من القارتين اللتين اتخذتا القسطنطينية عاصمة لهما ، فى فترتين متعاقبتين .

وفى الحقيقة فهى مجموعة من العصور المتراكمة ، وتاريخها كما ذكرنا سلسلة يتنازعها الشرق والغرب

ولكنها تشهد اليوم تيارا ينادى بالعودة الى تراثها القديم ، دون تزمت ، فى الوقت الذى تشهد فيه تيارا ينادى بالاتجاه الى الغرب أكثر وأكثر .

واذا اعتبرنا أن جغرافية الموقع ، سببا مباشرا لصنع التاريخ ، فان هذا التاريخ الحافل نفسه ، هو الذى أوقع اسطنبول فى الحيرة والتناقض .

فوجود اسطنبول على البوسفور كجسر بين قارتين .. آسيا فى الشرق وأوروبا فى الغرب ، وهو بلا شك موقع جغرافى نادر ، كان سببا فى الصراع بين الدول لمحاولة السيطرة على بيزنطة أو القسطنطينية أو اسطنبول، كما كانت تعرف بالترتيب .

وفى غضون زمن قصير ، كانت الامبراطورية العثمانية تمتد من جبال طوروس فى الشرق ، الى حدود هنغاريا ورومانيا فى الغرب . وكانت القسطنطينية ، تقف كجزيرة مسيحية وسط هذه الامبراطورية الاسلامية .

وفى عام ١٤٥٣ م ، سقطت القسطنطينية على يد السلطان العثمانى محمد الثانى

وكان معنى سقوط القسطنطينية نهاية الامبراطورية الرومانية ، التى طال بقاؤها تحت اسم الامبراطورية البيزنطية ، واذا كان هناك فاصل ، بين التاريخ الرومانى وتاريخ بيزنطة، الا ان العرف جرى على اعتبار يوم ١١ مايو ٣٣٠ م ، تاريخ ميلاد الامبراطورية الشرقية ، وهو اليوم الذى افتتح فيه الامبراطور قسطنطين عاصمته الجديدة التى سماها باسمه على الشاطئ الغربى للبوسفور .

ايا صوفيا المطلة على القرن الذهبى الذى يعتبر الممر المائى بين آسيا وأوروبا



وقد اخذت الامبراطورية الرومانية في القرن الرابع تتعـرض للفوضى . نتيجة للضربات العنيفة التي انزلهـا بها الجرمان ، والازمات الخطيرة التي اضعفت جيشهـا ، وكـان لابد من

اسطنبول

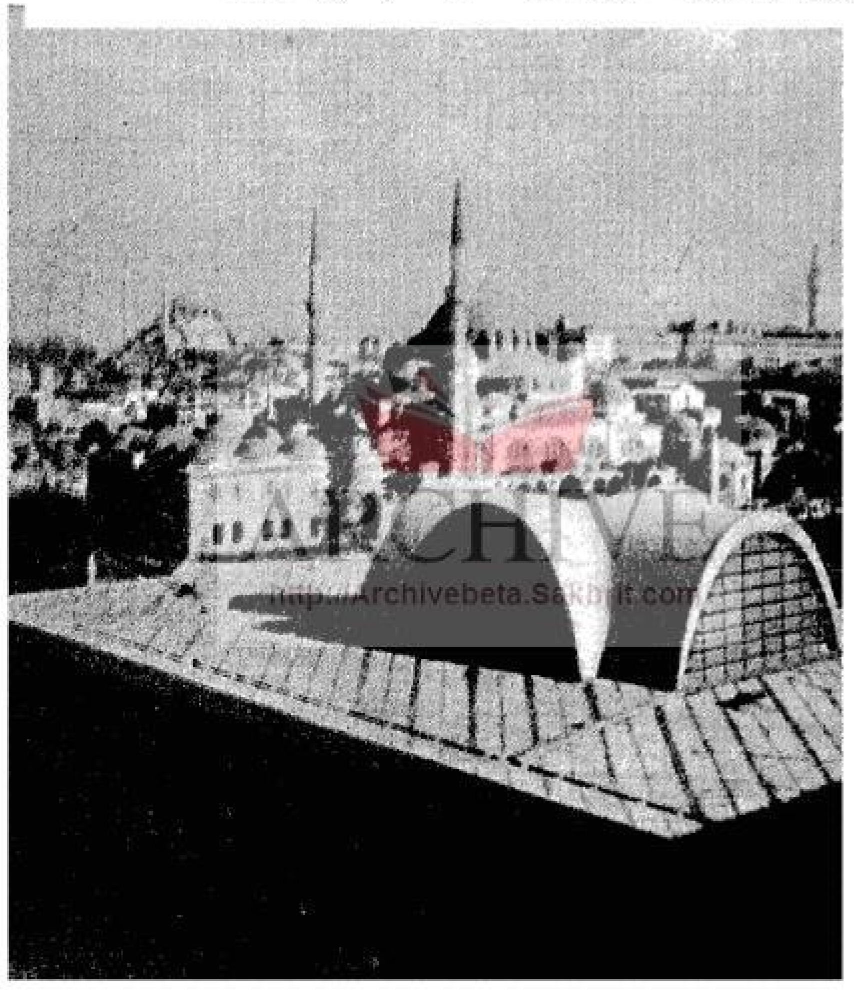
لقطة من اسطنبول الاوروبية تطل على اسطنبول الاسـيوية على شاطىء البوسفور



الانتظار ، حتى تولى عرشهما أول امبراطور مسيحى .. هو قسطنطين الاكبر ، لكى يعيد للامبراطورية وحدتها . واتخذ عاصمته الجديدة القسطنطينية على البوسفور . على

الشاطىء الغربى له .. وقد اتخذت بيزنطة ، التى أصبحت القسطنطينية ، تنتزع التفوق من منافستها روما . التى تسمرت فى أوضاعها القديمة . وبعد ذلك جاء جستيان وزوجته

الحداثة والقدم فى اسطنبول.ومنظر لواحد من مساجد تركيا القديمة



اسطنبول

تيودورا بأطماعهما بعد وفاة اناستاس فى عام ٥١٨ ، وفعلا نودى به امبراطورا عام ٥٢٧ .

الأعتداءات الخارجية

وبعد جستنيان جـاء هركليوس الى العرش ، وكان مجيئـه ايذانا بميلاد مملكة يونانية تتكلم اللاتينية .

وقد كان يرغب فى فرض دين واحد على جميع رعايا الامبراطور . غير ان القلاقل بدأت تهـدد امن ولايات الجنوب . ومنذ وفاة محمد صلى الله عليه وسلم فى عام ٦٣٢ م ، اتجـه المسلمون صوب بلاد الشرق الادنى . وفى بضع سنوات ، اخضع الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بلاد الفرس وما بين النهرين ، ووصل سوريا متقدما نحو دمشق ، ودخـل المسلمون فلسطين ، ثم مصر عـام ٦٣٩ م وبعـد ذلك بست سنوات ، كان العرب قد وصلوا الى طرابلس . واخذت سوريا ، التى كان يحكمهـا الامـويون ، تطمع فى حصـار القسطنطينية ، وازاء هذا التقـدم الـذى يصعب مقـاومته ، تقهقرت الامبراطورية تدريجيـا حتى عـام ٧١١ م ، وقد انتزعت منها كل ولاياتها الجنوبية بالتدريج .

وانتهزت قبائل البلقان السـلافية هذا الموقف ، وثاروا بدورهم فى شمال الامبراطورية . واتحد البلغاريون ، فانشأوا دولة جديدة ، ظلت حتى نهاية القرن السـابع ، تزعزع الوضـع الاقتصـادى للامبراطورية . وهنـا بدأت الامبراطورية الرومانية العالمية،

وقد فقـدت الولايات الانفصالية فى الشرق ، وولايات الغرب التى كـان جستنيان قد غزاها مؤخرا ، اخـذت الشكل المحدود للامبراطورية البيزنطية .. وفى ذلك العصر ، اخـذ شكل الحكومة يميل الى الطابع الشرقى . وبدأت السلطة المدنية والحربية تتركز بين نفس الايدى .

واخذ الدين يتغلغل فى حيـاة الشعب ، حتى اصبح هو الاسـاس .. وانفصلت كنيسة بيزنطة عن كنيسة روما ، لتصبح كنيسة قومية يديرهـا بطريرك القسطنطينية .

ثم بدأت حرب الايقونات وهى حملة تدميرية على الصور المقدسة بدأهـا الاباطرة الذين كانوا متأثرين بالديانتين اليهودية والاسلامية ، وكانت هـذه الحملة تبدو ، بصفة خاصة ، كذريعة استخدمها الاباطرة لمحاربة النفـوذ الرهبانى وثرائه الفاحش . وأدى ذلك الى قيـام ثـورات شـعبية بايعـاز وحماية من رجال الكنيسة . واشتدت الثورات وزاد الصراع وحشية .. واستمر اكثر من قرن .

ثم جاءت الحملات الصليبية تجتاح الامبراطوريات وجاءت الحمـلة الصليبية الثالثة ، بقيـادة فردريك باربروس وفيليب أوجيست وريتشارد قلب الاسد ، فلم تبلغ المدينة المقدسة ، واضطرت للاكتفاء بفرض الحصـار على المملكة اللاتينية فى بيت المقدس ، فى قلعة القديسة جان دارك الشهيرة .

ثم جاءت أسرة الانجويين (١١٨٥ ـ ١٢٠٤) من الضعف ، بحيث أدت الى الاسراع بالانهيـار الاقتصـادى والسياسى . وانحرفت الحملة الصليبية الرابعة عن هدفهـا ، وتحولت الى مشروع سلب ونهب للامبـراطورية المسـيحية الشرقية ، وفى ١٢ ابريل ١٢٠٤ سقطت القسطنطينية بالاقتحام،

المأساة التى أبداها قسطنطين الحادي عشر ، سقطت المدينة يوم ٢٩ مـايو ١٤٥٣ في ايدى المسلمين ، وتغيـر اسمها الى اسطنبول ، وأصـبحت عاصمة للامبراطورية العثمانية • بعد الف سنة من حكم الاباطرة •

● حصار القسطنطينية ●

وهكذا كان محمد الثاني (١٤٥١ ـ ١٤٨١) هـو الذى أعـاد حصار القسطنطينية بعد ابا يزيد الاول الذى هزم ١٣٩٦ ، واستولى محمد الثاني على المدينة • وبذلك انهارت بيزنطة •• وانهار معها الفن الهليني الرفيع ، بفسيفسـائه ورسومه الجـمرانية ، وحلت محلها اسطنبول بمساجدها المغطاة بالقباب والزخارف الفارسية ، والرسوم الهنـدسية ، والارابيسك الشبكى اللانهائى • ثم جـاء سليم الاول الملقب بالرهيـب (١٥١٢ ـ ١٥٢٠) الذى قهر كردستان ومصر ، وكذلك مـكة والمديـنـة ، القلعتين الاسلاميتين • وقد أسر اخر الخلفاء المراشيين بالقـاهرة ، ولقب سليم نفسه بأمير المؤمنين ، وقد تمكن سليم الاول من تكوين امبراطورية فـاق اتسـاعها اتسـاع امبراطورية جستنيان ، ودامت اكثر من أربعـة قرون ، وبسط سيطرته عـلى الحوض الشرقى للبحر المتوسـط • ويعتبر الاستيلاء على تونس والجـزائر ذروة المجد فى عهد سليمان القانونى (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦) • وقد كـان القانونى نصيرا للفنون ، مشجعا لها، وكان محاربا قديرا ، ومنظما بارعا، وفى عهده ظهر العديد من الروائع الادبية والفنية (يعتبر الشـاعران فظولى وباكى من أعظم شـعراء الكلاسـيكية فى الادب التركى لهـذا العصر) وأمر سليمان بتشييد مساجد رائعة فى اسطنبول باشراف المهندس



طفل تركى يرتدى العباءة وينتظر دوره لاتمام طقوس طهوره ورغـم فصل اتاتورك بين الدين والـدولة ظلت العادات الاسلامية متأصلة فى اعماق الشعب التركى

رنهبت بالاتفاق مع البابا وبمساعدة فينيسيا •

نهاية بيزنطة

واخذت القسطنطينية تحتضر عـلى مـدى قرنين حـافلين بالالام • كان الاتراك والصربيون يهددون الحدود ، والحقت الحـروب الصليبية الـدمار بالامبراطورية ، ووجد ان التفاهم مع البابوية أصبح أمرا مستحيلا • وبعد أن أتم السلطان محمد الثانى الالتفاف بالمدينة منذ فبراير ، فرض الحصـار عليها فى أبريل ١٤٥٣ ، ورغم المقاومة

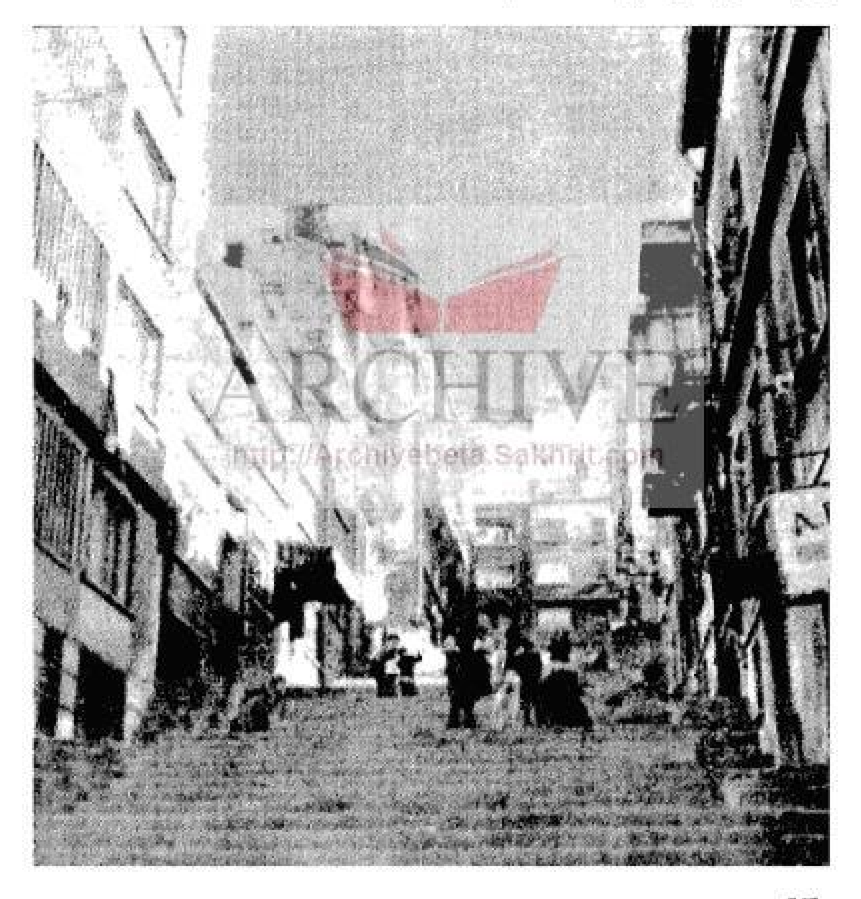
اسطنبول

المعمارى العظيم ميمارسينان ٠٠الذى شيد له الجامع المسمى باسمه ٠٠ جامع السليمانية ٠٠

غير أن هذا التفوق لم يدم ٠ فما أنتوفى سليمان حتى دخلت الامبراطورية فى طور الانهيار ٠٠

تلك هى قصة اسطنبول ٠٠ او القصة التى كانت اسطنبول شاهدة عليها ٠٠ دونها التاريخ ٠٠ ولكن يبدو ان العاصمة القديمة لم تكتف

اسطنبول مدينة التلال والجبال وهذه لقطة للشوارع العالية التى يتم الصعود اليها بواسطة سلالم



بذلك .. لانك ترى التاريخ فى كل تلك الحقب .. معكوبا .. ومتناثرا .. فى تناسق مثير .. مع القسطنطينية عاصمة الامس .. واسطنبول .. الحديثة اليوم .. فهى مدينة لكل العصور .. فحاضرها نتاج اكثر من حضارة ماضيها .

● توب كابى ●

شيدت معظم الاثار التاريخية فى فى اسطنبول بحيث تطل على البوسفور .. ومن أجمل القصور فى اسطنبول



لوحة جصية تصور سقوط القسطنطينية بعد الحصار الذى فرضه عليها محمد الثانى بجيوشه العثمانية

(توب كابى سرايى) .. وقد شيد هذا القصر على ربوة مثلثة عند ملتقى خليج البوسفور بخليج القرن الذهبى .. وعندما ترك شوارع اسطنبول .. وتدلف الى سراى توب كابى .. فكأننا نعود الى عصر اخر ، فهذه السراى المطلة على خليج البوسفور والقرن الذهبى لها مكانتها التاريخية .

وشيد التوب كابى عام ١٥٧٨ .. وهى السراى التى كان يحكم منها السلاطين .. منذ القرن الخامس عشر وحتى القرن التاسع عشر . وهكذا تسنى للسلاطين جلب كل الاثار الاسلامية الهامة وخاصة مقتنيات الرسول صلى الله عليه وسلم الى القصر وقت الخلافة العثمانية .

ولهذا السبب يعد التوب كابى من أغنى متاحف العالم واكثرها تنوعا وشمولا .

وفى مدخل السراى .. قاعة العرش التى حكم منها السلاطين واصدروا اخطر قراراتهم .

مقتنيات مقدسة

وهناك القسم الخاص بالامانات المقدسة والذى يضم مقتنيات الرسول (صلعم) .. وشعرة من لحيته واحد أسنانه الذى كسر فى موقعة أحد .. ورسالة بخط اليد كتبها الى المقوقس يدعوه فيها الى الاسلام ومجموعة سيوفه صلى الله عليه وسلم .. كما يضم المتحف الراية الشريفة التى كان يحتفظ بها الرسول .. ويضم التوب كابى ايضا المصحف الذى كان يقرأ فيه الخليفة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) وقت مقتله وبه محفظة الحجر الاسود المصنوعة من الذهب والسيوف العائدة للخلفاء الراشدين .

وبالتوب كابى قسم يضم اللوحات الفنية والتى رسمها كبار الفنانين فى

اسطنبول

الدولة العثمانية للسلاطين .. ثم المبنى الخاص بالحريم .

الحرملك

وكان الباب المؤدى الى جناح الحريم .. مقفلا دائما ونادرا مايفتح .. وكان للسلطان باب خاص به متصل بقصره .

واليوم توجد على الباب الكبير لافتة كتب عليها باللغة التركية Harem وبالانجليزية The Harem وهذه اللافتة الجديدة وضعت منذ تولى اتاتورك الحكم..أى انها وضعت بعدما أزال اتاتورك هذا العهد .. عهد السلاطين والحريم .. وكانما وضعت فقط للتذكير بهذه الحقبة الاسطورية .. لذلك فان المرأة التركية اليوم ترجع الفضل لاتاتورك لانه جعل كلمة ومفهوم الحريم مجرد لافتة فى متحف .

ومن الطبيعى ان يكون هذا التحول الذى قام به أتاتورك موضع اعجاب وتقدير الغرب .. الذى يرى أن المرأة التركية اليوم مدينة لاتاتورك بالكثير فهو الذى ازال القيود والافكار العتيقة التى عاقت تقدمها لسنوات وسنوات ..

لقد دارت هذه الافكار فى رأسى وأنا أدخل الحرملك ..

فالمدخل بجناح (الحرملك) عبارة عن بوابة صغيرة .. تصل الى بهو كبير .. به حماماتصباحة – سجاجيد تابلوهات رائعة محفورة على الجدران ، شمعدانات ضخمة – وركن للثياب .. وكل ذلك مصنوع بدقة ومهارة فائقة وأرضية البهو من القيشانى ، والموزايكو يغطى معظم الجدران التى خلت من اللوحات المحفورة عليها .

وبالتوب كابى قصر مصغر .. فى الجزء الغربى منه ، عرف باسم قصر بغداد .. وهو القسم الذى كان السلاطين يختلون الى انفسهم فيه بعيدا عن القصر وعن مشاغلهم ، وهو يطل على البوسفور من تلة عالية ، وقد رصعت فيلا بغداد من الداخل بالخزف الصينى النادر والرخام .. فالنوافذ والابواب وعتباتها وحوافها كلها مزينة بالصدف وقد شيد هذا القصر تخليدا لذكرى فتح بغداد لذلك سمى « قصر بغداد » .. وبناه مراد الرابع عام ١٦٣٨ م

● المساجد وفن العمارة ●

تشتهر اسطنبول بمساجدها العريقة منها :

● جامع السليمانية : اقامه المهندس ميمار سينان لسليمان القانوني متحديا به نفسه .. فقبل هذا المسجد بنى سينان مسجد رستم باشا وجامع السلطان سليم ، وعندما تولى السلطان سليمان الحكم أراد من سينان أن يبنى له مسجدا أجمل واروع فى فن العمارة من كل الجوامع التى سبق لسينان بناءها .

وقد شيد سينان هذا المسجد بأربع مآذن متقابلة ، اذا صعد شخص احدى تلك المآذن وصعد شخص اخر مئذنة مقابلة لها تعذر عليهما رؤية بعضهما البعض .

وهذا يبين مدى تنافس السلاطين فى بناء المساجد الفخمة الرائعة المعمار ، وعلى مساحات تربو على العشرين الف متر مربع أحيانا .

● الجامع الازرق : جامع السلطان حمد .. وهو جامع المآذن الستة .. وهو أيضا اثر جميل لتنافس السلاطين فى بناء الجوامع .. ذلك

أن السلطان أحمد اراد ان يبني لنفسه اثرا اعظم من كنيسة أيا صوفيا .

●● اياصوفيا « كنيسة ثم مسجد ثم متحف ».

تعتبر من معالم اسطنبول الشهيرة .. التى شيدها عام ٥٣٧ المعمارى انثيموس الترامسى وايزيدور الميلتى وفى رواية أخرى يقال أن جستينان استعان باثنين من المهندسين السوريين لبنائها) .. وقد تميزت الكنيسة بما تحويه من رسوم رائعة بالفسيفساء .. وقد كانت اياصوفيا تعد أجمل كاتدرائية فى العالم ، اما اليوم فهى متحف يضم اثارا اسلامية ومسيحية ، وهى قطعة فنية من العصر البيزنطى .

وقد ظلت أيا صوفيا كنيسة لمدة ٩٢١ عاما .. الى أن دخل محمد الثانى القسطنطينية وحولها الى مسجد وذلك بأن وضع استارا على الصورة المقدسة وقت الصلاة .. وكتب لفظ الجلالة ومحمد (صلعم) وأسماء الخلفاء الراشدين على لوحات دائرية كبيرة ، وأيا صوفيا من الداخل بهذه الصورة تبدو فى غاية التناقض لان هذه اللوحات لم تغير من معمارها ككنيسة ..

وظلت أيا صوفيا مسجدا لمدة ٤٨١ سنة الى أن حولها اتاتورك الى متحف .

● اسطنبول والحنين الى الشرق ●

يرى بعض المراقبين أن تركيا قد بدأت تتجه الى الشرق .. وبالتحديد منذ ١٩٨٣ فهل اشتاقت الى الحضارة الاسلامية التى كانت تمثلها ذات يوم ؟ أم هو الحنين الى الماضى الذى يشكل اليوم ظاهرة عالمية ، يصفونها بالرومانسية تارة .. وبالاصالة تارة أخرى ؟ أم هو اليأس من الغرب ؟ أم هى غربة طالت وحان الوقت لتعود تركيا .. لعاصمتها القديمة الاسطنبول .. بما تمثله من مجد وجلال الاباء ؟

وتركيا فى السنتين الماضيتين بدأت تتخذ مواقف واضحة وصريحة مع الحق العربى فى الاراضى المحتلة وفى فلسطين ، وبدأت تهتم - نسبيا - بقضايا العالم الاسلامى .

وفى أبريل ١٩٨٣ اقيم فى أسطنبول أول مهرجان للفن الاسلامى واستمر حتى ٢٠ سبتمبر ١٩٨٣ .. وهذا أول مهرجان تقيمه تركيا الحديثة منذ عصر اتاتورك . وعن ذلك يقول رئيس وزراء تركيا بولنت أولوسو فى حديث له : (لم يحدث أن ضعفت علاقة تركيا بالعالم العربى وتطوير الروابط الثقافية والحضارية والاقتصادية بيننا .. لهذا ليس مجرد « سياسة خارجية » تمليها الظروف ، وانما هو التعبير الطبيعى عن واقع حقيقى وتاريخى قائم . اننا لسنا جيرانا فقط .. وانما اخوة نتقاسم نفس التراث ، ونفس التاريخ - ولنا نفس المصالح ايضا » .

وتصورت أنه عندما يقام معرض الفنون الاسلامية .. فى اسطنبول - فانه سيكون بمثابة معرض داخل معرض .. فالمعرض الاكبر هو اسطنبول نفسها .. التى تضم اكبر مجموعة من الفن الاسلامى .

تلك هى اسطنبول المدينة التى تقع بين قارتين .. وبين بحرين هما البحر الابيض والبحر الاسود والممر الذى يصل بينهما (القرن الذهبى)

انهـا مدينة جمعت بين روائع الطبيعة والمعمار فى الغرب والشرق معا .. مدينة جسر .. تلف بين حضارتين وديانتين



العالم في سطور



• واشنطن •



جيمس بالدوين

انهم يقتلون الزنوج .. في امريكا

جرائم قتل في اطلنطا

هذا هو عنوان أحدث رواية للكاتب الامريكي الزنجي جيمس بولدوين . وهي ليست رواية بالمعنى المألوف قدر ما هي تحقيق روائي من ذلك النوع الذي قدمه ترومان كابوت في « مع سبق الاصرار والترصد » ، ولورمان مايلر في « اغنية الجلاد » .

يقول الكاتب : « ذهبت الى اطلنطا بناء على طلب احدى المجلات التي طلبت مني ان اكتب مقالا حول جريمة قتل ارتكبت بين عامي ١٩٧٩ ، ١٩٨١ حيث قتل ثمانية وعشرون طفلا أسود . وكان على ان أكتب دراسة عن البواعث النفسية التي دفعت القاتل لارتكاب هذه الجريمة »

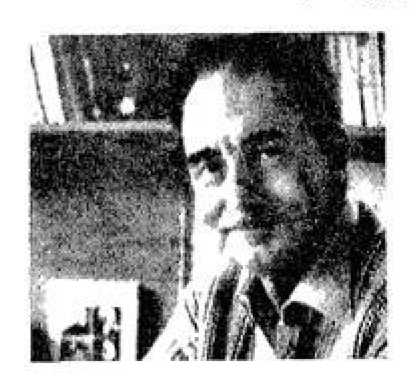
فالقاتل واين ويليامز شاب في الثالثة والعشرين من العمر . قبض عليه بتهمة قتل اثنين من المتشردين الزنوج . الا انه اثناء عقد المحاكمات يكتشف انه قد قتل ثمانية وعشرين طفلا . ويهتم بولدوين بدراسة الدوافع النفسية التي دفعت هذا الشاب الصغير لقتل هذا العدد الكبير من الاطفال « اليوم لا يود البيض ان يسموا الزنوج يشكلون . خاصة انهم لا يرغبون في سماعهم يتحدثون عن بؤسهم فعليهم أن يتصرفوا كأن هذه المشكلة غير موجودة » .



ومن المعروف ان بولدوين قد تحدث في اكثر من رواية عن وضعية الاطفال الزنوج في الولايات المتحدة . فهو يرى ان الطفل الزنجي يعيش في مجتمع يحتقره . وعن هذه المعاناة يقول : « كنت طفلا حين وصفت كزنجي « قذر » لاول مرة . طفلا صغيرا بين الخامسة والسابعة من العمر لم تكن نفهم ماذا يعني الامر . ولكننا كنا نشعر اننا مهانون . ومما يزيد الطين بلة ان يلاحظ المرء فيما حوله ان امه وأباه واخوته وشقيقاته أيضا زنوج قذرون . وتشعر فجأة ان من المحتم عليك ان تعيش بين بشر يحتقرونك انت واسرتك . وسوف تكتشف السبب : لانك لست أبيض ؛ لمجرد ان يولد طفل في أسرة زنجية يعرف ابواه انه سيعود يوما الى المنزل متسائلا : « ماما من هو الزنجي ؟ » . ومن وعي او بدونه سيحاول الابوان ان يعدا نفسيهما لهذا اليوم وعليهما اختيار أجابة مناسبة » .

● روما ●

روايات بدون مدرسة او منهج



ايطالو كالفينو

كاتب عالمي آخر يرحل في صمت دون ان نقرأ له كلمة واحدة عدا العصوصة نشرت في العراق منذ عام رغم ما يتمتع به من اهمية ليس في ايطاليا وحدها بل في العالم أجمع . حيث ترجمت كل رواياته الى اللغات الحية .

كالفينو كاتب ذو نكهة ومذاق غريبين ، فهو يكتب نوعا من الرواية يصعب تصنيفها ضمن التصنيفات المعروفة للمدارس الادبية المتعارف عليها . فهل تتصور ان يقوم كاتب مثلا بكتابة رواية عن المعمار الهندسي لاحدى البنايات الضخمة .. اجل رواية وليس بحثا هندسيا ..

ولد كالفينو في عام ١٩٢٣ في اسرة صغيرة فقيرة اشتركت في مقاومة الفاشية . وقد استمد الكاتب هذه التجربة ليقدم روايته الاولى « ممر أوكار العنكبوت » عام ١٩٤٦ - أي وهو في الثالثة والعشرين - وتدور حول صبي يشترك في مقاومة النازية في ايامها الاخيرة بايطاليا . وكانت هذه الرواية سببا في شهرته .

انضم كالفينو الى الحزب الشيوعي الايطالي ثم ما لبث ان انسحب منه عام ١٩٥٧ احتجاجا على التدخل السوفييتي في بودابست .

في عام ١٩٥٩ أسس مجلة أدبية لعبت دورا في نشر أهم الابداعات الايطالية في الستينات . تعد روايته الاخيرة « مسافر في ليلة شتاء » التي قدمها عام ١٩٧٩ من اهم رواياته على الاطلاق . وفيها يتخيل قيام احد الناشرين بعملية مزج بين الروايات المعدة للتوزيع بحيث يخرج بين فصول هذه الرواية . لتتداخل فصول رواية يابانية مع اخرى من امريكا اللاتينية ، او رواية علمية باخرى رومانسية . والغريب أن القارىء يستقبل هذه التجربة بحماس لانه قد مل تماما كل الاشكال المألوفة للرواية .

وتنبع اهمية كالفينو أيضا في لغته الادبية حيث تتراكب جمله وعباراته مثلما يحدث في روايته الاخيرة التي تجمع بين البساطة والتعقيد ، بين الايجاز والاسهاب بين التعرض الشديد والوضوح الساطع !

● باريس ●

العرب وذكريات الطفولة

لعل اهم ما يميز الصفحات الادبية في الصحف والمجلات الفرنسية هذا العام ذلك الكم الهائل المتدفق من الدراسات والاخبار عن الكتب العربية التي يصدرها الناشر الفرنسي . فاصبح كاتب مثل نجيب محفوظ والطيب صالح وصلاح ستيتة وجمال الغيطاني يتمتعون بنفس الشعبية التي يتمتع بها الكتاب الاجانب المرموقون الذين تترجم اعمالهم في العاصمة الفرنسية .

الا ان هناك نوعا اخر من الادب العربي شهد خلال الشهر الماضي نشاطا مكثفا وفرض نفسه من جديد على الساحة الادبية . هذا الادب - وهو مجهول لنا



تقريبا — هو ما يكتبه الادباء العـــرب النازحون الى فرنسا من شمال افريقيا ، وهو مكتوب باللغة الفرنسية . وحتى الان لم تقدم دراسة كاملة عن ملامح وسمات هذا الادب . فهو ادب عربى مهاجر داخل لغة أخرى جذوره عربية تماما من خلال موضوعاته التى يناقشها .

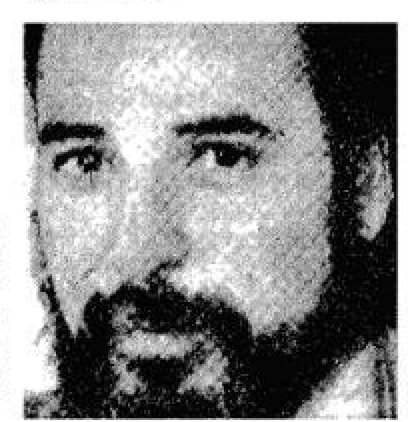
وتتسم الروايات الاربع التى صـدرت فى الشهر الماضى بانها جميعا تدور حول ذكريات الطفولة والشباب التى قضاها الكاتب فى بلاده قبل الرحيل . مثل رواية « الحب والخيال » للكاتبة المغربية آسيا جبـار . وهى اقـرب الى الانطباعات الروائية الرومانسية . والى الافـكار النفسية . والذكريات التى تصبح قادمة من ماض بعيد . تعبر عن طفـولة تقليدية مثل كل سنوات الطفولة الاخرى .

اما رواية « طفل الرمل » لطاهر بن جولون فهى ايضـــا نوع من الذكريات الصغيرة التى تتداعى داخل الــكاتب . حيث يروى المؤلف كل ذكريات طفولته فى مدينة فاس . ثم آخر ســنوات الطفولة التى ارتبطت بالرغبة الاولى حيث هاجرت الاسرة الى طنجة : « فى عام ١٩٥٥ كانت لى رغبتان : المرأة . والسينما . كنت اشاهد فيلمين يوميا . وفى ذلك الحين لم تتنابنى رغبة الكتابة يوما » . كمـا تحدث المؤلف أيضـــا عن سنوات رحيله الاولى الى فرنسا عام ١٩٦٩ ومحـاولة البحث من مكان داخل المجتمع الفرنسى الذى يختلف كثيرا عن طنجة .

اما رواية « التقشف » لرشيد بوجدرا — صاحب رواية « ١٠٠١ عام من الحنين » — فهى ايضا تتحدث عن طفولة الكاتب ومن اول تجربة حب . وفتاته التى تنسج خيوطها من خيال واه ، من الســهل ان يتحطم صرحه فى اى وقت كى يقام صرح آخر لا يقل هشاشة ..

الرواية الرابعة هى « شرفة او رسول » لمحمد ديب الذى يذهب فيها الكاتب الى مدينة الاحلام التى طالما تطلع الى وجودها .. مدينة فاضلة تدعى جاربر ، تخلو من الجريمة وحيـــاة الغرائب والانظمــة الحكومية . وتعيش هذه المدينة ايضـا داخل متاهات الكاتب وهو الوحيد الذى يمتلك مفتاح اسرارها . وهو لا يقدم هذا المفتاح لاحد بسهولة الا بالقدر الذى يود ان يسمح به حتى للقارىء نفسه .

طاهر بن جلون



• ريودى جانيرو •

اديب من بلاد .. الكاكاو ..

يورجه آمادو شيخ الرواية البرازيلية المعاصرة الذى يبلغ الثالثة والسبعين من العمر . لا يزال يعمل بنشاط مثل شيوخ الرواية فى أمريكا اللاتينية . قدم اخيرا رواية ضخمة تحت عنوان « العــــراقيل الكبرى » . وهذه الرواية هى ايضـــا نوع من اليوتوبيا التى اختارها الكاتب — من جديد — للمدينة التى ولد بها فى



باهيا بالبرازيل . المكان قطعة ارضية من الفردوس . يعيش فيه القبطان ناتاريو الشخصية الرئيسية فى هذه الرواية .

ويعود آمادو الى سنوات الطفولة التى يعود اليها اكثر الادباء المعاصرين — انظر بقية فقرات العالم فى سطور — حين يسمع لاول مرة من القبطان الذى يعيش فى مدينة جاء اليها بشر كثيرون من شتى انحاء العالم . من مختلف الجنسيات والاديان . واكثرهم من الفقراء الباحثين من المدينة الفاضلة . فاختلطوا معا فى مدينة يشكلون مزيجا جديدا ، يعملون جنبا الى جنب فى مختلف الاعمال والمهن، يزرعون الكاكاو ويصدرونها ، انها مدينة يحلم الجميع بالسفر اليها .

ومن ابرز القادمين اليها فاضل عبد الله التركى الجنسية ، واللبنانى الذى كان اول من فتح حانوتا للتجارة ، وبعض العبيد الهاربين من القيود والباحثين عن لذة الحرية .

ومن المعروف ان يورجه آمادو من الروائيين الغزيرى الانتاج فى امريكا اللاتينية . ومن بين تصريحاته : « لا يضع الكاتب اى جائزة نصب عينيه وهو يكتب . ولقد نلت الكثير من الجوائز فى حياتى . آخرها تلك التى قدمت الى فى ايطاليا . وبمناسبة تسليمى الجائزة اقيم حفل غداء ضخم دعى اليه ما يقرب من خمسمائة مدعو . لم يهتم احد بالاستماع الى الخطبة التى القيت قدر اهتمامهم بمظاهر الحفل نفسه ..

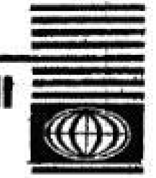
من ابرز روايات آمادو الاخرى : « خفايا الحرية » ، « حانوت المعجزات» « مدينة الاحتفالات » ، « كاكاو » .

● بكين ●

الانفتاح على الطريقة الصينية

مع الاحداث السياسية التى تحدث فى الصين فى الفترة الماضية بالاتجاه نحو الانفتاح الاقتصادى ثار السؤال المنتظر حول العلاقة بين المهتمين بالثقافة وبين رجال الانفتاح ، فمن المعروف ان النظام السياسى الذى جاء مع الثورة الماوية قد أوجد لنفسه مثقفيه الذين يؤيدونه ، ويكتبون عنه ، ويدافعون عن اسسه . وأهدافه . مثلما فعلت الكاتبة المعروفة هان سوين ، الا انه فى الاونة الاخيرة بدأ الغرب نفسه يهلل للصين التى تقترب من منتجاته ، أو بالاحرى تقترب من حضارة الكوكاكولا وميكى ماوس . ولذا فان الصين هى الطبق الشرقى المفضل الان فى صحافة الغرب خاصة بعد تجديد شباب القيادة السياسية — لاحظ أن عكس هذا قد حدث بالنسبة لتجديد شباب القيادة فى الاتحاد السوفيتى — وفضلا من عشرات التحقيقات الصحفية التى تتحدث عن التغيير الاقتصادى فى الصين واثره على الوضع الاجتماعى لاكثر من مليار نسمة من البشر . فان دور النشر الغربية لابد ان تفتح أبوابها لدعاة التغيير فى الصين خاصة من الادباء الصينيين انفسهم . وكان اول هؤلاء الادباء الروائى المعروف باركين الذى اضطهدته الحكومة الماوية لاكثر من اثنى عشر عاما . وعند تولى ونج سياو بنج الحكم عين باركين رئيسا لاتحاد الكتاب الصينيين وكان موقفه من حكومة ماو سببا فى ترشيحه مرات عديدة لجائزة نوبل .

ومن بين الادباء الذين برزوا مع سنوات الانفتاح الاقتصادى فى الصين أيضا شين يوشى صاحبة رواية « الحاكم بن »



العالم في سطور

و « جن آر في بكين » ، أما الكاتبة « بتي باولورد » فانها تهاجم من خلال روايتها « قمر الربيع » وضع المرأة في الصين الماوية من خلال امرأة تتمرد على صينيتها وتذهب الى اوروبا وتتزوج رجلا يرمز الى تطلع المرأة الصينية للحضارة الغربية وذلك عكس هان سوين التي كانت عضوا بارزا في المؤتمر الاسيوي الافريقي . تقول بتي « عرفت رجلا قضى ثلاثين عاما في سجن الشعب . وعندما سألته عن حياته . أجابني « انا ضحية التاريخ » .

السؤال الآن : هل يمكن أن تواجه الصين نفس تجربة مصر مع الانفتاح الاقتصادى لتتحول البلاد باكملها الى هونج كونج اخرى تتاجر في المستورد وترتفع الاسعار ويزداد عدد المليونيرات . وتتسع الهوة بين الاغنياء والفقراء .. للاجابة على هذا السؤال . يجب أن تنتظر – مع الصين – بضع سنوات قصيرة .

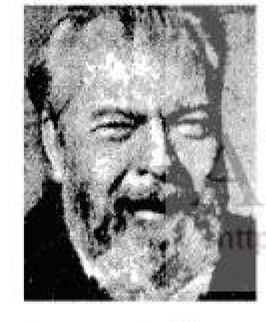
• هوليوود •

المواطن .. ويلز

« منذ أن بلغت العاشرة . وأنا أعيش أسيرا لفكرة الموت . الآن فانني اقترب منه . وأنا لا أحسد مالا . ولكن أجد أن الموت أكثر جمالا وروعة من الحياة . فبدونه يصبح العالم سخيفا » تلك احدى العبارات الاخيرة التي نطق بها اورسون ويلز حول الموت .. .. ويلز احد عباقرة القرن العشرين . الرجل الذى جعل ملايين الشعب الامريكى يهرعون خارج بيوتهم عند اذاعة مسلسل « حرب العوالم » عام ١٩٣٨ – أى وهو في الثالثة والعشرين من العمر – عندما تصوروا ان هناك غزوا فضائيا بالفعل فوق سماء الولايات المتحدة ..

ويلز الذى صنع بعمل واحد فقط أسطورة لتاريخ السينما وهو فيلم « المواطن كين » الذى أدان فيه عالم الصحافة من خلال أحد أساطين الاعلام الامريكى الذى يسعى لابتلاع كل الصحف والمجلات التي تصدر في الولايات المتحدة .. قال عنه جان بول سارتر « تتجلى عبقرية ويلز في بناء الاشخاص والاماكن وتشكيل الخلفية . خاصة في ذلك المشهد الذى تتكدس كل صحف امريكا أسفل قدمي سكوت »

ومن المعروف ان ويلز قد اختار النصوص الصعبة كانما ينافس عبقريته فمن « محاكمة » كافكا الى « عطيل » و« فالستاف » و« ماكبث » لشكسبير .. وعن تجربته للعمل في هذه الافلام يقول



اورسون ويلز

ويلز انه قد سعى لاختيار شخصيات فاوستية لان القرن العشرين رمز حضارة فاوست الذى باع نفسه للشيطان، وهذه الحضارة قد صنعت حروبا متلاحقة واسلحة متطورة ليس لقتل مفستوفيلس، ولكن لقتل فاوست نفسه ».

كان ويلز واضحا للغاية ، حين أعلن انه قد عمل ممثلا في عشرات الافلام الهابطة من أجل المال . وان حفلات التكريم التي تقام للفنان في كل مكان .. وآلاف المقالات المكتوبة عنه لن تسد بطنه من الجوع .



وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب
كورنيش النيل - بولاق - القاهرة
« نادى الكتاب »
تعلن الهيئة المصرية العامة للكتاب عن افتتاح مشروع :
« نادى الكتاب »
الذى يضمن لك تكوين مكتبة شخصية فى بيتك من الكتب
التى تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب من مختلف
فروع المعرفة (آداب - فنون - علوم - سياسة -
اقتصاد - إسلاميات - تراث - أطفال)
طبيعة النادى :
١ - تصلك كل شهر قائمة بالكتب المختارة التى يضمها النادى
لتختار منها ما يناسبك .
٢ - يضمن لك النادى وصول عشرة كتب فى كل شهر
من الموضوعات التى تختارها بسعر التكلفة
وبخصم يصل إلى ٥٠٪
٣ - قيمة الاشتراك فى النادى جنيه واحد فى العام
تقابله كارنيه العضوية والحق فى الحصول على
مجموعات من كتب النادى المتوالية كل أول شهر .
مع تحيات
الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة د . سمير سرحان
استمارة اشتراك نادى الكتاب
الاسم : ....
العنوان : ....
الموضوعات التى ترغب القراءة فيها : ....
....

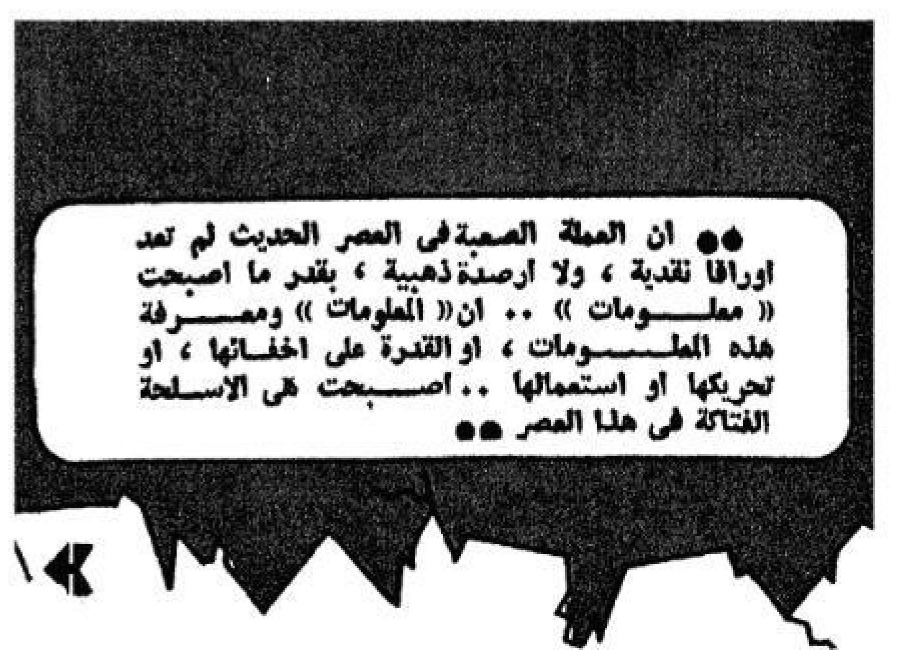


لقاء جورباتشوف وريجان وحرب المخابرات

بقلم: صالح مرسى

●●● بداية . يجب ان اعترف اننى لست متخصصا فى مثل هذا المجال الخطير من مجالات المعرفة الانسانية الحديثة .. غير انى استطيع ان ازعم، انى ((مهتم)) بهذه المعرفة التى تحولت فى السنوات الاخيرة ، الى علم له اصوله وقواعده .. وهو - ككل فرع من فروع العلوم - لا يتوقف تطوره عند حد ، وشانه شان كل علم ، على الانسان ان يتابع - بقدر ما يتاح له - ويلاحق هذا التطور .. يلاحق ما يحدث فى الخارج - خارج وطنه - وان يحاول تطوير فروع هذا العلم الكثيرة والمتشعبة والمتداخلة والمركبة فى نفس الوقت ، داخل الوطن نفسه .

من هنا ، فاننى استطيع القول - دون ان اتجاوز - ان كل ما جاء فى هذا المقال ، ليس اكثر من محاولة ((للفهم)) .. فهم ما يجرى حولنا فى هذا العالم، حتى لا نضيع اكثر فى متاهات تخلف مفروض !!



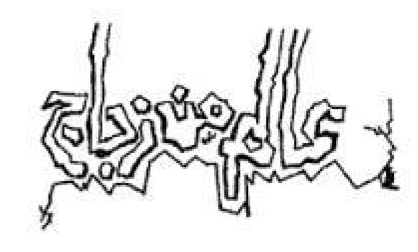
لا يستطيع أحد أن يزعم ، أن حادث لجوء الهر « هانز جواخيم تيدجه » رجل المخابرات فى المانيا الغربية ـ الى المانيا الشرقية ، كان هو البداية الحقيقية لمسلسل التجسس هذا الذى انفجر فى الصحف العالمية ، فاهتز له الرأى العام العالمى .. وان كان يمكننا اعتبار لجوء « تيدجه » ، كان هو القشة

جورباتشوف



ريجان





التى قصمت ظهر البعير ، هو القنبلة التى فجرت « التحدى » عند الغرب .. فلم تمض أيام من اعلان المانيا الشرقية أن تيدجه قد لجأ اليها ، حتى اعلن فى بريطانيا ، أن القنصل السوفييتى « اوليج جورديفسكى » ، والرجل المسئول عن اعمال الـ « كى . جى . بى » - جهاز المخابرات السوفييتى - فى المملكة المتحدة ، قد طلب حق اللجوء السياسى لبريطانيا .. وامعانا فى التحدى ، اعلنت كوبنهاجن - الدانيمارك - ان جورديفسكى كان عميلا مزدوجا فيها من عام ١٩٦٢ حتى عام ١٩٦٦ ، وهى السنوات التى قضاها جورديفسكى فى الدانيمارك كملحق فى السفارة السوفييتية .

اى انه اذا كان تيدجه يعمل فى المخابرات الغربية لتسعة عشر عاما فان جورديفسكى كان يعمل لحساب الغرب لثلاثة وعشرين عاما !!!!

ولم يتوقف الامر عند هذا الحد ، بل لقد أعلن ، ان احد كبار الدبلوماسيين فى سفارة المانيا الشرقية بالارجنتين ، والذى كان يعمل لحساب الغرب ، قد لجأ الى المانيا الغربية بحجة ان تيدجه لابد وان يشى به الى حكومته !!

ثم انتقل الصراع الى مستوى اكثر علنية عندما اعلنت بريطانيا عن طرد عدد من الدبلوماسيين والرعايا السوفييت فيها ، بحجة ان جورديفسكى قدم كشفا باسماء عملاء الـ « كى . جى . بى » فى المملكة المتحدة .. فما كان من الاتحاد السوفييتى الا ان رد بطرد نفس العدد من رعايا بريطانيا وبعضهم من الدبلوماسيين من الاتحاد السوفييتى !

كانت اللطمة قوية . هنا ، وهناك!

ولم يسكت الانجليز ، واصبح التحدى سافرا تماما ، عندما طردوا عددا اخر من رعايا السوفييت ، فرد الاتحاد السوفييتى بطرد نفس العدد من رعايا انجلترا ، حتى اصبح عدد المطرودين من هنا وهناك واحدا وثلاثين شخصا .

وعندما وصل الامر الى هذا الحد ، كانت السيدة مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا فى زيارة رسمية لمصر .. وكان واضحا - عندما رد الاتحاد السوفيتى بطرد المجموعة الثانية - انه يقبل التحدى وانه على استعداد للسير فى الشوط حتى نهايته .. كان واضحا انه ليس على استعداد للسكوت او التغاضى مثلما حدث فى عام ١٩٧١ ، عندما طردت بريطانيا مائة وخمسة من السوفييت من لندن ، فرد الاتحاد السوفيتى بطرد ثمانية عشر بريطانيا فقط ! ..

عندما وصل الامر الى هذا الحد ، صرحت مسز تاتشر ، وكانت فى الاقصر ، قائلة : « هذا يكفى .. أننا نريد انهاء هذا الامر » !!

وكان هذا التصريح ، ببساطة مضحكا !!

فلقد كان يعنى ان المسألة ليست ضرورية الى الحد الذى يستدعى المضى فيها .. وانها لا تمس « الامن بشكل مباشر وخطير والا لما كان هناك موجب للتوقف .. كان واضحا من تصريح رئيسة الوزراء البريطانية ان « اللعبة » - لعبة اختبار القوى قد وصلت الى اقصى مايراد لها ..

وان الامر لابد ، وان يتوقف عند هذا الحد !!!

غير اننا – كى نفهم هذا الذى يدور من حولنا – علينا ان نحاول العثور على اول الخيط ، ثم نتتبعه خطوة خطوة ، فلعل هذا يقودنا الى طريق ، اى طريق !

علينا اولا ان نضع فى اعتبارنا حقيقة هامة .. هى ان الغرب ، واجهزة مخابراته ، لابد له وان يعمل – فى مثل هذه الامور التى تمس امنه ككل امام الشرق – يعمل بتناسق ضرورى .. فان هرب تيدجه مثلا من المانيا الشرقية ، فلا بد وان ياتى الرد – ليس ضروريا من المانيا الغربية – ولكن من الممكن اختيار موقع ملائم ولبكن بريطانيا مثلا !

هذه حقيقة اولى .

اما الحقيقة الثانية فتقول : ان « تيدجه » لم يكن هو بداية القصة التى شغلت الراى العام العالمى لاسابيع طويلة ، بل انه من الصعب حقا ، ان نجد بداية للامر كله !

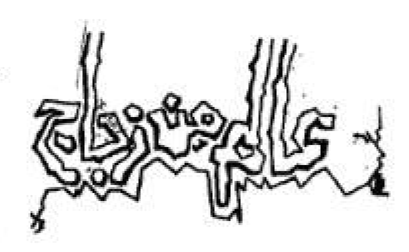
فقبل لجوء « تيدجه » الى المانيا الغربية بشهور تقارب العام ، تفجرت فى الولايات المتحدة فضيحة تجسس رهيبة ، فلقد تم كشف شبكة من اخطر شبكات التجسس لحساب الاتحاد السوفييتى ، بطلها رجل ، وولداه اللذان يعملان كضابطين فى البحرية الحربية الامريكية .. وكان الثلاثة يتعلمون معا ، ويتناسق ، فى ارسال معلومات خطيرة الى الاتحاد السوفييتى !

ولقد تناقلت وكالات الانباء اخبار هذه القضية الغريبة والخطيرة فى نفس الوقت ، كما تناقلت بعد ذلك اخبار « غبار التجسس » الذى تحول فى وقت ما الى ازمة !

فمن المعروف ان وسائل التجسس قد تطورت تطورا مخيفا اصبح يهدد اعظم الاسرار تهديدا مباشرا .. فمن الاقمار الصناعية التى لاتكف عن الدوران حول الارض وفى مدارات مختلفة تتيح للمراقب ، فرصة رؤية الكرة الارضية ، كلها ، فى اى وقت من اوقات الليل والنهار .. من الاقمار الصناعية التى تستطيع ان تصور – وهى على ارتفاع مئات الكيلومترات . سيارة صغيرة تجرى فى الطريق ، الى الميكروفونات الموجهة ، التى – على بعد مئات الامتار – توجه الى غرفة ما – كى تسمعك كل ما يدور فى هذه الغرفة من همس !!

فى العام الماضى ، اثيرت قضية غبار التجسس ، وهو مسحوق مشع ، اذا ما نثر فوق سيارة او مقعد او حتى على الارض ووطاته انما انسان، فان الغبار او المسحوق الذى يعلق بالحذاء ، او الملابس ، او الاشياء . يرسل اشاعات تجعل تتبع حامل الغبار سهلا . ولقد اتهمت الولايات المتحدة، الاتحاد السوفييتى ، باستعمال هذا الغبار رغم تاثيره الضار على الانسان !

وقبل أن تعلن المانيا الغربية عن اختفاء تيدجه باسبوعين فقط ، اختفت مديرة مكتب وزير الاقتصاد الالمانى « مارتين بانجمان » ، وكانت تحمل اسم « سونيا لونبرج » .. وبعد اختفائها ، اكتشفوا ان هذا الاسم لبس اسمها .. وانه اسم سيدة اخرى غادرت المانيا الغربية الى فرنسا منذ سنوات ، ثم عادت « سونيا » الجديدة من فرنسا لتتدرج فى الوظائف ، حتى تصل الى وظيفتها هذه الخطيرة والتى كانت تتيح لها الاطلاع على اسرار اقتصادية شديدة الخطورة



وبطاقة السرية ، ولمدة ثلاثة عشر عاماً كاملة !

بعدها بقليل ، اختفت سكرتيرة اخرى من مكتب « اللاجئين » اسمها « اورسولا ريختر » .. ولا احد يعرف كيف اختفت ولا اين ذهبت .. ثم ، بعد ايام قليلة ، اختفى صديق لاورسولا هو « لوريتز بيتسنج » الذى كان يعمل ساعيا فى وزارة الدفاع الالمانية ، وكان يستطيع ، بالطبع ، الاطلاع على اسرار كثيرة ، ليست خاصة بالمانيا الغربية وحدها ، بل بحلف الاطلنطى ، وما يخص هذا الحلف من تنظيم وتسليح وخطط الخ .

ثم لا يتوقف هذا المسلسل الغريب والمثير فى نفس الوقت .. فلقد اختفت سكرتيرة اخرى هى « استريد فيللنر » ، وكانت تعمل فى مكتب المستشار الالمانى « هيلموت كول » شخصيا .. وقيل ، ان زوج «استريد» واسمه « هيلبرت ويلنر » ، هو الذى جندها للعمل لحساب الشرق .. وكانت استريد تطلع على اسرار اكثر الاجتماعات سرية ، كما كانت على علاقة مباشرة بقطاع البحث العلمى !!

ثم جاءت ضربة ، هانز يواكيم تيدجه ، بعد ذلك لتفجر الامر كله ، فلم يكن هانز سكرتيرا او ساعيا او موظفا او حتى وزيرا ، وانما كان رجلا من هؤلاء الرجال الذين يشكلون - بعقولهم - سياجا يمنع - او يحد - من تغلغل الشرق فى الغرب ! .. وبدا واضحا انه لابد للغرب ان يره !

ومن المعروف ان مثل هذا النوع من رجال المخابرات ، لا يصلون الى مثل هذه المناصب الحساسة ، الا اذا كانوا موضع ثقة لا حدود لها ، ليس فقط فى وطنه ، او من حكومة وطنه ، وانما من اجهزة المخابرات الصديقة فى نفس الوقت ..

والغريب فى هذه القضية ، ان الامر بدا باختفاء « تيدجه » فجأة دون ان يعرف أحد أين اختفى وكيف ، حتى اضطرت المانيا الغربية ان تعلن عن هذا الاختفاء المريب .. وبعد هذا الاعلان - وهذا شيء لافت للنظر - اعلنت المانيا الشرقية ان « تيدجه » قد لجأ اليها !

لكن احدا - حتى الان - لم يعرف كم يوما ظلت المانيا الغربية صامتة منذ اختفاء تيدجه حتى قررت اعلان هذا الاختفاء ، ولا احد يعرف بالضبط ما الذى حدث ، ولماذا اعلنته المانيا عن اختفاء واحد من كبار رجال مخابراتها ..

وعلى كل فلقد كانت الصدمة مروعة ..

وهى صدمة اكبر من تلك التى دفعت المستشار الالمانى « فيللى برانت » الى الاستقالة من منصبه فى عام ١٩٧٤ ، على اثر اكتشاف ان واحدا من اهم اعضاء المجموعة المحيطة به ، هو « جونتر يوتان » كان يعمل لحساب الشرق !

الغريب فى الامر ، واللافت للنظر معا ، ان صحف الغرب كتبت كلاما غريبا حول تيدجه بعد اختفائه .. فلقد قيل انه اصيب باكتئاب نفسى منذ ثلاث سنوات عندما توفيت زوجته .. وانه ادمن الخمر بعد ذلك .. بل ان بعض الروايات تقول ، انه ادمن الخمر

قبل ذلك ، وانه كان سببا مباشرا فى وفاة زوجته !!! وان علاقته ببناته الثلاث ، وكلهن حول الثامنة عشرة قد ساءت الى الحد الذى كان صوته يعلو ويزعج الجيران كلما تشاجر معهن ، لدرجة ان الجيران اضطروا فى وقت من الاوقات لابلاغ البوليس !

ولسنا فى حاجة بالطبع الى ان نقول ان هذا الذى كتب فى اكثر المجلات الغربية ليس سوى لغوا لا قيمة له .. فلو ان هذا ما حدث بالفعل ، فأين كان جهاز المخابرات الذى ينتمى اليه .. بل اين كانت اجهزة المخابرات الصديقة والوثيقة الصلة بجهاز مخابراته .. وهل من المعقول ان يعلم « البوليس » من الجيران عن حال « تيدجه » المتدهور ، دون ان يعلم جهاز المخابرات .

وعلى كل ، فلقد كان من المحتم ، بل من الضرورى ان يرد الغرب على هروب تيدجه او لجوئه الى المانيا الشرقية !

وهكذا ، لم تمض ايام ، حتى اعلنت بريطانيا عن اللجوء السياسى للقنصل السوفييتى « اوليج جورديفسكى » اليها .. وهو ، فوق انه قنصل الاتحاد السوفييتى لدى المملكة المتحدة منذ عام ١٩٨٢ وحتى النصف الثانى من عام ١٩٨٥ ، فانه الرجل المسئول ـ هكذا قال الاعلام الغربى ـ عن نشاط الـ « كى . جى . بى » ـ اى جهاز المخابرات السوفييتى فى انجلترا .

وهذه كارثة دون ادنى شك !

فان مثل هذا الرجل يملك بالضرورة اسرارا قد لا يستطيع السفير نفسه ان يصل اليها او يعرفها .. ومن المعروف ، ان نشاط المخابرات السوفييتى فى انجلترا ، لا يخص انجلترا وحدها ، بل لابد وان تكون له علاقة بدول الغرب جميعا .. وكان معنى هذا ببساطة ، انه اذا كان « تيدجه » قد حمل معه الى الشرق مجموعة هائلة من اسرار الغرب ، فان « جورديفسكى » قد حمل معه الى الغرب مجموعة لاتقل خطورة من اسرار الشرق !



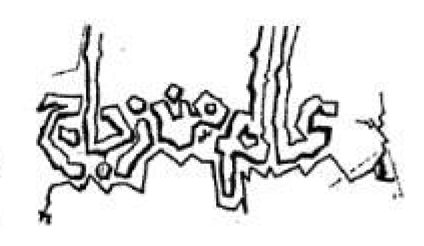
هانز يواخيم تيدجه

وهكذا يبدو للمراقب ، ان الامر وصل الى ذروة لابد من حسمها .. ففى مثل هذه الحالات لا يمكن لتصعيد الامور ان يستمر الى ما لا نهاية .. وهكذا تتالت الضربات ـ التى هى مجموعة من الاجراءات ! ـ فى طرد بعض رعايا الاتحاد السوفييتى ثم طرد رعايا انجلترا حتى وصل الامر الى تصريح مسز « ثاتشر » فى الاخير عندما حسمت الامر بقولها : لابد من وضع حد لهذا الامر ...

وكان هذا التصريح المكون من بضع كلمات ، هو ستار النهاية !... فلقد ساد الصمت بعدها تماما ، وكف الحديث عن هذا الامر وكأنه لم يكن !

●●●

وفى محاولة لفهم هذا الذى حدث ،



علينا ان نتساءل : ما الـذى يمكننا استخلاصه من كل هذا ؟!

منذ بضعسنوات ، كتباحد المعلقين الغربيين حول تطور اجهزة ووسـائل التجسس والتصنت والتتبع يقول : « لقد أصبح انسان العصر الحديث ، يعيش فى بيوت من زجاج ! »

كان هذا منذ سنوات ..

فما هو الحال اليوم ؟!

وقبل هذا : لماذا كان هذا التوقيت بالذات للجوء « تيدجه » الى الشرق ؟!

هل كان هناك ما يدعو الى ذلك ؟!

هل كشفت بعض اجهزة المخابرات فى الغرب ، عـلاقة تيدجه بالمانيا الشرقية ، وهل عرف تيدجه باكتشاف امره ، ففر فى عجلة دفعته الى ان يترك بعض اوراقه الهامة ـ كما جـاء فى بعض التحقيقات الصحفية الغربية ـ دون ترتيب ؟!

واذا كان الامر كذلك ، فمن الذى انبأ تيدجه باكتشاف أمره ؟!.. ومثل هذه المعلومات تصبح على درجةمروعة من السرية !!

واذا لم يكن الامر كذلك .. فمـا الذى دفع « الشرق » الى انهاء عمل « رجل » فى مثل خطورة مركز تيدجه .. وفى مثل هذا الوقت ، وقبل لقـاء بين قطبى الشرق والغـرب طـال انتظاره ؟!

ان بعض المعلقين فى الغـرب يذكروننا بحادث طـائرة التجسس الامريكيـة « يو ٢ » التى أسقطها الاتحاد السوفييتى فى عـام ١٩٦٠ اى منذ ربع قـرن من الزمان !! ـ قبل الاجتماع الذى كان مقررا عقـده بين نيكيتا خروشوف ودوايت ايزنهاور . وكيف أن هذا الحادث كان سببا فى عدم عقد الاجتماع ؟!

يرى البعض ان هناك « قوى » معينة تريد افساد اللقاء الذى تقرر فى شهر نوفمبر القادم بين الزعيم السوفييتى جورباتشوف وبيـن الرئيس الامريكى رونالد ريجان .

ويرى البعض الاخـر ، ان لجوء تيدجه ومجموعة السكرتيرات ، ثم الرد عليه بلجوء جورديفسكى والدبلوماسى الالمانى الشرقى فى الارجنتين ، ومـا تبع هذا من اجـراءات ، ليس سوى نوع من اختبار القـوى بين الشرق والغرب .. دليلهم على ذلك ، هو رد الاتحاد السوفييتى على بريطانيا بطرد « عدد مـماثل » من الرعـايا والدبلوماسيين ، فى حين أن هذا ليس اسلوب الاتحاد السوفييتى فيما مضى من سنوات .

وسواء أكان هذا الامر أم ذاك .. فان ما يعنينا هنا هو : ان الاسرار فى هذا العصر لم تعد أسرارا ، وان انسان العصر الحديث ، لم يعد يعيش فى بيوت من زجاج ، وانما هو يحيا فى « دول من زجاج » !!

ان نظرة بسـيطة الى مجمـوعة السكرتيرات اللواتى اختفين أو لجأن الى المانيا الشرقية ، تكشـف تنوع المجالات التى كن يعملن فيها ، وهى مجالات تمتد من الاقتصاد الى الدفاع .. وسواء اختفت السكرتيرات ، أو لجأن الى الشرق ، فالامر بالنسبة لنا سيان وان كان الاختفاء يحمل الكثير

من التكهنات ، المهم انهن كن يحملن وعلى مدى سنوات طويلة ، كمية من الاسرار تجعل الغرب شبه عار أمام الشرق ، فاذا اضفنا الى المجموعة رجلا مثل « تيدجه » ، أصبح واضحا اشد ما يكون الوضوح ان لا أسرار على الاطلاق ، ان جواسيس «الشرق» كانوا فى حماية « مقاومة التجسس » فى الغرب !!

هذا فى جانب !

اما فى الجانب الاخر فان رجلا مثل « جورديفسكى » كان المفروض ، حتى ولو لم يكن مسئولا عن اعمال الـ « كى·جى·بى» ، فانه كان مسئولا عن مصادر معلومات للشرق ، فاذا به ، يسرب معلومات من الشرق الى الغرب، .. ومعنى هذا، ان الغرب ، ببساطة، كان يعطى للشرق معلومات مغلوطة ، وبالتالى ، كان يعرف ما الذى كان يدبره الشرق !

فاذا وضعنا فى اعتبارنا ان كل هذا ليس سوى « الجـزء » الذى سمحت بكشفه أجهزة المخابرات فى الشرق والغرب معا ، وان معنى هذا ، بلغة هذا العلم ، ان كل هذا الذى اليسع لا يعنى شيئا بالنسبة لكل طرف من الطرفين ··· كان معناه ، ان « كل طرف » لديه من المعلومات ما يفوق هذا الذى كشفه بكثير ··· وان هناك مناطق ، على امتداد الكرة الارضية شرقا وغربا ، مكشوفة وعارية تماما ـ هنا وهناك أمام الاخرين !

وتصبح المسألة هى :

اذا صح كل هذا الذى اعلن فان معناه ان الشرق « يعرف » كل شىء عن الغرب ، وان الغرب بدوره «يعرف» كل شىء عن الشرق ··· وان اللعب هنا ، ليس على الاسرار ومحاولة الحصول عليها فقط ـ وهناك أسرار دون شك ـ ولكن على تحريك هذه الاسرار أيضا .. باظهارها، او اخفائها حسب احتياجات كل معسكر !

ومع التطور المخيف فى أجهزة التجسس ـ خاصة تلك التى لم يعلن عنها ، والتى تعد من ادق واخطر اسرار ـ كل معسكر ـ يمكننا ان نستنتج ان حكاية الاسرار هذه قد اصبحت ـ اذا صح القول ، « موضة قديمة » ··· فالكل يعرف ما يريد عن الكل ··· بل ـ لقد سادت فى الاونة الاخيرة نظرية ـ وهى ليست جديدة بطبيعة الحال ـ تقول : « ان اللعب على المكشوف ، قد يأتى بثمار لا يأتى بها اللعب فى الخفاء ! » ·

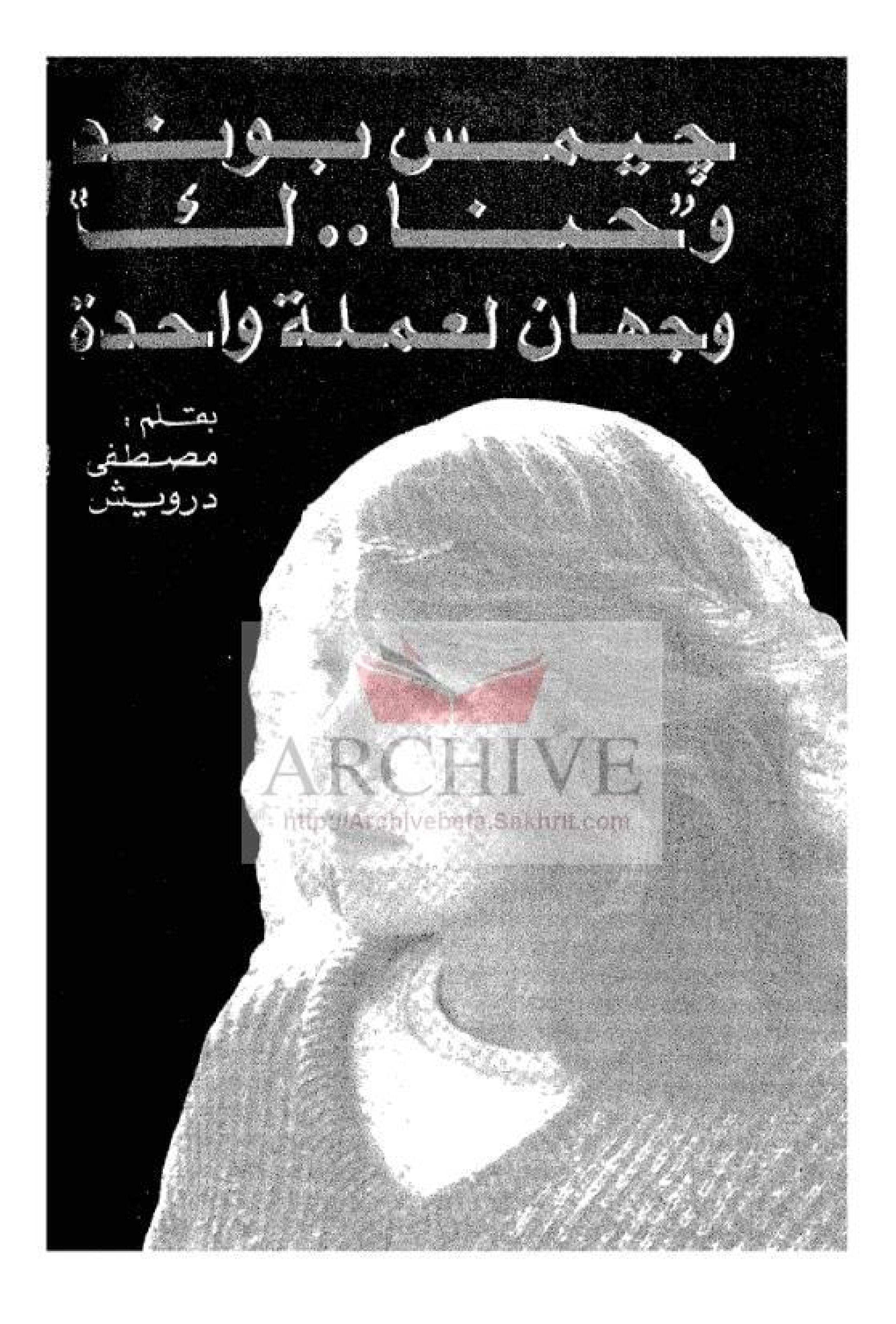
ان العملة الصعبة فى العصر الحديث لم تعد أوراقا نقدية ، ولا أرصدة ذهبية ، بقدر ما اصبحت «معلومات» .. ان « المعلومات » ، ومعرفة هذه المعلومات ، او القدرة على اخفائها او تحريكها ، او استعمالها .. اصبحت هى الاسلحة الفتاكة فى هذا العصر الملون الذى نعيش فيه !

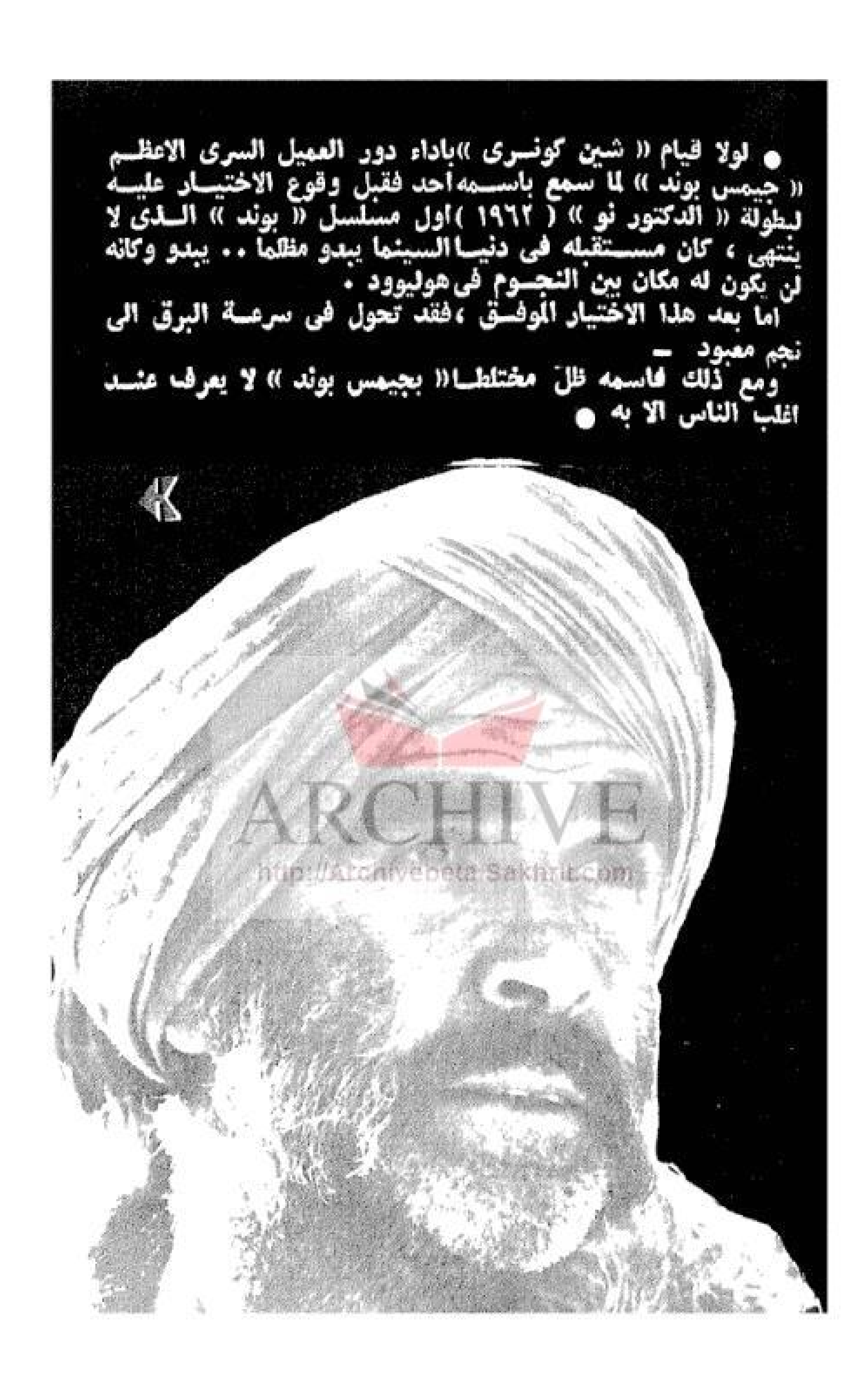
ثم يبقى شىء ···

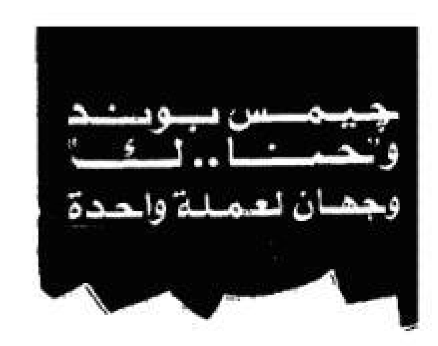
ان نظرة سريعة الى الامس القريب، تكشف لنا عن شىء ، لا يبدو بعد كل هذا الذى قلناه غريبا ، وان كان يبدو واضحا كل الوضوح ···

فكما بدأ مسلسل التجسس فجأة ، واندلعت نيرانه ـ او اخباره ـ فى كل انحاء الكرة الارضية ليشد الرأى العام العالمى لاسابيع متتالية .. اختفى هذا المسلسل فجأة ايضا ، وبتصريح سحرى ادلت به السيدة « تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا العظمى فى مدينة الاقصر بمصر العليا : « لابد من نهاية الامر !! » ..

وتوقف الحديث عن الموضوع تماما .. لكن الصراع لا يزال محتدما !


جيمس بوند
و"حبنا.. لك"
وجهان لعملة واحدة
بقلم :
مصطفى
درويش
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com


• لولا قيام « شين كونرى » باداء دور العميل السرى الاعظم « جيمس بوند » لما سمع باسمه أحد فقبل وقوع الاختيار عليه لبطولة « الدكتور نو » (١٩٦٢) اول مسلسل « بوند » الذى لا ينتهى ، كان مستقبله فى دنيا السينما يبدو مظلما .. يبدو وكانه لن يكون له مكان بين النجوم فى هوليوود .
اما بعد هذا الاختيار الموفق ، فقد تحول فى سرعة البرق الى نجم معبود –
ومع ذلك فاسمه ظلّ مختلطا « بجيمس بوند » لا يعرف عند اغلب الناس الا به •



● غروب ●

واستمر الحال كذلك الى أن ثقلت حركته بحكم الزمن ، فكان أن تقرر بعد فيلم «الماس .. الى الابد» (١٩٧١) أن يستبدل به لاداء دور « جيمس بوند » نجم اخر اكثر شبابا وحيوية وهو « روجر مور » .

وطبعا لم يكن من السهل على « شين كونرى » أن يتجاوز حدود « جيمس بوند » ، ويتشكل فى شخصيات أخرى .

ومن هنا كان الفشل ، وكان الاستعداد لقبول ما قدم اليه من عروض لاستغلال اسمه فى افلام لا تحمل للعرب سوى الكراهية والبغضاء .

● أسد الصحراء ●

وبدأت الموجة بفيلم « الريح والاسد » (١٩٧٥) للمخرج « جون ميليوس » ، وهو من افلام الانتاج الضخم الفخم التى تنفق عليها الملايين بسخاء .

فلما نجح تجاريا ، اسرعوا فاسندوا الى « شين كونرى » الدور الرئيسى فى فيلم ثان معاد للعرب « الرجل التالى » (١٩٧٦) للمخرج « ريتشارد سارافيان » ، ثم فيلم ثالث معاد « الرجل صاحب العدسات الميتة » (١٩٨٢) المخرج « ريتشارد بروكس »

وهو فى الفيلم الاول مولاى « محمود احمد الريسونى » شريف من اقليم الريف قاطع طريق يناضل من أجل الحصول لشعبه « البربر » على الاستقلال والتحرر من حكام أفسدتهم حضارة مستوردة غريبة اسقطت الوطن فى سلة الغرب .

● الارملة الطروب ●

والفيلم يبدأ به ، وقد اعتزم احراج السلطان المتربع على عرش المغرب ، وذلك باذاعة بيان بما يطالب به على الدخلاء الاغراب .

وها هو ذا على رأس عصابة ملثمة مقتحما شوارع طنجة .. مختطفا ارملة أمريكية « ايدن بيديكارس » (كانديس برجن) وطفليها ، محتفظا بهم رهائن .

وتحت ضغوط الحملة الانتخابية لا يتوانى الرئيس الامريكى « تيودور روزفلت » ، بطبيعة الحال عن التدخل لانقاذ الارملة الاسيرة ، فيرسل بحارة الاسطول الى ساحل المغرب وتسترد بفضلهم الارملة وطفلاها الحرية السليبة .

ومع تتابع الاحداث يقع مولاى « الريسونى » فى قبضة جنود الاحتلال الاوربى اسيرا .. ينطوى على نفسه يشرب دموعه فى صمت حتى يكتب له ان يتحرر من الرق ، وبفضل من ؟ الارملة الحسناء .

● الحرب والسلام ●

ودور « كونرى » فى الفيلم الثانى اكثر غرابة واستفزازا ، انه أمير عربى مثقف ، ذكى ، شاطر ، متحرك ، لا شيء يقف فى وجه طموحاته وأحلامه .

والان عشقه الكبير ، هو أن يجعل من الشرق الاوسط بحضارته القديمة الغنية ، بثرواته الطبيعية منطقة سلام ، أن يضع حدا للحرب بين أولاد الاعمام حتى يسود بينهم ، والى الابد ، الحب والوئام .

باختصار ان يحول البنادق والمدافع



الشاعر الريسونى مع روزيتـــا فوريز التى كتبت كتابا عن حياته

الى ورد وريحان .

وهو ليس امبراطوريا .

انه رئيس وفـد بلاده الى الامـم المتحدة . ولقد راى ـ وهو يلقى خطاب دولته امام وفود العـالم فى الجمعية العمومية ـ ان يجتهد حسب هواه فى الصراع العربى الصهيونى .. كيف ؟ بان يعلن ـ ودون ان يستشير وفود الدول العربية الاخرى ـ الصلح مع اسرائيل .

وغنى عن البيان أن الفيلم ينتهى به مقتـالا غدرا بايدى قتلة ارهابيين من الاشقاء العرب دعاة الحرب اعـداء السـلام !

● القنبلة والقتلة ●

فاذا ما انتقلنا مع « شين كونرى » فى فيلمه الثالث لوجدنا انفسنا امام عجب عجاب .

فهو فيه يلعب دور صحفى ومصور عالمى « باتريك هيل » الرحال الى بلد عربى غنى بالذهب الاسود لاجراء حديث مع « الملك عوض » .

ولكن المتعصبين من اتباع الارهابى العربى « رفيق عبدالله » يغتـالون رفيقته فى الرحلة عميلة المخـابرات المركزية الامريكية الشابة الحسـناء « سالى بلاك » (كاترين روس) .. لماذا ؟ لانها نجحت فى الحصول على دليل قاطع بان احد تجار سـوق السلاح العالمى على وشك ان يبيـع قنبلتين ـ وليس واحدة ـ الى الملك المذكور .

وهنا يتدخل رئيس الولايات المتحدة فيقرر التخلص من الملك وتحـدياته بتصفيته جسديا .

وامام عدسات كاميرا « هيـل » (كونرى) ـ ويعد انتحار الملك ـ يقف « رفيق » الارهابى موجها الى الولايات المتحدة اتهاما بأن الملك لم ينتحر وانما مات مقتالا .

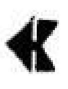
وكاثر لهذا الاتهام الخطير يتزعزع مركز الرئيس الامريكى فى معركـة انتخابه مرة ثانية .

وتتصاعد الاحداث سريعة ، ملتهبة مثيرة .

فتاجر السلاح يزايد بقنبلـتيه ، والمخابرات تزايد بالخطر الذى يتهدد امريكا زاعمة ان « رفيق » قد اشترى القنبلتين ، وانهما فى حوزة قـوى الشر .

والرئيس الامريكى يزايـد بـدوره فيعلن الحرب على هذا العربى الارهابى انقاذا لمدينة نيويورك من الدمار .

(يلاحظ ان هذا الفيلم قـد بـدأ





التفكير في انتاجه والاعداد له هام قيام الطائرات الاسرائيلية بقصف المفاعل الذرى العراقى) .

وهكذا انتهى الامر بـ « شين كونرى » او « جيمس بوند » ، بان يتبختر فى افلام مصابة بحمى كراهية العرب والعداء لهم .. حتى وصلت بهم الى حد الاتهام بان العرب فى سبيلهم الى شراء قنبلة الهلاك النهائى باموال النفط .

والتخويف بانهم لن يهدأ لهم بال الا بالقضاء على ام المدائن نيويورك بالفناء .

اما « حنه .. ك » فلها قصة اخرى بدأت مع مهرجان فينيسيا .

فلولا هذا المهرجان لكان مصير الفيلم الذى يدور من حولها مثل غيره من الافلام الهامة التى تعرض خارج ارض مصر ولايسمع بها احد من اهل الفن السابع صناعا كانوا ام نقادا على حد سواء .

فبعد عرضه فى المهرجان وغلو نفر من نقادنا فى الحماس له ، تغيرت الاحوال ، أصبحت « حنه .. ك » على كل لسان، جرى استدعاء مخرجه على عجل ضيفا على مهرجان القاهرة السينمائى حيث جرى استقباله استقبال الابطال الفاتحين .

وفى تقويم الفيلم ـ بعد مشاهدته فى القاهرة ـ انقسم النقاد شيعا واحزابا .

وعلى كل فالاكيد ان اكثرهم قد تحمس له حماسا شديدا

ظن انه فيلم منحاز للقضية المعذبين بالطرد من ارض فلسطين .

ظن ان صاحبه « كوستا جافراس اليونانى المولد ، الفرنسى الجنسية ، قد خاض فى أرض مليئة بالالغام ليخرجه .

ظن ان ثمة مؤامرة على فيلمه متمثلة فى ضرب ستار من الاهمال واللامبالاة حوله ، وكأنما المقصود هو الالقاء به فى منطقة الظل والستار .

ولسوء الحظ كان اكثر الظن اثما .

فالمشكلة اليهودية هى المحور الذى تدور من حوله حدوته « حنة .. ك » اما فلسطين والفلسطينيون فمشكلتهم فرعية، هامشية مجرد منطلق لاثارة مأساة شعب الله المختار ، وعرض ما قد يعترض طريق عودته الى ارض الميعاد .

فليس صدفة ان يختار اسم حنه.. عنوانا للفيلم .

وليس صدفة ان تغيب كلمة فلسطين و فلسطينى فلا تسمع ـ ولو مرة واحدة ـ على مدى عرض الفيلم وهو ساعتان الا قليلا .

● ما قل ودل ●

« حنه .. ك » اختصار لاسم البطلة بالكامل وهو « حنة كوفمان » .

فلماذا هذا الاختصار ؟

حدوته الفيلم تقول ان « حنــه ..ك » سيدة يهودية تجرى فى عروقها دماء بولندية ، هاجرت عائلتها الى الولايات المتحدة حيث درست القانون ، مارست مهنة المحاماة ، تزوجت فى فرنسا!

ثم اختارت العودة الى اسرائيل حيث عاشت بمحض ارادتها حياة «الكيبوتز» (المزرعة التعاونية) ، وهى حياة تسودها خشونة عسكرية مغلفة بالمعتقدات الصهيونية ٠

نحن اذن امام انموذج للفتاة الاسرائيلية المقاتلة يدفعها الشوق والحنين الى مجد صهيون ٠٠ الى ترك النعيم الامريكى والعودة الى أرض الميعاد تلبية للنداء ، استجابة الى الوعد ٠

بمعنى اخر نحن امام رمز لان الفيلم لا يعرض لقضية امرأة محددة من لحم ودم ٠

انه يتناول شخصية لها مدلول رمزي يفصح عن قضية عامة ٠٠ قضية اليهود فى الشتات وعلى الارض المقول انهم وعدوا بها ٠

ومن هنا التخلص باسم البطلة الى « حنة ٠٠ ك » واختياره عنوانا للفيلم ومما يؤيد ما تقدم ويؤكده حرص

هيرتزوج .. الرجل الثالث



صاحب الفيلم على الاعلان بلسان بطلته « حنة » (جيل كلا يبرج) بأن عمرها خمسة وثلاثون عاما ٠

فهذا العمر له دلالة اذا ما اخذنا فى الاعتبار ان احداث الفيلم تجرى خلال عام ١٩٨٣ ٠

وبعملية حسابية بسيطة ، تكون « حنه ٠٠ ك » ـ والحالة هذه ـ من مواليد نفس العام الذى شهد ميلاد وطن قومى ليهود الشتات على أرض فلسطين ٠

● مجمع الاديان ●

وفوق هذا حرصه على ان تكون فى علاقاتها الباطنية مجمعا للاديان الكتابية الثلاثة ٠

فهى متزوجة من مسيحى «فيكتور بونيه» (جان يان) رجل الاعمال الفرنسى ٠

وهى ام لطفل ثمرة حبها لليهودى «جوشو هيرتزوج» (جبرائيل بيرنى) المدعى العسكرى لدولة اسرائيل ٠

وهى مغرمة بالمسلم « سليم بكرى » (محمد بكرى) احد ابناء فلسطين المحتلة وبالتحديد الجليل ٠

والفيلم يبدأ بالاخير أى بالمسلم سليم فقبل العناوين تظهر على الشاشة قوة اسرائيلية تنتشر حول بيروت قرية تقبض على نفر من رجالها ، تطلق الكلاب امام بئر حيث يسلط الجنود اضواء بطارياتهم فى القاع

ثمة شاب مختبىء ، يؤمر بالصعود فاذا ماسئل عن اسمه اجاب « سليم بكرى »



الجند يطردون امرأة عجوزا من بيتها ، يدفعونها بعيدا عنه ، يمدون اسلاكا ثم يضغطون على جهاز فينفجر البيت ويتهاوى .

ومع لحظة التفجير تلك تبدأ عناوين الفيلم فى الظهور .

● أرض .. أرض ●

صوت المؤذن ، عربة نقل معتقلين تنهب الارض ، تمضى بهم الى احد سجون اسرائيل .

داخل المحكمة « سليم » فى قفص الاتهام .

المحامية « حنة .. ك » ـ فى أول ظهور لها ـ تدافع عنه .

ما هى قضيته ؟

انه متهم بدخول وطنه فلسطين متسللا .

ودفاعا عن نفسه يقول انه صاحب أرض ، فبيت عائلته موجود فى قرية « كفر رمانه » ، ومعه مستندات تدل على الملكية ، من بينها صورة لافراد الاسرة فى هذا البيت .

وهو لا يريد شيئا سوى العودة الى أرض الاباء .

وعلى كل « فحنه .. ك » تحمل مستندات المتهم وتبدأ رحلتها الى تلك القرية حيث تكتشف انهم اقاموا بدلا منها مستعمرة اطلقوا عليها اسم « كفار ريون » ، واسكنوا فيها مهجرين من يهود الاتحاد السوفييتى .

انهم حولوا بيت سليم المشيد على الطراز الاسلامى ـ الى متحف سياحى

وتتداخل حياة «حنة .. ك» بحياة هذا الشاب الباحث عن حقه الضائع .

وهاهو ذا يعيش معها تحت سقف واحد ، يقوم برعاية طفلها « داود » ، يخرج به متنزها .

وقريبا من النهاية ـ وعلى مائدة عشاء ـ يجتمع الرجال الثلاثة فى حياتها .

واثناء نشرة الاخبار يعلن التليفزيون عن انفجار قنبلة فى اوتوبيس بكفار ريمون » .

فينهض المدعى العسكرى شاهرا مسدسه ، امرا « سليم » بتسليم نفسه كما يتصل بالشرطة طالبا منها الحضور للقبض عليه .

ومع ذلك يخرج سليم ليعود بعد ثوان حاملا الطفل « داود » الذى اطلق عليه اسم «عمر» .. يسلمه الى امه ثم يغادر البيت الى مصير مجهول .

وهنا تنفجر « حنة .. ك » غاضبة تطرد زوجها وعشيقها ، تستعد لاخذ حمام ساخن .

فاذا ما سمعت دقات وفتحت الباب ، آت ، وياللدهشة ، فرقة من الجنود الاسرائيليين مدججة بالسلاح .

● علاقات عابرة ●

وهكذا ، وبفضل هذه النهاية المفتوحة تكتمل ملامح شخصية « حنه .. ك » باعتبارها رمزا لأدوار الرجال الثلاثة أو الاديان الثلاثة قد وظفت ـ طوال الفيلم ـ بما يسمح بالقاء مزيد من الضوء على تلك الشخصية الرمز .

فهم جميعا يكثفون لدى المتفرج شحنة التجاوب معها ، يقتربون بـه منها بشكل عاطفى وانسانى ينسيه خلفيتها الصهيونية .

فاول هؤلاء الرجال – وهو الزوج المسيحى – رجل أعمال معاصر داخل اطار مصالحه الضيقة ، لا يريد الحياة فى اسرائيل .

والانفصال بينه وبين «حنة .. ك» ذو مستويات متعددة فهو انفصال مكانى وعاطفى .. جسدى وروحى فى آن واحد .

ونظرا الى أنه غير قادر على التفاهم مع معتقداتها ، فهو غير قادر على التواصل معها، عاجز عن اخصابها اذن العلاقة بينهما من نوع العلاقات المستحيلة التى لا يمكن ان تتوج يوما بطفل يحمل الى المستقبل اسمها .

اما الرجل الثانى – وهو المسلم سليم – فعلاقتها به يحيطها الغموض وتثقلها الشكوك .

فالفيلم يتعمد ان تأتى معظم تصرفاته غير مفهومة بغير تفسير ، يحيط بها من علامات الاستفهام الشىء الكثير .

فمثلا زيارة «سليم» للقدس القديمة حيث يقابل بعض الغرباء ، هذه الزيارة لا نعرف لها سببا .

فنحن لا نسمع حواره مع هؤلاء الغرباء . ونظل حتى نهاية المشهد جاهلين بهم ، وبالحكمة من زيارته لهم .

وثمة زيارة أخرى اكثر غموضا نراه فيها وقد توجه الى مكان سبق له أن عاش فيه ، فاذا بهذا المكان قد تحول الى مستعمرة يهودية تزدان بالحدائق يلعب فيها أطفال اقرب الى الملائكة .

وهذه المستعمرة هى التى يقع عليها اختيار المخرج لتنفجر فيها عبوة ناسفة يذهب ضحيتها بعض هؤلاء الأطفال الملائكة ممن نرى جثثهم على الشاشة الصغيرة قريبا من النهاية .

وطبعا رجل تصرفاته بمثل هذا الغموض تصبح العلاقة معه أكثر استحالة، ولا يرجى منها خير .

● المستقبل .. أين ؟ ●

يبقى الرجل الثالث وهو العشيق اليهودى « غير تزوج » مما يلاحظ على شخصيته فى الفيلم أنه قد اتقن رسمها بحيث بدت خطوطها اكثر تحديدا ووضوحا .

فهو فى قضية « سليم » يمثل دور الادعاء فى مواجهة المحامية « حنة .. ك » .

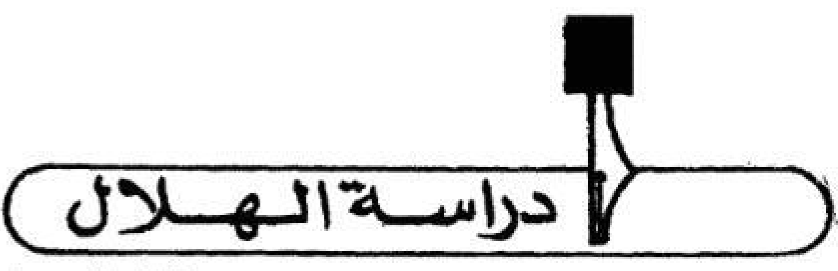
وهو من ناحية الشكل اكثر وسامة وحيوية وتفاعلا مع الاحداث من «فيكتور بونيه» و «سليم بكرى » وهو مثل « حنة .. ك » عاش حياة الكيبوتز ، والجندية ، فضلا عن دراسة القانون أى أنه يجمع بين العسكرية والشرعية يحمى الدولة الوليدة بالسيف والعدل يوفر لبنى اسرائيل الأمن والأمان ومن هنا استعداد « حنة .. ك » – وهى راضية مرضية – لان تعطيه وحده لاشريك له طفلا يحمل اسم « داود » ذا المغزى الكبير بما يشع من اساطير فداود التراث اليهودى أول ملوك بنى اسرائيل .

وهو الذى صرع بالمكر والخفة والدهاء العملاق الفلسطينى «جوليات»

وهو فوق كل هذا شاعر ، عاشق متيم ، رفيق رحيم ، قاض لايحكم بين الناس الا بالعدل والقسطاس .

ولعل أخطر مقولات الفيلم هو الحل الذى يطرحه من خلال هذا الطفل الذى اطلق « سليم » عليه اسم « عمر »

فهو بالاسم الثنائى « داود – عمر » انما يوحى بأن الحل يكمن فى قبول الأمر الواقع .. فى قبول اندماج الفلسطينيين فى الكيان الاسرائيلى .. لماذا ؟ لانه لا أمل فى أى حل بديل !!



بقلم : مصطفى نبيل

الفلسطينيون

● حان الوقت لكي تاخذ القضية الفلسطينية مسارها الصحيح ، وتطرح كقضية شعب اغتصبت ارضه وحرم من حقه في تقرير مصيره ، لأن هذا هو المدخل الطبيعي لأية معالجة فكرية وأى تحرك سياسي ، ولكي يصبح هذا المسار هو المعيار الذى تختبر على أساسه المواقف والسياسات ●

● ورغم انه كثيراً مايتردد ان القضية الفلسطينية هى لب الصراع العربى الاسرائيلي وجوهره ، وأن نقطة البدء الصحيحة تتركز فى الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطينى ، إلا ان هذا الاتجاه لم ينعكس بالقدر الكافى على العديد من الممارسات والمعالجات الفكرية والسياسية

وقد بدأت السياسه الصهيونية بنفى الحقيقة الفلسطينية وإنكارها ، فهى تدرك أن مجرد الاعتراف بها ، هو زعزعة لوجودها فى الأراضى المحتلة ، وهى تسعى الى سد كل فرص الاختيار أمام الشعب الفلسطينى ، وكل جهودها تصب فى عمل منظم لتغيير الطبيعة الجغرافية والسكانية لفلسطين ، وتهدف الى محو الشخصية الفلسطينية ، واسدال ستار من النسيان عليها من ذاكرة العالم ..

وهدفها فى كل مراحلها هو تدمير الجسم الحى للوجود الفلسطينى .. ونجحت فى أن يصبح الفلسطينيون مشتتين بين الاراضى



المحتلة والمخيمات والبلاد العربية والكثير من بلاد العالم ، يلاحقون ويتعرضون لمظالم شتى ، وأصبح الفلسطيني التائه بديلا لليهودي التائه ، وبعد ان تمكن اليهود من ارضه انتقل الى الشتات .

وجريمتهم الكبرى أن بلدهم تقع في قلب الوطن العربي ، وعليهم أن يدفعوا ثمنا باهظا وهم يدافعون عن القلب العربي ، الذي تم إختياره كبداية مخططات كبرى تستهدف العرب جميعا ..

وأصبحوا « هنود حمر » القرن العشرين ، وهم أسوأ حالا من السود في جنوب افريقيا الذين يفتقدون الحقوق المدنية بينما يفتقد الشعب الفلسطيني الهوية الوطنية ، اي يفتقد الوطن والبيارة وبيوت الاجداد !

وتنقل اصحاب الضمائر الحية صورة الفلسطيني الذي يتنقل بين المطارات وترفضه دول العالم المختلفة ، وتتوالى صور الجد العاجز عن الالتحاق باسرته بسبب مشاكل الاقامة وتاشيرات الدخول وصور العجوز الذي قضى عمره معلما في احدى مدارس الخليج ، وعند بلوغه سن التقاعد ، كان عليه ان يغادر البلد الذي قضى فيه اغلب سنين عمره ، ويحمل حقائبه ويبدا رحلة البحث عن بلد تقبله ..

ويعيش الشعب الفلسطيني اوضاعا متباينة بعد انقضاء سبعة وثلاثين عاماً على عام ١٩٤٨ ، وثمانية عشر عاماً على هزيمة ١٩٦٧ ، فتحول ثلاثة ملايين فلسطيني من اربعة ملايين هم كل سكان فلسطين إما الى لاجئين او منفيين ، عندما اكره الأهالي على الرحيل ، ولم يسمح الاسرائيليون لهؤلاء بالعودة ، وذهبت ادراج الرياح كل القرارات التي اصدرتها الامم المتحدة والتي تنص على عودتهم الى وطنهم .

ويعيش تحت الاحتلال الاسرائيلي في الضفة الغربية وغزة حوالي المليون وربع مليون فلسطيني منهم حوالي ثلاثة ارباع المليون في الضفة العربية ومايقارب نصف مليون في قطاع غزة ، وفي الضفة الغربية





مظاهرات ضخمة فى القاهرة يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ إحتجاجاً على تقسيم فلسطين، وتضامنا مع الشعب الفلسطينى

يحمل الجنسية الاردنية، وإذا كان فى غزة فهو يحمل الجنسية الفلسطينية المسجلة على وثيقة سفر مصرية.

كما ان هناك الفلسطينى الذى حصل على جنسية بلد آخر، والذى يجد تشجيعا على ذلك فى كندا واستراليا على امل ان يتخلص من إنتمائه، ويحتفى بحامل الجنسية فى كل البلاد العربية، فى الوقت الذى يضيق فيه على الفلسطينى حامل وثيقة السفر، وكأنه يعاقب على إحتفاظه بهويته!

● الفلسطينى فى الفكر الصهيونى ●

تعامل اسرائيل الفلسطينيين وكأنهم اشباح، لاتراهم، وتنكرهم وتتجاهلهم، ولاتريد ان يذكرها بهم أحد، ثم تسعى للقضاء عليهم بعيون زجاجية وأعصاب ميتة..

وترفض الاعتراف بوجود شعب محدد الهوية، ولم يترك الاسرائيليون وسيلة إلا واستخدموها لطمس الهوية الفلسطينية، ويرفضون الاعتراف بحق الشعب الفلسطينى فى وطن قومى، واكثرهم اعتدالا أطلق على الفلسطينيين فى اسرائيل عرب اسرائيل.

وتقوم الرؤية الصهيونية للفلسطينى باعتباره شيئا متخلفا لايستحق سوى الطرد، وقد عبر عن ذلك اسرائيل رانجويل بقوله: « إن فلسطين ارض بلا شعب، وإن اليهود شعب بلا أرض!! »

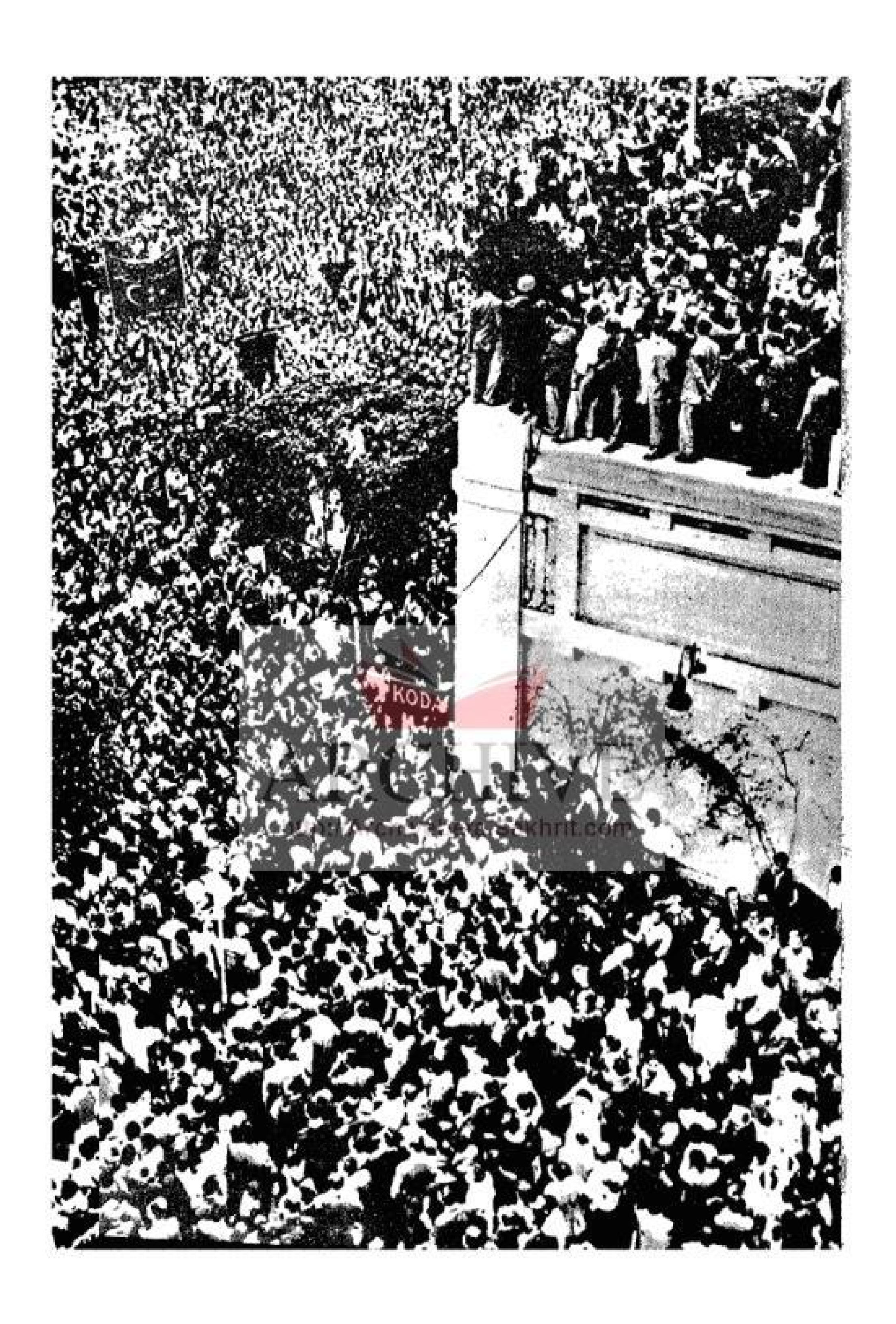
وعندما قال هرتزل: « إننا نريد أن نطهر بلداً من الوحوش الضارية، ولن نحمل القوس والرمح، ولن نذهب فرادى فى اثر الدببة. كما كانوا يفعلون فى أوربا فى القرن الخامس ولكننا سننظم حملة جماعية ومجهزة ونطرد الحيوانات، ونرمى وسطهم قنابل شديدة الانفجار..» ويتحدث عن أرض فلسطين باعتبارها « هذا الركن الموبوء والبالى من الشرق..»!

واشار وعد بلفور الى الفلسطينيين الذين يزيدون على ٩٣٪ من السكان على أنهم « الجماعات غير اليهودية..»!

ويحكم الفكر الصهيونى خيط واحد منذ نشأة الحركة الصهيونية وحتى الحاخام كاهان فى وقتنا الراهن، رغم اجادة تغيير الأقنعة لأهداف سياسية، فقديما قال يوسف فايتزر.. « يجب أن يكون واضحاً انه ليس هناك مكان لشعبين، واذا ترك العرب البلاد فهى تكفينا لنعيش، ليس امامنا وسيلة سوى إخراجهم، ولايصح أن تبقى قرية او قبيلة واحدة منهم، وأن نوضح لكل رؤساء الدول الصديقة أن أرض اسرائيل ليست صغيرة إذا خرج كل العرب، واذا امتدت الحدود قليلا نحو الشمال على طول نهر الليطانى ونحو الشرق على مرتفعات الجولان...»!!

وعندما تبين زيف أسطورة « ارض بلا شعب » وأدرك الاسرائيليون عجزهم عن تجاهل أبناء البلاد، قامت اسطورة جديدة تتحدث عن أحقية الصهاينة الذين يزرعون الصحراء، مع تصوير ابناء البلاد على أنهم بدو رحل..

وهناك الكثير من المقولات الصهيونية التى تعبر عن هذه المرحلة ومنها قول احاد هاعام « العرب رجال صحراء همج، اناس





الفلسطينيون

جهلة ، لايرون ولايفهمون مايدور حولهم . وعندما سنبدأ دفع السكان الاصليين جانبا.. فسوف لاينزاح هؤلاء بسهولة .. » ووصف مناحيم اوسيشكين الفلسطينيين بأنهم « كم مهمل » ! وعند مناقشة رد فعل السكان أثناء تنظيم الهجرة الى أرض فلسطين ، تساءل جابوتنسكي ـ استاذ بيجين ومعلمه ـ « هل التمس احد الاذن من السكان الاصليين أثناء إستعمار امريكا واستراليا ؟ »

ولعل الوضع بالنسبة للفلسطينيين الذين يعيشون في اسرائيل بعد عام ١٩٤٨ هو خير دليل على استمرار هذه النظرة فهم محرومون من حق الانتماء الى الوطن ومن حقوق المواطنة ولايتمتعون من الناحية العملية .. بحقوقهم المدنية ، وفرضت اسرائيل عليهم « جيتو » من نوع خاص ، ورغم كل الأجراءات الاسرائيلية ، تعاملهم السلطات وكأنهم قنبلة زمنية متفجرة ، وترى ان المخاطر التى تهدد مستقبل اسرائيل تتركز فى معدل التوالد بين الفلسطينيين مقارنا بذات المعدل لدى اليهود ، فبعد قيام اسرائيل بقى حوالى ١٥ الف فلسطينى ، وصل عددهم اليوم الى حوالى ٧٠ الف فلسطينى يمثلون ١٧ ٪ اى سدس السكان ، وهؤلاء يتبعون مكتب شئون الاقليات والامن وسياسة السلطات الاسرائيلية تجاههم هى سياسة العصا والجزره .

ترجمت هذه النظرة فى القوانين الاسرائيلية التى تسمح لليهودى القادم من

لقطة لاجتماع عربى خلال مؤتمر عام ١٩٣٩ فى السفارة المصرية ويظهر فى الصورة على باشا ماهر والامير فيصل والامير خالد وعبدالرحمن باشا عزام





الأم الفلسطينية



البرتقال اليافاوي

اقصى الارض بأن يحصل على الجنسية الاسرائيلية عندما تطأ قدمه ارضها ، بينما يحرم الفلسطيني المولود على ارض فلسطين من هويته ومن العودة الى وطنه !.

الحاج امين الحسيني مع الملك فيصل ملك العراق



من هم الفلسطينيون

ومعروف ذلك السؤال الذى طرحته جولدا مائير ثم تولت الرد عليه ، سألت مستنكرة .. « من هم الفلسطينيون ..؟ واجابت : « إننى لاأعرف شعبا بهذا الاسم !.

ويقول ديان .. لماذا التحدث مع الفلسطينيين ؟ إن أى حديث معهم معناه أن تتنازل اسرائيل عن شبر من الارض !.

ويكشف هذه السياسة الاسرائيلية اسرائيل شاهاك الاستاذ بالجامعة العبرية بقوله . « انشئت اسرائيل بأيدى الذين آمنوا بأنه ليس لغير ابناء الغرب حقوق ، اناس ليس لديهم إحساس بأية صورة من صور العدل إزاء غير الغربيين ».



وتذكر شلاميت ألون عضوة الكنيست :

تمضى الأمور مع محاولة مستمرة لكي نؤكد لدى يهود اسرائيل أن هناك فارقاً نوعياً بين اليهود وغير اليهود ، ذلك هو المسلك تجاه العرب فى اسرائيل والبدو وسكان الضفة الغربية وغزة ..»

ولم يخمد يوماً ارتباط الفلسطينيين الذين يعيشون فى إسرائيل بقضيتهم وبشعبهم وهم مازالوا مرفوضين داخل المجتمع الاسرائيلى ، وقد جرى مؤخراً استفتاء بين الاسرائيليين والعرب ونشر فى جريدة دافار الاسرائيلية ، وأشرفت عليه الدكتورة منيا تسيماح وروث تسبين ، أجاب خلاله ٦٠ ٪ من الاسرائيليين بأنه ينبغى عدم منح الفلسطينيين مساواة فى

PALESTINE CURRENCY BOARD

ONE PALESTINE POUND

جنيه فلسطيني

JERUSALEM

PALESTINE FOR THE ARABS

فلسطين للعرب

جنيه وطابع فلسطينى

توزيع الفلسطينيين فى العالم

توزيع الفلسطينيين فى العالم عام ١٩٨٤

الحقوق ، واقترح ٤٢ ٪ من المشتركين تقليص النظام الديمقراطى لكى يمكن حرمان العرب من حقوقهم ، وذكر البعض انهم لايتصورون عربيا يحمل « اله كمان » ، فالفلسطينى لايحمل سوى البندقية او المكنسة ! . كما راع السلطات الاسرائيلية إنتماء هؤلاء الى منظمة التحرير الفلسطينية ، ومشاركة بعضهم فى اعمال المقاومة ..

وأظهرت الدراسة ، أن الطلبة العرب يشعرون بالظلم الفادح وعدم المساواة والاهانة العميقة فالمدارس فى اسرائيل تتجاهل تاريخ العرب وثقافتهم ، بينما تطلب منهم أن يتعلموا التاريخ والثقافة اليهودية ، وأن اغلب المواد التعليمية التى تدرس لهم تظهر العرب بصورة سلبية .

● الفلسطينيون فى الفكر العربى ●

كيف اذن انعكست هذه الاوضاع على الفكر العربى ؟ .. لقد شاب الحقيقة الفلسطينية حالة من الالتباس والاضطراب فحينا يتركز الاهتمام حول القضية الفلسطينية وتتوارى تفاصيلها الصغيرة ، رغم أن تجاهل



عز الدين القسام

عبد القادر الحسينى الذى استشهد عام ١٩٤٨

فوزى القاوقجى قائد جيش الانقاذ

احمد الشقيرى اول رئيس لمنظمة التحرير وياسر عرفات ، حمل كل منهما اللواء فى مرحلة من مراحل النضال



التفاصيل يحول دون إعادة بناء موقف ثابت وحينا آخر يتراوح الطرح بين فلسطينية القضية وعروبتها وكأنهما نقيضين ..

فتوزعت فلسطين بين عربٍ وعرب كأحد صور الانقسام فى العالم العربى ، وجرى تنافس بين الأطراف العربية يحاول خلاله كل طرف سحب القضية فى اتجاه دولى معين ، أو التحكم فى حركة القيادات الفلسطينية ، وتصبح فلسطين هى الخاسرة من هذا الطرح ، وتضيع القضية بين الأطراف العربية أحيانا والدولية أحيانا أخرى ..

وكأنه لاتكفينا المظالم التى أوقعتها اسرائيل بالفلسطينيين فلم تقدم لهم البلاد التى نزحوا اليها حقوق المواطنة ، ووقف الفكر العربى عاجزاً أمام قرار قديم إتخذته الجامعة العربية بضرورة إحتفاظ الفلسطينيين بجنسياتهم ، وكانت ترجمة هذا القرار حرمانهم من حق العمل وحق الانتقال ..

ولم يدخل أصحاب هذا القرار فى اعتبارهم عنصر الزمن ، فاستمرت هذه الاوضاع مايزيد على ٣٧ عاماً ، ولم يحاول احد التوفيق بين بقاء القضية حية ، وبين ضرورات المعيشة الرئيسية للنازحين ، وتركت القضية معلقة ، تتوالى انفجاراتها بصورة مكتومة أحيانا وأخرى صارخة !.

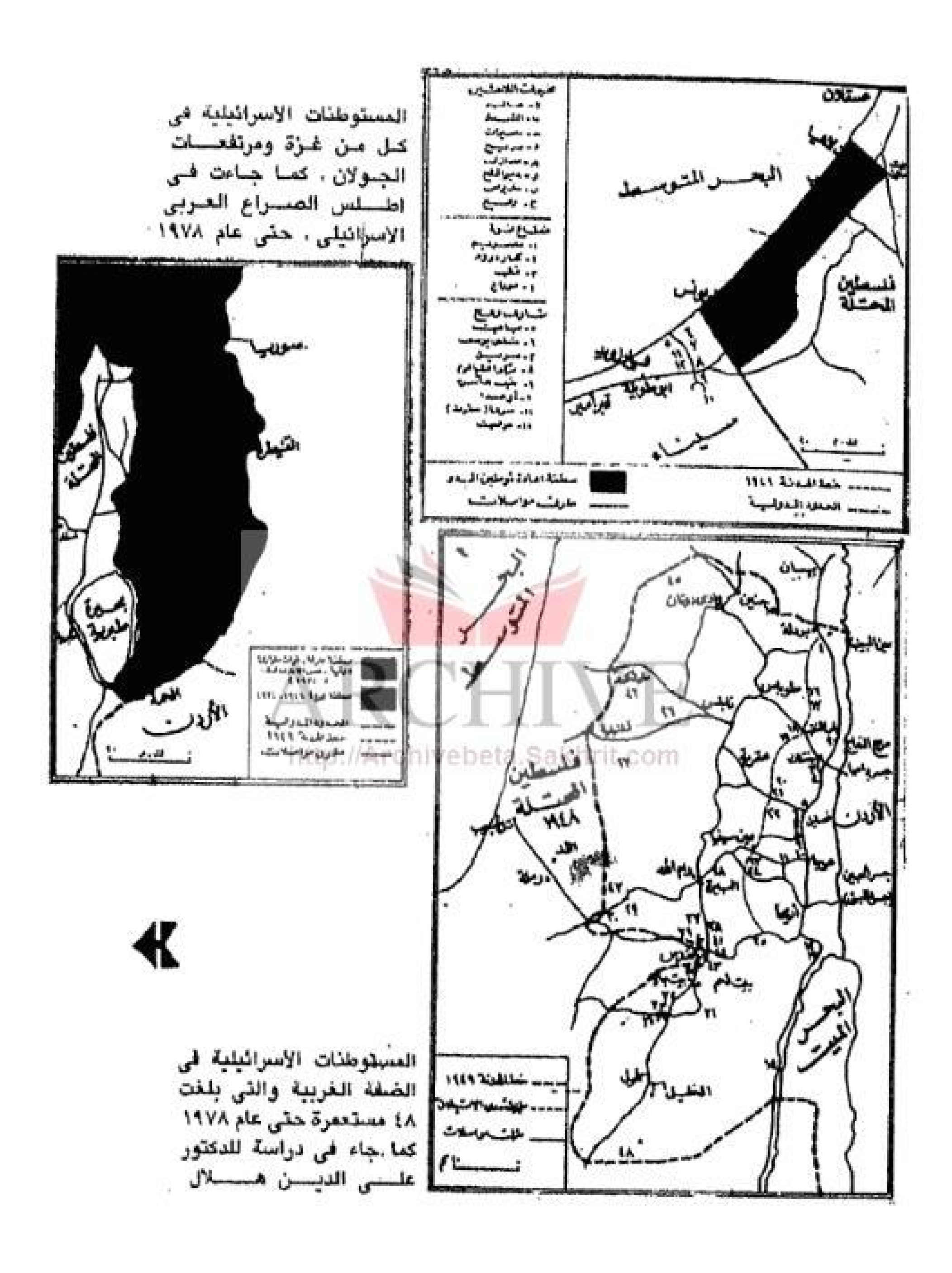
ولعل العديد من الاطراف وجدت فى إستمرار هذا الوضع أداة تساعد على شق صفوفهم وتقطيع أوصال تنظيماتهم ، مستغلة حالة القهر والعجز التى يعيشونها ، ومستفيدة من تلك الفجوة التى يزيد إتساعها مع الايام بين الحق والممكن ، بين المبدأ وتطبيقه

وأدت حالة الشتات الى خضوع الفلسطينيين لسياسات متباينة تختلف باختلاف البلاد التى يعيشون بها ، وفى ظل سياسات متضاربة يمكن للقرار الفلسطينى أن يضيع من بين ايديهم ..

كما تساعد هذه الاوضاع بعض الاطراف من التنصل من المسئولية ، وخلق مناخ تروج فيه أقوال هى فى حقيقتها صناعة اسرائيلية مثل « أن الفلسطينى قد باع أرضه ، وتخلى عن وطنه » ، أو تلك الافكار التى تستنكر على الشعب الفلسيطنى أن يظهر من بين صفوفه ناجحون يحققون الثراء ، رغم أن الاثرياء الفلسطينيين هم أكثر الاثرياء العرب انفاقا لاموالهم على القضية الفلسطينية وعلى المشروعات العامة والثقافية ، وتتجاهل ما يقتطعه كل فلسطينى من راتبه أينما رحل ويبعثه الى عائلته ، والغريب أن الذين يرددون هذا الكلام هم أولئك الذين يكتفون من النضال بالمساهمة المالية ..!

وتنطلق كل هذه الافكار والأحكام العامة ، وكأن الفلسطينيين نوع آخر من البشر ، ويستبعد أن يظهر بين صفوفهم من يكتفون فى مراحل الجزر العامة بالخلاص الخاص ، ويلاحظ أن هذه الاقوال قد وظفت لخلق تناقض مفتعل فى بلاد الثراء العربى بين الفلسطينى والمصرى مثلا ، ومن المحتمل أن يخدم هذا التناقض أرباب العمل أو يخدم أحد طرفى النزاع فى منافسات العمل ، ولكنه بالقطع يلحق أفدح الأضرار بقضية فلسطين .

وأدت هذه الظروف مضافا اليها حالة الاحباط العام إلى نمو إتجاهات إقليمية ضارة ، يسعى أصحابها إلى التخلص نفسيا من مسئولية الأوضاع المتردية ، بأن

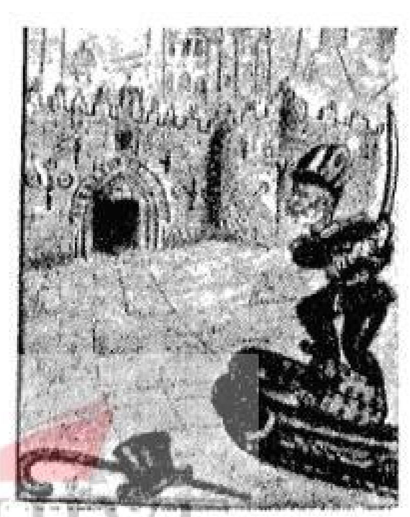


المستوطنات الاسرائيلية فى كل من غزة ومرتفعات الجولان . كما جاءت فى اطلس الصراع العربى الاسرائيلى . حتى عام ١٩٧٨

المستوطنات الاسرائيلية فى الضفة الغربية والتى بلغت ٤٨ مستعمرة حتى عام ١٩٧٨ كما جاء فى دراسة للدكتور على الدين هلال







الكاريكاتير في المعركة، اللنبي في القدس سنة ١٩١٧ .. نشر في جريدة فلسطين التي تصدر في يافا عام ١٩٣٦ ، وحتى ناجي العلي.



مظاهرات فلسطينية امام بوابة القدس الجديدة عام ١٩٣٣ ويتصدى للمظاهرة قوات الاحتلال البريطاني



فلسطينيان بملابسهم التقليدية في بيت لحم

يلقى كل طرف مسئولية ما يقع على الطرف الآخر ، وظهر تيار بين الفلسطينيين يرجع مسئولية ضياع الوطن على الدول العربية ، ويتجاهل بذلك أن جميع الأطراف العربية كانوا ضحايا مؤامرة واسعة وأن طريق الخلاص هو العمل المشترك من أجل تعديل موازين القوى ، الذى تتمثل بدايته فى حق تقرير المصير الشعب الفلسطيني .

وحتى يتحقق ذلك تبقى فلسطين الوطن الروحى الثانى لكل عربى . فالأمة العربية لايمكن أن تقبل التضحية بعضو أو شعب . وأن سلامة الطريق تتحدد عندما يؤدى إلى استرداد الشعب الفلسطيني لحقه . ومن المفهوم إنسانيا وعمليا أن يكون الفلسطينيون هم أكثر العرب قلقا وتوترا إزاء ما يجرى من حولهم

المصريون والفلسطينيون

ولعل الاجابة على سؤال بدهي مثل . من هم الفلسطينيون . يمكن أن يلقى المزيد من الضوء على الكثير مما يطرح للمناقشة بين وقت وآخر .. وخاصة بعد أن ضاعت العديد من البدهيات . إن الفلسطينيين هم سكان أرض فلسطين منذ ما يزيد على ١٢٠٠ عام ، عاشوا طوال التاريخ جزءا من المنطقة العربية يتفاعلون مع ما حولهم . فسكان الجليل الأعلى هم إمتداد لعائلات سورية ولبنانية ، وسكان الضفة الغربية هم أيضا إمتداد للعائلات فى الضفة الشرقية لنهر الأردن . والقبائل فى صحراء النقب هى إمتداد القبائل فى سيناء وبادية الأردن وحتى البقاع عندما لم تكن الحدود السياسية معروفة وهذه هى قبائل السواركه والتياها والترابيين والأخارسة والسماعنة والحويطات والمساعيد .

أما السكان فى كل من مصر وفلسطين فيقول الأستاذ العقاد فى كتابه حياة قلم الذى كتبه فى صيف ١٩٤٥ . أحسب أن المصريين والفلسطينيين فى مجال الهجرة مرتبطان ، فمن فلسطين مهاجرون



الفلسطينيون

مصر ، ومن مصر مهاجرون فى فلسطين ..

وما أكثر أيام التاريخ التى كانت فيها مصر وفلسطين بلدا واحدا ، ومعروف أن حملة ابراهيم باشا الى الشام فى القرن الماضى حملت معها الكثير من العائلات المصرية للاقامة فى فلسطين ، كما لجأت عائلات مصرية أخرى الى فلسطين فرارا من السخرة أيام حفر قناة السويس .

ويحكى لنا التاريخ أنه فى بداية الحملة الفرنسية على مصر ، لجأ الكثير من المصريين الى فلسطين .

وعندما استولى نابليون على يافا فى مارس عام ١٧٩٩ وجد فيها أربعمائة مصرى من بينهم الزعيم عمر مكرم ، كما لجأ اليها أيضا عبد الله النديم أحد زعماء الثورة العرابية وعندما أخمدت حركة المقاومة الشعبية التى قادها حسن طوبار فى بحيرة المنزلة نزح هو أيضا الى غزة

وليس غريبا أن العديد من العائلات الفلسطينية مازالت تحمل اسماء مصرية مثل عائلات المصرى والدمياطى والزعبلاوى والشرقاوى والانشاصى والعرايشى والقمحاوى والصعيدى والاسكندرانى ..

ولكن هل هذه البدهيات معناها التسليم بادعاءات الحركة الصهيونية التى تصورت إن فى علاقات فلسطين بالعروبة مخرجا ، فزعمت أن الفلسطينيين يمكنهم النزوح الى البلاد العربية الممتدة ، من المحيط الى الخليج . !

ان الفلسطينى عربى مثلما الجزائرى عربى ، فلا تلغى عروبته جزائريته ، ولاتلغى فلسطينية ، الفلسطينى عروبته بأية حال ولا تملك قوة حق إنتزاعه من وطنه وبيته

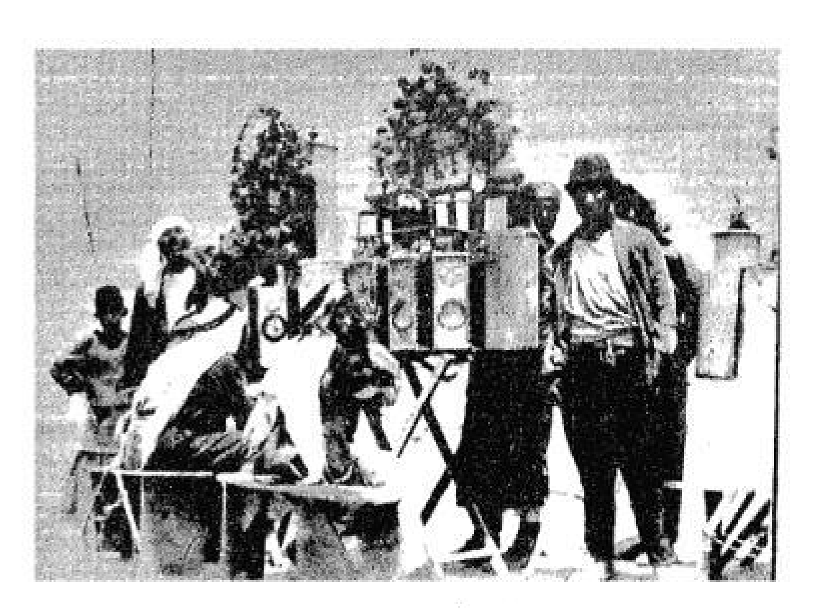
هذا عن الفلسطينى فى الفكر العربى ، أما الجانب الرئيسى فى المأساة فهى صورة الفلسطينى فى الفكر الصهيونى ..

وقد قطع الفلسطينيون رحلة شاقة وطويلة لاعادة أنفسهم ووطنهم الى ذاكرة العالم ، بعد أن حذف العالم فلسطين من خرائطه بعد إصدار قرار التقسيم الذى لم ينفذ ، وبعد أن حذف العالم قضية فلسطين من جدول أعمال الجمعية العامة للامم المتحدة عام ١٩٥٤ ..

وتبذل اسرائيل جهدا متصلا الى إعادتهم كلما أحرزوا تقدما الى المربع رقم واحد ، باصطناع مشاكل جديدة تبعد من الذاكرة العالمية القضية الرئيسية ، وعلى أمل تركيز إهتمام الرأى العام العالمى بالفروع والانصراف عن الاصول وحتى تتوارى القضية الفلسطينية.

ومن وسائلها دفع الفلسطينيين الى خانة الارهاب لسد كل دروب السلام أمامهم ، وتضييق الخناق عليهم ، وتصف اسرائيل منظمة التحرير الفلسطينية الوعاء السياسى للشعب الفلسطينى بأنها منظمة إرهابية ، وتصف ممثلى الشعب الفلسطينى بالارهاب ، فياسر عرفات ارهابى ، تماما كما وصفت بريطانيا غاندى ، وكما وصفت سعد زغلول ، وكما يصف الاستعمار عادة كل قيادات حركة التحرر الوطنى ..

واصطنعت اسرائيل قضية من يمثل الفلسطينيين ، وحتى ممثلى الفلسطينيين



صندوق الدنيا فى احد شوارع القدس

الذين تم إنتخابهم فى ظل الاحتلال ، فصلتهم جميعا من مناصبهم .

من يارنج .. حتى ميرفى

والذى يتابع الاتصالات الدبلوماسية الاسرائيلية منذ جونار يارنج وحتى ميرفى ، يلاحظ الجهد الفائق لابعاد الحقيقة الفلسطينية ، ومن يتابع المذكرات التى أخذ يتوالى صدورها يلحظ ذلك بلا عناء

يقول جيمى كارتر فى مذكراته .. ظهر ان مناحيم بيجين ليس مهتما بحل المشكلة الفلسطينية واعترض بشدة على كل إشارة لهذه القضية وأصر على حذف عبارة « حل المشكلة الفلسطينية بكل جوانبها »

ولا يتسع المجال لالتقاط الادلة الموزعة فى هذه المذكرات ، ونكتفى بنجاح الدبلوماسية الاسرائيلية فى حصولها على تعهد سرى قدمه كيسنجر لاسرائيل فى سبتمبر عام ١٩٧٥ ، يتعهد فيه « أن تستمر الولايات المتحدة فى التزامها بعدم الاعتراف بمنظمة التحرير طالما لم تعترف بإسرائيل وبقرارى ٢٤٢ و ٣٣٨ ، وتنسق الولايات المتحدة مواقفها مع اسرائيل فيما يتعلق بهذه القضية »

وتمسكت الولايات المتحدة بهذا التعهد السرى الذى قدمه وزير الخارجية ، وتجاهلت بيان اسوان الذى القاه الرئيس الامريكى كارتر فى يناير ١٩٧٨ ، رغم أن أحدهما سرى والآخر علنى ، واحدهما قدمه وزير الخارجية والآخر قدمه الرئيس الامريكى ، واعلن خلاله التزام الولايات المتحدة الامريكية بحق تقرير المصير للشعب الفلسطينى ، وانه يجب أن يكون هناك حل للمشكلة الفلسطينية بكل جوانبها ويجب أن يتضمن الحل الاعتراف بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى وتمكينه من حق تقرير مصيره

واخيرا

قل لى ما مصير الشعب الفلسطينى اقل لك مصير العرب



● العاشر من رمضان ●

الله اكبر لا ذل ولا خور ... لكنه النصر بعد النصر يزدهر
نحن النسور وان سالت جوانحنا ... نحن الذين على الامهم صبروا
مرت علينا ليال ليس فى غدها ... فجر يضىء ولا يعلو لها قمر
من كان يحسب انا بعد ما سقطت ... اجسادنا عادت الارواح تنتصر
ها نحن بالله قد عدنا عمالقة ... وها هو القمقم الجبار ينكسر
وهؤلاء جنود الله قد وثبوا ... على القتال ونحو الشرق قد عبروا
جحافل الظلم خرت تحت ارجلنا ... وداسها خالد فى الزحف او عمر
يا عابر الشط صف للناس ملحمة ... ثرية اللحن لا تغنى لها صور
هل انحنيت على الحبات تلثمها ... وهل رايت دموع الشوق تنحدر ؟
وهل اشرت الى الفانتوم فاحترقت ... كان كفك فى وجه العدا قدر

محمود ممتاز الهوارى
ملوى ـ منشاة بركات

● قصائد قصيرة ●

١ ـ قلبى والايام :

ارى الايام تسقط فوق قلبى ... وتنفجر الدقائق والثوانى
حرابا .. اه من هول الحراب ... نمى يدعوك من لى فى اغترابى ؟

٢ ـ موقف :

كم جئتها والقلب فى كفى لها ... قالت : وفستانى الجديد لقد بلى
واشرت للنجمات ادعوها لها ... قالت : اريد العقد من اغلى الحلى

٣ ـ نحن والقمر :

وشاركنا البدر احلامنا ... ونور بالحب للعالمين
ووشوش عنا قصائد شعر ... يغازل اخوتنا العاشقين

الشاعر الدكتور احمد عامر

● حـلـم ●

« ...... وارحل فى ظلام الليل
اهرب فى ظلام الليل ..
افتح كوة للشمس .. استرضى لك القمرا
الق لوافذ التاريخ .. اوقظه
اعيد كتابة التاريخ
امحو ليلك المسلوب .. اثبت ليلك القمرا
الملم الف جرح من طريق الصبح
اجمعهـــا
وانفخ نفخة فيها فتعلو فى سماء الليل اطفالا ..
بايديهم ثريات تضىء النخل والشجرا
وحين تنفس العنقاء فوق التل ..
البسها
اضفر شعرها المنفوش
اعبر خلفهـــا النهرا
نمر على حدائقنا التى بليت فنعرفنا
نعانقهـــا
ونبكى فرحة الغـــرباء
نصعد فى سماء الوجد
نهبط ارضنا .... مطرا »

محمود عبد الحفيظ
كلية الاداب ـ الزقازيق

● كاتب تونسى كبير ●

● قرأت فى الهلال القراء اول سبتمبر ١٩٨٥ فى باب « متابعـــات ادبية » ما يلى : (وفى تونس روائى هو محمود المسعدى صدرت عنه اربعة كتب حتى الان وله نصان روائيان فقط هما : السد ، وحدث ابو هريرة قال وكتاب واحد عبارة عن مقالات هو : تاصيل كيان وقد حرصت على قراءة المسعدى بعد هذا الجو الذى يحيطه به فى تونس وقـد اكتشفت امـرين انقطاعه التام عن الكتابة منذ حوالى ثلاثين سنة مضت فمنذ ان ولى رئاسة مجلس الشعب التونسى وهو لا يكتب وهو الان فى الثمانين من العمر اطال



الله في عمره • وثانيهما : ان رؤيته الروائية قريبة من التجريد • وان معظم مغامراته هي في حقول التجريب الروائي والتمارين في اللغة العربية قد تكون استلهاما للتراث واقترابا من التراث • ولكنهما عند الحديث عنهما كانجاز روائي لابد من التحفظ كثيرا) • واريد ان الاحظ فاقول ان الاسم الصحيح هو محمود المسعدي لا محمود السعدي وهو من مواليد يوم ٢٨ يناير سنة ١٩١١ م بتازركة ولاية نابل الجمهورية التونسية متخرج في جامعة باريس سنة ١٩٣٦ م ثم نال شهادة الدراسات العليا في اللغة والاداب العربية سنة ١٩٣٩ م ثم مبرزا سنة ١٩٤٧ م • شغل كاتب دولة للتربية القومية والشباب والرياضة من سنة ١٩٥٨ م الى سنة ١٩٦٨ م وتقلد كذلك مهام وزير دولة من نوفمبر ١٩٦٩ م الى يونيو ١٩٧٠ م وخاصة التربية والثقافة • تراس تحرير مجلة « المباحث » من سنة ١٩٤٤ م الى سنة ١٩٤٧ م وكتب عدة بحوث ومقالات نشرت في المجلات التونسية والشرقية وهو المؤسس الاول لمجلة « الحياة الثقافية » التي تصدر الان عن وزارة الشئون الثقافية عند اشرافه على هذه الوزارة ومن اهم مؤلفاته : السد وقد نشر سنة ١٩٥٥ م •• مولد النسيان ، وحدث ابو هريرة قال ، تاهيل كيان • وقد اعد اطروحة رئيسية بعنوان « مدرسة ابي نواس الشعرية او شعر الخمريات » واخرى تكميلية بعنوان « الموسيقى في النثر العربي المسجوع» لنيل الدكتوراة• ولقد سبق للمرحوم الدكتور طه حسين ان نشر في جريدة الجمهورية الصادرة يوم ٢٧ فبراير ١٩٥٧ م دراسة عن رواية « السد » لمحمود المسعدي حاول فيها حل غوامضها وفك اغلاقها وفهم ابعادها وتحليل المذهب الفلسفي الذي انبنت عليه ومناقشة كاتبها في بعض مسالكه الفكرية والفلسفية •• وفي مايو ١٩٥٧ م رد الاستاذ المسعدي على الدكتور طه حسين بتعليق تعرض فيه المفهوم الوجودية والالتزام واماط اللثام عن بطله « غيلان » وبطلته « ميمونة » في روايته السد واطلع كذلك الدكتور طه حسين على تعليق المسعدي فنشر في جريدة الجمهورية الصادرة يوم الاربعاء ٢٩ مايو سنة ١٩٥٧ م تحت عنوان « اصداء تونسية » •

محمد العائش القوني
تونس

• فن الادارة •

جلس المدير يحوطه — رهط النفاق الحاقدون
فن الادارة عنده — (شخط) يحس له رنين
ويزلزل الشاكي متى — فقد الوسيلة والمعين

قـــد اوغروا من صـدره ... ضــــد الأناس المتجيـن
ضربوا حصـــارا حـوله ... ليظــل القـوى الغــافلين
سلم الـــذين تملقـــوا ... تلك (البطـــانة) خاضـعين
لغـــدوا بذاك كفــاءة ... عند المـــدير مميـــزين
يكفى بالتهـــو غـــدوا ... لذوى النفاق منــــافقين
لزم الحيـــاد بقيـــة ... قلت ·· ودوما صـــامتين
حـــاولت اطلب فرصــة ... لابيـــن عن حق مبيـــن
لأبى المـــدير ورهطـــه ... كمقـــاطعين معاقبيـــن
ضاع التهـــار جميعـــه ... والحق فى صــدرى سجين
لا ·· لـن اكون منافقـــا ... ســـاظل مرفوع الجبيـــن
ولربمـــا يـرقى ســـوا ... ى ·· وباختيار الظـــالمين
الله ربى ناصــــــرى ... نعم بربى من معيـــن !

السيد عمر
الواسطى ـ بنى سويف



● الى السيد / مصطفى الضبع ـ كلية الاداب بسوهاج :
ـ لا فرق عندنا بين كاتب شاب وكاتب شيخ ·· ارسل الينا انت ومن يشاء من زملائك انتاجكم ، وسننشر منه ما يتفق ومستوى الهـــلال ·· وسنوافيكم برأينا ان شئتم ·· والقاعدة التى نأخذ بها هى مستوى الكتابة وليس اسم الكاتب كبيرا كان او صغيرا ·

● الى السيد / مصطفى ابو كحُيلة ـ كفر الزيات :
ـ قصيدتكم فى المديح النبوى تدل على اقترابكم من ضبط أوزانكم الشعرية ·

● الى السيد / عبده محمد سلطان ـ جيزة :
ـ تقولون فى قصيدتكم التى عنوانها : « الامة العربية » :

« الاما » الهجـــــر يا اهلى الاما
وبيت الاهل بقتله « الخصـــاما »
ومنذ الامس قـــد « زدنا » بعـــادا
وامس جرحنـــــا « يصرخ الاما »



وفي لبنان قد صالت « جيوشـــــا »
من الاعـــداء المفت ما القــــاما

والكلمات التي بين الاقواس خطأ ٠٠ فمثلا « الاما » فى أول البيت خطأ وصحتها « الام » بدون الف بعد الميم ، ولكن الالف بعد الميم فى « الاما » الثانية صحيحة ليكتمـل الوزن ٠٠ وكلمة « الخصــــاما » خطأ نحوى ، والصحيح « الخصام » ٠٠ و « ذدنا » خطأ املائى لانك تريد ان تقـــول « زدنا » ٠٠ والوزن مختل فى قولك«يصرخ الاماء» ٠٠ وفى قولك « جيوشا » خطأ نحوى وصحته « جيوش » ٠٠ ثم ان بقية قصيدتكم التى لم نستطع نشرها تجرى هذا المجرى بين الخطأ والصواب !

● الأوزان الصحيحة ●

● لجات اليكم ـ العام الماضى ـ لانصاف الشاعر أحمد حمدى عندما جار عليه ـ بغير عمد ـ الشاعر فؤاد بدوى واتهم قصيدته بأن فيها اخطاء عروضية وقد تفضلتم ـ مشكورين ـ بنشر رسالتى وتأييدى فى انصافه ـ عدد ديسمبر ١٩٨٤ م ٠ فمالى اراكم فى عددكم المــاضى سبتمبر ١٩٨٥ م تتهمون قصيدته « بلبل » بأن فيها ثلاث شطرات غير « صحيحة الوزن » ٠

اعتقد يا سيدى انه قد حدث لبس فى القراءة لان خط الشاعر لم يكن واضحا فالشطرات الثلاث ليس فيها أى كسر وهى كالتالى :

١ ـ عطرت فى ساح الجمال خـــدوده
٢ ـ بلبل قد حـــاز المفاتن حتى
٣ ـ والهوى يأبى ان يفك قيـــوده

ارجو من سيادتكم التكرم بنشر هذا التعقيب اظهارا للصواب وانصافا للشاعر وتمنياتى لكم بدوام التقدم والرقى ٠

مها صلاح الدين
كلية التربية بأسيوط

ـ الاوزان مكسورة فى المواضع الثلاثة التى بيناها والتى تذكرينها هنا ، وعلى الشاعر أن يصلح أوزانه لا ان يصر على بقائها مكسورة .. ثم ان قولك : « غير صحيحى الوزن » .. قول غير صحيح لغـويا .. والصواب ان تقولى : « غير صحيحة الوزن » لان الشطرات ليست جمع عقلاء ، اى جمع مذكر سالم كما يقول النحاة ، وانما هى ـ كما تعلمين ـ اشياء غير عاقلة وان كان يكتبها انسان عاقل !.

● إلى أصدقائنا ●

● الى السادة / احمد عبد السميع عبد الرحيم .. اشرف محمد مصطفى .. عبده محمد سلطان .. خليفة على اسماعيل .. حسن صبرى عبد المعطى .. عبد الناصر محمد القيعى .. عبد الرحيم الماسخ .. رفعت برويى .. ايمن الخراط :

ـ قصائدكم جهد مشكور لكم ، ولكن أوزانها تحتاج الى مراجعة متانية .

● الى السادة / ابراهيم السمرى .. اشرف محمود احمد .. السيد زرد .. مجدى عبد النبى :

ـ نشكركم .. ونرى أن جهدكم فى كتابة القصة واضح ، ولكن لابد من الصبر على هذا الفن الجميل لبن التمتع بنضجه .

● رجب عبد الحكيم بيومى الولى ـ دار العلوم :

ـ قرانا كلمتك الموجزة عن « الكرسى الكهربائى » وتاريخ اختراعه فى أمريكا .. ويبدو انك مهتم بالكهرباء الى جانب اهتمامك باللغة والافضل فى رأينا استخدام الكهرباء فى احياء الناس وخدمتهم لا فى قتلهم !..

● حامد على حامد ـ دمياط :

ـ لا تكتب مرة أخرى كلمة « الراسل » فان الكلمة الصحيحة هى « المرسل » وقد نبهنا الى ذلك مرارا .. اما قصيدتكم الطويلة التى عنوانها « التكارات النازية » فانها تدل على موهبتكم وستنضج هذه الموهبة سريعا ان شاء الله ..

دور أسرة المستقبل .. فى مواجهة الانفجار السكانى

عزيزى القارىء .. قد تتساءل لماذا هذا الاهتمام بتقديم العازل الطبى ، تبس ، ونشر كل شىء عنه منذ بداية نشاته ، وطرق صناعته ، وتوزيعه ، وفوائده وفعاليته .. فى حلقات متتالية ؟

ونحن بدورنا نحب أن نؤكد لك اننا بتقديمنا للعازل الطبى على هذه الصورة انما اردنا ان نسهم بدورنا فى التعريف بوسيلة فعالة يستعملها الرجال للاسهام الفعلى فى عملية تنظيم الاسرة ووقف الانفجار السكانى الذى يهدد المستقبل ، بل قد يؤدى الى تدمير الحالة المعيشية التى نعيشها الآن

ولعلنا بعد هذا البحث المستفيض عن الواقى الذكرى ، يكون من حقنا الحديث معك عن تنظيم الاسرة ولماذا نلح عليه ونجعله قضية عامة يجب على الجميع ان يساهم فيها ؟

تقول الارقام ان مصر تستقبل مولودا جديدا كل ١٩ ثانية فى المتوسط .. ومعنى ذلك ببساطة ان التعداد العام سيصل الى ٧٠ مليونا فى عام ٢٠٠٠ ، فاذا كنا فى الوقت الراهن بما تحمله مصر من اعباء تراكمية نعانى من التعليم الذى اصبح فى المرحلة الاساسية يعرف نظام الفترات الثلاث ونعانى ايضا من طفح المجارى وعدم وصول المياه الى الادوار العليا .. ومن ازمة اسكان حادة ومن مشاكل المواصلات والمرور ... و ... والخ ... فماذا نفعل فى مواجهة هذه الزيادة السكانية ومعالجة التراكمات الكثيرة . ناهيك عن مشكلات الغذاء واستيراده من الخارج .. وضيق الرقعة الزراعية .. وضيق الشريط الذى يحمل هذا العدد الهائل من البشر .. ان الكثافة السكانية فى مصر من اعلى معدلات الكثافة فى العالم .. ففى كل متر مربع يعيش الف نسمة فى المتوسط فماذا يمكن ان يحدث لو ارتفع عدد السكان الى ٧٠ مليونا أو ١٠٠ مليون نسمة وظلت حياتنا مرتبطة بهذا الشريط الضيق على جانبى النهر ؟

سترد - طبعا - علينا بغزو الصحراء .. وانا معك اقول : نعم ..

علينا بغزو الصحراء .. ولكن الا يحتاج غزو الصحراء الى الكثير من الاموال .. من اجل تعبيد الطرق .. والبحث عن المياه .. وتوفير الخدمات .. الكهرباء والمياه والصرف الصحى والمدارس والمستشفيات والجامعات .. ودور العبادة والامن .. و .. و .. والخ

والسنا ايضا فى حاجة الى الملايين والملايين من اجل علاج مشاكل التخلف التراكمى الموروث عن سنوات امضيناها نحمل المدفع ونحارب حروبا تحريرية كثيرة فرضت علينا لنحرر التراب والارادة .. والم تكلفنا هذه الحروب الكثير من الديون المطلوب من ادائها لاصحابها ؟

وانت ياعزيزى القارىء .. الست معى فى ان الوطن الحر هو حر بابنائه وباسهامهم الجدى من اجل عزته وكرامته .. ان تحرير ارادة الوطن وتحقيق مستقبل مشرف له هو دين فى عنق كل مصرى وليس احرى بتحمل تلك الرسالة وتفهم مغزاها من هؤلاء الابناء الذين كان لهم شرف النضال من اجل تحرير التراب المصرى .

ومن هنا .. وبعد ان قدمنا لك كل المعلومات عن توفر العازل الطبى « تبس » بكل مافيه من مواصفات تؤكد سلامته وفاعليته .. وبعد ان اوضحنا لك كل الظروف والملابسات التى تحيط بالوطن وتجعلنا نفخر ونحن ندعوك بان تساهم معنا .. ومع زوجتك من اجل توفير مستقبل مشرف لابنائك وابنائى الذين هم مستقبل هذا الوطن وعزته وذلك بتنظيم اسرتك .. لنصنع معا غدا افضل لهذا الوطن الذين بذلنا دماءنا وأموالنا من اجل تحرير ترابه وارادته .

● أسرة المستقبل والدعوة لتنظيم الاسرة

واذا كنا قد اتفقنا معا على سلامة العازل الطبى « تبس » .. وتاكدنا من فاعليته فان علينا ان نتحول جميعا الى جنود من اجل الدعوة الى تنظيم الأسرة .. فالدولة وحدها لا تملك القدرة على مواجهة هذه المشكلة الخطيرة التى تهدد بانفجار سكانى رهيب يلتهم كل احلامنا فى الرخاء والتقدم ، ووضع مصرنا العزيزة فى مكانها الذى تستحق ان تكونه تحت الشمس .. ان الدولة بكل امكانياتها لا تملك مواجهة الانفجار السكانى .. ومن هنا كان دور الجمعيات والتجمعات الأهلية مطلوبا ، وبالحاح للتعريف بهذه المشكلة والتوعية بها .

ولعلنا قد لمسنا هذا الدور المشكور الذى تقوم به جمعية « اسرة المستقبل » التى تضم صفوة من المفكرين والمتخصصين .. الت على نفسها ـ بعد ان وعت الدور المنوط بها ـ ان تدعو وباخلاص ، وان تبذل الجهد فى سخاء من اجل الاسهام الجدى فى تنظيم الأسرة .. وتوفير المناخ الصحى لاستقبال التجربة .. كما اسهمت فى توفير وسائل منع الحمل .. وتدريب الاطباء والصيادلة على احدث طرق استعمال هذه الوسائل .

ولعل الدور الكبير الذى تقوم به « اسرة المستقبل » فى هذا المجال .. وتنوعه وتشبعه يدعونا الى حديث خاص بها نلتقى به فى العدد القادم باذن الله .

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي ١٢ عددا في جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادي وفي بلاد اتحادي البريد العربي والافريقي والباكستاني عشرة دولارات

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية أجنبية حكومية وفي الخارج بشيك مصرفي لأمر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة أعلاه عند الطلب

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب

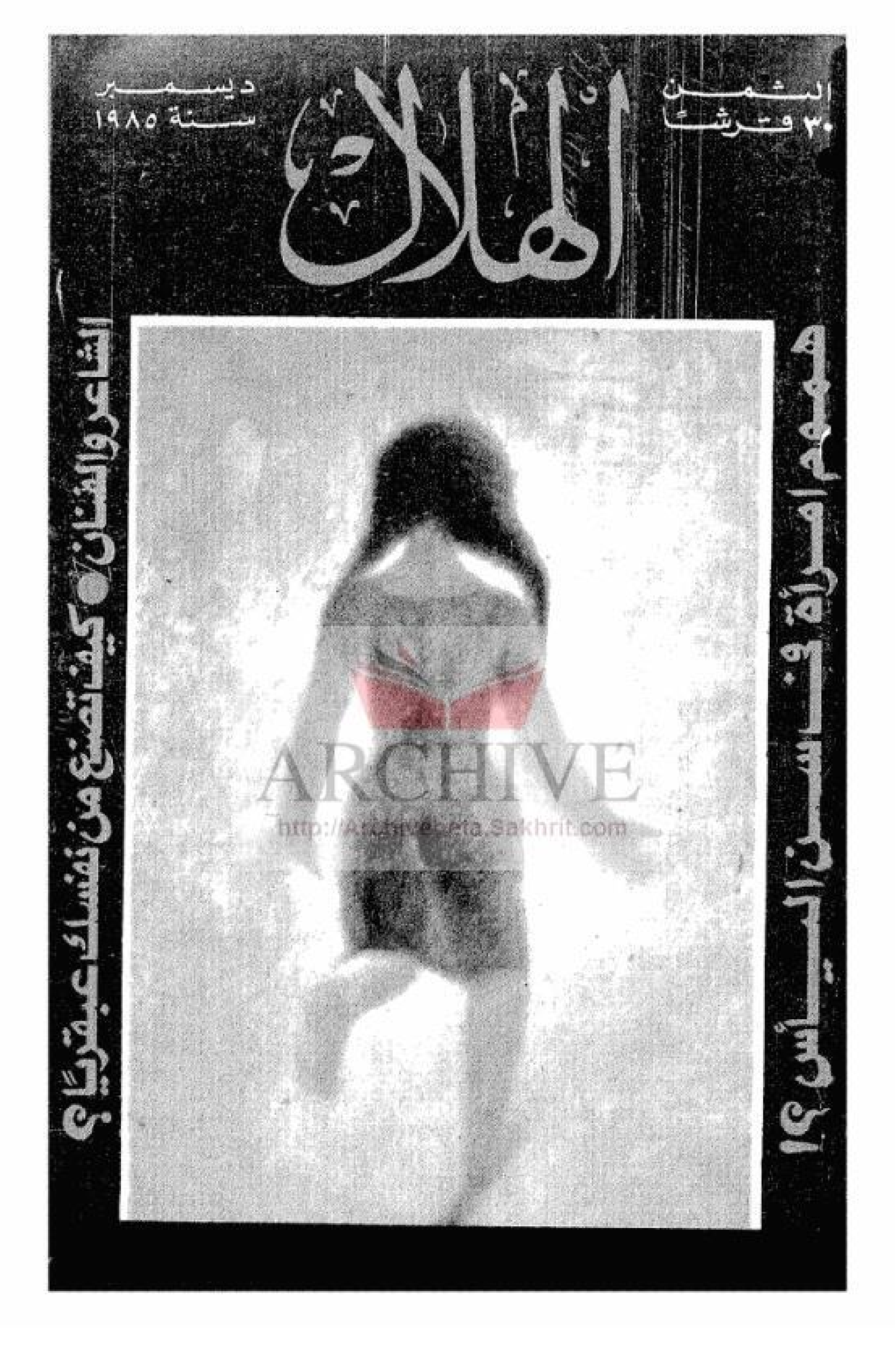
القاهرة - تليفون ٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط. مجلة الهلال ت : ٦٢٥٤٨١

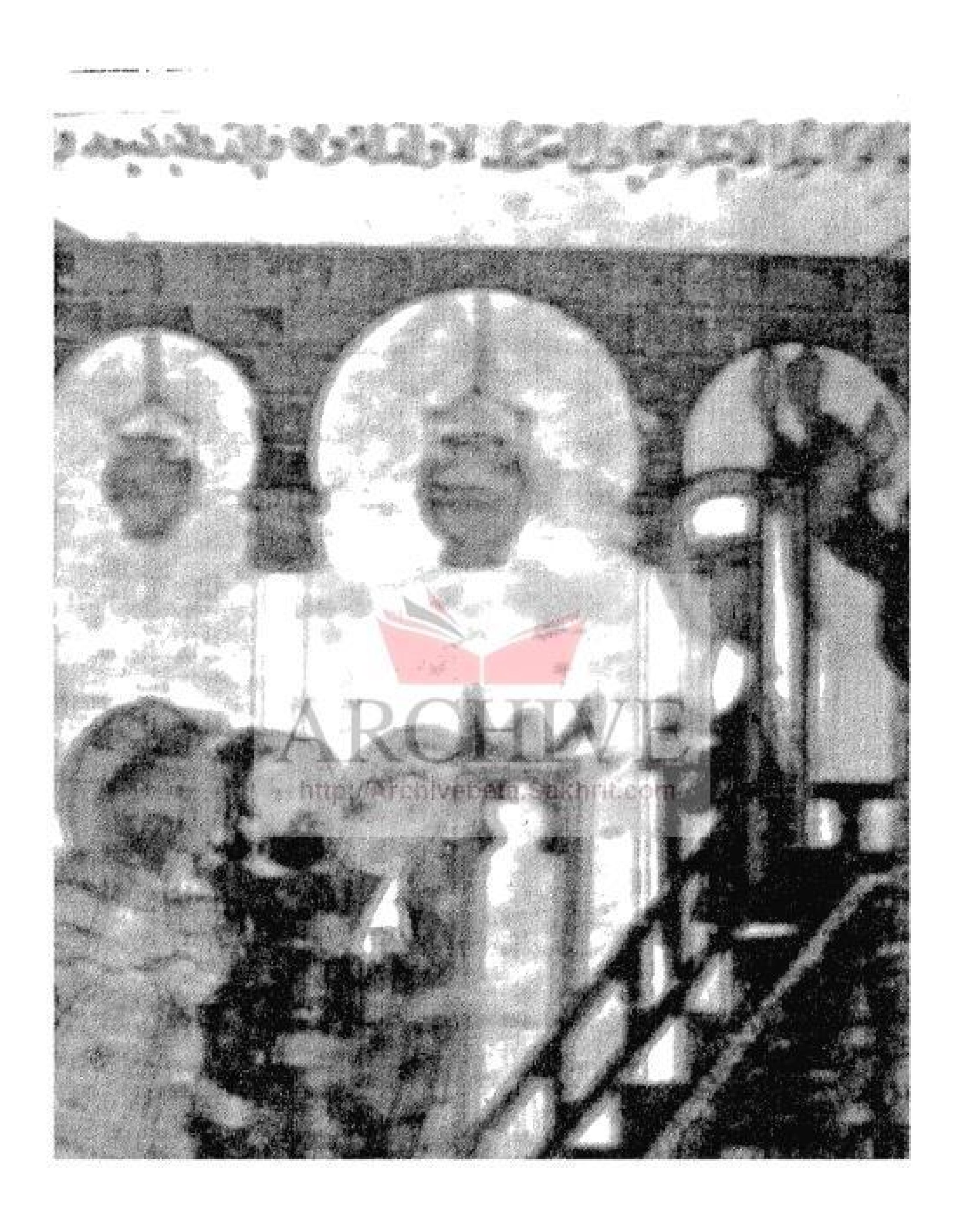


الأسعار

سوريا	٣٥٠ ق . س	غزة والضفة	٤٠ شلنا	اثينا	١٠٠ دراخمة
لبنان	٤٠٠ ق . ل	الصومال	٥٠ بني	فيينا	٣٥ شلنا
الأردن	٤٠٠ فلس	داكار	٤٠٠ فرنك	فرانكفورت	٣,٥ ماركات
الكويت	٤٥٠ فلسا	لاجوس	٦٠ بني	كوبنهاجن	١٠ كرونات
العراق	٤٥٠ فلسا	اسمرة	٤٥٠ سنتا	استوكهولم	١٤ كرونة
السعودية	٥ ريالات	اليمن الشمالية	٥ ريالات	كندا	٢٥٠ سنتا
السودان	١٢٥ ق .سوداني	اديس ابابا	٤٥٠ سنتا	البرازيل	٣٥٠ سنتا
تونس	٦٥٠ مليما	باريس	١٢ فرنكا	نيويورك	٣٠٠ سنت
المغرب	٨٠٠ فرنك	لندن	١٠٠ بنس	لوس انجلوس	٣٠٠ سنت
الجزائر	٦٥٠ سنتا	ايطاليا	١٨٠٠ ليرة	استراليا	٤٠٠ سنث
الخليج	٦٥٠ فلسا	سويسرا	٣,٥ فرنكات	هولندا	٤ فلورينات
				عدن	٢٥٠ فلسا

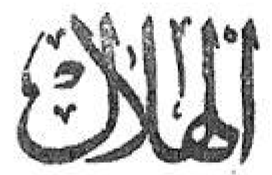

مصر للطيران
علم مصر فى كل مكان
أكثر من
٥٠
سنة خبرة
مصر للطيران
فى خدمتكم
أوربا - أفريقيا
آسيا - أمريكا
(البوينج ٧٦٧ - البوينج ٧٣٧ - البوينج ٧٠٧
الإيرباص - الجامبو ٧٤٧)


الهلال
الثمن ٣٠ قرشا
ديسمبر سنة ١٩٨٥
هموم امرأة في سن اليأس!؟
الشاعر والفنان/ كيف تصنع من نفسك عبقرياً؟



من روائع الفن الإسلامي

● احد المنمنمات التى تزين كتاب مقامات الحريرى ، والتى جاءت فى المقامة الثامنة والعشرين ، وتنقل احد جوانب الحياة المملوكية، يتصور خلالها الفنان الخطيب ابو زايد خلال حديثه من منبر جامع سمرقند ، بينما يجلس امامه المصلون بأزيائهم الملونة ..
وهذه اللوحة من مقتنيات المتحف البريطانى « ١٧٤ × ١٥٩ مم » ●



السنة الثالثة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة دار الهلال اسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ - اول ديسمبر سنة ١٩٨٥ - ١٩ ربيع الاول ١٤٠٦ .

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المدير الفني
عادل ثابت

سكرتيرا التحرير
موسى عبيد
عيسى دياب

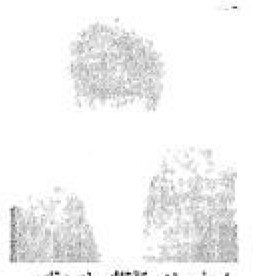


الغلاف الاول :
تصميم : الفنان حلمي التوني
تصوير : صبحي الشاروني



جزء خاص عن حجازى
ص ٦٤

في هذا العـدد


إحذر ان تقتلك زوجتك في سن الياس ص ١٤٦


تقويم الدولة العثمانية ص ٤٣


سينما ١٩٨٥ ص ٥٠

● شعر وقصة ●

● فن تشكيلي ●

● الأبواب الثابتة ●



عزيزى القارىء

ـ ١ ـ

يبدأ « الهلال » من هذا العدد فى نشر بحوث ومقالات وآراء حول مستقبل مصر ، أو مصر المستقبل ، أو مصر كما يريدها أبناؤها المصريون فى مستقبلها السعيد ، وكما يريدها أيضا أبناء عمومتها العرب فى جميع الأقطار العربية ، وهم يبحثون عن مستقبلهم الجديد ، بعد أن شبعوا من ماضيهم التليد ..

إن مصر المستقبل هى مصر الماضى المتصل الحلقات ، التى تبدأ مستقبلها منذ اليوم ، أو قد بدأته منذ أمس ، فى شكل برامج واسعة تشمل مجالات حياتنا .. نستعد بها لاستقبال مطالع القرن الواحد والعشرين بعد خمسة عشر عاما ، مع الشعوب الحية التى عقدت النية على مواصلة البقاء فى هذا العالم الذى لايبقى فيه الا من يأخذ بأسبابه ..

وفى هذا الاطار ننشر دراسة للدكتور مصطفى الجبلى بعنوان « المشكلة الزراعية واستراتيجية التنمية حتى عام ٢٠٠٠ » .

إن بداية عام ، أو بداية قرن من الزمان ، مثل نهايتهما ، افتراض فلكى ، وحساب بشرى ، فالشمس فى شروق وغروب مدى الدهر ، خارج حسابنا وافتراضنا ، والمهم حقا هو مايعمله الانسان من أجل حياته بين شروق كل شمس ومغيبها ، والا كان تطلعه الى بداية العام أو بداية القرن ، حلما بالغ السذاجة ، يتعلق فى بلاهة بذراع القمر السابح فى الليل ، أو ينظر بعينين عمياوين الى قرص الشمس المتوهج فى النهار ..

والعالم الان ، بجناحيه الكبيرين ، الراسمالى والاشتراكى ، يضع الخطط والبرامج التى يدخل بها القرن الواحد والعشرين ..

بعضهم يرفع شعار زيادة الانتاج الصناعى والزراعى ضعفين خلال الاعوام الخمسة عشر الباقية من القرن العشرين ، كما يرفع شعار : اجور اكبر ، واسعار اقل ، ومدن وقرى بلا ازمة مساكن .. ناهيك بما يقولونه عن الحلول الجذرية لازمات الطعام والماء والمواصلات والتعليم والخدمات . فهذه وغيرها سوف تجد حلها النهائى فى هذه المدة القصيرة ، وستدخل كل امة تستطيع تنفيذ هذه البرامج ، من باب القرن الواحد والعشرين ، وهى سعيدة قوية منتصرة على المشكلات التى انقضت ظهرها طوال القرن العشرين ، بل طوال القرون الماضية !...

طبعا .. ليس كل مايقال او يكتب فى برامج الامم المتقدمة الكبيرة ، سوف يتحقق بحذافيره ، ولكن يكفى هؤلاء القوم ان يخططوا ويشرعوا فى التنفيذ بهمة ونية صادقة ، فانهم عندئذ يكونون قد اعذروا الى انفسهم والى اجيالهم القادمة إذا لم يستطيعوا فى النهاية ان ينفذوا الا ثلاثة ارباع برامجهم ، او حتى نصفها !..

فماذا سوف نصنع نحن ؟

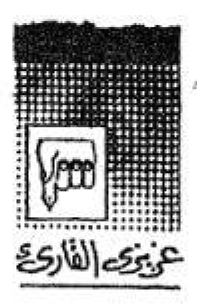
ماذا اعددنا القرن الواحد والعشرين ، اى للمستقبل الصعب الذى يرمز اليه هذا القرن المخيف القادم بمشكلاته فوق الارض ، وتحت الماء ، وفى اجواز الفضاء ؟!..

هل سندخل القرن الواحد والعشرين بستة ملايين فدان من ارضنا الزراعية تتناقص خصوبتها عاما بعد عام ؟! او ندخله باقل من هذه الملايين الستة بعد ان نبنى على مليون فدان اخرى عشرات الالوف من ناطحات السحاب والابراج ونعرضها للتمليك « الفاخر » ؟!..

وماذا عن الصناعة ؟

هل سنقف عند تجميع اجزاء السيارات والطيارات والثلاجات والتليفزيونات ، واستيراد مصانع للطوب والاسمنت ، والات لذبح البقر والدواجن ، وأجهزة لصناعة الخبز والحلوى . ام نتقدم الخطوة الصحيحة الوحيدة التى لابد منها للصناعة الحقيقية ، فنصنع الالات ، اى : نصنع ادوات الانتاج .. وبعبارة مباشرة : نصنع المصانع التى تنتج حاجاتنا ؟!..

بدون بلوغنا هذه المرحلة فى الصناعة قبل دخولنا القرن الواحد والعشرين



سوف تتخلف عن العالم الصناعى الحقيقى ، ثلاثمائة سنة على الاقل ..
وبدون حماية أرضنا الزراعية من أبراج التمليك ومن تناقص الخصوبة ، ستعود أرضنا صحراء كما كانت فى سالف الزمان ، قبل أن يفيض ماء النيل على ضفتيه ويزرع فوقهما الخصب والنماء ..

ـ ٢ ـ

كيف كانت سنة ١٩٨٥ فى الثقافة المصرية ؟!..
لقد كثرت فيها المجلات والاقلام والافكار ، وتم وضع حجر الاساس لدار الاوبرا الجديدة ، وأقيم مهرجان للسينما المصرية والعالمية ، وعيد فضى للتليفزيون ، وحاول المسرح الحكومى أن يجتذب الجمهور ، وتم طبع ملايين من كاسيتات الاغانى الجديدة والقديمة .. وظهرت كتب متنوعة ، ونشرت الصحف مقالات غير قليلة فى الادب والفكر ، وصودرت الف ليلة وليلة فى طبعتها القديمة التى لم تصادرها أية جهة طوال الف سنة .. واقيم معرض للكتاب فى القاهرة ، واعلنت الجهات المسئولة إزالة القيود عن تصدير الكتاب المصرى الى الخارج .. واشتجرت أقلام مشاهير الادباء فى معارك ظافرة وخاسرة انتهى بعضها بالصلح المشرف تحت شعار : لاغالب ولامغلوب !.. واقيمت الندوات ومعارض الرسم والتصوير فى القاهرة والاقاليم ، وتلقى الاساتذة الكبار جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية فضلا عن الاوسمة وكلمات التنويه فى ابرز مكان من الصحف السيارة .. وحدثت أشياء كثيرة فى الادب والفن ، وجرت مياه غزيرة تحت جسور النيل فى طريقها الى البحر الابيض المتوسط ..
فهل كان هذا كله حصادا مثمرا أو حصادا عقيما فى عالم الفكر والادب والفن والثقافة بوجه عام ؟!..

هل كان فى خدمة الشعب او فى خدمة الفئة التى استفادت منه او كان دخانا فى الهواء ؟!

هل عرف الشعب شيئا عن هذه الامور كلها ، ام مضت هذه الامور كلها فى حال سبيلها ، والشعب فى شغل عنها بحاله وماله ؟!..

إن الادباء والمفكرين هم مهندسو النفوس البشرية .. كما يقال ـ وهم فى بلادنا يبذلون جهدهم بقدر إمكاناتهم ، وعلى حسب ظروفهم واحوالهم ومايتاح لهم من تشجيع ، او يقع فوق رءوسهم من تثبيط !.

ولن ندفن رءوسنا فى الرمال ونقول : ان الثقافة المصرية قد صارت فى خدمة الجماهير التى تعد بالملايين ،فدون تحقيق هذا الهدف الكبير ، خرط القتاد ـ على حد التعبير القديم ـ ولابد قبل بلوغه من تذليل العقبات والمثبطات التى لاحصر لها .. فضلا عن ان الثقافة المصرية ـ إن اردنا الحقيقة ـ لم تتبلور بعد فى صيغة تجعلها غذاء مجديا ومحركا للجماهير ولانعنى بالصيغة « القالب » الواحد ، ولكن نعنى « القلب » النابض مع قلوب الناس ..

غير اننا مع ذلك نقول ان الثقافة المصرية لو اتيح لها ان تقوم بدورها الجماهيرى قياما حقيقيا مؤثرا فى النفوس والقلوب والعقول ، لما صارت مشكلة إدمان المخدرات ، مثلا ، مشكلة مخيفة تنذر بأوخم العواقب .. فإن الامة التى تعاقر الثقافة وتعكف عليها ، لاتجد وقتا للعكوف على المخدرات وإدمان الكوكايين والهيروين وأخواتهما !

وقد رمانا الاستعمار قبل ستين عاما بمشكلة الكوكايين هذه فكان الادب المصرى والفن المصرى والثقافة المصرية حينذاك اسلحة ذات اثر فى محاربة هذا البلاء والقضاء عليه ، حتى نسى الناس اسم « الكوكايين » .. ثم فاجأتهم به تطورات الزمن الاخير ، عائدا اليهم من جديد ..

فهل يعيد التاريخ نفسه فيصبح الفكر والادب والثقافة كلها سلاحا لمحاربة هذا الداء ، ام ان الثقافة المصرية قد اختنقت ـ ولو مؤقتا ـ فى ضباب التخدير ؟!..

نحن لانقول نعم .. إجابة عن الشق الثانى من هذا السؤال ، لاننا واثقون بأن شعبنا لن يهدر مستقبله وحياته ، وسيجد فى اخر المطاف حلا صحيحا لمشكلته هذه وجميع مشكلاته الأخرى ، بالعمل فى ميدان الثقافة وفى جميع الميادين

... ننشر ضمن مواد العدد دراسة بعنوان الشباب ومكافحة ادمان المخدرات بقلم الدكتور سيد عويس

الـمحـرر

إعادة اكتشاف مصر

المشكلة الزراعية واستراتيجية التنمية حتى عام ٢٠٠٠

بقلم: د. مصطفى الجبلى

لازال القطاع الزراعى فى مصر يشغل مركزا هاما بين القطاعات الانتاجية بالرغم من ازدياد أثر كل من القطاعين الصناعى والخدمى على النشاط الاقتصادى المصرى. وترجع اهمية القطاع الزراعى الى مساهمته بنحو ٢١ ٪ من قيمة الناتج الاجمالى ، وبحوالى ٢٣ ٪ من قيمة الصادرات المصرية، كما يعمل نحو ٥٠ ٪ من القوة العاملة فى مصر ويعيش عليه نحو ٥٢ ٪ من السكان .



وقد كان القطاع الزراعى حتى وقت قريب المصدر الاساسى للغذاء والكساء كما كان يحقق فائضا للتصدير ساهم فى خلق القاعدة الصناعية خلال الستينات .. الا انه مع ازدياد السكان ومتطلباتهم الغذائية دون زيادة مقابلة فى الموارد الزراعية او تطوير محسوس فى طرائق الانتاج او تحديث للهياكل الانتاجيـة الزراعية ، لقد بدا القطـاع عاجزا عن الوفاء بالاحتياجـات الاساسية المتزايدة للسكان واخذت الفجوة الغذائية تتسع والصـادرات الزراعية تتناقص وميزان المدفوعات يزداد عجزا مع الزمن واصبحنا نعتمد على الغير فى توفير معظم الاحتياجات الغذائية مما يهدد سلامنا الاجتماعى ويقيد حريتنا السياسية ويعرقل خططنا التنموية علاوة على الارتفاع الملحوظ فى اسعار المواد الغذائية من آن لاخر والاختناقات التى تحدث فى بعضها وأصبح موضوع الامن الغذائى ومستقبل الغذاء فى مصر الشغل الشاغل ليس للمسئولين فحسب بل للمواطنين ككل .

ومن الملاحظ انه كلما ازدادت المشكلة الزراعية حدة قامت الدولة باعادة النظر فى سياستها الزراعية فى محاولة منها لدفع عجلة الانتاج واقتراح الحلول والبدائل لبرامج التنمية املا فى الخروج من هذا الوضع .

نحو تخطيط علمى للزراعة

تواجه الزراعة المصرية فى السنوات الخمس عشرة القادمة تحديات تفرضها طبيعة المشكلة الزراعية من حيث محدودية الموارد المتاحة ، ارضية كانت أم مائية وزيادة المتطلبات منها فى ضوء الانفجار السكانى المرتقب . ولا يمكن مواجهة مثل هذه التحديات الا عن طريق التخطيط المتكامل بعيد المدى فى اطار اهداف محدودة واضحة المعالم للقطاع الزراعى .

اهداف القطـاع الزراعى

لما كان وضع أى سياسة سليمة للقطاع الزراعى ، يجب ان يبنى على أساس من الدراسات الكمية المنظورة للقطـاع الزراعى فى اطار متكامل للاقتصاد القومى ، خلال فترة زمنية ، تمتد مثلا حتى سنة ٢٠٠٠ وذلك بتحديد الطلب المنتظر على القطاع الزراعى نتيجـة عملية التنمية وكيف يمكن تحقيق هذا الهدف تحت فروض نمو مختلفة تلعب الزراعـة دورا رئيسيا فيها وتوجيه الناتج الزراعى فى كل حالة لمقابلة احتياجات الطلب المختلفة .. وذلك فى ضوء الاهداف الموضوعة للقطـاع الزراعى ، والتى تتلخص فى الاتى :

- توفير الغذاء والكساء للسكان يتزايدون بسرعة ويصل عددهم الى نحو ٧٠ مليون شخص عام ٢٠٠٠ وترتفع احتياجاتهم بمعدل لا يقل عن ٧٪ سنويا .
- توفير احتياجات الصناعات القائمة من المواد الخام والتى ينتظـر أن تزيد لثلاثة أمثال ماهى عليه حاليا قبل نهاية هذا القرن ، كصناعة النسيج ، السكر والزيتون ، وحفظ الاغذية وغيرها ..
- توفير فرص العمل لقوة عمل زراعية ينتظر ان تصل الى ١١ مليون فرد من السكان الريفيين قبل سنة ٢٠٠٠ مع ضرورة تضييق الفجوة بين دخول العاملين فى الزراعة والعاملين فى المهن الاخرى .
- تعظيم استخدام الموارد الارضيـة والمائية وتحقيق اكبر قيمة مضـافة من الزراعة .

وتحقيق هذه الاهداف يقتضى تشخيص مشـاكل التنمية وتحديد ابعـاد الاستراتيجيات البديلة ، واحتمـالات الطلب على السلع الزراعية سواء للاستهلاك المحلى أو التصدير ، وتحليل العرض من السلع المختلفة .. مع دراسـة تاثير عوامل النمو المختلفة على الهيكل الاقتصادى واحتياجات الاستهلاك والتصدير . ولاجل وضع أستراتيجية سليمة لابد من الالمام بالسمات الرئيسية للزراعة المصرية .

السمات الرئيسية للزراعة المصرية

وكخطـوة اولى واساسية لوضع استراتيجية سليمة لابد من الالمام بالسمات

إعادة اكتشاف مصر

« تدنت انتاجية العامل الزراعي في مصر بنحو واحد على عشرين من انتاجية العامل الزراعي في أمريكا »

الرئيسية للزراعة المصرية والوقوف على الوضع الراهن لبنيانها وما قد يحتاج اليه من تطوير لتحقيق الاهداف الموضوعة ■

ويتميز الوضع الزراعي الراهن بالسمات الآتية :

● تفتت الملكية وبعثرتها في وحدات صغيرة يصعب ادارة كل منها اقتصاديا ولا شك أن النظام السائد للارث سوف يؤدي الى زيادة التفتت الاراضي وسيادة الحيازات القزمية مستقبلا علما بأن هناك اكثر من ٣ر٣ مليون حائز يمتلكون اقل من خمسة افدنة بمتوسط ٣ر١ فدان مشتتة بين اكثر من قطعة .

● ان معظم المحاصيل تزرع في وحدات صغيرة مبعثرة لتحقيق الكفاف دون هدف السوق مما حرم المدينة من ناتج هذه الوحدات .

● ان الزراعة لازالت تعتمد في معظمها على العمل الانساني والحيواني .

● التنافس المتزايد بين الانسان والحيوان على مساحة محدودة من الارض الزراعية المعرضة للتناقص مع الزمن بسبب زحف المباني وتبلغ المساحة المخصصة لأعلاف الحيوان حوالي ٢٠٪ من جملة المساحة المحصولية والمساحة المقتطعة من الارض لنحو ٦٠ الف فدان في السنة .

● الاسراف في مياه الري واتباع اساليب بدائية في نقله وتوزيعه وغياب السياسة المالية لتقليل الفواقد .

● عجز القطاع الزراعي عن امتصاص الفائض من العمالة الزراعية وتراكم هذا الفائض سنويا وضعف انتاجية العامل الزراعي مما أدى الى ارتفاع تكاليف الانتاج

● ضعف الكفاءة التحويلية للحيوان الزراعي وسيادة حيوانات العمل والتي تستهلك انتاج أكثر من ثلاثة ملايين من الافدنة يمكن توفير نصفها باستخدام الميكنة

● البطء في الوصول بالاراضي الجديدة الى الانتاجية الواجبة فبينما تبلغ مساحتها حوالي ١٧ ٪ من المساحة الكلية فانها لا تقل أكثر من ٧ في المائة من الانتاج الزراعي الكلي .

● ان مرونة التغيير في التركيب المحصولي محدودة ، وان كل زيادة في مساحة محصول تكون على حساب نقص في مساحة محصول آخر . ولذلك فان نظام استغلال الأرض في مصر لم يتغير كثيرا فيما عدا زيادة مساحة الأرز على حساب الأذرة والقطن بعد السد العالي .

● واخيرا فان نسبة التكثيف المحصولي في الزراعة المصرية قاربت ٢٠٠ في المائة مما لا يترك مجالا لزيادة التكاليف ما لم تحدث ثورة علمية تؤدي الى تقصير فترة نمو المحاصيل وأحداث تغيير جذري في التكثيف الزراعي ■

تأثير سلبي

ان هذه السمات اثرت تأثيرا سلبيا على الانتاج والانتاجية اذ لا يمكن تطبيق الاساليب العلمية في حيازات قزمية ، كما وان تكاليف الانتاج ارتفعت ارتفاعا ملحوظا في السنين الاخيرة وانخفضت انتاجية العامل الزراعي وأصبح التحكم في توزيع مياه الري بالغ الصعوبة والاستفادة من الارشاد الزراعي في تطوير الزراعة غير ميسر للاغلبية العظمى من الزراع ، واستخدام الكيماويات في الزراعة أمر محفوف بالخطر للانسان والحيوان والنتيجة عجز القطاع الزراعي عن الوفاء بالمتطلبات المتوقعة منه ، ومن هنا أصبح تطوير وتحديث الزراعة حتمية تفرض نفسها ، اذا اردنا لهذا القطاع



التوسع فى الارض الجديدة يوفر عمالة ومحاصيل جديدة ويقلل من مخاطر الغد

ان يواجه التحديات التى تنتظر وذلك فى ضوء التناقضات التى تعترضه

تناقضات تعترض المخطط للقطاع الزراعى

ان المخطط للقطاع الزراعى المصرى يواجه بالعديد من التناقضات والتساؤلات الخاصة بتوجيه الانتاج والتى يتحتم عليه الاجابة عنها وايجاد حلول لها حتى يمكن ان تتحدد معالم الخطة وتحقق الاهداف الموضوعة لها

ويمكن حصر هذه التناقضات فى الاتى :

● التناقض بين الانتاج للاستهلاك المحلى والانتاج للتصدير

● التناقض بين الانتاج لغذاء الانسان والانتاج لعلف الحيوانات

● التناقض بين التوسع فى زراعة المحاصيل الحرة سعرا ومساحة وتلك المقيدة بحصص حكومية واسعار جبرية

● التناقض بين الاستمرار فى انتاج بعض المحاصيل الغذائية الاستراتيجية بالرغم من انخفاض ميزاتها النسبية او الاستمرارية فى استيرادها من الخارج « القمح والاذرة مثلا » .

● التناقض بين زراعة محاصيل بهدف المحافظة على خصوبة الارض «البرسيم» وزراعة محاصيل ذات ميزة نسبية عالية للمزارع والدولة بغض النظر من اثرها على خصوبة التربة .

● التناقض بين زراعة المحاصيل ذات الميزة النسبية العالية للمزارع والمحاصيل ذات القيمة المضافة العالية للدولة والمنخفضة للمزارع « القصب والقطن ».

● التناقض بين الاستمرار فى استخدام اليد العاملة فى الزراعة المصرية على حساب الانتاج وزيادة التكاليف والتوسع فى الميكنة وزيادة الانتاج وخفض تكاليفه مع مايصحب ذلك من آثار اجتماعية

ان الاجابة على هذه التساؤلات تقتضى القيام بدراسات منظورة لهياكل الانتاج والاستهلاك خلال فترة زمنية معينة .

الفجوة الغذائية

كانت مصر حتى منتصف الاربعينات دولة مكتفية ذاتيا فى محاصيلها الغذائية ثم تحولت تدريجيا منذ الخمسينات الى دولة مستوردة لمعظم السلع الغذائية حتى وصلت فى منتصف السبعينات الى مرحلة الخطر واصبحت تعتمد على الخارج

فى استيراد غذاء الانسان والحيـــوان والنبات مما اوقعنا الان فى تبعية غذائية تهدد استقلالنا السياسى) وقد تـوافق حدوث ذلك مع ارتفاع ملحوظ فى أسعار السلع الغذائية عالميا مما أصبـح يـكون نزيفا على اقتصادنا القومى وعبئا ثقيـلا على المواطن . ومن الملاحظ أن حجم وقيمة الفجوة الغذائية اتسعت بسرعة مع الزمن حتى بلغت وارداتنا الغذائية عام ١٩٨٢ نحو اربعة امثال صادراتنا الزراعيـة . وفيما يلى تدرج الفجوة الغذائية خـلال الخمس والعشرين سنة الاخيرة :

السنة	حجم الفجوة « مليون طن »	قيمة الفجوة « مليون دولار »
١٩٦٠	١ر٠٠	١٥٠
١٩٧٠	١ر٧	٩٨٠
١٩٨٠	٧ر٤	١٧٨٠
٨٦ـ٨٧	١٢ر٥	٢٨٠٠

التطور فى الاستهلاك الكلى والفردى لبعض السلع الغذائية الاساسية :

السلعة	الاستهلاك « كلى وفردى » ١٩٦٠ كلى مليون طن	١٩٦٠ فردى كجم	١٩٧٤ كلى مليون طن	١٩٧٤ فردى كجم	١٩٨٠ كلى مليون طن	١٩٨٠ فردى كجم
القمح	٢ر٠٧	٨٠	٤ر٤٦	١٢٣	٧ر٢	١٧٠
الذرة	١ر٦٠	٦٢	٢ر٩	٨٠	٤ر٢	٩٩
السكر	ر٣٠	١١	ر٥٧	١٦	١ر١٥	٢٧
الزيت	ر١٣	٥	ر٢١	٧	ر٤٠	٩
اللحوم	ر٢٥	٧	ر٣٠	٨	ر٤٥	١١
الالبان	١ر١٣	٤٤	١ر٨٣	٥١	٣ر٠١	٧٢

وقد شجع على هذا الاسراف التوسع فى استيراد الحبوب ودعم الـــرغيف والسكر والزيت والارز والاعلاف

التطور فى الانتاج والاســـتهلاك ونسبة الاكتفاء الذاتى من السلع الغذائية الاساسية :

	١٩٦٠ انتاج	استهلاك	اكتفاء ٪	١٩٧٤ انتاج	استهلاك	اكتفاء ٪	١٩٨٠ انتاج	استهلاك	اكتفاء ٪
القمح	١ر٤٤	٢ر٠٧	٧٠	١ر٨٦	٤ر٤٦	٤١	١ر٨٠	٧ر٢	٧٧
الذرة	١ر٥	١ر٦	٩٤	٢ر٥١	٢ر٩	٨٦	٣ر٢	٤ر٢	٧٦

السكر	٢٤ر	٣٠ر	١١٤	٥٥ر	٥٧ر	٩٦	٦٦ر	١٥ر١	٥٧
الزيت	١٢ر	١٣ر	٩٥	١٥ر	٤١ر	٣٦	١٣ر	٤٠ر	٣٤
اللحوم	٢٤ر	٢٥ر	٩٤	٣٠ر	٣٠ر	١٠٠	٣٤ر	٤٥ر	٧٥
الالبان	٠٥ر١	١٣ر١	٩٢	١٦ر١	١٨ر١	٩٢	٨٦ر١	٠١ر٢	١١
الاسماك	١٢ر	١٣	٩٣	١١ر	١٣	٨٥	١٥ر	٢٨ر	٥٣

وقد بلغت وارداتنا الغذائية عام ١٩٨٤ نحو ٥ر٨ مليون طن وانتاجنا نحو ٤ر٨ ، واذا كانت المساحة المحصولية للانتاج المحلى من السلع الغذائية تبلغ نحو ٧ ملايين فدان معنى هذا انه يلزم نحو ٧ ملايين فدان محصولى اضافية لتحقيق الاكتفاء الذاتى . واذا بقى معدل الانتاج والاستهلاك على ما هو عليه حاليا فانه يلزم نحو ٢١ مليون فدان محصولى عام ٢٠٠٠ لتحقيق الاكتفاء الذاتى . وقد ارتفع معدل الاستيراد عام ١٩٨٥ الى ما يعادل ٦٥٪ من جملة الاستهلاك وبذلك تحول الاقتصاد الزراعى المصرى من مرحلة الفائض الغذائى فى الاربعينات الى مرحلة الاكتفاء تقريبا فى الخمسينات والستينات الى مرحلة العجز الغذائى الواضح فى السبعينات الى العجز الصارخ فى الثمانينات .

استراتيجية مقترحة لسد الفجوة الغذائية

لما كان من المنتظر ان تصل الفجوة القمحية عام ٢٠٠٠ الى نحو ١٠ ملايين طن ، وفجوة الاذرة الى نحو ٥ر٤ ملايين طن اى يصل حجم واردات القمح والاذرة الى نحو ٥ر١٤ مليون طن والزيوت نحو ٧٠٠ الف طن والاسماك نحو ٦٥٠ الف طن والسكر نحو ٣ ملايين طن فان السؤال الذى يتبادر لنا هو هل هناك امل فى تضييق الفجوة الغذائية او سدها ؟ فى راينا انه ليس امامنا الا الاخذ بالاستراتيجية المقترحة التالية :

● رفع انتاجية الفدان من محاصيل الحبوب الاساسية « القمح - الاذرة الارز » الى اقصى طاقة ممكنة باستبدال الاصناف التقليدية باصناف عالية الانتاج بحيث يصل متوسط انتاجية القمح ما يقرب من ٣ اطنان للفدان بدلا من ٥ر١ طن حاليا والاذرة الى نحو ٥ر٣ طن للفدان بدلا من ٧ر١ طن الفدان حاليا والارز الى نحو ٧ر٣ طن للفدان بدلا من ٣ر٢ طن حاليا .

● رفع درجة التكثيف المحصولى الى ما يقرب من ثلاثة محاصيل فى السنة بدلا من محصولين حاليا باحلال الاصناف مبكرة النضج محل الاصناف التقليدية ، وهذا يضيف مساحة محصولية يمكن أن تصل الى نحو ٦ ملايين فدان تستخدم فى زيادة مساحة بعض المحاصيل الاستراتيجية مثل المحاصيل الزيتية والاذرة وبنجر السكر .

ويوضح الجدول التالى المساحة والانتاجية الحالية والمحتملة نتيجة ادخال الاصناف عالية الانتاج وتطبيق نتائج البحوث

حملات قومية :

المحصول	المساحة مليون فدان	الانتاجية الغذائية «طن» حاليا	محتمل	الانتاج حاليا	« مليون طن » محتمل
الاذرة	٣ر١	٥ر١	٣	٩٥ر١	٩٠ر٣
القمح	٠ر٢	٧ر١	٥ر٣	٤ر٣	٠٠ر٧
الارز	٠ر١ .	٣ر٤	٥ر٣	٣ر٣	٥ر٣

إعادة اكتشاف مصر

● خفض مساحة البرسيم تدريجيا من ٨ر٢ مليون فدان الى نحو ٤ر١ مليون فدان مع رفع انتاجية الفدان وتخفيض عدد الابقار والجاموس الى الثلث «حوالى ٥ر١ مليون رأس بدلا من حوالى ٥ر٤ ملايين رأس » مع استبدالها تدريجيا بحيوانات عالية الكفاءة الانتاجية للبن « فريزيان نقى او مهجن مع بلدى »حيث ان انتاجية الرأس المهجن والنقى تقدر بنحو ٢ — ٥ طن بالمقارنة بنحو ٥ر٠ — ١ر٠ طن للرأس البلدى والوفر من مساحة البرسيم يمكن استغلاله كالآتى :

أ — زيادة مساحة القمح بنحو ٧٥ر٠ مليون فدان تعطى حوالى ٢٥ر٢ مليون طن مع زراعة هذه المساحة بالاقطان مبكرة النضج متوسطة التيلة .

ب — زيادة مساحة بنجر السكر من نحو ٥٠ الف فدان الى نحو ٥٠٠ الف فدان تعطى نحو مليون طن سكر .

ج — زيادة مساحة المحاصيل الزيتية الشتوية بنحو ١٥٠ الف فدان من القرطم وال Rape تعطى نحو ٤٠ الف طن زيت .

هـ — الاستفادة من المساحة المحصولية والناتجة من رفع التكثيف المحصولى من محصولين فى السنة الى ثلاثة محاصيل كالآتى :

١ — زراعة حوالى مليون فدان بعباد الشمس تنتج حوالى ٧٥ الف طن زيت .

٢ — زيادة مساحة فول الصويا

السكر بنحو ٢٠٠ الف فدان تعطى حوالى ٧٥ الف طن .

٣ — زيادة مساحة الاذرة بنحو مليون فدان تعطى حوالى ٧ر١ مليون طن للاعلاف .

٤ — زيادة مساحة الارز « عروة ثانية » بنحو مليون فدان تعطى حوالى مليونى طن .

● التوسع فى الأرض الجديدة بمعدل لايقل عن ١٥٠ الف فدان فى السنة وهذا يؤدى الى استصلاح مساحة تبلغ نحو ٢٥ر٢ مليون فدان أرض عام ٢٠٠٠ وعلى فرض زراعة محصولين فى السنة ان ذلك يعادل نحو ٥ر٤ مليون فدان محصولى جديدة . ونظرا لان معظم هذه الاراضى لا تصلح الا لزراعة محاصيل خاصة كالخضر والفاكهة فانه يمكن نقل زراعة الخضر اليها تدريجيا ، وهذا يؤدى الى توفير ٣٥٠ الف فدان فى الاراضى القديمة ، يمكن استغلالها فى زراعة محاصيل غذائية كالقمح والقطن والاذرة والبقول .

أما التوسع فى الفواكه كالموالح والعنب فيجب أن يكون اساسا بالاراضى الجديدة وهذا يوفر فى النهاية مالا يقل عن ٢٥٠ الف فدان من الاراضى الجديدة يمكن استغلالها فى زراعة المحاصيل الغذائية الاساسية كالحبوب .

ولما كانت الاراضى الصحراوية الجديدة تصلح لزراعة بعض المحاصيل كعباد الشمس وبنجر السكر والبرسيم الحجازى فان التوسع المستقبلى لهذه المحاصيل سوف يكون فى الاراضى الصحراوية المستصلحة .

ولما كان انتاجنا من الحبوب لا يرتفع بنسبة تتمشى مع الزيادة المضطردة فى الاستهلاك وزيادة الطلب على القمح مما يهدد أمننا الغذائى ، لذا كان لابد لاى

استراتيجية زراعية أن تواجه هذه المشكلة وتضع كهدف لها محاولة الوصول بالاكتفاء الذاتى القمحى الى أقصى قدر ممكن . « الوصول الى نحو ٧ ملايين طن بدلا من ٢ ملايين طن حاليا » .

● ان التقليل الفاقد فى الحبوب والخضر والفاكهة يعتبر مكملا لتعظيم الانتاج اذ قد يصل الفاقد فى الحبوب والخضر والفاكهة الى نحو ٣٠٪ من الانتاج .

● لما كانت السياسة السعرية للمنتجات الزراعية تلعب دورا هاما فى عملية الانتاج ، اذ تعتبر الاسعار المجزية للمنتج حافزا له على زيادة الانتاجية وادخال أساليب متطورة فى عملية الانتاج أو التوسع فى زراعة محصول ترى الدولة مصلحة من التوسع فى زراعته ، وبدلا من ربط الاسعار بتكاليف الانتاج ، وعدم الالتجاء الى الاسعار الجبرية للمحاصيل الا عند الضرورة القصوى . ولما كانت مسئولية الدولة هى توفير قدر معقول من بعض السلع الاستراتيجية عن طريق انتاجها فلا يصح أن تقل اسعارها عن الاسعار العالمية وقد تزيد عن ذلك فى بعض الاحوال .

وفى حالة ترك أسعار المحاصيل حرة فانه لا داعى لدعم مستلزمات الانتاج الا اذا كان هناك ضرورة تبرر ذلك .

● ان كهربة الريف التى بدأت فى اضاءة الحياة الجديدة فى الريف المصرى ونقلته من غياهب الظلمات الى النور يجب ان لا تقف عند أغراض عملية الانارة وانما يجب أن تمتد الى تطوير الزراعة والنهوض بالتصنيع الريفى والزراعى وتعميق الوعى الثقافى والقضاء على الامية . ان استخدام الكهرباء فى عملية الانتاج الزراعى سوف ينقل الزراعة المصرية من بدائيتها الحالية الى زراعة متطورة مصنعة مما يؤدى الى خلق مجتمعات زراعية صناعية وما يصحب ذلك من خلق فرص عمل اضافية للاجيال الجديدة بما يؤدى الى ايقاف تيار الهجرة من الريف ويغير من شكل الحياة فى الريف المصرى .

● ان النهوض بالاقتصاد الزراعى وحده لا يمكن أن يحقق أهداف التنمية الا اذا صاحبه وتوازى معه تنمية اجتماعية هدفها النهائى هو الانسان نفسه صانع التنمية ، ومن هنا فان الاخذ بمبدأ التنمية المتكاملة للريف يعتبر أمرا حتميا لتحقيق التنمية الشاملة اذ لا يصح أن يقف حظ الريفيين من التنمية عند زيادة الناتجية الوارد بل لابد من خلق مجتمع متطور تتوفر به المقومات الاساسية الحضارية للسكان الريفيين . ان التنمية الشاملة للريف هى المرحلة المتقدمة للاصلاح الزراعى بمفهومه الشامل الاوهو تحسين العلاقات الانتاجية وخلق انشطة اقتصادية واجتماعية جديدة لصالح جميع السكان الريفيين لا المنتفعين بقوانين الاصلاح الزراعى وحدهم .

● ربط التعليم بالبيئة وبالقوى اللازمة لتحديث المجتمع الريفى فالمدرسة لا يمكن أن تحدث أى تغيير فى الحياة الريفية الا اذا كانت جزءا من استراتيجية تهدف الى جعل العمل فى الريف أكثر جاذبية وتحديا لمن يتصدون لتحقيق أهداف خطة التنمية الشاملة .

● واخيرا فان النجاح لاى استراتيجية يعتمد على اقتناع اصحاب المصلحة فى التغيير بالاهداف المرتقبة . فالايمان بالهدف هو أول الطريق الى الالتزام به وتحقيقه . ووضوح الهدف شرط أساسى لاستيعابه وفهمه

القفز على

الأشواك

الفهم! الفهم!
بين الحاكمية والعلمانية

لم اشعر قط بمبلغ حاجتنا الى فهم حضارتنا العربية الاسلامية ، كما اشعر فى هذه الايام .

واسمحوا لى ان اتوجه بالشكر الى الجماعات الاسلامية المتطرفة ولو انهم يستنكرون هذا الوصف، فالاسلام عندهم واحد ، ليس فيه اعتدال وتطرف ، وهذا منهم هو منتهى التطرف ، لان معناه عمليا هو انهم يعدون كل من لا يقول بقولهم من المسلمين فساقا او مشركين، تجب استتابتهم، فان لم يتوبوا فدماؤهم حلال ..

مع ذلك فانى اتوجه بالشكر اليهم ، لانهم اضطروا الى محاولة الفهم ! ولا شك أن القراء قد لاحظوا ، كما لاحظت ، ان صحافتنا من يومية واسبوعية قد افسحت من صفحاتها مساحة غير معهودة لمناقشة مفاهيم تتصل بالدعوة الى « تطبيق الشريعة » مثل : مفهوم « الشريعة » نفسه ، وعلاقته « بالدين » من ناحية ، و « بالقانون الوضعى » من ناحية أخرى . ومنها مفهوم « الحدود » فى الاسلام ، ومتى تجب اقامة الحد ، وهل يرجع ذلك الى اقتناع القاضى ؟ وما معنى « الحدود الزجرية » وهل تشبه العقوبات فى القانون الوضعى ؟ وما معنى « الشبهات » فى القاعدة

بقلم: د. شكري محمد عياد

الشرعية المستمدة من السنة المطهرة « ادرءوا الحدود بالشبهات » ؟ وما هو « الربا » المنهى عنه فى الشرع ، وهل تدخل فيه « الفوائد » التى تدفعها البنوك الاستثمارية فى عصرنا هذا ؟

مناقشــة مثل هذه الموضوعات فى الصحف والمجلات، التي تعودت أن تتخم قراءها بأخبار الكرة ونوادى الكرة ، والسينما و « نجوم » السينما ، ظاهرة مبشرة بدون شك · واعني المحاولات الحقيقية للفهم ، التي تتمثل فيمقالات جادة لعلماء قلما كنا نطالع أسماءهم فى الصحف ، ولا اعنى الندوات التى تهبط من اسلوب الحوار الى اسلوب المراوغة ولا الاحاديث التليفزيونيــة المكررة التى تحشى بها البرامــج حتى يقتنع المتشككون اننا دولة اسلامية ·

والمناقشات التى افضل أن اتحدث عنها تكشف عن وجود تيارين فكريين : تيار يقف عند اراء السلف ، ومعنى ذلك ان هذا الفريق يسلم — ضمنا — بفكرتين : الاولى أن « الشريعــة » واجتهادات الفقهاء شىء واحــد ، وينسون ما يعلم الجميـع من أن « الشريعة » هى شريعة الله التى نزل بها القرآن والسنة الصحيحة ، وأن اجتهادات الفقهاء فى العصــور السالفة تعتمد فى معظمها على القياس والاجماع ، ومداره على العرف ، فهى لا تسمى « شريعة » الا تجــوزا ، وشريعة الله لا اختلاف فيها ، أمــا اجتهادات الفقهاء فيقع فيها اختلاف كثير · ويتناسى هذا الفريق كذلك أن مفكرا عظيما مثل الغزالى هــاجم فقهاء زمانه هجوما مريرا ، حتى ذهب الى انهم شوهوا مقاصد الدين ·

والفكرة الثانية التى يسلم بهــا من يقفون عند اراء الســلف : ان النظم الاجتماعية من سياسة واقتصادية وغيرها — لا تتغير من عصر الى عصر أو لا ينبغى لها ان تتغيــر ، ومن ثم فان ما قاله الفقهاء المتقدمون صالح للتطبيق فى زماننا هذا ، كمــا كان صالحا للتطبيق فى زمانهم · وطبيعى الا يهتم هذا الفريق بدراسة العلوم الاجتماعية الحديثة ، ليعرف ما تقوله عن الاقتصاد والتشريع وسياســة الدول ، لان هذه العلوم — فى اعتقادهم — تشتغل بأوضاع هى فى ذاتها غيــر سليمة ·

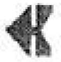
أما التيار الفكرى الثانى فهو تيار يفسر الشريعة فى ضوء العلــوم الاجتماعية الحديثة ، ويقيم الفقــه فى ضوء الظروف التاريخية التى مرت بها المجتمعات الإســلامية · ولذلك فأصحابه لا يتقيدون بأقوال الفقهاء ، بل يعتمدون على ما يعتبرونه المقاصد الكلية للشريعة · والنتيجــة التي يخلصون اليها هى أن المطالبة بتطبيق الشريعة دعوة لا مكان لها اصــلا ، لان الشريعة مطبقة بالفعل ، مــادامت مقاصدها مرعية · وفريق من هــؤلاء ينادى صراحة بالعلمانية ، وربمــا احتجوا بالحديث الشريف : « انتــم اعلم بأمور دنياكم » ، ونحوه ممــا ورد فى كتب السيرة ·

وكلمة « العلمانية » كلمة مبهمــة وكسائر الكلمات المبهمة التى تدور فى

مناقشات الناس ، تكون مصحوبة بالاستحسان أحيانا والاستهجان احيانا اخرى على حسب ما يتصوره كل متكلم من معناها ، فالذين يستحسنونها يرون انها مشتقة من العلم ، والعلم عندهم يقصد به العلم الحديث ، الذى هو نقيض الخرافة ، فالنظم العلمانية فى السياسة والادارة تعنى عندهم النظم الحديثة المبنية على العلم ، ونقيضها النظم المتخلفة المشبعة بالخرافات ، ومن سوء الحظ أن هذه الخرافات الصقت بالدين .

والذين يستهجنونها يرون أن دعوى تحكيم العلم الحديث فى تدبير أمور الناس غرور وضلال ، لان علم البشر قاصر بالضرورة ، والله أعلم بعباده ، وقد شرع لهم ما ان اتبعوه صلحت كل أمورهم فى الدنيا فضلا عن الاخرة . وشعار هؤلاء هو « القرآن دستورنا » ، وقد أخذ بعضهم يردد منذ وقت قريب ، اصطلاحا جديدا وهو « الحاكمية » . وهو يقابل ـ شكلا وموضوعا ـ اصطلاح «العلمانية» ولا يقل عنه ابهاما .

والطريف ان الاصطلاحين كليهما ـ هما فى الحقيقة « شعاران » اكثر من كونهما اصطلاحين ـ مترجمان عن اصطلاحين غربيين ، يستوى هذا الذى يرفعه أنصار الحضارة الغربية ، وذاك الذى يرفعه اعداؤها ! ولذلك فربما كان رد كل منهما الى اصله كفيلا بازالة بعض اللبس الذى يؤدى الى غير قليل من النزاع . فأما « العلمانية » فلا اظنه نسبة الى العلم كما يتوهم ، ومازلت اتمنى ان اقع على تاريخ « علمى » دقيق لهذه الكلمة ، او ان يقوم احد الدارسين بهذا التاريخ ، ولكنى أرجح انها نسبة الى « العالم » لا الى العلم ، واذن فحقها ان تقرأ بفتح العين لا كسرها وهو نسب شاذ بلا شك . ولكنه شذوذ مشروع فى العربية ، حتى لا تلتبس « العلمانية » بـ « العالمية » مع اختلاف معنييهما . أما الاصطلاح الذى نقلت عنه الكلمة العربية فهو secular بالانجليزية ، أو seculier بالفرنسية وهما مشتقان من كلمة لاتينية تكون احيانا بمعنى العصر واحيانا بمعنى العالم . فالوصف « علمانى » يساوى قولهم احيانا « زمنى » ، « والسلطة العلمانية » و « السلطة الزمنية » شىء واحد . ولكن الامر يختلف قليلا بالنسبة الى المصدر الصناعى « العلمانية » ، فهو لا يشير فقط الى الفرق بين امور زمنية او دنيوية واخرى دينية ، ولكن يدل على مذهب سياسى واجتماعى قائل بابعاد الدين عن كل الامور الدنيوية ، بما فيها التعليم ، وهذا هو معنى المصطلح الانجليزى secularism ، وهو صريح فى فصل الدين عن الدولة ، وفصل الامور الاعتقادية عن الامور العملية . ومن الطريف ان اللغة الفرنسية تفتقر الى كلمة مقابلة مشتقة من الاصل نفسه ، ولكن عندهم كلمة laicisme ، وهى لا تدل على مذهب ، بل على « حالة » ، أى كون مدرسة مثلا غير خاضعة لاشراف



رجال الدين (laique) ، وهذا معنى اضعف كثيرا من معنى الكلمة الانجليزية المقابلة . وموضع الطرافة هنا ان الانجليز الذين يعد ملكهم او ملكتهم رئيسا للكنيسة الانجليكانية من الناحية النظرية يعترفون عمليا بمبدأ ابعاد الدين عن النظم والمؤسسات غير الدينية ، فى حين ان الفرنسيين - وليس لرئيسهم مثل تلك الصفة - « يسمحون » فقط بأن توجد نظم ومؤسسات غير دينية . والفرق بين « الاعتراف » و « السماح » غير هين ، ودليل ذلك ما يلاحظ من دور الكنيسة فى كل من البلدين .

هكذا يمكن ان تكشف الاختلافات اللغوية الدقيقة عن فروق حضارية مهمة ، حتى بين البلدان المتقاربة فى اصولها الحضارية . وهكذا ايضا يمكن ان يكشف اهتزاز معانى الكلمات عن اهتزاز قيم الحضارة ! فكلمة « العلمانية » - سواء اكانت مترجمة عن secularism الانجليزية ام عن laicisme الفرنسية تريد ان تحشر نفسها فى حضارتنا العربية الاسلامية فينبو بها المكان ، ويحتار اصحابه كيف ينبغى ان يعاملوها . فنحن نميز بين امور الدين وامور الدنيا ، ولكننا لا نفصل بينهما ، ليس عندنا سلطة دينية كسلطة الكنيسة ،ولكن عندنا طائفة تسمى علماء الدين . عندنا سلطة زمنية ، تسمى احيانا الامارة ، واحيانا غير ذلك ، ولكنها تلتزم بالتقيد باوامر الدين . يقول الغزالى ان السياسة اربعة اقسام : سياسة الانبياء وهم يحكمون على الافعال وعلى النفوس ، وسياسة الامراء والسلاطين وهؤلاء يحكمون على الافعال الظاهرة فقط ، وسياسة العلماء وهم يحكمون على نفوس الخواص دون افعالهم ، وسياسة الوعاظ وهم يحكمون على نفوس العوام دون افعالهم . وربما كان هذا الكلام هو اوضح ما قيل عن « تقسيم السلطات فى الاسلام » ولا اظنه يترك مجالا لمعارضة الدين بالسلطان الزمنى او معارضة السلطان الزمنى بالدين ، نعم ان التناقض كثيرا ما كان يقع بين الجانبين ، ولكن هذا التناقض هو المرض الذى يصيب كيانا شانه الصحة ، ولن تجد كيانا يسلم من مرض او امراض تصيبه بين حين وحين .

ولقد هممت ان اقول ان هذه العلاقة الرباعية هى اشبه بالثوابت فى نظام المجتمع الاسلامى ، وان ما يطرأ عليها من تعديلات او زيادات هى « المتغيرات » التى لا تمس الجوهر . ولكننى الفى مترددا امام فكرة الثوابت والمتغيرات ذاتها ، اذ انها تعيدنا مرة اخرى الى الفصل بين ما هو دينى وما هو زمنى ، وهو فصل لا وجود له فى منهج الفكر الاسلامى .

فلننظر الى الاصطلاح الاخر ، او الشعار الاخر ، وهو « الحاكمية » فهذه كاختها ، ترجمة لاصطلاح غربى (ومعظم هذه المصادر الصناعية كذلك) اما اصلها فاغلب الظن انه كلمة Sovereignty الانجليزية ، وهى اصطلاح سياسى بمعنى السيادة او الصلاحية ، فالدولة ذات السيادة هى الدولة التى تتمتع بصلاحية كاملة لاتخاذ القرارات التى تخصها ، و « اتخاذ القرار » سواء اكان بيد

فرد ام جماعة ، وايا كان مصدر هذا الحق ، لا ينتقص مثقال ذرة من قدرة الله العليا التي ترفع وتخفض وتعز وتذل ، وتثل العروش ، وتمحق الجبارين · واكاد اقول ان في نسبة هذا اللفظ الى الله جل وعلا تشبيها لذاته العلية بالمخلوقين ، لــولا ان الاصطلاح العربى اختلف عن الاصطلاح الانجليزى لفظا وان لم يختلف عنه معنى · والحكم ثابت لله لا محالة فوق أحكام المخلوقين : « وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير » ، ولكن هذا لا ينفى ان العباد يحكمون ويقضون ، ويصيبون ويخطئون ، وان لكل منهم « صلاحية » معينة تتسع او تضيق ، وتبقى دائما محكومة بدائرة الاستطاعة البشرية لا تخرج عنها ، وانى لها ذلك « يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا ، لاتنفذون الا بسلطان » ·

فمجمل القول في شعار «الحاكمية» هذا أنه خلط قواعد الايمان بقواعد السياسة ، ولم يراع ـ حتى في هذه الاخيرة ـ التفصيل الذى ارشد اليه الامام الغزالى · وسبب هذا الخلط فيما يبدو ـ انه كان يرد على المذاهب الغربية التى تفصل فصلا باتا بين أمور الدين وامور الدنيا ، فذهب في حماسته الى الطرف المقابل ·

وقد افضت في هذين المثالين لاثبت ان الحضارة الغربية ماثلة امامنا حيثما توجهنا ، وان جريرة الذين يندفعون في الاخذ منها ليست باقدح من جريرة الذين يسارعون الى الرد عليها · وليس أمامنا بديل عن الفهم المتعمق لتراثنا وللحضارة الغربية في الوقت نفسه · وليس « للفهم المتعمق » معنى سوى الغوص الى الاصول المعرفية للحضارة ، او بعبارة ابسط : ان نفكر تفكيرا فلسفيا · ولكن وجوها كثيرة سوف تساء لهذه العبارة البسيطة ، فهم لا يزالون يحرمون الفلسفة بغير دليل شرعى ، وما دروا ان اعظم مفكرى الاسلام في جميع العصور ، وعلى اختلاف منازعهم وتخصصاتهم كانوا دائما فلاسفة · حتى ان هذا العبد الضعيف لتراوده منذ سنوات فكرة كتاب يجعل عنوانه « ابن تيمية ، ذلك المجهول » يحاول ان يثبت فيه ان هذا الفقيه الحنبلى الجليل ، العالم المجاهد ، كان من اعظم فلاسفة الاسلام ·

لا علينا من هؤلاء ، فقد تعودنا منهم وارتضوا لانفسهم ، ان يقاوموا حتى يسلموا · ولننظر الى شباب هذه الجماعات الاسلامية ، وقد قلت عنهم في مقال سابق ، انهم يهون عليهم ان يخاطروا بارواحهم ولا يخاطروا بفكرة : لقد رأيناهم يسلمون قيادهم الى زعيم او امير كل حظه من العلم انه قرا كتابا او كتابين من تلك المؤلفات الصحفية المتعجلة ، التى لاتتميز من ذلك الجنس الا بانها اختارت ان تكون صحتها باسم الاسلام فلهؤلاء نقول : اقرءوا وافهموا وتبينوا قبل ان تقدموا ، ان تصبحوا على ما فعلتم نادمين ·

أقوال معاصرة


آرثر ميللر


بسام الشكعة


شيمون بيريز

● « لا أحد كامل في عالمنا »
الزعيم الصيني دنج سياو بنج

● « الدراما تتشابه مع اختراعات الانسان الاخرى في انها يجب ان تساعدنا على تحصيل المزيد من المعرفة »
الكاتب المسرحي آرثر ميللر

● « ان الامة المنهكة بالثروة، المشوشة بالالات ، ولا تملك الارادة ، لابد ان ينتهي بها الامر الى الموت البطيء » .
الاديب الايرلندي شين اوكيزي

● « عملت الامم المتحدة على الحيلولة دون اندلاع حروب تزيد عن حوالي ٣٠٠ حرب ، والتي نشبت بالفعل منذ قيامها عام ١٩٤٥ ! »
وزير خارجية النمسا ليوبولد جراتز

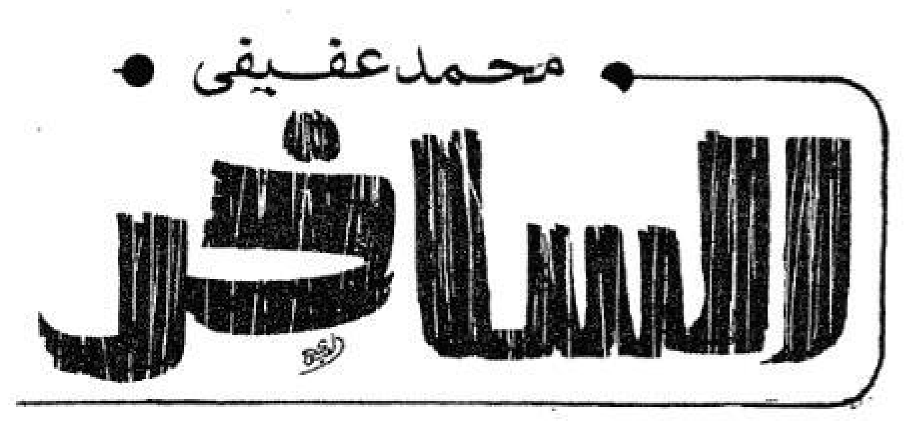
● « الحديث عن مفاوضات السلام بدون شروط ، ثم اضافة شرط عدم التفاوض مع منظمة التحرير خدعة جديدة لحزب العمل الاسرائيلي .. »
المناضل الفلسطيني بسام الشكعة

● « على القاهرة ان تخجل انها استضافت عرفات، ودعمت المنظمة سياسيا ، مع ان هذا ضد كامب دافيد ! »
وزير خارجية اسرائيل اسحق شامير

● « يجب ان يكون المرء ساذجا حتى يصدق ياسر عرفات .. »
رئيس وزراء اسرائيل شيمون بيريز

● « الاقامة الجبرية للحبيب عاشور ، لا تحل النزاع السياسي القائم في تونس .. »
جريدة لوموند الفرنسية

● « كل الوعود التي نتلقاها ، معلقة بانتهاء الحرب ... »
سيدة ايرانية



بقلم : محمود السعدنى

فى الخامس من هـذا الشهر ، ومنذ اربع سنوات فقدت الحياة الثقافية واحدا من المع كتابها ، هو الاديب الساخر محمد عفيفى ..
وتجمع سلسلة كتاب الهلال رحلاته فى كتاب « سكة سفر » والتى كتبها بقلمه الرشيق وسخريته الناعمة الرقيقة .

محمد عفيفى هو اعظم كاتب ساخر انجبته مصر فى العصر الحديث . ولكن محمد عفيفى ـ الاعظم والاقوى ـ ليس الاشهر بالضرورة ، وربما جاء ـ بالنسبة لشعب مصر ـ فى ذيل قائمة الساخرين ـ والسبب أن سخريته ناعمة ، وقلمه شديد الحساسية وشديد التربية ايضا .

فهو لا يجرح ولا يدمى . ولا يترك أثرا فى نفس من يتعرض لسخريته الا الاثر الذى تتركه موجة خفيفة على شاطىء ساحر وجميل . وهو اقرب الكتاب الساخرين الى مارك توين الامريكى ، واوسكار وايلد البريطانى ولذلك كانت سخريته من النوع الراقى الذى يرسم ابتسامة على الشفاه ، وليس من النوع الذى ينتزع الضحكة من الاعماق . ولو كان محمد عفيفى كتب فى بلد مثل لندن أو باريس ، لاقيمت له التماثيل فى الشوارع وبالتأكيد كان مصيره الدفن فى مقبرة العظماء على شاطىء نهر السين .

فهو ليس ساخرا صاحب سخرية ناعمة فقط ، ولكنه مثقف ثقافة واسعة ، وخبير فى كل انواع الفنون وسيستفيد قارىء محمد عفيفى دائما من اطلاعه الواسع على أسرار الفن التشكيلى ، وتفاصيل التاريخ الفرعونى ، والعلاقة بين أدب العرب وآداب الآخرين . ولذلك أيضا لم يشتهر محمد عفيفى فى مصر وفى العالم العربى الا فى محيط طبقة المثقفين . وهو وضع طبيعى فى مجتمع يعانى من الامية . مجتمع أعظم مدارسه الفنية هى مدرسة



محمد عفيفي بريشة بهجت عثمان



الساخر العظيم

يوسف وهبى ! مجتمع لا تنطلق الضحكات المجلجلة فى جنباته الا على ارصفة المقاهى وفى غرز الحشاشين ! ولم يكن يوسف وهبى زعيما للفن فى مصر بالقوة الجبرية أو بفرمان صادر من الباب العالى فى اسطنبول ، ولكن يوسف وهبى وصل الى هذه القمة وتربع عليها لانه كان الوحيد بين الفنانين فى زمانه الذى فهم نفسية شعبنا العربى وعرف خفاياها ، ووصل فى اعماقها الى قرار سحيق · ولقد كانت موهبة عزيز عيد أضخم الف مرة من موهبة يوسف وهبى ، وكانت مواهب زكى طليمات أضخم الف مرة من مواهب يوسف وهبى · ولكن يوسف وهبى بموهبته الضئيلة استطاع ان يهزم عزيز عيد بموهبته الكبيرة ، واستطاع ان ياكل زكى طليمات بالرغم من مواهبه الضخمة · وعاش يوسف وهبى فنانا لدى الجماهير حتى مات ، وعاش اكثر بعد الموت · بينما مات عزيز عيد وزكى طليمات لحظة أن زارهما ملاك الموت ، وان كان كل منهما يعيش داخل المعاهد الاكاديمية وفى ذاكرة المثقفين · وهذا هو الذى حدث للكاتب الساخر الكبير محمد عفيفى · عاش بعد موته عند نقاد الادب الرفيع ، وعاشت سطوره فى ذاكرة المتذوقين والمثقفين ، مع انه كان اعظم من كتب الكلمة الساخرة فى عصره · ومع ذلك لم يستطع ان يصل الى سفح الهرم الاجتماعى فى تركيبة المجتمع العربى ·

لم يصل الى الاغلبية ، ولم تكتشفه الاغلبية ، وهو سوء حظ محمد عفيفى ، وسوء حظ اكبر للقراء على وجه العموم · ولكن عفيفى الساخر العظيم ، كان يتحمل جزءا من هذه المسئولية · فلقد اثر محمد عفيفى المثقف أن ينزوى فى برجه العالى بعيدا عن مشكلات زمانه ومآسى اهله · وكان ينظر للحياة بعين مغمضة وعين نصف مفتوحة ! واعتمد اعتمادا كاملا على موهبته العظيمة ، وعلى سخريته الناعمة الرقيقة · ولذلك أيضا جاءت سخريته ، ناعمة كالحرير مع انه لو استخدمها فى المعارك لجاءت ناعمة كالثعبان ، تلدغ وتقتل ! ولكنه اثر ان يتفرج على زمانه ، وان يلمس ولا يجرح ، ويجرح ولا يدمى · وموهبة محمد عفيفى فى الكتابة ، كانت اشبه بموهبة عبد المنعم ابراهيم فى التمثيل موهبة عريضة مثل السمك البلطى ، وناعمة ورقيقة مثل حرير اليابان ، ومتعددة الالوان مثل يفط الاعلانات ورغم ذلك ، فهو اقل الساخرين الكبار حظا ، واقلهم شهرة ! والسبب كما قلت من قبل ، هو عيب جمهور القراء فى العالم العربى ، فنحن مازلنا أسرى مدرسة افترضت منذ قيامها أن المواطن العربى حمار ومسطول وغائب عن وعيه ! ولذلك ايضا عاش المنفلوطى كثيرا فى وجدان الناس ، وعاش ايضا يوسف وهبى لان صوته كان اكثر الاصوات زعيقا ، وكانت حنجرته اشد الحناجر صراخا · ولقد كان من رأى يوسف وهبى مثلا ، انه

لا يجب ان يموت الممثل على المسرح كما يموت الناس فى الحياة ، بل يجب ان يموت على المسرح مرتين وثلاث مرات ، ومن هنا ستكرر كثيرا عبارة (انت ذلك الوحش الـزنيم ناهش الاعراض وخارب البيوت ، الذى لعق بلسانه فى دم شرفى تلك الليلة الظلماء للمالكة للسولد ، جزاؤك لا يكـون الا الموت ومصيرك الفناء ، خذ يا عدو الله ، خذ ، خذ عليك اللعنـــة) ومع كل خذ طعنة خنجر ، بينما القتيل يظل يصرخ بالصوت الحيوانى حتى بعد اسدال الستار ، بل انه سيظل يصرخ حتى بعد الموت ! ومن هنا سيضيع محمد عفيفى ، لانه لا يملك هـــذه الموهبة « الجمهورية » نسبة «للجاعورة» لان المه ناعم مثل موهبته • وهو بذلك سيدخل الحلبة مجردا من السلاح الذى فرضه يوسف وهبى والمنفلوطى، وحتى شوقى وحافظ ابراهيم والشـــيخ عبد العزيز البشرى ، واصبح هـــذا الاسلوب « الجمهورى » نفسه هو مزاج الناس ! والسبب الاخر هو ان محمد



عفيفى الساخر ابتعد عن مزاج القارىء العربى ، واقترب من مزاج القــارىء الخواجة • ولعل اعظم نموذج على فن الساخر محمد عفيفى هو كتابة سكة سفر • وهو مجموعة مقالات نشرهـا الساخر عفيفى عن سفريات قام بهـا مع انه قليل الاسفار • اقرأ السطور التى قدمها محمد عفيفى نفسـه لكتابه (قضيت سنين طويلة من حياتى اكره السفر وأتحاشاه بكل الطرق ، وحتى الاسكندرية نفسها ما كنت لاسـافر اليها فى الصيف لولا الحاح الاولاد على ولولا ما ينبش فى خيـــالى من خواطر هيلبحرية ذات نـــكهة بيكينية خاصة • فانا من الناحيـــة النفسية اشبه بالاشجار التى تحب ان تجلس طول حياتها فى مكان واحـد ، عمرك شفت شجرة ماشـية ؟ ولعلنى لولا ظروف السعى الى الرزق ، لقبعت فى المنزل لا ابرحه ، ولربما تنـاولت الطعام فى السرير كى لا اتجشـــم مشقة السفر الى حجرة المائدة ـ اللهم الا اذا فضـلت ان انام فى المطبخ) وبعد • هذا هو كتاب محمد عفيفى سكة سفر ، اقدمه اليكم ، ليس كاسـتاذ يقدم تلميذا ، ولكن على طريقة مهرج يرتدى ملابس مضـــحكة ويقف على باب السيرك يدق ناقوسا يدعو الجمهور الى الدخول للفرجة على العـــاب السيرك وفنونه • ومهما كان حـــظ محمد عفيفى فى الكتابة وفى الحياة سيظل اكثر الساخرين احترامـــا ، واعظمهم قدرا ، وارفعهم مـــكانة وخصوصا لدى المثقفين • وسيضحك من الاعماق لانه العظيم هؤلاء الذين يضحكون من الاعماق لاوسكار وايلد ومارك توين •

أبو الهول قال لي..
(كتاب مجهول)

بقلم: فتحي رضوان

لا احسب ان الذين سمعوا بهذا الكتاب الفريد الخصيب ، المليء بالحقائق التاريخية القديمة والحديثة، المتعلقة بالشرق والغرب ، والخواطر الادبية واللمحات الفلسفية ، يزيدون عن اصابع اليدين في الوطن العربي كله، وان كاتبه كان اثناء ظهور هذا الكتاب، ونشره على الناس ، ملء السمع والبصر ، فقد كان رئيس اقدم الاحزاب المصرية قاطبة ، ونعني به حزب مصطفى كامل الذي اسس في ديسمبر سنة ١٩٠٧ قبل أن يؤسس حزب الامة الذي تحدث باسمه ونشر افكاره احمد لطفي السيد الذي بايعه عدد من مريديه والمقربين بفضله بوصفه استاذ الجيل ، دون ان يحددوا الجيل ، كما سبق في الوجود جميع الاحزاب التي تشكلت بعد ثورة سنة ١٩١٩ وفي مقدمتها حزب الوفد الذي قاده زعيم هذه الثورة المجيدة سعد زغلول ، وما تفرع على هذه الاحزاب ، حينما تفرقت كلمة الامه ، وانهمكت فيما يمكن تسميته بالحرب الاهلية .

وكان مؤلف ذلك الكتاب الفذ فوق ذلك نقيبا للمحامين ، ووزيرا لاكثر من مرة ، واحد باشوات مصر ، وهو بهذا كله احد اهل الصدارة . وكانت موهبته تؤهله لهذه الصداره ذاتها وتؤكد حقه فيها ، فقد كان من ابرع المتكلمين ، يتدفق اذا خطب ، وينتقي عباراته ، وهو يتدفق فياتي عذبة وتزداد عذوبة لجمال جرس صوته ، وكان يؤكد اثر خطابته في النفوس ، قامة طويلة ، وطلعة مهيبة ، ورصانة في الحركة وحسن ايماءة في اللغة .

ولكن لا اظن ان هذه الاوصاف كلها والنعوت قد اعانت القاريء الكريم على تبين صاحب الشخصية مؤلف الكتاب الذي مضى بين الاف او ملايين الكتب التي تقذف بها المطابع كتابا مجهولا ، لم يثر ناقدا ، على الهجوم عليه او التنويه به ، ولم يحفز قارئا هاويا لدعوة زملائه القراء ليقتنوه ويطالعوه ومع ذلك فهو كتاب قيم جدير بأن يحرص على الانتفاع به ، الوف من عشاق الثقافة الحرة ، ومن محبي الاطلاع .


حافظ رمضان


مصطفى كامل

وان لا اطيل فى استغلال صبر القارىء ، فاطلعه على اسم المؤلف ، هو الاستاذ محمد حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى ، الثالث فى قائمة رؤساء هذا الحزب العتيد وان الذى بعث الروح الوطنية ،وحفز الشعب المصرى على مقاومة الاحتلال البريطانى ، وبث الكراهية له فى القلوب ، ودعا الى مقاطعة انصاره والتصدى لسياساته بكل وسيلة ،وفى غير هوادة ، وقد فاتنى ان اقول لك ان محمد حافظ رمضان باشا الذى اجتمعت له كل هذه المواهب ، كان يتمتع بطاقة رياضية عظيمة ، هيات له فرصة الحصول على شهادة دالة على وصوله الى قمة جبل (مون بلان) وهى قمة شاهقة من قمم جبال الالب الاوربية التى لم يصعد اليها ، الا عدد قليل يعد على اصابع اليدين على الاكثر ، وكلهم من ابطال الرياضة ذوى الاجسام التى تجمع بين القوة والرشاقة والمرونة ٠

ولعل شهرة حافظ رمضان السياسية، جنت على مواهبه الادبية ، فلم يفطن احد الى ان الكتاب الذى طلع به على القراء ،بمادة دسمة ، معروضة فى اسلوب شائق ، وعبارة اخاذة ، ولعل الناس لم يفطنوا جميعا ان هذا الكتاب البديع ، هو اول كتاب يؤلفه زعيم من زعماء السياسة فى مصر بعد وفاة زعيمى الحزب الوطنى الاولين مصطفى كامل ومحمد فريد ، اللذين الف اولهما كتاب المسألة الشرقية وكتاب اليابان بلاد الشمس المشرقة ، وكتاب اخطار الاحتلال البريطانى لمصر ٠ والف ثانيهما كتاب تاريخ الدولة العثمانية ٠ فكل الزعماء الذين جاءوا بعد ذلك شغلتهم مشاغل السياسة المحتدمة ، فلم يؤلفوا كتابا، ولم يجمع لهم احد خطبهم التى القوها فى المناسبات العديدة ، ولا يهم ان تكون من وضعهم ، فهى تعبر عن ارائهم ومواقفهم وقد قدم المؤلف كتابه باهداء بليغ وعذب فيه : « الى ناحت « ابى الهول » البعيد عنا بما مر من الدهر » « القريبة منا » بما خالد من الصخر الذى ابدع اقدم تمثال عرفه التاريخ » « عسى ان يكون فى هذا الاهداء بعض الاعتراف بفضل

أبو الهول قال لي..

كل خادم للانسانية » بقي عمله وضاع اسمه ، وكل عامل منسى ، وكل جندى مجهول ٠

وقال فى التعريف بكتابه :

« ولما كنت قد استوحيت ابا الهول بما خططت للاجيال القادمة من غير الاجيال العابرة ، واستلهمت رفيف الارواح حوله ، وحفيف العصور فى ساحته » ولا احسب ان القارىء سيفوته التامل فى هذا المعنى الجميل، معنى ان تمثال (ابو الهول) اقدم تمثال عرفته الانسانية ، كان رمزا على كل عمل عظيم خالد ، عمله فنان متمكن من فنه ، ومتمرس ، باساليب وطرائق مهنته او هوايته ، ولا يبغى جزاء ولا شكورا ولا يسعى الى تخليد اسمه ، او الاشادة باثره ، بدليل انه لم يترك على التمثال العظيم الذى تركه يواجه عصف الرياح ، وعدوان الرمال وقسوة الايام والليالي ، التى تبلى الصخر ، وتمحو الصروح العالية » والقصور الشامخة ٠

وقد فسر المؤلف لماذا اختار لكتابه هذا العنوان الغريب ، وكيف تحدث اليه ابو الهول ومتى ، فقال فى السطور الاولى من الفصل الاول من كتابه :

« لقد اويت فى احدى ليالى الخريف الى مضجعى مبكرا على خلاف عادتى، واستيقظت فى السحر بعد ان اخذت قسطى من الراحة والنوم ، وقد احسست فى نفسي رغبة فى الخروج الى العراء واستقبل النسيم العليل واقر عيني بجمال الشروق ، وانتجع مكانا معينا بعيدا عن الضوضاء انعم فيه بالعزلة الهادئة واستجلى مباهج الطبيعه وجمالها : فخرجت والناس نيام ، ووليت وجهى شطر اهرام الجيزة ، ثم انحدرت فى سفحها نحو اليمين ، واذا بى اجد نفسى امام ابى الهول ، وقد اخذتنى روعة لمرآه فجلست شاخصا اليه ، والمعبد خلفى، حتى تنفس الصبح ، ورأيت وجهه يستقبل مطلع الشمس ، فتذكرت أنشودة (رع) ابى الالهة عند المصريين الاقدمين ، تلك الانشودة المدونة على ورق البردى التى تقول « انت اله السماء ، تطلع على العالم فتملأ القلوب فرحا ، وترسل اشعتك فى الوجود فتملأ النفوس بشرا ، والعيون نورا ، فالسلام عليك انت الابدى السرمدى » وتذكرت ما جاء عن النور فى التوراة : ان النور هو اول ما خلق فى الوجود،وتذكرت كذلك ما جاء فى الذكر الحكيم فى « سورة النور » :

« الله نور السموات والارض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كانها كوكب درى ، يوقد من شجرة مباركة زيتونه لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شىء عليم » ٠

فالمؤلف منذ السطور الاولى يكشف عن اتساع ثقافته ، وتنوع مصادرها، وان كتابه سيكون خلاصــة المطالعة التى بدأها منذ شبابه ، والتى عززها باسفار متعددة ، فى الشرق والغرب، عرف فيها الوانا لا تحصى من الفنون، وتذوق فيها اثارا انتجها فنانون مبدعون ، ينتمون لاجناس متباينة ويتمتعون بمواهب مختلفه ، من المثال والمصورين والنحاتين والمزخـرفين ٠ فكتاب « ابو الهول قال لى » هــو فى الواقع خلاصة تجربة ادبية وعقلية لرجل قرا كثيرا ، وعاش طــويلا ، وعرف من الاحداث شــيئا لا يحصى وخالط الرجال فى مئات من الاوطان مفكرين وزعماء ، ورجال سياســة ، ومحررى شعوب ، وصحفيين ومؤرخين وهذا الطراز من الكتب سيكون عادة، موسوعة ادب وتاريخ وعلم وسياســة والعنوان لا يكون عادة فى هذا الضرب من الكتب الا مجرد ذريعة لعرض هذه الدنيا الطويلة العريضــة من الافكار والحقائق وصور الشخصيات،وجوامع الكلمة ، وخفايا التاريخ ، فسيمون دى بوافوار حينما وضعت كتابها « الجنس الثانى » وارادت ان تتحدث فيه عن المراة فى مختلف ادوار التــاريخ ، وجميع ما يصدر عن المــراة ، فى كل صورة ووضع ، فتحــدثت عن المراة طفلة ، وصبية ، وشابة ، واما ،وزوجة وعشيقة ، وراهبة ، وغنية ، وملكــة وفنانة ، وجاسوســـة ، وقديســة ، ومتصوفة ، وخادمة حان ، ومريضة ، وجميلة ، وقبيحة ٠

وقد اتخذت المؤلفة الفرنسية من هذا الموضوع المترامى الافاق ، والطويل والعريض ، وسيلة لعــرض الاف من



● سعد زغلول ●



● لطفى السيد ●

أبو الهول قال لي..

الافكار في كل جانب من جوانب الحياة وزينت كتابها بمقدمات من اعظم روايات شكسبير وتولستوى وجيته ومسرحيات سوفوكليس ، وبرنادشو ، وبيراندللو ، واشعار امرئ القيس ، والفردوسى ، وشوقى واقبال ·· ولم يبلغ حافظ رمضان شأن ، سيمون دى بوفوار ، لانه لم يكن كتابا منقطعا لهذه الحرفة الشاقة ، ولكن كتابه كان مع ذلك ذخيرة حية من التاريخ والادب والفكر السياسى ، واللمسات الفلسفية ، والخواطر الروحية ، وقد فسر كيف تم اللقاء بينه وبين ابى الهول وكيف تم الايحاء والتلقى فقال « وفيما انا غارق فى هذه التأملات اذ سمعت هاتفا يقول لى :

الا ترى الرابط امامك فى جسم الاسد ، وراس الانسان ، انه الرمز الانسانية فى حياتها المادية ، والروحية والتفت امامى واذا بى ارى ابا الهول، وقد راعنى ما بانفه وشفته من التشويه ، فاخذت اسأل نفسى : اية يد همجية يا ترى تلك التى امتدت اليه فمسخت ابتسامته ، الحلوة ، وجعلت منها ابتسامة ساخرة من الانسانية ·

أهى يد الانسان أم الطبيعة ·

« أهى يد المماليك فى تمريناتهم الحربية أم يد الفرنسيين فى مناوراتهم العسكرية » ·

« ثم تذكرت أن المماليك كانوا يعتقدون ان لحارس الصحراء أسرارا غامضة ، وكانت معتقداتهم تلقى فى روعهم الرهبة منه لا الرغبة فى الاستخفاف به ثم قلت لنفسى لماذا وقع التشويه على راس الانسان ، وهو رمز العقل ، ولم يقع على جسم الاسد وهو رمز القوة ، أوقع هذا الاعتداء لان القوة تهاب ولا تخشى العقل ·

ولا شك فى أن المؤلف كان موفقا حينما اختار ابا الهول مصدرا ومبعثا لالهامه ، فابو الهول ،لقى من المصريين اكثر من تمثال ، وكان فخرهم به ، واعتدادهم بانتسابهم الى القوم الذين صنعوه ، والفن الذى ابدعه والفكرة التى أخرجته ، متجددا على طول العصور والحقب ، وكان التأمل فى التمثال وعنصريه المكونين له ، رأس الانسان وجسم الاسد ، تهزهم من الاعماق ، ولاسيما وقد تم هذا الاتحاد ، فى تمثال قديم غاية القدم ووضعه اسلافهم على حافة الصحراء البعيدة التى لا نهاية لها ، والتى تخيف سكونها الشبيه بسكون ابى الهول ، فلما اعتبروا ابا الهول حارسا للصحراء ، قصدوا من ذلك انه حارس أسرارها ، وحامى حمى وادى النيل الذى يجرى تحت اقدامه ليضع اعظم صورة من صور التناقض : الصحراء بجدبها ووادى النيل بخصوبته وخضرته ، وكثرة مائه ، والذى يأتى بدوره من اصقاع مجهولة · فكان كل ما يتصل بمصر عند موقع ابى الهول عالم من الاسرار ، التى تقدمه على

تاريخ مصر ، سحرا لا يرد ، وجاذبية لا تقاوم ·

ثم مضى حافظ رمضان فى تخيلاته التى اوصى بها ابو الهول فقال :

« بدرت منى التفاتة الى اقدم تمثال لم يعرف له التاريخ عهدا فبدت لى عيناه الحجريتان اللتان كانتا متجهتان نحو الابدية اللا نهائية ، وكانما تتحولان نحوى وتدعوانني الى المحاكمة فوقفت دهشا اطرقت راسى واخذت اسائل نفسى ·

اى حديث يا ترى ذلك الذى يجرى بينى وبين هذا الذى عاصر الكليم والمسيح وعرفهما رسولين يمهدان النفس فى هداية الناس ·

كيف ارتب الحديث مع ذلك الذى عرف الانسانية فى مهدها وشهد عبر المتقدمين وخبر احوال المتاخرين،ورأى الاكاسرة والقياصرة والاباطرة والجبابرة ·

وقد كنت اود ان انقل لك طرائف وغرائب ، وصورا قلمية ، مما فاض به هذا السفر الجميل ، الذى بلغت صفحاته ٤٣٥ صفحة وبلغت فصوله عشرة سمى كل فصل منها بالحديث ، وقد انطوى كل حديث على فصول فرعية بلغت عدتها احيانا عشرة احيانا واحيانا اكثر من عشرين وقد كان الفصل الاول من الحديث الاول بعنوان رؤية تحتمس ، والفصل الاخير ديانات الفراعنة ، فى حين ان الفصل الاول فى الحديث الثانى كان بعنوان تطور الحضارة عند الاغريق ويتحدث فى الفصل الثالث عن الحضارة الرومانية ، كما يتحدث فى الحديث الرابع عن يسوع المسيح والنصرانية ، ويخصص الحديث الخامس للرسالة الاسلامية ، ثم يتحدث عن الدولة الايوبية فى الحديث التالى ثم عن الدولة العباسية فى الحديث التالى ثم عن الحروب الصليبية ، ثم عن ضعف البابوية والانقسام الكبير فى الكنيسة ، ثم يختتم الاحاديث بكلام جيد عن الاكتشافات الجغرافية ، فكانه تلخيص للحضارة الانسانية على مثال النسق الذى اتبعه المؤرخ الامريكى ديورانت· على ان هذا كله هو الجزء الاول الذى كان المؤلف ينوى اتمامه ، ولكن يبدو ان سوء استقبال الكتاب ، وعدم احتفال النقاد به ، هبط من همته وقد الحق المؤلف بكتابه عددا من الفهارس المفيدة والمعينة للكاتب اولها فهرس الاعلام ثم فهرس الاماكن وهو فهرس لم ار له نظيرا فى الكتب عادة ثم فهرس الاقوام والامم ، وهو اقدر من سابقه وترى فى هذا الفهرس اشارات الى الاربين وال يعقوب والاباضية وابناء الحسين ، وابناء لاوى ، والاتابكة ، والاتروسك ، والاثنا عشر واحفاد شرلمان واخوان الصفا ·

وبالجملة ، يأتى هذا الكتاب غذا وثمرة جهد كبير ، واطلاع واسع ، واخلاص للوطن وللثقافة وحب عميق للانسانية ·





هل هى فردوس مفقود أم صورة للاستبداد والتخلف

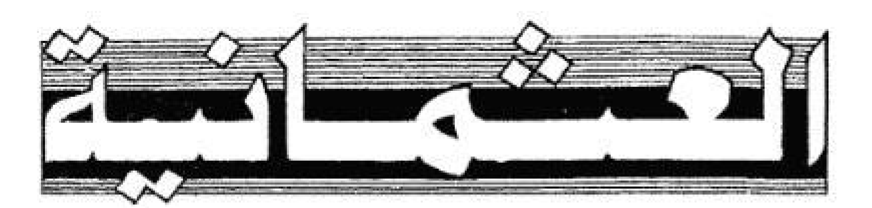
بقلم : مصطفى نبيل

تفتح الهلال صفحاتها لاعادة تقويم الدولة العثمانية ، والتى يشكل تاريخها جزءا هاما من التاريخ العربى . ويكفى أن المنطقة العربية مازالت تعيش نتائج تداعيات سقوط تلك الدولة حتى وقتنا هذا ...

فليس بعيدا عن تلك التداعيات مايجرى على أرض فلسطين ولا الحرب العراقية الايرانية ولا الحرب الاهلية فى لبنان ..

إذن ليس مقصد الهلال معالجة قضية قديمة ، نكتفى منها بمجرد زيارة أحد متاحف التاريخ ، أو هى مجرد حنين الى الماضى .. بل نهدف الى تأمل أحداث الماضى التى تمس الحاضر وتخاطب المستقبل





وثمة ملاحظتان يجدر التأكيد عليهما منذ البداية :

● لايمكن ان ينظر الى حقبة تاريخية تمتد الى حوالى ستة قرون ، بلا تفرقة بين صعودها وانهيارها ، وبلا تفرقة بين السياسات التى كانت تحت ضغوط معينة ومن موقف العجز امام المخططات الغربية وتلك الناتجة عن محصلة تياراتها ، والا كان ذلك تبسيطا مخلا واحد صور القولبة او التعليب الذى لاتعرفه حقائق الحياة .

وفى عملية التعليب هذه تسقط جميع الابعاد التى تمدنا بالمغزى الحقيقى والقيمة التاريخية ، ويغيب عنا بعد التتابع الزمنى ، ونتعامل مع الدولة العثمانية ككيان نهائى ثابت ، ونتجاهل ماتتعرض له من تبديل ..

والملاحظة الثانية .. انه ليس مقبولا رؤية احداث التاريخ من خلال صورة ذهنية حديثة ، اى كما يجب أن تكون لاكما هو كائن بالفعل ، وليس علميا تطبيق قيم جديدة على فترات تاريخية قديمة والا فإننا نلون الاحداث ، ونقيم من عندنا علاقات ذهنية ليس لها اى ارتباط بالحقائق التاريخية ..

واعترف انى حملت طويلا صورة سلبية عن الاتراك وعن دور الدولة العثمانية لعلها ترسبت فى ذهنى من خلال ماتلقيناه فى المدارس . وماقرأناه فى العديد من الكتب ، وما شاهدناه من تمثيليات واعمال مسرحية ، وحتى ماسمعناه من نكت . عندما شاع فى كل هذه الأعمال السخرية من التركى ، وتقديمه فى صورة المتعجرف ، وتقديم الدولة العثمانية فى احسن الاحوال فى صورة من علكوا يوما القوة العسكرية ولكن بدون قلب ولا حضارة

لذلك كانت دهشتى كبيرة عند زيارتى للمناطق التركية وسط اسيا والتابعة للاتحاد السوفيتى . الذى ينتمى حوالى ٧٥ ٪ من سكانه الى الأتراك ، ورأيت هناك آثار مجد تاريخى وحضارة مزدهرة ، وتبينت أن أبرز مفكرى الحضارة الاسلامية من أصول تركية ، مثل الفارابى والخوارزمى وابن سينا والامام البخارى والفقيه النسفى .

وعند زيارتى لاسطنبول ذلك المتحف المسكون ومشاهدتى لمساجدها وقصورها وعمارتها ومتاحفها وفنونها ، تأكدت أن ما



رأيته هو نتاج حضارة شرقية عريقة

من رعاة الخيل إلى رعاة البشر

وربما ساهمت بالدور الأكبر فى تشويه صورة الدولة العثمانية ، الكتابات الغربية التى ابرزت تناقضاتها وركزت على قصص الحريم والخصيان ودسائس القصور ، وأن مؤسسيها كانوا مجموعة من البدو البرابرة ، وهذه الحملة هى نتاج طبيعى للصراع السياسى والصدام بين الشرق والغرب ..

فمثلا نجد مؤرخا كبيرا مثل أرنولد توينبى يتساءل متعجبا .. كيف استمرت الدولة العثمانية ستة قرون وهى الدولة التى أقامها البدو القادمين من سهوب اسيا الوسطى ، والتى حكمت إمبراطورية ضخمة بقوة السلاح والذين انتقلوا من رعاة الخيل الى رعاة البشر ؟!

ويرى أن استمرارها يتناقض بوضوح مع القاعدة التى توصل إليها من خلال استقرائه لتاريخ الحضارات ، والتى تؤكد إنهيار دولة البدو ، مثلما حدث أيام إمبراطورية خانات المغول فى إيران والعراق التى لم تستمر اكثر من ثمانين عاما .

ويتوصل إلى تفسير بأن نظام الانكشارية المحكم والقائم على إستخدام الرقيق هو الذى ساهم فى استمرار هذه الدولة وانه عندما قضى السلطان محمود على هذا النظام عام ١٨٢٦ م ، بدأت الدولة تتصدع .. « وهو المصير الطبيعى لكلب الحراسة الذى انحرف وأصبح يؤذى الاغنام .. »

ولكن المؤرخ المعاصر برنارد لويس يخالفه ويدرك سر استمرار وقوة هذه الدولة حين يقول : « نشا الاسلام فى بلد صغير وبين شعب خرج حديثا من نطاق البداوة ، فكان العامل الهام فى قيام هذه الدولة .. » ويؤكد على هذا التفسير عندما يورد رسالة بعثها كوجو بيك الى السلطان مراد الرابع عام ١٦٣٠ م يقول فيها : « انه منذ عهود خلفاء الاسلام الأوائل ، لم تكن هناك اية سلالة من الحكام أكثر ولاء واخلاصا للاسلام من السلاطين العثمانيين ، ولا ابدت اية منها إحترام مبادىء الشريعة ورفعتها كما ابدى هؤلاء السلاطين . »



لوحة للسلطان محمد الفاتح بريشة الفنان سنان

ويصل برنارد لويس الى نتيجة « ان الاتراك الذين دخلوا القسطنطينية فاتحين ، لم يكونوا البدائيين المتوحشين كما صورهم بعض كتاب الغرب بل كانوا حملة وورثة حضارة قديمة ورفيعة .. »

وظلت نظرية البدو المتوحشين تتردد ، بل وانتقلت الى تركيا الحديثة التى قامت على انقاض الدولة العثمانية والتى شنت هجوما عنيفا على الماضى العثمانى ، ولم يكن غريبا ان تسود هذه النظرة الكثير من الكتابات العربية بلا تدقيق او بحث .

تركة حزينة ..

وترسبت صورة للتركى فى المخيلة العربية ، يلقى الضوء عليها الاستاذ الالمانى الرخ هيرمان بقوله : « يدرك الجانبان العربى والتركى ان مايحمله كل منهما للآخر من مشاعر ماهو إلا تركة حزينة ، ولعل معرفة مكونات هذا الشعور يساهم فى إزالة الاثر النفسى والتاريخى ، إذا اريد للتضامن الاسلامى ان يقف على ارض صلبة ، وهو ناتج عن الطابع الازدرائى المتبادل نتيجة تعامل العرب مع شعب اخر يخشونه ولديهم شعور بالنقص تجاهه ، ويفيض التراث العربى بنقد الترك ، باستثناء قلة من الكتاب مثل إبن خلدون وابو حامد القدسى ، وكانت المشاعر الدقيقة لباقى الكتاب تتضارب بين الشعور بالامتنان الذى يحملونه للاتراك كمجاهدين

السلطان عبد الحميد الثانى فى احد شوارع اسطنبول





شجعان ، والرفض التلقائي لهم كأجانب مغتصبين السلطة من أبناء البلد ! ويضيف « حتى لقد قام الخاوى بتحقير إنجاز زميله ابن تغربردى الذى كان إبنا للمماليك الأتراك فقال عنه : « ماذا يمكن أن نتوقع من تركى .. ؟! »

ويمضى شارحا .. « وفى ادبيات القرن التاسع الهجرى ـ الخامس عشر الميلادى نقرا عبارة مثل ، لقد كان شريرا وحشيا سفاك دماء ومخادعا ويالها من مفاجاة ، فقد كان ايضا ضليعا فى الأدب العربى ، وفنون اخرى متعددة ، فلقد كان الانتاج الادبى بالتركية والفارسية والعربية ، ولعل من أسباب ذلك الشعور أن مصر والشام اصبحتا مقاطعتين هامشيتين من امبراطورية مترامية الأطراف مركزها اسطنبول ، ونقل الخليفة العباسى من القاهرة إليها .. »

ويصل فى ختام بحثه : « فى الماضى بدا الشعبان العربى والتركى يكتشفان مصالحهما المشتركة الكامنة فى العقيدة الاسلامية ، وفى السياسات المناهضة للغرب ، فالاسلام لايعرف سوى الحقوق المتساوية لأولئك الذين يتمسكون به والدراسة غير المتميزة تساعد على الفهم الموضوعى لأحداث هذه المرحلة التاريخية . »

ويكشف المستشرق الالمانى فى بحثه تلك الثغرات التى اعتمد عليها الغرب فى النفاذ والنيل من الدولة العثمانية ، عندما نجح فى ضرب الوحدة القائمة بين العرب والفرس والترك ، روافد وركائز الحضارة الاسلامية ، معتمداً على موجات التنافر التى كانت تظهر بين وقت وآخر ، وخاصة فى مراحل التدهور ، ولا يستطيع أحد الادعاء أن التناغم بين القوميات المختلفة كان قائما فى كل مراحل الدولة العثمانية الطامحة الى العالمية والتى تضم العديد من القوميات .

المواقف المتعاكسة

نحن إذن أمام قضية حية ساخنة ، تثير اكبر الجدل واعنف المناقشات ، فهى مشحونة بالمواقف العاطفية المتعاكسة .. يدافع عن الدولة العثمانية بحرارة أولئك الداعين إلى وحدة العالم الاسلامى ، والذين ينظرون إليها كآخر تعبير عن الخلافة ووحدة العالم الاسلامى . وينظرون إليها على أنها الفردوس المفقود !

ويتعاطف مع التاريخ العثمانى أصحاب إتجاه وحدة الشرق ، سواء كانت هذه الوحدة عربية أو إسلامية ، والتى مازالت بالنسبة إليهم حلما قابلا للتحقيق ، وأصحاب هذا الاتجاه على استعداد للتغاضى عن العديد من السلبيات !

ويرى فيها البعض هيمنة تركية على العرب ، لاتثير لديهم سوى ذكريات وصور الاستبداد والتخلف والقهر القومى ...

كما يلاحظ من جانب آخر وجود تباين فى النظرة إلى الدولة العثمانية بين المغرب العربى والمشرق العربى ، فينظر إليها أبناء المغرب نظرة تحمل الكثير من



التقدير ، فهى التى ساندت المغرب العربى فى مواجهة الغزو الايبيرى ، وقامت بدور الحامية لأطراف العالم الاسلامى . اما المشرق العربى فله نظرة مغايرة ، ومازالت ذكريات جمال باشا السفاح حية وشاخصة .

وقد خضع المشرق العربى للدولة العثمانية حتى الحرب العالمية الأولى وبخاصة الشام والعراق ، وفيها تصادمت القوميتان الناشئتان التركية والعربية إصطداما ادى الى توتر العلاقات بينهما .

اما الدول العربية التى خضعت للاستعمار الغربى منذ القرن التاسع عشر مثل مصر والسودان والمغرب العربى ، فكانت فى صراع ضد الغرب الاستعمارى . وتعاطف الكثير من قيادتها مع الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة .

فاذا كان الكواكبى السورى قد دعا الى انتقال الخلافة من الاتراك الى العرب ، فقد تمسك الزعيم المصرى مصطفى كامل بالخلافة ، وذرف الشاعر احمد شوقى الدمع عليها .

المشرق والمغرب

واتصل الجدل طويلا حول الدولة العثمانية بين المشرق والمغرب :

يقول المغاربة : الدولة العثمانية هى التى وحدت ودافعت عن العالم العربى والاسلامى ، واتسعت لتصل مساحتها مايزيد على اربعة عشر مليون كيلومتر مربع ، وكانت الدولة الوحيدة فى العصور الوسطى التى اعترفت رسميا بالاديان الثلاثة واوجدت بينهما تعايشا وانسجاما .

ويقول المشارقة : ادت الدولة العثمانية الى تدهور الاوضاع فى البلدان العربية فهذه المساحة كانت تحتاج الى الطرق الممهدة ووسائل الاتصال السريعة ، وكان



إنتشار الفساد فى ارجائها مدمرا ، والذى وصل الى الولاة ذاتهم ، وكثيرا مايقتل السلطان إخوته للتخلص من اى مطامع فى العرش ، هذا مافعله السلطان مراد الثالث (١٥٦٦ ـ ١٥٩٥ م) الذى قتل اخوته الخمسة وهكذا فعل بعده السلطان محمد الثالث (١٥٩٥ ـ ١٦٠٣ م) والذى امر بشنق تسعة عشر أخا بطريقة سلطانية استخدم فيها خيوطا من حرير..

وفى النهاية اصبحت الدولة العثمانية مرتعا لنفوذ الدول الأوربية تمنحها الامتيازات فى الولايات العربية ، مما جعل الرعايا الأوربيين طليعة الدخول الاستعمارى يفرضون هيمنتهم على التجارة فى الولايات العثمانية .

وقد خلقت الظروف المتباينة بين المشرق والمغرب مواقف متباينة ، وعملت على نمو حركات وعقائد متضاربة فى شطرى العالم العربى .

البداية والنهاية

منذ قيامها وهى فى صدام مع الغرب ..

من يوم اقتحام حماة الثغور من العثمانيين المسرح مندفعين من سهوب أسيا ، بعد ان تجمدت الفتوحات الاسلامية عند جبال طوروس ، عندما كان إندفاعهم رد فعل الهجوم البرتغالى والأسبانى على الأطراف الجنوبية والغربية من الدول العربية ..

ونجح العثمانيون فى إيقاف التهديد والحفاظ على البحرين الأسود والأحمر وواصلوا بنجاح حفاظهم على مقومات المجتمعات الشرقية ووحدتها .

وظلت هذه الدولة من بدء الخلافة العثمانية عام ١٥١٧ م وحتى نهايتها عام ١٩٢٤ م ، احد العقبات الرئيسية امام اوروبا ، وعند ضعفها أصبحت المسالة الشرقية ضاغطة على السياسات الأوربية ثم قامت المنافسة الحادة بين الدول الأوربية على وراثة "رجل أوروبا المريض" ، بعد ان بقيت طويلا أقوى وأنجح مقاومة للحضارة الغربية مقارنة بأية حضارة أخرى ..

وكانت الدولة العثمانية آخر واطول الدول الاسلامية العالمية التى قادت الشرق منذ أيام الخلفاء الراشدين ، وكان الولاء فى هذه الدولة للاسلام والشرق وتناغم داخلها القوميات المختلفة ، وقدم العرب لها نظاما إجتماعيا مستمدا من الشريعة ..

ويتحرك البندول ويدور الزمن ، ويبدا الانحدار عندما اصيبت هذه الدولة بهزائم فى ميدان القتال ، وبدات تفقد اراضيها ، وبدأ ذلك الفشل من حصار فينا الثانى عام ١٦٨٣ م واستمر التراجع طيلة القرن الثامن عشر ، واستولى الروس على الساحل الشمالى والشرقى للبحر الاسود .

فى ذات الوقت الذى كان فيه الغرب يبنى نهضته ، وتنتصر داخله القوى الحديثة وتهزم القوى المحافظة ، وشهدت الدول الاوربية الثورةالصناعية والتغيرات

المتلاحقة فى نظمها السياسية والاقتصادية

واستقر لديها الاحتكام الى العقل وسيادة الاستنارة ، وما نتج عن ذلك من ثورات علمية وفكرية ، إلا أن العثمانيين الذين ورثوا الصراع بين الشرق والغرب اثروا أن يحموا أراضيهم من الخطر الاوربى عن طريق العزلة عن أوروبا ، فى الوقت الذى ابتعد فيه الأوربيون عن الاحتكاك بالشرق عندما تحولت طرق التجارة الى المحيطات ورأس الرجاء الصالح من أجل تطويق دار الاسلام .

وأمعنت هذه العزلة فى جمود الشرق ، وتركت السيطرة للبرتغاليين والهولنديين والأسبان ثم الانجليز على البحار المفتوحة لذا تتحمل الدولة العثمانية مسئولية ضعف وجمود الحياة الفكرية فى الشرق ، وشيوع النقل وروح المحافظة وانكماش روح الابتكار والابداع والخلق . وزحف التصوف والانسحاب من الحياة وتدهور الفكر وتحوله من فلسفة الى دروشة !

وشن الغرب هجوما جديدا على جبهة واسعة تمتد من الغرب حتى فلسطين . والغرب هنا ليس تعبيرا جغرافيا ، بل كيانا متحركا ثقافيا واجتماعيا وسياسيا وعسكريا .

وبعد الهزائم عادة تفقد الحضارة المهزومة الثقة بقدراتها وتتطلع الى مابين أيدى المنتصر . فتطلع الجيش العثمانى الى الأساليب الغربية فى التدريب والتسليح ، وقبل شبابها أن يكون موجهوهم ومعلموهم من الغربيين ، وإذا كان التفاعل بين الحضارات ضروريا



استنبول فى منتصف القرن السادس عشر بريشة الفنان لوريس

لاستمرار نموها ، وانه لاحائل دون تبادل التاثير مثلما يستحيل منع انتقال السائل فى الأوانى المستطرقة ، إلا أن هذه التفاعلات جاءت فى مرحلة من الضياع والفوضى ، مما أدى الى تخلخل ركائز الدولة العثمانية .

ومع الهزائم المتتالية وبينما الأتراك يشاهدون الدولة العثمانية تتآكل أخذوا يبحثون فى تاريخهم ، ووجدوا ملاذهم فى الحركة القومية الطورانية



وهى ذات الفترة التى شهدت نمو الحركات القومية في أوروبا ، وشهد الادب بدايات هذه الحركة فبدلا من النماذج الفارسية والعربية انتعش الأدب التركى بتاثيرات اوروبية ويذكر برنارد لويس ان الشعور القومى بدأ بقصص الأطفال التى تمجد الأبطال الأتراك وتعيد رواية الأساطير التركية القديمة ، وراجت دراسات المستشرقين التى تؤكد ان الاتراك من العرق الأبيض وينتمون الى السلالة الطورانية الآرية

ونشأ إنتماء جديد وقومية كانت منسية ، وخرجت القومية التركية من ركام إمبراطورية منهارة ، ووجد فيها الأتراك ملاذهم الأخير.

ولا شك ان سياسات الدولة العثمانية فى مرحلة انهيارها ، تمثل عجزا فاضحا فى مواجهة التحديات الدولية ، فلم تكن هذه السياسات إختيارا نابعا من محصلة تياراتها ..

ومما يلفت النظر انه قبل الحرب العالمية الأولى لم تظل دولة من دول العالم القديم تحافظ على إستقلالها سوى تركيا وايران والصين واثيوبيا ، واستطاعت تركيا وحدها عقب هذه الحرب أن تحافظ على استقلالها بينما فقدته كل من ايران والصين وأثيوبيا

وكان الثمن الذى دفعته للحفاظ على إستقلالها هو قطع روابطها بالشرق واستبدال العمامة بالقبعة ، واستبدال الحروف العربية باللاتينية .!

وكان بطل هذا الفصل الأخير فى هذه الدراما التاريخية . هو مصطفى كمال الذى فى عهده اعطت تركيا ظهرها للشرق واتجهت للغرب تستلهم قيمه وتتبع خطاه وتحتذى نموذجه وتشترك فى احلافه .!

وتمكنت تركيا من إستعادة سيادتها على أراضيها فى مقابل الاذعان للشروط الغربية . هذا بعد الانتصار الذى حققته قوات مصطفى كمال على اليونان عندما بدأت أعمالها الحربية فى آسيا الصغرى ، وبعد أن سلم مصطفى كمال بحق الدول المنتصرة فى الحرب فى أن تتصرف فى الأقاليم غير التركية وقدم نموذجا لما يسمى بالواقعية السياسية .

وكان لزاما على تركيا الحديثة أن تتخلى عن إرتباطها بالخلافة ودفع مصطفى كمال ثمن إنقاذ ما تبقى ، وتحولت تركيا الى قلعة متقدمة للغرب فى مواجهة الاتحاد السوفييتى

وتقدم الدولة العثمانية درسا بليغا عن كيف يمكن ان تتغير الأفكار والمبادىء بل والعقائد بتغير موازين القوى ، وأن من يريد المحافظة على عقائده لابد أن يحافظ على قوته .

●● ومجلة الهلال تطرح هذه القضية الهامة للمناقشة . ولا نزعم اننا نملك الكلمة الأخيرة . ونطلب مساهمة كل صاحب رأى من المفكرين والمؤرخين حتى نكتشف وجه الحقيقة



قنديليات

عائد من فرنسا

بقلم : يحيى حقي

حبي لها ، وغيرتي عليها لغتنا الشريفة ، التي حفظ لها القرآن الكريم كيانها على مر القرون ، والاجيال ، يجعلني مرهف الحس والسمع لالحظ واسجل ما يحدث للغة الفرنسية عندما أزور فرنسا كل عام ، والمدهش انني في كل عام الحظ الجديد ..

في زيارتي الاخيرة: قدم اعضاء الاكاديمية الفرنسية شكوى الى وزير الثقافة ، تنبه الى خطر هجوم بعض العبارات الدارجة ، الوافدة من امريكا ، على اللغة الفرنسية الدارجة .. ليس فقط في مجال الرياضة وبالاخص كرة القدم ، ولكن في مجالات كثيرة .

طوفان .. يريدون ان يقيموا امامه سدا ، ولكن هيهات ولاحظت أيضا ان قاموس «لاروس» العظيم الذى لو رسمت له صورة،لبدت له لحية طويلة تتهدل على صورة كلحية «اناطول فرانس» .. قد اصبح ينافسه معجم آخر اسمه « روبير » وهو اكثر تساهلا ، وتقبلا لالفاظ جديدة .

فحركة التجديد حتى الاكاديمي لا يرهقها تزمت ، ولكن الملاحظة التى المتني ان لغة العلم لا على مستوى المصطلحات العلمية ، فحسب ، بل على مستوى الشرح المبسط الموجه للجمهور العادى لهذه المصطلحات مكتوب ومنطوق بلغة كلما سمعتها اكاد اللطم على خدى القول من ذا الذى يستطيع عندنا في مصر ان يترجم هذا الى لغتنا الشريفة ..

اكاد اجزم ان هذا من رابع المستحيلات .. فقد حدث تطور كبير في العلم ، صحبه بلا جدال تطور ، ونمو في اللغة الفرنسية .. فكيف نلحق بالحضارة الاوروبية اذا لم نستطع ان نترجم هذه اللغة ..

والملاحظة الاخيرة اقدمها للقائمين بالبرامج الثقافية بالتليفزيون والاذاعة عندنا .. فاني حريص وانا في فرنسا على مشاهدة برنامج اسمه « ابستروف » . يقدمه اديب اسمه « برنار بيفو » وهو يشرف الان على مجلة جليلة اسمها « اقرا » تقدم للقارىء خلاصة المقالات الهامة التى نشرت خلال الشهر .. وهو برنامج لمناقشة ، ونقد الكتب الحديثة ، ويتضمن كل برنامج خمسة كتب على الاقل ..

في الغالب تدور حول لون واحد او متقارب من الادب الفرنسي المعاصر .. وتعقد ندوة بين مؤلفي هذه الاعمال ، يطلب من كل منهم ان يقرا الكتب الخمسة وبذلك تدور المناقشة لا بين شخص واحد والمذيع بينما بقية الحاضرين جالسين صامتين كالخشب المسندة ، كما يحدث عندنا .. بل يتبادلون الاراء في اعمال بعضهم البعض ..

وقد لاحظت ايضا ان النساء يفزن بنصيب لا باس به في كل حلقة .

فمتى نرى شبه ذلك في مصرنا العزيزة .

هجرة «مسرح حكاية كل يوم» إلى الشاشة الصغيرة

ماذا تعني للمسرح الحر؟

بقلم: د. علي الراعي

في موسم واحد ممتد، عرضت مسرحيتا «مولد وصاحبه غايب» ـ لنعمان عاشور و: «الكلاب وصلت المطار» ـ لعلي سالم فكان حظ المسرحيتين من الاقبال قليلا. النص في الحالين جيد. وأولى المسرحيتين توفرت لها خدمات مسرحية طيبة مخرج وممثلون معروفون قادرون بينما لم يتح للمسرحية الثانية مثل هذه الميزات، ومع ذلك فالنتيجة في الحالين واحدة" مما يسقط كل التفسيرات التي قدمت للتعليل لهذه الظاهرة المخيبة للامال. تفسيرات مثل: سوء الاخراج، سوء مكان العرض في حالة «المولد» وغياب المخرج القادر وغياب الممثل المعروف في «الكلاب».

لو أمعنا النظر فسنجد أن الاعراض عن المسرح الجاد انما هو اعراض ظاهري وحسب. لم يعرض الناس عن المسرحيتين لانهم كرهوا الموضوعات الجادة، بل لان الموضوعات الجادة قد عرفت لنفسها طريقا آخر غير خشبة المسرح. تسللت في هدوء الى التليفزيون وشاشته عبر بعض المسلسلات والتمثيليات الجادة في الاساس مثل: «ليلة القبض على



نعمان عاشور

علي سالم

فاطمة » ـ لسكينة فؤاد ومحمد فاضل وفردوس عبد الحميد · ومثل مسلسل « الشهد والدموع » ·

ان مثل هذه الاعمال قد استوعبت بعض ما كان يعرضه المسرح الجاد في الستينات · وقدمت مادة المسرح الجاد بطريقة افضل ، واكثر تشويقا وادعى الى الراحة واهون على الجيب ·· المسرح الجاد الان انتقل الى الناس بعد ان كان الناس ينتقلون اليه ، واصبح له لا دار عرض واحدة او عشرة عروض ، بل مئات الالوف من الدور تنتشر في ارجاء الجمهورية طولا وعرضا · هذا هو مسرح اليوم : جاهز للاستخدام ان شئت ان تتعامل معه ، مضمون الجمهور ، واثق من النتيجة · وبعد ان كنا نتفاخر في الستينات بان عدد المتفرجين في موسم ما قد بلغ المليون اصبح من المؤكد الان ان العمل المسرحي الواحد ، عبر « التليفزيون » يقرب كثيرا من هذا الرقم ، ان لم يتجاوزه ·

لقد فطن الى هجرة المسرح الجاد الى التليفزيون كاتب مسرحي من كتاب الستينات الموهوبين · لم يتخل عنه ذكاؤه في يوم من الايام هو سعد وهبة ، فكتب مسرحيته الاخيرة « المحروسة ٨٥ » للتليفزيون مباشرة ، وضمن لها ـ في القليل ـ ان يراها الناس ، واستراح من مناظر القاعة الخالية الذى يحرق الاعصاب والقلوب !

هل معنى هذا ان المسرح الحي قد اصبح ظاهرة بالية ، تجاوزتها التطورات الفنية والتكنولوجية ؟ لا بالطبع · انما معناه الوحيد هو انه اذا كان كل ما لديك من مادة مسرحية لا يتعدى ما كان يقدم على الخشبة في الستينات ، فاولى بك ان تفعل ما فعله سعد وهبة ·

اما اذا كنت مؤهلا لتقديم شيء اخر مغاير ، فلا يزال المسرح الحي قادرا على خدمتك ولا يزال جمهوره حاضرا وراغبا في تحمل المشقة ودفع الاجر وخوض اهوال المواصلات في سبيل أن يرى عملا يخاطب وجدانه من الاعماق · واقرب مثل لهذا الحي القادر على انتزاع الناس من مقاعد البيت الوثيرة هو العرض المسرحي : « منين أجيب



ناس » الذى جذب اليه الناس من كل صنف ، وتعاون فيه نجيب سرور المسرحى الرقراق ، الكامن ، مع نظرة خلاقة للنص تقدم بها المخرج مراد منير ، واستخدم لتجسيدها مواهب ممثلة قادرة : محسنة توفيق، ومغنى عذب الصوت : على الحجار، وطاقم من الممثلين والممثلات والمنشدين، قدموا فيما بينهم شكلا مسرحيا غير تقليدى هو الشكل الشعبى الذى تختلط فيه رواية الاحداث بتمثيلها ، وتنتقل المشاهد بسهولة بين الاسطورة وحكايات التاريخ ومأثورات الشعب ، وموسيقى سيد درويش والغناء الرثائى الذى يسمى « العديد » ... الخ .

هذا عرض مسرحى عصف بالشكل المستورد للمسرح : شكل مسرح المنصة ، وجعل ما يدور على المسرح واحدا من الاهتمامات الحقيقية للمتفرج ، فلم يعد هذا مجرد مشاهد سلبى يتفرج على الاحداث بل اضحى مشاركا فعالا فيها ، رافعا مستوى العرض الى مستويات اعلى واعلى مع كل هتاف او تصفيق أو تحية .

وهو مثل طيب من امثلة العروض المسرحية التى سوف يقدر لها الصمود امام تمثيليات ومسلسلات التليفزيون المادة الاساس . والواقع ان انتقال مسرح « حكايات كل يوم » المنتزعة من الواقع ، من الخشبة الى الشاشة الصغيرة قد اوجد – لاول مرة – فرصة حقيقية امام فنون الاداء الحى كى تتحرر من كثير مما كان يعوقها عن التقدم . فكما حررت الكاميرا الفنان التشكيلى من ضرورة ان تطابق اعماله الواقع الحرفى ، بأن اخذت على عاتقها هذا الحمل الثقيل غير المجزى، فتفجرت طاقات الابداع منه بعيدا عن ذلك الواقع الارضى كذلك فعل التليفزيون باستقطابه للمادة الواقعية وتقديمها فى ابسط اشكالها الى الجمهور العريض .

فنان المسرح الحى الان امامه ارض رحبة وعميقة وصالحة لتوظيف طاقاته الخلاقة . وهذا ما يتم الان بالفعل ، فى مصر وفى بلاد اخرى ، حيث يبحث كتاب المسرح الواعدون والنابهون عن ارض جديدة ونبض جديد فى الاسطورة والمأثور الشعبى ، وحيث يديرون ظهورهم فى حزم لحكاية كل يوم الواقعية ، وللشكل التقليدى الغربى، ويقدمون مسرحيات تستمد التراث . كما يفعل يسرى الجندى ومحفوظ عبد الرحمن فى مصر ، او الصديقى فى المغرب ، او قاسم محمد فى العراق او عز الدين المدنى فى تونس أو ونوس فى سوريا .

ان البحث عن هوية عربية للمسرح لم يعد ترفا او حذلقة ، بل هو ممارسة قائمة تحقق نجاحا فى كل تجربة . وجنبا الى جنب تسير معها محاولة اخرى للعودة بالمسرح الى نبعه الاصيل، وهو الخيال ، يشساركه فيه الممثل



مسرحية الكلاب وصلت المطار لعلى سالم

والمخرج والمتفرج معا ٠ البساطة المتناهية هي جوهر هذا المسرح ، الذي يسمى احيانا « المسرح الفقير » والذي سميته انا ذات يوم : « المسرح الفقير الغنى » ، وهو مسرح يعتمد على حقيقة واقعة ، هي ان في اعماق كل منا رجل مسرح : ممثلا او مخرجا او كاتبا ، وان رجل المسرح هذا كامن في المتفرج ، يستمد وجوده من النبع الخلاق الذي لايجف ابدا والذي يدفعنا الى الخيال والتخيل صغارا وكبارا، يدفعنا الى « اللعب » بالتمثيل ونحن أطفال ، ثم الى « لعب » التمثيل اذا ثبت اننا موهوبون في التمثيل او الاخراج ، او الى المشاركة الوجدانية العميقة بالخيال ، اذا كانت مقصورة على الاسهام الذكى في اللعبة المسرحية٠

هذا المسرح الفقير الغنى هو احوج ما نحتاجه الان ، ليس فقط لانه قليل التكاليف ، بل لانه هو عدتنا الوحيدة كي يصمد المسرح الحى امام منافسة دراما التليفزيون ، خاصة وان هذه سيعلو شأنها كثيرا بظهور البرامج المنقولة عبر الاقمار اذ يخرج جيلا جديدا من فنانى المسرح لم تقيدهم العلبة الايطالية يوما ما ، ولم يخضعوا خضوعا اعمى للمفهوم أرسطو للمسرح ، ولم يصدقوا الزعم الذي تردد مدة طويلة والذي يقول بان لا مسرح في الوجود الا مسرح الاغريق٠

واذا كان بيتر برووك الانجليزى يسعى الى فنون الشرق الاقصى المسرحية ويحاول توظيف الاسطورة الهندية والشكل المسرحى اليابانى



هجرة
مسرح حكاية كل يوم

لخدمة مسرح الغرب ، فنحن لهــذه المحاولة احوج وبهــا اجدر • والا فسنظل نردد ما رددته مخرجة فن الارتجال المسرحي جوون ليتلوود عقب مشاهدة عروض مهرجان : جـرش : « ان مسرحنا غارق في الملل » •

ومرة اخرى لنستوعب الدرس الذى تقدمه الفنون التشكيلية هذه المرة في حقل النسجيات الشعبية • ان منتجات الحرانية قد لفتت انظار العالم بمــا استطاعت ان تقدم من جديد في حقـل النسجيات اليدوية ، وهذا الجـديد فجرته نظرة الى الصـناعات القروية تقدم بها الفنان المرموق رمسيس ويصا واصف واعتمدت المقولة سالفة الذكر، وهى ان في اعماق كل منا فنانا • في هذه الحالة اثبتت التجـربة ان في اعماق اطفال القرى المصرية فنـانين لا ينقصهم الا قليـــل من الاشراف والتوجيه ليقـــدموا الفن الطــازج ، البسيط الاخاذ الذى يشير فورا الى نبعــه : مصر ، وصانعيه : فلاحي القرى المصرية •

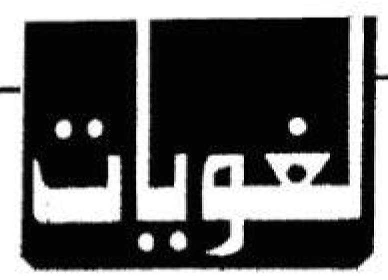
فلننظر اذن نظرة واعية ومدققــة لقضية المسرح الجـــاد ، ولنكف عـن تلمس الاسباب الظــاهرة ولنتجنب الاعتماد الآلي على التحليلات السياسية الاجتماعية • فان العالم من حولنا يتغير ويأتي بنتائج غير متوقعة لايجدى في تفهمها الالتزام بنظريات جــامدة ولا التفسير المبسط للعمل الفني

قبل ان اكتب هــذا المقال ، ورغم انني انفقت أسابيع كثيرة في رصـد ومحاولة تفسير ظاهرة الاعراض عن المسرح الجاد في ضــوء المتغيرات الجديدة ، لم اكــن اتبين بكل هــذا الوضوح ان هجرة مسرح : « حكايات كل يوم ذات الاساس الجاد» الى الشاشة الصغيرة هى خدمة للمسرح الجاد ، يمكن ترشيدها والتوسع في اجتــلاب خبراتها ، كما يمكن اعتبارها عــاملا تحريريا هاما للمسرح الحى انمــا اوضح لى الطريق في هذا المضــمار انني اعملت في المشكلة النظر الدرامي الحق ، وهو نظر جدلي أولا وأخيرا ، ينظر الى ظاهر الشىء وباطنه مـن زوايا كثيرة متقابلة •

● برتراند راسل والعقل ●

اشترت احدى السيدات كتابا من تأليف برتراند راسل، وعندما لم تفهم منه شيئا ، حملت الكتاب وذهبت الى كاتبه ، وقالت له : لم أفهم من كتابك هذا شيئا ..

فقال راسل : وماذا افعل ... لقد اعطيتك كتابا لان هذه هى حرفتي ولكني لا استطيع ان اعطيك عقلا فهذا خارج قدرتي . أم



● فى اذاعة القاهرة تقدم احدى المذيعات برنامجا اسبوعيا عنوانه « بكرة اجازة » ·· وهى تنطق كلمة « اجازة » بفتح الالف المهموزة·، وهو خطأ ، والصواب كسر الهمزة التى هى اصلا تحت الالف لا فوقها ، لان اصل هذه الكلمة هو الفعل « اجاز » ومضارعه « يجيز » ·· ومصدره « اجازة » بكسر اول الكلمة ·· وقد يقال ان المذيعة تنطق الكلمة كما ينطقها العامة ، وهذا لا يجوز ، لان الواجب تعليم الصواب للعامة لا مسايرتهم فى الخطأ ·· نلفت الى هذا عناية صديقنا الاستاذ فهمى عمر رئيس الاذاعة ، وان كانت الاخطاء الاخرى فى البرامج الكثيرة لا حصر لها مع الاسف !··

● بيرم التونسى ، كان يسميه بعض اصدقائه اللغويين « الاجلة » وهى آلة حديدية ثقيلة كاسرة ·· وذلك لان كلمة « البيرم » فى اللغة الفصيحة تعنى « الاجلة » فى العامية ·· وقد كان بيرم التونسى يشبه فى شدة اثر هجائه ، تلك الآلة الحديدية الثقيلة ·· وتنطق كلمة « بيرم » الفصيحة بفتح الباء وسكون الياء وفتح الراء ·

● انتشرت فى السبعينات كلمة « استعواض » فكانوا يقولون مثلا : « استعواض السلاح الضائع » ·· والصواب : « استعاضة » ويقال « استعاضة الشيء » ولا يقال « استعواض الشيء » ·

● يقول العامة « سره باتع » وكلمة « باتع » خطأ ·· والصواب « ابتع » والانثى « بتعاء » ولا يقال لها « باتعة » ·

● برميل البترول ، او برميل الماء ، يقال له احيانا « قنطاس البترول » او قنطاس الماء ·· ويظن بعضهم أن كلمة « قنطاس » غير صحيحة ، والواقع انها صحيحة ولكنها تنطق فى اللغة الفصيحة بكسر القاف لا بضمها كما ينطقها العامة ·

● اما برميل الخمر ، فلا يقال له « قنطاس » بل يقال « دن » ·· وقد اشتهر « دن الخمر » فى الشعر العربى القديم ·

● انتشر فى الزمن الاخير قولهم : « الكاتب الفلانى اول من صك هذا التعبير ، او هذا الاصطلاح » ·· والصواب « سك » كما تقول : « سك النقود » اى صاغ النقود المعدنية ، وتقول : « فلان يصك وجه فلان » ·· اى يضربه على وجهه !·· والصك فى بعض معانيه هو ورقة البيع او الشراء او التعامل بالنقود وغيرها ، والمهم الا تقول : فلان يصك التعبير ··



الخروج على التقاليد والتمرد على القانون

بقلم : مصطفى درويش

ودارت الايام ، وها نحن نكتشف ، وسنة ١٩٨٥ تقترب من النهاية ، ان ((نادية الجندى)) نعمة فنية لا يعرفها الا المركز الثقافى الفرنسى فى القاهرة ، الذى اختار بعض افلامها متوجة بلؤلؤتها الاخيرة ((المدبح)) للعرض فى مهرجانه المكرس للاعمال المتميزة من انتاج السينما فى مصر .

وهذه الواقعة او بمعنى أصح الخروج على تقاليد جرت على ان يقع الاختيار على اعمال بعض المخرجين التى تعتبر من العلامات البارزة فى السينما . لم يكن لها سوابق فى تاريخ المركز سوى سابقة واحدة ،

وذلك عندما اختيرت باقة من الافلام بمراعاة انها لنجمة وليست لمخرج .. وكانت النجمة المستثناه فاتن حمامة

قوة الاغراء

ومن منطلق الزهو او التميز

للتبعية أو الاثنين معا اعتبرت نادية الجندى هذا الاختيار أهم حدث فى مشوارها السينمائى ، بل هو وفقا لما جاء على لسانها فى حديث لها مع مجلة « الكواكب » أكبر نجاح حققته فى حياتى ، ولا تتصور سعادتى بهذا التكريم الذى يفوق سعادتى لو كنت فزت بجائزة الأوسكار .

وبالتبعية اعتبرت أفلامها وثائق تاريخية ، بفضلها أصبح الممثلون الذين شاركوها البطولة فيها مثل « سمير صبرى » فى « بمبة كشر » و « محمود ياسين » و « أحمد زكى » و « فاروق الفيشاوى » فى « الباطنية » و « محمود عبد العزيز » فى « وكالة البلح » و « ممدوح عبد العليم فى « الخادمة » و « حاتم ذو الفقار » فى « المليح » ، أصبحوا جميعا ، وبلا استثناء ، نجوما تزدان بهم السماء .

وللحق فلست أدرى كيف اقتنعت ملكة الاغراء أساطين الثقافة فى المركز الفرنسى بأن أفلامها تنطوى على قيم وثائقية وفنية تستأهل التركيز على النجوم بدلا من المخرجين بالاهدار للتقاليد .

ومهما يكن من أمر هذا اللغز المحير ، فالقدر المتيقن أن اقامة مهرجان لأفلام « نادية الجندى » فى المركز الثقافى لبلد الحرية والمساواة والاخاء ، أرض « رينوار » « وكلير »

K

ـ البرىء مع صديق العمر فى زنزانه المعتقل



حصاد سينما ١٩٨٥

و « تريفو » ، يعد من العلامات السينمائية الهامة لسنة ١٩٨٥ .. وكيف لا .. وهى تلقى اضواء على حال الفن السابع فى مصر وما يدبر له فى العلن ، وفى السر والخفاء .

فاذا ما تركنا الملكة ومبدعها جانبا ، ذلك المبدع الذى تطل علينا ملصقاته حمراء تقطر دما من « كارعين » تحملها بيدين ناعمتين معلمة الشاشة الاولى .

وحاولنا ان تسترجع ما حدث للسينما فى ديار مصر لوجدنا الصورة مفجعة .. لماذا ؟

لانها نازفة كجرح مفتوح

بين الاطلال

فتوفيق صالح و « صلاح ابو سيف » و « كمال الشيخ » اختفوا من ساحة الابداع . ولو الى حين

ويوسف شاهين قريبا من نهاية المطاف يجنح الى اخراجه فيلم من نوع « الفرانكو اراب » « وداعا يابونابرت » وهو عمل سينمائى فى جوهره يعظم من شأن الشذوذ فى العلاقات ، يشوه التاريخ على وجه أساء الى الشعبين المصرى والفرنسى على حد سواء .

ومختار احمد حسن السينمائى الشاب المشهور باسم المخرج الغائب . والذى عاد فيلمه « انقاذ » من مهرجان قرطاج السينمائى ١٩٨٤ متوجا بجائزته الذهبية ، ها هو ذا يعيش فى منطقة الخراب ، يدق ابواب الابداع الموصدة فى وجهه .. وما من مجيب.

وفوق كل هذا نفر من النقاد استهم الاهواء ، فاذا بالمقت الشديد لحرية التعبير السينمائى يندفع بهم الى التشهير بالفنانين بدعوى انقاذ الشباب وحماية سمعة مصر ، والى المطالبة باقامة المشانق للمخرجين وبالتشديد رقابيا سعيا الى اغتيال الافلام .

ورغم هذه السلبيات — وغيرها كثير — ارى انه من المناسب الا نطيل الوقوف عند الاطلال ، بل ان نسرع الخطى بحثا عما قد يكون هناك من ايجابيات واسبابها .

اى متامل لحصاد سنة ١٩٨٥ من الافلام الجادة يلاحظ :

اولا : انها قليلة جدا . . فعددها لا يزيد عن ستة افلام هى « المطارد » لسمير سيف و « الحكم آخر الجلسة » لمحمد عبد العزيز و «عفوا ايها القانون» لايناس الدغيدى و « الكيف » لعلى عبد الخالق و « خيوط العنكبوت » لعبد اللطيف زكى « والبرىء » لعاطف الطيب .

ثانيا : ان ما كان منها ماخوذا عن

عبد اللطيف زكى .. وخيوط العنكبوت



محمود يس ورغدا
دبكتاتورية المقعد

اعمال ادبية ، وهي « المطارد » عن قصة « الحرافيش » لنجيب محفوظ « والحكم اخر الجلسة » عن قصة لفتحي ابو الفضل و « خيوط العنكبوت » عن قصة « البطالة » للدكتور نبيل راغب ، قد روعي فيه ان يكون امينا للعمل المستوحى منه ، بل ان صاحبي « المطارد » و « خيوط العنكبوت » لم يكتفيا بالحفاظ على روح العمل الادبي ، وانما ذهبا الى ابعد من ذلك، اذ عملا ، وهما يتحولان به الى لغة السينما ، على تنقيته من بعض الشوائب التي ادركا بحاستهما السينمائية انها لو بقيت في الفيلم لاسدت جمالية السرد الصافي البسيط .. والبعيد عن الاصطناع والكلفة والتعقيد .

ثالثا : انها في معظمها تتعامل مع موضوعات جديدة لم يسبق للسينما في مصر ان عرضت لها من قريب او بعيد مثل اقتتال مشكلة اهل الثقة واهل الخبرة وما تجسم عنها من صراع قذ بالمجتمع من هاوية الى هاوية (خيوط العنكبوت)

شجرة البؤس

بل ان فيلم « الكيف » الذي يبدو من عنوانه انه لا يعدو ان يكون نسخة مكررة من الافلام التي تدور وجودا وعدما حول المزاج والانسطال .

هذا الفيلم لا ينتمي لشجرة البؤس .. شجرة الاعمال الفنية المخدرة التي ابتليت بها السينما منذ ان اصدر وزير الاعلام والثقافة في ٢٨ من ابريل قراره رقم ٢٢٠ لسنة ١٩٧٦ الذي خول للمعدات الحشيش بكل لوازمها من جوزة وخلافه حق الظهور على الشاشة البيضاء .. لماذا ؟

لانه يتناول ماساة الكيف من خلال طرح مبتكر لها ، فالقصة تعرض لاخلاقيات الشرائح الدنيا من الطبقة المتوسطة .

كيف هي سريعة الانهيار امام اعباء الحياة ومتطلباتها وكيف ان هذا الانهيار مؤداه اختصار انسانية المنتمين لهذه الشرائح حتى تصبح اصغر من حبة خردل .

وعلى كل فلعلي لست بعيدا عن الصواب اذا ما قلت ان « الحكم اخر الجلسة » و « علوا ايها القانون » و « البريء » تتفرد من بين الافلام الست المشار اليها بالغلو في التجديد الى حد الدعوة الى تحدي القانون والتمرد عليه اذا كان ظالما .

وداعا للشرعية

ولذلك أجدني مضطرا الى الوقوف



كبير العائلة الملعون (حمدى غيث) مع افرادها فى " الحكم اخر الجلسة "

قليلا عندهما « الحكم آخر الجلسة » و « عفوا ايها القانون » كلاهمـــا يتناول مشكلة الانسان فى مواجهـــة القانون .

وكلاهما يعرض لها من منطلق حـق المرأة فى ان تتساوى مع الرجل فيمـا له وفيما عليه .

فالمرأة سواء اكانت « اوصـــاف » (بوسى) الحاصلة على الدكتـــوراه فى علم الأجنة ووراثة الجنـــون او « هدى » (نجلاء فتحى) الاســـتاذة الجامعية فى علم النفس ، المرأة فى كلا الفيلمين مهددة فى حريتها بقانون جائر لا يرحم ، القانون المكتوب .

وهى دفاعا عن النفس انما تستلهم قانون الســماء ، القـــانون الطبيعى غير المكتوب .

وقصتا الفيلمين مدارهما الصراع فى اولهما بين « اوصاف » و « همام بك » (حمدى غيث) وفى ثانيهما بين « هدى » و « عبد القوى » (فـــريد شوقى :



انهيار السرايا [illegible] في الخلف

والغريب ان الرجلين في الحالتين يتقمصان شخصية الحما المصاب في اعز ما يملك بفعل زوجة الابن الخارجة على القانون .

فاوصاف تكتشف أن لزوجها «سعيد» (نور الشريف) اخا نزيل مستشفى الامراض العقلية منذ عشرين عاما او يزيد .

ومن خلال تتبعها لمرضه يستبين لها ان جنونه مورث ، وان اجنة عائلة زوجها لابيه ملوثة على وجه لا امل فيه لعلاج او شفاء .

وينتهي الامر بها الى اجهاض نفسها لتخوفها من ان يكون الجنين الذى في احشائها مصابا هو الاخر بهذا الداء .

وطبعا يصطدم بها « همام بك » اولا واخيرا للسبب الذى تذرعت به كيما تتخلص من الجنين .

فهذا السبب معناه الحكم عليه مؤبدا بالعقم ، بالا تكون له ذرية من بعده تحمل الاسم ، مؤداه ان تنقرض شجرة العائلة ، ويصبح كبيرها نسيا منسيا .

وكل ذلك غير مقبول بالنسبة لرجل مقترن بالفحولة ، متأثر باخلاق القرية .

اما «هدى» في الفيلم الثاني [illegible] « علي » (محمود



عبد العزيز) عشيقة - هي الصديقة « لبنى » (ميرفت) كيف ؟

تضبطهما عاريين يمارسان الجنس في فراش الزوجية ومن هول ما رأت تطلق عليهما وابلا من رصاص ينتهي بهما الى غرفة الانعاش .

فاذا ما مات « علي » وقع الصدام حاميا بين الزوجة القاتلة وبين والد القتيل « عبد القوى »

فهي بفعلتها هذه قد حرمتـه من ابنه الوحيد ، وهو لن يرتاح له بال الا اذا رآها وراء القضبان تعاني مرارة الامتهان وقسوة الحرمان .

وغني عن البيان ان مصاب « عبد القوى » في ابنه اقل من مصاب « همام بك » في نسله .

ففي حين أن الاول ينتهي به الفيلم حاملا حفيده الذي ولدته « هندي » وهي حبيسة السجون على ذمة التحقيق في القضية المتهمة فيها بالقتل مع سبق الاصرار ، فان الثاني يعيش املا بل امل فحتى لو عوقبت زوجة ابنه بالسجن لانهـا قتلت حفيده بالاجهاض ، فذلك لن يعيد اليه الحفيد الفقيد . ولن يرد عنـه وعن اله لعنة الخوف من الجنون الموروث ، وهو خوف دفع بابنه وابنته الى الوقوف الى جانب الزوجة القاتلة متضامنين معها عن اقتناع منهما بانه ليس لهما حق في الانجاب ، بل ان هذا الاقتناع قد وصل عند الابنة ، وهي محامية (ايمان الطوخي) ، الى حد التطوع

دفاعا عن زوجة اخيها سعيا منهـا الى اصدار حكم ببراءتها من التهمة المنسوبة اليها .

اذن ثمة صراع في الفيلمين بين القانون المكتوب يقف الى جانب الرجل متمثلا في والد الزوج وبين العدالة او القانون غير المكتوب يقف الى جانب المراة متمثلة في الزوجة القاتلة .

حقوق متساوية

واذا كان صعبا ، بل قل مستحيلا الا نختار ، ونحن في مجال الاختيار ، بين بطلي الفيلم الاول ، ايهما ننحاز اليه ، وايهما نتعاطف معـه ، لان الصدام بينهما هو ، في حقيقة الامر من قبيل التصادم بين حقين متساويين وذلك رغم جنوح سيناريو « احمد صالح » في بعض الاحيان الى رسم شخصية الاب على وجه هازىء بها ، ساخر بمنطقها .

فالامر على عكس ذلك تماما بالنسبة لبطلي « عفوا ايها القانون » فصاحبة الفيلم مع كاتب السيناريو « ابراهيم الموجي » ارادا لنا - ومنذ البداية - الا نختار ، وان نختار بلا تردد جانب الزوجة القاتلة ، متعاطفين معها ، والا يكون للاب من تعاطفنا نصيب .

وعلاوة على ذلك ، فتلك الزوجة المطلوب منا أن نتضامن معها ، ومع جريمتها الجميلة ، نراها دائما وابدا نادمة على ما اقترفت في حق زوجها ، لا تترك مناسبة الا وتفصح فيهـا - وبدموعها تنهمر مدرارا - عن استمرار حبها له .

ومن هنا انحدار « عفوا ايهـا القانون » الى مستوى الميلودراما الغالب على السينما عندنا ، وابتعاده بذلك عن جمال المأساة ، وجلالهـا من جلال .

اما « البريء » فله شأن اخر .

انه يعرض للجرائم المدروسة والمخطط لها داخل أحد معسكرات الاعتقال .

وهو يعرض لها من خلال سيرة فلاح من الصعيد الجوانى « أحمد سبع الليل » (احمد زكى) ، يعيش مع أمه العجوز وأخيه المتخلف عقليا فى بيت ريفى لا تفرقة فيه بين الانسان والحيوان .

مع شروق الشمس يستيقظ ليصاحب حماره وجاموسته الى الحقل حيث يعمل ويعانى طول النهار

ومع الغروب يلقى بنفسه فى مصرف مغتسلا منتعشا فى رفقة البهائم بمياهه الراكدة .

انه واحد من تلك الكائنات البريئة المخلوقة لتكون مصدرا من مصادر الفرح والسعادة كما العصافير والحمائم .

وبالطبع هو يجهل القراءة والكتابة ، أميته هذه تحول بينه وبين الوعى بما يدور حوله ، تجعل منه مسخة يتندر بها اترابه رواد مقهى القرية من انصاف المثقفين .

الوحيد من بين رواد المقهى الذى لا يتندر بسذاجته ، وكثيرا ما يأخذ بيده مدافعا عنه ، هو الطالب الجامعى « حسين وهدان » (ممدوح عبد العليم) .

ضريبة الدم

وتبدأ محنة البرىء مع التجنيد

انه يعامل مع رفاقه المجندين عند الكشف الطبى عليهم كما القطيع .

بعد التدريب يجرى انتقاؤه مع نفر ممن لا يجيدون القراءة والكتابة للعمل بمعسكر اعتقال نموذجى يسوده مبدأ الطاعة العمياء .

وعند أول تجربة تجرى معه على تلك الطاعة ، يجتاز الاختبار بتفوق حينما يصفع زميلا له تنفيذا منه للأمر الصادر له بذلك من حضرة الضابط دون ان يسأل لماذا .

وتنتهى المحنة بصورة رهيبة ولا انسانية عندما يكتشف أن نزلاء المعتقل ليسوا اعداء الوطن كما قيل له كذبا .. كيف ؟

يرى « سبع الليل » ، « اللى كان يريه زى الطير الطليق » ، كما تقول احدى اغنيات عبد الرحمن الابنودى فى الفيلم يرى صديق القرية « حسين وهدان » محسوبا ضمن أعداء الوطن، مطلوبا منه أن يمارس عليه ما تعلمه من صنوف التعذيب .

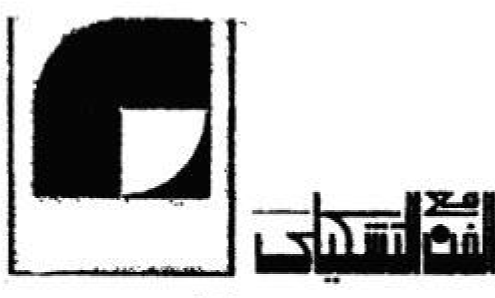
العصية .. لماذا ؟

وهنا يتمرد « سبع الليل » على قانون المعتقل بل قل قانون الدغل .

وفى مشهد التمرد وما بعده لم يكتف كاتب السيناريو « وحيد حامد » بالذهاب ببطله الى حالة العصية عن اطاعة الامر الصادر له من قائد المعسكر « توفيق شركس » (محمود عبد العزيز) بتعذيب صديق العمر ، بل ذهب به الى حالة اخرى اشد هولا .

انه ـ وبعد موت صديقه فى الزنزانة بلدغة ثعبان ـ يفتح النيران على القائد وعسكر المعتقل فيقتلهم جميعا فيما عدا جنديا يبقى حيا ، يتربص له ثم يرديه قتيلا .

وعندى ان هذه النهاية التى اصطنعها صاحب سيناريو « البرىء » ـ وهو واحد من اجمل الافلام فى تاريخ السينما العربية ـ نهاية عدمية أسقط من خلالها فكره ـ وهو فكر محترفى الثقافة الذين هم دائما فى عجلة من امرهم ـ اسقطه على الفلاحين الذين هم منه براء سواء اكانوا واعين بما يدور حولهم ام غير واعين .



بقلم :
محمود بقشيش

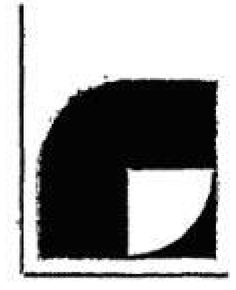
حلمي التوني فنان الرمز العائد

شكلت معارض اكتوبر الماضي بالقاهرة بداية لافتة للنظر ، وعلى سبيل الرصد ، اقيمت المعارض الاتية للفنانين : حسين الجبالى ، ورضا عبد السلام بقاعة شيراتون الجزيرة ، وثروت البحر بقاعة « جوته » ، ومنير مرقص ، وهدى عبد الرحمن بقاعة « السلام » ، وماهر داود ، وحلمي التوني ، وعدلى رزق الله بقاعة اخناتون « ١ » بمجمع الفنون ، وصابر محمود بقاعة كلية الفنون الجميلة ، وسوسن عامر بالقاعة المستديرة بنقابة الفنانين التشكيليين ، والثنائي فريدون وعبد الخالق بقاعة النيل ، وكاتب هذه السطور بقاعة اتيليه القاهرة للفنانين والكتاب . اختار اليوم من بينها معرضين ، دون ان يعنى هذا الاختيار اعترافا بالافضلية ، بل بما اثاره الاول من قضايا جديرة بتأمل القارىء ، والثاني بسبب

الفنان حلمى التونى فى مرسمه وعلى اليسار المرآة .. وانطلاقة من القيود







مع الفن التشكيلى

الاعتام الاعلامى الكامل الذى احيط به معرضه رغم مستواه الجيد ·

معرض حلمى التونى

بعد صحبة عابرة ، او ممتدة مع الاجواء المخملية التى صنعها ، باتقان الفنان حلمى التونى، يلح عليك سؤال، هو كيف استطاع فنان عاصر الحرب اللبنانية منذ بدايتها، وبقى بها سنوات تزيد على العشر ، شهدت ابشع الكوارث ، كيف استطاع ان يشكل عالما فنيا مناقضا لها · طرحت عليه السؤال ، او التساؤل ، فكانت اجابته التى يستطيع ان يفسرها القارىء بما تسمح له قدرته ، ومنهجه - ان هناك حربين : حربا نبيلة ، وحربا قذرة ، والحرب الاهلية اللبنانية من النوع الاخير،وعلى هذا قرر ان يقيم حواجز ومتاريس بينه وبينها ، بلغت ذروتها فى مرحلة الحصار ، التى استغرق خلالها فى دراسة الفن الاسلامى ، الا ان المتامل لرسوم الفنان ، قبل وبعد الحرب ، لن يجد اختلافا جوهريا فى الاسلوب الفنى ، والطابع العام للرسوم ، سواء كانت على اغلفة الكتب ، وخاصة الدواوين ، او على حوائط المعرض ·

وقد نتعسف مع « التونى » لو طالبناه ، او طالبنا الفنانين المصريين ، ان يبلغوا المدى الذى بلغه « بيكاسو » فى لوحة العصر : « الجورنيكا » ، فالكوابح التى تفسد سلامة تجسد التعبير الفنى فى عالمنا العربى لاحصر لها ، فتلك الكوابح - التى لا مجال لمناقشتها الآن - تدفع بالفنان المصرى ، والعربى ، الى « التجميل » بدلا من « التعبير»والتقاط الرموز العامة ، المحفوظة ، بدلا من فضح المستور من المشاعر ، ولهذا امتلات لوحات المعرض بمفردات وضعت فى مقابلات رمزية تفصح عن نفسها بلامواربة : كمقابلات : خصور النساء مع الثمار ، واطباق الفاكهة ، او الطيور مع النوافذ والزهور ، او الوجه الطبقى لحسناء ، تطالعنا ممزوجة بالضوء ، عبر نافذة ، اقرب الى الحاجز ، كثيفة ، وعالية ، وقد يفاجئنا الضوء المعترض بالحواجز بثمرة برتقالية شفافة تتقمص نفس الدور ، وينطلق الحمام فى ربوع المعرض ، عبر نوافذ اسمنتية ، متجها صوب»زهور الاحلام»متنقلا من رماديات لوحات بيروت الى قدر من الدفء المحسوب ، فى مصر · يحتفل«التونى» بالبناء النحتى«المتخلص من العوارض التفصيلية ، وان خفف الكتلة بتلك الغلالة الضبابية التى تشمل العناصر، وان استبقى عناصر اخرى واضحة لتؤكد المقابلات الرمزية ، وايضا لاثارة الاحلام ·

ان تلك المقابلات المباشرة كانت موضوع تساؤل مع الفنان الذى اجاب بانه يتعامل مع اللوحة تعاملا تلقائيا، وهو لا يكاد يعرف ماذا يصنع قبل ان تكون الفرشاة والالوان قد انتقلت من « الباليت » الى مسطح اللوحة ! ·

وسواء كان هذا صحيحا ام غير

صحيح ، فقد استمتعنا بلوحات تذكرنا بأخلاقه الجميلة .

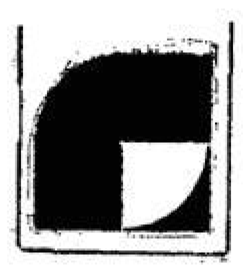
معرض الفنان صابر محمود

أقام الفنان « صابر محمود » معرضا شاملا بالقاعة التعليمية بكلية الفنون الجميلة ، وأحيط الفنان بعكس ما قوبل به « التوني » من حفاوة إعلامية ، والثناء للأعمال ، مع أن الفارق في الموهبة – إن وجد – لا يبرر الحالة ، وإن بررها الخلل العام في المناخ الثقافي والاجتماعي .

صادفت من قبل أعمالا متفرقة للفنان « صابر » في المعارض العامة ، تعرفت خلالها على ملامح من رؤيته التي تأكدت بهذا المعرض الشامل ، وعلى الرغم من أن المعرض ضم مساحة زمنية كبيرة نحو ثمانية عشر عاما ، إلا أنك لا تكاد تلحظ انتقالات أسلوبية ، بل حرصا على جو نفسي ، وأسلوبي واحد ، بل الاحتفاظ بمفردات جوه الحالم : الحمام . القمر . الطبيعة الصامتة ، وقدم ضمن ما قدم لوحتين من لوحات مشروع تخرجه ، تكشفان عن تأثر بالأسلوب الأكاديمي ، أو بمعنى أدق ، تكشفان عن محاولة الخروج من دائرة الأسر الأكاديمي إلى آفاق التبخر

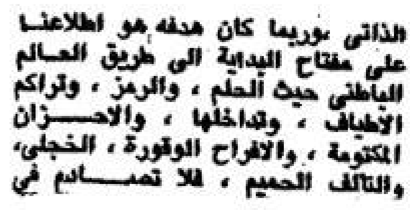
استخدام الرمز من أبرز سمات معرض حلمي التوني










الذاتي ، وربما كان هدفه هو اطلاعنا على مفتاح البداية الى طريق العالم الباطني حيث الحلم ، والرمز ، وتراكم الأطياف ، وتداخلها ، والأحزان المكتومة ، والأفراح الوقورة ، الخجلى ، والتآلف الحميم ، فلا تصادم في

امرأة تحلم

الدرجات الشــوقية ، بل تعــومة الانتقالات من عنصر لاخر • تلمــح بداية ذلك العالم فى وجوه الاطفــال الحزينة ، وفى أجوائه الرمــادية فى مشروع تخرجه ، وقد اطلق عليــه عنوان : من وحى الحرب والسلام ، او بالاصح من وحى هزيمة ١٩٦٧ • ظهر الاطفال مكبلين بالجمود ، والوجوم ، والدرجات الرمادية ، الا ان تفاصيلهم كانت ما تزال واضحة قد تغيب ، فيما بعد ، فى غلالات الابهام •

ان موضوعاته اعتيــادية ، فهى لا تخرج ـ غالبا ـ عن « الطبيعــة الصامتة » و « المنظر الطبيعى » ، الا انه ، بطبيعة اسلوبه الفنى ، يستلهمها ولا يقف عند حدود معطياتها المرئية ، وعلى الرغم من تخففه من البعد الثالث ـ على النقيض من « اللونى » ـ الا انه لا يحذفه ، بل يحرص على عــلاقة متوازنة بين عنــاصر « المقدمة » و « الخلفية » ، ويشعرك انك امــام مسطح تصويرى ، متشابك النسيج ، وهو فى النهاية يصافحك بعالمــه السلامى ، الحزين ، وبسمته الرزينة •

طائر فى المدينة للفنان صابر محمود



أحدث قصيدة
لأحمد عبد المعطي حجازي



إلى عبد الفتاح غبن

يوم تركناه وسافرنا ،
اشترى فى الغسق النازل خبزا وشموعا ،
ثم عاد وحده
يجوس فى غرابة البيت !
كان العشاء حاضرا
ومقعدان
وأغان كالمطايا ترتقى حوائط الصمت
نادى فلم تأت
وكانت القاهرة الآن طنينا مضمحلا .
هذه القلعة كانت دائما تنهض فى شباكه
تشبهه مئذنتاها ،
وهو يلقى ظله فى زبد الوقت
لابد أن تطالع المرآة


• بريشة محمود الشيخ •

او نصاب بالجنون والمقت
نادى ، فمارد سوى الظل الذى خف له
معتدل السمت
ظل رشيق ، بارع
اجمل من ابن ، ومن بنت
نادمة ، حتى انقضى العام
وعدنا نطرق الباب عليه فبكى
واختار ان يبقى مع الموت
باريس ١٩٨٥/٩/٢٥

* توفى الكاتب الصحفى الاستاذ عبد الفتاح فى صهر الشاعر فى شهر سبتمبر الماضى . وكان قد قضى شهوره الأخيرة وحيداً فى بيته بعد سفر اولاده للخارج ، ووفاة زوجته ، واحالته للتقاعد .

الخروج من الأسطورة

بقلم : أحمد عبد المعطى حجازى
باريس

خرجت من اسطورة ، قرية تشبه المدينة، لها ليل ونهار يتكرران ولا يتغيران ، الله فى القرية، والحقول حولها ، وبينهما المقابر ، وسكة الحديد ، والترعة ، لا يتجاوزها المرء الا بالموت ، او السفر ، او الابداع ..

ستظل الطبيعة المصرية متمثلة عندى فى ساعات الظهيرة القائظة ، حين يتعقد الصمت او يتكلم ، كما يقول جمال الدين ابن الشيخ ، فالصمت كلام آخر ، وربما كان افصح كلام ، لانه كلام الروح حين ينسلخ من الجسد الفرد ويدخل قمصان الكائنات .

فى الظهيرة التى يهرب منها الانسان بالاحول والحلم توجد الشمس الملتهبة بلا شريك ، لا كما توجد فى الشمال رقيقة متهافتة ، ولا كما توجد فى البادية وفى المدن شريرة قاسية ، وانما كما توجد فى الحقول مليئة خصبة ، تتجاوب فى احضانها الالوان والاصوات والروائح ، فتملئه باحات الدور مثلها مثل الحقول بهديل اليمامة فى ظل شجرة او طنف ، وبريق عيون الصبايا والتماعات اجسادها الرشيقة المتزلقة ، وبانفاس الزرع والزهر مختلطة بروائح التربة . فى تلك الساعات كانت امى تجلس وحدها فى الباحة الفسيحة كجنية شابة تبكى اخوتها الاربعة وقد ماتوا تباعا فى اكتمال الشباب . ان صور التعديد وايقاعات النواح ينبوع من ينابيع شعرى حتى واننا امجد ازدهار الحياة . نعم ، فالمعنى المستتر او المتضمن فى الخصوبة هو الموت ، والوجدان يذكرنا بالفقدان ، وقد عرف العرب هذا السر فسموا

:. حلمى التونى .



الخروج من الأسطورة

بالعكس حين اطلقوا اسم البصير على الضرير ودعوا العبد الاسود قمرا .

لقد حاولت فى عدة قصائد ان اقبض على هذه اللحظات لكنى لم اشف غليلى بعد ، وربما وصل محمود حسن اسماعيل أو محمد عفيفى مطر فى قصائدهما عن الظهيرة الى أعماق حقيقية .

اتجهت اولى محاولاتى الى النحت . لم اكن كبقية الاطفال أحب الطين ، فقد تعلمت منذ نعومة الظفر ان اترفع على اللعب ، وخاصة على اللعب بالطين ، ولهذا أحببت الحجر . ربما كان انشغالى المبكر بموضوع الموت وراء هذه المحاولة الساذجة التى اجتذبنى لها ما كنت اطالعه فى كتب التاريخ والمجلات من صور التماثيل .

كنت اصغر من ان افهم النحت الفرعونى او احبه . التمثال الفرعونى يجسد عقيدة قومية تشمل الحالات والملامح الفردية وتدمجها فى مثل أعلى يتجاوز الطبيعة ويمسك بالغيب . انه يجسد النموذج والمعنى ولو خرج على أشكال الواقع ونسبه المألوفة . ولو كرر ما سبق ان ابدعه الاخرون ، بل ان التكرار أو التقليد قاعدة فرعية لان الشكل مقدس ، وهو مما تملك الجماعة، فلا يحق للفرد ولو كان مبدعا أن يخرج عليه . التمثال الفرعونى يجسد الخالد بنفسه ، اما التمثال الاغريقى فهو يخلد حالات الجسد العابرة وملامحه الشخصية الفريدة . انه باختصار يقاوم الموت الذى كان يشغل طفولتى ، والذى لم يكن له فى مصر القديمة وجود ، لان الحياة كانت كلها خلودا فى خلود .

كان النحت الاغريقى يستهوينى اذن ، فكنت أخرج لالتقط قطع الحجر الجيرى المتخلفة من اقامة الابنية الحكومية او ترميمها ، وأحملها الى منزلى ، حيث احاول أن انحت منها وجوها بما أعثر عليه من أدوات المنزل الصلبة ، ولم تكن يداى ولا أدواتى قادرة على أن تترك فى الحجر أى اثر .

انتقلت الى الموسيقى أحاول أن اتعلم

العزف على الكمان . كانت لابى ذكريات مع هذا العالم . فقد كان فى شبابه حسن الصوت كما قيل ، وكان الهواة من الشباب حتى اوائل القرن الحالى ينشئون فى انفسهم جماعات ترضى حاجتها للغناء بمصاحبة المحترفين من قراء التواشيح والمدائح والاذكار ، وقد شارك فى بعض هذه الجماعات ابى . وقد ولدت ولى بيتنا المتواضع أصداء من الحاكيين اللذين كانا يملآن اركانه بأغنيات سلامة حجازى ، والمنيلاوى ، وسيد درويش . كما لمحت بغناء مطربين محليين ، وهم طائفة لا علاقة لهـا بالغناء الشعبى ، بل كانت تضم الموهوبين فى الغناء الكلاسيكى الذين لم ترتفع مواهبهم الى درجة اللحاق بمطربى العاصمة ، فقنعوا بالتجوال فى مدن الارياف وقراها ، يرتدون العباءات الفاخرة ، ويضعون الطرابيش القانية ، حاملين اعوادهم فى اطبقة القطيفة ، متنقلين – مع نسائهم احيانا – بين بيوت الهواة ومحلاتهم يقدمون ما يحفظون من الادوار والموشحات والطقاطيق .

وقد حاولت أن اتعلم العود ، وكان آنذاك هواية شائعة ، لكن الفرصة لم تتح لى الا بعد أن التحقت بمدرسة المعلمين فى شبين الكوم فاعطانى مدرس الموسيقى ، وكان عازفا على الكمان برعايته حتى استطعت أن اقرا النوتة وأعزف « الكومبارسيتا » فى احدى الحفلات المدرسية . لكن ظروفا مختلفة صرفتنى عن الموسيقى فى الوقت الذى كنت قد بدات انظم فيه قصائدى الاولى .

كان للشعر فى مصر حتى ذلك الوقت مهرجان . وفى تلك القرية التى نشأت فيها ، وهى شبيهة من هذه الناحية بسواها ، كان الصبية المتعلمون يقضون أوقات فراغهم يتسابقون فيما يحفظون من ظهر قلب فى مفردات اللغة والاشعار ، فيعددون أسماء الاسد ، والفرس ، والمطر وسواها .. أو يبدأ أحدهم فيلقى بيتا من الشعر فيجاريه نده ببيت آخر يبدأ بالحرف الذى جاءت منه قافية البيت السابق ، حتى اذا تلعثم أحدهما أو نفد ما يحفظ كان هو المغلوب وزميله الغالب .

وفى هذه القرية ايضا كانت القصيدة تقليدا مرعيا فى المناسبات الدينية أو الوطنية وحفلات التأبين والاستقبال والوداع . ولا ازال أذكر شاعر قريتنا الاستاذ عبده درويش ، وهو شقيق الشاعر المعروف الاستاذ سعد درويش امد الله فى عمرهما ، حين كان يأتى دوره ، دور الاول ، فى الاحتفال بذكرى سعد زغلول فيضج الصوان بالتصفيق . أما شقيقه الذى كان قد أنهى دراسته فى قسم اللغة الانجليزية بكلية الاداب ، حيث انعقدت أواصر الصداقة بينه وبين عدد من الشعراء والكتاب والظرفاء ، فقد زود أوساط الهواة والمتعلمين فى بلدنا بقصائد للعلائى وعبد الحميد الديب كانت تستهويهم بما فيها من تمرد ومجون .

وعندما بدأت اقرض الشعر – اى اجىء به وزنا – كان لشبان العربان يكبروننى بسنوات قليلة ، قد أصبحا شاعرين بمقاييسنا المحلية فى ذلك الوقت – وهى الان مقاييس لا يطيق الالتزام بها بعض شعراء العاصمة ! – وكان أول هذين الشابين قد انصرف الى النظم فى المناسبات العامة والدينية خاصة ، أما الآخر وهو أول أساتذتى – توفيق ابو الخير ، وقد أكمل دراسته فى كلية دار العلوم ، وصار استاذا للغة العربية وآدابها فى المدارس الثانوية ، وتوفى فجأة قبل بضع سنين – اقول ان هذا الاخ الراحل الكريم كان رومانتيكيا بالمعنى الكامل . فهو يحفظ شعر على محمود طه ، ويؤدى بصوت ندى رخيم الحان عبد الوهاب لكيلوباترة ، والجندول ، والكرنك وسواها . ويحاكى الرومانتكيين فيما ينظمه من شعر يعبر فيه عن عواطفه التى كان يكنها للفتاة يختلف عنه فى كل شىء ، فهو موله بحبها دون أمل حتى فى ان يبادلها الحديث .

كان توفيق أبو الخير أستاذى فى النظم

الخروج من الأسطورة

احمد عبدالمعطى حجازى

او مدربى ؟ ألم يكن يعلمنى شيئا نظريا ، بل كان يصحح أوزان محاولاتى البائسة بصبر لا ينفد وتشجيع أنقذنى من السقوط فى هاوية اليأس وأنا أحاول عبثا ان أسيطر على ايقاعات لغة لم تكن فى يدى آلذاك اقل صلابة او خشونة من حجارة تماثيلى . لكننى بفضله وبفضل تجربتى السابقة الاولى تعلمت الوزن قبل أن أتعلم العروض ، ثم انتقلت بعد ذلك للبحث عما أريد قوله فى هذه الاوزان ، وعندئذ قدر لى اللقاء باستاذى الثانى كامل عبد الغفار .

كان قارئا نهما للمجددين الذين لم تكن تعرف عنهم فى أوائل الخمسينات الا القليل ، متخصصا فى قراءة توفيق الحكيم بالذات ، يقرؤه لا للمتعة فقط ، وانما للتفسير والتحليل ووضع العمل الواحد فى سياقه ضمن اعمال الكاتب كلها . وأظن أنه التقى عدة مرات بالاستاذ الحكيم الذى اقترح عليه أن يكتب دراسة عن أدبه وفكره .

كان كامل عبد الغفار يعرف فى ذلك الوقت معرفة جيدة أعمال عبد الرحمن بدوى فى الفلسفة ويعرف الوجودية عن طريقه ، وأعمال بشر فارس فى الشعر والمسرح والفن الاسلامى ويهتم خاصة بنزعته الرمزية . بل كان مستمعا جيدا للموسيقى السمفونية لا يقف عند أعمال الكلاسيكيين المشهورين من أمثال موزار وبتهوفن .

وانما يسمع أيضا المعاصرين الذين لم يكونوا معروفين كثيرا فى مصر من أمثال سيبيلوس وسترافنسكى ، وكانا فى ذلك الوقت لا يزالان فى الاحياء . كان مسحورا خاصة بجنون الاول وصوفيته فى التعبير عن اتحاده بطبيعة بلاده فنلندا وطوال وجودى فى مصر لم أسمع سيبيلوس الا فى شقة كامل عبد الغفار فى القاهرة .

كان فتى فارع الطول له وسامة فنان وأناقة مستمدة مما كان شائعا فى الثلاثينات فى هذا القرن . وفى اوربا الآن ارتداد الى خطوط من هذه الاناقة ، وقد أهديته مقطعا أعتز به وجعلته مع مقطعين آخرين أهديتهما لفيكتور هيجو ، وكارل ماركس . والمقاطع الثلاثة أجزاء من قصيدة طويلة بعنوان « المراثى » منشورة ضمن « كائنات مملكة الليل » .

ان أطيب ما تذوقت فى صباى من ثمرات الآداب والفنون المعاصرة جاءنى من طريق كامل عبد الغفار ، وأول الدروس التى تلقيتها من فكرة الشكل ، وفكرة العلاقات باعتبارها خالقة الشكل

وجوهر التشكيل ، وفكرة اللازمة أو « التيمة » الاساسية التي يجعلها الفنان مصيدة او طعما لالاشياء ، عالمه والتي تتكرر في أعماله كلها ، وتتخذ صورا وأحوالا متعددة مختلفة — هذه الدروس الاولى تلقيتها جميعها من كامل عبد الغفار الذي أستطيع أن أقول ان فكره النظري كان متقدما حتى على بعض النقاد المعروفين آنذاك . ثم انه أول من قدمني للعاصمة .

كان له أصدقاء من شباب الكتاب والصحفيين أصبحوا معروفين فيما بعد ، لمنهم الصحفي الكاتب محمود سالم ، والقصاص عبد المنعم سليم ، وزميلنا العزيز صبري موسى الذي عاش معهم سنوات الصبا في مدينة دمياط ، ثم انتقل معهم أيضا في أوائل الخمسينات الى القاهرة حيث اشتغل بعضهم في مكاتب الحكومة ، ووفق بعضهم الاخر الى أماكن في الصحافة . ومن هؤلاء صبري موسى الذي اشتغل في مجلة « الرسالة الجديدة » حيث نشرت قصائدي الاولى بمبادرة من كامل عبد الغفار ، اذ كنت لا أكتب الا لنفسي ، مشفقا من أن أبعث بشعري الى احدى المجلات فلا ينشر ، لصدني ذلك عن هذا الفن الذي صار لي ضرورة حياة . وقد رأى كامل أن بعض قصائدي يستحق النشر ، وحتى على ارسالها الى مجلة « الرسالة الجديدة » فتكاسلت ، فما كان منه الا أن حمل ثلاثا منها وهو عائد الى القاهرة . فوجئت بأنها نشرت تباعا في مجلة « الرسالة الجديدة » وأثارت بعض التعليقات التي نشرتها المجلة أيضا للفت ذلك أنظار الناس .

هذه القصائد هي « بكاء الابد » و « عشرون عاما » ، و « المخدع » وكلها قصائد رومانتيكية مطعمة برمزية محمود حسن اسماعيل . وهي تلتزم الاشكال الموروثة في الوزن والتقفية . أما قصيدتي الاولى التي قدمتني كشاعر مجدد فهي « الطريق الى السيدة » وقد نشرتها مجلة « الرسالة الجديدة » أيضا في أعقاب نشرها لقصائده الاولى أواخر عام ١٩٥٥ على ما أظن .

حين وصلت الى القاهرة لم أسع لزيارة رجل الا واحد ، هو الشاعر الكبير محمود حسن اسماعيل الذي يستطيع القارىء أن يدرك أثره العميق في شعري وخاصة في البدايات . انه أستاذي في الشعر بلا منازع .

ذهبت لزيارته في مكتبه بمبنى الاذاعة القديم في « الشريفين » ولم أكن قد نشرت الا قصيدة أو قصيدتين ، فهو الوحيد الذي رضيت أن أذهب اليه كقارىء معجب به . أما الكبار الاخرون فقد تعرفت عليهم بعدما صارت لي شهرة ترفعني قليلا عن هذا المقام .

لقد تعرفت على الاستاذ الحكيم منذ سنواتي الاولى في القاهرة ، وترددت عليه في المجلس الاعلى للاداب والفنون ، وفي مكتبه بعد ذلك في الاهرام . وزرته أحيانا في مطعم بيترو ، محله المختار اثناء اصطيافه بالاسكندرية .

ولقد زرت العقاد في منزله بعد أن ذهب بي الطيش الى كتابة قصيدة في هجائه نشرت في الاهرام وأثارت ضجيجا شارك هو فيه بالرد علي . دخلت وحييته ثم لم نتبادل بعد ذلك كلمة واحدة ، وانما أخذت أتامله في « الروب دو شامبر » وهو يتحدث الى سعد وهبة رئيس تحرير مجلة « الشهر » التي كانت تستكتب العقاد ، وحوالف البهو مزدانة بصوره الزيتية في اكتماله ورجولته ، فهزني احساس عميق بعظمة بطولية متشكلة . ان عداء العقاد لحركة التجديد مشهور متداول ، لكني لا أحس بقربي نفسية لاحد من الكبار كما أحس بها للعقاد .

وجلست الى الدكتور طه حسين مرات في نادي القصة ، وقد أدهشتني أناقته الرفيعة وبشرته المشرقة وشعره القائم المصفف على طريقة جان كوكتو . ثم أدهشتني ديموقراطيته وسعة صدره وهو يرد على صديق لنا لم يكتف بالسؤال أو بابداء الرأي وانما دخل مع العميد في جدال . ان ما ناله طه حسين في فرنسا من ثقافة السلوك لا يقل عظمة عما ناله فيها من ثقافة العقل والوجدان .

الخروج من الأسطورة

أما الدكتور هيكل فلم أره الا مرة واحدة فى ندوة كانت تقيمها السيدة جاذبية صدقى فى منزلها أواسط الخمسينات . كان حزينا مقهورا ، وأظن أنه توفى بعدها بقليل .

لا أظن أنى فى حاجة لتفصيل اذا انتقلت الى علاقتى او علاقاتى بالاجيال التى تلى هذا الجيل ، سوى أن على ديونا لبعضهم لابد من أن تذكر .

لقد احاطنى أنور المعداوى ومحمود أمين العالم وحسن فؤاد واحمد بهاء الدين أول قدومى للقاهرة وعمل فى دار روزاليوسف برعاية لولاها ما قدر لى البقاء فى هذه المدينة . ولقد منحتنى الصداقة التى ربطتنى برجاء النقاش عونا نفسيا عميق الاثر . أما الرجل الذى ساعدنى فى اعادة بناء ثقافتى - ربما دون أن يقصد أو القصد - فهو لويس عوض الذى ربطتنى به الى ماقبل رحيلى لباريس علاقة مرتبكة. فلقد كنت أخالفه ولا ازال فى عدد من آرائه الثقافية ونظرياته السياسية . لكن حوارى الدائم معه كان عنصرا فعالا فيما اكتسبته معارفى المتواضعة من تنظيم ووضوح وترابط . وبالامكان أن أرد أصول كثير مما أتبناه الان من نظرات وآراء تنويرية الى ما قرأته له أو سمعته منه . واليه يرجع فضل كبير فى اشاعة منهج فى القراءة والنقد استفدت منه كما استفاد منه غيرى ، هذا المنهج يسعى الى كشف العلاقة بين الادب ونفسه من جهة ، وبينه وبين أسئلة الانسان الكبرى وحاجاته العملية من جهة أخرى . واذا كان جيل طه حسين والعقاد قد أوضح لى علاقة الادب بشخصية صاحبه وبيئته الاجتماعية ، فقد أوضح لى لويس عوض أكثر مما فعل أى مثقف آخر فى جيله العلاقة بين مدارس الادب المتعاقبة من ناحية، وبينها وبين الفلسفة والسياسة والتاريخ من ناحية أخرى .

أما موقف لويس عوض من حركة التجديد الشعرية فهو دين له على جيل من الشعراء المصريين والعرب جميعا . انه أصرح مسن ناصر هذه الحركة وأقواهم شكيمة فى الدفاع عنها حين كنا مبتدئين ، وكان هو صاحب الكلمة المؤثرة فى النقد العربى . ثم ان الفضل يرجع اليه فى تحريضى على اقتحام

اوربا كما عرفني كامل عبد الغفار من قبل على اقتحام القاهرة .

واخيرا هنالك صلاح عبد الصبور . لقد كنا زميلين متكاملين كثيرا ومتنافسين احيانا . ولقد تعلمت منه شيئا نافعا هو ان حاجتنا للحلم لا تحمينا دائما من وقوع الكابوس !

أنا فى الشعر متمرد على تقاليد وبان لتقاليد جديدة أو تقاليد مقترحة . ليست الحداثة فوضى ، فالحلم أيضا مسئول كما يقول أحد الرواد الكبار . واذا كان للحداثة طور هدام فلها أيضا طور بناء ، والذين يقفون عند الطور الاول كالذين يقفون قبله يتجمدون جميعا وينتهى دورهم .

ان القصيدة المعاصرة كالقصيدة القديمة من حيث انهما خلق لغوى يتميز بخاصيتين المجاز ، والموسيقى . ومن هاتين الخاصيتين تكتسب اللغة الشعرية معناها ، فالصورة فى الشعر ضرورية ، والايقاع ضرورى ، والمعنى أيضا ضرورى . والفرق بين القصيدة القديمة والقصيدة الجديدة أن الاول تتحقق بقواعد متفق عليها سلفا بين الشاعر وجمهوره المتنوع العريض حتى يفهمها ويتذوقها هذا الجمهور ، أما القصيدة الجديدة فالقاعدة فيها تكتشف أو تستنبط منها . ويتصل بهذا فرق آخر ، فالقصيدة القديمة تخلط الشعر بالنثر حين تستفيد بلغة التقرير والخطابة والتعليم حتى ترضى حاجات جمهورها المختلفة ، أما القصيدة الجديدة فتكتفى بالشعر الخالص او تحاول ذلك بقدر ما تستطيع .

وقد لا يرضى بعض الشبان كلامى عن التقاليد ، وقد يرون فيه تراجعا ، لكن هذا غير صحيح ، وانما أقول ما ينبغى على قوله كما يقولون ما ينبغى عليهم ان يقولوه . عليهم ان يحطموا كل الاغلال ، وان يخرجوا على كل قاعدة تحجب ابداعهم ، وعلى أنا بعد ان أدليت بدلوى او بمعول فى الهدم والتحطيم ان أصالح بين الشعر وبين فكرة النظام .

ان الحرية لا وجود لها دون نظام مكتوب او متفق عليه . وكما أن الاستبداد تقليد فالحرية تقليد آخر ، والفرق بينهما أن الاستبداد تقليد يغلق ، أما الحرية فتقليد يفتح .

ليس المطلوب من الشاعر أن يقلد شاعرا غيره ، لكن عليه أن يقلد الشعر نفسه ، اذ هو يكتب ليوضع ما يكتبه تحت اسم الشعر ، فلابد اذن من مسمى مشترك .

يقولون ان الشعر لغة خاصة ، وهذا حق . لكنه بهذه المثابة لغة الجميع ، بل هو لغة كونية لانه لغة الروح المطلق . اننا ننشىء لغة خاصة لنصل الى المعنى المشترك ، ليس المعنى السوقى المبتذل كما تصور الجاحظ ، وانما المعنى الخفى المنسى . ان كلا منا يمرح مخبأه لكن لنصطاد وعلا نادرا يحلم به الجميع دون أن يكون أحد قد رآه من قبل .

ان خصوصية اللغة لا تعنى الخروج من كل تقليد ، فذلك معناه الخروج على فكرة النظام ، أى على فكرة اللغة نفسها ، وهل اللغة الا اصطلاح ؟ سوى أن علينا أن نفهم الاصطلاح بمعناه العميق ، فليس الاصطلاح هو ما يتفق عليه العلماء وحدهم ، بل هو قبل اتفاق العلماء ما تقود اليه السليقة الدربة ويكشف عنه الابداع الحق . تلك حكمة أخرى يعرفها العرب كما تعرفها كل الشعوب ، فليس الفلاسفة وحدهم الناطقين بالحكمة ، وانما المجانين أيضا . وفى الفكر المعاصر تيارات تعمل على اعادة الاعتبار لكلام المجنون ، فحدود العقل تتغير وتتبدل ، ونحن نسمى كل عمل يثير الاعجاب والاشفاق جنونا ، كالصراحة ، والفداء ، والوفاء ، والشعر الحقيقى .

الثورة الشعرية الحديثة لا تهدف الى القضاء على التقاليد كفكرة ، بل تقف ضد ابتذالها ، وتسعى لاكتشاف تقاليد جديدة .

لقد ثرنا على اللغة الشعرية التقليدية لانها تحولت الى عملة ممسوحة زائفة لا تحمل اى معنى ، وحين نادينا بالعودة الى لغة الحياة اليومية لم يكن قصدنا ان ننظم بلغة اكثر شيوعا او قربا من عامة الناس كما يخيل للبعض ، انما كان القصد ان نقلب مستويات اللغة كما يفعل الفلاح بمحراثه حين يقلب التربة قبل البذار . وفى اللغة

الخروج من الأسطورة

خروج وخروج . هناك خروج المضطر العاجز قليل الحيلة ، وهذا هو الخطأ او الركاكة ، وهناك خروج المتمكن الحر الموهوب المتصرف وهذا هو الخلق والاضافة .

يقولون أيضا ان الشعر غير الوزن والقافية ، فمن حق الشاعر أن يتحرر منهما اذا عطلاه عن قول الشعر ، وهذا أيضا حق ؛ لكنه كثيرا ما استخدم في الباطل . فالشعر في أبسط تعريفاته لغة مجازية ، هذه اللغة يمكن أن نجدها موزونة كما يمكن أن نجدها غير موزونة ، لكن وجودها موزونة هو الاغلب الاعم ، لا لان الوزن بطبيعته عنصر شعرى مضاف ، ولكن لان الوزن سبيل الى أن تتخلص اللغة أو تتخفف على الاقل من طبيعتها كأداة للاتصال ، وتتحول الى الطبيعة المجازية الشعرية .

كيف يتحقق هذا التحول ؟ اننا نحققه بأدوات مختلفة ، بالنحو ، أو بنحو شعرى خاص يختلف عن النحو الذى نستخدمه فى اللغة العادية ، فنحن فى الشعر نسند الفعل لغير فاعله ، ونصف الاسم بصفات مناقضة لما يبدو به فى الواقع . وقد نخرج على قواعد النحو واللغة الصريحة فيما يسمى بالضرورات الشعرية التى هى أساس فى هذا النحو الشعرى ؛ فنعرب المبنى ، ونمد ما لا يمد ، ونعلق القول فلا نقيله . وبهذا كله نتمكن من اكتشاف الصور وتوليدها ، أو من تحويل اللغة من طبيعتها النثرية الى الطبيعة الشعرية .

والوزن وسيلة اخرى من وسائل هذا التحويل ، بل هو أسبق من النحو ، لانه يضطرنا الى تركيب العبارة تركيبا خاصا يتحقق هو به ، أى يتحقق به الوزن ، وهذا التركيب الخاص هو النحو الشعرى الذى نستعين به على خلق علاقات جديدة بين المفردات تختلف عن العلاقات القديمة المألوفة ، وبهذه العلاقات الجديدة تتحقق اللغة المجازية التى نسميها الشعر .

نعم ، اننا محتاجون الى تعلم الوزن ، فليس الوزن موهبة أو فطرة ، بل هو مران وتدريب ، وهو فى البداية ثقيل كريه ، لا يعطى الشاعر الناشىء الا كلاما غثا متكلفا

يعتبر النثر أفضل منه بكثير ، وربما بدا النثر بالقياس اليه أكثر شاعرية . ولهذا يتخلى بعض أصحاب المحاولات الجديدة في هذه الايام عن الوزن غير آسفين. والحقيقة ان هذه الفنانة ليست في الوزن ، بل هي فنانة اللغة الفقيرة الفجة التي لا تملك سواها ونحن مبتدئون ، فاذا نضجنا ونضجت لغتنا وصارت مطبوعة بوجداننا تحول الوزن الى موهبة واصبح شائقة في اللغة لا طلاء ولا زينة ، واخذ يفعل فعله في عملية التحويل والتجيير الصور . وكم من شعر حقيقى زاده انه غائر في طبقات من اللغة لا نصل اليها الا بعد الوزن !

وانا في الشعر من انصار المعنى ، لكن المعنى الذي اقصده هو المعنى الشعرى لا سواه. ولقد قرأ بعضهم كلمة لـ «مالارميه» يقول فيها « ان القصيدة لا تعني شيئا ، بل هي شيء » فظن انه ينفي المعنى من الشعر ، والحقيقة ليست كذلك، فالشاعر الفرنسي الرمزى لا ينفي المعنى اطلاقا ، بل ينفي المعنى النثرى بالذات ... يريد ان يقول ان القصيدة لا تشير الى شيء في الخارج وانما تشير الى شيء فيها ، كالفكرة التي لا تصدق على واقع خارجي ملموس ولكنها تصدق في ذاتها . فاذا قلنا ان القطار قد وصل ، فالقطار الذى تتحدث عنه القصيدة هو القطار المجازى الذى تخلقه بنفسها وليس القطار الواقعي الذي يحملنا الى هذا المكان أو غيره .

القصيدة من هذه الوجهة شيء أو عالم مكتف بنفسه ، لكن هذا الشيء لابد أن يكون له معناه . وهناك فرق بين ان تكون القصيدة شيئا بلا معنى ، وان تكون شيئا له معناه الخاص .

القصيدة شيء له معنى لانها شيء له نظام ، فهي نظام من الرموز كما يقول النقد المعاصر ، هذا النظام يحب التقليديون أن يروا رموزه جامدة ثابتة فلكل كلمة في القصيدة معنى واحد محدد صريح هو في رأيهم المعنى المعجمي ذاته . أما ادعياء الحداثة فيواجهون هذا الموقف التقليدي بموقف لا يقل عنه صبيانية ، اذ ينفون المعنى تماما من الكلمات ، ويدعون انها تأخذ مواضعها في القصيدة دون ان يقصد الشاعر او يريد .

والحقيقة لا هذه ولا تلك ، فالتقليديون يجهلون او يتجاهلون ان معاني الكلمات تتطور وتتغير حتى في المعجم فما بالك بها في الشعر حيث لانقرأ كلمات مفردة وانما نقرأ تركيبات وعلاقات وتفاعلات.

لكن اختلاف معنى الكلمة في الشعر عنه في المعجم لا يبرر نفي المعنى اطلاقا عن الشعر ولا يقطع تماما بين لغة الابداع الفني ولغة الاصطلاح الاجتماعي ، وانما يجعل للشعر معنى خاصا لا نصل اليه الا عن طريق التحليل والتأويل . هذه الخصوصية في المعنى الشعرى هي سبب بعده وغموضه أحيانا وتعدده ، لكن كل قصيدة حقيقية لها في النهاية معناها الذى يجوز ان نختلف عليه بقدر ما هو شامل وعميق ومفتوح ، ولا يجوز ان ننكر وجوده .

يمكن للقارىء ان يعرف جوهر تطورى الفكرى من خلال معرفته لتطورى الفني والروحى. فلقد بدأت كما ينبغي لكل خارج من الاسطورة نصيرا لفكرة الماضي الذهبي الذى يجب أن يعود متحققا في الحاضر، ثم تحققت من طريق التجربة والنظر من خلال هذه الفكرة المثبتة .

لقد اصبحت أومن بأن الحرية هي مطلب الانسان ، وبانها الغاية والوسيلة معا . انحن نتقدم بالحرية واليها ، ونحن نناضل بالحرية من أجل العدل لنكون بالعدل اكثر حرية . والبداية لابد ان تكون من الحاضر ، وان تتجه الى المستقبل ، وفي ضوء حاجات الحاضر والمستقبل تتحدد قيمة كل شيء بما في ذلك قيمة الماضي نفسه ، ومادمنا أبناء الحاضر فكل شيء مباح . تلك هي حكمة الحاضر كما كانت حكمة عمر بن الخطاب ، وجان جاك روسو ، وكارل ماركس . لماذا استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا !!



عودة المغترب

أحمد عبد المعطي حجازي

بقلم: د. لويس عوض

عندما التقيت في صيف ١٩٨٥ في القاهرة بالشاعر الكبير احمد عبد المعطي حجازي ، عرفت منه انه بعد العودة لنشر ديوانه السادس « اشجار الاسمنت » بعد عودته الى باريس .

والشاعر احمد حجازي تركنا واستقر في باريس منذ نحو عشر سنوات استاذا للادب العربي في (باريس ٣) كما يسمونها وهي احد فروع جامعة باريس انشيء في ضاحية فانسين بعد مظاهرات الطلبة في ١٩٦٨ ضد سياسة الرئيس ديجول المحافظة وضد نظام التعليم الفرنسي المحافظ ..

وقد كان احمد حجازي احد ادباء وفناني الرفض المصريين الذين عجزوا عن التعايش مع هزيمة ١٩٦٧ ثم مع نظام الرئيس السادات قبل حرب اكتوبر وعجز نظام الرئيس السادات عن التعايش معهم قبل حرب اكتوبر ، فشتت لجنة النظام في الاتحاد الاشتراكي ١٠٤ كاتبا وفنانا .

ورغم المصالحة الاولى فى اكتوبر ١٩٧٣ ظل الشاعر أحمد حجازى حائرا حيرة كبرى فاختار الحياة فى منفاه الاختيارى الى ان يقضى الله امرا كان مفعولا • وفى تصورى ان حيرة الشاعر احمد حجازى كانت اكبر من حيرة غيره لانه عرف نعمة اليقين او نقمته اكثر مما عرفها غيره من ادباء مصر • فلما اهتز هذا اليقين المطلق الغى اهتزازه الى اكتئاب من نوع خاص تفرد به احمد حجازى ادى الى الانسحاب الى الذات كبديل للرفض وللاستسلام معا • وتأثر هذا الانسحاب الى الذات بثقافته الفرنسية الجديدة فازدادت كثافة شعره وتغير نسيجه حتى دخل فى مرحلة جديدة •

كان ديوانه الاول الذى صدر فى الخمسينات هو « مدينة بلا قلب » •• وقد كنت احد النقاد الذين احتفوا









بهذا الديوان عند صدوره • وكـــان ديوانه الثانى الذى صدر عام ١٩٥٩ هو « اوراس » • وهو اسم الجبال التى كان يحـــارب منهـــا المجاهدون الجزائريون حرب تحرير الجزائر •

وكان ديوانه الثالث الـــذى نشرت اكثر قصائده فى صــفحة الادب فى جريدة « الاهرام » خلال الستينات هو ديوان « لم يبق الا الاعتراف » • اما ديوانه الرابع « مرثية العمر الجميل » •• فهو من علقم ١٩٦٧ وقد نشـــرت بعضـــه فى ملحق « الاهـــرام » فى الستينات • وتلا حجازى على بعضه الاخر بعد انتقـــاله الى باريس فى السبعينات • واما ديوانه الخامس وهو « كائنات مملكة الليل » • فهو ثمرة مرحلته الباريسية كاملا • وقد صدر عن دار الاداب البيروتية عـــام ١٩٧٨ •• ولـــذا فهو يمثل اخر تطور فى شعر احمد حجازى •

ومنذ البداية يطرح احمد حجازى قضيته فى « كائنات مملكة الليل » على الوجه الاتى فى قصيدة « بطالة » التى يبدو انها من بواكير منظوماته بعد ان هبط باريس ، فهى من حصاد ١٩٧٤ :

« انا ، والثورة العربية

نبحث عن عمل فى شوارع باريس ،
نبحث عن غرفة ،
نتسكع فى شمس ابريل
• • • • • •

« ان زمانا مضى ،
وزمانا يجيء !
قلت للثورة العربية :
لابد ان ترجعى انت ،
اما انا
فانا هالك
تحت هذا الرذاذ الدفيء ! »

هذه القصيدة القصيرة ليست فيهـا كثافة فى صورها الشــعرية ، فهى منظومة بالاسلوب التقليدى المباشر الذى تميز به شعر احمد حجازى فى مراحله الاولى قبل الاغتراب • ومع ذلك فنحن نلحظ فيها نبرة جديدة وهى التركيز الشديد والعزوف عن الكـــلام الكثير والصوت الجهير •• وقوتهـــا فى ان قائلها يوحى بانه يحس بانه يرتكب عملا من اعمال الخيانة بهذا التخلى • ولكنه يأبى فى كبرياء ان يترافع عن نفسه ، مكتفيا بما يسميه « هلاكه » الروحى متلذذا فى مدينـــة الرذاذ الدافىء •

هذا الاحساس بالذنب عند الشاعر احمد حجـــازى مصدره انه كان من اشد ابناء جيل عبد الناصر ايمانا بما يسميه « الثورة العـــربية » ايا كان معناها فى ذهنه ، وفى اعتقـــادى ان معناها فى ذهنـــه كـــان يتلخص فى عقيدتين •• عقيدة القومية العربية • وما يصاحبها من دعوة الوحـــــدة العربية والبعث العربى ، وعقيـــــدة الاشتراكية العربية بمعناها الهـــلامى الذى فشا فى عهد عبد الناصر • وهو باختصار مجرد « تذويب الفوارق بين الطبقات » • ولم تكن هاتان الفكرتان عند احمد حجازى طوال حكم عبـــد



جمال عبدالناصر

للناصر مجرد سياسات بل استقرتا في وجدانه ويقينه استقرار العقائد والمقدسات ، وتجسدتا في شخص عبد الناصر .

ومع ذلك فقد كانت لاحمد حجازى تحفظاته الكثيرة على ثورة ١٩٥٢ منذ البداية دون أن يفقد حماسه لها . وقد تجلت هذه التحفظات حتى منذ ديوانه الاول « مدينة بلا قلب » . كما نجد في قصيدته « دفاع عن الكلمة » حيث يصف بعض الضباط « الاوغاد الذين اندسوا بين الضباط الثوار وبعض الادباء الاوغاد يتملقون بعض الضباط الاوغاد بتحطيم زملائهم في القلم . فمن اجل بعض المغانم « ماتت ضمائرهم » ولان حجازى يعرف ان الاوغاد موجودون في كل العصور .

لم يزعزع هذا ايمانه بعبد الناصر وثورة ١٩٥٢ . وحتى هذه المرحلة وما بعدها كان احمد حجازى يصور نفسه دائما في صورة الفارس المبارز اللاعب بالسيف لعب « ابو زيد الهلالى » او دون كيشوت القادر على حماية « روح الثورة » من عبث المزيفين بقوة صدقه واخلاصه .

لم تكن هذه القصيدة من اجود قصائده ، ولكن كان لها يومئذ معنى خاصا لانها جاءت في زمن طرحت فيها الثورة الخيار بين الاخلاص والكفاءة كدليل على « الثورية » .

وكان رأى احمد حجازى ان « الاخلاص » مقدم على « الكفاءة » . وقد كان هذا رأى الثورة ايضا في تلك المرحلة من تاريخها . فهو يتهم ذلك





الكاتب الكبير الذى كان يهجوه بانه كان استاذا ضليعا فى فنه او ادبه ولكنه كان ايضا الجبانا ضليعا ، وهو ينعى على الثورة انها كانت تمكن منها امثال هؤلاء . وهذا معنى قول حجازى :

« المبدأ »

انا فى صف المخلص من اى ديانه
يتعبد فى الجامع او فى الشارع
فكلا الاثنين تعذبه الكلمة
والكلمة حمل وامانه
انا فى صف المخلص مهما اخطأ ...
فطريق الكلمة محفوف بالشهوات
والقابض فى هذا العصر على كلمته ،
كالممسك بالجمرة !

وانا لا أعرف عمن كان احمد حجازى يتحدث . ولكن النمط كان مالوفا فى تلك الايام . ولكن الاغرب فى الامر ان الثورة حين طرحت قضية الاخلاص والكفاءة وانحازت للاخلاص انما كانت تشكو من الاكفاء المعارضين لها . لمنهجها او لقراراتها بسبب انهم من جهابذة العهد البائد . اما احمد حجازى فقد كان يشكو من الاكفاء « المنافقين » او « الانتهازيين » .

هذه القصيدة الزاعقة كما قلت ليست من أجود الشعر . بل لعلها ليست من الشعر الجيد . ولكن يشفع لها انها كتبت فى ١٩٥٨ حين كان يحق لصاحبها ان يباهى بقوله « انا اصغر فرسان الكلمة » . وقد سار احمد حجازى الى النضج حثيثا فى الستينات حتى استكمل أدوات الشاعر فى ديوانه الثانى « لم يبق الا الاعتراف » .

ومع كل هذا اليقين بالثورة الاشتراكية العربية وزعيمها عبد الناصر بدأ أحمد حجازى يتململ كأكثر المصريين مما كان يجرى فى اليمن بعد ان مرت خمس سنوات على الحملة المصرية فى اليمن دون نتيجة حاسمة . وكانت تترامى الينا الانباء عن خسائر فادحة فى الدم المصرى والمعدات المصرية والاموال المصرية ، واخذ الناس يشبهون حرب عبد الناصر فى اليمن ذات الجبال الكثيرة بحملة نابليون فى اسبانيا ذات الجبال الكثيرة أى أن الاستعمار أو سوء التقدير او هذا وذاك معا استدرجاه الى حلقة سنوات من النزيف المتصل من غير طائل . فما بدأ بأربعة الاف جندى مصرى لمجرد تمكين ثوار اليمن من الاطاحة بنظامها المتخلف المغلق البائد خلال اربعة شهور ، انتهى بثمانين الف جندى مصرى يكابدون فى جبال وعرة لا يعرفون كل دروبها ومسالكها . والطابور الخامس من أعوان الاستعمار فى مصر يلوى السكين فى جراح المصريين لا حبا فى الوطن .ولكن شماتة بعبد الناصر .

وهكذا كانت قصيدة « الدم والصمت » فى ديوان « لم يبق الا الاعتراف » ، وهى من انبل ما قرات من الشعر فى اية لغة من اللغات .

« مازال فى من بريق الدم لون وشعاع

«لتنفخوا ابواقكم فى الشمس ايها الجنود
لتنفخوا ابواقكم ..
حيث تسيرون هنـــاك الآن ، فى الليل البعيد
يلقانى نشيدكم من الضياع ! »

هذا ما يقوله الشاعر الذى يعيش بكل وجدانه مأساة ابنائنا فى اليمن ولا يحميه من الانهيار الا انه يسمع من بعيد نفير الابطال يرتفع شامخا فى وجه الشمس :

« نحن هنا وفى عيوننا الوطن
« وجوه اباء ، وابناء ، وذكرى وزمن
« وفى صدورنا امانة اغترابنا هذا
« ترخص فى سبيلها الروح وترهق البدن ،
« فان حبيتـــا توج النصر العظايم عمرنا ،
« وان فنينا فاذكرونا .. انمـــا اغلى ثمن ! »
« نحن هنا نخطو ، كاننا رجل
« الى الامام
« اقدامنا مع الكلام
« تدنو من القلعة فى اعلى الجبل ! » .

هـــذا فى اليمن ، اما فى مصر فالصورة تختلف تماما ، فهكذا يصفها الشاعر :

« ونحن موتى لم نزل
نمضى لمجلس العزاء :
فى آخر الليل اهب من سريرى ارقا
اشمل جسمى بالرداء ، ثم امضى للخلاء
اسير فى خطى بطاء
كانما انا المشيع الوحيـــــد فى جنازة
دندنتى كئيبة ،
دندنتى صادقة ،
دندنتى نشاز !
عموا مساء ! ايهـا الاموات
وابدأوا العزاء
عموا مساء ! »

ههنا فى مصر الموتى وهنـــاك فى اليمن الاحياء ـ والموتى فى مجـلس العزاء يعزى بعضهم بعضا ، «والكلمات تلتوى ، وتختفى بين الصدور ، ثم تعود للشفاه ، ركيكة كاذبة ، تدور حـــول خوفها بلا انتهاء .. يبتسم كل ميت لجاره ، ثم يقول ما يشاء » . امـــا هناك فالطيار الشهيد يقول : «انا هنا اقود كوكبى الصغير .. اطلقت نارى .. كوكبى يهوى محطم الجناح ، اما انا فلم ازل اطير .. لم ازل اطير ! » والشاعر هنا فى مجلس الموتى واجم يتعلق بأبواق النصر خشية ان ينهار :

«لتنفخوا ابواقكم فى الشمس ايهـا الجنود .

● لتنفخوا ابواقكم حتى اقول مـــا اريد ...
انى اشم فى اماسيك يا مدينتى ريح العفن
من ايـن جاء ؟
وجهك فى ريح الصحارى طاهر طهر المطر .
وسما عداك من ميــاه النيل تحـيم والشجر .
من اين يا مدينتى جاء العفن ؟
من اين جاء ؟ »

وهنا يسمع الشاعر اغنية الجندى المجهول :

« لو انكم ودعتمونى فى المطار
لو علم رف على هدبى ، ودار





واستدار ،

لو غصن غار

لو وردتان من يد مجهولة

ألقيتا فوقي على غير انتظار

لو طلق نار

لو قبلة قبل تحرك القطار

كنت بكيت عندما دقت طبول الانتصار

كنت ابتسمت عندما سال دمي على الجدار ! »

فهل هناك شك فى ان احمد حجازى كان يحس ، بل يعيد ، بالقلق العظيم حتى فى اوج الثورة العربية التى كان يقودها عبدالناصر فىطريق الاشتراكية؟ وهل هناك شك فى ان احمد حجازى كان يعبر عن وجدان رجل الشارع فى مصر حين تسد بالطموحات السياسية والعسكرية التى تجاوزت الانجازات السياسية والعسكرية ويبكى الدم المسفوح من غير طائل على ذرا الجبال العنيدة ؟ وهل هناك شك فى شجاعة احمد حجازى الفريدة لانه اجترأ على مواجهة زعيم الثورة العربية ورجال الاقدار فيها فى قمة جبروته بأن احلامه تجاوزت قدراته ، بل واجترأ على مصارحة الناس بانه ، يشم ريح العفن ، وان جراثيم هذا العفن كانت هنا فى قلب القاهرة ؟

وانا شخصيا لاأوافق احمد حجازى على رأيه بأن الدم المصرى المسفوح على بطاح اليمن كان من غير طائل .

وهو لم يقلها صراحة وانما تفهمها ضمنا من كثرة حديثه عن الموتى الذين يبكون موتاهم فى مجلس العزاء وعن « ريح العفن » وعن «شيء كأنه الوباء»

.. ففى تقديرى ان لحرب اليمن ، ككل حروب التحرير ، بعدا تاريخيا يسقط عادة من الحساب ولن يتجلى معناه الحقيقى الا بعد عشرات السنين حين تنتهى احقاد المعاصرين ومخاوفهم ولا يعودون يذكرون الا انه لولا ضحايا المصريين لظل اليمن غالبا الى اليوم مغلقا فى وجه الحضارة الحديثة. وكل ما نستطيع ان نقوله هو ان الارتجال والخطأ فى الحسابات والاستهانة بدور الاستعمار فى قمع حركات التحرر الوطنى والاتجار بالثورة ، كل هذه جعلت ثمن هذا الغزو الحضارى أفدح مما كانت تحتمله مصر المسكينة .

دليل آخر على قلق الشاعر احمد حجازى وعلى جسارته فى التعبير عن هذا القلق ، قصيدته «الشاعر والبطل» فىديوانه «مرثية للعمر الجميل» ، وهى قصيدة من ثمار الستينات حين كان عبد الناصر فى أوج جبروته . وفى هذه القصيدة يقول الشاعر بعد هزيمة ١٩٦٧ :

« ماذا اقول !

اخاف ان يكون حبى لك خوفا .

عالقا بى من قرون غابرات

فمر رئيس الجند أن يخفض سيفه الصقيل .

لان هذا الشعر يأبى أن يمر تحت ظله الطويل !

ماذا اقول ؟ هل اقول

انك اعطيت وجوه الفقراء مسحة


بابلو نيرودا

من كبرياء •
وان عمرك الجميل
موزع بالعدل فى اعمارنا
يحثنا ان نقلب الحزن ونتبع الدليل
بظلمه الشعر اذا غناك فى هذا الزمان •
لانه لا يستطيع ان يرى مجدك وحده ، بدون ان يرى •
ما فى الزمان من عذاب وهوان ،

وهكذا نرى ان احمد حجازى ما ذكر عبد الناصر الا وفى شعره كثير من التحفظ الذى يبلغ احيانا مبلغ الادانة والرفض • ومع ذلك فقد ظل احمد حجازى ناصريا حتى رحل عبد الناصر عن هذه الدنيا ، وكان من القلائل الذين اخذوا ثورة ١٩٥٢ مأخذ الجد، لا لان ثورة ١٩٥٢ جندته كما حاولت تجنيد ابناء جيله ، بل لانه هو الذى جند ثورة١٩٥٢ لتجسد افكاره ومبادئه روجدانه ، بل وبراق الشعر الذى يحلق به فى الاعالى ويصعد به معراج الشعراء •

ولا شك انه عبر عشرين عاما حدثت تنازلات من الجانبين حتى التقيا وتوحدا فى شخص عبد الناصر • فقد بدأ احمد حجازى يافعا ، كما بدأ صلاح عبد الصبور يافعا ، من عشيرة الجماعات الدينية ، ثم اعتنق احمد حجازى حلم الجامعة القومية بدلا من حلم الجامعة الدينية ، اما صلاح عبد الصبور فقد خرج من حلمه الاول وظل يبحث عن حلم آخر حتى مات • ومع ذلك فقد كان طريقهما واحدا وهو طريق الحرية وغايتهما واحدة وهى البحث عن كرامة الانسان : حجازى يبحث عنها فى الحرية السياسية وعبد الصبور يطاردها بالبحث عن الله فى الانسان •

و « مرثية للعمر الجميل » ليست مرثية لعبد الناصر بعد وفاته ولكنها ضريح عصر باكمله :

« زمن الغزوات مضى ، والرفاق
ذهبوا ، ورجعنا يتامى :
هل سوى زهرتين اضعهما فوق قبرك •
ثم امزق عن قدمى الوثاق ؟
التى قد تبعتك من اول الحلم ،
من اول الياس حتى نهايته ،
ووفيت الذماما ،
ورحلت وراءك من مستحيل الى مستحيل •





لم اكن اشتهى ان ارى لون عينيك
او ان أميط اللثاما •

والمستحيل الاخير كان « قرطبة » ، حاضرة العرب فى الاندلس ورمز المجد العربى الذى غبر • وانا لا أعرف أن قرطبة كانت حلم عبد الناصر الاخير حتى فى اوج سؤدده ، فقرطبة كانت حلم بنى أمية وحلم البعث العربى فى سورية ، ولكن هكذا كانت البردة التى البسها خيال الشاعر احمد حجازى لعبد الناصر الذى كان مشغولا • طوال الستينات بتحرير العبيد فى العالم الثالث اكثر من اشتغاله ببناء الامبراطوريات •

احمد عبدالمعطى حجازى



« كان بيتى بقرطبة ،
والسماء بساط ،
وقلبى ابريق خمر ،
وبين يدى النجوم • »

ثم استيقظ الشاعر من حلمه فوجد نفسه فى « غرناطة » لا فى «قرطبة». وما ادراك ما غرناطة : هى رمز أفول مجد العرب فى الاندلس •

« تلك غرناطة سقطت !
ورايتك تسقط دون جراح
كما يسقط النجم دون احتراق » •

وحين يفيق الشاعر على صدمة السقوط يبدأ فى محاكمة النفس وامتحان الضمير •

« من ترى يحمل الان عبء الهزيمة فينا •
المغنى الذى طاف يبحث للحلم عن جسد يرتديه •
أم هو الملك المدعى ان حلم المغنى تجسد فيه ؟ » •

باختصار : كان أحمد حجازى ينظر الى عبد الناصر نظرة الى المهدى المنتظر بالمعنى السياسى طبعا ، أو فلنقل انه كان يريد أن ينظر اليه على هذه الصورة فحتى فى وقت الوهم الاعظم كان الشاعر تساوره الشكوك :

« صاح بى صائح لا تبايع !
ولكننى كنت اضرب اوتار قيثارتى،
باحثا عن قرارة صوت قديم !
لم اكن اتحدث عن ملك ،
كنت ابحث عن رجل اخبر القلب ان قيامته اوشكت •
كيف أعرف ان الذى بايعته المدينة
ليس الذى وعدتنا السماء ؟ »

وبعد ان ضاع كل شىء كالسراب نجد الشاعر يبكى ، لا على المملكة الضائعة لكن على عمر ضائع لم يكن غير

رمم جميل ! »

« فوداعا هنا يا اميرى !
آن لى ان اعود الى قيثارتى .
واواصل ملحمتى وعبورى .
تلك غرناطة تختفى ..
وتعود الى قبرك الملكى بها ،
واعود الى قدرى ومصيرى .
من ترى يعلم الان فى اى ارض
اموت ؟
وفى اى ارض يكون نشورى ؟
اننى ضائع فى البلاد
ضائع بين تاريخى المستحيل
وتاريخى المستعاد ،
حامل فى دمى نكبتى
حامل خطاى وسقوطى .
هل ترى اتذكر صوتى القديم
فيبعثنى الله من تحت هذا الرماد" .
ام اغيب كما غبت انت ،
وتسقط غرناطة فى المحيط ! »

ومن هذا نرى كل شيء واضحا اى لماذا تركنا الشاعر الكبير أحمد حجازى فى اوائل السبعينات واقام فى باريس كل هذا الامد المديد . لقد أحس بعد هزيمة ١٩٦٧ انه « ضيع فى الاحلام عمره » ، وكان عبد الناصر هو آخر خيط يربطه بالوطن وبحلم الثورة العربية . فلما مات عبد الناصر فى ١٩٧٠ انقطع ذلك الخيط ، « ثم مزق عن قميصه الوثاق » الذى كان يربطه بعبد الناصر وبما كان يومئذ يسمى « الاشتراكية العربية » ، لا لمجرد ان عبد الناصر مات ، ولكن لان «غرناطة سقطت» ولان عبدالناصر صاحب حرب الاستنزاف كان أمله الاخير فى استرداد غرناطة ثم .. ربما قرطبة .

وهكذا ترك أحمد حجازى عبدالناصر فى «قبره الملكى» ورحل الى باريس حاملا قيثارته ليغنى عليها قصة ضياعه، حاملا « نكبته » ومأساة سقوطه بل وجرثومة خطاه التى تجعل منه بطلا تراجيديا . وهذا معنى قوله فى « كائنات مملكة الليل » : « انا والثورة العربية نبحث عن عميل فى شوارع باريس ، نبحث عن غرفة ، نتسكع فى شمس ابريل »

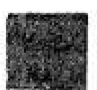
ولان الحب كان عميقا فقد كان الجرح عميقا . ومع ذلك فهو لا يتحدث فقط عن « هلاكه » فى بلاد الغربة ، ولكنه يصلى ايضا عسى ان يتذكر صوته القديم : « فيبعثنى الله من تحت هذا الرماد » ، وحيث الامل فى البعث نرى الحاشية الفضية تلمع وسط الغيمة السوداء .

وفى كائنات « مملكة الليل » ازداد همس الشاعر وانخفضت جهارة صوته وكف عن شعر الالتزام بالقضايا العامة وبدوارين الحماسة . وازدادت الرمزية فى صورة الشعرية وكثرة فى شعره « اختلاط الفنون » بتاثير الشعر الفرنسى والحياة الفرنسية ، فكأنما القصائد لوحات ، او فلنقل انه ترك القيثارة وامسك بريشة الرسام .

وهو لايزال يكتب عن «بابلو نيرودا» وعن « ١٧ ، ١٨ يناير » ، ولكنك تحس بأن الوجدان الفردى طغى فيه على الوجدان العام كما تحس بأن هناك مسافة بينه وبين الاشياء . وفى اونة تحس بأن شعره ازداد « اتقانا » ، ففى باريس لا داعى للعجلة ولا مجال للارتجال أو الانفعال . ترى لو عاد الينا هل ترتفع حرارته وترتفع نبرته أو تعود اليه القدرة على الحلم الكبير؟

وذهب كتشنر طعاما للسمك (٢)

بقلم : محمد سيد كيلانى



ارتكب كتشنر عملا يتنافى مع ابسط مبادىء الانسانية والتحضر . وأدى خوفه من حب السودانيين الشديد للزعيم المهدى الى اخراج جثته من قبره ، والقائها فى النهر .

وهاجمت الصحف الانجليزية كتشنر على فعلته الشنعاء . ولم يخش السودانيون كتشنر ، بل قاوموا الاحتلال وقدموا الوف الشهداء .

فى الجزء الثانى من هذا البحث يحدثنا الكاتب عن استبسال السودانيين فى الدفاع عن بلادهم ، والوقوف فى وجه الطغاة ، والتردى الذى وقع فيه المستعمر وافساده للاقتصاد ، ومحاولة القاء التبعة على مصر .

زار كرومر الخرطوم فى الثالث من يناير ١٨٩٩ واستقبل هو والسردار يحيط بهما اركان الحرب مشايخ وأعيان السودان فى مركز القيادة . فالقى على الحاضرين خطبة جاء فيها .

« انى اعد نفسى سعيدا بمقابلتى اياكم اليوم لاهنئكم على الخلاص من استبداد حكومة الدراويش بفضل ما أظهره السردار وضباطه . ولا يخفى عليكم أن جلالة الملكة ورعاياها المسيحيين من اشد الناس استمساكا بعروة دينهم ، ولذلك فهم يعرفون وجوب احترام دين غيرهم . على أن حكم جلالتها يظلل من المسلمين عددا أكثر مما يظله حكم أى ملك فى الارض ، وهم مع ذلك فى عيشة هنيئة . دينهم موقر وعاداتهم الشرعية محترمة . وفى امكانكم أن تتأكدوا من ان هذا المبدأ سينطبق أيضا على السودان ، وأن دينكم سيكون فى معزل عن المداخلة فى شئونه . (وهنا سأل أحد المشايخ الحاضرين اذا كان هذا التعهد يسرى أيضا على تطبيق الشريعة الاسلامية الغراء ؟ فاجابه لورد كرومر بالاثبات . ومن الواضح أن تصريحه أحدث ارتياحا فى الشدة الحاضرين) .



كتشنر بالطربوش الذى لا يقبر من اثنائه شيئا

وفى سبتمبر ١٨٩٩ قام محمد شريف ، وهو ابن عم المهدى وصهره منتهزا فرصة تذمر الناس وسخطهم على الانجليز فاعلن نفسه خليفة للمهدى ، فاقبل الناس على مبايعته وبخاصة قبائل سنار والفيزوغل • ولما سمعت الحكومة بذلك ارسلت الى قومندان حامية سنار الاوامر التى بمقتضاها ان يبعث قوة عسكرية كافية للقبض على الخليفة شريف وارساله الى مركز الحكومة فى أم درمان للتحقيق معه •

فارسل قومندان سنار الى قرية الخليفة شريف التى تسمى شوكابا على بعد نحو اربعين ميلا من شمال سنار بلوكا من عساكر الاورطة الخامسة عشرة مركبة من ١٥٠ عسكريا تحت قيادة البكباشى (سمايث) الذى توجه بالقوة المذكورة الى شوكابا فى فجر يوم ٢٧ أغسطس ١٨٩٩ وقد حاصرت هذه القوة القرية ، وذهبت شرذمة قليلة من العساكر وبعض الضباط الى منزل الشريف المتمرد للقبض عليه • فلما دخلوا منزله سألوا عنه فوجدوه فى المرحاض فهجموا عليه وهو على هذه الحال وسحبوه الى خارج البيت وطلبوا منه أن يسير معهم • قال الراوى : فأبى وأجابهم : لماذا ؟ وما الذى فعلته حتى تهجموا على وتاخذونى بهذه الصفة ؟

وفى خلال ذلك علت الضوضاء والصياح وهرع الناس من بيوتهم محدقين ببيت الشريف ، ثم سمع اطلاق عيار نارى لا يدرى من أطلقه • وبعد ذلك صوبت العساكر النيران على الاهالى فما كان من أحدهم الا أن هجم بمفرده على القوة حتى تخللها وضرب أحد العساكر بالبلطة على كتفه فمزقه ، فاطلقت عليه النيران فأصيب بجملة رصاصات القته طريحا •

وانجلت المعركة عن مقتل ١٧ من الدراويش وبعد انتهاء ذلك اخذ الشريف مع ولدى المهدى وحوكم الثلاثة أمام مجلس وقتى ميدانى ، فحكم عليهم بالاعدام رميا بالرصاص بناء على أمر كتشنر ثم ألقيت جثثهم فى النهر واحرقت القرية ودمرت عن آخرها ، وأسر نحو ستين رجلا من اتباع الشريف وزجوا فى السجن •

***

وفى الساعة العاشرة من مساء ١٨٩٩/١٢/٢٧ وصل الى القاهرة أسرى الدراويش البالغ عددهم ١٥٠ أسيرا ورحلوا فورا الى معتقل رشيد • وكان فى مقدمتهم الامراء الذين سلموا انفسهم فى واقعة ٢٤ نوفمبر ١٨٩٩ أحياء يوم قتل التعايشى وزالت دولته من الوجود • ومن الذين أحضروا الامير شيخ الدين ابن التعايشى والامير محمود ولد أحمد والامير يونس الدكيم ،والامير محمد الزين، والامير على ولد الحلو الخليفة الثانى

وذهب كتشنر طعاماً للسمك

والامير على فرار أمير بربر • وكثيرون من النساء والاطفال •

والامراء كلهم أصحاب شمم •وللتعايشي بنات أميرات وهن على جانب عظيم من الجمال والاحتشام ببشرة حبشية اللون • والرجال يحتقرون من يكون مسلما ويحلق ذقنه ومن لا يلبس العمامة •

وتمسكهم بالدين عظيم جدا ، لكنهم لا يسيرون على أحد المذاهب الاربعة ، زاعمين أنهم مجتهدون • والتعايشي أوجد لهم مذهبا يعبدون الله عليه ، وهو لايشذ

● الخديوي عباس حلمي الثاني ويقف خلفه كتشنر ●



عن قاعدة الدين بشيء سوى كونه اعم من مذهب واحد • وقد كانوا جميعا صائمين ، وفي يوم عيد الفطر اجتمعوا في ساحة القشلاق متسربلين بثياب بيضاء نظيفة وصلوا سنة العيد يؤمهم أحد الامراء وهو كهل موقر عندهم • وكانوا يطيلون الركوع والسجود كثيرا وكذلك الرفع بينهما حتى ان ركعتي العيد استغرقتا من الوقت أكثر من ساعة •

وبعد ذلك تقدم أحد أنجال التعايشي وهو فتى صغير لا يتجاوز الثانية عشرة ربيعا وخطب فيهم خطبة العيد وهي تقارب الخطب المألوفة • وقيل ان سبب تقدم هذا الفتى للخطبة دون الشيخ المصلي ان لاحمد محمد المهدي حق الامامة ولانجاله من بعده فهذا الصغير أحق بها وأولى ، وان الصلاة لم تكن لتعقد بامامة ذاك المصلي لو لم يجزها له الخطيب الصغير •

أما عثمان دقنه فهو كبير الجثة ، نحيل الساقين ، أسرع رجل يعدو على قدميه بحيث يساوي جياد الخيل ركضا • وقيل عن ثقة انه لم يخض معامع الحرب فارسا، بل كان ينازل خصمه راجلا • وقيل انه لم يفر من الحرب فرار الجبان ، بل يرتد مع من يرتد اذا شاهد وجوب الهزيمة تخلصا من الاسر والاذلال • ولما قبضوا عليه وجاءوا به الى السويس كان في السبعين من عمره ، طويل القامة ،متوسط الجسم ، عريض الوجه مستديره ، واضح الملامح وكلها ممتلئة بسمات الذكاء، والشجاعة • وكان مرتديا كاهل السودان ملاءة التف بها من كتفه الى قدميه وعمامة كبيرة على رأسه ، ثم نقل من الباخرة في عربة سكة حديد • وكان قد اجتمع في ذاك الوقت كثير من الخلق غالبهم من الفرنج • ولما استقر في العربة سمح للمتفرجين أن يسلموا عليه فكانت الايدي

تمد عشرات وهو يصافحهم ويكلمهم جميعا بالبشاشة .

وهو رجل نهم في الاكل ، فاذا قدم له خروف أكله ، سواء كان في الغداء أو العشاء ، وكفايته من الذرة المنشورة لا تقل عن كيلة كما يقول . ولما أصيب بزكام قليل أحدث له التهابا في الحنجرة غير صوته ، عرض عليه الطبيب علاجا لذلك فأبى عليه قائلا ان اردت شفائي فأتني بستة أرطال سمنا لاشربها دواء ففي ذلك الشفاء .

***

وقعت بريطانيا مع مصر اتفاقية ١٩ يناير ١٨٩٩ ، وقعها عن مصر بطرس باشا غالي ناظر الخارجية المصرية ولورد كرومر نائبا عن الحكومة البريطانية بجعل السودان شركة بين مصر والجلترا فقرر مجلس الشورى عدم اعتبار هذه الاتفاقية في شكل اقوى من الاحتجاج والاعتراض وذلك عند نظر الميزانية اذ جاء في محضر الجلسة :

ثم انه وجد في ميزانية المصروفات مبلغ ٤١٧ الف جنيه وكسور مذكور أنها عجز في ايرادات السودان . ولو أن الحكومة لم تبين الايرادات ولا أنواع المصروفات ، لكن المجلس يصدق على صرف هذا المبلغ من ميزانية الحكومة لان السودان معتبر بلادا مصرية ، وجزءا متمما للقطر المصري»

وظلت مصر سنوات طويلة تسد العجز في ميزانية السودان .

***

ولما قامت الحرب بين الانجليز والبوير منعت حكومة السودان دخول الصحف المصرية الى بلادها حتى لا يطلع السودانيين على أخبار الهزائم التي لحقت بالانجليز فتسقط مكانتهم في اعين اهل السودان . ثم انهم ارادوا أن يجردوا الجنود السودانيين والمصريين من الذخيرة فوجدوا منهم معارضة شديدة . وفي النهاية خضعوا وانتهى الامر بفصل بعض الضباط المصريين .

خشية التعصب الديني

كانت فرنسا معارضة لتسيير الحملة ، لانها - كما ذكرت - تخشى من إن تثير هذه الحملة التعصب الديني فيعم كل مسلمي افريقيا . وتخشى ثانيا أن تكون حجة لاطالة احتلال بريطانيا لمصر .

ولم تكن انجلترا لتعبأ بهذه المعارضة . خطب سالسبوري وزير خارجية انجلترا في ٢٩/٤/١٨٩٦ فكان مما قاله « مهما كان حل المسألة المصرية الكثيرة الاشكال والتعقيد فلا مشاحة في انه يجب علينا قبل رد الوديعة التي تسلمناها - ان فرض أننا نردها - أن ننقذ مصر من الداهية الدهماء التي ألمت بها بالغارة المتوحشين عليها وطموح أبصارهم اليها منذ احتلالنا لها .

« اننا لما دخلنا مصر بعد سقوط عرابي كان طولها بقياس النيل حينئذ نحو مضاعف طولها الان . ثم اخذ منها نصفها ونحن فيها ، وبقي يئن تحت نير ظلم وجور لا مثيل له في أشقى البلدان حالا واشدها بؤسا . أفنكون قد قمنا بحقوق الوديعة ووفينا شروط الامانة وأثبتنا اننا أهل للثقة التي وضعت فينا اذا ادعينا اننا قضينا الفرض المفروض علينا وتركنا نصف تلك الوديعة يقاسي عذاب الظلم كلا بل المفروض علينا أن نرد مصر عاجلا أو آجلا الى أهلها باعادة حدودها الى ما كانت عليه لما احتللناها .

وفي هذا الكلام غش وتضليل وخداع . ومع ذلك فقد ظل لمصر ملايين الجنيهات على السودان . قال كرومر في خطبة له بالخرطوم ٣٠/١/١٩٠٣ « ان أردتم أن تعلموا كم يدفعون - يعني المصريين - قلت انهم يدفعون كل سنة ٣٥٠,٠٠٠ جنيها مصريا لخير السودان . وقد دفعوا أكثر من نصف مليون جنيه الجلنزي، لتحسين السكك الحديدية السودانية

وذهب كتشنر طعاما للسمك

ودفعوا ١٫٤٠٠٫٠٠٠ (مليونا واربعمائه الف جنيه مصرى لانشاء سكة حديد الخرطوم بورسودان التى انتهى العمل منها سنة ١٩٠٦) .

وكان يعمل بالسودان عدد كبير من الانجليز نظير مرتبات ضخمة . وكان من الممكن أن يعينوا لبنانيين أو سوريين . أما المصريون فهم عنها مبعدون !

***

توالت على السودانيين المصائب والآلام من جهات كثيرة ، بهلك كثير منهم فى المعارك والحروب . كما أهلكت المجاعات اعدادا كثيرة ، وكذلك الكوليرا التى تفشت بينهم فخلت جهات كثيرة من السكان وعم الخراب والدمار . فرأى الانجليز أن يفتحوا باب الهجرة الى طوكر واعلنوا ان من يرغب فى الهجرة سوف تقدم له تسهيلات كثيرة ، السفر على حساب الحكومة ، والارض دون مقابل ، والتقاوى سلفا من اول سنة . وطلبوا من رجال الادارة ان يعلنوا ذلك بين الاهالى . ويبدو انهم لم يجدوا من المصريين اقبالا ، فاخذوا الف مسجون سنة ١٩١٣ ، ولم يجد هؤلاء المسجونون عناية كافية فهلك منهم كثيرون . ولذلك فان ذكر كلمة « طوكر » كانت توحى بالرهبة والفزع .

وفى نهاية سنة ١٨٩٩ نشبت حرب الترنسفال وتوالت الهزائم على الانجليز ، واصيب كتشنر بالخزى لانه استأسد على السودانيين ، واستنوق أمام البوير . واخذ الناس فى البلاد العربية ، بل والاسلامية يتساءلون : هل البوير أشجع من الدراويش ؟ وكيف استطاع البوير أن يصمدوا فى القتال مدة خمسة أشهر بينما زالت دولة الدراويش بعد موقعتين ؟

قال بعضهم وهو على حق : ان البوير كانوا يحاربون حربا متمدنة ، يسوقونها بحسب أصول الفن وعلى رسوم خططها أركان الحرب . حربا أحرى إن تكون بالعقول ، لا بالابدان . وأن السودانيين قابلوا الجيش الانجليزى فى وقعة أم درمان فاستدرجهم هؤلاء باطلاق كرات فى الهواء كانت لا تصيبهم حتى أطمعوهم فيهم فوثبوا عليهم وثبة القساورة العطاش يشلونهم شلا . فلما أن حصلوا فى ثغور المدافع صب عليهم هؤلاء نارا حامية فلم ينكصوا ولم ينقلبوا أدراجهم ، وما زالوا يهاجمون تلك النار الحامية حتى أكلتهم جميعا . فهذه هى الشجاعة التى يقصر عن مداها البوير وغير البوير ، ولكن شجاعة الدراويش فى وقعة أم درمان وسكينة التعايشى التى سارت بها الركبان فى الوقعة الاخيرة لم تمنعا من ذهاب تلك الدولة فى وقعة أو وقعتين حال كون علم هؤلاء البوير سد بهم ثغور بلادهم واقحمهم بلاد عدوهم مدة مديدة وفى معارك عديدة .

***

ودار نقاش طويل حول علم الجغرافيا وفائدته بالنسبة للمصريين ، وعزا بعضهم انتصار البوير الى معرفتهم بهذا العلم ، كما عزا انكسار الانجليز الى جهلهم به فترى أحدهم يكتب مقالا طويلا جاء فيه : « ان علم الجغرافيا لا فائدة فيه للمصريين خصوصا الازهريين ، وان الاشتغال بالعلوم الجديدة مضر جدا » فرد عليه أحد المجاورين قائلا « ان لعلم الجغرافيا فوائد لو لم يكن أهل الازهر عارفين بعلم الجغرافيا لاشتبه عليهم الحاق أهل كل رواق به ، مع أن لكل رواق وقفا مختصا بأهله » .

ولما زال خطر الدراويش عن حدود مصر الجنوبية فكر الانجليز فى تنفيذ بعض مشروعات للرى . وكانوا قد درسوا مشروع انشاء خزان اسوان فانبرى بعض المصريين لمعارضة هذا المشروع وبيان ما فى تنفيذه من أخطار . وملخص ما ذكروا هو :

● هناك صعوبات كثيرة تقوم دون انشائه فتعوق العمل وتؤخر انجازه .



● جوردون



● المهدي

● هجوم جيش من الاعداء على القطر المصرى واستحواذه على الخزان ليضر ذلك بالقطر المصرى ضررا عظيما ويتلف زراعته الصيفية .

● حدوث زلزال او انكسار الخزان دفعه واحده لرداءة بنائه فيحدث من ذلك طوفان عظيم يتلف أراضى مصر كلهـا من أسوان الى القاهرة .

● ركود الماء فى الخزان فان ذلك يولد العفونة فتصبح مياه النطر سامة لا تصلح للشرب .

واعترض مجلس الشورى على هـذا المشروع وحجته فى ذلك أن عملا مثل هذا ربما يئول الى خراب مصر ، ولا ينتهى الا فى سنين طويلة وصرف القناطير من الذهب

وكتب أحد المصريين مقالا جاء فيه :

« أما الذين لا تبهر أنظـارهم الامانى والارتام التى تجىء كالاحلام فيقـولون ان الخزان المعروض اذا كان مفيدا فانه سيكون من جهة أخرى خطرا على مصر ، لان النيل الذى كسر الجبال الصلدة وفتت الصخور الصماء على مر الاجيال فاحدث الشلالات الهائلة فى جنوب اسوان الى شمال الخرطوم لا يمكن أن تحتمله أبنية البشر مهما تفنن الصناع الماهرون .

وقد اجمع مجلس النظـار برياسـة الخديو عباس فى ١٨٩٤/٦/٤ وقرر الموافقة على مشروع الخزان كما قدمه جارستن وكيل نظارة الاشغال ومستر ويلكوكس . ولما لم يوافق صندوق الدين على صرف نفقات المشروع ، تقدم السير ارنست كاسل وتعهد بدفع المال ، واتفق مع بعض المقاولين الانجليز على اقامة الخزان . وقد ابتـدا البناء فى الساعة العاشرة من صبيحة يوم ١٢ فبراير ١٨٩٩ وانتهى العمـل منه فى منتصف الساعة الرابعة بعد ظهر الاربعاء العاشر من ديسمبر ١٩٠٢ .

وقد ترتب على انشاء الخزان أن غرق قصر أنس الوجود وبعض الآثار الاخـرى فنظم احمد شوقى قصيدة طويلة مطلعها

قف بتلك القصـور فى اليم غرقى
ممسكا بعضـها من الذعر بعضـا
كعذارى اخفـين فى الماء بضـا
سـابحات به وابدين بضـا



بقلم: د. محمد عمارة

أصل « الوحى » — فى اصطلاح اللغويين — : الاعلام فى خفاء ووسائل هذا الاعلام ، الخفى والمستتر عن غير الموحى اليه المقصود بالاعلام مباشرة ، متعددة ، فمنها الاشارة ، والكتابة ، والرسالة ، والايماء ، والالهام ، والكلام الخفى .. الى اخر سبل توصيل الاعلام الخفى الى الغير .

وكذلك يطلق لفظ « الوحى » على اسم المفعول منه ، أى الموحى ، مكتوبا كان هذا الموحى او كتابا .

ولقد سمي وحى الله ، الى انبيائه ورسله : وحيا ، لان الله قد أسره الى هؤلاء الانبياء والرسل ، وخصهم به ، وأخفاه عمن عداهم .. وهذا هو وجه تسمية جبريل ، عليه السلام : « ناموس الله » — كما ورد فى الحديث النبوى — اذ احتل « الناموس » كما يقول الشريف الرضى (٣٥٩ — ٤٠٦ هـ ٩٧٠ — ١٠١٥ م) فى كتابه (المجازات النبوية) : « المكان الذى يستجن — (يستتر) — فيه الصائد عن الوحش لئلا تراه فتنفر منه . ومن ذلك سمي من يجعله الانسان موضع سره بناموسا .. فكان النبى صلى الله عليه وسلم ، انما شبه جبريل بذلك لانه يستخفى بما يؤديه عن الله سبحانه الى الانبياء ... » (١) .

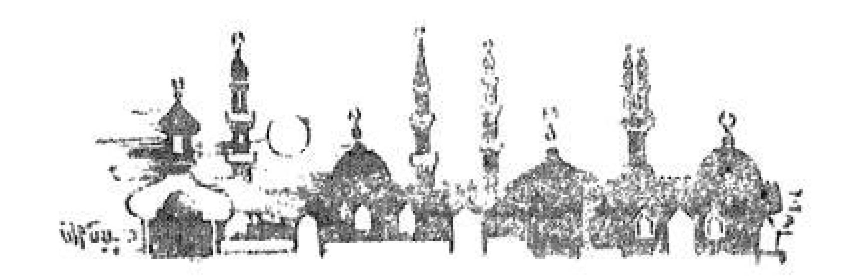
وفى القرآن الكريم وفى الادب العربى وردت الاستخدامات لمصطلح « الوحى » فى المعانى والاغراض التى أشرنا اليها .. فهو يعنى فى قول الله سبحانه : « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) « الشورى : ٥١ » يعنى : الالهام والقذف فى القلب ، سواء أكان ذلك فى اليقظة أو فى المنام — (الرؤيا) — .

وفى قوله تعالى : (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه) « طه : ١١٤ » — يعنى : القائه الى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بواسطة الملك .

وفى الآية القرآنية : (قل انما أنذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون) « الانبياء : ٤٥ » — يعنى مصطلح الوحى : الموحى به

---

(١) (المجازات النبوية) ص ١٤٥ ، ١٤٦ . طبعة القاهرة سنة ١٣٢٨هـ



من اطلاق المصدر على المفعول .

أما فى الآية : (فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظـــالمين) « ابراهيم ١٣ » ـ فهو وحى للرسل .. على حين يعنى فى اية : (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا) « النحل : ٦٨ » ـ : الالهام للحيوان غير العاقل .. أما فى الآية : (فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها) « فصلت : ١٢ » فانه يعنى : التسخير ، أى أن الله ، سبحانه ، قد سخر كل سماء لما يراد منها .. وهو قد جاء بمعنى الاشارة والايمـــاء فى قول الله سبحانه : (فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا) « مريم : ١١ » ـ ... وكذلك حاله فى قول الشاعر :

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحى الملاحظ خيفة الرقباء

أى الاشارة بالملاحظ .

وقد يأتى « الوحى » بمعنى الايحاء الى الملائكة ، كما فى اية : (اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم) « الانفال : ١٢ » .. كما قد يأتى بمعنى : الوسوسة بالشر ، كما فى قول الله ، سبحانه : (ان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم) « الانعام : ١٢١ » .

تلك هى ابرز معانى مصطلح « الوحى » فى عرف اللغويين ، وفى المصادر الاولى للعربية .

أما فى اصطلاح الشريعة فان « الوحى » يعنى : كلام الله المنزل على نبى من انبيائه .. وذلك اذا ما ثبت الاعلام الخفى (الوحى) بلسان الملك، فوقع فى سمع النبى ، بعد علمه بالمبلغ باية قاطعة .. والقرآن الكريم مثـل على هذا النوع من « الوحى » .. كما يعنى ، فى الشريعة ايضا : خـاطر الملك ، يتضح باشارة منه للنبى ، من غير بيان بالكلام .. ويحكى عن هذا اللون من « الوحى » حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت ... » ـ الحديث ـ ... ويعنى ايضا ، فى اصطلاح الشريعة : الالهام ... وقد يكون الوحى فى اليقظة ، كما يكون رؤيا فى المنام . وجميعه حجة عند علماء الشريعة .

وقريب من معانى « الوحى » لدى علماء الشريعة ، من الفقهـــاء ، معانيه لدى علمائها من المتكلمين ، فهو يعنى عندهم : كشف الحقيقة كشفا



مباشرا ، مجاوزا للحس ، ومقصورا على المختارين لهذا اللون من الاعلام .

أما الفلاسفة فانهم يميلون الى تجريد « عملية » « الوحى » من طابعها الحسى ، ويقولون انه : عبارة عن اتصال النفس الانسانية بالنفوس الفلكية ، اتصالا روحيا ، فترتسم لديها صور الحوادث ، وتطلع ، بهذا الاتصال ، على عالم الغيب ... وهم يرون أن فى الانبياء استعدادا خاصا وفطرة خاصة تؤهلهم لهذا الاتصال ، وهذا الاستعداد وهذه الفطرة تبلغ عند الانبياء ما لا تبلغه عند غيرهم ، حتى من « الاولياء » و « العارفين » .

وهذا التصور الفلسفى للوحى شائع لدى فلاسفة الاسلام ، بل ولدى اصحاب النزعة العقلية من المتكلمين المسلمين .. بل اننا نجده لدى الاستاذ الامام محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م) ومدرسة التجديد الدينى فى عصرنا الحديث .. فعندما عرض الاستاذ الامام - فى (رسالة التوحيد) - لقضية الوحى حرص على أن يصرح فيها برايه الخاص ، وعلى أن ينبه على اختلاف تصوره هذا عن التصورات الشائعة عند النصوصيين او الفقهاء ، بل ومتكلمى الاشعرية .. فبعد أن عرض للمعانى اللغوية للمصطلح ، قال ان التعريف الشرعى للوحى هو : « انه كلام الله تعالى ، المنزل على نبى من انبيائه » .. ثم استطرد فحدد أن له رايا متميزا فقال : « اما نحن فنعرفه ، على شرطنا ، بانه : عرفان يجده الشخص من نفسه ، مع اليقين بانه من الله ، بواسطة او بغير واسطة ، والاول بصوت يتمثل لسمعه .او بغير صوت ! » .

فهو علم وعرفان داخلى ، يبلغ صاحبه درجة اليقين بأن مصدره هو الله ، وقد يكون بواسطة صوت يسمع أو بدون صوت ، كما يكون بغير واسطة .

وفى حالة ما اذا كان هذا « العرفان بواسطة صوت كانت هذه الواسطة أو شبحا - كما هو ظاهر لفظ الاحاديث النبوية التى تقول ان الوحى كان ياتى للنبى ، احيانا ، فى صورة رجل يشبه دحية الكلبى - فى هذه الحالة يجيز الاستاذ الامام حدوث « العرفان » بهذه الواسطة - الصوت او الشبح ، أو هما معا - ولكنه يجرد هذه الواسطة من الطابع الحسى والمادى ، ويراها مجرد « تمثل » .. فالحقائق المعقولة يجوز أن « تتمثل » صوتا أو شبحا لمن عنده الاستعداد الفطرى لهذا اللون من « العرفان » .. فاذا علمنا أن « التمثل » هو : « مثول الصور الذهنية ، باشكالها المختلفة ، فى عالم الوعى ، أو حلول بعضها محل بعضها الاخر .. » استطعنا ان نفقه تصور الاستاذ الامام لماهية وسائط « العرفان » - (الوحى) - صوتا كانت هذه الوسائط أو صورة .

لكن الاستاذ الامام ينبه على أن هذا « العرفان » ليس هو الالهام ، لان الالهام ، على الرغم من انه وجدان تستيقنه النفس وتنساق الى ما

يطلب ، الا أن النفس لا تستيقن أن مصدره هو الله ، بينما يتميز - العرفان - (الوحى) - باستيقان النفس أن مصدره هو الله سبحانه .

وواضح ، من سياق حديث الاستاذ الامام ، وحججه التى ساقها فى هذا المقام ، انه كان يجادل « الماديين » الذين ينكرون « الوحى » كجزء من انكارهم كل ما لا يدرك بالحواس ، ولذلك نراه يمضى فى عرض امكانية حدوث هذا « العرفان » للمستعدين لتلقيه فيقول : « واما امكان حدوث هذا النوع من العرفان (الوحى) ، وانكشاف ما غاب من مصالح البشر عن عامتهم لمن يختصه الله بذلك وسهولة فهمه عند العقل ، فلا أراه مما يصعب ادراكــــه الا على من لا يريد أن يدرك ، ويحب أن يرغم نفسه على أن لا تفهم ! ·· فمن النفوس البشرية ما يكون لها من نقاء الجوهر ، بأصــل الفطرة ، ما تستعد به ، من محض الفيض الالهى ، لان تتصل بالافق الاعلى ، وتنتهى من الانسانية الى الذروة العليا وتشهد من أمر الله شهود العين ما لم يصل غيرها الى تعقله أو تحسسه بعصا الدليل والبرهان ، وتتلقى عن العليم الحكيم ما يعلو وضوحا على ما يتلقاه احدنا عن أســـاتذة التعاليم ، ثم تصدر عن ذلك العلم الى تعليم ما علمت ودعوة الناس الى ما حملت على ابلاغه اليهم ، وأن يكون ذلك سنة الله فى كل أمة وفى كل زمان ، على حسب الحاجة ··· اما وجود بعض الارواح العالية ، وظهورها لاهل تلك المرتبة السامية فمما لا استحالة فيه بعد ما عرفنا من أنفسنا وأرشدنا اليه العلم ، قديمه وحديثه ، اشتمال الوجود على ما هو الطف من المادة ، وأن غيب عنا ، فأى مانع من أن يكون بعض هذا الوجود اللطيف مشرقا لشىء من العلم الالهى ، وأن يكون لنفوس الانبياء اشراف عليه . فاذا جاء به الخبر الصادق حملنا على الاذعان بصحته · اما تمثل الصوت ، واشباح لتلك الارواح فى حس من اختصه الله بتلك المنزلة فقد عهد عن اعداء الانبياء ما لا يبعد عنه فى بعض المصابين بأمراض خاصة على زعمهم ، فقد سلموا أن بعض معقولاتهم يتمثل فى خيالهم ويصل الى درجة المحسوس، فيصدق المريض فى قوله انه يرى ويسمع ، بل يجالد ويصارع ، ولا شىء من ذلك فى الحقيقة بواقع ، فان جاز التمثل فى الصور المعقولة ، ولا منشأ لها الا فى النفس ، وأن ذلك يكون عند عروض عارض على المخ ، فلم لايجوز تمثل الحقائق المعقولة فى النفوس العالية ؟ وأن يكون ذلك لها عندما تنزع عن عالم الحس وتتصل بحظائر القدس ؟ وتكون تلك الحال من لواحق صحة العقل فى أهل تلك الدرجة ، لاختصاص مزاجهم بما لا يوجـــد فى مزاج غيرهم ؟· وغاية ما يلزم عنه ان يكون لعلاقة أرواحهم بأبدانهم شأن غيــر معروف فى تلك العلاقة من سواهم ، وهو ما يسهل قبوله ، بل يتحتم ، لان شأنهم فى الناس أيضا غير الشئون المألوفة ، وهذه المغايرة من أهم ما امتازوا به وقام منها الدليل على رسالتهم ، والدليل على سلامة شهودهم ،



وصحة ما يحدثون عنه » (١) .

فالوحي : عرفان ، يجده أصحاب النفوس المفطورة على النقاء ويوقنون بأن الله هو مصدره ، أما وسائطه - ان كانت - من الصوت أو الصورة ، فهي من باب تمثل المعقولات حتى تبلغ درجة المحسوس .. وطرفا العلاقة في هذه العملية هما : « نفوس » الانبياء ، والمعقولات المتمثلة التي هي واسطة النفوس الى العرفان .

ونحن نلاحظ أن الاستاذ الامام يرى أن « نفوس » الانبياء قد امتلكت النقاء الذى اهلها لهذا العرفان « بأصل الفطرة » ... وهذا هو الذى نجده عند جمال الدين الافغانى (١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧ م) عندما عرض لتعريف « النبى » فى التعليقات التى املاها على شرح جلال الدين الدوانى (٨٣١ - ٩١٨هـ ١٤٢٧ - ١٥١٢ م) للعقائد العضدية .. فبعد أن يعرض التعريف الشائع للنبى ، من أنه « انسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى اليه ، الى من أمر بتبليغهم » .. يقول : « وقد يعرف النبى بأنه : انسان فطر على الحق علما وعملا . أى بحيث لا يعلم الا حقا ، ولا يعمل الا حقا ، على مقتضى الحكمة ، وذلك يكون بالفطرة ، أى لا يحتاج فيه الى الفكر والنظر ، ولكن التعليم الالهى . فان فطر أيضا على دعوة بنى نوعه الى ما جبل عليه ، فهو رسول أيضا ... فتفكر فيه ، فانه دقيق جدا » (٢) فهو « مفطور » و « مجبول » على الحق ، علما وعملا ، وهو - كرسول - مفطور ومجبول على التبليغ ... ويؤكد وحدة فكر الافغانى ومحمد عبده فى هذه القضية تعليق محمد عبده على كلام الافغانى هذا ، عندما يقول : ان معنى جملة : « بعثه الله » : أى « جعل فيه الباعث والداعى للتبليغ ! » (٣) .

هذا هو تصور « الوحى » عند مفكرى الاسلام .

فاذا انتقلنا الى « الوحى » ، كحدث بدأت به نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبعثته ، والى « صورة » وواسطة « الوحى » ، والمراحل التى مرت بها هذه « الصورة » ، والى نصيب ذلك التصور للوحى من الاتساق مع تصور فلاسفة الاسلام وذوى النزعة العقلية من متكلميه .. اذا انتقلنا الى ذلك كان علينا أن ننظر فى المصدر الوحيد لهذا التصور ، ألا وهو السنة النبوية ، التى تناثرت فى كتبها أحاديث أحاد كثيرة تحدثت عن بدء الوحى للنبى ، صلى الله عليه وسلم ، ومراحله ، والصور التى تمثل بها للنبى عندما كان يحدث هذا الاتصال ...

---

(١) (الاعمال الكاملة للامام محمد عبده) جـ ٣ ص ٤١٤ - ٤١٦ . دراسة وتحقيق : محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ م .

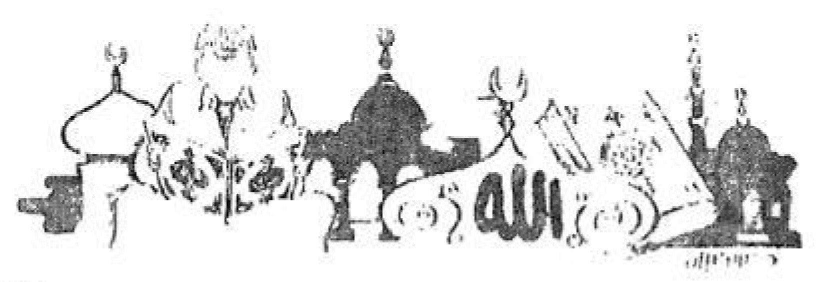
(٢) (الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى) جـ ١ ص ٢١٣ ، ٢١٤ . دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٧٩ .

(٣) المصدر السابق . جـ ١ ص ٤٥١ .

فمن السنة النبوية نعلم ان محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، قد جاءه الوحي وهو في سن الاربعين ، وكان قد رفض وثنية الجاهلية ، واخذ يتأمل باحثا عن الحق ، متخذا من بقايا توحيد ابراهيم وشريعته سبيلا للتحنث والتعبد وخاصة في خلوته التي كان ينقطع اليها في شهر رمضان بغار حراء .. واول صورة جاءه بها « الوحي » كانت « الرؤيا الصادقة » ، في شهر ربيع الاول ، واخذت تتكرر لستة اشهر ... ثم كانت الحادثة الشهيرة ، يوم سمع الصوت بغار حراء ، في شهر رمضان ، يقول له : (اقرأ) .. ثم فتر الوحي ثلاث سنوات ، سمع بعدها الصوت يناديه : (يا ايها المزمل) ، وهو في سن الثالثة والاربعين .. والسنة تضع يدنا على حقيقة ان صورة الوحي في هذه المرحلة كانت « الضوء والنور والصوت » .. اما مرحلة « تمثل » الملك جبريل للنبي في صورة رجل فلقد جاءت بعد ذلك .. فعن ابن عباس انه قال : « اقام النبي بمكة خمس عشرة سنة ، سبع سنين يرى الضوء والنور ويسمع الصوت ، وثماني سنين يوحى اليه ، واقام بالمدينة عشرا » (١) .. ونحن نلاحظ ان عبارة ابن عباس لا تعتبر مرحلة السنوات السبع - طور الضوء والنور والصوت - وحيا ، بل تجعل « الوحي » ، بمعنى القرآن ، وتتابع نزوله منجما ، مما حدث بعد هذه السنوات السبع .

ويزكى هذا الفهم ان الرسول - كما هو مشهور - قد ذهبت به زوجه خديجة ، عقب سماعه الصوت : (اقرأ) ، في غار حراء ، برمضان ، عندما بلغ الاربعين ، ذهبت به الى ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى - وكان شيخا قد تنصر ، يقرأ الانجيل بالعربية - كما يقول حديث عائشة ، عليها السلام ، فلما سمع ورقة من النبي وصف ما حدث ، انبأه ان « هذا هو الناموس الذي نزل على موسى » (٢) .. وموسى كان يرى نارا ونورا ..

(١) رواه أحمد بن حنبل في مسنده .
(٢) رواه البخاري ومسلم وابن حنبل .





ويؤكد ذلك أن رواية أخرى لذات الحديث الذى يحكى ذات الواقعة تقول ان النبى قد قال لخديجة : « انى أرى ضوءا واسمع صوتا وانى أخشى أن يكون بى جنن · قالت : لم يكن الله ليفعل ذلك بك يا ابن عبد الله · ثم أتت ورقة بن نوفل فذكرت ذلك له ، فقال : ان يك صادقا فان هذا ناموس مثل ناموس موسى ، فان بعث وأنا حى فساعزره وأنصره وأومن به » (١) ·· فالحديث يحدد أن التمثل كان : « ضوءا وصوتا » ، وورقة لم يعتبر ذلك بعثة فيؤمن بالمبعوث ، بل عدها مقدمات ، وقال : « ان بعث وأنا حى فساعزره وأنصره وأومن به » ·· ولقد مات ورقة بعد عام من تلك الحادثة أى نحو سنة ١٢ ق·هـ سنة ٦١١ م دون أن يؤمن بشريعة محمـــد ، لأن البعثة والتبليغ لم يكن قد حان حينه حتى ذلك التاريخ !·· بل ان النبى ذاته لم يكن يقول ، يومئذ ، انه مبعوث · بل كـان يبحث عن تفســـير ، يطمئنه ، لهذه الظاهرة غير العادية وغير المفهومة له !

هذا عن مراحل « الوحى » ، وصيرته فى المراحل الاولى ·

ومن الاحاديث ما يحدد أو يقرب لنا معنى « الصوت » الذى كان يتمثل به الملك ، فعن عائشة « أن الحرث بن هشـام سال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : كيف يأتيك الوحى ؟ قال : يأتينى مثل صلصلة ـ الجرس ـ وهو أشده على ـ ثم يفصم عنى وقد وعيت · وأحيـــانا يأتينى ملك ، فى صورة الرجل ، فاعى ما يقول ·· (٢) ·

وفى الاحاديث النبوية ما يصف حالة النبى الجسدية ساعة اتصـــال نفسه بالوحى وتلقيه عن الله سبحانه ، وهذا الوصف يوحى بحدوث تغيرات واضحة تجعل النبى فى حال مخالف للحالة البشرية المعتادة ، ان فى النفس أو فى الجسم ، فعائشة تستكمل روايتها للحديث السابق فتضيف : « ولقـد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البـــرد فيفصم عنه وان جبينه ليفصد عرقا ! » ·· وفى أحاديث أخرى ما يدل على أن التغيرات كانت تصيب وظائف الجسم فتتغير من سماته وطبائعه ·· فوجهه يحمر ·· وهو يغط ·· وجلده يربد ·· ويأخذ شبه السبات ·· بل ويثقل وزن جسمه ثقلا يفـــرق الحدود !·· فالصحابى يعلى بن مرة يطلب من عمر بن الخطاب أن يريـــه النبى حين يوحى اليه ، فلما جاءه الوحى كان « بالجعرانة » ومعه نفـــر من أصحابه ـ أشار عمر الى يعلى « فجاء يعلى وعلى رسول الله ثوب قد أظل به ، فأدخل رأسه ، فاذا رسول الله محمـــر الوجه ، وهو يغط · ثم سرى عنه ··· » (٣) ·· وابن عباس يقول : « وكان اذا نزل عليه الوحى عرفوا ذلك فى تربد جلده ! ·· » (٤) ·· وعائشة تقول : « وكان اذا أوحى

---

(١) رواه أحمد بن حنبل ·
(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن حنبل والموطا ·
(٣) رواه البخارى ·
(٤) رواه أحمد بن حنبل ·



اليه يأخذه شبه سبات ٠٠ » (١) ٠٠ وزيد بن ثابت يقول : « انى قاعد الى جنب النبى يوما اذ أوحى اليه ٠٠ وغشيته السكينة ، ووقع فخـذه على فخذى حين غشيته السكينة ٠ فلا والله ما وجدت شيئا قط أثقل من فخـذ رسول الله ، ثم سرى عنه فقال : اكتب يا زيد ، فأخذت كتفا ، فقال اكتب (لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون ٠٠) ٠٠ » (٢) وأبو أروى الدوسى يقول : « رأيت الوحى ينزل على النبى ، وانه على راحلته ، فترغو وتفتل يديها حتى اظن أن ذراعها ينقصم ، فربما بركت ، وربما قامت موتدة يديها حتى يسرى عنه ٠٠ ! » (٣) ٠٠

وفى الاحاديث ـ كما مر ـ ما ينبىء عن رغبة بعض الصحابة فى رؤية حال الرسول ساعة يوحى اليه ، لكن تلك الحال ، غير العادية ، وما يحدث لجسده وهيئته فيها من تغيرات ومعاناة ، كانت تدعو جمهرة الصحابة الى صرف أبصارهم عن الرسول عندما يحدث له هذا « العرفان » ٠٠ ففى حديث أبى هريرة « ٠٠٠ وجاء الوحى ، وكان اذا جاء لم يخف علينا فليس أحد من الناس يرفع طرفه الى رسول الله حتى يقضى ! ٠٠ » (٤)

ونحن عندما نطالع ، فى الاحاديث النبوية ، تلك الاوصاف التى تصف الرسول ساعة تلقيه الوحى واتصاله بالملك ، نتذكر عبارة الامام محمد عبده التى يقول فيها : « وغاية ما يلزم عنه (أى عن هذا الاتصال) أن يكـون لعلاقة أرواحهم بأبدانهم شأن غير معروف فى تلك العلاقة من سواهم ٠٠ » فهى حال غير معتادة ، تحدث فى لحظات غير عادية ، لاناس أهلتهم الفطرة ليكونوا غير عاديين !

لكن ٠٠٠ هل حقا أن بعض الصحابة قد رأى الملك جبريل ، وهو فى صورة دحية الكلبى ، أثناء لقائه بالرسول ، عليه الصلاة والسلام ؟٠٠ ان فى البخارى ، عن أبى عثمان ما يدل على أن أم سلمة ، زوج النبى ، قد رأته ، وأنها قد حسبته دحية الكلبى حتى أنبأها النبى انه جبريل ٠٠ وفى مسند احمد بن حنبل ما يدل على أن عبد الله بن عباس قد رآه والرسول يناجيه ٠٠ لكننا لو عرضنا ذلك على معنى « الوحى » ، الذى هو اعـلام فى خفاء عمن عدا النبى ، وعلى معنى « الناموس » الذى سمى به جبريل لاستتاره عن غير النبى ، ملنا عن التسليم بأن أحدا غير الرسول قد رأى الوحى والناموس ٠٠ ويدفع عنا الحرج فى هذا الميل أن هذين الحديثين ، ككل أحاديث « الوحى » ، هى أحاديث آحاد ، أن كانت حجة فى «العمليات» فهى ليست بالحجة فى « الاعتقادات » !

---

(١) رواه أحمد بن حنبل ٠
(٢) رواه أحمد بن حنبل ٠
(٣) (الطبقات الكبرى) لابن سعد ٠ جـ ١ ق ١ ص ١٣١ ٠ طبعـة دار التحرير ٠ القاهرة ٠
(٤) رواه احمد بن حنبل ٠



الدكتور علي عبد الواحد وافي أول رائد لعلم الاجتماع

بقلم: د. عاطف العراقي



اعتقد من جانبي ان مفكرنا العملاق الدكتور « على عبد الواحد وافى » يعد هرما فكريا فى مجال علم الاجتماع ، ولا يكتمل الحديث عن ابن خلدون الا بان نتحدث عن الدكتور على عبد الواحد والذى خصص مئات الدراسات والمقالات العميقة لدراسة ابن خلدون ، وقدم لنا جوانب كثيرة كانت خافية علينا تماما .



لا اخفى اننى حين شرعت من سنوات بعيدة فى قراءة الاعمال الفكرية الجليلة للدكتور على عبد الواحد وافى ، شعرت بانبهار واجلال وتقدير ، شعرت بالفخر لان مصرنا العزيزة انجبت عملاق علم الاجتماع المعاصر الدكتور على عبد الواحد وافى . لقد شق طريقه وسط الاشواك والصخور ومازال يقدم لنا العديد من الاعمال الفكرية والتى تتسابق دول العالم على الاطلاع عليها والاستفادة منها . ان مفكرنا العظيم وضع بصماته على تاريخ علم الاجتماع فى مصر والعالم العربى .

لقد سعيت الى لقاء الدكتور على عبد الواحد وافى بمنزله واستمر اللقاء عدة ساعات . انه يتكلم فى تواضع الاستاذ وفى ثقة العالم الجبار . ومن يجلس اليه ولو لدقائق معدودات سيكتشف عوالم جديدة تماما كانت خافية عليه قبل ان يلتقى به

اليس من مصائب الزمان ومآسى الدهر ان الرجل لم يحصل حتى الان على جائزة من الجوائز الكبرى . نعم ان مايجعل الفرد منا يشعر بالتشاؤم بحيث يكون قلقا على بعض الجوانب من حياة مصر الفكرية ، ان يجد هذا الرجل العظيم على عبدالواحد وافى حتى الان ولم يحصل على جائزة كبرى . ان الجوائز يجب ان تسعى اليه . ان كبرياء الرجل تابى عليه ان يسعى الى احد ومن واجبنا ان نسعى اليه تعظيما للفكر واجلالا لنوره واذا لم نفعل ذلك مع علمائنا ومفكرينا فستحل بنا لعنة السماء وسوف لانكون جديرين باحترام المفكرين فى ارجاء العالم . نعم ان من مآسى القدر وسخريته ان تعطى بعض جوائزنا لاصحاب المناصب البراقة والذين باعدوا بين انفسهم وبين الفكر واصبحوا يتكلمون فى كل شىء ماعدا الفكر وقضاياه . نعم ان من مصائب الزمان ان نمنح بعض جوائز الدولة لمن يسعون الى الجرى وراء اجهزتنا الاعلامية وخاصة التليفزيون وهم غير مؤهلين فكريا وثقافيا واذا كتب الواحد منهم فانه يكتب مجموعة من الكلمات المتقاطعة . واذا تحدث فانه يتحدث لغوا . والمسافة بينه وبين المعقول ابعد من المسافة بين الانس والجن ، بين الشرق والمغرب . اما مفكرنا الدكتور على عبد الواحد وافى فانه يعد وحده مدرسة فكرية . ان اعماله العلمية يعجز عن القيام بها افراد جيل باكمله من الدارسين .

ولد مفكرنا فى اليوم الثالث من شهر مارس عام ١٩٠١ فى ام درمان بالسودان ، اذ كان والده فضيلة الشيخ عبد الواحد وافى يعمل استاذا للغة العربية والشريعة الاسلامية فى المدارس الحكومية بالسودان ثم فى كلية غردون والتى اصبحت الان جامعة الخرطوم . وقد التحق مفكرنا منذ طفولته بالمدارس الابتدائية بمصر وذلك بعد عودة الاسرة من السودان الشقيق-واستمرت فترة تعليمه الابتدائى من عام ١٩٠٦ حتى عام ١٩١٠ . وقد رغب والده بعد ذلك فى ان يغير مفكرنا وجهته الدراسية واكمل اعداده للالتحاق بالازهر ولذلك نجده يحفظ القرآن ويجوده كما يحفظ طائفة كبيرة من امهات كتب اللغة العربية والفقه والميراث والتوحيد ومصطلح الحديث والمنطق وقد ساعده والده على فهم مافى هذه الكتب . ثم التحق بالازهر عام ١٩١٥ وكان من اكثر الطلاب النابهين فى دراسته . وقد استمر وجوده بالازهر حتى سنة ١٩٣١ . ثم تقدم للالتحاق بدار العلوم العليا « اسمها الان كلية دار العلوم وهى تابعة لجامعة القاهرة » . ان مفكرنا منذ ان كان

طالبا على درجة كبيرة جدا من النبـاهة والذكاء . لقد تقدم لامتحان الالتحاق بدار العلوم حوالى مائتى طالب لم ينجح منهم الا حوالى خمسة عشر طالبا كان من بينهم رغم قصر المدة التى قضاها بالأزهر . كما كان اول دفعته فى دار العلوم التى تخرج فيها عام ١٩٢٠ . وكان عدد خريجى دفعته ٧٩ خريجا من بينهم على الجندى والذى عمل بعد ذلك استاذا بكلية دار العلوم .

اننا اذا رجعنـا الى تقـويم دار العلوم الذى صدر بمناسبة مرور خمسة وسبعين عاما على انشائها « ١٨٧٢ ـ ١٩٤٧ » اى فى عيدها الماسى ، وجدنا ذكرا للدكتور على عبد الواحد وافى فى اكثر من موضع من هـذا التقويم وترجمة موجزة لحياته الفكرية منذ تخرجه وذكرا ببعض مؤلفاته باللغة الفرنسية واللغة العربية .

لقد اوفدته وزارة التربيـة والتعليم « كان اسمها وزارة المعـارف العمومية » عضوا ببعثتها العلمية فى جامعة السربون بباريس وظل بها نحو ست سنين منذ تخرجه حتى منتصف سنة ١٩٣١ . لقد بدأ دراسته العالية فى اول سلم فيهـا وذلك على الرغم من ان ليسانس دار العلوم كانت معادلة لليسانس فرنسا . اننا حين نقارن بين مافعله الدكتور على عبد الواحد وافى وبين مايفعله الان نرى هـؤلاء الذين تحسبهم اساتذة ، وماهم باساتذة ، اقول حين نقارن بين رغبة الدكتور على عبدالواحد فى الاستزادة فى العلم ، وبين ما تجده الان ، نقف اجلالا لمفكرنا على عبد الواحد وافى . لقد حصل على اربع دبلومات عالية فى الاجتماع والاخلاق والاقتصـاد وعلم النفس والتربية والفلسفة فى كلية الاداب بجامعة السربون ، بالاضافة الى ليسانس فى الفلسـفة والاجتماع ، كل هذا قبل تسجيله لدرجة الدكتوراه . ثم حصل فى عام ١٩٣١ على درجة الدكتوراه تحت اشراف العلامة فوكونيه استاذ علم الاجتماع بجامعة السربون وخليفته العلامة دوركايم . وقد قدم للدكتوراه رسالتين طبقا لنظام الحصـول على درجة الدكتوراه . موضـوع الرسالة الاولى : « نظرية اجتمـاعية فى الرق » وموضـوع الرسالة الثانية : « الفرق بين رق الرجل ورق المرأة » لقد كانت الرسالتان موضع تقدير كبير من لجنة الامتحان مما ادى الى حصوله على الدكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الاولى وتقرر تبادل رسالته مع الجامعات الاخرى .

وتم تعيينه بدار العلوم مدرسا للاجتماع والاقتصاد والتربية وعلم النفس بالاضافة الى قيامه بالتدريس فى كلية الاداب بجامعة فؤاد « القاهرة الان » وكليات الازهر وفى العديد فى المعاهد العلمية . ونجده بعـد ذلك وفى عام ١٩٣٦ يعين مدرسا لعلم الاجتماع فى كلية الاداب بجامعة القاهرة . وللذكرى والتاريخ نقول ان مفكرنا على عبد الواحد وافى يعد اول مصرى يتولى تدريس هذه المادة فى الجامعات المصرية . لقد كان علم الاجتماع يعد مادة من مواد قسم الفلسفة على نفس النظام التى كانت تسير عليـه جامعة السربون وقد تولى تدريسـه قبل مفكرنا الدكتور وافى ، بعض العلمـاء الاجانب الذين كانوا متخصصين فى بعض الفروع فى البحوث الاجتماعيه . ويذكر منهم الدكتور على عبد الواحد وافى فى المذكره الخاصـة بالتعريف به . الاستاذ هوسـتيليه البلجيى وكان متخصصـا فى علم الاحصاء ، والاستاذ هوكارت وكان متخصصا فى الانثروبولوجيا . لقد كان هؤلاء الاساتذة يلقون محاضراتهم باللغات الاجنبية .

رائد علم الاجتماع

لقد قام الدكتور على عبد الواحد وافى فور قيامه بتدريس علم الاجتماع ، بوضع مناهجه الشاملة الدقيقة بحيث يضم هذا العلم جميع فروعه ومجالاته . وتم تدريس علم



الاجتماع في جميع مراحل قسم الفلسفة بالاضافة الى بعض الاقسام الاخرى بكلية الاداب . وكان يهتم بالكشف عن الجذور العربية والاسلامية لهذا العلم .

ولم يكتف الدكتور علي عبد الواحد وافي بذلك ، بل تم على يديه انشاء قسم الاجتماع بآداب القاهرة بعد ان قدم مشروعا بانشاء هذا القسم ، وهو المشروع الذي أقرته الجامعة عام ١٩٤٧ وتم تعيين الدكتور وافي رئيسا لهذا القسم الجديد ، وقد سارت الجامعات المصرية الاخرى على غرار مافعله الدكتور وافي وخاصة فيما يتعلق بمناهج هذا القسم وخططه الدراسية . بل سارت على نفس النظام جامعات عديدة في البلدان العربية . وكم كان الدكتور علي عبدالواحد وافي حريصا على انشاء اقسام للاجتماع في كثير من هذه البلدان ومن بينها السودان والجزائر والمغرب والسعودية وكان الدكتور علي عبد الواحد وافي بذلك كله الرائد الاول المعاصر لعلم الاجتماع سواء عن طريق استاذيته في العديد من الجامعات العربية او عن طريق قيامه بالعديد من المجهودات من جانبه لانشاء اقسام الاجتماع بها . لقد سألت الدكتور وافي عن سبب حرصه على انشاء اقسام للاجتماع بمصر وغيرها وذلك بعد ان كانت داخل اقسام الفلسفة فذكر لي ان علم الاجتماع قد تشعبت فروعه ومجالاته ولا يصح أن يكون فرعا من فروع الفلسفة . واذا كنا لانجد العديد من الرواد والنوابغ في مجال علم الاجتماع الان وذلك على العكس مما نجده في مجال الفلسفة ، فان السبب في ذلك يرجع كما ذكر لي الدكتور وافي الى ان قسم الاجتماع في اي كلية من الكليات يعد واحدا من اقسام الفلسفة ، اذ لم ينفصل القسمان في آداب القاهرة على سبيل المثال الا في عام ١٩٤٨ .

وافي الدكتور علي عبد الواحد وافي يرجع الفضل في نشر الفكر الاجتماعي في عشرات الجامعات وذلك على اسس أكاديمية دقيقة . انه الرائد الاول . لقد تخرج على يديه عدة أجيال من كبار العلماء في مصر وخارجها . اليه يرجع الفضل في انشاء العديد من الجمعيات العلمية المتخصصة في بحوث علم الاجتماع ومن بينها الجمعية المصرية لعلم الاجتماع والجمعية الفلسفية المصرية والتي كانت تهتم بنشر العديد من البحوث في مجال علم الاجتماع بالاضافة الى البحوث الفلسفية . وقد تولى رئاسة كل جمعية منها واشرف على اصدار العديد من المؤلفات لفترة طويلة من الزمان .

وبالاضافة الى ذلك تجده عضوا في المجالس القومية المتخصصة ، وعضوا في المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، وعضوا بجماعة التعريف الدولي بالاسلام ، وعضوا بجماعة الكفاح لتحرير الشعوب الاسلامية ، الى آخر تلك المجالس والهيئات العلمية والاكاديمية والتي من الصعب ان نذكرها كلها في حدود النطاق المرسوم للمقالة ، وذلك بالاضافة الى عمادته لاكثر من كلية .

والدكتور علي عبدالواحد وافي خير سفير لمصر في علم الاجتماع . لقد تم اختياره عضوا عاملا بالمجمع الدولي لعلم الاجتماع ، وهو المجمع الذي يضم اكبر علماء الاجتماع في العالم . وقد قدم الى مجلة هذا المجمع ومؤتمراته العديد من البحوث باللغة الفرنسية

واهتمامات استاذنا الدكتور علي عبد الواحد وافي بمجال اللغة العربية ، تعد اهتمامات بغير حدود . وكل مهتم باللغة العربية ، وفقه اللغة العربية لابد وان يعترف بأياديه البيضاء في هذا المجال . ان اتقانه العظيم للغة الفرنسية واللغة الانجليزية لم يؤد به الى اهمال اللغة العربية . ولهذا كان اختياره عضوا بمجمع اللغة العربية ، مجمع الخالدين ، اختيارا صادف اهله

تماما . لقد تم انتخابه خلفا للاستاذ الكبير المرحوم محمد زكى عبد القادر . ومن يرجع الى الكلمة التى القاها الاستاذ الدكتور احمد السعيد سليمان للترحيب به فى المجمع ، والى الكلمة التى القاها الدكتور على عبد الواحد وافى فى حفل استقباله يتبين له اعتزاز الاستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى باللغة العربية اعتزازا كبيرا . لقد ذكر فى كلمته جزءا من تاريخنا الفكرى الذى يدلنا على اهتمامه باللغة العربية . لقد حرر مايقرب من اربعين مصطلحا وراجع مايقرب من اربعمائة مصطلح بمعجم العلوم الاجتماعية الذى اصدره مجمع اللغة العربية ، كما نشر بمجلة المجمع عدة بحوث . وكان قد ظهر له قبل ذلك كتاب « فقه اللغة » وكتاب « علم اللغة » . لقد كشف فى كلمته الرائعة فى حفل استقباله عن الاضرار التى تترتب على عدم العناية بلغتنا الفصحى والتركيز على اللغة العامية . انى اطالب جميع الجهات التى تهتم بامور الثقافة والفكر فى مجتمعاتنا العربية ، بالقيام بنشر الكلمة التى القاها الدكتور على عبد الواحد وافى . انها تتضمن العديد من الردود على هؤلاء الذين يريدون لنا لغة عرجاء مشوهة . لقد بين لنا الدكتور وافى فى كلمته ان اللهجة العامية تعد لهجة فقيرة كل الفقر فى مفرداتها . انها تقضى على نشاطنا الفكرى قضاء مبرما . ان اللغة هى القالب الذى يصب فيه التفكير فكلما ضاق هذا القالب واضطربت اوضاعه ، ضاق نطاق الفكر . هذا بالاضافة الى الفرد القومى والسياسى . ان اللغة الفصحى هى اهم دعامة تعتمد عليها القومية العربية ويشترك فيها ابناء العروبة . فالى القضاء عليها قضاء على اهم عامل يوحد بين شعوب امتنا ويربط اجزاءها .

من اجل هذا كله لم يكن غريبا ان تتسابق دول العالم شرقا وغربا على الاستفادة من



على الجندى

مجهودات الدكتور على عبد الواحد وافى . انه سواء بمصر او حين سفره لايترك القلم من يده كاتبا وقارئا ومتاملا ومفكرا .

وقبل ان اشير الى نماذج من كتبه ومقالاته وبحوثه ، اود ان اذكر ردوده على بعض الاسئلة التى وجهتها اليه . لقد سالته عن اقرب تلاميذه . فذكر لى الدكتور مصطفى الخشاب . لقد استفاد الدكتور مصطفى الخشاب منه وعاصره اربع سنين طالبا ثم بعد ذلك ، تتلمذ على يديه فى الماجستير والدكتوراه . وايضا الدكتور عاطف غيث والذى سعى الى استفادة قسم الاجتماع باداب الاسكندرية من فكر الاستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى عن طريق تعيينه استاذا غير متفرغ بجامعة الاسكندرية . وعن الرسائل التى اشترك فى الاشراف عليها او مناقشتها ، رسائل مصطفى الخشاب ، وشقيقه احمد الخشاب وعبد الرحمن بدوى وغيرهم . اما عن الجوائز الكبرى ، فقد سبق ترشيحه لجائزة الدولة التقديرية منذ اكثر من ربع قرن وفى عام



محمد زكي عبد القادر

١٩٥٩ على وجه التحديد . لقد ذكر لى انه احد ثلاثة وهم اول من رشحوا للجائزة التقديرية وهم احمد لطفى السيد وطه حسين ومفكرنا الدكتور على عبد الواحد وافى . كما رشحته الجمعية الفلسفية ، وفى هذا العام رشحه مجمع اللغة العربية لجائزتين ، احداهما جائزة الدولة التقديرية للعلوم الاجتماعية ، والاخرى جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . أليس من مصائب الزمان الا يحصل الاستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى الا على جائزة المباراة الادبية عام ١٩٣٥ . لمن تعطى الجوائز الكبرى اذن ؟

اما عن افضل علماء الاجتماع والباحثين من المحدثين فقد ذكر لى من بينهم العلامة دوركايم ، والاستاذ دوكونه ، وليفى بريل ، ومن العرب الاستاذ على الوردى وهو عراقى الجنسية ويعمل استاذا لعلم الاجتماع فى جامعة العراق وله كتاب «منطق ابن خلدون» . لقد تأثر باكثر هؤلاء بالاضافة



الى تأثره بمؤلفات الفيلسوف أوجيست كونت .

ونظرا لاننى اعلم أن الاستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى يمثل المثقف كما ينبغى ان يكون المثقف وأن اهتماماته الادبية لا حدود لها ، فقد سألته عن مجموعة من الادباء والشعراء القدامى والمحدثين والذين يعتز بهم ، وقد ذكر لى الجاحظ ، وابا تمام فى الحماسة والوصف ، والمتنبى ، وشوقى وحافظ والعقاد وطه حسين ومصطفى صادق الرافعى .

ان كتابات على عبد الواحد وافى عن ابن خلدون تعد ثمرة لقراءاته المستمرة لكل ماكتب ابن خلدون وماكتب عن ابن خلدون فى العديد من اللغات وقد توصل الى نتائج فى دراساته لابن خلدون تعد جديدة تماما . ويكفى الدكتور على عبد الواحد وافى فخرا ماقام به من تحقيق المقدمة ابن خلدون . ان جميع الطبعات التى سبقت نشرة الدكتور وافى كانت ناقصة . وقد اكتشف الدكتور وافى لاول مرة نقصانها ونشرة واحدة الى الطبعة الاخيرة من تحقيق مقدمة ابن خلدون والتى قام بها الدكتور وافى تبين لنا ان المجهود الذى بذله فى هذا المجال يعجز عنه جيل كامل من الدارسين . لقد قضى مفكرنا فى تحقيق المقدمة اكثر من ست سنوات . لقد اصدر الدكتور وافى مقدمة ابن خلدون فى ثلاثة اجزاء كل جزء يبلغ ٥٠٠ صفحة وزودها بالعديد من التنقيحات والفهارس والتعليقات . ان فهرسا واحدا هو الفهرس الابجدى يرشد الباحث الى كل كلمة يود الوقوف عليها من الكلمات الهامة التى تشتمل عليها المقدمة . وفهرسا آخر هو الفهرست التحليلى يلخص حقائق المقدمة نفسها . والتعليقات وحدها زادت عن ثمانين صفحة . وكل صفحة كتبها تمثل عصير فكره ، تمثل العقل الحاد والذكاء . اننى اعتقد ان جميع المهتمين بعلم الاجتماع



فى مصر وفى كافة جامعاتنا لايستطيعون مجتمعين القيام بما قام به فرد واحد ، هو الدكتور وافى .

فى لقائى معه سألته عن أسباب اهتمامه بابن خلدون بالذات فذكر لى انه بعد الدراسة والموازنة والمقارنة بين ابن خلدون من جهة والعديد من علماء الاجتماع الغربيين من جهة اخرى ، وجدت ان ابن خلدون هو الذى يستحق عن جدارة لقب منشىء علم الاجتماع لا من الناحية التاريخية فحسب ، بل لان منهجه كان اسلم وطريقته كانت اصح وكان اكثر استيعابا لمسائله . لقد وجدت ان العالم العربى ابن خلدون قد وضع علم الاجتماع على اسس متينة ومنهج سليم . ومعنى هذا ان بذور علم الاجتماع لاترجع الى اوجيست كونت كما يذهب الفرنسيون ولا الى فيكو كما يذهب الايطاليون ولا الى هربرت سبنسر كما يذهب الانجليز ، بل ترجع الى المفكر ابن خلدون .

ومازال مفكرنا الدكتور على عبدالواحد وافى يكتب مئات المقالات والدراسات الممتازة عن ابن خلدون وعلى راسها المجلد الممتاز الذى اصدره بعنوان « عبقريات ابن خلدون » والذى صدر بالسعودية . ولا يخفى على المهتمين بابن خلدون وخاصة ان مفكرنا على عبد الواحد وافى قد تعرض فى هذا المجلد لدراسة موضوعات تعد جديدة تماما ولم يبحث فيها اى باحث قبله .

فمفكرنا اكثر من خمسين كتابا واكثر من سبعمائة مقالة ودراسة . وقد كتب – كما قلت – باللغات العربية والفرنسية والانجليزية . ان نهر المعرفة عنده يمثل شلالا متدفقا فياضا . انه يكتب منذ اكثر من ستين عاما ويقرأ امهات الكتب منذ سنوات عمره الاولى . انه يقدم لنا العديد من البحوث المبتكرة ويدرس الموضوعات غير المطروحة . وليرجع القارىء على سبيل المثال الى بعض كتبه ومن بينها كتابه الذى صدر فى العام الماضى عن غرائب النظم والتقاليد والعادات . انه يكشف لنا عن ابعاد وآفاق ومجالات كانت مجهولة لنا تماما ، وكتابه عن نشأة اللغة عند الانسان والطفل والذى الفه منذ اربعين عاما ، ولكن رغم ذلك مازلنا نجد اهمية كبيرة له فى مجال الدراسات اللغوية والنفسية .. انه يعرض فيه لنشأة اللغة ويقول فى سطوره الاولى : للغة نشأتان : نشأة حينما اخذ الانسان يلفظ اصواتا مركبة ذات مقاطع وكلمات متميزة للتعبير عما يجول بخاطره من معان ومايحسه من مدركات ، ونشأة حينما يشرع الطفل يقلد ابويه والمحيطين به فيما يلفظونه من مفردات وعبارات فتنتقل اليه لغتهم عن هذا الطريق .

واكثر الدراسات اللغوية التى تمت بعد ذلك انما كانت مستفيدة من هذه الكتب ولكن اكثرهم لايعلمون . ويكفى ان الكتاب الاول والكتاب الثانى ، يرجع الفضل اليهما فى تأسيس هذا العلم والتنبيه اليه واشاعته فى العالم العربى . كما نجد ثناء عليهما فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، بل لقد تقرر تدريسهما فى جامعة القاهرة بالاضافة الى جامعات عربية اخرى كثيرة .

اما عنايته بالدراسات الاكاديمية فى مجال المجتمع ومشكلاته فقد بلغت حدا لانجده عند اى مهتم بالدراسات الاجتماعية الآن . ونظرة واحدة الى ماتركه لنا من كتب ومن بينها علم الاجتماع ، والاسرة والمجتمع وقصة الملكية فى العالم ، وقصة الزواج والعزوبة فى العالم ، والمسئولية والجزاء ، ومشكلات المجتمع المصرى والعالم العربى وعلاجها فى ضوء العلم والدين ، وحقوق الانسان فى الاسلام ، والمساواة فى الاسلام ، والحرية فى الاسلام ، وبيت الطاعة والطلاق وتعدد الزوجات فى الاسلام ، والمرأة والاسلام ، اقول ان نظرة واحدة الى هذه الكتب العميقة والمفيدة تبين لنا ان الدكتور على عبد الواحد كان من اكثر علمائنا المعاصرين اهتماما بدراسة المشكلات



ابن خلدون

الاجتماعية على اساس علمي اكاديمي ، وقد رجع في دراساته الى مئات المصادر والمراجع التي تعد بالغة الاهمية . ان كل كتاب نجد فيه الجديد باستمرار ومن هنا فلم يكن مفكرنا مقلدا لاحد ، بل مكتشفا لعوالم وآراء جديدة تماما . ولا ادل على ذلك من اهتمامه منذ نصف قرن ببحث مشكلة البطالة في كتاب له بعنوان : البطالة ووسائل علاجها والتعليم الاقليمي واثره في علاج البطالة ، وهو الكتاب الذي نال عنه جائزة المباراة الادبية عام ١٩٣٥ م .

واهتمامه بالبحث في مجال التربية لا يقل عن اهتمامه بالمجالات السابقة والتي اشرنا اليها . لقد ترك لنا العديد من الدراسات من بينها ، في التربية ، وعوامل التربية ، واصول التربية ونظام التعليم ، والوراثة والبيئة ، واللعب والعمل ... الى آخر تلك الكتب والدراسات الرائدة .

نجد مفكرنا مهتما بالبحث في المجتمعات غير العربية . وليرجع القارئ الى كتاب هام من كتبه رغم صغر حجمه ، تحدث فيه عن الهنود الحمر . لقد صحح في هذا الكتاب الكثير من الاخطاء الشائعة عن الهنود الحمر . انه يقول في اول سطور كتابه : يطلق اسم الهنود الحمر او الهنود ذوى البشرة الحمراء على السكان الاصليين لامريكا الشمالية . وهم قوم ليسوا هنودا ولا يمتون بصلة ما الى الهنود ، وليسوا حمرا ولا في بشرتهم شبه ما من هذا اللون .

والواقع انه من الصعب الاحاطة بالمجهودات الفكرية للدكتور على عبدالواحد وافى . فالرجل يكتب منذ اكثر من نصف قرن ، ويقرا ويهتم ويستوعب ويحيط احاطة دقيقة وشاملة بكل مايقراه منذ سبعين عاما . ومفكرنا رغم مناصبه الكبيرة التي تولاها في مصر والعديد من بلدان العالم العربي وكثرة اسفاره العلمية ورحلاته الفكرية . غزير التاليف . لقد آثر بوجه عام حياة الصمت والبعد عن الشهرة والضجيج لا يسعى الى احد وكيف يسعى الى الناس وهو العالم والمفكر والباحث والدارس والرائد . انني من جانبي اذا كنت اختلف في بعض وجهات النظر مع مفكرنا الدكتور على عبد الواحد وافي وخاصة ماتعلق منها بحقيقة مكانة ابن خلدون الا اننا نعترف جميعا بابرز المفكرين المعاصرين في مجال علم الاجتماع . لقد دخل تاريخ فكرنا المعاصر من اوسع الابواب وارحبها واستحق ان يوضع في اسمى واعلى مكانة في تاريخ علم الاجتماع المعاصر سواء بمصر او بقية البلدان العربية .

الجوع والتعليم في روايات نجيب محفوظ

بقلم : د. إسماعيل علي

اصبح من المسلم به على مستوى العالم ان التعليم له دوره الاساسي في اعداد الكوادر البشرية اللازمة للتنمية بحيث يقاس مستوى النمو في المجتمعات ويقارن بينها ، وفقا لمستوى التعليم ودرجة نموه .

كذلك اصبح من المسلم به ان للتعليم دوره في رفع مستوى الوعي الذي يسمح للمواطن أن يتابع الحقائق المتصلة بمجرى الاحداث بعقلية ناقدة تستطيع ان تميز بين الحقيقي وبين الزائف ، وان تربط بين الجزئيات لتبصر الاتجاه العام والمجرى الرئيسي .

ومن هنا فقد اصبح من المحتم بالنسبة لاي مجتمع يسير على طريق الديموقراطية ان يتيح فرص التعليم لابنائه دون ان تعوقهم عن التمتع بها عوائق سياسية او اجتماعية او اقتصادية لتظل القدرات العقلية والاستعدادات الخاصة والجهد المبذول هي وحدها معيار النجاح او الفشل .

ومن هنـا أيضـا حرصت قوى الاستعمار العالمي والاستغلال المحلي على ان تضع من العقبات ما يحول بين الجماهير وبين الحصول على حقها من التعليم حتى يقللوا من فرص (الحراك الاجتماعي) الذى قد يؤدى الى صعود ابناء الطبقات الفقيرة الى مستويات اجتماعية عاليـة ، وحتى يستمر الكم الاكبر من الناس فى سبات يمكن لهذه القوى من الاستمرار فى استعمارها واستغلالها بكل السبل والوسائل .

وقد نجحت هذه القوى فترة طويلة من الزمان فى مصر ، فحالت مصروفات التعليم الباهظة التى كانت مقررة فى الاربعينات بين جماهير عريضة وبين ولوج أبواب التعليم . كذلك فـان المستوى الاقتصادى المتدهور للكثير من العائلات المصرية فى هذه الازمنة اثقل كاهلها بالكثير من الاعباء التى استنفدت قواها بحثا عن لقمة العيش وصرفها بعيدا عن التعليم ومتطلباته

وفى رواية بداية ونهـاية لنجيب محفوظ تلمس شواهد عدة تؤكد على هذه الحقائق اذا كان للبعض ان يقول انها (خيـالات) الا ان الكثير من شواهد التاريخ التعليمى فى مصـر تماثلها وتدعمها، فقد توفى رب الاسرة وله ولدان فى المدرسة الثـانوية ولم يكن لهما قريب يعتمدان عليـه



الجوع والتعليم في روايات نجيب محفوظ

بل لم يترك الاب الامعاشا هزيلا لايكفى باى حال من الاحوال ان تستمر تلك الاسرة متوسطة الحال على نهجهـا السابق ، فالحياة تبدو كالحسنة الوجه » .

وتبدأ الاسرة فى اتخـاذ بعض الاجراءات التى تقلل بها من الانفاق العام ، وكان من هذه الاجراءات ، حرمان الولدين من المصروف المدرسى مع ما يترتب عليه من بذر لمشـاعر الدونية لديهما عندما لا يجدان انهما يمكن ان يمارسا صور النشاط المدرسى المعروفة وغيرها من الوان النشـاط الشبابى على وجه العموم ، فها هى الام تقول لولديها اعلاما لهمـا بالقرارات الاقتصادية الجديدة :

ـ لن يكون فى الامكان اعطاؤكما اى مصروف يومى ، ومن حسن الحظ ان المصروف ينفق عادة فى وجـوه تافهة ـ

والام تعبر بهذا عن وجهة نظـر خاطئة تشيع بالفعـل عند كثير من الاباء والامهات حول هذه الانشـطة التى يعتبر صاحبها طالبا فاشـلا ، بينما لهذه الانشطة دور خطيـر فى (التربية المتكاملة) لشخصية المواطن فالبرامج المدروسة تركز عـادة علـى (حشو) العقول بالحقائق والمعلومات دون عناية تذكر بتنميـة الجوانب الاجتماعية والجسمية والوجدانية .

ويعبر أحد الولدين (حسنين) عن مشاعر الاسى لهذا القرار :

سنكون التلميـذين الوحيدين اللذين تخلو جيوبهما من المصروف ـ

وتؤكد له الام انه مخطىء فى ذلك ، فهما ليسا الوحيدين فى هذا المصاب ، لان العدد الاكبر من العائلات المصرية تعيش ظروفا مماثلة ، كل ما هنـاك أن الكثيرين يدارون :

ـ انك واهم . المصـائب كثيرة ، والتلاميذ المصابون لا حصر لهم ، ولو انك فتشت جيوب التلاميذ جميعـا لوجدت اكثرها فارغـا .

وكانت المدارس تقدم وجبة غذائيـة للتلاميذ كانت لها قيمتها الـكبرى بطبيعة الحال بالنسـبة للفقراء ، اما المتيسرين من التلاميذ او ما شـابه ذلك ، فقد كانوا لا يعتمدون عليهـا اعتمادا رئيسيا حتى لا يظهرون امـام زملائهم بحاجتهم الى ذلك ، بالاضافة الى ما فى الوجبة الغذائية المدرسية من اجبار واقتصار على انواع معينة من الاطعمة لا يستطيع لها تبديـلا بعكس ما يجدون فى منازلهم .

وفى الظروف الجـديدة من المحتم على الاخوين أن يقتنصا فرصة هـذه الوجبة ، فتقول الام :

كذلك احذركما من ترك نصيبكمـا من الغذاء المدرسى كما تفعلان عادة .

وعندما يتساءل حسنين :

ـ لماذا لا نأكل فى بيتنا كعـادتنا ؟

لا تشفع له الام هذا التساؤل ، وان كان قد ساقه برقة ملحوظة ، فتـرد بامتعاض :

ـ من يدرى فلعله لن يتـاح للبيت الطعام الذى تحبه !!

ويصور نجيب محفوظ شعـور الاخوين بعد الوفاة عندما يدخـلان المدرسة فيقول : « شعرا بحرج وهما يدخلان فناء المدرسة لاول مرة بعـد

الوفاة .. ان يستطيعا مواصلة الحياة الاولى وسيتغير كل شيء وهيهات ان تخفى خافية عن اعين التلاميذ .. وكانا يعانيان من هذا شعورا مؤلما وان تباينت درجة ألمهما ».

ويبلغ الشعور بالمرارة حده الاقصى عندما يحدثه احد التلاميذ بضرورة حسن اختيار الوصى عليهما ، وان الامر يتوقف على نوع التركة ، فاذا كانت أراضى زراعية ، تيسرت سبل الخداع ، واذا كانت عقارا ، ضاقت السبل على الوصى بعض الشيء !!

وكذلك يضطر حسين ان يقول لرئيس فريق كرة القدم :

ارجو ان تعفينى من الاشتراك فى نادى شبرا .

وعندما يتعلل بوفاة والديهما ، ويتكر الرجل ان يكون هذا سببا داعيا لترك النادى ، لا يجد حسين جرأة فى ان يكشف عن السبب الحقيقى فيقول :

ـ ان الحداد يقضى بهذا .

يضطر الطالبان الى قبول عرض عليهما باعطاء دروس خصوصية فى اللغة الانجليزية والحساب لابن جارهما فريد افندى (سالم) الطالب بالسنة الثالثة الابتدائية ، وان كانا قد شعرا بأن هذا الجار الكريم لم يفعل ذلك الا رغبة فى مديد المساعدة الى الاسرة دون ان يجرح كبرياءها

ويحصل حسين على (البكالوريا) ومن الطبيعى ان يتطلع الشاب الى استكمال دراسته فى الجامعة ، ولكن: هل تستطيع امكانيات الاسرة المادية ان تواصل الانفاق عليه فى الجامعة مع حسنين فى الثانوى ؟ كان ذلك عسيرا للغاية ، والام تدرك ذلك وتدرك انه قد اصبح من المحتم ان يكتفى ابنها بما حصل عليه من تعليم ليلتحق باحدى الوظائف حتى يمكن ان يعين الاسرة على هذه الحياة الشاقة خاصة وقد بدأ ما فى يديها ينفد ، ولكنها تشعر بمدى صعوبة هذا بالنسبة لطموحات ابنها فتخجل ان تجبره على ذلك ، بيد ان حسنين يجد من انانيته جرأة تدفعه الى ان يوازن بين ان يعمل حسين فورا وبين ان تنتظر الاسرة عاما اخر حتى تنتظره هو :

ـ الحقيقة اننى اود ان ارحم اسرتنا مما تعانيه ، وفضلا عن هذا وذاك ، فاذا كان على احدنا ان يضحى بذاته ـ اذا اعتبرنا التوظف بالبكالوريا تضحية ـ فانت الذى يجب ان تبذل هذه التضحية .. لا لأنى اريد لك ما لا اريد لنفسى ، ولكن لان اسرتنا تستطيع ان تنتفع بتضحيتك الان ، على حين يجب ان تنتظر عاما اخر حتى يمكنها الانتفاع بتضحيتى انا .

ورغم ما يعلمه حسين فى منطق اخيه من خبث وزيف ، الا انه يعلن انه يوافق على عدم اكمال تعليمه حتى يستطيع معاونة الاسرة على استمرار الحياة ، كما ان فى ذلك انسجاما مع احدى القيم الاساسية فى الاسرة المصرية فى ذلك الوقت من حيث القاء المسئولية الاكبر على عاتق الاخ الاكبر باعتبار انه (خليفة) الاب ، والابوة تقوم على التضحية بالنفس فى سبيل الابناء .

تكافؤ الفرص

وهكذا نستطيع أن نقول ان تكافؤ الفرص التعليمية لا يقتصر فقط على

الجوع والتعليم
في روايات
نجيب محفوظ

مجرد تقديم الخدمة التعليمية للجميع داخل المدرسة ، وانما تمتد لتعني ايضا تكافؤ الفرص الاجتماعية والاقتصادية خارج المدرسة ، والا اصبحت هذه الفرص التعليمية فارغة المضمون .

ـ ينبغي أن يضحي احدنا ويرضى بالتوظف الان ، وهذا من واجبي انا .. أنا اخوه الاكبر ، وانا صاحب البكالوريا . انى ادرك الحال على حقيقتها ، واعلم انه من القسوة الشريرة ان افكر في تكملة تعليمي ، فلارض بحظي ، ولندع الله جميعا ان يوفقنا الى ما نريد !!

ويوقفنا نجيب محفوظ على جانب اخر بهذا الصدد ، فالكليات العسكرية كانت تطلب من الطالب مصاريف ضخمة يعجز عن الوفاء بها فقراء الطلاب أن لم يكن اوساطهم ايضا ، فضلا عن اشتراط مستوى اقتصادي واجتماعي مرتفع ، والنتيجة هي حرمان الجمهرة الكبرى من هذا اللون من التعليم وقصره على الطبقات القادرة ، وبهذا تجتمع مع (القوة) ، (القدرة الاقتصادية) وتشتد القبضة ويظل ابناء الفقراء تحت هذه الوطأة يئنون ويصرخون .

فعندما يصل حسنين هو الاخر الى البكالوريا ، ويفكر في الالتحاق بالحربية ، يجد ان مصروفاتها تبلغ سبعة وثلاثين جنيها ، وبمقاييس الفترة التي جرت فيها أحداث هذه الرواية ، فانه مبلغ ضخم ورهيب ، ولما كانت المدرسة تخصص بعض المحال المجانية من قبيل (الاحسان) . فقد فكر الشاب في (واسطة) ، والا فلا يمكن لمثله ان يحصل عليها :

ـ ليس الامل في المجانية معدوما او على الاقل في نصف المصروفات ، ولنا في احمد بك يسري شفيع عظيم القدر في هذه الحال ..

ورغم انه قال ذلك ، فان الام تظل على قلقها وعدم اقتناعها فتتساءل

ـ واذا لم يتيسر اعفاؤك من المصروفات ؟

ويشعر بالحرج ، ولكنه يؤكد انه لو حدث هذا ، فانه يمكن الاعتماد على اخيه حسن الذي فشل في التعليم ويحصل على المال بطرقه الغامضة غير الشرعية :

ـ سأحتاج بادىء الامر الى الدفعة الاولى من المصروفات ، وفي مرجوي ان انالها من اخي حسن لا اظنه يتخلى عن حسنين .. اما الباقي فليس بمتعذر توفيره اذا نزلت لي عن نقود حسنين .. الى ما يمكن ان تجود به نفيسة (اخته حيث كانت تعمل خياطة) .. ولا اظنها تبخل علي ..

وعندما يذهب حسنين الى اخيه حسن ليعينه ببعض المال ، في شارع كلوت بك ، يشعر بالكثير من الالم حيث يجده يعيش من معاشرة النساء العاهرات والبلطجة ، ويجد نفسه مضطرا الى ان يطلب ما لا يعلم من اين يأتي .

دوافع الكراهية

وتحدث ظروف مشابهة الى حد ما في رواية (خان الخليلي) ، فاحمد

عاكف يحصل على البكالوريا عام ١٩٢١ ويضطر الى الانقطاع عن الدراسة نظرا لاحالة والده على المعاش وهو يشارف الاربعين لظروف مصلحية . والتحق احمد بوظيفة صغيرة لينفق على اسرته المحطمة ويربى اخوين صغيرين مات احدهما ، وتوظف الثانى فى بنك مصر . ولعل ما يدعو الى الاسى والحسرة حقا ، ان يكون الانقطاع عن الدراسة ، لا لفشل او تكاسل ، فاحمد كان طالبا مجدا طموحا واسع الامال وكم داعبت الامانى والاحلام خياله ، فاذا درس القانون ، فقد ينتهى الامر به الى ما انتهى به سعد زغلول ، ولكن .. اواه من هذا الواقع المر الاليم : « وطوحت به الاحلام والامانى ، فلما اجبر على الانقطاع عن الدارسة ، اصابت اماله طعنة قاتلة دامية ، ترنح من هولها واجتاحته ثورة عنيفة جنونية حطمت كيانه فامتلات نفسه مرارة وكمدا » .

ولمثل هذه المشاعر بطبيعة الحال آثارها المؤسفة فى التكوين الشخصى وعلى علاقات الشخص الى الدرجة التى قد ترجع اليها هى فى تفسير كثير من التصرفات التى تصدر عنه بعد ذلك ، فسوف يظل معتقدا انه ظلم واضطهد ، وانه طاقة هائلة وامكانيات ممتازة ، ولكن الحظ العاثر هو الذى ضيعها او على اقل تقدير ، لم يعرف بعد كيف يستغلها فقبرها . بل ان هذا ليدفعه الى ان يكرر امام سامعيه انه (لو) اتم دراسته ، لاصبح الان كذا وكذا ..

ــ انى انو الان من الاربعين ، فتصور يا صالح لو ان الحياة سارت كما ينبغى ، فلم يعترض مجراها الحظ العاثر ، اما كنت محاميا قديما يعتز بخدمة فى القضاء تناهز العشرين عاما ؟ وماذا كان ينتظر من رجل فى مثل جدى فى غضون عشرين عاما » ؟

ومن المحتمل جدا بالنسبة لهؤلاء الذين حالت بينهم الظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة وبين استكمال التعليم ان يتحولوا الى طاقة حقد وضغينة تكره الناجحين ، وتبغض المستمرين على طريق التعليم الى اخر مداه .

وهو يتامل هذه الفترة من تاريخ مصر الحديث ، يزداد تحسرا وألما ، فالترقى لم يكن وفقا لمعايير السن والخبرة العملية ، وانما وفقا للجاه الموروث فتجد شبابا يقفزون الى كراسى الوزراء . وكان صاحبنا ــ غالبا ــ ما يتتبع زملاءه ممن تابعوا الدراسة بحكم امكاناتهم الاقتصادية والاجتماعية ، فتمكنوا بالتالى من احتلال مراكز مرموقة :

ــ اتعرفون فلانا الذى يقولون عنه ويعيدون ؟ زاملنى عهد الدراسة فصلا فصلا ، وكان تلميذا خاملا لا يستطيع ان يدركنى يوما ما ! « ويعلق على وضع آخر فيقول :

ــ يالطف الله .. وكيل وزارة ؟! .. ذاك الغلام القذر الذى لم يكن يعى شيئا مما يلقى عليه .. هى الدنيا !!

وهكذا تنم تعليقاته وافكاره عن عواطف قد تلوثت بالتمرد والسخط والكبرياء المجروح حتى لقد اصبح يعيش فى هم وعذاب مقيمين .

بيد انه يحاول ان يعوض ما فات ، فاذا كان قد ترك التعليم النظامى والتحق بعمل ما ، فقد كان بامكانه ان يواصل الدراسة (حرا) بعد الانتهاء من العمل ، وبالفعل اخذ

الجوع والتعليم في روايات نجيب محفوظ

يقتني كتب القانون وينقطع للمذاكرة . واخذ يذاكر لمدة عام كامل ، الا انه يرسب في الامتحان ، فيشعر بانه قد اصيب في الصميم ، ولكنه يعلل هذا للناس بانه قد اصيب بمرض عاقه عن التحصيل والتعليم .

ويؤدي هذا الفشل الى اضافة مشاعر وافكار سوداوية اخرى ، اذ تجعله يصب لعنته على الامتحانات وعلى الشهادات ، وكيف انها علامات كاذبة وآيات زائفة لا يجب ان تركن اليها في تقييم الاشخاص ، لكنه من حسن الحظ يخرج من هذا بنهم كبير لاقتناء الكتب وقراءة عدد لاباس به منها حتى يعوض ما شعر به من نقص في تعليمه .

ويصور لنا نجيب محفوظ الآثار النفسية التي تترتب على هذا الفشل المتوالي في الحب والزواج فيقول : « وصار دابه بعد ذلك ذم النساء ورميهن بكل نقيصة ، فهن حيوانات ماكرة ، ومكرهن شيء قوامه الطمع والكذب والتفاهة .. انهن اجساد بلا روح ، انهن مصدر آلام الانسان وويلات البشرية ، وما اخذهن بظاهر العلم والفن الا خدعة يختفين وراءها ريثما يوقعن في شباكهن الضحايا ، ولولا شهوة خبيثة اللئيت في غرائزنا، ما ظفرن برجاء ولا مودة .. وهن .. وهن .. الخ »

وفي (القاهرة الجديدة) نجد نموذجا آخر .. محجوب عبد الدايم الطالب بليسانس الآداب ، والده كاتب بشركة الالبان اليونانية بالقناطر يعمل فيها منذ خمسة وعشرين عاما بمرتب لا يتعدى ثمانية جنيهات ، يرسل له منها ثلاثة جنيهات عليه ان يسكن منها ويأكل ويشرب ويلبس ويدفع المصروفات ويركب المواصلات ، ويشتري الكتب اللازمة للدراسة . وهو فضلا عن ذلك شاب مثل غيره يشعر في اعماقه برغبات جامحة وطموح جشع فيرمق ملاذ القاهرة من بعيد ويسترق السمع الى اخبارها منهم بنهم وألم !! ثم يجيئه خطاب مفاجيء يخبره بان والده مريض وملازم للفراش ، فتتوارد الخواطر والظنون على ذهنه .. ما العمل اذا انقطع ابوه عن العمل ؟ ان الاب لن يحصل الا على مكافأة اشهر معدودات

ويذهب محجوب الى والده فيجده مريضا بالشلل الجزئي ، ويلقي اليه الطبيب بالمفاجأة المرة وهي ان والده لا يستطيع ان يعود الى عمله بعد ذلك ولذلك الثار ونتائج لابد من الترتيب لها فيسأل الاب ابنه :

ـ اصغ يا بني . ان اعود الى عملي بالشركة . هذه هي الحقيقة ، فماذا ترى ؟ ثم يبتدره الرجل قائلا :

ـ ربما منحتني الشركة مكافأة صغيرة ، ستنفذ بلاشك قبل مضي اشهر قلائل ، بل من المؤكد انه لن يبقى منها شيء بعد ثلاثة او اربعة اشهر على الاكثر .

ثم يلقي اليه بالمهم ، وهو ضرورة ان يترك الدراسة ويلتحق بعمل ما !! فيحاول محجوب بتوسل وعيناه تقطر الما وقنوطا :

ـ الامتحان يا ابي على الابواب نحن في يناير وهو في مايو ، اما اذا

وظلت الان ، فساعد كحامل البكالوريا وفى ذلك ضياع لمستقبلى عظيم !!

وعندما يرد عليه الاب بأنه يعلم ذلك ، ولكن ما الحيلة والحال كما يعلم ، يقول الشاب بتوسل حار :

ـ اربعة اشهر فقط بينى وبين ثمرة كد خمسة عشر عاما · امهلنى قليلا يا ابتى ، ستكفينا المكافأة حتى انهض على قدمى · ولن نجوع ولن نتعرض للفضيحة باذن الله ··

وعندئذ يسأله الاب :

ـ هل تستطيع ان تعيش بجنيه واحد فى الشهر ؟

بالامس كان يعيش فى ضيق وهو يحصل على ثلاثة جنيهات ، فهل سيعيش الان بجنيه واحد ؟ ولكن لا حيلة له فى هذا ، فليكن ··

تجسيد المأساة

صورة مأساوية حقا لمجموعة من الضغوط لا سبيل للانسان فى مقاومتها ، ان يكون او لا يكون·· ان يتضور جوعا ويتعلم ، او يترك التعليم وهو على بعد امتار من الهدف الذى ظل يسعى اليه عبر سنوات طويلة ليحصل على لقمة العيش ·· مجرد الاحتياجات الاساسية ·· صحيح انه اختار الحل الاول ، ولكن ماذا حدث بعد ذلك ؟ اننا عندما نكمل قراءة الرواية ونشهد ما صار اليه حال محجوب نشعر نحوه بالاشمئزاز والقرف لكننا بطبيعة الحال عندما نمعن التأمل فى مثل هذه الظروف ، نتجه بالسخط اليها لا الى هذا الانسان الذى لايعدو ان يكون ضحية ·

وينشط فى الايام الباقية من يناير للبحث عن حجرة وضيعة،فيجد واحدة على سطح احدى العمارات باربعين قرشا فى الشهر ، فلا يجد بيده الا ستين قرشا للشهر كله ، اى ان عليه ان يعيش بقرشين فى اليوم ·· للغذاء والغاز والحلاقة والغسل ·· اما فنجان القهوة ، فهو يصبح من الكماليات المحرمة :

ثم نقف على صورة اخرى لما يعانيه فقراء الطلاب من مشقة الحصول على الكتب الدراسية ،

صحيح ان العام الدراسى قد مر على اية حال وحصل على الليسانس ، ولكن ماذا ننتظر من مثل هذه الشخصية التى طحنها الجوع وأمات احاسيسها البؤس والشقاء واعتصرتها الحاجه والفاقة ؟ قليلون الذين يمرون بمثل هذه الظروف وهم اشد صلابة واقوى عزيمة على الجلد والكفاح ، واكثر شعورا بالام الفقراء ومشكلات الناس فيزدادون التصاقا بالجماهير وحماسة للعمل من اجلهم ، ولكن الكثيرين يخرجون من هذه الظروف ـ اذا قدر لهم ان يمروا بها بسلام ـ وهم اقرب الى الحقد على المجتمع وكافرا بالمبادىء والقيم ورغبة عارمة فى اشباع الملذات الذاتية التى طال حرمانها ، ونهما قاتلا الى الانتقام من المجتمع ·· فى التلميذ ، فى الفصل ، اذا كان معلما ·· فى الجمهور اذا كان موظفا حكوميا ، ويصبح الغش والخداع والتدليس والرشوة اساليب طبيعية لضرورة التعامل مع الناس فى مثل هذا المجتمع ، والحصيلة النهائية ·· داء وبيل يمتص دماء الشعب ويزيد المجتمع فسادا بطريقة اكثر خطورة مما لو كان جاهلا :

« فما الذى تعنيه الكرامة ؟ الكبرياء ؟ تبا له ·· الم يكفر بكل شىء؟ الم يستهزىء بالقيم ؟ فما باله يأبه للكرامة والكبرياء ؟ » !!



من ذخائر الفكر المعاصر

شيخ المجمعيين فى حديث الذكريات

بقلم : د. محمد عبد المنعم خفاجى



سفر جديد صدر للدكتور ابراهيم مدكور ، رئيس مجمع اللغة العربية فى القاهرة ،يقع فى نحو مائتى صفحة .

وفى فاتحته يقول الدكتور مدكور : عشت فى زمرة الخالدين ما يزيد على ثلث قرن ودنوت معهم من عيد المجمع الذهبى ، ونعمت بصحبة عدد غير قليل من الرعيل الاول ، جماعة المؤسسين ، أمثال على الجارم (١٩٤٩) ،وفارس نمر (١٩٥١) ، واحمد العوامرى (١٩٥٤) ، ومحمد الخضر حسين (١٩٥٨) ، ومنصور فهمى (١٩٥٩) ، وابراهيم حمروش (١٩٦٠) من المصريين ، ومحمد كرد على (١٩٥٣) ، وعبد القادر المغربى (١٩٥٦) وحسن حسنى عبد الوهاب (١٩٦٩) ، من الاعضاء العرب ، وليتمان (١٩٥٨) ، وجب (١٩٦١).

وما سينيون (١٩٦١) من المستعربين ، وزاملت عن قرب شيوخ الرعيل الثاني ، وفي مقدمتهم :

- مصطفى عبد الرازق (١٩٤٧)
- احمد امين (١٩٥٤)
- احمد لطفي السيد(١٩٦٣)
- عباس العقاد (١٩٦٤)
- طه حسين (١٩٧٣)

وكنت واحدا من عشرة اختيروا عام ١٩٤٦ لعضوية المجمع في الفوج الثالث ، وقد لقوا ربهم ، وكان اخرهم رحيلا زكي المهندس (١٩٧٦)

وفي عام ١٩٦٠ ضم الى المجمع فوجان ، احدهما مصري والاخر عربي ، هذا الى جانب الانتخابات السنوية لملء الاماكن الشاغرة ، وقد بلغ من حظوا بعضوية المجمع حتى الان مائة وثلاثين عضوا ،وهم ولاشك من صفوة الصفوة ..

وكل ما قصدت اليه ان اسجل شيئا من آيات الوفاء نحو زملاء قطعت معهم رحلة طويلة

سيرة الاعلام

الكتاب - كما يقول شيخ المجمعيين ، وشيخ الفلاسفة المعاصرين - تخليد اذن لسيرة بعض اعلام المجمع من الراحلين، ومن الاحياء ، امد الله في عمرهم ، ذكرى وفاء وتقدير لسيرتهم وعبقريتهم وفكرهم .

وفي الباب الاول من الكتاب يتحدث مؤلفه عن المجامع اللغوية : تاريخ نشأتها ، وتاريخ المجامع الموجودة حتى اليوم في البلاد العربية وفي اوربا ايضا .

وفي الباب الثاني يتحدث عن اعضاء مجمعيين ، استقبلهم الدكتور المؤلف في المجمع ببحوث ضافية عن حياتهم وفكرهم ومن بين هؤلاء :

- محمد كامل حسين (١٩٥٢)
- محمد الفاسي (١٩٥٩)
- عبد الرزاق محيي الدين (١٩٦٨)
- محمد الحبيب بن الخوجة « ١٩٧٢ » ، وسواهم من رواد الفكر واللغة والادب في مصر والعالم العربي .

والباب الثالث : سير خالدة لاعلام المجمع الراحلين ومن بينهم :

- منصور فهمي (مايو ١٩٥٥)
- المستشرق الفرنسي ماسينيون (ديسمبر ١٩٦٢)
- احمد لطفي السيد (ابريل ١٩٦٢)
- محمد البشير الابراهيمي الجزائري (اكتوبر ١٩٦٥)
- عباس العقاد (١٩٦٤)
- محمد رضا الشبيبي (١٩٦٦)
- امين الخولي (١٩٦٦)
- علي عبد الرازق(١٩٦٦)
- حسن حسني عبد الوهاب (١٩٦٩)
- مصطفى جواد (١٩٧٠)
- محمد الفاضل ابن عاشور (١٩٧١)

وهذه السير علي جانب كبير



من الدقة والعمق والتحليل والاستيعاب ورسم الشخصية، والحديث الواضح عن جوانب شخصية المتحدث عنه، وفكره وعلمه وأدبه ·· وأسلوبها يتسم بما يتسم به أسلوب البيان الرفيع، من الرسم والتصوير والتشخيص ·

والدكتور مدكور في هذا الكتاب، يكتب وكأنه يصور أو يرسم ·

● طه حسين المجمعى ●

عن طه حسين وكفاحه يقص مسيرة حياته الاولى قبل السفر الى باريس، وأثر الجامعة المصرية القديمة فيه، كما يقص نبأ سفرته الى باريس وحياته بعد العودة، وأعماله الادبية والفكرية التى نهض بأعبائها، ويقول: «فى عام ١٩٤٠ دخل طه حسين مجمع اللغة العربية فى زمرة كريمة من قادة الفكر والرأى، من بينهم: لطفى السيد، عبد العزيز فهمى، الشيخ المراغى، هيكل، مصطفى عبد الرازق دخله وقد جاوز الخمسين: ويعدد أعماله فى المجمع، ثم، يقول: وتحمس طه حسين لتيسير النحو تحمسا شديدا، ورحب بالمشروع الذى بعثت به وزارة المعارف الى المجمع ·

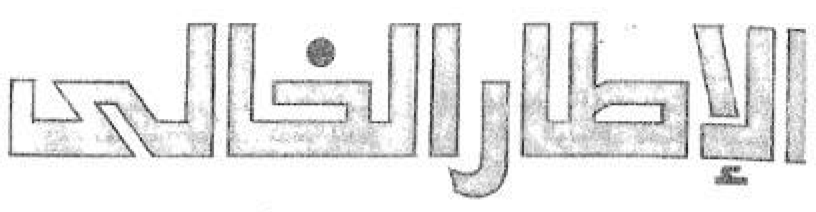
وعن طه حسين المجمعى يذكر الدكتور المؤلف ألوانا من عبقرية طه حسين المجمعى، وعبقرية نشاطه فى أروقته ·

ويتحدث عن العقاد فى مجمع اللغة العربية أو فى مجمع الخالدين، وعن العقاد المؤمن·

ودراسات طويلة مضيئة حقا اضاءة شديدة فى تاريخ الفكر المصرى والعربى الحديث، وتأريخ للجانب الفكرى واللغوى فى حياة هؤلاء الاعلام المجمعيين، الذين أبلوا بلاء حسنا فى سبيل خدمة اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، وخدمة المجمع والفكرة الاساسية فى انشائه ·

واذا كانت مهمة المجامع اللغوية تدور حول تيسير اللغة متنا وقواعد وكتابة ورسم حروف، وتهذيب المعجم اللغوى وصياغته صياغة جديدة فى ضوء المنهج العلمى الحديث للتأليف المعجمى، وامداد اللغة بما تحتاجه من مصطلحات وألفاظ ووضع معجمات متخصصة فى شتى العلوم والفنون، وتشجيع الانتاج الادبى، واحياء التراث اللغوى والادبى: فان للمجمعيين الذين تحدث عنهم الدكتور الاستاذ ابراهيم مدكور فى هذا السفر القيم أثرا محمودا وكبيرا فى هذه المجالات التى تنهض بها المجمع تعزيزا لمكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، ولسيادتها وخلودها وعبقريتها الدائمة ·





بقلم : نجيبة العسال

● بريشة : رفعت عفيفى ●



الإطار الخالي

مضت خمس سنوات منذ سافر صديقى احمد للعمل فى احدى البلاد العربية فى خلال الشهور الاولى من سفره كان يراسلنى كل اسبوع وكنت ابادله رسائله بعد ذلك بدأت رسائلنا تتضاءل تدريجيا الى ان اقتصرت على كارت المعايده فى كل عام وفجاه منذ شهرين تقريبا وصلتنى منه برقية تقول ساحضر بعد غد فى الثانية صباحا

ولم استطع ان امنع نفسى من الذهاب لانتظاره فى المطار .. مرت ساعات الانتظار وانا استعيد فى ذهنى صداقتى الطويله لاحمد . كان احمد فعلا هو صديق ايام الصبا المبكر نشأنا فى حى واحد جمعتنا الكرة الشراب ونحن صغار وجمعتنا مدرسة ثانوية واحده ثم جمعتنا ساحه الجامعة وبعدها سهرات الشباب ولكن فرق بيننا نظرة كل منا الى المستقبل .. اثرت انا ان ابقى فى بلدى بجانب امى .. وابى اللذين ليس لهما ولد غيرى وشيئا اخر داخل قلبى كنت احسه دائما يملأ روحى ونفسى انه احساس بالعشق لهواء بلدى وغرام شديد لعبير انفاس ارضنا واهلنا اما احمد فكان يحلم بالخروج الى ارض غير ارضنا وهواء غير هوائنا واناس اخرين غيرنا .. كان يحس انه مخنوق فى تلك الوظيفه التى عين فيها مثلى مأمور ضرائب بعد تخرجنا فى كلية التجارة ولم يهدأ له بال حتى كان يغادرنا الى مقره الجديد ومن خطاباته علمت انه قد افتتح هناك مكتبا للمحاسبة يامل فى سنوات قليله ان يفتتح له افرع وافرع

وكثيرا ما حاول احمد بعد سفره ان يغرينى بكل الوسائل لاسافر اليه ولكنى لم افكر ابدا فى ذلك خاصة بعد ان التقيت بالانسانه التى شعرت معها باننى وجدت فعلا نصفى الثانى الذى يعز الحصول عليه فى اوقات كثيره وربما تمر الحياة دون العثور عليه . مرت الاعوام بعد ذلك وانا اشعر باننى انسان محظوظ اجد الحب دائما فاتحا ذراعيه مستعدا لاستقبالى فى كل لحظه .. حب امى وابى حب زوجتى الحبيبه واخيرا حب طفلتين جميلتين . تملأ اصواتهما الفضاء من حولى وتهبنى فى كل لحظه شعورا متجددا بحب الحياه وما احاطتنى به من عقود متلألأة مضيئة .. كنت سعيدا قانعا بحياتى الزوجيه والعمليه وان صادفتنى بعض الازمات والعقبات فى حياتى العملية والمادية كنت اتحملها بصدر رحب الى ان تمر وانا واثق ان الحياة هكذا ويجب علينا ان نتقبلها بحلوها ومرها .. و ... وجاء احمد بعد كل هذه السنوات الخمس .. كانت فرحتنا باللقاء لا توصف وفى لحظات قليله عرف كل منا شيئا عن حياة الاخر انه لم يتزوج وان كان قد اصبح فى مركز مالى ميسور جدا وانه لم يعط لنفسه تلك الاجازه الا بعد ان اطمأن على مستقبله تماما .. و .. بدأنا نلتقى كل ليله واحيانا كل صباح ايضا علاقات الصحبة من جديد كأننا نعلم تماما انها مؤقته فاندفعنا ليل نهار نعيد الايام الماضية .. واحسست بصدق نظرية احمد فى البحث عن الخروج الى كل ما هو جديد ..



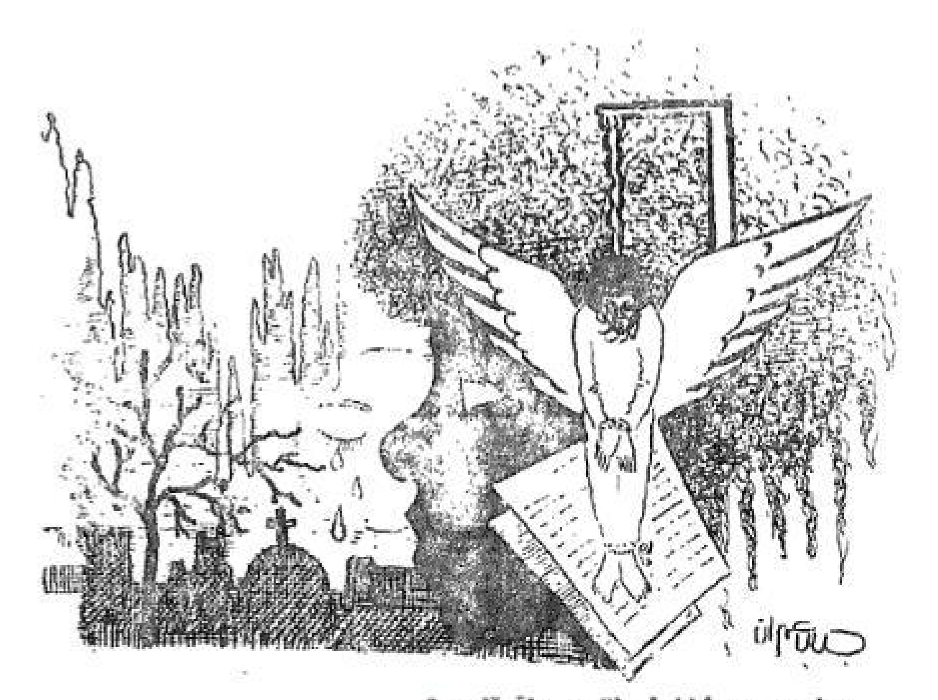
وان التقوقع داخل الوظيفة وداخل البيت قطعا يؤدى بالانسان الى الجمود بل الى ما يشبه الموت · و · ضربت بالحب الاوحد والانتمـاء والانفاس المفرده الحنـون عرض الحائط·· ان الحياة الميسوره الرغده والسهرات المرحه وايضا الصاخبـه نهى اجمل ما فى الوجود ولا يهـم اطلاقا ان اعيش بجـانب امى وابى وحتى زوجتى··من الممكن بل من الافضل ان اتركهم جميعا لاعود اليهم بعـد ذلك مرة كل عام لاعيش حياه مرحـه منطلقه غير محدوده كما يحيـا ·· احمد ·· اتفقت مـع احمد على ذلك وبدات فعلا فى اتخاذ بعض الاجراءات للسفر معه ان امكن او بعد سـفره بقليل ·· ولم افكر فى شيء غير هذا · حتى اننى كنت اغمض الطرف تماما عن لقاء ابنتى الملهوف لى كلما عـدت الى البيت وايضا نظـرات زوجتى المتسائله ·· ولكن ·· حدث يوما ان ذهبت مع احمد لزيارة معرض لارسم كان يود ان يشترى بعض اللوحـات النادره لياخذها معه كهـدايا لبعض عملاء هناك ·· وكان بين اللوحـات لوحه كبيرة تمثل اربع مراحل القصـة بين اثنين ·· كانت المرحـلة الاولى اثنين ·· زوج وزوجه فى شهر العسل يقرءان كتابا واحدا وعنوان الكتـاب السعاده الزوجيه وفى المرحلة الثانية الزوج والزوجه سعيدان داخـل بيت هادىء جميل ثم المرحله الثالثـه ·· وبجانبهما اطفـال يمرحـون ·· ثم المرحـله الرابعة البيت خـاو من الداخل ·· الاطفال نيام والزوجـه تجلس فى ركن وحيـده فى البيت الخالى حزينة وعلامة استفهام كبيرة تملا الفضاء من حولهـا ·· والزوج غير موجود ولا ادرى كيف تسـمرت قدماى امام تلك اللوحه وشعرت بحزن دفين لغياب الزوج عن الصورة·· كل مادريه اننى تركت احمـد فى ذلك اليوم ولم القه فى المساء كما تعودنا ·· كان الاطار الخالى يملا الكون من حولى يرتجف على الجـدران يتمدد وينكمش تتمزق اضلاعه اجمع اشلاءه باصابعى تتمزق مره اخرى تتنـاثر بعرض الكون ·· اجرى وراءها تتسال من بين اصابعى تبدو الزوجه الوحيده الحزينه مكوره فى ركن من الكـون المترامى كنقطه فى المحيط محيـط هادر لا يستكين ·· لم يتركنى هـذا الاطار ·· المعذب الا لحظـة وداع احمد على ارض المطار ··احاط الاطار الخالى بالطائرة وطار معها وامتلا داخلى بطائر يرفرف مغردا هامسـا ليس كل الطيور المهاجرة مفرده ·و· هناك طيـور خلقت لتعيش فـوق اعشاشها لتدفىء افراخها حتى وامتلا الفضاء ··



مرثية شعر: عبد الرحمن شاكر

الممدوح «مولويزو» الشاعر الافريقي الشاب ، الذي
أعدمته السلطات العنصرية في جنوب افريقيا .

هل تسمع أنات الكلمات ..
من خلف الابواب الموصدة الحمقاء
وشفاه سمراء تصعدها
مع آخر أنفاس العمر الذابل في ريعانه
والفجر الاحمر آت .. !
يتدلى الشاعر في مشنقة بيضاء
الارض تمور بما حملت
القبر يضم رفات الشاعر قبل أوانه
كأن لم تدفن من قبل رفات
كأن الموت غريب في أحشائه
يحتج القبر على من مات !
لم يمت الشاعر .. بل قد مات الجلاد
جثته فوق الارض تفوح فسادا وعفونة
تشنق انسانا حقا .. كل الانسان
الشاعر كان رسولا أسود للحرية
لم يذهب لبلاد البيض لكي يسلبهم أو يشنقهم
بل أقسم حتى الموت بأن تتحرر افريقية



مولويز .. أخا في اللون وفي الحرية
وشهيدا يحمل في جنبيه قضية
لم يصرخ ، لم يتبلد حتى يأتي الجلاد
والأم الثكلى لم تسمع غير الكلمات الشاعرة السمراء :
« غدا يراق دمي
من أجل بقاء شعبي *
ما أروع ما غنيت وأنت تودع من أحببته
كأن الموت رحيق تجرعه مبتسما ...
شهما .. كالأبطال وكالأسطورة ..
بل أنت كذلك
هل كانت مثلك كل الأبطال .. رجال قضية ؟!
الفجر الأحمر آت .. لكن ليس كما يهوى الجلاد
فدماء الشاعر تشعل في الأوطان لهيبا ..
تحمله ريح الكلمات ...

(*) من آخر قصيدة كتبها مولويز ليلة اعدامه





أدبيـة

بقلم : يـوسف القعـيد

ثلاثية سوفيتية معاصرة

١٥ يوما فى الاتحاد السوفيتى

موسكو .. موعدنا

●● رايت الروائى الجزائرى الطاهر وطار للمرة الاولى فى حياتى ، فى صباح يومى الثانى فى الاتحاد السوفيتى . كنت اتجول فى احد ردهات فندق « اوكرانيا » صباحا ، وعندما وجدت نفسى امامه وجها لوجه ، تعارفنا فورا ، دون ان يقوم طرف ثالث بذلك ، على الطريقة التقليدية .

ناديته باسمه ونادانى باسمى وتعانقنا ، قلت له وقال لى ، لولا اننا جئنا الى هذه البلاد ما تقابلنا .

كان اللقاء الشخصى الاول ، وان كان قد سبقه لقاء آخر ، خلال ذلك العالم المسكون بالكلمات والاحداث والاشخاص المسمى رواياتنا . لم نبدأ التعارف عندما نصانع وجهانا من الفراغ ولا من نقطة الصفر ، وانما كان علينا أن نحاول نفض الغبار من الصداقة الاخرى . صداقة صنعتها تلك القراءات على البعاد . وبعد أن نفضنا كل ذرات الغبار استأنفنا صداقة سيبقى مذاقها فى النفس حتى آخر لحظات العمر .

فى صباحنا الثانى فى موسكو جاء صديقنا سميح القاسم . الصوت الشعرى الغاضب جاء من داخل سجن نسميه من باب الخداع اللغوى فلسطين المحتلة .

كنت اقف مع الطاهر وطار فى احد ردهات الفندق عندما جاء سميح . كان يخرج من متعة الصباح ، وكانت ملامح وجهه تبدو شيئا فشيئا .

حسم الموقف وبصوت جهورى ونبرات انسانية قال وهو يقترب منا :

– لابد ان احدكما هو الطاهر وطار وان الاخر هو يوسف القعيد ..

وهكذا نشأة صداقة غربتنا وغربتنا وزماننا العربى العجيب أن نلتقى للمرة الاولى فى هذه البلاد البعيدة بحسابات الجغرافيا المرسومة فى حبات القلوب بروح الوجدان والحب .

ارتمينا فى احضان بعضنا البعض ورغم أن درجة الحرارة فى ذلك الصباح الروسى كانت صفرا الا ان حرارة اللقاء

جعلت حبات العرق تندفع الى جبهة كل منا ..

كانت المرة الاولى التى نلتقى فيها نحن الثلاثة ، ومع سميح القاسم بالذات كان هذا اللقاء مستحيلاً ما لم يتم فى ارض بعيدة .

فى صباحنا الثالث جاء سعدى يوسف، وصل الى الفندق فى الخامسة صباحا . وضع حقائبه . واتصل بنـــا عبر « التليفونات » ايقظنا ، وحملت سماعة « التليفون » رجل يتذوق احرف كلمات اللغة العربية فى فمه قبل ان ينطق بهما فرح بالحيـــاة ، بداخله تلك الطاقة الانسانية البديعة التى تقول مع الخيام ان النوم لم يطل عمرا . وان السهر لم يقصر الاعمار ابدا .

وســعدى يوسف ليست المرة الاولى التى اقابله فيها . قابلته من قبل فى العراق . منذ ثمانى سنوات او ربما عشر سنوات . والصور التى احتفظ بها لذلك اللقاء البعيد يجلس فيها سعدى يوسف وبجـــواره حسب الشيخ جعفر ، وعلى الرغم من ان السنوات العشر « اركة » كعب قصيرة ، الا ان كل الامور تباعدت بينهما ، شرق من شرق وغرب من غرب وبقى من بقى . تحولات وتغيرات وتبدلات كثيرة . كما ان مياها بنفس الكثرة قد جرت فى مياه دجلة والفـــرات منذ هذا اللقاء البعيد .

الطاهر وطار قرأنا له رواياته كلها ، ابتداء من مجموعته القصصية الهادئة : الشهداء يعودون هذا الاسبوع ، وانتهاء بآخر اعماله . التى تدور كلهـــا حول روايته « اللاز » وان كانت هذه القراءة البعيدة لا يمكن ان تنقل الى اى انسان صورة حقيقية من دوره الرائد فى تعريب الكتابة فى الجزائر . الطاهر وطار كتب كافة رواياته باللغـــة العربية مباشرة . ونحن نعرف ان هناك ادبا جزائريا مكتوبا بالفرنســية . بل نعرف ان هناك حالة من الردة الى الكتابة بالفرنســية من جديد . بل لقد قرأت مؤخرا تصريحات للروائى الجزائرى الكبير كاتب يس يهاجم فيهــا فكرة الكتابة بالعربية اصلا .

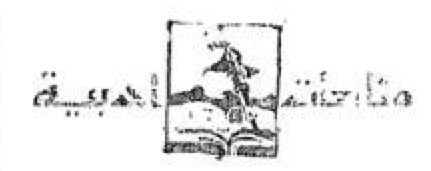
الطاهر وطار ليس مجرد كاتب روائى بالعربية فى الجزائر . انه التراث العربى يمشى على قدميه ومســألة العروبة هى مسام جلده ومنابت شعره ودقات قلبه ونور عينيه وليس فى ذلك اى استخدام بلاغى للغة العربية ، فربما كانت تجربة الطاهر وطار ابعد من هذا واعمق كثيرا

وروايات الطــاهر وطار ترجمت الى الروسية ولاقت هناك نجاحا كبيرا وبدون حدود . وايضا ترجمت الى الفرنسية ونشرت فى فرنسا . وقد انتهى الطاهر وطار من رواية جديدة لم تنشر عنوانها : « تجربة فى العشق » وان كان لا يحب نشرها الان . لان نشرها قد يساء تفسيره سياسيا من البعض .

اما سميح القاسم ، فلم يحدث من قبل ان لاقيت انسانا تحول الى حلم مثلما قابلت سميح القاسم .. عندما قلت له فى اللقاء الاول ، انه كان لابد وان نلتقى هنا . لانه من المستحيل على الذهاب الى فلسطين المحتلة . ومن المســــتحيل عليــــه الحضـــور الى مصر . فى ظل هذه الظروف . الا انه فاجأنى بقوله انه يريد مناقشة هذا الموضوع معى بشكل دقيق وبدون حساسيات .

وسميح القاسم انســان مسكون بتلك الرغبة فى ان يقول شـــعره فى مواجهة جمهور عربى ، لهـــو ممنوع من دخول الضفة الغربية وقطاع غزة . كل حركته المسموح له بها لا تتعدى حرب ١٩٤٨ . وطبعا ممنوع تماما من دخول اى دولة عربية . وسبب كل هذه الموانع انه رفض مغادرة فلسطين المحتلة من البداية ويحيا فى سجن كبير . فلابد وان يلتزم بيته من السادسة مســـاء حتى السادسة صباحا . ومن يريد الذهاب اليه عليــه بالحصول على تصريح وان حصل على هذا التصريح لكم من المضايقات تحدث له .

فى ظل هذه الظـــروف . فكم يتمنى سميح القاسم الحضور الى مصر والقاء شعره فيها ، لم يحمل الى رغبته بمفرده ولكن ايضا رغبة « اميل حبيبى الروائى الفلسطينى الذى رفض مغـــادرة الارض المحتلة . قلت ان المسألة ليست رغبــة تأتى احيانا وتغيب فى بعض الاحيــــان الاخرى . ولكنها رغبة أصــيلة ودقيقة



وحقيقية ونابعة من القلب وقد تناقشنا تناقشنا فيها طويلا .

وقد استمعت الى شعر سعدى يوسف مرة واحدة . وقف على مسرح الشباب فى مدينة لينينجراد وحلق بعيدا وهو يلقى اربعة ابيات من قصيدة له عنوانها : « نجمة اسبارتاكوس » والقى القصيدة كلها بالروسية المستعرب : ايجسور يرماكوف بالقاء بليغ .

بالنسبة لسميح القاسم ، زار الاتحاد السوفييتى من قبل ، ودرس هناك فهو يعرف الروسية جيدا ، سعدى يوسف زار الاتحاد السوفييتى من قبل فى زمن بعيد . الطاهر وطار كانت زيارته الثالثة اما انا فقد كانت زيارتى الاولى لهذه البلاد .

كان معنا ايجسور يرماكوف المستعرب المعروف ومستشار اتحاد الكتاب لشئون الادباء العرب والمترجم لاكثر من نص ادبى عربى الى الروسية ، وعندما دخلت مكتبه وجدت صورة كبيرة لمعين بسيسو فنظر اليها وقال لى :

— انها لحبيبنا وصديقنا الشاعر الفلسطينى الكبير ..

كانت معنا الدكتورة اولجا دوميكينا ، استاذة الادب العربى فى جامعة موسكو وفى معهد الاستشراق . وصاحبة اول رسالة دكتوراه فى الاتحاد السوفييتى عن الادب الجزائرى الحديث فى القرن العشرين ، وقد زارت من الدول العربية الجزائر ، وتونس ، وسوريا .

وكانت معنا اولجا فلاسوفا المترجمة التى تعلمت العربية والفرنسية بجهد خلاق نادر . لم تذهب الى معهد ولا الى مدرسة ابدا . وهكذا تعلمت لغتين . عربية تترجم من خلالها . والفرنسية لانها اختارت ان تترجم الادب الجزائرى الى الروسية . وحتى تكون الترجمة جيدة ودقيقة فقد تعلمت الروسية . وخلال وجودى فى الاتحاد السوفييتى كان فى يدها مخطوط رواية عبد الحميد بن هدوقة الروائى الجزائرى بالروسية . الرواية هى : الجازية والدراويش . وستنشر هذه الرواية قريبا هناك .

اما رابعنا فهو اوليج ، شاب من ابناء لينينجراد حبه لمصر له قصة : لقد كان مترجما للخبراء الروس الذين دربوا الجيش المصرى على صواريخ « سام ٦ » قبل اكتوبر العظيم ، وعلى الرغم من انه لم يحضر الى مصر من قبل . الا ان معرفته بها من خلال القاتلين الذين تعامل معهم معرفة دقيقة . فهو يحفظ اغانى الصعيد : والنكت التى تقال على الصعايدة . ومدينة المنصورة وطنطا وحكايات عنهما ..

كانت موسكو موعدنا : واى موعد كانت !!

الحرب ضد الحرب

●● مائة وسبعون كاتبا واديبا حضروا المؤتمر الكبير الذى سافرت الى الاتحاد السوفييتى الى احضره . فهم مائة وخمسون من الاتحاد السوفييتى . وستة عشر كاتبا من كافة انحاء العالم واربعة كتاب من الوطن العربى .

والمؤتمر اقيم بمناسبة مرور اربعين عاما على هزيمة النازية فى مدينة لينينجراد ، خلال الحرب العالمية الثانية . ونحن جميعا نعرف ان مدينة لينينجراد تعرضت لحصار من القوات النازية تعدى الالف يوما . وانها صمدت فى وجه هذا الحصار بقوة اصبح يضرب بها المثل .

ومشكلة لينينجراد ان التاريخ يتجول بين المدن ولا يعرف الوفاء لعشيقاته وخليلاته ابدا . كانت من قبل هى نفسها مدينة سان بطرسبرج ، وكانت عاصمة روسيا القديمة ، وكانت وكانت . ولكن التاريخ جافاها . تركها ورحل عنها واصبحت موسكو هى العاصمة . ولكن



سميح القاسم

يبقى لمدينة لينين ذلك العطر النفاذ والنادر . فان كانت موسكو تدخل الى الانسان من طريق العقل . فان لينينجراد تتعامل معه عبر دروب القلب والقلب الانسانى له أسبابه الخاصة التى من الصعب تفسيرها ..

عندما وصلت الى لينينجراد كنت أتذكر حكاية الطفلة التى عاصرت الحصار . كان أهلها يذهبون واحدا بعد الآخر . وهى تدون مذكراتها . تبدأ كل التصفحات بكلمات : اليوم ذهب أبى ٧٠ ولم يعد هكذا حتى بقيت الطفلة بمفردها فى النهاية . وفى متحف الحصار . وجدت اوراق الطفلة بخط يدها . كما هى محفوظة فى مكان امين .

ومتحف الحصار متحفان ، متحف لايام الحصار نفسها بكل ما فيها من قسوة وعنف ، ومتحف لما بعد الحصار . وقبل المؤتمر زرت مقبرة الجندى فى لينينجراد . وزرت مقبرة جماعية أخرى دفن فيها عشرون مليونا من البشر هم شهداء الاتحاد السوفييتى فى الحرب العالمية الثانية . ولكن لم أجد بيتا واحدا مهدما منذ أيام الحرب — حتى كأن — لان يد التعمير امتدت الى كل مكان فى المدينة وعادت المدينة كما كانت — قبل الحرب فعلا .

استمر المؤتمر خمسة أيام ، كان الافتتاح فى قصر سمولن فى مدينة لينينجراد وهو نفس المكان الذى انطلقت منه ثورة أكتوبر كلها . وكان هذا القصر مقرا لاحدى الاميرات . ثم تحول الى مدرسة لبنات الاسر الاقطاعية . وأخيرا انطلق منه لينين بثورته . وفى قصر سمولن متحف خاص للينين ٠٠ ى الان . كلمة الافتتاح القاها أمين الحزب الشيوعى السوفييتى فى لينينجراد . ولكن جلسات المؤتمر كلها عقدت بعد ذلك فى فندق لينينجراد . وبعد جلسة ألقيت فيها الكلمات . وقد ألقى الطاهر وطار الروائى الجزائرى كلمة الافتتاح باسمنا جميعا .

ثم تحول المؤتمر بعد ذلك الى أربع لجان ، اجتمعت على شكل مائدة مستديرة . اللجنة الاولى كانت عن دور الادب السياسى فى منع الحرب . واللجنة الثانية كانت عن الشاعر ودوره فى مقاومة الحرب . والثالثة كانت عن دور أدب الطفل فى محاصرة مستقبل الحروب . واللجنة الرابعة عن دور الاديب فى مقاومة الحرب والدعوة الى السلام .

وقد حضرت اللجنة الاولى والقيت فيها كلمة بداتها بسؤالين : الاول : هل يريد العرب حربا . والثانى : هل تريد اسرائيل سلاما ؟ وتحدث فى لجنة الشعراء والحرب سعدى يوسف . وقدم أساس ورقة علمية فى لجنة أدب الطفل سميح القاسم . أما الطاهر وطار فقد حضر وتحدث فى اللجنة الرابعة .

فى الامسية الشعرية تحدث شاعران عربيان ، سميح القاسم الذى قصيدته الطويلة : القبر الجماعى وهى عن أحداث بيروت . وسعدى يوسف رحل من موسكو الى لينينجراد مع نجمة اسبارتاكوس شعرا .

والكلمات التى قيلت واوراق الابحاث التى قدمت دارت حول معنى أساسى : أهوال الحروب واخطارها . وضرورة البحث عن السلام ، وانه لا مفر الان من ذلك .

تحدث فى الجلسة الافتتاحية جورجى ماركوف رئيس اتحاد الكتاب السوفييت وادار بعض الجلسات الشاعر ميخائيل دورين .



وشعار المؤتمر ماخوذ من القصيدة ملحمية لشاعر روسى عملاق اسمه : الكسندر فادرفسكى ، والقصيدة الملحمية كانت تنشر خلال سنوات الحرب وقد حققت قدرا هائلا من الشهرة والشعار تقول كلماته :

– ليس من اجل المجد او الخلود .
ولكن من اجل استمرار الحياة على الارض

والموقف ضد الحرب لم يقتصر على أن يكون داخل المؤتمر ، ولكنه عبر عن نفسه خارجه . قرات قصيدتين معاصرتين حول هذا الموضوع .

الاولى للشاعر الرائع : ليفيجين ايفتشينكو وعنوانها : هل يريد الروس حربا ؟

والثانية قصيدة بديعة وطويلة وعذبة عنوانها : الساعة الخامسة والعشرون للشاعر : ايجار ايسابايف وهى تجربة قريبة من الفانتازيا ، حيث تتصور شهيدا من شهداء الحرب العالمية الاخيرة ، يستيقظ من موته ، يخرج من نصبه التذكارى ، يقول ان الحرب القادمة – لو كانت – ستكون حتى الساعة الخامسة والعشرين للبشرية . اى الساعة التى تأتى بعد الساعة الاخيرة نفسها ، ما بعد النهاية .

هناك ايضا يعيدون نشر اعمال الكتاب السوفييت التى تبرز اهوال الحروب .

مثل قصة قلب الام لفيودور ابراموف التى يقول فيها : نعم ، أنا لا أتحدث عن الكبار ، هؤلاء ابتلعتهم الحرب ، استلمت ثلاث أوراق نعى فى عام واحد . أى نعم . هكذا مرت الحرب .

وفى قصة الذاكرة ليورى بونداريف يقول :

الحرب هى عرق ودم مر الطعم

انها التناقص المستمر لعدد الناس فى سجل الكتيبة بعد كل معركة . انها كسرة الخبز الاخيرة فى الجماعة العسكرية وهى تقسم على خمسة رفاق بقوا احياء ، انها لسطول الماء المستقى الاسن والسيجارة الاخيرة التى يدخنها المصاب بنهم وهو يعصرها بين يديه ناظرا الى الدبابات الزاحفة باتجاهه .

الحرب هى الرسائل التى ينتظرها الناس ويخشون استلامها وهى ذلك الحب العزيز الخالص للخير وذلك الحقد الخارق الشريد على الشر والموت وهى تلك الحيوات الفتية التى ماتت وتلك السير التى لم تعش والامال التى لم تتحقق والكتب التى لم تكتب والاكتشافات التى لم تتم والعروس التى لم تصبح زوجة .

اثناء الحرب تعلم جيلنا ان يحب ويؤمن ان يرفض ويحقد ان يضحك ويبكى ، تعلمنا ان نقدر اشياء كانت قد فقدت قيمتها فى ايام السلم بحكم العادة .

الادب المصرى فى بلاد السوفييت

●● انبثت رواياتى الثلاث التى ترجمت الى الروسية لى جناحين طرت بهما من القاهرة الى موسكو . سافرت راكبا جواد : اخبار عزبة المنيسى ، يحدث فى مصر الان ، الحرب فى بر مصر .

ومنذ وصولى الى الاتحاد السوفييتى وحتى عودتى الى أرض الوطن ، وصورة الادب العربى عامة . والادب المصرى على وجه الخصوص . فى الاتحاد السوفييتى من الموضوعات التى حاصرت الانسان فى كل لحظة مرت به .

وعند الحديث عن هذه الصورة . لا مفر من التوقف امام الدكتورة فاليريا كيربتشنكو ، وفى تصورى انه مهما فعل لها الادباء المصريون فلا يمكن أن يوفوها حقها ابدا . ويوم أن يكتب تاريخ العلاقات الثقافية والادبية والفكرية بين مصر والاتحاد السوفييتى ، سنعرف جيدا الدور الذى قامت به هذه المستعربة




طه حسين



يحيى حقى

نجيب محفوظ

والدكتورة فاليريا كيبرتشنكو تعيش فى عائلة عربية اللسان ، زوجها الذى عمل طويلا فى السفارة السوفييتية فى القاهرة يتكلم العربية بطلاقة . وابنهما سيرجى الذى يعمل الان سكرتيرا أول فى السفارة السوفييتية فى الاردن . قد ترجم العديد من القصص المصرية القصيرة الى الروسية . وقد عمل فترة من الوقت مترجما فوريا خاصا الى العربية لبريجينيف واندروبوف . وللدكتورة فاليريا كيبرتشنكو ابنتان توأم . تلتقى فى جمالهما النادر والاخاذ ملامح الجمال الروسى والمصرى معا . وقد قضيتا طفولتهما هنا فى حى الزمالك . ويعرفان العامية المصرية من خلال التعاملات اليومية . وعندما زرت الدكتورة فاليريا كانت احدى التوأمين تدرس رواية نجيب محفوظ : اولاد حارتنا . وقد قضت وقتا طويلا معى لى افهم بعض الفاظ الرواية . خاصة كلمات نجيب محفوظ التى تقف فى منتصف المسافة بين الفصحى والعامية .

الفتاتان التوأم تعملان الان فى تدريس اللغة العربية فى موسكو ، أما الدكتورة فاليريا كيبرتشنكو فالادب العربى والمصرى هما قضية عمرها كله . انها كتاب تولت تجميع مقالاته والتقديم لها عنوانه "بحوث سوفييتية فى الادب العربى المعاصر ، والدراسة الاخيرة من هذا الكتاب دراسة مطولة عن جيل الستينات فى الادب المصرى . والدراسة والكتاب معا منشورات فى فترة مبكرة تسبق حتى الاهتمام المصرى بهذا الجيل .

وبعد حرب السادس من اكتوبر اختارت مجموعة من القصص القصيرة كلها عن الحرب ومن القرية وأصدرتهما هناك بعنوان « تعيش مصر » .

وقد ترجمت قصص وروايات يوسف ادريس ونجيب محفوظ . وقد أصدرت كتابا هاما عن يوسف أدريس وأدبه . وهى تعمل الان فى كتاب ممال عن نجيب محفوظ وحياته وأدبه ، هذا فضلا عن كتاب كبير صدر مؤخرا عن « النثر المصرى فى النصف قرن الاخير » . الدراسة الاساسية فيه عن روايات : صنع الله ابراهيم وجمال الغيطانى وكاتب هذه السطور .

وهى تستعد من الان للاحتفال بمرور قرن من الزمان على ميلاد عميد الادب العربى الدكتور طه حسين . وتفكر من الان أن يكون هذا الاحتفال على شكل ترجمة نصوص أدبية له تنشر فى مجلد واحد . وترشح لذلك : دعاء الكروان ، والجزء الثالث من الايام وروايته «شجرة البؤس » . المهم ان مثل هذا التفكير لم يحدث عندنا . ومن المؤكد انه لا احد يفكر فى مثل هذه المناسبة من الان ولا حاول ولا الاستعداد لها . وربما حاولنا اللحاق بالمناسبة قبلها بأيام قليلة كالعادة .

روايات أمير الرواية العربية نجيب محفوظ لاقت هناك نجاحا مذهلا . قالت لى طالبة تدرس العلم : أن نجيب محفوظ هو العالم الوحيد بين الكتاب المعاصرين، الذى يذكرها بعوالم الكلاسيكيين الكبار.

وقصص روايات رائد القصة القصيرة العربية يوسف أدريس تنفد فورصدورها .. يقفون طابورا هناك من اجل الحصول على نسخة منها .

وهناك اعمال ادبية مصرية ترجمت



واخرى فى طريقها الى الترجمة . الزينى بركات لجمال الغيطانى ترجمت وهى الان فى دار « رادوتما » للنشر . والاوباش لخيرى شلبى ترجمت وهى تنتظر النشر أيضا ».

صنع الله ابراهيم تجرى مناقشة واسعة من اجل ترجمة عملين له . هى : تلك الرائحة واللجنة ولو سمع احد منا جزءا من هذه المناقشة لادرك أن العصر من المستحيل أن يضيع هباء . وأن كل كلمة يكتبها الانسان تبقى فعلا . وربما تقابل بحالة من الاهمال هنا . وهذا من الامور المتوقعة ولكن فى اماكن أخرى يوجد من يقرا هذه الاعمال ومن يقدرها ويتوقف امامها طويلا .

رواية الدكتور شريف حتاتة : الشبكة انتهى النقاش بشأنها وهى الان فى طريقها الى مترجم يترجمها .

ومحمد مستجاب ترجمت له قصة قصيرة وهى : الجبارنة ونشرت فى مجلة للادب والفن الاجنبى وهناك دراسة مبدئية حول : التاريخ السرى لنعمان عبد الحافظ وان كان نوع اللغة المستخدمة والقصر الشديد للعمل . ربما كانا من العوامل التى تحول دون الترجمة .

يحيى حقى .. حاولوا أكثر من مرة ترجمته .. ولكن كلماته ـ تلك الكلمات المنحوتة من العصب المتوتر ع‍ى مقابل روسى لها . وقد دهتنى الدكتور فاليريا بطرح مسالة يحيى حقى مرة أخرى فمن الصعب ان يطارد الرجل الظلم حتى الاتحاد السوفييتى أيضا ويكفيه ما جرى له هنا فى بلادنا نحن .

والمستعرب ايجور يرماكوف مستشار اتحاد الكتاب السوفييت لشئون الادباء العرب متحمس جدا لفكرة ترجمة بعض قصص محمد المخزنجى وان كان لم يقرا له سوى مجموعة رشق السكين اما المجموعة الاولى . الالى . فلم يقرؤها بعد .. وهناك الان تفكير فى منح محمد المخزنجى منحة دراسية فى الاتحاد السوفييتى ».

وربما كانت هناك حالة تقصير فى ترجمة الشعر : وقد تداركوا هذا مؤخرا وهناك ديوان من الشعر عن شعر المقاومة فى العالم فيه شعر لسمير عبد الباقى وحلمى سالم من مصر ».

وقد سئلت فى معهد الاستشراق القومى عن ثلاثة من النقاد هم .. الدكاترة عبد المحسن طه بدر ، صابر عصفور ، عبد المنعم تليمة .

خسارة أن يظل هذا الموقف النظرى المتكامل بعيدا عن النتاج الادبى المصرى . هكذا يقولون ..

تم الاتفاق خلال وجودى على توجيه دعوة لكل من جمال الغيطانى وصنع الله ابراهيم لزيارة بلاد السوفييت .. واتحاد الكتاب السوفييت من جانبه ارسل دعوة لكاتبين الى اتحاد الكتاب المصرى . وقد رد الاتحاد المصرى ورشح سعد الدين وهبه وكاتب آخر معه ، وحدد موعد السفر يناير القادم . وكانت السعادة بدون حدود عند وصول هذه الموافقة من جانب اتحاد الكتاب المصرى. من ناحية اخرى قابلت سافار عظيموف مسئول كتاب آسيا وافريقيا فى اتحاد الكتاب السوفييت وأبدى رغبته فى زيارة مصر من أجل الاتفاق على تعاون ثنائى مستقبلى بين مصر والاتحاد السوفييتى .

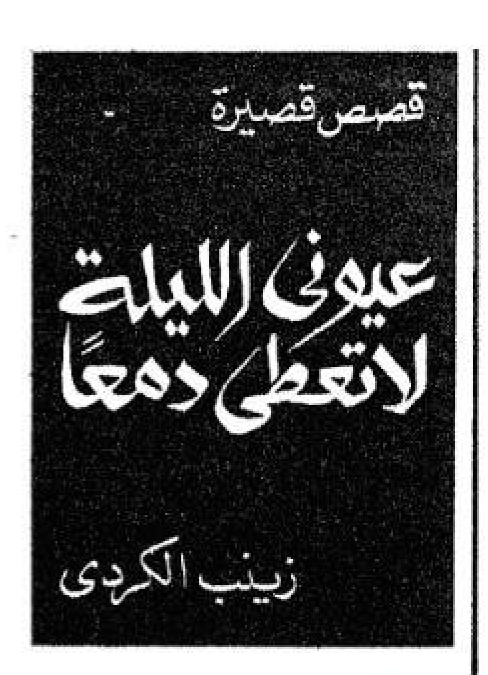
وبعد عودتى الى مصر التقيت بالزميل والصديق القديم الجديد عبد العزيز صادق مسئول كتاب آسيا وأفريقيا فى مصر وابلغته رغبة عظيموف . وقد قال لى انه وجه من قبل دعوتين والرجل معه الوثائق والبرقيات حاضرة وجاهزة .

ومع هذا قال لى ..

ـ لا باس ان نحاول مرة ثالثة ..

قلت لنفسى

ـ والثالثه ثابته .



● هذه هي المجموعة القصصية الاولى للكاتبة السودانية زينب الكردي. وقد صدرت مؤخرا ١٩٨٥ عن دار العربي للنشر والتوزيع بالقاهرة. وصاحبة المجموعة – كما تقول كلمات الغلاف – مارست العمل الصحفي بالكويت منذ عام ١٩٦٨ في صحف ومجلات متنوعة: «سيدتى»، «حياتنا» «السياسية»، «القبس» كما تنشر لها صحيفة «الوطن» رواية مسلسلة بعنوان: «لحظة مواجهة» .. وهي الان تعمل مندوبة لمجلتي «سيدتى» و«المجلة» وصحفية «الشرق الاوسط». ولعل هذا هو السر في أن المجموعة تبدو كما لو أنها صادرة عن كاتبة متمرسة، سبق لها أن قدمت تجارب ومحاولات في الكتابة. اذ أن قارىء هذه المجموعة يفاجأ بما يكمن وراءها من وعى فنى ووعى اجتماعى، فى آن واحد ●●

بقلم: د. سيد حامد النساج

فليس ثمة عيوب صارخة من حيث البناء الفني للقصة القصيرة. وليس ثمة خلل فى زاوية الرؤية التى تنظر منها الكاتبة الى الانسان، والاشياء، والامور، والمواقف. وهى سمات قد يلاحظها الناقد – عادة – فى القصص التى تقدم نفسها الى الجمهور القارىء لاول مرة. ان الامر هنا مختلف تماما. وكأن المجموعة سبقتها مجموعات ومجموعات ..

هناك وحدة فنية وموضوعية وشعورية تهيمن على معظم قصص المجموعة .. والكاتبة تبدو حريصة على أن تقدم «الشخصية» فى موقف بعينه. وفى زمان محدد. وفى مكان واحد لا يتغير، وفى لحظة شعورية معينة. «فى اتجاه الشجرة»، «فى مواجهة الحائط»،

عيونى الليلة لاتعطى دمعاً

« مثلكم يتأرجح قلبى فى الليل »، « عيونى الليلة لا تعطى دمعا » .

و « الشخصية المحورية » فى هذه المجموعة ، من خلال معظم قصصها القصيرة ، تكون — دائما — فى مواجهة شىء ما : حائط ، سلطة روحية ، سلطة سياسية ، قيود اجتماعية ، حواجز نفسية .. هناك مجموعة كاملة ومتحدة من السدود والحواجز الصلبة المنيعة ، تكون باستمرار — فى مواجهة الشخصية وتجسيد الشخصية غالبا فى شخص امرأة . وهذه القيود تمثل حصارا خانقا يحيط بالبطلة ويطاردها ويجثم على أنفاسها اينما كانت ، وفى كل لحظة ، وفى كل موقف . وهى لاتملك ازاءها الا الرفض او الصراخ « فى الجسد الشجرة » . رفض كل شىء . النفاق الرياء الاجتماعى ، الاحلام غير الصادق

والكاتبة تؤمن — من خلال القصص — بان الهروب لاقيمة له . السلب لم يعد يجدى . حتى الصراخ لافائدة منه . ففى قصة « فى مواجهة الحائط » هناك حزن دفين ! لكن القوة تنتصر فى النهاية اذ سرعان ما يتحطم الحائط بهدوء ايذانا للقدرة والاصالة

وتبدو المقاومة شديدة العنف والتدمير فى قصة « مثلكم يتارجح قلبى فى الليل » رغم ضياع الحلم ، وفقدان الامل فى الغد ، والمستقبل ، ورغم الذبائح والجراح والسكاكين .. « يضيع الحب منى واتابع . يتلاشى الحلم .. اتابع .. اتوه انا من نفسى . واتابع الالم حتى المظلم الدهش . يغدو بى .. الذبح .. يغتصب عمرى كله .. واتابع .. كل مايواجهنى يدخلنى ويتجمد » ..

كذلك فان المقاومة تتجسد بشكل واقعى صادق فى قصة « الهم » . وهى مواجهة واقعية مع الاخرين . فيها تعرية للزيف والنفاق الذى يملأ الحياة الفنية والصحفية ... كما أن الشخصية المحورية هى شخصية المرأة لا تسير فى الركب ، ولا يجرفها تيار الكتابة الكاذبة وتزييف الحقائق والتمويه على القراء او المتلقين . ورغم حاجتها الشديدة الى العمل ، فانها تقاوم مقاومة شاقة حتى تقف ضد التيار الفاسد السيىء .

وتكشف قصة « بالمندار » عن ان الكاتبة تجيد ادارة الصراع الدرامى بشكل جيد كما تملك القدرة على تحريك الشخصيات تحريكا واقعيا حافلا بالانفعالات والاحاسيس . وهى لاتسرف فى الواقعية الساذجة السطحية ، بقدر ما تمزج بين الواقع والرمز ، بين الفكر والعاطفة . بين الروح والمادة . كما ان الحوار فى هذه القصة حوار منطقى ، ومعبر عن الابعاد الاجتماعية والنفسية والاقتصادية للشخصيات .

واذا كانت قصص المجموعة تسلط الضوء قويا على شخصية محورية واحدة ، فان الكاتبة فى هذه القصة بالذات تحفل بالمجموع من خلال شخصية واحدة . وفى موقف واحد ، ومكان واحد . وهنا تكمن سيطرة الشخصية الكاتبة على الشخصيات الثانوية وغير الثانوية . اذ انها توجد لكل شخصية دورا وهدفا ، ورؤية لا تنفصل عن الرؤية العامة فى القصة . هناك الضابط والخفير سويلم فضلا عن مبروكة وبيومى .

انها فى هذه القصة تستهدف تقديم القرية ككل : حاضرا وماضيا ومستقبلا ، من خلال اجيال متصارعة الفكر والمصالح والاحلام . وهى تنتقد رغبة النزوح من القرية الى حيث المدينة . ذلك الهاجس الذى يسيطر على عقول الشباب ، فالارض لم تعد هى الحلم والمستقبل . وانما « التجارة » فى المدينة والاستثمار بلا راس مال اصبحا هما كل شىء .. وهنا يدور الصراع بين بيومى وامه مبروكة . وينتهى الصراع بان يقتل الابن امه فى مرأى ومسمع من الجميع ، ويقتل معها آخرين .

الكاتبة تعرف ماذا تريد أن تقول من وراء هذه القصة . بمثل ذلك الذى قالته

من خلال القصص الاخرى. وقد استخدمت عناصر واقعية ، ومفردات من الواقع ، وشخصيات واقعية ، اضفت عليها ظلالا تراجيدية . كما التقطت من واقع الحياة فى القرية المصرية .

ولا يملك الناقد لهذه المجموعة الا ان يشير الى لغتها . فكثيرا ما يلتقط الناقد اخطاء لغوية ونحوية لا تغتفر فى القصص الاولى للكتاب الجدد . لكن الكاتبة تملك لغتها ، وتعرف أنها الاداة الفنية التى ان احسن استخدامها استطاعت توصيل فكرتها وانطباعها ، وكذا احداث الاثر النفسى فى القارىء .

هناك موسيقى داخلية تسرى فى كل فقرة من فقر القصة الواحدة ، وكل فقرة تسلم الى الفقرة التالية لها ، وهكذا حتى يكتمل النغم . انها تحتفظ بمستوى لغوى لا يوغل فى التعقيد ، ولكنه معبر ، سهل التعبير عما تريد . والصور عندها مشحونة بالدلالة رغم ما قد توحى به كلماتها من عادية . هى ليست ساذجة ولا مبتذلة ، ولكنها دالة صادقة .

كما ان عناوين القصص ذكية ، موحية ، فيها شاعرية : « مثلكم يتأرجح قلبى فى الليل » ، « عيونى الليلة لا تعطى دمعا » وهكذا .

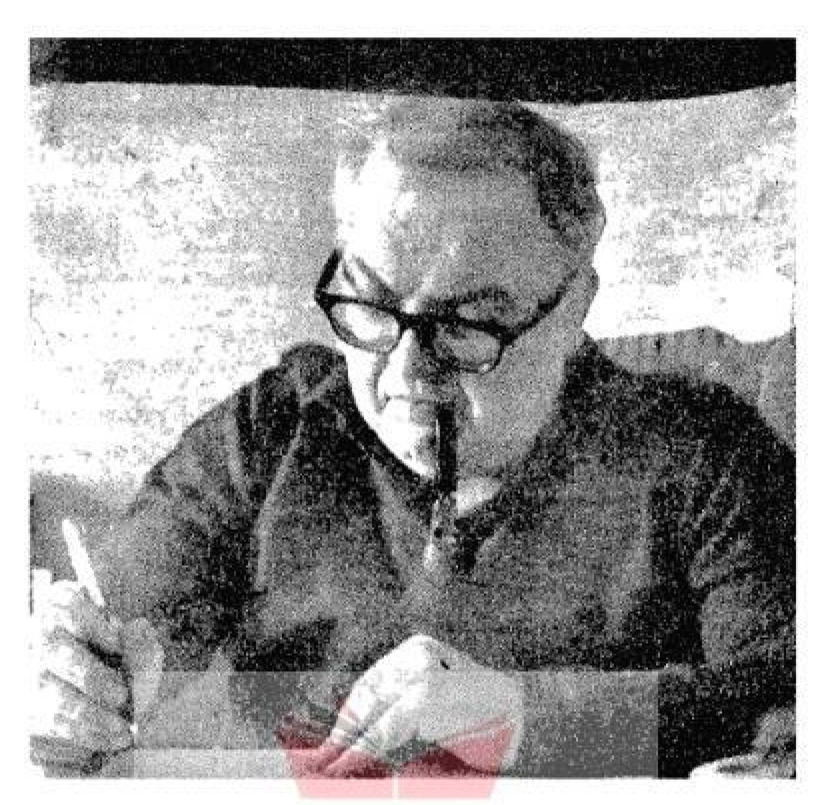
ولا يفوتنا ان نشير الى سمة الحزن الغالبة على قصص المجموعة . لعلها ناجمة من احساس الكاتبة بان لا امل فى الغد . لان اليوم قاهر وقاس .

ولا تنسى الكاتبة انها امرأة . اذ راحت تستبطن مشاعر المرأة استبطانا حقيقيا . وقدمتها فى مواقف متنوعة ، ومتناقضة ، وهى مواقف نسبية فى معظم الاحيان : محبة ، غيورة ، زوجة ، صديقة . الغيرة المدمرة مع الكرامة المجروحة . الاقبال الشديد والاحجام المتردد . الحب العظيم والرغبة فى الابتعاد الطويل . ومع انها اقتربت اقترابا شديدا من الانفعالات الداخلية للمرأة ، فانها لم تصخب ولم تزعق ولم تفتعل . وما اكثر المواقف التى جسدتها فى مواجهة الرجل .

وثمة مفردات لا تصدر الا من كاتبة — امرأة ، أحسنت الكاتبة صياغتها . مثل : « تثلث حواسى منهما معا » « انسحب داخلى » . « أفتش داخلى عن علامة » . « شممت فى الكلمات رائحة الحب القديم » . « اصبح يشكل تفاصيل التفاصيل فى افكارى وعواطفى » . « طفت بعينى بين الملامح التى لم انس تفاصيلها » . « ردمت فتحة اللاوعى وغادرت اطلالى » . « تكومت فوق فراشى » . « اكره أن اكون دودة فى مستنقع » . « كنت اندس فى فراشى » ، « وانا ادفن وجهى فى الوسادة » . « وكأنى انزلق فى كيس قصاصات من السالفان » . « انسحبت بحواسى من بينهم » . « عندما بربشت عينى فى الصباح » . ورغم ذلك فانا نشير الى ضعف فى البناء الفنى ، تسلل الى بعض القصص مثل قصة « رغبة اخيرة » .

حرصت الكاتبة على ان تنوع فى لغة السرد ، وان تستخدم الفلاش باك ، والحديث النفسى الداخلى ، لكنها اسرفت فى تفاصيل لا علاقة لها بالبناء ، فجاءت القصة طويلة بلا داع فنى . وكان من الممكن تكثيف الموقف الرئيسى فى القصة ، فى اللحظة التى واجهت الام فيها ابنتها عند ارتداء فستان الزفاف بعيدا عما يحول دون احداث الانطباع المطلوب .

كذلك الحال بالنسبة لقصة « الجنى » انها قصة جيدة من حيث الفكرة والصراع ، لكن البناء الفنى فيها يختل بوجود عشر صفحات من الممكن أن تختصر فى صفحة واحدة (٧١ : ٨٠) . والكاتبة فى هذه الصفحات تتحدث حديثا غير فنى عن مجموعة علاقات لا داعى لها فنيا يتصل اتصالا وثيقا بوحدة القصة . ايا ما كان الامر فان هذه الملاحظات لا تقلل من العناصر الايجابية التى اشرنا اليها . وهذه الاخيرة تعد قليلة اذا ما قورنت بالتجارة الاولى للكتاب . فالكاتبة تعرف أصول الكتابة فى هذا الفن . وتنطلق من رؤية واضحة . وتدرك واقعها العربى العام بجوانبه المختلفة . وهى تجمع فى قصصها بين الموضوعية والذاتية ، وتحرص على التوفيق بينهما !!





● زار القاهرة الاسبوع الماضي الكاتب المسرحي فريدريش دورينمات وهي فرصة للتعرف على ادبه والاقتراب من فكره . وهذا المقال يستعرض أهم اعمال الكاتب الذي اثرى الفكر والادب بمسرحياته الكثيرة . ●

● تحظى الاوســاط الادبية فى مصر بالاديب والــكاتب السويسرى المشهور فريدريش دورينمــات الذى يكتب باللغــة الالمانيــة ويعتبــر من عمــالقة كتاب المسرح فى الدول الناطقة بالالمانية بل وعلى مستوى كافة دول اوروبا ، وربما يندهش القارىء العادى عندما يعلم انه صديق لاثنين من الكتاب فى مصر هما الاستاذ انيس منصور والاستاذ يوسف ادريس . ولقد تعرف عليــه انيس منصور فى اوائل الســتينات وزاره فى ســويسرا اكثر من مرة وترجم له اربع مسرحيات كوميدية ، اما كاتبنا الاستاذ يوسف ادريس فقد التقى به فى سبتمبر عام ١٩٨٤ وكان له معه لقاء ممتع طالعنــا به على صفحات جريدة الاهرام فى شــكل مقالتين كانتا فى غاية الابداع .

ان فريدريش دورينمــات ليس اديبا وكاتبا مسرحيا فحسب ، بل انه مؤلف للتمثيليات الاذاعيــة والقصص وكاتب مقالات ، ومما يثير الدهشة والاعجاب انه يجمع بين فن الكتابة وفن الرسم وربما لا تقل موهبته فى الرســم عن موهبته فى الكتابة وهو احيانا مايجمع بين هذين النوعين من الفن ليبدع عملا ادبيا جماليا من النتاجه واللذكــر ملحمته الاســطورية بعنــوان « مينوتاوروس » ، وهى تتحــدث عن عن الملك « مينوس » ملك جزيرة كريت الذى انجبت له زوجته مولودا له جسم انسان ورأس حيوان ، اطلق عليــه اسم « مينوتاوروس » وصدر هــذا العمل فى كتاب عام ١٩٨٥ وقــام دورينمات نفسه برسم جميع لوحــاته بمهارة كبيرة تبرز موهبته كفنــان شامل يجمع بين فن التعبير بالــكلمة وفن التعبير بالريشة .

ولد فريدريش دورينمــات فى الخامس من شهر يناير عام ١٩٢١ فى كولو للنجن بالقرب من مدينة بيرن ودرس اللاهوت والادب والعلــوم الطبيعية والفلسفة ، قرأ للفيلسوف والعالم الدينى الدنمركى كركيجــارد (١٨١٣ ــ ١٨٥٥) وللشاعر اليونانى اريستوفانيس (٤٤٥ ــ ٣٨٦ قبــل الميلاد) ولشعراء المذهب التعبيــرى من الالمان من امثال جيورج تراكــل (١٨٨٧ ــ ١٩١٤) وجيورج هــاييم (١٨٨٧ ــ ١٩١٢) . وقد حــاول ان يشق طريقه كاتبا حرا فى مدينــة بازل فكتب مسرحيته الاولى «المكتوب» (١٩٤٦) فكانت انطلاقة الى عــالم الشهرة وهو فى العام الســادس والعشرين من عمره حيث عــرضت لاول مرة على مسرح مدينــة زيورخ وقد شاركته هذا الحدث التــاريخى زوجته الاولى الممثلة الســابقة لوتى جايسلر التى تزوجها قبل عرض هذه المسرحية بفترة وجيزة .

وبعد ذلك بعامين اى فى عام ١٩٤٨ عرضت مسرحية « الاعمى » على مسرح مدينة بازل ونال عنها « جــائزة العميان » الذهبية . وتموج هــذه المسرحية مثل سابقتهــا بالمــواقف الانسانية المؤثرة وتعرض همــوم ومآسى ما بعد الحــرب . وتأثر دورينمات فى هاتين المسرحيتين باعمال الاديب والكاتب المسرحى الفرنســى بول كلوديل (١٨٦٨ ــ ١٩٥٥) .

ودورينمــــات يعيش فى مسكن يقع على بحيرة فى مدينــة نوينبورج (نيوشاتل) منذ عام ١٩٥٢ شاركته زوجته لوتى آماله وطموحــاته قرابة ستة وثلاثين عاما وانجبت له ابنه ــ بيتر وابنتيه باربارا وروت ثم فارقت الحياة وقال المقربون اليــه ان هذه الصدمة قد تؤدى بحياته او تشل نشاطاته الادبية والفــكرية ، الا ان الاقدار شاءت غير ذلك وجعلته وهو فى

دورينمات في القاهرة

العام الثاني والستين من عمره يتزوج من مخرجة شابة تعمل في شبكة التليفزيون هناك .

ودورينمات ككاتب مسرحي له اتجاهاته الفريدة والمميزة ، وقفز بسرعة الى عالم الشهرة فهو يرى بضرورة وجود السخرية وعنصر العبث ضمن المكونات الاساسية للهيكل الدرامي لمسرحياته وتمثيلياته الاذاعية ورواياته . كما ان المسرح عنده لم يعد ملاذا للمرء يتناسى فيه مشاكله ومشاكل مجتمعه أو مكانا يلجأ اليه هربا من الامه وهمومه ومعاناته اليومية ، بل لابد ان يكون المسرح بمثابة الناقد اللاذع والمواجه الصريح لقضايا الانسان ومجتمعه ، وان يحث المرء على التصدي لقضاياه وايجاد الحلول لمشاكله واحداث هزة عنيفة في تقاليده ومفاهيمه البالية . ذلك ايضا هو مسرح بريشت وان كان مسرح دورينمات يختلف عنه في ثوبه الايديولوجي .

● ٢٠ مسرحية لدورينمات

كتب فريدريش دورينمات - بخلاف ما ذكر - مسرحيات كثيرة منها ما عرض على مسارح داخل وطنه وخارجه ، ونالت بعض مسرحياته اهتمام المثقفين في مصر فقاموا بترجمتها الى العربية نذكر منهم الاستاذ انيس منصور والدكتور مصطفى ماهر والدكتور عبد الرحمن بدوى . وقد وصل انتاج دورينمات من المسرحيات الى ما يقرب من عشرين مسرحية . في عام ١٩٤٨ كتب مسرحية « رومولوس العظيم » وتم عرضها على مسرح مدينة بازل عام ١٩٤٩ وقال عنها دورينمات انها « كوميديا صعبة وصعوبتها تكمن في انها تبدو سهلة » ان الامبراطور الروماني العظيم في مسرحية دورينمات الهزلية لا يظهر في صورة بطل تراجيدى بما تحمل هذه الكلمة من مفهوم تقليدى ، لكن عظمته تتجلى عندما يحيل نفسه الى الاستيداع ويتخذ هذا القرار عن حكمة وفطنة وبعد نظر لانه يعى تماما تفاهة عالمه الذى يعيشه . اما مسرحية « زواج السيد - ميسيسبى » فلقد كتبها عام ١٩٥٠ وعرضت له عام ١٩٥٢ على مسرح ميونخ كما عرضت عام ١٩٥٨ في برودواى في نيويورك وهى مسرحية كوميدية يتم من خلالها التهكم على ثلاثة من « مصلحى الكون » ، احدهم مدعى عام نشط اصدر العديد من احكام الاعدام والثاني شخص يدعى انه ثورى ، اما الثالث فهو « مجنون الحب » المثالى . وفى عام ١٩٥٤ عرضت له في ميونخ ايضا مسرحية « هبط ملاك في بابل » وفيها تتضح افكار دورينمات العبثية واللامفهومة واللامعقولة حيث لا يسير مثل سابقيه او معاصريه وراء فكرة القدر الاغريقى ، بل يقوم باحلال الصدفة محلها وتعتبر هذه المسرحية معالجة جديدة وجادة لقصة شولومون وشالوميت ، تلك القصة القديمة التى وردت في الكتاب المقدس العهد القديم كتاب « نشيد الانشاد » وتحكى عن راعية الاغنام البسيطة ماالومى التى رفضت الملك سليمان الذى حاول بسلطانه امتلاكها روحا وجسدا فقالت « لا » وبذلك رفضت المال والجاه ، وفى مسرحية دورينمات نجده يجعل الفتاة الملاك هدية السماء تتصدى للملك القوى الجبار ، تقول كلمتها ولا تحيد عنها فيتهار الملك



دكتور
يوسف ادريس



انيس منصور

وتنهار مملكته ويرفض اهل بابل هدية السماء • اما مسرحية « زيارة السيدة العجوز » التي تعرف ايضا تحت عنوان « الزيارة » فلم تعرض له في زيورخ فحسب بل وعرضت في نيويورك وفي عواصم اخرى وفي مصر عدة مرات كان اخرها صيف العام الماضي • والعنوان الاصلي لهذه المسرحية هو « كوميديا قصة الاقطاع » وفيها استطاع دورينمات في هزل وعبث ابراز دور العامل المادي في افساد النفوس البشرية وان الذمم يمكن ان تباع بالمال وان المال هو الفيصل في تحديد نوعية السلوك الانساني بغض النظر عن القيم والاخلاقيات والمبادىء ، واحداث المسرحية تدور حول سيدة امريكية تعود بعد ثراء فاحش الى مسقط راسها للتنقم من عشيقها الذى تخلى عنها وعن ابنها منه ويتحقق لها ذلك فالمال يجبر الضمير الحي على الصمت ويصدر حكم بالاعدام ضده غير انها بالمال تلغي هذا الحكم • وفي عام ١٩٦٥ كتب دورينمات مسرحية الشهاب (او « النيزك ») وهي كوميديا من فصلين عرضت لاول مرة على مسرح زيورخ عام ١٩٦٦ ونجد انه من خلال معجزة السيد المسيح للعازر بعد وفاته باربعة ايام يتناول قصة بطلها اديب حامل لجائزة نوبل في الادب مات او حاول ان يموت ولكنه لم يمت ويظهر هذا الاديب وكانه « شهاب » سقط على الارض من العالم الاخر ويظل شهابا لا يحترق الى ان تسدل الستار على خشبة المسرح وتنتهي المسرحية •

هذا الى جانب مسرحيات اخرى كثيرة نذكر منها « هيرقل واصطبل اوجياس » (١٧٥٤) التي ترجمت في مصر بعنوان « هيرقل ينظف اصطبل اوجياس » • ومسرحية « اغريقي يبحث عن اغريقية » (١٩٥٥) ، «فرانك الخامس » او « اوبرا بنك خصوصي » ، امسية في اواخر الخريف ، والمسرحية الكوميدية المشهورة « علماء الطبيعة » (١٩٦٢) و « الممدون من جديد » (١٩٦٧) و « الملك يوحنان » تلك المسرحية التراجيكوميديه وهي مستوحاة من تراجيديا الحكام عند شكسبير •

لم يتاثر فريدريش دورينمات بعملاق الادب الانجليزي شيكسبير فحسب بل تاثر ايضا بالكاتب الفرنسي كلوديل والسويدي ستريندبرج وبشيخ الكلاسيكيين الالمان جوته ورفيقه شيللر وبالكاتب الالماني المشهور بريشت •

ـ اهلا بالكاتب المسرحي الكبير فريدريش دورينمات وشكرا لوزارة الاعلام •

يقدمها : محمود قاسم

العالم في سطور



● أيها العرب اتحدوا ●

« انا يهودى عربى فى اسرائيل » .. صرخة اطلقها صحفى يهودى عربى فى اسرائيل هذا الشهر من خلال كتاب يحمل نفس هذا العنوان. الصحفى هو موردخاى صوصان الذى كتب عن اسرائيل الثانية .. وهى اسرائيل اليهود الشرقيين الذين

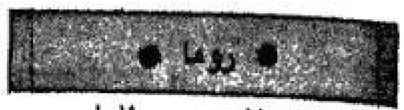


اعلنوا التمرد على اخوتهم ـ الاعداء من الاشكناز القادمين من اوروبا .

ويرى الكاتب انه عربى من الدرجة الاولى وان كان لا ينفى عن نفسه انه يقيم فى اسرائيل . فهو عربى نزح من فاس بالمغرب وعندما وصل الى اسرائيل وجد نفسه امام مواجهة عربية لقوم جاءوا من بلاد متحضرة ـ حسب قولهم ـ فرغم يهودية الجميع الا أن الآخرين لا ينسون ابدا ان السفارديم قادمون من الشرق .

ويقول موردخاى رغم أننى عشت باسرائيل ثلاثين عاما الا أننى لا انسى رحلتى الاولى .. تلطخت الدموع بالسخريات من أقنعتنا وكأننا مهرجون بيض . مأساويون نعيش فى صمت .. لقد وجد اول المهاجرين انفسهم وسط صحراء تنقلهم شاحنات الدواب .. وامتلات العربات بصراخ الاطفال الممزوجة بنعيق الغربان التى تحلق فى السماء .

ويقول الكاتب انه فى عام ١٩٥٩ بدأ زمن الغضب الذى اعلنه السفارديم . ففى شوارع حيفا حمل اليهود المغاربة صورة ملكهم محمد الخامس . ويقول الكاتب ان اليهود الشرقيين يسكنون الاحياء الفقيرة رغم انهم يشكلون الغالبية فى اسرائيل .. وقد رفعوا شعار شرقيون . فلسطينيون . نفس المعركة » . ويقول ان مشكلة ابناء عشيرته من السفارديم فى اسرائيل هى مشكلة ثقافية من المقام الاول وان على اليهود العرب والفلسطينيين أن تكون لهم نفس المعركة لانهم اكثر قربا لهم من « الاشكناز » ..



● روما ●

● امراة بين مورافيا وبازوليني ●

سوف يكون هذا الفيلم احد الاحداث السينمائية الهامة عام ١٩٨٦ فهو فيلم جديد قادم من روما كي يناقش في مهرجانات السينما ويحاول ان ينال الجوائز . وقد احتشد في الفيلم عدد كبير من العوامل الفنية التي تضمن نجاحه . ليس لأن ميزانيته ضخمة فقد رصد له التليفزيون الايطالي ما يعادل ثمانية ملايين جنيه .. فقط — ولكن لانه أول تعاون بين المخرج لويجي كومنشيني والكاتبة المعروفة السامورانته التي تعد من اهم ادباء ايطاليا في القرن العشرين .

الفيلم بعنوان « تاريخ » . وهو اقرب الى السيرة الذاتية للكاتبة وقد نشرت الرواية لاول مرة عام ١٩٧٤ وهي ضخمة الحجم حيث تقع صفحاتها في ٦٠٥ صفحة

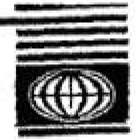
وتتحدث حول امراة تدعى ايدا تعمل بالتدريس .. ولدتها امها بعد لقاء عابر مع احد الجنود الالمان اثناء الحرب .. لقد ولدت لتحلم لكن اين الحلم ؟ وعلى الذابة ان تحلم بدلا منها .. ولذلك اصبحت عيناها واسعتين لترى السماء بصورة دائرية !!

يقول كومنشيني الذي سبق أن قدم « كازانوفا » : عندما قرات السيناريو قارنته بصفحات الرواية . لاحظت تضاربا غريبا .. يجب أن نعطي لهذا النص بعضا من اهميته . فنحن أمام رواية بالغة الحساسية :: تعود بنا الى الاربعينات . الى زمن ذي سيكا وروسيلليني . على الذن ان اتفادى الوقوع في الواقعية الجديدة .

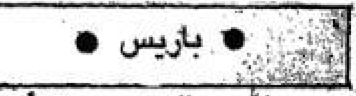
وتقوم كلوديا كاردينالي بدور « ايدا » كتاكيد لتلك الادوار المركبة التي عكفت على تقديمها في السنوات الاخيرة . .. وتحاول السير على خطى زميلتها «صوفيا لورين» خاصة في فيلم (امراتان) من رواية البرتومورافيا الذي كان زوجا لسامورانته ، واثر تاثيرا في اتجاهها الفني والعالم الذي رسمته واذا كانت مورانته قد تأثرت باجواء مورافيا ، فان صياغتها الروائية اقرب الى عالم صديقها بازوليني الذي عاشت معه سنوات طويلة : « الرواية عمل شاعري خاصة اذا كتبناها في مرحلة متاخرة من حياتنا واعتقد اننا نفسدها اذا حولناها الى فيلم »



السامورانته . ومشهد من فيلم "تاريخ"



العالم في سطور



باريس

الأدب التجريبي يحطم حواجز الجمهور

تعيش الرواية الجديدة في حالة ازدهار لم تشهدها منذ سنوات بعد ركود ملحوظ .. ليس فقط بسبب فوز كلود سيمون بجائزة نوبل هذا العام . ثم اعادة نشر اعماله على نطاق واسع. بل أن تعاونا قد تم في الشهر الماضي بين مسرح العبث والرواية الجديدة . فعلى المسرح الدائري بباريس تقدم ناتالي ساروت مسرحية « المياه المنعشة » ... والمأخوذ عن فرجينيا وولف .



يوجين اونسكو ممثلا امام مادلين رينو

العرض المسرحي الجديد اقرب الى الشكل العالمي .. بمعنى انه شهد تعاونا بين اقطاب التجريب في المسرح والرواية والسينما ... وقد كرس أبناء هذه المدارس كل أوقاتهم لانجاح عملهم. لم يسعوا الى الاستعانة بممثلين محترفين او غير محترفين . بل قام هؤلاء الكتاب بأنفسهم بتولي كل شيء يتعلق بالمسرحية من اخراج واضاءة وميزانية وديكور .. . ثم صعدوا فوق خشبة المسرح ليقوموا بالتمثيل : يوجين اونسكو والشاعرة جويس منصور ، الآن روب جرييه ، ناتالي ساروت ..



وتنتمي المسرحية الى اللون التجريبي الذي كتبه هؤلاء جميعا . فاذا كانت هناك شخصيات مثل المصورة والرسام والوصيفة ، فانه من الصعب ان نعرف ماذا يفعلون . فهم يميلون الى الثرثرة البورجوازية .. وما الحياة الا هذه الثرثرة التي لا معنى لها ... وقد استطاع الممثل يوجين اونسكو ان يجذب اليه جماهير باريس ليس ككاتب ولكن كممثل خفيف الظل يتمتع بجاذبية جعلت من المسرحية عملا جماهيريا من الدرجة الاولى . وتحطم اسطورة ان الادب التجريبي منفصل عن الجماهير العريضة.



أثينا

الحب والاباحية والفن

في الأسبوع الاول من نوفمبر رحل الكاتب والمخرج اليوناني المعروف الدوكيرو عن عمر يناهز الثانية والستين

ومن المعروف أن ادونيس كيرو قد رحل من بلاده اثناء سنوات الحرب ثم ما لبث ان عاد اليها . وقد نقل نشاطه الى العديد من العواصم العالمية خاصة

باريس .. احب السينما منذ طفولته . وبدأ حياته كناقد فى العديد من المجلات المتخصصة فى السينما فى بلاده وخارجها . وعمل على تثقيف ذاته بكثرة القراءة حتى يكون أهلا للدراسات التى يكتبها والتى اتسمت بعمق شديد وجدية وحداثة . فى عام ١٩٥٢ قدم كتابه الشهير « سيريالية السينما » ثم قدم كتابه الثانى (الحب والرياضة والسينما) ، عام ١٩٦٣ وقد طبع مرتين فى عام واحد ■

دفعه حبه للسينما أن يخرج فيلما قصيرا تحت عنوان « التيه » حول معركة ووترلو . ثم « القصر النموذجى » عام ١٩٥٩ وهو فيلم طويل ينتمى الى المدرسة السريالية . فى عام ١٩٦٥ قدم فيلمه الروائى الثانى « البلوك » حول المقاومة اليونانية لجنود الاحتلال . وكان فيلمه الاخير « الاقل » عام ١٩٧٢ اقل فعلا من موهبته وثقافته . وكان دافعا له كى يبتعد من عالم السينما .

● فرانكفورت ●

● شيلوك .. فى زمن فاسبندر ●

لو كان شكسبير حيا الان . هل كان يجرؤ على ان يقدم مسرحية « تاجر البندقية » بنفس الكيفية ويلاقى نفس الشعبية . يمكن أن نطرح هذا السؤال اليوم بمناسبة عرض مسرحية « الزبالة والمدينة والموت » فى مدينة فرانكفورت بالمانيا الغربية . كتب المسرحية المخرج راينر فاينر فاسبندر الذى مات فى ظروف غامضة منذ عامين . ويعد من أشهر ملامح الفن الالمانى المعاصر سواء فى السينما أو المسرح . فهو ممثل ومخرج وكاتب قدم أكثر من مائة وخمسين نصا للسينما والمسرح والتليفزيون واخرجها جميعها بنفسه . وعندما مات لم يكن قد تجاوز السابعة والثلاثين من عمره .

بطل مسرحية فاسبندر الاخيرة – التى



فاسبندر

لم تعرض الا بعد وفاته بعامين – هو شيلوك عصرى . ثرى يهودى معروف بالبخل وحبه لجمع المال حتى لو اضطر الى ان يرهن الاخرون اجسامهم مقابل المال وهو هنا ليس مرابيا وانما يشترى العقارات القديمة من أصحابها باسعار زهيدة يعيد طلاءها وتجديدها كى يبيعها باغلى الاسعار ويتعامل مع الاخرين بنفس الاسلوب الذى صور به شكسبير شيلوكه . يساوم فى أصغر المبالغ ولا يستسلم لمن يعقد معه صفقة بسهولة وقد ابقاه المؤلف فى نهاية المسرحية حيا يساوم وينهب أموال الناس وذلك عكس ما رأينا عن شيلوك وهذا اليهودى لا يزال يمتص حسب ما يرى فاسبندر – من دماء الشعب الالمانى حتى الان ■

لم تكن الحملة التى قامت فوق مقبرة المخرج رحيمة به قط . لقد جرؤ الرجل – حسب تعبير اليهود – على أن يحطم المحرمات التى صنعها اليهود فى السنوات الاخيرة ضد كل من يمسهم . فعليهم ان يعذبوا الالمان بأن يذكروهم بالتعذيب الذى لاقاه آباؤهم فى معسكرات الاعتقال . لكن ابدا لم يحدث العكس . لان صورة اليهودى فى مسرحية فاسبندر كفيلة بأن تشوه كثيرا صرح العقاب الذى لفه اليهود حول الشعب الالمانى بعد ان انتهى زمن الحرب ■

فــؤاد حداد.. وداعـًا



بقلم: د. الطاهر أحمد مكي

« يولد الشـــاعر حين يموت !.
حين يرحل عن الدنيا جسدا ، وينفصل عما حوله مادة ، ولا يبقى منه غير الجوهر : روحه وابداعه ..

ومع الرحيل تموت العداوات التي تبعثها المعاصرة ، والأحقاد التي يخلقها التنافس ، والمضايقات التي مصدرها الصغار ، والصراع السيء حول لقمة العيش ، أو حتى ترف الحياة ، ويتلاشى ضجيج حملة المقامق وتنابلة السلطان ، ومع كل يوم يمضي يكبر الفنان الحق في قبره ، ويخلد ذكرى ، ويعلو صوتا وموسيقا في سمع الزمان !

أما المتشاعرون فيعيشون كذلك ، ويحتلون من الحياة والجاه مســاحة واسعة عريضة ، ويموتون في اللحظة التي توارى فيها أجسادهم ، ينساهم الناس ، ويطوى التاريخ صفحاتهم . وتتلاشى ذكراهم مع تناوب الليــل والنهار ، لأنهم لم يعودوا ينفعون أو يضرون ، أو يتبادلون أو يجعلون من الفن بساطا تافها وباهتا يفرشون تحت اقدام الاقوياء أو من ينفعون ».

المقولة أبدعها نقادنا القدامى ، ولم تتخلف يوما ، ومع اصدق ما تكون مع الشاعر الراحل فؤاد حداد .

***

على امتداد حياته عرفته شاعرا ، ولم أره انسانا حتى رحل .
كنت تراثي المزاج ، محافظا في الفن ، أغار على الفصحى ، وأطـرب

للشعر القديم ، واحبه بلا تحفظ ، وادين ظهرى لغيره بلا مواربة أو مداراة ، وكان هناك استثناء وحيد ، لعدد من فنانى العــامية ، ساقونى الى فنهم سوقا ، وحملونى اليه حملا ، بما ملكوا من موهبة ، وما تنضح به قصائدهم من عذوبة ، وما تعكس في ايقاعها من صــدق ، يتجلى فى تصديها لزيف الحياة ، وتحملهم هموم امتهم والامها ومعاناتها وآمالها ، ويأتى فى مقدمة هؤلاء : بيرم التونسى ، وسعيد عبـده ، وصلاح جاهين ، وفؤاد حـــداد ، واحمد فؤاد نجم !·

كنت اجد لاشعارهم صدى فى قلبى لا رد له وانا الذى اعرف ناقـدا القاعدة التى تقرر : « اذا أردت أن تبكينى فابك انت » ، وبكاء بعضهم كان عميقا وبليغا ومكتوما ·

ومن شهور اربعة اهدى الى الشاعر فؤاد حداد آخر دواوينه ، عـلى غير معرفة شخصية ، أرسله لى مع صديق ، دون أن يطلب شيئا مما يطلبه المهدون عادة ، بل وحتى لم يخط عليه سطرا ، واحترمت كبرياءه فنانا ، وغرقت فى الخجل ، والاحساس بالذنب ، كيف أعايش شاعرا عظيما ولا اراه ، وهبه لم يجىء الى ، فلماذا لا اذهب اليه واسأل عنه ، وعزمت أن اكفر عن خطيئتى بدراسة فنية لشعره ، وانه لجدير حقا بأن يقف النـــاقد عند الكثير من قصائده ، فى صوره ورؤاه ، وفى تراكيبه وموسيقاه !·

ولكن شواغل الزمن ، وزواحف التوافه اليومية ، جعلت من المرغبـــة املا لم يتحقق ، وحين رحل فؤاد حداد عن دنيانا دون أن اراه ، احسست أن الخطيئة اصبحت خطايا · اتراه اراد أن يحقق معى مقولة النقد العربى القديم ، فلا اكتب عنه الا وهو خبر يروى ، وتاريخ يسطر ، وفنان يرثى ، وشعر نتناوله بالدرس والتحليل ، طلقاء من المعاصرة بكل ضغوطهـــا من مجاملات ومداراة ، ابرياء من الهوى والانحياز ؟

ربمـــا !·

***

كان فؤاد حداد منذ أن بدأ يترنم بالشعر يدرك انه فنـــان ، وأن للفن رسالة ، فالشعر ليس لوحة توضع فى قصر ، ولا نغما فى لحظة طـــرب ، وانما مجاهدة صعبة ، من اجل قضية عادلة ، فى وطن يريد أن يكون له مكان تحت الشمس ، ويراه الشاعر لابنائه جميعا ، سواسية فى الحقوق والواجبات ، ومن دون هذه القضية كانت اشعاره

اهرفن راسك على	افتح بقك قــر
على صوتك حـــاول	حــرية للكل
حــاول تكتب افتــح	للعبـد وللحــر

للحى وللميت

وظل الشاعر فى طريقه لم يتراجع ، ولا وهن منه العزم ، ولا بلغ منه اليأس مبلغا ، وكانت حياته قسمة بين المعاناة والامل ، بين الحزن والبهجة ، وفى كل الحالات جهاد متصل :



يا جاى من الحنين	ولقيتك وانت شـــايل
ويا رايح للحنين	عـلى كتفك حمــل آه
يا عينى الفرحانين	ولا حلينا المســـائل
وفى قلبى دمع ســابل	ولا أرخنـــا الرســـائل
بيجاهد فى الطغـــاه	اهه جايه من الحيـــاه

وهى رايحه للحيـــاة

فؤاد حداد وداعا

والنضال ليس ترفا ولا خطبا ، وانما سجون ومعتقلات ، وحصـــار وملاحقة ، ويواجه الشاعر ظروفا حادة ، ويعبر عنها فى مرارة قاسية ، ولكن البسمة لا تغيض فى أعماقه أبدا ، واذا غابت عن الشاعر فاين تكون اذن ؟ لقد انهك السجن بدنه ، وأشاب شعر رأسه ، ولكنه ظل فتى القلب ، مطمئن الضمير ، على يقين من النصر :

فنان فقير على باب الله	وتشوفنى بابكى وبانعى وائن
الجيب مفيهش ولا سحتوت	والدنيا لسه بنت بنوت
والعمر فايت بيقول آه	اشمعنى قلبى ضناه الشيب
والقطر فايت بيقول توت	من الشقا مهرى ومنكوت
صحتنى ليه يا شاويش .. يا شاويش	قال اللى قال العيب فى الجيب
انا كنت سارح فى الملكوت	والجيب مافيهش ولا سحتوت
لما بانام باحلم وباعيش	والعمر فايت بيقول آه
لما بافوق مابافوقش باموت	والقطر فايت بيقول توت
وتقول على كبير السن	على المحطة يا ولـــداه
وانا فى قلبى ولد كتكوت	حتى المحطة كمان حتفوت .

والفنان الحق لا يبكى دائما . وليس خطيبا يصرخ فى كل لحظة ، وانما هو يصدر عن عاطفة رحيبة ، ومشاعر حساسة ، وحين يعايش البسطاء من الناس يجىء تعبيره عنهم صادقا وعفويا ، وبسطاء الناس والفنانون ليست حياتهم عملا متصلا ، ولا تفكيرا مرهقا ، وانما هم نموذج الانسان الكامل فهم يحبون ويعشقون ويحلمون ويأملون ، ومن لا يوالى لا يعادى ، ومن لا يحب لا يكره :

زى بيوت الشعر منازل	بيرقص ويضم حواجبه
مرة نغازى ومرة تغـازل	فيه شىء عاجبه وشى مش عاجبه
شفت الفن بيعمل واجبه	عذب ومر وحلو وباسل

مرة نغازى ومرة نغازل .

***

لقد مضى فؤاد فى ريعان رجولته ، ومن كان مثله توترا فى احساسه ومعاناة فى أعماقه ، لابد أن ينوء بدنه أمام رقة قلبه ، وعظم روحه ، وتدفق مشاعره :

لما دفعت التمن ليلتين من الجلطة
تمن ستين حكم غير الحكم كفانى
سجن غيـــر السجن
باسال على عنـــوانى
باحس ان التراب كان نفسه يتغطى
بابدا ديوان « أدى أيام العجب والموت »

كان رصيد فؤاد حداد من التجارب لا حد له ، ولم يكن يستمدها من واقعه العريض المتنوع فحسب ، وانما من التراث العربى على امتداده ، تاريخا وأسطورة ، وأبطالا وشعراء ، وينعكس فى شعره صدى كليلة ودمنة ونلتقى فيه بالقصة والحكاية ، وأسماء المعرى والمتنبى وغيرهم . ويستخدم الالوان بطريقة فذة تحتاج وحدها الى دراسة خاصة ، ويطوع اللغة فى مهارة جموعا واشتقاقا ، وهو صاحب صور بديعة وأصيلة ، لا تقع عليها عنـــد أحد قبله ، لانه يلتقط مادة صوره من حياة الناس اليومية ، وحياة النـاس متجددة كالنهر المتدفق ، انك لا تسبح فيه مرتين أبدا ، هل سمعت أن الهدوم تلبس الأبدان ، وأن الساعات تصلح القلوب ، وأن التذاكر تصـــعد الى الحافلات ويصرف لها راكبون ، انها كذلك فى مخيلة فؤاد حداد :

كل شىء ماشى بالمقلوب | الساعاتى بيصلح قلوب
الهدم اللى لابسه للجثت | التذاكر طالعة الأتوبيس
يصرفوا لها بنى آدمين ..

***

وفى الأعوام الأخيرة من حياة فؤاد حداد بلغت الصوفية فى أعماقه منتهاها ، الصوفية بمعناها الفلسفى العالى ، حين تنجاب الستائر المادية التى تحجب عقل الانسان من رؤية الحقيقة ، وتنهار الحجب التى تعزل قلبه عن الاخرين ، فكان ديوانه « الحضرة الزكية » ، مستمدا من تراثنا الشعبى فى « الحضرات » التى يقيمها المتصوفة وأهل الريف فى الموالد والمناسبات الدينية ، وارتفع بها الى القمة معنى ولغة ، وجـــاءت فى أربعين حضرة ، ومعها أصبح لنا فى لغتنا الشعبية ، بفضل فؤاد حداد ، ما يعدل ابن عربى الصوفى الأندلسى الشهير فى ديوانه « الأشواق » فى اللغة العربية الفصحى .

***

منذ مئة عام تقريبا كان هناك أديب أمريكى هو انريك لونجفيلو (١٨٠٧ ١٨٨١) ، عاش فى العصر الرومانسى لأمته ، قبل أن يميت فيهـــا البطر والغرور والرأسمالية كل بواعث الخير ، وقد خدم هذا الأديب الأمريكى أمته فى مجال الثقافة بما لم يخدمها أديب أمريكى آخر . وفى لحظة احتضاره تمتم : « من ظلام الليل يمضى العالم الى النور ، وحينما نمضى نحن سوف نلتقى مع الفجر » .

ولا أخال فؤاد حداد فى لحظاته الأخيرة الا فى مثل هذه الحالة نطق بهذه الكلمات ، أو بما هو قريب منها ، أو استقرت فى أعماقه معنى .

نعم سوف يقطع وطنك أيها الشاعر العظيم الرحـــلة الى عالم النور مهما بلغت الصعاب ، اما أنت فقد التقيت بالفجر فعلا ، وما كتب عنك هو أول بشائره .

ولنا اليك عودة ..
وليرحمك الله !..

بقلم: د. أحمد التاجي

احذر أن تقتلك زوجتك في سن اليأس!!

● سن اليأس عند المرأة حقيقة خاطئة

● سعادة المرأة تبدأ في سن الأربعين

اهتمت الصحف البريطانية ببراءة سيدة متهمة بجريمة قتل، وبرأها القاضي بحجة انها تمر بمرحلة حرجة هي «سن اليأس» فهل ذلك مجرد صدفة، حيث يمكن ارتكاب جريمة القتل في سنوات العمر المختلفة، او قد تفسر النساء سن اليأس بالحالة النفسية، والاكتئاب الذي يعتري بعض السيدات في هذه السن.

في هذا المقال يحدثنا الدكتور احمد التاجي استاذ امراض النساء عن سن اليأس وانقطاع الدورة الشهرية، والتغيرات التي تحدث للمراة في هذه المرحلة من حياتها.

يتوارد على الذهن سؤال ملح حول سن اليأس عند المرأة، وهل هذه الفترة في عمر حواء تدعو لليأس والقنوط، أم أنها فترة للبهجة والامل، وهل اكتمال لنضوج المرأة، وبدء فترة من حياتها بعيدا عن متاعب الدورة الشهرية وآلامها، وبعيدا عن الحمل ومتاعبه: هل تسمى هذه الفترة كما هو شائع بسن اليأس...!

والاجابة على تلك التساؤلات، النفي بلا تردد، فهذه التسمية خطأ شائع، خاصة حينما كانت كل وظيفة حواء في الحياة، الحمل والانجاب فقط.

ومن الطبيعي انه حينما تنقطع الدورة الشهرية، وينتفي احتمال حدوث الحمل تنزوي المراة في منزلها حزينة يائسة، تتنازعها الهواجس والاضطرابات النفسية، وبالتالي تسوء صحتها، وتلازمها الكآبة المستمرة والقنوط واليأس

ولكن دعونا نتجرد من العواطف، ونرى كيف ينظر الطب لمرحلة التحول



فى سن حواء ، وهى مرحلة انقطاع الدورة الشهرية . التى تسمى خطأ باسم سن اليأس .

والطب يشير الى ان الدورة الشهرية تستمر لسنوات قد تطول أو تقصر ، فهى تبدأ من سن الثانية عشرة تقريبا حتى سن الخامسة والاربعين ، وطبيعى جدا ان الامر يختلف من أنثى الى أنثى ، فقد تبدأ الدورة مبكرة فى ســن التاسعة عند الفتاة ، وقد تتاخر الى سن السادسة عشرة أو الثامنة عشرة ، وذلك يحتاج الى البحث عن اسباب الاضطراب خاصة فى حالة تأخرها وبدء العلاج فورا .

أما سن انقطاع الطمث تماما ، وهو ماتركز عليه فى هذا المقال فيختلف من سيدة الى اخرى ، فقد ينقطع ظهور الطمث تماما عند سن الاربعين أو بعدها بقليل ، أو قد يستمر الى العقد السادس من سن حواء ، وذلك لايدعو للقلق والاضطراب ولكن فى بعض الحالات غير الطبيعية ، قد ينقطع ظهور الدورة الشهرية فى سن مبكرة .

وانقطاع الدورة قبل سن الاربعين ، ظاهرة واضحة لدى بعض السيدات ، بدون سبب ظاهر ، وليس لها تفسير محدد ، سوى ان العمر الافتراضى للمبيضين قد انتهى عند هؤلاء السيدات فى هذه السن المبكرة ، وهى ظاهرة لا تدعو أبدا للقلق ، اللهم الا فى بعض الحالات التى تكون فيها السيدة حريصة على الانجاب .

وفى هذه الحالات يكون سبب انقطاع الدورة عوامل كثيرة من بينها الاضطرابات النفسية والجسمانية ، للرغبة الشديدة فى الانجاب ، واللهفة الزائدة فى الحمل والرعب من انقطاع الامل ، واختفاء دم الدورة الشهرية ، وقد تحدث



احذر أن تقتلك زوجتك في سن اليأس

أعراض نفسية وجسمانية على بعض السيدات ، تشبه تماما حدوث الحمل ، وهو مايعرف بالحمل الكاذب ، حيث يصاحب انقطاع الطمث ظهور أعراض الوحم والقيء وكبر بطن السيدة ، وكل الأعراض المصاحبة للحمل الطبيعي .

وبالفحص لدى الطبيب ، فانه يكتشف المأساة .. حيث يجد أن الرحم خال تماما من أى أثر للجنين ، والقيء والوحم ماهي الا أعراض نفسية ، نتيجة للهفة الشديدة على الحمل ، كبر البطن ماهو الا انتفاخ كاذب ، جعل السيدة ومن حولها يعيشون في وهم لعدة شهور ...

واستطيع ان اذكر احدى حالات الحمل الكاذب التي واجهتها في بداية عملي ، وكنت وقتها عائدا من الخارج ، وقد حصلت على الدكتوراه ، ومزودا بكل الخبرة الطبية ، ولكن تنقصني الخبرة المطلوبة في معاملة حواء ، خاصة في مثل هذه الحالات . فقد حضرت الى سيدة في أواخر العقد الرابع من عمرها واندفعت تشرح باسهاب متاعبها مع الحمل ، وكيف أنها عانت من الوحم والقيء ، خاصة في الشهور الاولى ، فضلا عن انها تعاني في الشهر السابع الاما من حركة الجنين المستمرة ، وأعراض كبر بطنها الواضح ، وضغط الجنين على معدتها وعلى المثانة ، وعلى كل أجزاء البطن ، وعللت تحملها لتلك المعاناة لانها تحافظ بكل ذرة في جسمها على الطفل المرتقب ، الذي أعدت له كل مايحتاجه من ملابس ولعب ، حتى أنها خصصت له غرفة خاصة في بيتها ، رتبتها بعناية ، حيث لم تنجب منذ زواجها حتى الآن !

وبعد هذا الشرح الطويل استلقت على المنضدة المعدة للكشف وكانت المفاجأة ان الحمل كاذب ، وان هذه السيدة عاشت في وهم لمدة سبعة أشهر كاملة .

وحينما تأهبت السيدة للاستماع الى نصائحي لها في الشهور الاخيرة من الحمل ، فاجأتها بكل شجاعة بالحقيقة .. وأنها غير حامل ، وحملها كاذب ، وهذه الحالة حدثت لمجرد لهفتها الشديدة على الحمل ، وانقطاع الطمث مبكرا في سنها .

وكم كان هول المفاجأة مؤلما لديها ، ولم أشعر الا وقد هوت بكل جسمها ، وراحت في حالة غيبوبة ، واحدثت دويا شديدا لدى ارتطامها بالارض ، ودويا شديدا في عقلي ، فما كانت هذه الطريقة المثلى لفاجأتها بالتشخيص . ولكنها الخبرة الطبية ، حينما تنقصها الخبرة العملية في كيفية معاملة حواء وظروف مرضها ، وهي خبرة لايكتسبها الطبيب الا بعد معاناة وعمل طويل .

نظرة مريبة

واذا عدنا للحديث عن انقطاع الدورة الشهرية ، نقول انها قد تتأخر الى ما بعد سن الخمسين ، وينظر الطب بريبة أكثر لهذه الحالات والطبيب عليه دور في البحث عن الاسباب ، وقد يكون من بينها أن العمر الافتراضي للمبيض لم ينته بعد ، وفي هذه الحالة لاداعي للقلق . وكما هو ملاحظ فان المبيض من الاعضاء القليلة في الجسم بل قد يكون العضو الوحيد ، الذي

لايقوم بوظيفته الا لسنوات معدودة فى عمر حواء ، ولكن فى بعض حالات تأخر انقطاع الطمث قد يكتشف الطبيب الاخصائى اضطرابا غير طبيعى ، أو تورما غير مطمئن ، أو بعض الظواهر التى تستدعى اجراء بعض الابحاث ، للوصول الى التشخيص الدقيق وعلاج الحالة .

وانقطاع الدورة الشهرية عند المرأة لايأتى غالبا فجأة وبدون مقدمات ، ولكن فى أغلب الاحيان يسبقها فترة قد تطول او تقصر من تأخر نزول دم الطمث مع قلته التدريجية ، اما اذا حدث العكس من غزارة فى دم الدورة ، او كثرة مرات نزولها من المعدل الطبيعى ، فان ذلك يستدعى الفحص للتعرف على أسباب تلك الاضطرابات .

ويصاحب انقطاع الطمث بعد سن الاربعين بعض الاعراض التى تختلف حدتها من سيدة الى أخرى ، تلك الاعراض التى اقترنت دائما بالاسم الذى يدعو الى اليأس والقنوط « سن اليأس » ويكثر من القصص والحكايات والاوهام .

ان حواء قد تشعر ببعض التغيير فى جسمها كله فى هذه المرحلة وهذا شيء طبيعى ولا علاقة له بانقطاع الطمث ، وكذلك تشعر ببعض التغيرات النفسية نتيجة لانقطاع الدورة الشهرية التى لازمتها لسنوات طويلة من عمرها ، ففى فترات قد تشعر بحرارة غير طبيعية فى الجسم مع تصبب العرق بدون ان تبذل أى مجهود ، وبالطبع فان الوهم والمعتقدات الخاطئة لهما دور كبير فى حدوث هذه الاعراض . وينبغى ان نعرف انها اعراض مؤقتة ، ولا تستدعى استشارة الطبيب . أو البعض الذين يهولون فى أسباب تلك الاعراض من العامة .

وكثير من الاعراض السابقة كما ذكرت . قد لا تجد حواء الحرج فى ذكرها والشكوى منها ، وقد تجد فى مجرد الشكوى بعض السلوى والشفاء ، ولكن هناك بعض الاعراض التى قد تصاحب انقطاع الدورة الشهرية ، ولا يمكن للسيدة الافصاح عنها ، حتى لاقرب المقربين اليها ، حيث تلاحظ وجود « حكة » غير طبيعية فى اعضائها التناسلية ، او زيادة فى الرغبة فى ممارسة الجنس ، فى وقت قد يظن ان هذه الرغبة ينبغى ان تقل ، وليس العكس ، خاصة وان شريك حياتها يكون رغبته بدأت تخمد اما لكثرة مشاغل الحياة ، او لتقدمه فى السن ، وهنا تزداد المشكلة تعقيدا ، وتبدأ الهواجس تنتاب تلك السيدة ، وان رفيق العمر قد زهد فيما بعد هذه السنوات الطويلة ، ويعلم الله ان ذلك غير صحيح ، ولكنها التغيرات الفسيولوجية فى جسم آدم وحواء والتى ـ مع الاسف ـ لاتتطابق وتتوافق فى كثير من الاحيان .

اذا عدنا لسؤالنا الاول .. هل هناك عمر لدى المرأة يدعو لليأس ؟ وهل تفرغ حواء للاستمتاع بحياتها بعيدا عن مشاكل الدورة ، ومتاعب الحمل والولادة وأيضا تفرغها لتربية ابنائها ورعايتهم ، حتى لو لم تنجب المرأة فهى أحوج ماتكون فى تلك الفترة من عمرها لرعاية زوجها .

اننى أعتبر انه سن الأمل . والنضوج والتحول الى فترة جديدة فى عمر حواء ، ينبغى عليها ان تعيشها بكل الثقة والارادة بعيدا عن الاوهام والخرافات المتوارثة ، التى تطلق على سن تنقطع عنها الدورة الشهرية !



● المرجان .. علاج جديد لامراض الاسنان ●

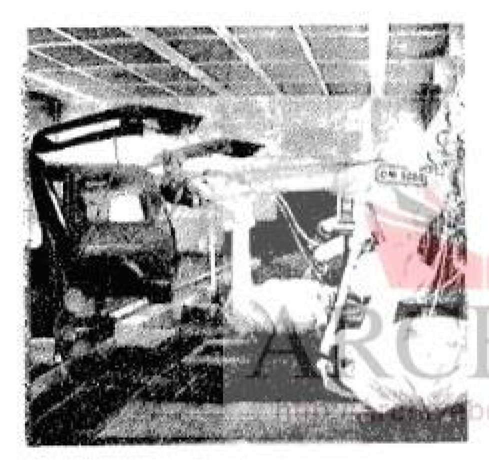
توصل العلماء الى ان الحل لمتاعب الاسنان التى يعانى منها الكثيرون يكمن فى المرجان الذى ينمو فى المياه الاستوائية التابعة للمستعمرات الفرنسية فى المحيط الهادى . ويحتوى المرجان فى حالته الطبيعية على كربونات الكالسيوم وهو يحتفظ بهيكله المسامى عند تحوله الى مادة عظمية تسمى « هيدروكسيل الاباتيث » وهذه المادة الجديدة تساعد على اعادة تكوين الجزء المتاكل من عظام السنة عند زراعتها فى اسنان المريض نتيجة الامراض التى تصيب الاسنان والتى يصاب بها فى الولايات المتحدة وحدها ثلاثة بين كل اربعة .



● بدلة جديدة للغوص ●

توصل احد المخترعين الكنديين الى أسلوب جديد يسهل من مهمة الغوص ويقلل من أخطارها وذلك بتصميم بدلة جديدة تتميز بأن بها امداد داخلى بالاكسجين بالاضافة الى مرونتها وسهولة الحركة بها .

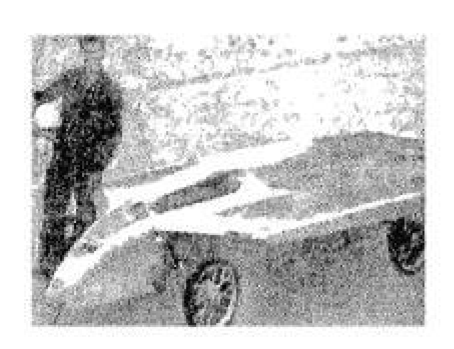
● الانسان الآلى .. عامل طلاء ●



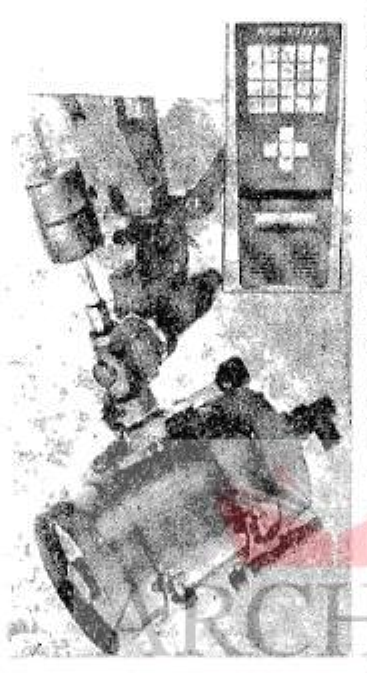
فى اوائل القرن العشرين استخدم الانسان الفرشاة لطلاء السيارات أما الان فقد اصبحت هذه العملية اكثر تعقيدا من الناحية الالية والكيماوية يقوم بها الانسان الالى فى غرف نظيفة خالية من التراب الى جانب القليل من العمال . وقد استطاع الانسان الالى مؤخرا طلاء السيارات من الداخل وهو الامر الذى كان يقتصر على الانسان فقط فيما مضى لصعوبة الوصول اليها . الا ان تكاليف هذه العملية كانت تبلغ ما يقرب من نصف تكاليف تركيب السيارة كلها .

● سيارة الغد .. بالطاقة الشمسية ●

مع الابحاث المستمرة التى يجريها العلماء لاكتشاف مصادر جديدة للطاقة ، امكن حتى الان استغلال الطاقة الشمسية بشكل محدود يتمثل فى اعادة شحن البطاريات عن طريق استخدام الالواح الشمسية . ولعل افضل ما قدمه العلم الحديث حتى الان ابتكار سيارة تعمل بالطاقة الشمسية التى يتم جمعها عن طريق عدة الواح او قضبان من الخلايا الكهروضوئية المتصلة بالشاسيه المصنوع من مادة الفيبرجلاس تصل سرعة هذه السيارة الى ٥٥ ميلا فى الساعة ، وان كانت هناك عدة عقبات تواجه استخدامها على نطاق موسع فكل ساعة قيادة تحتاج فى المقابل الى ثلاث ساعات اخرى لشحن السيارة كما ان سرعتها حتى الان مازالت محددة بالاضافة الى ارتفاع ثمنها بشكل باهظ يصل الى ٨٥ ألف دولار . ولذلك يقوم العلماء حاليا بابحاث مكثفة لايجاد حلول لهذه المشاكل حتى يمكن استغلال الشمس كمصدر حيوى للطاقة .



● منظار اليكترونى لرصد النجوم ●



لهواة علم الفلك الذين يقضون الليالى مستيقظين لتسجيل ملاحظاتهم حول النجوم ، والكواكب أنتجت احدى الشركات منظارا جديدا يجمع المعلومات اليكترونيا مزودا بجهاز حاسب الى يسجل ويحدد مسار النجوم وتحركاتها ودرجات اضاءتها ، او اى معلومات اخرى تبرمج له ويتميز هذا المنظار ايضا انه يعمل آليا حتى اذا اظلمت السماء يمكنه أن يلتقط الفى صورة يوميا كما انه يغلق بطريقة الية قبل ظهور ضوء الشمس .



انتبهوا أيها .. الرجال

يعطي بعض الرجـــال اهمية اقل لاصابتهم بمرض دوالي الخصية خاصة ان هذا المرض لا يسبب ألما مباشرا.. أحدث دراسة مصرية حول هذا المرض تحذر الرجال من اهمال هذا المرض فقد توصلت الباحثـــة فوزية حسن بجامعة الازهر فى دراستها حـــول، تاثير دوالي الخصية على صـــورة السائل المنوى عند الرجال المخصبين وغير المخصبين الى العديد من النتائج الهامة منها: أن هناك نقصا فى عدد الحيوانات المنوية الخصبة. وعدد الحيـــوانات المتحركة عنـــد الرجال المخصـــبين المصابين بدوالي الخصية. بالاضافة الى زيادة نسبة عدد الخلايا البدائية غير الناضجة. وذلك بالمقارنة بالرجال الطبيعيين. كما تزداد ايضـــا لدى المريض نسبة عدد الحيـــوانات ذوات الرؤوس المدببة وغير المنظمة الشـــكل وذات الرءوس الصغيرة والكبيرة.

من نتائج الدراســـــة ايضا أن التغيرات السابقة تصبح اكثر وضوحا فى الرجال غير المخصـــبين والمصـــابين بدوالي الخصية عنها فى الرجـــال المخصبين والمصابين..

وقد نبهت الباحثة ان خطـــورة امراض الخصية فى انها ليست ظاهرة للعيان مما يدفع المريض الى اهمالها فيؤدى الى تفاقم حالته المرضية على مدى الطول.

البيوت الجاهزة يصممها الكومبيوتر وينفذها الروبوت

اصبحت البيوت الجـــاهزة التى يصممها الكومبيوتر ويبنيها « الروبوت شائعة فى الولايات المتحدة مثل السيارات اليابانية.

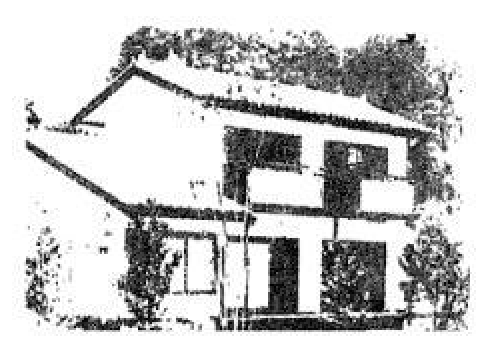
وقد بدأ استخدام تلك البيوت فى الولايات المتحدة فى الاربعينات — ولحل مشكلة السكن فى اليابان وجـــدوا ان الانتاج الكبير النمطى هو الحل لايجاد بيوت بثمن منخفض.

ذلك لان فى اليابان حوالي ١١٩ مليون نسمة يتكدسون فى مساحة تقترب من مساحة ولاية كاليفورنيا مما ساهم فى الترويج لفكرة المنشآت الجاهزة.

فالمواد التى سيزيد الطلب عليها.. والتى ستبنى بيوت المســـتقبل هى السليكون المســـتخرج من الرمال والسيراميك المستخرج من الفخار والرمال أيضا.

وهناك ولدى احـــد العـــاملين فى هذا الميدان افكار كثيرة لتطوير البيوت الجاهزة فقد كتب كتابين ناقش احدهما واسماه « العداء الاسرى »، ويعنون به فى اليابان العداء الذى يظهره الاطفال تجاه والديهم، وهذا العداء يمكن الحد منه عن طريق تصميم الحجـــرات.. واختيار الالوان.. فقد ثبت أن اللون الاحمر واللبنى مثلا يهدئان اعصاب الاطفال.

ويؤكد ميساوا أن التعرض لتغير حاد ومستمر لدرجات الحرارة من غرفة لاخرى يجعل الاطفال ضعاف الصحة. ويقـــول



ان الاطفال الاذكياء غالبا ما يتشاون فى بيوت عالية الجدران .. « وهذا يفسر حب ميساوا للقاعات الكبرى العالية الجدران التى تتوسط مبانيه » . وهكذا يحاول ميساوا ارساء عالم جديد يمكن تسميته «بالهندسة الاجتماعية

● جهاز تكييف ينقى الجو من المواد المضرة بالصحة

بسبب ارتفاع نسبة التلوث فى الجو الناتج عن عوادم السيارات ومخلفات المصانع ابتكرت احدى الشركات جهازا لتنقية الهواء على ثلاث مراحل للتخلص من أى مواد عالقة او غازات مضرة بالصحة ، ويعمل الجهاز فى نفس الوقت كهمزة وصل بين المروحة وجهاز التكييف ، يتكون الجهاز من ثلاث وحدات : الاولى تسحب الهواء عبر طبقة من الاسفنج ثم تمرره الى الوحدة الثانية المكونة من مرشح اخر مصنوع من مادة الفيبرجلاس المغلفة والتى تمنع مرور البكتريا والمواد الملوثة الدقيقة ، والتى قد يصل قطرها الى ١٠ر من الميكروب (١٠ر من المليمتر) اما المرحلة الثالثة فتتكون من مرشح يحتوى على مادة جديدة تعرف باسم ال - تى - سى ٩٥ لاستكمال عملية التنقية وتضم حبات دقيقة من الالومنيوم المغطى بمجموعة من المواد الكيماوية والمعادن كالنحاس ، والنيكل ، و البلاتيوم ، وتغلفها من الخارج طبقة من الفحم النباتى قد اثبتت التجارب التى اجريت على الجهاز ان المرحلة الاخيرة تزيل ٩٩٪ من الغازات المضرة المختلفة العالقة بالهواء كالغبار ورماد السجائر .. صمم المرشح الثالث ليعمل لمدة ثلاث شهور او ١٠٠٠ ساعة ثم يستبدل بعد ذلك بمرشح اخر يصل سعره الى ٢٠ دولارا اما سعر الجهاز ككل فيتراوح بين ٢١٥ و ٣٧٥ دولارا .

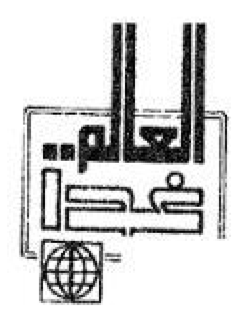
● الروبوت يقرأ النوتة الموسيقية ويعزف على البيانو ●

تشهد اليابان الان .. ميلاد الجيل الثالث للالات الذاتية الحركة .. وخصوصا فى مجال « الروبوت » أو الانسان الالى .. فالجيل الاول للروبوت كان يعتمد على حفظ الحركات ثم تكرارها ، والجيل الثانى كانت لديه قدرات لا تعتمد على تكرار الحركات التى يراها فقط ولكن بقيت قدراته محدودة . اما الجيل الثالث فيتميز بقدرات غير محدودة . فاصابعه مثلا مصممة بحيث تتحرك بخفة ومرونة، وتتيح له حركة ذراعية وقدميه الخروج الى العالم والتحرك بنفس السهولة التى نتحرك بها نحن .

وازاء التطور الكبير الذى لحق بالانسان الالى قررت وزارة الصناعة والتجارة العالمية باليابان رصد عشرين بليونا ما يعادل ٨ر٨٠ مليون دولار » لبرنامج ابحاث يستغرق ٨ أعوام . ويتوقع المراقبون ان عام ١٩٩١ سوف يشهد الجيل الخامس فى التطور الالكترونى للانسان الالى .

ويأمل الباحثون فى ان ثورة الروبوت والجيل الخامس منه بالتحديد سيكون مزودا بملكات ، ومهارات اخرى .

وكلما تعددت الاغراض التى يمكن منها استخدام الروبوت كلما ادى ذلك الى البحث عن مزيد من الحركات التى تمكنه القيام باداء هذه المهام الجديدة بيسر وكفاءة .. وللبحث عن مزيد من الحركات التى يمكن تزويد الروبوت بها - لجأ كثير من الباحثين لمملكة الحيوان يعيشون فيها من حركات تقوم بها الحيوانات يمكن تزويد الروبوت بها ووجدوا أن حركة خرطوم الفيل يمكن ان يستفاد منها اذا



تم تزويد الروبوت بها . وكذلك حركة الثعبان أثناء سيره ..

وفى الحقيقة ، ان النظام الحركي فى الروبوت اقل تعقيدا من الانظمة الاخرى مثل البصر .. مما ادى الى التنوع الكبير فى الحركة لدى الروبوت اليومى .. وأيضا لان الجهاز الحركى للروبوت لا يستنفد جزءا كبيرا من ذاكرته مثل البصر ..

وقد تم استبدال ارجله المصنوعة من الالومنيوم « وبالـذات فى الربوت العنكبوت » بارجل اخرى مصنوعة من من الالياف الضوئية

والكربون « مادة اخف وزنا من الالومنيوم .. ولكنها قوية وهى مزيج من الجرافيت والقراء » .. وهذه الارجل الخفيفة سريعة الحركة مما سبب مشكلة .. وهى ان هذه الارجل اصبحت اسرع من ان يتحكم فيها الكومبيوتر . ولذلك يجرى اعداد برامج أخرى لتهدئة سرعة هذه الارجل .

يعتقد الباحثون فى اليابان ان السنوات القادمة سيتحسس الاشياء من حوله ويراها أيضا ، ويمكنه السير بمفرده الى أن يصل لمكان عمله ..

والتطور الذى تشهده اليابان فى ميدان صناعة الروبوت وتشغيله يعود الى اعجاب اليابانيين وحبهم الشديد له .. حتى انه قد أقام فنان يابانى شهير معرضا عن الروبوت رسم فيه تصوراته المقبلة لما سيكون عليه الروبوت فى المستقبل . فعد صور الروبوت مرتديا ملابس أنيقة .. وفى لوحة أخرى الروبوت وهو يسبح !! ..

وتبقى الثورة الكبرى فى عالم الروبوت .. فى صنع ذكاء له .. حيث يتم تزويد الروبوت « بذكاء صناعى » .. سيكون الروبوت اكثر من مجرد اداة يحركها الكومبيوتر الأم لانه سيحتوى على كومبيوتر .. وهكذا سينافس الروبوت العقل البشرى .. ويمكن تعريفه «الذكاء الصناعى » فالروبوت العادى ، اذا ما أعطيت له ـ مثلا ـ زجاجة بها كحول كيميائى ، فسيحصر تفكيره فى أين يمكنه وضعها ... أما الروبوت المزود بالذكاء الصناعى فسيحملها بالطريقة التى يضمن معها عدم سكب المحلول الذى فى الزجاجة على الارض .. أى انه سيحملها بطريقة « ذكية » وليست « آلية » .. ان الذكاء الصناعى بمثابة تعديل نوعى او كيفى لوظيفة الروبوت ..

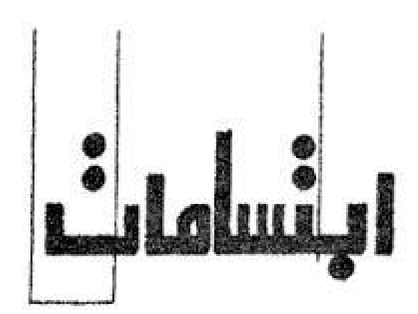
وقد تم فعلا عمل ربوت ذكى .. يمكنه حمل المريض بعناية من فراشه الى حجرة العمليات أو الاشعة .. وهذا النوع يمكن تصميم استخدامه فى المستشفيات .. وهذا الروبوت « الممرض » يستطيع اطعام المريض بل ويستطيع أن يحلق له ذقنه أيضا ..

وانطلاقا من هذه الفكرة يعكف العالم سوسوموتاشى على عمل الروبوت المرشد أو الدليل .. الذى ستكون فائدته كبيرة للذين حرموا من نعمة البصر .. وهذا الروبوت لن تكون له أرجل .. بل ستكون له عجلات حتى يتحرك بسهولة ومرونة وسرعة اكبر ..

هذه كانت بعض استخدامات الروبوت الحالية والمستقبلية فى اليابان .. ويتضح منها انه طوال الاعوام الماضية واحتياجات اليابان لانواع مختلفة من الروبوت تتزايد ..

وهكذا يبدو انهم فى اليابان يؤمنون بما قاله توماس كارليل ذات يوم ، اذ قال :

« الانسان حيوان مستعمل للآلة ، بدون آلة يصبح لا شىء .. وبها يصبح كل شىء ! » ..



خطأ غير مقصود

● نشرت احدى المجلات الالمانية الصادرة فى بافاريا هذا التصحيح المهم :

« نأسف للخطأ غير المقصود الذى ورد فى عددنا الاخير • فكلام الصورتين المتعلقتين بالافطار على نوعية الصالح للاكل ، والسام ، ورد معكوسا • والباقون على قيد الحياة وحدهم استطاعوا تصحيح ذلك الخطأ »

ثلاثة ازواج

● فى احد شوارع باريس تقابل احدهم مع سيدة يعرفها ، فقال لها بدهشة :

ـ لقد مضى زمن طويل لم أرك فيه ، فاين كنت ؟

ـ كنت فى امريكا !

ـ وهل امضيت هناك زمنا طويلا ؟

ـ آه ، حوالى ثلاثة ازواج !

للضحك

● فى كتابه « البناء للضحك » يروى أو نوريه بوستيل انه قرأ هذا الاعلان فى بلدة ارباجون الفرنسية •

« يقام الاستعراض الشعبى الاحد القادم مهما يكن الطقس • فاذا امطرت السماء بعد الظهر فان الاستعراض سيجرى فى تمام الساعة العاشرة قبل الظهر » !

هل انت مجنون ؟

فى الثكنة سأل الضابط المتطوع الجديد :

ـ فى أى سلاح تود ان تخدم ؟

ـ فى هيئة اركان الحرب !

ـ انت مجنون ؟

ـ هل ذلك ضرورى ؟!

مجانا

● دار الحديث التالى بين مدير احد المسارح وصديقه :

ـ غدا موعد بدء عرض روايتى الجديدة •• انها باكورة انتاجى •• ماذا تعتقد ينبغى ان افعل لاجتذاب اكبر عدد من المتفرجين ؟

ـ اجعل الدخول مجانا !

دواء

● استدعى الطبيب الشهير لعيادته مريضة بالوهم • وبعد ان استرسل معها بالاسئلة عن حالتها ، اعترفت له المريضة بانها تأكل ، وتشرب الخمر ، وتنام جيداً • وانها تتمتع بالنشاط الوافر والصحة الممتازة •

ـ حسنا ، دعيني انصرف فساصف لك دواء يخلصك من كل ذلك ! ••

العطف

● وصل الطبيب الى ناديه متأففا ، وقال :

ـ الطقس ، ردىء للغاية ، ولقد شكت زوجتي طوال اليوم من رعشات برد شديدة •

فسأله احدهم : نرجو الا يكون الامر على شيء من السوء ؟!

فقال الطبيب : لا اعتقد ذلك • فانا متردد بين تشخيصين : فاما انها مصابة بالملاريا ، واما انها تشتهى معطفا جديداً من الفرو !



بقلم: محمد فتحي

● خلق الله الانسان فى احسن تقويم ، ولم يضن على فرد من الافراد ببذور النبوغ ، بل والعبقرية ، فكل انسان لديه مالدى العبقرى من استعدادات فى صورة جنينية . ومن ندعوهم بغير الموهوبين هم هؤلاء الذين لم يكدحوا لتنمية هذه الاستعدادات . ●

زعم بعض العرب الاقدمين ان الجن كانوا يسكنون قرية عبقر . ومن هنا كان وصفهم لكل من يأتى بشىء فذ بالعبقرية .. قاصدين أن الجديد لا يأتى المرء الا على جناح همس « شيطانى » .. وبكلمات اخرى ان الانسان غير جدير بالنتاج الجديد الفذ وان مثل هذا النتاج لابد وان يسقط عليه من عالم اخر ..

ولم يكن هؤلاء العرب شذوذا فى تصورهم . فقد كتب افلاطون ان الشاعر - شيخ المبدعين - كائن اثيرى مقدس ، له جناحان ، ولا يمكن ان يبدع قبل ان يفقده الالهام عقله .. او قبل ان يحركه « شيطان » الالهام بكرمه ..

ولا يقتصر هذا التصور على بعض العرب وافلاطون . فكثير من المبدعين يؤكدون ، حتى يومنا هذا ، أنهم ليسوا سوى ادوات فى عملية الابداع ، وان «شيطانا» ما يطرق بابهم وييسر اليهم بحلول المشاكل التى تؤرقهم ، بعد ان يكونوا قد فشلوا مرارا وتكرارا فى التوصل الى هذه الحلول ، او حتى نسوا النجاح والفشل . وان هذا الشيطان يزورهم فى بعض الاحيان وهم فى « سابع نومه » ، وفى أحيان



الشيخ
ابن سينا

اخرى وهم يتجولون فى الخلاء ، بل ولا يستحى حتى من اقتحام دورات المياه عليهم . ولعلنا نذكر أن « وجدتها . وجدتها » ، تلك الصيحة التقليدية التى يعلن بها كل مبدع عن فرحته بالوصول الى ماهو غير تقليدى ، صدرت عن ارشميدس للمرة الاولى على باب حمامه، بعد أن وقع له اكتشافه المشهور ..

ما سبق محطة الوصول

وبالطبع لايمكن الهام المبدعين والتوابغ والعباقرة من « اتباع » الجن والشياطين بالكذب او الضلال .. كل ماقى الامر أن ما يحيط بهم من ظروف يجعلهم عاجزين عن استيعاب مجمل مايحدث فى رحلة ، او دراما الكشف والابداع . كما يجعلهم ينسون او يتناسون كل ماسبق محطة الوصول ، ولا يرون ضرورة أو معنى لتقصى ماحدث قبل المشهد الاخير ..

لكننا نستطيع ادراك جوهر دراما النبوغ حقيقة من كلام مبدعين غيرهم ، لم تطمس فرحة الوصول او يطمس تهليل المصفقين رؤيتهم ، فوقفوا كثيرا عند الجهد الجبار الذى يقدمونه قربانا «للشيطان» الالهام حتى يشرفهم بالزيارة.

ولعل اروع من يمكن الاستشهاد به فى هذا الصدد المخترع الامريكى الاشهر اديسون ، الذى يضيىء مصباحه كل ركن من اركان بيوتنا . فالنابغة الفذ يقول بلا مداورة أو تعمية او مواربة أو تمويه : « ان العبقرية ٩٩ فى المائة عرق وواحد فى المائة الهام » ! وليس فى قول اديسون هذا اى قدر من مجانبة الحقيقة ، ناهيك عن المزاح أو التبسيط او التناقض ، فقد كانت حياة شيخ المبدعين فى عصره — وربما فى كل العصور — خير تجسيد لمقولته هذه ..

لقد كان اديسون يعشق العمل الى حد الجنون ! ولم تكن اختراعاته تتساقط عليه من السماء ، كما قد يتصور البعض ، مع فيضها على النحو الذى لم يعرف له البشر مثيلا . ويكفينا هنا لايضاح ما نقول مثالا واحدا هو اختراع البطارية الذى استغرق منه عشر سنوات كاملة لم يكن اديسون ينام طوالها سوى اربع ساعات كل يوم ، وفى ايام كثيرة كانت فترة النوم تتقلص الى ساعتين ! بينما كان العمل يستمر ٢٢ ساعة متواصلة ! ورغم كثير من المحاولات المخفقة لم يكن الاحباط ، الذى يلف القريبين من اديسون ينال من حماسته ، حتى انه كان يصيح فى كل مرة ، وسط دهشة الجميع ، ها نحن قد عرفنا الاحتمال .. المائة .. الالف .. العاشر بعد الالف .. من الاحتمالات التى لاتنفعنا .. ياله من نجاح ، لقد اقتربنا خطوة اخرى من الحل الصحيح !



وتقول مينا زوجة اديسون اذا امكن تصور انسان يعيش فى حالة من التوتر المستمر ، لايرى ولا يسمع ولا يفكر ولا يفعل شيئاً ليست له صلة مباشرة بالمهمة التى يحاول انجازها ، فانتم أمام اديسون خلال عمله .

نعم لقد كان اديسون قادرا على «العرق» ولهـذا بالذات تمكن من انجاز عشرات الاكتشافات . ووفق شهادته هو نفسه كان عمله يمتد ١٩٫٥ ساعة فى المتوسط ، فلما تجاوز الخمسين انخفض الى ١٨ ساعة فقط !

التبطل من اسباب المرض العضوى

وما لنا نذهب بعيدا الى اديسون ، حتى نرتقى هامته للتأكيد على قيمة العمل بالنسبة للنبوغ . هاكم الطبيب العربى الفذ ، الذى ظل قانونه مرجعا وحيدا للطب فى العالم المتحضر ، طوال خمسة قرون على الاقل .. هاهو الشيخ الرئيس والفيلسوف العظيم حجة الحق ابن سينا .. امام الامير نوح بن منصور يوم شفى على يديه ، بعد أن حار اطباء العصر فى علته ، لا يطلب من الامير مكافأة عـلى صنيعه سوى ان يسمح له بالدراسة فى مكتبة قصره... وهاهو ابن سينا نفسه يقول : « العمل هو كل شىء بالنسبة لى اما ماعداه فمجرد وجود » . ثم هاهو يشير الى ان الكسل والتبطل والخمول لا تولد الجهل فقط ، بل وتعد فى الوقت نفسه سببا من اسباب المرض العضوى .

ويمكن مواصلة الامثلة فى هذا الصـدد الى مالانهاية . لكننا سنكتفى ، عوضـا من ذلك ، بمثال تفصيلى – يلقى ضوءا كاشفا على ماينبغى الوصول اليه – الا وهو قصة نبوغ ديموستينس عظيم خطبـاء اليونان فى زمانه . لقد عاش الرجل ابان مقاومة اثينا لفيليبوس المقدونى ، وفى فترة دفعت بفن الخطابة الى ذروة عالية .. ويوما استمع ديموستينس الى احد الخطباء ، فهزته قوة تأثير الكلمـة من الاعماق حتى أنه صمم على ان يصبح خطيبا !

لكن الخطوات الاولى سرعان ماكشفت عن هزال قامة ديموستينس فى هـذا الصدد ، وعما فسر على انه قصور فى استعداداته الطبيعية .. كان الزمان يفرض ان يكون الخطيب مهيبا حسن المظهر ، ذا صوت جهير ، يجيد اللفتة واللمحة والاشارة ، يحسن الوقف والاظهار والدغم والترقيق والتفخيم ، ويخرج الكلمـات مستوفاة لا عوج فيها ولا نقص .. لكن الشاب كان الثغا قريب التأثر ، ضعيف الصوت سريع التنفس ، مختلط مخارج الالفاظ ، مما كان يفرض عليـه تقطيع حديثه حتى يفقد الكلام تأثيره بل ومعناه.

تمنى ديموستينس لكن هيهات أن ينال ما تمناه . فمن أين له بقوة التنفس وسعة الصدر ، والقدرة على الحـديث الطويل فى الهواء الطلق ..

وبدا للكثيرين ان التناقض بين ما وهب الرجل وما تتطلبه الخطابة لا يفى الا بأن يقنع من رغبته بالاياب ، فاليونان كانت تفيض بفيض من الخطباء البارعين ، حتى انها لم تكن فى حاجة الى مزيد ..

البرنامج العادى لا يكفى

لكن ديموسـتينس ادرك الموقف ، مدفوعا بصدق انبهاره ، على نحو مخالف تماما ..

راى أن الامر فى حاجة الى جهد واع منظم فراح يطلب فن الخطابة على يد ابلغ خطباء زمانه .. لكن حديثه لم يثر فى الناس حتى بعد هذا الطلب سوى الضحك والرثاء ..

وبدلا من أن يدير ديموستينس ظهره للامر كله ، على اعتبار انه نزوة قصرت قامته من متطلباتها ، جاء اسـتنتاجه

مخالفا تماما : « الآن فالبرنامج العادى لاعداد الخطباء لايكفينى ، لأنه لم يفصل على مقاسى » ..

ومضى الرجل للتو فى وضع برنامج خاص به .. استاجر غرفة باحد البدرومات ، أعتزل فيها لمواصلة تدريباته الشاقة .. وأمام المرآة جهد فى تعلم التمثيل ، وفى الهواء الطلق جد فى تدريب أوتار صوته .. وكثيرا مابقى وحيدا يمارس التدريب لشهرين أو ثلاثة شهور متفاديا الرجاء الاجتماع والاختلاط ببعض الحيل الساذجة المضحكة ، كان يحلق نصف رأسه ويترك النصف الآخر ، حتى يخجل من الظهور أمام الناس ، مهما استحكمت رغبته ..

ولم يكتف الرجل بالوحدة والمثابرة بل عمد الى تحويل كل لقاء وكل حديث يعرض له مع الآخرين الى مادة للتدريب الشاق الدؤوب .. فكان يهرع فور أن ينفرد بنفســـــه الى مرآته ويحاول أن يستعيد ما قاله الآخرون وما قــال لهم مجربا كل مايطرأ على باله من طـــرق التعبير ، ودون اهمال لأى هفوة أو جزئية صغيرة ..

هذا كما لم تورع الرجل فى سبيل الخطابة عن فعل كل مابدا غريبا شاذا ساعتهـا .. فللتغلب على همس النطق وضعفه ، كثيرا ماكان يستعيد مقـــاطع طويلة من الشعر بصوت عال ، وهو يضع حصاة فى فمه ! ولتحســـين قدرته على التنفس كان يواصل الصياح وهو يجرى على المنحدرات ، حابسا تنفسه حتى يتم كما محددا من الكلمات !

وهكذا انتصر الرجـــل ، خطوة وراء خطوة ، على ماكان يتسم به من نواقص ، ودعم بمثابرته الاستعدادات التى لم تبرز أو لم يهتم بتنميتها منذ مولده . وهكذا أم فى هذا الباب كل من كانوا يبدون وكأن الله حباهم بما لم يهبه إياه ..

أديسون كان يعمل ١٩,٥ ساعة كل يوم حتى بلغ الخمسين

• إن الكسل والتبطل لا يولدان الجهل فقط فهمـا من اسبـاب المرض العضوى

مالنا وكل هذا العرق

لقد قصدت عمدا ، عند اختيار هـــذا المثال التفصيلى ، الطرف الاقصى . لكنه ليس قانونا ان يجهد المرء وراء مايبدو انه لايملك استعداداته ، فذلك ليس هدفا فى حد ذاته . لكن يلفت المرء فى هـــذا المثال عمق الهوة بين الرغبة والاستعداد كما يتجلى فيه بانصع الصور التناسب بين قدر العمل وقدر الموهبة ..

واكاد اسمع ماقد يجول فى ذهن بعض القراء : لماذا كل هذا العناء وكل هــــذا العرق ؟ مالنا نحن البشر العاديين وابن سينا واديسون وديموستينس ..؟ واين هذا التوتر كله من العيش الهادىء الهنىء دون هموم ؟ وماذا ان كان يروق للمرء أن يعيش كما هو ولا يطمح لنجوم السماء؟..

ومن يردد مثل هذه الاقوال يخدع نفسه فى الاساس . فلا يمكن ان يكون زاهدا ، خلافا للناس جميعا ، فى حياة ابداعية ديناميكية ثرية ، راغبـــا فى عيش تكرارى خنوع ، غير جدير بالانسان الذى نفخ فيه الخالق الاعظم بعضا من روحه ..

ووجه الخدعة هنـــا ان الانسان كثيرا مايقدم على الحياة وكأنها طريق مفروش بالورد ، وما أن تتعثر قدمه فى أول صخرة أو صخور حتى يصاب بخيبة أمل فى كل شىء ، ويكون اقرب المشاجب التى يعلق عليها اخفاقه الارادى او البيئى .. هـــو ذريعة الافتقار الى الموهبة ، وسرعان مايصل الامر الى ابعد من ذلك فتجده يكرر : « دع الآخرين من الموهوبين يطمحون الى النجوم ، اما انا فرجل على قدى والزكونى لما يناسب هذا القد من اهداف متواضعة » وليس هنالك مايسد الحياة امام الانسان

هل أنت عبقري؟

على النحو الجدير بمخلوق استخلفه مبدع الكون في الدنيا مثل فقدانه الثقة في قوة وقدرة هذا القبس الذى نفخه الله فيه من روحه .. ذلك القبس الذى يمنحه قدرات هائلة ، بدرجة عجز معها العلم حتى عن التكهن بضعاف هذه القدرات ..

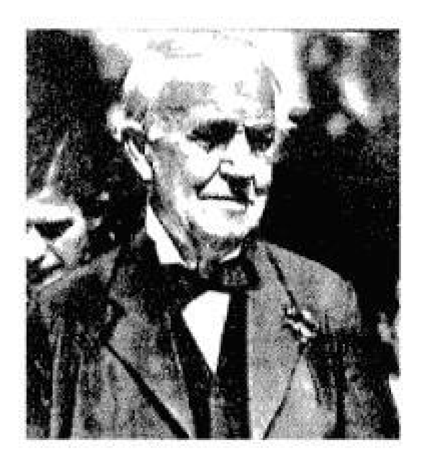
وان كان المرء امينا مع نفسه لادرك الخلط الكامن في دعواه . لقد حاول واخفق لان مقومات محاولته لم تكن متكاملة ، كما انه لم يجد في نفسه وفي ظروفه مايحثه على المثابرة ومعاودة المحاولة بادراك اشمل وجهد اذكى ..

مآل العظيم والدنيء الموت

وعادة مايمضي بعض المتفلسفين الى ماهو ابعد من ذلك : « هل يستحق الامر كل هذا العناء ، ومآل الجميع عظيمهم ودنيئهم الموت ؟ وهل ياخذ المرء معه شيئا ؟.. »

ويفوت هؤلاء أن للانسان ، بجوار احتياجاته البيولوجية والمادية ، احتياجات اخرى معنوية وروحية .. والانسان لايقول لنفسه حين يجوع ، لماذا آكل فالموت هو المآل في النهاية .. والجوع الروحي والمعنوي مثله كمثل انواع الجوع البيولوجي امر جبل الانسان عليه .. ربما لا يهدد حياته بنفس الدرجة من الوضوح ، ومن هنا اغفال الكثيرين له . لكن عدم اشباع هذه الجوع يقود الانسان الى التحلل والدمار .. ذلك ان الامكانيات الابداعية المعطلة مصدر دائم لازعاج الانسان بل ولعذابه .. وهي تقود بطريقة خفية الى فقدان الحياة لمعناها ، بل والى المرض والتدهور ، ذلك بينما يخجل الانسان عندما يحقق امكانياته على متعة لاتدانيها متعة اخرى ..

ان السعي الى ترقية النفس من اسمى الحاجات الروحية والمعنوية ، وهو لايمكن ان يكون وقفا على قلة مختارة .. انه مطلب داخلي اكيد عند كل فرد ، وتعرف الانسان عليه في نفسه ، يكون بمثابة الانطلاق من ظلام المحدود الى نور اللامحدود .. وشهوة التقدم تبدو على درجة كبيرة من الوضوح في عالم الطفل ومن الامور ذات الدلالة انها موجودة حتى في عالم الحيوان ، ولولاها لصارت حياته لعبة في يد الظروف ..



اديسون

لقد كان بالامكان الاستغناء عن هذا الاستطراد كله ، ومصادرته ابتداء ، اتكاء على تراثنا الديني العظيم ، لكن بعد محاولة ايضاح بعض التساؤلات نرى ان خير مايمكن ان نختم به حديثنا درر افصح فيها من خلق الانسان - كل انسان - في احسن تقويم ، ليتركه بعد ذلك مسئولا بعمله عن نفسه ، افصح فيهما العلي القدير ببلاغة يخبو بجانبها كل قول :

« تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم احسن عملا .. » « الملك ١ و ٢ »

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » « الزلزلة ٧ و ٨ »

« ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون » « الانعام ١٣٢ »

صدق الله العظيم .

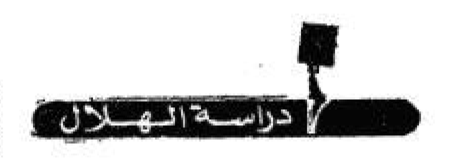


●● لا جدال فى ان للشباب المصرى قضايا وهى لا تنفصل عن قضايا المجتمع الذى يعيشون فيه . وقد شهدت مصر فى خلال الستينات والسبعينات تغييرات وتحولات جذرية فى نظمها الثقافية والاجتماعيـة والاقتصادية والسياسية ، من تشريعات الاصلاح الزراعى والقوانين الاشتراكية وهزيمة عام ١٩٦٧ وآثارها الى معركة العبور ١٩٧٣ وسياسة الانفتاح الاقتصادى (الاستهلاكى) وتعدد الاحزاب .. الخ .

وقد ادت هـذه التغييرات والتحولات فى مجملها الى كثير من المشاكل فى التطبيق والتنفيذ ، شأنها شأن اى تغييرات سريعة وتحولات مفاجئة غير متدرجة ، وهذا امر متوقع . ●●

وقد اثرت هذه المشاكل على قيم المجتمع المصرى وعلى سلوك اعضائه وكانت فئة الشباب اكثر فئات هذا المجتمع تأثرا بهذه التغييرات والتحولات والمشاكل المترتبة عليها ، اذ انها تبدأ من مرحلة الطفولة فى طريقها الى مرحلة النضوج ، اى وهى على ابواب تحمل مسئولياتها والقيام بالادوار الاجتماعية التى يتوقعها منها المجتمع .

والملاحظ ان مفهوم « الشباب » له معان عديدة ، فنجد ان علماء السكان يستندون فى تحديدهم للشباب الى محك خارجى كالسن أو العمر الذى يقضيه الفرد فى الون التفاعل الاجتماعى . ويختلف هؤلاء العلماء فيما بينهم فى تحديد بداية ونهـاية هذا السن .



فهناك من يؤكد انهم من هم تحت سن العشرين ، وبذلك نجد ان نقطة النهاية قد حددته ولم تحدد نقطة البداية • وهناك من يرى أن فئة الشـبـاب من يقعون في المرحلة العمرية ما بين سن الخامسة عشرة الى سن الخامسـة والعشرين ، أو من هم يقعـون في المرحلة العمرية ما بين سن الخامسة عشرة الى سن الثلاثين •

ولعلماء الاجتماع تحديدهم العلمي لمفهوم الشـبـاب ، فهم يؤكـدون انه بالاضافة الى التحديد العمرى السابق، فان فترة الشباب تبدأ حينما يحاول بناء المجتمع تأهيل الشـخـص لكي يحتل مكانة اجتماعية ويؤدي أدواراً اجتماعية في بنائه ، وتنتهي حينما يتمكن الشخص من احتـلال مكانته واداء ادواره في السياق الاجتماعي وفقا لمعايير اللعبة الاجتماعية • وترى علماء الاجتماع يؤكدون ان الشخصية تظل شابة طالما أن صياغتها النظامية لم تكتمل بعد ، وفي اطار ذلك يفرقون بين الدور في مرحلة الاعداد ، والدور في مرحلة الاكتمال والاداء • فدور الطالب او صبي الحرفي يعد من النوع الأول • بينما يعد دور الموظف المهني ودور العـامل الحرفي من النـوع الثاني • وبذلك يعتمد تحديد علماء الاجتمـاع لمفهـوم الشباب كفئة على طبيعة ومدى اكتمال مجموعة الادوار الاجتماعية التي تؤديها الشـخـصية الشابة •

اما علمـاء النفس الاجتمـاعي فيربطون بداية ونهاية مرحلة الشـباب بمدى اكتمـال بناء كل عضـو من اعضـاء هذه الفئة الذي يتمكن عن طريقه من التفاعل السرى في المجـال الاجتمـاعي • بينما نجد لعلمـاء البيولوجيـا رؤيتهم التي تؤكد على ربط نهاية مرحلة الشـباب باكتمال نمو البناء العضـوى والفيزيقي من حيث الطول والعرض ، ومن حيث نمو واكتمـال كافة الاعضاء التي لهـا وظائف معينة في بناء الجسم سـواء كانت اعضـاء خـارجية او داخلية (كالغدد مثلا) •

وفي ضوء ما سبق نلاحظ ان دور حياة الانسـان قد تقسم الى اربع مراحل هي :

الأولى : مرحلة الطفـولة (غالبا تكوين بيولوجي) •

الثانية ـ مرحلة الشباب (اكتمال بيولوجي نفسي اجتماعي) •

الثالثة : مرحلة الرجولة (تعـد امتداد للاكتمـال البيولوجي والنفسي والاجتماعي) •

الرابعة : مرحلة الشيخوخة (بداية في تحلل الاكتمال البيولوجي النفسي والاجتماعي) •

والملاحظ أن المرحلة الثانية (مرحلة الشباب) هي مرحلة المعاناة لأنها مرحلة الاكتمال ، والاكتمال تفـاعل ، فيه اضافة وتوليد ، وفيه غرس ورفض وفيه فعل ورد فعل ••

● مشاكل الشباب ●

وفي ضـوء نظرتنا العلمية ، وفي ضوء ظروف مجتمعنا النامي ، نرى انه لكي نواجه مشاكل مرحلة الشباب كأحد مراحل دورة حياة الانسـان ، او كفئـة من فئـات المجتمع التي على عاتق اعضائها مسئولية التنمية• ومن هذه المشاكل مشـاكل الانحراف بانواعـه ومنها الجـريمة بانماطها وصورها العديدة ـ نرى انه لا يجب



ان تكتفى بعمليات الوقاية فحسب ، او تكتفى باتخاذ التدابير الضرورية لعلاج من ينحرف من هذه الفئة بان يرتكب افعالا معينة تعتبر جرائما ، بل يجب ان يكون الهدف هو العمل الجدى فى سبيل تكوين مواطنين يتطلبهم المجتمع المصرى فى الوقت الراهن • فنحن نرى انه اذا كانت دولتنا النامية تبنى مجتمعا جديدا ، فان هذا المجتمع يكون بالضرورة مجتمعا ايجابيا • اى مجتمعا يرتفع بناؤه دائما عن طريق تطبيق الاساليب العديدة للتنمية الشاملة سواء كان ذلك فى ميدان المادة الانتاجية او المادة البشرية على السواء •

واهداف تطبيق اساليب التنمية الشاملة فى محيط المادة البشرية هى تكوين المواطن المصرى ، فى ضوء تحديد السمات الشخصية السوية الضرورية للشخصية الانسانية ، من حيث نواحيها الجسمية والعقلية والعاطفية والاجتماعية • مع الاخذ فى الاعتبار مستوى النضج الضرورى لهذه النواحى حتى يكون شخصا صحيحا ناميا ، ويحب الخير والكرامة الاجتماعية ، ويستطيع ان يواجه قوانين السلوك العامة ، ويستجيب للمواقف الانسانية المتعددة استجابة سليمة ، ويكون مدربا على مواجهة الحياة الاجتماعية ، ويستطيع ان يهنا بالكفاح وبالعمل وباداء الخدمات العامة ليستطيع ، كشخص ، ان يؤدى ادواره الاجتماعية فى ضوء ما يتوقعه منه المجتمع •

ويلاحظ ان تحديد هذه السمات مهمة كبيرة ما فى ذلك من شك • وهى مهمة يجب ان يخطط لها علميا ، كما يجب ان يناط بتنفيذها لاجهزة اجتماعية متخصصة فى كل من القطاعين الاهلى والعام ، وبخاصة فى تلك التى تعنى بعمليات التنشئة الاجتماعية فى المجتمع كالاسرة والجيرة والمدرسة والنادى الاجتماعى والمنظمة الدينية والمنظمة السياسية (الاحزاب مثلا) واجهزة الاعلام والثقافة • وادوار المهن التى تعمل او يجب ان تعمل فى ميدان الانحراف والجريمة مثل مهنة رجل القانون والاخصائى الاجتماعى ورجل الشرطة مثلا فى ضوء الوظائف الاجتماعية لهذه الاجهزة الاجتماعية ادوار بارزة وهامة •

● وقاية المجتمع ●

واذا كانت الادوار الاجتماعية للمهن المشار اليها وغيرها من الادوار التى تعمل فى مجالات تطبيق اساليب التنمية فى محيط المادة البشرية ادوارا بارزة وهامة ، فان ادوارها فى مجالات تطبيق اساليب الوقاية الاجتماعية فى محيط المادة البشرية ومنها اساليب الوقاية من الانحراف والجريمة ، واضحة وضرورية ويعنى مفهوم الوقاية من الانحراف والجريمة



فى راى الكاتب وقاية المجتمع من وجود اشخاص منحرفين او مجرمين ، احداثا كانوا او شبابا او بالغين ، ذكورا كانوا او اناثا ، اى القيام بالتدابير الاجتماعية والاقتصادية والتربوية التى تحد من وجودهم • اى التدابير التى تحفظ المواطنين الأسوياء اسوياء • او التى تصحح الظروف الاجتماعية التى تعتبر ضارة لأنها تهدد المواطنين الصالحين الاسوياء او اسرهم ، او تهدد معايير المجتمع الذى يعيشون فيه •

وقد يرى البعض ان المقصود من الانحراف والجريمة هو « الحيلولة دون نشوء الشخصية الاجرامية » • ولا يوافق الكاتب على هذا المعنى • ذلك لأن الشخص المنحرف او المجرم لا يمكن ان يكون شخصا منحرفا او مجرما فحسب ، اى لا يمكن ان يكون فردا ذا شخصية منحرفة او اجرامية • فالشخص المنحرف او المجرم هو شخص يؤدى ادوارا اجتماعية عديدة وديناميكية ، مثله فى ذلك مثل رجل الشرطة والقاضى ! وهذه الادوار كلها هى التى تكون شخصيته الاجتماعية الديناميكية • اى ان الشخص الذى يرتكب نمطا من انماط الانحراف او الجريمة او حتى الذى اعتاد على ارتكابه ، لا يمكن ان يستمر فى ارتكابه طوال الاربع والعشرين ساعة فى كل يوم • والنظرة الى ارتكاب الانحراف او الجريمة ، وحده ، لا تفيد سوى رجل الشرطة حين يحاول القبض عليه ، او سوى القاضى التقليدى عندما يدينه ويصدر حكمه فى نمط الانحراف او الجريمة الموجه اليه ! ولكن هذه النظرة لا تكفى بحال من الاحوال لتكون اساسا لتغيير نموذج الحياة للشخص المنحرف او المجرم • وهذا ما تهدف اليه بالضرورة الجهود التى تبذل لاعادة تنشئة هذا الشخص حتى يعود الى المجتمع مواطنا صالحا • وفى هذا الضوء نلاحظ ان الشخص المنحرف هو فرد له « شخصية اجتماعية » وليست « شخصية اجرامية » • وعلى الرغم من انه قد ارتكب نمطا معينا من انماط السلوك المنحرف او الاجرامى (او حتى اذا اعتاد على ارتكاب هذا النمط او ارتكب غيره من الانماط) فقد يكون ابنا بارا او اخا عطوفا او زوجا وفيا او ابا حانيا او صديقا مخلصا او عاملا حاذقا ••

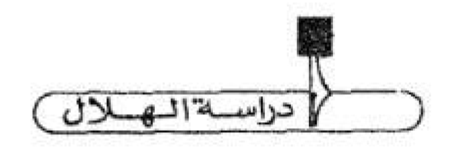
وارجو ان يلاحظ القارىء اننى اذ ادعو الى وقاية المجتمع من اعضائه المنحرفين او المجرمين فاننى ادعو ايضا الى وقاية اعضاء المجتمع من الانحراف والجريمة كذلك •

● السجون ●

وتجب ملاحظة ان هناك فئات من الاشخاص المنحرفين او المجرمين ، وبخاصة الشباب منهم فى ضوء المعنى الاجتماعى لمفهوم الشباب ، لا يصح ابدا ، فى رأى الكاتب ، ان يودعوا بالسجون ومن هذه الفئات فئات المتشردين والمتسولين والبغايا والمجرمين الشواذ سواء كان شذوذهم جنسيا او غير ذلك وفئات متعاطى الخمور والمدمنين على المخدرات بأنواعها •

واذ اذكر من الفئات السابقة فئة المدمنين على المخدرات بانواعها وبخاصة الشباب منهم سواء كانوا من الطلاب او العمال او من اهل الريف او

من اعضاء الاحياء الشعبية (ابناء وبنات البلد مثلا) ـ فانني اذكر دور الاخصائي الاجتماعي بالتعاون مع ادوار المتخصصين الاخرين كرجال الدين والمشرعين والمتخصصين في علم العقاب ورجال الشرطة وغيرهم من المتخصصين في مكافحة الانحراف او السلوك الاجرامي بمعناها العلمي · (اى تكوين المواطن الصالح ووقايته لكى يبقى صالحا ثم علاجه اذا انحرف او ارتكب جريمة) · اى انني اذكر اسهام الاخصائي الاجتماعي مع اسهام غيره من المتخصصين في السياسة العلمية الجنائية التي يتبعها ، او يجب ان يتبعها المجتمع في مواجهة اعضاء هذه الفئة من مدمني المخدرات بانواعها وغيرهم من اعضاء الفئات الاخرى · والقصد بالسياسة الجنائية مجموع المبادىء التي يتبعها هؤلاء المتخصصون لتحقيق اهداف المكافحة في ميدان المخدرات بانواعها في محيط متعاطيها او الذين يهربونها او يتجرون فيها من الشباب وغيرهم ـ فيما يتعلق بالتجريم والعقاب والوقاية والعلاج جميعا · ولعل هذه السياسة ترى ، او لابد أن ترى ، في ضوء قيم مجتمعنا ومبادئه ومثله العليا ، وجود علاقة جدلية بين الشخص المهرب او التاجر او المتعاطي والمجتمع ، وأن الفصل بين كل منهوبيين المجتمع امر تعسفي · اى انها لاترى ، ولا يمكن ان ترى علة هذا السلوك المنحرف او الاجرامي او علله تكمن في الشخص المنحرف او المجرم وليس في المجتمع · فهي ترفض حتما الاقتصار على قول القائل « اذا صلح اعضاء المجتمع صلح المجتمع » لان عضو المجتمع (السوى وغير السوى) لا يمكن ان يعيش في فراغ ، بل يعيش دائما منذ ولادته في جماعات اجتماعية اى في علاقات اجتماعية مستمرة فاذا صلحت هذه الجماعات ، وهي قوام المجتمع ، صلح هذا العضو او فسد هذا العضو · وهي الى جانب هذا ، القصد السياسة الجنائية ، تؤمن او يجب ان تؤمن ، بأن الانسان ليس قالبا جامدا تحدد سلوكه محددات ثابتة ابدية لا يمكن تغييرها · ولكنها ترى ان الانسان يمكن تغييره وأن المنحرف او المجرم بالتالي يمكن اعادة تنشئته الاجتماعية · فقط علينا ان نسلك لذلك الوسائل المناسبة التي تؤدى الى تحقيق هذا الغرض ، وذلك في ضوء اتباع المنهج العلمي في عمليات الدراسة وفي عمليات التطبيق على السواء ·· اى أن هذه السياسة اذ توافق على أن جهود رجال الشرطة المتعلقة بضبط المخدرات قبل ان تصل الى المتعاطين وجهودهم في تعقب مهربي المخدرات بانواعها وتجارها والقبض عليهم تمهيدا لمحاكمتهم جهود مشكورة يقدرها المجتمع حق قدرها ، فانها تعتقد ، او يجب أن تعتقد ، في ان الطلب هو الذى يخلق العرض. ومن ثم فان الجهود يجب ان تبذل من أجل التعرف على عوامل الطلب على المخدرات بانواعها حتى لا يكون هناك عرض لهذه المخدرات بانواعها · وذلك لان المخدرات بانواعها · هى سلعة اولا



وقبل كل شيء • وعلى الرغم من خطرها وخطورتها فانها تعتبر مثل جرائم الرشوة والتهريب والجرائم الجنسية من الجرائم غير المنظورة • اي ان حجم ارتكابها كجريمة عن طريق استهلاكها او الاتجار فيها ليس التعرف عليه سهلا او امرا ميسورا •

● الغول ●

وفي عام ١٩٨٢ ، اي في يوم ١٩٨٢/٤/٢ اشترك الكاتب في « ندوة الاهرام » مع السادة المختصين والمتخصصين وكان بينهم السيد وزير الداخلية في ذلك الحين والمسئولون من رجال الشرطة عن المكافحة (بمعناها الشرطي) وبعض رجال القانون •

وانتهى الامر الى ان المخدرات في مصر بكل انواعها وبخاصة مادة «الحشيش» ومادة « الافيون » تعتبر « غولا » يفترس تنمية المجتمع المصري • فقد لوحظ ان ما تدفعه مصر اي ان ما يتم تهريبه من مصر الى خارج الحدود « ثمنا » للمخدرات التي تعبر الحدود الى الداخل يساوي

- نصف ثمن الصادرات المصرية صناعية وزراعية وغيرها فيما عدا البترول وهو في مقارنة اخرى يساوي تقريبا :

- كل عائدات مصر المالية من قناة السويس •

او - كل دخل مصر من السياحة •

او - ثلث مجموع ما تدفعه الدولة من دعم للسلع الغذائية الاساسية•

او - نصف مجموع مرتبات كل العاملين في القطاع العام •

او - اكثر من مجموع ما تحصل عليه الدولة من ضرائب على الايراد العام وعلى النشاط الفردي •

هذا الرقم كان في ذلك الحين (عام ١٩٨٢) ٧٠٠ مليون جنيه مصري (سبعمائة مليون جنيه مصري) يتم تهريبه الى الخارج (بالعملة الصعبة) لشراء مخدرات وهو غير حوالي ثمانية ملايين جنيه مصري تتكلفها اجهزة المكافحة(بمعناها الشرطي) بالاضافة الى حوالي مائتي مليون جنيه مصري يدفعها المصريون من كافة الشرائح ثمنا للمخدرات التي يتعاطونها ويحولونها الى « سنة » (بكسر السين) الفيون يمتصونها تحت « الضرس » أو الى « دخان » يتلوى بنار « الجوزة » في الحجرات في الهواء حاملا اوهام الخيال بعد ان يكون قد اكل « المخ » وهد الجسد • ان الرقم « المفقود » « الملعون » اذن ليس ٧٠٠ مليون جنيه مصري (سبعمائة مليون مصري)ولكنه يصل الى حوالي « المليار » ، اي الف مليون جنيه مصري سنويا علاوة على « فاقد القوة » البشرية ومصاريف علاج المدمنين على المخدرات وما ينهشهم من امراض • اي ان مشكلة وجود ظاهرة





المخدرات بانواعها فى مصر تعرقضية التنمية فى هذا البلد الطيب بالمعنى الحضارى الشامل وبالمعنى الاقتصادى البحت • وخصوصا اذا لاحظنا فى ضوء نتائج أحد البحوث التى اجراها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية أن الغلبية متعاطى مادة « الحشيش » يبدأون هذا التعاطى وهم فى سن الشباب • بل اننا نجد أن نحو ١٣٫٨ ٪ من اعضاء عينة البحث قد بداوا التعاطى قبل سن السادسة عشرة ، وان الاغلبية بنسبة نحو ٥٧٫٩ ٪ بدا اعضاؤها يتعاطون هذا المخدر فى الفترة العمرية من سن ١٦ الى سن ٢٢ ، اما باقى اعضاء عينة البحث فقد بداوا فى سن لا يزيد على ١٨ عاما بنسبة نحو ٢٨٫٣ ٪ • وبالاضافة الى ذلك نجد ان نتائج هذا البحث قد اظهرت ان نسبة كبيرة جدا من هؤلاء جميعا اى بنسبة نحو ٧٣ ٪ واصلوا تعاطى المخدر منذ بدء تعاطيه ولم يستطيعوا ان يقلوا فى سبيل هذه العادة السيئة •

● الثقافة والمخدرات ●

وفى ضوء ما سبق يؤكد الكاتب ويكرر هذا التاكيد على أن مكافحة المخدرات بانواعها لا يمكن ان تكون « المنع » بمعناه الشرطى او القبض على مهربى المخدرات بانواعها وتجارها او القبض على متعاطيها • وذلك لان المشكلة هى فى حقيقة الامر وجود طلب على المخدرات بانواعها فى المجتمع ومن ثم فان البحث العلمى عن عوامل الطلب خصوصا وقد عرفنا ان بداية التعاطى فى محيط اعضاء المجتمع يمارسه الشباب ، وقد اصبح امرا حتميا • ونحن نلاحظ فى ظل المناخ الثقافى الاجتماعى المصرى ان من هذه العوامل اسطورة الجنس (تعاطى الحشيش مثلا) وعلاج الامراض والاعانة على السهر (تعاطى الافيون مثلا) • ومهما يكن من الامر فان المخدرات بانواعها هى فى حقيقة الامر « منافذ اجتماعية » ضارة يلجا اليها بعض اعضاء المجتمع المصرى لمواجهة التوترات والاحباطات والوان القهر التى يواجهونها ، كلها او بعضها ، فى هذا المجتمع • وفى هذا الضوء يؤكد الكاتب ان المكافحة بمفهومها العلمى هى تكوين « المواطن الصالح » الذى لا يخالف المبادىء والقيم والقوانين المرعية والمثل العليا للمجتمع •• هذا هو ما ينبغى ان تكون اهداف اجهزة التنشئة الاجتماعية التى تسهم فى تكوين المواطن الصالح والتى ذكرناها من قبل • والملاحظ انه لكى تعمل هذه الاجهزة لتحقيق اهدافها ينبغى اولا ان نحدد من هو المواطن الصالح ذكرا كان او انثى ؟ بعد هذا يجب وقاية المواطن الصالح ليستمر صالحا • وهذا لا يمكن ان يكون دور رجال وزارة الداخلية وحدهم عن طريق المكافحة بمعناها الشرطى (اى بمعنى المنع والقمع !) ، انما هو ايضا دور الوزارات المعنية والهيئات الشعبية والجماهير بعامة سواء كانوا اباء او امهات او رجال دين او مدرسين او اطباء او رجال اعمال •• الخ • ولن



يستجيب احد الا اذا احس بالشعور بالانتماء للوطن ، مصرنا الخالدة ، وان يعمل الجميع فى ظل سياسة جنائية محددة المعالم والاهداف حتى يتحقق التنسيق والتعاون . وبعد ذلك تأتى المرحلة الاخيرة لن ينزلق اى مرحلة العلاج . والكاتب لا يقول كلاما مثاليا . ان المهم ان نبدأ الآن بالاطفال حماية للاجيال القادمة . واذا ماتيسر تطبيق هذا كله فسيقل ان لم ينعدم الطلب على المخدرات بانواعها وبالتالى تتراجع عمليات التهريب والاتجار والاستهلاك عن طريق تعاطى هذه المخدرات بانواعها . اما فى الوقت الراهن فاننا نلاحظ ان فئات الشباب ذكورا واناثا وبخاصة اعضاء فئة الحرفيين واعضاء فئة التجار ومن يعملون فىمحيطهم سواء كانوا يعملون فى الريف او الحضر (فى ضوء المستوى الاقتصادى المرتفع الذى وصلوا اليه) يقبلون بنهم على تعاطى المخدرات بانواعها ، وقد نجد من الانحرافات من التجار ما يفعله التاجر (اليهودى) اذ يبيع لاعضاء المجتمع الذين لا يمارسون تعاطى المخدرات بانواعها وكلهم من الشباب فى الاغلب الاعم ، دون ان يتعجل فى اخذ الثمن . وبهذه الوسيلة يحاول ان « يربى » « الزبون » الذى يعتاد على طلب المخدر ويستمر فى معاملة التاجر الجشع .

والكاتب لا يرى الانتظار حتى يتكون المواطنون المصريون الصالحون الذين ينفرون من الانحراف او يرتكبون الجرائم وبخاصة جرائم المخدرات بانواعها ، ولكن يرى ان هذهالضرورة تحتاج الى امد طويل . ومن ثم فهى من قبيل الهدف طويل الامد . اى ان المشكلة وخطورتها، كما اتضح للقارىء مداها ، لا يمكن ان تترك دون ان نجد لها الحل المناسب . ونحن المهتمين بمشكلة المخدرات بانواعها والادمان عليها لدينا تجربة انسانية نشرتها منظمة الامم المتحدة وهى « تجربة الصين » فى مكافحتها الادمان على الافيون (مكافحة علمية) والتى نجحت فى القضاء على تهريب الافيون والاتجار فيه وتعاطيه فى وقت قصير ادهش العالم قاطبة .

● تجربة الصين ●

وفى ضوء تجربة الصين الناجحة المشار اليها والتى نشر عنها فى «مجلة المخدرات التى تصدرها منظمة الامم المتحدة» فى عام ١٩٥٨، ستلاحظ حتما دور المشرع ودور رجل الاعلام، وستلاحظ ايضا دور رجل الشرطة ودور الطبيب ودور السياسى ودور الاخصائى الاجتماعى . ستلاحظ هذه الادوار وكيف قام اصحابها كل حسب تخصصه، وكل حسب خبرته ، بقيادة الجماهير الصينية . الجماهير التى كان يصيب اعضاءها الادمان ، والجماهير التى لم يكن يصيب اعضاءها الادمان على السواء . لقد كانت مكافحة الادمان على الافيون فى المجتمع الصينى تحقيقا لضرورة اجتماعية يتطلبها هذا المجتمع . وقد قام المتخصصون فى هذا المجتمع باداء واجباتهم فى هذا المجال .. قاموا كقادة جماهير ، واستطاعوا تحقيق الامل . كانوا يحاربون عدوا مجهولا ولكنهم على الرغم من ذلك تيسر لهم ان يثيروا حماس الملايين من اعضاء المجتمع الصينى عن وعى علمى بالمشكلة التى كانوا يواجهونها . كل ذلك كان فى ضوء بعض المبادىء منها الاقتداء ببعض التعاليم الصينية التى استخلصوها من تراثهم ، ومن هذه

نجد « ان تعرف خططك ، وان تكون عليما بالوسائل التى يتبعها عدوك ، فان ذلك يكفل لك نصرا مبينا »· ومنها ايضا « أن قهر القلوب والعزائم اهم من مهاجمة المدن » ، وفضلا عن ذلك فان ادمان مادة الافيون مرتبط بحياة المتعاطين وحياة من يحبون ويعزون، وهو مرتبط ايضا بقدرتهم الواعية على العمل والانتاج ·

● المنهج العلمى ●

واذ اختم هذه الدراسة ارجو ان يكون القارىء الكريم قد لاحظ اهتمامى ببعض الامور وهى :

● اننى ادعو ملحا الى تطبيق المنهج العلمى عند تناول موضوع الشباب وعلاقته بالانحراف والجريمة وبخاصة ما كانت له صلة بتعاطى المخدرات بانواعها ·

● ان الشباب كفئة من فئات المجتمع المصرى فى الوقت الراهن هم عماد تنمية هذا المجتمع · فهم اذ يقومون بعمليات هذه التنمية يلبون فى الوقت نفسه حاجاتهم وحاجات من يجيئون من بعدهم ·

● ان هدف الاهداف هو التعرف على سمات المواطن المصرى الصالح وفى ضوء التعرف على هذه السمات يقوم المجتمع المصرى بتكوينه عن طريق أجهزة التنشئة الاجتماعية مثل الاسرة والجيرة والمدرسة والنادى الاجتماعى والمنظمة الدينية والمنظمة السياسية (الاحزاب مثلا) واجهزة الاعلام والثقافة ، وان يعمل الجميع فى ظل سياسة محددة المعالم والاهداف حتى يتحقق التنسيق والتعاون ·

● ان مفهوم الوقاية يعنى بذل الجهود كل الجهود لكى يبقى المواطن المصرى الصالح صالحا · وان مفهوم العلاج ان يكفل المجتمع المصرى التدابير لعلاج من ينحرف من مواطنيه ·

● ان مفهوم مكافحة الانحراف او الجريمة مثلا لايعنى ابدا منع الانحراف و الجريمة وقمع المنحرفين او المجرمين بعد ضبطهم · هذا المعنى ضيق شرطى لا يوافق عليه الكاتب · وعنده ان هذه المكافحة تتضمن تكوين المواطن الصالح ثم وقايته ثم علاج من يحتاج من اعضاء المجتمع الى علاج · ولا يمكن لرجل الشرطة ان يعمل وحده فى سبيل تحقيق هذه الاهداف ·

● ان الطلب على المخدرات بانواعها هو وحده الذى يخلق عرضها ·· ومن ثم فان مجهودات رجال الشرطة فى سبيل ضبط المخدرات بانواعها مجهودات مشكورة ما فى ذلك من شك ولكنها غير كافية للقضاء على المخدرات بانواعها (تهريبها او الاتجار فيها او تعاطيها) ·

● ان الثمن الذى يدفعه المجتمع المصرى المعاصر بسبب المخدرات بانواعها باهظ جدا سواء اكان هذا الثمن ماديا يقدر بالنقود ام كان هذا الثمن يبدد الطاقات الشابة التى يحتاجها هذا المجتمع احتياجا ملحا وهى لا تقدر بثمن ·

● ان الامل فى القضاء على ادمان المخدرات بانواعها فى محيط اعضاء المجتمع المصرى ومنهم الشباب بالضرورة قائم مادام المسئولون قد احسوا بالمشكلة · لان مجرد الاحساس بمشكلة من المشاكل الاجتماعية او حتى الفردية هو بداية على طريق حلها · ومع ذلك فان الرجاء كل الرجاء ان تبذل الجهود كل الجهود فى سبيل العمل الجاد ،فى ضوء العلم ، لكى يتطهر المجتمع المصرى ويقضى على الادمان على المخدرات بانواعها · ولنا فى تجربة الصين فى القضاء على الادمان على مادة الافيون اسوة حسنة ·



● يا عينيها ●



اخرج من وقد الصمت
الى عينيك الوارفتين العازفتين ، الوالهتين
القى سوسنتى عند الباب ومصباحى
اتجول فى طرقات الخوف
اجرجر ذاكرتى المنطفئة
تجرحنى الأجساد ٠٠ والالوان ٠٠ الأحرف
تمضغنى انياب الزمن الطافح من احراش الليل
اجيئك ٠٠ لا شيء سوى الحب يدثرنى
يغسلنى من وجع الصمت
ويجلو عن قلبى صداه
جئت ارتل عشقى
أحزم اعواد الكلمات المهترئة
يا عينيها الواسعتين ، الضيقتين
احبك
رغم تجاويف الليل
ورغم الموت ، واعشاب الحزن
ورائحة الصمت المختبئة
بوحى بالعشق فقد بحت طويلاً
واحترقت اشرعة الكلمات بصدرى
صدىء العود
وضاعت بين شقوق الصمت الغاريدى

فؤاد سليمان مغنم .
منيا القمح

● مديمتنا على صواب ●

● فى صفحة الأدب بجريدة الاهرام ٠٠ كتب الاستاذ عبد الله عبد البارى تحت عنوان « اخطاء شائعة » ٠٠ يقول : « والخطأ الشائع الثانى، فى عدم تطبيق قاعدة العدد عكس المعدود قياسا على مفرد المعدود

وليس جمعه بان تقول المذيعة مثلا : نشرت صحف الصباح الثلاثة ، وصحتها الثلاث .. او جرائدنا الثلاثة ، وصحتها الثلاث .. ذلك ان مفرد جرائد هى جريدة مؤنث وبذا فالعدد يذكر » .

وقد غاب عن الاستاذ عبد البارى أن قواعد اللغة تقول :

١ ـ يخالف العدد (٣ ـ ١٠) المعدود قياسا على مفرد المعدود وليس جمعه تذكيرا وتأنيثا في الحالات التى يسبق فيها العدد المعدود .. كان نقول : ثلاث صحف ، ثلاث جرائد ..

٢ ـ اذا سبق المعدود العدد تجوز الموافقة وتجوز المخالفة .. وعلى هذا يصح لنا أن نقول : صحفنا الثلاثة او صحفنا الثلاث .. وجرائدنا الثلاثة او جرائدنا الثلاث .. ففى هذه الامثلة نرى ان المعدود قد سبق العدد وعلى هذا تجوز الموافقة وتجوز المخالفة .. وعلى هذا فمذيعتنا الكريمة على صواب حين تقول : صحفنا الثلاثة او جرائدنا الثلاثة ..

الشاعر الدكتور احمد عامر
شبين القناطر

تصحيح لازم

● وقع خطأ مطبعي في الاية الكريمة ، في مقال للهلال بعدد اكتوبر ١٩٨٥ وصحته : « قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون » .
« سورة البقرة ١٣٦ »

عبد الرحمن شاكر

ندوة الهلال

● بالاشارة الى ندوة الهلال الشهرية التي نشرت فى عدد اكتوبر سنة ١٩٨٥ عن التعليم .

اود ان اشير بانها ندوة اثارت الكثير من النقاط الهامة التي تحتاج الى مناقشات ودراسات طويلة ولكنني اود ان اصحح نقطة هامة وردت على لسان أحد الاساتذة الافاضل الذين شاركوا في الندوة وهي عدم وجود تخصص الكترونيات وبناء سفن فى التعليم الصناعى .

وللحقيقة المجردة يوجد عدد ٢٤١٥ خريجا عام ١٩٨٥ م تخصص الكترونيات وكذلك عدد ٢٤٠٧ خريج عام ١٩٨٥ م وكذلك ايضا بالنسبة لبناء السفن يوجد ١٤٥ خريجا عام ١٩٨٤ م تخصص بناء السفن وكذلك ١٢١ خريجا عام ١٩٨٤ م
نامل التكرم بنشر هذا التصحيح .

محمد جودة عمارة



● مدير يتحدث عن نفسه

الا حاذر فانني المدير
على عيني منظار ثمين
وفي شفتي « سيجار » غليظ
واملا مقعدي شحما ولحما
اشير باصبعي فيفر جمع
أجيب محدثي من طرف انفي
وان يوما نظمت فدون شعري
اذا ما سرت سار الناس خلفي
فلا تقدم على تهوين شاني
وشاني في الورى شان خطير
وحول اصابعي ذهب نضير
وبين اناملي قلم هصور
وذاهين ... فلي بطن كبير
ويقبل آخرون اذا اشير
بنزر القول اذ نطقي يسير
قصيد كان تبجه « جرير »
على بعد ... وخطوهم قصير
وحاذر جيدا .. فانا المدير !

احمد قاسم احمد
مدير التعليم الثانوى
بمديرية قنا للتربية والتعليم

قصة قصيرة





● من الكلية خرج مسرعا بعد ان اعلنه الاستاذ بضرورة تصوير هذه المستندات والمذكرات وسرعة انجازها قبل بدء الامتحان .. اسرع والنبض والعقل الشارد في استهلاك الوقت .. نصف ساعة لاذهب الى ابى قير لاصور هذه المذكرات واعود .. حسنا فلاسرع .. مضت من الوقت عدة

دقائق بين تلكؤ القطار فى المحطات ·· وصلت ·· دفعت بالاوراق الى المصور ·· الى مكنة التصوير ·· بعد ان اجتزت عدة سيارات كادت ان تودى بحياتى ·· الوقت·· الامتحان ·· يبدأ بعد ربع ساعة ·· حسنا انهيت ·· عدت من الطريق ·· وجدت ان الطريق خالية من السيارات وكان هناك سرا رهيبا قد حدث فقد انشقت الارض وابتلعت كل السيارات ·· لا ليس هذا ·· وتكشف لى الامر فالجنود المتراصة بمسافات والاستعدادات توحى بمرور مسئول كبير ·· باق من الزمن خمس دقائق ·· اندفعت حتى اعبر الطريق حاملا اوراقى والمذكرات التى صورتها ·· منعنى عملاق من الجنود ·· ممنوع العبور ·· امرا كان الصوت ·· قف على جانب الطوار الايمن ·· عندى امتحان باعلى الصوت صارخا ·· لن تمر الا بعد ··· عندى امتحان بعد خمس دقائق ستهدر مستقبلى ·· اندفع ناحيتى ضابط برتبة كبيرة من اثر الضجة ·· ماذا حدث ·· هدىء نفسك ·· مستقبلى سيضيع عندى امتحان بكالوريوس بعد دقائق يافندم ·· اسمع تاخير دقيقة او اكثر لن يضيع مستقبلك ·· سيمر خلال دقيقة او اكثر موكب زعيم اجنبى كبير وبعدها اذهب الى حيث شئت ·· ولكن الان قف على جانب الطوار الايمن ·· وقفت ـ تاكلنى اللحظات ·· الزف عمرى تنهش جسدى هموم العالم ·· اسودت فى عينى الدنيا ·· وجلبة عالية اتية من صوت موتسيكلات عديدة كان بينها سيارة سوداء فاخرة يبرز من نافذة بابها الخلفى وجه الزعيم ·· ملوحا بيده تحية لنا ودون شعور اجدنى وعينى فى عينه ·· اصفق تحية له والزف عمرى وقلبى وعقلى تنهشه اللحظات الخنجرية التى تضرب بكل القسوة عمر الانسان ·· مستقبل انسان يضيع من اجل هذه اللحظة ·· اسرع باقصى ما يمكننى من سرعة ·· اتفادى سيارة كادت تدهسنى ادخل لجنة الامتحان ··

ـ لماذا تاخرت ؟!

سمير محمد عبد العليم
الاسكندرية

● ملاحظات على مقال ●

● قرات فى عدد يونيو الماضى من « الهلال » مقالا للاستاذ توفيق حنا عن « الموسيقى والغناء فى قاهرة عام ١٨٠٠ » · وقد لفت نظرى فى هذا المقال عدة امور :

يذكر الكاتب قائد الحملة الفرنسية باسم « نابليون » وتكرر ذلك مرات عديدة ، مع ان اسمه الرسمى فى ذلك الوقت كان « الجنرال بونابرت » ·· والملك تعلم انه لا يجوز استخدام اسمه الاول الا بوصفه امبراطورا فقط ، فهذا هو العرف السائد فى الغرب ·



— يقول الكاتب ان سكان القاهرة ، حسب تقدير علماء الحملة ، لم يزيدوا على ثلاثة الاف نسمة ٠٠ والصواب « ثلثمائة الف » فارجو الرجوع الى الاصل ٠

— يقول : « وانتهت هذه المغامرة ٠٠٠ بانتصار المصريين على المغامر الفرنسى الذى أراد ان يقلد الاسكندر ففشل وعاد الى فرنسا منكسرا منهزما ٠٠٠ » وهذا القول يفتقر الى الدقة ، فان بونابرت ترك حملته فى مصر بعد عام واحد فتولى قيادتها بعده كليبر ثم مينو ٠٠ وقد فشل هذان القائدان فى تحقيق اهدافها الاستعمارية بسبب مقاومة المصريين واسباب اخرى ٠

— استعمل الكاتب كلمة « كركون » وكان الافضل ان يستعمل « قرقول » او « قره قول » وهو الاسم التركى الاصل لقسم الشرطة الذى كان شائعا ٠

— الصورة التى قال انها تمثل « الناى باشكاله المتعددة » ليس بها اى ناى ، وانما هى تمثل « المزمار » البلدى بمختلف اشكاله ، وكذلك صورة « العود باشكاله المختلفة » ليس بها سوى عود واحد ، وباقى الالات لها اسماء اخرى كالبزق والطنبور ٠

— وايضا صورة « الاشكال المختلفة لآلة القانون لا تحتوى الا على شكل واحد للقانون والباقى لآلات اخرى ٠

— اما مقاله فى عدد يوليو الحالى فصحة عنوانه : « ٤٥١ فارنهايت » وليس « فهرنهيت ٤٥١ » كما ذكر ٠

لقد اخطأ فى ترتيب الكلمات وفى النطق الصحيح للكلمة التى تدل على المقياس الحرارى المعروف ٠

قارىء

● حوار مع القراء ●

● ابو الحسن نور الشيخ ـ السودان :

ـ قصيدتكم التى استوحيتموها من كتاب « العرب والتحدى » للدكتور محمد عمارة ، تنم عن شاعريتكم ومحبتكم لقوميتكم العربية ٠

● عمر احمد ابو جابر ـ كفر قاسم ـ فلسطين

ـ قصيدتكم التى جعلتم عنوانها « نور عينى » ينقصها الوزن السليم واللغة الصحيحة ، وخطكم لا يقرأ الا بصعوبة ٠

● مصطفى ابو كحلة ـ كفر الزيات :

ـ قصيدتكم « بلسم الدنيا » ، مرحلة جديدة فى شعركم ، فالاوزان صحيحة واللغة طيبة ·· نهنئكم ·· والى الامام وننتظر رسائلكم ٠

● محمد العائش القونى ـ تونس :

ـ نشكركم على ملاحظاتكم وتصحيحاتكم لبعض الاخطاء المطبعية التى تقع فى المجلة سهوا ·· ونشكركم على مقالكم عن الطب فى المعهد النبوى وعند الائمة وعلماء الاسلام ٠

● محمد طنطاوى :

ـ نأسف لعدم معرفتنا عنوانك ·· وشعرك عجيب حقا ، فبعضه يبلغ حد الجودة ، وبعضه يصيبه اختلال الاوزان ، فلعلك تراجع ما تنظم من الشعر فتبقى الجيد منه وتتخلص من الردىء وغير الموزون ··

● محمد عبد الرحمن صان الدين البريلى ـ القاهرة :

ـ لعلنا لم نخطىء فى كتابة اسمك ، فهكذا هو مكتوب فى رسالتكم أما قصيدتكم « حكمة طائر » فانها من الطول بحيث نعجز عن نشرها فنعتذر اليكم ، وننتظر غيرها أوجز منها ٠

● ايهاب النجدى ـ دقهلية :

ـ لا تغضب يا عزيزى ، فان ملاحظاتنا على أوزانك هدفها توجيه عنايتك الى ما تستقيم به أحوالك فى هذا الفن الصعب الذى يظنه من يجهلونه أسهل الفنون الادبية ·· حاول أن تتقن الاوزان اذا أردت الاستمرار فى نظم الشعر ٠

● الى الشعراء السادة : د· حامد على الزقزوق ·· اشرف محمد مصطفى ·· يحيى عبد الرحمن غيث ·· عزت أحمد صابر ·· محب محمد مرسى السليلى ·· محمد عبد الكريم بالسودان ·· احمد الاسوانى ·· محمد سعيد رشاد ·· على عبده النوبى ·· جمال جابر على ··

ـ يضيق المقام عن مناقشة اشعاركم بالتفصيل ، غير اننا نلاحظ أنها كلها تجتمع عند نقطة واحدة هى الافتقار الى الوزن الصحيح ، بدرجات متفاوتة ، فبعض قصائدكم ينقصه مراجعة بسيطة فى الوزن ، وبعضها مختل الاوزان بشكل يبعث على الاسف ، ونعتذر اليكم على كل حال ، ونرجو لكل منكم التقدم فى فن الشعر ٠

أسرة المستقبل.. توفر الحصانة لمصر
"تيس"
هو الأمثل في مواجهة الزيادة السكانية

لعلنا ياصديقي قد اتفقنا على الخطوط العريضة التي تدعونا جميعا للاسهام في الدعوة والتعريف بتنظيم الاسرة من اجل توفير الحماية والأمان لوطننا وصنع الغد الأفضل .

ونحن ياصديقي لسنا بدعا عندما نتحدث عن تنظيم الأسرة وأهميته بالنسبة لوطننا العزيز .. مصر فلقد سبقنا الى ذلك صفوة من المفكرين والعلماء الافاضل من ابناء وطننا .. آمنوا مثلنا بان الدولة وحدها لاتستطيع مواجهة مشكلة الزيادة الرهيبة في السكان .. وانما يتأتى ذلك بتضافر جهود جميع المصريين وايمانهم بهذه القضية .. وكان خير مثال على ذلك جمعية اسرة المستقبل .. فماذا تعرف .. ياأخي عنها .. ومتى بدأت .. وفيما يتجه نشاطها ؟ هذا ماسنحاول التعريف به في هذه العجالة .

تأسست جمعية "اسرة المستقبل" عام ١٩٧٩ .. وتضم بين صفوفها صفوة من رجال الدين والعلماء الافاضل والمتخصصين من الاطباء من بينهم .. السيدة عزيزة حسين ، الدكتور ابراهيم كمال ، السيدة زهرة رجب ، الدكتور صادق فودة ، الدكتور عبده سلام ، فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجار ، السيد محيي الدين طاهر ، والدكتور ماهر مهران .. وغيرهم كثيرون آمنوا بضرورة مواجهة مشكلة التزايد السكاني الذي يهدد باخطار كثيرة نتيجة الانفجار السكاني وقد سعت جمعية اسرة المستقبل منذ نشاتها عام ١٩٧٩ الى توفير وسائل تنظيم الأسرة متبعة في ذلك اسلوب التسويق الاجتماعي الذي لايبغي الربح مستهدفة توصيل هذه الوسائل بسهولة ويسر مع نشر الوعي بين المواطنين وامدادهم بالمعلومات الصحيحة عن هذه الوسائل .

وقد آلت اسرة المستقبل على نفسها ان تكرس كل جهودها من اجل هذه القضية مهما واجهت من صعاب .. وقد تحملت الكثير من اجل توصيل هذه الفكرة الى الجماهير فعقدت العديد من الندوات في القرى والنجوع ، وداخل التجمعات السكانية .. للتوعية بهذه الوسائل .. كما عقدت الندوات التي شارك فيها صفوة من رجال الدين

الاسلامي والدين المسيحى لتوضيح

هذه الصورة والاعلان عن ان الاديان السماوية انما جاءت من اجل صالح الانسان وانه لاتعارض بين الاديان السماوية ، وبين تنظيم الأسرة .. كما ضمت الندوات العديد من المتخصصين من كبار الاطباء لتوضيح طرق استعمال الوسائل باسلوب سليم حتى تؤدى الوظيفة المطلوبة منها

تدريب العاملين فى مجال تنظيم الاسرة

واذا .. كانت اسرة المستقبل قد واجهت الكثير من المعوقات ، ولكنها استطاعت بفضل ايمانها بالقضية وايمان الصفوة من المفكرين الذين يقودون خطاها ان تتخطى هذه المعوقات وتواصل مسيرتها نحو تحقيق اهدافها . فانها قد خطت خطوات واسعة فى سبيل تحقيق اهدافها .. وقد اولت الجمعية الجانب العلمي فى هذه القضية المزيد من الاهتمام فاهتمت بتوفير الابحاث عن السكان وعن المواطنين الذين هم فى سن الانجاب ومدى احتياجهم من وسائل ، كما اهتمت بالابحاث العلمية والمشاركة فيها من اجل الوصول الى الوسيلة الفعالة والمناسبة للمجتمع فى نفس الوقت .. واهتمت ايضا بالجانب السلبى فى الوسائل حتى لاتكون هناك اعراض جانبية تضر بصحة المواطنين .

والجانب الذى حظى بالكثير من الاهتمام كان هو الجانب التدريبى فعقدت العديد من الندوات لتدريب الاطباء والصيادلة بالطرق الصحيحة لاستعمال هذه الوسائل لتكون اكثر فاعلية وتوفر امانا اكثر للمواطنين

توفير الوسائل

واذا كانت جمعية اسرة المستقبل قد اهتمت بالجانبين العلمى والتدريبى فانها ايضا وبنفس القدر قد اهتمت بتوفير العديد من الوسائل ، حتى تكون هناك الوسيلة التي تتناسب مع كل حالة .. فوفرت مجموعة متكاملة من احدث وسائل تنظيم الاسرة .. منها .

- نورمنست .. حبوب تؤخذ بالفم حبة كل يوم للسيدات
- اللوالب النحاسية T — 7 للسيدات
- امان .. اقراص موضوعية للسيدات
- تبس .. العازل الطبى للرجال

ثم قامت الجمعية بانشاء العديد من المراكز والعيادات المتخصصة لرعاية المترددين عليها وارشاد المواطنين لطرق استعمال الوسائل

وبعد .. فهذه لمحة سريعة عن الدور الذى تقوم به " أسرة المستقبل" فى سبيل رعاية الاسرة المصرية والوقوف معها فى وجه الطوفان البشرى الزاحف من اجل القضاء على المستقبل .. وهذه اللمحة توضح مدى الدور الذى تقوم به احدى الجمعيات الاهلية من تنظيم الاسرة .. فماذا انت فاعل الآن .. لعلك معى ياعزيزى القارىء فى أن الأمر يحتاج منك الى وقفة صادقة مع النفس .. وان تساهم وبايجابية فى تنظيم الأسرة

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ١٢٠ عددا ، فى جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستانى عشرة دولارات .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

: دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب

القاهرة ـ تليفون ٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط . مجلة الهلال ت : ٦٢٥٤٨١



اسعار البيع للعدد العادى ثمنه ٣٠ قرشا ـ

سوريا	٥٠٠ ق . س	اديس ابابا	٤٥٠ سنتا
لبنان	٥٠٠ ق . ل	باريس	١٢ فرنكا
الأردن	٤٠٠ فلس	لندن	١٠٠ بنس
الكويت	٥٠٠ فلس	ايطاليا	١٥٠٠ ليرة
العراق	١٠٠٠ فلس	سويسرا	٣،٥ فرنك
السعودية	٥ ريالات	اثينا	١٠٠ دراخمه
السودان	١٠٠ ق . سودانى	فيينا	٢٥ شلنا
تونس	٦٥٠ مليما	فرانكفورت	٤ ماركات
المغرب	٨٠٠ فرنك	كوبنهاجن	١٠ كرونات
الجزائر	٦٥٠ سنتا	ستوكهولم	١٤ كرونه
الخليج	٤٥٠ فلسا	كندا	٢٥٠ سنتا
غزة والضفة	٤٠ سنتا	البرازيل	٣٥٠ سنتا
الصومال	٥٠ بنى	نيويورك	٣٠٠ سنت
داكار	٤٠٠ فرنك	لوس انجلوس	٣٠٠ سنت
لاجوس	٦٠ بنى	استراليا	٤٠٠ سنت
اسمره	٤٥٠ سنتا	هولندا	٤ فلورينات
اليمن الشمالية	٦ ريالات	عدن	٢٥٠ فلسا
بلجيكا	١٠٠ فرنك	اسبانيا	٢٥٠ بيزيتا


مصر للطيران
علم مصر فى كل مكان
أكثر من
٥٠
سنة خبرة
مصر للطيران
فى خدمتكم
أوربا - أفريقيا
آسيا - أمريكا
(البوينج ٧٦٧ - البوينج ٧٣٧ - البوينج ٧٠٧
الايرباص - الجامبو ٧٤٧)


مجهزة ومعدة للطهو فورا
خضروات محفوظة ومجمدة
محتفظة بجميع صفاتها
وخواصها الطبيعية
عصير طبيعي
فواكه محفوظة
سردين ماكريل
اختيارك
لها
دليل
التذوق
الرفيع
عصير مانجو
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com